المقدمة، وفيها:

1- **ذكرُ أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع.**

2- **الدراسات السابقة حول الموضوع.**

3- **خطة البحث، ومنهجي فيه.**

4- **ثم الشكر والتقدير والدعاء**.

الحمد لله دعا كلَّ عبيدِه إلى عِبادِتِه، وخصَّ منهم مَن شاء بِهدايتِه، فقال ربُّنا -وهو الحكيم الخبير-: ﭽ ﭼ [يونس: ٢٥]؛ فعمَّ وخصَّ؛ عمَّ كلَّ أحدٍ في الدعوة إلى التوحيد والشريعة الموصلين إلى الجنة، شرعًا من ربِّنا وعدلاً. وخصَّ بالهداية مَن يشاء قدَرًا منه وفضلاً.

والصلاة والسلام على مَن كان توحيدُ ربِّه في إلَهيته وأفعاله وأسمائه وصفاته؛ غايتَه ومقصودَه وإرادتَه، الذي وصفه ربُّه في غير ما آية، ووصف نفسه: بصفتَي العبودية والبشرية مع صفتَي الإيحاء إليه والرّسالة، في نصوص مستفيضة قادمة. وعلى آله وصحبِه الذين فهموا عن الله ، وعن رسولِه مُرادهما؛ فاجتثوا –مستأصِلين- أصول الشرك كبيرِه وصغيرِه، فاحتاطوا للتوحيد أشدَّ احتياطٍ -كما احتاط له الشرعُ قبلَهم.

وبعد:

فإنّ أهل الأرض قبل البعثة المحمدية عربهم وعجمهم كانوا في جاهلية جهلاء، وضلال مبينٍ، فبعثه سبحانه بالهدى ودين الحق، وأخرج الناس به مِن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومِن بِدَع الجاهليين إلى السُّنّة المطهَّرة، وأنزل عليه ذكرَه الحكيم وأوكَل إليه بيانَه بقوله وفعله، وشرَح صدرَه ونزّهه عن قولٍ بالهوى، وأمرَه الله بتلاوة آياته للناس، وبتزكيتهم وتعليمهم، كما قال سبحانه: ﭽﯘﯗﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﭼ [البقرة: ١٥١] وقال: ﭽﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﭼ [آل عمران: ١٦٤].

فكان أعظمَ شيءٍ تلَى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلّم على الناس وعلّمهم وأمرهم به: إفرادُ الله بالتوحيد الذي هو حقّه على العبيد، كما أنّ أخطر شيءٍ زكّاهم وطهّرهم منه، ونَهاهم عنه: شركُ المعبودِ وجعل التنديد، قال في الأمر والنهي: ﭽﮱﯓﯔﯕﯖﭼ إلى قوله: ﭽ ﯚﯛﯜﯝﯞﯟﭼ [البقرة: ٢١ – ٢٢] وقال: ﭽﮗﮘﮙﮚﮛﮜﭼ [النساء: ٣٦]

وقال: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [الأنعام: ١٥١] وقال: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [الإسراء: ٢٢ – ٢٣]. بل ذكر الله علّة خلقه للجن والإنس وحصَره في توحيده فقال: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [الذاريات: ٥٦] .

وقد حرِص عبدُ الله ورسولُه نبيُّنا مُحمدٌ ﷺ –كُلَّ حياته- على صَفاء عقائد الناس وتكميل أديانِهم وعقولِهم؛ بنبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين والخرافات والخزعبلات، فدعا إلى توحيد الله والتحقق به ظاهرًا وباطنًا، وأمَر به وفرضَه وقرّره أعظمَ تقريرٍ، وبيَّنَه أعظمَ بيانٍ، وأخبَرَ أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا به. ونَهى عن ضدّه من الشرك والتنديد، وعَمِل على تَحرير العبيد مِن رِقّ المخلوقين والتعلقِ بِهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، لينالوا العزَّ الحقيقيَّ والشرَفَ العالِي، ووضّح لَهم: مِن براهين هذا الأمر العقلية والنقلية؛ بذكر أوصاف المخلوقين كلّها وصفاتِهم، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربّها في كلّ شؤونها، فأبدى ذلك وأعاد. كما شرَح صفاتِ الخالق العظيم المتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جَميع الوجوه، وأنه الذي لا يستحق العبادةَ سواه. وبِهذا ميّزَ ﷺ لَهم ما هو حق المعبود مِن حق العبيد، ووضَع لَهم حدودًا، حتى لا يتجاوزوها بقول أو عمل أو اعتقاد. وأنّ مَن غلا بأحدٍ من المخلوقين –ولو كان أفضلَ الخلق على الإطلاق، وأعظمَهم عند الله جاهًا، وأقربَهم إليه وسيلة- حتى جعَلَ له نصيبًا مِن حقوق الخالق الخاصة وخصائصه، أو رفَعَ أحدًا من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله بها = كان قد ناقَض توحيدَه بأعظم الشرك، أو ناقصَه بِهذا السبب الموصِل إليه (رفع المخلوقات فوق منزلتها).

فكان مِن هديِه ﷺ القويم، وصراطه المستقيم الذي سلكه لتقرير كلّ ما تقدم: أنه إذا بَدَر ما يُخِلّ بِهذا الجانب من أحَدٍ، أو نوى ذلك أحدٌ: سارَع ﷺ في التنبيه عليه والنهي عنه، **ومِن النماذج على هذا**:

*أنه لَمّا وَدّ أحدهم ورَوَّأَ فِي نَفْسِهِ أنْ يَسجُد له ﷺ -وذلك بعدما رَأَى النَّصَارَى يَسْجُدُونَ لأَسَاقِفَتِهِمْ

وَبَطَارِقَتِهِمْ، بزعم أنه كَانَ تَحِيَّةَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَ المصطفى، وكَذَبُوا عَلَيهم- نَهاه الرسول وقال: " **لا تَفْعَلُوا؛ ...** "[1].

وفي حديث أنس قال، قال رسول الله : " **لا يصلح لبشرٍ أن يسجُد لبشرٍ، ولو صلُح لبشَرٍ أن يَسْجُد لبشرٍ؛ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا من عِظَم حقه عليها** "[2]. وفي آخَرَ –وفيه قصة-: "**لا يسجُدُ أحدٌ لأحد**"[3].

*__ومن نَماذج حيطتِه للتوحيد:__ أنه لَمّا قالوا: قوموا بنا نستغيث برسول الله مِن هذا المنافق، نَهى أنْ يُستغاث به في حياته حتى في مثل هذا الذي يقْدِر عليه، فكيف بالذي لا يقْدِر عليه، أو الاستغاثة به بعد وفاته؟ قال: " **إنه لا يُستغاث بِي، وإنّما يُستغاث بالله** "[4]. مِن حديث ابن لهيعة -رحمه الله. فكان النهي حمايةً لجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، وأدَبًا وتواضُعًا لربه، وتَحذيرًا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال.

*__ومن النماذج__ أنه لَمّا قال ناسٌ: يَا مُحَمَّدُ! يَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا! وَخَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا! قَالَ رَسُولُ الله : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ؛ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ**

---

[1] (?) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، رقم: 1853، قال البوصيري في الزوائد: « رواه ابن حبان في صحيحه ». قال السندي –رحمه الله-: « كأنه يريد أنه صحيح الإسناد ».

[2] (?) السنن الصغرى للنسائي، كتاب ، حق الرجل على المرأة، رقم: 9147.

[3] (?) أخرجه أبو نعيم في الدلائل، الفصل التاسع عشر، رقم: 291، وفي سنده صالح بن حيان، وهو ضعيف (التقريب لابن حجر: ورقم ترجمته، 2851)، والحاكم في المستدرك: كتاب البر والصلة، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، رقم: 7434، والحديث وإنْ كان في سنده مقالٌ إلا أنّ الشاهد منه ثابتٌ (وهو النهي عن السجود لرسول الله خصوصًا، ولغيره عمومًا، سوى الله).

[4] (?) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج10 /ص159): ورجاله رجال الصحيح ، غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث ».

وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ ﷻ "[1]**.** ومثله بل وشاهدٌ له ما جاء عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ﷺ، قال: « انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: " **السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** "، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلا، فَقَالَ: " **قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ** "[2].

*__ومنها__ أنه قَالَ: " **لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي رَسُولا** "[3].

***ومنها أنه لَمّا قالت الجَارِيَة:**

وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ.

حذّر من ذلك وقَالَ: " **لا تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ** "[4]. وفي رواية أخرى: " **أَمَّا هَذَا فَلا تَقُولُوهُ؛ مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلا اللَّهُ** "[5].

ففيه أنه قد ردّ عبد الله ورسوله نبيّنا محمدٌ ﷺ على مَن زعم أنّه يعلم الغيب، حمايةً منه مِن أنْ يوصف بما لا يستحقه من خصائص الإله.

*__ومنها أيضًا__ أنّه نَهَى الْمادحين عن مُجاوزة الحد في مدحه، وكذلك مدحه بالباطل، فقال: " **لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**"[6].

---

1 (?) سنن النسائي في الكبرى، وأحمد: في مسند أنس ﷺ (بسندٍ ضعيفٍ)، والحاكم . قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعدما أورد الحديث: رواه النسائي بسندٍ جيِّد، ص440.

2 (?) سنن أبي داود، والأدب المفرد للبخاري وغيرهما، وهو صحيح، سيأتي تخريجه، ص440.

3 (?) الطبراني في الكبير، وصححه الألباني (الصحيحة، ج6/ص106، برقم: 2550)، سيأتي تخريجه، ص450.

4 (?) صحيح البخاري، وهو مخرج في (مبحث علم الغيب)، سيأتي تخريجه في: ص1645.

5 (?) سنن ابن ماجه: وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (برقم: 1539)، سيأتي تخريجه، ص1646.

6 (?) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، رقم: 3445.

***ومنها** أنه لَمّا قال ذلك الرجل: ما شاء الله وشاء محمدٌ، قـال: " **جعلتنِي لله عـديلا؟ لا، بـل مـا شـاء الله وحدَه** "[1]. وفي لفـظ: " **جعلتَ لله ندًّا! ما شـاء الله وحده** "[2].

*وخشِي في آخر حياته بل وفي اللحظات الأخيرة منه: أن يُتخذ قبرُه مسجدًا، وعيدًا، فنهى عن ذلك، وقال: " **أَلا! وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا! فَلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ** " [3] من حديث جُنْدَبٌ ، وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: " **لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا** ". قَالَتْ: وَلَوْلا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى[4] .. وفي لفظ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَوْ خُشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا[5].

وجاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** "[6].

*كما سأل الله تعالى وتضرع إليه بأن لا يجعل قبره وثنًا يُعبَد يُصلّى له ويُسجد، في الحديث: " **اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا؛ لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** "[7].

---

[1] (?) مصنف ابن أبي شيـبة: في الرجل يقول: ما شاء الله وشاء فلان، ورقمه في الباب: 3، (ج6/ 264).

[2] (?) الأدب المفرد للبخاري: باب قول الرجل: ما شاء الله وشئت، رقم: 783، وصححه الألبانيّ.

[3] (?) صحيح مسلم: رقم: وسيأتي تخريجه ص1705.

[4] (?) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، رقم: 1330.

[5] (?) صحيحا البخاري ومسلم: وسيأتي تخريجه ص1707.

[6] (?) سنن أبي داود، ومسند الإمام أحمد، وهو صحيح بشواهده، سيأتي تخريجه، ص1729.

[7] (?) مسند الإمام أحمد: وصححه الألباني في تحذير الساجد، سيأتي تخريجه، ص1722.

هذه بعض النماذج لحيطة رسول الله وحمايته لجناب التوحيد، وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك.

هذا، وإنّ من الوسائل العظيمة الشريفة التي سلكها رسول الله -عملا بقول الباري سبحانه: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [آل عمران: ٧٩ـ80].

وعملا بأمرِه جل وعلا في أن يتنـزه عبده عن خصائص الربوبية: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [الإسراء: ٩٣].- لتقرير أنّه لا يستحق الإلهية أحدٌ إلا الله، وأنه حتى خاتم الأنبياء ليس له من خصائص الربوبية شيء، ثم لبيان منزلة هذا العبد وعظمته:

جمعُه في وصفه نفسه الشريفة بصفتَي العبودية لله والرسالة، والشهادة لنفسه بأنّه: عبدُ الله ورسولُه، وذلك في نصوص مستفيضة. ففي الشهادة بالصفة الأولى بيانٌ لعظمة ربه سبحانه، كما أنّ في الوصف بالرسالة بيانًا لِمنْزلة هذا العبد. **ومن هذه النصوص**:

-قوله عليه الصلاة والسلام: " **أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ ** "[1].

-وقوله في حديث النهي عن الإطراء السابق: "**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**" [2].

-بل إنّ خير الخيارَين الذي اختاره رسولُ الله لَما خُيّر بين أن يكون مَلِكًا نَبِيًّا، أَوْ عَبْدًا رَسُولا، هو ما يُحبُّه له ولغيره ربُّه من التواضع لله والتذلل والخضوع له، وهو مقتضى العبودية (فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: « جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكًا

---

1 (?) سنن النسائي في الكبرى، ومسند أحمد، وسيأتي تخريجه، ص 440.

2 (?) صحيح البخاري: وسيأتي تخريجه، ص435.

نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: " **بَلْ عَبْدًا رَسُولا** "[1].

-فكما جاء في الكتاب والسنة وصف النبِيّ بأنّه (عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُوله) فإنه جاء في كُتُب الله تعالى المتقدمة: أنّه موصوفٌ بِهاتَين الصفتين، وبغيرهما، فــ« فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، **أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي**، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ... الحديث » [2] .

-وجاءت أحاديث دلّت على أنّ مَن يَشهد للنبِيّ بصفتَي عبوديته لله والرسالة ويُقرّ بذلك، مع طائفةٍ من مطالبَ شرعية، فهو من أهل وعد الله بالجنة، ومحرّمٌ على النار، فمنها:

(أ) قوله : **(مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ؛ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ** "، متفق عليه، وعند مسلم بلفظ: " **وأنَّ عيسى عَبْدُ اللَّهِ وابن أمته** " وفي آخره: " **أدخله الله مِن أيِّ أَبْوَاب الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَة شَاءَ** "[3] **.**

(ب) وفي حديث خَبِيئَة رَسُولِ اللَّهِ الطويل جاء قوله: " **رَبِّ مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، مُصَدِّقًا لِسَانَهُ قَلْبُهُ، أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ »**[4]**.**

(ت) ولا يَتَوَضَّأُ عبدٌ وَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ وُضُوئِهِ " **أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ**

---

[1] (?) مسند أحمد وصحيح ابن حِبان: صححه الشيخ شعيب، سيأتي تخريجه، ص441.

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، رقم: 2125.

[3] (?) صحيح البخاري ومسلم: وسيأتي تخريجه، ص436 .

[4] (?) مسند الإمام أحمد: سيأتي تخريجه، ص448 .

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ "، إِلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ "[1].

(ث) وفي حديث إرداف معاذ على الدابة، أنه: "" **مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، إلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّار** " [2] .

ومِما دلّ على عظَمَتِه وشريفِ مكانته أيضًا:

(أ) ما جاء في حديث شِكَايةِ الناس تأخّر المطر في المدينة، وفيه تشهُّد النبيِّ متعجِّبًا " **أشهد أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير، وأنِّي عبدُ الله ورسولُـه**"[3]، وذلك بعد نزول المطر على إثر دعائه.

(ب) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سأل رجلٌ النبيَّ فقال إنَّ عندي جَارِيَةً لِي وَأَنَا أَعْزِلُ عَنْهَا، فقال رسول الله : " **إنَّ ذلك لن يَمنع شيئًا أراده الله** " قال: فجاء الرجل؛ فقال يا رسول الله: إنَّ الجارية التي كنتُ ذكرتُها لك حَملَتْ؛ فقال رسول الله : " **أنا عبد الله ورسوله** " [4].

(ت) وحديث الرجل الشجاع القاتل نفسه في خيبر الذي يدّعي الإسلام ثم إخبار الرسول بأنه مِنْ أَهْلِ النَّارِ، حتى كَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ؛ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنْ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ بِذَلِكَ، فَقَالَ: " **الله أكبر! أشهد أنِي عبدُ الله ورسولُه** [5].

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، رقم: 234 .

[2] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، رقم: 32.

[3] سنن أبِي داود، والمستدرك للحاكم، حسنه الألباني، سيأتي تخريجه، ص439.

[4] صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب حكم العزل، وقم: 1439 .

[5] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، رقم: 3062 .

(ث) ويُصدّر الرسول رسائله بِمثل ما يأتِي في الحديث: ﭽﭑﭒﭓﭔﭼ **مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، ..** إلخ [1].

(ج) ولا نَجاة لعبدٍ في قبره وما بعده إلا إذا شهِد لِهذا العبد بالرسالة، فعَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " **الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ؛ أَتَاهُ مَلَكَانِ،فَأَقْعَدَاهُ،فَيَقُولَانِ لَهُ:مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: "أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ "، فَيُقَالُ:انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ،أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ،**قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"**فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا،وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ:** الحديث[2].

(ح) ومَن يَسمع المؤذن فيقول:"**أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، رضيت بالله ربًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا**"يُغفر لَهُ ذَنْبُهُ"[3].

(خ) ولَمّا أخبَر الرسول ﷺ الأنصارَ بِما قَالَ بَعْضها لِبَعْضٍ، وهذا في قوله:**قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُل فَأَدْرَكْته رَغْبَةٌ فِي قَرْيَته وَرَأْفَة بِعَشِيرَتِهِ "،** وأجابوا بقولِهم: **قَدْ كَانَ ذَلِكَ،** عقّب عليه بقوله الذي فيه عدم الافتتان به، كما أنّ فيه عَظمَته، وهو قوله: " **كَلا، إِنِّي عَبْد اللَّه وَرَسُوله** "[4].

قال النووي –رحمه الله- في شرح الجملة: « وَأَمَّا قَوْله ﷺ: " **إِنِّي عَبْد اللَّه وَرَسُوله** ": فَيَحْتَمِل وَجْهَيْنِ: **أَحَدهمَا:** أَنِّي رَسُول اللَّه حَقًّا فَيَأْتِينِي الْوَحَي، وَأُخْبِر بِالْمَغِيبَاتِ؛ كَهَذِهِ الْقَضِيَّة وَشَبَههَا، فَثِقُوا بِمَا أَقُول لَكُمْ، وَأُخْبِركُمْ بِهِ فِي جَمِيع الأَحْوَال. **وَالآخَر:** لا تُفْتَنُوا بِإِخْبَارِي

---

[1] صحيح البخاري ومسلم: سيأتي تخريجه، ص445.
[2] صحيح البخاري ومسلم: وسيأتي تخريجه، ص446.
[3] صحيح مسلم: وسيأتي تخريجه، ص403.
[4] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم: 1780.

إِيَّاكُمْ بِالْمَغِيبَاتِ، وَتُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى صَلَوَات اللَّه عَلَيْهِ، فَإِنِّي عَبْد اللَّه وَرَسُوله »[5].

وتعليقًا على هذه الطائفة من الأحاديث أقول: **في الحديث الأول**: التعريف بالنبي وأنه: **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،** ثم القَسم منه -وهو البارُّ الصادق في قسَمِه- بأنّه لا يُحبّ أنْ يُرفع فوق المنْزلة التي أنزله الله تعالى عليها (وهي منزلة العبد المربوب كاملِ العبادة، بضميمة النبوة والرسالة). **وفي الحديث الثاني**: الأمر بأنْ نقول له: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هذا القول هو قول القلب واللسان، ثم نعمل بجوارحنا بمقتضى ذلك-، وفيه أيضًا التنصيص على النهي عن إطرائه ورفعه فوق منزلته. كما جاء **في النصوص الأخرى**: اشتراط أنْ **يُصدّق اللِسَانَ القَلْبُ**، قبل أنْ يتحقق الوعد المذكور بفتح أبواب الجنة، والتحريم من النار**.**

هذه أبرزُ نصوص الباب، وكما أنّ فيها سَدّ المصطفى ذرائع الشرك وحمايته حمى التوحيد، فكذلك فيها بيانُ منْزلتِه العالية، ومكانته الشريفة، حيث اصطفاه الله له رسولا، وأوجَب له حقوقًا، من الإيمان به والتسليم له، وأوجب طاعتَه واتباعه، ومحبته التي تفوق محبة كلِّ أحد، حتى من النفس، كما أوجب تعظيمَه وتعزيرَه وتوقيرَه، وتعظيمَ ما جاء به كتابًا وسُنة، وكذلك تعظيم أهله وصَحبِه ومُتّبعيهم بإحسان، وكذلك تحكيمه في كل شؤون الحياة والتحاكم إليه، واعتقاد أفضليته وسيادته على ولد آدم أجمعين، واعتقادِ خاتِمية نبوته للنبوات، وغير ذلك من حقوقه التي فيها عَظَمتُه.

ثم إنّ الصحابة الذين تربَّوا على يديه ، ومَن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين (أهل السنة والجماعة) قد آمنوا بِهذه الأمور، وعملوا بِمقتضاها.

وقد أشَرتُ سابقًا إلى أنّ الصحابة سدّوا ذرائع التوحيد وحمَوا حماه اقتداء بنبينا محمدٍ ، ومِن أمثلة

---

5 ([?]) المنهاج للنووي، ص1151.

ونَماذج احتياط الصحابة لجانب التوحيد: ما ذُكر من حال **أبِي بكر الصديق وثوبان وغيرهما** حيث كان يسقط السوط من يد أحدهم فلا يقول لأحدٍ ناولنـي إيّاه، ويقول أبو بكر: « **إِنَّ خليلي رَسُولَ اللَّهِ أَمَرَنِي أَنْ لا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا**» [1]. وهؤلاء بعد ما امتنعوا عن سؤال الناس ما يقدرون عليه. أفتراهم يسألونَهم ما لا يَقدرون عليه؟ والجواب –بالطبع-: لا.

وقال **عمر** -وهو الفاروق- عن الحجر الأسود: « **أَمَا وَاللَّهِ! إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ؛ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ، وَلَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ** » [2]. وقد رُوي عنه أنَّه أمَر بقطع شجرة الرضوان التي بايع –تحتها- الصحابةُ على الموت رسولَ الله عام الحديبيَّة، لِما عَلِم أنَّ بعض الناس يذهبون إليها، ويتعمدون الصلاة عندها[3]. وقد عَزَل خالدًا عن القيادة في وقتٍ تَعَلَّقَت الآمالُ به؛ ليُتمَّ ما بدأه من الانتصارات على الرُّوم، ولكنَّه خَشِيَ أنْ يفتتن به الناسُ، وولّى مكانَه أبا عبيدة بنَ الجرّاح [4].

كما أنَّه لَمّا رأى أنس بنَ مالك يصلي عند قبر، قال له: « القبرَ القبرَ »[5]- بِمعنى: احذرْه واجتنب الصلاةَ إليه-.

وقد أمَر عمرُ أصحابَـه بتَعْمِيَة قبر دانيال ، وذلك لَمّا عَثَرُوا عليه بتُستَر؛ وأمَرهم بِحَفر ثلاثةَ عشَرَ قَبْرًا متفرِّقة، وأنْ يقبروه في واحدٍ منها بالليل، مع تسويتها[6].

---

[1] الأثر في مسند الإمام أحمد (وسيأتي تخريجه في الباب الرابع)، ص 1796.

[2] صحيح البخاري: كتاب الحج، بَاب مَا ذُكِرَ فِي الْحَجَـرِ الأَسْـوَدِ، رقم: 1597 وصحيح مسلم: كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسـود في الطواف، رقم: 1270.

[3] انظر الروايات عن عمر في ذلك: كتاب البدع، لابن وضاح، ص78-80 (باب ما جاء في اتباع الآثار).

[4] وذلك في غزوة يرموك، وقد أورد القصة الشيخ خليل الهراس، في (دعوة التوحيد، ص69).

[5] أورد هذا الأثر البخاري في صحيحه معلقًا مجزومًا به، على إثر بَاب هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ، (انظر البخاري مع الفتح، ج1/ 737).

[6] أورد هذا الأثر عن أبي العالية البيهقي في دلائل النبوة في باب صفة رسول الله في التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب وصفة أمته،

وهذا **عَلِيٌّ** يقول لأَبِي الْهَيَّاجِ الأسَدِي: « **أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ لا تَدَعَنَّ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَهُ، وَلا صُورَةً إِلا طَمَسْتَهَا** »[1].

وهذا **أبو بَصرة** يقول لأبِي هريرة رضي الله عنهما بعدما رجع أبو هريرة من الطور: « لَوْ لَقِيتُكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَهُ لَمْ تَأْتِهِ، قُلْتُ لَهُ: وَلِمَ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: " **لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ** "[2].

« وعلى هذا النّهج الواضح من المحافظة على التوحيد سارَ السَّلفُ الصالِحُ وأئمة الهدى من بعدِهم لم يَسْمَحُوا لأحَدٍ أنْ يَخْرِق سِياجَ التوحيد، أو يستبيح بيضتَه، حتى نَبَتَتْ طوائف من الشيعة والمتصوِّفة؛ فأعمَلُوا فيه معاولَ هدم؛ بغلوِّهم في أئمتهم وشيوخهم، وتقديسهم للمشاهد والمزارات، وتبرُّكهم بالآثار، والمخالفات، وسجودهم على العَتَبَات، وتقديمهم النذور والقُرُبَانَات. وما زال الأمر يَسْتَفْحِل، والخطر يَشْتَدّ، حتى وصَلَ إلى ما نشاهِدُه الآن في معظم بلاد الإسلام من إقامة القباب على القبور، وإنشاء المقاصير حولَها، وتزيينها بالزخارف، وفَرْشِها بالبُسُط، وإيقاد السُّرُج عليها، ووضع صناديق

ولفظه: قال أبو العالية:لما افتتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف، فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، أنا أول رجل من العرب قرأه؛ قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا. فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ فقال: سيرتكم وأموركم ودينكم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان في الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس، لا ينبشونه. فقلت: وما ترجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عليهم برزوا بسريره فيمطرون. قلت: مَن كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال، فقلت مذْ كم وجدتموه مات؟ قال: مذ ثلاثمائة سنة. ..إلخ.

(الدلائل للبيهقي، ج1/ص302، برقم: 354).

[1] (?) صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، رقم: 969.

[2] (?) الموطأ وسنن النسائي: وهو صحيح، سيأتي تخريجه في مطلب مسألة شد الرحال(الباب الرابع)، ص1775.

النذور عندها، وفتحها للزائرين والزائرات؛ يَحُجُّون إليها، ويرتكبون عندها كثيرًا من الأعمال الشركية، كالطواف، والتقبيل، ووضع النذور، والتوسل، والمناجاة، وذبح القرابين، وإقامة المهرجانات الجاهلية التي يُسمونها: الموالد، إلى غير ذلك مِما يَئِنُّ منه الإسلام، وتَتَفَتَّتُ على صخرته كلُّ قواعد التوحيد. ولطالَما هبَّ الغيورون مِن علماء هذه الأمة وهُداتها ناصحين لها بالإقلاع عن هذه العادات الشركية، ومنذِرين لها بسوء العاقبة إن استمرَّت على هذه الحال، ولكنَّ جهودهم كانت تضيع سُدى؛ لأنَّ قُوى السلطان لا تُسنِدها[1]، وقد جاء في الأثر: " **إنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ** "[2]. وليتها وقفتْ على الحياد في ذلك الصراع المرير بين جُند الرحمن وعسكر الشيطان، بل انحازت بكلِ ثِقلها إلى جحافل الشرك والطغيان، واضطهدت كلَّ داعيةٍ إلى التوحيد والإيمان »[3]. قاله الشيخ الهراس –رحمه الله- وصدق الشيخ الناصح والله! وقد رأينا أكثر ما ذكَر، والأمر على ازديادٍ، وإنا لله وإنَّا إليه راجعون. وذَكر العلامة محمد بن إسماعيل الصنعانِي -رحمه الله- في مطلع كتابه: (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) أنَّه وجب عليه تأليف الكتاب:

---

1 (?) واقرأ وصف الشيخ سليمان حفيد العالم المصلح شيخ الدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي للبلاد المنتسبة إلى الإسلام قبل مجيء الشيخ بمثل ما يصف الشيخ الهراس هنا، وأنَّ الله لَما أراد بِهذه الأمة أمرًا رشيدًا هيَّأ للشيخ التميمي أسبابًا أعزَّ بها التوحيد والسنة، **منها وعلى رأسها: مساندة السلطان له؛ ألا وهو الإمام محمد بن سعود -رحمه الله تعالى-؛ فاجتمع بذلك سلطان البيان والبرهان بسلطان السيف والسنان.** (انظر عن هذا التساند: ص 7-9 من شرحه لكتاب التوحيد المسمى بـ« تيسير العزيز الحميد ».

2 (?) الأثر ورد عن عثمان من قوله، ولم أجده إلا عند شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، (ج11/ص416، و ج28/ص107)، والحافظ ابن كثير، (ج3/ص82) في تفسير سورة بني إسرائيل، وعلّق عليه بقوله: « أي: ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام، ما لا يمتنع كثيرٌ من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد، والتهديد الشديد، وهذا هو الواقع ».
وأورده الشيخ خليل الهراس في (دعوة التوحيد، ص70).

3 (?) دعوة التوحيد.. للشيخ محمد خليل هراس، ص69-70 .

لِـما رآه وعلِمَه يقينًا « مِن اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقُرى وجميع البلاد من اليمن والشام ومصر ونَجد وتِهامة وجميع ديار الإسلام »[1].

فقد عمّت البلوى العباد والبلاد، ومن ذلك: نيجيريا- وأنه وجَب على العلماء إنكارُ ما أوجب الله إنكارَه، وعدمُ كتمان ما أوجَبَ الله إظهارَه.

ولِما تقدم وغيره فإنّ واقع طوائف ممن ينتسب إلى هذا الدين (الدين الإسلامي): مِن أفراد وجَماعات هو مخالفة المنهج النبويّ والإخلال بالأصلين المتقدمين، فوُجد -مِمّن يُحْسَب على المسلمين- مناقضون لِلأصول التي فيها منزلة الرسول، أو التي فيها عظمةُ ربّه واستحقاقه لجميع العبادات والكمالات، نقصًا لها أو نقْضًا، فَوُجِد فيهم مَن يَدّعي النبوة، ويكفُر بالنصوص القاطعة التي فيها أنه لا نبِيّ بعده، وقد بدأ هذا الكفر من عهده وبعد وفاته، كما أنه نَصّ على ظهور دجّالين قريبًا من ثلاثين قبل يوم القيامة، كلهم يزْعُم أنه رسول الله، ولا نبِيّ بعده. ووُجد مَن يَتّهم الرسول بالجور، ويقول له: اعدل فإنك لم تعدل، وبِهذه المناسبة أخْبَر بأنّه سيَخرُج مِن ضئضئ هذا الرجل قومٌ كثيرو العبادة إلا أنهم يمرقون من الإسلام مُرُوق السّهم من الرميّة. وبيّن أنه سيظْهَر ناسٌ يَكفرون بسُنّته ويقولون: لا تحدّثونا إلا بالقرآن. وقد وقعَ مَخبَرُه كما قال.

ومما وُجد وكان واقعًا أو منهجًا لطوائف ممن ينتمون إلى الإسلام، وهو جفاءٌ للرسالة المحمدية: الابتداع في دينه الذي خَيّم على كثيرٍ من الفرق حتى سُمّوا بالمبتدعة، وهذا الابتداع منه ما هو مُخْرِجٌ من الملة، ومنه ما هو دون ذلك. وكذلك بدعة تقديم العقول المتباينة على الشرع، عند المتفلسفة، وأذنابهم ممن أخذوا بمناهجهم، من جهمية ومعتزلة وأشعرية وماتردية وخوارج ورافضة وغيرهم. ومنها أيضًا: تفضيل بعض الناس على النبي مطلقًا أو من بعض الوجوه، كتفضيل الفيلسوف

---

[1] تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحـاد للصـنعاني، ص384 (ضـمن:كتُب ورسائل عبد المحسن البدر، ج4).

عند المتفلسفة، والولي عند الصوفية، والإمام عند الرافضة، عليه ، أو تفضيل مزاعم شيطانية على القرآن. مثال الأول: قول الخميني (ت: 1409هـ): « ... فإنَّ للإمام مقاماً محمودًا، ودرجةً سامية، وخلافة تكوينية؛ تخضع لولايتها وسيطرتها جَميعُ ذراتِ هذا الكون، وإنَّ من ضروريات مذهبِنا: أنَّ لأئمتنا مقامًا لا يبْلغه ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ،... وقد ورد عنهم(ع): إنَّ لنا مع الله حالات لا يسعها ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسل »[1]. وادّعاءُ محمد علي الشرازي (ت:1266هـ) تفضيل نفسه على الرسول، وأنّ البشر عاجزون عن الإتيان بحرفٍ واحدٍ من حروف قرآنه الموسوم بـ(ـالبيان)، بعد تفضيله على القرآن الكريم بالصراحة التي لا تقبل التأويل: « إنّي أفضلُ من محمد، كما أنّ قرآنِي أفضل من قرآن محمد، وإذا قال محمدٌ بعجز البشر عن الإتيان بسورة مِن سُوَر القرآن، فإنّي أقول بعَجَز البشر عن الإتيان بحرفٍ واحدٍ من حروف قرآنِي »[2]. وقال: « إنّ نبيّكم لم يُخلّف لكم بعده غير القرآن، فهاكم كتابِي البيان فاتلوه واقرأوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن »[3]. ومن أمثلة آيات كتابه (البيان)، وتدل على عقيدة نسخ الشريعة المحمدية عند الفرقة (البابيّة) قوله فيه: « ولا يجوز التدريس في كتب غير البيان، ولا تتعلمون إلا بِما نزل البيان، أو ما ينشئ فيه من علم الحروف وما يتفرع على البيان .. ولا تتجاوزوا عن حدود البيان فتحزنون »[4]. وادعاء تلميذه المسمى حسين علي المازندرانِي (ت: 1309هـ) تفضيل كتابَه

---

1 (?) الحكومة الإسلامية، ص52، من منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى .

2 (?) مفتاح باب الأبواب لمحمد مهدي، ص20، بواسطة: البابيّة لإحسان، ص122، وص203، ودراسة عن فرقة البهائية، د. عبد القادر، ص175.

3 (?) نقله د. عبد الرحمن عميرة في المذاهب الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص259. والشيخ إحسان، في البابيّة عرض ونقد، ص122.

4 (?) البيان (قرآن الشيرازي) الباب العاشر من الواحد الرابع، بواسطة: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص128.

(الموسوم بالأقدس) على القرآن: « وآيةٌ واحدة منه خيرٌ من كُتُب الأولين والآخرين »[1]. وقال: « قل تالله الحق، لا تغنيكم كُتُب العالَم ولا ما فيه من الصحف، إلا بِهذا الكتاب الذي ينطق في قطب الإبداع: أنّه لا إله إلا أنا العليم الحكيم »[2]. وسبق هؤلاء رأس الطريقة التيجانية (أبو العباس أحمد التجانِي –ت:1230هـ) فزعم قبلهما أن (صلاة الفاتح لما أغلق) التي ادّعى أنّ رسول الله جاءه يقظة ورَدّه إلى قولِها بعد هجره هو لَها: زعم أنها تعدل من القرآن ستة آلاف مرة، حيث قال: " ...فلمّا أمرنِي بالرجوع إليها سألتُه عن فضلها، أخبَرَنِي أولاً بأنّ المرّة الواحدة منها تعدل من القرآن ستّ مرّات. ثم أخْبَرنِي ثانيًا أنّ المرة الواحدة تَعدل من كُلّ تسبيحٍ وقَع في الكون، ومن كلّ ذكر، ومن كلّ دعاء؛ كبيرٍ أو صغير، **ومن القرآن ستة آلاف مرة** »[3].

ومن صُور الجفاء فيه أيضًا: تُهمته بكتمان شيءٍ من الوحي، كتهمة الخميني له بعدم تبليغ الإمامة –على زعمه- طبقًا لِما أمره به ربُّه. كما سيأتي في آخر الرسالة. إلى أمثال ذلك مِن صُوَر الجفاء للرسالة المحمدية الخاتمة الخالدة الكاملة التي لا نبوة بعدها، وليست ناقصة، مما قال ويقول به فِرَقٌ يدّعون الانتماء إلى هذا الدين. **هذا مِن جانب**.

ومن الجانب الآخر: فإنه قد وُجدَت فِرَقٌ كثيرة اتّسَمُوا بالغلو فيه عليه الصلاة والسلام ومجاوزة قدَرِه الشرعي، ومنْزلته التي أنزله الله تعالى عليها؛ حيث يصفُه بعضُهم بصفات الرَّبّ، ويصرِفون إليه حقوق الإله، كقولِ بعضهم: نحن نعبُد الله، ونعبُدُ رسوله، وكزعمِ آخَرين أنه يُستغاث بالرسول في كُلّ ما يُستغاث بالله،

---

1. (?) الأقدس للمازندراني، بواسطة: البهائيّة نقد وتحليل لإحسان، ص 230.
2. (?) الأقدس للمازندراني، ص100، بواسطة: دراسة عن فرقة البهائيّة، د. عبد القادر، ص202، ونقله الشيخ إحسان في كتابه البهائيّة نقد وتحليل، ص222، و227.
3. (?) جواهر المعاني وبلوغ الأمانِي في فيض سيدي أبِي العباس التجانِي، ص57.

وأنه يَعلَم كُلّ ما يعلمه الله، ويَقْدِر على كُلّ يَقْدِر الله عليه، فنادى بعضُهم –وهو يَزعُم أنه لا أحَدَ يلوذ به عند حدوث الحادث العمَم إلا الرسول-:

يا أكرَمَ الخلق ما لِي مَن أَلُوذُ به   سِواك عند حُلُول الحادثِ العَمَم[1].

ثم إنّ من أكثر الفِرَق غُلُوًّا في عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ: فرقة البريلوية، قال رأسها أحمد رضا: « إنّ رسول الله ﷺ هو دافع البلاء، ومانح العطاء »[2]. وقال: « إنّ رسول الله ﷺ خليفة الله الأعظم، وإنّه متصرّفٌ في الأرض والسماء »[3]. وقال: (إنّ كلّ مفاتيح الكون في يد رسول الله ﷺ، وأنّه النائب الأكبر للقادر، وهو الذي يَملك كلمة كن) »[4].

وزعموا أنه ﷺ يعلم الغيب خلافًا للعقيدة الصحيحة فيه، قال البوصيري:

وإنّ مِن جودك الدنيا وضرّتَها   ومِن عُلُومِك علمَ اللوح والقلَم[5].

وقال زعيم الفرقة البريلوية أحمد رضا البريلويّ: « إنّ عِلم اللوح وعِلم القلم، وعِلم ما كان وما يكون، جزءًا واحدًا من علوم النبِيّ ﷺ »[6]. وقال أيضًا -وهو يُفصِّل ما تقدم: « إنّ علومه ﷺ تتنوع إلى الجزئيات والكلّيات، وحقائق ودقائق، وعوارض ومعارف؛ تتعلق بالذات والصفات. وعلم اللوح والقلم إنّما يكون سطرًا من سطور علمه، ونَهرًا من بُحور حِلمه »[7]. بل حتى زعموا

---

1. انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري، ص185 (ضمن حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال).
2. الأمن والعلي للبريلوي، ص10، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص57.
3. الفتاوى الرضوية، ج6/ ص155، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص69.
4. انظر: المصدر نفسه، ص68.
5. قصيدة البردة للبوصيري (ص63/ ضمن مجموع مهمات المتون، بيت رقم: 154).
6. خالص الاعتقاد للبريلوي، ص38، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص87.
7. المصدر نفسه، ص38، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص87.

أنّ مفاتيح الغيب الخمسة التي استأثر الله تعـالى بعلمهـا: أنه ﷺ يعلمها، بل ويعطيها أئمتهم. قال أحمد رضا الـبريلويّ مناقضًا الحديث الـذي يُفسّـر آخـر آيـة من سـورة لقمـان التي تُقرر -ويقرر الحديث معها- أنّه لا يعلم هـذه المفـاتيح إلا اللـه وحـده: « إنّ النبِيّ ﷺ لم يكن يعلم هـذه الغيـوب الخمسة فحسب، بل كان يُعطي هذه العلوم مَن شـاء من خدَمـه »[1]. وقـال: « وكيـف يَخفى أمـرُ الخمس عليـه ﷺ، والواحـدُ من أهـل التصـوف من أمتـه الشـريفة لا يُمكِنُـه التصـرف إلا بمعرفـة هـذه الخمس، فاسـمعوا هـذا يـا منكـرين، ولا تكونـوا لأوليـاء اللـه مكـذبين، فـإنّ تكـذيبهم خرابٌ للدين، وسـينتقم اللـه من الجاحـدين، وأعاذنـا اللـه بعباده العارفين »[2].

بعد هذا القليل من الصوَر الغالية، وقبْلها الجافية لعبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ، أقول بأنّ هذه الفِرَق المنتسبة إلى هذا الدين والتي أشرتُ إلى شيء من مواقفها (الغالية والجافية) منه ﷺ لَها شَبَهٌ جُمْلِيٌّ باليهود والنصارى الذين أخبَر الرسول بأنّ طوائف من هذه الأمة ستتبعها، فاليهود والنصارى جُفاة غلاة في أنبياء الله ورسله عامة، وجفاةٌ في نبينا محمد ﷺ خاصة، ويكفي مثالا للثاني: ما يَحصُل من تمثيله ورسمه استهزاءً به، في هذه الأيام. ... فإذا كانت النصارى غَلَت في عبدِ الله ورسولِه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه (عيسى عليه السلام) بحيث اعتقدوا فيه الإلهية، واعتقد طائفة منهم بنوته لله، تعالى الجبار سبحانه وتقدس عما يقولون.

وإذا كانوا هم (النصارى) واليهود اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم، .. فإنّ ممن ينتسب إلى الإسلام مَن يَصرف لُبّ العبادة إلى عبد الله ورسوله، أو إلى غيره، فيستغيثون بهم في الشدائد، كما يلوذون بهم ويستعيذون بهم بعد وفاتهم، وفيما لا يقدرون على كثيرٍ منه حال حياتِهم. كما أنّ منهم من يتخذون قبور الصالحين مساجد

---

[1] (?) المصدر نفسه، ص14، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص91.

[2] (?) المصدر نفسه، ص54، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص92.

في أكثر أنحاء العالم الإسلامي، إلى غير ذلك من صُور الغلو فيه.

ثم إنه إذا كان قد غلب على اليهود الجفاء في الأنبياء بصُور شتى، .. فإنّه وُجد -من طوائف ينتسبون إلى هذا الدين- تلبُّسٌ بعدة صُور جفائية، والتي منها ما هو مخرج من الملة، ومنها ما هو دون ذلك، فمِن الأول: الكفر بعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، باعتقاد أن فلانًا نبي بعد النبي الخاتم؛ محمد ، وككثير من أنواع البدع التي قالت بها بعض الفرق المنتسبة، كبدعة تقديم العقل على الشرع، وبدعة الكفر بالسنة النبوية، وغير ذلك. ومن أمثلة النوع الثاني: بدعة المولد النبوي. والمقصود أنّ الغلاة والجفاة في أنبياء الله ورسله مشابهون لليهود والنصارى في هذا الباب.

وبعد (**وهنا ذكر لأسباب اختياري للموضوع**) ، فتلكم الأحاديث المقررة لعَظَمَته والنافية له ما لا يستحقه من خصائص ربه (أحديث وصفه بعد الله ورسوله وغيرها)، وكذلك ما وقفتُ عليها من عبارات جميلة في شرح المقاطع المستشهد بها منها، كقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: « عبدٌ لا يُعبَد، ونبِيٌّ لا يُكذَّب؛ بل يُطاعُ ويُتّبع، شرّفه الله بالعبودية »[1]. ثم وقوفي على مواقف الفرق المنتسبة إلى الإسلام فيه المتمثلة في الغلو والجفاء المشار إلى بعضها، والمُخالفة في نفس الوقت لِما دلّت عليه تلك النصوص: هي التي تبَلْوَر منها فكرةُ هذا البحث = تكملةً لِمتطلبات نيل درجة العالِمية (الماجستير). ثم إنه قد زادنِي اشتياقًا إلى الكتابة فيه عدمُ وجود رسالةٍ علميةٍ انطلقت من حيث انطلقت هذه، ومن حيث جمعها لِمواقف المنتسبين إلى الإسلام مِن عبْد الله ورسولِه؛ نبِيّنا محمد ، فجاء عُنوانُها:

مقام العبوديةِ والرسالةِ لنبيِّنا مُحَمَّدٍ ،

---

[1] (?) قاله في شرح حديث تعليم النبِيّ الصحابة التشهد، والذي منه: **(أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)** شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، ص33 (في مجموع).

ومَوقف الفرق المنتسبة إلى الإسلام منهما

لبيان العقيدة الْحَقّةِ في عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ وأنّها بين الغُلوّ والجفاء، في ضوء الكتاب والسنة، وفي ضوء واقع الفِرَق الْمنتسبة إلى الإسلام ومواقفهم منه.

فتحصّل مِن كُلّ ما تقدم: أنّ وصف النبِيّ ﷺ بالوصفين، وأمرِ الاحتياط للتوحيد، وغيرِ ذلك من الأهداف هي التِي دفعتنِي إلى اختيار[1] هذا الموضوع؛ نصيحةً لقومي علَّها تسمع النداء فتُجيب. **وقد رأيت أنَّه لا طريق أمثَلَ ليتحقق هذا الْهدف السامي بل الأسمى إلا ببيان أنَّ الأنبياء عليهم السلام عمومًا، ونبيَّنا محمدًا ﷺ خصوصًا ليس لَهم مِن خصائص الألوهية شيءٌ.** وقد دلّوا أمتَهم على توحيد الله وكلّ خير، وحذَّروهم من الوقوع في شِراك الشرك، بل وأغلقوا كُلَّ طريقٍ يوصِل إليه.   وقد ذكرتُ أنَّه جاء في النصوص المستفيضة (الجمع بين كون الأنبياء عبادًا ورسُلاً) مِما يقتضي أنْ يُعَظَّموا لرسالاتِهم ويُتَّبعوا، لكن دون أنْ يَصِل إلى إعطائهم شيئًا مِما لا يستحقه إلا ربُّ العالَمين. وقد جاوزتْ النصوص (الجامعة للوصفين) عندي ثلاثين نصًّا، وتحت موضوعات عدة. واللهَ أسأل أن يَجعلنِي وإياكم مِمن وقَفَ عند مُراد رسولِه ﷺ؛ إذْ هو مرادُ ربِّه ومقصوده وغايتُه لِخلقه، وأنْ يَحمِيَ التوحيد، ويُزيل عن المشركين القبورية المشاهدَ التي بسببها ضلُّوا عن الرُّشد.

* * *

أ- أهمية الموضوع، وذكر أسباب اختياره:

دعَت الباحثَ إلى اختيار هذا الموضوع للبحث فيه أسبابٌ علميةٌ، وأخرى شخصيةٌ؛ ومِن أهمها:

أولا: أهمية الموضوع؛ إذْ سيُجيب على أمرٍ مهمٍّ، والذي هو الغاية لخلق الثقلين؛ ألا وهو إخلاص العبودية لله ﷻ، وأنَّه لا يستحق غيرُ الله -كائِنًا مَا كان- أن يُصرفَ له نوعٌ واحدٌ من أنواع العبادة؛ مِن ملَكٍ مُقَرَّبٍ أو نبِيٍّ

---

[1] (?) سيأتي ذكرُ أسباب اختيار الموضوع وأهميته مفصَّلاً.

مرسَل. وكذلك إنَّ لربِّنا خصائص من نعوت الجلال والجمال والكمال لا يشْرَكه فيها أحدٌ من خلقه؛ وهذا هو توحيد المرسِل، وهو ظاهرٌ في كونِ النبِيّ محمدٍ عبـدًا لله. ويجيب البحث أيضًا على أمرٍ آخرَ، وهو: كونُ العبادة لا تكون مقبولةً -وإنْ أُخلِصت فيها النّية- إلا إذا كانَتْ موافِقةً لِهَدي سيّد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وهذا هو توحيد المرسَل، وقد انْـجلى بوضوحٍ في كون محمدٍ رسـولَ الله؛ وأنّ الرسول لا يُكذَّب بل يطاعُ ويتّبع؛ وكما هو معروف فإنهما توحيدان لا نجاةَ للعبد ولا قبول له عند الله إلا بتحقيقهما. ثم الناس بالنسبة لتحقيقهما وعدم ذلك على درجاتٍ ومراتبَ متفاوتة، وعلى دركاتٍ متهاويةٍ. جعلنـي اللهُ وإيّاكم من أهل تحقيقهما!

ثانيًا: ويزيده وضوحًا، ما في الموضوع من بيان الحقّ الذي من أجله خلَق الله الخلق، وهو عبادته؛ إذْ مقتضى كونِ النبِيّ عبدًا لله ورسوله؛ أنْ لا نعبد إلا الله جلّ وعزّ، وأنْ لا نعبدَه إلا وفْقَ ما جاء به الرّسول من ربّه، ففي البحث –إذًا- بيانٌ **لشهادة: أنْ لا إله إلا الله**، و**أنَّ محمدًا عبد الله ورسوله**؛ أما الثانية؛ فبالمطابقة، وأما الأولى فبِها وباللزوم.

ثالثًا: ليستفيد الباحث -بالدرجة الأولى- بدراسة نصوص الموضوع ولِيَقف على تفسيرات العلماء وشروحهم لها، ثم يُفيد غيرَه فيها.

رابعًا مما يُبيّن أهمية الموضوع أيضًا: اختلاط المفاهيم لدى كثير من أهل البدع، حيث ظنّوا أنّ القول بالعبودية والرسالة معًا تنقص بالنبي ، وكذلك وصفه بأنه عبدٌ –على زعمهم .

خامسًا: من الأسباب: جهلُ كثيرٍ من المسلمين وعدم تَمْييزهم بين ما هو حق رسول الله ، وبين ما هو حق الله على العبيد؛ فنـتج -عن هذا الخلْـط- الغلوُّ في النبِيِّ ، ففي البحث بيانٌ للحقَّين.

سادسًا مما يزيد في أهمية الموضوع: ما يَحصل خصوصًا في هذا العصر من تطاول طوائف من الكفار وأعداء الإسلام -جفاءً منهم- على مقام النبوة والأنبياء؛ بالتقليل من شأنِهم، والحطّ مِن منْزِلتهم، وخصوصًا؛ جناب سيّد الأنبياء والمرسلين محمدٍ عليه الصلاة والسلام، **هذا من جانب. ومِن جانبٍ آخر،** فإنّ كثيرًا من المسلمين كانوا بالنسبة لـه بين الغالين فيه والجافين، ومعلوم أنَّه لا عزَّ لهذه الأمة -أبدًا- إلا بتحقيقها للتوحيد: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [النور: ٥٥].

وقال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [الرعد: ١١].

مما يُحتّم على العلماء والدعاة المصلحين المراجعة لدينِهم، والتصفية والتربية في نفس الوقت، إحقاقًا للحقِّ، وإبطالاً للباطل، جعلنا الله تعالى من الدعاة والعلماء المُصلحين. آمين! فاللهم وأعزَّ الإسلام، وأصلح المسلمين، آمين!!

سابعًا: قد أحببْتُ الكتابة فيه: لأنَّنِي طلبتُ بُغيتِي في الموضوع مع انتشار القبورية من الصوفية والرافضة وغيرهم وازديادهم، فبحثتُ حسَب اطلاعي في المكتبات، وفي الكتب التي عُنيتْ بكتابة أسماء المؤلفات العقدية -وعلى رأسها: دليل المكتبة العقدية- ولم أَقِفْ على مؤلَّفٍ فيه **ينطلق من هذا المنطلق.** كما أنّي لَم أقِف على كتاب جمَع مواقف الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام من عبد الله ورسوله نبينا محمد بن عبد الله الغالية والجافية، بضميمة الموقف الصحيح والعقيدة المأخوذة من النصوص الشرعية فيه؛ وعلى هذَين ففيه: سدُّ ثغَرة في المكتبة الإسلامية وإضافةُ بحثٍ جديدٍ فيها. ثم إنّ الفرق التِي تنتِشر-وخصوصًا في هذه الأيام- كلُها تدَّعي أنَّها هِيَ الأوْلَى برسول الله ؛ فالرافضة تدَّعي أنَّها الأوْلى به عليه الصلاة والسلام وبآل بيته الأطهار، وهم في الحقيقة جُفاة له، وللآل. وكذلك الصوفية يدَّعون أنَّهم يُحـبون النبِيَّ ، بل ويتّهمون غيرهم ببُغضِه، مع ما ابتُلُوا به مِن الابتداع

في دينه، وعدم اتّباعه، وتقديم شريعة شيوخهم على دينه، فلم تظفَر دعواهم ببيِّنةٍ.

وكذلك العقلانيون الأوَّلون والآخرون المقدِّمون للعقل على النقل من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية وغيرهم. وهكذا غيرُهم. أما أهل السنة فهم وسطٌ في هذا كما أنَّهم وسطٌ في جميع أبواب العقيدة. وإنْ كان هذه الفِرَق كلّهم أجمعوا على رَمْي أهل السنة بالجفاء فيه ؛ ذلكم أنّهم لم يقيموا الموالد والمبتدعات، وكذَبوا والله! فهذه الدراسة أظهرت أنَّ الفرق المنتسبة للإسلام كلّهم هم الْجُفاة الحقيقيون لمقام رسالته ، وأنَّ بعضهم زاد على ذلك غُلُوًّا في مقام عبوديته لربه ، وبشريته، قال الشاعر:

وكلٌّ يدَّعون وصالَ لَيلى ولكن لا تُـقِرُّ لهم بـذاكا[1].

ولَمّا ادَّعى قومٌ محبة الله ابتلاهم باتباع نبيِّه محمدٍ ، وطاعة الله ورسوله؛ ليكون ذلك شاهدًا لهم على دعواهم إنْ كانوا صادقين، قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ [آل عمران: 31 ـ ٣٢]، فكان أكبر علامة حبِّ الله ورسوله اتباعُ الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله، ومحبة ما يحبُّه الله ورسولُه، وبغض ما يبغِضه الله ورسولُه. ومن تولَّى عن ذلك فحكمه حسَب تولِّيه. **وأُقرر هنا بأنّه: كلُّ فِرقة في هذا البحث مِن فَمِها ستُدان**.

ثامنًا: في البحث إيضاحٌ مُفصّل للجزء الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الذي هو (شهادة أن لا إلــه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله)، من حيث معرفةُ حقوقه وكيفية إعطائه إياها على مراد الله ورسوله.

تاسعًا: وفيه كذلك صيانة لجانب التوحيد، الذي هو حق الله على العبيد، وغير ذلك من الأسباب.

[1] (?) يقـال بأنه من عـائر الشـعر الـذي لم ينسب إلى قائل معين، ذكـره العلامة ابن القيم في: الرسالة التبوكية، ص27.

ب- الدراسات السابقة حول الموضوع:

ذكرت أنِّي بَحثتُ فلم أجد مَن كتَب في الموضوع استقلالاً؛ بأنْ **جَمَع** بين (مقامَيْ العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ) و**ذكَر** لوازم ومقتضيات كلٍّ منهما، ثم **ذكَر** موقف الطوائف المخالفةِ من المقامَين، كما ذكَر وسطية أهل السنة بين الغُلاة والجُفاة فيه، عليه مِن ربّه ومنا أفضل الصلاة والسلام، وقد اطلعتُ مِما اطلعتُ على (دليل المكتبة العقدية للدكتور الشايع)، وكذلك سألتُ عددًا من المتخصصين، ولم يَذْكُر أحَدٌ منهم أنَّه وقف على شيءٍ من ذلك، واستحسَنُوا الموضوع. وكلّ الرسائل التِي وقَفْتُ عليها مما لها تعلُّقٌ بالموضوع، **فما رأيتُ أنّها تتفق مع هذه الرسالة لا في كلِّ الأهداف، ولا في كلّ الأبواب والفصول والمباحث والمطالب، ولا في النتائج المتوقع الوصول إليها.**

ومن الرسائل حول الموضوع، في رسالته (ضرورتها، وطرائق إثباتِها ولوازمها) –ودلائل نبوته وغير ذلك- رسالة، وفي محبته: رسالة محبة النبِيّ بين الاتباع والابتداع، كما أنّ في خصائصه بين الغلوّ والجفاء رسالة، وفي حقوقه على أمته في ضوء الكتاب والسنة رسالة، وفي التأدب معه في ضوء الكتاب والسنة رسالة، وفي وسطية أهل السنة في تعظيمه بين الجفاة عنه والغلاة جُزءٌ مِن رسالة، وفي عدم علمه للغيب جُزءٌ من رسالة، وفي ختم رسالته للرسالات ونبوته للنبوات رسالة، وفي صحابته رسالة، وفي آل بيته خصوصًا والعقيدة فيهم رسالة، وفي أمته (الفرقةِ الناجية) رسالة، وفي المخالفين لأمته ممن ينتسب إلى دينه بحثٌ مؤصّل، وفي بركته والتبرك به جُزءٌ من رسالة، وفي واسطته بين الله وخلقه في التبليغ لا في العبادة والجزاء جزءٌ من رسالة، وفي أفضليته على العالمين رسالة. ثم إنّ هذا البحث الذي أنا بصدده: قد جَمع مِن بين هذه الرسائل زُبَدَها وصفْوَها، وأهم تلك الرسائل خمسة، **وهي:**

الأولى: للدكتور ثامر بن ناصر بن فهد بن غشيان، رسالة علمية في دلائل النبوة والحقوق

المصطفوية، بعُنوان: رسالة خاتم النبيين محمد ؛ ضرورتُها، وطرائق إثباتها، ولوازمها. وهذه الرسالة لا تتفق مع هذه الرسالة في الأمور المذكورة أعلاه، إذْ هي رسالة في ضرورة البشرية إلى الرِّسالات، وإثبات نبوة نبينا محمد بدلائل متنوعة، ثم بيان الحقوق المصطفوية على الأمة الإسلامية. وبالمقارنة بين الرسالتين (القراءة ولو للخطتين، أو التصفح) يتضح مواضع التداخل، والتمايز.

الثانية: للدكتور محمد بن خليفة التميمي، رسالة دكتوراه بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية في باب حقوق النبي على الأمة، بعنوان:**(حقوق النبِيِّ على أمته في ضوء الكتاب والسنة).** فهذه لا تتفق مع البحث في الوجوه السابقة الذكر، وإن اشتركت رسالتُه -حفظه الله- مع هذه في أنَّ كلاً منهما تتعلق بالشهادة بأنَّ محمدًا رسول الله). ثم بالمقارنة بين الرسالتين يتضح مواضع التداخل، والتمايز أيضًا.

الثالثة: للدكتور الصادق بن محمد إبراهيم علي رسالة ماجستير بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية في باب الخصائص، بعنوان:(خصائص المصطفى بين الغلوّ والجفاء -عرضٌ ونقدٌ على ضوء الكتاب والسنة-) عام: 1415هـ. وهو كذلك لا يتفق مع البحث في الأمور المتقدمة. وبالمقارنة بين الرسالتين يتضح مواضع التداخل، والتمايز أيضًا. فالرسالة الأولى في الدلائل والحقوق. والثانية في الحقوق خاصة. بينما الثالثة في باب خصائصه .

الرابعة: للدكتور محمد باكريم بن محمد باعبد الله رسالة دكتوراه بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بعنوان: (وسطية أهل السنة بين الفرق) عام: 1409هـ. فهو لَمَّا تكلَّم عن « وسطية أهل السنة بين الفرق » وذلك في الباب الثانِي والأخير من رسالته، أجلى وأوضح وسطيتَهم في فصولٍ خمسةٍ، الخامس منها:

وسطية أهل السنة بين الفِرَق في « **<u>باب تعظيم النبِيِّ ، والصالِحين من أمته</u>** ».
ثم عقد تحت هذا الفصل مبحثين؛ الأول منهما: وسطية أهل السنة بين الفِرَق في « **باب تعظيم النبِيِّ** ».
فتكلم فيه عن مواقف المنتسبين إلى الإسلام الثلاثة بالنسبة لتعظيم النبِيِّ -كمطالب للمبحث- والتي هي:

1. موقف أهل السنة وقولهم في باب تعظيم النبِيِّ . وأوضحه بثمانِي مسائل.
2. ثم ذكَر مَن غلا وأفْرَط في تعظيمه .
3. ثم الموقف الثالث لِمن فرَّطوا في تعظيمه وقصَّروا. وهذا الجزء هو الشاهد من رسالته حفظه الله. ثم بالمقارنة بين الرسالتين يتضح ذلك.

الخامسة: للدكتور الْمرابط بن محمد يسلم الْمجتبى الشنقيطي رسالة الدكتوراه بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، بعنوان: (الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم، وأثرها في العقيدة)، عام: 1424هـ. وقد ضمَّن رسالته ثلاثة أبواب؛ كالتالِي:

الباب الأول: الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة والجماعة. **الباب الثاني:** الواسطة بين الله وخلقه عند أهل الأهواء. **الباب الثالث:** أثر الواسطة الشرعية والبدعية في العقيدة. وقد ذكر من الواسطات الصحيحة: واسطة عبد الله ورسوله نبينا محمد بين الله وخلقه في التبليغ فحسب، وفنّد كون واسطته بين الله وخلقه واسطة عبادة.

ورسالته –حفظه الله- لَها علاقة بجزئية (بمبحث واحد من مباحث الفصل الأول من الباب الرابع من هذه الرسالة). ثم بالمقارنة بين الرسالتين ذلك.

وبعد: فإنّه يتضح وجهة هذا البحث بإمعان النظر في مواضع الاتفاق والتمايز بيه وبين الرسائل الخمسة المتقدمة.

5- خطة البحث، ومنهجي فيه:

أ- وأما عن خطة البحث:

فقد احتوَت الرّسالة على مقدمةٍ، ومدخلٍ، وأربعة أبوابٍ، وخاتِمة، وفهارس علمية، على النحو التالِي:

المقدمة: وتكلمتُ فيها عن أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع، ثم الدراسات السابقة حول الموضوع، وخطة البحث، ومنهجي فيه، والشكر والتقدير والدعاء، وقد تقدم بعض ذلك، وبقي الآخر.

المدخل: و**شَرْحتُ فيه مفردات عُنوان البحث من خلال أربعة مباحث، كالتالي:**

المبحث الأول: عرّفت فيه بـ"**مقام**" لغةً واصطلاحًا من خلال مطلبَين.

المبحث الثانِي: وعرّفت فيه بـ "**مقام العبودية** "؛ من خلال أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول:: تعريف "العبودية" لغةً.

المطلب الثاني: التعريف **بالعبودية** شرعًا.

المطلب الثالث: أقسام العبادة بالاعتبارات.

المطلب الرابع: معنى المركّب الإضافي: مقام العبودية.

المبحث الثالث: وعرّفت فيه بـ "مقام الرسالة " من خلال أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: تعريف (الرسول) و(النبيِّ) لغةً، وفيه مسألتان.

المطلب الثاني: التعريف بالنبي والرّسول شرعًا.

المطلب الثالث: تحقيق القول في الفرق بينهما.

المطلب الرابع: معنى مقام النبوة والرسالة.

المبحث الرابع: وبيّنتُ فيه معنى "الفِرَق" لغةً، واصطلاحًا، ثم تدرجتُ من ذلك إلى بيان المراد بـ"**الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام"،** من خلال ثلاثة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: معنى "الفِرَق" لغةً.
المطلب الثاني: معنى "الفِرَق" اصطلاحًا.
المطلب الثالث: المراد بِمُصطلح "**الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام**".

وجاء الباب الأول بعُنوان: مقام العبودية لنبيِّنا محمدٍ ، **واندرج تحته تمهيدٌ، وفصلان:**
التمهيد: الشهادة بأنَّ محمدًا عبدُ الله، وفائدة ذلك.
الفصل الأول: بشرية النبيِّ محمدٍ ، وبيان انتفاء خصائص البشرية عن الله تعالى،
وفيه تمهيدٌ، وأحَدَ عشَرَ مبحثًا:
التمهيد: الأنبياء عليهم السلام كلّهم بشرٌ، وبيان الحكمة في الإرسال إلى جنس البشر
المبحث الأول: أنّ النبِيّ وُلد من أبوين، وبيان نسَبِه الشريف، والصمد الغنِيُّ سبحانه لا والدَ له، ولا نسَب، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: ذكرُ ولادتـه عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثانِي: ذكر نسَبَه المتفق عليه من جهة أبيه.
المطلب الثالث: ذكر نسَبَه المتفق عليه من جهة أمه.
المطلب الرابع: الصمد الغنِيُّ سبحانه لا والدَ له، ولا نسَب.
المبحث الثانِي: أنَّه تزوَّج النساءَ، وذكر أزواجه رضي الله عنهن، والمعبود الغني سبحانه لم يتخذ صاحبة، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: ذكرُ زواجـه عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثانِي: ذكر أزواجـه ، ورضي الله عنهن.
المطلب الثالث: المعبـود الغنِيّ سبحانه لم يتـخذ صاحبة.
المبحث الثالث: ذكر أولاده وبناته ، و، والغنِيُّ المعبـود سبحانه لا ولَدَ له،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حصول الولد والذرية له عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثانِي: ذكرٌ مُوجزٌ لأولاده وبناتـه ﷺ وﷺ.

المطلب الثالث: الغنِيُّ المعبـود سبحانه لا ولَدَ له.

المبحث الرابع: جوع النبِيّ ﷺ وعطشه، والصمد الغنِيُّ سبحانه وتعالى لا يجوع ولا يعطِش، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جوع النبِيّ ﷺ.

المطلب الثانِي: عطش النبِيّ ﷺ.

المطلب الثالث: الصمد الغنِيُّ سبحانه وتعالى لا يجوع ولا يعطش.

المبحث الخامس: الرّسول ﷺ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، والصمد الغنِي لا يَطْعَم ولا يُطْعَم ولا يُرزَق، وهو فوق عرشه سبحانه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أكل النبي ﷺ الطعام.

المطلب الثانِي: مشـي النبِيّ ﷺ في الأسواق.

المطلب الثالث: الصمد الغنِيّ لا يَطْعَم، ولا يُطْعَم ولا يُرزَق، وهو فوق عرشه سبحانه.

المبحث السادس: ضحك النبِيّ ﷺ وبكائه، والعظيم الْمجيد سبحانه يَضْحَك ولا يَبْكِي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ضحك النبِيّ ﷺ.

المطلب الثانِي: بكاء النبِيّ ﷺ .

المطلب الثالث: العظيم المجيد سبحانه يَضْحَك ولا يَبكي.

المبحث السابع: أنَّ عينيه عليه الصلاة والسلام تنامان، ولا ينام قلبُه، والله الحيّ القيوم سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم، وفيه تمهيدٌ وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بالنوم.

المطلب الأول: عينـا النبِيّ ﷺ تنامان، ولا ينام قلبُـه.

المطلب الثانِي: خصائص العبد الرسول محمد ﷺ في باب نومه، وعلاقة بعضها بكمال عبوديته لربه.

المطلب الثالث: الله الحيّ القيوم سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم.

المبحث الثامن: أنَّه يغضب كما يغضب البشر، وذكر خصائصِه في غضبه، وفيه تمهيدٌ ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالغضب**.**

المطلب الأول: العبد الرسول يغضب كما يغضب غَيرُه مِن البشر.

المطلب الثانِي: ذكرُ خصائص العبد الرسول محمدٍ في غضبه.

المبحث التاسع: النبِيُّ ينسى كما ينسى غيرُه من البشر، والحفيظ العليم سبحانه وتعالى مُنـزَّه عن النسيان، وفيه تمهيدٌ ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالنسيان.

المطلب الأول: النبِيّ ينسى كما ينسى غيرُه.

المطلب الثانِي: الحفيظ العليم سبحانه لا يغفَل ولا ينسى.

المبحث العاشر: النبِيُّ عليه الصلاة والسلام يَمْرَض، والقدوس السلام سبحانه منـزّهٌ عن المرض، وفيه تمهيدٌ وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بالمرض.

المطلب الأول: النبِيّ يَمرَض.

المطلب الثانِي: الأخبار الصحيحة التي وردت في أنه سُحِر.

المطلب الثالث: القدوس السلام سبحانه لا يَمرض.

المبحث الحادي عشر: موت النبِيِّ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، والله الحيّ القيوم منـزَّهٌ عن الموت، وفيه تمهيدٌ وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بالموت.

المطلب الأول: موت النبِيِّ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

المطلب الثانِي: خصائص العبد الرسول محمد في باب الموت دون أمته.

المطلب الثالث: الله الحيّ القيوم سبحانه لا يَموت، لكمال حياته.

ثم إنّه لَمّا انتهى الفصل الأول بِمباحثه الأحد عشر، جاء **الفصل الثانِي**، وعُنوانُه: **كمال عبوديـته عليه الصلاة والسلام، ولازم ذلكَ**، واندرج تحته تَمهيدٌ، وعشرة مباحث:

التمهيد: وصف الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام بالعبودية لله، واتصافهم بِها، ودعوتُهم إليها**.**

أما المباحث، فالأول منها، كان عُنوانُه**:** اختيار النبِيِّ العبودية على الملك، وعلاقة ذلك بتكميله العبودية، وانتظم ذلك في مطلبَين، هما:

المطلب الأول: عقد مقارنة بين صفات النبِيّ الملِك، والعبد الرسول.

المطلب الثانِي: اختيار النبي العبودية على الملك، وعلاقة ذلك بتكميله العبودية.

المبحث الثانِي: مَحبتُه عليه الصلاة والسلام لِوصفه بالعبودية**.**

المبحث الثالث: أنَّه عليه الصلاة والسلام مقدَّم في الدنيا والآخرة لتكميله العبودية.

المبحث الرابع: أنَّه أعلم الناس بالله، وأتقاهم له!

المبحث الخامس: كمال محبته لربِّه، بل وأنَّه -عليه الصلاة والسلام- لا خليلَ له سوى الله العظيم، وفيه تَمهيدٌ ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالْمحبة.

المطلب الأول: كمال محبة العبد الرسول لربه ، ومسألة الخلة**.**

المطلب الثانِي: شواهد محبة العبد الرسول لربه وأثرها فيه.

المبحث السادس: شِدَّة خوفه من ربِّه القهَّار.

المبحث السابع: خضوعه وذلّه لرَبِّ العزّة والجبروت سبحانه.

المبحث الثامن: أنَّه أنصح للخلق.

المبحث التاسع: هل عبوديته (التابعة للإلهية) وولايتُه، فوق نبوَّته ورسالته؟

المبحث العاشر: لازم عبوديته ﷺ: عدم الغلوِّ فيه.

ولَمّا انتهى الباب الأول بِمباحثه الأكثر من عشرين – مُنتظَمَة في فصلَين- جاء الباب الثاني بعُنوان: مقام الرّسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ؛ واندرج تَحته تَمهيدٌ، وثلاثةُ فصولٍ:

والتمهيد جاء لبيان أنّ**:** الرسالة اصطفاءٌ من الباري، الضرورة إليها، ورحمة الله بِها، **وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: الرّسالة محض اصطفاء الله للعبد، وليست مُكتسبةً، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: اصطفاء الله للرسل عليهم السلام.

المسألة الثانية: بيان بطلان قول من زعم أنها مكتسبة.

المسألة الثالثة: شرَف مقام الرسالة وعِظَم قدرها!

المطلب الثاني: ضرورة البشرية إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبيان رحمة الله تعالى بإرسال الرسل والأنبياء؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ضرورة البشرية إلى الأنبياء، وأنَّها فوق كلِّ ضرورة.

المسألة الثانية: بيان رحمة الله تعالى للبشرية بإرسال الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وبعد ذلك جاء **الفصل الأول** لذكر**: المبشرات والآيات والدلائل لرسالته عليه الصلاة والسلام،** وانتظم تحته مبحثان**:**

المبحث الأول: البشارات والْمُبشِّرات بنبوَّته عليه الصلاة والسلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: البشارات به ﷺ في الكتب السماوية **وفيه تمهيدٌ ومسألتان:**

التمهيد: دلالة القرآن والسنة على بشارات التوراة والإنجيل بالنبِيِّ الخاتم ﷺ.

المسألة الأولى: البشارة به في التوراة.
المسألة الثانية: البشارة به في الإنْجيل.
المطلب الثاني: الْمُبشِّرات بنبوَّته عليه الصلاة والسلام **(الإرهاصات)، وفيه مسألتان:**
المسألة الأولى: رؤية أمه نورًا.. .
المسألة الثانية: تسليم الحجر عليه بِمكة قبْل بعثـته.
المبحث الثانِي: من آيات ودلائل نبوته عليه الصلاة والسلام، وفيه ستة مطالب:
المطلب الأول: نزول القرآن عليه .
المطلب الثاني: انشقاق القمر.
المطلب الثالث: الإسراء والْمعراج.
المطلب الرابع: إجابة دعوته عليه الصلاة والسلام.
المطلب الخامس: صدقُ ما أخبَر به عليه الصلاة والسلام عن الماضي والمستقبل.
المطلب السادس: حنين الجذع له ، وتكثير الطعام، ونبع الْماء ببركته ...

ثم جاء **الفصل الثانِي** لبيان**: عُموم رسالته عليه الصلاة والسلام، وكمالِها، وأنَّه خاتم الأنبياء،** وانتظم في ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: عموم رسالته إلى جميع الثقلين إلى قيام الساعة، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: عموم رسالته إلى جميع الثقلين الجنّ والإنس.
المطلب الثاني: كون رسالته مِن بعثـته إلى قيام الساعة.
والمبحث الثانِي في كون: رسالته كاملة كافية شافية، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: رسالته كاملة، فلا حاجة معها إلى: ابتداع.
المطلب الثانِي: رسالته كافية شافية، فلا حاجة معها إلى: شريعة مكمِّلة.

المبحث الثالث: كونه خاتم النبيين ولا نبِيَّ بعده، وكون رسالته خاتمة الرسالات.

ثم أتى **الفصل الثالث** لبيان:**لوازم رسالته عليه الصلاة والسلام،**وجعلتُه في مبحثَين:

المبحث الأول: لوازم تتعلق به عليه الصلاة والسلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إيْمانُه برسالته، واتباعُه لِما أُوحي إليه من ربِّه .

المطلب الثاني: تبليغُه كلَّ ما أوحي إليه مِن ربه .

المبحث الثانِي: لوازم تتعلَّق بالإيْمان برسالته، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اعتقاد أنه رسول الله (الإيمان برسالته).

المطلب الثانِي: مَحبتُه عليه الصلاة والسلام، وتوقيرُه.

المطلب الثالث: اتباعُه في كلِّ ما شرع.

المطلب الرابع: تَحكيمُه في كلِّ شؤون الحياة.

المطلب الخامس: طاعتُه في أوامره.

المطلب السادس: اجتنابُ زواجره ونواهيه.

المطلب السابع: تصديقُه في أخباره.

ولَمّا انتهى النظر في البابَين الأوّلَين والمقامَين الكريْمَين، والصفتَين العظيمتَين (مقام العبودية والرسالة) **جاء** الباب الثالث، وعُنوانُه: موقف الفِرَقِ الْمنتسبة إلى الإسلام مِن مقامي العبودية والرّسالة لنبيِّنا محمدٍ ، **واندرج تحته تَمهيد وستة فصول:**

والتمهيد جاء لبيان أنّ: الفـرق المنتسبة إلى الإسلام مشابِهون لليهود والنصارى في غُلُوّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي وجفائهم. وكلُّها وقعَتْ في الغلوِّ أو الجفاء أو كليهما في العقيدة في العبد الرسول محمد .

وأوضحتُ ذلك من خلال أربعة مطالب:

الأول: الْمراد بـ"الغُلُوّ والجفاء" لغة وشرعًا.

المطلب الثانِي: وقوع كلِّ الفِرَق الْمنتسبة إلى الإسلام في الغلوِّ أو الجفاء أو كليهما في حقِّه عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: اتباع الفِـرَق الْمنتسبة إلى الإسلام سنن اليهود والنصارى في الغُلُوّ في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي جفائهم، **وفيه ثلاث مسائل:**

المسألة الأولى: الغلو والجفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند اليهود.

المسألة الثانية: الغلو والجفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند النصارى.

المسألة الثالثة: الفِـرَق المنتسبة إلى الإسلام واتباعهم لليهود والنصارى في الغلو في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي جفائهم.

المطلب الرابع: بيان أنَّ مِن الغُلوّ والجفاء في العقيدة في العبد الرسول ما هو مُخْرِجٌ من الْملة، ومنه ما هو دون ذلك.

ثم **الفصل الأول** جاء لبيان: **موقف الخوارج من مقامي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ،** واندرج تحته تَمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: التعريف بالخوارج.

المبحث الأول: **غُلُو الخوارج في الدين الذي جاء به ومخالفتهم شريعتَه**.

المبحث الثانِي: جفاء الخوارج شخصه عليه الصلاة والسلام وشريعته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قول رأس الخوارج ذي الخويصرة للنبِيّ : " اعدل! ".

المطلب الثانِي: أخذ الخوارج بعض شريعته ، وتركهم بعضها الآخر.

المبحث الثالث: جفاء الخوارج صحابته وأمته عليه الصلاة والسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تكفيرُ الخوارج صحابته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: طعنُ الخوارج في العلماء والأئمة.
المطلب الثالث: شقُّ الخوارج عصا المسلمين واستحلال قتلهم.

وأما **الفصل الثانِي** فهو لبيان**: مَوقف الرّافضة والزّيديّة مِن مقامَي العبودية والرّسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ،** وانتظم تحته أربعة مباحث:
المبحث الأول: غُلُوُّ الرّافضة في النبِيّ ﷺ، وفيه تَمهيدٌ ومطلبان:
التمهيد: التعريف بالرّافضة.
المطلب الأول: زعم غلاة الرافضة أنَّه عليه الصلاة والسلام نور أزلي ينتقل من الأنبياء حتى جاءه.
المطلب الثاني: إطراء الرافضة النبيَّ ﷺ وإعطاؤه خصائص الرب والإلـه!
المبحث الثاني: جفاء الرافضة الكتاب المنـزّل عليه ﷺ وسنته ورسالته وشريعته، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: جفاء الرافضة الكتاب المنـزّل عليه، عليه الصلاة والسلام، وسنّته، وفيه أربع مسائل:
المسألة الأولى: اعتقاد الرافضة تحريف الكتاب الذي جاء به عليه الصلاة والسلام.
المسألة الثانية: اعتقاد الرافضة أنّ للكتاب الذي جاء به ﷺ معانِي باطنة.
المسألة الثالثة: اعتقاد الرافضة في مصحف فاطمة رضي الله عنها وغيره.
المسألة الرابعة: إعراض الرافضة عن سنته ﷺ.
المطلب الثاني: جفاء الرافضة شريعته ﷺ، وفيه ثلاث مسائل:
المسألة الأولى: تلقِّي الرافضة الدين من غير شريعته ﷺ .

المسألة الثانية: مخالفة الرافضة إيّاه في أعظم مطالب شريعته: (توحيد الله).

المسألة الثالثة: ابتداع الرافضة في دينه وشريعته .

**المطلب الثالث: جفاء الرافضة في حقه **، وفيه ثمانِي مسائل:

المسألة الأولى: جفاء الرافضة إخوته الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

المسألة الثانية: غلوُّ الرافضة في بعض آل بيته ، بِجعلهم فوقه أو في مصافه.

المسألة الثالثة: دعوى الرافضة العصمة في غيره .

المسألة الرابعة: تفضيل الرافضة أئمتهم عليه .

المسألة الخامسة: جعل الرافضة علـيًّا هو الأصل في الفضل وغيره.

المسألة السادسة: ردّ الرافضة خصيصته (ختم النبوة به) ودعوى النبوة لأناسٍ بعده.

المسألة السابعة: تخطئة الغرابية من الرافضة جبريل في تبليغ الرسالة إليه . وأنها كانت لعلي استحقاقًا.

المسألة الثامنة: زعم غلاة الرافضة أنَّ عليًّا هو الذي بعث محمدًا بالرسالة.

**المبحث الثالث: جفاء الرافضة أزواجه وأصحابه وأمته **، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: طعن الرافضة في **أزواجه** .

المطلب الثاني: طعن الرافضة في **أصحابه** عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: تكفير الرافضة وعداوتهم **لأمته** عليه الصلاة والسلام**.**

وجاء **المبحث الرابع** في ختام الفصل بعنوان**: موقف الزيدية من مقامَي العبودية والرسالة لنبينا محمد** ، واندرج تحته تَمهيدٌ ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالزّيديّة.

المطلب الأول: جفاء الزيدية لِمقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ **.**

المطلب الثاني: غلوُّ متأخري الزّيدية في مقام العبودية لنبيِّنا محمدٍ .

وتلَى ذلك **الفصلُ الثالث،** لذكر**: موقف الفلاسفة والْمتكلمين مِن مقام الرّسالة لنبيِّنا محمدٍ** ، وانتظم تحته مبحثان:

والمبحثُ الأول كان في بيان: جفاء الفلاسفة شريعتَه عليه الصلاة والسلام، وفيه تَمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بالفلاسفة.

المطلب الأول: زعم الفلاسفة أنَّ النبوة مكتسبة.

المطلب الثاني: تصوُّر الفلاسفة الخاطئ لأركان دينه وملته.

المطلب الثالث: تقديم الفلاسفة عقولَهم على شريعته .

ثم **المبحث الثانِي**، الذي فيه**: جفاء الْمتكلمين شريعتَه عليه الصلاة والسلام،** وفيه تَمهيد وخَمسة مطالب:

التمهيد: التعريف بالْمتكلمين.

المطلب الأول: تقديم الْمتكلمين العقل على الكتاب الْمُنـزّل عليه ، وعلى سنَّتِه.

المطلب الثاني: انحراف الْمتكلمين عن شريعته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: طعن الْمعتزلة في أصحاب رسول الله الْمُوصَى بِهم.

المطلب الرابع: تلقيب غلاة المعتزلة حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بـ(ـالْمُشبِّهة).

المطلب الخامس: قول بعض الأشاعرة ببطلان نبوّته بعد موته عليه الصلاة والسلام.

والفصل الرابع جاء لبيان: **مَوقف الصوفية مِن مقامَي العبودية والرّسالة لنبيِّنا محمدٍ ،** وكان في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: غلُوُّ الصوفية وإطراؤهم النبِيَّ ، وفيه تمهيدٌ وثَمانية مطالب:

التمهيد: التعريف بالصوفية.

المطلب الأول: رفع الصوفية النبِيَّ فوق الْمَنـزلة البشرية، بإعطائه خصائص الإلـه، وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولى: ادِّعاء بعض الصوفية أنه : يعلم ما يعلمه الله!

المسألة الثانية: ادِّعاء بعض الصوفية أنه **:** يقدِر على ما يقدِر الله عليه!

المسألة الثالثة: زعم بعض الصوفية أنَّ النبيَّ يعطي ويَمنع، وينفع ويضرُّ.

المسألة الرابعة: تجويز بعض الصوفية الاستغاثة به في كلِّ ما يُستغاث فيه بالله!

المسألة الخامسة: قول بعض الصوفية: " نحن نعبد الله ونعبد رسولَه".

المسألة السادسة: حلف بعض الصوفية به .

المسألة السابعة: التعبيد لاسمه عليه الصلاة والسلام مِن قِبَل بعض الصوفية.

المطلب الثانِي: دعوى الصوفية أنَّه عليه الصلاة والسلام خُلِق من نور.

المطلب الثالث: دعوى الصوفية أنَّه ليس له ظِلٌّ، أو أنَّ نوره يُطفئ ظلَّه إذا مشى في الشمس!

المطلب الرابع: إطراء الصوفية إيّاه، عليه الصلاة والسلام الْمنهي عنه.

المطلب الخامس: زعم غلاة الصوفية حلول الله سبحانه فيه .

المطلب السادس: اعتقاد الصوفية أنَّ الكون خُلق من أجله ﷺ.

المطلب الثامن: زعم غلاة الصوفية أنّ زيارة قبره ﷺ أفضل من الحج.

والمبحث الثانِي عُقِد لبيان: جفاء الصوفية سنتَه ﷺ ورسالتَه، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تقديم الصوفية آراء شيوخهم على سنته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثانِي: رفع الصوفية بعض أوليائهم فوق مقام نبوَّته عليه الصلاة والسلام**.**

المطلب الثالث: ابتداع الصوفية ومخالفتهم شريعته عليه الصلاة والسلام**.**

المطلب الرابع: تبديل الصوفية شريعته مِن دعاءٍ للأموات إلى دعائهم.

المطلب الخامس: اعتقاد الصوفية أنَّ بعض الناس يَسَعُه الخروج على شريعته كالخضر.

المطلب السادس: تسوية الصوفية مشايخهم به ﷺ في الحفظ والعصمة، وغير ذلك.

وقد خصصتُ **المبحث الثالث** لبيان**: موقف البَريلوية مِن مقامَي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ،** وفيه تمهيدٌ ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالبريلوية.

المطلب الأول: غلوُّ البريلوية في مقام العبودية لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه ستُّ مسائل:

المسألة الأولى: زعم البريلوية أنه ﷺ أعطي علم جميع ما في اللوح المحفوظ.

المسألة الثانية: زعم البريلوية أنَّ لديه ﷺ قدرةً يتحكَّم بِها في الكون.

المسألة الثالثة: زعم البريلوية أنه ﷺ يرى أفعال الخلق في كلِّ مكان وزمان.

المسألة الرابعة: استغاثة البريلوية به وبالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل وبالأولياء.

المسألة الخامسة: زعم البريلوية أنه ﷺ نائب مطلق عن الله ﷻ.

المسألة السادسة: إنكار البريلوية بَشَريته ﷺ وزعمهم أنه خُلق من نور.

المطلب الثانِي: جفاء البريلوية في مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: مخالفة البريلوية شَرْعَه في أمر القبور.

المسألة الثانية: تَهاوُن البريلوية بأمر الصلاة.

المسألة الثالثة: ابتداعُ البريلوية في دينه عليه الصلاة والسلام.

المسألة الرابعة: تكفيرُ البريلوية المسلمين المخالفين لهم.

المسألة الخامسة: افتراءاتُ البريلوية على دعاة التوحيد الخالص.

وعقدتُ **الفصل الخامس،** لبيان: **موقف القرآنيين والقاديانيين مِن مقام الرّسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ،** وانتظم تحته **مبحثان:**

المبحثُ الأول: جفاء القرآنيين سُنتَه وشِرعته عليه الصلاة والسلام، وفيه تَمهيدٌ ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالقرآنيين.

المطلب الأول: عدمُ قَبول القرآنيين ما صحَّ من سنته ﷺ.

المطلب الثانِي: إلغاءُ القرآنيين بعض شريعته عليه الصلاة والسلام.

وجاء **المبحث الثاني،** لبيان: **جفاء القاديانيين مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ،** وفيه تمهيدٌ وستة مطالب:

التمهيد: التعريف بالقاديانيين

المطلب الأول: ادعاء أحمد القاديانِي النبوَّة والرسالة.

المطلب الثاني: إلغاء القاديانِي بعض شرائعه عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثالث: تحريف القاديانِي معانِي القرآن.
المطلب الرابع: تجرؤ القاديانِي على تفضيل نفسه على الرسول الأمين .
المطلب الخامس: نيل رأس القاديانية (أحمد الغلام) من كرامة النبِيّ .
المطلب السادس: شتم القاديانِي وُزَراءَ الرسول (أصحابَه) وأبناءَه .

ثم خُتم الباب بذكر **الفصل السادس،** لبيان: **موقف البابيّة والبهائيّة مِن مقام الرّسالة لنبيِّنا محمدٍ ،** وانتظم فيه تمهيد ومبحثان:
التمهيد: التعريف بالبابيّة والبهائيّة.
المبحثُ الأول: جفاء البابيّة والبهائيّة رسالة نبيِّنا محمدٍ ، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: تفضيل الباب الشيرازي والبَهاء الْمازندرانِي كتابيهما على كتابه
المطلب الثاني: مخالفة الباب والبهاء شريعته عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثالث: زعم البابية والبهائية أنّ الوحي لم ينقطع، وأنَّ محمدًا ليس هو خاتم الأنبياء.
المطلب الرابع: تأويل البابية والبهائية سنته على طريقة الباطنية الْمُلحدة.

المبحث الثاني: جفاء رأسَي البابيّة والبهائيّة شخصَه عليه الصلاة والسلام، بتفضيل نفسَيْهما عليه، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تفضيل الباب نفسه على رسول الله .
المطلب الثاني: تفضيل البهاء نفسه على رسول الله .

ثم ختمتُ أبواب الرسالة بالباب الرابع في ذكر: وسطية أهل السّنّة في العبدِ الرّسول محمدٍ بين الغُلاة والجُفاة، وانتظم فيه تمهيـد، وفصلان:

التمهيد: وسطية أهل السنة لغة وشرعًا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الوسطية لغة وشرعًا.

المطلب الثاني: التعريف بـ"**أهل السنة**".

الفصل الأول: أهل السّنّة والجماعة لَم يَغْلُوا في العبدِ الرّسول مُحمدٍ ! وفيه ثَمانِية مباحث:

المبحث الأول: أهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ النبِيّ محمدًا **عبدُ الله ورسولُه**.

المبحث الثانِي: أهل السنة يعتقدون أنّه ليس للعبد الرّسول مُحمدٍ من خصائص الرّبوبية شيءٌ، فكيف يكون ذلك لِمَن هو دونه؟! وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما يتعلق بتوحيد الرّبوبية.

المطلب الثاني: ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: أهل السنة يعتقدون أنَّ العبد الرسول محمدًا لا يعلم شيئًا مِن الغيب في حياته إلا ما علّمه الله، فكيف بعد وفاته، وأنّ الغيب مما استأثر الله تعالى به.

المبحث الرابع: أهل السنة يعتقدون أنَّه ليس للعبد الرسول محمدٍ مِن خصائص الألوهية شيءٌ! فكيف يكون ذلك لِمَن هو دونه من الأنبياء وغيرهم؟! وفيه أحَدَ عشَرَ مطلبًا:

المطلب الأول: مسألتا الدعاء والاستغاثة.

المطلب الثاني: مسألة النهي عن السجود للعبد الرسول محمد ، فكيف بالسجود لغيره؟

المطلب الثالث: مسألة اتخاذ القبور مساجد.

المطلب الرابع: مسألة اتّخاذ قبر النبِيّ وثنًا.

المطلب الخامس: مسألة اتّخاذ قبر العبد الرسول مُحمدٍ عيدًا.
المطلب السادس: مسألة التبرُّك بالعـبد الرسول مُحمدٍ .
المطلب السابع: مسألة التوسل بالنبِيّ .
المطلب الثامن: أهل السنة لا يُعبِّدون أحدًا لغير الله في التسمية ولا في غيرِه.
المطلب التاسع: مسألة إلى أين تُشَدُّ الرحَال، وتُعمَل الْمَطيّ؟
المطلب العاشر: مسألة الحَلِف بالعبد الرسول محمد .
المبحث الحادي عشر: مسائل متفرّقة لَها علاقة بالمبحث!
المبحث الخامس: أهل السنة يَرون أنَّ وَاسِطة العبدِ الرسول محمدٍ بين الله والجنِّ والإنس واسطة تبليغٍ، لا واسطة عبادة، بخلاف مخالفيهم في المسألة.
المبحث السادس: أهل السنة ينْهَون عن إطراء العبد الرسول محمدٍ ، والغلوِّ والمبالغة في مدحه.
المبحث السابع: أهل السنة يعتقدون كُفرَ مَن رَفَع الأنبياء عليهم السلام إلى درجة الربوبيَّة والألوهية! فكيف بِرَفع مَن هو دونهم وإعطائه هذه الخصائص والحقوق؟!
المبحث الثامن: أهل السنة يعتقدون أنْ لا عِصمة لأحدٍ من هذه الأمة إلا للعبد الرسول محمدٍ في التبليغ، وغيره.
**الفصل الثانِي: أهل السنة والجماعة لم يَجْفُوا العبدَ الرسول محمدًا **، وفيه سبعة مباحث:
المبحث الأول: أهل السنة يُحِبُّون العبد الرسول محمدًا فوق المحبوبات المخلوقة، ويرَون محبته إنما تتحدّد بالدين، وفيه مطلبان.
المبحث الثانِي: أهل السنة يَرَون تجريد متابعة العبد الرسول محمدٍ ، ولا يبتدعون، ولا يُقدِّمون على قوله عقلا أو رأيًا أو قولا أو غير ذلك.

المبحث الثالث: أهل السنة يَرَون تعظيمَ العبدِ الرسول ﷺ، وتعظيمَ ما جاء به.

المبحث الرابع: أهل السنة يعتقدون ويشهدون أنَّ العبدَ الرسول مُحمدًا ﷺ بلَّغ أمَّته ما أمَرَهُ بِه ربُّه، ولم يكتم شيئًا؛ (فلم يزد، ولم يُنقِص).

المبحث الخامس: أهل السنة يعتقدون أنّ العبدَ الرسولَ محمدًا ﷺ أفضلُ المرسلين، وسيِّدُ الخلْق أجمعين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهل السنة يعتقدون أنّ العبدَ الرسولَ محمدًا ﷺ أفضلُ المرسلين.

المطلب الثانِي: أهل السنة يعتقدون أنّ العبدَ الرسولَ محمدًا ﷺ سيِّدُ الخلْق أجمعين.

المبحث السادس: أهل السنة يعتقدون أنّ العبد الرسول محمدًا ﷺ خاتِمُ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

المبحث السابع: أهل السنة يَرَون وجوب الصلاة والسلام على العبد الرسول محمدٍ ﷺ.

*** ** ***

ولَمّا أتيتُ إلى آخر البحث عملتُ **الخاتِمة:** وجعلتُ فيها أهم خلاصة البحث وتوصياته.

الفهارس العلمية: وذيّلْتُ البحث بفهارس علمية، وهي:

1. فهرس الآيات.
2. فهرس الأحاديث والآثار.
3. فهرس الأعلام الْمُترجَم لَهم في البحث.
4. فهرس الفِرَق والأديان.
5. فهرس المصادر والمراجع.
6. فهرس الموضوعات الكاشف عن أبواب البحث، وفصوله، ومباحثه، وأهمِّ مسائله.

هذه هي الْخُطّة.

ب_ وأما عن المنهج الْمتّبع في البحث:

قد سلَكتُ منهجَين؛ خاصًّا وعامًّا في تناول فقرات الخطة، على النحو التالِي:

المنهج الخاصّ:

أولا: ذكَرتُ بعد ذكر كُلّ عنـوانٍ لبـاب: عنـاوين الفصـــول المندرجة تحتـــه، قبل بداية معالجتـــه، وكـــذلك بالنســـبة للفصـــول فـــإنّي أذكُر أولا عنـــاوين المبـــاحث المندرجة تحتها قبل المعالجـــــة، وقُـــــلْ مثله فيما يتعلق بالمباحث مع المطالب، والمطـالب مع المسـائل؛ ما كـان تحت ذلك فروع.

ثانيًا: عندما أحكِي كلام المخالفين لبيان مواقفهم الغالية أو الجافية أُصـــدّره بـــــ (ويزعُمـــون، ويَـــدّعون، وأمثالهمـــا)، وقد يُغنِي ذلك عن الـــردّ المفصّـــل في بعض المقامات.

ثالثًا: وأما بالنسبة للتعريفات، فقد عرّفتُ بِكُلّ ما مِن شـأنِه أنْ يـترتب فهمُ موضـوع أو مسـألة عليـه، كما عرّفتُ بِما فيه تجـاذب بين معـنى صـحيح لا إشـكال فيـه، ومعنى محرّم عليه.

رابعًا: جعلتُ أغلَبَ التعريفات داخل المتن، وفي تمهيـــدات الأبـــواب والفصـــول والمبـــاحث والمطـــالب والمســـائل غالبًـــا، إلا ما لا يتناسب والمقـــام، فجعلتُه في الحاشية، وذلك تخفيفًا للحاشية وفرارًا من إثقالها.

خامسًا: عند الحديث عن الفِرَق ومخالفاتِهم في موضـوعات هـذه الرسـالة أحـاول ربط المعاصـرين من المنتسبين إلى الفرقة المعيَّنة بالسابقين؛ بـذكر نمـوذج أو أكثر من أقوالهم أو مواقفهم للتدليل على أنّ المعاصـرين على منهاج السابقين، تحذيرًا للعامة من الاغترار بِهم، مِن أجل ما قد يُسمعُونَهم: بأنّ ما في الكُتُب انحرافات سالفة لأُناس قد خلَوا، وغير ذلك من التمويهات!

سادسًا: لإنصاف الخصم فلا بُدّ من القول بأنّه: بالنسبة للطوائف الكبيرة الـتي تفـرعَتْ منها فِـرَقٌ كثـيرةٌ كالرافضة الذين منهم مَن بلَغَ في الغُلُوّ منتهاه، ومَن كـــان مُتوسِّطَه بالنِّسبة للذي قبله كـالاثني عشـرية، وكالصـوفية الـــتي تحتها طُـــرُقٌ كثـــيرة كالقادرية والرفاعية والتجانيـــة،

وكالمتكلمين الذين فيهم معتزلـة، وأشـعرية، وماتريدية = بالنسبة لِهذه الفِرَق الكبيرة قد أنْسِـبُ مقالة أو رأيًا مُقيَّدًا بالفرقة المُعَيَّنة التي قالتْ به -إنْ كان مِن مفـردات بعض الفِرَق منها-. وقد أُطْلِقُه؛ فأنْسِبَهُ إلى الفِرقة الأم؛ الفِكْـر، قاصدًا أنّ هـذا الفكْـرَ (الصـوفي أو الرافضـيّ) حـاوٍ لِهـذه المقالة أو الرأي فحسب، لا أنّ كُلّ فَـرعٍ مِن فـروع الفكر أو الفرقة قال بـه، أو أنّ آحـاد المنتسـبين إلى الفكر قـال به. وهذا كثيرٌ؛ ومِن أجله جرى التنبيه إنصافًا للخصم!

سابعًا: ركّـزتُ في تقرير العقائد أو النظريـات المشترَكة بين الفِرَق في أبواب هذه الرسـالة: على بعض الفِـرَق منها دون البقيـة، واكتفيتُ بنصـوص قليلة أو كلام لبعض المنتمين إلى الأخرى مشيرًا به إلى أنّ البقية قالت بنفس المقالـة؛ فرَكّـزتُ عند الكلام على المخالفـات في **مصـادر تلقّي الـدين** (الكتـاب والسـنة) -مثلا-: على الرافضة والقرآنـيين، مع أنّ الصـوفية تعـددت مصـادر تلقيهم؛ كالمواجيد والكشوف، وغيرهما.

وعند الكلام على نقض أهم الأمور التي وقَع فيه كثـيرٌ مِن الفِرَق حـتى سُـمّوا بالقبوريـة، وهو **صَرف حقـوق الله تعـالى** (العبـادة بأنواعهـا) **وخصائصه** (الكمـال المطلق في الأفعـال والأسـماء والصـفات) **عنه أو إشـراك أحد معه فيها** ركـزت على الصـوفية القبورية أصـحاب الاستغاثات بغير الله تعالى، مع أنّ الرّافضة سـبقوهم إلى تعظيم المشـاهد بل عبادتهـا، ولَهم انحرافـات أيضًـا في التوحيد العلمي.

وعند الكلام على **زعم حلول الله سبحانه في عبده**: ركّـزتُ على الحلاجية الصـوفية، مع أنّ غلاة طوائف الشيعة قالوا بذلك وسبقوا الحلاجية.

وعند الكلام على **أصـول الـدين** (الإيمـان باللـه، .. إلى: الإيمان بالقدر خيره وشره) ومخالفات الفِرَق فيها: ركّزت على الفلاسـفة؛ لأنّ حقيقة قـولهم هو إنكارهـا، مع أنّ الرافضة والصوفية والخوارج والمعتزلة لهم مخالفـات في هذه الأصول.

وعند الكلام على **تقــديم العقل على النقل**: ركّــزتُ على الأشــاعرة وعلى الــرازي خصوصًــا، لا لأنّ المعتزلة والماتريدية والفلاسفة المنتسـبين إلى الإسـلام لم يقولـوا بتلك المقالة والمخالفــة، بل لأنّ الأشــاعرة هم أكــثر مَن قرّروه وفرّعوا عليه.

وعند الكلام على **تفضــيل أحَــدٍ على رســول الله**: ركّزتُ على فِرَق الشيعة الذين فضّـلوا أئمتهم عليـه، عليه صلوات ربّي وسلامُه؛ فركّـزتُ على الإسـماعيلية، والاثـني عشرية، وبقية المؤلّهين للأئمة منهم، والبابيّة والبهائيّــة، لا لأنّ طائفة من الصــــوفية والفلاســـفة لم تَقُل بتفضــــيل الأولياء عليه؛ بل لأنّهم هم أنفسُهم أخذُوا ذلك عن الشيعة (الصلة بين التشيع والتصوف).

وعند الكلام على **دعــوى النبــوة**: ركّـزت على الرافضة بفِــــرَقهم القديمة المدّعية للنبـــــوة كالبيانية والمغيرية وغيرهما، وكـذلك البابيّة والبهائيّـة، مع أنّ القاديانيّة قـالت به.

وعند الكلام على **بطلان زعم كون النّبـوة مكتسـبة**: ركّزتُ على الفلاسفة، مع أنّ الملاحـدة الصـوفية وغـيرهم يَرون أنّه بـالخلوات والرياضة والمجاهـدة يُمكن اكتسـابها، مما مهّد السبيل لأدعيائها منهم.

وعند الكلام عن **الانحراف في العقيدة في القــرآن** خصوصًا: رَكّزتُ على الاثـني عشـرية القـائلين بـالتحريف، والزيـادة والنقصـان، وعقيـدة البطـون والتـأويلات، مع أنّ الإسماعيلية أكثر قولا بالباطن والتأويل، وأنّ الصـوفية في قولهم بالحقيقة والشـريعة يقولـون بالبـاطن (بل الباطنية كُثُر).

كما أنّـني كـذلك ركّـزت عليهم في **دعـواهم مصـاحف غــير القــرآن**، كمصــحف فاطمــة، والجفــر، ومصــحف الحــاكم بــأمر الله (المنفــرد لذاتــه)، والبيــان، والموســوم بالأقدس.

وعند الكلام على **تـرك سـنة رسـول الله وأحاديثه وإنكارها**: ركّـزتُ على الفرقة المـدعوة: بـالقرآنيين، مع أنّ بعض غلاة الرافضة والاثني عشرية لا يَرفعــون لِما في

الصحيحين وبقية أمهات كُتُب الحديث رأسًا، إلا ما وافق هواهم.
وعند الكلام على **دعوى علم الغيب للرسول ﷺ أو غيره**: ركّزتُ على البريلوية الصوفية، مع أنّ بقية طُرق الصوفية، بل والرافضة قالت به فيه ﷺ، وفي أوليائهم وأئمتهم.
وعند الكلام على **نظرية الحقيقة المحمدية (النور المحمدي)**: ركّزتُ على ابن عرَبي الفيلسوف الصوفي الملحد وأهل مدرسته، مع أنّ الإسماعيلية سابقون إلى نفس النظرية؛ في زعمهم أنّ التالي هو أول ما أوجده السابق، ثم فاضت الموجودات بأسرها منه (التالي)؛ فهو ممدها. بل ومنهم أخَذَت الصوفية هذه النظرية (إنّ الحقيقة المحمدية هو أول الأرواح إيجادًا، ثم أوجِدت كُلّ الموجودات بواسطته). كما أنّ الإسماعيلية بدورهم أخذُوها عن الوثنيات التي قبل الإسلام (الفلاسفة) في قولهم: الواحد لا يَصدُر عنه إلا واحد؛ فالعقل الأول (القلم) هو الذي فاضت منه وصدَرَت عنه الكائنات؛ من العرش والعقول (الملائكة) فما دونها، لا ممن يُسمّونه واجب الوجود.
وعند الكلام على **الطعن في صحابة رسول الله ﷺ الأخيار وأهل بيته الأطهار ﷺ**: ركّزت على الاثني عشرية مع أنّ بقية فِرَق الرافضة، وكذلك الخوارج والمعتزلة والبريلوية قالت بِالسباب والشتائم.
وعند الكلام على **تكفير المسلمين واستحلال دمائهم**: ركّزت على الخوارج، مع أنّ الاثني عشرية وبقية الرافضة يُكفّرون مخالفيهم، والبريلوية الصوفية تقول به لأدنى شبهة مخالفة لهم. .. وهكذا.
وكلّ هذا وغيره كان التركيز على بعض الطوائف دون أُخرى لأسباب علمية وغيرها، معروفة أكثرها لدى العلماء والمتخصصين.
ثامنًا: حاولتُ بيان جذور المقالات وأصولها خارج الإسلام وداخله: فبيّنْتُ -عند الكلام على الحلول- أنّه مأخوذٌ من النصارى في قولهم: بحلول اللاهوت في

الناسوت. تعالى الله وتقدس. وأنّ نظرية النور المحمـدي (الحقيقة المحمدية) مـأخوذة من الفلاسـفة. (وهـذه أمثلة لصلة الفرق بالأديان والوثنيات).
كما بيّنتُ أنّ تفضـيل الـولي على النبِيّ والرسـول مـأخوذٌ من تفضـيل الرافضة لأئمتهم أو تسـويتهم بالأنبيـاء، ومن تفضـيل الفيلسـوف على النبِيّ عند بعض فـرق الملاحـدة، وهكذا.

تاسعًا: استخدمتُ كثيرًا وسيلة المقارنات، والتلاقي بين الفرق في المسائل.

عاشرًا: وبالنسبة لِما أنقلُه من كلام المخالفين –عنـدما أنقُله بـالنصّ- فقد ألـزمتُ نفسِـي أنْ أنقُلَه بعُجَـره وبُجَـره، وبصـوابِه وخطئـه، ففي بعضـها –كما سـيلاحظ القارئ أخطاء لُغويّة فادحـة، لكنْ تَرَكتُها على ما هي عليه علّها تُصوّر شخصية قائلها.

حادي عشر: جعلتُ أرقام الآيات وأسماء سُوَرها بجانبها داخل المتن (وفي الصلب دون الحاشـية)؛ تحاشـيًا من إثقال الحاشية، وبين معقوفتين هكذا: [ ]، وقد أعدتُ آيـات في أكـثر مِن موضـعٍ؛ متَى ما كـان فيها أكـثر مِن مستشهَدٍ به في البحث.

ثاني عشر: ما ترجمت إلا لِمَن رأيتُ في الترجمة له فائدة، ولم ألتزم عند الـتراجم ذكر (الضـوابط العشـرة في الترجمـة؛ من اسم المـترجَم ونسَـبِه، وكنيته ولقبـه، وولادتـه، وثلاثة من مشـايخه، وثلاثة من تلامذتـه، وكلام العلمـاء عليه جَرْحًا وتعـديلا، وبعض كتبـه، ووفاتـه)، كما اكتفيتُ في كثيرٍ من الـتراجم بالاسـتفادة بِمرجع واحـدٍ أو اثنين، كل ذلك للعلة المتقدمة (خوف التطويل).

ثالث عشر: بالنسبة لفهرس المصادر والمراجع: أقـول بأنّـه: ما لم يتيسّـر لي أنْ أُباشر الاسـتفادة والنقل منـه؛ وتوسّـط بينِي وبينه كتـابٌ آخَر (فنقلتُ بالواسـطة) فـإنّي –والحالة هـذه- لا أُثْبِتُ بيانـات الطبعة والنشر في قائمة المصادر والمراجـع؛ ذلك أنّه ليس من مـراجعي -أنا شخصـيًا، ومثالـه: الشـيخ إحسـان إلهي ظهـير حينما ينقل عن الأقـدس للمازنـدراني، فـإنّي لمّا لم أباشر النقل عن

الأقدس وعن البيان للشيرازي فإنّي أثْبتُ معلومات النشر لكتــابَي البابيّــة. والبهائيّة للشــيخ إحســان دون الأقــدس والبيان.
ولقد استخدمتُ في بعض الأحيان أكثر من طبعة لكتاب واحد لعدة مبررات، ككتاب التوحيد وتفسير الشيخ السعدي وغيرهما، لكن الذي غلَب عليّ استخدامه هو المثبت في قائمة (فهرس المصادر والمراجع)، أما الآخر فأثبتّ بياناته في محل استخدامه.

رابع عشر: قد تَم أنّ رَدَدتُ بعض أقوال المعتبرين من العلماء المتقدمين منهم والمعاصرين، لِما رأيتُ: أنّ التحقيق في خلافها، على القاعدة التي ذكَرَها أبو الفرج ابن الجوزي –رحمه الله- من عدم المحاباة في الحق، حيث قال -عند كلامه عن شيوخ الصوفية-: « وقعَتْ من بعض أشياخهم غلطات لبُعدهم عن العلم، فإنْ كان ذلك صحيحًا عنهم توجه الرّدّ عليهم؛ إذ لا محاباة في الحق، وإنْ لم يَصِحّ عنهم حذّرنا مِن مثل هذا القول، وذلك المذهب من أيّ شخصٍ صدَر، .. والله يعلم أننا لم نقصد بيان غلط الغالط إلا تنـزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل، وما علينا من القائل والفاعل، وإنما نؤدي بذلك أمانة العلم، وما زال العلماء يبين كلّ واحدٍ منهم غلط صاحبه قصدًا لبيان الحق، لا لإظهار عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل؛ يقول: كيف يردّ على فلان الزاهد ..؟ لأنّ الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص، وقد يكون الرّجل من الأولياء وأهل الجنة؛ وله غلطاتٌ، فلا تَمنع منـزلتُه بيانَ زَلَـلِه. واعلم أنّ مَن نَظَر إلى تعظيم شَخصٍ ولم ينظر بالدليل إلى ما صَدَر عنه: كان كَمَن ينظر إلى ما جَرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه؛ فادَّعَى فيه الإلهية، ولو نَظَر إليه وأنّه لا يَقُوم إلا بالطعام؛ لم يُعْطِه إلا ما يستحقُّه »[1]. وصدق!

---

[1] تلبيس إبليس، ص179-180.

هذه أهم معالم منهجي الخاص في هذه الرسالة.

وأما المنهج العام فيتلخّص في الآتِي:

أولاً: رجعتُ إلى مظان المادة العلمية من كتب العقيدة؛ سواء التأصيلية منها والردود (الفِرَق وغيرها)، والسِّيَر والمغازي، وكتب التفسير، وشروح الأحاديث وغير ذلك مما يَخْدُمنِي للاستفادة من ذلك، كما استعنتُ بالرسائل العلمية الأصيلة المحكمة وغيرها في التعرف على المصادر للمادة، وغير ذلك.

ثانيًا: التزمتُ بقواعد البحوث العلمية وعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط قدر استطاعتي ومعرفتي بها.

ثالثًا: عزوتُ الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى مواضعها من القرآن بذكر اسم السورة ورقم الآية، وبالرسم العثماني.

رابعًا: عزوتُ الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادرها، وذلك بذكر اسم المصدر والكتاب والباب؛ لسهولة الوقوف عليه، وهذا في الكتب المبوَّبة، مع ذكر رقم الحديث (إنْ وجد). وأما في المسانيد فبذكر الرقم للحديث (إنْ وجد).

ونقل حكم العلماء على الأحاديث صحةً وضعفًا، إلا إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بعزوه إليهما فقط.

خامسًا: اجتهدتُ في بيان معنى الألفاظ والعبارات الغريبة الواردة في البحث بذكر معانيها من معاجم اللغة وكتب الغريب، وغيرها.

سادسًا: عرفت بالفرق والأديان، وكل ما يحتاج إلى تعريف، (وأغلبه في صلب البحث).

سابعًا: نقلتُ عن المتقدمين وفضلتهم على المتأخرين إلا في أضيق الحالات؛ بأن تكون المسألة بُسطت أكثر وحُرِّرت عند أحد علماء الأمة المتأخرين،.. إلى غير ذلك من الأسباب.

- وأما النقل عن المخالفين: فلإقامة الحجة عليهم ولأدينهم مِن أفواههم نقلتُ مِن كُتُبهم ما استطعتُ

إلى ذلك سبيلاً، والذي لَم أقف عليه من كتبهم فقد تم أنْ نقلتُه بالواسطة من كتب علمائنا الموثوقين. -رحم الله ميِّتهم، وحفِظ أحياءَهم- ثم أُحلتُ إلى كُتُبهم وقلتُ: "**بواسطة كتاب كذا**".

ثامنًا: رددتُ على المخالفين؛ واستخدمت –غالبًا- في الرد عليهم **الردّ المجمل والتعليق على مَحلّ المؤاخذة والمخالفة**؛ وذلك لأمور: من أهمها: كون تصوُّر كلامهم –غالبًا- كافٍ لردّها لأصحاب الفِطَر السليمة، (لِمخالفتها للفطرة والشرع)، وطلبًا للاختصار، بل ولكون المقام مقام فَهْم موقفهم من عبوديته ﷺ لربه ﷻ غلوًّا، ومن رسالته جفاءً -وهذا في الغالب-، فالمقام مقام فَهْم ذلك مِن كلامهم، لا مقام ردود عليهم، ولأنّ الوقت لا يكفي ولَم يكف للردود التفصيلية، وغير ذلك.

مع أننِي قد رددتُ عليهم في بعض الأوقات **بالردّ المفصل** لِمَا اقتضاه الحال. ثم إننِي إذا رَدَدتُ على بعض المخالفين في مسألة، ثم جاءتـنِي تلك المسألة والمخالفة عند فرقة أخرى فالأكثر أنِّي أحَلْتُ إلى الردّ الأول.

تاسعًا: ترجمتُ ترجمة موجزة للأعلام الوارد ذكرُهم في البحث، عدا المشهورين.

عاشرًا: وضعتُ خاتِمةً سجّلتُ فيها أهم النتائج والتوصيات التي حصلت عليها.

حادي عشر: ذيّلتُ البحث بفهارس علمية، سهّلَت وتسهِّل الاستفادة منه، على النحو المبيّن في الخطة.

ج- الشكر والتقدير والدعاء:

باديءُ الأمر، أحمد الله تعالى وأشكرُه على نعَمَائه التي لا تُعدّ ولا تُحصى، وعلى رأسها: نعمة الإسلام التي خصّنا بِها، ثم نعمة التوفيق بسُلُوك منهج السّنّة والاتباع، ثم نعمة طلَب العِلم.

وأصلي وأسلّم على نبينا محمد، وآله وصحبه، وبعد:

فامتثالا للأمر النبوّي: بِمُقابلة مَن أسدى معروفًا، ولو بالشكر والدعاء، عند تعذّر المكافأة، أقول:

أتقدم بالشكر لوالِدِي الكريم على تنشئتنا التربية الإسلاميّة، سائلا الله تبارك وتعالى أنْ يُديم عليه توفيقه، وأنْ يُكثِر مالَه وولده ويُبارك له فيهم. كما أسألُه سبحانه أنْ يَسْلُك بِنا سبيل البارّين به، وأنْ يَرزقنا أداء شيءٍ من حقّه، وأنْ يقُرّ عينَيْه الكريمتين بنا.

كما أتضرّع إليه بأنْ يُنوّر لأمّي العزيزة قبرها ويُوسّع لَها فيه. فاللهم ارحَم والدَيَّ، وجازِهما عنّي خير ما جازيتَ والِدٍ عن ولد، واجمعني وإياهما والمسلمين في الفردوس الأعلى من الجنّة، بِجوار الخليل .

ثم أتقدم بالشكر والعرفانِ لِحكومة المملكة العربية السعودية على ما أتاحَتْ لنا مِن فُرَصٍ دراسيّة، مُمثلةً في خادم الحرمَين الشريفين الملك/ عبد الله بن عبد العزيز آل سعود –حفظه الله-. وأسأل الله أنْ يُديم عليه وعلينا نعمةَ الصحةِ في البدن، والأمن في الوطن، والتسديد في الأقوال والأفعال والقرارات، جزاءَ ما قدّموا ويُقدّمونه للإسلام والمسلمين ..

ويتصل شُكرِي وتقديري والدعاء بالخير لِهَذه الجامعة، الجامعة الإسلاميّة المباركة، مُمثلة في مديرها الخدوم: الأستاذ الدكتور/ محمد بن عليّ بن فرّاج العقلا –حفظه الله تعالى-، وعمدائها، وعلى رأسها عميد كُلّية الدعوة وأصول الدين الذي أواصل دراساتِي في مَرعاه، بل وجميع منسوبِي هذه الجامعة؛ الذين ما أوجدُوا إلا خدمة للعلم وطُلّابِه، والبحث وقُوّاده. واللهَ أسألُ أنْ يُديم على هذه الجامعة العطاء في حِفظٍ ومنَعَة، وأنْ يَقِيَها كيدَ أعدائه؛ إنّه العزيز القهار.

ثم إنه لا يفِي قلَمِي وبنانِي، ولا يستطيع لسانِي أنْ يُعبّر عن حقيقة ما يستحقّه شيخِي ومشرفِي أبو محمد الْحُسينِيّ: الشيخُ الأستاذ الدكتورُ/ عبدُ القادر بنُ محمد عطا صوفي: من ثناءٍ وتقديرٍ وشُكرٍ وإجلال، ودُعاء، فهو صاحب التضحية –بِما تحمله الكلِمة مِن معنى- بالوقت والجهد والنّصح، ومتابعة البحث في كُلّ لحظاته من قبول الخطة إلى الانتهاء، في أدبٍ رفيعٍ، وتواضعٍ جَمٍّ، وقد كان الشيخ يتفضّل عليّ بلقاءين بل ثلاثًا أسبوعيًّا، في بيته ومكتبه وسيّارته، في أيّام الدوام، وفي الإجازة، لأستفيد مِن علمه وآرائه السديدة، وخبراته البحثيّة ومهاراته العامة، وقبل كُلّ ذلك: خُلُقِه. فلولا تيسير الله تعالى لي بِفضيلته ما كان البحث ليرى النور في الوقت الذي خرج. فلا أملِك إلا أنْ أقول: جزاك الله –شيخنا- خيرًا؛ خير ما جازى شيخًا عن تلميذ، وأدامك على التضحية، وتقبله منك، كما أسأله بمنه وكرمه، وجوده وإحسانه أنْ يُبارك فيك، وفي ولدك؛ محمد وإخوانه وأخواته، وبقية الأهل، ويُقرَّ عينيَك بِهم، ويستعملكم كُلّكم في طاعاته.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير لأصحاب الفضيلة: الشيخ الدكتور/ سعيد بن محمد بن معلوي، والشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن جليدان الظفيري لتقبلهما مناقشي في هذه الرسالة، مع طولها، فجزاكم الله عني وعن العلم كلّ خير. وقد –والله- استفدت كثيرًا بِملاحظاتكم السديدة القيمة، ذات القيمة العلمية: لتقويم اعوجاج الرسالة، فأسأل الله تعالى أنْ يُقِرَّ عيونَكم بالنظر إلى وجهه الكريم، ويُثيبكم الجزاء الأوفى، ويبارك فيكم وفي أهليكم وأموالكم، ويُثْقِل موازينكم جزاء ما بذلتم من الجهد الجهيد، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما لا يفوتُنِي أن أتقدم بالشكر والعرفان والدعاء بالخير لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ صالح العقيل رئيس قسم العقيدة –حفظه الله تعالى- لاهتمامه البالغ بما يعود على الطلاب بالخير والنفع، فقد كان إداريا موفّقا، ومعلِّما مربِّيًا.

ثم لِمرشدي الأكاديمي الذي بذل مجهودًا -يُذكَرُ فيُشكَر- في تصويبِي عندما أعددتُ الخطة الأولى، ألا وهو شيخنا الشيخ الأستاذ الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخلف –حفظه الله تعالى-، وأسأل الله أن يجزيه كلّ خير، ويرزقه وإيانا جميعًا عُمرا مديدًا، في خدمة الإسلام والمسلمين.

ولا أنسى زوجي (أم عبد المحسن) ومواصلتَها بعض الليالِي بالنهار حتى قام البحث على سوقه. وكذلك مشايخي مثل الدكتور أبو بكر محمد ثاني، والدكتور إلياس يحيى طنلامي، وكذلك زملائي، والقائمين على بعض المكتبات، وأتوجه بالشكر والتّقدير إلى كلِّ هؤلاء، بل وإلى جميع مَنْ ساهم –من غير أولئك- في إنجاز هذه الرّسالة بطريق أو بآخر، وهم كثر، وسرد أسْمائهم فيه عُسر، لكنّ الله المسئول أن يَجزيهم عنِّي كلّ خير، ويَجعل ذلك في موازين حسناتِهم.

وأقول لِهؤلاء جميعًا: جزاكم الله خيرًا، وأشْرَكَنَا جميعًا في الأجر والمثوبة، وسلك بنا سبيل العلماء العاملين.

وفي الأخير، أقول: هذا غاية ما في المبذول، وهو عملٌ بَشَريّ، يعتريه الصواب والخطأ، فإن أكُ قد وُفِّقْتُ فيه للصواب، فذلك بفضل من الله وتوفيقه، فله الحمد في الأولى والآخرة، وإن كانت الأخرى فمِن نفسي ومن الشيطان، واللهَ أسأل أن يفغرَ لِيَ الزلاَّتِ، ويتجاوزَ عن الهَفَواتِ، ويُقيلَ العثرات، ويسدَّ الثَّغَرَاتِ، كما أسأله أن يتقبّلَه مني بقبول حسن، وَيَجعلَه خالصًا لوجهه الكريم، ويباركَ لي فيه ولجميع المسلمين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فأنتقل إلى ذكر وبيان مدخل هذه الرّسالة؛ والذي شرحتُ فيه مفردات عنوان البحث:

المدخل: شَرْحُ مُفْرَدَات عُنوان البحث، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بـ"مقام"، وفيه مطلبان.

المبحث الثانِي: التعريف بـ "مقام العبودية "؛ وفيه أربعة مطالب.

المبحث الثالث: التعريف بـ "مقام الرسالة "؛ وفيه أربعة مطالب.

المبحث الرابع: معنى "الفِرَق" لغةً، واصطلاحًا، وبيان المراد بـ"الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام"، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الأول: التعريف بـ"مقام"، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف لفظة "مقام" لغةً.

المطلب الثاني: المراد بـ" مقام" اصطلاحًا.

المطلب الأول: تعريف لفظة "مقام" لغةً:

الْمُقام –بالفتح وبالضمّ، مِن: قام مَقامًا، وأقام مُقامًا، هو موضع القيــام[1]، قــال القرطبِــبي –رحمه اللـــه- في تفسير آية ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ [الإسراء: ٧٩]: « فالمقام: الموضع الـــذي يقـــوم فيه الإنســـان للأمـــور الجليلـــة، كالمقامـات بين يـدي الملـوك »[2]. والْمقـام: الإقامـة، أو موضـــعه. ويشـــمل الْمَقـــام –بـــالفتح- الأمر الْحِسِّـــي، والمعنوي، أو كِلَيهما. وكثيرًا ما تكون دلالة الْمقام الحسية على المعنوية (المنزلـــة) بـــاللزوم –كما في الشـــواهد القادمة-.

فمِن الأول (الْمَقام الْحِسِّي)، قوله تعالى: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ [البقرة: ١٢٥]. وقوله: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ [آل عمران: ٩٧]. وقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [الدخان: ٥١ – ٥٢]، ويَلزَم منه المنزلة المعنويّة الرفيعة. وقوله: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ [الفرقان: ٦٥ – ٦٦]. ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [الفرقان: ٧٥ – ٧٦]. وقوله: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [الأحزاب: ١٣]. وقوله: ﭽ ﭼ [الشعراء: ٥٧ – ٥٨]. ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [الدخان: ٢٥ – ٢٦]. ومِن ذلك قوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ

[1] انظر: مادة (ق و م)، الصحاح للجوهري، ص893-894، والمعجم الوسيط، مادة المَقام، ص768.

[2] الجامع لأحكام القرآن، (ج13/ 151-152، سورة الإسراء).

ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ [الرحمن: ٤٦]. وقوله: ﭽ ... ﭼ [النازعات: ٤٠]. لقوله: ﭽ ... ﭼ [المطففين: ٦]. **ومِن الثانِي؛** (المقام المعنوي)، قولِي في عُنوان الرسالة: مقام العبودية، ومقام النبوة والرسالة، بِمعنى منزلة العبودية، ومنزلة النبوة والرسالة. وسيأتِي إن شاء الله- بيانُ هذا المصطلح. **ومِن الثالث (الجامع للموضع الحسِّي، والمعنوي (المنزلة -ولو باللزوم-)**، قوله عزّ شأنُه، وجلّ جلالُه: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [الإسراء: ٧٩]. وجاء تفسيره في الأحاديث، وهو يَشْمَل الاثنين، (الثاني منهما منزلة عظيمة في الجنة يُغبط عليها –الشفاعة العُظمى-). وقوله: ﭽ ... ﮪ ﮫ ﮬ ... ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [مريم: ٧٣]. وقوله: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ [الصافات: ١٦٤].

قال القرطبي –رحمه الله- بعدما ذَكَر القول الراجح في تفسير الآية الأخيرة، ذاكرًا الأقوال الضعيفة: « وقيل: أيْ مِنّا مَن له مقام الخوف، ومنا من له مقام الرجاء، ومنا من له مقام الإخلاص، ومنا مَن له مقام الشكر، إلى غيرها مِن المقامات » [1].

وذكَر الحافظ ابن كثيرٍ –رحمه الله- القولين (الحسي والمعنوي) في المسألة، ولم يتعرض لتضعيف أحدهما، فقال: « أي: له موضعٌ مخصوصٌ في السماوات، ومقامات العبادة، لا يتجاوزه ولا يتعداه »[2].

فقوله: (له موضعٌ مخصوصٌ في السماوات) هذا مقامٌ حسّيٌ؛ لأنّه لم يَكُن في السموات موضع إصبعين إلا وملَكٌ ساجدٌ لله أو راكع، كما ثبت في الحديث.

وقوله: (ومقامات العبادة) وهو المقام المعنوي، ويُفسّرُ الجملة ما تقدمه مِن كلام القرطبِي.

المطلب الثاني: المراد بـ" مقام" اصطلاحًا:

لفظة (مقام) هذه: مفردٌ، والمراد به: المنزلة. فمقام العبودية: منزلة العبودية، ومقام الرسالة: منزلة الرسالة. وقد تقدم هذا المعنى. وجمعُ المقام: (مقامات)، وهو عند

---

1 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج18/ 115).
2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ 31).

أكثر الذين كتبُوا في السـلوك والتصـوف شـيءٌ مُكتَسَـب، يُحصل عليه بالتربية والرياضة والمجاهـــــــــدة، بخلاف (الأحــوال) الــتي تُمنَح وتُــوهب، بلا اكتســاب، وهــذا من الفروق عندهم بينهما.

والجامع بين المقامَين (مقام العبودية ومقام الرسالة للرسول) هو الديمومة وعـدم الانتقـال؛ فعبودية الرســول معه لا تـــــزول، كما أنّ رســـــالته بعد هبتها له من الله واصطفائه بِها مزيّةٌ لا تنتقل. فهما ليسـتا لامعتَين لائحتَين، ولا هما من الأحوال الطارئة الزائلة[1].

قال الراغب الأصفهاني –رحمه الله-: « والمَقـامُ يكون مصـدرًا، واسم مكـان القيـام، وزمانه) فـذكر لـذلك عشر آيات تقدمت في المطلب قبل هذا، أمثلة لقوله هذا »[2].

ثم إنّ مسألة كون المقامات -عند الذين تكلموا عنه في السـلوك- مكتسـبةً: إنْ اتفق مع مقـام العبوديـة؛ وما يتفرع عنه من مقام الحب، ومقام الخوف، ومقام الرجاء، ومقـام الخشـية، ومقـام الرغبة والرهبـة، ومقـام التوبـة، ومقــام الشــكر، ومقــام الصــبر، ومقــام الزهــد، ومقــام المراقبة، ومقام الإخلاص، ومقـام الصـدق، وغـير ذلك من مقامات السالكين التي أُمِروا باكتسـابها وتحصـيلها، إلا أنّه لا يتأتّى في المقام الثانِي (مقـام النبـوة والرسـالة) وذلك لأنه لا اكتسابِيٌّ، بل مَوهبِي، -كما سـيأتِي لاحقًا عند الكلام على إبطال قول مَن زعم أنّ النبوة تنال بالاكتساب. والله تعالى أعلم.

---

1 (?) انظـر: كتـاب عـوارف المعـارف لأبي نجيب السـهروردي، (عنـاوين أربعة أبواب -58-61، ولفظ عناوينهـا: شـرح الحـال والمقـام والفـرق بينهما، والإشارة إلى المقامات على الاختصار والإيجـاز، وذكر إشـارات المشايخ في المقامات على الترتيب، وذكر الأحوال وشــرحها /في آخر كتاب إحياء علوم الدين، ج2126/2-2153). ومـدارج السـالكين، (ج1/ 202، وما قبله وما بعــده)، والــردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، للدكتور محمد بن أحمد الجوبر، ص508-512.

2 (?) المفردات في غـريب القـرآن، للمعـروف بلـراغب الأصـفهاني، ص 691-692، ط1412هــ/دار العلم، دمشـق، بتحقيـق: صـفوت عـدنان داودي.

المبحث الثاني: التعريف بـ "مقام العبودية"؛ وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف "العبودية" لغةً.

المطلب الثاني: التعريف بالعبودية شَرعًا.

المطلب الثالث: أقسام العبادة بالاعتبارات.

المطلب الرابع: معنى المركَّب الإضافي: (مقام العبودية)

المطلب الأول: تعريف "العبودية" لغةً:

العين والباء والدال (ع ب د): أصلان كأنّهما متضادّان، يدل أحدُهُما –وهو المقصود هنا- على لين وذُلٍّ، والآخَر على شدّة وغِلَظ وقوّة وصلابة، يقال: هذا ثوبٌ له عَبَدَةٍ، إذا كان صفيقًا قويًّا. وأما شاهدنا هنا: فَمِن الذُّلّ، يقال: بَعِيرٌ مُعَبّد، أي: ذِلولٌ ومُذَلَّلٌ[1]، وطريقٌ مُعَبّد: مُذَلَّلٌ ومسلوك قَدْ وَطِئَتْهُ الأَقْدَامُ (موطوء)، وقيل: الذي تَكْثُرُ فيه المختلفة. والتعبيد: التذليل، والاستعباد: هو أنْ يتخذه عبْدًا، ومثله الإعباد، والتعبّد. والعَبْدُ: خلاف الحرّ (المملوك)، ومن معانِيه أيضًا: الإنسانُ حُرًّا كانَ أو رَقيقًا؛ لأنّه مَرْبُوبٌ لبارِئه [2]، وهو يُطْلَقُ على الذَّكَرِ والأُنْثَى. وجَمعُه: العَبِيد والعِباد. ويُذْكَر أنّ العامة اجتمعوا على تَفْرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين، فلا يقولون: عبَدَ يَعبُد عِبادة: إلا لِمَن يَعبُد الله تعالى، ويقال أيضًا: تَعَبّد يتعبد تعبُّدًا (تَنَسُّكًا) فالمتعبّد: المتفرِّد بالعبودية، وأما عَبْدٌ بِمعنى: خدَم مولاه، فلا يقال: عبَدَه يَعبُدُه[3]. ولفظ (العَبِيد) أعَمّ مِن (عباد الله)[4]، فالعبيد الخلق كلّهم، قال تعالى: ﮋﯓﯔﯕﯖﯗﮊ [آل عمران: ١٨٢]. وعِباد الله يَنصَرف –غالبًا- للمؤمنين الطائعين اختيارًا، قال سبحانه: ﮋﯖﯗﯘﯙﯚ ﯛﯜﮊ [الفرقان: ٦٣] الآيات. ومِن خلاف الغالب قوله تعالى: ﮋﮎﮏﮐﮑﮒﮊ [الفرقان: ١٧].

---

1 (?) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة: عبَد، ص728-729.

2 (?) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة عبد، ص282، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة بمصر، مادة عبد، ص579.

3 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة عبد، ص663-664، ومقاييس اللغة لابن فارس، مادة: عبَد، ص728.

4 (?) انظر: تحقيق العبودية بِمعرفة الأسماء والصفات، 37.

ويَذكُر العلامة ابن القيم –رحمه الله- أنّ وصف عبيد ربوبية الله: بالعبودية لا يـأتِي إلا على أحـد أوجُـه خمسـة، منهـا: أنْ يكـون مُقيّـدًا بالإشـارة أو نحوهـا. ومثّـل بآيتنـا هذه[1]، وذلك بعد أنْ قرّر أنّـه لا يجيء في القـرآن إضـافة العباد إلى الله تعالى مطلقًا إلا لعبيد إلَهيته.

ويقال للمسلمين: عُبّاد، يَعبُـدون اللـه، وللمشـركين عبَـدَة الطواغيت والأوثان[2].

وذكَر العلامة اللغوي ابنُ مالك –رحمه الله- أحَـدَ عَشَر جمعًا للفظة (عبد)، فقال:

عِبادٌ عَبِيدٌ: جمْع عَبْدٍ، وأَعْبَد   أعابِدُ، مَعْبُوداءُ، مَعْبَدَةٌ، عُبُد،

كذلِك عُبْدَانٌ وعِبْدَانٌ اثْبِتَنْ،   كــذاكِ العِبِــدَّي، وامــدُدِ إن شِئتَ أن تَمُد [3].

قال في تاج العروس من جواهر القاموس[4] بعدما ذكَر طائفة كبـيرة من جمـوع الكلمـة: « فغاية ما ذكَـره المصنِّف من جموع العَبْدِ: خمسةَ عَشَـرَ جَمْعًـا »، ثم ذَكـرَ الزوائد عليها، وهي قريبة منها في العدد.

ومِن الاستَدراك على ابن مالك ما ذكَـره السُّـيوطيُّ –رحمه اللــه- في أوّلِ شَـرْحِه لعُقُـود الجُمَانِ، فقال:

وقد زِيدَ: أَعْبَادٌ، عُبُودٌ، عِبِدَّةٌ   وخَفِّفْ بِفَتْحٍ، والعِبِـــدَّانُ إن تَشُدّ

وأَعْبِدةٌ، عَبْدُون، ثُمَّتَ بَعْدَهَا   عَبِيــدُونَ، مَعْبُــودَى بِقَصْــرٍ، فخُذْ تَسُد[5].

وقيل بأنّ بعض هذه الجموع: جموع الجموع.

---

1 (?) انظر الأوجه الخمسة كلها بشواهدها من القرآن: مدارج السالكين، (ج1/ 171).

2 (?) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة: عبَد، ص728.

3 (?) انظر هذه الجموع وضبطها في كتاب تاج العروس، مادة عبـد. وقد نقل عن ابن مالك هذه الجموع في بيتيهما: العلامة محمد الســفاريني، عند شــرحه للفظة (وأنا عبْـدك..) في كتابه نتـائج الأفكـار في شـرح حديث سيّد الاستغفار، 240، وانظر أيضًا: القـاموس المحيط للفـيروز آبادي، مادة عبد، ص282.

4 (?) لِمحمّد بن محمّد بن عبد الـرزّاق الحسـيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، مادة عبد.

5 (?) تاج العروس، مادة عبد.

وفي اللِّسان: « وجَعَل بعضُهم (العِباد) لله، وغيرَه مِن الجمع لله والمخلوقين »[1].

والعبــادة: الطاعــة، بضــميمة المعــنى الأصــلي (الــذلّ والخضــوع)[2]، ومن شــواهده: قوله ســبحانه: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [المؤمنون: ٤٧]. وقوله: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﭼ [يس: ٦٠][3].

فثبَت بِما تقــرر أنْ مــدار هــذا الأصل على الــذلّ والخضوع والطاعة، والمقصود منه الذُّلّ لله تعالى.

فائدة مهمة في الوزْنِ الصّرفِي للفظة (العَبْد):

إنّ مِن الأوزان الصرفية: ما يأتِي دلالتُه حينًا على معنى اسم فاعِله، وأخرى على معنى اسم مفعولِه، والذي يُحدّد المعنى المـراد مِن بينهما هو السـياق؛ فــ(الفَعْـل) -وهو مِن أبنية المصدر، أو الصفة المشــبهة باسم الفاعــل- يأتِي حِينًا بِهذا وأخرى بِذاك، ومِن أمثلتــه: الـرّدْدُ، والعَـون، والخَصْــم، والصّــبْر -بِمعــنى: الحبس-، والغَيْب، وكــذلك (لفظة العَبد) الـتي معنا ههنـا، فلفظ (الـرّدّ) يـأتِي بِمعـنى الرّاد، وبِمعنى المردود، والعَون بِمعنى المُعِين، أو المُعان، والخَصْم بِمعنى: المُخاصِـم، أو المُخاصَـم، والصَّـبْر بِمعـنى المصبور، أو الصابر، والغْيب بِمعنى المَغِيب -اسم الفاعل أو اسم المفعول.

وكذلك العَبْد يأتِي بِمعنَى: العابد (والعابد المُوحّد[4])، أو المُعبَّد[5]؛ فإذا قيل: هذا (عَبْد اللـه) فالغـالِب على هـذه الدلالة أنْ تــأتِي بِمعــنى عابد الله -الــذي يَعبُــده بــالحُبّ والخــوف والرجـاء اختيـارًا، وعلى هـذا: فيَلــزَم أنْ يكــون مُسْــلِمًا-، كما أنّه قد يُــراد بـــه: المُعَبّد الــذي ذلّله الله وسخّرَه، وخلَقَه وملَكَه، ودبّرَه ..فيكـون شـاملا لكُل خلـقِ الله؛ سواءٌ عَبَدوه بالعبادات التي شرَعها، أو لَم يَعبُدوه ..

---

[1] (?) لسان العرب، مادة عبد.

[2] (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة عبَد، ص664.

[3] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج3/ص327)، و (ج3/ص 755)، وتيسـير الكـريم الـرحمن، ص698، وعبودية الكائنـات لـرب العالمين، ص34.

[4] (?) انظر: المعجم الوسيط، مادة عبد، ص579.

[5] (?) انظر: الفتوى الحموية الكبرى، ص504، وتيسير الكريم الـرحمن، ص501 .

والقُرآن جاء بِهذا، وبِهذا، فلَزِم التنبيه عليه. وأيضًا فأنا في هــذا البحث بَنَيْتُ الفصْــل الأول مِن البــاب الأول بِمباحثِه الأحَدَ عشَر على: العبْد: بِمعنى الْمُعبّــد، بينما بَنَيتُ الفصل الثــانِي مِن البــاب نفسِــه بِمباحثه العشــرة على (الْعبْــد) بِمعنَى: العابــد، الــذليل الْمحبّ الخـائف الـراجي .. إلخ. .. وما يــأتِي في الفصل الأول يُسَــمّيْه العلمــاء بـــ(العبودية التابعة للربوبيــة) وهي العبودية العامة –كما سـيأتِي-، كما أنّ الــذي في الفصل الثــانِي يُسـمِّيه العلمـاء بـــ(العبودية التابعة للإلهيــة) وهي الخاصة بــالمؤمنين[1]، يقــول شــيخ الإسـلام –رحِمه اللـه- في معـرض الـرّد: «... النَّوْعِ الثَّانِي مِنْ مَعْنَى (الْعَبْدِ) وَهُوَ الْعَبْدُ بِمَعْنَى الْعَابِـدِ؛ فَيَكُـونُ (عَابِـدًا لِلَّهِ) لا يَعْبُـدُ إلا إيَّاهُ؛ فَيُطِيـعُ أَمْـرَهُ وَأَمْـرَ رُسُـلِهِ، وَيُـوَالِي أَوْلِيَاءَهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ؛ وَيُعَادِي أَعْـدَاءَهُ، وَهَـذِهِ الْعِبَـادَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِإِلَهِيَّتِهِ، وَلِهَذَا كَـانَ عُنْـوَانُ التَّوْحِيـدِ: لا إلَـهَ إلا اللَّهُ، بِخِلافِ مَنْ يُقِرُّ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَلا يَعْبُدُهُ، أَوْ يَعْبُـدُ مَعَـهُ إلَهًا آخَـرَ؛ فَالإِلَـهُ الَّذِي يأْلهه الْقَلْبُ بِكَمَـالِ الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِجْلالِ وَالإِكْرَامِ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَهَـذِهِ الْعِبَـادَةُ هِيَ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ وَيَرْضَـــاهَا، وَبِهَا وَصَـــفَ الْمُصْـــطَفَيْنَ مِنْ عِبَادِهِ، وَبِهَا بَعَثَ رُسُلَهُ. وَأَمَّا الْعَبْـدُ بِمَعْنَى (الْمُعَبَّدِ) سَـوَاءٌ أَقَرَّ بِذَلِكَ أَوْ أَنْكَـرَهُ، فَتِلْـكَ يَشْـتَرِكُ فِيهَا الْمُـؤْمِنُ وَالْكَـافِرُ »[2]. والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: التعريف بالعبودية شَرعًا[3]:

قال الله تعالى: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ [الفاتحة: ٥]. أي: لا نَعبُد سواك، فأنت المعبود المألوه، والإله: هو الذي تألَهُه العِبادُ حُبًّا وذُلا، وخَوفًا ورجاء، طاعة له وتعظيمًـا، بل الْحُبّ أصل

[1] انظر: شرح العقيدة الواسطية (من تقريرات سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ)، بترتيب العلامة محمد بن إبراهيم بن قاسم، ص 17.

[2] العبودية، ص26-27، وانظر: التدمرية، ص166.

[3] انظر للاستزادة: عبودية الكائنات لرب العـالمين لفريد التـوني، ص 30-47، وجهـود شـيخ الإسـلام ابن تيمية في توضـيح توحيد العبـادة، للدكتور أحمد بن عبد الغنيمان، (ج1/ص525-540).

التعبّـد، كما أنّ التعبُّد آخـرُ مـراتب الحبّ، فالْمحبة حقيقة العبودية[1].

وتقدم في الْمطلب السابق تعريف العبودية لغة، وأنّ المراد منها في البحث هو الأصل المـأخوذ من الـذُّلّ. وأما العبودية في اصطلاح الشرع: فتَتَضَمَّنُ غَايَةَ الذُّلِّ لِلَّهِ بِغَايَةِ الْمَحَبَّةِ لَـهُ؛ لا تَحصُـل بأحـدهما دون الآخـر، قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه اللـه-: « وَالْعِبَـادَةُ أَصْـل مَعْنَاهَا الذُّلُّ أَيْضًا، يُقَـالُ: طَرِيـقٌ مُعَبَّدٌ إذَا كَـانَ مُـذَللا قَـدْ وَطِئَتْـهُ الأَقْـدَامُ. **لَكِنَّ الْعِبَـادَةَ الْمَـأْمُورَ بِهَا تَتَضَـمَّنُ مَعْنَى الذُّلِّ وَمَعْنَى الْحُبِّ؛ فَهِيَ تَتَضَـمَّنُ غَايَـةَ الـذُّلِّ لِلَّهِ بِغَايَةِ الْمَحَبَّةِ لَـهُ؛** فَـإِنَّ آخِـرَ مَـرَاتِبِ الْحُبِّ هُـوَ التَّتْمِيمُ، وَأَوَّلُـهُ الْعَلاقَـةُ؛ لِتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِـالْمَحْبُوبِ، ثُمَّ الصَّـبَابَةُ؛ لانْصِبَابِ الْقَلْبِ إلَيْهِ، ثُمَّ الْغَرَامُ؛ وَهُوَ الْحُبُّ اللازِمُ لِلْقَلْبِ، ثُمَّ الْعِشْقُ، وَآخِرُهَا: التَّتْمِيمُ؛ يُقَالُ: تَيْمُ اللَّهِ: أَيْ: عَبْدُ اللَّهِ؛ فَالْمُتَيَّمُ الْمُعَبَّدُ لِمَحْبُوبِهِ. وَمَنْ خَضَعَ لإِنْسَانٍ مَعَ بُغْضِهِ لَهُ لا يَكُونُ عَابِدًا لَهُ، وَلَوْ أَحَبَّ شَيْئًا وَلَمْ يَخْضَعْ لَهُ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا لَهُ؛ كَمَا قَدْ يُحِبُّ وَلَدَهُ وَصَدِيقَهُ. وَلِهَذَا لا يَكْفِي أَحَدُهُمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، بَـلْ يَجِبُ أَنْ يَكُـونَ اللَّهُ أَحَبَّ إلَى الْعَبْـدِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَعْظَمَ عِنْدَهُ مَنْ كُلِّ شَـيْءٍ، بَـلْ لا يَسْـتَحِقُّ الْمَحَبَّةَ وَالـذُّلَّ التَّامَّ إلا اللَّهُ. وَكُـلُّ مَا أُحِبَّ لِغَيْـرِ اللَّهِ فَمَحَبَّتُـهُ فَاسِـدَةٌ، وَمَا عُظِّمَ بِغَيْـرِ أَمْـرِ اللَّهِ كَـانَ تَعْظِيمُهُ بَاطِلا »[2].

وعّرف العبادةَ الحافظُ ابنُ كثير –رحمه الله- بتعريفٍ مـوجَزٍ فقـال: « وفي الشـرع: عبـارة عما يَجمع كمـال المحبة والخضوع والخوف »[3].

وقيل هي: الخضوع للإله على وجه التعظيم[4].

---

[1] (?) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (ج2/ ص605).

[2] (?) العبودية، ص23-24 .

[3] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج1/ ص39).

[4] (?) انظر: الْمعجم الوسيط، مادة عبد، ص579.

وهذه التعريفات تُبرز الجانب القلبِي للعبودية، وإنْ كـانَت تـدل بـالالتزام على الجـانب الآخَر (جـانب العبودية الظاهرة على الجوارح[1]).

فالعبودية الحقة تتحقق بتحقق القلب واللسـان والجوارح بِما يُحبّه الله تعالى ويَرضاه، لذا قال العلامة ابن القيّم –رحمه اللـه-: « وبنـاء ﭼ ﭒ ﭓ ﭽ على أربـعِ قواعـدَ: التحقق بِما يُحِبُّه الله ويَرضـاه مِن قـول اللسـان والقلب، وعَمَل القلب والجوارح.

فالعبوديـة: اسـمٌ جـامعٌ لِهـذه الْمَـراتب الأربـع، فأصحابﭼﭒﭓﭽ حَقًّا هم أصحابُها»[2].

وقد ورَدَت عبارات كثيرةٌ في حَدّ العبودية[3] ، منها قول بعضهم:

(العبودية في أربع خصال: الوفاء بالعهود، وحِفظ الحدود، والرّضا بـالْمَوجود، والصّـبر على المفقـود)[4]. وقيـل: (معانقة ما أُمرتَ به، ومفارقة ما زُجـرتَ عنـه)[5]. وقيـل: (فعل الْمكلّف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا لربّه)[6].

لكن أسلَم هذه الحدود وأشملها وأبيَنها ما سبق عن شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن كثير –رحمهما اللـه- وعليهما الاعتماد.

ولقد بيّن العلماء المحققون أنّ مادة العبـادة في الشرع تتضـمن أمـرَين هما كمـال حبّ المعبـود مع كمـال الذّلّ لـه، وعلى رأس هـؤلاء المحققين شـيخ الإسـلام ابن تيميـة، والعلامة ابن القيم –رحمهما اللـه-؛ قـال شـيخ الإسلام: « ... وَلَفْظُ الْعُبُودِيَّةِ يَتَضَمَّنُ كَمَـالَ الـذُّلِّ وَكَمَـالَ الْحُبِّ؛ فَـإِنَّهُمْ يَقُولُـونَ: قَلْبٌ مُتَيَّمٌ إذَا كَـانَ مُتَعَبِّدًا لِلْمَحْبُـوبِ،وَالْمُتَيَّمُ الْمُتَعَبِّدُ، وَتَيْمُ اللَّهِ:عَبْـدُهُ،وَهَـذَا عَلَى

---

1 (?) انظر طائفة من التعريفـات الـتي فيها إبـراز الجـانب الظـاهري: تحقيق العبودية بِمعرفة الأسماء والصفات، لفوز بنت عبد اللطيف، ص 40-42.

2 (?) مدارج السالكين، (ج1/ 165).

3 (?) للوقوف على المزيد انظر: الرسالة القشيرية، 193-197.

4 (?) التعريفات للجرجاني، مادة العبودية، ص223.

5 (?) الرسالة القشيرية، ص194.

6 (?) التعريفات للجرجاني، مادة العبادة، ص223.

الْكَمَـــالِ حَصَـــلَ لِإِبْـــرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ صَـــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ،..»[1].

وقال العلامة ابن القيم وهو يَذْكُرُ مراتب الْمحبـة العشرة: « التاسعة: التّعَبّـد، وهو فـوق التّتَيّم؛ فـإنّ العَبْـدَ هو الـذي قد ملَك الْمحبـوبُ رِقّـه؛ فلم يَبْـقَ له شـيءٌ مِن نفسه ألبتة، بل كُلّه عَبدٌ لِمحبوبه ظاهرًا وباطنًـا، وهـذا هو حقيقة العبوديــة، ومَن كَمّل ذلك فقد كَمّل مرتبَتَهــا، ولَمّا كَمّل سَيّد ولد آدم هذه الْمرتبة وصَفَه الله بِها في أشـرف مقاماته؛ .. وحقيقة العبوديـة: الْحُبّ التـام مع الـذل التـام والخضوع للمحبوب، تقـول العـرب: طريـقٌ مُعَبّـدٌ: أي: قد ذَلّلَتْه الأقدامُ وسَهّلَتْه »[2].

وما تقدم مِن تعريف العبودية فباعتبار حقيقتها وهو فعل العابد (مِن تَمـام المحبة للمعبـود، الْمتضـمّن لكمـال التــذلل لــه)، أما تعريفُها باعتبــار الْمتعَبَّد به[3] مِن قــول القلب واللسـان، وأعمـال القلب والجـوارح، فهي: ما قيل من أنّهــا: اِسْــمٌ جَــامِعٌ لِكُــلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَــاهُ، مِن الأَعْمَالِ والأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ والْبَاطِنَةِ[4]، قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه الله-: « الْعِبَادَةُ: هِيَ اِسْمٌ جَامِعٌ لِكُـلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَــاهُ، مِنْ الأَقْــوَالِ وَالأَعْمَــالِ الْبَاطِنَــةِ وَالظَّاهِرَةِ؛ فَالصَّــلاةُ وَالزَّكَــاةُ وَالصِّــيَامُ وَالْحَجُّ، وَصِــدْقُ الْحَـدِيثِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَـةِ، وَبِـرُّ الْوَالِـدَيْنِ، وَصِـلَةُ الأَرْحَـامِ، وَالْوَفَـاءُ بِـالْعُهُودِ، وَالأَمْـرُ بِـالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَـرِ، وَالْجِهَادُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَـافِقِينَ، وَالإِحْسَـانُ إلَى الْجَـارِ وَالْيَتِيمِ وَالْمِسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْمَمْلُوكِ، مِنْ الآدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ، وَالدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ، وَالْقِرَاءَةِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ الْعِبَادَةِ. وَكَذَلِكَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ، وَخَشْـيَةُ اللَّهِ، وَالإِنَابَـةُ إلَيْـهِ، وَإِخْلاصُ الدِّينِ لَهُ، وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ، وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ، وَالرِّضَا بِقَضَـائِهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ، وَالْخَـوْفُ لِعَذَابِـهِ، وَأَمْثَـالُ

---

1 (?) العبودية، ص74.

2 (?) مدارج السالكين، (ج1/ص608-609).

3 (?) انظر: تقريب التدمرية للشـيخ محمد العـثيمين، ص124، وتحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، ص42.

4 (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص39 .

ذَلِكَ هِيَ مِنْ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ هِيَ الْغَايَةُ الْمَحْبُوبَةُ لَهُ، وَالْمَرْضِيَّةُ لَهُ الَّتِي خَلَقَ الْخَلْقَ لَهَا »[1].

والعبودية بِمفهومها الشرعي تتميّز باجتماع ثلاثة معالم لا بُدّ من تلازُمها:

الأول: أنّ التذلل والخضوع مختصّ بالله تعالى وحده. وقد تقدمت آية حصر هذه الصفة عليه سبحانه، وهي آية سورة الفاتحة.

الثاني: أنّ هذه العبودية مبناها على غاية الذُّلّ ونهاية الخضوع، ولا تكتمل إلا ببلوغ أقصى درجات التذلل والانطراح بين يديه سبحانه. باعثُه: تعظيم القلب لله تعالى، وتألُّهه للإله المعبود جلّ وعلا.

الثالث: أنّ المعنَى الشرعي للعبودية يَقترن بين غاية التذلل وغاية المحبة، وبِهما يجتمع شَمْل العبودية له سبحانه؛ خوفًا ورجاءً وحُبًّا[2]. وقد تقدم شيءٌ من هذا في كلام الإمامَين ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، ونظَم الأخيرُ ذلك فقال:

وعِبادة الرّحمن غاية حُبّه ... مع ذُلّ عابِده هما قُطبان
وعليهما فلَكُ العبادة دائرٌ ... ما دار حتى قامَت القطبان[3].

وفي هذا البحث قد تمّ اختيارُ لفظ العبودية لعنوان هذه الرسالة دون لفظ العبادة، مع أنّ ثَمّة ارتباطًا وثيقًا بين اللفظين؛ لاتحاد الأصل الذي اشتُقّا منه، ولكنْ لزيادة المبنى الذي في لفظ العبودية زيادة في المعنى على لفظ العبادة؛ فبينهما ترادُفٌ في حال الافتراق، أما في حال الاجتماع: فاسم العبادة يَنصَرف أولا إلى أنواع العبادات الظاهرة والباطنة، بينما يدُل لفظ العبودية على حال العبد العابد لله تعالى (من تمام الْحُبّ مع غاية التذلل، الذي يقتضي الطاعة)، فتكون العبادة هي المنهاج العملي الذي يُتَرجم به العبد معانِي العبودية تذلّلا وحُبًّا

---

1 (?) العبودية، ص20 .

2 (?) انظر: عبودية القلب لرب العالمين في القرآن الكريم، د. عبد الرحمن بن محمد البرادعي، 0ج1/ ص15-18).

3 (?) الكافية الشافية لابن القيم، (ص43، رقم البيت: 514 و515).

لِمعبوده الحق جلّ وعلا[1]. فأنا هنا عَنَيتُ به حال الرسـول العابِد.

وقد أشَرتُ إلى أنّ زيادة الْمبنى زيادةٌ في الْمعنى، فالعبودية فيها زيادة المعنى على العبادة، لذا قال بعضـهم في التفريق بينهمـا، -كما في الرسـالة القشـيرية-: « أنّ الربوبية نَعتٌ للحق سبحانه لا يزول، فالعُبودية صـفةٌ للعبد لا تفارقه ما دام »[2]، وهـذا بخلاف العبـادة. وفي تـاج العـروس أنّ أصل العُبُودِيّـةِ: « الـذُّلُّ والخُضُـوعُ. وقـال آخَرُونَ: العُبُودَةُ: الرِّضا بِما يَفْعَلُ الرَّبُّ، والعِبَادَةُ: فِعْـلُ ما يَرْضَى به الرَّبُّ. والأَوّلُ أَقوى وأَشَـقُّ، فلـذا قِيـلَ: تَسْـقُطُ العِبَـادةُ في الآخِـرَةِ لا العُبُـودةُ؛ لأن العُبـودَةَ أن لا يـرى مُتَصِـرِّفًا في الـدَّارَيْنِ في الحقيقـةِ إلا الله، .. -ثم قـال-: وهذا مَلْحَظٌ صُوفِيٌّ لاَ دَخْلَ للأَوْضَاعِ اللُّغَوِيَّةِ فيه »[3].

فالعبادة هي طريق تحقيق العبودية، والعبودية ثمرة الالتزام بالعبادة[4].

فالعبد له ربُّه، والعابد له معبوده، والله هو الـرَّبّ المعبـود سـبحانه، ولقد اقتضى النظر في (العبْـد) النظر في مالك العبد وربِّه وسيّده، لأنّ الْمُعبَّد -بالفتح- له مُعبِّدُه -بالكسـر-، والعابد له معبـودُه، فالعلاقة بين اللفظـتين ظـاهرةٌ، وربوبية الله تعـالى لعبـاده على مـراتب، كما أنّ عبـوديتهم له تتفـاوت؛ فتربية الله لنبيه محمد وربوبيته إيّاه أكمَل، كما أنّ عبوديته لله أكمل، قال شـيخ الإسـلام -رحمه اللـه- بعد أنْ تكلّم عن الْمعية العامة والخاصـة: « وَنَظِيرُهَا مِنْ بَعْضِ الْوُجُـوهِ: الرُّبُوبِيَّةُ وَالْعُبُودِيَّة؛ فَإِنَّهُمَا وَإِنْ اشْتَرَكَتَا فِي أَصْلِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالتّعبيد، فَلَمَّا قَالَ: ﭻﭼﭽﭾﭿ

---

[1] الذي عليه العمل في هـذه الرسـالة من اختيـار لفظ العبودية دون العبـادة هو نظـير ما عليه العمل في رسـالة: تحقيق العبودية بِمعرفة الأسماء والصفات لفوز بنت عبد اللطيف بن كامل الكردي، 44-46.

[2] الرسالة القشيرية، 196.

[3] تاج العروس للزبيـدي، مـادة عبـد، وانظـر: عبودية الكائنـات لـرب العالمين لفريد إسماعيل تنـوني، ط/ ص25، وتحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، (الحشية2)، ص44-45.

[4] انظر: تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، (الحاشية2)، ص 44-45.

ﭼ [الأعـراف: ١٢١ – ١٢٢]. كَـانَتْ رُبُوبِيَّةُ مُوسَـى وَهَـارُونَ لَهَا اِخْتِصَـــاصٌ زَائِدٌ عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَّةِ لِلْخَلْـــقِ؛ فَـــإِنَّ مَنْ أَعْطَـاهُ اللَّهُ مِنْ الْكَمَـالِ أَكْثَـرَ مِمَّا أَعْطَى غَيْـرَهُ فَقَـدْ رَبَّهُ وَرَبَّاهُ، ورُبُوبِيّتُه وَتَرْبِيَتُه أَكْمَلُ مِنْ غَيْرِهِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ [الإنسان: ٦]. وَﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ [الإسراء: ١]. فَإِنَّ الْعَبْدَ تَارَةً يُعْنى بِهِ: الْمُعَبَّدَ؛ فَيَعُمُّ الْخَلْقَ، كَمَا فِي قَوْلِـهِ: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [مريم: ٩٣]. وَتَارَةً يُعْنَى بِهِ: الْعَابِدِ فَيَخُصُّ؛ ثُمَّ يَخْتَلِفُـونَ فَمَنْ كَـانَ أَعْبَـدَ عِلْمًا وَحَـالا، كَـانَتْ عُبُودِيَّتُـهُ أَكْمَلَ؛ فَكَانَتْ الإِضَافَةُ فِي حَقِّهِ أَكْمَلَ، مَـعَ أَنَّهَا حَقِيقَـةٌ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ »[1].

وبعد التعريف الشرعي المتقدم يَجدر الإشارة إلى أنّ المناسبة بينه وبين المعنى اللغوي السـابق ظـاهرة؛ إذْ العبودية في اللغة تُطلق على الخضـوع والـذّلّ، والطاعـة، وهذه المعانِي موجـودة في التعريف الشـرعي، فالعبد هو المتـذلل لله تعـالى الـذي يَخضَـع وينقـاد لـه، طائعًا لأمـره ونَهيه[2].

وأما تعريف العبادة ببيـان أركانِها الثلاثة (الْحُبّ، الخوف والرّجاء)[3] وذِكر أدلة ذلك:

فقد كان كثيرًا ما تُعرّف الاصطلاحات بذكر أجزائها الكبـيرة الـتي لا بـدّ من وجودها فيها (أركانهـا)؛ وعليـه: فالعبادة التي خلق الله الخلق لأجلها، وأمـرهم بتحقيقهـا، ووصف خواص خلقه بِهـا، تقـوم على أعمـال قلبية ثلاثـة، هي أساسُـها، وهي: المحبـة، والخـوف، والرجـاء[4]. قـال شيخ الإسلام –رحمه اللـه- في بيـان أنّ العبودية لا تحصل إلا باجتماع هـذه العبـادات القلبية الثلاثـة؛ وهي ما تسـمى محركات القلوب: « فَصْلٌ: وَلا بُدَّ مِنْ التَّنْبِيـهِ عَلَى قَاعِـدَةٍ تَحَـرُّك الْقُلُـوبِ إلَى اللَّهِ ﻷ فَتَعْتَصِـمُ بِـهِ، فَتَقِـلُّ آفَاتُهَا أَوْ تَـذْهَبُ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ بِحَـوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِـهِ. فَنَقُـولُ: اعْلَمْ أَنَّ

---

1 (?) الفتوى الحموية الكبرى، ص503-504 .

2 (?) انظر: تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، ص43-44.

3 (?) أرجئت تعريفٌ كلٌّ من الْحُبّ والخـوف والرجـاء إلى مطلع مبـاحث ثلاثة من الفصل الثاني في الباب الأول.

4 (?) انظر: أعمال القلـوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السـنة والجماعة وعند مخالفيهم، (ج1/ ص172).

مُحَرِّكَــاتِ الْقُلُــوبِ إِلَى اللَّهِ ثَلاثَــةٌ: الْمَحَبَّةُ وَالْخَــوْفُ وَالرَّجَاءُ. وَأَقْوَاهَا الْمَحَبَّةُ، وَهِيَ مَقْصُودَةٌ تُـرَادُ لِـذَاتِهَا؛ لأَنَّهَا تُـرَادُ فِي الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ، بِخِلافِ الْخَـوْفِ؛ فَإِنَّهُ يَـزُولُ فِي الآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿...﴾ [يونس: ٦٢]. وَالْخَـوْفُ الْمَقْصُـودُ مِنْـهُ: الزَّجْـرُ وَالْمَنْـعُ مِنْ الْخُـرُوجِ عَنْ الطَّرِيــقِ. فَالْمَحَبَّةُ تَلْقَى الْعَبْــدَ فِي السَّــيْرِ إِلَى مَحْبُوبِــهِ، وَعَلَى قَدْرِ ضَعْفِهَا وَقُوَّتِهَا يَكُونُ سَيْرُهُ إِلَيْهِ. وَالْخَوْفُ يَمْنَعُهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ طَرِيقِ الْمَحْبُوبِ. وَالرَّجَاءُ يَقُودُهُ.

فَهَـذَا أَصْـلٌ عَظِيمٌ يَجِبُ عَلَى كُـلِّ عَبْـدٍ أَنْ يَتَنَبَّهَ لَـهُ فَإِنَّهُ لا تَحْصُلُ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ بِدُونِهِ، وَكُلُّ أَحَـدٍ يَجِبُ أَنْ يَكُـونَ عَبْـدًا لِلَّهِ، لا لِغَيْرِهِ. **فَإِنْ قِيلَ:** فَالْعَبْـدُ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ قَـدْ لا يَكُـونُ عِنْـدَهُ مَحَبَّةٌ تَبْعَثُـهُ عَلَى طَلَبِ مَحْبُوبِـهِ، فَـأَيُّ شَـيْءٍ يُحَـرِّكُ الْقُلُـوبَ؟ **قُلْنَا:** يُحَرِّكُهَا شَـيْئَانِ: **أَحَـدُهُمَا:** كَثْـرَةُ الذِّكْرِ لِلْمَحْبُوبِ؛ لأَنَّ كَثْرَةَ ذِكْـرِهِ تُعَلِّقُ الْقُلُـوبَ بِـهِ، وَلِهَـذَا أَمَرَ اللَّهُ بِالذِّكْرِ الْكَثِيرِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿...﴾ [الأحزاب:41-٤٢] الآيَةَ . **وَالثَّانِي:** مُطَالَعَةُ آلائِهِ وَنَعْمَائِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿...﴾ [الأعراف: ٦٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...﴾ [النحل: ٥٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...﴾ [لقمان: ٢٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿...﴾ [1]. فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ تَسْخِيرِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَمَا فِيهَا مِنْ الأَشْجَارِ وَالْحَيَوَانِ، وَمَا أَسْـبَغَ عَلَيْـهِ مِنْ النِّعَمِ الْبَاطِنَـةِ مِنْ الإِيمَـانِ وَغَيْـرِهِ، فَلا بُـدَّ أَنْ يُثِـيرَ ذَلِـكَ عِنْـدَهُ بَاعِثًا. وَكَـذَلِكَ الْخَـوْفُ تُحَرِّكُهُ مُطَالَعَةُ آيَاتِ الْوَعِيـدِ وَالزَّجْـرِ وَالْعَـرْضِ وَالْحِسَـابِ وَنَحْـوِهِ. وَكَـذَلِكَ الرَّجَـاءُ يُحَرِّكُـهُ مُطَالَعَـةُ الْكَـرَمِ وَالْحِلْمِ وَالْعَفْوِ وَمَا وَرَدَ فِي الرَّجَاءِ »[2].

ومن أدلة هذه الأركان مجتمعة، ما يلي:

الدليل الأول: ما جاء في وصْف صَفوة خَلْق الله بِهـذه الأركـان الثلاثـة، وأنّ الاتصـاف بِها منهجهم وديـدنُهم الذي لا يخرجون عنه بحال، وذلك في قوله: ﴿...﴾ [الإسراء: ٥٧]. فوصَف الله تعالى -في هذه الآية- خــواصّ عِبــاده الــذين كــان المشــركون يزعُمــون أنّهم

---

[1] سورة إبراهيم: 34، وسورة النحل: ١٨ .

[2] مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج1/ ص95).

يتوصلون بِهم ويتقرّبون إلى الله تعالى بأنّهم كانوا لله راجين، ومنه خائفين. وأنّ الواجب الاقتداء بِهم لا عبادتَهم. فالآية فيها: الجمع بين أركان العبادة الثلاثة، إذْ ابتغاء الوسيلة إليه يكون بطلب القُرْب منه بالعبودية والمحبة، مع تَمام خوف الله وعذابه، ورجائه ورجاء رحمته[1].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكفّ عن المناهي، وبالرجاء ينبعث على الطاعات »[2].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصَف الله بِها هؤلاء المقرّبين عنده هي الأصل والمادة في كل خير. فمَن تَمّت له تَمّت له أمورُه، وإذا خلا القلب منها ترحّلت عنه الخيرات، وأحاطت به الشرورُ. وعلامة الْمحبة ما ذكره الله: أن يجتهد العبد في كل عمل يُقرِّبه إلى الله، وينافس في قُربه؛ بإخلاص الأعمال كلّها لله، والنصح فيها، وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها. فمَن زعم أنه يُحبّ الله بغير ذلك فهو كاذبٌ »[3].

الدليل الثانِي: مِما يدلّ على اجتماع هذه الأمور الثلاثة وكونها متلازمة في سَير العبد إلى الله: قوله سبحانه في ذكر منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في عبادتِهم: ﭽﯹﯺﭼ [الأنبياء: ٩٠].

فقوله: ﭽﯹﯺﭼ شاملٌ لنوعَي العبادة؛ دعاء ثناء وعبادة، ودعاء مسألة. وأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام يقومون بعبادة الله محبين له، حالَ كونِهم راغبين ما عنده، راهبين عذابه، ويدعونه كذلك، لذا قال: ﭽ ﭼ.

قال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « ولَمّا ذكر هؤلاء الأنبياء والمرسلين، كلاًّ على انفراده، أثنَى عليهم عُموماً فقال: ﭽﯸﭼ أي: يبادرون إليها ويفعلونَها في أوقاتِها

[1] انظر: مدارج السالكين، (ج2/ـ 53)، منزلة الرجاء، وطريق الهجرتين، (ج2/ 613).

[2] تفسير القرآن العظيم، (ج3/ 66).

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص461 .

الفاضـــلة، ويكملونَها على الوجه اللائق الـــذي ينبغي، ولا يتركون فضيلة يَقْدِرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها، ﭽ ﭼ أي: يسألوننا الأمـور المرغـوب فيهـا، من مصـالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهـوب منها من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون، لا غافلون لاهون، ولا مُدِلُّون، ﭽ ﭼ أي: خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربّهم »[1].

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﭽ ﭼ [الزمر: ٩].

وقد قررت هذه النصوص الشرعية ما يدل على أنّ العبد المـؤمن بين الخـوف والرجـاء، وبين الرغبة والرهبة؛ « فتارة يَمُـده الرجـاء والرغبة فيكـاد أنْ يطـيرَ شـوقًا إلى الله، وطورًا يقبضه الخـوف والرهبة، فيكـاد أن يـذوب مِن خشية الله تعالى، فهو دائب في طلب مرضاة ربه، مُقبِــل عليه، خـــائفٌ من عقوباته، ملتجئٌ منه إليه، عائذٌ به منه، راغبٌ فيما لديه »[2].

لذا فـإنّ القلب «في سَـيْره إلى الله -- بِمنــزلة الطـائر، فالمحبة رأسُـه، والخـوف والرجـاء جناحـاه، فمـتى سـلِم الــرأس والجناحــان فالطــائر جيّد الطــيران، ومــتى قُطع الرأس مات الطائر،ومتى فُقد الجناحــان فهو عُرْضة لكــلّ صائدٍ وكاسرٍ»،كما قاله العلامة ابن القيّم[3].

وقال –رحمه اللـه- وهـو يُعقِّب على قَـول صـاحب منـازل السائرين مُقرِّرًا أنّ العبادات القلبية الثلاثة يَجب أن تكـون متلازمة في سَــيْر العبد إلى الله تعـــالى: « فأما قوله: الرّجاء أضـعفُ منـازل المريـدين فليس كـذلك، بل هو مِن أَجَـــلّ منـــازِلِهم وأعلاها وأشـــْرَفِها، وعليه وعلى الْحُب والخوف مدارُ السَّيْر إلى الله »[4].

فتقرر بِالنّصوص الثلاثة أنّ الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، هو منهج هؤلاء الكبار مِن أنبياء الله تعالى ورُسله

---

1 (?) المصدر نفسه، ص530 .

2 (?) معارج القبول، ص323، ط/ دار ابن حزم.

3 (?) مدارج السالكين، (ج1/ 612).

4 (?) المصدر نفسه، (ج2/ 59).

ومتبعيهم في عباداتِهم، ومَنهج مَن سار على دَربِهم واقتفى أثَرَهم مِن المؤمنين عُمومًا.

وهذا الجمع بين هذه الأركان هو ما عليه أهل السنة والجماعـة. وهم أحد أقسـام النـاس الأربعة بالنسـبة لِهـذا التلازم. وهو والثلاثة الأخـيرة جـاء ذكرُها في قَـول بعض السّلَف: « مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ، فَهُوَ زِنْـدِيقٌ[1]. وَمَنْ عَبَـدَ اللَّهَ بِـالْخَوْفِ وَحْـدَهُ، فَهُـوَ حَـرُوري[2]. وَمَنْ عَبَـدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ، فَهُوَ مُرْجِئٌ[3]. وَمَنْ عَبَدَهُ بِـالْحُبِّ وَالْخَـوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ »[4].

---

1 (?) **الزنديق** –لفظة فارسية معربة، وجمعه الزنادقـة، والمـراد به عند الفقهاء: الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفـر، وهو المنـافق، بل قـرر أبو سـعيد الـدارمي بأنه شـرٌّ من المنـافق (يُنظـر: الـرد على الجهمية للـدارمي، ص194، ومقدمة دغش في تحقيقه لكتـاب: الـرد على الزنادقة والجهمية لإمام أحمد، ص34-35، والصحاح للجوهري، مـادة: زندق، ص459، وتفصيلا في: مجمـوع الفتـاوى لابن تيميـة، ج7/471-472).

2 (?) **الحـروري** -بفتح الحـاء المهملـة، وضم الـراء الأولى- نسـبة إلى حروراء: قرية على ميلين من الكوفة، يُقال: حروريٌّ بيّن الحرورية، أي خــارجي، والخــوارج الــذين خرجــوا على علي بعد أمر الحكمين، واجتمعـوا في موضع اسْـمه: حـروراء، فنسـبوا إليـه. وقد وردت هـذه التســمية في قــول عائشة رضي الله عنها لمعــاذة: أحرورية أنتِ؟ (انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحيض، باب لاَ تَقْضِي الْحَـائِضُ الصَّلاَةَ، رقم: 321، (ج1/ص666، وصحيح مسلم مع شـرح النـووي، كتاب الحيض، بـاب وُجُـوبِ قَضَـاءِ الصَّـوْمِ عَلَى الْحَـائِضِ دُونَ الصَّـلاَةِ، رقم: 335، ص314) –وانظر أيضًا: الصحاح للجوهري، مادة: حروراء-: حيث قال: اسم قرية يُمدّ ويُقصر، نسـبت إليها الحرورية من الخـوارج؛ لأنه كـان أول مجتمعهم بها وتحكيمهم منهـا، ص223. والحرورية أبـرز فرقة وعيدية. (وسيأتي التعريف بالخوارج).

3 (?) **المرجئة**: هم الذين يُؤخّرون الأعمال عن مسمى الإيمان، واشتهر قولُهم: بأنه لا يضر مع الإيمـان معصـية، ولهم فِـرَق كثـيرة، ومما قـال الإمـام حـرب بن إسـماعيل في التعريف بهم: (... وأن الإيمـان مجـرد، وأن الناس لا يتفاضلون في الإيمان، وإيمانهم وإيمان الملائكة والأنبيـاء واحـد، وأن الإيمـان لا يزيد ولا ينقص، وأن الإيمـان ليس فيه اسـتثناء، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقا، وأنهم مؤمنون عند الله بلا استثناء، هذا كله قول المرجئة) معتقد أهل السـنة كما نقله الإمـام حرب بن إسـماعيل الكرمـاني، ص149-150 . ووجـود المرجئة والـتي هي أبـرز فرقة وعْديّـة، في العـالم الإسـلامي في فـترات التـاريخ ولّد الاستهانة بمحارم الله، وعدم تعظيم النواهي والمعاصي.

4 (?) العبودية،لشيخ الإسلام ابن تيمية،ص78-78.

والمطلوب مِن الناس كلّهم للوصول إلى الله تعــالى على ما أراد منهم أنْ يكونــوا على الضّــرْب الأخــير مِن هــذه الأَضْـرُب؛ بِحيث يُجاهـدوا أنفُسَـهم في تحصـيل محبة الله بالــدخول في الإســلام، ثم يَسـعَوا جاهـدين في تقويتهــا، فيَركبــوا محبة ربهم وحــبيبهم ســبحانه في السّــيْر إليــه، وليَحْفَزهم وليحـدوهم رجـاء الله تعـالى، ورجـاء ما عنـده، إلى فِعل مراضــيه وطاعاتــه، ويســوقهم خوفُه منه ومِن بَطشه ويَمنعهم مِن الخروج عن الطريق الذي رسَمَه لَهم، وعن معاصيه.

وهذا هو منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومَن تَبِعهم مِن الصالحين، وهو الذي عليه أهل السـنة. ثبتنا الله عليه!

وسيأتِي في فَصْل **كَمالِ عُبوديـته عليه الصلاة والسلام، مباحث ثلاثة بعنـوان:** كمـال محبة محمد ﷺ ربِّه واتّخــاذه إيــاه خليلا. وشِــدَّة خوفه ﷺ من ربِّه القهَّار. وخضوعه ﷺ وذلّه لربِّ العزة والجبروت سبحانه. تأتِي هـذه المبـاحث الثلاثة هنـاك شـاهدةً لكمـال عبودية نبيّنا ﷺ لِرَبّه الودود سبحانه.

وما تقدم من الأركان هو مناط العبادة؛ فلا قِوَام لَها إلا بِكمال الحبّ وغايته، مع غاية الذلّ، ولا تسمى عبادة إلا مع ذلك كلّه، فالْمحبة وحدها الـتي لم يكن معها خـوفٌ ولا تــذللٌ، كمحبة المطعم والمشــرب والأهل والمــال والولد وغـير ذلك لا تسـمى عبـادة. وكـذلك الخـوف بـدون محبة للمخوف منه، كـالخوف مِن عَـدُوٍّ أو غـرَقٍ أو حَـرق، ونحو ذلك لم يكن عبــادة. فــإذا اجتمعا في العمل كــان عبــادة، فــإنْ كـانت لله فهو التوحيـد، وإنْ كـان لغـيره؛ فالشـرك الْمخلّد صاحبه في النار[1]. والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: أقسام العبادة بالاعتبارات[2]:

---

[1] انظر: معارج القبول، 336-337 .

[2] انظر: مدارج السالكين، (ج1/ 165-188)، وكتاب عُبودية الكائنات لرب العالمين (الكتاب كله)، وعبودية القلب لرب العالمين في القـرآن الكــريم، (ج1/ــ 71-137 الفصل الثــاني)، وتحقيق العبودية بمعرفة الأسـماء والصـفات، 63-69، مطلب أقسـام العبوديـة)، وجهـود شـيخ الإســلام ابن تيمية في توضــيح توحيد العبــادة للــدكتور أحمد بن عبد

يحسن أنْ أشـير في أول المطلب إلى ما تقـدّم مفصلا في نِهاية المطلب السابق مِن تعريف العبادة بِذكر أركانِها الثلاثــة، **على أنه القسم الأول من أقســام العبادة، باعتبار أركانِها الثلاثة.**

ثم يأتي القسم الثانِي من: أقسام العبادة، وهو تقسـيمها باعتبـار محل المتَعبّد به (العبـادة)، وأنّها تنقسم بِهذا الاعتبـار إلى عبـادات القلب واللسـان والجـوارح، من محبة وصلاة وتلاوة للقرآن مثلا، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله-: « وَأَنْـوَاعُ الْعِبَـادَةِ الَّتِي أَمَـرَ اللـهُ بِهَا مِثْـلُ: الإِسْــلام، وَالإِيمَــانِ، وَالإِحْسَــانِ، وَمِنْــهُ: الــدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُــوعُ، وَالْخَشْـيَةُ، وَالإِنَابَـةُ، وَالاسْـتِعَانَةُ، وَالاسْـتِعَاذَةُ، وَالاِسْـتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَـرَ اللــهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅ ﭼ [الجن:18]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْـرِ اللـهِ؛ فَهُـوَ مُشْـرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽ ... ﭼ [ــ المؤمنــون: ١١٧] »[1]. ثم اســتَدَلَّ –رحمه اللــه- على كــلِّ واحدة منها بأدلة الكتاب والسنة[2].

وزاد الشيخ حافظ حكمي –رحمه الله- مِن أنـواع العبادة، فقال: « **أنواعٌ أخرى من العبادات الظـاهرة والباطنة** ... كالتســـبيح والتحميد والتمجيـــد، والتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن، وتـدبره، وتعلمه وتعليمـه، وسـائر الأذكــار المشــروعة، ومحبة الله ورســوله والمؤمــنين، والحب في الله والبغض فيه، والمـوالاة والمعـاداة لأجلـه، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا السـابق؛ بـأنّ العبـادة: اسـمٌ جـامعٌ لكـلّ ما يُحِبُّه الله ويَرضـاه مِن الأقوالِ والأعمال الباطنة والظـاهرة، وأنّ مناطها الـذي لا قِوام لَها إلا بـه: هو كمـال الْحُب وغايته مع غاية الـذُّلّ، ولا تسمي عبادة إلا مع ذلك كله »[3].

الغنيمان، (ج1/ص577-688).

1 (?) الأصول الثلاثة وأدلتها، ص10 .

2 (?) المصدر نفسه، انظر: ص10-11 .

3 (?) معارج القبول للحكمي، ص336.

و**تقسيم العبودية باعتبار أعضاء الإنسان، إلى عبوديات القلب، واللسان، والجوارح** قد فصّله في نظرية رائعة العلامــةُ ابن القيّم –رحمه اللــه-، وجعله على خمســين مرتبــة، مُعتبِــرًا فيها الأحكــام التكليفية الخمسة، وقد ختم هذه المراتب بقوله: « فهـذه خمسـون مرتبة على عشــرة أشــياء: القلب، والســمع، والبصــر، واللســان، والأنــف، والفم، واليــد، والرّجــل، والفــرج، والاســـتواء على ظهر الدابة » [1]. وحبّـــذا لو يُرْجع إلى الموضع الـذي ذكـره العلامة لمعرفة العلاقة بين الأعضـاء والأحكام.

ثالثًا: وتنقسم العبودية باعتبار الكائنات إلى قسمين: مُكلّفِين عُقلاء، وإلى غير عقلاء[2].

رابعًا: وتنقسم العبودية باعتبار الخصوص والعموم[3] إلى قسمين، عامة وخاصة[4]:

فالعبودية العامة، وهي عبودية أهل السماوات والأرض كلّهم، **والعبودية الخاصـــــــة،** وهي عبودية المؤمــنين منهم فقــط. ويســمى العبودية العامة أيضًــا: **بالعبودية التابعة للربوبية،** وهو خضوع كلّ الخلق إلى الله تعــالى؛ مــؤمنهم وكــافرهم، بينما الخاصة تســمى **بالعبودية التابعة للإلهية. كما تســـميان أيضًـــا بـ(العبادة الاختيارية والاضطرارية:** يقول الشـاطبي –رحمه الله- في بيان الغرض من وضع الأوامر والنــواهي: « المقصد الشــرعي مِن وضع الشــريعة: إخــراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكـون عبدًا لله اختيـارًا، كما هو عبد لله اضطرارًا »[5].

ومن شواهد العبودية العامة: قول الله تبارك وتعالى**:** ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ [الأعراف: ١٩٤]. وقوله: ﭽ

1. ([?]) انظرها في مدارج السالكين، (ج1/ 173-188).
2. ([?]) انظر تفصيل ذلك في كتاب عبودية الكائنات لرب العالمين للباحث التوني، وكتاب عبودية القلب لرب العالمين في القـرآن الكـريم، (ج1/ 71-102).
3. ([?]) انظر: الفتوى الحموية الكبرى، ص503-504 .
4. ([?]) انظر: مدارج السالكين، (ج1/ 170-172).
5. ([?]) الموافقات، ص 289

    چـ [مـريم: ٩٣]. ورُوي في الحـديث " **كُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ، وَلا تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلَ** "[1]، وشـاهد هـذا السياق في القرآن قوله: ﭽﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻ ﭼ [فاطر: ٣٢]. فالطائع والعاصي –بِهذا المعنى- عباد الله . **فهـذا النـوع من العبودية**، العَبْـدُ فيها بِمعـنى الْمُعبَّد (اسم المفعــول)، وهو الْمَخلــوق المملــوك الْمربــوب، الْمُذلَّل، الْمُـدبَّر، الـذي يَجْـرِي عليه قضـاءُ الـربّ سـبحانه وتعالى، ويسير على ما رُسم له؛ لا يَخـرُج عنه قيد أنملـة، وذلك الخلق كلّها. فإذا كـان هـذا العبد إنسـانًا فإنه بطبيعة الحال، أولّه الحمل والبقاء في الرحم مدة أرادها اللــه، ثم الخــروج منه حــال كونه ضــعيفًا، وهو في هــذه المرحلة الزمنية يرتضِعُ مِن حلِيب أمِّه، ويبول نتيجة لذلك ويتغـوّط. ويتقلّب في هــذه المرحلة وما بعــدها مِن المراحــل، بين الشــدة والرخــاء، والعسر واليســر، والســرور والحــزن، والسقم والعافية، كما قال أحُدُهم:

ثمانيةٌ تَجـرِي على المـرء دائمًا ... ولا بــدّ أنَّ المـــرأَ يلقَى الثمانيةْ

سُـرُورٌ وحــزنٌ، واجتمـاعٌ وفُرقةٌ ... وعُســرٌ ويُســرٌ، ثم سُــقمٌ وعافية

فيتزوّج ويولد له. ويمرَض، وينعَس وينام آخذًا بذلك راحتَه. ويأكل ويشرب ويمشي، ويجوع ويعطِش، ويضحك ويبكي، وينسى ويغْفَل ويذهل ويسهو، ويمـوت بقـدر. وهـذا الـذي رسَمَه الله للإنسان؛ لا يخرج منه قيد رمح. ويشــترك في هذا: جنس البَشَر؛ الأنبياء وغيرهم، ما عدا الأمور التي في اتصاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بها خسّة[2].

وهـذا النـوع هو الـذي عقـدتُ لبيانه وتفصـيله، فيما يتعلق بنبيّنا محمدٍ الفصل الأول من الباب الأول؛ فهو عبدٌ لله تعــالى بِمعــنى الْمُعبّــد، مثله مثل غــيره، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء. وسيأتي ذلك مفصّلا!

---

1 (?) الحديث في مسـندي الإمـام أحمـد، وأبي يعلى، وصـححه الشـيخ الألباني في إرواء الغليل بمجموع طرقه (سيأتي).

2 (?) انظر: القول المفيد، للشيخ محمد بن صـالح العـثيمين، (ج1/68)، وقبله: ص33.

وفي العبودية القهرية العامة: يكون (العبد) بِمعنى (المعبَّد المـذَلَّل)، فهي تابعة للربوبيـة، ولا تُـدخل صـاحبَها في الإسـلام، بل غايتها أنْ يكـون العبد تحت قهر الله وملكـه، وجميع الخلق في ذلك سـواء، فالله خـالق الخلق ورازقهم ومـالكهم ومـدبِّر شـؤونهم .. والعبـاد كلّهم مخلوقـون مرزوقـون، مقهـورون، مـدبَّرون، فـالمؤمنون وبقية الخلق مِن الجمـادات والنباتـات وغـير ذلك عبـاد لله مِن هذا الوجه وذاك، والكفار عبـاد له مِن هـذا الوجه دون ذاك، قال تعالى: ﭽ ﭽ [مريم: ٩٣].

لكل ذلك قـال شـيخ الإسـلام –رحمه اللـه- في رسـالة العبوديـة: « وَتَحْرِيـرُ ذَلِـكَ أَنَّ الْعَبْـدَ يُـرَادُ بِـهِ الْمُعَبَّدُ الَّذِي عَبَّدَهُ اللَّهُ؛ فَذَلَّلَهُ وَدَبَّرَهُ وَصَرَّفَهُ، وَبِهَذَا الاعْتِبَارِ الْمَخْلُوقُونَ كُلُّهُمْ عِبَـادُ اللَّهِ، مِنْ الأَبْـرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَالْمُـؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، وَأَهْـلِ الْجَنَّةِ وَأَهْـلِ النَّارِ؛ إذْ هُـوَ رَبُّهُمْ كُلُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ لا يَخْرُجُـونَ عَنْ مَشِـيئَتِهِ وَقُدْرَتِـهِ، وَكَلِمَاتِـهِ التَّامَّاتِ؛ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فَاجِرٌ؛ فَمَا شَاءَ كَـانَ؛ وَإِنْ لَمْ يَشَـاءُوا، وَمَا شَاءُوا إنْ لَمْ يَشَأْهُ لَمْ يَكُنْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﭽ ﭽ [آل عمـران: ٨٣]. فَهُوَ سُبْحَانَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَخَـالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، وَمُحْيِيهِمْ وَمُمِيتُهُمْ، وَمُقَلِّبُ قُلُـوبِهِمْ، وَمُصَرِّفُ أُمُورِهِمْ؛ لا رَبَّ لَهُمْ غَيْرُهُ، وَلا مَالِـكَ لَهُمْ سِـوَاهُ، وَلا خَالِقَ إلا هُوَ؛ سَوَاءٌ اعْتَرَفُـوا بِـذَلِكَ أَوْ أَنْكَـرُوهُ، وَسَـوَاءٌ عَلِمُوا ذَلِكَ أَوْ جَهِلُوهُ؛ لَكِنَّ أَهْلَ الإِيمَـانِ مِنْهُمْ عَرَفُـوا ذَلِـكَ وَاعْتَرَفُوا بِـهِ؛ بِخِلافِ مَنْ كَـانَ جَـاهِلا بِـذَلِكَ؛ أَوْ جَاحِـدًا لَـهُ مُسْتَكْبِرًا عَلَى رَبِّهِ لا يُقِرُّ وَلا يَخْضَعُ لَهُ؛ مَعَ عِلْمِـهِ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ. فَالْمَعْرِفَةُ بِالْحَقِّ إذَا كَـانَتْ مَـعَ الاسْـتِكْبَارِ عَنْ قَبُولِهِ وَالْجَحْدِ لَهُ كَانَ عَذَابًا عَلَى صَـاحِبِهِ كَمَا قَـالَ تَعَـالَى: ... فَإِنْ اعْتَرَفَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ؛ وَأَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إلَيْهِ، مُحْتَـاجٌ إلَيْـهِ، عَـرَفَ الْعُبُودِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَـةَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ، وَهَـذَا الْعَبْدُ يَسْأَلُ رَبَّهُ فَيَتَضَرَّعُ إلَيْهِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، لَكِنْ قَدْ يُطِيـعُ أَمْرَهُ؛ وَقَدْ يَعْصِيه، وَقَدْ يَعْبُدُهُ مَعَ ذَلِكَ؛ وَقَدْ يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ وَالأَصْـنَامَ. وَمِثْـلُ هَـذِهِ الْعُبُودِيَّةِ لا تُفَـرِّقُ بَيْنَ أَهْـلِ الْجَنَّةِ

وَالنَّارِ، وَلا يَصِيرُ بِهَا الرَّجُلُ مُؤْمِنًا. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﭽﭚﭛﭜ ﭝﭞﭟﭠﭼ [يوسف: ١٠٦] »[1].

وقال الشيخ حكمي –رحمه الله-: « س: ما معنى العبد؟ » فأجاب بقوله: « جـ: العبد إنْ أريد به الْمُعَبَّد أي: المـذلل المسـخر، فهو بهـذا المعـنى شـامل لجميع المخلوقـات من العـوالم العلوية والسـفلية: من عاقل وغيره ، ورطب ويابس ، ومتحرك وساكن، وظاهر وكـامن ، ومؤمن وكافر، وبر وفاجر، وغير ذلك. الكل مخلوق لله مربوب لـه، مسـخر بتسـخيره، مـدبر بتـدبيره، ولكل منها رسم يقف عليه، وحد ينتهي إليه، كل يجري لأجل مسـمى لا يتجاوزه مثقال ذرة ﭽﭫﭬ ﭭ ﭮﭯﭼ [فصلت: ١٢]، وتدبير العـدل الحكيم. وإن أريد به العابد الْمُحبّ الْمُتـذلل خُص ذلك بـالمؤمنين الـذين هم عبـاده الْمُكرمـون، وأوليـاؤه الْمتقون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[2].

وهنا وليتصل الكلام بالحديث المفصّل عن **العبودية الخاصة أقول:**

قد سبقت النقـولات أنّه يـأتِي عَبَـدَ يَعْبُد عبـادة، ومعبــودًا، ويكــون (العبــد) في ذلك بِمعــنى العابــد، وهنا العبـادة والعبودية تكـون تابعة للإلهية الـتي مِن أجلها خلق الله الجنَّ والإنس، قـال تعـالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [الذاريات: 56].ـ كما أنّه يقال هنا: عبّد فلانًا لله تعـالى يُعبِّده، عبودية، بجعله يذلّ لله سبحانه، وحمله على الخضـوع لـه. وهذا يَجعلني أتطرق إلى لفظ (العبد) في القرآن ودلالاته، فهو كما قال شـيخ الإسـلام –رحمه اللـه-: « ولَفْـظُ الْعَبْدِ فِي الْقُـرْآنِ: يَتَنَـاوَلُ مَنْ عَبَـدَ اللَّهِ، فَأَمَّا عَبْـدٌ لا يَعْبُـدُهُ فَلا يُطْلَقُ عَلَيْهِ لَفْظُ (عَبْدِهِ). كَمَا قَالَ: ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﭽﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الحجر: ٤٢]. فَالاسْتِثْنَاءُ فِيهِ مُنْقَطِعٌ، كَمَا قَالَهُ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ وَالْعُلَمَاءِ. وَقَوْلُهُ: ﭽﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [الإنسان: ٦]. ﭽﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [الفرقان: ٦٣]. ﭽﭒ ﭓ ﭔ ﭼ [ص: ١٧]. وﭽﭨ ﭩ

---

[1] (?) كتاب العبودية، ص25.

[2] (?) أعلام السـنة المنشـورة لاعتقـاد الطائفة الناجية المنصـورة، 34، وانظر أصل الكلام (وهو طويل) في أصل هذا الكتاب، (معارج القبـول، ص320 وما بعده).

ﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭼ [ص: ٤٤]. ﭽ ﯤ ﭼ [ص: ٤١]. ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ [الكهف: ٦٥]. وَنَحْـوَ هَـذَا كَثِـيرٌ. وَقَـدْ يُطْلَـقُ لَفْـظُ (الْعَبْـدِ) عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، كَقَوْلِهِ: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [الأعراف: ١٩٤]. ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [الكهف: ١٠٢]. قَدْ يُقَالُ فِي هَذَا: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ إِذَا كَانَ قَدْ نَهَى عَنْ اتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَ فَغَيْرُهُمْ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى. فَقَدْ قَالَ: ﭽ ﭼ [مريم: ٩٣]. وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [الإسراء: ٥]. فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَكُونُوا مُطِيعِينَ لِلَّهِ، لَكِنَّهُمْ مُعَبَّدُونَ مُذَلَّلُونَ مَقْهُورُونَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ قَدَرُهُ. وَقَدْ يَكُونُ كَوْنُهُمْ عَبِيدًا: هُوَ اعْتِرَافُهُمْ بِالصَّانِعِ وَخُضُوعُهُمْ لَهُ وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا، كَقَوْلِهِ: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [يوسف: ١٠٦]. وَقَوْلُهُ: ﭽ ﭼ أَيْ ذَلِيلا خَاضِعًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لا يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلا كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا الاسْتِكْبَارُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا. ..»[1]. إلى غير ذلك من تقسيم العبادة والعبودية إلى أنواع كثيرة باعتبارات.

المطلب الرابع: معنى المركَّب الإضافي: مقام العبودية:

عادة العلماء –رحمهم الله- في التعريف بِالْمُركّبات الإضافية -كمُصطلح: عُلوم القرآن، وفقه السنة، ومصطلح الحديث، وأصول الفقه-: دأبُهم هو بيان الْمُفرَدين واحدًا بعد آخر، ثم تركيبهما للوقوف على ما يتحصّل ويتألّف من الاثنين مِن معنى ثالث.

وقد تقدم في المبحث السابق معنى لفظة (مقام)، وتَقَرّر في أول هذا المبحث بيان معنى العبودية لغة وشرعًا؛ فتحصّل مِن الاثنين (مقام العُبودية أي- مقام عبودية الله-) أنّ معنى الْمركّب الإضافي هذا: **أنّ عبودية الله** -الْمتضمّنة لغاية محبته تعالى مع تَمام الذُّلّ والخضوع له سبحانه، الْمتمثّلة في امتثال الأوامر واجتناب النواهِي- **مَنزلةٌ رَفيعةٌ، ودرجة** –مُكتسبةٌ- **في ولاية الله عاليةٌ. يَشْرُف العبد بالانتساب إليه:** « فَكَمَالُ الْمَخْلُوقِ فِي تَحْقِيقِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ تَحْقِيقًا لِلْعُبُودِيَّةِ ازْدَادَ كَمَالَه، وَعَلَتْ دَرَجَتُهُ. وَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج1/ص43-45).

الْمَخْلُــوقَ يَخْــرُجُ عَنْ الْعُبُودِيَّةِ بِوَجْــهٍ مِنْ الْوُجُــوهِ، أَوْ أَنَّ الْخُرُوجَ عَنْهَا أَكْمَلُ، فَهُوَ مِنْ أَجْهَــلِ الْخَلْــقِ، وَأَضَــلِّهِمْ »[1]. ذلـــك؛ أنّ لفظة (مقـــام) هنا معناها المختـــار: المنزلة العظيمــة، كما أنّ الإضــافة في لفظة (عبد اللــه) تُنــبئ بشَــرَف الإضــافة إلى اللــه، من بــاب إضــافة المخلــوق لخالقه، فكُلّ مَن قام بعبادة الله -معرفة وحــالا- على نــورٍ من اللـــه، اكتسب شـــرَف ومنزلة ذلك في الـــدنيا وفي الآخرة، كلٌّ بِقدره[2]. وهذا في عموم عبـاد الله تعـالى مِن الأنبيــاء ومَن دونَهم، فعُبودية الأنبيــاء منهم عُبودية خاصة الخاصة التي لا يستطيع أحَدٌ أنْ يُباريهم فيها[3].

وهذا المقام (مقام العبودية) جِنسٌ يَندَرِجُ تحته أنواع كثـيرة وعظيمــة، كمقــام ومنزلة حُبّ الله تعــالى، ومقــام الخوف منه، ومقام الرجاء، ومقام الخشية، ومقــام الرغبة والرهبة منه، ومقام الشكر، ومقام الصبر، ومقــام الزهــد، ومقام المراقبــة، ومقــام الإخلاص، ومقــام الصــدق، وغــير ذلك من مقامـــات الســـالكين الـــتي أُمِـــروا باكتســـابِها وتحصيلها.

وأما بِخصوص مقام عبودية نبينا محمد ﷺ لرَبّه سبحانه وتعالى معرفــةً وحــالا: فهو تلك المنــزلة العظيمة الــتي وفّقه الله تعــالى إليهــا، واختصه بِها دون أمتــه، بل ودون بقية الأنبيــاء، فجعله أكمل النــاس عبوديــة، فصــارت عبوديتُه ﷺ عبودية أخص خاصة الخاصـــة، وكـــانت منزلته بِحَسَــبها. **وهــذا ما يــأتِي الفصــلُ الثــاني (بِمباحثه العشــرة) مِن البــاب الأول لبيانه وكَشــفه، حيث أقف هناك على دلائل وشواهد كون نبينا محمد** ﷺ **أكمَل النــاس تحقيقًا لِعُبودية اللــه. وأنّ ذلك مما**

---

1 (?) قاله شيخ الإسلام في كتابه العبودية، ص46.

2 (?) انظر: شرف مقام العبودية من كتاب عبودية القلب لرب العالمين في القرآن الكريم، (ج1/ ص49 وما بعده)، ومطلب درجات العبــاد في تحقيق العبوديــة، وكــذلك مطلب أكمل العبــاد تحقيقًا للعبوديــة، كلاهما في 70-91، وعبوديته ﷺ شرَفٌ وفضيلة، من كتاب الشــهادتان معناهما وما تستلزمه كُلٌّ منهما لا إله إلا الله محمــدٌ رســول اللــه، لابن جــبرين رحمه الله، 81-91.

3 (?) انظر: القول المفيد لابن العثيمين، (ج1/33-34).

زاده قُربًا من اللــه، وشـرَفًا وتقـديْمًا في الـدنيا والآخرة.
فالرسـول قـام بِكُـلّ تلك المقامـات وغيرها خـير قيـام، وعَبَد الله تعــالى بِكُــلّ مَنـــزلة مِن منازِلِها على التمـــام والكمال. كما سيأتِي تفصيل ذلك لاحقًا.

هذا، وأما معنى مقام العبودية والذي يُراد به العبودية العامة: فهي تلك المنزلة التي يشترك فيها جميع عباد الله مـــؤمنهم وكـــافرهم، مكلفهم وغـــير عقلائهم، صـــغارهم وكبارهم، فالكل عبيد لله سبحانه. والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: التعريف بـ "مقام الرسالة "؛ وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف (الرسول) و(النبيِّ) لغةً، وفيه مسألتان.

المطلب الثاني: التعريف بالنبي والرسول شرعًا.

المطلب الثالث: تحقيق القول في الفرق بينهما.

المطلب الرابع: معنى مقام النبوة والرسالة.

المطلب الأول: تعريف (الرسول) و(النبيِّ) لغةً، وفيه مسألتان:

الْمسألة الأولى: تعريفُ الرّسولِ لُغَةً.

المسألة الثانية: تعريفُ النَبِيِّ لُغَةً.

الْمسألة الأولى: تعريفُ الرّسولِ لُغَةً**:**

الرّاء والسّين واللام (ر س ل) أَصلٌ مطّردٌ يَدُلّ على الانبعاث والامتداد[1]، يقال: أرسَل عليه: سلّط عليه. وأرسَله: أطلَقَه ووجّهه وأهمله، وإليه: وجَّه إليه. والرّسول: فعولٌ بِمعنى مُفْعَلٌ؛ مُرسَلٌ ومُوَجَّه، يستوي فيه الْمُذكّر والْمؤنّث، والواحد والجمع، كالخليل[2]، وفي القرآن: ﭽ ﭽ [الشعراء: ١٦]. ومن الملائكة رسولٌ، كما أنّ من الناس رسولا، ﭽ ﭽ [الحج: ٧٥]. ويُجمَع أيضًا على رُسُل. وقيل: بأنّ اشتقاق الكلمة مِن الرَّسْل: التتابع، ومنه قولهم: جاء الناس أرسالا، والمعنى: كأنّ الرسول ألزم تتابع وتكرير التبليغ، وألزمت أمته اتباعه[3]. وإذا قيل: أرسَل رسولَه فمعناه: بعثَه بِرِسالة، والرّسول: مَن يَبعثُه الله بشَرعٍ يَعمل به ويُبلّغه. والرَّسيل والمرسال: الرّسول. ورسالة الرّسول: ما أُمِر بتبليغه عن الله تعالى، ودعوة الناس إلى ما أوحي إليه. وأيضًا: ففي قول المؤذن: (أشهد أن محمدًا رسولُ الله)، قال بعضهم: أعلم وأبَيِّن أن محمدًا مُتابِعٌ للأخبار عن الله ، والرَّسول معناه في اللغة:الذي يُتابِع أخبار الذي بعثه؛ أخذًا مِن قولهم: جاءت الإِبل رَسَلاً أي: متتابعة.. [4].

---

1 (?) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة رسل، 402.

2 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة رسل، ص407، والقاموس المحيط، المادة نفسها، ص925، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، 344.

3 (?) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص261.

4 (?) انظر: المعجم الوسيط، مادة رسل، 344.

المسألة الثانية: تعريفُ النَبِيِّ لُغَةً:

لفظة (النّبِيّ) مِن النُّبُوءَة –بـالهمزة-، وقيـل: مِن النَّبْوَة –بِالْمُعْتَلّ: الـواو-، **فعلى الأول** –وهو الأصـحّ- فَهو مِن أنْبَـأَه، ونَبّـأه: أَخْبَـرَه، والنَّبَـأُ: الْخَبَـر، وجمعُـه: الأَنْبـاءُ، وعلى هــذا: فــالنَّبِيءُ: فعِيــلٌ للمبالغة من النَّبَــأ، بِمعنَى: مفعولٌ، وهو مَنبئ (مُخْبَر) عن الله تعالى.

وجَمعُه: الأنبِياءُ، والنُّبَآءُ، والنّبيؤون. وفي الشعر:

يا خاتِم النُّبَآء إنّك مُرسَلٌ بـالْخَير، كُـلّ هُـدى السّـبيل هُداكَا[1].

وقيل: النّبِيُّ: فَعيلٌ، بِمعنى: فاعلٌ، أي: الذي يُنبِأُ ويُخْبِـرُ عن الله تعـالى. ويـذْكُر شـيخُ الإسـلام ابن تيمية –رحمه الله- أنّ القول بأنّه فعيلٌ بِمعنَى مفعول هو الأجـود، وإنْ كـان الأمـران صـحيحَين، فـالنبِيّ مثل الرّسـول؛ وهو فعولٌ بِمعنى مفعول، كما أنّ الأول فعيـلٌ بنفس المعـنى، فيقول: « ولفظ النبِيّ كَلَفظ الرّسـول، هو في الأصل إنّما قيل مضافًا إلى الله؛ فيُقال: رسول الله، ثم عُرّف بـاللام؛ فكانت اللام تعاقب الإضافة؛ كقوله: .. ﭽﭼﭻﭺ ﭹﭸ ﭷﭶﭵﭴﭳﭲ ﭱﭰﭯﭮﭭﭬ [النور: ٦٣]. وكذلك اسم النبِيّ؛ يقال نبِيُّ الله؛ كما قال: ﭽ ﭫﭬ ... ﮩ ﭼ [البقرة: ٩١] ... ورسول: فعولِ؛ بِمعنى مفعـول؛ أي مُرْسَـل؛ فرسـولُ اللـه: الـذي أرْسَـلَه اللــه؛ فكـذلك نبِيّ الله هو بمعـنى مفعـول: أي مُنبّأ اللـه؛ الذي نبَّأه الله. وهذا أجود مِن أنْ يقـال: إنه بِمعنَى فاعـل؛ أي منبِّىء؛ فإنّه إذا نبّأه الله، فهو نبِيّ الله؛ سواء أنبأ بذلك غيرَه، أو لم ينبئه؛ فالذي صار به النـبيّ نبيًّا: أن ينبئه اللـه. وهذا مما يـبيّن ما امتـاز به عن غـيره؛ فإنه إذا كـان الـذي ينبئه الله؛ كما أنّ الرسـول هو الـذي يُرسِلُه اللـه؛ فما نبأ الله حقٌّ وصِـدق، ليس فيه كـذب؛ لا خطـأً، ولا عَمـدًا؛ وما يوحيه الشيطان: هو من إيحائه، ليس من إنباء الله؛ فالذي اصــطفاه الله لإنبائــه، وجعله نبيًّا لــه؛ كالــذي اصــطفاه لرسالته، وجعله رسولاً لـه؛ فكما أنّ رسـول الله لا يكـون

---

[1] (?) انظر: الصحاح للجوهري، مـادة النّبـأ، ص1014، ومقـاييس اللغـة، المادة نفسها، 1009-1010، والقاموس المحيط، المـادة نفسـها، ص 62-63، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، 896.

رسولاً لغـيره، فلا يقبل أمر غـير اللـه؛ فكـذلك نبِيّ الله لا يكون نبيًّا لغير اللـه، فلا يقبل أنبـاء أحد إلا أنبـاء اللـه. وإذا أخبر بِما أنبأ الله، وجَبَ الإيمان بـه؛ فإنّه صـادق مصـدوق، ليس في شيءٍ مِما أنبأه الله به شيءٌ مِن وحْيِ الشّيطان ..»[1].

ويُقرر صحة كون النبِي فعيلا بِمعنى مفعولا، وبِمعنى فاعلا، فيقول: « والنُّبُوة مُشتقّةٌ مِن الإنبـاء. والنبِيّ فعيـلٌ، وفعيلٌ قد يكون بِمعنَى فاعلٍ؛ أي مَنبِي، وبِمعـنى مفعـول؛ أي منبأ. وهما هنا متلازمان؛ فـالنبِيّ الـذي ينبِىء بما أنبـأه الله به، والنّبِي الذي نبّأه اللـه، وهو منبأ بما أنبـأه الله بـه. وما أنبأه الله به لا يكون كـذبًا، وما أنبأ به النبِيّ عن الله لا يكـون يطـابق كـذبًا؛ لا خطـأً، ولا عمـدًا، فلا بُـدّ أن يكـون صادقًا فيما يُخْبِر به عن الله؛ يُطابق خَبَرهُ مَخْبَرَهُ، لا تكون فيه مخالفة؛ لا عمداً، ولا خطأً »[2].

أما نُبُوءةُ غير الأنبياء، وتنبؤاتُهم: فهو الإخبـارُ عن الشيء قبل وقته حَرزًا وتخمينًا، ومنه: المتنبئ[3].

ويَتأمل شيخ الإسلام –رحمه الله- عامة موارد مجيء لفظ الإنباء في القرآن ليَخلص إلى أنّ الأنبياء أخبَرهم الله تعـالى بِما هو أخصّ من مطلق الإخبـار، لكـون الإنبـاء لا يُسـتعمل إلا في الأمـور الغائبة المختصـة، .. فيقـول: « ولفظ الإنبـاء: يتضـمَّن معـنى الإعلام والإخبـار، لكنّه في عامّة مـوارد اسـتعماله أخصّ من مُطلق الإخبـار؛ فهو يسـتعمل في الإخبـار بـالأمور الغائبة المختصـة، دون المشاهدة المشتركة »[4].

ثم ذكَر أحَد عشر مَوردًا للكلمة في القرآن، وكُلّها تقرر ما ذَكَر[5]. منها قوله تعالى: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﭼ [آل عمران: ٤٩]. وقوله سبحانه: ﭽﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﭼ [التحريم: ٣]. ثم قال: « وجَمـعُ النبِيّ: أنبيـاء؛ مثل ولِيّ وأوليـاء، ووَصـيّ

---

1 (?) كتاب النبوات، ج2/ 826-828 .
2 (?) المصدر نفسه، (ج3/1068-1069) .
3 (?) انظر: المعجم الوسيط، مادة نبوءة، ص896.
4 (?) كتاب النبوات، (ج3/ ص1075) .
5 (?) المصدر نفسه.

وأوصــياء، وقَــوِي وأقْوِيــاء. ويُشْــبِهه: حــبيبٌ وأحِبّــاء .. فــ(فعيــل): إذا كــان معتلاً أو مضــاعفًا، جُمع على أفْعِلاء، بخلاف حكيم وحُكمـــاء، وعليم وعُلمـــاء. وهو من النَّبَـــأ. وأصـله الهمـزة، وقد قُـرىء بـه، وهي قـراءة نـافع، يقـرأ النبِيء، لكن لَمّا كثر استعماله ليّنت همزته، كما فعل مثل ذلك في: الذريّة، وفي البرية. **وقد قيل:** هو من النَّبْـوَةِ؛ وهو العلـــوّ؛ فمعـــنى النبِيّ: الْمُعَلّى، الرّفيع الْمنْزلـــة. والتحقيق: أنّ هذا المعنى داخلٌ في الأول، فمن أنْبَأه الله، وجعَلَه مُنْبِئًا عنه، فلا يكون إلا رفيـعَ القـدر عَليًّا. وأما لفظ العلو والرفعة: فلا يدل على خصوص النبـوة؛ إذ كـان هـذا يوصف به مَن ليس بنبِيٍّ، بل يُوصف بأنّه الأعلى؛ كما قال: ﭽﮬﮭ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [آل عمران: ١٣٩]. وقراءة الْهمز قاطعةٌ بأنّه مهموز. .. واللفظـان مشـتركان في الاشـتقاق الأكبر؛ فكلاهما فيه النون والبـاء، وفي هـذا الهمـزة، وفي هذا الحرف المعتل. لكنّ الهمزة أشرف، فإنّها أقوى، قـال سيبويه: هي نبوّة من الحلق، تُشْبِه التهوّع، فالمعنى الــذي يدلّ عليـه، ويُمكن أن تلين، فتصـير حَرفًا معتلاً، فيُعبّر عنه بـاللفظين، بخلاف المعتـل؛ فإنّه لا يُجعل همـزة. فلو كـان أصله نبِيّ؛ مثل: عليّ ووَلِيّ لم يَجُز أنْ يقال بالهمز؛ كما لا يُقال: عليء، ووصيء، ووليء - بـالهمز -. وإذا كـان أصـله الهمز، جاز تليين الهمزة، وإن لم يكثر اسـتعماله؛ كما في لفظ: خبِيء وخبيئة. وأيضًا: فـإنّ تصـريفه: أنبأ ونبَّأ، يُنـبىء ويُنبِّىء بـالهمزة، ولم يُسـتعمل فيه نَبَا يَنْبُـو، وإنّما يُقـال: النبوة، وفي فلان نَبْوة عنَّا: أي مجانبـة. فيجب القطع بـأنّ النبِيّ مأخوذٌ من الإنباء، لا من النَّبْوَة. والله أعلم »[1].

هذا كلام الْمحقق الذي يؤَكّد به أنّ الصحيح في النّبِي هو كونه مهموزًا.

وتقرر فيما سبق أنّ تَرك همزة النّبِيء ومشتقاته هو الْمختار؛ فتُبْـدل همـزة النّبِيء يـاءً، وتُـدغَم في اليـاء قبلها فيصير نبِيًّا[2].

---

[1] (?) كتاب النبوات، (ج3/ 1078-1081).

[2] (?) انظر: القاموس المحيـط، مـادة النبـأ، ص63، والمعجم الوسـيط، المادة نفسها، ص896.

وأما تَنَبَّأ: فمعناه ادّعى النُّبوءة، ومنه الْمتنبئ، وسيأتِي ذكرُ كثير من المتنبئين الكذابين، وخاصة في الباب الثالث. وأما تنبَّأ بالأمر، فمعناه: أَخْبَرَ به قبل وقته[1].

وفي الصحاح: « قال سيبويه ليس أَحد من العرب إلاّ ويقول تَنَبَّأَ مُسَيْلِمة –بالهمز-، غير أنّهم ترَكُوا الْهمز في النَّبِيّ، كما تَركُوه في الذُّرّية والبريّة والخابية، إلاّ أهل مكة؛ فإنّهم يُهمِزُون هذه الأحرُف، ولا يُهمِزُون غَيرَها، ويُخالفون العرب في ذلك »[2].

وتقدم الأصل الآخَر ضِمنًا: وهو كون النبِيّ مِن النّبْوَة والنَّباوَة، فالنّبو هو ما ارتفَع مِن الأرض، فـ« النون والباء والحرف المعتل، أصلٌ صحيحٌ يدُلّ على ارتفاع في الشيء عن غيره، أو تنحٍّ عنه »[3]، فإنْ جعَلْتَ النبِيّ مَأْخُوذًا من هذا الأصل، فمعناه: إنّه شُرّف على سائر الخَلْق بعد إنباء الله له، وارتفع زيادة بعد إنبائه هو عن الله، فَأَصْلُه غير الهمز، وهو فَعِيل بِمعنَى مَفْعُول[4].

والأصل الأول هو المعتمد، ويَلزَم في الذي أنبَأه الله بغيبه ووحيه: شرَفُه بذلك، وارتفاعُه به، وهو الأصل الثاني. والله تعالى أعلم.

هذا، والنُّبُوءةُ: سفارةٌ بين الله وبين ذوي العقول لإزاحة علَلِها[5]، وسيأتِي .

المطلب الثاني: التعريف بالنبي والرّسول شرعًا[6]:

---

[1] انظر: القاموس المحيط، المادة نفسها، ص63، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص896.

[2] الصحاح للجوهري، مادة النّبأ، ص1014.

[3] قاله ابن فارس في كتابه: مقاييس اللغة، المادة نفسها، 1009، وانظر: المعجم الوسيط، المادة نفسها، ص896.

[4] انظر: الصحاح للجوهري، مادة النّبأ، ص1014.

[5] انظر: المعجم الوسيط، المادة نفسها، ص896.

[6] انظر: شرح العقيدة الطحاوية،(ج1/ ص239)، ورسالة محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص13-15، والرسل والرسالات للأشقر، ص11-14، والفصل الأول من الباب الأول من رسالة النبوة والرسالة بين الإمامين الغَزالي وابن تيمية، والذي هو بعنوان: مفهوم النبوة والرسالة والعلاقة بينهما، من ص53-133، وكتاب حقوق النبي

للعلماء –رحمهم الله تعالى- اتجاهان في (مسألة النبيِّ والرّسول) هل هما شيءٌ واحدٌ، أم هما مختلفان؟

الاتجاه الأول: يَرى أنّ النَّبِيّ هو الرّسول، والعكس، ولا فرق بينهما في المعنى، وبه قالت المعتزلة[1] ومَن وافقهم[2].

الاتجاه الثاني: يرَى الفرق. ثم لبيان الأقوال الكثيرة المندرجة تحت هذا الاتجاه، وتحقيق الفرق بين الرسول والنبّي عَقَدتُ المطلب القادم (الثالث).

وأما الذين يَرون أنْ لا فَرق بين النبِيِّ والرّسول، بل كُلّ نبِيٍّ رسولٌ، وكلُّ رسولٍ نبِيٌّ، فقد تشبَّثوا ببعضٍ الأدلة التي لا تَدلُّ على مرادهم، وببعض الاعتبارات. وقد أُجيبَ على استدلالاتِهم، وبُيِّن أوجُه الصواب فيها؛ فمِمّا ذكَروه:

أولا: قول الله تعالى: ﭽﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﭼ [الحج: ٥٢]الآية.

وجه دليلهم في الآية: أنّ الله تعالى أضاف الإرسال والرّسالة إلى الأنبياء، فَعُلم أنّ الأنبياء كذلك رُسلا، وأنْ لا فَرق بينهما، بل ويَزعمون بأنْ لا نصّ يُفرِّق بينهما[3].

وأجيب: بأنّه لا يَلزم من هذه الإضافة أنْ يكون الأنبياء رُسُلا بالإطلاق. وبأنه لو كان النبيُّ والرّسول شيئًا واحدًا لَما كان العطف، لأنّ العَطف يقتضي المغايرة. كما أنّ هناك عدة نصوصٍ واعتبارات شرعية قادمة تُفصِح بالفرق بين النبِيّ والرَّسول.

ثانيًا: ومنها أيضًا: القول: بأنّ الله تعالى ذكَر مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام ووظائفهم، وأنّ

في ضوء الكتاب والسنة، (ج1/ 63-67 معنى النبوة والرسالة).

1 (?) انظر: شرح الأصول الخمسة لترى كيف يـدافع القاضي عبد الجبـار عن هذا الأمر، (تطرق إليه بعد شـرحه للأصل الثـاني الـذي هو العـدل، ص383، ورسالة: النبوة والرسالة بين الإمـامين الغَـزالي وابن تيميـة، ص66.

2 (?) انظر: السلسلة الصحيحة (ج6/ ص368، وما قبله وما بعـده، حيث ردّ الشـيخ على شـيخ فاضـلٍ؛ صـاحب كتـاب إتحـاف الأحفيـاء برسـالة الأنبياء، والذي ذهب فيه إلى عدم الفرق بينهما).

3 (?) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص383، ورسالة النبوة والرسالة بين الإمامين الغَزالي وابن تيمية، ص120.

منها: **البشارة والنذارة**، فقال: ﭽﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭼ [الأنعام: ٤٨]، والآيات في المعنى كثيرةٌ. ثم إنّه أضاف نفس الوظائف إلى الأنبياء عليهم السلام، فقال: ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﭼ [البقرة: ٢١٣].

وأجيب عن الاستدلال: بأنّه لا يَلزم مِن اتحاد جنس الوظائف والمهمات والأعمال أنْ يتحِدّ العاملون في كُلّ الصفات. كما أُجيب بالنصوص التي فيها التفريق بينهما.

ومِما يَدُل على بطلان القول بعدم الفرق بين الرسول والنبي ما ورد في عدة الأنبياء والرسل، وجاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، في قصة طويلة، قَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ الْمُرْسَلُونَ؟ قَالَ: " **ثَلاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا** " وَقَالَ مَرَّةً: " **خَمْسَةَ عَشَرَ** " قَالَ: قُلْتُ**: يَا رَسُولَ اللَّهِ:** آدَمُ أَنَبِيٌّ كَانَ؟ قَالَ: **نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ** »[1].

وفي المستدرك: .. فقلت : يا رسول الله، كم النبيون؟ قال: " **مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي** " قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: " **ثلاث مائة وثلاثة عشر** "[2].

وقد جاء الطريقان في شعب الإيمان للبيهقي[3].

وعلّق على الحديث الشيخ الألبـاني –رحمه اللـه- فقال: « اعلم أنّ الحديث وما ذكرنا من الأحاديث الأخرى،

1 (?) مسند الإمام أحمد: رقم: 20566، وقد بحَث الشيخ الألباني –رحمه الله- حديث عـدد الرسل والأنبيـاء بَحثًا قيّمًـا، وتوصل فيه إلى أنّ عـدد الرسل المذكورة في الحديث الذي ترجم له صحيح لذاته، وعدد الأنبياء الـذي جـاء في عـدة طـرق من حـديث أبي ذر، وشـاهد آخر له صـحيح لغـيره (انظـر: السلسـلة الصـحيحة، ج6/ـ 358-369، حـديث رقم: 2668)، وذَكر أنّ عدد الأنبياء حسب كلّ الروايات بينها اختلاف، إلا أنّها في الجملة تتفق على أنّ عددهم أكثر من عدد الرسل.

2 (?) المستدرك: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبيـاء والمرسـلين، رقم: 4131.

3 (?) شعب الإيمـان: (الثـاني من شـعب الإيمـان، وهو بـاب في الإيمـان برسل الله صلوات الله عليهم عامة)، رقمهما: 130، و131، والحديث متكلم فيه.

مما يدل على المغايرة بين الرسول والنبي، وذلك مما دل عليه القـرآن أيضًـا .. وعلى ذلك جـرى عامة المفسـرين، من ابن جرير الطـــبري الإمـــام، إلى خاتمة المحققين الآلوسي، وهو ما جزم به شيخ الإسلام ابن تيمية في غـير ما موضع من فتاويه .. أنّ كل رسـول نبِيّ، وليس كل نبِي رسولا. .. فهذا نص من هـذا الإمـام في التفسـير، يؤيد ما تتابع عليه العلمـاء من القـول بالمغـايرة، الموافق لظـاهر القرآن وصريح السنة. وكـان الـدافع على تحرير هـذا أننِي رأيت مجموعة رسـائل لأحد فضـلاء العصر الحاضـر، فيها رسالة بعنوان: إتحاف الأحفياء برسـالة الأنبيـاء، ذهب فيها إلى عــدم التفريق بين الرســول والنبِي. وبحثه فيها يــدل المحقق المطلع على بحـوث العلمـاء وأقــوالهم، على أنّ المؤلف لها -حفظه اللـــه- ارتَجلها ارتجــالا دون أن يتعب نفسه بالبحث عن أقوال العلماء في المســألة، وإلا فكيف جاز له أن يقول: ..»[1].

ويُلخّص هذا الكلام ويَذكُر الاتّجاهَين أبو الحسن عليُّ بنُ محمد المـاوردي –رحمه اللـه- فيقـول: « فأما الفــرق بين الأنبيــاء والرسل فقد جــاء بهما القــرآن جَمعًا ومُفصلا بقول الله تعالى: ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠ ﮡﭼ [الحج: ٥٢]. واختلف أهل العلم في الأنبياء والرسل على قـــولين: **أحـــدِهما:** أنّ الأنبيـــاء والرّسل واحد، فـــالنّبيّ رســـولٌ، والرّســـول نبِيٌّ. والرّســـول مـــأخوذٌ مِن تَحمُّل الرّسالة، والنبِيّ مأخوذٌ من النبـأ؛ وهو الخـبر، إنْ هُمز لأنه مُخْبِرٌ عن الله تعالى. ومـأخوذٌ مِن النَّبْـوَة إنْ لَم يهمز وهو الموضع المرتفــع. وهــذا أشــبه[2]؛ لأنّ مُحمــدًا ﷺ قد كــان يخــاطب بهمــا. **والقــول الثــاني:** أنهما يختلفــان؛ لأنّ اختلاف الأسْماء يَـدُلّ على اختلاف المُسـمَّيَات، والرّسـول أعلى منـزلة من النبِي، ولـذلك سُـمّيت الملائكة رُسلا ولم

---

1 (?) السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني، (ج6/ 364-365)، في التعليق على حديث رقم: 2668).

2 (?) بل الأشـبه التفريق بين الرسـول والنـبي، ويـدل عليه ما يـأتي من الأدلة والاعتبارات.

يُسـمَّوا أنبيـاء؛ واختَلَف مَن قـال بِهـذا في الفـرق بينهما **على ثلاثة أقاويل:**
أحدِها: أنّ الرّسول هو الذي تَنـزل عليه الملائكة بالوحي، والنبِيّ هو الذي يُوحى إليه في نومـه. **والقـول الثـاني**: أنّ الرسـول هو المبعـوث إلى أمـة، والنبِيّ هو الْمُحـدث الذي لا يُبْعَث إلى أمة. .. **والقول الثـالث**: أنّ الرّسـول هو المبتـدئ بِوضع الشـرائع والأحكـام، والنبِيّ هـو: الـذي يَحفظ شريعة غيرِه. ..»[1].

وقال القاضي عياض –رحمه الله- في هذا المعنى: « **واختلـفَ العُلمـاء هل النّبِيّ والرّسـول بِمعـنى أو بِمعنـيين؛ فقيـل:** هما سـواءٌ، وأصـله من الإنبـاء وهو الإعلام، واستدلوا بقوله تعالى: ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﭼ [الحج: ٥٢]، فقد أثْبَتَ لَهما الإرسـال معًـا، **قـال:** ولا يكـون النبِيُّ إلا رسـولا، ولا الرّسـول إلا نبِيًّا. **وقيـل:** هما مفترقـان مِن وَجْــهٍ؛ إذْ قد اجتَمَعَا في النبـــوة الـــتي هي الاطلاع على الغيب، والإعلام بِخـــواص النّبـــوة، أو الرِّفعة لِمعرفة ذلك وحَوْز درجتهـا. وافترقا في زيـادة الرسـالة للرّسـول؛ وهو الأمر بالإنذار والإعلام، كما قلنـا. وحجتُهم مِن الآية نَفْسِـها التفريق بين الاسْـمَين، ولو كانا شَـيْئًا واحــدًا لَمَا حَسُــن تَكرارهُما في الكلام البليـغ. قــالوا: والمعنَى: وما أرسـلنا مِن رَسولٍ إلى أمـة، أو نبِيٍّ وليس بِمُرسل إلى أحَـدٍ. وقد ذهَب بعضُهم إلى أنّ الرّسول مَن جاء بِشَـرْعٍ مبتـدأ، ومَن لم يـأت به نبِيٌّ غـيرُ رَسـولٍ؛ وإِنْ أُمِر بـالإبلاغ والإنـذار! والصحيحُ والذي عليه الْجَمّاءُ الغَفـيرُ: أنّ كُـلَّ رسـولٍ نبِيٌّ، وليس كـلُّ نبِيٍّ رسـولا، وأوّل الرُّسُــل آدم **[2]**، وآخــرُهم محمد ﷺ. ..»[3]. وسيأتِي حديث البخاري الدال على أنّ نوحًا ﷺ هو أوّل الرّسل.

---

[1] أعلام النبوة للماوردي، ص50-51 .

[2] الحـديث هو أحد طـرق حـديث عـدد الأنبيـاء والرسل المتقـدم تخريجه، لكن الحديث فيه أنّ آدم ﷺ نـبي وليس أول الرسـل، فـإذا وجد رواية تـدل على أنه أول الرسـل، فإنّها تختلف بِما جـاء في الصحيحين من حديث الشفاعة، وفيه: أنّ نوحًا ﷺ هو أول الرسل.

[3] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص261-262.

كما أنه سيكون تحقيق القول في مسألة الفرق بين النبِي والرسول في المطلب القادم.

المطلب الثالث: تحقيق القول في الفرق بينهما:

(أعني به: بين الرسول والنبِيّ).

جاء في القرآن: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂ [الأعراف: 157]، وأقول هنا: ما تحقيق القول في الفرق بين مصطلحَي الرسول والنبي؟

وهنا وفي هذا الْمطلب سأذكُر طائفة مِن أقوال أصحاب الاتجاه الثانِي (الذين قالوا بالفرق بين النّبِيّ والرّسول)، وإنْ اختلفوا في الضابط الذي يَنضبط لهم هذا الفرق. كما سأتوقف عند الأقوال المشهورة، وأناقش التي تحتاج إلى المناقشة، ثم أُرَجّح ما رأيتُه راجحًا بدليله.

القول الأول: مِن الأقوال التي قيلت في الفَرْق بين الرسول والنبِيّ، واشتهَر كثيرًا مع عدم صحّته، هو:

أنّ النَّبِيّ مَن أُوحي إليه بِشَرْعٍ ولم يُؤمَر بتبليغه، والرّسول هو مَن أُوحِي إليه بشَرْعٍ وأُمِر بتبليغه؛ وبه قال جمعٌ من العلماء –رحمهم الله- منهم البيهقي، ومِن المتأخّرين: ابنُ أبِي العِزّ، وغيرُه[1]، وحَكاه عن بعضهم الآخَرون[2].

لكِنّ هذا القول خطأٌ، يُبيّنُه عِدّة أمور:

---

1 (?) انظر: شعب الإيمان، (الشعبة الثانية: الإيمان بالرسل، ج1/ 150)، وشـرح العقيـدة الطحاويـة، (ج1/ ص239) حيث قـال: « وقد ذكـروا فروقًا بين النبي والرسول، وأحسنُها أنّ مَن نبأه الله بخبر السـماء: إنْ أمَـرَه أن يُبلغ غـيرَه فهو نبِيٌّ رسـول، وإنْ لَم يـأمره أنْ يُبلّغ غـيره فهو نبِي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي؛ فكل رسول نـبي وليس كل نبي رسولا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسـها؛ فـالنبوة جـزءٌ من الرسالة؛ إذ الرسـالة تتنـاول النبـوة وغيرهـا، بخلاف الرسـل؛ فـإنهم لا يتنـاولون الأنبيـاء وغـيرهم، بل الأمر بـالعكس، فالرسـالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها ».

2 (?) انظـر: فتح البـاري (ج4451/4-4452، وسـيأتي هـذا النقـل، حيث يَحكي الحافظ ابن حجر –رحمه اللـه- عن القرطـبي وغـيره –رحمهم الله- هذا القول)، وكتاب الرسل والرسالات للأشقر، ص13.

الأمر الأول: أنّ الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل، مثلما جاء في آية الحج والزخرف، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ، فالإرسال يقتضي من النبِيّ البلاغ، كما دلّ على ذلك آية الحج المتقدمة، ولقد قال القرطبِي –رحمه الله- في تفسيرها: « قال العلماء: إن هذه الآية مشكلة من جهتين: إحداهما: أنّ قومًا يَرَون أنّ الأنبياء صلوات الله عليهم فيهم مُرسلون، وفيهم غير مرسلين. وغيرهم يَذْهب إلى أنّه لا يجوز أن يقال: (نبِيّ) حتى يكون مرسلا، والدليل على صحة هذا قوله تعالى: ﭽﮊ ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﭼ فأوجَب للنبِيِّ الرسالة، وأنّ معنى (نبِي) أنبأ عن الله ، ومعنى أنبأ عن الله : الإرسال بِعَينه[1]. وقال الفراء: الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عِيانًا، والنبِيُّ الذي تكون نبوته إلهامًا أو مَنامًا، فكُلّ رَسولٍ نبِيٌّ، وليس كلُّ نبِيٍّ رسولا. قال المهدوى: وهذا هو الصحيح، أنّ كل رسول نبِيٌّ، وليس كل نبِيٍّ رسولا. وكذا ذكَر القاضى عياض في كتاب الشفا، قال: والصحيح والذي عليه الجم الغفير أنّ كلَّ رسول نبِيٌّ، وليس كل نبِيٍّ رسولا، واحتج بحديث أبى ذر، وأنَّ الرسل من الأنبياء ثلاثمائة وثلاثة عشر، أولهم آدم وآخرهم محمد »[2].

ويُشبِه الآية المتقدمة قوله تعالى: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﭼ [الزخرف: ٦].

الأمر الثاني: أنَّ تـرك البلاغ كتمـان لـوحي الله تعـالى، والله لا يُنْـــزِل وحيَه ليُكتم ويـــدفن في صـــدر واحد من الناس، ثمَّ يَموت هذا العلم بِموته[3].

الأمر الثالث: أقوال الرسول الكثيرة والكثيرة الدالة على أنّ النبِي مرسلٌ ومبعوثٌ إلى قومه كالرّسول. مِنها:

---

1 (?) تقرر سابقًا أنه بمجرد إنباء الله أنبياءه صاروا بذلك أنبياء حـتى قبل أنْ ينبئوا غيرهم بأخباره سبحانه وشرائعه، وليُتَنبّه لذلك!

2 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج14/ ص423-424).

3 (?) انظر الأمر الأول والثاني: الرسل والرسالات للأشقر، ص13،والأول خاصة في السلسلة الصحيحة(ج6/ 368).

أولا: ما جاء عن جابر في حديث الخصائص عن النبي ، قال: " **وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً** "[1].

ثم هل يقال: لفظة الرسول والنبي من المترادفات التي إذا اجتمعت تفرقَت، وإذا تفرقَت اجتمعَت، مثله مثل لفظة الرب والإلـه، والإسلام والإيمان، والبر والتقوى، والفقير والمسكين، وغير ذلك؟ وهذا الصحيح.

ثانيًا: ما جاء في حديث الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وفيه قوله : " **مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، ...**" مِن حديث أنس [2].

ثالثًا: في صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " **مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ** ..."الحديث[3].

رابعًا: حديث: " **وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْت** "، فعن الْبَرَاء بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « **إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ..** -وفيه: **آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلاَمِكَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ** ". قَالَ فَرَدَّدْتُهُنَّ لأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: « آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ » قَالَ: " **قُلْ آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ** "[4].

وينَقُل الحافظ ابن حجر –رحمه الله- عن الْقُرْطُبِيّ ما قاله تَبَعًا لِغَيْــرِهِ في شـــرح (قَوْله (وَبِرَسُــولِك الَّذِي أَرْسَلْت، قَالَ: لا؛ وَبِنَبِيِّك الَّذِي أَرْسَلْت، وفي رواية: فَقَـالَ:

---

[1] الحديث متفقٌ عليه، وسيأتي تخريجه في الفصل الثـاني من البـاب الثاني.

[2] صحيح البخاري: كتاب الفتن، بَاب ذكر الدجال، رقم: 7131.

[3] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب بَيَـانِ كَـوْنِ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَـرِ مِنْ الإِيمَانِ..، رقم: 50 .

[4] صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب إِذَا بَاتَ طَـاهِرًا وَفَضْـلِهِ، رقم: 6311، وصحيح مسلم، واللفظ له: كتاب الذكر والدعاء، باب مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، رقم: 2710.

قُلْ وَبِنَبِيِّك)، فيقول: « لَفْظ النُّبُوَّة وَالرِّسَالَة مُخْتَلِفَـان فِي أَصْل الْوَضْع، فَإِنَّ النُّبُـوَّة مِنْ النَّبَأ وَهُـوَ الْخَبَـر، فَـالنَّبِيّ فِي الْعُرْف هُـوَ: الْمُنَبَّأ مِنْ جِهَة اللَّه بِـأَمْر يَقْتَضِـي تَكْلِيفًـا، وَإِنْ أُمِـرَ بِتَبْلِيغِــهِ إِلَى غَيْــره فَهُــوَ رَسُــول، وَإِلا فَهُــوَ نَبِيّ غَيْر رَسُول، وَعَلَى هَذَا فَكُلّ رَسُــول نَبِيّ بِلا عَكْس، فَـإِنَّ النَّبِيّ وَالرَّسُــول اِشْـتَرَكَا فِي أَمْر عَـامّ؛ وَهُـوَ النَّبَـأ، وَافْتَرَقَا فِي الرِّسَالَة، فَـإِذَا قُلْت: فُلان رَسُـول تَضَـمَّنَ أَنَّهُ نَبِيّ رَسُـول، وَإِذَا قُلْت: فُلان نَبِيّ لَمْ يَسْـتَلْزِم أَنَّهُ رَسُــول، فَــأَرَادَ أَنْ يَجْمَع بَيْنهمَا فِي اللَّفْظ لاجْتِمَاعِهِمَا فِيهِ؛ حَتَّى يُفْهَم مِنْ كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا مِنْ حَيْثُ النُّطْق مَا وُضِــعَ لَــهُ، وَلِيَخْــرُج عَمَّا يَكُون شِبْه التَّكْرَار فِي اللَّفْظ مِنْ غَيْر فَائِدَة، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ: " **وَرَسُولك** " فَقَدْ فُهِمَ مِنْهُ أَنَّهُ أَرْسَلَهُ، فَإِذَا قَالَ: " **الَّذِي أَرْسَلْت** "صَارَ كَالْحَشْوِ الَّذِي لا فَائِدَة فِيـهِ، بِخِلافِ قَوْلـه: " **وَنَبِيّك الَّذِي أَرْسَـلْت** " فَلا تَكْـرَار فِيــهِ لا مُتَحَقِّقًا وَلا مُتَوَهَّمًا، اِنْتَهَى كَلامه. وَقَوْله صَـارَ كَالْحَشْـوِ مُتَعَقَّبٌ لِثُبُوتِـهِ فِي أَفْصَح الْكَلام، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﭼ [إبراهيم: ٤] »[1].

ولقد قال النووي –رحمه الله- قبله وهو يَذكُر طائفة من أســباب إِنْكَــار النــبي وَرَدّه اللَّفْظ على صــحابي الحــديث، فَقَــال: « إِنَّمَا رَدَّهُ لأَنَّ ... وَقِيــلَ: لأَنَّ قَوْلــه: (وَنَبِيّك الَّذِي أَرْسَـلْت) فِيـهِ جَزَالَة مِنْ حَيْثُ صَـنْعَة الْكَلام، وَفِيــهِ جَمْع النُّبُــوَّة وَالرِّسَــالَة، فَــإِذَا قَــالَ رَسُــولك الَّذِي أَرْسَلْت، فَإِنَّ هَذَا الأَمْر مَعَ مَا فِيهِ مِنْ تَكْرِير لَفْظ (رَسُــول وَأَرْسَلْت) أَهْل الْبَلاغَة يَعِيبُونَهُ، وَقَـدْ قَـدَّمْنَا فِي أَوَّل شَـرْح خُطْبَة هَــذَا الْكِتَــاب أَنَّهُ لا يَلْــزَم مِنْ الرِّسَــالَة النُّبُــوَّة وَلا عَكْسه »[2].

وفي المعنى نفسه قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- أيضًا: « قَوْله: (قَالَ: **لا، وَنَبِيِّك الَّذِي أَرْسَلْتَ**) قَالَ الْخَطَّابِيّ: ... وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: " **وَنَبِيِّك** " إِلَى أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ رَسُولا، أَوْ لأَنَّهُ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ: " **وَرَسُولِك الَّذِي أَرْسَلْت** " وَصْف زَائِد بِخِلافِ

1 (?) فتح الباري، (ج4/ ص4451-4452).

2 (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص1596.

قَوْلِهِ: " **وَنَبِيِّك الَّذِي أَرْسَلْتَ** "، وَقَالَ غَيْره: لَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ عَلَى مَنْع ذَلِكَ[1]؛
لِأَنَّ لَفْـظَ الرَّسُـولِ لَيْسَ بِمَعْنَى لَفْظ النَّبِيِّ، وَلا خِلافَ فِي الْمَنْع إِذَا اِخْتَلَفَ الْمَعْنَى.
فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَجْمَـعَ الْوَصْـفَيْنِ صَـرِيحًا، وَإِنْ كَـانَ وَصْـف الرِّسَالَةِ يَسْـتَلْزِمُ وَصْـفَ النُّبُـوَّةِ .. أَوْ ذَكَـرَهُ اِحْتِـرَازًا مِمَّنْ أُرسِلَ مِنْ غَيْرِ نُبُـوَّةٍ؛ كَجِبْرِيـلَ وَغَيْـرِهِ مِنْ الْمَلائِكَـةِ؛ لأَنَّهُمْ رُسُــلٌ لا أَنْبِيَــاءُ، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ تَخْلِيصَ الْكَلامِ مِنْ اللَّبْسِ، أَوْ لأَنَّ لَفْظَ النَّبِيِّ أَمْدَحُ مِنْ لَفْظِ الرَّسُـولِ؛ لأَنَّهُ مُشْـتَرِكٌ فِي الإِطْلاقِ عَلَى كُـلِّ مَنْ أُرْسِــلَ بِخِلاف لَفْــظِ النَّبِيِّ، فَإِنَّهُ لا اِشْتِرَاكَ فِيهِ عُرْفًا، وَعَلَى هَذَا فَقَوْل مَنْ قَالَ: كُـلُّ رَسُــولٍ نَبِيٌّ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ لا يَصِحُّ إِطْلاقُهُ. .. » [2].

خامسًا من أدلة كون الأنبياء أُمروا بالتبليغ؛ فــآمن بِهم بعضٌ، وكفَر بِهم الآخــرون: ما يَحصل يــوم القيامــة، حيث يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَــهُ الـرَّجُلانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلاثَـةُ، وَأَكْثَـرُ مِنْ ذَلِـكَ وَأَقَـلُّ، ممن أجـابوهم في دعوتهم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ : " **يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَـهُ الـرَّجُلانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَـهُ الثَّلاثَـةُ، وَأَكْثَـرُ مِنْ ذَلِـكَ وَأَقَـلُّ، فَيُقَـالُ لَـهُ: هَـلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا. فَيُقَالُ مَنْ يَشْـهَدُ لَـكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُـهُ فَتُـدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ فَيُقَـالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. ...**"الحديث[3].

سادسًا: وعَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي، ائْتُوا نُوحًا؛ **فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ**

---

1 رواية الحديث بالمعنى.

2 فتح الباري، (ج1/ص624).

3 سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، بَاب صِفَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، رقم: 4284، وصححه الألباني (الصحيحة، ج5/ ص577، برقم: 2448).

اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، ... الحديث[1]. حيث كان نوحٌ أول من بعثه الله إلى قومٍ خالفوه في التوحيد، وأخذوا يعبدون الأصنام، وإلا فقد كان آدم نفسه وإدريس وشيث أنبياء قبلـه. قال النووي –رحمه الله-: « قَوْله : (وَلَكِنْ اِئْتُوا نُوحًا أَوَّل رَسُول بَعَثَهُ اللَّه تَعَالَى) قَالَ الإِمَام أَبُو عَبْد اللَّه الْمَازِرِيُّ: قَدْ ذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ إِدْرِيس جَدُّ نُوح عَلَيْهِمَا السَّلام، فَإِنْ قَامَ دَلِيل أَنَّ إِدْرِيس أُرْسِلَ أَيْضًا لَمْ يَصِحَّ قَوْل النَّسَّابِينَ: أَنَّهُ قَبْل نُوح لِإِخْبَارِ النَّبِيّ عَنْ آدَم أَنَّ نُوحًا أَوَّل رَسُول بُعِثَ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ دَلِيل جَازَ مَا قَالُوهُ، وَصَحَّ أَنْ يُحْمَل أَنَّ إِدْرِيس كَانَ نَبِيًّا غَيْر مُرْسَل. قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: قَدْ قِيلَ إِنَّ إِدْرِيس هُوَ إِلْيَاس، وَأَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيل، كَمَا جَاءَ فِي بَعْض الأَخْبَار مَعَ يُوشَع بْن نُون، فَإِنْ كَانَ هَكَذَا سَقَطَ الاعْتِرَاض. قَالَ الْقَاضِي: وَبِمِثْلِ هَذَا يَسْقُط الاعْتِرَاض بِآدَمَ وشيث وَرِسَالَتهمَا إِلَى مَنْ مَعَهُمَا، وَإِنْ كَانَا رَسُولَيْنِ؛ فَإِنَّ آدَم إِنَّمَا أُرْسِلَ لِبَنِيهِ وَلَمْ يَكُونُوا كُفَّارًا، بَلْ أُمِرَ بِتَعْلِيمِهِمْ الإِيمَان وَطَاعَة اللَّه تَعَالَى. وَكَذَلِكَ خَلَفَهُ شيث بَعْده فِيهِمْ. بِخِلافِ رِسَالَة نُوح إِلَى كُفَّار أَهْل الأَرْض. قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ رَأَيْت أَبَا الْحَسَن اِبْن بَطَّال ذَهَبَ إِلَى أَنَّ آدَم لَيْسَ بِرَسُولٍ، لِيَسْلَمَ مِنْ هَذَا الاعْتِرَاض، وَحَدِيث أَبِي ذَرّ الطَّوِيل يَنُصُّ عَلَى أَنَّ آدَم وَإِدْرِيس رَسُولانِ. هَذَا آخِر كَلام الْقَاضِي. وَاَللَّه أَعْلَم »[2].

إلى غير ذلك مِن الأدلة الكثيرة التي تَدُلّ على أنّ أنبياء الله تعالى مُرسلين أُمِروا بتبليغ ما حُمّلوا.

وأؤكّد ما تقدم من أنّ لفظة النبي التي وردت في هذه الأحاديث غير مجتمعة بلفظة الرسول، فإنّ معنى الرسول داخلةٌ فيها، على قاعدة: إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا، في جملة من كلمات مترادفة. والله أعلم.

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير، رقم: 4476، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، رقم: 193.

2 (?) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص232.

القول الثانِي: ما قيل في التعريفات: « الرّسول إنسانٌ بَعثَه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام الشرعية » [1]. وقال في النّبِيّ: « النّبِيّ مَن أوحِي إليه بِمَلَك، أو أُلْهِم في قلبه، أو نُبِّه بالرؤية الصالحة. فالرسول أفضلُ بالوحي الخاصّ الذي فوق وحي النبوة؛ لأنّ الرّسول هو مَن أوحَى إليه جبريل خاصة بتنـزيل الكتاب من الله » [2]. وهو قريبٌ من سابقه!

القول الثالث: وهو ما جاء في شرح حديث " **إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُـوَّةَ قَـدْ انْقَطَعَتْ؛ فَلا رَسُـولَ بَعْـدِي وَلا نَبِيَّ** "[3]، من تحفة الأحــوذي: « **النَّبِيُّ فِي لِسَـانِ الشَّرْعِ:** مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ، فَإِنْ أُمِـرَ بِتَبْلِيغِـهِ فَرَسُـولٌ، **وَقِيلَ:** هُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى الْخَلْقِ بِالْوَحْيِ لِتَبْلِيغِ مَا أَوْحَـاهُ. وَالرَّسُولُ قَدْ يَكُونُ مُرَادِفًا لَهُ، وَقَدْ يَخْتَصُّ بِمَنْ هُوَ صَاحِبُ كِتَـابٍ. **وَقِيـلَ:** هُـوَ الْمَبْعُـوثُ لِتَجْدِيـدِ شَـرْعٍ أَوْ تَقْرِيـرِهِ، وَالرَّسُـولُ: هُـوَ الْمَبْعُـوثُ لِلتَّجْدِيـدِ فَقَـطْ. وَعَلَى الأَقْـوَالِ: النَّبِيُّ أَعَمُّ مِنْ الرَّسُولِ »[4].

فالقول الذي صدّر به وحكـاه بصـيغة الجـزم في التفريق بين الرســول والنــبي هو القــول الأول الســابق تفنيده، بينما التي حكاها بصيغة التضعيف أشبه منـه. والله اعلم.

القول الرابع: وهو ما ذكره شيخ مشايخنا الشيخ محمد الأمين الشــنقيطي –رحمه اللـــه- في تفســـير آية الحج: « وآية الحج هذه تبين أنّ ما اشتهر على ألسنة أهل العلم: مِن أنّ (النَّبِي) هو من أوحي إليه وحيٌ ولم يـــؤمر بتبليغه، وأن الرّسول هو النَّبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحى إليه غير صحيح، لأنّ قوله تعالى: ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏ ﭼالآيـــة، يَـدُلّ على أنّ كُلاً منهما مُرسَــلٌ، وأنّهما مع ذلك بينهما تغايرٌ. واستظْهَر بعضهم: أنّ النّبِيّ الـذي هو رسـولٌ

[1] (?) التعريفات للجرجاني، مادة الرسول، ص180.
[2] (?) التعريفات للجرجاني، مادة النبي، ص328.
[3] (?) الحديث في جامع الترمذي، وهو صحيح بشواهده، وسيأتي تخريجه في الفصل الثاني من الباب الثاني.
[4] (?) تحفة الأحوذي، (ج2/ 1828).

أُنْزِل إليه كتابٌ وشَرعٌ مُستقِلٌّ مع الْمعجزة الـتي ثبتَتْ بِها نُبُوَّتُه، وأنّ النَّبِيّ الْمُرسَل الـذي هو غـير الرسـول: هو مَن لَم يَنْزِل عليه كتابٌ، وإنّما أُوحِي إليه أنْ يَـدْعُوَ النـاس إلى شـريعةِ رَسـولٍ قبلـه، كأنبيـاء بنِي إسـرائيل الـذين كـانوا يُرْسَلون، ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بَيَّنَه تعالى بقوله: ﭼﮃﮄﮅﮆﮇﮈﭽ [المائدة: ٤٤]. الآية » [1].

وينقُض هذا الاستظهار رسالة إسـماعيل ويوسف عليهما السلام اللذان أُمرا بالعمل بصحف إبراهيم ..

القول الخامس: وهو ما قرّره شيخُنا الشيخ عبد المحسن –حفظه اللـه-، مع أنه لم يَسـلَم من نقد أيضًـا، حيث ذَكر **أنّ النَّبِيّ مَن أُوحي إليـــه ولم يُـــؤمَر بـالتبليغ في وقت مـا، أو أُمـر بـأن يبلِّغ شـريعة سـابقة، أو يُقـال: النَّبيُّ يُطلـق عليـه الرسـول، والرسـول يُطلـق عليـه النَّبي**، حيث قـال: « وأمَّا الفرق بين النَّبيِّ والرسـول فقـد اشـتهر أنَّ النَّبِيَّ هـو مَن أُوحي إليـه بِشَـرْعٍ ولم يُـؤمَر بتبليغـه، والرسـولَ هـو مَن أُوحي إليه بشَرْعٍ وأُمِر بتبليغه، لكنّ هـذا التفريـق قـد جـاء في بعض الأدلَّة ما يدلُّ على عدم صحَّته، قال الله : ﭼﮛﮜﮝﮞﮟﮠﭽ [الزخرف: ٦]، وقال: ﭼﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﭽ [الحج: ٥٢]، وذلك يدلُّ على أنَّ النَّبيَّ مرسَلٌ مأمورٌ بـالتبليغ، وقال: ﭼﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﭽ [المائدة: ٤٤] الآية، فهذه الآيةُ تدلُّ على أنَّ أنبياءَ بنِي إسـرائيل من بعـد موسـى يَحكمـون بـالتوراة ويـدعون إليهـا. **وعلى هـذا فيُمكن أن يُقال في الفرق بين الرسول والنَّبيِّ:** إنَّ الرَّسـولَ مَن أُوحي إليـه بشـرع وأُنـزل عليـه كتـاب، والنَّبيَّ هو الذي أُوحي إليه بـأن يُبلِّغ رسـالةً سـابقة، وهـذا هو المتَّفق مع الأدلَّة. لكن يبقى عليه إشكال، وهـو أنَّ من المرسَلين مَن وُصف بأنَّه نبِيٌّ رسول، كما قـال اللـه في نبيِّنا محمد : ﭼﭻﭼﭽﭾﭿﮀﭽ [المائدة: ٦٧]، وقال: ﭼﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭽ [التحريم: ١].

---

[1] (?) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج5/ 801-802).

وقال في موسى: ﭽ ﭼ [مريم: ٥١]. وقال في إسماعيل: ﭽﭷﭸﭹﭺﭻﭼ ﭽﭾ ﭿﮀﮁﮂﭼ [مريم: ٥٤]. ونبيُّنا محمد نَزَل عليه الوحيُ أوَّلاً ولم يُؤمَر بالتبليغ، ثم أُمر بعــد ذلك بالتبليغ بقوله: ﭽﮬﮭ ﭼ [المدثر: ١ – ٢]، ولِهذا قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في الأصول الثلاثة: ((نُبِّئ بـ(اقرأ)، وأُرسل بـﭽﮬﭼ، **وعلى هذا فيُقال: النَّبيُّ مَن أُوحي إليه ولم يُؤمَر بالتبليغ في وقت ما، أو أُمر بأن يبلِّغ شريعة سابقة، أو يُقال: النَّبيُّ يُطلق عليه الرسول، والرسول يُطلق عليه النَّبي** »[1].

ويُنقض تقريرُه الأول بِما نُقض به سابقُه من عَمَل إسماعيل ويوسف الرّسولَين بشريعة أبيهما (ما في صحف إبراهيم). وقد نقَد الشيخ الألباني –رحمه الله- تعريف الزمخشري الذي جاء فيه أنّ الرّسول لا بُدّ وأنْ يُنْزل عليه كتاب، وبيّن بأنّ إسماعيل لم يكن له كتابٌ ولا شريعة مجددة [2]، ثم توصل بعد ذلك إلى تعريف له ارتضاه، وسيأتي. كما أنّه مما يُلاحظ على التقرير الأخير ما عُرف من تبليغ نبينا محمد نبوته لزوجه خديجة بُعَيد الإيحاء إليه. وكذلك ما جاء من إيمان أبي بكر وعلي وزيد مولاه.

القول السادس: ترجيح الدكتور عمر الأشقر حفظه الله حيث قال:«والتعريف المختار أنَّ الرّسولَ مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد،والنبيَّ هو المبعوث لتقرير شرع مَن قبله»[3].

وقد مرَّ قريبًا آية كون إسماعيل رسولا، وستأتِي أخرى تدل على أنّ يوسف كذلك، مع أنّهما اتبعا شريعة أبيهما إبراهيم ، وزاد يوسف على إسماعيل باتباع ملة أبوَيه إسحاق ويعقوب. وبهما سقط هذا القول.

---

1 (?) شرح حديث جبريل في تعليم الدين، (ج3/ 38-39، ضمن مجموع كتبه ورسائله).

2 (?) سلسلة الأحاديث الصحيحة، (ج6/ 369).

3 (?) الرسل والرسالات، ص13.

القول السابع: تعريف الشيخ الألبانِي –رحمه الله، وقد توصّل إليه بعد مناقشات لعدد من التعريفات: « ويَبقى تعريف النبي بِمَن بُعِث لتقرير شرعٍ سابق، والرّسول مَن بعثَه الله بشريعة يدعو الناس إليها، سواءٌ كانت جديدة أو متقدمة » [1]. وهذا قريبٌ، وفيه شيءٌ؛ ذلك أنّ إسماعيل ويوسف عليهما السلام بعثا لتقرير شرع سابق، وهما رسولان.

القول الثامن: وهو الصحيح إنْ شاء الله، وبه ينتهي هذا المطلب، ومفادُه: أنّ كُلا مِن الرّسول والنبِيّ مرسلٌ ومأمورٌ بتبليغِ ما أوحي إلَيه، لا أنْ يَعمَل به في خاصة نفسه، فاشتركا في مطلق الإرسال والأمر بالتبليغ، وامتاز الرّسول –على هذا الحدّ- بكون إرساله إلى الذين يُخالفونه في أصل التوحيد ليَدعوَهم إليه، وهذا هو الرسول المطلق عند الإطلاق. أما إذا كان المدعوون قومًا مؤمنين، لكنهم يَرتكبون مخالفات دون الشرك، فهذا نبِيّ وهو رسولٌ، لكنْ ليس رسولا على الإطلاق. وهذا أهم وأسلم مَعْلَمٍ يتميّز به الرّسول عن النبيّ. وقد يكون رسولا ولم يأتِ بكتاب، ولا نسَخ شيئًا من شريعة قبله -خلافًا لِمَن زعمَه- بل يَعمل بها ويدعو إليها. وهذا القول الصحيح هو الذي قرره شيخ الإسلام –رحمه الله- بأروَع تقرير؛ فبيّن المعالم المعتبرة من غيرها حيث قال: « والمقصود هنا: الكلام على النبوة؛ فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأ الله به؛ فإنْ أُرسِل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول. **وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يُبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبِيّ، وليس برسولٍ**[2]؛ قال تعالى: ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏ

---

[1] سلسلة الأحاديث الصحيحة، (ج6/ 369).

[2] هذا الكلام متناقض بِما قبله وما بعده، حيث تقرر في أوله: أنّ النبي -بعدما ينبئه الله- ينبئ هو غيره بما أنبأه الله به، كما قرر الشيخ فيه أخيرًا –وهو يُعلق على الآية- أنّ النبي كذلك مُرسل. ثم نقضه الكلامُ الذي توسط التقريرين، والذي نصّه: (وإما إذا ... ولم يُرسل إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالة: فهو نبِيٌّ وليس برسول). وقد رجعتُ إلى النسخة المحققة بتحقيق: د. عبد العزيز الطويان من كتاب النبوات

ﮎ ﮎ ﮒ ﮒ ﮔ ﮔ ﮕ ﭼ [الحج: ٥٢]، وقوله: ﭽ ﮊ ﮊ ﮎ ﮎ ﭼ؛ فذكَر إرسالاً يَعُمّ النوعين، وقد خص أحدهما بأنّه رسول؛ فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله؛ كنوح. وقد ثبت في الصحيح أنّه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء؛ كشيث، وإدريس عليهما السلام، وقبلهما آدم كان نبيّاً مكلّمًا. .. فأولئك الأنبياء يأتيهم وحْيُ من الله بما يفعلونه ويَأمرون به المؤمنين الذين عندهم؛ لكونِهم مؤمنين بهم؛ كما يكون أهل الشريعة الواحدة يَقْبلون ما يبلّغه العلماء عن الرسول. وكذلك أنبياء بنِي إسرائيل يَأمرون بشريعة التوراة، وقد يُوحى إلى أحدهم وحيٌ خاصٌ في قصّة معينة، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالِم الذي يُفهِّمه الله في قضية معنى يطابق القرآن؛ كما فهَّم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو وداود. فالأنبياء ينبئهم الله؛ فيُخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره. وهم يُنبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي. فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، ولا بُدّ أن يكذّب الرسلَ قومٌ؛ قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ [الذاريات: ٥٢]. وقال: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ [فصلت: ٤٣]؛ فإنّ الرسل تُرسَل إلى مخالفين؛ فيكذّبهم بعضهم. ... فقوله: ﭽ ﮈ ﮈ ﮊ ﮊ ﮊ ﮎ ﮎ ﭼ: دليلٌ على أن النبيّ مُرسَل، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنّه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنّه حقّ؛ كالعالِم، .. ليس من شروط الرّسول أنْ يأتِي بشرع جديد. وليس من شرط الرّسول أنْ يأتي بشريعة جديدة؛ فإنّ يوسف كان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة؛ قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [غافر: ٣٤]. .. »[1].

وأكْبِر بِهذا القول، مِن هذا المحقق[2]، وجزاه الله خيرًا. فالرسول -بتقريرات هذا العالم- هو: مَن أنبئه الله

فوجدته كذلك (إحالة قادمة).

1 (?) كتاب النبوات، (ج2/ ص857-865).

بأخبـاره وأوامـره ونواهيـه وأرسـله إلى مَن خـالف أمـره ليبلغه رسالةً من الله إليه، فالرسل: مَن أرسلوا إلى كفار يدعونَهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له. ولا بُدّ أنْ يُكـذِّب الرسـلَ قـومٌ، والرسـول يسـمى رسـولا على الإطلاق؛ لأنه يرسـل إلى قـوم بمـا لا يعرفـون. وليس من شرطه (الرسول) أنْ يأتي بشريعة جديـدة، فيوسـف على ملة إبراهيم، وداود وسـليمان عليهم السـلام على شـريعة التوراة. والنبي كذلك ينبئ غيره بمـا أنبـأ اللـه بـه، لكنـه لا يسمى رسولا على الإطلاق؛ لأنه لم يُرسل إلى قوم بما لا يعرفونـه، كالعـالم، (والعلمـاء ورثـة الأنبيـاء[1]). والأنبيـاء يـأتيهم وحي من اللـه في قضـايا معينـة بالـذي يفعلونـه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم. والأصل أنهم يعملـون بشريعة من قبلهم. كأنبيـاء بـني إسـرائيل[2]. واللـه تعـالى أعلم.

المطلب الرابع: معنى مقام النبوة والرسالة:

إذا رُكِّبت كَلمة (مقام) بكلمة (النبوة أو الرّسالة) ليتألّف منهما معنى ثالث فإنّه يتحصّل من الاثنين (مقام النبوة والرّسالة -المركّب الإضافي-):
أنه هي الْمنْزلة التي اختص بِها الأنبياء والرسل وأنزلَهم الله إياها لدعوة أقوامهم خاصة، أو الناس عامة إلى عبادته سبحانه وتعالى. ويَنتُج عَنهما: **أنّ منـزلة النبوة والرسالة** –والتي هي واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم تبارك وتعالى لخلقه ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة- **مَنـزلةٌ رفيعة، ودرجة عاليةٌ** –في حقّ

---

2 (?) وقد أشاد بِهذا التفريق بين الرسول والنـبي د. عبد العزيز الطويـان وغـيره وذكـروا أنّه من أسـلم التعريفـات من الانتقـادات، ومن أرجح التفريقات (انظر: حاشية 2 –ج2/ ص873 من كتاب النبوات).

1 (?) الحديث في السنن وهو صـحيح، وسـيأتي تخريجه في نهاية الفصل الأول من الباب الأول.

2 (?) انظر/ الحاشية الثانيـة، لتحقيق كتـاب النبـوات لابن تيميـة، بقلم د. عبد العزيز الطويان،(ج2/ ص863-864).

المرسَل نفسه- **وامتنانٌ من الله يَمُنّ بِها عليه، واصطفاءٌ مِن الرّبّ له من بين سائر النّاس، وهِبةٌ ربّانيّةٌ يَختصّه الله بِها من بين الخلق كُلّهم**- وأنّها ليست **مُكتسبةً؛** تنال بعلم ولا رياضة، كما لا تُدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها، وإنّما هي محض فضل إلهيّ، ومجرّد اصطفاء ربانيّ، وأمر اختياريّ؛ فهو جلّ وعلا كما أخبر عن نفسه: ﭽﮑﮒﮓﮔﮕ ﮖﮗﮘﭼ [آل عمران: ٧٤]**،** فالنبوة إذًا لا تأتي باختيار النبيّ، ولا تنال بطلبه. وهذا سيأتِي مزيدٌ عليه.

وأما في حقّ المرسَل إليهم: فالنبوة والرسالة نعمتا الله المهداة منه سبحانه إلى عبيده، وفضل إلهيّ يتفضّل بهما عليهم لصلاح معاشهم ومعادهم[1]. قال الحافظ بان كثير –رحمه الله- وهو يُعرّف بالرسل: (هم سفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة، وإبلاغ الأمانة)[2].

وأما عن خصوص مقام رسالة نبينا محمد ﷺ:

فهو تلك المنزلة العظيمة التي اختصه الله تعالى بها دون أمته، ودون بقية الأنبياء، على حدّ قول الباري أنّه فضّل بعض النبيين على بعض. وأخْبَرنا سبحانه بمقام رسالته في آيات كثيرة، منها قوله:

ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭼ [البقرة: ١١٩]. وقوله: ﭽﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ [آل عمران: ١٤٤]. وقوله: ﭽ ﭼ [النساء: ١٧٠]. وقوله: ﭽﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﭼ [التوبة: ١٢٨]. وقوله: ﭽ ﭼ [الأحزاب: ٤٠]. وقوله: ﭽﭑ ﭒ ﭓﭔﭼ [الفتح: ٢٩].

والله أعلم.

[1] انظر: قسم التحقيق من كتاب النبوات لشيخ الإسلام، بقلم د. عبد العزيز الطويان، (ج1/ ص25-26).

[2] تفسير القرآن العظيم، (ج1/ص492).

المبحث الرابع: معنى "الفِرَق" لغةً، واصطلاحا، وبيان المراد بـ"ـالفِرَق المنتسبة إلى الإسلام"،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى "الفِرَق" لغةً.

المطلب الثاني: معنى "الفِرَق" اصطلاحًا.

المطلب الثالث: المراد بِمُصطلح "الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام".

المطلب الأول: معنى "الفِرَق" لغةً:

الفِرَقُ لغة: جمع فِرقةٍ[1] –بكسر فاء الكلمة، فالسكون، ثم الفتح-، وهي الطائفة من الناس، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭼ [التوبة: ١٢٢].

والفريق الطائفة من الناس أكثر وأكبر من الفِرقة[2].

فـ« الفاء والراء والقاف أُصَيلٌ صحيح يدلّ على تَمييزٍ وتزييلٍ بين شيئَين »[3].

وفرّق بين القوم: يُفرِّق تفريقًا، وتفرِقةً، والقاضِي بين الزوجين، أي: أحدث بينهم فُرقةً، وحكم به بينهما، وبين الأشياء، قسّمها.

وتفرّق الرجلان أو الطائفتان: ذهَب كلٌّ منهما في طريق، وتفرّق الشيءُ: أي: تبدّد.

والفُرقة: الافتراق.

وكثيرًا ما تكون الفُرقة بالآراء، كما أنّ أكثر ما يكون الفِراق بالأبدان[4].

ويُجمِل ابن منظور –رحمه الله- هذه المعانِي، فيقول ناقلا ومُقرِّرًا: « الجوهري: فَرَقْتُ بين الشيئين، أَفْرُق فَرْقًا وفُرْقانًا، وفَرَّقْتُ الشيءَ تَفْريقًا، وتَفْرِقةً؛ فانْفَرقَ، وافْتَرَقَ وتَفَرَّق، قال: وفَرَقْتُ أَفْرُق بين الكلام، وفَرَّقْتُ

---

1 (?) انظر: القاموس المحيط، مادة فرق، ص845 .

2 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة فرق، ص809، والقاموس المحيط، ص845 .

3 (?) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة فرق، ص843 .

4 (?) انظر: القاموس المحيط، مادة فرق، ص845، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص685-686، وانظر نوعَي الفُرقة بالتوسع، في كتاب: موقف الصحابة من الفُرقة والفِرَق، ص105-112 .

بين الأَجسام. قال: وقول النبي ﷺ: "**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا**[1]" بالأَبدان؛ لأَنه يقال: فَرَّقْتُ بينهما فَتَفَرَّقا. والفُرْقة مصدر الافْتِرَاقِ، قال الأَزهري: الفُرْقة اسم يوضع موضع المصدر الحقيقي من الافْتِرَاقِ، وفي حديث ابن مسعود -ﷺ-: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمنىً رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمْ الطُّرُقُ[2]، أي: ذهب كلٌّ منكم إلى مذهب، ومَالَ إلى قول، وتركتم السُّنة. وفارَقَ الشيءَ مُفَارقةً وفِرَاقًا: بايَنَهُ. والاسم الفُرْقةِ. وتَفَارق القومُ؛ فَارَقَ بعضهم بعضًا، وفَارَقَ فلان امرأته مُفَارقةً وفِراقًا: بايَنَها. والفِرْقُ والفِرْقةُ والفَرِيقُ: الطائفة من الشيء المُتَفَرِّق، والفِرْقةُ: طائفة من الناس، والفَرِيقُ أكثر منه »[3]. والله أعلم.

المطلب الثاني: معنى "الفِرَق" اصطلاحًا [4]**:**

سبق القول بأنّ (الفِرقة) لغة، هي الطائفة من الناس، إلا أنّ هذا اللقب لا يُطلَق عليهم إلا إذا كان هناك ما يُميِّزهم عن الكُلّ الأكبر، كالألعاب مثلا، والرأي، والمذهب، والمقالة، وغيرها، فتُدعَى بذلك. فالفِرقة إذًا – في الاصطلاح-: **هي الطائفة من الناس دعَت إلى معتقد أو شيءٍ معيَّن،** بحيث تَميزّت به عن غيرها، وعُرِفَت به.

وهذا المعنى هو نفسُه المعنِي به في علم الأهواء والنِّحَل وفنّ الملل، إلا أنّه يُقيّد بالاختلاف الذي يُسبِّبُ الاختلاف والعداء، وينتُج عنه القتل والقتال، لذا قيل: «

---

[1] (?) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في: كتاب البيوع، بَاب الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، رقم: 2110، ومسلم في صحيحه في: كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، رقم: 1532.

[2] (?) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في: أبواب تقصير الصلاة، بَاب الصَّلاةِ بِمِنًى، رقم: 1084، ومسلم في صحيحه في: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب قصر الصلاة بِمنى، رقم: 695.

[3] (?) لسان العرب، مادة (فرق)، وانظر: المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم، (ج1/ ص460).

[4] (?) انظر مفهوم الفِرقة عند كتّاب الملل والنحل عمومًا، وشيخ الإسلام خصوصًا: من مقدمة الدراسة لكتاب التبصير في الدين، ص 106-122 .

الفِرْقة: عبارة عن حِزبٍ والَى وعادى على بدعة »[1]. وهذا أحد التعاريف الاصطلاحية لِهذا الأمر، وأنّ الفِرَق كانت توالِي وتعادي على هوى. وسيأتِي تعريفٌ آخر أوضَحَ من هذا لاحقًا.

ولا يَدخُل في الفِرَق الاختلافات في فروع الدين، فلا يقال: فرقة الشافعية، أو المالكية، لكنْ يقال: فرقة الخوارج، أو فرقة المعتزلة، .. لأنّ الخلاف هنا كان في المعتقد، ولِهذا لم يُدرِج علماءُ الفرَق في كتُبهم (الفرق بين الفرق، واعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين ..وغير ذلك) ما يتعلق بالمذاهب الفقهية؛ لأنّ **تعريف العلماء لِمصطلح الفِرقة** له علاقة بالمغزى الاعتقادي لِهَذه الطائفة المتعيِّنة[2].

والمتأمل للنصوص الشرعية يرى أنّها ذمّت الافتراق والفُرقة، وحذَّرت منه بأساليب متنوعة؛ فحينًا يُحذَّر منه نَفسه، وآخر يُحذَّر منه بالتحذير من الوقوع في أسبابه، أو التحذير منه بذكر آثاره الدنيوية والدينية والأخروية، أو بالذكر بأنّ الله تعالى لا يُحبُّه ولا يرضاه، أو ببيان ضدّه والأمر به، (وهو الاجتماع) أو بيان أنّ الاجتماع سبيل الأنبياء والمرسلين، بينما يكون عكسه خروج عن سبيلهم، وعدولٌ عن منهجهم، إلى منهج المشركين وأهل الكتاب المنهي عن مشابهتهم.

ومِن هذه الأدلة قوله تعالى: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭼإلى قوله: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﭼ [آل عمران: ١٠٣-105]. وقال: ﭽﭻ ﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﭼ [الأنعام: ١٥٣]. وقال: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝ ﭞﭟﭠﭡﭼ [الأنعام: ١٥٩]. وقال: ﭽﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﭼ [الروم: ٣١ – ٣٢]. وقال: ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﭼ [الشورى: ١٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﭬ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا**

---

1 (?) قاله الدكتور أبو زيد مكي، في كتابه مادة مقالات الفِرَق، ص10 .

2 (?) انظر: ومقدمة الدراسة لكتاب التبصير في الدين، ص97-98 .

بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولا تفرّقُوا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، ... "[3].

وسيأتِي في هذا الذمّ أيضًا الحديث الْمُلقَّب بـ(حديث افتراق الأمم).

ثم إنّ ذمّ الله ورسولِه الفُرقة والافتراق يَحمل الْمُسلم الناصح لنفسه على تبيُّن هذا الأمر المذموم، ليقِف على حقيقته ثم يجتنبه. وبعد البحث تبيَّن: أنّ الافتراق هو سمة للفِرَق المعنِيّة في عنوان هذه الرسالة (مقام العبودية والرسالة لنبينا محمدٍ ﷺ، وموقف الفِرَق المنتسبة ..)، فالذي عنَيتُه بالبحث هنا: افتراقٌ خاصٌ، وداخلِي في جسم الأمة الإسلامية، بينما الذي أشرتُ إلى أنّ النصوص الشرعية حذرّت منه بتلك الأساليب مع بعض تلك النصوص إنما هو: افتراقٌ عامٌ؛ هذا وغيرُه (داخلِيٌّ وخارجيٌّ).

ومِن صُوَر الافتراق والفُرقة الداخلية في الأمة الإسلامية المعنِية هنا، قبل ذكر ضابطه:

أولا: تفريق الدين والاختلاف فيه، وذلك بالإيمان ببعض ما جاء به رسول الله ﷺ، دون بعضٍ، لنوع تأويل أو شبهةٍ، والاختلاف في الأصول المهمة، والقواعد الكلية التي قررها الكتاب والسنة، فأجمع عليها سلف الأمة. وهذا النوع من الخلاف والافتراق افتراق لا يُعذر فيه. ولكّل الفِرَق المخالفة لأهل السنة نصيبٌ فيه. وهو سببٌ في الهلاك والتباب والخسران، ويورث العداوة والبغضاء، ويُفضِي إلى التضليل والتفسيق والتكفير، ويُمزِّق وحدة المسلمين.

ثانيًا: مفارقة جماعة المسلمين الذين هم عموم أمة الإسلام في عهد الرسول ﷺ، ومَن كان على هدي أهل السنة بعد ظهور الافتراق، مفارقة هؤلاء، والخروج عنهم -بأصلٍ أو بأكثر-، وشقّ عصاهم؛ فيَخرُج المُفارق عن السنة بأصلٍ مِن أصول الدين الاعتقادية منها أو العملية، أو

---

[3] صحيح مسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلبِ ما لا يستحقه، رقم: 1715.

المتعلقة بالمصالح العُظمى للأمة، ومِن ذلك الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم بالسيف.

ثالثًا: التفرُّق في صفوف أهل الإسلام والسنة.

ويتضمن الصورتين قبله.

وبِما سبق يظهَر جليًّا أنّ الافتراق المنهي في حديث افتراق الأمم الآتي ذكره وتخريجه، والمعنِي به هنا في العنوان: هو افتراق مخصوصٌ، وهو ما فيه صورة من الصور المتقدمة، وبذلك أخلص إلى ارتضاء الضابط القائل: « افتراق في دين الله بعدم الدخول فيه كافة، والاختلاف فيه، ومفارقةٌ لجماعة المسلمين، وخروج عنها، وتفرُّقٌ في صفوف المسلمين، ووحدة كيانِهم وعقيدتهم، وأهدافهم العظمى »[1].

كما يُمكن القول بأنّ المراد بـ(الفِرَق) في حديث افتراق الأمم هو: « **الفِرَق المفترقة عن طريق السنة والجماعة، المفارِقة لأئمة المسلمين وجماعتهم، السالكة لغير سبيل السنة وأهلها، المباينة لنهج السلف الصالح** »[2]. فـ(الفِرَقَ المذمومة) في اصطلاح الشرع هي: كما قال الشاطبي –رحمه الله-: « **وذلك أنّ هذه الفرق إنما تصير فِرَقًا بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلّيٍّ في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جُزئيٍّ من الجزئيات، إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببه التفرق شِيَعًا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية؛ لأنّ الكليات نصٌّ من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل، ولا بباب دون باب** »[3].

ثم طلب –رحمه الله- اعتبار مسألة التحسين العقلي كمثالٍ، حيث هو أصلٌ واحدٌ إلا أنه اندرج تحته فروع

---

1 (?) المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم، (ج1/ ص489).

2 (?) المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم، (ج1/ ص489) تحت عنوان: المراد من الافتراق في الحديث.

3 (?) الاعتصام للشاطبي، (ج2/ 197).

كثيرة، ذلك لأنّ المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافًا في فروع لا تنحصر؛ ما بين فروع عقائد، وفروع أعمال.
ثم قال: « **وَيَجري مجرى القاعدة الكلية: كثرة الجزئيات، فإنّ المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضًا، وأما الجزئيّ فبخلاف ذلك** »[1].
فالافتراق والتفرق: « **هو الخروج عن السنة والجماعة في أصلٍ أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية منها أو العبادية. أو الخروج على أمة الإسلام وجماعتهم بالسيف** »[2].
فتحصل بما تقدم أنّ ضابط الافتراق هو ما كان في حالين:

1- **مخالفة أهل السنة في أصلٍ كلّي من قواعد الشرع الكلية...**
2- **مخالفتهم في فروعٍ وجزئيات كثيرة تُخرج المخالف عن سَمْتِهم، وهديهم، كبِدَع الشعائر والعبادات إذا كثُرت[3].**

وتقول إحدى الباحثات[4] –حفظها الله- بعد كلامٍ لَها طويل في تعريف الفرقة والافتراق: « مما سبق يمكن تعريف الفُرقة والفِرق في الاصطلاح بالآتِي: **الفُرقة: هي الخروج عما كان عليه النبِيّ وأصحابه، وعن جماعة المسلمين في أصل أو أكثر من أصول الدين، سواءٌ كانت أصول اعتقادٍ أو أصول عملٍ، فمَن خرج عن معنى كلِّيٍّ، أو قاعدةٍ أصيلة، فـيُعد خروجه فُرقة، وصاحبه مفارقًا. وكذلك مَن خرج على جماعة المسلمين وإمامهم بالسيف، وكان خروجه عن اعتقادٍ يعتقده يخالف به أصول**

---

1 (?) المصدر نفسه، (ج2/ 197).
2 (?) مادة مقالات الفرق، للدكتور أبي زيد بن محمد مكي، ص11 .
3 (?) انظر: دراسات في الأهواء والفِرَق والبِدَع، (ج1/ ص41-42).
4 (?) هي الدكتور أسماء بنت سليمان بن عبد الرحمن السُّوَيلم.

الكتاب والسنة فخروجه فُرقة، وصاحبه مفارقًا[1]**، وهو بِهذا يكون فِرقة هو وأتباعه. أما إنْ كان قوله يخالف أصلا اعتقاديًّا أو عمليًّا وكان وحده ولم يكن له أتباع، ففعله فُرقة، ويُعتبر مفارقًا، ولكن لا يُعتبر بأقواله فِرقة، لأنّ الفرقة تكون أكثر من واحدٍ كما ورد في اللغة. وقد يخرج الرجل وأتباعه عن الجماعة وإمامهم بالسيف، ولكن ليس بسبب مخالفة في الاعتقاد، بل مجرد بغيٍ وعدوان (بسبب دُنِيَويّ) فهذا يعتبر مفارقًا، وفعله فُرقة، ولكنه ليس بصاحب فِرقة، ولا يعد من ضمن الثنتين وسبعين فرقة المذكورة في الحديث، لأنها فِرَق مخالفة في أصول الاعتقاد، أو العمل** كما هو ظاهر قول العلماء، والله أعلم »[2].

وهذه الفِرق ما صارَت فِرَقًا إلا لافتراقها واختلافها عن: منهج السنة وأهله، اختلافًا يكون من آثاره العداء والحسد، والولاء والبَرَاء .. (أي: خلافٌ في أصول الاعتقاد والقطعيات، والإجماع). ولِمفارقتها وخروجها عن جماعة المسلمين وإمامهم (أيْ: فيما يؤدي إلى الشذوذ عن جماعة المسلمين). ويكون ذلك عن هوى، بحيث لا يعْذَر صاحبُه. والافتراق: أشد أنواع الاختلاف وثمرة من ثماره[3].

وأعيد هنا فأقول: إنّ شِعَار هَذِهِ الْفِرَقِ هو مُفَارَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ.

فائدة ومسألة: هل تُعد أهل السنة والجماعة -السلف الصالح- (فِرقة)؟

---

[1] (?) هكذا قالت: والأصوَب: وصاحبُه مفارقٌ، والله أعلم.

[2] (?) موقف الصحابة من الفُرقة والفِرق، ص104 .

[3] (?) انظر للوقوف على أوجه الفرق بين الافتراق والاختلاف، والعمـوم والخصوص الذي بينهما: دراسات في الأهواء والفِـرَق والبِـدَع، وموقف السلف منها، (ج1/ـ 37)، وموقف الصحابة من الفرقة والافـتراق، ص 113-118 .

نعم، تُعدّ أهل السنة فرقة؛ **أولا:** بالمعنى اللغوي، وهو الطائفة من الناس -كما مرّ-، فهم ليسوا كلّ المسلمين، بل جُزءٌ منهم. وقال بعضهم: تُعدّ فِرقة كذلك باعتبارها قسيمة للمفارقين، فيُطلق عليها ذلك: من باب المشاكلة والمقابلة. **وهذا الوجه الثانِي.**

والثالث: يُعدُّون فِرقة لا لأنّهم فارقوا، فهم باقون على الأصل الذي كان عليه الرسول وصحابتُه ، ومتمسِّكون بالإسلام كلِّه عقيدة وعبادة، (الإسلام الخالِي مِن البدعة)، بل لأنّهم فورقوا، فهم الفِرقة الناجية في الدنيا مِن البِدَع، وفي الآخرة مِن الوعيد بالنار. وأما الفِرَق الأُخرى فهِي واقعة في البِدَع في الدنيا، ومتوَعَّدة هالكة في الأخرى. وهذه المسألة تؤخذ من الاستثناء الذي في حديث الافتراق، وأنّ المستثنى هنا –والله أعلم- جزءٌ مِن المستثنى منه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : **" افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتْ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً "**[1].

كما أنّها تؤخذ من بقية الروايات التي تنصّ على وعيد الفرق المفارقة، إلا في الفرقة الناجية[2]، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ** "[3].

لذا فإنَّ من أسماء وألقاب أهل السنة والجماعة: الفِرقة الناجية، والطائفة المنصورة[4]، وهما علَمَان من أعلامهم،

---

1 (?) الحديث في سنن أبي داود وغيره، وهو صحيح، كما سيأتي تخريجه.

2 (?) انظر: موقف الصحابة من الفُرقة والفِرَق، ص105، وكتاب مادة مقالات الفرق، ص10.

3 (?) الحديث في سنن ابن ماجه وغيره، وهو صحيح بشواهده كما سيأتي تخريجه.

4 (?) انظر: وسطية أهل السنة بين الفِرَق، ص136-142، وفِرَق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (ج1/ ص45).

وستأتي بقية ألقابهم عند التعريف بهم في موضعه. والله أعلم.

المطلب الثالث: المراد بمُصطلَح "الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام":

مصطلح "**الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام**" حرْفٌ قديمٌ قِدَم نشأة الفِرَق نفسِها. وسيأتِي تقريرُه!

والانتساب إلى الإسلام مثلُه مثل بقية الانتسابات -كالانتساب إلى النّسَب والبلد وغيرهما- صحة وضعفًا، وصدقًا وكذبًا، فقد يكون مقطوع الصحة به، أو عكسه، أو متردَّدًا فيهما؛ فَمَن أخبرَك –مثلا- بانتسابه إلى هذا الدين فقد يكون خبرُه هذا مطابقًا لحقيقة ما كان المخبر عليه، من اعتقادات وأقوال وأفعال جاء الإسلام بِها –كتابًا وسنة-، فهنا يكون المُخبِر صحيحَ الإسلام، لِمواطئة خبره مَخْبَره. كما أنّه قد لا يكون على الإسلام الصحيح لاعتقادات عنده، أو أنه على أقوال وأفعال تناقض مقتضاه، فهو ينتسب إليه، وهو في الحقيقة عنه من الأبعدين، كحال كثيرٍ مِن الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام والتي أجمع العلماء والأئمة قديمًا وحديثًا -كما سيأتِي- على مناقضتها للإسلام الذي تدَّعيه.

وهذان كلاهما في الأشخاص المعيَّنين أو الفرقة والجماعة المعينَة. لا في الأفعال والصفات القائمة.

وهناك نوعٌ ثالثٌ، هو راجعٌ إلى الأفعال، فتردّد أو اختلف الأئمة والعلماء على صحة إسلامها وعدم ذلك، وذلك لِمخالفتها لأصول هذا الدين، وهذا التردد أو الاختلاف إما لأجل المخالفة نفسها، هل هي في أصلٍ كلِّيٍّ مِن أصول هذه الشريعة، وهل كانت في الأمور المعلوم من الدين بالضرورة، وهل النصوص قاطعة فيها، أم الأمر خفيّ يخفى مثلُه عادة.

وإما أنْ يكون الفعل كفرًا بلا خلاف، لكنّ الفِرْقة المعينة الواقعة فيه لم يجتمع فيها شروط تكفيرها، أو قامتْ موانع، عند بعض العلماء، فكفَّرها، ولم تَقُم عند الآخرين، فأطلق على الفعل الكفر، دون الفِرقة.

فالمنتسبون إلى الإسلام جميعُهم باعتبار ما سَبقَ على هذه التقسيمات الثلاثة:
قسمٌ: انتسب إلى هذا الدين الحنيف، مِن أفراد، وقبائل، وجماعات، وكان انتسابهم صحيحًا؛ فصاروا مسلمين حقًّا، من كثيرٍ مِن الأوس والخزرج، بل الصحابة عمومًا، ومَن تبعهم بإحسان، وعاش على سنة المصطفى إلى يوم الدين؟! ومِمَّن يصحّ انتسابُه إلى الإسلام أيضًا: الشيعة (الذين لم يعتقدوا الكفريات التي يشار إليها لاحقًا) والزيدية التي لم تعتقد آراء الرافضة. وكذلك بقية المبتدعة من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، والصوفية الأوائل[1] التي جاءت قبل وضعهم الشطحات والكفريات، وغير أولئك. **وقسمٌ** كفَر بالدين: كالجهمية الخالصة[2]. أو تظاهر بالانتساب إليه، وهو في الحقيقة ليس منه، بل لَم يكُنْ له نصيبٌ منه إلا اسمًا، مِن المنافقين والزنادقة، من مثل ابن أُبَيٍّ ابن سلول، وكذا ابن سبأ اليهودي الذي لم يَخْفَ تاريخُه عن المسلمين، وأتباع ابن سبأ: غُلاة الشيعة الذين يؤلِّهون البشر، ويُعطونه خصائص الله، وكذا الذين يدّعون النبوة لأُناس بعد الرسول محمدٍ ﷺ، ويغْلُون فيهم.. ومثلُهم غلاة الصوفية الذين يَصرِفون أنواعًا من العبادات –كالاستغاثة والدعاء عمومًا وغير ذلك- إلى غير الله، ويتوجَّهون بِها إلى عِباد الله، والذين ينْسبون علم الغيب إلى غير الله، والذين يزعمون حلول الباري سبحانه في مخلوقاته والاتحاد بِهم[3]، والذين يُفضِّلون شيوخَهم على رسول الله ﷺ، أو يُسَوُّونَهم به في الخصائص والفضائل التي امتاز بِها .. وكذلك الاثنا عشرية: الذين يعتقدون ما رسَمَه الزنادقة؛ في عقائدهم الكثيرة من البداء (الذي حقيقتُه آيِلٌ إلى نسبَة الجهل إلى الله سبحانه)، والرجعة، وعصمة الأئمة، وتفضيل أو مساواة الأئمة للأنبياء عليهم

---

[1] سيأتِي تعريف كلِّ هذه الفِرَق لاحقًا في باب الفِرق (الباب الثالث من هذه الرسالة).
[2] سيأتِي التعريف بالجهمية في باب مواقف الفرق من النبي ﷺ (الباب الثالث).
[3] انظر: الاعتصام للشاطبي، (ج2/ 193).

الصلاة والسلام، واعتقاد تحريف القرآن؛ (بالتغيير والنقص والزيادة)، واعتقاد وجود مصاحف غير القرآن الذي بين أيدي المسلمين، ومَن يُكفِّر واسطة الله تعالى بين الرسول وعموم المسلمين (وهم الصحابة) كُلّهم أو جُلَّهم، في جملةٍ مِن عقائدهم الكفرية.

ومن الفِرَق المعاصرة[1]: القاديانية التي تعتقد عدم انقطاع النبوة بالنبوة المحمدية ، فتدّعي بأنّ رأسَها (غلام أحمد القاديانِي)[2] نبِيٌّ.

والفِرقة المدعوة: بالقرآنيين التي كَفَرَت بِما جاء به رسول الله من الحكمة والبيان، فكَفَرت في الحقيقة بالقرآن.

والبابية والبهائية اللتان تزعمان أنّ لهما شريعة، وقرءانًا يَخُصّ كلّ واحدة منهما غير ما عند المسلمين. وتُفضِّلان رأسَيْهِما على رسول ربِّ العالمين، محمد عليه أزكى صلاة وأتم تسليم. بل ويدّعي رأساها النبوة والرسالة، والإلهية والربوبية.

وكذلك كلّ مذهبٍ أو فِرقة وضع لنفسه شرائع غير شريعة الله، وقال بجواز ذلك، أو قالتْ بأنّ التحاكم إليه هو الأنسب والأفضل لأهل هذا العصر، أو أنّ ذلك يساوي التحاكم إلى شريعة الله الذي جاء به محمد ..

فلا شكّ أنّ هؤلاء كلّهم ناقضون للإسلام الذي ادّعَوا الانتساب إليه .. فهُم وإن ادّعَوا الإسلام والانتساب إليه إلا أنّهم خرجوا عنه بأصلٍ أو أصولٍ كلِّية، ولذا فإنّ الأئمة والعلماء قديمًا وحديثًا مُجمعون على أنّ مثل هؤلاء لا يصِحّ لهم إسلام، وهم مرتدُّون ما داموا معتقدين بتلك النواقض التي أشرْت إليها!

وكثير من هؤلاء دخل في الإسلام وتسمى باسم أهله لكنه أدخله الحقدُ الدفين فيه على هذا الدين وعلى انتشاره؛ أو تظاهر بالدخول فيه للعمالة والجاسوسية لأعداء الدين من اليهود والنصارى وغيرهم من الحاقدين،

---

1 وسيأتي ترجمة كلّ فرقة من هذه الفرق في فصل كلّ واحدة منها الخاص بها.

2 سيأتِي ترجمته في فصل القادينية.

وقد يدخل فيه دخولا صحيحًا أو يولَد فيه ثم ينتكس ويخدُم أعداءه لسبب أو لآخر، عياذًا بالله!

وقسم آخر ممن انتسب إلى الإسلام: مَن اختلف الصحابة والعلماء فيهم، فكفَّرهم بعضٌ، ووسَمهم بالبدعة الآخَرون، مثل الخوارج الذين كفَّروا الصحابة يوم صِفين، واستحلُّوا دماء المسلمين؛ بدءًا بإمامهم عليٍّ ، مجيزين الخروج عليه.. وغيرها.

والمعتبر في الانتساب إلى الدين: هو القول والفعل الموافق لحقيقة الإسلام ولُـبّه، والمأخوذ من القرآن والسنة، واتباعهما، لا الأسماء والألقاب ومجرد الانتساب!

وقد قرّر العلماء –رحمهم الله تعالى- كلّ ما سبق في مدوناتهم، وليس هنا مكان بسطه، لكنْ أرى أنْ أنْقُل هنا بعض النقولات عن علَمَين من أعلام المسلمين، فيهما بعض ما تقدم. أما الأول فعن أبي محمد علي بن أحمد، المعروف بابن حزم[1] (ت456هـ) –رحمه الله-: فمنها قولُه: « فِرَقُ الْمُقِرِّين بِملة الإسلام خمسة: وهم: أهل السنة، والمعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، ثم افتَرَقَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِن هذه على فرق: وأكثَرُ افتراق أهل

1 (?) **ابن حزم**: عالمٌ ذو فنون ومعارف، علي بن أحمد بن سعيد، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير الظاهري، ولد أبو محمد بقرطبة سنة: 384هـ وتوفي سنة: 456هـ ، قال الذهبي عنه: « كان قد مهر أولا في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيرا ليته سلم من ذلك ... إنه رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظير على يبس فيه، وفرط ظاهرية في الفروع لا الأصول. قيل: إنه تفقه أولا للشافعي، ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله جليه وخفيه، والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث، والقول بالبراءة الأصلية، واستصحاب الحال ... بسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وسب وجدع، ... فالكمال عزيز، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله . وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر. وفيه دين وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، ... فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه »، من كتبه: المجلى وشرحه المحلى بالحجج والآثار، والفصل، والإحكام لأصول الأحكام، وغير ذلك، فرحمه الله.

(قف على/ترجمته الموسعة في: السير للذهبي، ج11/ ص90-103، ومقدمة محقق الفِصَل في الملل، ج1/ ص5-8).

السنة في الفتيا، .. ثم سائر الفرق الأربعة التي ذكرنا: ففيها ما يُخالف أهل السنة الخلاف البعيد، وفيهم ما يُخالفهم الخلاف القريب، .. . وأما أصحاب أحمد بن حابط، وأحمد بن مالوس، والفضل الحرّاني، والغالية من الروافض والمتصوفة، والبَطيحية؛ أصحاب أبي إسماعيل البطيحي، ومن فارق الإجماع من العجاردة[1] وغيرهم، فليسوا من أهل الإسلام، بل كفارٌ بإجماع الأمة. ونعوذ بالله من الخذلان »[2].

وقال: « وقد تسمى باسم الإسلام مَن أجمع جميع فِرَق الإسلام على أنه ليس مسلمًا، مثل طوائف من الخوارج؛ غَلَوا، فقالوا: إنَّ الصلاة ركعةٌ بالغداة، وركعةٌ بالعشيّ فقط. **وآخرون** استحلوا نكاح بنات البنين، وبنات البنات، وبنات بِنِي الإخوة، وبنات بِنِي الأخوات. وقالوا: إنّ سورة يوسف ليسَتْ مِن القرآن. **وآخرون منهم:** قالوا بِحد الزّانِي والسارق ثم يستتابون من الكفر؛ فإنْ تابوا، وإلا قتلوا. **وطوائف كانوا من المعتزلة** ثم غَلَوا؛ فقالوا: بتناسخ الأرواح. **وآخرون منهم**، قالوا: إنّ شحم الخنـزير ودماغه حلالٌ. **وطوائف من المرجئة،** قالوا: إنّ إبليس لم يسأل الله قط النظرة، ولا أقرّ بأنّ خلقه من نار، وخلق آدم من تراب. **وآخرون**، قالوا: إنّ النبوة تكتسب بالعمل الصالح.

وآخرون كانوا من أهل السنة[3] فغَلَوا، فقالوا: قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الأنبياء، ومن الملائكة عليهم السلام، وأنَّ مَن عَرَف الله حق معرفته فقد سقطت عنهم الأعمال والشرائع. وقال بعضهم بحلول الباري تعالى في أجسام خلقه؛ كالحلاج[4] وغيره. **وطوائف كانوا من الشيعة ثم غَلَوا**، فقال بعضهم بإلهية علي بن أبي طالب والأئمة بعده. **ومنهم** مَن

---

[1] ستأتي ترجمة الفرق المذكورة في الباب الثالث.

[2] الفصل لابن حزم، (ج1/ 316-317).

[3] هنا أهل السنة بالمعنى العـام (في مقابل الرافضـة)؛ لأنّ هـذا من أقوال غلاة الصوفية، وليس من أقوال أهل السنة المحضة.

[4] ستأتي ترجمته في فصل الصوفية.

قال بنبوته، وبنبوتِهم، وبتناسخ الأرواح كالسيد الحميري الشاعر[1] وغيره. **وقالت طائفة** بنُبُوّة المغيرة بن أبي سعيد مولي بني بجلة. وبنُبُوّة أبي منصور العجلي. وبَزيع الحايك. وبيان ابن سمعان التميمي وغيرهم[2]. **وقال آخرون منهم** برَجعة عليّ إلى الدنيا، وامتنعوا من القول بظاهر القرآن. وقالوا: إنّ لظاهره تأويلات؛ فمنها: أنْ قالوا: السماء محمد، والأرض أصحابه، وأنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة: أنّها هي فُلانة، يعنِي: أم المؤمنين رضي الله عنها. وقالوا: العدل والإحسان هو علي. والْجبت والطاغوت: فلان وفلان، يعنُون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. وقالوا: الصلاة هي دعاء الإمام. والزكاة هي ما يعطى الإمام. والحج القصد إلى الإمام. وفيهم خناقون ورضاخون.

وكلُّ هذه الفِرَق لا تتعلق بحجة أصلاً، وليس بأيديهم إلا دعوى الإلهام، والقحة، والمجاهرة بالكذب، ولا يلتفتون إلى مناظرة، ويكفي مِن الردّ عليهم أن يقال لهم: ما الفرق بينكم وبين مَن ادّعى أنّه أُلْهم بطلانُ قولكم؟ ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا. وأيضًا: فإنّ جميع فرق الإسلام متبرئة منهم، مُكفِّرة لَهم مُجمعون على أنَّهم على غير الإسلام. نعوذ بالله من الخذلان »[3].

ثم عقد عنوانًا، قال فيه: « خروج أكثر هذه الفِرَق عن دين الإسلام »[4]، فقال: « الأصل في خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أنّ الفُرسَ كانوا من سعَة الملك، وعُلوّ اليد على جميع الأمم .. فلمَّا امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرَب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفُرس خطَرًا، تعاظمهم الأمر، وتضاعف لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، ففي كلّ ذلك يُظهِر الله تعالى الحق، .. فرأَوا أنّ كيدَه على الحيلة أنجع، فأظهر قومٌ منهم الإسلام، واستمالوا

---

1 (?) المدعو السيد الحميري الشاعر.

2 (?) ستأتي التعريف بهذه الفرق لاحقًا، والتعريف بمعظميهم هؤلاء.

3 (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج1/ ص317-319) .

4 (?) المصدر نفسه، (ج1/ ص319) .

أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ، واستشناع ظلم عليّ ، ثم أخرجوهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام .. وقد سلك هذا المسلك أيضًا عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي، فإنّه –لعنه الله- أظهَر الإسلام ليكيد أهلَه، فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان ، وأحرق عليٌّ بن أبِي طالب طوائف أعلنوا بإلهيته. ومِن هذه الأصول الملعونة: حدثت الإسماعيلة والقرامطة، وهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة، .. فإذا بلغ الناس إلى هذين الشعبين أخرجوه عن الإسلام كيف شاءوا، إذْ هذا هو غرضهم فقط، فالله اللهَ عباد الله في أنفسكم، ولا يَغُرَّنكم أهل الكفر والإلحاد، ومَن موّه كلامه بغير برهان، لكن بتمويهات ووعظ، على خلاف ما آتكم به كتاب ربّكم، وكلام نبيِّكم ، فلا خير فيما سواهما، واعلموا أنّ دين الله تعالى ظاهرٌ لا باطنَ فيه، وجهرٌ لا سرَّ تحته، كلُّه برهان لا مسامحة فيه، واتهموا كلّ مَن يدعو أنْ يُتَّبع بلا برهانٍ، وكلّ مَن ادعى أنّ لله ديانةً سِرًّا وباطنًا، فهِي دعاوى ومخاريق. واعلموا أن رسول الله لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا أطلع أخص الناس به؛ مِن زوجة أو ابنة، أو عم أو ابن عم، أو صاحب، على شيء من الشريعة كتَمَه عن الأحمر والأسود، ورُعاة الغنم، ولا كان عنده [1] سِرٌّ ولا رَمْزٌ ولا باطنٌ، غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتمهم شيئًا لَما بَلَّغ كما أُمِر، ومن قال هذا فهو كافرٌ، فإياكم وكلَّ قولٍ لم يَبِنْ سبيلُه، ولا وَضُح دليلُه، ولا تعرجوا عما مضى عليه نبيكم ، وأصحابُه »[2].

أما النقولات عن العلَم الثانِي فهي عن شيخ الإسلام ابن تيمية (728هـ، منها: قوله -رحمه الله-: « وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْمُظْهِرُونَ للإِسْلامِ إلا قِسْمَانِ: مُؤْمِنٌ أَوْ مُنَافِقٌ، فَالْمُنَافِقُ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ، وَالآخَرُ مُؤْمِنٌ، ثُمَّ قَدْ يَكُونُ نَاقِصَ الإِيمَانِ فَلا يَتَنَاوَلُهُ الاسْمُ الْمُطْلَقُ، وَقَدْ يَكُونُ تَامَّ الإِيمَانِ وَهَذَا يَأْتِي الْكَلامُ عَلَيْهِ -إنْ

[1] هكذا، السلام مفردًا بدون الصلاة، والْمأمور اثنان.
[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج1/ ص317-320) .

شَاءَ اللَّهُ- فِي مَسْأَلَةِ الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ، وَأَسْمَاءِ الْفُسَّاقِ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ؛ لَكِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا أَنَّهُ لا يُجْعَلُ أَحَدٌ بِمُجَرَّدِ ذَنْبٍ يُذنبه، وَلا بِبِدْعَةٍ ابْتَدَعَهَا -وَلَوْ دَعَا النَّاسَ إلَيْهَا- كَافِرًا فِي الْبَاطِنِ إلا إذَا كَانَ مُنَافِقًا. فَأَمَّا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ الإِيمَانُ بِالرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَقَدْ غَلِطَ فِي بَعْضِ مَا تَأَوَّلَهُ مِنْ الْبِدَعِ، فَهَذَا لَيْسَ بِكَافِرٍ أَصْلا؛ وَالْخَوَارِجُ كَانُوا مِنْ أَظْهَرِ النَّاسِ بِدْعَةً وَقِتَالا لِلأُمَّةِ، وَتَكْفِيرًا لَهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُكَفِّرُهُمْ لا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلا غَيْرُهُ، بَلْ حَكَمُوا فِيهِمْ بِحُكْمِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ، .. وَكَذَلِكَ سَائِرُ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُنَافِقًا فَهُوَ كَافِرٌ فِي الْبَاطِنِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُنَافِقًا بَلْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي الْبَاطِنِ، لَمْ يَكُنْ كَافِرًا فِي الْبَاطِنِ، وَإِنْ أَخْطَأَ فِي التَّأْوِيلِ -كَائِنًا مَا كَانَ خَطَؤُهُ-؛ وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِهِمْ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ، وَلا يَكُونُ فِيهِ النِّفَاقُ الَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ. وَمَنْ قَالَ: إنَّ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكْفُرُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ فَقَدْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَإِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، بَلْ وَإِجْمَاعَ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ وَغَيْرِ الأَرْبَعَةِ، فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ كَفَّرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الثِّنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّمَا يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِبَعْضِ الْمَقَالاتِ »[1].

ويتكلم شيخ الإسلام –رحمه الله- عن الرد على المبتدعين، ومتى يكون عملا صالحًا وقربة، وهو ما إذا قُصد به بيان الحق وهدى الخلق ورحمتهم، لا التشفي والانتقام، فيقول: « وهذا مبنِي على مسألتين: **إحداهما:** أنّ الذنب لا يوجب كُفر صاحبه، كما تقوله الخوارج، بل ولا تخليده في النار ومنع الشفاعة فيه، كما يقوله المعتزلة. **الثانِي:** أنّ المتأوِّل الذي قصدُه متابعة الرسول لا يكفر، بل ولا يُفسّق إذا اجتهد فأخطأ. وهذا مشهورٌ عند الناس في المسائل العملية. وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفّر المخطئين فيها. وهذا القول لا يُعرَف عن أحدٍ

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج17/ 218).

من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحدٍ من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البِدَع الذين يَبتدعون بدعة، ويُكفِّرون مَن خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع ذلك في كثيرٍ من أتباع الأئمة، كبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم. وقد يسلكون في التكفير ذلك، فَمِنهم مَن يُكفِّر أهل البِدَع مطلقًا، ثم يجعل كلّ مَن خرج عما هو عليه مِن أهل البِدَع. .. وليس هو قول الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وليس فيهم مَن كفّر فيهم كلّ مبتدعٍ، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك، ولكن قد يُنقل عن أحدهم أنّه كفّر مَن قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أنّ هذا القول كُفرٌ لِيُحذَر، ولا يلزم إذا كان القول كفرًا أنْ يكفُر كلّ مَن قاله مع الجهل والتأويل، فإنّ ثبوت الكفر في حق الشخص المعيّن، كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه .. وإذا لم يكونوا في نفس الأمر كفّارًا ولم يكونوا منافقين، فيكونون من المؤمنين، فيُستغفر لهم ويترحم عليهم، وإذا قال المؤمن: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭼ [الحشر: ١٠]. يَقصد كلّ مَن سبَقَه مِن قرون الأمة بالإيمان، وإنْ كان قد أخطأ في تأويلٍ تأوله فخالف السنة، أو أذنب ذنبًا فإنّه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل في العموم وإنْ كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنّه ما من فرقةٍ إلا وفيها خلقٌ كثيرٌ ليسوا كفارًا، بل مؤمنون فيهم ضلالٌ وذنبٌ يستحقون به الوعيد، كما يستحق عُصاة المؤمنين. والنبِيّ ﷺ لم يُخرِجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يَقل: إنّهم يُخلّدون في النار، فهذا أصلٌ عظيمٌ ينبغي مراعاتُه .. وأصحاب الرسول ﷺ -علِيٌّ وغيرُه- لم يُكفّروا الخوارج الذين قاتلوهم .. ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نحو نصفهم، ثم قاتل الباقي وغلَبَهم، ومع هذا لم يَسْبِ لهم ذرِّية، ولا غنم لهم مالا، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين، كمسيلمة الكذّاب وأمثاله، بل كانت سيرة عليٍّ والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة، ولم يُنكِر أحدٌ على عليٍّ ذلك،

فعُلِم اتفاق الصحابة على أنّهم لم يكونوا مرتدين عن دين الإسلام »[1].

ثم إنّه قد أشرت إلى أنّ مصطلح (الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام) قديمٌ؛ وسأنتقي من النصوص القديمة نصوصًا عن جماعة من علماء الفِرَق تدل على قِدَم الْمُصطلح، وهؤلاء الْخُبراء من علماء الفرق هم: الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي **(**ت: 429هـ)، وأبو المظفّر شاهفور بن طاهر الإسفرايينِي (ت 471هـ) -رحمهما الله-، وثلاثة نقول عن مُختصِّين ومتخصصين في الفِرَق من المعاصرين:

أولا: فعن **الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (**ت:429هـ) –رحمه الله- في كتابه: (الفَرْق بين الفِرَق، وبيان الفِرقة الناجية منهم، وعقائد الفِرَق الإسلامية وآراء كبار أعلامها) فقد عقد الباب الرابع لبيان الفِرَق التي انتسبتْ إلى الإسلام، وليست منه، وقد ضمَّن هذا الباب سبعة عشر فصلا. وقد كان قبل ذلك، -وفي الباب الثانِي تحديدًا- تكلم عن فِرَق الأمة على الجملة، ومَن ليس منها على الجملة. فقال مما قال: « وإنْ ضم إلى الأقوال بِما ذكرناه بدعة شنعاء نُظر: فإنْ كان على بدعة الباطنية، أو البيانية، أو المغيرية، أو الخطابية، الذين يعتقدون إلهية الأئمة، أو إلهية بعض الأئمة، أو كان على مذاهب الحلول، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ، أو على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات، وبنات البنين، أو على مذهب اليزيدية من الإباضية في قولها: بأنّ شريعة الإسلام تُنسخ في آخر الزمان، أو أباح ما نصّ القرآن على تحريمه، أو حرّم ما أباحه القرآن نصًّا لا يحتمل التأويل، فليس من أمة الإسلام، ولا كرامة له. وإنْ كانت بدعتُه من جنس بِدَع المعتزلة، أو الخوارج، أو الرافضة الإمامية، أو الزيدية، أو من بدَع النجارية، أو الجهمية، أو الضرارية، ...، فهو من الأمة في بعض الأحكام، وهو جواز دفنه في مقابر

[1] (?) منهاج السنة النبوية، (ج5/239-241).

المسلمين، وفي أنْ لا يُمنع حظه من الفيء والغنيمة إنْ غزا مع المسلمين، وفي أن لا يمنع من الصلاة في المساجد، وليس من الأمة في أحكام سواها..»[1].

ثانيًا: ولقد قلّد البغدادي في نسج مثلِ بابَيه **تلميذُه أبو المظفّر شافور بن طاهر بن محمد الإسفراييني** (ت: 471هـ) –رحمه الله- فقال في كتابه (التبصير في الدين، وتمييز الفِرقة الناجية عن الفِرَق الهالكين): « الباب الثاني: في بيان فِرَق الأمة على الجملة: .. ومن جملة الروافض الإمامية؛ وهم خمس عشرة فرقة: محمدية، وباقرية وناووسية، وشميطية، وعمارية، وإسماعيلية، ومباركية، وموسوية، وقطعية، واثنا عشرية، وهشامية، وزرارية، ويونسية، وشيطانية، وكاملية. فهذه جملة فرق الروافض الذين يعدون في زمرة المسلمين. فأما البيانية، والمغيرية، والمنصورية، والجناحية، والخطابية، والحلولية منهم: فلا يُعدون في زمرة المسلمين؛ لأنَّهم كلَّهم يقولون بإلهية الأئمة، كما نُفَصِّلُه فيما بعد إن شاء الله» [2].

وذكر أسماء الخوارج وأنّهم عشرون فرقة من بين السبعين، وأنّ من فِرَق الخوارج: العجاردة، واليزيدية، فقال فيهما: « ولا تُعدُّ اليزيدية مِن فِرَق الإسلام؛ لأنَّهم جوَّزوا فسخ شريعة الإسلام، وذلك خلاف إجماع المسلمين. ومن جملة العجاردة فرقةٌ يقال لهم: المَيمونية، ولا يُعَدُّون مِن فِرَق المسلمين؛ لأنّهم يُجوِّزون التزوج ببنات البنات، ويبيحونه، وذلك خلاف ما عليه المسلمون » [3].

وذكر القدرية المعتزلة وأنّهم عشرون فِرقة، ثم قال: « وفرقتان من هذه الجملة لا يُعدَّان مِن فِرَق الإسلام، وهما: الخابطية والحمارية، كما نذكرُه فيما بعدُ »[4].

---

1 (?) الفرق بين الفرق، ص22-23، وانظر عن: الفِرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه مفصَّلة، وأنّها عشرون فرقة عنده، ص233-316.

2 (?) التبصير في الدين، (ص181-182) .

3 (?) المصدر نفسه، (ص182) .

4 (?) المصدر نفسه، (ص182) .

وقد ذكرها في أواخر الكتاب، فقال: « الباب الثالث عشر: في بيان **فِرَق أهل البدع الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يُعدّون في زمرة المسلمين**، ولا يكونون من جملة الاثنين والسبعين، وهم أكثر من عشرين فرقة جملة وتفصيلا » فذكرها وذكر أوجه خروجها من الدين مفصّلا، وهي: السبائية والبيانية، والمغيرية، والحربية، والمنصورية، والجناحية، والخطابية, وقال: وهم خمس فِرَق وكلهم يقولون بأنّ الأئمة كانوا آلهة، وكان افتراقهم إلى هذه الخمس الفرق بعد صلب أبِي الخطاب: وهي: المعمرية، والبزيغية، والعميرية، والمفضلية، والخطابية المطلقة. ثم ذكر الغرابية، والشريعية والنميرية. ثم ذكر الحلولية، وهم فرق، حلولية الرافضة؛ وهم الذين ادعوا حلول الإله سبحانه في الأئمة. وآخرون حدَثوا بعدهم، ومنهم: المقنعية، والرزامية، والبركوكية، والحلمانية، والحلاجية، والعذافرة.. وكلهم كان غرضهم إفساد التوحيد على المسلمين. ثم ذكر الْخُرّمية، وأنّهما فرقتان، الأولى قبل دولة الإسلام، وهم المزدكية، والثانية: ظهروا في دولة الإسلام، كالبابكية، والمازيارية، ويُسمون: المحمرة. وذكر أهل التناسخ، والمعنِي هنا: الذين ظهروا من دولة الإسلام من القدرية وغلاة الروافض. وذكر خابطية القدرية. والحمارية القدرية، ويزيدية الخوارج، وميمونية الخوارج. وختمها بـ(الباطنية، وكان كلامه عن هذه الفرق الخارجة عن الإسلام في عشرات الصفحات[1].

ثالثًا: وهكذا تكلم العلماء –رحمهم الله تعالى- في مسألة الانتساب إلى الإسلام إلى أنْ جاء **شيخنا الشيخ الدكتور غالب بن علي عواجي** –حفظه الله- في جملة من المعاصرين، في الفصل الذي عَقَده لبيان (المراد بأمة الإسلام) من كتابه في هذا الباب: (**فِرَق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف**

---

1 ([?]) انظر: التبصير في الدين، (ص326-365) .

الإسلام منها)، لينْقُل لنا عن بعض الناس من كتاب الفرق بين الفِرَق:

أنّ المنتسبين إلى الإسلام اختلفوا في الذين يدخلون –بالاسم العام- في ملة الإسلام إلى:

1. أنّ التسمية شاملةٌ كلَّ مُقِرٍّ بنبوة محمدٍ ﷺ، وأنّ كلَّ ما جاء به حقٌّ، كائنًا قولُه بعد ذلك ما كان.
2. أنّها تشمل كلَّ مَنْ يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة.
3. أنّها تشمل كلَّ مَنْ أقرّ بالشهادتين ظاهِرًا وباطنًا[1]، ولو كان مُضمِرًا للنفاق والكفر.

فيقوم بالتعليق على هذه الأقوال ناقلا ومُقرِّرًا: « والواقع: أنّ تلك الأقوال لا تخلو مِن إيرادٍ عليها، وانتقادٍ لها، فقول الكعبِي الأول، وقول مجسِّمة خراسان الأخير يَنقُضه ما وقع من يهود أصفهان مِن إقرارهم بنبوة محمدٍ ﷺ إلى العرب خاصةً لا إلى بنِي إسرائيل، وكذا قال قومٌ مِن موشكانية اليهود –نسبة إلى زعيمهم موشكان- فإنّهم أقرُّوا بجميع شرائع الإسلام، ونَفَوا أنّ الرسول محمدًا ﷺ نبِي إلى كافة البشر، بِما فيهم اليهود.

ومع ذلك فإنّهم ليسوا بِمسلمين، ولا تُعتبَر أقوالهم ضمن أقوال الفِرق الإسلامية.

والصحيح في هذا كلّه أنّه لا يدخُل في الإسلام إلا مَنْ أقرّ به ظاهرًا وباطنًا، والتزم بالإيمان بالشريعة الإسلامية، ثم إذا كان له بعض البِدَع فإنّه يَنـزِل مِن الإسلام حسَب قربِه أو بُعده عنه، ويُعامَل على هذا الأساس. ويُحترز مِن تكفير شخصٍ بعينه إلا إذا ظهر كُفرُه مِن قوله أو فعلِه أو اعتقاده بعد إقامة الحجة عليه »[2].

وأعلّق على القول الثالث الذي أورده شيخنا هنا بأنّه متناقضٌ في نفسه، إذْ كيف يقال: أقرّ بالشهادتين ظاهرًا وباطنًا، ثم يُقال: ولو كان مُضمِرًا للنفاق والكفر؟ فالأمر

---

[1] رجعتُ إلى أصل هذه الأقوال الثلاثة، والذي هو الفرْق بين الفِـرَق، ص29، فوجـدتُ أنّ القـول الثـالث الـذي عقَّبْت عليه في المتن، جـاء بألفاظ لا إشكال فيها.

[2] فرق معاصرة، (ج1/ ص59-60).

إما أنْ يُقِرّ بالشهادتين ظاهرًا لا باطنًا، فيُضمِر النفاق والكفر في قلبه خُفيةً، أو يُقرّ بِهما ظاهرًا وباطنًا فيقوم بمقتضاهما فيصحّ إسلامه .. والله تعالى أعلم.

رابعًا: يقول الدكتور أبو زيد بن محمد في كتابه: (**مادة مقالات الفرق): في بيانه انقسام الفرق إلى إسلامية ومنتسبة:** « ثانيًا: بالنسبة للفرق فإنها تقسم على العموم لا على الأفراد كالتالي:

1) **فرق إسلامية**: أي لم تصل بمقالاتها إلى حد الخروج مِن الإسلام، بل تعد من الفرق الثنتين وسبعين، كالخوارج على القول الراجح، والمرجئة والجبرية والزيدية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية، وإنْ كان قد يوجد في بعض مقالاتهم ما يُحكم عليه بالكفر، ولكن هم في الجملة فرق إسلامية.
2) **وهناك فرق خارجة عن الإسلام بأقوالِها وأفعالها**، وإنْ كانت تنتسب إليه مِن أجل هدمه في عقائده وشرائعه، مثل فرق الشيعة الغلاة من سبئيّة وفرق باطنية كالإسماعيلية والنُّصَيرية والدروز، والبابية والبهائية والقاديانية.
3) **وهناك فرق اختلف في تصنيفها** كالجهمية[1] والرافضة (الشيعة الإمامية)، وإنْ كان الراجح أنها مِن الفرق المنتسبة، ولكن أهل العلم لم يطلقوا عليها التكفير بالعموم، فكان منهجهم فيهم أنهم يقولون: مَن قال بخلق القرآن فهو كافر، ولم يكفروا الجهمية بأعيانهم. وكذلك مع الرافضة، يقولون: مَن قال: القرآن ناقصٌ فهو كافر، ولم يكفِّروا الرافضة بأعيانهم. والله تعالى أعلم »[2].

---

1 (?) إنْ كان مراده: الجهمية الخالصة التي ستأتي ترجَمتها: فهذه قد اتفق السلف على تكفيرها، إلا إذا أراد من فيه نوعُ تجهم، كالمعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن، والأشعرية والماتريدية الذين ينتهي قولهم إلى نحو قول المعتزلة.

2 (?) مادة مقالات الفرق، للدكتور أبي زيد بن محمد مكي، ص16 .

خامسًا وأخير: قال باحث آخر في رسالته: (**موقف الطوائف المنتسبة إلى الإسلام** من وجود الله، وإيجاده المخلوقات): « ولم يُهمل العلماءُ الكلام على مسألة الفِرَق التي يُقبَل منها انتسابها إلى الإسلام قبولا كليًّا، أو قبولا نسبيًّا، أو يُرَدُّ انتسابها إلى الإسلام ردًّا باتًّا[1].

وكلّ هؤلاء الفِرَق (أعنِي: صحيح الإسلام منها، ومدّعيه) هم المعنيون عندي في هذا البحث (مقام العبودية والرسالة لنبينا محمد ، **وموقف الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام منهما** -غُلُوًّا وجفاءً-)، ولم أَخُصَّ به منتسبةً دون أخرى. وكلّ فِرقَة لم أُصَرِّح أو أُشِر إليها مُبيّنًا غُلُوَّها أو جفاءَها (موقفها) تجاه عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ فإنّ ذلك مِما يُستدرك عليّ، وذلك لأنِّي أردت استيعاب المواقف ..! والله تعالى المستعان!

وإلى هنا أتيتُ إلى نِهاية المدخل الذي جعلْتُه في التعريف بالمصطلحات (**شرح مفردات عنوان البحث**).

والآن سأنتقل إلى الباب الأول من أبواب هذه الرسالة، والذي عَنْوَنْتُه بـ: **مقام العبودية لنبينا محمد** ، وأسأل الله تعالى الإعانة.

[1] (?) وهو الباحث سيرين إلْمان انجاي (انظر: ص18، من رسالته - رسالة علمية بالجامعة الإسلامية).

الباب الأول:مقام العبودية لنبيِّنا محمدٍ ، وفيه تمهيدٌ وفصلان:

التمهيد: الشهادة بأنَّ محمدًا عبدُ الله، وفائدةُ ذلك**.**

الفصل الأول: بشرية النبِيِّ محمدٍ ، وبيان انتفاء خصائص البشرية عن الله تعالى، وفيه تمهيدٌ، وأحَدَ عشَرَ مبحثًا.

الفصل الثانِي: كمال عبوديـته عليه الصلاة والسلام، ولازم ذلكَ، وفيه تمهيدٌ، وعشرة مباحث.

لتمهيد: الشهادة بأنَّ محمدًا عبدُ الله، وفائدةُ ذلك:

اطّلَع على الخطة أحَدُ الفضلاء فوقعَت عينُه على عنوان هذا التمهيد، فاستغرب جدًّا، وقال: نحن مطالبون بالشهادة للنبِيّ محمدٍ بالرسالة، أما هذا فلا أراه، وليس مما تعوّد العلماء ذكرَه عند كلامهم على الشهادتين (شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله). قلت له: نحن –حقًا- مطالبون بذلك، وأوردتُ حديث عبادة الآتِي، وأجبتُه عن الذي ذكر مِن صنيع العلماء بأنهم يكتفون بما أتَى مِن تصريح هذا المعنى في الجزء الأول من الشهادة (أشهد أنْ لا إله إلا الله) فيكتفون به عن هذه الدلالة التي هي لازمٌ لذلك، والتصريح أولى مِن اللزوم، ثم ذكرت له مِن فوائد ذلك، وأنه مانع للغلوّ. وكأنّه لم يقتنع بعدُ؛ فإذا بفاضلٍ آخر علينا داخل، فقال له الشيخ: هل هناك شهادةٌ ثالثةٌ (هي الشهادة لِمحمد بالعبودية) زيادة على الشهادتين؟ ..كما يقول الطالب! وهذا الشيخ الفاضل المستغرِب لا أختلف وإياه –أبدًا- في ذمّ الغُلوّ في حق الرسول فضلا عمّن هو دونه، فخلافُنا لفظي. إلا أنّه ظنَّ وخاف أنْ تُبتَدَع شهادة ثالثة، وتُلزَم الأمة بِها، وهذا –في رأيه- شيءٌ لم يكن عليه العلماء. والأمر ليس كذلك، وهذا الحوار أكّد فِيَّ العزمَ على إبقاء هذا العنوان، وحاجته إلى مزيدٍ من الإيضاح!

فأقول مستعينًا بالله:

شهِد أجلُّ شاهدٍ (الله) بأجلِّ مشهودٍ به وأعظمه وأعدلِه وأصدقه (الإلهية) لنفسه الكريمة، وشهد له بذلك ملائكتُه وأولو العلم[1]، فقال: ﭽﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂﮃ ﭼ [آل عمران: ١٨].

ومع ذلك فقد « أجمع المسلمون على أنَّ الكافر إذا قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادةَ الحق، ولم يتوقف إسلامُه على لفظ الشهادة، وأنه قد دخل في قوله: " **حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ** "[2] وفي لفظ آخر: " **حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ**

[1] (?) انظر: مدارج السالكين، (ج3/ 444).

إلاَّ اللَّه "[1] فدلّ على أنَّ مُجرّد قولهم: لا إله إلا الله شهادة منهم، وهذا أكثر مِن أنْ تُذكرَ شواهدُه من الكتاب والسنة[2]، فليس مع مَن اشترط لفظ الشهادة دليلٌ يُعتمَد عليه، والله أعلم »[3]. وقال ابن القيّم –رحمه الله-: « فمَن تكلم بشيءٍ وأخبر به فقد شهد به، وإنْ لم يتلفظْ بالشهادة »[4]، لِهذا فليس كلامي هنا عن النطق بلفظ (ش هـ د)، بل عن إثبات صفة العبودية له ، ونسبتها إليه، واعتقاد موجبها ومقتضاها فيه ، وذلك كلّه عملا ببعض هذه النصوص التي جاءت في هذا الباب، فنحن وكما أننا مطالبون شرعًا بالشهادة بالرسالة لمحمد ، والإيمان بذلك، فكذلك نحن مطالبون بالشهادة بأنه (عبد الله)، ويدلُّ على هذا عدة نصوصٍ جاء فيها مادة (ش هـ د) متعلِّقًا بعبودية محمدٍ لله ، كما تعلّق برسالته، ومِن ذلك:

أولا: حديث التشهد الآتِي، وفيه: " **أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** "[5].

ثانيًا: حديث شِكَاية الناس تأخّر المطر في المدينة، وفيه تشهُّد النبيِّ متعجِّبًا، " **أشهد أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير، وأنِّي عبدُ الله ورسولـه**"[6]، وذلك بعد نزول المطر على إثر دعائه .

---

2 (?) إشارة إلى حديث ابن عمر وغيره في صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ،رقم: 25، وصحيح مسلم:كتاب الإيمان، باب الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ..، رقم: 22.

1 (?) إشارة إلى حديث أبِي هريرة وجابر بن عبد االله في صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة...، رقم: 2946، وصحيح مسلم، الكتاب والباب، رقم: 21.

2 (?) وقد ذكر جملةً كبيرة من شواهده من الكتاب والسنة ابن القيم في مدارج السالكين، (ج3/ ص444).

3 (?) مدارج السالكين، (ج3/ 444).

4 (?) مدارج السالكين، (ج3/ 444).

5 (?) الحديث متفق عليه، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص 439.

6 (?) الحديث حسنٌ، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص439

ثالثًا: حديث الشجاع القاتل نفسه في خيبر، وفيه: " **الله أكبر! أشهد أنِي عبدُ الله ورسولُه** "[1].

رابعًا: حديث خَبِيئَة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : " **رَبِّ مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، مُصَدِّقًا لِسَانَهُ قَلْبُهُ، أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ »**[2].

خامسًا: رواية لحديث بعث معاذ إلى اليمن، وفيه: " **فقل لَهم: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا عبدُه ورسوله، فإن أجابوك بذلك؛ فاقبل منهم** " [3].

سادسًا: من أذكار الصباح والمساء، " **اللهم إني أصبحتُ أشهدك، وأُشْهِد حملةَ عرشِك، وملائكتَك، وجميعَ خلقك، أنَّك أنتَ الله لا إله إلا أنت، وأنّ محمداً عبدُك ورسولُك** "[4].

سابعًا: في حديث أنّه سأل أحدُ الصحابة[5] النبيَّ ﷺ عن الإيمان، ما هو؟ قال**: " أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ..**الحديث[6].

ثامنًا: حديث إرداف معاذ ﷺ على الدابة، وفيه: " **ما من عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه إلا حرَّمه الله على النار** "[7].

تاسعًا: حديث الذكر بعد الوضوء وإسباغه، وفيه: " **... ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ**

---

1 (?) صحيح البخاري، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص446.

2 (?) مسند الإمام أحمد، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص 448.

3 (?) سندُ الحديث فيه مَن لَم يوثّق، وأصله في الصحيحين، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص441.

4 (?) حديث أبي داود والترمذي، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص443.

5 (?) هو أبو رَزين العُقيلي ﷺ .

6 (?) الحديث منقطعٌ سنده، وله شاهدٌ في الصحيحين، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص444.

7 (?) متفق عليه، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص445.

محمدًا عبد الله ورسوله، إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية "[1]**.**

عاشرًا: حديث سؤال المؤمن في قبره، وفيه:" **فيقول: أشهد أنَّه عبدُ الله ورسولُه "**[2].

حادي عشر: حديث الذكر بعد الأذان، وفيه: "**من قال حين يسمع المؤذِّن: أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، رضيت بالله ربًّا..**" الحديث[3]**.**

ثانِي عشر: وأصرح الأدلة في ذلك، هو حديث عُبَادَةَ ، عنْ النَّبِيِّ قَالَ: " **مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** ... إلى آخره "[4].

ثالث عشر: وقول النبيّ " **وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** " في التشهد وخطبة النكاح والحاجة[5].

والحاصل أنّ معنَى: " **أشهد أنَّه عبدُ الله ورسولُه** " الذي تكرر في هذه الأحاديث: أُقِرُّ وأعتقد اعتقادًا جازمًا وأُعْلِم، بل وأتفوَّه شاهدًا عبودية محمد لربّه ، ورسالته.

ثم إنّ مادة (شهد) في كلّ مواردها السابقة وغيرها: لا يَخرُج معناها عن أصلٍ واحدٍ يدل على حضور وعلم وإعلام، ولا يخرج شيءٌ من فروعه عن ذلك[6]، فتكون (الشهادة) بما علِمه الإنسان وتيقنّه، ثم يأتي ليُبينَه بلسانه أو بِما يقوم مقامه مِن الكتابة وغيره، وفي القرآن: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [يوسف: ٨١].

---

[1] (?) صحيح مسلم، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص445.

[2] (?) متفق عليه، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص446.

[3] (?) صحيح مسلم، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص446.

[4] (?) متفق عليه، وسيأتي تخريجه في الأحاديث المختارة، ص436.

[5] (?) صحيح مسلم مِن حديث ضماد لما جاء وأعلن إسلامه، وسيأتي تخريجه في: ص437، وص441.

[6] (?) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (شهد)، ص539.

قال ابنُ فارسَ -رحمه الله: « الشين والهاء والدال أصلٌ يدلّ على حضورٍ وعِلمٍ وإعلام، لا يخرج شيءٌ مِن فروعه عن الذي ذكرناه »[1]، والشاهد: اللسان، والشاهد: الملك، وقد جمع المعنيَين أحدُهم في بيـته فقال:

فلا تحسبنِّي كافرًا لك نعمةً   على شاهدي، يا شاهدَ الله فاشهَدِ[2]،

فالأول اللسان، والثاني ملك من الملائكة.

وبعد هذا، فالشهادة للرسول بالعبودية هو معرفة ثبوت هذه الصفة له، واعتقاد صحة نسبتها إليه، -لِمجيء وصفه بها في الكتاب والسنة- والإيمان بمضمونها ولوازمها ومقتضاها، ثم نطقه لها ولو مع نفسه ولو مرة، أو كتابته لها. وذلك لأنّ « عِبَارَات السَّلَفِ فِي (شَهِدَ) تَدُورُ عَلَى الْحُكْمِ، وَالْقَضَاءِ، وَالإِعْلام، وَالْبَيَانِ، وَالإِخْبَارِ. .. وَهَذِهِ الأَقْوَالُ كُلُّهَا حَقٌّ لا تَنَافِيَ بَيْنَهَا؛ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ تَتَضَمَّنُ كَلامَ الشَّاهِدِ وَخَبَرَهُ، وَتَتَضَمَّنُ إِعْلامَهُ، وَإِخْبَارَهُ، وَبَيَانَهُ. **فَلَهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: فَأَوَّلُ مَرَاتِبِهَا:** عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَاعْتِقَادٌ لِصِحَّةِ الْمَشْهُودِ بِهِ، وَثُبُوتِهِ. **وَثَانِيهَا:** تَكَلُّمُهُ بِذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُعْلِمْ بِهِ غَيْرَهُ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَعَ نَفْسِهِ وَيَتَذَكَّرُهَا وَيَنْطِقُ بِهَا أَوْ يَكْتُبُهَا. **وَثَالِثُهَا:** أَنْ يُعْلِمَ غَيْرَهُ بِمَا يَشْهَدُ بِهِ وَيُخْبِرُهُ بِهِ وَيُبَيِّنُهُ لَهُ. **وَرَابِعُهَا:** أَنْ يُلْزِمَهُ بِمَضْمُونِهَا، وَيَأْمُرَهُ بِهِ »[3].

فَشَهَادَةُ الرسول لنفسه بالعبودية والرسالة، أو شهادة المؤمنين له بذلك تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الأَرْبَعَ: اعتقاد ثبوت ذلك له، وَالتّكَلُّمُ بِهِا، وَإِخْبَار الغير بِها، ثم أَمْر الناس بها لالتزامها والعمل بموجبها اعتقادًا وقولا وعملا[4].

بل ويمكن القول هنا: إنّ كلّ ما يمكن أنْ يقال في (شهادة أن لا إله إلا الله) بالمطابقة؛ من تفرد الله

---

1 (?) معجم مقاييس اللغة، ص539 .

2 (?) انظر: المرجع نفسه.

3 (?) مدارج السالكين، (ج3/ 444) وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، (ج1/ 143)، نقلا عن ابن القيم بتصرف.

4 (?) انظر: مدارج السالكين، (ج3/ ص444) وشرح العقيدة الطحاوية، (ج1/ 143) .

بالعبودية، فإنّه يمكن أنْ يقال في هذا المقام بدلالة اللزوم.

ذلك؛ لأنه يُشترط في شهادة الحق العلم بالمشهود ضرورة، وإلا كان الشاهد شاهدًا بما لا علم له به، قال الله تعالى: ﴿ ﴾ [الزخرف: ٨٦]. هذه هي **المرتبة الأولى،** ومفادُها أنّه لا بدّ أنْ يعلم الإنسان علمًا حقيقيًّا بمعنى (أنّ محمدًا عبدُ الله ورسوله) قبل أنْ ينطبق عليه أنه أتَى بِهذه الشهادة. وأما **المرتبة الثانية**، والتي هي مرتبة التكلم والخبر، وإنْ لم يُتلفّظ بلفظ الشهادة، فإنه سبق أنّ « مَن تكلم بشيءٍ وأخبر به فقد شهد به، وإنْ لم يتلفظْ بالشهادة »[1]، يدل لذلك أنّ شهادة الزور هي قول الزور، كما أنّ إقرار العبد على نفسه شهادة عليها[2]، كما في آية النساء التي أمر الله تعالى أنْ نقوم بالقسط وعلى أنفسنا شهداء لله. وهكذا جَعْلُ الله جَعْلَ المشركين الملائكة إناثًا: شهادةً منهم بذلك؛ وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة، وبيّن أنّه ستُكتَب تلك الشهادة ويُسألون يوم القيامة. كما أنّهم لَم يؤدّوها عند غيرهم. وكذلك هنا مَن تكلم بأنّ محمدًا عبد الله) وإنْ لم يقلْ (**أشهدُ**) فإنّه قد شهد له بذلك.

وأما **المرتبة الثالثة،** فتكون إعلامًا بالقول وبالفعل، فتتواطأ الأفعال بالأقوال، فلا يقول الإنسان ويُعْلِم غيره بأنه شهد أنّ محمدًا عبد الله) ثم تراه يناقض ذلك بأفعاله الغالية فيه ﷺ، وأقواله المُطراة فيه؛ فيستغيث به، ويجاوز حدَّه البشري في مدحه .. إلى ما هي من خصائص الله. فمثل هذا وإنْ شَهِد بأنّ محمدًا عبد الله) ألفَ ألفِ مرة: فما شهد بذلك حقيقة. **والمرتبة الرابعة** وهي مرتبة الأمر والإلزام بذلك، وهذا وإنْ كان مجرد الشهادة لا يستلزمه لكنها في هذا الموضع تدل عليه، وتتضمنه؛ فإنّ مَن شهد للرسول بقيامه بالعبودية لله: فلا بدّ أنْ يشهد لله باستحقاقه لذلك، وأنه المفعول له؛ لذا قام النبي ﷺ له بذلك، وأمر بذلك، وألزم الناس بذلك حتى قال: "**أَمِرْتُ**

---

[1] مدارج السالكين، (ج3/ص 444).

[2] انظر: مدارج السالكين، (ج3/ص 445).

أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ "[1] « ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبَر وبيَّن وأعلم وحكم وقضى أنَّ ما سواه –كائنًا ما كان- ليس بإله، وأنّ إلَهية ما سواه أبطلُ الباطل، وإثباتُها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلَهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلَهًا، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلَهًا .. وأيضًا: فإنَّ الأدلة قد دلّتْ على أنّه سبحانه وحده المستحق للعبادة، فإذا أخبَر أنّه هو وحده المستحق للعبادة تضمن هذا الإخبار أمرَ العِبادِ وإلزامهم بأداء ما يستحقه الرب تعالى عليهم، وأنّ القيام بذلك هو خالص حقه عليهم، فإذا شهد سبحانه أنَّه لا إله إلا هو تضمنَتْ شهادته الأمر والإلزام بتوحيده »[2].

هذا، ولبيان تتمة المطلب (وفائدة ذلك) أقول: بأنّ لشهادة **أنّ محمدًا (عبدُ الله)** فائدتان جليلتان:

الأولى: عدم صرف شيءٍ مِن حق اللهِ إليه ، وعدم الغلو فيه، وهذا لأنّ (العبد) هنا بِمعنى الْمعَبَّد المخلوق المربوب. ومَن فهِم هذه الصفة حق الفهم يرى أنها تُعطينا دلالة عظيمة، إذْ تعطي نفس معنى لا إلـه إلا الله باللزوم. فكيف –مع ذلك- يقال: بأنّا لسنا مطالبين بالشهادة بأنّ محمدًا عبد الله، بل بأنّه رسول الله فحسب، هذه غفلةٌ في هذا الباب كبيرةٌ. والله الهادي!

الثانية: هذه الشهادة تزيد مِن إكبار المسلم لرسوله ، وزيادة تقديره وتعظيمه، وذلك لأنّ النبِيَّ هو العبد الذي أكمل تحقيق العبودية، فأحبّ الله بكلّ قلبه، وانقاد له بجسمه، وخافَه ورجاه، وهنا (العبد) بِمعنى: العابد المحبّ الخائف الراجي. وأعظِمْ بِهاتَين الفائدتين، وهما الدين كلُّه. وسيأتِي لكلٍّ منهما مزيد بسط. والله أعلم.

;

---

[1] ( ) سبق تخريج الحديث قريبًا، وأنه متفق عليه.

[2] ( ) مدارج السالكين، (ج3/ 449).

الفصل الأول: بشرية النبيِّ محمدٍ عليه الصلاة والسلام، وبيان انتفاء خصائص البشرية عن الله تعالى، وفيه تمهيدٌ وأحَدَ عشَرَ مبحثًا:

قبل أن أدخل في صميم العنوان يجدر بِي أنْ أذكر المنهج العام الذي أسلكه في تقريب هذا الفصل بخصوصه، والذي سيتمثل في ذكري الصفة التي هي مِن لوازم بشرية رسول الله ﷺ، (وهي المباحث الأحَدَ عشر التي كان مجموعها هذا الفصل)؛ أذكر الصفةَ ودليلَها مِن الكتاب والسنة، وأُفصِّلُ وأشرحُ ما احتاج المقام لذلك. ثم إنْ كان للنبِيّ ﷺ خصوصية فيها على غيره مِن البشر، بيّنتُ ذلك بدليله. ثم لكي يَحصُل التَّمايُز بين المخلوق والخالق، والربّ والمربوب، والمعبود والعابد، فيما يتعلق بتلك الصفة، (-وهذا مِن أهدافـي المرسومة لِهذه الرسالة كما تقدم[1]-) أذكُرُ مطلبًا أُبيّن فيه أنّ المعبود سبحانه تنـزّه مِن أن يتصف بِهذه الصفة؛ لأنّها من خصائص المخلوق. وأنّ النبِيَّ محمدًا ﷺ وإن تَميّز عن الأمة في هذه الصفات -والتي هي أدلة وشواهد بشريته- إلا أنّ ذلك لا يُؤَهِّله ويجعله مستحقًّا لأنْ يُؤلّه ويُعبَد، كما أنّه لا يوصَف بشيءٍ مِن خصائص الربوبية؛ مع أنه ﷺ في أرقى كمالات العباد والبشرية، لكنه دون أن يصل إلى مستحقات وخصائص ربّ العباد.

فبهذا تتراوح مطالب كلّ مبحث في هذا الفصل مِن ثلاثة إلى أربعة:

الأول منها: في تقرير الصفة للرسول ﷺ كأحد أفراد البشر وإثباتها له بدليلها. **والثانِي:** في ذكر خصائصه ﷺ فيها -إن وُجد-. **ثم يأتِي المطلب الثالث:** لبيان أنّ المعبود الذي الإلهية له استحقاقًا وأمرًا لا يتصف بِهذه الصفات. وهذا الذي أشرت إليه هو الطابع العام لمباحث الفصل؛ وإلا فقد لا تكون كلّ المباحث بهذا الشكل. والله تعالى أعلم.

وأُنَبِّهُ هنا إلى مسألة مهمة، وهي: أنّ المادة الواحدة كثيرًا ما يتجاذب فيها أهلُ أكثر مِن فنّ؛ فجُلّ

---

[1] (?) من الأسباب الحاملة إلى هذا البحث: ما يشاهَد من «جهل كثيرٍ من المسلمين وعدم تمييزهم بين ما هو حق الرسول ﷺ، وبين ما هو حق الله على العبيد؛فنتج عن ذلك -الخلط- الغلوُّ في حق النبيِّ ﷺ».

مباحث هذا الفصل يشترك فيها علماء السيرة والتاريخ، مع علماء العقيدة، إلا أنّ لكلٍّ منهم أهدافه التي يسعى لتحقيقها، وأساليبه في تناولها!

وهنا وعلى ما التزمت من منهج البحث: أسرُدُ مباحث هذا الفصل جملةً، ثم أُعَقِّب بمعالجتها مبحثًا مبحثًا، فهاك المباحث:

تَمهيد الفصل: الأنبياء عليهم السلام كلّهم بشرٌ، وبيانُ الحكمة في الإرسال إلى جنس البشر

المباحث:

الأول: أنه ﷺ وُلد من أبوين، وبيان نسَبِه الشريف، والصمد الغنِيُّ سبحانه لا والدَ له، ولا نسَب، وفيه أربعة مطالب.

الثانِي: أنَّ النبِيَّ ﷺ تزوَّج النساءَ، وذكر أزواجه رضي الله عنهن، والمعبود الغنِيّ سبحانه لم يتخذ صاحبة، وفيه ثلاثة مطالب.

الثالث: ذكر أولاده وبناته، والغنِيُّ المعبـود سبحانه لا ولَدَ له، وفيه ثلاثة مطالب.

الرابع: جوع النبِيّ ﷺ وعطشه، والصمد الغنِيّ سبحانه وتعالى لا يجوع ولا يعطش،
وفيه ثلاثة مطالب.

الخامس: النبِيُّ ﷺ يأكل الطعام ويَمشي في الأسواق، والصمد الغنِي لا يَطْعَم ولا يُطْعَم ولا يُرزَق، وهو فوق عرشه سبحانه، وفيه ثلاثة مطالب.

السادس: ضحك النبِي ﷺ وبكائه، والعظيم المجيد سبحانه يضحك ولا يَبْكي، وفيه ثلاثة مطالب.

السابع: أنَّ عينيه عليه الصلاة والسلام تنامان، ولا ينام قلبُه، والله الحيّ القيوم سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم، وفيه ثلاثة مطالب.

الثامن: أنَّه ﷺ يغضب كما يغضب البشر، وذكر خصائصِه ﷺ في غضبه، وفيه مطلبان.

التاسع: النبِيُّ ﷺ ينسى كما ينسى غيرُه من البشر، والحفيظ العليم سبحانه وتعالى مُنـزَّه عن النسيان، وفيه مطلبان.

العاشر: النبِيُّ يَمرض عليه الصلاة والسلام، والقدوس السلام سبحانه منـزّهٌ عن المرض، وفيه ثلاثة مطالب.
الحادي عشر: موت النبيِّ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، والله الحيّ القيوم منـزَّهٌ عن الموت، وفيه ثلاثة مطالب.
فأنتقل إلى مباحث هذا الفصل مبحثًا مبحثًا:

التمهيد: الأنبياء عليهم السلام كلّهم بشرٌ، وبيان الحكمة في الإرسال إلى جنس البشر:

ولبيان هذا الْمعنى المعقود في العنوان لا بُدّ من عقد مطلبَين؛ هما:

المطلب الأول: الأنبياء عليهم السلام كلّهم بشرٌ.

المطلب الثانِي: الحكمة في إرسال البشر إلى البشر دون الملائكة.

المطلب الأول: الأنبياء عليهم السلام كلّهم بشرٌ:

وبيان هذا المطلب يكون في مسألتين، هما:

المسألة الأولى: بشرية الأنبياء عليهم السلام عمومًا.

المسألة الثانية: بشرية نبينا محمد ﷺ خصوصًا.

المسألة الأولى: بشرية الأنبياء عليهم السلام عمومًا[1]:

أنبياء الله تعالى والواسطة بينه وبين عموم الجن والإنس هم مِن جنس البشر، والصحيح أنهم من رجال بنِي آدم وذريته، قال الله تعالى: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚ ﭼ [مريم: ٥٨]. ولقد قال تعالى في قصة خلق أبِي البشر: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الحجر: ٢٨]. وقال: ﭽﮠﮡﮢﮣﮤ ﭼ [ص: ٧١].

ومقتضى هذه البشرية وجوانبها يُمكن أنْ يشار إليها بالآتِي:

*حاجة هؤلاء الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى ما يحتاج إليه بنِي جنسهم (البشر غيرهم) من الطعام والشراب، ومن ثَم الحدث وقضاء الحاجة كما يُحدِث البشر، لأنّه من لوازم الطعام، ومِن مقتضى البشرية، قوله تعالى: ﭽﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱ ﭼ [الأنبياء:7-٨]. وقال في خصوص عيسى ﷺ: ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪ ﭼ [المائدة: ٧٥]. وخليقٌ بِمَن يأكل الطعام أنْ يقضِي الحاجة.

[1] انظر: مسألة بشرية الرسل والأنبياء عليهم السلام، كتاب الرسل والرسالات، للدكتور عمر أشقر، تحت عنون: مقتضى بشرية الأنبياء والرسل في فصل صفات الرسل، ص68-74 .

* ومن ذلك، أنهم يولَدون كما يولد غيرهم مِن البشر، فلـهم أعمامٌ وأخوالٌ، ويتزوجون ويولَد لهم، فإبراهيم هو والد إسماعيل وإسحاق، وأبوه آزار. وإسحاق والد يعقوب، وإسماعيل عمُّه. ويعقوب والد يوسف والأسباط. وسليمان ابنٌ لداود، وزكريا والد يحيى، عليهم السلام، وهكذا. وأوحى الله ﭽﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭧ ﭼ [القصص: ٧]. وقد تقدم ذكر أم عيسى قبل قليل. ولهم إخوة وأخوات، وقد نهى يعقوبٌ ابنَـه يوسف عليهما السلام أنْ يقص رؤياه على إخوته. كما دلَّـت أختُ موسى على مَن يكفلُه لتقرّ عينُ أمـه برجوعه.

* وإنهم ليختتنون، كما " **اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً، بِالْقَدُومِ**[1] "[2]، كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ مرفوعًا .

*وأنّ لهم أزواجًا وذرية كغيرهم، قال تعالى: ﭽﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﭼ [الرعد: ٣٨]. وقد قصّ الله لنا ابنَـي آدم . كما نادى نوحٌ ربّه متأسِّفًا لهلاك ابنه. واصطفى الله بعض عباده بآليهم وذرياتِهم وأنعم عليهم، فاصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالَمين. وبشـرت الملائكة عليهم السلام أهل إبراهيم بإسحاق ومِن ورائه يعقوب، فتعجبتْ زوجته وكانت يومها عاقرًا عجوزً. وخانتْ زوجتـا نوح ولوط عليهما السلام زوجيـهما، فضرب الله بهما المثل. والأدلة في كل لك شهيرة معروفة.

* ومن ذلك أنهم يتعرضون للبلاء والابتلاءات، ويصيبهم ما يُصيب البشر من الأعراض، فيقومون وينامون، ويأكلون ويشربون، ويصحُّون ويمرضون، ويأتيهم الموت الذي يأتـي على أيِّ مخلوق، كما شهِد إبراهيم بأنّ الله تعالى هو الذي يُطعِم ويسقي، ويُمرضُه ويشفيه،

---

[1] (?) **القدوم** –بالتخفيف-: آلة النجار (الفأس)، وبالتشديد الموضع، نقل ابن حجر أنه: قد يتفق لإبراهيم الأمران (فتح الباري/ص4437، ورجّح في: ج2/ص2476: أن المراد في الحديث: الآلة، وانظر: المنهاج للنووي، ص1448).

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان، باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط، رقم: 6298،وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب مِنْ فَضَائِلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -صلى الله عليه وسلم، رقم: 2370 .

ويُميتُه ويُحييه. وقد ابتلي يوسف بالمرأة، وبالسجن بضع سنين. وأيوب بالمرض سنين حتى رفضه القريبُ والبعيد، بل وذهب ماله وأهلـه إلى أنْ كشف الله ما به. كما ابتلي ذو النون باللبث في بطن الحوت. بل كان يصيبهم قومهم بالأذى، وربّما وصل إلى القتـل. وكان أشد الناس بلاء الأنبياء عليهم السلام ثم الأمثل فالأمثل، فقد سأل سعد بن أبي وقاص ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: " **الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَـيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ،** " الحديث [1].

* ومن ذلك أنّهم كانوا يُمارسون أشغال البشر، كالتجارة والمشي إلى الأسواق، والرعي، فموسى رعى الغنم عدة سنوات. وداود يصنع الدروع كما علّمه الله صنعة لبوس للناس في الحرب.

وهذه إشارة إلى مقتضى بشريتهم، ويكفي في ذلك أنْ يُعلَم أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكونون في البطن فيلتحمون ببطن أنثى، -مثلهم مثل غيرهم- ويقيمون هناك مدة من الزمان، بين دم الطمث في ظلمات الأحشاء تحت ملتقى الأعكان، ثم يخرجون صبيةً رُضَّعًا، يَشُبُّون شيئًا فشيئًا، ويبكون، ويأكلون ويشربون، ويبولون، وينامون، ويتقلبون مع الصبيان، ويُقطع منهم القلفة حين الختان، وهكذا إلى أنْ يَكبِروا، فيتزوجون، ويلدون كما وُلدوا قبل ذلك بزمان، وبين ذلك يتعرّضون بهذا وذاك من مثل ما يتعرض به أيّ إنسان، ثم يموتون ويُدفنون في التراب [2].

وما عقد القاضي عياض –رحمه الله-: الباب الثاني من القسم الثالث (فيما يخص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأمور الدنيوية، وما يَطْرَأُ عليهم من العوارض البشرية) إلا لبيان هذه المعانِي، قال فيه: « قد

---

[1] جامع الترمذي: كتاب الزهد، بَاب مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلاءِ، رقم: 2398، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم: 4023، ومسند الإمام أحمد: رقم: 1400، و1412، و147، ثم 1521، وقال الترمذي: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

[2] انظر: تقدمة هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص5-6) لابن القيم.

قدمنا أنّه وسائر الأنبياء والرسل من البشر، وأنَّ جسمه وظاهره خالصٌ للبشر؛ يجوز عليه من الآفات، والتغييرات، والآلام، والأسقام، وتَجزع كأس الحمام، ما يجوز على البشر، وهذا كله ليس بنقيصة فيه؛ لأنّ الشيء إنما يسمى ناقصًا بالإضافة إلى ما هو أتم منه، وأكمل من نوعه، وقد كتَب الله تعالى على أهل هذه الدار فيها يَحْيَون، وفيها يموتون، ومنها يُخرَجون، وخلق جميع البشر بمدرجة الغير؛ فقد مرض واشتكى، وأصابه الحرّ والقرّ، وأدركه الجوع والعطش، ولَحِقه الغضب والضجر، وناله الإعياءُ والتعَب، ومسَّه الضعف والكِبَر، وسقط؛ فجُحِش شِقُّه، وشجَّه الكفارُ وكسروا رُباعِيَته، وسُقِيَ السمُّ، وسُحِرَ، وتداوى، واحتجَم، وتنشَّر، وتَعَوَّذَ، ثم قضى نحبه؛ فتُوُفِّيَ ، ولَحِق بالرفيق الأعلى، وتخلَّص من دار الامتحان والبلوى، وهذه سماتُ البشر التي لا محيص عنها. وأصاب غيْرَه من الأنبياء ما هو أعظم منه؛ فقُتِلُوا قتلا، ورُمُوا في النار، ونُشِرُوا بالمناشير، ومنهم مَن وقاه الله ذلك في بعض الأوقات، ومنهم مَن عصَمَه كما عُصِم بعدُ نبيُّنا مِن الناس. فلئن لم يَكفِ نبينَا ربُّه يدَ ابن قمئة يومَ أُحُدٍ، ولا حَجَبَه عن عيون عِداه عند دعوته أهل الطائف، فلقد أخَذَ على عُيُون قريشٍ عند خروجه إلى ثور، وأمسَك عنه سيف غورث، وحجر أبى جهل، وفرَس سُراقة. ولئِنْ لَم يَقِه مِن سِحْرِ ابن الأعصم[1]، فلقد وقَاه ما هو أعظم من سُمِّ اليهودية، وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى. وذلك من تمام حكمته ليَظْهَرَ شرَفُهم في هذه المقامات، ويُبَيِّن أمرَهم، ويُتِمّ كلمتَه فيهم، وليُحَقِّق -بامتحانهم- بَشَرِيَّتَهم، ويَرْتَفِع الالتباسُ عن أهل الضعف فيهم؛ لئلا يَضِلُّوا بما يَظهر من العجائب على أيديهم، ضلالَ النصارى بعيسى ابن مريم، وليَكُون في محْنَتهم تسلية لأممهم، ووفورٌ لأجورهم عند ربهم، تَمَامًا على الذي أحسن إليهم. قال بعض المحققين: وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تَختص بأجسامهم البشرية، المقصود بها مقاومة البشر،

---

[1] (?) ستأتي ترجمة لبيد بن الأعصم اليهودي في مطلب أنه سُحر الرسول .

ومعاناة بنِي آدم لمشاكلة الجنس، وأما بواطنهم فمُنَـزّهة –غالبًا- عن ذلك، معصومة منه، متعلقة بالْمَلأ الأعلى والملائكة؛ لأخذها عنهم، وتلقِّيْها الوحي منهم. قال: وقد قال ﷺ: " **إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلا يَنَام قَلْبِي** "[1] . وقال: " **إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي** "[2]. .. فأخبَر أنّ سِرَّه وباطِنَه وروحَه خلافُ جِسمِه وظاهِره، وأنّ الآفاتِ التي تَحُلُّ ظاهرَه مِن ضَعفٍ، وجُوعٍ، وسَهْرٍ، ونومٍ، لا يَحُلّ منها شيءٌ باطنَه، بِخلاف غيره مِنَ البشر في حُكْمِ الباطنِ؛ لأنَّ غَيْرَه إذا نام استغرق النومُ جسمَه وقلْبَه، وهو ﷺ في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته، حتى قد جاء في بعض الآثار: أنه كان محروسًا من الحدث في نومه؛ لكون قلبه يقظانَ كما ذكرناه. وكذلك غيرُه إذا جاع ضعُف لذلك جسمُه، وخارَتْ قوّتُه، فبَطَلَتْ بالكلية جُمْلَتُه، وهو ﷺ قد أخبَر أنّه لا يعتريه ذلك، وأنّه بِخلافهم لقوله: " **إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي** "[3]. وكذلك أقول: إنه في هذه الأحوال كلها من وَصَبٍ، ومرَضٍ، وسِحرٍ، وغضَبٍ لم يَجْرِ على باطنه ما يُخِلّ به، ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به، كما يَعْترى غيره من البشر، مما نأخذ -بعدُ- في بيانه »[4].

وتسْويةُ القاضي كونَ قلب الرسول ﷺ في نومه حاضرٌ كما في حال يقظته: أخاف أنْ يكون فيه تجاوزٌ ومبالغة، وهو الموصوف بأنه من أعظم الناس قولا بالعصمة، وأشدهم على السابّ، كما وصفه به شيخ الإسلام رحمهما الله[5].

والإمام أبو عبد الله السفاريني (ت1189هـ) في شرحه لقوله:

وجائزٌ في حق كلّ الرسل   النوم والنكاح، مثل الأكل[6].

---

[1] (?) الحديث متفق عليه، وسيأتِي تخريجه.

[2] (?) الحديث متفق عليه، وسيأتِي تخريجه.

[3] (?) الحديث متفق عليه، وسيأتِي تخريجه.

[4] (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (575-578).

[5] (?) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة، 151 .

بعدما عرّف بالنوم وذكر خصوصية الأنبياء فيه، وهو عدم نوم قلوبهم، قرر أنهم متصفون بصفات البشر وخصائصهم مثلما سبق عن القاضي عياض فقال: « ومثل النوم مما هو جائز في حق الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-: الجلوس والمشي والبكاء والضحك، وكل ما هو من الخواص البشرية المباحة على ما هو الحق من جواز وقوع المباح منهم، ((والنكاح)) والتسري وجماع النساء، فيجوز عليهم وطء النساء بالملك ..، ونحو ذلك ((مثل الأكل)) والشرب الحلال، وكذا يجوز عليهم كل عَرض بشَريّ ليس بمحرم ولا مكروه ولا مباحٍ مُزْرٍ، ولا مما تعافه الأنفس، ولا مما يؤدي إلى النفرة، حتى إنه لا يجوز عليهم الاحتلام، والحاصل أنهم عليهم الصلاة والسلام من البشر، وأرسلوا إلى البشر، فظواهرهم خالصة للبشر، يجوز عليها من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر مما لا نقيصة فيه، فإن نبينا كان يمرض ويتألم ويتشكى، وكان يصيبه الحر والقرّ، والجوع والعطش، والغضب والضجر، والنصب والتعب، ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه، ولا يوجب الاتصاف به نوعُ نُفرةٍ عند كُلّ نَبِيهٍ. والله تعالى أعلم »[1].

ما تقدم فهو بشرية الأنبياء وشيء من مقتضاها، لكنّه قد أجمعت كلمة معارضي الرسل على الاحتجاج بأنَّهم عليهم الصلاة والسلام بشر مثلهم، وأنهم يأكلون كما يأكلون، ويشربون كما يشربون .. إلخ، فكيف إذًا يلزمهم طاعتهم؟ قال قوم نوحٍ الكُفار، ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ [هود: ٢٧]. وقالوا: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ [المؤمنون: ٢٤]. وقال قوم هودٍ أو قوم صالح ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ [المؤمنون: ٣٣-34]. وفرعونُ وملؤُه قالوا: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ [المؤمنون: ٤٧] . وخاطب ثمود صالحًا، فقالوا له: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ

---

6 (?) الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية للسفاريني، البيت رقم: 138.

1 (?) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (ج2/ص323).

ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [الشعراء: ١٥٤]. وقوم شعيبٌ خاطبوه، ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ [الشعراء: ١٨٦]. وقال أصحاب القرية لرسلهم: ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [يس: ١٥]. وجميع الذين كفروا قبل نبيّنا محمد ﷺ كانوا يُكذِّبون الرسل وما يأتون به من البينات، قائلين: ﭽﮂﮃﮄﮅﮆﭼ [التغابن: ٦].

ثم إنّ الرسل عليهم الصلاة والسلام قد رَدّوا على أقوامهم هذا الاستغراب والاعتراضِ (من بعثة الله والإرسال إلى البشر أمثالهم)؛ فذكروا لهم: أنّ البشرية لا تَمنع من أنْ يتفضل الله ويَمُنّ على مَن يشاء من عباده: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ [إبراهيم:10-١١].

فهاتان الآيتان فيهما أنّ الكافرين ردّوا على رسلهم دعوتهم إياهم إلى توحيد الله، رد السفهاء الجاهلين ﭽ ﭑ ﭼ لهم: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ أي: فكيف تفضلوننا بالنبوة والرسالة، ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ أي: فكيف نترك رأي الآباء وسيرتَهم لرأيكم؟ وكيف نطيعكم وأنتم بشر مثلنا؟ ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ أي: بحجة وبيّنة ظاهرة، ومرادهم بينة يقترحونَها هم، وإلا فقد تقدم أن رسلهم جاءتْهم بالبينات. ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ مُجيبين عن اقتراحهم واعتراضهم: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ أي: صحيحٌ وحقيقة أنَّا بَشَرٌ مثلكم، ﭽ ﭫ ﭼ ليس في ذلك ما يدفع ما جئنا به من الحق؛ فإنّ ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ فإذا مَنَّ الله علينا بوحيه ورسالته، فذلك فضلُه وإحسانُه، وليس لأحد أنْ يَحجُر على الله فضله، ويَمنعُه مِن تفضُّلِه؛ فانظروا ما جئناكم به؛ فإنْ كان حقًّا فاقبلوه، وإنْ كان غير ذلك فردوه، ولا تَجعلوا حالنا حجة لكم على ردِّ ما جئناكم به[1].

المسألة الثانية: بشرية نبينا محمد ﷺ خصوصًا[2]:

---

[1] (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص422-423، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ ص683) .

[2] (?) انظر مبحث بشرية الرسول ﷺ في كتاب محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع لعبد الرؤوف عثمان، ص16-20.

تلك بشرية الأنبياء عليهم السلام عمومًا، مَختومةً بردّ دعواتِهم من قبل أقوامهم محتجين بأنه كيف يلزم طاعة البشر أمثالهم؟

ولما كانت سنة الله في جميع أنبيائه واحدة، ولم يكن هذا الرسول بدعًا منهم، فقد أرسل الله محمدًا إلى الناس كافة بشرًا مثلنا. ولَمّا كان الكفر أيضًا كلّه ملة واحدة، والكفار كانوا كالمتواصين بينهم بما يرُدّون به على رسلهم وأنبيائهم، كان جواب كفار هذه الأمة عن قبول دعوة هذا النبي الكريم بمثل ما ردّ به أولئك، قال تعالى في بيان أنّ محمدًا بشَرٌ؛ له خصائصهم: ﭽ ﭼ [الكهف: ١١٠]. وقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [فصلت: ٦]. فالرسول واحدٌ من العرب الأميين، ومن أنفسهم، وواحدٌ من المؤمنين، قال تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ [البقرة: ١٥١]. ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ [آل عمران: ١٦٤]. ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ [الجمعة: ٢]. ﭽ ﮪ ﮫ ﭼ [التوبة: ١٢٨].

وكما في الآيات فإنّ الله أمرَ عبده أنْ يقول بأنه متصف بصفة البشرية، والتي هي إحدى صفات الأنبياء، مع ذكر ما به حصل التمايز والتفاضل بين الأنبياء وأممهم، وهو الوحي الذي نزل عليهم، ففي آيتَي الكهف وفصلت أبلغ تأكيد من الله على أنَّ الرسول بشرٌ مثلنا، له كل خصائص البشر وصفاتهم، ولا يخرج عن نطاقهما، وهو مع ذلك مفضل بالوحي والرسالة[1].

ثم إنّ حياة هذا الرسول وسيرته وضحَت هذا الأمر أتم تجليةٍ وتوضيح، فقد عاش بشَرًا تجري عليه أعراض البشرية طيلة حياته؛ منذ أنْ وُلد إلى أنْ مات؛ فأكل وشرب، ومشى في الأسواق، وباع واشترى، وتزوج وأنجب، وحارب وسالم، وغضب ورضي، وفرح وحزن، وأدركه المرض فمرض، ومات كما مات ويَموت سائر البشر. وكل من عايش رسول الله أو تتبع سيرته، أدرك هذه الحقيقة تَمام الإدراك. فهو أيضًا -بأقواله وأفعاله- أكّد هذا الأمر، من ذلك قوله: " **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**

---

[1] (?) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص16 .

أَذْكُرُ كَمَا تَذْكُرُونَ وَأَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ "[1]، فيتذكر وينسى أحيانا، شأنه شأن سائر البشر جميعا. وفي البخاري عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، مرفوعًا، قَالَ: " **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إليَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ؛ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ** "[2]: يُبيّن بِهذا عدم علمه للغيب بمقتضى طبيعته البشرية إلا أن يطلعه الله على ما شاء منه، فكما أنّ علمه محدود فكذلك قدرته محددة –وهذا الأخير يؤكده ما سيأتي في الباب الرابع-.

هذه سيرته وسنته وحياته، وتلك الآيات القرآنية التي أثبتَت بشريته بجوانبها في مواقف كثيرة، بل الإجماع منعقد على ذلك. إلا أنه وللأسف -مع وضوح هذا الأمر- خرجت طوائف من المنتسبين إلى الإسلام؛ فخالفوا إجماع الأمة فخرجوا بالرسول عن نطاق البشرية، وغلوا فيه، بل وفيمَن دونه؛ فوصفوهم بصفات الله سبحانه وتعالى[3]، وسيأتي ذكر ذلك مفصلا وردُّه.

*وأعود فأقول: الرسول بشر كما تقرر فيما تقدم، لكن أبَى كفار قريش إلا الاعتراض والتعجب، بل وإعظام الله –على زعمهم- من أنْ يُرسل رسولا بشريًّا، وقد حكى الله تعجبهم فقال: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭ ﭮﭯﭰﭱ [يونس: ٢]. ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ [الأنبياء: ٣]. فتناجَوا وتواطئوا فيما بينهم، أن يقولوا في الرسول : إنه بشر مثلكم، فما الذي فضله عليكم، وخصه من بينكم، فلو ادّعى أحدٌ منكم مثل دعواه، لكان قوله من جنس قوله، ولكنه يريد أن يتفضل عليكم، ويرأس فيكم، فلا تطيعوه، ولا تصدقوه، وأنه ساحر، وما جاء به من القرآن سحر، فانفروا عنه، ونفروا الناس،

---

1 (?) الحديث بهذا اللفظ في صحيح مسلم عن ابن مسعود ، وسيأتِي تخريجه.

2 (?) الحديث في البخاري، وسيأتي تخريجه في مبحث علم الغيب.

3 (?) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص20 .

وقولوا: ﭼﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ هذا . وهم يعلمون أنّه رسول الله –حقًّا- بِما شاهدوا من الآيات الباهرة ما لم يشاهد غيرهم، ولكن حملهم على ذلك الشقاء والظلم والعناد، والله تعالى قد أحاط علما بما تناجوا به، وسيجازيهم عليه [1].

*ولَمّا اقترح المشركون اقتراحات أمَر الله النبِيّ أن يتنـزه عنها، ويُذَكِّرهم ببشريته وأنّ اقتراحاتِهم فوق قدرة البشر؛ فلا يستطيع ذلك، كما أوقفهم بأنّ الذي قالوه هو ما منع غيرَهم مِن سابقيهم الإيمان برُسُلهم، ثم نبَّههم على قانونه الكلي من الإرسال إلى جنس المرسَل إليهم، كما في سياق آيات الإسراء الذي منه: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ [الإسراء:93-٩٦].

فلم يكن رد الله تعالى على هؤلاء الذين ذكروا مطالب تعجيزية ذريعة لهم للتكذيب والكفر إلا التأكيد على بشرية هذا الرسول ﷺ. ففي أمره ﷺ بالقول: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ تأكيدٌ على أنّه بشر يقف عند حدود بشريته، ولا يأتِي بشيء من عنده[2]. قال القرطبِي –رحمه الله-: « أي: ما أنا ﭽﯟ ﯠ ﯡ ﯢﭼ أتبع ما يُوحى إلى من ربِّى، ويفعل الله ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر، فهل سَمعتم أحدًا من البشر أتى بهذه الآيات؟ وقال بعض الملحدين: ليس هذا جوابًا مقنعًا، وغلِطُوا؛ لأنّه أجابَهم، فقال: إنما أنا بشر لا أقدِر على شيء مما سألتمونِي، وليس لِي أنْ أتخيّر على ربِّى، ولم تكن الرسل قبلي يأتون أممهم بكل ما يريدونه ويبغونه، وسبيلي سبيلهم، وكانوا يقتصرون على ما آتاهم الله من آياته الدالة على صحة نبوتِهم، فإذا أقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم أن يقترحوا غيرها، ولو وجَبَ على الله أن يأتيهم بكل ما يقترحونه من الآيات، لوجب عليه أن يأتيهم

---

[1] (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، ص518 .

[2] (?) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص18 .

بمن يختارونه من الرسل، ولوجب لكل إنسان أنْ يقول: لا أُومنُ حتى أُوتى بآية خلاف ما طلَب غيرى. وهذا يؤول إلى أنْ يكون التدبير إلى الناس، وإنما التدبير إلى الله تعالى »[1].

*وقال الكفار مستغربين لخصائص من خصائص بشريته: ﭽﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ [الفرقان: ٧].

فسَلاه الله ﷺ بأنّ الرسل قبله كانوا رجالا مثله، يأكلون ويتاجرون كما في آية سورة يوسف. بل وأرشد تعالى مَن شك في كون الرسل كانوا بشرًا إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة، عن الأنبياء الذين سلفوا هل كان أنبياؤهم بشرًا أو ملائكة[2]؟ فقال: ﭽﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [الأنبياء: ٧ – ٨]. والآيات في المعنى كثيرة، ومنها ومثلها ما في سورة النحل[3]. قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسيرها: « قال الضحاك، عن ابن عباس: لما بعث الله محمدًا ﷺ رسولا أنكرت العرب ذلك، أو مَن أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا، فأنزل الله: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [يونس: ٢]. وقال: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ [النحل: ٤٣]. يعنِي: أهل الكُتُب الماضية: أبشر كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشرًا فلا تنكروا أن يكون محمد ﷺ رسولا؟ وقال تعالى: ﭽﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [يوسف: ١٠٩]. .. والغرض أنّ هذه الآية الكريمة أخبَرَت أنَّ الرسل الماضين قبل محمد ﷺ كانوا بشرًا كما هو بشر، كما قال تعالى: ﭽﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [الإسراء: ٩٣ – ٩٤]. وقال تعالى: ﭽﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ [الفرقان: ٢٠]. وقال: ﭽﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [الأنبياء: ٨ – ٩]. وقال: ﭽﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ [الأحقاف: ٩]. وقال تعالى: ﭽﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ [الكهف: ١١٠] »[4].

---

1 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج13/ 177).

2 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ ص744) .

3 (?) سورة النحل، ورقمها: 43.

4 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج2/ص 743-744).

*وسلاه أيضَا بذكر سننه في الأنبياء قبله، قال تعالى: ﭽ ﭽ [الفرقان: ٢٠].

ومع كون رسول الله بشرًا، إلا أنّ الله هيأه تَهيئة خاصة تتناسب مع هذا الأمر العظيم الذي اصطفي له، فكمله في الخلق والخلق، فكان رسول الله أكمل البشر في كافة الجوانب البشرية. كما كان أكملهم عبودية لربه وقياما بحقه، فكمال الرسول في عبوديته التامة لربه سبحانه وتعالى[1]. وهذا ما سيأتي تأكيده وخصوصًا في الفصل الثاني من هذا الباب. وأما تفصيل دلائل بشريته وجوانبها ومقتضاها من الحاجة والفقر إلى ربه في كل شؤونه، وكذلك العجز البشريّ، من الولادة أصالة وفرعًا،والزواج، والأكل والشرب،ولازم ذلك من قضاء الحاجة، ثم النسيان والمرض،.. إلى الموت، فهو الذي يأتِي في مباحث هذا الفصل تباعًا. والله أعلم.

;

المطلب الثانِي: الحكمة في إرسال البشر إلى البشر دون الملائكة[2]:

تقدم قريبًا أنّه شاء العليم الحكيم أنْ يكون رسلُه عليهم الصلاة والسلام إلى عموم الإنس والجنّ بشرًا من جنس المرسل إليهم، وبلسانهم؛ وما كان ذلك إلا ليبينوا لهم شرع ربهم، ولتيلقّوا عنهم الدين، ولتقوم بهم الحجة على الناس، وتنقطع عنهم المعاذير، ويسهل عليهم اتباع رسلهم، والفهم عنهم.

قد ورد في القرآن اقتراح كفار قريش وقولهم بأنّه: هلا أُنزل علينا الملائكة رُسُلا؟ ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭽ [الفرقان: ٢١]. أو على الأقل؛ هلا أُنزل على النبِي ملكٌ فيكون له مساعدًا، مصدِّقًا، ﭽﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﭽ [الفرقان: ٧]. فجاء الرد من الله، ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖ ﭗﭘﭽ [الأنعام: ٨ – ٩]. فقوله: ﭽ ﭽ أي: هلا أنزل مع محمد ملك، يعاونه ويساعده على ما هو عليه بزعمهم أنه

---

1 (?) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص19 .

2 (?) انظر هذه المسألة، تحت عنوان: لِمَ لَمْ يكن الرسل ملائكة؟ في فصل صفات الرسل، من كتاب الرسل والرسالات، أ. د. عمر الأشقر، ص65 .

بشر، وأنّ رسالة الله لا تكون إلا على أيدي الملائكة. قال الله في بيان رحمته ولطفه بعباده، حيث أرسل إليهم بشرًا منهم يكون الإيمان بما جاء به، عن علم وبصيرة، وغيب، ﭽﭗﭘﭙﭚﭛﭜ برسالتنا، ثم لم يؤمنوا، -والغالب أنهم لا يؤمنون بِهذه الحالة، فإذا لم يُؤمنوا قُضِيَ الأمر بتعجيل الهلاك عليهم، وعدم إنظارهم، لذا قال في الرد عليهم، ﭽ ﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭼ، وقال: ﭽﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭼ [الفرقان: ٢٢]. لأنَّ الإعجال بالعقوبة وعدم الإنظار هي سنة الله فيمن طلب الآيات المقترحة فلم يؤمن بها، كما قال: ﭽﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ [الحجر: ٨]. فإرسال الرسول البشري إليهم بالآيات البينات، التي يعلم الله أنها أصلح للعباد، وأرفق بهم، مع إمهال الله للكافرين والمكذبين خير لهم وأنفع، فطلبُهم لإنزال الملك شرٌّ لهم لو كانوا يعلمون.

وهذه هي **الحكمة الأولى** التي اقتضتْ أنْ يكون الرسل من جنس المرسل إليها؛ ومفادها أنّ الملائكة لو نُزِّلوا –كما اقترحوا- ثم لم يؤمن الناس بهم لعاجلهم الله بالعقوبة، فاقتضت رحمته بالناس جميعًا؛ مؤمنِهم وكافرهم أنْ يُرسل رسولٌ من جنسهم، ويُمهل المجرمين إلى أنْ يرَوا الملائكة.

والحكمة الثانية من إرسال رسولٍ مِن جنس المرسل إليهم: لو أنزل الملك على البشر، وأرسل، لم يطيقوا التلقي عنه، ولا احتملوا ذلك، ولا أطاقته قواهم الفانية، لاختلاف طبائعهم، فاعتبِر في هذا برسولنا محمدٍ ﷺ -مع أنّه على جانبٍ عظيم من قوة النفس والجسم، ومع ما أقدره الله عليه من رؤية جبريل على صورته مرتين أو ثلاثًا والتلقي عنه- لَما رآه ﷺ على صورته التي خُلِق عليها رجَع إلى منـزله يرجُف فؤادُه. فكيف لو كان الذي ينـزل بِهذه الرسالة رسولا ملكيًّا على مدى ثلاث وعشرين سنة لعانَى الناس صنوفًا من الشدة في الاتصال به، والأخذ عنه.

الحكمة الثالثة: لو شاء الله أنْ يُرسل ملكًا رسولا إلى البشر لاقتضى الحال أنْ يجعله رجلا ﭽﭚﭛﭜﭝﭞﭼ لأنّ الحكمة لا تقتضي سوى ذلك، فالله ﷻ لو أنزل مع الرسول

البَشَرِيّ ملكًا، أو لو بعث إلى البشر رسولا ملكيًا لكان على هيئة رجل وصورته؛ لتُفْهَم مخاطبته، والانتفاع بالأخذ عنه، ما دام سكان الأرض بشرًا –وهم كذلك-، ﭽ ﯼﯽﯾﭼ [الإسراء: ٩٥]. ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما يُلَبِّسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري، ﭽﭙﭚﭛﭜﭼ والتباس الأمر عليهم بسبب كونه في صورة رجل، فلا يستطيعون أنْ يتحققوا من كونه ملَكاً، وإذا كان الأمر كذلك فلا فائدة من إرسال الرسل من الملائكة على هذا النحو، بل إرسالهم من الملائكة على هذا النحو لا يحقق الغرض المطلوب، لكون الرسول الملك لا يستطيع أن يُحسّ بإحساس البشر، وعواطفهم، وانفعالاتهم؛ وإنْ تشكّل بأشكالهم، لذا صار من رحمته تعالى بخلقه أنَّه يُرسل إلى البشر رُسلا منهم ومن جنسهم، ليدعو بعضهم بعضًا، وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال[1].

ففي سياق آيات الإسراء المتقدمة أعلَمَ الله تعالى أن الملك إنما يرسل إلى الملائكة لأنه لو أرسل ملكا إلى الآدميين لم يقدروا أن يروه على الهيئة التي خلق عليها وإنما أقدر الأنبياء على ذلك لأنّه خلَق فيهم ما يقدرون به، ليكون ذلك آية لَهم ومعجزة

فثبت أنّ ما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله؛ لأنّ قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء، فأما الإنس فما هم بِهذه المثابة إنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتِهم وإرشادهم .

الحكمة الرابعة: أنه بإرسال الرسول البشري يجد البشر القدوة الممكنة لَهم؛ لكون الرسول مثلها؛ يُحس بإحساسهم، ويتذوق مواجدهم، ويعانِي تجاربَهم، ويدرك آلامهم وآمالهم، .. إلى آخر هذه السلسلة، فيعطف على ضعفهم ونقصهم، .. لأنه في النهاية واحدٌ منهم، .. وهذا من جانبه، أما مِن جانبهم فهم يجدون فيه القدوة

---

1 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج2/ 172)، وتيسير الكريم الرحمن، ص251، وكتاب الرسل والرسالات، ص68 .

الممكنة، فيكون هو بشخصه ترجمة حية لِما يحمله إليهم، لتهفوا نفوسهم إلى تقليده[1].

الحكمة الخامسة: أنّ إرسال الرسول البشري إلى البشر أعظم في الابتلاء من إرسال الرسول الملكي إليهم، وفي الحديث القدسي، " **إنّما بعثتُك لأبتليك، وأبتلي بك** "[2].

الحكمة السادسة: وفيه كذلك إكرام هؤلاء المصطفَين مِن الله .

وهذه من الأسرار التي أوقفنا الله تبارك وتعالى لإرسال الرسل البشر إلى البشر دون الملائكة، والله ولي التوفيق.

---

1 (?) انظر: الرسل والرسالات، ص66-67 .

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الجنة، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم: 2865.

المبحث الأول: أنه وُلد من أبوين، وبيان نسَبِه الشريف، والصمد الغنِيُّ سبحانه لا والدَ له ولا نسَب، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ذكرُ ولادتـه عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثانِي: ذكر نسبه المتفق عليه من جهة أبيه.

المطلب الثالث: ذكر نَسَبِه المتفق عليه من جهة أمه.

المطلب الرابع: الصمد الغنِيُّ سبحانه لا والدَ له، ولا نسَب.

المطلب الأول: ذكرُ ولادتـــه عليه الصلاة والسلام[1]:

إنّ الله تبارك وتعالى مَنّ على المؤمنين بولادة مَن إرسـاله رحمةً للعالمين، ﭽﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ [الأنبياء: ١٠٧]. وهو عبدُه ورسولُه نبيُّنا محمدٌ الذي زُكِّي به المؤمون، وعُلِّم به الأمِّيـون، ﭽﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﭼ [آل عمران: ١٦٤]. قال سبحانه: ﭽﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭼ [الجمعة: ٢]الآية.

وبعثة نبِيٍّ بهذه الصفات هو إجابة من الله تعالى لدعوة أبِي الأنبياء إبراهيم ، حيث قال: ﭽﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﭼ [البقرة: ١٢٩].

فأجاب الله هذا الدعاء، ولقد قال رسول الله فيما رواه عنه أبو أمامة : " **أنا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ** "الحديث[2].

وأجمع العلماء –رحمهم الله- على أنّ هادي البشرية، وبشيرَها ونذيرَها وُلِد يوم الاثنين، ففي الحديث عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ، أنّه سُئل رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَوْمِ الِاثْنَيْنِ، فقَالَ: " **ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثتُ أو أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ**"[3].

[1] للاستزادة: تهذيب الأسماء واللغات، (ج1/ ص22-23)، والسيرة النبوية –عرض وقائع وتحليل أحداث-، (ج1/ ص60-62).

[2] الحديث صحيحٌ، وسيأتِي تخريجه.

[3] صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كلّ شهر..، وهو على إثر حديث رقم1162.

قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله-: « أما ولادة النبيِّ يوم الاثنين، فكالمجمع عليه بين العلماء »[4].

والمشهور عن شهْر ولادته أنّه في ربيع الأول، وهو قول جمهور العلماء، بل نقَل بعضُهم الاتفاق على ذلك، وقيل: في رجَب، وقيل: في رمضان، ولا يصِحّان.

واختلفوا عن أيّ يوم كان من الشهر؟ والمشهور الذي عليه الجمهور أنّه وُلد يوم الاثنين ثاني عشر من ربيع الأول، وهذا قول ابن إسحاق وغيرِه. وقيل: لِلَيلَتين خلَتَا من ربيع الأول، وقيل: لثمان خلَتْ منه، وقيل: لعشر، وقيل: لاثنتَي عشرة، وقيل: لسبع عشرة.

كما اختلفوا في عام ولادته، والأكثرون على أنّه عام الفيل، بل حتى حكى بعضهم الاتفاق على ذلك. وقيل: إنه وُلد قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وقيل: بعد الفيل بعشر سنين، وقيل: بثلاث وعشرين سنة، وقيل: بأربعين سنة. وهذه الأقوال وهمٌ عند جمهور العلماء، ومنها ما لا يصحّ عمّن حُكِي عنه[2] .

ففي نظم السيرة الزكية للحافظ العراقي:

وَوُلد النبيُّ عام الفيل ... أيْ: في ربيع الأوّلِ الفضيلِ
ليَومِ الاثنين مبارَكًا أتَى ... لِلَيلتَين من ربيعٍ خلَتَا
وقيلَ: بل ذاك لِثِنْتَيْ عشرَةْ ... وقيل: بعد الفيلِ ذا بفتْرَةْ
بأربعين، أو ثلاثين سنَةْ ... ورُدّ ذا الخُلفُ، وبعضٌ وهَّنَهْ[3].

وقد وُلد عبد الله ورسوله نبينا محمدٌ بمكة المكرمة مِن أبوَين هما عبد الله وآمنة -وسيأتِي ذكر نسَبه من جهتهما-.

والولادةُ مِن أبَوَيْن أحدُ الأوجُه الأربعة التي جعل الله خلْق البشر غير خارجٍ عنها؛ إذْ مَن استقَرَأَ النصوص الشرعية عمومًا، والقرآن العظيم خصوصًا في خلق البشر وجد أنّه لا يخرج إما أن يكون:

---

4 (?) لطائف المعارف، ص109 .

2 (?) انظر: لطائف المعارف، ص110-112 .

3 (?) قالها الحافظ عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالعراقي في: الدرر السنية في نظم السيرة الزّكية، ص19 (بيت رقم: 40-43)، وانظر شرحها في العجالة السنية للمناوي، ص50-53 .

بَشرٌ خُلِق بدون أبٍ وأم، بل مِن التراب، وذلك هو أبونا آدم . أو المخلوقُ مِن ضِلَع آدم بدون أم، وهي زوجه حواء عليهما السلام، وأمُّنا[4]. أو بأمٍّ دون أب، وهو عبد الله ورسوله عيسى كلمة الله، (ابن مريم عليها السلام)ـ أو تكون الولادة طبيعية من أمٍّ وأب، وهي لبقية البشر عدا مَن تقدّم، ومِن ذلك: هذا العبد الرسول نبيُّنا محمدٌ .

ويشهدُ لكلّ نوعٍ من هذه الأنواع نصوصٌ قرآنية، فبالنسبة للنوع الأول، قال الله تعالى للملائكة لما أراد خلَق آدم : ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭽ [البقرة: ٣٠]. وبيّن أنه يخلقه مِن تراب مِن طين، فقال: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭽ [ص: ٧١]. وذكر أنّ خلقه بعدما يبِس هذا الطين وتصلصلَ كالفخار، كما في آيات الحجر وغيره.

وقال تعالى في خلق زوج آدم عليهما السلام، وبيان أنّه بثّ الرجال الكثير والنساء منها ومِن زوجها: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭽ [النساء: ١].

وفي أمر عيسى المخلوق بكلمة الله، وبشارة الملائكة لأمّه رضي الله عنها، قال سبحانه: ﭽ   ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ   ﭽ [آل عمران: ٤٥]الآيات. وفصّل قصة حمله ومجيء المخاض والولادة لأمه، وما تبِع ذلك، في سورة مريم عليها السلام.

وقال في خلق غير هؤلاء الثلاثة مِن بقية البشر -محمدٍ وغيره من بنِي جنسه-، وأنّه مِن النطفة، ومِن أبَوَين الذكر والأنثى: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭽ [النساء: ١].

وقال: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭽ [النجم:45-46].

وقال: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ   ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ   ﯓ ﭽ [القيامة:36-39]. وقال: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭽ [الطارق:5-7].

والحاصل في هذا المطلب هو ما أجاب به مُفْتِي الْفِرَقِ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تيمية الحرّاني لَمّا سُئِلَ هذا

[4] ذكر شيخ الإسلام في تفسير سورة الإخلاص، أنه: « لا يُسَمَّى هَذَا تَوَلُّدًا؛ وَلِهَذَا لا يُقَالُ: إنَّ آدَمَ وَلَدَ حَوَّاءَ، وَلا يُقَالُ: إنَّهُ أَبُو حَوَّاءَ، بَلْ خَلَقَ اللَّهُ حَوَّاءَ مِنْ آدَمَ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنْ الطِّينِ » (ص113).

السؤال: .. وَهَلْ خُلِقَ النَّبِيُّ مِنْ النُّورِ؟ أَمْ خُلِقَ مِنْ الأَرْبَعِ عَنَاصِرَ؟ أَمْ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ؟ وَهَلْ الْحَدِيثُ الَّذِي يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ: " **لَوْلاك مَا خَلَقَ اللَّهُ عَرْشًا وَلا كُرْسِيًّا، وَلا أَرْضًا وَلا سَمَاءً، وَلا شَمْسًا وَلا قَمَرًا. وَلا غَيْرَ ذَلِكَ** " صَحِيحٌ هُوَ أَمْ لا؟

فأجَاب –رحمه الله- بما هذا بعضه: « فَصْلٌ: وَالنَّبِيُّ خُلِقَ مِمَّا يُخْلَقُ مِنْهُ الْبَشَرُ؛ وَلَمْ يُخْلَقْ أَحَدٌ مِنْ الْبَشَرِ مِنْ نُورٍ؛ بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ[1] عَنْ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: " **إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَلائِكَةَ مِنْ نُورٍ؛ وَخَلَقَ إبْلِيسَ مِنْ مَارِجٍ[2] مِنْ نَارٍ؛ وَخَلَقَ آدَمَ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ** ". وَلَيْسَ تَفْضِيلُ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى بَعْضٍ بِاعْتِبَارِ مَا خُلِقَتْ مِنْهُ فَقَطْ؛ بَلْ قَدْ يُخْلَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ كَافِرٍ؛ وَالْكَافِرُ مِنْ مُؤْمِنٍ؛ كَابْنِ نُوحٍ مِنْهُ وَكَإِبْرَاهِيمَ مِنْ آزَرَ؛ وَآدَمُ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ طِينٍ: فَلَمَّا سَوَّاهُ؛ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ؛ وَأَسْجَدَ لَهُ الْمَلائِكَةَ؛ وَفَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ بِتَعْلِيمِهِ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ وَبِأَنْ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ؛ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ. فَهُوَ وَصَالِحُو ذُرِّيَّتِهِ أَفْضَلُ مِنْ الْمَلائِكَةِ؛ وَإِنْ كَانَ هَؤُلاءِ مَخْلُوقِينَ مِنْ طِينٍ؛ وَهَؤُلاءِ مِنْ نُورٍ. .. وَالآدَمِيُّ خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ؛ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ؛ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ انْتَقَلَ مَنْ صِغَرٍ إلَى كِبَرٍ، ثُمَّ مِنْ دَارٍ إلَى دَارٍ، فَلا يَظْهَرُ فَضْلُهُ وَهُوَ فِي ابْتِدَاءِ أَحْوَالِهِ؛ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ فَضْلُهُ عِنْدَ كَمَالِ أَحْوَالِهِ؛ بِخِلافِ الْمَلَكِ الَّذِي تَشَابَهَ أَوَّلُ أَمْرِهِ وَآخِرِهِ. .. وَقَدْ ظَهَرَ فَضْلُ نَبِيِّنَا عَلَى الْمَلائِكَةِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ لَمَّا صَارَ بِمُسْتَوَى يُسْمَعُ فِيهِ صَرِيفُ الأَقْلامِ؛ وَعَلا عَلَى مَقَامَاتِ الْمَلائِكَةِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى أَظْهَرَ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَعَجِيبِ حِكْمَتِهِ مِنْ صَالِحِي الآدَمِيِّينَ مِنْ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِثْلُهُ مِنْ الْمَلائِكَةِ حَيْثُ جَمَعَ فِيهِمْ مَا تَفَرَّقَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ. فَخَلَقَ بَدَنَهُ مِنْ الأَرْضِ وَرُوحَهُ مِنْ الْمَلإِ الأَعْلَى، وَلِهَذَا يُقَالُ: هُوَ الْعَالَمُ الصَّغِيرُ، وَهُوَ نُسْخَةُ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ. وَمُحَمَّدٌ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق،باب فِى أَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَةٍ، رقم: 2997 من حديث عائشة رضي الله عنها.

2 (?) **المارج**: اللهب المختلط بسواد النار، كما قاله النووي في المنهاج (ص1720).

عَلَيْهِ، وَمِنْ هُنَا قَالَ مَنْ قَالَ: إنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ أَجْلِهِ الْعَالَمَ، أَوْ إنَّهُ لَوْلا هُوَ لَمَا خَلَقَ عَرْشًا وَلا كُرْسِيًّا وَلا سَمَاءً وَلا أَرْضًا وَلا شَمْسًا وَلا قَمَرًا. لَكِنْ لَيْسَ هَذَا حَدِيثًا عَنْ النَّبِيِّ لا صَحِيحًا وَلا ضَعِيفًا، وَلَمْ يَنْقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ وَلا يُعْرَفُ عَنْ الصَّحَابَةِ، بَلْ هُوَ كَلامٌ لا يُدْرَى قَائِلُهُ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُفَسَّرَ بِوَجْهٍ صَحِيحٍ »[1].

ثم ذكر هذا الوجه في كلام له طويل مجيبًا على الأسئلة التي وردت له.

فالنبِيّ بشرٌ –وسيأتي ذكر نَسَبِه-، والبشر خلقوا مِن تراب لا من نورٍ، كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ [الروم: ٢٠]. وغير ذلك من الآيات مما في موضوعها، التي يُخبرنا فيها ربُّ العزة والجلال أنّ رسوله بشر، وهو خبر عام يشمل الرسول وغيرَه من بنِي آدم ، ولا مخصِّص له، وأنَّ حديث النور المحمدي موضوع[2].

وهنا لا بد من وقفتَين في الردّ على طائفتين مُبطِلتين:

الوقفة الأولى: إنْ كان في خلق زوج آدم عليهما السلام، الذي هو مِن آدم فقط دون أم، أو خلق عيسى مِن مريم رضي الله عنها، إن كان في ذلك ما يقضِي العجب ويكون نتيجتُه الأخيرة تأليهَ عيسى عند النصارى، واعتقاد بنوته لله سبحانه، أليس خلق آدم أعجب منه[3]؟! والذي ينبغي أنْ تدل كلُّ هذه الأحداث عليه: هو قدرة الله التي لا يقف دونها شيءٌ؛ بل أمرُه بعد الكاف والنون، قال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [آل عمران: ٥٩].

قال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسيرها: « يُخبر تعالى محتجًّا على النصارى الزاعمين بعيسى ما

---

[1] (?) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج 11 / 94 -95).

[2] (?) انظر: حديث النور المحمدي، للدكتور عبد القادر محمد عطا صوفي، ص.

[3] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج1/ ص480)، والعنصرية اليهودية د. أحمد الزغيبي، (ج2/ 267-268).

ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنّـه ليس له والِدٌ استحق بذلك أن يكون ابن الله، أو شريكًا لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهةٍ فضلا أنْ يكون حجةً؛ لأنَّ خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرُّد الله بالخلق والتدبير، وأنّ جميع الأسبابِ طوعُ مشيئتِه وتَبَعٌ لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدلّ، وعلى أنّ أحدًا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم خلَقَه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يُوجب لآدم ما زعمَه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإنْ صحّ ادعاء البُـنُّوة والإلهية في المسيح، فادعاؤُها في آدم من باب أولى وأحرى، فلهذا قال تعالى: »[1]، فذكر الآية.

الوقفة الثانية: في الاستقراء لخلق البشر كلِّهم المتقدم أبلغ الردّ على مَن يزعُم أنّ عبدَ الله ورسولَه نبيّنا محمدًا خُلِق من نورٍ. فالشرع والتاريخ لا يُخبرانِّنا بحالةٍ خامسةٍ زيادةً على الأربعة المتقدمة. وسيأتي قريبًا في مطلَبَينِ قادمَيْـن ذكرُ نسَبِه الشريف مِن جهة أبيه، ومِن جهة أمه. كما سأرُدّ على أهمّ شُبَهِهم في الباب، في فصل الصوفية والبريلوية. أما قول الله تعالى: ﭼ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [المائدة:15-١٦]**.** وقول الصحابي الجليل[2] في استعطافه النبِيَّ :

إنّ الرسول لنورٌ يُستضاء به	مهنَّدٌ مِن سيوف الله مسلولُ.

بل وخروج النور من أمه عند ولادته وإضاءة أرض الشام منه**. فهذا وغيره لا يدل على زعم الغلاة. وهذا أحد مواقف الناس في وصف عبد الله ورسوله نبينا محمد وغيره بصفة أنه: مولود، وأنه بشر،** وما في هذا الموقف هو الذي وصف النبِي بِه نفسه، ووصفه به ربُّه من المولودية والبشرية، كما أنَّه وُصف بأنّه جاء بالنور؛ فأخرج به الناس مِن الظلمات إلى الحق. وهو الحق الذي عليه أهل السنة في هذه المسألة.

والموقف الثانِي في هذه المسألة: هو نفيُ ما وصَف النبِيُّ نفسه به من ذلك وتأويله. والغلاة لَمّا زعموا أنه خُلق من نور وأنه ليس ببشر، زادوا مِن

[1] (?) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص 113.

[2] (?) هو كعب بن زهير .

غَلوائهم فنَفَوا عنه طائفة أخرى من خصائص البشرية وصفاتها، كالنسيان وغيره، وأضْفَوا له جملة من صفات الإلهية، كالعلم الشامل للغيب والشهادة. ولقد زادت غلاة الرافضة على ذلك فنفوا النسيان والغفلة عن أئمتهم زورًا وبُهتانًا، وأضْفَوا عليهم ما يختص به الله الكريم مِن علم الغيب وغيره. والله المستعان!

;

المطلب الثاني : ذكر نسبه المتفق عليه من جهة أبيه:

محمد رسول الله، أبو القاسم، سيِّدُ المرسلين، وخاتم النبيين هُوَ مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ، **بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ**، -واسمه: شيبة، ويقال له: شيبة الحمد- **بْنِ هَاشِمِ** –واسمه: عمرو- **بْنِ عَبْدِ مَنَافِ** –واسمه: المغيرة- **بْنِ قُصَيّ** –واسمه: زيد عند الأكثر، وقد قيل: يزيد- بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ - وإلى فهرٍ جماعُ قريش، وما كان فوق فِهر فلا يقال له: قُرَشي، بل يقال له: كنانِيٌّ- بْنِ مَالِكِ، **بْنِ النّضْرِ** –واسمه: قيس- بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ **بْنَ مُدْرِكَةَ** -واسمه: عامر- بْنِ إلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ. إلَى هَاهُنَا مَعْلُومُ الصّحّةِ، مُتّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ النّسّابِينَ، وَلا خِلافَ فِيهِ الْبَتّةَ. وَمَا فَوْقَ (عَدْنَانَ) مُخْتَلَفٌ فِيهِ. وَلا خِلافَ بَيْنِهِمْ أَنّ (عَدْنَانَ) مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيل[1].

ولقد ذكر الإمام البخاري –رحمه الله- هذا القدر من النسب فقال: « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ ، بْنِ عَبْدِ مَنَافِ، بْنِ قُصَيِّ، بْنِ كِلَابِ، بْنِ مُرَّةَ، بْنِ كَعبِ، بْنِ لؤَيِّ، بْنِ غالِبِ، بْنِ فِهْرِ، بْنِ مَالِكِ، بْنِ النَّضْرِ، بْنِ كِنَانَةَ، بْنِ خُزَيْمَةَ، بْنِ مُدْرِكَةَ، بْنِ إِلْيَاسَ، بْنِ مُضَرَ، بْنِ نِزَارِ، بْنِ مَعَدِّ، بْنِ عَدْنَانَ »[2].

---

[1] (?) انظر: الاستيعاب له، ص26-27، وأسد الغابة لابن الأثير، (ج1/28-29)، وزاد المعاد، (ج1/ ص71).

[2] (?) ذكره في صحيحه عقِب قوله: بَاب مَبْعَثِ النَّبِيِّ ، (وانظر ضبط الأسماء وشيء من تراجمها: فتح الباري مع صحيح البخاري، ج2/ 2745-2746).

وقال الحافظ النسابة ابن عبد البر –رحمه الله- في الاستيعاب: « **محمد رسول الله** ، ... لم يختلف أهل العلم والأنساب والأخبار وسائر العلماء بالأمصار، أنّه صلى الله عليه وآله وسلم مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ، بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، بْنِ هَاشِمِ، بْنِ عَبْدِ مَنَافِ، بْنِ قُصَيّ، بْنِ كِلاَبِ، بْنِ مُرّةَ، بْنِ كَعْبِ، بْنِ لُؤَيّ، بْنِ غَالِبِ، بْنِ فِهْرِ، بْنِ مَالِكِ، بْنِ النّضْرِ، بْنِ كِنَانَةَ، بْنِ خُزَيْمَةَ، بْنَ مُدْرِكَةَ، بْنِ إلْيَاسَ، بْنِ مُضَرَ، بْنِ نِزَارِ، بْنِ مَعْدِ، بْنِ عَدْنَانَ. هذا ما لم يختلف فيه أحدٌ من الناس، وقد رُوي من أخبار الآحاد عن النبي أنَّه نسَبَ نفسَه كذلك، إلى نِزَارِ، بْنِ مَعْدِ، بْنِ عَدْنَانَ. وما ذكرنا من إجماع أهل السِّيَر وأهل العلم بالأثر يُغنِي عما سواه، والحمد لله. واختلفوا فيما بين عَدْنَان وإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وفيما بين إبراهيم وسام بن نوح، بِما لم أرَ لذكره هاهنا وجهًا؛ لكثرة الاضطراب فيه، وأنَّه لا يُوقف منه على شيء متتابع متفق عليه، وهم مع اختلافهم واضطرابهم مجمعون على أنَّ نزارًا بأسْرِها -وهي: ربيعةُ ومُضَرَ- هي الصريح الصحيح مِن وَلَد إسماعيل على ما ذكرنا في كتاب قبائل الرواة عنه . وهناك ذكرنا أصحّ ما قيل في نسبه إلى آدم . ..»[1].

وقال أيضًا: « وأما إسماعيلُ فقَطَن الحرم، وأنبع الله له زمزم، ونبَّأه الله تعالى وأرسله إلى العماليق، وجُرْهُم وقبائلِ اليمن، فنهاهم عن عبادة الأوثان؛ فآمنت به طائفة منهم، وكفَر أكثرهم، وغلَب على الحرم، وتزوج في جُرْهُم، وَوُلِد له اثنا عَشَرَ ولَدًا، ومات وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة، وأوصى إلى ابنه نبت بن إسماعيل، فدبَّر أمر البيت مِن بعده؛ فوَلَدُ عدنان كلُّهم مِن ولده، وأجمعُوا أنّ محمدًا رسول الله مِن ولد عدنان، وأنّ عدنان مِن ولد إسماعيل، وأنَّ ربيعةَ ومُضَرَ مِن ولد إسماعيل. والخلاف فيما بين عدنان وإسماعيل كثيرٌ جدًّا»[2].

---

1 (?) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر ابن عبد البَرِّ، ص26 .

2 (?) القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم وأول مَن تكلم بالعربية من الأمم، له أيضًا، ص31 .

وقال الحافظ الذهبي –رحمه الله- بعد ذكره عدنان: « وعدنان مِن ولد إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلم بإجماع الناس، لكِنْ اختلفوا فيما بين عدنان وبين إسماعيل من الآباء، فقيل: بينهما تسعة آباء، وقيل: سبعة. وقيل مثل ذلك عن جماعة. لكن اختلفوا في أسماء بعض الآباء؛ وقيل: بينهما خمسة عشر أبًا، وقيل: بينهما أربعون أبًا، وهو بعيدٌ. وقد ورد عن طائفة من العرب ذلك »[1].

وبِهذه النقولات الواضحة تم مقصود هذا المطلب، والله ولي التوفيق.

;

المطلب الثالث: ذكر نسَبَه المتفق عليه من جهة أمه:

أم رسول الله هي آمنة بنت وهب، بن عبد مناف، بن زُهرة، بْنِ كِلابِ، بْنِ مُرّةَ، قُرَشيّة، زُهرية، وكانت تجتمع مع أبيه في جده الخامس (كلاب)، قال الحافظ النّسابة ابن عبد البر –رحمه الله-: **ذكرُ أمهات رسول الله ** -فأورَد بسنده عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه- قال: « أم رسول الله ، آمنة بنت وهب، بن عبد مناف، بنِ زهرة، بْنِ كِلابِ، بْنِ مُرّةَ. وأمّها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب »[2].

وقال النووي –رحمه الله-: « وأمّ النبِيّ آمنة بنت وهب، بن عبد مناف، بن زُهرة، بْنِ كِلابِ، بْنِ مُرّةَ، بْنِ كَعْبِ، بْنِ لُؤَيّ، بْنِ غَالِبِ »[3].

تنبيه:

هذا نسبُه المتفق عليه مِن جهة أمه، وذاك من جهة أبيه، صلوات ربِّي وسلامه وبركاتِه عليه، وعلى آله وصحبه، وهو نسبٌ شريف، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ قبل إسلامه

---

[1] (?) انظر: تاريخ الإسلام للذهبِي ص17 وما بعده. ومن هذا الكتاب أُخذ السيرة النبوية والخلفاء الراشدين (المجلد الأول والثاني) بأمر الذهبي نفسه إلى مطلع سيَر أعلام النبلاء، (ج1/ 25 وما بعده) .

[2] (?) الاستيعاب لابن عبد البر، ص27 .

[3] (?) تهذيب الأسماء واللغات، (ج1/ ص22).

في ذكره قصته مع عظيمِ الروم: « ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ؛ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. وفيه: فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ، قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا »[1].

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « وَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ نَسَبًا عَلَى الإِطْلاقِ، فَلِنَسَبِهِ مِنْ الشّرَفِ أَعْلَى ذِرْوَةٍ، وَأَعْدَاؤُهُ كَانُوا يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ؛ وَلِهَذَا شَهِدَ لَهُ بِهِ عَدُوّهُ إذْ ذَاكَ؛ أَبُو سُفْيَانَ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الرّومِ، فَأَشْرَفُ الْقَوْمِ قَوْمُهُ، وَأَشْرَفُ الْقَبَائِلِ قَبِيلَتُهُ، وَأَشْرَفُ الأَفْخَاذِ فَخِذُهُ »[2].

ويشْهَد له ما جاء عن وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، حيث قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِى هَاشِمٍ** »[3]. وفي لفظ للترمذي: « **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إبراهيم إِسْمَاعِيلَ، واصطفى من ولد إِسْمَاعِيلَ بنِي كِنَانَةَ، واصطفى من بنِي كِنَانَةَ قريشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِى مِنْ بَنِى هَاشِمٍ** »[4].

ولتقرير ما تقدم وبيان شرف نسبه ﷺ قال القاضي عياض –رحمه الله-: " وأما شرَفُ نَسَبِه، وكرَمِ بلَدِه،

---

[1] صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، بابٌ (بدون ترجمة)، ورقمه: 7، وهذا لفظه، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسِّير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ورقمه: 1773.
ولفظه عند مسلم: « كيفَ حسبُه فيكم؟ »، وقوله: « قل له: إنّي سألتُك عن حسبه، فزعمتَ أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تُبعَث في أحساب قومها! ».

[2] زاد المعاد، (ج1/ ص71).

[3] صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فَضْلِ نَسَبِ النَّبِىِّ ﷺ ...، رقم: 2276.

[4] جامع الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب باب في فضل النبي ﷺ، رقم: 3606، قال: الترمذي: حديث حسن صحيح، وضعّف الاصطفاءَ الأولَ الألبانِيّ، لعدم وجود شاهد له (الصحيحة، ج2/ص610-612).

ومنْشَئِه، فمما لا يُحتاج إلى إقامة دليل عليه، ولا بيان مُشْكِلٍ، ولا خَفِيٍّ منه؛ فإنه نُخبة مِن بنِي هاشم، وسُلالة قريش، وصميمها، وأشرفُ العرب وأعزُّهم نفرًا من قبل أبيه وأمه، ومن أهل مكة؛ مِن أكرمِ بلاد الله على الله، وعلى عباده »[1].

ثم ساق أحاديثَ بذلك، وهذا ما يسمى بِخصوصيته وميزته في نسَبَه.

;

المطلب الرابع: الصمد الغنِيُّ سبحانه لا والدَ له ولا نسَب،

ليس لله سبحانه وتعالى أصلٌ تفرّع منه (فليس له سبحانه والـدٌ ولا نسَـبٌ)، فلم يتفرّع عنه شيء، كما أنه تعالى لم يتفرع هو عن شيء، كما يتفرع الولد عن أبيه وأمه، ويتفرع عنهما الولد، تعالى الله عن ذلك كلّه علُوًّا كبيرًا، فهو الخالق المالك المدبر، وسواه المخلوق المملوك المقهور المتصرَّف فيه.

وقد دلّ على هذا المعنى المعقود في هذا العنوان النصوص من القرآن والسنة، قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭼ [الإخلاص:1-٣]. وفي الحديث في سبب نزول السورة، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ : انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭼ [الإخلاص: ١ – ٢]، **وَالصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلا سَيَمُوتُ، وَلا شَيْءٌ يَمُوتُ إِلا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ لا يَمُوتُ، وَلا يُورَثُ** ...الحديث[2].

بل وأورَد البخاري –رحمه الله- من طريقَين عن أَبِي هُرَيْرَةَ في تفسير سُورَةُ الإخلاص قَولَ النَّبِيّ : " **قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ**

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص86-88 .

[2] جامع الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومِن سورة الإخلاص، وحسنه الألباني، دون والصمد، لسوء حفظ أبي جعفر الرازي (ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة، ص275، ورقم الحديث: 663، ورقم: 690، ص281).

مِنْ إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ؛ فَقَوْلُهُ: ﭽ ﭼ ، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ "[1].

ومما جاء من تفسير السلف[2] للفظة ﭽﭗ ﭼ قولهم: هُوَ الَّذِي لا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ. ووضّح بعضهم أكثر فقال: ﭽﭗ ﭼ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ: لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ[3]. قال العلامة ابن القيمّ -رحمه الله-:

وكذاك نـزّه نفسه عن والدٍ، وكذاك عن ولدٍ هُمـا نَسَـبَانِ[4].

والملاحظ في هذا المقام أنه قد قلّت النصوص الشرعية التي نَفَتْ عن الله سبحانه ولدِيّة لأحد (أعنِي: أنْ يكون له والد، فيكون هو مولودًا له) نسبِيًّا إلى التي نفَتْ عنه اتخاذ الولد، أو أنْ يَلِد أحدًا، ولعل السبب في ذلك هو أنّ الأول لم يدَّعِه أحدٌ في الله تعالى. بينما الثانِي ادّعاه فيه اليهود والنصارى والكفار قبلهم، وكذا مشركو العرب، فردّ الله عليهم هذه الفِرية بالأدلة العقلية والشرعية الكثيرة -كما ستأتِي في المطلب الثالث من المبحث الثانِي-، لكنه -والله أعلم- لَمَّا كان الذي ادّعى فيه سبحانه اتخاذ الولد قد يدَّعِي ولادة أحدٍ عليه سبحانه، لم تُغْفِل النصوص الشرعية نفيَ هذا، فجاءتْ لنفي ذلك ما تقدم من النصوص، وقد قرّر هذا المعنى الشيخ عطية محمد سالم -رحمه الله تعالى- حيث قال:

« أما أنه ﭽﭙﭼ فلم يدَّع أحدٌ عليه ذلك؛ لأنَّه ممتنع عقلاً، بدليل الممانعة المعروف، وهو كالآتِي: لو توقف وجوده سبحانه على أنْ يُولَد لكان في وجوده محتاجًا إلى من يوجِدُه، ثم يكون مَن يَلِده في حاجة إلى والد، وهكذا يأتِي

---

[1] صحيح البخاري: كتاب التفسير، بابٌ، (بدون ترجمة)، رقم: 4974، وباب قوله: ﭽ ﭖ ﭗ ﭼ رقم: 4975. وتفرد بإخراج الحديث البخاري عن مسلم.

[2] انظر: السنةلابن أبي عاصم، (باب نسبة الرب تبارك وتعالى) أثر رقم: 663، و690، ثم رقم: 667، و670.

[3] انظر: تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، ص52، و54، و58، و60.

[4] الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم، (بيت رقم: 1588ص95).

الدور والتسلسل، وهذا باطل. .. ولو كان له والدٌ لكان الوالد أسبق وأحق، تعالى الله عن ذلك. .. وقد **أورد بعض المفسرين سؤالاً في هذه الآية**، وهي قوله تعالى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭼ وهو لِماذا قدّم نفي الولد على نفي الولادة؟ مع أنَّ الأصل في المشاهد أنْ يُولَد ثم يَلِد؟ وأجاب: بأنَّه مِن تقديم الأهم؛ لأنه ردٌّ على النصارى في قولهم: عيسى ابن الله. وعلى اليهود في قولهم: عزيز ابن الله. وعلى قول المشركين: الملائكة بنات الله، ولأنه لم يدَّع أحدٌ أنَّه سبحانه مولودٌ لأحدٍ، فكانت دعواهم الولد لله فرية عظمى. اهـ. كما قال تعالى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭼ [الكهف: ٥]. وقوله: ﭽﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﭼ [مريم: ٨٨ – ٩١]. فلشناعة هذه الفِرْية قُدّم ذِكرُها، ثم الردّ على عدم إمكانِها .. . وقد قدمنا دليل المنع عقلاً ونقلاً . **وهنا سؤال أيضًا**، وهو إذا كان ادعاء الولد قد وقع، وجاء الردُّ عليه: فإنَّ ادعاء الولادة لم يقع، فلِماذا ذُكِر نَفيُه مع عدم ادّعائه؟ **والجواب** -والله تعالى أعلم-: أنَّ مَن جوّز الولادة له، وأنْ يكون له ولد، فقد يُجَوّز الولادة عليه، وأنْ يكون مولودًا، فجاء نفيُها تتمة للنفي والتنـزيه، كما في حديث الْبَحْرِ[1]؛ كان السؤال عن الوضوء من مائِه فقط، فجاء الجواب عن مائِه ومَيْتته، لأنَّ ما احتمل السؤال في مائِه يحتمل الاشتباه في ميتته. والله تعالى أعلم » [2].

فبهذا ثبَت عقلا، وقبله نقلا انتفاءُ أنْ يكون الله سبحانه مولودًا لأحدٍ، بل وجودُه هو الوجود الذي لم يحتجْ إلى مُوجِدٍ، ووالد، سبحانه! والله تبارك وتعالى أعلم.

المبحث الثاني: أنَّ النبيَّ ﷺ تزوَّج النساءَ، وذكر أزواجه رضي الله عنهن،

---

[1] حديث البحر، بأنه " **الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ** " أخرجه أصحابُ السنن (أبو داود: كتاب الطهارة، بَاب الْوُضُوءِ بِمَاءِ الْبَحْرِ، ورقمه: 83، والترمذي في جامعه: كتاب الطهارة، بَاب مَا جَاءَ فِي مَاءِ الْبَحْرِ أَنَّهُ طَهُورٌ، رقم: 69، والنسائي في مواضع، هذا أحدَها: كتاب الطهارة، بَاب مَاءِ الْبَحْرِ، رقم: 59، وابنُ ماجه: كتاب الطهارة، بَاب الْوُضُوءِ بِمَاءِ الْبَحْرِ، رقم: 386)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ مرفوعًا، وهو حديث صحيح.

[2] انظر: تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج9/ص619-622).

والمعبود الغني سبحانه لم يتخذ صاحبة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذكرُ زواجـه عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: ذكرُ أزواجـه ، ورضي الله عنهنّ.

المطلب الثالث: المعبود الغنِيّ سبحانه لَم يتّخذ صاحبة.

المطلب الأول: ذكرُ زواجـه عليه الصلاة والسلام:

الزوجية سنة من سُنَن الله الكونية في خلقه، وهي عامةٌ مطّردة، لا يَشُذُّ عنها عالَمُ الإنسان، أو عالَم الحيوان أو عالَم النبات: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﭼ [الرعد: ٣]. ﭽﮩﮪﮫﮬﮭ ﯔﯕﯖﯗﯘﯙﭼ [يس: ٣٦]. وأعمّ من السابق قوله تعالى: ﭽﯽﯾﯿ ﭼ [الذاريات: ٤٩]. لكنه لم يشأ الله أن يَجعل الإنسان كغيره من العوالِم، فيدع غرائزَه تنطلق دون وعْيٍ، ويترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له، بل وضَع النظامَ الْمُلائمَ لسِيادته، والذي مِن شأنه أن يَحفظ شرَفَه، ويصون كرامتَه، فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالا كريْمًا، مبنيًّا على رضاهما، وعلى إيجاب وقَبُول، كمَظهرَين لِهذا الرضا، وعلى إشهاد، على أنّ كلاً منهما قد أصبح زوجًا للآخر. وبِهذا وضع للغريزة سبيلها المأمون، وحمى النسل من الضَّياع، وصان المرأة عن أنْ تكون مباحًا لكل راتع. ووضع نواة الأسرة التي تَحوطها غريزةُ الأمومة، وترعاها عاطفةُ الأبوة. فتنبُتُ نباتًا حسَنًا، وتُثمِر ثِمارها اليانعة. وهذا النظام هو الذي ارتضاه الله، وأبقى عليه الإسلام، وهدَم كلّ ما عداه. فالزوجية هي الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر، واستمرار الحياة، بعد أن أعدّ كِلا الزوجين وهيأهما، بِحيث يقوم كلٌّ منهما بدورٍ إْيجابِي في تحقيق هذه الغاية: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭼ [النساء: ١]. ﭽﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﭼ [الحجرات: ١٣] [1].

والرسول بل الرسل قبله أفرادٌ من النوع الإنساني، ومحتاجون إلى ما يحتاجه إليه نوعهم وبقية العَالَم من الزواج، وقضاء الحاجات بإتيان الزوجات،

[1] (?) انظر: فقه السنة للسيد السابق، (ج2/ص7).

وإنجاب النسل والذرية، ومِن ثَمَّ سنُّوا لِهذا النوع -شرعًا- الزواج، قال تعالى: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [الرعد: ٣٨].

قال القرطبي –رحمه الله- وهو يتكلم عن سبب نزول الآية: « قيل: إنّ **اليهود** عابوا على النبِيّ ﷺ الأزواج، وعيَّرْته بذلك، وقالوا: ما نرى لِهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبيًّا لشغَلَه أمرُ النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه الآية، وذكَّرهم أمرَ داود وسليمان فقال: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﭼ أي: جعلناهم بشَرًا يقضُون ما أحلّ الله مِن شهوات الدنيا، وإنما التخصيص في الوحي »[1].

وفي تفسير الآية قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « يقول تعالى: وكما أرسلناك، يا محمد، رسولا بشريًّا، كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بَشَرًا يأكلون الطعام، ويَمشون في الأسواق ويأتُون الزوجات، ويُولَد لهم، وجعلنا لهم أزواجًا وذرية، وقد قال الله تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم: ﭽﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﭼ [الكهف: 110] »[2].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسيرها: « أي: لستَ أول رسولٍ أُرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك، ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﭼ فلا يَعِيبُك أعداؤُك بِأَنْ يكون لك أزواجٌ وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلأي شيء يقدحون فيك بذلك، وهم يعلمون أنَّ الرسل قبلك كذلك؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم؟ وإنْ طلبوا منك آيةً اقترحوها، فليس لك من الأمر شيءٌ »[3].

وقال الشنقيطي –رحمه الله-: « بيَّن في هذه الآية الكريْمة أنَّ الرسل قبله ﷺ من جنس البشر، يتزوجون، ويَلِدون، وليسوا ملائكة، وذلك أنَّ الكفار استغربوا بعث آدمي من البشر، كما قال تعالى: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﭼ [الإسراء: ٩٤]. فأخبَر أنه يرسل البشر الذين يتزوجون »[4].

والآية السابقة تدل على سُنة الله في غالب رُسُلِه حيث جعَلهم كغيرهم من بنِي جنسهم يتزوجون، بِخلاف

---

1 (?) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج12/ص84).

2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج2/ص674).

3 (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص419.

4 (?) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج3/ص 90).

القلة منهم الذين أحصروا أنفسهم عن الشهوات كيحيى ، ولعلّ ذلك من شرائعهم الخاصة، بخلاف شرعنا [1].

قال الإمام أبو عبد الله السفاريني (ت1189هـ) وهو يذكر ما يجوز على الأنبياء:

وجائزٌ في حقّ كلّ الرّسل   النومُ والنكاح مثل الأكل[2].

ويؤكّد كون الزواج من سنن المرسلين الشرعية، ومن سنن وطرُق المصطفى خاصة ما جاء في حديث أَنَس بْن مَالِكٍ ، قال: جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، .. الحديث، وفيه: وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: " **أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ! إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** " [3].

فطريقة الأنبياء طريقة سَمحة؛ فيها الزواج لكسر الشهوة، وإعفاف النفس، وتكثير النسل. وليست الرهبانية في الإسلام من شيءٍ!

وأما عن زواجه وأزواجه مجملا قبل التفصيل، وذلك بعدما أتم خمسًا وعشرين سنة، تزوج بخديجة التي لم يتزوج قبلها، ولم يتزوج عليها في حياتها غيرها، وبقيتْ معه رُبع قرنٍ، وبعد وفاتها تزوج بسودة التي عمرُها وقت الزواج خمسون. وعقد على عائشة، وذلك بِمكة. وفي المدينة في السنة الثالثة عقد على حفصة، وعلى زينب بنت خزيمة، وفي الرابعة على أم سلمة، وفي الخامسة

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، حيث بيَّن فيه معنى قول الله تعالى مادحًا رسوله يحيى بأنه حصورٌ، في قوله: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ (ج5/119-120، وما قبله).

[2] الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية للسفاريني، البيت رقم: 146.

[3] صحيح البخاري: كتاب النكاح، بَاب التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، رقم: 5063، وصحيح مسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمَن تاقت نفسه إليه، رقم: 1401، واللفظ للبخاري .

على زينب بنت جحش، وعلى جويرية، وفي السادسة على أم حبيبة، وفي السابعة على صفية، وفيها عقد على آخر زوجاته؛ ميمونة في عمرة القضية، هكذا، وبِهذا الترتيب؛ يقول المؤرخ ابن الأثير –رحمه الله- في ذكر زوجاته، وسرارِيه : « أول امرأة تزوجها رسول الله **خديجة،** ولَم يتزوج عليها حتى ماتت. ثم تزوج بعدها **سودة** بنت زمعة؛ قال الزهري: تزوجها قبل عائشة وهو بمكة وبنى بها بمكة أيضًا. وقال غيره: تزوج عائشة قبلها، وإنّما ابتنى بسودة قبل عائشة لصغر عائشة. وتزوج **عائشة** بنت أبي بكر بمكة، وبنَى بِها بالمدينة سنة اثنتين. وتزوج **حفصة** بنت عمر بن الخطاب في شعبان سنة ثلاث. وتزوج **زينب بنت خزيمة** الهلالية أم المساكين سنة ثلاث، فأقامت عنده شهرين أو ثلاثة ولم يمت من أزواجه قبله غيرها وغير خديجة. وتزوج **أم سلمة** بنت أبِي أمية في شعبان سنة أربع.
وتزوج **زينب بنت جحش** الأسدية سنة خمس، وقيل: غير ذلك. وتزوج **أم حبيبة** بنت أبي سفيان سنة ست، وبنى بها سنة سبع. وتزوج **جويرية** بنت الحارث سنة ست، وقيل: سنة خمس. وتزوج **ميمونة** بنت الحارث الهلالية سنة سبع. وتزوج **صفية** بنت حُيَيّ سنة سبع. وقد ذكرنا كل واحدة منهن في ترجمتها مستقصى فهؤلاء اللواتي لم يختلف فيهن، ومات عن تسع منهن، وهن اللواتي خيَّرهن الله سبحانه فاخترن الله ورسوله. ...
وأما **سراريه**: فمنهن مارية القبطية، وهي أم ابنه إبراهيم. ومنهن ريحانة بنت عمرو القرظية »[1].

فستٌّ من زوجاته قُرَشيات، وهنّ: خديجة، وسودة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم حبيبة. أما زينب بنت خزيمة فهلالية، وكذلك ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت جحش أسدية، وجويرية بنت الحارث خزاعية، بينما كانت صفية بنت حُيَيّ خيبرية هارونية[2].

---

1 ([?]) أسد الغابة (ج1/53-54).
2 ([?]) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبِي، (ج1/ص 583).

يقول قتادة –رحمه الله-: « إن النبي تزوج بخمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة امرأة منهن، واجتمع عنده منهنّ إحدى عشرة، وقبض عن تسع »[1] .

وهنا سأكتفي بتراجم اللاتِي دخل بِهنّ من الزوجات، مضيفًا عليهنّ ترجمة أم ولده إبراهيم رضي الله عنهما. كما أنِّي سأذكُر القول المحقق في سنوات زواجه منهنّ في تراجمهنّ قريبًا، إنْ شاء الله، وقد سبق شيءٌ منه في قول العلامة المؤرِّخ ابن الأثير –رحمه الله-.

وقد أكثَرَ نبيُّنا محمدٌ مِن الزواج والزوجات، وذلك **لِحِكَمٍ**[2] **دعوية تعليمية؛ كتوصيل الأحكام الشرعية للنساء** (فتخرّج على يديه معلّمات النساء ليُعلمن نصف المجتمع، وخصوصًا الأحكام التي تخص المؤمنات بالصراحة الكاملة)، **وتعليم الناس عمومًا أمور الدين من خلال حياة الرسول الخاصة** (الأسرية). **وتشريعية** (كما في زواجه من زوج ولده المتبنى زيد بن حارثة ، للقضاء على بدعة التبنِّي)، **واجتماعية** (كزواجه من بنت الصديق والفاروق رضي الله عنهما)، والتعويض عن فقدان المعيل وقصد المواساة، وتأمل هنا ما كان من حالة أمّ حبيبة رضي الله عنها –كما سيأتي-. **وسياسية؛** بتوثيق العلاقة بينه وبين القبائل، (كزواجه بقية النساء من أجل تأليف القلوب، وجمع الكلمة والقبائل حوله، كجويرية بنت الحارث سيد بنِي المصطلق، وكزواجه من صفية، وهي سيدة بنِي

---

1 (?) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ج1/ 27)، وأعلام النبلاء للذهبِي، المصدر نفسه.

2 (?) انظر: شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول لمحمد علي الصابونِي، الكتاب كله، وخصوصًا، من ص7-32، وعنوان: وقفة قصيرة عند تعدد الزوجات، في كتاب السيرة النبوية لأبِي الحسين الندوي 547-552، وعنوان: حكمة هذا التعدد في كتاب: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للأستاذ الدكتور مهدي رزق الله، (ج2/ 301-303)، والمبحث الثانِي: الحكمة من تعدد زوجات رسول الله ، ص 23-28، في كتاب سيرة أم سلمة رضي الله عنها للدكتوراة حصة بنت عبد الكريم الزيد.

قريظة، وكزواجه من أم حبيبة رملة بنت أبِي سفيان بنت حامل لواء الشرك في ذلك اليوم أبي سفيان ‍) [1].

وبعد هذا، أقول في ختام المطلب: أنّه قد نشأتْ مشكلة تعدّدِ الزوجات في حياة محمدٍ ‍، وشَغَلَتْ عقول كثيرٍ من الباحثين الغربيين، وأقلام الكتّاب المستشرقين، بل وكثُر التساؤل عنها، نتج كلّ ذلك بسبب إخضاعهم الحياة الزوجية في الشريعة الإسلامية للقِيم والأعراف والتصوُّرات الغربية، وتسليط موازينهم ومقاييسهم عليها، دون النظر إلى القيّم الإسلامية المتوافقة للفطر السليمة، والتي تقتضيها المصالح الخلقية والاجتماعية، الذي أذنَ الله به. وإنْ كان المنصفون من الغربيين ينادون بعدم إخضاع حياة محمدٍ ‍ إلى الشعور الغربِي ومقاييسه، يقول R. V.C Bodley في كتابه (حياة محمد الرسول): « إنّه لا داعِيَ إلى قياس حياة محمدٍ الزوجية بالمقاييس الغربية، ولا الحكم عليها من وجهة نظر التقاليد والقوانين التي سنتْها المسيحية في الغرب، فلم يكن أولئك الرجال –العرب- غربيين، ولا مسيحيين، إنما نشؤوا في بلاد، وفي عصر كان يسود عليه نظامهم الخُلُقي الخاص، ورغم كلّ ذلك لا مبرِّر لتفضيل النظام الخلقي الأمريكي أو الأوربِي على النظام الخُلُقي العربِي، إنّ الغربيين لا يزالون في حاجة إلى بحثٍ دقيق، وتمحيص كبيرٍ لتفضيل نظامهم الخلقي وطريقة حياتِهم على غيرها، فعليهم أنْ يتجنّبوا الطعن في ديانات أخرى، ومدنيات أخرى »[2].

وأقول هنا: مَن عرف ثلاث نقطٍ جوهرية قادمة في سيرة النبِيّ ‍ في زواجه وزوجاته استطاع بِحول الله أنْ يَرُدّ على الذين يُثيرون شبهة زعموا من خلالِها أنّ الرسول ‍ رجلٌ يسير وراء شهوته[3]، حيث شرع لأمته

---

1 (?) انظر: شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ‍ للصابوني، 13-32.

2 (?) حياة محمد الرسول، ص202-203، نقلا عن السيرة النبوية للندوي، ص551 .

3 (?) سيأتِي نقل ذلك عن اليهود والنصارى في تمهيد الباب الثالث من هذه الرسالة.

التقيّد بالأربع، وتزوج هو بعشرةٍ أو يزيد، وهذه النُّقَط هي:

الأولى: زواجه الأول –وهو في عنفوان شبابه وقوته؛ ابن خمسٍ وعشرين سنة، وقبل نبوته- كان مِن أرملة في الأربعين مِن عمرها.

النقطة الثانية: لم يَحصُل منه التعدد -فتزوج سودة وعائشة وحفصة ..إلخ- إلا بعدما جاوز من العمر خمسين، مع أنّ زواجه من كلٍّ واحدة منهنّ رضي الله عنهنّ كان لِهدف ومصلحة دعوية تجتلب، أو منفعة عامة تكتسب، أو المروءة ومكارم الأخلاق، أو درء خطر اجتماعيٍّ كبير، بحقن الدماء والتوقي من معرَّة القبائل العربية[1].

النقطة الثالثة: كانت جميع زوجاته ثيِّـبات (أرامل) ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها، فهي الوحيدة من نسائه التي تزوجها في حالة الصبا والبكارة[2].

فَفي زواجه مِن الـثيّـبات، وبقائه بالزوجة الواحدة؛ خديجـة -الأكبر منه سنًا- ربع قرن إلى أنْ ذهب عنفوان شبابه وبدأ يشيب –وإنْ رزق هو وغيره مِن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قوى عدد كبير مِن الناس في الجماع-، وتأخر التعدد، .. كلّ هذا ما هو إلا برهان واضح وعظيم لرد ما يقدحه به اليهود والنصارى والملحدون والمستشرقون من وصفه بالشهوانية، وأنه سائرٌ وراء الشهوة -عاملهم الله بما يستحقون-، بل الحقيقة هي أنَّ أغلب زواجه كان مقرونًا بالأهداف الدعوية والأسباب المعينة على إعلاء كلمة الإسلام وحمايته. فهو وإنْ حُـبب إليه من دنيانا النساء والطيب، فقد جُـعلت قرة

---

1 (?) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص548 .

2 (?) انظر: شبهات وأباطيل حول: تعدد زوجات الرسول ، للصابونِي، ص10.

عينه في الصلاة[3]. صلوات ربِّي وسلامه وبركاته عليه، وعلى آله وصحبه .

المطلب الثاني: ذكر أزواجه ، ورضي الله عنهنّ:

سبق في المطلب القادم أنّ الزواج سنة المصطفى الشرعية والكونية، وأنه والأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام محتاجون إلى ما احتاج ويحتاج إليه بنو جنسهم. وأما هذا المطلب فمعقود لذكر أزواجه ورضي الله عنهنّ (تراجم)ـ وأخصّ كلامي هنا باللاتِي دخل بهنّ دون اللاتِي عقد عليهن ولم يحصل دخولٌ ففارقهنّ، فأقول: قد تناولت هذا المطلب من خلال ثلاث عشرة مسألة، على النحو التالِي:

المسألة الأولى: ذكر أم المؤمنين خديجة الأسدية رضي الله عنها وأرضاها، أُولَى زوجاتِ الرسول ، ورضِيَ الله عنهنّ:

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، بن أسد بن عبد العزى، بن قصي بن كلاب، القرشية، الأسَديّة، رضي الله عنها وأرضاها، تزوجها بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقِيت معه إلى أنْ أكْرَمه الله برسالته فآمنت به، وثـبَّـتَـتْ جأشه، ونصَرَتْه، وقَـوَّتْه، وكانت تهوِّن عليه أمر الناس، فكانت له وللإسلام –حياتها- وزيرَ صدقٍ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الأصح، وقيل: بأربع. وقيل: بِخمس [1].

---

[3] (?) أخرجه النسائي في سننه عن أنسٍ ، في كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، ورقمه: 3939 وأحمدُ في مسنده، ورقمه: 12315، و12316، و13079، و14069، وهو حديث حسن أو صحيح، وصححه الشيخ الألبانِي (انظر: الصحيحة، ج4/424، برقم: 1809، والمجلد السابع/ ص859، رقم: 3291).

[1] (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة خديجة، برقم: 3279، ص888-892، والوفا بأحوال المصطفى، لعبد الرحمن ابن الجوزي، ص667-668، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة للجماعيلي، ص669، (ضمن الجامع للمتون العلمية للشمرانِي)، وتهذيب الأسماء واللغات، (ترجمتها، برقم: 732، ج1/ ص 341-342)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص119)، وسِير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي،

وأبرز خصائصـها رضي الله عنها التي تَميزتْ بِها عَن بقية أزواجه ﷺ:

أُولاها: أنّها أول امرأة آمنت بالله ورسوله من هذه الأمة، بل أول مَن آمنت به مطلقًا[1].

الثانية: لم يتزوج عليها غيرها حتى توفِّـيَت، فقد جاء عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: « **لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ** »[2].

وعلّق الحافظ ابن حجر عليه فقال: «وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار»[3].

الثالثة: أنّأولاده ﷺ كلهم منها، إلا إبراهيم ﷺ فإنه من سريته مارية رضي الله عنها، في البخاري وغيره عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: "**إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ** " [4].

وذكر الحافظ ابن عبد البرِّ –رحمه الله- في ترجمتها **الإجماع** على أنها رضي الله عنها ولَدتْ له أربع بناتٍ، كلهنّ أدركنَ الإسلام، وهاجرنَ معه، وهنّ: زينب، ورقية، وأمّ كلثوم، وفاطمة. كما أنّهم أجمعوا على أنّها ولدت له:

(ج3/ ص56-60)، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، ص262-264، وزاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/ 105) كلاهما لابن القيم، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11219، ج13/ ص341-321)، وفتح الباري، ج2/ 2726، كلاهما لابن حجر، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج1/ 147-153)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﷺ للدكتور ناصر الشيخ، (ج1/ 407-421).

1 (?) انظر/ موضوع: فأول مَن آمن به خديجة رضي الله عنها، من سير أعلام النبلاء، (ج1/68 وما بعده).

2 (?) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهَا، رقم: 2436.

3 (?) فتح الباري لابن حجر، (ج2/ص2778).

4 (?) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب تَزْوِيجُ النَّبِيِّ ﷺ خَدِيجَةَ وَفَضْلُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم: 3818.

القاسم، وهو أكبر أولاده –على الصحيح- وبه كان يُكنَّى، عاش حتى مشى. ووَلَدتْ له عبد الله، وُلد بعد النبوة، مات صغيرًا[1].

وسيأتِي في ترجمة إبراهيم أنّه هو الوحيد الذي ولد بالمدينة، وكان من مارية القبطية رضي الله عنها.

الرابعة: أنَّها خير نساء الأمة، فـعَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: " **خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيْجَة** " [2].

وقد لخص شمس الدين الذهبي –رحمه الله- فضائل عائشة رضي الله عنها، وتكلم في التفضيل بينها وبين خديجة، فقال: « وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثَمّ يقال لها: الحميراء. ولم يتزوج النبي بكرًا غيرها، ولا أحب امرأةً حُبّها، ولا أعلم في أمة محمد ، بل ولا في النساء مطلقا امرأة أعلم منها، وذهب بعض العلماء إلى أنها زوجة نبينا في الدنيا والآخرة[3]، فهل فوق ذلك مفخر، وإن كان للصديقة خديجة شأو لا يُلحق، وأنا واقفٌ في أيتهما أفضل، نعَم جزَمْتُ بأفضلية خديجة عليها لأمور ليس هذا موضعها »[4].

ويحقق المسألة العلامة ابن القيم –رحمه الله- ويُفصّل القول فيها، فيقول: وقد اختُلف في تفضيلها –يعنِي: خديجة- على عائشة رضي الله عنها على ثلاثة أقوال؛ ثالـثُها الوقف، وسألت شيخنا ابن تيمية -رحمه الله- فقال: اختصت كلٌّ واحدة منها بخاصة؛ فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام، وكانت تسلّـي رسول الله وتُـثَبِـتُه وتُسكّـنه، وتبذُل دونه مالها، فأدركت غُرّة الإسلام،

---

[1] (?) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ترجمة خديجة، ص888-889 .

[2] (?) صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 3815، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله تعالى عنها، رقم: 2430.

[3] (?) المستفاد من النصوص –كما ستأتي- أنّ عائشة بل وجميع أمهات المؤمنين زوجات رسول الله في الدنيا والآخرة، باختيارهن الله والرسول والدار الآخرة، ولا أعرف بعض العلماء الذين أشار إليه الذهبي هنا.

[4] (?) سير أعلام النبلاء، (ترجمة عائشة، ج3/ ص71) .

واحتملت الأذى في الله وفي رسوله، وكانت نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة؛ فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها. وعائشة رضي الله عنها تأثْيرها في آخر الإسلام؛ فلها من التفقه في الدين، وتبليغه إلى الأمة، وانتفاع بنِيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها[1].

الخامسة: بشرها النبي ﷺ بالجنة، في غير ما حديث، منها الحديث الآتِي.

السادسة: أن الله سبحانه بعث إليها السلام، مع جبريل ﷺ، فبلّـغها رسولُ الله ذلك، فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: « **أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْـكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي،وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ**»[2].

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « وهذه لعَمر الله! خاصة لم تكن لسواها، وأما عائشة رضي الله عنها فإنّ جبريل ﷺ سلّم عليها على لسان النبي ﷺ [3]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا: " **يَا عَائِشَ! هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ** " فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَرَحْمَةُ اللهِ، وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى -تُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ-[4].

السابعة: وقال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « ومن خواصّ خديجة رضي الله عنها أنّها لم تسؤه قط، ولم تغاضبه، ولم ينـلها منه إيلاء، ولا عتب قط، ولا هجر، وكفى به منقبة وفضيلة! »[5].

---

1 (?) انظر: جلاء الأفهام، ص263، وبدائع الفوائد، (ج3/ ص1104) .

2 (?) صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 3820، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2432.

3 (?) انظر: جلاء الأفهام، ص264 .

4 (?) صحيح البخاري: الكتاب نفسه، باب فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم: 3768، وصحيح مسلم مختصرًا: الكتاب نفسه، بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، رقم: 2447.

5 (?) جلاء الأفهام لابن القيم، ص264.

وقد لخّص خصائص خديجة ومناقبها شمس الدين الذهبي –رحمه الله- فقال: « ومناقبها جمة؛ وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي يُثنِي عليها، ويُفَضِّلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائشة كانت تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة، من كثرة ذكر النبي لها. ومن كرامتها عليه أنها لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسَرّى إلى أنْ قضَت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين. وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو لها. وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب »[1].

الثانية: ذكر زوجة النبي: أم المؤمنين سودة، العامرية رضي الله عنها وأرضاها:

بعد وفاة خديجة بأيام تزوج بأم المؤمنين سودة بنت زَمْعَة رضي الله عنها، وهي بنت زمعة بنِ قيس بنِ عبد شمس بنِ عبدِ وُدّ بنِ نصر بنِ مالك بن حِسْل بنِ عامر بنْ لؤيّ بنْ غالب، القرَشية العامرية، وهي من السابقين الأولين في الإسلام، وتزوجها بعد وفاة زوجها، ودخل بها بمكة، وانفردت به نحوًا من ثلاث سنين، وهاجر بها إلى المدينة، كبرت عنده وهمّ بطلاقها، وأرادتْ أنْ تُحشَر في زمرة أزواجه فوهبتْ يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها[2]، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ

---

[1] (?) سير أعلام النبلاء، (ج3/ص 56).

[2] (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة سودة، برقم: 3387، ص918-921، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص669، وتهذيب الأسماء واللغات، (ترجمتها، برقم: 753، ج 1/ ص350-352)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص119-120)، وسِير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، (ج3/ 134-135)، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، لابن القيم، ص265-269، وزاد المعاد له، (ج1/ 105-106، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11593، ج14/ ص27-34)، وفتح الباري، (ج2/2709) كلاهما لابن حجر، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج1/ 260، وج2/ 283-285)،

رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ، تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ [1].

وروى الترمذي بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: « خَشِيَتْ سَوْدَةُ أَنْ يُطَلِّقَهَا النَّبِيُّ فَقَالَتْ: لا تُطَلِّقْنِي وَأَمْسِكْنِي وَاجْعَلْ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَفَعَلَ فَنَزَلَتْ ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ [النساء: ١٢٨]. فَمَا اصْطَلَحَا عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ جَائِزٌ. -كَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ-[2].

وهذا من خواصها وحرصها على البقاء في عصمة النبي : حيث آثرت بيومها حبّ رسول الله، تقرُّبًا إلى رسول الله، وحُبًّا له، وإيثارًا لِمقامها معه، فكان يَقسم لنسائه ولا يَقسم لها، وهي راضية بذلك، مُؤثرة لرضى رسول الله، رضي الله عنها[3].

الثالثة: ذكر زوجة النبي: أم المؤمنين عائشة التيمية رضي الله عنها وأرضاها:

وتزوج بالصديقة بنت الصديق، حبيبته بل وأحب الناس إليه، البريئة المبرأة مِن فوق سبع سموات، أم عبد الله، أم المؤمنين، عائشة بنت عبد الله بن عثمان، بن عامر بن عمرو، بن كعب بن سعد، بن تيم، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، الشهير بأبِي بكر، بن أبي قحافة، خليفة رسول الله ، رضي الله عنهما، القرشية، التيمية، وُلدت في الإسلام، وتزوجها الرسول في شوال، وهي بنت ست سنين، قبل الهجرة بثلاث سنين، وبنى بها بالمدينة في شوال أول مقدمه في السنة الأولى، وهي بنت تسع،

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ، (ج1/ 426-438).

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، بَاب هِبَةِ الْمَرْأَةِ لِغَيْرِ زَوْجِهَا، رقم: 2593، وصحيح مسلم: كتاب الرضاع، باب القسم بين الزوجات، رقم: 1463، واللفظ للبخاري .

2 (?) جامع الترمذي: كتاب تفسير القرآن، بَاب وَمِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، رقم: 3040، وقال الترمذي: « حَسَنٌ صحيح غَرِيبٌ »، وصححه الألبانِي.

3 (?) انظر: جلاء الأفهام، ص265 .

ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة، وكان مكثها معه تسع سنين، وكانت مِن أكثر الصحابة حديثًا حيث روَت أكثر مِن ألفَين، بل كانت أفقه وأعلم نساء هذه الأمة على الإطلاق، وتوفيت بالمدينة، ودُفنت بالبقيع، وأوصتْ أنْ يصلّـي عليها أبو هريرة ، سنة ثمان وخمسين[1].

وأبرز خصائص عـائشة رضي الله عنها التي تَميزتْ بها عن بقية أزواجه :

الأولى: أنّها كانت أحبّ أزواج رسول الله إليه بل وأحبّ الناس إليه، كما أنّ أباها أحبّ الرجال إليه، فقد ثبت عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سأل رسول الله أيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: " **عَائِشَةُ!** " قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: " **أَبُـوهَا!** " قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: " **عُمَـرُ!** " فَـعَدَّ رِجَالاً، فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ »[2].

ومِمّا يدلُّ على شدة حبّ الرسول لَها، وعظيم مِنْزلتها عنده: ما جاء في صحيح مسلم عنها ، قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ : أَيْ بُنَيَّةُ! أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟ فقَالَتْ:

---

1 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة عائشة، برقم: 3279، ص888-892، والوفا بأحوال المصطفى، لعبد الرحمن ابن الجوزي، ص667-668، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص669-670، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم: 732، ج1/ ص341-342)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص119)، وسير أعلام النبلاء، (ج3/ 69-102)، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، ص262-264، وزاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/ 105) كلاهما لابن القيم، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11219، ج 13/ ص341-321)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج 2/285-287)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر، (ج1/ 407-421).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، رقم: 4358، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رقم:2386.

بَلَى! قَالَ: " فَأَحِبِّي هَذِهِ! " فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ، وَبالَّذِي قَالَ لَهَا رسول الله ﷺ، فَقُلْنَ لَهَا: مَا نَرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ: لا وَاللَّهِ، لا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي[1] مِنْهنّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إلى الله تعالى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ[2]، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالِةِ الَّتِي كَانَتْ دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا، وهو بها، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، ثم وَقَعَتْ بِي، فَاسْتَطَالَتْ عليّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ أَذِنَ لِي فِيهَا، فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى

---

1 (?) **تساميني**: مأخوذة من السمو، وهو الارتفاع، ومعناه تُعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة (انظر: المنهاج للنووي، ص 1482.

2 (?) **سَوْرَة**: الثوران وعجلة الغضب. وأما **الحدة**: فهي شدة الخلق وثورانه. ومعنى الكلام كما قال النووي: هو أنها كاملة الأوصاف إلا أنها فيها شدة خلق وسرعة غضب، تسرع منها. و**الفيئة**: وهي الرجوع، أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعًا ولا تصر عليه (انظر/ المنهاج، ص1483).

أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا[1]، قالت: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ »[2]. والحديث عظيمٌ في بابه!

الثانية: أن الملك أرى صورتَها للنبي قبل أن يتزوجها في سَرَقَةِ حرير[3] ليلتين أو ثلاث، فعَنْها، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةِ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: **إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ**

ورُؤيا الأنبياء وحيٌ، وهذا فيه الإشارة إلى أنّ زواجها كان بالوحي، وسيأتِي في خصائص زينب رضي الله عنها ما يدلُّ على أنّها هي الوحيدة من زوجاته ﷺ، التي كان زواجها بالوحي، فيُحمل ذاك على أنَّه الوحي القرآنِيّ، بتزويج الله له إياها مِن فوق سبع سموات.

الثالثة: أنه ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا كما أنه لم يُحبّ امرأة حبّها: فقد روى البخاري –رحمه الله- عَنْها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: " **فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا!** " تَعْنِي: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا[5].

---

[1] **لم أنْشَبْها**: في القاموس المحيط (مادة نشب، ص140، والنهاية في غريب الحديث) : ما نشبتُ أفعل كذا : ما زلتُ. ولم يَنْشَبْ أن فَعَل كذا : أي لم يَلْبَث) . وقولُها: **حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا**: أي عرضتها، يقال: (أنحيتُ على حلقه السكين، أي: عرضت –الصحاح للجوهري، مادة نحى، ص1024)، **والمعنى**: أنّ عائشة رضي الله عنها لَما وَقَعَتْ بِها أختها زَيْنَب بِنْتِ جَحْشٍ وَاسْتَطَالَتْ عليها: جعلت ترْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى عَرَفَت أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لا يَكْرَهُ أَنْ تَنْتَصِرَ، فَلَمَّا وَقَعْت بِهَا منتصرة لنفسها لَمْ تزل ولم تتعلّق بشيءٍ غيره، ولا اشْتَغَلت بسواه. والله أعلم. انظر شرح الحديث، (المنهاج للنووي، ص1482-1483).

[2] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة، ورقمه: 2442 ، وانظر شرح الحديث، (المنهاج للنووي، ص1482-1483).

[3] **سَرَقَة حرير** –سرقة بفتح السين والراء والقاف: أي: قطعة منه(انظر/فتح الباري لابن حجر، ج2/ص2785).

[4] صحيح البخاري:كتاب النكاح،باب نِكَاحِ الأَبْكَار،رقم: 5078،وصحيح مسلم:باب في فضل عائشة،رقم: 2438.

[5] صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب نِكَاحِ الأَبْكَار، رقم: 5077.

الرابعة: أنه كان ينـزل عليه الوحي وهو في لحافها دون غيرها، ففي الصحيحين أنه: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ! وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: " **يَا أُمَّ سَلَمَةَ! لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ؛ فَإِنَّهُ -وَاللَّهِ! مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ، وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا** "[1].

الخامسة: والله لما أنزل عليه آية التخيير بدأ بها؛ فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فاستن بها بقية أزواجه وقلنَ كما قالت. وعنها، قال: « لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي »[2].

السادسة: أن الله سبحانه برّأها مما رماها به أهل الإفك، وسبّح نفسه في شأنها، وأنزل في عذرها وبراءتها وحيًا يُتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم وغير ذلك إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم، وأخبر سبحانه أنَّ ما قيل فيها من الإفك كان خيرًا لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرًّا لها، ولا عائبًا لها، ولا خافضًا من شأنِها، بل رفعها الله بذلك، وأعلى قدرها، وأعظم شأنها، وصار لها ذكرًا بالطيب، والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبةٍ ما أجلها!

وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها، واستصغارها لنفسها، حيث قالت: وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنْ

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم: 3775، وصحيح مسلم مختصرًا: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة، رقم: 2441.

2 (?) متفق عليه، وسيأتي الحديث بذلك قريبًا.

كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا[1].

فهذه صديقة الأمة، وأم المؤمنين، وحِبّ رسول الله، وهي تعلم أنّها بريئة مظلومة، وأنَّ قاذفِيها ظالمون لها، مفترون عليها، قد بلغ أذاهم إلى أبويها، وإلى رسول الله، وهذا كان احتقارها لنفسها، وتصغيرها لشأنها..[2].

السابعة: أنَّ الأكابر من الصحابة كان إذا أشكل عليهم أمرٌ من الدين استفتوها، فيجدون علمه عندها[3]، ففي جامع الترمذي عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ: « مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا -أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ، إِلا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا »[4].

الثامنة: أن رسول الله توفِي في بيتها، وفي يومها، وبين سحرها ونحرها، ودفن في بيتها، فـعنها رضي الله عنها، قالت: « إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: " **أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟** " اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَدُفِنَ فِي بَيْتِي »[5].

قال النووي –رحمه الله-:«وقُبض رسول الله ورأسه في حجرها، ودفن في بيتها، وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافها،.. وخُلقت طيبة، ووُعدت مغفرة ورزقًا»[6].

التاسعة: أنّها زوجة رسول الله في الجنة كما هي زوجته في الدنيا، جاء في سنن الترمذي –رحمه الله- **« أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ**

---

1 (?) سيأتِي تخريج الحديث.

2 (?) انظر: جلاء الأفهام، ص267-268 .

3 (?) انظر: جلاء الأفهام، ص269.

4 (?) جامع الترمذي:بَاب فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،رقم: 3883،قَالَ الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وصححه الألبانِي.

5 (?) صحيح البخاري مطوّلا: كتاب المغازي، باب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِه، رقم: 4451، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها، رقم: 2443.

6 (?) تهذيب الأسماء واللغات، (ج1/ ص351).

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ »[1].

وفي البخاري في فتنة الجمل:لَمَّا بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارًا وَالْحَسَنَ إِلَى الْكُوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَهُمْ خَطَبَ عَمَّارٌ فَقَالَ: إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلاكُمْ لِتَتَّبِعُوهُ أَوْ إِيَّاهَا[2].

وما كان الصحابة يقولون بمثل هذا إلا بالتوقيف، وقد تقدم –بذلك- حديث الترمذي.

ومنقبة كون عائشة زوجته ﷺ في الدنيا والآخرة، وزوجته في الجنة ليست خاصة بها، بل هو لزوجاته جميعًا؛ لِما أنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة (سيأتي ذلك في مناقبهن المشتركة).

العاشرة: أنّها رضي الله عنها اختصّتْ بجمع الله بين ريقه ﷺ وريقها في اللحظات الأخيرة مِن حياته، كَانَتْ عَائِشَة تَقُولُ: « إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ،.. فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: "**لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ!**" ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ:"**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**"حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ »[3].

وفي لفظ عنها: « وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّذُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرِضَ، فَذَهَبْتُ أُعَوِّذُهُ وَمَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ .. فَأَخَذْتُهَا فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا وَنَفَضْتُهَا

---

[1] جامع الترمذي مرسلا وموصولا: كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم:3880، وصححه الترمذي والألباني.

[2] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم: 3772.

[3] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ، رقم: 4449.

فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ فَاسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا فَسَقَطَتْ يَدُهُ أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ الآخِرَةِ »[1].

هذا، وأكثر خصائص عائشة رضي الله عنها وفضائلها جمعها موسى ابن بُهَيج الأندلسِي –رحمه الله- فنظمها شعرًا على لسانها، أنتقي في ختام ترجَمتِها وذِكرِها ما هو من الفضائل خصوصية لها، فـ

قِفْ، واستمع قولاً عظيمَ الشأنِي	في مدح زوج المصطفى العدناني

وموضوعات هذه القصيدة التي في خمسين بيتًا هي: مدح عائشة وبيان خصائصها وما تميزت به عن بقية زوجات حبيبِها وحبيبنا ﷺ، والطعن في مبغضيها، وبيان مناقب والدها الكريم، ومدح مُواليها ومُحبيها، وآل بيته ﷺ وأصحابه:

1	ما شَانُ أُمِّ المؤمنين وشَانِي	هُدِيَ المُحِبُّ لها، وضَلَّ الشَّانِي
2	إِنِّي أَقُولُ مُبيِّناً عَنْ فَضْلِها	ومُتَرْجِماً عَنْ قَوْلِها بِلِسَانِي
3	إِنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ	بِصِفاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعاني
4	وَسَبَقْتُهُنَّ إلي الفَضَائِلِ كُلِّها	فالسَّبقُ سَبقي، والعِنَانُ عِنَاني
5	مَرِضَ النَّبِيُّ وماتَ بينَ تَرَائِبي	فالْيَوْم يَوْمي، والزَّمانُ زَماني
6	زَوْجي رَسولُ اللهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ	اللهُ زَوَّجنـي بهِ وحَبَانـي
7	أنا بِكْرُهُ العَذْراءُ، عِنْدي سِرُّهُ	وضَجيعُهُ في مَنْزِلِي قَمَرانِ
8	وتَكلم اللهُ العظيمُ بحُجَّتي	وبَرَاءَتِي في مُحكمِ القُرآنِ
9	واللهُ خفَّرَني وعَظَّمَ	وعلى لِسَانِ نبِيِّهِ بَرَّانِي

---

1 ([?]) صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ، رقم: 4451 .

حُرْمَتي

10 واللهُ وبَّخَ منْ أراد تَنقُّصي إفْكاً، وسَبَّحَ نفسهُ في شاني

11 وسَمِعْتُ وَحيَ الله عِندَ مُحمدٍ من جِبْرَئيلَ، ونُورُه يَغْشاني

12 أَوْحى إليهِ وكُنت تَحتَ ثِيابِهِ فَحَنى عليَّ بِثَوْبهِ وخباني[1]

وكفى أمّنا عائشة رضي الله عنها ما تقدم من المناقب والخصائص!

الرابعة: ذكر زوجة النبي أم المؤمنين حفصة العدوية رضي الله عنها وأرضاها:

في السنة الثالثة من الهجرة تزوج رسول الله أم المؤمنين حفصة بنت أمير المؤمنين، عمر الفاروق، بنِ الخطاب بنِ نفيل بنِ عبد العزى بنِ رياح –بالتحتانية- بنِ عبد الله بنِ قرط بن رَزَاح بنِ عدي بنِ كعب بنِ لؤيّ بنِ غالب، القرشية العدوية، تزوجها بعد عائشة، سنة ثلاث، وكانت من المهاجرات، وكانت قبل أنْ يتزوّجها النبيُّ عند أحد البدريين، قُتل بأُحُد[2].

وثبتَ أنه طلّقها فأمرَه الله بردّها، وأنها زوجته في الدنيا والآخرة، فعَن أنس : « أنَّ النبيَّ طلّق حَفْصَةَ، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فقال: **يا محمد! طَلَّقت**

---

1 (?) قصيدة ابن بُهيج الأندلسي في مدح عائشة على لسانها.

2 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة حفصة، برقم: 3258، ص882-883، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص670، وتهذيب الأسماء واللغات، (ترجمتها، برقم: 728، ج1/ ص338-339)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص120-121)، وسير أعلام النبلاء، (ج3/ 115-117)، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم، ص269-271، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11180، ج13/ ص284-288)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج2/ 287-288)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ، (ج1/ 439-441).

حَفْصَةَ، وهي صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وهي زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ فرَاجِعْها »[1].

قال العلامة ابن القيِّم –رحمه الله-: « **ومن خواصّها:** ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي[2] في مختصره في السيرة[3] أنّ النبِي طلقها فأتاه جبريل، فقال: إن الله يأمُرك أنْ تراجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة »[4].

الخامسة: ذكر زوجة النبي أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها وأرضاها:

وتزوج رسول الله أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بنِ عبد الله بنِ عمر بنِ عبد مناف بنِ هلال بنِ عامر بنِ صعصعة، الهلالية، أخت أمّ المؤمنين ميمونة لأمها، وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وكانت يقال لها من الجاهلية: أم المساكين؛ لكثرة إطعامها إياهم، وكان دخوله بِها بعد دخوله على حفصة بنت عمر، ثم لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة وماتت، ودُفنَت بالبقيع، رضي الله عنها[5].

---

1 (?) المستدرك: كتاب معرفة الصحابة ، ذكر أم المؤمنين حفصة بت عمر بن الخطاب ، ورقمه: 6754، ومثله بالرقم قبله، وحسنه الشيخ الألباني بجمع طرقه، (انظر: السلسلة الصحيحة، ج5/ 17-18) .

2 (?) هو الإمام العلم العابد القدوة **عبد الغني بن عبد الواحد** بن علي المقدسي الجماعيلي الحنبلي، صاحب الأحكام الكبرى، والصغرى، ولد: 541هـ، وتوفي: 600هـ (انظر ترجمته الموسعة/ السير للذهبي، ج12/ص559-574).

3 (?) انظر: كتابه مختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص 670 .

4 (?) جلاء الأفهام، ص270 .

5 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة زينب بنت خزيمة، برقم: 3323، ص905-906، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص671، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص122)، وسير أعلام النبلاء، (ج3/ 110-111)، وجلاء الأفهام لابن القيم، ص290، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11367، ج13/ ص426-428)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج2/ 288-290)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ، (ج1/ 442-443).

السادسة: ذكر زوجة النبي أم المؤمنين أم سَلَمَة، المخزومية رضي الله عنها وأرضاها:

وتزوج رسول الله أم المؤمنين أم سَلَمَة، واسمها: هند بنت أَبِي أمية -واسمه حذيفة- بنِ المغيرة بنِ عبد الله بنِ عُمر بنِ مخزوم بنِ يَقَظَة بنِ مرة بنِ كعب بنِ لُؤَيّ بنِ غالبٍ، القرشية المخزومية، مشهورة بكنيتها، معروفة باسمها، سديدةٌ في مشورتها، وكان أبوها يلقب: زاد الراكب؛ لأنه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لم يحمل أحدٌ مِن رُفقته زادًا بل هو كان يكفيهم. من المهاجرات الأُوَل؛ هاجرت مع زوجها أَبِي سلمة إلى الحبشة في الهجرتين جميعًا، ثم إلى المدينة، ويقال: إنّها أول ظعينة دخلت إلى المدينة مهاجرة، ولما مات زوجها خطبها النبيُّ ، فتزوجها في ليالٍ بقين من شوال سنة أربع، وهذا مِن أثر ذكرها لله وقتماً أصابها مصيبة فقد زوجها أَبِي سلمة، توفيت سنة اثنتين وستين، ودفنت بالبقيع، وهي آخر أزواج رسول الله موتًا، وقيل: بل ميمونة[1].

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « ومن خصائصها: أنّ جبريل دخل على النبي ، وهي عنده فرأته

---

[1] انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة أم سلمة، برقم: 3474، ص941-942، والوفا بأحوال المصطفى، لعبد الرحمن ابن الجوزي، ص668، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص671، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم: 769، ج 1/ 361-362)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص121)، وسير أعلام النبلاء، (ج3/ ص102-107)، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، ص286-289، وزاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/ 106-108) كلاهما لابن القيم، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11985، ج14/ ص260-263)، ورسالة علمية بعنوان: سيرة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، للدكتور حصة بنت عبد الكريم الزيد، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج2/ 290-292)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر، (ج1/ 407-421).

في صورة دحية الكلبي[1]، ففي صحيح مسلم [2] عن أبي عُثْمَانَ، قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ النَّبِيُّ لأُمِّ سَلَمَةَ مَنْ هَذَا؟ - أَوْ كَمَا قَالَ- قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ الكَلِبِي، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وايْمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ يُخْبِرُ خبر جِبْرِيلَ أَوْ كَمَا قَالَ »[3].

السابعة: ذكر زوجة النبي أم المؤمنين زينب بنت جحش، الأسدية رضي الله عنها وأرضاها:

وتزوج رسول الله أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمُر بن صبِرَة، من بنِي أسد بنِ خزيمة بنِ مدركة بنِ إلياس بنِ مضر بنِ مُعَدّ بنِ عدنان، الأسدية، وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، كانت قديمة الإسلام، ومن المهاجرات مع رسول الله ، تزوجها النبي سنة خمس، وقيل: سنة ثلاث، ونزل بسببها آية الحجاب، ولا خلاف أنه كانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، وطلقها ، فزوجها الله تعالى إياه، مِن فوق سبع سماوات، وأنزل عليه ﭽﮋﮌﮍﮎﮏﮐﭼ [الأحزاب: ٣٧]. فقام فدخل عليها بلا استئذان، ولم يعقد عليها.

وقد كان زيد هذا يدعى زيد بن محمد، فلما نزلت: ﭽ ﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﭼ [الأحزاب: ٥]. وتزوج النبي امرأته بعده، انتفى ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من أنَّ الذي يتبنى غيرَه يصير ابنَه بحيث يتوارثان، إلى غير ذلك.

وكانت زينب رضي الله عنها تفخَر بتزويج الله لها على سائر أزواج رسول الله، بلا ولِيٍّ ولا شاهدٍ، تقول:

---

[1] (?) **دحية بن خليفة الكلبي** ، من كلب بن وبَره في قُضاعة، صحابي جليل، قال الحافظ ابن عبد البرّ: كان من كبار الصحابة، لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا فما بعدها، وبقي إلى خلافة معاوية. وكان الرسول يُشبه جبريل به (الاستيعاب، ص217، حرف الدال، وتقريب التهذيب، رقم: 1821، ص140).

[2] (?) بل الحديث موجود في صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ، رقم: 3633، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة، رقم: 2451 .

[3] (?) جلاء الأفهام، 287-287 .

زوّجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماواته، **وهذا من خصائصها.**

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « وَمِنْ خَوَاصّهَا: أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ هُوَ وَلِيّهَا؛ الّذِي زَوّجَهَا لِرَسُولِهِ مِنْ فَوْقِ سَمَوَاتِهِ »[1].

وفي صحيح البخاري عَنْ ثَابِت بن أسلم البناني[2] عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ. وَعَنْ ثَابِتٍ ﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂ ﮃﭼ [الأحزاب: ٣٧]. نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ[3].

وقد تقدم عند ترجمة عائشة وصفها أمَّ المؤمنين زينبَ بالصفات العظيمة؛ بالخيرية في دينها، وتقوى الله، وصدق الحديث، وكثرة الصدقة للمساكين وصلة الأرحام، وغيره، يجمعها: اتصافها بمكارم الأخلاق، وأصول الفضائل في البر والتقوى، كما وصفتها بالوصف الجميل في قصة الإفك، وأنّ الله عصمها بالورع، مع أنها قالت: « وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي »[4]، وزينب رضي الله عنها كانت تفخر على نسائه بشيئين، هما: أنها كانت بنت عمته، وأنّ الله زوّجها له، وهنّ زوجهن أولياؤهن[5].

---

1. (?) زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/ 108-109) .
2. (?) **ثابت البُناني –بضم الباء، أ**بو محمد البصري، ثقة عابد، تابعيّ، مات سنة: بضع وعشرون ومائة، وله ست وثمانون سنة (انظر: تقريب التهذيب، رقم:810، ص71).
3. (?) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب ﭼ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ، ورقمه: 7420.
4. (?) الأثر في صحيح مسلم، وقد تقدم تخريجه قريبًا.
5. (?) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (ج13/ ص418)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج2/ 292)، وعقيدة أهل السنة في الصحابة، (ج1/ ص4510452).

وتوفيت بالمدينة سنة عشرين، وكانت أسرع نسائه لحوقًا به [1]، ودفنت بالبقيع، رضي الله عنها [2].

الثامنة: ذكر زوجة النبي أم المؤمنين جوَيرية، الخزاعية المصطلِقية رضي الله عنها وأرضاها:

وتزوج رسول الله أم المؤمنين جويرية بنت سيِّد قومها الحارث، وهي جُوَيرية بنت الحارث بنِ أبِي ضِرار بنِ حَبيب بنِ جُذَيْمة -وهو المصطلِق- بنِ عمرو بنِ ربيعة بنِ حارثةَ بنِ عمرو، الخزاعية المصطلقية، وكانت سُبِيت في غزوة بنِي المصطلِق فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فقضى رسول الله كتابتها وتزوجها سنة ست من الهجرة، وكانت امرأةً حلوة ملاحة، لا يراها أحدٌ إلا أخذَتْ بنفسه، وأطلق المسلمون بسببها الأسارى مِن قومها، وقالوا: أصهار رسول الله، وكان ذلك من بركتها على قومها، بل وما عُلم امرأة أعظم بركة منها على قومها،

[1] في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ رسول الله : " **أَسْرَعكنّ لحاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا** " فكُنّ يتطاولنَ أيتهنّ أطول يدًا قالت: فَكانت أطولنا يدًا زينب؛ لأنّها كانت تعمل بيدها وتصدّق. واللفظ لمسلم. (البخاري: كتاب الزكاة، بَاب فَضْلِ صَدَقَةِ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ، ورقمه: 1420، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين، ورقمه: 2452).

[2] انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة زينب بنت جحش، برقم: 3325، ص906-907، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص671، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم: 739، ج1/ 344-346)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص121-122)، وسير أعلام النبلاء، (ج3/ ص107-110)، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، ص289-290، وزاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/ 108-109) كلاهما لابن القيم، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11358، ج13/ ص417-422)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج2/ 293-294)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ، (ج1/ 447-452).

وكانت من المكثرات للعبادة، الذاكرات الله كثيرًا[1]، وتوفيت سنة ست وخمسين، رضي الله عنها [2].

التاسعة: ذكر زوجة النبي أم المؤمنين أم حبيبة، الأموية رضي الله عنها وأرضاها:

وتزوج رسول الله أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أِبي سفيان، واسمها رملة بنت صخر، بنِ حرب بنِ أمية بنِ عبد شمس بنِ عبد مناف، القرشية الأموية، وهي مِن بنات عمّ الرسول ، كانت من السابقين إلى الإسلام؛ هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصر بها، وأتم الله لها الإسلام، وتزوجها رسول الله سنة ستٍّ أو سبع، وهي بها، أصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وقد أكرمت فراش رسول الله أنْ يَجلس عليه أبوها لَمَّا قدِم المدينة، وقالت: إنك مشرك، ومَنَعَتْه من الجلوس عليه [3].

---

1 (?) ويشهد لهذا –والله أعلم- حديث ابن عباس عن جويرية في صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، ورقمه: 2726 .

2 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة جويرية بنت الحارث، برقم: 3242، ص880، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص671-672، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم: 726، ج1/ 326-327)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص122)، وسِير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، (ج3/ 132-133)، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم، ص290، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11135، ج13/ ص255-258)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ، (ج1/ 453-455).

3 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة أم حبيبة، برقم: 3305، ص901-902، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص670-671، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم: 766، ج1/ 358-359)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص121)، وسير أعلام النبلاء، (ج3/ 111-113)، وجلاء الأفهام ص271-286، وزاد المعاد، (ج1/ص 109-112) كلاهما لابن القيم، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11322، ج13/ ص391-395)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج2/ 295-296)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ، (ج1/ 456-459).

وبِما أجمع عليه كُتُب السيرة من زواجها مع الرسول قبل الفتح وقبل إسلام أبيها أبِي سفيان ، وهي بالحبشة على الصحيح، حتى قال ابن القيم –رحمه الله-: « هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الْمُتَوَاتَرُ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالتَّوَارِيخِ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ نِكَاحِهِ لِخَدِيجَةَ بِمَكَّةَ، وَلِحَفْصَةَ بِالْمَدِينَةِ، وَلِصَفِيَّةَ بَعْدَ خَيْبَرَ »[1]. ثم بِما اشتهر من أنّ أم حبيبة رضي الله عنها بعد قدومها ووُرود أبيها المدينة لتجديد الصلح الحُديبِي كرّمَت فراش الرسول ومنعتْ أباها من الجلوس عليه، وغير ذلك من التعليلات والعلل، بِهذه تكلم العلماء على حديث مسلم الذي رواه بسنده عن عكرمة عن أبِي زميل عن ابن عباس رضي الله عنهما في عَرضِ أبي سفيان بعد إسلامه –ولا خلاف في أنّ إسلامه كان في فتح مكة- أم حبيبة على رسول الله لتزويجه إياها، وأنّ النبيَّ وعده، فقال بعضهم: الحديث غلط، ووقع فيه تخليط، فهو غير محفوظ. وهذا هو الصواب. وقد سلك بعضهم –رحمهم الله- مسالك مستكرهة غير مرضية بل وباطلة في تصحيح الحديث، والله المستعان![2] .

العاشرة: ذكر زوجة النبي أم المؤمنين صفيَّة بنت حُيَيّ النَّضرية الهارونية رضي الله عنها وأرضاها:

وتزوج رسول الله أم المؤمنين صفية بنت حُيَيّ سيّد قريظة والنضير، وهي بنت حُيَيّ بنِ أَخْطَبَ بنِ سَعْيَةَ بنِ ثعلَبَةَ بنِ عُبيد بنِ كعب بنِ الخزرج بنِ أبِي حبيب، من بنِي النضير، وهو من سبط لاوي بنِ يعقوب، ثم من ذرية هارون بن عمران، أخي موسى عليهما السلام، النَّضرية، الهارونية، سُبِيَتْ مِن خيبر، فصارت مع السبي فأخذها دِحْية، ثم استعادها النبي فأعتقها، وجعل ذلك صداقها،

[1] (?) زاد المعاد، (ج1/ 109) .

[2] (?) انظر الحديث وكلام العلماء عليه، مع مخالفته للمجمع عليه والمشهور عند أهل السير، في المنهاج للنووي، ص1513، (والحديث في صحيح مسلم جاء في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبِي سفيان بن حرب، برقم: 2501) وجلاء الأفهام، ص271-286، وزاد المعاد، (ج1/ ص109-112) .

تزوجها سنة سبع من الهجرة، كانت رضي الله عنها حليمة عاقلة فاضلة، وكانت تُجلُّ رسول الله ﷺ وتُكرمُه، توفيت سنة خمسين، وقيل: اثنتين وخمسين، وقيل: سنة ست وثلاثين، وهو غريبٌ ضعيفٌ، واتفقوا على أنها دُفنت بالبقيع [1].

ومن خصائصها: أَنَّها تَحت نبِيٍّ، وابنة نبِيٍّ، وعمُّها نبِيٌّ، فقد روى الترمذي –رحمه الله- عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: " **مَا يُبْكِيكِ؟** فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ! ثُمَّ قَالَ: اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ!** " [2].

وأصرح منه، وشاهده ما حَدثَتْ به صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ رضي الله عنها، قَالَتْ:دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ كَلامٌ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "أَلا قُلْتِ! فَكَيْفَ تَكُونَانِ خَيْرًا مِنِّي؛ وَزَوْجِي مُحَمَّدٌ، وَأَبِي هَارُونُ، وَعَمِّي مُوسَى!"، وَكَانَ الَّذِي بَلَغَهَا أَنَّهُمْ قَالُوا:نَحْنُ أَكْرَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا، وَقَالُوا:نَحْنُ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ وَبَنَاتُ عَمِّهِ»[3].

---

[1] انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة صفيَّة، برقم: 3372، ص916-917، ومختصر سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه العشرة، ص672، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم: 748، ج1/348-349)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص122-123)، وسير أعلام النبلاء، (ج3/117-120)، وجلاء الأفهام ص291-292، وزاد المعاد، (ج1/ص112-113) كلاهما لابن القيم، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11539، ج13/ ص533-539)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج2/ 296-299)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﷺ للدكتور ناصر الشيخ، (ج1/460-465).

[2] جامع الترمذي: كتاب المناقب، بَاب فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم: 3894، وقال الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ، غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ »، وصححه الشيخ الألباني.

[3] جامع الترمذي: المصدر نفسه، رقم: 3892، ضعف إسناده الترمذي والألباني، لكن ما قبله يشهد له.

الحادية عشرة: ذكر زوجة النبي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، الهلالية رضي الله عنها وأرضاها:

وتزوج رسول الله أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بنِ حَزْن بنِ بُجَير بنِ الهرم بنِ رُوَيبة بنِ عبد الله بنِ هلال، بنِ عامر بنِ صعصعة بنِ معاوية بنِ بكر بنِ هوازِن بنِ منصور بنِ عكرمة بنِ خَفَصة بنِ قيس عيلان بن مُضَر، الهلالية، تزوجها بسرف سنة سبع من الهجرة وقت عمرة القضية، حلالا على الصحيح -كما قال أبو رافع السفير في نكاحها-، وقيل: سنة ستٍّ، وبَنَى بها بسرف، وماتت بسرف، وهو على سبعة أميال من مكة، وهي آخر مَن تزوَّج مِن أمهات المؤمنين[1].

وبعد، فهؤلاء الإحدى عشرة اللواتِي سبقَتْ ترجمتهن هنّ جملة من دخل بِهن من النساء الزوجات رضي الله عنهنّ وأرضاهنّ، ولقد الْتقَين به في نَسَبِه القريب أو البعيد، إلا صفية، وإلا جويرية رضي الله عنهما.

الثانية عشرة: ذكر مارية القبطية مولاة رسول الله ورضي الله تعالى عنها وأرضاها[2]:

---

1 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة صفيَّة، برقم: 3454، ص936-938، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص672، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم: 762، ج1/355-356)، وتفسير (قل لأزواجك) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج17/ ص123)، وسير أعلام النبلاء، (ج3/ ص120-123)، وجلاء الأفهام ص292-293، وزاد المعاد، (ج1/ص 113) كلاهما لابن القيم، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11919، ج14/ ص221-225)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج2/ 299)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ، (ج1/466-470).

2 (?) للمزيد من ترجمتها يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة مارية، برقم: 3464، ص939-940، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم:760، ج1/ 354-355)، وسير أعلام النبلاء، (ج2/ ص 80)، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم: 11877، ج14/ ص

وأما مارية القبطية رضي الله عنها وأرضاها فمولاة رسول الله ، وأم ولده إبراهيم، وهي مارية بنت شمعون، أهداها له المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية ومصر سنة سبع أو ثمان، وأهدى معها أختها سيرين، وخصيًّا يقال له: مأبورٌ، وبغلته دلدل، وحماره يعفور، فوهب رسول الله سيرين لحسان بن ثابت، وهي أم عبد الرحمن بن حسان. وكانت مارية رضي الله عنها بيضاء جعدة جميلة، فأسلمت فتسراها رسول الله ، أنزلها في العالية في المال الذي صار يقال له: مشربَة أم إبراهيم، وكان يختلف إليها ويطؤها بملك اليمين، وكانت حسنة الدين، وتوفيت في المحرم من سنة ست عشرة، فصلى عليها عمر الفاروق ، ودُفنت في البقيع.

وأما الحديث عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما الذي فيه أنّه ذُكِرَتْ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ، فَقَالَ: " **أَعْتَقَهَا وَلَدُهَا** " فضعيف لا تقوم به حجة[1]**.**

وفي باب بَرَاءَةِ حَرَمِ النَّبِيِّ مِنَ الرِّيبَة من صحيح مسلم[2] جاء عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يُتَّهَمُ[3] بِأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِعَلِيٍّ: " **اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ** "، فَأَتَاهُ عَلِيٌّ، فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ[4] يَتَبَرَّدُ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اخْرُجْ. فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ، فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيِّ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ.

195-196).

1 (?) سنن ابن ماجة: بَابُ أُمَّهَاتِ الأَوْلَادِ، ورقمه: 2516، وضعفه البوصيري في الزوائد، (ج2/ 963) وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (ص940): « إسناده لا تقوم به حجة لضعفه ».

2 (?) صحيح مسلم: كتاب التوبة، ورقمه: 2771 .

3 (?) قال ابن عبد البر –رحمه الله-: « هذا الرجل المتهم كان ابن عم مارية القبطية، أهداه معها المقوقس، وذلك موجودٌ في حديث سليمان بن أرقم عن الزهري عن عروة عن عائشة، وأظنه الخصي المأبور المذكور، من حينئذ عُرف أنه خصي والله أعلم »، (الاستيعاب، ص 940).

4 (?) رَكِيّ: بئر، كما قاله النووي (المنهاج، ص1632) .

وقبل أنْ أختم هذا المطلب أَودّ أنْ أشير إلى ما ذكره القرطبي في تفسيره لآية الأحزاب: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ [الأحزاب: ٢٨]. من الكلام النفيس والطويل أيضًا في نفس الأمر: قام فيه بسَبْر كلِّ مَن أضيفت إلى النبِي بالزواج، وقسّمهنّ[1]. قال فيه: « كان للنبي أزواج، منهن من دخل ِبها، ومنهن مَن عقَد عليها ولم يدخل بها، ومنهن مَن خطبها فلم يتم نكاحه معها »[2]. ثم ترجم لزوجاته الإحدى عشرة السابقات، وزاد ريحانة، التي قال في ترجمتها: « ومنهن: ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بني النضير، سباها رسول الله وأعتقها، وتزوجها في سنة ست، وماتت مرجعه من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع. وقال الواقدي[3]: ماتت سنة ست عشرة وصلى عليها عمر. قال أبو الفرج الجوزي: وقد سمعت من يقول: إنه كان يطؤها بملك اليمين ولم يعتقها. قلت: ولهذا -والله أعلم- لم يذكرها أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي في عداد أزواج النبي »[4]. ثم قال: « فهؤلاء المشهورات من أزواج النبي ، وهن اللاتِي دخل بهن، رضي الله عنهن. فأما من تزوجهن ولم يدخل بهن »[5]. فذكر عشر نسوة هنّ: الكِلابية، وأسماء الجونية، وأميمة بنت شراحيل، وقتيلة بنت قيس، وأم شريك الأزدية واسمها غزية بنت جابر بن حكيم، وخولة بنت الهذيل بن هبيرة، وشراف بنت خليفه الكلبية، وليلى بنت الخطيم الكندية، وابنة جندب بن ضمرة الجندعية، وامرأة من غفار، ثم قال: « فهؤلاء اللاتِي، عقَد عليهن ولم يدخل بهن . فأما من خَطَبَهنّ فلم يتم نكاحه معهن، ومن وهبت له نفسها »[6]. فذكَرَ تسعة، هنّ: أم هانئ بنت أبي طالب، وضباعة

[1] للتمتع بقراءة ذلك، يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبِي، (ج17/ ص119-127).

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبِي، (ج17/ ص119).

[3] **محمد بن عمر بن واقد** الأسلمي الواقدي المدني نزيل بغداد، متروك في الحديث، مع سعة علمه وإمامته في السيرة، مات سنة سبع ومأتين، (انظر: تقريب التهذيب، رقم: 6175، ص433).

[4] الجامع لأحكام القرآن للقرطبِي، (ج17/ ص123).

[5] المصدر نفسه، (ج17/ ص124).

[6] المصدر نفسه (ج17/ ص126).

بنت عامر، وصفية بنت بَشامة بن نَضلَة، أم شريك وليلى بنت الخَطِيم –وقد تقدم ذكرهما-، وخولة بنت حكيم بن أمية، وجَمْرَة بنت الحارث بن عوف المُزَنِي، وسودة القُرَشية، وامرأة لم يُذكر اسمها. ثم قال: « فهؤلاء جميع أزواج النبي . وكان له من السراري سريتان: مارية القبطية، وريحانة، -في قول قتادة- وقال غيره: كان له أربع: مارية، ورَيْحانة، وأخرى جميلة؛ أصابَها في السبْي، وجارية وهَبَتْها له زينبُ بنتُ جَحْش »[1].

هؤلاء هنّ زوجاته ورضي الله عنهنّ وأرضاهنّ، ولَهنّ أحكامٌ وفضائل تخصهنّ، وذلك ما يأتِي في المسألة بعد هذا. أما من فارقهنّ في حياته ولم يدخل ِبهن، مِمن أشرتُ إليهن في كلام القرطبِي هنا: فإنه لا يثبت لَهنّ أحكام زوجاته اللاتِي دخل ِبهن، ومات عنهن من تحريمهن على المسلمين لأمومتهن، والصلاة عليهن، وكونهن زوجاته في الآخرة كما كُنّ في الدنيا، إلى غير ذلك [2]، مما سيأتي في المسألة الأخيرة .

المسألة الثالثة عشرة: مِن فضائل زوجات الرّسول العامة المشتركَة[3]:

يُلاحظ أنَّنِي ذكرتُ من الفضائل في ترجمة كلِّ واحدة منهنَّ ما هو من باب الخصائص؛ والتي بها يحصل معرفة الفضلى منهنّ. دون الفضائل المشتركة بينهنّ، مثال ذلك: كون خديجة وعائشة أفضل من بقية الزوجات، هذا التفضيل يحصل بمعرفة الصفات الخاصة دون المشترَكَة. ولَمّا لم أجدْ لبعض هؤلاء الطيبات رضي الله عنهنّ وأرضاهنّ من الفضائل الخاصة، رأيت أنْ أختم هذا المطلب بذكر بعض فضائلهنّ العامة، وأكتفي بسبع جاء

1 المصدر نفسه، (ج17/127).

2 انظر: جلاء الأفهام لابن القيم، (ص293).

3 انظر عن هذه المناقب السبعة، كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ، (ج1/333-338)، والمبحث الأول: فضائل أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ، من كتاب سيرة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، للدكتور حصة بنت عبد الكريم، ص17-22.

ذكرُهنّ كلّهنّ في سورة الأحزاب، فمِن هذه المناقب اللاتِي اختصَصْنَ بها دون زوجات المؤمنين:

أولا: ما خصَّهنّ الله به مِن كونهنّ **أمهات المؤمنين**[1] كما كان زوجهنّ أبًا لهم، **فأمَر باحترامهنّ وتعظيمهنّ، وحرّم نكاحهنّ**، قال تعالى: ﭽﯜﯝﯞﯟﯠﯡﭼ [الأحزاب: ٦]. وقال: ﭽﯡﯢﯣﯤﯥﯦﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟ ﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭼ [سورة الأحزاب: من الآية: 53]. فحرّم في الآية الثانية، نكاح أمهات المؤمنين بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ، كما حرّم الخلوة بِهِنّ والنظر إليهنّ إلا مِن وراء حجاب، وهذا بخلاف الأمهات. كما أنّه يجوز للمؤمنين أنْ يتزوّجوا من بنات زوجات الرسول؛ كما فعل بعضُ الصحابة ﭫ أجمعين. يقول الشيخ السعدي في تفسير ﭽﯠﯡﭼ : في الحرمة والاحترام، والإكرام، لا في الخلوة والمحرمية، وترَتّب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أنهن لا يحللن لأحد من بعده، كما الله صرح بذلك: ﭽﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭼ[2].

ولقد قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- قبله: « ﭽﯠ ﯡﭼ في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع »[3].

فتلك منـزلة علِيّة، وفضيلة رفيعة، ومنقبة عظيمة، حيث أوجب احترامهنّ، وحرّم على المسلمين نكاحهنّ. فبِما تقدم تقرر أنّ لأزواج رسول الله ﷺ من الحق العظيم ما غفَل عنه الكثيرون، فهل هناك أعظم حق –بعد حق الله ورسوله ﷺ- مِن حقّ الأم على ولدها، وأنّ ما يُقال مِن البِرّ بالأمهات مِن حقوق الطاعة والتقدير والاحترام والبِرّ، يُقال عن أزواجه ﷺ؛ لأنّهم أمهات المؤمنين بنصّ القرآن،

---

1 (?) انظر عن هذا، البحث القيم الذي أعده فضيلة شيخنا عبد الرزاق البدر –حفظه الله- تحت عنوان: تأملات في قوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ - ضمن كتابه الجامع للبحوث والرسائل- ص357-403 .

2 (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص659.

3 (?) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج3/ص 613).

فلهُنّ منزلتهنّ في استحقاق التعظيم والرفع لجنابِهنّ في الحكم، وبالتحريم[1]. والله أعلم.

ثانيًا: ومِن مناقبهنّ العظيمة **اختيارهنّ الله ورسولَه والدار الآخرة** إيثارًا منهنّ لذلك على الدنيا، فأعدّ الله لهن ثوبًا جزيلا وأجرًا عظيمًا، فهنّ كلهن مع النبي في الجنة، في درجته، جاء في الحديث عَنْ عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي؛ فَقَالَ: " **إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ** " قَالَتْ: قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ. قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﭼﮬﮭ ﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚ ﯛﯜ ﯞﯟﯠ ﯥﯦ** [الأحزاب:28-٢٩]، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ! فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ »[2].

ومما يؤكد بعض هذا: ما تقدم في ترجمة عائشة وحفصة من أنهما رضي الله عنهما زوجتاه في الآخرة كما كُنّ كذلك في الدنيا. ويذكُر الشيخ السعدي –رحمه الله- من فوائد الآيتين فيقول: « ومنها: إظهار رفعتهن، وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن: أن كان اللّه ورسوله والدارُ الآخرة مرادَهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها. ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار للأمر الخيار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يَكُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة. ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد اللّه أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات ... ومنها: أن هذا التخيير داع وموجب للقناعة التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ... ومنها: أن

---

1 (?) رسالة خاتم النبيين محمد ، ضرورتها، وطرائق إثباتها ولوازمها، د. ثامر الغشيان، ص476.

2 (?) صحيح البخاري موصولا ومعلقًا: كتاب التفسير، ورقمهما: 4785، و 4786، وصحيح مسلم: كتاب الطلاق، بَاب بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لا يَكُونُ طَلَاقًا إِلا بِالنِّيَّةِ، رقم: 1475.

يكون اختيارهن هذا سببًا لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يَكُنَّ بِمرتبة ليس فيها أحد من النساء »[1].

ثالثًا: ومنها: أنّ **ثوابهنّ على الطاعة ضعفَا أجر غيرهنّ**، قال تعالى: ﭽﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [الأحزاب: ٣١].

رابعًا: وأنهنّ **لَسْنَ كغيرهنّ من النساء في الشرف والفضل وعلوّ المنـزلة**، قال تعالى: ﭽﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭼ [الأحزاب: ٣٢].

خامساً: ما امتنّ الله به عليهنّ من **تلاوة الآيات من النبيِّ ، ونزولها في بيوتهنّ**، وهذه منقبة لم تحصل لغيرهنّ، قال تعالى مذكِّرًا إياهنّ هذه النعمة ليقمن بواجبها من الشكر: ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﭼ [الأحزاب: ٣٤].

سادسًا: أنهنّ من أهل البيت الذين أراد الله -شرعًا- أنْ يُذهبَ عنهم الرجس، ويُطهِّرهم تطهيرًا، قال تعالى: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﭼ [الأحزاب: ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « وهذا نص في دخول أزواج النبي في أهل البيت هاهنا؛ لأنَّهن سببُ نزولِ هذه الآية، وسببُ النُّزول داخلٌ فيه قولا واحدًا، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح، وروى ابن جرير: عن عِكْرِمة أنه كان ينادي في السوق: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﭼ، نزلتْ في نساء النبي خاصة، وهكذا روى ابن أبي حاتم قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي، ... عن ابن عباسٍ في قوله: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﭼ قال: نزلت في نساء النبي خاصة. وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي . فإن كان المراد أنَّهن كُنّ سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنَّهن المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك »[2]، فذكر الأحاديث في ذلك بطُرُقها[3].

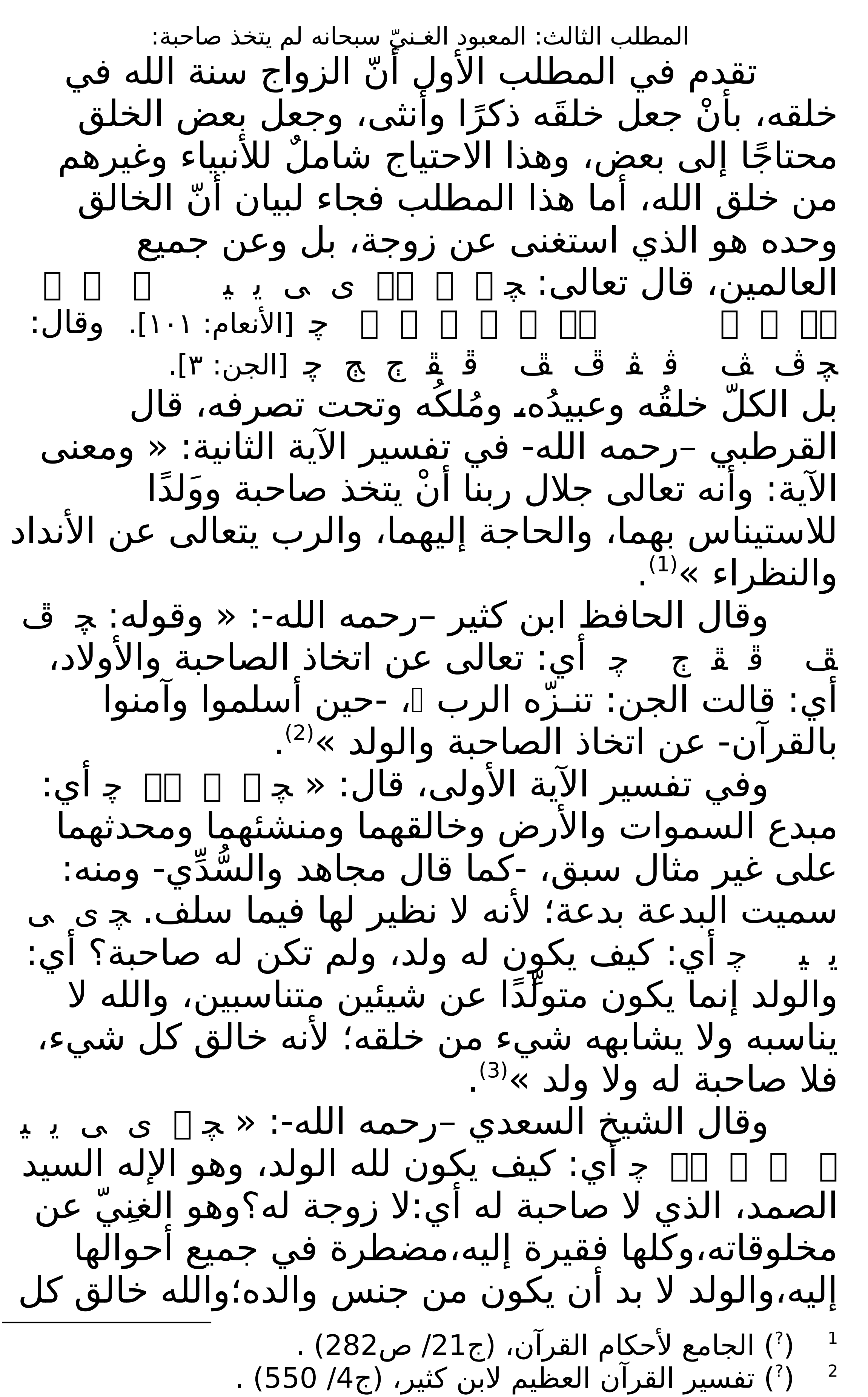
---

[1] (?) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (ص663).
[2] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ ص632).
[3] (?) المصدر نفسه، (ج3/ ص632-637).

سابعًا: الصلاة عليهنّ، لقد بيّن الرسول الآية الآمرة بالصلاة والسلام عليه ﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈ [الأحزاب: ٥٦] بما جاء متفقًا عليه، من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيّ ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: " **قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**"[1].

وهذه من فضائل أمهات المؤمنين المشتركة. والله أعلم.

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب هَلْ يُصَلَّى عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ، رقم: 6360، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، رقم: 407 .



المطلب الثالث: المعبود الغـنيّ سبحانه لم يتخذ صاحبة:

تقدم في المطلب الأول أنّ الزواج سنة الله في خلقه، بأنْ جعل خلقَه ذكرًا وأنثى، وجعل بعض الخلق محتاجًا إلى بعض، وهذا الاحتياج شاملٌ للأنبياء وغيرهم من خلق الله، أما هذا المطلب فجاء لبيان أنّ الخالق وحده هو الذي استغنى عن زوجة، بل وعن جميع العالمين، قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [الأنعام: ١٠١]. وقال: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [الجن: ٣].

بل الكلّ خلقُه وعبيدُه، ومُلكُه وتحت تصرفه، قال القرطبي –رحمه الله- في تفسير الآية الثانية: « ومعنى الآية: وأنه تعالى جلال ربنا أنْ يتخذ صاحبة ووَلدًا للاستيناس بهما، والحاجة إليهما، والرب يتعالى عن الأنداد والنظراء »[1].

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « وقوله: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ أي: تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، أي: قالت الجن: تنـزّه الرب ﻷ، -حين أسلموا وآمنوا بالقرآن- عن اتخاذ الصاحبة والولد »[2].

وفي تفسير الآية الأولى، قال: « ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ أي: مبدع السموات والأرض وخالقهما ومنشئهما ومحدثهما على غير مثال سبق، -كما قال مجاهد والسُّدِّي- ومنه: سميت البدعة بدعة؛ لأنه لا نظير لها فيما سلف. ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ أي: كيف يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة؟ أي: والولد إنما يكون متولّدًا عن شيئين متناسبين، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له ولا ولد »[3].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ أي: كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد، الذي لا صاحبة له أي:لا زوجة له؟وهو الغنِيّ عن مخلوقاته،وكلها فقيرة إليه،مضطرة في جميع أحوالها إليه،والولد لا بد أن يكون من جنس والده؛والله خالق كل

1 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج21/ ص282) .
2 (?) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج4/ 550) .
3 (?) المصدر نفسه، (ج2/ ص217).

شيء، وليس شيء من المخلوقات مشابِهًا لله بوجه من الوجوه»[1].

فالله سبحانه هو صاحب العظمة والكمال، في كل صفة كمال، ومنها صفة الغنى. واتخاذ الصاحبة والولد ينافي كمال غناه ويضاده، فانتفى عنه الصاحبة والولد سبحانه[2].

وبيّن شيخ الإسلام –رحمه الله- أنّ التولد لا بُدَّ لَهُ مِنْ أَصْلَيْنِ، فقال: « وَلِهَذَا كَانَ قَوْلُ النَّصَارَى إنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللَّهِ -تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ- مُسْتَلْزِمًا لأَنْ يَقُولُوا: إنَّ مَرْيَمَ صَاحِبَةُ اللَّهِ، فَيَجْعَلُونَ لَهُ زَوْجَةً وَصَاحِبَةً، كَمَا جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا، وَبِأَيِّ مَعْنًى فَسَّرُوا كَوْنَهُ ابْنَهُ؛ فَإِنَّهُ يُفَسِّرُ الزَّوْجَةَ بِذَلِكَ الْمَعْنَى. وَالأَدِلَّةُ الْمُوجِبَةُ تَنْزِيههُ عَنْ الصَّاحِبَةِ تُوجِبُ تَنْزِيهَهُ عَنْ الْوَلَدِ، فَإِذَا كَانُوا يَصِفُونَهُ بِمَا هُوَ أَبْعَدُ عَنْ اتِّصَافِهِ بِهِ كَانَ اتِّصَافُهُ بِمَا هُوَ أَقَلُّ بُعْدًا لازِمًا لَهُمْ، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى »[3].

وقال العلامة ابن القيم في جملة أمور متصلة ومنفصلة نزّه الله نفسه الكريمة عنها:

وكذاك نـزّه نفسه عن زوجة وكذاك عن كُفُـوٍ يكون مُدانِي[4].

فثبت بِهذا أنّ الغنِيّ الصمد سبحانه لا صاحبة له، وهذه صفته، بخلاف خلقه كُلّهم فإنّهم محتاجون إلى الزوجة.

ثم أختم المبحث ببيان أنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا تزوج النساء، فمثله في ذلك مثل غيره من بَنِي جنسه، لذا فلا يعدو أنْ يكون عبدًا مربوبًا، ليس له من خصائص الرب المعبود شيءٌ، كما أنّ الله منـزّهٌ عن ذلك.

---

1 (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص267 .

2 (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، تفسير آية الجن، ص 890 .

3 (?) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، ص115

4 (?) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم، (بيت رقم: 1589 ص95).

**المبحث الثالث: ذكر أولاده وبناته **، و الغنِيُّ المعبـود سبحانه لا ولَدَ له، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حصولُ الولد والذرّية له عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: ذِكرٌ مُوجَزٌ لأولاده وبناتـه و.

المطلب الثالث: الغنِيّ المعبود سبحانه لا ولَدَ له.

المطلب الأول: حصول الولد والذرّية له عليه الصلاة والسلام:

تقدم في المبحث قبل هذا أنّ الله جعل لرُسُله عليهم الصلاة والسلام أزواجًا بل وذرية، قال تعالى: ﭽﮗﮘﮙ ﮚﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [الرعد: ٣٨].

وقد تقدمت نقولات عن المفسِّرين والعلماء في تفسير الآية، مِما لا أحتاج معها إلى إعادة شيءٍ ها هنا. والمقصود مِن عقد هذا المطلب هو بيان أنّ نبيَّنا محمدًا بشَرٌ مثله مثل غيره في فقره واحتياجه إلى الولد، وهذا من دلائل العجز البشري، وكون الأنبياء مربوبين ليس لهم من خصائص وصفات الربّ الغنيّ شيء.

المطلب الثاني: ذِكرٌ مُوجَزٌ لأولاده وبناتـه و:

اشتهر في كتُب التواريخ والسِّيَر أنّ لنبينا محمدٍ سبعةَ أولاد؛ ثلاثةَ ذُكورٍ، وأربعَ بنات، قال النووي –رحمه الله- « فصلٌ في أبناءه وبناته : **له ثلاثة بنين**: القاسم، وبه كان يُكنّى، وُلد قبل النبوة، وتوفِّي وهو ابن سنتين. وعبد الله، وسُمِي: الطيب والطاهر؛ لأنه وُلد بعد النبوة، وقيل: الطيب والطاهر غير عبد الله، والصحيح الأول. والثالث: إبراهيم، ولد بالمدينة سنة ثمان، ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهرًا، أو ثمانية عشر. وكان **له أربع بنات**: زينب تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس، وهو ابن خالتها، وأمه هالة بنت خويلد. وفاطمة تزوجها عليّ بن أبِي طالب . ورقية، وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان، تزوَّج رقية، ثم أم كلثوم، وتُوُفِّيَتا عنده، ولِهذا سُمّي: ذا النورين، توفيت رقية يوم بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وتوفيت أم كلثوم في شعبان سنة تسع من الهجرة. فالبنات أربعٌ بلا

خلاف، والبَنُون ثلاثة، على الصحيح. وأول من ولد له: القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وجاء أن فاطمة، عليها السلام، أسنّ مِن أم كلثوم، .. ثم في الإسلام عبد الله بِمكة، ثم إبراهيم بالمدينة، وكلُّهم من خديجة، إلا إبراهيم؛ فإنّه مِن مارية القبطية. وكلُّهم تُوُفُّوا قبله إلا فاطمة، فإنّها عاشَتْ بعده ستة أشهر على الأصح والأشهر »[1].

وقال العلامة ابن القيم –رحمه الله- « فَصْل فِي أَوْلادِهِ ﷺ: أَوَّلُهُمْ الْقَاسِم وَبِهِ كَانَ يُكَنّى، مَاتَ طِفْلا، وَقِيلَ: عَاشَ إلَى أَنْ رَكِبَ الدّابّةَ، وَسَارَ عَلَى النّجِيبَةِ. ثُمّ زَيْنَب، وَقِيلَ: هِيَ أَسَنّ مِنْ الْقَاسِمِ. ثُمّ رُقَيّةُ، وَأُمّ كُلْثُوم، وَفَاطِمَة، وَقَدْ قِيلَ فِي كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنّ: إنّهَا أَسَنّ مِنْ أُخْتَيْهَا، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ رُقَيّةَ أَسَنّ الثّلاثِ، وَأُمّ كُلْثُوم أَصْغَرُهُنّ »[2].

لذا قال الحافظ النسابة ابن عبد البر –رحمه الله-: « لا أعرف خلافًا أنَّ زينب أكبر بناته ﷺ، واختلف فيمَن بعدها منهنّ »[3].

وقال في ترجمة فاطمة رضي الله عنها بعدما أشار إلى خلاف العلماء في الصغرى بين أم كلثوم وفاطمة، مُرجِّحًا الثانية: « والذي تسكن إليه النفس على ما تواترت به الأخبار في ترتيب بنات رسول الله ﷺ أنّ زينب الأولى، ثم الثانية رقية، ثم الثالثة أم كلثوم، ثم الرابعة فاطمة الزهراء، والله أعلم »[4] .

« ثم وُلد له عبد الله، وهل وُلد بعد النبوة، أو قبلها؟ فيه اختلاف، وصحّح بعضُهم أنّه وُلد بعد النبوة، وهل هو الطيب والطاهر، أو هما غيرُه؟ على قولين، والصحيح أنهما لَقَبَان له، والله أَعْلَمُ. وَهَؤُلاءِ كُلّهُمْ مِنْ خَدِيجَةَ، وَلَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْ زَوْجَةِ غَيْرِهَا. ثُمّ وُلِدَ لَهُ إبْرَاهِيم بِالْمَدِينَةِ مِنْ

---

1 (?) تهذيب الأسماء واللغات، (ج1/26).

2 (?) زاد المعاد، (ج1/ ص103-104).

3 (?) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ترجمة رقية، برقم: 3304، ص 899.

4 (?) المصدر نفسه، ترجمة رقية، برقم: 3411، ص925 .

بِسُرِّيَّتِهِ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنْ الْهِجْرَةِ، وَبَشَّرَهُ بِهِ أَبُو رَافِعٍ مَوْلاهُ، فَوَهَبَ لَهُ عَبْدًا، وَمَاتَ طِفْلا قَبْلَ الْفِطَامِ، وَاخْتُلفَ هَلْ صَلّى عَلَيْهِ أَمْ لا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ. وَكُلّ أَوْلادِهِ تُوُفِّيَ قَبْلَهُ إلا فَاطِمَةَ؛ فَإِنّهَا تَأَخّرَتْ بَعْدَهُ بِسِتّةِ أَشْهُرٍ، فَرَفَعَ اللّهُ لَهَا بِصَبْرِهَا وَاحْتِسَابِهَا مِنْ الدّرَجَاتِ مَا فُضّلَتْ بِهِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَفَاطِمَةُ أَفْضَلُ بَنَاتِهِ عَلَى الإِطْلاقِ، وَقِيلَ: إنّهَا أَفْضَلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَقِيلَ: بَلْ أُمّهَا خَدِيجَةُ، وَقِيلَ: بَلْ عَائِشَةُ، وَقِيلَ: بَلْ بِالْوَقْفِ فِي ذَلِكَ »[1].

وبعد هذَين النقلين الوافِيَين سأخصّ كلّ واحدٍ من هؤلاء الأولاد بِمسألة أذكُرُ بعض ما يسّر الله تعالى فيه، فأقول –وبالله تعالى التوفيق-:

المسألة الأولى: ذكرُ أول ولده ﷺ القاسم[2] ﷺ:

القاسم، وهو أوّلُ أولاد الرسول ﷺ، وبه كان يُكنّى، ولد قبل النبوة، ومَاتَ طِفْلا، قيل: توفِي وهو ابن سنتين، وَقِيلَ: عَاشَ إلَى أَنْ رَكِبَ الدّابّةَ[3].

وقد جاء ذكر القاسم (ابن النبِي ﷺ) في أحاديث كثيرة، كما جاءتْ تَكْنِية والِده ﷺ به في أُخرى، منها:

ما رواه أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ** "[4].

---

1 (?) قاله العلامة ابن القيم في زاد المعاد، (ج1/ ص103-104).

2 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة إبراهيم، برقم:1، ص39-41، ومختصر سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه العشرة، ص 663، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمته، برقم:23، ج1/ ص 102-103)، وسِير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، (ج2/26-29)، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم:11723، ج14/ ص87-97)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﷺ للدكتور ناصر، (ج1/349-352)، والسيرة النبوية لأبِي الحسن الندوي، ص 554-557.

3 (?) انظر: مختصر سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه العشرة، ص662-663. والنووي، وابن القيم في إحالتَيهما الأولى في أول المبحث.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ ؓ، قَالَ: « وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا غُلامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ، فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: لا نَكْنِيكَ: أَبَا الْقَاسِمِ، وَلا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وُلِدَ لِي غُلامٌ فَسَمَّيْتُهُ الْقَاسِمَ، فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: لا نَكْنِيكَ: أَبَا الْقَاسِمِ، وَلا نُنْعِمُكَ عَيْنًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **أَحْسَنَتْ الأَنْصَارُ؛ سَمُّوا بِاسْمِي، وَلا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي، فَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ** "[1].

وعَنْ أَنَسٍ ؓ، قال: دَعَا رَجُلٌ بِالبَقِيعِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: لَمْ أَعْنِكَ! قَالَ: **سَمُّوا بِاسْمِي، وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي**"[2].

وعَنْه ؓ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّوقِ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**سَمُّوا بِاسْمِي، وَلا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي**"[3].

هذه طائفة من الأحاديث في المسألة، والله أعلم.

المسألة الثانية: ذكرُ بنت النبي زينب[4] رضي الله عنها:

زينب بنت سيد ولد آدم محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب، القرشية الهاشمية، وهي أكبر بناته، وأول من تزوج منهن، مِن المهاجرات السيّدات، وُلدت قبل البعثة بمدة؛ قيل: إنها عشر سنين، واختلف: هل القاسم قبلها أو

---

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، بَاب إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ..، رقم: 1356.

1 (?) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ رقم: 3115، واللفظ له. وصحيح مسلم: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم..، على إثر حديث برقم: 2133.

2 (?) صحيح البخاري:كتاب البيوع،بَاب مَا ذُكِرَ فِي الأَسْوَاقِ،رقم:2121، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم:2131.

3 (?) صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 2120.

4 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة زينب، برقم: 3323، ص905، ومختصر سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه العشرة، ص663، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم: 738، ج1/ ص344)، وسِير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، (ج3/ ص124-125)، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم:11354، ج13/ ص414-416)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ؓ للدكتور ناصر، (ج1/473-476)، والسيرة النبوية لأبِي الحسن الندوي، ص554-557.

بعدها؟ وتزوجها ابنُ خالتها أبو العاص بن الربيع العبشمي، وأمه هالة بنت خويلد. هاجرت زينب إلى المدينة، وأبى زوجُها أبو العاص أنْ يسلم فأخذ عليه النبي أن يُخلّي سبيلها ففعل، فلما أسلم في المحرم سنة سبع ردّها عليه النبي بالنكاح الأول، وولدتْ زينب رضي الله عنها لأبِي العاص عليًّا وأمامة التي حملها النبي في الصلاة، فتُوُفِّي عليٌّ وهو صغيرٌ، وبلغَتْ أُمامة رضي الله عنها حتى تزوّجها عليُّ بنُ أبِي طالب بعد موت فاطمة .

وتوفيت زينب رضي الله عنها في أول سنة ثمان من الهجرة، فعن أم عطية رضي الله عنها، قالت: « ماتتْ زينبُ بنتُ رسول الله قال لنا رسول الله : " **اغْسِلْنَهَا وِتْرًا؛ ثَلاثًا أَوْ خَمْسًا، وَاجْعَلْنَ فِي الْخامسَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا غسلتُنَّها فَأعلِمْنَنِي**، فأَعْلَمناه فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ، وَقَالَ: **أَشْعِرْنَهَا إياه** "[1].

المسألة الثالثة: ذكرُ بنت النبي رقية[2] رضي الله عنها:

رقية بنت سيد البشر ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، القرشية الهاشمية، أمها خديجة، عقَد عليها قبل الهجرة عتبة بن أبِي لَهب فلما أنزلت ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﭼ [المسد: ١]. أمر أبو لهب ابنَه بطلاقها وقال: رأسي من رأسك حرام، إن لم تطلق بنته، ففارقها قبل الدخول وأسلمت مع أمها، وأخواتها، فتزوجها الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان بمكة، وهاجر بها إلى الحبشة، فولدت له ابنه عبد الله هناك: فكان يكنى به، وقد هاجرت إلى الحبشة،

---

1 (?) انفرد بالتصريح باسم زينب مسلمٌ دون البخاري: (صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب في غسل الميت، وهو على إثر حديث رقم: 939، وصحيح البخاري، كتاب الجنائز، رقم: 1253، 1254، 1255، 1257).

2 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة رقية، برقم: 3304، ص899-901، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص663، وسِير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، (ج 3/125-126)، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم:11318، ج13/ ص387-390)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر، (ج1/477-480).

الهجرتين جميعا، ثم هاجرت إلى المدينة بعد عثمان، ومرضت قبيل بدر، فخلف النبي عليها عثمان؛ وهذا يدلّ على منـزلتها العظيمة عند رسول الله حيث أذِن لزوجها عثمان أن يتأخّر عن أوّل غزوة عظمى فاصلة بين جيش الإيمان وجيش الكفر، فأذِن له بالتأخر عن الغزوة لتمريضها، وضرب له بسهمه في الغنيمة، وأجرُه عند الله، وهذا فيه تعظيم لشأنهما، وقد توفيت رضي الله عنها والمسلمون ببدر.

المسألة الرابعة: ذكرُ بنت النبي أم كلثوم[1] **رضي الله عنها:**

أم كلثوم بنت سيد البشر رسول الله ، البضعة النبوية، القرشية الهاشمية، يقال: عقَد عليها عتيبة بن أبي لهب ولم يدخل عليها حتى أمره أبوه بفراقها لإسلامها، وهاجرت بعد النبي ، فلما توفيت أختها رقية تزوجها الخليفة الراشد الثالث عثمان -وهي بكر- في ربيع الأول سنة ثلاث، لذا لُقِّب بـ(ذي النورَين) وأرضاه، وقد توفيت عنده أيضًا في شعبان لسنة تسع، ولم تلد له، وشهدتْ أمّ عطية غسلها كذلك، وصلّى عليها أبوها رسول الله ، وأمر النبيُّ مَن لم يقارف أهله ليلة وفاتها بنـزول قبرها، فعَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: شَهِدْنَا بِنْتَ رَسُولِ اللهِ وَرَسُولُ اللهِ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، فَقَالَ: " **هَلْ فِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ لَمْ يُقَارِفِ**[2] **اللَّيْلَةَ؟** فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: **فَانْزِلْ فِي قَبْرِهَا** " فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا فَقَبَرَهَا[3].

---

1 (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة أم كلثوم، برقم: 3563، ص960-961، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص663، وسِير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، (ج3/ 127)، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم:11354، ج14/ ص497-499)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر، (ج1/481-483)، والسيرة النبوية لأبِي الحسن الندوي، ص554-557.

2 (?) **لَمْ يُقَارِف**: كناية لقربان الزوج أهله، والجماع، (انظر: فتح الباري، ج1/ص1321).

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب مَن يدخل قبر المرأة، رقم: 1342.

وقد نصّ الذهبيُّ وابنُ حجر وغيرهما -رحمهم الله- على أنّ هذه البنت المبهمة في هذه الرواية هي أم كلثوم، وأورد الثانِي الروايات المصرِّحة بذلك[1].

المسألة الخامسة: ذكرُ البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها:

فاطمة بنت إمام المتقين رسول الله محمد ، سيدة نساء العالمين –على خلاف سيأتي- البضعة النبوية، والجهة المصطفوية، القرشية الهاشمية، كانت تُكنى: أم أبيها، وأم الحَسَنين، وتلقب بالزهراء، مولدها قبل المبعث بقليل، تزوجها الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب سنة اثنتين، فولدت له الحسن، والحسين، ومحسنًا، وأم كلثوم، وزينب، وقد تزوج الفاروق الخليفة الراشد الثانِي عمر أمّ كلثومٍ بنت عليٍّ من فاطمة ، وأصدقها صداقًا كبيرًا لأجل نسَبِها من رسول الله ، وأكرمها إكرامًا زائدًا، فولدتْ له زيد بن عمر بن الخطاب. وأما الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رضي الله عنهما فسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ[2]، ورَيْحَانَتَا رسول الله مِنْ الدُّنْيَا[3]، ولقد انقطع نسَبُ رسول الله إلا منها[4]. وهي الوحيدة -رضي الله عنها-

---

[1] (?) انظر: سير أعلام النبلاء، مصدرٌ سابق، وفتح الباري، (ج1/ص 1287) .

[2] (?) جامع الترمذي: كتاب المناقب، مناقب الحسن و الحسين عليهما السلام، رقم: 3768 من طريق أبي سعيد الخدري ، قال الترمذي: حسن صحيح، بل قد جاء الحديث بذلك عن ستة عشر صحابيًّا، وأغلب أسانيدها فيها ضعف، بل منها ما هو موضوع، وأولاها بالصحة هو طريق حذيفة ثم أبي سعيد الخدري ، وقد درسها الدكتور عثمان الخميس (انظر: رسالة الأحاديث الواردة في شأن السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما جمعًا وتخريجًا ودراسة وحكمًا، ص182-213). ولقد عدّ الحديث الحافظ السيوطي من المتواترات (تحفة الأحوذي، ج2/ص2604) .

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رقم: 3753 .

[4] (?) انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة فاطمة، برقم: 3411، ص925-928، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص663، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمتها، برقم: 755، ج1/ ص352-353)، وسِير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، (ج2/26-29)، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم:11723، ج14/ ص87-97)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام

من أولاد رسول الله التي أُصيبَت فيه، وعَاشَتْ بَعْدَ الرَسُولِ سِتَّةَ أَشْهُر، كما في الصحيحين[1]، وماتت في رمضان .

ويتلخص أبرز مناقبها في الآتِي:

أولا: كون والدها الرسول يُحبُّها حبًّا شديدًا؛ يُسرّ بسرورها، ويغضب لغضبها، فعَنْ الْمِسْوَر بْن مَخْرَمَةَ ، قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ؛ وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ: " **أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللَّهِ لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ**[2]**.**

وعنه مختصرًا،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ،قَالَ:"**فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي**"[3]**.**

وعنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ: "**إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ، فَلاَ آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لاَ آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لاَ آذَنُ لَهُمْ، إِلاَّ أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِى طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي؛ يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**"[4].

للدكتور ناصر، (ج1/484-494)، والسيرة النبوية لأبِي الحسن الندوي، ص554-557.

1 (?) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس، رقم: 3093، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي : "لا نورث؛ ما تركنا فهو صدقة"، رقم: 1759 .

2 (?) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب ذِكْرِ أَصْهَارِ النَّبِيِّ ..، رقم: 3729، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم، على إثر حديث برقم: 2449.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلام، ورقمه: 3767.

4 (?) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف، رقم: 5230، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب

وقد جاء ذكر سبب القول السابق في روايات الحديث، وأنه خوفه لبَضعته أنْ تُفتن في دينها، قال: " **إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا** ". وقال: " **وَإِنِّي لَسْت أُحَرِّمُ حَلالا ، وَلاَ أُحِلُّ حَرَامًا** " [1]. قال النووي –رحمه الله- في شرح الأحاديث: « قَالَ الْعُلَمَاء: فِي هَذَا الْحَدِيث تَحْرِيم إِيذَاء النَّبِيّ بِكُلِّ حَال، وَعَلَى كُلّ وَجْه، وإِنْ تَوَلَّدَ ذَلِكَ الإِيذَاء مِمَّا كَانَ أَصْلُهُ مُبَاحًا، وَهُوَ حَيٌّ، وَهَذَا بِخِلافِ غَيْره. قَالُوا: وَقَدْ أَعْلَم بِإِبَاحَةِ نِكَاح بِنْت أَبِي جَهْل لِعَلِيٍّ بِقَوْلِهِ : "**لَسْت أُحَرِّمُ حَلالا**"، وَلَكِنْ نَهَى عَنْ الْجَمْع بَيْنهمَا لِعِلَّتَيْنِ مَنْصُوصَتَيْنِ: **إِحْدَاهُمَا:** أَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى أَذَى فَاطِمَة، فَيَتَأَذَّى حِينَئِذٍ النَّبِيّ ، فَيَهْلَك مَنْ آذَاهُ، فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ لِكَمَالِ شَفَقَته عَلَى عَلِيّ، وَعَلَى فَاطِمَة. **وَالثَّانِيَة**: خَوْف الْفِتْنَة عَلَيْهَا بِسَبَبِ الْغَيْرَة، وَقِيلَ: لَيْسَ الْمُرَاد بِهِ النَّهْي عَنْ جَمْعِهِمَا، بَلْ مَعْنَاهُ: أَعْلِم مِنْ فَضْل اللَّه أَنَّهُمَا لا تَجْتَمِعَانِ، كَمَا قَالَ أَنَس بْن النَّضْر: وَاَللَّه لا تُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبِيع. وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَاد تَحْرِيم جَمْعهمَا، وَتَكُونُ مَعْنَى لا أُحَرِّم حَلالا، أَيْ: لا أَقُول شَيْئًا يُخَالِفُ حُكْمَ اللَّه، فَإِذَا أَحَلَّ شَيْئًا لَمْ أُحَرِّمْهُ، وَإِذَا حَرَّمَهُ لَمْ أُحَلِّلْهُ، وَلَمْ أَسْكُتْ عَنْ تَحْرِيمه، لأَنَّ سُكُوتِي تَحْلِيل لَهُ، وَيَكُون مِنْ جُمْلَةِ مُحَرَّمَات النِّكَاح: الْجَمْع بَيْن بِنْت نَبِيّ اللَّه وَبِنْت عَدُوّ اللَّه»[2].

ثانيًا: وجاءت أحاديث أُخَر تدل على عِظَم منـزلتها رضي الله عنها وأرضاها، وقدْرِها الرفيع في الدنيا والآخرة، وسيادتها لنساء المؤمنين ونساء الجنة، فمنها: ما رواه أنَس مرفوعًا، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: " **حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ** "[3].

فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلام، رقم: 2449.

1 (?) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس،باب ما ذكر من درع رسول الله ،رقم:3110،وصحيح مسلم:مصدر سابق.

2 (?) المنهاج للنووي، ص1489.

3 (?) جامع الترمذي: كتاب المناقب، بَاب فَضْلِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم: 3878، وقَالَ الترمذي: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وصححه الشيخ

وعَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مشي النبِيّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**مَرْحَبًا بِابْنَتِي!** ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ؛ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي " فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: " **أَمَا ترْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ** " فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ[1] .

وقد جاء الشاهد من الحديث عند مسلم –رحمه الله- بلفظ: " **يَا فَاطِمَةُ أَمَا ترْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ** "[2].

قال النووي –رحمه الله- في شرحه: « هَذِهِ مُعْجِزَة ظَاهِرَة لَهُ ﷺ، بَلْ مُعْجِزَتَانِ؛ فَأَخْبَرَ بِبَقَائِهَا بَعْده، وَبِأَنَّهَا أَوَّل أَهْله لَحَاقًا بِهِ، وَوَقَعَ كَذَلِكَ، وَضَحِكْت سُرُورًا بِسُرْعَةِ لَحَاقهَا، **وَفِيهِ:** إِيثَارهمْ الآخِرَة، وَسُرُورهمْ بِالاِنْتِقَالِ إِلَيْهَا، وَالْخَلاص مِنْ الدُّنْيَا »[3].

واختلف العلماء –رحمهم الله- في مَن هي سيّدة نساء العالمين على الإطلاق، وأفضلهنّ، وفي التفضيل بين فاطمة وعائشة رضي الله عنهما، والتي قال عنها رسول الله ﷺ: " **وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَام** "[4]، اختلفوا على ثلاثة أقوال، والصحيح التفصيل، قال العلامة ابن القيِّم –رحمه

الألباني.

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: 3623، و3624 .

[2] (?)صحيح مسلم:كتاب فضائل الصحابة،باب فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلام،إثر حديث برقم:2450.

[3] (?) المنهاج للنووي، ص1490 .

[4] (?) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فَضْلِ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم: 3769، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضى الله تعالى عنها، رقم: 2431.

الله تعالى- وهو يقرِّر هذا: « وَفَاطِمَةُ أَفْضَلُ بَنَاتِهِ عَلَى الإِطْلاقِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا أَفْضَلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَقِيلَ: بَلْ أُمّهَا خَدِيجَةُ. وَقِيلَ: بَلْ عَائِشَةُ. وَقِيلَ: بَلْ بِالْوَقْفِ فِي ذَلِكَ »[1].

وفي موضع آخر قال: « الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة، أو فاطمة أفضل، إذا حُرِّر محل التفضيل صار وفاقًا، فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم؛ **فإنْ أريد** بالفضل كثرة الثواب عند الله فذلك أمرٌ لا يُطّلع عليه إلا بالنص؛ لأنه بِحَسَب تفاضل أعمال القلوب، لا بِمجرد أعمال الجوارح؛ وكم من عامِلَين أحدِهما أكثر عملا بِجوارحه، والآخر أرفع درجة منه في الجنة؟ **وإن أريد** بالتفضيل التفضيل بالعلم، فلا ريب أن عائشة أعلم، وأنفع للأمة، وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يُؤَدّ غيرُها، واحتاج إليها خاصُّ الأمة وعامتُها. **وإن أريد** بالتفضيل شرف الأصل، وجلالة النسب، فلا ريب أنّ فاطمة أفضل؛ فإنَّها بَضَعَةٌ من النبي، وذلك اختصاص لم يَشْرَكها فيه غير أخواتها. **وإنْ أريد** السيادة، ففاطمة سيِّدة نساء الأمة. وإذا ثبتت وجوهُ التفضيل، وموادُّ الفضل، وأسبابُه صار الكلام بعلم وعدل. وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل لم يُفصِّل جهات الفضل، ولم يوازن بينهما، فيبخس الحق، وإنْ انضاف إلى ذلك نوع تعصُّبٍ وهوى لِمَن يُفضِّلُه، تكلَّم بالجهل والظلم »[2]. وهذا كلام متين.

ثالثًا: وجاء وصف فاطمة رضي الله عنها بالصفات الحميدة، ومشابهتها رسول الله فيها، وهذا الوصف صدر من عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها وأرضاها، قَالَتْ: « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلاًّ وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَتْ: وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ قَامَ إِلَيْهَا؛ فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا؛ فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا، فَلَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ دَخَلَتْ فَاطِمَةُ فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا،

---

1 (?) زاد المعاد، (ج1/ ص104).
2 (?) بدائع الفوائد، (ج3/ 1101-1102).

فَبَكَتْ، ثُمَّ أَكَبَّتْ عَلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا، فَضَحِكَتْ »[1]
فذكرت مثل ما في الحديث السابق. والله تعالى أعلم.

المسألة السادسة: ذكرُ ولده عبد الله، الملقب بالطيّب والطاهر :

ومِن أولاده : عبد الله، وهو الملقّب بالطيِّب، والطاهر، وصحّح بعضُ العلماء أنّه وُلد بعد النبوة، وقيل: بل قبلها، قولان. ومِن العلماء مَن قال: الطيّب والطاهر غير عبد الله، والصحيح أنهما لَقَبَان له. وقد سبق ذلك[2].

المسألة السابعة: ذكرُ آخر أولاده إبراهيم[3] :

إبراهيم بن محمد رسول الله ، ولدَتْه أمُّه مارية القبطية رضي الله عنها في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وولدتْه بالعالية في المال الذي يقال له اليوم: مشربة أم إبراهيم بالقف، وكانت قابلتها سلمى مولاة النبي امرأة أبِي رافع، فبشر أبو رافع به النبي ، فوهبه عبدًا، وسماه بعد يومٍ من ولادته، وعقّ عنه بكبش، وحلَق شعره يوم سابعه، وتصدق بوزن شعره ورقًا على المساكين، وقد سُرّ رسول الله بولادته كثيرًا، وقد ثبت أنّه عاش في هذه الدنيا سبعة عشر أو ثمانية عشر شهرًا، -هكذا ثبت على الشك-، وتوفى سنة عشر.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ

---

1 جامع الترمذي: كتاب المناقب، باب فَضْلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ ، رقم: 3872، وقال الترمذي: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ »، وصححه الشيخ الألبانِي، وقد مرّ حديث البخاري عن عائشة بمعناه.

2 انظر: النووي، الإحالة الأولى له في هذا المبحث، وكذا ابن القيم، في الزاد.

3 انظر للاستزادة: الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة إبراهيم، برقم:1، ص39-41، ومختصر سيرة الرسول وسيرة أصحابه العشرة، ص 663، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ترجمته، برقم:23، ج1/ ص 102-103)، وسِير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، (ج2/26-29)، والإصابة في تمييز الصحابة، (ترجمتها، برقم:11723، ج14/ ص87-97)، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر، (ج1/349-352)، والسيرة النبوية لأبِي الحسن الندوي، ص 554-557.

وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: " **يَا ابْنَ عَوْفٍ! إِنَّهَا رَحْمَةٌ**، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: " **إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ** "[1]، متفق عليه، ولفظ مسلم[2]: عَنْه ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ** "، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ امْرَأَةِ قَيْنٍ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو سَيْفٍ، فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ، وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ، قَدْ امْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ! أَمْسِكْ؛ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمْسَكَ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. فَقَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: " **تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلا نَقُولُ إلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَاللَّهِ -يَا إِبْرَاهِيمُ- إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ** ".

ولما مات قال الرسول ﷺ: إنّ له مرضعًا تتم رضاعته في الجنة، فعَنْ الْبَرَاءَ ﷺ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ** "[3].

ويوم موته هذا انكَسَفَت الشمس، فقال الناس إنّ ذلك كان بسبب موته فوعظهم النبِيُّ ﷺ، فعَنْ أبي مسعود، وابن عباس، وأبي بكرة، وجابر والْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ، وهذا لفظه، قَالَ: كَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتْ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا**

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " **إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُون**" رقم: 1303.

[2] صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِك، رقم: 2315.

[3] صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب مَا قِيلَ فِي أَوْلاَدِ الْمُسْلِمِينَ، رقم: 1382.

يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ "[1].

هذه المسائل السبعة فيها ذكر لأولاد رسول الله و ، والمطلب دليل على بشريته.

المطلب الثالث: الغنِيُّ المعبـود سبحانه لا ولَدَ له

(فلم يلِد سبحانه، ولم يتخذْ ولَدًا):

نزّه الله تعالى نفسه المقدسة عن الولد وسبّحها، حيث قال في سورة البقرة في ردّ مزاعم الكفار: ﭽﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗﭼ [البقرة: ١١٦]. وقال: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ [الأنعام:100-١٠١]. وقال: ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [مريم: ٣٥]. ﭽﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [الأنبياء:26].

وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [المؤمنون: ٩١].

وقال: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [الزخرف:81-٨٢].

وقال: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ [الجن: ٣].

ونزّه سبحانه نفسه عن ذلك وبيَّن أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد، فقال: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [الزمر: ٤]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [الإخلاص:1-٣].

قال صاحب الحائية:

وليس بِمولودٍ، وليس بوالدٍ، وليس له شَبَهٌ، تعالى المسبِّحُ[2].

وقال العلامة ابن القيم في جملة أمور متصلة ومنفصلة نزّه تعالى نفسه الكريمة عنها:

وكذاك سلب الزوج، والولد الذي نسبُوا إليه عابدو الصلبان[3].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الكسوف، بَاب الصَّلاةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ، رقم: 1043، وصحيح مسلم: كتاب الخسوف، بَاب ذِكْرِ النِّدَاءِ بِصَلاةِ الْكُسُوفِ ((الصَّلاةُ جَامِعَةٌ))، رقم: 911، واللفظ للبخاري.

[2] منظومة الحائية لابن أبي داود.

[3] الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم، (بيت رقم: 3205 ص174).

وأمَر سبحانه أنْ يُثنى عليه ويُحمد على تنـزُّهه عن الولد[4] فقال: ﭽﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﭼ [الإسراء: ١١١] الآية. كما أنزل القرآن، وأرْسَل عبْدَه محمدًا ﷺ لنذارة مَن قال الكذب وكبُرَتْ كلمتُه بنسبة الولد إليه سبحانه، ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [الكهف: ٤].

فنسبة الولد إليه سبحانه وتعالى هي المقالة الكاذبة الخاطئة التي كادت السماوات أنْ تتفطر منها، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدًّا، وستأتِي الآيات بذلك. قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير آية البقرة: « اشتملت هذه الآية الكريمة، والتي تليها على الرد على النصارى - عليهم لعائن الله-، وكذا مَن أشبههم من اليهود، ومِن مشركي العرب، ممن جعل الملائكة بنات الله، فأكذب الله جميعَهم في دعواهم وقولهم: إن لله ولدًا. فقال تعالى: ﭽﮱﭼ أي: تعالى وتقدس وتنـزه عن ذلك عُلوًّا كبيرًا، ﭽﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﭼ أي: ليس الأمر كما افتروا، وإنما له ملك السماوات والأرض، وهو المتصرِّف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم، ومُقَدِّرهم ومُسخِّرهم، ومسيِّرُهم ومصرِّفُهم كما يشاء، والجميع عبيدٌ له، وملك له، فكيف يكون له ولد منهم، والولد إنما يكون متولِّدًا مِن شَيئين متناسبين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير، ولا مشارك في عظمته وكبريائه، ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد! كما قال تعالى: ﭽﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪﭼ [الأنعام: ١٠١]. وقال تعالى: ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇﭼ [مريم: ٨٨ – ٩٥]. وقال تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭼ [الإخلاص: ١ – ٤].

فقرّر تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم، الذي لا نظير له، ولا شبيه له، وأنّ جميع الأشياء غيرَه مخلوقةٌ له مربوبة، فكيف يكون له منها ولد!»[2].

ثم أورد جملة من الأحاديث الآتية إنْ شاء الله تعالى.

وإضافةُ البَنِين لله سبحانه والبنات عمَلٌ بغير علم، بل كيف يكون لله تعالى ولَدٌ ولم تكنْ له صاحبة؟ قال

---

4 (?) انظر: تتمة أضواء البيان، (ج9/ ص619) .

2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج1/ ص211-212).

الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير آيتَي الأنعام السابقتين: « وقوله تعالى: ﭽ   ﭼ يُنَبِّه به تعالى على ضَلال مَن ضلّ في وصفه تعالى بأنّ له ولَدًا، كما يَزْعُم مَن قاله من اليهود في العُزير، ومن قال من النصارى في المسيح، وكما قال المشركون مِن العربٍ في الملائكة: إنّها بنات الله، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا. ومعنى قوله تعالى ﭽ ﭼ أي: واختلقوا وائتفكوا، وتخرّصوا وكذبوا، كما قاله علماء السلف. .. قال ابن جرير: فتأويل الكلام إذًا: وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياه، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا ظهير ﭽ   ﭼ يقول: وتَخرّصوا لله كذِبًا، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلا بالله وبعَظَمَته، وأنه لا ينبغي إنْ كان إلَهًا أنْ يكون له بنونَ وبناتٍ ولا صاحبة، ولا أنْ يَشرَكه في خلقه شريكٌ. ولهذا قال تعالى: ﭽ   ﭼ أي: تقدس وتنـزّه وتعاظم عما يَصِفُه هؤلاء الجهَلَة الضالون مِن الأولاد والأنداد، والنظراء والشركاء. ﭽ   ى ى ې ې   ﭼ [الأنعام: ١٠١]. ﭽ   ﭼ أي: مبدع السموات والأرض، وخالقهما، ومُنشئهما، ومحدثُها على غير مثال سبَق، .. ﭽ ى ى ې ې ﭼ أي: كيف يكون له ولد، ﭽ   ﭼ ؟ أي: والولَدُ إنّما يكون متولِّدًا عن شَيْئَين متناسبين، والله لا يناسبه ولا يُشابِهه شيءٌ مِن خلقه؛ لأنه خالق كلِّ شيء، فلا صاحبة له ولا ولد .. فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه؟ وهو الذي لا نظير له فأنّى يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا »[1].

وأيضًا فنسبة الولد إلى الله سبحانه تعالى شتْمٌ له، وقد شُتِم سبحانه على وجه الأرض شتَمَات وأوذِي فصبَر، فعن أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: "**لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنْ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**"[2].

---

1 ([?]) المصدر نفسه، (ج2/ ص216-217).

2 ([?]) صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب الصَّبْرِ عَلَى الأَذَى، رقم: 6099، وصحيح مسلم: كتاب صفة القيامة، باب لا أحد أصْبَر عَلَى أَذًى مِنْ اللَّهِ ، رقم: 2804 .

وأورد البخاريُّ في باب ﭽﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭼ [البقرة: ١١٦][1] حديثًا قدسيًّا: جاء عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ النَّبِيّ ﷺ: " **قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَا تكْذِيبُهُ إِيَّايَ؛ فَزَعَمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ؛ فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً، أَوْ وَلَدًا** ".

كما أورَد –رحمه الله- من طريقَين عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﭬ في تفسير سُورَةُ الإخلاص قَولَ النَّبِيّ ﷺ: " **قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَا تِكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ؛ فَقَوْلُهُ: ﭽﭑﭒﭓﭔﭼ ، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ؛ لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ** "[2].

* فما تقدمت من النصوص فهي ردٌّ من الله تعالى على شتائم اليهود والنصارى والذين كفروا من قبل وغيرِهم القدوسَ السلامَ؛ حيث نسبوا إليه سبحانه بنوّة عُزير والمسيح عليهما السلام، فلعنهم، قال سبحانه: ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [التوبة: ٣٠]. لهذا فإنّه إذا جاء يوم القيامة –كما في الحديث- **يُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ! فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ، وَلاَ وَلَدٍ**. وفيه: **فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا:**

---

[1] صحيح البخاري: كتاب التفسير، رقم: 4482. وتفرد بإخراج الحديث البخاري عن مسلم.

[2] صحيح البخاري: كتاب التفسير، بابٌ، (بدون ترجمة)، رقم: 4974، وباب قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭼ رقم: 4975 . وتفرد بإخراج الحديث البخاري عن مسلم.

كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ! فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ، وَلاَ وَلَدٍ، ...إلخ[1].

بل وبلَغ بِاليهود والنصارى أنْ زَعمُوا لأنفسهم أنّهم أبناءُ الله وأحباؤُه، فكذّبهم الله، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ [المائدة: ١٨].

ولقد سبَّح سبحانه نفسه ونفى بنوة عيسى عنه فقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [النساء: ١٧١]. وقال: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ [مريم: ٣٥].

* وشتَم المشركون الله تعالى فنسبوا إليه ما لا يشتهون (البنات)، فردّ عليهم سبحانه فقال: ﭽﭨﭩﭪﭫﭬﭭ ﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵ ﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓ ﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜ ﭼ [النحل: ٥٧ – 60].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، مثلما في أول الزخرف وغيره. فإنّ من قبائح المشركين التي أخبر الله تعالى عنها: أنّهم جعلوا الملائكة الذين هم عِباد الرحمن إناثًا، وجعلوها بنات الله، وعبَدوها معه، فأخطؤوا خطأً كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث، فنسبوا إليه تعالى أنَّ له ولدًا، ولا ولَدَ له! ثم أعطوه أخسّ القسمين من الأولاد وهو البنات، وهم لا يرضونها لأنفسهم، كما قال: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﭼ [النجم: ٢١ – ٢٢]. وقال هاهنا: ﭽﭨﭩﭪﭫﭬ ﭼ أي: عن قولهم وإفكهم ﭽﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﭼ [الصافات: ١٥١ – ١٥٤]. وقوله: ﭽﭬﭭﭮﭼ أي: يختارون لأنفسهم الذكور، ويأنَفُون لأنفسهم من البنات التي نسبوها إلى الله، تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا.

وفي آخر هذا السياق من سورة النحل، قال تعالى: ﭽﮌﮍﮎﮏﮐﮑﭼ فالنقص إنما ينسب إلى هؤلاء، ﭽﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﭼ أي: الكمال المطلق مِن كلّ وجه، وهو منسوب

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير (سورة النساء) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، برقم: 4581، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤيا، رقم: 183.

إليه، ومِن ذلك: عدم الاتصاف بالولد، لأنّ اتخاذه ليس كمالا مطلقًا، بل للحاجة[2].

فكيف ينسب المشركون وغيرهم البنات إلى الله سبحانه، وكيف يتخذ الله البنات ولدًا وهنّ ناقصاتٌ عقلٍ ودين؟ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ [الزمر: ٤].

وقد أنكر الله سبحانه على هؤلاء المضيفين له البنات، فقال: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [الطور: ٣٩].

ومثل ما تقدم: ما رَدّ به تعالى على المشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله، فحكَم عليهم بأنّهم لا يؤمنون بالآخرة، كما في النجم. كما ردّ على الذين نسبوا إليه بنوة الملائكة، وكذا الذين أضافوا إليه بنوة الجنّ، فنزّه نفسه المقدسة عن ذلك: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭼ [الصافات: ١٤٩-159].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير الآيات: « يقول تعالى مُنْكِرًا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه، ولهم ما يشتهون، أي: من الذكور، أيْ: يودُّون لأنفسهم الجيّد، ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ أي: يسوؤُه ذلك، ولا يختار لنفسه إلا البنين، يقول ﻷ: فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم؟ ولهذا قال تعالى: ﭽ ﮱ ﭼ أيْ: سلْهم على سبيل الإنكار عليهم؟ ﭽ ﯓ ﯔ ﭼ، كقوله ﻷ: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [النجم: ٢١ – ٢٢]. وقوله تبارك وتعالى: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ أي: كيف حكمُوا على الملائكة أنَّهم إناث، وما شاهدوا خلقهم، كقوله جل وعلا: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ [الزخرف: ١٩]. أي: يسألون عن ذلك يوم القيامة. وقوله جلّتْ عظمَتُه: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ أي: من كذِبِهم، ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ أي: صدر منه الولد. ﭽ ﯰ ﯱ ﭼ . فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب؛ **فأولا:** جعلوهم بنات الله؛ فجعلوا لله ولدًا، تعالى وتقدس. وجعلوا ذلك الولد أنثى. ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس. وكلٌّ منها كافٍ في التخليد في نار جهنم. ثم قال تعالى مُنْكِرًا عليهم: ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ أي: أيُّ

---

[2] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج3/ ص746).

شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين، كقوله : ﭽﮆ ﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﭼ [الإسراء: ٤٠]. ولهذا قال تبارك وتعالى: ﭽﭑﭒﭓﭼ أي: ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون؟ ﭽﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭼ أي: حجة على ما تقولونه؟ ﭽﭛﭜ ﭝﭞﭟﭼ أي: هاتوا برهانًا على ذلك يكون مستندًا إلى كتاب منَـزَّل من السماء عن الله تعالى، أنه اتخذ ما تقولونه، فإنّ ما تقولونه لا يمكن استنادُه إلى عقل، بل لا يُجوِّزه العقلُ بالكلية. وقوله تعالى: ﭽﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭼ قال مجاهد: قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى، فقال أبو بكر : فمن أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات الجن. وكذا قال قتادة، وابن زيد، ولِهذا قال تبارك وتعالى: ﭽﭦﭧﭨﭼ أي: الذين نسبوا إليهم ذلك. ﭽﭩﭪﭼ أي: إنّ الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب؛ لكذبهم في ذلك، وافترائهم، وقولهم الباطل بلا علم. وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﭽﭡﭢﭣﭤﭥﭦ ﭼ قال: زعم أعداء الله، أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، حكاه ابن جرير. وقوله جلَّتْ عظمتُه: ﭽﭭﭮﭯﭰﭼ أي تعالى وتقدس وتنـزه عن أن يكون له ولد،وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوًّا كبيرًا»[1]. وبِما تقدم كلِّه بطل دعوى اليهود والنصارى والذين كفروا قبلهم، ودعوى مشركِي العرَب في إضافة أحد المخلوقات إلى الله تعالى ابنًا له وولدًا.

والذي ينبغي أنْ يُلاحظ في هذا المقام هو أنه: ما نـزّه سبحانه نفسه الكريْمة عن الولد إلا لكمال غناه، فالله الغنِي لذاته، الذي لا يحتاج إلى أحد، قال تعالى: ﭽﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﭼ [يونس: ٦٨]. وهو الغنِيّ: ﭽﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﭼ [الفرقان: ٢]. لِهذا لَمّا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الحديث القدسي السابق القائل بأنّ زعم أنّ الله اتخذ ولدًا شتمٌ للصمد الذي لم يلد ولم يولد، وقرر بأنّ الولد من جنس الوالد ونظير له، وأن اتخاذه يستلزم الحاجة والفقر بيّن أنّ « الولد يتخذه المتّخذ لحاجته إلى معاونته له؛ كما يُتَّخَذ المال؛ فإنّ الولد

---

[1] تفسير القرآن العظيم، (ج4/ ص30-31).

إذا اشتدّ أعان والده. –وذكر الآية المستشهد بها هنا وآيات أخرى ثم قال-: فإنّ كون المخلوق مملوكاً لخالقه، وهو مفتقر إليه من كل وجه، والخالق غنيّ عنه: يُناقض اتّخاذ الولد؛ لأنه إنما يكون لحاجته إليه في حياته، أو ليخلفه بعد موته. والربّ غنيّ عن كلّ ما سواه، وكلّ ما سواه فقيرٌ إليه، وهو الحي الذي لا يَموت. والوالد في نفسه مفتقر إلى ولد مخلوق، لا حيلة له فيه، بخلاف من يشتري المملوك فإنه باختياره مَلَكَهُ، ويمكنه إزالة ملكه؛.. والولادة بغير اختيار الوالد. والربّ يمتنع أن يحدث شيء بغير اختياره. واتّخاذ الولد هو عِوَض عن الولادة لمن لم يحصل له، فهو أنقص في الولادة»[1].

كما أنه وبعد كلام له –رحمه الله- الطويل الآتِي بعضُه، في هذه المسألة في تفسيره سورة الإخلاص، قال: « فَتَبَيَّنَ أَنَّ مَا يُقَالُ: إِنَّهُ مُتَوَلِّدٌ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ الْأَعْيَانِ الْقَائِمَةِ بِنَفْسِهَا فَلا يَكُونُ إلا مِنْ مَادَّةٍ تَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الْوَالِدِ، وَلا يَكُونُ إلا مِنْ أَصْلَيْنِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى صَمَدٌ؛ فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ »[2].

والذي أشار إليه ابن تيمية هنا هو ما يُسمى بـ**(الدليل العقلي الشرعي)، وإيضاحُه يكون بالآتِي: المسلمون جَميعًا آمنوا وسلّموا لنصوص الباب القاضية بأنّ الله سبحانه لم يلد ولم يتخذْ ولدًا، بدون شكّ، ولا أنْ يُؤثَر في المسلمين في ذلك أيَّ خلاف،** لكن غيرهم من اليهود والنصارى، والكفّارِ قبلهم، ومشركي قريشٍ ادعَوا أنّ لله سبحانه ولدًا، وقد جاءت النصوص الصريحة في نفي ذلك عن الله سبحانه وتعالى –وهي ما سبقَتْ قريبًا-، إلا أنّ مجرد النص الذي لم يؤمن به الخصم لا يكفي لإقناعه، لذا جاء لرد دعواهم الأدلة الكثيرة مع بيان المانع مفصَّلاً مع الإشعار بالدليل العقلي، فتأمل الآية الأولى في الباب ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [البقرة: ١١٦ – ١١٧].

[1] النبوات لابن تيمية، (ج1/ص215-216).
[2] تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، ص115

وبالأخص ما جاء بعد حرف الإضراب: تجد أنّ فيه بيان المانع عقلاً من اتخاذ الولد بما يلزم الخصم، وذلك أنّ غاية اتخاذ الولد لا يخرجُ عن أن يكون الولد بارًّا بوالده، وينتفع الوالد به. كما في قوله تعالى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭼ [الكهف: ٤٦]. والله تعالى غنِيٌّ غير محتاج إلى شيء. أو يكون الولد وارثًا لأبيه، كما في قوله تعالى عن نبِي الله تعالى زكريا ﷺ: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﭼ [مريم: ٥ – ٦]. والله سبحانه وتعالى حي باق، ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﭼ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧]. يرث ولا يُورث، كما قال تعالى: ﭽﭼ [1]. وقد تقدم في الحديث في سبب نزول سورة الإخلاص وبيان معنى الصمد، وأنّه **الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ؛ ..**الحديث[2]، فكون الله تعالى الصمدَ يَنفِي أنْ يخرُج منه شيءٌ، ومن ذلك الولد[3]. فإذا كان لله تعالى كلّ ما في السماوات والأرض في قنوت وامتثال، طوعًا أو كرهًا، كما قال تعالى: ﭽﯕﭼ [مريم: ٩٢ – ٩٣]. = تحصل أنّ الحيّ الذي يبقى، الغنِيَّ لذاته، الذي له ميراث السماوات والأرض سبحانه وتعالى ليس في حاجة إلى الولد[4].

وثانيًا: قد يقال: مِن جانب الممانعة العقلية لو افترض، على حد قوله: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﭼ [الزخرف: ٨١]. فيقال على هذا الافتراض: لو كان له ولد فما مبدأ وجود هذا الولد، وما مصيرُه؟ فإنْ كان حادثًا فمتى حدوثُه؟ وإنْ كان قديمًا تعدد القدم، وهذا ممنوع. ثم إنْ كان باقيًا تعدد البقاء، وإنْ كان منتهيًا فمتى انتهاؤُه؟ وإذا كان مآله إلى الانتهاء، فما الحاجة إلى إيجاده مع عدم الحاجة إليه؟ فانتفى اتخاذ الولد عقلاً ونقلاً، كما انتقت الولادة كذلك

---

1 (?) في سورتين، (آل عمران: ١٨٠، والحديد: 10).

2 (?) جامع الترمذي، حسنه الشيخ الألباني كما تقدم، دون لفظة: والصمد..، لسوء حفظ أبي جعفر (ظلال الجنة).

3 (?) انظر: تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج9/ص 620).

4 (?) انظر: تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج9/ 618-619).

عقلاً ونقلاً[1]. وهذه الأدلة هي التي تنفع عند الحوار مع هؤلاء المخالفين.

تتمة وتنبيهٌ وفائدة:

الْمُلاحِظ لأكثَرِ نصوص الباب (تنـزيهُ الله عن الولد، ونفيُه عنه) يَجدْ أنّها نَفَتْ الأعمّ عنه، وهو نفيُ اتّخاذ الله ولَدًا –مثل ما في آية البقرة وغيرها-، ونفي اتخاذ الولد لا يستلزم نفي الولادة إطلاقًا، لأن اتخاذ الولد قد يكون بدون ولادة كالتبنّي أو غيره، كما في قصة يوسف في قوله تعالى عن عزيز مصر: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [يوسف: ٢١]. ومثل قول امرأة فرعون في موسى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [القصص: ٩]. والأقل منها (النصوص) نَفَت الأخص وهو أنْ يصْدُر عنه ولد –كما في آية الأنعام وسورة الإخلاص-، وهذا الأقل هو النص الصريح بعدم الولادة، وأنّه سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد. فهذا النوع أخص من ذاك.

ثم إنّ نفي الولد عنه سبحانه من المسلمات عند المسلمين جميعًا بدون شك ولا نزاع، ولم يؤثر فيها أيّ خلاف. ولكن غير المسلمين لم يُسلّموا بذلك، فاليهود قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله. والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله. فاتفقوا على ادعاء الولد لله. لكن لم يَدّعِ أحدٌ أنه سبحانه مولودٌ لأحد.

ومجموع أدلة المطلب يُبَيِّنُ أَنَّ مَا نَزَّهَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَنَفَاهُ عَنْهُ في (باب نفي الولادة عنه) يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي تُذْكَرُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ بَعْضِ الْأُمَمِ. كَمَا أَنَّ مَا نَفَاهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ يَعُمُّ أَيْضًا جَمِيعَ أَنْوَاعِ الاتِّخَاذَاتِ الاصطفائية[2].

---

[1] انظر: تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج9/620).

[2] انظر: تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، ص116 وما بعده.

فثبت أنّ مجموع نصوص الباب نفَتْ عن الله سبحانه الولد والاحتياج إليه، والولادة والتبنّي أو غيره من أوجه الاحتياج بأيّ وجه كان[3]. والله سبحانه أعلم.

[3] (?) انظر: تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج9/ 616-617),

المبحث الرابع: في جوع النبي وعطشه،
والصمد الغنِيّ سبحانه وتعالى لا يجوع ولا يعطش، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جوع النبي .
المطلب الثاني: عطش النبي .
المطلب الثالث: الصمد الغنِيّ سبحانه وتعالى لا يجوع ولا يعطش.

المطلب الأول: جوع النبي :

العبيد محتاجون إلى ربِّهم على أيّة حال، في السّرّاء وفي الضّرّاء؛ فإنْ أُصيبُوا بالجوع والعطش –مثلا- صبَرُوا، وتضرَّعُوا بالدعاء إلى الذي يُطْعِم ويسقِي، وإنْ أرْوَاهم الله تعالى وأشبَعَهم شَكَروا المنعم سبحانه الذي يُطعِم ولا يُطعَم، وهذا عامٌ فيهم؛ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم. فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: " **عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لاَ، يَا رَبِّ! وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ** "، رواه الترمذي وأحمد. وعند البيهقي في الشعب عَنْه[1] ، مرفوعًا، بلفظ: " **عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا فَقُلْتُ: لاَ، يَا رَبِّ! وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا، وَأَشْبَعُ يَوْمًا؛ فَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ، وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ** ".

وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ: « **سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَلْتَوِي فِي الْيَوْمِ مِنْ الْجُوعِ، مَا يَجِدُ مِنْ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ** »[2].

---

1 (?) جامع الترمذي: كتاب الزهد، بَاب مَا جَاءَ فِي الْكَفَافِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، رقم: 2347، ومسند الإمام أحمد، رقم: 22190، وشعب الإيمان، باب الزهد وقِصَر الأمل، رقم: 10022، حسّنه الترمذي .

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم: 2978.

وفي لفظ آخر: عنه ، « أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ وَمَا يَجِدُ مِنْ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ »[3].

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، قَالَتْ: « كَانَ النَّبِيُّ يَأْتِينِي، فَيَقُولُ: أَعِنْدَكِ غَدَاءٌ؟ فَأَقُولُ: لا، فَيَقُولُ: " **إِنِّي صَائِمٌ** ". قَالَتْ: فَأَتَانِي يَوْمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ قَدْ أُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ، قَالَ: " **وَمَا هِيَ؟** قَالَتْ: قُلْتُ: حَيْسٌ. قَالَ: " **أَمَا إِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا** " قَالَتْ: ثُمَّ أَكَلَ »[2].

ومِن نَماذج جوعِه واحتياجه إلى سدّ فاقته، ما يلي:

أولا: ما جاء عن أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيّ ، قَالَ: « كَانَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ يُكْنَى: أَبَا شُعَيْبٍ، وَكَانَ لَهُ غُلامٌ لَحَّامٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، فَعَرَفَ الْجُوعَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ، فَذَهَبَ إِلَى غُلامِهِ اللَّحَّامِ، فَقَالَ: اصْنَعْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً، لَعَلِّي أَدْعُو النَّبِيَّ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَصَنَعَ لَهُ طُعَيِّمًا، ثُمَّ أَتَاهُ فَدَعَاهُ فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ : **يَا أَبَا شُعَيْبٍ! إِنَّ رَجُلا تَبِعَنَا؛ فَإِنْ شِئْتَ أَذِنْتَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتَهُ**، قَالَ: لا، بَلْ أَذِنْتُ لَهُ »[3].

ثانيًا: عن أنس بن مالك ، قَالَ: قال أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ؛ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ

---

[3] (?) صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2977 .

[2] (?) جامع الترمذي: كتاب الصوم، بَاب صِيَامِ الْمُتَطَوِّعِ بِغَيْرِ تَبْيِيتٍ، رقم: 734، وبلفظ قريب منه في صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب جواز صوم النافلة بنية من النهار، قبل الزوال، ...، رقم: 1154.

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، بَاب الرَّجُلِ يُدْعَى إِلَى طَعَامٍ فَيَقُولُ: وَهَذَا مَعِي، رقم: 5461، وقد مَر الحديث في كتاب البيوع، بَاب مَا قِيلَ فِي اللَّحَّامِ وَالْجَزَّارِ، رقم: 2081، وكتاب المظالم، بَاب إِذَا أَذِنَ إِنْسَانٌ لآخَرَ شَيْئًا جَازَ، رقم: 2456، وصحيح مسلم: كتاب الأشربة، باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غيرُ مَن دعاه صاحب الطعام، واستحباب إذن صاحب الطعام للتابع، رقم: 2036.

جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟** " قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: " **أَلِطَعَامٍ**؟ " فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: " **قُومُوا** " قَالَ: فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ، فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ﷺ هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً[1] لَهَا فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: " **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ** " فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا. ثُمَّ قَالَ: " **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ** " فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا. ثُمَّ قَالَ: " **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ** " حَتَّى أَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلا أَوْ ثَمَانُونَ [2].

وثالثًا: عن جابر ﷺ، قال: « لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا فَانْكَفَأْتُ[3] إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا؟ فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا[4] فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ[5] فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: لا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ

---

1 (?) عُكّـة: بِضَمِّ الْعَيْن وَتَشْدِيد الْكَاف، وَهِيَ وِعَاء صَغِير مِنْ جِلْد، لِلسَّمْنِ خَاصَّة (النووي، مصدرٌ سابق، ص1292).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: 3578، وصحيح مسلم، واللفظ له: كتاب الأشربة، الكتاب والباب، رقم: 2040.

3 (?) **انْكَفَأْت:** أَيْ: انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ، (انظر: المنهاج للنووي، ص1290، وفتح الباري، ج3/ ص2900) .

4 (?) **الجِراب**: بالكسر وهو الأشهر، وِعَاء مِنْ جِلْد، (انظر: المنهاج للنووي، ص1290).

5 (?) **بُهَيْمَة:** تَصْغِير بَهِيمَة، وَهِيَ الصَّغِيرَة مِنْ أَوْلَاد الضَّأْن. **والدَاجِن:** مَا أَلِف الْبُيُوت.(انظر: المنهاج للنووي، ص1290).

كَانَ عِنْدَنَا؛ فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: " **يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ! إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّ هَلا بِهَلّكُم** [1] " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ** [2]**، وَلا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ** " فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ[3]، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ثُمَّ قَالَ: " **ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ**[4]**، وَلا تُنْزِلُوهَا** " وَهُمْ أَلْفٌ فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ! لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ[5] كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُو[6] .

وعَنْه ﷺ، قَالَ: « لَمَّا حَفَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْخَنْدَقَ، أَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ، حَتَّى رَبَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنْ الْجُوعِ »[7].

قال النووي في شرح حديث مسلم: « .. حَدِيث طَعَام جَابِر، فَفِيهِ أَنْوَاع مِن الفَوَائِد، وَجُمَل مِنْ الْقَوَاعِد، **مِنْهَا:** الدَّلِيل الظَّاهِر، وَالْعَلَم الْبَاهِر مِنْ أَعْلام نُبُوَّة رَسُول اللَّه ﷺ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَحَادِيث آحَاد بِمِثْلِ هَذَا حَتَّى زَادَ مَجْمُوعهَا عَلَى التَّوَاتُر، وَحَصَلَ الْعِلْم الْقَطْعِيّ بِالْمَعْنَى

---

1. **سُورًا فَحَيَّ هَلا بِكُمْ:** أَمَّا السُّور -فَبِضَمِّ السِّين وَإِسْكَان الْوَاو غَيْر مَهْمُوز- وَهُوَ الطَّعَام الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ، وَقِيلَ: الطَّعَام مُطْلَقًا،وَهِيَ لَفْظَة فَارِسِيَّة. وَأَمَّا (فَحَيَّ هَلا) بِتَنْوِينِ هَلا، وَقِيلَ: بِلا تَنْوِين، فَمَعْنَاهُ: عَلَيْك بِكَذَا أَوْ ادْعُ بِكَذَا، أي: هلموا مسرعين (انظر: المنهاج للنووي، مصدر لاحق، ص1291 وفتح الباري لابن حجر، ج3/ ص2900).
2. **البرمة:** القدر، جمعه: البِرَام (انظر: الصحاح للجوهري، مادة برم، ص88).
3. **بِك**: يَتَعَلَّق الذَّمّ، أَيْ: ذَمَّتْهُ وَدَعَتْ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: جَرَى هَذَا بِرَأْيِك وَسُوء نَظَرَك وَتَسَبُّبك. (انظر: المنهاج للنووي، ص1291).
4. **اقْدَحِي**: أي: اغرفي منه، (انظر: المنهاج للنووي، ص1291).
5. **تَغِطّ:** بالكسر، أي: تغلي وتفور ويُسمَع غليَانها، (انظر: المنهاج للنووي، ص1291).
6. صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ، رقم: 4102، بل و4101، وصحيح مسلم: كتاب الأشربة، بَاب جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ ...، رقم: 2039.
7. مسند الإمام أحمد: ورقمه: 13704.

الَّذِي اشْتَرَكَتْ فِيهِ هَذِهِ الآحَاد، وَهُوَ انْخِرَاق الْعَادَة بِمَا أَتَى بِهِ مِنْ تَكْثِير الطَّعَام الْقَلِيل الْكَثْرَة الظَّاهِرَة، وَنَبْع الْمَاء وَتَكْثِيره، وَتَسْبِيح الطَّعَام وَحَنِين الْجِذْع وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْرُوف، وَقَدْ جَمَعَ ذَلِكَ الْعُلَمَاء فِي كُتُب دَلائِل النُّبُوَّة، كَالدَّلائِل لِلْقَفَّالِ الشَّاشِيّ، وَصَاحِبه أَبِي عَبْد اللَّه الْحَلِيمِيّ، وَأَبِي بَكْر الْبَيْهَقِيِّ الإِمَام الْحَافِظ، وَغَيْرهمْ، بِمَا هُوَ مَشْهُور، وَأَحْسَنهَا كِتَاب الْبَيْهَقِيِّ، فَلِلَّهِ الْحَمْد عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى نَبِيّنَا مُحَمَّد ، وَعَلَيْنَا بِإِكْرَامِهِ »[1].

ورابِعًا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: خَرَجَ رسولُ ذَات يَوْم أَوْ لَيْلَة فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْر وَعُمَر، فَقَالَ: " **مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتكُمَا هذه الساعة؟** قَالا: الْجُوع يَا رَسُولَ اللَّه! قَالَ: " **فَأَنَا -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا** "، فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلا مِنْ الأَنْصَار، فإِذَا هو ليس في بيته! .. الحديث، وفيه: فانْطَلَقَ فجاءهم بعِذقٍ فيه بُسْرٌ وتمرٌ ورُطَبٌ، فقال: كلُوا من هذه، وأخذ المُديَة، فقال له رَسُولُ اللَّهِ : " **إياك والحَلُوب** "، فذبح لهم فأكلوا من الشاة، ومِن ذلك العِذْق، وشرِبوا، فلمَّا أنْ شبِعُوا ورَوُوْا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لأبِي بكر وعمر: " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لتُسألُنّ عن هذا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أخرجكم مِن بيُوتكم الجُوعُ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النَّعِيم**"[2].

قال النووي –رحمه الله-: « هَذَا الْحَدِيث مُشْتَمِل عَلَى أَنْوَاع مِنْ الْفَوَائِد: مِنْهَا قَوْله .. فِيهِ: مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيّ وَكِبَار أَصْحَابه مِنْ التَّقَلُّل مِنْ الدُّنْيَا، وَمَا اُبْتُلُوا بِهِ مِنْ الْجُوع وَضِيق الْعَيْش فِي أَوْقَات، وَقَدْ زَعَمَ بَعْض النَّاس أَنَّ هَذَا كَانَ قَبْل فَتْح الْفُتُوح وَالْقُرَى عَلَيْهِمْ، وَهَذَا زَعْم بَاطِلٌ؛ فَإِنَّ رَاوِي الْحَدِيث أَبُو هُرَيْرَة، وَمَعْلُوم أَنَّهُ أَسْلَمَ بَعْد فَتْح خَيْبَر، فَإِنْ قِيلَ: لا يَلْزَم مِنْ كَوْنه رَوَاهُ أَنْ يَكُون أَدْرَكَ الْقَضِيَّة، فَلَعَلَّهُ سَمِعَهَا مِنْ النَّبِيّ أَوْ غَيْره، **فَالْجَوَاب:** أَنَّ هَذَا خِلاف الظَّاهِر وَلا ضَرُورَة إِلَيْهِ، بَلْ

---

[1] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ص1290).

[2] صحيح مسلم: كتاب الأشربة،باب جواز استتباعه غيره إلى دار مَن يثقُ برضاه ...، رقم: 2038.

الصَّوَاب خِلافه، وَأَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ لَمْ يَزَلْ يَتَقَلَّب فِي الْيَسَار وَالْقِلَّة حَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ، فَتَارَة يُوسَر، وَتَارَة يَنْفَد مَا عِنْده، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح »[1]. فذكر حديث أَبِي هُرَيْرَة ﷺ: " خَرَجَ رَسُول اللَّه ﷺ مِنْ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَع مِنْ خُبْز الشَّعِير "[2]. وَحديث عَائِشَة رضي الله عنها: مَا شَبِعَ آل مُحَمَّد ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَة مِنْ طَعَام ثَلاث لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ [3]. وَحديث تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا عَلَى شَعِير اسْتَدَانَهُ لأَهْلِه ما وجَد ما يفْتكُهُ[4]. وفي البخاري عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ، وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعًا لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وَأَخَذَ مِنْهُ شَعِيرًا لأَهْلِهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ، يَقُولُ: " **مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صَاعُ بُرٍّ، وَلا صَاعُ حَبٍّ، وَإِنَّ عِنْدَهُ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ** "[5]. ولفظ ابن ماجه –رحمه الله- للحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مِرَارًا: " **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا أَصْبَحَ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَاعُ حَبٍّ، وَلا صَاعُ تَمْرٍ، وَإِنَّ لَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَ نِسْوَةٍ** "[6]. ثم قال –رحمه الله-: « وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْرُوف. فَكَانَ النَّبِيّ ﷺ فِي وَقْت يُوسَر، ثُمَّ بَعْد قَلِيل يَنْفَد مَا عِنْده لإِخْرَاجِهِ فِي طَاعَة اللَّه مِنْ وُجُوه الْبِرّ، وَإِيثَار الْمُحْتَاجِينَ، وَضِيَافَة الطَّارِقِينَ، وَتَجْهِيز السَّرَايَا، وَغَيْر ذَلِكَ، وَهَكَذَا كَانَ خُلُق صَاحِبَيْهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، بَلْ أَكْثَر أَصْحَابه. وَكَانَ أَهْل الْيَسَار مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار ﷺ مَعَ بِرّهمْ لَهُ ﷺ وَإِكْرَامهمْ إِيَّاهُ

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم، ص1289.

[2] صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، بَاب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَأْكُلُونَ، رقم: 5414.

[3] صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 5416، وصحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم: 2970.

[4] وهو حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم: 3536.

[5] صحيح البخاري: كتاب البيوع، بَاب شِرَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِالنَّسِيئَةِ، رقم: 2069.

[6] سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، بَاب مَعِيشَةِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، رقم: 4147.

وَإِتْحَافه بِالطُّرَفِ وَغَيْرهَا، رُبَّمَا لَمْ يَعْرِفُوا حَاجَته فِي بَعْض الْأَحْيَان لِكَوْنِهِمْ لا يَعْرِفُونَ فَرَاغ مَا كَانَ عِنْده مِنْ الْقُوت بِإِيثَارِهِ بِهِ، وَمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ رُبَّمَا كَانَ ضِيق الْحَال فِي ذَلِكَ الْوَقْت كَمَا جَرَى لِصَاحِبَيْهِ، وَلا يَعْلَم أَحَد مِنْ الصَّحَابَة عَلِمَ حَاجَة النَّبِيّ ، وَهُوَ مُتَمَكِّن مِنْ إِزَالَتهَا إِلا بَادَرَ إِلَى إِزَالَتهَا، لَكِنْ كَانَ يَكْتُمهَا عَنْهُمْ إِيثَارًا لِتَحَمُّلِ الْمَشَاقّ، وَحَمْلا عَنْهُمْ، وَقَدْ بَادَرَ أَبُو طَلْحَة حِين قَالَ: سَمِعْت صَوْت رَسُول اللَّه أَعْرِف فِيهِ الْجُوع إِلَى إِزَالَة تِلْكَ الْحَاجَة.
وَكَذَا حَدِيث جَابِر -...-، وَكَذَا حَدِيث أَبِي شُعَيْب الْأَنْصَارِيّ الَّذِي سَبَقَ فِي الْبَاب قَبْله أَنَّهُ عَرَفَ فِي وَجْهه الْجُوع، فَبَادَرَ بِصَنِيعِ الطَّعَام، وَأَشْبَاه هَذَا كَثِيرَة فِي الصَّحِيح مَشْهُورَة. .. وَأَمَّا قَوْلهمَا رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: (أَخْرَجَنَا الْجُوع)، وَقَوْله : "**وَأَنَا -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا**" فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمَا لَمَّا كَانَا عَلَيْهِ مِنْ مُرَاقَبَة اللَّه تَعَالَى، وَلُزُوم طَاعَته، وَالاشْتِغَال بِهِ، فَعَرَضَ لَهُمَا هَذَا الْجُوع الَّذِي يُزْعِجهُمَا، وَيُقْلِقهُمَا، وَيَمْنَعهُمَا مِنْ كَمَالِ النَّشَاط لِلْعِبَادَةِ، وَتَمَام التَّلَذُّذ بِهَا سَعَيَا فِي إِزَالَته بِالْخُرُوجِ فِي طَلَب سَبَب مُبَاح يَدْفَعَانِهِ بِهِ، وَهَذَا مِنْ أَكْمَل الطَّاعَات، وَأَبْلَغ أَنْوَاع الْمُرَاقَبَات، وَقَدْ نَهَى عَنْ الصَّلاة مَعَ مُدَافَعَة الْأَخْبَثَيْنِ، وَبِحَضْرَةِ طَعَام تَتُوق النَّفْس إِلَيْهِ، وَفِي ثَوْب لَهُ أَعْلام، وَبِحَضْرَةِ الْمُتَحَدِّثِينَ، وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا يَشْغَل قَلْبه. وَنَهَى الْقَاضِي عَنْ الْقَضَاء فِي حَال غَضَبه وَجُوعه وَهَمّه وَشِدَّة فَرَحه وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا يَشْغَل قَلْبه وَيَمْنَعهُ كَمَال الْفِكْر. وَاللَّه أَعْلَم. .. وَقَوْله : "**وَأَنَا -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا**" فِيهِ: جَوَاز ذِكْر الإِنْسَان مَا يَنَالهُ مِنْ أَلَم وَنَحْوه، لا عَلَى سَبِيل التَّشَكِّي وَعَدَم الرِّضَا، بَلْ لِلتَّسْلِيَةِ وَالتَّصَبُّر، كَفِعْلِهِ هُنَا، وَلالْتِمَاسِ دُعَاء أَوْ مُسَاعَدَة عَلَى التَّسَبُّب فِي إِزَالَة ذَلِكَ الْعَارِض، فَهَذَا كُلّه لَيْسَ بِمَذْمُومٍ، إِنَّمَا يُذَمّ مَا كَانَ تَشَكِّيًا وَتَسَخُّطًا وَتَجَزُّعًا»[1].

[1] (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ص1289-1290 .

خامسًا: عَنِ أبِي الْبُجَيْرِ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -[1]، قَالَ: أَصَابَ رَسُولَ اللهِ جُوعٌ يَوْمًا، فَوَضَعَ حَجَرًا عَلَى بَطْنِهِ، ثُمَ قَالَ: " **أَلا! رُبَّ نَفْسٍ طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ فِي الدُّنْيَا، جَائِعَةٍ عَارِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلا! يَا رُبَّ نَفْسٍ جَائِعَةٍ عَارِيَةٍ فِي الدُّنْيَا، طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلا! يَا رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ ...** "[2].

والحديث يحمِل معنًى عظيمًا، ويتوافق مع كثير مِن نصوص الترهيب.

فهذه خمسة نَماذج فيها الدليل الواضح على بشرية نبينا محمد ، وحاجته وفاقته إلى ربّه، مثله مثل غيره من جنسه، يجوع ويعطِش ويحتاج، كما يصيبُه القرّ والحرّ.

وقد تبيَّن أنّ لِهذه الحالات المختلفة التي يجد العبد فيها نفسه علاقة وثيقة بأنواع العبادات المختلفة التي أُمر بِها، من صبرٍ وشكرٍ وغيرهما، فعند الشدائد والمحَن مِن جوع وعطش ومرض وفقر وعوَز وغيرها يُطالَب العبد المؤمن بالصبر، والتضرُّع إلى الله بالدعاء للتخلص والتخليص منها. كما أنّه عند السرّاء يطالب بشكر المتفضِّل سبحانه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **عَجِبْتُ لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، لَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلاَ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، وَكَانَ خَيْرًا. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، وَكَانَ خَيْرًا** "[3].

المطلب الثاني: عطش النبي :

---

1 (?) **أبو الْبُجَيْرِ :** في بعض مصادر الحديث (ابن البُجير)، وهو من المبهمات، وقد ذكر الحافظ ابن حجر –رحمه الله- (في ترجمة أبِي البجير برقم: 9625)، أنه لعله (ابن البُجير) الآتِي في المبهمات، ثم لم يضف شيئًا عندما أعاده برقم: 9669، بل قال: وحقه أنْ يُذكر في المبهمات. (انظر: ص55، و78 من جزء الكنى للإصابة في تمييز الصحابة، ج12).

2 (?) شعب الإيمان، فصل في زهد النبي ، رقم: 1388،

3 (?) مسند الإمام أحمد من حديث أنس (19401)، وصُهَيْبٍ رضي الله عنهما، وهذا لفظه، رقم: 18175، والحديث -بلفظ قريب- في صحيح مسلم (سيأتي لاحقًا).

أكثر ما يمكن أن يقال في هذا المطلب قد تقدم في المطلب قبله، كما سيأتِي بعضه كحديث عطش النبي والصحابة وحاجتهم إلى الماء للاستعمال ثم حصولهم على الماء من مزادتَي امرأة مشركة في مطلب (مسألة التبرك) من الباب الأخير، وذلك لَمّا احتاجوا إلى الماء وبعثوا لطلبه. والمقصود منه أنّ الخلق -ومنهم سيّد ولد آدم- يكونون في هذه الحالة (العطش) الدالة على ضعفهم وعجزهم وعدم استقلالهم في جلب ما فيه نفعهم لأنفسهم، فهم بحاجة إلى الماء إذا عطشوا. وهذا من دلائل المربوبية، وأنّهم ليس لَهم من خصائص الربّ شيء.

المطلب الثالث: الصمد الغنِيّ سبحانه وتعالى لا يجوع ولا يعطش:

ما تقدم في المطلبين صفة الخلق، أما الله الغنِّي عن العالَمين فإنه سبحانه لا يجوع؛ فيحتاج إلى أكل، ولا يعطش؛ فيحتاج إلى شرب –وستأتِي النصوص بنفي الأكل عنه سبحانه-، وأنه الصمد الذي لا يدخل فيه شيءٌ، كما أنه لا يخرُج منه لا ولدٌ ولا غيرُه، وقد سبق حديث أَبِى هُرَيْرَةَ ، مرفوعًا: "**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِ عِنْدَهُ. يَا ابْنَ آدَمَ! اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. يَا ابْنَ آدَمَ! اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**"[1].

---

1 ([?]) الحديث في صحيح مسلم، في فضل عيادة المريض، وقد سبق تخريجه.

ويُعلق شيخ الإسلام ابن تيمية على الحديث فيقول –رحمه الله-: « وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يمرَض، وَلا يَجُعْ، وَلَكِنْ مَرِضَ عَبْدُهُ، وَجَاعَ عَبْدُهُ، فَجَعَلَ جُوعَهُ جُوعَهُ، وَمَرَضَهُ مَرَضَهُ؛ مُفَسِّرًا ذَلِكَ بِأَنَّك لَوْ أَطْعَمْته لَوَجَدْت ذَلِكَ عِنْدِي، وَلَوْ عُدْته لَوَجَدْتنِي عِنْدَهُ؛ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْحَدِيثِ لَفْظٌ يَحْتَاجُ إلَى تَأْوِيلٍ »[1].

وقال: « فَفَسَّرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ جُوعُ عَبْدِهِ وَمَحْبُوبِهِ، لِقَوْلِهِ: " لَوَجَدْت ذَلِكَ عِنْدِي " وَلَمْ يَقُلْ لَوَجَدْتنِي قَدْ أَكَلْته وَلِقَوْلِهِ: " لَوَجَدْتنِي عِنْدَهُ " وَلَمْ يَقُلْ لَوَجَدْتنِي إيَّاهُ، وَذَلِكَ لأَنَّ الْمُحِبَّ يَتَّفِقُ هُوَ وَمَحْبُوبُهُ، بِحَيْثُ يَرْضَى أَحَدُهُمَا بِمَا يَرْضَاهُ الآخَرُ وَيَأْمُرُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيُبْغِضُ مَا يُبْغِضُهُ، وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ، وَيَنْهَى عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ. وَهَؤُلاءِ هُمْ الَّذِينَ يَرْضَى الْحَقُّ لِرِضَاهُمْ، وَيَغْضَبُ لِغَضَبِهِمْ، وَالْكَامِلُ الْمُطْلَقُ فِي هَؤُلاءِ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[2]، واستدلّ لذلك بنصوص مبايعة الله ورسوله، وإرضاء الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله.

وقال: « وَذَكَرَ فِي الْجُوعِ وَالْعُرْيِ مِثْلَ ذَلِكَ. فَانْظُرْ كَيْفَ عَبَّرَ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ بِلَفْظِ مَرِضْت ثُمَّ فَسَّرَهُ فِي تَمَامِهِ؛ بِأَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَوْ عُدْته لَوَجَدْتنِي عِنْدَهُ فَمَيَّزَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ »[3]. **وقال:** « فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ ذَكَرَ الْمَعْنَيَيْنِ الْحَقَّيْنِ، وَنَفَى الْمَعْنَيَيْنِ الْبَاطِلَيْنِ وَفَسَّرَهُمَا؛ فَقَوْلُهُ: " جُعْت وَمَرِضْت " لَفْظُ اتِّحَادٍ يُثْبِتُ الْحَقَّ. وَقَوْلُهُ: " لَوَجَدْتنِي عِنْدَهُ وَوَجَدْت ذَلِكَ عِنْدِي " نَفْيٌ لِلاتِّحَادِ الْعَيْنِيِّ بِنَفْيِ الْبَاطِلِ، وَإِثْبَاتٌ لِتَمْيِيزِ الرَّبِّ عَنْ الْعَبْدِ. وَقَوْلُهُ: "لَوَجَدْتنِي عِنْدَهُ "لَفْظُ ظَرْفٍ؛ وَبِكُلِّ يَثْبُتُ الْمَعْنَى الْحَقُّ مِنْ الْحُلُولِ الْحَقِّ؛ الَّذِي هُوَ بِالإِيمَانِ لا بِالذَّاتِ. وَيُفَسِّرُ قَوْلُهُ: "مَرِضْت فَلَمْ تَعُدْنِي" فَلَوْ كَانَ الرَّبُّ عَيْنَ الْمَرِيضِ وَالْجَائِعِ لَكَانَ إذَا عَادَهُ، وَإِذَا أَطْعَمَهُ يَكُونُ قَدْ وَجَدَهُ إيَّاهُ، وَقَدْ وَجَدَهُ قَدْ أَكَلَهُ. وَفِي قَوْلِهِ فِي الْمَرِيضِ: "وَجَدْتنِي عِنْدَهُ"، وَفِي الْجَائِعِ: "لَوَجَدْت ذَلِكَ عِنْدِي"، فرْقَانٌ حَسَنٌ؛

---

1 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج3/ ص44).
2 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج2/ص462).
3 (?) المصدر نفسه، (ج11/ 76).

فَإِنَّ الْمَرِيضَ الَّذِي تُسْتَحَبُّ عِيَادَتُهُ وَيَجِدُ اللَّهَ عِنْدَهُ: هُوَ الْمُؤْمِنُ بِرَبِّهِ الْمُوَافِقُ لِإِلَهِهِ الَّذِي هُوَ وَلِيُّهُ؛ وَأَمَّا الطَّاعِمُ فَقَدْ يَكُونُ فِيهِ عُمُومٌ لِكُلِّ جَائِعٍ يُسْتَحَبُّ إطْعَامُهُ .. لَكِنَّ الْأَشْبَهَ: أَنَّ هَذَا الْعَبْدَ الْمَذْكُورَ فِي الْجُوعِ هُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْمَرَضِ، وَهُوَ الْعَبْدُ الْوَلِيُّ الَّذِي فِيهِ نَوْعُ اتِّحَادٍ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يُثِيبُ عَلَى طَعَامِ الْفَاسِقِ وَالذِّمِّيِّ »[1].

وقال –رحمه الله- في ردّه على الرازي بعد أنْ أورد الحديث بأكمله: « فإذا كان الربّ لَمّا قال لعبده: **كَيْفَ أَعُودُكَ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ،** قال: **إِنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ،** و**عَبْدِي فُلاَن جاع فلَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي،** فهل يكون في إظهار المعنى وبيانه وكشفه وإيضاحه أبلغ من هذا الخطاب، وإذا المتكلّم قد أظهر المعنى وبيّنه كيف يجوز أن يقول: لا بدّ من التأويل في هذا الظاهر. والتأويل صرفُ اللفظ عن المعنى الظاهر إلى غيره، فهل يجوز صرف هذا الكلام بتمامه عن هذا المعنى الذي أظهره المتكلّم؟! بل قيل له: تأويل هذا الحديث كفرٌ وضلال لكان متوجِّهًا. فإنّ التأويل هو صرفُه عن المعنى الظاهر إلى غيره، فالمعنى الذي أظهره الرسول المتكلّم به هو أنّ المراد به بقوله: جُعتُ: جوع عبدي، ومَرِضْتُ: مرض عبدي، فإنْ جاز أنْ يُصرف عن هذا المعنى اقتضى ذلك أنْ يكون الله نفسه، الجائع، المريض، وذلك كفرٌ صريحٌ. ولكن هذا المؤسِّس لم يذكر إلا بعض الحديث، وكأنه ما سمع إلا ذلك، فلو كان الحديث ليس فيه إلا اللفظ الذي ذكره لكان لكلامه مساغ، وقيل: إنه يتأول، ولكن ليس الأمر كذلك. .. وأيضًا فإنه قد فسّر المراد فقال: **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ،** و**عَبْدِي فُلاَن جاع فلَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي،** فبيّن أنّي أنا عند عبدي، فإذا عدتَه كنتَ عائدًا إلَيّ بِهذا المعنى، وإذا أطعمتَه كنتَ أنا الذي أقبض الصدقة وآخُذُها فهي لك عندي، وجعل نفسه مريضًا، وجائعًا لِمرَض العبد الذي يُحبُّه وجوعه، كما قال: **وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا**

---

[1] المصدر نفسه، (ج2/391-392).

فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ولا بُد له منه[1] "[2].

وما قيل مِن أنّ الله تعالى لا يمرَض، ولا يجوع هو الذي يُقال في شرح آخر الحديث المتقدم لبيان أنّه سبحانه وتعالى لا يَعطِش، بل يَعطش عبدُه ويحتاج إلى السقي بدليل قوله فيه (**يَا ابْنَ آدَمَ! اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**). والله أعلم.

فثبتَ بذلك أنّ العبيد فقراء إلى الله في أيّة حال، وفي أيّ لحظة، قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:«وَأَمَّا الْفَقْر فِي قَوْله تَعَالَى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ [فاطر: ١٥]. فَالْمُرَاد بِهِ اِحْتِيَاج الْمَخْلُوق إِلَى الْخَالِق، فَالْفَقْر لِلْمَخْلُوقِينَ أَمْر ذَاتِيّ لا يَنْفَكُّونَ عَنْه، وَاَللَّه هُوَ الْغَنِيّ لَيْسَ بِمُحْتَاجٍ لأَحَدٍ» [3].

وهذا الكلام منه –رحمه الله- خلاصة للمبحث. والله أعلم.

1 الحديث في البخاري، وسيأتي تخريجه.

2 بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بِدَعهم الكلامية، (ج6/ص97-100).

3 فتح الباري لابن حجر، (ج4/ ص4559).

المبحث الخامس: الرّسول ﷺ يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، والصمد الغنِي لا يَطْعَم ولا يُطْعَم **ولا يُرزَق، وهو فوق عرشه سبحانه، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: أكل النبِيّ ﷺ الطعام، وفيه مسألتان.

المطـلب الثاني: مشي النبِيّ ﷺ في الأسواق.

المطلب الثالث: الصمد الغنِي لا يَطْعَم ولا يُطْعَم ولا يُرزَق، وهو فوق عرشه سبحانه، وفيه مسألتان.

المطلب الأول: أكلُ النّبِيّ ﷺ الطعام، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الأكل من حاجات الخلق الضرورية، بما فيهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المسألة الثانية: خصائص عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ في باب الأكل.

المسألة الأولى: الأكل من حاجات الخلق الضرورية، بما فيهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

الأكل من حاجات الخلق الضرورية، والله فطَرَ عباده على الأكل ليسدُّوا جوعهم، كما ألْهَم في غرائزهم الشرْبَ ليدفعُوا به عن العطش، ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﭼ [النحل: ٦٨ – ٦٩].

ثم إنّ مما يَحتاج إليه البشر أيضًا البيع والشراء وهما مِن سُبُل الكسب، ويقتضيان نزول الأسواق، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثلهم مثل غيرهم؛ يأكلون ويُتاجرون، وقد تعنّت المشركون فاقترحوا مُنكِرين كون رسولنا ﷺ بشَرًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فهلا كان ملَكًا لا يأكل، أو يكون بشَرًا يُلقى إليه كنـزٌ (أسوِرة مِن ذهَبٍ)، أو جنّة يأكلُ منها، فيستغنِي بذلك عن نزول الأسواق، أو يأتِي بإرداف ملَك، مقترنًا به: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﭼ [الفرقان:7- ٨].

فردّ الله تعالى عليهم بذكر سنته في رُسُلِه عليهم السلام قبله، وأنّ الحكمة الإلهية اقتضتْ إرسال مَن في جنس المرسل إليهم، قال تعالى: ﭽﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﭼ [الأنبياء: ٧ – ٨]. وقال: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥ

ﭽ [الفرقان: ٩-10]. وقال: ﭽﯦﯧﯨﯩ
ﭽ [الفرقان: ٢٠].

فأخبر تعالى في الآيات الأُولى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بغير حجة ولا دليل، وإنما تعللوا ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﭼ ، يعنون: كما نأكله، ويحتاج إليه كما نحتاج إليه، ﭽﮙﮚﮛﮜﭼ أي: يتردد فيها وإليها طلَبًا للتكسب والتجارة، ﭽﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﭼ يقولون: هلا أنزل إليه ملك من عند الله، فيكون له شاهدًا على صِدْق ما يدَّعيه! وهذا كما قال فرعون: ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﭼ [الزخرف: ٥٣]. وكذلك قال هؤلاء على السواء، تشابهت قلوبهم؛ ولهذا قال: ﭽ ﭼ أي: علم كنز يكون ينفق منه، ﭽﮪﮫﮬﮭﭼ أي: تسير معه حيث سار. وهذا كله سهلٌ يسيرٌ على الله، ولكن له الحكمة في ترك ذلك، وله الحجة البالغة ﭽﯖﯗﯘﯙﭼ [1].

فالأنبياء قبلك « قد كانوا بشَرًا من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بضارٍّ لهم، ولا ناقصٍ منهم شيئًا، كما توهمه المشركون »[2].

يقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير آية: ﭽﯦﯧﯨﯩ ﭼ [الفرقان: ٢٠]: « يقول تعالى مُخبِرًا عن جميع مَنْ بعثه من الرسل المتقدمين: إنهم كانوا يأكلون الطعام، ويحتاجون إلى التغذِّي به. ﭽ ﭼ أي: للتكسب والتجارة، وليس ذلك بِمناف لحالِهم ومنصبهم؛ فإنّ الله جعل لَهم من السّمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كلُّ ذي لُبٍّ سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاءوا به من الله »[3]، ثمئ ذكر نظائر الآية.

---

1 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج3/ 411) .

2 (?) المصدر السابق، (ج3/ 233، تفسير الآية السابعة والثامنة من سورة المؤمنون).

3 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ ص414).

فكما دلّت آية الباب على أنه بل وإخوته وآباؤه الأنبياء قبله محتاجون إلى الأكل، فكذلك جاءت أحاديث تُصرّح بذلك، وقد سبقت منها طائفة، ومنها:

حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « **مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ** » متفق عليه[1]. وفي رواية عند مسلم عنها: « **مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ يَوْمَيْنِ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ إِلاَّ وَأَحَدُهُمَا تَمْرٌ** »[2] . وعن أَبِي هُرَيْرَةَ بنحو حديث عائشة [3]. وقولها رضي الله عنها بعدما سُئلتْ (أَنَهَى النَّبِيُّ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلاثٍ؟ فأجابت بقولها: مَا فَعَلَهُ إلا فِي عَامٍ جَاعَ النَّاسُ فِيهِ فَأَرَادَ أَنْ يُطْعِمَ الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ. وَإِنْ كُنَّا لَنَرْفَعُ الْكُرَاعَ[4] فَنَأْكُلُهُ بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ. قِيلَ: مَا اضْطَرَّكُمْ إِلَيْهِ؟ فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ مَأْدُومٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ »[5].

والرسول داخل في لفظة: **آلُ مُحَمَّدٍ** المتكررة في هذه الأحاديث.

وعَنْها رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: **«** ابْنَ أُخْتِي! إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلالِ ثَلاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ؛ التَّمْرُ، وَالْمَاءُ، إِلا أَنَّهُ قَدْ كَانَ

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، باب ما كان النبيُّ وأصحابه يأكلون، رقم: 5416، وصحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم: 2970 .

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبيِّ وتخليهم مِن الدنيا، رقم: 6455وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2971 .

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى: ﭽ   ﭼرقم: 5373، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2976 .

4 (?) **الْكُرَاعَ:** في الغنم والبقر: مستدق الساق، والذراع في اليد، وأفضل من الكراع، وفي المثل: أُعطي العبدُ كُراعًا فطلب ذراعًا (انظر: الصحاح للجوهري، مادة كرع، ص909-910).

5 (?) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، بَاب مَا كَانَ السَّلَفُ يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ مِنْ الطَّعَامِ وَاللَّحْمِ وَغَيْرِهِ، رقم: 5423، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، مختصرًا، رقم: 2970 .

لِرَسُولِ اللَّهِ جِيرَانٌ مِنْ الأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ »[1].

وبعد، فالمطلب في بيان وجه مِن الأوجه الكثيرة لبشرية العبد الرسول، وأنّه مربوبٌ ليس له من خصائص الربوبية شيء؛ ففيه الرد على الغلاة الذين يرفعونه مِن منـزلة عبوديته لله تعالى، ومقام بشريته. كما أنّ فيه الرد على المشركين الذين اقترحوا أن لا يكون الرسول بشرًا، بل وعلى القائلين –مكابرةً- بأنّه ما أنزل الله على بشرٍ من شيء (اليهود). والله أعلم.

المسألة الثانية**:** خصائص عبد الله ورسوله نبينا محمد في باب الأكل[2]**:**

قلّة الأكل وكثرته، ومثلُه قلة النوم وكثرته يتعلق بجنس البشر، مؤمنهم وكافرهم، هذا هو أساس المسألة؛ فعندما أذكر خصيصة المصطفى في هذه المسألة فأريد بذلك: خصيصته على عموم مَن في جنسه من المؤمنين الذين يأكُلون في معي واحد، فكيف بالكفار الذين يأكلون في سبعة أمعاء، فالمسألة تتعلق بالمخلوقين والبشر عامة، وأقول:

الأكل مِن الكمال النسبِيّ للخلق كالزواج، (كمالٌ)؛ لأنّ الذي لا يأكل –منهم- لمرضٍ ناقصٌ يُشفَق عليه لانتفاء هذا الكمال عنه. و(نسبيٌّ)؛ لأنّ الذي يُكثِر منه –لا لمرضٍ فيه- ليس ممدوحًا لا شرعًا ولا عقلاً؛ هذا هو الكمال النسبي، بخلاف الكمال المطلق الذي بالإكثار والازدياد منه يزداد الكمال، كالعلم. وعلى هذا، يقال: الذي قلَّ أكلُه -لا لمرضٍ- أكمل مِن إنسانٍ كثير الأكل، وعليه فالرسول لقلة أكله، ولوصاله الأيام المتعددة دون أن يحتاج إلى طعامٍ؛ لأنّه يبيت يُطعِمه ربُّه ويسقيه –كما سيأتِي الحديث بذلك- أكمل من المؤمنين الذين يأكلون ويشربون في مِعًى واحدٍ، ومن الكفار الذين يأكلون ويشربون في سبعة أمعاء من باب أولى. في صحيحَي البخاري ومسلم عَنْ

[1] صحيح البخاري: كتاب الرقاق، رقم:6459، وصحيح مسلم: رقم: 2972 .

[2] للاستزادة: يُنظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، في فصل حالته في الضروريات، ص88-92.

نَافِعٍ، قَالَ: « كَانَ ابْنُ عُمَرَ لا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَدْخَلْتُ رَجُلا يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَكَلَ كَثِيرًا فَقَالَ: يَا نَافِعُ لا تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "**الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**"[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلا كَثِيرًا فَأَسْلَمَ، فَكَانَ يَأْكُلُ أَكْلا قَلِيلا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، **وَالْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ** "[2].

وعنه ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ؛ فَحُلِبَتْ فَشَرِبَ حِلاَبَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ حَتَّى شَرِبَ حِلاَبَ سَبْعِ شِيَاهٍ. ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلاَبَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ** "[3].

وقد أمَر الشارع الحكيم بتثليث البطن، فعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ﷺ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول**: " مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ**[4] **يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ؛ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ "**[5].

وكم يُفْضِي امتلاء البطن إلى فَسَادٍ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فهُو شرٌّ[6]. والله تعالى المستعان!

---

1 ([?]) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، بَاب الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ فِيهِ، رقم: 5393، والأرقام بعده. وصحيح مسلم: كتاب الأشربة، باب الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، رقم: 2060.

2 ([?]) صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 5397 . وصحيح مسلم: الكتاب والباب، برقم: 2062، ومختصَرًا.

3 ([?]) صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2063 .

4 ([?]) **أُكُلاتٌ:** بِضَمَّتَيْنِ، وَالأُكْلَةُ –بِالضَّمِّ- اللُّقْمَةُ (انظر: تحفة الأحوذي، ج2/ص1879).

5 ([?]) جامع الترمذي: كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم: 2380 . وصححه الترمذي والنووي وغيرُهُما.

6 ([?]) قف على شرح الحديث في كتاب جامع العلوم والحكم.

وقد كان حتى أهلُ الجاهلية يمدحون التقلل والتقليل في الأكل، ويذمون عكسه، قال النووي –رحمه الله-: « قال العلماء: مقصود الحديث التقلل من الدنيا، والحث على الزهد فيها، والقناعة، مع أنّ قلة الأكل مِن محاسن أخلاق الرجال، وكثرة الأكل بضدها »[1].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- ناقلا: « شَهَوَات الطَّعَام سَبْع؛ شَهْوَة الطَّبْع، وَشَهْوَة النَّفْس، وَشَهْوَة الْعَيْن، وَشَهْوَة الْفَم، وَشَهْوَة الْأُذُن، وَشَهْوَة الْأَنْف، وَشَهْوَة الْجُوع وَهِيَ الضَّرُورِيَّة الَّتِي يَأْكُل بِهَا الْمُؤْمِن، وَأَمَّا الْكَافِر فَيَأْكُل بِالْجَمِيعِ. ثُمَّ رَأَيْت أَصْل مَا ذَكَرَهُ فِي كَلامِ الْقَاضِي أَبِي بَكْر ابْن الْعَرَبِيّ مُلَخَّصًا؛ وَهُوَ أَنَّ الْأَمْعَاء السَّبْعَة كِنَايَة عَنْ الْحَوَاسّ الْخَمْس، وَالشَّهْوَة، وَالْحَاجَة. **قَالَ الْعُلَمَاء**: يُؤْخَذ مِنْ الْحَدِيث: الْحَضّ عَلَى التَّقَلُّل مِنْ الدُّنْيَا، وَالْحَثّ عَلَى الزُّهْد فِيهَا، وَالْقَنَاعَة بِمَا تَيَسَّرَ مِنْهَا. وَقَدْ كَانَ الْعُقَلاء فِي الْجَاهِلِيَّة وَالإِسْلام يَتَمَدَّحُونَ بِقِلَّةِ الأَكْل، وَيَذُمُّونَ كَثْرَة الأَكْل؛ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيث أُمّ زَرْع أَنَّهَا قَالَتْ -فِي مَعْرِض الْمَدْح لابْنِ أَبِي زَرْع-: " **وَيُشْبِعهُ ذِرَاع الْجَفْرَة** "[2]. وَقَالَ حَاتِم الطَّائِيّ:

فَإِنَّك إِنْ أَعْطَيْت بَطْنَكَ سُؤْلَهُ   وَفَرْجَكَ نَالا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

.. وَقَالَ ابْن التِّين: قِيلَ إِنَّ النَّاس فِي الأَكْل عَلَى ثَلاث طَبَقَات: طَائِفَة تَأْكُل كُلّ مَطْعُوم مِنْ حَاجَة وَغَيْر حَاجَة، وَهَذَا فِعْل أَهْل الْجَهْل. وَطَائِفَة تَأْكُل عِنْد الْجُوع بِقَدْرِ مَا يَسُدّ الْجُوع حَسْب. وَطَائِفَة يُجَوِّعُونَ أَنْفُسهمْ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ قَمْع شَهْوَة النَّفْس، وَإِذَا أَكَلُوا أَكَلُوا مَا يَسُدّ الرَّمَق ا هـ. مُلَخَّصًا »[3].

---

1 (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي، ص1305 .

2 (?) هذا جزء من الحديث المشهور بحديث أم زرع، وقد رواه البخاري في (كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، رقم: 5190)، ومسلم في (كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع، رقم: 2448).

3 (?) فتح الباري، (ج3 /ص 3868) .

ولقد قال النووي في شرح قوله: **وَيُشْبِعهُ ذِرَاع الْجَفْرَة**: « المراد أنه قليل الأكل، والعرب تمدح به »[1].

ثم إنه قد كان النبِيُّ ﷺ يأكل ولا يستوفي حاجته من الطعام غالبًا، ويأكل متكئًا؛ لئلا يستكثر مِن الأكل، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرح حديث: " **إِنِّي لا آكُل مُتَّكِئًا** "[2]: « وَاخْتُلِفَ فِي **صِفَة الاتِّكَاء** فَقِيلَ: أَنْ يَتَمَكَّن فِي الْجُلُوس لِلأَكْلِ عَلَى أَيِّ صِفَة كَانَ. وَقِيلَ: أَنْ يَمِيل عَلَى أَحَد شِقَّيْهِ. وَقِيلَ: أَنْ يَعْتَمِد عَلَى يَده الْيُسْرَى مِنْ الأَرْض؛ قَالَ الْخَطَّابِيُّ: تَحْسَب الْعَامَّةُ أَنَّ الْمُتَّكِئ هُوَ الآكِل عَلَى أَحَد شِقَّيْهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ الْمُعْتَمِد عَلَى الْوِطَاء الَّذِي تَحْته. قَالَ: وَمَعْنَى الْحَدِيث: إِنِّي لا أَقْعُد مُتَّكِئًا عَلَى الْوِطَاء عِنْد الأَكْل فِعْل مَنْ يَسْتَكْثِر مِنْ الطَّعَام، فَإِنِّي لا آكُل إِلا الْبُلْغَة مِنْ الزَّاد فَلِذَلِكَ أَقْعُد مُسْتَوْفِزًا. »[3].

فخصائص عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ في باب الأكل بالاختصار، هي:

أولا: أنّه ﷺ يُقلل مِن الطعام، حتى إنه قد كان يبقى طاويًا ثلاثة أيام، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها نَاوَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كِسْرَةً مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ، فَقَالَ: " **هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكِ مِنْ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ** "[4].

ثانيًا: كما كان يواصل الليلتين والثلاثة لأنّه يبيت يُطعمه ربُّه ويسقيه: فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وَأَيُّكُمْ مِثْلِي؛ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنْ الْوِصَالِ، وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا الْهِلالَ، فَقَالَ:

---

1 (?) المنهاج للنووي، ص1488، وانظر/ شرح الشاهد في: فتح الباري، (ج3 / ص3681) .

2 (?) الحديث عن أبي جُحَيفة ﷺ في صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئًا، رقم: 5398 .

3 (?) فتح الباري: (ج3 / ص3861) .

4 (?) مسند الإمام أحمد: رقم: 12746، وقد حسن الحديث الشيخ الأرناؤوط، وبيّن أنّ سنده منقطع.

" **لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ** " كَالتَّنْكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا [1]**.**
والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: مشي النبِيّ في الأسواق:

تقدم مجمل ما يُمكن أنْ يقال في هذا المطلب، والقصد من عقده التمييز بين الخالق والمخلوق، ومعلومٌ أنّ النبِيّ مخلوقٌ ليس له من خصائص الله شيئًا، أما المعبود سبحانه فكما أنه لا يَطعَم ولا يُطعَم، فليس حالاًّ في مخلوقاته، بل هو فوقها وفوق عرشه تعالى، وستتضح المقارنة بإرجاع المطلب إلى المسألة الثانية من المطلب القادم. (والتي هي بعنوان: العَلِيّ الأعلى فوق عرشه سبحانه). والله أعلم.

المطلب الثالث: الصمد الغنِيّ لا يَطْعَم، ولا يُطْعَم ولا يُرزَق، وهو فوق عرشه سبحانه، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الصمد الغنِيّ لا يَطْعَم، ولا يُطْعَم.
المسألة الثانية: العلِيّ الأعلى فوق عرشه سبحانه.

المسألة الأولى**:** الصمد الغنِيّ لا يَطْعَم، ولا يُطْعَم، ولا يُرزَق**:**

تقدم أنّ أكل الطعام كمالٌ نسبِيٌّ، والله سبحانه وتعالى لا يتصف بِهذا النوع من الكمالات، بل الأكل نقص في حق الخالق، لأنه متعلق بالحاجة. وإنّ مِن أبرَز معانِي صمدية الله تعالى: افتقار ما عدى الله إليه جلّ وعلا، وغِنَى الله -مِن كلِّ وجه- عن كلّ ما عداه، وهذا هو مقتضى كون الله قيُّـومًا أيضًا؛ القائم بنفسه، المُقَيِّم لغيره، إذْ غيرُه محتاجٌ إليه، حيث لا قيام له بحالٍ إلا به، والله تعالى غَنِيٌّ عن العالَمين أجمعين، فهذه الأسماء الثلاثة (الصمد، الغني، القيوم) بينها معنى مشتركٌ جامع، **فالله لصمديته وكمال غناه عن الخلق يُطعم ولا يُطعم، ولا حشْوَ له، ولا جوف، .. في جملةٍ كبيرة مِن عبارات سديدةٍ فسَّر بها السلف -من**

[1] صحيح البخاري: كتاب الصوم، بَاب التَّنْكِيلِ لِمَنْ أَكْثَرَ الْوِصَالَ، رقم: 1965، وصحيح مسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، رقم: 1103 .

الصحابة والتابعين- لفظةَ (الصمد) في سورة الإخلاص[1]**، وسيأتِي طائفة منها.**

وقد دلّ على المعنى المعقود في العنوان عدّة نصوص شرعية، يمكن إجمالها تحت دلالتَين:

الدلالة الأولَى: النصوص التي فيها بيان أنّ الله سبحانه لا يَطعَم، وأنه لا يحتاج إلى الإطعام، منها:

أولا: قوله تعالى: ﮋﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﮊ [الأنعام: ١٤]. وجاء في الحديث عن أبي هريرة ، قال: دعا رجلٌ من الأنصار من أهل قباء النبي فانطلقنا معه، فلما طعِم وغسَل يديه -أو قال: يده- قال: " **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلا يطْعَمُ، مَنّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا، وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكُلّ بَلاءٍ حَسَنٍ أَبْلانَا، الحمد لله غَيْرَ مُوَدَّعٍ، ولا مكافئ، ولا مكفور، وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنْ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنْ الشّرَابِ، وَكَسَا مِنْ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنْ الضّلالَةِ، وَبَصّرَ مِنْ الْعَمَايةِ، وَفَضّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِمّنْ خَلَقَ تَفْضِيلا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ** "[2].

فقراءة (وَلا يَطْعَمُ) –بفتح الياء والعين، مِن طعِم (الماضي)، أحَدُ القراءتَين الصحيحتين في الموضع من القرآن، وتدلّ في معناها على عدم احتياج الله تعالى إلى الطعام والشراب، وسيأتِي نقولات سَلَفيّة بذلك في تفسير (الصمد). والقراءة الثانية المتواترة في الموضع هي: ﮋﯗﯘﮊ بضمّ الياء، وفتح العين، مضارع أطعِم (المزيد بالهمزة في أوله، والمبنِي للمجهول). ومعناها بآيات الذاريات الآتية.قال المفسّر القرطبيُّ –رحمه الله-: « ﮋﯕﯖﯗﯘﮊ كذا قراءة العامة، أي: يَرْزُق ولا يُرزَق، دليله قوله تعالى: ﮋﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮊ .

---

[1] انظر: السنةلابن أبي عاصم (مع ظلال الجنة)، (باب نسبة الرب تبارك وتعالى) أثر رقم: 665، و673، و674، و675، و676، و677، و 680، و682، و683، و684، و685، و686، و688، و689، و691.

[2] مستدرك الحاكم: كتاب الدعاء، ورقمه: 1961، وقال: « حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ».

وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومجاهد، والأعمش: (وهو يُطْعِمُ ولا يَطْعَم)، وهي قراءة حسنة، أيْ: أَنَّه يَرْزُق عباده، وهو سبحانه غيرُ محتاجٍ إلى ما يَحتاج إليه المخلوقون من الغذاء. وقُرِئ بضم الياء، وكسر العين، في الفعلين، أيْ: إنَّ الله يُطعِم عبادَه، ويرزقُهم، والولي لا يُطْعِم نفسَه، ولا مَن يتخذه. وقرئ بفتح الياء والعين في الأول، أي: الولي (ولا يُطعِم) بضم الياء، وكسر العين. وخُصّ الإطعامُ بالذِّكر دون غيره من ضُروب الإنعام، لأنّ الحاجة إليه أمسّ لجميع الأنام »[1].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله-: « قوله تعالى: ﭽ□□□□ﮬﯘﭼ [الأنعام: ١٤]. يعنِي: أنه تعالى هو الذي يرزُق الخلائق، وهو الغنِيّ المطلق؛ فليس بمحتاج إلى رزق. وقد بيّن تعالى هذا بقوله: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﭼ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨]. وقراءة الجمهور على أنَّ الفعلين من الإطعام، والأول مبنِي للفاعل، والثانِي مبني للمفعول، كما بيَّناه، وأوضحَتْه الآية الأخرى. وقرأ سعيدُ بنُ جبيرٍ ومجاهد، والأعمش، الفعل الأول كقراءة الجمهور، والثانِي -بفَتح الياء والعين- مضارعُ (طعِم) الثلاثي -بكسر العين في الماضي-، أي: أنه يرزُق عباده ويُطعمُهم وهو جل وعلا لا يأكل؛ لأنّه لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه المخلوق من الغذاء، لأنّه جل وعلا الغنِيّ لذاته، الغنِيُّ المطلق، سبحانه وتعالى علُوًّا كبيرًا، ﭽ□□□□□ﮬﮭﮮ□□□ﭼ [فاطر: ١٥]. والقراءة التي ذكرنا عن سعيد ومجاهد، والأعمش، موافقة لأحد الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﭙﭚﭛﭼ [الإخلاص: ٢].

قال بعض العلماء ﭽﭛﭼ السيد الذي يُلجأ إليه عند الشدائد والحوائج. .. وقال بعضهم ﭽﭛﭼ هو الذي لا جوف له، ولا يأكل الطعام، وهو محل الشاهد، وممن قال بهذا القول ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعبد الله بن بريدة، وعكرمة، وسعيد بن جُبير، وعطاء بن أبي رباح، وعطيّة العوفي، والضحاك، والسدي. كما نقله عنهم ابن كثير وابن جرير وغيرهما. قال مقيده -

[1] (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج8/ 333).

عفا الله عنه-: من المعروف في كلام العرب إطلاق الصمد على السيد العظيم، وعلى الشيء المصمَت الذي لا جوف له، **فمن الأول** قول الزبرقان:

سيروا جميعًا بنصف الليل واعتمدوا ولا رَهِيْنة إلا سيِّدُ صمَد

... **ومن الثاني** قول الشاعر:

شهاب حروب لا تزال جيادُه عوابسَ يعلكن الشكيم المصمدا

فإذا علمت ذلك، فالله تعالى هو السيد الذي هو وحده الملجأ عند الشدائد والحاجات، وهو الذي تنـزه وتقدس وتعالى عن صفات المخلوقين؛ كأكل الطعام ونحوه »[1].

ثانيًا: قول الله تعالى: ﭽﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسيرها: « ومعنى الآية: أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمَن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومَن عصاه عذّبه أشد العذاب، وأخبر أنه غيرُ محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم »[2].

ثالثًا: في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : "**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ**، .. -وفيه: **يَا ابْنَ آدَمَ! اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ! وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي..**[3].

وجُمَل هذا الحديث يُفسِّر آخرُها أولها، فهو حديثٌ صريحٌ لا إشكال فيه كما تقدم.

---

[1] (?) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج2/ ص220-221).

[2] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ ص302).

[3] (?) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَاب فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، رقم: 2569.

الدلالة الثانية: النصوص التي وصفَت الله بالصمدية، والصمد غنِيٌّ لا يحتاج إلى أحد، ولا جوف له، ولا حشو، فهو الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ، قال الله تعالى: ﭽﭙﭚﭛﭼ [الإخلاص: ٢].

وقد أورد المفسِّرون –رحمهم الله تعالى نفائس عن السلف[1] بأسانيدها في تفسير لفظة ﭽﭚﭼ أنتقي منها جملة تتناسب مع هذا المقام بحذف الأسانيد، منها:

قول بعضهم: ﭽﭚﭼ هُوَ الَّذِي لا جَوْفَ لَهُ. وقريبًا منه قول أحدهم: ﭽﭚﭼ الْمُصْمَتُ الَّذِي لا جَوْفَ لَهُ. وقال آخر: هُوَ الَّذِي لا حَشْوَ لَهُ. وقالوا: هُوَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ أَحْشَاءٌ. وقالوا: هُوَ الَّذِي لا يَأْكُلُ، وَلا يَشْرَبُ. وفي آخر: ﭽﭚﭼ الَّذِي لا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلا يَشْرَبُ الشَّرَابَ. ومثله: ﭽﭚﭼ الَّذِي لا يطْعمُ الطَّعَامَ. ولا يَبعُد عنه: ﭽﭚﭼ الَّذِي لا يُطْعَمُ . وقال آخر في لفظٍ له أتم من كلّ ما سبق: ﭽﭚﭼ لَيْسَ بِأَجْوَفَ، وَلا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ، ﭽﭜﭝﭞﭟﭼ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، وَلا وَالِدَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ. والمعنى: أنه الذي لا يَدْخُلُ فِيهِ شَيْءٌ، ولا يخرج منه شيءٌ. وقيل: هُوَ الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ. ولا تنافي بين هذه التفسيرات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في بيان اتفاق هذه الأقوال وأنها غير مختلفة: « وَدَلَّ قَوْلُهُ (الأَحَدُ الصَّمَدُ) عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؛ فَإِنَّ ﭽﭚﭼ هُوَ الَّذِي لا جَوْفَ لَهُ، وَلا أَحْشَاءَ؛ فَلا يَدْخُلُ فِيهِ شَيْءٌ؛ فَلا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَمَا قَالَ: ﭽﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﭼ [الأنعام: ١٤]. وَفِي قِرَاءَةِ الأَعْمَشِ وَغَيْرِهِ (وَلا يُطْعَمَ) بِالْفَتْحِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﭼ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨]. وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: الْمَلائِكَةُ؛ وَهُمْ صَمَدٌ

---

[1] انظر على سبيل المثال: تفسير القرآن العظيم، (ج2/ 173) – تفسير آية الأنعام، و(ج4/ 735، سورة الإخلاص)، وتصفح تفسيرها بالأخص: في تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، حيث ابتدأ ذكرها بقوله: ونحن نذكر ما حضرنا من ألفاظ السلف بأسانيدها، ص49-62، و70. وانظر أيضًا: السنة لابن أبي عاصم (مع ظلال الجنة)، (باب نسبة الرب تبارك وتعالى) أثر رقم: 665، و673، و674، و675، و676، و 677، و680، و682، و683، و684، و685، و686، و688، و689، و 691.

لا يَأْكُلُونَ وَلا يَشْرَبُونَ، فَالْخَالِقُ لَهُمْ جَلَّ جَلالُهُ أَحَقُّ بِكُلِّ غِنًى وَكَمَالٍ جَعَلَهُ لِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَلِهَذَا فَسَّرَ بَعْضُ السَّلَفِ (الصَّمَدَ) بِأَنَّهُ الَّذِي لا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ. وَالصَّمَدُ الْمُصْمَدُ الَّذِي لا جَوْفَ لَهُ؛ فَلا يَخْرُجُ مِنْهُ عَيْنٌ مِنْ الأَعْيَانِ؛ فَلا يَلِدُ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ: هُوَ الَّذِي لا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ؛ لَيْسَ مُرَادُهُمْ أَنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ، ..
فَقَوْلُ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ: الصَّمَدُ هُوَ الَّذِي لَمْ يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ، كَلامٌ صَحِيحٌ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لا يُفَارِقُهُ شَيْءٌ مِنْهُ. وَلِهَذَا امْتَنَعَ عَلَيْهِ أَنْ يَلِدَ، وَأَنْ يُولَدَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْوِلادَةَ وَالتَّوَلُّدَ، وَكُلَّ مَا يَكُونُ مِنْ هَذِهِ الأَلْفَاظِ لا يَكُونُ إلاَ مِنْ أَصْلَيْنِ، وَمَا كَانَ مِن الْمُتَوَلِّدِ عَيْنًا قَائِمَةً بِنَفْسِهَا فَلا بُدَّ لَهَا مِنْ مَادَّةٍ تَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَا كَانَ عَرَضًا قَائِمًا بِغَيْرِهِ فَلا بُدَّ لَهُ مِنْ مَحَلٍّ يَقُومُ بِهِ، فَالأَوَّلُ نَفَاهُ بِقَوْلِهِ: (أَحَدٌ) فَإِنَّ الأَحَدَ هُوَ الَّذِي لا كُفُؤَ لَهُ، وَلا نَظِيرَ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ لا صَاحِبَةَ، وَالتَّوَلُّدُ إنَّمَا يَكُونُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: چ[illegible] چ [الأنعام: ١٠١]. فَنَفَى سُبْحَانَهُ الْوَلَدَ بِامْتِنَاعِ لازِمِهِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ انْتِفَاءَ اللازِمِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَلْزُومِ، وَبِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، كُلُّ مَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ لَهُ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مَوْلُودٌ لَهُ. وَالثَّانِي: نَفَاهُ بِكَوْنِهِ سُبْحَانَهُ (الصَّمَدَ) وَهَذَا الْمُتَوَلِّدُ مِنْ أَصْلَيْنِ يَكُونُ بِجُزْأَيْنِ يَنْفَصِلانِ مِنْ الأَصْلَيْنِ كَتَوَلُّدِ الْحَيَوَانِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ بِالْمَنِيِّ الَّذِي يَنْفَصِلُ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَهَذَا التَّوَلُّدُ يَفْتَقِرُ إلَى أَصْلٍ آخَرَ، وَإِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُمَا شَيْءٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ أَحَدٌ، فَلَيْسَ لَهُ كُفُؤٌ يَكُونُ صَاحِبَةً وَنَظِيرًا، وَهُوَ (صَمَدٌ) لا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ. فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ كَوْنِهِ (أَحَدًا)، وَمِنْ كَوْنِهِ (صَمَدًا) يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ وَالِدًا، وَيَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مَوْلُودًا بِطَرِيقِ الأَوْلَى وَالأَحْرَى »[1].

فالله تعالى غنِيٌّ عن العالمين؛ فلا يأكل ولا يشرب، وما يريد من الناس رزقًا، ولا يريد أن يطعموه، بل هو يطعم ولا يُطعم، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا حشو ... إلى آخر كمالاته التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه،

---

1 (?) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، ص79-82

يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله- في جملة أمور متصلة ومنفصلة نزَّه الله نفسه الكريمة عنها:

ولقد أتى التنـزيه عما لم يقم	كي لا يدور بخاطر الإنسان
فانظر إلى التنـزيه عن طُعْمٍ، ولَمْ	يُـنْسَب إلـيه قطٌّ مِن إنسان[1].

وقال –رحمه الله-:

وكذاك حاجته إلى طعم ورِز	ق، وهو رازّقٌ بلا حسبان[2].

هذه المسألة الأولى، أما الثانية فعُنوانها:

□ □ □

المسألة الثانية: العلِيّ الأعلى فوق عرشه سبحانه[3]:

الذي يُسبَّح وحده سبحانه، ويُخاف منه، بل ويُعبد بجميع أنواع العبادات ليس هو في مخلوقاته بل فوقها، قال جلَّ ذكره: ﭽ [illegible] ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ [الأعراف: ٢٠٦]. وقال: ﭽ [illegible] ﮩ ﮪ ﮫ [illegible] ﭼ [الأنبياء: ١٩]. ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [النحل: ٥٠]. ﭽ [illegible] ﭼ [فصلت: ٣٨]. وقال: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ [الأعلى: ١]

والجـهميُّ يزعم أنه أسفل، وكذَبَ –والله-. والشيخ أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي –رحمه الله- وهو يذكُر إجماع الأولين والآخرين، العالِمِين منهم والجاهلين على عُلُو الله وفوقيته على خلقه بيّن: « أن كل واحد مِمن مضى ومِمن غَبَر إذا استغاث بالله تعالى أو دعاه أو سأله يَمُد يديه وبصَرَه إلى السماء يدعوه منها، ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم؛ مِن تحت الأرض، ولا مِن أمامهم ولا مِن خلفهم، ولا عن أيْمانهم ولا عن شمائلهم، إلا مِن فوق السماء؛ لِمعرفتهم بالله أنه فوقهم، حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم: سبحان ربي الأعلى، لا

---

1 (?) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم، (بيت رقم: 1590-وما بعده، ص95-96).

2 (?) الكافية الشافية لابن القيم، (بيت رقم: 3216، ص174).

3 (?) للتوسع يُنظر/ باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش وارتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق، من كتاب: الرد على الجهمية للدارمي، ص46-72.

ترى أحدًا يقول ربي الأسفل »[1]. وقال: « فالله تبارك وتعالى فوق عرشه، فوق سمواته، بائنٌ من خلقه، فمَن لم يعرِفه بذلكِ لم يعرف إلهه الذي يعبد »[2].

وبعدما ذكَرَ –رحمه الله- نصوصَ الباب من القرآن وعلّق عليها، وأورد طائفة منها في السنة والآثار وتخللتْها تعليقاته الطيّبة قال: « والآثار عن رسول ، وعن أصحابه والتابعين ومَن بعدهم في هذا أكثر مِن أن يحصيها كتابُنا هذا، غير أنا قد اختصرنا من ذلك ما يستدل به أولوا الألباب: أنّ الأمة كلها والأمم السالفة قبلها لم يكونوا يشُكّون في معرفة الله تعالى أنه فوق السماء بائنٌ مِن خلقه، غير هذه العصابة الزائغة عن الحق، المخالفة للكتاب وأثارات العلم كلها، حتى لقد عرف ذلك كثيرٌ مِن كفار الأمم وفراعنتهم »[3].

وبعد، فأقول بالنسبة للمسألة (العلي الأعلى فوق عرشه سبحانه): قد جاءت النصوص الكثيرة تقرره، وسأسرِد جملة منها ليتضح أن لا مقارنة بين الله وخلقه، فإذا كان النبِيّ يمشي في الأسواق –كما تقدم في المطلب السابق- فالله تعالى ليس حالاًّ في مخلوقاته، ولا هو فيهم، بل هو فوق عرشه، عالٍ على خلقه. وسأنوّع من الأدلة وأُفصّل المسألة ليكون ردًّاً على ما يأتِي من مزاعم الاتحادية الجهمية، وكذلك الحلولية، في ثلاثة فصول قادمة، وهي فصل الصوفية والرافضة والجهمية الذين يزعمون الحلول الخاص أو العام (أعنِي حلول الله، -تعالى وتقدس- في عبده ورسوله محمدٍ مثل قول النصارى تمامًا، أو في أئمة الرافضة، وأولياء الصوفية، أو العام في جميع مخلوقاته)، ويمكـن حصرُ هذه النصوص

---

1 (?) الرد على الجهمية للدارمي، ص50.
2 (?) المصدر نفسه، ص53.
3 (?) المصدر نفسه، ص67.

بأساليـبها وأنواعها إلى واحدٍ وعشرين نوعًا[4]، لكنني أكتفي بذكر تسعة عشر نوعًا منها، على النحو التالي:

الأول: النصوص التي نصَّـت على أنّ الله مستوٍ على عرشـه، قال الله تبارك وتعالى: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕ ﮖﮗﮘﮙﮚﮛ ﭼ [الأعراف: ٥٤]. ومثلها في يونس، وقال: ﭽﭧﭨ ﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭼ [الرعد: ٢]. وقال: ﭽﮈﮉﮊﮋﮌﭼ [طه: ٥]. وقال: ﭽﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﭼ [الفرقان: ٥٩]. وفي السجدة: ﭽﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﮉﭼ [السجدة: ٤]. وآخرها في الحديد: ﭽ[illegible]ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭼ [الحديد: ٤] . وليُعلَم أنّ الاستواء أخص مِن العلو، فدليله دليل العلو، لا العكس.

النوع الثاني: التصريح بأنّه تعالى في السماء، قال الله تبارك وتعالى: ﭽﭲﭳﭴﭵﭼ [الأنعام: ٣]، في أحد التفاسير الثلاثة المعتبـرة للآية[1]. وقوله: ﭽﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭼ [الملك: ١٦]الآية والتي بعدها. **و**السماء هاهنا بِمعنى العلـو، أو لفظة (في) بمعنى: (على) تناوُبًا. ولَهما نظائر في القرآن كآية السياحة في الأرض، والصلب في جذوع النخل، وغيرهما.

النوع الثالث: التصريح بعلـوه العلـو المطلق الدال على جميع مراتـب العلو، ذاتًا وصفاتٍ وشأنًا وقهرًا وقدرًا وشرفًا، كما في آخر آية الكرسي، وفي قوله تعالى أيضًا: ﭽﮑﮒﮓﭼ [الرعد: ٩]. وقال: ﭽﭧﭨﭩﭪﭼ [سبأ: ٢٣]. وقال: ﭽﮠﮡ ﮢﮣﭼ [غافر: ١٢]. وقال: ﭽﭪﭫﭬﭼ [الشورى: ٤]. وقال: ﭽ[illegible] [illegible]ﭼ [الشورى: ٥١]. وقال: ﭽﮡﮢﮣﭼ [الأعلى: ١]. ولفظة (تعالى) في القرآن كثيرة جدًّا.

---

4 (?) انظر عن هذه الأنواع مِن النصوص والدلالات بالإسهاب: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، ص73-100، ومن البيت، رقم: 1113-1693، (المتن المجرد عن التعليقات)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، (ج2/ 437-442 ملخصة مِن ابن القيم).

1 (?) انظر/ هذه الأقول الثلاثة، والإجماع على ردّ قول الجهمية فيها القائلين بأنّه سبحانه في كلّ مكان في: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ج2/170-171).

النوع الرابع: التصريح بالفوقـية المقرونـة بأداة (مِن) المعينة للفوقية بالذات، قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﮪﮫﮬﮭ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﭼ [النحل:49-٥٠] .

النوع الخامس: التصريح بالفوقية مجردة عن الأداة، قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﭼ [الأنعام: ١٨].

وقال: ﭽﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭼ [الأنعام: ٦١].

النوع السادس: التصريح بالصعود إليه، قال تبارك وتعالى: ﭽﯤﯥﯦ ﭼ [فاطر: ١٠].

النوع السابع: التصريح بالعروج إليه، قال الله تبارك وتعالى: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﭼ [السجدة: ٥]. ومثلها ما جاء في سورة المعارج، كما أنّ من هذا الباب: عروج الرسول ﷺ إليه ليلة الإسراء الآتِي في الباب القادم.

النوع الثامن: التصريح برفعـه تعالى بعض المخلوقات إليه، قال تبارك وتعالى: ﭽﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭼ [آل عمران: ٥٥]. وقوله: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﭼ [النساء: ١٥٨] . وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: " **إِنَّ اللَّهَ ﷻ لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ،** .. "الحديث [1].

النوع التاسع: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده تعالى، وبعضها أقرب إليه مِن بعض، وقد تقدمت هذه الآيات في أول المسألة.

النوع العاشر: التصريح برفع الأيدي إليه، فعَنْ سَلْمَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**"[2].

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب فِي قَوْلِهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لا يَنَامُ، ... رقم: 179.

2 (?) جامع الترمذي: كتاب الدعوات، بابٌ (بدون ترجمة،وقبله بعدة أبواب: بابٌ في دعاء النبي ﷺ) رقم: 3556، وسنن أبي داود: كتاب الوتر، بَاب الدُّعَاءِ، رقم: 1488، وسنن ابن ماجه: كتاب الدعاء، باب

النوع الحادي عشر: الإشارة إليه حسًّا إلى العُلُـوّ، كما أشار إليه مَن هو أعلم الخلق به ، وبما يجب له، وما يمتنـع عليه، في عدة مقامات.، فقد جاء ضمن حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي أنه قال: **"وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ "** قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: " **اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ** " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1] .

النوع الثانـي عشر: التصريح بتـنـزيـل الكتاب منه، قال الله تبارك وتعالى: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﯨﭼ [النحل: ١٠٢] والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

النوع الثالث عشر: التصريح بنـزوله كلّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا، والمعقول مِنه إنما هو مِن عُلُـوّ إلى سُفـل عند جميـع الأمم، فـعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " **يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ** يَقُولُ: .. الحديث" [2] **.**

قال أبو سعيد الدارمي: « والآثار التي جاءت عن رسول الله في نزول الرب تبارك وتعالى تدل على أنّ الله فوق السموات على عرشه بائنٌ من خلقه »[3].

النوع الرابع عشر: التصريح برؤية أهل الجنة ربّهم تبارك وتعالى مِن فوقهم كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحـاب، فـعَنْ جَرِيرٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فقَالَ: **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يوم القيامة كَمَا تَرَوْنَ هَذَا (الْقَمَرَ)** –كما في رواية-، **لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِه** [4] **.**

رفع اليدين في الدعاء، رقم: 3865، صححه الحاكم، وحسنه الترمذي، وهو صحيح.

[1] صحيح مسلم: كتاب الحج، بَاب حَجَّةِ النَّبِيِّ ، رقم: 1218.

[2] صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب الدُّعَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ، رقم: 6321، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة وقصرها، بَاب التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالإِجَابَةِ فِيهِ، رقم: 758.

[3] الرد على الجهمية للدارمي، ص75، وانظر إلى الأحاديث من ص 76-81.

النوع الخامس عشر: تصريحـه وإخباره بأنّه تردد بين موسى وبين ربِّه مرارًا ليلة المعراج[1].

النوع السادس عشر: تصريحـه بلفظ (أين الله) في غير موضع.ويشهَد له الحديث الآتي.

النوع السابع عشر: شهادته بالإيمان لِمَن قال: "إنّ الله في السماء"، ويشهد للنوعَين حديث معاوية ابن الحكم السلمي أنه قال ضمن حديثه الطويل، « وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلا أُعْتِقُهَا قَالَ: "**ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا** " فَقَالَ لَهَا: "**أَيْنَ اللَّهُ؟**" قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: "**مَنْ أَنَا؟**" قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ:"**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**"[2].

النوع الثامن عشر: إخبارُه تعالى عن فرعون أنّه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إلـه موسى ويُكـذِّبَـه، قال تبارك وتعالى: ﭽﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢ ﭼ [غافر:36-٣٧].

النوع التاسع عشر: التصريح بظهور الله تعالى، وهو مقتضٍ للعلو، قال تبارك وتعالى: ﭽ ﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭ ﭼ [الحديد: ٣]، ودليله قوله: ﭽ ﮚﮛﮜﮝﮞ ﭼ [الكهف: ٩٧]. وجاء في حديث أبي هريرة مرفوعًا " **وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**"[3].

---

4 (?) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ، رقم: 7436، وصحيح مسلم بأطول: كتاب المساجد ومواضع السجود،بَاب فَضْلِ صَلاتَيْ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ ..، رقم: 633 .

1 (?) سيأتي تخريج الحديث في مطلب الإسراء والمعراج من الباب القادم (وهو في الصحيحين وغيرهما).

2 (?) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود، بَاب تَحْرِيمِ الْكَلامِ فِي الصَّلاةِ ...، رقم: 537 .

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، بَاب مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، رقم: 2713.

ولقد أشار إلى هذه الأنواع والنصوص المندرجة تحتها العلامة ابنُ القيِّم في نونيـته فقال:

هذا وخاتم العشرين وجـ … ـهًا هو أقربُها إلى الأذهان

سردُ النصوص؛ فإنها قد نوَّعَـت … طُـرُقَ الأدلة في أتم بيان

والنظم يَمنعُنِي من استيفائها … وسياقـةِ الألفاظ بالميزان

فأشير بعض إشارة لمواضع … منها، وأين البحر مِن خلجان؟

فاذكر نصوص (الاستواء) فإنها … في سبع آيات من القرآن

واذكر نصوص (الفوق) أيضا في ثلا … ث قد غدَتْ معلومةَ التبيان

واذكر نصوص (علُّـوه) في خمسة … معلومة برِئَـت مِن النقصان

واذكر نصوصا في الكتاب تضمنت … (تنـزيـلَه) مِن ربنا الرحمن

فتضمنت أصلين قام عليهما الـ … ـإسلام والإيمان كالبنيان

كون الكتاب كلامه سبحانه … وعلوه من فوق كل مكان

وعدادها سبعون حين تُـعَدّ أو … زادَتْ على السبعين في الحسبان

واذكر نصوصـًا ضمنت (رفعا) و(معرا … جا) و(إصعادا) إلى الديان

هي خمسةٌ معلومة بالعَـدِّ وال … حسبان فاطْلُبْها مِن القرآن

ولقد أتى في سورة الملك التي … تنجي لقارئها من النيران

نصان أن الله (فوق سمائـه) … عند المحرِّفِ ما هما نصّان

ولقد أتى التخصيص … قلنا بسبع بل أتى بثمان

بـ(ـالعندِ) الذي

منها: صريحٌ، موضعان بسورة الأ عراف، ثم الأنبياء الثانـي
فتدبر النَّـصَّين، وانظر ما الذي لسواه ليست تقتضي النصان
وبسورة التحريم أيضا ثالث بادي الظهور لِمَن له أُذُنان
ولديه في مزمل قد بيَّـنَتْ نفسَ المراد، وقيَّدت ببيان
لا تنقُضُ الباقي فما لمعطل مِن راحة فيها ولا تِـبيان
وبسورة الشورى وفي مزمل سـرٌّ عظيمٌ شأنُه ذو شان
في ذكر تفطير السماء فمَنْ يُرِدْ علمًا به فهُو القريبُ الدانِي
لم يسمح المتأخرون بنقله جبنا وضعفا عنه في الإيمان
بل قاله المتقدمون فوارس ال إسلام هم أمراء هذا الشان
ومحمدُ بن جرير الطبري في تفسيره حُكِيَتْ به القولان[1].

ثم أشار بعد ذلك إلى نصوص السنة الدالة على العلو[2]، وهذه مِن أنواع أدلة عُلُوّ الله المعبود الثابت في النصوص، وأنّه لا يكون المعبود في جهة السفل. فالمـألوه ينبغي أن يكون متصفًا بخصيصة العلُوّ والفوقية، لا بالحلول في المخلوقات والاتحاد.

وما تقدم في هذه المسألة كافٍ لردّ مزاعم الحلوليين الذين يَزعمون حلول الله تعالى في عبده

---

1 (?) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص99-100، (ورقم هذه الأبيات: 1657-1682).

2 (?) الكافية الشافية، المصدر نفسه، (وانظرها من بيت رقم: 1694-1768).

ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ، أو في مخلوقاته عامة[3]، والذي يأتِي شيءٌ منه في باب الفِرَق!

[3] (?) انظر: جهود برهان الدين البقاعي في محاربة إلحاد الاتحادية والبدع العملية، د. محمد مسلم، (ج1/ص154).

المبحث السادس: ضحك النبي وبكاؤه، والعظيم المجيد سبحانه يضحك ولا يَبْكي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ضحك النبي .
المطلب الثانِي: بكاء النبي .
المطلب الثالث: العظيم المجيد سبحانه يضحك ولا يَبْكي.

المطلب الأول: ضحك النبي [1]:

إذا كان البكاء من خصائص المخلوقين فإنّ الضحك ليس كذلك، بل يضحك الخلق، ويضحك الخالق، ولا مثيل لضحكه سبحانه.

وأما رسولنا فكان جُلّ ضَحِكِه التّبَسّمُ، بَلْ كُلّهُ التّبَسّمُ[2]، فَكَانَ نِهَايَةُ ضَحِكِهِ أَنْ تَبْدُوَ نَوَاجِذُهُ. وَكَانَ يَضْحَكُ مِمّا يُضْحَكُ مِنْهُ؛ وَهُوَ مِمّا يُتَعَجّبُ مِنْ مِثْلِهِ، وَيُسْتَغْرَبُ وُقُوعُهُ، وَيُسْتَنْدَرُ. وهذا سببٌ [3]، وقد عدّ العلماء الاستغراب والتعجب سبَبًا للضحك، فقال العلامة ابن القيم: «وَلِلضّحِكِ أَسْبَابٌ عَدِيدَةٌ، **هَذَا أَحَدُهَا. وَالثّانِي**: ضَحِكُ الْفَرَحِ، وَهُوَ أَنْ يرى ما يسرّه أو يُباشره. **والثالث**: ضحك الغضب، وهو كثيرًا ما يعتري الغضبان إذا اشتد غضَبُه، وسببُه تعجُّبُ الغضبان مما أورد عليه الغضب، وشعور نفسه بالقدرة على خصمه، وأنه في قبضته، وقد يكون غضبه لملكه نفسه عند الغضب،وإعراضه عمن أَغْضَبَه،وَعَدَمِ اكْتِرَاثِهِ بِهِ»[4].

وإليك نماذج من ضحك النبي (ومنه: ضحكه حتى تبدُو نواجذُه)، وتبسُّمه:

ومِن ضَحِكِه استغرابًا وتعجُّبًا:

* ما رواه سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ ، قَالَ: « إِسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ

---

1 (?) للاستزادة يُنظر: الشمائل المحمدية للترمذي، ص65-68، وزاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/ 183-186).
2 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر، (ج3/ص 4305).
3 (?) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، (ج1/ ص182).
4 (?) المصدر نفسه، (ج1/ ص182-183).

يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: " **عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاءِ اللاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ** "، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ -يَا رَسُولَ اللَّهِ! كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ! أَتَهَبْنَنِي؟ وَلا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ؟؟ قُلْنَ: نَعَمْ؛ أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ** "[1].

واسم التفضيل هنا ليس على بابه؛ وذلك لأن الرسول ليس فظًّا كما في النصوص!

* وعَنْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيَّ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ؛ فَبَتَّ طَلاقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزّبيـرِ[2]، فَجَاءَتِ النَّبِيَّ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رِفَاعَةَ، فَطَلَّقَهَا آخِرَ ثَلَاثِ تَطْلِيقَاتٍ، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ، وَإِنَّهُ –وَاللَّهِ- مَا مَعَهُ -يَا رَسُولَ اللهِ! إِلاَّ مِثْلُ هَذِهِ الْهُدْبَةِ، لِهُدْبَةٍ[3] أَخَذَتْهَا مِنْ جِلْبَابِهَا، قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ، وَابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ بِبَابِ الْحُجْرَةِ، لِيُؤْذَنَ لَهُ، فَطَفِقَ خَالِدٌ يُنَادِي أَبَا بَكْرٍ يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلاَ تَزْجُرُ هَذِهِ عَمَّا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ، وَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللهِ عَلَى التَّبَسُّمِ، ثُمَّ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ ، رقم: 3683، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، رقم: 2396.

[2] **عَبْد الرَّحْمَن بْن الزَّبِير** -هُوَ بِفَتْحِ الزَّاي وَكَسْر الْبَاء بِلا خِلاف –كما قاله النووي- وَالزَّبِير هُوَ الزَّبِير بْن بَاطَّاء وَيُقَال: بَاطَيَاء، وَكَانَ عَبْد الرَّحْمَن صَحَابِيًّا، وَالزَّبِير قَتَلَ يَهُودِيًّا فِي غَزْوَة بَنِي قُرَيْظَة. وَبيّن من أنّ الَّذِي ذَكَر مِنْ أَنَّ عَبْد الرَّحْمَن بْن الزَّبِير بْن بَاطَّاء الْقُرَظِيّ هُوَ الَّذِي تَزَوَّجَ امْرَأَة رِفَاعَة الْقُرَظِيّ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْن عَبْد الْبَرّ وَالْمُحَقِّقُونَ (انظر/ المنهاج للنووي، ص896).

[3] **هُدْبَة الثَّوْب**: -هُوَ بِضَمِّ الْهَاء وَإِسْكَان الدَّال- وَهِيَ طَرَفه الَّذِي لَمْ يُنْسَج، شَبَّهُوهَا بِهُدْبِ الْعَيْن وَهُوَ شَعْر جَفْنهَا كما قاله النووي (المنهاج، ص 896).

قَالَ:"**لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟لاَ،حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ..**"[1].

قال النووي –رحمه الله- وهو يذكر سبب تبسم الرسول ﷺ في الحديث: « قال العلماء: إنّ التبسم للتعجب من جهرها وتصريحها بهذا الذي تستحيي النساء منه في العادة، أو لرغبتها في زوجها الأول وكراهة الثاني، والله أعلم »[2].

* وعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: « أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: هَلَكْتُ؛ وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: " **أَعْتِقْ رَقَبَةً** "، قَالَ: لَيْسَ لِي. قَالَ: " **فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ** "، قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: " **فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا** " قَالَ: لاَ أَجِدُ. فَأُتِيَ بِعَرَقٍ[3] فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: " **أَيْنَ السَّائِلُ؟ تَصَدَّقْ بِهَا** " قَالَ: عَلَى أَفْقَرَ مِنِّي؟ وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا! فَضحك النبي ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: " **فَأَنْتُمْ إِذًا** "[4] .

* وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ! فَضحك النبي ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﭽ ﭼ [الزمر: ٦٧].[5].

* وعَنْه ﷺ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ**

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب التَّبَسُّمِ وَالضَّحِك، رقم: 6084، وصحيح مسلم: كتاب النكاح، باب لاَ تَحِلُّ الْمُطَلَّقَةُ ثَلاَثًا لِمُطَلِّقِهَا حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ...، على إثر حديث برقم: 1433.

2 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص898.

3 (?) **العَرَق**: الْمِكْتَلُ (انظر: فتح الباري لابن حجر، ج3/ 4305).

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب التَّبَسُّمِ وَالضَّحِك، رقم: 6087، وصحيح مسلم: كتاب الصيام، باب تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الْجِمَاعِ فِى نَهَارِ رَمَضَانَ عَلَى الصَّائِمِ ...، رقم: 1111.

5 (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قَوْلِه: ﭽ ﭼ رقم: 4811، وصحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2786.

الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ؟ تَسْخَرُ مِنِّي، أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً[1].

ومِن ضَحِكِه ﷺ فرَحًا وسرورًا:

* ما أورده البخاري –رحمه الله- في بَاب تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا، وفي بَاب حَدِيثِ الإِفْكِ، من قول عائشة رضي الله عنها في قصتها: « ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ -وَاللَّهِ- مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَ اللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ، وَلا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ؛ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ[2]؛ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ[3] مِنْ الْعَرَقِ، فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: " **يَا عَائِشَةُ! احْمَدِي اللَّهَ؛ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ** "[4].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الرقاق، بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم: 6571، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجًا، رقم: 186.

[2] **الْبُرَحَاء** -بضم الباب وفتح الراء وبالحاء والمد-: الشدة كما قاله النووي (المنهاج، ص1629).

[3] **لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ:** ليتَحَدَّر مِنْهُ أي ينصب، والْجُمَان -بِضَمِّ الْجِيم وَتَخْفِيف الْمِيم- وهي الدر، شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللُّؤْلُؤ فِي الصَّفَاء والحسن. قاله النووي (المنهاج، ص1629).

[4] صحيح البخاري: كتاب الشهادات، رقم: 2661، وسيأتي أكثر جمل الحديث في مبحث علم الغيب.

* وعَنْ جَرِيرٍ ، قَالَ: « مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي » متفق عليه[1]، وفي رواية لمسلم: « وَلاَ رَآنِي إِلاَّ ضَحِكَ ».

* وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ »[2].

ومن ضَحِكِه وهو غضبان؛ ما حصل له لمّا جبَذَه الأعرَابِيُّ من خلفه حتى أثَّرت عليه بردتُه، فملك النبي نفسه مع قدرته عليه، وأعرض عنه، بل وأمر له بالمال، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: « كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ، غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً حَتَّى رَأَيْتُ صَفْحَ أَوْ صَفْحَةَ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[3].

هذا، وقد عقد البخاري بابًا، عَنْوَنَ له بـ(باب التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ) وأورد فيه أكثر هذه الأحاديث. وما سبق من النماذج طائفة من ضحكه بأسبابها المتنوعة، مثله مثل غيره من جنسه.

المطلب الثاني: بكاء النبي [4]:

تقدم أنّ البُكَى والبكاء من خصائص المخلوقين، وهو دليل ضعفهم، وأنّ رسولنا محمدًا واحدٌ من جملتهم، فقد بكى كما يَبكون، لكن بُكَاءه كان لأهداف سامية،

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب التَّبَسُّمِ وَالضَّحِك، رقم: 6089، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه ، رقم: 2476.

[2] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ، رقم: 6092.

[3] الحديث في سنن أبي داود وهو صحيحٌ وسيأتي تخريجه في مبحث: شدة خوف النبيّ من ربّه، من الفصل القادم.

[4] للاستزادة يُنظر: الشمائل المحمدية لأبي عيسى الترمذي، ص95-98، وكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/ 183-186)، والفصل الرابع: في بكاء النبي ، من كتاب رسالة محمد نورٌ أضاء على العالم، لجمال عبد الرحمن، ص150-161،

ولأسبابٍ في القدر عالية، يقول العلامة ابن القيِّم –رحمه الله- في بيان هدي النبيِّ في بكائه، وذاكرًا أنواع البكاء باعتبار أسبابه: « وَأَمّا بُكَاؤُهُ فَكَانَ مِنْ جِنْسِ ضَحِكِهِ، لَمْ يَكُنْ بِشَهِيقٍ، وَرَفْعِ صَوْتٍ، كَمَا لَمْ يَكُنْ ضَحِكُهُ بِقَهْقَهَةٍ، وَلَكِنْ كَانَتْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتّى تُهْمَلا، وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ[1]. وَكَانَ بُكَاؤُهُ تَارَةً رَحْمَةً لِلْمَيّتِ. وَتَارَةً خَوْفًا عَلَى أُمّتِهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهَا. وَتَارَةً مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ. وَتَارَةً عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ بُكَاءُ اشْتِيَاقٍ وَمَحَبّةٍ وَإِجْلالٍ مُصَاحِبٌ لِلْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ. وَلَمّا مَاتَ ابْنُهُ إبْرَاهِيمُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَبَكَى رَحْمَةً لَهُ، وَقَالَ: " **تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلا نَقُولُ إلا مَا يُرْضِي رَبّنَا، وَإِنّا بِكَ يَا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ** "[2]. وَبَكَى لَمّا شَاهَدَ إحْدَى بَنَاتِهِ وَنَفْسُهَا تَفِيضُ. وَبَكَى لَمّا قَرَأَ عَلَيْهِ ابْنُ مَسْعُودٍ (سُورَةَ النّسَاءِ) وَانْتَهَى فِيهَا إلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﭼ [النساء: ٤١]. وَبَكَى لَمّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ[3]. وَبَكَى لَمّا كَسَفَتْ الشّمْسُ وَصَلّى صَلاةَ الْكُسُوفِ، وَجَعَلَ يَبْكِي فِي صَلاتِهِ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ وَيَقُولُ: " **رَبّ أَلَمْ تَعِدْنِي أَلا تُعَذّبَهُمْ، وَأَنَا فِيهِمْ، وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُك** "[4]. وَكَانَ يَبْكِي أَحْيَانًا فِي صَلاةِ اللّيْلِ.

وَالْبُكَاءُ أَنْوَاعٌ: **أَحَدُهَا**: بُكَاءُ الرّحْمَةِ وَالرّقّةِ. **وَالثّانِي**: بُكَاءُ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ. **وَالثّالِثُ**: بُكَاءُ الْمَحَبّةِ وَالشّوْقِ. **وَالرّابِعُ**: بُكَاءُ الْفَرَحِ وَالسّرُورِ. **وَالْخَامِسُ**: بُكَاءُ الْجَزَعِ مِنْ وُرُودِ الْمُؤْلِمِ وَعَدَمِ احْتِمَالِهِ. **وَالسّادِسُ** بُكَاءُ الْحُزْنِ. وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُكَاءِ الْخَوْفِ أَنّ بُكَاءَ الْحُزْنِ يَكُونُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ أَوْ فَوَاتِ مَحْبُوبٍ وَبُكَاءُ الْخَوْفِ يَكُونُ لِمَا يُتَوَقّعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ ذَلِكَ وَالْفَرْقُ بَيْنَ بُكَاءِ السّرُورِ وَالْفَرَحِ وَبُكَاءِ الْحُزْنِ أَنّ دَمْعَةَ السّرُورِ بَارِدَةٌ وَالْقَلْبُ فَرْحَانُ وَدَمْعَةُ الْحُزْنِ حَارّةٌ وَالْقَلْبُ حَزِينٌ

---

1. (?) الحديث صحيح وسيأتِي تخريجه.
2. (?) الحديث صحيح وسيأتِي تخريجه.
3. (?) الحديث صحيح وسيأتِي تخريجه.
4. (?) إشارة إلى حديث أبي داود في سننه، (كتاب الاستسقاء، باب مَنْ قَالَ يَرْكَعُ رَكْعَتَيْن، رقم: 1194، وهو صحيح)، من حديث عبد الله بن عمرو .

وَلِهَذَا يُقَالُ لِمَا يُفْرَحُ بِهِ: هُوَ قُرّةُ عَيْنٍ، وَأَقَرّ اللّهُ بِهِ عَيْنَهُ، وَلِمَا يُحْزِنُ: هُوَ سَخِينَةُ الْعَيْنِ، وَأَسْخَنَ اللّهُ عَيْنَهُ بِهِ. **وَالسّابِعُ:** بُكَاءُ الْخَوَرِ وَالضّعْفِ. **والثامن:** بكاء النفاق، وهو أنْ تدمع العين، والقلب قاس، فيُظهر صاحبُه الخشوع، وهو من أقْسَى النّاسِ قَلْبًا. **وَالتّاسِعُ:** الْبُكَاءُ الْمُسْتَعَارُ، وَالْمُسْتَأْجَرُ عَلَيْهِ، كَبُكَاءِ النّائِحَةِ بِالأُجْرَةِ؛ فَإِنّهَا كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ: (تَبِيعُ عَبْرَتَهَا، وَتَبْكِي شَجْوَ غَيْرِهَا). **وَالْعَاشِرُ:** بُكَاءُ الْمُوَافَقَةِ، وَهُوَ أَنْ يَرَى الرّجُلُ النّاسَ يَبْكُونَ لأَمْرٍ وَرَدَ عَلَيْهِمْ، فَيَبْكِي مَعَهُمْ، وَلا يَدْرِي لأَيّ شَيْءٍ يَبْكُونَ، وَلَكِنْ يَرَاهُمْ يَبْكُونَ فَيَبْكِي. وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دَمْعًا بِلا صَوْتٍ فَهُوَ بُكًى -مَقْصُورٌ-، وَمَا كَانَ مَعَهُ صَوْتٌ فَهُوَ بُكَاءٌ مَمْدُودٌ عَلَى بِنَاءِ الأَصْوَاتِ. وَقَالَ الشّاعِرُ:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقّ لَهَا بُكَاهَا   وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلا الْعَوِيلُ.

وَمَا كَانَ مِنْهُ مُسْتَدْعًى مُتَكَلّفًا فَهُوَ التّبَاكِي، **وَهُوَ نَوْعَانِ:** مَحْمُودٌ، وَمَذْمُومٌ، فَالْمَحْمُودُ أَنْ يُسْتَجْلَبَ لِرِقّةِ الْقَلْبِ، وَلِخَشْيَةِ اللّهِ، لا لِلرّيَاءِ وَالسّمْعَة. وَالْمَذْمُومُ أَنْ يُجْتَلَبَ لأَجْلِ الخلقِ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ لِلنّبِيّ وَقَدْ رَآهُ يَبْكِي هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ فِي شَأْنِ أَسَارَى بَدْرٍ: أَخْبِرْنِي مَا يُبْكِيك يَا رَسُولَ اللّهِ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْت، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ تَبَاكَيْت لِبُكَائِكُمَا[1]، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السّلَفُ: ابْكُوا مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا »[2].

فهذه العشرة الأنواع هي أبرز أنواع البكاء، وقد يكون هناك غيرها، ومِن الأكيد أنّ النبِيّ بكى بعض هذه الأنواع، وهي الكثيرة منها، بينما البعض الآخر كبكاء النفاق، والْبُكَاء الْمُسْتَعَار، وَالْمُسْتَأْجَر عَلَيْهِ، وبُكَاء الْخَوْرِ وَالضّعْفِ، مما يوقن المسلم بأنّ النبِيّ لم تَحصُل منه.

وهنا سأمثّل بنماذج مِن بكائه على أكثر هذه الأنواع، فأقول -وبالله التوفيق:

* قد بكى النبِي **من خشية الله،** وهذا له نماذج كثيرة ضمن بكائه ، وسأؤجل ذكر نماذج هذا النوع إلى

---

1 (?) الحديث في صحيح مسلم، وسيأتِي تخريجه.

2 (?) زاد المعاد في هذي خير العباد، (ج1/ 182-185) .

المبحث المخصص لبيان شدة خوف العبد الرسول محمد من ربّه القهار من الفصل القادم.

* كما بكى **رحمَةً لأُمّهِ**، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، قَالَ: « زَارَ النَّبِيُّ قَبْرَ أُمِّهِ، **فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ**، فَقَالَ: " **اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ** "[1].

* وبكَى شَفَقَةً على مريضٍ أو ميتٍ، وهذا بالنسبة لأهله، أو أمته، وهنا نوعان منه:

الأول: بكَى شَفَقَةً عَلَى أولاده (ابنته المتوفاة –أم كلثوم-، وابنه إبراهيم، وابن بنته زينب في النـزع):

قد تقدم في ترجمة البضعة النبوية أم كلثوم رضي الله عنها أنّ النبيّ جلس على قبرها وعيناه تدمعان، وسأل عن الذي لم يقارف ليلة وفاتها لينـزل في قبرها، فنـزل أبو طلحة دون زوجها عثمان رضي الله عنهما[2].

ولَمَّا تُوُفِّيَ ابْنٌ للرَّسُولِ (إِبْرَاهِيمُ)، بَكَى رَسُولُ اللهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُعَزِّي: إِمَّا أَبُو بَكْرٍ، وَإِمَّا عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عَظَّمَ للهِ حَقَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ : " **تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلاَ نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، لَوْلاَ أَنَّهُ وَعْدٌ صَادِقٌ، وَمَوْعُودٌ جَامِعٌ، وَأَنَّ الآخِرَ تَابِعٌ لِلأَوَّلِ، لَوَجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ! أَفْضَلَ مِمَّا وَجَدْنَا، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ** "[3].

وعن أُسَامَة بْن زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَائْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ وَيَقُولُ: " **إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ،وَلَهُ مَا أَعْطَى،وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ** "، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا،فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ،وَمُعَاذُ

---

[1] صحيح مسلم:كتاب الجنائز، باب اسْتِئْذَانِ النَّبِي رَبَّهُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّه، على إثر حديث رقم: 976.

[2] تقدم تحت مبحث: ذكر أولاده وبناته .

[3] سنن ابن ماجه: كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّت،رقم: 1589،وإسناده حسن لمقام شهر بن حوشب،كما قال البوصيري،وبعض جمل الحديث متفق عليه،وقد سبق تخريجه في ترجمة ابن النبي إبراهيم .

بْنُ جَبَلٍ،وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ،وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ،وَرِجَالٌ،فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ -قَالَ:حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ:كَأَنَّهَا شَنٌّ- فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ،فَقَالَ سَعْدٌ يَا رَسُولَ اللهِ! مَا هَذَا؟ فَقَالَ: "**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ،وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**"[1].

الثاني: وبكى ﷺ شَفَقَةً عَلَى أصحابه (سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، عثمان بن مظعون، وأصحابِ مؤتة ﭫ): فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ، فَقَالَ: "أَقَدْ قَضَى؟". قَالُوا: لاَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ:"**أَلاَ تَسْمَعُونَ،إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ،وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ،وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا** -وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ- **أَوْ يَرْحَمُ** »[2].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالت: « إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبَّلَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ، وَهُوَ يَبْكِي. أَوْ قَالَ: عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ »[3]، وفي رواية: « حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَسِيلُ ».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﭬ، قال: « **إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى جَعْفَرًا، وَزَيْدًا، قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ خَبَرُهُمْ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَان** »[4].

* وبكى ﷺ ***حُزنًا بشأن أسرى بدر***، ففي صحيح مسلم من حديث عَبْد اللَّهِ بْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما،

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " يُعَذَّبُ الْمَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ "، رقم: 1283، واللفظ له، وصحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ، رقم: 922.

[2] صحيح البخاري: كتاب الجنائز،بَاب الْبُكَاءِ عِنْدَ الْمَرِيضِ، رقم: 1304، وصحيح مسلم:الكتاب والباب،رقم: 924.

[3] سنن أبي دود: كتاب الجنائز، باب فِي تَقْبِيلِ الْمَيِّتِ، رقم: 3163، وجامع الترمذي: كتاب الجنائز، باب مَا جَاءَ فِي تَقْبِيلِ الْمَيِّتِ، رقم: 989، وقال الترمذي: « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

[4] صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: 3630 .

قَالَ: « حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُل، ... وفيه: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الأَسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: " **مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأَسَارَى؟** "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ؛ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً، فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ** ". قُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّى أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ؛ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلاَنٍ -نَسِيبًا لِعُمَرَ- فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ؛ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِى مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ! فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ** ". شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ . ... الحديث[1] .

وشواهد بكائه كثيرةٌ، وسيأتي نوع بكائه الآخر (بكاؤه من خشية الله) في موضعه. والمقصود أنّ بعض أنواع البكاء المتقدمة علامةٌ للعجز البشري، وأنّه يتصف به جنس البشر حتى أفضلهم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه.

المطلب الثالث: العظيم المجيد سبحانه يضحك ولا يَبْكي:

البُكَى والبكاء مؤشّر لضعف المخلوقين ومن خصائصهم، بينما الضحك ليس مِن خصائصهم، بل الله يضحك، وليس لضحكه سبحانه مثيل. وقد مرَّت نماذج من ضحك العبد الرسول محمد وبكائه، وقد خصصت هذا

---

[1] (?) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير باب الإِمْدَادِ بِالْمَلاَئِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِم، رقم: 1763.

المطلب لذكر بعض النماذج للصفة الإلهية (ضحك الله ﷻ)؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ** "[1]. وسبق حديث آخر أهل النار خروجًا منها، وفيه: أنه قال: " **أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟** ".

وعن أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ**" قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ؟ قَالَ: " **نَعَمْ** " قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا[2].

والضحك صفة فعلية اختيارية ثابتة لله تعالى على ما يليق به سبحانه؛ من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ومن غير تحريفٍ ولا تعطيل؛ خلافًا لِما يذكُر بعض شرَّاح الحديث من تحريف الصفة إلى أنها ضحك ملائكته، أو تأويل معناها إلى صفة أخرى غيرها[3].

أما البكاء فليس صفة لله تعالى، بل هو نقصٌ، والنقص منـزَّهٌ عنه سبحانه. وهذه هي عقيدة المسلمين في الله تعالى، خلافًا لليهود الزاعمين بأنه سبحانه بكى[4]. قال الدكتور أبو بكر محمد ثاني –حفظه الله- بعد إيراده نصوص اليهود في نسبة البكاء إلى الله تعالى: « في هذه النصوص كلها نسبة البكاء إلى الله تعالى، وهو باطل؛ لِما

---

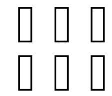
[1] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَاب الْكَافِرِ يَقْتُلُ الْمُسْلِمَ ثُمَّ يُسْلِمُ فَيُسَدِّدُ بَعْدُ وَيُقْتَلُ، رقم: 2826، وصحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، رقم: 1890 .

[2] سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة، بَاب فِيمَا أَنْكَرَتْ الْجَهْمِيَّةُ، رقم: 181، ومسند الإمام أحمد: 15598، و15612، ضعفه بعض العلماء، وحسنه آخرون (حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية، ص219 -الجامع المتون للشمراني).

[3] انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، ص 1213-1214.

[4] ينظر/ مطلب نسبة اليهود الزئير كزئير الأسد إلى الله تعالى، من كتاب: التلمود وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، د. أبو بمر محمد ثاني، (ج3/ ص1483-1485)، ومطلب: نسبتهم البكاء إلى الله تعالى وأنه أخرج قطرات من الدموع، (ج3/ص1503-1505).

يتضمنه من النقص في حقه تعالى، فإنّ البكاء علامة ضعف وعجز وخور، وعدم القدرة على معالجة السبب المبكي، وهذا منتفٍ عن الرب تعالى »[1].



[1] (?) التلمود وموقفه من الإلهيات –عرض ونقد- (ج3/ص1505).

المبحث السابع: أنَّ عَيْنَيْه عليه الصلاة والسلام تنامان، ولا ينام قلبُه، والله الحيّ القيوم سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بالنوم.

المطلب الأول: عينـا النبي تنامان ولا ينام قلبُـه.

المطلب الثاني: خصائص العبد الرسول محمد في باب نومه، وعلاقة بعضها بكمال عبوديته لربه.

المطلب الثالث: الله الحيّ القيـوم سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم.

التمهيد: التعريف بالنوم:

النوم: عجز عن استعمال القدرة لفترة عارضة مع قيام عقل النائم. **وقيل:** فترة طبيعية تحدث بلا اختيار للإنسان، وهو عجزٌ عن استعمال القدرة. **وقيل**: فتورٌ طبيعـيٌّ غير اختاري يمنع العقل مع وجوده. **وقيل:** النوم شهوة تلحق الإنسان مع فتور الأعضاء، من غير علة. **وقيل:** حالة طبيعية تتعطل معها القُوى بسبب ترقِّي البخارات إلى الدماغ. **وقيل:** النوم فترة طبيعية تحدث في الإنسان بلا اختيار منه، وتمنع الحواس الظاهرة والباطنة عن العمل مع سلامتها، وتمنع استعمال العقل مع قيامه. فالنوم ينافي الاختيار، للعجز عن استعمال العقل مع بقاء أصله[1]، ولمنافاته الاختيار رُفع عن النائم القلم.

وعرّف الإمام أبو عبد الله السفاريني (ت1189هـ) النوم، وذكر خصوصية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيه فقال: « غِشية ثقيلةٌ تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء. لكن نبينا كان تنام عينه ولا ينام قلبه، بل قلبُه كان أبدا مستيقظًا متهيئًا لإدراك ما يُلقى إليه مِن ربه »[2]. وبيّن أنّ النوم رحمة من الله على عباده لتستريح أبدانهم عند تعبهم، أن ذلك دليلٌ على عجزهم[3].

---

[1] (?) انظر: كتاب التعريفات للجرجاني، مادة النوم، ص339، وعوارض الأهلية عند علماء أصول الفقه، للأستاذ الدكتور حسين خلف الجُـبُوري، ص232.

[2] (?) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (ج2/ص323).

[3] (?) انظر: المصدر نفسه، (ج2/ص323).

وللنوم أربع علامات، هي: فقد الشعور، واسترخاء الأعضاء، وخفاء كلام الحاضرين على النائم، وأن يرى النائم في نومه الرؤيا[1].

والسنة والنعاس مقدِّمةٌ للنوم وقبلَه، والفرق بينهما وبين النوم هو ما قاله النووي –رحمه الله-: « وَالنُّعَاس مُقَدِّمَة النَّوْم، وَهُوَ رِيح لَطِيفَة تَأْتِي مِنْ قِبَل الدِّمَاغ تُغَطِّي عَلَى الْعَيْن، وَلا تَصِل إِلَى الْقَلْب، فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْقَلْب كَانَ نَوْمًا، وَلا يُنْتَقَض الْوُضُوء بِالنُّعَاسِ مِنْ الْمُضْطَجِع، وَيُنْتَقَض بِنَوْمِهِ، وَقَدْ بَسَطْت الْفَرْق بَيْن حَقِيقَتهمَا فِي شَرْح الْمُهَذَّب »[2].

وإذا نام الإنسان فهو يجمع بنومه بين الموت والحياة باعتبارين مختلفين، وقد أشار القرآن إلى ذلك، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [الأنعام: ٦٠].

وقال: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [الزمر: ٤٢].

ثم إنّ النوم مِن (الكمال النسبي للخلق)، مثله مثل الزواج، هو (كمالٌ)؛ لأنّ الذي لا ينام منهم –لمرضٍ- يُشفَق عليه، لانتفاء هذا الكمال عنه. و(نسبيٌّ)؛ لأنّ الإكثار منه ليس ممدوحًا؛ بخلاف الكمال المطلق الذي بالإكثار والازدياد منه يزداد الكمال، كالعلم.

وعلى ما سبق: فالذي قلَّ نومه لا لِمرضٍ أكمل مِن إنسانٍ كثير النوم، وعليه فالرسول ﷺ لنومه المحدود، ولأنَّه تنام عيناه ولا ينام قلبُه كان أكمل هديًا فيه من غيره.

المطلب الأول: عينا النبي ﷺ تنامان ولا ينام قلبُه:

قد دلّ على المعنى المعقود في هذا العنوان عدةٌ نصوصٍ حديثية، وإليك بعضها:

أولا: عقَد محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه بابًا، عنْوَنَ له بـ(بَاب كَانَ النَّبِيُّ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ) وأورد فيه سؤال أبي سلمة ابن عبد الرحمن –رحمه الله-

---

[1] وانظر: عوارض الأهلية عند علماء أصول الفقه، للأستاذ الدكتور حسين خلف الجُـبُوري، ص233-234.

[2] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص479 .

عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وجوابها عنه، حيث قال لها فيه: « كَيْفَ كَانَتْ صَلاةُ رَسُولِ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ، وَلا فِي غَيْرِهِ، عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً؛ يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: " **تَنَامُ عَيْنِي، وَلا يَنَامُ قَلْبِي** "[1].

ثانيًا: وفي صحيح البخاري أيضًا: أنّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ[2]: « جَاءَتْ مَلائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا؛ فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنْ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلْ الدَّارَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ »[3].

وسيأتِي بيان معنى آخر الحديث في الباب الثاني عند بيان أنَّ طاعة الرسول من طاعة الله في مطلب (طاعته في أوامره) من الفصل الثاني، في الباب الثاني.

---

1 ([?]) صحيح البخاري في:المناقب،رقم: 3569،وصحيح مسلم في:ك صلاة المسافرين..،باب صلاة الليل.. رقم:738

2 ([?]) هذا طريق سعيد بن ميناء التابعي –رحمه الله- وظاهرها أنّ الحديث موقوفٌ على جابر ، لكن أورد البخاري عقِبَه متابعة سعيد بن أبي هلال عن جابر أنه قال: « خرج علينا النبي فقال إنّي رأيت في المنام » فأتى بهذه الطريق التي صرّحت بالرفع؛ فزال ما قد يتوهم من كون الرواية موقوفة.

(انظر: صحيح البخاري مع الفتح، ج4/ ص5251، وص5255).

3 ([?]) صحيح البخاري: أخبار الآحاد، بَاب الاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ، رقم: 7281.

ثالثًا: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ؛ فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ، وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ، إِذْ قَالُوا: ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﭼ [يوسف: ٦٦]. قَالَ: " **هَاتُوا** " قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلامَةِ النَّبِيِّ؟ قَالَ: " **تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ** " قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ تُذْكِرُ؟ ... الحديث[1].

رابعًا: عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ[2]، قال: « سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ؛ جَاءَهُ ثَلاثَةُ نَفَرٍ *قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ*[3]، وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ: أَوْسَطُهُمْ، هُوَ خَيْرُهُمْ. وَقَالَ: آخِرُهُمْ خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جَاءُوا لَيْلَةً أُخْرَى[4] فِيمَا يَرَى

---

1 ([?]) مسند الإمام أحمد، ورقمه: 2353، في حديث طويل، وقد حكم شعيب الأرناؤوط على هذا الجزء منه بأنه: حسن.

2 ([?]) هو **شَرِيك بْن عَبْد اللَّه** أَيْ اِبْن أَبِي نَمِر -بِفَتْحِ النُّون، وَكَسْر الْمِيم- وَهُوَ مَدَنِيّ، تَابِعِيّ، يُكَنَّى: أَبَا عَبْد اللَّه، وَهُوَ أَكْبَر مِنْ شَرِيك بْن عَبْد اللَّه النَّخَعِيِّ، الْقَاضِي، صدوق يُخطأ، ورواية حديثه عن أنس هذا في المعراج دليلٌ على خطئه بمخالفاته أقرانه، من الخامسة، مات في حدود أربعين ومائة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي ففي الشمائل. (انظر: ترجمته في فتح الباري، ج4/ ص5403، وتقريب التهذيب، برقم: 2788، ص207-208).

3 ([?]) قَوْله في الحديث « قَبْل أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ »، أَنْكَرَهَا الْخَطَّابِيُّ وَابْن حَزْم وَعَبْد الْحَقّ وَالْقَاضِي عِيَاض وَالنَّوَوِيّ وَعِبَارَة النَّوَوِيّ: وَقَعَ فِي رِوَايَة شَرِيك -يَعْنِي هَذِهِ- أَوْهَام أَنْكَرَهَا الْعُلَمَاء، أَحَدهَا: قَوْله " قَبْل أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ " وَهُوَ غَلَط لَمْ يُوَافَق عَلَيْهِ، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاء أَنَّ فَرْض الصَّلاة كَانَ لَيْلَة الإِسْرَاء، فَكَيْف يَكُون قَبْل الْوَحْي اِنْتَهَى. وَصَرَّحَ الْمَذْكُورُونَ بِأَنَّ شَرِيكًا تَفَرَّدَ بِذَلِكَ، وَفِي دَعْوَى التَّفَرُّد نَظَر فَقَدْ وَافَقَهُ كَثِير بْن خُنَيْس -بِمُعْجَمَةٍ وَنُون مُصَغَّر- عَنْ أَنَس، كَمَا أَخْرَجَهُ سَعِيد بْن يَحْيَى بْن سَعِيد الأُمَوِيّ فِي كِتَاب الْمَغَازِي مِنْ طَرِيقه. (انظر: فتح الباري لابن حجر، -عند شرحه للحديث-: ج4/ 5403-5404).

4 ([?]) قَوْله: حَتَّى جَاءُوا لَيْلَة أُخْرَى) أَيْ بَعْد ذَلِكَ، وَمِنْ هُنَا يَحْصُل رَفْع الإِشْكَال فِي قَوْله «قَبْل أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ»، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: (فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَة أُخْرَى) « وَلَمْ يُعَيِّنْ الْمُدَّة الَّتِي بَيْن الْمَجِيئَيْنِ فَيُحْمَل عَلَى أَنَّ الْمَجِيء الثَّانِي كَانَ بَعْد أَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَحِينَئِذٍ وَقَعَ الإِسْرَاء وَالْمِعْرَاج وَقَدْ سَبَقَ بَيَان الاخْتِلاف فِي ذَلِكَ عِنْد

قَلْبُهُ، وَالنَّبِيُّ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ، وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ؛ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ، وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَتَوَلاهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ »[1].

وَمِثْل حديث أنسٍ هذا: مما لا يُقَال مِنْ قِبَل الرَّأْي[2].

وَمَجموع الأحاديث ظَاهِرة فِي أَنَّ نوم العين، وعدم نوم القلب مِنْ خَصَائِصه ، بل والأنبياء قبله، دون أُمَمِهم، قال النووي –رحمه الله تعالى- « قَوْله : " **إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلا يَنَام قَلْبِي** " هَذَا مِنْ خَصَائِص الأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلامه عَلَيْهِمْ »[3].

لكن يقال هنا: هل تتعارض هذه الأحاديث التي فيها أنّ **قَلْب النبي لا يَنَام،** بأحاديث نومه حتى فاتتْه صلاة الفجر مرتين، -على ما جاء في ظواهر الأحاديث، والأصح[4]- حتى إنه جاء في أحدهما أنّ بِلالا قال: « أَخَذَ

شَرْحه، وَإِذَا كَانَ بَيْن الْمَجِيئَيْنِ مُدَّة فَلا فَرْق فِي ذَلِكَ بَيْن أَنْ تَكُون تِلْكَ الْمُدَّة لَيْلَة وَاحِدَة أَوْ لَيَالِي كَثِيرَة أَوْ عِدَّة سِنِينَ وَبِهَذَا يَرْتَفِع الإِشْكَال عَنْ رِوَايَة شَرِيك وَيَحْصُل بِهِ الْوِفَاق أَنَّ الإِسْرَاء كَانَ فِي الْيَقَظَة بَعْد الْبَعْثَة وَقَبْل الْهِجْرَة وَيَسْقُط تَشْنِيع الْخَطَّابِيّ وَابْن حَزْم وَغَيْرهمَا بِأَنَّ شَرِيكًا خَالَفَ الإِجْمَاع فِي دَعْوَاهُ أَنَّ الْمِعْرَاج كَانَ قَبْل الْبَعْثَة وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيق. وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ بَعْض الشُّرَّاح أَنَّهُ كَانَ بَيْن اللَّيْلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَتَاهُ فِيهِمَا الْمَلائِكَة سَبْع وَقِيلَ: ثَمَان وَقِيلَ: تِسْع وَقِيلَ: عَشْر وَقِيلَ: ثَلاثَة عَشَر، فَيُحْمَل عَلَى إِرَادَة السِّنِينَ لا كَمَا فَهِمَهُ الشَّارِح الْمَذْكُور أَنَّهَا لَيَالٍ، وَبِذَلِكَ جَزَمَ اِبْن الْقَيِّم فِي هَذَا الْحَدِيث نَفْسه. وَأَقْوَى مَا يُسْتَدَلّ بِهِ أَنَّ الْمِعْرَاج بَعْد الْبَعْثَة قَوْله فِي هَذَا الْحَدِيث نَفْسه: أَنَّ جِبْرِيل قَالَ لِبَوَّابِ السَّمَاء إِذْ قَالَ لَهُ أَبُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَإِنَّهُ ظَاهِر فِي أَنَّ الْمِعْرَاج كَانَ بَعْد الْبَعْثَة فَيَتَعَيَّن مَا ذَكَرْته مِنْ التَّأْوِيل، وَأَقَلّه قَوْله: (فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ عِنْد الْمَسْجِد الْحَرَام)، فَإِنْ حُمِلَ عَلَى ظَاهِره جَازَ أَنْ يَكُون نَامَ بَعْد أَنْ هَبَطَ مِنْ السَّمَاء فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ عِنْد الْمَسْجِد الْحَرَام، وَجَازَ أَنْ يُؤَوَّل قَوْله (اسْتَيْقَظَ) أَيْ: أَفَاقَ مِمَّا كَانَ فِيهِ، فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ يَسْتَغْرِق، فَإِذَا اِنْتَهَى رَجَعَ إِلَى حَالَته الأُولَى، فَكَنَّى عَنْهُ بِالاسْتِيقَاظِ »(الفتح، ج4/ 5404).

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، رقم: 3570 مختصرًا، ومطولا في كتاب التوحيد، رقم: 7517، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات، رقم: 162 (مختصرًا أيضًا).

[2] (?) انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر، (ج2/ص 2603).

[3] (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي، ص508 .

[4] (?) انظر: المنهاج للنووي، ص477 .

بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ ...»الحديث عن أبي هريرة، ولم يُنكِر على بلالٍ النبيُّ إضافة النوم إلى نفسه وقلْبِه. مما يدل على استغراق نومهما و. وهل جاوزَ هنا نومُه عينَيه إلى أنْ وصَل إلى أنْ نام قلبُه أم لا؟ هذا ما سأبيِّنه هنا.

ولفظ الحديثين في هاتَين المرتَين، كالآتِي:

عن عِمْرَانَ بن الحصين في حديث المرأة ذات المزادتين... قال: «كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ، وَإِنَّا أَسْرَيْنَا حَتَّى كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعْنَا وَقْعَةً، وَلا وَقْعَةَ أَحْلَى عِنْدَ الْمُسَافِرِ مِنْهَا؛ فَمَا أَيْقَظَنَا إلا حَرُّ الشَّمْسِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ فُلانٌ ثُمَّ فُلانٌ، ثُمَّ فُلانٌ، يُسَمِّيهِمْ أَبُو رَجَاءٍ[1]؛ فَنَسِيَ عَوْفٌ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّابِعُ. وَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقَظْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ؛ لأَنَّا لا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي نَوْمِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ عُمَرُ، وَرَأَى مَا أَصَابَ النَّاسَ -وَكَانَ رَجُلا جَلِيدًا- فَكَبَّرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ، حَتَّى اسْتَيْقَظَ بِصَوْتِهِ النَّبِيُّ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ شَكَوْا إِلَيْهِ الَّذِي أَصَابَهُمْ، قَالَ لا ضَيْرَ..[2].

وفي لفظ آخر: « أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ فِي مَسِيرٍ فَأَدْلَجُوا لَيْلَتَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ عَرَّسُوا[3]؛ فَغَلَبَتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى ارْتَفَعَتْ الشَّمْسُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَن اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ لا يُوقَظُ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ مَنَامِهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ -فَقَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ رَأْسِهِ- فَجَعَلَ يُكَبِّرُ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ

---

[1] **أَبُو رَجَاءٍ**: هو عمران بن مِلحان -بكسر الميم وسكون اللام بعدها مهملة- ويقال: ابن تيم، أبو رجاء العطاردي مشهور بكنيته، مخضرم ثقة، معمر، مات سنة خمس ومائة، وله 120سنة (انظر: التقريب، رقم: 5171، ص367).

[2] صحيح البخاري: كتاب التيمم، بَاب الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ يَكْفِيهِ مِنْ الْمَاءِ، رقم: 344، وهذا لفظه، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة ومواضع السجود، باب قضاء الصلاة الفائتة، على إثر حديث برقم: 682.

[3] **التعريس**: نزول القوم في السفر من آخر الليل، يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون. وأعرسوا: لغة فيه قليلة (انظر: الصحاح للجوهري، مادة عرس، ص689).

فَنَزَلَ، وَصَلَّى بِنَا الْغَدَاةَ .. »[1]. هذا **الحديث الأول.**

والحديث الثانِي: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ موصولا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، فَسَارَ لَيْلَةً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَنَا الْكَرَى[2] عَرَّسَ، وَقَالَ لِبِلالٍ: " اكْلأْ لَنَا اللَّيْلَ[3]؟ قَالَ: فَغَلَبَتْ بِلالا عَيْنَاهُ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ النَّبِيُّ ، وَلا بِلالٌ، وَلا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا ضَرَبَتْهُمْ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَوَّلَهُمْ اسْتِيقَاظًا، فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ: يَا بِلالُ! فَقَالَ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ النَّبِيُّ وَأَمَرَ بِلالا فَأَقَامَ لَهُمْ الصَّلاةَ، وَصَلَّى بِهِمْ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ قَالَ: " **مَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: أَقِمْ الصَّلاةَ لِلذِّكْرَى** "، رواه مسلم، وفي رواية: لذِكري[4].

قال القاضي عياض –رحمه الله-: « فإن قلت: فما تقول في نومه عن الصلاة يوم الوادي، وقد قال: "**إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلا يَنَام قَلْبِي**"؟ فاعلم أنّ للعلماء عن ذلك أجوبة، **منها:** أن المراد بأنّ هذا حكمُ قلبه عند نومه، وعينيه في غالب الأوقات، وقد يندُرُ منه غير ذلك، كما يندُرُ مِن غيره خلاف عادته. ويُصحِّح هذا التأويل قوله في الحديث نفسه: "**إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا**"[5]، وقول بلال فيه: «**مَا أُلْقِيَتْ عَلَيَّ نَوْمَةٌ مِثْلُهَا قَطُّ** »[6]،

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ، رقم: 3571.

2 (?) **الكرى**: النعاس، (انظر: الصحاح للجوهري، مادة كرى، ص905)، وقيل: النوم (انظر: المنهاج للنووي، ص477).

3 (?) **اكلأ**: أي ارقبه واحفظه واحرسه، ومصدره الكلأ (انظر: المنهاج للنووي، ص477).

4 (?) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود، باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها، رقم: 680.

5 (?) جاءت هذه اللفظة في الموطأ،كتاب وقوت الصلاة، بَاب النَّوْمِ عَنْ الصَّلاةِ، ورقمه في الكتاب: 25 وهي فيه مرسلة.

6 (?) صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب الأَذَانِ بَعْدَ ذَهَابِ الْوَقْتِ، رقم: 595 .

ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده الله من إثبات حكم، وتأسيس سُنّة، وإظهار شرع، وكما قال في الحديث الآخر: " **لَوْ شاء اللَّه لأيقظنا وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُون لِمَنْ بَعْدَكُمْ** "[1] . **الثانِي**: أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه، لِما رُوي أنه كان مَحروسًا، وأنه كان ينام حتى ينفخ، وحتى يسمع غطُيطُه، ثم يصلي ولا يتوضأ. وحديث ابن عباس المذكور فيه: وضوءه عند قيامه من النوم، فيه نومه مع أهله؛ فلا يُمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم؛ إذ لعل ذلك لملامسة الأهل، أو لِحَدَثٍ آخر، فكيف وفى آخر الحديث نفسه: « ثُمَّ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ، ثُمَّ أُقِيمَت الصَّلاة فصلى ولم يتوضأ[2].

وقيل: لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في النوم، وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس، وليس هذا من فعل القلب، وقد قال ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا وَلَوْ شَاءَ لَرَدَّهَا إِلَيْنَا فِي حِينٍ غَيْرِ هَذَا** ".

فإن قيل: فلولا عادته من استغراق النوم لَما قَالَ لِبِلالٍ: " **اكْلأْ لَنَا الصُّبْحَ** "؟ **فقيل في الجواب:** إنه كان من شأنه ﷺ التغليس بالصبح، ومراعاةُ أول الفجر لا تصح ممن نامت عينُه؛ إذ هو ظاهرٌ يدرك بالجوارح الظاهرة، فوكَّل بلالا بمراعاة أوله، ليُعْلِمَه بذلك، كما لو شُغِل بشغل غير النوم عن مراعاته »[3].

ونقل عن بعض العلماء فقال –رحمه الله-: « قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة، إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر، ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس، وأما بواطنهم فمنـزهةٌ غالبًا عن ذلك، معصومة منه، متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة؛ لأخذها عنهم، وتلقيها الوحي منهم. قال: وقد

---

[1] (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 3526، من مسند ابن مسعودٍ ﷺ، وهو بلفظ قريبٍ من لفظ المصنف (القاضي عياض).

[2] (?) حديث الغطيط (وهو حديث ابن عباس الذي أشار إليه القاضي عياض هنا) متفق عليه، وسيأتي تخريجه وذكر لفظه برواياته في المطلب الثاني.

[3] (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص546-547 .

قال ﷺ: " **إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلا يَنَام قَلْبِي** "، وقال: " **إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي** "[1]. وقال: " **لست أَنْسَى، ولكنْ أُنَسَّى ليُستـنَّ بِي** "[2]. فأخبر أن سره وباطنه وروحه خلافُ جسمه وظاهره، وأنَّ الآفات التي تَحُلّ ظاهره من ضعف، وجوع، وسهر، ونوم، لا يَحل منها شيءٌ باطنَه، بخلاف غيره من البشر، في حكم الباطن؛ لأنَّ غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه، وهو ﷺ في نومه حاضرُ القلب، كما هو في يقظته، حتى قد جاء في بعض الآثار أنَّه كان محروسًا من الحدَثِ في نومه، لكون قلبه يقظان، كما ذكرناه ... »[3].

وقال النووي –رحمه الله- في شرح صحيح مسلم: « فَإِنْ قِيلَ: كَيْف نَامَ النَّبِيّ ﷺ عَنْ صَلاة الصُّبْح حَتَّى طَلَعَتْ الشَّمْس، مَعَ قَوْله ﷺ: " **إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلا يَنَام قَلْبِي** "؟ فَجَوَابه مِنْ وَجْهَيْنِ: أَصَحّهمَا وَأَشْهَرهمَا: أَنَّهُ لا مُنَافَاة بَيْنهمَا، لأَنَّ الْقَلْب إِنَّمَا يُدْرِك الْحِسِّيَّات الْمُتَعَلِّقَة بِهِ كَالْحَدَثِ وَالأَلَم وَنَحْوهمَا، وَلا يُدْرِك طُلُوع الْفَجْر وَغَيْره مِمَّا يَتَعَلَّق بِالْعَيْنِ، وَإِنَّمَا يُدْرِك ذَلِكَ بِالْعَيْنِ ، وَالْعَيْن نَائِمَة وَإِنْ كَانَ الْقَلْب يَقْظَان. وَالثَّانِي: أَنَّهُ كَانَ لَهُ حَالانِ أَحَدهمَا يَنَام فِيهِ الْقَلْب وَصَادَفَ هَذَا الْمَوْضِع. وَالثَّانِي: لا يَنَام وَهَذَا هُوَ الْغَالِب مِنْ أَحْوَاله. وَهَذَا التَّأْوِيل ضَعِيف، وَالصَّحِيحُ الْمُعْتَمَدُ هُوَ الأَوَّلُ »[4].

وفي شرحه –رحمه الله- لقَوْله ﷺ: "**إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلا يَنَام قَلْبِي**" وبعدما ذكر أنَّ هَذَا النوع من النوم مِنْ خَصَائِص الأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلامه عَلَيْهِمْ. قال: « وَسَبَقَ فِي حَدِيث نَوْمه ﷺ فِي الْوَادِي فَلَمْ يَعْلَم بِفَوَاتِ وَقْت الصُّبْح حَتَّى طَلَعَتْ الشَّمْس، وَأَنَّ طُلُوع الْفَجْر وَالشَّمْس مُتَعَلِّق بِالْعَيْنِ لا بِالْقَلْبِ. وَأَمَّا أَمْر الْحَدَث وَنَحْوه فَمُتَعَلِّق بِالْقَلْبِ.

---

1 (?) الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه.
2 (?) الحديث باطلٌ لا سند له، وسيأتي تخريجه.
3 (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص574-575 .
4 (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي، ص478 .

وَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّهُ فِي وَقْت يَنَام قَلْبه، وَفِي وَقْت لا يَنَام، فَصَادَفَ الْوَادِي نَوْمه. وَالصَّوَاب الأَوَّل[5].

وأما الحافظ ابن حجر –رحمه الله- فبعدما ذكر وجه الإشكال في حديث نوم النبي في الوادي على حديث " **لا يَنَام قَلْبِي** "، ذكَر كلّ ما قيل من أوجُه الجمع بينهما –الصحيح منها، والضعيفة-، فقال في شرح الحديث: « وَقَدْ تَكَلَّمَ الْعُلَمَاء فِي الْجَمْع بَيْن حَدِيث النَّوْم هَذَا، وَبَيْن قَوْله " **إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلا يَنَام قَلْبِي** " قَالَ النَّوَوِيّ: لَهُ جَوَابَانِ، ... فذكر قولَ النَّوَوِيّ، ووافقه عليه، ثم قال: « **وَلا يُقَال:** الْقَلْب وَإِنْ كَانَ لا يُدْرِك مَا يَتَعَلَّق بِالْعَيْنِ مِنْ رُؤْيَة الْفَجْر مَثَلا، لَكِنَّهُ يُدْرِك إِذَا كَانَ يَقْظَانًا مُرُور الْوَقْت الطَّوِيل، فَإِنَّ مِنْ اِبْتِدَاء طُلُوع الْفَجْر إِلَى أَنْ حَمِيَتْ الشَّمْس مُدَّة طَوِيلَة لا تَخْفَى عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَغْرِقًا؟ **لأَنَّا نَقُول:** يُحْتَمَل أَنْ يُقَال كَانَ قَلْبه إِذْ ذَاكَ مُسْتَغْرِقًا بِالْوَحْيِ، وَلا يَلْزَم مَعَ ذَلِكَ وَصْفُهُ بِالنَّوْمِ، كَمَا كَانَ يَسْتَغْرِق حَالَة إِلْقَاء الْوَحْي فِي الْيَقَظَة، وَتَكُون الْحِكْمَة فِي ذَلِكَ بَيَان التَّشْرِيع بِالْفِعْلِ؛ لأَنَّهُ أَوْقَع فِي النَّفْس كَمَا فِي قَضِيَّة سَهْوه فِي الصَّلاة. وَقَرِيب مِنْ هَذَا جَوَاب اِبْن الْمُنِير: أَنَّ الْقَلْب قَدْ يَحْصُل لَهُ السَّهْو فِي الْيَقَظَة لِمَصْلَحَةِ التَّشْرِيع، فَفِي النَّوْم بِطَرِيقِ الأَوْلَى، أَوْ عَلَى السَّوَاء.

وَقَدْ أُجِيب عَلَى أَصْل الإِشْكَال بِأَجْوِبَةٍ أُخْرَى ضَعِيفَة، **مِنْهَا** أَنَّ مَعْنَى قَوْله " لا يَنَام قَلْبِي " أَيْ لا يَخْفَى عَلَيْهِ حَالَة اِنْتِقَاض وُضُوئِهِ. **وَمِنْهَا:** أَنَّ مَعْنَاهُ لا يَسْتَغْرِق بِالنَّوْمِ حَتَّى يُوجَد مِنْهُ الْحَدَث. وَهَذَا قَرِيب مِنْ الَّذِي قَبْلَه. قَالَ اِبْن دَقِيق الْعِيد: كَأَنَّ قَائِل هَذَا أَرَادَ تَخْصِيص يَقَظَة الْقَلْب بِإِدْرَاكِ حَالَة الانْتِقَاض، وَذَلِكَ بَعِيدٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْله : " إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلا يَنَام قَلْبِي " خَرَجَ جَوَابًا عَنْ قَوْل عَائِشَة: أَتَنَامُ قَبْل أَنْ تُوتِرَ؟ وَهَذَا كَلام لا تَعَلُّق لَهُ بِانْتِقَاضِ الطَّهَارَة الَّذِي تَكَلَّمُوا فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ جَوَاب يَتَعَلَّق بِأَمْرِ الْوِتْر، فَتُحْمَلُ يَقَظَته عَلَى تَعَلُّق الْقَلْب بِالْيَقَظَةِ لِلْوِتْرِ، وَفَرَّقَ بَيْن مَنْ شَرَعَ فِي النَّوْم مُطْمَئِنّ الْقَلْب بِهِ، وَبَيْن مَنْ شَرَعَ فِيهِ

---

5 (?) المصدر نفسه، ص508 .

مُتَعَلِّقًا بِالْيَقَظَةِ. **قَالَ:** فَعَلَى هَذَا فَلا تَعَارُض وَلا إِشْكَال فِي حَدِيث النَّوْم حَتَّى طَلَعَتْ الشَّمْس؛ لأَنَّهُ يُحْمَل عَلَى أَنَّهُ اِطْمَأَنَّ فِي نَوْمه لِمَا أَوْجَبَهُ تَعَبُ السَّيْر، مُعْتَمِدًا عَلَى مَنْ وَكَّلَهُ بِكِلاءَةِ الْفَجْر. ا هـ، وَاللَّهُ أَعْلَم. وَمُحَصَّلُهُ: تَخْصِيصُ الْيَقَظَةِ الْمَفْهُومَة مِنْ قَوْله " وَلا يَنَام قَلْبِي " بِإِدْرَاكِهِ وَقْت الْوِتْر إِدْرَاكًا مَعْنَوِيًّا لِتَعَلُّقِهِ بِهِ، وَأَنَّ نَوْمه فِي حَدِيث الْبَاب كَانَ نَوْمًا مُسْتَغْرِقًا، وَيُؤَيِّدهُ قَوْل بِلال لَهُ " أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ " كَمَا فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة عِنْد مُسْلِم وَلَمْ يُنْكِر عَلَيْهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ نَوْم بِلال كَانَ مُسْتَغْرِقًا. وَقَدْ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ بِأَنَّ مَا قَالَهُ يَقْتَضِي اِعْتِبَار خُصُوص السَّبَب، وَأَجَابَ بِأَنَّهُ يُعْتَبَر إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ قَرِينَةٌ، وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ السِّيَاق، وَهُوَ هُنَا كَذَلِكَ. وَمِنْ **الأَجْوِبَة الضَّعِيفَة** أَيْضًا **قَوْل مَنْ قَالَ**: كَانَ قَلْبه يَقْظَانًا وَعَلِمَ بِخُرُوجِ الْوَقْت، لَكِنْ تَرَكَ إِعْلامهمْ بِذَلِكَ عَمْدًا لِمَصْلَحَةِ التَّشْرِيع. **وَقَوْل مَنْ قَالَ**: الْمُرَاد بِنَفْيِ النَّوْم عَنْ قَلْبه أَنَّهُ لا يَطْرَأ عَلَيْهِ أَضْغَاث أَحْلام كَمَا يَطْرَأ عَلَى غَيْره، بَلْ كُلّ مَا يَرَاهُ فِي نَوْمه حَقٌّ وَوَحْيٌ.

فَهَذِهِ عِدَّة أَجْوِبَة أَقْرَبهَا إِلَى الصَّوَاب الأَوَّل عَلَى الْوَجْه الَّذِي قَرَّرْنَاهُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ »[1].

وقد اتضح مما سبق حقيقتان هما:

الأولى: إثبات نوم عَينيَ النبيِّ ﷺ، على أنّ النوم حاجة وخصيصة للخلق (البشر وغيره)، وهو واحدٌ منهم، فكان ﷺ يعطِي عينَيه حقهما، وكان يُرشد الناس ويُعلِّمهم الهدي المرغوب سلُوكُه في هذا، بل جاء دينُنا الإسلامي -دين الحقوق، الذي لا دخل للرهبانية المبتدَعة فيه-، مُعطيًا ومرشدًا بأنّ للجسم والنفس على العبد حقًا، كما أنّ للربّ على العبد حقًّا، بل أرشدت الشرائع السماوية كلّها إلى أخذ قسط مِن نوم ساعات؛ تمنع مِن لحوق ضرر بالجسم، أو تفوِّت حقًّا، دون أنْ يصل إلى الاستيفاء منه، والكسل والخمول، وتفويت الحقوق الأخرى؛ لذا كَانَ داود ﷺ يَنَامُ نِصْفَ الليل، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ[2]، وقيامه هذا أحبّ القيام والصلاة إلى الله. كما جاء عن عَبْد اللَّهِ

[1] (?) فتح الباري، (ج1/ 686-687).

بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رضى الله عنهما-، قال: « كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ، وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي: "**أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟**". قُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلاَّ الْخَيْرَ. قَالَ: "**فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ**". قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "**فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**" قَالَ: "**فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ**". قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: "**كَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا**". قَالَ: "**وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**". قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ**". قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ**". قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلاَ تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**". قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ. قَالَ: وَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: " **إِنَّكَ لاَ تَدْرِى لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ** ». قَالَ فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ »(1).

وفي رواية له: " **فَلاَ تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لِعَيْنِكَ حَظًّا، وَلِنَفْسِكَ حَظًّا، وَلأَهْلِكَ حَظًّا. فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ، وَصُمْ مِنْ كُلِّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، وَلَكَ أَجْرُ تِسْعَةٍ** " الحديث. وفي أخرى له: "..**وَتَقُومُ اللَّيْلَ؛ وَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ لَهُ الْعَيْنُ وَنَهِكَتْ** ..(2).

---

2 (?) انظر: صحيح مسلم: الإحالة اللاحقة. وسنن أبي داود: كتاب الصيام، باب فِي صَوْمِ يَوْمٍ وَفِطْرِ يَوْمٍ، رقم: 2448.

1 (?) صحيح البخاري: في مواضع، منها: كتاب الأدب، باب حق الضيف، رقم: 6134. وصحيح مسلم: كتاب الصيام، باب النَّهْىِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ، أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا، ...، رقم: 1159 .

2 (?) الروايات بنفس الرقم والإحالة السابقة.

والحقيقة الثانية: هو ما له علاقة بعدم نوم قلبه، وهو ظاهر الأحاديث السابقة، وسبق طريق الجمع بينها وبين ما يظهر من التعارض بينها. وهذا له علاقة بكمال عبوديته في باب النوم الذي جُبِل الخلق عليه. وهذا يأتِي -في المطلب الثانِي- بسطُه.

المطلب الثاني: خصائص العبد الرسول محمد في باب نومه،
وعلاقة بعضها بكمال عبوديته لربه:

خصَّ الله تعالى عبدَه ورسولَه محمدًا بخصائص في باب النوم، دون أمته، وإليك بعضَها:

أولا: كان يأتـي العبدَ الرسول محمدًا الوحيُ بالإلهام أو في رؤياه وهو نائم، وهذا هو تفسير قوله (إلا وحيًا[1]) ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ [الشورى: ٥١].

وتقدم في حديث عمران قوله: « وَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقَظْ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ؛ لأَنَّا لا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي نَوْمِهِ »، وقد كانوا يفعلون ذلك لتوقع الإلهام والوحي الحديثِيِّ له فيه، قال النووي –رحمه الله-: « وَقَوْله: (وَكُنَّا لا نُوقِظ نَبِيّ اللَّه مِنْ مَنَامه إِذَا نَامَ حَتَّى يَسْتَيْقِظ) قَالَ الْعُلَمَاء: كَانُوا يَمْتَنِعُونَ مِنْ إِيقَاظه لِمَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ مِنْ الإِيحَاء إِلَيْهِ فِي الْمَنَام »[2].

ولئِنْ كانت الرؤيا الصالحة –وهي جزءٌ صغيرٌ من أجزاء النبوة، وباقية مع انقطاع النبوة بمحمد- عامةً للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأُمَمِهم المؤمنين لِيَروها لأنفسِهم، أو تُرى لهم، إلا أنّ الله تعالى خصّ عباده الأنبياء بأمره لهم في رؤياهم، فرأى إبراهيم أمر الله تعالى له بذبح ابنه في المنام، فسارع إلى الامتثال، وكان أول ما بُدئ برسول الله الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَعَن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، قَالَتْ: « **أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ**

---

1 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج4/ ص153)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص762.

2 (?) شرح النووي على صحيح مسلم: ص481، وانظر: فتح الباري لابن حجر، (ج1/ ص686).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[1] **مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ**[2]**، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ؛ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ** ..الحديث[3].

وقد جاء في الأثر مرفوعًا، وموقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما[4]، ومقطوعًا على عُبيد الله بن عمير[5] أنّ " **رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ في المنامِ وَحْيٌ** "[6]، وهذا الأثر يتوافق مع النصوص الشرعية الأخرى.

وكانت رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحيًا لأسبابٍ ذكرها العلماء –رحمهم الله-، وأبرزها: **أولا:** أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من أنْ يتمثل لهم الباطل في صورة الحق، ولم يجعل الله للشيطان عليهم سبيلا، كما أنّهم معصومون من أضغاث الأحلام. **ثانيًا:** عدم نوم

---

1 (?) الحديث من مراسيل الصحابة لكن له حكم الرفع، قال النووي –رحمه الله-: « هَذَا الْحَدِيث مِنْ مَرَاسِيل الصَّحَابَة ﷺ فَإِنَّ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا لَمْ تُدْرِك هَذِهِ الْقَضِيَّة فَتَكُون قَدْ سَمِعَتْهَا مِنْ النَّبِيّ ﷺ أَوْ مِنْ الصَّحَابِيّ . وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الْفُصُول أَنَّ مُرْسَل الصَّحَابِيّ حُجَّة عِنْد جَمِيع الْعُلَمَاء إِلا مَا اِنْفَرَدَ بِهِ الأُسْتَاذ أَبُو إِسْحَاق الإِسْفِرَايِنِيّ. وَاَللَّه أَعْلَم »، (المنهاج شرح صحيح مسلم، ص194).

2 (?) **فَلَق الصُّبْح**: قال النووي –رحمه الله-: « قَالَ أَهْل اللُّغَة فَلَق الصُّبْح وَفَرَق الصُّبْح بِفَتْحِ الْفَاء وَاللام وَالرَّاء هُوَ ضِيَاؤُهُ وَإِنَّمَا يُقَال هَذَا فِي الشَّيْء الْوَاضِح الْبَيِّن . قَالَ الْقَاضِي -رَحِمَهُ اللَّه- وَغَيْره مِنْ الْعُلَمَاء: إِنَّمَا اُبْتُدِئَ ﷺ بِالرُّؤْيَا لِئَلا يَفْجَأهُ الْمَلَك وَيَأْتِيه صَرِيح النُّبُوَّة بَغْتَة فَلا يَحْتَمِلهَا قُوَى الْبَشَرِيَّة فَبُدِئَ بِأَوَّلِ خِصَال النُّبُوَّة، وَتَبَاشِير الْكَرَامَة، مِنْ صِدْق الرُّؤْيَا، وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيث الآخَر مِنْ رُؤْيَة الضَّوْء، وَسَمَاع الصَّوْت، وَسَلام الْحَجَر وَالشَّجَر عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ »، المنهاج، المصدر نفسه.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، بابٌ (بدون ترجمة) في حديث طويل، رقم: 3، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: 160 .

4 (?) وقد أورده الترمذي بصيغة التمريض على إثر حديث رقم: 3689، في كتاب المناقب، باب مناقب عمر ﷺ.

5 (?) وسيأتي قريبًا ذكره على إثر حديث ابن عباس عندما بات عند خالته ميمونة.

6 (?) وجمع هذه الروايات ودرسها الباحث د. سهل العتيبي في: الرؤى عند أهل السنة والمخالفين، انظر:ص217-218.

قلوبهم[1]، وهذا قد تقدم. وهذه الرؤى منها ما يحتاج إلى تعبير، ومنها ما لا يحتاج إلى ذلك.

ومن أمثلة رؤيا عبد الله ورسوله نبينا محمد في النوم، رؤيته عائشة رضي الله عنها في سرقة حرير، وقد تقدم الحديث بذلك عند (ذكر عائشة رضي الله عنها).

ورؤيته عمر في قصره في الجنة، ورؤيته إياه يجُرّ قميصه الذي عبّره بالعلم والدين، في حين أنّ غيره منهم مَن كان قميصه في ثديه، ورؤيا عمرته هو وصحابته، قال تعالى: ﭽ ﭼ [الفتح: ٢٧]. إلى غير ذلك من رؤياه الكثيرة بأبِي هو!

ولم ينـزل شيءٌ من القرآن عن طريق الوحي منامًا[2].

ثانيًا: نوم هذا العبد مضطجعًا لا يكون سبَبَ انتقاضِ وضوئِه؛ وذلك لأنّ قلبه لا ينام، بخلاف غيره مِن أمته، فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « نِمْتُ عِنْدَ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيُّ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَلَى يَسَارِهِ، فَأَخَذَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَصَلَّى ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، ثُمَّ أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ » متفقٌ عليه، وفي لفظ لمسلم: " ... فصلى ثم اضطجع فنام حتى نفخ ثم أتاه بلال فآذنه بالصلاة فخرج فصلى الصبح ولم يتوضأ ". قال سفيان بنُ عُيَينة: « وهذا للنبي خاصة؛ لأنه بلغنا أن النبي تنام عيناه، ولا ينام قلبه » [3].

وعَنْه ، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَقَامَ النَّبِيُّ مِنْ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، قَامَ النَّبِيُّ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا، .. ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ

---

1 (?) انظر: كتاب الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، للدكتور سهل بن رفاع العتيبي 215 .

2 (?) انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، لأستاذ الدكتور فهد الرومي، ص195-196 .

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب إِذَا قَامَ الرَّجُلُ عَنْ يَسَارِ الإِمَامِ فَحَوَّلَهُ الإِمَامُ إِلَى يَمِينِهِ لَمْ تَفْسُدْ صَلاتُهُمَا، رقم:726، وصحيح مسلم: كتاب المسافرين وقصرها، بَاب الدُّعَاءِ فِي صَلاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، رقم: 763 .

اضْطَجَعَ؛ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ أَتَاهُ الْمُنَادِي فَآذَنَهُ بِالصَّلاةِ، فَقَامَ مَعَهُ إِلَى الصَّلاةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ. قُلْنَا لِعَمْرٍو: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ، وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ؟ قَالَ عَمْرو بْن دِينَار الْمَكِّيّ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ[1]، يَقُولُ: رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ قَرَأَ چ [الصافات: ١٠٢][2].

هذا فيه أنّ نومه ﷺ مُضْطَجِعًا وثِقله الذي يدل عليه نفخه لا يَنْقُض له الْوُضُوء؛ قال النووي: «هَذَا مِنْ خَصَائِصه ﷺ أَنَّ نَوْمه مُضْطَجِعًا لا يَنْقُض الْوُضُوء؛ لأَنَّ عَيْنَيْهِ تَنَامَانِ وَلا يَنَام قَلْبه، فَلَوْ خَرَجَ حَدَث لأَحَسَّ بِهِ بِخِلافِ غَيْره مِنْ النَّاس»[3].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَوْله: (فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأ) فِيهِ دَلِيل عَلَى أَنَّ النَّوْم لَيْسَ حَدَثًا بَلْ مَظِنَّة الْحَدَث؛ لأَنَّهُ ﷺ كَانَ تَنَام عَيْنه وَلا يَنَام قَلْبه، فَلَوْ أَحْدَثَ لَعَلِمَ بِذَلِكَ، وَلِهَذَا كَانَ رُبَّمَا تَوَضَّأَ إِذَا قَامَ مِنْ النَّوْم، وَرُبَّمَا لَمْ يَتَوَضَّأ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَإِنَّمَا مُنِعَ قَلْبه النَّوْم لِيَعِيَ الْوَحْي الَّذِي يَأْتِيه فِي مَنَامه »[4].

فهو ﷺ لما كانت عيناه تنامان، ولا ينام قلبُه كان لا ينتقض وضوؤه لأجل نومٍ نامه مضطجعًا، بخلاف غيره. هذا، ويدخل في فصل كمال عبودية الرسول ﷺ ما جعلـه الله عليه من يقـظة وإنْ كان نائمًا، وأعني به أنه ﷺ لا ينام قلبـُه، وإنما تنام عينـُه، فكان يأتيـه الوحي مِن الإلهام والرؤى التي فيها شرائع، وهذا وجهٌ يدخل في الفصل القادم (فصل كمال عبوديته ﷺ). والله تبارك وتعالى أعلم.

[1] عُبَيْد بْن عُمَيْر: مِنْ كِبَار التَّابِعِينَ، وَلأَبِيهِ عُمَيْر بْن قَتَادَة الليثي صُحْبَة، وعبيد مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر (انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، برقم: 4385، ص318).

[2] صحيح البخاري: كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، رقم: 138، وصحيح مسلم: كتاب المسافرين وقصرها، بَاب الدُّعَاءِ فِي صَلاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، رقم: 763 .

[3] المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص519.

[4] فتح الباري لابن حجر، (ج1/ 544) .

المطلب الثالث: الله الحيّ القيـوم سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم[5]:

تقدم أنّ الخلق ينامون، وهو من أدلة عجزهم وحاجتهم، وأما هذا المطلب فلبيان أنّ الخالق سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم، وما ذلك إلا لكمال حياته وقيوميته، قال تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ [البقرة: ٢٥٥].

وقد روى مسلم ـرحمه الله- في باب: في قوله ﷺ [2]: إِنَّ اللَّهَ لا يَنَامُ، وفي قوله: حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: « قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ؛ منها قوله: "**إِنَّ اللَّهَ لا يَنَامُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ،..**"[3].

قال النووي –رحمه الله- في شرح الحديث: «أَمَّا قَوْله ﷺ: **لا يَنَام، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَام** فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ سُبْحَانه وَتَعَالَى لا يَنَام، وَأَنَّهُ يَسْتَحِيل فِي حَقّه النَّوْم؛فَإِنَّ النَّوْم انْغِمَار وَغَلَبَة عَلَى الْعَقْل،يَسْقُط بِهِ الإِحْسَاس،وَاَللَّه تَعَالَى مُنَـزَّه عَنْ ذَلِكَ،وَهُوَ مُسْتَحِيل فِي حَقّه جَلَّ وَعَلا»[4].

فـالرب تعالى لا ينام ولا ينبغي له أنْ ينام؛ لكمال حياته وقيـوميته وديمومته، فهو سبحانه دائمٌ؛ فلو قُدّر أنْ ينام ويَغيب –تعالى الله عن ذلك وتقدس- لاحتاج إليه بعضُ خلقه وهو في نومه وغيابه، ولتعطلت مصالحهم، ولمثل هذا المعنى قال إبراهيم الخليل ﷺ في مناظرته لقومه عن عدم استحقاق الكواكب الألوهية؛ لغيابها ﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂ [الأنعام: ٧٦]. أي: فكيف أحب الآفل (الغائب المختفي) وأعبدُه؟ وقد تعترينِي حاجاتٌ ومصالح

---

5 (?) راجع عن قيومية الله تعالى وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم/الشريعة للآجري،تحت عنوان:باب الإيمان بأنّ الله ﷻ لا ينام، (أورد تحته آية وحديث الباب برواياته، بل وحتى الإسرائيليات، التي سيأتِي بعضها عند الحافظ ابن كثير، ص295-297).

2 (?) الأولى الجمع بين الصلاة والسلام على الرسول ﷺ امتثالا لقوله تعالى:

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، ورقمه: 179 .

4 (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص215 .

اضطرارية أو غيرها في وقت أفوله وغيابه واختفائه؟ أهل يمكن أنْ يكون مثل هذا معبودًا لو كنتم تعقلون[1]؟

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في ذكره للجمل العشرة المستقلة التي اشتملتها آية الكرسي وبيانها: « ﭸ ﮧ ﮨ ﭷ أي: الحي في نفسه الذي لا يموت أبدًا القيم لغيره وكان عمر يقرأ: "القَيَّام" فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غِنِيٌّ عنها ولا قوام لَها بدون أمره كقوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭼ [الروم: ٢٥]. وقوله: ﭽﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﭼ أي: لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم، فقوله: ﭽﮩ ﮪ ﭼ أي: لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال: ﭽﮬ ﮭﮮ ﭼ لأنه أقوى من السِّنَة. وفي الصحيح عن أبي موسى قال: .. -فذكر الحديث المتقدم ثم قال-: « وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَرٌ، أخبرِني الحكم بن أبان، عن عكرمة مولى ابن عباس، في قوله: ﭽﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﭼ أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله ؟ فأوحى الله إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثًا، فلا يتركوه ينام، ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما، ثم تركوه وحذَّروه أن يكسِرَهما. قال: فجعل يَنْعَس -وهما في يده في كل يد واحدة- قال: فجعل ينعس وينبه، وينعس وينبه، حتى نعس نعْسَةً، فضرب إحداهما بالأخرى فكسرهما. قال معمر: إنما هو مَثَلٌ ضرَبَه الله يقول: فكذلك السموات والأرض في يديه. وهكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق، فذكره. وهو من أخبار بني إسرائيل، وهو مما يعلم أن موسى لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله ، وأَنَّه منـزَّهٌ عنه. وأغرب من هذا كله الحديث الذي رواه ابن جرير: ..- فأورده بسنده- عن عكرمة، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله يَحكي عن موسى على المنبر، قال: "وقع في نفس موسى: هل ينام الله؟

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ ص205)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص262.

فأرسل الله إليه ملكًا فأرَّقه ثلاثًا، ثم أعطاه قارورتين؛ في كلّ يد قارورة، وأمَرَه أن يَحتفظ بهما ". قال: "فجعل ينام تكاد يداه تلتقيان فيستيقظ، فيحبس إحداهما على الأخرى، حتى نام نومة، فاصطفقت يداه، فانكسرت القارورتان " قال: "ضرب الله له مثلا : أن الله لو كان ينام لَم تستمسك السماء والأرض". وهذا حديث غريب جدًّا، والأظهر أنه إسرائيليٌّ، لا مرفوع، والله أعلم...وأنزل الله على نبيه آية الكرسي»[1].

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله-: « وقوله: ﭽ ﮪ ﭼ هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالةَ مطابقة وتضمُّنًا ولُزُومًا، فـﭽ ﮪ ﭼ من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك. وﭽ ﮪ ﭼ: هو الذي قام بنفسه، وقام بغيره[2]، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها ربُّ العالمين مِن فعله ما يشاء من الاستواء والنـزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كلّ ذلك داخلٌ في قيومية الباري. ولهذا قال بعض المحققين: إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ومن تَمام حياته وقيوميته أن ﭽﮪ ﮪ ﮪ   ﭼ والسنة: النعاس »[3].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في جملة أمور متصلة ومنفصلة نـزّه الله نفسه عنها:

وكذلك التنـزيه عن موت، وعن نوم، وعن سِنَةٍ، وعن غِشْيَـان[4].

وقال أيضًا:

---

[1] تفسير القرآن العظيم، (ج1/ ص403).

[2] الأوضح والصواب أن يُقال: (وأقام غيره)، وقد رجَعْتُ إلى النسخة التي نشَرَتْها مطبعة السعيدية بالرياض، والتي طُبِعَتْ بالقاهرة بمطابع الدجوي، سنة: 1976، في ثمان مجلدات، فرأيتُ أنّ السياق هناك أسَدُّ، حيث جاء فيه: « والقيوم تدخل فيه جميع صفات الأفعال؛ لأنّه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات؛ فأوجدها، وأبقاها، وأمدّها بجميع ما تحتاجه إليه في وجودها وبقائها ». (ج1/ص 313).

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص110 .

والنوم، والسنة التي هي وعزوب شيء عنه في أصلُـه الأكوان[5].

فتقرر بكُلّ ما سبق: أنّ الله تعالى حيٌّ كامل الحيَاة، وقيُّومٌ؛ قام بنفسه وأقام غيرَه مِن خلقه، وأنّ مِن تمام ذلك وكماله: أنّه لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ، وهذا بخلاف خلقه العجزة النقَصَة الذين ما قاموا إلا بإقامته سبحانه لَهم. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

4 ([?]) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم، (بيت رقم: 1592، ص96).

5 ([?]) الكافية الشافية لابن القيم، (بيت رقم: 3209، ص174).

المبحث الثامن: أنَّه يغضب كما يغضب البشر:وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالغضب.

المطلب الأول: العبد الرسول يغضب كما يغضب غَيرُه مِن البشر.

المطلب الثاني: خصائص العبد الرسول محمد في غضبه.

التمهيد: التعريف بالغضب:

الغَضَب هو إحدى العوارض والحالات البشرية التي تعتري الإنسان لسبب أو لآخر لتغيِّر عقله وتمنعه كمال التصور والقصد، فالغضبان بِمنـزلة الذي فيه نوعٌ من السُّكر والجنون، لا هو غائب العقل بالكلية؛ بحيث إنه يفهم ما يقول، ولا حاضر العقل ليكون قصده معتبرًا، ويكون شديدًا فيُلقَّب بالإغلاق، أو خفيفًا أو متوسِّطًا، وعلى كلٍّ فهو حالة لا تدوم، والغَضَبَ البشري جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ؛ لذا كان يحمرُّ عين الغاضب، وينتفخ أوداجُه، وغضب البشر هو « غليانُ دم القلب طلبًا لدفع الْمُؤْذي عندَ خشية وقوعه، أو طلَـبًا للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعدَ وقوعه »[1]، وقيل: « تغَـيُّرٌ يَحصل عند غلَيَان دَمِ القلب ليحصل عنه التشفي في الصدر »[2]، والغَضَب منه ممدوح، والمؤمن يغضب لله تعالى إذا عُصِي، وكثيرٌ من الغَضَبِ مذمومٌ. وله مسكِّنات حسِّية ومعنوية وعلاج، وهذا الكثير جِماعُ الشرِّ، والتحرُّز منه جماعُ الخير؛ لذا أكّد الرسول الوصية به ثلاثًا. والناس في الغضب متفاوتون تفاوُتًا عظيمًا؛ فمِنهم مَن يكون سَرِيع الغَضَبِ والفَيء، ومنهم عكسه، ومنهم سَرِيع الغَضَبِ، بَطِيء الفَيْءِ ، ومنهم عكسه. وهذا المعنَى جاء فيه حديث متكلّم فيه، بل وُجد مِن الناس مَن إذا لم يُنفِّذ غضبَه قتله غضبُه، أو مرض أو غُشِي عليه[3].

---

1 (?) عرّفه به ابن رجب الحنبلي –رحمه الله- في شرح الحديث السادس عشر من جامع العلوم والحِكَم.

2 (?) قاله الجرجانِيُّ في كتابه التعريفات، ص240 (مادة الغضب).

3 (?) انظر: إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان لابن قيم الجوزية، (الرسالة الثالثة ضمن مجموع الرسائل، بتحقيق: عبد الرحمن بن

المطلب الأول: العبد الرسول ﷺ يغضب كما يغضب غَيرُه مِن البشر[1]:

هذا المعنى المعقود في العنوان جزءٌ من حديث رسول الله ﷺ، وقد رواه بلفظه ثلاثة مِن الصحابة؛ هم عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو هريرة، وأنس بْنِ مَالِكٍ ﷺ .

فأولا: حديث أنس ﷺ، حيث قَالَ فيه: « كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ[2]، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ فَقَالَ: آنْتِ هِيَهْ لَقَدْ كَبِرْتِ -لا كَبِرَ سِنُّكِ!- فَرَجَعَتْ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ؟ قَالَتْ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَنْ لا يَكْبَرَ سِنِّي فَالآنَ لا يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا، أَوْ قَالَتْ قَرْنِي. فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟** " فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ: " **وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟** " قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لا يَكْبَرَ سِنُّهَا وَلا يَكْبَرَ قَرْنُهَا. قَالَ: -فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: " **يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي؛ أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي، فَقُلْتُ**: **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ؛ فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً؛ يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** "[3].

وقد جاء عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها مثله، ولفظه: « دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لا أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَغْضَبَاهُ فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ

حسن بن قائد)، ص14، وص37، و41، وص46، وص48، وشرح حديث " لا تغضب" من جامع العلوم والحكم لابن رجب، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، (ج11/ 5076-5097) قسم الصفات المذمومة.

[1] (?) انظر: إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان لابن القيم، ص62-63 .

[2] (?) قال أبو معن -أحدُ مَن روى عنهما الحديث مسلمٌ مقرونًا-: « (**يُتَيِّمَةٌ**) بِالتَّصْغِيرِ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلاثَةِ مِنْ الْحَدِيثِ ».

[3] (?) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَاب مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ سَبَّهُ أَوْ دَعَا عَلَيْهِ وَلَيْسَ هُوَ أَهْلا لِذَلِكَ، كَانَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا وَرَحْمَةً، ورقمه: 2603 .

اللَّهِ مَنْ أَصَابَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: **"وَمَا ذَاكِ؟"** قَالَتْ:قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا! قَالَ:**"أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي!قُلْتُ:اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ؛فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ،أَوْ سَبَبْتُهُ؛فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا**"، رواه مسلم[1]. وفي رواية عنده: فَخَلَوَا بِهِ فَسَبَّهُمَا وَلَعَنَهُمَا وَأَخْرَجَهُمَا.

ثانيًا: وأما حديث أَبي هُرَيْرَةَ فهو مثل الحديث السابق، حيث قال فيه : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، يَقُولُ: " **اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ؛ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ؛ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً؛ تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** "[2].

قال النووي –رحمه الله- بعدما أورد أحاديث الباب مزيلا ما قد يُستشكل مع الأدلة التي تدل على أنّه لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا[3]: « وَهَذِهِ الرِّوَايَة الْمَذْكُورَة آخِرًا تُبَيِّن الْمُرَاد بِبَاقِي الرِّوَايَات الْمُطْلَقَة، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُون دُعَاؤُهُ عَلَيْهِ رَحْمَة وَكَفَّارَة وَزَكَاة وَنَحْو ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَهْلا لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ، وَالسَّبّ وَاللَّعْن وَنَحْوه، وَكَانَ مُسْلِمًا، وَإِلا فَقَدْ دَعَا عَلَى الْكُفَّار وَالْمُنَافِقِينَ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُمْ رَحْمَة. **فَإِنْ قِيلَ:** كَيْف يَدْعُو عَلَى مَنْ لَيْسَ هُوَ بِأَهْلِ الدُّعَاء عَلَيْهِ أَوْ يَسُبّهُ، أَوْ يَلْعَنهُ وَنَحْو ذَلِكَ؟ فَالْجَوَاب: مَا أَجَابَ بِهِ الْعُلَمَاء، وَمُخْتَصَره **وَجْهَانِ: أَحَدهمَا:** أَنَّ الْمُرَاد لَيْسَ بِأَهْلٍ لِذَلِكَ عِنْد اللَّه تَعَالَى، وَفِي بَاطِن الأَمْر، وَلَكِنَّهُ فِي الظَّاهِر مُسْتَوْجِب لَهُ، فَيَظْهَر لَهُ اِسْتِحْقَاقه لِذَلِكَ بِأَمَارَةٍ شَرْعِيَّة، وَيَكُون فِي بَاطِن الأَمْر لَيْسَ أَهْلا لِذَلِكَ، وَهُوَ مَأْمُور بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَاللَّه يَتَوَلَّى السَّرَائِر.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ سَبّه وَدُعَائِهِ وَنَحْوه لَيْسَ بِمَقْصُودٍ، بَلْ هُوَ مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَة الْعَرَب فِي وَصْل

---

[1] صحيح مسلم: الكتاب والباب، ورقمه: 2600 .

[2] صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2601.

[3] صحيح البخاري: من حديث عبد الله بن عمرو ، كتاب المناقب، باب صِفَةِ النَّبِيِّ ، رقم: 3559، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب كَثْرَةِ حَيَائِهِ ، رقم: 2321 .

كَلامِهَا بِلا نِيَّة، كَقَوْلِهِ: " **تَرِبَتْ يَمِينك**"[1]، " **عَقْرَى حَلْقَى** "[2]، وَفِي هَذَا الْحَدِيث: " **لا كَبِرَتْ سِنّك** " وَفِي حَدِيث مُعَاوِيَة: " **لا أَشْبَعَ اللَّه بَطْنك** "[3] وَنَحْو ذَلِكَ، لا يَقْصِدُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَقِيقَة الدُّعَاء، فَخَافَ ﷺ أَنْ يُصَادِف شَيْء مِنْ ذَلِكَ إِجَابَة، فَسَأَلَ رَبّه سُبْحَانه وَتَعَالَى وَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَجْعَل ذَلِكَ رَحْمَة وَكَفَّارَة، وَقُرْبَة وَطَهُورًا وَأَجْرًا. وَإِنَّمَا كَانَ يَقَع هَذَا مِنْهُ فِي النَّادِر وَالشَّاذّ مِنْ الأَزْمَان، وَلَمْ يَكُنْ ﷺ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا[4] وَلا لَعَّانًا[5] وَلا مُنْتَقِمًا لِنَفْسِه[6]، وَقَدْ سَبَقَ فِي هَذَا الْحَدِيث أَنَّهُمْ قَالُوا: اُدْعُ عَلَى دَوْس، فَقَالَ: " **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا** " [7]، وَقَالَ: " **اللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** "[8]، وَاَللَّه أَعْلَم. »[9].

ولعل التوجيه الأول أسدّ وأوفق؛ فقد جاء في حديث أنسٍ –كما تقدم- ما يدلّ على أنّ الذي دعا الرسول ﷺ

---

1 (?) قاله النبي ﷺ في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والحديث بذلك في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: كتاب الرضاع، باب تَحْرِيمِ الرَّضَاعَةِ مِنْ مَاءِ الْفَحْلِ، إثر حديث برقم: 1445.

2 (?) قاله النبي ﷺ في أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، والحديث بذلك في صحيح البخاري: كتاب الحج، باب التمتع والإقران والإفراد بالحج، وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي، رقم: 1561، وصحيح مسلم من حديث عائشة، كتاب الحج، باب بَيَانِ وُجُوهِ الإِحْرَام...، إثر حديث برقم: 1211 .

3 (?) قاله النبي ﷺ في خال المؤمنين معاوية ﷺ، والحديث بذلك في صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَاب مَنْ لَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ سَبَّهُ أَوْ دَعَا عَلَيْهِ وَلَيْسَ هُوَ أَهْلا لِذَلِكَ، كَانَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا وَرَحْمَةً، رقم: 2604.

4 (?) سبق تخريج الحديث قريبًا.

5 (?) إشارة إلى حديث أنس ﷺ في صحيح البخاري:ك:الآداب،باب لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا،رقم: 6031.

6 (?) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالاِنْتِقَامِ لِحُرُمَاتِ اللهِ، رقم: 6786، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلآثَامِ، وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ، وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِه، رقم: 2327.

7 (?) سيأتي تخريجه.

8 (?) إشارة إلى حديث ابن مسعود ﷺ في صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب (بدون ترجمة)، رقم: 3477، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غَزْوَةِ أُحُد، رقم: 1792 .

9 (?) النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص 1550.

عليه وليس أهلا به في نفس الأمر، هو الذي يرجو الله أنْ يجعل ذلك له زكاة وطُهرًا، والله تعالى أعلم.

ثالثًا: وأما حديث عبد الله بن عمرو ، فهو فيما قالت قريش تعاتبه عليه، قالت: « تكتب عن رسول الله وإنما هو بشر؛ يغضب كما يغضب البشر، فأتيت رسول الله ، فقلت: يا رسول الله! إنّ قريشًا، تقول: تكتب عن رسول الله ؛ وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر، قال: فأومأ إلى شفتيه، فقال: "**والذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلا حق؛ فاكتب**"[1].

والرسول لم يُنكر على ما حُكي لقريش من قولها فيه، ولو كان باطلا لَما أقرّهم عليه.

وعَنْه أيضًا، قَالَ: « كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ؛ وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ: "**اكْتُبْ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا خَرَجَ مِنْهُ إلا حَقٌّ**" وفي المستدرك: " وأشار بيده إلى فيه "[2].

ويشهد للحديث متابعة: ما جاء في المسند عَنْه ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكْتُبُ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ؟ قَالَ: " **نَعَمْ** " قُلْتُ: فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ؟ قَالَ: " **نَعَمْ؛ فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ إلا حَقًّا** "[3].

وهذا مِن إجابة الله لرسوله دعاءه حيث سأله أنْ يرزقه "**كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ**"[4].

---

[1] (?) المستدرك للحاكم: كتاب العلم، 357، وقال الحاكم مصحِّح الحديث: « « هذا حديث صحيح الإسناد أصل في نسخ الحديث، عن رسول الله ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي على التصحيح.

[2] (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 6802، وصححه الشيخ شعيبٌ ومساعدوه .

[3] (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 6635، والمستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، ورقمه: 330، ويشهد للحديث ما في الصحيحين مِن حديث أبي هريرة مِن أنّه « ليس أحد من أصحاب النبي أكثر حديثًا مني إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب، وكنت لا أكتب »الحديث.

[4] (?) سنن النسائي: كتاب السهو، نوع آخر (بدون ترجمة، وقبله ب6 تراجم: الذكر بعد التشهد)، رقم: 1305، وقال الشيخ الألباني: « صحيح ».

فالأحاديث تدل على أنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا بشرٌ مِن البشر؛ يعتريه ما يعتري أفراد جنسه، فيغضب كما يغضبون، وأنّ السب واللعن والجلد والأذية والدعاء على غير مستحقه التي جاءت في الأحاديث الثلاثة الأولى مِن أثار الغضب ومسبباته، قال النووي –رحمه الله-: « قَوْله : "**أَغْضَب كَمَا يَغْضَب الْبَشَر** " فَقَدْ يُقَال: ظَاهِره أَنَّ السَّبّ وَنَحْوه كَانَ بِسَبَبِ الْغَضَب، وَجَوَابه: مَا ذَكَرَهُ الْمَازِرِيُّ، قَالَ: يَحْتَمِل أَنَّهُ أَرَادَ أَيْ: دُعَاءَهُ وَسَبَّهُ وَجَلْده كَانَ مِمَّا يُخَيَّر فِيهِ بَيْن **أَمْرَيْنِ**: **أَحَدهمَا** هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ، **وَالثَّانِي:** زَجْره بِأَمْرٍ آخَر، فَحَمَلَهُ الْغَضَب لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى أَحَد الأَمْرَيْنِ الْمُتَخَيَّر فِيهمَا، وَهُوَ سَبّه أَوْ لَعْنه وَجَلْده وَنَحْو ذَلِكَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ خَارِجًا عَنْ حُكْم الشَّرْع، وَاَللَّه أَعْلَم »[1]. هكذا قال!

ثم بعد تقرير أنه يغضب كما يغضب البشَر، يَحسُن هنا أنْ أورد بعض النماذج لغضبه عليه الصلاة والسلام، فأقول:

<u>مِن نماذج غَضَبِه </u>:

أولا: جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ما يدل على أنه غضب لما تأخر الصحابة عن امتثال أمره، حيث قَالَتْ: « قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ لأرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ خَمْسٍ، <u>**فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضْبَانُ**، فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ</u>! قَالَ: " **أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ؛ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ، .. وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ مَعِي، حَتَّى أَشْتَرِيَهُ ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا** " [2].

ولفظ ابن ماجة عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ: « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ فَأَحْرَمْنَا بِالْحَجِّ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ، قَالَ: " اجْعَلُوا حِجَّتَكُمْ عُمْرَةً " فَقَالَ النَّاسُ: يَا

---

1 (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص1551 .

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الحج، بَاب بَيَانِ وُجُوهِ الإِحْرَامِ، ... على إثر حديث برقم: 1211.

رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ أَحْرَمْنَا بِالْحَجِّ فَكَيْفَ نَجْعَلُهَا عُمْرَةً؟ قَالَ: انْظُرُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ، فَافْعَلُوا، فَرَدُّوا عَلَيْهِ الْقَوْلَ؛ فَغَضِبَ، فَانْطَلَقَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ غَضْبَانَ، فَرَأَتْ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ: مَنْ أَغْضَبَكَ أَغْضَبَهُ اللَّهُ! قَالَ: " **وَمَا لِي لا أَغْضَبُ، وَأَنَا آمُرُ أَمْرًا فَلا أُتْبَعُ!** "[1].

ثانيًا: ومثله ما حصل له ﷺ لما أمر أصحابه بالنحر والحلق يوم الحديبية، وتأخَّر امتثالهم...فدخل على زوجه أم سلمة رضي الله عنها مغضبًا ... في حديث طويل جدًّا، والقصة مشهورة، وفيها: « فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: " **قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا** " قَالَ: فَوَ اللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ، ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ؛ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ، فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا»[2].

ثالثًا: وقد سبق قول فاطمة رضي الله عنها لوالدها بشأن هَمِّ زوجها عليٍّ ﷺ للزواج من ابنة أبي جهل، « يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ »، وإجابة الرسول ﷺ بقوله: " **فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي** "[3]، القصة.

---

[1] سنن ابن ماجه: كتاب المناسك، بَاب فَسْخِ الْحَجِّ، رقم: 2982، ومسند الإمام أحمد، وفي سنده أبو إسحاق عمرو بن عبد الله المختلط في آخر عمره (انظر: مصباح الزجاجة للبوصيري، ج2/ ص 1126)، لكنْ القصة ثابتة بما أوردته في صحيح مسلم قبل.

[2] صحيح البخاري: كتاب الشروط، بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، رقم: 2731 و2732. وانظر: تعليق شيخ الإسلام على هذه المخالفة التي حصلت من قبل الصحابة ﷺ بعدما أمرهم بالأمر الجازم (بالنحر والحلق) الذي يجب طاعته فيه فورًا (منهاج السنة/ ج8، ص414).

[3] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلام، رقم: 3767.

رابعًا: جاء عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ : "**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**"، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: "**يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**" ثَلاثًا. ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ: أَثَّمَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لا. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ .. الحديث[1].

خامسًا: ولَمّا طَلَّقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ وذَكَرَ عُمَرُ لِلنَّبِيِّ ذلك، تَغَيَّظَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: "**لِيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهُرَ؛ فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا**" [2].

سادسًا: وعَنْ عَائِشَة رضي الله عنها، قَالَتْ: رَخَّصَ رسول الله فِي أمرٍ، فَتَنَـزَّهَ عَنْهُ ناسٌ من الناس، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ فَغَضبَ حتى بَانَ الغَضبُ في وجهه، ثُمَّ قَالَ: "**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يرغَبون عما رُخّص لي فيه**[3]**، فَوَ اللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**"[4].

سابعًا: وقد شقَّ عليه قول مَن زعم أنه يتعصَّب لقومه في القسمة، وتَغيَّر وجهُه، وغَضِبَ، فعن عَبْد اللَّهِ ،

---

[1] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : "**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا**"، رقم: 3661 .

[2] صحيح البخاري: كتاب الأحكام، بَاب هَلْ يَقْضِي الْقَاضِي أَوْ يُفْتِي وَهُوَ غَضْبَانُ، رقم: 7160، وصحيح مسلم: كتاب الطلاق، بَاب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، رقم:1471.

[3] استنتج الحافظ ابن حجر –رحمه الله- من مجموع روايات ذكرها أنّ الشيء الذي رُخص للرسول وتنزه عنه قومٌ هو ما يؤول إلى التشديد على النفس بترك منهجه الذي هو الاعتدال في الأمور؛ بإعطاء كلٍّ من النفس والعبادة حقه (انظر: الفتح، ج3/ 4311) .

[4] صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب مَنْ لَمْ يُوَاجِهْ النَّاسَ بِالْعِتَابِ، رقم: 6101، وصحيح مسلم: واللفظ له، كتاب الفضائل، باب علمه بالله تعالى، وشدة خشيته، وهو على إثر حديث برقم: 2356 .

قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: " **يَرْحَمُ اللَّهَ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا، فَصَبَرَ** "[1].

ثامنًا: ولَما رأى ما يكرهه الله من صُورٍ في بيته، غَضِبَ لذلك، وقال فيه ولم يَسْكُتْ، بل وهتكه، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ وَفِي الْبَيْتِ قِرَامٌ[2] فِيهِ صُوَرٌ فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ وَقَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ : " **إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ** "[3].

تاسعًا: ولَمّا رأى النُّخامَةَ في قبلة المسجد، تَغَيَّظ وحكَّها، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: « بَيْنَا النَّبِيُّ يُصَلِّي؛ رَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً، فَحَكَّهَا بِيَدِهِ، فَتَغَيَّظَ ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّ اللَّهَ حِيَالَ وَجْهِهِ، فَلا يَتَنَخَّمَنَّ حِيَالَ وَجْهِهِ فِي الصَّلاةِ** "[4].

عاشرًا: وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي وَاللَّهِ لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فِيهَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ قَطُّ، أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ؛ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُوجِزْ؛فَإِنَّ فِيهِمْ الْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ،وَذَا الْحَاجَةِ** "[5].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب الصَّبْرِ عَلَى الأَذَى، رقم: 6100، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: 1062، واللفظ للبخاري.

[2] **القرام** -بكسر القاف-: سِتر فيه رَقش ونقوشٌ، (انظر: الصحاح للجوهري، مادة قرم، ص855، والمنهاج للنووي، ص1331) .

[3] صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ الْغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لأَمْرِ اللَّهِ، رقم: 6109، وصحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، .. على إثر حديث برقم: 2107 .

[4] صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 6111، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن النخامة في المسجد في الصلاة وغيرها، رقم: 547 .

وفي لفظ مسلم: فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ.

قال النووي: « فِيهِ الْغَضَب لِمَا يُنْكَر مِنْ أُمُور الدِّين، وَالْغَضَب فِي الْمَوْعِظَة »[1].

حادي عشر: وقد كان يشتد غضبُه، وتَحمرّ عيناه، ويعلو صوته، إذا خطب كأنّه منذر جيش[2].

ثاني عشر: ومنها ما جاء عن الزُّبَيْرِ أَنَّه كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ خَاصَمَ رَجُلا مِنْ الأَنْصَارِ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي شِرَاجٍ مِنْ الْحَرَّةِ[3] كَانَا يَسْقِيَانِ بِهِ كِلاهُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِلزُّبَيْرِ: " **اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَى جَارِكَ** " فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أنْ كَانَ[4] ابْنَ عَمَّتِكَ! فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ، ثم قَالَ: " **اسْقِ ثُمَّ احْبِسْ حَتَّى يَبْلُغَ الْجَدْرَ**[5] " فَاسْتَوْعَى رَسُولُ اللَّهِ حِينَئِذٍ حَقَّهُ لِلزُّبَيْرِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ ذَلِكَ أَشَارَ عَلَى الزُّبَيْرِ بِرَأْيٍ سَعَةٍ لَهُ وَلِلأَنْصَارِيِّ، **فَلَمَّا أَحْفَظَ الأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللَّهِ اسْتَوْعَى**[6] **لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ، فِي صَرِيحِ الْحُكْمِ**. قَالَ

---

5 (?) صحيح البخاري: كتاب الأحكام، بَاب هَلْ يَقْضِي الْقَاضِي أَوْ يُفْتِي وَهُوَ غَضْبَانُ، رقم: 7159، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، بَاب أَمْرِ الأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلاةِ فِي تَمَامٍ، رقم: 466.

1 (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص379 .

2 (?) الحديث في صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، عن ابن مسعود ، رقم: 867 .

3 (?) **شِرَاج الْحَرَّة**: بِكَسْرِ الشِّين وَبِالْجِيمِ، هِيَ مَسَايِل الْمَاء، وَاحِدهَا شَرْجَة. وَالْحَرَّة هِيَ الأَرْض الْمُلْسَة، فِيهَا حِجَارَة سُود (انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص1442).

4 (?) هذا شبيه قوله تعالى: ﭽ   ﭼ [القلم: ١٤].

5 (?) **الْجَدْر**: بِفَتْحِ الْجِيم وَكَسْرهَا، وَبِالدَّالِ الْمُهْمَلَة، وَهُوَ الْجِدَار، وَجَمْعُ الْجِدَار جُدُر، كَكِتَابٍ وَكُتُب، وَجَمْع الْجُدُر: جُدُور، كَفَلْسٍ وَفُلُوس. وَمَعْنَى (**يَرْجِعُ إِلَى الْجَدْر**): أَيْ: يَصِير إِلَيْهِ، وَالْمُرَاد بِالْجَدْرِ أَصْل الْحَائِط. وَقَدَّرَهُ الْعُلَمَاء أَنْ يَرْتَفِعَ الْمَاءُ فِي الأَرْض كُلّهَا حَتَّى يَبْتَلَّ كَعْب رِجْل الإِنْسَان. فَلِصَاحِبِ الأَرْض الأُولَى الَّتِي تَلِي الْمَاء أَنْ يَحْبِسَ الْمَاء فِي الأَرْض إِلَى هَذَا الْحَدّ، ثُمَّ يُرْسِلَهُ إِلَى جَاره الَّذِي وَرَاءَهُ (انظر: المنهاج للنووي، ص1442-1443).

6 (?) **اسْتَوْعَى**: أَيْ اِسْتَوْفَى ، وَهُوَ مِنْ الْوَعْي كَأَنَّهُ جَمَعَهُ لَهُ فِي وِعَائِهِ. (انظر: الفتح، مصدرٌ لاحق).

عُرْوَةُ: قَالَ الزُّبَيْرُ –وَاللَّهِ-: « مَا أَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ إِلا فِي ذَلِكَ[1] ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ الآيَةَ[2].

قول عروة في الحديث: « **فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** »، وقوله فيه: « **أَحْفَظَ الأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ** »، أي: أغضبَه. وما جاء في رواية: **(حتى عرفنا أنْ قد ساءَه ما قال)**، كلّ هذه لَتَدل على أنه ﷺ تَغَيَّرَ مِنْ الْغَضَب لانْتَهَاك حُرُمَات النُّبُوَّة، وَقُبْح كَلام هَذَا الإِنْسَان»[3].

قال النووي –رحمه الله-: « قَالَ الْعُلَمَاء: وَلَوْ صَدَرَ مِثْل هَذَا الْكَلام الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْصَارِيّ الْيَوْم مِنْ إِنْسَان، مِنْ نِسْبَتِهِ ﷺ إِلَى هَوًى كَانَ كُفْرًا، وَجَرَتْ عَلَى قَائِله أَحْكَام الْمُرْتَدِّينَ، فَيَجِبُ قَتْلُهُ بِشَرْطِهِ. قَالُوا: وَإِنَّمَا تَرَكَهُ النَّبِيّ ﷺ لأَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّل الإِسْلام يَتَأَلَّفُ النَّاس، وَيَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَى الْمُنَافِقِينَ، وَمَنْ فِي قَلْبه مَرَض، وَيَقُول: " **يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا** "[4] وَيَقُولُ: " **لا يَتَحَدَّث النَّاس أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابه** "[5] وَقَدْ قَالَ اللَّه تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ [المائدة: ١٣]. قَالَ الْقَاضِي: وَحَكَى الدَّاوُدِيّ أَنَّ هَذَا الرَّجُل الَّذِي خَاصَمَ الزُّبَيْر كَانَ مُنَافِقًا،وَقَوْله فِي الْحَدِيث

---

1 ([?]) يذكر العلماء أسباب نزول للآية غير هذا، ويجوز أن تكون نزلت في الجميع (انظر: النووي، مصدر سابق).

2 ([?]) صحيح البخاري: كتاب الصلح، بَاب إِذَا أَشَارَ الإِمَامُ بِالصُّلْحِ فَأَبَى حَكَمَ عَلَيْهِ بِالْحُكْمِ الْبَيِّنِ، رقم: 2708، كتاب التفسير، وبَاب ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ رقم: 4585، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه ﷺ، رقم: 2357.

3 ([?]) انظر: المنهاج للنووي، مصدر سابق.

4 ([?]) الحديث في الصحيحين عن أنس ﷺ (صحيح البخاري: كتاب العلم، بَاب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لا يَنْفِرُوا، رقم: 69، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم: 1734. وشاهده من حديث أبي موسى ﷺ في صحيح مسلم برقم: 1732).

5 ([?]) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، ورقمه: 3518، وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، على إثر حديث برقم: 2584 .

إِنَّهُ أَنْصَارِيّ لا يُخَالِفُ هَذَا،لأَنَّهُ كَانَ مِنْ قَبِيلَتهمْ،لا مِنْ الأَنْصَار الْمُسْلِمِينَ»[1].

فهذا اثنا عشر نموذجًا من غضبه ، وأغلبها -كما رأيتَ- من جنس الغضب في ذات الله ، لا لنفسه بأبِي هو وأمِّي ونفسي، ومِن الغضب ما هو عبادة، كما تقدم بعض نماذج ذلك. فصلوات ربِّي وسلامه وبركاته عليه وآله وصحبه [2].

وما تقدم في هذه الأحاديث هو العقيدة الصحيحة فيه ، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، خلافًا لعقيدة الغلاة فيه المؤولين لمثل هذه النصوص، فيؤول أمرُهم إلى تكذيبه في أخباره، عياذًا بالله.

وأيضًا يُقال: هذه الصفة (الغضب) ليسَتْ من خصائص البشر فحسْب، بل الله العظيم سبحانه وتعالى يغضَب وليس لغضبه مثيلٌ. جعلنا الله من عباده الصالحين الذين لا يغضَب عليهم ولا يسخط عليهم أبدًا، آمين!

المطلب الثاني: ذكرُ خصائص العبد الرسول محمد في غضبه:

أما عن خصوصية عبد الله ورسوله نبينا محمد في باب الغضب، فألَخِّصه في الآتِي:

المسألة الأولى: الغضب في غير الله تعالى من نزغ الشيطان، كما أن نسيان الخير من الشيطان، فهو يُغضبه ليحمله بغضبه على فعل ما يُحبّه الشيطان[3] فلذا أُمِر الغضبان -ضمن الأسباب التي أُمر بتعاطيها لتسكين غضبه ودفعه- أنْ يقول: أعوذُ بالله من الشَّيطان الرجيم[4]، والرسول محفوظٌ من الشيطان حيث أُخرج

---

1 (?) النووي، مصدر سابق، ص1443.

2 (?) انظر: موسوعة نضرة النعيم من مكارم أخلاق الرسول الكريم، (ج 11/ ص5079) .

3 (?) انظر: إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان لابن القيم، ص37 .

4 (?) جاء الحديث بذلك في الصحيحين، (البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ورقمه: 6048، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، 2610)، وانظر شرحه في: شرح صحيح مسلم للنووي، (ص1555، والفتح لابن حجر، ج3/ 4279-4280).

حظّه منه؛ وأعانه الله عليه فأسلَم -كما سيأتِي-، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في ردّ طعن الرافضي على أبِي بكر قوله: (إنّ الشيطان يعتريه عند الغضب): « والجواب من وجوه: **أحدها:** أن المأثور عنه أنه قال: (وإنّ لِي شيطانًا يعترينِي) يعني عند الغضب، فإذا اعترانِي فاجتنبونِي لا أؤثر في أبشاركم، وقال: أطيعونِي ما أطعتُ الله، فإنْ عصيتُ الله فلا طاعة لِي عليكم)، وهذا الذي قاله أبو بكر من أعظم ما يمدح به - كما سنبينه إن شاء الله تعالى. **الثاني:** أنّ الشيطان الذي يعتريه قد فُسّر بأنه يعرض لابن آدم عند الغضب، فخاف عند الغضب أن يعتدي على أحد من الرعية، فأمرهم بِمجانبته عند الغضب، كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: " **لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان** "[1]، فنهى عن الحكم عند الغضب، وهذا هو الذي أراده أبو بكر؛ أراد أن لا يحكم وقت الغضب، وأمرهم أن لا يطلبوا منه حُكمًا، أو يَحملوه على حكم في هذا الحال، وهذا من طاعته لله ورسوله. **الثالث:** أنْ يقال: الغضب يعتري بنِي آدم كلّهم حتى قال سيد ولد آدم: [2] -فذكر أحاديث أبي هريرة وعائشة وأنس الواردة في أول المطلب الأول، ثم قال-: « وأيضًا فموسى رسول كريم وقد أخبر الله عن غضبه بما ذكره في كتابه، فإذا كان مثل هذا لا يقدح في الرسالة فكيف يقدح في الإمامة؟ مع أنّ النبِيّ شبّه أبا بكر بإبراهيم وعيسى في لينه وحلمه، وشبّه عمر بنوح وموسى في شدته في الله، فإذا كانت هذه الشدة لا تنافي الإمامة فكيف تنافيها شدة أبي بكر »[3] .

وقال: الخامس**:** أن في الصحيح عن ابن مسعود ، عن النبِيّ ، قال: " **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ** "، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " وَإِيَّايَ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلاَ يَأْمُرُنِي إِلاَّ

1 (?) الحديث متفق عليه وسيأتِي تخريجه.
2 (?) منهاج السنة النبوية، (ج8/ 266-267).
3 (?) المصدر نفسه (ج8/269).

بِخَيْرٍ "[1] . وفي الصحيح عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالت: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلاً ، قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: " **مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ! أَغِرْتِ**؟ "، فَقُلْتُ: وَمَا لِي لاَ يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ! " قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَمَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: " **نَعَمْ** "، قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: " **نَعَمْ** "، قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " **نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّى أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ** "[2] . والمراد في أصح القولين: استسلم وانقاد لِي، ومن قال: حتى أَسْلَمُ أنا فقد حرّف معناه، ومَن قال: الشيطان صار مؤمنًا فقد حرَّف لفظه. وقد قال موسى لَمّا قتل القبطي: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﭼ [القصص: ١٥]. وقال فتى موسى: ﭽﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭼ [الكهف: ٦٣]. وذكر الله في قصة آدم وحواء: ﭽ ﯼﭼ [البقرة: ٣٦]. وقوله: ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﭼ [الأعراف: ٢٠].

فإذا كان عرض الشيطان لا يقدح في نبوة الأنبياء عليهم السلام، فكيف يقدح في إمامة الخلفاء؟ [3].

المسألة الثانية: خصوصيته في غضبه بعَدَم تأثير الغضب على حكمه، بل ونفاذ حكمه حالة الغضب، كما ينفذ في الرضا، بخلاف غيره، فإنّ للعلماء –رحمهم الله- ثلاثة أقوال في نفاذ حكم الغضبان، **فقولٌ:** لا يصح ولا ينفذ، **وثانٍ:** ينفذ، **وثالث:** التفصيل بأنّه إنْ عرض له الغضب بعد فهم الحكم نفذ، وإنْ قبل ذلك لم ينفذ[4].

وهاك نقولات جيِّدة عن علمائنا -رحمهم الله- ليتضح بها الإجمال المتقدم، وأقول:

مِن المعلوم أنه جاء النهي عن الحكم حالة الغضب؛ لِما يُخشى من تأثيره عليه، ففي الصحيحين عن عَبْد الرَّحْمَنِ

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، رقم: 2814.

2 (?) صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2815 .

3 (?) انظر: منهاج السنة، (ج8/ 270-272).

4 (?) انظر: إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان لابن القيم، ص55-56 .

بْن أَبِي بَكْرَةَ[1]، قَالَ: « كَتَبَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى ابْنِهِ، وَكَانَ بِسِجِسْتَانَ[2] بِأَنْ لا تَقْضِيَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " **لا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ** " [3] متفقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري، وفي لفظ لمسلم بمعنى أعمّ منه: " **لا يَحْكُمْ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ** ".

قال النووي –رحمه الله- في شرحه: « قَوْله ﷺ: (**لا يَحْكُم أَحَد بَيْن اِثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَان**) فِيهِ: النَّهْي عَنْ الْقَضَاء فِي حَال الْغَضَب. قَالَ الْعُلَمَاء: وَيَلْتَحِق بِالْغَضَبِ كُلّ حَال يَخْرُج الْحَاكِم فِيهَا عَنْ سَدَاد النَّظَر، وَاسْتِقَامَة الْحَال؛ كَالشِّبَعِ الْمُفْرِط، وَالْجُوع الْمُقْلِق، وَالْهَمّ وَالْفَرَح الْبَالِغ، وَمُدَافَعَة الْحَدَث، وَتَعَلُّق الْقَلْب بِأَمْرٍ، وَنَحْو ذَلِكَ، وَكُلّ هَذِهِ الأَحْوَال يُكْرَه لَهُ الْقَضَاء فِيهَا خَوْفًا مِنْ الْغَلَط، فَإِنْ قَضَى فِيهَا صَحَّ قَضَاؤُهُ، لأَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَضَى فِي شِرَاج الْحَرَّة فِي مِثْل هَذَا الْحَال، وَقَالَ فِي اللُّقَطَة: " **مَا لَك وَلَهَا** " إِلَى آخِره، وَكَانَ فِي حَال الْغَضَب. وَاللَّهُ أَعْلَم »[4] .

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَالَ الْمُهَلَّب: سَبَبُ هَذَا النَّهْي أَنَّ الْحُكْم حَالَة الْغَضَب قَدْ يَتَجَاوَز بِالْحَاكِمِ إِلَى غَيْر الْحَقّ، فَمُنِعَ، وَبِذَلِكَ قَالَ فُقَهَاء الأَمْصَار. وَقَالَ ابْن دَقِيق الْعِيد: فِيهِ: النَّهْي عَنْ الْحُكْم حَالَة الْغَضَب؛ لِمَا يَحْصُل بِسَبَبِهِ مِنْ التَّغَيُّر الَّذِي يَخْتَلّ بِهِ النَّظَر، فَلا يَحْصُل اسْتِيفَاء الْحُكْم عَلَى الْوَجْه، قَالَ: وَعَدَّاهُ الْفُقَهَاء

---

[1] هو **عبد الرحمن بن نُفيع بن الحارث** الصحابي المشهور بكُنيته (أبي بكرة ﷺ الثقفي)، ثقة، مات سنة 96 (انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، برقم: 3816، ص279).

[2] **سِجِسْتَان** -بِكَسْرِ الْمُهْمَلَة وَالْجِيم عَلَى الصَّحِيح، بَعْدهمَا مُثَنَّاة سَاكِنَة- وَهِيَ إِلَى جِهَة الْهِنْد بَيْنهَا وَبَيْن كَرْمَان مِائَة فَرْسَخ، وَيُنْسَب إِلَيْهَا سِجِسْتَانِيّ وَسِجِزْتِيّ بِزَايٍ بَدَل السِّين الثَّانِيَة وَالتَّاء وَهُوَ عَلَى غَيْر قِيَاس، وَسِجِسْتَان لا تُصْرَف لِلْعَلَمِيَّةِ وَالْعُجْمَة أَوْ زِيَادَة الأَلِف وَالنُّون، (انظر: فتح الباري لابن حجر، ج4/ ص5178)

[3] صحيح البخاري: كتاب الأحكام، بَاب هَلْ يَقْضِي الْقَاضِي أَوْ يُفْتِي وَهُوَ غَضْبَانُ، رقم: 7158، وصحيح مسلم: كتاب الأقضية، بَاب كَرَاهَةِ قَضَاءِ الْقَاضِي وَهُوَ غَضْبَانُ، رقم: 1717.

[4] المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص1105 .

بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَى كُلّ مَا يَحْصُل بِهِ تَغَيُّر الْفِكْر؛ كَالْجُوعِ، وَالْعَطَش الْمُفْرِطَيْنِ، وَغَلَبَة النُّعَاس، وَسَائِر مَا يَتَعَلَّق بِهِ الْقَلْب تَعَلُّقًا يَشْغَلهُ عَنْ اسْتِيفَاء النَّظَر، وَهُوَ قِيَاس مَظِنَّة عَلَى مَظِنَّة، وَكَأَنَّ الْحِكْمَة فِي الاقْتِصَار عَلَى ذِكْر الْغَضَب لاسْتِيلائِهِ عَلَى النَّفْس، وَصُعُوبَة مُقَاوَمَته، بِخِلافِ غَيْره »[1].

وقد سبق حديث حكم الرسول ﷺ في شراج الحرة على الأنصاري مع أنه ﷺ مغضب، وقد ذكر النسائي –رحمه الله- الترجمة الآتية وأورده تحتها، فقال: « الرُّخْصَةُ لِلْحَاكِمِ الأَمِينِ أَنْ يَحْكُمَ وَهُوَ غَضْبَانُ »، وقبل هذه الترجمة عقَد ترجمة بعنوان: « ذِكْرُ مَا يَنْبَغِي لِلْحَاكِمِ أَنْ يَجْتَنِبَهُ »[2]، فأورد تحتها حديث أبي بكرة ﷺ مرفوعًا: " لا يَحْكُمْ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ ".

أقول: بهذا الصنيع فهم النسائي أنّ الشريعة منعتْ الحكَّام عن الحكم حالة الغضب، إلا أنها رخّصَتْ للحاكم الأمين أنْ يحكم وهو غضبان، ونفَّذت حكمه، وهذا الذي فهمه –رحمه الله- من مجموع هذه الأحاديث، لكِن لعل الأولى أنْ يقال: النهي عن الحكم والقضاء حالة غضب القاضي هو ما يُؤمر به الحُكّام والقضاة، والحكم مع الغضب حالة خاصة بالنبِيِّ ﷺ لانتفاء المحذور، فيكون من خصائصه، والله أعلم؛ قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْره: وَإِنَّمَا حَكَمَ ﷺ عَلَى الأَنْصَارِيّ فِي حَال غَضَبه -مَعَ نَهْيه أَنْ يَحْكُم الْحَاكِم وَهُوَ غَضْبَان- لأَنَّ النَّهْي مُعَلَّل بِمَا يُخَاف عَلَى الْحَاكِم مِنْ الْخَطَأ وَالْغَلَط، وَالنَّبِيّ ﷺ مَأْمُون؛ لِعِصْمَتِهِ مِنْ ذَلِكَ حَال السَّخَط »[3].

وقال العلامة ابن القيم –رحمه الله تعالى- في بيان أنّ الغضبان قد يتكلم بما لا يريده، وبعدما ذكر دعاء الرسول ﷺ ربَّه أنْ يجعل سبه ولعنه وجلده لِمَن ليس بذلك أهلا -في حقيقة الأمر- أنْ يجعلها له زكاة ومغفرة وعافية

---

[1] فتح الباري، (ج4/ 5178).

[2] انظر: سنن النسائي، كتاب آداب القضاء، (ج2/ ص1548، و 1549).

[3] فتح الباري لابن حجر، (ج2/ 1965).

وقربة إليه يوم القيامة، قال: « فلو كان النبيُّ مُريدًا لِمَا دعا به في الغضب لَمَا شرَط على ربِّه، وسأل أنْ يفعل بالمدعوِّ عليه ضدَّ ذلك، إذْ مِن الممتنع اجتماعُ إرادة الضدّين، وقد صرّح بإرادة أحدهما، مشترِطًا له على ربِّه، فدلّ على عدم إرادته لِمَا دعا به في حال الغضب. هذا وهو معصوم الغضب، كما هو معصوم الرضا، وهو مالكُ لفظه بتصرُّفه، فكيف بِمَن لم يُعْصَم في غضبه، وتمليكه، ويتصرَّف فيه غضبُه، ويتلاعب الشيطان به فيه؟! »[1]. إلى أنْ قال في آخر رسالته، ملخِّصًا أدلة عدم وقوع طلاق المغلِق غضبُه: « وما ذكرناه مِن دعاء النبيِّ ربّه أنْ يجعل سبّه لِـمَن سبّه في حال غضبه صريحٌ في أنّه غيرُ مُريد له، إذْ لو أرادَه واختاره لم يَسأل ربّه أنْ يفعل بالمدعوّ عليه ضدّ ما دعا به عليه، إذْ لا يُتصوَّر إرادة ضدين في حالةٍ واحدة. وهذا وحده كافٍ في المسألة »[2].

وتكلم الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في الجمع بين الأحاديث ومسألة الخصوصية بكلام جيّد، قال فيه: « لَوْ خَالَفَ فَحَكَمَ فِي حَال الْغَضَب صَحَّ إِنْ صَادَفَ الْحَقّ مَعَ الْكَرَاهَة، هَذَا قَوْل الْجُمْهُور، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ قَضَى لِلزُّبَيْرِ بِشِرَاجِ الْحَرَّة بَعْدَ أَنْ أَغْضَبَهُ خَصْم الزُّبَيْر، لَكِنْ لا حُجَّة فِيهِ لِرَفْعِ الْكَرَاهَة عَنْ غَيْره لِعِصْمَتِهِ ، فَلا يَقُول فِي الْغَضَب إلا كَمَا يَقُول فِي الرِّضَا، قَالَ النَّوَوِيّ فِي حَدِيث اللُّقَطَة: " فِيهِ: جَوَاز الْفَتْوَى فِي حَال الْغَضَب "، وَكَذَلِكَ الْحُكْم وَيَنْفُذ، وَلَكِنَّهُ مَعَ الْكَرَاهَة فِي حَقِّنَا، وَلا يُكْرَه فِي حَقّه ، لأَنَّهُ لا يُخَاف عَلَيْهِ فِي الْغَضَب مَا يُخَاف عَلَى غَيْره. وَأَبْعَدَ مَنْ قَالَ: يُحْمَل عَلَى أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي الْحُكْم قَبْلَ وُصُوله فِي الْغَضَب إِلَى تَغَيُّر الْفِكْر، وَيُؤْخَذ مِنْ الإِطْلَاق أَنَّهُ لا فَرْق بَيْنَ مَرَاتِب الْغَضَب وَلا أَسْبَابه، وَكَذَا أَطْلَقَهُ الْجُمْهُور، وَفَصَّلَ إِمَام الْحَرَمَيْنِ وَالْبَغَوِيُّ فَقَيَّدَا الْكَرَاهَة بِمَا إِذَا كَانَ الْغَضَب لِغَيْرِ اللَّه، وَاسْتَغْرَبَ الرُّويَانِيّ هَذَا التَّفْصِيل،

[1] (؟) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان لابن القيم، ص63، (الرسالة الثالثة ضمن مجموع رسائله).
[2] (؟) ابن القيم، المصدر نفسه، ص65 .

وَاسْتَبْعَدَهُ غَيْره لِمُخَالَفَتِهِ لِظَوَاهِر الْحَدِيث، وَلِلْمَعْنَى الَّذِي لأَجْلِهِ نُهِيَ عَنْ الْحُكْم حَال الْغَضَب. وَقَالَ بَعْض الْحَنَابِلَة: لا يَنْفُذ الْحُكْم فِي حَالَة الْغَضَب لِثُبُوتِ النَّهْي عَنْهُ؛ وَالنَّهْي يَقْتَضِي الْفَسَاد. وَفَصَّلَ بَعْضهمْ بَيْن أَنْ يَكُون الْغَضَب طَرَأَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ اسْتَبَانَ لَهُ الْحُكْم فَلا يُؤَثِّر وَإِلا فَهُوَ مَحَلّ الْخِلاف، وَهُوَ تَفْصِيل مُعْتَبَر. وَقَالَ ابْن الْمُنِير: أَدْخَلَ الْبُخَارِيّ حَدِيث أَبِي بَكْرَة الدَّالّ عَلَى الْمَنْع، ثُمَّ حَدِيث أَبِي مَسْعُود الدَّالّ عَلَى الْجَوَاز: تَنْبِيهًا مِنْهُ عَلَى طَرِيق الْجَمْع بِأَنْ يَجْعَل الْجَوَاز خَاصًّا بِالنَّبِيِّ ﷺ لِوُجُودِ الْعِصْمَة فِي حَقّه، وَالأَمْن مِنْ التَّعَدِّي، أَوْ أَنَّ غَضَبه إِنَّمَا كَانَ لِلْحَقِّ، فَمَنْ كَانَ فِي مِثْل حَاله جَازَ وَإِلا مُنِعَ، وَهُوَ كَمَا قِيلَ فِي شَهَادَة الْعَدُوّ إِنْ كَانَتْ دُنْيَوِيَّة رُدَّتْ، وَإِنْ كَانَتْ دِينِيَّة لَمْ تُرَدّ، قَالَهُ ابْن دَقِيق الْعِيد وَغَيْره..»[1]. والله تعالى أعلم.

---

[1] فتح الباري: (ج4/ 5178-5179).

المبحث التاسع: النبيُّ ينسى كما ينسى غيرُه من البشر، والحفيظ العليم سبحانه وتعالى مُنزَّه عن النسيان، **وفيه تمهيدٌ ومطلبان:**

التمهيد: التعريف بالنسيان.

المطلب الأول: النبِيّ ينسى كما ينسى غيرُه.

المطلب الثانِي: الحفيظ العليم سبحانه لا يغفَل ولا ينسى.

التمهيد: التعريف بالنسيان**:**

النون السين والياء (نَسِي) أصلان صحيحان يدلّ أحدُهما على إغفال الشيء، والذهول عنه بدون قصد، والنسيان خلاف الذِّكر والحفظ.

والثانِي على ترك شيءٍ[1]، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [التوبة: ٦٧].

النسيان في الاصطلاح:

ذكر بعض الأصوليين أنّ (النسيان) أمرٌ بديهي لا يحتاج إلى تعريف، لأنّ كل عاقل يعقِلُه من نفسه، كما يعلم الجوع والعطش. **وأبَى بعضهم إلا أنْ يُعرِّفه، فقال:** النسيان معنى يعتري الإنسان بدون اختياره، فيوجب الغفلة عن الحفظ. **وقيل:** هو عبارة عن الجهل الطارئ.

وهذان لا يَسلمان مِن اعتراض، إذْ لا يَخرُجُ عنهما: النوم والإغماء.

والأجود منهما القولُ بأنه: « الغفلة عن معلومٍ في غير حالة السِّنَة، فلا ينافِي الوجوب؛ أي: نفس الوجوب، ولا الأداء »[2]. **وقيل:** هو آفة تعترض للمتخيلة مانعة من انطباع ما يرد من الذكر فيها. **ولعل الأولى في تعريفه أنْ** يُقال: جهلُ الإنسان ما كان يعلمه ضرورةً مع علمه بأمورٍ كثيرة، لا بآفة.

واحترز بالقول: (مع علمه بأمور كثيرة) عن النائم والمغمى عليه؛ فإنهما خرَجَا بالنوم والإغماء، مِن أنْ يكونا

---

1 انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (نسي)، ص1024-1025، والصحاح للجوهري، مادة (نسي) ص1035.

2 عرّفه الجرجاني في: التعريفات بهذا التعريف، ص331.

عالِمَين بأشياءَ كانا يعلمانِها قبلهما. كما احترز بقول: (لا بآفة) عن الجنون؛ فإنه جهلٌ بِما كان يعلمُه الإنسان قبله، مع كونه ذاكرًا لأمور كثيرة لكنه بآفة[1].

والنسيان سبب للتيسير، بل انبنى عليه قاعدة تيسيرية من قواعد الشريعة، فهو بِهذا سببٌ مُسقِط للإثم والمؤاخذة مطلقًا باتفاق المسلمين[2]، بخلاف التكليف والقضاء والضمان. وهذا مِن تيسير الله، ومحاسن هذه الشريعة؛ فقد دعا اللهَ النبيُّ ﷺ والمؤمنون بآخر آية في البقرة، وأجاب الله تعالى دعاءهم، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لَمّا نزل قولُه تعالى ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: قد فعلتُ.. الحديث[3].

وأخبَر النَّبِيُّ ﷺ فيما رواه عنه ابْنُ عَبَّاسٍ وأبو ذرٍّ ، فقَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**"[4]. والموضوع المرفوع هنا هو الإثم والمؤاخذة، لا الحكم، المترتِّب عليه القضاء في كثير من حقوق الله، والضمان في حقوق العباد، قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله- بعدما عرّف بالخطأ، في شرح

---

1 (?) انظر أغلب هذه التعريفات، والمحترزات في المراجع التالية: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (المتوفى:730هـ)، (ج4/ص 387)، بتحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، ط/دار الكتب العلمية، وكتاب عوارض الأهلية عند علماء أصول الفقه، 208-209،وكتاب: القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، د. عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، (ج1/ص521)، ط/الجامعة الإسلامية.

2 (?) انظر منهاج السنة النبوية، (ج6/ 49)، والقاعدة الثانية والأربعين من كتاب: القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، (ج1/ ص 519).

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُكَلِّفْ إِلا مَا يُطَاقُ، رقم: 126.

4 (?) سنن ابن ماجه: كتاب الطلاق، بَاب طَلَاقِ الْمُكْرَهِ وَالنَّاسِي، رقمهما: 2043، و2045، قال النووي: « حديثٌ حسَنٌ رَواهُ ابنُ ماجهْ والبَيَهقيُّ وغيرهما » وللحديث طرقٌ كثيرة لا تسْلم من كلام (راجع لذلك: الحديث التاسع والثلاثين من جامع العلوم والحكم لابن رجب)، ولعل الحديث يصح بطرقه، لذا صححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه. وأما معناه فصحيح تدل النصوص الشرعية عليه، بل معناه مجمَعٌ عليه.

الحديث: « والنسيان: أنْ يكون ذاكرًا لشيءٍ، فينساه عندَ الفعل، وكلاهما معفوٌّ عنه، بمعنى أنَّه لا إثمَ فيه، ولكن رفع الإثم لا يُنافِي أنْ يترتَّب على نسيانه حكم، كما أنَّ من نسيَ الوضوء، وصلَّى ظانًّا أنَّه متطهِّرٌ، فلا إثم عليه بذلك، ثم إنْ تبيَّنَ له أنَّه كان قد صلَّى محدِثًا فإنَّ عليه الإعادة». وذكر أحد عشر مثالا مِن هذا القبيل في تارك التسمية على الوضوء نسيانًا –عند مَن يقول بوجوبها، وهو الأرجح- وعلى الذبيحة، وتارك الصلاة نسيانًا، والذي حمل في صلاته نجاسة نسيانًا، والذي نسي فتكلم في صلاته، والآكل في صومه ناسيًا، والصائم المجامع أهله ناسيًا، والجماع في الإحرام ناسيًا، ومَن يحلف أن لا يفعل شيئًا فينسى فيفعله، وكذا المحرم يقتل الصيد ناسيًا إحرامه، ذاكرًا في كلِّ ذلك أنّ الإثم هو المرفوع، أما إعادة بعض هذه المسائل، أو قضاؤها، أو ضمان بعضها، فهذا لم يُرفع. ثم ختم كلامه بقوله الرائع: « والأظهر -والله أعلم- أنَّ الناسي والمخطئ إنَّما عُفي عنهما بِمعنى: رفع الإثم عنهما؛ لأنَّ الإثم مرتَّبٌ على المقاصد والنيَّات، والناسي والمخطئ لا قصدَ لهما، فلا إثم عليهما. وأمَّا رفعُ الأحكام عنهما، فليس مرادًا منْ هذه النصوص، فيحتاج في ثبوتها ونفيها إلى دليلٍ آخر »[1].

وبعد التمهيد فأنتقل إلى المطلب الأول، وأقول –وبالله التوفيق:

المطلب الأول: النبي ينسى كما ينسى غيرُه:

النسيان مِن أدلة عجز المخلوقين وضعفهم. وقد دلّ على المعنى المعقود في العنوان (وهو أنَّ النبي ينسى كما ينسى غيرُه من البشر) النصوص الكثيرة مِن الكتاب والسنة، العامة فيه وفي غيره، والخاصة به، **وإليك هذه النصوص، وعلى ثلاثة أصناف:**

الصنف الأول: النصوص التي تُثبت عارض النِّسيان لجنس بنِي آدم (البَشَر أجمع)، والعبد الرسول واحدٌ مِن

[1] جامع العلوم والحِكم لابن رجب، المصدر نفسه.

جملتهم: قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ [طه: ١١٥][1].

والتحقيق أنّ النسيان في الآية ليس معناه الترك، بل هو ما جاء في الأصل الأول، وهو السهو بباعث البشرية، أو يقال: إحدى طبائع البشرية، لذا جاء عن ابن عباسٍ في معناها قوله رضي الله عنهما: (نسِيَ) هنا من السهو والنسيان، وإنما أخذ الإنسان منه؛ لأنه عُهِد إليه فنسي[2]. وقد أخذ شاعر مضمون هذا الكلام فنظمه شعرًا، قال فيه:

لا تنسَيَـنْ تلك العهودَ، فإنما سُمِّيتَ إنسانًا؛ لأنك ناسي.

وقال آخر:

فإنْ نَسِيتُ عُهُودًا منك سالفةً فاغفرْ، فأولُ ناسٍ أولُ الناس [3].

وجاء تفسير الآية في السنة الصحيحة التي رواها أَبو هُرَيْرَةَ مرفوعًا، قَالَ فيها: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ. فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ: أَيْ رَبِّ زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ**

---

1 (?) انظر تفسير الآية في:تفسير القرآن العظيم لابن كثير(ج3/ 224)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص514.

2 (?) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (14/ 146)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج3/ 224).

3 (?) انظر البيـتين ومراجعهما في كتاب: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج1/ 294).

ذُرِّيَّتُهُ، وَنسِيَ آدَمُ فَنسيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُه [1].

الصنف الثانِي: النصوص التي تُثبت النِّسيان للعبد الرسول خصوصًا؛ على أنه عارضٌ مِن عوارض البشرية، وطبيعة من طبائعها، أو إنساء الله تعالى له، ويكون في الغالب لِحِكَمٍ أرادها سبحانه، وهي كالتالي:

أولا: قوله تعالى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭼ [البقرة: ١٠٦]. وقوله: ﭽﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﭼ [الأعلى:6-٧].

فدلّت الآيتان على أنّ نبينا محمدًا ينسى ما شاء الله أنْ ينساه. وأما ما أُنسِي النبيُّ وغيره مِن كَتَبَة الوحي مِن الوحي (بمعنى نُسخ) فإنّ الله يأتِي بما هو مثله أو خيرٍ منه.

وقد أورد الآثار الكثيرة عبدُ الرزاق اليمانِي –رحمه الله- في مصنفه في باب: رفع القرآن وإنسائه، ومما أورد فيه ما رواه الزهري –رحمه الله- مرسلا، أنّ رجلا جاء إلى النبي حين أصبح فقال: إنها كانت معي سورةٍ فذهبتُ لأقرأها فما أقدِر عليها، فقال له آخَر: وأنا أيضًا كانت معي فما قدِرت عليها، قال: ما أدري أرجُلان أم ثلاثة، فدخلوا على النبي فقال: " **إنّها رُفِعَتْ في قرآنٍ رُفِع** " [2].

والنسيان المتصوَّر في حقه بالنسبة للقرآن لا يكون قبل التبليغ إلا ما أراد الله نسخه، كما أنّه إذا أُنسِي منه شيءٌ لا يُقَرّ عليه.

ولا يُشكِل على هذا النصوص التي تدل على حفظ الله للوحي، يقول الشيخ الشنقيطي –رحمه الله- في دفع ما قد يُتوهّم في سورة الأعلى: « هذه الآية الكريمة تدل على أن النبي ينسى من القرآن ما شاء الله أن ينساه - وقد جاءت آيات كثيرة تدل على حفظ القرآن من الضياع، كقوله تعالى: ﭽﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﭼ [القيامة:16-١٧]. وقوله: ﭽ

---

1 (?) جامع الترمذي: كتاب التفسير عن رسول الله ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الأَعْرَافِ، ورقمه:3076، وصححه الترمذي وغيرُه، قال الترمذي: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف جامع الترمذي.

2 (?) مصنف عبد الرزاق: ورقمه: 5982، وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ما في معناه 7 : 156.

ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الحجر: ٩]. **والجواب:** أنَّ القرآن وإنْ كان محفوظًا من الضياع، فإنّ بعضه ينسخ بعضًا، وإنساءُ الله نبـيَّه بعض القرآن في حكم النسخ، فإذا أنساه آية فكأنه نسخَها، ولا بدّ أنْ يأتِيَ بِخير منها أو مثلها. كما صرَّح به تعالى في قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ . وقوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ [النحل: ١٠١]. وأشار هنا لعلمه بحكمة النسخ بقوله: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ [الأعلى: ٧] »[1].

ثانيًا: ومن الأدلة على ذلك ما جاء عَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود ﭬ: « صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ -قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لاَ أَدْرِي زَادَ ، أَوْ نَقَصَ- فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَحَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: " **وَمَا ذَاكَ؟** قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ قَالَ: " **إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي،** ..الحديث " [2].

قال النووي –رحمه الله- « قَوْله ﷺ: (وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَر؛ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيت فَذَكِّرُونِي) فِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى جَوَاز النِّسْيَان عَلَيْهِ ﷺ فِي أَحْكَام الشَّرْع، وَهُوَ مَذْهَب جُمْهُور الْعُلَمَاء، وَهُوَ ظَاهِر الْقُرْآن وَالْحَدِيث، اِتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ ﷺ لا يُقَرّ عَلَيْهِ، بَلْ يُعْلِمهُ اللَّه تَعَالَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ الأَكْثَرُونَ: شَرْطه تَنَبُّهه ﷺ عَلَى الْفَوْر مُتَّصِلا بِالْحَادِثَةِ، وَلا يَقَع فِيهِ تَأْخِير، وَجَوَّزَتْ طَائِفَة تَأْخِيره مُدَّة حَيَاته ﷺ، وَاخْتَارَهُ إِمَام الْحَرَمَيْنِ، وَمَنَعَتْ طَائِفَة مِنْ الْعُلَمَاء السَّهْو عَلَيْهِ ﷺ فِي الأَفْعَال الْبَلاغِيَّة وَالْعِبَادَات، كَمَا أَجْمَعُوا عَلَى مَنْعه وَاسْتِحَالَته عَلَيْهِ ﷺ فِي الأَقْوَال الْبَلاغِيَّة، وَأَجَابُوا عَنْ الظَّوَاهِر الْوَارِدَة فِي ذَلِكَ، وَإِلَيْهِ مَالَ الأُسْتَاذ أَبُو إِسْحَاق الإِسْفِرَايِينِيّ، وَالصَّحِيح الأَوَّل؛ فَإِنَّ السَّهْو لا يُنَاقِض النُّبُوَّة،

---

1 دفع إيهام الاضطراب، ص347.

2 صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَاب التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ حَيْثُ كَانَ، رقم: 401، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود، رقم: 572.

وَإِذَا لَمْ يُقَرّ عَلَيْهِ لَمْ يَحْصُل مِنْهُ مَفْسَدَة، بَلْ تَحْصُل **فِيهِ فَائِدَة**؛ وَهُوَ بَيَان أَحْكَام النَّاسِي، وَتَقْرِير الْأَحْكَام »[1].

ثم نقل عن القاضي عياض كلامه الآتِي.

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى جَوَاز وُقُوع السَّهْو مِنْ الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمْ الصَّلَاة وَالسَّلَام فِي الْأَفْعَال. قَالَ ابْن دَقِيق الْعِيد: وَهُوَ قَوْل عَامَّة الْعُلَمَاء وَالنُّظَّار، وَشَذَّتْ طَائِفَة، فَقَالُوا: لا يَجُوز عَلَى النَّبِيّ السَّهْو، وَهَذَا الْحَدِيث يَرُدّ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ ﷺ فِيهِ: " **أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ** " وَلِقَوْلِهِ " **فَإِذَا نَسِيت فَذَكِّرُونِي** " أَيْ بِالتَّسْبِيحِ وَنَحْوه »[2].

الصنف الثالث: النصوص التي فيها نَماذج لأشياء كان يعلمها العبد الرسول ﷺ، فأنسِيها، ثم تذكرها، أو ذهبت عنه بالكليّة:

منها:

أولا: ما مرّ مما كان من إنساء الله تعالى عبده شيئًا من القرآن (وهذا بِمعنى النسخ).

ثانيًا: ومرّ حديث نسيانه ﷺ بعض الأفعال (ركعتين) في صلاته.

ثالثًا: ومن ذلك؛ ما أورد البخاري –رحمه الله- في بَاب نِسْيَانِ الْقُرْآنِ، وَهَلْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪ﴾ من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلا يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: " **رَحِمَهُ اللَّهُ! لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا** " متفق عليه[3].

ولهما عنها، بلفظ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: " **رَحِمَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا** "[4].

---

[1] المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص425-426.

[2] فتح الباري: (ج1/ ص724) .

[3] صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، رقم: 5037، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب الْأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ وَكَرَاهَةِ قَوْلِ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، وَجَوَازِ قَوْلِ أُنْسِيتُهَا، رقم: 788.

وهذا فيه نسيانه بعض الوحي بعد تبليغه ثم تذكره بالتذكير اللامقصود الذي حصل من هذا الصحابيّ ، قال النووي –رحمه الله- في شرحه: « وَقَوْله : (**كُنْت أُنْسِيتهَا**) دَلِيلٌ عَلَى جَوَاز النِّسْيَان عَلَيْهِ فِيمَا قَدْ بَلَّغَهُ إِلَى الأُمَّة، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَاب سُجُود السَّهْو الْكَلام فِيمَا يَجُوز مِنْ السَّهْو عَلَيْهِ وَمَا لا يَجُوز. قَالَ الْقَاضِي عِيَاض -رَحِمَهُ اللَّه-: جُمْهُور الْمُحَقِّقِينَ على جَوَاز النِّسْيَان عَلَيْهِ ابْتِدَاء فِيمَا لَيْسَ طَرِيقه الْبَلاغ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا طَرِيقه الْبَلاغ وَالتَّعْلِيم، وَلَكِنْ مَنْ جَوَّزَ، قَالَ: لا يُقَرُّ عَلَيْهِ، بَلْ لا بُدّ أَنْ يَتَذَكَّرهُ أَوْ يُذْكَرَهُ، وَاخْتَلَفُوا هَلْ مِنْ شُرُوط ذَلِكَ الْفَوْر، أَمْ يَصِحّ التَّرَاخِي قَبْل وَفَاته ؟ قَالَ: وَأَمَّا نِسْيَان مَا بَلَّغَهُ فِي هَذَا الْحَدِيث فَيَجُوز. ... . قَالَ: وَقَالَ بَعْض الصُّوفِيَّة وَمُتَابِعِيهِمْ: لا يَجُوز السَّهْو عَلَيْهِ أَصْلا فِي شَيْء، وَإِنَّمَا يَقَع مِنْهُ صُورَته لَيْسَ إِلا، وَهَذَا تَنَاقُض مَرْدُود، وَلَمْ يَقُلْ بِهَذَا أَحَد مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ إِلا الأُسْتَاذ أَبُو المظَفَّر الإِسْفَرايِينِيّ مِنْ شُيُوخنَا، فَإِنَّهُ مَالَ إِلَيْهِ وَرَجَّحَهُ، وَهُوَ ضَعِيف مُتَنَاقِض»[1].

وحقًّا أخطأ هذا الشيخ، والصحيح جواز النسيان عليه .

وقد أورد هذا الحديث وغيرَه الكثيرـ من الأحاديث عبدُ الرزاق اليمانِي –رحمه الله- في مصنفه في باب: (تعاهد القرآن ونسيانه). ومما أورده تحته مُعضلَ جعفر بن محمد، أنَّ النبي قرأ ذات ليلة ﭽﭑﭒﭓﭔﭼ [الشورى: ١ – ٢]. فردَّدها مرارًا ﭽﭑﭒﭓﭼ، وهو في بيت ميمونة، فقال: " **يا ميمونة! أمعك** ﭽﭑﭒﭓﭼ" قالت: نعم، قال: " **فأقرينيها؛ فلقد أُنْسيتُ ما بين أولها وآخرها** "[2].

رابعًا وخامسًا: وهما متعلقان بساعة يوم الجمعة[3] التي لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله فيها إلا أعطاه، وبتحديد ليلة القدر بليلة معيَّنةٍ مِن كلّ سنة، فقد

---

4 (?) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، رقم: 5038، وصحيح مسلم:الكتاب والباب، إثر حديث برقم: 788.

1 (?) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص532.

2 (?) مصنف عبد الرزاق: ورقمه: 5976 .

جاء عَنْ أَبِي سَلَمَةَ[1] ما يدلّ على أنّ النبيَّ يعلمهما ثم أُنسِيَهما، قَالَ -رحمه الله-: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: " **إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً** ...الحديث: وفيه: قال: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ جِئْتُ أَبَا سَعِيدٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَذِهِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ، فَأَتَيْتُهُ ... قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ! إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَنَا عَنْ السَّاعَةِ الَّتِي فِي الْجُمُعَةِ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْهَا عِلْمٌ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ عَنْهَا فَقَالَ: " **إِنِّي كُنْتُ قَدْ أُعْلِمْتُهَا ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، كَمَا أُنْسِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ** "[2].

وهذا الحديث قد أورده إمام الأئمة ابن خزيمة –رحمه الله- في باب (ذكر إنساء النبي وقت تلك الساعة بعد علمه إياها، والدليل على أنَّ العالم قد يُخْبر بالشيء، ثم ينساه، ويَحفظه عنه بعضُ مَن سَمعه منه)؛ لأنّ أبا موسى الأشعري، وعمرو بن عوف الْمُزَنِي[3] قد أخبَرَا عن النبي تلك الساعة، والنبيّ قد أعلَم أنّه قد أُنسِيها .. [4].

سادسًا، وسابعًا وثامنًا: ومن الأحاديث في نسيانه في صلاته ما جاء عن عَبْد اللَّهِ بن مسعود ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ خَمْسًا، فَلَمَّا انْفَتَلَ تَوَشْوَشَ

---

3 راجع عن مسألة هذه الساعة: الفوائد المنتقاة من فتح الباري وكُتُب أخرى، لشيخنا الشيخ عبد المحسن البدر: ص334-345 تجد فيها أكثر من أربعين قولا، نقلا عن الحافظ ابن حجر في فتح الباري).

1 **أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف**، الزهري، المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ثقةٌ مُكثر، روى عن أبي هريرة وغيره ، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين، أو أربع ومائة، وكان مولده سنة بضع وعشرين، أخرج حديثه أصحابُ الكتب الستة، (انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، رقم الترجمة: 8142).

2 مسند الإمام أحمد: ورقمه: 11642 الحديث بطوله، وقد حكم على أنّ الحديث بعضه صحيح، وبعضه حسن الشيخ شعيب الأرناؤوط ومساعدوه، وجاء مختصره في المستدرك للحاكم: كتاب الجمعة، ورقمه: 1033، وهو شاهد صحيح على شرط الشيخين لحديث يزيد بن الهاد ومحمد بن إسحاق ولم يخرجاه. وقد علّق الذهبي عليه: بصحيح.

3 **عمرو بن عوف بن زيد** بن مِلحة -بكسر أوله-أبو عبد الله، المزني، صحابي مات في ولاية معاوية (انظر/ تقريب التهذيب، برقم: 5086، ص 364).

4 انظر: صحيح ابن خزيمة: كتاب الجمعة، (ج3/ 121).

الْقَوْمُ بَيْنَهُمْ[1]، فَقَالَ: " **مَا شَأْنُكُمْ؟** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ زِيدَ فِي الصَّلاةِ؟ قَالَ: " **لا!** قَالُوا: فَإِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَمْسًا، فَانْفَتَلَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ** "[2].

وفي لفظٍ أنه ﷺ، قال: " **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؛ أَذْكُرُ كَمَا تَذْكُرُونَ، وَأَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ** "[3].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى صَلاتَيْ الْعَشِيِّ، ... فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضْبَانُ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَوَضَعَ خَدَّهُ الأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى، وَخَرَجَتْ السَّرَعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالُوا: قَصُرَتْ الصَّلاةُ! وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ، يُقَالُ لَهُ: ذُو الْيَدَيْنِ؛ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَسِيتَ أَمْ قُصِرَتْ الصَّلاةُ؟ قَالَ: " **لَمْ أَنْسَ**[4] **وَلَمْ تُقْصَرْ!** فَقَالَ: " **أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟** فَقَالُوا: نَعَمْ؛ فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ. فَرُبَّمَا سَأَلُوهُ؛ ثُمَّ سَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: نُبِّئْتُ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ: ثُمَّ سَلَّمَ[5].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى الْعَصْرَ فَسَلَّمَ فِي ثَلاثِ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْخِرْبَاقُ[6] -وَكَانَ فِي يَدَيْهِ طُولٌ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَذَكَرَ لَهُ صَنِيعَهُ، وَخَرَجَ غَضْبَانَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ

---

1 (?) **توشوش القوم** -بالشين، وروي بالمهملة، ومعناه: تحركوا، فالوشوشة صوتٌ في اختلاط، (انظر: المنهاج للنووي، ص427).

2 (?) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب السَّهْوِ فِي الصَّلاةِ، وَالسُّجُودِ لَهُ، عقِب حديث برقم:572.

3 (?) صحيح مسلم: الكتاب والباب، عقِب حديث برقم:572.

4 (?) انظر/ شرح الحديث مستوفى في: فتح الباري لابن حجر، (ج1/ص 1249-1250).

5 (?) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم: 482، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 573، واللفظ للبخاري.

حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: " **أَصَدَقَ هَذَا؟** قَالُوا: نَعَمْ؛ فَصَلَّى رَكْعَةً ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ "[1].

وقد جاء شيءٌ من شرح الحديث في كلام القاضي عياض –رحمه الله- في فصل الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه ﷺ، قال: « وقد قدَّمنا في الفصول قبل هذا ما يَجوز فيه عليه السهو ﷺ وما يمتنع، وأحلناه في الأخبار جملة، وفي الأقوال الدينية قطعًا، وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه، وأشَرنا إلى ما ورد في ذلك، ونحن نَبسط القول فيه؛ الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه ﷺ في الصلاة ثلاثة أحاديث: **أولها:** حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين. **الثاني:** حديث ابن بُحَينة في القيام من اثنتين. **الثالث:** حديث ابن مسعود ﷺ أنَّ النبي ﷺ صلى الظهر خمسًا. وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه، وحكمةُ الله فيه ليستن به؛ إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول، وأرفع للاحتمال، وشرطه أنه لا يقر على السهو، بل يُشعر به ليرتفع الالتباس، وتظهر فائدة الحكمة كما قدمناه، وأنَّ النسيان والسهو في الفعل في حقه ﷺ غير مضاد للمعجزة، ولا قادح في التصديق، وقد قال ﷺ: " **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي** "[2]. وقال: " **رَحِمَ اللَّهُ فلانًا! لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، كنتُ أَسْقَطْتُهُنَّ** –ويروى: **أُنْسِيتُهنَّ** "[3]. وقال ﷺ: " **إِنِّي لأَنْسَى، أَوْ أُنَسَّى لأَسُن** "[4]. **قيل:** هذا اللفظ شك من الراوي وقد روى " **إنّي لا أَنْسَى،**

---

[6] **ذُو الْيَدَيْنِ**: صحابي مشهور اسمه الخرباق السلمي، قال النووي في المنهاج، ص428: « قَوْله: (**فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ**)، وَفِي رِوَايَة: (رَجُل مِنْ بَنِي سَلِيم)، وَفِي رِوَايَة: (رَجُل يُقَال لَهُ: الْخِرْبَاق، وَكَانَ فِي يَده طُول)، وَفِي رِوَايَة: (رَجُل بَسِيط الْيَدَيْنِ). هَذَا كُلّه رَجُل وَاحِد اسْمه الْخِرْبَاق بْن عَمْرو بِكَسْرِ الْخَاء الْمُعْجَمَة وَالْبَاء الْمُوَحَّدَة وَآخِره قَاف، وَلَقَبه ذُو الْيَدَيْنِ، لِطُولٍ كَانَ فِي يَدَيْهِ »(قف على ترجمته في الاستيعاب، ص213-214، رقم: 684).

[1] صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 574.

[2] سبق تخريجه.

[3] سبق تخريجه.

[4] سيأتِي تخريجه.

ولكنْ أُنَسَّى لأَسُن "، وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك، وأنّ معناه التقسيم؛ أي: أنسى أنا أو ينسيِنِي الله. قال القاضى أبو الوليد الباجي: يحتمل ما قالاه أنْ يريد أنِّى أنسى في اليقظة، وأُنَسّى في النوم. أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو. أو أنسى مع إقبالِي عليه وتفرُّغي له. فأضاف أحد النِّسيانين إلى نفسه؛ إذ كان له بعض السبب فيه، ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر. وذهبت **طائفةٌ** من أصحاب المعانِي والكلام على الحديث، إلى أنّ النبي كان يسهو في الصلاة ولا ينسى؛ لأنّ النسيان ذهولٌ وغفلةٌ وآفة. قال: والنبي منـزّه عنها، والسهو شغلٌ، فكان يسهو في صلاته ويشْغَله عن حركات الصلاة ما في الصلاة، شُغلا بها لا غفلة عنها. واحتج بقوله في الرواية الأخرى: "**إنِّي لا أنسى**". وذهَبَتْ **طائفة** إلى منع هذا كله عنه؛ وقالوا: إنَّ سهوَه كان عمدًا وقصدًا لِيَسُنّ. وهذا قولٌ مرغوبٌ عنه، متناقضُ المقاصد، لا يُحلى منه بطائل؛ لأنه كيف يكون متعمِّدًا ساهيًا في حال، ولا حجة لهم في قولهم؛ إنّه أُمِرَ بتعمد صورة النسيان لِيَسُنّ؛ لقوله: " **إنّي لأَنْسَى، أو أُنَسَّى لأَسُن** "، وقد أثبت أحد الوصفين، ونفى مناقضة التعمد والقصد. وقال: "**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ**"، وقد مال إلى هذا عظيمٌ من المحققين من أئمتنا، وهو أبو المظفر الإسفراييِنِي، ولم يرتَضِه غيرُه منهم، ولا أرتضيه. ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله: " " **إنّي لا أنْسَى، ولكنْ أُنَسَّى** " إذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة، وإنما فيه نفي لفظه، وكراهة لقَبِه، كقوله: " **بِئْسَمَا لأَحَدِكِمْ أَنْ يَقُول: نَسِيتُ آيَةَ كَذا، وَلكنْ نُسِّي** "[1]، أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه، لكن شُغل بها عنها، ونسي بعضَها ببعضها، كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها، وشُغل بالتحرز من العدو عنها، فشُغل

1 (?) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب نِسْيَانِ الْقُرْآنِ وَهَلْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا، رقم: 5039، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ...، رقم: 790.

بطاعة عن طاعة. وقيل: إنَّ الذي تُرك يوم الخندق أربع صلوات، الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، **...** فإن قيل: فما معنى نهيه عن القول (**نسِيتُ**)؟ وقد قال : " **إِنِّي أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي** ". وقال: " **لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، كُنْتُ أَنْسِيتُهَا** "؟؟ فاعلم -أكرمك الله- أنه لا تعارض في هذه الألفاظ، أما نهيه عن أنْ يقال: نسيتُ آية كذا فمحمولٌ على ما نسخ نقله من القرآن، أي: أنّ الغفلة في هذا لم تكن منه، ولكنّ الله تعالى اضطرَّه إليها ليَمحُو ما يشاء ويُثْبت، وما كان مِن سهوٍ أو غفلةٍ من قِبَلِه تذكَّرها صلُح أنْ يقال فيه: (أُنْسِيَ). وقد قيل: إنَّ هذا منه على طريق الاستحباب أنْ يُضيف الفعل إلى خالقه، والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه، وإسقاطه لِما أسقط من هذه الآيات جائزٌ عليه بعد بلاغ ما أُمر ببلاغه، وتوصيله إلى عباده، ثم يستذكرها من أمته، أو مِن قِبَلِ نفسه، إلا ما قضى الله نَسخَه ومَحوه من القلوب، وترْكَ استذكاره، وقد يجوز أنْ يَنسى النبيُّ ما هذا سبيلُه كرة، ويَجوز أنْ يُنَسِّيَه منه قبل البلاغ ما لا يُغَيِّر نظْمًا، ولا يُخلِّط حكمًا مما لا يُدخِل خللا في الخبر، ثم يُذَكّره إياه، ويستحيل دوام نسيانه له؛ لِحفظ الله كتابه، وتكليفه بلاغه »[1].

وما ردّ به القاضي هنا على الطائفة التي زعمتْ أنّ النبيَّ يسهو في الصلاة ولا ينسى، وكذلك على الطائفة الثانية الأشد غلُوًّا التي تمنع سهو النبيِّ ونسيانه، ويقولون بأنّه قد تعمّد نسياته في الصلاة، بل وأمر بذلك ليَسُنّ .. ما ردّ به القاضي عليهما هو الحق.

تاسعًا: والصحابة وصفُوه بصفة النسيان ولَم يُنكر عليهم، فلو لم يكنْ متصفًا بها لَمَا أقرّهم على ذلك، من ذلك: ما قَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ : « أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي رَهْطٍ مِنْ الأَشْعَرِيِّينَ أَسْتَحْمِلُهُ، وَهُوَ يَقْسِمُ نَعَمًا مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ، -قَالَ أَيُّوبُ: أَحْسِبُهُ قَالَ: وَهُوَ غَضْبَانُ- قَالَ: وَاللَّهِ لا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ بِنَهْبِ إِبِلٍ، فَقِيلَ: أَيْنَ هَؤُلاءِ

---

[1] (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (544-548) .

الأَشْعَرِيُّونَ؟ فَأَتَيْنَا فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى، قَالَ: فَانْدَفَعْنَا فَقُلْتُ لأَصْحَابِي: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَسْتَحْمِلُهُ فَحَلَفَ أَنْ لا يَحْمِلَنَا، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْنَا فَحَمَلَنَا، نَسِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمِينَهُ، وَاللَّهِ! لَئِنْ تَغَفَّلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمِينَهُ لا نُفْلِحُ أَبَدًا؛ ارْجِعُوا بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلْنُذَكِّرْهُ يَمِينَهُ فَرَجَعْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَيْنَاكَ نَسْتَحْمِلُكَ فَحَلَفْتَ أَنْ لا تَحْمِلَنَا ثُمَّ حَمَلْتَنَا، فَظَنَنَّا أَوْ فَعَرَفْنَا أَنَّكَ نَسِيتَ يَمِينَكَ، قَالَ: "**انْطَلِقُوا فَإِنَّمَا حَمَلَكُمْ اللَّهُ؛ إِنِّي وَاللَّهِ! -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- لا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا**"[1].

وبعد، فالرسول ﷺ بشَرٌ يعتريه ما يعتري غيره من العوارض كالنسيان، وما تقدم هي نماذج أثبتت للنبيِّ ﷺ نوعَينِ مِنَ النسيان؛ وهما النسيان بالباعث البشري (طبيعة بشرية)، وإنْساء الله له، ويكون في الغالب لِحِكَمٍ شرعية أرادها.

تتمة وفائدة: في الكلام على رواية قد تخالف نصوص الباب، السابقة:

تلك هذه النصوص التي أثبتت نسيان العبيد، ومنهم عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ. أما ما جاء في الموطأ مِن أَنّ مَالِكًا بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **إِنِّي لأَنْسَى، أَوْ أُنَسَّى لأَسُنّ** "[2]، -هكذا بهذا اللفظ- فهي رواية لا أصل لها، قال الحافظ ابن عبد البر –رحمه الله- في الحديث الرابع والأربعين من بلاغات مالك في الموطأ الأكثر من ستين: « أما هذا الحديث بِهذا اللفظ، فلا أعلمُه يُروى عن النبي ﷺ بوجهٍ من الوجوه مسنَدًا، ولا مقطوعًا، مِن غير هذا الوجه، والله أعلم. وهو أحَدُ الأحاديث الأربعة في

---

[1] صحيح البخاري: كتاب كفارات الأيمان، بَاب الْكَفَّارَةِ قَبْلَ الْحِنْثِ وَبَعْدَهُ، ورقمه: 6721، وصحيح مسلم: كتاب الأيمان، بَاب نَدْبِ مَنْ حَلَفَ يَمِينًا فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَيُكَفِّرُ عَنْ يَمِينِهِ، ورقمه: 1649، واللفظ للبخاري.

[2] الموطأ برواية يحيى، بَابُ الْعَمَلِ فِي السَّهْوِ، ورقمه في الباب: 2 .

الموطأ، التي لا توجد في غيره مسندة، ولا مرسلة. والله أعلم »[1].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « حديث **إِنِّي لا أَنْسَى** لا أصل له؛ فإنه من بلاغات مالك التي لم توجد موصوله بعد البحث الشديد»[2].

ثم قال ابن عبد البر بعد كلامه السابق: « ومعناه صحيحٌ في الأصول، وقد مضَتْ آثارٌ في باب (نومه عن الصلاة)؛ تدل على هذا المعنى، نحو قول : " **إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا لتَكُونَ سُنَّةً لِمَنْ بَعْدَكُم** "[3]. وقال : " **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؛ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْن** "[4]. وثبت مُعَلِّمًا؛ فما سَنَّ لنا اتبعناه، وقد بلّغ ما أُمر به، ولم يتوفاه الله حتى أكمل دينه سُنَنًا وفرائض، والحمد لله »[5]. وذكر الحديث السابق: " **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؛ أَذْكُرُ كَمَا تَذْكُرُونَ، وَأَنْسَى كَمَا تَنْسَوْن** " [6].

فهذا الحديث **(إِنِّي لأَنْسَى، أَوْ أُنَسَّى لأَسُنّ)** باطلٌ لا سند له، والحكم على الحديث بأنه لا سنَد له وبالبطلان، فهو على اللفظ السابق الموجود في الموطأ. أما الحديث بلفظ: " **لا أنْسَى، إنما أُنَسَّى لأَسُنّ** "، أو بلفظ: " **لستُ أنْسَى، ولكِنْ أُنَسّى لأَسُنّ أو لأشرع** " فأبطل منه، ولا وجود له في كتب الحديث إلا إشارة الشارحين له، -كما سيأتِي-[7].

---

[1] التمهيد لما في الموطأ من المعانِي والأسانيد، (ج24/ 375)، ط/ مؤسسة قرطبة، بتحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وانظر: مقدمة محمد فؤاد عبد الباقي، (الموطأ، ص8).

[2] فتح الباري لابن حجر، (ج1/ص1249).

[3] أصل الحديث في الموطأ، باب النوم عن الصلاة.

[4] سبق تخريجه.

[5] التمهيد لما في الموطأ من المعانِي والأسانيد، (ج24/ 375).

[6] الحديث بِهذا اللفظ في صحيح مسلم، وقد سبق تخريجه.

[7] وقع في (موطأ برواية يحيى) كما في المتن: (إني لَأَنْسى أو أُنَسّى لأسن) الأول بصيغة المعروف، والثاني بصيغة المجهول وأو للشك عند بعضهم. وقال عيسى بن دينار وابن نافع: ليست للشك بل معنى ذلك أنسى أنا أو ينسني الله، ووجهه أن يراد: إني لأنسى في اليقظة، وأُنسّى في النوم، فأضاف النسيان في اليقظة إليه؛ لأنها حالة التحرز، والنسيان في النوم إلى الله لما كانت حالا لا يقبل التحرز. ويحتمل أن يراد: إني أنسى حسب ما جرت به العادة من النسيان مع السهو

وذكر العلماء أنّ الحديث بلفظ: "**لا أنْسَى**.." وقع فيه تحريفٌ للموجود في الموطأ (إنّي لأنْسَى ...).

فالحديث بلفظ مالك السابق لا يخالف معناه النصوصَ المتقدمة، بل يوافقها، ويعطي فائدة أنّ نسيان النبي إما أنْ يكون بباعث البشرية، أو بإنْسَاء الله له لحِكَم، وفوائد شرعية –في الغالب-.

بينما الحديث بألفاظِ النفي الواردة هنا (لا أنسى، لست أنسى) يخالف كلِّ نصوص الباب التي أثبتَتْ للنبي النسيان بباعث البشرية، وهو من شُبَه الغلاة فيه ، قال الشيخ الألبانِي –رحمه الله- في رواية النفي الأخيرة، بعدما حكم على الحديث بالبطلان وأنه لا أصل له: « وظاهر الحديث أنَّه لا ينْسَى بباعث البشرية، وإنما يُنْسِيه الله ليشرع، وعلى هذا فهو مخالفٌ لِما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود مرفوعًا: " **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ؛ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي** ". ولا ينافِي هذا أن يترتب على نسيانه حِكَم وفوائد من البيان والتعليم. والقصد أنَّه لا يجوز نفي النسيان الذي هو من طبيعة البشر عنه ، لهذا الحديث الباطل! لمعارضته لهذا الحديث الصحيح »[1].

وقال العلامة ابن القيم –رحمه الله- فِي فصل (هَدْيِهِ فِي سُجُودِ السّهْوِ) بعدما ذكر حديث: (**إِنّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؛ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكّرُونِي**)، مشيرًا إلى ما يحصل من الفوائد في بعض إنساءاته : « وَكَانَ سَهْوُهُ فِي الصّلاةِ مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللّهِ عَلَى أُمّتِهِ، وَإِكْمَالِ دِينِهِمْ، لِيَقْتَدُوا بِهِ فِيمَا يَشْرَعُهُ لَهُمْ عِنْدَ السّهْوِ، وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ الْمُنْقَطِعِ الّذِي فِي الْمُوَطّأِ " **إنّمَا أَنْسَى، أَوْ أُنَسّى لِأَسُن** " وَكَانَ يَنْسَى؛ فَيَتَرَتّبُ عَلَى سَهْوِهِ أَحْكَامٌ شَرْعِيّةٌ تَجْرِي عَلَى سَهْوِ أُمّتِهِ إلَى يَوْمِ

والذهول، أو أنسى مع تذكر الأمر فأضاف الثاني إلى الله كذا ذكره الباجي. وذكر القاضي عياض في الشفا أنه روي: إني لا أَنْسَى ولكني أُنَسّى لأسن. وروي: لستُ أَنسَى، ولكني أُنسى لأسن (وسيأتي في الشفا لاحقًا) (يُنظر، كتاب السهو من الموطأ، ص98، ومقدمة محقق الموطأ، ص8 وما بعده).

[1] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، (ج1/ 218) .

الْقِيَامَة [1]. -ثم ذكر المواضع الخمسة المحفوظة من سهو النبيِّ ، وما ترتَّب عليها مِن شَرعية سُجود السهو القبلي والبعدي، وهذه المواضع الخمسة هي: أنّه قَامَ مِن اثْنَتَيْنِ فِي الرّبَاعِيّةِ وَلَمْ يَجْلِسْ بَيْنَهُمَا، فَلَمّا قَضَى صَلاتَهُ، سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ **قَبْلَ السّلام**، ثُمّ سَلّمَ. وَسَلّمَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ فِي إِحْدَى صَلاتَيِ الْعَشِيّ؛ إِمّا الظّهْرُ وَإِمّا الْعَصْرُ، ثُمّ تَكَلّمَ، ثُمّ أَتَمّهَا، ثُمّ سَلّمَ، ثُمّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ **بَعْدَ السّلام** وَالْكَلام. وَصَلّى يَوْمًا فَسَلّمَ وَانْصَرَفَ، وَقَدْ بَقِيَ مِنْ الصّلاةِ رَكْعَةٌ. وَصَلّى الظّهْرَ خَمْسًا، فَقِيلَ لَهُ: زِيدَ فِي الصّلاةِ؟ قَالَ: "**وَمَا ذَاكَ**؟ قَالُوا: صَلّيْتَ خَمْسًا، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَمَا سَلّم، مُتّفَقٌ عَلَيْهِ. وَصَلّى الْعَصْرَ ثَلاثًا، ثُمّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَذَكّرَهُ النّاسُ، فَخَرَجَ فَصَلّى بِهِمْ رَكْعَةً، ثُمّ سَلّمَ، ثُمّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمّ سَلّمَ. وقال –رحمه الله- بعد ذكره لِهذه المواضع وأدلتها، « فَهَذَا مَجْمُوعُ مَا حُفِظَ عَنْهُ مِنْ سَهْوِهِ فِي الصّلاةِ، وَهُوَ خَمْسَةُ مَوَاضِعَ »[2].

وقد أشار إلى هذه الفوائد التي تحصل في بعض إنساءاته قبل الشيخ الألبانِي والعلامة ابن القيّم –رحمهما الله-، القاضي عياض –رحمه الله- وذلك بعدما تكلّم عن المخالفة التي يكون عليها المؤاخذة (كترك الواجب)، وهو ما كان عن قصد، ذاكرًا أنّ ما لم يكن عن قصد، بل كان سببه السهو والنسيان متصوَّرٌ في حق الرسول ، وأنّه هو وأمته في وقوع ذلك منهم وعدم المؤاخذة على السواء، وهو على نوعين، قال: « وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به، وترك المؤاخذة عليه، فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به، وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء، ثم ذلك **على نوعين**: **ما طريقه البلاغ**، **وتقرير الشرع، وتعلق الأحكام، وتعليم الأمة بالفعل**، وأخذهم باتباعه فيه. **وما هو خارج عن هذا** مما يختص بنفسه، **أما الأول:**

---

1 (?) زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/ 286) .

2 (?) المصدر نفسه، (ج1/289)، (وانظر المسألة في: ج1/286-289) .

فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب، وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي ﷺ، وعصمته من جوازه عليه؛ قصدًا أو سهوًا. فكذلك قالوا: الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرُوُّ المخالفة فيها؛ لا عمدًا ولا سهوًا؛ لأنَّها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء. وطُرُوّ هذه العوارض عليها يوجب التشكيك، ويُسبِّب المطاعن، واعتذروا عن أحاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا، ... وذهب **الأكثر من الفقهاء والمتكلمين** إلى أنَّ المخالفة في الأفعال البلاغية، والأحكام الشرعية، سهوًا وعن غير قصد منه جائزٌ عليه، كما تقرر من أحاديث السهو في الصلاة، وفرَّقوا بين ذلك، وبين الأقوال البلاغية؛ لقيام المعجزة على الصدق في القول، ومُخالفة ذلك تُناقضها. وأما السهو في الأفعال فغير مناقضٍ لها، ولا قادحٍ في النبوة، بل غلطات الفعل، وغفلات القلب من سمات البشر، كما قال ﷺ: " **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ؛ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي** "[1]، نعم، بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه ﷺ سببُ إفادة علمٍ، وتقرير شرعٍ، كما قال ﷺ: " **إِنِّي لأَنْسَى، أَوْ أُنَسَّى لأَسُنّ** "، بل قد روى " **لَسْتُ أَنْسَى، ولكن أُنَسَّى لأَسُنّ** "[2]. وهذه الحالة زيادةٌ له في التبليغ، وتمامٌ عليه في النعمة، بعيدةٌ عن سمات النقص، وأغراض الطعن؛ فإنَّ القائلين بتجويز ذلك يشترطون أنَّ الرسل لا تُقر على السهو والغلط، بل يُنَبَّهُون عليه، ويُعَرَّفون حكمه بالفور، على قول بعضهم وهو الصحيح، وقبل انقراضهم على قول الآخرين »[3].

ثم ذكر **النوع الثانِي** فقال: « وأما ما ليس طريقُه البلاغ، ولا بيانُ الأحكام، مِن أفعاله ﷺ، وما يختص به من أمور دينه، وأذكار قلبه، مما لم يفعله لِيُتَّبع فيه، فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه

---

[1] سبق تخريجه.

[2] وتقدم قريبًا أنّ الحديث بهذا لا أصل له،وخصوصًا الرواية التي جاءت بالنفي "إِنِّي لا أَنْسَى.." لمخالفتها لأحاديث الباب.

[3] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص542-543 .

فيها، ولُحُوق الفترات والغفلات بقلبه، وذلك بما كُلِّفه مِن مُقاساة الخلق، وسياسات الأمة، ومُعاناة الأهل، وملاحظة الأعداء، ولكنْ ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال، بل على سبيل الندور، كما قال ﷺ: " **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ** "[1]، وليس في هذا شيءٌ يَحُطُّ مِن رُتبته، ويناقض معجزتَه. وذهبت **طائفة** إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه ﷺ جملة. وهو مذهب جماعة المتصوفة، وأصحاب علم القلوب والمقامات، ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا -إن شاء الله- »[2].

ومذهب الصوفية هذا خطأ مخالف لظواهر النصوص الشرعية السابقة.

وفي هذا الكلام للقاضي عياض إشارة إلى مواقف **بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام من وصف العبـد الرسول محمد ﷺ وغيـرِه بالنّسيان، كإحدى الصفات لهم.**

وفرقة الصوفية اشتركت مع الرافضة أو أخذتْ صنوفًا من أنواع الغلو منها، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في رده كلام الحلِّي: « وأما المسائل المتقدمة فقد شرَك غير الإمامية فيها بعض الطوائف، إلا غلوهم في عصمة الأنبياء؛ فلم يوافقهم عليه أحد أيضًا، حيث ادعوا أنَّ النبي ﷺ لا يسهو؛ فإنَّ هذا لا يوافقهم عليه أحدٌ -فيما علمتُ- اللهم إلا أنْ يكون من غلاةِ جُهّال النساك؛ فإنَّ بينهم وبين الرافضة قدرًا مشتَرَكًا في الغلو، وفي الجهل، والانقياد لِما لا يُعلم صحّتُه. والطائفتان تُشبهان النصارى في ذلك، وقد يَقْرُب إليهم بعض المصنفين في الفقه من الغلاة في مسألة العصمة. والكلام في أنّ هؤلاء أئمة فرَض الله الإيمان بهم، وتلقّي الدين منهم دون غيرهم، ثم في عصمتهم عن الخطأ؛ فإنّ كُلا من هذين القولين

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب اسْتِحْبَابِ الاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْه، رقم: 2702 .

2 (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص543، وقد سبق نقلُ ما وعَد به الشيخ هنا.

مما لا يقوله إلا مُفْرِط في الجهل، أو مُفْرِط في اتباع الهوى، أو في كليهما. فمَن عرف دين الإسلام، وعرف حال هؤلاء، كان عالِمًا بالاضطرار من دين محمد بطلان هذا القول »[1].

فالرافضة كما نفَوا عن أئمتهم الغلط والخطأ والسهو والنسيان، فإنهم أدخلوا في عصمة أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام نفي السهو عنهم والنسيان، قال الملقب بشيخ الرافضة في زمانه[2]: « ووعدهم الثواب وتوعدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين؛ بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان، ولا المعاصي، وإلا لم يبق وثوق بأقوالهم وأفعالهم، فتنتفي فائدة البعثة، ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول بالإمامة، فنصب أولياء معصومين، ليأمن الناس من غلَطِهم وسهوهم، وخطئهم، فينقادون إلى أوامرهم؛ لئلا يُخلِّي الله العالَم من لطفه ورحمته »[3].

بل ويرَى بعضُ العلماء –رحمهم الله- أنّ الرافضة ما نَفَوا عن النبيِّ صفة السهو والنِّسيان بحال إلا ليتذرّعوا بذلك إلى نفيِها عن أئمتهم، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في حكاية عقيدتهم**:** « يقولون: إنَّ الصحابة وجمهور الأمة حطّوا مِن مقادير أولياء الله؛ عليٍّ وأئمة أهل البيت، وهم الخلفاء الراشدون، وهم عندهم معصومون، وهم غلاة في عصمتهم، <u>وقالوا: إنَّه لا يجوز عليهم السهو والغلط بحال</u>**،** وغلَوا في عصمة الأنبياء؛ **ليكون ذلك تمهيداً لما يدعونه من عصمة الأئمة أولياء الله**؛ إذ هم عند طائفة منهم أفضل من الأنبياء، <u>وجمهورهم يقولون: الناس أحوج إليهم منهم إلى الأنبياء، وأنهم قد يستغنون عن النبي ، ولا يستغنون عن الإمام المعصوم</u>؛ وذلك واجبٌ عندهم في كلِّ زمان، <u>وقالوا: إنَّه من حين صِغره يكون</u>

---

[1] منهاج السنة النبوية، (ج2/ 453-454).

[2] وهو ابن المطهّر الحلي الرافضي، الذي ردّ على كتابه منهاج الكرامة بمنهاج السنة النبوية، انظر نصّ كلامه هذا في (منهاج السنة، ج1/ 123-124)، ومثله في (منهاج السنة/ 2/ ص452)، وللرد عليهم انظر: (ج2/ 453).

[3] منهاج السنة لابن تيمية، (ج1/ 123-124).

معصوماً، حتى قالوا لأجل ذلك؛ إنَّ النبيَّ يجب أيضًا أن يكون قبل النبوة معصومًا من الغلط والسهو في كلِّ شيء، وزعم بعضهم: أنَّه لا بد أن يكون النبيُّ والإمام عارفًا بلُغة كلِّ مَن بُعث إليهم على اختلاف لغاتهم وكثرتها، ولا بد أيضًا أنْ يكون عالمًا بالصنائع والمتاجر وسائر الحِرَف ليكون مستغنيًا بعلمه عن الرجوع إلى أحدٍ من رعيته في دينٍ أو دنيا؛ وذلك يوجب رجوع المعصوم إلى غير المعصوم، وإلى من يجوز عليه الخطأ أو الغلط، ولأنَّ رجوعه إليهم يقتضي نقصه عندهم وحاجته. وعندهم أنَّ من نفى هذا عن الأئمة والأنبياء فقد تعرَّض لتنقيص الأنبياء، وحطٍّ من مقادير الأئمة والأولياء، وعندهم أنَّ من قال ذلك فقد تَجرَّأ -بِما ادعاه وقالَه- عن تنقيص الأنبياء لا محالة؛ فتعيَّن عندهم مجاهدته والقيام عليه والقصد بسيف الشريعة المحمدية إليه، وإقامة ما يجب بسبب مقالته، نصرةً للأنبياء والمرسلين، ولأولياء الله أئمة الدين، وبِهذا ونحوه استحلَّ أهل البدع تكفير جمهور المسلمين وقتالهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وسبي عيالهم، واستعانوا عليهم بالكفار من النصارى والمشركين الترك التتار حتى فعلوا بديار الإسلام ما فعلوه بالعراق وخرسان والجزيرة والشام، وغير ذلك، وكذلك فعلوا بِمصر والمغرب في دولة العبيديين »[1]، والتاريخ يُعيد نفسه، والله تعالى المستعان!

وقبل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- نصّ القاضي عياض –رحمه الله- على جملة من الفِرَق التي جانبتْ الصواب في هذه المسألة (مسألة نسيان العبد الرسول محمد ﷺ)، وذلك في شرحه لحديث ذي اليدين ﷺ، حيث قال: « ..." **أمْ نَسِيتَ** " حجةٌ لِجواز النسيان على النبيّ ﷺ فيما طريقه البلاغ؛ من الأفعال وأحكام الشرع، وهو **مذهب عامة العلماء والأئمة والنظار، وظاهر القرآن والأحاديث**، لكن شرَط الأئمة -رضوان الله عليهم- أنَّه يُنَبِّهُه الله تعالى ولا يُقِرُّه عليه، ثم اختلفوا هل

[1] (?) قالَه شيخ الإسلام في الرد على الأخنائي، ص302، على هامش كتاب تلخيص الاستغاثة والرد على البكري.

من شرط التنبيه الاتصال بالحادثة وبالفور، ولا يجوز فيها التأخير؟ وهذا مذهب الأكثرين، وإليه **نحى القاضي أبو بكر**. أو يجوز فيها التراخي ما لم يتخرّم عُمرُه، وينقطع تبليغُه؟ وإليه **نحى أبو المعالِي**. ومنَعَتْ **طائفة** من العلماء والنظار السهو عليه في الأفعال البلاغية، والعبادات الشرعية، كما منعوه اتفاقًا في الأقوال البلاغية، واعتذروا عن الظواهر الواردة في ذلك باعتذارات، وإليه **مال الأستاذ أبو إسحاق**. وشذَّت **الباطنية**[1] **وطائفة من أرباب علم القلوب**[2]، فقالوا: النسيان لا يجوز عليه جملة، وإنما ينسى قصدًا، ويتعمد صورة النّسيان ليَسُنّ، ونَحَى إلى قولهم عظيمٌ من أئمة التحقيق، **وهو أبو المظفر الإسفراييني** في كتاب الأوسط. وهذا منحى غيرُ سديدٍ، وجَمع الضدِّ مع ضده مستحيل بعيد.

والقول الأول هو الصحيح؛ فإنَّ السهو في الأفعال غير مناف للنبوة، ولا موجب للتشكيكِ في الرسالة، ولا قادحٌ في الشريعة، بل هو سبب لتقرير شرع، وإفادة حُكم كماَ قال ﷺ: " **إنِّي لأنْسى أو أُنَسَّى** ". وكذلك اخْتَلَفُوا فِيما ليس طريقه البلاغ، ولا بيان الأحكام من أفعاله الشرعية، وما يختص به من عَادَاته وَأذْكَار قَلْبه، والأكثر على تجويز الغفلة هنا والسهو؛ إذ لم يؤمر بتبليغها. وأما طروء ذلك عليه في القول فممتنع بإجماع فيما طريقه البلاغ، كما امتنع في ذلك التعمد إجماعًا. وأما طروؤه عليه في الأقْوَال الدُّنْيَوِيَّة، وَفِيمَا لَيْسَ سَبِيله الْبَلَاغ مِنْ الأخبار التي لا مستند للأحكام إليها، وَلا أَخْبَار المعاد، وَلا تُضَاف إِلَى وَحْي، فقد جَوَّزَ قَوْم السهو والغفلة في هذا الباب، إذ ليس من باب التبليغ الذي يُتطرق به إلى القدح في الشريعة. وَالْحَقّ الَّذِي لا مرية فِيهِ تَرْجِيح قَوْل مَنْ لم يُجَوِّز ذَلِكَ عَلَى الأَنْبِيَاء فِي خَبَرٍ مِنْ الأَخْبَار، كَمَا لم يُجَوِّزوا

---

1. ([?]) ستأتِي التعريف بالباطنية لاحقا في تمهيد فصل موقف الرافضة من النبي ﷺ .
2. ([?]) وأرباب علم القلوب هنا هم غلاة جهال النساك، وأصحاب علم القلوب –كما يُزعَم-.

عَلَيْهِمْ فيها العمد، وأنه لا يجوز عليهم خُلْف فِي خَبَر من الأخبار لا عن قصدٍ ولا سهو، ولا فِي صِحَّة وَلَا مَرَض، وَلَا رِضَاء وَلا غَضَب؛ وَحَسْبك أَنَّ سِيرَة نَبِيّنَا وَآثاره، وكَلامه وَأَفْعَاله، مَجْمُوعَة مُعْتَنَى بِهَا، عَلَى مَرّ الزَّمَان، يَتَدَاوَل نقلها الْمُوَافِق وَالْمُخَالِف، وَيرويها الْمُوقِن وَالْمُرْتَاب، فَلَمْ يَأْتِ فِي شَيْء مِنْهَا اِسْتِدْرَاك غَلَط فِي قَوْل، وَلا اِعْتِرَاف بِوَهْم فِي كَلِمَة، وَلَوْ كَانَ لَنُقِلَ؛ كَمَا نُقِلَ سَهْوه فِي الصَّلاَة، وَنَوْمه عَنْهَ، وَاسْتِدْرَاكه رَأْيه فِي تَلْقِيح النَّخْل، وَفِي نُزُوله بِأَدْنَى مِيَاه بَدْر، .. وَقَوْله : " **وَاَللَّه لا أَحْلِف عَلَى يَمِين فَأَرَى غَيْرهَا خَيْرًا مِنْهَا إلا فَعَلْت الَّذِي هُوَ خَيْر، وَكَفَّرْت عَنْ يَمِينِي** "[1] وَغَيْر ذَلِكَ. وَأَمَّا جَوَاز السَّهْو عليه فِي الاعْتِقَادَات فِي أُمُور الدُّنْيَا فَغَيْر نَكِير. وأما ما يتعلق من ذلك بالعلم بالله وصفاته، والإيمان به فلا يصح فيه طروء سهو، ولا غلط، ولا ما يضادُّه، عليه؛ لأنّ ضد ذلك كلّه كفرٌ، وهو محال في حقه . ...»[2].

وبهذا أختم هذا المطلب الذي ذكرت فيه النصوص المثبتة لنبينا عارضًا من عوارض البشرية، ألا وهي صفة النسيان، وأنّ أهل السنة أثبتُوا هذه الصفة له كإحدى الصفات التي وصفه الله تعالى بها، وهو وصف نفسه بها. بينما كان الكثير من فِرَق الغلاة في هذه الأمة ابتداء بالرافضة والصوفية وغيرها وقفوا مع هذه النصوص موقف المؤولة، ونفَوا عنه ما أثبتت النصوص له، ظنًّا منهم أنّ ذلك هو الغاية في تعظيمه ، وليس الأمر كذلك. والله المستعان. وبقِي أنْ أشِير في مطلبٍ خاصٍ إلى أنّ الذي لا يعتريه النسيان هو الحفيظ العليم الكاملُ في علمه وحده سبحانه وتعالى. فأقول –وبالله تعالى التوفيق وبه أستعين:

المطلب الثاني: الحفيظ العليم سبحانه لا يغفَل ولا ينسى:

---

1 (?) وهذا جزءٌ في حديث أبِي موسى الأشعري السابق.

2 (?) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، (ج2/ 286-287)، ونقله عنه النووي –رحمه الله تعالى- في المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص532 .

تقدم أنّ النسيان عارضٌ يعتري علم غير الله من البشر -كائنًا ما كان-، أما الله الخبير العلام الذي كمُل في علمه سبحانه فلا، قال تعالى: ﭽ   ﭼ [مريم: ٦٤]. ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ [طه: ٥٢].

فالضلال عدم العلم، والضال الذي لا يعرف الحق[1]، والله يعلم الحق.

ويشمل الضلال الخطأ والغيبوبة؛ فالله لا يخطئ في التدبير، ولا يَغِيب عنه شيءٌ، ولا يَغيب عن شيءٍ؛ فهو لا يَضلّ عنه علم شيء من الأشياء ولا معرفتُها، ولا ينسى ما عَلِمَه منها[2]، فهو العليم الخبير سبحانه، الذي « لا يشُذّ عنه شيء، ولا يفوته صغيرٌ ولا كبيرٌ، ولا ينسى شيئًا. يصِف علمَه تعالى بأنَّه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئًا، تبارك وتعالى وتقدس، فإنَّ علم المخلوق يعتريه نقصانان؛ أحدُهما: عدم الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد علمه، فنـزّه نفسه عن ذلك »[3].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في جملة أمور متصلة ومنفصلة نزه الله نفسه عنها:

وكذلك التنـزيه عن نسيانه والربّ لم يُـنسَب إلى نِسيان[4].

وقال في موضع:

وكذلك النسيان جَلّ إلَهُنا لا يعتريه قطّ مِن نِسيان[5].

فكما نُفي عن الله الحفيظِ النسيانُ فقد جاءت النصوص الكثيرة بنَفي الغفلة عنه سبحانه وتعالى، قال تعالى في خمسة مواضع من كتابه، ﭽﯙﯚﯛﯜﭼ[6]، وبالياء في الكلمة الأخيرة في موضع واحد، فقال وهو يختم آية

---

1 ([?]) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية، (ج1/ ص18)، و(ج2/ 13).
2 ([?]) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبِي، (ج14/ ص77).
3 ([?]) قاله ابن كثير –رحمه الله- في تفسير القرآن العظيم، (ج3/ ص 209) .
4 ([?]) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم، (بيت رقم: 1592، ص96).
5 ([?]) المصدر نفسه، (بيت رقم: 3215 ص174).
6 ([?]) سورة البقرة (آية رقم: 74، و85، و140، و149) وآل عمران: 99.

تطلع النبي ﷺ إلى تحويل قبلته بالمستشهد به هنا: ﭽﮗﮘﮙ ﮚﮛﮜﮝ ﮥﮦﮧ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛ ﯜﯝ ﯞﯟ ﯠﭼ [البقرة: ١٤٤]. وقال في موضع: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭼ [الأنعام: ١٣٢]. وفي موضعين من كتابه بالتاء في الكلمة الأخيرة، وقد ختَم أولهما بالشاهد هنا، بعد ذكره سبحانه علمَه المحيط الشامل للغيب والشهادة، الذي لا يعتريه غفلة ولا نسيان، قال: ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﭼ [هود: ١٢٣]. وقال: ﭽ ﯥﯦﯧﯨﭼ [إبراهيم: ٤٢]. وقال في ختام آية المؤمنون: ﭽﮕ ﭼ[المؤمنون: ١٧].

فهذا أحد عشر موضعًا في القرآن يُنـزِّه الله نفسه الكريمة عن الغفلة.

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-:

وكذاك غفلتُه تعالى، وهو علا	م الغيوب فظاهر البطلان
وكذلك النسيان جلَّ إلَهُنا،	لا يعتريه قط مِن نسيان[1].

* * *

تتمة وتنبيهٌ وفائدة:

بعد البيان السابق المتقرِّر **أورد هنا إشكالا**، وهو هل مِن تعارضٍ بين ما تقدم مِن نفي النسيان عن الله تعالى، وما جاءَ في بعض الآيات مِن إضافة لفظته (ن س ي) ونسبته إليه سبحانه بصيغة المضي حينًا، والحاضر أو الاستقبال أخرى، قال تعالى في الكافرين أصحابِ النار: ﭽ ﯾ ﭼ [الأعراف: ٥١]. وقال: ﭽﮪﮫ ﮬﮭ ﯔﯕﯖﭼ [التوبة: ٦٧]. وقال في جوابه عن المعرضين عن دينه سبحانه، -الذين لا يؤمنون بآيات ربهم- بعد سؤالهم عن سبب حشرهم عُميًا: ﭽ ﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭼ [طه: ١٢٦]. وفي شأن المجرمين الذين هم بلقاء ربهم كافرون، قال: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﭼ [السجدة: ١٤]. وقال في أنه ينسَى الذين

---

[1] الكافية الشافية لابن القيم، (بيت رقم: 3214، وبيت: 3215، ص 174).

كفروا: ﭽﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [الجاثية: ٣٤]. وقال: ﭽﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﭼ [الحشر: ١٩].

قد سبق أنّ النون والسين والياء يأتي أصله الثاني بمعنى: الترك؛ والذي يكون عن قصد[1]، وهذا هو المراد هنا في الآيات المتقدمة.

قال الشيخ الشنقيطي –رحمه الله- في جواب هذا الإشكال: « قَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽﭼ الآيَةَ. وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْآيَاتِ كَقَوْلِهِ: ﭽﯓﯔﯕﯖﭼ [التوبة: ٦٧]، وَقَوْلِهِ: ﭽﭙﭚﭛﭜﭼ [طه: ١٢٦]. وَقَوْلِهِ: ﭽﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ الآية. لا يُعَارِضُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭼ [طه: ٥٢]. وَقَوْلَهُ: ﭽﭼ [مريم: ٦٤]؛ لِأَنَّ مَعْنَى: ﭽﭼ [الأعراف: ٥١]. وَنَحْوُهُ، أَيْ: نَتْرُكُهُمْ فِي الْعَذَابِ مَحْرُومِينَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ »[2].

وقال تلميذُه الشيخ عطية –رحمه الله- في تكملته لأضواء البيان، عند تفسير آية الحشر السابقة، موضِّحًا ما قد يُشكل على بعض الناس: « تَنْبِيهَانِ: **الْأَوَّلُ:** جَاءَ فِي مِثْلِ هَذَا السِّيَاقِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [الجاثية: ٣٤] . وَقَوْلُهُ : ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﭼ [السجدة: ١٤]. وَقَوْلُهُ: ﭽﯓﯔﯕﯖﭼ [التوبة: ٦٧]، وَفِي هَذَا نِسْبَةُ النِّسْيَانِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَوَقَعَ الْإِشْكَالُ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽﭼ [مريم: ٦٤]. وَقَوْلِهِ: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭼ [طه: ٥٢].

وَقَدْ أَجَابَ الشَّيْخُ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ- عَنْ ذَلِكَ فِي دَفْعِ إِيهَامِ الاضْطِرَابِ، بِأَنَّ النِّسْيَانَ الْمُثْبَتَ بِمَعْنَى التَّرْكِ -كَمَا تَقَدَّمَ- ، وَالْمَنْفِيَّ عَنْهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي بِمَعْنَى السَّهْوِ؛ لأَنَّهُ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. **التَّنْبِيهُ الثَّانِي**: مِمَّا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ -رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْه- فِي مُقَدِّمَةِ الأَضْوَاءِ أَنَّ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ أَنْ يُوجَدَ فِي الآيَةِ اخْتِلافٌ لِلْعُلَمَاءِ، وَتُوجَدُ فِيهَا قَرِينَةٌ دَالَّةٌ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَهُوَ مَوْجُودٌ هُنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [الجاثية: ٣٤]، وَهَذَا الْقَوْلُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ النِّسْيَانِ

[1] انظر: مادة (نسي) من معجم مقاييس اللغة، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ 294-295).

[2] دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، سورة الأعراف،ص146، وانظر المصدر نفسه، سورة الجاثية،ص282.

بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ وَهِيَ لِلْحَالِ أَوِ الاسْتِقْبَالِ، وَلا يَكُونُ النِّسْيَانُ الْمُخْبَرُ عَنْهُ فِي الْحَالِ إِلا عَنْ قَصْدٍ وَإِرَادَةٍ، وَكَذَلِكَ لا يُخْبَرُ عَنْ نِسْيَانٍ سَيَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلا عَنْ قَصْدٍ وَإِرَادَةٍ، وَهَذَا فِي النِّسْيَانِ بِمَعْنَى التَّرْكِ عَنْ قَصْدٍ، أَمَّا الَّذِي بِمَعْنَى السَّهْوِ فَيَكُونُ بِدُونِ قَصْدٍ وَلا إِرَادَةٍ، فَلا يَصِحُّ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ وَلا الإِخْبَارُ بِإِيقَاعِهِ عَلَيْهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَصَحَّ أَنَّ كُلَّ نِسْيَانٍ نُسِبَ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ بِمَعْنَى التَّرْكِ، وَكَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﭼ [الحشر: ١٩] مُفَسِّرًا وَمُبَيِّنًا لِمَعْنَى: ﭽﭥﭦﭧﭼ[الجاثية: ٣٤]، وَلِقَوْلِهِ: ﭽﮥ ﮦﮧﮨﭼ [السجدة: ١٤]، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى »[1] . وأكتفي بِما تقدم واللهَ تعالى أعلم!

---

[1] (?) تكملة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ عطية سالم، سورة الحشر، (ج8/ ص93-94).

المبحث العاشر: أنه يمرض عليه الصلاة والسلام،
والقدوس السلام سبحانه منـزّهٌ عن المرض،
وفيه تمهيدٌ وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بالمرض.
المطلب الأول: النبيّ يمرَض.
المطلب الثاني: الأخبار الصحيحة التي وردت في أنه سُحِر.
المطلب الثالث: القدوس السلام سبحانه لا يَمرض.

التمهيد: التعريف بالمرض:

المرض معروفٌ، قال في التعريفات: « هو ما يعرض البدَنَ فيُخرِجه عن الاعتدال الخاصّ »[1]. والأمراض نوعان: سَماويةٌ محضة، والثاني منهما للمخلوق فيها تسبُّب؛ كالسحر، وكلا النوعَين جائزٌ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما لم يُصِبْ عقولهم ليُؤثِّر على ما جاءوا به من الوحي، على الصحيح مِن قولَي أهل العلم، مثلهم مثل غيرهم من بنِي آدم.

وهذا ما سأفصّل فيهما القول في المطالب المتقدمة.

المطلب الأول: النبي يمرَض[2]:

فعبد الله ورسوله نبيُّنا محمدٌ مثله مثل غيره من جنسه. وهذا مِن تَمام بشريته ومِن أدلة عجزه وكونه مربوبًا يجري عليه ما قُدّر له مِن هذه الأمراض، بل وتشتد عليه، ليضاعف مكفِّراته، ولنقف مع حديثَي عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما. بل سأبنِي ما أذكره في هذا المبحث –في الغالب- على أحاديث هذه الخبيرة

---

1 ([?]) التعريفات للجرجاني، ص294، (مادة المرض).

2 ([?]) انظر: فتح الباري، (شرح أحاديث بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، ج3/ 3063-3078)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، تحت عنوان: المرض والوفاة، (ج2/ 267-281)، والسيرة النبوية –عرض وقائع، وتحليل أحداث، دروس وعبر-، للدكتور علي محمد الصلابِي، (ج2/ 692-706)، تحت عنوان: مرض رسول الله ووفاته، ورسالة محمد نورٌ أضاء على العالم، لجمال عبد الرحمن، 67-75.

المتخصصة بمرويات مَرَضِ الرسول ﷺ وَوَفَاتِه رضي الله عنها وأرضاها.
أما حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في شدة هذا المرض عليه فهو ما أخرجه صاحبا الصحيحين عنها، حيث قَالَتْ: " **مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ** "[1].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُود ﷺ، قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا[2] شَدِيدًا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**أَجَلْ،إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ**". قَالَ:فَقُلْتُ:ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**أَجَلْ**!"[3].

ولأضْرِب مثلا هنا بِمَرَض موت النبِيّ ﷺ: ليتضح لنا بشريتُه في إصابة المرض له، بل وشدته عليه، ذاك المرض الذي كان معه ﷺ أيامًا متعددة، قيل: إنها اثنا عشر يومًا، فروي أنه ابتدأ به يوم الخميس، وبلا خلاف فإنه توفي يوم الاثنين من الأسبوع الثانِي، وقيل: ثلاثة عشر يومًا، وقيل: غير ذلك، يشتد عليه حينًا، ويخف آخر حتى خرج يهادى بين الرجال في بعض تلك الأيام[4]، وقد جمع الحافظ المؤرخ العراقي –رحمه الله- في باب مرضه ووفاته ﷺ الأقوال في المسألة ولخصها، فقال:

« مرِض في العشر الأخير مِن صفَرْ أقام في شكواه ذاك اثنَي عشَرْ
أو عشْرًا أو أقام أربَعْ عشْرَةْ أو فثلاثَ عشْرَةٍ قد ذكرَهْ
كذا ابنُ عبد البرّ في ربيعِ في يومِ الاثنين لدى الجميعِ

[1] صحيح البخاري: باب شدة المرض، رقم: 5646، وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، رقم: 2570، واللفظ للبخاري.

[2] الوعْك –بإسكان العين- قيل: الحمى، وقيل: ألَمُها،(انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي، ص1540.

[3] صحيح البخاري: كتاب المرضى، باب شدة المرض، وباب أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَوَّلُ فَالأَوَّل، رقم: 5647، و5648، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2571، واللفظ له.

[4] انظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، (ج8/ 559-560)، ولطائف المعارف لابن رجب، ص122.

وفاتُه، إما بثانِي الشهرِ، أو مستَهَلٍّ، أوِ بثانِي عشرِ
وهْوَ الذي أورد الجمهورُ لكنْ عليه نظَرٌ كبـيرُ
لأنّ وقفةَ الوداع الجمُعَةْ فلا يصحّ كونُها فيه معَهْ[1]،
وقيل: بلْ في ثامنٍ بالجَزْمِ وهْوَ الذي صحّحه ابْنُ حزْمِ
وكان ذَاكَ عندما اشتدّ الضّحَى أو حينَ زاغ الشمسُ، خُلْفٌ صُرِّحـا»[2].

وفي أيام مرضه كلّها لم يكن ليصلِّي بالناس من الصحابة إلا أبو بكر .

ويذكر العلماء –رحمهم الله- أنّ أول ما ابتدأ به رسول الله من مرضه هو « وجع رأسه، ولهذا خطب وقد عصب رأسه بعصابة دسماء، وكان صداع الرأس والشقيقة يعتريه كثيرًا في حياته، ويتألم منه أيامًا، وصداع الرأس من علامات أهل الإيمان، وأهل الجنة »[3]. ويظهر أنّه صداعٌ مع الحمى، « فقد تبين أن أول مرضه كان صداع الرأس، والظاهر أنه كان مع حمى؛ فإنّ الحمى اشتدت به في مرضه، فكان يَجلس في مخضب، ويُصَبّ عليه الماء من سبع قرب لم تُحْلَل أوكيتهن، يتبرد بذلك، وكان عليه قطيفة؛ فكانت حرارةُ الحمى تُصيب مَن وضَع يدَه عليه مِن فوقها »[4] .

* فالنبيّ رجع من الحج، وعقد لواء جيش أسامة حبِّه ابن حبِّه رضي الله عنهما، وبدأ الناس يستعدون للجهاد في هذا الجيش فإذا بشكوى الرسول تبتدأ مما أخّر هذا الجيش إلى ما بعد وفاته ، وقد قال في أول هذا المرض بعد ما رجع مِن زيارة المقبرة التي أُمر بها: " **وارأساه!** "، فعن عَائِشَة رضي الله عنها، قَالَتْ: «

---

1 (?) أجاب عن هذا التنظير الحافظ ابن رجب، (انظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من المعارف، ص128-129).

2 (?) الدرر السنية في نظم السيرة الزكية للعراقي، ص65-66، باعتناء منصور العتيقي، وانظر شرحها: العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقي، ص539-541، بتحقيق: عمر بن أحمد.

3 (?) قاله ابن رجب الحنبلي –رحمه الله- في كتابه لطائف المعارف، ص124.

4 (?) قاله ابن رجب الحنبلي –رحمه الله- في كتابه لطائف المعارف، ص125 .

وَارَأْسَاهْ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " **ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ؛ فَأَسْتَغْفِرُ لَكِ، وَأَدْعُو لَكِ** "، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَاثُكْلِيَاهْ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلِلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **بَلْ أَنَا، وَارَأْسَاهْ! لَقَدْ هَمَمْتُ، أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ، وَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ، أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللَّهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ** "[1].

* ولَما ابتدأ به المرض واشتد عليه، وصعُب عليه التنقل استأذن زوجاته بتمريضه في بيت زوجه عائشة رضي الله عنها، فعَنْها، قَالَتْ: « لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يمرَض فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ،.. وفيه: وَكَانَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، قَالَ: " **هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ** "، فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ؛ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى بِهِمْ، وَخَطَبَهُمْ » متفقٌ عليه، واللفظ للبخاري[2].

وفي لفظ آخر له، -ويدل على شدة وجعه ﷺ حتى بلغ به الحال إلى أنّه كان يُغمى عليه ثم يفيق، وقد حصل ذلك أكثر من مرة[3]-

[1] صحيح البخاري: كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجِع، أو وارأساه..، رقم: 5666.

[2] صحيح البخاري: كتاب المغازي: بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ، رقم: 4442، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذرٌ، رقم: 418.

[3] انظر: لطائف المعارف، ص125.

ما جاء عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ[1]، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: أَلا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَتْ: بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ ، فَقَالَ: " **أَصَلَّى النَّاسُ؟** قُلْنَا: لا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: " **ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ، قَالَتْ: فَفَعَلْنَا فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ**، فَقَالَ : " **أَصَلَّى النَّاسُ؟** قُلْنَا: لا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: " **ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ**، قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: " **أَصَلَّى النَّاسُ؟** قُلْنَا: لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: " **ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ**، فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ[2] فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: **أَصَلَّى النَّاسُ؟** فَقُلْنَا: لا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلام[3] لِصَلاةِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ -وَكَانَ رَجُلا رَقِيقًا: يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ بِأَنْ لا يَتَأَخَّرَ، قَالَ: أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي، وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلاةِ النَّبِيِّ ، وَالنَّاسُ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ قَاعِدٌ[4].

---

[1] (?) **عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود**، الهذلِي أبو عبد الله، المدنِي، ثقة فقيه ثبت، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة ثمان، وقيل: غير ذلك، أخرج له أصحاب الكتب الستة، (انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ورقمه: 4309).

[2] (?) **لينُوء** –بضم النون-: أي لينهض بجهد (انظر: فتح الباري لابن حجر، ج1/ ص900).

[3] (?) هكذا في صحيح البخاري بإفراد السلام عن الصلاة، والمأمور به الجمع بين الاثنين.

[4] (?) صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، رقم: 687.

* وقبل وفاته بأربعة أيام اشتد به الوجع زيادة، فعن سَعِيد بْن جُبَيْرٍ[1]، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: « يَوْمُ الْخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَى، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ! مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ قَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ وَجَعُهُ، فَقَالَ: " **ائْتُونِي بِكَتِفٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا؛ لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا** "، فَتَنَازَعُوا، وَلا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: مَا لَهُ أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوهُ. فَقَالَ: " **ذَرُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**، فَأَمَرَهُمْ بِثَلاثٍ؛ ...الحديث[2].

قال النووي –رحمه الله- في شرحه: « اعْلَمْ أَنَّ النَّبِيّ مَعْصُوم مِنْ الْكَذِب، وَمِنْ تَغْيِير شَيْء مِنْ الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة فِي حَال صِحَّته وَحَال مَرَضه، وَمَعْصُوم مِنْ تَرْك بَيَان مَا أُمِرَ بَيَانه، وَتَبْلِيغ مَا أَوْجَبَ اللَّه عَلَيْهِ تَبْلِيغه، وَلَيْسَ مَعْصُومًا مِنْ الأَمْرَاض وَالأَسْقَام الْعَارِضَة لِلأَجْسَام وَنَحْوهَا؛ مِمَّا لا نَقْص فِيهِ لِمَنْزِلَتِهِ، وَلا فَسَاد لِمَا تَمَهَّدَ مِنْ شَرِيعَته. وَقَدْ سُحِرَ حَتَّى صَارَ يُخَيَّل إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْء وَلَمْ يَكُنْ فَعَلَهُ، وَلَمْ يَصْدُر مِنْهُ وَفِي هَذَا الْحَال كَلامٌ فِي الأَحْكَام مُخَالِفٌ لِمَا سَبَقَ مِنْ الأَحْكَام الَّتِي قَرَّرَهَا. ... وَأَمَّا كَلام عُمَر [3] فَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاء الْمُتَكَلِّمُونَ فِي شَرْح

---

[1] **سعيد بن جُبَيـر**، الأسدي مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين، أخرج له أصحاب الكتب الستة، (انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ورقمه: 2278).

[2] صحيح البخاري: كتاب الجزية والموادعة، بَاب إِخْرَاجِ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، رقم: 3168، وكتاب المغازي: بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، رقم:4431، وصحيح مسلم: كتاب الوصية، باب تَرْكِ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، رقم: 1637.

[3] إشارة إلى حديث ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ : هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ؛ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ؛ فَاخْتَصَمُوا، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ كِتَابًا؛ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالاخْتِلافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **قُومُوا** ". .. الحديث في (صحيح البخاري: كتاب المرضى، بَاب قَوْلِ الْمَرِيضِ قُومُوا عَنِّي، رقم: 5669، ومختصرًا في كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم: 114. وصحيح مسلم: كتاب الوصية، باب تَرْكِ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ

الْحَدِيث عَلَى أَنَّهُ مِنْ دَلائِل فِقْه عُمَر وَفَضَائِله، وَدَقِيق نَظَره؛ لأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكْتُب أُمُورًا رُبَّمَا عَجَزُوا عَنْهَا؛ وَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَة عَلَيْهَا؛ لأَنَّهَا مَنْصُوصَة لا مَجَال لِلاجْتِهَادِ فِيهَا، فَقَالَ عُمَر: حَسْبنَا كِتَاب اللَّه؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽﭽﭽﮈﮈ ﮈﮆﭽ [الأنعام:٣٨]. وَقَوْله: ﭽﭽﭽﭽﭽﮔﭽ [المائدة:٣]. فَعُلِمَ أَنَّ اللَّه تَعَالَى أَكْمَلَ دِينه؛ فَأَمِنَ الضَّلال عَلَى الأُمَّة، وَأَرَادَ التَّرْفِيه عَلَى رَسُول اللَّهِ ، فَكَانَ عُمَر أَفْقَه مِن ابْن عَبَّاس وَمُوَافِقِيهِ. قَالَ الإِمَام الْحَافِظ أَبُو بَكْر الْبَيْهَقِيُّ فِي أَوَاخِر كِتَابه دَلائِل النُّبُوَّة: إِنَّمَا قَصَدَ عُمَر التَّخْفِيف عَلَى رَسُول اللَّه حِين غَلَبَهُ الْوَجَع، وَلَوْ كَانَ مُرَاده أَنْ يَكْتُب مَا لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ لَمْ يَتْرُكهُ لاخْتِلافِهِمْ وَلا لِغَيْرِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽﭽﭽﭽﮔﭽ [المائدة: ٦٧]. كَمَا لَمْ يَتْرُك تَبْلِيغ غَيْر ذَلِكَ لِمُخَالَفَةِ مَنْ خَالَفَهُ، وَمُعَادَاة مَنْ عَادَاهُ، وَكَمَا أَمَرَ فِي ذَلِكَ الْحَال بِإِخْرَاجِ الْيَهُود مِنْ جَزِيرَة الْعَرَب، وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَهُ فِي الْحَدِيث. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَقَدْ حَكَى سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ عَنْ أَهْل الْعِلْم قَبْله أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكْتُب اِسْتِخْلاف أَبِي بَكْر ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ اِعْتِمَادًا عَلَى مَا عَلِمَهُ مِنْ تَقْدِير اللَّه تَعَالَى ذَلِكَ، كَمَا هَمَّ بِالْكِتَابِ فِي أَوَّل مَرَضه حِين قَالَ: " **وَارَأْسَاه!** " ثُمَّ تَرَكَ الْكِتَاب، وَقَالَ: "**يَأْبَى اللَّه وَالْمُؤْمِنُونَ إِلا أَبَا بَكْر**"، ثُمَّ نَبَّهَ أُمَّته عَلَى اسْتِخْلاف أَبِي بَكْر بِتَقْدِيمِهِ إِيَّاهُ فِي الصَّلاة. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَإِنْ كَانَ الْمُرَاد بَيَان أَحْكَام الدِّين وَرَفْع الْخِلاف فِيهَا، فَقَدْ عَلِمَ عُمَر حُصُول ذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽﭽﭽﭽﭽﭽ وَعَلِمَ أَنَّهُ لا تَقَع وَاقِعَة إِلَى يَوْم الْقِيَامَة إِلا وَفِي الْكِتَاب أَوْ السُّنَّة بَيَانُهَا نَصًّا أَوْ دَلالَة، وَفِي تَكَلُّف النَّبِيّ فِي مَرَضه مَعَ شِدَّة وَجَعه كِتَابة ذَلِكَ مَشَقَّة، وَرَأَى عُمَر الاقْتِصَار عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانه إِيَّاهُ نَصًّا أَوْ دَلالَة تَخْفِيفًا عَلَيْهِ؛ وَلِئَلا يَنْسَدّ بَاب الاجْتِهَاد عَلَى أَهْل الْعِلْم، وَالاسْتِنْبَاط وَإِلْحَاق الْفُرُوع بِالأُصُولِ، .. وَفِي تَرْكه الإِنْكَار عَلَى عُمَر دَلِيل عَلَى اسْتِصْوَابه، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَلا يَجُوز أَنْ يُحْمَل قَوْل عُمَر عَلَى أَنَّهُ تَوَهَّمَ الْغَلَط عَلَى رَسُول اللَّه ، أَوْ ظَنَّ بِهِ غَيْر ذَلِكَ مِمَّا لا يَلِيق بِهِ بِحَالٍ، لَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى مَا غَلَبَ عَلَى رَسُول اللَّه مِن

لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُوصِى فِيهِ، إثر حديث برقم: 1637).

الْوَجَع، وَقُرْبِ الْوَفَاة مَعَ مَا اعْتَرَاهُ مِن الْكَرْب خَافَ أَنْ يَكُون ذَلِكَ الْقَوْل مِمَّا يَقُولهُ الْمَرِيض مِمَّا لا عَزِيمَة لَهُ فِيهِ، فَتَجِد الْمُنَافِقُونَ بِذَلِكَ سَبِيلا إِلَى الْكَلام فِي الدِّين، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابه يُرَاجِعُونَهُ فِي بَعْض الأُمُور قَبْل أَنْ يَجْزِم فِيهَا بِتَحْتِيمٍ، كَمَا رَاجَعُوهُ يَوْم الْحُدَيْبِيَة فِي الْخِلاف، وَفِي كِتَاب الصُّلْح بَيْنه وَبَيْن قُرَيْش. فَأَمَّا إِذَا أَمَرَ بِالشَّيْءِ أَمْر عَزِيمَة فَلا يُرَاجِعهُ فِيهِ أَحَد مِنْهُمْ.

قَالَ: وَأَكْثَر الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّهُ يَجُوز عَلَيْهِ الْخَطَأ فِيمَا لَمْ يَنْزِل عَلَيْهِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا كُلّهمْ عَلَى أَنَّهُ لا يُقَرّ عَلَيْهِ. قَالَ: وَمَعْلُوم أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ اللَّه تَعَالَى قَدْ رَفَعَ دَرَجَته فَوْق الْخَلْق كُلّهمْ فَلَمْ يُنَزِّههُ عَنْ سِمَات الْحَدَث وَالْعَوَارِض الْبَشَرِيَّة، وَقَدْ سَهَا فِي الصَّلاة، فَلا يُنْكَر أَنْ يُظَنّ بِهِ حُدُوث بَعْض هَذِهِ الأُمُور فِي مَرَضه، فَيُتَوَقَّف فِي مِثْل هَذَا الْحَال حَتَّى تَتَبَيَّن حَقِيقَته، فَلِهَذِهِ الْمَعَانِي وَشَبَههَا رَاجَعَهُ عُمَر ،.. وَقَالَ الْمَازِرِيّ: إِنْ قِيلَ: كَيْف جَازَ لِلصَّحَابَةِ الاخْتِلاف فِي هَذَا الْكِتَاب مَعَ قَوْله : "**ائْتُونِي أَكْتُب**" وَكَيْف عَصَوْهُ فِي أَمْره؟ **فَالْجَوَاب:** أَنَّهُ لا خِلاف أَنَّ الأَوَامِر تُقَارِنهَا قَرَائِن تَنْقُلهَا مِن النَّدْبِ إِلَى الْوُجُوب عِنْد مَنْ قَالَ: أَصْلهَا لِلنَّدْبِ، وَمِن الْوُجُوب إِلَى النَّدْب عِنْد مَنْ قَالَ: أَصْلهَا لِلْوُجُوبِ، ... فَلَعَلَّهُ ظَهَرَ مِنْهُ مِن الْقَرَائِن مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُوجِب عَلَيْهِمْ، بَلْ جَعَلَهُ إِلَى اخْتِيَارهمْ، فَاخْتَلَفَ اخْتِيَارهمْ بِحَسَبِ اجْتِهَادهمْ، وَهُوَ دَلِيل عَلَى رُجُوعهمْ إِلَى الاجْتِهَاد فِي الشَّرْعِيَّات، فَأَدَّى عُمَر اجْتِهَادُه إِلَى الامْتِنَاع مِنْ هَذَا، وَلَعَلَّهُ اعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ صَدَرَ مِنْهُ مِنْ غَيْر قَصْد جَازِمٍ، وَهُوَ الْمُرَاد بِقَوْلِهِمْ: هَجَرَ، وَبِقَوْلِ عُمَر: غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَع، وَمَا قَارَنَهُ مِنْ الْقَرَائِن الدَّالَّة عَلَى ذَلِكَ عَلَى نَحْو مَا يَعْهَدُونَهُ مِنْ أُصُوله فِي تَبْلِيغ الشَّرِيعَة، وَأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى غَيْره مِنْ طُرُق التَّبْلِيغ الْمُعْتَادَة مِنْهُ ، فَظَهَرَ ذَلِكَ لِعُمَر دُون غَيْره، فَخَالَفُوهُ، وَلَعَلَّ عُمَر خَافَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ قَدْ يَتَطَرَّقُونَ إِلَى الْقَدْح فِيمَا اشْتَهَرَ مِنْ قَوَاعِد الإِسْلام، وَبَلَّغَهُ النَّاس بِكِتَابٍ يُكْتَب فِي خَلْوَة،وَآحَاد، وَيُضِيفُونَ

إِلَيْهِ شَيْئًا لِيُشَبِّهُوا بِهِ عَلَى الَّذِينَ فِي قُلُوبهمْ مَرَض،وَلِهَذَا قَالَ: عِنْدكُمْ الْقُرْآن حَسْبنَا كِتَاب اللَّه»[1].

قاله –رحمه الله- في كلام له أطول من هذا.

وقال في بيان معنى قولهم: (مَا لَهُ أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوهُ): « وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاض: أَوْ قَوْله: (أَهَجَرَ رَسُول اللَّه) هَكَذَا هُوَ فِي صَحِيح مُسْلِم وَغَيْره (أَهَجَرَ) [2] عَلَى الاسْتِفْهَام، وَهُوَ أَصَحّ مِنْ رِوَايَة: (هَجَرَ، وَيَهْجُر)؛ لأَنَّ هَذَا كُلّه لا يَصِحّ مِنْهُ ؛ لأَنَّ مَعْنَى (هَجَرَ): هَذَى، وَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا مِنْ قَائِله اسْتِفْهَامًا؛ لِلإِنْكَارِ عَلَى مَنْ قَالَ: لا تَكْتُبُوا، أَيْ لا تَتْرُكُوا أَمْر رَسُول اللَّه وَتَجْعَلُوهُ كَأَمْرِ مَنْ هَجَرَ فِي كَلامه؛ لأَنَّهُ لا يَهْجُر. وَإِنْ صَحَّتْ الرِّوَايَات الأُخْرَى، كَانَتْ خَطَأ مِنْ قَائِلهَا قَالَهَا بِغَيْرِ تَحْقِيق، بَلْ لِمَا أَصَابَهُ مِنْ الْحَيْرَة وَالدَّهْشَة؛ لِعَظِيمِ مَا شَاهَدَهُ مِنْ النَّبِيّ مِنْ هَذِهِ الْحَالَة الدَّالَّة عَلَى وَفَاته وَعَظِيم الْمُصَاب بِهِ، وَخَوْف الْفِتَن وَالضَّلال بَعْده، وَأَجْرَى الْهَجْر مَجْرَى شِدَّة الْوَجَع، وَقَوْل عُمَر : حَسْبنَا كِتَاب اللَّه رَدٌّ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ لا عَلَى أَمْر النَّبِيّ ، وَاللَّهُ أَعْلَم »[3].

* وأما قبل الموت بثلاثة، فقد اشتد به وجعه كذلك، ففي صحيح البخاري في مراسيل الصحابة عَن أَبِي مُوسَى ، قَالَ: « مَرِضَ النَّبِيُّ فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: " **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** "، قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ؛ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، قَالَ: " **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** "، فَعَادَتْ، فَقَالَ: " **مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ؛ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ** " فَأَتَاهُ الرَّسُولُ؛ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ [4].

---

1 (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم، للنووي، (ص1041-1042).

2 (?) بل وفي البخاري أيضًا، وهو الحديث المشروح هنا.

3 (?) المنهاج للنووي، (ص1040) .

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، رقم: 678، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب اسْتِخْلاَفِ الإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّى بِالنَّاسِ..،رقم: 420.

* وفي ليلة الاثنين التي مات رسول الله في ضُحاها اشتد عليه وجعه، حتى أرسلت عائشة رضي الله عنها إلى جارتها تطلب أنْ تُقطِّر لهم السمن في مصباحهم [1].

* ويوم موته (يوم الاثنين) أفاق من مرضه، وكشف الستر على المسلمين وفاجأهم بذلك، وهم يُصلّون الفجر، فسُرّ بذلك الصحابة ، وكادوا يفتتنون به، فعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ -وَكَانَ تَبِعَ النَّبِيَّ وَخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ- « أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ، وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا، وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنْ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ خَارِجٌ إِلَى الصَّلاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ أَنْ أَتِمُّوا صَلاتَكُمْ، وَأَرْخَى السِّتْرَ، فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ »[2]، وفي لفظ له في (بَاب هَلْ يَلْتَفِتُ لأَمْرٍ يَنْزِلُ بِهِ، أَوْ يَرَى شَيْئًا أَوْ بُصَاقًا فِي الْقِبْلَةِ)، أورد البخاري الحديث نفسه، وجاء في آخره: « ... وَتُوُفِّيَ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ »[3].

* ومن شدة الوجع ما حصل له في ساعة موته حيث طفق يطرح خميصة على وجهه؛ إذا اغتم بها كشفها، ففي الصحيحين عن عَائِشَةَ وَابْن عَبَّاسٍ ،قَالاَ: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ،فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ..الحديث»[4].

---

1 (?) انظر/ الحديث المتضمن لهذا المعنى في: المعجم الكبير للطبراني، رقم: 5857 .

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالإِمَامَةِ، رقم: 680، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر.. رقم: 419.

3 (?) صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 754.

4 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي: بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، رقم: 4443، و4444، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا..، رقم: 531 .

* واشتدت سكرات الموت به ودعا الله بأنْ يُعينَه عليها[1]، ثم صمت، ودخل عليه أسامة بن زيد، وقد صمت ولا يقدر على الكلام فدعا له بالإشارة، .. ومثله لما وضعوا في جانب فمه الدواء (اللدّ)[2] بغير اختياره ظنًّا منهم أنّ به ذات الجنب، أشار عليهم بأنْ لا يفعلوا[3]، فعن عَائِشَة رضي الله عنها، قالت: « لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ لا تَلُدُّونِي، فَقُلْنَا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: " **أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي!** قُلْنَا: كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: " **لا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلا لُدَّ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلا الْعَبَّاسَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ** "[4].

* وفي اللحظات الأخيرة من حياته دخل عليه عبد الرحمن بن أبِي بكر وبيده سواك فأخذ ينظر إليه، فسألته عائشة عن حاجته إليه فأشار إليها بأنْ نعم، وسيأتي الحديث بذلك.

* وحين اشتد الضحى[5] من هذا اليوم ورأت فاطمة رضي الله عنها ما بأبيها من الوجع الشديد، قالت: «واكرب أباه!»، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ : لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: « وَاكَرْبَ أَبَاهُ! فَقَالَ لَهَا: " **لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ!** فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ:

يَا أَبَتَاهْ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ ... يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ

يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ

فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلاَمُ -: يَا أَنَسُ! أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ التُّرَابَ »[6].

---

1 (?) الحديث في البخاري وغيره، وسيأتي تخريجه قريبًا.

2 (?) **اللدّ واللدود:** هو ما يصب من الأدوية في أحد شقي الفم (انظر: الصحاح للجوهري، مادة: لدد، ص943، والمنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي، ص1379، وفتح الباري لابن حجر، ج3/ ص3076).

3 (?) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج2/ 274).

4 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي: بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، رقم: 4458، وصحيح مسلم: كتاب السلام، بَاب كَرَاهَةِ التَّدَاوِي بِاللَّدُودِ، رقم: 2213 .

5 (?) كان وفاته مع ارتفاع الضحى على الأصح من يوم الاثنين.

ولسان حال الصحابة والمسلمين أنّهم ما طابتْ نفوسنا أنْ يُحثّ على رسول الله التراب، بل اضطررنا إلى ذلك اضطرارًا امتثالا لأمره وفعله للمتوفّين[1]، وأنس هذا هو القائل: « لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَلَمَّا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ الأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ، حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا »[2].

وسيأتِي تتمة الكلام في المبحث الأخير، حيث خصصتُه لبيان موته وانتقاله الرفيق الأعلى.

كما أنّ في تلك الأحاديث المتقدمة البيان بأن عبد الله ورسوله نبينا محمدًا يُصاب بالمرض مثلما يصاب أفراد جنسه، بل ويختص باشتدادها عليه. وهذا كله دليل على أنه مربوب تجري عليه قضاء ربه، وأنه ليس له من خصائص الربوبية شيء!

المطلب الثاني: الأخبار الصحيحة التي وردت في أنه سُحِر[3]:

« السين والحاء والراء أصولٌ ثلاثة متباينة: أحدُها: عُضوٌ من الأعضاء، والآخَر: خدعٌ وشبهه. والثالث وقتٌ مِن الأوقات. فالعُضوُ السَّحْرُ، وهو ... وأما الثانِي فالسِّحر، قال قومٌ: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال: هو الخديعة » قاله ابنُ فارسَ[4].

---

6 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي: بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، رقم: 4462.

1 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر، (ج3/ ص3077) .

2 (?) جامع الترمذي: كتاب المناقب، بَاب فِي فَضْلِ النَّبِيِّ ، رقم: 3618، وسنن ابن ماجه: كتاب الجنائز، بَاب ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ ، رقم: 1631، وقَالَ الترمذي: « حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ »، وصححه الشيخ الألباني.

3 (?) انظر للاستزادة: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تفسير آية: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ [الفلق: ٤]. (ج4/ ص748)، وشرح العقيدة الطحاوية، (ج2/ 768-772)، موقف الإسلام من السحر –دراسة نقدية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، للدكتور حياة سعيد عمر با أخضر، (ج1/ ص297-383).

4 (?) مقاييس اللغة، مادة: سحر)، ص507 .

والشاهد هنا الأصل الثانِي.

« والسِحْرُ: الأُخْذَةُ، وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُهُ ودَقَّ، فهو سِحْرٌ. وقد سَحَرَهُ يَسْحَرُهُ، سِحْرًا. والساحِر: العالِمُ. وسَحَرَهُ أيضًا: بمعنى خَدَعَهُ، وكذلك إذا عَلَّلَهُ »[1].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في بيان حقيقته وبعض أنواعه « وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: السِّحْر: حِيلَ صِنَاعِيَّة يُتَوَصَّل إِلَيْهَا بِالاكْتِسَابِ، غَيْر أَنَّهَا لِدِقَّتِهَا لا يَتَوَصَّل إِلَيْهَا إِلا آحَاد النَّاس، وَمَادَّته الْوُقُوف عَلَى خَوَاصّ الأَشْيَاء، وَالْعِلْم بِوُجُوهِ تَرْكِيبهَا وَأَوْقَاته، وَأَكْثَرهَا تَخْيِيلات بِغَيْرِ حَقِيقَة، وَإِيهَامَات بِغَيْرِ ثُبُوت، فَيَعْظُم عِنْد مَنْ لا يَعْرِف ذَلِكَ، كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى عَنْ سَحَرَة فِرْعَوْن: ﭼﭙﭚﭛﭼ [الأعراف: ١١٦]. مَعَ أَنَّ حِبَالهمْ وَعِصِيّهمْ لَمْ تَخْرُج عَنْ كَوْنهَا حِبَالا وَعِصِيًّا. ثُمَّ قَالَ: وَالْحَقّ أَنَّ لِبَعْضِ أَصْنَاف السِّحْر تَأْثِيرًا فِي الْقُلُوب، كَالْحُبِّ وَالْبُغْض، وَإِلْقَاء الْخَيْر وَالشَّرّ، وَفِي الأَبَدَانِ بِالأَلَمِ وَالسَّقَم، وَإِنَّمَا الْمَنْكُور أَنَّ الْجَمَاد يَنْقَلِب حَيَوَانًا، أَوْ عَكْسه بِسِحْرِ السَّاحِر، أَوْ نَحْو ذَلِكَ »[2] .

وقد تقدم في المطلب السابق ما يدلّ على اعتراء الأمراض السماوية عبدَ الله ورسوله محمدًا ، وأنّ مثله فيه مثل غيره، بل يختص بشدتها عليه.

أما هذا المطلب فمعقودٌ لبيان أنّ الجنس الآخر من الأمراض، وهي ما للمخلوقين فيها تسببٌ كالسحر: فإنها يجوز أنْ تصيبَه مثل ما تصيب غيرَه، بل وقد أصابَتْه، كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، المتفق عليه، حيث قَالَتْ: « سَحَرَ رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ[3]، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ

---

[1] الصحاح للجوهري، مادة سحر، ص479، وانظر: القاموس المحيط، المادة نفسها، 378 .

[2] فتح الباري، (ج3/ 4111).

[3] **رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ**: هو الذي سحَر النبي ، يهوديّ، أو من المنافقين الحلفاء لليهود، كما جاء في رواية (البخاري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر؟ رقم: 5765): لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا. قال الحافظ ابن حجر في شرح اللفظة الأولى: **بنو زُريق**: بزاي قبل الراء مصغر. قوله: (يقال له: **لبيد**) -بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة- (**ابن الأعصم**)، بوزن أحمر –بمهملتين- ووقع في رواية عبد الله بن نمير عن

يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، -وَهْوَ عِنْدِي- لَكِنَّهُ دَعَا، وَدَعَا، ثمَّ قَالَ: " **يَا عَائِشَةُ! أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؛ أَتَانِي رَجُلاَنِ؛ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ**[1]**، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ**[2]**. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ**[3] "، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ، فَقَالَ: " **يَا عَائِشَةُ! كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ**[4]**، أَوْ كَأَنَّ رُؤُوسَ نَخْلِهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ

هشام بن عروة عند مسلم: سحر النبي ﷺ يهودي من يهود بني زريق. ووقع في رواية ابن عيينة الآتية قريبا رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا. ويجمع بينهما بأن من أطلق أنه يهودي نظر إلى ما في نفس الأمر، ومن أطلق عليه منافقا نظر إلى ظاهر أمره، وقال بن الجوزي: هذا يدل على أنه كان أسلم نفاقًا، وهو واضح؛ وقد حكى عياض في الشفاء: أنه كان أسلم. ويحتمل أن يكون قيل له يهودي لكونه كان من حلفائهم؛ لا أنه كان على دينهم. وبنو زريق بطن من الأنصار مشهور من الخزرج، وكان بين كثير من الأنصار وبين كثير من اليهود قبل الإسلام حلف وإخاء ووُد، فلما جاء الإسلام ودخل الأنصار فيه تبرءوا منهم. وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر أخرجه عنه بن سعد بسند له إلى عمر بن الحكم مرسل قال لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم من سنة سبع جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفا في بني زريق، وكان ساحرا فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدا فلم نصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير (انظر: فتح الباري، ج3/ص4113).

[1] **الْمُشَاطَة**: بِضَمِّ الْمِيم، وَهِيَ الشَّعْر الَّذِي يَسْقُط مِنْ الرَّأْس أَوْ اللِّحْيَة عِنْد تَسْرِيحه، (انظر: المنهاج للنووي، ص1370).

[2] **جُفّ**: بِالْجِيمِ وَالْفَاء، وفي بَعْض الروايات: (جُبّ) بالباء، وَهُمَا بِمَعْنًى، وَهُوَ وِعَاء طَلْع النَّخْل، وَهُوَ الْغِشَاء الَّذِي يَكُون عَلَيْهِ، (انظر: المنهاج للنووي، ص1370).

[3] **ذِي أَرْوَان، أو ذَرْوَان**: وَكِلاهُمَا صَحِيح ، وَهُوَ بِئْر بِالْمَدِينَةِ فِي بُسْتَان بَنِي زُرَيْق (انظر: المنهاج للنووي، ص1370).

[4] **الْحِنَّاء**: مَمْدُود، (والنُّقَاعَة) بِضَمِّ النُّون الْمَاء، الَّذِي يُنْقَع فِيهِ الْحِنَّاء، (انظر: المنهاج للنووي، ص1370).

أَسْتَخْرِجُهُ؟ قَالَ: " **قَدْ عَافَانِي اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا** "[1]، فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ[2].

فقوله في الحديث: (مطبوبٌ): أي: مسحورٌ، فالْمَطْبُوب الْمَسْحُور، يُقَال: طُبَّ الرَّجُل إِذَا سُحِرَ، فَكَنَوْا بِالطِّبِّ عَنْ السِّحْر، كَمَا كَنَوْا بِالسَّلِيمِ عَنْ اللَّدِيغ، والطِّبّ مِنْ الأَضْدَاد، يُقَال لِعِلاجِ الدَّاء: طِبّ، وَلِلسِّحْرِ: طِبّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَم الأَدْوَاء[3].

وقد جاء قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « حتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا فَعَلَهُ » مفسَّرًا بقولها الآخر: « كَانَ رَسُولُ اللهِ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأتِي النِّسَاءَ، وَلاَ يَأْتِيهِنَّ »[4].

قال القاضي عياض –رحمه الله-: « فصل: فإنْ قلتَ فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه سحر ... عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سُحِرَ رَسُولُ اللهِ حَتَّى إنه ليُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فعَل الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، وفى رواية أخرى: حتَّى كَانَ يُخيل إليه أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ، وَلاَ يَأْتِيهِنَّ الحديث. وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور، فكيف حال النبي في ذلك؟ وكيف جاز عليه وهو معصوم؟؟ فاعلم -وفقنا الله وإياك- أنّ هذا الحديث صحيحٌ متفق عليه، وقد طعَنَتْ فيه المُلحدة، وتدرَّعَت به؛ لسُخف عقولها، وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع، وقد نزّه الله الشرع والنبي عما يُدخل في أمره لبْسًا، وإنما السحرُ مرضٌ من الأمراض، وعارضٌ من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض، مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته. وأما ما ورد أنه كان يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فعَل الشَّيْءَ وَلا يفعَلهُ، فليس في هذا

---

1 (?) هذا من تمام نصحه ، وهو مِنْ بَاب تَرْك مَصْلَحَة لِخَوْفِ مَفْسَدَة أَعْظَم مِنْهَا، وَهُوَ مِنْ أَهَمّ قَوَاعِد الإِسْلام.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الطب، بَابُ السِّحْر، رقم: 5766، وقبله في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم: 3268، وكتاب الطب، رقم: 5763، وباب هل يستخرج السحر، رقم: 5765، وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب السِّحْر، رقم: 2189 .

3 (?) انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي: ص1370 .

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب هَلْ يَسْتَخْرِجُ السِّحْرَ، رقم: 5765.

ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا. وإنما هذا فيما يجوز طُروُّه عليه في أمر دنياه التي لم يُبعث بسببها، ولا فُضّل من أجلها، وهو فيها عُرضة للآفات، كسائر البشر، فغيرُ بعيد أنْ يُخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان. وأيضًا: فقد فسَّر هذا الفصلَ الحديثُ الآخر مِن قوله: حتَّى يُخيل إليه أَنَّهُ يَأْتِي أهله، وَلاَ يَأْتِيهِنَّ، وقد قَالَ سُفْيَانُ: هَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنْ السِّحْرِ. ولم يأتِ في خبَر منها أنّه نُقل عنه في ذلك قولٌ بخلاف ما كان أخبَر أنه فعله ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتَخييلات. وقد قيل: إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله، لكنه تخييل لا يعتقد صحته؛ فتكون اعتقاداته كلها على السداد، وأقواله على الصحة. هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث، مع ما أوضحنا من معنى كلامهم، وزدناه بيانًا من تلويحاتِهم. وكلّ وجهٍ منها مُقنِع. لكنه قد ظهر لِي في الحديث تأويلٌ أجلى، وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل، يستفاد من نفس الحديث، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير، وقال فيه عنهما: سحَرَ يهودُ بنِي زُرَيق رسولَ الله فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله أنْ يُنكر بصرَه، ثم دله الله على ما صنعوا، فاستخرجه من البئر. .. قال عبد الرزاق: حُبس رسول الله عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره. وروى محمد بن سعد عن ابن عباس: مرض رسول الله فحبس عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان .. وذكر القصة. فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أنّ السحر إنما تسلط على ظاهره، وجوارحه، لا على قلبه واعتقاده وعقله، وأنه إنما أثّر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه، وأضعف جسمه، وأمرضه، ويكون معنى قوله: يُخيل إليه أَنَّهُ يَأْتِي أهله، وَلاَ يَأْتِيهِنَّ، أي: يظهر له من نشاطه، ومتقدم عادته القدرة على النساء، فإذا دنا منهن أصابَتْه أخذةُ السحر فلم يقدر على إتيانهن، كما يعتري من أُخذ، واعتُرض، ولعله لمثل هذا

أشار سفيان بقوله: وهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنْ السِّحْرِ.
ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى: إنه لـيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فعَل الشَّيْءَ وَما فعَلهُ، من باب ما اختلّ من بصره -كما ذكر في الحديث- فيظن أنه رأى شخصًا من بعض أزواجه، أو شاهَد فعلا من غيره، ولم يكن على ما يُخيَّل إليه لِما أصابه في بصره، وضعف نظره، لا لشيءٍ طرأ عليه في مَيْزِهِ. وإذا كان هذا لم يكن فيما ذُكر من إصابة السحر له، وتأثيره فيه، ما يدخل لبْسًا، ولا يجد به الملحد المعترض أُنْسًا »[1].

وقد ذُكر أنّ هذا السحر كان في السنة السابعة بعد الحديبية، وأنّه تضرر الرسول ﷺ بِهذا المرض أربعين يومًا، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله تعالى: « وَقَدْ بَيَّنَ الْوَاقِدِيُّ السَّنَة الَّتِي وَقَعَ فِيهَا السِّحْر: أَخْرَجَهُ عَنْهُ ابْن سَعْد بِسَنَدٍ لَهُ إِلَى عُمَر بْن الْحَكَم مُرْسَل، قَالَ: (لَمَّا رَجَعَ رَسُول اللَّه ﷺ مِن الْحُدَيْبِيَة فِي ذِي الْحَجَّة، وَدَخَلَ الْمُحَرَّم مِنْ سَنَة سَبْع، جَاءَتْ رُؤَسَاء الْيَهُود إِلَى لَبِيد بْن الْأَعْصَم -وَكَانَ حَلِيفًا فِي بَنِي زُرَيْق وَكَانَ سَاحِرًا- فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الْأَعْصَم، أَنْتَ أَسْحَرنَا، وَقَدْ سَحَرْنَا مُحَمَّدًا فَلَمْ نَصْنَع شَيْئًا، وَنَحْنُ نَجْعَل لَك جُعْلا عَلَى أَنْ تَسْحَرهُ لَنَا سِحْرًا يَنْكَؤُهُ. فَجَعَلُوا لَهُ ثَلاثَة دَنَانِير). وَوَقَعَ فِي رِوَايَة أَبِي ضَمْرَة عِنْد الإِسْمَاعِيلِيّ (فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ لَيْلَة). وَفِي رِوَايَة وُهَيْب عَنْ هِشَام عِنْد أَحْمَد: (سِتَّة أَشْهُر). وَيُمْكِن الْجَمْع بِأَنْ تَكُون السِّتَّة أَشْهُر مِنْ ابْتِدَاء تَغَيُّر مِزَاجه، وَالأَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ اسْتِحْكَامه. وَقَالَ السُّهَيْلِيّ: لَمْ أَقِف فِي شَيْء مِنْ الأَحَادِيث الْمَشْهُورَة عَلَى قَدْر الْمُدَّة الَّتِي مَكَثَ النَّبِيّ ﷺ فِيهَا فِي السِّحْر حَتَّى ظَفِرْت بِهِ فِي جَامِع مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيّ، أَنَّهُ لَبِثَ سِتَّة أَشْهُر، كَذَا قَالَ، وَقَدْ وَجَدْنَاهُ مَوْصُولا بِإِسْنَادِ الصَّحِيح، فَهُوَ الْمُعْتَمَد »[2].

ولَمّا سُحر ﷺ أنزل الله الكريم عليه إحدى عشرة آية، (هي سورتا الفلق والناس) فرقَى النبيُّ ﷺ نفسه بهما،

---

[1] (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 573-578 .
[2] (?) فتح الباري، (ج3/ ص4113).

فانحلّ عنه السحر، « وهاتان السورتان أعظمُ عَوذَة[1] في القرآن، وجاءتْ الاستعاذة بهما في وقت الحاجة إلى ذلك، وحين سُحر النبيُّ وخُيّل له أنّه يفعل الشيء وما فعَلَه، وأقام على ذلك أربعين يومًا، كما في الصحيح. وكانتْ عُقدة السحر إحدى عشرة عقْدة، فأنزل الله المعوّذتين إحدى عشرة آية، فانحلّتْ بكلّ آية عُقدة »[2].

وعقَد الشيخ ناصر الدين الألبانيّ –رحمه الله- عنوانًا، قال فيه: « سحر اليهود للنبِيّ ونزول المعوِّذتَين » ثم ذكَر حديثًا بذلك، برواياته، فتوصّل إلى صحته[3].

جاء عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ: « سَحَرَ النَّبِيَّ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلا مِنْ الْيَهُودِ سَحَرَكَ؛ عَقَدَ لَكَ عُقَدًا فِي بِئْرِ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ فَاسْتَخْرَجُوهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِذَلِكَ الْيَهُودِيِّ، وَلا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ »[4].

وجاء عند أحمد وغيره تصريحُ اسم المرسَل لإخراج السحر، وأنه علي بن أبي طالب ، قال فيه: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ: « سَحَرَ النَّبِيَّ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ، قَالَ: فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا، قَالَ: فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ: إِنَّ رَجُلا مِنْ الْيَهُودِ سَحَرَكَ؛ عَقَدَ لَكَ عُقَدًا عُقَدًا فِي بِئْرِ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَنْ يَجِيءُ بِهَا؛ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَاسْتَخْرَجَهَا، فَجَاءَ بِهَا فَحَلَّلَهَا، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ لِذَلِكَ الْيَهُودِيِّ، وَلا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ حَتَّى مَاتَ »[5].

---

1. **عَوذة**: رقية، كالمَعاذَة والتعويذ (انظر: القاموس المحيط، مادة العوذ، ص316).
2. تجريد التوحيد المفيد، للعلامة المؤرِّخ أحمد بن علي المقريزي، ص 43-44 .
3. السلسلة الصحيحة، (الإحالة القادمة).
4. سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، سَحَرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ، ورقمه: 4080، وصححه الشيخ الألباني، (السلسلة الصحيحة، ج6/ 615-619، ورقم الحديث: 2761).
5. مسند الإمام أحمد: ورقمه: 19267، وذكر الشيخ شعيب ومساعدوه أنّ إسناده قابلٌ للتحسين.

وفي رواية البخاري، « فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ »[1]، ممّا يدل على أنّه حضر مكان الإخراج، خلافًا لرواية بن أرقم هذه، ويمكن الجمع بينهما[2].

والحديث السابق هو المعتمد في باب سحر النبي وأنّ له حقيقة وأثرًا، ولا يتعارض مع النصوص التي زعم الكفار فيها كون النبي مسحورًا، ونفى عنه الله تعالى عن أن يكون مجنونًا، ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ [الإسراء: ٤٧ – ٤٨]. ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ [الفرقان: ٨ – ٩]. ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [ص: ٤]. ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [الذاريات: ٥٢ – ٥٣]. في جملة أمورٍ رمى كفارُ قريش النبي فنفاها الله عنه، كما رمَوا كتابه ورسالته بمثل ذلك، ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [الأنعام: ٧]. ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [سبأ: ٤٣]. ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ [المدثر: ٢٤ – ٢٥].

ورميُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأنهم سحرة، وما جاؤوا به من البينات بأنه سحر هو دأبُ معارضِي الرسل من الأمم السابقة.

وبِهذه الشُبَه وغيرها ردَّ بعض الناس حديث الباب، وزعموا أنه غير صحيح، وليس الأمر كذلك؛ فقد بيَّن العلماء المحققون معنى هذه النصوص وذكروا كيفية الجمع بينها وبين حديث الباب. كما أنه قد سبق ردّ القاضي عياض – رحمه الله- الرد المجمل على بعض شبَه الملاحدة في هذا الباب. كما ردّ عليهم غيره[3].

فثبت بما سبق أنّ هذا النوع من المرض (السحر) أصاب عبد الله ورسولَه محمدًا ، كما أصابته ما يسمى بالأمراض السماوية واشتدت عليه. وهذا من أدلة كونه عبدًا مربوبًا. والله أعلم. والمطلب الأخير يأتي لبيان أنّ الله تبارك وتعالى لا يَمرض.

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الطب، باب السحر، ورقمه: 5763 .

2 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر، (ج3/ ص4116) .

3 (?) جمع هذه الشبه وردّها ردًّا علميًّا -يحسُن الوقوف عليها- الباحثة أ. د. حياة سعيد في كتابِها: موقف الإسلام من السحر، تحت عنوان: **شُبَه المنكرين والرد عليها.** (للوقوف عليها وردها يُنظر: من ص 322-335).

المطلب الثالث: القدوس السلام سبحانه لا يَمرضُ:

المرض من خصائص المخلوقين، ويأتي ليُؤكِّد حاجتهم إلى خالقهم، ولِيُعلن عن منتهى ذلِّهم، وعظيم فقرهم إليه، ليُحقِّق عبوديتهم له على كلّ حال.

أما الخالق العظيم، الصمد المجيد الغني، المعـبود الموصوف بكلّ كمال فإنّه لا يَمرض؛ فلا يتصف بخصائص المخلوقين من مرض، وجوع وعطش، ونومٍ وسِنَة، ونسيان وغفلة، وغير ذلك، وما جاء وتوهم بعضٌ منه أنّه يدل على أنّه سبحانه وتعالى مرِض، فاحتاج لذلك إلى تأويله، فليس فيه –في الحقيقة- هذا المتوهم، بدليل بيان آخر الحديث لأولّه، وإنما أضاف مرض عبده إلى نفسه المُنـزَّهة منه لبيان عظيم أجر عيادة عباده المؤمنين، ليس إلا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : "**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ..** [1].

وقد تقدم أنّ المرض المضاف إليه سبحانه مرض عبده بدليل آخر الجملة، وأنّ الله تعالى منزَّهٌ عن النقائص ومنها: المرض، قال النووي –رحمه الله-: « قَالَ الْعُلَمَاء: إِنَّمَا أَضَافَ الْمَرَض إِلَيْهِ سُبْحَانه وَتَعَالَى، وَالْمُرَاد الْعَبْد تَشْرِيفًا لِلْعَبْدِ وَتَقْرِيبًا لَهُ »[2].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله- مُزيلا ما قد يُتوهّم من الحديث، ومُجيبًا شُبَه الذين يقولون بأنّ أهل السنة أوّلوا نصوصًا من الكتاب والسنة، ثم هم يَمْنعون غيرهم من مثله: قال: « المثال الخامس عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي:(**يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي**) الحديث. « والجواب: أن السلف أخَذوا بِهذا

---

[1] (?) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَاب فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، رقم: 2569.

[2] (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي: ص1540 .

الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف، يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنما فسَّروه بِما فسَّره به المتكلم به، فقوله تعالى: (**مَرِضْتُ**)، و(**اسْتَطْعَمْتُكَ**)، و(**اسْتَسْقَيْتُكَ**)، بيَّنَه الله تعالى بنفسه، حيث قال: (**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ**)، و(**أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ**)، و(**اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ**). وهو صريحٌ في أن المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسَّره بذلك هو الله المتكلم به، وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله، والاستطعام المضاف إليه، والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه، لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره، لأنّ ذلك تفسيرُ المتكلم به، فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء، وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحث، كقوله تعالى: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ [البقرة: ٢٤٥]. وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل، الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى، ولا من سنة رسول الله ﷺ، وإنما يحرفونها بشبه باطلة، هم فيها متناقضون مضطربون، إذ لو كان المراد خلافَ ظاهرِها -كما يقولون- لبيَّنه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولو كان ظاهرها مُمتنعًا على الله -كما زعموا- لبيَّنَه الله ورسوله ﷺ كما في هذا الحديث. ولو كان ظاهرها اللائق بالله مُمتنعًا على الله، لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يَمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا من أكبر المحال»[1].

هذا، وبالمطالب الثلاثة المتقدمة تبيّن الفرقان بين العبد والمعبود والرب والمربوب؛ وأنّ الرب تعالى ليس له من خصائص المخلوقين من المرض وغيره. والله تعالى أعلم.

[1] القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ص81-83 .

المبحث الحادي عشر: انتقال النبيِّ إلى الرفيق الأعلى وموته،
والله الحيّ القيوم منـزَّهٌ عن الموت، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بالموت.

المطلب الأول: موت النبيِّ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وفيه أربع مسائل.

المطلب الثاني: خصائص العبد الرسول محمد - في باب الموت- دون أمته.

المطلب الثالث: الله الحيّ القيّوم سبحانه لا يموت؛ لِكمال حياته.

التمهيد: التعريف بالموت:

الموت: لغة ضد الحياة[1]. واصطلاحًا: هو عجز خالصٌ ليس فيه جهة القدرة بوجه، وأنه ينافي أحكام الدنيا مما فيه تكليف؛ لأنه يعتمد القدرة، والموت ينافيها. أو هو عدم الحياة عما مِن شأنه أنْ يكون حيًّا. والأظهر أنْ يقال: عدم الحياة عمن اتصف بها. وقال بعضهم: الموت هو انعدام الحياة قبل وجودها، وانعدامها بعد وجودها، قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [البقرة: ٢٨]. وهذا تفسيرٌ لقوله: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [غافر: ١١].[2].

والْمَوْت انْقِطَاع تَعَلُّقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بخلاف النَّوْم فإنه اِنْقِطَاعه عَنْ ظَاهِر البدن فَقَطْ[3]. وهو كيفية وجودية يخلقها الله تعالى في الحي[4]، لقوله تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [الملك: ٢].

فالموت عجز خالص بخلاف الصغر والجنون والرق والمرض وغيرها؛ فإنّها ليست بخالصة، إذْ فيها جهة القدرة بوجه.

1 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة: موت، ص1008 .

2 (?) انظر عن الإماتَتَين/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطِي، (ج7/ 78-79) .

3 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر، (ج1/ ص828).

4 (?) انظر هذه التعريفات في كتاب عوارض الأهلية عند علماء أصول الفقه، للأستاذ الدكتور حسين خلف الجُـبُوري، ص312-313.

المطلب الأول: موت النبيِّ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: أحاديث (الرَّفِيقِ الأَعْلَى)، وبيان المراد منها.

المسألة الثانية: موت عبد الله ورسوله نبينا محمد .

المسألة الثالثة: أبرز علامات موت عبد الله ورسوله نبينا محمد .

المسألة الرابعة: من شُبَه نُفَاة الموت عن عبد الله ورسوله نبينا محمد .

المسألة الأولى: أحاديث **(**الرَّفِيقِ الأَعْلَى**)،** وبيان المراد منها**:**

زوال الروح (الموت) مِن أدلة العبدانية وشواهد وعلامات المربوبية؛ حيث إنّ الله تعالى كتب الموت على كلِّ خلقه، وسيأتِي مزيد بسط فيه.

فلما كان الموت لا يقع إلا بعد ألَمٍ عظيم يذوقه الروح والجسد جميعًا، فقد كرهَتْه النفوس طبعًا، لِما فيه من الشدة والمشقة العظيمة، ولَما كان ذلك لم يَمُتْ نبِيٌّ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى يُخيَّر، كما تردد الله في قبض نفس عبده المؤمن[1] كراهة مساءته[2].

ولإيراد أحاديث هذا الباب وبيان المراد منها عقدت هذه المسألة، وهاك الأحاديث:

أولا: أورد البخاري حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها برواياته الكثيرة في بَابِ مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، وبَاب دُعَاءِ النَّبِيِّ : اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى، وبَاب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، ولفظه: قَالَتْ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ صَحِيحٌ، يَقُولُ: "**إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ**"؛ فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: "

[1] إشارة إلى حديث أبي هريرة "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ..، وفيه: وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه". (البخاري في: الرقاق، باب التواضع، رقم: 6502).

[2] انظر: لطائف المعارف، 117، و119 .

اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى " فَقُلْتُ: إِذًا لا يُجَاوِرُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ »[1].

وقد بيّنتْ روايتُها الأخرى معنى "يُخيَّر"، فعَنْها رضي الله عنها، قَالَتْ: «كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ،الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ[2]، يَقُولُ:ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄ [النساء: ٦٩] الآيَةَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ[3]، [4].

ونظير فهم عائشة رضي الله عنها تَخيير النبي ما عند الله على الدنيا نظير فهم والدها؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: "**إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ،فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**" فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ:فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْمُخَيَّرَ،وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ..»الحديث[5].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرح حديث عائشة السابق: «(تَنْبِيه): فَهْم عَائِشَة مِنْ قَوْله : "فِي الرَّفِيق الأَعْلَى "أَنَّهُ خُيِّرَ، نَظِير فَهْم أَبِيهَا مِنْ قَوْله :

---

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، رقم: 4437، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة، رقم: 2444 .

[2] (?) بُحّة: قال ابن حجر: «قَوْله: (وَأَخَذَتْهُ بُحّة) بِضَمِّ الْمُوَحَّدَة وَتَشْدِيد الْمُهْمَلَة، شَيْء يَعْرِض فِي الْحَلْق فَيَتَغَيَّر لَهُ الصَّوْت فَيَغْلُظ، تَقُول: بَحِحْت بِالْكَسْرِ بُحًّا، وَرَجُلٌ أَبَحّ: إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِيهِ خِلْقَة» (فتح الباري، ج 3/ ص3069).

[3] (?) وهذا هو معنى اللفظ الآخر: « إِذًا لا يَخْتَارنَا ».

[4] (?) صحيح البخاري: المصدر نفسه، رقم: 4435، وصحيح مسلم، المصدر نفسه، على إثر حديث برقم: 2444 .

[5] (?) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، بَاب هِجْرَةِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، رقم: 3904، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، رقم: 2382 .

"إنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّه بَيْن الدُّنْيَا وَبَيْن مَا عِنْده، فَاخْتَارَ مَا عِنْده "أَنَّ الْعَبْد الْمُرَاد هُوَ النَّبِيّ حَتَّى بَكَى»[1].

وهذا التخيير والاختيار أحد العلامات الْمُشْعِرة بقرب موته ، ومثله ما جاء عَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ [2]، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: " **يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ! إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ؛ فَانْطَلِقْ مَعِي** "، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قَالَ: " **السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ، مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنْهُ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرهَا، الآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الأُولَى** "قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: " **يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ! إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ** " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: " **لاَ وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ! لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي، وَالْجَنَّةَ** " ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَبُدِئَ رَسُولُ اللهِ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ[3].

وسيأتِي إنْ شاء الله ذكر أبرز هذه العلامات لاحقًا.

ولفظة **(الرَّفِيقِ الأَعْلَى)** في حديث الباب جاءتْ إشعارًا بِما اختاره المصطفى لَمّا خيِّر بين البقاء في الدنيا إلى أمد، وبين رفقة الأنبياء والصالحين في الجنة عند الله، فَقَالَ: " **مَعَ الرَّفِيق الأَعْلَى**. وقد جاءتْ في

---

1 (?) فتح الباري، (ج3/ ص3069).

2 (?) **أبو مويهبة**: ويقال: أبو مَوهَبَة، وأبو مَوهوبَة وهو قول الواقدي: مولى رسول الله . قال البلاذري: كان من مولدي مزينة، وشهد غزوه المريسيع وكان ممن يقود لعائشة جملها. روى عنه عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو من أقرانه، وأخرج حديثه أحمد، (انظر تتمة ترجمته في الإصابة لابن حجر، ج12/ 636-638).

3 (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 15997، وقد ذكر الشيخ شعيب أنّ الحديث في استغفاره لأهل البقيع واختياره لقاء ربه صحيح، والإسناد الذي روي به في المسند ضعيف، للجهالة.

بعض الأحاديث دعاءً منه ﷺ أنْ يُلحقه الله بالرَّفِيقِ الأَعْلَى، فقال: " **أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ الرَّفِيقَ الأَعْلَى الأَسْعَدَ** "[1].

والصحيح في معنى **(الرَّفِيقِ الأَعْلَى)** هو أنه مَنْـزِل الأنبياء والصالحين من عباد الله في الجنة، كما في آية النساء، ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕ [النساء: ٦٩][2].

قال النووي –رحمه الله-: «قَوْله ﷺ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ)، وَفِي رِوَايَة: (الرَّفِيق الأَعْلَى): الصَّحِيح الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُور أَنَّ الْمُرَاد بِـ(الرَّفِيقِ الأَعْلَى) الأَنْبِيَاء السَّاكِنُونَ أَعْلَى عَلِّيِّينَ، وَلَفْظَة (رَفِيق) تُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِد وَالْجَمْع، قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﭽﮒﮓﮔﮕﭼ [النساء: ٦٩]. وَقِيلَ:هُوَ اللَّه تَعَالَى، يُقَالُ: اللَّه رَفِيقٌ بِعِبَادِهِ،مِنْ الرِّفْق وَالرَّأْفَة، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِل،وَأَنْكَرَ الأَزْهَرِيُّ هَذَا الْقَوْل. وَقِيلَ:أَرَادَ مُرْتَفَق الْجَنَّة»[3].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في بيان المراد من ذكره ﷺ آيةِ النساء في حديث عائشة، وموضِّحًا معنى (مَعَ الرَّفِيق الأَعْلَى): « قَوْله: ﭽﭾﭿﮀﮁﮕﭼ، فِي رِوَايَة الْمُطَّلِب عَنْ عَائِشَة عِنْد أَحْمَد، فَقَالَ: " **مَعَ الرَّفِيق الأَعْلَى، ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆ** -إِلَى قَوْله-: **ﭽﮓﮔﮕ** [النساء: ٦٩]. وَفِي رِوَايَة أَبِي بُرْدَة عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عِنْد النَّسَائِيِّ وَصَحَّحَهُ اِبْن حِبَّانَ، فَقَالَ: " **أَسْأَل اللَّه الرَّفِيق الأَعْلَى الأَسْعَد، مَعَ جِبْرِيل وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيل** ". وَظَاهِره أَنَّ الرَّفِيق الْمَكَان الَّذِي تَحْصُل الْمُرَافَقَة فِيهِ مَعَ الْمَذْكُورِينَ. وَفِي رِوَايَة الزُّهْرِيّ "**فِي الرَّفِيق الأَعْلَى**" وَفِي رِوَايَة عَبَّاد عَنْ عَائِشَة بَعْد هَذَا، قَالَ: "**اللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**" وَفِي رِوَايَة ذَكْوَانَ عَنْ عَائِشَة، فَجَعَلَ يَقُول: "**فِي الرَّفِيق الأَعْلَى**" حَتَّى قُبِضَ، وَفِي رِوَايَة ابْن أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَة، وَقَالَ: "**فِي الرَّفِيق الأَعْلَى، فِي الرَّفِيق**

---

[1] ( ) مسند الإمام أحمد: وسنن الكبرى للنسائي: بزيادة: (مَعَ جِبْرِيل وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيل)، نقل الحافظ ابن حجر، أنّ ابن حبان صححه، (وسيأتي في النقل عنه قريبًا) .

[2] ( ) انظر تفسير الآية، (تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، ج1/ ص682-683).

[3] ( ) المنهاج للنووي، ص1483 .

الأَعْلَ". وَهَذِهِ الأَحَادِيث تَرُدّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ "الرَّفِيق" تَغْيِير مِنْ الرَّاوِي، وَأَنَّ الصَّوَاب (الرَّقِيع) بِالْقَافِ وَالْعَيْن الْمُهْمَلَة وَهُوَ مِنْ أَسْمَاء السَّمَاء. وَقَالَ الْجَوْهَرِيّ: الرَّفِيق الأَعْلَى: الْجَنَّة. وَيُؤَيِّدهُ مَا وَقَعَ عِنْد أَبِي إِسْحَاق: **الرَّفِيق الأَعْلَى الْجَنَّة**، وَقِيلَ: بَلْ (الرَّفِيق) هُنَا اسْم جِنْس يَشْمَل الْوَاحِد وَمَا فَوْقه، وَالْمُرَاد الأَنْبِيَاء وَمَنْ ذُكِرَ فِي الآيَة. وَقَدْ خُتِمَتْ بِقَوْلِهِ: ﭽﮆﮇﮈﭼ .. وَزَعَمَ بَعْض الْمَغَارِبَة أَنَّهُ يَحْتَمِل أَنْ يُرَاد بِـ(الرَّفِيق الأَعْلَى): اللَّه ﷻ؛ لأَنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ .. مِنْ حَدِيث عَبْد اللَّه بْن مُغَفَّل رَفَعَهُ " **إِنَّ اللَّه رَفِيق يُحِبّ الرِّفْق** "[1]، ..، وَالْحَدِيث عِنْد مُسْلِم عَنْ عَائِشَة[2].. قَالَ: وَ(الرَّفِيق) يَحْتَمِل أَنْ يَكُون صِفَة ذَات كَالْحَكِيمِ، أَوْ صِفَة فِعْل. قَالَ: وَيَحْتَمِل أَنْ يُرَاد بِهِ حَضْرَة الْقُدْس، وَيَحْتَمِل أَنْ يُرَاد بِهِ الْجَمَاعَة الْمَذْكُورُونَ فِي آيَة النِّسَاء. وَمَعْنَى كَوْنِهِمْ **ﭽﮊﭼ** تَعَاوُنهمْ عَلَى طَاعَة اللَّه وَارْتِفَاق بَعْضهمْ بِبَعْضٍ، وَهَذَا الثَّالِث هُوَ الْمُعْتَمَد. وَعَلَيْهِ اِقْتَصَرَ أَكْثَر الشُّرَّاح.

وَقَدْ غَلَّطَ الأَزْهَرِيّ الْقَوْل الأَوَّل، وَلا وَجْه لِتَغْلِيطِهِ مِنْ الْجِهَة الَّتِي غَلَّطَهُ بِهَا وَهُوَ قَوْله: (مَعَ الرَّفِيق) أَوْ (فِي الرَّفِيق)، لأَنَّ تَأْوِيله عَلَى مَا يَلِيق بِاَللَّهِ سَائِغ »[3].

ثانيًا: وجاء في حديث عَائِشَةَ الآخر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ تَقُولُ: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: " **لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ** "، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: " **فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى** " حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ »[4].

ثالثًا: بل قد ثبت أنّ آخر ما قاله الرسول ﷺ عند خروجه من هذه الدنيا، ودخوله الآخرة هو " اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ

---

[1] الحديث أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، بَاب فِي الرِّفْقِ، رقم: 4807، وهو صحيح، وشاهده في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، (الإحالة اللاحقة).

[2] صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم: 2593 .

[3] فتح الباري، (ج3/ ص3069).

[4] صحيح البخاري: كتاب الرقاق، بَاب سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، رقم: 6510.

الأَعْلَى "، فعنها رضي الله عنها بعدما ذكرَتْ حديثها الأول ختَمَتْه بقولها: « فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا " **اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى** »[1].

المسألة الثانية: موت عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ[2]:

وبعد ما سبق أقول:

قد دلّ على المعنى المعقود من أنّه يأتِي يومٌ ليموت فيه عبد الله ورسوله نبينا محمدٌ ﷺ كما أنّه مكتوبٌ على كلِّ نفس، دلّ على ذلك النصوص الكثيرة مِن الكتاب والسنة، العامة فيه ﷺ وفي غيره، والخاصة به[3]. ثم إنّ أكبر دليلٍ لنا –نحن الذين جئنا بعده- على موته ﷺ -بعد هذه النصوص- هو الوقوع. **وإليك هذه النصوص على صنفين**:

الصنف الأول: النصوص التي تُثبت الموت للخلق، وهذا العبد ﷺ واحدٌ مِن جملتهم:

قال الله تبارك وتعالى: ﭽﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﯓﭼ [آل عمران: ١٨٥]. وقال: ﭽﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭼ [الأنبياء: 34-٣٥]. وقال: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﭼ [القصص: ٨٨]. وقال: ﭽﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﭼ [العنكبوت: ٥٧]. وقال: ﭽﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [الرحمن: 26-٢٧].

قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله- في المجلس الثالث من مجالس ربيع الأول، والذي عقده في ذكر وفاة رسول الله ﷺ: « الموت مكتوب على كل حيٍّ؛ الأنبياءِ والرسل وغيرهم، .. خلق الله تعالى آدم من تراب الأرض، ونفخ فيه من روحه، فكانت روحه في جسده، وأرواح ذريته في أجسادهم في هذه الدار عارية، وقضى عليه وعلى ذريته أنه لا بد من أن يسترد أرواحهم من هذه

---

[1] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب آخِرِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، رقم: 4463، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عائشة، على إثر حديث برقم: 2444 .

[2] انظر للاستزادة: لطائف المعارف، ص115-131، ورسالة محمد ﷺ نورٌ أضاء على العالم، ص76-80.

[3] انظر: السيرة النبوية عرض وقائع للدكتور الصلابِي، تحت عنوان: مرض رسول الله ﷺ ووفاته، (ج2/ 692-696).

الأجساد، ويُعيد أجسادهم إلى ما خلقت منه، وهو التراب، ووعد أن يعيد الأجساد من الأرض مرة ثانية، ثم يرد إليها الأرواح مرة ثانية، تمليكًا دائمًا لا رجعة فيه، في دار البقاء، قال الله تعالى: ﭽﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ [الأعراف: ٢٥]. وقال: ﭽﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﭼ [طه: ٥٥]. وقال: ﭽﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﭼ [نوح: ١٧ – ١٨]. وأرانا دليلا في هذه الدار على إعادة الأجساد من التراب بإنبات الزرع من الأرض، وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر، ودليلا على إعادة الأرواح إلى أجسادها بعد المفارقة بقبض أرواح العباد في منامهم وردها إليهم في يقظتهم، كما قال تعالى: ﭽﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﭼ [الزمر: ٤٢] »[1] .

وأورد ابن رجبٍ –رحمه الله- بعض الأبيات في هذا المعنى، وهي:

قد مات كلُّ نبيٍّ ومات كلُّ بنِيه
ومات كلّ شريف وعاقل وسفيه
لا يوحِشَنْك طريقٌ كلّ الخلائق فيه[2].

الصنف الثاني: النصوص الخاصة به، الدالة على موتـه ﷺ، وانتقالـه إلى الرفيق الأعلى، وهي كالتالي: قال الله تبارك وتعالى: ﭽﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﭼ [آل عمران: ١٤٤]. وقال: ﭽﭼ [الزمر: ٣٠]. وقال: ﭽﯢﯣﯤﭼ [الطور: ٣٠]. وقال: ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭼ [الملك: ٢٨].

وقد مات رسول ﷺ وما كان اللَّهُ ليُذِيقُه مَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، فعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، يَعْنِي: بِالْعَالِيَةِ، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ! مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إلا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ! فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ؛ فَحَمِدَ

[1] (?) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من المعارف، ص116-117 .
[2] (?) انظر: لطائف المعارف، ص120.

اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: **أَلا! مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ**، وَقَالَ: ﭽﭼ [الزمر: ٣٠]. وَقَالَ: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﭼ [آل عمران: ١٤٤]. قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ..الحديث[1].

وفي رواية عنها، رضي الله عنها، أنّ أباها دخل على الرسول بعد موته، وكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ! لا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ؛ أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا »هكذا... الحديث[2].

وفي رواية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ! فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ! فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، ... فذكر الآية. وفيه: أَنَّ عُمَرَ ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلايَ[3]، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ مَاتَ[4].

وقبل موته قد ظهرت علامات تشير إلى قرب أجله، ونزول فاجعة الأمة به، وسأشير إلى أبرزها، فأقول:

المسألة الثالثة: أبرز علامات موت عبد الله ورسوله نبينا محمد :

---

1 صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا،رقم: 3667، و3668 .

2 صحيح البخاري: بَاب الدُّخُولِ عَلَى الْمَيِّتِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ، رقم: 1241، و1242.

3 **فَعُقِرْت** -بِضَمِّ الْعَيْن، وَكَسْر الْقَاف-: أَيْ هَلَكْت، وَفِي رِوَايَة بِفَتْحِ الْعَيْن أَيْ دَهَشْت وَتَحَيَّرْت، وَيُقَال سَقَطْت. وقَوْله: (**مَا تُقِلُّنِي**) بِضَمِّ أَوَّله، وَكَسْر الْقَاف، وَتَشْدِيد اللام: أَيْ مَا تَحْمِلنِي، (انظر: فتح الباري، ج3/ص3075).

4 صحيح البخاري: كتاب المغازي: بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، رقم: 4452، و4453، و4454 .

وأول ما أُعلم عبدُ الله ورسوله نبينا محمد بانقضاء عمره، واقتراب أجله، كان بنـزول سورة النصر عليه[1]. قال الله تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊ فهو دليلٌ على اقتراب أجلك؛ وعليه:ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓ [النصر:1-٣]. فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: « كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُدْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﭽﭾﭿﮀﮁﮂ فَقَالَ: أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلا مَا تَعْلَمُ »[2].

ولَما نُعيَتْ له نفسه بهذه السورة أخذ أشد ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة، وتعبدًا لله بالتسبيح والتحميد والاستغفار وغير ذلك، ليختم أعماله بالحسنَى.

ثانيًا: في آخر رمضان الذي صامه **عرض القرآن على جبريل مرتين**، وقد كان يعرضه عليه قبل ذلك كلّ عام مرة، كما أنه اعتكف فيه عشرين يومًا، مع أنه يعتكف العشر الأواخر أعوامه قبل ذلك[3].

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتِ: « اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِى كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ: " **مَرْحَبًا بِابْنَتِي!** " فَأَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَبَكَتْ فَاطِمَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ أَيْضًا، فَقُلْتُ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ . فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ. فَقُلْتُ لَهَا حِينَ بَكَتْ: أَخَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ بِحَدِيثِهِ دُونَنَا ثُمَّ تَبْكِينَ؟ وَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ سَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي " **أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَانِي إِلاَّ قَدْ حَضَرَ**

---

1 (?) انظر: لطائف المعارف، 120 .
2 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: 3627.
3 (?) انظر: لطائف المعارف، 120 .

أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ ". فَبَكَيْتُ لِذَلِكِ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّنِي، فَقَالَ: " **أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ** ". فَضَحِكْتُ لِذَلِكِ[1] .

ثالثًا: وما زال رسول الله يعرِّض ولا يُصرِّح باقتراب أجله في آخر عمره، إلى أنْ خطب في حجة الوداع وقال للناس: " **لِتَأْخُذْ أُمَّتِي نُسُكَهَا، فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَلْقَاهُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا** "[2]، وفي رواية: " **لَعَلِّى لاَ أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا** "[3].

وطفق فيها رسول الله يُودّع الناس، فقالوا: حجة الوداع[4].

وفي حجته هذه ويوم الجمعة (يوم عرفات) نزلتْ عليه آية كمال الدين وتمام النعمة، واقتراب الأجل: ﭽﭼﭽ ﭼﭽﭼﭽﯾﯦﺗﺪﺗﮓﭼ [المائدة: ٣]. وما أكملَ رسولٌ تبليغ ما أُرسل به إلا أوذن برحيله.

رابعًا: ووصَّى الناس بكتاب الله، وذكّرهم إيّاه في أهل بيته، على طريقه إلى المدينة، بعد رجوعه من حجته، بِالمَاء الذي يُدْعَى خُمًّا، وأشار إلى قرب أجله، فقال: " **أَمَّا بَعْدُ! أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ؛ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ؛ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ** ". فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: " **وَأَهْلُ بَيْتِي؛ أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي** ". ..الأثر[5] .

---

[1] صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: 3623، و3624، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، رقم: 2450.

[2] سنن ابن ماجه: كتاب المناسك، بَابُ الْوُقُوفِ بِجَمْعٍ، رقم: 3023. وأصل الحديث في صحيح مسلم من حديث جابر الطويل، برقم: 1218.

[3] جامع الترمذي: كتاب الحج، باب مَا جَاءَ فِي الإِفَاضَةِ مِنْ عَرَفَات، رقم: 886، من حديث جابر ، قال الترمذي: « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح».

[4] انظر: لطائف المعارف، 122 .

خامسًا: وخُيّر -غير مرة- بين البقاء في الدنيا ما شاء الله، وبين لقاء الله، فأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَه، وقد خطب الناس وأشار إليهم بهذا من غير تصريح، ففي حديث أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَهُوَ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ، فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: " **إِنِّي السَّاعَةَ قَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ** "، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّ عَبْدًا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَاخْتَارَ الآخِرَةَ** "، قَالَ: فَلَمْ يَفْطِنْ لَهَا أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلاَّ أَبُو بَكْرٍ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي بَلْ نَفْدِيكَ بِأَمْوَالِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَوْلاَدِنَا، ثُمَّ هَبَطَ مِنَ الْمِنْبَرِ فَمَا رُئِيَ عَلَيْهِ حَتَّى السَّاعَةِ[1].

وهذا إحدى ألفاظ حديث أبي سعيد ، ولفظه في الصحيحين عنه، قَالَ: « خَطَبَ النَّبِيُّ فَقَال: " **إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ** " فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؛ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: " **يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَبْكِ؛ إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ، إِلاَّ بَابُ أَبِي بَكْرٍ** "[2].

وسبق حديث أبِي مُوَيهبَة مولى رسول الله ، وأنّ الرسول عُرض له بين الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، وبين

5 (?) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ، رقم: 2408.

1 (?) مسند أبي يعلى، رقم: 1155، وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده حسن، وأصله في الصحيح، (وانظر التخريج بعد هذا، سبق تخريجه، لكنه في الإحالة القادمة بلفظ يختلف عن السابق، لذا أعدته).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَابُ الخوخة وَالْمَمَرِّ فِي الْمَسْجِدِ، رقم: 466، وهذا لفظه، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رقم: 2383.

لِقَاءَ رَبِّهِ فاخْتَارَ لِقَاءَ رَبّه... وفي الحديث أنّ وَجَعَه الَّذِي قبَضَهُ اللَّهُ فِيهِ بدأه حِينَ أَصْبَح.

كما دلّ حديث عائشة رضي الله عنها على أنه خُيِّر مرة أخرى[1] بين الدنيا والآخرة في لحظاته الأخيرة قبل أنْ يُقْبَض، فعنها رضي الله عنها، قَالَتْ: « كَانَ النَّبِيُّ يَقُولُ وَهْوَ صَحِيحٌ: " **إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرَ** " فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، ثمَّ قَالَ: "**اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**" فَقُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهْوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى » [2].

وهذا الحديث فيه حقيقتان: الأولى: خصوصية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في باب الموت؛ وأنهم لا يُقبضون إلا باختيارٍ منهم. **الثانية:** أنّ النبي قد أشاع هذه الحقيقة في صحابته حال صحته، وأعْلَمَهم إياها.

سادسًا: بل وفي آخر أمره صرَّح بأنه لا يزال يجد ألَمًا للسم الذي لَحَسَه، إلى حين وفاته بانقطاع أبْهَرِه، فعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « كَانَ النَّبِيُّ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، " **يَا عَائِشَةُ! مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي**[3] **مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ** "[4].

واختيار عبد الله ورسوله نبينا محمد ما عند الله، والآخرة على الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا من أدلة قوّة معرفة هذا الرسول بربّه؛ حيث ازداد حبُّه له، وشوقه إلى لقائه؛ وذلك لأنّ مَن كان بالله أعرف، كان إليه أحبّ وأشوق[5]،

---

1 (?) انظر: لطائف المعارف، ص126 .

2 (?) الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه في المبحث العاشر: أنه عليه الصلاة والسلام يمرض.

3 (?) الأبْهَر: عرق مستبطنٌ بالظهر، متصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه (انظر: الفتح ج3/ص3065).

4 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، رقم: 4428

5 (?) انظر: لطائف المعارف، ص122-123 .

ومنه أخوَف، وإياه أرجى، ولا أعلَمَ في خلق الله بالله، من رسول الله ، ومَن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه!

المسألة الرابعة**:** من شُبَه تُقَاة الموت عن عبد الله ورسوله نبينا محمد [1]**:**

وبعد ما سبق أقول: الرسول -بالكتاب والسنة والإجماع- ميِّتٌ، وبِها وبالوقوع فإنه قد مات؛ لذلك حفَر الصحابة اللحد فأقبروه، وأقرّهم على ذلك من جاء بعدهم من المسلمين، وهذا هو العقيدة الصحيحة فيه، خلافًا لِما يَزعم بعض الغلاة فيه، القائلين بأنه حيٌّ في قبره مثل حياته الدنيوية، أو أنّه غاب ولم يَمُتْ، ويتشبّثون في القول الأول بحديث أنس بن مالك مرفوعًا: "**الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يُصَلُّون**"[2]، ونحوه. قال الشيخ الألبانِيُّ –رحمه الله- بعد تصحيح الحديث: « ثم اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة

1 (?) انظر: البريلوية عقائد وتاريخ، ص79-81، (وقد جاء فيه قول أحدهم غُلُوًّا فيه: لَم يطرأ الموت على رسول الله ، ولا للحظة؛ لأنّه عندما أُريد قبض روحه للحظة كانت الحياة موجودة في جسده، قاله سعيد أحمد الكامظي في كتابه حياة النبي، ص104) وهذا من الكذب الذي لا يحتاج إلى الإكذاب، وسقوطه مغنٍ عن الإسقاط، كما أنّ بطلانه كافٍ عن الإبطال .

2 (?) مسند أبي يعلى الموصلي، ورقمه: 3331، وقد حسنه الشيخ الألباني بعد أنْ كان ضعّفه، فقال في السلسلة الصحيحة (برقم: 621) بعدما درس أسانيده وطرقه: (ج2/ ص187): « فهذه متابعة قوية للأزرق، تدل على أنه قد حفظ ولم يغرب. وكأنه لذلك قال المناوي في "فيض القدير" بعد ما عزا أصله لأبي يعلى: ((و هو حديث صحيح))؛ ولكنه لم يبين وجهه، وقد كفيناك مؤنته، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. هذا! و قد كنت برهة من الدهر أرى أن هذا الحديث ضعيف لظني أنه مما تفرد به ابن قتيبة - كما قال البيهقي- ولم أكن قد وقفت عليه في مسند أبي يعلى وأخبار أصبهان. فلما وقفت على إسناده فيهما تبين لي أنه إسناد قوي، وأن التفرد المذكور غير صحيح، ولذلك بادرت إلى إخراجه في هذا الكتاب تبرئة للذمة، وأداء للأمانة العلمية، .. . فإذا رأيت أيها القارئ الكريم في شيء من تآليفي خلاف هذا التحقيق، فاضرب عليه واعتمد هذا .. » (ص190).

الدنيا. هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصدد: الإيمان بما جاء في الحديث دون الزيادة عليه بالأقيسة والآراء كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء أن حياته في قبره حياة حقيقية! قال: يأكل ويشرب ويجامع نساءه !! وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى، ويشهد للحديث رؤيته ليلة الإسراء لموسى قائمًا في قبره يُصلِّي، وسيأتِي إنْ شاء الله برقم: (2627)[1] »[2].

وقال أيضًا في ردّه شبهة مَن يُجوِّز التوسل بالجاه بحديث استسقاء عمر بالعباس[3] رضي الله عنهما: « (تنبيه): وهذا يدل من ناحية أخرى على سخافة تفكير من يزعم أنه في قبره حي كحياتنا؛ لأنه لو كان ذلك كذلك لما كان ثمة وجه مقبول لانصرافهم عن الصلاة وراءه إلى الصلاة وراء غيره ممن لا يدانيه أبدًا في منـزلته وفضله. ولا يعترض أحد على ما قررته بأنه قد ورد أن النبي ، قال: (أنا في قبري حيٌّ طري؛ مَن سلّم عليَّ سلمتُ عليه)، وأنه يستفاد منه أنه حي مثل حياتنا. فإذا توسلنا به سمعنا واستجاب لنا فيحصل مقصودنا وتتحقق رغبتنا. وأنه لا فرق في ذلك بين حاله في حياته وبين حاله بعد وفاته. أقول: لا يعترض أحدٌ بما سبق لأنه مردود من وجهين: **الأول حديثي:** وخلاصته أن الحديث المذكور لا أصل له بهذا اللفظ كما أن لفظة (طري) لا وجود لها في شيء من كتب السنة إطلاقا ولكن معناه قد ورد في عدة أحاديث صحيحة » -فذكر أربعة أحاديث منها قوله : " الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون "-. ثم قال: « **الجواب الثاني فقهي:** وفحواه أنَّ حياته بعد وفاته مخالفة لحياته قبل الوفاة؛ ذلك أنّ الحياة البرزخية غيبٌ من الغيوب، ولا يَدري كنهها إلا اللهُ سبحانه وتعالى، ولكن من الثابت والمعلوم، أنّها تختلف عن الحياة الدنيوية، ولا

[1] انظره في: السلسلة الصحيحة للألبانِي، (ج6/ ص261-262).
[2] المصدر نفسه، (ج2/ ص190).
[3] الحديث في صحيح البخاري عن أنس ، وسيأتي تخريجه في مطلب التوسل من الباب الرابع.

تخضع لقوانينها؛ فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب، ويتنفس، ويتزوج، ويتحرك، ويتبرز، ويمرض، ويتكلم، ولا أحد يستطيع أنْ يُثبت أنَّ أحدًا بعد الموت حتى الأنبياء عليهم السلام، وفي مقدمتهم نبينا محمد تعْرِض له هذه الأمور بعد موته. ومِما يؤكد هذا أن الصحابة كانوا يختلفون في مسائل كثيرة بعد وفاته، ولم يخطر في بال أحد منهم الذهاب إليه في قبره ومشاورته في ذلك، وسؤاله عن الصواب فيها، لماذا؟ إنّ الأمر واضح جدًّا، وهو أنهم كلهم يعلمون أنه انقطع عن الحياة الدنيا، ولم تعد تنطبق عليه أحوالُها ونواميسها، فرسول الله بعد موته حيٌّ أكمل حياة يَحياها إنسانٌ في البرزخ، ولكنها حياة خاصة لا تشبه حياة الدنيا، ... وعلى كل حال فإنّ حقيقتها لا يَدرِيها إلا الله سبحانه وتعالى. ولذلك فلا يجوز قياس الحياة البرزخية أو الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية، كما لا يجوز أن تعطى واحدة منها أحكام الأخرى، بل لكلٍّ منها شكلٌ خاصٌ، وحكم معين، ولا تتشابه إلا في الاسم، أما الحقيقة فلا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى »[1].

فكما أنَّه لا دليل لأولئك في الحديث السابق، فكذلك لا دليل للذين يقولون بأنَّه لم يَمُتْ إنما غاب كما غاب موسى من قصة عمر السابقة في شكِّه وإنكاره من موته لفترة وجيزة؛ (إلى أنْ خطب أبو بكر) ليَذْهب عنه ما توهمه من ذهابه إلى ربه، كما حصل لموسى قبله. قلتُ**:** لا حجة لهم من هذه القصة لأنّه من المعلوم أنه قد عظُمَت المصيبة بموت رسول الله حتى كان الكثير من الصحابة على نسيان آيات موته ، وبعضهم لا تحمله رجلاه -كما مرّ في الأثر-، وكانوا على ما وصفهم الحافظ ابن رجب –رحمه الله- حيث قال: « ولَمّا تُوفِي اضطرب المسلمون؛ فمنهم من دُهش فخولط، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم مَن اعتقل لسانه فلم يُطِق الكلام، ومنهم مَن أنكر موته بالكلية، وقال: إنما بعث إليه كما بعث إلى موسى، وكان من هؤلاء عمر، وبلغ

[1] (?) التوسل؛ أنواعه وأحكامه، ص58-60 .

الخبرَ أبا بكر فأقبل مُسْرِعًا حتى دخل بيت عائشة .. »[1].
بل ذكر بعض العلماء –رحمه الله- أنّه لا ريب أنّ عمر خفِي عليه موته ، ولَم يُقِرّ به إلا من الغد، ثم إنه اعترف بأنّه كان مخطئًا في إنكار موته [2].

وأرى –والله أعلم- أنّ إقراره كان في نفس يوم وفاته بدليل ما سبق من الأثر في قول عمر : « وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ مَاتَ »[3].

وبِهذا زال الخلاف في هذه المسألة، وحصل إجماع الصحابة على موته [4]، فقاموا بما يجب من تجهيزه ودفنه صلوات ربِّي وسلامه وبركاته عليه، وعلى آلـه وصحبه.

وبِهذا بطَلتْ هاتان الشبهتان، وبقِيَ أنّ عبـد الله ورسوله نبينا محمدًا وغيـره موصوف بهذه الصفة (الموت)، خلافًا لهؤلاء الغلاة.

وأختم هذا المطلب (مطلب موته عليه الصلاة والسلام) بِحديثَي عائشة رضي الله عنها:

أولهما: قَولها رضي الله عنها: « مَاتَ النَّبِيُّ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي؛ فَلا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ »[5].

الحديث الثانِي: وفيه ما يدل على أنّ مصائب المسلمين بأصنافها ينبغي أنْ تهون بتذكر المسلم مصيبته بموت النبي ، فعَنْها رضي الله عنها، قَالَتْ: فَتَحَ رَسُولُ اللهِ بَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، أَوْ كَشَفَ سِتْرًا، فَإِذَا النَّاسُ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ

---

[1] لطائف المعارف، ص129.

[2] انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية، (ج6/ ص323).

[3] صحيح البخاري: كتاب المغازي: بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، ورقمه: 4452، و4453، و4454 .

[4] انظر: مقدمة الشيخ محيي الدين عبد الحميد لكتاب مقالات الإسلاميين واخلاف المصلين، (ج1/ 35-36).

[5] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِه، رقم: 4446.

حَالِهِمْ، وَرَجَا أَنْ يَخْلُفَهُ اللَّهُ فِيهِمْ بِالَّذِي رَآهُمْ، فَقَالَ: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي**"[1]. والله أعلم.

المطلب الثاني: خصائص العبد الرسول محمد ﷺ في باب الموت دون أمته[2]:

خصّ الله تعالى عبدَه ورسولَه نبينا محمدًا ﷺ بعدة خصائص في باب الموت، أذكر أهمها على النحو التالي:

الأول من هذه الخصائص: هو أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يُخيَّرون قبل موتهم. وقد تقدم ذكره قريبًا.

ثانيًا: أنّهم يدفنون حيث يموتون. وسيأتِي الحديث بذلك في الباب الرابع، وقبل ذلك أقول: قال الحافظ الذهبي –رحمه الله- بعد إيراد حديث: (.. لاَ تَجْعَلُوْا بُيُوْتكُم عَلَيْكُم قُبُوْراً،»[3] ..) من طريق ابْن لَهِيْعَةَ، في آخر ترجمته: « هَذَا حَدِيْثٌ نَظِيفُ الإِسْنَادِ، حَسَنُ المَتْنِ، فِيْهِ النَّهْيُ عَنِ الدَّفْنِ فِي البُيُوْتِ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ طَرِيْقٍ آخَرَ. وَقَدْ نَهَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنْ يُبْنَى عَلَى القُبُوْرِ. وَلَو انْدَفَنَ النَّاسُ فِي بُيُوْتِهِم، لَصَارَتِ المَقْبَرَةُ وَالبُيُوْتُ شَيْئًا وَاحِدًا. وَالصَّلاَةُ فِي المَقْبَرَةِ فَمَنْهِيٌّ عَنْهَا نَهْيَ كَرَاهِيَةٍ، أَوْ نَهْيَ تَحْرِيْمٍ. وَأَمَّا دَفْنُهُ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلاَمُهُ فَمُخْتَصٌّ بِهِ، كَمَا خُصَّ بِبَسطِ قَطِيْفَةٍ تَحْتَه فِي لَحْدِهِ، وَكمَا خُصَّ بِأَنْ صَلُّوا عَلَيْهِ فُرَادَى بِلاَ إِمَامٍ، فَكَانَ هُوَ إِمَامَهُم حَيًّا وَمَيِّتًا، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَكَمَا خُصَّ بِتَأْخَيْرِ

[1] سنن ابن ماجه: كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ، رقم: 1599، وتكلم في سنده لمقام موسى بن عبيدة الربذي الضعيف، لكنْ للحديث شواهد مرسلة يصح بها، لذا صحح الشيخ الألباني المراسيل بالحديث (انظر: السلسلة الصحيحة، ج3/ ص97-98، حديث رقم: 1106).

[2] انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، -عرضٌ ونقدٌ على ضوء الكتاب والسنة-، ص63-65.

[3] الحديث يصح بطرقه، وسأتي في مطلب النهي عن اتخاذ القبور عيدًا من الباب الرابع.

دَفْنِهِ يَوْمَيْنِ، وَيُكْرَهُ تَأْخِيْرُ أُمَّتِهِ، لأَنَّهُ هُوَ أُمِنَ عَلَيْهِ التَّغَيُّرُ، بِخِلاَفِنَا، ثُمَّ إِنَّهُم أَخَّرُوْهُ حَتَّى صَلُّوا كُلُّهُم عَلَيْهِ، دَاخِلَ بَيْتِهِ، فَطَالَ لِذَلِكَ الأَمْرُ، وَلأَنَّهُم تَرَدَّدُوا شَطْرَ اليَوْمِ الأَوَّلِ فِي مَوْتِهِ، حَتَّى قَدِمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ مِنَ السُّنْحِ، فَهَذَا كَانَ سَبَبَ التَّأْخَيْرِ »[1].

ثالثًا: أنّهم لا يُورَثون؛ فما تركوه فهو صدقة. ودليله ما رواه أمهات المؤمنين، والخلفاء الأربعة، وابن عوف، والزبير، وسعد، وأبو هريرة والعباس، وأبو الدرداء وغيرهم . وقد عقد البخاري –رحمه الله- بابًا في كتاب الفرائض، عنْوَن له بـ(بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : " **لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ** "، وأوْرَد فيه أكثَرَ الأحاديث الآتية:

* **الحديث الأول:** حَديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنَّ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ " **لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ** "، متفق عليه[2]. وفي لفظ أطول عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ عُثْمَانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلْنَهُ ثُمُنَهُنَّ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ، فَكُنْتُ أَنَا أَرُدُّهُنَّ. فَقُلْتُ لَهُنَّ: أَلاَ تَتَّقِينَ اللَّهَ! أَلَمْ تَعْلَمْنَ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَقُولُ: **لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ** -يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ- إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْمَالِ. فَانْتَهَى أَزْوَاجُ النَّبِيِّ إِلَى مَا أَخْبَرَتْهُنَّ. **قَالَ**: فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّدَقَةُ بِيَدِ عَلِيٍّ مَنَعَهَا عَلِيٌّ عَبَّاسًا فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا. ثُمَّ كَانَ بِيَدِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، ثُمَّ بِيَدِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، ثُمَّ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ وَحَسَنِ بْنِ حَسَنٍ كِلاَهُمَا كَانَا يَتَدَاوَلاَنِهَا، ثُمَّ بِيَدِ زَيْدِ بْنِ حَسَنٍ. وَهْيَ صَدَقَةُ رَسُولِ اللهِ حَقًّا [3]. ولفظ أبِي داود للحديث أنّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: « قُلْتُ: أَلا تَتَّقِينَ اللَّهَ، أَلَمْ تَسْمَعْنَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: " **لا نُورَثُ؛ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ لآلِ مُحَمَّدٍ؛ لِنَائِبَتِهِمْ،**

---

1 (?) سير أعلام النبلاء، (6/ص16).

2 (?) صحيح البخاري: ورقمه: 6730، صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي " لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فهو صَدَقَةٌ "، ورقمه: 1758.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، رقم: 4034 .

وَلِضَيْفِهِمْ، فَإِذَا مُتُّ فَهُوَ إِلَى وَلِيِّ الأَمْرِ مِنْ بَعْدِي "[1].

* وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ فَاطِمَةَ وَالْعَبَّاسَ رضي الله عنهما أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاثَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمَا حِينَئِذٍ يَطْلُبَانِ أَرْضَيْهِمَا مِنْ فَدَكَ، وَسَهْمَهُمَا مِنْ خَيْبَرَ، فَقَالَ لَهُمَا أَبُو بَكْرٍ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **لا نُورَثُ؛ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لا أَدَعُ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُهُ فِيهِ إِلا صَنَعْتُهُ ... الحديث[2].

وفي لفظ آخر لها في الصحيحين بدون ذكر العباس، أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكٍ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **لا نُورَثُ؛ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ** "، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، يَعْنِي: مَالَ اللَّهِ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكَلِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَقَّهُمْ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي »[3].

*وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **لا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا؛ مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَئُونَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ** " [4].

---

1 سنن أبي داود:كتاب الخراج والفيء والإمارة،بَاب فِي صَفَايَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الأَمْوَالِ،رقم: 2976، حسنه الألباني.

2 صحيح البخاري: المصدر نفسه، رقم: 6725، و6726.

3 صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس، رقم: 3092، و3093، وصحيح مسلم: مصدرٌ سابق، رقم: 1759.

4 صحيح البخاري: كتاب الفرائض، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "لا نُورَثُ؛ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ "، ورقمه: 6729، وصحيح مسلم: مصدر سابق، ورقمه: 1760.

* وعنه ، أَنَّ الرَسُولَ ، قَالَ: " **لا نُورَثُ؛ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ** "[1].

وعن أبي الدرداء مرفوعًا، في حديثٍ لهِ طويلٍ، وفيه: " **وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** "[2].

رابعًا من خصائصه في باب الموت: أنّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، كما أنّه تُعرَض عليه صلاة أمته عليه في قبره، ودليله ما جاء عن عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **: " إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ** " قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ -يَقُولُونَ بَلِيتَ- فَقَالَ: " **إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ** "[3].

خامسًا: أنّ الله تبارك وتعالى أكرَمَه بتحريم أزواجه بعده، دون أمته، قال تعالى: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ [الأحزاب: ٥٣]. وقد تقدم هذا في آخر المطلب المخصص لـ(ذكر أزواجه).

هذه الخمسة هي أبرز خصائصه دون أمته في باب الموت. والله أعلم.

المطلب الثالث: الله الحيّ القيوم سبحانه لا يموت، لكمال حياته:

---

[1] صحيح مسلم: مصدر سابق، ورقمه: 1761 .

[2] سنن أبي داود: كتاب العلم، بَاب في فضل الْعِلْمِ، رقم: 3631، وجامع الترمذي: كتاب العلم، بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْفِقْهِ عَلَى الْعِبَادَةِ، رقم: 2682، وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة، بَاب هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ؟ رقم: 223، صححه الألباني –رحمه الله-.

[3] سنن أبي داود: كتاب الصلاة، بَاب فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، ورقمه: 1047، وسنن النسائِي: كتاب الجمعة، إِكْثَارُ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ورقمه: 1374، وسنن ابن ماجه: كتاب الجنائز، بَاب ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ ، ورقمه: 1636، صححه الشيخ الألبانِي.

الله سبحانه حيٌّ كامل الحياة، بحيث لا يعتري حياته مرضٌ ولا سنة ولا موتٌ، ولا أيُّ نقصٍ غيرها، وقد دلّتْ النصوص الشرعية على ذلك، وهذا النفي كان لكمال اتصاف الله تعالى بأضدادها؛ فَمَا نفَتْ النصوص عنه سبحانه الموت إلا لكمال حياته وقيوميته.

ولِلنصوص في نفي الموت عن الحي المألوه سبحانه وتنزيهه عنه دلالتان، هما:

الأولى: النصوص التي فيها وصفُـه سبحانه بالحياة الكاملة، المسلتزمة لانتفاء النقص عنه، مِن سنة ونوم بله الموت، وتسميته باسمه (الحيّ)، دون التنصيص على نفي هذه اللوازم،

قال الله تعالى مسمِّيًا نفسه باسمه الحيّ: ﭽﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﭼ [البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭼ [آل عمران: ٢]. وقال: ﭽﯰﯱﭼ الكامل في الحياة الذي لا سنة ولا نوم يُنَغِّصه، ولا موت يعتريه، فلذا هو المستحق للعبودية ﭽﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﭼ [غافر: ٦٥].

الدلالة الثانية: النصوص التي وَصَفَتْـه بالحياة الكاملة وسَمَّـته باسمه (الحي)، ثم نصّـتْ بانتفاء ضدّ ذلك، قال تعالى: ﭽﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭼ [الفرقان: ٥٨].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: " **اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ** "[1].

وفي رواية: " **الْحَيُّ الَّذِي لاَ تَمُوتُ..** "[2] بصيغة الخطاب.

وروى البخاري في بَاب الدُّخُولِ عَلَى الْمَيِّتِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ، و بَاب مَرَض النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ، وبَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا " خطبة أبي بكر

---

[1] صحيح البخاري: كتاب التوحيد، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﭽ ﮬ ﮭ ﭼ رقم: 7383، وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، رقم: 2717، واللفظ له.

[2] مسند الإمام أحمد: ورقمه: 2612 .

السابقة من حديث ابن عباس وعائشة ، وفيها: « أَمَّا بَعْدُ: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، **وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ** »[1].

ومثله ما تقدم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ من أنّ الله هو الصَّمَدُ، والصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ؛ **لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلا سَيَمُوتُ، وَلا شَيْءٌ يَمُوتُ إِلا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ لا يَمُوتُ، وَلا يُورَثُ** ..الحديث[2].

فثبت بكُلِّ هذا أنّ الموت من خصائص المخلوقين أوّلهم وآخرهم، أحقرهم وأعظمهم، وأنّ الله تعالى مُنزَّهٌ عنه.

أما بعد، فهذا ما تيسر في هذا الفصل من المباحث الأحد عشر، وهي كُلّها شواهد البشرية وأدلتها، وقد تكلمت وفصّلتُ عن طائفة من خصائص البشريّة، مُمثلةً في نبينا محمدٍ ، وتبيّن أنّه كغيره من جنسه في الاتصاف بِها. وهذا أكبر دليل على أنّه مربوبٌ ليس له من خصائص الربّ والإله شيءٌ. وتخلل ذلك البيان لبعض الأمور والميزات التي خصّه الله تعالى بها في تلك الصفات؛ فتفرّد بها دون أمته، أو دون الأنبياء عليهم السلام قبله -على التفصيل المتقدم.

كما تبيّن –ثانيًا- أنّ الخصائص البشرية تضمنت نقصًا وفقرًا وحاجة، وعليه فهي منتفية عن الله تعالى. وأنتقل بعد ذلك إلى الفصل الثاني في الباب وهو في بيان كمال عبودية نبينا محمدٍ لربّه .

وأيضًا فإنّ ما تقدم في الفصل فهي أدلة وشواهد على أنّ عبد الله ورسولَه نبينا محمدًا بشرٌ من البشر، وعبدٌ مربوبٌ ليس له من خصائص الإلهية شيءٌ، وأنّ ما ورَد في الفصل من العبودية فهي العبودية التابعة

---

[1] صحيح البخاري: بَاب الدُّخُولِ عَلَى الْمَيِّتِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ، ورقمه: 1241، و1242.

[2] الحديث عند الترمذي، وقد تقدم تخريجه، وأنّه حسنٌ دون آخره.

للربوبية، فـ(العَبْد) فيها بمعنى: المعبَّد المسخَّر المخلوق المملوك المدَّبَر –بالفتح- ..إلخ.

وأما ما يأتِي في الفصل القادم (فصل كمال عبوديته □ لربّه) فالعبد فيها بمعنى: العابد، المحب الخائف الراجي ..إلخ. والعبد والعبودية فيه هي العبودية التابعة للإلهية؛ ذلك أنّ الأفعال المتعدية -في اللغة- يَصلُح أنْ يُنظَر إليها مِن جهتَين؛ جهة الفاعلية، وجهة المفعولية، فلفظة (العبد) مثلا، والتي بنَيتُ عليها الباب الأول من هذا البحث وغيرَه نظرتُ إليه من الجهتين، فبنَيتُ على ذلك فصْلَيه. ثم أنتقل إلى الفصل الثاني من هذا الباب، فأقول:

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

الفصل الثانِي: كمال عبوديـته عليه الصلاة والسلام، ولازم ذلكَ، وفيه تمهيدٌ، وعشرة مباحث:

التمهيد: وصف الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام بالعبودية لله، واتصافهم بها، ودعوتهم إليها.

المبحث الأول: اختيار النبيِّ ﷺ العبودية على الملك، وعلاقة ذلك بتكميله العبودية، وفيه مطلبان.

المبحث الثانِي: محبته عليه الصلاة والسلام لوصفه بالعبودية**..**

المبحث الثالث: أنَّه عليه الصلاة والسلام مقدَّم في الدنيا والآخرة لتكميله العبودية.

المبحث الرابع: أنَّه ﷺ أعلم الناس بالله، وأتقاهم له.

المبحث الخامس: كمال محبته ﷺ لربِّه، بل وأنَّه عليه الصلاة والسلام لا خليل له سوى الله العظيم، وفيه تمهيدٌ ومطلبان.

المبحث السادس: شِدَّة خوفه ﷺ من ربِّه القهَّار.

المبحث السابع: خضوعه ﷺ وذلّه لربِّ العزة والجبروت سبحانه.

المبحث الثامن: أنَّه ﷺ أنصح للخلق.

المبحث التاسع: هل عبوديته ﷺ (التابعة للإلهية) وولايتُه، فوق نبوَّته ورسالته؟

المبحث العاشر: لازم عبوديته ﷺ: عدم الغلوِّ فيه.

فـ(فصل كمالِ عُبودية العبد الرسول محمدٍ ﷺ لربِّه ﷻ) هذا سيتضح –إنْ شاء الله- بذكر وبيان أركان العبادة التي هي الحب والخوف والرجاء والذلّ لله[1] –كمباحث لهذا الفصل- عند هذا النبِيِّ الكريم، وأنّه أكمل الناس –الأنبياء وغيرِهم- تحقيقًا لهذه الأمور. مع مباحث أُخَر سابقة توضِّح هذا الفصل.

المطلب التمهيدي: وصف الأنبياء والملائكة –عليهم الصلاة والسلام- بالعبودية لله، واتصافهم بها، ودعوتهم إليها[2]**:**

---

1 ([?]) تقدمت الإشارة إليها عند التعريف بالعبادة في مدخل هذه الرسالة، (يراجع هناك).

المخلوق لا يوصف بشيءٍ فيَـصْدُق وصفُه به إلا إذا قام به؛ فإذا قـام به -قـولا كـان أو فعلا- وكـان كمـالا كمُل به، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قاموا بعبــادة الله عِلمًا وقولا وعملا ودعوة إلى ذلك، فكمُلُوا بذلك وشـرُفُوا، على قاعـدة المخلـوقين؛ فعَلُـوا فكمُلـوا. وهـذا بخلاف الخـالق الذي كـان فِعالُه عن كمالـه؛ فإنه كمُل ففعـل. -وقد قـرّر هــذه القاعــدةَ العلامة ابنُ القيِّم رحمه الله في كثـيرٍ مِن كُتُبه[1].-

ولذا لم يأتِ في دين نبيٍّ قط الأمر بعبادة غير الله -كائنًا ما كــان-، ولا الاســتعانة بغـيره ســبحانه، ولا التوكل على غيره، ولا الإنابة إلا إليه، ولا الصلاة والصيام والزكاة والحج إلى غيره، ولا الطواف إلى غير بيته، وكذلك استغفار غيره ودعاؤه واستغاثته واستعاذته وغـيرُ ذلك مِن أنـواع العبـادة ممنوعٌ صرفه إلى غيره. بل جاء النهي منهم عن كلِّ ذلك، فالأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام كلّهم أَمَـرُوا بِما أُمِـرُوا به من توجيه القصد والوجه لله ، وإنْ اختلفت كيفيـــــــات شرائعهم؛ ﭼ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﯓ ﭽ [المائدة: ٤٨]. وفي الحديث: **"الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاتٍ؛ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"**[2].

فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين متفقون في الدعوة إلى عبادة الله وحده.

فكما كانوا كذلك فـ«الله تعالى جعَل العبودية وصفَ أكملِ خلقِه وأقربِهم إليه»[3].

---

2 (?) للاستزادة عن هذه المسألة، انظر المراجع التالية: كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومدارج السالكين لابن القيم، (ج1/ 166 وما بعده)، وإرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني، ومقدمة كتاب قطف الجنى الدانـي شرح رسالة ابن أبي زيد القيروانـي.

1 (?) انظر -على سبيل المثال- هذه القاعدة في هذه المراجع: بدائع الفوائد، (ج1/286) وعدة الصابرين، ص72-73، والصواعق المرسلة، (ج4/ 1563-1564)، بتحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، "/ دار العاصمة.

2 (?) هذا لفظ مسلم في صحيحه، وأصل الحديث متفقٌ عليه، وسيأتي تخريجه.

3 (?) مدارج السالكين، (ج1/ 166).

وسأوضِّح هذه الحقيقة هنا مِن خلال المسائل الخمس الآتية، وستكون المسألة الأولى عامة في جميع أنبياء الله، والثانية في الملائكة عمومًا، والثلاث الأخيرة خصصتها بثلاثة أعلامٍ مِن أولِي العزم مِن الرسل: أُفَصِّل فيهم القول عن اتصافهم بعبودية الله، ودعوتِهم إلى توحيده سبحانه، وهم كالتالي:

المثال الأول: اتصاف إبراهيم بالعبودية، ودعوته للتوحيد.

المثال الثاني: اتصاف عيسى بالعبودية، ودعوته للتوحيد.

المثال الثالث: اتصاف محمد بالعبودية، ودعوته إلى التوحيد. على النحو التالي:

المسألة الأولى: وصف الله أنبياءه عليهم الصلاة والسلام عمومًا بالعبودية لـه، واتصافهم بها، ودعوتهم إليها.

المسألة الثانية: وصف الملائكة عليهم السلام بالعبودية لله، واتصافهم بها.

المسألة الثالثة: وصف خليل الرحمن إبراهيم بالعبودية، وبيان دعوته إلى إفراد الله تعالى بالعبادة.

المسألة الرابعة: وصف رسول الله وكلمته عيسى بالعبودية لله، وبيان دعوته إلى إفراده تعالى بالعباد.

المسألة الخامسة: وصف خليل الله نبينا محمد بالعبودية، وذكر دعوته إلى عبادة الله وحده.

المسألة الأولى: وصف الله أنبياءَه عليهم الصلاة والسلام عمومًا بالعبودية له، واتصافهم بها[1]، ودعوتهم إليها:

وقد جعلتُ هذه المسألة في فرعَين:

الفـرع الأول: وصـف الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام بالعبودية لله، وقيامهم بها.

---

[1] انظر: كتاب العبودية لشيخ الإسلام بن تيمية، ص48-49، ومدارج السالكين، (ج1/ 166-167) وعبودية الكائنات لرب العالمين لفريد توني، ص154-222، وعبودية القلب لرب العالمين في الفرآن الكريم للدكتور عبد الرحمن البرادعي، (ج1/ 50-62.

الفرع الثاني: دعوة الرسل عليهم الصلاة والسـلام إلى عبادة الله وحده، واتفاقهم على ذلك**.**

الفرع الأول: وصف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالعبودية لله، وقيامهم بها:

وصَف الله **رُسُلَـه وأنبياءَه عليهم الصـلاة والسلام** بـ(ـأنّهم عبيـدُه)، ومـا وصـفهم بِهـذه الصـفةِ إلا بعدما قاموا بها علمًا وعملا ودعـوة إلى تحقيقهـا، فكمُلُـوا بأفعـالهم وأقـوالهم ودعـوتهم، قـال تعـالى في وصـف جميعِهم: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﭼ [النحل: ٢]. ﭽ ﯓ ﯔ ﭼ [الصافات: ١٧١]الآيـات. والدرجـة العليـا مِن عبـاد اللـه المُصطَفَين هم أنبياؤه ورسلُه الـذين نعتهم بالعبوديـة في قوله: ﭽﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [النمل: ٥٩].

ووصفَ آحادهم بذلك؛ فقال واصفًا رسولَـه **نوحًا** بأنـه (عبـدُه): ﭽﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الإسراء: ٣]. ﭽﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ [الصافات: ٨١]. ﭽﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ [القمر: ٩].

وقال **فيه وفي لوطٍ عليهما السلام**: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ [التحريم: ١٠].

ونعت **خليلَه إبراهيم هو وابنَـيْه؛ (إسحاق ويعقوب) عليهم السلام** بالعبودية له سـبحانه، فقـال: ﭽﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [ص: ٤٥].

ووصفَ رسولَـيْه **موسـى وهارون عليهمـا السلام** بأنـهما (عبـدَاه)، فقال: ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯝ ﭼ [الصافات: ١٢٢]

وقـال **في عيسـى وفي والملائكـة عليهم السلام**، وأنّهم منعوتون بعدم الاستنكاف والاسـتكبار عن عبادته: ﭽﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ [النساء: ١٧٢].

ووصف **خاتَمَ الرسلِ محمدًا** بأنَّه (عبدُه) في مقامات عِدّة، هي أشرف مقاماتـه، كمقـام التنزيـل عليـه والوحي إليه، ومقام الإسراء بـه، ومقـام المعـراج، ومقـام كفايته، ومقام دعوته وعبادته، ومقام صلاته. وستأتي هـذه النصوص في المسألة الخامسة.

ووصفَ رسولـه **يوسف** بأنـه (عبـدُه)، فقال: ﭽﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [يوسف: ٢٤].

ووصفَ نبيَّـه **خضر** بأنـه (عبـدُه)، فقال: ﭽﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ [الكهف: ٦٥].

ووصفَ نبيَّـه **إلياس** بأنـه (عبـدُه)، فقال: ڇڈڤ ڦڤڦڇ [الصافات: ١٣٢].

ووصفَ نبيَّـه **داود** بأنـه (عبـدُه)، فقال: ڇ ٻٻٻ ڀٻڀڀٻڀ ڀڀڇ [ص: ١٧].

ووصفَ نبيَّـه **سليمان** بأنـه (عبـدُه)، فقال: ڇڃڃ ڃڃڃڃڍڍڌڌڇ [ص: ٣٠].

ووصفَ نبيَّـه **أيوب** بأنـه (عبـدُه)، فقال: ڇۓ ڇ [ص: ٤١]... إلى أنْ قال: ڇٿٿٹٹٹڤڤڦڦڇ [ص: ٤٤].

ووصفَ نبيَّـه **زكريا** بأنـه (عبـدُه)، فقال: ڇ ٻ ٻ ٻ ڀ ٻ ڀ ڇ [مريم: ٢].

وما نعتَ الله هؤلاء بهذه الصفة العظيمة، وذكَر أنهم حققوها، وأضاف أعيـانهم إليه سـبحانه وتعـالى مع هذه الصفة (فقال: عبدُه، وعِبادنـا) **إلا تشـريفًا لهم وتكريمًـا، وإعـزازًا لهم وتفضـيلا.**

*** ***

الفرع الثاني: دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده، واتفاقهم[1] على ذلك:

خلق الله عباده لعبادته، وكانوا على توحيده والحنيفية والإخلاص، والفطرة، والسداد، والاستقامة، أمتهم واحـدة، ودينهم واحـد، والمعبـود واحـد[2] كـانوا على ذلك عشـرة

---

[1] انظر عن/ اتفاق دعوة الرسل على إفراد الله بالعبادة هذه المراجع: كتاب العبودية، ص47، ومدارج السالكين، (ج1/ ص166)، وإرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني، ص5 وما بعدها، ودعوة التوحيد؛ أهميتها والأدوار التي مرَّت بها ومشاهير دعاتها للدكتور محمد خليل هراس، ص83-227، والإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره مِن الأديان للشيخ بكر عبد الله، ص 61-70، والفصل الثالث من تقدمة شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر لكتابَي الصنعاني (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) والشوكاني (شرح الصدور في تحريم رفع القبور)، بعنوان: اتفاق دعوة الرسل على إفراد الله بالعبادة، وكتاب عبودية القلب، (ج1/ 37-48) بعنوان: العبودية منهج الرسل عليهم السلام، و قاعدة: دين الأنبياء واحد، من كتاب القواعد في توحيد العبادة، ص63 (رسالة علمية غير منشورة فيما أعلم).

[2] انظر: الإبطال لنظرية الخلط، للشيخ بكر، ص62.

قـــرون بين آدم ونـــوحٍ عليهمـــا الســـلام[1]، فاجتـــالتهم الشـــياطين وحـــرَّفَتْهم عن دينهم، وأمـــرتْهم أنْ يشـــركوا بالله[2]، فبعث اللـه رسُـلَه لـدعوتهم لـردهم إلى توحيـده، ونبذ الشرك، فكانت كلمة الرسل متفقةً وواحدة مِن لـدن أوّلِهم نـــوحٍ إلى آخـــرهم صـــلوات اللـــه وســـلامه عليهم أجمعين،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَجَمِيعُ الرُّسُلِ افْتَتَحُوا دَعْوَتَهُمْ بِهَذَا الْأَصْلِ»[3].

وقال العلامـة ابن القيم –رحمـه اللـه-: « وجميع الرّسل إنما دعَوا إلى ﭠﭡﭢﭣﭤ [الفاتحة: ٥]. فإنهم كلهم دعَوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم »[4].

وبعدما سرَد الشوكاني –رحمه الله- نصوص العهدين (القـديم والجديـد) لبيـان اتفـاق الرسـل في الـدعوة إلى التوحيـــد، علّـــق عليهـــا بقولـــه: « وبالجملة فكُتُبُ الله بأَسـْرِها، ورُسـُله جميعًـا، متفقـون على التوحيد، والـدعاء إليه، ونفي الشـــرك بجميع أقســـامه. وأما دُعَـــاء الأنبيـــاء المتقدمين على موسى، إلى التوحيد، فقد تضمَّنَت التوراة حكايةَ ما كـــــانوا عليه من التوحيد، والـــــدعاء إليه، ونفي الشـــــرك؛ فإنها قد حَكتْ ما وقع منهم مِن عند أبينا آدم، ومن بعـده من الأنبيـاء كنـوح، وإبـراهيم ولـوط، وإسـحاق وإسماعيل، ويعقوب ويوسف، إلى عند قيام موسى -سلام الله عليهم أجمعين- »[5]. وسيأتِي قريبًا الشاهد لـذلك من النصوص القرآنية.

---

1 (?) انظر: جامع البيان للطبري، (ج23/ 639) ومصنف عبد الرزاق: (ج 8/ ص48)، وقال الأستاذ محمود شاكر في تعليقه: « رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكر الشيخ بكر أبو زيد (الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص63) أنه في البخاري، إلا أنني لم أجده، وقد رأيتَ كلام الحاكم السابق.

2 (?) الحديث الذي فيه هذه المعاني جاء في صحيح مسلم: كتاب الجنة، بَاب الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، رقم: 2865 (وهو حديث عياض ابن حمار المجاشعي).

3 (?) التحفة العراقية، ص42.

4 (?) مدارج السالكين، (1/ ص166) .

كما أنـه قـال في مطلـع كلامـه السـابق: « الفصل الأول: **في بيان اتفاق الشـرائع على التوحيد**: اعلم أنه قد روَى جماعةٌ من أكـابر علمـاء الإسـلام أنّ الشـرائع كلَّها اتفقت على إثبـــات التوحيد على كـــثرة عـــدد الرسل المرسـلين، وكـثرة كتب الله المنـــزلة على أنبيائه »[1]، واستشـهد بالحـديث الـذي يـذكر عـدد أنبيـاء اللـه، وكتبـه المنـزلة.

فبعدما كمُل الأنبياء بالعلم –الوحي- (ورأسُه: علم توحيد الله الذي جاءهم الروح الأمين به) والعمل، وشرُفُوا بهمـا، نصَـحوا أممهم وأرادوا مِنهم أنْ يسـعدوا، فـدعَوهم إلى ما قاموا بتحقيقه هم، والذي هو إفراد الله بالعبادة.

والنصوص التي دلّت على أنّ الرُّسل عليهم الصلاة والسلام اتفقتْ كلمتُهم في الدعوة إلى إفـراد الله تعـالى بالعبادة يُمكن أنْ تُقسم إلى قسمين:

القسم الأول: النصوص التي استُخدم فيها مادة (عبد ومشـتقاتها، أو الإلهية أو غيرهما من الـدين والتقـوى والعدل) وأنَّ الرسل كلهم دعَـوا إلى إفـراد الله في ذلـك. وهذه **على نوعين:**

نوعٌ مُجمَلٌ: عمّم الله فيها القول بأنّه لم يُرسل رسولا إلا لتحقيق هذا الأصل، وأمرِه قومه به.

من ذلك: قوله تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ [النحل: ٢]. وقال: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ [النحل: ٣٦]. وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [الأنبياء: ٢٥]. وقال: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [المؤمنون: 51- ٥٢]. وقال: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [الشورى: ١٣]. وقال: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [الزخرف: ٤٥]. وبيَّن الله أنّ الرسل قبل هودٍ وبعده لم يُبعثوا إلا بالأمر بعبادة الله وحـده، فقـال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [الأحقاف: ٢١]. وقال: ﭽ

[5] (?) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، ص8-9، ط/ الكتب العلمية.

[1] (?) الشوكاني، المصدر نفسه، ص5.

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ الحديد: ٢٥ الآيـة. ولفظة (الكتـاب)هنا تعـني: جنس الكُتُب المنــزَّلة.

وأعظم القسط وأكـبر العـدل: وضـعُ العبـادة في محلّهـا، وعــدم صــرفها لِمَن لا يســتحقها -كائنًا ما كــان-؛ فالله ﷻ أرسل الرسل وأنــــزل معهم الكتب، من أجل أن يقــــوم النـاس بتوحيد الله في عبادته بتجريـدهم قصـدهم لله في قيامهم بكلِّ الشرائع.

وفي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ ﭬ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَـرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ** ". قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُـولَ اللَّهِ؟ قَـالَ: " **الأَنْبِيَـاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ، وَأُمَّهَـاتُهُمْ شَـتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِـدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ** "[1] .

ونوعٌ مفصَّلٌ: حيث ذكَرَتْ هذه النصوص هؤلاء الرسل بآحادهم، وأنّه دعَا كلٌّ منهم إلى إفراد اللــه تعـالى بالعبــادة؛ فـــأخبر ســبحانه عن جملـــةٍ منهم أنَّه قـــالوا لأقوامهم: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ[2] -وسيأتِي ذلك.

وفي مقدمة هذا الركب الكريم يأتِي أول الرسـل **نوحٌ** ﭵ الذي مكث في قومه ألـف سـنة إلا خمسـين عامًـا يدعوهم إلى عبادة الله وحده ليلا ونهارًا، سرًّا وعلَنًـا، قـال الله تعالى عنه: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [الأعراف: ٥٩].

ومثلها في سورة هود والمؤمنون ونوح.

وقد أخذ الله ميثاق بنِي إسرائيل أنْ لا يعبدوا إلا إياه على لسان رسولهم، ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [البقرة: ٨٣].

وجهَّل **كليم الله موسى** ﭵ بنِي إسرائيل لمَّا طلبُوا منه أنْ يجعل لهم إلهًا غير الله، وذكر أنه لا يــبغيهم ذلـك، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

كما أنه لما اتخذ قومُه العجل مِن بعده -وقد نهاهم هـارون ﭵ عن ذلـك- هـاج غضب موسى وأخذ بـرأس أخيه

---

1. (?) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ ، رقم: 3443 . وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فَضَائِلِ عِيسَى ﭵ، رقم:2365 .
2. (?) في غير ما موضع.

يَجرُّه إليـه، وحـرّق العجـل، وبيَّن لهم أنّ معبـودهم واحـد، وهو المتصف بكلِّ كمال لا العجل ولا غيره.

ودعا **هودٌ** قومَـه وأنذرهم بِما أنذر به الرّسُل قبله وبعده (أن لا تعبُدوا إلا الله)، قال تعالى: ﭼﯘﯙ ﯚﯛ ﯜﯝﯞﯟ ﯠﯡ ﯢﯣﯤ ﯥﯦﯧ ﭽ [الأعراف: ٦٥]. ومثلها في سورة هود. وفي سورة المؤمنـون قيل هو هـودٌ، وقيل هو صـالح[1]. وفي فصـلت والأحقاف.

ودعا **صالحٌ** قومَـه إلى إفراد الله بالعبادة، واتخذ ذلك مهمة له، قال تعالى عنه: ﭼﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙ ﯚﯛ ﯜﯝﯞﯟ ﯠﯡ ﭽ [2]. ولها نظيرة في سورة النمل.

ودعا **شعيبٌ** إلى التوحيد، قال تعالى عنه: ﭼﭸﭹﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﭽ [3]. ومثلها في سورة هـود والعنكبوت.

ودعا **إلياس** قومه إلى التوحيد، قال تعالى عنه: ﭼﯚ ﯛﯜﯝﯞﯟ ﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰ ﭽ [الصافات: ١٢٣ – ١٢٦].

ودعا **يعقوب** بنِيه إلى عبادة الله ووصاهم بذلك حتى وهو في الغرغرة، قال تعالى عنه: ﭼﮪﮫﮬﮭ ﮮﮯﮰﮱ ﯓﯔﯕﯖ ﯗﯘ ﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟ ﯠﯡ ﯢﯣﯤ ﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴ ﭽ [البقرة:132-١٣٣].

وقد دعا **يوسف** إلى عبادة الله وحده حتى وهو في السـجن، وذكر أنه تـرَك ملة قـومٍ لا يؤمنـون باللـه، قال: ﭼﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡ ﭢﭣﭤﭥﭦﭧ ﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕ ﭽ [يوسف:37-٤٠].

ونهى **لقمان الحكيم** ابنه عن الشرك، ﭼﭴﭵﭶﭷﭸ ﭹﭺﭻﭼﭽ ﭽ [لقمان: ١٣].

هذا، وأما الثلاثة مِن أولي العزم؛ والذين هم: **خليل الرحمن ورسوله إبـراهيم، وكلمـة اللـه ورسـوله عيسى، وخليل اللـه ورسـوله نبينـا محمـد صـلى الله عليهم وسلم** فقد خصصت كلَّ واحدٍ منهم بمسألة

---

1. انظر: تفسير ابن كثير، (ج3/ ص326).
2. في موضعَين، (سورة الأعراف: ٧٣، وسورة هود: 61).
3. في موضعَين، (سورة الأعراف: 85، وسورة هود: 84).

أتناول فيها قيامه بالعبودية ودعوته إلى إفراد الله بالعبـادة بالتفصيل.

وبعد: فقد دلّتْ هذه النصوص الكثـيرة على أنّ الرّسل عليهم الصلاة والسلام إنما دعَوا الناس إلى عبـادة الله وحده، ولم يَدعُوهم إلى عبادة أنفسـهم أو عبـادة مَن سـوى اللـه غـيرهم، واتفقت دعـوتهم على هـذا المقصـد، والغاية لخلق الخلق، قال تعالى: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹ ﭺﭻﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂ ﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﭼ [آل عمران: ٧٩ – ٨٠].

كما رأينا حـرص الرُّسُـل عليهم الصـلاة والسـلام ونصحهم في دعوتهم أقوامهم إلى هذا الأصـل العظيم من خلال هذه النصوص مما يؤكِّد ويُحَتِّم ويـوجب على الـدعاة إلى الله اليوم الاهتمام بتقرير توحيد العبادة، يقول شـيخنا الشـيخ عبـد المحسـن البـدر في ذلـك: « وقد تـبيَّن بهـذه الآيات الكثيرة الدالَّة إجمـالاً وتفصـيلاً على دعـوة الرسل أقــوامهم إلى إفــراد الله بالعبــادة أنَّ الــواجبَ الاهتمــام والعناية بالــدعوة إلى توحيد الألوهيــة، اقتــداءً برسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام؛ لأنَّه التوحيد الذي خلق الله الخلق لأَمْـرهم به ونهيهم عن صـرف العبـادة لأحد سـواه، وهو الــذي من أجله أرسـلت الرسل، وأُنــزلت الكتب، ولا يجــــوز التشــــاغل عنه بالاهتمــــام والعناية بتقرير توحيد الربوبية؛ لأنَّ ذلك مركوزٌ في الفِطَر، ولَم تُنكره الأمم، بل هي مُقرّةٌ به، ولم يُدخلهم إقــرارُهم به في الإسـلام، ومن الآثـار السـيِّئة المترتِّبة على اشـتغال كثـير من المنتسـبين إلى العلم بتقرير توحيد الربوبية، وعـــدم عنـــايتهم بتقرير توحيد الألوهية ما ابتُلي به كثـــيرٌ من النـــاس في مختلف البلاد الإســـلامية من الافتتـــان بـــالقبور، والبنـــاء عليها، واتخاذها مساجد، وما يحصُل من كثير من الناس من دُعاء أهلها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم قضـاء الحاجـات، وكشف الكربات، وغـير ذلك مِمَّا لا يجـوز أن يُطلب من غـير الله. ومن بـــاب أولى ما يفعله بعضُ النـــاس من التشـــاغل عن تقرير توحيد الألوهية، ودعـــــوة المســـــلمين إلى إخلاص

العبادة لله وحـده، وتحـذيرهم من الشـرك الـذي ابتُلي به المفتونـون بـالقبور، وذلك باشـتغالهم بتقرير إثبـات وجـود الله بغية إقناع الشيوعيِّين؛ فإنَّ هذا وإن كان مطلوبــاً في الجملــة، إلاَّ أنَّه لا يجــوز أن يكــون على حســاب إهمــال المحافظة على سـلامة عقائد المسـلمين، فـإنَّ المحافظة على رأس المال مقدَّمةٌ على البحث عن الرِّبح »[1] .

فضرَب مثَلَين للمتشاغل بتقرير وجود الله أو توحيد الربوبية على حساب توحيد العبادة، فليُراجع.

ومع ما سبق وما يأتي مِن نصح الرسل وحرصهم على السعي في إيجاد أمة مُوحِّدة إلا أنه قد أجمعت كلمة معارضِــيهم ومخــالفيهم مِن أممهم على أنهم لا يــتركون آلهتهم إلى ما يُدعون إليه مِن توحيـد اللـه، بـل هم بـاقون على الشرك، فقد قال قوم هودٍ له: ﭽ ﭼ [هود: ٥٣]. وقال مشركو قريشٍ: ﭽ ﭼ [ص: ٥].

هذا، واتفاق الأنبياء والرسل في الدعوة إلى عبادة الله وحده، المشار إليه يُمكِن أيضًا أنْ يُصاغ بعبارة أخرى، وهو ما يأتِي في القسم الثاني.

القسم الثــاني: النصــوص الــتي فيها أنّ دين هــؤلاء الرُّسُل الذي دعَوا إليه هو الإسلام[2]:

لا دين مقبولا عند الله سوى الإسلام، قال تعالى: ﭽ ﭼ [آل عمران: ١٩]. كما أنّ مُـبتغِ غير الإسلام دينًا لا يقبل الله منه، قال تعالى: ﭽ ﭼ [آل عمران: ٨٥].

وأنبياء الله تعالى جاءوا بهذا الدين (الإسلام)، فقد **صرّح نوحٌ** ﷺ وغيره بأنّ دينـه هو الإسلام، فقال: ﭽ ﭼ [يونس: ٧٢]. وقال **الله عن إبـراهيم** ﷺ في تبرئتـه من الشرك، واليهودية والنصرانية، وحصر دينه في الإسلام: ﭽ ﭼ [آل عمران: ٦٧]. وقد دعا ﷺ لنفسه

---

[1] مقدمة كتابَي: تطهير الاعتقاد، وشرح الصدور، للصنعاني، والشوكاني، ص32-33 .

[2] انظر: منهاج السنة، (ج5/ 265-266) وعقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن مسفر، ص306 .

ولابنه إسماعيل عليهم السلام وذريتهما بالإسلام، فقال: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ [البقرة: ١٢٨]. بل كان الدين الإسلامي هو وصيته لأبنائه، وكذلك يعقـوب عليهم السـلام. كما سـبقت آيتا البقرة بذلك. وسمانا مسلمين، قال تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [الحج: ٧٨]. ومِن **دعاء يوسف** ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ [يوسف: ١٠١].

وسليمان قال: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ [النمل: ٣١]. وحتى قبل مجيء ملكة سبأ كان مسلمًا، قال الله: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [النمل: ٤٢].

وعن ملكة سبأ يقول اللـه **في إسلامها مـع سليمان** لله رب العالمين: ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ [النمل: ٤٤].

وفي **وعظ موسى** قومَه، قال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [يونس: ٨٤]. والتوراة أنزلها الله فيها هدى ونورٌ ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [المائدة: ٤٤]. وقال عن السحرة في دعائهم الله أنْ يُميتَهم مسلمين على دين موسى : ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ [الأعراف: ١٢٦].

وقال عن **المسيح** **وحواريـيه**: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ [المائدة: ١١١].

وخاتم الأنبيـاء محمـد ﷺ أُمِـر أنْ يكـون مِن المسلمين، بل أوّل مسلِمي هذه الأمة، قال تعالى: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [الأنعام:162-١٦٣]. وقال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [النمل: ٩١]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [الزمر:11-١٢].

وقد لخص ما سبق الإمـام أبو محمد عبد الله بن محمد القحطاني المالكي –رحمه الله- في نونيته فقال:

وشريعة الإسلام أفضل شرعة ... دين النبي الصادق العدنان

هو دين رب العالمين وشرعه ... وهو القديم وسيد الأديان

هو دين آدم والملائك قبله ... هو دين نوح صاحب الطوفان

وله دعا هود النبي وصالح ... وهما لدين الله معتقدان

وبه أتى لوط وصاحب مدين ... فكلاهما في الدين مجتهدان

هو دين إبراهيم وابنيه معا ... وبه نجا من نفحة النيران
وبه حمى الله الذبيح من البلا ... لما فداه بأعظم القربان

هو دين يعقوب النبي ويونس ... وكلاهما في الله مبتليان
هو دين داود الخليفة وابنه ... وبه أذل له ملوك الجان
هو دين يحيى مع أبيه وأمه ... نعم الصبي وحبذا الشيخان
وله دعا عيسى ابن مريم قومه ... لم يدعُهم لعبادة الصلبان
والله أنطقه صبيًّا بالهدى ... في المهد ثم سَما على الصبيان
وكمال دين الله شرع محمد ... صلى عليه منزل القرآن
الطيب الزاكي الذي لم يجتمع ... يوما على زلل له أبوان
الطاهر النسوان والولد الذي ... من ظهره الزهراء والحسنان
وأولو النبوة والهدى ما منهم ... أحدٌ يهودي ولا نصراني
بل مسلمون ومؤمنون بربهم ... حنفاء في الإسرار والإعلان
ولملة الإسلام خمس عقائد ... والله أنطقني بها وهداني[1]

والدين الإسلامي له خمسة أركان، كان أنبياء الله تعالى كلُّهم آخذين بها، مستمسكين، وهذه الأركان جـاءت في حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: **" بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ "**[2].

لهذا أوحى الله إلى أنبيائه إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، قال تعالى: ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝ ﭼ [الأنبياء: ٧٣]. وحكى

---

1 (?) انظر: نونية القحطاني، ص 40-42 (من بيت: 264- بيت: 281).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، رقم: 8، وهذا لفظ البخاري، وصحيح مسلم بتقديم الصوم على الحج: كتاب الإيمان، رقم: 16 .

الله عن إسماعيل أمر أهله بالصلاة: ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [مريم: ٥٥]. وقوم موسى (بنو إسـرائيل) أمـروا بإقامـة الصـلاة، وإيتاء الزكاة، ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ [البقـرة: ٨٣]. واليهـود والنصـارى لم يـأمرهم اللـه بواسـطة رُسُلهم إلا بالدين القيم (توحيد العبادة، إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة)، قال تعالى: ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [البينة: ٥]. وقال عيسى : ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [مريم: ٣١]. وفُرض على المسلمين الصيام كما فرض على الأمم قبلهم، ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ [البقرة: ١٨٣]. وقد أدّى جميع الأنبياء عليهم السلام الحج[1].

والإسلام في النصوص له اعتباران، عامٌ وخاصٌ، وقد جعل الله الإسلام العام بأنّـه (ملـة إبـراهيم) مـع أنـه -كمـا اتضـح من النصـوص السـابقة- ملـة جميـع الأنبياء قبله وبعده، لأسباب، لخصها الشيخ بكـر أبـو زيـد، فقال -رحمه الله-: وإنما خَصَّ اللّه سبحانه نبيه إبــراهيم بأنَّ: (دين الإسلام) بهذا الاعتبـار العـام هو ملتـه، في مثل قوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [آل عمران: ٩٥]. لوجوه: **أولها:** أنه وَاجَـه في تحقيق التوحيـد، وتحطيم الشـرك، ونصر اللّه له بـــذلك ما قص اللّه خـــبره، أمـــرًا عظيمًا. **ثانيها:** أن الله ســبحانه وتعــالى جعل في ذريته النبــوة والكتاب؛ ولذا قيل له: (أبو الأنبياء)؛ وقال الله تعالى: ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ [الحج: ٧٨]. وهو تمام ثمانية عشر نبيًّا من ذريته ســمّاهم الله في كتابه، وهم: ابنه إســماعيل، ومن ذريته محمد عليهما الصـلاة والسـلام، وابنه إسـحاق ومن ذريته: يعقــوب بن إســحاق، ويوســف، وأيــوب، وذو الكفــل، وموســى، وهــارون، وإليــاس، واليســع، ويــونس، وداود وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام. **ثالثها:** لإبطـال مـزاعم اليهـود والنصـارى في دعـواهم أنهم على ملة إبراهيم فقد كذبهم الله تعالى في قوله: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ [البقرة: ١٤٠]. وردّ الله عليهم محاجتهم في ذلك بقوله: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ

---

[1] انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة للدكتور سعيد بن مسفر، ص308.

ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [آل عمران: ٦٥ – ٦٧]. ثم بين سبحانه أنّ أولى الناس بإبراهيم هم الذين على ملته وسنته، فقال تعالى: ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [آل عمران: ٦٨]. وبيّن سبحانه أن هذه المحاولة الكاذبة البائسة من أهل الكتاب جارية في محاولاتهم مع المسلمين؛ لإضلالهم عن دينهم، ولبس الحق بالباطل، فقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [البقرة: ١٣٥ – ١٣٧]. وهكذا يجد المتأمل في كتاب الله -تعالى- التنبيه في كثير من الآيات إلى أن هذا القرآن ما أنزل إلا ليجدد دين إبراهيم؛ حتى دعاهم بالتسمية التي يكرهها اليهود والنصارى: (ملة إبراهيم) فاقرأ قول الله تعالى: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [الحج: ٧٨][1].

وقال رحمه الله- بعد كلامه الطويل عن الإسلام: « **والخلاصة: أن لفظ: (الإسلام) له معنيان، معنى عام**: يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من أنبياء الله الذي بعث فيهم، فيكونون مسلمين حنفاء على ملة إبراهيم بعبادتهم لله وحده، واتباعهم لشريعة من بعثه الله فيهم، فأهل التوراة قبل النسخ والتبديل، مسلمون حنفاء على ملة إبراهيم، فهم على (دين الإسلام)، ثم لما بعث الله نبيه عيسى ﷺ فإنَّ مَن آمن من أهل التوراة بعيسى، واتبعه فيما جاء به فهو مسلم حنيف على ملة إبراهيم، ومن كذب منهم بعيسى ﷺ فهو كافرٌ لا يوصف بالإسلام؛ ثم لما بعث الله محمدا ﷺ وهو خاتمهم، وشريعته خاتمة الشرائع، ورسالته خاتمة الرسالات، وهي عامة لأهل الأرض وجَب على أهل الكتابين، وغيرهم اتباع شريعته، وما بعثه الله به لا غير، فمن لم يتبعه فهو كافرٌ لا يوصف بـ(الإسلام ولا أنه حنيف، ولا أنه على ملة إبراهيم)، ولا ينفعه ما يتمسك به من يهودية، أو نصرانية، ولا يقبله الله منه، **فبقي اسم : " الإسلام " عند الإطلاق منذ**

[1] (?) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، للشيخ بكر، ص55-58.

بعثة محمد حتى يرث الله الأرض ومن عليها، مختصا بمن يتبعه لا غير. وهذا هو معناه الخاص الذي لا يجوز إطلاقه على دين سواه، فكيف وما سواه دائرٌ بين التبديل والنسخ؟ فإذا قال أهل الكتاب للمسلمين: "**كونوا هودا ، أو نصارى**" فقد أمر الله المسلمين أن يقولوا لهم: " **بل ملة إبراهيم حنيفا** ". ولا يوصف أحد اليوم بـ(أنه مسلم ، ولا أنه على ملة إبراهيم ، ولا أنه من عباد الله الحنفاء) إلا إذا كان متبعًا لما بعث الله به خاتم أنبيائه ورسله محمدا »[1].

فثبت بما تقدم أن الأنبياء عليهم السلام موصون بالعبودية لله، وكلهم على الإسلام.

المسألة الثانية: وصف الملائكة عليهم السلام بالعبودية لله، واتصافهم بها:

وصَف الله تعالى ملائكتَه عليهم السلام بأعظم صفةٍ يتصف بها المخلوق، وهي صفة العبودية له سبحانه، فهم عبادُ الله المكرَمون، في منازل عالية، ومقامات سامية، وهم في غاية الطاعة له قولا وفعلا، قال تعالى في الرد على الزعم بأنّهم عليهم السلام بنات الله: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [الأنبياء:26-٢٩].

ففي الآية الأخيرة اشترط الله شرطًا لا يلزم وقوعه، وهو أنّ مَن قال مِن الملائكة: إنه إله مع الله أو دونه فالله يجزيه جهنم لظُلمه حيث ادعى ما ليس له. وهذا لا يكون في الملائكة عليهم السلام لأنهم من خشية الله ورهبته وخوفه مشفقون[2].

وذكَر أنهم عباد الرحمن فقال: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ [الزخرف: ١٩]. والملائكة يخافون الله أشد الخوف لذلك يفعلون ما يؤمرون، ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [النحل: ٤٩ – ٥٠]. وهم كانوا ويكونون على دوام الطاعة لله تعالى، لا يعصونه، ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ

---

[1] الإبطال لنظرية الخلط، ص58-59 .

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج3/ 236) .

[التحريم: ٦]. فهم قائمون ساجدون راكعون، ومع ذلك كان اعترافهم التقصير عن أداء العبادة التي يستحقها ربهم، روى الطبراني عَنْ جَابِرِ بن عبد الله ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدِمٍ، وَلا شِبْرٍ، وَلا كَفٍّ، إِلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالُوا جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ إِلا أَنَّا لَمْ نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا** "[1].

وقد حدَّث عبد الله بن عمرو بن العاص مروان بن الحكم -وهو أمير المدينة- فقال: « خلق الله الملائكة لعبادته أصنافًا، فإنّ منهم الملائكة قيامًا صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعًا خشوعًا من يوم خلَقَهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجودًا منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة، وتجلى لهم تعالى، ونظروا إلى وجهه الكريم، قالوا: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك "[2].

ومِن أعظم عباداتهم الولاء ومحبة أولياء الله المؤمنين، ومِن مظاهرها الاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [غافر: ٧].

ومن عباداتهم تنزيه الله عما لا يليق به وتسبيحه، والثناء عليه: قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [الأعراف: ٢٠٦]. وقال: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠]. وقال: ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [فصلت: ٣٨]. وقال: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ [الزمر: ٧٥]. وقال: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الشورى: ٥].

ومن عباداتهم الصلاة: فقد جاء في حديث الإسراء الطويل قول النبي " **فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي**

---

[1] (?) المعجم الكبير للطبراني: رقم:1730، وأصله في جامع الترمذي (وتخريجه بعد عدة حواشي) وسنن ابن ماجه.

[2] (?) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة، (ج3/ص45).

فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ "[1].

ومِن عباداتهم السجود بغاية الخضوع لله تعالى[2]، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا <u>وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ</u>** "[3].

وإذا قرّع الله المشركين يوم القيامة بسؤال الملائكة ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ كان جواب الملائكة تقديس الله، وتكذيب هؤلاء المشركين بالإنكار عن عبادتهم دون الله، بل المشركون عابدون للشيطان[4]، ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [سبأ: ٤٠ – ٤٢].

فثبت بهذا أنّ الملائكة –عليهم السلام- قاموا بعبادة الله وحده، ونزهوه سبحانه من أن يشرك معه في عبادته أحد –كائنًا ما كان-. وبهذا استحقوا بوصف الله لهم من كونهم عبادًا له. والله أعلم.

المسألة الثالثة: وصف خليل الرحمن إبراهيم بالعبودية، وبيان دعوته إلى إفراد الله تعالى بالعبادة:

تقدم ذكر شيء من الآيات التي وصَف الله تعالى خليله إبراهيم بتحقيق عبوديته له، وقيامه بها، ومما لم يتقدم قوله تعالى: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ [الصافات: ١١١] في وصفه بأنه (عبدُه). بل أثبت النصوص أنه جاء ربَّه بقلبٍ سليمٍ

[1] صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، بَاب ذِكْرِ الْمَلائِكَةِ، رقم: 3207، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، رقم: 164 .

[2] راجع للتوسع: عبودية الكائنات لفريد التوني، ص356-362، وما قبل ذلك وما بعده.

[3] جامع الترمذي: كتاب الزهد، بَاب فِي قَوْلِ النَّبِيِّ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا، رقم: 2312، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد، بَاب الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ، رقم: 4190 . والشاهد من الحديث حسن. حسنه الترمذي والألباني (انظر: شاهد الحديث عن حكيم بن حزام في: السلسلة الصحيحة، ج3/ص49، رقم: 1060).

[4] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج3/ 710) .

(السالم مِن أنْ يكون لغير الله فيه شركة بوجه ما) [1]، وسأل الله تعالى أنْ يجعله وابنه إسماعيل وذريتهما مسلمين له، متوسلا بحالتهما من بناء بيت الله، وتبرأ ممن هو أقرب الناس إليه (مِن أبيه) لله، تتميمًا لمحبة الله، كما تبرأ مِن قومه ورضي بمخالفتهم، قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [الزخرف: ٢٦ – ٢٧]. وقال ذاكِرًا لعداوته لِما يُعبد مِن دون الله، ومِن عابديها، مبتدءا بأبيه: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ [التوبة: ١١٤]. و: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ [الشعراء: ٧٥ – ٧٧].

وكما أنه دعا ربَّه سبحانه أنْ يُجنِّبه وبنِيه عبادة الأصنام، فإنه من تمام براءته لها ولتعرف قومُه حقيقةً كان قد بيَّنها لهم (وهو أنّ هذه الأصنام لا تمنع الضرّ عن نفسها، فكيف تمنع عن غيرها؟) لهذا وذاك قام بتحطيمها وتكسيرها، ﭽ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [الأنبياء: ٥٢] إلى قوله: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [الأنبياء: ٥٧ – ٥٨]. ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ [الصافات: ٩٣ – ٩٥].

وبعد محاجة قومه عبَدَة الكواكب ومناظرتهم ذكر أنّه وجَّه وجهه إلى الله وأخلص، وانقاد له وأسلم، ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ [الأنعام: ٧٩]. لذلك ابتلى الله خليله بالبلاء العظيم؛ (ذبْح بِكره، وفلذة كبده)، ليَرى هل يُقدِّم محبة الله على المحاب غيره؛ ومنها ولده الوحيد يوم الابتلاء؟، ولكي لا يبقى في قلبه التفات إلى غير الله، ولتكميل خُلَّتِه لله؛ فلا يبقى في قلبه ما يزاحم به محبة الله، فأعانه الله على تقديم طاعته ومحبته، وخرج من قلبه الالتفات إلى غيره سبحانه [2].

---

1 (?) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم، (ج1/ ص7) بتحقيق حامد الفقي.

2 (?) انظر ما سبق في: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، (5/ 353)، وعبودية الكائنات لرب العالمين، تحت عنوان: قيام إبراهيم بعبودية الله تعالى، ص171-178، **ومسألة نبي الله إبراهيم وتحقيقه للتوحيد ثم دعوته إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ومعاناته فيها لحرية بأنْ يكتب لها رسالة علمية،** قيّض الله الكريم مَن يقوم بِها!

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « ولما كانت الخلة تستلزم كمال المحبة واستيعاب القلب لم يصلح للنبي ﷺ أن يخالل مخلوقًا بل قال: "**لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلا لاتّخذتُ أبا بكر خليلا، ولكنَّ صاحبَكم خليلُ الله**"[1] ولهذا امتحن الله إبراهيم بذبح ابنه .. فإنّه قد كان سأل ربه أن يهَب له من الصالحين؛ فبشَّره بالغلام الحليم؛ إسماعيل، فلما بلغ معه السعي أمَرَه أن يذبَحَه لئلا يبقى في قلبه محبة مخلوق تزاحم محبة الخالق؛ إذ كان قد طلَبه، وهو بكره »[2].

وقال: « والمقصود بالأمر بالذبح أن لا يبقى في قلبه محبة لغير الله تعالى »[3].

وقال تلميذه العلامة ابن القيِّم –رحمه الله-: « وَأَيْضًا، فَإِنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ أَجْرَى الْعَادَةَ الْبَشَرِيّةَ أَنّ بِكْرَ الأَوْلادِ أَحَبّ إلَى الْوَالِدَيْنِ مِمّنْ بَعْدَهُ، وَإِبْرَاهِيمُ ﷺ لَمّا سَأَلَ رَبّهُ الْوَلَدَ، وَوَهَبَهُ لَهُ، تَعَلّقَتْ شُعْبَةٌ مِنْ قَلْبِهِ بِمَحَبّتِهِ، وَاَللّهُ تَعَالَى قَدْ اتّخَذَهُ خَلِيلا، وَالْخُلّةُ مَنْصِبٌ يَقْتَضِي تَوْحِيدَ الْمَحْبُوبِ بِالْمَحَبّةِ، وَأَنْ لا يُشَارِك بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِيهَا، فَلَمّا أَخَذَ الْوَلَدُ شُعْبَةً مِنْ قَلْبِ الْوَالِدِ جَاءَتْ غَيْرَةُ الْخُلّةِ تَنْتَزِعُهَا مَنْ قَلْبِ الْخَلِيلِ، فَأَمَرَهُ بِذَبْحِ الْمَحْبُوبِ، فَلَمّا أَقْدَمَ عَلَى ذَبْحِهِ، وَكَانَتْ مَحَبّةُ اللّهِ أَعْظَمَ عِنْدَهُ مِنْ مَحَبّةِ الْوَلَدِ، خَلُصَتْ الْخُلّةُ حِينَئِذٍ مِنْ شَوَائِبَ الْمُشَارَكَةِ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الذّبْحِ مَصْلَحَةٌ؛ إذْ كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ إنّمَا هِيَ فِي الْعَزْمِ وَتَوْطِينِ النّفْسِ عَلَيْهِ، فَقَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ فَنُسِخَ الأَمْرُ، وَفُدِيَ الذّبِيحُ، وَصَدّقَ الْخَلِيلُ الرّؤْيَا، وَحَصَلَ مُرَادُ الرّبّ، حَصَلَ عِنْدَ أَوّلِ مَوْلُودٍ وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْصُلَ فِي الْمَوْلُودِ الآخَرِ دُونَ الأَوّلِ، بَلْ لَمْ يَحْصُلْ عِنْدَ الْمَوْلُودِ الآخَرِ مِنْ مُزَاحَمَةِ الْخُلّةِ مَا يَقْتَضِي الأَمْرَ بِذَبْحِهِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الظّهُورِ »[4].

وفي مقام آخر قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في ردّه على الهروي في تقسيمه التوحيد إلى توحيد العامة،

---

[1] الحديث متفق عليه، وسيأتي تخريجه لاحقًا.

[2] منهاج السنة النبوية، (ج5/ 352-353) .

[3] المصدر نفسه، (ج5/ 354)، وانظر: لطائف المعارف لابن رجب، ص123 .

[4] زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/74-75) .

وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة، قال: « والمقصود هنا أنَّ الخليلين هما أكمل خاصة الخاصة توحيدًا فلا يجــوز أن يكـــــون في أمة محمد ﷺ مَن هو أكمل توحيدًا من نِبي من الأنبياء، فضلا عن الرسل، فضلا عن أولِي العزم، فضلا عن الخليلين. وكمــال توحيــدهما بتحقيق إفــراد الألوهية؛ وهو أنْ لا يَبقى في القلب شـيءٌ لغـير الله أصلا، بل يبقى العبد مواليًا لربه في كل شــيء؛ يُحِبّ ما أحبّ، ويُبغض ما أبغض، ويرضى بما رضي، ويسخط بما سـخط، ويـأمُر بِما أمر، وينهى عما نهى »[1].

وولاية اللـه وحبّ مـا يُحِبّ، والـبراءة مِن أعدائـه والكفر، جعَلَها الله كلمة باقية بعد إبراهيم يتوارثها الأنبيــاء من ذريته من بعده، قال تعالى: ﭽﮑﮒ ﮓﮔﮕﮖﮗﭼ [الزخرف: ٢٨].

ولِما سبق مِن استمساك خليل الله ﷺ بأوثق عُرى الإسلام، وإتمامِـه التوحيـد، بولائِه لِمـا والَى اللـه، وبراءتـه من أعدائه فقد استحق مدح الله تعالى له بـ: ﭽﭣﭤﭥ ﭦﭧﭨ ﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﭼ [النحل: ١٢٠ – ١٢٢].

ومعنى قوله: **(أمة)**: إمامًـا جامعًـا لخصـال الخـير والـدين والنفع يُقتدى به، مهتديًا هاديًا. ولا يكون الإنسان إمامًا في الدين حتى يجمع ركائز الإمامة الـتي هي: اليقين والصـبر، والقيــام بالــدعوة إلى عبــادة الله وحــده، ونبذ الشــرك والبراءة من أهله. وكذلك كان إبراهيم ﷺ،

قال شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يتحدَّث عن خليل اللــه إبراهيم: « وهو الإمام الـذي جعله الله إمامًــا، وجعله أمة؛ والأمة: القـدوة الـذي يقتـدى به؛ فإنه حقق هـذا التوحيد، وهو الحنيفية ملته »[2].

والقانت: الخاشع، الطائع لله . **والحنيف:** المائل قصدًا عن الشرك إلى التوحيد. ﭽﭸﭹﭼ: أي: شاكرًا لنِعَم الله لقيامه بِمُقتضاها اعتقادًا وقولا وعملا[3].

---

[1] (?) منهاج السنة النبوية، (ج5/ 355) .

[2] (?) قاله ابن تيمية في منهاج السنة النبوية، (ج5/ 350) .

[3] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ 769).

قال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « يُخبر تعالى عما فضَّل به خليله إبـراهيم عليه الصـلاة والسـلام، وخصـّه به من الفضائل العالية، والمناقب الكاملة، فقال: ﭽﭡﭢﭣ ﭤﭼ أي: إماما جامعا لخصال الخير هاديا مهتـديا. ﭽ ﭥ ﭦ ﭼ أي: مُديْمًا لطاعة ربه، مُخلصًا له الدين. ﭽﭧﭼ مُقبلا على الله بالمحبة، والإنابة والعبودية، مُعرضًا عمن سواه. ﭽﭨﭩﭪﭫﭼ في قوله وعملـــه، وجميع أحواله، لأنَّه إمــــامُ الموحِّدين الحنفاء. ﭽﭬﭭﭮﭼ أي: آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظـاهرة وباطنــة، فقـام بشـُكرها، فكـان نتيجة هـذه الخصال الفاضلة أن ﭽﭯﭰﭼ ربُّه واختصه بِخُلَّته، وجعله من صفوة خَلْقِه، وخيارَ عبادِه المقربين. ﭽﭱﭲﭳﭴﭼ في علمه وعمله؛ فعلِم بالحق وآثره على غيره. ﭽﭵﭶﭷﭸﭹﭼ رِزقًا واسعًا، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقًا مرضــية. ﭽ ﭺﭻﭼﭽﭾﭼ الذين لهم المنازل العالية، والقرب العظيم من الله تعـــالى. ومِن أعظم فضـــائله: أنَّ الله أوحى لسيّد الخلق وأكملهم أنْ يتبع ملة إبـراهيم، ويقتـدي به هو وأمته »[1].

وقال الحافظ ابن كثيرٍ –رحمه الله-: « يَمدح تبارك وتعالى عبدَه ورسولَه وخليله إبراهيم، إمـام الحنفـاء ووالد الأنبياء، ويُبَرِّئـه من المشـركين، ومن اليهودية والنصـرانية فقال: »[2]، وذكر الآية.

قد بلغ الخليل مبلغًا عظيمًا في تحقيق التوحيد، حــتى قد أُمر ســيّدُ الخلق أنْ يكــون متبعًا له في كل شيءٍ إلا في الاستغفار لأبيه المشرك، قال تعالى: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇ ﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﭼ [النحل: ١٢٣]. وقال: ﭽﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪ ﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱ ﭲﭳ ﭴﭵ ﭶﭷ ﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﭼ [التوبة:113-١١٤]. وقال: ﭽﮠ ﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﭼ [الممتحنة: ٤].

بل ولا أحسن دينًا سوى من اتبعه، ﭽﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙ ﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﭼ [النساء: ١٢٥].

---

[1] (?) تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص451-452 .

[2] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ 769).

لذا فإنّ كلّ المِلَل تزعُم الانتساب إليه، وترى أنها تعظُم بـــذلك، إلا أنّ أولَى النـــاس به هو هـــذا النـــبيُّ والمؤمنون، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [البقرة:135-١٣٦] الآية كلها. وقال: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ [آل عمران:67-٦٨]. وقال: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [الأنعام: ١٦١-163].

كما أنّه تعالى قد أمر أنْ يُقتدى بخليله إبراهيم في ولائِه وبَرَائِه، فقال: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [الممتحنة: ٤].

هذا بالنسبة لقيام إبراهيم بعبادة اللـه تعالى في نفسـه، واتصـافه بالعبوديـة، وأمـا عن دعوته قومه إلى إفراد الله بالعبادة فأقول -وبالله التوفيق**:**

قد دعا إبراهيمُ قومَه إلى عبادة الله وحده، ومِن جملتهم أبــوه وبَنُــوه؛ حيث دعــاهم إلى توحيــد اللــه في عبادتــه وعــدم عبـادة الكـواكب أو إشـراكها مـع اللـه في العبادة فقال الله تعـالى عنـه حاكيًـا دعوتـه وتـوبيخ قومـه عبادتهم ما لا ينفع ولا يضرّ: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [الأنبياء: ٦٦ – ٦٧]. وقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ [مريم: ٤٢]. وقال: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [مريم: ٤٤]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [العنكبوت: ١٦ – ١٧]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [العنكبوت:24-٢٥].

وقال في شـأن مناظرته قومَه المشـركين عبَـدَة الأصنام والكواكب، وكيف أفحمهم: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [الأنعام:74-٨٣]. فقد كان في هذه الآيات مناظرًا لا ناظرًا[1].

وعمِل الخليل المكيدة بأصنامهم فحطّمها، واستدل بعـدم اسـتطاعتهم حمايـة أنفسـهم على حقـارتهم وعـدم

[1] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج2/ص205 وما بعده).

صلاحيتهم للعبادة، قال تعالى: ﭽﮓﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ [الأنبياء:51-٧٠].

ومثلها في الصافات. ثم إنّ منهج ردّه عليهم كـان بالطرق العقلية الشرعية، كما في سـياق آيـات الشـعراء: قال سبحانه: ﭽﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ [الشعراء:69-73]وما بعدها. والآيات الكريمات السابقة واضحة بالمقصود لا تحتاج إلى تعليق!

كما أنه قد تقدم من قول المحقق العلامة بكر عبد الله أبي زيد ما يـدخل في دعـوة خليـل اللـه إلى عبـادة اللـه وحـده دون سـواه، ممـا لا يحتـاج إلى إعـادة. واللـه أعلم.

المسألة الرابعة: وصف رسول الله وكلمته عيسى بالعبودية لله، وبيان دعوته إلى إفراده تعالى بالعباد:

تقدم ضمنًا -في المسألة الأولى- ذكر وصف الله لرسـوله عيسى بأنه قـائمٌ في نفسه بعبـادة الله وحـده، ظـــاهرًا وباطنًا كما كـــانت إخوتُه الأنبيـــاء عليهم الصـــلاة والسلام. ومما لَم يتقدم في ذلك: قوله في وصـفِه هـذا الرسول بأنـه (عبـــدُه)، وذلـك في حكايته لأول ما تكلم به في هذه الدنيا: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [مريم: ٣٠] . وقال فيه أيضًا: ﭽ   ﭼ [الزخرف: ٥٩].

وكما وصفه الله تعالى بعبوديته، فقد وصَفَه رسولُنا محمدٌ بِهـذه الصـفة العظيمـة؛ فعَن عُبَـادَةَ عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: " **مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْـدَهُ لا شَـرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، وَأَنَّ عِيسَـى عَبْـدُ اللَّهِ وَرَسُـولُهُ، وَكَلِمَتُـهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَـرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ..** الحديث[1].

---

[1] (?) الحديث متفق عليه، وسيأتي تخريجه.

وجاء مثله من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها في الحوار الذي وقع أمام النجاشي عندما جاء عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من مكة إلى الحبشة طالبين من نجاشيها أنْ يسلِّم لهم مهاجري الحبشة ليردُّوهم إلى مكة كي يفتنوهم عن دينهم، وذكر النجاشي أنه لا يسلِّمهم حتى يدعوَهم فيسألهم عما يقول هذان في أمرهم،...في حديث طويلٍ. وفيه: أنَّ عمرو بن العاص قال: **وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّهُ** -يعني: النجاشي، وكان على دين النصارى- **أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ**، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ! قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: **نَقُولُ -وَاللَّهِ- فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.** قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ. هَذَا الْعُودَ. فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي -وَالسُّيُومُ: الآمِنُونَ- مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلا مِنْكُمْ -وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ- رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلا حَاجَةَ لَنَا بِهَا » إلى آخر الأثر [1].

مما يدلّ على أنّ هذا الملِك (النجاشي) كان يومها على النصرانية الموحِّدة، كما يظهر أنّ بطارقته متأثِّرة بشُبَه التثليث.

---

1 (?) مسند الإمام أحمد، ورقمه: 1740، و22551، قال الشيخ شعيب ومساعدوه: إسناده حسن.

وفي الحديثين وغيرها أنّ رسولنا وصف روحَ الله وكلمته عيسى بـ(أنّه عبد اللـه)، وأنّ مهـاجري الحبشة أخذوا ذلك من قول الله، قـال تعـالى حاكيًا عنـه: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ[1] ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ -إلى قوله- ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [سورة مريم: 30- ٣٤]. ووصف عيسى بالعبودية هو الصـحيح الـذي عليه الإنجيـل. **ثم إنّ قوله في الحديثين: (وَأَنَّ عِيسَـى عَبْـدُ اللَّهِ) هو** الشـاهد مِن إيراد الأثرين هنا.

هذا عن اتصاف عيسى بالعبودية، وقيامه بها أتم قيـــام. وأما دعوته لبنِي إســـرائيل إلى تحقيق هــذا الأصل العظيم؛ عبــادةِ الله وحــده، تَجديدًا لدعوة موسى قبله[2] فـأقول –وبالله تعـالى التوفيق:

قد دعا **عيسى** بنِي إسـرائيل إلى عبـادة اللـه وحده[3]، فقال: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ [آل عمران: ٥١]. ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [المائدة: ٧٢]. وشهد له القرآن بأنه ما قال لهم إلا ما أُمر به من ربّه، قال: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ [المائدة: ١١٧]. ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [المائدة: ٧٢]. لـذا يـوم القيامـة يعتـذر المسـيح بأنـه مـا قـال لهم إلا أنْ

---

[1] معجزة كلام عيسى للناس وهو في المهد هي المعجزة الفريدة التي لم تذكرها الأناجيل، ولا أشارت إليها، بعدما ذكرت مِن معجزاته كلّ ما صح وما لم يصح. فلماذا؟ أمِن أجل أنه قال: هو عبد الله؟ وقد ذكرها القرآن هنا، والحمد لله على نعمة الإسلام (يراجع: كتاب النصرانية وإلغاء العقل، ص77).

[2] انظر عن دعوة المسيح من خلال الأناجيل والرسائل المسيحية، والقرآن الكريم والسنة النبوية/ في كتاب: المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، ص69-105، وكتاب: مصادر النصرانية دراسة ونقدًا، (ج1/54-59)، د. عبد الرزاق ألارو. وكذلك مسألة: أبرز ما دعا إليه بولس مما فيه مخالفة للمسيح ولدعوته من الكتاب نفسه ،ج2/664-676).

[3] هنا سأكتفي بذكر نصوص القرآن الدالة على أنه لم يدعُ بني إسرائيل إلا إلى تحقيق هذا التوحيد. (وقِفْ على دعوته إلى التوحيد من خلال نصوص التوراة والإنجيل المحرفين مجموعة، في: إرشاد الثقات للشوكاني، ص5-8، والمسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، د. عبد المنعم فؤاد، ص73-97).

يعبدوا الله ربّ الجميع. وقال المسيح: ﭽ ﭼ [مريم: ٣٦]. ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ [الزخرف: ٦٤].

والمفهوم مِن هذه النصوص وما سبقت وما ستأتِي، أنّ المسيح ما دعا إلا إلى توحيد الله، ولو كانت دعوته إلى خلاف ما دعتْ إليه الأنبياء لصرّح بذلك كتاب الإسلام (القرآن) الذي شهد له التاريخ بالصدق، والعقلاء بالعصمة.

أما ما يُضادّ ذلك مما عند بعض النصارى فهو من التحريف الذي دخل النصرانية بعد رفعه .

ولَما جاءت دعوة عيسى هذه: آمَن بِها الأقلُّون مِن بني إسرائيل، وكفر بها الأكثرون، وسعوا كلَ السعي إلى قتله بحجة أنه غيَّر دين موسى ، فرفعه الله تعالى إليه، ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

ثم إنه قد كانت تلامذته وأتباعه بعد رفعه مباشرة على هذا التوحيد.. (وهؤلاء الذين أثنى عليهم القرآن الكريم). إلى أنْ جاء اليهودي الحاقد على ديانة النصرانية (بولس[1]) المولود حوالي السنة العاشرة من الميلاد، والمتوفى: 66 أو 67م[2]، فبدّل دينهم أيام ضعفهم نتيجة

---

1 (?) قِف على أبرز أبرز ما دعا إليه بولس مما فيه مخالفة للمسيح ولدعوته من كتاب مصادر النصرانية،ج2/664-676)، .

2 (?) **بولس (شاول)** المولود من أبوين يهوديين، حوالي السنة العاشرة من الميلاد، لم يلتق بعيسى ولا صار من تلامذته. اسمه باليهودية: شاول، وبولس بالرومانية، نشأ في بيئة غارقة في الفلسفة (طرسوس)، بقي يهوديًّا، وتظاهر بالتحول إلى النصرانية، وزعم أنه رسول أو رسول يسوع وخالف المسيح في عدة قضايا، ومنها: أهم الأمور (التوحيد) بل يمكن القول بأنه هو المؤسس الحقيقي للنصرانية الحاضرة حيث صارت مطبوعة بطابعه، يقال بأنه امتاز بثلاث صفات جعلته في الذروة من الدعاة إلى المبادئ والعقائد، وهي: 1- النّشاط في الدعوة والطواف بالأقاليم شرقًا وغَربًا، ينشئ الكنائس والرسائل، ويلقي الخطب، حتى كانت رسائله هي الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادئ في الاعتقاد. 2-شدة الذكاء والحيلة والدهاء، 3- كثرة التأثير في نفوس الجماهير، قوي السيطرة على أهوائهم. الذي حرّف دين النصارى من التوحيد إلى التثليث والوثنية بما أوتي من تلك الصفات، قيل إنه قتل سنة 66 أو 67 على الخلاف. وللرد على هذا الرجل فقد كتب شيخ الإسلام كتابه الفريد (الجواب الصحيح لِمن بدل دين المسيح). وانظر ترجمته الموسعة في كتاب: محاضرات في النصرانية، للأستاذ محمد أبو زهرة، ص85-91، ومصادر النصرانية، (ج

الاضطهادات والتضييق من الرومان واليهود[1] شيئًا فشـيئًا من التوحيد إلى الغلـوّ في عيسى وتأليهـه، ومِن ثَمّ وَضْـع الجذور لعقيدة التثليث التي تأسست بعـده ونشـاهد عليها النصـرانية اليـوم. .. ليـأتي **مجمع نيقية الأول** المنعقد في القرن الرابع الميلادي سنة (325م) والذي اجتمع فيه: 2048 نصـرانيًّا على القـول المختـار[2]، من بين المدرسة الأريوسـيـة[3] الموحِّدة الأكثرية الغالبـة، ومدرسة الإسـكندرية زعيم الفكر الوثـني قـائلا في المسـيح (دائمًا

2/ص630-676 مسألة: بولس وأفكاره من خلال الرسائل المنسوبة إليه).

1 (?) انظر: محاضرات في النصرانية، للأستاذ محمد أبو زهرة، ص36-40، وفصل عقيدة التوحيد بعد المسيح، من كتاب: المسيحية بين التوحيد والتثليث، د. عبد المنعم فؤاد، ص110وما بعده، وبالأخص المبحث الثالث: بولس وموقفه من عقيدة التوحيد، ص119-125، بل وما بعده من فصل عقيدة الوحيد بين الفرق المسيحية قبل مجمع نيقية، ص127وما بعده.

2 (?) **مجمع نيقية**: هو مجمع ضمّ العدد السابق من النصارى، وذلك بسبب قول آريوس: القديم هو الله، والمسيح مخلوق، فاجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلد بمحضر من ملكهم، وخرجوا بعد أشهر بالوثيقة التي في الصلب، وألزم آريوس بالقول بها بقوة السلطان. (وقِفْ على ما يتعلق بالمجمع (مجمع نيقية الأول، عام 325م) من حيث: سبب انعقاده –وهو الخلاف في شخص المسيح أو رسول مخلوق أم له صلة بالله فوق ما ذكر-، وعدد الحاضرين فيه، ومذاهبهم، ومن ترأس الجلسات منهم، وما تمخضت عن المجمع من أهم القرارات التي اتخذت، وعلى رأسها: فرض ألوهية المسيح على الأكثرية بجبروت السلطان، وغير ذلك. في كتاب: الملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ص531)، ومصادر النصرانية دراسة ونقدًا، (ج 2/733-759).

3 (?) **فرقة الأريوسية النصرانية**: هم أتباع آريوس المولود سنة: 256م، والمتوفى سنة: 336، وهو ليبي الأصل، لكنه أخذ العلم عن لوقيانوس الإنطاكي، وسيم كاهنًا في أوائل القرن الرابع، وأخذ ينشر آراءه قبل سنة320 بقليل. وكان ذا أثر كبير في جمهور النصارى، يعتقد هو وفرقته: أن الله واحد سموه: أبًا، وأنه أزلي غير مولود، ثم إنه لما أراد خلق العالم احتاج إلى وسيط، فخلق كائنًا يدعى كلمته وابنه –لكن: على طريق الاصطفاء والتشريف، لا على الحقيقة-، وهو أيضًا غير مولود من جوهر الآب، ولا هو مساوٍ له في الصفات. فالابن عندهم -خلافًا لبقية الطوائف من النصارى- مخلوق غير أزلي، وإنْ سبق وجوده خلق العالم. (انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص119، والمسيحية بين التوحيد والتثليث، ص133-وما بعده، وكتاب مصادر النصرانية دراسة ونقدًا، (ج2/736وما بعده).

إلـه، دائمًا ابن، وفي نفس الـوقت أبّ، وفي نفس الـوقت ابن، ... والابن أزلي غير مخلوق، دائمًا إله، دائمًا ابن) [1]= مُفْرِضًا رأيَ الأساقفة القلة (318أسقفًا) بالســلطان على الكثرة الكاثرة منهم (1700أسقفًا)، مع أنّ جماهير الناس معهم وعلى دينهم، ليشــتد الصــراع بين التوحيد والتثليث في هذه الديانة[2].

ونصُّ الأمانة التي هي هدم لدعوة عيسى المتفق عليها لدى 318 أسقفًا من حاضري هذا المجمع، بل حــتى قرروا أنه لا يكون نصرانيٌّ مَن لم يُقرّ بها، هي:

« نؤمن بالله الواحد الآب، خالق كل شيءٍ، صانع ما يـرى وما لا يـرى. وبـالربّ الواحد يسـوع المسـيح ابنه الأحد بكر الخلائق كلهـا، الــذي وُلد من أبيه قبل العــوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، وهو الذي بيده اتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الــذي من أجلنا –معشر الناس- ومن أجل خلاصنا نــزل من الســماء، وتجسّد من روح القـدس، وصـار إنسـانًا، وحمل به ثم وُلد من مريم البتـول، وألم وشـجّ، وقتل وصُـلب ودُفن، وقـام في اليـوم الثـالث، وصـعد إلى السـماء، وجلس عن يمين أبيه. وهو مستعدٌّ للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء. ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الصـادر من الآب والابن، الــــذي يتكلم على ألســــنة الأنبيــــاء. وبمعمودية واحــدة لمغفــرة الخطايــا. وبكنيسة واحــدة جامعة رسولية. وبقيامة أبـداننا والحيـاة الدائمة إلى أبد الآبدين »[3].

وهذا هو موجز الإيمـاني النصـراني كما نصّ عليه المجمع الأول. وفي هذا المجمع وقراراته تمّ صياغة أخطر ما عليه النصـــرانية من العقائد من التثليث[4] المنـــاقض للتوحيـد، وغـيره، وقد علّق على هـذه الأمانة الشـيخ عبد

[1] (?) انظر: محاضرات في النصرانية، للأستاذ محمد أبو زهرة، ص154.

[2] (?) انظر: المصدر نفسه، ص154، وما قبله وما بعده، وص184.

[3] (?) نقل هذه الأمانة عنهم: الشهرستاني في الملل والنحل، (ج1/ص 532-533)، والشيخ عبد العزيز بن حمد ناصر بن معمر (ت:1244هـ) في كتابه، منحة القريب المجيب في الرد على عُبّاد الصليب، (ج1/ص 162)، بتحقيق د. محمد بن عبد الله بن حمد السكاكر.

العزيز بن حمد ناصر بن معمر (ت:1244هـ) فقال: «فهذا هو العقد الـــــذي أجمع عليه الملكية والنســـــطورية واليعقوبية[1]. وهـــذه هي الأمانة الـــتي ألّفها أولئك البتاركة[2] والأساقفة[3] والعلماء، وجعلوها شعار النصرانية »[4].

وبعد انتهـاء هـذا المجمع خرجـوا بقـرارات، ومِن أخطرها على التوحيد الذي جاء به عيسى كما سـبق: هو

4 (?) **عقيدة التثليث:** وهي بزعم النصارى، أنّ لله ثلاث حالات (الأقانيم) فالله عندهم ثلاثة: **الأول:** الإله الأب صاحب الخصائص اللاهوتية، وهو الله. **الثاني:** الإله الابن، وله خصائص الناسوتية، وهو عيسى . **الثالث:** الإله الروح القدس، وله الخصائص الازدواجية بين الإلهية والبشرية، وهو الروح التي حلت في مريم. (انظر: معجم ألفاظ العقيدة لعامر عبد الله فالح، مادة النصرانية). **(وهذا هو الدين الذي أسَّسَه أصحاب المجامع المتلاعنين على أنَّ الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد)** وفي تاريخ الكتاب المقدس: « طبيعة الله عبارة عن **ثلاثة أقانيم متساوية**؛ الله الآب، الله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى ابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير » قالوا هنا: ثلاثة متساوية، وقالوا: لكل منهم عمل خاص في البشر، وكيف يمكن هذا التناقض؟ وكيف تقول الكنيسة: إنّ الابن هو الأب، وإنّ أقنوم الابن يساوي أقنوم الأب؟، وهذا غير صحيح بشهادة المسيح نفسه في نصوص إنجيلية كثيرة ليس هنا موضع ذكرها (يراجع لها: كتاب النصرانية وإلغاء العقل، ص74-77)، ومما قال فيه (ص74): والنّصارى دائمًا يلعبون على حبلي اللاّهوت والنّاسوت: فإذا قيل لهم: المسيح إنسان، قالوا: كيف يكون إنسانًا؟ ألا ترون ميلاده العجيب، ومعجزاته الباهرة ...؟ لا يمكن لإنسان أن يفعل ذلك إنّه إله. وإذا قيل لهم: ألا ترون كيف اختتن وضرب وقُتل –على زعمكم!، هل يَحدُث ذلك لإله؟ قالوا: إنّ ذلك وقع على النّاسوت لا اللاّهوت! وهكذا فالمسيح في تصوُّر النصارى يظهر كمهرّج سرك بقبّعتين؛ يضع الواحدة فيصبح إلَهًا جليلاً، ثمّ يضع الأخرى فيصير في الحال إنسانًا ذليلاً ! (انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ج7/ 208). **واليعقوبية من النصارى** يقولون: إنّ اللاهوت والناسوت امتزجا فصارا جوهرًا واحدًا، وأقنومًا واحدًا، وطبيعة واحدة. ويُشبِّهونه باختلاط الماء واللبن، والماء والخمر. ويقول بعضهم: إنّ اليدين اللتين سُمِرتَا هما اليدان اللتان خُلق بهما آدم. **وفرقة النسطورية** يقولون بحلول اللاهوت في الناسوت. ويشبهونه بالماء في الظرف. بينما كانت **الفرقة الملكانية** تقول: شخصٌ واحدٌ بطبيعتين ومشيئتين، ويُشبِّهونه بالحديدة والنار.
(انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ج5/382). ومحاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص121.

الخـروج بألوهية المسـيح... وفـرض هـذه العقيـدة على المسـيحيين قاطبة بسـلطان قسـطنطين، للتصـديق على ورقة الأمانة، مع لعن وطرد كلّ من يقـول غـير ذلك[1] بل وتكفير أريوس. وبقية الموحـدين -الجمهـور-، فصـاروا مِن ذلك التاريخ الـذي وقعـوا على الأمانة وأجـبروا بالسـلطان مجمعين على الشرك، تاركين للتوحيد، وإنْ وُجد منهم مَن يعتقد عكس ذلك ويدرسه في كنيسته وهم الموحدون إلى اليوم.

ولما كان جمهور المسيحيين يُقدِّس المسـيح أبلغ تقـديس، وكـانت مهـارة الـدعاة البيانية متجهة إلى هـذه الناحية، فقد أخذوا يزيـدون في تقديسه كي يـروج كلامهم قبولا لدى العامة، فحصل الانتقال من التقـديس المعقـول

---

[1] (?) **فرقة الملكية والنسطورية واليعقوبية**: هي الفرق الكبرى في الديانة النصرانية، وقد تقدم قريبًا ذكر قولها في عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. المخالف لِما جاء عنه في الإنجيل، وما جاء من وصفه في القرآن والسنة، والعقيدة فيه. ويقال للأولى منها: ملكانية، قال الشيخ أبو محمد اليمني بعدما عرّف بالنصارى لغة وشرعًا: «وهم ثلاث فرق: النسطورية: أصحاب نسطور، وهم الذين قالوا: إنّ المسيح قال: إني أنا الله. والملكانية: وهم أصحاب ملكان وتسمى أيضًا النقوبية –ولعله النيقية المدينة الصغيرة التي تم صياغة العقيدة-، زعم هؤلاء أن الآلهة ثلاثة، ظهر اثنان، وبطن واحد. واليعقوبية: وهم أصحاب يعقوب: زعم هؤلاء أنّ الله هو المسيح ابن مريم » (عقائد الثلاث والسبعين فرقة، له، (ج2/2399-2-240، وانظر: عن كل فرقة بالتفصيل من حيث ما تميزت به عن الأخرى، الملل والنحل، (ج1/الملكانية: ص529-534، والنسطورية: ص535-540، واليعقوبية: ص541-543)، ومجملا في: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص116-117 فصل في شرح أحوال النصارى).

[2] (?) **بطاركة، وبطارك:** جمع بطرك، وهو مقدَّم النصارى، ورئيس رؤساء الأساقفة (انظر: المعجم الوسيط ، مادة: البطرك، ص61).

[3] (?) **الأساقفة:** جمع لأسقف: وهو لقب دينِيّ لأحبار النصارى، فوق القسيس ودون المطران (انظر: المعجم الوسيط ، مادة: الأسقف، ص18).

[4] (?) منحة القريب المجيب في الرد على عُبّاد الصليب، (ج1/ص162)، بتحقيق د. محمد السكاكر.

[1] (?) انظر: المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها للدكتور عبد المنعم فؤاد، ص150.

إلى الغلو المرذول، فغَلَوا فيه حتى عدوه إلَهًا، ففسدت عقيدتُهم[1].

وقد حصل هذا التحريف للأصل العظيم (التوحيد) الذي جاء به عيسى قبل بعثة النبي محمد بقرون. والله المستعان!

ثم إنه ومع دخول الانحراف المشار إليه على دعوة عيسى إلى التوحيد، إلا أنه لم يتأرجح الثالوث بِمجمع نيقية السابق إلا في أواخر القرن الرابع (عام 381م تحديدًا)؛ حيث قامت بقية المجامع لتنظر في قضية روح القدس[2]. وخرجوا فيه بصيغة تختلف عن السابقة لتشمل الثالوث بأقانيمه الثلاثة في التأليه، وهذا لفظها: (نؤمن برب واحدٍ أبٍ ضابط الكل، وخالق السموات والأرض، ما يُرى وما لا يُرى، نؤمن بربٍ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل الدهور، نور من نور، إلهٍ حق مولود غير مخلوقٍ، مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كلّ شيْء، هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاص نفوسنا نزل من السماء، وتجسد في الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس، وصُلب عنا على عهد بيلاطس النبطي، وتألم، وقُبِر، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد على السموات، وجلس عن يمين أبيه. وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، وليس لملكه انقضاء)[3].

---

[1] انظر: محاضرات في النصرانية، 188-189.

[2] حيث قام المجمع القسطنطيني الثاني 381م وقرر ألوهية روح القدس (انظر عن المجمع وقراراته/ المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، ص173-وما بعده، ومصادر النصرانية، (ج2/ص 760وما بعده).

[3] مجلة الكراوة المرقسية، الأعداد 1-10، شرح قانون الإيمان، بواسطة:المسيحية بين التوحيد والتثليث، ص152-153، ومصادر النصرانية، ج2/ص766، وانظر في المسيحية...: ص158-159 لشيءٍ من تحليل العقيدة. وللوقوف على الفروق بين هذه الصيغة القسطنطنية والصيغة النيقيوية السابقة، وهل هي شديدة وكثيرة، أم خفيفة قليلة ينظر إلى الجدول الذي أعده د. عبد الرزاق ألارو في /مصادر النصرانية، ج2/767-768).

ثم إنه قد كفّرهم الله سبحانه بهذا المعتقد فقال: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [المائدة: ١٧].

وكفـــرهم الله وذكر حقيقة المســـيح، كما طلب منهم أنْ يثوبوا إلى رشدهم، فقال: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [المائدة:72-٧٧].

وما في هذه النصوص هي حقيقة المسيح (يأكل الطعـام، وخليـق بمَن يأكـل الطعـام أنْ يتغـوط ويتبـول (يقضي الحاجة)، ومَن كان كذلك فلا يكون إلَهًا[1].

وأيضًا فالنصارى يرَون أنّ المسيح (ابن الله) أحد الأقـانيم الثلاثة المكوِّنة لله ويثبتـون للمسـيح الألوهية، إلا أنّ أسـفار العهد الجديد تتحـدّث عن المسـيح بأنّه وُلد من بطن مريم، اختتن، جـاع، بكى، خـاف، لُطم، صـلّى، تـألّم، صُـلب، وأخـيرًا مـات ... وغيرها مما جـاءت في القـانون والأمانة السابقة أيضًا. فهـذا لا يحدُث لإلـه، فهل يُعقل أن يَختتن الإله أو يُبصَق في وجهه أو يموت ويُـدفن[2]؟! وهـذا هو الرد المجمل.

وللرد على عقيدة تأليه البشر، والتثليث، وصـلب المسيح ردًّا مقنعًا مفصَّلا أنقل قول المفسر المالكي (ابنُ جزي الكلبي)، والعلامة ابن القيِّم –رحمهما الله-.

قال ابن جُزَيّ في الرد على ترك النصارى التوحيد، وتأليه البشر: « فأما النصارى فكفـروا بـأقوالهم الفاسـدة ومـذاهبهم الضـالة في عيسى وأمه عليهما السـلام وأبلَـغُ الردِّ عليهم مضمونُ خمسِ آيات: (الأولى) قوله: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [المائـدة: ٧٥] فـذلك صـفة الحـدوث والعبودية، لا صـفة الربوبية. (الثانية) قوله: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [آل عمران: ٥٩] أي: مَن قدِر على خلق الإنسان مِن غير أمٍّ ولا والدٍ، قادرٌ على خلق آخر بأمٍّ دون والدٍ. (الثالثة) قوله: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ

---

1 (?) انظر: المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، ص 105.

2 (?) انظر: النصرانية وإلغاء العقل، ص73.

[يونس: ٦٨] فإنَّ الغنِيَّ المطلقَ لا يحتاج إلى زوجةٍ، ولا ولدٍ، ولا إلى أحد.
(الرابعة) قوله: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ [مريم:92-93] فإنَّ الربوبية والعبودية لا يجتمعان. (الخامسة) قول عيسى ؛: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [مريم: ٣٠]، وقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ [المائدة: ٧٢]، فاعترافُه على نفسه بالعبودية، فيه بيانُ كذِبِ مَن وصَفَه بالرُّبوبية »[1].
وأضيف في هذا الرد آية، هي قوله سبحانه: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ [المائدة: ١٧]. فالله المعبود حقًّا هو الرب، الخالق السيّد المالك، الغني، وغيرُه كائنًا مَن كان مربوبٌ مخلوقٌ، عبدٌ مملوك، فقيرٌ إلى الله من كلّ وجه، فكيف يستحق العبادة؟!

وللرد على مسألة الصلب (وهو قول اليهود القلة الذين ذهبوا لقتل المسيح ؛ -مع أنهم لا يعرفون شخصه-، وقول النصارى بأسرهم، حيث صدّقوا اليهود على ذلك؛ وذلك لعدم حضورهم مكان وزمان الصلب المزعوم؛ تخذيلا له). وكذلك بالنسبة للتثليث: أقول: النصارى مُذْ حرّفوا دينهم يؤمنون بمحالات العقول والمتناقضات، ويضربون لها الأشباه والأمثال الوهمية لبيان امتزاج الناسوت باللاهوت. والمؤمنون بالثالوث قومٌ لا يفقهون بعقولهم؛ إذْ كيف يقبل العقل السليم ذلك؟ وقد تكلم العلامة ابن القيم –رحمه الله- عن تلاعب الشيطان بعقول النصارى في أصول دينهم وفروعه، ورد عليهم ضلالاتهم في مسألة التثليث، والصلب، فقال: « والمقصود: أنَّ دين الأمة الصليبية بعد أنْ بعث الله ؛ محمدًا ؛، بل قبله بنحو ثلاثِمائة سنة، مبنِيٌّ على معاندة العقول والشرائع، وتنقُّص إله العالمين، ورميه بالعظائم، فكلُّ نصرانِي لا يأخذ بحظه مِن هذه البلِّية فليس بنصرانِي على الحقيقة. أفليس هو الدين الذي أسّسه أصحابُ المجامع المتلاعنين على أنَّ الواحد ثلاثةٌ، والثلاثة واحدٌ؟ فيا عجبًا كيف رضِي العاقل أنْ يكون هذا مبلغ

---

[1] (؟) القوانين الفقهية لابن جزي، ص13-14 .

عقلـه، ومنتهى علمـه! أفَتَـرى لم يكن في هـذه الأمة مَن يرجع إلى عقله وفطرته، ويَعلم أنّ هذا عينُ المحـال، وإنْ ضـربوا له الأمثـال، واسـتخرجوا له الأشـباه! فلا يـذكرون مثـالا، ولا شِـبْهًا إلا وفيه بيـان خطئهم وضـلالهم، كتشـبيه بعضهم اتحاد اللاهوت بالناسوت وامتزاجه به باتحـاد النـار والحديد. وتمثيل غيرهم ذلك باختلاط الماء باللبن. وتشبيه آخرين ذلك بـامتزاج الغـذاء واختلاطه بأعضـاء البـدن. إلى غـير ذلك مِن الأمثـال والمقـاييس الـتي تتضـمن امـتزاج حقيقتين، واختلاطهما حتى صارا حقيقة أخرى. تعـالى الله ﷻ عن إفكهم وكـــذبهم! ولم يقنعهُم هـــذا القـــول في رب الســموات والأرض **حــتى اتفقــوا بأسْــرِهم** على أنَّ اليهــود أخــذوه وســاقوه بينهم ذليلا مقهــورًا، وهو يحمل خشـبته الـتي صـلبوه عليهـا، واليهـود يبصُـقُون في وجهه ويضربونه، ثم صلبوه وطعنوه بالحربة حتى مات، وترَكُــوه مصلوبًا حـتى التصق شـعرُه بِجِلـده لما يبس دمُه بحـرارة الشمس، ثم دُفن وأقـام تحت الـتراب ثلاثة أيـام، ثم قـام بلاهوتيته من قــبره. **هــذا قــول جميعهم ليس فيهم من يُنكر منه شـيئًا**، فيَا لَلعقـول! كيف كـان حـال هـذا العالم؛ الأعلى والأسفل في هذه الأيـام الثلاثـة، ومَن كـان يُــدبِّر أمر الســموات والأرض؟ ومن الــذي خلّف الــربُّ سبحانه وتعـالى في هـذه المـدة؟ ومَن الـذي كـان يمسك السـماء أنْ تقع على الأرض وهو مـدفون في قـبره؟؟ ويا عجَبًـا! هل دُفِنَت الكلمة معه بعد أن قُــتلت وصـلِبَت؟ أم فارَقَـتْه وخذلـتْه أحـوج ما كـان إلى نصـرها لـه؟ كما خذله أبوه وقومُه؟؟ فإنْ كانت قد فارقته وتجـرَّد منها فليس هو حينئذ المسـيح، وإنما هو كغـيره من آحـاد النـاس! وكيف يصحّ مفارقتها له بعد أن اتحدتْ به ومازجتْ لحمه ودمــه؟ وأين ذهب الاتحاد والامتزاج؟ وإنْ كـانت لم تفارقه وقُتلتْ وصُلبت ودُفنتْ معه فكيف وصَـل المخلـوق إلى قتل الإله وصــلْبِه ودفْنِـه؟ ويا عجَبًـا! أيُّ قــبر يسع إلـه الســموات والأرض؟ هذا، ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [الحشر: ٢٣]. ... الحمد لله تعالى الذي هدانا للإسلام، ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ يا ذا

الجلال والإكرام، كما هديتنا للإسلام، نسـألك أنْ لا تنـــزعه عنا حتى تتوفانا عليه[1].

ثم أورد –رحمه الله- أبياتـه المفحمـة المشـهورة المتضمنة لهذا الرد العقلي، وهي قوله:

أعُبّاد المسيح لنا سؤالٌ؟ نريد جوابَه مِمّن وعَاه
إذا مات الإلهُ بصنع قومٍ أماتوه فمَا هذا الإلهُ؟
وهل أرضاه ما نالوه منه فبُشراهم إذا نالوا رِضاه
وإنْ سخِط الذي فعَلوه فيه فقُوّتُهم إذًا أوْهَت قُوَاه
وهل بقي الوجودُ بلا إلهٍ سَميعٍ يستجيبُ لِمَن دَعَاه
وهلْ خَلَت الطباق السبعُ لَمّا ثوَى تحت التراب وقد عَلاه
وهل خَلَت العوالِم من إلهٍ يُدبِّرها وقد سُمِرَت يداه
وكيف تَخلَّت الأملاكُ عنه بنصرهِمُ وقد سَمعوا بُكاه
وكيف أطاقت الخشبات حمْلَ الـإله الحق شُدَّ على قـَفَاه
وكيف دنا الحديد إليه حتى يُخالطه ويَلْحَقَه أذاهُ
وكيف تَمَكَّنَتْ أيْدِي عِدَاه وطالتْ حيث قد صفَعُوا قَفاه
وهل عاد المسيح إلى حياةٍ أم المُحيي له ربٌّ سِواه
ويا عجَبًا لقبْرٍ ضَمّ ربًّا وأعجَبُ منه بَطنٌ قد حَوَاه
أقام هناك تِسعًا مِن شُهُورٍ لدى الظلمات مِن حَيضٍ غِذَاه
وشقَّ الفَرْجَ مولودًا صغيرًا ضعيفًا فاتِحًا –للثدي- فَاه
ويأكُلُ ثم يَشْرَبُ ثم يأتِي بلازم ذاك، هل هذا إلهُ؟
تعالى الله عن إفكِ النَّصارى سيسْألكلّهُم عمَّا افتراه

إلى أنْ قال في آخرها:

فيا عبدَ المسيح أفِقْ فهذا بدايته، وهذا مُنْـتَهاه[2].

---

[1] انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (ج2/ 289-290).

فثبت بما تقدم أنّ المسيح لم يدع بنِي إسرائيل إلا إلى عبادة الله وحده، وإنما حصل الشك وعبـادة الصـليب والتثليث بعد رفعه بتبديل من قومه. والله أعلم.

وبهذا أتيت إلى نهاية هذه المسألة، وأنتقل بعدها إلى المسألة الأخيرة في المطلب.

المسألة الخامسة: وصف خليل الله نبينا محمد بالعبودية، وذكر دعوته إلى عبادة الله وحده:

تقدم وصف الله تعالى لأنبيائه ورسله بالعبودية في آيات كثيرة، وأشرتُ هنا إلى أنّ الله تبارك وتعـالى وصـف خاتم أنبيائه ورسله نبينا محمدًا بذلك في مقامات كثيرة، هي أشرف مقاماته وأحوالــه، حيث وصـفه بهـا في مقـام القيام بالدعوة والعبادة، ومقام الوحي، وعند إنزال الكتاب عليه، ونزول الملك إليه، وفي مقام تحدِّي الكفار أنْ يـأتُوا بمثل هذا القرآن، وفي مقام الإسراء، وفي مقام المعراج، وفي حـال الجهـاد، وفي حـال الكفاية والنصـرة والتأييـد. والآيات المصرحة بذلك هي قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣]. وقال في آية تقسيم الغنيمة: ﴿ ﴾ [سورة الأنفال: ٤١]. وقال: ﴿ ﴾ [سورة الكهف: ١]. وقال: ﴿ ﴾ [الإسراء: ١]. وقال: ﴿ ﴾ [سورة الفرقان: ١]. وقال: ﴿ ﴾ [الزمر: ٣٦]. وقال: ﴿ ﴾ [النجم: ١٠]. وقال: ﴿ ﴾ [سورة الحديد: ٩]. وقال: ﴿ ﴾ [الجن: ١٩]. وقال: ﴿ ﴾ [العلق:9-١٠].

وما وصف الله تعالى خليلَه ورسولَه محمدًا بذلك إلا لقيامه بتحقيق عبوديته له، واتصافه بها، فحقق التوحيد علمًا وعملا ودعوةً إليه، وقام بالعبادات الظاهرة والباطنة (أعمـال القلـوب) بغية تحقيق التوحيـد، بل وكـلُّ عباداته -مِن صلاة وصوم وصدقة ودعاء وخضوع وبِرٍّ وغيرها- كانت

[2] (?) انظرها: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (ج2/290-292)، وانظر عن هذه المعاني، منهاج السنة النبوية، (ج7/ 208).

ترمي إلى تحقيق الغاية العُظمى، والمقصد الأعظم لخلق الجنِّ والإنس الـــذي هو التوحيد والإخلاص، وقد أتم العبد الرسول التـذلل والخضـوع لله في الأحـوال والمقامـات المـــذكورة وغيرهـــا، بل كـــلُّ حياته كـــان خضـــوعًا لله وتوحيـــدًا؛ فصـــلاته ونســـكه ... إلى مماته ذلٌّ لله ربّ العالمين لا شريك له، وقد أرشد الربُّ تعالى نبيَّنا محمدًا بـ: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [الأنعام: 163-١٦٤]، وقال: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [الكوثر: ٢]. ووتره ، وركعتا فجـره[1]، وركعتا طوافه توحيـد، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ [الكافرون:1-6] وﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ [الإخلاص: 1-٤]. وركعتا فجره توحيد: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [البقرة: ١٣٦]. ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [آل عمران: ٦٤] [2]. وذكره بعد وضوئه توحيد[3]. **وأذانه وإقامته توحيد** [4].

وإجابة مؤذِنه توحيد، فعَنْ عُمَــرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَــالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَــرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَـرُ، ثُمَّ قَـالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَــهَ إِلاَّ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَـالَ: أَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُـولُ اللَّهِ**. ..الحـديث، وفيـه: "ثُمَّ

---

1 ([?]) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب اسْتِحْبَابِ رَكْعَتَيْ سُنَّةِ الْفَجْرِ ... وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِمَا. روى قراءة سورتَي "الكافرون والإخلاص" عن النبيِّ أبو هُرَيْرَةَ ، رقم: 726.

2 ([?]) صحيح مسلم: الكتاب والباب. روى قراءة الآيتين في ركعتي الفجر عن النبي ابن عباس ، رقم: 727 .

3 ([?]) قف على الحديث في/ صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، عن عقبة بن عامر ، رقم: 234. وأما عند الترمذي:فعن عمر (كتاب الطهارة،باب فيما يقال بعد الوضوء،رقم: 55).

4 ([?]) قف على الحديث في/ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب صفة الآذان، برقم: 379 .

قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، قَالَ: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ، مِنْ قَلْبِـهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ "[1].

وذكره بعد أذانه توحيد، فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَالَ -حِينَ يَسْـمَعُ الْمُـؤَذِّنَ-:**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْـدَهُ لاَ شَـرِيكَ لَـــهُ،وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْـــدُهُ وَرَسُـــولُهُ،رَضِـــيتُ بِاللَّهِ رَبًّا،وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً،وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا.**غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ"[2].

وتشهُّدُه توحيد[3]. وذكرُه عقِب صلاته توحيد " **لا إِلَـهَ إِلا اللَّهُ وَحْـدَهُ لا شَـرِيكَ لَـهُ، لَـهُ الْمُلْـكُ، وَلَـهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ، اللَّهُمَّ لا مَـانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ** ...الحديث"[4].

وحجُّه من الإهلال به إلى آخره توحيـد؛ فتلبية الرسـول الكــريم تلبية التوحيــد؛ فعَن ابن عمر قَــالَ: سَــمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ يُهِـلُّ مُلَبِّدًا يَقُـولُ: "**لَبَّيْـكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْـكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَـكَ لَبَّيْـكَ، إِنَّ الْحَمْـدَ وَالنِّعْمَـةَ لَـكَ وَالْمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ** ". لاَ يَزِيدُ عَلَى هَـؤُلاَءِ الْكَلِمَـاتِ. رواه مسـلم [5]. بخلاف تلبية المشـركين، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ الْمُشْـرِكُونَ يَقُولُـونَ لَبَّيْـكَ لاَ شَـرِيكَ لَـكَ –قَـالَ- فَيَقُـولُ رَسُـولُ اللَّهِ : "**وَيْلَكُمْ قَـدْ! قَـدْ!**". فَيَقُولُـونَ: إِلاَّ شَـرِيكًا هُـوَ لَـكَ تَمْلِكُـهُ وَمَا مَلَـكَ. يَقُولُونَ هَذَا، وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ[6].

قال العلام ابن القيِّم –رحمه الله-: « فأهَلَّ رسول الله بالتوحيد؛ لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شــــريك لك، فهـــذا توحيد

[1] (?) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ...، رقم: 385 .

[2] (?) صحيح مسلم: الكتاب الباب.

[3] (?) سيأتي ذكر بعض ألفاظه في الأحاديث المختارة، (فاليراجع).

[4] (?) صحيح البخاري من حديث المغيرة بن شعبة : كتاب الأذان، بَاب الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلاةِ، رقم: 844، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، رقم: 593.

[5] (?) صحيح مسلم: كتاب الحج باب التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا، وهو على إثر حديث برقم: 1184.

[6] (?) صحيح مسلم: كاتب الحج، باب التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا، رقم: 1185.

الرسول المتضمن لإثبات صفات الكمال التي يستحق عليها الحمد، ولإثبات الأفعال التي استحق بها أن يكون منعما، ولإثبات القدرة والمشيئة والإرادة والتصرف والغضب والرضا والغنى والجود الذي هو حقيقة ملكه »[1].

وسعيُه بين الصفا والمروة توحيد[2]، ووقوفه بعرفات لا إله إلا الله[3].

ومقصود صومه تقوى وتوحيد، ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭽ [البقرة: ١٨٣]. وفي الحديث القدسي أَنَّ اللَّه تعالى قَالَ: " .. **يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ** ..." متفق عليه[4]. وخطبة نكاحه توحيد[5]. وكفارة مجلسه توحيد[6]. وليله ونهاره توحيد، ونومه وانتباهه توحيد، **وأذكار صباحه ومسائه توحيد**، وقد كان يقرأ صباحًا ومساء "**آية الكرسي**"، و"سورة الإخلاص"، ومن ذلك: دعاؤه: بـ" **لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ**

---

1 (?) الصواعق المرسلة، (ج3/ 932).

2 (?) قف على حديث ابن عمر في ذلك/ صحيح البخاري: كتاب العمرة، بَاب مَا يَقُولُ إِذَا رَجَعَ مِنْ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ أَوْ الْغَزْوِ، رقم: 1797، وصحيح مسلم: كتاب الحج، باب مَا يَقُولُ إِذَا قفلَ مِنْ سفر الْحَجِّ أَوْ غيره، رقم: 1344.

3 (?) قف على حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في ذلك/ (وخير ما قلتُ أنا والنبيون قبلي): جامع الترمذي، كتاب الدعوات، بَاب فِي دُعَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ، رقم: 3585، وقد حسَّنه الترمذي والألباني.

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الصيام، بَاب فَضْلِ الصَّوْمِ، رقم: 1894، وصحيح مسلم: كتاب الصيام، باب فَضْلِ الصِّيَامِ، وهو على إثر حديث رقم: 1151.

5 (?) وسيأتي ذكر حديث تعليم النبيِّ خطبة النكاح في الأحاديث المختارة (فاليراجع).

6 (?) قِف على حديث أبي هريرة في ذلك (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ**...)/ جامع الترمذي، كتاب الدعوات، بَاب مَا يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنْ الْمَجْلِسِ، رقم: 3433، وقد صححه الترمذي والألباني. وعلى شاهده من حديث أبي برزة الأسلمي / عند أبي داود في السنن، كتاب الأدب، بَاب فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ، رقم: 4859، وهو حديث صحيح.

شَيْءٍ قَدِيرٌ" (عشر مرات أو مِائَة مَـرَّةٍ)[1]، ويقـرأ دعـاء "سيِّد الاسـتغفار" الجـامع للاعـتراف بنِعم المـولى الحميد على عبـده، وتقصـير العبد تجـاه ربِّه[2]. ويقـول: **"اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَـيْءٍ وَمَلِيكَـهُ، أَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا أَنْتَ، أَعُـوذُ بِكَ مِنْ شَـرِّ نَفْسِـي، وَشَـرِّ الشَّـيْطَانِ وَشِرْكِهِ"**[3].

وموته □ توحيد، وعند إجابة الفتنَينِ في القبر وفي الآخرة لا ينفع إلا التوحيد.

بل قد أعلنَ □ بأنّ منهج حياته كلّها هو عبـادة الله وحده، ومِن لازم ذلك الخلـوص من الشـرك والـبراءة من أهله، قال تعالى: ﭽﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﭼ [الأنعام: ٥٦]. وقال: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟ□ﯠﯡ□□□□□ﯢﯣﯤﯥ□□□□□□□□ﭼ [يونس: ١٠٤]. وقال: ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﭼ [الرعد: ٣٦]. وقال: ﭽﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭼ [النمل: ٩١]. وقال: ﭽ□ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭼ [الزمر: ١١ – ١٢]. وقال: ﭽﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭼ [الزمر: ١٤].

ولما كفاه المستهزئين المشركين أمره الله تعالى بتسبيحه وعبادته وملازمة ذلك حتى الممات، قـال تعـالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [الحجر:95-٩٩]، واليقين هنا الموت بإجماع المفسِّرين[4].

ولكلّ ما سبق ولقيامه □ بتحقيق التوحيد استحق أنْ يتخذه ربُّه خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولـزم رسـولَ الله

---

[1] قِف على حديث أبي هريرة □ في ذلك/ صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب فَضْلِ التَّهْلِيلِ، رقم: 6403، وصحيح مسلم: كتاب اكتاب الذكر والدعاء، بَاب فَضْلِ التَّهْلِيلِ والتَّسْبِيحِ والدعاء، رقم: 2691 .

[2] صحيح البخاري: وسيأتي تخريجه.

[3] سنن أبي داود من حديث أبي هريرة □، كتاب الأدب، بَاب ما يقول إذا أصبح، ورقم: 5067، وجامع الترمذي: كتاب الدعوات، باب (بدون ترجمة، وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى)، رقم: 3392، قال الترمذي: « حسن صحيح ».

[4] انظر: مدارج السالكين لابن القيم، في فصل لزوم (إياك نعبد) لكلّ عبد حتى الموت (ج1/ص169).

 أنْ لا يخالل مخلوقًــا؛ « فــإنّ الخليل مَن جــرَتْ محبة خليله منه مجرى الروح، ولا يصلح هذا لبشر، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح منّي .. وبذا سُمِّي الخليل خليلا

أروح وقد خُتمتْ على فؤادي .. بِحُبك أنْ يَحُلّ به سواكا

فلو أنِّي اســتطعتُ غضَضْــتُ طرفِي .. فلم أنظُرْ به حتى أراكا »[1].

وأما عن دعوة نبينا محمدٍ إلى إفراد الله بالعبادة فأقول -وبالله التوفيق:

دلتّ الآيات الكريمات على أنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا اتخذ الدعوة إلى عبـادة اللـه منهج حياتـه إلى أنْ توفـاه اللـه، وقـد تنـاولت النصـوص هـذه القضـية إجمـالا وتفصـيلا، وسأشـير إلى بعض هـذه النصـوص على سـبيل التمثيــل، لأتــرك بعض الــدلالات إلى المبحث الرابــع مِن الباب الثـالث. كمـا أنِّي سـأعط المسـأل بنقـل واحـد عن العلامة ابن القيم –رحمه الله- يتـبيَّن منـه أنّ القـرآن كلـه في الدعوة إلى توحيد الله بطريقة أو بأخرى:

دعوتـه كانت إلى عبادة الله وحده سرًّا وجهرًا، ليلا ونهارًا، وقد كان يتتبع الأسـواق بـذلك (سـوق عكـاظ وذي المجاز) قائلا: قولوا: *لا إله إلا الله تفلحـوا*؛ فعَنْ رَبِيعَــةَ بْنِ عباد الدِّيلِيِّ[2] -وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ- فَقَالَ: « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ بَصَــرَ عَيْنِي بِسُــوقِ ذِي الْمَجَــازِ يَقُــولُ: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُــوا لا إِلَــهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُــوا** " وَيَــدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّــفُونَ عَلَيْــهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَــدًا يَقُــولُ شَيْئًا، وَهُوَ لا يَسْكُتُ يَقُولُ: " **أَيُّهَا النَّاسُ قُولُــوا لا إِلَــهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا** " إِلا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْــهِ

---

[1] (?) انظر: لطائف المعارف لابن رجب، 123 .

[2] (?) **ربيعة بن عباد الديلي**: اسم والده بكسر العين وتخفيف الباء –على الصواب كما قاله ابن معين، وذكره الحافظان ابن عبد البر وابن حجر، من بني الديل بن بكر بن كنانة، مدني، روى عنه ابن المنكدر وأبو الزناد وزيد بن أسلم، ويعد في أهل المدينة. وقد بيّن ابن عبد البر أنه عمر طويلا ولم يقف على وقت وفاته، إلا أنه ذكر خليفة وابن سعد أنه مات في خلافة الوليد (انظر: الاستيعاب، ص232، برقم: 759، والإصابة، ج3/ ص507-508، برقم: 2621).

ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُـوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَـذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ »[1].

ولقد رأينا سابقًا كيف أنّ كلّ رسول يوجِّه دعوته إلى قومه خاصة فيقول: ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ، أما هذا الرسول الكريم فإنما أُمر بتوجيه دعوته إلى جميـع الأمـة؛ مِن قريش واليهود والنصارى والصابئين والمجـوس وبقيـة المشركين مِن الجن والإنس مذْ بعثتـه إلى قيـام السـاعة، وهذا ما سيُلاحظ عند اختيار النصوص الآتية، وقـد اصـطُلح على هؤلاء المذكورين بـ**(أمة الدعوة)**:

قال تعالى في بيان الدعوة المحمدية هذه: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ   ﭼ [البقرة: ٢١]. وقال: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﭼ [آل عمران: ٦٤]. وقال: ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭼ [الأنعام: ١٠٢]. وقال: ﭽﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﭼ [يونس: ٣]. وقال: ﭽ   ﭼ [الكهف: ١١٠]. وقال: ﭽ   ﭼ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

ومما ذكره المفسِّرون في سبب نزول آية: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [الجن: ١٩]. أنّ النبيَّ قام يُصلِّي هو وأصـحابُه فجـاء نفـرٌ مِن الجن يسـتمع إلى هـذا القـرآن، ويتعجبون مِن ركوعهم وسجودهم، ثم آمنوا بما جاء به مِن الهـدى[2]. ... فمَن نظـر إلى هـذا المقـام الـذي قامـه الرسول علِم أنه مقام عبادة لربه (مقـام الصـلاة)، لـذا قال: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ . مع أنه قد تضمن هذا المقام مقام الدعوة الفعلية منه لهـؤلاء المـدعوين المتكـاثرين عليـه،

---

1 (?) مسند الإمام أحمد، ورقمه: 16066، وقد ذكر الشيخ شعيب الأرناؤوط ومساعدوه بأنّ الحديث صحيح لغيره، وشاهده عن طارق المحاربي ، أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، (انظر: صحيح ابن خزيمة: كتاب الوضوء، باب مسح ظاهر باطن الأذنين وظاهرهما، ورقمه: 159، وقد صحح إسناده الأعظمي). ما سبق كان في سوق ذي المجاز، وحديث سوق عكاظ رواه أحمد، وهو برقم: 23199، وصحح المحقق إسناده.

2 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج4/ ص554) .

المتراكمين الحريصين على سماع ما جاء به مِن الهــدى[3] (القرآن)، فهو إذًا مقام دعوة كما أنه مقام عبادة.

ثم لعل الحكمة من اسـتخدام لفظـة (عبـد اللـه) في هـذا السـياق –سـياق دعـوة النـاس إلى عبـادة اللـه- دون لفظة (رسول الله) -والله أعلم- لعله للإشعار بأنّ الداعي (محمد نفسه) عبدٌ؛ عابدٌ لربه ومألوهــه، وداعٍ إليــه، لا إلى نفسه، ولا يستحق شيئًا مِن عبادات المدعوين[1].

وقد دعا عمــومَ الكــافرين إلى عبــادة اللــه، وتــبرأ منهم ماداموا على الكفر، فقال: ﭽﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [الكافرون: 2 – ٦].

هـذه بعض آيـات القـرآن في دعـوة النـبي ﷺ إلى التوحيد، بل يمكن القول إجمالا: القرآن كلّه ما أنزلـه اللـه تعالى وفصّله وأحكَم آياته إلا لكي يُعْبَد وحده لا يشـرك به في عبادته أحد، قال تعالى: ﭽﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤ ﭼ [هود: ١ – ٢]. فهذه الآية الكريمة واضحة الدلالة على أن آيات هذا الكتـاب فُصِّـلَتْ من عند الحكيم الخبـير لأجل أن يُعبد الله وحده[2].

يُوضِّحه، ما ذكَرَه العلامة ابنُ القيم –رحمه الله- هنا: « وأما التوحيد الذي دَعَتْ إليه رسل الله، وَنَزَلَتْ بِـهِ كُتُبُـهُ ... نَوْعَــانِ: تَوْحِيــدٌ فِي الْمَعْرِفَــةِ والإِثْبَــاتِ، وَتَوْحِيــدٌ فِي

---

3 (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص891 .

1 (?) تأمل أغلب المواضع والمقامات التي وُصف الرسول ﷺ فيها بصفة العبودية، كمقام نزول المعجزة الخالدة عليه (القرآن)، ومقام التحدي به، فإنك تدرك أنّ هذه الآية، بل وبقية معجزاته كانت بقدرة الله تعالى وحده، وليست طوع يدي عبد الله ورسوله ﷺ يتصرف فيها كيف شاء؛ لذا فهي تأتي متى شاء الله لا متى شاء الرسل، قال تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [العنكبوت: ٥٠] . وكذلك عندما استشرف الرسول السمو الأعظم ليُريه الله من آياته الكبرى، لم يقل (أسرى برسوله محمدٍ) بل قال: « بعبده » كما لم يقل: (فأوحى إلى رسوله محمد) بل قال: (إلى عبده ما أوحى) ... وما ذلك –والله أعلم- إلا ليقف الناظر على أنّ كلّ ما حصلت من الآيات في الإسراء والمعراج؛ من قطع الفيافي والمسافات .. كان بقدرة المقتدر القهار وحده (انظر: هذه هي الصوفية، موضوع: أشرف صفات الرسول في أشرف مقاماته، ص82-84).

2 (?) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الأمين الشنقيطي، (ج3/ ص10) .

الطَّلَبِ وَالْقَصْـدِ. **فَالأَوَّلُ:** هُـوَ إِثْبَـاتُ حَقِيقَـةِ ذَاتِ الـرَّبِّ تَعَالَى، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَسْـمَائِهِ، وعلـوه فـوق سـمواته على عرشه، وتكلّمه بكُتُبِه، وتكليمه لِمَن شـاء من عِبـادِه، وإثبات عُموم قضائه وقدره، وحِكمته. وَقَدْ أَفْصَـحَ الْقُـرْآنُ عَنْ هَذَا النَّوْعِ كُلَّ الإِفْصَـاحِ، كَمَا فِي أَوَّلِ (سـورة الْحَدِيـدِ) (وسورة طه)، وَآخِـرِ (سـورة الْحَشْـرِ) وَأَوَّلِ سـورة تَنْزِيل (السَّجْدَةِ)، وَأَوَّلِ (آلِ عِمْرَانَ)، وَسُورَةِ (الإِخْلَاصِ) بِكَمَالِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ. **النوع الثَّانِي:** مِثْلَ مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭼ ، وَﭽﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [آل عمران: ٦٤]. وَأَوَّلُ (سُورَةِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ)، وَآخِرُهَا، وَأَوَّلُ (سُورَةِ يُـونُسَ)، وَوسَـطُهَا، وَآخِرُهَا، وَأَوَّلُ (سُورَةِ الأَعْرَافِ)، وَآخِرُهَا، وَجُمْلَةُ سُــورَةِ " الأَنْعَام ".

وَغَـالِبُ سُـوَرِ الْقُـرْآنِ، بَـلْ كُـلُّ سُـورَةٍ فِي الْقُـرْآنِ فهي مُتَضَـمِّنَةٌ لِنَـوْعَيِ التَّوْحِيـدِ، بل نقـول قـولا كليًّا: إنَّ كل آية في القرآن فهي متضـمنةٌ للتوحيد، شـاهدةٌ به، داعيةٌ إليه؛ فَـإِنَّ الْقُـرْآنَ إِمَّا خَبَـرٌ عَنِ اللَّهِ وَأَسْـمَائِهِ وَصِـفَاتِهِ وأفعاله، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْـدَهُ لا شَرِيكَ لَـهُ، وَخَلْـعُ كـلِّ مَا يُعْبَـدُ مِنْ دُونِـهِ، فَهُـوَ التَّوْحِيـدُ الإِرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ، وَإِمَّا أَمْـرٌ وَنَهْيٌ وَإِلْـزَامٌ بِطَاعَتِـهِ في نهيه وأمــره، فهي حُقُــوق التَّوْحِيــدِ وَمُكَمِّلاتِــهِ، وَإِمَّا خَبَـرٌ عَنْ إِكْرَامِهِ لأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وطاعته، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الآخِرَةِ، وَهُـوَ جَـزَاءُ تَوْحِيـدِهِ، وَإِمَّا خَبَـرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الْعُقْبَى مِنَ الْعَذَابِ فَهُوَ جَزَاءُ مَنْ خَـرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ. فَـالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيـدِ وَحُقُوقِـهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ. فَـﭽ ﭙ ﭼ تَوْحِيدٌ، ﭽ ﭛ ﭜ ﭼ تَوْحِيدٌ، ﭽ ﭞ ﭟ ﭼ تَوْحِيدٌ، ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ تَوْحِيدٌ، ﭽ ﭥ ﭦ ﭼ تَوْحِيدٌ، ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ تَوْحِيدٌ مُتَضَمِّنٌ لِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الذين أنعم الله عليهم، ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ »[1].

[1] (?) مدارج السالكين،(ج3/ ص442-443، ونقلا عنه بتصرف،ابنُ أبي العز(شرح الطحاوية، ج1/141-142).

والنوع الذي عَنوَنْتُ له هنا هو النوع الثاني (توحيد العبادة) الذي كان الرسول ﷺ يوصي رسُلَه إذا أرسلهم بالبداءة به، فَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: "**إِنَّكَ تَقْدمُ عَلَى قَوْمٍ؛ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ** ... الحديث[1].

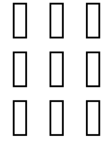
وختامًا: أقول:، إنّ كلّ عبادة -مِن صلاة وصوم وصدقة ودعاء وخضوع وبِرٍّ وغيرها- زعم المتعبِّد بها أنّه تعبَّد بها دون أن يُحقِّق فيها هذا المقصدَ الأعظمَ، والغاية العُظمى لخلق الجنِّ والإنس الذي هو التوحيد والإخلاص فهي تَعَبٌ وعذابٌ، لم يأمر الله ولا رسولُه بها؛ إذْ: **لا عبادةَ مأمورًا بها إلا مع التوحيد**، ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [الذاريات: ٥٦]. والمعنى: إلا ليُوحِّدون.

جعلنا الله مِن أهل التوحيد والإخلاص، وجنّبَنا الشرك والرياء وعبادةَ الأوثان، وجعلنا مِن المقتدين بخير الأنام في تقواه وخشيته وتوحيده وسائر أموره. آمين يا كريم!

وبعد، فقد تبيّن بالمسائل الخمسة المتقدمة (المطلب) أنّ جميع أنبياء الله ورسله موصوفون بالعبودية لله تعالى، فلم يأتوا إلا بتحقيق التوحيد والقيام به في أنفسهم قولا واعتقادًا وعملا، ثم دعوة لأممهم إلى تحقيق ذلك؛ فاتفقت كلمتهم على الدعوة إلى إفراد الله وحده بالعبادة. وأنّ الملائكة موصوفون كذلك بالعبودية.

وبهذا تم مقصود المطلب.

وأنتقل بعد ذلك إلى مباحث الفصل مبحثًا مبحثًا. والله تعالى أعلم.



[1] صحيح البخاري: كتاب الزكاة، بَاب لا تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ، ورقمه: 1458، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب الدُّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وهو على إثر حديث رقم: 19 .

المبحث الأول: اختيار النبيّ العبودية على الملك، وعلاقة ذلك بتكميله العبودية:

جِماعُ صِفاتِ الملوك وطبائعهم –غالبًا- ينحصِر في التوسع في الملذات والمباحات، وحُبّهم لاستيفاء حُظوظهم النفسية والتفرُّد فيها؛ وقليلٌ منهم مَن يُرْزَق بفقر نفسه في ملكه، فلِسانُ حالِ مُسلِمِيهم يقول: ﭽﮬﮭ ﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﭼ [ص: ٣٥]. والطبيعة الاستيفائية للحظوظ والتوسع في الملذات والمباحات والتفرّد .. في الملوك، كانت عامّة في الأمور؛ فهيَ في أمر: الملابس، والمآكل، والمشارب، والمناكح، والمياثر، والمنام، والمساكن[1]، وغير ذلك، فقد ذُكر في المستطرف أنّ **مِن أخلاق الملوك: حبّ التفرد**، وأنّه في كلِّ الأمور المشار إليها[2].

هذا آخية طبائع وصفات الملوك. أما العبيد فعلى العكس منها.

ولبيان هذا المبحث كما ينبغي لا بدّ من عقد مطلبين، على النحو التالِي:

المطلب الأول: عقد مقارنة بين صفات النبي الملك، والعبد الرسول.

المطلب الثاني: اختيار النبي العبودية على الملك، وعلاقة ذلك بتكميله العبودية.

المطلب الأول: عقد مقارنة بين صفات النبي الملك، والعبد الرسول:

ذكَر الله تعالى عددًا مِن أنبيائه عليهم السلام في محكم كتابه، وبيَّن أنّه وهبَهم مُلكًا، فَمِن هؤلاء الأنبياء الملوك عليهم الصلاة والسلام: نبِيّ الله داود كان ملِكًا،

---

1 (?) انظر شواهد ذلك في مضمنات عناوين هذه الفصول: (الفصل العاشر: في أنّ طبيعة الملك: الانفراد بالمجد، الفصل الحادي عشر: في أنّ من طبيعة الملك: الترف. الفصل الثانِي عشر: في أنّ من طبيعة الملك: الدعة والسكون. ثم طالع الفصل الثالث عشر كنتيجة للثلاثة قبله، وهو: في أنه إذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد، وحصول الترف، والدعة، أقبلت الدولة على الهرم). (انظره في: مقدمة ابن خلدون، 180-181) .

2 (?) انظر عن نماذج ذلك: المستطرف في كلّ فنٍّ مستظرَف، لشهاب الدين بن أحمد الأبشيهي، ص114-115.

يقول الله تعالى في ملكه : ﭽﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪ ﭫﭬﭭﭮﭼ [ص:18-٢٠].

ونبِيّ الله سليمان كان قد بلَغ مبلَغًا عظيمًا في الملك، حتى كانت الريح تجري بأمره، والشياطين يغوصون له ويعملون له أعمالا، قال في حكاية دعائه ربّه : ﭽﮬﮭ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝ ﯞﯟ ﯠﯡﯢﯣﯤ ﯥﯦ ﯧﯨ ﯩ ﯪﯫﯬﯭﯮ ﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵ ﯶﯷﯸﯹ ﯺﯻﯼﯽﯾ ﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇ ﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠ ﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹ ﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄ ﯽﯾﭼ [ص:35-٤٠]. ولقد بيّن سبحانه عِظَم ملكه وملك أبيه داود (الأب والابن) عليهما السلام في سورة سبأ.

ومن الأنبياء الملوك: يوسف ، قال الله تعالى في حكاية دعائه: ﭽﯜ ﯝﯞﯟﯠﯡ ﭼ [يوسف: ١٠١].

وكذلك آل إبراهيم قد أعطاهم الله ملكًا عظيمًا، كما في سورة النساء.

وأنّ موسى ذكّر قومه بما امتن الله عليهم من النبوة والملك، بل حتى كان مِن عصور بنِي إسرائيل ما يُسمى بـ(عصر الملوك)، ومن ذلك: ما ذكر الله في قوله: ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭼ [البقرة:246-٢٤٨]الآية وآيتَين بعدها. وكثيرٌ مِن أنبياء بنِي إسرائيل كانوا ملوكًا فقد " **كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، ..**"[1].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في كلامه عن السابقين المقرَّبين وأصحاب اليمين، وبيان جزائهم في شرابهم مِن عين الجنة صِرْفًا أو مَزْجًا « وَنَظِيرُ هَذَا: انْقِسَامُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلامُ إلَى عَبْدٍ رَسُولٍ، وَنَبِيٍّ مَلِكٍ، وَقَدْ خَيَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولاً، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولا، فَالنَّبِيُّ الْمَلِكُ مِثْلُ: داود وَسُلَيْمَانَ وَنَحْوِهِمَا عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ الَّذِي ﭽﮬﮭ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝ ﯞﯟ ﯠﯡﯢﯣﯤ ﯥﯦ ﯧﯨ ﯩ ﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﭼ [ص: ٣5 – ٣٩]. أَيْ: أَعْطِ مَنْ شِئْت، وَاحْرِمْ مَنْ شِئْت؛ لا حِسَابَ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عن أَبَي هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ، رقم: 3455، وصحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء؛ ..، رقم: 1842.

عَلَيْك. فَالنَّبِيُّ الْمَلِكُ يَفْعَلُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَتْرُكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَتَصَرَّفُ فِي الْوِلايَةِ وَالْمَالِ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَخْتَارُ، مِنْ غَيْرِ إثْمٍ عَلَيْهِ. وَأَمَّا الْعَبْدُ الرَّسُولُ فَلا يُعْطِي أَحَدًا إلا بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَلا يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَحْرِمُ مَنْ يَشَاءُ، بَلْ رُوِيَ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: " **إنِّي -وَاَللَّهِ- لا أُعْطِي أَحَدًا، وَلا أَمْنَعُ أَحَدًا، إنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ؛ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْت** "[1]. وَلِهَذَا يُضِيفُ اللَّهُ الأَمْوَالَ الشَّرْعِيَّةَ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭼ [الأنفال: ١]. وقَوْله تَعَالَى: ﭽﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﭼ [الحشر: ٧]. وقَوْله تَعَالَى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭼ [الأنفال: ٤١]. وَلِهَذَا كَانَ أَظْهَرُ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ هَذِهِ الأَمْوَالَ تُصْرَفُ فِيمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِحَسَبِ اجْتِهَادِ وَلِيِّ الأَمْرِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ مِنْ السَّلَفِ، وَيُذْكَرُ هَذَا رِوَايَةً عَنْ أَحْمَد. وَقَدْ قِيلَ فِي الْخُمُسِ: أَنَّهُ يُقَسَّمُ عَلَى خَمْسَةٍ، كَقَوْلِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد فِي الْمَعْرُوفِ عَنْهُ. وَقِيلَ: عَلَى ثَلاثَةٍ، كَقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ الْعَبْدَ الرَّسُولَ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ النَّبِيِّ الْمَلِكِ، كَمَا أَنَّ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا عَلَيْهِمْ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَفْضَلُ مِنْ يُوسُفَ وداود وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمْ السَّلامُ. كَمَا أَنَّ الْمُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ أَفْضَلُ مِنْ الأَبْرَارِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ الَّذِينَ لَيْسُوا مُقَرَّبِينَ سَابِقِينَ، فَمَنْ أَدَّى مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَفَعَلَ مِنْ الْمُبَاحَاتِ مَا يُحِبُّهُ، فَهُوَ مِنْ هَؤُلاءِ. وَمَنْ كَانَ إنَّمَا يَفْعَلُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيَقْصِدُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَا أُبِيحَ لَهُ عَلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ مِنْ أُولَئِكَ»[2].

وعند هؤلاء الأنبياء عليهم السلام شيءٌ من طبائع الملوك السابقة، لكن الذي يَفْرِق بينهم وبين أغلب الملوك الذين ليسوا مِن جنسهم، هو أنّهم يقفون في تناولهم للملذات على المباحات، ولا يجاوزونه –أبدًا- إلى الممنوعات.

وليُعلَم هنا أنه لم تُعقَد لا تعقد مثل هذه المباحث لتنقص الأنبياء الملوك عليهم الصلاة والسلام؛ لأنّ ذلك

---

1 (?) الحديث في البخاري، وسيأتي تخريجه قريبًا.

2 (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، 51-54 .

كفرٌ، فكلّ أنبياء الله تعالى معزَّرين معظَّمين، لكنّ المراد استخراج نصوص الباب وتأملها لمعرفة وجهٍ واحدٍ من أوجه تفضيل نبينا محمدٍ على إخوته الأنبياء الملوك، بل هو أفضل الأنبياء عمومًا، -كما سيأتِي في الباب الأخير-. ومسألة التفاضل بين الأنبياء جائزة ما دام القصد منها بيان ما جاء في النصوص من ذلك لاعتقاده.

أوجُه المقارنة بين صفات العبد الرسول والنبي الملِك:

الوجه الأول من أوجه هذه المقارنة بينهما:

أنّ تَصَرُّف العبد الرسول يختلف عن تصرّف الملوك:

وهذا في جانبَين؛ **الأول:** التصرُّف في مال الله، **والثانِي:** في عِباد الله.

الجانب الأول: تصرُّف العبد الرسول في مال الله يختلف عن تصرف الملك النبي:

فبالنسبة للنبي الملك وفيما يتعلق بتصرُّفه في أموال الله في مباحاته وحيث شاء أنْ يضَعَه، قال تعالى في سليمان : ﭽ   ﭼ [ص: ٣٩].

فلهذا النبِيّ أنْ يَمُنّ على مَن شاء بِما شاء، أو يمتنع من ذلك، ولا يُحاسبُه الله تعالى على ذلك.

وأما العبد الرسول فإنّ تصَرُّفه في المال يكون حسَب أمر سَيِّده؛ فإنْ أعطى فبأمره، وإنْ منَع فبأمره، قَالَ : " **مَا أُعْطِيكُمْ، وَلا أَمْنَعُكُمْ؛ إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ** " من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ [1]، وعن مُعَاوِيَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ. <u>وَاللَّهُ الْمُعْطِي، وَأَنَا الْقَاسِمُ</u>** ..."الحديث[2]. وفي رواية مسلم: " **وإِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ؛ فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَيُبَارَكَ له فيه**.. ". وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « وُلِدَ لِرَجُلٍ مِنَّا؛ مِنْ الأَنْصَارِ غُلامٌ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا،

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، بَاب قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ رقم: 3117.

2 (?) صحيح البخاري: الكتاب الباب، رقم: 3116، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسالة، رقم: 1037.

قَالَ: " **سَمُّوا بِاسْمِي، وَلا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي؛ فَإِنِّي إِنَّمَا جُعِلْتُ قَاسِمًا؛ أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ**. وَقَالَ حُصَيْنٌ: " **بُعِثْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ** "[1].

وقد قرَّر هذا المعنى شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى- حيث قال، وهو يتكلم عن **الغني الشاكر، والفقير الصابر، أيهما أفضل**: « وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: إنَّ اللَّهَ خَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولا، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولا؛ لأَنَّ الْعَبْدَ الرَّسُولَ يَتَصَرَّفُ بِأَمْرِ سَيِّدِهِ؛ لا لأَجْلِ حَظِّهِ، وَأَمَّا الْمَلِكُ فَيَتَصَرَّفُ لِحَظِّ نَفْسِهِ - وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا، كَمَا قِيلَ لِسُلَيْمَانَ: ﭽ   ﭼ [ص: ٣٩]. فَفِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ: أَنَّهُ اخْتَارَ الْعُبُودِيَّةَ وَالتَّوَاضُعَ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الأَعْلَى هُوَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ، كَمَا قَالَ: ﭽ ﮬ ﮪ ﮫ   ﯓ ﭼ [آل عمران: ١٣٩]. وَقَالَ: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ [المنافقون: ٨]. وَلَمْ يُرِدْ الْعُلُوَّ وَإِنْ كَانَ قَدْ حَصَلَ لَهُ. وَقَدْ أُعْطِيَ مَعَ هَذَا مِنْ الْعَطَاءِ مَا لَمْ يُعْطَهُ غَيْرُهُ، وَإِنَّمَا يُفَضَّلُ الْغِنَى لأَجْلِ الإِحْسَانِ إلَى الْخَلْقِ، وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَإِلا فَذَاتُ مِلْكِ الْمَالِ لا يَنْفَعُ بَلْ قَدْ يَضُرُّ، وَقَدْ صَبَرَ مَعَ هَذَا مِن اللأوَاءِ وَالشِّدَّةِ، عَلَى مَا لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَنَالَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الشَّاكِرِينَ، وَأَفْضَلَ مَقَامَاتِ الصَّابِرِينَ، وَكَانَ سَابِقًا فِي حَالَيْ الْفَقْرِ وَالْغِنَى، لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ لا يُصْلِحُهُ إلا أَحَدُهُمَا، كَبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَأُمَّتِهِ»[2].

فثبت أنّ حظّ العبد الرسول من الدنيا دون حظ الملك الرسول.

وقال –رحمه الله- في وضع الفرقان بين تصرُّف العبد الرسول، والنبي الملك في الأموال وغيره مما في المملكة: « وَهَذَا مِمَّا يُفَرَّقُ بِهِ بَيْنَ الْعَبْدِ الرَّسُولِ وَخُلَفَائِهِ، وَبَيْنَ النَّبِيِّ الْمَلِكِ، فَإِنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ عَبْدًا رَسُولا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولا؛ فَإِنَّ

---

[1] (?) صحيح البخاري: المصدر نفسه، رقم: 3114، وصحيح مسلم: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، رقم: 2133 .

[2] (?) مجموع الفتاوى، (ج11 / ص130 ـ 131).

الْعَبْدَ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي لا يَفْعَلُ إلا مَا أُمِرَ بِهِ، فَفِعْلُهُ كُلُّهُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ؛ فَهُوَ عَبْدٌ مَحْضٌ، مُنَفِّذٌ أَمْرَ مُرْسِلِهِ، كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ »فذكر حديث أبي هريرة السابق، وقال: « وَهُوَ لَمْ يُرِدْ بِقَوْلِهِ "**لا أُعْطِي أَحَدًا، وَلا أَمْنَعُ**" إفْرَادَ اللَّهِ بِذَلِكَ قَدَرًا وَكَوْنًا، فَإِنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقِينَ يُشَارِكُونَهُ فِي هَذَا، فَلا يُعْطِي أَحَدًا، وَلا يَمْنَعُ إلا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ إفْرَادَ اللَّهِ بِذَلِكَ شَرْعًا وَدِينًا؛ أَيْ: لا أُعْطِي إلا مَنْ أُمِرْتُ بِإِعْطَائِهِ، وَلا أَمْنَعُ إلا مَنْ أُمِرْتُ بِمَنْعِهِ؛ فَأَنَا مُطِيعٌ لِلَّهِ فِي إعْطَائِي وَمَنْعِي، فَهُوَ يُقَسِّمُ الصَّدَقَةَ وَالْفَيْءَ وَالْغَنَائِمَ كَمَا يُقَسِّمُ الْمَوَارِيثَ بَيْنَ أَهْلِهَا؛ لأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ. وَلِهَذَا كَانَ الْمَالُ حَيْثُ أُضِيفَ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَالْمُرَادُ بِهِ مَا يَجِبُ أَنْ يُصْرَفَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ مِلْكٌ لِلرَّسُولِ، كَمَا ظَنَّهُ طَائِفَةٌ مِنْ الْفُقَهَاءِ، وَلا الْمُرَادُ بِهِ كَوْنَهُ مَمْلُوكًا لِلَّهِ خَلْقًا وَقَدَرًا؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الأَمْوَالِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ »[1].

واسترسل بعدما ذكر آيات الغنيمة والنفل والفيء، فقال: « **فَظَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ الْفُقَهَاءِ** أَنَّ الإِضَافَةَ إلَى الرَّسُولِ تَقْتَضِي أَنَّهُ يَمْلِكُهُ كَمَا يَمْلِكُ النَّاسُ أَمْلاكَهُمْ. **ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ**: إنَّ غَنَائِمَ بَدْرٍ كَانَتْ مِلْكًا لِلرَّسُولِ. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: إنَّ الْفَيْءَ وَأَرْبَعَةَ أَخْمَاسِهِ كَانَ مِلْكًا لِلرَّسُولِ. **وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: إنَّ الرَّسُولَ إنَّمَا كَانَ يَسْتَحِقُّ مِنْ الْخُمُسِ خُمُسَهُ؛ **وَقَالَ بَعْضُ هَؤُلاءِ**: وَكَذَلِكَ كَانَ يَسْتَحِقُّ مِنْ خُمُسِ الْفَيْءِ خُمُسَهُ. وَهَذِهِ الأَقْوَالُ تُوجَدُ فِي كَلامِ طَوَائِفَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ **وَهَذَا غَلَطٌ مِنْ وُجُوهٍ:**

مِنْهَا: أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ هَذِهِ الأَمْوَالَ كَمَا يَمْلِكُ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ، وَلا كَمَا يَتَصَرَّفُ الْمُلُوكُ فِي مُلْكِهِمْ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ لَهُمْ أَنْ يَصْرِفُوا أَمْوَالَهُمْ فِي الْمُبَاحَاتِ؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَالِكًا لَهُ فَيَصْرِفهُ فِي أَغْرَاضِهِ الْخَاصَّةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِلْكًا لَهُ فَيَصْرِفَهُ فِي مَصْلَحَةِ مُلْكِهِ، وَهَذِهِ حَالُ النَّبِيِّ الْمَلِكِ كداود وَسُلَيْمَانَ، قَالَ تَعَالَى: ﭽ   ﭼ أَيْ: أَعْطِ مَنْ شِئْتَ، وَاحْرِمْ مَنْ شِئْتَ؛ لا حِسَابَ

[1] مجموع الفتاوى، (ج10/ ص278-279).

عَلَيْكَ. وَنَبِيُّنَا كَانَ عَبْدًا رَسُولا لا يُعْطِي إلا مَنْ أُمِرَ بِإِعْطَائِهِ، وَلا يَمْنَعُ إلا مَنْ أُمِرَ بِمَنْعِهِ؛ فَلَمْ يَكُنْ يَصْرِفُ الْأَمْوَالَ إلا فِي عِبَادَةٍ لِلَّهِ، وَطَاعَةٍ لَهُ. **وَمِنْهَا:** أَنَّ النَّبِيَّ لا يُورَثُ وَلَوْ كَانَ مَلِكًا؛ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لا يُورَثُونَ، فَإِذَا كَانَ مُلُوكُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَكُونُوا مُلاَّكًا، كَمَا يَمْلِكُ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ صَفْوَةُ الرُّسُلِ الَّذِي هُوَ عَبْدٌ رَسُولٌ مَالِكًا؟
وَمِنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ قَدْرَ الْحَاجَةِ، وَيَصْرِفُ سَائِرَ الْمَالِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، لا يَسْتَفْضِلُهُ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ حَالُ الْمُلاَّكِ، بَلْ الْمَالُ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِيهِ كُلُّهُ هُوَ مَالُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَصْرِفَ ذَلِكَ الْمَالَ فِي طَاعَتِهِ، فَتَجِبُ طَاعَتُهُ فِي قِسْمِهِ، كَمَا تَجِبُ طَاعَتُهُ فِي سَائِرِ مَا يَأْمُرُ بِهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ مُبَلِّغٌ عَنْ اللَّهِ.
وَالْأَمْوَالُ الَّتِي كَانَ يُقَسِّمُهَا النَّبِيُّ عَلَى وَجْهَيْنِ: مِنْهَا: مَا تَعَيَّنَ مُسْتَحِقُّهُ وَمَصْرِفُهُ كَالْمَوَارِيثِ. وَمِنْهَا: مَا يَحْتَاجُ إلَى اجْتِهَادِهِ وَنَظَرِهِ وَرَأْيِهِ؛ فَإِنَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: مِنْهُ مَا هُوَ مَحْدُودٌ بِالشَّرْعِ، كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَطَوَافِ الْأُسْبُوعِ بِالْبَيْتِ.
وَمِنْهُ مَا يَرْجِعُ فِي قَدْرِهِ إلَى اجْتِهَادِ الْمَأْمُورِ؛ فَيَزِيدُهُ وَيَنْقُصُهُ بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ. فَمِنْ هَذَا مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَمِنْهُ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ ... »[1].

الجانب الثاني: صفات العبد الرسول في تصرُّفه في (عباد الله) تختلف عن صفات النبي الْمَلِك:

فبالنسبة للنبي الملك وفيما يتعلق بتصرُّفه في عباد الله من الجنّ والإنس حتى في مباحاته وأموره الشخصية،... -مثلما يعمل الملوك- فقد قال سبحانه مخبرًا عن دعاء سليمان وإجابة الله لِهذا الملك بأنه سبحانه سخّر له الجنّ يأمرُهم وينهاهم بما شاء وحتى في مباحاته وأمور الملك، فقال: ﭽﮬﮭ ﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚ ﯛﯜ ﯝﯞﯟﯠﯡﯢ ﭼ [ص: ٣٥ – ٣٨]. كما أخبر عنه وعن أبيه

[1] (?) مجموع الفتاوى، (ج10/ 280-282).

عليهما السلام بأنّ الله سخَّر لهما حتى الجبال والطيور والريح وغير ذلك ليَعملا لهما ما يشاءان مما له علاقة بقصور الملوك ومحاريبهم، وأوانِي تناول أطعمتهم، وإخراج الخيرات البحرية، وغير ذلك، فقال تعالى: ﭽﮌﮍﮎﮏ ﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮ ﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﭼ [سبأ: ١٠ – ١٣]. ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭼ [الأنبياء: ٨١ – ٨٢]. وتأمل لفظة (له) في هذه الآيات السابقات.

وأما العبد الرسول -وكما سبق بأنه لا يتصرف في مال الله إلا حيث أمر-، فكذلك لا يتصرّف في عباد الله بالأمر والنهي مِن جنٍّ وإنسٍ إلا كما أَحَبَّه مولاه، وكما أمَره سبحانه، ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ أَنَّهُ صَلَّى صَلاةً، فقَالَ: " إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلاةَ عَلَيَّ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَذَعَتُّهُ[1]، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ إِلَى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ : ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [ص: ٣٥]، فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِيًا[2]. وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثُمَّ قَالَ: " **أَلْعَنُكَ بِلَعْنَة اللَّهِ** " ثَلاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ الصَّلَاةِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: " **إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ، لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللَّهِ! لَوْلا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا؛**

---

[1] **ذَعَتُّهُ** –بالذال-هو بمعنى خنقتُه، أو بالدال، فهو بمعنى: دفعته الدفع الشديد (انظر: المنهاج، 412، والفتح، ج1/ 1234).

[2] صحيح البخاري: كتاب العمل في الصلاة، بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ الْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ، رقم: 1210، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة ومواضع السجود، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه.. رقم: 541.

يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ " [1]. ومثل هذه الأحاديث ما جاء عن جَابِرِ بن عبد الله، وجَابِرِ بن سَمُرَةَ وعائشة أجمعين.

وقد قرَّر هذا المعنى في عبارات ماتعة شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- حيث قال في بيانه أنّ سلطان العبد الرسول في عباد الله (الجن والإنس وغير ذلك) يختلف عن سلطان النبي الملك، حيث إنّ الثانِي يأمرهم ويستعملهم حتى في مباحاته وأموره الشخصية، والأول إنما يأمرهم حسَب ما يُريده سيِّدُه، وهذا أفضل: « وَمُحَمَّدٌ أُرْسِلَ إلَى جَمِيعِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَهَذَا أَعْظَمُ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كَوْنِ الْجِنِّ سُخِّرُوا لِسُلَيْمَانَ ؛ فَإِنَّهُمْ سُخِّرُوا لَهُ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ، وَمُحَمَّدٌ أُرْسِلَ إلَيْهِمْ؛ يَأْمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ؛ لأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمَنْزِلَةُ الْعَبْدِ الرَّسُولِ فَوْقَ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ الْمَلِكِ ... وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ الْجِنَّ مَعَ الإِنْسِ عَلَى أَحْوَالٍ: فَمَنْ كَانَ مِنْ الإِنْسِ يَأْمُرُ الْجِنَّ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَطَاعَةِ نَبِيِّهِ، وَيَأْمُرُ الإِنْسَ بِذَلِكَ، فَهَذَا مِنْ أَفْضَلِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ فِي ذَلِكَ مِنْ خُلَفَاءِ الرَّسُولِ وَنُوَّابِهِ. وَمَنْ كَانَ يَسْتَعْمِلُ الْجِنَّ فِي أُمُورٍ مُبَاحَةٍ لَهُ، فَهُوَ كَمَنْ اسْتَعْمَلَ الإِنْسَ فِي أُمُورٍ مُبَاحَةٍ لَهُ، وَهَذَا كَأَنْ يَأْمُرَهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا حرّمَ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَعْمِلُهُمْ فِي مُبَاحَاتٍ لَهُ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَهَذَا إذَا قُدِّرَ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ فِي عُمُومِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ؛ مِثْلِ النَّبِيِّ الْمَلِكِ مَعَ الْعَبْدِ الرَّسُولِ، كَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ، مَعَ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ »[2]. ثم ذكَر الحالة الأخيرة.

الوجه الثاني من أجه المقان بين العبد الرسول والنبي الملِك: أنّ العبد الرسول يَجوع حِينًا، ويشبَع آخر، بل كان نبينا في بعض الأوقات يربط الحجر على بطنه، بخلاف النبيّ الملِك فإنه على شبَع،

---

[1] (?) صحيح مسلم: الكتاب الباب، رقم: 542 .

[2] (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص266-267 .

وأرى أنْ أضربَ مثلا هنا كذلك بعبد الله ورسوله نبينا محمدٍ مقارنًا به مع أخيه سليمان؛ النبي الملِك . فحين كانت الشياطين يعملون لسليمان جفانًا لوضع الطعام، كالجواب، أي: كالبِرَك الكِبار، مع قدور راسيات، لا تزول عن أماكنها مِن عِظَمِها، لاحتياج الملوك إلى أمثالها[1].

فإنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا كان يجوع يومًا ويشبع يومًا -كما تقدم تفصيل ذلك وذكر النماذج له في مطلب (جوع النبي وعطشه) من المبحث الرابع[2]، مما لا نحتاج معه إلى إعادة ذكرٍ هنا. بل وأكبر دليل هنا هو أحد الأحاديث التي خُيِّر بين أنْ يكون نبيًّا ملِكًا، أو عبدًا رسولا، فاختار الثانِي، وعلّل لذلك بالجوع حينًا، والشبع آخر؛ حتى يتسنَّى له عبادة الله على كلا الحالتين؛ حال الجوع بالتضرع إليه سبحانه ودعائه ليكشف ما به، وحال الشبع بالشكر للمنعم سبحانه! -وسيأتِي هذا الحديث قريبًا-.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنهما، قَالَ: « شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ الْجُوعَ، وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ حَجَرَيْنِ »[3].

الوجه الثالث: صفة أكل العبد الرسول تختلف عن صفة أكل الملوك:

الملوك يأكلون الطعام على موائد ومرتفعات، والعبد الرسول ، يقول: "**آكل كما يأكل العبد**"، فعَن عائشة، رضي الله عنها -كما في إحدى روايات حديث الباب الآتِي- أنّ النبي ، قال لها: "**يا عائشة! لو شئتُ لسارت معي جبال الذهب؛ أتانِي ملَكٌ، وإنَّ حُجْزَتَه لتُساوي الكعبة، فقال: إنّ ربك يُقْرِئ عليك السلام، ويقول لك: إنَّ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا،**

---

1 (?) انظر: المحرر الوجيز، 1531، وتفسير القرآن العظيم، (ج3/ 692)، وتيسير الكريم الرحمن، 677 .

2 (?) وذلك في الفصل الأول، من الباب الأول، من الكتاب.

3 (?) جامع الترمذي: كتاب الزهد، بَاب مَا جَاءَ فِي مَعِيشَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، رقم: 2372، قال الترمذي: « حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ »، وللحديث شواهد عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما، وبِهما حسنه الشيخ الألبانِي، (السلسلة الصحيحة، ج4/ ص151-152)، ورقمه: 1615.

وإنْ شِئْتَ نَبِيًّا عبدًا، فأشار إلَيَّ جبريل: ضَعْ نفسَك! فقُلْتُ: نبِيًّا عبْدًا"، قالت: وكان النبي ، بعد ذلك لا يأكل متكئًا، ويقول: " **آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد** "[1].

وعن عبد الرزاق، عن شيخه معمر، عن أيوب منقطعًا أنَّ النبي كان إذا أكل احتفز، وقال: " **آكُل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنَّما أنا عبد** "[2]. بل لم يكن الرسول يأكلُ على خوان، فعَنْ قَتَادَةَ رحمه الله-، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: « مَا أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى خُِوَانٍ، وَلا فِي سُكُرُّجَةٍ[3]، وَلا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ ». قَالَ: قيل لِقَتَادَةَ: فَعَلامَ كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: عَلَى هَذِهِ السُّفَرِ[4].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَالَ ابْن بَطَّال: تَرْكه عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام الأَكْلَ عَلَى الْخِوَان وَأَكْلَ الْمُرَقَّق، إِنَّمَا هُوَ لِدَفْعِ طَيِّبَات الدُّنْيَا اِخْتِيَارًا لِطَيِّبَاتِ الْحَيَاة الدَّائِمَة، وَالْمَال إِنَّمَا يُرْغَب فِيهِ لِيُسْتَعَانَ بِهِ عَلَى الآخِرَة فَلَمْ يَحْتَج النَّبِيّ إِلَى الْمَال مِنْ هَذَا الْوَجْه. وَحَاصِله أَنَّ الْخَبَر لا يَدُلّ عَلَى تَفْضِيل الْفَقْر عَلَى الْغِنَى، بَلْ يَدُلّ عَلَى فَضْل الْقَنَاعَة وَالْكَفَاف وَعَدَم التَّبَسُّط فِي مَلاذّ الدُّنْيَا، وَيُؤَيِّدهُ حَدِيث اِبْن عُمَر " **لا يُصِيب عَبْدٌ مِنْ الدُّنْيَا شَيْئًا إِلا نَقَصَ مِنْ دَرَجَاته، وَإِنْ كَانَ عِنْد اللَّه**

---

1 (?) مسند أبِي يعلى الموصلي: رقم: 4795.

2 (?) مصنف عبد الرزاق.

3 (?) **وَلا سُكُرُّجَةٍ**: -بِضَمِّ السِّينِ وَالْكَافِ وَالرَّاءِ، وَالتَّشْدِيدِ-: إِنَاءٌ صَغِيرٌ يُؤْكَلُ فِيهِ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ مِنْ الأُدْمِ، وَهِيَ فَارِسِيَّةٌ، ... قَالَ الْعِرَاقِيُّ فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ: تَرْكُهُ الأَكْلَ فِي السُّكُرُّجَةِ إِمَّا لِكَوْنِهَا لَمْ تَكُنْ تُصْنَعُ عِنْدَهُمْ إِذْ ذَاكَ أَوْ اِسْتِصْغَارًا لَهَا، لأَنَّ عَادَتَهُمْ لِلاجْتِمَاعِ عَلَى الأَكْلِ، أَوْ لأَنَّهَا كَانَتْ تُعَدُّ لِوَضْعِ الأَشْيَاءِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الْهَضْمِ، وَلَمْ يَكُونُوا غَالِبًا يَشْبَعُونَ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَاجَةٌ بِالْهَضْمِ. اِنْتَهَى » **(**انظر: تحفة الأحوذي، ج2/ ص1551)، وانظر شرح الحديث أيضًا في الزهد (بَاب مَا جَاءَ فِي مَعِيشَةِ النَّبِيِّ وَأَهْلِهِ، ج2/ 1870). وعن خلاف العلماء في معنى (الْخِوَانِ، والسُكُرُّجَةٍ)، يُنظَر: فتح الباري لابن حجر، (ج3/ ص3862).

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، بَاب الْخُبْزِ الْمُرَقَّقِ، وَالأَكْلِ عَلَى الْخِوَانِ، وَالسُّفْرَةِ، رقم: 5386، وبَاب مَا كَانَ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ يَأْكُلُونَ، رقم: 5415، وكتاب الرقاق، باب فضل الفقر، رقم: 6450.

كَرِيمًا " أَخْرَجَهُ ابْن أَبِي الدُّنْيَا قَالَ الْمُنْذِرِيُّ وَسَنَده جَيِّد وَاَللَّه أَعْلَم »[1].

وقال المباركفوري –رحمه الله-: « قَوْلُهُ: (عَلَى خِوَانٍ) بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، وَيُضَمُّ، أَيْ: مَائِدَةٍ. قَالَ التُّورْبَشْتِيُّ: الْخِوَانُ الَّذِي يُؤْكَلُ عَلَيْهِ مُعَرَّبٌ، وَالأَكْلُ عَلَيْهِ لَمْ يَزَلْ مِنْ دَأْبِ الْمُتْرَفِينَ، وَصَنِيعِ الْجَبَّارِينَ، لِئَلا يَفْتَقِرُوا إِلَى التَّطَأْطُؤِ عِنْدَ الأَكْلِ ... »[2].

الوجه الرابع: مساكن ومعابد العبد الرسول تختلف عن مساكن الملوك:

وحين كانت الشياطين يعملون لسليمان البنية العالية الفخمة من المساجد والقصور (محاريب)، لاحتياج الأنبياء الملوك إلى المساكن والمعابد الحسنة الشريفة، بل حتى إنّ الشياطين لَمّا مات وخرّ كانوا على عملٍ شاقٍ من هذه الأبنية. فإنّ العبد الرسول نبينا محمدًا **إذاً قام في مسجده مس عريش المسجد رأسه، ومثل ذلك بيوته،** بل قد اشتهر في السيرة أنّ الرسول كان يقول -لَمّا أراد الصحابة أنْ يرفعوا سقف المسجد-: **بل عريش كعريش موسى،** كما كان البناء من طوبٍ ولبن وخشبات، وثمام[3]، قال ابن سعد –رحمه الله- في وصف ذلك: « وجعل طول الجدار بسطةً، وعُمَدُه الجذوع، وسَقفُه جريدًا، فقيل له: ألا تسقفه؟ فقال: عريش كعريش موسى خشيبات وثمام، الشأن أعجل من ذلك، وبنى بيوتًا إلى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بابُه شارعٌ إلى المسجد، وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان »[4].

الوجه الخامس من أوجه المقارنة: صفة مجلس العبد الرسول يختلف عن النبي الملك:

---

1 (?) فتح الباري، (ج4/ ص4563).

2 (?) تحفة الأحوذي، (ج2/ ص1551).

3 (?) **ثمام** كغراب، نبْتٌ، وبيتٌ مثمومٌ: مغطًّى به، (انظر: القاموس المحيط، مادة ثمه، ص1002).

4 (?) الطبقات الكبرى لابن سعد (ج/ص).

الملوك يجلسون على المياثر والبُسُط الوطيئة، ويتكؤون وينامون عليها، وهذا فيما يتعلق بفُرُشهم التي ينامون عليها، ومجالسهم عند راحتهم وأكلهم، والعبد الرسول محمد ، يقول: " أجلس كما يجلس العبد، وقد كان ينام على حصير يؤثر على جنبه، وربَّما غَيَّرَت عائشة رضي الله عنها قطيفته المتواضعة التي ينام عليها بأخرى فيأمُر بردّها، وإعادة الأولى كما كانت، أو زادتْ حفصة رضي الله عنها من ثنيات الفراش على العادة، فيأمر بردها إلى حالتها الأولى، فعَن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخَلَتْ عليَّ امرأةٌ من الأنصار فرأَتْ فِرَاشَ رسول الله ، عباءة مثنية، فانطلقت، فبَعَثَتْ إلَيَّ بفراشٍ؛ حشوُهُ الصوف، فدخل عليَّ رسول الله ، فقال: "**ما هذا يا عائشة؟** قلت: يا رسول الله! فلانةٌ الأنصارية دخَلَتْ عليَّ، فرأَتْ فِراشك، فذهبت فبَعَثَتْ إلَيَّ بِهذا، فقال: "**رُدِّيه**". قالت: فلم أرُدَّه؟ وأعجبنِي أنْ يكون في بيتِي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: "**رُدِّيه يا عائشة، فو الله! لو شِئْتُ لأجرى الله تعالى معي جبال الذهب والفضة**"[1].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: سُئِلَت عائشةُ رضي الله عنها: « ما كان فِرَاشُ رسول الله في بيتك؟ قالت: مِن أَدَم؛ حَشْوُهُ مِن لِيف[2].

وسُئلت حفصة، ما كان فِرَاشُ رسول الله في بيتك؟ قالت: مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ له فثنيناه له بأربع ثنيات، فلما أصبح، قال: " ما فرشتم لي الليلة؟ قالت: قلنا: هو فراشك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا: هو

---

1 ([?]) دلائل النبوة للبيهقي: ورقمه: 315، وصححه الشيخ الألباني بشواهده، أما وصف الملك وحجزته فلم يجد الشيخ الألباني له شاهدًا يقويه به، (انظر: السلسلة الصحيحة، ج5/ 634-635)، رقم: 2484، وانظر: الدلائل: ج1/ ص275).

2 ([?]) وهذا الجزء من الحديث متفق عليه؛ في صحيح البخاري: بَاب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ مِنْ الدُّنْيَا، رقم: 6456، وصحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب التوضع في اللباس...، رقم: 2082.

أوطأ لك، قال:**"ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتنِي وطاءته صلاتِي الليلة"**[1].

وفي حديث أَبِي مُوسَى في بعث أبي عامر بعد حنين على جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، وفيه قال أبو موسى بعد موت أبِي عامر: «.. **فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ فِي بَيْتِهِ، عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ، وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ**..»الحديث[2].

وفي قصة تخيير النبي أزواجَه رضي الله عنهن واعتزالهنّ شهرًا، قال ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: « أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ: **دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِذَا هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ، فَرَأَيْتُ أَثَرَهُ فِي جَنْبِهِ** ». وفي لفظ البخاري: « دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ، حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ -وَأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: " **لا** "[3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ، قَالَ: « نَامَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً؟ فَقَالَ: "**مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا** "[4].

وعن عائشة رضي الله عنها، أنّ النبي ، قال لها: يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب. أتاني ملك،

---

1 (؟) شمائل النبي للترمذي: باب ما جاء في فراش رسول الله ، رقم: 317.

2 (؟) صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ أَوْطَاسٍ، رقم: 4323، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين، رقم: 2498.

3 (؟) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، رقم: 5191، وصحيح مسلم: كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النسا تخييرهن، ... رقم: 1479.

4 (؟) جامع الترمذي: كتاب الزهد، بابٌ (بدون ترجمة، وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي أَخْذِ الْمَالِ)، رقم: 2377، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم: 4109، وقال الترمذي: « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، وقال أيضًا: « وَفِي الْبَاب عَن ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ ».

وإن حجزته لتساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرئ عليك السلام، ويقول لك: إن شئت نبيًّا ملكًا، وإنْ شئتَ نبيًّا عبدًا، فأشار إليّ جبريل: ضع نفسك، فقلت: نبيًّا عبدًا. قالت: وكان النبي بعد ذلك لا يأكل متكئًا، ويقول: " **آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد** "[1].

وعن الزهري قال جاء النبي ملك لم يأته قبلها ولا بعدها فقال إن ربك يخيرك بين أن تكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا قال فنظر النبي إلى جبريل كالمستشير له، فأشار إليه: أن تواضع، فقال النبي : " بل نبيا عبدا "، فَمَا رُؤِيَ النَّبِيُّ بعد ذلك متكئا.

الوجه السادس من أوجه المقارنة: الملوك يُهابَون لأجل مُلكهم، والعبد الرسول ليس كذلك، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: " **هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**[2] "[3].

ومَن أراد أنْ يتوسع في هذه النماذج وغيرها فليتأمل ما أورده العلماء تحت أبواب: تواضع رسول الله ، وزهده ، وصفة عيش رسول الله ، وغيرها.

الوجه السابع: مسألة توريث مُلك الملوك:

الملوك كثيرًا ما يُوَرِّثون أهاليهم مُلْكهم، والله تعالى نَزّه مقام النبوة مِما قد يكون شبهة للمبطلين، فيقولون –مثلا-: النبي طلَب جمع الدنيا لأهلـه، فأخرجها الله تعالى أول الأمر عن أهله، ثم ولِيَها بعدُ عليٌّ والعباسيون، وقد بيّن هذا العلامة ابن القيم –رحمه الله-، فقال: « فائدة: السِّر –والله أعلم- في خروج الخلافة عن أهل بيت النبي إلى أبي بكر وعمر وعثمان، أنّ عليًّا لو تولّى الخلافة بعد موته لأوشك أنْ يقول المبطلون: إنّه مِلكٌ ورِثَ مُلْكَه أهلُ

---

1 الحديث بشواهده صحيح، إلا لفظة حجزة هذا الملك، وسيأتي تخريجه قريبًا.

2 القديد: اللحم المشرَّر، المملوح المجفَّف في الشمس، (انظر: شروح سنن ابن ماجة، ج2/ 1233).

3 سنن ابن ماجه: كتاب الأطعمة، بَاب القديد، ورقمه: 3312، وهو حديث صحيحٌ، (السلسلة الصحيحة، ج4/ 496) ورقمه: 1876.

بيته، فصان الله منصب رسالته ونبوته عن هذه الشبهة، وتأمل قولَ هِرَقل لأبِي سفيان: هَلْ كَانَ فِيْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قال: لا. فقال له: لَوْ كَانَ فِيْ آبائِهِ مَلِكٌ، لقُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبائهِ[1]، فصان الله منصبه العليّ من شبهة المُلك في آبائه، وأهل بيته. وهذا -والله أعلم- هو السِّرّ في كونه لم يورَث هو والأنبياءُ، قطعًا لِهذه الشبهة، لئلا يظنّ المبطلُ أنّ الأنبياء طلبوا جمع الدنيا لأولادهم وورثتهم، كما يفعله الإنسان من زهده في نفسه، وتوريثه مالَه لولده وذرّيته، فصانَهم الله من ذلك، ومنعهم مِن توريث ورثتهم شيئًا من المال، لئلا تتطرق التهمة إلى حجج الله ورسُله، فلا يَبقى في نبوتهم ورسالتهم شبهةٌ أصلا. **ولا يُقال:** فقد ولِيَها عليٌّ وأهلُ بيته؛ لأنّ الأمر لَمّا استقرّ أنّها ليست بملك موروث، وإنما هي خلافة نبوة تُستَحق بالسَّبق والتقدم، كان عليٌّ في وقته هو سابقَ الأمة وأفضلَها، ولم يكُنْ فيهم حين ولِيَها أولى بها منه، ولا خيرًا منه فلم يحصل لمبطلٍ بذلك شبهة. والحمد لله تعالى »[2].

وهذه الأوجه السبعة هي أبرَزُ الأوجُه التي تَفْرِق بين العبد الرسول، والنبِيّ الملك، أو العبد والملِك، وكلّها ترجع إلى ما سبقت الإشارة إليه من التوسع في الملذات والمباحات، دون أنْ تخْرُج -أبدًا- إلى المكروهات والمحرمات.

فتبين بِهذا أنّ حظ العبد الرسول من الدنيا دون حظ النبي أو الرسول الملِك، لكنّ حالة الأول (العبد الرسول) في الآخرة أعلى وأفضل، وهذا ما يأتي تفصيله في المطلب القادم.

المطلب الثانِي: اختيار النبي العبودية على الملك، وعلاقة ذلك بتكميله العبودية:

المُلك -كما تقدم- سلطانٌ في المباحات، وتوسعةٌ في الرزق، والعبودية بعكسه فيهما. ونبيُّنا محمدٌ لم يختر الأول، بل الثانِي، ويدلّ على ذلك أحاديث كثيرة،

[1] الحديث في الصحيحين، وسيأتي تخريجه.

[2] بدائع الفوائد، (ج3/ ص1168-1169).

ينبنِي عليها المطلب؛ **لكنّ** حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وشواهَده، تُعْتبر **أصله (المطلب)،** فعنه مرفوعًا، قَالَ: « جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: " **بَلْ عَبْدًا رَسُولاً** "»[1].

ثانيًا: ومن شواهده: وهو ما عقَد البيهقي –رحمه الله- في دلائِله بابًا، عَنْوَن له بـ(زهده في الدنيا وصبره على القوت الشدائد فيها، واختياره الدار الآخرة وما أعدّ الله تعالى له فيها، على الدنيا؛ وبذلك أمرَه ربُّه، قال الله : ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ [طه: ١٣١]. وقد روي أنّه خيِّر بين عبدًا نبيًّا، وبين أنْ يكون مِلِكًا نبيًّا، فاستشار فيه جبريل فأشار عليه بأنْ يتواضع، فاختار أنْ يكون عبدًا نبيًّا »، ثم أورد بسنده من طريق فيها متكلّم فيه، إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: « كان ابن عباس يحدث أن الله ، أرسل إلى نبيه ملكًا من الملائكة، معه جبريل ، فقال الملك لرسول الله : إنَّ الله يُخيِّرك بين أنْ تكون عبدًا نبيًّا، وبين أنْ تكون مَلِكًا نبيًّا، فالتفت نبي الله إلى جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسول الله : أن تواضع، فقال رسول الله : " **بل أكون عبدًا نبِيًّا** ". قال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعامًا مُتَّكِئًا حتى لقي ربه »[2].

ومثل هذا الباب الفصل الذي عقدَه في شُعَبِه[3]، وعنْوَنَ له بـ(زهد النبي ، وصبره على شدائد الدنيا؛ وذلك

---

1 (?) مسند الإمام أحمد، ورقمه: 6863، قال شعيب الأرناؤوط ومساعدوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقال بِمثله سَليم أسد في تحقيقه لمسند أبِي يعلى.

2 (?) دلائل النبوة: وفي إسناده بقية بن الوليد المدلس، وبه ضعّف إسنادَه محققُ الدلائل، (ج1/ ص266)، لكنه ذكر له طريقًا آخرى في الزهد لابن المبارك، وذكر أنّ فيه عبد بن الحميد الحضرمي، (أبو تقي) وهو ضعيف. ولعل الحديث يكون من شواهد سابقه، فيصح بذلك، والله أعلم.

3 (?) شُعب الإيمان للبيهقي: (ج2/166).

لأنّ الله تعالى كان قد اختار له ذلك، ووصّاه به، فقال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ .

ثالثًا: عن أنس ، أن رسول الله كان في ملأ من أصحابه فجاءه جبريلُ، فنكت في ظهره، فذهب به إلى الشجرة، فيها مثل وكْرَي الطير، فقعد في أحدهما، وقعد جبريل في الآخر، فتسامتْ بنا حتى بلغَتْ الْأفُق، فلو بسطتُ يَدِي إلى السماءِ لَنِلْتُها، فدلى بسَبَبٍ، وهبط النور، فوقع جبريل مَغْشِيًّا عليه كأنه حلس، فعرفتُ فضل خشيته على خشيتِي، فأُوحي إلَيّ: نِبيّا مِلِكًا، أو نِبيًّا عبْدًا؟ أو إلى الجنة ما أنت؟ فأَوْمَأَ إلَيَّ جبريل - وهو مضطجع: أنْ تواضعْ، قال: قلت: **لا، بل نبِيًّا عَبْدًا** "[1].

وصنيع البيهقي –رحمه الله- في دلائله يدلّ على أنّه فهم من العروج الذي في الحديث أنّه حصل هذا التخيير وقت الإسراء والمعراج، حيث أورد الحديث في الدلائل في (باب الدليل على أنّ النبي عُرِج به إلى السماء، فرأى جبريل في صورته، عند سدرة المنتهى، وقبل ذلك كان قد رأى جبريل في صورته، وهو بالأفق الأعلى) بعد الباب الذي عقَدَه في الإسراء برسول الله ، وأنه جاء في هذا الحديث أنّ النبِيَّ رأى ربّه ، لذا وقع جبريل مَغْشِيًّا عليه كأنَّه حِلْسٌ بالٍ، وحينها أوحى الله إليه: نَبِيًّا مَلِكًا أو نَبِيًّا عبْدًا؟ أو إلى الجنة ما أنت؟ .. الحديث. من طريق أبِي عمران الجونِي، عن أنسٍ.

وفي شُعَب الإيمان من حديث مقسم عن ابن عباس [2].

إلا أنّ حديث أنس هذا متكلَّمٌ فيه[3]، والصحيح أنّه لم يَرَ ربَّه بعينه في الدنيا –كما سيأتي في مطلب الإسراء والمعراج [4] -، ولقد ألمح الحافظ ابن كثير –رحمه الله- إلى عدم صحة رؤية النبي -بعينه- ربَّه، كما أنّ الحديث لا

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي: (ج2/ 271)، والشاهد من الحديث صحيحٌ بحديث أبي هريرة السابق. لذا صححه الشيخ الألبانِي في الصحيحة، -كما سبق-، وإنْ كان السند ضعيفًا، لذا أورد في السلسلة الضعيفة، برقم: 5444 .

[2] شعب الإيمان، فصل في معرفة الملائكة، ورقمه: 149، و151 .

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج3/ ص9).

[4] وذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول في الباب الثاني.

يدل على أنّ التخيير وقع في الإسراء والمعراج، بل في وقت آخر، حيث قال: « هذا –إنْ صحّ- يقتضي أنّها واقعة غير ليلة الإسراء؛ فإنه لم يذْكر فيها بيت المقدس، ولا الصعود إلى السماء، فهي كائنة غير ما نحن فيه، والله أعلم »[1].

وحديث التخيير بين المنزلتين هذا –كما سبق- أصلٌ في هذا الباب.

واختيارُ النبيّ العبودية والرسالة على مقام النبوة والملك، لَمِن أعظم الأدلة على تواضعِه وقُرْبِه من الناس (الفقراء).

ومن الأحاديث الدالة على اختياره المسكنة على الغِنَى: حديث أبِي أمامة الباهلي عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: " **عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، قُلْتُ: لا يَا رَبِّ! وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا، وَأَجُوعُ يَوْمًا، وَقَالَ: ثَلاثًا أَوْ نَحْوَ هَذَا، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ** "[2].

ويظهر مِن الأحاديث السابقة أنّه خُيِّر بين المنـزلتين وهو في مكة.

ومنها وهو الحديث الخامس: ما جاء فيها أنّه قد خُيِّر بين رَغَد العيش والبقاء في الدنيا ما شاء الله ثم الجنة، وبين لقاء ربِّه في آخر حياته -وهو بالمدينة- بعدما استـتبت له الأمور، فخـيَّره الله بين أنْ يُعطيه مِن زهرة الدنيا ما شاء، وخـيّره بين أن يكون ملكًا نبيًّا أو عبدًا رسولا، فاختار مخالفة الحظوظ النفسية من الشهوات والملذات، بل اختار أنْ يجوع .... حتى إذا جاع تعبد إلى الله بالشكر، وبالإلحاح في الدعاء، فيكون له الأجر الوفير،

---

1 (؟) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج3/ ص9). لكن المقطوع به عدم صحة الأحاديث التي فيها أنّ الرسول رأى ربّه بعين رأسه حين عُرج به، للمخالفة وغير ذلك، إلا ما جاء فيه أنّه رأى نورًا، وهذا من أحد الأوجه القوية للجمع بين أحاديث التي أثبتت رؤية النبي ربه، وبين التي نفت (أحاديث عائشة وغيرها وابن عباس).

2 (؟) جامع الترمذي: كتاب الزهد، بَاب مَا جَاءَ فِي الْكَفَافِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، رقم: 2347، وقَالَ الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وإذا شبِع تذكر نِعَم الله عليه فحمِده عليها فيجتمع له ما أعده الله للغني الشاكر مع ما أعد للفقير الصابر.

خُيِّر بذلك مثلما خُيِّر إخوته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله، فأحبّ لقاء ربِّه فأحبّ الله لقاءه، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: " **إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ** "، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا! فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا! فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ. .. "الحديث[1].

سادسًا: وقريبًا من وفاته أيضًا خيِّر، فعَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ [2]، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: " **يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ! إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ؛ فَانْطَلِقْ مَعِي** "، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، ...وفيه: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: " **يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ! إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ** " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: " **لاَ وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ! لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي، وَالْجَنَّةَ** "، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَبُدِئَ رَسُولُ اللهِ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قبَضَهُ اللَّهُ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ[3].

تنبيهات:

---

1 (?) الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه قريبًا، أعني: في مطلب موت النبي وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، من المبحث الحادي عشر في الفصل الأول من هذا الباب.

2 (?) سبقت ترجمته ، (وانظرها: في الإصابة لابن حجر، ج12/ 636-638).

3 (?) الحديث في المسند، وقد سبق تخريجه وبيان حكمه في مطلب موت النبي وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

الأول: ما تقرر في هذا المطلب، المراد به: تَخييرٌ إلهي لعبده ورسوله ، ثم اختيار هذا العبد منزلة العبودية على الملك، لا تَخييرٌ بشريّ، لذا فإنّه لا يدخل هنا محاولةُ كفار قريش معه وطلبهم إغراءَه بالْمُلك والْجاه والسلطان والرّياسة عليهم، وكذلك المال والثروة، والنساء، .. -في جملةٍ من وسائل سلكوها؛ أرادوا بها إقناءه وإغراءه- مقابل تَرك دعوة الناس إلى عبادة الله، والرجوع إلى آلهتهم الضالة حيث قالوا له قولتهم المشهورة: **إنْ كنتَ إنما تريد بما جئت به مِن هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنتَ تريد به شرَفًا سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإنْ كنْتَ تريد مُلكًا ملَّكناك علينا، وإنْ كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنّه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه**[1].

***

التنبيه الثاني: فكما اختار النبِي التقشف، فقد اقتدى به زوجاتُه أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ أجمعين، فاخترْنَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، لا الحياة الدنيا وزينتها، فكُنَّ كلهن –كما تقدم- نِساءَه في الجنة، قال القرطبي –رحمه الله- في تفسير: ﭽﮬﮭ ﮯﮰﮱ ﯓﯔﯕﯖ ﯗﯘﯙﯚﯛ ﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﭼ [الأحزاب:28- ٢٩]. بعدما ذكر جملة من أسباب تخييره لهنّ: « وجملة ذلك أنّ الله سبحانه خيَّر النبِيّ بين أنْ يكون نبيًّا مَلِكًا، وعرَض عليه مفاتيح خزائن الدنيا، وبين أن يكون نبِيًّا مِسكينًا، فشاوَرَ جبريلَ، فأشار عليه بالمسكنة، فاختارها، فلما اختارها وهي أعلى المنـزلتين، أمرَه الله أنْ يُخيِّر زوجاته، فرُبَّما كان فيهنَّ مَنْ يَكْرَهُ المقام معه على الشدة تنزيها له. .. »[2].

---

[1] ابن إسحاق بإسناد منقطع، وقال الشيخ الألبانِي: حسن مرسل، (انظر: السيرة النبوية الصحيحة في ضوء المصادر الأصيلة، للأستاذ الدكتور مهدي رزق الله، ج1/ 200).

[2] الجامع لأحكام القرآن: (ج17/ 117).

التنبيه الثالث: فنبينا محمد مع أنّه لم يَخـتر الملك إلا أن الله أعطاه في أمته ما أعطى الأنبياء الملوك، تصديقًا لقوله : "**مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**.."الحديث[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، في حديث الخصائص، مرفوعًا، قَالَ: " **وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ الْبَارِحَةَ إِذْ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ حَتَّى وُضِعَتْ فِي يَدِي** "، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَنْتَقِلُونَهَا[2] »، متفقٌ عليه[3]، وفي رواية مسلم: " **وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا** ".

قال النووي -رحمه الله- «يَعْنِي: تَسْتَخْرِجُونَ مَا فِيهَا، يَعْنِي: خَزَائِن الْأَرْض، وَمَا فُتِحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ الدُّنْيَا»[4].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: في شرح الحديث في كتاب التعبير، بَاب الْمَفَاتِيح فِي الْيَد: «قَالَ أَهْل التَّعْبِير: الْمِفْتَاح مَال وَعِزّ وَسُلْطَان،فَمَنْ رَأَى أَنَّهُ فَتَحَ بَابًا بِمِفْتَاحٍ فَإِنَّهُ يَظْفَر بِحَاجَتِهِ بِمَعُونَةِ مَنْ لَهُ بَأْس،وَإِنْ رَأَى أَنَّ بِيَدِهِ مَفَاتِيح،فَإِنَّهُ يُصِيب سُلْطَانًا عَظِيمًا»[5].

وأما علاقة هذا الاختيار النبوي بكتميل عبوديته لله الصبور الشكور (والذي هو تتمة المبحث) فواضحٌ جدًّا حيث إنّ الرسول في الأحاديث السابقة رتّب عبادة الصبر والتضرع وذكر الله بدعائه، وإظهار الافتقار إليه على حالة جوعه، كما رتّب شُكر

---

1 () رواه الترمذي في جامعه عَنْ أنس بن مالك في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: بَابٌ (بدون ترجمة، وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ)، رقم: 2465، وصححه الشيخ الألباني.

2 () بل جاء قول أبِي هريرة هذا بلفظ آخر،« وَأَنْتُمْ تَلْغَثُونَهَا أَوْ تَرْغَثُونَهَا أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا » صحيح البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة،في آخر حديث: 7273.(وانظر: شرح ابن حجر، للألفاظ، ج4/ ص5249).

3 () صحيح البخاري: كتاب التعبير، بَاب رُؤْيَا اللَّيْلِ، رقم: 6998، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، وهو على حديث برقم: 523 .

4 () شرح النووي على صحيح مسلم، ص403 .

5 () فتح الباري، (ج4/ ص5058-5059).

المنعم المتفضِّل على الشبع، فيكون في كلتا حالتيه؛ (حالة الجوع، وحالة الشبع)، قائمًا بعبادةٍ تتناسب والحالة، فيكون بذلك صبارًا شكورًا، لِيُجمَعَ له أجر المقامَين، وتحصُل له ثواب الحالَين، بخلاف ما لو اختار الْمُلك على مقام العبودية، فحصل له الشبع والترف؛ فإنه فقط يحصل له أجر الشاكرين دون أجر الصابرين، إذْ لله تعالى على عبده بل وعلى عبيده عمومًا عبوديّاتٌ في القضاء والنِّعَم، ففي قضاء المصائب: الصبر عليها، ثم الرِّضى بها، ثم شكره سبحانه عليها، وفي النِّعَم؛ مَعرفتها واعتراف القلب بِها عليه، ثم الثناء بها عليه تبارك وتعالى ومحبته عليها، واستعمالها في طاعته، فعَن صُهيبٍ ، قال: قال رسول الله : " **عَجَبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمرَه كلّه خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن؛ إنْ أصابته سرّاء شكَر، فكان خيرًا له، وإنْ أصابَتْه ضراء صَبَر فكان خيرًا له** "[1].

والرسول أعرَف المؤمنين بالله، وأقْوَمهم بِما ينبغِي من هذه العبادات على كلّ حال[2].

والله تبارك وتعالى أعلم.

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمرُه كلّه خيرٌ، ورقمه: 2999.

[2] انظر: الفوائد لابن القيم، ص163-165 .

المبحث الثاني: محبته عليه الصلاة والسلام لوصفه بالعبودية[1]**:**

تُعرفُ محبةُ الله شيئًا ورضاه عنه: بأمره عباده بالقيام بِهِ وفعله، أو ذكره أنّه يرضاه، أو يرضى عن فاعليه، أو مدحه إيّاهم، أو إثابته عليه، إلى غير ذلك من دلائل هذا الشيء.

وأصرَح هذه الأدلة كلّها هو: **تنصيصُه سبحانه على أنّه يُحبّ هذا العملَ، أو الصفة أو الشخص، أو المكان**، أو غير ذلك. وكذلك الحال في **مسألة محبة الرسول عليه الصلاة والسلام لوصفِه بالعبودية**؛ فإنه يكون: **أولا:** بوصف الله تعالى له بِهذه الصفة، وتسمتُه إياه (عَبْدُ اللَّهِ). وبوصفه نفسه بذلك، **ثانيًا**. ويكون **ثالثًا:** بأمر النبي المؤمنين أنْ يَصِفُوه بِهذه الصفة، ويقولوا ذلك فيه بألسنَتِهم، ويعتقدوه في قلوبِهم. **ورابعًا:** ببيانه أنَّه يُحِبُّ أنْ يُوصَف به ... بل ويختار هذه الصفة على الملك لـمَّا خُيِّر، **وهذا هو الوجه الخامس.** إلى غير ذلك من هذه الدلائل التي لَمَّا اجْتمعَتْ دلّت على محبة الرسول لوصفه بهذه الصفة:

وسألخص هذه الأدلة الدالة على أنّ نبيَّنا محمدًا يُحبّ أنْ يوصف بصِفَة العبودية، بل هو أشرَف وصفٍ يحبُّه الله تعالى فيه وفي غيره، ويكون في الأوجه الآتية:

الأول: أنّ الله تعالى سماه (عبد الله) في سياق قيام الرسول بعبادة ودعوة ربه : ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [سورة الجن: 19].

ثانيًا: فكما سمّاه تعالى بِذاك الاسم فإنّه وصفه بِصفة العبودية: فقد سبقَت النماذج الكثيرة من الآيات التي وصَف الله تعالى رسولَه بصفة العبودية في أشرف مقاماته؛ مقام القيام بالعبادة والدعوة، ومقام الجهاد، ومقام الوحي، ومقام التّحدِّي، ومقام الإسراء والمعراج،

[1] للاستزادة في هذا الموضوع، يُنظَر: كتاب عبودية الكائنات لرب العالمين لتوني، 207-222، وموضوع عبودية نبينا ، المُفرّع من الفصل الخامس عشر الذي في: عبودية الكائنات، (ضمن موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة، للشيخ ممدوح الحربي ص469-472).

ومقام النُّصرة والتأييد، وغير ذلك من المقامات مما لا نحتاج إلى إعادة ذكر الآيات هنا،

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله- في تقرير هذا المعنى:

« وأيضًا: فإنَّه سبحانه لَمَّا خلَق خلقه أطوارًا وأصنافًا، وسبق في حُكمه وحِكمته تفضيل آدم وبنيه على كثير ممن خلق تفضيلا، جعل عبوديتهم أكمل من عبودية غيرهم، وكانت العبودية أفضل أحوالِهم، وأعلى درجاتهم، أعنِي: العبودية الاختيارية؛ التِي يأتون بها طوعًا واختيارًا، لا كَرْهًا، واضطرارًا، ولهذا أرسل الله جبريل إلى سيد هذا النوع الإنسانِي يُخَيِّرُه بين أن يكون عبدًا رسولا، أو ملِكًا نَبِيًّا؛ فاختار -بتوفيق ربه له- أنْ يكون عبدًا رسولا، وذكرَه سبحانه بأتَمّ العبودية في أشرف مقاماته، وأفضل أحواله، كمقام الدعوة، والتحدي، والإسراء، وإنزال القرآن: ﭽﭼﭽﮃ ﮄﮅﮆﮇﭼ [الجن: ١٩]. ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﭼ [البقرة: ٢٣]. ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭼ [الإسراء: ١]. ﭽﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﭼ [الفرقان: ١]. فأثنَى عليه ونوَّه الله لعبوديته التامة له، ولهذا يقول أهل الموقف حين يطلبون الشفاعة: " **اذهبوا إلي مُحَمَّد؛ عَبْدٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ** "[1]. فلما كانت العبودية أشرف أحوال بنِي آدم، وأحبها إلى الله، وكان لها لوازم وأسباب مشروطة لا يحصل إلا بها، كان من أعظم الحكمة أنْ أخرجُوا إلى دار تَجري عليهم فيها أحكامُ العبودية وأسبابُها وشروطُها وموجباتُها، فكان إخراجُهم من الجنة تنكيلا لهم، وإتماما لنعمته عليهم، مع ما في ذلك من محبوبات الرب تعالى؛ فإنَّه يُحِبّ إجابة الدعوات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، ومغفرة الزلات، وتكفير السيئات، ودفع البليات، وإعزاز من يستحق العز، وإذلال من يستحق الذل، ونصر المظلوم، وجبر الكسير، ورفع بعض خلقه على بعض، وجعلهم درجات؛ ليَعرف قدْرَ فضله، وتخصيصه، فاقتضى ملْكُه التّامُّ، وحمْدُه الكامل، أنْ يُخْرِجَهم إلى دار يحصل فيها محبوباته سبحانه » [2].

[1] (?) سيأتِي تخريج الحديث، وهو ضمن حديث الشفاعة الطويل الذي اتفق الشيخان بإخراجه!

والمقصود في هذا الوجه هو أنّ الله تعالى ما وصَف رسولَه بصفة العبودية، وطلَبَ –كذلك- منه ومِنْ غيره تحقيق هذه والغاية وهذه الصفة، إلا لأنّه يحبّ له ولغيره القيام بها، والرسول يحبّ ما يحبه ربُّه له.

يوضِّحه ويُقرِّره الوجه الثالث وهو: أنّ أحبّ الأشياء عُمومًا إلى الله تعالى هي أحبُّها إلى رسوله ، ومعلومٌ أنّ **أَحَبّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ،** وما ذلك إلا للتعبيد الذي فيها، فالاسم الذي فيه التعبيد هو أحبّ الاسم إلى رسول الله ، فاسمُه أو لقَبُه أو نَعتُه (عبد الله) أحبّ الاسم أو اللقب أو النعت إليه، قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « فنال ذلك المقام بكمال العبودية لله، وكمال مغفرة الله له، فأشرف صفات العبد صفةُ العبودية، وأحبّ أسمائه إلى الله اسم العبودية، كما ثبت عن النبي أنه قال: " **أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ. وَأَصْدَقُهَا: حَارِثٌ، وَهَمَّامٌ. وَأَقْبَحُهَا: حَرْبٌ، وَمُرَّةُ** [1] .. وبالله التوفيق »[2].

الوجه الرابع: أنّه وصف النبِي نفسه بهذه الصفة فيما لا يُحصَى مِن أحاديثه، بل أمَر المسلمين أنْ يصِفوه بها، ويعتقدوا فيه مقتضاها، وهنا سأورِد من ذلك ثلاثين نصًّا، **أسمَيتُها: الأحاديث المختارة** [3] (وهي من باكورة الدوافع لِهذا البحث الذي أسأل الله تعالى أنْ يَطرَح فيه البركة)، وتكون **على ضرْبَين اثنين:**

الضّرْب الأول: الأحاديث التي فيها الجمع بين وصفه بصفة العبودية بضميمة صفة الرسالة (مُحَمَّدٌ عَبْدُ الله

---

2 (?) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (ص74-75)، ط/ دار المعرفة، بيروت.

1 (?) سنن أبي داود: كتاب الأدب، بَاب فِي تَغْيِيرِ الأَسْمَاءِ، رقم: 4950، ومسند الإمام أحمد، رقم: 18258، وهو صحيح دون أوله الذي لم يذكُرْه الشيخ (تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ).

2 (?) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص85 .

3 (?) هذه الأحاديث الثلاثون وزّعتُ أكثرها في أماكنها من البحث -لشرحها حسب موضوعاتها-، فالأول منها –مثلا- شرحتُه عند الكلام على نَهي الشريعة من إطراء العبد الرسول محمد ، وهكذا.

وَرَسُولُهُ): ولما كان هذا النوع من أوّل ما حملَنِي على الكتابة في هذا الموضوع –كما أسبقت- فإنه لا بُدّ مِن ذكر الشيء الكثير منها، وسأقدّم منها الأصرح، فالأصرح:

الحديث الأول: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ ، يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ؛ سَمِعْتُ النَّبِيَّ يقول: "**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ،فَقُولُوا:عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**" [1].

وقد جاء الشاهد من الحديث عند البخاري وأحمد [2] في حديث طويل قالَه عمر على منبر المدينة بين يدي أجَلِه بُعَيد حِجَّته الأخيرة رافِعًا إياه إلى النبيِّ .

هذا الحديث أصل في بابه، وفيه الأمر الصريح بأنْ نقول (القولَ القلبِي واللسانِي) لرسولنا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . وفي قوله: " فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ " حصرُ الموصوف على هذه الصفة، وأنّه لا يتجاوزها أبدًا إلى الصفة التي فوقها (صفة الإلهية).

الحديث الثانِي: ويدلّ على أنّ من شهد بتلك الشهادة التِي أمرَ رسول الله بِاعتقادها وقولها، مع ما يأتِي في حديثنا هذا، فإنه موعود بدخول الجنة، جعلنا الله من مُحقِّقيها، فعن عبادة بن الصامت ، قال، قال رسول الله : " **مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ؛ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ** " متفق عليه، وعند مسلم بلفظ: " **وأنَّ عيسى عبد الله وابن أمته** " وفي آخره: " **أدخله الله مِن أيِّ أبواب الجنة الثمانية شاء** "[3] **.**

---

[1] (?) صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ، ورقمه: 3445.

[2] (?) صحيح البخاري: باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، رقم: 6830 .

[3] (?) صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﮊ الآية. رقم 3435، وصحيح مسلم: الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، رقم: 28 .

هذا الحديث العظيم مِن أحاديث الوعد، حيث إنّ الله تعالى وعد بسِلعتِه الغالية؛ الجنّة لِمَن شهِد هذه الشهادات الخمس، ومنها: الشهادة لِمحمدٍ بالعبودية والرسالة، قال النووي -رحمه الله- : « هذا حديثٌ عظيمُ الموقع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنَّه جمَع فيه ما يُخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم، فاختصر في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم ..»[1].

الحديث الثالث: فكما جاء في الكتاب والسنة وصف النبِيّ بأنّه (عَبْدُ اللَّهِ) فإنه جاء في كُتُب الله تعالى المتقدمة: أنّه موصوفٌ بِهاتَين الصفتين (عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُوله) وبغيرهما، فقد روى البخاري[2] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭼ [الأحزاب: ٤٥]. قَالَ: « فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ[3]، **أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي**، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ[4]، وَلا سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ[5]، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ؛ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»

الحديث الرابع: حديث التشهد في الصلاة الذي أخرجه الإمام مالك في الموطأ [6] عن عمر بن الخطاب

---

1 (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، ط / بيت الأفكار الدولية، ص 109 .

2 (?) صحيح البخاري: البيوع، باب كراهية السخب في السوق، ورقمه: 2125.

3 (?) **الحرز**: هو **الموضع الحصين**، انظر: الصحاح للجوهري، ط / دار المعرفة، ص 224، **والأميون: العرب.**

4 (?) **ليس بفظٍّ** " أي: بسيِّئ الخلق، ولا غليظٍ أي: شديد القول. قاله العلامة السُّمني في مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، ص 26، بحاشية الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض.

5 (?) **السخب:** ويقال: **الصخب** بالصاد بدل السين، وهو **رفع الصوت بالخصام**، (فتح الباري ج2/ص1836).

6 (?) كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، ط / دار الحديث، ص 92، برقم: 53.

، وفي الصحيحين[1] عن ابن مسعود مرفوعًا: "..
السَّلامُ عَلَيْكَ، أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله ".

وقد روَى التشهّدَ وفيه الشهادة لنبينا محمدٍ بعبوديته لربه ورسالته جمعٌ كثيرٌ من الصحابة؛ ومنهم سوى من تقدَّم: عائشة [2]، وابن عمر [3]، وجابر بن عبد الله [4] وابن عباسٍ[5]، وأبو موسى الأشعري[6]، [7] .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت1206) ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح الركن الحادي عشر من أركان الصلاة، الذي هو (التشهد الأخير): « **(أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وحده لا شريك له):** تشهَّد شهادةَ اليقين أنْ لا يُعبد في الأرض، ولا في السماء بحق إلا الله. **وشهادة**

---

1 ([?]) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة، رقم: 831، و 835، 1202، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، رقم: 402، و 404.

2 ([?]) الموطأ: كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، رقم في كتاب الصلاة: 55و56.

3 ([?]) سنن أبي داود: الصلاة، باب التشهد، رقم: 971، والحديث صحيحٌ.

4 ([?]) سنن النسائي: التطبيق، نوعٌ آخرُ من التشهد، ورقمه: 1175، وفيه أيمن ولم يتابع، قال السيوطي في حاشيته على النسائي: « قال ابن سيد الناس في شرح الترمذي قال ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أيمن: قرأت بخط أبي عبد الرحمن النسائي؛ لا نعلم أحدًا تابع أيمن على هذا الحديث، وخالفه الليث في إسناده، وأيمن لا بأس به، والحديث خطأ. وقال الحاكم: أيمن بن نابل ثقة تخرج حديثه في صحيح البخاري ولم يخرج هذا الحديث؛ إذ ليس له متابع عن أبي الزبير من وجه يصح. وقال الدارقطني في علله: قد تابع أيمن علي الثوري، وابن جريج عن أبي الزبير » زهر الرُّبى على على المجتبى، (ج1 / 466).

5 ([?]) سنن النسائي: كتاب التطبيق، نوعٌ آخرُ من التشهد، رقم: 1174. والحديث عند مسلم في الصلاة، باب التشهد في الصلاة، رقم: 403، إلا أنَّه بدون: "عبده" الشاهد هنا.

6 ([?]) صحيح مسلم: الصلاة، التشهد في الصلاة، رقم: 404 .

7 ([?]) وانظر في كلِّ ذلك/صفة صلاة النبيِّ من التكبير إلى التسليم، تحت عنوان: صيغ التشهد (ص140-143).

أنّ محمدًا عبْدُه ورَسُولُه: بأنه (عبدٌ) لا يُـعبد، و(رسولٌ) لا يكذّب؛ بل يُطاع ويتّبع، »[1].

الحديث الخامس: ورد من صيغ الصلاة على النبي ﷺ في التشهد وغيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ [2]، قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا السَّلامُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي؟ قال ﷺ: " **قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ؛ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ** "[3].

وورد كذلك منه أيضًا: قول ابن مسعود ﷺ في تعليمه أصحابه وتلامذته أحسن الصلاة على الرسول ﷺ، وطلبهم منه تعليم ذلك، قال: قال: « قُولُوا: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلاتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، إِمَامِ الْخَيْرِ، وَقَائِدِ الْخَيْرِ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يَغْبِطُه به الأولون والآخرون، ... » الحديث[4].

الحديث السادس: وكما أنّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ.. فكذلك إِبْرَاهِيم فإنه عَبْدُ الله وَخَلِيلُه وَنَبِيُّه، ومُحَمَّد ﷺ عَبْدُه وَرسُولُه، ففي

---

[1] شروط الصلاة وواجباتها وأركانها، ص33 ضمن مجموع، وص 542، ط/مدار الوطن، في الجامع للمتون العلمية لعبد الله الشمراني.

[2] **أبو سعيد الخدري:** اسمه: سعد بن مالك بن سنان، وقد اشتهر بكنيته، صحابي مشهور روى الكثير، مات بالمدينة (انظر/ تقريب التهذيب، ص172، برقم: 2253).

[3] صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ، رقم: 4798، وكتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ ، رقم: 6358.

[4] سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب الصلاة على النبيِّ ﷺ، ورقمه: 906، وهو ضعيفٌ ما عدا آخره الذي له شاهدٌ في الصحيحين؛ لأنَّ فيه عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي، المسعودي، قال عنه الحافظ ابن حجر: " صدوق اختلط، وضابطه: أنَّ من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط " أما البوصيري المحدِّث فقد نصَّ على أنَّه " ..لم يُتميَّز حديثُه الأول بالآخر، فاستحق الترك، قاله ابن حبان " انظر: ترجمة عبد الرحمن هذا في التقريب، برقم: 3919، ومصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ط/ بيت الأفكار الدولية، (1 / 394) وقد حكم الشيخ الألباني على الحديث بالضعف.

الموطأ وصحيح مسلم[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: « كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ: " **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ بِهِ لِمَكَّةَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ** "، ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ يَرَاهُ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ.

الحديث السابع: روى أبو داود والحاكم وابن حبان[2] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ اللَّهُ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ، ثُمَّ قَالَ:** **ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ملك يوم الدين ﭞ ﭼ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً، وَبَلاغًا إِلَى حِينٍ** "، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً؛ فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى

---

1 (?) الموطأ: كتاب الجامع، باب الدعاء للمدينة وأهلها، (حديث 2 في الباب)، وصحيح مسلم: كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها ..، رقم: 1372.

2 (?) سنن أبي داود: كتاب الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء، ورقمه: 1173، والمستدرك للحاكم: الاستسقاء، برقم 1225 وصحيح ابن حبان: باب ذكر ما يدعو المرء به عند وجود الجدب بالمسلمين، برقم 991، 2860، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحسنه الألباني.

سَالَتْ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ .. ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: " **أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** ".

قال في عون المعبود: « ومن عظيم قدرة الله تعالى، وإظهار قربة رسوله وصدقه بإجابة دعائه سريعًا، ولصدقه أتى بالشهادتين »[1].

الحديث الثامن: عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَجُلا -وفي رواية: أنَّ أناسًا قالوا: يا رسول الله- قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! يَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا! وَخَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ؛ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ** [2].

وقد جاء مثله وشاهدٌ له عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، قال: « انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: " **السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** "، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلا، فَقَالَ: " **قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ** " [3].

لقد بلغ النبيُّ في الحيطة لهذا التوحيد والحماية لجانبه مبلغًا عظيمًا حيث نهى عن الألفاظ والأقوال التي

---

1 (?) عون المعبود على سنن أبي داود، شرح حديث رقم 1173، (ج 1/ص561) .

2 (?) سنن النسائي في الكبرى، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيِّدنا وسيِّدي، ورقمه: 10077، وأحمد: في مسند أنس ورقمه: 12573، 13553 (بسندٍ ضعيفٍ)، ثم 13621، والحاكم: معرفة الصحابة، باب: أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن علي الشهيد رضي الله عنهما ..، رقم: 4825، وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعدما أورد الحديث: رواه النسائي بسندٍ جيِّد، (وانظر: كتاب التوحيد، باب: ما جاء في حماية النبيِّ حمى التوحيد، وسدِّه طرق الشرك، ص 339، ضمن الجامع للمتون العلمية للشمراني).

3 (?) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح، ورقمه: 4806، والبخاري: باب هل يقول سيدي، رقم: 211، والنسائي في الكبرى، عمل اليوم والليلة، باب: ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيدنا وسيدي، رقم: 10074، والحديث صحيح، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ـ ص 329 رواه أبو داود بسند جيد).

قد تُضعف كماله، .. ومن المعلوم أنَّ الصحابة هنا لم يقولوا فيه إلا حقًا؛ إذْ هو أفضلهم، وخيرهم، وأعظمهم، بل وسيِّد ولد آدم أجمعين، لكن قال : " **وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ**[1] **الشَّيْطَانُ** "، وقال: " **قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ** "، وقال: " **وَاللَّهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ** "، وما قال كلَّ هذا ونوَّع في الأساليب إلا صيانة لجناب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ومنعًا لمدح الناس على وجوههم وغير ذلك.

الحديث التاسع: وصفة العبودية هي اختيار رسول الله لـمَّا خُيّر بينها وبين الملك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: « جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: " **بَلْ عَبْدًا رَسُولا** "[2].

الحديث العاشر: حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنّ رسول الله بعث معاذًا إلى اليمن وأمره بالشهادتين والصلاة والصدقة، وقال: " **إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فقل لهم: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا عبدُه ورسوله، فإن أجابوك**

---

[1] (?) **الإستهواء**: هو طلب الإنزال من الْهُوِي، **والاستجراء**: في قوله: " ولا يستجرينكم الشيطان " « أي: لا يتخذنكم جَرِيًّا بفتح الجيم، وكسر الراء، وتشديد التحتية، أي: **كثير الجري في طريقه، ومتابعة خطواته.** وقيل هو من الجراءة بالهمزة، أي: **لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز**. وفي النهاية: أي: **لا يغلبنَّكم؛ فيتخذكم جَرِيًّا، أي: رسولاً ووكيلاً**؛ وذلك أنَّهم كانوا مدَحوه، فكَرِه لهم المبالغة في المدح، فنهاهم عنه. والمعنى: تكلَّموا بما يحضركم من القول، ولا تتكلفوه، كأنَّكم وكلاءُ الشيطان ورسلُه تنطقون على لسانه. ..» (عون المعبود، شرح الحديث في كتاب الأدب، باب كراهية التمادح، ص 2085).

[2] (?) أحمد في مسند أبي هريرة، رقم: 7160، وابن حبان: التاريخ، باب من صفته وأخباره .. رقم: 6365، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

بذلك؛ فاقبل منهم، وأعلِمْهُم أنّ الله فرَضَ عليهم صَدَقَةً، ..." الحديث [1].

الحديث الحادي عشر: جاء في صحيح مسلم [2] حديث خطبة الحاجة عن ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهما -وهذا لفظه**:** أنَّ ضمادًا قدِم مكة كان من أزد شنوءة [3]، وكان يرقي من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنونٌ، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيه؛ فقال: يا محمد! إني أرقي من هذه الريح، وإنَّ الله يشفي على يدي من يشاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ؛ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:** " قال: فقال: أَعِدْ عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مراتٍ، قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلَغْنَ ناعوس البحر[4]، قال: فقال: هات يدك أبايعك على

---

[1] ابن منده: كتاب الإيمان، ذكر أمر النبي ﷺ أمراء الأجناد وسراياه أن يدعوا الناس إلى شهادة أنْ لا إلـه إلا الله وأنّ محمداً عبدُه ورسوله ﷺ، (ج1 / 252)، وذكر محققه الدكتور علي بن محمد الفقيهي، أنَّ في إسناده من لم يُوثَّق، وهو إسحاق بن يسار. ولكن أصل الحديث صحيح مشهورٌ، بل ومتفق عليه (أخرجه البخاري. ومسلم في الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام) .

[2] صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: 868 عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعن ابن مسعود ﷺ في سنن النسائي: كتاب النكاح، باب: ما يستحب من الكلام عند النكاح، برقم: 3277.

[3] **ضِماد**، بكسر الضاد المعجمة، وهو الأزدي، وشنوءة، بفتح الشين، وضم النون، وبعدها مدة، قال ابن حجر: « كان يتطبب؛ فخرج يطلب العلم، ثم جاء وقد بُعث النبيُّ ﷺ، ... قال البغوي: لا أعلم لضمادٍ غيرَه ـ يعني: الحديث ـ، ووقع في الصحابة لابن حِبَّان: ضماد الأزدي، كان صديقًا للنبيِّ ﷺ، كذا رأيتُه بخطِّ الحافظ أبي علي البكري، وكذا قال ابن منده، إنَّه يقال فيه: ضِماد وضِمام، والجنون ومس الجنِّ هو المراد بالريح الذي يرقِي به ضمام (انظر: الإصابة: ج3 / 486، مع الحاشية اللاحقة للنووي) .

الإسلام، قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: " **وعلى قومك** " قال: وعلى قومي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ولا تصح للأمة خطبةٌ، ولا تشهُّدٌ حتى يشهدوا أنه عبدُه ورسولُه، وأوجب ذكره في كل خطبة، وفي الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين، إلى غير ذلك من المواضع »[1].

الحديث الثاني عشر: في أذكار الصباح والمساء جاء عن أنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " **مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ: أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ** ". رواه أبو داود والترمذي، وفي رواية للترمذي: " **إِلا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا أَصَابَ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا أَصَابَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ ذَنْبٍ** "[2].

---

[4] (?) **ناعوس البحر:** قال النووي: « قوله: (فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر) ضبطناه بوجهين؛ أشهرهما: (ناعوس) بالنون والعين، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا. والثاني: (قاموس) بالقاف والميم، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم. .. قال أبو عبيد: (قاموس البحر): وسطه. وقال ابن دريد: لجته. وقال صاحب كتاب العين: قعره الأقصى. وقال الحربي: ... وهي لفظة عربية صحيحةٌ. وقال أبو علي الجياني: لم أجد في هذه اللفظة ثلجا. وقال شيخنا أبو الحسين: (قاعوس البحر) بالقاف والعين صحيحٌ بمعنى: قاموس كأنَّه من القعس، وهو تطامن الظهر، وتعمقه؛ فيرجع إلى عمق البحر **ولجته**. ..» (انظر/ المنهاج للنووي، شرح الحديث في: باب تخفيف الصلاة والخطبة،ص 566).

[1] (?) الصارم المسلول، ص425، ط/ دار ابن حزم.

[2] (?) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذاً أصبح، ورقمه: 5069، 5078، وجامع الترمذي: كتاب الدعوات، تحت قوله: بابٌ (بدون ترجمة)، وقد عقد قبله باب: ما جاء في عقد التسبيح باليد، ورقمه: 3501، **هذا**، وللحديث طريقتان تلتقيان عند أنس ﷺ، وفي

هذا حديث عظيم جدًّا حيث إنَّ المسلم يتعاهد شهادته وإسلامه يوميًا في صباحه ومسائه؛ فيشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه مُشْهِدًا الله وملائكتَه عمومًا، وحمَلَة العرش خصوصًا، بل وجميع خلق الله بذلك.

الحديث الثالث عشر: قول النبي لعائشة رضي الله عنها في إحدى طرق حديثه الذي قال: " عليكِ بالكوامل "، فعَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ محمد بن أَبِي بَكْرٍ[1] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي <u>أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ</u>، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ <u>مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ</u>، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا** "[2].

الطريق الأولى: عبد الرحمن بن عبد المجيد، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب ـ رقم ترجمته: 3934 ـ: « مجهول ». وأما الطريق الثانية ففيه علة تدليس بقية وقد عنعن، ولعل ذلك ينجبر بالطريق الأولى التي فيها هشام ابن الغاز بن ربيعة الذي في طبقته. وأما العلة الثانية في هذه الطريق، فهي وجود مسلم بن زياد الذي قال عنه الحافظ ـ رقم ترجمته: 6626 ـ : « مقبول »، إلا أنَّ هذه العلة زالت بمتابعة مكحول الدمشقي إياه في الرواية عن أنس، وقد قال الترمذي: « حديث حسن غريبٌ ». ولعلَّ الحديث يكون حسناً لغيره بطريقيه. والله تعالى أعلم. وقد ضعَّفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود والترمذي والأدب المفرد.

[1] أم كلثوم الليثية المكية، يقال: هي بنت محمد بن أبي بكر الصديق، فعلى هذا فهي تيمية لا ليثية، لها حديث عن عائشة من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها. قاله الحافظ ابن حجر. ورقم ترجمتها في التقريب: 8761

[2] سنن ابن ماجه: كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، رقم: 3846، وأحمد في مسند عائشة، رقم: 25063، و25180 وما بعده، والبخاري في الأدب المفرد: باب دعاء الأخ بظهر الغيب، رقم: 639، ورجال إسناد الحديث ثقاتٌ إلا أم كلثوم؛ قال البوصيري في الزوائد عنها: « وأم كلثوم هذه لم أرَ من تكلَّم فيها، وعدَّها جماعةٌ في

الحديث الرابع عشر: وفي مسند الإمام أحمد عن أبي رزين العُقيلي ، قال: قلت يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال**: " أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وأن تحترق في النار أحبّ إليك من أن تشرك بالله شيئًا، وأن تحبَّ غيرَ ذي نسَبٍ لا تحبُّه إلا لله؛ فإذا كنت كذلك فقد دخل حبُّ الإيمان في قلبك، كما دخل حبّ الماء للظمآن في اليوم القائظ**[1]" الحديث[2]، هذا، وسند الحديث منقطعٌ إلا أنَّه يشهد له حديثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** " [3].

الحديث الخامس عشر: روى ابن عمر رضي الله عنهما حديث بُني الإسلام على خمسٍ باللفظ، قال رسول الله " **بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ "**[4].

الصحابة؛ وفيه نظر؛ لأنَّها وُلِدَتْ بُعَيد موت أبي بكر »، وقد صحَّح الحديث الألباني في سنن ابن ماجه وغيره .

[1] **اليوم القائظ**: هو اليوم الشديد الحرّ، (الصحاح للجوهري، مادة قيظ، ص 895).

[2] أحمد في مسند أبي رزين العقيلي، رقم: 16239، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: « **إسناد الحديث ضعيف** لانقطاعه؛ سليمان بن موسى وهو الأشدق لم يدرك أحدًا من الصحابة، وبقية رجاله ثقاتٌ » وشواهد الحديث في البخاري ومسلم -كما في الحاشية بعد هذا .

[3] صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم: 16، وباب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، رقم: 21، وصحيح مسلم: الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم: 43 والذي بعده.

[4] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم: 17، وأصله في الصحيحين، وهذا لفظ مسلم.

الحديث السادس عشر: عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: **" يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ!** قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ! قَالَ: **يَا مُعَاذُ!** قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ!! ثَلاثًا. قَالَ: " **مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، إلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّار** ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ؛ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: " **إِذًا يَتَّكِلُوا** " وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا **»**. وهذا لفظ مسلم[1] .

الحديث السابع عشر: وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ أبا سفيان أخبره عن رسالة رسول الله الذي بعث بها إلى عظيم بُصْرَى[2] .. وفيها:

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ

مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ ﭽ   ﯨ ﯩ ﭼ [سورة طه: ٤٧]، **أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ**[3]، **و**ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [سورة آل عمران: ٦٤]، " متفق عليه[4].

الحديث الثامن عشر: في حديث عقبة بن عامر جاء فيه قول عمر: إني قد رأيتك جئتَ آنفًا، قال: " **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فيبلغ، أو فيسبغ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ**

---

[1] (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ورقمه: 32.

[2] (?) **بُصْرَى:** هي الشامية وليست العراقية؛ فالأولى تكتب بالألف المقصورة، والثانية بالتاء المربوطة.

[3] (?) **الأريسيين هنا**: هم الخدم والخول والزراع (انظر: الصحاح للجوهري، مادة أرس، ص36).

[4] (?) صحيح البخاري: بدء الوحي، باب، رقم: 7، والجهاد والسير، باب دعاء النبي إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله .. رقم: 2941، وصحيح مسلم: الجهاد والسير، رقم: 1773.

وَرَسُولُهُ، إِلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ "[1].

الحديث التاسع عشر: ولا نجاة لِمَن لم يشهد لِهذا العبد بالرسالة في القبر وما بعده، فعَنْ أَنَسٍ ، عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: " **الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ؛ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ؟ فَيَقُولُ: " أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ "، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ**، قَالَ النَّبِيُّ : " **فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ:** ... الحديث [2].

الحديث العشرون: عن سعد بن أبي وقاص ، عن رسول الله أنه قال: " **من قال حين يسمع المؤذِّن: أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، رضيت بالله ربًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**"، وهذا لفظ مسلم [3].

هذا حديث عظيمٌ، وفيه: فضلُ ووعدُ مَن تعاهد شهادتَيْه؛ بأنْ شهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، ورضي بالله ربًّا، وبمحمدٍ نبيًّا ورسولاً، وبالإسلام دينًا، كلَّما سمِع مؤذِّنًا، والوعد هو غفران ذنبه.

الحديث الحادي والعشرون: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: « شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلامَ: " **هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ** "، فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ،

---

[1] صحيح مسلم: الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، 234 .

[2] صحيح البخاري: الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، رقم: 1338، وباب ما جاء في عذاب القبر، رقم: 1374، وصحيح مسلم: الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم: 2870.

[3] صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ..، 386 .

قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالا شَدِيدًا، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الَّذِي قُلْتَ لَهُ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالا شَدِيدًا، وَقَدْ مَاتَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **إِلَى النَّارِ** "، قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ؛ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنْ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: " **الله أكبر! أشهد أني عبدُ الله ورسولُه** " ثُمَّ أَمَرَ بِلالا فَنَادَى بِالنَّاسِ، **إِنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ** » [1].

الحديث الثاني والعشرون: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال إنَّ عندي جَارِيَةً لِي وَأَنَا أَعْزِلُ عَنْهَا، فقال رسول الله ﷺ: " **إنَّ ذلك لن يمنع شيئًا أراده الله** " قال: فجاء الرجل؛ فقال يا رسول الله: إنَّ الجارية التي كنتُ ذكرتُها لك حملَتْ؛ فقال رسول الله ﷺ: " **<u>أنا عبد الله ورسوله</u>** " [2].

الحديث الثالث والعشرون: حديث أبي هريرة ﷺ الطويل في فتح مكة، وفيه: " مَنْ دَخَلَ دَارِ أَبِي سُفْيَان فَهُوَ آمِن " فَقَالَتْ الأَنْصَار بَعْضهمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُل فَأَدْرَكْته رَغْبَة فِي قَرْيَته، وَرَأْفَة بِعَشِيرَتِهِ وَذَكَرَ نُزُول الْوَحْي، فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ:" **يَا مَعْشَر الأَنْصَار، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه! قَالَ: قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُل فَأَدْرَكْته رَغْبَة فِي قَرْيَته وَرَأْفَة بِعَشِيرَتِهِ، قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَلِكَ، قَالَ: <u>كَلا إِنِّي عَبْد اللَّه وَرَسُوله</u>، هَاجَرْت إِلَى اللَّه وَإِلَيْكُمْ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَات مَمَاتكُمْ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ، وَيَقُولُونَ: وَاَللَّه مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلا الضِّنّ بِاَللَّهِ وَبِرَسُولِهِ،**

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، رقم: 3062 .

[2] صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب حكم العزل، رقم: 1439 .

فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: إِنَّ اللَّه وَرَسُوله يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذُرَانِكُمْ "[1].

قال النووي -رحمه الله-**:** « وَأَمَّا قَوْله ﷺ: " **إِنِّي عَبْد اللَّه وَرَسُوله** " فَيَحْتَمِل وَجْهَيْنِ: **أَحَدهمَا:** أَنِّي رَسُول اللَّه حَقًّا فَيَأْتِينِي الْوَحَي، وَأُخْبِر بِالْمَغِيبَاتِ؛ كَهَذِهِ الْقَضِيَّة وَشَبَههَا، فَثِقُوا بِمَا أَقُول لَكُمْ، وَأُخْبِركُمْ بِهِ فِي جَمِيع الْأَحْوَال. **وَالْآخَر:** لا تُفْتَنُوا بِإِخْبَارِي إِيَّاكُمْ بِالْمَغِيبَاتِ، وَتُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى صَلَوَات اللَّه عَلَيْهِ، فَإِنِّي عَبْد اللَّه وَرَسُوله »[2]. وكلام النووي هذا عظيم.

ولَمّا ذكر الحديثَ شيخُ الإسلام في الصارم المسلوم، مهَّد له بأنَّ هذا ومثلَه إنما قالته الأنصار عن عجلة وشهوة ليس عن شكٍّ في الدين، ثم عقَّب عليه بقوله: « وذلك أنَّ الأنصار لَمّا رأوا النبِيّ ﷺ قد آمن أهل مكة وأقرَّهم على أموالهم ودمائهم، مع دخوله عليهم عنوة وقهرًا، وتمكنه من قتلهم وأخذ أموالهم لو شاء، خافوا أن يكون النبِيّ ﷺ يريد أن يستوطن مكة ويستبطن قريشا؛ لأنَّ البلد بلدُه، والعشيرة عشيرتُه، وأن يكون نزاع النفس إلى الوطن والأهل يوجب انصرافه عنهم، فقال مَن قال منهم ذلك، ولم يقله الفقهاء وأولو الألباب الذين يعلمون أنّه لم يكنْ له سبيل إلى استيطان مكة، فقالوا ذلك لا طعنًا ولا عَيْبًا، ولكن ضنًّا بالله وبرسوله، والله ورسوله قد صدَقَاهم أنما حمَلهم على ذلك الضنُّ بالله ورسوله، وعذَرَاهم فيما قالوا لما رأوا وسمعوا، ولأنَّ مفارقة الرسول شديدٌ على مثل أولئك المؤمنين؛ الذين هم شعارٌ، وغيرُهم دثارٌ، والكلمة التي تَخرُج عن محبة وتعظيم وتشريف وتكريم، تُغفر لصاحبها بل يُحمَد عليها، وإنْ كان مثلُها لو صدَر بدون ذلك استحق صاحبها النّكال »[3].

الحديث الرابع والعشرون: عن أبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيّ ﷺ، قال: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم: 1780
[2] المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص1151 .
[3] الصارم المسلول على شاتم الرسول، ط/ الشركة الجزارية اللبنانية، ص170.

إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: " **إِنَّ رَبَّكُمْ خَيَّرَنِي بَيْنَ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَبَيْنَ الْخَبِيئَةِ عِنْدَهُ لأُمَّتِي** " فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُخَبِّئُ ذَلِكَ رَبُّكَ ؟ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يُكَبِّرُ، فَقَالَ: " **إِنَّ رَبِّي زَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَالْخَبِيئَةُ عِنْدَهُ** ". .. وفيه: **إِنَّ خَبِيئَةَ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ: رَبِّ مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُصَدِّقًا لِسَانَهُ قَلْبُهُ، أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ »**[1].

الحديث الخامس والسادس والعشرون: في حديث إسلام ثُمامة بن أثال ، وأم أبي هريرة رضي الله عنهما، قال رسول الله في الأول: " **أَطْلِقُوا ثُمَامَة** "، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ! مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلادِ إِلَيَّ .." الحديث متفق عليه [2].

وفي الثاني: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : « كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الإِسْلامِ، وهي مُشْرِكَةً، فَتَأَبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ، فَتَأَبَى عَلَيَّ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ!** ". قَالَ: فَخَرَجْتُ مستبشِرًا بدعوة نبيِّ الله ، فَلَمَّا جئت فصرت إلى الْبَاب فإِذَا هُوَ مُجَافٍ، فسمعَتْ أمي خشْف قدمي،

[1] (?) مسند أبي أيوب من مسند الإمام أحمد، ورقمه: 23505 .

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أُثال، ورقمه: 4372، وصحيح مسلم: وهذا لفظُه، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، ورقمه: 1764 .

فقالت مكانَك يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وسَمِعْتُ خَضْخَضَةِ الْمَاءِ، قال: فاغتسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعِهَا، وَعَجِلَتْ عَن خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ ثم قَالَتْ: إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبدُ الله ورَسُولُه اللَّهِ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فأتيتُه وأنا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قال: قلت: يا رسول الله أبشرْ؛ قد استجاب الله دعوتك، وهدَى أمَّ أبي هريرة ..» الحديث [1]. والحديثان لهما حكم الرفع. والله تعالى أعلم.

ومجموع هذه الأحاديث يتبيَّن منها محبة الرسول لِوصفه بصفة العبودية، وأنه أمَر الناس أنْ يقولوا فيه (عبدُ الله ورسولُه) باللسان وبالقلب، ثم يَعملوا بمقتضاهما –كما سيأتي ذلك-.

فهذه الستة والعشرون حديثًا هي التي تيسَّر جمعها وتخريجها هنا في هذا القسم، وسأورد تتمة الثلاثين في القسم الثانِي، والله وليُّ التوفيق.

الضّرب الثانِي: الأحاديث التي فيها وصف الرسول بصفة العبودية فقط، مِن ذلك:

أولا: تقدم أول المبحث، وسيأتِي كذلك جُزْءٌ من حديث الشفاعة الطويل، والذي فيه قول عيسى : « " **اذهبوا إلى مُحَمَّد؛ عَبْدٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ** "[2].

ثانيًا: وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: " **أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا** "، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ »[3].

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ، ورقمه: 2491 .

2 (?) سيأتِي تخريج الحديث، وهو ضمن حديث الشفاعة الطويل الذي اتفق الشيخان بإخراجه!

3 (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير، بَاب ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [الفتح: ٢]، ورقمه: 4837، وهذا لفظه، وصحيح مسلم: المصدر

ثالثًا: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: " **إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ؛ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ** "، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَعَجِبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ! يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ عَبْدٍ، خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْمُخَيَّرَ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ. .. » الحديث[1].

رابعًا: عن عَلِيّ بن الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: « أَحِبُّونَا بِحُبِّ الإِسْلامِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " **لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي رَسُولاً** "[2].

وهذا الأثر عظيمٌ أيضًا!

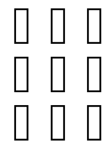
نفسه، ورقمه: 2820.

1 (?) الحديث في صحيح البخاري، وقد سبق تخريجه.

2 (?) الطبراني في الكبير، ورقمه: 2820، وهو صحيح (انظره: السلسلة الصحيحة، ج6/ص106، برقم: 2550 النهي عن الغلو في تعظيمه)-.

ثم إني أختم هذا المبحث بقول الشيخ ممدوح الحربِي –حفظه الله- في هذا السياق: « ومعَ ما وصل إليه من منـزلة عاليةٍ بين الأنبياء والمرسلين إلا أنّ صفة العبودية كانت له منتهى صفة المدح والثناء التي لم يكن هناك أفضل منها، أو ما يُقارنها، بل كانت أحبّ الصفات إليه ، وكان يُحبُّ أنْ يُنادى بِها، وكثيرًا ما كان يُدنْدن حولها، وأنّه ليس إلا عبدًا بشَرًا يوحَى إليه باصطفاء الله تعالى له بالرسالة »[1]. ثم أورد دليلا مِن الكتاب والسنة على ذلك، ثم قال: « بل كان كثيرًا ما يَصِف نفسه بالعبودية »[2]، فذكر الحديث الثالث في الضرب الثانِي، والأول من الضرب نفسه. ولقد لخّص الشيخ كلامه هذا وأخذه من كلام الدكتور فريد إسماعيل التوني في كتابه عبودية الكائنات لرب العالمين لما تكلم في الموضوع (تحقق العبودية التامة في شخصية الرسول)[3].

وإلى هنا انتهى هذا المبحث، وهو مما يدلّ على كمال عبودية الرسول لربه (موضوع الفصل). وسأنتقل بعده إلى المبحث الثالث، وهو:



---

1 (?) انظر: عبودية الكائنات، ص470 (ضمن موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة).

2 (?) المصدر نفسه.

3 (?) فقارن بين كلام الشيخ ممدوح، وكلام التوني في ص207-212 من كتابه عبودية الكائنات لرب العالمين.

المبحث الثالث: أنَّه عليه الصلاة والسلام مقدَّم في الدنيا والآخرة لتكميله العبودية:

لله تبارك وتعالى تقديماتٌ لعبده ورسولِه محمدٍ - في نفسه أو في أمته- على آبائه وإخْوتِه الأنبياء عليهم السلام، في الدنيا والآخرة، بل وعلى ملائكة الله الكرام.

منها: ما حصل له في الدنيا ليلة الإسراء والمعراج بحيث تقدّم الأنبياءَ عليهم السلام فأمّهم ببيت المقدس. كما أنّ مِن ذلك، ما حصل له في تلك الليلة بعدما جَاوَز أخاه نبِيَّ الله مُوسَى وسلّم عليه، بَكَى مُوسَى، فقِيلَ له: مَا يُبْكِيكَ[1]؟ قَالَ: يَا رَبِّ! هَذَا الْغُلامُ الَّذِي بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ وَأَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي، وقد كان مُوسَى أكثر الأنبياء أتباعًا بعد نبينا محمدٍ كما في حديث سواد أمتَيهما لَمّا عُرِضَ عَلَى نبينا الأُمَمُ[2]، وحديث محمدٌ أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة[3] .

ومِن ذلك، بل من أعظمها ما يحصُل له يوم القيامة مِن المقام المحمود المغبوط؛ فالْوَسِيلَةَ (مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وقيل: الشفاعة، ويمكن الجمع) لا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَيَرْجُو الرسول أَنْ يَكُونَ هُوَ لَها[4].

وهو أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ قبل ذلك، وأَوَّل مَنْ يُفِيقُ بعد الصعق. ثم هو أَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لا أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ[5].

وكما كان أول من تنشق عنه الأرض وأول من يفيق من الصعق وأول من يستفتح الجنة وأول داخلٍ لها، وأول شافع وأول مشفع، وصاحب المقام المحمود، وأكثر الأنبياء أتباعًا وأمته أكثر مَن يرِد على الحوض وأكثر أهل الجنة وله أجور أمته التي انتفعت بدعوته، فكذلك فإنه

---

[1] الحديث في الصحيحين، وسيأتِي تخريجه.

[2] الحديث في الصحيح وسيأتِي تخريجه.

[3] انظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي : " أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبَعًا "، برقم: 196-197، وكتاب الصلاة، حديث رقم: 384، وغير ذلك.

[4] الحديث في الصحيح، وسيأتي تخريجه.

[5] أشير هنا إلى حديث مسلم عن أنس ، الكتاب الإيمان المصدر نفسه، برقم: 197 .

أول الأنبياء عبورًا للصراط، بأبي هو وأمي. وهذا بابٌ واسعٌ.

لكنِّي هنا في العُنْوان: (أنَّه عليه الصلاة والسلام مقدَّم في الدنيا والآخرة لتكميله العبودية لله تعالى)، قصدْتُ بعض هذه التقديمات، فأقول:

ففي الدنيا -كما تقدم- أنّه ﷺ تقدّم الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج فصلّى بِهم إمامًا، وفيهم أبوه وإخوتُه الكبار، وما ذلك التقديم والتفضيل -والله أعلم- إلا لأنَّه ﷺ حقق العبودية لله جلّ وعزّ في نفسه ودعوته وكمّلها، لذا كان سياق آيات الإسراء والمعراج يُشعِر بذلك؛ إذْ لم يقل الله: (أسرى برسوله)، ولا (فأوحى إلى رسوله ما أوحى) بل قال: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭼ [الإسراء: ١]. وقال: ﭽﭶﭷﭸﭹﭺﭼ [النجم: ١٠]. ولعلّ جاء السياق هكذا ليفيد هذه الفائدة، ولَمّا كان الإسراء به ﷺ إلى المسجد الأقصى، والمعراج به مِن هناك إلى ما بعد السماء السابعة، ثم العودة إلى مكة في ليلة واحدة من الآيات والأعاجيب التي قد تحمِل ضِعاف العُقول على مجاوزة الحدّ بالغلوِّ فيه ﷺ، فيفتتنوا بذلك، كما قال تعالى: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﭼ [الإسراء: ٦٠]، لِهَذا وذاك جاء السياق هكذا.

وأما كونُه ﷺ مقدَّمًا على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الآخرة، وأنّ سبب ذلك كان لتكميله العبودية فواضحٌ جدًّا في الحديث الطويل الذي سأورده حيث يتدافعُ ويتأخّر أولو العزم من الرُّسل ضميمة نوح عليهم السلام الشفاعة الكبرى حتى تأتِيَ إلى هذا العبد الّذي غَفَر الله له ما تقدّم مِن ذنبه وما تأخّر، والذي هو لها أهلٌ. كما أنّ ذلك هو المقام المحمود الذي يغبطُه الأنبياءُ؛ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ تَحْتَ لِوَائِه، وهذا واضحٌ أيضًا في حديث سؤال الْوَسِيلَةَ له بعد الأذان " لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ " وَالذي رَجَى أَنْ يَكُونَ هُوَ لها. وغير ذلك.

وهنا سَأُورِد الأحاديث الدالة على ما سبق، ثم أُثنِّي بنقولات عن العلماء الأجلاء -رحمهم الله-، والتي سيتبيّن منها فهمُهم المشار إليه هنا، من خلال مطلبَين:

المطلب الأول: أحاديث الباب المبَيِّنة للمقصود:

الأول: حديث الإسراء؛ وفيه أنّ رسولنا محمدًا ﷺ وجَدَ نفسَه في جماعة من الأنبياء، وعلى رأسهم مجموعة مِن أُولِي العزم مِن الرُّسل؛ إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ببَيت المقدس، فبَعَثَ الله له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمَّهُم رسولُ الله ﷺ تلك الليلة، حين حانَت الصلاة، وهذا مما يدلّ على تقدُّمه وفضله عليهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا؛ فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنْ الأَنْبِيَاءِ؛ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ، -يَعْنِي: نَفْسَهُ- فَحَانَتِ الصَّلاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ الصَّلاةِ، قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ؛ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلامِ** "[1].

هذا حديث أبِي هريرة ﷺ وهو -كما رأيتَ- صحيحٌ، بل وفي صحيح مسلم، إلا أنّه جاءت في طُرُق حديث الإسراء عن أنسٍ وغيره من الصحابة ﷺ عدةُ ألفاظ بِمعنَى الشاهد الذي مِن أجله أوردتُ حديث أبِي هريرة ﷺ، على النحو التالِي:_

فمِن طُرُق أنس ﷺ: " **ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَجُمِعَ لِي الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمْ السَّلام، فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ**

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، رقم: 172.

حَتَّى أَمَمْتُهُمْ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا..."[1].

ومنها: " **ثم انصرفْتُ، فلم ألبث إلا يسيرًا، حتى اجتمع ناسٌ كثير، ثم أذّن مؤذِّنٌ، وأقيمت الصلاة، قال: فقمنا صفوفًا ننتظر مَن يؤمنا، فأخذ بيدي جبريل ، فقدّمني، فصلّيتُ بِهم، فلما انصرفتُ، قال جبريل: يا محمد! أتدري مَن صلّى خلفك؟ قال: فقلتُ: لا. قال: كلّ نبِيٍّ بعثه الله** "[2].

وفي حديث أبِي أمامة ، قوله: « ثُمَّ أُقِيمَتْ الصَّلاة فَتَدَافَعُوا حَتَّى قَدَّمُوا مُحَمَّدًا ».

وفي طريق علي للحديث، والذي حُكم عليه بالضعف الشديد، حتى ذكرَ بعضهم أنّ رائحة الوضع على الحديث ظاهرة[3]، جاء فيه قوله: " **ثُمَّ أَخَذَ الْمَلَكُ بِيَدِ مُحَمَّدٍ فَقَدَّمَهُ فَهَمَّ أَهْلُ السَّمَاءِ فِيهِمْ آدَمُ، وَنُوحٌ.** قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَئِذٍ: **أَكْمَلَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ الشَّرَفَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ »**[4].

ولقد تكلم العلماء –رحمهم الله- على صحة هذه الشواهد، وذكَروا أنّ الأحاديث التي انتزعتُ منها هذه الجُمَل غريبةٌ، وممن تكلم عليها الحافظ ابن كثيرٍ، والشيخ الألبانِي وغيرهما[5]–رحمهم الله-، لكنّ المعنى العام لِهذه الجمل، والذي هو حصول صلاته بالأنبياء عليهم السلام،

---

1 (?) سنن النسائي، كتاب باب فَرْضِ الصَّلاَةِ، رقم:450، الحديث منكر، كما قال الشيخ الألباني في ضعيف سنن النسائي.

2 (?) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، ولم أجده فيه، لكن قال الشيخ الألباني –رحمه الله- في كتابه الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجهما وبيان صحيحها من سقيمها بعد إيراد الحديث بطوله: "أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير، قال: هذا سياق فيه غرائب عجيبة، قلت: وآفته خالد بن يزيد، فإنه ضعيف مع كونه فقيها، وقد اتهمه ابن معين كما في التقريب (الإسراء والمعراج له، ص48)، وترجمة خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك هذا في التقريب برقم: 1688، ص131).

3 (?) انظر: الإسراء والمعراج للشيخ الألباني، ص105 .

4 (?) مسند علي بن أبي طالب مِن مسند البزار، رقم: 508.

5 (?) انظر لعزوها والحكم عليها، بل وتخريجها الموسع: تفسير القرآن العظيم، (ج3/ص5-36)، وكتاب الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما، وتخريجها، وبيان صحيحها من سقيمها، للشيخ الألبانِي، ص14-45 .

وأنّه هو الذي تقدمهم إمامًا، يصحّ بِحديث أبِي هريرة هذا. والله أعلم.

وهنا تنبيهان:

التنبيه الأول: جاء في إحدى طُرق ابن مسعود للحديث، قوله: " **ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فنُشرت لِي الأنبياء، من سمى الله منهم ومن لم يُسَمِّ، فصلَّيتُ بِهم، إلا هؤلاء النفر الثلاثة؛ إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام** "، فهذا –بعد الكلام على سنده[1]- فإنه مخالفٌ لحديث أبِي هريرة السابق وشواهده الدالة على أنّه صلّى خلفَه كلُّ نبِيّ بعثه الله (النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ).

التنبيه الثانِي: وجاء في سياق حديث الإسراء برواية حذيفة نفي حذيفة –برأيه- صلاة النبِّي عند بيت المقدس، فيما رواه عَنْه تلميذه زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ[2]، قَالَ: قُلْتُ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ أَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: لا، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَنْتَ تَقُولُ ذَاكَ يَا أَصْلَعُ! بِمَ تَقُولُ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: بِالْقُرْآنِ؛ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْقُرْآنُ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَنْ احْتَجَّ بِالْقُرْآنِ فَقَدْ أَفْلَحَ. أو فَقَدْ احْتَجَّ. وَرُبَّمَا قَالَ: قَدْ فَلَجَ. فَقَالَ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭼ [الإسراء: ١]. قَالَ أَفَتُرَاهُ صَلَّى فِيهِ؟ قُلْتُ: لا. قَالَ: لَوْ صَلَّى فِيهِ لَكُتِبَتْ عَلَيْكُمْ الصَّلاةُ فِيهِ كَمَا كُتِبَتْ الصَّلاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. قَالَ حُذَيْفَةُ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ بِدَابَّةٍ طَوِيلَةِ الظَّهْرِ، مَمْدُودَةٍ، هَكَذَا خَطْوُهُ مَدُّ بَصَرِهِ، فَمَا زَايَلا ظَهْرَ الْبُرَاقِ حَتَّى رَأَيَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَوَعْدَ الآخِرَةِ أَجْمَعَ، ثُمَّ رَجَعَا عَوْدَهُمَا عَلَى بَدْئِهِمَا. قَالَ: وَيَتَحَدَّثُونَ أَنَّهُ رَبَطَهُ. لِمَ؟ أَيَفِرُّ مِنْهُ، وَإِنَّمَا سَخَّرَهُ لَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ »[3].

---

[1] انظر لذلك: ص97-98 من كتاب الإسراء والمعراج للألبانِي.

[2] زِرّ -بكسر أوله، وتشديد الراء- وحُبَيش والِدُه وهو -بِمهملة وموحدة، ومعجمة- مُصغّر حُباشة، الأسدي، الكوفي، أبو مريم، ثقة جليلٌ، مُخَضرمٌ، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وسبع وعشرين (انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ورقم الترجمة: 2008).

وحديث الصلاة ببيت المقدس مؤتَمًّا به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذي نفاه حذيفة رُوي عن عدد كبيرٍ من الصحابة مثل: أبو هريرة (حديث الباب)، وأنس، وابن عباس، وعلي وابن مسعود ، عن رسول الله . وقد عارَضَ حذيفةَ زرٌّ الراوي عنه، وعمدتُه الحقيقي هو ما ثبتَ عن هؤلاء الصحابة مرفوعًا من إثبات ذلك، فيُقدّم ذلك على قول حذيفة النافِي[1].

الحديث الثانِي: وفيه أنّ رسولنا محمدًا مقدّمٌ في الآخرة على إخوته الأنبياء عليهم السلام، حيث يكون أَوَّل شَافِعٍ، وَأَوَّل مُشَفَّعٍ، وسبب ذلك تكميله لعبودية الله ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ** "[2].

يُوضِّح هذا حديثُ تأخُّرِ الأنبياء عليهم السلام عن الشفاعة الكبرى الآتِي:

الحديث الثالث: عَنْ قَتَادَة –رحمه الله- عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، قَالَ: " يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا! قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ! قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ؛ أَكْلَهُ مِنْ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا؛ أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ! وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي

---

3 (?) جامع الترمذي: كتاب التفسير، بَاب وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رقم: 3147، قال الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وبيّن الألبانِي أنه حسن فقط للخلاف في عاصم بن بهدلة، (انظر للمسألة عمومًا، والحكم على الحديث: كتاب الإسراء والمعراج له، ص62-63).

1 (?) انظر: الإسراء والمعراج للألبانِي، ص62-64 .

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق، رقم: 2278.

أَصَابَ؛ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ؛ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ! وَيَذْكُرُ ثَلاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى؛ عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ، وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا. قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ! وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ؛ قَتْلَهُ النَّفْسَ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى؛ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ! وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ؛ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ[1]، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ! وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ. قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ. ..."الحديث[2].

قال النووي –رحمه الله-: « قَوْله : " **إِنَّ كُلّ وَاحِد مِنْ الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلامه عَلَيْهِمْ، يَقُول: لَسْت هُنَاكُمْ، أَوْ لَسْت لَهَا** "، قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: هَذَا يَقُولُونَهُ تَوَاضُعًا وَإِكْبَارًا لِمَا يَسْأَلُونَهُ. قَالَ: وَقَدْ تَكُون إِشَارَة مِنْ كُلّ وَاحِد مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَة، وَهَذَا الْمَقَام لَيْسَ لَهُ بَلْ لِغَيْرِهِ، وَكُلّ وَاحِد مِنْهُمْ يَدُلّ عَلَى الآخَر حَتَّى انْتَهَى الأَمْر إِلَى صَاحِبه. قَالَ: وَيَحْتَمِل أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ صَاحِبهَا مُحَمَّد مُعَيَّنًا، وَتَكُون إِحَالَة كُلّ وَاحِد مِنْهُمْ عَلَى الآخَر عَلَى تَدْرِيج الشَّفَاعَة فِي ذَلِكَ إِلَى نَبِيّنَا مُحَمَّد . قَالَ: وَفِيهِ: تَقْدِيم ذَوِي الأَسْنَان وَالآبَاء عَلَى الأَبْنَاء فِي الأُمُور الَّتِي لَهَا بَال. قَالَ: وَأَمَّا مُبَادَرَة النَّبِيّ لِذَلِكَ وإِجَابَته لِدَعْوَتِهِمْ فَلِتَحَقُّقِهِ أَنَّ هَذِهِ الْكَرَامَة وَالْمَقَام لَهُ خَاصَّة. هَذَا كَلَام الْقَاضِي. وَالْحِكْمَة فِي أَنَّ اللَّه تَعَالَى أَلْهَمَهُمْ سُؤَال آدَم وَمَنْ بَعْده -صَلَوَات اللَّه وَسَلامه عَلَيْهِمْ-

---

1 (?) وجهه الحافظ ابن حجر –رحمه الله- بالنقل عن الخطابي –رحمه الله- (فتح الباري، ج4/ ص5369)، وفي توجيههما شيءٌ من النظر.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭷ رقم: 7440، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: 193.

فِي الابْتِدَاء، وَلَمْ يُلْهَمُوا سُؤَال نَبِيّنَا مُحَمَّد هِيَ -وَاَللَّه أَعْلَم- إِظْهَار فَضِيلَة نَبِيّنَا مُحَمَّد ، فَإِنَّهُمْ لَوْ سَأَلُوهُ ابْتِدَاء لَكَانَ يَحْتَمِل أَنَّ غَيْره يَقْدِر عَلَى هَذَا وَيُحَصِّلهُ، وَأَمَّا إِذَا سَأَلُوا غَيْره مِنْ رُسُل اللَّه تَعَالَى وَأَصْفِيَائِهِ فَامْتَنَعُوا، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَجَابَ، وَحَصَلَ غَرَضهمْ؛ فَهُوَ النِّهَايَة فِي ارْتِفَاع الْمَنْزِلَة، وَكَمَال الْقُرْب، وَعَظِيم الإِدْلال وَالأُنْس.
وَفِيهِ: تَفْضِيله عَلَى جَمِيع الْمَخْلُوقِينَ مِنْ الرُّسُل، وَالآدَمِيِّينَ وَالْمَلائِكَة؛ فَإِنَّ هَذَا الأَمْر الْعَظِيم وَهِيَ الشَّفَاعَة الْعُظْمَى، لا يَقْدِر عَلَى الإِقْدَام عَلَيْهِ غَيْره وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَاَللَّه أَعْلَم »[1].

المطلب الثاني: النقولات عن العلماء الأجلاء الدالة على ما عُقد له في المبحث:

أسبَقْتُ أوّل المبحث؛ أنّ الله تبارك وتعالى قدّم عبدَه ورسولَه محمدًا على آبائه وإخوته الأنبياء عليهم السلام، في الدنيا والآخرة، وأنّه ما قدّمه عليهم إلا لتكميله العبودية، وأشرتُ هناك إلى أنّ العلماء –رحمهم الله- قرَّروا هذا المعنى في قراراتِهم، لأترُك هنا نقل نصوصهم، فأقول:

قرّر هذا المعنى الكثير مِن العلماء المحققين، وعلى رأسهم أبو العباس ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن كثير، والإمام ابن أبِي العزّ الحنفي، وشيخنا الشيخ عبد المحسن البدر –رحم الله ميّتهم، وحفظ أحياءهم-

وهاك النقولات عنهم:

قال العلامة ابن القيم مقرِّرًا وناقلا عن شيخه أبِي العباس –رحمهما الله- ما معناه: أنّه لَمّا كمَّل النبِي مرتبة التعبد كمُلَت له المغفرة، واستحق التقديم على الخلائق: « ولَمّا كمَّل سيِّدُ ولَدِ آدم هذه المرتبة، وصفه الله بها في أشرف مقاماته؛ مقامِ الإسراء، كقوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭼ [الإسراء: ١]. ومقام الدعوة، كقوله: ﭽﭿﮀﮁﮂﮃﭼ [الجن: ١٩]. ومقام التحدي، كقوله: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﭼ [البقرة: ٢٣]. وبذلك استحق التقديم على الخلائق في الدنيا والآخرة. وكذلك يقول

---

[1] (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص232 .

المسيح لهم إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء، عليهم السلام: " **اذهبوا إلى مُحَمَّد؛ عَبْدٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ** "[1]. سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى، وكمال مغفرة الله له. لواء الحمد الذي بيد النبي يوم القيامة صورة ومعنى، إشارة إلى سيادته لجميع الخلائق فيكون الخلق تحت لوائه، كما يكون الأجناد تحت ألوية الملوك، وحامله المقدّم، الذي يكون خطيب الأنبياء إذا وفدوا، وإمامهم إذا اجتمعوا، وهو الذي يتقدم للشفاعة؛ فيحمد ربَّه بِمحامد لا يَحمدُه بها غيره. وهو محمد، وأحمد، وأمته الحمادون الذين يحمدون على السراء والضراء، وهو أول من يُدعى إلى الجنة فلا تفتح لأحد قبل صاحب لواء الحمد . ومحمد أفضل الرسل باتفاق المسلمين، لكن وقع نزاع هل هو أفضل من جملتهم؟ قطع جماعة بأنَّه أفضل. كما أن صدّيقَه أبا بكر وُزن إيْمانُه بإيْمان جميع الأمة فرجح »[2].

وقال -رحمه الله- ذاكرًا مراتب المحبة العشرة: « التاسعة: التّعبُّد، وهو فوق التَّتَيُم، فإنّ العبد هو الذي قد مَلَكَ المحبوبُ رِقّهُ، فلم يبْقَ له شيءٌ مِن نفسه البتة، بل كله عبدٌ لِمحبوبه، ظاهرًا وباطنًا. وهذا هو حقيقة العبودية، ومَن كمَّل ذلك فقد كمَّل مرتبتها، ولَما كمَّل سيِّدُ ولد آدم هذه المرتبة وصفه الله بها في أشرف مقاماته؛ مقام الإسراء كقوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭼ [الإسراء: ١]. ومقام الدعوة كقوله: ﭽﮀﮁﮂﮃﮄﮅﭼ [الجن: ١٩]. ومقام التحدي كقوله: ﭽﯤﯥ ﯦﯧﯨﯩﯪﯫﭼ [البقرة: ٢٣]. وبذلك استحق التقديم على الخلائق في الدنيا والآخرة. وكذلك يقول المسيح عليه الصلاة والسلام لهم إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: " **اذهبوا إلى مُحَمَّد؛ عَبْدٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ** "[3]. سمعت شيخ

---

1 (?) الحديث في الصحيحين، وقد تقدم تخريجه قريبًا.

2 (?) المستدرك على مجموع الفتاوى، (ج1/118، وج3/ 93)، جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

3 (?) الحديث في الصحيحين، وقد تقدم تخريجه قريبًا.

الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته الله تعالى، وكمال مغفرة الله له. وحقيقة العبودية: الحبُّ التّام مع الذّلّ التّام، والخضوع للمحبوب؛ تقول العرب: طريقٌ مُعَبّد، أي: قد ذلّلَتْه الأقدامُ، وسهَّلَتْه » [1].

وقال أيضًا: « وفي حديث الشفاعة إنّ المسيح يقول لهم: **اذهبوا إلى مُحَمَّد؛ عَبْدٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ** "[2]. فنال ذلك المقام بكمال عُبوديته لله، وبكماله مغفرة الله له، فتأمل قوله تعالى في الآية: ﭽﮦﮧﮨﮩﮪﭼ [فاطر: ١٥]. باسم (الله) دون اسم الربوبية؛ ليُؤذن بنوعي الفقر، فإنه -كما تقدم- نوعان؛ فقرٌ إلى ربوبيته، وهو فقرُ المخلوقات بأسْرها، وفقرٌ إلى ألوهيته، وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده الصالحين. وهذا هو الفقر النافع»[3].

وقال أيضًا: « وقد ذكر الله سبحانه رسولَه بالعبودية في أشرف مقاماته، وهي مقام التحدي، ومقام الإسراء، ومقام الدعوة، فقال في التحدي: ﭽﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﭼ [البقرة: ٢٣]. وقال في مقام الإسراء: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭼ [الإسراء: ١]. وقال في مقام الدعوة: ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﭼ [الجن: ١٩]. وإذا تدافع أولو العزم الشفاعة الكبرى يوم القيامة، يقول المسيح لهم: **اذهبوا إلى مُحَمَّد؛ عَبْدٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ** "[4]. فنال ذلك المقام بكمال العبودية لله، وكمال مغفرة الله له، فأشرف صفات العبد صفةُ العبودية، وأحبّ أسمائه إلى الله اسم العبودية، كما ثبت عن النبي أنه قال: " **أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ. وَأَصْدَقُهَا: حَارِثٌ، وَهَمَّامٌ. وَأَقْبَحُهَا: حَرْبٌ، وَمُرَّةُ** [5] ... وبالله التوفيق »[6].

---

1 (?) مدارج السالكين، (ج2/ ص608-609)، وقريبًا منه ما ذكره في كتابه الداء والدواء، ص438.

2 (?) الحديث في الصحيحين، وقد تقدم تخريجه قريبًا.

3 (?) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ؟؟؟

4 (?) الحديث في الصحيحين، وقد تقدم تخريجه قريبًا.

ومما قال العلامة –رحمه الله- في هذا السياق: « **فصل:** لَمّا كمُل للرسول مقامُ الافتقار إلى الله سبحانه أحوج الخلائق كلّهم إليه، في الدنيا والآخرة، أما حاجتُهم إليه في الدنيا، فأشدُّ من حاجتهم إلى الطعام، والشراب، والنّفس، الذي به حياة أبدانِهم.
وأما حاجتُهم إليه في الآخرة، فإنَّهم يستشفعون بالرّسل إلى الله حتى يريحوهم من ضيق مقامهم، فكلُّهم يتأخر عن الشفاعة، فيشفع لهم، وهو الذي يستفتح لهم باب الجنة[1]»[2].

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « ﭙﭚﭛﭜ وهو مسجد مكة ﭝﭞﭟﭠ وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء، معْدِن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولِهذا جُمعوا له هنالك كلّهم، فَأمّهم في مَحِلّتهم، ودارهم، فدلّ على أنّه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدَّم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين »[3].

وقال الإمام ابن أبِي العزّ الحنفي –رحمه الله-: في شرح كلام الطحاوي (**وإنّ محمدًا عبدُه المصطفى، ..**) بعدما ذكر الآيات التي سَمّى الله نبيَّه باسم العبد في أشرف المقامات، مقام الإسراء، والمعراج، والدعوة، والتحدّي « وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول المسيح يوم القيامة: **اذهبوا إلى مُحَمَّد؛ عَبْدٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ** ". فحصلَتْ له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى[4] »[5].

---

5 (?) سنن أبي داود: كتاب الأدب، بَاب فِي تَغْيِيرِ الأَسْمَاءِ، ورقمه: 4950، ومسند الإمام أحمد، ورقمه: 18258، وهو صحيح دون أوله الذي لم يذكُرْه الشيخ (تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ).

6 (?) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص84-85 .

1 (?) سبقت الإشارة إلى حديث مسلم عن أنس هذا في أول المبحث، وهو في كتاب الإيمان، برقم: 197 .

2 (?) الفوائد لابن القيم، ص226-227 .

3 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ ص5) .

4 (?) وقد نقل كلام ابن أبي العز هذا عنه شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر (انظر: كتابه/ عشرون حديثًا مِن صحيح البخاري؛ دراسة أسانيده وشرح متونها، ضمن كتبه ورسائله، (ج2/ 213).

5 (?) شرح العقيدة الطحاوية، (ج1/ ص226).

وبما تقدم من الأحاديث، ثم ما أوردته من شروح العلماء لَها تبيّن بجلاء أنّ نبينا محمدًا ما نال تكريم الله الدنيوي والأخروي إلا لتكميله العبودية لربه سبحانه، اللهم فزد له شرَفًا وأنعم وبارك! وأنتقل بعد ذلك إلى المبحث الرابع، وهو:

المبحث الرابع: أنَّه أعلم الناس بالله، وأتقاهم له!

التقوى: هي العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله ورحمته، وترك معصية الله، على نور من الله، مخافة عذابه سبحانه[1].

فلفظة (التقوى) عند انفرادها عن لفظة (البر) –كما هاهنا- تشمل الأوامر وامتثالها، والنواهي واجتنابها، أما حيث قُرنَ بينها وبين البرّ، فإنّها تختص بترك النواهي، والبر بفعل الطاعات. هذا شيءٌ. ثم إنّ العلامة ابن القيم –رحمه الله- قد ذكر أنّ (الْعِلْم بِاَللَّهِ) خمس مراتب، هي: العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتـنـزيهه عما لا يليق به[2].

وأقول: العلم بشرع الله ودينه وحدوده بأوامره ونواهيه -والذي طريقُه الوحي- داخلٌ في العلم به سبحانه، وغيـرُ بعيدٍ عنه.

والرسول أعلم الناس بذلك كلِّه، فصار هو الأتقى له سبحانه، هذا على وجه الإجمال.

وسيأتي تفصيلُه لاحقًا.

وأُقَرِّرُه بوَجهٍ آخر، فأقول: (الْعِلْمُ بِاَللَّهِ): يُرَادُ بِهِ فِي الأَصْلِ نَوْعَانِ: **أَحَدُهُمَا**: الْعِلْمُ بِهِ نَفْسِهِ؛ وَبِمَا هُوَ مُتَّصِفٌ بِهِ مِنْ نُعُوتِ الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى. وَهَذَا الْعِلْمُ إذَا رَسَخَ فِي الْقَلْبِ أَوْجَبَ خَشْيَةَ اللَّهِ لا مَحَالَةَ؛ فَإِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يُثِيبُ عَلَى طَاعَتِهِ؛ وَيُعَاقِبُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ كَمَا شَهِدَ بِهِ الْقُرْآنُ وَالْعِيَانُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ أَحَدِ علماء التَّابِعِينَ: **الْعُلَمَاءُ ثَلاثَةٌ**: عَالِمٌ بِاَللَّهِ لَيْسَ عَالِمًا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ عَالِمًا بِاَللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاَللَّهِ، وَبِأَمْرِ اللَّهِ. فَالْعَالِمُ بِاَللَّهِ: الَّذِي يَخْشَى اللَّهَ. وَالْعَالِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ: الَّذِي يَعْرِفُ الْحَلالَ وَالْحَرَامَ. وَقَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ: أَيُّهَا الْعَالِمُ! فَقَالَ: إنَّمَا

---

1 (?) هو قول طَلْق بن حبيب –رحمه الله-، لَمّا قيل له: ألا تجمع لنا التقوى في كلام يسير يرونه؟ (انظره: في تفسير ابن كثير –رحمه الله تعالى- لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ. والسيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية الثانية من سورة البقرة، وانظر عن حقيقة التقوى: كتاب التعريفات للجرجاني، مادة التقوى، ص129.

2 (?) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، (ج1/ 172).

الْعَالِمُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ[1]. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِالِاغْتِرَارِ بِاَللَّهِ جَهْلا[2].
وَالنَّوْعُ الثَّانِي: يُرَادُ بِالْعِلْمِ بِاَللَّهِ: الْعِلْمُ بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ أَنَّهُ تَرَخَّصَ فِي شَيْءٍ، فَبَلَغَهُ أَنَّ أَقْوَامًا تَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَقَالَ: " **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ أَشْيَاءَ أَتَرَخَّصُ فِيهَا؟ وَاَللَّهِ! إنِّي لأَعْلَمُكُمْ بِاَللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ** "[3]. وَفِي رِوَايَةٍ " **وَاَللَّهِ! إنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِهِ** "[4]، فَجَعَلَ الْعِلْمَ بِهِ، هُوَ الْعِلْمَ بِحُدُودِهِ. وقد قرره شيخ الإسلام -رحمه الله- لَمّا سُئل: « ما العلم بالله؟ » [5].

ونبيُّنا محمدٌ هو التاج على رأس العَالِمين بِاَللَّهِ، وَبِأَمْرِ اللَّهِ، وذلك لاعتماده على الوحي، ولاعتماد غيره من الْعُلَمَاء على ما نزَل عليه مقتبِسًا من نوره، كما سيأتِي مزيدٌ عليه قريبًا.

قد بيّن الله تعالى أنّ عِلمَه سبحانه موجِبٌ لخشيته، فقال: ﭽﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﭼ [فاطر: ٢٨].

وذكر العلماء -رحمهم الله- قاعدة أخذوها من مجموع نصوص الباب، وهي قولهم: **من كان بالله أعرف كان منه أخشى ...** فالآية في بيان أنّ العلم بالله وبأسمائه وصفاته، وبأفعاله؛ (ما يجوز أنْ يفعله وما لا)، وبشرعه الذي نزل لصلاح معاش الناس ومعادهم = أنّ ذلك مظنة خشية الله، ومعلومٌ أنّ رسول الله محمدًا هو أعلم الناس بالله، وبشرعه، فهو أتقاهم وأخشاهم لله، يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيرها: « أي: إنما يخشاه حق خشيته: العلماءُ العارفون به؛ لأنّه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى =كلما كانت المعرفة

---

1 أورده ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله.
2 مصنف أبي بكر ابن أبي شيبة: كتاب الزهد، كلام ابن مسعود ، ورقمه: 35674، وشعب الإيمان، باب في الخوف من الله تعالى، ورقمه: 746، (ج1/ ص472).
3 الحديث في البخاري، وسيأتِي تخريجه قريبًا.
4 هذه الرواية في الموطأ، وسيأتي تخريجها قريبًا، وهي مرسلة.
5 انظر: مجموع الفتاوى، (3 / 333-334).

به أتمّ، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر »[1].

ويقول الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسير الآية بعد ذكره لخلق الله للمتضادات، وأنّ ذلك دليل عقلي على مشيئة الله التي خصصت ما خصصت باللون أو بالوصف، وعلى قدرته حيث أوجدها كذلك، وعلى سعة علمه، وعلى حكمته ورحمته لترتب مصالح الناس ومنافعهم على هذا الاختلاف، قال: « ... ولكن الغافل ينظرٍ في هذه الأشياء وغيرها نظرَ غفلةٍ لا تُحْدِث له التذكُّر، وإنما ينتفع بها مَن يخشى اللّه تعالى، ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها، ولهذا قال: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ فكلّ مَن كان باللّه أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية اللّه: الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء مَن يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية اللّه.

وأهلُ خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭼ [البينة: ٨] »[2].

يقول أحد الشعراء:

على قدر عِلم المرء يَعظُم خوفُه	فلا عالِمٌ إلا مِن الله خائف
فآمِنُ مكرِ الله، بالله جاهلُ	وخائفُ مكرِ الله، بالله عارفُ[3].

أما المعنى المعقود في العنوان فيدل على خصوصه عدَّةُ نصوص حديثية، وهي كالتالِي:

---

1 (?) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج3/ 724-725) .

2 (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي، ص 688 .

3 (?) استشهد بهما الشيخ عبد الله بن سعيد محمد عبادي اللّحجي في كتابه: كتاب منتهى السول، على وسائل الوصول، إلى شمائل الرسول ﷺ، (ج3 / ص6، ط / دار المنهاج) .

أولا: ما جاء عن أَنَسَ بنِ مَالِكٍ ، قال: جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؛ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: " **أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا! أَمَا وَاللَّهِ! إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ؛ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** "، متفق عليه [1].

ولفظ مسلم: « أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ : قَالَ بَعْضُهُمْ لا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصُومُ فَلا أُفْطِرُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "... الحديث[2].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَوْله (إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ): فِيهِ إِشَارَة إِلَى رَدّ مَا بَنَوْا عَلَيْهِ أَمْرَهُمْ مِنْ أَنَّ الْمَغْفُور لَهُ لا يَحْتَاج إِلَى مَزِيد فِي الْعِبَادَة بِخِلافِ غَيْره، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ مَعَ كَوْنه يُبَالِغ فِي التَّشْدِيد فِي الْعِبَادَة أَخْشَى لِلَّهِ وَأَتْقَى مِنْ الَّذِينَ يُشَدِّدُونَ، وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لأَنَّ الْمُشَدِّد لا يَأْمَن مِنْ الْمَلَل، بِخِلافِ الْمُقْتَصِد؛ فَإِنَّهُ أَمْكَن لاسْتِمْرَارِهِ، وَخَيْر الْعَمَل مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبه، وَقَدْ أَرْشَد إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْله فِي الْحَدِيث الآخَر: "الْمُنْبَتّ لا أَرْضًا قَطَعَ، وَلا ظَهْرًا أَبْقَى" »[3].

وقد يتساءل أحدُ الناس فيقول: هؤلاء الصحابة الذين تقالّوا أعمال الرسول السرية، وعزموا على فعل ما هو أكثر مِن ذلك في أبواب العبادات الكثيرة؛ مِن الصوم،

---

1 (?) صحيح البخاري: واللفظ له، كتاب النكاح، بَاب التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، رقم: 5063، وصحيح مسلم: كتاب النكاح، بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ ..، رقم: 1401 .

2 (?) صحيح مسلم، الكتاب والباب.

3 (?) فتح الباري، (ج3/3567).

وقيام الليل، والانقطاع للعبادة وعدم الزواج (التبتل)، وعدم أكل اللحوم والملذات زهدًا عنها .. في سيرهم إلى الله –لو بقُوا على هذا المنهج- سيكونون –كلٌّ في بابه- أكثرَ عبادة لله من رسول الله، فيكون هذا الصائم الذي يصوم ولا يُفطر، أكثر صومًا منه ﷺ، وذلك لأنّه ﷺ ما كان يصوم الدهر كلّه، وهذا القائم يكون أكثر صلاة منه ﷺ، لأنه ﷺ مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، وكذلك المنقطع المتبتل،
فهل يكون هذا الأكثر عبادة –فيما يظهر- أتقى مِن رسول الله ﷺ؟

للجواب عن هذا السؤال لا بدّ من عدة وقفاتٍ، أكثرها ترجع إلى تعريف التقوى الذي صدّرتُ به الكلام، فأقول –وبالله التوفيق-:

الوقفة الأولى: العبادة والتقوى –كما سبق- هو العمل بطاعة الله، على نورٍ من الله (على شريعته سبحانه)، فالصلاة والصيام عبادتان، بينما تحريم الطيبات على النفس (اللحم وغيره)، وعدم الزواج للمحتاج غير مشروعَين.

الوقفة الثانية: وإن كانت الصلاة عبادة إلا أنّ الشرع لم يأذن بقيام جميع الليل، لأنه سيكون –ولا بد- على حساب بعض الأمور المطلوبة. كما حرّم صيام الدهر كُلِّه، بل لا صام مَن صامه، فالقول بصيام النهار وعدم الإفطار الذي قاله أحد هؤلاء مخالفٌ للشرع، وكذلك قائم كلِّ الليل، فكيف يكون المتصف بغير الشرع متقيًا، فضلا عن أن يكون أتقى مِن رسول الله ﷺ.

الوقفة الثالثة: العبد حقًّا هو الذي يكون في كل أوقاته في طاعة، ويضرب مِن كلّ قربة بسهمٍ، فتارة في صلاة، وتارة في تشييع جنازة، وأخرى في طلب العلم، وتارة في مساعدة المحتاجين وأبواب الخير المتعدية، وتارة في خدمة عيال، ويومًا بصيامٍ، ويومًا مفطرًا، قائمًا بهذا أو بذاك. بينما الذين جاء ذكرهم في هذا الحديث أراد أنْ يتخصص كلٌّ منهم ببابٍ يظنّ أنه سيفتح له فيه، ليترك بقية الأبواب شاغرة، ... في حين كان رسولنا ﷺ ذاكرًا لله

على كلّ أحيانه، فهو في هذه العبادة أو تلك، فكيف يقرُب الذي لا يعرف في العبادة إلا بابًا، وعلى خلاف الشريعة، ويتفاضل بالذي له مِن كلّ باب سهم؟ فهبْ لو أنّ أحدًا عمِل بجميع هذه الأبواب التعبدية فقام كلّ ليله مصليًّا تاليًا للقرآن، وصام كلّ نهاره، وترك الزواج، وغير ذلك، فإنه لَمّا لم يكن على شريعة الله، بل مغاليًا، فإنّ الله تعالى لا يريد هذه العبادات منه، فلا صام مَن صام الدهر، وللجسم على الإنسان حق ... إلخ.

الوقفة الرابعة: عدم الترويح عن النفس، ليس منهجًا شرعيًّا. ويؤدي إلى الترك الكلي للعبادة، والانقطاع عنها، فيكون الإنسان كالـمُـنْـبَـتّ، الذي لا أرضًا قطع، ولا ظهْـرًا أبقى... لذا قرر علماء الشريعة قاعدة استنبطوها من نصوص الشريعة، وهي: قليلٌ تداوم عليه خيرٌ مِن كثيرٍ تنقطع عنه، صحيحٌ؛ الذي يعمل كثيرًا يومًا ثم يتركه أيامًا، قد يوافيه الأجل وهو في غير أيام عمله. أما الذي داوم على العمل -وإنْ قلّ- فإنْ وافاه الأجل فإنه في هذه الحالة على خيرٍ وعلى عملٍ صالح دائم، لذا كان أحب الأعمال إلى اللَه أدومها وإنْ قلّ.

وهذا المنهج -وهو منهج الانقطاع للعبادة وعدم إعطاء الجسم حقه في السير إلى الله عند السالكين، وكذلك بقية مَن له حق على الإنسان ... - يؤدي إلى الترك الكلي أو إلى الفتور والشعور بأنّ على الإنسان ثقلا حـمَّل نفسه ما لا تحتمله؛ فيكره عبادة الله، ويراها ثقيلة عليه، وأخبارُ

بعض السالكين من سلفنا الصالحين[1] الذين شعُروا بأنهم لو أخذوا بطريق الرفق الذي أرشدوا إليه لأكبَرُ زاجر!

الوقفة الخامسة: الذي حرم نفسه مِن الزواج بحجة أنه يشغل البال والإنسان ... فإنه لا يخلو إما يكون الزواج واجبًا عليه، أو لا فإنْ كان نعم، فإنه حرَم نفسَه طيبات أحلّها الله له، كما أنه يُخاف عليه الوقوع في المعصية، وإنْ لا، فالأمر هين!

الوقفة السادسة: أكل اللحم لا يمنع العبادة، فلِمَ يحرم الإنسان على نفسه الطيبات مِن الرزق! وإذا تبين هذا فكيف يكون هؤلاء أتقى مِن رسول الله ﷺ من أجل أنّ الأوَّلَين منهم تخصصا في عبادة وشدَّدا على نفسيهما بما لم يأذن به الله. والله لا يقبل من العبادات إلا ما أذن فيه. والأخيران حرَّما على نفسَيهما ما لم يُحرِّمه الله عليهما، والتقوى أن تترك معصية الله على نورٍ من الله ترجو

[1] كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وغيره، ففي الصحيحين (البخاري كتاب فضائل القرآن، بَاب فِي كَمْ يُقْرَأُ الْقُرْآنُ، ورقمه: 5052، وصحيح مسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقًّا، أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم وإفطار يوم، ورقمه: 1159، وانظر لفظ مسلم خصوصًا) عَنْه، قَالَ: « أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ! لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " **الْقَنِي بِهِ** " فَلَقِيتُهُ بَعْدُ فَقَالَ: " **كَيْفَ تَصُومُ**؟ قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: " **وَكَيْفَ تَخْتِمُ**؟ قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: " **صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةً، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ** " قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: " **صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ** " قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: " **أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا** "، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: " **صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً** " فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنْ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنْ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا، وَأَحْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ » قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ثَلاثٍ، وَفِي خَمْسٍ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ »، وفي روية مسلم: « قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: لأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ الثَّلاثَةَ الأَيَّامَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي ». وليُراجع مَن أراد الاستزادة ترجمة هذا الصحابي!

ثواب الله، وهذا ليس بمعصية، فيكف يحرمها الإنسان على نفسه!

ثانيًا: وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَتَعَبَّدُونَ عِبَادَةً شَدِيدَةً، فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: " **وَاللَّهِ! إِنِّي لأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ ﷻ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ** "، **وَكَانَ يَقُولُ: " عَلَيْكُمْ مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا** "[1].

ثالثًا: وجاء في صحيح البخاري: « بَاب قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: " **أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ** " وَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ فِعْلُ الْقَلْبِ »، وأورد تحته بسنده عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنْ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: " **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا** "[2]. وفي لفظٍ متفق عليه: عَنْهَا رضي الله عنها، قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ، وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: " **مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ، فَكَرِهُوهُ، وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَوَ اللَّهِ! لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**" [3].

في قوله:" **أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ** " إشارة إلى قوته العلمية. وفي قوله: " **وَأَتْقَاكُمْ** " وقوله: " **وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً** " إشارة إلى قوته العملية، وأنّ قوتَيْه ﷺ فوق قوتَي غيره[4].

---

1 مسند الإمام أحمد: رقم: 24956، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم .

2 صحيح البخاري: كتاب الإيمان، رقم: 20، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَاب عِلْمِهِ ﷺ بِاللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ خَشْيَتِهِ، رقم: 2356.

3 صحيح البخاري: كتاب أخبار الآحاد، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ، وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ، وَالْبِدَعِ، رقم: 7301، وصحيح مسلم: الباب نفسه، رقم: 2356.

4 انظر: فتح الباري: (ج4/5270).

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في ذكره فوائد الحديث: « الثَّامِنَة: بَيَان أَنَّ لِرَسُولِ اللَّه رُتْبَة الْكَمَال الإِنْسَانِيّ؛ لأَنَّهُ مُنْحَصِر فِي الْحِكْمَتَيْنِ الْعِلْمِيَّة وَالْعَمَلِيَّة، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى الأُولَى بِقَوْلِهِ: " **أَعْلَمكُمْ** "، وَإِلَى الثَّانِيَة بِقَوْلِهِ: " **أَتْقَاكُمْ** ". وَوَقَعَ عِنْد أَبِي نُعَيْم " **وَأَعْلَمكُمْ بِاَللَّهِ لأَنَا** " بِزِيَادَةِ لام التَّأْكِيد.

وَفِي رِوَايَة ... " **وَاَللَّه إِنَّ أَبَرّكُمْ وَأَتْقَاكُمْ أَنَا** " »[1].

ولقد قال النووي –رحمه الله- قبله في شرح الحديث: « (فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَب فِي وَجْهه، ثُمَّ قَالَ : مَا بَال أَقْوَام يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ؟ فَوَ اَللَّهِ لأَنَا أَعْلَمهُمْ بِاَللَّهِ وَأَشَدّهمْ لَهُ خَشْيَة) فِيهِ: الْحَثّ عَلَى الاقْتِدَاء بِهِ ، وَالنَّهْي عَنْ التَّعَمُّق فِي الْعِبَادَة، وَذَمّ التَّنَزُّه عَنْ الْمُبَاح شَكًّا فِي إِبَاحَته. وَفِيهِ الْغَضَب عِنْد اِنْتَهَاك حُرُمَات الشَّرْع، وَإِنْ كَانَ الْمُنْتَهِك مُتَأَوِّلا تَأْوِيلا بَاطِلا. وَفِيهِ حُسْن الْمُعَاشَرَة بِإِرْسَالِ التَّعْزِير وَالإِنْكَار فِي الْجَمْع، وَلا يُعَيَّن فَاعِله، فَيُقَال: مَا بَال أَقْوَام؟ وَنَحْوه. وَفِيهِ أَنَّ الْقُرب إِلَى اللَّه تَعَالَى سَبَب لِزِيَادَةِ الْعِلْم بِهِ وَشِدَّة خَشْيَته. وَأَمَّا قَوْله : (فَوَ اَللَّهِ لأَنَا أَعْلَمهُمْ بِاَللَّهِ وَأَشَدّهمْ لَهُ خَشْيَة) فَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ سننهمْ عَمَّا فَعَلْت أَقْرَب لَهُمْ عِنْد اللَّه، وَإِنْ فَعَلَ خِلاف ذَلِكَ، وَلَيْسَ كَمَا تَوَهَّمُوا، بَلْ أَنَا أَعْلَمهُمْ بِاَللَّهِ، وَأَشَدّهمْ لَهُ خَشْيَة. وَإِنَّمَا يَكُون الْقُرب إِلَيْهِ سُبْحَانه وَتَعَالَى، وَالْخَشْيَة لَهُ عَلَى حَسَبِ مَا أَمَرَ، لا بِمُخَيَّلاتِ النُّفُوس، وَتَكَلُّف أَعْمَال لَمْ يَأْمُرْ بِهَا. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ »[2].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرحه ثماني فوائد، سبق ثامنها، وملخصها: أَنَّ الأَعْمَال الصَّالِحَة تُرَقِّي صَاحِبهَا إِلَى الْمَرَاتِب السَّنِيَّة مِنْ رَفْع الدَّرَجَات وَمَحْو الْخَطِيئَات؛ لأَنَّهُ لَمْ يُنْكِر عَلَيْهِمْ اِسْتِدْلالهمْ وَلا تَعْلِيلهمْ مِنْ هَذِهِ الْجِهَة، بَلْ مِنْ الْجِهَة الأُخْرَى. وأَنَّ الْعَبْد إِذَا بَلَغَ الْغَايَة فِي الْعِبَادَة وَثَمَرَاتهَا كَانَ ذَلِكَ أَدْعَى لَهُ إِلَى الْمُوَاظَبَة عَلَيْهَا، اسْتِبْقَاء لِلنِّعْمَةِ، وَاسْتِزَادَة لَهَا بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا. والْوُقُوف عِنْد مَا حَدَّ الشَّارِع مِنْ عَزِيمَة وَرُخْصَة،

---

1 (?) فتح الباري، (ج1/ص425).

2 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص1442

وَاعْتِقَاد أَنَّ الأَخْذ بِالأَرْفَقِ الْمُوَافِق لِلشَّرْع أَوْلَى مِنْ الأَشَقّ الْمُخَالِف لَهُ. وأَنَّ الأَوْلَى فِي الْعِبَادَة الْقَصْد وَالْمُلازَمَة، لا الْمُبَالَغَة الْمُفْضِيَة إِلَى التَّرْك، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيث الآخَر " الْمُنْبَتّ -أَيْ الْمُجِدّ فِي السَّيْر- **لا أَرْضًا قَطَعَ، وَلا ظَهْرًا أَبْقَى** "[1] . والتَّنْبِيه عَلَى شِدَّة رَغْبَة الصَّحَابَة فِي الْعِبَادَة وَطَلَبهمْ الازْدِيَاد مِنْ الْخَيْر. ومَشْرُوعِيَّة الْغَضَب عِنْد مُخَالَفَة الأَمْر الشَّرْعِيّ، وَالإِنْكَار عَلَى الْحَاذِق الْمُتَأَهِّل لِفَهْمِ الْمَعْنَى إِذَا قَصَّرَ فِي الْفَهْم، تَحْرِيضًا لَهُ عَلَى التَّيَقُّظ. ثم جَوَاز تَحَدُّث الْمَرْء بِمَا فِيهِ مِنْ فَضْل بِحَسَبِ الْحَاجَة لِذَلِكَ، عِنْد الأَمْن مِنْ الْمُبَاهَاة وَالتَّعَاظُم[2].

رابعًا: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَجُلا، قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ -وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ، وَأَنَا أَسْمَعُ- يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أُصْبِحُ جُنُبًا، وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ؟ فَقَالَ ﷺ: " **وَأَنَا أُصْبِحُ جُنُبًا، وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ، فَأَغْتَسِلُ وَأَصُومُ** "، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ لَسْتَ مِثْلَنَا؛ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: " **وَاللَّهِ! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي** "[3].

خامسًا: عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُقَبِّلُ الصَّائِمُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **سَلْ هَذِهِ؛ لأُمِّ سَلَمَةَ**؟ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ذَلِكَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **أَمَا وَاللَّهِ! إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ** "[4].

---

[1] تقدم تخريجه، وهو في جامع الترمذي.

[2] انظر: فتح الباري، (ج1/ص425).

[3] صحيح مسلم: كتاب الصيام، بَاب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم: 1110، وموطأ مالك: كتاب الصيام، بَاب مَا جَاءَ فِي صِيَامِ الَّذِي يُصْبِحُ جُنُبًا فِي رَمَضَانَ، ورقمه في الكتاب، 9.

[4] صحيح مسلم: كتاب الصيام، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْقُبْلَةَ فِي الصَّوْمِ لَيْسَتْ مُحَرَّمَةً ...، رقم: 1108.

والخشية هو الخوف الناشئ عن العلم بالمخوف، وتعظيمه وشعور هيبته وتعظيمه، وهو أعلى مراتب الخوف، وأخص منه[1].

سادسًا: ومثل هذا الحديث الموصول قد جاء في موطأ مالكٍ مرسلا، وفيه فائدة عزيزة، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ -رحمه الله- أَنَّ رَجُلا قَبَّلَ امْرَأَتَهُ وَهُوَ صَائِمٌ فِي رَمَضَانَ، فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ وَجْدًا شَدِيدًا، فَأَرْسَلَ امْرَأَتَهُ تَسْأَلُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَدَخَلَتْ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهَا، فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ، فَرَجَعَتْ، فَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا بِذَلِكَ، فَزَادَهُ ذَلِكَ شَرًّا. وَقَالَ: لَسْنَا مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ ، اللَّهُ يُحِلُّ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَجَعَتْ امْرَأَتُهُ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَوَجَدَتْ عِنْدَهَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **مَا لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ؟** فَأَخْبَرَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَلا أَخْبَرْتِيهَا أَنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ**! " فَقَالَتْ: قَدْ أَخْبَرْتُهَا، فَذَهَبَتْ إِلَى زَوْجِهَا فَأَخْبَرَتْهُ، فَزَادَهُ ذَلِكَ شَرًّا، وَقَالَ: لَسْنَا مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ ، اللَّهُ يُحِلُّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَالَ: " **وَاللَّهِ! إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِهِ** "[2].

والفائدة العزيزة التي أشرتُ إليها هي أنّ (**العلم بالله) هو** العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتـنـزيهه عما لا يليق به -كما قرّره العلامة ابن القيم -رحمه الله- وأشرتُ إليه أول هذا المبحث-، وكذلك العلم بشرع الله ودينه وحدوده بأوامره ونواهيه، فـ(العالم بالله) هو الْعَالِمُ بِالله نَفْسِهِ؛ وَبِمَا هُوَ مُتَّصِفٌ بِهِ مِنْ نُعُوتِ الْجَلالِ وَالإِكْرَام، وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى، والْعِالِمُ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، -كما في عبارة شيخ الإسلام رحمه

---

[1] انظر: مدارج السالكين، (ج1/ 607-608)، والخوف والرجاء في القرآن الكريم دراسة وتحليل، لعبد الله أسود خلف الجوالي، ص24-25، وكتاب أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم، (ج1/ 212) .

[2] موطأ مالك: كتاب الصيام، بَاب مَا جَاءَ فِي الرُّخْصَةِ فِي الْقُبْلَةِ لِلصَّائِمِ، رقمه في الكتاب: 13. وهو حديث مرسلٌ.

الله-، فالعالم بالله هو العَالِمٌ بِأسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة عليه سبحانه، وَبِأَمْرِه الشرعي.

سابعًا: عَنْ جَابِرِ بن عبد الله وابْنِ عَبَّاسٍ قَالا: « قَدِمَ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ صُبْحَ رَابِعَةٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مُهِلِّينَ بِالْحَجِّ لا يَخْلِطُهُمْ شَيْءٌ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا فَجَعَلْنَاهَا عُمْرَةً، وَأَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا، فَفَشَتْ فِي ذَلِكَ الْقَالَةُ، قَالَ جَابِرٌ: فَيَرُوحُ أَحَدُنَا إِلَى مِنًى وَذَكَرُهُ يَقْطُرُ مَنِيًّا؟ فَقَالَ جَابِرٌ بِكَفِّهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: " **بَلَغَنِي أَنَّ أَقْوَامًا يَقُولُونَ: كَذَا، وَكَذَا، وَاللَّهِ! لأَنَا أَبَرُّ وَأَتْقَى لِلَّهِ مِنْهُمْ، وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْلا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لأَحْلَلْتُ**. ...الحديث متفقٌ عليه.

وفي لفظ مسلم فإنه بعدما قال جابرٌ ما قال، قام النبي فقال: " **قد علِمتُم أنِّي أتقاكم لله، وأصدقُكم وأبرُّكم** "الحديث[1]. وفي المستدرك فيه أنّه قال: " **أبالله تعلمونِّي أيها الناس، فأنا -والله- أعلمكم بالله، وأتقاكم له** "الحديث[2].

فالنصوص المتقدمة دلَّت على النوع الأول من العلم بالله (وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله)، بينما الأثر المرسل حيث قيل فيه: " **وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِهِ** " دلّ على النوع الآخر. فنبيُّنا محمدٌ هو الأعلم بالله؛ أسماءً وصفاتٍ وأفعالاً، والأعلم بحدوده (أمرِه ونهيِه)، ولا منازع؛ لأنّه هو الذي يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ، والْعِلْمُ بِهِ سبحانه عِنْدَ عَدَمِ الْمُعَارِضِ مُوجِبٌ لِلْخَشْيَةِ، ولا معارض هنا، فأوجَب علمُه بالله خشية الله، فلما كان هو الأعلم صار هو الأخشى –كما في عنوان المبحث- قال تعالى: ﭽﯞ ﯟﯠﯡﯢﯣﯤﭼ .

[1] صحيح البخاري: كتاب الشركة، بَاب الاشْتِرَاكِ فِي الْهَدْيِ وَالْبُدْنِ .. رقم: 2505 و2506، وصحيح مسلم: كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام ... رقم: 1216 .

[2] المستدرك للحاكم: كتاب المناسك، رقم: 1742، وهو بمعنى أحاديث الصحيحين السابقة.

وهو -بِحديث الباب- كما أنّه هو الأخشى لله فهو الأتقى له سبحانه، قال الشيخ المباركفوري: « (**اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي**): وَهُوَ نَبِيُّنَا . .. (**اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي):** وَهُوَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ »[1].

فلما كان هو الأخشى لله والأتقى صار هو الأكرم عند الله، قال تعالى: ﭽﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀ ﭼ [الحجرات: ١٣].

وهذا الكلام مِن جنس **تفسير القرآن بالسنة**، أعنِي: تفسير الآية بجزئها الأهم. ولهذا قد جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: " **أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ!** " قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ! قَالَ: .. الحديث[2].

قال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسير الآية: « وفرّقهم، وجعلهم شعوبًا وقبائل أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل أنْ تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقومًا، ولا أشرفهم نسَبًا »[3].

ثامنًا مما يدخل في الباب: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: « خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: " **<u>لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا</u>** "،

---

1 (?) تحفة الحوذي: (ج2/ 1938)، وانظر شرحه في فيض القدير للمناوي، وقد أخرج الحديث الترمذي في الجامع وأصله في صحيح مسلم.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، بَاب قَوْلِهِ: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ، رقم: 3383.

3 (?) تيسير الكريم الرحمن، ص802 .

قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ[4]، .[5]

تاسعًا: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: "**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ اللَّهِ؛ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ تَزْنِي! يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ؛ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا** "[3].

يعنِي: لو تعلمون ما أعلم .. لأورث فيكم ذلك خشيةً؛ تحملُكم على البكاء الكثير، وعدم الاغترار بالحياة الفانية!

هذا، ومع ما منَّ الله على عبده ورسوله مِن العلم الغزير الفريد الذي لم يشاركه في نوعه أحدٌ مِن أمته؛ في معرفته لربه وشرعه، إلا أنّ الله أمرَه بطلب الازدياد منه: ﭽﭠﭡﭢﭣﭤﭼ [طه: ١١٤].

ومن المعلوم أيضًا، أنّ الدعوة إلى الله تعالى تقوم على مقومات ثلاث؛ هي: البصيرة قبل الدعوة، والرفق والحكمة معها، والحلم بعدها، فالرسول في هذه الأمة – بل وكلُّ رسولٍ في أمته- هو الأعلم، الأحكم الأرفق، كما أنه الأحلم، قال تعالى: ﭽﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡ ﯢﭼ [النحل: ١٢٥]. وقال: ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﭼ [يوسف: ١٠٨].

ورسول كلِّ قومٍ أعلمهم، كما أنّه أقدرهم على الفعل وعلى الترك، وعلى هذين مدار أيّ كمال، ولا يدخل على العبد النقص إلا من أحدهما أو من كليهما، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في بيان أنّه يوصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله لا يُتجاوز القرآن والسنة: « وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاَللَّهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، مَا هَدَى اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَكَشَفَ بِهِ مُرَادَهُ. وَمَعْلُومٌ لِلْمُؤْمِنِينَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَعْلَمُ بِذَلِكَ منْ غَيْرِهِ،

---

[4] **الخنين**: صوت البكاء، وهو خروج الصوت من الأنف، وهو صوتٌ فيه غُنّة، (انظر: المنهاج للنووي، ص1444).

[5] صحيح البخاري: بَاب قَوْلِهِ: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [المائدة: ١٠١]، رقم: 4621، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب توقيره وترك إكثار سؤاله لا ضرورة إليه، ... رقم: 2359.

[3] صحيح البخاري: كتاب النكاح، بَاب الْغَيْرَةِ، رقم: 5221، وصحيح مسلم مطولا: كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، رقم: 901 .

وَأَنْصَحُ لِلأُمَّةِ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَفْصَحُ مَنْ غَيْرِهِ عِبَارَةً وَبَيَانًا، بَلْ هُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِذَلِكَ، وَأَنْصَحُ الْخَلْقِ لِلأُمَّةِ، وَأَفْصَحُهُمْ، فَقَدْ اجْتَمَعَ فِي حَقِّهِ كَمَالُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ أَوْ الْفَاعِلَ إذَا كَمُلَ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَإِرَادَتُهُ: كَمُلَ كَلامُهُ وَفِعْلُهُ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ النَّقْصُ إمَّا مِنْ نَقْصِ عِلْمِهِ، وَإِمَّا مِنْ عَجْزِهِ عَنْ بَيَانِ عِلْمِهِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ إرَادَتِهِ الْبَيَانَ.

وَالرَّسُولُ هُوَ الْغَايَةُ فِي كَمَالِ الْعِلْمِ، وَالْغَايَةُ فِي كَمَالِ إرَادَةِ الْبَلاغِ الْمُبِينِ، وَالْغَايَةُ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَلاغِ الْمُبِينِ، وَمَعَ وُجُودِ الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ، وَالإِرَادَةِ الْجَازِمَةِ: يَجِبُ وُجُودُ الْمُرَادِ؛ فَعُلِمَ قَطْعًا أَنَّ مَا بَيَّنَهُ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ: حَصَلَ بِهِ مُرَادُهُ مِنْ الْبَيَانِ، وَمَا أَرَادَهُ مِنْ الْبَيَانِ فَهُوَ مُطَابِقٌ لِعِلْمِهِ، وَعِلْمُهُ بِذَلِكَ أَكْمَلُ الْعُلُومِ. فَكُلُّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ غَيْرَ الرَّسُولِ أَعْلَمُ بِهَذَا مِنْهُ، أَوْ أَكْمَلُ بَيَانًا مِنْهُ، أَوْ أَحْرَصُ عَلَى هَدْيِ الْخَلْقِ مِنْهُ، فَهُوَ مِنْ الْمُلْحِدِينَ، لا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ »[1].

تلك تسعة أو عشرة من أدلة السنة الدالّة على أنّ رسولنا محمدًا هو أعلم الناس بالله تعالى؛ وأشدهم له خشية، .. فَمَن كان بالله –أسماءً وصفاتٍ وأفعالا وحدودًا- أعرفُ كان بأوامره ونواهيه أتقى، ومنه أخشى، فصلوات ربِّي وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه! وهذا وجه واحدٌ من الأوجه الكثيرة الدالة على ما عُنْون له هذا الفصل، ألا وهو: **كمال عبودية النبِيّ لربه **. والله تعالى أعلم!

---

1 ([?]) الفتوى الحموية، ص264-266 .

المبحث الخامس: كمال محبته لربِّه، بل وأنَّه عليه الصلاة والسلام لا خليل له سوى الله العظيم[1]، **وفيه تمهيد، ومطلبان:**

التمهيد: التعريف بالْمحبة.

المطلب الأول: كمالُ مَحَبّة العبدِ الرسولِ لرَبّه ، ومسألةُ الْخُلّة.

المطلب الثانِي: شواهد محبة العبد الرسول لربّه ، وأثرُها فيه.

التمهيد: التعريف بالْمَحَبّة:

تقدم في مدخل الرسالة تعريفُ العبادة، وأَشَرْتُ هناك إلى أنّ لـَهَا أركانًا لا بدّ منها، وأنّ أعظم هذه الأركان رُكنُ الْمحبة. وسيكون الحديثُ هنا عن تعريفها لغة واصطلاحًا.

أما عَن **(الْمحبة) لغة**، فقد قال الجوهري –رحمه الله-: « ... الْحُبّ: الْمحبة، وكذلك الحِبّ بالكسر. والحِبّ أيضًا: الحبيب، مثل خِدن وخَدين، يقال: أحبّه فهو مُحَبّ، وحبّه يَحبّه بالكسر فهو محبوب ... »[2]. والحب نقيض البغض[3].

وبالنسبة لِما تدور حوله اللفظة، فقد بيّن العلماء –رحمهم الله-: أنّها تدور على خمسة أشياء، هي: الصفاء والبياض، والعلو والظهور، واللزوم والثبات، واللبّ، والحفظ والإمساك، وأنّ هذا الأخير فيه معنى الثبوت أيضًا[4]. وممن بيّنها العلامةُ ابن القيم –رحمه الله- وذكر الشواهد على كلٍّ منها، ثم قال: « ولا ريب أنّ هذه الخمسة من لوازم المحبة؛ فإنّها صفاءُ المودة، وهَيَجان

---

[1] انظر: جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة، د. أحمد الغنيمان، (ج1/ 495-516).

[2] الصحاح للجوهري، مادة حبب، ص203، وانظر: ص204.

[3] انظر: القاموس المحيط، المادة نفسها، ص79-80، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص150، ولسان العرب.

[4] انظر: الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري الصوفي (ت 456هـ)، ومدارج السالكين، (ج2/ ص588-589)، وروضة المحبين، (ص27-31)، وأعمال القلوب، حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة وعند مخالفيهم (ج1/ ص180)، ومحبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، ص17-18 .

إرادات القلب للمحبــوب، وعُلُوها وظهورها منــه؛ لتعلقها بالْمحبوب المراد، وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومهــا؛ لزومًا لا تفارقه، ولإعطاء الْمُحبّ محبوبه لُبّه، وأشــرف ما عنـده، وهو قلبـه، ولاجتمـاع عزماته وإرداته وهمومه على محبوبـه، فـاجتمعت فيها المعـانِي الخمسـة »[1]. هـذا من حيث اللغة.

وأما عن **الْمحبة اصطلاحًا**، فيقول العلماء –رحمهم الله-: إنّها لا تُحدّ بِحَدٍّ أوضح منهـا، إذ الحـدود لا تزيـدها إلا خفاءً؛ فحـدُّها: وجودهـا. كمـا أنّهـا (أي: الْمحبـة) لا توصف بوصف أظهر منها، فمثلها مثل الجوع والخـوف؛ لأنّ الكـلّ يعرف حقائقها ومدلولاتِها، ويُحس بِهـا، دون أن يفتقـر إلى تعريف لها[2]؛

لذا قال العلامة ابن أبي العزّ –رحمه الله-: «وقد اختلف في تحديد المحبة على أقـوال:نحـو ثلاثين قـولا،ولا تُحد المحبة بحـدّ أوضـح منهـا،فالحـدود لا تزيـدها إلا خفـاءً وجفاء.وهذه الأشياء الواضحة لا تحتـاج إلى تحديـدٍ،كالمـاء والهواء والتراب،والجوع والشبع،ونحو ذلك»[3].

لِهـذا فمـا تكلم بـه بعض النـاس من حـدود لهـا، هي في الحقيقـة أسـبابٌ لهـا، وموجباتهـا، وعلاماتُهـا، وشـواهدها، وثَمَراتها، وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هــذه الأمور الستة. وقـد تنـوعت عبـاراتهم، وكـثرت إشـاراتُهم، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، وملكه للعبارة[4].

وقــد ذكــر القشــيري في رســالته أكــثر من أربعين حــدّا، ونسَب أكثرها إلى قائليها[5].

ولقد انتقى منها العلامة ابن القيم ثلاثين، وجرّدها وهـذّبَها، وتعقب عليهـا بأنّهـا شـواهد وعلامـات، وثَمـرات وأحكـام، وأسبابٌ وموجبات، وليسـت حـدودًا للمحبـة، كمـا تعقب –

[1] (?) مدارج السالكين، (ج2/ ص589).
[2] (?) انظر: محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة، ص32-33 .
[3] (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، (ج1/ 249).
[4] (?) انظر: مدارج السالكين، (ج2/ ص588).
[5] (?) الرسالة القشيرية، ص312-319.

ثانية- على كثير منها: بأنّها لا تصـلح أنْ تُطلـق على محبـة الله[1].

وسأنتقي عددًا من تلكم الشـواهد (لاحقًـا – عنـد الحـديث عن شواهد محبة العبد الرسول لربّه ، وأثرُها فيه).

وبعد، فللمحبة عشرة مراتب: أولاها: العلاقة، ثم الإرادة، ثم الصبابة، فالغرام، فالوداد، والشغف، والعشـق، ثم التتيم، فالتاسـع: التعبـد، -وقد سـبق في المـدخل-. ثم الخلة آخرها، -وسيأتي في المطلب الأول[2].

وقد ذكَرها الشيخ ابن أبي العزّ –رحمه الله- بِهذا الـترتيب ثم قـال: « وقيل في ترتيبها غـير ذلـك، وهـذا الترتيب تقريبٌ حسنٌ، يُعـرَف حسـنُه بالتأمل في معانيه[3] »[4].

ذاك من حيث التعريف بمادة المحبة لغة واصطلاحًا. وأما عن محبة الله تعالى و**الأسباب الجالبة والمقوية لها فهي:**

أولا: قراءة القرآن بالتدبر. **ثانيًا:** التقرب إليه تعالى بالنوافل. **ثالثًا:** دوام ذكره سبحانه على كلّ حال (باللسان والقلب والعمل والحال). **رابعًا:** إيثار محابه سبحانه على محاب النفس عند غلِبات الهوى. **خامسًا:** الخلوة بالله تعالى وقت النزول الإلَهِي لمناجاته وتلاوة كلامه، والتأدب بأدب العبودية بين يديه، وختم كلّ ذلك بالاستغفار والتوبة. **سادسًا:** مطالعة القلب لأسمائه سبحانه وصفاته، والتقلب في رياض ذلك. **سابعًا:**

---

1 (?) انظر إليها: مدراج السالكين، (ج2/ 590-597)، وذكر العلامة ابن القيم –رحمه الله- 26 منها في روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (ص 31-36)، والباب العشرين في الروضة أيضا، الْمُعَنْوَن له: في علامات المحبة وشواهدها، من ص366-402. ونقل 22 منها صاحب كتاب محبة الله ورسوله، 33-35. وعشرًا منها الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، في (كلمات في المحبة والخوف والرجاء، ص405-406، (الرسالة التاسعة) ضمن رسائله في العقيدة.

2 (?) انظر: مدارج السالكين، (ج2/ 606-610).

3 (?) وقد ذكر هذه المراتب د. سهل، وذكر عن اللغويين وغيرهم معانيها واحدة تلو أخرى، مما زاد من حسنها، (انظر: أعمال القلوب، له ج1/ ص182-184).

4 (?) شرح العقيدة الطحاوية، (ج1/ ص249).

مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونِعَمه الباطنة والظاهرة. **ثامنًا:** انكسار القلب بكليته بين يديه تعالى. **تاسعًا:** مجالسة الْمحبين الصادقين ازديادًا ونفعًا.**عاشرًا:** مباعدة الأسباب الحائلة بين القلب وبين الله [1].

المطلب الأول: كمالُ مَحَبّةِ العبدِ الرّسولِ لِرَبّه ، ومسألةُ الْخُلّة، **وفيه مسألتان:**

المسالة الأولى: كمال محبة العبد الرسول لربه **.**

المسألة الثانية: مسألة خُلّة نبيّنا محمدٍ وعلاقتُها بكمال عبوديته لربه **.**

المسالة الأولى: كمال محبة العبد الرسول لربه :

محبة العبد لربه فوق كلّ محبة تُقدَّر، ولا نسبة لسائر الْمحابّ إليها، وهي سرّ التأله، وخاصّة العبودية، وهذه الْمحبة مع التعظيم هي الغاية التي وُجد الخلق لأجلها، وهي الحق الذي تضمنه الأمر والنهي، بل هي حقيقة لا إله إلا الله، فمحبته سبحانه حياة القلوب، ونعيم الأرواح، وبَهجة النفوس، وقرة العيون، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة، وروح كلّ مقام من مقامات السائرين، ولا يجوز صرفُ شيءٍ منها إلى غير الله، ومَن سوّى غيرَه في المحبة والتعظيم فهو المشرك حقًّا.

وأعظم الثمرة لِهذه المحبة وفائدتُها هو ما يَحصل بعدها من محبة الله تعالى لِحَبيبه ووليه [2].

فالإله هو الذي تألَهُه العبادُ حُبًّا وذُلا، وخوفًا ورجاء، وطاعة له وتعظيمًا، فالمحبة أصلُ التعبّد وحقيقة العبودية، والتعبُّد آخر مراتب الحبّ[3].

وأما عن مسألة (**كمال محبة عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ، لربه **) فأمرٌ يفوق العبارات، وإنْ كان لا بدّ فيه مِن بعض الإشارات، يتضح شيءٌ منه بالآتِي:

---

[1] انظر: مدارج السالكين، ج2/ ص596-597)، وقد ذكر الدكتور غسان 14 سبَبًا تجلب وتقوي محبة الله ورسوله، في كتابه محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة، ص373-425.

[2] انظر: مدارج السالكين، (ج2/ ص 597-601).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ج2/ ص605).

أولا: قد كان رسول الله ﷺ يسأل الله تعالى محبته، والإعانة على ذكره وشُكره وحُسْنِ عبادتِه، فَمِن ذلك:

ما جاء عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: « احْتُبِسَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا فَثُوِّبَ بِالصَّلاةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَجَوَّزَ فِي صَلاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ، فَقَالَ لَنَا: " **عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ، ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ: أَنِّي قُمْتُ مِنْ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ، وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلاتِي فَاسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ! قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لا أَدْرِي رَبِّ! قَالَهَا ثَلاثًا، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ "، وفيه: " سَلْ! قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ،قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا"**[1].

فعَن معنى قوله: **(وأَسْأَلُكَ حُبَّكَ)** قيل: إنه يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ: أَسْأَلُك حُبَّك إِيَّايَ، أَوْ حُبِّي إِيَّاكَ [2]. والمعنى الأول نتيجة للمعنى الثانِي، والثاني هو الشاهد هنا.

ثانيًا: لِهذا كان هذا الرسول ﷺ أحمَدَ الناس لربّه، وأخوفهم منه، وأشدهم رجاءً له ولِما بيده، وأحبّهم، بل

[1] جامع الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة (ص)، رقم: 3235، قَالَ الترمذي: « حَسَنٌ صَحِيحٌ، سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، وصححه الألباني.

[2] انظر: تحفة الأحوذي، (ج2/ 2348).

وأعبدهم، لـذا قيـل في معـنى اسـمه أحمـد: أنّـه أكـثرهم حمدًا [1].

فكـان رسـول اللـه لا شـيء عنـده أحبّ إليـه من ربّـه سـبحانه، بل هو أحمد الحامـدين لربه؛ كمـا سيتضـح بالشواهد الآتية في المطلب القادم.

ثالثـا: وإنّ مِن تَمـام محبة النبِيّ لربّه سبحانه وتعـالى، محبـةَ مَن وما يُحِبه الله مِن الأشـخاص والأعمـال والأمـاكن، وموالاتـه، وكُـرهُ ومعـاداةُ مَن وما يكرهُـهُ اللـه، ويُعاديه مِن ذلـك، وكـان رسـول الله أكمل النـاس تحقيقًا لِهـذا الجـانب، تكميلا لمحبته لله ، فكـان يُحبُّ أبا بكر ، بل هو أحبّ الرجـال إليـه. ويُحبّ عائشة رضي الله عنها الصـديقة بنت الصـديق، بل هي أحب النـاس إليه على الإطلاق. كما يُحبّ عمر بعد أبِي بكـر. ودليل الثلاثة حديث عمرو ، فقد أسـند البخـاري إليـه، أنه قال: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاسِلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْـكَ؟ قَـالَ: " **عَائِشَـةُ!** قُلْتُ: مِنْ الرِّجَـالِ؟ قَـالَ: " **أَبُوهَا** "، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: " **عُمَرُ!** فَعَدَّ رِجَالًا، فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ »[2].

ويستحيي مِن عثمان الذي تستحيي منه الملائكة. ويُحبّ عليًّا ويُخبر أنّ الله يحبُّه، ورسوله كذلك. بل ويذكر أنّه لا يُحبّـه، والأنصـارَ -لنصـرتهم، ومَن هو نصـيرُ الله ورسـولِه ودينِه مثلهم- إلا مـؤمن، ولا يـبغضهم وعليًّا إلا منـافق. ويُحبّ كذلك بقية أصحابه ؛ فيحبّ خديجة رضي الله عنها ويقول: "**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**" -كما مـرّ-، وهي نصـيرة الله ورسوله. ويُحب الحسن والحسـين رضي الله عنهمـا، ويـدعو الله بـأنْ يُحِبّ مَن يُحبهمـا. ويحب حِبّه زيـدًا وابنه أسامة، رضي الله عنهمـا. ويُحب معـاذًا ويقسم بالله على

---

[1] () انظر دراسة ابن القيم –رحمه الله- الوافية في معنى اسم النبي -محمد وأحمد بالفاعلية والمفعولية- واشتقاقه (الفصل الثالث من الباب الثاني) ص183-225.

[2] () صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةُ ذَاتِ السُّلاسِلِ، رقم: 4358، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبِي بكر الصديق، رقم: 2384.

ذلك مرارًا ويوصيه بأن لا يـدَعَنّ دُبر كـلّ صـلاة أن يقـول: **"اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْـــرِكَ وَشُـــكْرِكَ، وَحُسْـــنِ عِبَادَتِكَ"**[1].

لِهذا الذي تقرر هنا؛ لَمّا شرح شيخ الإسلام –رحمه الله- حديث " **حلاوة الإيمان** " وتكلَّم عن حلاوة الإيمـان الـتي تتبع كمـال محبة العبد لله ولرسـوله، والـذي يَحصل بثلاثة أمـور؛ (تكميل المحبة لله ورسـوله، وتفريعهـا، ودفع ضدِّها)، قال: « فَإِذَا كَـانَتْ مَحَبَّةُ الرَّسُـولِ وَالْمُـؤْمِنِينَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ؛ لأَنَّهُ أَكْمَلُ النَّاسِ مَحَبَّةً لِلَّهِ وَأَحَقُّهُمْ بِأَنْ يُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَيُبْغِضَ مَا يُبْغِضُـهُ اللَّهُ، **و(الْخُلَّةُ) لَيْسَ لِغَيْـرِ اللَّهِ فِيهَا نَصِيبٌ،** بَـلْ قَـالَ : " **لَـوْ كُنْتُ مُتَّخِـذًا مِنْ أَهْـلِ الأَرْضِ خَلِيلا لاتَّخَـذْتُ أَبَا بَكْـرٍ خَلِيلا** "[2] عُلِمَ مَزِيـدُ مَرْتَبَـةِ الْخُلَّةِ عَلَى مُطْلَـقِ الْمَحَبَّةِ. وَالْمَقْصُـودُ هُـوَ أَنَّ (الْخُلَّةَ) وَ(الْمَحَبَّةَ لِلَّهِ) تَحْقِيقُ عُبُودِيَّتِه ...[3].

ولَمّا ذكر العلامة ابن القيّم –رحمه اللـه- أقسـام المحبة الثلاثة (محبة اللـــه، والمحبة له وفيـــه، والمحبة معـه)، قـال –رحمه اللـه-: « فالمحبة له وفيـه: من تمـام محبته وموجباتهـا، لا من قواطعهـا، فـإنّ محبة الحـبيب تقتضي محبة ما يُحبّ، ومحبة ما يعين على حبّـه، ويوصل إلى رضـاه وقربـه، وكيف لا يُحبّ المـؤمن ما يسـتعين به على مرضاة ربّه، ويتوصل به إلى حُبّه وقربه؟! »[4].

وقد كان قبل ذلك تكلم عن محبة الرسول ﷺ لزوجاته وأصحابه، وأنّهم على مـراتب في حبه لهم، ومع هـذا فحُبّه كلّه لله، وقُوى حبّه جميعها منصرفة إليه سبحانه[5] .

وفي تحفة الأحوذي قال في شرح حديث الخلة: « وَاخْتَلَـفَ الْمُتَكَلِّمُـونَ هَـلْ الْمَحَبَّةُ أَرْفَـعُ مِنْ الْخُلَّةِ أَمْ الْخُلَّةُ أَرْفَـعُ أَمْ هُمَا سَـوَاءٌ فَقَـالَتْ طَائِفَـةٌ هُمَا بِمَعْنًى فَلا يَكُـونُ

[1] سنن أبي داود: كتاب الوتر، بَاب في الاستغفار، رقم: 1522، وهو صحيح.

[2] سبق تخريجه .

[3] العبودية، ص76-77.

[4] روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص409.

[5] انظر: المصدر نفسه، ص409.

الْحَبِيبُ إلا خَلِيلا وَلا يَكُونُ الْخَلِيلُ إلا حَبِيبًا، وَقِيلَ الْحَبِيبُ أَرْفَعُ لأَنَّهَا صِفَةُ نَبِيِّنَا ﷺ، وَقِيلَ الْخَلِيلُ أَرْفَعُ، وَقَدْ ثَبَتَتْ الْخُلَّةُ نَبِيِّنَا ﷺ لِلَّهِ تَعَالَى بِهَذَا الْحَدِيثِ وَنَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ خَلِيلٌ غَيْرُهُ وَأَثْبَتَ مَحَبَّتَهُ لِخَدِيجَةَ وَعَائِشَةَ وَأَبِيهَا وَأُسَامَةَ وَأَبِيهِ وَفَاطِمَةَ وَابْنَيْهَا وَغَيْرِهِمْ »[1].

ويُحبّ رسول الله ﷺ مكة أيضًا، ويَذْكُرُ أنّها أحبّ أرض الله إلى الله، وأنّه ما خرَج منها اختيارًا[2]؛ لأنّها اختيار الله واصطفاؤه مِن بلاده، فلما اضطر إلى الخروج منها: خرَج لا رغبة عنها، بل بإذنٍ مِن ربّه سبحانه. وكان قُرّة عَيْنِه في صلاته، وأحبّها عنده ما يداوم عليها وإنْ قلتْ، .. وقُلْ مثل هذا في أيِّ عَمَلٍ صالِحٍ دائمٍ. وأحَبّ الصوم إليه في شعبان.

وقول التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير أحبّ إليه مما طلَعَت عليه الشمس. وغير ذلك مِمّا أحبَّها رسولُ الله، وهي محبوبات ربّه، وإنّ حُبّ محبوبات الحبيب من تَمام محبته[3]. ومَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ[4].

وإنّ مِمّا يَدلّ على كمال محبة العبد الرسول محمد ﷺ لربه أيضًا: مسألة الخلة التي لم يشاركه فيها إلا نبِيّ الله وخليله إبراهيم ﷺ، وهذا ما سأتناوله في المسألة القادمة.

---

[1] تحفة الأحوذي، (ج2/ 2557).

[2] وسيأتِي في المطلب القادم تخريج الحديث الدال على ذلك، وهو حديثٌ صحيحٌ.

[3] انظر محبوبات الرسول ﷺ، وهي محبوبات لله، في كتاب محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة، للدكتور غسان، ص100-111.

[4] سنن أبي داود عن أبي أمامة ﷺ: كتاب السنة، بَاب الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، رقم: 4681، وجامع الترمذي عن والد سهل بن معاذ ﷺ: كتاب صفة القيامة ...، بابٌ، رقم: 2521، وحسنه الترمذي.

المسألة الثانية: مسألة خُلّة نبيّنا محمدٍ ، وعلاقتُها بكمال عبوديته لربّه :

تقدم البيان على أنّ للمحبة عشر مراتب، وأنّ أعلاها: الْخُلّة، وأقول هنا: لَم تتوقف محبة الْحَبيب محمد لِخليله الكريم سبحانه وتعالى، حتى تَجاوَزَتْ كُلّ الْمراحل والْمَرَاتب إلى أن اتصلَتْ بِمُنْتهاها (مرتبة الخلة)؛ فاتّخَذَ ربّه سبحانه خليلا، مما حجَزَه مِن أنْ يتخذ أبا بكر -فضلا عن غيره من الناس- خليلا، فأبو بكر « أَهْلٌ لِذَلِكَ، لَوْلا الْمَانِعُ، فَإِنَّ خلَّةَ الرَّحْمَن تَعَالَى لا تَسَعُ مُخَالَّة شَيْءٍ غَيْرِهِ أَصْلا »[1]. وفي هذا ثلاث نُقَطٍ:

النقطة الأولى: مِمّ اشْتُقّ لفظة الخلة؟

لفظة خليل: نظيرة لفظة حَبيب ووكيل؛ في مجيء فعيل (الصفة المشبّهة باسم الفاعل) بِمعنى اسم الفاعل، وبِمعنى اسم المفعول، فالحبيب مثلا يأتِي بِمعنى: مُحِبّ ومُحَبٌّ (محبوب)، وكذلك خليل يأتِي مِن الجهتين؛ (مخالِلٌ، ومخالَلٌ) فَمُحمدٌ اتخذَ ربّه خليلا، والله تعالى اتخَذ عَبْدَيه إبراهيم ومحمدًا –صلى الله عليهما وسلم- خليلَين.

-والخليل: مشتقٌ مِن الْخُلّة –بالضم- الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث، بل والواحد والجمع، لأنّه في الأصل مصْدرُ قولك: خليلٌ بَيّن الخلة والخلولة والخِلالة؛ يقال: قد خالّه مخالّة وخِلالا

ألا أبلغا خُلَّتِي جابرًا: بِأَنّ خليلَك لَم يُقتَل

وجمعُه خلال، مثل قُلّة وقِلال، والْخِلّ: الوُدّ، والصديق، والخليل: الصديق.

والخُلة والْخِلال: الْمُخالّة والْمصادقة المختصة التي لا خلَل فيها.

وليست اللفظة مشتقة مِن الْخَلّة –بالفتح- بِمعنى الحاجة والفقر والخصاصة، وفي المثل: الْخَلّة تدعو إلى السلة –السرقة-[2].

قال الحافظ أحمد بن علي بن حجر –رحمه الله- في شرح بَاب قَوْل اللَّه تَعَالَى: ﭽﮕﮖﮗ ﮘﮙﭼ [النساء: ١٢٥]: «

[1] تحفة الأحوذي، (ج2/ 2557).

[2] انظر: الصحاح للجوهري، مادة خلل، ص315-316، والقاموس المحيط، مادة الخل، ص 914-915 .

وَالْخَلِيل: فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِل، وَهُوَ مِنْ الْخُلَّة -بِالضَّمِّ- وَهِيَ الصَّدَاقَة وَالْمَحَبَّة الَّتِي تَخَلَّلَت الْقَلْب فَصَارَتْ خِلاله، وَهَـذَا صَـحِيح بِالنِّسْـبَةِ إِلَى مَا فِي قَلْبِ إِبْـرَاهِيم مِنْ حُبّ اللَّه تَعَـالَى. وَأَمَّا إِطْلاقه فِي حَـقّ اللَّه تَعَـالَى فَعَلَى سَـبِيل الْمُقَابَلَة. وَقِيلَ: الْخُلَّة أَصْلهَا: الاسْتِصْفَاء، وَسُمِّيَ بِـذَلِكَ؛ لأَنَّهُ يُـوَالِي وَيُعَـادِي فِي اللَّه تَعَـالَى. وَخُلَّة اللَّه لَـهُ: نَصْـره وَجَعْله إِمَامًا. وَقِيـلَ: مُشْـتَقّ مِنْ الْخَلَّة -بِفَتْحِ الْمُعْجَمَة- وَهِيَ الْحَاجَـة، سُـمِّيَ بِـذَلِكَ لانْقِطَاعِـهِ إِلَى رَبّه وَقَصْـره حَاجَته عَلَيْهِ »[1].

فرحِم الله الحافـظ، ففي كلامه هـذا خطـآن؛ أما **الأول:** فحيث زعَم أنّ إِطْلاق الْخَلِيل فِي حَقّ اللَّه تَعَـالَى إنما هو عَلَى سَـبِيل الْمُقَابَلَة، بل هو على حقيقتـه، لكن يقال فيه مثل ما يقال في بقية الصـفات الـتي اتصف الله بِهـا: على ما يليق بجلالـه، دون أنْ يُماثله فيها أحـدٌ من خلقه، فالله ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١].

الثانية: تأويله: خُلَّة اللَّه لإبراهيم حيث زعَم: أنّ معـنى ذلـك: نَصْـره وَجَعْله إِمَامًا، وهـذا تحريـفٌ لها عن معناها، وتفسيرٌ لَها بلازمها وأثَرِها، وهل يقال في كـلّ مَن نَصَره الله وَجَعَله إِمَامًا: اتخـذه الله خليلا؟ ولا يقـول بِهـذا الحافظ.

وأما عن الشاهد هنا (الْخَلِيل) فالصحيح أنه من الخُلة -بالضـم- كما سـبق، وأنه كما قـال: فَعِيل: بِمَعْنَى فَاعِل، وهو الأظهـر، وقد يكـون بِمعـنى المفعـول، فيكـون من الجهتين كما مرّ تقريرُه. ونقل النووي عن القاضي عيـاض رحمهما الله قولـه: « وَالْخُلَّة وَالْخِـلّ وَالْخِلال وَالْمُخَالَلَة وَالْخَلالَة وَالْخَلُـوَة: الإِخَـاء وَالصَّـدَاقَة، أَيْ: بَـرِئْت إِلَيْـهِ مِنْ صَدَاقَتِهِ الْمُقْتَضِيَة الْمُخَالَلَة »[2].

وقال الحافظ ابن حجر ناقلا عن غيره[3]، وموضّحًا القول الثانِي في اشتقاق الكلمة، وأنّه من الْخَلّة -بـالفتح-

---

1 (?) فتح الباري، (ج2/ ص2475)، وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص225-229.

2 (?) المنهاج للنووي، ص1460 .

3 (?) الزَّمَخْشَرِيّ.

الحاجة، وغيره: « وَقَالَ –فلان-: الْخَلِيل: هُـوَ الَّذِي يُوَافِقك فِي خِلالك، وَيُسَـايِرك فِي طَرِيقـك، أَوْ الَّذِي يَسُـدّ خَلَلَـك وَتَسُدّ خَلَله، أَوْ يُدَاخِلك خِلال مَنْزِلك إِنْتَهَى. وَكَأَنَّهُ جَـوَّزَ أَنْ يَكُـون اشْـتِقَاقه مِمَّا ذُكِـرَ. وَقِيـلَ: أَصْـل الْخُلَّة: انْقِطَـاع الْخَلِيل إِلَى خَلِيله، وَقِيلَ: الْخَلِيل مَنْ يَتَخَلَّلهُ سِرّك، وَقِيـلَ: مَنْ لا يَسَـع قَلْبه غَيْـرك، وَقِيـلَ: أَصْـل الْخُلَّة: الاسْتِصْـفَاء، وَقِيلَ: الْمُخْتَصّ بِالْمَوَدَّةِ. وَقِيلَ: اشْـتِقَاق الْخَلِيل مِن الْخَلَّة -بِفَتْحِ الْخَاء- وَهِيَ: الْحَاجَـة، فَعَلَى هَـذَا؛ فَهُـوَ الْمُحْتَـاج إِلَى مَنْ يُخَالّهُ، وَهَـذَا كُلّه بِالنِّسْـبَةِ إِلَى الإِنْسَـان. أَمَّا (خُلَّة اللَّه لِلْعَبْدِ) فَبِمَعْنَى نَصْره لَهُ وَمُعَاوَنَته »[1].

والجملة الأخـيرة فيها تقريـرُ التأويل الْمَـذْمُوم، السـابق تخطئتُه!

وتكلم الْمُحقق العلامة ابن القيم فيها وهو يحقق القول في مسألة: أيّهما أفضل حـبيب الله أم خليله فقـال –رحمه اللــه-: « وقيــل: إنّما سُــمِّيَت خُلّــةً لتخلُّلِ المحبة جميع أجزاء الروح، قال:

قد تخللتَ مســلك الـــروح وبذا سُمّي الخليل خليلا منّي

والخلـة: الخليـل، يسـتوي فيه المـذكر والمـؤنث؛ لأنه في الأصل مصدرُ قولك: خليلٌ بيِّن الْخُلة والْخُلُولة، قال:

ألا أبلغا خُلَّتِي جابرًا: بِأَنّ خليلَك لَم يُقتَل

ويُجمع على: خلال، مثل قُلّة وقِلال. والْخِــــلّ: الـــــودّ والصــديق، والخلال أيضًــا: مصــدرٌ بِمعــنى الْمُخالَّة، ومنه قوله تعالى: ﴿ ﴾ [إبـراهيم: ٣١]. وقـال في الآية الأخرى: ﴿ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. وقال امرؤُ القيس:

ولست بِمَقْليّ الْخِلال ولا قالِ

والخليـــل: الصـــديق، والأنـــثى خليلـــة. والْخِلالة والْخَلالة والْخُلالة -بكسر الخاء وفتحها وضمها-: الصـداقة والمـودة، قال:

وكيف تواصلُ مَن أصبَحَتْ خلالَتُه كأبِي مَرْحَبِ

[1] فتح الباري، (ج2/ 2653-2654).

وقد ظنّ بعضُ مَن لا علم عنـده أنّ الحـبيب أفضـلُ مِن الخليل، وقال: محمد حبيبُ الله، وإبراهيم خليلُ الله، وهذا باطـلٌ مِن وجـوهٍ كثـيرة؛ منهـا: أنّ الخلة خاصـةٌ، والمحبة عامةٌ؛ فـإنّ الله يُحِبّ التـوابين، ويُحب المتطهـرين، وقـال في عباده المؤمنين: ﭽ ﯖ ﯗ ﭼ [المائدة: ٥٤]. ومنها: أنّ النبي نفَى أنْ يكــون له مِن أهل الأرض خليــل، وأخبَر أنّ أحبّ النساء إليه عائشة، ومن الرجال أبوها [1]. ومنها: أنه قـال: " **إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلا كَمَا اتَّخَـذَ إِبْـرَاهِيمَ خَلِيلا**[2] ". ومنهـا: أنه قـال: " **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِـذًا خَلِيلا مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَــذْتُ أَبَا بَكْــرٍ خليلا، وَلَكِنْ أُخُــوَّةُ الإِسْــلامِ وَمَوَدَّتُهُ**[3] » [4].

ولقد قال شيخ الإسلام –رحمه الله- قبله ما حاصله: أنّ الخليل أفضل من الحبيب: « وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَـالَى أَنَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، وَيُحِبُّ الْمُحْسِــنِينَ، وَيُحِبُّ الْمُقْسِــطِينَ، وَيُحِبُّ التَّوَّابِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، .. وَأَمَّا الْخُلَّةُ فَخَاصَّـةٌ. وَقَـوْلُ بَعْضِ النَّاسِ: إنَّ مُحَمَّدًا حَبِيبُ اللَّهِ؛ وَإِبْــــرَاهِيمَ خَلِيــــلُ اللَّهِ،وَظَنُّهُ أَنَّ الْمَحَبَّةَ فَوْقَ الْخُلَّةِ؛قَوْلٌ ضَـعِيفٌ؛فَـإِنَّ مُحَمَّدًا أَيْضًــا خَلِيــلُ اللَّهِ كَمَا ثَبَتَ ذَلِـكَ،فِي الأَحَـادِيثِ الصَّـحِيحَةِ الْمُسْتَفِيضَةِ.وَمَا يُــرْوَى:"**أَنَّ الْعَبَّاسَ يُحْشَرُ بَيْنَ حَبِيبٍ وَخَلِيل**[5]"،وَأَمْثَـالُ ذَلِـكَ فَأَحَـادِيثُ مَوْضُـوعَةٌ لا تَصْـلُحُ أَنْ يُعْتَمَدَ عَلَيْهَا»[6].

وأما الحافظ ابن حجر –رحمه الله- فقد قرر في آخِر كلامه خلاف التحقيق، حيث أثبتَ للنبي ﷺ خصوصية المحبة الذي مَرّ في الأحاديث الموضـوعة، فقـال: « وَاخْتُلِـفَ فِي الْمَـــــوَدَّة وَالْخُلَّة وَالْمَحَبَّة وَالصَّـــــدَاقَة؛ هِيَ مُتَرَادِفَة أَوْ

[1] الحديث في الصحيحين، وسيأتي تخريجه قريبًا.

[2] الحديث في صحيح مسلم، وسيأتي تخريجه قريبًا.

[3] الحديث في الصحيحين، وسيأتي تخريجه قريبًا.

[4] روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص77-79 .

[5] أخرج مثله ابن ماجه في سننه: ولفظه: " ... فَمَنْزِلِي وَمَنْزِلُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُجَاهَيْنِ وَالْعَبَّاسُ بَيْنَنَا مُؤْمِنٌ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ "، (كتاب المقدمة، بَاب فَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، رقم: 141)، وهو موضوعٌ كما حكم الشيخ ابن تيمية في المتن، (وانظر: حاشيتَي العبودية، -الأولى والثانية- لصحيفة: 76).

[6] رسالة العبودية، ص74-76 .

مُخْتَلِفَة؟ قَالَ أَهْل اللُّغَة: الْخُلَّة أَرْفَع رُتْبَة، وَهُوَ الَّذِي يُشْعِر بِهِ حَدِيث الْبَـاب، وَكَـذَا قَوْله : " **لَوْ كُنْت مُتَّخِـذًا خَلِيلا غَيْر رَبِّي** " فَإِنَّهُ يُشْعِر بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَلِيل مِنْ بَنِي آدَم، وَقَـدْ ثَبَتَتْ مَحَبَّته لِجَمَاعَـةٍ مِنْ أَصْـحَابه كَأَبِي بَكْر وَفَاطِمَة وَعَائِشَـة وَالْحَسَـنَيْنِ وَغَيْـرهمْ. وَلا يُعَكِّر عَلَى هَـذَا اِتِّصَـاف إِبْــرَاهِيم بِالْخُلَّةِ، وَمُحَمَّد بِالْمَحَبَّةِ، فَتَكُــون الْمَحَبَّة أَرْفَع رُتْبَة مِنْ الْخُلَّة، لأَنَّهُ يُجَاب عَنْ ذَلِكَ: بِأَنَّ مُحَمَّدًا قَـدْ ثَبَتَ لَـهُ الأَمْـرَانِ مَعًا، فَيَكُـون رُجْحَانه مِنْ الْجِهَتَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[1].

---

[1] (?) فتح الباري، (ج2/ ص2653).

النقطة الثانية: أحاديث اتخاذ نبينا ربّه خليلا:

يدل على ذلك عدة أحاديث، أبرزُها:

أولا: عن جُنْدَبٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ قَبْلَ أَنْ يَمُــوتَ بِخَمْسٍ وَهُــوَ يَقُــولُ: " **إِنِّي أَبْــرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً،وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِـذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً؛لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً،..** "الحديث[1].

ثانيًا: وعن عَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ، قَــالَ: " **أَبْـرَأُ إِلَى كُـلِّ خَلِيـلٍ مِنْ خِلِّهِ، وَلَـوْ كُنْتُ مُتَّخِــذًا مِنْ أَهْــلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لاَتَّخَــذْتُ ابْنَ أَبِى قُحَافَـةَ خَلِيلاً وَلَكِنْ صَـاحِبُكُمْ خَلِيــلُ اللَّهِ** "[2]. وفي لفظ عَنْه مرفوعا (وفيه زيادة معـنى) قَـالَ: " **لَـوْ كُنْتُ مُتَّخِــذًا خَلِيلاً لاَتَّخَــذْتُ أَبَا بَكْــرٍ خَلِيلاً وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً** "[3].

ثالثًا: وفي حديث أَبِى سَعِيدٍ مرفوعًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ فيه: " **إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَىَّ فِي مَالِهِ وَصُـحْبَتِهِ أَبُو بَكْـرٍ، وَلَـوْ كُنْتُ مُتَّخِـذًا خَلِيلاً لاَتَّخَـذْتُ أَبَا بَكْـرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ أُخُـــــوَّةُ الإِسْـــــلاَمِ؛ لاَ تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ**[4] **إِلاَّ خَوْخَةَ أَبِى بَكْرٍ** "[5]. وفي رواية: " **وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِـذاً خَلِيلا غَيْـرَ رَبِّي لاتَّخَـذْتُ أَبَا بَكْر** "[6].

1 صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا، وَالنَّهْيِ عَنْ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، رقم: 532. واقرأ شرحه مستوفى في كتاب/ عشرون حديثًا من صحيح مسلم؛ -دراسة أسانيدها وشرح متونها- لشيخنا الشيخ عبد المحسن البدر، (ج2/ 462-472).

2 صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الصديق، رقم: 2383. وجامع الترمذي (واللفظ له): كتاب المناقب، بَاب مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم: 3655.

3 صحيح مسلم: الكتاب والباب.

4 **الخوخة:** باب صغير وسط باب كبير، نصب حاجزا بين دارين (مادة الخوخة، المعجم الوسيط، ص261).

5 الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه في مبحث موت النبي .

6 صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي : سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، رقم:3654.

رابعًا: ما جاء عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ النَّاسِ خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ** "[1].

وفي رواية له في الفرائض: " **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ خَلِيلا لاتَّخَذْتُهُ، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلامِ أَفْضَلُ، أَوْ قَالَ: خَيْرٌ** " فَإِنَّهُ أَنْزَلَهُ أَبًا، أَوْ قَالَ: قَضَاهُ أَبًا "[2].

خامسًا: وجاء في الأثر أنه « كَتَبَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي الْجَدِّ، فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ خَلِيلا لاتَّخَذْتُهُ** " أَنْزَلَهُ أَبًا، يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ»[3].

هذه أبرز نصوص الباب، «وَقَدْ تَوَارَدَتْ هَذِهِ الأَحَادِيث عَلَى نَفْي الْخُلَّة مِنْ النَّبِيّ ﷺ لأَحَدٍ مِنْ النَّاس»، قاله الحافظ ابن حجر –رحمه الله-[4].

❁ ❁ ❁

النقطة الثالثة: محمد ﷺ خليل الله، وعلاقة ذلك بتكميله العبودية:

وبعد سرد هذه الأحاديث، أقول: مطلع هذه الْمسألة **مَبْنِيَةٌ على مسألتَي اتخاذ الأعلى الأدنَى خليلاً، وعكسِها،** وهما ظاهرتان وصحيحتان بالأحاديث السابقة، لأنّ الْخُلَّةُ –بِالضَّمِّ- الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَخَلَّلَتْ الْقَلْبَ، فَصَارَتْ خِلالَهُ، أَيْ: فِي بَاطِنِهِ، وَالْخَلِيلُ: فَعِيل بِمَعْنَى مُفَاعِل، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى: مَفْعُول. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ؛ لأَنَّ خُلَّتَهُ كَانَتْ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَاب الخوخة وَالْمَمَرِّ فِي الْمَسْجِدِ، ورقمه: 467، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذًا خليلا، ورقمه: 3656.

[2] صحيح البخاري: كتاب الفرائض، بَاب مِيرَاثِ الْجَدِّ مَعَ الأَبِ وَالإِخْوَةِ، ورقمه: 6738.

[3] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذًا خليلا، ورقمه: 3658 .

[4] فتح الباري، (ج2/ 2653).

مَقْصُورَةً عَلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَـالَى، فَلَيْسَ فِيهَا لِغَيْـرِهِ مُتَّسَـعٌ، وَلا شَرِكَةً مِنْ مَحَابِّ الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ. وَهَـذِهِ حَـالٌ شَـرِيفَةٌ خصّ اللَّهَ بِهَا مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَـادِهِ مِثْـلُ سَـيِّدِ الْمُرْسَـلِينَ، صَـلَوَاتُ اللَّهِ وَسَـلامُهُ عَلَيْـهِ [1]. وهـذا أحَـدُ الـوجهين. أما الوجه الثانِي، والذي هو: اتخاذ الله عبدَيه خليلا، فهي صفة له ثابتةٌ لا مثل لها؛ **يُوضّحه:** ما جاء في النصـوص من أنّ الله تبـارك وتعللى اتخذ عَبْدَيْه إبـراهيم ومحمـدًا خليلين، قال تعالى: ﭽﮩﮪﮫ ﮬﮭﭼ [النساء: ١٢٥]. وقال ﷺ: ".. **فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَـذَ إِبْـرَاهِيمَ خَلِيلاً** ..". وهذا قد يُعبَّر عنه بــ(اتخـاذ الأعلى للأدنَى خليلا)، وهو ظاهرة جدًّا، بل نصوص الباب نصٌّ فيه.

وأما إتخاذ الأدنَى للأعلى خليلا، فهو ما يَشْهد لِمثله حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، حيث قَـالَ: « أَوْصَـانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاثٍ، لا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ .. »[2]. وحديث أَبِى الدَّرْدَاءِ ﷺ، حيث قَــــالَ: «أَوْصَـــــانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ »الحديث[3]. وعَنْه ﷺ قَالَ: « أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ لا تُشْـرِكْ بِاللَّهِ شَـيْئًا؛وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُـرِّقْتَ، .."[4]. وحـديث أَبِى ذَرٍّ ﷺ، حيث قال: « أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاثٍ؛ ..»[5]. وعَنْه ﷺ، قَـالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ أَسْـمَعَ وَأُطِيـعَ وَإِنْ كَـانَ عَبْـدًا حَبَشِـيًّا مُجَدَّعَ الأَطْرَاف "[6].

---

1 ([?]) انظر: تحفة الأحوذي شرح الترمذي، (ج2/ 2557).

2 ([?]) صحيح البخاري: كتاب الصوم، بَاب صِيَامِ أَيَّامِ الْبِيضِ..، رقم: 1981، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى...، رقم: 721.

3 ([?]) سنن أبي داود: كتاب الوتر، بَاب فِي الْوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ، رقم: 1433. وهو صحيح.

4 ([?]) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، بَاب الصَّبْرِ عَلَى الْبَلاءِ، رقم: 4034، وهو حديث حسن، لمقام شهر بن حوشب، المختلف فيه، (انظر: الزوائد للبوصيري، ج2/ ص1473).

5 ([?]) سنن ابن ماجه: كتاب الأشربة، بَاب الْخَمْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، رقم: 3371، وهو حديث حسن، لمقام شهر بن حوشب، المختلف فيه، وله شواهد عن ابن عباس وابن عمر ﷺ (انظر: الزوائد للبوصيري، ج2/ ص 1253).

6 ([?]) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، رقم: 1837.

ولأنّ الْمعلوم عن النبي من نصوص الباب: أنّه لم يتخذ هؤلاء، بل ولا غيرهم ممن هو مثلهم أو أفضل منهم -من الناس- خليلا. فصار معنى هذه الأحاديث: أنّه أوصانِي مَن أنا أخالُّه من الناس، فاتخاذ الخليل بِهذا من الجهة الدنيا، (أي: هؤلاء الصحابة اتخذوا رسولنا محمدًا من الناس خليلا). وفي تحفة الأحوذي: « وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِ مِنْ الصَّحَابَةِ : سَمِعْت خَلِيلِي ، فَلا يُخَالِفُ هَذَا؛ لأَنَّ الصَّحَابِيَّ يَحْسُنُ فِي حَقِّهِ الانْقِطَاعُ إِلَى النَّبِيِّ ... »[1].وذلك لأنّ محبته محبةٌ لغيرها.

ومن اتخاذ الأدنَى للأعلى: ما جاء في الأحاديث التي معنا بخصوص نبينا تجاه ربّه، حيث قال: "**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا غَيْرَ رَبِّي، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْر**" وقوله: "**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً** ..."، إلى غير ذلك من أوجه الدلالة في الأحاديث السابقة. وهذه الجزئية مِن أجلها عُقِدت هذه المسألة. ويزِيدُه وضوحًا ثلاثةُ أمورٍ، كلُّها تنصبُّ في الجواب على سؤال: هل الأدنَى يتخذ الأعلى خليلا؟

الجواب عنه مِن ثلاث جِهَات:

الجهة الأولى: إيْماءات الشريعة: أولا: مفهوم قول الرسول في هذه الروايات: "**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا أَحدًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً** "، "**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً..**" الحديث. وقوله : "**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً، لاَتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِى قُحَافَةَ خَلِيلاً وَإِنّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ** "[2].

فالنبي إذنْ اتّخذ ربَّه خليلا مِما منَعَه أن يتخذ أحدًا من أهل الأرض من أمته خليلا؛ إذ اتخاذ الخلة في حق المخلوق لا يمكن أنْ يتعدد، فثبت -بِهذا- المقصود؛ وهو إشارة الشرع إلى أنّ

---

[1] (?) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، (ج2/ 2556).
[2] (?) سبق تخريجه قريبًا.

الخلَّة يتخذها الأدنَى للأعلى؛ قـال شـيخ الإسـلام في العبوديـة: « وَالْخُلَّةُ: هِيَ كَمَالُ الْمَحَبَّةِ الْمُسْتَلْزِمَةِ مِنْ الْعَبْدِ كَمَالَ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، وَمِن الـرَّبِّ سُـبْحَانَهُ كَمَـالَ الرُّبُوبِيَّةِ لِعِبَـادِهِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـهُ، وَلَفْـظُ الْعُبُودِيَّةِ يَتَضَـمَّنُ كَمَـالَ الـذُّلِّ وَكَمَـالَ الْحُبِّ؛ فَـإِنَّهُمْ يَقُولُـونَ: قَلْبٌ مُتَيَّمٌ؛ إذَا كَـانَ مُتَعَبِّدًا لِلْمَحْبُـوبِ، وَالْمُتَيَّمُ: الْمُتَعَبِّدُ، وَتَيْمُ اللَّهِ عَبْدُهُ، وَهَـذَا عَلَى الْكَمَـالِ حَصَـلَ لِإِبْـرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ؛ وَلِهَـذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ -ﷺ- مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلٌ؛ إذْ الْخُلَّةُ لا تَحْتَمِـلُ الشَّـرِكَةَ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قِيـلَ فِي الْمَعْنَى:

قَـدْ تَخَلَّلْتَ مَسْـلَكَ الـرُّوحِ مِنِّي وَبِذَا سُمِّي الْخَلِيلُ خَلِيلا

بِخِلافِ أَصْلِ الْحُبِّ؛ فَإِنَّهُ ﷺ قَدْ قَالَ فِي الْحَـدِيثِ الصَّـحِيحِ فِي الْحَسَـنِ وَأُسَـامَةَ: " **اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا** "[1] " **وَسَـأَلَهُ عَمْـرُو بْنُ العـاص أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إلَيْـكَ؟ قَـالَ: عَائِشَـةُ قَـالَ فَمِنْ الرِّجَالِ ؟ قَالَ: أَبُوهَا** "[2] " **وَقَـالَ لِعَلِيٍّ ﷺ لأُعْطِيَنَّ الرَّايَـةَ رَجُلا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** "[3]، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ »[4].

---

1 ([?]) سبق تخريجه قريبًا.

2 ([?]) سبق تخريجه قريبًا.

3 ([?]) سيأتي تخريجه في إخباره ﷺ عن الماضي والمستقبل وصدقه فيها، ضمن مطالب الباب الثاني.

4 ([?]) رسالة العبودية لشيخ الإسلام، ص74-75، ط/ 1، دار الكتاب العربي.

وقد تقدم كلام شيخ الإسلام –رحمه الله- الدال على أنّ الْمَقْصُود من الْخُلَّة وَالْمَحَبَّة لِلَّهِ: تَحْقِيقُ عُبُودِيَّتِهِ .. [5].

فبهذا ثَبَتَ حُصُول الْمُخَالَلَةِ مِنْ طرَفَيْن –بأحاديث الباب- طرَفِ الله لرسوله، وعكسه[2].

ولْيُعْلَمْ أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ: هُوَ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ، كَسَائِرِ صِفَاتِهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الأَنْوَاعِ بِالإِرَادَةِ وَالْوُدِّ وَالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ، حَسْبَمَا وَرَدَ النَّصُّ [3]؛ فلا مثيل له فيها سبحانه!

وقد استنبط شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر -حفظه الله- اثنين وعشرين فائدة من حديث: " **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلا، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْر**.." تَبَيّن مِن التسعة منها أنّ الله اتخذ عَبْدَيْه محمدًا وإبراهيم خليلَين، وأنّ محمدًا كذلك اتخذ ربّه خليلا، فقال: « (5) ثبوت خلة الله لمحمد ، كما أنّها ثابتة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام. (6) أنّ خُلّة الله خاصة بالخليلين محمد وإبراهيم، عليهما الصلاة والسلام. (7) أنّ الخلّة أكمل من المحبة. (8) بيان عِظَم منـزلته عند ربّه. (9) أنّ خلّته خاصة بالله تعالى. (10) أنّه لا يصلح له أنْ يتخذ من المخلوقين خليلاً. (11) أنّه لو أمكن حصول خلّته لأحدٍ من الخلق لكان أحق الناس بذلك أبو بكر ... (14) الردّ على مَن يخص الخلة بإبراهيم، والمحبة بمحمد عليهما الصلاة والسلام، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة لهما ولغيرهما من أولياء الله. (15) الإخبار عما لا يكون أنْ لو كان كيف يكون، فإنّ حصول خلته لا يكون لأحدٍ سوى الله، ولو حصَل ذلك لكان لأبي بكر الصديق . »[4]. انتهى المقصود منه.

وقد اتضح به وبالنقل قبله أنّ النبي اتخذ ربّه خليلا، كما اتخذه ربُّه خليلا، وظهَر أنّ الأمر من الجهتين. وبالله التوفيق.

---

5 ([?]) انظر: العبودية، (ص76-77).

2 ([?]) انظر: تحفة الأحوذي، (ج2/ 2557).

3 ([?]) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (ج1/ ص249).

4 ([?]) عشرون حديثًا من صحيح مسلم ..، ص471، ضمن كتب ورسائل الشيخ عبد المحسن البدر (المجلد الثاني).

الجهة الثانية: دلالة اللغة: وهو هل "فعيل" يأتي بِمعنى اسم الفاعل، والمفعول؟ فيكون " **أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاثٍ**" في قول أبي هريرة –مثلاً- هو الذي أحبُّه أكثر مما أَحِبُّ نفسي، لتخلله مسلك الروح مني، وهو رسول الله، وهذا الأظهر. أو أنّ الرسول هو الذي يحب أبا هريرة أكثر مما يحب غيره من الصحابة؟ وهذا منقوض بالروايات التي تدل على أنَّ أحبّ الناس إلى رسول الله عَائِشَةُ، ومِنْ الرِّجَالِ: أَبُوهَا، كما روي عن أنس قال: « قيل: يا رسول الله! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: " **عَائِشَةُ** " قيل: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ " **أَبُوهَا** "»[1].

الجهة الثالثة: عُرف العرب وعادتُهم: فإذا كان في الأعراف والعادات إطلاق الخليل للأدنَى الْمُتخِّذ الأعلى خليلاً، فقد تمَّ المقصود؛ باتفاق العرف العربي للشريعة واللغة، وإذا لا؛ فيقدَّم الشريعة المؤيَّدة من اللغة على العرف المخالف!

فثبت بِهذا ما قلتُه مِن اتخاذ النبِي ربَّه خليلاً. والله أعلم.

وإذا ثبت هذا فنبيُّنا محمدٌ كان كامل المحبة لربه ، ولِمحبوبات هذا الربّ؛ من الأعمال والأشخاص والأماكن، بل هو أكمل الناس محبَّة لربه؛ لاتخاذه ربِّه خليلا.

وفي عدم اتخاذ نبينا محمدٍ أحَدًا من الناس من أمته -كائنًا من كان- غير ربّه خليلا، وتوحيده الله بالخلة، بيانٌ لكمال عبوديته لربه، إذْ المحبة الركن الأساس في العبادة، وآخر مراتبها الخلة، ولم يتخذ النبي سوى ربّه خليلا.

وعلى ما تقدم، فهل يقال: اتخذ محمدٌ أو إبراهيمُ -عليهما الصلاة والسلام- اللهَ سبحانه خليلا؟ الجواب: أرى –والله أعلم- أنه لا إشكال فيه، لنصّ الحديث، " **لَوْ كُنْت مُتَّخِذًا خَلِيلا ..**"الحديث. ولَمّا شكك في ذلك الدَّاوُدِيّ، نظّر الحافظ ابن حجر –رحمه الله- رأيَه، حيث حكى عنه: « قَالَ الدَّاوُدِيُّ: لا يُنَافِي هَذَا قَوْل أَبِي هُرَيْرَة وَأَبِي ذَرّ

[1] () الحديث في الصحيحين وقد سبق تخريجه.

وَغَيْرهمَا " أَخْبَرَنِي خَلِيلِي ، لأَنَّ ذَلِكَ جَـائِز لَهُمْ، وَلا يَجُـوز لِلْوَاحِـدِ مِنْهُمْ أَنْ يَقُـول: أَنَا خَلِيل النَّبِيّ ، وَلِهَـذَا يُقَـال: إِبْرَاهِيم خَلِيل اللَّه، وَلا يُقَال: اللَّه خَلِيل إِبْرَاهِيم »[1].

قال الحافظ: « قُلْت: وَلا يَخْفَى مَا فِيهِ »[2].

ثم الآن بقي أن أذكر ثمرة ونتيجة اتخاذ الخليلين (محمد وإبــراهيم) عليهما الصــلاة والســلام ربّهما خليلا، وهي:

أنَّ اللَّهَ كذلك اتَّخَذَ محمدًا خَلِيلا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا، وهـذا هو الجـانب الثـاني من المسـألة، والـذي يُعبَّر عنه: بـ(اتخاذ الأعلى للأدنَى خليلا)، وليس هو مقصـود هـذا المطلب. وأقول عنه باختصـار: قد مـرَّ في الأحـاديث: **أنَّ اللَّهَ اتَّخَــذَ محمــدًا خَلِيلا، كَمَا اتَّخَــذَ إِبْــرَاهِيمَ خَلِيلا،** وأنَّ ذلك ممـــا اختص الله به هـــذَين النـــبيَّين الكـــرِيْمَين، -عليهما الصــلاة والســلام- دون غيرهما من الأنبياء، ومَن دونَهم، أما محبة الله فثابتةٌ لَهما ولغيرهما.

وأما بعد، فيتكلم العلامة ابن القيّم –رحمه الله- في عمـوم المسـألة، مُبَيّنًا مرتبة الخلـة، (وأنها توحيد المحبـة) في ذكره لِمراتب المحبة العشرة، فيقـول: « وأما الخلـة: فتوحيد المحبــة، فالخليــل: هو الــذي تَوَحّد حُبّه لِمَحبوبــه، وهي رتبة لا تقبل المشـاركة، ولهـذا اختص بها في العـالَم الخليلان؛ إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما، كما قال الله تعالى: ﭽﮗﮘ ﮙ ﮚﮛﭼ [النساء: ١٢٥]. وصحّ عن النبي أنّه قال: " **إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيم** "[3]. وفي الصـحيح عنـه: " **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِـذًا مِنْ النَّاسِ خَلِيلا، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا، وَلكنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيــلُ الرّحمن** "[4]. وفي الصحيح أيضًا: " **إِنِّي أَبْـرَأُ إِلَى كُـلِّ خَلِيــلٍ مِنْ خُلَّتِــهِ** "[5]. ولَمّا كــانت الخلة مرتبة لا تقبل المشاركة امتحن الله سبحانه إبراهيم الخليل بـذبح ولـده، لَمّا أخَــذَ شُــعْبَة مِن قَلْبِه فــأرَاد ســبحانه أنْ يُخْلِص تلك

---

1 (?) فتح الباري، (ج2/ 2647).

2 (?) فتح الباري، المصدر نفسه.

3 (?) صحيح مسلم: وقد سبق تخريجه (برقم: 532).

4 (?) سبق تخريجه.

5 (?) سبق تخريجه.

الشُّعْبَة له، ولا تكون لغيره، فامتحنه بـذَبْح وَلَـدِه، والمـراد ذبحه مِن قلبـه؛ لا ذبحه بالْمُديـة، فلما أسْـلَمَا لأمر اللـه، وقـدَّم محبة الله تعـالى على محبة الولـد، خلَصَ مقـام الْخُلّة، وفدى الولد بالذِّبْحِ » [1].

وقال في المدارج: « **العاشرة:** مرتبة الخلة التي انفـــرد بها الخليلان إبـــراهيم ومحمد صـــلى الله عليهما وسلم، كما صحّ عنه أنه قال: " **إِنَّ اللَّهَ اتَّخَـذَنِي خَلِيلا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا** "، وقـال: " **لَـوْ كُنْتُ مُتَّخِـذًا مِنْ أَهْــلِ الأَرْضِ خَلِيلاً، لاَتَّخَــذْتُ أبَا بكــرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنّ صَـاحِبكُمْ خَلِيـلُ الـرحمن** "[2]. والحـديثان في الصـحيح، وهما يُبطلان قــول مَن قــال: الخلة لإبــراهيم، والمحبة لِمحمد، فإبراهيمُ خليلُه، ومحمـدٌ حبيبُـه، والخلـة: هي المحبة التي تخللت روحَ الْمُحبّ وقَلبِـه، حـتى لم يبْـقَ فيه موضعٌ لغَيْر المحبوب، كما قيل:

قد تخللتَ مســلك الـــروح ولذا سُمّيَ الخليل خليلا منّي

وهذا هو السّـرّ الـذي لأجله -والله أعلم- أُمِر الخليل بـذبح ولـده، وثمـرة فـؤاده، وفَلَـذَة كبِـدِه؛ لأنّه لَمّا سـأل الوَلَد فَأَعْطِيَه، تعلّقَتْ به شعبةٌ مِن قلبه، والخلة مَنْصِـبٌ لا يَقْبَل الشّرِكة والقِسْمة، فغار الخليلُ على خليلـه؛ أن يكـون في قلبه موضعٌ لغيره، فأمره بذبح الولد، ليخرج المــزاحم من قلبه، فلما وطّن نفسه على ذلك، وعـزم عليه عزْمًا جازمًا حصَــل مقصــودُ الأمــر، فلم يبق في إزهــاق نفس الولد مصلحة، فحال بينه وبينه، وفداه بالذِّبحِ العظيم، وقيل لـه: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭼ [الصافات: 104- ١٠٥]. أي: عملتَ عمل المصدّق ﭽﭡﭢ ﭣﭤﭥﭼ [الصافات: ١٠٥]. نَجزي مَن بادر إلى طاعتنا؛ فنُقِرّ عينَه كما أقررنا عينك، بامتثال أوامرنـا، وإبقـاء الولد وسلامته، ﭽﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭼ [الصافات: ١٠٦]. وهو اختبار المحبوب لمحبه وامتحانه إياه، ليؤثر مرضـاته؛ فيتم عليه نعمـه، فهو بلاء محنة ومنحة عليه معا »[3].

---

1 (?) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص76-77 .

2 (?) صحيح مسلم: وقد سبق تخريجه، ورقمه: 2383).

3 (?) مدارج السالكين، (2/ 609-610).

فثبت بما مرّ في المسألة الثانية من الجانبَين، وفي الأولى: أنّ نبيَّنا محمدًا أشد الناس محبة لله، بل وأنه لم يتخذ سوى ربه خليلا.

وأما علاقة هذا المبحث بفصل كمال عبوديته التي تنبني على المحبة والخوف والرجاء فواضحة جدًّا. والله تعالى أعلم.

والآن فأنتقل إلى المطلب الثاني؛ والذي يتحدث عن شواهد كمال محبة نبينا محمد لربه (واتخاذه إياه خليلا).

**المطلب الثاني: شواهد محبة العبدِ الرسول لربه **، وأثرها فيه:

سبق أن أشرتُ إلى أنّ للمحبة شواهد وآثارًا يستدلّ بِها عليها، وهذه الشواهد تقوم بعضُها بِقلب الحبيب ووُجدانه، وبعضها بِجَسَدِه، وبعضها في مالِه، وأخرى تجمع بين الوُجدانية، الجسدية والمالية. فمن هذه الشواهد: وهنا أتحدث عن كمال محبة الرسول لربّه ، ذاكرًا شيئًا من شواهده، فأقول:

من هذه الشواهد:

أولا: القيام بالنوافل وشدة الاجتهاد فيها. **ثانيًا:** حفظ حدوده سبحانه. **ثالثًا:** كثرة ذكره سبحانه على الدوام بالقلب واللسان. **رابعًا:** اللهج بحديثه جل وعلا. **خامسًا:** الإقبال على كلامه سبحانه (القرآن) وإلقاء السَّمْعِ كلّه إليه. **سادسًا:** موافقة الله في كلّ شيء؛ بكون مراد العبد ومحبوبه هو مراد الله ومحبوبه ومختارُه. **سابعًا:** إيثار مراد الله على مراد النفس. **ثامنًا:** محبة كلّ ما أضافه الله إلى نفسه، **تاسعًا:** ومثله محبة ما أحبّه سبحانه. **عاشرًا:** الغيرة لله سبحانه أنْ تنتقص حرماته. **حادي عشر:** الشوق إلى النظر إلى وجه الله الكريم ولقائه. **ثانِي عشر:** طاعتُه سبحانه وموافقته. **ثالث عشر:** توحيد الله المحبوب بخالص الإرادة وصدق الطلب[1]، وهذا أظهر في الخلة (أعلى المحبة) المتقدمة. **رابع عشر:** الدخول تحت رقه سبحانه وعبوديته،

---

[1] (?) انظر: مدارج السالكين، (ج2/592).

والحرية من استرقاق ما سواه[1]. **خامس عشر:** القيام لِله بكلّ ما يُحبّه من العبد. **سادس عشر:** أنْ يكون الله سبحانه أقرب إلى الْمُحبّ من نفسه[2]. **سابع عشر:** الانقياد لأمر الله المحبوب، وإيثارُه. **ثامن عشر:** بَذل الْمقدور من نفسٍ ومال في رضا الله المحبوب. **تاسع عشر:** الاستكانة ً لله والخضوعُ والذُلُّ له. **العشرون:** هَجرُ كُلّ سبَبٍ يُقصِي العبد مِن محبوبه سبحانه، ويُبغِضُه منه، والارتياحُ لِكلّ سبَبٍ يُدنيه منه.

وشواهد كمال محبة العبد لله تعالى كثيرة جدًّا، هذه بعضها، ومجموعها تُفِيد « كونَها -أي: المحبة- شيئًا عظيمًا، أو صفة عظيمة غُرسَت في قلب الْمُحبّ، مستلزمة تعظيم الْمحبوب، وتقديمه على كلّ ما سواه، وطاعته، وحبّ ما يحبه، وإيثاره على ما يحبه مع الْمُحبّ، والاطمئنان والراحة والسرور عند سَماع اسْمه، والإكثار مِن ذِكره، والثناء عليه، ومـوالاة أوليائه وأحبابه، وبغض ومجاهدة أعدائه.

وهذا ما يمكن أنْ تعرف به محبة الله ورسوله »[3]. وهذا هو الدين كلّه.

وأنا هنا سأنتقِي بعض العشرة الأولى منها لأستدل لها ببعض النصوص الشرعية المتعلقة بنبينا محمدٍ خصوصًا، وبسيرته ، ليتّضح بِها عُنواننا (شواهد كمال محبة العبد الرسول لربّه ...):

الشاهد الأول: أبرز شاهدٍ لِمحبة رسول الله لربه : قيامه بالنوافل وشدة اجتهاده فيها، ودوامه عليها: المحبوب هنا هو الله سبحانه الذي تقتضي محبته الدوام على عبادته، ورسولنا لَمّا كان أحبّ الناس لربه، شَهِد له ما يأتِي من أدلة بقيامه بالعبادة الكاملة، فمن الأدلة والنماذج:

أولا: ما وصفَتْ به عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من صلاة النبي بالليل، حيث قالت: « كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلا

---

1 (?) انظر: المصدر السابق، (ج2/595).
2 (?) انظر: روضة المحبين، ص31-36.
3 (?) انظر: محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة، ص36.

تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا، ... » الحديث[1].

النموذج الثاني: ما جاء في أثر عَائِشَةَ، وحديث الْمُغِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما، في بَاب قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّيْلَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، من صحيح البخاري، واللفظ لها أنّها قالت: « إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: " **أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا** " فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ، ثُمَّ رَكَعَ "[2].

النموذج الثالث: وجاء عَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في وصف صيامه ﷺ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَان » [3].

النموذج الرابع: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « مَا صَامَ النَّبِيُّ ﷺ شَهْرًا كَامِلا قَطُّ غَيْرَ رَمَضَانَ، وَيَصُومُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: لا، وَاللَّهِ لا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: لا، وَاللَّهِ لا يَصُومُ » [4].

النموذج الخامس: وتكلم أَنَس ﷺ عَنْ صِيَام النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: « مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَاهُ مِنْ الشَّهْرِ صَائِمًا إِلا

---

[1] الحديث متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في مبحث كَون النَّبِيّ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ.

[2] الحديث متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في مبحث محبته عليه الصلاة والسلام لوصفه بالعبودية.

[3] صحيح البخاري: كتاب الصوم، بَاب صَوْمِ شَعْبَانَ، رقم: 1969، وصحيح مسلم: كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان، واستحباب أنْ لا يُخْلِي شهرًا عن صوم، رقم: 1156.

[4] صحيح البخاري: كتاب الصوم، بَاب مَا يُذْكَرُ مِنْ صَوْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِفْطَارِهِ، رقم: 1971، وصحيح مسلم: كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان، واستحباب أنْ لا يُخْلِي شهرًا عن صوم، رقم: 1157.

رَأَيْتُهُ، وَلا مُفْطِرًا إِلا رَأَيْتُهُ، وَلا مِنْ اللَّيْلِ قَائِمًا إِلا رَأَيْتُهُ، وَلا نَائِمًا إِلا رَأَيْتُهُ، .. » الحديث[1].

النموذج السادس: مفادُه أنّه لَمّا قام بالنوافل على الوجه الـذي يُحبُّه خليلُه سـبحانه قرّبه إليـه، وأدنـاه منـه، تصـديقًا لقولِه تعـالى في أوليائِـه: " **إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِـالْحَرْبِ، وَمَا تَقَـرَّبَ إِلَيَّ عَبْـدِي بِشَـيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْـتُ عَلَيْـهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَـرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِـلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَـمْعَهُ الَّذِي يَسْـمَعُ بِـهِ، وَبَصَـرَهُ الَّذِي يُبْصِـرُ بِـهِ، وَيَـدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَـهُ الَّتِي يَمْشِـي بِهَا، وَإِنْ سَـأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْـتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَـرَدَّدْتُ عَنْ شَـيْءٍ أَنَا فَاعِلُـهُ تَـرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُـؤْمِنِ؛ يَكْـرَهُ الْمَـوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ** " [2].

هذا النموذج الأخير نتيجةٌ للنماذج قبله؛ وهو عامٌّ في عبد الله ورسـوله نبينا محمد وفي غـيره من عبـاد الله الذين ما زالوا يتقربون إليه سبحانه بالنوافل.

الشاهد الثـاني من شـواهد كمـال محبة الرسول لربه : ما تقدم من أنّ المحبة حفظ الحدود؛ فليس بصـادقٍ مَن ادعى محبة مَن لم يحفظ حـدودَه، وقد كان رسولُنا أحفظَ النـاس لحـدود اللـه، وأكـثرهم اجتنابًا لِمحارِم الله، فقد قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهَا: « مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا؛ مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ لِنَفْسِهِ، إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ؛ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا »[3].

الشاهد الثالث: مِن أكبَر شواهد كمال محبّة الخليل محمدٍ لخليله سبحانه: كـثرة ذكـره سـبحانه

[1] صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 1973، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 1158.

[2] صحيح البخاري: كتاب الرقاق، بَاب التَّوَاضُعِ، ورقمه: 6502، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ، مرفوعًا.

[3] صحيح البخاي: كتاب المناقب، بَاب صِفَةِ النَّبِيِّ ، رقم: 3560، وكتاب الحدود، بَاب إِقَامَةِ الْحُدُودِ ..، رقم: 6786، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب مباعدته للآثام..، رقم: 2327.

على الـدوام، ومعلـومٌ أنّ مَن أحبّ شـيئًا أكثَـرَ مِن ذِكـره؛ بقلبه ولسانه.

ولِهذا أمَر الله سـبحانه عبـادَه بـذكره على جميع الأحوال، بل وأخوفَ ما يكونون[1].

وقد كان رسولنا أكثر الناس حظًّا ونصيبًا من امتثال أوامر الله بالإكثـــار من ذكـــره خصوصًـــا، وبقية الأوامر عمومًا، -بأبي هو وأمي-.

وذِكر الله يُنمّي حُبّه سبحانه، كما أنّ حُبّه يَحْمِل على الإكثـــار مِن ذِكـــره؛ « وكما أنّ الـــذكر مِن نتـــائج الْحُب، فالحبّ أيضًا من نتائج الذكر؛ فكلٌّ منهما يُثْمِر الآخر، وزَرْع المحبة إنما يُسقى بِمـاء الذِّكْر، وأفضل الذّكر ما صدَر عن المحبة »[2]، كما قاله العلامة ابن القيّم –رحمه اللـــــــه-. فالرسـول قد زادَه ذكـرُه لربّه حُبًّا لـه، كما أنّ حُبَّه إيّـاه زاده إكثـــارًا مِن ذكـــره. كما أنه مِن كـــثرة ذكـــره لربه سـبحانه « كَـانَ يَـذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُـلِّ أَحْيَانِـهِ »، كما روَتْه زوجُه أم المؤمــنين عَائِشَــة رَضِــيَ اللَّهُ عَنْهَا، وورَد مُعلّقًا مجزومًا به في البخــــاري، وموصـــولا إليها عند مســـلم وغيره[3].

ولَمّا كان ذكر المحبوب عند الرَّغب والرهب مِن « علامة المحبة الصـادقة »[4]؛ كـان رسـول الله داعيًا ربّه وذاكـرًا له بـأبلغ ما يكـون مِن ذِكـرٍ، حـتى في حالة رُعبِهم في بـدْرٍ -كما في ابتهالاته الـتي سـيأتي ذكرُها في مبحث ذلّ الرسول .

وأيضًا: لَمّا كان « مِن الذكر الدالّ على صدق المحبة؛ سـبقُ ذِكـرِ الْمحبـوب إلى قلب الْمُحبّ ولسـانه عند أوّلِ يَقظةٍ مِن منامه، وأن يكون ذكـرُه آخر ما ينـام عليـه، كما قال قائلهم:

آخِـــرُ شـــيءٍ أنت في كل وقت وأوّلُ شـــــــيءٍ أنت

---

[1] (?) انظر: روضة المحبين، ص371 .

[2] (?) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص373.

[3] (?) صحيح البخاري معلقا: كتاب الأذان، بَاب هَلْ يَتَتَبَّعُ الْمُؤَذِّنُ فَاهُ هَهُنَا وَهَهُنَا..، قبل حديث رقم: 634، وصحيح مسلم موصولا: كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، رقم: 373.

[4] (?) انظر: روضة المحبين، ص372.

هَجْعةٍ هُبُوبِي »[1].

= كان رسولُ الله في ذكره ربَّه في صباحه ومسائه، وليله ونَهاره وتعليمه أمتَه ذلك، ما سُطِّر في كُتُب الأذكار المسندة والمجرّدة.

وكثير من الأذكار التي شُرِعَت عند النوم قالَها النبِيّ بعد ما أخذ مضجعه، أو نام عَلَى خَاتِمَتِهَا،[2] فكانت قالها أولّ يقظة له، وآخر ما ينام عليه[3].

وهي تفيد أنّ المسلمين -وعلى رأسهم نبيُّنا - مِن محبتهم لربِّهم: على ذكر الله ينامون، بل هناك مِن الأذكار ما يكون آخر ما يقوله المسلم عند النوم، والذي فيه إسلام الوجه لله، وتفويض الأمر إليه، وإلجاء الظهر إليه. ..

كما أنّ ذكرَه سبحانه وتعالى أوّل شيءٍ يقوم به الرسول والمسلمون عند هبوبِهم. والحمد لله على نعمة الإسلام! ولا تَسْأَل علامَ يهجَعُ عليه ويقوم غيرُ المسلمين واللاَّهُون. والله الهادي!

الشاهد الرابع مِن شواهد كمال محبة الرسول لربه: إقباله على كلامه سبحانه، وإلقاء سَمْعِه كلّه إليه، لأنّ المُحبّ إنْ أعْوَزَه حديثُ حبيبه بنفسه

---

[1] () روضة المحبين، ص372-373، وانظر: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين مِن كلام سيّد المرسلين للشوكاني، ص133 ط / دار الحديث، بتحقيق سيّد إبراهيم وجماعة.

[2] () انظر إلى الأحاديث التي تحت ترجمة: باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، من كتاب الذكر والدعاء، من صحيح مسلم، 1595-1598.

[3] () انظر شواهد ذلك: (صحيح البخاري: برقم:6311، وصحيح مسلم: برقم:2710، وقد تقدم)، وأيضًا صحيح البخاري، كتاب الدعوات، بابٌ (بدون ترجمة، وقبله: باب التعوذ والقراءة عند النوم)، رقم: 6320، وكتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، رقم: 7393، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، رقم: 2714. وجامع الترمذي: كتاب الدعوات، بابٌ (بدون ترجمة: وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ)، رقم: 3401، وأصله في الصحيحين.
أما الزيادة التي فيه فقد حكم الترمذي على الحديث بالحسن، ومثله الشيخ الألباني –رحمهما الله-)، وانظر أيضًا إلى الأحاديث التي تحت ترجمة: باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، من كتاب الذكر والدعاء، من صحيح مسلم، (وهي من 1595-1598).

فـأَحَبُّ شـيءٍ إليه الحـديث عنـه، ولاسـيّما إذا حُـدّث عنه بِكلامـه. ومن نمـاذج هـذا وقـوف الرسـول لقـراءة أبِي موسى وقَالَ له: " **لو رأيتنِي وأنا أستمع لقِرَاءَتــكَ البارحة! لَقَـدْ أُوتِيتَ مِزْمَـارًا مِنْ مَزَامِـيرِ آلِ دَاوُدَ** "[1].

وسيأتي في المبحث القادم حديث ابن مسعود قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ : "**اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُـرْآنَ**" قُلْتُ: آقْـرَأُ عَلَيْكَ،وَعَلَيْـكَ أُنْـزِلَ؟ قَـالَ: "**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْـمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**"[2].

الشاهد الخامس مِن شواهد كمـال محبة الرسول لربه: كون خليله سـبحانه أقـرب إلى النبِيّ من روحه وقلبـه، وهـذا هو مسـألة الخلة الـتي وهبَها الله لرسوله وخصّه بها، وحققها هذا الرسول. وقد تقدمت.

الشاهد السادس من شواهد هذا الأمر: اتحاد مراد المحب ومـراد المحبـوب، فمـراد رسـولنا ومحبوبه ومختـــاره هـــو: مـــرادُ الله ومحبوبُه ومختـــارُه (موافقة المحبوب في كلّ شيء):

يقول العلامة ابن القيم –رحمه اللـه-: « وأما نبيُّنا صـلوات الله وسلامه عليه فإنّ ربَّه أرْسَـل إليه يُخْبِـرُه، وكـان أعلم الخلق باللـــه، فعلِم أنّ ربَّه تبـــارك وتعـــالى يُحِبّ لقـــاءَه ويختـاره لـه، فاختـار لقـاء اللـه، ولو علِم أنّ ربَّه يُحِبّ له البقاء في الدنيا لتنفيذ أوامره، وإقامة دينه، لَما اختار غــير ذلك، فكان اختيـارُه تابِعًا لاختيـار ربه . فكما أنَّه لَمّا خيَّره ربُّه بين أن يكون مَلِكًا نبِيًّا وبين أن يكون عبْدًا نبِيًّا، وعَلِم أنَّ ربه يَختار له أنْ يكـون عبـدًا نبِيًّا، اختـار ما اختـاره الله له، فكـان اختيـارُه في جميع أمـوره تابعًا لاختيـار الله لـه. ولِهـذا يـوم الحديبية احتمل ما احتمل من تلك الحـال في ذاك الـوقت، ووَفّى هـذا المقـام حقَّه ولم يثْبُت عليه مِن

---

[1] صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، بَاب حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ، رقم: 5048، وصحيح مسلم، واللفظ له: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم: 793.

[2] الحديث متفق عليه، وسيأتي تخريجه في المبحث القادم.

كُلّ وجهٍ إلا الصِّدّيق. فلم يكن له –يعنِي: النبيّ- اختيارٌ في سوى ما اختاره الله له ولأصحابه من تلك الحال، التي تقَرّرَ الأمرُ عليها، فكان راضيًا بها، مُختارًا لَها، مُشاهِدًا اختيار ربِّه لَها، وهذا غاية العبودية، فشَكَر الله له ذلك، وجعَل شُكْرَانَه ما بشَّرَه بِهِ في أول سورة الفتح، حتى هنَّأه الصحابةُ به، وقالوا: هنِيْئًا لك -يا رسول الله[1]! وحُقّ له أنْ يُهَنّأ بأعظم ما هنأ به بَشَرٌ -صلوات الله وسلامه عليه » [2].

وهذا الكلام قاله العلامة في ترجيح حال الطائفة الثالثة الذين لم يختاروا طول البقاء في الدنيا لإقامة دين الله وعبادته، ولا أحبّوا الموت ولقاءَ الله، والراحةَ من الدنيا، بل اختاروا ما اختار الله لهم، وعلى رأس هذه الطائفة رسول الله ﷺ. وبمثله رَجح مسألة تفضيل الغنى للتصدق، أو الفقر والتقلل خوف فتنة المال[3].

الشاهد السابع والثامن: وهو محبة كلّ ما أضافه المحبوب (الله) إلى نفسه، أو أحبّه، مثل بيته، ومِن نماذجه ما قاله الرسول ﷺ حين أخَرجه كفار قريش من مَكَّةَ، متّجهًا إلى المدينة مهاجرًا، قال مخاطبًا مَكَّةَ[4]، يقول راوي الحديث: " رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ يَقُولُ: " **وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ لَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**". وفي رواية: " .. **وأحب أرض الله إلى الله ..**". وجاء في رواية الترمذي: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، مرفوعًا: " **مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ** " [5].

---

1 (?) الحديث في صحيح مسلم، وسيأتي تخريجه في التنبيه الذي في آخر المبحث القادم (المبحث السادس).

2 (?) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص516.

3 (?) انظر المسألتين: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص514-516.

4 (?) انظر: فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها، ضمن كتب ورسائل الشيخ عبد المحسن البدر، (ج6/ ص135).

5 (?) جامع الترمذي: كتاب المناقب، بَاب فِي فَضْلِ مَكَّةَ، رقم: 3925، وسنن ابن ماجه: كتاب المناسك، بَاب فَضْلِ مَكَّةَ، رقم: 3108، وقال

أمّا الحديث الذي جاء فيه: " **اللهم إنك أخرجتني مِن أحَبّ البلاد إِلَيَّ، فأسـكنِّي أحبّ البلاد إليك** "، فأسـكنه الله المدينة "[1] فهو حـديثٌ موضـوعٌ سـندًا، لا يستقيم معناه.

قال شـيخنا الشـيخ عبد المحسن البـدر –حفظه اللـه- في فضل المدينة: «حديثٌ موضوعٌ، ومعناه غير مسـتقيم؛ لأنّه يَـدُلّ على أنّ الأحبّ إلى الله غـير الأحبّ إلى رسـول الله عليه الصـلاة والسـلام، والأحبّ إلى الرسـول غـير الأحبّ إلى اللـه. ومِن المعلـوم أنّ محبة الرسـول تابعـةٌ لِمحبة الله سبحانه وتعالى، ليس الأحبّ إلى الله غـير الأحبّ إلى الرسول »[2].

الشاهد التاسع: وهو إيثار مراد المحبوب على مــراد المحب؛ولقد آثر عبـــدُ الله ورســـولُه مــرادْ خليله سبحانه على محابّ نفسه في مواقف عديدة:من المعلوم أنّ النفـــوس تُحبّ الـــدنيا وما فيها من مُتَع ولـــذات، لكنّ رسـول الله الزاهد فيها يـؤْثِر محـاب الله من الطاعـات على هذه الدنيا فقد كان لأنْ يقـول كلمـات أربع يَـذكُر بِها ربّه أحبّ إليه من كـلّ ما طلعَت عليه الشــمس فعن أبي هريـرة قـال، قـال رسـول الله : **لأنْ أقول:سـبحان اللـه،والحمد للـه،ولا إله إلا اللـه،والله أكـبر أحبّ إلَيّ مِمّا طَلَعَت عليه الشمسُ** "[3].

كما كان يَشُدّ مئزَرَه إذا دخل العشر الأخير مِن رمضان، وفُسّر باعْتِزَال النِّسَاء لِلاشْتِغَالِ بِالْعِبَادَاتِ، فكُنِّي بالشد عنـه، كما فُسّـر بالتَّشْـمِير والاجْتِهَـاد فِي الْعِبَـادَات

الترمذي: « حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ ». وقال شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر في فضل المدينة: « رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حديثٌ صحيحٌ ».

[1] (?) دلائل النبوة للبيهقي: باب قول الله : وقل ربّ أدخلني مدخل صدق ... نصيرًا، عن أبي هريرة، رقم: 816، وقال محققه: إسناده ضعيفٌ جدًّا (ج2/ ص382).

[2] (?) فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها (ج6/ ص136 ضمن كتبه ورسائله).

[3] (?) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: 2695 .

زِيَادَة عَلَى عَادَته [1]، فعَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: **" كَانَ النَّبِيُّ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ "** [2].

وعلى تفسير (**شَدّ المِئْزَر**) باعتزال النساء يكون الشاهد هنا؛ لأنّ فيه تقديم محاب الله والتي هي الطاعات بأنواعها وعلى رأسها قيام الليل على قربان الأهل والاستئناس بِهنّ، والذي هو من محاب النفس.

وقد ثبتَ أنّ من الثلاثة الذين " **يُحبّهم الله، ويَضحك إليهم، ويستبشر بهم** ": الذي له امرأةٌ حسنة، وفراش ليّن حسَنٌ فيقوم من الليل، فيقول الله: **يذَر شهْوَتَه؛ فيَذْكُرُني ويناجينِي، ولو شاء رقَد**. .. الحديث[3].

ومن نماذج إيثاره لِمحاب الله على محاب نفسه أيضًا: ما جاء مِن ذكر عائشة رضي الله عنها أعجب شيء رأتْه مِن رسول الله ، وهو أنه « لَمّا كان ليلة من الليالي قال: " **يا عائشة ذرينِي أتعبّد الليلة لربّي** " قالت: والله إنّي لأُحِبّ قُرْبَك، وأحبّ ما سَرّك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يَزَل يبكي حتى بَلّ حِجْرَه،.. [4]**.**

الشاهد العاشر على كمال محبته لربه أيضًا: غيرة رسول الله أنْ تُنتقص حُرمة الله، ويُستهان بحقه، وغضَبُه له، فالرّسول يغار لِمحبوبه سبحانه أشد الغيرة من أن تنتقص حرمتُه، والدين كلّه في هذه الغيرة، بل لم يَحمل النبي على بذل نفسه وماله وعِرضه إلا هي، طلَبًا لِمبادرة تغيير ما يَكرَه الله تعالى، كما أنه لم

---

[1] انظر: المنهاج للنووي، ص729، وفتح الباري (ج 2/ص1786).

[2] صحيح البخاري: كتاب فضل ليلة القدر، بَاب الْعَمَلِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، رقم: 2024، وصحيح مسلم: كتاب الاعتكاف، بَاب الاجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، رقم: 1174.

[3] ذكر الشيخ الألباني أنّ الحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات أخرجاه عن أبي الدرداء مرفوعًا، وصححه الحاكم، وحسّنه الشيخ الألباني وذكر له شواهد، (انظر: السلسلة الصحيحة، ج7/ القسم الثالث، رقم: 3478، وانظر: ص1397-1401).

[4] صحيح ابن حبان: وهو صحيح، وسيأتي تخريجه في المبحث القادم.

يأمُر بِمعروف ولا نهى عن منكر إلا بِهذه الغيرة[1]. أخرج الشيخان عَن الْمُغِيرَةِ بن شعبة ، قَالَ: « قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ: "**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** .." الحديث[2].

وقد نقل الحافظ ابن حجر في شرح الحديث في النكاح هذا القول: «وَأَشَدّ الآدَمِيِّينَ غَيْرَة رَسُول اللَّه ؛ لأَنَّهُ كَانَ يَغَار لِلَّهِ وَلِدِينِهِ، وَلِهَذَا كَانَ لا يَنْتَقِم لِنَفْسِهِ ا.هـ»[3].

الحادي عشر: شوقُه إلى النظر إلى وجه الله الكريم؛ إذْ لم يُمكن نظرُه إليه، وهو في الدنيا، وقد سبق قريبًا حديث السَّائِبِ لَمّا صَلَّى بِهِم عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلاةً، دَعَا فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعَهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، ومنها: "**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ،** .. –إلى قوله:- **وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، <u>وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ</u>، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ** "[4].

الثاني عشر: وقد أشار العلامة ابن القيّم -رحمه الله- إلى ما يدل على محبة النبي لربه الباعث له على التأدب معه لَمّا ذكَر الشاهد الثاني من شواهد وعلامات المحبة وهو: إغضاء نظر الحبيب عند نظر محبوبه إليه، ورميه بطرفه نحو الأرض؛ وذلك من مهابته لـه، وحيائه منه، وعظمته في صدره؛ فقال: « قال الله تعالى مُخبرا

---

1 ( ) انظر: الباب الثاني والعشرين: في غيرة المحبين على أحبابهم، ص 411، وما بعده.

2 ( ) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ، رقم: 7416، وقبله مختصرًا، معلقًا بالجزم بعد قوله: بَاب الْغَيْرَةِ. ومختصرًا أيضًا في كتاب الحدود، بَاب مَنْ رَأَى مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلا فَقَتَلَهُ، رقم: 6846، وصحيح مسلم مطولا: كتاب اللعان، رقم: 1499.

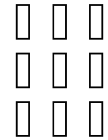
3 ( ) فتح الباري، (ج3/ ص3716).

4 ( ) سنن النسائي، وقد سبق تخريج الحديث قريبًا، وهو حديث صحيح.

عن كمال أدب رسوله في ليلة الإسراء: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ [النجم: ١٧]. وهـذا غاية الأدب؛ فـإنّ البصر لم يـزغ يمينًا ولا شـمالا، ولا طمح متجـاوزًا إلى ما هو رائيـه، ومقبل عليـه؛ كالمتشارف إلى ما وراء ذلك »[1]. وقد علل سـبب طـرق الرأس فقال: « ولهذا يستهجن الملوك من يخـاطبهم وهو يحد النظر إليهم، بل يكـون خـافض الطـرف إلى الأرض »[2].

وهذا اثنا عشر شاهدًا لكمال محبة نبينا محمد ﷺ لربّه ﻷ، وإذا كـان العلمـاء –رحمهم اللـه- يُقـرّرون أنّ المحبة ليست بحقيقة معايَنَة بالأبصار؛ فيشترك الواصفون لها في الصـفة، كما أنّ اسـمها ليس كمسـماها، ولا كـان لفظها مبيِّنًا لمعناها، بالإضافة إلى أنها متفاوتـةٌ في نفسـها تفاوتًا عظيمًا لا يَنحصـر، لكُل هـذا فـإنّ ما قيل فيها من الحـدود والرسوم صحيحةٌ، وإنْ كانت غـير وافية بحقيقتهـا، بل هي إشاراتٌ وعلاماتٌ، وتنبيهات، ودلائل وشواهد، وموجَبات[3].

لذلك، فإنّ ما سبَقَت الإشارة إليها مِن بعض شواهد كمال محبته ﷺ لربّه ﻷ ليست إلا تنبيهات لِهذا الأمر، وليست وافية لشرح حقيقة محبة النبِيّ ﷺ لربّه ﻷ، ولا الألفاظ مبيِّنة لِمعناها، ولا الشواهد كمشهودها، وليُعلم ذلك. والله أعلم.



[1] روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص371.

[2] المصدر نفسه ص370.

[3] انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (ج2/ 639-640).

المبحث السادس: شِدَّة خوفه من ربِّه القهَّار[1]:

مطلبٌ تَمهيديٌّ في التعريف بـ(الخوف، وبيان رُكنيته للعبادة:

سبق في المدخل تعريفُ العبادة، وبيّنتُ هناك: أنّ لها أركانًا لا بـــدّ منهـــا، ومنهـــا: ركن الْخـــوف. وأما هنا فسيكون الحديث عن تعريف الخوف بذكر أقـوال العلمـاء فيه:

الخوف ضدّ الأمن، و« الخاء والواو والفاء أصلٌ واحدٌ يدل على الذُّعر والفزع»[2].

وقد عرّفه العلماء بتعاريف متعددة، منها:

توقُّعُ العقوبة على مجاري الأنفاس. **وقيل:** الخوف هَرَبُ القلب مِن حلول الْمكروه عند استشعاره. **وقيل:** الخوف غمٌّ يَلحَق النفس لِتوقع مكروه. **وقيل:** اضطراب القلب وحَرَكَتُه مِن تذكُّر الْمخوف. **وقيل:** الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام. وقيل بأنّ هذا من أسبابه[3]. وفي التعريفات: « توقّع حلول مكروه، أو فوات محبوب »[4].

وخلَص صاحب كتاب الخوف والرجاء في القرآن... إلى أنّ الخوف الممدوح: « استشعارٌ بالعقوبة يحول دون ارتكاب السيئات، أو الخوض في المحرمات، مع جعل إرضاء الله سبحانه وتعالى الغاية التي يسعى إليها »[5].

والخوف -كما قال أحدُهم-: سِراجٌ في القلب، يُبصَر به ما فيه من الخير والشرّ، وكلّ أَحدٍ إذا خيف منه هُرِبَ منه، إلا الله ، فالخائف منه هاربٌ إليه؛ لأنه لا مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْه إِلا إِلَيْه سبحانه.

---

1 (?) للاستزادة، يُنظر: شُعَب الإيمان للبيهقي، (ج1/ ص463-548، باب في الخوف من الله تعالى، الشعبة الحادية عشر من شعب الإيمان)، وكتاب الخوف والرجاء في القرآن الكريم، (مبحث خوف الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على أنفسهم، من الله من عذابه وحسابه، ص79-94، بل إلى 110)، وكتاب أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها... لسهل العتيبي، (ج1/ ص204-224).

2 (?) مقاييس اللغة، مادة خوف، ص336 .

3 (?) انظر عنها: مدارج السالكين، (ج1/ 607).

4 (?) عرفه به الجرجاني في كتابه التعريفات، ص167 .

5 (?) الخوف والرجاء في القرآن الكريم دراسة وتحليل، ص20.

والخوف يزول بزوال المخوف؛ فلا خوف على أهل الجنة[1].

وخوف الله إذا سكَن القلبَ أحرَق مواضع الشهوات منها، وطرَد الدنيا عنها[2].

والخوف من الله تعالى هو أن يخاف أنْ يُعاقبه الله؛ إما في الدنيا وإما في الآخرة، وقد فرَض الله سبحانه على العباد أنْ يخافوه فقال: ﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮ [آل عمران: ١٧٥]. وأمَر بإخلاص الخوف له فقال: ﭜﭝﭞ [البقرة: ٤٠]. وقال: ﮖﮗﮘﮙﮚ [المائدة: ٤٤]. والخائف الذي يتْرُك ما يخاف أنْ يُعذّب عليه[3].

وبعد تعدد عبارات العلماء في تحديد معانِي الخوف ودرجاته، فليُعلم أنّها تكاد تُجْمِع على أنّ الخوف المحمود، والمقصود منه: هو ما حَجَز العبد عن المعاصي ومحارم الله، يقول العلامة ابن القيّم –رحمه الله-: « سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- يقول: حدّ الخوف: ما حجَزَك عن معاصي الله، فما زاد على ذلك فهو غير محتاجٍ إليه »[4]؛ لأنّه إذا زاد على ذلك خيف منه اليأس والقنوط[5].

ويَذكُر العلماء –رحمهم الله- الأسباب الجالبة للخوف من الله تعالى، وأهمّها:

أولا: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله. **ثانيًا**: استشعار أنّ الله يرى العبد في كلّ أحواله (مراقبة الله). **ثالثًا**: تعلم العلم الشرعي؛ فإنه يُثمر الخوف والمراقبة. **رابعًا**: استشعار عظمة الخالق سبحانه وتعالى وتخيّل كيف يكون غضب هذا العظيم إذا انتهكت مَحارمُه. **خامسًا**: استشعار فقر العبد وضعفه وحقارته وذلته،

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين، (ج1/ 609).

2 (?) انظر عن ما سبق، وعن قائليها: الرسالة القشيرية، 123-130، ومدارج السالكين لابن القيم، (ج1/ 609)، وكتاب الخوف والرجاء في القرآن الكريم دراسة وتحليل، للجوالي، (الخوف اصطلاحًا)، ص19-22.

3 (?) انظر: الرسالة القشيرية، ص126 .

4 (?) مدارج السالكين، (ج1/ 610).

5 (?) انظر: المصدر نفسه، (ج1/610).

وعدم قدرته على تحمل عذاب الآخرة. **سادسًا**: معرفة قبح عواقب الذنوب والمعاصي. **سابعًا**: النظر في أخبار الخائفين من الأنبياء ومَن تبعهم، وكيف أنهم يخافون الرد وعدم القبول. **ثامنًا**: استشعار حقارة الدنيا وسرعة انقضائها وزوال نعيمها. **تاسعًا**: صحبة الصالحين الذين يخافون الله وتعالى ويعملون للقائه. **عاشرًا:** تلاوة القرآن.

أما عن عُنوان الْمبحث والذي هو شِدَّة خوف رسولِ الله ﷺ من ربِّه القهَّار، والذي نتَج عن عِلمه بالله، فقد تقدم -في مبحث: النبي ﷺ أعلم الناس بالله، وأتقاهم له- جُزءٌ منه، حيث أوردت فيه تسعة أحاديث، عن أَنَسٍ وعَائِشَةَ، وجَابِرٍ وعُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، وغيرهم ﷺ مفصّلة، ومنها قوله ﷺ: " أَمَا وَاللَّهِ! إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ؛..."، متفق عليه [1]. وقوله: " وَاللَّهِ! إِنِّي لأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ ﷺ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ .."[2]. وقوله: " وَاللَّهِ! إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِهِ "[3]. فقد أوردتُها هناك[4] وبيَّنتُ أنّ نبيّنا محمدًا ﷺ هو الأعلمُ بالله؛ أسماءً وصفاتٍ وأفعالاً، والأعلمُ بِحدوده (أمرِه ونهيِه) .. وأنّه لَمّا كان كذلك (هو الأعلم) صار هو الأخشى لله والأتقى له سبحانه ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [فاطر: ٢٨].

قال البيهقي –رحمه الله- بعد أن أورد نصوص الخوف من الله: « فدلّ جميع ما وصفناه على أنّ الخوف من الله تعالى مِن تَمام الاعتراف بِمُلكه وسلطانه، ونفاذ مشيئته في خلقه، وإنّ إغفال ذلك إغفال العبودية؛ إذ كان مِن حق كل عبدٍ ومملوك أن يكون راهبًا لِمولاه، لثبوت يد المولى عليه، وعجز العبد عن مقاومته، وترك الانقياد له، قال الحليمي -رحمه الله-: **والخوف على وجوه: أحدها:** ما يَحْدُث من معرفة العبد بذُلّة نفسه وهوانها

---

1 (?) متفق عليه وقد سبق تخريجه.

2 (?) اللفظ في مسند الإمام أحمد، وقد سبق تخريجه.

3 (?) الحديث في الموطأ وهو مرسل، وقد سبق تخريجه.

4 (?) مَن أراد التوسع من هذه الأحاديث فليرجع إلى المبحث المشار إليه.

وقصورها وعجزها عن الامتناع عن الله، -تعالى جَدُّه- إنْ أراده بسوء، وهذا نظيرُ خوف الولد والَديه، وخوف الناس سلطانَهم؛ وإن كان عادلا مُحسنًا، وخوف المماليك مُلاكهم. **والثانِي:** ما يَحدُث من المحبة، وهو أن يكون العبد في عامة الأوقات وَجِلا مِن أنْ يَكِلَه إلى نفسه، ويَمنعه مواد التوفيق، ويقطع دونه الأسباب. وهذا خُلُقُ كلّ مملوك أحسَن إليه سيّدُه؛ فعرف قدر إحسانه فأحبه، فإنّه لا يزال يُشفق على منزلته عنده، خائفًا من السقوط عنها، والفقد لَها. **الثالث:** ما يَحدُث من الوعيد. وقد نبَّه الكتاب على هذه الأنواع كلّها »[1].

وأستدل لِهذه الأوجه الثلاثة مُضيفَها إلى رسولنا ، ثم أذكُر وجهًا آخر رابعًا، فأقول –وبالله التوفيق:

يدلّ على **الوجه الأول** أدلة القرآن الكثيرة، منها قوله تعالى في سياق أنّ القرآن تنـزيله، لا متقَوّلا: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﭼ [الحاقة: ٤٧].

ومن أدلة الوجه الثاني: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﭼ [يونس:15-16][2].

قال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسير هذه الآية « .. فإنّي رسولٌ محضٌ، ليس لِي من الأمر شيء، ﭽﯘﯙﯚﯛﭼ [يونس: ١٥]. أي: ليس لِي غير ذلك، فإنِّي عبدٌ مأمورٌ، ﭽﯜﯝﯞﯟﯠﯡﭼ فهذا قولُ خيرِ الْخلق وأدبُه مع أوامر ربه ووحيه، فكيف بِهؤلاء السفهاء الضالين، الذين جَمَعُوا بين الجهل والضلال، والظلم والعناد، والتعنت والتعجيز لربّ العالمين، أفلا يخافون ﭽﯜﯝﯞﯟﭼ؟! »[3].

قال البيهقي –رحمه الله-: « ومعلومٌ أنّ أحَدًا لا يَدعُو فيقول: رب لا تُزِغْ قلبِي بعد إذ هدَيتَنِي، إلا وهو خائفٌ على الهدى الذي أكرمه الله تعالى به: أنْ يَسْلُبَه إياه،

---

1 (?) شعب الإيمان، (ج1/ ص463-464).

2 (?) انظر تفسير الآيتين: المحرر الوجيز، ص901، والجامع لأحكام القرآن، (ج10/ 466-469)، وتفسير القرآن العظيم، (ج2/ 535-534).

3 (?) تيسر الكريم الرحمن، 359-360.

وأخبَر عن أهل الجنة، أنّهم يقولون: ﭼﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ [الطور: ٢٦]. قرأ الآيتين. وجاء في التفسير: أنّهم كانوا مشفقين أنْ يُسْلَبُوا الإسلام، فيُورَدُوا يوم القيامة موارد الأشقياء، وكانوا يدْعُون الله أنْ لا يفعل بِهم ذلك. وكذلك سائر نعم الله، وإنْ كان الإسلام أعلاها » [1].

ومن أدلة الوجه الثالث: قوله تعالى: ﭼﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠ ﯡﯢﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭼ [الأنعام:15-١٦]. وقوله: ﭼﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭼ [الزمر: 13][2] .

فالرسول ﷺ يخاف عذاب يوم القيامة، وهو اليوم العظيم الذي جاء مُنَكّرًا في هذه الآيات، لكنّ هذا الخوف بشرط العصيان، وقد عصَمه الله، وأمنّه مما يخاف في الآخرة، وتأمل لفظة: ﭼﭮﭯﭼ التي جاءت في هذه الآيات، قال المفسّر ابن عطية –رحمه الله-: « وقوله: ﭼﭭﭮﭯﭼ فِعلٌ مُعلّقٌ بشرطٍ، وهو العصيان، وقد عُلِم أنّه عليه الصلاة والسلام معصومٌ منه، ولكنه خطابٌ للأمة؛ يعمُّهُم حُكمُه، ويُخيفُهم وعيدُه »[3].

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « يقول تعالى: قل يا محمد وأنت رسول الله: ﭼﭭﭬﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭼ، وهو يوم القيامة. وهذا شَرْطٌ، ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى »[4].

وأما الوجه الرابع ودليلُه: فيتمثل في إحسان الأعمال، وسؤال الله الإعانة على ذلك، والخوف من عدم قبولها، .. فتأمل قول الله تعالى بعد سرْده لقصص أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، ذاكرًا حالَهم وحال متبعيهم من المؤمنين: ﭼﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭼ [المؤمنون: ٦٠].

فقد كان هؤلاء العُظماء يعملون الحسنات، ويخافون أنْ لا يُقبل منهم، كما أنّ من حال المحب دائمًا الخوف على

---

1. (?) شعب الإيمان، (ج1/ ص466-467).
2. (?) انظر تفسير الآيتين: المحرر الوجيز، ص607، والجامع لأحكام القرآن، (ج8/334الأنعام)، و(ج18/ 259الزمر)، وتفسير القرآن العظيم، (ج2/ 173 الأنعام)، وتيسير الكريم الرحمن، (252الأنعام، و 721 الزمر).
3. (?) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص1613.
4. (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ 63).

فوات مَحبوبه، لذا لَمّا سُئِل الجنيد[1]: هل يسقط الخوف عن العبد؟ أجاب فقال: « لا، ما كان العبد أعلم بالله كان له أشد خوفًا. والخائفون على ثلاث طبقات: خائفٌ مِن الإجرام، وخائفٌ من الحسنات أنْ لا تقبل، وخائف من العواقب، قال تعالى: ﭽگگگگﭼ [الشمس: ١٥] »[2].

وقد اجْتمَعَت هذه الأوجه الأربعة في حقّ نبينا محمد ، ويشهد لبعض قول جُنيد هذا، حديثُ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﭽﭒﭓﭔﭕﭼ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: " **لا، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭼ [المؤمنون: ٦١]** »[3].

وبعد هذا، سأزيد الأمر وضوحًا بذكر جملة من النماذج الحديثية التي تَشْهَد لخوف رسول الله الشديد لِمقام ربّه وإلَهِه سبحانه، وهذه الشواهد لَتَدل على ما سبق وتُقرِّرُه، وتضيف عليه، تحت ثلاثة دلالات وشواهد:

الدلالة الأولى: أقوال رسول الله الدالة على خوفه الشديد من ربّه سبحانه:

والسنن القولية هذه كثيرة جدًّا، منها على سبيل المثال:

أولا: عن عائشة وأبي هُرَيْرَةَ وجابر ، واللفظ لأَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ** " قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " **وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ؛ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا**

---

[1] سيأتي التعريف به في فصل الصوفية من الباب الثالث.

[2] شُعب الإيمان للبيهقي، (ج1/ ص504-505).

[3] جامع الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنين، ورقمه: 3175، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد، بَاب التَّوَقِّي عَلَى الْعَمَلِ، ورقمه: 4198، وهو حديث حسن، واللفظ للترمذي.

وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ[1]**، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا** " [2]**.**

وعند مسلم في رواية أبي هريرة للحديث: وَقَالَ أحدُ الرواة[3] بِيَدِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ عَلَى رَأْسِهِ: " **وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ** ".

ثانيًا: وكما أنّ محبة الله سببٌ يقود صاحبه للهبوب للأعمال الصالحة، فكذلك خوفه سبحانه؛ فمَنْ خَافَ أَدْلَجَ، .. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **مَنْ خَافَ أَدْلَجَ،وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ؛أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ،أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ** "[4]**.**

وتعليقًا على الحديثين أقول: لفظهما عامٌّ في عبد الله ورسوله نبينا محمد وفي غيره، والثاني يبين سبب سَير الرسول إلى ربه تعالى بقيامه أول الليل وآخره، وأنه الخوف منه سبحانه.

ثالثًا: ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وابْنِ عَبَّاسٍ وزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ[5] وغيرهم ، واللفظ لأبِي سَعِيدٍ، عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **كَيْفَ أَنْعَمُ، وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ** "، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: "

---

[1] **أدلج**: يُقال: أدلج إذا سار أول الليل، (انظر: الصحاح للجوهري، مادة دلج، ص350).

[2] صحيح البخاري عن أبي هريرة: كتاب المرضى، بَاب تَمَنِّي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ، رقم: 5673، وكتاب الرقاق، بَاب الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، عن أبي هريرة برقم: 6463، وعن عائشة، برقم: 6467، وصحيح مسلم عن عائشة: كتاب صفة القيامة، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله..، رقم: 2818، وجابر، برقم: 2817.

[3] هو ابن عون.

[4] جامع الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ، رقم: 2450، قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ حَدِيثِ أَبِي النَّضْرِ. وصححه الشيخ الألباني، (انظر: السلسلة الصحيحة، ج2/ ص637 وما بعده، ح رقم: 954، وج 5/ ص442وما بعده، ح رقم: 2335).

[5] إسناده مِن طريق زيد لا يصح؛ لأن فيه عطية بن سعد العوفي الضعيف، وخالد الخفاف: وهو ابن طهمان وقد اختلف فيه، لكن الروايات الأخرى شاهدة له.

قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا[1] " [2].

وفي رواية: فَقَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ: كَيْفَ نَقُولُ؟ وفي أخرى: فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ فَقَالَ لَهُم: ..

وهذه السنن القولية كثيرة جدّا، اكتفيتُ بِما سبق منها.

قال الحافظ أحمد البيهقي -رحمه الله- بعدما أورد مثل هذه الأحاديث: « وكلّ هذا الإشفاق منه على ما وُضع في قلبه مِن الإيمان، ووفّق له مِن أعمال الإيمان، عِلمًا منه بأنّه إذا سُلب التوفيق، ووُكِل إلى نفسه، لَم يملك لنفسه شيئًا، فينبغي لكل مسلم أن يكون هذا الخوف من هَمّه » [3].

الدلالة الثانية: شواهد من أدعية النبيّ واستعاذاته الدالة على شدة خوفه من ربّه المتين سبحانه[4]**:**

وهي كثيرة جدّا، منها:

أولا: وفيه الدعاء النبوي بطلب الخشية من الله تعالى: حيث جاء عن حماد [5] قال حدثنا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ

---

1 (?) انظر: شرح الحديث/تحفة الأحوذي (ج2/ 1905-1906، وج2/ ص 2351-2352، كتاب التفسير).

2 (?) جامع الترمذي: كتاب صفة القيامة، بَاب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الصُّورِ، رقم: 2431، وكتاب تفسير القرآن، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ، رقم: 3243، ومسند أحمد وغيرهما، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وصححه الشيخ الألباني، (الصحيحة، ج3/ حديث رقم: 1079، ص66، وشاهده عن أبي هريرة أيضًا: برقم: 1078).

3 (?) شعب الإيمان، (ج1/ ص477).

4 (?) للاستزادة من هذه الأدعية والاستعاذات، طالع كُتب الدعوات، أو الأدعية والأذكار من كتب الستة خصوصًا، والفصل الأخير من الوابل الصيب لابن القيم (في جوامع من أدعية النبي وتعوذاته لا غنى للمرء عنها، ص403-421، وتحفة الذاكرين للشوكاني، (في أدعية صحت عنه مطلقات غير مقيدات، ص429-474.

5 (?) **حماد بن زيد** هو الإمام الحافظ الذي كان يحفظ حديثه كالماء، قال ابن حجر: « حماد بن زيد بن درهم الأزدي، الجهضمي ، أبو إسماعيل البصري **ثقة ثبت فقيه،** قيل إنَّه كان ضريرًا، ولعله طرأ عليه؛ لأنَّه صحَّ أنَّه كان يكتب، من كبار الثامنة، مات سنة تسع وسبعين، وله إحدى وثمانون سنة » يعني: بعد المائة (ت 179). من شيوخه: حميد الطويل وعطاء بن السائب. (تقريب التهذيب: ص 117، ورقم ترجمته: 1498) .

عَنْ أَبِيهِ [1]، قَالَ: « صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ [2] صَلاةً فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلاةَ؟ فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي، غَيْرَ أَنَّهُ كَنَّى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنْ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: **اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ؛ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِين** "[3].

ثانيًا: ما جاء في الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً، قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ:

---

[1] **عطاء بن السائب**، أبو محمد، ويقال: أبو السائب، الثقفي، الكوفي، **صدوق اختلط**، من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين » يعني بعد المائة (ت: 136). روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ومن شيوخه: أنس بن مالك وإبراهيم النخعي **ووالده السائب** بن مالك، أو ابن زيد، الكوفي، « **ثقة** » قاله ابن حجر في التقريب: (ص 228، ورقم ترجمته: 2201)، ومن شيوخه: عبد الله بن عمرو بن العاص وعلى بن أبى طالب وعمار بن ياسر ، (وترجمة عطاء الابن في ص 391 من التقريب، وهي برقم: 4592).

[2] **عمار بن ياسر** بن عامر بن مالك العنسي أبو اليقظان، مولى بنى مخزوم (صحابي جليلٌ مشهور، بدري، عُذِّب هو وأهله في ذات الله في أول الإسلام، وقد رحبَّ به النبيُّ وقال له: " **مرحبًا بالطيِّب المطيَّب** "، وقتل مع علي بـصفين 37 هـ رضي الله عنهما، وانظر: (الإصابة: ج7 / ص291- 293، ورقم: 5730، والتقريب: ص 408، وبرقم: 4836).

[3] سنن النسائي، نوع آخر (بدون ترجمة)، رقم الحديث: 1305، وصححه الشيخ الألباني.

أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ "[1]**.**

في فتح الباري: « ثُمَّ هَذَا الدُّعَاء صَدَرَ مِنْهُ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ فِي إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ، وَقِيلَ: قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْلِيمِ لأُمَّتِهِ، وَاعْتُرِضَ بِكَوْنِهِ لَوْ أَرَادَ ذَلِكَ لَجَهَرَ بِهِ، وَأُجِيبَ بِوُرُودِ الأَمْرِ بِذَلِكَ فِي حَدِيث سَمُرَة عِنْدَ الْبَزَّارِ »[2]. والعبودية من أركانها الخوف.

ثالثًا: ما جاء عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنْ النَّبِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: " **رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي، وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " [3].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرح الحديث: « قَالَ الطَّبَرِيُّ بَعْد أَنْ اسْتَشْكَلَ صُدُور هَذَا الدُّعَاء مِنْ النَّبِيّ مَعَ قَوْله تَعَالَى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭼ [الفتح: ٢]. مَا حَاصِله: أَنَّهُ امْتَثَلَ مَا أَمَرَهُ اللَّه بِهِ مِنْ تَسْبِيحه وَسُؤَاله الْمَغْفِرَة إِذَا جَاءَ نَصْر اللَّه وَالْفَتْح، قَالَ: وَزَعَمَ قَوْم أَنَّ اسْتِغْفَاره عَمَّا يَقَع بِطَرِيقِ السَّهْو وَالْغَفْلَة، أَوْ بِطَرِيقِ الاجْتِهَاد مِمَّا لا يُصَادِف مَا فِي نَفْس الأَمْر، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَلَزِمَ مِنْهُ أَنَّ الأَنْبِيَاء يُؤَاخَذُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَيَكُونُونَ أَشَدّ حَالا مِنْ أُمَمهمْ. وَأُجِيبَ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب مَا يَقُولُ بَعْدَ التَّكْبِيرِ، رقم: 744، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب مَا يُقَالُ بَيْنَ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ وَالْقِرَاءَةِ، رقم: 598.

[2] فتح الباري، (ج1/ 937-938).

[3] صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، رقم: 6398، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم: 2719.

بِالْتِزَامِهِ. قَالَ الْمُحَاسِبِيّ: الْمَلائِكَة وَالأَنْبِيَاء أَشَدّ لِلَّهِ خَوْفًا مِمَّنْ دُونَهمْ، **وَخَوْفهمْ خَوْف إِجْلال وَإِعْظَام، وَاسْتِغْفَارهمْ مِنْ التَّقْصِير لا مِنْ الذَّنْب الْمُحَقَّق**. وَقَالَ عِيَاض: يَحْتَمِل أَنْ يَكُون قَوْله "**اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي**" وَقَوْله "**اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْت وَمَا أَخَّرْت**" عَلَى سَبِيل التَّوَاضُع وَالاسْتِكَانَة وَالْخُضُوع وَالشُّكْر لِرَبِّهِ، لما علم أَنَّهُ قَدْ غَفَرَ لَهُ. **وَقِيلَ:** هُوَ مَحْمُول عَلَى مَا صَدَرَ مِنْ غَفْلَة أَوْ سَهْو. وَقِيلَ: عَلَى مَا مَضَى قَبْل النُّبُوَّة. **وَقَالَ قَوْم:** وُقُوع الصَّغِيرَة جَائِز مِنْهُمْ فَيَكُون الاسْتِغْفَار مِنْ ذَلِكَ. **وَقِيلَ**: هُوَ مِثْل مَا قَالَ بَعْضهمْ فِي آيَة الْفَتْح ﭽ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭼ : أَيْ مِنْ ذَنْب أَبِيك آدَم، ﭽﭥ ﭦ ﭧﭼ أَيْ: مِنْ ذُنُوب أُمَّتك. **وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ فِي الْمُفْهِم:** وُقُوع الْخَطِيئَة مِنْ الأَنْبِيَاء جَائِز؛ لأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ، فَيَخَافُونَ وُقُوع ذَلِكَ، وَيَتَعَوَّذُونَ مِنْهُ. وَقِيلَ: قَالَهُ عَلَى سَبِيل التَّوَاضُع وَالْخُضُوع لِحَقِّ الرُّبُوبِيَّة، لِيُقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ »[1].

وبعض هذه التوجيهات من الغلو الذي لا يرضاه الله تعالى. والقول بأنّ ما تقدم مِن ذنبه هو: ذنبُ آدم باطلٌ، كما أنّ القول بأنّ ما تأخّر من ذنبه هو: ذنبُ أمته متناقض ببعض النصوص.

رابعًا: ما جاء عن أَبي هُرَيْرَةَ وأَنَسٍ رضي الله عنهما، يَقُولان: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الأَرْبَعِ؛ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لا يُسْمَعُ** " [2].

والخشوع سكون الأعضاء، وهو يدل على التواضع والخضوع والتذلل لله تعالى[3]، والراجح التفريق بينه وبين الخشية.

---

1 (?) فتح الباري، (ج4/ص 4508-4509).

2 (?) سنن أبي داود: كتاب الوتر، بَاب فِي الاسْتِعَاذَةِ، رقم: 1549، وسنن النسائي: كتاب الاستعاذة، الاسْتِعَاذَةُ مِنْ نفس لا تشبع، رقم: 5467، وسنن ابن ماجه: كتاب الدعاء، بَاب دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وهو صحيح.

3 (?) **الخشوع:** الخضوع، وخشع ببصره: أَي: غضّه (انظر: الصحاح للجوهري، مادة خشع، ص297).

خامسًا: ما جاء عَن اِبْن عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: « قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ لأَصْحَابِهِ: **اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا** "[1].

سادسًا: عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: " **نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاء** "[2].

ويشهد له ما جاء في الطريق الأخرى، أنه سئلت أُمّ الْمُؤْمِنِينَ أُمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: " **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**[3] " قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: " **يَا أُمَّ سَلَمَةَ! إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ؛ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ** "، فَتلا راوي الحديث: ﭽ ﭼ آل عمران: ٨][4].

---

1 [?] جامع الترمذي: كتاب الدعوات، بابٌ (بدون ترجمة: وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ)، رقم: 3502، وحسنه الشيخ الألباني في تحقيقه للكلم الطيب، ومحقق الوابل الصيب بمجموع طرقه، (انظر: 361).

2 [?] جامع الترمذي: كتاب القدر، بَاب مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ، ورقمه: 2140، وهو حَدِيثٌ حَسَنٌ، كما قاله الترمذي.

3 [?] قف على شرح الحديث والتعليق عليه لزامًا: طريق الهجرتين وباب السعادتين، (ج2/ ص625-627).

سابعًا: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول: " **اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بك لا إله إلا أنت أن تُضلّنِي، أنت الْحيّ الذي لا يَموت، والجن والإنس يَموتون** "[1].

وهذا فيه الاستعاذة والخوف من الضلال.

ثامنًا: ما جاء عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: " **رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا**[2] **أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي** "[3].

تاسعًا: ما جاء عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: « كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: **اللَّهُمَّ ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ [البقرة: ٢٠١]**"[4].

وفيه طلب الوقاية من عذاب النار.

---

[4] جامع الترمذي: كتاب الدعوات، باب (بدون ترجمة، وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ، ورقمه: 3522، وقال أبو عيسى أيضًا هنا « وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ »، وأشار إلى شواهده فقال: « وَفِي الْبَاب عَنْ عَائِشَةَ وَالنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ وَأَنَسٍ وَجَابِرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَنُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ ».

[1] صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم: 2717.

[2] **مخبِت:** من الإخبات، وهو الخشوع، يقال: أخبت لله، وفيه معنى التواضع (انظر: الصحاح للجوهري، مادة خبت، ص280).

[3] سنن أبي داود: كتاب الوتر، بَاب مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا سَلَّمَ، رقم: 1510، وجامع الترمذي: كتاب الدعوات، بَاب فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم: 3551، وسنن ابن ماجه: كتاب الدعاء، بَاب دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم: 3830، وقَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[4] صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، رقم: 6389، وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء بـاللَّهُمَّ ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ [البقرة: ٢٠١]، رقم: 2690.

عاشِرًا: عَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ،وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: " **اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ** "[1].

حادي عشر: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: « صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَتَيْنِ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَافْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلا؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَقَالَ: " **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ** " فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: " **سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ** "، فَكَانَ قِيَامُهُ قَرِيبًا مِنْ رُكُوعِهِ، ثُمَّ سَجَدَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: " **سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى** " فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ رُكُوعِهِ »[2].

وهذا الصنيع منه ﷺ؛ من السؤال والتعوذ، مِن شدة معرفته بالله ﷻ وخوفه منه سبحانه.

ثانِي عشر: أنّه مهما بلَغ العبد ما بلَغ مِن تكميل عبادةِ الله تعالى فإنّه لا يُحصي ثناءً على الله، لذا فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما، قَالَتْ: « فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَة مِن الفراش فَالتمسْتُه فَوقَعَت يدي على بطن قَدَمَيه وهو في المسجد وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: " **اللهم أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ؛ لا**

1 (?) سنن أبي داود: كتاب الأدب، بَاب مَا يُقَالُ عِنْدَ النَّوْمِ، رقم: 5045، والحديث صحيح له شواهد عن حذيفة والبراء وغيرهم، (طريق حذيفة، رواها الترمذي في جامعه: كتاب الدعوات، رقم:3398، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) فصح بِهذا حديث حفصة، بل ورد لفظة (اللهم قني عذابك –محل الشاهد- في صحيح مسلم، وقد جمع الشيخ الألباني طرق هذا الحديث المشار إليها ودرسها، (السلسلة الصحيحة، ج6/ 584-590، برقم: 2754).

2 (?) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم: 772، وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، تعوذ القارئ إذا مر بآية عذاب، رقم: 1008، و1009، واللفظ له.

أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ "[1].

قال النووي –رحمه الله-: « وَقَوْله: (أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْت عَلَى نَفْسك) اعْتِرَاف بِالْعَجْزِ عَنْ تَفْصِيل الثَّنَاء، وَأَنَّهُ لا يَقْدِر عَلَى بُلُوغ حَقِيقَته، وَرَدّ لِلثَّنَاءِ إِلَى الْجُمْلَة دُون التَّفْصِيل وَالإِحْصَار وَالتَّعْيِين، فَوَكَّلَ ذَلِكَ إِلَى اللَّه سُبْحَانه وَتَعَالَى الْمُحِيط بِكُلِّ شَيْء جُمْلَة وَتَفْصِيلاً، وَكَمَا أَنَّهُ لا نِهَايَة لِصِفَاتِهِ لا نِهَايَة لِلثَّنَاءِ عَلَيْهِ؛ لأَنَّ الثَّنَاء تَابِعٌ لِلْمَثْنَى عَلَيْهِ، وَكُلّ ثَنَاء أَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ وَطَالَ وَبُولِغَ فِيهِ فَقَدَرُ اللَّه أَعْظَم، وَسُلْطَانه أَعَزّ، وَصِفَاته أَكْبَر وَأَكْثَر، وَفَضْله وَإِحْسَانه أَوْسَع وَأَسْبَغ »[2].

وإنَّ مِن جملة أدعية هذا العبد الدالة على شدة خوفه لربّه : <u>استغفاراته</u>: (وتأمل أحاديث ذلك في المبحث القادم إن شاء الله).

وبعد، فهذه بعض أدعية النبِيّ واستعاذاته الصريحة بخوفه من الله تعالى، وما أوعد به مخالفي أمره.

الدلالة الثالثة: من شواهد خوف رسول الله ربّه : حالُه وبُكاؤه -في مواقف كثيرة- مِن خشية الله تعالى[3]:

وأُصدِّر هذه الْمواقف بِحدِيث عَائِشَةَ وأبِي هريرة وأنس ، واللفظ لها، عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: " **يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً** " [4]. وفِي المسند أنه قال هذا الكلام لَمّا رأى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ، لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا،

---

[1] (?) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: 486.

[2] (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص388.

[3] (?) قد سبقت -في الفصل الأول من هذا الباب- بعض المواقف البكائية لرسول البشرية ، تحت عدة أجناس كأدلة على بشريته ، وقد أشرتُ هناك إلى أنني تركت هذا النوع إلى هذا المبحث في هذا الفصل لقوة مناسبته به، وليُعلم ذلك.

[4] (?) صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ؟ رقم: 6631، وكتاب الرقاق، برقم: 6485، و6486، وصحيح مسلم، مطولا: كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، رقم: 901.

وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، قَالُوا: مَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:" **رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ** "[1]. **وهذا الموقف الأول.**

وفي شُعب الإيمان بعد إيراد شيءٍ من أحاديث الباب، قال: « قال الإمام أحمد -رحمه الله-: فكلّ ذلك يدلّ على أنّ كل مَن كان بالله أعرَفُ كان منه أخْوَف، وبشارةُ مَن بُشّر منهم بالمغفرة ودخول الجنة، لا يَمنع من الخوف عند ذكر الآيات، فقد يُنْسِيه الله تعالى تلك البشارة في ذلك الوقت، لتكميل أحواله في العبودية، وقد يطمئن لَها في العاقبة بِخَبَر الصادق به، ثم لا يأْمَن حُدوثَ ما يستحق عليه العقاب، إلى أن يُدرك بالرحمة والمغفرة في العاقبة، وقد يكون خوف النبي بعد أنْ أُومن على أمته.وبالله التوفيق »[2].

ومن النماذج الكثيرة لِمواقف بكى فيها الرسول مِن خشية الله : **الموقف الثاني** الذي جاء**:** عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة –رضي الله عنها- فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زُرْ غِبًّا تزددْ حُبًّا قال: فقالت: دعونا من رَطانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله ؟ قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: " **يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي** " قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرَّك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حِجرَه، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لِم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: "**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لقد نزَلَت علَيّ الليلة آية ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها** ﭽﮆﮇﮈﮉﮊﮋﭼ [آل عمران: ١٩٠]" الآية كلها[3].

---

[1] (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 13278، وصحح إسناده الشيخ شعيب ومساعدوه.

[2] (?) شعب الإيمان، (ج1/ ص487).

الموقف الثالث: وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، قَالَ: « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُصَلِّي، وَفِى صَدْرِهِ أَزِيزٌ، كَأَزِيزِ الرَّحَى[1] مِنَ الْبُكَاءِ »[2] .

الموقف الرابع: عَنِ الْبَرَاءِ بن عازب ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى، حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: " **يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا** "، ويُوضِّحُه ما في المسند عنه ، قال: « بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: " **عَلاَمَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَؤُلاَءِ؟** قِيلَ: عَلَى قَبْرٍ يَحْفِرُونَهُ. قَالَ: فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ ، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ. قَالَ: فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا قَالَ: " **أَيْ إِخْوَانِي لِمِثْلِ الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا** "[3].

الموقف الخامس: ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ : " **اقْرَأْ عَلَىَّ الْقُرْآنَ** ". قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: " **إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي** ". فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ:ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [النساء: ٤١]، رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ » متفقٌ عليه، واللفظ لمسلم[4].

---

[3] صحيح ابن حبان: كتاب الرقائق، باب التوبة، ورقمه: 622، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقد حسنه الشيخ الألباني –رحمه الله- في السلسلة الصحيحة، (انظر: ج1/ 147-149 للوقوف على فقهه، ورقمه: 68)، وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسير الآيات (ج1/ص574)مخارج الحديث الكثيرة.

[1] **الرحى:** الطاحون. و**أزيز الرحى**: صوتها وحرحرتها، (انظر: عون المعبود، ص426).

[2] سنن أبِي داود: كتاب الصلاة، باب الْبُكَاءِ فِي الصَّلاَة، ورقمه: 904، وهو حديث صحيح.

[3] سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، بَابُ الْحُزْنِ وَالْبُكَاء، رقم: 4195، ومسند الإمام أحمد: رقم: 18601، وفي سنده مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ، وهو متكلم فيه، ومن أجله ضعّف مَن ضعف سند الحديث، وقد حسنه الشيخ الألباني، السلسلة الصحيحة، ج4/ ص344-345، برقم: 1751).

[4] صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، بَاب الْبُكَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، رقم: 5055. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرح الحديث في باب مَنْ أَحَبّ أَنْ يَسْتَمِع الْقُرْآن مِنْ غَيْره: « قَالَ اِبْن بَطَّال: يَحْتَمِل أَنْ يَكُون أَحَبّ أَنْ يَسْمَعهُ مِنْ غَيْره لِيَكُونَ عَرْضُ الْقُرْآن سُنَّة، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون لِكَيْ يَتَدَبَّرهُ وَيَتَفَهَّمهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَمِع أَقْوَى عَلَى التَّدَبُّر، وَنَفْسُه أَخْلَى وَأَنْشَط لِذَلِكَ مِنْ الْقَارِئ؛ لاشْتِغَالِهِ بِالْقِرَاءَةِ وَأَحْكَامهَا »[1].

وقال في باب البكاء عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ: « قَالَ النَّوَوِيّ: الْبُكَاء عِنْد قِرَاءَة الْقُرْآن صِفَة الْعَارِفِينَ، وَشِعَار الصَّالِحِينَ، قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﭽﮢﮣﮤﮥﭼ [الإسراء: ١٠٩]، ﭽﮀﭫﭬﭼ [مريم: ٥٨]، وَالأَحَادِيث فِيهِ كَثِيرَة. قَالَ الْغَزَالِيّ: يُسْتَحَبّ الْبُكَاء مَعَ الْقِرَاءَة وَعِنْدهَا، وَطَرِيق تَحْصِيله أَنْ يَحْضُر قَلْبه الْحُزْن وَالْخَوْف بِتَأَمُّلِ مَا فِيهِ مِنْ التَّهْدِيد، وَالْوَعِيد الشَّدِيد، وَالْوَثَائِق وَالْعُهُود، ثُمَّ يَنْظُر تَقْصِيره فِي ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَحْضُرهُ حُزْن فَلْيَبْكِ عَلَى فَقْدِ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مِنْ أَعْظَم الْمَصَائِب . ... إلى أن قال في آخر الشرح: قَالَ ابْن بَطَّال: إِنَّمَا بَكَى ﷺ عِنْد تِلاوَته هَذِهِ الآيَة؛ لأَنَّهُ مَثَّلَ لِنَفْسِهِ أَهْوَال يَوْم الْقِيَامَة، وَشِدَّة الْحَال الدَّاعِيَة لَهُ إِلَى شَهَادَته لأُمَّتِهِ بِالتَّصْدِيقِ، وَسُؤَاله الشَّفَاعَة لأَهْلِ الْمَوْقِف، وَهُوَ أَمْر يَحِقّ لَهُ طُول الْبُكَاء اِنْتَهَى. وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّهُ بَكَى رَحْمَة لأُمَّتِهِ، لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لا بُدّ أَنْ يَشْهَد عَلَيْهِمْ بِعَمَلِهِمْ، وَعَمَلهمْ قَدْ لا يَكُون مُسْتَقِيمًا فَقَدْ يُفْضِي إِلَى تَعْذِيبهمْ، وَاللَّهُ أَعْلَم »[2].

الموقف السادس: وقد كان ﷺ إذا وعظ أصحابه ﷺ بكى وأبكى، فعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ، قَالَ: « وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " **أُوصِيكُمْ**

فَضْلِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ وَطَلَبِ الْقِرَاءَةِ مِنْ حَافِظِهِ..، رقم: 800 .

[1] فتح الباري (ج3 / 3558).

[2] فتح الباري (ج3 / 3562).

بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ؛ .." الحديث[1] .

هذه جملة من مواقف بكى فيها الرسول ﷺ؛ بكاء الخشية.

وبعد هذه المواقف التي بكى فيها الرسول ﷺ رجاء رحمة الله وخوف عذابه، فَمِن المعلوم شرعًا أنّه بالإجماع لم يَرَ أحدٌ الله تعالى في الدنيا، وأنّ بعض عباده سبحانه يعْبُدونه ويخافونه كأنّهم يرَونه وعلى رأس هؤلاء المحسنين رسول الله ﷺ؛ فإنّه إذا كان في عبادته؛ مِن ذكرٍ أو غيره، فإنّه يقوم به على أحسن حال. فلنأخذ مثلا بِحديث الذكر في موقف عرفات، وحديث مجالس الذكر، لكي نقف على هذه الحقيقة، فيَشْهَد لمسألة أهل الموقف (عرفات) وأنهم لو رأوا الله لصاروا أشد خوفًا مما كانوا عليه، ما جاء مختصرًا في صحيح مسلم، ومطولا عند عبد الرزاق –رحمهما الله-، ففي الصحيح عَنْ عَائِشَة رضي الله عنها، قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟** "[2].

وأما مفسِّرُه المُطوّل ففي قوله: " **وأما وقوفك بعرفة فإِنَّ اللَّه تبارك وتعالى يَنْزِل إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِهِمْ الْمَلائِكَة فيَقُول: هَؤُلاءِ عِبَادِي، جَاءوا شُعْثًا غُبْرًا، مِن كل فَجٍّ عميق، يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَيَخَافُونَ عَذَابِي وَلَمْ يَرَوْنِي، فَكَيْف لَوْ رَأَوْنِي؟ فلو كان عليك مثلَ رمل عالِجٍ، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذُنوبًا،**

---

[1] سنن أبي داود: كتاب السنة، باب فِي لُزُومِ السُّنَّة، ورقمه: 4607، وجامع الترمذي: كتاب العلم، باب مَا جَاءَ فِي الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَع، ورقمه: 2676، وقال الترمذي: « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

[2] صحيح مسلم: كتاب الحج، باب فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَيَوْمِ عَرَفَـةَ، رقم: 1348.

غسلها الله عنك، .. من حديث ابْن عُمَر رضي الله عنهما[1] .

فَقَدْ وَقَعَ الْحَدِيث من طرِيق عائشة فِي صَحِيح مُسْلِم مُخْتَصَرًا كما رأيتَ، وَذَكَره عَبْد الرَّزَّاق فِي مُسْنَده مِنْ رِوَايَة ابْن عُمَر مطولا[2].

كما يشهد لمسألة الذاكرين وأنهم لو رأوا الله صاروا أشد خوفًا مما كانوا عليه، ولصار حالُهم أحسن مما هم عليه، يشهد له ما جاء عند الترمذي وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ، فُضُلا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ؛ فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا، وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا: يَتَعَوَّذُونَ مِنْ النَّارِ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لا. فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَبًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فُلانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ، إِنَّمَا**

---

[1] (?) مصنف عبد الرزاق: ورقمه: 8830، (ج5/ ص16)، حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، برقم: 1360.

[2] (?) انظر/ المنهاج للنووي، ص844.

جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمْ الْقَوْمُ لا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ "[1].

والإحسان أنْ تعبد الله -بالخوف وغيره- كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك، وأهل موقف عرفات والذاكرين الله لو رأوا الله –وهم قائمون بعباداتهم في الدنيا- كانوا أشد خوفًا وتعبُّدًا مما كانوا عليه، ،، والرسول وإنْ لم يرَ الله بعين رأسه إلا أنه رآه بفؤاده وبصيرته .. فزاده ذلك خوفًا منه، بل هو أشدّ خوفًا من غيره كما سبق. وهو الذي كان يسأل الله في دعائه خَشْيَتَه سبحانه فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

تلك هي المواقف، وكيف لا تُخرّج مثل هذه المواقف الإيمانية الرسولية أناسًا مُلؤوا خوفًا من الله تعالى، ألا وهم الصحابة ومَن بعدهم مِن سلف هذه الأمة؟ فالصحابة كلّهم يخاف النفاق على نفسه، ومَن طالَع سيرة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من إخوتِهم الزاهدة كأبي ذرّ وغيره رأى المواقف الكثيرة الخائفة من الله تعالى التي وقفها هؤلاء[2]، فصلوات ربِي وسلامه على معلّمهم، و أجمعين. فهؤلاء تلاميذ محمدٍ وخرِّيجو مدرستِه، ونعم المربِّي الناجح والمربَى هم وهو! وألْحَقَنَا إياهم في جنات النعيم.

وما سبق من الأدلة والشواهد لقليلٌ مِن كثيرٍ مما يشهَد لشدة خوف رسول الله من ربّه، كما هو عنوان المبحث.

فائدة:

وكما كان نبينا شديدَ الخوف مِن ربّه الكريم، فكذلك كان إخوته الأنبياء عليهم السلام، فقد وصفهم الله بقوله: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ   ﭼ [الأنبياء: ٩٠].

1 (?) جامع الترمذي: كتاب الدعوات، بَاب مَا جَاءَ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ، رقم: 3600، قَالَ الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح .

2 (?) قِفْ على شيءٍ من مواقف الخلفاء الأربعة وغيرهم الخائفة من الله، في كتاب: شعب الإيمان (ج1/ص463 وما بعده)، وكتاب الحياة التعبدية للرسول وخلفائه الراشدين ، دراسة تحليلية، للدكتور عبد الستار جاسم محمد، ص175-498.

« فالرّغب: الرجاء والرغبة، والرّهب: الخوف والخشية »، قاله العلامة ابن القيم[1].

وقد اعتاد العلماء فَرضَ المسألة الآتية في هذا المقام، ومفادُها:

ما وجه خوف الملائكة وهم معصومون من الذنوب التي هي من أسباب الْمَخافة، وشدة خوف النبِيّ مع علمه بأنّ الله قد غفَر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخّر؟ وأنّه أقربُ الخلق إلى الله وسيلة[2]؟

وقد أجاب عنها: العلامة ابن القيّم –رحمه الله- بأربعة أجوبة[3]، منها:

« **الجواب الأول** أنّ هذا الخوف على حسب القرب من الله، والمنزلة عنده، وكلّما كان العبدُ أقربَ إلى الله كان خوفُه منه أشد؛ لأنّه يُطالب بما لا يُطالب به غيره، وَيَجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما لا يجب على غيره. ونظيرُ هذا في الشاهد: أنّ الماثل بين يدي أحد الْملوك الْمُشاهِدَ له أشدّ خوفًا منه من البعيد عنه، بحسب قربه منه، ومنزلته عنده، ومعرفته به وبحقوقه، وأنّه يُطالب من حقوق الخدمة وأدابِها بما لا يطالَب به غيرُه، فهو أحق بالخوف من البعيد. ومَن تَصَوّر هذا حقّ تَصَوُّرِه فَهِم قوله: " **إِنِّي أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً** "، وفَهِم قوله في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره، مِن حديث زيد بن ثابت عن النبي ، أنه قال: " **إِنَّ اللَّهَ تعالى لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِم** "[4]. .. والحديث إنما سيق للمدح وبيان عِظَم حق الله على عباده، وأنه لو

---

[1] طريق الهجرتين وباب السعادتين، (ج2/ 615)، وانظر: شعب الإيمان للبيهقي، (ج2/ ص3).

[2] انظر: طريق الهجرتين، (ج2/ 620).

[3] انظرها: المصدر نفسه، (ج2/ 620-628).

[4] أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة، بَاب فِي الْقَدَرِ، رقم: 4699، وابن ماجه في سننه: كتاب المقدمة، بَاب فِي الْقَدَرِ، رقم: 77، عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وهو حديث صحيح (انظره وشواهده/ في ظلال الجنة للألباني، ص101 وما بعده، برقم: 245).

عـذّبَهم لعـذّبهم بحقـه عليهم، ولم يكُن تعذيبُـه ظُلْمًـا لهم بغيرِ استحقاق؛ فإنّ حقه سبحانه عليهم أضعافُ أضعافِ ما أتوا؛ ولهذا قال بعده: " **وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِم** "

يعنِي: أنّ رحمتَه لَهم ليسَـتْ ثمَنًـا لأعمـالِهم، ولا تَبلُـغ أعمالُهم رحمته، فرحمتُه لهم ليست على قدر أعمالِهم؛ إذ أعمـالُهم لا تسـتقلّ باقتضـاء الرحمـة، وحقـوق عبوديته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بِهـا. فلو عـذّبَهم - والحالة هذه- لكان تعذيبًا لِحقّه، وهو غير ظـالمٍ لهم فيـه، ولا سـيّما فـإنَّ أعمـالَهم لا تُـوازي القليل مِن نِعَمِه عليهم، فتبقى نِعَمُه الكثيرة لا مقابل لَها من شُكرهم، فإذا عذّبَهم على تـركِ شُـكرهم وأداء حقه الـذي ينبغي له سـبحانه، عـذّبَهم ولم يكن ظالِمًا لهم »[1]. ثم استرسـل لجـواب فرضٍ آخر، وهو:

« **فـإنْ قيـل:** فهم إذا فعلـوا مقـدورَهم مِن شـكره وعبوديتِه لم يَكُن ما عـداه مِمّا ينبغي له مقـدورًا لَهم، فكيف يَحسن العذاب عليه؟ **قيل:** الجواب **من وجهين:**

أحدهما: أنّ المقـدور للعبد لا يـأتِي به كلّه، بل لا بُـدّ مِن فُتُـورٍ وإعـراضٍ وغَفْلَـةٍ وتَـوَانٍ. وأيضًـا: ففي نَفْسِ قِيَامِه بالعبودية لا يُوَفِّيها حَقّها الـواجب لَها مِن كَمـال الْمُراقبة والإجلال والتعظيم والنصيحة التامّة لله فيهـا، بِحَيث يَبْذُلُ مَقْـدُورَه كُلّه في تَحسـينها وتكميلهـا، ظـاهرًا وباطنًـا، فالتقصير لازمٌ في حـال الـترك، وفي حـال الفعـل. ولِهَـذا سأل الصديق النبي ﷺ دعاء يَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِه، قَالَ لـه: " قُـلْ: **اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِـي ظُلْمًـا كَثِـيرًا، وَلا يَغْفِـرُ الـذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، فَـاغْفِرْ لِي مَغْفِـرَةً مِنْ عِنْـدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّك أَنْتَ الْغَفُـورُ الـرَّحِيمُ**"[2]. فـأخبَر عن ظُلمه لنفسه مُؤَكِّدًا له بـأن الْمُقتضـية ثُبُـوتَ الْخَبَر وتَحقّقـه، ثُمّ أَكّـدَه بالْمَصْـدَر النـافِي للتجـوُّز والاستعارة، ثم وصَـفَه بـالكَثْرَة الْمُقتضـية لِتَعـدّده وتَكَثُّرِه. ثم قـال: " **فَـاغْفِرْ لِي مَغْفِـرَةً مِنْ عِنْـدِكَ** "، أي: لا

---

[1] (?) طريق الهجرتين، (ج2/ ص621-622).

[2] (?) أخرجه البخاري ومسلم وسيأتي تخريجه قريبًا.

ينالُها عملي ولا سَعْيِي، بلْ عَمَلِي يَقْصُر عنها، وإنّما هي مِن فَضلك وإحسانك، لا بِكَسبِي ولا باستغفاري وتوبتِي. ثم قال: " **وَارْحَمْنِي** "، أي: ليس مُعوّلِي إلا على مجرد رحمتك؛ فإِنْ رحِمْتَنِي، وإلا فالْهَلاك لازمٌ لِي. فليتدبر اللبيبُ هذا الدعاء وما فيه مِن المعارف والعبودية، وفي ضِمْنِه: إنّك لو عذَّبْتَنِي لعدلْتَ فِيّ ولَم تَظْلِمْنِي، وإنّي لا أنْجو إلا برحمتك ومغفرتك. **ومن هذا:** قَوله ﷺ: " **لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ** " قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " **وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ منه وفضل** "[1]. فإذا كان عمل العبد لا يستقل بالنجاة، فلو لَم يُنْجِه الله، لَم يَكُن قد بَخَسَه شَيْئًا مِن حَقّه، ولا ظَلَمَه، فإنّه ليس معه ما يقتضي نجاتَه، وعملُه ليس وافِيًا بشُكر القليل مِن نِعَمِه، فَهَل يكون ظالِمًا له لو عذّبَه؟ وهل تكون رحمتُه له جزاءً لعمله، ويكون العمل ثَمنًا لَها مع تقصيره فيه، وعدم توفِيَتِه ما ينبغي له من بَذْل النصيحة فيه، وكمال العبودية من الحياء والمراقبة، والمحبة والخشوع، وحُضُور القلب بين يدَي الله في العمل كلّه؟ ومن علِم هذا، علِم السِّرّ في كون أعمال الطاعات تُختم بالاستغفار ... **الجواب الثاني:** أنّه لو فُرض أنّ العبد يأتِي بمقدوره كله، من الطاعة ظاهرًا وباطنًا، فالذي ينبغي لربّه فوق ذلك، وأضعافُ أضعافِه، فإذا عجَزَ الْعَبْدُ عنه لم يستحق ما يَتَرَتّب عليه من الجزاء، والذي أتى به لا يُقابِل أَقَلّ النّعَم، فإذا حُرِّم جَزَاءُ العَمَل الذي ينبغي للرب من عبده، كان ذلك تعذيبًا له، ولَم يَكُن الرَّبّ ظالِمًا له في هذا الحرمان، ولو كان عاجزًا عن أسبابه، فإنّه لَم يَمْنَعْه حَقًّا يَسْتَحقه عليه فيكون ظالِمًا بِمنعه، فإذا أعطاه الثواب كان مجرد صدقةٍ منه وفضل؛ تَصَدّق بها عليه، لا ينالُها عمَلُه، بل هي خيْرٌ مِن عمَلِه وأفضَلُ وأكْثَر، ليست معاوضة عليه. والله أعلم »[2].

تنبيه:

1 ([?]) أخرج الحديث الشيخان، وقد سبق تخريجه.

2 ([?]) طريق الهجرتين، (ج2/ 622-625).

ما سبق من الشواهد يَدل على خوف هذا الرسول ، الخوف الشديد من ربّه الكريم، وقد آثَرْتُ ذكرَ هذه الشواهد والدلائل مجرّدة عن تعليقات العلماء وشروحهم لها في الغالب اختصارًا، وقد كان خوفه وخوف الأنبياء قبله خوف أمان، لتأمين ربّهم إياهم ووعدهم بالجنة، وخوف إجلالٍ لله وتعظيم، وأنهم مع شدة اجتهادهم في عبادتهم إيّاه وشكره والثناء عليه سبحانه =إلا أنهم لم يُحصُوا ثناء عليه سبحانه، بل هو كما أثنى على نفسه.

وأما قوله تعالى: ﭽﮈﮉﮊ ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﭼ [الأحقاف: ٩].

وما جاء في حديث امْرَأَةٍ مِن الأَنْصَار[1] التي: بَايَعَت النَّبِيَّ ، وأخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً، فَطَارَ لَهم عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ[2]، فَأَنْزَلوهُ فِي أَبْيَاتِهم، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقالت: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ! فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ : " **وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟** فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: " **أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي -وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِي** "، قَالَتْ: فَوَ اللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا »[3]. وفي رواية للبخاري أيضًا: " **وَإِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي -وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِهِ** "[4]. = **مِمّا يدل** ظاهرُه على أنّ رسولنا لا يَدْرِي -وَهو رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِه هو، فكيف بغيره.

---

1 (?) هي أُمّ الْعَلاءِ كما صرّحت بذلك الرواية.

2 (?) **عُثْمَانُ بنُ مَظْعُوْنِ** بن حَبِيْبِ بنِ وَهْبٍ الجُمَحِيُّ أَبُو السَّائِبِ، مِنْ سَادَةِ المُهَاجِرِيْنَ، وَمِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ المُتَّقِيْنَ، الَّذِيْنَ فَازُوا بِوَفَاتِهم فِي حَيَاةِ نَبِيِّهِم، فَصَلَّى عَلَيْهِم، وَكَانَ أَبُو السَّائِبِ أَوَّلَ مَنْ دُفِنَ بِالبَقِيْعِ، مختصر من سير أعلام النبلاء، (ج2 / ص 315، ورقم ترجمته: 150).

3 (?) صحيح البخاري: وقد انفرد بإخراجه البخاري، كتاب الجنائز، بَاب الدُّخُولِ عَلَى الْمَيِّتِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ، رقم: 1243. وسيأتي ذكره في نفي علم الغيب عن الرسول .

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الشهادات، بَاب الْقُرْعَةِ فِي الْمُشْكِلاتِ، رقم: 2687.

فقد تكلم العلماء في ذلك، وبيّنوا أنه لا تعارض بين هذين النصين وبين النصوص التي نَطقت بوعد الله له بالجنة، وأجادوا في ذلك، وإنْ كان في بعض الأوجه ضعفًا، وبالنسبة لحديثنا فإنّه يزول إشكاله بالرواية الثانية " **وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي -وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِهِ "؛** فتُفسّر بها.

وأما الآية، فبالأوجه الآتية مما جاءت في كلام العلماء، والمتلخِّصة في:

أولا: أنه لا يدرِي مصيرَه في الآخرة في أول الأمر، ثم أعلمه الله، ورُدّ بأنه في باب الأخبار، ولا نسخ فيه، ولم يتبيّن لي وجهُه.

ثانيًا: وقيل –وهو الصحيح- بأنّ لا أدري ما يُفعَل بِي ولا بكم معناه: في أمر الدنيا.

وهنا إشارة إلى عيونٍ من تقريرات العلماء والمفسرين –رحمهم الله- لِهذا الأمر:

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في التعليق على الحديث جامعًا بين أدلة الباب: « وَإِنَّمَا قَالَ رَسُول اللَّه ذَلِكَ مُوَافَقَة لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَة الأَحْقَاف: ﭽﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎ ﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ [الأحقاف: ٩]. وَكَانَ ذَلِكَ قَبْل نُزُول قَوْله تَعَالَى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭼ [الفتح: ٢]. لأَنَّ الأَحْقَاف مَكِّيَّة، وَسُورَة الْفَتْح مَدَنِيَّة بِلا خِلاف فِيهِمَا، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ ، قَالَ: " **أَنَا أَوَّل مَنْ يَدْخُل الْجَنَّة** "[1]، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الأَخْبَار الصَّرِيحَة فِي مَعْنَاهُ، فَيَحْتَمِل أَنْ يُحْمَل الإِثْبَات فِي ذَلِكَ عَلَى الْعِلْم الْمُجْمَل، وَالنَّفْي عَلَى الإِحَاطَة مِنْ حَيْثُ التَّفْصِيل »[2].

والقول بالنسخ الذي جاء في كلام الحافظ –رحمه الله- هنا وأنّ آية ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ نزَلَت قبل أنْ يُعلِمه الله بِمصيره في الآخرة، أحد الأقوال في المسألة. وقد تفضّل بِمثل هذا الجمع جمعٌ من الأئمة والعلماء. **ومما قيل في الجمع بين النصوص أيضًا:**

---

1 ([?]) صحيح مسلم: وقد سبق تخريجه.

2 ([?]) فتح الباري، (ج1/ ص1258-1259).

ما قاله العلامة ابن عطية –رحمه الله- مضيفًا بعض الأوجُه، بعدما صَوّر المسألة: « واختلف الناس في قوله: ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﭼ، فقال ابن عباس وأنس بنُ مالك والحسن وقتادة وعكرمة: معناه: في الآخرة، وكان هذا في صدر الإسلام، ثم بعد ذلك عرَّفه الله تعالى بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ..، والحديث الذي وقع في جنازة عثمان بن مظعون يؤيد هذا وهو قوله: " **فوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي** "، وفي بعض الرواية: " **به** "، ولا حجة في الحديث على رواية " **به** "، والمعنى عندي في هذا القول: أنه لم تتكشف له الخاتمة، فقال: لا أدري؟ .. وإلا فكان للكفار أنْ يقولوا: وكيف تدعونا إلى ما لا تدري له عاقبة. وقال الحسن أيضًا وجماعة: معنى الآية: ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﭼ في الدنيا من أن أُنصَر عليكم، أو مِن أن تَمكَّنُوا منِّي، ونحو هذا من المعنى. وقالت فرقة : معنى الآية: ما أدري ما يُفعل بِي ولا بكم مِن الأوامر والنواهي، وما تُلزمنا الشريعة من أغراضها. وحكى الطبري عن بعضهم أنّه قال: نزلت الآية في أمرٍ كان النبي ينتظره من الله في غير الثواب والعقاب. وروي عن ابن عباس أنه لما تأخر خروج النبي من مكة حين رأى في النوم أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وسبخة، قلِق المسلمون لتأخر ذلك، فنزلت هذه الآية »[1].

وبِمثله قال القرطبي –رحمه الله- مع إضافات مفيدة: « ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﭼ يريد يوم القيامة، -ولَمّا نَزَلَت فرِح المشركون واليهود والمنافقون، وقالوا: كيف نَتَّبِع نبِيًّا لا يَدري ما يُفعل به ولا بنا، وأنّه لا فضل له علينا، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله مِن تلقاء نفسِه لأخْبَرَه الذي بَعَثَه بِما يَفعَل به، فنَـزلت ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭼ [الفتح: ٢]. فنَسَخَت هذه الآية، وأرْغَم الله أَنْف الكفار. .. »[2].

وذكر حديث قصة موت عثمان بن مظعون ثم قال: « ذكره الثعلبي، وقال: وإنما قال هذا حين لم يعلم

[1] (?) المحرر الوجيز، ص1707.
[2] (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج19/ ص184).

بغفران ذنبه، وإنما غفر الله له ذنْبَه في غزوة الحديبية قبل موته بأربع سنين »[1]. ثم نقدَه وفسّر آية الأحقاف بقوله: « قلتُ: حديثُ أم العلاء خرَّجه البخاري، وروايتِي فيه: **وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ "**، ليس فيه " **بِي ولا بكم** " وهو الصحيح إن شاء الله، على ما يأتي بيانه.

والآية ليست بمنسوخة، لأنّها خبر؛ قال النحاس: محالٌ أنْ يكون في هذا ناسخٌ ولا منسوخٌ من جهتين: أحدِهما أنَّه خبر، والآخر أنّه مِن أول السورة إلى هذا الموضع خطابٌ للمشركين، واحتجاج عليهم، وتوبيخ لهم، فوَجَب أنْ يكون هذا أيضًا خِطابًا للمشركين كما كان قبله وما بعده،

ومحال أن يقول النبي للمشركين " مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ولا بكم " في الآخرة، ولم يزَل مِن أوَّلَ مَبْعَثه إلى مَماته يُخبِر أنَّ مَن مات على الكفر مُخَلّدٌ في النار، ومَن مات على الإيمان واتبعه وأطاعه فهو في الجنة، فقد رأى ما يُفعل به وبِهم في الآخرة. وليس يجوز أنْ يَقول لهم: مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِه ولا بكم في الآخرة، فيقولون: كيف نتبعك وأنت لا تدري أتصير إلى خفض ودَعَة، أم إلى عذاب وعقاب. والصحيح في الآية .. **(**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ولا بكم في الدنيا) قال أبو جعفر: وهذا أصحُ قولٍ وأحسنه، لا يَدْرِي ما يَلْحَقُه وإيّاهم مِن مَرَضٍ وصِحّة، ورُخصٍ وغلاء، وغنى وفقر. .. قال القشيري: فعلى هذا لا نسخ في الآية. وقيل: المعنى لا أدري ما يفرض علي وعليكم من الفرائض. واختار الطبري أن يكون المعنى: ما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا، أتؤمنون أم تكفرون، أم تعاجلون بالعذاب أم تُؤَخّرون.

قلت: وهو معنى قول الحسن والسدي وغيرهما؛ قال الحسن: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أما في الآخرة فمعاذ الله ! قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال ما أدري ما يفعل بي في الدنيا أأخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي، أو أقتل كما قتلت الأنبياء قبلي، ولا أدري ما يفعل بكم، أأمتي المصدقة أم المكذبة، أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفا، أو مخسوف

---

[1] (?) المصدر نفسه، (ج19/ ص185).

بها خسفا، ثم نزلت ﭽﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﭼ [التوبة: ٣٣]. يقول: سيظهر دينُه على الأديان.

ثم قال في أمته: ﭽ   ﭼ [الأنفال: ٣٣]. فأخبره تعالى بما يصنع به وبأمته، ولا نسخ على هذا كله، والحمد لله. وقال الضحاك أيضًا: ﭽ ماﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ [الأحقاف: ٩]. أي: ما تُؤْمَرون به، وتُنْهون عنه. وقيل: أمر النبي ﷺ أن يقول للمؤمنين: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في القيامة، ثم بيّن الله تعالى ذلك في قوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭼ [الفتح: ٢]. وبيّن فيما بعد ذلك حال المؤمنين ثم بين حال الكافرين. قلت: وهذا معنى القول الأول، إلا أنه أطلق فيه النسخ بمعنى البيان، وأنّه أُمِر أنْ يقول ذلك للمؤمنين، والصحيح ما ذكرناه عن الحسن وغيره »[1].

ومن الأوجه التي زادها الحافظ ابن كثير غير ما تقدم: « وقوله تعالى: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية: نزل بعدها ﭽﭑﭒﭓﭔ ﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭼ [الفتح: ٢]. وهكذا قال عكرمة، والحسن، وقتادة: إنها منسوخة بقوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭼ، قَالُوا: ولَمّا نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين: هذا قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ مَا هو فاعلٌ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا هوَ فاعلٌ بِنَا، فَأَنزَلَ الله: ﭽﮖﮗ ﮘﮙﮚﭼ [الفتح: ٥]. هكذا قال، والذي هو ثابت في الصحيح أنّ المؤمنين قَالُوا: هَنِيئًا لك يَا رَسُولَ اللَّهِ، فما لنا؟ فأنزل الله هذه الآية[2]. وقال الضحاك: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ: ما أدري بِماذا أُومَر، وبِماذا أُنْهَى بعد هذا؟ وقال أبو بكر الهذلِيّ، عن الحسن البصري في قوله: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ قال: أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنّه في الجنة، ولكن قال: لا أدري ما يُفعل بي ولا بكم في الدنيا، أُخرَج كما أخرجت الأنبياء مِن قبلي؟ أم أُقتل كما قُتِلَت الأنبياء مِن قبلي؟ ولا أدري أَيُخسَف بكم أو تُرمون بالحجارة؟ »[3].

---

1 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج19/ ص184-187).

2 (?) أخرج الحديث البخاريُّ في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم: 4172، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، بلفظ مختلف، رقم: 1786 .

3 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ص195-196).

ثم بعد ما ذكر هذه الآثار علّق عليها مرجِّحًا: « وهذا القول هو الذي عَوّل عليه ابن جرير، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أنّ هذا هو اللائق به، صلوات الله وسلامه عليه، فإنّه بالنسبة إلى الآخرة جازمٌ أنه يصير إلى الجنة هو ومَن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدْرِ ما كان يؤُول إليه أمرُه وأمرُ مشركي قريش إلى ماذا: أيؤمنون أم يَكفرون، فيعذبون؛ فيستأصلون بكفرهم؟ »[1].

ثم تكلم على حديث قصة عثمان بن مظعون فقال: « فقد انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم، وفي لفظ له: " **مَا أَدْرِي -وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِهِ** "[2].

وهذا أشبَهُ أن يكون هو المحفوظ، بدليل قولها: (فَأَحْزَنَنِي ذَلِك). وفي هذا وأمثاله دلالة على أنّه لا يُقطَع لِمُعيّن بالجنة، إلا الذي نصّ الشارع على تَعيينِهم، كالعشرة، وابن سلام، والغُميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء »[3].

وكذلك الشيخ الأمين الشنقيطي –رحمه الله- حيث قال: « قوله تعالى: ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﭼ : التحقيق -إنْ شاء الله- أنّ معنى الآية الكريمة: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في دار الدنيا، فما أدري أَأُخرَج من مسقط رأسي أو أُقتَل كما فُعل ببعض الأنبياء، وما أدري ما ينالِنِيمن الحوادث والأمور في تحمل أعباء الرسالة، وما أدري ما يُفعل بكم أيُخسف بكم، أو تنـزل عليكم حجارةٌ من السماء ، ونحوُ ذلك. وهذا هو اختيار ابن جرير وغير واحد من المحققين. وهذا المعنى في هذه الآية دلت عليه آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﭽﭙ ﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭼ [الأعراف: ١٨٨] ... وبِهذا تعلم أنّ ما يُروى عن ابن عباس وأنس وغيرهما من أن المراد، ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﭼ أي: في الآخرة فهو خلاف التحقيق، ... فالظاهر أنّ هذا كله خلاف التحقيق، وأنّ النبي لا يجهل مصيرَه يوم القيامة لعصمته صلوات الله

---

[1] (?) المصدر نفسه، (ج4/ص196).

[2] (?) صحيح البخاري: وقد سبق تخريجه (ورقمه: 2687).

[3] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج4/ص196).

وسلامه عليه: وقد قال له الله تعالى ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﭼ [الضحى: ٤]. وأنّ قوله: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﭼ في أمور الدنيا كما قدمنا. .. » إلخ[1].

وبِمثله مختصرًا قال في دفع إيهام الاضطراب، فإنّه بعد ما صوّر وجه التعارض الظاهري، قال: « والجواب ظاهرٌ، وهو أنّ الله تعالى علّمه ذلك بعد أنْ كان لا يعلمه .. ويدل له: أنّ الأحقاف مكية، وسورة الفتح نَزَلت عام ستٍّ في رجوعه من الحديبية. وأجاب بعض العلماء بأنّ المراد: ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم في الدنيا من الحوادث والوقائع. وعليه فلا إشكال. والعلم عند الله »[2].

وبِهذا الإجماع من المفسرين وغيرهم تبيّن أنّ آية الأحقاف وحديث قصة موت عثمان بن مظعون لا تتعارض بالنصوص التي دلّت على أنّ رسولنا محمدًا ومَن اتبعه في الجنة. وبِهذا انتهى هذا المبحث –والله ولي التوفيق.

---

1 ([?]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج7/ 402-404).

2 ([?]) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، (سورة الأحقاف) ص283-284 .

المبحث السابع: خضوعه وذلُّه لربِّ العزة والجبروت سبحانه[1]:

الذُلّ لله العظيم أنواع:

أوّلُها: ذُلّ الْمُحبّ لِمحبوبه، **الثانِي:** ذُلّ المملوك لِمَالكه، **الثالث:** ذُلّ الْجانِي بين يدي الْمُنعِم عليه الْمُحسن إليه الْمالِك له، **الرابع:** ذُلّ العاجز عن جميع مصالحه وحاجاته بين يدي القادر عليها التي هي في يده وبأمره، وتحت هذا قسمان: **القسم الأول:** ذُلّ له في أنْ يَجلب له ما ينفعه. **والثانِي:** ذُلّ له أنْ يَدفع عنه ما يَضُرُّه على الدوام، وفيه: ذُلّ الْمصائب كالفقر والْمرَض وأنواع البلاء والْمِحَن.

فهذه خمسة أنواع مِن الذّل إذا وفّاها العَبد حقّها وشهِدها كما ينبغي، وعرَف ما يُراد به منها، وقام بين يدَي ربّه مستصحبًا لَها، شاهدًا لذُلّه مِن كلّ وجهٍ، ولعزّة ربّه وعظمته وجلاله، كان قليلُ أعماله قائمًا مقام الكثير مِن أعمال غيره، وهذه أسرارٌ لا تُدرَك بمجرد الكلام[2].

وانكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وذلّه وافتقاره له، وازدراؤ العبد نفسَه ورؤيته إيّاها بعين الضعف والعجز والعيب والنقص والذم = سبَبٌ مِن أسباب محبة الله تعالى؛ فإنّ الْحِبّ ذليلٌ بالذات لربّه ، وعلى قدر محبته لربه يكون ذله له، فالمحبة أسّسَت على الذلة للمحبوب، وليس شيءٌ أحَبّ إلى الباري مِن هذا الذلّ والكسرة والخضوع والتذلل والإخبات والانطراح والاستسلام له من عبده[3].

وقد مرّ أنّ مادة العبد لغة وشرعًا أساسه وأصله على الذلّ التّام.

ويُقرّر العلامة ابن القيّم –رحمه الله- بعض هذه المعاني، وهو يذكُر شَوَاهِد المحبة، وأنّ الْحُبّ مبنِيٌّ على

---

1 (?) للاستزادة، انظر: مشهد العجز والضعف، ومشهد الذل والانكسار والخضوع والافتقار للرب جلّ جلاله، وكذلك مشهد العبودية والمحبة والشوق إلى لقائه والابتهاج والفرح والسرور به، في نهاية منزلة التوبة في كتاب مدارج السالكين، (ج1/ 506-512)، ومنزلة الخشوع (المدارج، ج2/ 8-18).

2 (?) انظر: محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة، ص415-417 .

3 (?) انظر: مدارج السالكين، (ج2/494 وما بعده –منزلة الفقر).

الذُّلّ، بل متَى استحْكَم الذلّ والْحُبّ صار عبوديةً، فيقول: « ومنها: استكانة الْمُحِبّ لِمحبوبه، وخضوعه وذُلّه له، والْحُب مبنِيٌّ على الذل، ولا يأنَف العزيزُ الذي لا يَذِلُّ لشيءٍ مِن ذُلِّه لِمَحبوبه، ولا يَعُدُّه نَقْصًا ولا عَيْبًا، بل كثيرٌ منهم يَعُدّ ذُلَّه عِزًّا، كما قال:

إذا كنت تَهوى مَن تُحبّ ولم تكُن ... ذليلا له، فاقرأ السلام على الوَصْل

تَذَلّل لِمَن تَهوى لتَكْسِب عِزَّةً ... فَكم عِزَّة قد نالَها الْمَرءُ بِالذُّلّ

وقال الآخر:

اخضَع وذُلّ لِمَن تُحبّ فليس في ... شَرْع الْهوى أنفٌ يُشَال ويُعْقَد

وقال الآخر:

ويُعجبنِي ذُلِّي لديك ولم يَكُن ... ليعجبنِي لولا مَحبَّتُك الذُّلّ

وقال آخر:

يَلِذّ له ذُلّ الْهَوى وخضوعَه ... ولولا الْهوى ما لَذّ للعاقل الذُّلّ

وقال الآخر:

مساكينُ أهل الْحُبّ حتى قبورهم ... عليها ترابُ الذل دون المقابر

ومتى استحكم الذلُّ والحبُّ صار عبودية، فيصير القلب الْمُحبّ مُعَبَّدًا لِمحبوبه، وهذه الرتبة لا يليق أن تتعلق بمخلوق، ولا تصلُح إلا لله وحده »[1].

والخضوع التام لله ﷻ، والذلّ الكامل مِن علامات الافتقار إليه سبحانه وتعالى، الذي هو لُبُّ العبودية وخالصُها، وقد ذكَر بعضُ العلماء جُملة مِن علامات الافتقار إليه سبحانه، غير الخضوع والذل، تُجْمَلُ في الآتِي:

أولا: غاية الذل لله تعالى مع غاية الحب، **ثانيًا:** التعلق بالله تعالى وبِمحبوباته، **ثالثًا:** مداومةُ الذِّكر والاستغفار، **رابعًا:** الوجَل مِن عدم قبول العمل، **خامسًا:** خشيةُ الله

[1] (?) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص394-395.

في السّرّ والعَلَن، **سادسًا:** تعظيم الأمر والنهي، **سابعًا:** سرعةُ التوبة بعد المعصية[1].

وأما عن عنوان المبحث والذي هو خضوع النبي وذلُّه الكاملُ لربِّه سبحانه، فيتمثل في ذُلّ المملوك لِمَالكه، وذُلّ الْمُنعَم عليه بالنِّعَم التي لا تُحصى بين يدي الْمُنعِم، الْمُحسن إليه، وذُلّ العاجز عن جميع مصالحه وحاجاته بين يدي القادر عليها؛ التي هي في يده وبأمره، ذُلّه له ليَجْلب إليه ما ينفعه، ويدَفْع عنه ما يَضُرُّه على الدوام،،، .وأعظم وجهٍ لِذلُّه لله هو ذُلّ الْمُحبّ لِمحبوبه، والعابد لِمعبوده، وشواهد هذا النوع ستأتِي تباعًا.

ولِما أنّ أنواع العبادة كثيرة جدّا، وكلّها مبناها على الخضوع التام والذلّ الكامل لله ، والرسول أكمل الناس عبودية، وأكملهم ذُلا لله تعالى، لِهذا وذاك، ورغبة في الاختصار، فإنّي هنا سأنتقي بعض أنواع العبادة التي الذلّ فيها بارزٌ جدًّا، لأمثل بِها في هذا المقام، دون التطرق للأنواع الأخرى؛ وذلك لأنّ مظاهرَ ذُلّ رسولِ الله وصوَره في كلّ نوعٍ من أنواع العبادة حرّيٌّ وصالِحٌ أنْ يُكتب لبيانه وتَجْلِيَته مباحث شتّى[2]:

النوع الأول: أذكار وأدعيةُ رسول الله ، وما فيهما من ذلِّه التام لله تعالى:

الدعاء سِمةُ العبودية، وعنوان التذلل والخضوع والاستكانة، والافتقار الذاتِي، وتلبية للحاجات، ودليل الصدق في اللجوء والرجاء والرغبة، والطمع والخوف والرهبة، فهو لُبّ العبادة ومُخّها وروحُها، فصرفُه للّه تعالى عبادةٌ وتوحيدٌ، وصرفُه لغيره شِركٌ وتنديدٌ[3].

والعبد حينما يَرفع أكُفَ الضراعة إلى الله سبحانه، سائلا مولاه، فإنّه يَكمُل تذَلّلُه له وعبوديتُه، ولِهذا يستحيي

---

1 (?) انظر: الافتقار إلى الله لب العبودية، (كامل الكتاب)، تأليف: أحمد بن عبد الرحمن الصويان.

2 (?) قد كتبَ أحدهم رسالة أسماها: الحياة التعبدية للرسول ، دراسة تحليلية، وأخرى أسماها: الحياة التعبدية لخلفائه الراشدين دراسة تحليلية، ونال بالأولى الماجستير، وبالثانية: درجة الدكتوراه، وهذا الباحث هو الدكتور عبد الستار جاسم محمد.

3 (?) انظر: مقدمة الدعاء ومنزلته في العقدية الإسلامية، (ج1/ص49)

سبحانه أنْ يَرُدّ يَديه إليه صِفرًا، كما في الحديث عَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا** " [1].

يقول الدكتور عبد الستار جاسم –حفظه الله- في كتابه الحياة التعبدية للرسول : « الدعاء: قد يتبادر إلى الذهن أنْ لا علاقة للدعاء بالجوانب التعبدية، بيد أنّ إمعان النظر في حقيقته يَكشف عن كونه الحلقة الوُثقى للصلة بين العبد وخالقه، .. ويَحصُل بالدعاء الافتقار والخضوع والاستسلام للرب جلّ جلالُه، وهذه هي العبادة الحقة. وبما أنّ المصطفى هو أخلَص العباد لله تعالى، وأتقاهم وأسلمهم له، فلقد جعل له منهجًا خاصًّا في عبادته بِما فيها الدعاء، فكان كثيرَ الدعاء إلى الله، مُسلِمًا في ذلك، لا يكاد يَدع مناسبة إلا ودعا الله فيها، وهذا نابعٌ عن مدى ثقته بالله وتوكّله عليه. .. -إلى أن قال بعدما ذكَر نموذجينِ من أدعيته -: وخلاصة الأمر أنه كان له في كلّ حرَكة مِن حرَكَاتِه أو سكَنَاته دعاءٌ يدعو به، ولو أردنا أن نستقصي كلّ المواقف التي كان يدعو بها لطال الأمر، ولكن سنختصر ونقف معه في بعض تلك الأدعية ليتبيّن لنا الأمر ..»[2]، فذَكر كذلك بعض أدعيته .

وخضوع الرسول وذُلُّه لربه أظهرُ منها في سيرته وهديه الفعلية من سنته القولية، فمواقفه التي وقفها هو آثَر عندي هنا مِن السُّنّة القولية؛ وإنْ كان الرسول لا يأمُرُ بأمرٍ (ذِكرٍ ودعاء كان أو غيرِه) إلا وهو خيرُ قدوة فيها؛ وعلى ذلك: فالسنة القولية نفسُها –كما سيأتِي نماذجها- شاهدةٌ لذلك.

وقبل أن نقف على هذه الحقيقة (ذل رسول الله) من خلال نماذج من أدعيته وغيرها، يَجب أنْ نعلم أنّ

---

[1] سنن أبي داود: كتاب الوتر، بَاب الدُّعَاءِ، رقم: 1488، وجامع الترمذي: كتاب الدعوات، بابٌ، (وقبله: باب في دعاء النبي)، رقم: 3556، وسنن ابن ماجه: كتاب الدعاء، بَاب رَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ، رقم: 3865، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وهو صحيح.

[2] الحياة التعبدية للرسول وخلفائه الراشدين ، ص164-167 .

الدعاء ثلاثة أقسام، فإذا اجتَمَعَتْ (أمورٌ ثلاثة) في دعاءٍ ما، كان أكمل، واجتماعُها هو الغالب على أدعية الرسول ، وهي ترجع إلى: ذكر حال السائل وبيان حاجته وفقره وذلّه -وهذا المقصود في هذا المقام-، وحال المسئول؛ وذلك بسؤاله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، التي تناسب المطلوب وتقتضيه، ثم التعرض للحاجة المطلوبة، يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله- بعدما ذكَر حديث سيّد الاستغفار، وأحد أحاديث اسم الله الأعظم، مبيِّنا أنواع الأدعية: « والدعاء ثلاثة أقسام: **أحدها:** أنْ تَسْأَلَ الله تعالى بأسْمَائِه وصفاته، وهذا أحدُ التأويلَيْن في قوله تعالى: ﭴﭵﭶﭷﭸ [الأعراف: ١٨٠]. **والثاني:** أنْ تسأله بِحاجتِك وفَقْرِك وذُلّك، فتقول: أنا العبد الفقير المسكين، البائس الذليل، المستجيْر، ونَحو ذلك. **والثالث:** أنْ تَسْأل بِحاجتك ولا تَذْكر واحدًا من الأمرين، فالأول أكمل من الثانِي، والثانِي أكملُ مِن الثالث، فإذا جمَع الدعاءُ الأمورَ الثلاثة كان أكمل. وهذه عامة أدعية النبي ، وفي الدعاء الذي علّمه صِدّيق الأمة ذكَر الأقسام الثلاثة؛ فإنّه قال في أوله: " **ظَلَمْتُ نَفْسِي كَثِيرًا** "[1]، وهذا حال السائل. ثم قال: " **وإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ** " وهذا حال المسؤول. ثم قال: " **فَاغْفِرْ لِي** " فذكر حاجته، وختَم الدعاء باسْمَين من الأسْماء الحسنى تناسب المطلوب وتقتضيه »[2].

وهنا سأنتقي من السيرة النبوية، وأحاديثه الفعلية منها والقولية التي كان يدعو ربّه بِها ويَذكُره متوسِّلا بِها، ما يُظهِر جليًا كمال خضوع رسولنا لربه ربّ العزة والجبروت، وذله له سبحانه، على النحو التالي:

نَماذج من هَدْي رسول الله (سيرته وأحاديثه الفعلية) في دُعائه، الدالة على كمال ذُلّه لربه : وأذكُر هنا فقط حالتين:

---

1 (?) الحديث في الصحيح، وسيأتي تخريجه قريبًا.

2 (?) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، ص155-156 .

الحالة الأولى: وهي الْمُتمثّلة في دعاء النبِيّ ربّه يَوْمَ بَدْرٍ، والإلحاح عليه، والهتوف بذكره، ورفع اليدين بما هو فوق رفعه إياهما في الاستسقاء، فهذا أبلغ ما يكون من دعاء وذُلّ، وقد جاء هذا في حديث عَبْد اللَّهِ بْن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: « حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: نَظَرَ نَبِيُّ اللَّهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَبِضْعَة عَشَرَ رَجُلا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، وَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: " **اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜ ﭼ [الأنفال: ٩]**[1].

وجاء مختصرًا في صحيح البخاري، عَنْه ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ** "، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﭽ ﭼ [القمر: ٤٥ - ٤٦]»[2].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في الفتح ذاكرًا روايات الحديث الأخرى: « وَعِنْد الطَّبَرَانِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَن عَن ابْن مَسْعُود، قَالَ: " **مَا سَمِعْنَا مُنَاشِدًا يَنْشُد ضَالَّة أَشَدّ مُنَاشَدَة مِنْ مُحَمَّد لِرَبِّهِ يَوْم بَدْر: اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدك مَا وَعَدْتَنِي** "[3]. قَالَ السُّهَيْلِيّ: سَبَب

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدْرٍ، وإباحة الغنائم، رقم: 1763.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَاب مَا قِيلَ فِي دِرْعِ النَّبِيِّ وَالْقَمِيصِ فِي الْحَرْبِ، رقم: 2915، وكتاب التفسير –سورة القمر-: رقم: 4875، ورقم: 4877.

3 (?) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة، في باب ما جاء في دعاء النبي على المركين قبل التقاء الجمعين وبعده، ودعاء أصحابه عليهم

شِدَّة اجْتِهَاد النَّبِيّ ﷺ وَنَصَبِه فِي الدُّعَاء؛ لأَنَّهُ رَأَى الْمَلائِكَة تَنْصَبُّ فِي الْقِتَال، وَالأَنْصَار يَخُوضُونَ غِمَار الْمَوْت، وَالْجِهَاد تَارَة يَكُون بِالسِّلاحِ، وَتَارَة بِالدُّعَاءِ، وَمِنْ السُّنَّة أَنْ يَكُون الإِمَام وَرَاء الْجَيْش؛ لأَنَّهُ لا يُقَاتِل مَعَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ لِيُرِيحَ نَفْسه، فَتَشَاغَلَ بِأَحَدِ الأَمْرَيْنِ: وَهُوَ الدُّعَاء »[1] .

وقال: أيضًا: « قَوْله: (عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ) هَذَا مِنْ مَرَاسِيل الصَّحَابَة؛ فَإِنَّ ابْن عَبَّاس لَمْ يَحْضُر ذَلِكَ، وَلَعَلَّهُ أَخَذَهُ عَنْ عُمَر أَوْ عَنْ أَبِي بَكْر، .. وَعَنْ سَعِيد بْن مَنْصُور مِنْ طَرِيق عُبَيْد اللَّه بْن عَبْد اللَّه بْن عُتْبَة قَالَ: " لَمَّا كَانَ يَوْم بَدْر نَظَرَ رَسُول اللَّه ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَتَكَاثَرَهمْ، وَإِلَى الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَقَلَّهُمْ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، وَقَامَ أَبُو بَكْر عَنْ يَمِينه، فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ -وَهُوَ فِي صَلاته: **اللَّهُمَّ لا تُودِع مِنِّي، اللَّهُمَّ لا تَخْذُلنِي، اللَّهُمَّ لا تَتِرنِي، اللَّهُمَّ أَنْشُدك مَا وَعَدْتنِي** "، وَعِنْد ابْن إِسْحَاق أَنَّهُ ﷺ قَالَ: " **اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْش قَدْ أَتَتْ بِخُيَلائِهَا وَفَخْرهَا، تُجَادِل وَتُكَذِّب رَسُولك، اللَّهُمَّ فَنَصْرك الَّذِي وَعَدْتنِي**) » [2].

وقال معلّقًا على حالتَي النبيّ ﷺ وأبي بكر ﷺ: « قَالَ الْخَطَّابِيُّ: لا يَجُوز أَنْ يَتَوَهَّم أَحَد أَنَّ أَبَا بَكْر كَانَ أَوْثَق بِرَبِّهِ مِنْ النَّبِيّ ﷺ فِي تِلْكَ الْحَال؛ بَلْ الْحَامِل لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ شَفَقَته عَلَى أَصْحَابه وَتَقْوِيَة قُلُوبهمْ، لأَنَّهُ كَانَ أَوَّل مَشْهَد شَهِدَهُ، فَبَالَغَ فِي التَّوَجُّه وَالدُّعَاء وَالابْتِهَال لِتَسْكُنَ نُفُوسهمْ عِنْد ذَلِكَ؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ وَسِيلَته مُسْتَجَابَة، فَلَمَّا قَالَ لَهُ أَبُو بَكْر مَا قَالَ، كَفَّ عَنْ ذَلِكَ وَعَلِمَ أَنَّهُ اسْتُجِيبَ لَهُ، لَمَّا وَجَدَ أَبُو بَكْر فِي نَفْسه مِن الْقُوَّة وَالطُّمَأْنِينَة، فَلِهَذَا عَقَّبَ بِقَوْلِهِ: ﭽ ﭼ انْتَهَى مُلَخَّصًا. وَقَالَ غَيْره: وَكَانَ النَّبِيّ ﷺ فِي تِلْكَ الْحَالَة فِي مَقَام الْخَوْف، وَهُوَ

واستغاثتهم ربهم ... رقم: 948، من طريق أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود ﷺ، وقد حسّن الإسناد الحافظ ابن حجر كما في المتن، إلا أنه ضعفه محقق الدلائل بالانقطاع، حيث بيّن أنّ أبا عبيدة لم يسمع من أبيه، حيث مات الأب والابن له سبع سنين (انظر/ دلائل النبوة، ج 3/ص39)

[1] فتح الباري، (ج3/ ص2827).

[2] المصدر نفسه، (ج3/ ص2827).

أَكْمَل حَالات الصَّلاة، وَجَازَ عِنْده أَنْ لا يَقَع النَّصْر يَوْمئِذٍ؛ لأَنَّ وَعْده بِالنَّصْرِ لَمْ يَكُنْ مُعَيَّنًا لِتَلِك الْوَاقِعَة، وَإِنَّمَا كَانَ مُجْمَلا. هَذَا الَّذِي يَظْهَر، وَزَلَّ مَنْ لا عِلْم عِنْده مِمَّنْ يُنْسَب إِلَى الصُّوفِيَّة فِي هَذَا الْمَوْضِع زَللا شَدِيدًا، فَلا يُلْتَفَت إِلَيْهِ، وَلَعَلَّ الْخَطَّابِيَّ أَشَارَ إِلَيْهِ » [1].

الحالة الثانية: وهي الْمتمثّلة في أدعية النبِيّ ﷺ الكثيرة في حجّة الوداع، حيث كان كثيرَ التضرع والخشوع والمناجاة لربه، والدعاء، وكان في سكون ووقار، وكما يقال: الظاهر عُنوان الباطن، والدعاء نوعان: دعاء ثناءٍ وذِكر، ودعاء مسألة؛ فكان رسول الله ﷺ رطب اللسان بذكر الله، لم يُفارق الثناء عليه بِما هو أهله؛ منذ خرج من المدينة إلى أنْ عاد إليها، مِن تلبية وتكبير وتَهليلٍ وتسبيحٍ وتحميدٍ، راكبًا وماشيًا، وفي جميع أحواله. وهذا جَلِيٌّ لِمن تتبع أحواله في صفة حجه ﷺ.

كما كان له ﷺ في دعاء المسألة في حجه ﷺ أوفر الحظ والنصيب، فقد دعا ربّه في طوافه وبين الركنين اليمانيين خاصة بأدعية جامعة، وسأل الله حاجاته وهو على الصفا، وعلى المروة، وعند الجمرات، يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « فَقَدْ تَضَمّنَتْ حَجّتُهُ ﷺ سِتّ وَقَفَاتٍ لِلدّعَاءِ: **الْمَوْقِفُ الأَوّلُ:** عَلَى الصّفَا، **وَالثّانِي:** عَلَى الْمَرْوَةِ، **وَالثّالِثُ:** بِعَرَفَةَ، **وَالرّابِعُ:** بِمُزْدَلِفَةَ، **وَالْخَامِسُ:** عِنْدَ الْجَمْرَةِ الأُولَى، **وَالسّادِسُ:** عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثّانِيَةِ »[2].

وقد أطال في الدعاء والابتهال إلى الله وهو على ناقته رافعًا يدَيه إلى صدره[3] **يوم عرفة**، مِن لَدُن الزوال إلى أنْ غرَبت الشمس. قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: «.. رَكِبَ حَتّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَوَقَفَ فِي ذَيْلِ الْجَبَلِ عِنْدَ الصّخَرَاتِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ .. وَكَانَ عَلَى بَعِيرِهِ،

---

[1] (?) فتح الباري، (ج3/ص 2828)، وانظر: المنهاج للنووي، ص1134.
[2] (?) زاد المعاد، (ج2/ ص287-288).
[3] (?) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج2/ 236).

فأَخَذَ فِي الدّعَاءِ وَالتّضَرّعِ وَالابْتِهَالِ إلَى غُرُوبِ الشّمْس »[1].

وقد ذكر مِن أدعية النبي بعرفات حاكيًا عن ابن حزم -رحمهما الله-، وإن كان أسانيدها مُتكَلَّمٌ فيها، فقال: « وَذَكَرَ مِنْ دُعَائِهِ فِي الْمَوْقِفِ: .. " **اللّهُمّ تَسْمَعُ كَلامِي، وَتَرَى مَكَانِي، وَتَعْلَمُ سِرّيّ وَعَلانِيَتِي، لا يَخْفَى عَلَيْك شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ وَالْوَجِلُ الْمُشْفِقُ الْمُقِرّ الْمُعْتَرِفُ بِذُنُوبِي، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ، وَأَبْتَهِلُ إلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضّرِيرِ، مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ، وَذَلّ جَسَدُهُ، وَرَغِمَ أَنْفُهُ لَكَ، اللّهُمّ لا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبّ شَقِيّا، وَكُنْ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ** " ذَكَرَهُ الطّبَرَانِيّ[2]. وَذَكَرَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ[3]، عَنْ أَبِيهِ[4] عَنْ جَدّهِ[5] قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النّبِيّ يَوْمَ عَرَفَةَ: " **لا إلَهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ**

---

1 (?) زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج2/ 235).

2 (?) أخرجه الطبراني في الدعاء، باب الدعاء بعرفات، برقم: 877، ص 274، والمعجم الكبير، برقم: 11242، لذا قال السيووطي: (طب عن ابن عباس) ويعني به: أخرجه الطبراني. وقال الشيخ الألباني في تحقيقه للجامع الصغير: (ضعيف) (انظر حديث رقم : 1186 في ضعيف الجامع).

3 (?) **عمرو بن شعيب**: ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، من الخامسة، مات سنة ثماني عشرة ومائة (تقريب التهذيب، ص 360، برقم: 5050).

4 (?) **شعيب بن محمد**: هو ابن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، ثَبتَ سَماعُه من جده، من الثالثة (تقريب التهذيب، ص209، برقم: 2806).

5 (?) **عبد الله بن عمرو بن العاص**: ابن وائل بن هاشم بن سُعيد –بالتصغير، السهمي، أبو محمد وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح، بالطائف على الراجح. (تقريب التهذيب، ص 257، رقم: 3499). وهو صاحب الاجتهاد الشديد في أنواع العبادة حتى كان يصُومُ الدَّهْرَ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، كما مرّت الأحاديث بذلك.

الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[1]. وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيّ ، أَنّهُ ، قَالَ: " **أَكْثَرُ دُعَائِي وَدُعَاءِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي بِعَرَفَةَ: لا إِلَهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللّهُمّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي صَدْرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، اللّهُمّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسّرْ لِي أَمْرِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ وَسْوَاسِ الصّدْرِ وَشَتَاتِ الأَمْرِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، اللّهُمّ إنّي أَعُوذُ بِك مِنْ شَرّ مَا يَلِجُ فِي اللّيْلِ، وَشَرّ مَا يَلِجُ فِي النّهَارِ، وَشَرّ مَا تَهُبّ بِهِ الرّيَاحُ، وَشَرّ بَوَائِقِ الدّهْرِ** "[2]. وأسانيدُ هذه الأدعية فيها لِينٌ »[3].

وفي مزدلفة في المشعر الحرام أطال في التضرع والمناجاة منذ أنْ صلّى الفجر، في أول الوقت إلى أنْ أسفر جدًّا، قبل أنْ تطلُع الشمس، قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: « ثُمّ رَكِبَ حَتّى أَتَى مَوْقِفَهُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَأَخَذَ فِي الدّعَاءِ وَالتّضَرّعِ، وَالتّكْبِيرِ وَالتّهْلِيلِ وَالذّكْرِ حَتّى أَسْفَرَ جِدّا، وَذَلِك قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ »[4].

---

1 () أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب الدعوات، بَاب فِي دُعَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ، رقم: 3585، وهو حديثٌ حسن، حسنه الترمذي والألباني (السلسلة الصحيحة، رقم: 1503، ج4/ 6 وما بعده)، ومرسل طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ شاهد له.

2 () أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب الحج، ما يقال عشية عرفة، وما يُستحب من الدعاء، رقم: 15366، و15367، وكتاب الدعاء، ما يدعو به عشية عرفة، رقم: 30272 (ج15/ 326)، والحديث ضعيف، لكن بعض الأذكار فيه (وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إلا الله ...) يوم عرفة، لها شاهد من مرسل طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ، عن رسول الله ، رواه مالك بإسناد صحيح إلى طلحة، (انظر هذا الكلام موسعًا عند محمد بن عوامة في تحقيقه للمصنف، ج8/ 629-630).

3 () زاد المعاد، (ج2/ 236-238).

4 () زاد المعاد، (ج2/ ص252).

وفي أيام التشريق **بعد رمي الجمرتين الأُوْلَيَيْن** كان قد استقبل القبلة، وقامَ قيامًا طويلا يدعو، يَرفع يديه[5]،قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « ثُمّ تَقَدّمَ عَلَى الْجَمْرَةِ أَمَامَهَا حَتّى أَسْهَلَ، فَقَامَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، ثُمّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا دُعَاءً طَوِيلا بِقَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. ثُمّ أَتَى إلَى الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى، فَرَمَاهَا كَذَلِكَ، ثُمّ انْحَدَرَ ذَاتَ الْيَسَارِ مِمّا يَلِي الْوَادِيَ، فَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو قَرِيبًا مِنْ وُقُوفِهِ الأَوّلِ.

ثُمّ أَتَى الْجَمْرَةَ الثّالِثَةَ وَهِيَ جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ »[2]. وهكذا.

وقد كان في كلّ هذه المواقف وغيرها يُظهِر افتقاره التام، وخضوعه وذلّه الكاملَين لله تعالى.

وهذا شيءٌ مما نُقل عنه في دعاء المسألة في حجه فقط، مع التنبّه على أنّ الذي نُقل عنه مِن دعائه وتضرّعه وإظهار افتقاره لمولاه فيه، قليلٌ جدًّا بالنسبة لِما لم يُنقل؛ فالأصل أنّ ذلك سرٌّ بين العبد وربّه، والكلّ يناجي ربّه بِما هو محتاجٌ إليه[3].

وقد جهَر بِما جهَر به من الدعاء والذكر حين أراد أنْ تتأسى به أمّتُه. والْمُوفّق مَن تأسّى به في تضرُّعه وابتهاله ومناجاته، وأظهَر الافتقار إلى الله والاحتياج إليه، وخضع لمولاه، وانكسر بين يديه، ولزم الذكر بحضور قلب، والسؤال بدعاء جامعٍ[4].

والمذكور هنا من حاله في أدعيته، بل « وعامة أدعيته متضمنة لطلب توفيق ربّه وتزكيته واستعماله في محابّه »[5]. وهذا غاية الذل والخضوع.

---

5 (?) انظر عن هذه الأدعية: حديث جابر الطويل، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ، ورقمه: 1218، وزاد المعاد (ج2/ 228).

2 (?) زاد المعاد، (ج285).

3 (?) انظر: كتاب أحوال النبي في الحج، ص33 .

4 (?) انظر ما سبق في كتاب: أحوال النبي في الحج مع ربّه، تحت فقرة: كثرة التضرع والمناجاة والدعاء، وفقرة: الخشوع والسكينة، 32-41 .

5 (?) قاله العلامة ابن القيم –رحمه الله- في كتابه طريق الهجرتين، (ج2/ ص628).

ثانيًا: نَماذجُ من الأحاديث القوليّة الدالة على كمال ذُلّ رسول الله ﷺ لربه، وفيه خمسة أحاديث**:**

الحديث الأول: تقدم حديث الْبَرَاء بْن عَازِبٍ ، وفيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « **إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلاَمِكَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ** ". قَالَ فَرَدَّدْتُهُنَّ لأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: « آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ » قَالَ: " **قُلْ آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ** " متفق عليه[1]، وهذا لفظ مسلم. وَزَادَ فِي طريقٍ من صحيح مسلم: " **وَإِنْ أَصْبَحَ أَصَابَ خَيْرًا** "، وفي رواية البخاري: " **فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ فِي لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا** ".

الحديث الثاني: وهو حديث شَدَّاد بْنِ أَوْسٍ ، المتقدم، وفيه قول النَّبِيِّ ﷺ: " **سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ**[2]**، أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ** "، قَالَ: " **وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ**

---

[1] قد سبق تخريجه في الفرق بين الرسول والنبي، (وهو حديث اتفق عليه الشيخان).

[2] هذا الحديث يُسمى سيّد الاستغفار، ولِعظمته في باب الاستغفار فقد حظي بالشرح الْموسع، فَمن العلماء مَن شرحه استقلالا كشيخ الإسلام ابن تيمية والسفاريني، أو ضمن كتب الشروح. والسفاريني سَمى شرحه: نتائج الأفكار في شرح حديث سيّد الاستغفار (في مجلد لطيف.

مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "[1].

وبهذه المناسبة سأذْكُر بعض أحاديث توبة واستغفار رسول الله ليتضح ما فيها من ذلّه وخوفه التامّيْن لله تعالى[2]: فأقول:

قد جاءت أحاديث فيها توبة الرسول واستغفاره، مع شمولها للاثنين من الأمور الثلاثة المذكورة في كلام العلامة ابن القيّم، ومن هذه الأحاديث:

ما جاء عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: « إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: " **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** "[3].

ولفظ الترمذي عَنْه، قَالَ: « كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: " **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ** ".

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: " **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي** "، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ [4].

وفي رواية لِمسلم: « يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوت .. ».

وقد روى كفارة المجلس عن النبي عَبْدِ اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وهي قوله: " **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ**

---

1 صحيح البخاري: كتاب الدعوات،بَاب أَفْضَلِ الاسْتِغْفَارِ،رقم: 6306،وبَاب مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ،رقم: 6323.

2 ولقد أحسن ابن أبي شيبة الصنيع في ذكره جملة مِن أحاديث الاستغفار في « ما ذكر في الاستغفار » وفي « في كثرة الاستغفار والتوبة .

3 سنن أبي داود: كتاب الوتر، بَاب فِي الاسْتِغْفَارِ، رقم: 1516، وجامع الترمذي: كتاب الدعوات، بَاب مَا يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنْ الْمَجْلِسِ، رقم: 3434، وسنن ابن ماجه: كتاب الأدب، بَاب الاسْتِغْفَارِ، رقم: 3814، وصححه الترمذي، فقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال الشيخ الألباني : صحيح (السلسلة الصحيحة، ج2/ص96، برقم: 556).

4 صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب التَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ فِي السُّجُودِ، رقم: 817، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: 484.

وَبِحَمْدِكَ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"[1].

ففي الحديث التعرض للمسألة وذكر حال المسؤول والتوسل إليه بأسمائه وصفاته، لكن الحديث لم يتطرق إلى ذكر حال السائل كما في حديث سيّد الاستغفار، لذا كان من أسباب كون حديث سيد الاستغفار، سيِّدًا.

وتأمل في الحديث أيضًا، كيف ومع أنّ هذا الرسول قد غفَر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر -كما في سورة الفتح- إلا أنه من تمام ذلّه لله وخوفه منه كان يستغفر الله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قال: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، يَقُولُ: **وَاللَّهِ! إِنِّي لأسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً** "كما في صحيح البخاري[2]. وعند مسلم[3] عَنِ الرّسُول ، قَالَ: "**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**"[4].

وفيه أيضًا، أنّ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما حُدّث أنّ رَسُول اللَّهِ ، قال: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! تُوبُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ** "[5].

وقد تكلم العلماء في الجمع بين كون النبي أكثر الخلق استغفارًا، مع كونه مغفورًا له، وذكروا أَوْجُهًا مِن أحسنِها ما يَرجع إلى أنّ ما يستحقه الله تعالى من العبودية والتضرع والخضوع والشكر والثناء لا يُحصيه أحدٌ من خلقه كائنًا مَن كان، لذا صار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الناس اجتهادًا في العبادة وشكر الْمنعِم

---

[1] سنن أبِي داود: كتاب الأدب، بَاب فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ، رقم: 4857، وهو صحيح، (انظر: كتاب كفارة المجلس للشيخ الألباني).

[2] صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، رقم: 6307.

[3] صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، رقم: 2702.

[4] لاحظ توجيه الحافظ ابن حجر –رحمه الله- لرويات (سبعين مرة، أكثر من سبعين مرة، ومائة مرة)، وبقية شرح الحديث، (فتح الباري، ج4/ ص4444، وما بعده).

[5] صحيح مسلم: المصدر نفسه.

سبحانه، والثناء عليه، ومع ذلك فهم معترفون له بالتقصير[1].

وقد دلّ على هذا أحاديث أدعية النبي ، والتي أوردتُ كثيرًا منها في المبحث السابق، كما أنّ هناك عددًا آخر سيأتِي ذكرُها في هذا المبحث.

وأعود إلى حديثنا (حديث سيّد الاستغفار) فأقول:

لَمَّا كان هذا الحديث جامعًا لِمعانِي التوبة كلِّها، كما أنّ فيه الإقرار لله وحده بالألوهية، وللنفس بالعبودية .. بالإقرار بالعهد (الأمر والنهي) المأخوذ، والرجاء بالموعود به، والاستعاذة مِن العبد الجانِي على نفسه، وإضافة النعم إلى مُوجدِها، وإضافة الذنب إلى النفس، والرغبة في مغفرتها، مع الاعتراف بأنه لا يقدِر على ذلك إلا الله[2]، أردتُ أن أقف معه وقفات، تحت خمس نُقَط:

النقطة الأولى: عادة الرسول والصالحين: ختم العبادات والأوقات والمجالس بالاستغفار: بعض روايات هذا الحديث (حديث سيّد الاستغفار) يدل على أنّه مِن أذكار الصباح والمساء، وورَد في بعضها ما يدل على أنّه في مطلق الليل والنهار؛ لذا ذكرَه بعض أهل العلم، كصاحب عدة الحصن الحصين في الموضعين[3]، وفي مجمل هذا ما يدل على أنّه سيكون مِن الأذكار التي تقال عند الهَجعة، ووقت الهبوب من النوم، ويكون مَن قالَه مِن الليل موقنًا بها فمات مِن أهل الجنة، كما أنّ مَن قاله حين يصبح فمات مِن يومه مثله، لذا جاء في آخره: "

وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.
وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ[4] ".

---

[1] (?) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، فصل حالة الأنبياء في خوفهم واستغفارهم، ص563-567، ومقدمة نتائج الأفكار في شرح حديث سيّد الاستغفار، ص24-26.

[2] (?) انظر: تحفة الذاكرين، 113 .

[3] (?) انظر: تحفة الذاكرين للإمام الشوكاني، ص123.

فإمام المتقين صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم والصالحون هذا هو دأبهم؛ حيث **كانوا يَختمون العبادات والأوقات والمجالس بالاستغفار،** ودليلُ ختمهم قيام الليل بالاستغفار، كما يفعلون ذلك عقب الطاعات[1]، قوله تعالى: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [الذاريات: ١٨].

يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « ثم أخبَر عنهم بأنّهم مع صلاتِهم بالليل، كانوا يستغفرون الله عند السَّحَر، فختموا صلاتَهم بالاستغفار والتوبة، فباتوا لربِّهم سُجّدًا وقِيامًا، ثم تابوا إليه واستغفروه عقيب ذلك؛ وكان النبي إذا سلّم مِن صلاته استغْفَرَ ثلاثًا، وأَمَره الله سبحانه أن يَخْتِم عُمرَه بالاستغفار، وأمَرَ عِباده أنْ يَخْتِموا إفاضتَهم مِن عرفات بالاستغفار، وشرَع للمتوضئ أنْ يَخْتم وضوءه بالتوبة.

فأحسنُ ما خُتِمَت به الأعمالُ: التوبة والاستغفار »[2].

وقال أيضًا: « فهذا ونحوه مما يُبَيّن حقيقة الأمر، وأنّ كلّ أحدٍ محتاج إلى مغفرة الله ورحمته، وأنّه لا سبيل إلى النجاة بدون مغفرته ورحمته أصلا »[3].

الثانية: في الحديث التوبة والاستغفار، وقد اشتمل على الثلاثة الأمور؛ حال السائل، حال المسؤول، ثم التعرض للحاجة مع التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، وأقول هنا مؤكِّدًا ذلك:

قوله : " **أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي** "، وقوله: " **إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ** "، فيهما بيان حال المسؤول سبحانه. وقوله: " **وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي** "

---

4 (?) انظر: ما يفيد على أنّ "حديث سيّد الاستغفار" مما يقال في مطلق الليل والنهار، كما أنّه ضمن أذكار الصباح والمساء، تحفة الذاكرين للإمام الشوكاني، ص123.

1 (?) انظر عن هذه النقطة، طريق الهجرتين لابن القيم، (ج2/ 624-625).

2 (?) التبيان في أيمان القرآن لابن القيم، ص445-446 .

3 (?) طريق الهجرتين، (ج2/ ص625).

فيه بيان حال السائل العبد. وقوله: " **فَاغْفِرْ لِي؛** " فيه المسألة.
فهذه هي الأمور الثلاثة جاءت في كثيرٍ من أدعية الرسول ﷺ.

الثالثة: منـزلة هذا الحديث وعظمته وسيادته على بقية أحاديث الاستغفار: قال العلامة السّفارينِي –رحمه الله- في شرح الحديث: « **ذكر أفضلية هذا الدعاء على غيره من الأدعية**، ووجهُ أفضليةِ هذا الدعاء على غيره من صِيَغ الاستغفار: أنّه بدأ فيه بالثناء على الله، بعد بدايته بـ(**اللَّهُمَّ**).. ثم خاطَب الباري جلّ وعلا، .. ثم اعترف بأنّه مربوبٌ، مفعولٌ للرب الفاعل دون غيره، ثم اعترف بأنه: **لا إِلَهَ** غيرُه معبود بحق سبحانه، وأنّه مقيمٌ على الوعد، ثابتٌ على العهد، .. ثم استدرَك ذلك: بحسب طوقه واستطاعته؛ لأنّه أعجز وأقل وأضعف من تأدية الربوبية حقّها، والقيام على العهد والوعد مِن غير انحرافٍ ما. ثم إنّه استعاذ به سبحانه مِن شرّ كلّ ما صنع من التقصير في القيام بِما يجب عليه مِن شُكر الإنعام، ومِن ارتكاب الآثام. ثم أقرّ واعترف بترادف نِعْمَتِه عليه، وبِما يُصيب من الذنوب والمعاصي. ثم سأله سبحانه المغفرة من ذلك كلّه؛ معترفًا بأنّه لا يغفر الذنوب سواه سبحانه وتعالى. فَمِن ضمن ذلك ما هو ثناءٌ على الله سبحانه وتعالى بجميل أوصافه وآلائه؛ مِن عدم معاجلته بالعقوبة، ومِن إيصاله الرزق إليه، وحفظه من المصائب والبلايا، ومِن شياطين الإنس والجنّ »[1].

وهذه الأمور قلّما تجتمع في حديث، لذا –والله أعلم- صار هذا الحديث سيّد الاستغفار، قال الشيخ السفاريني –رحمه الله- بعدما تكلم بكلام كثير عن لفظة السيد: « واللائق مِن هذه المعاني على أنّ هذا الدعاء سُمّي (سيّد الاستغفار)؛ لأنّه فاضلٌ، والفاضل سيّد المفضول .. السيّد: هو الذي يَفُوق في الخير قومه، ويَرتفع عليهم. .. فعلى هذا سُمّي هذا الدعاء سيّد الاستغفار؛ لأنه قد فاق سائر صِيَغ الاستغفار في الفضيلة، وارتفع عليها. وقال جلال

1 (?) نتائج الأفكار في شرح حديث سيّد الاستغفار، ص149-150.

الدين السيوطي.. لَمّا كان الـدعاء جامعًـا لِمعـانِي التوبـة، استُعِير له السيّد »[1].

الرابعة: الشَّرح المجمل للشاهد من الحديث، من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره –رحمهم الله-، قال شيخ الإسلام: « قد اشْتَمل هذا الحديثُ مِن المعارف الجليلة ما استحق لأجلها أنْ يكون سيّد الاستغفار، فإنّه صدّره باعتراف العبد بربوبية الله، ثم ثنّاها بتوحيد الإلهية بقوله: " **لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ** "، ثم ذكَر اعترافَه بأنّ الله هو الذي خلقَه وأوجدَه ولم يكن شيئًا، فهو حقيقٌ بأنْ يتولى تَمام الإحسان إليه بِمغفرة ذُنُوبه، كما ابتدَأ الإحسانَ إليه بخلقه.

ثم قال: " **وَأَنَا عَبْدُكَ** " اعترَف له بالعبودية، فإنّ الله خلق ابن آدم لنفسه ولعبادته، ... فالعبد إذا خرَج عما خلَقَه الله له من طاعته ومعرفته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، فقد أبق من سيّده، فإذا تاب إليه ورجع إليه، فقد راجَع ما يُحبّه الله منه، فيفرح الله بِهذه المراجعة، ... وهذا غاية ما يكون مِن الفضل والإحسان، وحقيقٌ بِمَن هذا شأنُه أن لا يكون شيءٌ أحبّ إلى العبد منه. ثم قال: " **وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ** "، فالله سبحانه وتعالى عهِد إلى عباده عهْدًا أمرَهم فيه ونَهاهم، ووعدهم على وفائهم بِعهده أنْ يُثيبهم بأعلى المثوبات، فالعبد يَسير بين قيامه بعهد الله إليه، وتصديقه بِوعده؛ أي: أنا مقيمٌ على عهدك، مصدِّقٌ بوَعْدِك. ... ثم قال: " **أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ** " فاستعاذتُه بالله: الالتجاء إليه، والتحصن به، والْهُروب إليه من الْمستعاذ منه،كما يتحصن الْهاربُ مِن العدوّ بالحصن الذي يُنجيه منه.. " **أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ** " أي: أعترف بأمر كذا، أي: أقرّ به، أي: فأنا معترفٌ لك بإنعامك عليّ، وإنّي أنا المذنب، فمنك الإحسان ومنّي الإساءة، فأنا أحمدُك على نِعَمِك وأنتَ أهلٌ لأنْ تُحمد، وأستغفرك لذنوبِي. ... ومتى شهد العبد هذين الأمرين استقامت له العبودية، وترقّى في درجات المعرفة والإيمان، وتصاغَرت

[1] (?) المصدر نفسه، ص148 وما بعده.

إليه نفسُه، وتواضع لربه. وهذا هو كمال العبودية، وبه يَبرَأ من العُجب والكِبر وزينة العمل »[1].

والعبْد البصير الصادق دائمًا في نظر عَيْبِ نفسه وعمَلِه، وَفِي " **التَّشَهُّد فِي الْحَاجَةِ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا** "[2].

قال العلامة ابنُ القيّم –رحمه الله- وهو يَشرَح الكلام الآتِي: (**اللطيفة الثانية:** أنْ يَعلم أنّ نظَر البصير الصادق في سيِّئَتِه لم يُبْقِ له حسنةً بِحالٍ، لأنّه يَسيْرُ بين مشاهدة المِنّة، وتَطلُّبِ عَيْبِ النّفس والعمل) في منزلة التوبة: « يُريد أنّ مَن له بصيرة بنفسه، وبصيرة بحقوق الله، وهو صادقٌ في طلَبِه؛ لَم يُبْقِ له نَظَرُه في سيِّئَاتِه حسنَةً ألبَتّةَ، فلا يَلْقى اللهَ إلا بالإفلاس المحض، والفَقر الصِّرْف؛ لأنّه إذا فتّش عن عُيُوب نفسِه، وعُيُوب عَمَلِه عَلِم أنّها لا تَصْلُح لله، وأنّ تلك البضاعة لا تشتري بِها النجاة من عذاب الله، فضلا عن الْفَوز بِعَظيم ثوابِ الله، فإنْ خَلَص له عمَلٌ وحالٌ مع الله وصَفَا له معه وقْتٌ؛ شاهَد مِنّةَ الله عليه به، ومُجرّدَ فضْلِه، وأنّه ليس من نفْسِه، ولا هي أهْلٌ لذاكَ. فهو دائمًا مُشاهِدٌ لِمِنّة الله عليه، ولِعُيُوب نفسِه وعمَلِه؛ لأنّه متَى تَطَلَّبَها رآها. وهذا مِن أجَلِّ أنواع المعارف وأنفعِها للعبد. ولذلك كان " **سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ** "، فتضمن هذا الاستغفارُ: الاعترافَ مِن العبد بربوبية الله، وإلَهِيَّتِه وتوحيده، والاعترافَ بأنّه خالقُه العالِمُ به؛ إذْ أنْشَأه نَشْأةً تَستلزِم عَجْزَه عن أدَاءِ حقِّه، وتقصيرَه فيه، والاعترافَ بأنّه عبدُهُ،

---

[1] انظر: جامع المسائل لشيخ الإسلام، ص159-162 (المجموعة الأولى، بتحقيق: محمد عزيز شمس)، وانظر: مدارج السالكين، (ج1/ 207-209)، و(ج3/ 59) و3/427، وما بعده.

[2] في سنن الترمذي والنسائي من حديث ابن مسعود ، وهو صحيح (تقدم تخريجه ضمن الأحاديث المختارة).

الذي ناصيَتُه بيدِه، وفي قَبْضَتِه، لا مَهْـرَبَ له منـهُ، ولا ولِيّ له سواهُ. ثم الْتَزَامَ الدخولِ تحتَ عهْدِه -وهو أمرُه ونَهيُـه- الـذي عهِـدَه إليه على لسـان رُسُـلِه. وأنّ ذلك بحسب استطاعتي لا بحسب أداءِ حقِّك؛ فإنّه غـيرُ مقـدورٍ للبَشَـر، وإنما هو جهْدُ الْمُقلّ، وقدْرُ الطاقة. ومع ذلك؛ فأنا مُصَدّقٌ بِوَعْدِك الذي وعَدْتَه لأهْل طاعتِك بالثواب، ولأهل معْصِيتِك بالعقاب، فأنا مُقيمٌ على عَهْدِك، مُصَدّقٌ بوَعْدِك. ثم أفْـزَعُ إلى الاستعاذة والاعتصام بِك، مِن شَـرّ ما فَـرّطْتُ فيه مِن أمْرِك ونَهيـك؛ فإنّك إنْ لم تُعِـذْنِي مِن شَـرّه، أحَـاطَتْ بِي الْهَلَكَـةُ؛ فـإنّ إضـاعةَ حَقِّك سـبَبُ الْهَلاك. وأنَا أُقِـرّ لـك، وألْتَـزم بنعمتِك علَيّ، وأُقِـرّ وألْتَـزِم وأبْخَـعُ بـذَنْبِي؛ فَمِنك النِّعْمَـةُ والإحسـانُ والفضْـلُ، ومِنِّي الـذَّنْبُ والإسـاءةُ. فأسـألك أنْ تَغْفِـرَ لِي وتَمحُـوَ ذَنْبِي، وأنْ تَقِيَنِي مِن شَـرّه؛ **إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ** "، فلهذا كـان هـذا الـدعاءُ سيِّدَ الاستغفار، وهو متضمن لِمَحْض العبودية. فأيُّ حَسَـنَةٍ تَبْقَى للبصير الصادق مع مشـاهدتِه عُيُـوبِ نفسِـه وعمَلِـه، ومِنّـةِ الله عليـه؟! فهـذا الـذي يُعْطِيه نظَـرُه إلى نفسِـه ونقْصِه »[1].

الخامسة: علاقة الحديث بالمبحث (خضوعُه وذلُّه لربِّ العزة سبحانه..)**:**

قد سبق في أول المبحث ذِكرُ أنواع الذُّلّ لله، وهذا الحديث فيه بعضها، قـال العلامـة ابن القيم –رحمـه اللـه- بعدما ذكَر أنّ العبد قد بُلي بالغفلة والشـهوة والغضـب: « فإذا أراد اللـه بعبـده خـيرًا فتح لـه بابًـا مِن أبـواب التوبـة، والنـدم، والانكسـار، والـذُّلّ، والافتقـار، والاسـتغاثة بـه، وصِدق اللجأ إليه، ودوام التّضرّع، والـدعاء، والتقـرب إليـه بِما أمْكَن مِن الحسنات = ما تكون تلك السيّئة به رحمته، حـتى يقـول عـدُوُّ اللـه: يـا ليتنِي تَرَكْتُـه ولم أُوْقِعُـه. ... فالعارف سائرٌ إلى الله تعالى بين هذين الجناحين لا يُمْكِنُه أنْ يَسيْر إلا بهمـا، فمتَى فاتَـه واحـدٌ منهمـا، فهـو كـالطير الذي فَقَد أحَدَ جَنَاحَيْه، قال شيخ الإسلام[2]: العارف يَسِـيْرُ إلى اللـه بين مشـاهدة الْمِنّـة ومُطالعـة عَيْبِ النّفس

---

[1] (?) مدارج السالكين، (ج1/ 296-297).

والعمـل، وهـذا معنَى قولـه ﷺ في الحـديث الصـحيح، من حديث سَيِّد الاِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العبد: " **اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَــهَ إِلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَــا عَبْــدُكَ، وَأَنَــا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَـرِّ مَـا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَـكَ بِنِعْمَتِـكَ عَلَيَّ، وَأَبُـوءُ لَـكَ بِـذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الـذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ** "، فجمـع في قوله ﷺ: " **أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُـوءُ بِـذَنْبِي** " بين مشـــاهدة الْمِنّــة ومُطالعـــة عَيْبِ النّفس والعَمَـــل؛ فمُشاهدة الْمِنّة تُوجِب له الْمَحَبّـة والْحَمـد والشُّـكر لـوِلِيّ النِّعَم والإحسان. ومطالعةُ عَيْبِ النّفس والعمل تُوجب لــه الذلّ والانكسـار، والافتقـار، والتوبـة في كـل وقتٍ، وأن لا يَرَى نفسَه إلا مُفلسًا. وأقـرَبُ بـابٍ دَخَـل منـه العبـدُ على الله تعالى هو الإفلاس؛ فلا يرى لنفسه حالا ولا مَقامًـا، ولا سبَبًا يتعلق به، ولا وسيلة مِنه يَمُنّ بِها، بل يدخُل على الله تعالى مِن باب الافتقار الصِّرف، والإفلاسِ المحض، دخولَ مَن كَسر الفقر والمسكنة قلبه، حتى وصَلَت تلك الكسْـرة إلى سُوَيْدَائه فانصـدع، وشَـمِلَتْه الكَسْـرَةُ مِن كُـلّ جهاتِـه، وشهِد ضرورَتَه إلى ربه ﷻ وكمـال فاقتـه وفقـره إليـه، وأنّ في كُـلّ ذرّة مِن ذراتــه؛ الظـاهرة والباطنـة فاقـةً تامّـة، وضرورةً كاملةً إلى ربه تبارك وتعالى، وأنّـه إنْ تَخَلّى عنـه طَرْفَة عَينٍ هلَكَ، وخسر خسارةً لا تُجْبَر؛ إلا أنْ يَعُـود اللــه تعالى عليه، ويتداركه بِرَحْمَتِه. ولا طريـقَ إلى اللـه أقـربُ من العبوديــة، ولا حجـاب أغلـظ من الـدعوى. والعبوديـة مدارُها على قاعدتَيْن، همـا أصـلُها: حُبٌّ كامِـلٌ، وذُلٌّ تـامٌّ، ومنْشَأُ هَذَيْن الأصلين عن ذَيْنِك الأصلين المتقدمين، وهما: مشاهدة الْمِنّة التي تورث الْمحبـة، ومطالعـة عَيْبِ النفس والعملِ الـتي تُـوْرِث الـذُّلّ التـام. وإذا كـان العبـد قـد بَنَى سُـلُوكَه إلى اللــه تعـالى على هـذَيْن الأصْـلَيْن، لم يَظْفَـر

---

[2] (?) المتبادر إلى الذهن أنّ العلامة ابن القيم إذا قال: قال شيخ الإسلام فهو شيخه ابن تيمية، لكن هنا المراد به أبو إسماعيل الأنصاري عبد الله بن جعفر بن منصور الهروي، صاحب منازل السائرين إلى الحق المبين، وذم الكلام.

عَدُوّه به إلا على غِرّةٍ وغفْلَةٍ، وما أسرَع ما يُنْعِشُه الله ويَجْبُره، ويتداركه برحمته »[1].

الحديث الثالث: ومما يشهد لِذُلّ رسول الله لربه تعالى: حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وفيه الثلاثة الأمور، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ، قَالَ: " **ﭼﮪﮪﮫﮬ ﯓ ﭼ [الأنعام: ٧٩]. ﭽﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞ ﯟﯠﯡﯢ ﭼ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ، لا إِلَهَ لِي إِلا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي؛ فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا؛ إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.** وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: " **اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّي وَعِظَامِي وَعَصَبِي ".** وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: " **سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ** ". وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: " **اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**". ثم يكون من آخِرِ ما يقول بين التشهد والتسليم: "**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ،وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ**[2]" [3].

---

1 (?) الوابل الصيب، ص9-13، وقد نقل كثيرًا منه العلامة السفاريني في كتابه نتائج الأفكار، ص280-281.

2 (?) قف على شرحه كاملا: المنهاج للنووي، ص525-526، وعون المعبود، ص355-356.

3 (?) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: 771.

وفي هذا الدعاء العظيم ذكر حال السائل، والمسؤول، وسؤال الحاجة مع التوسل بما يتناسب والمقام من الأسماء والصفات. فقوله: " **خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّي وَعِظَامِي وَعَصَبِي** " قال في عون المعبود: « أَيْ: خَضَعَ وَتَوَاضَعَ أَوْ سَكَنَ. (سَمْعِي): فَلا يَسْمَع إِلا مِنْك، (وَبَصَرِي): فَلا يَنْظُر إِلا بِك وَإِلَيْك، وَتَخْصِيصهمَا مِنْ بَيْن الْحَوَاسّ؛ لأَنَّ أَكْثَر الآفَات بِهِمَا، فَإِذَا خَشَعَتَا قَلَّتْ الْوَسَاوِس. ... (وَمُخِّي): .. الْمُرَاد بِهِ هُنَا: الدِّمَاغ، وَأَصْله الْوَدَك الَّذِي فِي الْعَظْم، وَخَالِص كُلّ شَيْء. (وَعِظَامِي وَعَصَبِي): فَلا يَقُومَانِ وَلا يَتَحَرَّكَانِ إِلا بِك فِي طَاعَتك. وَهُنَّ عُمُد الْحَيَوَان وَأَطْنَابه، وَاللَّحْم وَالشَّحْم غَادٍ وَرَائِح »[1].

الحديث الرابع منها: وفيه الثلاثة الأمور، عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ، إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قَالَ: " **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ؛ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَوْ لا إِلَهَ غَيْرُك** "[2].

الحديث الخامس: وقد علّم أصحابه ما يشتمل على الأكمل؛ وهو الدعاء الذي فيه الثلاثة الأمور والذي منها خضوع العبد وذُلّه، فعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ : « عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِي، قَالَ:

---

1 ([?]) عون المعبود، ص356.

2 ([?]) صحيح البخاري: كتاب التهجد،بَاب التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ،رقم: 1120، وصحيح مسلم:مصدر سابق، رقم:769.

قُلْ: **اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**[1] "[2].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ: هَذَا الدُّعَاء مِنْ الْجَوَامِع؛ لأَنَّ فِيهِ الاعْتِرَاف بِغَايَةِ التَّقْصِير، وَطَلَب غَايَة الإِنْعَام »[3].

وعَنْه أيضًا، قَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ، إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟ فَقَالَ: " **يَا أَبَا بَكْرٍ! قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ** "[4].

وعَنْأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: " **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، ولا تَكِلْنِي إلى نفسي طرفة عين أبدًا** "[5].

وعَنْأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: « مَا خَرَجَ النَّبِيُّ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلاَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ**

---

1 (?) قف على شرحه الوافي، (فتح الباري، ج1/ ص997-998، وج4/ 4464-4465).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب الدُّعَاءِ قَبْلَ السَّلامِ، رقم: 834، وكتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، رقم: 6326، وكتاب التوحيد، رقم: 7387، و7388، وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم: 2705.

3 (?) فتح الباري، (ج4/ ص4464).

4 (?) جامع الترمذي: كتاب الدعوات، باب (بدون ترجمة، وقبله: بكثير: بَاب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ)، رقم: 3529، وهو حديث صحيح، (انظر: السلسة الصحيحة، برقم: 2753، ج6/ 580، وما بعده، وبرقم: 2763، ج6/ ص622 وما بعده).

5 (?) جامع الترمذي: كتاب الدعوات، باب (بدون ترجمة، وقبله بكثير، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد)، رقم: 3524، وهو حديث حسن، (انظر: السلسلة الصحيحة، برقم: 227، ج1/ ص449 وما بعدها).

أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ " رواه أصحاب السنن[1]، وهذا لفظ أبي داود عنها.

قال الطيبي –رحمه الله-: « إنّ الإنسان إذا خرَج مِن مَنـزله، لا بُدّ أنْ يُعاشر الناس، ويزاول الأمر؛ فيخاف أنْ يعدل عن الصراط المستقيم؛ فإما أن يكون في أمر الدين؛ فلا يخلو: مِن أنْ يَضلَّ أو يُضَلَّ، وإما أن يكون في أمر الدنيا؛ فإما بسبب جريان المعاملة معهم: بأنْ يَظلِم أو يُظْلَم، وإما بسبب الاختلاط والمصاحبة؛ فإما أنْ يَجْهَل أو يُجهَل، فاستُعيذ مِن هذه الأحوال كلِّها بلفظٍ سلِسٍ موجَزٍ، ورُوعِي المطابقة المعنوية، والمشاكلة اللفظية، كقول الشاعر:

ألا لا يجهَلَن أحدٌ علينا فنجْهَل فوق جهل الجاهلين »[2].

فحديثَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فيها الثلاثة الأمور، بينما جاء ذكر اثنين منها في حديث أَنَسٍ وأُمِّ سَلَمَةَ ، وفيها الشاهد كلها.

وقد تقرر بكلّ ما سبق أنّ الافتقار إلى الله تعالى، والذل له، لُبُّ العبودية، وأنّ الله لا يُحبّ المستكبرين. وأنّ أكمل الناس تحقيقًا لِهذا الجانب من العبودية هو رسولنا محمد ، بأبِي هو وأمّي ونفسي.

***

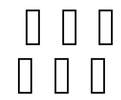
وبعد، فقد تبيّن -بالمباحث المتقدمة- جوانبُ عدة تدل على كمال عبودية رسول الله بينه وبين ربّه. ولَمّا

---

[1] سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، رقم: 5094، وجامع الترمذي: كتاب الدعوات عن رسول الله ، بابٌ منه (وقبله: باب ما يقول إذا خرج من بيته)، رقم: 3427، وسنن النسائي: كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الضلال، رقم: 5486، وسنن ابن ماجه: كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته، رقم: 3884. وقال الترمذي: « هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ».
وقد بيّن الشيخ الألباني –رحمه الله- أن زيادة رفع طرف الرسول إلى السماء التي جاءت في هذه الطريق (عند أبي داود فقط) لا يصح (انظر: السلسلة الصحيحة، ج7/ ص492 وما بعده، رقم: 3163).

[2] تحفة الأحوذي –نقلا عنه-، (ج2/ 2449).

أحسن فيما بينه وبين الله أعانه سبحانه وتعالى فكان على الأكمل فيما بينه وبين خلق الله، وهذا ما أنتقل إليه في المبحث القادم.



المبحث الثامن: النبي أنصح للخلق:

جاء عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ** " قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " **لِلَّهِ، وَكِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ، أَوْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**"[1][2].

في المباحث السابقة (مباحث: شدّة محبة الرسول لربِّه، بل واتخاذه إياه خليلا، بتكميله العبودية واختياره لها، وتمام خضوعه له وذله، وخوفه الشديد من ربه القهار سبحانه) أبْرَزتُ جانبًا عظيمًا، ألا وهو نصيحة الرسول لله الخالق.

وأما في هذا المبحث فإنّي سأُبرز الجانب الآخر، ألا وهو نصيحته لخلق الله تعالى، كما أمرَه الله.

وبِهذَين الجانبَين يَبْرُزُ كمال عبودية هذا الرسول ، والذي هو عنوان الفصل.

فأقول –وبالله تعالى التوفيق:

اعلم –رحمك الله- أنّ نُصْحَ عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ورحمته ليس قاصرًا على المسلمين، بل شَمل نُصحُه الخلق كلَّهم حتى الكفار، كما شَمل البهائم والجمادات وغير ذلك، فهو صلوات ربِّي وسلامُه وبركاتُه عليه وعلى آلِه وصحبِه أنصَحُ الخلق للخلق. فأما نُصحُه بالنسبة للمسلمين بِجميع أصنافهم –عامةً وعلماء وأئمة-، ممنْ عاصرُوه ، ومَن بعدهم، فقد نصَحهم الرسول تمام النصيحة، وأوقَفَهم بالذي لهم، والذي عليهم، من حقوق الله، وحقوق خلق الله سبحانه، وبلَّغهم البلاغَ المبينَ. فنَصَحهم عامَّة بِإِرْشَادهمْ لِمَصَالِحِهِمْ فِي آخِرَتهمْ

---

[1] انظر شرح الحديث في / المنهاج للنووي، ص131، وشرح الحديث السابع من كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب، وشرح الباب الذي عقده البخاري: « بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ...» من فتح الباري، (ج1/ ص471)، وغير ذلك، مما فيه أنّ النصيحة شاملةٌ للدين.

[2] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنّ الدين النصيحة، رقم: 55. وأبو داود في سننه، وهذا لفظه، كتاب الأدب، بَاب فِي النَّصِيحَةِ، رقم: 4944 .

وَدُنْيَاهُمْ، فَعَلِّمهُمْ مَا يَجْهَلُونَهُ مِنْ دِينهمْ، وَأعانَهمْ عَلَى العمل به بِالْقَوْلِ وَالْفِعْل، وَأَمَرَهمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَاهمْ عَنْ الْمُنْكَر بِرِفْقٍ وَإِخْلاصٍ، وَتَخَوَّلهمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة، وَحَثَّهمْ عَلَى التَّخَلُّق بِجَمِيعِ أَنْوَاع النَّصِيحَة من النَّصِيحَة لله، ولِرُسُلهِ، ولكتُبِه، وغير ذلك، وَنَشَّط هِمَمَهمْ إِلَى الطَّاعَات، وَأَحَبَّ لَهُمْ مَا أَحَبّ لِنَفْسِهِ، وَكَره لَهُمْ مَا يكْرَه لِنَفْسِهِ، وَكَفّ عَنْهُمْ الأَذَى، وَسَتَر عَوْرَاتِهمْ، وَسَدّ خَلاتِهمْ، وَدَفَعَ الْمَضَارّ عَنْهُمْ، وَجَلَب الْمَنَافِع لَهُمْ، وَتَرَك غِشّهمْ وَغِلِّهم وحَسَدَهمْ، وَذَبّ عَنْ أَمْوَالهمْ وَأَعْرَاضهمْ، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالهمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْل، ونصرَهُم على أعدائهم، وَأَشفَقَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَ بتَوْقِير كَبِيرهِمْ، وَرَحْمَة صَغِيرهمْ، وحَزِنَ لِحُزنِهم، وفَرِحَ لفَرَحهم، وأحَبّ صلاحَهم وأُلْفَتَهم ودوَامَ النِّعَم عليهم. كما نصَح الخاصة منهم (الأَئِمَّةِ) بأمر العامة بِمُعَاوَنَتهمْ عَلَى الْحَقّ، وَطَاعَتِهِمْ فِيهِ، وَأَمْرِهِمْ بِهِ، وَتَنْبِيههمْ وَتَذْكِيرهمْ، وعدم غشّهم وغِلّهم ومداهنتهم فيه، لكنْ بِرِفْقٍ وَلُطفٍ، وَإِعْلامهمْ بِمَا غَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغهُمْ مِنْ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ، وَسَدّ خلّتهمْ عِنْد الْهَفْوَة، والالتفاف حول أئمتهم وَجَمْع الْكَلِمَة عَلَيْهِمْ، وَتَرْك الْخُرُوج عَلَيْهِمْ، ولو ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْفٌ أَوْ سُوءُ عِشْرَة، وَأمَر بتَأَلّف قُلُوب النَّاس لِطَاعَتِهِمْ، وَرَدّ الْقُلُوب النَّافِرَة إِلَيْهِمْ حتى يَلْزَموا جماعتهم، وبالصَّلاة خَلْفهمْ، وَالْجِهَاد مَعَهُمْ، وَأَدَاء الصَّدَقَات إِلَيْهِمْ، وإِعَانَتهمْ عَلَى مَا حَمَلُوا الْقِيَام بِهِ. كما أنّ على الأئمة إنصافَ العامة. وأما الأَئِمَّة الَّذِينَ هُمْ عُلَمَاء الدِّين فقد نصح العامة بقَبُولِ مَا رَوَوْهُ، وبَثِّ عُلُومهمْ، وَنَشْر مَنَاقِبهمْ، وَإِحْسَان الظَّنِّ بِهِمْ. كما أَمَرَهم هم بتبليغ ما تحملوه عنه[1].

وهذا كلُّه بالنسبة لنصيحة الرسول للمسلمين، أما شفقتُه وحِرصُه لغير المسلمين وحبُّه لهم الهداية والخير الذي عليه المسلمون، وكذلك رحمتُه للدواب وغيرهم فكلام آخر، قال تعالى: ﭽﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﭼ [الأنبياء: ١٠٧].

جاء في الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ، يَقُولُ: " **إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ**

---

[1] (?) انظر: المصادر السابقة.

اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا "[1]، متفق عليه، وعُقد له في صحيح مسلم باب، عُنْوِنَ له بـ(باب شَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِى تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ).

وفي الباب عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ « **مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ**[2] **وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ**[3] **عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي** "[4].

قال النووي –رحمه الله-: « وَمَقْصُود الْحَدِيث أَنَّهُ شَبَّهَ تَسَاقُط الْجَاهِلِينَ وَالْمُخَالِفِينَ بِمَعَاصِيهِمْ وَشَهَوَاتهمْ فِي نَار الآخِرَة، وَحِرْصهمْ عَلَى الْوُقُوع فِي ذَلِكَ، مَعَ مَنْعه إِيَّاهُمْ، وَقَبْضه عَلَى مَوَاضِع الْمَنْع مِنْهُمْ، بِتَسَاقُطِ الْفِرَاش فِي نَار الدُّنْيَا، لِهَوَاهُ، وَضَعْف تَمْيِيزه. وَكِلاهُمَا حَرِيصٌ عَلَى هَلاكِ نَفْسه، سَاعٍ فِي ذَلِكَ لِجَهْلِهِ »[5].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « وَفِيهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّ الإِنْسَان إِلَى النَّذِير أَحْوَج مِنْهُ إِلَى الْبَشِير؛ لأَنَّ جِبِلَّته مَائِلَة إِلَى الْحَظّ الْعَاجِل، دُون الْحَظّ الآجِل. وَفِي الْحَدِيث مَا كَانَ فِيهِ مِنْ الرَّأْفَة، وَالرَّحْمَة، وَالْحِرْص عَلَى نَجَاة الأُمَّة، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﭽﯖﯗﯘﯙﭼ [التوبة: ١٢٨] »[6].

وفي الباب عَنْ أَبِى مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى**

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، بَاب الانْتِهَاءِ عَنْ الْمَعَاصِي، ورقمه: 6482، وصحيح مسلم مختصرًا: كتاب الفضائل، ورقمه: 2284.

2 (?) **الجنادب:** جمع الجندب، نوع من الجراد يصِرّ ويقفز ويطير (انظر: المعجم الوسيط، مادة الجندب، ص140).

3 (?) قَوْله: **بِحُجَزِكُمْ** -بِضَمِّ الْمُهْمَلَة وَفَتْح الْجِيم بَعْدهَا زَايٌ-: جَمْع حُجْزَة وَهِيَ مَعْقِد الإِزَار، وَمِنْ السَّرَاوِيل مَوْضِع التِّكَّة، وَيَجُوز ضَمُّ الْجِيم فِي الْجَمْع كما قاله ابن حجر، (فتح الباري لابن حجر، (4/ص4589).

4 (?) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، رقم: 2285 .

5 (?) المنهاج للنووي، ص1418.

6 (?) فتح الباري لابن حجر، (4/ ص4589) .

قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ! إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ! فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ؛ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ؛ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ "[1].

فالنَّذِيرُ الْعُرْيَانُ ضرَب به النبِيّ المثل لأمته؛ لأنّه تَجَرَّد لإنذارهم. قال الغزالي –رحمه الله-: « ومَن نظر في أقوال الرسول ، وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق، وتلطفه في جَرّ الناس بأنواع الرفق واللين واللطف، إلى تحسين الأخلاق وإصلاح ذات البين، وبالجملة إلى ما يُصلح به دينَهم ودنياهم حصل له علمٌ ضروريٌّ، بأنّ شفقته على أمته أعظمُ مِن شَفَقَة الوالد على ولده »[2].

وبعد هذا سأُورِد جملة مِن النماذج الدالة على ما تقرّر مِن كمال نصحه ، في مطلبَين، فأقول –وبالله تعالى التوفيق:

المطلب الأول: نماذجُ مِن كمال نُصح الرسول بأمته، وشفَقَـتِه عليهم:

أولا: قال الله تبارك وتعالى في وصْف هذا العبد الرسول بالحِرْص والشفَقَة على الناس، وبالرحمة والرأفة للمؤمنين: ﭽﮬﮭ   ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜ ﭼ [التوبة: ١٢٨].

فقد وصَف الله تعالى عبده في الآية بخمس صفاتٍ تدلّ على نُصحه للناس عامة، ورحمته للمؤمنين، قال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « يَمتنّ تعالى على عباده المؤمنين بما بعَثَ فيهم النبي الأمي الذي مِن أنفسهم، يعرفُون حالَه، ويتمكّنون مِن الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو في غاية النُّصح لهم، والسعي في مصالحهم. ﭽﯔ ﯕﯖﭼ أيْ: يَشُقّ عليه الأمر الذي يَشُقّ عليكم ويَعْنَتُكم. ﭽﯗﯘ

---

1 ([?]) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، رقم: 6482، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، رقم: 2283 .

2 ([?]) المنقذ من الضلال، (ص85).

ﭽ فيحب لكم الخير، ويَسعى جُهْدَه في إيصاله إليكم، ويَحرِص على هدايتكم إلى الإيمان، ويَكْرَه لكم الشرّ، ويَسْعَى جُهْدَه في تنفيركم عنه. ﭽﯙﯚﭼ أي: شديدُ الرّأفة والرحمة ِبهم، أرحم ِبهم من والِديهم. ولهذا كان حقُّه مُقَدَّمًا على سائر حقوق الخلق، وواجِبٌ على الأمة الإيمانُ به، وتعظيمُه، وتعزيرُه، وتوقيرُه »[1].

ثانيًا: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ فَقَالَ: إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلانٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا. قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ؛ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ، فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمْ الْمَرِيضَ، وَالْكَبِيرَ، وَذَا الْحَاجَةِ** " [2].

ثالثًا: عن أنس وأَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنهما، -وهذا لفظه- عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **إِنِّي لأَقُومُ فِي الصَّلاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي، كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ** "[3].

رابعًا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: « دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ جَالِسٌ فَصَلَّى، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ فَقَالَ: " **لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا** "، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ : " **أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ سَجْلا مِنْ مَاءٍ، أَوْ دَلْوًا مِنْ مَاءٍ** " ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** " [4]. وفي

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص356 -357 .

[2] صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ الْغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لأَمْرِ اللَّهِ، رقم: 6110، وكتاب الأحكام، بَاب هَلْ يَقْضِي الْقَاضِي أَوْ يُفْتِي وَهُوَ غَضْبَانُ؟ رقم: 7159، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، رقم: 466.

[3] صحيح البخاري عن أبِي قتادة: كتاب الأذان، بَاب مَنْ أَخَفَّ الصَّلاةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ، رقم:707، وعن أنس برقم: 708، و709، و710، وصحيح مسلم: المصدر نفسُه، رقم: 470.

[4] سنن أبِي داود: كتاب الطهارة، بَاب الأَرْضِ يُصِيبُهَا الْبَوْلُ، رقم: 380، وجامع الترمذي: كتاب الطهارة، بَاب مَا جَاءَ فِي الْبَوْلِ يُصِيبُ الأَرْضَ، رقم: 147، قال الترمذي: حديث حسن صحيح (وصححه الألباني) .

البخاري مختصرًا عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: « قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ : " **دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** "[1].

خامسًا: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ نَادَى بِالصَّلَاةِ فِي لَيْلَةٍ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ وَمَطَرٍ، فَقَالَ فِي آخِرِ نِدَائِهِ: **أَلاَ صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ**! أَلاَ صَلُّوا فِي الرِّحَالِ!! ثُمَّ قَالَ: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ، أَوْ ذَاتُ مَطَرٍ فِي السَّفَرِ، أَنْ يَقُولَ: **أَلاَ صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ** »[2].

سادسًا: عَنِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلاَتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، فَصَلَّوْا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ فَصَلَّوْا بِصَلاَتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ، حَتَّى خَرَجَ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَتَشَهَّدَ ثمَّ قَالَ: " **أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا** "[3].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الوضوء، بَاب صَبِّ الْمَاءِ عَلَى الْبَوْلِ فِي الْمَسْجِدِ، رقم: 220، وكتاب الأدب، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، رقم: 6128.

[2] صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب الرُّخْصَةِ فِي الْمَطَرِ وَالْعِلَّةِ أَنْ يُصَلِّيَ فِي رَحْلِهِ، رقم: 666، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الصَّلاَةِ فِي الرِّحَالِ فِي الْمَطَرِ، رقم: 697.

[3] صحيح البخاري، واللفظ له: كتاب الجمعة، باب مَنْ قَالَ فِي الْخُطْبَةِ بَعْدَ الثَّنَاءِ: أَمَّا بَعْد، رقم: 924، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَهُوَ التَّرَاوِيح، رقم: 762.

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في البخاري[1]، قَالَتْ: « إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهْوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ، وَإِنِّي لأُسَبِّحُهَا »، ثم أورد الحديث الأول.

سابعًا: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ** "[2].

ثامنًا: عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗ﴾ [آل عمران: ٩٧]. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْحَجُّ فِي كُلِّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالُوا: أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ فَقَالَ: لاَ، وَلَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ فَنَزَلَتْ ﴿ﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜ﴾ [المائدة: ١٠١][3].

هذه طائفة من نماذج نُصح الرسول ﷺ للأمة الإسلامية، فصلوات ربي وسلامه وبركاته عليه مِن ناصح أمين، بالمؤمنين رؤوف رحيم.

المطلب الثانِي: نماذج من نُصح الرسول ﷺ للكفار مِن اليهود وغيرهم، وحرصه على هدايتهم:

وأما نماذج نصحه ﷺ للكفار وحرصه على هدايتهم، فكثيرة جدًّا، منها على سبيل المثال:

أولا: رحمته ﷺ قومَه (كفار قريش)، وحرصه على هدايتهم، وذلك لَمّا قبِل مشوَرة أبِي بكر فيهم بعد غزوة بدر الكبرى دون عمر رضي الله عنهما، حتى شبَّه أبا بكر

[1] صحيح البخاري: كتاب التهجد، باب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صَلاَةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إِيجَاب، ... رقم: 1128، وصحيح مسلم: كتاب سابق، باب استحباب صلاة الضحى، ... رقم: 718.

[2] صحيح البخاري: كتاب الوضوء، بَاب الْوُضُوءِ مِنْ النَّوْمِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ مِنْ النَّعْسَةِ وَالنَّعْسَتَيْنِ أَوْ الْخَفْقَةِ وُضُوءًا، رقم: 212، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته ..، رقم: 786.

[3] جامع الترمذي: كتاب الحج، باب ما جاء : كم فرض الحج؟ رقم: 814، وسنن ابن ماجه: بَابُ فَرْضِ الْحَجِ، رقم: 2884، وضعف هذا الطريق الشيخ الألباني ومحققو المسند، وله شاهد من حديث ابن عباس و أبي هريرة ﷺ، (وانظر طريق ابن عباس في المسند، برقم: 2642 وصححه الشيخ الأرناؤوط).

بإبراهيم وعيسى، وعمر بنوحٍ وموسى. ومفادُ القصة: أنّ المسلمين لَمّا أَسَرُوا الأَسَارَى استشار الرسول أَبا بَكْرٍ وَعُمَرَ فيهم، فقال: " **مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأَسَارَى؟** "، فغلّب أبو بكر جانب الرحمة ورجاء الهداية لهم، وقوة المسلمين، وذلك بأخذ الفِدْيَة منهم، وعُمَرَ جانب الغلظة على أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيده، ليُعَذّبوا بأيدي المؤمنين، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ (الرحمة المهداة) مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قال عُمَرَ. .. إلى آخر القصة [1].

ثانيًا: دعاؤه لكفار قريش بالهداية، ثم الغفران، وذلك بعد غزوة أُحُدٍ: فعَن عَبْد اللَّهِ بن مسعود ، قَالَ: « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ؛ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: " **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** "[2]. أي: اللهم اغفر لهم بالهداية لهم إلى الإسلام، قال النووي –رحمه الله-: « فِيهِ: مَا كَانُوا عَلَيْهِ صَلَوَات اللَّه وَسَلامه عَلَيْهِمْ مِنْ الْحِلْم وَالتَّصَبُّر، وَالْعَفْو وَالشَّفَقَة عَلَى قَوْمهمْ، وَدُعَائِهِمْ لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ وَالْغُفْرَان، وَعُذْرهمْ فِي جِنَايَتهمْ عَلَى أَنْفُسهمْ بِأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ، وَهَذَا النَّبِيّ الْمُشَار إِلَيْهِ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ. وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا مِثْل هَذَا يَوْم أُحُد »[3].

ومَن تأمل السيرة، ووقف على ما حصل لِهذا النبِيّ يوم أُحُدٍ فقط[4]؛ مِن إدماء قومه له، وشجِّه في رأسه، وكسر رُبَاعيته، وجُرحه في وجهه، حتى قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « وَمَجْمُوع مَا ذُكِرَ فِي الأَخْبَارِ أَنَّهُ شُجَّ وَجْهُهُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَجُرِحَتْ وَجْنَتُهُ، وَشَفَتُهُ السُّفْلَى

---

1 (?) سبق تخريج الحديث في مطلب بكاء النبي ، وأنه في صحيح مسلم برقم: 1763.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ (بدون ترجمة، وقبله: بَاب حَدِيثُ الْغَارِ)، رقم: 3477، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، بابٌ (بدون ترجمة، وقبله: بَاب إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ وَلَمْ يُصَرِّحْ نَحْوَ قَوْلِهِ: السَّامُ عَلَيْكَ)، رقم: 6929، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم: 1792.

3 (?) المنهاج للنووي، ص1159 .

4 (?) انظر دلائل النبوة (باب شدة رسول الله في البأس، وتصديق الله قوله في أبي بن خلف، وما أصابه يوم أحد من الجراح في سبيل الله، ج3/ص204-210).

مِنْ بَاطِنِهَا، وَوَهَى مَنْكِبه مِنْ ضَرْبَةِ ابْنِ قَمِيئَةَ[1]، وَجُحِشَتْ رُكْبَتُهُ »[2]، مَن وقف على ذلك عرَف تصبُّر هذا العبد ، وحرصه وطلبه هداية قومه، حيث إنّه لَم يدعُ عليهم بالهلاك، بل زاد فدعا لهم بالهداية، فهو وإنْ كانَ قَالَ أوَّلا: " **كَيْف يُفْلِح قَوْم أَدْمَوْا وَجْه نَبِيّهمْ**؟ " فَإِنَّهُ قَالَ أيْضًا: " **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** "[3]، فعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ وَجْهُهُ، شَجَّةً فِي جَبْهَتِهِ، حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: " **كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ؟ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ!** فَنَزَلَتْ: ﴿ﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. إِلَى آخِرِهَا [4].

ولقد قَالَ نَحْو ذَلِكَ يَوْم حُنَيْنٍ، لَمَّا ازْدَحَمُوا عَلَيْهِ عِنْد قِسْمَة الْغَنَائِم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ: « قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ بِالْجِعِرَّانَةِ، قَالَ: فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ فَكَذَّبُوهُ وَشَجُّوهُ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبِينِهِ، وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** " قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: « فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَمْسَحُ جَبْهَتَهُ، يَحْكِي الرَّجُلَ »[5].

ولبيان أنواع جروح النبي يوم أُحُد فقد عقَد البخاريُّ –رحمه الله بابًا، عنْوَنَ له بـ(بَاب مَا أَصَابَ النَّبِيَّ مِنْ الْجِرَاحِ يَوْمَ أُحُدٍ)، ثم أورد أحاديث أبِي هريرة، وابن عباس[6]، وسهل ابن سعد ، وهي كالتالي:

---

[1] انظر فتح الباري، (ج3/ ص2883) لترى كيف أهلكه الله، وقطّعه بعدما تردى من شاهق الجبل.

[2] فتح الباري، (ج3/ 2882).

[3] انظر: فتح الباري لابن حجر، (ج4/ 4978).

[4] صحيح مسلم: مصدرٌ سابقٌ، باب غزوة أحد، رقم: 1791، وجامع الترمذي، وهذا لفظه: كتاب التفسير، بَاب وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، رقم: 3002، وعلقه البخاري قبل حديث رقم: 4069 .

[5] مسند الإمام أحمد، رقم: 3851 ، و4103.

[6] حديثا أبي هريرة وابن عباس الآتيان مرسلان، لأنهما لم يشهدَا وقعة أُحُدٍ، إنما سمعاهما ممن شهدها، ومرسل الصحابة في حكم الموصول؛ لأنّ الصحابة كلهم عدول، (انظر: فتح الباري لابن حجر، -ج 3/ ص2882).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ،** -يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ-، **اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ** "[1].

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « **اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ ** »[2].

وفي لفظ أعمّ عَنْه، قَالَ: « **اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ** »[3].

وعَنْ سَهْل بْنِ سَعْدٍ -وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ -، فَقَالَ: « **أَمَا وَاللَّهِ! إِنِّي لأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ الْمَاءَ، وَبِمَا دُووِيَ؛ قَالَ: كَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلام بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ تَغْسِلُهُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ الْمَاءَ بِالْمِجَنِّ**[4]**، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لا يَزِيدُ الدَّمَ إِلا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ، فَأَحْرَقَتْهَا، وَأَلْصَقَتْهَا، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ. وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَئِذٍ، وَجُرِحَ وَجْهُهُ، وَكُسِرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ** »[5].

ومَن وقَف على هذه البلايا التي أُصيبَ بِها في نفسه في أُحُدٍ، وفي صحابته عرَف السرّ الذي مِن أجله قَالَتْ عائشة لِلنَّبِيِّ ما قالت: « هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ:" **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ**

---

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، ورقمه: 4073، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب اشتداد غضب الله على مَن قتله رسول الله ، ورقمه: 1793.

[2] (?) صحيح البخاري: المصدر نفسه، ورقمه: 4074.

[3] (?) صحيح البخاري: المصدر نفسه، ورقمه: 4076 .

[4] (?) **الْمِجَن** –بكسر الميم: الترس (انظر/ المنهاج للنووي، ص1159).

[5] (?) صحيح البخاري: المصدر نفسه، رقم:4075، وصحيح مسلم، مصدرٌ سابقٌ، باب غزوة أحد، رقم: 1790.

عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ[6]**، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ**[7]**، فَرَفَعْتُ رَأْسِي؛ فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ؛ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ**[8]! فَقَالَ النَّبِيُّ : " **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** " [9].

لكنّ الذي أُرسل رحمة للعالمين، كانت نظرتُه بعيدة، فعفا عنهم وقت القدرة، ليدخُل في الذين يُحبهم الله مِن عباده المحسنين، ﭽﭞ ﭟﭠ ﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨ ﭼ [آل عمران: ١٣٤].

والموعودين بقول الله سبحانه: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒ ﭼ [آل عمران: ١٣٦].

---

[6] (?) **ابن عبد ياليل** -بتحتانية وبعد الألف لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام- ابن عبد كلال -بضم الكاف وتخفيف اللام وآخره لام- واسمه كنانة، والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه، وأنه عبد يا ليل بن عمرو بن عمير بن عوف، ويقال: اسم بن عبد ياليل مسعود، وكان بن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف (انظر: فتح الباري، ج2/ص 2426).

[7] (?) **قرن الثعالب**: هو ميقات أهل نجد: ويقال له قرن المنازل أيضا، وهو على يوم وليلة –مرحلتين- من مكة (انظر: المنهاج للنووي، ص 1161، وفتح الباري، ج2/ص2426) .

[8] (?) **الأخشبين** –بالمعجمتين وبفتح الهمزة- هما جبلا مكة؛ أبو قبيس والذي يقابله؛ وكأنه قعيقعان. سُمّيا بذلك لصلابتهما وغِلظ حجارتهما. والمراد باطباقهما أن يلتقيا على من بِمكة، ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقا واحدا (انظر: المنهاج للنووي، ص1161، وفتح الباري، ج 2/ص2426) .

[9] (?) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، بَاب إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ وَالْمَلائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ..، رقم: 3231، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب مَا لَقِيَ النَّبِيُّ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِين، رقم:1795.

والذين قال عنهم الرّسُول ﷺ: عَنْ مُعَاذٍ ﷺ، مرفوعًا: " **مَنْ كَظَمَ غَيْظًا -وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ- دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ** " [1].

لذا قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرحه: « وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى »[2] فذكر آيتين (آية آل عمران التي وصفته ﷺ بأنه لم يكن فظًّا غليظ القلب، والمفصحة بأنه ما أُرسل إلا رحمة للعالمين).

وقال شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر –حفظه الله- في التعليق على الحديث: « إنّ هذا لهو الخُلُق العظيم، يناله ﷺ مثل هذا الأذى، وتحُفّ به المصائب، فينطلق على وجهه مهمومًا، ثم تَعْرِض عليه ملائكة الله القضاء على أعدائه بأنْ يُطبِّقوا عليهم الأخشبَين –وهما جبلا مكة- فلا يستجيب لهذا العرض، ويُجيبُ بالإجابة التي تُبَرهنُ على تمام نُصحه ومحبته أنْ يُعبَد الله وحده، فيقول: " **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** »[3].

ثالثًا: وفي السَّنَة الثامنة، بعد منتصفها (وقت فتح مكة)، أعلن الرسول ﷺ العفوَ العام بعد دخوله مكة رغم أنواع الأذى التِي ألحقها كفار مكة به ﷺ وبدعوته وصحابته الكرام، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادتهم، فقال لهم، وهم مجتمعون قرب الكعبة: " **يَا مَعْشَر قُرَيْش! مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ وفي رواية: مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِل فِيكُمْ؟** قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: " **اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ** "[4]. فترتب على هذا العفو العام إسلام أهل مكة عن بكرة أبيهم، كما ترتب

---

1 (?) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، رقم: 4777، وجامع الترمذي: كتاب البر والصلة، باب في كظم الغيظ، رقم: 2021، وحسنه الترمذي والشيخ الألباني.

2 (?) فتح الباري لابن حجر، (ج2/ ص2426-2427).

3 (?) من أخلاق الرسول الكريم ﷺ، (ص47، ج6، ضمن كتبه ورسائله).

4 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر، (ج3/ ص2990)، وهو ينقل عن ابن إسحاق في سيرته.

على ذلك العفو النبوي حفظ الأنفس من القتل أو السبي، وإبقاء الأموال والأراضي المنقولة بيد أصحابها، وعدم فرض الخراج عليها، كما لم يُعامل بلد الله الحرام (مكة) كما عوملت المناطق الأخرى المفتوحة عنوة لقدسيتها وحرمتها[1]. ولقد عَادَتْ حُرْمَة مكة في غزوة فتح مكة بعد الإذن الرسولي بقتل عددٍ مسمَّين، منهم: ابْن خَطَلٍ، وإنْ تَعَلَّق بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ؛ فلا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا أَوْ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، ولا أَنْ يتَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ، وذلك لأنّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لغيره، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِلرسول فِيهِ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا إلى يوم القيامة[2].

رابعًا: حرصه لإسلام الغلامِ اليهودي الذي عادَه، في البخاري: عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: « كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ وَهُوَ يَقُولُ: " **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ** "، رواه البخاري[3]. وعند أبي داود[4]: " **أَنْقَذَهُ بِي مِنْ النَّارِ** ".

والنماذج في هذا، وذاك كثيرة، وما ذُكِر هنا دليلٌ على ما لم يُذكَر. والله أعلم.

وفي ختام هذا المبحث، أقول: لقد عاش رسول الله حياته نصيحة لقومه، على الكمال والتمام إلى أنْ جاء أجَلُه وهو على ذلك، فانظر إليه وهو في لحظاته الأخيرة، في الحالة الشديدة مِن غشيان المرض عليه، ينصحُ قومه ويُعيد، ليتم دعوته بالتحذير من الغلو المؤدي إلى الشرك، كما بدأها بالتوحيد، فعن عَائِشَةَ وَعَبْد اللَّهِ بْنَ

---

1 (?) انظر: السيرة النبوية، للدكتور علي محمد الصلابي، (ج2/ 529).

2 (?) انظر خطبة الرسول بعد فتح مكة، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب (بدون ترجمة)، رقم: 4295.

3 (?) **خ**: ك الجنائز، بَاب إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلامُ، رقم: 1356.

4 (?) سنن أبي داود: كتاب الجنائز، بَاب فِي عِيَادَةِ الذِّمِّيِّ، رقم: 3095.

عَبَّاسٍ ، قَالا: « لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: " **لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** " يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا »[1].

فصلوات ربِّي وسلامُه وبركاتُه عليه، مِن ناصحٍ أمينٍ، قد بلّغ البلاغ المبين!

[1] (?) الحديث في صحيح البخاري، وقد سبق تخريجه.

أصل الوَلاية هو المحبة، وولاية الله تعالى محبته، ووَلِيّ الله هو: مُحبّ الله.

وأولياء الله بالمعنى الشرعي هم محبُّوه الذين آمنوا به وكانوا يتقون، فكُلّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ فهو لِلّهِ وَلِيٌّ[1]، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ [الأنفال: ٣٤]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ [يونس: ٦٢ – ٦٣].

وللمؤمنين المتقين (أولياء الله) درجات مما عملوا؛ فليست مراتب الولاية مرتبة واحدة[2]. وكلّ مراتبهم (الأولياء) لا تَخرج عمّا ذكر الله في قوله: ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ [فاطر: ٣٢].

ومرتبة السابقين السابقين المقربين أعلى من مرتبة أصحاب اليمين[3]؛ فإنّهم وإنْ اشتركوا في فعل الواجبات وترك المحرمات، إلا أنّ السابقين فاقوا المقتصدين بِملازمة المستحبات، وترك المكروهات وما يَشغَل من المباحات؛ فهم لا يزالون يتقربون إلى الله بالنوافل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : "**إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ** ... الحديث[4] .

وكلّ نبيٍّ في قومه أولاهم لله ولاية، وأشدّهم له حُبًّا، وأعبَدهم وأتقاهم، « وأفضل أولياء الله الأنبياء، وأفضل الأنبياء المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم

---

1 (?) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص11، وما قبله وما بعده، وص66، وكتاب مشتهى الخارق الجاني في ردّ زلقات التجاني الجاني، (فصل في حقيقة الولي) ص465-499، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي –عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة، (ج1/ 49-55).

2 (?) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص60 .

3 (?) انظر: فصل: وأولياء الله على طبقتين /الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،ص44-47،وص49-50 .

4 (?) الحديث في صحيح البخاري، وقد سبق تخريجه.

أجمعين. ... وأفضل أولِي العزم: محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين، ... »[1].

فثبت بما تقدم « أنّ كُلّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلِيٌّ، فَالرَّسُولُ نَبِيٌّ وَلِيٌّ. وَرِسَالَتُهُ مُتَضَمِّنَةٌ لِنُبُوَّتِهِ، وَنُبُوَّتُهُ مُتَضَمِّنَةٌ لِوِلايَتِهِ » كما قاله شيخ الإسلام[2].

وقد سبق في المبحث الرابع أنّ نبينا محمدًا هو أتقى الناس لله، فهو أفضل الناس وأشدهم لله ولاية، وولايته لله فوق الولايات.

أما بخصوص الجواب على السؤال الذي عُقد المبحث لِمعالجته فأقول –وبالله تعالى التوفيق:

قد اقترحتْ خطة هذا البحث أنْ يكون: مقام العبودية لنبيِّنا محمدٍ هو الباب الأول منها، ومقام الرسالةِ له هو الباب الثانِي، وعمل البحث على ذلك.

ومقام العبودية في الفصل الأول من الباب الأول في البحث تابعٌ للربوبية، وفي الثاني تابعٌ للإلهية، وهذا الثانِي كانت ركيزتُه الأولى على حُبّ الله تعالى ووِلايته، كما أنّ الْخوف والرجاء ركنَاه، فـ(العبد) فيه بِمعنى (العابد) الْمحبّ الخائف الراجي، الخاضع الْمُخبِت الْمُنيب الخاشع، الشاكر الصابر، الْمصلّي الصائم، الراكع الساجد، وقد عَقَدتُ الفصل الثانِي هذا لبيان قيام عبدِ الله ورسوله بذلك، وأنّه كان أتَمّ قيام.

ومقام العبودية التابعة للإلهية مقامٌ شريفٌ، بل مِن أَجْلِ تحقيقه خلَق الله جميع الجن والإنس: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ [الذاريات: ٥٦]. كما خلق السماوات والأرَضين ليُعرَف فيُعبَد، قال تعالى: ﭽ ﭼ [الطلاق: ١٢].

وفي الرّسالة القشيرية، قال أحدهم: « ليس شيءٌ أشرف مِن العبودية، ولا اسمٌ أتَمّ للمؤمن مِن الاسم له بالعبودية، ولذلك قال سبحانه في وَصْفِ النبِيّ ليلة الْمعراج –وكان أشرَف أوقاته في الدنيا- ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ

---

[1] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص13، وانظر ما بعده.

[2] مجموع الفتاوى، (ج11/ 225-227).

ﭽ [الإسراء: ١]. وقال تعالى: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﭼ [النجم: ١٠]. فلو كان اسم أجلّ من العبودية لَسمّاه به، وفي معناه أنشدوا:

يا عمرو ثارِي عند زهرائي يَعْرِفُه السامِعُ والرائِي
لا تَدْعُنِي إلَا بـ(يا عبْدَها فإنّه أشرف أسْمائي »[1].

وأما التحقيق في مسألتنا هذه (عنوان المبحث) فإنّ مقام عبودية نبينا محمدٍ ﷺ فوق مقام رسالتِه، وكذلك الأنبياء الآخرون[2]، ولا يعنِي هذا تنقيصًا من مقام الرسالة التي اصطُفُوا لها، بل هو مقامٌ شريفٌ اجتباهم الله تعالى له، وخصّهم بِه، وبالوحي الذي هو مفتاحه. لكنّ مقام العبودية الذي يدخُل تحته مقامُ الرسالة في حق هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لكونِهم يقومون بتبليغ الرسالة التي حُمّلوها تعبُّدًا لله تعالى، هذا المقام أفضل وفوق مقام رسالاتِهم؛ وذلك لأنّ الذلّ والخضوع الذي هو أساس هذا المقام هو الذي مِن أجله خلَق الخلق، وأمر ونَهى، وأنّه أحبُّ شيءٍ عنده، وأنّه هو معنى لا إله إلا الله. ولِهذا -والله أعلم- لَمّا ذكَر رسول الله ﷺ المقامَين في حقه قدّم مقام العبودية على مقام الرسالة، فعن عَلِيّ بن الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: « أَحِبُّونَا بِحُبِّ الإِسْلامِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي رَسُولا** "[3]. كما أنه لَمّا ذكَر الله المقامَين في حق أنبيائه عليهم الصلاة والسلام قدّم في الذكر مقام العبودية على مقام الرسالة؛ فوصف المرسلين بالعبودية الخاصة المضافة إليه سبحانه، قبل أنْ يَصِفَهم بالرسالة، في قوله: ﭽﯕﯖﯗﯘ ﯙﯚﭼ [الصافات: ١٧١]. فتأمل السرّ في قوله سبحانه: ﭽﯘﭼ قبل أنْ يقول: ﭽﯚﭼ؛ وتأمل أيضًا الأحاديث الكثيرة التي

---

1 (؟) الرسالة القشيرية، ص196.

2 (؟) انظر: إبطال القول بوحدة الوجود ونقض نصوص ابن عربي لعلي بن سلطان محمد القاري، ص135-136.

3 (؟) الطبراني في الكبير، رقم: 2820، قال الشيخ الألباني بعدما أورده من مستدرك الحاكم، قال الحاكم: (صحيح الإسناد)، ثم قال: ووافقه الذهبي. وقال: (قلتُ: وهو كما قالا) –انظره: السلسلة الصحيحة، ج 6/ص106، برقم: 2550 (النهي عن الغلو في تعظيمه ﷺ)-. وهذا الأثر عظيمٌ!

مرّت وتَمُرّ معنا في البحث، والتي وصَف النبِيّ فيها نفسه الكريمة وإخوَتَه بالمقامَين والصفتين، فإنّه –حسَب اطلاعِي واستقرائي لَها- لم أرَ موضعًا واحدًا قُدّم في الذكر فيه: مقام الرسالة على مقام العبودية؛ بأنْ يقول مثلا: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ)، بل العكس دائمًا، حيث يُقدّم في كلّها الوصف بالعبودية على الوصف بالرسالة، فيقول: " **وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** "[1]، ويقول: " **اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ** "[2]. وغيرهما، وذلك -والله أعلم- لتحقيق هذا المعنَى.

وقد قرّره جَمعٌ من العلماء والأئمة، -رحمهم الله-؛ فقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله- في تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء: « والتعبير بلفظٍ في هذا المقام العظيم، يدُلّ دلالة واضحة على أنّ مقام العبودية هو أشرَفُ صفات المخلوقين، وأعظمُها وأجَلُّها، إذ لو كان هناك وصْفٌ أعظم منه لَعَبَّر به في هذا المقام العظيم، الذي اخترق العبد فيه السبع الطباق، ورأى مِن آيات ربّه الكبرى، وقد قال الشاعر في محبوب مخلوق، ولله الْمَثَل الأعلى:

يا قوم قلبِي عند زهراء يَعْرِفُه السامِعُ والرائِي
لا تَدْعُنِي إلا بـ(يا عبْدَها فإنّه أشرف أسْمائي »[3].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله- في شرح كتاب التوحيد: « قوله " فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ": هذان الوصفان أصدق وصف، وأشرَفُه في الرسول ؛ فأشْرَفُ وصْفٍ للإنسان أنْ يكون من (عباد الله)، قال تعالى: ﭼﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﭼ [الفرقان: ٦٣]. وقال تعالى: ﭼﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭼ; فوصفهم الله بالعبودية قبل الرسالة، مع أنَّ الرسالة شرَف عظيمٌ، لكنَّ كونَهم عِبادًا

---

[1] (?) الحديث في الصحيحين وقد سبق تخريجه.
[2] (?) الحديث في الصحيح وقد سبق تخريجه.
[3] (?) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج3/ 474-475).

لله أشرف وأعظم، وأشرف وصف له وأحق وصف به، ولهذا يقول الشاعر في مـحبوبته:

لا تَدْعُنِي إلا بـ(**يا عبدها**)   فإنّه أشرف أسـمائي

أي: أنت إذا أردتَ أنْ تُكلّمنِي قُل: يا عبدَ فُلاَنةٍ; لأنّه أشرَفُ أسْمائي، وأبلغ في الذلّ، فمحمدٌ عبدٌ لا يُعبَد، ورسولٌ لا يُكذّب، ولِهذا نقوله في صلاتنا عندما نسلِّم عليه ونشهد له بالرسالة: " وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ "; فهذا أفضل وصْفٍ اختارَه النبِيّ، عليه الصلاة والسلام لنفسه »[1].

فثبت بحديث أنّ الله جعلَه عبدًا قبل أنْ يجعله رسولا، وبآية الصافات بل وبصنيع الرسول كلّما وصَفَ نفسَه الكريمة أو إخوتَه بالصفتين الشريفتين (العبودية والرسالة) أنّ مقام عُبوديته فوق مقام رسالته، وقد تكلّم الشيخ علي القاري في المسألة فقال: « وأصل وضعها أنّه يقال: ولاية الرّسول أفضل من رسالته؛ لأنّ ولايته المختلف فيها هي في زمان نبوته، وأما ولايته الكائنة قبل نبوته فلا يصح أنْ يقال: أفضل من نبوته، فإنّه كفرٌ بلا خلاف؛ إذْ لا يكون الولي أفضل من النبِيّ كما حُقق في محله: أنّ من قال: الوَلِيّ أفضلُ من النبِيّ يَكفُر، وإنّما بقي الكلام في نبوته المعبر عنها بولايته ورسالته، واختلاف الأفضلية في أيّ نسبة، فقال بعضهم: إنّ ولايته أفضل لكون توجهه حينئذ إلى الحق، بخلاف رسالته، فإنه متوجهٌ في حالته إلى الخلق، وهذا التفصيل من هذه الحيثية في التفصيل لا بأس به عند أهل التحصيل، .. ولذا قال بعض العلماء: إنّ مقام رسالة نبينا أفضل من مقام ولايته »[2].

وعلاقة هذا المبحث بكمال عبودية نبينا محمدٍ لربِّه ظاهرة. والله تعالى أعلم.

تنبيه:

---

[1] القول المفيد على كتاب التوحيد، (ج1/ 371-372).

[2] إبطال القول بوحدة الوجود ونقض نصوص ابن عربي، لعلي القاري، ص135-136.

الْمقرّر هنا في هذا المبحث مخالفٌ تَمامًا للذي قاله الْملحد ابنُ عرَبِي الطائِي[1] مِن تفضيله مقام الولاية على النبوة والرسالة، وتفضيل الولِيّ على النبِيّ؛ بزعم أنّ الولي يأخُذ علومَه بدون واسطة، بل من الْمعدن الذي يأخُذ منه الْمَلَك وهو العقل والخيال على زعمهم، بخلاف النبيّ، أو أنّ الأنبياء يستفيدون عُلُومهم من الأولياء ... في سلسلة من فلسفات باردة كاذبة .. وما يُقدِّم هو أو متّبعوه، بل وشُرّاح كلامه[2] مِن تأويلاتٍ لِهذه الْكفريات التي قرّرها في كثير مِن كتُبُه من فصوص وغيره؛ ويقولون مثلا: بأنّ مسألة تفضيل الولِيّ على النبِيّ، أو الولاية على النبوة مفترضَةٌ في حق الأنبياء أنفسهم فقط دون أمتهم؛ ويقومون بذلك تخفيفًا لوطأة تلك الكلمة الكفرية، فيزعمون بأنّ نبواتِهم تُستفاد وتستفيد من ولاياتِهم؛ فنبوة النبي ورسالته دون ولايته على زعمهم؛ لأنّ الرسالة تنقطع، والولاية لا تنقطع، .. أو لأنّ الرسالة منصبّة في مصالح الخلق، والولاية متجهة إلى الله، فالله متولّي مصالح عبده ووليه، والرسول متولّي مصالح أمته، أو لكون العبادة تصدُر مِن الخلق إلى الحق، والرسالة مِن الحق إلى الخلق؛ .. في سلسلة من تأويلات وتخريجات باطلة.

وأرى أنّه لأجل هذا ردّ الحافظ ابن كثير –رحمه الله- ما نقله أحد كبار الأشاعرة ومفسريهم فخر الدين الرازي[3] في تفسيره مؤكّدًا ما تقدم تقريره في هذا الْمبحث، حيث قال: « والعبادة مقام عظيم يشرُف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى، كما قال بعضهم:

لا تدعني إلا بـ(**يا عبدها**)   فإنّه أشرف أسـمائي

وقد سَمَّى الله رسولَه بعبده في أشرف مقاماته، فقال: ﭽۈۉ ۋۊ ﭙﭘﭼ [الكهف: ١]. ﭽﭿﭾﭽﭼﭻﭺﭼ [الجن: ١٩]. ﭽ ﭗﭖﭕﭔ ﭼ [الإسراء: ١]. فسماه عبدًا عند إنزاله عليه، وقيامه في

[1] ستأتي ترجمته في فصل الصوفية، ونصّ كلامه في المسألة هو قوله في الفص العزيزي: (إنّ ولاية الرسول أفضل من نبوته)، وانظر الكلام فيها في كتاب إبطال القول بوحدة الوجود، ص135-136.

[2] انظر: شروح ابن ماجه، (ج1/ 630).

[3] ستأتي ترجمته في فصل المتكلمين.

الدعوة، وإسرائه به، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يَضيق صدرُه مِن تكذيب الْمخالفين له، حيث يقول: ﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋ [الحجر: ٩٧ – ٩٩]. وقد حكى فخر الدين في تفسيره عن بعضهم: أنّ مقام العبودية أشرفُ مِن مقام الرسالة؛ لكون العبادة تصدُر مِن الخلق إلى الحق، والرّسالة مِن الحق إلى الخلق؛ قال: ولأنَّ الله متولّي مصالح عبده، والرسول متولّي مصالح أمته. وهذا القول خطأ، والتوجيه أيضًا ضعيف لا حاصل له، ولم يتعرض له فخر الدين بتضعيف، ولا ردّه »[1].

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- كلمات ابن عرَبِي والتي يُفضِّل الأولياء –على زعمه- على الأنبياء، كما نقل أيضًا شيئًا من تخريجاته الباردة للمسألة، وردّ على إلحاده، وأنا هنا سأنقل عنه ما يتضح به المقصود في هذا المقام، ومن أراده كلّه فليقف عليه في مصدره:

أولا: قال حاكيًا إلحادَ ابن عرَبي في جملةِ من ألفاظه الإلحادية التي لا يعلمها أكثر الناس: « أَنَّهُ قَالَ: (وَمِنَّا مَنْ عَلِمَ فَلَمْ يَقُلْ مِثْلَ هَذَا، وَهُوَ أَعْلَى الْقَوْلِ، بَلْ أَعْطَاهُ الْعِلْم وَالسُّكُوت مَا أَعْطَاهُ الْعَجْز، وَهَذَا هُوَ أَعْلَى عَالِمٍ بِاَللَّهِ، وَلَيْسَ هَذَا الْعِلْمُ إلا لِخَاتَمِ الرُّسُلِ وَخَاتَمِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنَ الأَوْلِيَاءِ وَالرُّسُلِ: إلا مِنْ مِشْكَاةِ الرَّسُولِ الْخَاتَمِ، وَلا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنَ الأَوْلِيَاءِ إلا مِنْ مِشْكَاةِ الْوَلِيِّ الْخَاتَمِ؛ حَتَّى إنَّ الرُّسُلَ لا يَرَوْنَهُ مَتَى رَأَوْهُ إلا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ الأَوْلِيَاءِ. فَإِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ -أَعْنِي نُبُوَّةَ التَّشْرِيعِ وَرِسَالَتِهِ- يَنْقَطِعَانِ، وَالْوِلايَةُ لا تَنْقَطِعُ أَبَدًا؛ فَالْمُرْسَلُونَ مِنْ كَوْنِهِمْ أَوْلِيَاءَ: لا يَرَوْنَ مَا ذَكَرْنَاهُ إلا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ الأَوْلِيَاءِ، فَكَيْفَ مَنْ دُونَهُمْ مِنْ الأَوْلِيَاءِ؟ وَإِنْ كَانَ خَاتَمُ الأَوْلِيَاءِ تَابِعًا فِي الْحُكْمِ لِمَا جَاءَ بِهِ خَاتَمُ الرُّسُلِ مِنَ التَّشْرِيعِ، فَذَلِكَ لا يَقْدَحُ فِي مَقَامِهِ وَلا يُنَاقِضُ مَا ذَهَبْنَا إلَيْهِ، فَإِنَّهُ مِنْ وَجْهٍ يَكُونُ أَنْزَلَ كَمَا أَنَّهُ مِنْ وَجْهٍ يَكُونُ أَعْلَى -إلَى قَوْلِهِ- وَلَمَّا مَثَّلَ النَّبِيُّ ﷺ النُّبُوَّةَ بِالْحَائِطِ مِنَ اللَّبِنِ ... »[2].

---

1 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج1/ص 40) .

2 (?) مجموع الفتاوى، (ج2/ ص 219-220).

وقال في الرد على إلحاده، ومشيرًا إلى بعض نصوصه الأخرى الخطيرة: « فَفِي هَذَا الْكَلامِ مِنْ أَنْوَاعِ الإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ، وَتَنْقِيصِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مَا لا تَقُولُهُ، لا الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى؛ وَمَا أَشْبَهُهُ فِي هَذَا الْكَلامِ بِمَا ذَكَرَ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ تَحْتِهِمْ أَنَّ هَذَا لا عَقْلٌ وَلا قُرْآنٌ. وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ هُنَا مِنْ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ تَسْتَفِيدُ مِنْ خَاتَمِ الأَوْلِيَاءِ الَّذِي بَعْدَهُمْ هُوَ مُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ؛ فَإِنَّ الْمُتَقَدِّمَ لا يَسْتَفِيدُ مِنْ الْمُتَأَخِّرِ. وَمُخَالِفٌ لِلشَّرْعِ؛ فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْلامِ: أَنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا أَنْبِيَاءَ وَلا رُسُلا. وَقَدْ يَزْعُمُ أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُ أَعْلَى الْعِلْمِ، وَهُوَ: الْقَوْلُ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ، وَأَنَّ وُجُودَ الْخَالِقِ هُوَ وُجُودُ الْمَخْلُوقِ، وَحَقِيقَةُ تَعْطِيلِ الصَّانِعِ وَجَحْدِهِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يُظْهِرُهُ فِرْعَوْنُ. فَلَمْ يَكْفِهِ زَعْمُهُ: أَنَّ هَذَا حَقٌّ حَتَّى زَعَمَ أَنَّهُ أَعْلَى الْعِلْمِ. وَلَمْ يَكْفِهِ ذَلِكَ؛ حَتَّى زَعَمَ أَنَّ الرُّسُلَ إنَّمَا يَرَوْنَهُ مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ الأَوْلِيَاءِ.

فَجَعَلَ خَاتَمَ الأَوْلِيَاءِ: أَعْلَمَ بِاَللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَجَعَلَهُمْ يَرَوْنَ الْعِلْمَ بِاَللَّهِ مِنْ مِشْكَاتِهِ. ثُمَّ أَخَذَ يُبَيِّنُ ذَلِكَ، فَقَالَ: فَإِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ: -أَعْنِي نُبُوَّةَ التَّشْرِيعِ وَرِسَالَتَهُ- يَنْقَطِعَانِ وَالْوِلايَةُ لا تَنْقَطِعُ أَبَدًا، فَالْمُرْسَلُونَ مِنْ كَوْنِهِمْ أَوْلِيَاءَ لا يَرَوْنَ مَا ذَكَرْنَاهُ إلا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ الأَوْلِيَاءِ، فَكَيْفَ بِالأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا أَنْبِيَاءَ وَلا رُسُلا؟ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا بَعْدَ النَّبِيِّ نَبِيًّا وَرَسُولا، فَإِنَّ هَذَا كُفْرٌ ظَاهِرٌ، فَزَعَمُوا أَنَّهُ إنَّمَا تَنْقَطِعُ نُبُوَّةُ التَّشْرِيعِ وَرِسَالَتُهُ، يَعْنِي، وَأَمَّا نُبُوَّةُ التَّحْقِيقِ وَرِسَالَةُ التَّحْقِيقِ -وَهِيَ الْوِلايَةُ عِنْدَهُمْ- فَلَمْ تَنْقَطِعْ. وَهَذِهِ الْوِلايَةُ عِنْدَهُمْ هِيَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عَرَبِيٍّ فِي بَعْضِ كَلامِهِ:-

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُولِ، وَدُونَ الْوَلِيّ

وَقَالَ فِي الْفُصُوصِ فِي (كَلِمَةٍ عزيرية)[1]: (فَإِذَا سَمِعْت أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ، أَوْ يُنْقَلُ إلَيْك عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: الْوِلايَةُ أَعْلَى مِنْ النُّبُوَّةِ: فَلَيْسَ يُرِيدُ ذَلِكَ الْقَائِلُ إلا مَا ذَكَرْنَاهُ.

---

1 (?) راجع فصوص الحكم لابن عربي الطائي.

أَوْ يَقُولُ: إنَّ الْوَلِيَّ فَوْقَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ؛ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنَّ الرَّسُولَ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَلِيٌّ: أَتَمُّ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، لا أَنَّ الْوَلِيَّ التَّابِعَ لَهُ أَعْلَى مِنْهُ، فَإِنَّ التَّابِعَ لا يُدْرِكُ الْمَتْبُوعَ أَبَدًا فِيمَا هُوَ تَابِعٌ لَهُ فِيهِ؛ إذْ لَوْ أَدْرَكَهُ لَمْ يَكُنْ تَابِعًا لَهُ). وَإِذَا حَقَّقُوا عَلَى ذَلِكَ قَالُوا: إنَّ وِلايَةَ النَّبِيِّ فَوْقَ نُبُوَّتِهِ، وَإِنَّ نُبُوَّتَهُ فَوْقَ رِسَالَتِهِ؛ لأَنَّهُ يَأْخُذُ بِوِلايَتِهِ عَنْ اللَّهِ، ثُمَّ يَجْعَلُونَ مِثْلَ وِلايَتِهِ ثَابِتَةً لَهُمْ، وَيَجْعَلُونَ وِلايَةَ خَاتَمِ الأَوْلِيَاءِ أَعْظَمَ مِنْ وِلايَتِهِ، وَأَنَّ وِلايَةَ الرَّسُولِ تَابِعَةٌ لِوِلايَةِ خَاتَمِ الأَوْلِيَاءِ الَّذِي ادَّعُوهُ »[1].

وتكلم عن لفظة (خَاتَم الأَوْلِيَاءِ) المدعاة، وبيّن أنّ موجبها لو كانت شرعية يقتضي: آخر مؤمن تقيٍّ في الدنيا، وإنْ كان ختم الأولياء على المعنى الذي ادعوه باطلٌ لا أصل له في الكتاب والسنة، وعند السلف الصالح، ... في كلام له طويلٌ[2].

وقال في موضع آخر تكلم عن المسألة: « ثُمَّ صَارَ طَائِفَةٌ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ يَزْعُمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ خَاتَمُ الأَوْلِيَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ خَاتَمَ الأَوْلِيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِاَللَّهِ، وَأَنَّ الأَنْبِيَاءَ يَسْتَفِيدُونَ الْعِلْمَ بِاَللَّهِ مِنْ جِهَتِهِ، كَمَا يَزْعُمُ ذَلِكَ ابْنُ عَرَبِيٍّ صَاحِبُ كِتَابِ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ وَكِتَابِ الْفُصُوصِ، فَخَالَفَ الشَّرْعَ وَالْعَقْلَ، مَعَ مُخَالَفَةِ جَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ قَالَ: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ تَحْتِهِمْ؛ لا عَقْلَ وَلا قُرْآنَ؛ ذَلِكَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ فِي الزَّمَانِ مِنْ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَالأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ أَفْضَلُ مِنْ الأَوْلِيَاءِ فَكَيْفَ الأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ؟ وَالأَوْلِيَاءُ إنَّمَا يَسْتَفِيدُونَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ خَاتَمُ الأَوْلِيَاءِ، وَلَيْسَ آخِرُ الأَوْلِيَاءِ أَفْضَلَهُمْ، كَمَا أَنَّ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُهُمْ؛ فَإِنَّ فَضْلَ مُحَمَّدٍ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ، -فذكر حديثين، وما حصل ليلة المعراج من تفضيل نبينا على الأنبياء عليهم السلام، كما ذكر آية تفضيل الرسل بعضهم على بعض، ثم قال- إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الدَّلائِلِ. كُلٌّ مِنْهُمْ

[1] مجموع الفتاوى، (ج2/ 220-221).
[2] مجموع الفتاوى، (ج2/ ص222-وما بعده).

يَأْتِيه الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ لاسِيَّمَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لَمْ يَكُنْ فِي نُبُوَّتِهِ مُحْتَاجًا إلَى غَيْرِهِ، فَلَمْ تَحْتَجْ شَرِيعَتُهُ إلَى سَابِقٍ وَلا إلَى لاحِقٍ؛ بِخِلافِ الْمَسِيحِ؛ أَحَالَهُمْ فِي أَكْثَرِ الشَّرِيعَةِ عَلَى التَّوْرَاةِ، وَجَاءَ الْمَسِيحُ فَكَمَّلَهَا؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّصَارَى مُحْتَاجِينَ إلَى النُّبُوَّاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى الْمَسِيحِ: كَالتَّوْرَاةِ وَالزَّبُورِ وَتَمَامِ الأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ نُبُوَّةً، وَكَانَ الأُمَمُ قَبْلَنَا مُحْتَاجِينَ إلَى مُحَدَّثِينَ؛ بِخِلافِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَاهُمْ بِهِ فَلَمْ يَحْتَاجُوا مَعَهُ إلَى نَبِيٍّ وَلا إلَى مُحَدَّثٍ؛ بَلْ جُمِعَ لَهُ مِنْ الْفَضَائِلِ وَالْمَعَارِفِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا فَرَّقَهُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ؛ فَكَانَ مَا فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ اللَّهِ بِمَا أَنْزَلَهُ إلَيْهِ وَأَرْسَلَهُ إلَيْهِ لا بِتَوَسُّطِ بَشَرٍ »[1]. إلى أن قال: « وَمَنْ ادَّعَى أَنَّ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ بَلَغَتْهُمْ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ لَهُ طَرِيقٌ إلَى اللَّهِ لا يَحْتَاجُ فِيهِ إلَى مُحَمَّدٍ فَهَذَا كَافِرٌ مُلْحِدٌ، وَإِذَا قَالَ: أَنَا مُحْتَاجٌ إلَى مُحَمَّدٍ فِي عِلْمِ الظَّاهِرِ دُونَ عِلْمِ الْبَاطِنِ، أَوْ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ دُونَ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ؛ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا: إنَّ مُحَمَّدًا رَسُولٌ إلَى الأُمِّيِّينَ دُونَ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَإِنَّ أُولَئِكَ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ، فَكَانُوا كُفَّارًا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ هَذَا الَّذِي يَقُولُ: إنَّ مُحَمَّدًا بُعِثَ بِعِلْمِ الظَّاهِرِ دُونَ عِلْمِ الْبَاطِنِ؛ آمَنَ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَهُوَ أَكْفَرُ مِنْ أُولَئِكَ؛ لأَنَّ عِلْمَ الْبَاطِنِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ إيمَانِ الْقُلُوبِ وَمَعَارِفِهَا وَأَحْوَالِهَا هُوَ عِلْمٌ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ الْبَاطِنَةِ، وَهَذَا أَشْرَفُ مِنَ الْعِلْمِ بِمُجَرَّدِ أَعْمَالِ الإِسْلامِ الظَّاهِرَةِ. فَإِذَا ادَّعَى الْمُدَّعِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ إنَّمَا عَلِمَ هَذِهِ الأُمُورَ الظَّاهِرَةَ دُونَ حَقَائِقِ الإِيمَانِ؛ وَأَنَّهُ لا يَأْخُذُ هَذِهِ الْحَقَائِقَ عَنِ الْكِتَاب وَالسُّنَّةِ، فَقَدْ ادَّعَى أَنَّ بَعْضَ الَّذِي آمَنَ بِهِ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ دُونَ الْبَعْضِ الآخَرِ، وَهَذَا شَرٌّ مِمَّنْ يَقُولُ: أُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَأَكْفُرُ بِبَعْضٍ، وَلا يَدَّعِي أَنَّ هَذَا الْبَعْضَ الَّذِي آمَنَ بِهِ أَدْنَى الْقِسْمَيْنِ. وَهَؤُلاءِ الْمَلاحِدَةُ يَدَّعُونَ أَنَّ الْوِلايَةَ أَفْضَلُ مِن النُّبُوَّةِ، وَيُلَبِّسُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: وِلايَتُهُ أَفْضَلُ مِنْ نُبُوَّتِهِ، وَيُنْشِدُونَ:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيّ

[1] مجموع الفتاوى، (ج11/ 223-225).

وَيَقُولُونَ: نَحْنُ شَارَكْنَاهُ فِي وِلايَتِهِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْ رِسَالَتِهِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ ضَلالِهِمْ، فَإِنَّ وِلايَةَ مُحَمَّدٍ لَمْ يُمَاثِلْهُ فِيهَا أَحَدٌ؛ لا إِبْرَاهِيمُ وَلا مُوسَى، فَضْلا عَنْ أَنْ يُمَاثِلَهُ هَؤُلاءِ الْمُلْحِدُونَ. وَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيّ وَلِيٌّ، فَالرَّسُولُ نَبِيٌّ وَلِيٌّ. وَرِسَالَتُهُ مُتَضَمِّنَةٌ لِنُبُوَّتِهِ، وَنُبُوَّتُهُ مُتَضَمِّنَةٌ لِوِلايَتِهِ، وَإِذَا قَدَّرُوا مُجَرَّدَ إنْبَاءِ اللَّهِ إيَّاهُ بِدُونِ وِلايَتِهِ لِلَّهِ، فَهَذَا تَقْدِيرٌ مُمْتَنِعٌ، فَإِنَّهُ حَالَ إنْبَائِهِ إيَّاهُ مُمْتَنِعٌ أَنْ يَكُونَ إلا وَلِيًّا لِلَّهِ، وَلا تَكُونُ مُجَرَّدَةً عَنْ وِلايَتِهِ، وَلَوْ قُدِّرَتْ مُجَرَّدَةً لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مُمَاثِلا لِلرَّسُولِ فِي وِلايَتِهِ. وَهَؤُلاءِ قَدْ يَقُولُونَ -كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْفُصُوصِ ابْنُ عَرَبِيٍّ-: إنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مِنَ الْمَعْدِنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُوحَى بِهِ إلَى الرَّسُولِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا عَقِيدَةَ الْمُتَفَلْسِفَةِ، ثُمَّ أَخْرَجُوهَا فِي قَالَبِ الْمُكَاشَفَةِ .. »[1].

فثبت بِهذا أنّ المناط فيما قررتُه سابقًا يختلف تمامًا عمّا قرره هؤلاء المُلحدون. والله أعلى وأعلم!

المبحث العاشر: لازم عبوديته : عدم الغلوِّ فيه،

(أي: في شخصه وحقه)[2]:

التمهيد في التعريف بالغلو لغةً وشرعًا:

الغُلُوُّ مصدرُ قولِك: غَلا في الأمر يغلُو غلُوًّا، أي: جاوز فيه الحدَّ، يقول ابن فارس (ت 395): الغين واللامُ والحرف المعتلُّ أصلٌ صحيحٌ في الأمر يدلُّ على ارتفاعٍ، ومجاوزةِ قدرٍ؛ يقال: غلا السِّعر يغلو غلاءً، وذلك: ارتفاعُه وهو نَقيضُ الرُّخْصِ، وغلا الرَّجلُ في الأمر غلوًّا، إذا جاوز حدَّه، وغلا بسهمه غَلْوًا، إذا رمى به سهمًا أقصى غايتَه[3]، وغلَتِ القِدْر تغلي غَلْيًا، وغَلَيانًا، ولا يقال: غلِيَتْ. وأغْلَيْتُها

---

1 (?) مجموع الفتاوى، (ج11/ 225-227).

2 (?) انظر: الاقتصاد والتوسط في حقه ، من كتاب الشهادتان –معناهما وما تستلزمه كلٌّ منهما: لا إله إلا الله محمد رسول الله- للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمه الله، ص69-80، وكتاب محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة للدكتور غسان، بعنوان: الغلو في رسول الله ، ص240-247، وعنوان: الغلو في ذات الرسول عند الشيعة، وعند الصوفية، في كتاب: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، لعبد الرؤوف عثمان، ص158-192.

3 (?) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، ص 802 .

أنا[1] « وغلا بالسهم غلْوًا وغلُوًا: رفع يديْه لأقصى الغاية ..» [2].

وقيل في التفريق بين معاني هذه المصادر (غلُوّ وغَلْو، وغلاء): مجاوزة الحدِّ، إذا كانت في السِّعْر فهي غلاءٌ، وإذا كانت في القَدْر والمنزلة فهي غلُوٌ، وفي السهم غَلْوٌ، أما أفعالُها فهي غلا يَغْلُو[3]، والغُلَواء: بالضم وفتح اللام ويُسكَّن: الغلوُّ، وهو التجاوز، يقال: خفِّف من غُلَوائِك. وغَلا في الدين غلُوًّا من بابِ نصر وقعد، أي: تصلَّب وشدَّد حتى جاوز الحدَّ[4]، وغَلَوْتَ في الأمر والدين غُلُوًّا وغُلَواءَ، وغَلانِيَةً، وغَلانِياً، إِذا جاوزْتَ فيه الحَدّ وأفْرَطْتَ فيه[5].

وفي التنـزيل: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ [المائدة: ٧٧].

وأما عن تعريف الغلو شرعًا، فيقال: بأنّ اللفظة (الغُلُوّ) جاءت في الشرع في مواضع كثيرة؛ فجاءت في القرآن في موضعين، وقد سبقَ ذكرُ ثانيهما. أما الأول ففي سورة النساء: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮎ ﭼ

[النساء: ١٧١].

يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسير آية المائدة: « ..ثم قال ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ أي: لا تجاوزوا الحدَّ في اتباع الحق، ولا تُطرُوا مَن أُمرْتم بتعظيمه؛ فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيِّز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبِيٌّ من الأنبياء؛ فجعلتموه إلـهًا من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم: شيوخِ الضلال؛ الذين هم سلفُكم ممن ضلَّ قديْمًا »[6].

---

1 (?) انظر: المقاييس في اللغة، المصدر نفسه، والصحاح للجوهري، ص 780، مادة غلا.

2 (?) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص 1211.

3 (?) انظر: موسوعة نضرة النعيم، (قسم: صفات مذمومة، مادة الغلو، (ج 11 / ص 5114).

4 (?) انظر: المصدرَيْن السابقين، القاموسِ المحيط، والنضرةِ النعيم.

5 (?) انظر: المصدرَ السابق النضرةِ النعيم.

6 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج 2 /ص 114).

وقد قال قريبًا من هذا الكلام في تفسير آية النساء « ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلوّ والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلَهًا من دون الله؛ يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلَوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادَّعوْا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا؛ ولهذا قال تعالى: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﭼ [التوبة: ٣١] »[1].

وكذلك قال القرطبي –رحمه الله- نَحوًا منه، فقال: « قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭼ نهى عن الغلوِّ، والغلوُّ: التجاوز في الحدِّ..»[2].

وهذان الموضعان في القرآن كان الخطاب والسياق في النصارى، وما ذلك إلا لغلبة الغلوِّ فيهم دون إخوتهم اليهود -كما سيأتي-.

وإنْ كان هناك مِن العلماء مَن أدخل في الغلو المنهي عنه هنا: ما قيل من البهتان من قِبَل اليهود على مريم رضي الله عنها أيضًا، وعلى ذلك فيكون الغلو المنهي عنه في الآية شاملاً للإفراط والتفريط[3]. وقد أشار إلى ذلك الطبري في رواية في تفسير الآية، واعتمد شمول ذلك القرطبي -رحمهما الله-، فقال: « ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربًّا، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر »[4].

ومما جاء في السنة من التحذير والنهي عن الغلو لفظًا: ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال، قال له رسول الله ﷺ بعد أنْ أمره بأنْ يلقط له الحصى: "

1 (?) المصدر نفسه، (ج1/ ص772).
2 (?) الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنتْه من السنة وآي الفرقان، ط / الرسالة، (7 / 229).
3 (?) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ الشنقيطي (ج1 / ص510).
4 (?) الجامع لأحكام القرآن، المصدر نفسه.

أمثال هؤلاء فارموا؛ وإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ: الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"[1].

وقد مرَّ في الآيتين: النهي عن الغلو باللفظ العام، حيث قال ناهِيًا ومحذِّرًا: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ، وجاء في هذا الحديث أيضًا: التحذير عنه باللفظ العام، لكنه بعد السبب الخاص (والذي هو عبادة عملية، وهي رمي الحجارة)، مما يُحتِّم كون تعريف الشرع للغلوِّ عامًا وشاملاً للاعتقادات والأعمال، وهذا هو فهم العلماء -رحمهم الله- من النصوص، ويقرر شيخ الإسلام –رحمه الله- ذلك، شارحًا للحديث، ومعرِّفًا الغلُوَّ المنهي عنه في الشرع: « وقوله: " **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ** " **عامٌّ في جميع أنواع الغلوِّ؛ في الاعتقادات والأعمال، والغلو هو مجاوزة الحدِّ؛ بأن يُزاد في حَمد الشيء، أو ذمِّه على ما يستحق، ونحو ذلك**. والنصارى أكثر غُلوًا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نَهى الله عن الغلوِّ في القرآن ... وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلوُّ فيه: مثلُ رمْي الحجارة الكبار، ونحوِ ذلك، بناءً على أنه قد بالغ في الحصى الصغار، ثم علَّل ذلك بأنَّ ما أهلك مَن كان قبلنا إلا الغلوُّ في الدين، كما تراه في النصارى. وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقًا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأنَّ المشارِك لَهم في بعض هديهم يُخاف عليه أن يكون هالكًا »[2].

ومن الأدلة الخاصة في النهي عن الغلو في جانب الأعمال وبغير لفظ الغلو: ما جاء من قول الرسول في النفر الثلاثة الذين كأنَّهم تقالوا عبادته في السرِّ، لَمّا سألوا عنها، وهمُّوا بالغلو: " **مَا بَالُ أَقْوَامٍ، يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ،**

---

[1] (?) سنن النسائي: مناسك الحج، باب التقاط الحصى، رقم: 3057، وسنن ابن ماجه: المناسك، باب قدر حصى الرمي، رقم: 3029 ، ومسند الإمام أحمد: مسند ابن عباس، رقم: 1851، 3248، والحديث صحيح، كما قال عنه شيخ الإسلام والشيخ الألباني، وقد صحَّح إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط، (انظر: مجموع الفتاوى ج3/ص383) .

[2] (?) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص 102.

وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي "[1]، إلى غير ذلك.

فتلخص من الآيتين وحديث: " إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ " وغيرِه مما في معناه أنَّ تعريف الغلُوِّ في الشرع شاملٌ لجميع أبواب الدين، ويمكن صياغته بأنَّه هو **مجاوزة حدود الشريعة سواء كان ذلك في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل**[2]. والله تعالى أعلم.

وهذا هو تعريف (الغلو في الدين) من حيث الشمولية لجميع جوانبه، وهو وإنْ كانت مجالاته: كلّ الدين، إلا أنِّي هنا في هذا البحث سأتعامل مع مجالٍ واحدٍ فقط مِن مجالاته، ألا وهو: الغلو في عبدِ الله ورسوله محمدٍ ، منبِّهًا بذلك على أنه لا يجوز الغلو في شخصٍ غيره بالأولى والأحرى. إذًا مقصودي بالغلوِّ في هذا البحث -في أكثر مواضعه- هو معنًى أخصّ، وهو: **تجاوز الحدِّ فيما يجب أنْ يعتقده المسلم في حق الرسول ،** وطبْعًا **هو أمرٌ تختلف درجتُه بين الشرك والبدعة والمعصية، من شخصٍ لآخر**[3]**، ومن فرقة لأخرَى،** وسيأتي مزيدٌ في هذا.

أما عن عنوان هذا المبحث، والذي هو: لازم عبوديته بوجهَيه –كونه مُعبَّدًا، وكونه عابدًا كامل العبادة لله، بل وأكمل الناس تحقيقًا للعبودية-: عدم الغلوِّ في شخصه وخصائصه وحقه، وذلك؛

أولا: لأنّه مخلوقٌ ومملوكٌ ومدبَّرٌ (مربوبٌ) .. فكيف يجوز مع ذلك أنْ يُجاوَز به قدرُه، ويُغالَى فيه،حتى يُعطَى من حقوق وخصائص الربّ الخالق،المالك المدبِّر سبحانه؟

---

[1] صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم: 5063 من حديث أنس ، وصحيح مسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ...، رقم: 1401.

[2] انظر: حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور محمد، (ج 2 /ص 643)، والواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم، للدكتور المرابط، ص 376-378 .

[3] انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، -عرض ونقدٌ- على ضوء الكتاب والسنة، د. الصادق، ص 21 .

ثانيًا: ثم كيف يقوم هو بعبادة الله تعالى على الكمال والتمام -كما سبق-؛ فَيُحبّ خليله المولى سبحانه غاية المحبّة، ويخشاه، ويتّقيه أشد الخشية، ويخضع له ويذلّ له، تمام الذلّ والخضوع. ويأمُر عباد الله تعالى بذلك، وينصح لهم غاية النصح، ويُبلّغ البلاغ المبين .. كيف ومع هذا يَرضى بالْغُلو فيه ، وفِيمَن هو دونه بصَرْف ما لله تعالى من الحقوق والخصائص إلى عباده؟! فالعبد لا يُعبَد!

فإذنْ لازم عبودية الرسول عدم الغلو فيه بحال، بأبِي هو وأمّي، صلوات ربّي وسلامُه وبركاتُه عليه، وآله وصحبه!

ويُعين على فهم هذا الموضوع حقًّا: معرفة حقوق الله تعالى، وحقوق عبده ورسوله الشرعية، وكذلك معرفة خصائصه سبحانه، وخصائص عبده ... وهذا سيأتِي مزيدٌ منه مفصَّلا في المباحث الخمسة الأولى من مباحث الباب الرابع خصوصًا، بل ومباحث الفصل الأول من الباب كلّه.

ثم بعد معرفة هذه الحقوق النبوية الشرعية، والخصائص التي خصّه الله تعالى بِها: يأتِي مرحلة إعطائه هذه الحقوق، واعتقاد ذلك فيه، ووصفه بِخصائصه، دون مجاوزة حدود الشريعة في ذلك.

وحسب ما في الخطة فقد أخرت الجزء الأكبر من الكلام عن الحقوق النبوية بالتفصيل إلى المبحث الثاني من الفصل الثالث في الباب الثانِي، والذي خُصص لشيءٍ من ذلك. كما أنّ كثيرًا من خصائصه الشرعية قد مرّ ذكرها في الفصل الماضي، وسيأتِي بعضها الآخَر، وخصوصًا: الحديث عن عدم اتصافه واستحقاقه لِخصائص الربوبية والإلهية، وذلك في المباحث القادمة.

أما هنا، فسأنقل نقلا واحدًا عن العلامة ابن القيّم -رحمه الله- حيث قام فيه بسبْر الحقوق والخصائص الإلهية، والمصطفوية، ثم قسّمها ثلاثة أقسام حسَب دلالات النصوص؛ فحصل به التمايز بين هذه الحقوق والخصائص، وبه يتضح هذا المبحث، قال في الفصل الذي

عقَده لبيان بَهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات بتنقُّص الرسول ﷺ:

الرب ربٌّ، والرسول فعَبْدُه ... حقًّا، وليس لنا إلهٌ ثان

فلذاك لم نَعْبُده مثل عبادة ... الرحمن فعل المشرك النّصرانِي

كلا، ولم نَغْلُوا الغلوّ كما نَهى ... عنه الرّسول مَخافة الكفران

لله حقٌّ لا يكون لغيره، ... ولعبده حقٌّ، هما حقّان

لا تَجعلوا الْحَقّين حقًّا واحدًا ... من غير تَمييزٍ ولا فرقان

فالحج للرحمن دون رسوله، ... وكذا الصلاة، وذبح ذي القربان

وكذا السجود، ونذرنا، ويَميننا، ... وكذا مثاب العبد مِن عصيان

وكذا التوكل، والإنابة، والتقى، ... وكذا الرجاء، وخشية الرحمن

وكذا العبادة، واستعانتنا به، ... إياك نعبد، ذاك توحيدان

وعليهما قام الوجود بأسره ... دنيا وأخرى، حبذا الركنان!

وكذلك التسبيح، والتكبير، ... والتهليل حق إلَهنا الديان.

لكنما التعزير، والتوقير حقٌّ ... للرسول بِمقتضى القرآن.

والْحُبّ، والإيمان، والتصديق لا ... يختص، بل حقان مشتركان.

هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة ... لا تُجْمِلوها يا أولي العدوان،

حق الإله عبادة بالأمر لا ... بِهوى النفوس، فذاك للشيطان

مِن غير إشراك به شيئًا، هما ... سببا النجاة، فحبذا السببان

ورسوله فهو المطاع، وقوله المقبول؛ ... إذ هو صاحب البرهان

والأمر منه الْحتم لا تخيير فيه ... عند ذي عقل، وذي إيمان

مَن قال قولا غيرَه قُمنا على ... أقواله بالسَّبْر والميزان

إنْ وافقَتْ قولَ الرسول ... فعلى الرؤوس تُشال

وحُكمَه كالتيجان
أو خالَفَت هذا، ردَدناها على مَن قالَها مَن كان؛ مِن إنسان
أو أشْكَلَت عَنّا تَوَقّفنا، ولم نَجْزم بلا عِلمٍ ولا برهان
هذا الذي أدّى إليه علمُنا وبه ندين اللهَ كلّ أوان!
فهو المطاع، وأمرُه العالِي على أمر الورى، وأوامر السلطان
وهو الْمُقدّم في مَحبّتِنا على الـ أهلين، والأزواج، والولدان،
وعلى العباد جميعِهم، حتى على النـ ـفس التي قد ضمّها الْجَنْبَان.
ونظير هذا قول أعداء المسيـ ـح مِن النصارى عابدي الصلبان:
إنا تنقَّصْنَا الْمسيح بقولنا: (عبدٌ)، وذلك غاية النقصان
لو قلْتُم: (ولَدٌ، إلَهٌ، خالقٌ) وفَّيْتُموه حقَّه بوزَان.
وكذاك أشباه النصارى مذ غَلَوا في دينهم بالجهل والطغيان
صاروا معادين الرسول ودينه في صورة الأحباب والإخوان
فانظر إلى تبديلهم توحيده بالشرك، والإيمان بالكفران
وانظر إلى تجريده التوحيد من أسباب كل الشرك بالرحمن
واجمع مقالتهم، وما قد قاله، واستدع بالنَّقَاد والْوَزّان؛
عقلٍ وفطرتِك السليمة، ثم زِنْ هذا وذا، لا تَطْغَ في الميزان
فهناك تعلم أيُّ حِزْبَينا هو الـ متنقص المنقوص ذو العدون
رامي البريء بِدَائِه ومُصابِه فعلَ الْمُباهِت أوقحِ الْحَيَوان

قال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى –رحمه الله- في تعليقه على أبيات الحقوق: «شرع الناظم -رحمه الله- في بيان الحقوق التي لله ورسوله، فذكر: أنّ حق الله سبحانه: هو عبادته بأمره؛ لا بِهوى النفس، وذلك

كالحج، والصلاة، والذبح، والسجود، والنذر، واليمين، والتوبة، والتوكل، والإنابة، والتقى، والرجاء، والخشية، والاستعانة، والتكبير، والتهليل، ونحوها. فكلٌّ هذا حق لله لا يشركه فيه غيرُه لا ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبِيٌّ مُرسَل.
وأما المختص بالرسول ﷺ فهو التعزيز والتوقير كما في قوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [الفتح: ٩]. وأما الحُبّ والإيمان والتصديق فهي مشتركة بين الله ورسوله، فقد وضحت الحقوق الثلاثة، وهذا معنى قوله (هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة) الخ »[1].

واستمَرّ العلامة –رحمه الله- قائلا:

والله لم نَقْصد سوى التجريد ... للتوحيد، ذاك وصيةُ الرحمن
ورضا رسولِ الله مِنّا لا غلوَّ ... الشرك أصلَ عبادةِ الأوثان
واللهِ لو يرضى الرسولُ دعاءَنا ... إيّاه بادَرنا إلى الإذعان
واللهِ لو يرضى الرسولُ سجودَنا ... كنا نَخِرُّ له على الأذقان
واللهِ ما يُرضيه منا غيرُ إخـ ... ـلاص وتحكيمٍ لذَا القرآن
ولقد نَهى ذا الخلق عن إطرائه ... فعلَ النصارى عابدي الصلبان
ولقد نَهانا أنْ نُصيِّر قبْرَه ... عيدًا، حذارِ الشرك بالرحمن
ودعا بألا يُجعل القبر الذي ... قد ضمَّه وثَنًا من الأوثان
فأجاب ربُّ العالَمين دُعاءَه ... وأحاطه بثلاثة الْجُدران
حتى اغْتَدَت أرجاؤُه بدعائِه ... في عِزّةٍ وحِمايَةٍ وصِيَان
ولقد غدا عند الوفاة مصرِّحًا ... باللعن يصرُخُ فيهمُ بِأَذَانِ
وعَنَى الأُلَى جعلوا القبور مساجدًا ... وهم اليهودُ وعابدُو الصلبان
والله لولا ذاك أُبْرِز قَبْرُه ... لكنّهم حجبوه بالْحِيطان
قصَدوا إلى تسنيم حجرته ليمـ ... ـتنع السجود له على الأذقان
قصدوا موافقة الرسول ... ـجريد للتوحيد للرحمن

[1] توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، (ج2 /ص348).

وقصده التـ

يا فرقةً جَهلَت نصوص نبِيّهم وقُصُودَه، وحقيقةَ الإيمان
فسَطَوا علَى أتْبَاعه وجُنُوده بالبغي والعدوان والبهتان
لا تعجلوا وتبينوا وتثبتوا فمصابكم ما فيه من جبران
قلنا الذي قال الأئمة قبلَنا وبه النصوص أتَت على التبيان[1].

وفي هذا الكلام المتين بيان لخصائص الله التي لا يشاركه فيها حتى سيّد الخلق محمد ﷺ، كما أنَّ فيه الحقوق المصطفوية الخاصة، والمشتركة.

وبِهذه المناسبة أقول: مَن فهم هذا الموضِع حق الفهم، استطاع بحول الله تعالى أنْ يَرُدّ على استشكالات في باب الحقوق والخصائص؛ لأنّه –وكما سبق أنْ أوردت في تساؤلات البحث وأسباب اختياره: كان يَجْهَلُ كثيرٌ من المسلمين ولا يُمَيّزون بين ما هو حق الرسول ﷺ، وبين ما هو حق الله على العبيد؛ فنـتج -عن هذا الخلْـط- الغلوُّ في النبيِّ ﷺ.

وأيضًا في كلام العلامة ابن القيّم السابق، **الإشكال المعروف وجوابه**: وهو ما يُصاغ **بـ(هل** إذا كان العبد الرسول محمد ﷺ ليس له مِن خصائص الإلهية والربوبية مِن شيءٍ؛ فما القول في النصوص التي تطلب مِن العباد أنْ يؤمنوا بالله ورسوله،ويصدِّقوا الله ورسولَه، وأنْ يُحبوا الله ورسولَه، ويُعظِّموا الله ورسوله، وأنْ يطيعوا الله ورسولَه، وأنْ يُرضوا الله ورسولَه، وغير ذلك؟ ألا يُعَدُّ ذلك إشراكًا مع الله في هذه العبادات؟؟

وللجواب عن هذا الإشكال: يَجب أنْ يُعرف أنّ ما يدخل في حق الله وحق رسوله لا يخرج عن ثلاثة أصنافٍ –كما سبقت الإشارة إليها-، وبِمعرفتها على ما هي عليه وإعطاء كلٍّ حقَّه يكون الإنسان واقفًا على مراد الله ورسوله من كلامهما، وموحِّدًا:

---

1 (?) الكافية الشافية في انتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، المتن مجرَّدٌ من التعليقات، ص212-215، واقرأ مِن البيت3958-4052 .

الصنف الأول: حقوق لله خاصةً لا يشاركه فيها أحدٌ، وتتمثل في توجيه جميع أنواع العبادة إليه سبحانه اعتقادًا وقولا وعملا، دون صرفها إلى أحدٍ سواه.

الصنف الثاني: حقوق مشترَكة: وهي لله أصالة، ثم إنّه أحقَّها على رسوله لإرساله إيّاه، من المحبة والتعظيم وغير ذلك. وإعطاء الرسول إيّاه لا يُعدُّ شركًا لله تعالى، بل هذا أيضًا مِن طاعة الله.

الصنف الثالث: حقوق الرسول خالصة. وقد فصّلها العلامة في النظم السابق.

يقول الشيخ سليمان –رحمه الله- في شرح باب قول الله تعالى: ﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌ ذاكِرًا قسمَي المحبة وأنواعَها، وهي: **مشتركة، وخاصة**: والمشتركة: **ثلاثة أنواع**: **أحدها:** محبة طبيعية، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، ... و**ثانيها**: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد لولده الطفل، ولا تستلزم التعظيم. **وثالثها**: محبة أنس وألف، وهي محبة المشتركين في صناعة، أو علم، أو مرافقة، أو تِجارةٍ أو سفَرٍ لبعضهم بعضًا، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضًا. قال: « فهذه الأنواع الثلاثة، التي تصلح للخلق، بعضهم من بعض **ووجودها فيهم لا يكون شركًا في محبة اللّه**، ولهذا كان رسول اللّه يُحب الحلواء والعسل، وكان يحب نساءه، وعائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصِّدِّيق [1]. **القسم الثاني**: **المحبة الخاصة** التي لا تصلح إلا للّه، ومتى أحبّ العبدُ بها غيرَه، كان شركًا لا يغفره اللّه، وهي محبة العبودية، المستلزمة للذل، والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره. فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير اللّه أصلاً كما حققه ابن القيم، وهي التي سوَّى المشركون بين اللّه تعالى وبين آلِهتهم فيها، كما قال تعالى في الآية التي ترجم لها المصنف: ﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈ [البقرة: ١٦٥] ... »[2].

1 (?) الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه.
2 (?) تيسير العزيز الحميد، ص 402-404.

وأعود فأقول: لازم عبودية هذا العبد ﷺ عدم الغلو في حقه، بإعطائه فوق خصائص الرسالة، من خصائص الإلهية والربوبية، وهذا سواءٌ كان (العبد) بمعنى (العابد)، أو بمعنى (المعبَّـد)؛ لأنه على الأول، يقال: كيف تعبد غير ربه ﷻ كائنًا ما كان، وتترك الذي هو يعبُدُه؟ أو تعتقد في عبد الله (بمعنى: عابده) خصائص معبوده، وخالقه.
كما أنّه على المعنى الثاني يقال: كيف تعبد عبدًا ومخلوقًا ... مثلَك، وتترك خالقه ومالكه ومدبِّرَه؟ أو تعتقد في مخلوقٍ ما اختصّ به خالقُه ورازقُه؟ وعلى كلٍّ فالعبد لا يُؤلّه!

ثم يُقال في ختام المبحث:

إذا كان لازم عبودية نبينا ﷺ وبشريته هو عدم الغلو فيه، فغيرُه من عبيد الله تعالى من الأنبياء وغيرهم من باب أولى بأن يُلزم عبوديتهم وبشريتهم ومربوبيتهم عدم عبادتِهم والغلو فيهم؛ فلمّا كان رسولنا ﷺ ليس له من الأمر شيءٌ، كما قال تعالى: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ [آل عمران: ١٢٨][1] بل الأمر كلُّه لله ﷻ، كما قال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [آل عمران: ١٥٤] فمَن يكون له الأمر بعده إذاً؛ فلا الأقطاب والأغواث، ولا الأئمة ولا الذين يزعمون أنَّ الله فوَّض إليهم بعض التصُّرف في الكون، من إهداء وإفلاح وإضلال، وإماتة وإحياء، وإنزال المطر والمرض ورفعه وإزالته، وإنبات الزرع، وإيهاب الولد وغير ذلك من صُوَر التصرف في الكون التي اختص بها الربّ الخالق سبحانه .. فعُلم بذلك أنَّ غلو بعض الشيعة في أئمتهم، وبعض الصوفية في أقطابهم، وبعض الفلاسفة في أئمتهم؛ وغيرهم مما سيأتي ذِكرُه لاحقًا، كذِبٌ ظاهرٌ!

وأيضًا لَمّا كان نبيُّنا محمد ﷺ لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله بنوع وحيٍ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره النفع والضَر، إلا ما شاء الله، لقول تعالى: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ

[1] جاء في سبب نزول الآية أنّ النبيَّ ﷺ لَمّا شُج بأحدٍ وكسِرتْ رباعيَّتُه قال: " كَيْفَ تُفْلِحُ أُمَّةٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ " (والحديث متفق عليه، تقدم تخريجه).

ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ
ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ [الأنعام: ٥٠]. وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ
ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ
ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ [الأعراف: ١٨٨]. وقوله: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ
ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ
ﯛ ﭼ [يونس: ٤٩]. وقوله: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ
ﭼ [الجن: ٢١]. فكيف يملك من هو دونه من الصالحين
والطالحين من أئمة أولئك وأولئك وأولئك، لأنفسهم كان
أو لغيرهم نفعًا وضرًّاً؟، وكيف كذلك يعلمون الغيب؟ فُعلم
بذلك كذب مقالاتهم الآتية في الأمرين!

ولَمّا كان نبيُّنا محمد ﷺ لا يستطيع إجابة الداعي وإغاثة
المستغيث، فكيف يستطيع أولئك بمختلف نحلهم إجابة
دعوات الحمقَة السفَهة، وقد قال تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ
ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ[فاطر:13-١٤]. وقال:
ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ
ﯟ ﯠ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ
[الأحقاف: 5-6]. وقال: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ
ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ
ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [الأعراف: 191-194].

وهذا مجمل ما في هذا المبحث. وسيأتِي بسطه في
(فصل الصوفية). والله تعالى أعلم

أما بعد، فقد تبيّن بالمباحث العشرة لِهذا الفصل أنّ
رسولنا محمدًا ﷺ كامل العبودية لله، بل أكمل الناس
عبودية له سبحانه، أكملهم حبًّا له، وذُلا لجنابه، وخوفًا
منه، ورجاء له ولِما عنده، أعلمهم به وأتقاهم له،
وأنصحهم للخلق، فعبوديته ﷺ هي التي يُسمّيها العلماء
عبودية أخصّ خاصة الخاصة، والتي أشاد بها الله في كتابه
ونوّه بها، ومثل ذلك في السنة. فالمؤمنون أولياء الله
وعباده الخاصة، والأنبياء منهم خاصة الخاصة، وهو ﷺ أخصّ
خاصة الخاصة، صلوات ربّي وسلامه وبركاته عليه، لذا
اتخذَ ربَّه خليلا، كما اتخذَه ربُّه هو وإبراهيم خليلَين، ولَم

يتخذ غيرهما، والخلة فوق المحبة، فهو سبحانه يُحبّ أنبياءَه، وجعل خلَّته في عَبْدَيْه دون بقيّتهم!

كما أنّه سبحانه قدّم عبدَه ورسولنَا محمدًا على الأنبياء والمرسلين في الدنيا والآخرة لتكميله وتحقيقه العبودية، فصلوات ربّي وسلامُه وبركاته عليه.

وهنا نهاية هذا الباب، وسأنتقل بعده إلى الباب الثاني، حيث يكون النظر في جانب رسالته عليه الصلاة والسلام.

******** ******** ********

الباب الثانِي: مقام الرّسالة لنبينا محمدٍ ﷺ، وفيه تَمهيدٌ وثلاثة فصول:

التمهيد: الرّسالة اصطفاءٌ مِن الباري، الضرورة إليها، ورحمة الله بِها، وفيه مطلبان.

الفصل الأول: المبشرات والآيات والدلائل لرسالته عليه الصلاة والسلام، وفيه مبحثان.

الفصل الثاني: عموم رسالته عليه الصلاة والسلام، وكمالها، وأنَّه خاتم الأنبياء، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الثالث: لوازم رسالته عليه الصلاة والسلام، وفيه مبحثان.

التمهيد: الرّسالة اصطفاءٌ مِن الباري، الضرورة إليها، ورحمة الله بِها، وفيه مطلبان،

المطلب الأول: الرسالة محض اصطفاء الله للعبد، وليست مكتسبة، وفيه ثلاث مسائل.

المطلب الثاني: ضرورة البشرية إلي الأنبياء عليهم السلام، ورحمة الله بإرسال الرسل والأنبياء؛ وفيه مسألتان.

المطلب الأول: الرسالة محض اصطفاء الله للعبد، وليست مكتسبة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: اصطفاء الله للرسل عليهم السلام.

المسألة الثانية: بيان بطلان قول من زعم أنها مكتسبة.

المسألة الثالثة: شرَف مقام الرسالة وعِظَم قدرها!

المسألة الأولى: اصطفاء الله للرسل عليهم السلام[1]:

النبوة فضلٌ واصطفاءٌ إلَهيّ، وهِبة واختصاصٌ ربَّانِي، ولا تكون بالوراثة، ولا بالاستعلاء وطريق الغلبَة، ولا تُدرك بالتعب والطاعة، ولا بالجد والعبادة، وإنما يجتبِي الله ويختار لها من عباده مَن هم أهلٌ لحملها، لأنها تكليفٌ عظيمٌ، وحملٌ ثقيل، لا يقدر عليها إلا أولو العزم من الرجال[2]، والأصل في هذا الكلام قوله تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂ ﮃﮄﮅﮆﮇﮈﭼ [الحج: ٧٥]. وقوله تعالى: ﭽﯗ   ﯤﯥﯦﯧ   ﭼ [القصص: ٦٨]. وقوله: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﭼ [النمل: ٥٩]. وقوله: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﭼ [الشورى: ١٣].

وقد أخبر سبحانه أنه اصطفى بعض خلقه فجعل فيهم وفي ذريتهم النبوة والكتاب، قال تعالى: ﭽﮈﮉﮊﮋﮌﮍ ﮎﮏﮐﮑﮒﭼ [آل عمران: ٣٣]. وقال: ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛ ﭜﭼ [الأعراف: ١٤٤]. وقال: ﭽﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭼ [النحل: ١٢١].

---

1 (?) انظر: النبـوة والأنبيـاء لمحمد علي الصـابوني، ص10-12، ومحبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، ص21-26.

2 (?) انظر: النبوة والأنبياء، ص10 .

وقال في قصة آدم ﷺ: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [طه: ١٢١ – ١٢٢]. وقال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ [ص: ٤٥ – ٤٧].

وأخبر سبحانه أنّه اصطفى آخرهم محمدًا ﷺ واختصه برحمته، فقال: ﭽ ...ﯼ ﭼ [البقرة: ١٠٥]. وقال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

ولم يكن الفقر واليُتْم يومًا عائقَين من وصول رحمته إلى مصطفاه، قال تعالى رادًا على المشركين اعتراضهم نزول الوحي والرسالة على مَن ليس عنده، ولا يملك من أسباب القوة والغنى شيئًا، ولا من مظاهر السلطان ما يجعله في نظرهم عظيمًا: ﭽ ... ﭼ [الزخرف: ٣١ – ٣٢].

فالرسالة رحمة الله بعباده، فهو يقسِمها بينهم كما يقسم الأرزاق، وهو أعلم حيث يجعل رسالته؛ فالنبوة وإنْ كانت اصطفاءً من الله، ومنحة منه سبحانه إلا أنه لا يختار مِن عباده لها إلا مَن خصّهم بخصائص، وميَّزهم بميزات، وأهلهم بمؤهلات ليست موجودة في سائر البشر، فهو أعلم حيث يجعل رسالته، قال تعالى: ﭽ ... ﭼ [الأنعام: ١٢٤].

وفي حديث وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ** "[1].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « وقوله: ﭽ ... ﭼ أي: هو أعلم حيث يضع رسالته، ومَن يَصلُح لَها مِن خلقه، كما قال تعالى: ﭽ ... ﭼ الآية، يَعْنُون: لولا نَزَل هذا القرآن على رجل عظيم كبير مبجل في أعينهم. ﭽ ﯕ ﯖ ﭼ أي: مكة والطائف؛ وذلك لأنهم -قبَّحهم الله- كانوا يزدرُون بالرسول، صلوات الله وسلامه

[1] صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، رقم: 2276.

عليه، بغْيًا وحسدًا، وعنادًا واستكبارًا، كما قال تعالى مخبرًا عنهم: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ [الأنبياء: ٣٦]. وقال تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [الفرقان: ٤١]. وقال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [الأنعام: ١٠]. هذا وهم يعترفون بفضله وشرفه ونسَبِه، وطهارة بيته ومَرْباه ومنشئه، حتى إنّهم كانوا يسمونه بينهم قبل أنْ يوحى إليه: "الأمين"، وقد اعترف بذلك رئيس الكفار "أبو سفيان" حين سأله "هرقلُ" مِلِكُ الروم: **كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُال: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا؟ قَالَ: قُلْتُ : لاَ**[1]، الحديث بطوله الذي استدل به ملكُ الروم بطهارة صفاته عليه السلام، على صدقه ونبوته، وصحة ما جاء به »[2].

ثم أورد حديث واثلة ﭬ السابق، وستة آثار بعده تدل على أنّ الله اصطفى محمدًا لنفسه، وأنه جعله في خير بيت، وفي خير قرون بنِي آدم، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وعلى آله وصحبه.

وقال –رحمه الله- في تفسير آية الزخرف: « ﭽ ﮩ ﭼ أي: كالمعترضين على الذي أنزله تعالى وتقدس: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ أي: هلا كان إنزال هذا القرآن على رجلٍ عظيم كبير في أعينهم من القريتين! يعنون مكة والطائف. ... قال الله تعالى رادًّا عليهم في هذا الاعتراض: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ ؟ أي: ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلى الله ﻷ، و ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ، فإنّه لا ينـزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم بيتًا، وأطهرهم أصلا. ثم قال تعالى مُبيِّنًا أنه قد فاوَت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من القُوى الظاهرة والباطنة، فقال: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ »[3].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا بردّ الحق الذي جاءت به الرسل، حسَدًا منهم وبغْيًا، فقالوا: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [الأنعام:

---

1 (?) الحديث في الصحيح وقد تقدم تخريجه.
2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج2/ ص233-234) .
3 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ ص159-160) .

١٢٤] مِن النبوة والرسالة. وفي هذا اعتراض منهم على الله، وعُجبٌ بأنفسهم، وتكبُّرٌ على الحق الذي أنزله على أيدي رسله، وتَحجُّرٌ على فضل الله وإحسانه. فردّ الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبَر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا مِن عباد الله الصالحين، فضلا أن يكونوا من النبيين والمرسلين، فقال: ﭽ ﭼ فَمَن عَلِمَه يَصْلُح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خُلُق جميل، ومتبرئ مِن كلّ خُلُق دنِيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمتُه أصلا وتبَعًا، ومَن لم يكن كذلك، لم يضَع أفضل مواهبه عند مَن لا يستأهله، ولا يزكو عنده.
وفي هذه الآية، دليلٌ على كمال حكمة الله تعالى، لأنه وإنْ كان تعالى رحيمًا واسع الجود، كثيرَ الإحسان، فإنه حكيمٌ لا يضع جوده إلا عند أهله »[1].

ولك أنْ تأخُذَ مثلا واحدًا بنبِيٍّ مِن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ ليَظهر فيه أثرُ اصطفاء الله تعالى له؛ ألا وهو رسولنا محمدٌ ﷺ حيث طهّر الله نسبَه -لَمّا اصطفاه، وتعهده برعايته وحِفْظِه منذ صِغَره، وعصَمه مِن كلّ ما يَقدَح في نبوته ودعوته، وعصَمه في التبليغ عنه من الوقوع في الخطأ والنسيان، والكذب والكتمان، وكمّل له المحاسن خَلقًا وخُلُقًا، وشرّفه بنـزول الوحي عليه، بل وجعله خاتم النبيين صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه[2].

المسألة الثانية: بيان بطلان قول من زعم أنها مكتسبة[3]:

قد تنوعت الأدلة في الدلالة على أنّ النبوة ومقامَها رحمةُ الله ومِنّتُه، واصطفاؤُه واجتباؤه، وليست مكتسبة باستعدادات ورياضات، وتربيات ومجاهدات، وقد سبقت

---

1 (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص272 .

2 (?) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع،ص23-26 (استدل بآية أو حديث لكلّ جزئية من الكلام).

3 (?) انظر: المتنـبئون في الإسـلام وخطـرهم على الفكر والمجتمـع، د. غالب عواجي، ص132-133، وفلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، د. عبد الفتاح أحمد، ص149، وعقيدة الأشـاعرة (دراسة نقدية لمنظومة جوهرة التوحيد على ضوء عقيدة أهل السنة)، لحسـان الرديعان، ص381-384 .

الإشارة إلى بعض هذه الدلالات. وأقول هنا مبيِّنًا بطلان الزعم بأنّها مكتسبة، بذكر بعض الأوجُه:

لم يكن نبِيٌّ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتحرّى نزول الوحي عليه، ولا يستعد له، ولا يتصدى له، بل هو محض رحمة الله عليه وعلى العالمين، قال تعالى في حق نبينا : ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ﭼ [القصص: ٨٦]. وكذلك إخوَتُه الأنبياء الآخَرون لم يكونوا يومًا يتحرَّون النبوة.

قال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسيرها: « أي: لم تكن مُتحرِّيًا لنـزول هذا الكتاب عليك، ولا مستعدًا له، ولا مُتَصَدّيًا. ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ بك وبالعباد، فأرسلك بهذا الكتاب، الذي رحِم به العالمين، وعلَّمَهم ما لم يكونوا يعلمون، وزكاهم وعلّمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا مِن قبل لفي ضلال مبين، فإذا علمت أنه أنزل إليك رحمة منه، علمتَ أنَّ جميع ما أمر به ونهى عنه، فإنه رحمة وفضل من اللّه، فلا يكن في صدرك حرَجٌ من شيء منه، وتظن أنّ مُخالفه أصلح وأنفع »[1].

ومما يكسر حجج القائلين بأنّ النبوة مكتسبة بالمجاهدات والرياضات أيضًا، قول الله تبارك وتعالى في قصة عيسى ، وهو في المهد: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ [مريم: ٣٠]. والأعجب مِن ذلك ذكر الله نبوة يحيى بن زكريا عليهما السلام قبل أن يخلقه، وقبل أن يقوم بأي عملٍ ومجاهدة: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ [آل عمران: ٣٩][2].

ومما يؤكِّد هذا الأمر ويدل على أنّ النبوة لا تنال بالاكتساب ما ذكره شيخ الإسلام –رحمه الله- عند ذكره لأوجُه الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء من جانب، وإهانات الكهان من جانب آخر، -وقد ذكَر اثني عشَرَ فرقًا بينها[3]، وحبذا لو تأملناها- فقال: « **الرابع**: أن الكهانة

---

[1] (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص625.

[2] (?) انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة، (ج1 / 345).

[3] (?) انظر إليها مختصـرة في: النبـوات لابن تيمية (ج2/671-674)، و 11فرقًا مفصلة: النبوات، ج3/ص1314-1334).

والسحر يناله الإنسان بتعلمه وسعيه واكتسابه وهذا مُجرَّب عند الناس، بخلاف النبوة؛ فإنه لا ينالها أحد باكتسابه. **الخامس:** أنَّ النبوة لو قُدِّر أنّها تُنال بالكسب، فإنما تنال بالأعمال الصالحة والصدق والعدل والتوحيد، لا تحصل مع الكذب على من دون الله، فضلا عن أن تحصل مع الكذب على الله، فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزم للصدق على الله فيما يخبر به .. »[1].

وقال: « **الرابع:** إنّ آيات الأنبياء والنبوة، لو قُدّر أنها تُنال بالاكتساب، فهي إنما تُنال بعبادة الله وطاعته؛ فإنه لا يقول عاقل: إنّ أحدًا يصير نبيًّا بالكذب والظلم، بل بالصدق والعدل؛ سواءٌ قال: إنّ النبوة جزاء على العمل، أو قال: إنه إذا زكّى نفسه فاض عليه ما يفيض على الأنبياء »[2].

هذا، والذين قالوا بأنّ النبوة مكتسبة هم غلاةٌ من فِرَق الباطنية، وفرق الشيعة الغلاة، وغلاة الصوفية (من تقدم منهم ومن تأخر)، وكذلك الفلاسفة. بل وهناك من المفكرين المعاصرين من يطعن فيما جاء به النبي بزعم أنه اجتهاده الشخصي، ومن مكتسباته البشرية. وكلّ هذه مزاعم باطلة.

ومِن أوجه بطلان هذا الزعم (النبوة مكتسبة) القوية: كونه يؤدي إلى مناقضة ما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من أنه لا نبِيّ بعد النبي الخاتم نبينا محمد . كما أنه حَمل كثيرًا من قائليه –من صوفية ومتفلسفة- إلى دعوى النبوة واكتسابها، وترويض الروح والجسم طلَبًا لها كما سيأتي ذلك لاحقًا. والله المستعان!

وأيضًا فإن ما تقدم في المسألة السابقة صالحٌ لإبطال هذا الزعم. كما سيأتِي لاحقًا –عند الرد على الفلاسفة وغيرهم على هذا الزعم- مزيدُ بيان.

المسألة الثالثة: شرَف مقام الرسالة وعِظَم قدرها!

1 (?) النبوات لابن تيمية (ج2/671-672).
2 (?) النبوات لابن تيمية (ج3/1316).

مقام النبوة والرسالة شريفٌ عند الله وعند الناس، ويدل لذلك عدة وجوه:

الوجه الأول: ما قيل في اشتقاق النبوة: إنه مشتق مِن النَّبْـوَةِ وهو العلو والارتفاع، وعلى هذا فالذي اصطفاه الله بالنبوة لا بد وأنْ يكون عالِي القدر مُعَلاه، رفيـع المنـزلة عنده سبحانه، وعند الناس -المؤمنين به.

وكذلك المصطفى مِن خلق الله لحمل رسالة الله إلى عباد الله يكون شريف القدر والمنـزلة عنده سبحانه، قال تعالى: ﭽچچچچ چچيچيدتدذڈڈ ﭼ [الحج: ٧٥]. وﭽ ﭼ [الأنعام: ١٢٤]. وقد سبق بسط ذلك في المسألة الأولى.

الوجه الثانـي: أنّ الله أمر بالإيمان بهم، وطاعتهم. وذلك من أوجه عظمتهم وشرفهم.

الوجه الثالث: رسول كلِّ قومٍ -لا غيرُه- هو الذي يُقْرَن طاعتُه بطاعة الله ، وأنّه تجبً طاعته طاعة مطلقة في كلّ ما يأمُر به، كما أنّ طاعته طاعة ربِّه، قال تعالى: ﭽﭩﭪ ﯙ ﭼ [النساء: ٦٤]. ﭽ ﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝ ﭼ [النساء:80]. فلا أحدَ جعل الله طاعته طاعة مطلقةً في كلّ ما يأمرُ به إلا أنبياؤُه ورسُلُه عليهم الصلاة والسلام. وما أعظمَه مِن شرَفٍ!

الوجه الرابع: مما يدل على شرف هذا المقام وعِظَم منزلته، أنّ الله جعل سعادة الدنيا والآخرة في اتباع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وضدها في ضدّ ذلك.

الوجه الخامس: من الْمُقرر أنّ الشيء يَشْرُف بشَرفِ ما أضيف إليه[1]، وتأمل هنا الإضافة في لفظة (رسول الله) في مئات الآيات، وآلاف الأحاديث. والله أكبَر وأعظم، ورُسُله شُرَفاءُ عظماءُ؛ لأنّه بالطبع: الذين يُرْسِلُهم ملوك الأرض برسالاتٍ ليَنوبوا عنهم، ويُبلّغوها إلى أقوامٍ، ليسوا كالذين يُرْسَلون من أناسٍ عاديين، .. كما أنّها يُنتقى لكلّ رسالة رسولٌ هو لها، فرُسُل الله سبحانه

---

1 ([?]) مثل بيت الله، وسل الله، وغيرهمـا، انظـر: روضة المحـبين ونزهة المشتاقين لابن القيم (ص379).

أرسَلهم مِلِك الملوك، وأرسَلَهم بِما به –لا بغيره- سعادةُ الدنيا والآخرة، فشرُفوا مِن الجهتين.

الوجه السادس:

المؤمنون بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يشعرون ويؤمنون بعِظَم قدر مَن اختاره الله لحمل رسالته، ويعظمونه، ويعلمون أنه محض اصطفاء من الله لعباده، ولا تُنال بالاكتساب عن طريق الرياضات البدنية، أو التربية الروحية وغير ذلك. واعتبر هذا بالصحابة الكرام ، وكيف عظُمَتْ منزلة نبينا محمدٍ عندهم وفي أعينهم، فكانوا شديدي الحب له ، مشتاقين له، معظِّمين له، حريصين على مجالسته وملازمته وسماع حديثه، مدافعين عنه بالغالي والنفيس، وبالنفس والمال. متأثرين بوفاته.

واعتبر -ثانيًا- بأمته لتدرك مدى منـزلة النبوة عند الخلق، فقد كان المسلمون يتمنّون رؤية النبي بأموالهم وأهليهم، ويشتاقون إلى لقياه، ويغبطون مَن أكرمهم الله بذلك في الدنيا، وهم الصحابة الكرام. كما بدا حرص المحدثين على سماع حديثه؛ فتحملوا الجوع، وقاموا برحلات طويلة ومضنية، وباعوا الممتلكات ليحصل لهم ذلك. كما اعتنَوا هم وعلماء السيرة بتتبع أحواله الجلية والدقيقة بما لم نعرفه في شؤون آبائنا والأقربين. مع الاهتمام الشديد بسيرته عمومًا، وشمائله، وخصائصه، وفضائله، ودلائل نبوته، وحديثه خصوصًا، تأليفًا ودرسًا وتدريسًا، فصدرتْ مؤلفات شاملة لجميع سيرته، أو معالجة لناحية مِن نواحي عظمته. وما هذه الكتب المتـنوعة الأحجام والفنون في السيرة إلا دلائل صدق على محبته في قلوب هذه الأمة، وآية من آيات عظمته ومنـزلته عندهم، وشاهدًا بالتذاذهم بذكره صلوات ربي وسلامه وبركاته عليه، وآله وصحبه[1] .

---

[1] (?) لترى عشرات الأمثلة والشواهد لِما ذكرتُ هنا في هذا الوجه، انظر هـذَين البحـثين، أولهمـا: بعنـوان: منــزلة النـبي عنـد رب العـالمين، للدكتور عبد الرحمن الصالح المحمود، والآخر بعنـوان: منــزلة النـبي عند أصحابه وأمته لشيخي الدكتور محمد الثاني عمر موسـى، (كلاهمـا ضمن كتاب/ التطاول على النبي ، وواجبات الأمة)، من ص11-56 .

هذا، والله أعلم، وصلى الله على رسولنا محمد وإخوته الأنبياء وآله وصحبه وسلم.

المطلب الثاني: ضرورة البشرية إلى الأنبياء عليهم السلام، ورحمة الله بإرسال الرسل والأنبياء؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ضرورة البشرية إلى الأنبياء، وأنَّها فوق كلِّ ضرورة.

المسألة الثانية: رحمة الله للبشرية بإرسال الرسل والأنبياء عليهم السلام.

المسألة الأولى: ضرورة البشرية إلى الأنبياء، وأنَّها فوق كلِّ ضرورة[1]**:**

ويُمكِن أنْ يُعَبَّر عن المسألة أيضًا بـ(ضرورة البشر إلى وحي الله، أو ضرورتِهم وفقرهم إلى عبادة الله تعالى)[2].

ينبَغِي أنْ يُعلَم أنّ البشرية محتاجة بل مضطرة إلى معرفة ما جاء به الأنبياء والمرسلون أعظم من ضرورتها وحاجتها إلى المآكل والمشارب والمناكح، والنوم، وغير ذلك؛ فأعظم هذه الضروريات ما به صلاح الروح والجسد، في الدنيا والآخرة، والذي يتوقف على معرفة ما جاء به الأنبياء والمرسلون، إذْ العقل وحده لا يكفي لإدراك ذلك، كما أنه لا يُمكنه معرفة تفاصيل الأشياء الحسنة، والقبيحة إلا بإيقافه عليها بواسطة الرسل، يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « فَصْل: وَمِنْ هَاهُنَا تَعْلَمُ اضْطِرَارَ الْعِبَادِ فَوْقَ كُلّ ضَرُورَةٍ إلَى مَعْرِفَةِ الرّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ،

---

1 (?) للاستزادة عن هذا الموضوع انظر: بحث شيخ الإسلام في الموضوع، (ج19/ ص99-105)، ومبحث: ضرورة البشرية إلى الرسالات، من كتاب: رسالة خاتم النبيين محمد ﷺ؛ ضرورتها، وطرائق إثباتُها، ولوازمها، د. ثامر بن ناصر بن فهد بن غشيان، ص19-56، وفصل حاجة البشرية إلى الرسل والرسالات من كتاب الرسل والرسالات، أ. د. عمر الأشقر، ص29-41، وفصل حاجة الناس للنبوة من كتاب النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية، ص277-316.

2 (?) انظر: كتاب محبة الله ورسوله ﷺ في الكتاب والسنة د. غسان عبد الرحمن بله، ص136-138، وكتاب دراسات في علوم القرآن الكريم أ. د. فهد الرومي، ص188-191 .

وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ؛ فَإِنّهُ لا سَبِيلَ إلَى السّعَادَةِ وَالْفَلاحِ، لا فِي الدّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ، إلا عَلَى أَيْدِي الرّسُلِ، وَلا سَبِيلَ إلَى مَعْرِفَةِ الطّيّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التّفْصِيلِ إلا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلا يُنَالُ رِضَا اللّهِ أَلْبَتّةَ إلا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالطّيّبُ مِنْ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ وَالأَخْلاَقِ لَيْسَ إلا هَدْيَهُمْ، وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمْ الْمِيزَانُ الرّاجِحُ الّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلاقِهِمْ، تُوزَنُ الأَقْوَالُ وَالأَخْلاقُ وَالأَعْمَالُ، وبمتابعتهم يَتَمَيّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضّلالِ، فَالضّرُورَةُ إلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنِ إلَى نُورِهَا، وَالرّوحِ إلَى حَيَاتِهَا، فأيّ ضرورةٍ وحاجةٍ فُرِضَتْ فضرورة العبد وحاجته إلى الرّسل فوقها بكثيرٍ، وما ظنُّك بِمَن إذا غَابَ عَنْك هَدْيُهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَسَدَ قَلْبُك، وَصَارَ كَالْحُوتِ إذَا فَارَقَ الْمَاءَ، وَوُضِعَ فِي الْمِقْلاةِ. فَحَالُ الْعَبْدِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ قَلْبِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرّسُلُ، كَهَذِهِ الْحَالِ بَلْ أَعْظَمُ، وَلَكِنْ لا يُحِسّ بِهَذَا إلا قَلْبٌ حَيّ، وَ مَا لِجُرْحٍ بِمَيّتٍ إيلامُ.

وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدّارَيْنِ مُعَلّقَةً بِهَدْيِ النّبِيّ ﷺ، فَيَجِبُ عَلَى كُلّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَأَحَبّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا؛ أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ، وَسِيرَتِهِ، وَشَأْنِهِ، مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ. وَالنّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلّ، وَمُسْتَكْثِرٍ، وَمَحْرُومٍ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاَللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »[1].

وقال -رحمه الله- « إنّ حاجة العباد إلى العلم ضروريةٌ فوق حاجة الجسم إلى الغذاء, لأنّ الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرتين, وحاجة الإنسان إلى العلم بعدد الأنفاس, لأنّ كل نفَسٍ من أنفاسه فهو محتاج فيه إلى أن يكون مصاحبًا لإيمانٍ أو حكمة, فإنْ فارَقَه الإيمان أو الحكمة في نفَس من أنفاسه فقد عطب وقرب هلاكه, وليس إلى حصول ذلك سبيل إلا بالعلم, فالحاجة إليه فوق الحاجة إلى الطعام والشراب. وقد ذكر الإمام

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج1/ 69-70).

أحمـد هـذا الْمعـنى بعينـه فقـال: النـاس أحـوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأنّ الطعام والشـراب يُحتـاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يُحتاج إليـه كـل وقتٍ »[1].

ولِماذا حاجة البشرية وضرورتهم إلى الرسالات فوق ضرورتِهم إلى الطعام والشراب والنكاح؟

الجواب –والله أعلم- لأنَّ الإنسان مركَّب من الروح والجسد، وسعادتُه الحقيقية الدنيوية والأخروية مناطة بصلاح قلبه وروحه، وشقاؤه بفسادهما، فـعَن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: ".. **وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْب** "[2].

وكم مِن الناس رأينا، وسَمِعنا، ومع ما مُتِّعوا بِمُتع الدنيا الكثيرة؛ بالأموال والمآكل والملك، لكنّ الشقاء بِهم في الدنيا لصيقًا، وما ذلك إلا لأنه لا دين لهم، فروحهم فارغ، وأخذوا يعبدون الدينار والدرهم وغير ذلك. بل قد وصل ببعضهم أنْ انتحرُوا بدعوى عدم السعادة، ولرجائها في هذا الانتحار، وعقاب مثل هذا في الآخرة أشد. ولِهذا فإنّ أعظم مفسدات القلب على الإطلاق هو راجع إلى التعلق بغير الله تعالى، وعليه بُنِي أساسُ الشرك وقاعدته[3].

أما الذي أصلح الله له روحه فقبِل الإسلام فإنه يسعد دنيا وأخرى. فصار صلاح القلب هو سعادة الدنيا والآخرة، لا صلاح الجسد بلا إيمان. ويُقرر هذا المعنى العلامة ابن القيّم –رحمه الله- فيقول: « ولَمّا كان القلبُ لِهذه الأعضاء كالْمَلِك المتصرف في الجنود الذي تَصدُر كلُّها

---

[1] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (ج1/ 81)، ط/ دار الكتب العلمية.

[2] صحيح البخاري: كتاب الإيمان، بَاب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، رقم: 52، وصحيح مسلم: كتاب المساقاة، بَاب أَخْذِ الْحَلالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، رقم: 1599.

[3] انظر: مدارج السالكين، (ج1/ ص540-541).

عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكُلّها تَحت عُبوديته وقَهْره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتَتْبَعُه فيما يَعقده مِن العَزْم أو يَحُلّه، قال النبي ﷺ: " **ألا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ** "[1] فهو مَلِكُها، وهي الْمُنفِّذَة لِمَا يأمُرُها به، القابلة لِما يأْتِيها مِن هديه، ولا يستقيم لَها شيءٌ مِن أعمالِها حتى تَصْدُر عن قَصْدِه ونِيّته، وهو المسئول عنها كلّها؛ لأنّ كلّ راعٍ مسئولٌ عن رعيته: كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجها أهمّ ما تنسّك به الناسكون، ولَمّا علم عدوُّ الله إبليس أنّ المدار على القلب، والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه، وزيّن له مِن الأحوال والأعمال ما يَصُدّه به عن الطريق، وأمدّه مِن أسباب الغيّ بِما يَقْطَعُه عن أسباب التوفيق، ونصَب له مِن الْمصايد والحبائل، ما إنْ سَلِمَ مِن الوقوع فيها لَم يَسْلَم مِن أنْ يَحصُل له بِها التعويق، فلا نَجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه، في حرَكاتِه وسكنَاته، والتحقّق بِذُلّ العبودية، الذي هو أولى ما تَلَبس به الإنسان، لِيَحصل له دخول ضمان: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﭼ [الحجر: ٤٢]. فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين، وحصولُها سبَبُ تحقيق مقام العبودية لرب العالمين، .. » [2].

وأما عن عنوان المسألة: فإنّ لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بَحْثًا قيّمًا في هذا الموضوع بعنوان: الرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ فِي إِصْلاحِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمعَادِهِ، قال في مطلعه: « فَصْلٌ: وَالرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ فِي إِصْلاحِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَكَمَا أَنَّهُ لا صَلاحَ لَهُ فِي آخِرَتِهِ إلا بِاتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ، فَكَذَلِكَ

---

[1] (?) متفق عليه، وقد تقدم قريبا.

[2] (?) مقدمة إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، (ج1/ص5)، بتحقيق: محمد حامد الفقي.

لا صَلاحَ لَهُ فِي مَعَاشِهِ وَدُنْيَاهُ إلا بِاتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ؛ فَإِنَّ الإِنْسَانَ مُضْطَرٌّ إِلَى الشَّرْعِ؛ فَإِنَّهُ بَيْنَ حَرَكَتَيْنِ: حَرَكَةٌ يَجْلِبُ بِهَا مَا يَنْفَعُهُ؛ وَحَرَكَةٌ يَدْفَعُ بِهَا مَا يَضُرُّهُ. وَالشَّرْعُ هُوَ النُّورُ الَّذِي يُبَيِّنُ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ، وَالشَّرْعُ نُورُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَعَدْلِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَحِصْنِهِ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالشَّرْعِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ بِالْحِسِّ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِلْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ؛ فَإِنَّ الْحِمَارَ وَالْجَمَلَ يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الشَّعِيرِ وَالتُّرَابِ، بَلْ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الأَفْعَالِ الَّتِي تَضُرُّ فَاعِلَهَا فِي مَعَاشِهِ وَمُعَادِهِ، كَنَفْعِ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ؛ وَالْعَدْلِ وَالْبِرِّ وَالتَّصَدُّقِ وَالإِحْسَانِ؛ وَالأَمَانَةِ وَالْعِفَّةِ، وَالشَّجَاعَةِ وَالْحُلْمِ، وَالصَّبْرِ وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَالإِحْسَانِ إلَى الْمَمَالِيكِ وَالْجَارِ، وَأَدَاءِ الْحُقُوقِ، وَإِخْلاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالرِّضَا بِمَوَاقِعِ الْقَدَرِ بِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِحُكْمِهِ وَالانْقِيَادِ لأَمْرِهِ، وَمُوَالاةِ أَوْلِيَائِهِ وَمُعَادَاةِ أَعْدَائِهِ، وَخَشْيَتِهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَالتَّقْوَى إلَيْهِ؛ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، وَاحْتِسَابِ الثَّوَابِ عِنْدَهُ، وَتَصْدِيقِهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِي كُلِّ مَا أُمِرُوا بِهِ، مِمَّا هُوَ نَفْعٌ وَصَلاحٌ لِلْعَبْدِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ. وَفِي ضِدِّ ذَلِكَ شَقَاوَتُهُ وَمَضَرَّتُهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ. وَلَوْلا الرِّسَالَةُ لَمْ يَهْتَدِ الْعَقْلُ إلَى تَفَاصِيلِ النَّافِعِ وَالضَّارِّ فِي الْمَعَاشِ وَالْمُعَادِ، فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَشْرَفِ مِنَّةٍ عَلَيْهِمْ: أَنْ أَرْسَلَ إلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، وَبَيَّنَ لَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَلَوْلا ذَلِكَ لَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ الأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ، بَلْ أَشَرَّ حَالا مِنْهَا، فَمَنْ قَبِلَ رِسَالَةَ اللَّهِ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا فَهُوَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَمَنْ رَدَّهَا وَخَرَجَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ شَرِّ الْبَرِيَّةِ، وَأَسْوَأُ حَالا مِنْ الْكَلْبِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ »[1].

هذا كلّه بالنسبة لضرورة البشرية إلى وجود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عمومًا. وأما عن ضرورتهم إلى وجود نبِيٍّ يخلِّصهم من الفساد العام السائد قبل بعثة

---

1 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج19/ 99-100).

خاتم الأنبياء فيتضح ذلك بِمعرفة أحوال العالم الدينية قبل البعثة المحمديـــــة، فإنه مِن بعد رفع عيسى إلى قبيل البعثـة، وفي كـلّ المجتمعـات[1]، كـان النـاس في حالة لا يُحسَـــدون عليهـــا، فالحالة الدينية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصـــادية والسياســـية في فـــارس والـــروم، والهند والجزيرة العربية في انحطاط وسفول، يقـول العلامة ابن القيم –رحمه اللـــه- في مقدمة الصـــواعق « وأشـــهد أنّ محمـــدًا عبـــدُه ورســـولُه، وأمينُه على وحيـــه، وخيرتُه من خلقـــه، وحجتُه على عبـــاده، فهو رحمتُه المهـــداة إلى العـــالمين، ونعمتُه الـــتي أتَّمها على أتباعه من المؤمـــنين؛ أرسـله على حين فـترة من الرسـل، ودُرُوس من الكتُب، وطُمُوس مِن السُّبُل، وقد استوجَب أهل الأرض أنْ ينـــزل بســـاحتهم العـــذاب، وقد نظر الجبـــار جـــلّ جلاله إليهم؛ فَمَقَتَهُمْ؛ عَرَبَهُمْ وعَجَمهُمْ إِلا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وكـانت الأمم؛ إذ ذاك ما بين مشـــركٍ بـــالرحمن، عابـــدٍ للأوثـــان، وعابدٍ للنـيران، وعابـدٍ للصـلبان، أو عابد للشـمس والقمر والنجوم كافرٍ بالله الحي القيوم، أو تائهٍ في بيـداء ضـلالته حيران، قد اسـتهواه الشـيطان، وسَـدّ عليه طريق الهـدى والإيمـــان، فـــالمعروف عنـــده ما وافق إرادته ورضـــاه، والمنكر ما خـــالف هـــواه، قد تخلى عنه الـــرحمن، وقارنه الخذلان، يسـمع ويبصر بِهـواه لا بمـولاه، ويبطش ويمشي بنفسه وشيطانه لا بالله، فبـابُ الهـدى دونه مسـدودٌ، وهو عن الوصول إلى معرفة ربّه واتباع مرضاته مصدود. فأهل الأرض بين تائِهٍ حـــيران، وعبْـــدٍ للـــدنيا فهو عليها لَهْفَـــان، ومنقـــاد للشـــيطان، جاهل أو جاحد أو مشـــرك بـــالرحمن، فالأرض قد غشِيَتْها ظُلمة الكفر والشرك والجهل والعنـاد، وقد استولى عليها أئمة الكفر وعساكر الفساد وقد اسـتند

---

[1] (?) انظر: تفصيل الحالة الدينية للمجتمع البشري (أهل الكتاب وغيرهم ممن لا كتـــاب لـــه) عند بعثة محمد في كتـــاب اقتضـــاء الصـــراط المستقيم لابن تيمية، ص20، ومقدمة كتاب هداية الحيـارى في أجوبة اليهود والنصـارى، ص14-19)، ومقدمة الكافية الشـافية في الانتصـار للفرقة الناجيـة، (ج1/ ص5-6)، والتمهيد في الأوضـاع الدينية في مكة ويـثرب وجوانبهمـا، ص13-44،من كتـاب الحيـاة التعبدية للرسـول وخلفائه الراشدين .

كلُّ قومٍ إلى ظلمات آرائهم، وحكَمُوا على الله بين عباده بِمقالاتِهم الباطلة وأهوائهم، فَسُوق الباطِلِ نافقةٌ لَها القيام، وسُوق الحق كاسدةٌ لا تُقام؛ فالأرض قد صالت جيوش الباطل في أقطارها ونواحيها، وظنَّت أنّ تلك الدولة تدوم لها، وأنّه لا مَطْمَع لِجند الله وحزبه فيها. فبعث الله رسولَه وأهلُ الأرض أحوجُ إلى رسالتِه مِن غَيث السماء، ومِن نور الشمس الذي يُذهب عنهم حنادس الظلمات، فحاجتُهم إلى رسالته فوق جميع الحاجات، وضرورتُهم إليها مُقدّمة على جميع الضرورات؛ فإنّه لا حياة للقلوب، ولا نعيم، ولا لَذّة، ولا سُرُور، ولا أمانَ، ولا طمأنينة، إلا بأنْ تَعْرِف ربَّها ومعبودَها وفاطرَها بأسْمائه وصفاته وأفعاله، ويكون أحبَّ إليها مما سواه، ويكون سعيُها في ما يُقرّبُها إليه، ويُدنيها مِن مرضاته. ومِن المحال أن تستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أنْ بَعَث الرسل به مُعرّفين، وإليه داعين، ولِمَن أجابَهم مُبشِّرين، ومَن خالَفَهم مُنْذِرين، وجعل مفتاح دعوتِهم، وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ على هذه المعرفة تُبنَى مطالبُ الرسالة جميعها، وإنّ الخوف والرجاء والمحبة، والطاعة والعبودية، تابعة لِمعرفة المرجو المخوف المحبوب، المطاع المعبود »[1].

وقال شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر –حفظه الله- في بيان شدة حاجة البشرية إلى بعثته ﷺ يوم إرساله: وأنّ الْمَنّ به هو أعظم نعمةٍ أنعَم الله بها على هذه الأمة؛ حيث بَعَث فيها رسوله الكريم محمدًا ﷺ، لِيُرشد إلى كلّ نافع في الحاضر والمستقبل، ويُحذّر مِن كلّ ضارٍ في العاجل والآجل، فأرسله على حين فترة من الرّسل، واندراسٍ من الكتب، في وقتٍ انتشرتْ فيه الضلالة، وعمّت فيه الجهالة، وبلغت البشرية منتهى الانحطاط في العقائد والعادات والأخلاق؛ فأخرجهم به مِن هوّة الضلالة،

[1] الصواعق المنزلة لابن القيم، (ج1/ـ 59-61) بتحقيق: د. أحمد عطية الغامدي والدكتور علي الفقيهي.

ورفعهم إلى صرح العلم والهداية، فأزاح به عن النفوس تعلُّقها بغير خالقها وفاطرها سبحانه وتعالى، ووجهها إليه بقلبه وقالبِها حتى لا يكون فيها محل لغيره سبحانه، بل تكون معمورة بحبِّه، وخوفه ورجائه، والتوكُّل عليه، والإنابة إليه، تستسلم لأوامره، وترعوي عن زواجره ونواهيه [1].

والأدلة الشرعية تدل على أنّ الناس بجميع أجناسهم قبل بعثته كانوا أجمعين على الضلال المبين[2]، إلا بعض الذين بقُوا على دين إبراهيم الحنيف، منها:

أولا: أنه خَتَم الله آيتَي مَنِّه سبحانه برسوله محمدٍ على المؤمنين، ببعثته في الأميين رسولا منهم، ختمهما بقوله: ﭽ   ﭼ [3].

ثانيًا: ما جاء عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ المجاشعي ، أَنَّ النَّبِيَّ خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: " **إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي فِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عِبَادِي حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ؛ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَأَضَلَّتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ؛ عَجَمِيَّهُمْ وَعَرَبِيَّهُمْ إلا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** " [4].

فالضرورة إلى وجود هذا الْمُخَلِّص وإلى هذا السّراج يوم بعثته فوق كلِّ الحاجات، وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- فقال: « .. ولِهذا سَمّاه الله سِراجًا منيرًا، وسَمّى الشمس سراجًا وهّاجًا، والخلق يحتاجون

---

[1] (?) انظر: من أخلاق الرسول الكريم ، ص11 .

[2] (?) انظر: مطلع سنن الدارمي/ (باب ما كان عليه الناس قبل مبعث النبي من الجهل والضلالة) ثم أورد أحاديث بذلك، ص16، و: من أخلاق الرسول الكريم (تحت عنوان: شيءٌ من أمراض القلوب التي انتشرت قُبَيل بعثته وكيف عالجها صلوات الله وسلامه عليه)، ص11-15 .

[3] (?) سورة آل عمران: ١٦٤، وسورة الجمعة: ٢ .

[4] (?) الحديث في صحيح مسلم، وقد سبق تخريجه.

إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السِّراج الوَهّاج، فإنّ الوَهّاج يَحتاجون إليه في وَقتٍ دون وقتٍ، وكما قيل: قد يَنضَرُّون به بعض الأوقات، وأما السّراج المُنير فيحتاجون إليه كلّ وقت، وفي كلّ مكان ليلا ونهارًا، سرًّا وعلانية »[1].

والمَنُّ والنعمة به أعظم نِعَم الله على العباد، قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله-: « فإنّ النّعمة على الأمة بإرساله أعظم مِن النّعمة عليهم بإيجاد السماء والأرض، والشمس والقمر، والرياح، والليل والنهار، وإنزال المطر وإخراج النبات، وغير ذلك؛ فإنّ هذه النِّعَم كلها قد عمَّتْ خلْقًا مِن بنِي آدم كفروا بالله وبرُسُله وبلقائه، فبدّلوا نعمة الله كفرًا. فأمّا النّعمة بإرسال محمدٍ فإنّ بِها تَمّت مصالحُ الدنيا والآخرة، وكمُل بسببها دينُ الله الذي رضِيَه لعباده، وكان قبولُه سببَ سعادتِهم في دنياهم وآخرتهم »[2].

وقال شيخ الإسلام في رسالته السابقة: « فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولا مِنْ أَنْفُسِنَا يَتْلُو عَلَيْنَا آيَاتِ اللَّهِ، وَيُزَكِّينَا وَيُعَلِّمُنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كُنَّا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ، وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: ﭽ... ﭼ [الأعراف: ٤٣]. وَالدُّنْيَا كُلُّهَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلا مَا أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ، وَأُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَيْهَا، وَلا بَقَاءَ لأَهْلِ الأَرْضِ إلا مَا دَامَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مَوْجُودَةً فِيهِمْ، فَإِذَا دَرَسَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مِنْ الأَرْضِ، وانمحت بِالْكُلِّيَّةِ، خَرَّبَ اللَّهُ الْعَالَمَ الْعُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ،وَأَقَامَ الْقِيَامَةَ »[3].

وقال أيضًا: « وَلَيْسَتْ حَاجَةُ أَهْلِ الأَرْضِ إلَى الرَّسُولِ كَحَاجَتِهِمْ إلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالرِّيَاحِ، وَالْمَطَرِ، وَلا كَحَاجَةِ الإِنْسَانِ إلَى حَيَاتِهِ، وَلا كَحَاجَةِ الْعَيْنِ إلَى ضَوْئِهَا، وَالْجِسْمِ إلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَشَدُّ حَاجَةً مِنْ كُلِّ مَا يُقَدَّرُ وَيَخْطُرُ بِالْبَالِ، فَالرُّسُلُ

---

1 (?) الجواب الصحيح، (ج3/ 121) .

2 (?) لطائف المعارف فيما لمواسم العام مِن المعارف، ص114 .

3 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج19/ 100).

وَسَائِطُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَهُمْ السُّفَرَاءُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ. وكانَ خَاتمُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى رَبِّهِ: مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ** "[1]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﭽﮑﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﭼ [الأنبياء: ١٠٧]. وَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ: " **إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إلا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** "، وَهَذَا الْمَقْتُ كَانَ لِعَدَمِ هِدَايَتِهِمْ بِالرُّسُلِ، فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَذَا الْمَقْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَبَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَمَحَجَّةً لِلسَّالِكِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلائِقِ أَجْمَعِينَ، وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ، وَالْقِيَامَ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِ، وَسَدَّ إِلَيْهِ جَمِيعَ الطُّرُقِ؛ فَلَمْ يَفْتَحْ لأَحَدٍ إلا مِنْ طَرِيقِهِ، وَأَخَذَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ بِالإِيمَانِ بِهِ، وَاتِّبَاعِهِ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهَا عَلَى مَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ. أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَخَتَمَ بِهِ الرِّسَالَةَ؛ وَهَدَى بِهِ مِنْ الضَّلالَةِ، وَعَلَّمَ بِهِ مِن الْجَهَالَةِ، وَفَتَحَ بِرِسَالَتِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا؛ فَأَشْرَقَتْ بِرِسَالَتِهِ الأَرْضُ بَعْدَ ظُلُمَاتِهَا، وَتَأَلَّفَتْ بِهَا الْقُلُوبُ بَعْدَ شَتَاتِهَا، فَأَقَامَ بِهَا الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، وَأَوْضَحَ بِهَا الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ، وَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ؛ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ، وَدُرُوسٍ مِنْ الْكُتُبِ؛ حِينَ حُرِّفَ الْكَلِمُ، وَبُدِّلَتْ الشَّرَائِعُ، وَاسْتَنَدَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى أَظْلَمِ آرَائِهِمْ، وَحَكَمُوا عَلَى اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ بِمَقَالاتِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَأَهْوَائِهِمْ؛ فَهَدَى اللَّهُ بِهِ الْخَلائِقَ، وَأَوْضَحَ بِهِ الطَّرِيقَ، وَأَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَأَبْصَرَ بِهِ مِنْ الْعَمَى، وَأَرْشَدَ بِهِ مِنْ الْغَيِّ، وَجَعَلَهُ قَسِيمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ،

---

[1] أخرجه الدارمي في سننه: في باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ مرسلا عن الأعمش عن أبي صالح، رقم: 15، والحاكم في المستدرك: موصولا عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، (كتاب الإيمان، رقم: 100، وصححه ووافقه الذهبي) وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة، ج 2/ ص882 وما بعده، رقم: 490).

وَفَرَّقَ مَا بَيْنَ الأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَجَعَلَ الْهُدَى وَالْفَلاحَ فِي اتِّبَاعِهِ وَمُوَافَقَتِهِ، وَالضَّلالَ وَالشَّقَاءَ فِي مَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ، وَامْتَحَنَ بِهِ الْخَلائِقَ فِي قُبُورِهِمْ؛ فَهُمْ فِي الْقُبُورِ عَنْهُ مَسْئُولُونَ، وَبِهِ مُمْتَحِنُونَ، .. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ الْقُرْآنِ، وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ، وَقَرَنَ بَيْنَ مُخَالَفَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ، كَمَا قَرَنَ بَيْنَ اسْمِهِ وَاسْمِهِ؛ فَلا يُذْكَرُ اللَّهُ إلا ذُكِرَ مَعَهُ، .. فَلا يَصِحُّ الإِسْلامُ إلا بِذِكْرِهِ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ. وَكَذَلِكَ لا يَصِحُّ الأَذَانُ إلا بِذِكْرِهِ وَالشَّهَادَةِ لَهُ، وَلا تَصِحُّ الصَّلاةُ إلا بِذِكْرِهِ وَالشَّهَادَةِ لَهُ، وَلا تَصِحُّ الْخُطْبَةُ إلا بِذِكْرِهِ وَالشَّهَادَةِ لَهُ. وَحَذَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ الْعَذَابِ وَالْكُفْرِ لِمَنْ خَالَفَهُ، .. وَكَذَلِكَ أَلْبَسَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، .. وَكَمَا أَنَّ مَنْ خَالَفَهُ وَشَاقَّهُ وَعَادَاهُ هُوَ الشَّقِيُّ الْهَالِكُ، فَكَذَلِكَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَعَمَّا جَاءَ بِهِ، وَاطْمَأَنَّ إلَى غَيْرِهِ، وَرَضِيَ بِهِ بَدَلا مِنْهُ هُوَ هَالِكٌ أَيْضًا؛ فَالشَّقَاءُ وَالضَّلالُ فِي الإِعْرَاضِ عَنْهُ، وَفِي تَكْذِيبِهِ، وَالْهُدَى وَالْفَلاحِ فِي الإِقْبَالِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَالأَقْسَامُ ثَلاثَةٌ: الْمُؤْمِنُ بِهِ، وَهُوَ: الْمُتَّبِعُ لَهُ، الْمُحِبُّ لَهُ، الْمُقَدِّمُ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ. وَالْمُعَادِي لَهُ، وَالْمُنَابِذُ لَهُ، وَالْمُعْرِضُ عَمَّا جَاءَ بِهِ، فَالأَوَّلُ هُوَ السَّعِيدُ، وَالآخَرَانِ هُمَا الْهَالِكَانِ. فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ، الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَأَنْ يُحْيِيَنَا عَلَى سُنَّتِهِ، وَيَتَوَفَّانَا عَلَيْهَا، لا يُفَرِّقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا؛ إنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، وَأَهْلُ الرَّجَاءِ »[1].

فائدة وتتمة:

قد تسرَّبَت حاجةُ البشرية وضرورتهم إلى الوحي وإلى النبي محمدٍ لصلاح المعاش والمعاد بعده إلى حاجتهم إلى العلماء بالله وبأمره (شرعه)؛ حيث تضطر البشرية إلى مَن يُعرِّفُهم بالله وبشرعه، وهذه الحاجة راجعةٌ إلى حاجتهم إلى الأنبياء متقدم الذكر، يقول الشيخ محمد بن الحسين الآجري (ت360) –رحمه الله-: « فما

---

1 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج19/ ص100-105).

ظنكم -رحمكم الله- بطريق فيه آفاتٌ كثيرةٌ، ويَحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فإنْ لم يكن فيه مصباحٌ، وإلا تَحيَّـرُوا، فقيَّض الله لَهم فيه مصابيح تُضيء لهم، فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت طبَقاتٌ من الناس لا بُدّ لَهم من السلوك فيه، فسلكوا، فبينما هم كذلك، إذ طفئت المصابيح، فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بِهم؟ هكذا العلماء في الناس لا يعلم كثيرٌ من الناس كيف أداء الفرائض، وكيف اجتناب المحارم، ولا كيف يعبد الله في جميع ما يعبده به خلقُه، إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تَحيَّر الناس، ودَرَسَ العلم بِموتهم، وظهَر الجهل، فإنا لله وإنا إليه راجعون؛ مصيبةٌ ما أعظمَها على المسلمين؟ »[1].

وقال العلامة ابن القيم –رحمه الله- في بيانه لقسمَي التبليغ عن الرسول ، وأنهما تبليغٌ للألفاظ وما جاء به، وتبليغ المعاني: «.. الْقِسْمُ الثَّانِي: فُقَهَاءُ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ دَارَتْ الْفُتْيَا عَلَى أَقْوَالِهِمْ بَيْنَ الْأَنَامِ، الَّذِينَ خُصُّوا بِاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ، وَعَنَوْا بِضَبْطِ قَوَاعِدِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ فَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، بِهِمْ يَهْتَدِي الْحَيْرَانُ فِي الظَّلْمَاءِ، **وَحَاجَةُ النَّاسِ إلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَطَاعَتُهُمْ أَفْرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ بِنَصِّ الْكِتَابِ،** قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: چ[illegible]چ [النساء: ٥٩]. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُجَاهِدٌ فِي إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ: أُولُو الْأَمْرِ هُمِ الْعُلَمَاءُ، وَهُوَ إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَالسُّدِّيُّ وَمُقَاتِلٌ: هُمْ الْأُمَرَاءُ، وَهُوَ الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ عَنْ أَحْمَدَ. **وَالتَّحْقِيقُ** أَنَّ الْأُمَرَاءَ إنَّمَا يُطَاعُونَ إذَا أَمَرُوا بِمُقْتَضَى الْعِلْمِ؛ فَطَاعَتُهُمْ تَبَعٌ لِطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ؛ فَإِنَّ الطَّاعَةَ إنَّمَا تَكُونُ فِي الْمَعْرُوفِ،

---

[1] أخلاق العلماء للآجري، ص33، بتحقيق: أمينة عمر خراط.

وَمَا أَوْجَبَهُ الْعِلْمُ، فَكَمَا أَنَّ طَاعَةَ الْعُلَمَاءِ تَبَعٌ لِطَاعَةِ الرَّسُولِ، فَطَاعَةُ الأُمَرَاءِ تَبَعٌ لِطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ، وَلَمَّا كَانَ قِيَامُ الإِسْلامِ بِطَائِفَتَيْ الْعُلَمَاءِ وَالأُمَرَاءِ، وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَهُمْ تَبَعًا، كَانَ صَلاحُ الْعَالَمِ بِصَلاحِ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ، وَفَسَادُهُ بِفَسَادِهِمَا، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَغَيْرُهُ مِنْ السَّلَفِ: صِنْفَانِ مِنْ النَّاسِ إذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْمُلُوكُ، وَالْعُلَمَاءُ، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْت الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِك عِصْيَانُهَا

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إلا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا»[1].

المسألة الثانية: رحمة الله للبشرية بإرسال الرسل والأنبياء عليهم السلام:

من المعلوم أنّه كلما كان ضرورة الخلق إلى شيءٍ أعظم، وحاجتهم إليه أشدّ كلما كان الْمَنُّ به من الله أوفر، وتسخيره لهم أوجَد، فاعتبر في ذلك بالهواء الذي يستنشقه العباد، والماء الذي يشربونه، وهذان لصلاح معاشهم. أما بعثة الرسل فللدلالة على الله وعلى مراضيه ومحابه تحقيقًا لكلمة لا إلـه إلا الله، والتي بها -لا بغيرها- صلاح معاش العباد ومعادهم، ودينهم ودنياهم وآخرتهم، فقد كانت رحمة الله بذلك أعظم، فقد أرسل رُسُله تترى، وخلل بينهم بمجيء الأنبياء عليهم السلام لإرشادهم إلى كلّ ما هو لهم نافع، وأعظم ذلك: التوحيد، وتحذيرهم عن كلّ ما هو لهم ضارٌ، وأعظم ذلك: الشرك، ليسعدوا ولا يشقون، وليفوزوا -إذا اتبعوهم- ولا يخسرون، فمنهم مَن هدى الله ومنهم مَن حقت عليه الضلالة، قال تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﭼ [النحل: ٣٦].

---

[1] (?) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ج1/ص7-8).

قال العلامة ابن أبي العز –رحمه الله- بعد أشار إلى شرف عِلْم أُصُولِ الدِّينِ ذاكِرًا الحاجة إليه، ورحمة الله بإرسال الرسل للتعريف بالدين: « وَحَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، وَضَرُورَتُهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ لأَنَّهُ لا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلا نَعِيمَ وَلا طُمَأْنِينَةَ، إلا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا وَمَعْبُودَهَا وَفَاطِرَهَا؛ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيَكُون مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِمَّا سِوَاهُ، وَيَكُون سَعْيُهَا فِيمَا يُقَرِّبُهَا إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ. وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَسْتَقِلَّ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَإِدْرَاكِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَاقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أَنْ بَعَثَ الرُّسُلَ بِهِ مُعَرِّفِينَ، وَإِلَيْهِ دَاعِينَ، وَلِمَنْ أَجَابَهُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلِمَنْ خَالَفَهُمْ مُنْذِرِينَ، وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ، وَزُبْدَةَ رِسَالَتِهِمْ، مَعْرِفَةَ الْمَعْبُود سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِذْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ تُبْنَى مَطَالِبُ الرِّسَالَةِ كُلِّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ أَصْلانِ عَظِيمَانِ: **أَحَدُهُمَا:** تَعْرِيفُ الطَّرِيقِ الْمُوصلِ إِلَيْهِ، وَهِيَ شَرِيعَتُهُ الْمُتَضَمِّنَةُ لأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. **وَالثَّانِي:** تَعْرِيفُ السَّالِكِينَ مَا لَهُمْ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ. فَأَعْرَفُ النَّاسِ بِاللَّهِ ﷻ أَتْبَعُهُمْ لِلطَّرِيقِ الْمُوصلِ إِلَيْهِ، وَأَعْرَفُهُمْ بِحَالِ السَّالِكِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ. وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ مَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ رُوحًا،لِتَوَقُّفِ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ عَلَيْهِ،وَنُورًا لِتَوَقُّفِ الْهِدَايَةِ عَلَيْهِ»[1].

فالرحيم المنّان سبحانه يجود بِما اشتدت الحاجة إليه، كالشمس لصلاح المعاش، والنّبوة لصلاح المعاش والمعاد، قرر هذا المعنى شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا؛ فإنّ الله يَجود به على عباده جودًا عامًّا مُيسَّرًا. فلمَّا كانت حاجتُهم إلى النّفَس أكثَر مِن حاجتهم إلى الماء، وحاجتُهم إلى الماء أكثر مِن حاجتهم إلى الأكل، كان سبحانه قد جاد بالْهوَاء جودًا عامًّا في كلّ مكان وزمان؛ لضرورة الحيوان إليه، ثم الماء دونه، ولكنّه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر؛ لأنّ الحاجة إليه أشد. فكذلك دلائل الربوبية، حاجة الخلق إليها

---

[1] (?) شرح العقيدة الطحاوية، (ج1/ ص109-110).

في دينهم أشد الحاجات، ثم دلائل النبوة، فلِهذا يسّرها الله وسهّلها أكثر مما لا يحتاج إليه العامة؛ »[1].

فبِهذه الرحمة أرسل سبحانه الرسل تتْرا: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭼ [المؤمنون: ٤٤]. إلى أنْ ختمهم بالرحمة المهداة، ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [يونس: ٥٧ – ٥٨] . وقال بخصوصه أيضًا: ﭽﮐﮑﮒﮓﮔﭼ [الأنبياء: ١٠٧].

ونسأله سبحانه أنْ يُعيننا على اتباعه: ﭽ ﭼ [آل عمران: ٨].

فثَبَت بِهذا أنّه كلما كانت ضرورة الناس إلى شيءٍ أعظمَ، وكان المتفضّل به أرحم الراحمين سبحانه، كلما كان وجوده أسهل، وهذا من رحمة اللطيف بعباده، فاعتبر بالنفَس وسهولته، ونظيره بل فوقه كلمة لا إله إلا الله، وبعثة المرسلين بِها، فلما كانوا لا يصلحون في الدنيا والآخرة إلا بها لطَف الله بعباده فأرسلهم رحمة من عنده، ومنًّا منه على مَن يشاء مِن عباده. وهذا بخلاف أهل الدنيا فلبخلهم بل وشحهم يحتكرون المحتاج إليه وقت حاجته.

وفي نِهاية هذا المطلب: أقول: قد اتضح أنّ ضرورة البشرية إلى الرسالات فوق كلّ ضرورة؛ لتوقف السعادة الأبدية عليها، وأنّ الله تعالى رحِم الخلق فجاد بِها أعظم جود، إلى أن انتهت برسالة خاتم الأنبياء نبينا محمدٍ ، والذي لا سعادة لأحدٍ إلا باتباعه، أعاننا الله على ذلك.

** * **

[1] (?) الجواب الصحيح، (ج3/ص 254).

المبحث الأول: البشارات والْمُبشّرات بنُبوّته عليه الصلاة والسلام، وفيه مطلبان،

المطلب الأول: البشارات بالنبِيِّ محمدٍ ﷺ في الكتب السماوية، وفيه تمهيدٌ، ومسألتان،

التمهيد: دلالة القرآن والسنة على بشارات التوراة والإنجيل بالنبِيِّ الخاتم ﷺ [1]:

قد أشار القرآن والسنة النبوية الصحيحة إلى بشارة الرسالات السابقة بنبوة نبيِّنا محمدٍ ﷺ، بل صرّحت نصوصٌ أُخرى بذلك، وهذا وجهٌ من دلائل نبوَّته، وهنا سأُشير إلى شيءٍ من إشارات القرآن والسنة وتصريحاتهما بِهذه البشارات، فقد أشار الله تعالى إلى كتابه، وهو القرآن، وأنه مُصدِّقٌ لِما مع اليهود وغيرهم، فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ
ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [البقرة: ٨٩].

[1] للاستزادة انظر: دلائل النبوة للبيهقِي، باب صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب، وصفة أمته، (ج1/ ص296-303)، كما أنه قد بيّن هذه الإشارة وأورد أدلتها الشيخ الشوكاني – رحمه الله- في كتابه: إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والنبوات والمعاد (إحالة قادمة).

فقد أورد المفسّرون في تفسير الآية، وقبلهم ابْنُ إسْحَاقَ بسنده إلى ابْنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما، « أَنّ يَهُودَ كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بِرَسُولِ اللّهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، فَلَمّا بَعَثَهُ اللّهُ مِنْ الْعَرَبِ كَفَرُوا بِهِ، وَجَحَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَبِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ -أَخُو بَنِي سَلِمَةَ-: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! اتّقُوا اللّهَ وَأَسْلِمُوا، فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمّدٍ، وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ، وَتُخْبِرُونَنَا: أَنّهُ مَبْعُوثٌ وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَّتِهِ، فَقَالَ سَلامُ بْنُ مِشْكَمٍ -أَحَدُ بَنِي النّضِيرِ-: مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وَمَا هُوَ بِالّذِي كُنّا نَذْكُرُهُ لَكُمْ، فَأَنْزَلَ اللّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ .. الآية[1].

وفي شأن القبلة، وأنّ أهل الكتاب يعرفون أنّ تولية النبيِّ القبلة التي يرضاها هو الحق مِن ربه، قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ [البقرة:144-١٤٥].

وفي أنّ أهل الكتاب يعرفون هذا النبِيَّ -مِن كُتُبهم- بصفاته كما يعرفون أبناءهم، إلا أنّ بعضهم يكتم الحق، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [البقرة: ١٤٦]. وقال: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [آل عمران: ٨١]. وقال في مؤمني أهل الكتاب: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [المائدة:83-٨4].

وفي بيان علم أهل الكتاب بأنّ هذه النبوة حَقَّة، وهذا الوحي حقٌّ، قال سبحانه: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ [الأنعام: ١١٤]. وقال وهو يذكُر أنّ أهل الكتاب وجدوا صفته في كُتُبهم: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ [الأعراف: ١٥٧][2].

[1] نقله عنه ابن هشام في: السيرة النبوية (ج2/ ص547)، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير،(ج1/ص166).

[2] انظر تفسير الآية: في تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ص 335-339).

وقال: ﭽ ﮪ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ [يونس: ٩٤]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [الرعد: ٤٣]. وقال: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الإسراء:107]وآيتين بعدها.
وقال: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الشعراء: ١٩٧]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [القصص:51-54].

ووُصِـفَت صحابة الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل بصفاتِهم التي وُصِفُوا بِها في القرآن: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الفتح: ٢٩].

وحكى سبحانه بشارة عيسى ﷺ به، وهو مِن أوضح هذه النصوص: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [الصف: ٦] الآية. وقد أورد البخاري –رحمه الله- في تفسير الآية حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " **لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ؛ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ** ...الحديث[1].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-:«..وأنا مُبَشِّرٌ بِمَنْ بعدي، وهو الرسول النبِيُّ الأمِّيّ العرَبِي المكِّي أحمد. فعيسى ﷺ هو خاتم أنبياء بنِي إسرائيل،وقد أقام في ملأ بنِي إسرائيل مُبشِّرًا بِمحمدٍ وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نُبُوّة،..»[2].

ومن الأحاديث التي تدخُل في تفسير الآية الأخيرة، وهي تشير إلى هذه البشارات التي أنا بصددها: ما تقدم من حديث العرباض بن سارية، وأبِي أُمَامَةَ ﷺ، مرفوعًا: " **أنا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، ...** " الحديث[3]. **وهذا هو الحديث الأول.**

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير –سورة الصف، بَاب قَوْله تَعَالَى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ ، رقم: 4896، وقبله في كتاب المناقب، بَاب مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم: 3532، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَاب فِي أَسْمَائِه ﷺ، رقم: 2354.

2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ ص460).

3 (?) سبق تخريج الحديث، والحكم عليه، (وذكر شواهده الشيخ الألباني –رحمه الله- في السلسلة الصحيحة، -ج4/ـ 62 وما قبله بثلاث

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- بعدما سرَد جُملة من الروايات المبشِّرة به ﷺ: « والمقصد أنّ الأنبياء عليهم السلام لم تزل تَنْعَتُه، وتحكيه في كُتُبها على أممها، وتأمرُهم باتباعه ونصره، وموازرته إذا بُعث. وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده، حين دعا لأهل مكة أن يَبْعَث الله فيهم رسولا منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم؛ ولِهذا قالوا: "أخبرنا عن بَدْء أمرك؟" يعني: في الأرض، قال: "**دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشارَة عِيسَى ابن مريم، ورؤيا أمي التي رأت**" أي: ظهر في أهل مكة أثر ذلك،.. صلوات الله وسلامه عليه »[1].

الحديث الثانِي: عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: « جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ؛ صَاحِبَا نَجْرَانَ[2]، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لا تَفْعَلْ فَوَ اللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاعَنَّا لا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلا أَمِينًا، وَلا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلا أَمِينًا، فَقَالَ: "**لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**، ...الحديث[3]. وآيات المباهلة كان نزولها بسبب هؤلاء النصارى.

صفحات- ورقمها: 1545، و1546) .

[1] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ ص461).

[2] (?) قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَوْله : (جَاءَ السَّيِّد وَالْعَاقِب صَاحِبَا نَجْرَان) أَمَّا السَّيِّد فَكَانَ اسْمه أَيْهَم بِتَحْتَانِيَّةٍ سَاكِنَة وَيُقَال شُرَحْبِيل، وَكَانَ صَاحِب رِحَالهمْ وَمُجْتَمَعهمْ وَرَئِيسهمْ فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا الْعَاقِب فَاسْمه عَبْد الْمَسِيح وَكَانَ صَاحِب مَشُورَتهمْ، وَكَانَ مَعَهُمْ أَيْضًا أَبُو الْحَارِث بْن عَلْقَمَة وَكَانَ أُسْقُفهمْ وَحَبْرهمْ وَصَاحِب مِدْرَاسهمْ . قَالَ ابْن سَعْد : دَعَاهُمْ النَّبِيّ ﷺ إِلَى الإِسْلام، وَتَلا عَلَيْهِمْ الْقُرْآن فَامْتَنَعُوا، فَقَالَ: إِنْ أَنْكَرْتُمْ مَا أَقُول فَهَلُمَّ أُبَاهِلُكُمْ، فَانْصَرَفُوا عَلَى ذَلِكَ. قَوْله: (يُرِيدَانِ أَنْ يُلاعِنَاهُ) أَيْ يُبَاهِلاهُ، وَذَكَرَ ابْن إِسْحَاق بِإِسْنَادٍ مُرْسَل أَنَّ ثَمَانِينَ آيَة مِنْ أَوَّل سُورَة آلَ عِمْرَان نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ، يُشِير إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿...﴾ [آل عمران: ٦١]. الآيَة » (فتح الباري، ج3/ ص3040).

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، رقم: 4380، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبِي عبيدة ابن الجراح، رقم: 2420 .

الحديث الثالث: ما رواه البخاري[1] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسيأتِي لفظه في شرح البشارة الثالثة، من بشارات التوراة بنبينا محمدٍ .

الحديث الرابع: وفي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ في قصة بدْءِ الْوحْي: « . . ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ، بنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ؛ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ[2] مِنْ الإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ: ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ! فَقَالَ وَرَقَةُ: ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ مَا رَأَى؛ فَقَالَ وَرَقَةُ[3]: « هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟** فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ »[4].

الحديث الخامس: ما سبق، وثبت في كُتُب السِّيَر والحديث من إسلام النجاشي (الحَبر النصرانِي) وتصديقه بالنبي وهو في الحبشة لم يشاهد النبي، وإنما وصل إليه بعض أصحابه، وسمع ما تَلَوه عليه من سورة مريم، فآمن وصدّق؛ وذلك لأنّ الذي قالوه في ابن مريم يتوافق مع الذي قرأه في الإنجيل: وفي هذه القصة: قَالَ النجاشِيُّ لِهؤلاء الصحابة لَمّا دَخَلُوا عَلَيْهِ: **مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟** فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي

---

[1] الحديث في صحيح البخاري، وقد سبق تخريجه.

[2] وفي رواية: بالعبرية، وهي صحيحة، والجمع أنّه كان يكتب الإنجيل بِهما.

[3] بيّن الشوكاني –رحمه الله- أنّ ورقة بن نوفل كان قد دار في طلب الدين، وسأل طوائف أهل الكتاب (انظر: إرشاد الثقات للشوكاني، ص 37).

[4] صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب (بدون ترجمة)، رقم: 3، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ، رقم: 160 .

جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: **هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.** فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ. فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي -وَالسُّيُومُ: الآمِنُونَ- مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ..» إلى آخر الأثر، وقد سبق تخريجه[1].

وفي رواية، أنّه قال: « فرفع عُودًا من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا، مرْحَبًا بكم، وبِمَن جئتم مِن عنده، أشْهَد أنّه رسولُ الله، وأنّه الذي نجد في الإنجيل، وأنَّه الرسول الذي بَشّر به عيسى ابنُ مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الْمُلك لأتيتُه حتى أكون أنا الذي أحمِل نَعليه »[2].

الحديث السادس: وسبق ما في الصحيحين من حديث ابن عَبَّاسٍ، عن أَبِي سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ حين كان على دين قريش، لَمّا سأله خبيرٌ نصرانِيٌّ هِرَقْلُ ملك الرُّومِ، عن صفات رَسُولِ اللَّهِ، فأَخْبَرَهُ، فقال: « إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ »[3].

وفي البخاري أيضًا: حكاية عن هِرَقْلَ هذا: إنّه كان حَزَّاءً؛ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ: -حِينَ سَأَلُوهُ- إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ: مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلا الْيَهُودُ، فَلا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ

---

[1] (?) مسند الإمام أحمد، ورقمه: 1740، و22551، قال الشيخ شعيب ومساعدوه: إسناده حسن.

[2] (?) الحديث في المسند، وقد سبق تخريجه.

[3] (?) هذه القصة في صحيح البخاري، تتمة لحديث ابن عباس في قصة أبي سفيان قدام هرقل. وقد سبق تخريجه.

هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ؟ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ. وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ؟ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ، وَأَنَّهُ نَبِي .. القصة»[1].

والأحاديث في هذا كثيرةٌ جدًّا[2].

تلك من نصوص الكتاب والسنة في الباب، وقد آثرتُ ذِكرها غُفلا دون إيراد تعليقات المفسِّرين والشُّرّاح علَيها، ونقلِهم أسباب نزول الآيات اختصارًا، ولأعتاض بذكر كلام للإمام الشوكانِيّ في آخرها، حيث قال بعد إيراد الكثير من النصوص السابقة:

«وأمثال هذا كثيرة جدًّا يطول المقام ببسط بعضها فضلا عن كلِّها، وفي القرآن الكريم من دلائل إثبات النبوات على العموم، وإثبات نبوة نبِّينا على الخصوص، ما لا يخفى على مَن يعرف القرآن، ويفهم كلام العرب؛ فإنَّه مُصَرِّحٌ بثبوت جميع الأنبياء؛ من لدن آدم إلى محمد. وفيه: ذكرُ كلِّ واحد منهم بصفته، وإلى من أرسل، وفي أيِّ زمان كان، مع تقديم الْمُتقدم، وتأخير الْمُتأخر، وذكر ما وقع لكل واحد منهم من إجابة قومه له، وامتناعهم عليه، وردِّهم لِما جاء به، وما وقع بينه وبينهم من المقاولة والمحاولة والمقاتلة. ومَن نظر في التوراة وما اشتملت عليه من حكاية حال الأنبياء من لدن آدم إلى موسى، وجَد القرآن موافقًا لِما فيها غير مخالفٍ لَها، وهكذا ما اشتملت عليه التوراة مما اتفق لموسى وبني إسرائيل في مصر مع فرعون، وما كان من تلك الحوادث من الآيات البينات

---

1 (?) الحديث في صحيح البخاري: وقد سبق تخريجه.

2 (?) ذكر العلامة ابن القيم –رحمه الله- عدة أحاديث في هذا الصدد من قصة إسلام رؤساء النصارى ومن أعلمهم، كعدي بن حاتم وسلمان الفارسي، وهرقل، والنجاشي، وابني الْجُلندَى، ملكَي عمّان، .. إلى أنْ ختم بقصة إسلام عبد الله بن سلام، فرضي الله عن الصحابة منهم، ورحم الآخرين، (هداية الحيارى، ص66-98).

التي جاء بها، ومِن تلك العقوبات التي عوقب بها فرعون وقومه. ثم ما كان مِن بنِي إسرائيل مع موسى من بعد خروجهم من مصر إلى عند موت موسى، مع طول تلك المدة، وكثرة تلك الحوادث؛ فإنَّ القرآن حكى ذلك كما هو، وذكرَه بِصِفَتِه مِن غير مخالفة.
ثم ما كان من الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى إلى عند قيام المسيح؛ فإنَّ القرآن الكريم حكى قِصصهم، وما جرى لهم، وما قالوه لقومهم، وما قاله قومُهم لهم، وما وقع بينهم من الحوادث، وكان ما حكاه القرآن موافقا لِما في كتب نبوة أولئك الأنبياء مِن غير مخالفة. ثم هكذا ما حكاه القرآن عن نبوة المسيح، وما جرى له، وأحواله وحوادثه؛ فإنَّه موافق لِما اشتمل عليه الإنجيل من غير مخالفة»[1].

وقال: « ومعلوم لكل عاقل يعرف أحوال نبيِّنا أنَّه كان أمِّيًا؛ لا يقرأ ولا يكتب، وكان منذ وُلد إلى أن بعثه الله ﷺ بين قومه، وهم قوم مشركون لا يعرفون شيئًا مِن أحوال الأنبياء، ولا يدْرُون بشيءٍ من الشرائع، ولا يخالطون أحَدًا مِن اليهود والنصارى، ولا يعرفون شيئًا مِن شرائعهم، وإنْ عرفوا فرْدًا منها فليس ذلك إلا في مثل ما هو متقرر بينهم، يعملون به في عباداتِهم ومعاملاتِهم، باعتبار ما يشتهر عنهم في ذلك، كما يبلغ بعض أنواع العَالَم عن البعض الآخر؛ فإنَّه قد يَبْلُغُهم بعضُ ما يتمسكون به في دينهم، باعتبار اشتهار ذلك عنهم. وأما العلم بأحوال الأنبياء، وما جاءوا به، وإلى مَن بعثهم الله، وما قالوا لقومهم، وما أجابوهم به، وما جرى بينهم من الحوادث؛ كلِّياتِها وجزئيَّاتِها، وفي أيِّ عصرٍ كان كلُّ واحدٍ منهم، وإلى مَن بعثه الله، وكون هذا النبي كان مُتَقَدِّمًا على هذا، وهذا كان مُتأخِّرًا عن هذا، مع كثرة عدَدِهم، وطول مُدَدِهم، واختلاف أنواع قومهم، واختلاف ألسنتهم، وتبايُن لغاتِهم، فهذا أمرٌ لا يحيط بِعلمه إلا الله ﷻ. ولولا اشتمال التوراة على حكاية أحوال مَن قَبل موسى مِن

[1] إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والنبوات والمعاد، ص39-40.

الأنبياء لانقطع علم ذلك عن البشر، ولم يَبْقَ لأحَدٍ منهم طريقٌ إليه البَتّه. فلما جاءَنَا هذا النبِيّ العَرَبِيُّ الأُمِيُّ الْمَبعوثُ مِن بين طائفة مشركة؛ تعبُد الأوثان، وتَكْفُر بجميع الأديان، قد دبَّرُوا دُنياهم بأمورٍ جاهلية؛ تلقّاها الآخِرُ عن الأول، وسَمِعها اللاحقُ مِن السابق، لا يرجع شيءٌ منها إلى ملة من الملل الدينية، ولا إلى كتاب من الكتب المنـزَّلة، ولا إلى رسول من الأنبياء الْمُرسلة، بل غايةُ علمِهم، ونِهايةُ ما لديهم، ما يَجري بين أسلافهم من المقاولة والمقاتلة، وما يَحفظُونه مِن شِعرِ شُعَرَائِهم، وخُطَبِ خُطَبائِهم، وبلاغات بُلَغَائهم، وجُود أجوادهم، وإقدام أهل الْجُرأة والجسارة منهم، لا يلتفتون مع ذلك إلى دين، ولا يُقيلون على شيءٍ من أعمال الآخرة، ولا يشتغِلُون بأمرٍ مِن الأمور التي يشتغل بِها أهلُ الْمِلَل، فإنْ رامُوا مَطلبًا مِن مطالب الدنيا، ورغبوا في أمر من أمورها، قصدوا أصنامهم، وطلبوا حصولها منها، وقرَّبُوا إليها بعض أموالِهم، ليَبْلُغوا بذلك إلى مقاصدهم ومطالبهم. وكان هذا النبِيّ العربِيُّ الأمِّيّ لا يعلم إلا بما يعلمون، ولا يدري إلا بما يَدْرُون، بل قد يعلم الواحد منهم؛ المتمكنُ من قراءة الكتب، وكتابة المقروء بغير ما يَعْلَمُه هذا النبِيّ. **فبينما هو على هذه الصفة، بين هؤلاء القوم البالغين في الجهالة إلى هذا الحدّ، جاءنا بِهذا الكتاب العظيم، الحاكي لِما ذَكرْناه من تفاصيل أحوال الأنبياء، وقصصهم، وما جرى لهم مع قومهم على أكمل حال، وأتم وجه، ووجدناه مُوافقا لِما في تلك الكتب غير مخالف لشيء منها، <u>كان هذا من أعظم الأدلة الدالة على ثبوت نبوته على الخصوص، وثبوت نبوة مَن قبله من الأنبياء على العموم.</u>** ومثل دلالة هذا الدليل لا يتيسر لجاحد، ولا لِمُكابرٍ، ولا لزنديقٍ مارقٍ أنْ يَقْدَحَ فيها بقادحٍ، أو يعارضها بشبهةٍ مِن الشُّبَهِ كائنة ما كانت، إن كان مِمّن يَعقِل ويَفْهَم ويدري بِما يوجبه العقل؛ مِن قَبُول الأدلّة

الصحيحة، التي لا تقابل بالردّ، ولا تدفع بالْمُعارضة، ولا تَقْبَل التشكيك، ولا تحتمل الشبهة »[1].
واستمرّ قائلا: « ومع هذا فقد كان النبِيُّ الأُمِّيّ المبعوثُ بين هؤلاء يُصَرِّحُ بين ظهرانيهم ببطلان ما هم عليه، ويُزَيِّف ما هم فيه أبلغ تزييف، ويَقْدَح فيه أعظم قدحٍ، ويبين لهم أنّهم أعداءُ الله، وأنّهم مستحقون لغَضَبِه وسَخَطِه وعُقُوبَتِه، وأَنَّهم ليسوا على شيءٍ، فبهذا السبب صاروا جميعًا أعداءً له، يَطْعَنُون عليه بالمطاعن التي يعلمون أَنَّه مُنَـزَّهٌ عنها، مُبَرَّأٌ منها، كقولهم: إِنَّه كذَّابٌ، وإِنَّه مجنونٌ، وإِنَّه ساحِرٌ. فلو علِموا أَنَّه تعَلّم مِن أحَدٍ مِن أهل الكتاب، أو أخَذَ عَن فَرْدٍ من أفرادهم، لَجاءوا بِهذا المطعن بادئ بدء، وجعلوه عُنْوانًا لتلك المطاعن الكاذبة، بل لو وجدوا إلى ذلك سبيلا لعَوَّلُوا عليه، ولم يَحتاجوا إلى غيره، فلما لم يأتوا بذلك، ولا تكلموا به، ولا وجدوا إليه سبيلا، عَلِم كلُّ عاقلٍ أَنَّه لم يتعلم مِن أحَدٍ مِن اليهود، ولا مِن النصارى، ولا من غير هاتين الطائفتين؛ إذ لم يطعن عليه بذلك هؤلاء الذين هم قومُه، وقد وُلِد بينهم، وعاش في ديارهم؛ يُخالطُهم ويُخالطونه، ويواصلهم ويعرفون جميع أحواله، ولاسيما مَن كان مِن قرابته منهم، الذين صاروا له بعد البعثة أشدّ الأعداء، وأعظم الخصوم؛ كأَبِي لَهَبٍ وأمثاله، فإِنَّه لا شكّ ولا ريب أَنَّه لا يَخفى عليهم ما هو دون هذا من أحواله! وأيضًا لو كان قد تَعَلّم مِن أحدٍ مِن أهل الكتاب لم يخفَ ذلك على أهل الكتاب الذين صرَّح لهم بأَنَّهم -إنْ لم يؤمنوا به- فهُم مِن أعداء الله، ومِن المستحقين لسخطه، وعقوبته، وأَنَّهم على ضَلالة، وأَنَّهم قد غَيَّرُوا كتابَهم، وحرّفوه وبدَّلُوه، وأَنَّهم أَحِقَّاءُ بلعنة الله وغضبه، فلو كان له مُعَلِّمٌ منهم، أو مِن أمثالهم من أهل الكتاب لَجعلُوا هذا المطعن عليه مُقَدَّمًا على كُلِّ مَطْعَنٍ يطعنونَه به من تلك المطاعن الكاذبة، بل كان هذا المطعن مُسْتَغْنِيًا عن كلِّ ما طعنوا به عليه؛ لأنَّ مسافته قريبةٌ، وتأثيرَه ظاهرٌ، وقبول عُقول العامة له من أهل

---

[1] (?) إرشاد الثقات، ص40-42.

الكتاب ومن المشركين أيسر، من قبولها لتلك المطاعن الكاذبة التي جاءوا بِها! هذا معلوم لكلّ عاقلٍ، لا يشك فيه شاكٌّ، ولا يَتَلَعْثَم عنده مُتَلَعْثِم، ولا يُكابِرُه فيه مُكابِرٌ!! فلما لم يَطعن عليه أحدٌ منهم بشيءٍ مِن ذلك، عَلِمْنَا عِلْمًا يَقِينًا انتفاءَ ذلك، وأنَّه لم يتعلمْ مِن أحَدٍ منهم »[1]. هذا كلام متين.

والمسلم مُستغنٍ بِما في هذا التمهيد ولو لم يجدْ في العهدَين القديم والجديد اللذَين بين أيدينا بُشارة واحدةً، لأنّ أيدي هؤلاء مُحَرِّفةٌ؛ تزيد وتنقص، لكنّ الله بلُطفه ومرحمته ما أقدرَهم على حذف كلّ البشارات بنبِيّ الإسلام محمدٍ ، قال شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي (ت:684هـ) –رحمه الله- قبله: « الباب الرابع: فيما يدل مِن كُتُب القوم على صحة ديننا، ونُبوّة نبينا ، وأنّهم بمُخالفته كافرون، وبِمعاندته من الله تعالى مُبعَدون، معارِضةً لاستدلالهم بكتابنا على صحة دينهم، بعد بيان بطلان توهُّمهم صحة ما اعتمدوا عليه. وقد نصَّت الأنبياء عليهم السلام مِن إبراهيم إلى المسيح على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته، وأنّه أفضل المرسلين، ونصُّوا على اسمه ونعته وحِليته وأرضه وبلده، وجميل سيرته، وصلاح أمته، وسعادة ملّته، وأنّه من ولد إسماعيل عليهما السلام، وأنّ دعوتَه تدوم إلى قيام الساعة. فَمَن لم يعتقد وقوع هذا كلّه لزم الطعن على هؤلاء الأنبياء كلِّهم صلى الله عليهم وسلم أجمعين، فلا جرَم نحن المؤمنون حقًّا بجميعهم، الشاكرون لصنيعهم. وغيرُنا هم الكافرون بجُملتهم، والمُكذِّبون لإخباراتهم. وأنا أذكُر مِن البشائر الدالة على ذلك خمسين بشارة »[2].

وقال الإمام الشوكانِيُّ –رحمه الله- قبل أنْ يُورد الكثير مِن تلك الآيات: « وقد حكى الله سبحانه في القرآن الكريم ما تتضمنه الكتب المنـزَّلة، والرسل الْمُرسَلة، مِن التبشير بنبينا محمدٍ ما يُغنِي عن جميع ما

[1] (?) إرشاد الثقات للشوكاني، ص42-43.
[2] (?) الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة للقرافي، ص183.

ذكرناه من نصوص تلك الكتب، وإنما أردنا بالنقل منها إلزام الحجة، وتكميل الفائدة لِمَن كان في قلبه ريبٌ، وفي صدره حرَجٌ »[1].

ثم قال بعد إيرادها: « وهذا بعض ما اشتمل عليه الكتاب العزيز، وفي الأحاديث ما يؤيد ذلك ويؤكده »[2]. فذكر عددًا كبيرًا، منها: ما تقدم.

وأنا هنا سأورد بعض هذه البشارات به ﷺ في التوراة والإنجيل، وقبل ذلك ينبغِي أنْ يُعلم أنّ البشارة بنبينا محمدٍ ﷺ فيها إلى اليوم كثيرة جدًّا، مع ما حاول اليهود والنصارى من تحريف كتبهم -التحريف اللفظي أو المعنوي- عمومًا، والبشارات به خصوصًا، وقد نقل العلماء والباحثون –رحمهم الله وحفظهم- عددًا كبيرًا من هذه البشارات في كتبهم، وذكروا أوجُه انطباقها على رسولنا ﷺ، فهم بين المستقل والمستكثر[3]، وأنا هنا لتمام الفائدة أنقُل خمسة من أصرح البشارات، مبينًا وجه انطباقها عليه، من العهدَين (ثلاثةً من القديم، واثنتين من الجديد)، تحت مسألتين قادمتين.

---

1 ([?]) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والنبوات والمعاد، ص34.

2 ([?]) المصدر نفسه، ص35.

3 ([?]) ذكر الإمام القرافي –رحمه الله- في كتابه الأجوبة الفاخرة، من هذه البشارات إحدى وخمسين بشارة، (انظرها: من ص183-203)، ويُنظر للاستزادة منها: الجواب الصحيح لابن تيمية، (ج3/ 96-190، وكلامه يدخل تحت هذه العناوين الجانبية: طُرق العلم ببشارة الأنبياء بِمحمد ﷺ، وشهادات الكتب المتقدمة لمحمد ﷺ وأمثلة ذلك، وما نُقل من بشارات المسيح بمحمد ﷺ، وقد ذكر تحتها ما لا يقل عن ثلاثين بشارة)، كما ذكر تلميذه ابن القيم تسعة وثلاثين، وفصّل فيها، في كتابه هداية الحيارى، ص119-199)، وكذلك الشوكاني –رحمه الله- فإنه ذكَر عشرات البشارات من ذلك. والشيخ رحمة الله الهندي ذكر –مفصّلة- ثمانية عشر بشارة، (إظهار الحق، (ج4/ 1116-1213). إلى أنْ جاء في الآخِرين الدكتور وديع أحمد فتحي، في كتابه: 100 من البشارات بخاتم الرسل، وخاتم الرسالات، من التوراة والإنجيل وكتب النبوات، (والكتاب في الحقيقة عبارة عن 93بشارة، ط1/، دار البشائر، 2008م،)، والأستاذ الدكتور سعود خلف في دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، ص389-394.

** * **

المسألة الأولى: البشارة بالنبيِّ محمدٍ في التوراة:

ذكَرتُ أنِّي في هذه المسألة سأكتفِي بإيراد ثلاثة هي من أصرح البشارات بالنبي الخاتم محمدٍ في التوراة ، على النحو التالي:

البشارة الأولى: نصّ البشارة: وفيها التنصيص لأرض نبينا (مكة الْمكرّمة):

« 1 وَهذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، 2 فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ [1] مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ »[2].

وجهُ انطباق البشارة على عبد الله ورسوله نبيِّنا محمدٍ [3]:

وأما عن شرح البشارة وبيان وجه انطباقها على نبينا محمدٍ لا غير، فهُو أنّ مجيء الربّ من سيناء: إعطاؤه التوراة لموسى ، وإشراقُه من ساعير: إعطاؤه الإنجيل لعيسى ، وتلألؤه واستعلائُه من جبل فاران: جبَل مكة، بإجماع المسلمين وأهل الكتاب[4]، وإسماعيل ، كما في سفر التكوين: « **وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ »**[5].

وبعد هذا الاتفاق إنْ ادعى الأفكة الْمُحرِّفة أنّ فاران ليست بِمكة فلا يستغرب، ولا يُنكَر صنيعهم[6].

---

1 (?) كُلّ من وقفتُ عليه مِن علمائنا المسلمين الذين نقلوا هذه البشارة من التوراة، -مما سيأتِي ذكر مواضعها من كُتُبهم في شرحها- فقد نقله هكذا: واستعلن. بخلاف ما كانت التوراة عليه اليوم. –كما في النصّ.

2 (?) سفر التثنية: 33/1-2 .

3 (?) انظر شرح البشارة بتوسع: الجواب الصحيح، (ج3/ ص118-133، وهداية الحيارى، ص123-125.

4 (?) انظر: الأجوبة الفاخرة، ص185، والجواب الصحيح (ج3/ 119).

5 (?) سفر التكوين: 21/ الإصحاح: 21 .

6 (?) انظر: الجواب الصحيح، (ج3/ 119).

والبشارة بِهؤلاء الرسل الثلاثة في التوراة، وما جاؤوا به من النور والهدى، جاء على الترتيب الزماني؛ بذكر إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القرآن. أما في القرآن فكان التدرج من الأدنى إلى الأعلى، لَمّا كان المقصود من ذكر أماكن هؤلاء الرسل هو التعظيم؛ فمكة أقدس وأشرف من سيناء والقدس، ومحمد ورسالتُه أفضل وأعظم من موسى ورسالته، وهو ورسالته أفضل وأعظم من عيسى ورسالته[1]، قال الله تعالى وهو يُقسِم بأماكن نزول نوره وهدايته: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭼ [التين: ١ - ٣].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: « وقال بعض الأئمة: هذه مَحَالٌّ ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبيًا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، **فالأول:** محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم. **والثاني:** طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران. **والثالث:** مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدا »[2]. ثم ذكر نصّ البشارة.

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله-: « ﭽﭑﭼ هو التين المعروف، وكذلك ﭽﭒﭼ، أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأنّ سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم . ﭽﭓﭔﭼ أي: طور سيناء، محل نبوة موسى . ﭽﭕﭖﭗﭼ وهي: مكة المكرمة، محل نبوة محمد . فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل النبوات وأشرفها »[3].

ويؤكّد ما جاء من ترتيب هذه الرسالات في سورة التين، وأنها رُتِّبتْ حسَب عظمتها، يؤكّد ذلك: الألفاظ التي ورد بها البشارة في التوراة، حيث قيل بالنسبة للتوراة:

---

[1] (?) انظر: الأجوبة الفاخرة، (ص185)، والجواب الصحيح، (ج3/ ص121) وإظهار الحق، (ج4/ ص1135).

[2] (?) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج4/ 681).

[3] (?) تيسير الكريم الرحمن، ص929 .

جاء، أو ظهر، وفي الإنجيل: أشرق، وفي القرآن: استعلن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في هذا الخصوص: « وقال في الأول: جاء أو ظهر، وفي الثانِي: أشرق، وفي الثالث: استعلن. وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، أو ما هو أظهر من ذلك. ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس، زاد به النور والهدى. وأما نزول القرآن فهو بِمنزلة ظهور الشمس في السماء، ولِهذا قال: واستعلن من جبال فاران؛ فإنّ النبي ظهَر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربِها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمَين، كما يظهَر نور الشمس إذا استعلنت في مشارق الأرض ومغاربها، ولِهذا سمّاه الله سراجًا منيرًا، وسمّى الشمس سراجًا وهاجًا، والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السّراج الوهاج، فإنّ الوهاج يحتاجون إليه وقت دون وقت، وكما قيل: قد ينضُرُّون به بعض الأوقات، وأما السّراج المنير فيحتاجون إليه كلّ وقت، وفي كلّ مكان ليلا ونهارًا، سرًّا وعلانية »[1].

وقال تلميذه العلامة ابن القيّم –رحمه الله-: « وشبّه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه، ونبوة خاتم الأنبياء بعد هما باستعلاء الشمس، وظهور ضوئها في الآفاق، ووقع الأمر كما أخبر به سواء، فإنّ الله سبحانه صدَع بنبوة موسى ليلَ الكفر، فأضاء فجرُه بنبوته، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلن وطبّق الأرض بنبوة محمد، صلوات الله وسلامه عليهم »[2].

ثم أنتقل إلى البشارة الثانية.

البشارة الثانية بالنبي الخاتم ﷺ من التوراة:

نصّ البشارة: وفيها أنّ نبينا محمدًا ﷺ الْمُبشّر به يكون مِن بنِي إسماعيل، وأميًّا، وصاحبَ شريعة جديدة، ويُشبه موسى ﷺ مِن أوجُه كثيرة، وغير ذلك: « 17 قَالَ

[1] الجواب الصحيح، (ج3/ ص121) .
[2] هداية الحيارى، ص123 .

لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. 18 أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. 19 وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ. 20 وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ. 21 وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلاَمَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ؟ 22 فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ، بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ، فَلاَ تَخَفْ مِنْهُ »[1].

وقد ذكر هذه البشارة جلّ العلماء والباحثين الذين كتبوا عن البشارة به ﷺ في التوراة[2].

وجهُ انطباق البشارة على عبد الله ورسوله نبيِّنا محمدٍ ﷺ:

هذه البشارة بنبينا محمد ﷺ في التوراة، وليست البشارة بيوشع ﷺ كما يزعُم بعضُ أحبار اليهود، وإنْ كان غالبُهم يرى أنّها بشارة بنبِيٍّ منتظَرٍ لم يأتِ بعدُ. ولا هذه بشارة بِمجيء عيسى ﷺ كما يزْعُم النصارى، لعشرة أوجه، ذكَرها الشيخ رحمة الله[3]. ومِن أظهَر هذه الأوجه:

أولا: اليهود المعاصرون لعيسى ﷺ كانوا ينتظرون نبيًّا آخَر مُبشَّرًا به، وهو عندهم غير المسيح، وذلك لِمقابلتهم إيّاه به، حيث سألوا يحيى ﷺ أولا: أأنت المسيح؟ ولَمّا أنكر قالوا: أأنت إيليا؟ ولَمّا أنكر قالوا: أأنت النبي؟ [4]. ففي يوحنّا: « 19 وَهذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: مَنْ أَنْتَ؟ 20 فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ: إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ. 21 فَسَأَلُوهُ: إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟ فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا». أَلنَّبِيُّ

---

1 (?) سفر التثنية: الإصحاح: 18/ 17-22 .

2 (?) انظـر: كتـاب هداية الحيـارى، ص119، وهي البشـارة الأولى عند الشيخ رحمة الله الهندي (إظهار الحق، ج4/ص1116-1132).

3 (?) انظر: إظهار الحق، ص1116-1128 .

4 (?) انظر: إظهار الحـق، ص1116، مقارَنًا به مع ما في ص1085 في الأمر الثـالث، وانظـر: 100 من البشـارات بخـاتم الرسل وخـاتم الرسالات، ص16-17.

أَنْتَ؟ فَأَجَابَ: لاَ. 22 فَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟ 23 قَالَ: أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ. 24 وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، 25 فَسَأَلُوهُ وَقَالُوا لَهُ: فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلاَ إِيلِيَّا، وَلاَ النَّبِيَّ؟ 26 أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا قِائِلاً: أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ »[1] .

ثانيًا: وعيسى ويوشع عليهما السلام لا يصحّ أنْ يكونا مثل موسى ، لأنهما مِن بنِي إسرائيل، ولا يجوز أنْ يقوم أحدٌ منهم مثله، بدليل ما في التثنية: «10 وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ »[2].

وفي النسخة السامرية: « ولا يكون أيضًا نبِيٌّ في إسرائيل مثل موسى ... »[3].

والدليل على أنّ عيسى من أنبياء بنِي إسرائيل آياتٌ كثيرة منها: ﭽﮱﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭼ [الصف: ٦].

ولأنه لا مماثلة بين موسى ويوشع؛ فموسى صاحب كتاب وشريعة جديدة، ومن أولِي العزم من الرسل، ويوشع ليس كذلك، بل هو متبِعٌ لشريعته. وكذا المماثلة التامة بين موسى وعيسى منتفية، لأنّ عيسى على زعم النصارى إله وربٌّ، وموسى كان عبدًا له. وأنّ موسى وُلد مِن أبوين، وعيسى ليس كذلك. وموسى صاحب زوجة وأولاد، وعيسى ليس كذلك. وغير ذلك. وكذلك نبيُّ الله عيسى ما جاء لنسخ ونقض شريعة موسى، بل جاء مكملا، كما قال بنفسه: « 5- لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ »[4].

---

1 (?) إنجيل يوحنا: الإصحاح: 1/ 18-26 .

2 (?) سفر التثنية: الإصحاح 34/ 10 .

3 (?) هكذا كان في النسخة السامرية التي لم تقع في أيدي النصارى قبل تعريبها، فلم يُحرّفوها، قاله المهتدي د. وديع أحمد شماس في كتابه: 100 من البشارات بخاتم الرسل وخاتم الرسالات، ص19 .

4 (?) إنجيل متى: الإصحاح: 5/ 17 .

ونبينا محمدٌ يماثل موسى في أمورٍ كثيرة، مثل كونه أتى بشريعة جديدة، مستقلة، وحارب المشركين كما فعل موسى، وكونه رئيسًا مطاعًا، قادرًا على إجراء أوامره ونواهيه، مثل موسى، وأنّه كان مأمورًا بالجهاد، لينتقم الله من أعدائه كما فعل بِهم في غزواته. بل قد ذكر الشيخ رحمة الله واحدًا وعشرين وجهًا للمماثلة بينهما، والمتأمل فيهما؛ نفسَيهما وشريعتهما يجد أنّها أكثر من ذلك[1].

ثالثًا: وقوله في البشارة: « وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ » إشارة إلى أنّ الْمُبشّر به ينْزِل عليه الكتاب، وهو القرآن المحفوظ في الصدور، الذي تلقاه النبيُّ محمدٌ من جبريل شفاهًا، وحفظه في صدره، ثم تلاه فيما بعد لأمته من فمه عليه الصلاة والسلام؛ حيث كان أمِّيًا، لا يقرأ ولا يكتُب. وهذا لا ينطبق على يوشع .

ورابعًا: قيل في البشارة: « مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ » فهذا يعنِي أنْ لا يكون الْمُبشَّر به له علاقة صلبية وبطنية بِبَنِي إسرائيل، والمراد بإخوتهم هنا هم أبناء إسماعيل ، لأنه أخو إسحاق لأبيه الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل[2] .

خامسًا: في البشارة قوله: « يَكُونُ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ » تعظيم لشأنِ هذا المبشَّر به، ولا يُراد بِهذه المطالبة والانتقام الأخروي، ولا المحن الدنيوية لأنّها لا تختص بإنكار نبي دون آخر، بل معناه الانتقام التشريعي، كالحدود والقصاص والتعزير والجهاد. وشريعة عيسى خالية من كلّ هذا[3] .

سادسًا: وفيها أيضًا: أنّ المتنبئين القائلين عليه ما لم يقُل، لا يتركهم الله لِعظم ضررهم، بل يُهلكهم، وذلك في قوله: « وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا

---

1 (?)إظهار الحق،(ج4/ص1122-1124)،وانظر:دراسات في أديان اليهودية والمسيحية للأعظمي،ص435-438.

2 (?) انظر: دراسات في الأديان-اليهودية والنصرانية- أ. د. سعود الخلف، ص390 .

3 (?) انظر: إظهار الحق، (ج4/ ص1121) .

لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَو الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ » وهذا متوافقٌ مع قول الله تعالى: ﭽﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]. فلو لم يكن محمدٌ نبيًّا حقًّا لكان يُقتل، لكن ما قدِر أحدٌ على قتله حتى لقِي بالرفيق الأعلى. ونبيّ الله عيسى على زعم اليهود والنصارى قُتِل، فلو كانت هذه البشارة في حقِّه للزمهم اعتقاد كذِب نبوته[1].

ولنستمع في هذا الصدد إلى ما قاله العلامة ابن القيم -رحمه الله-، لنقف على بقية أوجه انطباق البشارة على نبينا محمدٍ ، وعدم انطباقها على غيره، حيث يقول بعد إيرادها: « فهذا النص ما لا يمكن أحدًا منهم جَحْدُه وإنكارُه؛ ولكِن لأهل الكتاب فيه أربعة طرق: أحدها: حمله على المسيح، وهذه طريقة النصارى. وأما اليهود فلهم فيه ثلاثة طرق: أحدها: إنه على حذف أداة الاستفهام، والتقدير أأقيم لبني إسرائيل نبيًّا من إخوتهم؟ أي لا أفعل هذا، فهو استفهام إنكار حُذِفت منه أداة الاستفهام.
الثاني: إنه خبر ووعد؛ ولكنَّ المراد به شمويل النبي؛ فإنّه من بنِي إسرائيل، والبشارة إنما وقَعَت بنبِيٍّ من إخوتِهم، وإخوة القوم هم بنو أبيهم، وهم شأنهم وهم ينتظرونه إلى الآن. وقال المسلمون البشارة صريحة في النبي العربي الأمي محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه، لا يحتمل غيره؛ فإنّها إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم، والمسيح مِن بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال أقيم لهم نبيا من أنفسهم، .. وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يُعقل في لغة أمةٍ من الأمم أنّ بنِي إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه.
وأيضًا فإنّه قال: « نَبِيًّا مِثْلَكَ » وهذا يدلّ على أنّه صاحبُ شريعة عامة مثل موسى، وهذا يبطل حمله على شمويل من هذا الوجه أيضًا. ويبطل حمله على يوشع من ثلاثة أوجه: أحدها: إنه من بنِي إسرائيل لا من إخوتهم. الثانِي:

---

1 (?) انظر: المصدر نفسه، (ج4/ ص1124-1125) .

إنه لم يكن مثل موسى، .. الثالث: أن يوشع نِبِيٌّ في زمن موسى، وهذا الوعد إنما هو بنبي يقيمه الله بعد موسى. وبِهذه الوجوه الثلاثة يبطل حمله على هارون، مع أنّ هارون توفي قبل موسى، ونبأه الله مع موسى في حياته. ويبطل ذلك من وجهٍ رابعٍ أيضًا: وهو أنّ في هذه البشارة أنَّه يُنْـزِل عليه كتابًا يظهر للناس من فيه، وهذا لم يكن لأحد بعد موسى غير النبي ، وهذا من علامات نبوته التي أخبرت بِها الأنبياء المتقدمون، قال تعالى: چگ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ڱ ں ڻ ڻ ٹ ٹ ھ ھ ھ ﮎ ﮎ ﮏ چ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٧]. فالقرآن نزَل على قلب رسول الله وظهر للأمة من فيه. ولا يصح حمل هذه البشارة على المسيح باتفاق النصارى؛ لأنها إنما جاءت بواحد من إخوة بِني إسرائيل، وبنو إسرائيل وإخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم إله، والمسيح عندهم إلهٌ معبودٌ، وهو أجلّ عندهم مِن أن يكون من إخوة العبيد، والبشارة وقعت بعَبدٍ مَخلوقٍ يقيمه الله من جملة عبيده وإخوتهم، وغايته أن يكون نبيًّا لا غاية له فوقها. وهذا ليس هو المسيح عند النصارى. وأما قول الْمُحرِّفين لكلام الله: (إنّ ذلك على حذف ألف الاستفهام -وهو استفهام إنكار، والمعنى: لا أُقيم لبنِي إسرائيل نِبِيًّا. فتلك عادة لهم معروفةٌ في تحريف كلام الله عن مواضعه، والكذب على الله، وقولهم لِما يُبدّلونه ويُحرّفونه: هذا من عند الله. وهذا التحريف والتبديل من معجزات النبي التي أخبر بها عن الله من تحريفهم وتبديلهم، فأظهر الله صدقه في ذلك لكل ذي لُبّ وعقل، فازداد إيمانًا إلى إيمانه، وازداد الكافرون رجسًا إلى رجسهم »[1]. وهذا كلامٌ متينٌ.

البشارة الثالثة من التوراة: وهي متضمنة لجملة من صفات نبينا محمدٍ :

نصّ البشارة: « 1 هُوَ ذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. 2 لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي

[1] (?) هداية الحيارى، ص119-122 .

الشَّارِعِ صَوْتَهُ. 3 قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. 4 لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ ... 6 أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ، 7 لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ، لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ »[1].

وقد جاء نصّ هذه البشارة في صحيح البخاري[2]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [الأحزاب: ٤٥]. قَالَ: « فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ؛ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا ». وفي رواية أنّ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، لَقِي عبدَ اللهَ بْنَ عمرو رضي الله عنهما، فقال له: « أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ[3]؟ قَالَ: « **أَجَلْ! -وَاللَّهِ- إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ...** الحديث.

وهذا الحديث قد أورده شيخ الإسلام –رحمه الله- في معرض ذكر البشارات بهذا النبي ﷺ ثم أشار إلى نبوة أشعيا، وقد أوردها محقق النبوات في الحاشية، وكذلك ذكرها غير واحد من أهل العلم، والباحثين[4].

---

[1] نبوة إشعيا: الإصحاح 42/ 1-7 .

[2] الحديث في صحيح البخاري وقد سبق تخريجه.

[3] لفظ التوراة قد يُراد به جميع الكتُب التي نزلَت قبل الإنجيل، وهذا من هذا الإطلاق (قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره –رحمهم الله- (انظر: كتاب النبوات، ج3/ 1286، وهداية الحيارى، ص193، وإرشاد الثقات للشوكاني في شرح البشارة).

[4] انظر: كتاب النبوات، (ج3/ ص1284-1285)، وهداية الحيارى، ص 193 .

وروى الدارمي –رحمه الله- بسندٍ موقوفٍ على كعب الأحبار [1]، « محمد رسولٌ، عبدي المختار، لا فَظٌّ وَلا غَلِيظ، وَلا صَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلا يَجزِي بالسَّيِّئَة السَّيِّئَة، وَلَكِنْ يَعْفُو ويغفر، مولدُه بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام »[2].

كما ذكر العلامة ابن القيِّم –رحمه الله- هذا الأثر[3] عن كعب نقلاً عن الدارمي. ولفظ البشارة السابقة بنقل العلامة هكذا: « في نبوة أشعِيا، قال فيها: عبدي الذي سُرَّتْ به نفسي، أنزل عليه وحيي؛ فيَظهَر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك ولا يُسمع صوتُه في الأسواق، يفتح العيون العُورَ، والآذان الصم، ويُحيي القلوب الغُلف، وما أعطيه لا أعطِي أحدًا، يحمد الله حمدًا جديدًا، يأتِي مِن أقصى الأرض، وتفرح البرية وسكانها، يُهللون الله على كلِّ شرَفٍ، ويُكبِّرونه على كل رابية، لا يضعف، ولا يُغلب، ولا يميل إلى الهوى مُشفّح[4]، ولا يذلّ الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة، بل يُقوِّي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا ينطفي، أثر سلطانه على كتفيه »[5].

---

[1] **كعب الأحبار:** من علماء اليهود الذين آمنوا، قال الحافظ ابن حجر : " كعب بن ماتِع الحِمْيري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ثقةٌ، من الثانية، مخضرمٌ، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان، وقد زاد على المائة، وليس له في البخاري رواية إلا حكاية لمعاوية فيه، وله في مسلم رواية لأبي هريرة عنه، من طريق الأعمش عن أبي صالح، ورمز لإخراج حديثه بـ: (خ م د ت س فق)، (تقريب التهذيب: رقم الترجمة: 5648، ط/دار الرشيد بتحقيق: محمد عوَّامة ص 461).

[2] سنن الدارمي: المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه، (ص 18).

[3] هداية الحيارى، ص205 .

[4] قال العلامة ابن القيّم: « **مشفّح** –بالشين المعجمة، والفاء المشددة، بوزن مكرَّم، وهي لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد معنى ولفظًا ومقارَبًا، كمطابقة مُؤَذ مُؤَذ، بل أشد مطابقة،.. ولا يستريب عالم من علمائهم منصِفٌ أنها مطابقة لاسم محمد » ثم نقل بعض النقولات في ذلك (هداية الحيارى، ص184).

[5] هداية الحيارى ط / دار عالم الفوائد، ص 183-184.

وقال (في ذكره البشارة بالنبيِّ ونعته وصفته، وصفة أمته في الكتب المتقدمة): « الوجه التاسع والعشرون: قال كعبٌ -وذكر صفة رسول الله في **التوراة**؛ ويريد بها: التوراة التي هي أعمّ من التوراة المعينة- أحمدٌ عبدي المختار..» فذكره[1].

وجهُ انطباق البشارة على عبد الله ورسوله نبيِّنا محمدٍ ** [2]:**

هذه البشارة بنبينا بذكر بعض صفاته التي ذُكِر بِها في التوراة، وهذه الصفات هي: أنه عبد الله ورسوله، وأنّه مختار الله، ومتوكِّلٌ عليه، وأنّه لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظ، وَلا سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، .. إلى آخرها.

أولا: قوله في البشارة: « لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ.. » وقوله: « فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ » فيها الإشارة إلى أنه يقوم بكلّ قوة أمام تحديات أعدائه وينتصر عليهم، ليُظهر الحق في الأرض، وأنّ الله تعالى يحفظه ويكلؤه دون أنْ يمسّه أحدٌ بمكروه.

وهذا بإجماع النصارى لا ينطبق على عيسى فإنهم قالوا بأنه انكسر فصُلب، ومسّه أعداؤه اليهود بِمكروه دون أنْ يجد رعايةً ربّانية[3] على زعمهم.

ثانيًا: وأما قوله: « ..حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ » وقوله: « عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ » فإنه لا ينطبق على عيسى لأنه لم يكن مرسلا إلا إلى خراف بيت بنِي إسرائيل الضالة، (ولم يُرسَل إلى غير العبرانيين)، كما صرّح به نفسُه: « 21 ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. 22 وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي

---

1 (?) المصدر نفسه، ص 193.

2 (?) للتوسع انظر: 100 من البشارات بخاتم الرسل وخاتم الرسالات، 57-60 .

3 (?) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، للدكتور محمد الأعظمي، ص430-وما قبله.

مَجْنُونَةٌ جِدًّا. 23 فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا! 24 فَأَجَابَ وَقَالَ: لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. 25 فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي! 26 فَأَجَابَ وَقَالَ: لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ. 27 فَقَالَتْ: نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا! 28 حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ. فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ »[1].

ولَمّا أرسل المسيح رُسُله لتبليغ رسالته، قال لهم: « 5 هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. 6 بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ »[2].

ويُصدّق كون رسالته خاصة قول الله تعالى، في حقه: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇ [آل عمران: ٤٩].

وهذا بخلاف نبينا ﷺ المُرسَل إلى الأُمم كلّها، وإلى جميع الجزائر -كما سيأتي في فصل (عموم رسالته عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين الجن والإنس إلى قيام الساعة)-[3].

ثالثًا: قوله: « قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ » قال المهتدي الدكتور وديع –حفظه الله-: « فكان سيّدنا محمد ﷺ يدعو الله أنْ يَهدي قومه .. وكان لا يَملّ من دعوتهم إلى الإسلام، بعكس المسيح الذي كان –بحسب أناجيلهم- لا يكف عن توبيخ علماء اليهود وكهنتهم علنًا أمام الناس حتى عاتبوه بأدب، ..فدعا عليهم بالويلات .. وكان سريع الغضب .. بل لم يكن يهتم ولو تركه الناس كلّهم، ويشتم مَن يَطلُب الشفاء لابنته .. ». وفي كلّ ذلك يشير إلى مصادره من أناجيلهم المحرفة[4].

---

[1] إنجيل متى: الإصحاح: 15/ 21-28 .
[2] إنجيل متى: الإصحاح: 15/ 5-6 .
[3] انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية للأعظمي، ص429-430 .
[4] 100 من البشارات بخاتم الرسل وخاتم الرسالات، ص60 .

هذه بعض البشارات بنبينا محمدٍ في التوراة.
فأنتقل إلى المسألة الثانية والتي خصصتُها لِذكر بعض البشارات به في الإنجيل.

المسألة الثانية: البشارة بالنبيِّ محمدٍ في الإنجيل:

وهنا سأكتفي بذكر بشارتَين من الإنجيل:

نصّ البشارة الأولى: « 7 لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. 8 وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: 9 أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. 10 وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا. 11 وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. 12 إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. 13 وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. 14 ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. 15 كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. 16 بَعْدَ قَلِيل لاَ تُبْصِرُونَنِي، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيل أَيْضًا تَرَوْنَنِي، لأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الآبِ » [1].

وفي يوحنا أيضًا: « 15 إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ،
16 وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ،
17 رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. 18 لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ.
19 بَعْدَ قَلِيل لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ »[2].

---

[1] (?) إنجيل يوحنا: الإصحاح: 16/ 7-16 .
[2] (?) إنجيل يوحنا: الإصحاح: 14/ 26 .

وفيه أيضًا: « 26 وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ »[1].

وجهُ انطباق البشارة على عبد الله ورسوله نبيِّنا محمدٍ ﷺ:

هذه البشارة (بشارة عيسى بنبينا محمدٍ ﷺ بصريح صفاته) والتي هي مصداق ما في سورة الصف من قول المسيح : ﭽﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭼ [الصف: ٦].

هذه البشارة لها شأنٌ عظيم عند كلّ مَن ذكرها من علمائنا المتقدمين، والباحثين المعاصرين، ممن كتبُوا في الدلائل والبشارات، وكلامُهم عليها طويلٌ جدًّا، وأنا هنا أحاول اختصار ذلك، لأشير إلى مواضع البسط لطالبه، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

في هذه البشارة تسعة مقاصد:

المقصد الأول: وهو مخصص لأمرٍ عظيم، وهو لفظة (الْمُعَزِّي) (ومُعَزِّيًا آخَرَ) الموجودة في ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية اليوم، وأما الترجمات العربية للأناجيل التي وقف عليها كثيرٌ من علمائنا المتقدمين فقد كان بدل هذه الكلمة كلمة (الفارق-ليط)[2]: وكلمة (فارقليط) هذه، الْمُتكررة في الإنجيل، والتي أنذر بها المسيح قومَه وبشَّر في مواضع كثيرة، اختلفوا في معناها في لغاتهم (العبرانية، السّريانية، اليونانية) إلى أقوال ترجع إلى ثلاثة: **القول الأول:** ما عليه أكثر النصارى، ومعناه عندهم: الْمُخلّص، وأنّ المسيح نفسه يُسمُّونه: الْمُخلّص. وهذا سيأتِي التفصيل فيه. **القول**

---

[1] إنجيل يوحنا: الإصحاح: 14/ 15-19 .

[2] انظر صِيغ هـذه البشـارة الـتي نقلها العلمـاء –رحمهم اللـه- من الإنجيل بِهَذه اللفظة، الأجوبة الفاخرة للقـرافي، من البشـارة الثامنـة، إلى الثانية عشرة، ص185-188، وشيخ الإسلام، (الجواب الصحيح، ج 3/ص171-172)، وابن القيم، (هداية الحيـــارى، ص128-130)، والبشارة الثامنة عشرة من كتاب إظهار الحق، (ج4/ص1185-1186، والشيخ محمد ضياء الأعظمي في بحث له عن هذه اللفظة، في كتابه: دراسات في اليهودية والمسيحية، ص447-450 .

الثانِي: الحماد –اسم المبالغة من الحمد-، أو الحامد، إنه الحمد –المصدر، ورجّحه طائفة منهم-. **القول الثالث:** إنّه الْمُعزّ –واحتجوا بأنّه (الفاروقليط) في لسان اليونان: الْمُعز-

ومَن قال إنّه الْمُخلّص (أكثر النصارى)، فإنّهم يحتجون بأنّها كلمة سريانية بِهذا المعنى، وقالوا: (فاروق)؛ فجعل (الفارق). وأما (ليطٌ) فكلمة تُزاد، ومعناها كمعنى قول العرب: رجُلٌ هو، مخلِّصٌ هو، ... وكذلك هو في اللسان اليوناني. والمسيح وإنْ لم تكن لغتُه سريانية ولا يونانية إلا أنّه تُرجم إليهما مِن العبرية.

المقصد الثانِي: إذن على مَن تنطبق هذه الصفات وهذه المعانِي؟

ستأتِي الأدلة مِن المقصد الثالث إلى آخرها لتدلّ على أنّه سواء فُسّر بِما عليه أكثر النصارى، وهو المخلصّ، أو فُسِّر بأحمد، حمّاد وغير ذلك، والذي هو صريح بشارة المسيح بنبينا في القرآن، أو فُسّر بالْمُعزِّي فإنه لا ينطبق على التمام إلا على نبينا محمدٍ ﷺ، لا على عيسى نفسه، أو شيءٍ معنوي ... أو.. . ولَمَّا لم يمكن النصارى إنكار هذه النصوص، وقد دخلت أيدي المسلمين قاموا بتحريف معناها، فمنهم من قال:

لا يُعرَف المراد به (الفارقليط)، ولا يتحقق له معناه.

ومنهم مَن قال: هو المسيح نفسه، لكونه جاء بعد الصلب –على زعمهم- بأربعين يومًا، وكونه قام من قبره.

ومنهم مَن قال: إنه روحٌ نزل على الحواريين (وما وُصِف بها من الصفات –لِمَن تأمل البشارة- لا ينطبق على أمرٍ معنوي).

وآخرون قالوا بأنّه ألسُنٌ ناريةٌ نزلت من السماء على التلاميذ، ففعلوا بِها الآيات والأعاجيب[1].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « و أيضًا فإنّ معنى الفارقليط، إنْ كان هو الحامد، أو الحمّاد، أو الحمد، أو الْمُعزّ، فهذا الوصف ظاهر في محمد ﷺ، فإنّه وأمتُه:

---

[1] انظر هـذه الأقـوال، الجـواب الصـحيح، (ج3/ ص174) ونقله عنه تلميذه ابن القيم في هداية الحيارى، ص132.

الحمادون، الذين يَحْمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خُطبته، ومفتاح صلاتِه، ولَمّا كان حمَّادًا جوزي بوَصفه؛ فإنّ الجزاء مِن جنس العمل، فكان اسمه: محمد وأحمد، وأما محمد فهو على وزن مُكرّم، ومُعَظّم، ومُقَدّس، وهو الذي يُحمد حمدًا كثيرًا مُبالغًا فيه، ويستحق ذلك، فلما كان حمادا لله كان محمدًا،.. وأما أحمد، فهو أفعل التفضيل، أي: أحق بأنْ يكون محمودًا أكثر من غيره، يقال: هذا أحمد من هذا، أي: هذا أحق بأنْ يُحمَد مِن هذا، فيكون فيه تفضيلٌ له على غيره في كونه محمودًا، فلفظ (محمد) يقتضي فضله في الكمية، ولفظ (أحمد) يقتضي فضله في الكيفية. ومِن الناس مَن يقول: أحمد، أي: أكثر حمدًا مِن غيره؛ فعلى هذا يكون بِمعنى: الحامد والحمّاد. ومَن رجّح أنّ معنى (الفارقليط) في لغتهم هو الحمد، ... فإذا كان كذلك فهو ما جاء في القرآن: ﭽﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭼ [الصف: ٦]. قالوا: ولا شك عندهم أنّه اسم مشتقٌ مِن الحمد، ... **وأما مَن فسَّره بالْمُعزّ**؛ فلم يُعرَف –قط- نبِيٌّ أعزّ أهل التوحيد لله والإيمان، كما أعزّهم محمد، فهو أحق اسم الْمُعِزّ من كلّ إنسان. وأما **معنى الْمُخلّص** فهو أيضًا ظاهرٌ فيه، فإنّ المسيح هو الْمُخلّص الأول، كما ذُكِر في الإنجيل، وهو معروف عند النصارى أنّ المسيح –صلوات الله عليه- سُمّي مُخلِّصًا؛ فيكون المسيح هو الفارقليط الأول، وقد بشَّر بِفارقليط آخر، فإنّه قال: وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ أَنْ يُعْطِيكُمْ فارقليطًا آخَرَ يَثْبُتُ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، فهذه بشارة بِمُخلِّصٍ ثانٍ يثْبُتُ معهم إلى الأبد، والمسيح هو الْمُخلّص الأول. وأما **ما ينْزِل في القلوب،** فلَم يُسمِّه أحدٌ مُخلِّصًا، ولا فارقليطًا؛ فلا يجوز أنْ يُفَسِّر كلام المسيح إلا بِلُغته ومعانيه المعروفة، والتي خاطَب بِها، وكذلك سائر الأنبياء، بل وسائر الناطقين. وقد وصَف هذا الْمُخلِّص الثانِي بأنّه يثبُت معهم إلى الأبد، ومحمد هو الْمُخلِّص الذي جاء بشرعٍ باقٍ إلى الأبد، لا ينسخ »[1].

---

1 ([?]) الجواب الصحيح، (ج3/ ص181-183).

وقال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « ومَن تأمل ألفاظ الإنجيل وسياقها عَلِم أنّ تفسيره بـ(الروح) باطلٌ، وأبطل منه: تفسيره بـ(الألسُن النارية)، وأبطل منهما: تفسيره بـ(المسيح)؛ فإنّ روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده، وليست موصوفة بِهذه الصفات، .. وإذا كان كذلك، ولم يُسَمّ أحدٌ هذه الروح فارقليطًا) عُلِم أنّ الفارقليط أمرٌ غير هذا. .. وما بشَّر به المسيح أمرٌ عظيمٌ يأتِي بعده أعظم من هذا. وأيضًا: فإنّه وصف الفارقليط بصفاتٍ لا تناسب هذا الروح، وإنما تناسب رجلا يأتِي بعده نظيرًا له .. » وأخذ يُعدد أوجه عدم انطباقها على ما قيل سوى نبينا محمدٍ ﷺ، وقد نقل عن شيخه أكثرها بألفاظها[1].

ووضحه شيخ الإسلام أيضًا فقال: « فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح لا تنطبق على أمرٍ معنوي في قلب بعض الناس لا يراه أحدٌ، ولا يسمع كلامه، وإنما تنطبق على مَن يراه الناس، ويسمعون كلامه، فيَشهد للمسيح، ويُعلِّمهم كلّ شيء، ويُذكّرهم كلّ ما قال لهم المسيحُ، ويُوبِّخ العالَم على الخطيئة، ويُرشد الناس إلى جميع الحق، وهو لا ينطق من عنده؛ بل يتكلم بما يسمع، ويُخبرهم بكل ما يأتِي، ويُعرّفهم جميع ما لرب العالمين. وهذا لا يكون مَلَكًا لا يراه أحدٌ، ولا يكون هدىً، ولا علما في قلب بعض الناس، بل لا يكون إلا إنسانًا عظيمَ القدر، يُخاطب الناس بِما أخبر به المسيحُ، وهذا لا يكون إلا بشرًا رسولا، بل يكون أعظم مِن المسيح، بيّن أنّه يَقْدِر على ما لا يَقْدِر عليه المسيح، ويعلم ما لا يعلمه المسيح، ويُخْبِر بكل ما يأتِي، وبما يستحقه الربّ؛ إنّ لي كلامًا كثيرًا أريد أنْ أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله – إلى آخر البشارة السابقة- ..

وهذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ، وذلك لأنّ الإخبار عن الله بِما هو متصف به من الصفات، وعن ملائكته، وعن ملكوته، وعن ما أعدّه في الجنة لأوليائه،

---

[1] هداية الحيارى، ص132-133، وانظر: الجـواب الصـحيح، (ج3/ص175-181).

وفي النار لأعدائه، أمرٌ لا تحتمل عقولَ كثير من الناس معرفته على التفصيل، .. »[1].

المقصد الثالث: أنّ مجيء نبينا محمدٍ موقوفٌ على ذهاب المسيح ، وهذا في قوله: (لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي)، وهذا الحاصل.

المقصد الرابع: المبشَّر به (نبينا) وبّخ العالَم كلّه (العرب، اليهود والنصارى، والمجوس وغيرهم) على خطيئة، وفصّل فيه: قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وأخبَر أنّه يُوّبّخ العالَم على الخطيئة، ولم يُوجد أحدٌ وبّخ جميع العالَم على الخطيئة إلا محمدٌ، فإنّه أنذر جميع العالم مِن أصناف الناس، ووبَّخهم على الخطيئة، مِن الكفر والفسوق والعصيان، وبّخ العالَم جميع المشركين مِن العرَب والهند والترك وغيرهم، ووبّخ المجوس، وكانت مملكتهم أعظم الممالك، ووبّخ أهل الكتابَين؛ اليهود والنصارى .. بل لم يَقتصر على مجرد الأمر والنهي، بل وبّخهم وقرّعهم وتهددهم »[2].

المقصد الخامس: الآتِي يُرشد إلى جميع الحق، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في شرح قول المسيح : (إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ): « وهو الصادق المصدوق في هذا، ليس في الإنجيل مِن صفات الله، وصفات ملكوته، ومِن صفات اليوم الآخر، إلا أمورًا مجملة، وكذلك التوراة؛ ليس فيها مِن ذكر اليوم الآخر إلا أمورًا مجملة، مع أنّ موسى كان قد مهّد الأمر للمسيح، ومع هذا فقد قال لهم المسيح: (إِنَّ لِي كلامًا كَثِيرًا أُريد أَنْ أَقُولَه، وَلكِنّكُمْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ حَمله)، ثم قال: (ولكن إذا جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ، ذَاكَ الذي يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ)، وقال: (إنه يُخْبِرُكُمْ بِكُلّ ما يأتي، وَيُعرّفُكُمْ بجميع مَا لِلربّ)، فدلّ هذا على أنّ الفاريقليط هو الذي يَفعل هذا دون المسيح، وكذلك كان محمدٌ أرشد الناس إلى جميع الحق، حتى أكمل الله له الدين، وأتم به النعمة؛ ولِهذا كان خاتَم الأنبياء؛ فإنّه لم

---

[1] الجواب الصحيح، (ج3/ ص176).

[2] المصدر نفسه، (ج3/ ص179-180).

يبقَ شيءٌ يأتِي به غيرُه، وأخبَر محمدٌ بكُل ما يأْتِي من أشراط الساعة والقيامة والحساب، والصراط ووزن الأعمال، والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها، ولِهذا كان في القرآن مِن تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار، وما يأتِي مِن ذلك أمورٌ كثيرة، لا توجد، لا في التوراة ولا في الإنجيل، وذلك تصديق قول المسيح: (إنه يُخْبِرُ بِكُلِّ ما يأتي .. فأخبَر من الأمور التي تأتِي في المستقبل بِما لم يأتِ به نبِيٌّ من الأنبياء، كما نعته به المسيح، حيث قال: (إنه يُخْبِرُكُمْ بِكُلّ ما يأتي) ولا يوجد مثل هذا قط عن واحد من الأنبياء قبل محمد ، فضلا عن أنْ يوجَد شيء نزَل على قلب بعض الحواريين. وأيضًا فقال: (ويُعرّفُكم جميعَ ما للربّ) فبيّن أنّه يعرف الناس جميع ما لله، وذلك يتناول ما لله مِن الأسماء والصفات، وما له من الحقوق، وما يجِب مِن الإيمان به، وبملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، بحيث يكون ما يأتِي به جامعًا لِكُلِّ ما يستحقّه الرّب. وهذا لم يأتِ به أحدٌ غير محمد، حيث يتضمنّ ما جاء به مِن الكتاب والحكمة، هذا كلّه. ومعلوم أنّ ما نزل على الحواريين لم يكن فيه هذا كلّه، ولا نصفه، ولا ثلثه، وما جاء به المسيح أعظم مما جاء به الحواريون، وهذا الفرقليط الثانِي جاء بأعظم مما جاء به المسيح »[1].

المقصد السادس: الآتِي يتكلم بما يسمع ولا يتكلم عن الهوى، ومصداق هذا في القرآن قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ [النجم: ٣ – ٤]. قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وأيضًا فإنه أخبَر أنّه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكلّ ما يسمع، وهذا إخبارٌ بأنّ كلّ ما يتكلم به فهو وحيٌ يسمعه، ليس هو شيئًا تعلّمه مِن الناس، أو عرَفه باستنباطه، وهذه خاصة محمد ؛ فإنّ المسيح ومَن قبله مِن الأنبياء كانوا يتعلّمون مِن غيرهم، مع ما كان يوحى إليهم؛ فعندهم علمٌ غير ما يسمعونه مِن الوحي. ومحمدٌ لم ينطق إلا بِما يسمعه مِن الوحي؛ فهو مُبلِّغ لِما أرسل به، وقد قيل له: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [المائدة:

[1] (?) الجواب الصحيح، (ج3/ 177-179)، ونقله وزاد في تفصيله تلميذه ابن القيم، ص136، وما قبله-142.

٦٧]. فضَمِن الله له العصمة إذا بلّغ رسالاته، فلِهذا أرشد الناس إلى جميع الحق، وألقى إلى الناس ما لم يُمكن غيره مِن الأنبياء إلقاؤُه؛ خوفًا أنْ يقتلوه؛ كما يذكُرون عن المسيح وغيره. وقد أخبَر أنّه المسيح لم يذْكُر لهم جميع ما عنده، وأنّهم لا يطيقون حمله، وهم معترفون بأنّه كان يخاف منهم إذا أخبَرَهم بحقائق الأمور. ومحمدٌ ﷺ أيّده الله تأييدًا لم يُؤيّده لغيره، فعصمه من الناس حتى لم يَخَف مِن شيءٍ يقوله، وأعطاه مِن البيان والعلم ما لم يُؤتِه غيرَه؛ فالكتاب الذي بُعِث به فيه مِن بيان حقائق الغيب ما ليس في كتاب غيره. وأيّد أمته تأييدًا أطاقت به حمل ما ألقاه إليهم، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها، ولا كأهل الإنجيل .. »[1].

المقصد السابع: وأما قوله في البشارة: **(**وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ**):** فمفسَّرٌ بقوله الآخر: (الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي)، وبقوله الآخر: (وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ) لذا قال مُفتِي الفِرَق والأديان شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: « إنّي أُرسِلُه بدعاء أبِي، وطلبِي منه أنْ يُرسله، كما يطلُب الطالب مِن ولي الأمر أنْ يُرسل رسولا، أو يولّي نائبًا، أو يُعطِي أحدًا، ويقول: أنا أرسَلتُ هذا، ووليت هذا، وأعطيتُ هذا، أي: كُنتُ سببًا في ذلك، **ومما ينبغِي أنْ يُعلم** أنّ الله إذا قضى ما يُكوِّن الشيء؛ فإنّه يُقدِّر له أسبابًا يكون بِها، ومِن تلك الأسباب: دعاء طائفة مِن عباده به، فيكون في ذلك مِن النعمة في إجابته دعاء هذا، وهذا، وهذا .. فلا يمتنع أنْ يكون المسيح سأل ربّه بعد صعوده أنْ يُرسلَ محمدًا، ويكون هذا من أسباب إرساله، لكن إبراهيم سأل في الدنيا، فذكَر الله ذلك، بخلاف سؤال المسيح؛ فإنه كان بعد صعوده إلى السماء »[2].

المقصد الثامن: في قول المسيح ﷺ: (فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ) دلالة على ختم النبوات

---

[1] الجواب الصحيح، (ج3/180).

[2] الجواب الصحيح، (ج3/189-190)، ونقله عنه تلميـذه ابن القيم، ص:153.

بالرسالة المحمدية الخاتمة، وبقاء شريعته إلى الأبد. وهذا خصصتُ لبيانه المبحث الثالث من الفصل القادم.

المقصد التاسع: قول المسيح : (لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ)، ذكَر العلامة ابن القيّم –رحمه الله- أنّ هذا مطابقٌ لوعدِ نبينا محمد بنـزول أخيه ابن مريم[1]، حكمًا عدلا، وإمامًا مقسطًا... إلخ صفاته، في أحاديث كثيرة.

البشارة الثانية به في الإنجيل:

نصّ البشارة: « 42 قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ! مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا!

43 لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ.

44 وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!.

45 وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ »[2].

وقد ذكر نبيُّنا هذا المعنى في حديثَين، مع كونه أمِّيًا لم يقرأ هذه الكُتُب، بل تكلم بالوحي الإلهي[3]، فقال في أولهما فيما رواه عَنْه أبو هُرَيْرَةَ -: " **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا؛ فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟!** قَالَ: **فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّين** " متفق عليه [4].

---

1 (?) انظر: هداية الحيارى، ص154-155 .

2 (?) إنجيل متى: الإصحاح: 21/ 41-45 .

3 (?) انظر: شرح البشارة، في كتاب 100 من البشـارات بِخـاتم الرّسل وخاتم الرّسالات، د. وديع أحمد، ص33 .

4 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب خاتم النبـيين رقم: 3535، مسلم: الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين، رقم: 2286 .

وفي الثانِي: -وفيه أنّ ملكوت الله نُزِع من مؤمنِي أمَّتَي اليهود والنصارى، وأعطِي الفضل لِهذه الأمة، وهو مِن تفضيل نبينا -- وهو: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمر رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: " **إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنْ الأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا؛ فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا. ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ؛ فَعَمِلُوا إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا؛ فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا. ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ. فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيْ! رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ هَؤُلاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلا؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ**[1] "[2].

وجهُ انطباق البشارة على عبد الله ورسوله نبيِّنا محمدٍ :

القول الصحيح في المراد بـ(الْحَجَر الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ اليهود والذي صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ، هو نبوة نبينا محمدٍ ؛ وبيانُه هو: أنّ سلسلة الأنبياء والنبوة كجدران صرح النبوة، لَبِنَة فوق لبِنة، ولَما وصَلَت هذه السلسلة إلى عيسى غفَل عنها بنو إسرائيل وعجزوا عن حمل أعبائها بسبب أعمالهم السيّئة، فجاء نبِيّ الله تعالى محمدٌ فسدّ هذا الخلل، وأكمل صرْح النُّبُوة، وخُتِمَتْ به هذه السلسلة، ونُسخَت به الشرائع السابقة، وفضِّل على جميع الأنبياء والمرسلين، وصحّ أنْ يُقال: الْحَجَر الَّذِي

1 (?) للوقوف على شرحه لإزالة بعض ما قد يُشْكِل يُراجَع: فتح الباري لابن حجر، (ج1/ ص809-810).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَاب مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنْ الْعَصْرِ قَبْلَ الْغُرُوبِ، رقم: 557.

رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ [3]. وهذا الذي أشار إليه رسولنا في الحديث السابق.

وما في آخر البشارة يُبيِّنُه أوَّلُها المتضمِّن أنّ سوء أخلاق بنِي إسرائيل وعدم مبالاتهم بشريعة موسى ومَن بعده مِن الأنبياء إلى عيسى عليهم السلام، بل وقتلهم الأنبياء بغير حق هو السبب لنـزع ملكوت الله من أيديهم وإعطائه أمة غيرهم، لتعمل بشريعة الله وتجني الثمار، وقد حذَّرهم على ذلك المسيح وضرَب لهم أمثلة حيَّة واقعية، سأنقل هنا بعضها: [1]، فاستمع وعِ أوّل هذه البشارة ليَبِين لك ذلك، قال المسيح كما في إنجيل متى السابق: « 33 **اِسْمَعُوا مَثَلاً آخَرَ**: كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْمًا، وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ. 34 وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ. 35 فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا وَرَجَمُوا بَعْضًا. 36 ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذلِكَ. 37 فَأَخِيرًا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي! 38 وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ! 39 فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. 40 فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولئِكَ الْكَرَّامِينَ؟ 41 قَالُوا لَهُ: أُولئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا »[2].

وبعد هذا مباشرة جاء لفظ بشارتنا السابقة.

وبِهذا انتهى المطلب، وبانتهائه انتهى المبحث معه، وأنقُل في ختامه ما قاله الصولِيُّ القرافي –رحمه الله- في ختام أجوِبَتِه بعدما ذكر خمسين بشارة من كتب القوم: « **فإن قالوا:** كيف تتمسكون بِهذه الكُتُب وهي غير صحيحة عندكم؟ **قلنا:** نبوة نبينا ثابتة بالمعجزات –وغيرها-، غنية عن هذه الكُتُب، وإنما ذكرنا ما فيها من

---

[3] (?) دراسات في اليهودية والمسيحية، ص446، بتصرّف.

[1] (?) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية للأعظمي، ص445 .

[2] (?) إنجيل متى: الإصحاح: 21/ 33-41 .

الدلالة على نبوته إلزامًا لأهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها، وهي مثل جميع كُتُبهم في الصحة، فإنْ كان يَحسن الإشكال بِها تم مقصودنا، وإنْ كانت لا يحسن بِها الاستدلال بطل جميع ما بيد أهل الكتاب، لأنّ جميعه مثله، وكيف يسع أهل الكتاب أنْ يعتقدوا صحة هذه الكتب ولا يقبلوا ما فيها من الدلالة على محمد الواصلة حد القطع من كثرتها؟ وإنما عمِيَت منهم البصائر، وخبُثَت السرائر، فلا يجد الحق من قلوبهم محلا، ولا سماع التذكر أهلا، والله تعالى هو المحمود بما يليق بجلاله الذي جعلنا مخصوصين بدينه القويم، وصراطه المستقيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل »[1].

** * **

---

1 ([?]) الأجوبة الفاخرة، ص203 .

المطلب الثاني: المبشِّرات بنبوَّته عليه الصلاة والسلام (الإرهاصات[1]):

أعنِي بِهذا المطلب ما حصل للعبد الكريم محمدٍ من الإرهاصات والأعاجيب من حين ولادته ... إلى قُبَيل بعثتِه كمقدِّمات تدُلّ على أنّه يُهيّأ –مِن قِبَل ربِّه الكريم- لأمرٍ عظيمٍ فيما يستقبِلُه مِن حياته، وهو الرسالة، وهذه المقدمات أمورٌ كثيرة، منها: أنّ أمه رَأَتْ عند ولادته أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ؛ أَضَاءَتْ مِنْه قُصُورُ الشَّامِ، وحادثة شق الصدر، والرؤيا الصادقة التي بُدء بِها حتى إنه لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مثل فلق الصبح، وتسليم الحجر عليه قبل البعثة، وغير ذلك، وقد اخترتُ الحديث عن أمرَين، **وجعَلتُ كلامي في مسألتين، هما:**

المسألة الأولى: رؤيا أمه نورًا...

المسألة الثانية: تسليم الحجر عليه بمكة قبل بعثته.

المسألة الأولى: رؤيا أمه نورًا...[2]:

عن أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ: « قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: " **دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُور الشَّامِ** "[3].

وعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ، دَعْوَةُ أَبِي**

---

[1] **الإرهاص**: جمعه: الإرهاصات، وهو الأمر الخارق للعادة يظهر للنبي قبل بعثته (المعجم الوسيط، مادة: الإرهاص، ص377).

[2] انظر للاستزادة: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج1/ ص117-118)، والرحمة والعظمة في السيرة النبوية للدكتور محمد إبراهيم الحمد، في كلامه عن مهيئات النبوة، ص23-24.

[3] مسند الإمام أحمد، رقم: 22315، وهو حديث صحيح، له شواهد عن عبادة بن الصامت وعدد من الصحابة، وقد ذكر هذه الشواهد الحاكم، وذكر أنها صحيحة الإسناد ووافقه عليها الذهبي، (انظر حديث رقم: 3525، و4139، و4140)، كما ذكره وشواهده الشيخ الألباني –رحمه الله- في السلسلة الصحيحة، (ج4/ 62 وما قبله بثلاث صفحات) ورقمها: 1545، و1546 .

إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ "[1].

فما رأتْ أم النبي ﷺ في نومها من خروج النور منها وإضاءته قصور الشام من الإرهاصات النبوية، وبشارة الله تعالى للعالمين بولادة النبي الخاتم، عليه الصلاة والسلام.

المسألة الثانية: تسليم الحجر عليه ﷺ بمكة قبل بعثته:

وإنّ من العجائب والإرهاصات التي كان يراها رسول الله ﷺ قبل بعثته، أنه كان بِمَكَّةَ لما كان يحب الخلاء والانفراد عن قومه لِمَا يراهم عليه من الضلال المبين؛ من عبادة الأوثان، والسجود للأصنام، عند مقاربة إيْحاء الله إليه، صلوات الله وسلامه عليه، فقد كان حجرٌ بِمكة لا يَمُرّ به النبي ﷺ، إلا وَهُوَ يَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكَ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ** " رواه مسلم[2].

ولفظ الترمذي وغيره عنه ﷺ مرفوعًا: " **إِنَّ بِمَكَّةَ حَجَرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ لَيَالِيَ بُعِثْتُ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ** "[3].

---

[1] المعجم الكبير للطبراني، رقم: 15032، ومسند أحمد، رقم: 17190، وذكر الشيخ الألباني أنّ الحديث صحيح، بدون الزيادة الأخيرة "**وكذلك ترى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ**" فإنها منكرة، ومن أجلها أورد الشيخ الحديث في السلسلة الضعيفة، برقم: 2085، فانظر حديث: " أنا دعوة إبراهيم .." (1546 و1925) من الصحيحة كشواهد للمحل الشاهد منه، لذا صححه الشيخ بشواهده في كتابَيه: ظلال الجنة برقم: 409، ص165.

[2] صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل نسَب النبيِّ ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم: 2277.

[3] جامع الترمذي: كتاب المناقب، بَاب فِي آيَاتِ إِثْبَاتِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ ﷻ بِهِ، رقم: 3624، وقَالَ: «حَسَنٌ غَرِيبٌ»، (وحديث: " لَيَالِيَ بُعِثْتُ " هذا، أشار الشيخ الألباني في الصحيحة -2670- بأنه ضعيف –بحصول القلب فيه من بعض الرواة الضعفاء- في السلسلة الضعيفة في بحثٍ له وافٍ، برقم: 6574).

وقَوْلُهُ: " كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ " أَيْ: يَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللَّه[4]!

وقوله في الرِوَايَة الأخيرة: " لَيَالِيَ بُعِثْت" ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ " **يُسَلِّمُ** ". ولئنْ صحّتْ هذه الرواية الثانية فإنما كان التسليم قبل بعثته ﷺ، فامتدّ ذلك إلى أولِها.

وأخْرج الترمذي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، قَالَ: « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ، وَلا شَجَرٌ إِلا وَهُوَ يَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ »[2].

وما جاء في هذا الحديث مِن الإرهاصات التي كانت له قبل البعثة، قال النووي –رحمه الله-: « فِيهِ مُعْجِزَة لَهُ ﷺ. وَفِي هَذَا إِثْبَات التَّمْيِيز فِي بَعْض الْجَمَادَات، وَهُوَ مُوَافِق لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْحِجَارَة: ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [البقرة: ٧٤]. وَقَوْله تَعَالَى : ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [الإسراء: ٤٤]. وَفِي هَذِهِ الآيَة خِلاف مَشْهُور، وَالصَّحِيح أَنَّهُ يُسَبِّحُ حَقِيقَة، وَيَجْعَلُ اللَّه تَعَالَى فِيهِ تَمْيِيزًا بِحَسْبِهِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَمِنْهُ الْحَجَر الَّذِي فَرَّ بِثَوْبِ مُوسَى ﷺ، وَكَلام الذِّرَاع الْمَسْمُومَة، وَمَشْي إِحْدَى الشَّجَرَتَيْنِ إِلَى الأُخْرَى حِين دَعَاهُمَا النَّبِيّ ﷺ، وَأَشْبَاه ذَلِكَ »[3]. والله تعالى أعلم.

** * **

---

4 (?) انظر: تحفة الأحوذي، ص2542 .

2 (?) جامع الترمذي، مصدرٌ سابقٌ، رقم: 3626، قال الترمذي: « حَدِيثٌ حسَنٌ غَرِيبٌ »، وحسنه الشيخ الألباني بشواهده، (انظر: السلسلة الصحيحة، ج6/ 371-372، رقم: 2670).

3 (?) المنهاج للنووي، ص1413 .

المبحث الثانِي: من آيات[1] ودلائل[2] نبوته عليه الصلاة والسلام، وفيه ستة مطالب:

الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ادّعَوا إنباء الله لهم وإرسالهم إلى الناس للإيمان بهم، وعلّقوا نجاة أممهم على اتباعهم، والخسارة على الكفر بهم وعدم التسليم لهم. والناس طلبوا منهم آيات تشهد لهم على صدقهم. والله الْمُصَدِّقُ الَّذِي يُصَدِّقُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَه فِيمَا

---

[1] (?) **الآيات:** جمع آية، وهي في اللغة علامات، (انظر: الصحاح للجوهري، مادة: الآية، ص68، والنبوات، ج2/ ص875). ويقال: فلان آية من آيات الله، أي عجب من العجائب. فالآيات (العلامات والدلالة) لغةً منها ما هو مألوف معتاد، ومنها خارج عن المألوف المعتاد. أما في العرف فقد يُخصّ بما يحدثه الله من غير المعتاد دائمًا كالخسوف،(انظر: النبوات، ج2/881-882). والقرآن أعظم آيات نبينا محمد ﷺ، وهو كله عجب بل لا تنقضي عجائبه، كما أنه خارج عن قدرة البشر (انظر: النبوات، ج2/879-881) . والآيات أيضًا براهين، ودلائل، وهي لا تنحصر لأنها دلائل صدق وكذب كدلائل الحب والبغض (النبوات لابن تيمية، ج2/ص938). وتأييد الله رسله وأنبياءه بالآيات يستلزم صدق النبي؛ فلا يُتصور أن توجد مع انتفاء صدق من أخبر أنّ الله أرسله كما قاله شيخ الإسلام (النبوات، ج2/ص939). وإجراء الآيات على أيديهم «عادة منه لرسله ليست لغيرهم، لا عادة ولا غير عادة، فهذا شأن الآيات والعلامات التي يقصد الدالّ بها أنْ يدلّ بها » (النبوات، ج2/ص941). قال شيخ الإسلام: « فآيات الأنبياء هي علامات وبراهين من الله تتضمّن إعلام الله لعباده وإخباره. فالدليل؛ وهو الآية، والعلامة: لا تدل إلا إذا كان مختصًّا بالمدلول عليه، مستلزمًا له؛ إمّا مساوٍ له، وإما أخصّ منه، لا يكون أعمّ منه غير مستلزم له، فلا يتصوّر أن يوجد الدليل بدون المدلول عليه. فالآيات التي أعلم الله بها رسالة رسله، وصدّقهم، لا بُدّ أن تكون مختصةً بهم، مستلزمةً لصدقهم؛ فإنّ الإعلام والإخبار بأنّ هذا رسول، وتصديقه في قوله: إنّ الله أرسلني، لا يُتصوّر أن يوجد لغير رسول. والآيات التي جعلها الله علامات: هي إعلامٌ بالفعل الذي قد يكون أقوى من القول، فلا يُتصوّر أن تكون آيات الرسل إلا دالّة على صدقهم، ومدلولها أنّهم صادقون؛ لا يجوز أن توجد بدون صدق الرسل البتة. وكون الرب أراد بها إعلام عباده بصدقهم، وصدَّقهم بها في إخبارهم أنه أرسلهم، وكونها آية وعلامة على صدقهم: أمرٌ يُعلم؛ كما تعلم دلالة سائر الأدلة؛ كما يَعْلَمُ مِنَ الرَّجُلِ أصدقاؤُهُ، ووكلاؤه أنّه أرسل هذا بهذه العلامات؛ فتارة يعلم ذلك بالضرورة بعد تصور الأمر، وتارة يحتاج إلى نظر: هل هذه العلامة منه، أو من غيره؟ وهل هو أرسله بها، أو غيره؟ وهل قصد بها الإعلام، والتصديق، أم لا؟ وهل يعلم من حال الذاكر أنّه أرسله أنّه صادق؟ فقد يُرسل من يعلمون هم صدقه، وأنّه لا يكذب؛ فيعلمون صدقه بمجرّد قوله: هو أرسلني، من غير آية، ولا علامة » (النبوات، ج2/ ص935-936). واستمر قائلا: « فمَن كان يعلم صدق

أَخْبَرُوا عَنْهُ بِالآيات والدَّلائِلِ البيِّنات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات الَّتِي تدُلّ عَلَى صِدْقِهِم(1) أيّدهم وقوّاهم بالدلائل والآيات ورسولنا محمدٌ ﷺ لَم يكن بِدعًا منهم، وقد قوّاه سبحانه وأيّده بأجناس كثيرة من الآيات والدلائل، وتحت كلِّ جنس أنواع، فمنها على سبيل المثال، لا الحصر، ما يأتِي في هذه المطالب الستة المختارة:

المطلب الأول: نزول القرآن عليه.

المطلب الثاني: انشقاق القمر.

المطلب الثالث: الإسراء والمعراج.

المطلب الرابع: إجابة دعوته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الخامس: صدق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن الماضي والمستقبل.

موسى، والمسيح، ومحمد، وغيرهم، وأنّهم لا يكذبون في أخفّ الأمور، فكيف بالكذب على الله؟ إذا أخبرهم أحدهم بما جاءه من الوحي والرسالة، وما غاب من الملائكة؛ فإنّه قد يَجزم بصدقه، من غير آية، لاسيما إنْ كان ما يقوله لَهم مما يؤيّد صدقه. ولِهذا لم يكن من شرط الإيمان بالأنبياء وجود الآيات، بل قد يعلم صدقهم بدون ذلك؛ كما قد بُيِّن في موضعٍ آخر. وتارة يحتاجون إلى العلامة » (النبوات، ج2/ ص937). وفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة، كما سبقت الإشارة إلى بعضها (انظر إلى 12 فرقًا: النبوات، ج2/ص671-674، و11فرقًا، النبوات، ج3/ ص1314-1335).

[2] **دلائل: جمع**، دليل، وهو ما يُستدل به على الصدق أو العكس (انظر: الصحاح للجوهري، مادة: دليل، ص352). والدلائل أعلام يستدل بها على مدلولاتها؛ يلزم من وجودها وجوده (انظر: النبوات، ج2/ص891)، فآيات الأنبياء أدلة وبراهين صدقهم (انظر: النبوات، ج2/ص929). وهذه الدلائل براهين وآيات يخصّ الله بها رسله وأنبياءه تأييدًا لهم. وهي أنواع كما قال شيخ الإسلام: « والله سبحانه دلّ عباده بالدلالات العيانية المشهودة، والدلالات المسموعة؛ وهي كلامه. لكنّ عامّتهم تعذَّر عليهم أن يسمعوا كلامه منه، فأرسل إليهم بكلامه رسلاً، وأنزل إليهم كتبًا. والمخلوق إذا قصد إعلام من يتعذَّر أن يسمع منه، أرسل إليه رسلاً، وكتب إليه = = كتباً؛ كما يفعل الناس؛ ولاة الأمور، وغيرهم: يُرسلون إلى من بَعُد عنهم رسولاً، ويكتبون إليه كتباً. ثم إنّه سبحانه جعل مع الرسل آيات؛ هنّ علامات وبراهين؛ هي أفعال يفعلها مع الرسل، يخصُّهم بها، لا توجد لغيرهم؛ فيعلم العباد -لاختصاصهم بها- أنّ ذلك إعلام منه للعباد، وإخبار لهم أنّ هؤلاء رسلي؛ كما يُعلّمهم بكلامه المسموع منه، ومن رسوله » (النبوات، ج2/ ص934).

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، ص854 (عند الكلام على اسم الله المؤمن).

المطلب السادس: حنين الجذع، وتكثير الطعام، ونبع الماء.. .

وقد اخترتُ لفظَتَي آيات الأنبياء، ودلائل نبواتِهم في عُنوَان هذا المبحث، دون المعجزات، لأنّ الآيات جاءت في النصوص، دون المعجزات، كما حققه ذلك المحققون من العلماء، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- وهو يبيّن الأسماء الشرعية لدلائل نبوات الأنبياء -أعلام نبواتهم-، وأنّها: الآيات والبراهين والبيِّنات، شارحًا أنّ هذه الأسْماء أدَلّ على المقصود مِن لفظ المعجزات، وأنّ آياتهم كلّها نوعان: منها ما تقدم، كآيات الأنبياء السابقين، ومنها ما هو باقٍ إلى اليوم وإلى قيام الساعة، كأعلام نبوة نبينا محمد ﷺ. ثم إنّ آياتِه ﷺ متنوِّعةٌ وكثيرةٌ جدًّا، خلافًا لِمَن يَزعُم أنّها نوعٌ واحدٌ[1].

المطلب الأول: نزول القرآن عليه[2]:

عقَدتُ الْمَطلب لبيان أنّ نُزول القرآن العظيم هو آية محمدٍ ﷺ العظيمة الدالّة على نبُّوّته ورسالته ﷺ.

وهذا المطلب هو أول المطالب الستة لِمبحث آيات ودلائل نبوة نبينا محمدٍ ﷺ، وقد انبنَى على حديث أبِي هُرَيْرَةَ ، مرفوعًا: " **مَا مِن الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ**

---

[1] انظر: الجواب الصحيح، (ج3/ 242-246).

[2] انظر كلام العلماء في أنّ القـرآن آية مِن آيـات نبـوة نبينا محمـدٍ ﷺ، ومعجزة من معجزاته، بل هو أكـبر دلائله ومعجزاته وأعظمها وأفيـدها، وأدومها في المراجع التالية: أعلام النبـوة للمـاوردي، والشـفا بتعريف حقوق المصطفى، والمنهاج في شرح صحيح مسلم للنــووي، ص189-190، وفتح البــاري لابن حجــر، (ج3/ ص3499-3500)، و(ج4/ ص 5250)، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرســول الكــريم ﷺ (ج1/ مصدر لاحق).

تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، الحديث متفقٌ عليه[3]، واللفظ البخاري.

وفي لفظ آخر له: " **مَا مِن الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلا أُعْطِيَ مِنْ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ؛ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ؛ ...** "[1].

والحديث يدخل في تفسير قول الله تعالى، مُجيبًا على طلَب الكفار للآيات: ﭽ [العنكبوت: ٥٠ – ٥١][2].

ولبيان حديث الباب خصوصًا، والمطلب عُمومًا لا بُد مِن عَقد ثلاث مسائل على النحو التالِي:

المسألة الأولى: مناسبة آية (معجزة) كلّ نبِيٍّ لِما آمن على مثله قومُه.

المسألة الثانية: هل آية محمدٍ ﷺ مُنحصِرَةٌ في الوحي؟

المسألة الثالثة: أبرز وجوه إعجاز الآية المحمدية (القرآن).

المسألة الأولى: مناسبة آية (معجزة) كلّ نبِيٍّ لِما آمن على مثله قومُه:

أعطى اللّه ﷻ كلّ نبِيّ من الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام آية خاصّة به لم يعطها بعينها غيره، تحدّى بِها قومَه، وكانت آية كلّ نبِيّ تقَعُ مناسبة لِحال قومه وأهل زمانه[3].

وقد تقدم في الحديث قوله ﷺ: " **مَا مِن الأَنْبِيَاءِ من نَبِيٍّ إِلا قد أُعْطِيَ مِنْ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ،** .."، فَمَا معنى هذه الجملة؟

---

3 صحيح البخاري: كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب كَيْفَ نَزَلَ الْوَحْيُ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ، رقم: 4981، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، رقم: 152.

1 صحيح البخاري: كتاب أخبار الآحاد، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ"، رقم: 7274 .

2 لِهذا أورَدَه الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير الآية: (تفسير القرآن العظيم، ج3/ ص550).

3 انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ، (ج1/ 521).

وللجواب عنها: فإنّ للعلماء في ذلك ثلاثةَ أقوالٍ، قال النووي -رحمه الله تعالى-: « أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيث فَاخْتُلِفَ فِيهِ **عَلَى أَقْوَال: أَحَدهَا:** أَنَّ كُلّ نَبِيّ أُعْطِيَ مِنْ الْمُعْجِزَاتِ مَا كَانَ مِثْله لِمَنْ كَانَ قَبْله مِنْ الأَنْبِيَاء فَآمَنَ بِهِ الْبَشَر. وَأَمَّا مُعْجِزَتِي الْعَظِيمَة الظَّاهِرَة فَهِيَ الْقُرْآن الَّذِي لَمْ يُعْطَ أَحَد مِثْله، فَلِهَذَا قَالَ: " **أَنَا أَكْثَرهمْ تَابِعًا** ". **وَالثَّانِي:** مَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي أُوتِيته لا يَتَطَرَّق إِلَيْهِ تَخْيِيل بِسِحْرٍ وَشُبْهَة بِخِلافِ مُعْجِزَة غَيْرِي فَإِنَّهُ قَدْ يُخَيِّل السَّاحِر بِشَيْءٍ مِمَّا يُقَارِب صُورَتهَا كَمَا خَيَّلَتْ السَّحَرَة فِي صُورَة عَصَا مُوسَى ، وَالْخَيَال قَدْ يَرُوج عَلَى بَعْض الْعَوَامّ، وَالْفَرْق بَيْن الْمُعْجِزَة وَالسِّحْر وَالتَّخْيِيل يَحْتَاج إِلَى فِكْر وَنَظَر، وَقَدْ يُخْطِئ النَّاظِر فَيَعْتَقِدهُمَا سَوَاء. **وَالثَّالِث:** مَعْنَاهُ أَنَّ مُعْجِزَات الأَنْبِيَاء اِنْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارهمْ، وَلَمْ يُشَاهِدهَا إِلا مَنْ حَضَرَهَا بِحَضْرَتِهِمْ، وَمُعْجِزَة نَبِيّنَا الْقُرْآن الْمُسْتَمِرّ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، مَعَ خَرْق الْعَادَة فِي أُسْلُوبه وَبَلاغَته، وَإِخْبَاره بِالْمُغَيَّبَاتِ، وَعَجْز الْجِنّ وَالإِنْس عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْله، مُجْتَمِعِينَ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ فِي جَمِيع الأَعْصَار، وَمَعَ اِعْتِنَائِهِمْ بِمُعَارَضَتِهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا، وَهُمْ أَفْصَح الْقُرُون، مَعَ غَيْر ذَلِكَ مِنْ وُجُوه إِعْجَازه الْمَعْرُوفَة. وَاَللَّه أَعْلَم »[1].

والأظهر في معنى الجملة السابقة هو أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يُعطَون آياتِهم مِن جنس ما اعتاده أقوامُهم وخَبَرُوه وصَدّقوه، وذلك حتى يتسنّى للنبي الخاص تحدِّي قومه بِما هم بمثله مؤمنون، حتى إذا عجَزوا عن الإتيان به، تبيّن لهم أنّ ما عند هذا النبي من النبوة والرسالة ودلائلهما مِن عند الله تعالى، لا يُستطاع مباراته، ولا يُقْدَر على الْمَجِيء بِمِثله، فموسى لَمّا كان قومُه آمَنُوا بالسّحر، كانَتْ كُبرى آياته من جنس ذلك وإنْ لم تكن سحرًا، ،، وعيسى لَمّا كان قَومُه على خِبْرَةٍ عظيمةٍ بالطِّبّ .. كانت آيتُه العُظمَى مِن هذا القبيل، فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

---

1 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، (ص189-190).

ومحمدٌ لَمّا كان الناس المحيطون به فصحاءَ للغاية ،، كانت آيته العظمى من هذا الجنس[1].

فثبت بِهذا مناسبة الوحي كمعجزة لِهذا النبي لِما كان عليه العرب وقت البعثة من الفصاحة والبلاغة الفائقتين. والله أعلم.

المسألة الثانية: هل آية محمدٍ مُنحصِرَةٌ في الوحي؟

القرآن خصوصًا والوحي عمومًا هو آيةُ نبيّنا الكُبرى، لكنْ لم تَكن آياتُه مُنحصرَةً فيه، بل منها انْشِقَاق الْقَمَر، والإسراء والمعراج، وصدق خَبَره عن الماضي والمستقبل، وحنين الجذع له، وَتَكْثِير الطَّعَام، ونَبْع الْمَاء مِنْ بَيْن أَصَابِعه ببركته، وهذه عناوين لبقية المطالب الخمسة للمبحث، إلى غير ذلك من نُطْق الْجَمَاد وشهادته له بالنبوة، وتَسْبِيح الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ، ولقد ذَكَرَ النَّوَوِيّ فِي مُقَدِّمَة شَرْح صحيح مُسْلِم أَنَّ مُعْجِزَات النَّبِيّ تَزِيد عَلَى أَلْف وَمِائَتَيْنِ، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَدْخَل بَلَغَتْ أَلْفًا، وَقِيلَ: ثَلاثَة آلاف، وَقَدْ اِعْتَنَى بِجَمْعِهَا جَمَاعَة مِنْ الأَئِمَّة كَأَبِي نُعَيْم وَالْبَيْهَقِيّ وَغَيْرهمَا[2].

والقرآن الكريم فيه ذكر عامّة آيات نبيِّنا مُحمدٍ ودلائله ومعجزاته، ففيه: إخبار الأنبياء السابقين عن نبينا الكريم، وتبشيرهم ببعثته. وقد سبق ذلك. وفيه ذكر الآيات الباهرات، والأمور الخارقات، كانشقاق القمر، والإسراء والمعراج وسيأتِي. وفيه الإرهاصات المؤذنة بِمولده، أو اقتراب مبعثه، كسورة الفيل. وفيه من الدلالات المقترنة ببعثته، كملء السماء بالحراسة الشديدة والشُّهُب. وفيه الإخبار بِالمستقبلات، وسيأتِي شيءٌ منه قريبًا[3].

فقَوْله : " **وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُه وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّه إِلَيَّ** "، والذي قد يُفْهَم منه أنّ آياته كانت منحصرَةً في الوحي، لا يدلّ على ذلك، بل يدلّ على أنّ الوحي هو

1 (?) انظـر: فتح البـاري، (ج3/ـ 3499) وموسـوعة نضـرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ، (ج1/ 521).

2 (?) انظر: فتح الباري، (ج2/ ص2605).

3 (?) انظر: مقدمة دلائل النبوة للحافظ المستغفري، للـدكتور أحمد بن فارس السلّوم، (ج1/ 26-29).

الآية الكبرى والعُظمى من آياته ﷺ، ونظيرُ هذا ما جاء في أنّ **الدِّين النَّصِيحَة**[1]**، والْبِرّ حُسْنُ الْخُلُق(**[2]، **والدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَة**[3]، و**الْحَجّ عَرَفَات**[4]، إلى غير ذلك مما يدل على عِظَم جُزءٍ مِن شيءٍ، الذي يَكاد يكون هو الكُلّ الْمتجَزّء منه.

ولقد قرر معنَى أنّ القرآن ليس هو الآية النبوية فقط: شُرّاحُ الحديث وبقيةُ علماء الدين، مِن ذلك قول الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَوْله: "**وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيته وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّه إِلَيَّ** " أَيْ: إِنَّ مُعْجِزَتِي الَّتِي تَحَدَّيْت بِهَا، الْوَحْيُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيَّ، وَهُوَ الْقُرْآن، لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ الإِعْجَاز الْوَاضِح، وَلَيْسَ الْمُرَاد حَصْر مُعْجِزَاته فِيهِ، وَلا أَنَّهُ لَمْ يُؤْتَ مِنْ الْمُعْجِزَات مَا أُوتِيَ مَنْ تَقَدَّمَهُ، بَلْ الْمُرَاد أَنَّهُ الْمُعْجِزَة الْعُظْمَى الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا دُون غَيْره،لأَنَّ كُلّ نَبِيّ أُعْطِيَ مُعْجِزَة خَاصَّة بِهِ لَمْ يُعْطَهَا بِعَيْنِهَا غَيْره تَحَدَّى بِهَا قَوْمه »[5].

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يقرر أنّ صفات الكمال كلّها تَرجع إلى ثلاثة؛ هي العلم والقدرة والغنى، وذاكرًا أنّ آياته ﷺ ليست منحصرة في الوحي: « وَقَدْ جُمِعَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْمُعْجِزَاتِ وَالْخَوَارِقِ: أَمَّا (الْعِلْمُ وَالأَخْبَارُ الْغَيْبِيَّةُ وَالسَّمَاعُ وَالرُّؤْيَةُ) فَمِثْلُ أَخْبَارِ نَبِيِّنَا ﷺ عَنْ الأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأُمَمِهِمْ، وَمُخَاطَبَاتِهِ لَهُمْ وَأَحْوَالِهِ مَعَهُمْ، وَغَيْرِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ الأَوْلِيَاءِ، وَغَيْرِهِمْ بِمَا يُوَافِقُ مَا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ وَرِثُوهُ بِالتَّوَاتُرِ أَوْ بِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ لَهُ مِنْهُمْ. وَكَذَلِكَ إخْبَارُهُ عَنْ أُمُورِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْمَلائِكَةِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِمَا يُوَافِقُ الأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ مِنْهُمْ، وَيُعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مُوَافِقٌ لِنُقُولِ الأَنْبِيَاءِ، تَارَةً بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ

[1] (?) الحديث في صحيح مسلم، وقد تقدم تخريجه في مبحث كون النبي ﷺ أنصح الناس للخلق.

[2] (?) صحيح مسلم عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَان ﷺ: كتاب البر والصلة والآداب،باب تفسير الْبِرِّ وَالإِثْمِ، رقم: 2553.

[3] (?) الحديث صحيح، وهو في سنن أبي داود، وسيأتِي تخريجه.

[4] (?) جامع الترمذي: كتاب تفسير القرآن، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، رقم: 2975، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح.

[5] (?) فتح الباري، (ج3/3499).

الْكُتُبِ الظَّاهِرَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ النَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ، وَتَارَةً بِمَا يَعْلَمُهُ الْخَاصَّةُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ، وَفِي مِثْلِ هَذَا قَدْ يُسْتَشْهِدُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَهُوَ مِنْ حِكْمَةِ إبْقَائِهِمْ بِالْجِزْيَةِ =وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ. فَإِخْبَارُهُ عَنْ الأُمُورِ الْغَائِبَةِ مَاضِيهَا وَحَاضِرِهَا هُوَ مِنْ (بَابِ الْعِلْمِ الْخَارِقِ). وَكَذَلِكَ إخْبَارُهُ عَنْ الأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، مِثْلُ مَمْلَكَةِ أُمَّتِهِ، وَزَوَالِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ وَالرُّومِ ، وَقِتَالِ التُّرْكِ، وَأُلوفٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ الأَخْبَارِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا؛ مَذْكُورٌ بَعْضُهَا فِي كُتُبِ دَلائِلِ النُّبُوَّةِ، وَ سِيرَةِ الرَّسُولِ، وَ فَضَائِلِهِ، وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْمَغَازِي؛ مِثْلُ دَلائِلِ النُّبُوَّةِ لأَبِي نُعَيْمٍ، والبيهقي، وَسِيرَةِ ابْنِ إسْحَاقَ، وَكُتُبِ الأَحَادِيثِ الْمُسْنَدَةِ؛ كَمَسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَد، وَالْمُدَوَّنَةِ، كَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ أَيْضًا فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكَلامِ وَالْجَدَلِ؛ كَأَعْلامِ النُّبُوَّةِ لِلْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ، وللماوردي، وَالرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى لِلْقُرْطُبِيِّ، وَمُصَنَّفَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا. ... وَأَمَّا (الْقُدْرَةُ وَالتَّأْثِيرُ) فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ أَوْ مَا دُونَهُ، وَمَا دُونَهُ إمَّا بَسِيطٌ أَوْ مُرَكَّبٌ، وَالْبَسِيطُ إمَّا الْجَوُّ، وَإِمَّا الأَرْضُ، وَالْمُرَكَّبُ إمَّا حَيَوَانٌ وَإِمَّا نَبَاتٌ وَإِمَّا مَعْدِنٌ. وَالْحَيَوَانُ إمَّا نَاطِقٌ وَإِمَّا بَهِيمٌ. فَالْعُلْوِيُّ، كَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، .. وَكَذَلِكَ مِعْرَاجُهُ إلَى السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا (الْجَوُّ) فَاسْتِسْقَاؤُهُ واستصحاؤه غَيْرَ مَرَّةٍ: كَحَدِيثِ الأَعْرَابِيِّ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الرَّمْيِ بِالنُّجُومِ عِنْدَ ظُهُورِهِ، وَكَذَلِكَ إسْرَاؤُهُ مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى. وَأَمَّا (الأَرْضُ وَالْمَاءُ) فَكَاهْتِزَازِ الْجَبَلِ تَحْتَهُ، وَتَكْثِيرِ الْمَاءِ فِي عَيْنِ تَبُوكَ، وَعَيْنِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَمَزَادَةِ الْمَرْأَةِ. وَأَمَّا (الْمُرَكَّبَاتُ) فَتَكْثِيرُهُ لِلطَّعَامِ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي قِصَّةِ الْخَنْدَقِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، وَحَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ، وَفِي أَسْفَارِهِ، وَجِرَابِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَنَخْلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَحَدِيثِ جَابِرٍ وَابْنِ الزُّبَيْرِ فِي انْقِلاعِ النَّخْلِ لَهُ وَعَوْدِهِ إلَى مَكَانِهِ، وَسُقْيَاهُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ الأَرْضِ؛ كَعَيْنِ أَبِي قتادة. وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ لَمْ يَكُنْ الْغَرَضُ هُنَا ذِكْرُ أَنْوَاعِ

مُعْجِزَاتِهِ بِخُصُوصِهِ وَإِنَّمَا الْغَرَضُ التَّمْثِيلُ »[1]. وقد تقدم قول النووي وغيره في ذلك.

فثبت بذلك أنّ آياته ﷺ لم تكن منحصرة في الوحي، بل الوحي أكبر آياته لا كلّه. والله تعالى أعلم.

وأما ما سبق الوعد بتفصيله لاحقًا؛ والذي هنا موضعه، مِن أنّ القرآن شاملٌ للإخبار بالمستقبلات، فأقول: من المعلوم أنّ رسولنا ﷺ أمّيٌ لا يقرأ ولا يَكتُب، وأنّه قد لبثَ في قومه عُمُرًا من قبل هذا القرآن، ثم أنزل الله تعالى عليه ما أنزل **و**أخبَره ﷺ بأقاصيص الأمم الماضية، وأنباء الأمم الغابرة البائدة، وأعقب على ذلك في مواضع كثيرة: أنَّه لو لم يُطلع الله عبدَه ﷺ بذلك لَما علِمه، مما يدل على أنَّه سبحانه مُرسِله والنبيُّ رسوله، والقرآن كلامه والرسول ﷺ مبلِّغُه. وكذلك جاء القرآن بإخبار ما سيقع، فوقع كما أخبر؛ من ذلك قول الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الروم:1-٦]. وقوله: ﴿[illegible]﴾ [الفتح: ٢٧].

وقد ذكرتُ عشرة أمثلة صريحة من القرآن في مطلع المطلب الخامس الآتِي مِن هذا المبحث (والذي هو بعنوان: صِدق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن الماضي والمستقبل) مما لا يُحتاج إلى إعادة ذكره هنا.

** * **

[1] مجموع الفتاوى، (ج11/ 314-317).

المسألة الثالثة: أبرز وجوه إعجاز الآية المحمدية (القرآن):

دلّت النصوص الشرعية الكثيرة على أنّ الله تبارك وتعالى أنزَل القرآن للتعبد والإعجاز؛ فتحدَّى الله البلغاء الفصحاء، والعربَ الأقحاء، وغيرَهم، في عصر النبوة وبعده: أن يأتوا بِمثله أو بِمثل بعضِه، فعجزوا؛ كما قال أحدُهم:

كم قد تَحدّى قريشًا في القديم وهم — أهلُ البلاغة بين الخلق كلِّهِم
بِمثله، وبعشر، ثم واحدةٍ، — فلم يَرُومُوه؛ إذْ ذا الأمرُ لم يُرَم
الجنّ والإنس لم يأتوا -لو اجتمعُوا- — بِمثله، ولو انضمُوا لِمثلِهِم
أنّى وكيف؟ وربّ العرش قائلُه — سبحانه جلّ عن شبَهٍ له، وسَمَيّ

« ...وكذلك نبيّنا ، بُعث في زمان الفصحاء والبلغاء، وتجاريد الشّعراء، فأتاهم بكتاب مِن عند اللّه ، فاتّهمه أكثرهُم أنّه اختلقه وافتراه من عنده؛ فتحدّاهم؛ ودعاهم أن يعارضوه، ويأتوا بِمثله، وليستعينوا بِمن شاءُوا، فعجزوا عن ذلك »[1].

والتحدي بِالمثل أو بالبعض كان بِمكة، لأنّ سورة يونس وهود والطور كانت مكية، ثم أُعِيد بعضُه (التحدي) بعد الهجرة بالمدينة، بآية سورة البقرة[2]، وقد عَجَز الناس عن الإتيان بالبعض فضلا عن المثل، بل بيّن الله تعالى أنّهم لنْ يستطيعوه مستقبلا.

ودليل الأول قوله تعالى: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ [الطور: ٣٤]. ودليل عجزِهم على ذلك قوله: ﭽﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ [الإسراء: ٨٨].

وأما دليل تحديهم بعَشر سُوَرٍ مثله فقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [هود: ١٣].

ودليل عجزهم على ذلك قوله: ﭽﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ [هود: ١٤].

---

[1] موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ، (ج1/ 521).
[2] انظر: الجواب الصحيح، (ج3/ 248).

وأما دليل التحدّي بسورة واحدة من مثله، ففي قوله سبحانه: ﭼ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ [البقرة:23]. وقوله تعالى: ﭼ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [يونس: ٣٨].

ودليل العجز عن ذلك قوله: ﭼ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ [البقرة: ٢٤].

ففي هذه الآية الدليل الواضح على أنّ التحدّي باقٍ إلى يوم القيامة، وأنّ الناس لَمّا لَم يستطيعوا ذلك في ذلك اليوم، فإنّه سبحانه أخبَر بأنّهم لن يفعلوه أبدًا[1]، قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « فذَكَر أمرَين: أحدَهما: قوله: ﭼ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ يقول: إذا لَم تفعلوا، فقد عَلِمتم أنّه حقٌّ، فخافوا الله أنْ تُكذِّبوه؛ فيَحيق بِكم العذاب، الذي وعَد به الْمكذِّبين، ... والثانِي: قوله: ﭼ ﯸ ﯹ ﭼ و(لَن) لنفي المستقبل؛ فثَبَت الخبَر أنّهم فيما يستقبل مِن الزمان لا يأتون بسورة مِن مثله كما أخبَر قبل ذلك، وأمره أن يقول في سورة (سبحان) وهي سورة مكية، افتتحها بذكر الإسراء، وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر، وذكَر فيها من مخاطبته للكفار بِمكة، ما يبين بذلك بقوله: ﭼ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ فعَمّ بالْخَبَر جميعَ الخلق؛ مُعْجِزًا لهم، قاطعا بأنّهم إذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بِمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي والدعاء هو لجميع الخلق، وهذا قد سَمعه كلُّ مَن سمِع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلِم مع ذلك أنّهم لم يعارضوه، ولا أتَوا بسورةٍ مثلِه، ومِن حين بُعِث، وإلى اليوم، الأمر على ذلك، مع ما عُلِم مِن أنّ الخلق كلّهم كانوا كُفارًا قبل أنْ يُبعَث، ولَمّا بعث إنما تبعه قليلٌ، وكان الكفار مِن أحرصِ الناس على إبطال قوله، مجتهدين بكل طريق يُمكن؛ تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسئلونَهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها، كما سألوه عن قصة يوسف، وأهل الكهف، وذي القرنين، .. وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولون فيه، وصاروا يَضربون له الأمثال؛ فيُشبِّهُونه بِمَن ليس مثله،

[1] انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكـارم أخلاق الرسـول ﷺ، (ج1/ 522).

لِمجرد شَبَهٍ ما، مع ظهور الفرق؛ فتارة يقولون: مجنونٌ، وتارة يقولون: ساحرٌ، وتارة يقولون: كاهنٌ، وتارة يقولون: شاعرٌ، إلى أمثال ذلك مِن الأقوال التي يعلمون هم، وكلّ عاقلٍ سَمِعها أنّها افتراءٌ عليه. فإذا كان قد تَحدّاهم بالمعارضة مرة بعد مرة، وهي تُبطِل دعوتَه؛ فمعلومٌ أنّهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها؛ فإنّه مع وجود هذا الداعي التام المؤَكّد، إذا كانت القدرةُ حاصلةً وجَب وجودُ المقدور. ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض. فهذا القدر يُوجِب عِلمًا بيِّنًا لكلّ أحَدٍ بِعجز جَميع أهل الأرض عَن أنْ يأتُوا بِمثل هذا القرآن بِحيلة، وبغير حيلة. وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها؛ كإحياء الموتى؛ فإنّ هذا لَم يأتِ أحَدٌ بنَظِيْره، وكون القرآن أنّه مُعجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتِهم على معارضته فقط، بل هو آية بيّنَة معجزة مِن وجوه متعددة؛ مِن جهة اللفظ، ومِن جهة النّظم، ومِن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبَر بِها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك، ومِن جهة معانيه التي أخبَر بِها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل، ومِن جهة ما أخْبَر به عن المعاد، ومن جهة ما بيّن فيه مِن الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالى: .. ﭽ ۇ ۆ ۈ ۋ ۅ ۉ ې ﭼ [الزمر: ٢٧ – ٢٨] »[1] .

وهنا أُنَبّه على أمرٍ وهو ما ذكَره بعض المتكلمين وحكاه عنهم شيخ الإسلام –رحمه الله- مِن أنّ معجزة القرآن كانت في جهة صرف الدواعي عن معارضته، أو من جهة سَلْب قُدرتِهم على معارضته، ويُرَدّ على هذا بأنّ الناس بعد سَمَاعهم للقرآن لم يختلف حالُ قدرتِهم عما كان قبل سَماعه، ولا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه، وبِهذا ردّ شيخ الإسلام على هؤلاء المتكلمين

---

[1] (?) الجواب الصحيح، (ج3/ 248-250).

فقـال: « ومن أضـعفِ الأقـوال قـولُ مَن يقـول مِن أهل الكلام: إنّه مُعجِزٌ بصرف الدواعي مع تمـام المـوجب لَهـا، أو بِسَلْبِ القُدرة التّامـة، أو بِسَـلْبِهم القـدرة المعتـادة في مثله سَلْبًا عامًّا، مثل قوله تعالى لزكريا: ﭽ ﯛﯜﯝﯞ ﯟﯠ ﭼ [مـريم: ١٠]. وهو أنّ الله صـرَف قلـوب الأمم عن معارضـته مع قيام المقتضي التام؛ فإنّ هذا يُقال على سبيل التقدير والتنزيل: وهو أنّه إذا قُدّر أنّ هذا الكلام يَقْدِر النـاس على الإتيان بِمثله، فامتناعُهم جميعُهم عن هـذه المعارضـة، مع قيـام الـدواعي العظيمة إلى المعارضـة، مِن أبلغ الآيـات الخارقة للعادات؛ بِمنزلة مَن يقـول: إنّي آخذ أمـوال جميع أهل هذا البلد العظيم، وأَضْرِبُهم جميعَهم، وأُجَوّعهم، وهم قادرُون على أنْ يَشْكوا إلى الله أو إلى ولِيّ الأمـر، وليس فيهم -مع ذلـك- مَن يشـتكي، فهـذا من أبلغ العجـائب الخارقة للعادة. ولو قُدّر أنّ واحدًا صَنّف كتابًا يَقْـدِر أمثالُه على تصنيف مثلِه، أو قـال شِـعرًا، يَقْـدِرُ أمثالُه أنْ يقولـوا مثلَه، وتحداهم كلّهم، فقال: عارضونِي، وإنْ لم تُعارضونِي فـأنتم كفـارٌ؛ مـأواكم النـار، ودمـاؤُكم لِي حلالٌ، امتنَع في العادة أنْ لا يُعارضه أحدٌ؛ فـإذا لم يُعارضـوه كـان هـذا مِن أبلغ العجـائب الخارقة للعـادة. والـذي جـاء بـالقرآن قـال للخلق كلِّهم: أنا رسـول الله إليكم جميعًـا، ومَن آمن بِي دخَل الجنـة، ومَن لَم يُـؤمن بِي دخل النـار؛ وقد أُبِيح لِي قتل رجـالِهم وَسْـبِي ذراريهم، وغنيمة أمـوالِهم، ووجَب عليهم كلِّهم طـاعتِي، ومَن لم يُطعنِي كـان مِن أشـقى الخلق، ومِن آياتِي: هذا القرآن؛ فإنَّه لا يَقْدِر أحَـدٌ على أنْ يأتِي بِمثله، وأنا أخبِرُكم أنّ أحَدًا لا يأتِي بِمثله. **فيقـال**: لا يخلـوا إما أن يكـون النـاسُ قـادرين على المعارضـة، أو عاجزين؛ فإنْ كانوا قادرين ولم يعارضـوه، بل صـرَف الله دواعي قلـوبِهم ومنَعَها أنْ تُريد مُعارَضَـتَه مع هـذا التحـدّي العظيم، أو سـلَبَهم القـدرَة التِي كـانت فيهم قبل تَحَدّيـه؛ فإنّ سلب القدرة المعتادة أن يقول رجـل: مُعجـزتِي أنّكم كلّكم لا يَقْـدِر أحَـدٌ منكم على الكلام، ولا على الأكل والشرب، فـإنّ المنع مِن المعتـاد؛ كإحـداث غـير المعتـاد،

فهذا من أبلغ الخوارق. وإنْ كانوا عــاجزين ثَبَت أنّه خــارِقٌ للعــادة، فثَبَت كونه خارقًا على تقــدير النقيضــين؛ النفي والإثبات، فثَبَت أنّه مِن العجائب الناقضة للعادة، في نفس الأمـر. فهـذا غاية التنَـزُّل. وإلا فالصـواب المقطـوع به أنّ الخلق كلّهم عاجزون عَن معارضته، لا يَقْدِرون على ذلــك، ولا يَقْدِر مُحمدٌ نفسُه مِن تلقاء نفسه على أنْ يُبَدّل سورة من القرآن، بل يَظهر الفرق بين القرآن وبين سـائر كلامه لكلّ مَن له أدنَى تَدَبُّرٍ، كما قد أخبر الله به في قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ . **وأيضًا** فالناس يَجدُون دواعيهم إلى المعارضة حاصلةً لكنّهم يُحسّون مِن أنفسهم العجـزَ عن المعارضـة، ولو كـانوا قـادرين لعارضـوه. وقد انتدب غيرُ واحِدٍ لِمُعارضتِه لكن جاء بكلام فضَحَ به نفْسَــه، وظهَر به تحقيــقُ ما أخبَر به القــرآن مِن عجْز الخلق عن الإتيــان بِمثلــه، مثل قــرآن مسـيلمة الكــذاب، كقولــه: **يا ضــفدع بنت ضــفدعين، نَقِّي كم تَنِقِّين، لا المــاء تكــدرين، ولا الشــارب تَمنعِين، رأسك في المــاء وذَنَبُك في الطين**[1]. وكــذلك **أيضًــا**: يعرفــون أنّه لم يختلف حالُ قدرتِهم قبل سَماعه وبعد سَماعه، فلا يجـدون أنفسهم عاجزين عما كـانوا قـادرين عليــه، كما وجَد زكريا عجْــزَه عن الكلام بعد قدرته عليه. **وأيضًــا** فلا نِــزاع بين العقلاء المؤمنين بِمحمدٍ والمُكذّبِين له: أنّه كان قصْـدُه أنْ يُصــدّقَه النــاس ولا يُكــذّبوه، وكــان -مع ذلــك- مِن أعقل النـاس، وأخْبَـرِهم، وأعـرفِهم بِما جـاء بـه، ينـال مقصـودَه سواءٌ قيل: إنّه صـادقٌ أو كـاذبٌ؛ فـإنّ مَن دعا النـاس إلى مثل هذا الأمر العظيم، ولم يَـزَل حـتى اسـتجابوا له طوعًا وكَرْهًا، وظهرت دعوتُه، وانتشـرت ملّتُه هـذا الانتشـار، هو مِن عُظماء الرجال على أيّ حـالٍ كـان؛ فإقدامُه -مع هـذا القصــد- في أوّل الأمــر، وهو بمكّة وأتباعه قليــلٌ على أنْ يقــول خبَــرًا يَقطع به أنّه لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بِمثل هـذا القـرآن لا يـأتون بِمثلـه، لا في ذلك العصر ولا في ســائر الأعصــار المتــأخرة، لا يكــون إلا مع جزمه

---

[1] (?) انظر: أعلام النبوة للماوردي نقلا عن ابن قتيبة، ص88

بذلك، وتَيَقُّنِه لـه، وإلا فمع الشك والظن لا يقـول ذلك مَن يَخاف أنْ يظهَر كَذِبُه؛ فيفتضح فيرجع الناس عن تصـديقه. وإذا كان جازمًا بذلك، متَيَقِّنًا له، لم يكن ذلك إلا عن إعلام الله له بذلك، وليس في العلوم المعتادة أنْ يعلم الإنسـان أنّ جميع الخلق لا يَقْدِرون أن يأتوا بِمثل كلامه، إلا إذا علِم العـالم أنّه خـارجٌ عن قُـدْرَة البشـر، والعلم بِهـذا يَسـتلزم كونَه مُعْجِــزًا؛ فإنّا نعلم ذلـــك، وإنْ لم يكن علمُنا بـــذلك خارقًا للعـادة، ولكن يَلْـزَم مِن العلم ثبـوتُ المعلـوم، وإلا كان العلم جَهْلا، فَثَبَت أنه -على كلّ تقديرٍ - يَسـتلزِم كَونَه خارقًا للعادة »[1].

وهذا التحدي وجه واحدٌ مِن أوجه إعجاز الوحي الكثيرة. ومُلخصه هذا الدليل (دليل طلَب المعارضة بالمثل، والذي تقاصر معهم إلى أنْ يأتُوا بعَشر سُوَر منه، وانتهى التنازل معهم إلى أنْ يأتوا بسورة واحدة مثلَه)، أنّ الناس عجَزوا وما قَدِروا، وما استطاعوا أنْ يأتُوا بذلك أبدًا لا في الحال ولا في المآل. ويُؤيّده دليل الواقع مِن لَدُن بعثة رسول اللّه ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحدٌ أنْ يأتِي بنظيره ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبدًا، فإنّه كلامُ ربّ العالمين الّذي لا يشبهه شيء من خلقه لا في صفاته، كما لا يُشبهه شيءٌ في ذاته وأفعاله وأسمائه، فأنّى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق؟

وأختم هذا الوجه بِما قاله الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في مطلع شرح بَاب عَلامَات النُّبُوَّة فِي الإِسْلام: « وَأَشْهَر مُعْجِزَات النَّبِيّ ﷺ: الْقُرْآن؛ لأَنَّهُ ﷺ تَحَدَّى بِهِ الْعَرَب -وَهُمْ أَفْصَح النَّاس لِسَانًا، وَأَشَدّهمْ اقْتِدَارًا عَلَى الْكَلام- بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْله؛ فَعَجَزُوا مَعَ شِدَّة عَدَاوَتهمْ لَهُ، وَصَدّهمْ عَنْهُ، حَتَّى قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء : أَقْصَر سُورَة فِي الْقُرْآن: ﭽ ﮋﮌﮍﭼ [الكوثر: ١]. فَكُلّ قُرْآن مِنْ سُورَة أُخْرَى كَانَ قَدْر ﭽ ﮋﮌﭼ سَوَاء كَانَ آيَة أَوْ أَكْثَر أَوْ بَعْض آيَة فَهُوَ دَاخِل فِيمَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ، وَعَلَى هَذَا؛ فَتَصِل مُعْجِزَات الْقُرْآن مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّة إِلَى عَدَد كَثِير جِدًّا »[2].

---

[1] الجواب الصحيح، (ج3/ ص250-253).

[2] فتح الباري، (ج2/ ص2605).

لذا قال شيخ الإسلام –رحمه بعد ذكره أوجُهًا من إعجاز القرآن، مشيرًا إلى أنّها لا حصر لها: « وكلّ ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كلّ قومٍ تنبّهوا لِما تنبّهوا له »[1].

هذا وجهٌ واحدٌ من أوجه إعجاز القرآن، وقد فصّلتُ فيه القول بعض الشيء، وأما بقية أوجه إعجازه فسيأتي ذكرها لاحقًا، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « وَوُجُوه إِعْجَاز الْقُرْآن: مِنْ جِهَة حُسْن تَأْلِيفه، وَالْتِئَام كَلِمَاته، وَفَصَاحَته وَإِيجَازه فِي مَقَام الإِيجَاز، وَبَلاغَتُه ظَاهِرَة جِدًّا، مَعَ مَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْن نَظْمه، وَغَرَابَة أُسْلُوبه، مَعَ كَوْنه عَلَى خِلاف قَوَاعِد النَّظْم وَالنَّثْر، هَذَا إِلَى مَا اِشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ الإِخْبَار بِالْمُغَيَّبَاتِ مِمَّا وَقَعَ مِنْ أَخْبَار الأُمَم الْمَاضِيَة مِمَّا كَانَ لا يَعْلَمهُ إِلا أَفْرَاد مِنْ أَهْل الْكِتَاب، وَلَمْ يُعْلَم أَنَّ النَّبِيّ اجْتَمَعَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلا أَخَذَ عَنْهُمْ، وَبِمَا سَيَقَعُ فَوَقَعَ عَلَى وَفْق مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي زَمَنه وَبَعْده، هَذَا مَعَ الْهَيْبَة الَّتِي تَقَع عِنْد تِلاوَته، وَالْخَشْيَة الَّتِي تَلْحَق سَامِعه، وَعَدَم دُخُول الْمَلال وَالسَّآمَة عَلَى قَارِئِهِ وَسَامِعه، مَعَ تَيَسُّر حِفْظه لِمُتَعَلِّمِيهِ وَتَسْهِيل سَرْده لِتَالِيهِ، وَلا يُنْكِر شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلا جَاهِل أَوْ مُعَانِد، وَلِهَذَا أَطْلَقَ الأَئِمَّة أَنَّ مُعْظَم مُعْجِزَات النَّبِيّ الْقُرْآن، وَمِنْ أَظْهَر مُعْجِزَات الْقُرْآن إِبْقَاؤُهُ مَعَ اسْتِمْرَار الإِعْجَاز، وَأَشْهَر ذَلِكَ تَحَدِّيه الْيَهُود أَنْ يَتَمَنَّوْا الْمَوْت؛ فَلَمْ يَقَع مِمَّنْ سَلَفَ مِنْهُمْ وَلا خَلَفَ مَنْ تَصَدَّى لِذَلِكَ وَلا أَقْدَم، مَعَ شِدَّة عَدَاوَتهمْ لِهَذَا الدِّين، وَحِرْصهمْ عَلَى إِفْسَاده وَالصَّدّ عَنْهُ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ أَوْضَح مُعْجِزَة »[2].

هذه بعض أوجُه إعجاز القرآن، ولقد عُني العلماء –رحمهم الله- قديمًا وحديثًا، بِجمع أكبَر عددٍ لَها، وتطرّقوا إليها مِن فنون العلم الكثيرة، وعلى رأسها –وهو الشاهد هنا-: كُتُب دلائل النبوة وآياتِها، كالماوردي في أعلام النبوة

---

[1] (?) الجواب الصحيح، (ج3/250).

[2] (?) فتح الباري، (ج2/ ص2606).

والبيهقي في دلائله والقاضي عياض في الشفا، وغيرهم[1]، وفي كُتُب علوم القرآن كالإتقان وغيره[2]، وكُتُب التفسير وشروح الأحاديث، وبقية كُتُب السيرة عمومًا، فذَكروا ما تقدم مِن الأوجه، وما سيأتِي، وأرْوَع ترييبٍ وقَفْتُ عليه هو ما في كتاب موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ومُلخّص هذه الأوجُه –وهي أيضًا: مزايا إجماليّة للقرآن- في الآتِي:
1- فصاحة ألفاظه الجامعة لكلّ شرائعها. 2- بلاغتُه (بالمعنى المشهور أي موافقة الكلام لمقتضى الحال ومناسبات المقام أو بلاغته الذّوقيّة المعنويّة). 3- توافُر المحاسن الطّبيعيّة فوق المحاسن البديعيّة. 4- إيجازٌ بالغٌ مع الإعجاز بدون أنْ يُخلّ بالمقصود. 5- إطنابٌ غيرُ مُملٍّ في مكرّراته. 6- سُموّ المعاني وعُلُوّ المرمى في قصد الكمال الأسْمى. 7- طلاوة أساليبه الفطريّة، ومقاطعِه الْمُبْهجَةِ. 8- فواصُله الْحُسَنى وأسْماعُه الفطريّة. 9-

---

[1] ذكر الماوردي –ت450هـ- (أعلام النبوة، في الباب السابع فيما تضمنه القرآن من أنواع الإعجاز، ص 73-93) عشرين وجهًا للإعجاز، وإنْ كان هناك ملاحظة مثل الذي سبق على المتكلمين على بعضها، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي –ت: 458هـ- (ج2/ـ 143-153)، وقد ضبطها القاضي عياض –ت:544هـ- في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (في فصل إعجاز القرآن في أربعة وجوه، وملخصها يرجع إلى حسن تأليفه وفصاحته، ص268-274، وإلى أسلوبه ونظمه، ص 275-277، وإلى إخباره عن المغيبات ووقوعه كما ورد، ص278-280، وإلى إخباره عن القرون السالفة والأمم البائدة، ص280-282، وإلى التحدي والتعجيز في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، وإلى روعته في السمع وهيبته في القلوب، وإلى بقائه على الزمن مع تكفل الله بحفظه وإلى غير ذلك، وانظرها: ص283-290). وانظر: الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي –ت597هـ-، ص267-273، وكتاب إظهار الحق (ج3/ـ 775-828، وقد امتاز بذكر شبهات المردود عليه ورفعها، ص829 وما بعده)، والصحيح المسند من دلائل النبوة للشيخ مقبل الوادعي، ص41-48، وغير ذلك.

[2] قال السيوطي –رحمه الله- في مطلع كلامه عن إعجاز القرآن: أفرده بالتصنيف خلائق: منهم الخطابي والرماني والزملكاني والإمام الرازي وابن سراقة والقاضي أبو بكر الباقلاني. قال ابن العربي: ولم يصنف مثل كتابه، .. (ج4/ ص3) وانظر من ص3-23 . وطالع: دراسات في علوم القرآن للرومي (وجوه الإعجاز في القرآن)، ص (297-307) .

أنباؤُه الغيبيّة، وإخبارُه عن كوَامنِ الزّمان، وخفايا الأمور.
10- أسرارٌ عِلميّة لم تَهتد العقولُ إليها بعد عصر القرآن إلا بِمعونة الأدوات الدّقيقة، والآلات الرّقيقة المستحدثة.
11- غوامضُ أحوالِ المجتمع، وآدابٌ أخلاقيّةٌ تُهذّب الأفرادَ وتُصْلِحُ شؤون العائلات. 12- قوانينُ حكيمةٌ في فِقهٍ تشريعيٍّ، فوق ما في التّوراة والإنجيل، وكتب الشّرائع الأخرى.
13- سلامتُه عن التّعارُض، والتّناقُض، والاختلاف. 14- خلوصُه مِن تنافُر الْحُروف، وتنافِي المقاصد. 15- ظهورُه على لسان أمّيّ لم يَعرف الدّراسة، ولا أَلِفَ مُحاضرة العلماء، ولا جاب الممالك سائحًا مستكملا. 16- طرَاوَتُه في كلّ زمان (كونه طريًّا كلّما تُلي وأينما تُلِيَ). 17- اشتمالُه على السّهل الْمُمتنع الّذي يُعَدّ مِلاكَ الإعجاز، والتّفوّقَ النّهائيّ. 18- قوّةُ عبارتِه لتحمّل الوجوه، وتشابُه المعانِي. 19- قِصَصُه الْحُلْوَةُ، وكُشُوفُه التّاريخيّةُ مِن حوادث القرون الخالية. 20- أمثالُه الْحُسنَى الّتي تجعل المعقولَ محسوسًا، وتجعل الغائب عن الذّهن حاضرًا لديه. 21- معارفُه الإلَهيّة كأحسن كتابٍ في علم اللاهوت، وكشفِ أسرارِ عالَم الملكوت، وأوسعِ سِفْرٍ مِن مراحل الْمبدأ والمعاد.
22- خطاباتُه البديْعيّةُ، وطُرُقُ إقْنَاعِه الفذّةُ. 23- تعاليمُه العسكريّة، ومناهجُه في سبيل الصّلح، وفُنُونُ الحرب.
24- سلامتُه مِن الْخُرافات والأباطيلِ، الّتي من شأنِها إجهازُ العلمِ عليها كُلّما تَكامَلَت أصُولُه وفرُوعه. 25- قوّةُ الْحُجّة، وتَفَوُّقُ الْمَنطق. 26- اشتمالُه على الرّموز في فواتح السُّوَر، ودَهشَةُ الفِكْرِ حَولَها وحول غيرها.
ويضاف إلى ذلك:
27- تضمّنُه الأُسُسَ لشريعةٍ صالحةٍ لكلّ زمان ومكان.
28- ترْكُ المعارضة مع توفّر الدّواعي وشدّة الحاجةِ، مِمّا يُؤكّد عَجْز البشر عن الإتيان بِمثله. 29- اتّساقُ القرآن في أغرَاضِه ومعانيه على طول الْمُدّة الّتي استَغْرَقَها في تجمّعه، فخواتِيمُه بَعْدَ رُبْعِ قَرْنٍ جاءَتْ مُطابِقَةً متساوقة

لفَوَاتِحِه يُصدّق بعضُها بعضًا، ويُكمّلُه كأنّه نَفَسٌ واحدٌ. 30- سُهولةُ حِفْظِه. 31- حُسنُ التّخلُّص مِن قصّة إلى أُخرى، والخروج مِن بابٍ إلى غيره. 32- إطنابُه في خطاب اليهود، وإِيْجازُه في خِطابِ العرَب، للتّفاوت بينهما فَهْمًا وبلاغة. 33- ما أنبأ به من أخبار القرون السّالفة، مِمّا كان لا يعلم منه القصّةَ الواحدةَ إلا الفذُّ مِن أحْبار أهلِ الكتاب. 34- وجودُ كلِمات في جُمَلٍ لا يَسُدّ مَسدّها غيرُها. 35- نزاهتُه في التّعبيْر كقوله تعالى: ﭽﭧﭨﭩﭪﭼ [النساء: ٢١]. 36- التّدرّج في الأحكام. 37- ما تضمّنه من الأخبار عن الضّمائر والقلوب. 38- جمعُه بين صفَتَي الْجَزَالة والعُذُوبة، وهما كالْمتضادّين لا يجتمعان في كلام البشر غالبًا. 39- اقترانُ معانيه الْمُتغايرة في السُّوَر الْمُختَلِفة، فيخرُج في السّورة مِن وَعْدٍ إلى وعيد، ومِن تَرْغِيبٍ إلى تَرْهِيبٍ، ومن ماض إلى مُستَقْبَلٍ، ومِن قَصَصٍ إلى مَثَلٍ، ومِن حِكْمَةٍ إلى جَدَلٍ، فلا يَتَنَافرُ، وهي في غيره مِن الكلام متنافرة. 40- لا يَخرُج عَن أُسلُوبه ولا يزُولُ عن اعتِدالِه باختلافِ آياتِه في الطُّول والقِصَر. 41- قارئُه لا يَمَلُّه، وسامعُه لا يَمُجُّه، بل الإكبابُ على تلاوَتِه يَزِيدُه حلاوَةً، وتَرْدِيدُه يُوجِب لَه محبّة، وغيرُه مِن الكلام يُعَادَى إذا أُعيد، ويُمَلّ على التّرديد [1].

هذا، وبتأمل هذه الأوجُه وغيرها يتبيّن أنّ هذا الإعجاز راجِعٌ إلى: ألفاظ القرآن، أو أساليبه، أو معانيه، أو شرائعه، أو أخباره، أو أثَرِه على النفوس، أو إليها جميعًا.

وهذا بخلاف ما يأتِي به مدّعو النبوة قديمًا وحديثًا، من كُتُب بألفاظٍ ركيكة، أو معاني باطلة، فتختلف فيما بينها، أو أخبارٍ يُكذّبُها مَخبَرُها، أو شرائع لا تتناسب وظروف الحياة، فتكون لا أثَر لَها على النفوس، ،،، وهذا دليلٌ على أنّ ذاك من عند الله، وهذه ليست من عنده، فَمن تدبّر القرآن لا يجد فيه أيّ اختلاف.

---

[1] انظرها مُفصّلة في موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، (ج1/ ص522-525)، والأخيرة منها في الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (موضع سابق).

فتأمل ما سيأتِي في فصل البابية والبهائية من آيات قرآنَيْهِم الركيكة، وقبل ذلك تأمل آيات مسيلمة التي زعَم أنّها نزَلَت عليه، فإنّ كذِبَها لا يخفى على أولِي البصائر والنُّهَى، وأصحاب العُقُول والحجى السَّلِيمَة المُستقيمة[1]، يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله- بعدما قرر أنْ لا أحدَ أظلم ولا أعتى ولا أشد إجرامًا ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﭼ [يونس: ١٧]. وتَقَوّل على الله، وزعَم أنّ الله أرسَلَه ولم يكن كذلك، وأنه ليس أحدٌ أكبَرَ جُرْمًا، ولا أعظم ظُلمًا مِن هذا، ومثل هذا لا يخفى أمْرُه على الأغبياء، فكيف يشتبه حال هذا بالأنبياء! فإنّ مَن قال هذه المقالة صادقًا أو كاذبًا، فلا بُدّ أنّ الله يَنصب عليه من الأدلة على بِرِّه أو فُجُوره ما هو أظهر مِن الشمس، فإنّ الفرق بين مُحمدٍ ﷺ وبين مسيلمة الكذاب -لعَنَة الله- لِمَن شاهدهما أظهر مِن الفرق بين وقت الضحى ووقت نِصف الليل في حَنْدس الظلماء.

فَمِنْ شِيَم كلٍّ منهما وكلامِه وفِعاله يَستدّل مَن له بصيرةٌ على صِدْقِ مُحمد ﷺ، وكذِب مُسيلمة الكذاب، وسَجَاح، والأسود العَنْسي[2]، قال: « وأما مسيلمة فمَن شاهَدَه مِن ذَوِي البصائر، عِلِمَ أمْرَه لا محالة، بأقواله الركيكة التي ليست فصيحةً، وأفعالِه غير الحسنة بل القبيحة، وقرآنِه الذي يُخَلّد به في النار يوم الحسرة والفضيحة، وكم مِن فَرْقٍ بين قوله تعالى: ﭽﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﭼ [البقرة: ٢٥٥]. وبين قول مسيلمة -قبّحه الله ولعنه-: "**يا ضفدع بنت ضفدعين، نقّي كم تنقين لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين**"[3] . وقوله -قبّحه الله-: " **لقد أنعم الله على الحبلى، إذْ أخرج منها نَسَمة تسعى، من بين صِفَاق وحَشَى**"[4] . وقوله -خَلّده الله في نار جهنم، وقد فعل-: " **الفيلُ وما أدراك ما الفيل؟ له**

---

1 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج2/ 537).

2 (?) انظر: المصدر نفسه، (ج2/ 536).

3 (?) انظر: أعلام النبوة للماوردي نقلا عن ابن قتيبة، ص88.

4 (?) انظر: المصدر نفسه، نقلا عن ابن قتيبة، ص88.

خُرطُومٌ طويل"[5]، وقوله -أبعده الله عن رحمته-: " **والعاجناتِ عَجْنًا، والخابزاتِ خُبْزًا، واللاقماتِ لَقْمًا، إهالة وسَمْنًا، إنّ قُرَيْشًا قومٌ يَعْتَدون** "[1]، إلى غير ذلك من الهذيانات والْخُرافات، التي يأنَف الصِّبْيان أنْ يتلفّظُوا بِها، إلا على وجْهِ السُّخرية والاستهزاء؛ ولِهذا أرغم الله أنفه، وشرب يوم (حديقة الموت) حتفَه، ومَزّق شَمله، ولعَنَه صحبُه وأهلُه. وقَدِموا على الصِّديق تائبين، وجاءُوا في دين الله راغبين، فسألهم الصِّديق خليفةُ الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، و أنْ يَقرءُوا عليه شيئًا مِن قرآنِ مُسيلمة -لعنه الله-، فسألوه أنْ يُعفِيَهم مِن ذلك، فأبى عليهم إلا أنْ يَقرءوا شيئًا منه ليسمعه مَن لم يَسمَعْه مِن الناس، فيعرفوا فضلَ ما هم عليه من الهدى والعلم. فقرءوا عليه مِن هذا الذي ذكرناه وأشباهِه، فلما فَرَغُوا قال لهم الصديق : " ويْحَكُم! أين كان يُذهب بعقولكم؟ والله إن هذا لم يخرج من إلٍّ »[2].

وذكَر غير ذلك مِن هذه الآيات الركيكية التي لم تأتِ من الله تعالى.

ومن تقريرات العلماء لِهذا الأصل، وإجماله أيضًا: قول الحافظ ابن حجر: « وَقَدْ جَمَعَ بَعْضهمْ إِعْجَاز الْقُرْآن فِي أَرْبَعَة أَشْيَاء: **أَحَدهَا** حُسْن تَأْلِيفه وَالْتِئَام كَلِمه مَعَ الإِيجَاز وَالْبَلاغَة. **ثَانِيهَا** صُورَة سِيَاقه وَأُسْلُوبه الْمُخَالِف لأَسَالِيب كَلام أَهْل الْبَلاغَة مِنْ الْعَرَب نَظْمًا وَنَثْرًا، حَتَّى حَارَتْ فِيهِ عُقُولهمْ وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الإِتْيَان بِشَيْءٍ مِثْله، مَعَ تَوَفُّر دَوَاعِيهمْ عَلَى تَحْصِيل ذَلِكَ، وَتَقْرِيعه لَهُمْ عَلَى الْعَجْز عَنْهُ. **ثَالِثهَا**: مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ الإِخْبَار عَمَّا مَضَى مِنْ أَحْوَال الأُمَم السَّالِفَة، وَالشَّرَائِع الدَّاثِرَة، مِمَّا كَانَ لا يَعْلَم مِنْهُ بَعْضه إِلا النَّادِرُ مِنْ أَهْل الْكِتَاب. **رَابِعهَا:** الإِخْبَار بِمَا سَيَأْتِي مِنْ الْكَوَائِن الَّتِي وَقَعَ بَعْضهَا فِي الْعَصْر النَّبَوِيّ وَبَعْضهَا بَعْده. **وَمِنْ غَيْر هَذِهِ**

---

5 (?) انظر: أعلام النبوة للماوردي نقلا عن ابن قتيبة، ص89.

1 (?) انظر: المصدر نفسه، نقلا عن ابن قتيبة، ص89.

2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج2/ 537)، وانظر أعلام النبوة للماوردي نقلا عن ابن قتيبة، ص88.

الأَرْبَعَة: آيَات وَرَدَتْ بِتَعْجِيزِ قَوْم فِي قَضَايَا أَنَّهُمْ لا يَفْعَلُونَهَا؛ فَعَجَزُوا عَنْهَا مَعَ تَوَفُّر دَوَاعِيهمْ عَلَى تَكْذِيبه، كَتَمَنِّي الْيَهُود الْمَوْت. **وَمِنْهَا:** الرَّوْعَة الَّتِي تَحْصُل لِسَامِعِهِ. **وَمِنْهَا**: أَنَّ قَارِئَهُ لا يَمَلّ مِنْ تَرْدَاده، وَسَامِعه لا يَمُجّهُ وَلا يَزْدَاد بِكَثْرَةِ التَّكْرَار إِلا طَرَاوَة وَلَذَاذَة. **وَمِنْهَا:** أَنَّهُ آيَة بَاقِيَة لا تُعْدَم مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا. **وَمِنْهَا**: جَمْعه لِعُلُوم وَمَعَارِف لا تَنْقَضِي عَجَائِبهَا وَلا تَنْتَهِي فَوَائِدهَا. اهـ مُلَخَّصًا مِنْ كَلام عِيَاض، وَغَيْره »[1].

فائدة: صدّرتُ المسألة الثالثة بأنّ القرآن الكريم أنزله الله تعالى للتعبد والإعجاز، فتحدى به الفصحاء، وأقول هنا: هل حصل التَّحَدّي بغير القرآن من بقية الآيات؟

أجاب على هذا الحافظ ابن حجر –رحمه الله- بعد قول له سبق: « وَأَمَّا مَا عَدَا الْقُرْآن مِنْ نَبْع الْمَاء مِنْ بَيْن أَصَابِعه وَتَكْثِير الطَّعَام وَانْشِقَاق الْقَمَر وَنُطْق الْجَمَاد، فَمِنْهُ مَا وَقَعَ التَّحَدِّي بِهِ وَمِنْهُ مَا وَقَعَ دَالا عَلَى صِدْقه مِنْ غَيْر سَبْق تَحَدٍّ » [2].

وأختم المطلب بقول شيخ الإسلام –رحمه الله- في الفصل الذي أعدّه لشرح حديث الباب مُلخّصًا أوجه إعجاز القرآن: « فصلٌ: والقرآن كلامُ الله، وفيه الدعوة والحجة، فله به اختصاصٌ على غيره، .. والقرآن يَظْهَر كونُه آيةً، وبُرهانًا له -ﷺ- مِن وجوه، جملةً وتفصيلا؛ أما الجملة: فإنّه قد عَلِمَت الخاصة والعامة من عامة الأمم عِلْمًا متواترًا أنّه -ﷺ- هو الذي آتى بِهذا القرآن، وتواترت بِذلك الأخبار أعظم من تواترها بِخَبَر كلّ أحدٍ من الأنبياء، والملوك، والفلاسفة، وغيرهم » [3].

وبعد كلامٍ له طويلٍ قال: « وأما التفصيل: فيقال: نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيبٌ بديعٌ، ليس مِن جنس

---

[1] فتح الباري، (ج3/ـ 3499-3500)، وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص268-290 (وما ذكره الحافظ في المتن هو عبارة عن عناوين لثمانية فصول في الشفا، فراجع مُضمناتِها، فإنها مهمة).

[2] فتح الباري، (ج2/ 2605).

[3] الجواب الصحيح، (ج3/ 247).

أساليب الكلام المعروفة، ولَم يأتِ أحدٌ بنظير هذا الأسلوب، فإنّه ليس مِن جنس الشِّعْر، ولا الرجز، ولا الخطابة، ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس؛ عرَبِهم وعجَمِهم، ونفس فَصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيبٌ خارقٌ للعادة، ليس له نظيرٌ في كلام جميع الخلق. .. ونفسُ ما أخْبَر به القرآن في باب توحيد الله، وأسمائه وصفاته، أمرٌ عجيبٌ خارقٌ للعادة، لم يُوجَد مثل ذلك في كلام بشر؛ لا نبِي ولا غير نبِي. وكذلك ما أخبَر به عن الملائكة، والعرش، والكرسيّ، والجنّ، وخلق آدم، وغير ذلك، ونفس ما أمَر به القرآن؛ مِن الدين والشرائع كذلك، ونفس ما أخبَر به من الأمثال، وبيّنه من الدلائل هو أيضًا كذلك. ومَن تدبّر ما صنّفه جميعُ العقلاء في العلوم الإلَهية، والخلقية، والسياسية، وجَد بينه وبين ما جاء في الكُتُب الإلَهية؛ التوراة، والإنجيل، والزبور، وصُحُف الأنبياء، = وجَد بين ذلك وبين القرآن من التفاوُت أعظم مِما بين لفظه ونظمه، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم؛ فالإعجاز في معناه أعظم من الإعجاز في لفظه، وجَميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بِمِثل معانيه أعظم مِن عجز العرب عن الإتيان بِمثل لفظه. وما في التوراة والإنجيل – ولو قدّر أنه مثل القرآن- لا يقدح في المقصود؛ فإنّ تلك كُتُب الله أيضًا، ولا يَمتنع أنْ يأتِي نبِيّ بنظير آية نبِي؛ كما أتى المسيح بإحياء الموتى، وقد وقع إحياء الموتى على يد غيره، فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلا لِمعانِي القرآن، لا في الحقيقة ولا في الكيفية، ولا في الكمية، بل يَظهر التفاوت لكل مَن تدبر القرآن، وتدبر الكُتُب. وهذه الأمور مَن ظهَرَت له مِن أهل العلم والمعرفة، ظهَر له إعجازُه مِن هذا الوجه، ومَن لم يَظهر له ذلك اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظْهر له ولأمثاله: كعجز جميع الخلق عن الإتيان بِمثله مع تَحدّي النبِيّ وإخباره بعجزهم، فإنّ هذا أمرٌ ظاهرٌ لكلّ أحد. ودلائل النبوة مِن جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر البيّن لكلّ أحد؛ كالحوادث المشهودة، مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال

المطر، وغير ذلك، فإنّ الخلق كلّهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق، والإقرار برُسُله. وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا؛ فإنّ الله يَجُود به على عِباده جُودًا عامًّا مُيَسَّرًا. فلمَّا كانت حاجتهم إلى النّفَس أكثَر مِن حاجتهم إلى الماء، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل، كان سبحانه قد جاد بالهوَاء جودًا عامًّا في كلّ مكان وزمان؛ لضرورة الحيوان إليه، ثم الماء دونه، ولكنّه يُوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر؛ لأنّ الحاجة إليه أشد. فكذلك دلائل الربوبية، حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات، ثم دلائل النبوة، فلِهذا يسّرها الله وسهّلها أكثر مما لا يحتاج إليه العامة؛ »[1].

وبِهذا انتهى هذا المطلب، وهو أول آيات نبينا محمدٍ ﷺ وأكبر دليلٍ من دلائل نبوته، وستأتِي خمسة مطالب بعده لبيان طائفة أخرى من دلائل نُبُوّتِه وأعلامها. والله أعلم.

[1] الجواب الصحيح، (ج3/ 253-254).

المطلب الثاني: حادثة انشقاق القمر:

إنّ مِن آيات ودلائل نبُوّة نبيِّنا محمدٍ ﷺ، ما أجاب الله تعالى من طلبه تأييدًا له على رسالته، وذلك حين طلب منه المشركون أنْ يُرِيَهم آية، فدعا القمر، وانشق عنده فلقتين، ونزل نِصفُه على جبل أبِي القعيقعان، والآخر على جبل أبِي قُبَيس، قال تعالى: ﭽﮬﮭ ﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙ ﯚﯛ ﭼ [القمر: ١ – ٣].

قال القرطُبِيُّ –رحمه الله-: « ﭽ ﭼ أي: وقد انْشقّ القَمَر. وكذا قرَأ حُذيفة (اقتربت الساعة وقد انشق القمر) بزيادة (قد)[1]، وعلى هذا الجمهور من العلماء، ثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره من حديث ابن مسعود، وابن عمر، وأنس، وجبير بن مطعم، وابن عباس ﭫ »[2].

وأما أحاديث هؤلاء الصحابة ﭫ:

1- ففي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﭬ، قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **اشْهَدُوا** "[3]. وقد عقَد له البخاري –رحمه الله- بابًا عَنْوَن له: بـ(بَاب سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ).

2- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، مرفوعًا مثله[4].

3- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﭬ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَر[5].

---

1 (?) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبِي الفتح ابن جنّي، (ج2/ 297).

2 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج20/ ص72)، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ص1789.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، رقم: 3636، وصحيح مسلم: كتاب صفة القيامة، باب انشقاق القمر، رقم: 2800.

4 (?) صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2801 .

5 (?) صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 3637، وصحيح مسلم، الكتاب والباب، رقم: 2802.

4- وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: إنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ [6].

5- وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ، قَالَ: « انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ؛ فِرْقَةً عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، فَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ! فَقَالُوا: إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ »[2].

وبإيراد الآية، وإرداف هذه الأحاديث بعدها مفسِّرة لها ظهَر وجهُ كون انشقاق القمر دليلا مِن دلائل النّبوة، وآية من آياتها، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير الآيات: « قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنّه قال: " **خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: الرُّومُ، وَالدُّخَانُ، واللِّزَام**[3]**، وَالْبَطْشَةُ، وَالْقَمَرُ** "[4]. وهذا أمرٌ متفق عليه بين العلماء، أي: انشقاق القمر، قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. ذكر الأحاديث الواردة في ذلك »[5]، فذكرها.

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « يُخبر تعالى أنّ الساعة وهي القيامة اقتربت وآنَ أوانُها، وحان وقتُ مجيئها، ومع ذلك، فهؤلاء المكذبون لم يزالوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها، ويُريهم الله من الآيات العظيمة الدالة على وقوعها ما يؤمن على مثله البشر. فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ،

---

6 (?) صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 3638، وصحيح مسلم، الكتاب والباب، رقم: 2803.

2 (?) جامع الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة القمر، رقم: 3289، ومسند الإمام أحمد، رقم: 16871، قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي: صحيح الإسناد .

3 (?) **اللزام** المراد به قوله سبحانه وتعالى: أي: يكون عذابهم لازمًا، قال النووي –رحمه الله- قالوا: هو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والسر، وهي البطشة الكبرى، (انظر: المنهاج للنووي، ص1642).

4 (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب بَاب ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ رقم: 4825، وصحيح مسلم: كتاب صفة القيامة، باب الدخان، رقم: 2798، واللفظ للبخاري.

5 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ ص332-333) .

أنه لما طلب منه المكذبون أنْ يُرِيَهم من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، أشار إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقتين، فلقة على جبل أبي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان. والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخييل. فشاهدوا أمرًا ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرَى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يُرد الله بهم خيرًا، ففزعوا إلى بَهتهم وطغيانهم، وقالوا: سحَرَنا محمدٌ، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدِم إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحركم، لا يقْدِر أنْ يسْحَر مَن ليس مشاهدًا مثلكم، فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: ﭽﯙﯚﭼ سَحَرَنا محمدٌ، وسَحَرَ غيرَنا، وهذا من البهت، الذي لا يَرُوج إلا على أسفَهِ الخلق وأضلِّهم عن الهدى والعقل، وهذا ليس إنكارًا منهم لهذه الآية وحدها، بل كل آية تأتيهم، فإنّهم مستعدون لمقابلتها بالباطل والرد لها، ولهذا قال: ﭽﮃﮄﮅﭼ ولم يعُد الضمير على انشقاق القمر فلم يقل: وإن يروها بل قال: ﭽﮃﮄﮅﭼ وليس قصدهم اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الهوى، ولهذا قال: ﭽﯚﯛ ﯜﭼ كقوله تعالى: ﭽﯨﭼ [القصص: ٥٠]. فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعا، واتبعوا محمدا ، لأنه أراهم الله على يديه من البينات والبراهين والحجج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، ﭽﯞﯟﭼ أي: إلى الآن، لم يبلغ الأمر غايته ومنتهاه، وسيصير الأمر إلى آخره، فالمصدق يتقلب في جنات النعيم، ومغفرة الله ورضوانه، والمكذب يتقلب في سخط الله وعذابه، خالدًا مُخلّدًا أبدًا »[1].

وظاهر سياق الآيات الأولى مِن سورة القمر أنّ آية انشقاق القمر قد حصلَتْ زمانَ رسول الله ، وعلى هذا الأحاديث الكثيرة المذكور بعضها، وهو القول المعتبر

---

1 (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص823-824 .

وقول الجمهور، إلا أنّه هناك قولٌ آخر يقول بعدم حصول ذلك في الزّمن الماضي. وهذا القول قالَه الملاحدة، ونُسِب إلى بعض المعتبرين، مؤوِلين آية القمر إما بزعم التقديم والتأخير (انشق القمر واقتربت الساعة) مما يدل على أنّ الانشقاق سيكون قُبَيل الساعة، وإما بغيره مِن التأويلات. وللرد على هؤلاء، وأولئك الملاحدة الذين يَنفُون وجودَه بدليل أنّه لو حصل لعَلمَه كلُّ الناس أنقُل بعض النقولات لاشتمالها على الأوجه الظاهرة للردّ على الطائفتين:

قال القرطُبِيُّ –رحمه الله-: « وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعدُ وهو منتظر، أي: اقتَرَب قيام الساعة وانشقاقُ القمر، وأنَّ الساعة إذا قامت اْنشَقَتْ السماء بِما فيها من القمر وغيره. وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي: أنّ هذا قول الجمهور، وقال: لأنه إذا اْنشق ما بقي أحدٌ إلا رآه، لأنَّه آية، والناس في الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة، فإذا جاءتْ اْنشَقَّ القمر بعد النفخة الثانية. **وقيل:** ﭽﮬﮭﭼ أي: وضُح الأمر وظهر، والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضُح، .. **وقيل:** انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها، كما يسمى الصبح فَلَقًا، لانفلاق الظلمة عنه. وقد يُعَبّر عن انفلاقه بانشقاقه، .. **قلت:** وقد ثبت بنقل الآحاد العدول أنَّ القمر انشق بِمكة، وهو ظاهر التنـزيل، ولا يلزم أنْ يستوي الناس فيها، لأنها كانت آية ليلية، وأنها كانت باستدعاء النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي. .. **وقد قيل:** هو على التقديم والتأخير، وتقديرُه: (انشق القمر واقتربت الساعة)، قاله ابن كيسان. وقد مرَّ عن الفرّاء أنَّ الفعلين إذا كانا متقارِبَي المعنى، فلَكَ أنْ تُقدِّم وتُؤَخِّر عند قوله تعالى: ﭽﭻﭼﭽﭾ [النجم: ٨]. قوله تعالى: ﭽﮮﮯﮰﮱ ﭼ هذا يدلّ على أنّهم رأوا انشقاق القمر »[1].

وقال النووي –رحمه الله- في شرح الأحاديث: « قَالَ الْقَاضِي: انْشِقَاق الْقَمَر مِنْ أُمَّهَات مُعْجِزَات نَبِيّنَا ﷺ، وَقَدْ

---

[1] (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج20/ 72-73).

رَوَاهَا عِدَّة مِنْ الصَّحَابَة مَعَ ظَاهِر الآيَة الْكَرِيمَة وَسِيَاقهَا، قَالَ الزَّجَّاج: وَقَدْ أَنْكَرَهَا بَعْض الْمُبْتَدِعَة الْمُضَاهِينَ الْمُخَالِفِي الْمِلَّة، وَذَلِكَ لَمَّا أَعْمَى اللَّه قَلْبه، وَلا إِنْكَار لِلْعَقْلِ فِيهَا؛ لأَنَّ الْقَمَر مَخْلُوق لِلَّهِ تَعَالَى يَفْعَل فِيهِ مَا يَشَاء، كَمَا يُفْنِيه وَيُكَوِّرهُ فِي آخِر أَمْره. وَأَمَّا قَوْل بَعْض الْمَلاحِدَة: لَوْ وَقَعَ هَذَا لَنُقِلَ مُتَوَاتِرًا، وَاشْتَرَكَ أَهْل الأَرْض كُلّهمْ فِي مَعْرِفَته، وَلَمْ يَخْتَصّ بِهَا أَهْل مَكَّة، فَأَجَابَ الْعُلَمَاء بِأَنَّ هَذَا الانْشِقَاق حَصَلَ فِي اللَّيْل، وَمُعْظَم النَّاس نِيَام غَافِلُونَ، وَالأَبْوَاب مُغْلَقَة، وَهُمْ مُتَغَطُّونَ بِثِيَابِهِمْ، فَقَلَّ مَنْ يَتَفَكَّر فِي السَّمَاء أَوْ يَنْظُر إِلَيْهَا إِلا الشَّاذّ النَّادِر، وَمِمَّا هُوَ مُشَاهَد مُعْتَاد، أَنْ كُسُوف الْقَمَر وَغَيْره مِنْ الْعَجَائِب وَالأَنْوَار الطَّوَالِع وَالشُّهُب الْعِظَام وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا يَحْدُث فِي السَّمَاء فِي اللَّيْل، يَقَع وَلا يَتَحَدَّث بِهَا إِلا الآحَاد، وَلا عِلْم عِنْد غَيْرهمْ، لِمَا ذَكَرْنَاهُ، وَكَانَ هَذَا الانْشِقَاق آيَة حَصَلَتْ فِي اللَّيْل لِقَوْمٍ سَأَلُوهَا، وَاقْتَرَحُوا رُؤْيَتهَا، فَلَمْ يَتَنَبَّه غَيْرهمْ لَهَا، قَالُوا: وَقَدْ يَكُون الْقَمَر كَانَ حِينَئِذٍ فِي بَعْض الْمَجَارِي وَالْمَنَازِل الَّتِي تَظْهَر لِبَعْضِ الآفَاق دُون بَعْض، كَمَا يَكُون ظَاهِرًا لِقَوْمٍ غَائِبًا عَنْ قَوْم، كَمَا يَجِد الْكُسُوف أَهْل بَلَد دُون بَلَد. وَاَللَّه أَعْلَم »[1].

وقال الشيخ رحمة الله الهندي –رحمه الله- ضمن الأفعال الأربعين التي ذكرها مما ظهَرتْ على يد الرسول على خلاف العادة، وقد أشار إلى أنها تزيد على ألف: « (2) قال اللّه تعالى: ﭽﮪﮫ ﯕﯖﯗﯘﯙﯚﭼ أخبر اللّه بوقوع الانشقاق بلفظ الماضي فيجب تحققه. وحملُه على معنى سينشق بعيدٌ لأربعة أوجه: **الأول:** أن قراءة حذيفة، وقد انشق القمر وهي صريحة في الزمان الماضي، والأصل توافق القراءتين. **والثاني:** أنّ اللّه أخبر بإعراضهم عن آياته، والإعراض الحقيقي عنها لا يتصور قبل وقوعها. **والثالث:** أنّ المفسرين المشهورين صرّحوا بأنّ (انشق) بِمعناه، وردُّوا قول من قال بِمعنى سينشق. **والرابع:** أنَّ الأحاديث الصحيحة تدلّ على وقوعه قطعًا، ولذلك قال

---

1 ( ) المنهاج في شرح صحيح مسلم، 1642 .

شارح المواقف: (وهذا متواتر قد رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره) انتهى كلامه. وقال العلامة أبو نصر عبد الوهاب ابن الإمام علي بن عبد الكافي بن تمام الأنصاري السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب في الأصول: (والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن، مروي في الصحيحين وغيرهما) انتهى كلامه. وأقوى شبهات المنكرين أنّ الأجرام العُلوية لا يتأتّى فيها الخرق والالتئام، وأنّ هذا الانشقاق لو وقع لم يخفَ على أهل الأرض كلِّهم، ولنَقله مؤرخو العالم. **والجواب:** أنّ هذه الشبهة ضعيفة جدًّا نقلاً وعقلاً. أما نقلاً فلسبعة أوجه »[1]، فذكرها، وملخصُ أولها: أنَّ حادثة طوفان نوح كانت ممتدة إلى سنة، وفنَى فيها كل ذي حياة من الطيور والبهائم والحشرات والإنسان غير أهل السفينة، وما نجا من الإنسان غير ثمانية أشخاص، وما مضَت على هذه الحادثة مدة إلى هذا اليوم على زعم أهل الكتاب إلا مقدار أربعة آلاف ومائتين واثنتي عشرة سنة شمسية ولا يوجد هذا الحال في تواريخ مشركي الهند وكتبهم. وهم ينكرون هذا الأمر إنكارًا بليغًا ويستهزئ به علماؤهم كافة[2].

ثم قال: « وأما بطلانها عقلا فلِوجوهٍ ثمانية »[3]، فذكرها، وملخصها:

أولا: أنّ انشقاق القمر كان في الليل، وهو وقت الغفلة والنوم والسكون عن المشي والتردد في الطرق، لاسيما في موسم البرد، لأنّ الناس يكونون مستريحين في دواخل البيوت وزواياها، مغلقين أبوابها، فلا يكاد يعرف من أمور السماء سَيّئًا إلا مَن انتظره واعتنى به، ألا ترى إلى خسوف القمر! فإنه يكون كثيرًا، وأكثر الناس لا يكون لا يحصل لهم العلم به حتى يُخبرهم أحدٌ به في السَّحر.

ثانيًا: أنّ هذه الحادثة ما كانت ممتدة إلى زمانٍ كثير، فما كان للناظر أنْ يذهب إلى الغير الذي هو بعيدٌ عنه ويُنبِّهه،

---

[1] (?) إظهار الحق، (ج4/ 1027-1028).
[2] (?) انظرها، المصدر نفسه، (من ص1029-1037) .
[3] (?) إظهار الحق، ص1038 .

أو يوقظ النائم ويُريه. **ثالثًا:** أنّها لم تكن متوقعة الحصول لأهل العالم لينظروها في وقتها، ويرَوها كما أنّهم يَرَون هلال رمضان، والعيدين، والكسوف، والخسوف في أوقاتها غالبًا لأجل كونها متوقعة الحصول، ولا يكون نظر كلّ واحدٍ إلى السماء في كلّ جزءٍ من أجزاء النهار أيضًا فضلا عن الليل، فلذلك رأى الذين كانوا طالبين لهذه المعجزة، ومَن وقع نظرُه في هذا الوقت إلى السماء. **رابعًا:** أنّه قد يحول في بعض الأمكنة في بعض الأوقات بين الرائي والقمر سحابٌ غليظٌ أو جبل، وأهل البلاد الشمالية كالروم والفرنج في موسم نزول الثلج والمطر لا يرَون الشمس إلى أيام، فضلا عن القمر. **خامسًا:** القمر لاختلاف مطالعه ليس في حد واحدٍ لجميع أهل الأرض، فقد يطْلُع على قومٍ قبل أنْ يطلع على آخرين، ولذا نجد الخسوف في بعض البلاد دون بعض، وفي بعضها جزئيًّا، وفي بعضها مستوفيًا أطرافه كلها.
سادسًا: قلما يقع أنْ يبلُغ عدد ناظِرِي أمثال هذه الحوادث النادرة الوقوع إلى حدٍّ يُفيد اليقين، وإخبار بعض العوام لا يكون معتبرًا عند المؤرخين في الوقائع العظيمة .. **سابعًا:** أنّ المؤرخين كثيرًا ما يكتبون الحوادث الأرضية، ولا يتعرّضون للحوادث السماوية إلا قليلا، لاسيّما مؤرخي السلف. **أخيرًا:** أنّ المنكر إذا عَلِم أنّ الأمر الفلانِي معجزة أو كرامة للشخص الذي يُنكره تصدى لإخفائها، ولا يرضى بذكرها وكتابتها غالبًا[1].

ثم قال: « فظهَرَ أنْ لا اعتراض عقلا ونقلا على معجزة شق القمر »[2]. والله تعالى أعلم.

** * **

المطلب الثالث: الإسراء والمعراج[3]:

1 (?) انظر، المصدر نفسه: ص1038-1042 .
2 (?) إظهار الحق، ص1042 .
3 (?) للاستزادة: يُنظر: دلائل النبوة للبيهقي، باب الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وما ظهر في ذلك من

إنّ مِن آيات ودلائل نبُوّة نبيِّنا محمدٍ ﷺ، حادثةَ الإسراء والمعراج التي فيهما من الآيات العظيمات الباهرات ما الله به عليم. قال الإمام أبو عبد الله السفاريني (ت 1189هـ):

ومعجز القرآن كالمعراج حقًّا بلا مين ولا اعوجاج[1].

وسيكون الحديث في هذا المطلب عن شيءٍ مِن الآيات في إسرائه ومعراجه، بعد ذكر وبيان الوجه الذي صارا (الإسراء والمعراج) آية ودليلا لنبوته عليه الصلاة والسلام.

وقبل كلّ ذلك أمهِّد بِما يُبَيِّن حقيقة الإسراء والمعراج. فأقول:

ما حقيقة الإسراء والمعراج؟

الإسراء: هو السَّير ليلا، قال الحافظ ابن حجر: « قَوْله: (أَسْرَى) مَأْخُوذ مِنْ السُّرَى وَهُوَ سَيْر اللَّيْل، تَقُول أَسْرَى وَسَرَى إِذَا سَارَ لَيْلا بِمَعْنًى، هَذَا قَوْل الأَكْثَر. وَقَالَ الْحَوْفِيّ: أَسْرَى سَارَ لَيْلا، وَسَرَى سَارَ نَهَارًا. وَقِيلَ: أَسْرَى سَارَ مِنْ أَوَّل اللَّيْل، وَسَرَى سَارَ مِنْ آخِره، وَهَذَا أَقْرَب. وَالْمُرَاد بِقَوْلِهِ: ﭧ ﭨ أَيْ: جَعَلَ الْبُرَاق يَسْرِي بِهِ، كَمَا يُقَال: أَمْضَيْت كَذَا، أَيْ: جَعَلْته يَمْضِي، وَحَذَفَ الْمَفْعُول لِدَلالَةِ السِّيَاق عَلَيْهِ، وَلأَنَّ الْمُرَاد ذِكْر الْمُسْرَى بِهِ، لا ذِكْر الدَّابَّة »[2].

والمعراج: -بكسر الميم، وحكِي: ضمها-، وهو مِن عرَج –بفتح الراء- يعرُج –بضمها- إذا صعَد، فهو الصعود إلى السماء، والمعراج: مفعالٌ من العروج، أي: الآلة التي

الآيات، (ج2/ـ 257-268)، وباب الدليل على أنَّ النبي ﷺ عُرج به إلى السماء؛ فرأى جبريل ﷺ في صورته ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ، وقبل ذلك كان قد رأى جبريل ﷺ في صورته؛ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ، (ج2/ـ 268-298)، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 189-206، وإظهار الحق للشيخ رحمه الله، (ج4/ 1022-1027)، وكامل كتاب الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما، وتخريجها، وبيان صحيحها من سقيمها، للشيخ ناصر الدين الألباني.

1 (?) الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية للسفاريني، البيت رقم: 138.

2 (?) فتح الباري، (ج2/ 2767).

يُعرَج فيها، أي: يُصعَد، وهو بمَنزلة السُّلّم، لكن لا نعلم كيف هو؛ فنؤمن به، ولا نشتغل بكيفيته، وحكمه كحكم غيره من المغيبات[1].

والحكمة من الإسراء قبل المعراج، والحكمة من البدأ بِهذا قبل هذا -والله أعلم- أنّه كان إظهارًا لصِدق دعوى الرسول المعراجَ، حيث سألتْه قريش عن نعت بيت المقدس، فنعتَه لهم، وقد اطّلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته، بل وأخبرهم عن عيرهم التي مرّ عليها في طريقه، وأنّ البعير الفلانِي ضلّ في ذلك اليوم، وقد وجدهم في طلبه، وأنّ ناقة حمراء من إبل بنِي فلان انكسرت، كما أنّ الذي يقدمها هو صاحب اللون الفلانِي، فلو كان عروجه إلى السماء مِن مكة لَما حصل ذلك، إذْ لا يمكنهم الاطلاع على ما في السماء لو أخبرهم عنه[2].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَالَ الشَّيْخ أَبُو مُحَمَّد بْن أَبِي جَمْرَة: الْحِكْمَة فِي الإِسْرَاء إِلَى بَيْت الْمَقْدِس قَبْل الْعُرُوج إِلَى السَّمَاء: إِرَادَة إِظْهَار الْحَقّ لِمُعَانَدَةِ مَنْ يُرِيد إِخْمَاده، لأَنَّهُ لَوْ عُرِجَ بِهِ مِنْ مَكَّة إِلَى السَّمَاء لَمْ يَجِد لِمُعَانَدَةِ الأَعْدَاء سَبِيلًا إِلَى الْبَيَان وَالإِيضَاح، فَلَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْت الْمَقْدِس سَأَلُوهُ عَنْ تَعْرِيفَات جُزْئِيَّات مِنْ بَيْت الْمَقْدِس كَانُوا رَأَوْهَا وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَآهَا قَبْل ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهَا حَصَلَ التَّحْقِيق بِصِدْقِهِ فِيمَا ذَكَرَ مِنْ الإِسْرَاء إِلَى بَيْت الْمَقْدِس فِي لَيْلَة، وَإِذَا صَحَّ خَبَره فِي ذَلِكَ لَزِمَ تصديقه فِي بَقِيَّة مَا ذَكَرَهُ، فَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَة فِي إِيمَان الْمُؤْمِن، وَزِيَادَة فِي شَقَاء الْجَاحِد وَالْمُعَانِد، اِنْتَهَى مُلَخَّصًا »[3].

وقال –رحمه الله- في بيان المناسبات الضعيفة: « وَقَدْ رَوَى كَعْب الأَحْبَار أَنَّ بَاب السَّمَاء الَّذِي يُقَال لَهُ: مِصْعَد الْمَلائِكَة يُقَابِل بَيْت الْمَقْدِس، فَأَخَذَ مِنْهُ بَعْض الْعُلَمَاء أَنَّ الْحِكْمَة فِي الإِسْرَاء إِلَى بَيْت الْمَقْدِس قَبْل

---

1 (?) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، (ج1/ ص339)، وفتح الباري لابن حجر، (ج2/ ص2771).

2 (?) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (ج1/ 344) .

3 (?) فتح الباري لابن حجر، ج2/ ص2769-2770).

الْعُرُوج لِيَحْصُل الْعُرُوج مُسْتَوِيًا مِنْ غَيْر تَعْوِيج، وَفِيهِ نَظَر، لِوُرُودِ أَنَّ فِي كُلّ سَمَاء بَيْتًا مَعْمُورًا، وَأَنَّ الَّذِي فِي السَّمَاء الدُّنْيَا حِيَال الْكَعْبَة، وَكَانَ الْمُنَاسِب أَنْ يَصْعَد مِنْ مَكَّة لِيَصِل إِلَى الْبَيْت الْمَعْمُور بِغَيْرِ تَعْوِيج، لأَنَّهُ صَعِدَ مِنْ سَمَاء إِلَى سَمَاء إِلَى الْبَيْت الْمَعْمُور. وَقَدْ ذَكَرَ غَيْره مُنَاسِبَات أُخْرَى ضَعِيفَة، فَقِيلَ: الْحِكْمَة فِي ذَلِكَ أَنْ يَجْمَع ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَة بَيْن رُؤْيَة الْقِبْلَتَيْنِ. أَوْ لِأَنَّ بَيْت الْمَقْدِس كَانَ هِجْرَة غَالِب الأَنْبِيَاء قَبْله؛ فَحَصَلَ لَهُ الرَّحِيل إِلَيْهِ فِي الْجُمْلَة لِيَجْمَع بَيْن أَشْتَات الْفَضَائِل. أَوْ لأَنَّهُ مَحَلّ الْحَشْر، وَغَالِب مَا اُتُّفِقَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَة يُنَاسِب الأَحْوَال الأُخْرَوِيَّة، فَكَانَ الْمِعْرَاج مِنْهُ أَلْيَق بِذَلِكَ. أَوْ لِلتَّفَاؤُلِ بِحُصُولِ أَنْوَاع التَّقْدِيس لَهُ حِسًّا وَمَعْنًى. أَوْ لِيَجْتَمِع بِالأَنْبِيَاءِ جُمْلَة كَمَا سَيَأْتِي بَيَانه. وَسَيَأْتِي مُنَاسَبَة أُخْرَى لِلشَّيْخِ ابْن أَبِي جَمْرَة قَرِيبًا، وَالْعِلْم عِنْد اللَّه »[1].

قلت: وقد سبقتْ المناسبة قريبًا. والحمد لله.

وحقيقة الإسراء والمعراج هو: إذهاب الله عبدَه؛ روحَه وجسدَه، يقظةً لا منامًا، مِن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارَك، برُفقة جبريل ﷺ، ثم الصعود إلى ما بعد السماء السابعة، لِيُريـه الله تعالى بعضَ آياته العظام، ويَمنَحَه بعض المنائح، ويَفرَض عليه وعلى أمته بعض الفرائض. ثم الرّجوع إلى مكة بعد كلّ ذلك في ليلة واحدة.

وقد حصل ذلك مرّة واحدة على الصحيح المعتمد[2] قبل الهجرة وبعد البعثة.

وقد جاء ذكر هذه الحادثة في القرآن العظيم، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [الإسراء: ١].

وقال عن المعراج: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [النجم:1-١٨].

---

[1] فتح الباري لابن حجر، (ج2/ 2767).

[2] انظر عن هــذه المســائل، شــرح ابن أبي العز على العقيــدة الطحاوية، (ج1/ـ 339-344)، وفتح البـاري لابن حجـر، (ج2/ـ 2767-2768).

وكذا جاء ذكرُها في السنة المتواترة، حيث استفاضتْ فرُويت الأخبار عن جمع من الصحابة، قال أبو عبد الله القرطبي –رحمه الله-: « ثَبَتَ الإسراء في جميع مصنّفات الحديث، ورُويَ عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه. وذكر النقاش: ممن رواه عشرين صحابيًّا »[1].

وقد نقل هذا الكلام هو عن ابن عطية[2]، كما نقله عنه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[3].

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: بعد تفسيره للآية الأولى من سورة الإسراء: « **فائدة:** قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحْيَة في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس، وتكلّم عليه فأجاد وأفاد، ثم قال: وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبِي طالب، وابن مسعود، وأبِي ذرٍّ، ومالك بن صعصعة، وأبِي هريرة، وأبِي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأُبِي بن كعب، وعبد الرحمن بن قُرْط، وأبِي حبة، وأبِي ليلى الأنصاريين، وعبد الله بن عمرو، وجابر، وحُذيفة، وبُريدة، وأبِي أيوب، وأبِي أمامة، وسمرة بن جُنْدُب، وأبِي الحمراء، وصُهيب الرومي، وأم هانئ، وعائشة وأسماء ابنتِي أبِي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين. منهم من ساقه بطوله، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد، وإنْ لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، واعترض فيه الزنادقة الملحدون: ﭼﮄﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﭽ [الصف: ٨] »[4].

وأذكر هنا حديثًا واحدًا مِن تلك الأحاديث، حاويًا لأكثر مجريات الحادثة، وهو حديث ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ –رحمه الله- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " **أُتِيتُ**

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، (ج13/ 7).

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص1125 .

[3] في كتابه أضواء البيان، (ج3/ 471).

[4] تفسير القرآن العظيم، (ج3/ـ 36-37)، ونقله عنه الشيخ محمد الأمين في أضواء البيان، (ج3/ 473).

بِالْبُرَاقِ -وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ- فَرَكِبْتُهُ، فَسَارَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. قَالَ جِبْرِيلُ: أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ! قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ؛ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ؛ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ! فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ! فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ؛ يَحْيَى وَعِيسَى؛ فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ؛ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ! فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ! فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ! فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ؛ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ! قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ! فَقِيلَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ! فَفُتِحَ الْبَابُ؛ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ؛ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ : ﭽﯧﯨﯩﯪﭼ [مريم: ٥٧]. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ! فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ! فَقِيلَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ! فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ؛ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ،

فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ! قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ! فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ! فَفُتِحَ لَنَا؛ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ؛ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ! قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ! قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ! فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ، وَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ. ثُمَّ ذُهِبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلالِ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا. قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، وَفَرَضَ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ صَلاةً، فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، وَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: أَيْ رَبِّ! خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي!! فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ؛ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى، وَيَحُطُّ عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ؛ فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلاةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَشْرًا. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ

فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى لَقَدْ اسْتَحَيْتُ** "[1].

قال الحافظ المحقّق عماد الدين ابن كثير –رحمه الله-: بعدما أورد أحاديث الإسراء والمعراج عن أكثر من ستة عشر صحابيًا بطُرُقها الكثيرة، محقّقًا تلك المسائل: « وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث؛ صحيحها وحسنها وضعيفها، يَحصُل مضمون ما اتفقت عليه مِن مَسرى رسول الله ﷺ؛ من مكة إلى بيت المقدس، وأنَّه مرَّة واحدة، وإن اختَلَفَتْ عباراتُ الرُّواة في أدائه، أو زَادَ بعضُهم فيه أو نقَص منه، فإنّ الخطأ جائزٌ على مَن عدا الأنبياء عليهم السلام. ومَن جعل مِن الناس كلَّ رواية خالَفَتْ الأخرى مرة على حِدَة، فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب، ولم يحصل على مطلب. وقد صرّح بعضهم؛ من المتأخرين بأنّه ﷺ أسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومرة من مكة إلى السماء فقط، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء، وفرح ِبهذا المسلك، وأنه قد ظفر بشيء يَخْلُص به من الإشكالات، وهذا بعيدٌ جدًا، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته، ولنَقَلَـتْه الناس على التَّعدُّدِ والتكرر. قال موسى بن عقبة، عن الزهري: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة. وكذا قال عروة. وقال السدي: بستة عشر شهرًا »[2].

ثم قال محققًا القول في المسائل التي مهدتُ بها: « والحق أنه ﷺ أُسري به يقظة لا منامًا، مِن مكة إلى بيت المقدس، راكبًا البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربَط الدابة عند الباب، ودخَله، فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين. ثم أتى المعراج -وهو كالسُّلّم ذو دَرَج يُرقى فيها-

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات، رقم: 162، ومسند الإمام أحمد، رقم: 12047، واللفظ لأحمد .

[2] تفسير القرآن العظيم، (ج3/ 34).

فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السماوات السبع، فتلقاه من كل سماء مقرَّبوها، وسلم عليه الأنبياء عليهم السلام الذين في السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم، حتى مرّ بموسى الكليم في السادسة، وإبراهيم الخليل في السابعة، ثم جاوَز منـزلتهما وعليهما وعلى سائر الأنبياء، حتى انتهى إلى مستوى يَسْمَع فيه صريف الأقلام -أي: أقلام القدر بما هو كائن-، ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله تعالى، عظمةٌ عظيمة، مِن فَراش مِن ذَهَب، وألوان متعددة، وغشيتها الملائكة، ورأى هنالك جبريل على صورته، وله ستمائة جناح، ورأى رفرفًا أخضر قد سدّ الأفق، ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل بانِي الكعبة الأرضية مُسْنِدًا ظهْرَه إليه؛ لأنّه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يتعبدون فيه، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. ورأى الجنة والنار، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين، ثم خفّفها إلى خمس؛ رحمة منه ولطفًا بعباده. وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعَظَمَتها. ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لَمّا حانت الصلاة، ويحتمل أنّها الصبح من يومئذ. ومِن الناس مَن يزْعُم أنه أمَّهُم في السماء. والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس، ولكن في بعضها أنّه كان أول دخوله إليه. والظاهر أنه بعد رجوعه إليه؛ لأنّه لَمّا مرّ بِهم في منازلهم جعل يَسْأل عنهم جبريل واحدًا واحدًا، وهو يُخْبِره بِهم، وهذا هو اللائق؛ لأنّه كان أولا مطلوبًا إلى الجناب العُلْويّ لِيُفرَض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى. ثم لَمّا فرَغ من الذي أريد به، اجتمع هو وإخوانه من النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. ثم أظهر شرَفَه وفضْله عليهم بتقدْيمه في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل له في ذلك. ثم خرَج من بيت المقدس فرَكِب البراق وعاد إلى مكة بغلس، والله سبحانه وتعالى أعلم. وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل، أو اللبن والخمر، أو اللبن والماء، أو

الجميع -فقد ورد أنه في بيت المقدس، وجاء أنه في السماء. ويحتمل أن يكون هاهنا وهاهنا؛ لأنه كالضيافة للقادم، والله أعلم. ثم اختلف الناس: هل كان الإسراء ببدنه وروحه؟ أو بروحه فقط؟ على قولين، فالأكثرون من العلماء على أنَّه أُسْرِي ببدنه وروحه يقظة لا منامًا، ولا ينكر أن يكون رسول الله رأى قبل ذلك منامًا، ثم رآه بعده يقظة؛ لأنَّه كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح؛ والدليل على هذا قوله : ﭽﭑﭒﭓﭔﭼ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء، ولم يكن مُستعْظَمًا. ولَمَا بادَرَتْ كفارُ قريش إلى تكذيبه. ولَمَا ارتد جماعةٌ ممن كان قد أسلم. وأيضًا فإنّ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد قال عزّ شأنه ﭽﭕﭖﭼ وقد قال تعالى: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭼ [الإسراء: ٦٠]. قال ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ. .. رواه البخاري[1] . وقال تعالى: ﭽﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭼ [النجم: ١٧]. والبصر من آلات الذات لا الروح. وأيضًا فإنَّه حُمِل على البراق، وهو دابة بيضاء برّاقة لَها لَمَعان، وإنّما يكون هذا للبدن لا للروح؛ لأنّها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه، والله أعلم »[2].

والأوجه التي ذكرها الحافظ –رحمه الله- هنا في تقرير أنّ الإسراء كان بالروح والجسد قوية جدًّا.

وذكر الله تعالى علة الإسراء والمعراج، فقال: ﭽﭞﭟﭠﭡﭼ ولفظة (مِن) هنا وفي آية النجم (18) للتبعيض، وقد أراه الله تعالى بعض آياته، فقد ثبَت أنّه رأى: جبريل على صورته التي خلقه الله عليها؛ له ستمائة جناح، ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﭼ [النجم: ١٣ – ١٥]. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: ﭽ ﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂ ﭼ قَالَ: « رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ »[3]. وعند الترمذي عنه قال: « رَأَى رَسُولُ اللَّهِ

---

[1] (?) الحديث في صحيح البخاري: وسيأتِي تخريجه قريبًا.

[2] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ 34-35).

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين، 3232، وكتاب التفسير، بَاب ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ، رقم: 4856، وبَاب

جِبْرِيلَ فِي حُلَّةٍ مِنْ رَفْرَفٍ قَدْ مَلأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ »[1].

كما أراه الله تعالى الشجرة العظيمة العجيبة، بورقها، ونَبَقها الكبيرة، حين غشِيَها مِن أمر الله ما غَشِيَها.

كما أراه الله تعالى الجنان، والحور وبعض ما أعدّ الله لعباده، من الكرامات.

وأراه الله تعالى مالكًا خازن النار، والمرابين في النار، وبعض الإهانات، ومن أدلة بعض ذلك: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لمْ أُثْبِتْهَا؛ فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنْ الأَنْبِيَاءِ؛ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ، -يَعْنِي: نَفْسَهُ- فَحَانَتْ الصَّلاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ الصَّلاةِ، قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكٌ؛ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلامِ** "[2].

وأراه الله تعالى متَعبَّد الملائكة؛ البيت المعمور، مستنَد ظهر إبراهيم .

وأراه الله تعالى الأنبياء عليهم على مراتبهم؛ آدم صاحب الأسْوِدَتين الْمُضحِكة والْمُبكية في الأولى، ويحيى وعيسى

قَوْلِهِ تعالى: ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ منه، رقم: 4857، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، رقم: 174.

[1] جامع الترمذي: في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ (وَالنَّجْمِ)، رقم: 3283، وقال: « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، وصححه الشيخ الألباني، (الإسراء والمعراج، ص103).

[2] سبق تخريج الحديث، وأنه في صحيح مسلم: بَاب ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، برقم: 172.

في الثانية، ويوسف الجميل في الثالثة، وإدريس في مكانه العلِيّ في الرابعة، وهارون في الخامسة، وصاحب الغبطة والمشورة موسى في السادسة، وأبا الأنبياء بانِي الكعبة إبراهيم في السابعة، **فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلا آدَمَ، طُوَالا، جَعْدًا؛ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ. وَرَأَيْتُ عِيسَى؛ رَجُلا مَرْبُوعًا؛ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ. وَرَأَيْتُ مَالِكًا؛ خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ "**، فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ، ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭼ [السجدة: ٢٣]. »[1].

وأراه الله تعالى السماوات[2] وبعض ما فيها، ودخل مِن أبوابها، ﭽﮪﮫﮬﮭﮮﮯﭼ [النجم: ١٨].

وأراه الله تعالى بيت المقدس وآياته، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ، يَقُولُ: " **لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ** "[3].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر –رحمه الله- جملة مِن الأشياء والآيات التِي مرّ بها النبِيّ ، معلّقًا على رواية شداد بن أوس عند الطبراني والبزار، ذات غرائب عجيبة، فقال: وَفِيهِ: أَنَّهُ مَرَّ فِي رُجُوعه بِعِيرٍ لِقُرَيْشٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضهمْ: هَذَا صَوْت مُحَمَّد، وَفِيهِ: أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ بِذَلِك، وَأَنَّ عِيرهمْ تَقْدُمُ فِي يَوْم كَذَا، فَقَدِمَتْ الظُّهْر يَقْدُمهُمْ الْجَمَل الَّذِي وَصَفَهُ. .. وَفِي رِوَايَة عَبْد الرَّحْمَن بْن هَاشِم بْن عُتْبَة عَنْ أَنَس عِنْد الْبَيْهَقِيِّ فِي الدَّلائِل أَنَّهُ مَرَّ بِشَيْءٍ يَدْعُوهُ

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، بَاب إذا قال أحدكم: آمين، والْمَلائِكَةِ في السماء، آمين ..، رقم: 3239، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات..، رقم: 165 .

2 (?) انظر عن الآيات التي أراها الله تعالى نبيَّه في إسرائه ومعراجه: 1- المحرر الوجيز، 1127، 2- الجامع لأحكام القرآن، (ج13/ ص16)، 3- وأضواء البيان، 0ج3/ ص478-479).

3 (?) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، رقم: 3886، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم: 170.

مُتَنَحِّيًا عَنْ الطَّرِيق، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيل: سِرْ، وَأَنَّهُ مَرَّ عَلَى عَجُوز فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ فَقَالَ سِرْ، وَأَنَّهُ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ فَسَلَّمُوا فَقَالَ لَهُ جِبْرِيل اُرْدُدْ عَلَيْهِمْ وَفِي آخِره فَقَالَ لَهُ : الَّذِي دَعَاك إِبْلِيس، وَالْعَجُوز الدُّنْيَا، وَالَّذِينَ سَلَّمُوا إِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى. وَفِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة عِنْد الطَّبَرَانِيِّ وَالْبَزَّار أَنَّهُ " مَرَّ بِقَوْمٍ يَزْرَعُونَ وَيَحْصُدُونَ، كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ، قَالَ جِبْرِيل: هَؤُلاءِ الْمُجَاهِدُونَ. وَمَرَّ بِقَوْمٍ تُرْضَخ رُءُوسهمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ، قَالَ : هَؤُلاءِ الَّذِينَ تَثَاقَلَ رُءُوسهمْ عَنْ الصَّلاة. وَمَرَّ بِقَوْمٍ عَلَى عَوْرَاتهمْ رِقَاع يَسْرَحُونَ كَالأَنْعَامِ، قَالَ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ لا يُؤَدُّونَ الزَّكَاة. وَمَرَّ بِقَوْمٍ يَأْكُلُونَ لَحْمًا نِيئًا خَبِيثًا وَيَدْعُونَ لَحْمًا نَضِيجًا طَيِّبًا قَالَ: هَؤُلاءِ الزُّنَاة. ...[1].

والتحقيق في هذه الرؤيا وغيرها أنّها رُؤْيَا عَيْنٍ أراها الله رَسُولَه، فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ففِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ »[2].

وقال تعالى: ﮋ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [النجم: ١٧ – ١٨].

كما أنّ القول الصحيح أنّ الرسول ﷺ ما رَأى ربَّه ليلة المعراج بعينَي رأسه، وقد درَس هذه المسألة وحققها جمع من العلماء والمحققين[3]، ولقد قال رسول الله ﷺ: " **إنكم لن تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا** "[4].

وقد أخبَر الرسول ﷺ بما حصل له مِن هذا السفر الطويل ذهابًا وإيابًا، وما أُكرِم به مِن المِنَح والكرامات،

---

[1] انظر: فتح الباري، (ج2/ ص2768-2769).

[2] صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم: 3888.

[3] انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، فصل: رؤيته ﷺ لربه، ص 207-214، وشرح النووي على صحيح مسلم، في شرح باب معنى قول الله ﷻ: ﮋ ﮊ وهل رأى النبي ﷺ ربّه ليلة الإسراء، ص 211-214، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج3/ 475-478).

[4] سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى..، رقم: 4077 (جاء الشاهد هنا ضمن حديث طويل ضعيف)، وكتاب السنة لابن أبي عاصم، باب ذكر قول النبي ﷺ: تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا، برقم: 430، قال الشيخ الألباني: إسناده صحيح (ظلال الجنة، ص 173).

وما شاهَد في ذلك من الأعاجيب والآيات، فمَا كان للناس إلا أنْ ينقسمُوا إلى مصدِّقين له مؤمنين، ومنهم الصديق ، وإلى معارضين مكذِّبين؛ الذين همُّهم أنْ يعْثُرُوا له عثرة أو كِذبَة –وحاشاه- ليُقيموا عليه دنياهم ولا يقعدوها، فصارت هذه الحادثة لهم ولضعاف العقول فتنة.

ولقد ختم الحافظ ابن كثير –رحمه الله- تفسير الآية الأولى من سورة بنِي إسرائيل بفائدتين جليلتين، قال في أولاهما: « فائدة حسنة جليلة: روى الحافظ أبو نُعَيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة من طريق محمد بن عمر الواقدي: حدثني مالك بن أبي الرجال، عن عمرو بن عبد الله، عن محمد بن كعب القرظي، قال: بعث رسول الله دَحْية بن خليفة إلى قيصر -فذكر وروده عليه وقدومه إليه. وفي السياق دلالة عظيمة على وُفُور عقل هرقل- ثم استدعى من بالشام من التجار، فجيء بأبي سفيان صخر بن حرب وأصحابه، فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم، .. وجعل أبو سفيان يجهد أن يحقر أمره ويصغره عنده. قال في هذا السياق عن أبي سفيان: والله ما يمنعني أن أقول عليه قولا أسقطه من عينه إلا أني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها عليّ، ولا يصدقنِي بشيء. قال: حتى ذكرت قوله ليلة أسري به قال: فقلت: أيها الملك، ألا أخبرك خبرًا تعرف أنه قد كذب؟ قال: وما هو؟ قال: قلت: إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا -أرض الحرم- في ليلة، فجاء مسجدكم هذا -مسجد إيلياء، ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح. قال: وبَطْرِيقُ إيلياء عند رأس قيصر، فقال: بَطْرِيق إيلياء: قد علمتُ تلك الليلة، قال: فنظر قيصر، وقال: وما عِلمُك بِهذا؟ قال: إنِّي كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد، فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنِي، فاستعنت عليه بعُمّالِي ومن يَحضرني كلَّهم فعالجته فغلبنِي، فلم نستطع أنْ نُحركه، كأنما نزاول به جبلا فدعوت إليه النجاجرة، فنظروا إليه فقالوا: إنّ هذا الباب سقط عليه النجاف والبنيان ولا

نستطيع أنْ نُحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى. قال: فرجعت وتركت البابين مفتوحين. فلما أصبحت غدوت عليهما فإذا الحجر الذي في زاوية الباب مثقوب، وإذا فيه أثر مربط الدابة، قال: فقلت لأصحابِي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبِي، وقد صلى الليلة في مسجدنا. وذكر تمام الحديث »[1]. وهذا مما يستأنس به!

وما وجه كون الإسراء والمعراج دليلا مِن دلائل نبوة محمدٍ ، وآية من آياتها؟ (أي: مناسبة الإسراء بدلائل النبوة)

وأما الوجه الذي يكون قطع المسافة البعيدة ِبحصول الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد في جسد محمد ، وكذلك العروج به بعده إلى حيث شاء الله تعالى مِن سماواته، (الإسراء والمعراج) = وجه كون ذلك آية ودليلا لنبوته عليه الصلاة والسلام، يكون على النحو الآتِي:

إخبار غير الكاذب بحصول ذلك له؛ فالنبِيّ أخبر بإقدار الله له مع جبريل على ذلك، وهو غير كاذبٍ وبشهادة أعدائه، فوجب تصديقه كما وجب تصديقه على أصل الرسالة. وكما لم يكن كاذبًا فإنه ما كان ساحرًا يفعل الخوارق بسحره.

إخباره الناس (قريشًا) بالمغيبات في حادثة إسرائه خصوصًا (مشاهداته مِن عيرهم، وأنها في مكان كذا، وأنها.. إلخ). وصدقُه في ذلك، فوجب بذلك تصديقه في أخباره بِمشاهداته في معراجه، بل وجميع أخباره.

دعواه أنّ هذا الخارق وما فيه من العجائب مِن آياته. كما في النصوص المتقدمة.

فالإسراء والمعراج ممكنان وغيرُ مستحيلَين، وإنْ كانا مستبعدَين -وخصوصًا في ذلك الزمن-، أما الأول فبالنقل والعقل والواقع. وأما الثانِي، فبالنقل والعقل. وغاية ما في الباب أنّ إقدار الله تعالى لرسوله على ما لم يُقْدِر عليه قومَه في بابَي القدرة والعلم في هذه الحادثة خصوصًا (من قطعه وجبريل المسافة الطويلة ذهابًا

[1] تفسير القرآن العظيم، (ج3/ ص36)، ونقل هذه الفائدة صاحب أضواء البيان، (ج3/ ص472-473).

وإيابًا في وقت وجيزٍ، بل وصعوده السماوات، ثم نزوله، وإخباره بالمغيبات ووقوع خبره طبقًا لِمَخبره)، وفي رسالته عمومًا، غاية ما في ذلك أنّه حصل له خلاف العادة، والمعجزات كلها تكون كذلك. كما أنه عند أهل الكتاب أنّ صعود الجسم العنصري إلى الأفلاك ليس بممتنع[1]، فانتفى استحالة الإسراء والمعراج عقلا ونقلا.

** * **

وكما أنّ مشركي قريش أنكرو الإسراء والمعراج، فإنّ بعض القساوسة كذلك، فقد ختم الشيخ رحمة الهندي -رحمه الله- هذه المسألة بذكر واقعٍ حدث في بلاده، ألقَم به حجرًا على النصارى فقال: « ونقل بعض الأحياء أنّ قسيسًا في بلد بنارس من بلاد الهند كان يقول في بعض المجامع تغليطًا لجهال المسلمين البدويين كيف تعتقدون المعراج وهو أمر مستبعد؟

فأجابه مجوسي من مجوس الهند أنّ المعراج ليس بأشد استبعادًا من كون العذراء حاملة من غير زوج، فلو كان مطلق الأمر المستبعد كاذبًا فهذا أيضًا يكون كاذبًا فكيف تعتقدونه؟ فبهت القسيس »[2]. وأما المسلمون -والحمد لله- فيؤمنون بهذا وهذا.

** * **

---

[1] (?) انظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي، (ج4/ 1023-1027).

[2] (?) إظهار الحق، (ج4/ ص1026-1027).

المطلب الرابع: إجابة دعوَته عليه الصلاة والسلام[1]:

إنّ مِن آيات ودلائل نبُوّة نبيِّنا محمدٍ ، إجابةَ دعوته وقت حاجته، وعند طلَبِه، مما يدلّ على اعتناء ربّه الكريم به، وتأييده إيَّاه على ما ادّعاه، فلو لم يكُنْ صادقًا ما كان الله ليؤيِّده بهذه التأييدات على الدوام حتى يعينه على إضلال عباده، فلما كان هذا النوع من الآيات بَحْرًا ساحلُه بعيد، ومتسِع جدًّا، وقد تواتر ذلك وعُلمَ ضرورةً[2]، فقد رأيتُ أنْ أذكُر نماذج منه في دعائه لقومٍ أو على قومٍ، جماعات ووُحدانًا، إذْ قد كان رسول الله تَارَةً يَدْعُو عَلَى مَن تَشْتَدُّ شَوْكَتُهُ، وَيَكْثُرُ أَذَاهُ للإسلام والمسلمين مِن آحادٍ وجماعات، فتُقبل دعوتُه عليهم. أما حَيْثُ تُؤْمَنُ غَائِلَة القبيلة مثَلا، وَيُرْجَى تَأَلُّفُهُمْ فقد كان يَدْعُو لَهُمْ، كَمَا فِي قِصَّةِ دَوْسٍ الآتية[3]، وكذلك آحادُهم، قال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي –رحمه الله-: الباب الحادي عشَر: فيمَا أُكرم به من إجابة أدعيته: « إنّ الله تعالى لَما فضّل الأنبياء على جميع خلقه مما فوّض إليهم من القيام بحقّه تميَّزوا بطلب المصلحة، فخُصُّوا بإجابة الأدعية ليكونوا عونًا على ما كلّفهم، وآية على مَن أنكرَهم، فدخل بِهذا الامتياز في أقسام الإعجاز »[4].

ولَمّا كان السميع العليم، البَرّ الرحيم، يُجيب الدعوات، ويقضِي الحاجات؛ فيُجيب أدعية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين، بل ويُجيب دعَوَات الكفار والعصاة مع جُرمهم، كان عقد مثل هذا المطلب (كون

---

[1] (?) قد ذكَر إجابةَ دعواتِ الرسول ضمن آيات نبوته ومعجزاته، الكثيرُون مِن العلماء منهم: الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتابه: أعلام النبوة (الباب الحادي عشر)، ص127-134، والبيهقي في كتابه: دلائل النبوة، وأبو الفرج عبد الرحمن المعروف بابن الجوزي في كتابه الوفا بأحوال المصطفى، ص350-357، وأبو البقاء صالح بن الحسين في كتابه: تخجيل مَن حرّف التوراة والإنجيل ، (ج2/ 786، بتحقيق: الدكتور محمود قدح). وغير ذلك.

[2] (?) انظر: التخجيل لأبي البقاء، (ج2/ 786).

[3] (?) انظر: فتح الباري: (ج2/ 2290).

[4] (?) أعلام النبوة للماوردي، ص127، ط/ دار ومكتبة الهلال، بتحقيق: سعيد محمد اللحام.

إجابة دعوة النبي دليلا من دلائل نبوته، وآية من آياتها) مثيرًا للتساؤل: كيف يكون إجابة الدعوة دليلا للنبوة؟ فقد أجاب على هذا التساؤل الشيخ أبو الحسن الماوردي –رحمه الله- في خاتمة الباب السابق، حيث قال فيه: « فإنْ قيل: فإجابة الأدعية لا تكون معجزة للنبوة؛ لأنه قد تجاب دعوة غير الأنبياء؟ **قيل:** أدعية الأنبياء مجابة على العموم في جميعها، وأدعية غيرهم إنْ أُجيب، فعلى الخصوص في بعضها، لأنّ الأنبياء منطقون بالحق، فإذا نطقت ألسنتهم بالدعاء صادَف ما أُمِرُوا به فأُجيبوا إليه، وغيرهم قد ينطق بالحق وبغيره، فإنْ أُجيبت أدعيتُهم، فهو تفضُّلٌ يقف على مشيئة الله تعالى »[1].

وأزيد على ما قال، فأقول: كان لكلِّ نبِيٍّ دعوة مستجابة قطعًا[2]، وباقي دعواتِهم مـجابة[3] بأحد الأمور التي جاءت في حديث الرجل المسلم إذا دعا بِما لم يكن فيه إثمٌ ولا قطيعة رحِم، ولا استعجل[4]، والنبي في ذلك من باب أولى.

كما أنه قد يدعو رسولٌ بأمر ثم تتأخر الإجابة، لأمر شاءَه الله كَوْنًا، فقد دعا رسولنا بثلاثة أمورٍ، فأجيب في اثنتين منها في الدنيا، وأرجئ الثالث ومُنِع كما نصَّ عليه، فقد روى ثَوْبَانَ في الحديث الذي فيه أنه زُوِي لرسول الله الأرض، وأنّ ملكه سيبلغ ما زُوي وجُمع له، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ".. **وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا**

---

1 (?) أعلام النبوة للماوردي، ص134.

2 (?) سيأتي مزيد على ذلك.

3 (?) **الإجابة على الأسـئلة والـدعوات على أنـواع: 1-** مِنْهَا: تَحْصِيلُ عَيْنِ الْمَطْلُوبِ فِي الْوَقْتِ الْمَطْلُوبِ. **2-** وُجُودُهُ فِي وَقْتٍ آخَرَ لِحِكْمَةٍ اقْتَضَتْ تَأْخِيرَهُ. **3-** وَمِنْهَا: دَفْعُ شَـرٍّ بَدَلَـهُ. 4- أَوْ إِعْطَـاءُ خَيْـرٍ آخَرَ خَيْرٍ مِنْ مَطْلُوبِهِ. **5-** وَمِنْهَا: ادِّخَارُهُ لِيَوْمٍ يَكُـونُ أَحْـوَجَ إِلَى ثَوَابِهِ. **6-** وَمِنْهَا: تَكْفِيرُ الـذُّنُوبِ بِقَـدْرِ مَا دَعَا. (انظـر: تــحفة الأحـوذي، ج2/ 2532).

4 (?) روى هذا الحديث الترمذي في جامعه عن أبي هريرة في كتـاب الدعوات بَاب اسْتِجَابَةِ الـدُّعَاءِ فِي غَيْـرِ قَطِيعَـةِ رَحِمٍ، ورقمـه: 3604، صححه الشيخ الألباني بشواهده دون لفظة فيه. وطالع الأحـاديث الـتي تحت باب: ما جاء أنّ دعوة المسلم مستجابة، برقم: 3381، وباب: ما جاء فيمن يستعجل في دعائه، ورقمه: 3387.

يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ؛ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ[1]**، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا** "، أَوْ قَالَ: " **مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا** "[2] .

وعن سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا؛ فَقَالَ : " **سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا؛ فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا** [3].

وبعد هذا، فإنِّي أذكُرُ نماذج من دعوات النبي لقوم، أو على قوم، **وتحت مسألتين:**

المسألة الأولى: نَماذج من دعائه لأقوامٍ وإجابة الله له فيها.

المسألة الثانية: نَماذج من دعائه على أقوامٍ وإجابة الله له فيها.

المسألة الأولى: نَماذج من دعائه لأقوامٍ وإجابة الله له فيها:

ونماذج هذا النوع أكثر من أنْ تُحصَر، وما أذْكُرُ هنا دليلٌ على ما لم يُذْكَر: (فَمِن أمثلته):

أنه لَمّا عصَت قبيلة دوس، وقال أبو الطُّفَيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ؛ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، رفع

---

1 (?) **بيضتهم:** أي: جماعتهم، ويطلق على: العز والملك، (انظر: المنهاج للنووي، ص1676)ولعل المقصود هنا الأول.

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الفتن، بَاب هَلَاكِ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، رقم: 2889.

3 (?) صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2890.

الرسول الشفوق الحريص على الناس يديه، حتى قيل: (هَلَكَتْ دَوْسٌ) فقال: " **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَأْتِ بِهِمْ** "[1] فهداهم الله وأتى بهم.

* ودعا الله بأنّ يُعزّ دينه بأحبّ الرجلين إليه، فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ، فعَن ابْنِ عُمَرَ رضي اللهِ عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ؛ بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** " قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ[2].

وحتى قال ابنُ مسعودٍ ﷺ: « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[3] .

* وأجاب الله دعاء نبيِّه ﷺ في عليٍّ ﷺ في رمده، فبرأ كأنْ لم يكنْ به وجع[4]، وأذهب عنه الحرّ والبرد، فـعن أبي ليلى ﷺ[5]، أنّه كَانَ يَسْمُرُ مَعَ عَلِيٍّ فَكَانَ يَلْبَسُ ثِيَابَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَثِيَابَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، فَقُلْنَا: لَوْ سَأَلْتَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيَّ وَأَنَا أَرْمَدُ الْعَيْنِ

---

1 (?) أخرجه البخاري في صحيحه مِن حـديث أبي هريـرة ﷺ: في كتـاب الجهـاد والسِّـيَر، في: بَـاب الـدُّعَاءِ لِلْمُشْـرِكِينَ بِالْهُـدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ، رقم: 2937، ومسلم في صحيحه: في كتـاب فضـائل الصـحابة، بَـاب مِنْ فَضَائِلِ غِفَارَ وَأَسْلَمَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَمُزَيْنَةَ وَتَمِيمٍ وَدَوْسٍ وَطَيِّئٍ، رقم: 2524.

2 (?) جامع الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، بَاب فِي مَنَـاقِبِ أبي حفص عُمَـرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، ورقمــه: 3681، والحــديث صــحيحٌ بشواهده (عن عائشة وعلي وابن مسعود وأنس وابن عباس ﷺ، وانظر الإشارة إليها في كتاب: تحفة الأحوذي، ج2/ ص2567، وشروح سـنن ابن ماجه، -ج1/103-104ـ)، وقد صححه الترمذي والحاكم والألبانيُّ –رحمهم الله-. وجاء الدعاء بإعزاز الله تعالى للإسـلام بعمر خاصة عند ابن ماجه في المقدمة، بَاب فَضْـلِ عُمَـرَ ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، ورقمه: 105، وهو صحيح بشواهده دون لفظة (خاصة).

3 (?) صـحيح البخـاري: كتـاب فضـائل الصـحابة، بَـاب مَنَـاقِبِ عُمَـرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رقم: 3685.

4 (?) وسيأتي دليل ذلك في الصحيحين في مسألة التبرك بريقه ﷺ .

5 (?) أبو ليلى: قال ابن حجر –رحمه الله تعالى- في ترجمته: « أبو ليلى الأنصاري والد عبد الـرحمن، صـحابِيٌّ، اسـمه بلال أو بُليل، -بالتصـغير- ويقال: داود. وقيل: هو يسار –بالتحتانية-. وقيل: أوس. شـهد أُحُـدًا وما بعـدها، وعـاش إلى خلافة علي » ورمز لإخـراج حديثه بـــرمز أصـحاب السنن الأربعة (4)، (رقم الترجمة: 8331، انظر: ص669).

يَوْمَ خَيْبَرَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَرْمَدُ الْعَيْنِ فَتَفَلَ[1] فِي عَيْنِي ثُمَّ قَالَ: " **اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ** " قَالَ: فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلا بَرْدًا بَعْدَ يَوْمِئِذٍ. وَقَالَ: " **لأَبْعَثَنَّ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَيْسَ بِفَرَّارٍ** " فَتَشَرَّفَ لَهُ النَّاسُ، فَبَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ »[2] .

* وأجابَ تعالى دعاءه ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في أنْ يكون مُجاب الدعوات، فعَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ له يوم بدرٍ: " **اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ** "[3]، فكان مجَاب الدعوة[4] .

فكان مِن دعواته المُجابَة: دعوته الشهيرة على الذين شكَوه إلى عمر رضي الله عنه حتى ذَكَروا أنّه لا يحسن يصلي، ففي الصحيحين، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ! إِنَّ هَؤُلاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا -وَاللَّهِ- فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا أَخْرِمُ عَنْهَا؛ أُصَلِّي صَلاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ. قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ! فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلا أَوْ رِجَالا إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ -يُقَالُ لَهُ: أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكْنَى: أَبَا سَعْدَةَ- قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا؛ فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ. قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ! لأَدْعُوَنَّ بِثَلاثٍ؛ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً

---

1 التفل: يقال: تفل بالشيء، إذا رمى به من فمه متكرِّها له (انظر: مقاييس اللغة، مادة تفل، ص172).

2 سنن ابن ماحه: كتاب المقدمة، بَاب فَضْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، رقم: 117، ومسند الإمام أحمد، رقم: 739، و1062، وقد حسنه الهيثمي والألباني.

3 جامع الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، بَاب مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، رقم: 3751، وهو صحيح.

4 انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، (ج2/ 787-788) .

وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ، يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنْ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ[1].

* ومن ذلك إجابة الله له دعاءَه في ابن عوفٍ بالبركة، فصار مِن أغنى الناس بالمال المبارك، فـعَبْد الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ[2] لَمّا تزوج في المدينة، ورأى النبيُّ أَثَرَ صُفْرَةٍ عليه، قال داعيًا له –بعد أنْ سأله كم أصدقها؟-: " **فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ!** "[3]. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: « فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَلَوْ رَفَعْتُ حَجَرًا؛ لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً »[4].

وقَالَ أَنَسٌ : « لَقَدْ رَأَيْتُهُ قسم لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ »[5].

ولقد ذكَر أهل السيَرِ بركات هذا الدعاء عليه، وأثر إجابة الله لنبيِّه فيه؛ فذكروا أنّه تصدق في مجلسٍ واحدٍ بقافلةٍ؛ فيها سبعمائة جملٍ بما عليها مِن البُرّ والبضاعة،

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا ..، رقم: 755، وصحيح مسلم (مختصرًا): كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر، رقم: 453.

2 (?) عبد الرحمن بن عوف: هو الصحابي القرشي الزهري، أحد العشرة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام. مات سنة 32، وله اثنان وسبعون سنة، وقيل: خمسٌ وسبعون، ورجح ابن حجر –رحمه الله- الأول (انظر: السيَر، ج2/ 140-142، والإصابة، ج6/ 543-549).

3 (?) صحيح البخاري: كتاب النكاح، بَاب كَيْفَ يُدْعَى لِلْمُتَزَوِّجِ، رقم: 5155، وصحيح مسلم: كتاب النكاح، بَاب الصَّدَاقِ ..، رقم: 1427.

4 (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 13890، ودلائل النبوة للبيهقي، باب ما جاء في دعائه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكثر ماله حتى صولحت امرأة من نسائه من ربع الثمن على ثمانين ألفًا، رقم: 2489، وصححه محقق الكتاب (ج6/ ص186).

5 (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 12708.

حتى أقتابها وأحلاسها[1]. وأنّه أعتق يومًا ثلاثين عبدًا[2]، وأوصى في آخر حياته -بعد صدقاته الماشية في حال صحته وعوارفه الكثيرة- بخمسين ألفًا[3].

* ومن ذلك: إجابة دعواته في أبي هريرة أنْ يهدي أمَّه. ثم يُحبِّبهما رضي الله عنهما إلى الناس، فأجاب الله له ذلك. وقد تقدم حديثه.

* ودعا لأنس بتكثير الله ماله وولده وأنْ يبارك له فيه، وطول العمر، فأجاب الله دعاءه فيه، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ! قَالَ: " **اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ** "[4].

وعند مسلم: عنه قَالَ: جَاءَتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَدْ أَزَّرَتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أُنَيْسٌ ابْنِي أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ فَادْعُ اللَّهَ لَهُ! فَقَالَ: " **اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ** ". قَالَ أَنَسٌ فَوَ اللَّهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ الْيَوْمَ[5].

ولفظ البخاري -في قصة زيارة الرسول بيت أم أنس رضي الله عنهما وهو صائم- قال أنس: « دَخَلَ النَّبِيُّ

---

[1] (?) قد رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن عُمَارَةُ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَيْنَمَا عَائِشَةُ فِي بَيْتِهَا إِذْ سَمِعَتْ صَوْتًا فِي الْمَدِينَةِ فَقَالَتْ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: عِيرٌ لِعبد الرحمن بن عوف قَدِمَتْ مِنْ الشَّامِ تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ: **فَكَانَتْ سَبْعَ مِائَةِ بَعِيرٍ**. قَالَ: فَارْتَجَّتْ الْمَدِينَةُ مِنْ الصَّوْتِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: " قَدْ رَأَيْتُ عبد الرحمن بن عوف يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبْوًا " فَبَلَغَ ذَلِكَ عبد الرحمن بن عوف فَقَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَدْخُلَنَّهَا قَائِمًا، فَجَعَلَهَا بِأَقْتَابِهَا وَأَحْمَالِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، (وعمارة بن زاذان، هو الصيدلاني، صدوقٌ كثير الخطأ، . -انظر: تقريب التهذيب: 4847-) ورقم الحديث في المسند: 23698). وسند الحديث فيه هذا الشخص.

[2] (?) انظر: الإصابة، (ج6 /ص545).

[3] (?) انظر للاستزادة المصادر السابقة نفسها، السِّيَر، والإصابة، وكتاب التخجيل، (2/ 786-787).

[4] (?) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب دَعْوَةِ النَّبِيِّ لِخَادِمِهِ بِطُولِ الْعُمُرِ وَبِكَثْرَةِ مَالِهِ، رقم: 6344.

[5] (?) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، بَاب مِنْ فَضَائِلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، رقم: 2480.

 عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ قَالَ: أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ؛ فَإِنِّي صَائِمٌ. ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ الْبَيْتِ فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ؛ فَدَعَا لأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً. قَالَ: " **مَا هِيَ؟** " قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ. فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلا دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ. قَالَ: " **اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ** ". فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالا. وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ الْبَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ »[1].

وفِي " الأَدَب الْمُفْرَد " أنّه دعا له بقوله: " **اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَاله وَوَلَده، وَأَطِلْ حَيَاته، وَاغْفِرْ لَهُ** "[2].

وقد ذكر النووي ونقل عنه الحافِ ابن حجر –رحمهما الله تعالى- أنّه كَانَ أَكْثَر الصَّحَابَة أَوْلادًا. وحتى كَانَ من الأربعة بِالْبَصْرَةِ الذين مَا مَاتُوا حَتَّى رَأَى كُلّ وَاحِد مِنْهُمْ مِنْ وَلَده مِائَة ذَكَرَ لِصُلْبِهِ [3]. وقد سبق ذلك في هذه الروايات.

وقال النووي: « واتفق العلماء على مجاوزة عمره مائة سنة » ثم ذكر الأقوال في سنة وفاته، فقيل: إنه توفي سنة تسعين، وقيل: إحدى وتسعين، وقيل: اثنتين وتسعين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقيل: خمس وتسعين، وقيل: سبع وتسعين، ثم قال: « وثبت في الصحيح أنه كان له قبل الهجرة عشر سنين، فعمره فوق المائة كما ترى. وأما ما نقل عن حميد، أنّ عمر أنس مائة إلا سنة، فشاذ مردود. »[4] . فقد أطال الله عمرَه –كما ترى-.

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الصوم، بَاب مَنْ زَارَ قَوْمًا فَلَمْ يُفْطِرْ عِنْدَهُمْ، رقم: 1982.

2 (?) الأدب المفرد للبخاري: باب من دعا بطول العمر، رقم: 653، وصححه الشيخ الألباني.

3 (?) انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: (ج1/ ص127)، والفتح: (ج 4 / 4473).

4 (?) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: (ج1/ ص127).

وجاء في لفظ عند مسلم أنّه قال: «.. فَدَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ ثَلاثَ دَعَوَاتٍ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَرْجُو الثَّالِثَةَ فِي الآخِرَة[1] .

وفي جامع الترمذي أنه خدم النَّبِيّ عَشْرَ سِنِينَ وَدَعَا لَهُ، فَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمِلُ فِي السَّنَةِ الْفَاكِهَةَ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ فِيهَا رَيْحَانٌ كَانَ يَجِيءُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ[2].

كلّ هذا كان ببركة دعاء رسول الله فيه. وهذا مِن شواهد إجابة دعوة الله له.

* ودعا لابن عباس رضي الله عنهما لما قدم له وَضوءًا **بأنْ يُفقهه اللّه في الدِّينِ[3]، ويُعلّمه التَّأْوِيلَ**[4] فلُقِّب بالبحر والحبر، وترجمان القرآن فيما بعد، بل كان مِن الفقه بالـمحل الأعلى [5].

* ودعا لعروة بن أبي الجعد[6] بالبركة في بيعه بأنْ قال: " **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقَة يَمِينه** "[7] وذلك لما أَعْطَاهُ دِينَارًا ليَشْتَرِي لَهُ بِهِ شَاةً، واشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ؛

---

[1] صحيح مسلم، مصدر سابق، الرقم نفسه.

[2] جامع الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله ، بَاب مَنَـاقِبِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، رقم: 3833، حسّنه الترمذي، وقال ابن حجر: -رحمه الله- « رجاله ثقاتٌ»، (الفتح، ج4/ 4473). وصححه الشيخ الألباني.

[3] صحيح البخاري: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في كتاب الوضوء، بَاب وَضْعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْخَلاءِ، رقم: 143، وصحيح مسلم: كتـاب فضـائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس، رقم: 2477 .

[4] مسند الإمام أحمد: ورقمه: 2274 .

[5] انظر: التخجيل، (ج2/ـ 790، والمنهـاج في شـرح صـحيح مسـلم للنووي: ص1503.

[6] **عروة بن أبي الجعد** ، وهو الصـواب في نسـبته، .. مشـهور، وله أحاديث، منها حديث إرسال النبي له ليشتري له شاة (حديث البــاب) وحـديث الخيل معقـودٌ في نواصـيها الخـير... وكـان فيمن حضر فتـوح الشام ونزلها، ثم سيَّره عثمـان إلى الكوفة، وحديثه عند أهلها. (انظـر: الإصابة: ج7ص152).

[7] مسند الإمام أحمد، رقم: 18554، وبرقم: 1855، وفيه زيادة قوله: « فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَقِفُ بِكُنَاسَةِ الْكُوفَةِ فَأَرْبَحُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى أَهْلِي. وَكَانَ يَشْتَرِي الْجَوَارِيَ وَيَبِيـعُ » بعد دعائه لـه: « **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ »**.

وبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجَاءَهُ بِدِينَارٍ وَشَاةٍ، فَكانَ لَوْ اشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ[1].

وقد قال شبيبُ بْنُ غَرْقَدَةَ [2] الراوي للحديث بعد ذكره حديث الخيل والخير: « وَقَدْ رَأَيْتُ فِي دَارِهِ سَبْعِينَ فَرَسًا »[3].

* ودعا للمدينة بتحبيبها إلى المهاجرين وبالبركة، ونقل حماها إلى الجحفة، فـعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ " **اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا** " [4]. فـحبِّبَتْ المدينة إليهم، وبورك في صاعها ومدها، ونُقل حماها إلى الجحفة[5].

وستأتي جملةٌ مِن الأحاديث فيها عدة حوادث أجاب الله فيها لنبيه ﷺ دعواته كالذي حصل لَمّا أصاب المسلمين عطش، وطلب عمر مِن النبيِّ ﷺ أنْ يدعُوَ لهم فدعا، فجاءت سحابة.. كما أنه لَمّا دعا في الاستسقاء سُقُوا

---

1 ([?]) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، رقم: 3642، والحديث لَيْسَ عَلَى شَرْط البخاري لِإِبْهَامِ الْوَاسِطَة فِيهِ بَيْن شَبِيب وَعُرْوَة فهو إذا ضعيفٌ، لكن وُجد له متابع وشاهد (وهو الذي في الإحالة قبله)، ذكرَهما ابنُ حجر –رحمه الله- في شرح الحديث، (انظر: الفتح ج2/ ص2638-2639). ويظهر أنّ مقصود البخاري لإيراد الحديث ليس مسألة بيع الفضولي، ولكن ما يَدْخُل فِي عَلَامَات النُّبُوَّة، مِن دُعَاء النَّبِيِّ ﷺ لِعُرْوَةَ فَاسْتُجِيبَ لَهُ حَتَّى كَانَ لَوْ اِشْتَرَى التُّرَاب لَرَبِحَ فِيهِ. (الفتح المصدر نفسه).

2 ([?]) شبيب بن غرقدة: قال عنه ابن حجر –رحمه الله-: « شبيب بن غرقدة بمعجمة وقاف، ثقة من الرابعة »، (التقريب: رقم الترجمة: 2743).

3 ([?]) صحيح البخاري: الكتاب والباب، برقم: 3643.

4 ([?]) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب الدُّعَاءِ بِرَفْعِ الْوَبَاءِ وَالْوَجَعِ، رقم: 6372، وصحيح مسلم: بَاب التَّرْغِيبِ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى لأْوَائِهَا، رقم: 1376. واقرأ كامل قصة أبي بكر وبلال رضي الله عنهما وحماهما بالمدينة في صحيح البخاري كتاب جزاء الصيد، بَاب كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ تُعْرَى الْمَدِينَةُ، رقم: 1889.

5 ([?])**الجحفة**: موضع بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل الشام، وكان اسمها مَهْيَعة فأجحف السيل بأهلها، فسميت جحفة، (الصحاح للجوهري، مادة: جحف، ص155).

أسبوعًا، وكذلك لَمّا دعا (بحوالينا ولا علينا) بعد هلاك الدواب، وتَهدُّم الدور أُقلع[1]، وغير ذلك كثير.

المسألة الثانية:نَماذج من دعائه على أقوام وإجابة الله له فيها:

ومن نماذج هذا النوع، ما حصل لَمّا وضَع المشركون على ظهر رسول اللَّهِ سلى[2] الجزور وهو يصلّي، وبعدما رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ: " **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**[3] " ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ؛ إِذْ كَانُوا يَرَوْنَ[4] أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ. ثُمَّ سَمَّى؛ " **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ** "، وَعَدَّ السَّابِعَ -فَلَمْ يَحْفَظْه الراوي-.

---

1 (?) انظر الأدلة على هذه الأشياء: كتاب الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي، ص351-353 .

2 (?) « **السَّلَى**: مَقْصُور بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ، هِيَ الْجِلْدَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْوَلَدُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ مِنْ الْبَهَائِمِ، وَأَمَّا مِنْ الآدَمِيَّاتِ فَالْمَشِيمَة»، فتح الباري: (ج1/ 618) .

3 (?) ومعنى: **(عليك بقريش)** أَيْ: بِإِهْلاك قُرَيْش: وَالْمُرَاد الْكُفَّار مِنْهُمْ، أَوْ مَنْ سَمَّى مِنْهُمْ؛ فَهُوَ عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوص»، فتح الباري: (ج1/ ص618) .

4 (?) **يُرَون:** أَيْ: يَعْتَقِدُونَ. أو بِالضَّمِّ أَيْ: يَظُنُّونَ.

قَالَ ابن مسعود راوي الحديث : فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ[1]؛ قَلِيبِ بَدْرٍ[2] »[3] .

* ودعا على مُضَر فأخذوا بالسَّنَة، ولما استعطفُوه، وطلبُوا أنْ يدعُوَ لهم، دعا فرُفِع القحط وأخصبوا، فـعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود جُلُوسًا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقُصُّ، وَيَزْعُمُ أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ -وَجَلَسَ وَهُوَ غَضْبَانُ-: " يَا أَيَّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا اللَّهَ!! مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: (اللَّهُ أَعْلَمُ)؛ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لا يَعْلَمُ: (اللَّهُ أَعْلَمُ) فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ : ﭽﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫ

---

[1] ورؤية ابن مسعود لهؤلاء صرعى في القليب في بدرٍ محمولٌ على الأغلب؛ لأنّ عُمَارَةِ بْن الْوَلِيدِ لَمْ يُقْتَلْ بِبَدْرٍ بَلْ ذَكَـرَ أَصْـحَابُ الْمَغَـازِي، واشتهرت قصتُه بأَنَّهُ مَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَلَـهُ قِصَّـةٌ مـع النَّجَاشِـيِّ؛ إِذْ تَعَـرَّضَ لامْرَأَتِـهِ فَـأَمَرَ النَّجَاشِـيّ سَـاحِرًا فَنَفَخَ فِي إِحْلِيل عُمَـارَة مِنْ سِحْرِهِ عُقُوبَة لَهُ، فَتَوَحَّشَ وَصَـارَ مَـعَ الْبَهَـائِمِ إِلَى أَنْ مَـاتَ فِي خِلَافَـةِ عُمَرَ. وعُقْبَةَ بْن أَبِي مُعَيْطٍ لَمْ يُطْرَحْ فِي القليب، وَإِنَّمَا قُتِلَ صَـبْرًا بَعْـدَ أَنْ رَحَلُـوا عَنْ بَـدْر مَرْحَلَة. وَأُمَيَّة بْن خَلَف لَمْ يُطْـرَحْ فِي القليب كَمَا هُوَ، بَلْ مُقَطَّعًا .. (وانظر: الفتح: (ج1/ـ 619-620). **وكَيْفِيَّة مَقْتَـلِ الْمَقتولين بِبَدْر منهم هـو:** ما جـاء عن عبد الله بن مسـعودٍ في بَاب دُعَاءِ النَّبِيِّ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ؛ شَيْبَةَ، وَعُتْبَةَ، وَالْوَلِيـدِ، وَأَبِي جَهْـلِ بْنِ هِشَامٍ، وَهَلَاكِهِمْ، مِن كتاب المغازي، في صحيح البخـاري. وصـحيح مسـلم في كتـاب الجهـاد والسِّـيَر بـالرقم السـابق. قَـالَ عبد اللـه: « اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ الْكَعْبَةَ فَدَعَا عَلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ؛ عَلَى شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأَبِي جَهْـلِ بْنِ هِشَـامٍ. فَأَشْـهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى قَدْ غَيَّرَتْهُمْ الشَّـمْسُ، وَكَـانَ يَوْمًا حَـارًّا ». وما جـاء في: بـاب قتل أبي جهل عند البخـاري، (في كتـاب المغـازي، بـرقم: 3961 والذي بعده)، ومسلم (في كتاب الجهاد والسير، برقم: 1800). مما قام به ابنا عفراء رضي الله عنهما.

[2] **القليب:** بِفَتْحِ الْقَـافِ، وهُـوَ الْبِئْر الَّتِي لَمْ تُطْـوَ. وَقِيـلَ: الْعَادِيَّة الْقَدِيمَة الَّتِي لا يُعْرَفُ صَاحِبهَا (انظر: الفتح: ج1/ ص620).

[3] انظر القصة بكاملها في صحيح البخـاري: كتـاب الوضـوء، بَـاب إِذَا أُلْقِيَ عَلَى ظَهْـرِ الْمُصَـلِّي قَـذَرٌ أَوْ جِيفَـةٌ لَمْ تَفْسُـدْ عَلَيْـهِ صَـلَاتُهُ، رقم: 240، وصحيح مسلم: كتاب الجهـاد والسِّـيَر، بَـاب مَا لَقِيَ النَّبِيُّ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، رقم: 1794.

ٿٿ ٹچ [ص: ٨٦]. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا رَأَى مِنْ النَّاسِ إِدْبَارًا فَقَالَ: " **اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ** " قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ[1] حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنْ الْجُوعِ، وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ؛ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ. فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا؛ فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ! قَالَ اللَّهُ : چگ گگگ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گڱ ں ں ڻ إِلَى قَوْلِهِ: ۋ ۋ چ [الدخان:10-١٥] قَالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الآخِرَةِ؟ چ ې ې ې چ [الدخان: ١٦] فَالْبَطْشَةُ: يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبَطْشَةُ، وَاللِّزَامُ، وَآيَةُ الرُّومِ [2].

* ودعا على كسرى لما حرق كتابـه أنْ يُمزِّق الله ملكه كلّ ممزق[3]، وأخبر أنه إنْ هلك فلا كسرى بعده[4]، فمزّقه الله تعالى.

* وعُتَيـبة بن أو لهب بن أبي لهب لما كان شديد الأذى للنبي بالسبّ وغيره قال في حقه: " **اللهم سلِّط عليه كلبًا من كلابك!** " فخرج في قافلة يريد الشام فنـزل منـزلا، فقال: إني أخاف دعوة محمد ، قالوا له: كلا، فحطوا متاعهم حوله، وقعدوا يحرسونه، فجاء الأسد فانتزعه فذهب به [5]. وفي رواية: فطرقهم الأسد فتخطى إليه مِن بين أصحابه فقتله.

---

1 (?) **حَصَّتْ**: يقال: السنة الحصّاء، قليلة الخير (المعجم الوسيط، مادة: حصّ، ص179).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ: چ ڻ ٹ ٹ چ رقم: 4822، وصحيح مسلم: كتاب صفة القيامة، بـاب الـدخان، رقم: 2798.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتابة أهل العلم بالعلم إلى البلدان، رقم: 60، وكتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليـتألفهم، رقم: 2939.

4 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ عن أبي هريرة، رقم: 3618، وصـحيح مسـلم: كتـاب الفتن، بـاب لا تقـوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى...، رقم: 2918.

5 (?) مستدرك الحـاكم، كتـاب التفسـير، تفسـير سـورة أبي لهب، رقم: 3943، والسنن الكبرى للبيهقي، (ج5/ ص211)، وانظر: الوفا بأحوال المصطفى، ص354، قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

* ودعا على الرجل الذي يأكل بِشِمَالِهِ بعدما أمره أنْ يأكل بيمينه، فمنعه الكبر من ذلك، وقال: لا! **لا أَسْتَطِيعُ،** بقوله: " **لا اسْتَطَعْتَ** " **فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ**[1].

قال النووي –رحمه الله تعالى- في شرحه: « هَذَا الرَّجُل هُوَ (بُسْر) بِضَمِّ الْبَاء وَبِالسِّينِ الْمُهْمَلَة، اِبْن رَاعِي الْعَيْر، بِفَتْحِ الْعَيْن وَبِالْمُثَنَّاةِ، الْأَشْجَعِيّ، كَذَا ذَكَرَ ابْن مَنْدَهْ وَأَبُو نُعَيْم الْأَصْبَهَانِيّ، وَابْن مَاكُولا، وَآخَرُونَ، وَهُوَ صَحَابِيّ مَشْهُور عَدَّهُ هَؤُلاءِ وَغَيْرهمْ مِنْ الصَّحَابَة ، وَأَمَّا قَوْل الْقَاضِي عِيَاض -رَضِيَ اللَّه عَنْهُ-: إِنَّ قَوْله: مَا مَنَعَهُ إِلا الْكِبْر، يَدُلّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا، فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَإِنَّ مُجَرَّد الْكِبْر وَالْمُخَالَفَة لا يَقْتَضِي النِّفَاق وَالْكُفْر، لَكِنَّهُ مَعْصِيَة إِنْ كَانَ الْأَمْر أَمْر إِيجَاب. وَفِي هَذَا الْحَدِيث: جَوَاز الدُّعَاء عَلَى مَنْ خَالَفَ الْحُكْم الشَّرْعِيّ بِلا عُذْر. وَفِيهِ: الْأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنْ الْمُنْكَر فِي كُلّ حَال حَتَّى فِي حَال الْأَكْل، وَاسْتِحْبَاب تَعْلِيم الْآكِل آدَاب الْأَكْل إِذَا خَالَفَهُ كَمَا فِي حَدِيث عُمَر بْن أَبِي سَلَمَة الَّذِي بَعْد هَذَا »[2]. والله تعالى أعلم!

هذه النماذج وتلك، تدخُل في باب الدلائل بالتعليل المتقدم، ومجموعها تدلّ على كرامة هذا العبد على ربّه تعالى. ومِن دلائل نبوة محمد أيضًا.

المطلب الخامس: صِدق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن الماضي والمستقبل[3]**:**

يُعرَف صدق الخبر بأحد أمور ثلاثة: منها:

---

[1] رواه مسلم في صحيحه: من حديث سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ، في كتـاب الأشربة، بَاب آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا، رقم: 2021.

[2] المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص1281 .

[3] للاستزادة يُنظر: الجواب الصحيح لِمن بدل دين المســيح، (ج3/ ص 320-362، حيث ذكر شيخ الإسلام أكثر من ثلاثين نموذجًا لهذا الأمـر) وكتاب شـمائل الرسـول ودلائل نبوته وفضـائله وخصائصـه، لابن كثـير، 427-697، وكتــاب إظهــار الحــق، للشــيخ رحمة الله الهنــدي، (ج4/ 1001-1021)، والصحيح المســند من دلائل النبــوة للمقبل الــوادعي، في كتاب: الإخبار عن أمور مستقبلة، فوقعت كما أخبَر ، 453-607.

بوقوع المخبر به موافقًا لمقتضى الخبر، فيُشاهد بالسمع أو بالبصر أو يُلمس أو يذاق أو يشم مطابِقًا (بإدراكه بإحدى الحواس). أو بالتواتر، كالإخبار عن البلاد النائية، ثم يتواتر ذلك الخبر عن عدد لا يمكن تواطؤهم على الكذب. أو بالخبر الصادق، كخبَر الله تعالى ورسوله[1].

وإنّ مطابقة **أ**خبـار هذا الأميِّ عن الأمور الماضية والمستقبلة لِمَخْبَره لَمِن دلائل وآيات نبوته، وشواهد رسالته، صلوات ربِّي وسلامُه عليه وآله وصحبه.

وهذا الرسول لم يَكُن بِمُتّهَم على الوحي عمومًا، ومنه: الغيوب التي أخبر بِها[2]، قال تعالى: ﭼﮏﮐﮑﮒﮓﭼ [التكوير: ٢٤].

وأجدنِي حينما أرى نفسي أمام كَمٍّ كبيرٍ مِن الوقائع الماضية التي أخبر بها رسول الله ، من دون أنْ يكون ثاويًا في تلك الأمم، ولا قرأ عنها، وكان خبرُه لها مطابقًا لِمَا أخبَر بِها الأنبياء قبله، ،، إلا إنْ حصل في الكُتُب القديمة تحريفٌ، ،، بل كثيرًا ما تكون أخبار القرآن والسنة أتم مما في الكتب السابقة. وكذلك النبوءات التي أخبَر بأنّها ستكون، فوقَع بعضُها في حياته ، وبعضها بعد وفاته مطابِقة لِخَبَره، ،، وستحصل الأخرى في حينِها المقدّر لها، غير مخالفة لنَصِّه ،، وهذه الأخبار لِهذه الوقائع في الكتاب والسُّنّة كثيرةٌ وكثيرة، قد حوتْها دواوين الإسلام، وتكلم ويتكلم عليها العلماء –رحمهم الله تعالى- قديمًا وحديثًا، في كُتُب التفسير، والحديث، والسيرة، ودلائل النبوة، وكُتُب الرد على منكري نبوته ، وكُتُب المناظرات، وكلّها تؤكِّد مصداقية الرسول فيما أخْبَر به عن الماضي، وعن المستقبل القريب والبعيد ،، = وأجدُنِي لكثرة هذه الوقائع مُضطرًا بأنْ لا أُصرّح ببعضها، بل أُشير إليها، وما لِي معها وقفةٌ في مباحث أخْرى -سابقًا أو لاحقًا-، فإنِّي أصرِّح به لأكتفِي بالإشارة إليه في الموضع الثاني، وقد أشير إليه

---

1 (؟) انظـر: النبـوات لابن تيميـة، ج3/ ص1339، ولوامع الأنـوار البهية للسفاريني، (ج1/ص15-16).

2 (؟) انظر: تفسير القـرآن العظيم، لابن كثـير، (ج4/ص617)، وتيسـير الكريم الرحمن للسعدي، ص913.

هنا لأنُصّ عليه هناك –حسَب الأنسب- (وهذا ما يُسمى ضربُ العصفورَين بحجر)، فأقول وبالله التوفيق:

قد أخبَر الرسول بجملةٍ مِن الأمور الماضية في القرآن أو في السنة.. كإخباره عن المغيبات الماضية، مِن قصص الأنبياء عليهم السلام، وقصص الأمم البالية، من غير سَماعٍ مِن أحَدٍ، ولا تَلَقّنَ مِن كتاب، قال تعالى: ﭽﮗﮘﮙ ﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﭼ [هود: ٤٩].

ومِن أمثلة ذلك مما جاء في السنة: مِن إخباره عن سِاسة بني إسرائيل، وأنّهم الأنبياء عليهم السلام: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي؛ وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ** " قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: " **فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ؛ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ** "[1].

قال النووي –رحمه الله-: « وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله »[2]؛ إذْ في الحديث إخبارٌ عن الماضي الذي لا يُطَّلع على مثله إلا بالوحي؛ مِن كون بنِي إسرائيل يقوم على أمورهم بما يصلحهم دنيا وأخرى الأنبياءُ عليهم السلام، كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية، وكلما مات نبيٌّ خلَفَه آخر. كما أنّ فيه الإخبار عما سيكون في هذه الأمة مِن كثرة الخلفاء، وأنّه لا نبِيَّ بعده .

ولا أشتغل بذكر أمثلة هذا النوع طلبًا للاختصار، ولكثرتها في القرآن.

وأما إخبار الرسول عن الحوادث الآتية المستقبلية -في القرآن أو في السنة، والتي وُجدت في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبَر، فكثيرة جدًّا، وسأبدأ بذكر ما جاء في القرآن، -وهي كثيرة كذلك-، لكنّي أنتقي منها أصرحها، فأقول:

---

[1] صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رقم: 3455، وصحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء؛ الأول فالأول، رقم: 1842 .

[2] المنهاج على صحيح مسلم، ص 1193.

أولا: أخبَر الله تعالى أنّ الروم ستنتصر على فارس بعد مغلوبيتهم، فكان ذلك في أقل من تسع سنين، قال تعالى: ﭽﮬ   ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚ ﯛﯜ ﯝﯞ   ﯟﯠﯡﯢﭼ [الروم: ٢ – ٤] .

ثانيًا: قال سبحانه: ﭽ   ﮪﮫﮬ   ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜ ﯝﭼ [الأنفال: ٧]**.** فوقع إنتصارهم في بدر على الطائفة الآتية من مكة؛ كما أخْبَر ربُّنا ومولانا .

ثالثًا: ومثله قوله تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﭼ [آل عمران: ١٢]**.**

رابعًا: ومثله قوله تعالى: ﭽ   ﭼ [القمر: ٤٥].

خامسًا: ما جاء في القرآن مِن أنّ النبي وصحابته سيدخلون المسجد الحرام محلّقين رؤوسَهم، ومُقصِّرين، فكان ذلك في عمرة القضية مِن العام السابع، قال تعالى: ﭽ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜ ﯝ   ﯞﯟﯠﯡﯢﯣ   ﭼ [الفتح: ٢٧].

سادسًا: وأخبر الله تعالى بأنّه رضي عن المؤمنين لمبايعتهم رسول الله تحت شجرة الرضوان، وأنّه أثابهم على ذلك فتحًا قريبًا، ومغانم كثيرة يأخذونها، فكان صلح الحديبية ومغانم خيبر، وفتح مكة، وفارس والروم،...ـ قال تعالى: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣ   ﮪﮫﮬ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜ ﯝ   ﯞﯟﯠﯡﯢﯣ   ﭼ [الفتح: ١٨ – ٢١].

سابعًا: وأخْبَر تعالى أنه إذا جاء فتح مكة، وجاءت الوفود فوجًا فوجًا من طائف وغيرها ودخلَت في دِين الله بِهذه الصفة فإنّ رسولنا فرَغ مِن تبليغ الدعوة فلْينْصبْ للعبادة ... فكان ذلك، وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، قال تعالى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭼ [النصر: ١] السورة بأكملها.

ثامنًا: ونزل ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﭼ [المائدة: ٦٧]. فعصمه الله تعالى من كلّ مَن أراد ضرره بالقتل حتى انتقل من هذه الدار.

تاسعًا: وتكفّل الله تعالى بِحفظ القرآن من الضياع؛ بالتحريف أو الزيادة أو النقصان، فما قدِر الملاحدة من ذلك على شيءٍ، لا فيما يتعلق بمبانيه، ولا معانيه، ولا

إعرابه، والحمد لله، بخلاف التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﭼ [الحجر: ٩].

عاشرًا: ومثله قوله تعالى: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﭼ [فصلت: ٤٢].

هذه عشرُ نَماذجُ في هذا الأمر، وهو أيضًا أحدُ الأوجه الكثيرة لإعجاز القرآن، وقد أشَرتُ إليه في المطلب الأول من المبحث. وقد ذكَر الشيخ العلامة رحمة الله الهندي –رحمه الله- اثنين وعشرين نموذجًا من هذه الأخبار القرآنية، مبيّنًا أنّها وقعَت لاحقًا طبقًا وكما أخبَر بِها[1] وما تقدم كانت منتقاة من بين ما ذكَر.

وأما الإخبار عن الحوادث المستقبلية في السنة، ووقوعها كذلك طبقًا للخبر فهي كثيرة جدّا، وأنّها بالمئين: وأنتقي منها جُملة [2]:

أولا: أنّ الرسول ﷺ أخبَر، بل وأرى الصحابة ﭫ مصارع المشركين بأسمائهم في بدر غدًا فكان كما قال[3]؛ فعَن أنس ﭬ كَانَ رسول الله ﷺ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: " **هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ**! " قَالَ عُمَرُ: « فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ » [4].

---

[1] ذكرها الشيخ في الباب الخامس (إثبات كون القرآن كلام الله، ومعجزًا، ورفع شبهات القسيس)، تحت الفصل الأول: (الأمور التي تدل على أنّ القرآن الكريم كلام الله) من بين فصول الباب الأربعة (انظر: إظهار الحق، ج3/ ص800-814).

[2] انظر: باب من إخباره بالكوائن بعده فوقعت كما أخبر، من سير أعلام النبلاء، (ج1/ـ 494-506)، وإظهار الحق، (ج4/ ص1002-1019).

[3] انظر: دلائل النبوة للبيهقي، باب إجابة الله ﷻ دعوة رسول الله ﷺ على كل من كان يؤذيه بمكة من كفار قريش حتى قتلوا مع إخوانهم من الكفرة ببدر، (ج3/ص66-76).

[4] صحيح مسلم: كتاب الجنة، بَاب عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنْ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ..، من حديث أنس ﭬ، رقم: 2873.

وفي بَاب غَزْوَةِ بَدْرٍ عنه مرفوعًا، قال: " **هَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ** " وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ هَاهُنَا هَاهُنَا. قَالَ: « فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ » [1].

ثانيًا: ونَعَى لِلنَّاسِ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْم الَّذِي مَاتَ فِيهِ[2]، قال النووي –رحمه الله-: « وَفِيهِ: مُعْجِزَة ظَاهِرَة لِرَسُولِ اللَّه لإِعْلامِهِ بِمَوْتِ النَّجَاشِيّ، وَهُوَ فِي الْحَبَشَة فِي الْيَوْم الَّذِي مَاتَ فِيهِ »[3].

ثالثًا: وأخبَر عن فتح خيبر، وأنّه على يد عَلِيٍّ في الليلة التي فُتحت خيبرُ في صباحها[4].

رابعًا: وأخبر في غزوة خيبر عن رجل يدّعي الإسلام بأنه مِن أهل النار، حتى كاد أنْ يفتتن بعضُ الناس، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: « شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلامَ: " **هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ** "، فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالا شَدِيدًا، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ : " **إِلَى النَّارِ** " قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنْ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ بِذَلِكَ فَقَالَ: " **اللَّهُ أَكْبَرُ! أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** "، ثُمَّ أَمَرَ بِلالا فَنَادَى بِالنَّاسِ: " **إِنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ** "[5].

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، ورقمه: 1779.

[2] أخرج الحديث بذلك مسلم في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، رقم: 953 عن عمران بن الحصين ، وعلى إثـر: 952 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

[3] شرح النووي على صحيح مسلم، ص612 .

[4] الصحيحان، وسيأتي تخريج الحديث .

[5] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَاب إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ، رقم: 3062، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب غِلَظِ

خامسًا: وأخبَرَ عن ظعينة بكتاب حاطب بن أبي بلتعة ، وأنها في رَوْضَة خَاخٍ[1]**، فوُجِدتْ كما أخبَرَ :** فعَن عَلِيّ قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ قَالَ: " **انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ؛ فَخُذُوهُ مِنْهَا؛** " فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ؛ **فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا**[2]، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ .. الحديث -وفيه: " **إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؛ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** "[3].

وفي بَابِ غَزْوَةِ الْفَتْحِ وَمَا بَعَثَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِغَزْوِ النَّبِيِّ عند البخاري، زيادةُ مفادُها أنّ الله تعالى أنزل أول الممتحنة بسبب ذلك[4].

قال النووي في شرح الحديث: « وَفِي هَذَا مُعْجِزَة ظَاهِرَة لِرَسُولِ اللَّه »[5].

سادسًا: وأخبَر بأنّ ابنتَه فاطمة رضي الله تعالى عنها وأرضاها أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِه لَحَاقًا بِه، فكان وفاتها بعده بستة أشهر[6]، كما أنّ **أَسْرَع نسائه لُحوقًا بِه**

تَحْرِيمِ قَتْلِ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ ..، رقم: 111.

[1] **روضة خاخ**: الصحيح أنّه، بَيْن مَكَّة وَالْمَدِينَة، وبِقُرْبِ الْمَدِينَة، (انظر: شرح النووي على مسلم، ص1510).

[2] **العِقاص**: جمع عقيصة، ومعناه: شَعرها الْمضفور، (انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص1511).

[3] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسِّيَر، بَاب الْجَاسُوسِ، رقم: 3007، وفي كتاب التفسير، باب ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ، رقم: 4890. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَقِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، رقم: 2494

[4] صحيح البخاري: كتاب المغازي، رقم: 4274 .

[5] شرح النووي على صحيح مسلم، ص1510.

[6] الحديث في صحيح البخاري وغيره، وقد سبق تخريجه في ذكر فاطمة رضي الله عنها.

هي، أَطْوَلُهُنَّ يَدًا (بالصَّدَقَةُ)، **فَكَانَتْ زينب بنت جحش الأسدية** رضي الله عنها[1].

سابعًا: وأخبر ﷺ عن المتنبئين الدجالين فوقع في عصره وبعده، ويقع كما أخبَر،

ويدل عليه ما يلي من الأحاديث:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ. وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِينَ؛ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ. وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ-وَهُوَ الْقَتْلُ- وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ؛ فَيَفِيضَ؛ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لا أَرَبَ لِي بِهِ. وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ. وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ؛ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ. وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ .. وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا؛ فَلا يَتَبَايَعَانِهِ، وَلا يَطْوِيَانِهِ. وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ؛ فَلا يَطْعَمُهُ. وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ[2]؛ فَلا يَسْقِي فِيهِ. وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ؛ فَلا يَطْعَمُهَا "[3].

2- وفي لفظ عند مسلم -بدون شك- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ، قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ** ". وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي الأَحْوَصِ[4] قَالَ:

---

[1] (?) الحديث في صحيح البخاري وغيره، وقد سبق تخريجه في ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

[2] (?)**يليط حوضه**: -بفتح أوله من الثلاثي وبضمه من الرباعي- والمعنى يصلحه بالطين والمدر فيسد شقوقه ليملأه ويسقي منه دوابه، يقال: لاط الحوض يليطه، إذ أصلحه بالمدر ونحوه (فتح الباري، ج4/ ص 5146).

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب الفِتَن، بابٌ (بدون ترجمة، وقبله: بَاب خُرُوجِ النَّارِ)، رقم: 7121. وصحيح مسلم: كتاب الفتن، باب لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى ..، رقم: 157.

[4] (?) **أبو الأحوص**: سلام بن سُلَيم الحنفي مولاهم، أبو الأحوص الكوفي، ثقة متقن، مات سنة تسع وسبعين ومائة، أخرج أحاديثه أصحاب الكتب الستة (انظر ترجمته برقم: 2703 في تقريب

فَقُلْتُ لَهُ: **آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**؟ قَالَ: **نَعَمْ »**[1].

ثامنًا: وأخبَر ﷺ عن مجيء أويس القرَنِي وأَمَرَ عمرَ أنْ يستغفر له، فحصل كما أخبر، فعَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ[2] أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ " **إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لاَ يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ** "[3].

وفي صحيح مسلم أيضًا: « قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ. فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ؟ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ؛ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ** " فَاسْتَغْفِرْ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ. قَالَ أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيّ. قَالَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ

التهذيب).

[1] (?) صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 2923.

[2] (?)**أُسَيْر:** هو يُسير –بالتصغير- ابن عمرو أو ابن جابر الكوفي، وقيل: أصله أسير فسهلت الهمزة، مختلف في نسبته قيل: كندي، وقيل غير ذلك، وله رؤية، مات سنة خمس وثمانين. وقيل: إن ابن جابر آخر تابعي. (تقريب التهذيب، برقم: 7808، ص536).

[3] (?) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ ﷺ، رقم: 2542 .

عَنْ أُوَيْسٍ؟ قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ. ...إلخ الأثر.

تاسعًا: وأخبَر ﷺ عن فتح مصر، فحصل كما أخبر، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا ». ..إلخ[1].

عاشرًا: وأخبَر ﷺ بأنّ الصحابة سيُبتلون، فوقَع كما أخبَر، فعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: " **أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الإِسْلامَ؟** قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّ مِائَةِ إِلَى السَّبْعِ مِائَةِ، قَالَ: " **إِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا** " قَالَ: فَابْتُلِينَا حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لا يُصَلِّي إِلا سِرًّا[2].

ولفظ البخاري بأكثر من العدد السابق: فعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **اكْتُبُوا لِي مَنْ تَلَفَّظَ بِالإِسْلامِ مِنْ النَّاسِ** " فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةِ رَجُلٍ، فَقُلْنَا: نَخَافُ وَنَحْنُ أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا ابْتُلِينَا حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَحْدَهُ وَهُوَ خَائِفٌ[3].

قال النووي –رحمه الله-: « وَأَمَّا قَوْله: (اُبْتُلِينَا فَجَعَلَ الرَّجُل لا يُصَلِّي إِلا سِرًّا) فَلَعَلَّهُ كَانَ فِي بَعْض الْفِتَن الَّتِي جَرَتْ بَعْد النَّبِيّ ﷺ فَكَانَ بَعْضهمْ يُخْفِي نَفْسه وَيُصَلِّي سِرًّا مَخَافَة مِنْ الظُّهُور، وَالْمُشَارَكَة فِي الدُّخُول فِي الْفِتْنَة وَالْحُرُوب. وَاَللَّه أَعْلَم »[4].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « وَأَمَّا قَوْل حُذَيْفَة " **فَلَقَدْ رَأَيْتنَا اُبْتُلِينَا** إِلَخْ " فَيُشْبِه أَنْ يَكُون أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى مَا وَقَعَ فِي أَوَاخِر خِلَافَة عُثْمَان مِنْ وِلَايَة بَعْض

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب وَصِيَّةِ النَّبِي ﷺ بِأَهْلِ مِصْرَ، رقم: 2543 .

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب الاسْتِسْرَارِ بِالإِيمَانِ لِلْخَائِفِ، رقم: 149، وانظر شرح النووي للحديث، وجوابه لإشكالاته، (ص 187).

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَاب كِتَابَةِ الإِمَامِ النَّاسَ، رقم: 3060.

4 (?) المنهاج للنووي، ص187.

أُمَرَاء الْكُوفَة؛ كَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَة، حَيْثُ كَانَ يُؤَخِّر الصَّلاة أَوْ لا يُقِيمهَا عَلَى وَجْههَا، وَكَانَ بَعْض الْوَرِعِينَ يُصَلِّي وَحْده سِرًّا ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ خَشْيَة مِنْ وُقُوع الْفِتْنَة، .. **وَفِي ذَلِكَ عَلَم مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة مِنْ الإِخْبَار بِالشَّيْءِ قَبْل وُقُوعه**، وَقَدْ وَقَعَ أَشَدّ مِنْ ذَلِكَ بَعْد حُذَيْفَة فِي زَمَن الْحَجَّاج، وَغَيْره »[1].

الحادي عشر: وأخبَر ﷺ عن تفرُّق أمته (أمة الإجابة) مثل الذي حصل لبني إسرائيل قبلهم[2]، فكان كذلك،

ويدل على ذلك هذه الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً** »[3].

الحديث الثاني: وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال، قال رسول الله ﷺ: " **ليَأتِيَنّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حَذوَ النّعل بالنعل؛ حتى إنْ كان منهم مَن أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك. وإنّ بني إسرائيل تفرّقَت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة. كلّهم في النار إلا ملة واحدة** "

---

1 (?) فتح الباري: (ج2/ 2335).

2 (?) وقد ذكر جملةً مِن أحاديث الباب الشـاطبيُّ –رحمه اللـه- في كتابه الاعتصام، (ج2/ 184-185).

كما بـيَّن الباحث أحمد سردار أنّ الحديث آية مِن آيـات ودلائل نبـوة محمد ﷺ، في كتابه الفريد في بابــه: (المبــاحث العقدية في حــديث افــتراق الأُمم، (ج1/ ص48-55).والكتاب كلّه شـرح لهـذه المعجـزة: إخبـاره ﷺ بافتراق الأمـتين اليهـود والنصـارى الواقـع، وافـتراق أمة الإجابة الواقع بعضه والآتي. فقد وقع ويقع كما أخبر بهﷺ.

3 (?) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم: 4596، وجامع الترمذي: كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم: 2640. وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن، بـاب افـتراق الأمم، عن أبي هريرة، بـدون ذكر النصـارى، رقم: 3991. وقـال الترمـذي: « حديثُ أبي هريرة حسنٌ صحيحٌ »، ووافقه الشيخ الألباني.

قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **" ما أنا عليه وأصحابي "**[1].

الحديث الثالث: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ: « أَلاَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَامَ فِينَا فَقَالَ: " **أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ؛ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ".** وَزَادَ بعض الرُّواة فِي حَدِيثَيْهِمَا: " **وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ**[2] **لِصَاحِبِهِ** ".

وَقَالَ آخر: **" الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ؛ لاَ يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلاَ مَفْصِلٌ إِلاَّ دَخَلَهُ "**[3].

الحديث الرابع: عن عوف بن مالك قال، قال رسول الله : " **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار. وافترقت النصارى على ثنتيين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده! لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**".

قيل: يا رسول الله! من هم؟ قال: **" الجماعة "**[4].

---

[1] جامع الترمذي: كتاب الإيمان، الكتاب والباب، رقم: 2641، في سنده: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي المضعف في حفظه (تقريب التهذيب: رقم الترجمة:3862). ويُحسَّنُ الحديثُ بشواهده، السابقة واللاحقة، قال الترمذي: « هذا حديث مُفَسّرٌ غريبٌ، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه ». وقال الشيخ الألباني: « حسن ».

[2] **الْكَلَب**: بِالْكَافِ وَاللام الْمَفْتُوحَتَيْنِ- « دَاء يَعْرِض لِلإِنْسَانِ مِنْ عَضّ الْكَلْب، وَهُوَ دَاء يُصِيب الْكَلْب؛ فَيُصِيبهُ شِبْه الْجُنُون، فَلا يَعَضّ أَحَد إِلا كَلِبَ، وَيَعْرِض لَهُ أَعْرَاض رَدِيَّة، وَيَمْتَنِع مِنْ شُرْب الْمَاء حَتَّى يَمُوت عَطَشًا » (عون المعبود، ص1999).

[3] سنن أبي داود: كتاب السنة، مصدر سابق: رقم: 4597. والحديث حسنٌ، وقد صحّحه الحاكم.

[4] سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، مصدر سابق، رقم: 3992 . ويصح الحديث بشواهده .

الحديث الخامس: عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله : **" إنّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة. وإنّ أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة. كلّها في النار إلا واحدة. وهي الجماعة "**[1]**.**

الثانِي عشر: وأخبَر عن اتباع أمته سَنَنَ اليهود والنصارى وغيرهم، فوقع ويقع كما أخبر؛ وستأتِي الأحاديث بذلك في مطلب (اتباع الفرَق المنتسبة إلى الإسلام لليهود والنصارى في الغلوّ في الأنبياء وجفائهم).

الثالث عشر: وأخبَر عن خروج الخوارج فِي آخِرِ الزَّمَانِ من ضئضئ ذي الخويصرة[2] **فوقع، ويقع كما أخبَر**[3]**،** ويدل عليه عدّة أحاديث، أحدُها: ما جاء في الصحيحين[4] من قول عَلِيٍّ : « إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَلأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ. وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: **" سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ؛ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ**

---

1 (?) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، المصدر نفسه، رقم: 3993، قال البوصيري: « هذا إسناده صحيحٌ، رجالُه ثقاتٌ »، وصححه الشيخ الألباني.

2 (?) ستأتِي ترجمته في مطلب جفاء الخوارج لمقام الرسالة إن شاء الله تعالى.

3 (?) انظر: دلائل النبوة للبيهقي، باب اعتراض من اعترض من أهل النفاق في قسمة النبي يوم حنين وإخبار النبي عن خروج أشباه له يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وإخباره عن آيتهم وما ظهر في ذلك من علامات النبوة، (ج5/ ص137-141).

4 (?) صحيح البخاري: الكتاب نفسه، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، رقم: 6930 . وصحيح مسلم: الكتاب نفسه، باب التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ، رقم: 1066.

فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".

وستأتِي بقية الأحاديث في فصل (الخوارج) عند ذكر جفاء رئسهم تجاه رسولنا .

الرابع عشر: وأخبَر عن أناس بعده يتركون سنته وأحاديثه فوقع كما قال، وستأتي أحاديث الباب في فصل القرآنيين وجفائهم السنةَ النبوية.

الخامس عشر: وأخبَر عن ظهور الفتن بقتل عمر ليبدأ عَود الإسلام غريبًا كما بدأ، فوقع كما أخبر، فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَذْكُرُ الْفِتَنَ فَقَالَ قَوْمٌ نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ قَالَ حُذَيْفَةُ فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ فَقُلْتُ أَنَا. قَالَ أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ. قَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: « **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ؛ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ** ». قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ. قَالَ عُمَرُ أَكَسْرًا لاَ أَبَا لَكَ، فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ. قُلْتُ: لاَ بَلْ يُكْسَرُ.
وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ. حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ. قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ! مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًّا؟ قَالَ: شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ. قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قَالَ: مَنْكُوسًا » متفق عليه، وهذا لفظ مسلم[1].

---

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب أعلام النبوة في الإسلام، رقم: 3586، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، رقم: 144 .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاء** "[1].

« وجملة المعنى فيه مِن جهة وصف الغربة ما ظهر بالعيان والمشاهدة في أول الإسلام وآخره »[2].

السادس عشر: وأخبَر باستشهاد عُمر وغيره، فكان كما أخبَر، فعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، أنه حَدَّثَ أَنَّ النَّبِيَّ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: " **اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ** "[3].

السابع عشر: وأخبَر عن استشهاد عثمان فوقع كما أخبر، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا قَالَ فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنْ النَّبِيِّ فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ؛ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَدَلاهُمَا فِي الْبِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: " **ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** " فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ، مَعَهُ فِي

---

[1] (?) صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 145.

[2] (?) قاله الشاطبي، (الإعتصام، ج1/ص44). وقد شرح الحديث وفصّـله بما لا مزيد عليه هو والحافظ ابن رجب –رحمهما اللــه-، (راجع لــذلك: كشف الكربة في شرح حديث الغربة لابن رجب –رسالة صغيرة-).

[3] (?) صحيح البخاري:كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ عُثْمَـانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو الْقُرَشِيِّ ، ورقمه:3699.

الْقُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي. فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدْ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يُرِيدُ أَخَاهُ يَأْتِ بِهِ؛ فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: " **ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** " فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ. ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدْ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ؛ فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: " **ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ** " فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وِجَاهَهُ مِنْ الشَّقِّ الْآخَرِ. قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ [1].

الثامن عشر: وأخبَر ﷺ بأنّ عَمَّارًا تَقْتُلُه الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، فقتلَه بعضُ مَن في جيش معاوية ﷺ: ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أنّه بعثَ بابنٍ له؛ عَلِيٍّ وتلميذه؛ عِكْرِمَةَ، وقال لهما:« انْطَلِقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ – يعنِي: الخدري- فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أَتَى ذِكْرُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: " **وَيْحَ عَمَّارٍ! تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ** "، قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ[2].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا** " رقم: 3674، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان، رقم: 2403 .

[2] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَاب التَّعَاوُنِ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، رقم: 447. وصحيح مسلم: كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر

وَفِي هذا الْبَاب عَنْ: أَبِي هُرَيْرَةَ، وأُمِّ سَلَمَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَأَبِيه عَمْرِو بْنِ العاص .

قال النووي -رحمه الله- وهو يُعلِّق على الحديث: « وَفِيهِ: مُعْجِزَة ظَاهِرَة لِرَسُولِ اللَّه مِنْ أَوْجُه: مِنْهَا أَنَّ عَمَّارًا يَمُوت قَتِيلا، وَأَنَّهُ يَقْتُلهُ مُسْلِمُونَ، وَأَنَّهُمْ بُغَاة، وَأَنَّ الصَّحَابَة يُقَاتِلُونَ، وَأَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِرْقَتَيْنِ: بَاغِيَة، وَغَيْرهَا، وَكُلّ هَذَا قَدْ وَقَعَ مِثْل فَلَق الصُّبْح عَلَى رَسُوله الَّذِي لا يَنْطِق عَنْ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْي يُوحَى »[1].

العشرون: وأخبَر بأنّ ابنَه الحسَن سيّدٌ، وسيُصْلِحَ الله بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْن مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فوقع كما أخبَر، وأصلَح به تعالى بين أتباعه وأهل الشام عام الجماعة: فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ، قال: « أَخْرَجَ النَّبِيُّ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ؛ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: " **ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ**[2].

وأخرجه البخاري –رحمه الله- في كتاب الصلح[3] –وفيه قصة[4]-.

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في آخر شرحه للحديث -ذاكرًا شيئًا مِن فوائده-: **وَفِي هَذِهِ الْقِصَّة مِنْ الْفَوَائِد:** عَلَم مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة، وَمَنْقَبَة لِلْحَسَنِ بْن عَلِيّ؛ فَإِنَّهُ تَرَكَ الْمُلْك لا لِقِلَّةٍ، وَلا لِذِلَّةٍ، وَلا لِعِلَّةٍ، بَلْ لِرَغْبَتِهِ فِيمَا عِنْدَ اللَّه لِمَا رَآهُ مِنْ حَقْن دِمَاء الْمُسْلِمِينَ، فَرَاعَى أَمْر الدِّين وَمَصْلَحَة الأُمَّة. **وَفِيهَا:** رَدّ عَلَى

الرجل بقبر..، رقم: 2915.

1 (?) المنهاج للنووي، ص1687.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب علامات النّبوة في الإسلام، رقم: 3629، وكتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحُسين رضي الله عنهما، رقم: 3746 .

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الصلح، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ، رقم: 2704.

4 (?) انظر شرح الحديث، والفوائد المجتنى منه في صلح هذين الصحابيَين في شرح الحافظ ابن حجر -رحمه الله- له في كتاب الفتن، (البخاري مع الفتح، ج4/ حديث برقم: 7109، ص5128-5132).

الْخَوَارِجِ الَّذِينَ كَانُوا يُكَفِّرُونَ عَلِيًّا وَمَنْ مَعَهُ، وَمُعَاوِيَة وَمَنْ مَعَهُ؛ بِشَهَادَةِ النَّبِيّ ﷺ لِلطَّائِفَتَيْنِ: بِأَنَّهُمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ يَقُول عَقِبَ هَذَا الْحَدِيث: قَوْله:" **مِنْ الْمُسْلِمِينَ** " يُعْجِبنَا جِدًّا، .. **وَفِيهِ:** فَضِيلَة الإِصْلاح بَيْنَ النَّاس، وَلا سِيَّمَا فِي حَقْن دِمَاء الْمُسْلِمِينَ، وَدَلالَة عَلَى رَأْفَة مُعَاوِيَة بِالرَّعِيَّةِ، وَشَفَقَته عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقُوَّة نَظَره فِي تَدْبِير الْمُلْك، وَنَظَره فِي الْعَوَاقِب. **وَفِيهِ:** جَوَاز خَلْع الْخَلِيفَة نَفْسه إِذَا رَأَى فِي ذَلِكَ صَلاحًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَالنُّزُول عَنْ الْوَظَائِف الدِّينِيَّة وَالدُّنْيَوِيَّة بِالْمَالِ، وَجَوَاز أَخْذ الْمَال عَلَى ذَلِكَ وَإِعْطَائِهِ بَعْدَ اسْتِيفَاء شَرَائِطه؛ **وَفِيهِ:** إِطْلاق الابْن عَلَى ابْن الْبِنْت، وَقَدْ انْعَقَدَ الإِجْمَاع عَلَى أَنَّ امْرَأَة الْجَدّ وَالِد الأُمّ مُحَرَّمَة عَلَى ابْن بِنْته، وَأَنَّ امْرَأَة ابْن الْبِنْت مُحَرَّمَة عَلَى جَدّه، وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي التَّوَارُث[1].

الحادي والعشرون: وأخبر ﷺ بأنّ خِلافَةُ النُّبُوَّةِ بعده ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَصِير مُلْكًا، فكانت خِلافَةُ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَعُمَرُ عَشْرًا، وَعُثْمَانُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٌّ خمسة إلا أشهُرًا، والحسن نحو سبعة أشهر، ثُمَّ صار مُلْكًا[2]؛ ابتدأه معاوية ﷺ، فعَنْ سَفِينَةَ مولى رسول الله ﷺ، قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **خِلافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ، أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ** "[3].

---

1 انظر: فتح الباري، (ج4/ ص5131-5132).

2 في عون المعبود: « قَالَ الْعَلْقَمِيّ: قَالَ شَيْخنَا: لَمْ يَكُنْ فِي الثَّلاثِينَ بَعْده ﷺ إِلا الْخُلَفَاء الأَرْبَعَة وَأَيَّام الْحَسَن. قُلْت: بَلْ الثَّلاثُونَ سَنَة هِيَ مُدَّة الْخُلَفَاء الأَرْبَعَة كَمَا حَرَّرْته؛ فَمُدَّة خِلافَة أَبِي بَكْر سَنَتَانِ وَثَلاثَة أَشْهُر وَعَشْرَة أَيَّام، وَمُدَّة عُمَر عَشْر سِنِينَ وَسِتَّة أَشْهُر وَثَمَانِيَة أَيَّام، وَمُدَّة عُثْمَان أَحَد عَشَرَ سَنَة وَأَحَد عَشَرَ شَهْرًا وَتِسْعَة أَيَّام، وَمُدَّة خِلافَة عَلِيّ أَرْبَع سِنِينَ وَتِسْعَة أَشْهُر وَسَبْعَة أَيَّام. هَذَا هُوَ التَّحْرِير فَلَعَلَّهُمْ أَلْغَوْا الأَيَّام وَبَعْض الشُّهُور. وَقَالَ النَّوَوِيّ فِي تَهْذِيب الأَسْمَاء: مُدَّة خِلافَة عُمَر عَشْر سِنِينَ وَخَمْسَة أَشْهُر وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَعُثْمَان ثِنْتَيْ عَشْرَة سَنَة إِلا سِتّ لَيَالٍ، وَعَلِيّ خَمْس سِنِينَ وَقِيلَ خَمْس سِنِينَ إِلا أَشْهُرًا، وَالْحَسَن نَحْو سَبْعَة أَشْهُر، انْتَهَى كَلام النَّوَوِيّ، وَالأَمْر فِي ذَلِكَ سَهْل. هَذَا آخِر كَلام الْعَلْقَمِيّ » (ص2020).

3 سنن أبِي داود: كتاب السنة، بَاب فِي الْخُلَفَاءِ، برقم: 4646، و 4647، وجامع الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، ورقمه:

الثانِي وعشرون: وأخبَر بِمَقتل ابنه الحُسَين ، فوقع كما أخبَر[1].

الثالث والعشرون: وأخبَر بكذّاب ثقيف، ومُبيرِها، فكان كما أخبَر، فعَنْ أَبِي نَوْفَلٍ رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ –قَالَ- فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ، حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ! السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ! السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ! أَمَا وَاللَّهِ! لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا! أَمَا وَاللَّهِ! لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا! أَمَا وَاللَّهِ! لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا! أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتَ مَا عَلِمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا، وَصُولاً لِلرَّحِمِ، أَمَا وَاللَّهِ لأُمَّةٌ أَنْتَ أَشَرُّهَا لأُمَّةٌ خَيْرٌ. ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ فَأُلْقِيَ فِي

2/2677، 2226، وحسنه الترمذي، قال الحافظ ابن حجر في الفتح –ج: « أَخْرَجَهُ أَصْحَاب السُّنَن، وَصَحَّحَهُ اِبْن حِبَّانَ وَغَيْره ».

[1] أخرج الأحاديث بذلك البيهقي في دلائل النبوة: باب باب ما روي في إخباره بقتل ابن ابنته أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب فكان كما أخبر ، وما ظهر عند ذلك من الكرامات التي هي دالة على صحة نبوة جده (الدلائل، ج6/ص412-416، برقم: 2840-2851) من طرق عدة، ولعلها ترتقي بمجموع طرقها إلى درجة الحسن، (وقد قام بدراستها الدكتور عثمان بن محمد الخميس –حفظه الله- في أطروحته: **الأحاديث الواردة في السبطين الحسن والحسين جمعًا ودراسة وحُكمًا**؛ فدرس ثلاثة عشرة طريقًا، توصل في الحكم على الأول منها (حديث أم سلمة) بأنه ضعيفٌ جدًّا، وعلى الثاني (حديث عائشة) بأنه منقطع، وعلى الثالث (حديث علي) بأنه ضعيفٌ، وعلى الرابع (حديث زينب بنت جحش) بأنه ضعيفٌ، وعلى الخامس (حديث أبِي أُمامة) بأنه ضعيفٌ، وعلى السادس (حديث أنس) بأنه ضعيفٌ، وعلى السابع (حديث معاذ بن جبل) بأنه ضعيفٌ جدًّا، وعلى الثامن (حديث أم الفضل) بأنه ضعيفٌ جدًّا، وعلى التاسع (حديث الحسين) بأنه ضعيفٌ جدًّا، وعلى العاشر (حديث جهمان) بأنه ضعيفٌ، وعلى الحادي عشر (حديث أنس بن الحارث) بأنه ضعيفٌ جدًّا، وعلى الثاني عشر (حديث أبي الطفيل) بأنه ذكره الهيثمي وقال رواه الطبراني وإسناده حسن، ومؤلفنا هذا لم يجده في معاجم الطبراني الثلاثة، وقال لعله في الجزء المفقود منه، كما حكم على الأخير –الثالث عشر- (حديث ابن عباس) بأنه ضعيفٌ. ثم ختم التخريج للحديث بقوله: « تبيّن مما سبق أنّ هذا الحديث رُوي عن النبي من ثلاث عشرة طريقًا » (ص155) فذكر أسماءهم في الجدول .. ثم قال ص156: « **والحديث بمجموع هذه الطرق يرتقي –إنْ شاء الله- إلى الحسن لغيره**. والله أعلم (انظر تخريج الحديث: 121-156).

قُبُورِ الْيَهُودِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ -قَالَ- فَأَبَتْ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لاَ آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَىَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي -قَالَ- فَقَالَ: أَرُونِي سِبْتَيَّ. فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ، قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ، أَنَا –وَاللَّهِ- ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَعَامَ أَبِى بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لاَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ، أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا « أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا ». فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلاَ إِخَالُكَ إِلاَّ إِيَّاهُ –قَالَ- فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا [1].

الرابع والعشرون: وأخبَر ﷺ عن تداعي الأمم الكافرة على المسلمين، فوقع كما أخْبَر[2]، فعن أبي هريرة وثوبان مولى رسول الله ﷺ، وهذا لفظ ثوبان: قَالَ رَسُولُ ﷺ: " **يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** " فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: " **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ** " فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: " **حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ** " [3].

وفي حديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ**[4]**، وَأَخَذْتُمْ**

---

[1] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب ذِكْرِ كَذَّابِ ثَقِيفٍ وَمُبِيرِهَا، رقم: 2545 .

[2] انظر: دلائل النبوة للبيهقي: باب إخباره بتداعي الأمم على من شاء الله من أمته إذا ضعفت نيتهم، رقم: 2960، (ج6/ص468).

[3] سنن أبي داود: كتاب الملاحم، رقم: 4297، ومسند الإمام أحمد، رقم: 8356، و21363، وهو صحيح.

[4] **العِينة** –بالكسر-، يقال: (عَيَّنَ) إذا أَخَذَ بِالْعِينَة أَيْ: السَّلَف أَوْ أَعْطَى بِهَا، (وَبَيْع الْعِينَة): هُوَ أَنْ يَبِيع شَيْئًا مِنْ غَيْره بِثَمَنٍ مُؤَجَّل، وَيُسَلِّمهُ إِلَى الْمُشْتَرِي، ثُمَّ يَشْتَرِيه قَبْل قَبْض الثَّمَن بِثَمَنٍ نَقْد أَقَلّ مِنْ

أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "[1].

وأقول هنا: ما أشدّ ذُلّ المسلمين وهوانهم –اليوم- على القوم الكافرين! لإخلادهم للدنيا وتركهم الجهاد والدين، ولئن لم يتدارك هذه الأمة ربُّها؛ فترجع إلى رشدها ودينها ردًّا جميلا، وتكون على ما كان عليه الرسول وأصحابُه لتخسر، لكن أملنا في الله كبير، ونصرَه قريب، وسيأتِي الحديث الذي بيّـن فيه الرسول ﷺ أنّ أمته ستقتل مع اليهود حتى إن الأشجار لتعين المسلمين وتدل على اليهود، وعلامات ذلك الآن بادية، اللهم فرُحماك بالأمة! رحماك!!

هذه بعض نبوءات رسول الله ﷺ مِن سُنّته الشريفة، وإخباراته بما يقع، وقد كانت كما أخبَر بِها[2].

وأما تنبؤات مدّعي النبوة ابتداءً بِمُسيلمة الكذاب، .. مرورًا بالميرزا غلام أحمد القادياني، والباب الشيرازي، والبهاء النوري المازندرانِي .. إلى أن يكون آخرهم: الدجال، فليست تكهناتِهم بشيء –كما سيأتِي-.

** * **

هذا، وقد أخبَر الصادق المصدوق ﷺ بأشياء كثيرة أنها ستقع، وستكون إذا جاء وقتُها طبقًا لِما أخبَر بِهَا، وليس الصبح ببعيد. **ومن هذا النوع على سبيل المثال:** ما

ذَلِكَ الْقَدْر، (انظر: عون المعبود لمحمد أشرف، آبادي، ص1485-1486).

[1] سنن أبي داود: كتاب البيوع، بَاب فِي النَّهْيِ عَنْ الْعِينَةِ، رقم: 3462، والحديث صحيح (السلسلة الصحيحة، ج1/ 42، برقم: 11).

[2] قد ذكر ثلاثين منها الشيخ رحمة الله الهندي –رحمه الله- (انظر: إظهار الحق، ج4/ ص1101-1121). وذكر قريبًا منها قبله شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في آخر كتابه الجواب الصحيح (ج3/ ص320-362) صدّرها بقوله: (فصل: وآياته ﷺ استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية، وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلا عن غير النبيين. ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير –كما تقدم بعض ذلك-، وكذلك في الأحاديث الصحيحة، مما أخبر بوقوعه فكان كما أخبر) (الجواب الصحيح، ج3/ ص320).

جاء عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ قَائِمًا فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إلا حَدَّثَهُ به، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قد نسيتُه فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عرَفَه »[1].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ و أَبِي هُرَيْرَةَ -وهذا لفظه- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ: " **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: -وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ- يَا مُسْلِمُ هَذَا! يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ** "[2].

وفي رواية لمسلم: " **لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ** ".

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لاَ يَدْرِى الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ وَلاَ الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ ». فَقِيلَ كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ « الْهَرْجُ. الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ »[3].

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ[4] قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: " **مَا تَذَاكَرُونَ؟** " قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: " **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا**

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب القدر، باب ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ [الأحزاب: ٣٨]، رقم: 6604، وصحيح مسلم: كتاب الفتن، باب إخبار النبي فيما يكُونُ إلى قيام السَّاعَةِ، رقم: 2891، واللفظ له.

2 (?) صحيح البخاري:كتاب الجهاد والسير،بَاب قِتَالِ الْيَهُودِ،رقم: 2925،وكتاب المناقب،بَاب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ،رقم: 3593،وصحيح مسلم:كتاب الفتن،باب لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ..، رقم:2921.

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الفتن، باب لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ..، رقم:2908.

4 (?)**حذيفة بن أسيد**: -بفتح الهمزة الغفاري أبو سريحة، بمهملتين مفتوح الأول، صحابي من أصحاب الشجرة، مات سنة اثنتين وأربعين (تقريب التهذيب، رقم: 1154، ص94).

عَشْرَ آيَاتٍ ". فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ؛ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ [1].

وأختم المطلب بالقول بأنّ هذا أيضًا وجهٌ من الأوجه الكثيرة لدلائل نبوة نبينا محمدٍ ، وهو المتمثّل في صدق ما أخبر به عن الماضي والمستقبل، والنماذج المذكورة لذلك قليلٌ من كثير. وأنتقل بعد ذلك إلى المطلب السادس والأخير في الدلائل. والله تعالى أعلم.

** * **

[1] (?) صحيح مسلم: كتاب الفتن، باب فِي الآيات الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، رقم: 2901.

المطلب السادس: حنين الجذع له ، وتكثير الطعام، ونبع الماء ببركته ..:

وفي هذا المطلب ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: من آيات نبوته ودلائلها: حنين الجذع له .

المسألة الثانية: ومن آيات نبوته ودلائلها: تكثير الطعام.

المسألة الثالثة: من آيات نبوته ودلائلها: نبع الماء مِن بين أصابعه ببركته .

المسألة الأولى: من آيات نبوته ودلائلها: حنين الجذع له [1]:

إنّ من دلائل النبوة المحمدية وآياتها حنين الجذع له شوقًا منه له، وشفقةً على نفسه بفِراقه إيّاه، حين ترَك الخطبة عليه، وقد روى هذه الآية عدد غفير، كما أنه سمع الحنين عددٌ كبيرٌ من الصحابة، قال القاضي عياض –رحمه الله- في فصل قصة حنين الجذع له : « .. حديث أنين الجذع، وهو في نفسه مشهور منتشر، والخبر به متواتر، قد خرّجه أهلُ الصحيح، ورواه من الصحابة بِضعةَ عشَر، منهم: أُبَيّ بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، وبُريدة، وأم سلمة، والمطلب بن أبى وداعة، كلهم يُحدث بمعنى هذا الحديث »[2].

وختم الفصل بنقلٍ عن شيخ، يقول فيه: « فهذا حديث -كما تراه- خرّجه أهلُ الصحة، مَن ذكرنا، وغيرهم من التابعين ضِعْفِهم، إلى مَن لم نذكره، وبدون هذا العدد يقع العلم لِمن اعتنى بهذا الباب، والله المثبت على الصواب »[3].

وقد نقل الكلام الأول الحافظ ابنُ كثيرٍ –رحمه الله- في كتابه شمائل الرسول ودلائل نبوته، ثم أورد حديث

[1] للاستزادة يُنظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص312-314، وشمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه لابن كثير، ص299-313، وإظهار الحق، (ج4/ ص1064-1066، وكتاب الصحيح المسند من دلائل النبوة للمقبل الوادعي، ص214-218.

[2] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص312.

[3] المصدر نفسه، ص 314.

الحنين عن تسعة من هؤلاء الصحابة، وبطرقها المختلفة الصحيحة، كما أنّ على بعضها نظرًا[1].

ومن هذه الأحاديث:

أولا: حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ « كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: " **إِنْ شِئْتُمْ** " فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: " **كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَهَا** "[2].

وعنه ، يَقُولُ: « كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ، وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ[3] حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ »[4].

وفي سنن النسائي عنه ، «كَحَنِينِ النَّاقَةِ حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ فَاعْتَنَقَهَا فَسَكَتَتْ »[5]

وثانيًا: عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ النَّبِيُّ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ، فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ[6].

---

1 (?) انظر هذه الأحاديث بطُرُقها: في شمائل الرسول، له، ص299-313 .

2 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ، رقم: 3584، وقبله مختصرًا في كتاب الجمعة، بَاب الْخُطْبَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ، رقم: 918، وكتاب البيوع، باب النجار، رقم: 2094.

3 (?) **العشار**: جمع عُشراء، وهي الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر (انظر: الفتح (ج2/ 2619).

4 (?) صحيح البخاري، الكتاب والباب، رقم: 3585 .

5 (?) سنن النسائي: كتاب الجمعة، مَقَامُ الإِمَامِ فِي الْخُطْبَةِ، رقم: 1396، وهو صحيح.

6 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ، رقم: 3583.

وثالثًا: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ وأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ نَخْلَةٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَحَنَّ الْجِذْعُ حَتَّى أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** "[1].

رابعًا: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُصَلِّي إِلَى جِذْعٍ إِذْ كَانَ الْمَسْجِدُ عَرِيشًا وَكَانَ يَخْطُبُ إِلَى ذَلِكَ الْجِذْعِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ هَلْ لَكَ أَنْ نَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا تَقُومُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَرَاكَ النَّاسُ وَتُسْمِعَهُمْ خُطْبَتَكَ قَالَ نَعَمْ فَصَنَعَ لَهُ ثَلاثَ دَرَجَاتٍ فَهِيَ الَّتِي أَعْلَى الْمِنْبَرِ فَلَمَّا وُضِعَ الْمِنْبَرُ وَضَعُوهُ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقُومَ إِلَى الْمِنْبَرِ مَرَّ إِلَى الْجِذْعِ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ إِلَيْهِ فَلَمَّا جَاوَزَ الْجِذْعَ خَارَ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا سَمِعَ صَوْتَ الْجِذْعِ فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ حَتَّى سَكَنَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَّى إِلَيْهِ. فَلَمَّا هُدِمَ الْمَسْجِدُ وَغُيِّرَ: أَخَذَ ذَلِكَ الْجِذْعَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَكَانَ عِنْدَهُ فِي بَيْتِهِ حَتَّى بَلِيَ فَأَكَلَتْهُ الأَرَضَةُ، وَعَادَ رُفَاتًا »[2].

هذه بعض روايات الحديث، وقد قال الشيخ رحمة الله الهندي –رحمه الله- بعدما أورد حديث جابر الأول، « والخبَر بأنين الجذع وحنينه باعتبار مبناه مشهورٌ عند السلف والخلف، وباعتبار معناه متواترٌ يُفيد العلم القطعي، رواه من الصحابة بضعة عشر[3]، فذكرهم كالذي تقدم عن القاضي عياض في مطلع المسألة، وقال: « كلهم يُحدّث بِمعنَى هذا الحديث، وإنْ كانت

---

[1] (?) جامع الترمذي: كتاب المناقب، باب (بدون ترجمة: وقبلـه: بَـاب فِي آيَاتِ إِثْبَاتِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ وَمَا قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِـهِ)، رقم: 3627، وسـنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، بَاب مَا جَاءَ فِي بَدْءِ شَـأْنِ الْمِنْبَـرِ، رقم: 1415، وهو صحيحٌ، قال الترمذي: « حديث حسن صحيح».

[2] (?) سنن ابن ماجه: مصدرٌ نفسه، ورقمه: 1414، قـال البوصـيري: « إسنادٌ حسن »، (الزوائد، ج1/ 569).

[3] (?) إظهار الحق، (ج4/ 1065).

ألفاظهم مختلفة في باب التحديث، فلا شك في حصول التواتر المعنوي »[4]. والله أعلم.

وحنين الجذع هذا أحد دلائل نبوة نبينا محمد ، وقد عدّه فيها مَن كتبوا عن دلائل النبوة، فليُراجع المصارد المتقدمة في أول المسألة. والله تعالى أعلم.

** * **

4 (?) إظهار الحق، (ج4/ ص1066).

المسألة الثانية: ومن آيات نبوته ودلائلها: تكثير الطعام[1]:

إنّ من دلائل النبوة المحمدية وآياتها تكثير الطعام، وهو خارق عجيبٌ. وهذه المعجزة (تكثير الله الطعام ببركة دعائه أو بوضع يده دون أنْ يدعو، أو بغير ذلك) مرويةٌ عن بضعة عشر صحابيًّا، ورواه عنهم أضعافهم من التابعين، ثم من لا يعد بعدهم، وأكثرها وردَت في قصص مشهورة، ومجامع مشهورة، كما سيأتِي. والنبِيّ أولاً إنّما حصّل الماء القليل، أو الطعام القليل، ثم كثَّرَه، ولم يخترع من بدء الأمر من العدم إلى الوجود الماء الكثير، أو الطعام الكثير ليُعلم أنّ المُوجِد هو اللّه. وقد حصَلَتْ هذه البركة بسبب النبِيّ ، وإنْ كان التكثير أيضًا في الحقيقة من جانب اللّه تعالى، كالإيجاد[2].

ومن نماذج ذلك:

أولا: آياته في تكثير التمر، ففي حديث جابر ، قَالَ: تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَاسْتَعَنْتُ النَّبِيَّ عَلَى غُرَمَائِهِ أَنْ يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ، فَطَلَبَ النَّبِيُّ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ : " **اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافًا؛ الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ، وَعَذْقَ ابن زَيْدٍ**[3] **عَلَى حِدَةٍ، ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَيَّ** " فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ، فَجَاءَ فَجَلَسَ عَلَى أَعْلاهُ أَوْ فِي

---

1 (?) انظر عن تكثير الطعام بأنواعه مِن لبن وسمن وتمر وشعير وماء وغير ذلك، كتاب دلائل النبوة لأبي لنُعَيم الأصبهاني، (ج2/ 415-430، ط/دار النفائس، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ص294-306، والجزء الأخير من كتاب الجواب الصحيح لمَن بدل دين المسيح، (الجزء الذي حققه: الدكتور حمدان بن محمد) ص 145-175، وشمائل الرسول ودلائل نُبوته وفضائله وخصائصه لابن كثير، ص245-292، ط/العبيكان، وكتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي، (ج4/ ص1051-1062).

2 (?) انظر: إظهار الحق، (ج4/ ص1061-1062).

3 (?) **عَذْق زَيْد**: قال الحافظ ابنُ حجر –رحمه الله-:« عَذْق زَيْد بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة، وَزَيْد الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ اِسْم لِشَخْصٍ، كَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ اِبْتَدَأَ غِرَاسه، فَنُسِبَ إِلَيْهِ، وَالْعَجْوَة مِنْ أَجْوَد تَمْر الْمَدِينَة »(الفتح: ج 2/2612).

وَسَطِهِ، ثُمَّ قَالَ: " **كِلْ لِلْقَوْمِ** " فَكِلْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمْ الَّذِي لَهُمْ، وَبَقِيَ تَمْرِي كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ[1].

وفي رواية أن جابرًا وجد النبيَّ يصلي العصر، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ فَقَالَ: " **أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّابِ** " فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ عَلِمْتُ حِينَ مَشَى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ لَيُبَارَكَنَّ فِيهَا [2].

وفي رواية أخرى قال جابرٌ : « فَوَافَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ الْمَغْرِبَ[3]، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَضَحِكَ، فَقَالَ: " **ائْتِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَخْبِرْهُمَا** "؛ فَقَالا: لَقَدْ عَلِمْنَا إِذْ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَنَعَ أَنْ سَيَكُونُ ذَلِكَ[4] .

وفي المسند أنّ النبيَّ قال بعدما أخبرَه جابرٌ بقصته: " **أَيْنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** " فَجَاءَ يُهَرْوِلُ فَقَالَ: " **سَلْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ غَرِيمِهِ وَتَمْرِهِ** " فَقَالَ: مَا أَنَا بِسَائِلِهِ؛ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُوَفِّيهِ؛ إِذْ أَخْبَرْتَ أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُوَفِّيهِ، فَكَرَّرَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: (مَا أَنَا بِسَائِلِهِ) وَكَانَ لا يُرَاجِعُ بَعْدَ الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ فَقَالَ: يَا جَابِرُ! مَا فَعَلَ غَرِيمُكَ وَتَمْرُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَفَّاهُ اللَّهُ وَفَضَلَ لَنَا مِنْ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا ..»الحديث[5].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرح الحديث في بَاب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ جامعًا بين مُختلَفِه: « وَوَجْه الْمُخَالَفَة فِيهِ أَنَّ ظَاهِره أَنَّ الْكَيْل جَمِيعه كَانَ بِحَضْرَةِ رَسُول اللَّه وَأَنَّ التَّمْر لَمْ يَنْقُص مِنْهُ شَيْء الْبَتَّة، وَالَّذِي مَضَى ظَاهِرُه أَنَّ ذَلِكَ بَعْد رُجُوعه وَأَنَّ بَعْض التَّمْر

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب البيوع، بَاب الْكَيْلِ عَلَى الْبَائِعِ وَالْمُعْطِي، رقم: 2127.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الاستقراض، بَاب إِذَا قَاصَّ أَوْ جَازَفَهُ فِي الدَّيْنِ تَمْرًا بِتَمْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، رقم: 2396.

3 (?) قال ابن حجر –رحمه الله-: « وَكَأَنَّ هَذَا الْقَدْر مِن الاخْتِلاف لا يَقْدَح فِي صِحَّة أَصْل الْحَدِيث؛ لأَنَّ الْمَقْصُود مِنْهُ مَا وَقَعَ مِنْ بَرَكَته فِي التَّمْر، وَقَدْ حَصَلَ تَوَافُقهمْ عَلَيْهِ، وَلا يَتَرَتَّب عَلَى تَعْيِين تِلْكَ الصَّلاة بِعَيْنِهَا كَبِير مَعْنًى » (الفتح، ج2/ ص2151).

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الصلح، بَاب الصُّلْحِ بَيْنَ الْغُرَمَاءِ ..، رقم: 2709.

5 (?) مسند الإمام أحمد في حديثٍ طويلٍ، رقم: 14743 عَنْ نُبَيْحٍ الْعَنَزِيِّ عَنْ جَابِرٍ .

نَقَصَ، وَيُجْمَع بِأَنَّ ابْتِدَاء الْكَيْل كَانَ بِحَضْرَتِهِ ، وَبَقِيَّته كَانَ بَعْد انْصِرَافه، وَكَانَ بَعْض الْبَيَادِر الَّتِي أَوْفَى مِنْهَا بَعْض أَصْحَاب الدَّيْن حَيْثُ كَانَ بِحَضْرَةِ رَسُول اللَّه لَمْ يَنْقُص مِنْهُ شَيْء أَلْبَتَّة، وَلَمَّا انْصَرَفَ بَقِيَتْ آثَار بَرَكَته، فَلِذَلِكَ أَوْفَى مِنْ أَحَد الْبَيَادِر ثَلاثِينَ وَسْقًا وَفَضَلَ سَبْعَة عَشَر. وَفِي رِوَايَة نُبَيْح مَا يُؤَيِّد ذَلِكَ، فَفِي رِوَايَته قَالَ: " **كِلْ لَهُ فَإِنَّ اللَّه سَوْفَ يُوَفِّيه** »[1].

وقال: « وَقِيلَ: النُّكْتَة فِي اخْتِصَاص عُمَر بِأَعْلامِهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُعْتَنِيًا بِقِصَّةِ جَابِر، مُهْتَمًّا بِشَأْنِهِ مُسَاعِدًا لَهُ عَلَى وَفَاء دَيْن أَبِيهِ. وَقِيلَ: لأَنَّهُ كَانَ حَاضِرًا مَعَ النَّبِيّ لَمَّا مَشَى فِي النَّخْل، وَتَحَقَّقَ أَنَّ التَّمْر الَّذِي فِيهِ لا يَفِي بِبَعْضِ الدَّيْن، فَأَرَادَ إِعْلامه بِذَلِكَ لِكَوْنِهِ شَاهَدَ أَوَّل الأَمْر، بِخِلافِ مَنْ لَمْ يُشَاهِد. ثُمَّ وَجَدْت ذَلِكَ صَرِيحًا فِي بعض طُرُقه، فَفِي رِوَايَة أَبِي الْمُتَوَكِّل عَنْ جَابِر عِنْد أَبِي نُعَيْم فَذَكَرَ الْحَدِيث، وَفِيهِ: فَإِذَا رَسُول اللَّه وَعُمَر، فَقَالَ: " **انْطَلِقْ بِنَا حَتَّى نَطُوف بِنَخْلِك هَذَا** " فَذَكَرَ الْحَدِيث . وَفِي رِوَايَة .. عَنْ جَابِر عِنْده فِي هَذِهِ الْقِصَّة قَالَ: فَأَتَاهُ هُوَ وَعُمَر، فَقَالَ: " **يَا فُلان! خُذْ مِنْ جَابِر وَأَخِّرْ عَنْهُ** " فَأَبَى، فَكَادَ عُمَر يَبْطِش بِهِ، فَقَالَ النَّبِيّ : " **مَهْ يَا عُمَر، هُوَ حَقّه**. ثُمَّ قَالَ: " **اِذْهَبْ بِنَا إِلَى نَخْلك** " الْحَدِيث. وَفِيهِ: فَأَتَيْت النَّبِيّ فَأَخْبَرْته، فَقَالَ: اِئْتِنِي بِعُمَر، فَأَتَيْته فَقَالَ: " **يَا عُمَر سَلْ جَابِرًا عَنْ نَخْله** " فَذَكَرَ الْقِصَّة . وَوَقَعَ فِي رِوَايَة .. أَنَّ أَبَا بَكْر وَعُمَر جَمِيعًا كَانَا مَعَ النَّبِيّ ، وَقَالَ فِي آخِره، قَالَ: " **فَانْطَلَقَ فَأَخْبِرْ أَبَا بَكْر وَعُمَر "**، قَالَ: فَانْطَلَقْت فَأَخْبَرْتهمَا الْحَدِيث.. »[2] .

وقال في ذكره فوائد الحديث: « **وَفِيهِ:** عَلَمٌ ظَاهِرٌ مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة لِتَكْثِيرِ الْقَلِيل إِلَى أَنْ حَصَلَ بِهِ وَفَاءُ الْكَثِير، وَفَضَلَ مِنْهُ **»**[3] **.**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ بِتَمَرَاتٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ فَضَمَّهُنَّ ثُمَّ دَعَا لِي

---

[1] (?) الفتح، ج2/ ص2612.
[2] (?) الفتح، (ج2/ 2613).
[3] (?) المصدر نفسه.

فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: " **خُذْهُنَّ وَاجْعَلْهُنَّ فِي مِزْوَدِكَ هَذَا، أَوْ فِي هَذَا الْمِزْوَدِ، كُلَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، فَأَدْخِلْ فِيهِ يَدَكَ فَخُذْهُ وَلا تَنْثُرْهُ نَثْرًا** " فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنُطْعِمُ، وَكَانَ لا يُفَارِقُ حِقْوِي حَتَّى كَانَ يَوْمُ قَتْلِ عُثْمَانَ فَإِنَّهُ انْقَطَعَ "[1] .

ثانيًا: آياته في تكثير اللبن: فعن أَبي هُرَيْرَةَ أنه كَانَ يَقُولُ: « أَللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: " **يَا أَبَا هِرٍّ!** " قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: " **الْحَقْ** " وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: " **مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟** " قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ أَوْ فُلانَةُ، قَالَ: " **أَبَا هِرٍّ!** " قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: " **الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي** " قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلامِ لا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ، وَلا مَالٍ، وَلا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا،

---

[1] جامع الترمذي: كتاب المناقب، بَاب مَنَاقِبِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، ورقمه: 3839، ومسند الإمام أحمد، ورقمه: 8274، وقال الترمذي: « حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ »، وحكم على الحديث بمجموع طرقة (وهي ثلاثة) الشيخ الألباني (السلسلة الصحيحة، ج6/ ص1049، ورقمه: 2936).

فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْ الْبَيْتِ، قَالَ: " **يَا أَبَا هِرٍّ!** قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: خُذْ فَأَعْطِهِمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ، وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: " **أَبَا هِرٍّ!** قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: " **بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ** " قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: " **اقْعُدْ فَاشْرَبْ** "، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: " **اشْرَبْ** " فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ: " **اشْرَبْ** " حَتَّى قُلْتُ: لا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا. قَالَ: " **فَأَرِنِي** " فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ »[1] .

ثالثًا: آياته في تكثير السمن: عَنْ جَابِرٍ أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْنًا، فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا؛ فَيَسْأَلُونَ الأُدْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ، فَتَعْمِدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ لِلنَّبِيِّ فَتَجِدُ فِيهِ سَمْنًا، فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُدْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ فَأَتَتْ النَّبِيَّ فَقَالَ: " **عَصَرْتِيهَا؟** " قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: " **لَوْ تَرَكْتِيهَا مَا زَالَ قَائِمًا** "[2].

رابعًا: آياته في تكثير غير ذلك مِن أنواع الطعام المختلفة:

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِيَّ يَسْتَطْعِمُهُ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُمَا، حَتَّى كَالَهُ فَأَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: " **لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ، وَلَقَامَ لَكُمْ** "[3].

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، بَاب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ مِنْ الدُّنْيَا، رقم: 6452.

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَاب فِي مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ، رقم: 2280 .

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَاب فِي مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ، رقم: 2281 .

وقد مرّ حديث جابر الآخر في مطلب جوع النبي ﷺ وعطشه من الباب الأول، وأنّه ﷺ يوم الخندق رأى بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا وأنه انْكَفَأ[1] إِلَى امْرَأته، فصنعَتْ لهم طعامًا فيها بُهيمة على أنْ يأتِي الرسول ﷺ هو ونفَر قليلٌ، فجاء بألف من حُفّار الخندق. وفيه: أنّه ﷺ جاء وَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِهم فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: " **ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي**[2] **مِنْ بُرْمَتِكُمْ**[3]**، وَلا تُنْزِلُوهَا** " وَهُمْ أَلْفٌ، قال جابر: فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ! لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ[4] كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُو[5].

قال النووي –رحمه الله- في شرح الحديث: « ... حَدِيث طَعَام جَابِر، فَفِيهِ أَنْوَاع مِن الْفَوَائِد، وَجُمَل مِنْ الْقَوَاعِد، **مِنْهَا:** الدَّلِيل الظَّاهِر، وَالْعِلْم الْبَاهِر مِنْ أَعْلام نُبُوَّة رَسُول اللَّه ﷺ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَحَادِيث آحَاد بِمِثْلِ هَذَا حَتَّى زَادَ مَجْمُوعهَا عَلَى التَّوَاتُر، وَحَصَلَ الْعِلْم الْقَطْعِيّ بِالْمَعْنَى الَّذِي اشْتَرَكَتْ فِيهِ هَذِهِ الآحَاد، وَهُوَ انْخِرَاق الْعَادَة بِمَا أَتَى بِهِ ﷺ مِنْ تَكْثِير الطَّعَام الْقَلِيل الْكَثْرَة الظَّاهِرَة، وَنَبْع الْمَاء وَتَكْثِيره، وَتَسْبِيح الطَّعَام وَحَنِين الْجِذْع وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْرُوف، وَقَدْ جَمَعَ ذَلِكَ الْعُلَمَاء فِي كُتُب دَلائِل النُّبُوَّة، كَالدَّلائِل لِلْقَفَّالِ الشَّاشِيّ، وَصَاحِبه أَبِي عَبْد اللَّه الْحَلِيمِيّ، وَأَبِي بَكْر الْبَيْهَقِيِّ الإِمَام الْحَافِظ وَغَيْرهمْ بِمَا هُوَ مَشْهُور، وَأَحْسَنُهَا كِتَاب الْبَيْهَقِيِّ »[6].

---

[1] **انْكَفَأ:** أيْ: انْقَلَب وَرَجَع (انظر: المنهاج للنووي، ص1290، وفتح الباري، ج3/ ص2900) .

[2] **اقْدَحِي** أي: اغرفي منها (فتح الباري، ج3/ ص2901).

[3] **البرمة:** القدر، جمعه: البِرَام (انظر: الصحاح للجوهري، مادة برم، ص88).

[4] **تَغِطُّ**: -بالكسر، أي: تغلي وتفور ويُسمَع غليَانها (انظر: المنهاج للنووي، ص1290، وفتح الباري، ج3/ ص2900).

[5] وقد سبق تخريجه، وهو في الصحيحين، (صحيح البخاري: كتاب المغازي، وصحيح مسلم: كتاب الأشربة).

[6] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ص1290).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنهما[1]، قَالَ: « لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا[2] فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **افْعَلُوا** " قَالَ فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **نَعَمْ** " قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ[3] فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ. قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: " **خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ** "، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّة** "[4]، وهو في البخاري بلفظ مقارب.

وفي حديث قصة استضافة أبي طلحة وزوجه أم سليم أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك حين أخرجت أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ وعمِلَت فيه لسدّ جوع رسول الله ﷺ، ثم أرسلت أنسًا ﷺ إليه، يَعقُبُه مجيء رسول الله بسبعين أو ثمانين وأكلوا منه وشبعوا[5] –القصة المتقدمة- عدة دلائل وأعلام

---

1 (?) شَكَّ الأَعْمَشُ .

2 (?) **النَّوَاضِح مِنْ الإِبِل**: هي الَّتِي يُسْتَقَى عَلَيْهَا (انظر: النووي، المصدر نفسه، ص108).

3 (?) **بِنِطَع:** فِيهِ أَرْبَع لُغَات مَشْهُورَة: كَسْر النُّون مَعَ فَتْح الطَّاء، وَالثَّانِيَة: بِفَتْحِهِمَا، وَالثَّالِثَة: بِفَتْحِ النُّون مَعَ إِسْكَان الطَّاء، وَالرَّابِعَة: بِكَسْرِ النُّون مَعَ إِسْكَان الطَّاء. و أَشْهُرهَا الأول. (انظر: النووي، المصدر نفسه، ص108).

4 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَطْعًا، رقم: 27.

5 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام\، رقم: 3578، وصحيح مسلم، واللفظ له: كتاب الأشربة، المصدر نفسه، رقم: 2040.

للنبوة تتلخص في: **الأول:** قوله: " **أَرْسَلَك أَبُو طَلْحَة؟** " فَقُلْت : نَعَمْ. **العلَم الثاني:** قَوْله : " **أَلِطَعَامٍ؟** " فَقُلْت : نَعَمْ. **العلَم الثالث:** تَكْثِير الطَّعَام. **العلَم الرابع:** عِلْم النبي ﷺ بِأَنَّ هَذَا الْقَلِيل سَيُكَثِّرُهُ اللَّه تَعَالَى فَيَكْفِي هَؤُلَاءِ الْخَلْق الْكَثِير، فَدَعَاهُمْ لَهُ وذَهَب بِهِمْ. ذكرها النووي[1].

وحديث آخَر لأنس: عَنْه ﷺ، قَالَ: « تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ بِأَهْلِهِ، قَالَ: فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ! اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلامَ وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي تُقْرِئُكَ السَّلامَ وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: " **ضَعْهُ** " ثُمَّ قَالَ: " **اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلانًا وَفُلانًا وَفُلانًا، وَمَنْ لَقِيتَ** " وَسَمَّى رِجَالا. قَالَ: فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ. قَالَ: قُلْتُ لأَنَسٍ: عَدَدَ كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: زُهَاءَ ثَلاثِ مِائَةٍ[2]. وَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **يَا أَنَسُ! هَاتِ التَّوْرَ**[3] " قَالَ: فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلأَتْ الصُّفَّةُ وَالْحُجْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لِيَتَحَلَّقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ** " قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا. قَالَ: فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ فَقَالَ لِي: " **يَا أَنَسُ ارْفَعْ** " قَالَ: فَرَفَعْتُ، فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ[4]**.**

وحديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلاثِينَ وَمِائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ** " فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ

---

1 (?) انظر: شرح النووي على مسلم، ص1292 .

2 (?) **زُهَـاء**: بِضَـمِّ الـزَّاي وَفَتْح الْهَـاء وَبِالْمَـدِّ، وَمَعْنَـاهُ: نَحْو ثَلاثمِائَةٍ (النووي، المصدر نفسه، ص893).

3 (?) **التَّوْر**: بِتَاءٍ مُثَنَّاة، ثُمَّ وَاو سَاكِنَة، إِنَاء مِثْل الْقَدَح (انظر: النـووي، المصدر نفسه).

4 (?) صحيح مسلم: كتاب النكاح، بَـاب زَوَاجِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ...، رقم: 1428.

نَحْوُهُ فَعُجِنَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَـانٌّ[1] طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً** أَوْ قَالَ: **أَمْ هِبَةً** " قَالَ: لا بَلْ بَيْعٌ؛ فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً، فَصُنِعَتْ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشْوَى، وَايْمُ اللَّهِ! مَا فِي الثَّلاثِينَ وَالْمِائَةِ إلا قَدْ حَزَّ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا[2]؛ إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ، فَجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ، وَشَبِعْنَا، فَفَضَلَتْ الْقَصْعَتَانِ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ، أَوْ كَمَا قَالَ [3].

خامسًا: آياته ﷺ في تكثير الماء: فعن مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ﷺ، أَخْبَرَهُ قَالَ: « خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلاةَ؛ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ** "، فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟** قَالا: نَعَمْ فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ الْعَيْنِ قَلِيلا قَلِيلا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتْ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ .. حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: " **يُوشِكُ يَا مُعَاذُ!**

---

[1] **مُشْعَـانٌّ**: -بِضَمِّ اَلْمِيمِ وَسُكُون اَلْمُعْجَمَة بَعْدَهَا مُهْمَلَة وَآخِره نُون ثَقِيلَة- يُفسَّر بِأَنَّهُ اَلطَّوِيل جِدًّا فَوْقَ اَلطُّولِ مَعَ إِفْرَاد اَلطُّول شَعِث اَلرَّأس، وانتفاشُه وتفرُّقه.(انظر: النووي، ص1302، والفتح،ج2/ 2097).

[2] **سَـوَاد اَلْبَطْن**: هُوَ اَلْكَبِدُ، أَوْ كُلّ مَا فِي اَلْبَطْنِ مِنْ كَبِدٍ وَغَيْرِهَا (الفتح، المصدر نفسه).

[3] صحيح البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، بَاب قَبُولِ الْهَدِيَّةِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، رقم: 2618، وصحيح مسلم: كتاب الأشربة، بَاب إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ، رقم: 2056.

إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا "[1].

وعن عِمْرَانَ بْن حُصَيْنٍ ، أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ فِي مَسِيرٍ فَأَدْلَجُوا لَيْلَتَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ عَرَّسُوا، فَغَلَبَتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى ارْتَفَعَتْ الشَّمْسُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ لا يُوقَظُ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ مَنَامِهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ. فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ، فَقَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يُكَبِّرُ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ، فَنَزَلَ وَصَلَّى بِنَا الْغَدَاةَ. فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: " **يَا فُلانُ! مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا؟** " قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَيَمَّمَ بِالصَّعِيدِ، ثُمَّ صَلَّى. وَجَعَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ فِي رَكُوبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ -سَادِلَةٍ رِجْلَيْهَا بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ- فَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ الْمَاءُ؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ لا مَاءَ. فَقُلْنَا: كَمْ بَيْنَ أَهْلِكِ وَبَيْنَ الْمَاءِ؟ قَالَتْ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ. فَقُلْنَا: انْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . قَالَتْ: وَمَا رَسُولُ اللَّهِ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرِهَا حَتَّى اسْتَقْبَلْنَا بِهَا النَّبِيَّ ؛ فَحَدَّثَتْهُ بِمِثْلِ الَّذِي حَدَّثَتْنَا غَيْرَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا مُؤْتِمَةٌ[2]، فَأَمَرَ بِمَزَادَتَيْهَا فَمَسَحَ فِي الْعَزْلاوَيْنِ[3] فَشَرِبْنَا عِطَاشًا أَرْبَعِينَ رَجُلا حَتَّى رَوِينَا، فَمَلأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا. وَهِيَ تَكَادُ تَنِضُّ مِنْ الْمِلْءِ. ثُمَّ قَالَ: " **هَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ** "، فَجُمِعَ لَهَا مِنْ الْكِسَرِ وَالتَّمْرِ حَتَّى أَتَتْ أَهْلَهَا. قَالَتْ: لَقِيتُ أَسْحَرَ النَّاسِ أَوْ هُوَ نَبِيٌّ! -كَمَا زَعَمُوا- فَهَدَى اللَّهُ ذَاكَ الصِّرْمَ[4] بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ؛

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَاب فِي مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ، رقم: 706 .

2 (?) **مُؤْتِمَةٌ**، أي: ذات أيتام .

3 (?) **الْعَزْلاوَيْنِ**: تثنية عزْلَاء، وهو فم القربة. والجمع: عزالِي –بكسر اللام- (انظر: فتح الباري، ج2/ ص2606).

4 (?) **الصِّرْم**: أبياتٌ من الناس مجتمعة (انظر: المنهج للنووي، ص 481).

فَأَسْلَمَتْ، وَأَسْلَمُوا » متفقٌ عليه[5]. وعند مسلم: أنّه مجّ في العزلاووَين العلياوَيْن.

هذه نماذج من تكثير الله تعالى الطعام له عند حاجتهم له، وهو من أدلة وشواهد نبوته ورسالته. والبركة من الله. وإلى دليلٍ آخَر من دلائل نبوته ، والذي هو بِعُنوان.

المسألة الثالثة: من آيات نبوته ودلائلها: نبع الماء مِن بين أصابعه ببركته :

هذا له علاقة بالنقطة الأخيرة من المسألة المتقدمة، ولإنْ كان ذاك في تكثير الماء فإنّ هذا في نبعِه من بين أصابع المصطفى الشريفة وتكثيره ونمائه ببركته، والبركة من الله، ومِن نماذج هذا النوع:

أولا: ما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّهُ قَالَ: « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَحَانَتْ صَلاةُ الْعَصْرِ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ؛ فَلَمْ يَجِدُوهُ؛ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ. قَالَ: فَرَأَيْتُ <u>الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ</u> حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ[1].

وعَنْه قَالَ: « أُتِيَ النَّبِيُّ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ[2] فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ؛ فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ » قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: « ثَلاثَ مِائَةٍ، أَوْ زُهَاءَ ثَلاثِ مِائَةٍ »[3].

ثانيًا: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ، قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا؛ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ، فَقَالَ: " **اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ** " فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ؛ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ:

---

[5] (?) صحيح البخاري: المصدر نفسه، رقم: 3571. وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: 682.

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، بَاب الْتِمَاسِ الْوَضُوءِ إِذَا حَانَتْ الصَّلَاةُ، رقم: 169. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، بابٌ في معجزات النبي ، رقم: 2279 .

[2] (?) **والزوراء بالمدينة**: هناك عند السوق والمسجد كما جاء بيانه في الحديث نفسه (صحيح مسلم مع المنهاج، ص1414).

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ، رقم: 3572 . وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، بابٌ في معجزات النبي ، رقم: 2279.

" **حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنْ اللَّهِ** ". فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ »[1].

ثالثًا: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: " **مَا لَكُمْ؟** " قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ، وَلا نَشْرَبُ إِلا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، **فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ؛ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ،** كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا. قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً[2].

وعَنْه ﷺ هَذَا الْحَدِيثَ، قَالَ: « قَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ حَضَرَتْ الْعَصْرُ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ، فَجُعِلَ فِي إِنَاءٍ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ، وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ قَالَ: " **حَيَّ عَلَى أَهْلِ الْوُضُوءِ، الْبَرَكَةُ مِنْ اللَّهِ!** "، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ، وَشَرِبُوا، فَجَعَلْتُ لا آلُو مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ.

قُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ »[3].

هذه نماذج من فَوَران الماء مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ الشريفة، وهي من دلائل نبوته وشواهدها.

---

[1] صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 3579 .

[2] صحيح البخاري: المصدر نفسه، ورقمه: 3576. وصحيح مسلم مختصرًا: كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، ورقمه: 1856 .

[3] صحيح البخاري: كتاب الأشربة، بَاب شُرْبِ الْبَرَكَةِ وَالْمَاءِ الْمُبَارَكِ، ورقمه: 5639.

قال الشيخ جمال الدين أبو زكريا، يحيى بن يوسف بن منصور بن عمر الأنصاري الصرصري[1] مبيِّنًا خصائص الرسول ﷺ في دلائل وآيات نبوته، مِن ديوانه:

محمدٌ المبعوث للناس رحمة يُشيِّد ما أوهى الضلال ويُصلِح
لئن سبَّحَت صُمُّ الجبال مُجيبة لداود، أو لانَ الحديدُ الْمُصفَّح
فإنّ الصخور الصُّمّ لانَت بِكَفِّه وإنّ الحصا في كَفِّه ليُسبِّح.
وإنْ كان موسى أنْبَعَ الْماء بالعصا، فمِن كَفِّه قد أصبح الْماء يَطْفَح.
وإنْ كانت الريحُ الرخاء مُطيعةً سليمانَ لا تألو ترُوح وتَسْرَح
فإنّ الصبا كانت لنَصرِ نبيِّنا ورُعْبٌ على شهرٍ به الْخَصم يكلَح.
وإنْ أوتِي الملكَ العظيمَ وسُخِّرت له الجن تسعى في رضاه وتكْدَح
فإنّ مفاتيح الكنوز بأسْرها أتَتْه فردّ الزاهدُ الْمُترجِّح.
وإنْ كان إبراهيم أُعطي خُلة، وموسى بتكليم على الطور يُمنح
فهذا حبيبٌ، بل خليلٌ مكلَّم وخُصص بالرؤيا[2]، وبالحق أشرح

[1] جمال الدين أبو زكريا، يحيى الصرصري: أثنى عليه الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في كتابه البداية والنهاية ثناء عاطرًا، قبل أنْ يورِد له هذه الأبيات: «الماهر، الحافظ للأحاديث واللغة، ذو المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ، فلذلك يُشَبَّه -في عصره- بحسان بن ثابت ﷺ، وفي ديوانه المكتوب عنه في مديح رسول الله ﷺ، وقد كان ضرير البصر، بصير البصيرة، وكانت وفاته ببغداد في سنة ست وخمسين وستمائة، قتله التتار في كل بنة بغداد».

[2] الصحيح أنّ النبيَّ ﷺ لم يرَ ربَّه بعينَي رأسِه، والحديث الذي فيه أنّه يشارك الخليل إبراهيم في خاصية الخلة، والكليم موسى في خاصية كلام الله لهما، وخصّه الله بـ(الحبيب، وبرؤيته سبحانه)، لا يصح. وقد مرَّ شيءٌ من هذا عند الكلام عن الإسراء والمعراج به، وذكر ما فيهما من الآيات، في المطلب الثالث، فلتُراجع هناك!

وخصص بالحوض الرَّواء، وباللِّوا، ويشفع للعاصين والنار تلْـفَح،
وبالْمقعد الأعلى الْمُقرّب نالَه عطاءً بـبُشـراه أقـرُّ وأفرح،
وبالرتبة العليا: الوسيـلة، دونـها مراتبُ أرباب المواهـب تلـمح
ولهـو إلى الجنات أول داخل له بابـها قبل الخلائق يُـفتح[1].

وإلى هنا انتهى هذا المبحث في دلائل النبوة المحمدية، وبانتهائه انتهى الفصل الأول من هذا الباب. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وسأنتقل إلى الفصل الثاني بإذن الله!

** * **

[1] (?) انظـر: شـمائل الرسـول ودلائل نبــوته وفضائــله وخصـائصـه لابن كثير، ص697، ط/ العبيكان.

الفصل الثاني: عموم رسالته عليه الصلاة والسلام، وكمالها، وأنَّه خاتم الأنبياء، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عموم رسالته إلى جميع الثقلين إلى قيام الساعة، وفيه مطلبان.

المبحث الثانِي: أنَّ رسالته كاملةٌ، كافيةٌ شافيةٌ، وفيه مطلبان.

المبحث الثالث: كونه خاتم النبيين ولا نبِيَّ بعده، وكون رسالته خاتمة الرسالات.

المبحث الأول: عموم رسالته إلى جميع الثقلين، إلى قيام الساعة [1]، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عموم رسالته إلى جميع الثقلين؛ الجنّ والإنس.

المطلب الثاني: كون رسالته مِن بعثـته إلى قيام الساعة.

المطلب الأول: عموم رسالته إلى جميع الثقلين؛ الجنّ والإنس:

اختصت الرسالة المحمدية بخصائص منها: أنّها ليستْ خاصة بقومه العربِ، بل هي عامة فيهم وفي غيرهم من أهل الأرض من الجنّ والإنس، (اليهود والنصارى، والمجوس والذين أشركوا ... وغيرهم) وفيما سأوردُه مِن الأدلة لاحقًا سأركِّز على إبراز جانبٍ مُهمّ، ألا وهو أنّ الرسالة المحمدية موجَّهة إلى مَن لم يسبِق له كتابٌ

---

[1] للاستزادة، يُراجع كتاب: إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين الإنس والجنّ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرحها: فتحٌ مِن الله ذي الجلالة في شرح إيضاح الدلالة، ليوسف بن عبد رب النبي بن سليمان اللبان، وعنوان: وجوب الإيمان بعموم رسالته من كتاب حقوق النبي على أمته للشيخ التميمي، (ج1/ ص83-98)، وكتاب خصائص الشريعة الإسلامية، أ. د. عمر بن سليمان الأشقر، تحت عنوان: عالمية هذه الرسالة، ص46-50، وكتاب عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، د. عبد الكريم نوفان عبيدات، الفصل الأول من الباب الثاني، وعنوانه: إثبات تكليف الجن والإرسال إليهم، (ص175-208) والفصل الثاني منه بعنوان: جنس الرسول المرسل إليهم (ص209-225). وبالنسبة لِمسألة: شمول الرسالة وعمومها وخلودها والأدلة على ذلك، يُراجع: رسالة: تجريد المتابعة للرسول بين السلف والمخالفين، (رسالة غير منشورة).

سماوي، وإلى أهل الكتاب أنفُسهم، لأرُدّ بذلك على شُبَه بعض أهل الكتاب الذين يقولون بأنّ رسالته ﷺ كانت خاصة بالعَرَب (قومه) الذين نزل كتابُه بلسانهم، أو أنّها خاصةٌ بِمَن لم ينْـزِل لهم كتاب من الله، فاليهود والنصارى غير مقصودين –على هذا الزعم- بالرسالة المحمدية.

وكما أنّ هذه الرسالة عامةٌ في اليهود والنصارى، والإنس عمومًا، والجنّ المعاصرين للبعثة، فهِي كذلك عامة فِيمَن يأتِي بعد البعثة إلى قيام الساعة.

وهذه المسألة الأخيرة خصصتُ لبيانها وتقريرها المطلب القادم.

وقد دلّت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على عالَمِيّةِ هذه الرِّسالة، كما دلّ على ذلك أيضًا كُتُب النبِيّ ﷺ التي أرسلها إلى كلّ الملوك، (وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ)، ومجِيء الوفود إليه، بل لَمَّا كان النبِي ﷺ داخلٌ في لفظَة العالَمين، كان مبعوثًا إلى نفسه بالأوّلية[1]، ودلّت نصوصٌ أُخرى على دعوته للجنّ خصوصًا، وهذه المعانِي كلّها لَتَدُل على أنّ رسالته ﷺ عامة إلى كلّ أجناس الإنس وبكافة مشارِبهم، وإلى الجنّ؛ مَن عاصره ولقِيَه، ومَن لم يلقه، ومَن بلَغَتْه دعوتُه إلى قيام الساعة.

هكذا تنوّعت دلالات نصوص الشرعية على هذا الأمر، وجاءت بأساليب متنوعة لِتَدلّ على عموم المبعوث إليهم الرِّسَالة المُحمدية؛ إلى الجنّ والإنس)، المعاصرين له ﷺ والذين بعده إلى قيام الساعة. **وهنا سأذكر شيئًا من هذه النصوص مفرِّعًا أساليبها مِن دلالاتها**، فأقول:

الدلالة الأولى: النصوص التي فيها أمر الرسول ﷺ بدعوة الكِتَابيين من الملتين، والأميين من المشركين للدخول في شِرْعَته وطريقته ودينه الذي بُعِث به:

قال الله تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ [آل عمران: ٢٠].

---

1 (?) وهل هو مبعوثٌ إلى نفسه، قولٌ. انظر: تزيين الأرائك للسيوطي، وفتح الحميد في شرح التوحيد، (ج1/).

الدلالة الثانية: النصوص التي فيها أنّ نزول القرآن أو إرسال الرسول ﷺ، أو وضع هذا الدين بوضع شرائعه، من استقبال البيت عند الصلاة وغير ذلك، ما هو إلا رحمة وهدى وذكرى للعالَمين، والعالَم هو ما سِوى الله، والمقصود هنا الجنّ والإنس:

فبيتُ الله بركة وهدى للعالمين، قال تعالى: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛ ﮜﮝﮞﮟﭼ [آل عمران: ٩٦]. وكتابُه خصوصًا، والوحي الذي جاء به نبينا محمدٌ ﷺ ما هما إلا ذكرى لجميع العالمين، قال تعالى: ﭽﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﭼ [الأنعام: ٩٠]. وقال: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕ ﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭼ [يوسف: ١٠٤]. وقال: ﭽﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭼ [سورة ص: ٨٧، وسورة التكوير: ٢٧]. وقال: ﭽﮤﮥﮦﮧﮨﭼ [سورة القلم: ٥٢].

وقال سبحانه: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﭼ [الفرقان: ١].

بل لم يكن إرساله ﷺ إلا رحمة للعالمين، قال تعالى: ﭽﮑﮒﮓ ﮔﮕﭼ [الأنبياء: ١٠٧].

والعالَمون والعالَم هو كلّ ما سوى الخالق، فالخلق بِما فيهم الجن والإنس، والأنبياء وغيرهم عَالَمون، وإرسال محمدٍ ﷺ إلى عالَمي زمانه رحمة لهم، كما أنّ القرآن ذكرى لجميعهم، قال ابن عطية –رحمه الله- في تفسر الآية الأولى مِن سورة الفرقان: « وقوله: ﭽﯞﭼ عامٌّ في كل إنسيٍّ وجِنِّيٍّ، عاصَرَه أو جاء بعده، وهو متأيد من غير ما موضع من الحديث المتواتر، وظاهر الآيات، و(النذير) الْمُحذِّر من الشرِّ، والرسول من عند الله نذير. وقد يكون ﭽﯞﭼ ليس برسول، كما روي في ذي القرنين، وكما ورد في رُسُل رسول الله إلى الجنِّ؛ فإنَّهم نُذُرٌ، وليسوا برُسُل »[1].

وقال القرطبي –رحمه الله-: « والمراد بـ(العالمين) هنا الإنس والجن، لأنّ النبيّ ﷺ قد كان رسولا إليهما، ونذيرًا لهما، وأنه خاتم الأنبياء، ولم يكن غيرُه عامَّ الرسالة، إلا نوح؛ فإنَّه عمَّ برسالته جميع الإنس بعد الطوفان، لأنه بدأ به الْخَلقَ»[2]، وسيأتِي نقض كلامه

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص1374-1375 .
[2] الجامع لأحكام القرآن، (15/ 366) .

الأخير هذا بحديث الخصائص، مع شرح الحافظ ابن حجر -رحمه الله- له.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ -رحمه الله-: « وقوله: ﭽﯙﯚﯛﭼ أي: إنما خصَّه بِهذا الكتاب العظيم المبين المفصل المحكم الذي: ﭽﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﭼ [فصلت: ٤٢]. الذي جعله فُرقَانًا عظيمًا = إنّما خصّه به ليَخُصّه بالرسالة إلى مَن يستظلّ بالخضراء، ويستقلّ على الغبراء، كما قال صلوات الله وسلامه عليه: "بعثت إلى الأحمر والأسود". وقال: " **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي؛** "، فذكر منهن: أنه " **كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عامةً**[1]، وقال الله تعالى: ﭽﮨﮩ ﮪﮫﮬﮭﮮﮯﭼ [الأعراف: ١٥٨]...الآية. »[2].

وقد سبَق في آية الأنبياء أنّ إرسال نبينا محمدٍ ﷺ ما كان إلا رحمة للعالمين، ووجه الرحمة في المؤمنين به من الجنّ والإنس في الدنيا وفي الآخرة ظاهرة، أما غيرهم، فكما نقل الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في ختام تفسير الآية الأخيرة: « فإن قيل: فأيّ رحمة حصَلَت لِمن كَفَر به؟ **فالجواب**: ما رواه أبو جعفر بن جرير: .. عن ابن عباس، في قوله: ﭽﮐﮑﮒﮓﭼ قال: من آمن بالله واليوم الآخر، كُتِبَ له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفِي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف.. وقد رواه أبو القاسمُ الطبراني .. عن ابن عباس: ﭽﮐﮑﮒﮓﭼ قال: من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عُوفِي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والقذف »[3].

الدلالة الثالثة: النصوص التِي فيها أنّ الله تعالى لم يُرسل رسولَه ﷺ إلا إلى الناس كافة:

قال الله تعالى: ﭽﮥﮦﮧ ﮨﮩﮪﮫﮬﭼ [سبأ: ٢٨].

---

1 (?) الحديث متفق عليه، وسيأتِي تخريجه قريبًا.

2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ ص409).

3 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ 270)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، (14/ 302-303) .

وعَنْ جَابِرِ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا؛ وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ** "[1]. وفي لفظ: " ... **وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً** "[2].

وفي لفظ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ** ..."الحديث[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " **فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْت إِلَى الْخَلْق كَافَّة، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ** "[4].

قال النووي –رحمه الله- مُوجِّهًا لروايات الحديث، ومُقرِّرًا الشاهد: « قَوْله : " **وَبُعِثْت إِلَى كُلّ أَحْمَر وَأَسْوَد** "، وَفِي الرِّوَايَة الأُخْرَى: " **إِلَى النَّاس كَافَّة** "، قِيلَ: الْمُرَاد بِالأَحْمَرِ: الْبِيض مِنْ الْعُجْم وَغَيْرهمْ، وَبِالأَسْوَدِ: الْعَرَب؛ لِغَلَبَةِ السُّمْرَة فِيهِمْ وَغَيْرهمْ مِنْ السُّودَان. وَقِيلَ: الْمُرَاد بِالأَسْوَدِ: السُّودَان، وَبِالأَحْمَرِ: مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ الْعَرَب وَغَيْرهمْ.
وَقِيلَ: الأَحْمَر: الإِنْس، وَالأَسْوَد: الْجِنّ. وَالْجَمِيع صَحِيح، فَقَدْ بُعِثَ إِلَى جَمِيعهمْ »[5].

---

1. صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، رقم:438.
2. صحيح البخاري: كتاب التيمم، بابٌ (بدون ترجمة) رقم: 335.
3. صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: 521.
4. صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 523 .
5. شرح النووي على صحيح مسلم، ص402 .

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرح هذا الحديث العظيم (حديث الخصائص المصطفوية الستة) في كلام له متين: « وَظَاهِر الْحَدِيث يَقْتَضِي أَنَّ كُلّ وَاحِدَة مِنْ الْخَمْس الْمَذْكُورَات لَمْ تَكُنْ لأَحَدٍ قَبْله، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَلا يُعْتَرَض بِأَنَّ نُوحًا كَانَ مَبْعُوثًا إِلَى أَهْل الأَرْض بَعْد الطُّوفَان؛ لأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ إِلا مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا مَعَهُ وَقَدْ كَانَ مُرْسَلا إِلَيْهِمْ؛ لأَنَّ هَذَا الْعُمُوم لَمْ يَكُنْ فِي أَصْل بَعْثَته، وَإِنَّمَا اتَّفَقَ بِالْحَادِثِ الَّذِي وَقَعَ، وَهُوَ اِنْحِصَار الْخَلْق فِي الْمَوْجُودِينَ بَعْد هَلاك سَائِر النَّاس. وَأَمَّا نَبِيُّنَا فَعموم رِسالته مِنْ أَصْل الْبَعْثَة، فَثَبَتَ اخْتِصَاصه بِذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْل أَهْل الْمَوْقِف لِنُوحٍ كَمَا صَحَّ فِي حَدِيث الشَّفَاعَة " **أَنْتَ أَوَّل رَسُول إِلَى أَهْل الأَرْض** " فَلَيْسَ الْمُرَاد بِهِ عُمُوم بَعْثَته بَلْ إِثْبَات أَوَّلِيَّة إِرْسَاله، وَعَلَى تَقْدِير أَنْ يَكُون مُرَادًا فَهُوَ مَخْصُوص بِتَنْصِيصِهِ سُبْحَانه وَتَعَالَى فِي عِدَّة آيَاتٍ عَلَى أَنَّ إِرْسَال نُوح كَانَ إِلَى قَوْمه، وَلَمْ يَذْكُر أَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَى غَيْرهمْ. وَاسْتَدَلَّ بَعْضهمْ لِعُمُوم بعْثَتِهِ بِكَوْنِهِ دَعَا عَلَى جَمِيع مَنْ فِي الأَرْض فَأُهْلِكُوا بِالْغَرَقِ إِلا أَهْل السَّفِينَة، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَبْعُوثًا إِلَيْهِمْ لَمَا أُهْلِكُوا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿...﴾ [الإسراء: ١٥]. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ أَوَّلُ الرُّسُل. **وَأُجِيب:** بِجَوَازِ أَنْ يَكُون غَيْره أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ فِي أَثْنَاء مُدَّة نُوح، وَعَلِمَ نُوحٌ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَدَعَا عَلَى مَنْ لَمْ يُؤْمِن مِنْ قَوْمه وَمِنْ غَيْرهمْ، فَأُجِيب. وَهَذَا جَوَابٌ حَسَنٌ، لَكِنْ لَمْ يُنْقَل أَنَّهُ نُبِّئَ فِي زَمَن نُوحٍ غَيْرُهُ.

وَيُحْتَمَل: أَنْ يَكُون مَعْنَى الْخُصُوصِيَّة لِنَبِيِّنَا فِي ذَلِكَ: بَقَاء شَرِيعَته إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، وَنُوحٌ وَغَيْره بِصَدَدِ أَنْ يُبْعَث نَبِيٌّ فِي زَمَانه أَوْ بَعْده فَيَنْسَخ بَعْض شَرِيعَته. وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون دُعَاؤُهُ قَوْمه إِلَى التَّوْحِيد بَلَغَ بَقِيَّة النَّاس فَتَمَادَوْا عَلَى الشِّرْك فَاسْتَحَقُّوا الْعِقَاب، وَإِلَى هَذَا نَحَا **ابْن عَطِيَّة** فِي تَفْسِير سُورَة هُود، قَالَ: وَغَيْر مُمْكِن أَنْ تَكُون نُبُوَّته لَمْ تَبْلُغ الْقَرِيب وَالْبَعِيد لِطُولِ مُدَّته. وَوَجَّهَهُ **ابْن دَقِيق الْعِيد** بِأَنَّ تَوْحِيد اللَّه تَعَالَى يَجُوز أَنْ يَكُون عَامًّا فِي حَقّ بَعْض الأَنْبِيَاء وَإِنْ كَانَ الْتِزَام فُرُوع شَرِيعَته لَيْسَ عَامًّا؛ لأَنَّ

مِنْهُمْ مَنْ قَاتَلَ غَيْر قَوْمه عَلَى الشِّرْك، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ التَّوْحِيد لازِمًا لَهُمْ لَمْ يُقَاتِلهُمْ. وَيُحْتَمَل: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الأَرْض عِنْد إِرْسَال نُوح إلا قَوْم نُوح، فَبَعْثَتُهُ خَاصَّةٌ لِكَوْنِهَا إِلَى قَوْمه فَقَطْ، وَهِيَ عَامَّةٌ فِي الصُّورَة؛ لِعَدَمِ وُجُود غَيْرهمْ، لَكِنْ لَوْ اتَّفَقَ وُجُود غَيْرهمْ لَمْ يَكُنْ مَبْعُوثًا إِلَيْهِمْ. وَغَفَلَ **الدَّاوُدِيّ الشَّارِح** غَفْلَة عَظِيمَة فَقَالَ: قَوْله " **لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ** " يَعْنِي لَمْ تُجْمَع لأَحَدٍ قَبْله؛ لأَنَّ نُوحًا بُعِثَ إِلَى كَافَّة النَّاس، وَأَمَّا الأَرْبَع فَلَمْ يُعْطَ أَحَدٌ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ. وَكَأَنَّهُ نَظَرَ فِي أَوَّل الْحَدِيث، وَغَفَلَ عَنْ آخِره؛ لأَنَّهُ نَصَّ عَلَى خُصُوصِيَّته بِهَذِهِ أَيْضًا لِقَوْلِهِ: " **وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَث إِلَى قَوْمه خَاصَّة** " وَفِي رِوَايَة مُسْلِم: "**وَكَانَ كُلّ نَبِيّ** . . إِلَخْ" »[1].

وقال –رحمه الله- في الموضع نفسه: « وَأَمَّا قَوْله " **وَبُعِثْت إِلَى النَّاس عَامَّة** " فَوَقَعَ فِي رِوَايَة مُسْلِم: " **وَبُعِثْت إِلَى كُلّ أَحْمَر وَأَسْوَد** " فَقِيلَ: الْمُرَاد بِالأَحْمَرِ: الْعَجَم، وَبِالأَسْوَدِ: الْعَرَب. وَقِيلَ: الأَحْمَر: الإِنْس، وَالأَسْوَد: الْجِنّ[2]. وَعَلَى الأَوَّل التَّنْصِيص عَلَى الإِنْس مِنْ بَاب التَّنْبِيه بِالأَدْنَى عَلَى الأَعْلَى؛ لأَنَّهُ مُرْسَل إِلَى الْجَمِيع. وَأَصْرَحُ الرِّوَايَات فِي ذَلِكَ وَأَشْمَلُهَا: رِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة عِنْد مُسْلِم "**وَأُرْسِلْت إِلَى الْخَلْق كَافَّة**»[3].

وأما قوله تعالى: ﭽﮪ   ﯖﯗﭼ [البقرة: ٢٠٨]. فالصحيح أنّها تأمُر بالدخول في جميع شُعَب الدين، قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « ومن المفسرين من يجعل قوله: ﭽﯖﭼ حالا مِن الداخلين، أي: ادخلوا في الإسلام كلكم. والصحيح الأول، وهو أنَّهم أُمِروا كلهم أنْ يعملوا بِجميع شُعب الإيمان، وشرائع الإسلام، وهي كثيرة جدًّا، ما استطاعوا منها »[4].

---

[1] (?) فتح الباري، (ج1/ 677-678).

[2] (?) وانظر أيضًا عن المراد بـــ **" الأحمر والأسود "** (كتـاب الشـفا بتعريف حقوق المصطفى، ص 181).

[3] (?) فتح الباري، (ج1/ 679).

[4] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج1/ ص324) .

الدلالة الرابعة: آياتٌ دلّتْ على أنّ القرآن نزَل على محمدٍ لِيُنذر به كلَّ أحدٍ، أهل مكة وغيرها، وفيه هذا **ثلاثة أساليب:**

الأسلوب الأول: القرآن نذيرٌ لِمَن عاصَر البعثة، ومَن بَلَغَه القُرآن؛ فكما أنزل الله تعالى الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، فقد أوحى إليه هذا القرآن لينذر به كل أحد، المعاصرين له ومَن يَبْلُغُه القرآن، فقال: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭼ [الأنعام: ١٩]. وهذه الآية هي عمدة المطلب القادم.

الأسلوب الثانِي: أُوحِي إلى النبيِ القرآن لنذارة أهل مكة، ومَن حولَها مِن العالَم:

قال الله تعالى: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﭼ [الأنعام: ٩٢]. وقال: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﭼ [الشورى: ٧].

فـ ﭽﮉﮊﭼ التي أنزل الله القرآن لنذارتها: مكة، ﭽﮌﮍﭼ مِن أحياء العرب، ومِن سائر طوائف بنِي آدم؛ مِن عَرَبٍ وعَجَمٍ، بل ومِن الجن والإنس[1]. وما جاء في هاتين الآيتين هو ما يُسمى عند العلماء: بنذارة النبي العامة، وجاءت نصوصٌ أخرى بنذارته الخاصة، ولا تنافي بينهما، بل الخاصة فردٌ مِن أفراد النذارة العامة، قال الله تعالى في بيان نذارته الخاصة: ﭽﭽﭾﭿﮀﭼ [الشعراء: ٢١٤]. وجاءت آياتٌ كثيرةٌ في معناها. ومثل قوله تعالى: ﭽﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﭼ [إبراهيم: ٤]. الذي يتشبث به مَن يُخصص دعوته إلى العرب! قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير آية الشعراء: « النِّذارة الخاصة لا تنافي العامة، بل هي فردٌ من أجزائها، كما قال: ﭽﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﭼ [يس: ٦]. وقال: ﭽﮖﮗﮘﮙﭼ، وقال: ﭽﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﭼ [الأنعام: ٥١]. وقال: ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭼ [مريم: ٩٧]. وقال: ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭼ، كما قال: ﭽﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﭼ [هود: ١٧]. وفي صحيح مسلم: **"وَالَّذِي نَفْسِي**

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ ص212).

بِيَدِهِ! لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لا يُؤْمِن بِي، إلا دخل النَّارِ[1]" »[2].

وقال –رحمه الله- في تفسير مطلع الجمعة: « وقوله تعالى: ﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭ [الجمعة: ٢]. الأميون هم: العرب، كما قال تعالى: ﭽﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤ ﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭ [آل عمران: ٢٠]. وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي مَن عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وآكد، كما في قوله: ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﭼ [الزخرف: ٤٤]. وهو ذِكرٌ لغيرهم، يتذكرون به. وكذا قوله: ﭽﭽﭾﭿﭼ [الشعراء: ٢١٤]. وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: ﭽﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﭼ [الأعراف: ١٥٨]. وقوله: ﭽ ﭞﭟﭠﭡﭢﭼ [الأنعام: ١٩]. وقوله إخبارًا عن القرآن: ﭽﮪﮫﮬﮭ ﮮﮯﮰﮱﭼ [هود: ١٧]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق، أحمرهم وأسودهم، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام، بالآيات والأحاديث الصحيحة، ولله الحمد والمنة »[3].

وما كان الله تعالى –بعدله- لِيُهلِك خلقَه، جنّهم وإنْسَهم، أهل مكة وما حولَها إلا بعد إرسال الرسول محمد ﷺ إليهم، وتكذيبهم إيّاه، قال تعالى: ﭽ ﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰ ﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﭼ [القصص: ٥٩]. فقوله: ﭽﯧﯨﯩﯪﭼ : مكة. وفي الآية الدلالة على أن النبي الأمي، « وهو محمد، صلوات الله وسلامه عليه، المبعوث من أم القرى، رسول إلى جميع القرى، من عَرب وأعجام »[4]، انتهى المقصود.

قال الحافظ ابن كثيرٍ –رحمه الله-: « فجعل تعالى بعثة النبي الأمي شاملةً لِجميع القرى؛ لأنّه مبعوثٌ إلى أمِّها وأصلها التي ترجع إليها. وثبت في الصحيحين عنه، صلوات الله وسلامه عليه، أنه قال: " **بُعثتُ إلى الأَحْمَر وَالأسْوَد** ". ولهذا خُتم به الرّسالة والنبوة، فلا نبِيّ بعده ولا رسول، بل شرْعُه باقٍ، بقاءَ الليل والنهار إلى يوم

---

[1] (?) الحديث في صحيح مسلم، (ورقمه: 153)، وسيأتِي تخريجه قريبًا.

[2] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/461).

[3] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ ص464).

[4] (?) قاله ابن كثيرٍ –رحمه الله- في تفسير الآية، (ج3/ 521).

القيامة. وقيل: المراد بقوله: ﭽﭼﭽ أي: أصلها وعظيمتها، كأمهات الرساتيق والأقاليم. ..، وليس ببعيد »[1].

الأسلوب الثالث: الله تعالى علّم عبدَه هذا الذِّكر لِيُنذر به كلّ حيٍّ مِن الثقلين على وجه البسيطة:

قال الله تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ [يس: ٧٠].

قال الحافظ ابن كثيرٍ –رحمه الله-: « أي: لينذر هذا القرآن البيّن كلّ حيٍّ على وجه الأرض، كقوله: ﭽﭝﭞﭟﭠﭼ ﭽ [الأنعام: ١٩]. وقال: ﭽﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﭼ [هود: ١٧]. وإنّما ينتفع بنذارته مَن هو حَيّ القلب، مستنير البصيرة، كما قال قتادة: حي القلب، حي البصر. وقال الضحاك: يعني: عاقلا.

ﭽﯫﯬﯭﯮﭼ أي: هو رحمة للمؤمن، وحجة على الكافر »[2].

الدلالة الخامسة: النصوص التِي فيها أنّ مَن لم يؤمن بنبينا ﷺ بعد بعثته فالنار موعده كائنًا مَن كان، ففي هذا الدلالة على أنّه مبعوثٌ إلى كلّ مَن كان بعده ما دام أنّ الوحي بَلَغه:

قال الله تعالى: ﭽﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﭼ [هود: ١٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** "[3].

هذه النصوص عامةٌ في أهل الكتاب وغيرهم ممن جاؤوا بعد البعثة المحمدية إلى قيام الساعة، ولم يؤمنوا بِها، فهذا حكمهم، قال النووي –رحمه الله-: «وَقَوْلُهُ ﷺ: " لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ " أَيْ: مِمَّنْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي زَمَنِي وَبَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَكُلُّهُمْ يَجِبُ عَلَيْهِ الدُّخُولُ فِي طَاعَتِهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْيَهُودِيّ وَالنَّصْرَانِيَّ تَنْبِيهًا عَلَى مَنْ

---

1 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ 521).

2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ 760).

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، رقم: 153.

سِوَاهُمَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَهُمْ كِتَابٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَهُمْ مَعَ أَنَّ لَهُمْ كِتَابًا فَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لا كِتَابَ لَهُ أَوْلَى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ »[1].

ولَمّا كانت رسالتُه عامةً فيمَن كان، مِن بعثته إلى قيام الساعة، قال -فرْضًا- ما يدلّ على أنّ موسى لو كان باقيًا حيًّا لَما وسِعه إلا اتباعُه، فعن جابر ، عن النبي ، أن عمر أتاه، فقال: إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال : « **أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي** »[2].

كما أنّ عيسى إذا نَزَل لا يَحكُم إلا بشريعةِ نبينا محمد ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** "[3].

قال النووي –رحمه الله-: « وَقَوْله : " حَكَمًا " أَيْ: يَنْزِل حَاكِمًا بِهَذِهِ الشَّرِيعَة، لا يَنْزِل بِرِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّة، وَشَرِيعَة نَاسِخَة، بَلْ هُوَ حَاكِم مِنْ حُكَّام هَذِهِ الأُمَّة »[4].

وقال الحافظ ابن حجر: « قَوْله : " **حَكَمًا** " أَيْ: حَاكِمًا، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَنْزِل حَاكِمًا بِهَذِهِ الشَّرِيعَة، فَإِنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَة بَاقِيَة لا تُنْسَخ، بَلْ يَكُون عِيسَى حَاكِمًا مِنْ حُكَّام

---

1 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص190 .

2 (?) رواه الحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم في كتابه كتاب السنة، باب ذكر قول النبي : تركتكم على مثل البيضاء، وتحذيره إياهم أن يتغيروا عما تركهم عليه ...، رقم: 50، وفي سنده مجالد (ليس بالقوي، وتغير حفظه)، إلا أنّ الحديث قوي، فإنّ له شواهد كثيرة حسّنه بها الشيخ ناصر الألباني (ظلال الجنة، 28).

3 (?) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلام، رقم: 3448، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حاكمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّد ، رقم: 155.

4 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص191 .

هَذِهِ الأُمَّة. .. وَلِلطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث عَبْد اللَّه بْن مُغَفَّل " يَنْزِل عِيسَى ابْن مَرْيَم مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ عَلَى مِلَّته ". قَوْله: " **فَيَكْسِر الصَّلِيب، وَيَقْتُل الْخِنْزِير** " أَيْ: يُبْطِل دِين النَّصْرَانِيَّة، بِأَنْ يَكْسِر الصَّلِيب حَقِيقَة، وَيُبْطِل مَا تَزْعُمهُ النَّصَارَى مِنْ تَعْظِيمه »[1].

الدلالة السادسة: النصوص التي فيها أنّ رسول الله ﷺ وجّه دعوته إلى جميع الأحزاب الموجودة في عهده، وأنّه آمَن به، ووفَد إليه بعد ذلك أعيانُهم، مما فيه الدلالة على عموم بعثته ﷺ إليهم: وفِي هذا أسلوبان:

الأسلوب الأول: إرسالُه ﷺ إلى كُلّ جَبّارٍ –مِن اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم- يدعوه وأقوامَهم بدعوة الإسلام، ويُخبِرُهم بأنّه إنْ تولّى الملوك عن الطاعة فإنما عليهم إثم أتباعِهم، وهذا مِن أكبَر الأدلة على أنّه مُرسَلٌ إلى الجميع حتى غير العرب.

فعَنْ أَنَسٍ ﷺ، **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ قَبْلَ مَوْتِهِ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ[2]، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ**، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ [3].

قال النووي –رحمه الله-شارحًا للحديث: « وَفِي هَذَا الْحَدِيث جَوَاز مُكَاتَبَة الْكُفَّار وَدُعَائِهِمْ إِلَى الإِسْلام وَالْعَمَل بِالْكِتَابِ وَبِخَبَرِ الْوَاحِد. وَاَللَّه أَعْلَم »[4].

---

1 (?) فتح الباري، (ج2/ ص2544) .

2 (?) **كِسْرَى، وقَيْصَرَ، والنَّجَاشِيِّ** وغيرهم: ألقابٌ لملوك، قال النووي: « أَمَّا كِسْرَى فَبِفَتْحِ الْكَاف وَكَسْرهَا، وَهُوَ لَقَب لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ مِنْ مُلُوك الْفُرْس، وَقَيْصَر لَقَب مَنْ مَلَكَ الرُّوم، وَالنَّجَاشِيّ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الْحَبَشَة وَخَاقَان لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ التُّرْك، وَفِرْعَوْن لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الْقِبْط، وَالْعَزِيز لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ مِصْر، وَتُبَّع لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ حِمْيَر. » (شرح النووي على صحيح مسلم، ص1145) .

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كُتُب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار، يدعوهم إلى الله ﷺ، رقم: 1774، وجامع الترمذي: كتاب الاستئذان، بَاب فِي مُكَاتَبَةِ الْمُشْرِكِينَ، رقم: 2716.

4 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص1145) .

وقد سبق تخريج نصّ رسالته إِلَى هِرَقْلَ، والتي فيها: « ﭽﭑﭒﭓﭔ
مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى! أَمَّا بَعْدُ:
فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، ﭽﭬﭭ ﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑ ﮒﮓﮔ [آل عمران: ٦٤](1).

وأكبِر بصنيع شيخ الإسلام –رحمه الله- هنا، فقد ردّ على النصرانِي الذي زعم أنّ رسالة النبِي خاصة بالعرَب، دونهم، في كتابه الشهير: الجواب الصحيح لِمَن بدّل دين المسيح، بثمانية أوجه، كلّها تدل على عموم رسالته ، أُلَخِّصها في الأوجه التالية:

إرسال رسول الله رسوله دحية بن خليفة الكلبِي إِلَى هِرَقْلَ الذي هو مِن أجَلّ ملوك النصارى في وقته، في الروم بعد عام الحديبية، ومهادنة قريش على الصحيح، وقد أخذ هِرَقْل كتاب الرسول فجعله في قصبة مِن ذهَبٍ، وأمسكها عنده تعظيمًا له،. وذكر شيخ الإسلام –رحمه الله- حديث حوار هِرَقْلَ هذا الْمُخرّج في الصحيحين، والذي انتزعتُ منه الرسالة النبوية السابقة(2)، وقدّ مرّ شيءٌ من القصة في بحثنا هذا.

وأرسل رسوله حاطب بن أبِي بلتعة إِلَى ملك مصر –ملك النصارى في ذلك الوقت بالإسكندرية، فاعترف بنبوته، ولكن ضنّ بِمُلكه ولم يُسلم، ثم أكرم رسوله، وتواضع له وللكتاب، وكتب إلى الرسول جوابه، وأهدى له جاريتين، وبغلته التي اشتهرت فيما بعدُ بالدُّلْدُل، فقبِل النبي هديته، واصطفى إحدى الجاريتين لنفسه، والتي ولدت منه إبراهيم رضي الله عنهما، وأعطى الأخرى لحسان شاعره (3).

1 (?) الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه.
2 (?) انظر: الجواب الصحيح، (ج1/ ص165-177).
3 (?) انظر: الجواب الصحيح، (ج1/ ص178-183).

قتال النصارى: ثم بعد الإرسال إلى هؤلاء الملوك أخذ في غزو النصارى، فبعثَ زيد بن حارثة، وجعفر بن أبِي طالب، وعبد الله بن رواحة في جيش، فقاتلوا النصارى في مؤتة، سنة:8 . ثم بعد ذلك غزا النصارى بنفسه، وأمَر جميع المسلمين أنْ يخرُجوا معه في الغزاة، ولم يأذنْ بالتخلف عنها لأحدٍ، فقدم تبوك وأقام ليغزو النصارى، عرَبَهم ورومهم وغيرهم، فسمعوا به وأحجموا. وأنزل الله تعالى سورة التوبة، وذمّ ناسًا تخلفوا عن قتال النصارى ذمًّا عظيمًا، فكيف بالنصارى أنفسِهم؟ ووصّى النبيُّ عند موته بإخراجهم وإخراج اليهود من جزيرة العرب، وقام خلفاؤه بعده بِهذه الشريعة[1].

إرسال الكُتُب والرّسل إلى ملوك الفرس: فكما أرسل الرسول إلى ملوك النصارى، قيصر والمقوقس، وتأدبُوا معه وخضعوا له فبقي ملكهم، فكذلك أرسل عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي إلى كسرى بن هرمز ملك الفُرس بكتابه، فلما قرأ الكتاب مزّقه فمزّق الله مُلكَه[2].

ومِن دلائل عموم رسالته: ضربُه الجزية على المجوس[3]: بل وأخذُه من مجوس هجر[4]، كما نفّذ ذلك

---

[1] انظر: المصدر نفسه، (ج1/ ص184-191).

[2] انظر: المصدر نفسه، (ج1/ ص192-198).

[3] في صحيح البخاري: كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، رقم: 3156، و3157 جاء ذكر كتاب عمر إلى عامله الذي ببحرين، **وفيه**: (وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنَ الْمَجُوسِ حَتَّى شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرٍ). وقد قطع الحديث أصحاب الأطراف. وجاء عند الترمذي موصولا وحسّنه: بلفظ: (فجاءنا كتاب عمر: انظر مجوس مَن قِبَلَك فخذ منهم الجزيةَ، فإن عبد الرحمن بن عوف أخبرني أن رسول الله أخذ الجزية من مجوس هجر)، (جامع الترمذي: كتاب السير، باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس، رقم: 1586). وكذلك جاء عند أبي داود في سننه: كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في أخذ الجزية من المجوس، رقم: 3043). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه/ إيضاح الدلالة في عموم الرسالة: (وَقَدْ أَخَذَ النَّبِيُّ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَكَانُوا مَجُوسًا (الإيضاح مع شرحه: فتح من الله ذي الجلالة، ص70)، وانظر: ص59.

[4] **هجَر**: بفتحتين، اسم بلد، وفي المثل: كمبضع تَمْر إلى هجر، وهو قاعدة أرض البحرين، وهو مذكر مصروف، قد يؤنث ويمنع. والنسبة إليه:

خلفاؤه، لَمّا فتحوا العراق وخراسان، حيث أخذ عمر من مجوس فارس، وعثمان من البربر. فالجزية مأخوذة مِن أهل الكتاب بالتنزيل، ومن المجوس والبربر وغيرهم بالسنة[1].

وذكَر الأدلة من الكتاب والسنة على أنّه بُعِثَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وعَامَّةً، وأنّه أرسل إلي الناس جميعًا، وإلى كافة الناس بشيرًا ونذيرًا، وغير ذلك، وعقّب عليها بقوله: « وفي القرآن مِن دعوة أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى، ومِن دعوة المشركين وعُبّاد الأوثان، وجميع الإنس والجنّ ما لا يُحصى إلا بكُلفة، وهذا كلّه معلومٌ بالاضطرار مِن دين الإسلام، فكيف يُقال: إنّه لم يَذكُر أنّه بُعِثَ إلا إلى العرب خاصة؟ **وهذه دعوتُه، ورُسُلُه، وجهادُه لليهود والنصارى والمجوس بعد المشركين وسيرَتُه فيهم؟ وأيضًا** فالكتاب المتواتر عنه –وهو القرآن- يَذكُر فيه دُعاءه أهل الكتاب إلى الإيمان به في مواضع كثيرة جدًّا، بل يذْكُرُ الله تبارك وتعالى فيه كُفرَ مَن كفَر مِن اليهود والنصارى، ويأمُر فيه بقتالهم »[2].

فذكَر الآية السابعة عشرة من المائدة، وأورد آيات أخرى[3] من السورة نفسها، وهي التي فيها تكفير الذين قالوا إنّ الله سبحانه ثالث ثلاثة، وإنّ الله هو المسيح ابن مريم، وآيات من آخر النساء والتوبة، ثم قال: « فهذه الدلائل وأضعافُها مما تبيّن أنّه نفسه أخبَر أنّه رسول الله إلى النصارى وغيرِهم مِن أهل الكتاب، وأنّه دعاهم، وجاهدهم، وأمَر بدعوتهم وجهادهم، وليس هذا مما فعلتْه أمتُه بعده بدعة ابتدعوها، كما فعَلت النصارى بعد المسيح ، فإنّ المسلمين لا يُجَوِّزون لأحَدٍ بعد محمدٍ أنْ يُغَيِّروا شيئًا مِن شريعته، فلا يُحلل ما حرّم، ولا يُحرّم ما حلل، ولا يوجب ما أسقط، ولا يُسقط ما أوجب، بل الحلال عندهم

الهاجريّ، على غير قياس (انظر: الصحاح للجوهري، مادة: هجر، ص1088، وعون المعبود، ص1300).

[1] (?) انظر: المصدر نفسه، (ج1/ ص199-202).

[2] (?) الجواب الصحيح، (ج1/ 204).

[3] (?) من آية رقم: 72-77 (من سورة المائدة).

ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرّمه الله ورسوله، والدين ما شرَعه الله ورسولُه، بخلاف النصارى الذين ابتدعوا بعد المسيح بِدَعًا لم يشرعها المسيح ، ولا نطق بها شيءٌ مِن الأناجيل، ولا كُتُب الأنبياء المتقدمة، وزعموا أنّ ما شرَعه أكابرُهم من الدين فإنّ المسيح يُمضيه لهم... »[1] وفصّل في هذا.

هذا والذي بعده هما الوجه الأول والثاني عند ابن تيمية –رحمه الله-، ومفاد هذا **إسلام النجاشِيّ –رحمه الله-،** حيث بيّن شيخ الإسلام أنّه قد آمَن بالنبي قبل قصة نجران: كثيرٌ مِن اليهود والنصارى؛ رؤساؤهم وغير رؤسائهم، وذلك لَمّا تبينّ لهم أنّه رسول الله إليهم، كما آمَن به النجاشِيّ ملِك الحبشة، وكان نصرانيًّا هو وقومُه، وكان إيمانُه به في أول أمر النبيّ [2] ...وقد سبق لِي ذكر شيءٍ من حديث إسلامه.

والوجه الأخير في هذا الصدد، هو **إسلام مَن أسلم مِن نصارى العرَب:** وقد ذكر شيخ الإسلام –رحمه الله- قصة إسلام كبير مِن علماء النصارى، وهو ورقة بن نوفل، وقد كان مِن العرب المتنصرة [3] .. وقد ذكرت شيئًا من قصته في ذكري الإشارة من السنة على البشارة بالنبوة المحمدية، فلتراجع.

وأختم بذكر **نَموذجٍ لِمن أسلم مِن علماء اليهود**، وهو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ ، وأجتزئ شيئًا من قصة إسلامه في حديث الهجرة، المروي عن أَنَس بْن مَالِكٍ ، حين وصَل النبيُّ إلى بيت أبي أيوب ، قال فيه: « فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ

---

1 (?) الجواب الصحيح، (ج1/ 205).

2 (?) انظر ما ذكره الشيخ ابن تيمية من إسلامه، الجواب الصحيح، (ج1/ 152-162).

3 (?) انظر ما ذكره الشيخ ابن تيمية من إسلامه، الجواب الصحيح، (ج1/ 163-164).

يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ! فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيْلَكُمْ! اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَ اللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ؛ فَأَسْلِمُوا** "، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ. قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ. قَالَ: " **فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ؟** قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا. قَالَ: " **أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟** " قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ! قَالَ: " **أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ**؟ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ!! قَالَ: " **أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟**؟؟ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ!!! قَالَ: " **يَا ابْنَ سَلامٍ، اخْرُجْ عَلَيْهِمْ**! فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ! اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَ اللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ! إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ! فَقَالُوا: كَذَبْتَ! فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ »[1].

ومن تَمام قصة إسلامه ما جاء في سؤالاته في حديث أَنَسٍ، باللفظ الآخر، فعَنْه ﷺ، قَالَ: « بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ، لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ! قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ!** " قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلائِكَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ. وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ، فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ، كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا** " قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ! ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتْ الْيَهُودُ، وَدَخَلَ عَبْدُ

[1] صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، بَاب هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، رقم: 3911.

اللَّهِ الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ؟** قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟** قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ! فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ »[1].

وفي رواية عنده: « وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللّه! »[2].

وَقد أورد هذا الحديثَ البيهقِيُّ –رحمه الله- برواياته الكثيرة، وأورد حديثًا يدل على أنّ عَبْد اللَّه بْن سَلام سَمِع بِرَسُولِ اللَّه وَعَرَف صِفَته وَاسْمه، قبل مقدمه، فَكان مُسِرًّا لِذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَة، فَسَمِع بِهِ وَهو عَلَى رَأس نَخْلَة، فَكَبَّر .. إلخ القصة[3].

وقد أورده البيهقِيُّ في (باب ما جاء في دخول عبد الله بن سلام على رسول الله حين قدم المدينة، ووجوده إياه الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، واعترافه بذلك وإسلامه. وكذلك كلّ مَن أنصفه من اليهود الذين دخلوا عليه، ووقفوا على صفته، دون من حرم التوفيق منهم ». وذكر تحته الكثير من النماذج التي تدل على أنّ اليهود عرفوا الرسول على أنّه المبشَّر به في كتبهم، ومبعوث إليهم[4].

الأسلوب الثانِي: مجيء الوفود إليه ، جماعات من كلّ الطوائف، من اليهود والنصارى وغيرهم، يُعلنون إسلامهم، في العام الذي سُمّي بعام الوفود (سنة:9)[5]، وهذا مِن الأدلة على أنه مُرسلٌ إليهم أجمعين.

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بـاب خلق آدم وذريتـه، رقم: 3329 .

2 (?) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، بَاب (بـدون ترجمـة) رقم: 3938.

3 (?) دلائل النبـوة: (ج2/390)، وفي سـند القصة مجهـول، لكن معرفة اليهود للنبي كما يعرفون أبناءهم ثابت بالآيات.

4 (?) انظر: دلائل النبوة: (ج2/387-395).

واعلم –بعد هذا- أنه لا يقول بخصوصية الرسالة المحمدية إلا الجاهل بسيرته ، أو المكابر، والله المستعان!

الدلالة السابعة: النصوص التي فيها أنّ الله تعالى صرَف إلى رسوله نفَرًا من الجنّ فاستمعوا إليه وآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم مُنذرين[1]:

قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [الأحقاف: ٢٩ – ٣٢]. وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [الجن: ١ – ٢].

فمحمد أرسِل إلى الخلق كافة جنّهم وإنسهم، وكان لا بُدّ من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة والرسالة، فإبلاغ الإنس ودعوتهم وإنذارهم ممكنة.

أما الجنّ فصرفهم الله تعالى إليه، فأنصتوا له، وسمعوا ووعَوا ما قال، ثم رجعوا إلى قومهم داعين إلى الله، ومعاونين لرسوله في نشر دعوته إلى الجن[2].

وقد أورد الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- كما هو عادتُه الطرق الكثيرة لحديث ابن مسعود في قصة قراءة الرسول القرآن على الجن خصوصًا، ودعوته لهم إلى هذا الدين عمومًا[3].

ويوم القيامة يُقرع الله سبحانه كافري الجن والإنس، يسؤالهم هل بلّغَتهم رسُلُهم رسالاته؟ سؤال تقرير، وهو أعلم بِذلك! فيقول: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ [الأنعام: ١٣٠].

---

5 (?) وقد حاول استقصاء هذه الوفود، وأشار إلى المراجع التي جمعها منها، الدكتور مهدي رزق الله، وقد بلغ عددها عنده 96 وفدًا (انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ج2/ ص225-251) .

1 (?) انظر: فتح من الله ذي الجلالة قي شرح إيضاح الدلالة، ص 119-123 .

2 (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، ص783، ومطلع تفسير الجن، ص890 .

3 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج4/ 205-216).

والصحيح أنّ هؤلاء الرُّسُل مِن الإنس فقط، وليس من الجنّ رُسُل، إنّما فيهم نُذُر، وهذا الذي نصّ عليه غيرُ واحدٍ من السلف والخلف. وزعم الضحّاك بن مزاحم أنّ في الجنّ رُسُلا، واحتج بِهذه الآية، وفي ذلك نظر، والآية محتملة وليست صريحة، وقد أجاب على استدلاله الأئمة من المفسِّرين كابن جرير وابن كثير –رحمهما الله- وذكروا الأدلة على أنّ الرُّسُل من الإنس فقط.

ومنها: أنّ الله تعالى حصَر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذُرِّيته، فقال: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [العنكبوت: ٢٧]. ولَم يَقُل أحدٌ مِن الناس: إنّ النبوة كانت في الجنّ قبل الخليل ، ثم انقطعَت عنهم ببعثته[1].

ويُقرّر شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ- معنى أنّ الرسول مبعوثٌ إلى الجنّ بالإجماع، كما أنّه مبعوثٌ إلى الإنس، في رسالته الفذّة في هذا الباب، والتي أسماها: **إيضاح الدلالة في عموم الرّسالة للثقلين؛ الجنّ والإنس،** فيقول: « فَصْلٌ: يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا إلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ الإِيمَانَ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَطَاعَتَهُ، وَأَنْ يُحَلِّلُوا مَا حَلَّلَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُحَرِّمُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ يُوجِبُوا مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُحِبُّوا مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيَكْرَهُوا مَا كَرِهَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ مِنْ الإِنْسِ وَالْجِنِّ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ اسْتَحَقَّ عِقَابَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا يَسْتَحِقُّهُ أَمْثَالُهُ مِنْ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ بُعِثَ إلَيْهِمْ الرَّسُولُ. وَهَذَا أَصْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَائِرِ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَغَيْرِهِمْ أَجْمَعِينَ؛ لَمْ يُخَالِفْ أَحَدٌ مِنْ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ فِي وُجُودِ الْجِنِّ، وَلا فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا إلَيْهِمْ. وَجُمْهُورُ طَوَائِفِ الْكُفَّارِ عَلَى إثْبَاتِ الْجِنِّ؛ أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَهُمْ مُقِرُّونَ بِهِمْ كَإِقْرَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ وُجِدَ فِيهِمْ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَكَمَا يُوجَدُ فِي

[1] (?) انظر الآيــات الدالة على أنّ رُسُــل الله تعــالى من الإنس فقــط، (تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج2/ 239).

الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، كَمَا يُوجَدُ فِي طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ الغالطون، وَالْمُعْتَزِلَة مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ جُمْهُورُ الطَّائِفَةِ وَأَئِمَّتُهَا مُقِرِّينَ بِذَلِكَ. وَهَذَا لأَنَّ وُجُودَ الْجِنِّ تَوَاتَرَتْ بِهِ أَخْبَارُ الأَنْبِيَاءِ تَوَاتُرًا مَعْلُومًا بِالاضْطِرَارِ، وَمَعْلُومٌ بِالاضْطِرَارِ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عُقَلاءُ فَاعِلُونَ بِالإِرَادَةِ، بَلْ مَأْمُورُونَ مَنْهِيُّونَ لَيْسُوا صِفَاتٍ وَأَعْرَاضًا قَائِمَةً بِالإِنْسَانِ أَوْ غَيْرِهِ، كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ الْمَلاحِدَةِ. فَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الْجِنِّ مُتَوَاتِرًا عَنْ الأَنْبِيَاءِ تَوَاتُرًا ظَاهِرًا تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ لَمْ يُمْكِنْ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ الطَّوَائِفِ الْمُؤْمِنِينَ بِالرُّسُلِ أَنْ تُنْكِرَهُمْ ... وَلِهَذَا أَنْكَرَ طَائِفَةٌ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ كالجبائي وَأَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِمَا دُخُولَ الْجِنِّ فِي بَدَنِ الْمَصْرُوعِ، وَلَمْ يُنْكِرُوا وُجُودَ الْجِنِّ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ ظُهُورُ هَذَا فِي الْمَنْقُولِ عَنْ الرَّسُولِ كَظُهُورِ هَذَا، وَإِنْ كَانُوا مُخْطِئِينَ فِي ذَلِكَ. وَلِهَذَا ذَكَرَ الأَشْعَرِيُّ فِي مَقَالاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ الْجِنِّيَّ يَدْخُلُ فِي بَدَنِ الْمَصْرُوعِ،... وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ: قُلْت لأَبِي: إنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْجِنِّيَّ لا يَدْخُلُ فِي بَدَنِ الإِنْسِيِّ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ يَكْذِبُونَ هُوَ ذَا يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ . .. وَالآيَاتُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهَا خِطَابٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ الإِنْسِ وَالْجِنِّ، إذْ كَانَتْ رِسَالَتُهُ عَامَّةً لِلثَّقَلَيْنِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَسْبَابِ نُزُولِ الآيَاتِ مَا كَانَ مَوْجُودًا فِي الْعَرَبِ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ الآيَاتِ مُخْتَصًّا بِالسَّبَبِ الْمُعَيَّنِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ، بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ. وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا: هَلْ يَخْتَصُّ بِنَوْعِ السَّبَبِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ ؟ .. وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ شَامِلَةٌ لِلثَّقَلَيْنِ:الإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى اخْتِلافِ أَجْنَاسِهِمْ،فَلا يُظَنُّ أَنَّهُ خَصَّ الْعَرَبَ بِحُكْمٍ مِنْ الأَحْكَامِ أَصْلا، بَلْ إنَّمَا عَلَّقَ الأَحْكَامَ بِاسْمِ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ؛وَمُؤْمِنٍ وَمُنَافِقٍ؛وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ؛وَمُحْسِنٍ وَظَالِمٍ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الأَسْمَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ،وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَلا الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ الْعَرَبِ بِحُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ..»[1].

[1] (?) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين الجن والإنس، (ضمن مجموع الفتاوى ج19/ ص9-17باختصار).

وقال: « وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ خِطَابِ الثَّقَلَيْنِ مَا يُبَيِّنُ هَذَا الأَصْلَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪ ﯫﯬﭼ [الأنعام: ١٣٠]. وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَن الْجِنِّ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﭽﯦ ﯧﯨﯩﯪﯫ ﯬﯭﯮﯯﭼ [الجن: ١١]. أَيْ: مَذَاهِبَ شَتَّى: مُسْلِمُونَ وَكُفَّارٌ؛ وَأَهْلُ سُنَّةٍ وَأَهْلُ بِدْعَةٍ. وَقَالُوا: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭼ [الجن: ١٤ – ١٥]. وَالْقَاسِطُ: الْجَائِرُ، يُقَالُ: قَسَطَ، إذَا جَارَ. وَأَقْسَطَ: إذَا عَدَلَ. وَكَافِرُهُمْ مُعَذَّبٌ فِي الآخِرَةِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. وَأَمَّا مُؤْمِنُهُمْ فَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ رُوِيَ: " أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي رُبَضِ الْجَنَّةِ، تَرَاهُمْ الإِنْسُ مِنْ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُمْ ". وَهَذَا الْقَوْلُ مَأْثُورٌ عَنْ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد وَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ .. وَقَدْ احْتَجَّ الْجُمْهُورُ بِقَوْلِهِ: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭼ [الرحمن: ٧٤]. قَالُوا: فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَأَتِّي الطَّمْثِ مِنْهُمْ؛ لأَنَّ طَمْثَ الْحُورِ الْعِينِ إنَّمَا يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ »[1].

وقال: « وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ بُعِثَ إلَى الثَّقَلَيْنِ، وَاسْتَمَعَ الْجِنُّ لِقِرَاءَتِهِ، وَوَلَّوْا إلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ. وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ »[2].

وبهذا يتضح من هذه النصوص الكثيرة أنّ نبينا محمدًا ﷺ مبعوثٌ إلى الخلق كافةً؛ جنِّهم وإنسِهم، كما أنّ رسالتَه باقية إلى قيام الساعة، حيث لا شريعة تأتِي بعده لتنسخ شريعته.

---

[1] إيضاح الدلالة في عموم الرسالة لابن تيمية، (المجموع ج19/ ص 38-39).

[2] إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، مع شرحه: فتح من الله ذي الجلالة، ليوسف بن عبد رب النبي (ص129).

المطلب الثاني: كَونُ رسالتِه ﷺ مِن بعثته إلى قيام الساعة:

الدليل على عموم رسالة[1] نبينا محمدٍ ﷺ إلى عالَمِي كلِّ زمان منذ بعثته إلى قيام الساعة آياتٌ من الذكر الحكيم كثيرة، وأحاديث صحيحة، تقدم ذكر طائفة كبيرة منها، وسأشير هنا –باختصار- إلى أخرى، منها: قوله تبارك وتعالى: ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭼ [الأنعام: ١٩].

فهذا القرآن نذيرٌ لكلِّ مَن بَلَغَه، قال القرطبي –رحمه الله-: « قوله تعالى: ﭽﭞﭟﭠﭡﭼ أي والقرآن شاهد بنُبُوّتِي. ﭽﭢﭣﭼ يا أهل مكة. ﭽﭤﭥﭦﭼ أي: ومَن بَلَغَه القرآن، فحذف (الهاء) لطول الكلام. وقيل: ومن بلغ الْحُلم، ودلّ بِهذا على أنَّ مَن لم يبلغ الحلم ليس بمخاطب، ولا متعبد. وتبليغ القرآن والسنة مأمورٌ بِهما، كما أمر النبي ﷺ بتبليغهما، .. وفي الخبر أيضًا، (من بلَغَتْهُ آية مِن كتاب الله فقد بَلَغَه أمرُ الله، أخذ به أو تركه. وقال مقاتل: مَن بَلَغَه القرآن مِن الجنّ والإنس فهو نذيرٌ له. وقال القرظي: مَن بَلَغَه القرآن فكأنما قد رأى محمدًا ﷺ وسمع منه »[2].

وقال الحافظ المفسِّر ابن كثير في مقدمة كتابه: « .. والحمد لله الذي أرسل رسله وخَتَمَهم بالنبِيّ الأُمِّي العَرَبِي المكي الهادي لأوضح السُّبُل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن، من لدن بعثته إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﭽﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﭼ [الأعراف: ١٥٨]. وقال تعالى: ﭽﭣﭤﭥﭦﭼ، فمَن بلَغَه هذا القرآن مِن عَرَبٍ وعَجَم، وأسودَ وأحمرَ، وإنسٍ وجانّ، فهو نذيرٌ له؛ ولهذا قال تعالى: ﭽﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﭼ [هود: ١٧]. فَمَنْ كَفَر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده، بنص الله تعالى، وكما قال تعالى: ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭼ [القلم: ٤٤ – ٤٥]. وقال رسول الله ﷺ: " بُعِثتُ إلى الأحمر والأسود ". قال مجاهد: يعنِي: الإنس والجن. فهو -صلوات الله

---

[1] (?) وأقترح هنا موضوعًا جديرًا بالبحث، وهو: خصيصة العالمية للرسالة المصطفوية –معناها ومقتضاها-، الإيمان بها، وذكر مَن كفر بها، مع بيان لأبرز شُبَهِهم.

[2] (?) الجامع لأحكام القرآن، (8/ ص336-337)، وانظر مثله تمامًا: (المحرر الوجيز، ص608-609).

وسلامه عليه- رسولُ الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، مُبَلِّغًا لهم عن الله ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ [فصلت: ٤٢] »[1].

وقال العلامة الشيخ محمد الأمين –رحمه الله-: « قوله تعالى: ﭽﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭼ [الأنعام: ١٩]. صرّح في هذه الآية الكريمة بأنَّه منذِرٌ لكلِّ مَن بَلَغَه هذا القرآن العظيم كائنًا مَن كان. ويُفهم مِن الآية أنَّ الإنذارَ به عامٌّ لكلِّ مَن بَلَغَه، وأنَّ كُلَّ مَنْ بَلَغَه ولم يؤمن به فهو في النار، وهو كذلك. أما عمومُ إنذارِه لكلّ مَن بلغه، فقد دلَّت عليه آيات أُخَرُ أيضًا، كقوله: ﭽﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﯦ ﭼ [الأعراف: ١٥٨]. وقوله: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ [سبأ: ٢٨]. وقوله: ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [الفرقان: ١]. وأما دخول من لم يؤمن به النار، فقد صرَح به تعالى في قوله: ﭽﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [هود: ١٧]. وأما من لم تبلغه دعوة الرسول فله حُكْمُ أهلِ الفترة الذين لم يأتِهم رسولٌ، والله تعالى أعلم »[2].

ولفظة (الناس) في الآيات السابقة، وكذلك لفظة (الخلق كافة) في نصوص هذا المطلب والذي قبله عامةٌ في معاصري البعثة المحمدية، على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم، وفيمَن يجيئون بعدهم إلى قيام الساعة، فمحمدٌ مُرسَلٌ إليهم جميعًا، فَمَن آمن به سعِد في دنياه وأخراه، ومَن كفرَ به من اليهود والنصارى وغيرهم من الأحزاب فالنار موعده، كما في آية هود القريبة، قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسيرها: « يُخْبِر تعالى عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله تعالى التي فطر عليها عباده، من الاعتراف له بأنه لا إله إلا هو، .. فالمؤمن باق على هذه الفطرة. وقوله: ﭽﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ [هود: ١٧]. وجاءه شاهدٌ مِن الله، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء مِن الشرائع المطهرَة المُكَمَّلَة المعظَّمة المُخْتَتَمَةِ بشريعة محمد، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وعِكْرِمة، وأبو العالية، والضحاك، وإبراهيم النَّخَعي، والسُّدِّي، وغير واحد في

---

[1] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج1/ ص7).

[2] (?) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج2/ 222).

قوله تعالى: ﭼﮬﮭﭞﭙﭼ إنه جبريل . وعن علي، والحسن، وقتادة: هو محمد . وكلاهما قريب في المعنى؛ لأن كلا من جبريل ومحمد، صلوات الله عليهما، بلَّغ رسالة الله تعالى، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة. وقيل: هو عليّ. وهو ضعيفٌ لا يَثْبُتُ له قائل، والأول والثاني هو الحق؛ وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة، والفطرة تصدقها وتؤمن بها؛ ولهذا قال تعالى: ﭼﮔﮕﮖﮗﮘﮙ ﮬﮭﭞﭼ وهو القرآن، بلّغه جبريلُ إلى النبي محمد ، وبلّغَه النبيُّ محمدٌ إلى أمته. ثم قال تعالى: ﭼﭣﭤﭼ أي: ومن قبل هذا القرآن كتاب موسى، وهو التوراة، ﭼﭼ أي: أنزل الله تعالى إلى تلك الأمة إِمَامًا لهم، وقدوة يقتدون بها، ورحمة من الله بهم. فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن؛ ولهذا قال تعالى: ﭼﮪﮫﭼ ثم قال تعالى متوعِّدًا لِمَن كذَّب بالقرآن، أو بشيء منه: ﭼﮪﮫ ﯓﯔﭼ أي: ومَن كفر بالقرآن مِن سائر أهل الأرض مشركيهم: أهل الكتاب وغيرهم، من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم، ممن بلغه القرآن، كما قال تعالى: ﭼﭥﭦﭧﭨﭼ. وقال تعالى: ﭼﭣﭤ ﭼ. وقال تعالى: ﭼﮪﮫﯓﯔﭼ. وفي صحيح مسلم، ... عن أبي موسى الأشعري، ، أن رسول الله قال: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لا يُؤْمِنْ بِي، إِلا دخل النَّار**[1]" »[2].

ومما يدل أيضًا على أنّ رسالة النبي باقيةٌ إلى قيام الساعة: النصوص الواردة في ختمه لنبوة الأنبياء قبله. وستأتي لاحقًا.

ويلزم مِن كون هذه الرسالة عامة إلى عالَمِي كلِّ زمان منذ البعثة النبوية، إلى قيام الساعة: الإيمان بأنّ هذا الدين، وهذه الشريعة صالحةٌ لكل زمان ومكان.

---

1 (?) الحديث في صحيح مسلم، وقد سبق تخريجه.

2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج2/573-574).

ويتبيّن من هذا خطورة القول بأنّ الناس في القرن العشرين مثلا أو الذي بعده أو الذي قبله، أو في بلدٍ مِن بلدان العالم، لا يتناسب معهم بعض شرائعه ﷺ، أو أنّ أمور الدنيا من بيع وربًا وبنوك وغيرها لا يدخل فيها أمور الدين، بل الدين في المساجد والكنائس، دون الأسواق وغيرها، وأنّ الحدود الشرعية والقصاص لا تتوافق مع متطلبات العصر، بل السجن لفترة أو على الدوام، وأنّ هذا كلّه.لا يتناسب مع عصور الديمقراطية.

وقد اتضح مما تقدم أنّ هذه الرسالة موجّهة إلى الإنس والجنّ من بعثة الرسول ﷺ إلى مَن بلغَتْهُ في حياته وبعده قيام الساعة. وبِهذا انتهى المطلب والمبحث، وسأنتقل إلى مبحث آخر بعده، وهو:

** * **

المبحث الثاني: أنَّ رسالته كاملةٌ، كافيةٌ شافيةٌ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رسالته كاملة، فلا حاجة معها إلى: ابتداع.

المطلب الثاني: رسالته كافية شافية، فلا حاجة معها إلى: شريعة مكمِّلة.

المطلب الأول: رسالته كاملة[1]، فلا حاجة معها إلى: ابتداع:

مفهوم الابتداع والبدعة وحقيقتها[2]:

الباء والدال والعين (ب د ع) أصلان؛ يدل أحدُهما على اختراعٍ وصُنع وابتداء الشيء على غير مثالٍ سابقٍ، ومنه قوله تعالى: ﭽﯘﯙﯚﯛﭼ [3]. فالبديع هنا: المبتدِع -بكسر الدال-، والمعنى: خالقُهما ومُنشؤهما على غير مثالٍ سبَق[4]، وفي الآية معنى الإتقان والإحسان[5]. ويأتِي البديع: بمعنَى المُبتدَع، اسم المفعول.

وقوله: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﭼ [الأحقاف: ٩]. أي: لستُ مبدوءًا به منهم، ولا أولهم طُرُوقًا العالَم، بل جاءت الرُّسُل قبلِي .. [6]. ويقال هنا: أبدَع فلانٌ الشيءَ؛ قولا كان أو فعلا؛ إذا ابتدأه لا على مثال سابق. وفلانٌ بدْعٌ في هذا الأمر، أي: مبتدَعٌ، بِمعنى الآية. والبِدعة: اسم هيئة من الابتداع، وهي الحدَث في الدين بعد الإكمال. وبدّعه: عدّه ونسبَه إلى

[1] انظر: هذه الخاصية للشريعة الإسلامية، في كتاب/ منازل الأئمة الأربعة، أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد لمؤلفه أبِي زكريا يحيى بن إبراهيم السلماشي، ص99-100، بتحقيق: د. محمود قدح، ومبحث وجوب الإيمان بأن النبي قد بلّغ الرسالة وأكملها، من: حقوق النبِي على أمته في ضوء الكتاب والسنة د. محمد خليفة التميمي، (ج1/ 119-125)، وخصائص الشريعة الإسلامية، أ. د. عمر الأشقر، 50-57 .

[2] للتوسع من هذا، راجع: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، (قسم الصفات المذمومة، ج9/ ص3731-3750).

[3] في موضعين في القرآن (سورة البقرة: ١١٧، وسورة الأنعام: ١٠١).

[4] انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج1/ ص213).

[5] انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص64، والاعتصام للشاطبِي، (ج1/ 69) .

[6] انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج4/ ص195)، وتيسير الكريم الرحمن، ص780 .

البِدعة. والابتداع افتعالٌ مِن البدعة، فالماضي والمضارع: ابتدع يبتدع، وهو استخراج البدعة للسلوك عليها[1]. وفي التنـزيل: ﭽﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﭼ [الحديد: ٢٧]. أي: أحدثوها مِن تلقاء أنفسهم. وهذا الأصل هو المقصود هنا.

والأصل الآخر: يدل على الكَلال والانقطاع والعطب؛ يُقال: أُبْدِع بالرَّجُل: إذا كلّت ركابُه، وبقِي مُنقَطَعًا به[2].

وهذا الأصل -في الحقيقة- وإنْ نصّ علماء اللغة عليه إلا أنّه راجعٌ إلى الأول، وداخلٌ فيه، حيث إنّه لم يُطلق ذلك إلا بعد طرُوّ شيءٍ خارجٍ عما اعتِيد عليه[3].

هذا بالنسبة للبدعة والابتداع لغة.

أما **البدعة شرعًا:** فقد جاء في حديث الْعِرْبَاض بْن سَارِيَةَ ، حديث المَوْعِظَة البَلِيغَة، وفيه مرفوعًا: "**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ** "[4].

ففي هذا الحديث وغيره التحذير من البِدعة والابتداع، والإحداث في الدين، وهذا الإحداث يدخل فيما تخترعُه القلوب، وفيما تنطق به الألسنة، وفيما تفعله الجوارح، فالبِدَعُ بِدَع أقوالٍ وبدَعُ أفعال[5].

ومن خلال ما سبق في التعريف اللغوي اتضح أنّه يطلق (ب د ع) على الشيء المحمود أو المذموم، مادام أنه أنشئ على غير مثال سبق، لكنْ غلب –في عُرْف الشرع- إطلاق (البدعة والمبتدع) على الحدث المكروه

---

[1] (?) انظر: الاعتصام للشاطبي، (ج1/ 69).

[2] (?) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة: بدع، ص117، والصحاح، المادة نفسها، ص79، والقاموس المحيط، المادة نفسها، ص646-647، وموسوعة نضرة النعيم، المصدر نفسه، (ج3731/9-3732) .

[3] (?) انظر: موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبِدَع، (ج1/ 89-90).

[4] (?) سنن أبِي داود: كتاب السنة، بَاب فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، رقم: 4607، وجامع الترمذي: كتاب العلم، بَاب مَا جَاءَ فِي الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ، رقم: 2676، وقال الترمذي: « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح».

[5] (?) انظر: كتاب الحوادث والبِدَع، لأبِي بكر الطرطوشِي، ص21 .

المذموم في الدين، فصار لا يكادان يُقالان إلا في الذم، لكنّ أصل الاشتقاق يُجوّز الإطلاق في المدح أو الذم، بل يقال في اللغة للشيء الفائق جمالا وجودة: ما هو إلا بدعة[1].

وقد ضبط العلماء –رحمهم الله- **البدعة –شرعًا- بتعريفات كثيرة**[2]، مِن أبرزها، وأشهرها:

أولا: ما سبَق مِن أنّ **البِدعة:** الحدَث في الدين بعد الإكمال[3]. وهذا جامعٌ مانع.

ثانيًا: وقيل: تُطلق البدعة على العمل الذي لا دليل عليه في الشرع[4].

ثالثًا: وقيل: الفِعلة المخالفة للسنة. فاكتسبت الذم مِن هذا الوجه[5]. وهذا التعريف تعريفٌ بذكرِ المقابل، فسُنّة النبِيّ المُحرّض عليها هي: أفعالُه وأقوالُه وتقريراتُه وسيرتُه، وفي معنى ذلك ما كان عليه الخلفاء الراشدون. للحديث السابق.

وكذلك البِدعة تكون فيما لم يكن عليه الرسول ، ولم يُعلم -مِن قواعد شرعه- الإذنُ فيه. ومثلُه فعل أو قول ما لم يكن في عصر هؤلاء الخلفاء. وتوهُّم أنّه مِن الدين[6].

رابعًا: وقيل: « البدعة: عبارة عن فعْلةٍ تُصادِم الشريعة بالمُخالفة، أو توجِب التعاطِي عليها بزيادةٍ أو نقصان »[7].

---

1 (?) انظر: الباعث على إنكار البِدع والحوادث، لأبِي شامة المقدسي، ص87، ونقل لفظه الشيخ سليم بن عيد الهلالِي في كتابه: البدعة وأثرها السيّئ في الأمة، 9 .

2 (?) ذكَر أربعة من هذه التعاريف شيخنا الشيخ إبراهيم بن عامر الرحيلي، (موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبِدَع، ج1/ـ 90-91)، وزاد غيرُه، (انظر: دعوة أهل البِدع، لخالد بن أحمد الزهراني، ص42-45، والمبتدعة وموقف أهل السنة والجماعة منهم، للدكتور محمد يسري ص16-20).

3 (?) الصحاح للجوهري، مادة بدع، ص79 .

4 (?) الاعتصام للشاطبي، (ج1/ 69).

5 (?) انظر: التعريفات للجرجانِي، مادة، البدعة، ص103 .

6 (?) انظر: الباعث على إنكار البدع، 86-87 .

خامسًا: وقال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وَقَدْ قَرَّرْنَا فِي قَاعِدَةِ: السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ: أَنَّ الْبِدْعَةَ فِي الدِّينِ: هِيَ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ وَلا اسْتِحْبَابٍ، فَأَمَّا مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ، وَعُلِمَ الأَمْرُ بِهِ بِالأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ الدِّينِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ، وَإِنْ تَنَازَعَ أُولُو الأَمْرِ فِي بَعْضِ ذَلِكَ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا مَفْعُولا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ لَمْ يَكُنْ، فَمَا فُعِلَ بَعْدَهُ بِأَمْرِهِ؛ مِنْ قِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ، وَالْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ، وَفَارِسَ وَالرُّومِ، وَالتُّرْكِ، وَإِخْرَاجِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَغَير ذَلِكَ =هُوَ مِنْ سُنَّتِهِ »[1].

سادسًا: وقال الحافظ ابن رجب –رحمه الله- في شرح الحديث السابق: « المراد بالبدعة: ما أَحْدِثَ مِمَّا لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه، فأمَّا ما كان له أصلٌ مِنَ الشَّرع يدلُّ عليه، فليس ببدعةٍ شرْعًا، وإنْ كان بدعةً لغةً »[2].

سابعًا: وأجمع تعريف لها ما عرّفها به الشاطِبي –رحمه الله-: « فالبدعة إذن عبارةٌ عن طريقة في الدين مخترعة، تُضاهِي الشرْعِيّة، يُقصد بالسلوك عليها المُبالغة في التعبّد لله سبحانه »[3].

وتكون في العادات –على قولٍ- كما تكون في العبادات، لذا عرّفها الشاطِبي كذلك بتعريفٍ يوافق الأول إلا في الجملة الأخيرة، وهي: « يُقصَد بالسلوك عليها ما يُقصد بالطريقة الشرعية»[4].

ثم بعدما عرّفها الشاطِبي قام بشرح التعريف، وإخراج المحترزات منه، في كلامٍ له طويل. مِن ذلك:
1- تقييد البدعة الشرعية المذمومة بالدين: ذكر أنّه قيِّدَتْ به لأنها فيه تُختَرَع، وإليه يُضيفُها صاحبُها. وأنّها لو كانت

---

7 (?) قاله السيوطِي –رحمه الله- في كتابه: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، ص81 .

1 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج4/ص 107-108)

2 (?) جامع العلوم والحِكَم، لابن رجب، شرح الحديث الثامن والعشرون (حديث العرباض بن سارية ﷺ).

3 (?) الاعتصام للشاطِبي، (ج1/ ص70).

4 (?) المصدر نفسه، (ج1/ ص70).

طريقةً مخترَعَةً في الدنيا كإحداث الصنائع التي لا عهد لها فيما تقدم، لَما سُمِّيت بدعة.
2- وقوله في الحدّ: (تُضاهِي الشرْعِيّة): يعنِي أنّها تشابِه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادةٌ لها. وأما مشابهتها للشريعة فمِن أوجه:
أ- وضع الحدود، كالذي يَنذر بالصيام قائمًا لا يَقعُد.
ب- التزام الكيفيات والهيئات المعيَّنة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوتٍ واحدٍ.
ج- التزام العبادات المعيّنة في أوقات معيّنة لم يوجد لها هذا التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان، أو قيام ليلته، أو هما معًا. وغير ذلك.
3- وقوله: (يُقصد بالسلوك عليها الْمُبالغة في التعبّد لله سبحانه) إذْ هو المقصود بتشريعها، ذلك أنّ أصل الدخول فيها الحثّ على الانقطاع إلى العبادة، والترغيب في ذلك. وهذه الجزئية هي التي فرّقت بين التعريفين، تعريف مَن عمموا البدعة بالعادات والعبادات، ومَن خصصوها بالعبادات، وهو الصحيح[1].

فتبيّن مِن كلّ ما سبق: أنّ البدعة إحداثٌ في الدين، لِما لا أصل له في الشريعة يدلّ عليه، وغالبًا ما تكون بالزيادة فيه، وقد تكون بالنقص إذا كان الباعث على النقص التديّن. وأنّ البِدَع في الدين كلّها مذمومة شرعًا[2].

** * **

وبعد هذا التعريف، ينبغِي أنْ يُعلَم أنّ مِن أعظم محاسن الرسالة المحمدية الخاتمة كمالَها بتكميل الربّ، واستيفاءها بالمطالب الجسمية والروحية، العقدية والعملية، والدينية والدنيوية والأخروية، وشمولَها المصالح الآنية والمستقبلية، وأنّها بتكميل الحكيم العليم لها فإنّها لا

---

[1] (?) انظر عن هذه الْمُحترزات: الاعتصام للشاطِبِي، (ج1/ ص71-76).
[2] (?) انظر عن هذه المعالم: موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبِدع، (ج1/ ص91-92).

تحتاج إلى حذلقة المبتدعين، ولا تنطُّع الغالين، والحمد لله ربِّ العالمين! حَمْدًا له تعالى على أنْ أكمل لنا الدين، وأتَمّ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، فاللهم كما هديتنا إلى هذا، فلا تَنـزِعه عنّا!

وعُمدةُ المَطْلَبِ هذا هو:

أولا: قولُ الحكيمِ العليمِ: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉ [المائدة: ٣].

فالرسالة المحمدية أكملَها الله تعالى بنـزول كلّ الفرائض والسنن والمندوبات، وبِما الخلق محتاجون إليه لصلاح المعاش والمعاد، فوَفَّت **بغرض الدين والدنيا، والسياسات والعقائد والعبادات والمعاملات،** قال العلامة **ابن عطية** –رحمه الله-: « وإتمام النعمة: هو في ظهور الإسلام، ونور العقائد، وإكمال الدين، وسعة الأحوال، وغير ذلك مما انتظمته هذه الملة الحنيفية، إلى دخول الجنة، والخلود في رحمة الله. هذه كلُّها نِعَم الله المتممة قِبَلَنا »[1].

وقال **القرطبِيّ** –رحمه الله-: « **الثانية والعشرون:** قوله تعالى: ﭽﭾﭿﮀ وذلك أن النبي ﷺ حين كان بِمكة لم تكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلما قدِم المدينة أنْزَل الله الحلال والحرام، إلى أنْ حَجّ، فلما حَج وكمُل الدين، نزلت هذه الآية: ﭽﭾﭿﮀ الآية، على ما نُبَيِّنُه. .. والدين عبارةٌ عن الشرائع التي شرع وفُتِح لنا، فإنّها نَزَلت نُجومًا، وآخر ما نزَل منها هذه الآية، ولم ينـزل بعدها حُكم، قاله ابن عباس والسدي. وقال الجمهور: المراد معظمُ الفرائض والتحليل والتحريم، قالوا: وقد نزَل بعد ذلك قرآنٌ كثيرٌ، ونزَلت آية الربا، ونزلت آية الكلالة، إلى غير ذلك، وإنما كمُل مُعظم الدين، وأمْرُ الحج، إذْ لم يطُف معهم في هذه السنة مشركٌ، ولا طاف بالبيت عريانُ، ووقف الناس كلهم بعرفة »[2].

وقال: « **الخامسة والعشرون:** قوله تعالى: ﮃﮄﮅﮆ أي: أعلمتُكم بِرِضَايَ به لكم دِينًا، فإنه تعالى لم يزل

---

[1] المحرر الوجيز، ص513-514 .

[2] الجامع لأحكام القرآن، (ج7/ 292-293).

راضيا بالإسلام لنا دينًا، فلا يكون لاختصاص الرضا بذلك اليوم فائدة إن حملناه على ظاهره. ويحتمل أن يريد ﭽﮢﮣ ﮤﮥﭼ أي: ورضيتُ إسلامَكم الذي أنتم عليه اليوم دينًا باقيًا بكماله إلى آخر الآية لا أنسخ منه شيئا. والله أعلم.
والإسلام في هذه الآية هو الذي في قوله تعالى: ﭽﭿﮀﮁﮂ ﮃﮄﭼ [آل عمران: ١٩]. وهو الذي يُفسَّر في سؤال جبريل للنبِيّ عليهما الصلاة والسلام، وهو الإيمان والأعمال والشعب »[1].

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « وقوله: ﭽﭻﭼﭽ ﭾﭿﮢﮣﮤﮥﭼ هذه أكبر نِعَم الله على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره، ولا إلى نِبيٍّ غيرِ نبيِّهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولِهذا جعَلَه الله خاتم الأنبياء، وبَعَثَه إلى الإنس والجن، فلا حَلال إلا ما أحَلّه، ولا حرامَ إلا ما حرَّمَه، ولا دِينَ إلا ما شَرَعه، وكلّ شيءٍ أَخْبَرَ به فهو حقٌّ وصِدْقٌ لا كذب فيه، ولا خُلْف، كما قال تعالى: ﭽﮪﮫﮬﮭﮮﯓﭼ [الأنعام: ١١٥]. أي: صِدْقًا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدِّين لَهم تَمّت النّعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮢﮣﮤﮥﭼ أي: فارضُوه أنتم لأنفُسِكم، فإنَّه الدين الذي رضِيَه الله وأحبه، وبعَثَ به أفضلَ رُسُلِه الكِرَام، وأنزل به أَشرَفَ كُتُبِه. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﭽﭻﭼﭽ ﭾﭼ وهو الإسلام، أخبَرَ الله نِبِيّه والمؤمنين أنه أكمَلَ لَهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادةٍ أبَدًا، وقد أتَمّه الله فلا يَنْقُصُه أبَدًا، وقد رَضِيَه الله فلا يَسْخَطُه أبَدًا »[2].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « ﭽﭻﭼﭽﭾﭼ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولِهذا كان الكتاب والسنة كافِيَيْنِ كُلّ الكِفاية، في أحكام الدين، أصولِه وفروعِه. فكُلُّ مُتَكَلِّفٍ يَزْعُمُ أَنَّه لا بُدّ للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم، إلى عُلومٍ غيرِ عِلمِ الكتاب والسنة، مِن عِلم الكلام وغيره، فهو

---

1 (?) المصدر نفسه، (ج7/295-296)، وانظر: المحرر الوجيز، ص511-512.
2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج2/ 19-20).

جاهلٌ، مُبْطِلٌ في دعواه، قد زَعَم أنَّ الدين لا يَكْمُل إلا بِما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم، والتجهيل لله ولرسوله. ﭽﭼﭽﭾ الظاهرة والباطنة، ﭽﮄﮃﮈﭾ أي: اخْتَرْتُه واصطفَيْتُه لَكم دِيْنًا، كما ارتضيْتُكُم له، فقُومُوا به شُكْرًا لِرَبّكم، واحْمَدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان، وأشْرَفها وأكْمَلها »[1].

فائدة: قال القرطبِي –رحمه الله-: « **الرابعة والعشرون**: لعل قائلا يقول: قوله تعالى: ﭽﭼﭽﭼﭾ يدلّ على أنّ الدين كان غيرَ كاملٍ في وقت من الأوقات؟ وذلك يُوجِب أنْ يكون جميعُ مَن مات مِن المهاجرين والأنصار، والذين شهدوا بدْرًا والحديبية وبايعوا رسول الله ﷺ البيعتين جميعًا، وبذَلُوا أنفسهم لله مع عَظِيم ما حلّ بِهم من أنواع الْمِحَن ماتوا على دينٍ ناقصٍ، وأن رسول الله ﷺ في ذلك كان يدعو الناس إلى دينٍ ناقصٍ، ومعلومٌ أنّ النقص عيبٌ، ودينُ الله تعالى قِيَم، ..؟ **فالجواب أن يقال له**: لِمَ قُلْتَ إنَّ كُلّ نَقْصٍ فهو عَيْبٌ؟ وما دليلك عليه؟ ثم يقال له: أرأيت نقصان الشهر هل يكون عَيْبًا؟ ونقصان صلاةُ المسافر أهو عيب لها؟ ونقصان العمر، .. أهو عيب له؟ ونقصان أيام الحيض عن المعهود، ونقصان أيام الحمل، .. فما أنْكرتَ أنّ نُقصان أجزاء الدين في الشرع قبل أن تلحق به الأجزاء الباقية في علم الله تعالى هذه ليست بشين ولا عيب. وما أنكرت أنّ معنى قول الله تعالى: ﭽﭼﭽﭼﭾ يُخَرّج على وجهين: أحدِهما: أنْ يكون المراد بَلّغْتُه أقصى الحدّ الذي كان له عندي فيما قضيتُه وقدّرْتُه، وذلك لا يُوجب أنْ يكون ما قبل ذلك ناقِصًا نقصان عيب، لكنّه يوصف بنقصانٍ مقيد؛ فيقال له: إنَّه كان ناقِصًا عما كان عند الله تعالى أنَّه مُلْحِقُه به، وضامُّه إليه، كالرّجل يُبْلِغُه الله مائة سَنَة، فيقال: أكمَل الله عُمرَه، ولا يجبِ عن ذلك أنْ يكون عمرُه حين كان ابن ستين كان ناقصًا نقص قصور وخلَل، ... ولكنّه يجوز أن يوصف بنقصان مُقيَّد، فيقال: كان ناقصًا عما كان عند

---

[1] (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص220 .

الله تعالى أَنَّه مُبْلِغُه إياه، ومُعَمِّرُه إليه. وقد بلَغ الله بالظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، فلو قيل عند ذلك: أكملها، لكان الكلام صحيحًا، ولا يجب عن ذلك أنها كانت حين كانت ركعتين ناقصة نقصَ قُصور وخلَل، ولو قيل: كانت ناقصة عما عند الله أنّه ضامُّه إليها، وزائدُه عليها لكان ذلك صحيحًا، فهكذا هذا في شرائع الإسلام، وما كان شُرِع منها شيئًا فشيئًا إلى أنْ أنْهى الله الدين منتهاه، الذي كان له عنده. والله أعلم. **والوجه الآخر:** أنه أراد بقوله: ﭻﭼﭽﭾ أنّه وفّقهُم للحج الذي لم يكن بقي عليهم من أركان الدين غيره، فحجوا، فاستجمع لهم الدين؛ أداءً لأركانه، وقيامًا بفرائضه، فإنه يقول : " **بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ** " الحديث[1]. وقد كانوا تشهدوا، وصلّوا، وزكّوا، وصاموا، وجاهدوا، واعتمروا، ولم يكونوا حَجّوا، فلما حجوا ذلك اليوم مع النبي أنزل الله تعالى وهُم بالموقف عشية عرفة: ﭻﭼﭽﭾﭿﮀ فإنّما أراد أكْمَل وضْعَه لهم، وفي ذلك دلالة على أنّ الطاعات كلّها دينٌ، وإيمانٌ وإسلام »[2].

ثانيًا من الأدلة أيضًا على كمال هذا الدين:

قول الله تعالى مبيِّنًا أنّ هذا الدين فيه كلُّ ما يحتاجه العباد لصلاح المعاش والمعاد: ﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ [النحل: ٨٩].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير الآية: « وقوله: ﭭﭮﭯﭰ قال ابن مسعود: وقد بَيّن لنا في هذا القرآن كُلّ عِلم، وكُلَّ شيءٍ. وقال مجاهد: كلّ حلالٍ وحرامٍ. وقول ابن مسعود: أعمُّ وأشْمَل؛ فإن القرآن اشتمل على كلِّ عِلمٍ نافِعٍ من خبَر ما سبَق، وعِلْمِ ما سيأتِي، وحُكْم كُلّ حلالٍ وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم. .. وقال الأوزاعي: ﭭﭮﭯﭰ أي: بالسُّنَّة »[3].

---

[1] (?) الحديث متفق عليه عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، وقد مرّ تخريجه.

[2] (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج7/ 294-295).

وقول الإمام الأوزاعي هذا قولٌ عظيمٌ، سأقِف معه وقفة تأمُّل، حيث إنّه يدل على أنّ بيانَ الكتاب (القرآن) لكُل شيءٍ مما للعباد به حاجة كان بضميمة السنة المحمدية، لأنّ كثيرًا مِن آيات الكتابِ الآمرة بعَددٍ من العبادات .. جاءت مجملة أو مطلقة أو عامة، فجاءت السنة –في جملة مِن وظائفها تجاه القرآن[1]- ببيان المجمل وتفصيله، وتخصيص العام المخصص، وتقييد بعض المطلق، .. وللأمثلة على ذلك: انظر كيفيات أصول الفرائض، فإنك تجد بيانها بالسنة الفعلية والقولية .. فباجتماع الكتاب والسنة حصَل هذا البيان الذي في الآية، فلم يترك رسولُ الله شيئًا من أمر الدين؛ أصولِه وفروعه، واجباته ومستحباته، .. إلا وقد بيَّنه، ورحِم الله تعالى أبا العباس شيخ الإسلام ابن تيمة حيث ألّف فصلا خاصًّا بِهذا أسْماه: الرسول بَيَّنَ جَمِيعَ الدِّينِ؛ أُصُولَهُ وَفُرُوعَهُ، بَاطِنَهُ وَظَاهِرَهُ، عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ، وهو فصلٌ عظيمٌ جدًّا، أنقل منه في هذا المقام ثلاث نقولات:

قال في مطلعه: « فَصْلٌ: فِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَيَّنَ جَمِيعَ الدِّينِ؛ أُصُولَهُ وَفُرُوعَهُ، بَاطِنَهُ وَظَاهِرَهُ، عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ، فَإِنَّ هَذَا الأَصْلَ هُوَ أَصْلُ أُصُولِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ اعْتِصَامًا بِهَذَا الأَصْلِ، كَانَ أَوْلَى بِالْحَقِّ عِلْمًا وَعَمَلا، وَمَنْ كَانَ أَبْعَدَ عَنْ الْحَقِّ عِلْمًا وَعَمَلا .. »[2].

وقال أيضًا: « فَصْلٌ: وَأَمَّا الْعَمَلِيَّاتُ، -وَمَا يُسَمِّيه نَاسٌ: الْفُرُوعَ، وَالشَّرْعَ، وَالْفِقْهَ-، فَهَذَا قَدْ بَيَّنَهُ الرَّسُولُ أَحْسَنَ بَيَانٍ، فَمَا شَيْءٌ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، أَوْ نَهَى عَنْهُ، أَوْ حَلَّلَهُ، أَوْ حَرَّمَهُ، إلا بَيَّنَ ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﭽﭾﭿﮀ وَقَالَ تَعَالَى: ﭽ ﯽﯾﯿ ﭼ [يوسف: ١١١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲ وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅ ﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐ ﭼ [البقرة: ٢١٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽ

(?) تفسير القرآن العظيم، (2/ـ 758)، وانظر: المحرر الوجيز، ص 1111 .

[1] (?) انظر: بيان أنّ السنة مفسّرة للكتاب، وذكر منزلتها منه، (إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج2/ص232)، وما يأتِي لاحقًا من الردود على الفرقة المدعوة بالقرآنيين في الباب القادم.

[2] (?) مجموع الفتاوى، (ج19/ص155-156).

ﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺ ﭼ [النحل: ٦٣ - ٦٤]. فَقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ إلا لِيُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، كَمَا بَيَّنَ أَنَّهُ أَنْزَلَ جِنْسَ الْكِتَابِ مَعَ النَّبِيِّينَ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵ ﭼ [الشورى: ١٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠ ﭼ [التوبة: ١١٥]. فَقَدْ بَيَّنَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعَ مَا يَتَّقُونَهُ، كَمَا قَالَ: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣ ﭼ [الأنعام: ١١٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉ ﭼ [النساء: ٥٩]. وَهُوَ الرَّدُّ إلَى كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ إلَى سُنَّةِ الرَّسُولِ بَعْدَ مَوْتِهِ »[1].

وقال: «وَالْمَقْصُودُ هُنَا تَحْقِيقُ ذَلِكَ وَأَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَافِيَانِ بِجَمِيعِ أُمُورِ الدِّينِ»[2].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله- وهو يفسّر آية النحل: « وقوله: ﭽﭬﭭﭮﭯﭼ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين، بألفاظ واضحة، ومعان جَلِيَّة، حتى إنه تعالى يُثَنِّي فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لِمُرورها عليه كلّ وقت، وإعادتِها في كلّ ساعة، ويُعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة، وأدلة متنوعة؛ لتستقرّ في القلوب؛ فتثمر من الخير والبر بَحَسَب ثبوتِها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معانِي كثيرة، يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبيانًا لكلِّ شيء صار حجة الله على العباد كلِّهم. فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدى لهم يهتدون به، إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح. والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه، التي هي أجَلّ المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة، والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع، والنصر على الأعداء

---

1 (?) مجموع الفتاوى، (ج19/ ص173-174).

2 (?) المصدر نفسه، (ج19/ ص176).

بالقول والفعل، ونيل رضا الله تعالى، وكرامته العظيمة، التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم، إلا الرب الرحيم »[1].

ولَمّا فسّر الشيخ السعدي –رحمه الله- قوله تعالى: ﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﭼ [الأنعام: ٣٨]. بِما يدل على أنّ المراد بالكتاب في الآية: اللوح المحفوظ، قال: « ويحتمل أن المراد بالكتاب، هذا القرآن، وأنّ المعنى كالمعنى في قوله تعالى: ﭽﭭﭮﭯﭰﭼ »[2].

لذا فإنّ العلامة القرطبي –رحمه الله- جمع بين الآيتين في التفسير وأشار في الثانية إلى أنه تكلم عليهما عند الأولى، فقال: « قوله تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﭼ أي في اللوح المحفوظ؛ فإنَّه أثْبَت فيه ما يَقَع مِن الحوادث. وقيل: أي: في القرآن، أي: ما تركنا شيئًا مِن أمر الدين إلا وقد دَلَلْنَا عليه في القرآن، إمَّا دلالة مُبَيّنَة مَشروحة، وإما مُجملة يُتلقّى بيانُها مِن الرسول عليه الصلاة والسلام، أو مِن الإجماع، أو مِن القِياس الذي ثَبَتَ بنصّ الكتاب، قال الله تعالى: ﭽﭭﭮﭯﭰﭼ وقال: ﭽﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭼ [النحل: ٤٤]. وقال: ﭽﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﭼ [الحشر: ٧]. فأجمَلَ في هذه الآية وآية النحل: ما لم يَنُصّ عليه مِمّا لَم يَذْكُرْه، فصَدَقَ خبَرُ الله بأنّه ما فرَّط في الكتاب مِن شيء إلا ذَكرَه؛ إمَّا تفصيلا، وإما تأصيلا، وقال: ﭽﭾﭿﮀﭼ »[3].

ثالثًا: مِن أدلة أنّ الدين كاملٌ ولا يحتاج إلى حذلقة المتحذلقين، وبدعة المبتدعين: حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ: « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: " **أَالْفَقْرَ تَخَافُونَ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا حَتَّى لا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلا هِيهْ، وَايْمُ اللَّهِ! لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ** " قَالَ أَبُو

---

1 (?) تيسير الكريم الرحمن، ص447 .
2 (?) تيسير الكريم الرحمن، ص256 .
3 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج8/ ص371).

الدَّرْدَاءِ: صَدَقَ –وَاللَّهِ- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، تَرَكَنَا –وَاللَّهِ- عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ " [1].

رابعًا: من شواهد كمال هذا الدين: أثر سَلْمَانَ وأبِي ذرٍّ رضي الله عنهما.

أما أثر سلمان ﷺ، ففي صحيح مسلم وغيره، قِيلَ لَهُ: « لَقَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى الْخِرَاءَةَ[2]؟ قَالَ: أَجَلْ؛ لَقَدْ نَهَانَا ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، وَأَنْ لا نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، وَأَنْ لا يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ، أَوْ عَظْمٍ »[3].

قال النووي –رحمه الله-: « وَمُرَاد سَلْمَان ﷺ: أَنَّهُ عَلَّمَنَا كُلّ مَا نَحْتَاج إِلَيْهِ فِي دِينِنَا حَتَّى الْخِرَاءَة الَّتِي ذَكَرْت أَيّهَا الْقَائِل، فَإِنَّهُ عَلَّمَنَا آدَابهَا؛ فَنَهَانَا فِيهَا عَنْ كَذَا وَكَذَا »[4].

وأما أثر أَبِي ذَرٍّ ﷺ ففي المعجم الكبير للطبراني، قَالَ: « تَرَكنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إلا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ ﷺ: " **مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ ، ويُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إلا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ** "[5].

فالدين الإسلامي –بمصدريه: الكتاب والسنة- كاملٌ، ولهذا لَمّا سُئِلَ أبو العباس شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذا السؤال (عَمَّنْ يَقُولُ: إنَّ النُّصُوصَ لا تَفِي بِعُشْرِ مِعْشَارِ الشَّرِيعَةِ: هَلْ قَوْلُهُ صَوَابٌ؟ وَهَلْ أَرَادَ النَّصَّ الَّذِي لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ أَوْ الأَلْفَاظَ الْوَارِدَةَ الْمُحْتَمَلَةَ؟ وَمَنْ نَفَى

---

[1] سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة، بَاب اتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم: 5، وهو حديث حسن، (انظر: السلسلة الصحيحة، برقم: 688، و937، ج2/ ص302، وص610).

[2] **الخراءة**: اسم لهيئة الحدث، انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ص271 .

[3] صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم: 262، وسنن أبي داود: كتاب الطهارة، بَاب كَرَاهِيَةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، رقم: 7 .

[4] شرح صحيح مسلم للنووي، 271 .

[5] المعجم الكبير للطبراني: برقم: 1624، وقد صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة، (ج7/ ص416، برقم: 1803)، وللحديث شاهد.

الْقِيَاسَ وَأَبْطَلَهُ مِنْ الظَّاهِرِيَّةِ: هَلْ قَوْلُهُ صَوَابٌ؟ وَمَا حُجَّتُهُ عَلَى ذَلِكَ؟) قال في ذلك مجيبًا: « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. هَذَا الْقَوْلُ قَالَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلامِ وَالرَّأْيِ كَأَبِي الْمَعَالِي وَغَيْرِهِ وَهُوَ خَطَأٌ؛ بَلْ الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ النُّصُوصَ وَافِيَةٌ بِجُمْهُورِ أَحْكَامِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إنَّهَا وَافِيَةٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ؛ وَإِنَّمَا أَنْكَرَ ذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَهُ لأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَ النُّصُوصِ الْعَامَّةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَالُ اللَّهِ، وَرَسُولِهِ وَشُمُولَهَا لأَحْكَامِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْجَامِعَةِ الْعَامَّةِ، الَّتِي هِيَ قَضِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ، وَقَاعِدَةٌ عَامَّةٌ، تَتَنَاوَلُ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، وَتِلْكَ الأَنْوَاعُ تَتَنَاوَلُ أَعْيَانًا لا تُحْصَى، فَبِهَذَا الْوَجْهِ تَكُونُ النُّصُوصُ مُحِيطَةً بِأَحْكَامِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ »[1].

وضربَ أمثلة تفصيلية لذلك، بالخمر، والميسر، والأيمان، مع ذكر مذاهب الناس في ذلك، وأنّه هل حُرّمت جميع الأفراد المندرجة تحت هذه الأنواع بالنص أو بالقياس، وذكر القول الحق في ذلك ثم قال: « وَكَذَلِكَ الْكَلامُ فِي عَامَّةِ مَسَائِلِ النِّزَاعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إذَا طَلَبَ مَا يَفْصِلُ النِّزَاعَ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَجَدَ ذَلِكَ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ النُّصُوصَ شَامِلَةٌ لِعَامَّةِ أَحْكَامِ الأَفْعَالِ. وَكَانَ الإِمَامُ أَحْمَد يَقُولُ: إنَّهُ مَا مِنْ مَسْأَلَةٍ يُسْأَلُ عَنْهَا إلا وَقَدْ تَكَلَّمَ الصَّحَابَةُ فِيهَا، أَوْ فِي نَظِيرِهَا. وَالصَّحَابَةُ كَانُوا يَحْتَجُّونَ فِي عَامَّةِ مَسَائِلِهِمْ بِالنُّصُوصِ، كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ عَنْهُمْ. وَكَانُوا يَجْتَهِدُونَ رَأْيَهُمْ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالرَّأْيِ، وَيَحْتَجُّونَ بِالْقِيَاسِ الصَّحِيحِ أَيْضًا »[2].

فَلَم يَحتج المسلم -مع كمال هذا الدين- إلى بِدَع المعطلة، ولا إلى بِدَع المشبِّهة، ولا إلى بِدَع المتعبِّدة –زعمًا-، ولا إلى بِدَع المرجئة، ولا إلى بِدَع القدرية، ولا إلى بِدَع الجبرية، ولا إلى بِدَع الرافضة، ولا إلى بِدَع الناصبة، ولا إلى بِدَع الخوارج والمعتزلة، ولا إلى بِدَع المقابِلين لهم من المرجئة، ولا.. ولا.. بل على المسلم الاتباع .. الاتباع..

---

1 (?) مجموع الفتاوى، (ج19/ ص280).

2 (?) المصدر نفسه، (ج19/ ص285).

الاتباع، وأنْ يسَعه ما وسِع الرسولَ ﷺ، وصحابتَه الكرام من هدي الكتاب والسنة، دون جفاء أو إطراء، أو غلوّ أو تفريط، قال الله تعالى: ﭽﮉﯘﯗﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﭼ [العنكبوت: ٥١].

فالمسلم الحق كفاه ما أنزله الله على رسوله. وبِما تقدم فقد انتهى هذا المطلب وقد تبيّن به أنّ هذا الدين كاملٌ؛ لا يُحتاج مع ذلك إلى ابتداع، فأنتقل إلى المطلب القادم، وهو وثيق الصلة به!

** * **

المطلب الثاني: رسالته كافية شافية، فلا حاجة معها إلى: شريعة مكمِّلة:

إنّ النتيجة المنطقية الحتمية لكون الدين كاملا، وشاملا أنْ يكون كافيًا شافيًا، فالدين الإسلامي لَمّا كمّله الله تعالى وجعله شاملا للجوانب المطلوبة، وواسعًا، كان كافيًا للمتَّبِع شافيًا. ولما كانت الرسالة المحمدية كاملة، فإنّها كذلك كافية شافية ولا تحتاج إلى غيرها مِن الرسائل السابقة، ولا إلى شيءٍ بعدها، فاستغْنَت عن السوابق، ولا يكون بعدها رسالة تلحقها بالهيمنة والنسخ، وقد جعل الله تعالى تعاليمها مناسبة لكلّ عصر، ولكل جيل.

والدليل على كِفايتها، وأنّها شافيةٌ ما يأتِي من النصوص، ومن ذلك:

أولا: قول الله تعالى: ﭽﮀﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﭼ [العنكبوت: ٥١].

قال المفسِّر ابن عطية –رحمه الله- في تفسير هذه الآية: « وحكى الطبري أنَّ هذه الآية نزَلَتْ بسبب قومٍ من المؤمنين أتَوا النبِيّ بكُتُب قَدْ كَتَبُوا فِيهَا بَعْض مَا يقول اليهود الذين أخبروهم بشيء من التوراة، فأنكر رسول الله ذلك، وقال: " **كَفَى بِهذا ضَلالَة، قوم رَغِبُوا عَمَّا آتاهم بِهِ نَبِيُّهمْ، إلَى مَا أتى بِهِ غَيْرُه،** ونزلت الآية بسببه »[1].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسيره للآية، بعد أن قال في أول ذلك: « وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات البينات، والدلالات الباهرات، شيء كثير » فذكر أوجه ذلك ثم قال: « .. ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونَفْيُ ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونَهْيِه، فما أمَرَ بشيءٍ فقال العقل: " ليته لم يأمر به! " ولا نَهى عن شيء، فقال العقل: " ليته لم يَنْهَ عنه! " بل هو مطابقٌ للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول. ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال، وكل زمانٍ؛ بِحيث لا تَصلُح الأمور إلا به. فجميع

---

1 (?) المحرر الوجيز، ص1467 .

ذلك يكفي مَن أراد تصديق الحق، وعَمِل على طلب الحق، فلا كفى اللّه مَن لم يَكْفِه القرآن، ولا شفى اللّه مَن لم يَشْفِه الفُرقان، ومَن اهتدى به واكتفى، فإنَّه خيرٌ له »[1]. وهذا كلام متين، لا يحتاج إلى تعليق!

ثانيًا: من الأدلة على كفاية هذه الشريعة:

عَقَد البخاري –رحمه الله- في صحيحه بَابًا، عنْوَن له بباب مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﭼ [العنكبوت: ٥١]. وأورد تحت هذا الباب حديث سُفْيَان بن عيينة عَنْ شيخه الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، مرفوعًا، قَالَ: " **مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ** "، قَالَ سُفْيَانُ: تَفْسِيرُهُ يَسْتَغْنِي بِهِ »[2]

وقد فهِم العلماء مِن صنيع البخاري هذا (عقد هذه الترجمة، ثم إيراد الآية عقيبها) أنّه يُرَجح تفسير ابن عيينة –رحمه الله للحديث، وإنْ كان هذا القول ضعيفًا مِن حيث اللغة والمعنى –كما قرّر غير واحدٍ من العلماء، قال القرطبي –رحمه الله- في التفسير المستشهد بِه هنا بعد إيراده جملة من شواهده الحديثية: « وفي مثله قال : " **ليس منّا مَن لم يَتَغَنّ بِالْقُرْآنِ** " أي: يستغنِي به عن غيره. وهذا تأويل البخاري -رحمه الله- في الآية. وإذا كان لقارئه بكل حرفٍ عشرُ حسنات فأكثر، على ما ذكرناه في مقدمة الكتاب، فالرغبة عنه إلى غيره ضلال وخسران، وغُبنٌ ونُقصان »[3] .

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- شارحًا استدلال البخاري بالآية: « وَقَوْله تَعَالَى: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﭼ أَشَارَ بِهَذِهِ الآيَة إِلَى تَرْجِيح تَفْسِير اِبْن عُيَيْنَةَ: يَتَغَنَّى يَسْتَغْنِي، كَمَا سَيَأْتِي هَذَا الْبَاب عَنْهُ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ اِبْن عُيَيْنَةَ وَوَكِيع جَمِيعًا وَقَدْ بَيَّنَ إِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ عَن ابْن عُيَيْنَةَ أَنَّهُ

[1] (?) تيسير الكريم الرحمن، ص633-634).

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، رقم: 5024، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحبا تحسين الصوت بالقرآن، رقم: 792 .

[3] (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج16/ 378).

اِسْتِغْنَاء خَاصّ، وَكَذَا قَالَ أَحْمَد عَنْ وَكِيع: يُسْتَغْنَى بِهِ عَنْ أَخْبَار الأُمَم الْمَاضِيَة، وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ وَغَيْره مِنْ طَرِيق عَمْرو بْن دِينَار عَنْ يَحْيَى بْن جَعْدَة قَالَ: جَاءَ نَاس مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِكُتُبٍ وَقَدْ كَتَبُوا فِيهَا بَعْض مَا سَمِعُوهُ مِنْ الْيَهُود، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: كَفَى بِقَوْمٍ ضَلَالَة أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيّهمْ إِلَيْهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ غَيْره إِلَى غَيْرهمْ، فَنَزَلَ: ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﭼ وَقَدْ خَفِيَ وَجْه مُنَاسَبَة تِلَاوَة هَذِهِ الْآيَة هُنَا عَلَى كَثِير مِنْ النَّاس كَابْنِ كَثِير فَنَفَى أَنْ يَكُون لِذِكْرِهَا وَجْه، عَلَى أَنَّ اِبْن بَطَّال مَعَ تَقَدُّمه قَدْ أَشَارَ إِلَى الْمُنَاسَبَة فَقَالَ: قَالَ أَهْل التَّأْوِيل فِي هَذِهِ الآيَة. فَذَكَرَ ابْن يَحْيَى بْن جَعْدَة مُخْتَصَرًا قَالَ: فَالْمُرَاد بِالآيَةِ الاسْتِغْنَاء عَنْ أَخْبَار الأُمَم الْمَاضِيَة، وَلَيْسَ الْمُرَاد الاسْتِغْنَاء الَّذِي هُوَ ضِدّ الْفَقْر، قَالَ: وَإِتْبَاع الْبُخَارِيّ التَّرْجَمَة بِالآيَةِ يَدُلّ عَلَى أَنَّهُ يَذْهَب إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ اِبْن التِّين: يُفْهَم مِنْ التَّرْجَمَة أَنَّ الْمُرَاد بِالتَّغَنِّي الاسْتِغْنَاء لِكَوْنِهِ أَتْبَعهُ الآيَة الَّتِي تَتَضَمَّن الإِنْكَار عَلَى مَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ بِالْقُرْآنِ عَنْ غَيْره، فَحَمَلَهُ عَلَى الاكْتِفَاء بِهِ وَعَدَم الافْتِقَار إِلَى غَيْره وَحَمْلُهُ عَلَى ضِدّ الْفَقْر مِنْ جُمْلَة ذَلِكَ »[1].

والاستدلال بالحديث في هذا المطلب فيه بُعدٌ وتكلف، ويكفي لتقرير المطلب ما مرّ من النصوص. والله أعلم.

ثالثًا: من الأدلة على أنّ القرآن شفاء: من المعلوم أنّ الأمراض التي تلحق العبد جنسان، جنس عظيم الخطورة والضرر، وهو ما له تعلق بالدين، من كُفرٍ وبدعة وفسق، وهذا الجنس تحته نوعان: أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات. وأخطر النوعين الأول. والجنس الآخَر: هي الأمراض الجسمية البدنية، والتي منتهى ضررها على الآلام التي تصاب ببدنه. وتحتها أنواعٌ كثيرة. وكلا الجنسين بأنواعهما دواؤهما القرآن وقاية وعلاجًا، فالقرآن شفاء، لذا قال الله تعالى، وهو يبيّن أنّ القرآن شفاءٌ لِمَا في الصدور وللأبدان:

---

[1] (?) فتح الباري، (ج3/ـ 3541)، وانظر إلى صفحتين بعده، وشرح النووي على صحيح مسلم، ص533 .

ﭽﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﭼ [يونس: ٥٧]. وقال: ﭽﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰ ﮱﯓﯔﯕﭼ [الإسراء: ٨٢]. وقال: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕ ﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﭼ [فصلت:41-٤٤].

فقوله: ﭽﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﭼ وقوله: ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﭼ عامٌ يشمل ما في الأرواح والأبدان، وذلك لأنّه حذفَ المتعلّق، بخلاف سياق آية يونس، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله- في تفسير آية يونس: « يقول تعالى -مُرغِّبًا للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد ... ﭽﮒﮓﮔﮕﭼ وهو هذا القرآن، شفاءٌ لِمَا في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع، وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيِني، فإنّ ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة. وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، ونَمَتَا على تكرُّر ما يَرِد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه. وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين. وإذا صحّ القلب مِن مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلُّها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسُد بفساده »[1].

فالقرآن شفاءٌ لِما في الصدور من أمراض الشكوك والشُّبَه، وكذلك أمراض الشهوات[2].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير آية الإسراء، والتي فيها العموم: « إنه: ﭽﮫﮬﮭﭼ أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله. ... »[3]. إلخ .. حتى ختم التفسير بسرد نصوص الباب وغيرها.

---

1 (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 366-367 .

2 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج2/ 549).

3 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج3/ ص83).

وفي تفسيرها، قال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « فالقرآن مشتملٌ على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، الْمُصدّقين بآياته، العاملين به، ...، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السَّيء، والقصود السيئة؛ فإنّه مشتملٌ على العلم اليقينِي، الذي تزول به كلُّ شبهة وجهالة. والوعظ والتذكير، الذي يزول به كلُّ شهوة تخالف أمر الله. ولشفاء الأبدان مِن آلامها وأسقامها»[1].

وقال في تفسير آية فصلت: « ﭽ ﯔﯕﯖﯗﭼ أي: يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويُعلّمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية، لأنّه يزجر عن مساوئ الأخلاق وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب وتشفي القلب »[2].

ويؤكّد كون القرآن خصوصًا، وبقية الأذكار النبوية الثابتة عمومًا شفاء: حديث أبِي سعيد الخدري في رقيتهم بالفاتحة لسيّد الحيّ (اللديغ) يوم أن استضافوهم فلم يضيفوهم ..الحديث، وفيه: " **وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؛ خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ** "[3].

ويُقرِّر دواء الجنس الأول بنوعيه، العلامة ابن القيم –رحمه الله- في الفصل الذي عقَده لبيان أنّ الفِتَن بجميع أشكالِها ترجع إلى نوعين، فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات، وأنّ أخطرَهما أولاهما، لأنّ مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بِدَعِهم، ذاكِرًا ومبيِّنًا الدواء الشافِي لها**:** « ولا يُنجِي مِن هذه الفتنة إلا تجريدُ اتّباع الرسول، وتحكيمه في دَقّ الدين وجَلّه، ظاهره وباطنه، عقائدِه وأعمالِه، حقائقِه

---

1 (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 465.

2 (?) المصدر نفسه، 751.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الطب، بَاب الرُّقَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، رقم: 5736، وصحيح مسلم: باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، رقم: 2201.

وشرائعِه، فيتلقى عنه حقائقُ الإيمان، وشرائعُ الإسلام، وما يُثْبِتُه لله مِن الصفات والأفعال والأسماء، وما يَنْفيه عنه، كما يتلقّى عنه وجوبَ الصلوات، وأوقاتِها، وأعدادها، ومقادير نِصَبِ الزكاة، ومُسْتَحِقِّيها، ووُجُوب الوضوء، والغسل من الجنابة، وصوم رمضان، فلا يَجْعَلُه رسولا في شيءٍ دون شيء من أمور الدين، بل هو رسولٌ في كلّ شيءٍ تَحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يتلقى إلا عنه، ولا يأْخذُ إلا منه، فالْهُدى كُلُّه دائرٌ على أقواله وأفعاله، وكلّ ما خرج عنها فهو ضلال، فإذا عقَد قلبَه على ذلك، وأعرض عما سواه، ووَزَنَه بِما جاء به الرسول، فإنَّ وافَقَه قَبِلَه، لا لكون ذلك القائل قالَه، بل لِموافقته للرسالة، وإنْ خالَفَه ردَّه ولو قالَه مَن قالَه، فهذا الذي يُنْجِيه من فتنة الشبهات، وإنْ فاته ذلك؛ أصابَه مِن فِتْنَتِها بِحَسَبِ ما فاتَه منه. وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة مِن نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفِيٍّ على الرجل؛ فلم يظفر به، وتارة مِن عَرَضٍ فاسِدٍ وهوًى مُتَّبَع، فهيَ مِن عَمًى في البصيرة، وفسادٍ في الإرادة »[1].

وتكلم عن النوع الثانِي (فتنة الشهوات)، ثم علّق على النوعين بِما يأتِي: « ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين : صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا أعمته دنياه، وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإنَّ فتنتَهما فتنةٌ لِكُلّ مَفْتُونٍ. وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، فالأول : أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة. ففتنة الشبهات تدفع باليقين وفتنة الشهوات تدفع بالصبر ... فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة »[2].

فالنصوص السابقة هي عمدة هذا المطلب.

و**يُلخص العلامة ابن القيم -رحمه الله- المطلب:** ويُبيّنُ شُمُول هذه الشريعة لكلّ صغيرة

---

[1] (?) إغاثة اللهفان لابن القيم، (ج2/ ص165-166).

[2] (?) المصدر نفسه، (ج2/ ص166-167).

وكبيرة، وأنها كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ، عَامَّةٌ، فيقول: « وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَقَوَاعِدِهَا، وَتَقْسِيمُ بَعْضِهِمْ طُرُقَ الْحُكْمِ إلَى شَرِيعَةٍ وَسِيَاسَةٍ، كَتَقْسِيمِ غَيْرِهِمْ الدِّينَ إلَى شَرِيعَةٍ وَحَقِيقَةٍ، وَكَتَقْسِيمِ آخَرِينَ الدِّينَ إلَى عَقْلٍ وَنَقْلٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَقْسِيمٌ بَاطِلٌ، بَلْ السِّيَاسَةُ وَالْحَقِيقَةُ وَالطَّرِيقَةُ وَالْعَقْلُ، كُلُّ ذَلِكَ يَنْقَسِمُ إلَى قِسْمَيْنِ: صَحِيحٌ، وَفَاسِدٌ؛ فَالصَّحِيحُ قِسْمٌ مِنْ أَقْسَامِ الشَّرِيعَةِ لا قَسِيمٌ لَهَا، وَالْبَاطِلُ ضِدُّهَا وَمُنَافِيهَا، وَهَذَا الأَصْلُ مِنْ أَهَمِّ الأُصُولِ وَأَنْفَعِهَا، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ عموم رسالته بِالنِّسْبَةِ إلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ الْعِبَادُ فِي مَعَارِفِهِمْ وَعُلُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّهُ لَمْ يُحْوِجْ أُمَّتَهُ إلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَإِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إلَى مَنْ يُبَلِّغُهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ بِهِ، فَلِرِسَالَتِهِ عُمُومَانِ مَحْفُوظَانِ لا يَتَطَرَّقُ إلَيْهِمَا تَخْصِيصٌ: عُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى الْمُرْسَلِ إلَيْهِمْ، وَعُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى كُلِّ مَا يحْتَاجُ إلَيْهِ مَنْ بُعِثَ إلَيْهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ؛ فَرِسَالَتُهُ **كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ عَامَّةٌ**، لا تُحْوِجُ إلَى سِوَاهَا، وَلا يَتِمُّ الإِيمَانُ بِهِ إلا بِإِثْبَاتِ عموم رسالته فِي هَذَا وَهَذَا، فَلا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ الْمُكَلَّفِينَ عَنْ رِسَالَتِهِ، وَلا يَخْرُجُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَقِّ الَّذِي تَحْتَاجُ إلَيْهِ الأُمَّةُ فِي عُلُومِهَا وَأَعْمَالِهَا عَمَّا جَاءَ بِهِ. وَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إلا ذَكَرَ لِلأُمَّةِ مِنْهُ عِلْمًا، وَعَلَّمَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى آدَابَ التَّخَلِّي، وَآدَابَ الْجِمَاعِ، وَالنَّوْمِ وَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ، وَالأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالرُّكُوبِ وَالنُّزُولِ، وَالسَّفَرِ وَالإِقَامَةِ، وَالصَّمْتِ وَالْكَلامِ، وَالْعُزْلَةِ وَالْخُلْطَةِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ، وَجَمِيعِ أَحْكَامِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَوَصَفَ لَهُمْ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ، وَالْمَلائِكَةَ وَالْجِنَّ، وَالنَّارَ وَالْجَنَّةَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ. وَعَرَّفَهُمْ مَعْبُودَهُمْ وَإِلَهَهُمْ أَتَمَّ تَعْرِيفٍ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ وَيُشَاهِدُونَهُ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلالِهِ. وَعَرَّفَهُمْ الأَنْبِيَاءَ وَأُمَمَهُمْ، وَمَا جَرَى لَهُمْ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ مَعَهُمْ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَهُمْ. وَعَرَّفَهُمْ مِنْ طُرُقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا، مَا لَمْ يُعَرِّفْهُ نَبِيٌّ لأُمَّتِهِ قَبْلَهُ. وَعَرَّفَهُمْ مِنْ أَحْوَالِ الْمَوْتِ، وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ فِي

الْبَرْزَخِ، وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنْ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ، مَا لَمْ يُعَرِّفْ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ. وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، وَالرَّدِّ عَلَى جَمِيعِ فِرَقِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلالِ، مَا لَيْسَ لِمَنْ عَرَفَهُ حَاجَةٌ مِنْ بَعْدِهِ، اللَّهُمَّ إلا إلَى مَنْ يُبَلِّغُهُ إيَّاهُ وَيُبَيِّنُهُ وَيُوَضِّحُ مِنْهُ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ.
وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ مِنْ مَكَايِدِ الْحُرُوبِ، وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَطُرُقِ النَّصْرِ وَالظَّفْرِ، مَا لَوْ عَلِمُوهُ وَعَقَلُوهُ وَرَعَوْهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ لَمْ يَقُمْ لَهُمْ عَدُوٌّ أَبَدًا. وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ مِنْ مَكَايِدِ إبْلِيسَ وَطُرُقِهِ، الَّتِي يَأْتِيهِمْ مِنْهَا، وَمَا يَتَحَرَّزُونَ بِهِ مِنْ كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ، وَمَا يَدْفَعُونَ بِهِ شَرَّهُ مَا لا مَزِيدَ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ مِنْ أَحْوَالِ نُفُوسِهِمْ وَأَوْصَافِهَا، وَدَسَائِسِهَا وَكَمَائِنِهَا، مَا لا حَاجَةَ لَهُمْ مَعَهُ إلَى سِوَاهُ. وَكَذَلِكَ عَرَّفَهُمْ مِنْ أُمُورِ مَعَايِشِهِمْ، مَا لَوْ عَلِمُوهُ وَعَمِلُوهُ لاسْتَقَامَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ أَعْظَمَ اسْتِقَامَةٍ. وَبِالْجُمْلَةِ فَجَاءَهُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِرُمَّتِهِ، **وَلَمْ يُحْوِجْهُمْ اللَّهُ إلَى أَحَدٍ سِوَاهُ**!
فَكَيْفَ يُظَنُّ أَنَّ شَرِيعَتَهُ الْكَامِلَةَ، الَّتِي مَا طَرَقَ الْعَالَمَ شَرِيعَةٌ أَكْمَلَ مِنْهَا نَاقِصَةٌ تَحْتَاجُ إلَى سِيَاسَةٍ خَارِجَةٍ عَنْهَا تُكَمِّلُهَا، أَوْ إلَى قِيَاسٍ، أَوْ حَقِيقَةٍ، أَوْ مَعْقُولٍ خَارِجٍ عَنْهَا؟ وَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ ظَنَّ أَنَّ بِالنَّاسِ حَاجَةً إلَى رَسُولٍ آخَرَ بَعْدَهُ، وَسَبَبُ هَذَا كُلِّهِ خَفَاءُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى مَنْ ظَنَّ ذَلِكَ، وَقِلَّةُ نَصِيبِهِ مِنْ الْفَهْمِ الَّذِي وَفَّقَ اللَّهُ لَهُ أَصْحَابَ نَبِيِّهِ، الَّذِينَ اكْتَفَوْا بِمَا جَاءَ بِهِ، وَاسْتَغْنَوْا بِهِ عَمَّا مَا سِوَاهُ، وَفَتَحُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَالْبِلادَ، وَقَالُوا: هَذَا عَهْدُ نَبِيِّنَا إلَيْنَا، وَهُوَ عَهْدُنَا إلَيْكُمْ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ يَمْنَعُ مِنْ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ خَشْيَةَ أَنْ يَشْتَغِلَ النَّاسُ بِهِ عَنْ الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَى اشْتِغَالَ النَّاسِ بِآرَائِهِمْ، وَزَبَدِ أَفْكَارِهِمْ، وَزُبَالَةِ أَذْهَانِهِمْ عَنْ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ؟ فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﭼ [العنكبوت: ٥١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭼ [النحل: ٨٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﭼ [يونس: ٥٧]. وَكَيْفَ يَشْفِي مَا فِي الصُّدُورِ كِتَابٌ؛ لا يَفِي هُوَ وَمَا تُبَيِّنُهُ السُّنَّةُ بِعُشْرِ مِعْشَارِ الشَّرِيعَةِ؟ أَمْ كَيْفَ يَشْفِي مَا فِي الصُّدُورِ كِتَابُ؛ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ الْيَقِينُ

فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَسَائِلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؟ أَوْ عَامَّتُهَا ظَوَاهِرُ لَفْظِيَّةٍ دَلالَتُهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى انْتِفَاءِ عَشَرَةِ أُمُورٍ لا يُعْلَمُ انْتِفَاؤُهَا[1]، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ! وَيَا لِلَّهِ الْعَجَبُ، كَيْفَ كَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ قَبْلَ وَضْعِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الَّتِي أَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهَا مِنْ الْقَوَاعِدِ، وَقَبْلَ اسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الآرَاءِ وَالْمَقَايِيسِ وَالأَوْضَاعِ؟ أَهَلْ كَانُوا مُهْتَدِينَ مُكْتَفِينَ بِالنُّصُوصِ أَمْ كَانُوا عَلَى خِلافِ ذَلِكَ؟ حَتَّى جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ فَكَانُوا أَعْلَمَ مِنْهُمْ، وَأَهْدَى وَأَضْبَطَ لِلشَّرِيعَةِ مِنْهُمْ، وَأَعْلَمَ بِاَللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا يَجِبُ لَهُ، وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ؟ فَوَ اَللَّهِ لأَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَبْدُهُ بِكُلِّ ذَنْبٍ؛ مَا خَلا الإِشْرَاكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِهَذَا الظَّنِّ الْفَاسِدِ، وَالاعْتِقَادِ الْبَاطِلِ! »[2].

والشيخ –رحمه الله- أشار في أول كلامه هذا إلى نوعين لِعُمُومٌ الرسالة النبوية (بِالنِّسْبَةِ إلَى الْمُرْسَلِ إلَيْهِمْ، وبِالنِّسْبَةِ إلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ مَنْ بُعِثَ إلَيْهِ؛ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ؛) إلا أنّه سرعان ما ترك العموم الأول، وركّز على الثانِي، وهذا الشاهد لإيراده تحت هذا المطلب خصوصًا، وفي المبحث عمومًا. وقد سبق البيان عن العموم الأول في المبحث المتقدم. وأما بالنسبة لكلام الشيخ العلامة هنا فإنه لقوته ومتانته لا يحتاج إلى تعليق!

وأما بالنسبة لآخر عنوان المطلب (كون رسالة نبينا محمد كافية لا تحتاج إلى: شريعة مُكمِّلة): فقد قال الله تعالى: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﭼ [المائدة: ٤٨]. فالمعنى أنه حاكمٌ على ما قبله من الكُتُب، وناسخٌ لَها[3].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يبيّن أنّ الشريعة الإسلامية المحمدية لا تحتاج إلى شريعة تُكمِّلُها، بخلاف الإنجيل مثلا –لَمّا نزَل- في احتياجه التوراة: « وَأَمَّا

---

[1] (?) هذا إشارة منه رحمه الله إلى الأمور العشرة التي يأتي ذكرها عند أحد بُناة الأشعرية؛ فخر الدين الرازي والتي علق كون الأدلة الشـرعية كتابًا وسنة: لا تكون قطعية الدلالة حـتى يُعلم انتفاؤهـا.. ثم قـرر أنه لا يعلم قطعًا انتفاؤها والله المستعان!

[2] (?) أعلام الموقعين عن رب العالمين، (ج2/ 311-313).

[3] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ ص92) .

الْمَسِيحُ فَإِنَّهُ قَالَ: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭼ [آل عمران: ٥٠]. فَأَحَلَّ لَهُمْ بَعْضَ الْمُحَرَّمَاتِ وَهُوَ -فِي الْأَكْثَرِ- مُتَّبِعٌ لِشَرِيعَةِ التَّوْرَاةِ. وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ لِمَنْ اتَّبَعَ الْمَسِيحَ مِنْ أَنْ يَقْرَأَ التَّوْرَاةَ وَيَتَّبِعَ مَا فِيهَا؛ إذْ كَانَ الإِنْجِيلُ تَبَعًا لَهَا. وَأَمَّا الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ، لَمْ يحوج أَصْحَابَهُ إلَى كِتَابٍ آخَرَ، بَلْ اشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الْكُتُبِ مِنْ الْمَحَاسِنِ؛ وَعَلَى زِيَادَاتٍ كَثِيرَةٍ لا تُوجَدُ فِي الْكُتُبِ؛ فَلِهَذَا كَانَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ، وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ؛ يُقَرِّرُ مَا فِيهَا مِنْ الْحَقِّ، وَيُبْطِلُ مَا حُرِّفَ مِنْهَا، وَيَنْسَخُ مَا نَسَخَهُ اللَّهُ؛ فَيُقَرِّرُ الدِّينَ الْحَقَّ، وَهُوَ جُمْهُورُ مَا فِيهَا، وَيُبْطِلُ الدِّينَ الْمُبَدَّلَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا، وَالْقَلِيلَ الَّذِي نُسِخَ فِيهَا؛ فَإِنَّ الْمَنْسُوخَ قَلِيلٌ جِدًّا بِالنِّسْبَةِ إلَى الْمُحْكَمِ الْمُقَرَّرِ. وَالأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ دِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَتَصْدِيقُ بَعْضِهِمْ مُسْتَلْزِمٌ تَصْدِيقَ سَائِرِهِمْ، وَطَاعَةُ بَعْضِهِمْ تَسْتَلْزِمُ طَاعَةَ سَائِرِهِمْ، وَكَذَلِكَ التَّكْذِيبُ وَالْمَعْصِيَةُ »[1].

وكما أنّ هذه الرسالة لم تحتجْ إلى الرسالات قبلها لِكمالِها، فإنّها لا تحتاج إلى ما يضعها الناس اليوم بأنفسهم مُعتاضين بِها عن حكم الكتاب والسنة، مثلما يَعمَلُه مَن يُسمون: بـ(مجالس التشريع، مِن الحكومات الديمقراطية وغيرها من ترك الأحكام الشرعية، ووضع أحكام تعارض ما جاء عن العليم الحكيم سبحانه! بل وإصدار القوانين الوضعية بِما مفادُه: أنّ كلّ تشريع أو نظام خالف ما قُرر هنا فهو الساقط. والله المستعان! وإيّاه نسأل أنْ يرُدّ المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلا؛ فيُحكّموه على أنفسهم أفرادًا وجماعات، ليسعدوا بذلك دنيا وأخرى.

وقد تقرر بكل ما سبق: أنه من خصائص الرسالة المحمدية دون بقية الرسالات والشرائع: كونها كافية شافية؛ أغنَت بما جاءت به في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، وبمصدريها؛ الكتاب والسنة عن أيّ شريعة وأيّ كتاب. والحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى، (ج19/ ص184-185).

** * **

المبحث الثالث: كونه خاتم النبيين ولا نبِيَّ بعده، وكون رسالته خاتمة الرسالات[1]:

معنى **الختم في اللغة** يدور حول: الطبع، وتغطية الشيء والاستيثاق منه، بحيث لا يدخله شيءٌ، ولا يخرج منه شيءٌ، وآخر الشيء ونهايته، وهذه المعاني كلّها ترجع إلى « أصل واحد: وهو بلوغ آخر الشيء »[2].

ومعنى **ختم النبوة: « انتهاء إنباء الله للناس، وانقطاع وحي السماء »** [3]،

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرح أثر عمر الآتِي في آخر هذا المبحث: « (وَإِنَّ اَلْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ) أَيْ: بَعْدَ وَفَاةِ اَلنَّبِيِّ ، وَالْمُرَاد انْقِطَاع أَخْبَارِ اَلْمَلكِ عَنْ اَللَّهِ تَعَالَى لِبَعْضِ اَلآدَمِيِّينَ بِالأَمْرِ فِي اَلْيَقَظَةِ، .. وَأَرَادَ أَنَّ اَلنَّبِيَّ قَدْ انْطَلَقَ وَرفعَ اَلْوَحْيَ »[4].

وتقرر بِهذا أنّ خاتم النبيين: هو الذي انتهى بنبوته إنباء الله تعالى للناس، وتوقف برسالته الرسالات، وانقطع الوحي، وهذه خصيصة نبينا الذي اختصه الله تعالى بِها، دون إخوته الأنبياء والمرسلين، عليهم صلوات وسلام ربِّ العالمين، فجعل رسالته خالدة، وميَّزها بِميزات أهّلَتْها لذلك.

وقد دلّت النصوص الكثيرة على ختم النبوة بالنبوة المحمدية، وأنّه لا نبِيّ بعده، كما أنّه إذا خُتمت النبوة به، فختم الرسالة به من باب أولى، (رسالة محمد خاتمة الرسالات). وقد تنوَّعت دلالاتها على هذا الأمر، **فصرّحتْ** نصوصٌ، وأشارتْ أخرى، كما استلزمت ذلك

---

[1] انظـر: رسـالة بعنـوان: عقيـدة ختم النبـوة بـالنبوة المحمديـة، (بأكملها)، والمتنبئون في الإسـلام وخطـرهم على الفكر والمجتمـع، د. غـالب عـواجي، ص162-174، ومبحث وجـوب الإيمـان بأنه خـاتم النبـيين من كتـاب حقـوق النبِي على أمته في ضـوء الكتـاب والسـنة للدكتورمحمد خليفة التميمي، (ج1/ 99-118.

[2] معجم المقاييس في اللغة لابن فارس، مادة ختم، ص 342، وانظر: القاموس المحيط، نفس المادة، ص 1014، ومعجم الصحاح للجوهري، ص 283.

[3] عقيدة ختم النبوَّة للدكتور أحمد بن سعد الغامدي، ط / دار طيبة، ص16، وانظر: كتاب حقوق النبِي على أمته في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور التميمي، (ج1/ 104).

[4] فتح الباري، (ج2/ 2111).

بعضٌ، وهو أمرٌ مجمعٌ عليه، وهو عقيدة المسلمين، وإنْ نقَضَه بعض الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام؛ بدعواهم النبوة لبعض رموزهم.

ويدل على أنّ نبيّنا محمدًا خاتمُ الأنبياء، فلا نبِيّ بعده، ورسالته خاتمة الرسالات، عدة أدلة مِن الكتاب والسنة، على النحو التالِي:

الدليل الأول: قول الله تعالى: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ [سورة الأحزاب: ٤٠].

قال الحافظ ابن كثيرٍ –رحمه الله- في تفسيرها: « وقوله تعالى : ﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ كقوله : ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ[سورة الأنعام:١٢٤]. فهذه الآية نصٌّ في أنَّه لا نَبِيَّ بعده، وإذا كان لا نَبِيَّ بعده فلا رسولَ بعده بالطريق الأولى والأحرى؛ لأنَّ مقام الرسالة أخصُّ من مقام النبوة، فإنَّ كلَّ رسولٍ نبيٌّ، ولا ينعكس، وبذلك ورَدَت الأحاديثُ المتواترة [1] عن رسول الله من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم » [2].

ثم ذكر أحدَ عشرَ حديثًا عن أبي بن كعبٍ، وأنس، وجابر، وأبي سعيدٍ، وأبي الطُفَيل وأبي هريرة الدوسيَيْن، والعرباض بن سارية، وجُبَير بن مطعم، وعبد الله بن عمرو ، وأكثُرها من النوع الصريح الدلالة -وسيأتِي ذكرها-، وعقَّب عليها بكلامٍ نفيسٍ جدًا، قال فيه: « والأحاديث في هذا كثيرة، فمِن رحمة الله تعالى بالعباد إرسالُ محمدٍ إليهم، ثم مِن تشريفه لهم؛ ختْمُ الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسولُه في السنة المتواترة عنه، أنَّه " **لا نبي بعده** " ليعلموا أنَّ كلَّ مَن ادَّعى هذا المقام بعده فهو كذّابٌ، وأفَّاكٌ، دجَّال، ضالٌّ، مُضِلٌّ، ولو تخرَّق، وشَعْبَذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيات، فكلُّها محالٌ وضلالٌ عند أولِي الألباب، كما أجرى الله

[1] أي: تواترًا معنويًّا –كما سيأتي تقريره-.

[2] تفسير القرآن العظيم، (ج 3 / 645).

سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي[1] باليمن، ومسيلمة الكذّاب[2] باليمامة، من الأحوال الفاسدة، والأقوال الباردة ما عَلم كلُّ ذي لبٍّ وفهمٍ وحجًى أَنَّهما كاذبان، ضالان، -لعنهما الله-. وكذلك كل مدَّعٍ لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكلُّ واحدٍ من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور، ما يَشْهد العلماءُ والمؤمنون بكذِبِ مَن جاء بها. وهذا من تمام لُطْف الله تعالى بخلقه، فإنَّهم بضرورة الواقع لا يأمُرون بمعروفٍ، ولا ينْهَون عن منكرٍ؛ إلا على سبيل الاتفاق، أو لِما لهم فيه من المقاصد إلى غيره. ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﭽ ﮬ ﮬ ﮬ ﮬ ﭼ الآية. [الشعراء: 221 ـ ٢٢٢].

وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنَّهم في غاية البرِّ، والصدق، والرُّشد، والاستقامة، والعدل فيما يقولونه ويفعلونه، ويأمرون به، وينهَون عنه. مع ما يُؤيَّدون به من الخوارق للعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات. فصلوات الله وسلامه عليهم دائمًا مستمرًا ما دامت الأرض والسموات »[3].

فالآية التي معنا نصّ في هذا الأمر، وهناك عدة آيات تدل على ذلك ضمنًا، كالآيات التي دلّت على عموم الرسالة المحمدية وعالميتها؛ (العموم الزمانِي والمكانِي)، وآيات إكمال هذا الدين، فالرسالة لَمّا خاطبت الكلّ، وكانت كاملة، صارت بِهذا وذاك لم تُحْوِج الخلق إلى رسالة بعد محمدٍ ﷺ، لذا ختَم الله به الرسالات. وقد مرّ معنا هذا مفصّلا.

هذا، وللمفسِّر ابن عطية قبل الحافظ ابن كثير – رحمهما الله- كلامٌ يحسُن أنْ يُسطّر هنا، جاء فيه: « **هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفًا وسلفًا متلقاة على العموم التامِّ**، مقتضيةٌ نصًّا أنَّه لا نبِيّ

---

[1] (?) ستأتي ترجمته.
[2] (?) ستأتي ترجمته.
[3] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج 3 / ص647).

بعده ، وما ذكره القاضي ابنُ الطيِّب [1] في كتابه المسمى بـ"الهداية" من تجويز الاحتمال في ألفاظ هذه الآية، ضعيفٌ.وما ذكره الغزالي في هذه الآية [2]،وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بـ"الاقتصاد" إلحادٌ عندي، وتطرُّقٌ خبيثٌ إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد النبوة، فالحذَرَ الحذَرَ منه! والله الهادي ..» [3].

ولفظة ﭽ ﭼ فيها قراءتان سبعيَّتان، وعلى كلٍّ فلم يرَ المفسِّرون تأثيرًا سلبيًّا على معنى انقطاع النبوَّة بنبيِّنا محمدٍ ، قال القرطبيُّ -رحمه الله-: « ﭽ ﭼ قرأ عاصمٌ وحده بفتح التاء؛ بمعنى أنَّهم به خُتموا؛ فهو كالخاتِم والطابِع لهم. وقرأ الجمهور بكسر التاء؛ بمعنى أنَّه ختمهم، أي: جاء آخرهم. وقيل: الخاتَم والخاتِم لغتان مثل طابَع وطابِع، ودانَق ودانِق، وطابَق من اللحم، وطابِق »[4].

الدليل الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا؛ فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟!** قَالَ: **فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّين** "، متفق عليه [5].

وفي حديث جابر ، حديث اللبنة بلفظ مسلم: " **فأنا موضع اللبنة، جِئتُ فختمت الأنبياء** "[6].

«وَفِي الْحَدِيث ضَرْب الأَمْثَال لِلتَّقْرِيبِ لِلأَفْهَامِ، وَفَضْل النَّبِيّ عَلَى سَائِر النَّبِيِّينَ، وَأَنَّ اللَّه خَتَمَ بِهِ

---

1 (?) هو أبو بكر الباقلاني.

2 (?) سيأتي كلام الغزالي في فصل الصوفية إن شاء الله .

3 (?) المحرر الوجيز، ص1515، وقد نقله عنه القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن، (ج17 / ص166).

4 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج17 / ص165-166).

5 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين رقم: 3535، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين، رقم: 2286 .

6 (?) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين، رقم: 2287 .

الْمُرْسَلِينَ، وَأَكْمَلَ بِهِ شَرَائِع الدِّين »، قاله الحافظ ابن حجر[1].

الدليل الثالث: وفي حديث الشفاعة الطويل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قال: " .. فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ .. اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا؛ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ..الحديث"[2].

الدليل الرابع: سبق حديث الخصائص، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " **فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، ...** -وفيه: **وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ** "، وهذا لفظ مسلم[3].

الدليل الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي** .."الحديث[4].

الدليل السادس: عَن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، قال، قال رسول الله : " **لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ؛ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي؛ الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ؛ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ** " متفق عليه. وقد جاءت اللفظة الأخيرة عند

---

1 (?) فتح الباري، (ج2/ 2590)، وبمثله قال النووي قبله، (شرح النووي على صحيح مسلم، ص1419).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب، رقم: 4712، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أدني أهل الجنة منزلة فيها، رقم: 194 .

3 (?) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: 523.

4 (?) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 3455. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم: 1842 .

مسلمٍ وغيره مفسَّرة؛ بقوله ﷺ: " **والْعَاقِبُ؛ الَّذِي لَيْسَ بَعْده نَبِيٌّ** "[1].

الدليل السابع: عَنْ سَعْد بن أبِي وقاص ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ، قَالَ: " **أَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي** "، متفقٌ عليه[2].

الدليل الثامن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: « صلاة فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَسَاجِدِ، إِلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ آخِرُ الأَنْبِيَاءِ، وَمَسْجِدُهُ آخِرُ الْمَسَاجِدِ »، وفي آخره: قَالَ عَبْد اللَّهِ بْن إِبْرَاهِيمَ بْنِ قَارِظٍ: « أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **فَإِنِّي آخِرُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ مسجدي آخِرُ الْمَسَاجِدِ** " رواه مسلمٌ وغيرُه[3].

الدليل التاسع: جاء في حديث أبِي هريرة عن النبي ﷺ، قال: "..**وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ**

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم: 3532، والتفسير، باب قوله تعالى: ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ [الصف: ٦]. رقم: 4896. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم: 2354 دون قوله (لي خمسة أسماء).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، رقم:4416. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ، رقم: 2404 .

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم: 1394 .

دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلاثِينَ[1]**،كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ**" [2].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرحه: « قَوْله: "**دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ**" الدَّجْل التَّغْطِيَة وَالتَّمْوِيه، وَيُطْلَق عَلَى الْكَذِب أَيْضًا، فَعَلَى هَذَا " كَذَّابُونَ " تَأْكِيد. وَقَوْله " قَرِيبًا مِنْ ثَلاثِينَ " كَذَا وَقَعَ بِالنَّصْبِ، وَهُوَ عَلَى الْحَال مِنْ النَّكِرَة الْمَوْصُوفَة، وَوَقَعَ فِي رِوَايَة أَحْمَد " قَرِيب " بِالرَّفْعِ عَلَى الصِّفَة. وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِم مِنْ حَدِيث جَابِر بْن سَمُرَة الْجَزْم بِالْعَدَدِ الْمَذْكُور بِلَفْظِ " **إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَة ثَلاثِينَ كَذَّابًا رِجَالا، كُلّهمْ يَزْعُم أَنَّهُ نَبِيّ** " وَرَوَى أَبُو يَعْلَى بِإِسْنَادٍ حَسَن عَنْ عَبْد اللَّه بْن الزُّبَيْر تَسْمِيَة بَعْض الْكَذَّابِينَ الْمَذْكُورِينَ بِلَفْظِ " **لا تَقُوم السَّاعَة حَتَّى يَخْرُج ثَلاثُونَ كَذَّابًا، مِنْهُمْ: مُسَيْلِمَة، وَالْعَنْسِيّ، وَالْمُخْتَار**"[3]. قُلْت: وَقَدْ ظَهَرَ مِصْدَاق ذَلِكَ فِي آخِر زَمَن النَّبِيّ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَة بِالْيَمَامَةِ، وَالأَسْوَد

---

1 (?) **يحسن هنا** أنْ أشير إلى إحدى المواضيع التي أرى مناسبة الكتابة فيها لأحد الإخوة في قسم التاريخ، ألا وهو: **المتنبؤون عَبَر القرون أو أدعياء النبو عبر القرون** –دراسة تاريخية تحليلية-، ليُقام ببيان نشأتهم وسِيَرهم، والعوامل التي أثّرت عليهم حتى ادعوا النبُّوة. وكيف أنَّ الله خذلهم، ولم يؤيدهم. بخلاف نبينا محمدٍ الحسَن السيرة، المؤَيَّد مِن ربِّ العالمين. وإنّه لموضوعٌ حسنٌ يستوعب كلَّ مَن ادعى النبوة مِن العصور القديمة إلى اليوم. وإنْ كان هناك فصلٌ حافلٌ في كتاب ختم النبوة بالنبوة المحمدية، ذكَر فيه مؤلِّفه كثيرًا مِن أولئك الدجالين الأفاكين. ثم وقفت على كتاب لشيخنا الدكتور غالب عواجي حفظه الله بعنوان: **المتنبؤون في الإسلام وخطرهم على الفكر والمجتمع.**

2 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوَّة في الإسلام، ورقمه: 3609، والفتن، بابٌ (بدون ترجمة، وقبله: باب خروج النار)، ورقمه: 7121، وصحيح مسلم: كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يَمُرَّ الرجلُ بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ورقمه: 2923 .

3 (?) أخرجه أبو يعلى في مسنده: برقم: 6820، (12/ص197)، والبيهقي في دلائل النبوة: في باب ما جاء في إخباره بمن يكون بعده من الكذابين وإشارته إلى من يكون منهم من ثقيف فكان كما أخبر، برقم: 2866، حسّن إسناده الحافظ ابن حجر (كما في المتن)، وذكر له البيهقي شواهد **صحيحة.**

الْعَنْسِي بِالْيَمَنِ. ثُمَّ خَرَجَ فِي خِلافَة أَبِي بَكْر: **طُلَيْحَة بْن خُوَيْلِد** فِي بَنِي أَسَد بْن خُزَيْمَةَ، **وَسِجَاح التَّمِيمِيَّة** فِي بَنِي تَمِيم، وَفِيهَا يَقُول شَبِيب بْن رِبْعِيّ، وَكَانَ مُؤَذِّنهَا:

أَضْحَتْ نَبِيَّتنَا أُنْثَى نُطِيف بِهَا		وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاء النَّاس ذُكْرَانًا

وَقُتِلَ الأَسْوَد قَبْل أَنْ يَمُوت النَّبِيّ ﷺ . وَقُتِلَ مُسَيْلِمَة فِي خِلافَة أَبِي بَكْر. وَتَابَ طُلَيْحَة وَمَاتَ عَلَى الإِسْلام -عَلَى الصَّحِيح فِي خِلافَة عُمَر. وَنُقِلَ أَنَّ سَجَاح أَيْضًا تَابَتْ. وَأَخْبَار هَؤُلاءِ مَشْهُورَة عِنْد الإِخْبَارِيِّينَ[1]. ثُمَّ كَانَ أَوَّل مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ: **الْمُخْتَار بْن أَبِي عُبَيْد الثَّقَفِيّ**[2]؛ غَلَبَ عَلَى الْكُوفَة فِي أَوَّل خِلافَة اِبْن الزُّبَيْر، فَأَظْهَرَ مَحَبَّة أَهْل الْبَيْت، وَدَعَا النَّاس إِلَى طَلَب قَتَلَة الْحُسَيْن، فَتَبِعَهُمْ، فَقَتَلَ كَثِيرًا مِمَّنْ بَاشَرَ ذَلِكَ، أَوْ أَعَانَ عَلَيْهِ فَأَحَبَّهُ النَّاس، ثُمَّ زَيَّنَ لَهُ الشَّيْطَان أَنْ ادَّعَى النُّبُوَّة، وَزَعَمَ أَنَّ جِبْرِيل يَأْتِيه، فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ بِإِسْنَادٍ صَحِيح عَنْ رِفَاعَة بْن شَدَّاد، قَالَ: (كُنْت أَبْطَنَ شَيْء بِالْمُخْتَارِ فَدَخَلْت عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ: دَخَلْتَ وَقَدْ قَامَ جِبْرِيل قَبْل، مِنْ هَذَا الْكُرْسِيّ)[3]. وَرَوَى يَعْقُوب بْن سُفْيَان، بِإِسْنَادٍ حَسَن عَنْ الشَّعْبِيّ، أَنَّ الأَحْنَف بْن قَيْس أَرَاهُ كِتَاب الْمُخْتَار إِلَيْهِ، يَذْكُر أَنَّهُ نَبِيّ.

---

[1] قف على ترجمة هؤلاء الكذابين الدجالين وشيء من أمرهم/ في كتاب دلائل النبوة للبيهقي، (ج5/ ص253-255): باب رؤيا رسول الله في الأسود العنسي ومسيلمة الكذابين وتصديق الله سبحانه رؤياه وما ظهر في ذلك من آثار النبوة. والباب الآخر بعنوان: (الدلائل ج6/ ص311-312): ما جاء في إخباره بكفاية الله تعالى عباده شر الأسود العنسي ومسيلمة الكذابين فقتلا جميعا. وكتاب المتنبئون في الإسلام وخطرهم على الفكر والمجتمع، (الأسود العنسي –عبهلة بن كعب ذو الخمار-، ص 182-187، ومسيلمة بن ثمامة النفي الوائلي، ص187-192، وطليحة بن خويلد الأسدي وتوبته وعودته إلى الإسلام وأنه حسن إسلامه، ص192-198. وترجمة سجاح بن الحارث، وهل هي تابت وحسن إسلامها؟، ص 206-209).

[2] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: في باب ما جاء في إخباره بمن يكون بعده من الكذابين وإشارته إلى من يكون منهم من ثقيف فكان كما أخبر، برقم: 2874 (ج6/ص426).

[3] أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده: برقم: 1383، (ج2/ص 616، ط1/هجر، بتحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَن مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيِّ، قَالَ: قُلْت لِعُبَيْدَة بْن عَمْرو: أَتَرَى الْمُخْتَار مِنْهُمْ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ مِنْ الرُّءُوس[1]. وَقُتِلَ الْمُخْتَار سَنَة بِضْع وَسِتِّينَ.

وَمِنْهُمْ: الْحَارِث الْكَذَّاب، خَرَجَ فِي خِلافَة عَبْد الْمَلِك بْن مَرْوَان فَقُتِلَ. وَخَرَجَ فِي خِلافَة بَنِي الْعَبَّاس جَمَاعَة. وَلَيْسَ الْمُرَاد بِالْحَدِيثِ: مَنْ اِدَّعَى النُّبُوَّة مُطْلَقًا، فَإِنَّهُمْ لا يُحْصَوْنَ كَثْرَة؛ لِكَوْنِ غَالِبهمْ يَنْشَأ لَهُمْ ذَلِكَ عَنْ جُنُون، أَوْ سَوْدَاء، وَإِنَّمَا الْمُرَاد مَنْ قَامَتْ لَهُ شَوْكَة، وَبَدَتْ لَهُ شُبْهَة؛ كَمَنْ وَصَفْنَا. وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّه تَعَالَى مَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ يُلْحِقهُ بِأَصْحَابِهِ. وَآخِرهمْ: **الدَّجَّال الأَكْبَر** »[2].

وصدق الحافظ حيث جاء القادياني والشيرازي والمازندراني وأتباعهم وغيرهم من أدعياء النبوة بعد أولئك.

الدليل العاشر: عَن أَنَس بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ؛ فَلا رَسُولَ بَعْدِي وَلا نَبِيَّ** "، قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: " **لَكِنْ الْمُبَشِّرَاتُ** "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: " رُؤْيَا الْمُسْلِمِ؛ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ "[3].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَوْله (لَمْ يَبْقَ مِن النُّبُوَّة إلا الْمُبَشِّرَات) كَذَا ذَكَرَهُ بِاللَّفْظِ الدَّالّ عَلَى الْمُضِيّ تَحْقِيقًا لِوُقُوعِهِ، وَالْمُرَاد: الاسْتِقْبَال، أَيْ: لا يَبْقَى. وَقِيلَ: هُوَ عَلَى ظَاهِره؛ لأَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ فِي زَمَانه، وَاللام فِي النُّبُوَّة لِلْعَهْدِ، وَالْمُرَاد نُبُوَّته، وَالْمَعْنَى لَمْ يَبْقَ بَعْد

---

[1] (?) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: في باب ما جاء في إخباره بمن يكون بعده من الكذابين وإشارته إلى من يكون منهم من ثقيف فكان كما أخبر، برقم: 2874 (ج6/ص426).

[2] (?) فتح الباري، (ج2 /ص 2628).

[3] (?) جامع الترمذي: كتاب الرؤيا، بَاب ذَهَبَتْ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتْ الْمُبَشِّرَاتُ، ورقمه: 2272، وأحمد: مسند أنس، ورقمه: 13851، ومستدرك الحاكم، كتاب تعبير الرؤيا، ورقمه: 8178، وقال الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث المختار بن فلفل ». وقال الحاكم: « على شرط مسلم » وهو حديث صحيحٌ، له شواهد في ذهاب الوحي وبقاء المبشرات في الصحيحين.

النُّبُوَّة الْمُخْتَصَّة بِي إِلا الْمُبَشِّرَات، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِالرُّؤْيَا، وَصَرَّحَ بِهِ فِي حَدِيث عَائِشَة عِنْد أَحْمَدَ بِلَفْظِ: " **لَمْ يَبْقَ بَعْدِي** "، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيث ابْن عَبَّاس أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ فِي مَرَض مَوْته، أَخْرَجَهُ مُسْلِم، .. وَيُؤَيِّدهُ حَدِيث أُمّ كُرْز، -بِضَمِّ الْكَاف، وَسُكُون الرَّاء، بَعْدهَا زَاي- الْكَعْبِيَّة، قَالَتْ: سَمِعْت النَّبِيّ يَقُول: " **ذَهَبَتْ النُّبُوَّة، وَبَقِيَتْ الْمُبَشِّرَات** " أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ .. وَلأَبِي يَعْلَى مِنْ حَدِيث أَنَس، رَفَعَهُ " **إِنَّ الرِّسَالَة وَالنُّبُوَّة قَدْ انْقَطَعَتْ وَلا نَبِيّ وَلا رَسُول بَعْدِي، وَلَكِنْ بَقِيَتْ الْمُبَشِّرَات** "، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَات؟ قَالَ: " **رُؤْيَا الْمُسْلِمِينَ؛ جُزْء مِنْ أَجْزَاء النُّبُوَّة** " .. قَالَ ابْن التِّين: مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّ الْوَحْي يَنْقَطِع بِمَوْتِي، وَلا يَبْقَى مَا يُعْلَم مِنْهُ مَا سَيَكُونُ إِلا الرُّؤْيَا، وَيَرِد عَلَيْهِ الإِلْهَام فَإِنَّ فِيهِ إِخْبَارًا بِمَا سَيَكُونُ، وَهُوَ لِلأَنْبِيَاءِ بِالنِّسْبَةِ لِلْوَحْيِ كَالرُّؤْيَا، وَيَقَع لِغَيْرِ الأَنْبِيَاء كَمَا فِي الْحَدِيث الْمَاضِي فِي مَنَاقِب عُمَر: " **قَدْ كَانَ فِيمَنْ مَضَى مِنْ الأُمَم مُحَدَّثُونَ** " وَفُسِّرَ الْمُحَدَّث -بِفَتْحِ الدَّال- بِالْمُلْهَمِ، -بِالْفَتْحِ أَيْضًا-، وَقَدْ أَخْبَرَ كَثِير مِنْ الأَوْلِيَاء عَنْ أُمُور مُغَيَّبَة، فَكَانَتْ كَمَا أَخْبَرُوا، وَالْجَوَاب: أَنَّ الْحَصْر فِي الْمَنَام؛ لِكَوْنِهِ يَشْمَل آحَاد الْمُؤْمِنِينَ، بِخِلافِ الإِلْهَام؛ فَإِنَّهُ مُخْتَصّ بِالْبَعْضِ، وَمَعَ كَوْنه مُخْتَصًّا فَإِنَّهُ نَادِر، فَإِنَّمَا ذُكِرَ الْمَنَام لِشُمُولِهِ وَكَثْرَة وُقُوعه[1]، وَيُشِير إِلَى ذَلِكَ قَوْله : " **فَإِنْ يَكُنْ** " ...»[2].

وقال الشيخ الألباني –رحمه الله-: « والحديث نص في أنه لا نبوة ولا وحي بعد النبي إلا المبشرات: ... و لقد ضَلتّ طائفة زعمت بقاء النبوة واستمرارها بعده ، وتأولوا بل عطلوا معنى هذا الحديث، و نحوه مما في الباب، وكذلك حرفوا قول الله تعالى: ﭽ   ﭼ بِمثل قولهم: أي زينة النبيين! وتارة يقولون: هو آخر الأنبياء الْمُشرّعين، ويقولون ببقاء النبوة غير التشريعية،

---

1 (?) وقد نقل الشيخ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري في تحفة الأحوذي في شرحه الحديث من بداية قول ابن التين إلى هذه الإحالة، (انظر: 2 / ص 1828، ط / بيت الأفكار).

2 (?) فتح الباري، (4/ 5042).

ومن المؤسف أن بعضهم كان استخرج كلمات الشيخ محي الدين ابن عربي (النكرة) الدالة على بقاء هذه النبوة المزعومة من كتابه الفتوحات المكية في كراس نشَرَه على الناس، ثم لم يستطع أحد من المشايخ أن يرد عليهم. وكانوا من قبل قد ألّفوا بعض الرسائل في الرد عليهم، وإنما أمسكوا عن الرد على هذا الكراس، لأنّ مِن مكر جامعه أنّه لم يضع فيه مِن عند نفسه شيئًا سوى أنه ذكر فيه كلمات الشيخ المؤيدة لضلالهم في زعمهم المذكور، فلو ردّوا عليه لكان الرد متوجها إلى الشيخ الأكبر، وذلك مما لا يجرؤ أحدٌ منهم عليه، هذا إن لم يروه زندقة! فكأنهم يعتقدون أنّ الباطل إنما هو باعتبار المحل، فإذا قام فيمن يعتقدونه كافرا، فهو باطل، وأما إذا قام فيمن يعتقدونه مسلمًا بل وليًّا، فهو حق !! و الله المستعان »[1].

الدليل الحادي عشر: قد سبق عَنِ الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:" **أَنَا عَبْدُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّنَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ،** ..الحديث[2].

الدليل الثاني عشر: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ: " **إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ؛ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لا مَحَالَةَ** .. "[3]. نعوذ بالله مِن فتنة المسيح الدجال!

---

1 (?) السلسلة الصحيحة، (ج2/ ص845-846، في ذكره لفوائد حديث رقم: 473).

2 (?) تقدم الحديث عند الكلام عن الإرهاصات (رؤية أمه نورًا خرج منها أضاء منه قصور الشام)، وهو صحيح.

3 (?) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، بَاب فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَخُرُوجِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، رقم: 4077، وهو حديث طويل ضعيف ضعفه أئمة الشأن، إلا أنّ الشاهد منه صحيح بأحاديث الباب.

وبعد: فهذه أهم نصوص الباب وهي تدخل كلُّها تحت نوع النصوص:
التي صرَّحَتْ بالختم، والمصرِّحة بانقطاع النبوَّة، وأنَّه لا نَبِيَّ بعده ، والتي ضُرِب فيها الأمثال لختم النبَّوة، والمُحذِّرة من المتنبئين بعده عليه الصلاة والسلام، والمصرِّحة بأنَّه آخر الأنبياء، وأنَّ مسجده آخر المساجد، كما أنّ أمته آخر الأمم. والمصرِّحة بعموم رسالته .
ومرَّت كذلك في الأحاديث بعض أسمائه الدالة على خاتميَّته للنبوة، وأنَّه لا نَبِيَّ بعده.

هذا، وهناك جملة من أنواع الدلالات والإشارات والاستلزامات التي جاءت في النصوص تؤكِّد أمر خاتمية النبيِّ للرسالة، وأنَّه لا نَبِيَّ بعده مما لم أذكر لها فيما سبق دليلاً، ألا وهي:
العموم الزماني والمكاني لرسالته وعالميتها.
ويدل على هذا عدة نصوص سبَقت.
الإخبار بكمال هذا الدين وتمامه، مما جعل هذه الأمة بعده لا تحتاج إلى مكمِّلٍ.
كون القرآن حجة على منْ بلغَه.
تعهُّد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن.
أمر الله بالإيمان به والكتب المنـزلة قبله.
تأكيدُه بأنَّه حظٌّ أمته من النبيين.
إخبارُه بعدم وجود فاصلٍ بينه وبين قيام الساعة.
تبشيره ببقاء طائفة من هذه الأمة على الحق.
وكلُّ هذه وغيرها من الأساليب التي سلكها النبيُّ لتعميق عقيدة ختم النبوَّة في نفوس المسلمين. **هذا،** وكلُّ ما سبق وأضعافه قد ذكره الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان –حفظه الله- في كتابه القيِّم عقيدة ختم النبوَّة بالنبوة المحمدية في فصلٍ خصَّه بالأدلة النقلية على عقيدة ختم النبوة، وقد قال بعدما أورد أدلة ذلك من السنة: « فهذه خمسة وستون حديثًا كلُّها صحيحة أو

مقارِبةٌ لذلك ما عدا حديث سمرة رقم (41) الذي ذكره الهَيْثَميُّ -رحمه الله- أنَّ فيه مَن لم يعرفهم، وإنْ كان إنَّما جيء به معتمدًا على ما ثبت من الصحيح. وأما ما عدا هذا فهي أحاديث كلها صالحة للاحتجاج، ولأكثرها طرُقٌ عدَّة لو تتبعناها لبلَغَتْ عشرات الطرق ... أقول: هذهِ الأحاديث التي رُويتْ عن سبعةٍ وثلاثين صحابيًّا كلُّها تؤكِّد عقيدة ختم النبوَّة بالنبوة المحمدية، وأنَّه لا نَبِيَّ بعد محمدٍ ولا رسول.. مع ما تقدَّم من الآيات القرآنية المثبتة لذلك. فهذه هي الأدلة النقلية أو بعض الأدلة النقلية التي وردت من الكتاب والسنة تثبت تلك العقيدة وتقرِّرها بشتى الأساليب، ومختلف العبارات بحيث لا نجد مناسبة من المناسبات إلا ورسول الله يعلن تلك القضية ويُشْهِرها حتى ترك أمرها واضحًا جليًّا لا يَزِيغُ عنها إلا هالك »[1].

وقد سبق من كلام الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- أنَّ الأحاديث في ذلك متواترة.

ثم إنه قد أجمعت الصحابة بل والأمة الإسلامية كلُّها[2] على الإيمان بمقتضى هذه النصوص، بل وقاموا بقتال وقتل مدَّعي النبوة من زمن الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وممن نقل هذا الإجماعَ **ابنُ عطية** –رحمه الله- في تفسيره، وقد سبق كلامه. ومنهم **القاضي عياض** -رحمه الله- حيث قال: « وكذلك نُكفِّر من اعترف من الأصول الصحيحة: بِما تقدَّم، وبنبوة نبينا ، ولكن قال: كان أسودَ، أو مات قبل أن يلتحِيَ، وليس الذي كان بمكة والحجاز، أو ليس بقُرَشيٍّ؛ لأنَّ وصفه بغير صفاته المعلومة نفيٌ له، وتكذيب به. وكذلك من ادَّعى نبوةَ أحدٍ مع نبينا أو بعده؛ كالعيسوية [3] من اليهود

---

[1] (?) عقيدة ختم النبوَّة بالنبوة المحمدية، ط /دار طيبة، ص 54 .

[2] (?) انظر عن إجماع الأمة على ذلك: عقيدة ختم النبوَّة بالنبوة المحمدية، ص 54، وحقوق النبي على أمته، د. التميمي، (ج1/ص 117- 118)، والمتنبئون في الإسلام وخطرهم على الفكر والمجتمع، د. غالب، (إجماع الصحابة، ص170، إجماع عامة المسلمين وعلمائهم على ختم النبوة بنبينا محمد ، ص172-174).

القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخُرَّميَّة[1] القائلين بتواتر الرسل، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي وبعده، فكذلك كلُّ إمامٍ عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة، وكالبَزيغيَّة والبَيانيَّة[2] منهم القائلين بنبوة بَزيغ وبَيان، وأشباه هؤلاء، أو من ادَّعى النبوة لنفسه، أو جوَّز اكتسابَها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة [3]، وغلاة المتصوفة[4]. وكذلك من ادَّعى منهم أنَّه يوحى إليه وإن لم يدَّع النبوة. أو أنَّه يصعَد إلى السماء؛ ويدخل إلى الجنة، ويأكل من ثمارها، ويعانق الحور العين. فهؤلاء كلهم كفَّارٌ مُكذِّبون للنبي ؛ لأنَّه أخبَر النبي أنه خاتم النبيين؛ لا نبي بعده، وأخبَر عنه الله تعالى أنَّه خاتم النبيين، وأنه أرسل كافة للناس. **وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأنَّ مفهومه المراد منه دون تأويل، ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعًا؛ إجماعًا وسَمعًا**»[5].

وبعد ذكر أدلة الكتاب والسنة والإجماع على أنَّ النبيَّ محمدًا هو خاتم النبِيّين، ولا نبِيَّ بعده، فإنه تقرر أنه بِموته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى انقطع خبَرُ السماء (الوحي)، كما قال عُمَر بْن الْخَطَّابِ : « إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ

---

3 (?) هم فرقة من اليهود صدّقت الرسول محمدًا في دعواه الرسالة، إلا أنّهم كذّبوه في دعوى أنّه مبعوثٌ إلى كُلّ العالَمين؛ حيث زعموا أنّه مبعوث إلى العرب دونهم.

[1] (?) سيأتي التعريف بهذه الفرقة.

[2] (?) سيأتي التعريف بالفرقين عند ذكر فرق الرافضة .

[3] (?) سيأتي التعريف بهذه الفرقة .

[4] (?) سيأتي التعريف بهذه الفرقة .

[5] (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص672- 673 .

شَيْءٌ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ. وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ؛ وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ »[1].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ لِعُمَرَ: « انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَزُورُهَا، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ! قَالَتْ: إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنْ السَّمَاءِ.قَالَ:فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ؛فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا»[2].

فهذا الذي جاء في هذين الأثرين لم يُؤمن به على حقيقته إلا أهلُ السنة والجماعة من الصحابة ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين؛ وذلك لأنَّهم هم الذين يؤمنون بجميع ما ثبت عن الله وعن رسوله . أما غيرهم من الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام (أهل الأهواء) فسيأتي في الباب القادم فصل خاص بكلّ طائفة منهم، حيث تعتقد كثير من الفرق المنتسبة إلى الإسلام أنَّ الوحي ينزل على أئمتهم، ولم ينقطع بِموت الرسول ، بل ولا ينقطع، كما تزعم الرافضة ذلك. وقد تأثَّرت بهم الصوفية؛ فزعموا نفس المزاعم لأوليائهم وشيوخهم وأقطابهم، مما كان له أثرُه الواضح في خروج القادياني المجنون العميل، والباب الشيرازي والبهاء النوري المازندراني[3] الكذابين، في بلاد الهند وفارس، في العصور المتأخِّرة وادعاؤهم لأنفسهم: النبوة، بل وتفضيل الأخيرين نفسَيهما على شخص رسول الله ، وكتابَيهما: البيان والأقدس، على قرآنه العظيم، وشريعتيهما على شريعته ، بل وصل الأمر بهما إلى أن ادَّعيا الربوبية. مما ألزَم المسلمين وخصوصًا العلماء جهادهم باللسان والسنان، إبقاءً لعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية في نفوس المسلمين، كما سيأتِي ذلك كلُّه مفصَّلا، إنْ شاء لله!

---

1 (?) البخاري: الشهادات، باب الشهداء العدول، رقم: 2641 .

2 (?) مسلم: فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها، رقم: 2454.

3 (?) ستأتي تراجمهم والتعريف بدينهم الجديد، وبيان بطلانه.

وهذا الوجه كذلك من الأوجه التي تُبيِّن وسطية أهل السنة في هذا الباب، وأنَّهم يؤمنون بكلِّ ما ثبت عن الله وعن رسوله ، كما سيأتِي!

وبِهذا انتهى هذا الفصل، والذي عُقد لبيان عموم رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام، وكمالها، وأنَّه خاتم الأنبياء. فالحمد لله على ما أعان!

** * **

الفصل الثالث: لوازم رسالته عليه الصلاة والسلام، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: لوازم تتعلق به عليه الصلاة والسلام، وفيه مطلبان.

المبحث الثانِي: لوازم تتعلَّق بالإيْمان برسالته، وفيه سبعة مطالب.

المبحث الأول: لوازم تتعلق به عليه الصلاة والسلام:

لَم تكُن رسالة رسولٍ يومًا تشريفًا فحسب، بقدر ما هِي تكليفٌ يترتّب عليه تشريفٌ، فالرّسول نفسُه طُلِب منه: الإيمان بِما نزَل عليه، واتباعُه للوحي، ثم تبليغُه للآخرين، وفِعلا قد آمن النبيُّ بجميع ما أُنْزل إليه مِن ربّه، واتبع هدى الله، كما قام بالبلاغ المبين. ويُقرِّر العلامة ابن القيم –رحمه الله- مسألة أنّ الرّسُول مُرْسَلٌ إلَى نَفْسِهِ وَأُمّتِهِ، في تعليقه على حديث الذكر المحمدي في صباحه ومسائه الآتِي، وهو هديُه أنّه: " كَانَ إذَا أَصْبَحَ قَالَ: " **أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلامِ، وَكَلِمَةِ الإِخْلاصِ، وَدِينِ نَبِيّنَا مُحَمّدٍ ، وَمِلّةِ أَبِينَا إبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ** "[1]، مشيرًا إلى أنّ بعض الشُّرَّاح استشكل هذا الحديث، ووجه

---

[1] (?) مسند الإمام أحمد: قال الشيخ شعيب وعبد القادر الأرناؤوطان في تخريج أحاديث زاد المعاد، « إسنادُه صحيح »، الإحالة اللاحقة! والشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة، (ج6/ 1230-1238، ورقمه: 2989)، لكنّه عند الشيخ الألباني هنا بزيادات قد توهن توجيه العلامة ابن القيم الذي في المتن، ولفظه هنا: « كان يُعلِّمنا إذا أصبح أحدنا أنْ يقول .. ودين نبينا محمد ..الحديث. واقرأ التنبيه الثالث عند الشيخ الألباني (ص1234-1235) مع ما في المتن هنا من كلام العلامة للجمع إنْ أمكن!

الاستشكال هو أنّه كيف يَشْهَد بأنّه أصبح على دين نبيِّه محمدٍ ، وهل هو مأمور ومُرسَلٌ إلى نفسه، كما أنّه مرسَل إلى غيره، فيقول: « هَكَذَا فِي الْحَدِيثِ: " **وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ** "، وَقَدْ اسْتَشْكَلَهُ بَعْضُهُمْ، وَلَهُ حُكْمُ نَظَائِرِهِ؛ كَقَوْلِهِ فِي الْخُطَبِ وَالتَّشَهّدِ فِي الصّلاةِ: " **أَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ** " فَإِنّهُ مُكَلّفٌ بِالإِيمَانِ بِأَنّهُ رَسُولُ اللّهِ إلَى خَلْقِهِ، وَوُجُوبُ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ وُجُوبِهِ عَلَى الْمُرْسَلِ إلَيْهِمْ، فَهُوَ نَبِيّ إلَى نَفْسِهِ، وَإِلَى الأُمّةِ الّتِي هُوَ مِنْهُمْ، وَهُوَ رَسُولُ اللّهِ إلَى نَفْسِهِ وَإِلَى أُمّتِهِ »[1].

ويقول الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله-: « وإقرار الأصحاب والأتباع أنهم على دين نبيهم محمد ظاهر، فما معنى أن يقول ذلك النبي نفسُه؟ لقد تكرر في أدعية كثيرة أنْ يَشهَد الرسول لنفسه بالنبوة، أو بـ(أنّ محمدًا حق). وأرى أن ذلك لمقاصد حسنة، **منها:** أنه أول ملتزم بتنفيذ ما جاء به، فكثير من أهل الدين ورؤسائه يَحْسَبُون الدين بَلاغًا للآخرين، وتكْليفًا، أما هم ففوق المساءلة به. **ومنها:** مراغمة الكفار والمنكرين الشانئين، وجعل ذلك حقيقة لا تنال منها الشبهات والأوهام. **ومنها:** استشعار نعمة الله على صاحب الرسالة، وإبراز الرضا والسعادة بها شكرًا لله الذي اصطفى. وقد كان القلب الشريف يجيش بمشاعر التقدير والإعظام لفضل الله منذ يُصبح، ويُتَرْجِم عن ذلك بكلمات رائقة [2] ..»[3]، ثم ذكر طائفة من أذكار الصباح.

وبعد النقلين، أقول: يندرج تحت هذا المبحث مطلبان:

---

1 (?) زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج2/ ص374-375).

2 (?) قال ذلك بعد ذكره لحديث الترمذي الذي أورده في جامعه وهو: " **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ** " (كتاب الدعوات، باب -بدون ترجمة، وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ-، رقم: 3401)، والحديث حَسّنه الترمذي.

3 (?) فن الذكر والدعاء عند خاتم الأولياء، ص21-22.

المطلب الأول: إيْمانُه برسالته، واتباعُه لِما أُوحي إليه من ربِّه .

المطلب الثاني: تبليغه كلَّ ما أوحي إليه مِن ربه .

المطلب الأول: إيْمانه برسالته، واتباعُه لِما أُوحي إليه من ربِّه :

قال الله تعالى: ﭽﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭼ [الزمر: ٣٣].

هذه الآية عامةٌ: أولُ مَن يدخُل تحتها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[1]، الذين جاؤوا بالصدق وقاموا بالإيمان به، والتصديق اعتقادًا وقولا وفعلا، فصار الأنبياء بِهذا أئمة المتقين!

من المعلوم عقلا أنّه ليس لازمًا أنْ يُصدّق بالصدق الذي جاء به، فالناس في هذا رجلان. أما الأنبياء عمومًا ونبيُّنا خصوصًا، وكذلك أتباعُهم فقد لزِمهم المجيء بالصدق وتصديقُه.

فاعلم أنَّ مِن لوازم الإيمان برسالته المتعلِّقة به :

إيْمانَـه بالرسالة، واتِّباعَه لِما أوحي إليه مِن ربِّه :

ذلك أنه قد أمرَ الله تعالى نبيَّه باتباع ما جاءه مِن الحق كتابًا وسنة، جملة وتفصيلاً؛ فأمَره بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، مخاطبًا إيّاه حينًا، وموجِّهًا الخطاب إلى المؤمنين والمسلمين الذي هو أولُّهم = حينًا آخر.

ومِن الآيات التي تأمره باتباع شريعته التِي في الكتاب والسنة، وامثال أوامرهما، والانتهاء عن نواهيهما جملة، قول الله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [يونس: ١٠٩]، وقوله: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [النحل: ١٢٣]، وقوله: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ [الأحزاب: ٢]، ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [الجاثية: ١٩]. وقوله: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الزخرف: ٤٣].

وأمَرَه الله تعالى بأنْ يُشهِد الخلق بأنّه متبِعٌ للوحي، وذلك لَمَّا طلَب منه المشركون أمورًا تفوق قُدرة البشر: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ [الأنعام: ٥٠]. ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص724 .

ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ [يونس: ١٥]. ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ [الأحقاف: 9]. كما أمرَه سبحانه بتوجيه وجهه وقصده وبدنه للإسلام والإيمان والإحسان (الدين)، فيقوم بالشرائع الظاهرة والباطنة فقال: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ [الروم: ٣٠]. وقال: ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ [الروم: ٤٣]. **هذا نوعٌ**.

و**أما النوع الثانِي**: من النصوص التي فصّلت في أمره ببعض الخطابات، فكثيرة جدًّا، وصَعْبٌ -والله- حصرُها، لكِنّي سأشير إلى عيونها دليلا على بقيتها، وهذه النصوص وإنْ كانت موجَّهةً إليه ﷺ أساسًا، إلا أنّه هو وغيرُه المراد بِها؛ منها: قوله تعالى آمرًا إيّاه بالتوكل عليه: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ [آل عمران: ١٥٩]. ﭽ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [النمل: ٧٩]. وأمَرَه بِالإخلاص في جميع عباداته، فقال: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ [الأنعام: ١٦٢-163]، وقال: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [الكوثر: ٢].

ولَمّا كفى اللهُ رسولَه المستهزئين المشركين وذكَر له عِلمَه المحيط بكلّ شيءٍ؛ ومِن ذلك ما يحصُلِ له مِن ضيق الصدر لتكذيبهم له، واستهزائهم به، لَمّا ذكَر له ذلك، أمرَه بأربعة أمور فيها انشراح صدره وسَعَتَه، وإعانته على أموره وهي: التسبيح والتحميد، والصلاة، وعبادة الله ﷻ والتقرُّبِ إليه بأنواع العبادات حتى يأتيَه الموت[1]، فقال في ذلك: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [الحجر:97-٩٩].

وأمَره بالدعوة إليه، فقال: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [النحل: ١٢٥]. وأمَرَه بالصبر فقال: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ [النحل: ١٢٧].

وأنْ يَصْبِر نفسَه مع المؤمنين المنيبين وإنْ كانوا فقراء، فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ [الكهف: ٢٨]. وأمَره بالصلاة وبالصبر، فقال: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص435 .

ۇ ۆ ۈ ۉ ۋ ۋ چ [هود: ١١٥]. ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ چ [الإسراء: 78-79].

وأمَرَه الله بتقواه، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع الوحي والتوكل على الله، فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ چ [الأحزاب: ١ - ٣].

قال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسريها: « أي: يا أيها الذي مَنَّ اللّه عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضّله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك، باستعمال تقواه، التي أنت أولَى بِها مِن غيرك، والتي يجب عليك منها أعظم مِن سواك، فامتثلْ أوامرَه ونواهِيَه، وبلِّغْ رسالاتِه، وأدِّ إلى عباده وحيَه، وابذُل النصيحة للخلق. ولا يصدنك عن هذا المقصود صاد، ولا يردُّك عنه رَادٌّ، فلا تُطع كلَّ كافرٍ، قد أظهر العداوة للّه ورسوله، ولا منافق، قد استبطن التكذيب والكفر، وأظهر ضده. فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة، فلا تُطِعْهُم في بعض الأمور، التي تنقض التقوى، وتناقضها، ولا تتبع أهواءهم، فيضلوك عن الصواب. وَلكن اتَّبِعْ ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ چ فإنّه هو الهدى والرحمة، وَارْجُ بذلك ثواب ربك، ... فإنْ وقَع في قلبك، أنك إنْ لم تُطِعْهم في أهوائهم الْمُضِلَّة، حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق، فادفع ذلك عن نفسك، واستعمل ما يقاومه ويقاوم غيره، وهو التوكل على اللّه، بأن تعتمد على ربك اعتماد مَن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، في سلامتك من شرّهم، وفي إقامة الدين، الذي أُمرتَ به، وثِقْ باللّه في حصول ذلك الأمر على أيّ حالٍ كان »[1].

وصدّر الحافظ ابن كثير –رحمه الله- تفسير الآيات السابقة بقوله: « هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمُرُ عَبْدَه ورسولَه بِهذا، فَلأن يأتَمِر مَن دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى. وقد قال طَلْق بن حبيب: التقوى: أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله،

---

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص657 .

ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله »[1].

وأمَرَه بقيام الليل، والانقطاع إليه، وترتيل القرآن، وغير ذلك، فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ إلى قوله: ﭽ ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ إلى قوله: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [المزمل: 1-١٠].

وأمَره بالصدع بإنذار الناس، وبتعظيم الله بالتوحيد، وبتطهير ثيابه، وهجر الأصنام وأعمال الشرك، والصبر لله، ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [المدثر: ٧]، في جملة من الأوامر والنواهي.

تلك مِن أوامر الله لرسوله ﷺ، وأما نواهيه فمنها: قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [الأنعام: ١٤].

ومما يدلّ على أنّ الرسول ﷺ كان مُلزَمًا باتباع هذا الوحي، وأنّه لا يسَعُه إلا التمسك به، ما جاء من النصوص الكثيرة الدالة على أنّه لو –فرْضًا- لم يَتَّبِعْه، وخَالفَ التوحيد فأشرَك، فإنّه –والحالة هذه- يكون مُشرِكًا ظالِمًا؛ مُعْطِيًا غير الله ما هو خاصٌ به سبحانه، فيكون جزاؤه جزاء المشركين، لذا نَهَاه الله تعالى عن الشك في الدين، والتكذيب به، فيكون –لو حصل ذلك- من الخاسرين، فقال: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [يونس: 94-95].

قال السعدي في آخر تفسير الآيتين: « وحاصل هذا أنّ الله نهى عن شيئين: الشك في هذا القرآن والامتراء فيه. وأشدّ من ذلك: التكذيب به، وهو آيات الله البينات التي لا تقبل التكذيب بوجه، ورتّب على هذا الخسار، وهو عدم الربح أصلا؛ وذلك: بفوات الثواب في الدنيا والآخرة، وحصول العقاب في الدنيا والآخرة. والنهي عن الشيء أمرٌ بضده؛ فيكون أمرًا بالتصديق التام بالقرآن، وطمأنينة القلب إليه، والإقبال عليه، علمًا وعملا. فبذلك يكون العبد من الرابحين الذين أدركوا أجلَّ المطالب، وأفضلَ الرغائب، وأتمّ المناقب، وانتفى عنهم الخسار »[2].

---

1 (?) تفسير القرآن العظيم (ج3/ ص609) .

2 (?) تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص374 .

وفي آخر السورة أُمِر الرسول ﷺ وغيره بالتوحيد، ونُهيَ عن الشرك، ونُبِّه إلى عجز معبودات المشركين غير الله، قال تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ [يونس:104-١٠٧].

فالظلم في آخر الآية الثالثة هو الشرك، كما في آية سورة لقمان، قال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسيرها: « ﭽ ﭓ ﭔ ﭼ بأنْ دعوتَ مِن دون الله، ما لا ينفعك، ولا يضرُّك ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ أي: الضارِّين أنفسَهم بإهلاكِها، وهذا الظلم هو الشرك كما قال تعالى: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ[1]، فإذا كان خيرُ الخلق، لو دعا مع الله غيرَه، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره؟!»[2].

ولَمّا ذكر الله ما مَنّ به على عبده ورسوله مِن رحمته له وللعالمين بإرساله، وأنّه ﷺ ما كان يرجو أن يُلقى إليه الكتاب إلا رحمة مِن ربِّه حذّره عن أن يكون عونًا للكافرين ولو على شعبة مِن كفرهم، وأن لا يمنعوه عن العمل وتبليغ آيات الله بعد نزولها إليه، بل عليه إبلاغها، والدعوة إلى الله. كما نهاه عن أنْ يكون مِن المشركين في إشراكهم أو معاصيهم، وخصّ في النهي عنه دعوة غير الله مع الله؛ لأنّ الدعاء هو العبادة، قال تعالى:ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [القصص: ٨٨].

لكنّ محمدًا ﷺ رَسُولُ الله وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ بِما هو دون الشرك، فكيف بالشرك، ففي البخاري من حديث قصة عمر ﭬ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، قال رَسُولُ الله ﷺ: " **إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي** " قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: " **بَلَى! فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ** ". قَالَ: قُلْتُ: لا. قَالَ: " **فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَّوِّفٌ بِهِ** " قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى! قُلْتُ: أَلَسْنَا

---

[1] (?) سورة لقمان: ١٣.

[2] (?) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص375 .

عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى! قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ[1]؛ فَوَ اللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقّ » الحديث[2].

ما سبق مِن الأوامر والنواهي المفصَّلة المُوجّهة إلى خير البرية وأزكى البشرية غيض من فيض، وهي في القرآن كثير، بل يمكن القول بأنّ: كلَّ ما جاء في القرآن بعد (قل) فهو أمرٌ له ، أو نَهي له، ولقومه. فلقد أمرَ الرسولَ ربُّه بكلّ اعتقاد صحيح، والبراءة مِن ضدِّه، وبالكلِم الطيِّب، والعمل الصالح، وكذلك نَهاه عن الكلمات الخبيثات، والأعمال السيئات.

ثم إنه قد امتثل رسول الله أوامر ربه، وقام بها خيرَ القيام، بل لا أحدَ يستحق أن يقال فيه: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، إلا رسول الله ؛ فحياتُه تطبيقٌ للقرآن؛ وذلك لامتثاله أوامره، واجتنابه زواجره، حتى إنّه أُثِر عنه لَمّا انشقت وتفطرت قدماه من كثرة وطول ما يصلي، وقيل له في ذلك، قال: أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، فعن الْمُغِيرَةَ ، قال: « إِنْ كَانَ النَّبِيُّ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ، أَوْ سَاقَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: فَيَقُولُ: " **أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا** "»[3].

وأُثر عنه ، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: « قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ شِبْتَ، قَالَ: " **شَيَّبَتْنِي**

---

[1] قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « وَقَوْل أَبِي بَكْر: " **فَاسْتَمْسَكَ بِغَرْزِه** " هُوَ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَة، وَسُكُون الرَّاء، بَعْدهَا زَاي، وَهُوَ –أَيْ: الْغَرْز- لِلإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ الرَّكْب لِلْفَرَسِ، وَالْمُرَاد بِهِ التَّمَسُّك بِأَمْرِهِ وَتَرْك الْمُخَالَفَة لَهُ، كَالَّذِي يُمْسِك بِرَكْبِ الْفَارِس فَلا يُفَارِقه » (فتح الباري، ج2/ ص2175).

[2] صحيح البخاري: كتاب الشروط، بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ..، رقم: 2731 و2732.

[3] صحيح البخاري: كتاب التهجد، بَاب قِيَامِ النَّبِيِّ اللَّيْلَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، رقم: 1130، وصحيح مسلم: كتاب صفة القيامة، باب إِكْثَارِ الأَعْمَالِ وَالاِجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ، رقم: 2819. وشاهِدُه عن عائشة رضي الله عنها في كتاب التفسير، بَاب ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ [الفتح: ٢]، رقم: 4837. وفي صحيح مسلم، الكتاب والباب، برقم: 2820 .

هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ "[1].

بل كَانَ خُلُقُهُ ﷺ الْقُرْآنَ؛ يمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه، ويتخلق بأخلاقه، ويتأدب بآدابه، فيرضى برضاه، ويسخط بسخطه، ... إلخ هذه الأخلاق والصفات. فعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﭽﮛﮜﮝﮞﭼ [القلم: ٤]. قُلْتُ: فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ؟ قَالَتْ: لا تَفْعَلْ أَمَا تَقْرَأُ: ﭽﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﭼ [الأحزاب: ٢١]. فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ وُلِدَ لَهُ »[2].

يُـبَيِّـنُه ما جاء عن أبي الدرداء ﷺ أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن ذلك، فقالت: « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ؛ يَرضى لرضاه، ويسخط لسخطه »[3].

ويوضِّحه أكثر ما جاء عَنْ قَيْسِ بْنِ وَهْبٍ[4] عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُوءَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: « أَوَ مَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ ﭽﮛﮜﮝﮞﭼ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَصَنَعْتُ لَهُ طَعَامًا، وَصَنَعَتْ لَهُ حَفْصَةُ طَعَامًا، قَالَتْ: فَسَبَقَتْنِي حَفْصَةُ، فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: انْطَلِقِي فَأَكْفِئِي قَصْعَتَهَا فَلَحِقَتْهَا، وَقَدْ هَمَّتْ أَنْ تَضَعَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَكْفَأَتْهَا، فَانْكَسَرَتْ الْقَصْعَةُ، وَانْتَشَرَ الطَّعَامُ، قَالَتْ: فَجَمَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِيهَا مِنْ الطَّعَامِ عَلَى النِّطَعِ، فَأَكَلُوا، ثُمَّ بَعَثَ بِقَصْعَتِي فَدَفَعَهَا إِلَى حَفْصَةَ، فَقَالَ: " **خُذُوا ظَرْفًا مَكَانَ ظَرْفِكُمْ، وَكُلُوا**

---

1 (?) جامع الترمذي: كتاب التفسير، تفسير سورة الواقعة، رقم: 3297، حسنه الترمذي وصححه الشيخ الألباني (السلسلة الصحيحة، ج2/639-642، رقم: 955).

2 (?) مسند الإمام أحمد: رقم: 24601، صححه الشيخ الأرناؤوط ومساعدوه.

3 (?) شعب الإيمان للبيهقي، (ج3/ 22) بتحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط/ الرشد.

4 (?) سنن ابن ماجه: كتاب الأحكام، بَاب الْحُكْمِ فِيمَنْ كَسَرَ شَـيْئًا، رقم: 2333، وضعف إسناد الشيخ الألباني.

مَا فِيهَا "، قَالَتْ: « فَمَا رَأَيْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » [1].

وجاء عن آخر [2]، أنه سأل عائشة رضي الله عنها، عن ذلك ، فقالت: « اقرأ سورة المؤمنين » فقرأ حتى بلغ العشر، فقالت: « هكذا كان خُلُقُه »[3].

وعن سعد بن هشام قال: أتيت على حكيم بن أفلح فانطلقت أنا وهو إلى عائشة رضي الله عنها، فاستأذنا ، فأدخلنا عليها، فقلنا: يا أم المؤمنين نبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ -تعني قوله: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ- قال: بلى! قالت: فإنَّ خُلُقَ رسول الله ﷺ كان القرآن، فقلت: يا أم المؤمنين، نبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: ألستَ تقرأ هذه السورة؟ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ قال: فقلت: بلى! قالت: فإنّ الله فرَض القيام في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابُه حولا، حتى انتفخت أقدامُهم، وأمسك خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة، ثم ذكروا الحديث، وفي آخره قال: فأتيت ابن عباس فأخبرتُه بِحديثها، فقال: صدقت[4].

وقد قال الحافظ ابن كثيرٍ –رحمه الله- في بيان معنى المقسم عليه في آية القلم: « ومعنى هذا أنه، ﷺ، صار امتثالُ القرآن أمْرًا ونَهيًا سجية له، وخُلُقًا تَطَبَّعَه، وترك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فَعَلَه، ومهما نَهاه عنه ترَكه. هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم،

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي/ (ج1/ ص310) بتحقيق الدكتور عبد المعطي القلعجي.

[2] هو يزيد بن بابنوس.

[3] شعب الإيمان للبيهقي، (ج3/ 22) بتحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط/ الرشد.

[4] صحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب ذكر خبر نسخ فرض قيام الليل بعدما كان فرضا واجبا، ورقمه: 1127، (ج2/ـ 171)، بتحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي.

من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل »[1]، واستشهد على ذلك بحديث.

ولما ذكر العلامة ابن القيم الآية علّق عليها بكلامٍ نفيسٍ جدًّا، قال –رحمه الله-: « وهذه من أعظم آياتٍ نبوته ورسالته لِمَن منحه الله فهمًا، ولقد سئلت أمُّ المؤمنين عن خلقه ﷺ فأجابت بما شفى وكفى، فقالت: **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**، فَهَمَّ سائلُها أنْ يقوم ولا يسألها شيئًا بعد ذلك. وقال ابن عباس وغيره: أي: على دين عظيم. وسَمَّى الدين خُلُقًا؛ لأنّ الْخُلُق هيئةٌ مركَّبَةٌ من علومٍ صادقةٍ، وإراداتٍ زاكيةٍ، وأعمالٍ -ظاهرة وباطنة- موافقةٍ للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوالٍ مطابقةٍ للحق، تصدُر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بِها أخلاقًا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها. فهذه كانت أخلاق رسول الله ﷺ المقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامُه مطابقًا للقرآن؛ تفصيلا له وتَـبْيـينًا، وعلومُه علومُ القرآن، وإرادتُه وأعمالُه ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضُه وتركُه لِما منع منه القرآن، ورغبتُه فيما رغَّب فيه، وزهدُه فيما زهَّد فيه، وكراهتُه لِما كرِهَه، ومَحبتُه لِما أحبَّه، وسعيُه في تنفيذ أوامره وتبليغه والجهاد في إقامته. فترجمت أمُّ المؤمنين -لكمال معرفتِها بالقرآن، وبالرسول ﷺ، وحُسنِ تعبيرها- عن هذا كلّه بقولها: **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**، وفَهِم هذا السائل لَها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى »[2].

ثم ذكر وجه كون هذه الآية أعظم آيات نبوته، وشواهد صدق رسالاته[3].

والخُلُق كما يفسر بالشيم والطبائع المحمود صاحبها، فقد يفسر بأعم منه، وهو الدين كله، وكان قول عائشة السابق: « **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ** »، أي: اتباع ما يأمره به القرآن ، وترك ما ينهاه عنه.

---

[1] تفسير القرآن العظيم (ج4/ 516).

[2] التبيان في أيمان القرآن، لابن قيم الجوزية، ص317-318.

[3] انظر: المصدر نفسُه (ص318).

ولِما تقدم كان لا بد أن يكون الرسول أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، كما قال أنس بن مالك ففي الصحيحين عَنْهِ كَانَ النَّبِيُّ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ: -أَحْسِبُهُ فَطِيمًا- وَكَانَ إِذَا جَاءَ، قَالَ: " **يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ "،** نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلاةَ -وَهُوَ فِي بَيْتِنَا- فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ، فَيُكْنَسُ، وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ، وَنَقُومُ خَلْفَهُ؛ فَيُصَلِّي بِنَا »[1].

وفي لفظ عند مسلم: عنه : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ –وَاللَّهِ-: لا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: " **يَا أُنَيْسُ! أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ** "، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ! لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ [2].

إذ كان يَمتثل الأوامر؛ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ، ففي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: « مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ مُنْذُ نَزَلَ عَلَيْهِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، يُصَلِّي صَلاةً إِلا دَعَا، أَوْ قَالَ فِيهَا: " **سُبْحَانَكَ رَبِّي، وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي** " [3]، وفي اللفظ المتفق عليه: يتأول القرآن، فـعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: " **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا، وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ**[4].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب الْكُنْيَةِ لِلصَّبِيِّ وَقَبْلَ أَنْ يُولَدَ لِلرَّجُلِ، رقم: 6203، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة...، رقم: 659.

[2] صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَاب كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، رقم: 2309 .

[3] وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، وقد جاء على إثر حديث رقم: 484.

[4] صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب التَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ فِي السُّجُودِ، رقم: 817، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع

فقوله في الحديث: (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا**) تأويل لقوله : ﭽﭻﭼ [النصر: ٣].وقوله: **وَبِحَمْدِكَ**) تأويل لقوله: ﭽﭽﭽ كما أن قوله: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) تأويل لقوله: ﭽﭾﭿﮀ ﮁﮂﭼ.
وهذا نموذجٌ واحدٌ فقط للقول بأنّ خلُقه القرآن.

لكلّ ما سبق فقد شهِد أجَلّ الشاهِدين (الله) بأنّ هذا الرسول الكريم آمَن بجميع ما أَمره الله بالإيمان به، وعمِل بشريعة الله؛ فصار بذلك مُتَّبِعًا للموحى إليه، وامتدحه الله تعالى بالإيمان بما أُنزل عليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبِه وكلماته، وغير ذلك، فقال: ﭽﮔ ﮕﮖﮗﮘﮙ ﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠ ﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﭼ [البقرة: ٢٨٥]. وقال: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞ ﯟﯠﭼ [الأعراف: ١٥٨].
وفي ختام هذا المطلب أعود لأقول كلمةً مُعارَة مَكررة، لأُلَخِّص بِها الكلام المتقدم، وهي قولهم: **الرسالة تكليفٌ وتشريفٌ، فالرسول مطلُوبٌ منه الإيمان برسالته أولا، واتباع الوحي الذي أنْزل معه، ثم تبليغُه؛ وسيأتي في المطلب القادم أنّه قام رسولنا بِواجب التبليغ وغيره على التمام والكمال. والله تعالى أعلم.**

المطلب الثاني: تبليغُه كُلّ ما أوحِي إليه مِن ربّه :
رسالات الله تعالى إلى عباده كان القصد والغاية منها: العمل بِها؛ مِن الرُّسُل الذين جاءوا بِها أنفسهم، ثم مِن أقوامهم، أو مِن كُلّ الإنس والجنّ.
وقد تقدم في المطلب السابق الأدلة الدالة على أنّ نبينا محمدًا آمَن بِما لَزمَه الإيمان به من رسالته، وعَمل مُتّبِعًا كُلّ ما أوحي إليه مِن رَبّه، كما أَمَره.
ومِن ذلك: توصيل الرّسالة وتبليغها إلى الآخرين للإيمان بِها والعمل بِمقتضاها. وهَذا داخلٌ في سابِقه حيث إنّه مما أوحى الله تعالى إليه أنْ يَعمَل به، كما أنّه: ما

والسجود، رقم: 484.

على الرّسول إلا البلاغ؛ فمقتضى ولازم إرسال أيّ رسول أنْ يقوم بأداء الرسالة وتوصيلها، على الوجه الذي أمرَهُ مُرْسِلُه، وهذا ثابتٌ شَرْعًا وعَقلاً، لذا لزِم على رُسل الله عمومًا وعلى رسولنا خصوصًا -صلوات الله وسلامه عليهم-: تبليغ وأداء كلّ الموحى إليهم مِن مُرسلهم سبحانه، وعدم إخفاء وكتمان شيءٍ منه –صغُر أم كبر-؛ إذْ لو فعَلوا ذلك لَمَا بلّغُوا رسالة الله سبحانه وتعالى**.**

وهذا الجانب مما حُمّل الرّسُل عمومًا ولزِمهم، ومن أجله توضيحه، وبخصوص نبيِّنَا محمدٍ عَقَدتُ هذا المطلب.

وهنا مسألتان متلازمتان، **الأولى:** الرسول بلَّغ كلّ ما أوحي إليه مِن الشرع المُطهّر –عقيدةً وغيره- ولم يكتم منه شيئًا (فلَم ينقص آية ولا حُكْمًا).

المسألة الثانية: الرسول ما زاد في هذا الدين الذي جاء مِن ربه حَرفًا.

وفي الباب الرّابع سيأتي مَبحثٌ (كاملٌ) يتحدث عن عقيدة أهل السنة في النبِيِّ في هذا الأمر، وأنّهم يَشهَدون بأنّه بلّغ أمته ما أمَرَه به ربُّه ولم يَكتُم شيئًا؛ (فلَم يزد، ولم يَنْقُص)، وأنّه لم يُحقق الإيمان الكامل بِهذه المسائلَ على حقيقتها إلا أهل السنة. ولله الحمد والمنة.
أما هنا فسأتكلم عن المسألتين مُدْمَجتَين، فأقول:

قَد دلّت نُصوص الكتاب والسّنة على هذا الأمر، وتنَوّعَت دلالاتُها؛ فبيّنَتْه أتَمّ تبيين، ويمكن أن تُصنَّف إلى أحَدَ عَشر صِنفًا، على النحو التالِي:

الصنف الأول: النصوص التي تأْمُرُ رسولَ الله بالتبليغ، وأداء الأمانة التي حمَّله الله تعالى إيّاها، ثم تُبيّن أنّه لو كتَم حُكمًا أو حرْفًا لَمَا بلّغ رسالات الله: قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [المائدة: ٦٧].

قال البخاري رحمه الله:« باب قول الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮒ ﭼ الآية. وقال الزهريُّ من الله الرسالة، وعلى رسول الله البلاغ، وعلينا التسليم»[1].

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، (ج4 /ص 5419).

وقال الحافظ ابن كثيرٍ –رحمه الله- في تفسير آخر الآية: إنْ لَم تُؤدِّ إلى الناسِ ما أرسلتُك به، فما بلَّغتَ رسالتَه، أي: وقد علِم ما يترتب على ذلك لو وقع،.. إلى أنْ قال: عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما-: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﭼ يعني: إن كتَمتَ آيةً مما أُنزِلَ إليك من ربك لم تبلغ رسالته[1].

وفي كلام الحافظ ابن كثيرٍ في تفسير أول الآية ما يطيب ذكرُه في هذا المقام: « يقول تعالى مخاطبًا عبدَه ورسولَه محمدًا ﷺ باسم الرسالة، وآمرًا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتَثَل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك، وقام به أتم القيام »[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ كَمَا أُمِرَ وَلَمْ يَكْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا؛ فَإِنَّ كِتْمَانَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إلَيْهِ يُنَاقِضُ مُوجِبَ الرِّسَالَةِ؛ كَمَا أَنَّ الْكَذِبَ يُنَاقِضُ مُوجِبَ الرِّسَالَةِ. وَمِنْ الْمَعْلُوم مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْ الْكِتْمَانِ لِشَيْءٍ مِنْ الرِّسَالَةِ كَمَا أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْ الْكَذِبِ فِيهَا. وَالْأُمَّةُ تَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَبَيَّنَ مَا أُنْزِلَ إلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَكْمَلَ الدِّينَ؛ وَإِنَّمَا كَمُلَ بِمَا بَلَّغَهُ؛ إذْ الدِّينُ لَمْ يُعْرَفْ إلا بِتَبْلِيغِهِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ بَلَّغَ جَمِيعَ الدِّينِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ »[3].

الصنف الثاني: النصوص التي تذكر أنَّ أهمّ وظائفه ﷺ ومهامّه: **التبليغ:**

قال الله تعالى ذاكِرًا أهمّ وظيفة مِن وظائف هذا النبي الكريم ﷺ، وهي البلاغ، وليس التوفيق: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [المائدة: ٩٩]. وقال:ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ [الرعد: ٤٠]. وقال:ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الشورى: ٤٨].

[1] انظر: تفسير ابن كثير لآية المائدة، ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﭼ [المائدة: ٦٧]، (ج2 / 108).

[2] المصدر نفسه، (ج2 /ص 107).

[3] مجموع الفتاوى، (ج5/ص155-156).

ويلاحظ في هذه الآيات أنَّ الله حصَر مهمة هذا الرسول ووظيفته في البلاغ دون غيره؛ وذلك لأنَّ أداء هذه الأمانة التي تحمَّلها هي مهمته الأولى. ومن وظائفِه ومهامِّه سوَى ما تقدم: البشارة والنذارة، والحثُّ على الخير والحضّ عليه، وإقامة الحجة، وغير ذلك؛ قال تعالى: ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭼ [الأحزاب:45-٤٦]. وقال عنه وعن الأنبياء قبلَه –عليهم الصلاة والسلام-: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [النساء: ١٦٥].

الصنف الثالث: النصوص التي تصِفُه بالأمانة، وعدم الخيانة:

قال تعالى: ﭽﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ [التكوير: ٢٤]، قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: « وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين، أي: بِمُتّهَمٍ. ومنهم مَن قرَأ ذلك بالضّاد، أي: ببخيل، بل يبذله لكل أحد. قال سفيان بن عُيَينة: ظنين وضنين سواء، أي: ما هو بكاذب، وما هو بفاجر. والظنين: المتهم، والضنين: البخيل. وقال قتادة: كان القرآن غَيْبًا، فأنزله الله على محمد، فما ضَنّ به على الناس، بل بَلّغه ونشره وبذله لكل من أراده. ..واختار ابنُ جرير قراءة الضاد. قلت: وكلاهما متواتر،ومعناه صحيح كما تقدم »[1].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسير الآية: « أي: وما هو على ما أوحاه الله إليه بِمُتّهَمٍ يَزيد فيه أو يَنقُص أو يَكْتُمُ بعضَه، بل هو أمينُ أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلَّغ رسالات ربّه البلاغَ المبين، فلم يشح بشيءٍ منه، عن غَنِيٍّ ولا فقيرٍ، ولا رئيسٍ ولا مرءوسٍ، ولا ذكرٍ ولا أنثى، ولا حضَريٍّ ولا بدَوِيٍّ ..»[2] .

وفي حديث صفة الخوارج قال رسول الله : " **أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً** " متفق عليه[3]. وفي رواية عند

---

1. (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ 617).
2. (?) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص 1077 .
3. (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي: بَاب بَعْثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، رقم: 4351، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رقم: 1064.

مسلم: " **فَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِي**".

ورحم الله علماء الإسلام حيث أطبقوا على ذكر صفة التبليغ وعدم الكتمان، وصفة الأمانة وعدم الخيانة، مِن الصفات الواجبة على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- عمومًا، ونبيِّنا محمدٍ خصوصًا[1]. حتى قال قال الإمام أبو عبد الله السفاريني (ت1189هـ):

وإنّ كلّ واحد منهم سَلِمْ مِن كـلّ ما نقْصٍ ومِن كُفـرٍ عُصِم

كذاك مِن إفْكٍ ومِن خيانَة لِوَصفِهم بالصدق والأمانة[2].

لهذا قال أبو محمد ابن حزمٍ –رحمه الله- وهو يتكلم عن الباطنية[3]: « واعلموا أن رسول الله لم يَكْتُم مِن الشريعة كلمةً فما فوقها، ولا أَطْلَعَ أخصَّ الناس به من زوجةٍ أو ابنةٍ، أو عمٍّ أو ابن عمٍّ، أو صاحبٍ على شيءٍ من الشريعة؛ كتَمَه عن الأحمر والأسود ورُعاة الغنم، ولا كان عنده السرُّ، ولا رمزٌ ولا باطنٌ غيرُ ما دُعِي الناسُ كلُّهم إليه، ولو كتَمَهم شيئًا لَمَا بلَّغ كما أُمِر. ومن قال هذا فهو كافرٌ. فإياكم وكلَّ قولٍ لم يُبيَّن سبيلُه »[4].

---

[1] (?) وانظر على سبيل المثال هذه المتون والكتب/ لوامع الأنـوار البهية للسـفاريني، (ج2/ ص321)، والصـفات والخصـائص المشـتركة بين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من خلال الكتاب والسنة، للباحث أمان الله بن محمد إسـماعيل، ص211، وكتـاب وسـطية أهل السـنة بين الفِـرَق للـدكتور محمد بـاكريم، 489-490. والعقائد النسـفية لعمر بن محمد النسفي (461ـ537هـ)، ص21، وأم البراهين في العقائد لمحمد بن يوسف السنوسي (895 هــ)، ص5، والـبيت السـتين من جـوهرة التوحيد لبرهان الدين إبراهيم اللقاني (1041هـ) ص9، والـبيت الواحد والخمســين من الخريـــدة البهية في العقائد التوحيدية لأبي البركـــات أحمد الـدردير (1127ــ1201هــ) ص18، ورسـالة في علم التوحيد لإبراهيم البيجوري (1198ـ1277هـ) ص27ــ28. (كلها ضـمن مجمـوع مهمات المتـون المشـتمل على سـتة وسـتين متنًا في مختلف الفنـون والعلوم. ط/دار الكتب العلمية).

[2] (?) الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية للسفاريني، البيت رقم: 144 و145.

[3] (?) سـيأتي الحـديث عن الباطنية مفصَّـلا عند التعريف بالرافضة في الباب القادم.

[4] (?) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، (ج1 /ص320) .

فـ« التبليغ صفة من صفات الأنبياء والمرسلين، بل من الصفات الواجبة عليهم؛ لأنَّهم لم يُرسلوا إلى الناس ولم يُختاروا لحمل رسالته إلا للتبليغ عنه تعالى إليهم، فهو إذًا من وظائفهم ومهماتِهم الأساسية. **والمراد به: أنْ يبلِّغ الرسول كلَّ ما أُمِر بتبليغه؛ فلا يُخفِي منه شيئًا، ولا يَكتُمه بحالٍ من الأحوال، فلا تحمله رغبَةٌ ولا رهَبَة على أنْ يَكْتُم بَعْضًا مما أوحي إليه وأُمِر بإبلاغه إلى الناس، والكتمان للوحي الإلَهي يتعذَّر على المرسلين، ويستحيل في حقِّهم، ولا يتأتَّى لهم؛ لأنَّ الله تعالى أهَّلهم للبلاغ عنه ما أراده لعباده من الهدى والخير** »[1].

الصنف الرابع: النصوص التي تصف النبِيّ بالبلاغ المبين:

قد وصف الله هذا الرّسول الكريم **بالبلاغ المبين** في آيات عديدة، منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵ ﭴ ﭳ ﭲ ﭱ ﭰ ﭯ ﭮ ﭭ ﭬ ﭫ ﭪ ﭩ ﭨ ﭧ ﭦ ﭥ ﭤ ﭣ ﭢ ﭡ ﭠ ﭟ ﭞ ﭝ ﭜ ﭛ ﭚ ﭙ ﭘ ﭗ ﭖ ﭕ ﭔ ﭓ ﭒ ﭑ ﭐ ﭑ [المائدة: ٩٢]. وقال: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [النحل: ٨٢]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [النور: ٥٤].

وقال: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [العنكبوت: ١٨]. وقال: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ [التغابن: ١٢].

كما وصف إخوته الأنبياء عليهم السلام بذلك، فقال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [النحل: ٣٥]. وقال عن ثلاثة أرسَلَهم مِن سورة يس: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ [يس: 13-17].

ويلاحظ في هذه الآيات أنَّ الله وصَف بلاغ عبده ورسوله محمدٍ للوحي بالظهور والوضوح، والبيان؛ فهو أداءٌ وبلاغ شاملٌ لجميع ما يَجب اعتقادُه من أصول

---

[1] (?) الصفات والخصائص المشتركة بين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من خلال الكتاب والسنة، للباحث أمان الله بن محمد إسماعيل (رسالة الماجستير غير منشورة - فيما أعلم-) ص211 تحت عنوان: تبليغ دين الله تعالى.

الإيمان وغيره، وما يَجب أو يُستحب من الأعمال والأقوال والأخلاق؛ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ: « **لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا** »[1]. كما **علَّم الصحابة كلَّ شيء** –كما قاله وشهد به سلمان الفارسيُّ [2]**.**

كما يلاحظ ثانيًا أنَّه يأتِي في أغْلَبِ الآيات: ذِكرُ طاعة الله وطاعة رسوله ثم يُعقِّب على ذلك بأنَّه عندما يتولّى الناس ويُعرضون عن دعوة الرسل، فإنَّ الرسل عليهم السلام -والحالة هذه- لا يملكون إلا **البلاغ المبين**؛ ذلك أنّ هداية الناس ليس عليهم[3] –وسيأتي هذا في الباب الرابع-.

ثم إنه قد شهد له خير القرون الصحابةُ [4] -رضي الله عنهم- بالإبلاغ، والأداء والنصيحة، حيث شهِدوا له بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع له قبله مثله، وفي اليوم العظيم، في المكان العظيم، حين قال لهم: " **وأنتم تُسألون عنِّي فما أنتم قائلون؟** " قالوا: نشهد أنَّك قد بلَّغتَ وأدَّيتَ، ونصحْتَ؛ فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويُنَكِّتها إلى الناس " **اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات** " [5]**،** فأشْهدَ اللهَ عليهم بهذا في ذاك الموقف العظيم. وكذلك شَهدَت له أمُّ المؤمنين زوجُه عائشةُ -رضي الله عنها- بالبلاغ وعدم الكتمان؛ فعَن مسروق –رحمه الله- عنها رضي الله تعالى عنها، قالت: « مَن حدَّثك أنَّ محمدًا كتَم شَيئًا مما أُنزل عليه فقد كذب، والله يقول: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ الآية [المائدة: ٦٧] وعند مسلم عنها بلفظ: « **ومَن زَعَم أنَّ رسول الله**

---

1. (?) مسند الإمام أحمد: رقم: 21439، قال الشيخ شعيب ومساعدوه: « حديث حسنٌ. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ لجهالة أشياخ مُنذر الثوري ».
2. (?) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الاِسْتِطَابَةِ، رقم: 262 .
3. (?) انظـر: الرسل والرسـالات، أ. د. عمر الأشـقر، (ط14/ لـدار النفائس)، ص 44.
4. (?) انظر/ عن هذا تفسير ابن كثير، (ج2/ ص108)، وشـرح ابن أبي العزِّ للطحاوية، (ج2 /ص440) .
5. (?) مسلم: كتاب الحج، باب حجة النـبي ، الحـديث الطويل في صـفة حجه عليه الصلاة والسلام، رقم: 1218.

** كتَمَ شَيْئًا مِن كتاب الله؛ فقد أعْظَمَ على الله الفرية** » ثم تَلَت الآية[1].

ونحن كذلك « نشهد أنَّه بلَّغ البلاغ المبين، وأدَّى رسالةَ ربِّه كما أمر، ونصح أمَّتَه غاية النصيحة، فلا يُحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذْلَقَة المُتحَذْلِقين! والحمد لله رب العالمين »[2]. بل ويجب علينا الإيمان بأنَّ الرُّسلَ كلَّهم عليهم السلام بلَّغوا جميع ما أرسلوا به، على ما أمرهم الله به، وأنَّهم بينوه بَيَانًا لا يَسَع أحَدًا مِمّن أُرْسِلوا إليه جهلُه، ولا يَحِلّ خلافُه، قال تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ [النحل:٣٥] [3].

الصنف الخامس: النصوص التي تَذكُر وَعِيد الله على كَتْم العلم والوحي:

إنَّ الذي نزَل عليه صنوف وَعيد كاتِمي العلم في قوله : ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ   ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ   ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [البقرة: ١٥٩]. وقوله: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ   ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [البقرة: ١٧٤].

وبلَّغَه للناس مُحذِّرًا لهم مِن كَتْمِ العلم، هو أولى الجميع باستماع القول واتّباع أحسنه. ولو كان رسول الله كاتِمًا لكَتَم ألوان العتاب، الذي عُوتب به في الكتاب [4].

فكما أنَّ الله شهِد لرسوله بالتبليغ، ووصفه بأنَّه: (صاحبُ بلاغ مبين) في مناسبات كثيرة، كذلك ذمَّ أهل الكتاب الذين يَكْتُمون شَيئًا من التوراة والإنجيل في وصف هذا النبيِّ الأميِّ وغيره، ولم يَرضَ الله كتمانَهم، فكيف يَكْتِم هذا الرسول الذي جاء ذمُّ أولئك في كتابه؟ وكيف يَرضى الله كتمان الحق ممن اختاره لحمل

---

1 (?) البخاري: التفسير، باب ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ، رقم: 4612، ومسلم في حديث طويل: الإيمان، باب معنى قول الله : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [النجم: ١٣]، رقم: 177 .

2 (?) شرح العقيدة الطحاوية للقاضي ابن أبي العزِّ الحنفي، ط/الرسالة، بحتقيق التركي وشعيب،(ج2/ 440ـ441).

3 (?) مصدرٌ سابقٌ بتصرف، (ج2 / ص474) .

4 (?) انظر: الصفات والخصائص المشتركة بين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- للباحث أمان الله، ص217 .

رسالته؟؟ وكيف يُغْفل عنه وعن الأنبياء عمومًا -عليهم الصلاة والسلام- لو كتموا حرفًا؟! وكتمان الحق من أكبر المعاصي التي لا يَغفَلُ الله عنه[1].

الصنف السادس: النصوص التي زكَّتْ لسان الرسول ، وذكَرَت أنَّ السنة وحيٌ[2] مِن الله : قال تعالى: ﭽﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭼ [النجم: ٤]

قال الحافظ ابن كثيرٍ في تفسير الآيتين: « ولهذا قال: ﭽ ﭗﭘﭙﭚﭼ أي: ما يقول قولا عن هوى وغرض، ﭽ ﭜﭝ ﭞﭟﭼ أي: إنما يقول ما أمر به، يُبلّغه إلى الناس كاملا موفَّرًا من غير زيادة ولا نقصان »[3]. ثم أورد الآثار التي تدل على أنَّ السنة وحيٌ مِن الله .

وقال الشيخ السعدي: « ودَلّ هذا على أنّ السُّنَة وَحْيٌ مِن الله لرسوله ، كما قال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [النساء: ١١٣]، وأنه معصومٌ فيما يُخبِر به عن الله تعالى وعَن شَرْعِه؛ لأنَّ كلامَه لا يَصْدُر عن هوى، وإنما يصدر عن وحيٍ يوحى »[4].

وعن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانَ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ، وَلا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ، أَلا وَلا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا،** ... " الحديث[5]. فالله أعطى رسولنا هذا الذكر ومنحَه حكمته وبيانه.

---

[1] انظر: المصدر نفسه، ص 216، والعقيدة الإسلامية وأُسُسُها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص343.

[2] وفي: مذكرة مكانة السنة النبوية للدكتور عمر بن مصلح الحسيني، ص217-223 بيان: أنّ القول بأنّ السنة وحيٌ لا يتعارض مع اجتهاده ؛ لأنّه إما أنْ يُقَرَّ فهو وحيٌ مآلاً. وإما أنْ يُصَوَّب فالصواب وحيٌ، وما أخطأ فليس بوحيٍ.

[3] تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج4 / 313) .

[4] تيسير الكريم الرحمن للسعدي، 965 .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ؛ وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ: **" اكْتُبْ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلا حَقٌّ "** وفي المستدرك: " وأشار بيده إلى فيه "[1].

الصنف السابع: النصوص التي تذكُرُ أنَّ الرسول لم يتَقوّل على الله، بل جميع ما بلَّغه تنزيل ربِّ العالمين: قال الله تعالى مبيِّنًا أنّ رسوله لم يزد على الله -- حرفًا بالتقوُّل عليه، بل كلّ ما قاله تنزيلُ ربّ العالمين: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الحاقة: 38ـ٤٧]. وهذا ما يسمى بالدليلُ الافتراضي[2].

وهذا الوعيد الذي في الآية لَمَّا لم يقَعْ دلَّ على أنَّه لم يَحصُل شيءٌ من التقوُّل عليه سبحانه، بزيادة كان أو بنقص. وأنَّه لا يَليق بكمال الله أن يُقِرَّ مَن يَكْذِب عليه أعظم الكذب، ويُخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصرُه على ذلك ويُؤيِّدُه، ويُعلِيَ شأنَه، ويُجيب دعوتَه، ويهلك عَدُوّه، ويُظهر على دينه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قُوَى البشر، وهو مع ذلك كاذب عليه، مُفتَرٍ؟ ومعلومٌ أنّ شهادته سبحانه على كلّ شيءٍ، وقدرته، وحكمته، وعزَّته، وكماله المقدس يأبى ذلك، ومَن جوَّز ذلك فهو من أبعد الناس عن معرفته. والقرآن مَملوءٌ من هذه الطريق؛ وهي طريقُ الْخَواص يستدلون بالله على أفعاله

---

5 (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 17174. قال الشيخ شعيب ومساعدوه: « إسناده صحيحٌ، رجاله ثقاتٌ رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أبي عروف الجُرَشي؛ فمِن رجال أبي داود والنسائي، وهو ثقة ».

[1] (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 6511، ومستدرك الحاكم: كتاب العلم، رقم: 359، وتكلم الحاكم عن أحد رواة الحديث ووافقه الذهبي فقال: إن كان الوليد هو ابن أبي الوليد الشامي فهو على شرط مسلم.

[2] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثيرٍ، (ج4 / ـ 536)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص1044، وأضواء البيان في تفسير آية الأحقاف: 8 ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ ، (ج7 /ـ 400-401) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم (ج8 / 447-448).

وما يليق به أنْ يفعله، وما لا يفعله[1]. فذكر ابن أبي العِزِّ –رحمه الله- ما تقدم مع الآيات السابقة. وأكثرُ مِنه تفصيلاً ما ذكَره –رحمه الله- في المقارنة بين المِلِك الظالم والعدو، وأنّهما قد يُمكَّنان مدةً مِن الزمن؛ لأنَّ ما عندهم من الفساد ليس كالذي عند المتنبئين، بخلاف مدَّعِي النبوة، وأنَّه لو لم يكن النبي محمدٌ صادقًا في دعواه النبوة لأهلكه الله، وقد مكَث قريبًا مِن رُبع قرنٍ يدعو إلى ما يدعو إليه، بل كان يجد التأييدات من الله -كما تقدم-، فقال: « الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرًا أو مصلحةً للعباد كالمطر العام، وكإرسال رسولٍ عامٍ، وهذا مما يقتضي أنَّه لا يجوز أن يُؤيِّد كذَّابًا عليه بالمعجزات التي أيَّد بها الصادقين؛ فإنَّ هذا شرٌّ عامٌّ للناس، يُضلهم؛ فيفسد عليهم دينَهم ودنياهم وأخراهم، وليس هذا كالملك الظالم والعدو ... ولهذا قد يُمكّن الله كثيرًا من الملوك الظالِمين مدةً. وأما المتنبئون الكذابون فلا يُطيل تَمكينهم، بل لا بد أن يُهلكهم؛ لأنَّ فسادهم عامٌّ في الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [الحاقة:44 ـ ٤6] »[2].

وقد ذكر العلامة ابن القيم –رحمه الله- أنّه من التنقص لله، وعدم تقديره حق قدره، وتعظيمه حق عظمته الزعم بتأييده مَن يكذب عليه، وذلك في معرض كلامه عن الرافضة وأنّهم غيرُ معظِّمين لله، قال: « وكذلك لَم يُقَدِّره حَق قدره مَن قال إنه رفَع أعداءَ رسولِ الله وأهلِ بيته، وأعلى ذكرهم، وجعل الله فيهم الملك والخلافة والعزّ، ووضع أولياء رسول الله وأهل بيته، وأهانَهم وأذلّهم وضَرَب عليهم الذّل أينما ثقفوا، وهذا يتضمن غاية القدح في جناب الرّبّ تعالي عن قول الرافضة علوا كبيرا. وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين؛ إنه أرسل ملكا ظالِمًا فادعى النُّبُوّة لنفسه، وكذب على الله، وأخذ زَمانًا طويلا يكذب

---

[1] (?) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للقاضي علي ابن أبي العزِّ الحنفي، بحتقيق التركي وآخر، (ج1 /ص150).

[2] (?) شرح العقيدة الطحاوية، (ج2/ص 556-557) .

على الله كل وقت، ويقول: قال كذا، وأمر بكذا، ونَهى عن كذا، وينسخ شرائع أنبيائه ورسله، ويستبيح دماء أتباعهم وأموالهم وحريْمهم، ويقول: الله أباح لي ذلك، والرب تعالى يُظهره ويؤيده ويعليه ويقرِّبه، ويجيب دعواته، ويمكنه ممن يخالفه، ويقيم الأدلة على صدقه، ولا يعاديه أحد إلا ظفر به، فيصدقه بقوله وفعله وتقريره، وتحدث أدلة تصديقه شيئًا بعد شيءٍ إلى يوم القيامة.

ومعلومٌ أنَّ هذا يتضمن أعظم القدح والطعن في الربِّ سبحانه وتعالى، وعلمِه وحكمتِه ورحمتِه، وربوبيته[1]، تعالى الله عن قول الجاحدين عُلُوًّا كبيرًا، فوازِن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة تجدْ القولين كما قال الشاعر:

رضيعَيْ لِبان ثديَ أمٍ تقاسَما ... بأسحَم داجٍ عوضُ لا نـتفرَّقُ.. »[2].

الصنف الثامن: النصوص التي تذكُرُ أنّ الله حفِظ عبدَه ورسوله وثبَّته عندما أراد المشركون فتنَتَه عن الوحي: قال الله تعالى: ﮋ [الإسراء:73ـ٧٥]. وقال تعالى حكاية عن مراد المشركين:ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [القلم:8- ٩].

الصنف التاسع: النصوص التي فيها أنّ الرسول متَّبعٌ للوحي، وما يكون له أنْ يأتِي بدين غير هذا أو يُبدِّله:

ولمَّا طلَب من النبيِّ المشركون أن يأتي بقرآن غيرِ هذا أو يُبدِّله بنفسه أمَرَه الله أن يقول لهم: (ما كان له ذلك)، قال تعالى: ﮋ ﮊ [يونس: ١٥]. أي: قل لهم يا محمد: ليس أمر ردِّ هذا القرآن والمجيء بغيره مِن نَمَطٍ آخر أو تبديله إليَّ؛ «

---

[1] (?) ومثل هـذا الكلام الجميل قـول العـالم أبي الفـرَج عبد الـرحمن، المعــروف بــابن الجــوزي نقلا عن ابن عقيل الحنبلي –رحمهما الله تعـالى- في كتابه الوفا بـأحوال المصـطفى، (انظـره هنـاك: ص357، والصفحتين قبله).

[2] (?) الداء والدواء للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم، ص324-325.

إنما أنا عبدٌ مأمورٌ ، ورسولٌ مبلِّغٌ عن الله، ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ »[1].

الصنف العاشر: النصوص التي تذكُر أنّه لا أحدَ مِن المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبًا، وأنَّ مفترِي الكذِب عليه كذبَةٌ لا يؤمنون بآياته؛ فكيف يكون رسولُه أحدَهم؟!:

قال الله تعالى: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [الأنعام: ٢١]. قال: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ [الأنعام: ٩٣]، فلا أحَدَ مِن المفترين أظلمُ ممن افترى على الله كذبًا، أو قال أنزل عليه ولم يوحَ إليه شيءٌ. وذكر اللهُ وعيدَهم فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ [هود: ١٨].

وقال في العنكبوت:ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [العنكبوت: ٦٨]. وقال في الصفّ: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [الصف: ٧]. وأكذَبَهم وذكَر أنّهم كذبةٌ لا يؤمنون بآياته سبحانه فقال:ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ [النحل: ١٠٥].

فالرسول لم يفتَرِ على الله الذي أوحى إليه[2] .

الصنف الحادي عشر: النصوص التي تحرِّم القول عليه بغير علمٍ، ورسولُه معصومٌ مِن ذلك: منها: قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [الأعراف: ٣٣].

فَقَدْ كانت له شَهادةٌ مِن قِبَل أعدائه غيرِ المسلمين أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ[3]. وفي حديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ الرسول لما أنذر عشيرته وَقَالَ لهم: " **أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟** " قَالُوا له: « **نَعَمْ؛ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا** »، وفي رواية: « **مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا** »[4]. بل كان كفار مكة يُلقِّبونه (بالأمين)؛ ويشهَدُ لِهذا الكلام ما جاء في قوله

---

1 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج2/ص536)، وانظر تفسير الآية والآيتين بعدها: في تيسير الكريم الرحمن: 413.

2 (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، 539 .

3 (?) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، بابٌ (بدون ترجمة)، رقم: 7 مِن حديث ابن عباسٍ. وصحيح مسلم باختصار: كتاب الجهاد والسِّـير، بـاب كتاب النبي إلى هِرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم: 1773 .

تعالى: ﭽ ﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱ ﭼ [الأنعام: ٣٣]. « أي: لستَ عندهم ممَّن يُكَذَّب؛ لأنّهم يعلمون صدقك وأمانتَك، وإنما جحدُهم بآيات الله حمَلَهم على التكذيب »[1]، فكيف إذًا يدَعُ الرَّسول ﷺ الكذِبَ على الناس، ويكذِبُ على الله؟!

وبعد، فلازم ومقتضى كلِّ ما تقدم من نصوص التبليغ: أنَّ النبِيَّ ﷺ لم يكتم شيئًا، وقد جاء هذا اللازم صريحًا في عدة نصوص؛ مِن أظهرها: أثر عائشة رضي الله عنها المتقدم، الذي خرّجه مسلم في صحيحه[2].

وأنس ﷺ في صحيح البخاري[3]. وهذا لفظها: « لو كان محمدٌ ﷺ كاتِمًا شيئًا مما أنزل عليه، لكتَم هذه الآية: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ [الأحزاب: ٣٧] الآية ». والله تعالى أعلم.

** * **

4(?) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب {وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك}، رقم: 4770، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك}، رقم: 208.

1 (?) السيف المسلول على مَن سبّ الرسول ﷺ، للشيخ تقي الدين السبكِي -عفا الله عنه-، ص357.

2 (?)ومسلم عن عائشة رضي الله عنها:الإيمان،باب معنى قول الله ﷻ:ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [النجم: ١٣]، رقم: 177.

3 (?) صحيح البخاري عن أنس ﷺ، التوحيد، باب ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ [هود: ٧]، رقم: 7420.

المبحث الثانِي: لوازم تتعلَّق بالإيْمان برسالته، وفيه سبعة مطالب:

الإيمان ليس مُرادفًا للتصديق لا لغة ولا شَرعًا، بل هو تصديقٌ بالقول والعمل، وإنْ تُنُزّل مع الخصم فيقال: هو تصديقٌ مخصوصٌّ، كالصلاة فهي دعاءٌ مخصوصٌ[1]، لِهذا فإنّ مطالب هذا المبحث السبعة بعضُها يَرجِع إلى ما يلزَم القلب من الاعتقاد بأنّه رسول الله، وإلى تصديقه في أخباره، .. وبعضُها إلى أعمال القلوب التي تَلزم مَن آمَن برسالته من محبة هذا الرسول وتعظيمه، والتسليم لِحكمه وعدم وجود الحرج عليه، .. كما أنّ بعضَها أعمالٌ للقلوب والجوارح كطاعته ﷺ ومتابعته. .. فـ«الشهادة بأنّ محمدًا رسولُ الله، تتضمن: تصديقه في كلِّ مَا أَخْبَر، وطاعتَه في كل ما أمر؛ فما أَثْبَتَه وجَبَ إثباتُه، وما نفاه وجَبَ نَفْيُه،.. وعليهم أنْ يَفعلوا ما أمَر به، وأنْ يَنْتَهُوا عما نَهى عنه، ويُحلِّلوا ما حلّلَه، ويُحرّموا ما حَرّمَه؛ فلا حرَامَ إلا ما حَرّمه الله ورسولُه، ولا دِينَ إلا ما شَرَعَه الله ورسولُه»[2].

وقد فرّق العلماء بين حقوق نبيِّنا ﷺ التي هي لوازم رسالته، وبين حقوقه الزائدة على لوازم الرسالة، فقال شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يَذْكُر الأدلة لقتل الذمّي الذي سبّ الرسول ﷺ: **الطريقة السادسة عشرة:** أنّ

---

[1] الإيمان قول وعملٌ ونيّةٌ (انظر: كتاب الإيمان ومعالِمه، وسُننه، واستكماله، ودرجاته لأبي عُبيد القاسم بن سلام، ص10 وما بعده، بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني. وقواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ص115-156. ولإبطال قول من قال الإيمان هو التصديق فقط يُنظر إلى طائفة من: تراجم البخاري في كتاب الإيمان، مع الأحاديث التي تحتها، مثل: باب من قال: إن الإيمان هو العمل (ج 1/429)، وباب الصلاة من الإيمان، (ج1/ص441مع الفتح)، وباب صوم رمضان احتسابا من الإيمان، (ج1/ص439)، وباب تطوع قيام رمضان من الإيمان، (المصدر نفسه)، وباب قيام ليلة القدر من الإيمان (المصدر نفسه)، وباب أداء الخمس من الإيمان (ج1/465)، وباب اتباع الجنائز من الإيمان (ج1/ص451)، وباب الجهاد من الإيمان (ج 1/ص439)، وباب الحياء من الإيمان (ج1/ص426)، وباب حب الرسول ﷺ من الإيمان، (ج1/ص415)، وكتاب الإيمان لابن تيمية، ص 247-254.

[2] قاله شيخ الإسلام –رحمه الله- في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم، ص360.

الله سبحانه وتعالى أوْجَبَ لنبيِّنَا على القلب واللسان والجوارح حقوقًا زائدة على مجرد التصديق بنبوته، كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أمورًا زائدة على مجرد التصديق به سبحانه. وحرّم سبحانه لِحُرمة رسوله -مما يُباح أنْ يُفعل مع غيره- أمورًا زائدة على مجرد التكذيب بنبوته. فأخَذَ يُعددها فقال: **فمن ذلك:** أنه أمر بالصلاة عليه والتسليم بعد أنْ أخبَر أنّ الله وملائكته يُصلّون عليه. والصلاة عليه: تتضمن ثناء الله عليه، ودعاء الخير له، وقربته منه، ورحمته له. والسلام عليه: يتضمن سلامته من كل آفة. فقد جَمعت الصلاة عليه والتسليم: جميع الخيرات. ثم إنه يُصلي سبحانه عشرًا على مَن يُصلّي عليه مرة واحدة حَضًّا للناس على الصلاة عليه؛ ليسعدوا بذلك، وليرحَمَهم الله بِها. **ومن ذلك:** أنّه أخبَر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ فمن حقه أنْ يُحَبّ: أنْ يُؤثِره العطشان بالْماء، والجائع بالطعام، وأنّه يَجِب أنْ يُوقّى بالأنفس والأموال، كما قال سبحانه وتعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏ ﭼ [التوبة: ١٢٠]. فعُلم أنّ رغبة الإنسان بنفسه أنْ يُصيبه ما يُصيب رسولَ الله من الْمشقة معه حرام. **ومن حقه:** أنْ يكون أحَبّ إلى الْمؤمن من نفسه، وولده، وجميع الخلق. **ومن ذلك:** أنّ الله أمَر بتعزيره فقال: ﭽﭘﭙﭼ [الفتح: ٩]. والتعزير: اسمٌ جامعٌ لنَصْره وتأييده ومَنْعِه من كُلّ مَا يُؤذيه. والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة؛ من الإجلال والإكرام، وأنْ يُعامل مِن التشريف والتكريم والتعظيم بِما يصونُه عن كُلّ ما يُخْرِجه عن حَدّ الوَقَار. **ومن ذلك:** أنّه خَصّه في الْمخاطبة بِما يَليق به، فقال: ﭽﭾﭿﮀ ﮁﮂ ﮃﮄﮅﮆﭼ [النور: ٦٣]. فنَهَى أنْ يَقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبيّ الله، وكيف لا يُخاطبونه بذلك، والله سبحانه وتعالى أكْرَمَه في مخاطبته إياه بِما لم يُكرم به أحَدًا من الأنبياء، فلم يَدْعُه باسْمه في القرآن قط، بل يقول: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙ ﭼ [الأحزاب: ٥٠]. ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﭼ

[المائدة: ٦٧]. ﭽﭑ ﭒﭓﭼ [المزمل: ١]. ﭽﮬﮭﭼ [المدثر: ١]. مع أنه سبحانه قد قال: ﭽﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﭼ [البقرة: ٣٥]. ... **ومن ذلك:** أنّه حَرّم التّقدّم بين يَدَيه بالكلام حتى يأْذَن، وحَرّم رَفْعَ الصوت فوق صوته، وأنْ يَجْهَر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل. وأخبَر أنّ ذلك سبَبُ حُبُوط العمل. فهذا يَدُل على أنّه يَقتضي الكفر؛ لأنّ العمل لا يحبط إلا به. وأخبَر أنّ الذين يَغُضّون أصواتَهم عنده هم الذين امْتَحَنَت قلوبَهم للتقوى، وأنّ الله يَغفر لَهم ويَرحَمهم. وأخبَر أنّ الذين يُنادونه وهو في منـزله لا يعقلون؛ لكونِهم رفعوا أصواتَهم عليه، ولكونِهم لم يَصبروا حتى يخرج، ولكن أزعجوه إلى الخروج. **ومن ذلك:** أنّه حرّم على الأمة أنْ يُؤْذُوه بِما هو مباحٌ أن يعامل به بعضهم بعضًا تَمييزًا له؛ مثل نكاح أزواجه من بعده. وأوْجَبَ على الأمة لأجله احترام أزواجه، وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام. وأما ما أوجبه من طاعته والانقياد لأمره والتأسي بفعله، فهذا بابٌ واسعٌ، لكن ذاك قد يقال: هو من لوازم الرسالة. وإنما الغرض التنبيه على بعض ما أوجَبَه الله له من الحقوق الواجبة والمحرمة، مِما يَزيد على لوازم الرسالة؛ بِحيث يَجوز أن يَبْعَث الله رسولا، ولا يوجب له هذه الحقوق. ومن كرامته المتعلقة بالقول: أنه فرق بين أذاه وأذى المؤمنين. **ومن ذلك:** أنّ الله رفَع له ذِكرَه؛ فلا يُذكر الله سبحانه إلا ذُكر معه، ولا تَصِحّ للأمة خطبةٌ ولا تَشَهّدٌ حتى يَشهَدوا أنّه عبدُه ورسولُه، وأوجَبَ ذِكْرَه في كُلّ خُطبَةٍ، وفي الشهادتَين اللتين هما أساسُ الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعارُ الإسلام، وفي الصلاة التي هي عمادُ الدين، إلى غير ذلك من المواضع. هذا إلى خصائص له أخر يطول تعدادها [1].

وبعد، فقد قصَدتُ بهذا المبحث (بِمطالبه السّبعة) حقوق رسولِنا ﷺ التي هي لوازمُ رسالته دون ما لم تَصِل إلى تلك الدرجة من بقية حقوقه، فأقول، وبالله تعالى التوفيق:

---

[1] (?) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص364-368 (باختصار).

المطلب الأول: اعتقاد أنه رسول الله (الإيمان برسالته):

تقدم في مدخل هذه الرسالة بيانُ معنى النبوة والرسالة.

الإيمان بالرسول، واعتقاد بعثته: هو الإقرار والتصديق الجازم بأصل رسالته، وما تفَرّع عنها، والعمل بِها ظاهرًا وباطنًا، إذْ « أصل الإيمان: يقين القلب واطمئنانه بصِحة الشيء، ثم التكلم به عن معرفة وإيمانٍ، ثم تطبيق ذلك: بالعمل بِمقتضاه؛ فباجتماع ذلك يتم الإيمان، ويُعتبر وسيلة للنجاة، وبتخلف تصديق القلب يَبطل أثر الشهادة ولا تنفع قائلها، ولِهذا كذّب الله المنافقين » [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ الإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ، فَمَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ، أَوْ السُّنَّةُ الْمَعْلُومَةُ وَجَبَ عَلَى الْخَلْقِ الإِقْرَارُ بِهِ، جُمْلَةً وَتَفْصِيلا، عِنْدَ الْعِلْمِ بِالتَّفْصِيلِ؛ فَلا يَكُونُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا حَتَّى يُقِرَّ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ، وَهُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لا إلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَمَنْ شَهِدَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ شَهِدَ أَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ هَذَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ بِالرِّسَالَةِ؛ إذْ الْكَاذِبُ لَيْسَ بِرَسُولٍ فِيمَا يُكَذِّبُهُ » [2].

والإيمان بالرسول يَنبَنِي على ركائز؛ آخيتُها: تصديقه وَطَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُ شَرِيعَتِه [3]، لا التصديق فقط، ويُقرّر الدكتور محمد خليفة التميمي –حفظه الله- هذا المعنى فيقول: « **تعريف الإيمان بالنبي** : الإيمان بالرسول: هو تصديقه، وَطَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُ شَرِيعَتِه. وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي . وعن بيان هذه الأمور المطلوبة عند الإيمان به (بالنبي) قال العلماء:

---

1 (?) قاله الشيخ ابن جبرين –رحمه الله- في كتابه الشهادتان معناهما وما تستلزمه كلّ منهما، ص58.

2 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج5/ 154).

3 (?) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص91.

أ- أما تصـديقه ﷺ فيتعلـق بـه أمـران عظيمـان: **أحدهما:** إثبات نُبُوّته وصدقه فيما بلّغه عن اللـه، ... . ويَنْـدَرِج تحت هذا الإثبات والتصديق عدةُ أمور، منها:
1- الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنّهم.
2- الإيمان بكونه خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرســالات.
3- الإيمان بكون رسالته ناسخة لِما قَبْلَها من الشرائع. 4- الإيمان بأنّه ﷺ قد بلّغ الرسالة وأكملها، وأدّى الأمانة، ونصَح لأمته حتى ترَكَهم على البيضاء؛ ليلهـا كنهارهـا. 5- الإيمـان بعصمته ﷺ. 6- الإيمان بِما لـه من حقـوق خلاف مـا تقـدم ذكره؛ كمحبته وتعظيمه ﷺ. ... **الثاني:** تصـديقه فيمـا جـاء به، وأنّ ما جاء به مِن عند الله حقٌّ يَجب اتباعُه. ... فيجب تصديقُ النبِيّ ﷺ في جميع ما أخبَر بـه عن اللـه ﷻ، مِن أنبـاء مـا قـد سـبق، وأخبـار مـا سـيأتِي، وفيمـا أحَـلّ مِن حَلال، وحرّم من حرام، والإيمان بأنّ ذلك كلّه مِن عند الله ﷻ، ...
ب- طَاعَتُهُ وَاتِّبَـاعُ شَـرِيعَتِه: إنّ الإيمـان بالرّسـول ﷺ، كمـا يتضمن تصديقه فيما جـاء بـه، فهـو يتضـمن كـذلك العـزم على العمـل بمـا جـاء بـه، وهـذه هي الركـيزة الثانيـة من ركائز الإيمان به ﷺ. وهي تعنِي: الانقياد له ﷺ، وذلك بِفِعل ما أمَر به، واجتناب ما نهى عنه وزجر ... فيَجِب على الخلـق: اتبـاع شـريعته والالـتزام بسـنته، مـع الرضـا بمـا قضـاه والتسليم له، والاعتقاد الجازم أنّ طاعتَـه هي طاعـة للـه، وأنّ معصيتَه معصيةٌ لله؛ لأنّه هو الواسـطة بين اللــه وبين الثقلين في التبليغ. ... »[1].

هذا، وسأرجِئ الحديث عن الركيزة الثانية (طَاعَة رسول الله ﷺ وَاتِّبَاع شَرِيعَتِه) هذه، والتي لا يتم الإيمان برسالته إلا بِها إلى مَطالب قادمَة من هذا المبحث؛ ذلك لأنّ ما يتعلق بالعمل بِمقتضى الإيمان بالرسالة المحمدية: من المحبة والتعظيم، وكذلك التسليم لِحُكمه ﷺ وعدم وجود الحرج، مما هي أعمالٌ للقلوب، وطاعتِه في أوامره، وترك زواجره، ... قد تمّ أنْ عقَدتُ لبيانها بقية

[1] حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (ج1/ 34-35).

الْمطالب المتممة للسّبعة، والتي ينتظم مِن كلِّها: مبحث لوزم الإيمان برسالته الْمتعلقة بأمته.

أما هذا المطلب فقد خصصتُه لبيان ما يتعلق بالاعتقاد مِن مسائل الإيمان برسالته، واعتقاد أنه رَسولُ الله.

وأقول: قد تضمن الكلام السابق أنّه يدخُل في الإيمان بالنبي : الإيمان بعموم رسالته وأنّه لا يسَعُ أحَدًا الخروجُ عنها. والإقرار بِخاتِمية رسالة عبد الله ورسوله نبينا محمد للنبوات والرسالات، ونسخُه للأديان السابقة. وأنّه بلّغ كُلّ الدّين البلاغ المبين. قد تَقدمَت هذه كمباحث أو مطالب لفصول سابقة.

ومما يَدخل في الإيمان بأنّه رسول الله: اعتقاد وُجُوب اتباعه في كُلّ شُؤون الدين، وصِدقه في أخباره. كما أنّه يدخُل فيه: وجوب الإيْمان بعصمته . وستأتِي هذه الأخيرة كمطالب أو مباحث لِهذا الفصل، ولفصول قادمة.

وأعيد فأقول: هذا المطلب يأتِي لبيان **أنّ أوّل شَيْءٍ في باب لوازم الإيْمان بالرسالة الْمحمدية**: هو الإيمان الجازم والتصديق بأنّ محمدًا مُرسَلٌ من الله إلى الجنّ والإنس أجمعين، ثم استيقان القلب بذلك وعدم الشكّ والريب فيه. وآخية الإيمان بالرسالة النبوية إجمالا، هو الإقرار بِها أصلا وفَرعًا.

أو بعبارة أخرى: هو الإيمان بأصل الرسالة، وبِكلّ ما أمَرَتْ بالإقرار، والعمل به.

ومعنى آمَن به، وآمَن له: فكما قال البيهقي –رحمه الله-: بعدما بيّن معنى الإيمان بالله: «والإيمان بالنِبي : إثباته والاعتراف بنبوته، والإيمان للنبي : اتباعه وموافقته، والطاعة له »[1]. وإنْ كان الإيمان به –والله أعلم- يتضمن: طَاعَتهُ وَاتِّبَاع شَرِيعَتِه كما تقدّم.

ولتقرير ما جاء في المطلب وذِكرِ أدلتِه أقول: أولا: قد أمَر الله تعالى بالإيمان برسوله ، مقرونًا بالإيمان به، وذكَر أنّ الكفر بالله ورُسُله ضلالٌ

---

1 (?) الجامع في شعب الإيمان للبيهقي، (ج1/ ص36).

بعيدٌ، فقال: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨ ﭼ [النساء: ١٣٦]. وقال: ﭽ ﭢ ﭣ ... ﭼ [الأعراف: ١٥٨]. وقال: ﭽ ... ﭼ [الحديد: ٧]. وقال: ﭽ ... ﭼ [التغابن: ٨].

وجعَل الإيمان بِالحقّ الذي نُزّل على محمدٍ ﷺ سبَبَ تكفيرِ السيّئات وصلاح الأحوال، فقال: ﭽ ... ﭼ [محمد: ٢]. وأرْسَلَ الله تعالى رسولَه لدعوة الناس إلى الإيْمان به، وبرَسُوله، فقال: ﭽ ... ﭼ [الفتح: ٩].

وكفّر مَن لَم يُؤمِن بالله وبِهذا النبِي، وتوعّدهم سعيرًا، فقال: ﭽ ... ﭼ [الفتح: ١٣].

وجعل استئذان الرسول ﷺ علامة للإيمان، فقال: ﭽ ... ﭼ [النور: ٦٢].

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « فَإِذَا جُعِلَ مِنْ لَوَازِمِ الإِيمَانِ أَنَّهُمْ لا يَذْهَبُونَ مَذْهَبًا إِذَا كَانُوا مَعَهُ إلا بِاسْتِئْذَانِهِ، فَأَوْلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ لَوَازِمِهِ أَنْ لا يَذْهَبُوا إِلَى قَوْلٍ، وَلا مَذْهَبٍ عِلْمِيٍّ إلا بَعْدَ اسْتِئْذَانِهِ، وَإِذْنُهُ يُعْرَفُ بِدَلالَةِ مَا جَاءَ بِهِ: عَلَى أَنَّهُ أَذِنَ فِيهِ »[1].

وبيّن الله تعالى أنّ المنافقين مهما استَغفَر لَهم الرسولُ ﷺ فإنّ الله لا يغفِر لهم؛ لكفرهم الباطنِيّ بالله ورسوله، فقال: ﭽ ... ﭼ [التوبة: ٨٠]. وبالعلة نفسِها منَعه من الصلاة عليهم إذا ماتوا، فقال: ﭽ ... ﭼ [التوبة: ٨٤].

وأمَر بقتال مَن لم يُحرِّم ما حرّمه الله ورسوله إلى أن يدفع الجزية، فقال: ﭽ ... ﭼ [التوبة: ٢٩].

وأخبَر أنّ مَن كفَر برسوله ﷺ: فهو كمَن كفَر بالله ﷻ، فقال: ﭽ ... ﭼ [التوبة: ٨٤].

ومَن كذّب رسوله فقد كذب الله ﷻ، فقال: ﭽ ... ﭼ [التوبة: ٩٠].

---

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ج1/ ص42-43).

ولِهذ قال الإمام الآجري –رحمه الله-: « ثم أخبَر الله أنّه مَن كفَر برسوله كَمَن كفر بالله، ومَن كذّب رسوله فقد كذّب الله »، فذَكر الآيتَين السابقتين[1].

وحصَر تعالى المؤمنين الصادقين في إيْمانِهم فِي: الذين آمنوا به وبرسوله ثم لَم يَرْتابوا، فقال: ﭽﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰ ﮱﯓﯔﭼ [الحجرات: ١٥] الآية.

وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رسول الله : " **أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ** "[2].

وعنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله : " **اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ؛ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** " فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟! فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلا رَسُولِ اللَّهِ بَعَثَنِي بِهِمَا؛ مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ ..» الأثر[3].

ففي هذين الحديثين وآية الحجرات السابقة **اشتراط استيقان القلب في الإيمان بالله ورسوله**، واشتراط انتفاء الشك والريب لتحقق الإيمان به. **وهذا الشرط الأول من شروط هذا الأمر.**

والشرط الثانِي: محبتـه وموالاته، والمعاداة لأجله ودينه، ويدلّ عليه نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﭽ ﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﭼ [المائدة: ٥٥]. وقوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘ ﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ ﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﭼ [المجادلة: ٢٢].

---

[1] (?) كتاب الشريعة، ص364 .

[2] (?) جزءٌ من حديث طويل، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، بَاب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَطْعًا، رقم: 27.

[3] (?) جزءٌ من حديث طويل، أخرجه مسلم في صحيحه: الكتاب والباب، رقم: 31.

وسيأتِي حديث أَنَسٍ المتفق عليه، عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا** ... "[1].

ومحبة الرسول هو القدر الذي يُشترط لصحة الإيمان، وأما الأحبية التي جاءت هنا فلثبوت كمال الإيمان ووجود حلاوته. وسيأتِي مزيد بيانٍ على هذا الشرط، وعلى الأحبية في المطلب التالِي.

الشرط الثالث: التسليم والانقياد لشريعته ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ [النساء: ٦٥]. وفي الحديث عن أَبِي هُرَيْرَة ، قال: " **لا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ** "[2].

وسيأتِي مزيدُ بيانٍ في مطلب: تحكيمه في كل شؤون الحياة.

الشرط الرابع: تصديقه بالقلب والجوارح على ما جاء به، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، قَالَ: " **مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ** " متفق عليه، ولفظ مسلم: " " **مَا مِنْ عَبدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسُولُه ..** " [3].

الشرط الخامس: قبول دينه وشريعته ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ**

---

1 (?) الحديث متفق عليه، وسيأتي عزوه في المطلب التالي.

2 (?) السنة لابن أبي عاصم: باب ما يجب أن يكون هوى المرء تبعًا لما جاء به النبي ، رقم: 15، ولا يصح في الصنعة الحديثية لذا (ضعف إسناده الشيخ الألباني، يُنظر: ظلال الجنة، ص14). إلا أنّ معناه صحيحٌ ثابتٌ في النصوص الأخرى. وسيأتِي في المطلب الثالث من هذا المبحث.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب العلم، بَاب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لا يَفْهَمُوا، رقم: 128، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، رقم: 32. وانظر لرفع الإشكال عن الحديث (فتح الباري، (ج1/ 534-535).

أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ[1]، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً[2]، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ؛ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ "[3].

وتتمة شروط الشهادتين هي: العلم بالمشروط المنافي للجهل، ثم الإخلاص المنافي للرياء. وأدلتهما مشهورة.

وهذه الشروط يجب توفّرُها في جُزئَي الشّهادة (لا إله إلا الله، محمدٌ رسولُ الله)، لا في جزئها الأول، وهذا الذي حققه العلماء –رحمهم الله-[4]، يقول الشيخ حافظ حكمي –رحمه الله- بعد ذكره لشروط شهادة أن لا إله إلا الله التي لا تنفَع قائلَها إلا باجتماعها فيه، مُجيبًا على سؤال: (ما شروط شهادة أنّ محمدًا رسول الله ﷺ، وهل تُقبَل الشهادة الأولى بدونِها؟)،قال:«قد قدّمنا لك أنّ العبد لا يَدخُل في الدين إلا بِهاتَين الشهادتين،وأنّهما متلازمتان،فشروط الأولى هي شروطٌ في الثانية،كما أنّها هي شروطٌ في الأولى»[5].

---

1 (?) **الأَجَادِب**: بِالْجِيمِ وَالدَّال الْمُهْمَلَة، وَهِيَ الأَرْض الَّتِي تُنْبِتُ كَلأً. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هِيَ الأَرْض الَّتِي تُمْسِكُ الْمَاء، فَلا يُسْرِعُ فِيهِ النُّضُوب، (انظر: المنهاج للنووي، ص1417) .

2 (?) **الْقِيعَان**: -بِكَسْرِ الْقَاف- جَمْع الْقَاع، وَهُوَ الأَرْض الْمُسْتَوِيَة، وَقِيلَ: الْمَلْسَاء، وَقِيلَ: الَّتِي لا نَبَات فِيهَا، وَهَذَا هُوَ الْمُرَاد فِي هَذَا الْحَدِيث، وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى: أَقْوُع، وَأَقْوَاع، (انظر، النووي، مصدرٌ سابق).

3 (?) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، رقم: 79، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، رقم: 2282 .

4 (?) انظر عن هذه الشروط وتحققها في الجزء الثاني من الشهادة، معارج القبول للحكمي، ص307-320 (مفصّلة بأدلتها)، وأعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص39-44، وكتاب حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (ج1/ 37-45).

وتأمل النصوص التي أوردتُها تجد ذكرًا لشهادة أنّ محمدًا رسول الله، مفردَةً، أو مع شهادة أنْ لا إله إلا الله، ثم ذكر الشرط. والله أعلم.

ثم إنّ الناس بالنّسبة لقبولهم لِما جاء به الرسول وتصديقهم إيّاه، واستيقان قلوبهم بذلك، وانقيادهم له، والعمل بِمقتضاه؛ بالقلب واللسان والجوارح، وعدم ذلك، -أو بعبارة أوجَز: الناس بالنسبة للإيمان به - على ثلاثة أضْرُب: قابلٍ له مؤمِنٍ، ورادٍّ للإيمان به، كافر. والحالة الثالثة تتمثل في الذين يقولون ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [النور: 47]. وهؤلاء هم المنافقون الذين قبِلوا ذلك باللسان، ورَدّوه بقلوبِهم. كما كذَب الله المنافقين في إيمانِهم باللسان، فقال: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﭼ [المنافقون: ١] السورة.

وأما بالنسبة للمؤمنين والكافرين فقد تقدم حديث أبِي موسى كدليل لاشتراط (القبول) لكلمَتَي الشهادة (لا إلَهَ إلا الله، محمدٌ رسول الله).

ولقد قال النووي –رحمه الله- في شرحه مبيِّنًا ما فيه من معنى الْمَثَل العظيم: « أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيث وَمَقْصُوده فَهُوَ تَمْثِيل الْهُدَى الَّذِي جَاءَ بِهِ بِالْغَيْثِ، **وَمَعْنَاهُ:** أَنَّ الْأَرْض ثَلاثَة أَنْوَاع، وَكَذَلِكَ النَّاس، **فَالنَّوْع الأَوَّل** مِنْ الأَرْض يَنْتَفِع بِالْمَطَرِ، فَيَحْيَى بَعْد أَنْ كَانَ مَيِّتًا، وَيُنْبِتُ الْكَلأ، فَتَنْتَفِعُ بِهَا النَّاس وَالدَّوَابّ وَالزَّرْع وَغَيْرهَا، وَكَذَا النَّوْع الأَوَّل مِنْ النَّاس، يَبْلُغُهُ الْهُدَى وَالْعِلْم فَيَحْفَظهُ فَيَحْيَا قَلْبه، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُعَلِّمُهُ غَيْره، فَيَنْتَفِعُ وَيَنْفَعُ. **وَالنَّوْع الثَّانِي مِنْ الأَرْض**: مَا لا تَقْبَلُ الانْتِفَاع فِي نَفْسهَا، لَكِنْ فِيهَا فَائِدَة، وَهِيَ إِمْسَاك الْمَاء لِغَيْرِهَا، فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاس وَالدَّوَابّ، وَكَذَا النَّوْع الثَّانِي مِنْ النَّاس، لَهُمْ قُلُوب حَافِظَة، لَكِنْ لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَام ثَاقِبَة، وَلا رُسُوخَ لَهُمْ فِي الْعَقْل يَسْتَنْبِطُونَ بِهِ الْمَعَانِي وَالأَحْكَام، وَلَيْسَ عِنْدهمْ اِجْتِهَادٌ فِي الطَّاعَة وَالْعَمَل بِهِ، فَهُمْ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى يَأْتِيَ طَالِبٌ مُحْتَاجٌ

---

5 (?) أعلام السّـنة المنشـورة لاعتقـاد الطائفة الناجية الْمنصـورة (200 سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية) ص45.

مُتَعَطِّشٌ لِمَا عِنْدهمْ مِنْ الْعِلْم، أَهْل لِلنَّفْعِ وَالانْتِفَاع، فَيَأْخُذهُ مِنْهُمْ فَيَنْتَفِع بِهِ، فَهَؤُلاءِ نَفَعُوا بِمَا بَلَغَهُمْ. **وَالنَّوْع الثَّالِث مِنْ الأَرْض:** السِّبَاخ الَّتِي لا تُنْبِتُ وَنَحْوهَا، فَهِيَ لا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ، وَلا تُمْسِكُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهَا غَيْرهَا، وَكَذَا النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنْ النَّاس، لَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوب حَافِظَة، وَلا أَفْهَام وَاعِيَة، فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْم لا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرهمْ»[1].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرحه: « قَالَ الْقُرْطُبِيّ وَغَيْره: ضَرَبَ النَّبِيّ ﷺ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ الدِّين مَثَلا بِالْغَيْثِ الْعَامّ الَّذِي يَأْتِي فِي حَال حَاجَتهمْ إِلَيْهِ، وَكَذَا كَانَ النَّاس قَبْل مَبْعَثه، فَكَمَا أَنَّ الْغَيْث يُحْيِي الْبَلَد الْمَيِّت فَكَذَا عُلُوم الدِّين تُحْيِي الْقَلْب الْمَيِّت. ثُمَّ شَبَّهَ السَّامِعِينَ لَهُ بِالأَرْضِ الْمُخْتَلِفَة الَّتِي يَنْزِل بِهَا الْغَيْث، **فَمِنْهُمْ**: الْعَالِم الْعَامِل الْمُعَلِّم، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الأَرْض الطَّيِّبَة؛ شَرِبَتْ فَانْتَفَعَتْ فِي نَفْسهَا، وَأَنْبَتَتْ فَنَفَعَتْ غَيْرهَا. **وَمِنْهُمْ:** الْجَامِع لِلْعِلْمِ، الْمُسْتَغْرِق لِزَمَانِهِ فِيهِ غَيْر أَنَّهُ لَمْ يَعْمَل بِنَوَافِلِهِ، أَوْ لَمْ يَتَفَقَّه فِيمَا جَمَعَ لَكِنَّهُ أَدَّاهُ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الأَرْض الَّتِي يَسْتَقِرّ فِيهَا الْمَاء فَيَنْتَفِع النَّاس بِهِ، وَهُوَ الْمُشَار إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ : " **نَضَّرَ اللَّه اِمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا** "[2] . **وَمِنْهُمْ:** مَنْ يَسْمَع الْعِلْم فَلا يَحْفَظهُ، وَلا يَعْمَل بِهِ، وَلا يَنْقُلهُ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الأَرْض السَّبْخَة أَوْ الْمَلْسَاء الَّتِي لا تَقْبَل الْمَاء، أَوْ تُفْسِدهُ عَلَى غَيْرهَا. وَإِنَّمَا جَمَعَ الْمَثَل بَيْن الطَّائِفَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ الْمَحْمُودَتَيْنِ لاشْتِرَاكِهِمَا فِي الانْتِفَاع بِهِمَا، وَأَفْرَدَ الطَّائِفَة الثَّالِثَة الْمَذْمُومَة لِعَدَمِ النَّفْع بِهَا. وَاَللَّه أَعْلَم. ثُمَّ ظَهَرَ لِي أَنَّ فِي كُلّ مَثَل طَائِفَتَيْنِ، فَالأَوَّل قَدْ أَوْضَحْنَاهُ،

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم، ص1417 .

[2] روى الحديث الترمذي في جامعه عن عثمان وابن مسعود رضي الله عنهما (كتاب العلم، بَاب مَا جَاءَ فِي الْحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ، ورقمهما: 2656، و2657، وكلا الطريقين صحيح)، بل الحديث متواترٌ، وقد درس الحديث بِكُل طرقه واستخرج فوائده وقواعده الحديثة والأصوليه شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر –حفظه الله- في كتابه: دراسة حديث: **نَضَّرَ اللَّه امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي.. رواية ودراية** (فقف على الكتاب وفوائده: ج3/ 299-517 ضمن كتبه ورسائله) .

وَالثَّانِي الأُولَى مِنْهُ: مَنْ دَخَلَ فِي الدِّين وَلَمْ يَسْمَع الْعِلْم، أَوْ سَمِعَهُ فَلَمْ يَعْمَل بِهِ وَلَمْ يُعَلِّمهُ، وَمِثَالهَا مِنْ الأَرْض: السِّبَاخ، وَأُشِيرَ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ: " **مَنْ لَمْ يَرْفَع بِذَلِكَ رَأْسًا** " أَيْ: أَعْرَضَ عَنْهُ فَلَمْ يَنْتَفِع لَهُ، وَلا نَفَعَ. وَالثَّانِيَة مِنْهُ: مَنْ لَمْ يَدْخُل فِي الدِّين أَصْلا، بَلْ بَلَغَهُ فَكَفَرَ بِهِ، وَمِثَالهَا مِنْ الأَرْض: الصَّمَّاء الْمَلْسَاء الْمُسْتَوِيَة الَّتِي يَمُرّ عَلَيْهَا الْمَاء فَلا يَنْتَفِع بِهِ، وَأُشِير إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ: "**وَلَمْ يَقْبَل هُدَى اللَّه الَّذِي جِئْت بِهِ** ". وَقَالَ الطِّيبِيّ: بَقِيَ مِنْ أَقْسَام النَّاس قِسْمَانِ: أَحَدهمَا: الَّذِي انْتَفَعَ بِالْعِلْمِ فِي نَفْسه، وَلَمْ يُعَلِّمهُ غَيْره. وَالثَّانِي: مَنْ لَمْ يَنْتَفِع بِهِ فِي نَفْسه وَعَلَّمَهُ غَيْره. قُلْت: وَالأَوَّل دَاخِل فِي الأَوَّل؛ لأَنَّ النَّفْع حَصَلَ فِي الْجُمْلَة، وَإِنْ تَفَاوَتَتْ مَرَاتِبه، وَكَذَلِكَ مَا تُنْبِتهُ الأَرْض، فَمِنْهُ: مَا يَنْتَفِع النَّاس بِهِ، وَمِنْهُ: مَا يَصِير هَشِيمًا. وَأَمَّا الثَّانِي: فَإِنْ كَانَ عَمِلَ الْفَرَائِض، وَأَهْمَلَ النَّوَافِل، فَقَدْ دَخَلَ فِي الثَّانِي -كَمَا قَرَّرْنَاهُ- وَإِنْ تَرَكَ الْفَرَائِض أَيْضًا، فَهُوَ فَاسِق لا يَجُوز الأَخْذ عَنْهُ، وَلَعَلَّهُ يَدْخُل فِي عُمُوم: " **مَنْ لَمْ يَرْفَع بِذَلِكَ رَأْسًا** " وَاَللَّه أَعْلَم»[1].

فإذا كان أصل الإيمان والتقوى هو: الإيمان برُسل الله، فإنّ جِماعَ الإيمان يكون بالإيمان بخاتَمهم محمدٍ ﷺ؛ فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كُتُب الله ورُسُله [2].

وقد تقدم أنّه مِن الإيمان برسالته ﷺ: الإيمان بخاتمية رسالته للرسالات، وأنه لا نبِيّ بعده؛ والإيمان بأنّه ﷺ مبعوث إلى الثقلين منذ بعثته إلى قيام الساعة وأنه لا يسَع أحدًا –كائنًا ما كان- بعده إلا الإيمان برسالته، وكذلك الإيمان بكمال رسالته ووفائها بكلّ المتطلبات الشرعية، ولا تحتاج إلى مُكمّلٍ؛ فَلا يكون مؤمنًا به مَن لم يؤمن بكلّ ذلك.

وقد أشَرتُ سابقًا إلى أنّ هذه الأمور تقدم ذكر بعضها، وسيأتِي بعضها الآخر مفصَّلة في مباحث قادمة، خصوصًا في هذا المبحث!.

---

1 (?) فتح الباري، (ج1/ ص500) .

2 (?) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص60.

فثبَتَ بِهذا التقرير أنّ (الاعتقاد بأنّه رسول الله) هو أول مطالب لوازم الإيمان برسالته، بل هو حقيقة معناه. كما أشَرتُ سابِقًا إلى أنّ بقية المطالب تأتِي لتقرير أنّ الإيمان برسالته ليس في القلب فقط، بل لا بُدّ أنْ يُصدّق ذلك أعمالٌ في القلوب؛ من محبة النبي وتعظيمه، وتصديقه، .. وكذلك أعمالُ الجوارح من الطاعة والاتباع. وهذا الذي سيأتِي تقريره في المطالب الستة القادمة. والله تعالى أعلم.

** * **

المطلب الثاني: محبته عليه الصلاة والسلام، وتوقيره:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: كون محبته عليه الصلاة والسلام من مقتضيات الإيْمان به.

المسألة الثانية: توقير النبي عليه الصلاة والسلام.

المسألة الأولى: كون محبته عليه الصلاة والسلام من مقتضيات الإيْمان به[1]:

مَحَبَّةِ جَمِيع الرُّسُل مِنْ الإِيمَان؛ إلا أنّ سيّد ولد آدم رَسُول اللَّه له محبة خاصة[2].

فالله لم يأمر بِمحبة رسوله فحَسْب، بل طلَب مِن العباد جعلَه أحبَّ إليهم من أهوائهم وأهليهم ومشايخهم ومعظميهم، ووالديهم وأولادهم بل وأنفسهم والناس أجمعين، ويقتضي ذلك تقديْمُـه على أيّ أحد، وحتى على النفس التي بين جنبَي الإنسان، -وسيأتِي بيانُ السرّ لِهذه الأحبية إنْ شاء الله تعالى-. فقد نفى الله الإيمان، وفسّق الذي لم يحقق الأحبية لرسول الله على كلّ أحد؛ فَمَن اعتقد أنّ هدي أحدٍ أكمل مِن هديه ، أو رأى أنّه مثله تمامًا؛ فأوجب تقديم الأكمل، أو جوّز الأخذ

---

[1] (?) راجع شعب الإيمان للبيهقي، (ج2/ الرابع عشر من شـعب الإيمـان، وهو بابٌ في حبّ النبي ، ص129-192).

[2] (?) انظر: فتح الباري، (ج1/ ص415).

بأحد المتساويَين، فهذا يدخل في الناقض الرابع من نواقض إيمان العبد[1].

وأيضًا فَمن أبغض الرسول نفسَه، أو أبغض شيئًا مما جاء به، فإنّ الله يُحبط عمَلَه، وهذا يدخل في الناقض الخامس[2]!

ومن لم يحقق أحبية الرسول على المحبوبات المخلوقة؛ فأحبّ نفسه مثلا فوق محبته، فهذا غير كامل الإيمان بل ناقصُـه! سلّم الله إيْماننا من النقض والنقص.

وقد أشَرتُ إلى أنَّ الأدلة الشرعية صريحة بل نصٌّ في إيجاب محبة النبي على الأمة، وأنّها لا تقف دون أن تكون هذه الْمحبة فوق محبة النفس والأهل والمال والناس أجمعين؛ فقد أمرَنا الله بِمحبته أكثر من مَحابّ الدنيا الْمخلوقة جميعًا، وعلى رأسها: محبوبات الدنيا الثمانية التي ذكرها الله بقوله: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [سورة التوبة: ٢٤].

ففي الآية تقديم محبة الله ورسوله على كلّ الْمحبوبات الفانية، قال القاضي عياض -رحمه الله-: « فكفى بِهذا حضًّا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعِظَم خطرها، واستحقاقه لها ؛ إذْ قرّع تعالى مَن كان مالُه وأهلُه وولدُه أحبّ إليه مِن الله ورسوله، وأوعدَهم بقوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنّهم ممن ضلّ ولم يهده الله »[3]. **وهذا أولا.**

ثانيًا: وقال تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ [الأحزاب: ٦].

فلفظة ﭽ ﯜ ﭼ في هذه الآية بِمعنى: <u>الموالي والْمُحبّ</u> والناصر والأحق بِهم؛ لأنَّه أبٌ لهم = مضافةً إلى نبيِّنا محمدٍ ، لا تخرج مِن تفسيرَين، **أحدِهما:** أنْ تكون محبتُه ونصرتُه صادرةً منه، واقعةً على أمته؛ وعلى هذا فتكون

---

[1] انظر: نواقض الإيمان، ص177، ضمن مجموعة التوحيد، وشرح الناقض/المفيد في مهمات التوحيد، ص110 .

[2] انظر: نواقض الإيمان، ص177.

[3] الشفا بتعريف حقوق الْمصطفى، 403.

محبتُه للمؤمنين، وقيامُه بشؤونِهم فوق محبة والدِيهم وأولادهم لَهم، فيَلزمُهم –على هذا التفسير- محبتُه فوق محبة أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وتفْدِيتُه بأموالهم وأنفسهم وآبائهم وأمهاتِهم، وبالناس أجمعين مقابلة لإحسانه، وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى هذه النتيجة وهذا المعنى في آخر تفسيره للآية، حيث قال: « يُخبِر تعالى المؤمنين خَبَرًا يعرفون به حالة الرسول ومرتبتَه، فيعاملونه بِمقتضى تلك الحالة، فقال: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ أقرب ما للإنسان، وأولى ما له نفسُه، فالرسول أولى به مِن نفسه؛ لأنَّه -عليه الصلاة والسلام-، بذَل لهم مِن النصح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق وأرأفهم، فرسول اللّه أعظم الخلق مِنَّةً عليهم مِن كلِّ أحدٍ، فإنّه لم يصلْ إليهم مثقالُ ذرَّةٍ من الخير، ولا اندفع عنهم مثقالُ ذرة مِن الشرِّ، إلا على يديه وبسببه؛ **فلذلك؛** وجَب عليهم إذا تعارض مرادُ النفس، أو مرادُ أحدٍ من الناس مع مراد الرسول، أنْ يُقدَّم مرادُ الرسول، وأنْ لا يُعارَض قولُ الرسول بقول أحدٍ -كائنًا مَن كان-، وأنْ يُفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلِّهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه. وهو أبٌ للمؤمنين، كما في قراءة بعض الصحابة، يُربِّيهم كما يُربِّي الوالدُ أولادَه »[1]. وهذا التفسير ظاهِرٌ.

التفسير الثاني: أنْ تكون لفظة ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ صادرةً مِن المؤمنين، واقعةً عليه ، فيكون المعنى أنّه أحبُّ إليهم مِن أنفسهم وأهليهم وأموالهم، فتكون الآية –على هذا المعنى- موافقةً تمامًا للنصوص التي تُعلِّق كمال الإيمان على أحبِّية الرسول مِن النفس والآباء والأبناء والأمهات والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن، وغير ذلك.

فهذه الآية دليلٌ على أنَّ مَن لم يكن الرسول أولى به مِن نفسه فليس مِن المؤمنين (كاملِي الإيمان). وسيأتي ذكر ما تتضمنه الأولوية لاحقًا.

---

[1] (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بتحقيق عبد الرحمن معلا اللويحق، ص659 .

ثم إنه بكلا التفسيرَين قد حصل المقصود مِن إيراد الآية هاهنا، وبالثاني أوضح.

وكونه أولى بِهم من أنفسهم لا يثبت إلا من طرفه ﷺ، وكونه أولى بكل مؤمن من نفسه من خصائص نبوته. مع ما يقتضى من أن يكون رسوله ﷺ أحب إليه من نفسه. ثم إذا كان الرسول -لأجل أنه رسول اللّه- يجب أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه، فكيف بربه المُرسِل سبحانه وتعالى؟

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله- في تعليقه على الآية: « ولا يتم لهم مقام الإيمان حتى يكون الرسول أحبّ إليهم من أنفسهم، فضلا عن أبنائهم وآبائهم »[1]. وذكر حديثين من الأحاديث الآتية. وقال أيضًا: « قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ وهو دليلٌ على أنّ مَن لم يكن الرسول أولى به مِن نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأَوْلَوية تتضمن أمورًا، **منها:** أنْ يكون أحبّ إلى العبد مِن نفسه، لأنّ الأولوية أصلُها الحب، ونفس العبد أحبّ له من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها، وأحبّ إليه منها، فبذلك يَحصل له اسم الإيمان. ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة، والرضا والتسليم، وسائر لوازم المحبة، من الرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه. **ومنها:** أنْ لا يكون للعبد حُكمٌ على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده، أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرُّف قط، إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها. فيا عجَبًا كيف تحصل هذه الأولوية لعبد قد عزَل ما جاء به الرسول ﷺ عن منصبِ التحكيم، ورَضِيَ بِحكم غيره، واطمأنّ إليه أعظم من اطمئنانه إلى الرسول ﷺ، وزعَم أنّ الْهدى لا يُتَلقّى من مشكاته، وإنما يتلقى مِن دلالة العقول، وأنّ الذي جاء به لا يُفيد اليقين، إلى غير ذلك من الأقوال التي تتضمن الإعراض عنه، وعما جاء به، والحوالة في العلم

---

[1] (?) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص387 .

النافع إلى غيره، ذلك هو الضلال البعيد، ولا سبيل إلى ثبوت هذه الأولوية إلا بعزل كلّ ما سواه، وتوليته في كلّ شيءٍ، وعرض ما قاله كلُّ أحَدٍ سواه على ما جاء به، فإنْ شهد له بالصحة قبِلَه، وإن شهد له بالبطلان ردّه، وإنْ لم تتبين شهادته له؛ لا بصحة، ولا ببطلان جعَله بِمنـزلة أحاديث أهل الكتاب، ووقَفَه حتى يتبين أيَّ الأمرين أولى به. فمن سلك هذه الطريقة استقام له سفر الهجرة، واستقام له علمه وعمله، وأقبلت وجوه الحق إليه من كلّ جِهة. ومن العجب أن يدعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة: مَن كان سعيُه واجتهادُه ونصبُه في الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها والغضب والمحبة لها والرضا بها والتحاكم إليها، وعرض ما قاله الرسول عليها؛ فإنْ وافقها قَبِلَه، وإن خالفها التمس وجوهَ الحِيَل، وبالغ في رَدّه لَيًّا وإعراضًا »[1].

فلما كان هو أولى بنا مِن أنفسنا كان مِن حقه أنه يجب أنْ يُؤْثِره العطَشان بالماء، والجائع بالطعام، وأنه يجب أن يوقّى بالأنفس والأموال كما قال سبحانه وتعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [التوبة: ١٢٠] [2].

ثالثًا: جاء في صحيح البخاري: بَاب بعنوان: حُبّ الرَّسُولِ مِنْ الإِيمَانِ[3]، وباب وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -- أَكْثَرَ مِنَ الأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَإِطْلاَقِ عَدَمِ الإِيمَانِ عَلَى مَنْ لَمْ يُحِبَّهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ من صحيح مسلم[4]، وأورد تحتهما حديث أنَسٍ ، مرفوعًا: " **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** "، واللفظ للبخاري.

وعند أبي هريرة مرفوعًا في البخاري أنّ النبيّ أكّد هذا الخبر بالحلف بقوله: " **فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ!**

---

1 (?) الرسالة التبوكية لابن قيم الجوزية، ص31-33 (ضمن مجموع الرسائل لابن القيم).

2 (?) انظر: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص191.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، رقم: 15.

4 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، ورقمه: 44 .

لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ "[1].

وهذا الحديث نصٌّ على تقديم محبة النبيّ على محبة الوالد والولد والناس أجمعين!

قال العلامة ابن القيِّم –رحمه الله-: « فذَكر في هذا الحديث أنواع المحبة الثلاثة، فإنّ المحبة إما محبة إجلالٍ وتعظيمٍ؛ كمحبة الوالد، وإما محبة تحنُّن ووُدٍّ ولُطْفٍ؛ كمحبة الولد، وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال؛ كمحبة الناس بعضهم بعضًا، ولا يُؤمن العبد حتى يكون حُبُّ الرسول عنده أشد من هذه المحابّ كلّها »[2].

وقال في هذا المعنى في نونيته[3]:

فهو الْمُطاع وأمرُه العالِي على ... أمر الورى وأوامر السلطان

وهو الْمقدَّم في محبتنا على الـ ... ـأهلين والأزواج والوِلْدان

وعلى العباد جميعهم، حتى على الـ ... ـنفس التي قد ضمَّها الْجَنْبَان.

وتقديم محبة الرسول على محبة الإنسان نفسه مستفادة في هذا الحديث في قوله " .. **وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** "، وفي الحديث الآخر في قوله: " **أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا** "، كما أنه سيأتِي حديث عمر الْمصرِّح بذلك.

قال النووي –رحمه الله-: « قَالَ الإِمَام أَبُو سُلَيْمَان الْخَطَّابِيُّ: لَمْ يُرِدْ بِهِ حُبّ الطَّبْع، بَلْ أَرَادَ بِهِ حُبّ الاخْتِيَار، لأَنَّ حُبّ الإِنْسَان نَفْسه طَبْعٌ، وَلا سَبِيل إِلَى قَلْبه. قَالَ: فَمَعْنَاهُ لا تَصْدُق فِي حُبِّي حَتَّى تُفْنِي فِي طَاعَتِي نَفْسك، وَتُؤْثِر رِضَايَ عَلَى هَوَاك، وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَلاكك. هَذَا كَلام الْخَطَّابِيِّ. وَقَالَ ابْن بَطَّال وَالْقَاضِي عِيَاض وَغَيْرهمَا -

---

1 صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَاب حُبُّ الرَّسُولِ مِنْ الإِيمَانِ، رقم: 14 .

2 جلاء الأفهام، ص466 .

3 الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص213، بيت رقم: 4002-4003 .

رَحْمَة اللَّه عَلَيْهِمْ: الْمَحَبَّة ثَلاثَة أَقْسَام: مَحَبَّة إِجْلال وَإِعْظَام كَمَحَبَّةِ الْوَالِد، وَمَحَبَّة شَفَقَة وَرَحْمَة كَمَحَبَّةِ الْوَلَد، وَمَحَبَّة مُشَاكَلَة وَاسْتِحْسَانٍ كَمَحَبَّةِ سَائِر النَّاس، فَجَمَعَ أَصْنَاف الْمَحَبَّة فِي مَحَبَّته. قَالَ ابْن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّه: وَمَعْنَى الْحَدِيث: أَنَّ مَن اسْتَكْمَلَ الإِيمَان عَلِمَ أَنَّ حَقّ النَّبِيِّ آكَدُ عَلَيْهِ مِنْ حَقّ أَبِيهِ وَابْنه وَالنَّاس أَجْمَعِينَ؛ لأَنَّ بِهِ اُسْتُنْقِذْنَا مِنْ النَّار، وَهُدِينَا مِنْ الضَّلال. قَالَ الْقَاضِي عِيَاض -رَحِمَهُ اللَّه- وَمِنْ مَحَبَّته نُصْرَة سُنَّته، وَالذَّبِّ عَنْ شَرِيعَته، وَتَمَنِّي حُضُور حَيَاته؛ فَيَبْذُل مَاله وَنَفْسه دُونه. قَالَ: وَإِذَا تَبَيَّنَ مَا ذَكَرْنَاهُ تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَة الإِيمَان لا يَتِمُّ إِلا بِذَلِكَ، وَلا يَصِحّ الإِيمَان إِلا بِتَحْقِيقِ إِعْلاء قَدْر النَّبِيّ وَمَنْزِلَته عَلَى كُلّ وَالِد، وَوَلَد، وَمُحْسِن، وَمُفَضَّل. وَمَنْ لَمْ يَعْتَقِد هَذَا، وَاعْتَقَدَ سِوَاهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ.. »[1].

رابعًا: أما النصّ الصريح الواضح من السنة على وجوب تقديم محبته حتى على محبة النفس التي بين الجنبين، فما رواه البخاري عن عَبْد اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ، قَالَ: « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ-، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا مِنْ نَفْسِي! فَقَالَ النَّبِيُّ : " **لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ!!** " فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي! فَقَالَ النَّبِيُّ : " **الآنَ يَا عُمَرُ!** " [2].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَوْله " **لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُون أَحَبَّ إِلَيْك مِنْ نَفْسك** " أَيْ: لا يَكْفِي ذَلِكَ لِبُلُوغِ الرُّتْبَة الْعُلْيَا حَتَّى يُضَاف إِلَيْهِ مَا ذُكِرَ. وَعَنْ بَعْض الزُّهَّاد: تَقْدِير الْكَلام: لا تَصْدُقُ فِي حُبِّي حَتَّى تُؤْثِر رِضَايَ عَلَى هَوَاك، وَإِنْ كَانَ فِيهِ الْهَلاك. .. قَوْله: (فَقَالَ لَهُ عُمَر: فَإِنَّهُ الآن يَا رَسُول اللَّه! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيّ : **الآن يَا عُمَر!** ": قَالَ الدَّاوُدِيُّ: وُقُوف عُمَر أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَاسْتِثْنَاؤُهُ نَفْسه إِنَّمَا اتَّفَقَ

---

1 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص121 .

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور، بَاب كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ، رقم: 6632.

حَتَّى لا يَبْلُغ ذَلِكَ مِنْهُ، فَيَحْلِف بِاَللَّهِ كَاذِبًا، فَلَمَّا قَالَ لَهُ مَا قَالَ، تَقَرَّرَ فِي نَفْسه أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسه فَحَلَفَ، كَذَا قَالَ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: حُبُّ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ طَبْعٌ، وَحُبّ غَيْره اخْتِيَار بِتَوَسُّطِ الأَسْبَاب، وَإِنَّمَا أَرَادَ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام حُبَّ الاخْتِيَار؛ إِذْ لا سَبِيل إِلَى قَلْب الطِّبَاع وَتَغْيِيرهَا عَمَّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ. قُلْت: فَعَلَى هَذَا فَجَوَاب عُمَر أَوَّلا كَانَ بِحَسَبِ الطَّبْع، ثُمَّ تَأَمَّلَ فَعَرَفَ بِالاسْتِدْلالِ أَنَّ النَّبِيّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسه؛ لِكَوْنِهِ السَّبَبَ فِي نَجَاتهَا مِنْ الْمُهْلِكَات فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى، فَأَخْبَرَ بِمَا اقْتَضَاهُ الاخْتِيَار، وَلِذَلِكَ حَصَلَ الْجَوَاب بِقَوْلِهِ: " **الآن يَا عُمَر**! " أَيْ: الآن عَرَفْت، فَنَطَقْت بِمَا يَجِب »[1].

خامسًا: عَنْ أَنَس عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: " **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ** .. " الحديث، متفقٌ عليه[2].

ولَمّا كانت القلوب مجبولةً على حُبِّ مَن أحسَن إليها، و« كان الإنسان يُحِبّ مَن منَحَه في دنياه مرةً أو مرتين معروفًا، أو استنقذه من هلَكةٍ، أو مَضرّة، مدة التأذِّي بِها قليلٌ منقطعٌ، فمَن منَحه ما لا يبيد مِن النعيم، ووقاه ما لا يفِي من عذاب الجحيم = أولى بالحبّ، وإذا كان يُحَبُّ بالطبع ملِكٌ لِحُسن سيْرتِه، أو حاكمٌ لِما يُؤثَر من قِوام طريقته، أو قاصٍ بعيدِ الدار لِما يُشاد من علمه، أو كرم شيمته، فمَن جَمَع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب، وأولى بالْمَيل، وقد قال عليّ في صفته : (**مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً**

---

[1] (?) فتح الباري، (ج4/ 4730).

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، بَاب حَلاوَةِ الإِيمَانِ، رقم: 16، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصالٍ مَنِ اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان، رقم: 43 .

أَحَبَّه[1]). وذكرنا عن بعض الصحابة أنَّه كان لا يَصْرِف بصَرَه عنه محبةً فيه »[2].

فهذه النصوص قد بيَّنَت العلاقة بين محبة النبيِّ وبين الإيمان، وأنّ ذلك مِن لوازمه ومقتضياته؛ لذا ذكرتُها هنا في مبحث لوازم الإيمان بالرسالة المحمدية؛ فَمَن أحبّ رسول الله فإنّ هذه المحبة دليلٌ على إيمانه، ومَن كرهه فقد خرج مِن ربقة الإسلام التي في عُنُقه. وأما مَن كان يُحب غيره من بقية المحاب الفانية -ولو كانت نفسه- بأشد مما يُحِبّ هذا الرسول ، فهو غير كامل الإيمان، ومِمّن يُخشى عليهم! ولِهذ قال الإمام الآجري –رحمه الله-: « ثم أعلَمَنا مولانا الكريمُ: أنّ علامة صحة مَن ادّعى محبة الله تعالى: أنْ يكون مُحِبًّا لرسوله محمدٍ متّبِعًا له، وإلا لم تصحّ له المحبة لله .. -فذَكَر آية التوبة، وآل عمران، ثم قال: فجعَل الله محبة رسوله واتباعه علَمًا ودليلا لصحة محبتهم له، مع اتباعهم رسوله فيما جاء به، وأمَر به، ونَهى عنه، .. إلى أنْ قال: ثم إنّ الله أمَر المؤمنين أنْ لا يَرغبُوا بأنفسهم عن نفس رسول الله في الجهاد معه، والصبر معه على كلّ مكروه يَلحقُهم، فقال الله : ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﭼ [التوبة: ١٢٠] »[3].

فتلخص من هذا المطلب: تفسيق الله مَن أحبّ غير النبي من المحبوبات الثمانية التي ذكرها بأفضل من محبته، وأنه لا يُؤْمِنُ العبد حَتَّى يَكُونَ الرسول أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نفسه، ووَالِدِهِ وَوَلَدِهِ، وماله، وَالنَّاسِ أَجْمَعِين.

وأختمُ المطلب بالإشارة إلى صنيع البيهقي –رحمه الله- بعد إيراده هذه الأدلة تحت الشعبة الرابعة عشرة

---

[1] أخرج الحديث الترمذي في جامعه: كتاب المناقب، باب (بدون ترجمة، وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ)، رقم: 3638، وفي الشمائل المحمدية، باب ما جاء في خلق رسول الله . وضعفه هو والشيخ الألباني.

[2] الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، ص416 .

[3] الشريعة للآجري، ص364 .

من شعب الإيمان (باب في حب النبي)، حيث نقَل عن شيخه الْحليمِي –رحمه الله- قولَه: « وأصل هذا الباب أنْ يَقِف على مدائِحِ رسول الله والْمحاسن الثابتة له في نفسه، ثم على حسن آثاره في دين الله ، وما يجب له من الحق على أمته شرعًا وعادة، فمَن أحاط بذلك، وسلِم عقلُه = علِم أنه أحق بالمحبة من الوالد الفاضل في نفسه، البَرّ الشفيق على ولده، ومن الْمُعلم الرضيّ في نفسه، الْمقبل على التعلم، الْمجتهد في التخريج. ومدائح رسول الله كثيرة: **منها:** شرف أصله و طهارة مولده. **ومنها:** أسماؤه التي اختارها الله له وسماه بها. **ومنها:** إشادة الله تعالى بذكره قبل أن يخلقه حتى عرفه الأنبياء صلوات الله عليهم وأممهم، قبل أن يعرف نفسه وتعرفه أمته. **منها:** حسن خَلْقه وخُلُقه وكرم خصائله وشمائله. **ومنها:** بيانه وفصاحته ... **ومنها:** حدبه على أمته ورأفته بهم، وما ساق الله تعالى به إليهم من الخيرات العظيمة في الدنيا، وعرضهم له من شفاعته لهم في الآخرة. **ومنها:** زهده في الدنيا وصبره على شدائدها ومصائبها. **وأما المرتبة العظمى وهي النبوة والرسالة** فله فيها من المآثر الرفيعة: عموم رسالته الثقلين، وشمولها بين الخافقين، وأنه خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وأكرمهم في الدنيا أعلامًا، وأحمدهم في الآخرة مقامًا؛ وذلك أنه أول مَن تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع، وهو صاحب اللواء المحمود، وصاحب الحوض المورود، وأقسم الله بحياته، ولم يخاطبه باسْمه في القرآن ولا كنيته، بل دعاه باسم النبوة والرسالة،واصطفاه بذلك على الجماعة. قال البيهقي -رحمه الله- وقد صنّفتُ -بتوفيق الله تعالى- كتابًا في دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الرسالة، من وقت ولادته إلى حال وفاته ، وذكرتُ فيه من الأخبار والآثار ما يكون بيانًا لِما أورَدَه الحليمي -رحمه الله- »[1].

---

1 (?) شعب الإيمان للبيهقي، (ج2/ ص133).

وسيأتِي تتمة الكلام على هذه الجزئية من هذا المطلب، في المبحث الأول من الفصل الثاني من الباب الأخير، والذي هو بِعنوان: أهل السنة يُحِبُّون العبد الرسول محمدًا فوق المحبوبات المخلوقة.

** * **

المسألة الثانية: توقير النبي عليه الصلاة والسلام[1]:

تعظيم النبي وتعظيم ما جاء به درجةٌ فوق منـزلة محبته، فهو محبة وزيادة، قال البيهقي –رحمه الله- « الخامس عشر من شعب الإيمان، وهو بابٌ في تعظيم النبي وإجلاله وتوقيره : وهذه منـزلة فوق المحبة، لأنه ليس كلّ مُحبٍّ مُعظِّمًا، والعكس؛ ألا ترى أنّ الوالد يُحبّ ولده، ولكن حبّه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه، والولد يُحبُّ والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والسيّد قد يُحبّ مَماليكه ولكن لا يُعظّمُهم، والمماليك يُحبّون ساداتِهم ويُعظّمونَهم؛ فعلمنا بذلك أنّ التعظيم رتبةٌ فوق المحبة، والداعي إلى المحبة ما يَفيض عن الْمُحَب على الْمُحِبّ من الخيرات، والداعي إلى التعظيم ما يحب المعظم في نفسه من الصفات العلية، ويتعلق به من حاجات المعظم التي لا قضاء لها إلا عنده »[2].

والرسول أُمرنا بِحبّه وتعظيمه، بل فوق محبة الوالد وتعظيمه، ومحبة أصحاب السيرة الحسنة من الملوك وتعظيمهم، ولعل مِن ألطف ما يُستدل به لِهذا التقرير هو ما جاء في حديث أَنَسٍ ، المتفق عليه، مرفوعًا: " **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، ...**"، واللفظ للبخاري. وعند أبي هريرة مرفوعًا، في البخاري: " **فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لا**

---

1 ([?]) انظر: شعب الإيمان للبيهقي، (ج2/ باب في تعظيم النبي وإجلاله وتوقيره ، ص193-234) وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الباب الثالث: في تعظيم أمره، ووجوب توقيره وبره، ص420-423 .

2 ([?]) شعب الإيمان للبيهقي، (ج2/ص193).

يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، .. "[3].

فتعظيم الرسول ﷺ الناشئ عن محبته فوق تعظيم الوالد وغيره. وبعد هذا، أقول:

قد ذَكَر الله تعالى أنّه أرسل رسوله محمدًا ﷺ ليُؤمِن الناس به وبالرسول، ولِيُجِلُّوا هذا الرسول ويُعظِّموه ويُوقِّروه، والتوقير: التعظيم، فقال: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﭼ [الفتح: ٨ – ٩].

وقد نقل البيهقي عن شيخه الحليمي –رحمهما الله- في هذا المعنى: « فمعلومٌ أنّ حقوق رسول الله صلى الله عليه أجَلّ وأعظم وأكرم وألزم لنا، وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم، والآباء على أولادهم؛ لأنّ الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصَم به لنا أرواحَنا وأبدانَنا وأعراضَنا وأموالَنا وأهلِينا وأولادَنا في العاجلة، وهدانا له، ... فأيّة نعمة توازي هذه النعم، وأية منّة إلى هذا الشيء، ثم إنه جل ثناؤُه ألزمَنا طاعتَه، وتوعّدَنا على معصيته بالنار، ووعدنا باتباعه الجنة، فأي رُتبة تُضاهي هذه الرتبة، وأيّ درجة تساوي في العمل هذه الدرجة، **فحق علينا إذن أن نُحبّه ونُجلّه ونُعظّمه ونَهيبه أكثر مِن إجلال كل عبد سيده**، وكلّ ولَدٍ والده، وبِمثل هذا نطَق الكتاب، ووردت أوامرُ الله جل ثناؤُه، قال الله ﷻ: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﭼ [الأعراف: ١٥٧]. فأخبَر أنّ الفلاح إنّما يكون لِمَن جمع إلى الإيمان به تعزيره، ولا خلاف في أنّ التعزير هاهنا التعظيم، وقال: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﭼ فأبان أنّ حق رسول الله ﷺ في أمته أن يكون مُعزَّزًا مُوَقَّرًا مَهيْبًا، ولا يُعامل بالاسترسال والمباسطة، كما يُعامل الأكفاء بعضُهم بعضًا، قال الله ﷻ: ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﭼ [النور: ٦٣]. فقيل في معناه: لا تَجعلوا دعاءَه إياكم كدعاء بعضكم بعضًا، فَتُؤخِّروا إجابته بالأعذار والعلل التي يُؤَخّر بِها بعضُكم إجابة بعض، ولكن عظّموه بسرعة الإجابة، ومعاجلة الطاعة، ولم يجعل

[3] سبق تخريج الحديثين في المطلب قبل هذا، وأنهما في الصحيحين.

الصلاة لهم عذرًا في التخلف، عن الإجابة إذا دعا أحدهم وهو يصلي إعلامًا لهم بأنّ الصلاة إذا لم تكن عُذْرًا يُستباح به تأخير الإجابة، فما دونَها من معانِي أعذارًا بعد ذلك ... وقيل: معنى هذه الآية: ﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁ ﯾﯿﰀﭼ، ذلك أنّه لَمّا كانوا ينادونه على رسْم الْملإ بينهم، فيقولون له: يا محمد، يا أبا القاسم، فنُهوا عن ذلك، وأُمِروا أنْ يُعظّموه فيقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله. وكلٌّ واحدٍ من الأمرين إجلال وتعظيم »[1].

ولقد فهِم العلماء من تفسيرات السلف لألفاظ الآية التي صدّرتُ بِها المطلب أنّ التعظيم المأمور به تجاهه ﷺ يكون بالقلب وباللسان والجوارح، ولكي نقف على بعض ما قاله السلف أولا في تفسير الآية، وأنّها تُقرر ذلك، نستمع إلى ما ذكره العلامة القرطبي –رحمه الله-، حيث قال: « ﭼﯟﭼ أي: تُعظّموه وتُفَخِّمُوه، ... والتعزير: التعظيم والتوقير. وقال قتادة: تَنصروه وتَمنعوا منه، ومنه التعزير في الحد؛ لأنّه مانعٌ. ... وقال ابن عباس وعكرمة: تقاتلون معه بالسيف. وقال بعض أهل اللغة: تطيعوه. ﭼﯠ ﭼ أي: تُسَوِّدُوه، ... وقيل: تُعَظّموه. والتوقير: التعظيم والتَّرْزين أيضًا. والهاء فيهما للنبي ﷺ. وهنا وقف تام. ثم تبتدئ ﭼﯡﭼ أي تسبحوا الله ﭼﯢﯣﭼ أي: عَشِيًّا. وقيل: الضمائر كلها لله تعالى، فعلى هذا يكون تأويل ﭼﯟﯠﭼ ... واختار هذا القول القشيري. والأول قول الضحاك، وعليه: يكون بعض الكلام راجعًا إلى الله سبحانه وتعالى؛ وهو ﭼﯡ ﭼ مِن غير خلاف. وبعضُه راجعًا إلى رسوله ﷺ، وهو ﭼﯟﯠﭼ أي: تدعوه بالرسالة والنبوة، لا بالاسم والكنية »[2].

وأوضحُ منه وأقصَر ما قاله المفسر ابن عطية –رحمه الله- قبلَه: « ومعنى : (تُعزروه) تُعَظِّمُوه وتُكَبِّروه، قاله ابن عباس. وقال قتادة: معناه: تنصروه بالقتال، وقال بعض المتأولين: الضمائر في قوله: ﭼﯟﯠﯡﭼ هي كلها

---

[1] (?) شعب الإيمان، (ج2/ 193-195).
[2] (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج19/ 304-305).

لله تعالى. وقال الجمهور: ﭽﭙﭚﭛﭜ ﭽ هما للنبي ، ﭽﭞﭟ ﭽ هي لله »[1].

وأما الحافظ ابن كثير –رحمه الله- فقال: « ﭽﭘﭙﭚﭛ ﭽ، قال ابن عباس وغيرُ واحِدٍ: يُعَظِّمُوه، ﭽﭜ ﭽ مِن التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام، ﭽﭞﭟ ﭽ أي: تُسبِّحُون الله »[2].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « ﭽﭚﭛ ﭽ أي: تُعزِّروا الرسول وتُوقِّروه، أي: تُعظِّموه وتُجِلُّوه، وتَقُوموا بِحقوقه، كما كانت له الْمِنّة العظيمة برقابكم، ﭽﭞﭟ ﭽ أي: تُسبِّحوا لله »[3].

وبعد هذه النقولات عن هؤلاء العلماء قديمًا وحديثًا أُأَكّد هنا ما قلتُه أولا، وهو أنّ تعظيم الرسول يكون بكُلّ الجوارح، قلبًا ولسانًا وكذلك بقية الجوارح، **ومن تعظيمه باللسان**: ما أدّب الله به صحابة رسوله، حيث نهاهم عن قول لفظة كان اليهود يؤْذون بها اليهود رسول الله ، وهي لفظة راعنا بلُغتهم: فقال: ﭽﯕﯖﯗﯘﯙﯚ ﯛﯜﯝﯞﯟﯠ ﭽ [البقرة: ١٠٤].

قال القاضي عياض –رحمه الله- في بيان اللفظة: « قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نُهوا عن قولها تعظيمًا للنبي وتبجيلا له؛ لأنّ معناها: ارعنا نرعك، فنُهوا عن قولها؛ إذ مقتضاها كأنّهم لا يرعونه إلا برعايته لهم، بل حقه أنْ يُرعى على كل حال. وقيل كانت اليهود تُعرّض بِها للنبي بالرعونة، فنُهي المسلمون عن قولها قطعًا للذريعة، ومنها: للتشبه بِهم في قولِها لِمشاركة اللفظة. وقيل غير هذا »[4].

ومن تعظيمه باللسان أيضًا: حيث نَهى الله الصحابة عن: أنْ يجعلوا دعوتَه عند مخاطبته، كدعوة بعضهم بعضًا، فيقولوا -مثلا- (يا محمد): ﭽﭽﭾﭿﮀ ﮁﮂ ﮃﮄﮅﮆ

---

[1] (?) المحرر الوجيز، ص 1731 .
[2] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ ص234).
[3] (?) تيسير الكريم الرحمن، ص792.
[4] (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص423.

ڈڈڎژژڑڑکککگگگگڳڳڱڱچ [النور: ٦٣]. وهذا أحَد تفسيرَي الآية[1].

قال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم، ودعائكم للرسول، كدعاء بعضكم بعضًا، فإذا دعاكم فأجيبوه وجوبًا، حتى إنّه تَجِب إجابة الرسول ﷺ في حال الصلاة، وليس أحدٌ إذا قال قولا يَجِب على الأمة قبولَ قولِه والعمل به، إلا الرسول، لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: چۈۈۇۇۆۆۋۋېېچ [الأنفال: ٢٤]. وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضًا، فلا تقولوا: (يا محمد) عند ندائكم، أو (يا محمد بن عبد الله) كما يقول ذلك بعضُكم لِبَعضٍ، بل مِن شَرَفِه وفَضْلِه وتَمَيُّزِه ﷺ عن غيره، أنْ يُقال: يا رسول الله، يا نبِيّ الله »[2].

وفي هذه الآية تعظيمٌ لقدره ﷺ، وجعله ليس كغيره من الأمة.

كما نَهاهم عن رَفع أصواتِهم فوق صوته[3]، فقال: چڻ ڻٹٹ ھھھھ ڭڭڭۇچ [الحجرات: ٢].

ويُقاس على ذلك ما هو أشنع منه: وهو رفع المقالات على قوله وسنته، ومنه تقديم المعقولات والآراء المخالفة على دينه، وهذا أولى بحبوط العمل، والله المستعان!

ومِن ذلك: نَهيُه سبحانه وتعالى العباد أنْ يتقدّموا الله ورسوله ﷺ بالقول أو بالفعل، قال: چککککگگگگڳڳ ڳڳڱڱںںچ [الحجرات: ١]. فلا يقول الناس حتى يقول هذا الرسول ﷺ، ولا يفعلوا حتى يَفعل[4]، يقول الشيخ السعدي –رحمه الله-: «وفي هذا، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ على قوله، فإنّه متَى استبانَتْ سنة رسول الله ﷺ، وجَبَ اتّباعُها، وتقديْمُها على غيرها، كائنًا ما كان»[5].

---

1 (?) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ص1373.

2 (?) تيسير الكريم الرحمن، ص576.

3 (?) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ص1741.

4 (?) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ص1740.

5 (?) تيسير الكريم الرحمن، ص576.

قال الإمام محمد بن الحسين الآجري -رحمه الله- في هذا المقام: « ألا ترَون -رحمكم الله- كيف شرّف الله نبيَّنا محمدًا ، في كل حال يَزيده شرَفًا إلى شرَف في الدنيا والآخرة. ثم اعلموا: يا أمة محمد، يا مؤمنين، أنَّ الله أوجَب على جميع الخلق أنْ يُعظِّموا قدر نبيِّه عليه الصلاة والسلام بالتوقير له والتعظيم، وأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، ولا يجهروا له في المخاطبة، كجهر بعضهم لبعض، بل يخفضوا أصواتَهم عند صوته، كل ذلك إجلالاً له، وأعلمهم أنّ مَن خالف ما أمَر الله به مِن ذلك التعظيم لرسوله: أنّه يَحبط عملُه وهو لا يشعر؛ فقال جل ذكرُه: ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮ ﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﭼ [الحجرات:1-٢]. ثم وعَد جلّ ذكرُه مَن قَبِل مِن الله ما أمَر به في رسوله: مِن خفض الصوت والتوقير له: المغفرةَ مع الأجر العظيم، فقال جلَّ ذكرُه: ﭽﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞ ﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﭼ [الحجرات: ٣]. وقال : ﭽﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﭼ [النور: ٦٣]. وقال : ﭽﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﭼ [الأنفال: ٢٤]. كلّ ذلك يُحذّر الله تعالى عباده مخالفةَ رسوله ، ويُعظم به قدرَه عندهم. ..»[1].

بل وكثيرٌ من آيات سورة الحجرات جاءت لتقرير الأدب مع النبي وتعظيمه .

**ومِن تعظيم الله له **: ما جاء في الآية الآتية، وفيها أنّ الله نَهى عِبادَه وحرّم عليهم أنْ ينكحوا أزواج رسوله بعده، تعظيمًا له، وهذا مِن خصائصه: ﭽﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﭼ [الأحزاب: ٥٣].

ولقد قال الإمام الآجري -رحمه الله- في هذا المقام: « ثم إنّ الله رفَع قدر نبِيّه ، وزادَه شرَفًا إلى شرَفِه، وفَضّله على سائر الخلق، بأنْ حرَّم أزواجه على جميع العالمين أنْ يتزوجوهُنّ بعد موته، وهكذا إذا طلق امرأة من نسائه دخَل بِها أو لم يدخل بِها، فقد حرّم على كُلّ

[1] (?) كتاب الشريعة، ص366-367.

أحَدٍ أنْ يتزوجها، لأنّهن أمهاتُ المؤمنين، فقد خصّه مولاه الكريم بكل خلق شريف عظيم »[1].

وإنّ مِن توقير النبي وتعظيمه باللسان: الصلاةَ والسلام عليه ، وهذا ما سيأتِي بيانُه في آخر مباحث الرسالة، والذي عُنْوِن له بـ: أهل السنة يَرَون وجوبَ الصلاة والسلام على العبد الرسول محمدٍ ، في فصل نفي الجفاء عنهم تجاهه .

وهذا التعظيم الذي أمَر به الله تجاه عبده ورسوله تقرر أنّ **مَحلّه: القلب واللسان والجوارح، وقد قَرر هذا** المعنى وأسهَب فيه جمعٌ كبيرٌ من العلماء، على رأسهم الشيخان شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في مواضع كثيرة من كتبهما. وكذلك الشيخ ابن عبد الهادي في الصارم المنكِي، وسيأتِي كلامُه في ذلك في المبحث المخصص لبيان تعظيم أهل السنة عبد الله ورسولَه ، وتعظيم ما جاء به. وقرره كذلك في الآخِرين الشيخ سليمان حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمهما الله-، حيث قال: وهو يُبيِّن ما هو الصحيح من تعظيم الرسول -مما يقتضيه كونه رسولاً- مِن غير الصحيح: « **ومن العجَب** أنَّ الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته ، وتعظيمه، ومتابعته، وهذا شأنُ اللعين لا بد وأن يُمزج الحق بالباطل ليروِّج على أشباه الأنعام اتباع كلِّ ناعقٍ، الذين لم يستضيؤا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيقٍ؛ لأن هذا ليس بتعظيم، فإنَّ التعظيم **محلُّه القلب واللسان والجوارح،** وهم أبعد الناس منه؛ فإنَّ **التعظيم بالقلب** ما يتبع اعتقاد كونه عبدًا رسولاً، من تقديم محبته على النفس، والولد، والوالد، والناس أجمعين، ويُصدِّق هذه المحبة أمران: **أحدهُما**: تجريد التوحيد؛ فإنَّه كان أحرص الخلق على تجريده حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، حتى قال له رجل: **مَا شَاءَ اللَّهُ وشئتَ**، قال: " **أجعلتنِي لله ندًا، بل ما شاء الله وحده** " [2]، ونَهى أنْ يُحلف بغير الله،

---

[1] (?) المصدر نفسه، ص369.

[2] (?) سبق تخريجه في الفصل الأول من هذا الباب .

وأخبَر أنَّ ذلك شرك. ونَهى أنْ يُصلّى إلى القبر، أو يتخذ مسجدًا، أو عيدًا، أو يوقَد عليه سراجٌ، بل مدار دينه على هذا الأصل الذي هو قُطْبِ رَحَى النجاة. ولم يُقرِّر أحدٌ ما قرَّره بقوله وفعله، وسدَّ الذرائع المنافية له، فتعظيمه بِموافقته على ذلك، لا بِمناقضته فيه. **الثاني:** تجريد متابعته -- وتحكيمُه وحده في الدقيق والجليل من أصول الدين وفروعه، والرضا بحكمه، والانقياد له والتسليم، والإعراض عما خالفه،.. حتى يكون وحده هو الحاكم المتَّبَع، المقبول قولُه، المردود ما خالفه، كما كان ربُّه تعالى وحده هو المعبود المألوه، المخوف المرجو المستغاث به، المتوكل عليه، الذي إليه الرغبة والرهبة، الذي يُؤمَّل وحده لكشف الشدائد، ومغفرة الذنوب الذي من جوده الدنيا والآخرة، الذي خلق الخلق وحده، ورزقهم وحده، ويبعثهم وحده، ويغفر ويرحم، ويهدي ويضل، ويُسعِد ويُشقِي وحده، وليس لغيره من الأمر شيء كائنًا من كان؛ لا النبِيّ ، ولا جبريلُ ، ولا غيرهما، فهذا هو التعظيم الحق المطابق لِحال المعظَّم، النافع للمعظِّم في معاشه ومعاده، والذي هو لازم إيْمانه وملزومه. **أما التعظيم باللسان** فهو الثناء عليه بِما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلوٍّ ولا تقصير كما فعل عبَّاد القبور؛ فإنهم غلَوا في مدحه إلى الغاية. **وأما التعظيم بالجوارح** فهو العمل بطاعته والسعي في إظهار دينه ونصر ما جاء به وجهاد ما خالفه. **وبالجملة فالتعظيم النافع** هو التصديق فيما أخبر وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، والموالاة والمعاداة والحب والبعض لأجله، وتحكيمه وحده، والرضا بحكمه، وأن لا يُتَّخذَ من دونه طاغوتٌ يكون التحاكم إلى أقواله؛ فما وافقها من قوله قبِله، وما خالفها ردَّه، أو تأوَّله، أو أعرض عنه، والله سبحانه يشهد -و ڇ ڃ ڄ ڇ ڈ ڇ [الأحقاف: ٨]- وملائكتُه ورسلُه وأولياؤُه أنَّ عُبَّاد القبور، وخُصوم الموحدين ليسوا كذلك »[1].

---

[1] (?) تيسير العزيز الحميد، ص262-264.

وسيأتِي تتمة الكلام على هذه الجزئية، في المبحث الثالث من الفصل الثاني من الباب الأخير، والذي هو بِعنوان: أهل السنة يَرَون تعظيم العبد الرسول ﷺ وتعظيم ما جاء به.

** * **

المطلب الثالث: اتباعُه ﷺ في كلِّ ما شرع[1]**:**

إنّ مِن لوازم الإيمان بالرسالة المحمدية أيضًا: اتباعَه ﷺ -قولا وفعلا وعقيدة- في كلّ ما شرَع، والاعتصام بحبل الله ودينه وكتابه وسُنّة نبِيّه، واتباع النبِيّ ﷺ على ضَرْبَين، اتباعٌ لا يصِحّ الدين إلا به، وآخر: اتباعُه ﷺ في كُلِّ شيء، وهو دليلُ كَمال الإيمان، والأول هو المقصود بالمطلب تحت مبحث لوازم الإيمان بالرسلة المحمدية، ويدلّ على هذا الاتباع الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة، تحت عدة أساليب، من ذلك:

الأسلوب الأول: النصوص التي فيها الأمر بالاعتصام بِحبل الله؛ والقول الجامع فيه: الاستمساك بجميع دينه الذي شرَعه الرسول ﷺ:

قال الله تعالى: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ﭼ [آل عمران: ١٠١].

ولازم هذا أنّ مَن لم يعتصم به سبحانه فقد ضلّ.

وقال: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [الحج: ٧٨].

وقد مدَح الله المعتصمين به سبحانه، ووَعَدهم هدايته وإدخالهم في رحمته وفضله، فقال: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ [النساء: ١٤٦]. وقال: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ [النساء: ١٧٥]. وأمر بالاعتصام بِـحبله، فقال: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ

---

[1] انظر: للاستزادة: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج10/ ص408-409)، وفصل وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه، (ج1/ص 393-397)، وآخر الباب الأول: وجوب الإيمان بالنبي ﷺ وطاعته واتباع سنته/ من كتاب حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة. ورسالة اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، لفيصل بن علي، ضمن كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، وكتاب قواعد معرفة البِدَع، د. محمد بن حسين الجيزانِي.

[آل عمران: ١٠٣]. وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " **إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَكرهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، ..** "الحديث [1].

وفُسّر (حبل الله) المأمور بالاعتصام والاستمساك به، بأنه: عهده، كما فُسّر بأنه دينه (الإسلام)، وقيل حبل الله كتاب الله (القرآن)، كما فُسّر بأنه رسول الله، وبأنه الإخلاص في التوحيد. وهذه المعانِي كلّها متداخلة ومتقاربة. والحبل لفظ مشترك، وهو في اللغة السبب الذي يُوصَل به إلى البغية والحاجة، والمطلوب هنا الكلّ، لإيصالها الغاية[2].

قال النووي –رحمه الله- في شرح الحديث السابق: « وَأَمَّا الاعْتِصَام بِحَبْلِ اللَّهِ فَهُوَ التَّمَسُّك بِعَهْدِهِ، وَهُوَ اتِّبَاع كِتَابه الْعَزِيز وَحُدُوده، وَالتَّأَدُّب بِأَدَبِهِ. وَالْحَبْل يُطْلَق عَلَى الْعَهْد، وَعَلَى الأَمَان، وَعَلَى الْوَصْلَة، وَعَلَى السَّبَب، وَأَصْله مِن اسْتِعْمَال الْعَرَب الْحَبْل فِي مِثْل هَذِهِ الأُمُور لاسْتِمْسَاكِهِمْ بِالْحَبْلِ عِنْد شَدَائِد أُمُورهمْ، وَيُوصِلُونَ بِهَا الْمُتَفَرِّق، فَاسْتُعِيرَ اِسْم الْحَبْل لِهَذِهِ الأُمُور » [3].

وعقد البخاري –رحمه الله- في صحيحه ترجمةً لكتاب، عنْوَنَ له بـ« كِتَاب الاعْتِصَام بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّة »[4]، وأورد تحته خمسة أحاديث، ظاهرة العلاقة بالكتاب.

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- « الاعْتِصَام: افْتِعَال مِنْ الْعِصْمَة، .. قَالَ الْكَرْمَانِيُّ هَذِهِ التَّرْجَمَة مُنْتَزَعَة مِنْ قَوْله تَعَالَى: ﭽﭬﭽﭼﭾ لأَنَّ الْمُرَاد بِالْحَبْلِ: الْكِتَاب وَالسُّنَّة عَلَى سَبِيل الاسْتِعَارَة، وَالْجَامِع كَوْنهمَا سَبَبًا لِلْمَقْصُودِ، وَهُوَ الثَّوَاب وَالنَّجَاة مِنْ الْعَذَاب، كَمَا أَنَّ

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ... رقم: 1715.

2 (?) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ص337-338، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج5/ـ 239-241)، وتفسير القرآن العظيم، (ج1/ 506-507).

3 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص1103 .

4 (?) صحيح البخاري مع الفتح، (ج4/ ص5248).

الْجَبْل سَبَب لِحُصُول الْمَقْصُود بِهِ مِنْ السَّقْي وَغَيْره. وَالْمُرَاد (بِالْكِتَابِ) الْقُرْآن الْمُتَعَبَّد بِتِلاوَتِهِ، وَ(بِالسُّنَّةِ) مَا جَاءَ عَنْ النَّبِيّ مِنْ أَقْوَاله وَأَفْعَاله وَتَقْرِيره وَمَا هَمَّ بِفِعْلِهِ. ... قَالَ ابْن بَطَّال: لا عِصْمَة لأَحَدٍ إلا فِي كِتَاب اللَّه أَوْ فِي سُنَّة رَسُوله، أَوْ فِي إجْمَاع الْعُلَمَاء عَلَى مَعْنًى فِي أَحَدهمَا، ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى السُّنَّة بِاعْتِبَارِ مَا جَاءَ عَنْ النَّبِيّ »[1].

الثانِي: النصوص التي فيها الأمر باتباع الرسول ، وتعليق محبة الله على ذلك، أو الأمر به وتعليق هداية الناس على ذلك، أو الأمر باتباع أحسن ما أنزل الله، أو ذكر الوعد للمتبعين له بأنّ الله تعالى سيكتبهم في رحمته، ..:

فمِن الأمر باتباعه : قوله تعالى: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲ ﭳﭴﭵﭶﭷﭸ [آل عمران: ٣١].

وهنا ينبغي أنْ أقف مع هذه الآية والتي تسمى عند العلماء: آية المحنة، حتى يتضح المقصود من عَقد هذا المطلب تحت مبحث لوازم الإيمان بالرسالة المحمدية، فأقول:

قال المفسّر ابن عطية –رحمه الله- في تفسيرها: « اختلف المفسرون فيمَن أُمِر محمدًا أنْ يقول له هذه المقالة، فقال .. : إنّ قومًا قالوا للنبي : يا محمد! إنا نُحبّ ربّنا، فنـزلت هذه الآية في قولهم، جعل الله فيها اتباع محمد علَمًا لِحُبّه، وقال .. : أُمر رسولُ الله أن يقول هذا القول لنصارى نجران، أي: إنْ كان قولُكم في عيسى وغلوكم في أمره حبًّا لله، ﭽﭾﭿ ، ويحتمل أن تكون الآية عامة لأهل الكتاب اليهود والنصارى؛ لأنّهم كانوا يدّعون أنّهم يُحبون الله ويُحبّهم، ألا ترى أنّ جميعهم قالوا: ﭽﭘﭙﭚﭛﭜ [المائدة: ١٨]. ولفظ أحباؤُه إنما يُعطي أنّ الله يُحبّهم، لكن يعلم أنّ مرادهم (ومحبوه) فيَحْسُن أنْ يُقال لهم: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰ »[2].

---

1 (?) فتح الباري، المصدر نفسه.

2 (?) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 290-291.

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسيرها: « هذه الآية الكريمة حاكمة على كلّ مَن ادّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذبٌ في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله أنه قال: " **مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَد** "[1]، ولهذا قال: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إيّاه، وهو محبته إيّاكم، وهو أعظم مِن الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أنْ تُحِبّ، إنما الشأن أن تُحَبّ وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعَم قوم أنَّهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ .. ثم قال: ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ أي: باتباعكم للرسول يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته »[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله-: « وهذه الآية فيها وجوبُ محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ أي: ادّعَيْتُم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بُدّ من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمَن اتّبَع الرسول دَلّ على صِدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبّه الله وغفَر له ذَنْبَه، ورَحِمَه وسدّده في جَميع حركَاته وسكناته، ومَن لم يتّبع الرسول فليس مُحبًّا لله تعالى، لأنّ محبته لله توجب له اتباع رسوله، فمَا لم يوجد ذلك دلّ على عدمها، وأنه كاذبٌ إنْ ادّعاها، مع أنّها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يُوزن جميع الخلق، فعلى حسَب حظّهم من اتباع الرسول يكون إيْمانُهم وحبُّهم لله، وما نقص من ذلك نقص »[3].

[1] أخرج هذا اللفظ مسندًا مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة...، رقم: 1718.

[2] تفسير القرآن العظيم، (ج1/ص 467-468).

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 127.

وبعد ذكر هذه النقولات الثلاثة المهمة، أُذَكِّر هنا بعنوان المبحث الذي انتظمَتْ هذه المطالب السبعة التي تحته، ألا وهو: لوازم تتعلق بالإيمان برسالته : وعلى هذا؛ فالقول بأنّ الذين أُمِر الرسول بأنْ يقول لَهم: اتبعوا رسولَ الله إنْ كنتم تُحبّون الله، فالقول بأنّهم هم اليهود والنصارى، قولٌ واضحٌ علاقتُه بعنوان المبحث. فاليهود والنصارى يزعمون محبة الله، فأُمرُوا بأنْ يأتوا بشاهد يشهد لهم على دعواهم وهو اتباع الرسول حتى يكونوا مؤمنين، وحتى يُحبّهم الله، وإنْ كانت الآية تدلّ على أعمّ من ذلك؛ كما أنّ أوضح علاقةٍ بين الآية والمطلب هو أنّ محبة الله ليس لكافرٍ منها نصيبٌ ﭽﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽ [آل عمران: ٣٢]. أما المؤمنون؛ فيُحبّهم الله تعالى بحسب إيمانهم كمالا ونقصًا، اتباعًا وابتداعًا؛ وعلامة محبة العبد لله والتي يترتب عليها محبة الله للعبد هو ما جاء في هذا المطلب (**اتباع النبي في كلِّ ما شرع):** عقيدة وسلوكًا، قولا وعملا؛ وذلك لأنّ الإيمان بكونه مُرْسَلا من ربّنا يَلزَم منه: اتباع هذا الرسول في كلّ شرعه؛ ذلك أنّ اتباعَه اتباعٌ لِمُرسِلِه سبحانه؛ فَمَن لم يتبعه أصلا وفرعًا: فهذا دليلٌ على عدم إيمانه، وأنّ الله تبارك وتعالى لا يُحبُّ الكافرين، ومَن اتّبَعَه في أصل الإيمان وما لا يصحّ إلا به فهو مؤمن بقدرٍ ما معه من الاتباع، وناقص الإيمان بقدر ما معه من التقصير في هذا الباب. فاللهَ نسأل أنْ يُكمّل إيماننا، آمين.

فكما أنّ محبة الله تقتضي متابعة رسوله ، وكذلك تقتضي محبة الرسول متابعته وموافقته، قال البيهقي – رحمه الله- في تعليقه على حديث حلاوة الإيمان: « وأبَانَ بِما قَبْلَه أنّ ترْك متابعتِه تدلّ على خلاف المحبة، وفي ذلك دلالة على وجوب المحبة، ووجوب ما تقتضيه المحبة من المتابعة والموافقة »[1]. وقد سبقت الأدلة على وجوب المحبة.

---

[1] (?) شُعَب الإيمان، (ج1/ 365).

وفي ختام الوصايا العشرة التي اتفق عليها الأديان أمَر الله تعالى باتباع دينه والأحكام الذي انتظمته الوصايا وغيرها[1]، وأنّه نَهج نبينا □ الذي أمرنا به، قال سبحانه: ﭽﭾ ﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑ [الأنعام: ١٥٣].

قال جلّ وعلا مبيِّنًا أنّ اتباع الرسول □، والإيمان بالله □ وبشرائعه هو من خير ما يتوسّل به العبد إلى رِبِّه: ﭽ□ﭑ ﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭼ [آل عمران: ٥٣]. وأمَر باتباع الدين كلِّه، فقال: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [الأعراف: ٣].

وأمَر باتباعه واتباع النور الذي أُنزل معه، وذكَر أنّ مُتّبعِيه □ هم الذين يَكتُبُهم في رحمته فقال: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ □ □ □ □ □ □ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ □ □ □ □ □ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ □ ﯛ ﯜ □ □ □ □ ﯤ ﭼ [الأعراف:157-١٥٨].

وهذه الآية من أمّات هذا الباب؛ حيث علّق الله هداية كلّ الناس وبجميع أجناسهم على اتباع هذا الرسول □ في كلّ ما شرَعه، في قوله: ﭽ□□□ﭼ

وقد جاء حديثٌ متكلّم فيه بمعناها؛ عن أَبِي هُرَيْرَة □، قال: " **لا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ** "[2].

قال المفسر ابن عطية –رحمه الله- في تفسيرها: « وقوله: ﭽ□ﭼ لفظٌ عامٌ يدخل تحته جميع إلزامات الشريعة، جَعَلَنا الله من مُتّبِعِيه على ما يَلْزَم بِمَنِّه ورحمته »[3].

[1] (?) انظر تفسير الآية في: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 676-677، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج9/ـ 115-116)، وتفسير القرآن العظيم (ج2/ 258)، وتيسير الكريم الرحمن، ص280.

[2] (?) تقدم تخريج الحديث، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « أَخْرَجَهُ الْحَسَن بْن سُفْيَان وَغَيْره، وَرِجَاله ثِقَات، وَقَدْ صَحَّحَهُ النَّوَوِي فِي آخِر الْأَرْبَعِينَ.. » (فتح الباري، ج4/ـ 5276)، وضعف إسناده غيرُ واحدٍ من الأئمة.

[3] (?) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص752 .

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسيرها: « ﭽﭼ أي: اسلكوا طريقه واقتفوا أثرَه، ﭽﭼ أي: إلى الصراط المستقيم »[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله-: « ﭽ ﭼ في مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضَلَلتم ضلالا بعيدًا »[2].

ومن أدلة هذا المطلب، قوله تعالى: ﭽ ﭼ [الزمر: ٥٥].

الثالث: النصوص التي فيها أنّ اتباع الرسول محمدٍ ﷺ، مع إخلاص الوجه والعمل لله سبحانه، هُما شَرْطَا قَبُول الأعمال عند الله؛ وأنّ الذي لم يتبعه قد خسِر عمَله: قال تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [البقرة: ١١٢]. وقوله: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ [النساء: ١٢٥]. وقوله: ﭽ ﭼ [الكهف: ١١٠]. وقوله: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [لقمان: ٢٢].

فـ« لا قبول لعمَلٍ من الأعمال العبادية إلا بالاتباع والْموافقة لِما جاء به محمد ﷺ، بل إنّ الأعمال التي تُعمَل بلا اتباع وتأسٍّ لا تزيد عامِلَها مِن الله إلا بُعدًا؛ وذلك لأنّ الله تعالى إنّما يُعبَد بأمْره الذي بَعَث به رسولَه ﷺ، لا بالآراء والأهواء »[3].

فالاتباع والتأسّي برسول الله ﷺ هو حقيقة إيمان العبد وشهادته بأنّ محمدًا رسول الله، فلا يتحقق إسلام العبد ولا يُقبَل منه قولٌ ولا عمَلٌ ولا اعتقادٌ إلا إذا حقّق أصْلَي الاتباع والإخلاص، قال العلامة ابن القيّم –رحمه الله-: « فلا يكون العبد متحققًا ﭽﭞﭟﭠﭼ [الفاتحة: ٥] إلا بأصلَين

---

[1] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج2/ 341).

[2] (?) تيسير الكريم الرحمن، ص305.

[3] (?) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين لفيصل بن علي، 106، ضمن كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال.

عظيمين: أحدهما: متابعة الرسول ﷺ، والثانِي: الإخلاص للمعبود »[1].

وقال الشيخ ابن أبي العزّ الحنفي –رحمه الله-: « فَهُمَا تَوْحِيدَانِ، لا نَجَاةَ لِلْعَبْدِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إلا بِهِمَا: تَوْحِيدُ الْمُرْسِلِ، وَتَوْحِيدُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ »[2].

فثَبَت أنّ الإخلاص والمتابعة هما الأصلان العظيمان اللذان لا قَبول لأحدٍ عند الله إلا بتحقيقهما، وهما معنى تَحْقِيق شَهَادَةِ أَنْ لاَ إلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه[3].

الرابع: النصوص التي تأمُرُ بأخذ جَميع ما آتانا الرسول ﷺ به، والانتهاء عما نَهى عنه: قال الله تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ [الحشر: ٧].

خامسًا: النصوص التي فيها ذمّ بنِي إسرائيل في إيْمانِهم واتّباعهم بعض الدين، وكفرهم بالآخَر، وفي ذلك نَهي مِن سُلوك طرائقهم: قال تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [البقرة: ٨٥].

لَمّا كان المطلب في بيان وجوب اتباعه ﷺ في كُلّ ما شرَع، كانت هذه الآية التي ذمّ الله بنِي إسرائيل مقصودة.

وبعد هذا، فالرسول ﷺ يَجب اتباعُه في كلّ ما جاء به من هذا الدين، بل هذا من لوازم الإيْمان به، وسواء كانت هذه الشريعة جاءت في الكتاب (القرآن) أو في السنة الصحيحة، وسواءٌ كانت المسألة عقيدة أو في العبادة، أو المعاملات أو الآداب والأخلاق، فإنّه يجبُ اتباعُه ﷺ دون أنْ يُعترَض لَها بشُبَهٍ واهياتٍ، كالزعم بأنّ أحاديث الآحاد لا يؤخَذ بها في العقائد، أو وضع أصول .. مفادُ بعضِها أنّ ما تَعُم بها البلوى من المسائل لا تُؤخذ من أيّ أحد، بل من فقهاء الصحابة .. وغيرها.

وإنّ أكبَر فرقةٍ -تنتسب إلى الإسلام- نقضًا لِهذا الأصل هي ما تُدعى بـ(القرآنيين)، والذين ليس لَهم مِن

---

[1] (?) مدارج السالكين، (ج1/ ص147).
[2] (?) شرح العقيدة الطحاوية، (ج1/ 303).
[3] (?) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج1/ص 333).

اسْمهم نصيبٌ، وسيأتِي ذكرُها في الفصل المخصص لهم. وهكذا بقية الفِرَق فإنّ لَها نصيبًا من نَقْص الاتباع، كلٌّ بقدر ما معها من البدع، وسيأتِي ذلك لاحقًا. وقد تقدم في الباب الأول ذكر نقيض الاتباع، ألا وهو الابتداع. فليراجع.

ثم إن العلماء –رحمهم الله- تكلموا عن اتباع الكتاب والسنة، والاعتصام بهما، وذكَروا أنّ الله تعالى قد يُصيب الذين يَرُدون ما جاء به الرسول ﷺ ويبتليهم بالعذاب الدنيوي قبل الأخروي، فمما ذكروه من العقوبة الدنيوية في ذلك: الحكايتَين الآتيتَين، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في هذا المعرض: « وَفِي الْمَسْأَلَةِ حِكَايَةٌ ثَانِيَةٌ ذَكَرَهَا أَبُو سَعِيدٍ بْنُ السمعاني عَنْ الشَّيْخِ الْعَارِفِ يُوسُفَ الهمداني عَنْ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ أَبِي إسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ عَنْ الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطبري قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا بِالْجَامِعِ بِبَغْدَادَ فَجَاءَ خُرَاسَانِيٌّ سَأَلَنَا عَنْ الْمُصَرَّاةِ. فَأَجَبْنَاهُ فِيهَا وَاحْتَجَجْنَا بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فَطَعَنَ فِي أَبِي هُرَيْرَةَ فَوَقَعَتْ حَيَّةٌ مِنْ السَّقْفِ وَجَاءَتْ حَتَّى دَخَلَتْ الْحَلْقَةَ وَذَهَبَتْ إلَى ذَلِكَ الْأَعْجَمِيِّ فَضَرَبَتْهُ فَقَتَلَتْهُ[1]. وَنَظِيرُ هَذِهِ مَا ذَكَرَهُ الطبراني فِي كِتَابِ السُّنَّةِ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى السَّاجِيَّ، قَالَ: كُنَّا نَخْتَلِفُ إلَى بَعْضِ الشُّيُوخِ لِسَمَاعِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَرَعْنَا فِي الْمَشْيِ وَمَعَنَا شَابٌّ مَاجِنٌ. فَقَالَ: ارْفَعُوا أَرْجُلَكُمْ عَنْ أَجْنِحَةِ الْمَلائِكَةِ، لا تَكْسِرُوهَا. قَالَ: فَمَا زَالَ حَتَّى جَفَتْهُ رِجْلاهُ. وَلِهَذَا نَظَائِرُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الاعْتِصَامَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَاتِّبَاعَ مَا أَقَامَ مِنْ دَلِيلِهِ. وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ »[2].

---

[1] انظر هذه القصة في سير أعلام النبلاء للذهبي، وقد قال بعد إيرادها: « إسنادها أئمة »، وفيه: أنّه قال -وكان حنفيا-: أبو هريرة غير مقبول الحديث. فما استتم كلامه، حتى سقط عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها، وهرب الشاب منها، وهي تتبعه. فقيل له: تب، تب. فقال: تبت. فغابت الحية، فلم ير لها أثر»، (السير: ج311/3-312، في ترجمة أبي هريرة ﷺ). وانظر: التنكيل لِما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، (المجلد الأول خصوصًا) بتحقيق الشيخ ناصر الألبانِي.

[2] مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج2/ ص585).

ثم إنّ من القواعد المهمة في الاتباع، والتي لا يتحقق إلا بِها: اتباع الرسول في سبب العبادة، وجنسها، وكيفيتها، وقدرها، وزمانِها، ومكانها[1].

كما أنّ **القوادح والعوائق والطواغيت دون الاتباع يجمعها:**

أولا: تقديم العقل على النقل الصحيح، وهذا سيأتي تفصيله في فصل الفلاسفة والمتكلمين.

ثانيًا: تقديم آراء المشايخ والأئمة والأولياء على النصوص الثابتة من المرسَل مِن ربِّه.

ثالثًا: التعصب المذهبِي المقيت.

رابعًا: تقليد الآباء والعلماء، والْمُعْجَب بِهم مِن الغربيين والشرقيين.

وقد ذكَر أحدُهم ما تقدم وأضاف عليها: الجهل، واتباع الهوى، والتعلق بالشبهات، والاعتماد على النصوص الضعيفة والموضوعة، ومجالسة أهل البدع والمعاصي فيُتأذّى بهم أو يُتابعون، ثم سكوت العلماء عن الباطل ونشر الحق مما ينتج عنه قلة اتباع الحق [2].

** * **

المطلب الرابع: تحكيمه في كلّ شؤون الحياة[3]:

---

[1] (?) انظر إلى تفاصيلها وضرب الأمثلة عليها: الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ محمد بن صالح العثيمين، 21-24، ونقلها عنه صاحب كتاب اتباع النبي في ضوء الوحيَين، ص102-103.

[2] (?) انظر عنها مفصلة في رسالة: اتباع النبي في ضوء الوحيين، ص 124-135.

[3] (?) للاستزادة انظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ج 5/ ص129-132)، ورسالة تحكيم القوانين الوضعية (بأكملها)، ووجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رحمه الله-، ووجوب التحاكم إليه والرّضا بحُكمه، مِن كتاب: الشهادتان –معناهما وما تَستلزمه كلٌّ منهما: لا إله إلا الله محمد رسول الله- للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمه الله-، ص68-69، وفصل الحكم بغير ما أنزل الله من كتاب وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كُل عصر، للدكتور صالح بن غانم

هذا العنوان واسعٌ جدًّا؛ لأنّ تَحكيم النّبِيّ في كلّ شـؤون الحيـاة، يَعنِي: تَحكيمه في العقائد والعبـادات والأخلاق، حيث لا تُؤخذُ العقائد والعبـادات والأخلاق وجميع أُمور الدين إلا منه ، وهذا قد تقدم في المطلب السـابق (اتباعه في كُلّ ما شَرَع).

كما أنّ مِن تحكيمه في هـذا الأمـر: التحـاكم إلى شـريعته كتابًا وسُـنّةً، وتَحكيم ذلك في الأقضـية وغيرها (لِيُحكَم بِما أنزل الله، لا بالأحكام الوضعية).

وهذا الأخير هو المقصود بعقد هذا المْطلب بعد سـابقه. قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه اللـه- وهو يَجمَع المعـنى السـابق: « .. فَقَـدْ وَعَـدَ اللَّهُ بِنَصْـرِ مَنْ يَنْصُرُهُ، وَنَصْرُهُ: هُوَ نَصْرُ كِتَابِهِ وَدِينِهِ وَرَسُولِهِ؛ لا نَصْـرُ مَنْ يَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْـزَلَ اللَّهُ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا لا يَعْلَمُ، فَـإِنَّ الْحَـاكِمَ إذَا كَانَ دَيِّنًا لَكِنَّهُ حَكَمَ بِغَيْـرِ عِلْمٍ كَـانَ مِنْ أَهْـلِ النَّارِ، وَإِنْ كَـانَ عَالِمًا لَكِنَّهُ حَكَمَ بِخِلافِ الْحَـقِّ الَّذِي يَعْلَمُـهُ كَـانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِذَا حَكَمَ بِلا عَدْلٍ وَلا عِلْمٍ كَـانَ أَوْلَى أَنْ يَكُـونَ مِنْ أَهْـلِ النَّارِ، وَهَـذَا إذَا حَكَمَ فِي قَضِـيَّةٍ مُعَيَّنَـةٍ لِشَـخْصٍ. وَأَمَّا إذَا حَكَمَ حُكْمًا عَامًّا فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَجَعَلَ الْحَـقَّ بَـاطِلا، وَالْبَاطِـلَ حَقًّا، وَالسُّـنَّةَ بِدْعَـةً، وَالْبِدْعَـةَ سُـنَّةً، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، وَنَهَى عَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِـهِ وَرَسُولُهُ، وَأَمَرَ بِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ: فَهَذَا لَـوْنٌ آخَـرُ، يَحْكُمُ فِيهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَإِلَهُ الْمُرْسَلِينَ، مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، الَّذِي ﭽﯨﯩ ﭼ القصص: ٧٠] »[1].

وبعد، فقد دلت آيات كريماتٌ على أنّ الله تعالى هو الْحَكَم، وله الْحُكم، كما أنه لا يَجُوز إشراك أحدٍ في حُكمـه سبحانه؛ وجاء الاستفهام الإنكـاري ليـدلّ على عـدم جـواز اتخاذ غير الله حَكَمًا، مثـل مـا جـاء في عـدم جـواز اتخـاذ غيره وليًّا وربًّا، قال تعالى: ﭽ ﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙ ﭼ [الأنعام: ١١٤]. أي: لا أتّخذ غيرَه حَكَمـا، كما لا أتّخِـذه ربًّا ووليًّا « فلا ولِيَّ، ولا حكَمَ، ولا ربَّ إلا اللـه، الـذي مَن عـدلَ به غـيرَه

السّدلان، 171-201، وفصل تحكيم الكتاب والسنة من كتـاب ظـاهرة الغلو في الدين –الأسباب –والمظاهر –والعلاج، ص338-349 .

[1] (?) مجموع الفتاوى، (ج35/ 388).

فقد أشرَك في ألوهيته، ولو وحَّد ربوبيتَـه؛ فتوحيد الربوبية هو الـذي اجتمعت فيه الخلائـق: مؤمنُها وكافرُهـا. وتوحيد الإلَهية مَفرَق الطرُق بين المؤمنين والمشركين »[1].

وقال تعالى: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﭼ [الكهف: ٢٦].

وقد أرسَل سبحانه رسولَه محمدًا ﷺ وعلّمه الكتاب والحكمة ليَحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

ومِن أجل تقرير هذا المعنى، جاءت مسألة (تَحكيم النبِيّ ﷺ في كلّ شؤون الحياة)، وهي مسألة عَظيمةٌ؛ فمن أجلِها أُرسِل، ونقيضها (تحكيمُ غَيرِ النبي ﷺ) خطيرٌ جدًّا.

ويَدلّ على عِظم هـذه المسـألة كونها مِن لـوازم الإيمان بالرسالة المحمدية، واللازم يَلزَم مِن عَدَمه العدم، قـال شـيخ الإسـلام –رحمه اللـه-: « وَالإِنْسَـانُ مَتَى حَلَّلَ الْحَرَامَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ حَرَّمَ الْحَلالَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ بَدَّلَ الشَّرْعَ الْمُجْمَعَ عَلَيْـهِ، كَـانَ كَـافِرًا مُرْتَـدًّا بِاتِّفَـاقِ الْفُقَهَـاءِ. وَفِي مِثْلِ هَذَا نَزَلَ قَوْلُهُ -عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ-:ﭽﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬ ﮭﮮ ﭼ [المائـدة: ٤٤]،أَيْ: هُوَ الْمُسْتَحِلُّ لِلْحُكْمِ بِغَيْـرِ مَا أَنْـزَلَ اللَّهُ»[2].

وقد كان الرّسـول في حياته هو الـذي يَفصل بين النــاس، وبعد وفاته رَجع المســلمون أجْمَعُهم إلى ســنته، قال العلامـة ابن القيم –رحمـه اللـه-: « وَمِنْهَـا: أَنَّ النَّاسَ أَجْمَعُـوا أَنَّ الـرَّدَّ إلَى اللَّهِ سُـبْحَانَهُ: هُـوَ الـرَّدُّ إلَى كِتَابِـهِ، وَالرَّدَّ إلَى الرَّسُولِ ﷺ: هُوَ الرَّدُّ إلَيْهِ نَفْسِهِ فِي حَيَاتِــهِ، وَإِلَى سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ »[3].

وقد كانت البلاد الإسلامية منذ وفاته إلى زمَنٍ غير بعيدٍ لا يَحكُمهم إلا الشـريعة الإسـلامية (كتـابُ الله وسـنةُ رســولِه)، إلى أنْ أُقصِــي ذلــك، وحُكّم فيهم القــوانين والأنظمة[4].

---

[1] (?) تجريد التوحيد المفيد للإمــام العلامة أحمد بن علي المقريــزي، ص 41.

[2] (?) مجمـوع الفتـاوى، (ج3/ـ 267)، وانظـر: وجـوب تطـبيق الشـريعة الإسلامية في كل عصر، ص179.

[3] (?) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ج1/ ص41).

[4] (?) تفاوت تواريخ وأسباب الابتعـاد عن تطـبيق الشـريعة الإسـلامية من قطر لآخر، وإنْ كانت الأسـباب الداخلية والخارجية متقاربـة، والتـواريخ

ومَن بَدّل أو أطاع المغَيّرين على رضًى به، أو رَضِي به فقد باع دينه وخرج عن الإسلام[5].

وهذه المسألة كبيرةٌ وخَطيرة وواقعٌ أليمٌ، عاشَـه ويَعِيشُه المسلمون في كثيرٍ مِن البلاد الإسلامية.

ومنهجي المتّبع لِمعالَجة المطلب هو أنّي بعد إيراد آيات الباب أكتفي بالنقولات عن كبار الأعلام الذين عاشوا هذا الواقع المريـر، لاعتقـادي أنّه ليس كـلّ أحـدٍ مِن طلَبَة العلم وأنصـاف العلمـاء يتكلم ويُقـرّر مثل هـذه المسـائل الكبيرة، بل يجب أنْ تُرَدّ مسائل الأمن والخوف، والأحكام والأسماء إلى أولِي الأمر خاصة، قال الله تعالى: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎ ﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠ ﭼ [النساء: ٨٣]. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

هذا المطلبُ أحَدُ المطالب التي انتَظَمَها مبحثُ: لوازم الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

متزامنة، وقد تدرج أعـداء الإسـلام في المكر بالمسـلمين؛ فبـدءوا بِهم شـيئًا فشـيئًا، .. إلى أنْ فصـلوا الـدين عن الدولـة، ولم يبق منه في المحاكم إلا الأحوال الشخصـية والجـوانب الاجتماعيـة. كما وصـلوا إلى قلب الدولة العثمانية الإسلامية فأسقطوها بتنحية الحكم الإسلامي عن الساحة وإلغـاء الخلافة الإسـلامية إلغـاء تامّـا، وذلك بـإعلان صـنيع لهم مصطفى كمال أتاتورك، بتاريخ: 1342هـ الموافـق: 1924م ذلـك. ثم استبدل الشريعة الإسلامية بإعلان دستور (قانون) مـدني جديد لتركيـا، مـأخوذ عن القـانون السويسـري عـام: 1345هـ، وبـدأ حكمه بعد ذلك كرئيس للجمهورية التركية قاطعًا صلتها بالإسلام، منفِّذا المخطط الذي أعد من قبل أعداء الإسلام كاملا، بل أعلن –زاعمًا- أنّ الروح الإسلامي يعوق التقدم، فحارب كلّ نشـاط إسـلامي، والغـريب أنه أمر أن يكـون أداء الأذان باللغة التركية إلى أنْ أُعيد بعـده. ولا يسَـع المجـال لـذكر محارباته للشريعة الإسلامية (اقرأها في كتاب حاضر العـالم الإسـلامي وقضاياه المعاصـرة، ج1/ـ 113-119، للـدكتور جميل عبد الله محمد المصــري). بل وأقــترح هنا قــراءة فصل نتــائج التحــديات الخارجية والداخلية على العـالم الإسـلامي من الكتـاب نفسـه، والـذي نتج عنه شيئان هما: الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسـلامية، ثم سـقوط الخلافة العثمانية وتفكك الأمة الإسلامية (الواقع في ص93-123).

[5] عَقد صـاحب كتـاب وجـوب الشـريعة الإسـلامية في كُل عصر (د. صالح بن غانم السدلان) مبحث: الحكم بغير ما أنـزل الله كُفـرٌ مُخْـرِجٌ عن الملة، وجعل هذه الردة لصنفين من الناس، الصـنف الأول: الـذين شرّعوا القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله، الصـنف الثـاني: الـذين أطـاعوا المبـدّلين المغيّـرين لشـرع اللـه، (وتكلم عليهما في واقع ص 177-195).

ونصوص هذا الباب نَفَت الإيمان عَمَّن لم يُحكّم شَـرْعَ الله في شُـؤون الحيـاة، ومِثلُه مَن تحاكَم إلى غير شَرْعِ الله.. وهذه النصوص كثيرةٌ جدًّا، وبأساليب متنوعة، منها:

الأسلوب الأول: النصوص التِي فيها بيان صفات المنـافقين وصـفات المؤمـنين، وفيها أنّ مَن لَم يُسـلِّم للرسول ﷺ في حُكمه، فهو من المنافقين لا من المؤمـنين، قال الله تعالى: ﭽ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ □ □ □ □ □ □ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ □ □ □ □ □ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ □ ﯟ ﯠ □ □ □ □ □ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ □ □ ﭼ [النساء: 60-٦٥][1].

والإيمان في باب تحكيم الله ورسوله -بتحكيم الكتاب والسنة- على النّفس والقضـايا والأحـوال لا يكـون أبـدًا إلا باجتمـاع ثلاثة أمـور، هي: التحـاكم إلى الرسـول ﷺ في الكتـاب والسـنة في الـدقيق والجليـل، ثم الحُكم بهـذه الشـريعة، يلِي ذلك انتفـاء الحَـرَج عن حكم الرسـول ﷺ، والتسليم والرضا به[2]. وعند الاختبار يُكرَم المرء أو يُهان.

يُقرر هذا العلامة ابن القيم –رحمه الله- بعدما ذكَر الآية الأخيرة، فيقـول: « أقسَـمَ سـبحانه بنفسه المقدَّسَـة قَسَمًا مُؤَكَّدًا بـالنّفي قبلـه: على عـدم إيمـان الخلق حـتى يُحكِّمـوا رسـولَه في كـلّ ما شَـجَر بينهم من الأصـول والفروع، وأحكام الشرع، وأحكام المعاد، وسائر الصفات، وغيرها. ولَم يُثْبِت لَهم الإيمـان بِمجـرد هـذا التحكيم حـتى ينتفي عنهم الحرَج، وهو ضِيق الصّدر، وتنشـرح صـدروهم لِحُكمه كلّ الانشراح، وتَنفَسِح له كلّ الانفساح، وتَقْبَله كلّ القُبول. ولَم يُثْبت لَهم الإيمان بذلك أيضًا حتى ينضاف إليه مقابلةُ حكمه الرِّضى والتسليم، وعـدم المنازعـة، وانتفـاء المعارضة والاعـتراض. فهُنا ثلاثة أمـور: التحكيم، وانتفـاء

[1] (?) قف على تفسير الآيـات: تيسـير الكـريم الـرحمن في تفسـير كلام المنان، ص184-185.

[2] (?) انظــر: الرســالة التبوكية لابن قيم الجوزيــة،ص25،وص26،وص 27،وص30-31 (ضمن مجموع الرسائل، له).

الحرج، والتسليم؛ فلا يَلـزم مِن التحكيم انتفـاء الْحَـرَج: إذْ قد يُحكِّم الرّجل غيرَه وعنده حرَجٌ مِن حُكمِه. ولا يلزم من انتفــاء الحــرج: الرضا والتســليم والانقيــاد؛ إذْ قد يُحكِّمه وينتفي الحــرَج عنه في تحكيمـه، ولكن لا ينقـاد قلبُـه، ولا يرْضَـى كُـلّ الرّضى بِحُكمـه. فالتسـليم أخَصّ من انتفـاء الحرَج. فالْحَرَج مانعٌ. والتسليمُ أمْرٌ وُجُـوديّ، ولا يَلـزم مِن انتفاء الْحرَج حصـولُه بمجـرد انتفائـه؛ إذ قد ينتفي الحــرج ويبقى القلب فارغًا منــه، ومِن الرّضى به والتســليم لــه، فتأمله! وعند هذا يُعْلَم أنّ الرَّبّ تبارك وتعالى أقْسَمَ على انتفـاء إيمـانِ أكـثر الْخَلـق، وعند الامتحـان تُعلم هل هـذه الأمور الثلاثة؛ هل هي موجـودةٌ في قلب أكـثر مَن يَـدّعِي الإســلام أم لا؟ والله المســتعان، وعليه التُّكلان، ولا حــول ولا قوة إلا بالله العَلِيّ العظيم »[1].

وبتعلقيه الجيّد هذا ختَم كتابه التبيان. فاللهم اجعلنا من محكمي رســولك في جميع شــؤون حياتنــا، آمين يا كريم.

وقال –رحمه الله- في تعليقه على بعض هذه الآيات: « وَمِنْهَا: أَنَّهُ جَعَلَ هَذَا الرَّدَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الإِيمَانِ وَلَوَازِمِــهِ، فَإِذَا انْتَفَى هَذَا الرَّدُّ انْتَفَى الإِيمَانُ؛ ضَرُورَةَ انْتِفَاءِ الْمَلْزُومِ لانْتِفَاءِ لازِمِهِ، وَلاسِيَّمَا التَّلازُمُ بَيْنَ هَـذَيْنِ الأَمْـرَيْنِ فَإِنَّهُ مِنْ الطَّرَفَيْنِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَنْتَفِي بِانْتِفَـاءِ الآخَـرِ. ثُمَّ أَخْبَـرَهُمْ أَنَّ هَـذَا الـرَّدَّ خَيْـرٌ لَهُمْ، وَأَنَّ عَاقِبَتَـهُ أَحْسَـنُ عَاقِبَـةً. ثُمَّ أَخْبَـرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ تَحَاكَمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَقَدْ حَكَّمَ الطَّاغُوتَ[2] وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ، .. ثُمَّ أَخْبَـرَ تَعَـالَى عَنْ

---

1 (?) التبيان في أيمان القرآن لابن القيم، ص652-653 .

2 (?) أجمع ما رأيتُ في بيــان معــنى الطــاغوت هو ما قاله العلامة ابن القيم –رحمه اللـه- في هـذا الموضـع: « وَالطَّاغُوتُ: كُـلُّ مَا تَجَـاوَزَ بِـهِ الْعَبْـدُ حَـدَّهُ مِنْ مَعْبُـودٍ أَوْ مَتْبُـوعٍ أَوْ مُطَـاعٍ؛ فَطَـاغُوتُ كُـلِّ قَـوْمٍ مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إلَيْهِ غَيْـرَ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَـهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتْبَعُونَـهُ عَلَى غَيْـرِ بَصِـيرَةٍ مِنْ اللَّهِ، أَوْ يُطِيعُونَـهُ فِيمَا لا يَعْلَمُـونَ أَنَّهُ طَاعَـةٌ لِلَّهِ؛ فَهَـذِهِ طَـوَاغِيتُ الْعَـالَمِ إذَا تَأَمَّلْتَهَا وَتَـأَمَّلْتَ أَحْـوَالَ النَّاسِ مَعَهَا رَأَيْت أَكْثَرَهُمْ عَدَلُوا مِنْ عِبَـادَةِ اللَّهِ إلَى عِبَـادَةِ الطَّاغُوتِ، وَعَنْ التَّحَـاكُمِ إلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُـولِ إلَى التَّحَـاكُمِ إلَى الطَّاغُوتِ، وَعَنْ طَاعَتِـهِ وَمُتَابَعَـةِ رَسُــولِهِ إلَى طَاعَــةِ الطَّاغُوتِ وَمُتَابَعَتِــهِ » (إعلام المــوقعين عن رب العالمين، ج1/ـ 41)، وانظر: رسالة معنى الطاغوت، ص160، ضمن

هَـؤُلاءِ بِـأَنَّهُمْ إذَا قِيـلَ لَهُمْ: تَعَـالَوْا إلَى مَا أَنْـزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَرَضُـوا بِحُكْمِ غَيْـرِهِ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ بِـأَنَّهُمْ إذَا أَصَـابَتْهُمْ مُصِـيبَةٌ فِي عُقُـولِهِمْ وَأَدْيَـانِهِمْ وَبَصَـائِرهمْ وَأَبْـدَانِهِمْ وَأَمْـوَالِهِمْ بِسَـبَبِ إعْرَاضِهِمْ عَمَّا جَاءَ بِـهِ الرَّسُـولُ، وَتَحْكِيمِ غَيْـرِهِ وَالتَّحَـاكُمِ إلَيْهِ، .. اعْتَذَرُوا بِأَنَّهُمْ إنَّمَا قَصَدُوا الإِحْسَـانَ وَالتَّوْفِيـقَ، أَيْ: بِفِعْـلِ مَا يُرْضِـي الْفَـرِيقَيْنِ، وَيُوَفِّقُ بَيْنَهُمَا كَمَا يَفْعَلُـهُ مَنْ يَـرُومُ التَّوْفِيـقَ بَيْنَ مَا جَـاءَ بِـهِ الرَّسُـولُ وَبَيْنَ مَا خَالَفَـهُ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ بِذَلِكَ مُحْسِنٌ قَاصِدٌ الإِصْلاحَ وَالتَّوْفِيقَ، وَالإِيمَانُ إنَّمَا يَقْتَضِي إلْقَاءَ الْحَرْبِ بَيْنَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَبَيْنَ كُـلِّ مَا خَالَفَـهُ؛ مِنْ طَرِيقَـةٍ، وَحَقِيقَـةٍ، وَعَقِيـدَةٍ، وَسِيَاسَـةٍ، وَرَأْيٍ[1]؛ فَمحض الإِيمَانُ فِي هَذَا الْحَـرْبِ، لا فِي التَّوْفِيـقِ، وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ. ثُمَّ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ عَلَى نَفْيِ الإِيمَانِ عَنْ الْعِبَادِ حَتَّى يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ فِي كُلِّ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ؛ مِنْ الـدَّقِيقِ وَالْجَلِيـلِ، وَلَمْ يَكْتَـفِ فِي إيمَـانِهِمْ بِهَـذَا التَّحْكِيمِ بِمُجَـرَّدِهِ حَتَّى يَنْتَفِيَ عَنْ صُـدُورِهِمْ الْحَـرَجُ وَالضِّـيقُ عَنْ قَضَائِهِ وَحُكْمِهِ، وَلَمْ يَكْتَفِ مِنْهُمْ أَيْضًـا بِـذَلِكَ حَتَّى يُسَـلِّمُوا تَسْلِيمًا، وَيَنْقَادُوا انْقِيَادًا »[2].

وتعجب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله- من هؤلاء فقال: « العجب ممن يحكم غير تشريع اللـه ثم يدّعي الإسلام، كما قال تعالى: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﭼ [النساء: ٦٠]، وقال: ﭽ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ﭼ [المائدة: ٤٤]. وقال: ﭽ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ﭼ [الأنعام: ١١٤] »[3].

الأسلوب الثاني: النصوص التي فيهـا أنّ مَن أعْرَض عن حُكم الله تعالى ورسـوله –إذا دُعِي إلى ذلـك- فهو من المنافقين، قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې

مجموعة التوحيد لتقف على رؤوس الطواغيت الخمسة.

[1] ورد في البيت:

ما العلم نصبُك للخلاف –سفاهة-بين الرسول وبين رأي فقيه

[2] إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، (ج1/ 41-42) .

[3] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج3/ 523-524).

ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ [النور:47-٥٢][1] .

الأسلوب الثالث: النصوص التي فيها أنّ مَن تولّى عن حُكم رسـول الله ﷺ فليس بِمـؤمن، وأنّ ذلك مِن صفات اليهود، وفيها أنّ الحُكم بغير ما أنـزَل يختلف حُكمه مِن كفـرٍ مُخـرجٍ عن الملة إلى ما لا يُخـرج منـه، حسَـب الأحوال، قال الله سبحانه وتعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ إلى قوله: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ [المائدة:42-50][2].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير الآية الأخيرة وهو يُبيّن أنّ مَن حكم بغير حكم الله أيًّا كان نوعه أو مصـدره، فقد حكم بِحُكم الجاهلية: « ينكر تعـالى على مَن خرَج عن حُكم الله الْمُحْكَم الْمشـتمل على كُـلّ خـير، النـاهي عن كُـلّ شَـرّ، وعـدَل إلى ما سـواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضَعَها الرّجال بلا مستند مِن شـريعة اللـه، كما كـان أهل الجاهلية يحكمـون به من الضـلالات والجهـالات، مما يضـعونَها بـآرائهم وأهـوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المـأخوذة عن مَلِكِهم جنكزخان، الذي وضع لَهم اليَساق؛ وهو عبـارةٌ عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبَسَها عن شرائع شَتّى، من اليهودية والنصـرانية والملة الإسـلامية، وفيها كثـير من الأحكام أخَذها مِن مجـرد نظـره وهـواه، فصارت في بَنِيه شَـرعًا مُتّبعًـا، يقـدمونَها على الحكم بكتـاب الله وسـنة رسوله ﷺ. ومَن فعَل ذلك منهم فهو كافرٌ يجب قتاله، حـتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ؛ فلا يُحكّم سواه في قليلٍ

---

[1] (?) قف على تفسير الآيـات: تيسـير الكـريم الـرحمن في تفسـير كلام المنان، ص571-572.

[2] (?) قف على تفسير الآيـات: تيسـير الكـريم الـرحمن في تفسـير كلام المنان، ص232-235.

ولا كثير، قال الله تعالى: ﭽﯩﯪ ﭼ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون. ﭽﯫﯬﯭﯮﯯﯰ ﭼ أي: ومَن أعدل من الله في حكمه لمن عَقل عن الله شــرعَه، وآمن به وأيقن وعلم أنّه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العـالم بكل شـيء، القـادر على كل شيء، العادل في كل شيء »[1].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمـه اللـه- في التعليـق على الآيـات: « فـانظر كيـف سَـجّل تعـالى على الحاكمين بغير ما أنزل اللهُ الكفرَ والظلمَ والفسوقَ، ومِن الممتنع أنْ يُسمِّي اللهُ سبحانه الحاكمَ بغير مـا أنـزل اللـهُ كافرًا ولا يكون كافرًا، بل كافرٌ مطلقًا، إمّا كُفْرَ عَمَلٍ وإمـا كُفْرَ اعتقادٍ، وما جاء عن ابن عباس رضي اللـه عنهمـا في تفسير هذه الآية مِن رواية طاووس وغيره يَدُلُّ أنّ الحاكم بغير ما أنْزَل اللهُ كافرٌ؛ إمّا كفرُ اعتقـادٍ، ناقـلٌ عن الملّـة، وإمّا كفرُ عملٍ، لا ينقلُ عن الملّة »[2].

ثم إنّ مسألة التحاكم إلى هذا الرسول الكريم وإلى شــريعته لها ثلاثة أطــراف؛ فــإذْ كــان وســطها للحــاكِم بالشريعة، كان أوّلَ الأطـرافِ وآخـرَه للمتحـاكِم إلى هـذه الشريعة.

فالمطلوب مِن القاضي الذي يَحكُم: أنْ يَحكُم بِما أنزَل الله، لا بغير ذلك، وأن لا يتبع أهواء الناس، كما تقـدم ذلك في الآيات، لأنّ اتباع الهـوى -كما ذكَر الله تعـالى في قصة داود -ﷺ- يُضلّ الناس عن سبيله: ﭽﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﭼ [ص: ٢٦].

وأمـا بالنسـبة للمتحـاكم مِن **الطَـرَف الأوّل**؛ فالْمطلوب منه أنْ لا يتحـاكَم إلا إلى هـذا الرسـول ﷺ وإلى شريعته، لا إلى غيرها مِن الأهواء والقـوانين الـتي تُخـالف الشرع، وأنْ لا يبغِي أحكام الجاهلية، كما تقدم في الآيـات التي أمَرَت بالتحـاكم إلى اللـه وإلى رسـوله ﷺ، وتنهى عن غير ذلك، وتُصـنِّف النـاس إلى مؤمـنين رَضُـوا بِحكم اللـه،

---

[1] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج2/ص 94).

[2] (?) تحكيم القوانين، ؟؟؟

ومنـافقين ناقضـين للإسـلام فضَّـلوا حُكم غـير اللـه على حكمــه. وأما **الطــرَف الأخــير** فهو ما يكــون بعد حكم الحــاكم الــذي حكَم بالشــرع، وأنَّ المطلــوب مِن قِبَل المتحاكمين في ذلك: التسـليم لشـرع اللـه، وعـدم وجـود الحـرج على أيّة حـالٍ، وهـذا مِن صـفات المؤمـنين، قـال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ [الأحزاب: ٣٦] . وكلٌّ مِن الطرَفين الأولِ والأخـير، (الـدعوة إلى اللـه ورسـوله للحكم في شـؤون الحيـاة، والتسـليم لهمـا في حكمهمـا وعـدم وجـود الحـرج على ذلـك)، يتعلـق بعـدم حصولهما كفرٌ مُخرِجٌ مِن الملة، أو كفرٌ دون كفـرٍ بِحَسـب صورته.

وقد استخدمتُ لفظ (في كلّ شؤون الحيـاة) في عنوان المطلب لبيان أنّ التحاكُم إلى هـذه الشـريعة عـامٌّ في كلّ صغيرة وكبيرةٍ، لقوله تعالى: ﭽ ﯼ ﭼ، ويبّين هـذا العلامة ابن القيم -رحمه الله-: « أَنَّ قَوْلَهُ: ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ [النساء: ٥٩]. نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ تَعُمُّ كُلَّ مَا تَنَـازَعَ فِيـهِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ مَسَائِلِ الدِّينِ دِقِّهِ وَجِلِّهِ، جَلِيِّهِ وَخَفِيِّهِ »[1].

ويُبيّنه أيضًا العلامة المفتِي الأسبق محمد بن إبراهيم -رحمه الله- في مطلـع رسـالته فيقـول: « إنّ من الكفـر الأكبر المستبين، تنـزيل القانون اللعين، منـزلة ما نزَل بـه الـرُّوحُ الأمين، على قلب محمـد ﷺ، ليكـون من المنـذِرِين، بلسان عرَبِيٍّ مُبين، في الحكم به بين العالمين، والرّدِّ إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله ﷻ: ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﭼ [النساء: ٥٩]. وقد نفَى الله سبحانه وتعالى الإيمان عَمّن لم يُحَكِّمـوا النبِيّ ﷺ، فيما شجَر بينهم، نَفْيًا مُؤَكّدًا بتكرار أداة النفي، وبالقســم، قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ [النساء: ٦٥]. ولم يَكتَـفِ تعـالى وتقـدّس منهم بمجـرد التحكيم للرسـول ﷺ، حتى يضيفوا إلى ذلـك عـدم وجـود شـيء من الحـرج في نفوسهم، بقوله جَلّ شَأنُه: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ. والحرَج: الضيق. بل لا بدّ مِن اتّسـاع صُـدُورهم لـذلك وسـلامتها من القلـق

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ج1/ ص41).

والاضطراب. ولم يَكتفِ تعـالى أيضًـا هنـا بِهـذين الأمـرين، حتى يَضُمّوا إليهما التسليمَ: وهو كمـالُ الانقيـاد لِحكمـه ، بحيث يتخلّـون هاهنـا مِن أيّ تعلُّق للنفس بِهـذا الشـيء، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتمّ تسليم، ولِهذا أكّد ذلـك بالمصدر المؤكّد، وهو قوله جلّ شأنُه: ﴿ ﴾ الْمُبَيّن أنه لا يُكتفى هاهنـا بالتسـليم. بـل لا بـدّ من التسـليم المطلـق. وتأمّل ما في الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿ ﴾ كيف ذكَر النّكِرة، وهي قوله: ﴿ ﴾ في سياق الشرط، وهو قوله جلّ شأنُه: ﴿ ﴾ المفيد العمومَ فيما يُتصوّر التنازع فيه جِنسًا وقدْرًا »[1].

وقال: « وتأمّل أيضًا ما في الآية الثانية من العموم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ﴾، فإنّ اسم الموصول مع صِلته مِن صِيَغ العمـوم عنـد الأصـوليين وغـيرهم، وذلـك العمومُ والشمولُ هو من ناحية الأجناس والأنواع، كما أنـه من ناحية القدْر، فلا فـرقَ هنـا بين نـوع ونـوع، كمـا أنّـه لا فرق بين القليـل والكثـير، وقـد نفى اللـهُ الإيمـانَ عن مَن أراد التحاكم إلى غير ما جاء به الرسـول من المنـافقين، كما قال تعالى: ﴿ ﴾ [النساء: ٦٠]. فإنّ قوله : ﴿ ﴾ تكذيبٌ لَهم فيما ادّعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير مـا جـاء بـه النـبي مـع الإيمـان في قلب عبـدٍ أصـلاً، بـل أحـدهما ينـافي الآخـر، والطـاغوت مشـتق من الطغيـان، وهـو: مجاوزة الحدّ فكلُّ مَن حَكَمَ بغير ما جاء بـه الرسـول ، أو حاكَمَ إلى غير مـا جـاء بـه النـبي ، فقـد حَكَمَ بالطـاغوت وحاكَم إليه، وذلك أنّه مِن حقِّ كل أحدٍ أن يكون حاكمًا بما جاء به النبي فقط، لا بخلافه. كمـا أنّ من حـقِّ كـل أحـدٍ أن يُحـاكِمَ إلى مـا جـاء بـه النـبي ، فمَن حَكَمَ بخلافـه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى، وجاوز حدّه، حُكْمًا أو تحكيمـا، فصار بذلك طاغوتا لتجاوزه حَدّه »[2].

---

[1] رسالة تحكيم القوانين، للشيخ محمد بن إبراهيم، (ج12/ص295 – ضمن فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم).

[2] المصدر نفسه، (12/296وما بعده).

لذا لَمّا جاء الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله- إلى تفسير قوله تعالى: ﭽﭼ [الكهف: ٢٦] قال: « شَامِلٌ لِكُلِّ مَا يَقْضِيهِ جَلَّ وَعَلا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّشْرِيعُ دُخُولا أَوَّلِيًّا. وَمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ كَوْنِ الْحُكْمِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ عَلَى كِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ جَاءَ مُبَيَّنًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ .. »[1]، فذكَر ثماني آيات من نظائرها. ثم قال: « وَيُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﭽ ﭼ [الكهف: ٢٦] أَنَّ مُتَّبِعِي أَحْكَامِ الْمُشَرِّعِينَ غَيْرِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، وَهَذَا الْمَفْهُومُ جَاءَ مُبَيَّنًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ »[2]، فذكّر سبع آيات مع بيان أوجه دلالتها على المراد. ثم قال: « وَبِهَذِهِ النُّصُوصِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا يَظْهَرُ غَايَةَ الظُّهُورِ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ مُخَالَفَةً لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ ، أَنَّهُ لا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلا مَنْ طَمَسَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ »[3].

وقد تكلّم العلماء المعاصرون منهم والسابقون –رحمهم الله- عن هذه المسألة، وذَكَروا لَها صُوَرًا؛ أكثرُها تُخرج صاحبَها عن الملة الإسلامية، وبعضها تُفسِّقه –نعوذ بالله مِن ذلك، وقد بسط القول فيها شيخ الإسلام –رحمه الله- في كتابه منهاج السنة النبوية[4]، وذَكَر طائفة مِن القواعد تَحكُم الباب، وذلك بعد سَرده أكثر آيات الباب وخصوصًا التي في سورة المائدة، فمما قال من تلكم القواعد قوله: «ولا ريبَ أنّ مَن لم يَعتقد وجوب الحُكم بِما أنزل الله على رسوله فهو كافرٌ، فَمَن استحل أنْ يحكم بين الناس بِما يراه هو عدلا من غير اتّباعٍ لِما أنزل الله فهو كافرٌ؛ فإنّه ما مِن أمة إلا وهي تأمُرُ بالحكم بالعدل، وقد

[1] (?) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج4/ 107).
[2] (?) المصدر نفسه، (ج4/108).
[3] (?) المصدر نفسه، (ج4/109).
[4] (?) انظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ج5/ ص129-132).

يكـــون العـــدل في دينها ما رآه أكـــابرُهم، بل كثـــيرٌ من المنتسبين إلى الإسلام يَحكمـون بعـاداتهم الـتي لم يُنزلها الله سبحانه وتعالى كسـوالف البادية وكـأوامر المُطـاعين فيهم، ويَرَون أنّ هذا هو الذي يَنبغي الحكم به دون الكتاب والسنة. وهـذا هو الكفـر، فـإنّ كثـيرًا من النـاس أسـلمُوا، ولكن مع هـذا لا يحكمـون إلا بالعـادات الجارية لهم الـتي يأمُر بِها المطاعون، فهـؤلاء إذا عَرَفـوا أنّه لا يجـوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلّوا أنْ يَحكمـوا بخلاف ما أنزل الله فهم كُفّارٌ، وإلا كانوا جُهّالا، كمَن تقـدم أمرُهم »[1].

وقال أيضًا بعد ذكره آية (65 من سورة النساء): « فَمَن لم يَلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شـجر فقد أقسَـم الله بنفسه أنه لا يُــؤمن. وأما مَن كــان ملتزمًا لِحكم الله ورسوله باطنًا وظاهرًا لكن عصى واتبع هواه فهـذا بِمنزلة أمثاله من العُصاة. وهـذه الآية مما يَحتجّ بِها الخـوارج على تكفــير ولاة الأمر الــذين لا يَحكمــون بِما أنــزل اللــه، ثم يَزعمون أنّ اعتقادهم هو حكم اللــه. ... والحكم بِما أنــزل الله على محمد هو عدلٌ خاصٌّ، وهو أكمل أنــواع العــدل وأحسـنها، والحكم به واجبٌ على النـبي وكل مَن اتبعـه، ومَن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافرٌ »[2].

وقال أيضًا: « فالأمور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة، وليس لأحدٍ أن يلزم النـاس بقـول عالِمٍ ولا أميرٍ ولا شيخٍ ولا ملِـكٍ. ومَن اعتقد أنّه يحكم بين الناس بشـيءٍ من ذلـك، ولا يحكم بينهم بالكتـاب والسـنة فهو كافرٌ »[3].

وعقَد لهذه المسألة الشيخ الإمـام محمد بن عبد الوهــاب –رحمه اللــه- بابًا بــدون ترجمة في كتابه الفريد كتاب التوحيد[4]، وأوْرَد تحته طائفة من نصوص الباب.

---

[1] (?) منهاج السنة النبوية، (ج5/ ص130).

[2] (?) المصدر نفسه، (ج5/ 131).

[3] (?) المصدر نفسه، (ج5/ 132).

[4] (?) انظرها: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ص69، ضمن مجموعة التوحيد.

وتعرّض بالشرح المتين لها جميعُ شُرّاح الكتاب[1].

كما كتَب عن هذه المسألة وعن نَبْذِ أحكام الله جلّ وعلا، اعتياضًا بالقوانين الوضعية البشرية عددٌ كبيرٌ من المعاصرين؛ مِن أبرزهم: الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وغيرُهم -رحم الله ميّتهم، وحفظ أحياءهم-، حيث كتبوا رسائل وفتاوى ومقالات عنها؛ نُصْحًا للأمة.

وهنا سأورد بعض كلام الشيخين (الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ ابن باز:

أولا: الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- سَمّى رسالته: رسالة تحكيم القوانين الوضعية، الدولية منها والمحلية، واشتهرت بـ(تحكيم القوانين)، ومِحوَر (ومدار) كلامه في الرّسالة على أنّ الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى كافرٌ؛ إما كفرٌ مُخرج من الملة، أو كفرٌ لا يُخرج منها: **فالأول:** وهو الكفر المُخرِج عن الْملّة: وجعله الشيخ على ستة أنواع، وهو المقصود مِن عَقد هذا المطلب، وملخصها: **أولا:** أن يجحد الحاكمُ بغير ما أنزل الله أحقيّة حُكمِ الله ورسوله، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم، فإنّ الأصول المتقررة المتّفق عليها بينهم أنّ مَنْ جَحَدَ أصلاً من أصول الدين أو فرعًا مُجمعًا عليه، أو أنكر حرفًا مما جاء به الرسول ﷺ، قطعيًّا، فإنّه كافرٌ الكفرَ الناقل عن الملّة[2]. قال: **ثانِيًا:** أنْ لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كونَ حُكم اللهِ ورسولِهِ حقًّا، لكن اعتقد أنّ حُكم غير الرسول ﷺ أحسنُ من حُكمه، وأتمّ وأشمل لِما يحتاجه الناسُ من الحُكم بينهم عند التنازع، إمّا مُطلقا، أو بالنسبة إلى ما استجدّ من الحوادث، التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغير الأحوال، وهذا أيضًا لا ريب أنه كافرٌ، لتفضيله أحكامَ المخلوقين التي هي محضُ زُبالةِ الأذهان،

---

1 () انظر شرح النصوص: تيسير العزيز الحميد، ص479-489، وفتح المجيد، ص440-450، وقرة عيون الموحدين، 151-154، والقول السديد، 121-122، والقول المفيد (ج2/167-182)، والمفيد على كتاب التوحيد لعبد بن صالح القصير، 209-212.

2 () انظر:رسالة تحكيم القوانين الوضعية، (ج12/299).

وصـرْفُ حُثالـة الأفكـار، على حُكم الحكيم الحميـد، وحُكمُ اللهِ ورسولِه لا يختلف في ذاته بـاختلاف الأزمـان، وتطـور الأحوال، وتجدّد الحوادث، فإنّه ما مِن قضية كائنة ما كانت إلاّ وحُكمها في كتابِ الله تعالى، وسنة رسـوله ﷺ؛ نصًّـا، أو ظـاهرًا، أو اسـتنباطًا، أو غـير ذلـك، عَلِمَ ذلـك مَن علمـه، وجَهِلَه مَن جهله. وليس معنى مـا ذكـره العلمـاء من تغيّـر الفتوى بتغير الأحوال ما ظنّه مَن قـلَّ نصـيبُه، أو عـدُم من معرفة مدارك الأحكام وعِلَلها، حيث ظنّـوا أنّ معـنى ذلـك بحسـب مـا يُلائم إرادتهم الشـهوانية البهيميـة، وأغراضـهم الدنيوية وتصوّراتِهم الخاطئة، ولهذا تجدُهم يحامون عليهـا، ويجعلون النصوص تابعة لهـا، منقـادة إليهـا، مهمـا أمكنهم فيُحرِّفـون لـذلك الكَلِم عن مواضـعه. وحينئـذٍ معـنى تغيُّر الفتوى بتغير الأحوال والأزمان مراد العلماء منه: "ما كـان مُستصـحبه فيــه الأصــول الشــرعية، والعلــل المرعيــة، والمصالح التي جِنْسُـها مـرادٌ للـه تعـالى ورسـوله ﷺ. ومن المعلـوم أنّ أربـاب القـوانين الوضـعية عن ذلـك بمعـزل، وأنهم لا يقولون إلاّ على ما يلائم مراداتهم، كائنة ما كانت، والواقع أصـدقُ شـاهدٍ[1]. وقـال: **ثالثًا:** أنْ لا يعتقـد كونَـه أحسن من حُكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنـه مثلـه، فهـذا كالنوعين اللذَين قبله، في كونـه كـافرًا الكفـرَ الناقـل عن الملّـة، لمـا يقتضـيه ذلـك من تسـوية المخلـوق بالخـالق، والمناقضة والمعاندة للآيات الكريمـات الدالّـة على تفـرُّدِ الربّ بالكمال، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين، في الـذات والصـفات والأفعـال والحُكم بين النـاس فيمـا يتنـازعون فيه[2]. قال: **رابعًا:** أنْ لا يعتقد كون حُكم الحاكم بغـير مـا أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسـوله، فضـلاً عن أنْ يعتقـدَ كونه أحسن منه، لكن اعتقد جواز الحُكم بما يخـالف حُكم الله ورسـوله، فهـذا كالـذي قبلـه يصـدُقُ عليـه مـا يصـدق عليه، لاعتقاده جوازَ ما علم بالنصوص الصحيحة الصـريحة القاطعة تحريمه[3]. قال: **خامسًا**: وهو أعظمهـا وأشـملها

---

1 (?) انظر: تحكيم الوضعية، (12/ص300) .

2 (?) انظر: المصدر نفسه.

3 (?) انظر : المصدر نفسه .

وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقّة لله ورسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعدادًا وإمدادًا وإرصادًا، وتأصيلا وتفريعًا، وتشكيلا وتنويعًا، وحُكمًا وإلزامًا، ومراجع ومستندات. فكما أنّ للمحاكم الشرعية مراجعَ مستمدّات، مرجعُها كلُّها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجعُ، هي: القانون المُلفّق من شرائعَ شتّى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفَرَنْسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطانِي، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة، وغير ذلك. فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيّأة مكملة، مفتوحةُ الأبواب، والناس إليها أسرابٌ إثْر أسراب، يحكُمُ حُكّامُها بينهم بما يخالف حُكم السُنّة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتُلزمهم به، وتُقِرُّهم عليه، وتُحتِّمُه عليهم.. فأيُّ كُفر فوق هذا الكفر، وأيُّ مناقضة للشهادة بأنّ محمدًا رسولُ اللهِ بعد هذه المناقضة[1]. ثم لَما ذَكَر هذه الأنواع الخمسة، علّق عليها بقوله ناصحًا:

« وذِكْرُ أدلّة جميع ما قدّمنا على وجه البسْطِ معلومةٌ معروفة، لا يُحتمل ذكرُها في هذا الموضوع. فيا معشر العُقلاء، ويا جماعات الأذكياء وأولي النهى! كيف ترضون أنْ تجري عليكم أحكامُ أمثالكم، وأفكارُ أشباهكم، أو مَن هم دونكم، مِمّن يجوز عليهم الخطأ، بل خطأهم أكثرُ من صوابهم بكثير، بل لا صواب في حُكمهم إلاّ ما هو مُستمدٌّ من حُكم اللهِ ورسولهِ، نصًّا أو استنباطًا، تَدَعونَهم يَحكُمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم، وأعراضكم وفي أهاليكم من أزواجكم وذراريكم، وفي أموالكم وسائر حقوقكم؟؟ ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحُكم الله ورسوله، الذي لا يتطرّق إليه الخطأ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ..وخُضوع الناس ورضوخهم لحكم ربِّهم خضوعٌ ورضوخٌ لحُكم مَنْ خلقهم تعالى ليعبدوه، فكما لا يسجدُ الخلقُ إلاَّ للهِ، ولا يعبدونَ إلاّ إياه؛ ولا يعبدون المخلوق،

---

[1] (?) انظر : المصدر نفسه، (12/ص301) .

فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلاّ لِحُكم الحكيم العليم الحميـــد، الـــرؤوف الـــرحيم، دون حُكمِ المخلــوق، الظلــوم الجهــول، الــذي أهلكتــه الشــكوكُ والشــهواتُ والشــبهات، واســتوْلَت على قلــوبهم الغفلــة والقســـوة والظلمـــات، فيجب على العُقلاء أن يربئـــوا بنفوسهم عنه، لما فيـه من الاسـتعباد لهم، والتحكم فيهم بـالأهواء والأغـراض، والأغلاط والأخطـاء، فضـلاً عن كونـه كفرًا بنصِّ قوله تعالى: ﭽﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﭼ [المائدة: ٤٤] »[1].

ثم ذكر النوع السادس فقال: « السادس: ما يحكُم به كثيرٌ من رؤسـاء العشـائر، والقبائـل من البـوادي ونحـوهم، من حكايـات آبـائهم وأجـدادهم، وعـاداتِهم الـتي يسمُّونها (سـلومهم)، يتوارثـون ذلـك منهم، ويحكمـون بـه ويحُضُّون على التحاكم إليه عند الـنزاع، بقـاء على أحكـام الجاهلية، وإعراضًا ورغبةً عن حُكم الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله »[2].

ولقد لخّص سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز –رحمه اللـه- أكـثر هـذه الأوجـه، فقـال: « ولا إيمـان لِمَن اعتقد أنّ أحكـــام النـــاس وآراءهم خـــيرٌ مِن حكم الله ورســوله، أو تُماثله وتشــابِهه، أو أجــازَ أنْ يَحُــلّ مَحلّها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقـدًا بـأنّ أحكام الله خيرٌ وأكملُ وأعدلُ »[3].

ثم تكلم الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله- عن القسم الثانِي مِن قسمَي كُفر الحاكم بما أنزل اللـه، وهـو الذي لا يُخرجُ عن الملة. وليس من مقصودي في عقد هذا المطلب.

ثانيًا: أما الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز –رحمه اللــه- فقد بيّن في مطلع رســالته (وجــوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه) أنّ التّحـاكم إلى كتـاب الله وإلى سنة رسول الله من مقتضى الإيمان بالله ورسـوله. وهـذا

---

[1] (?) انظر: تحكيم القوانين، (ج12/ص301-302) .

[2] (?) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص13.

[3] (?) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، ص13.

تمامًا هو عنوان هـذا المطلب ضـميمة إرجاعه إلى عنـوان المبحث، ومما قــال فيــه: « ومما تقــدم يتــبين لك -أيها المسـلم- أنّ تحكيم شـرع الله والتحـاكم إليـه، مما أوجبَه الله ورســوله، وأنّه مقتضى العبودية لـلــه، والشــهادة بالرسـالة لنبيه محمد ﷺ، وأنّ الإعـراض عن ذلك أو شـيءٍ منه مُوجبٌ لعذاب الله وعِقابه، وهذا الأمر سـواء بالنّسـبة لِما تُعامل به الدولة رعيّتَهــا، أو ما ينبغي أنْ تــدين به جماعة المســلمين في كل مكــان وزمــان، وفي حــال الاختلاف والتنـازع، الخـاص والعـام، سـواء كـان بين دولة وأخــرى، أو بين جماعة وجماعــة، أو بين مســلم وآخــر، الحكم في ذلك كلِّه سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين. ..»[1].

والمراد من الناس شرعًا وما تُعُبِّدوا به هو: الكفر بالطـاغوت لا تحكيمـه.. فليحـذر النـاس من قلب ذلـك، إذْ ليس بعد حكم الله تعالى إلاّ حُكم الجاهلية، شاء الناس أمْ أبوا، والله المستعان.

تَنْبِيهٌ: هل يَكفُر واضـعو قـوانين تقتضي مصالِح الناس وَضْعَها، وكـذلك متبعـوهم، دون أنْ يَشرَعوا في أمور الدين ما لم يأذن به الله؟

قد أجاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه اللــه- عن ذلــك، فقــال: « اعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ التَّفْصِــيلُ بَيْنَ النِّظَـامِ الْوَضْـعِيِّ الَّذِي يَقْتَضِــي تَحْكِيمُـهُ الْكُفْـرَ بِخَـالِقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَبَيْنَ النِّظَـامِ الَّذِي لا يَقْتَضِــي ذَلِـكَ. وَإِيضَـاحُ ذَلِـكَ أَنَّ النِّظَـامَ قِسْـمَانِ: إِدَارِيٌّ، وَشَـرْعِيٌّ، أَمَّا الْإِدَارِيُّ: الَّذِي يُرَادُ بِهِ ضَبْطُ الْأُمُورِ وَإِتْقَانُهَا عَلَى وَجْهٍ غَيْــرِ مُخَـالِفٍ لِلشَّـرْعِ، فَهَـذَا لا مَـانِعَ مِنْـهُ، وَلا مُخَـالِفَ فِيـهِ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَـدْ عَمِـلَ عُمَـرُ ﷺ مِنْ ذَلِـكَ أَشْـيَاءَ كَثِيرَةً مَا كَانَتْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَكَتْبِهِ أَسْـمَاءَ الْجُنْـدِ فِي دِيوَانٍ لأَجْلِ الضَّبْطِ، وَمَعْرِفَةِ مَنْ غَـابَ وَمَنْ حَضَـرَ ... مَـعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِتَخَلُّفِ كَعْبِ بْنِ مَالِـكٍ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ إِلا بَعْدَ أَنْ وَصَلَ تَبُوكَ ﷺ. وَكَاشْتِرَائِهِ -أَعْنِي

---

[1] (?) المصدر نفسه، ص12-13.

عُمَـرَ - دَارَ صَـفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَجَعْلِـهِ إِيَّاهَا سِـجْنًا فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتَّخِـذْ سِـجْنًا هُـوَ وَلا أَبُو بَكْـرٍ، فَمِثْـلُ هَـذَا مِنَ الأُمُـورِ الإِدَارِيَّةِ الَّتِي تُفْعَـلُ لإِتْقَـانِ الأُمُـورِ مِمَّا لا يُخَـالِفُ الشَّـرْعَ لا بَـأْسَ بِـهِ، كَتَنْظِيمِ شُـئُونِ الْمُـوَظَّفِينَ، وَتَنْظِيمِ إِدَارَةِ الأَعْمَالِ عَلَى وَجْـهٍ لا يُخَـالِفُ الشَّـرْعَ، فَهَـذَا النَّوْعُ مِنَ الأَنْظِمَــةِ الْوَضْـعِيَّةِ لا بَـأْسَ بِـهِ، وَلا يَخْـرُجُ عَنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ مِنْ مُرَاعَـاةِ الْمَصَـالِحِ الْعَامَّةِ . وَأَمَّا النِّظَـامُ الشَّــرْعِيُّ الْمُخَـالِفُ لِتَشْــرِيعِ خَـالِقِ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَتَحْكِيمُــهُ كُفْــرٌ بِخَــالِقِ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، كَـدَعْوَى أَنَّ تَفْضِــيلَ الــذَّكَرِ عَلَى الأُنْثَى فِي الْمِــيرَاثِ لَيْسَ بِإِنْصَــافٍ، وَأَنَّهُمَا يَلْـزَمُ اسْـتِوَاؤُهُمَا فِي الْمِـيرَاثِ، وَكَـدَعْوَى أَنَّ تَعَـدُّدَ الزَّوْجَــاتِ ظُلْمٌ، وَأَنَّ الطَّلاقَ ظُلْمٌ لِلْمَــرْأَةِ، وَأَنَّ الــرَّجْمَ وَالْقَطْعَ وَنَحْوَهُمَا أَعْمَالٌ وَحْشِيَّةٌ لا يَسُـوغُ فِعْلُهَا بِالإِنْسَـانِ، وَنَحْو ذَلِــكَ. فَتَحْكِيمُ هَــذَا النَّوْعِ مِنَ النِّظَــامِ فِي أَنْفُسِ الْمُجْتَمَعِ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ كُفْرٌ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَتَمَرُّدٌ عَلَى نِظَامِ السَّـمَاءِ الَّذِي وَضَعَهُ مَنْ خَلَـقَ الْخَلائِقَ كُلَّهَـا، وَهُـوَ أَعْلَمُ بِمَصَـالِحِهَا سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ مُشَرِّعٌ آخَرُ عُلُـوًّا كَبِـيرًا ﭽﮬ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﭼ [الشورى: ٢١] »[1].

** * **

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج4/109-111).

المطلب الخامس: طاعته في أوامره[1]:

أي: طاعة العبد الرسول محمد في كلِّ الدين.

من لوازم الإيمان بالرسول محمد ومقتضياتها طاعتُه في أوامِره، وذلك أيضًا مِن طاعة مُرْسِلِه سبحانه، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بإطاعة رسوله ، ونوّع الأساليب في ذلك، كما أمَر رسولَه بذلك، واستخدم في ذلك عدة أساليب.

فمِن أساليب القرآن:

أمرُه بذلك، وتعليق هدايته، ثم رحمته عليه، قال تعالى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭼ [النور: ٥٤]. وقوله: ﭽﭦﭧﭼ شرطٌ، وقوله: ﭽﭨﭩﭼ جوابُه، والمعنى: أنّ الهداية في طاعة الرسول لا في غيرها، فهو معلّقٌ بهذا الشرط، فينتفِي بانتفائه، والآية نصٌّ في ذلك[2].

وقال: ﭽﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﭼ [النور: ٥٦].

ومنها: وعدُه بالأجر العظيم لطاعة أوامره، قال تعالى: ﭽﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭼ [الفتح: ١٦]. بل جعل الله الغاية لإرسال الرسل أجمَعِهم هو طاعتهم بأمر الله، فقال: ﭽﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﭼ [النساء: ٦٤]. كما جعل طاعة الرسول طاعة الله ، قال: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [النساء:80-٨١].

ثم لأهمية هذه الطاعة قرنَها بطاعته، فأمَر بهما في غيرما آية، بإعادة الفعل في بعض الآيات، وبغيره الإعادة في الأخرى، مُعْلِمًا بذلك أنّها تجبُ استقلالا كما تجب تبعًا لطاعة الله:

---

[1] (?) للاستزادة في هذا الموضوع، يُنظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ هبة الله اللالكائي، (ج1/ص20-22)، والوفا بأحوال المصطفى، ص386-387، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص 390-392، وحقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة، تحت عنوان: الأدلة على وجوب طاعته ، (من القرآن: ج1/173-178)، (ومن السنة: ج1/186-196)، والمبحث الرابع بعنوان: وجوب طاعته ، والاستجابة لأمره ونهيه، من كتاب: رسالة خاتم النبيين محمد ؛ ضرورتها، وطرائق إثباتها، ولوازمها، للدكتور ثامر بن ناصر بن فهد بن غشيّان، ص435-439، وغير ذلك.

[2] (?) انظر: حقوق النبي على أمته، (ج1/ ص177).

ومِن النوع الذي أعاد فيها الفعل، قوله تعالى: ﭽﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﭼ [النساء: ٥٩].

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- في تعليقه عليها: « فَأَمَرَ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَأَعَادَ الْفِعْلَ إعْلامًا بِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ تَجِبُ اسْتِقْلالا مِنْ غَيْرِ عَرْضِ مَا أَمَرَ بِهِ عَلَى الْكِتَابِ، بَلْ إذَا أَمَرَ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ مُطْلَقًا، سَوَاءٌ كَانَ مَا أَمَرَ بِهِ فِي الْكِتَابِ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَإِنَّهُ أُوتِيَ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِطَاعَةِ أُولِي الأَمْرِ اسْتِقْلالا، بَلْ حَذَفَ الْفِعْلَ وَجَعَلَ طَاعَتَهُمْ فِي ضِمْنِ طَاعَةِ ؛ إيذَانًا بِأَنَّهُمْ إنَّمَا يُطَاعُونَ تَبَعًا لِطَاعَةِ الرَّسُولِ، فَمَنْ أَمَرَ مِنْهُمْ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ، وَمَنْ أَمَرَ بِخِلافِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَلا سَمْعَ لَهُ وَلا طَاعَةَ »[1].

ومنها: ﭽﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﭼ [المائدة: ٩٢]. **ومنها قوله:** ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭼ [النور: ٥٤]. **ومنها قوله:** ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﭼ [محمد: ٣٣]. **ومنها قوله:** ﭽﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭼ [التغابن: ١٢].

وهذا الأسلوب يُفيد أنّ ما يأمرُ به رسول الله ﷺ تجِبُ طاعتُه فيه، وإنْ لم يكُنْ مأمورا به بعينه في القرآن، فوجبَتْ طاعة الرسول ﷺ بأمره سبحانه مُفرَدةً، كما وجَبَتْ مقرونة[2].

وأما النوع الثانِي: والذي قَرَن طاعته ﷺ بطاعته سبحانه ولم يُعِد الفعل (أطيعوا) فيها، مما جعَل طاعة الله وطاعة رسوله شيئًا واحدًا، ومما فيه البيان بأنّ طاعة الله تعالى لا تتحقق إلا بطاعة هذا الرسول ﷺ، فمنها قوله تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﭼ [آل عمران: ٣٢]. وقوله: ﭽﯥﯦﯧﯨﯩﭼ [آل عمران: ١٣٢]. وقال: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭼ [الأنفال: ١]. وقال: ﭽﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﭼ [الأنفال: ٢٠]. وقال: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭼ [الأنفال: ٤٦]. وقال: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﭼ [المجادلة: ١٣].

---

1 (?) إعلام الموقعين، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص..، (ج1/ ص39) .

2 (?) انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (ج1/ ص 174-175) .

وبعدما فرَض الفرائض، أجزَل ثواب مطيع الله ورسوله في الميراث خصوصًا، وفي غيرها من الأوامر عمومًا، فقال: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ [النساء: ١٣]. كما وعد الله الذين أطاعوه وأطاعوا رسولَه ﷺ بِمعية الأنبياء والصالحين في جنات النعيم، ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [النساء: ٦٩]. وبالعكس مِن ذلك، فإنّ الكافرين يتأسفون يوم القيامة لعدم طاعتهم لله والرسول، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [الأحزاب:66-٦٧]. كما جعل الله الإيمانَ والتقوى، وطاعةَ الله ورسوله سبَبَ رحمته، والفوز العام، قال: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [التوبة: ٧١]. وقال: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ [النور: ٥٢].

هذا، وقد ذكر الله تعالى طاعة رسوله في القرآن في أكثر مِن ثلاثين موضعًا، قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل –رحمه الله-: « نظرتُ في المصحف فوجدتُ فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [النور: ٦٣]. وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة الشرك، لعله أنْ يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيزيغ فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [النساء: ٦٥]. »[1].

وقال الشيخ محمد بن الحسين الآجُرِّي -رحمه الله-: « ثم فرَض على الخلق طاعته في نيفٍ وثلاثين موضعًا من كتابه تعالى »[2].

وقال أيضًا بعد سرد الآيات في الباب: « وهذا في القرآن كثيرٌ؛ في نيف وثلاثين موضعًا، أوجب طاعة رسوله ﷺ، وقرَنَها مع طاعته ﻷ. ثم حذّر خلقه مخالفة رسوله ﷺ، وأنْ لا يَجعلوا أمر نبيه ﷺ -إذا أمَرَهم بشيءٍ، أو نَهاهم عن

1 (?) أخرجه ابن بطة في الإبانة، باب ذكر ما جاءت به السنة من طاعة رسول الله ﷺ، والتحذير من طوائف يعارضون سنن رسول الله ﷺ بالقرآن، (ج1/260)، وإعلام الموقعين لابن القيم، (ج2/ 215-220).

2 (?) كتاب الشريعة،باب التحذير من طوائف تعارض سنن النبي ﷺ بكتاب الله تعالى...، ص53.

شيء- كسائر الخلق، وأعلَمَهم عظيمَ ما يَلحق مَن خالفه: من الفتنة التي تلحَقُه »[1].

إلى أنْ قال: « ثم إن الله جلّ ذكرُه أخبرنا عنْ أهل النار -إذا هم دخلوها- كيف يتأسفون ويتحسّرون على ترك طاعتهم لله ولرسوله؛ إذْ لم يطيعوا الله ورسوله، يوم كانوا في الحياة الدنيا ميسَّرًا لهم طاعة الله ورسوله، فندِموا حيث لم ينفعهم الندم، وأسِفوا حيث لم يَنْفعْهم الأسف»[2]، فذكر ثلاث آيات من سورة الأحزاب، السابق الأولى والثانية منها.

وفي معناها قول الله : ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ [الفرقان: ٢٧ – ٣١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « وَذَكَرَ طَاعَةَ الرَّسُولِ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ الْقُرْآنِ »[3]. وقال: « فَعَلَيْنَا أَنْ نُطِيعَ رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا أَمَرَنَا بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ذَكَرَ طَاعَتَهُ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ »[4]. وقال: « وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ الْقُرْآنِ، وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ، وَقَرَنَ بَيْنَ مُخَالَفَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ، كَمَا قَرَنَ بَيْنَ اسْمِهِ وَاسْمِهِ؛ فَلا يُذْكَرُ اللَّهُ إلا ذُكِرَ مَعَهُ »[5].

ومن الأساليب في الأمر بطاعة الرسول : ما جاء فيه الأمر باستجابته في دعوته، وأنّ دعوتَه ليستْ كدعوة غيره، قال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ [الأنفال: ٢٤]. وقول الله تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [النور: ٦٣]. في أحَدِ تفسِيرَيه[6].

وطاعتُه واستجابةُ دعوته فيها الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، يقول العلامة ابن القيِّم –رحمه الله تعالى في تفسير الآية الأولى ذاكرًا القاعدة الجليلة: « فتضمنت

---

[1] الشـريعة، بـاب ذكر ما نعت الله به نبيه محمـدًا في كتابه من الشرف العظيم... ص365-366.

[2] الشريعة للآجري المصدر نفسه، ص366 .

[3] مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج1/ ص67) .

[4] المصدر نفسه، (ج22/ص320).

[5] المصدر نفسه، (ج19/ص103).

[6] انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص576.

هذه الآية أمورًا: **أحدها**: أنَّ الحياة النافعة إنما تَحْصُل بالاستجابة لله ورسوله، فمَن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإنْ كانت له حياةٌ بَهيميةٌ مشترَكة بينه وبين أرذل الحيوانات؛ فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة مَن استجاب لله والرسول، ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أمواتٌ وإنْ كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول، فإنّ كلّ ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاتَه جُزْءٌ منه فاتَه جُزْءٌ من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول. قال مجاهد: ﭽ ﯩ ﭼ يعنِي للحق. وقال قتادة: هو هذا القرآن؛ فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة. وقال السّدِّي: هو الإسلام؛ أحياهم به بعد موتِهم بالكفر. وقال ابن إسحاق وعرْوة بنُ الزبير -واللفظ له- ﭽ ﯩ ﭼ: يعنِي: للحرب التي أعزّكم الله بها بعد الذُّلّ، وقوّاكم بعد الضعف، ومنعكم بِها مِن عدوِّكم بعد القهر منهم لكم. وهذه كلُّها عبارات عن حقيقة واحدة، **هي: القيام بما جاء به الرسول ظاهرًا وباطنًا..** قال الفرَّاء: إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم، يريد: أنّ أمرَهم إنّما يَقْوَى بالحرب والجهاد، فلو ترَكُوا الجهاد ضَعُف أمرُهم، واجتَرَأ عليهم عدوُّهم. قلت: الجهاد مِن أعظم ما يُحيِيهم به في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة؛ أما في الدنيا، فإنّ قُوَتَهم وقَهْرَهم لعدوهم بالجهاد.

وأما في البرزخ فقد قال تعالى: ﭽﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥ ﭼ [آل عمران: ١٦٩]. وأما في الآخرة فإنّ حظّ المجاهدين والشهداء مِن حياتِها ونعيمِها أعْظَمُ مِن حَظِّ غَيرهم.. قال بعض المفسِّرين: ﭽ ﯩ ﭼ يعنِي: الجنة، فإنّها دارُ الحيوان، وفيها الحياة الدائمة الطيبة، ... والآية تتناول هذا كلَّه؛ فإنّ الإيمان، والإسلام، والقرآن، والجهاد، يُحيِي القلوب الحياة الطيبة. وكمالُ الحياة في الجنة. والرسول

داع إلى الإيمان، وإلى الجنة، فهو داعٍ إلى الحياة في الدنيا والآخرة »[1].

تلك هي الآيات الآمرة بطاعة الرسول ، وهي تدخل ضمن هذه الأوجه الآتية:

النصوص التي دلّت على وجوب طاعته ، والتي دلّت على وعد الله مَن أطاع الرسول ، وإثابته إياه، وسيأتِي النوع الثالث منها، وهي: دلالة النصوص على وعيد مَن عصاه ، وبيان عقابه له، وهذه من دلالات القرآن على هذا الأمر.

ومنها: أمر الله تعالى باستجابة رسوله في دعوته.

وقد دلّت أدلة السنة على مثل ما دلّ عليه الآيُّ الكريمات، وآخذُ ثلاثًا من دلالاتها على هذا الأمر، وهي: دلالة الأحاديث **على أنّ طاعة الرسول طاعة الله، ومنها: أنّ طاعته سببٌ لدخول الجنة، وضرب الأمثال لطاعته ، فأقول:**

من أدلة **السنة التي تدل على أنّ طاعة الرسول طاعة الله**، قوله في حديث البخاري الذي أورده في باب قول الله تعالى: « ﭽﯾﯾﯾﯾﯾﯾیییﯾﭼ عن أَبِي هُرَيْرَةَ : " **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي** "[2].

والنوع الثاني: أنّ **طاعة الرسول سببٌ لدخول الجنة:** من ذلك: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ " قَالَ: " **كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى** "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: " **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى** "[3].

وأما النماذج لضَرْب الأمثال لطاعة الرسول في السنة: فمنها ما جاء في صحيح البخاري –وقد

---

[1] (?) الفوائد، ص127-129 .

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب الأحكام، رقم: 7137، وصحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، رقم: 1835.

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَاب الاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ، رقم: 7280 .

تقدم الحديث-: أنّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال[1]: « جَاءَتْ مَلائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا؛ فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنْ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ، لَمْ يَدْخُلْ الدَّارَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، **وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ** »[2].

وقد جاء تفسير هذا المَثَل عند الترمذي والحاكم، فعند الحاكم عَن جابرٍ نفسِه. وأما الترمذي فعَنْه وعَن ابن مسعودٍ . وفيه: " **فَتَدْرِي مَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبُوا؟** قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: " **الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبُوا؛ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَنَى الْجَنَّةَ، وَدَعَا إِلَيْهَا عِبَادَهُ، فَمَنْ أَجَابَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ، أَوْ عَذَّبَهُ** "[3].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « أَيْ: لأَنَّهُ رَسُول صَاحِب الْمَأْدُبَة، فَمَنْ أَجَابَهُ وَدَخَلَ فِي دَعْوَته أَكَلَ مِنْ الْمَأْدُبَة، وَهُوَ كِنَايَة عَنْ دُخُول الْجَنَّة وَوَقَعَ بَيَان ذَلِكَ

---

[1] هـذا طريق سـعيد بن مينـاء التـابعي –رحمه اللـه- وظاهرها أنّ الحديث موقوفٌ على جابر ، لكن أورد البخاري عقِبَه متابعة سـعيد بن أبِي هلال عن جابر أنه قال: « خـرج علينا النـبي فقـال إنّي رأيت في المنام » فأتى بهذه الطريق التي صـرّحت بـالرفع؛ فـزال ما قد يتـوهم من كون الرواية موقوفـة. (انظـر: صـحيح البخـاري مع الفتح، ج4/ ص5251، وص5255).

[2] تقدم حديث البخاري في صحيحه: كتاب أخبار الآحاد، بَاب الاقْتِـدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ، رقم: 7281.

[3] جامع الترمذي: كتاب الأمثال عن رسول الله ، بَاب مَا جَاءَ فِي مَثَلِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، رقم: 2861 وقال: « هذا حـديث حسن صـحيح غـريب من هذا الوجه » وقال الشيخ الألباني: « حسن صحيح ».

فِي رِوَايَة سَعِيد[1] وَلَفْظه: " **وَأَنْتَ يَا مُحَمَّد رَسُول اللَّه، فَمَنْ أَجَابَك دَخَلَ الإِسْلام، وَمَنْ دَخَلَ الإِسْلام دَخَلَ الْجَنَّة، وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّة أَكَلَ مَا فِيهَا**[2] " »[3] .

ثانيًا: وتقدم حديث أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ؛ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ، فَنَجَوْا.**
وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ " متفقٌ عليه[4].

وكما جاءت النصوص الكثيرة السابقة من الكتاب والسنة تأمر وتحثّ على طاعته ، فإنها جاءت تنهى عن معصيته ؛ بل وبيَّنتْ أنّ معصيته معصية الله، فقد ذكرَت آية النساء وعيد عصيان الرسول مع بيانها أنّ الكفار يتأسفون يوم القيامة على عصيانهم إيّاه ، حيث لا ينفع ذلك، فقال: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [النساء: ٤٢]. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لا**

---

[1] (?) هو **سعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم**، قال عنه ابن حجر –رحمه الله-: « أبو العلاء المصري، قيل: مدني الأصل، وقال ابن يونس: بل نشأ بها، صدوق لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفًا، إلا أنَّ الساجي حكى عن أحمد أنه اختلط، من السادسة، مات بعد الثلاثين. وقيل: قبلها. وقيل: قبل الخمسين بسنة »، (ترجمته في تقريب التهذيب، برقم: 2410).

[2] (?) وهذه الرواية جاءت عند الترمذي وغيره بسندٍ ضعفه الترمذي والألباني –رحمهما الله-، إلا أنَّ الحديث صحيح لسابقِه، ورقم الحديث: 2860، وانظر: جامع الترمذي، الإحالة السابقة .

[3] (?) فتح الباري: مصدر سابق.

[4] (?) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام، المصدر نفسه، رقم: 7283، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب شفقته على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، رقم: 2283 .

شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ "[1].

وطاعة هذا الرسول ﷺ وعدمُه على ضربَين: ضرْبٌ يَخْرُج العبد بذلك عن أنْ يكون مِن الكافرين به، وضرْبٌ يَخرُج به عن كمال الإيمان الواجب... وهذا المطلب تحت هذا المبحث (مبحث لوازم الإيمان بالرسالة المحمدية) يتناول الأول.

وبعد هذا، فلِماذا طاعة هذا الرسول ﷺ في كلّ أوامره؟

وللجواب على هذا السؤال أذكر الأوجه التالية، فأقول:

الوجهُ الأول: إنّ الله ﷻ أمر بطاعة رسوله وقرَنَها بطاعته، وقد سبقت الآيات بذلك. وقال أيضًا: ﴿ ﴾ [الحشر: ٧]. وسيأتي تفسير الآية وشرح حديث: **" مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ "**[2]، في المطلب التالي.

الوجهُ الثانِي: أنّه لا أحَد في هذه الأمة أمَرَ الله تعالى بأنْ يُطاع الطاعة المطلقة؛ إلا إياه ﷺ فإنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

الوجهُ الثالث: لأنّ طاعة الرسول طاعة الله، قال تعالى: ﴿ ﴾ [النساء: ٨٠].

الوجهُ الرابع: أنه علّق الله تعالى الإيمان على طاعته وطاعة رسوله، فقال: ﴿ ﴾ [الأنفال: ١].

---

[1] علّق جُزءَه الشاهد هنا البخاري في صحيحه بصيغة التمريض، على إثر بَاب: مَا قِيلَ فِي الرِّمَاحِ، من كتاب الجهاد والسِّيَر، (البخاري مع الفتح، ج2/ ص2283)، والحديث بتمامه في مسند الإمام أحمد، رقم: 5667، وقد ضعّف إسناد الشيخ شعيب الأرناؤوط، وذكر الحافظ ابن حجر –رحمه الله- أنّ الحديث في المسند جاء في طريق أبِي مُنيب، ولا يُعْرَف اسمُه، وفيه: عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الذي قال إنه: مختلف في توثيقه، ثم قال: « وله شاهدٌ مرسَلٌ بإسناد حسن، أخرجه ابن أبِي شيبة من طريق الأوزاعي ... » (الفتح، ج2/ ص2284).

[2] الحديث متفقٌ عليه، وسيأتي تخريجه في المطلب التالي.

الوجهُ الخامس: كما علّق الله تعالى الهداية بطاعته، فقال: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼﭽ ﭼ في آخر آية سابقة.

الوجه السادس: ولأنّ الرسول ﷺ لا يدعو الناس إلا إلى ما فيه حياتُهم وسعادتُهم الدنيوية والأُخروية، وقد أمرنا الله تعالى بالاستجابة له، فقال: ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ [الأنفال: ٢٤].

قال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسير الآية: « يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة للّه وللرسول، أي: الانقياد لِما أَمَرَا به، والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لِما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه. وقوله: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ وصْفٌ ملازمٌ لِكُلّ ما دعا اللّه ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإنّ حياة القلب والروح بعبودية اللّه تعالى، ولزوم طاعته وطاعة رسوله، على الدوام. ثم حذَّر عن عدم الاستجابة للّه وللرسول، فقال: ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ فإيّاكم أنْ تَرُدُّوا أمرَ اللّه أوَّل مَا يأتيكم، فيُحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإنّ اللّه يَحُول بين المرء وقلبه، يُقَلِّب القلوب حيث شاء، ويَصْرِفُها أَنَّى شاء. فليُكْثِرُ العبدُ مِن قول: **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**[1]**، يا مصرف الْقُلُوبِ، اصرف قَلْبِي إلى طاعتك** »[2].

قال القاضي عياض –رحمه الله- في فصل طاعة النبي ﷺ: « وأما وجوب طاعته: فإذا وجَب الإيمانُ به وتصديقُه فيما جاء به، وجبَتْ طاعتُه؛ لأنّ ذلك مما أتى به »[3].

ثم أورد الآيات بذلك. وبعد سرده لِجُملة من آيات الباب، قال –رحمه الله-: « فجعل تعالى طاعةَ رسوله طاعتَه، وقرَن طاعتَه بطاعته، ووعَد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره،

---

1 (?) جامع الترمذي: كتاب القدر، بَاب مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ، رقم: 2140، وقال الترمذي: حسن.

2 (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 318 .

3 (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص390 .

واجتناب نَهْيه، قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سنته، والتسليم لِما جاء به، وقالوا: ما أرسل الله مِن رسولٍ إلا فرَض طاعتَه على مَن أرسله إليه، وقالوا: مَن يطع الرسول في سنته يُطِع الله في فرائضه، وسُئِل سهلُ بنُ عبد الله عن شرائع الإسلام؟ فقال ﭽﭫﭬﭭﭼ. وقال السمرقندي، يقال: أطيعوا الله في فرائضه، والرسول في سنته. وقيل: أطيعوا الله فيما حرَّم عليكم، والرسول فيما بلَّغكم. ويقال: أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية، والنبي بالشهادة له بالنبوة »[1]. ثم أورد الأحاديث الآمرة بطاعة الرسول .

الوجه السابع: لاحتياج العبيد إلى طاعته في جميع الشؤون لصلاح معاشهم ومعادهم، ضرورةً تفوق ضرورتهم إلى التنفُّس. وقد سبق شيءٌ مِن هذا.

ثم إنّ من المعلوم أنّ أعظم أمْرٍ أمَرَ الله به، وكذلك نبيُّه : التوحيد، ثم بقية شرائع الإسلام من الصلاة وبرّ الوالدين والزكاة والحج، وغير ذلك. كما أنّ أعظم ما نَهَيا عنه: الشرك، ثم بقية المناهي الشرعية من ترك للصلاة والقتل والزنا، وغير ذلك، مما جاء الأمر بها أو النهي عنها في الكتاب والسنة، وأنّه تجب طاعة الرسول في جميع ذلك.

كما أنّ مِنَ المعلوم أيضًا أنّ الشرائع المأمور بها دون الأركان للإسلام وبقية الواجبات فإنها تحت قاعدة **" ما أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ "**. وأما النواهي فكلّها تحت قوله: " **<u>إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ</u>** "[2].

وأما بعد ذلك، فاعلم أنّ لقول الله تعالى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕ ﭖﭼ، ولقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﭼ، ولقوله في شأن الكافرين: ﭽﭻ ﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﭼ، ولقوله في حديث الملائكة السابق (**وَمُحَمَّدٌ فرّق بَيْنَ النَّاسِ**)، أنّ لهذه

---

[1] (?) المصدر نفسه، ص391.

[2] (?) الحديث متفق عليه، وسيأتي في المطلب السادس (المطلب بعد هذا) تخريجه.

النصوص شأنًا عظيمًا، وعلاقة ظاهرة بِهذا المطلب، حيث إنّ الآية الأولى علّقت الإيمان على طاعة الله ورسوله، فكأنّها قالت: مَن لم يطعِ الله ورسوله باختياره إطلاقًا فليس بمؤمنٍ، والثانية ذكَرتْ أنّ طاعة الرسول شرطٌ لهداية العبد، والشرط منتفٍ بانتفاء مشروطه، فعدَمُ وجود أصل الطاعة عدَمٌ لحصول الهداية، كما بيَّنت الثالثة حال الكفار وتأسُّفَهم يوم القيامة على عدم طاعة الله ورسوله، وأنّ ذلك كان سبب ضلالهم عن سبيل الله، وطاعتهم كبراءهم الذين صرفوهم عن طاعة الله ورسوله. وأما الحديث ففيه أنّ محمدًا جاء بالدين الإسلامي، وانقسم الناس بالنسبة لقبول ما جاء به وعدمه إلى قسمين؛ مؤمنٍ به، وكافر. فهذه الآيات الثلاث والحديث تتوافق مع ما عُقِد هنا في المبحث الذي انتظم تحته هذا المطلب، وهو (**لوازم تتعلَّق بالإيمان برسالته)؛ فمَن** آمَن برسالة محمدٍ ؛ فإنّ من ضروريات ذلك ولوازمه أنْ يُطيعه جملةً وتفصيلا، فما دام الشرط موجودًا، والموانع منتفية، فإنّه لا يتخلف المشروط؛ فالذي آمَن بأنّ الرسول أمَر بكذا أمْر إيجابٍ، وانتفى عنه الجهل بِهذا الأمر، وبقية الأعذار والموانع، فإنه –والحالة هذه- سيمتثِل هذا الأمر ولا بُدّ.

وإنْ تَخلّف ذلك فإنّه دليل عدم الإيمان إلا إنْ قامتْ موانع!

فمِن أكبر وأعظم لوازم الإيمان بالرسالة المحمدية بعد التصديق الجازم والقبول: طاعة الرسول في أوامره ونواهيه: وأما عصيان الرسول ومخالفته في الأوامر والنواهي فإنها تكون على ضربَين: العصيان المطلق، ومطلق العصيان، **فالأول:** هو الذي يواجه الكفار الرسل عليهم السلام؛ وذلك بِعدم طاعتهم في أصل الدين، فكيف بفروعه؟ وهذا الذي يقال بأنَّه مِن لوازم الإيمان بالرسل، طاعتُهم وعدم عصيانهم، ولعله المراد بقول الله : ﭼﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛ

ﮁﮂﮃﮄﭼ [النساء:41-٤٢]، وقوله سبحانه في قوم هود الذين كفروا به: ﭽﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﭼ [هود: ٥٩].

وأما **الثانِي** فإنه يقع مِن الكفار، كما أنه يقَع أيضًا منهم ومِن المسلمين تجاه الأوامر والنواهي؛ فيرتكب العبد النّهيَ، أو يوجد فيه عدم امتثال للمأمور، لسببٍ أو لآخر، مِن شهوة أو اتباع هوى، أو تكاسلٍ، أو غفلةٍ، أو جهلٍ، أو غير ذلك مِن الأسباب، ولذا ينبغي هنا أنْ أُشير إلى **أقسام الناس مِن حيث طاعتُـهم لرسول الله وعدمه، (وهذا يدخل في شرح الحديث:** وَمُحَمَّدٌ فرّق بَيْنَ النَّاسِ**)، فأقول:**

اعلم –رحمك الله- أنّ الذين لم يطيعوا رسول الله على دركات متهاوية؛ والدَّرَك الأسفل منها هو درك الكفار والمنافقين الذين لم يطيعوه جملة وتفصيلا؛ فكذّبوه في أخباره ولم يصدِّقوه، وعصوه في شرائعه وأوامره ولم يطيعوه.

ثانيًا: ثم درَكَة المسلمين العصاة الذين يكون لهم بعض مخالفات لأوامره ؛ بارتكاب محظور، أو ترك مأمور؛ فبذلك خلَطُوا عمَلا صالحًا، وآخر سيِّئًا، فعسى الله أنْ يتوب على مثل هؤلاء، قال تعالى: ﭽﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﭼ [التوبة: ١٠٢].

قال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسيرها: « يقول تعالى: ﭽﮈﭼ ممن بالمدينة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد الإسلامية، ﭽﮉﮊﭼ أي: أقرّوا بها، ونَدِموا عليها، وسعَوا في التوبة منها، والتطهر من أدرانها. ﭽﮋﮌﮍﮎﭼ، ولا يكون العمل صالِحًا إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، الْمُخرِج عن الكفر والشرك، الذي هو شرطٌ لكل عمل صالح، فهؤلاء خلطوا الأعمال الصالحة، بالأعمال السيئة، من التجرؤ على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء، بأن يغفر اللّه لهم، فهؤلاء ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﭼ. وتوبته على عبده نوعان: **الأول:** التوفيق للتوبة. **والثاني:** قبولها بعد وقوعها منهم. ﭽﮔﮕﮖﮗﭼ أي: وصفه المغفرة والرحمة اللتان لا يخلو مخلوق منهما، بل لا بقاء للعالم العلوي

والسفلي إلا بهما، فـلو ﭽﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣ ﭼ [فاطر: ٤٥].

ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱ ﭼ [فاطر: ٤١]. ومن مغفرته أنَّ المسرفين على أنفسهم الذين قطعُوا أعمارَهم بالأعمال السيئة، إذا تابوا إليه وأنابوا -ولو قبيل موتهم بأقل القليل-، فإنه يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، فهذه الآية، دلّت على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحا، أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب. وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مُصِرًّا على الذنوب، فإنه يُخاف عليه أشد الخوف »[1].

وهؤلاء ليس من الحكمة في دعوتهم قراءة مثل حديث صاحب البطاقة، وتذكيرهم ووعظهم بذكر سعة رحمة الله، كي لا يتمادوا في الإثم، فهم لا يُبشَّرُون فيتكلون. كما أنّ مثل الحجاج الثقفي المبير لا يُعلَّم بمثل حديث العُرَنِيين.

ثم يليهما **الطرف الأخير الممدوحون،** وهم الذين فازوا بطاعته ﷺ فأصلح الله أعمالهم، قال تعالى آمرًا بالطاعة: ﭽﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨ ﭼ [الأحزاب:70-٧١].

وأختم بما يدلّ على أنّ عدم طاعة الرسول ﷺ في أوامره ونواهيه من عدم تعظيم الربِّ، قال العلامة ابن القيِّم –رحمه الله-: « وكذلك لم يُقَدِّرْه حق قدره مَن هان عليه أمرُه فعصاه، ونهيُه فارتكبه، وحقُّه فضيَّعَه، وذكرُه فأهمله، وغفل قلبُه عنه، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق أهمُّ عنده من طاعة الله، فلله الفَضلةُ مِن قلبِه وعلمِه وقولِه وعملِه ومالِه، وسواه المقدَّم في ذلك؛ لأنه المهم عنده، يستخف بنظر الله إليه، واطلاعه عليه، وهو في قبضته، وناصيتُه بيده. ويُعظِّم نظرَ المخلوق إليه، واطِّلاعَه عليه بكل قلبه وجوارحه. ويستحيي من الناس، ولا يستحيي من الله، ويخشى الناس، ولا يخشى الله، ويُعامل الخلق بأفضل ما عنده وما يَقْدِر عليه، وإن عامل الله عامَلَه بأهون ما عنده

[1] تيسير الكريم الرحمن، ص350.

وأحقره، وإن قام في خدمة مَن يحبه[1] مِن البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة، وقد فرّغ له قلبَه وجوارحَه، وقدّمه على كثيرٍ من مصالحه، حتى إذا قام في حق ربه -إن ساعد القدرُ- قام قيامًا لا يرضى مثلَه مخلوقٌ مِن مخلوق، وبذل له من ماله ما يستحي أن يواجه به مخلوق لِمثله! فهل قدر الله حق قدره مَن هذا وصفُه؟ »[2]. ومَن هذا حالُه فقد باء بالخسران حالا ومآلا، سلَّمَنا الله!

قد تبيّن من خلال ما سبَق أنّ هناك قدَرًا من طاعة الرسول ﷺ، لا يبقى أصلُ الإيمان بدونه. وهذا القدر هو الذي من أجله جاء هذا المطلب تحت هذا المبحث (لوازم الإيمان برسالته ﷺ). والله تعالى أعلم.

** * **

المطلب السادس: اجتناب نواهيه ﷺ وزواجره[3]:

قد ذمّ الله الذين يخالفون رسولنا محمدًا ﷺ ويعاندونه، ويحادّونه بالكفر تارة، وبالمعاصي عنادًا، فجعلهم ذليلين مخذولين لا يُوفّقون في الدنيا؛ فلا عاقبة لهم حميدة، ولا راية لهم منصورة[4]، توعّدهم في الآخرة شديدَ العقاب، والخِزيَ العظيم، وولاهم ما تولّون، وأصلاهم جهنم وساءت مصيرًا، فقال: ﭽﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂ ﭼ [النساء: ١١٥].

وبيّن أنّ مَن يعص الله ورسوله ضالا، له النار خالدًا فيها، فقال: ﭽ ﭼ [النساء: ١٤]. وقال: ﭽﮘ

---

[1] وفي نسخة: « وإنْ قام في خدمة إلهه مِن البشر ... ».

[2] الداء والدواء، ص326 .

[3] للاستزادة في هذا الموضوع، يُنظر: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، تحت عنوان: الأدلة على التحذير من معصية الرسول ﷺ، وحكم مَن خالفَه، (ج1/249-255)، (ومن السنة: ج 1/256-263).

[4] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، سورة المجادلة، ص848 .

ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ چ [الأحزاب: ٣٦]. وقال: چ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ چ [الجن: ٢٣].

وأمَر سبحانه بضَرْب رقاب الذين كفروا ببدر وبنانَهم، وعلّله بمعاندة الله ورسوله ومخالفة دعوة عبده ﷺ، فقال: چ ٹ ٹ ه ه ه چ [الأنفال: ١٣]. وقال عن المتهاونين بأوامر الله ورسوله، المتجرئين على الحرام، الذين يكونون في حدٍّ غير الذي حَدّه الله ورسوله: چ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ چ [التوبة: ٦٣]. وأكبتَهم وأهانَهم كما كُبِت الذين مِن قبلهم: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ې ې ې ې چ [المجادلة: ٥]. وجعلهم في الأذلين: چ چ [المجادلة: ٢٠].

وقال في سبب تسليط الله تعالى نبيَّه محمدًا ﷺ والمؤمنين على بنِي النضير من اليهود بالإجلاء، وهو أنّهم كانوا على شِقٍّ، وهُدى الله في ناحية، فخالفوا الله تعالى، وكذّبوا بِما نزَل على رُسلِهم -عليهم السلام- مِن البشارة بِمحمد ﷺ، وعادوه وحاربوه، وسعَوا في معصيته، فعاقبهم الله، وعلله بقوله: چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ چ [الحشر: ٤]. وللكافرين أمثالُها. وحذَّر الذين يُخالفون أوامره مِن مخالفتها فيؤديهم ذلك إلى الوقوع في الشرك أو العذاب الأليم في الدنيا أو في الآخرة، فقال: چ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ [النور: ٦٣].

وذكر أنَّ نواهي الرسول ﷺ يجب الانتهاء عنها رأسًا بِخلاف الأوامر، فإنّ امتثالها مع الاستطاعة، فقال: چ ڻ ڻ ۀ ۀ ه ه ه ه چ [الحشر: ٧].

وقد أورد البخاري في بَاب الاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ مرفوعًا: " **دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** "(1).

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم: 7288، وصحيح مسلم: كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم: 1337، وكتاب الفضائل، باب تَوْقِيرِهِ ﷺ وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ..، بالرقم نفسه.

ولفظ مسلم: " **مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ".

قال النووي –رحمه الله- شارحًا الحديث: « قَوْله ﷺ: " **فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اِسْتَطَعْتُمْ** " هَذَا مِنْ قَوَاعِد الإِسْلَام الْمُهِمَّة، وَمِنْ جَوَامِع الْكَلِم الَّتِي أُعْطِيهَا ﷺ، وَيَدْخُل فِيهِ مَا لا يُحْصَى مِنْ الأَحْكَام كَالصَّلاةِ بِأَنْوَاعِهَا، فَإِذَا عَجَزَ عَنْ بَعْض أَرْكَانهَا أَوْ بَعْض شُرُوطهَا أَتَى بِالْبَاقِي، وَإِذَا عَجَزَ عَنْ بَعْض أَعْضَاء الْوُضُوء أَوْ الْغُسْل غَسَلَ الْمُمْكِن، وَإِذَا وَجَدَ بَعْض مَا يَكْفِيه مِنْ الْمَاء لِطَهَارَتِهِ أَوْ لِغَسْلِ النَّجَاسَة فَعَلَ الْمُمْكِن، وَإِذَا وَجَبَتْ إِزَالَة مُنْكَرَات أَوْ فِطْرَة جَمَاعَة مِمَّنْ تَلْزَمهُ نَفَقَتهمْ أَوْ نَحْو ذَلِكَ، وَأَمْكَنَهُ الْبَعْض فَعَلَ الْمُمْكِن، وَإِذَا وَجَدَ مَا يَسْتُر بَعْض عَوْرَته أَوْ حَفِظَ بَعْض الْفَاتِحَة أَتَى بِالْمُمْكِنِ؛ وَأَشْبَاه هَذَا غَيْر مُنْحَصِرَة، وَهِيَ مَشْهُورَة فِي كُتُبِ الْفِقْه، وَالْمَقْصُود التَّنْبِيه عَلَى أَصْل ذَلِكَ، ...

وَأَمَّا قَوْله ﷺ: " **وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْء فَدَعُوهُ** " فَهُوَ عَلَى إِطْلاقه، فَإِنْ وجدَ عُذْر يُبِيحهُ، كَأَكْلِ الْمَيْتَة عِنْد الضَّرُورَة، أَوْ شُرْب الْخَمْر عِنْد الإِكْرَاه، أَوْ التَّلَفُّظ بِكَلِمَةِ الْكُفْر إِذَا أُكْرِهَ، وَنَحْو ذَلِكَ، فَهَذَا لَيْسَ مَنْهِيًّا عَنْهُ فِي هَذَا الْحَال. وَاَللَّه أَعْلَم. »[1].

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجُرِّي -رحمه الله-: « واعلموا -رحمكم الله-: أنّ جميع ما نَهى عنه النبِيّ ﷺ فحرامٌ على الناس مخالفته، والنهي على التحريم حتى يأتِي عنه دلالة على أنّه نَهى عنه لِمعنى دون معنى التحريم، وإلا فنَهْيُه على التحريم لِجميع ما نَهى عنه، قال الله ﷻ: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ »[2].

وأشار المفسّر ابن عطية –رحمه الله- إلى سبب نزول هذه الآية، ثم ذكر أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص هذا السبب أو غيره فقال: « ورُوي: أنّ قومًا من الأنصار تكلموا في هذه القرى المفتتحة، وقالوا: لنا

---

1 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص837-838 .

2 (?) كتاب الشريعة، باب ذكر ما نعت الله ﷻ به نبيه محمدًا ﷺ في كتابه من الشرف العظيم... ص369-370 .

منها سهمُنا، فنزل قوله تعالى: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ الآية، مُؤدِّبا في ذلك وزاجرًا، ثم اطرَّد بعدُ معنى الآية في أوامر النبي ، ونواهيه، حتى قال قوم: إنّ الخمر محرمة في كتاب الله بهذه الآية، وانتزع منها ابن مسعود: لعنة الواشمة والمستوشمة الحديث. ورأى مُحْرِمًا في ثيابه المخيطة، فقال له: اطرَحْ هذا عنك، فقال له الرجل: أتقرأ عليَّ بذلك آية من كتاب الله تعالى؟ فقال ابن مسعود: نعم، وتلا هذه الآية »[1].

والأحاديثُ التي أشار إليها هنا، أوردَها –بألفاظها- الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير الآية، بعد قوله: « أي: مهما أمرَكم به فافعلوه، ومهما نَهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنّما يأمُر بِخَير، وإنما ينهى عن شرٍّ »[2].

ثم أورد حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودٍ من طريقين في لعن الْوَاشِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةِ، وَالْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ، وَالنَّامِصَةِ وَالْمُتَنَمِّصَةِ، المُخَرّج في الصحيحين، فعَنْه ، قَالَ: « لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُوتَشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ؛ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ   ﭼ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا »[3].

وحديث أبي هريرة السابق.

---

1 (?) المحرر الوجيز، ص1840-1841 .

2 (?) تفسير القرآن العظيم، (ج4/ 429 .

3 (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الحشر، باب ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ رقم: 4886، وصحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة ... رقم: 2125، واللفظ للبخاري.

وحديث ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أنهما شَهِدا على رَسُول اللَّهِ ﷺ أَنَّه نَهَى عَنْ الدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُزَفَّتِ وَالنَّقِيرِ[1]، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﭽ ڻ ڻ ۀ ۀ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ[2]. ثم ختم تفسير الآية بقوله: « وقوله: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ أي: اتقوه في امتثال أوامره، وترك زواجره؛ فإنه شديد العقاب لمن عصاه، وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجرَه ونَهاه »[3].

ولقد أكّد الشيخ السعدي –رحمه الله- اطراد الآية لجميع نواهي الرسول ﷺ وأوامره فقال: « وهذا شاملٌ لأصول الدين وفروعه، ظاهرِه وباطنِه، وأنّ ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفتُه، وأنّ نصّ الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحدٍ، ولا عُذرَ له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحدٍ على قوله. ثم أمر بتقواه التي بِها عمارة القلوب والأرواح، والدنيا والآخرة، وبِها السعادة الدائمة والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبدي، والعذاب السرمديّ، فقال: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ على مَن ترَك التقوى، وآثر اتباع الهوى »[4].

فقد نَهى النبي ﷺ عن أشياء –بأمر الله- منها ما سبقَت في الأحاديث، كما أمَر بأشياء، وأعظم ما عنه نَهَى

---

[1] **الدُّبَّاء** -بِضَمِّ الْمُهْمَلَة، وَتَشْدِيد الْمُوَحَّدَة، وَالْمَدّ-: الْقَرْع، وَهو الْيَابِس مِنْهُ. **وَالْحَنْتَم**: الْجِرَار الْخُضْر، وَعَنْ عَطَاء: أَنَّهَا جِرَار كَانَتْ تُعْمَل مِنْ طِين وَشَعْر وَدَم. **وَالْمُزَفَّت** -بِالزَّايِ وَالْفَاء- مَا طُلِيَ بِالزِّفْتِ. **وَالْمُقَيَّر** بِالْقَافِ وَالْيَاء الأَخِيرَة: مَا طُلِيَ بِالْقَارِ، وَهُوَ نَبْت يُحْرَق إِذَا يَبِسَ تُطْلَى بِهِ السُّفُن وَغَيْرهَا كَمَا تُطْلَى بِالزِّفْتِ. **وَالنَّقِير** -بِفَتْحِ النُّون، وَكَسْر الْقَاف-: أَصْل النَّخْلَة يُنْقَر فَيُتَّخَذ مِنْهُ وِعَاء، (انظر:فتح الباري، ج1/ص469).

[2] صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، رقم: 53.
وسنن النسائي: كتاب الأشربة، ذِكْرُ الدَّلالَةِ عَلَى النَّهْيِ لِلْمَوْصُوفِ مِنْ الأَوْعِيَةِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا كَانَ حَتْمًا لازِمًا لا عَلَى تَأْدِيبٍ، رقم: 5643، واللفظ له، وهو عند البخاري بدون ذكر الآية.

[3] تفسر القرآن العظيم، (ج4/ص430).

[4] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص851 .

وزجر: الشرك، ويليه قتل النفس بغير حقٍّ، والزنا بحليلة الجار، وغير ذلك من النواهي.
والناس بالنسبة للامتثال لمنَاهِيِه ترْكًا وعكسَه، بين مستجيبٍ مقبِلٍ لها، ممتثلٍ مقتضاها، وبين المستكبِر الرادّ المنتهِك حرُماتِها، الواقِع في الشرك وما اشتهى مِن المعاصِي، وهؤلاء هم الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وهم المقصودون بِهذا المطلب، وهذه التقسيمات بيَّنها الذي لا ينطِق عن الهوى أتم بيان، ومثّل لها بأوضح تمثيل. وقد تقدم حديث أَبِي مُوسَى مرفوعًا.
وقد يُقسّم الناس -بالنسبة لقبول ما جاء به الرسول وتركه، وضلالِهم في علومهم وغوايتهم في أعمالهم، أو اهتدائهم بعلم الوحي ورشادهم في أعمالهم- إلى أربعة أقسام، كالتالِي:
القسم الأول: ضالٌّ في علمه غاوٍ في قصده وعمله، وهؤلاء شرار الخلق، وهم مخالفو الرسل عليهم السلام.
الثانِي: مهتد في علمه غاو في قصده وعمله، وهؤلاء هم الأمة الغضبية، ومن تشبه بِهم، وهو حال كل مَن عرف الحق ولم يعمل به
الثالث: ضال في علمه، ولكن قصده الخير، وهو لا يشعر.
الرابع: مهتد في علمه، راشد في قصده، وهؤلاء ورثة الأنبياء، وهم وإن كانوا الأقلين عددًا، فهم الأكثرون عند الله قدرًا، وهم صفوة الله من عباده، وحزبه من خلقه[1].
ويشهد له تقسيم الناس في آخر الفاتحة إلى مُنْعَمٍ عليهم، وإلى مغضوبين عليهم، وضالين، فالأولون أصحابُ علمٍ وعمَل، واليهود أصحاب علمٍ بلا عمل، بينما كانت النصارى أصحاب عملٍ بلا علمٍ، والخير الجمع بين العلم والعمل.

---
[1] (?) انظر: التبيان في أيمان القرآن لابن القيم، ص365 .

هذا المطلب في اجتناب نواهي النبي ﷺ وزواجره، والذي قبلَه كان في امتثال أوامرِه، فأحدهما كالتتمة للآخَر، وهما متكاملان، وما يُمْكِنُ أنْ يُقال هنا يُمكن أنْ يُضم إلى الذي قبله، لكنْ لمَّا أفردتُهما في الخطة لزِم أنْ أخُصّ هذا ببعض المسائل التي هي ألصق به مِن سابقه، وأيضًا فليُعلم أنّ النصوص التي ذُكِرَت في المطلب قبل هذا كثيرٌ منها يصلح أن تأتِي هنا، وذلك للتلازم الذي بين طاعة النبي ﷺ في أوامره، واجتناب نواهيه ﷺ وزواجره، فلمعرفة هذا التلازم الذي بين الأمر والنهي أُمثِّل بالتوبة والاستغفار، فالتَّوْبَةَ وَالاسْتِغْفَارَ يَكُونُ مِنْ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَإِنْ كان الأَوَّلُ يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﭽ[illegible]ﭼ [محمد: ١٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢ ﭼ [الفتح: ٢]. وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ. فَنَقُولُ: التَّوْبَةُ وَالاسْتِغْفَارُ يَكُونُ مِنْ تَرْكِ مَأْمُورٍ، وَمِنْ فِعْلِ مَحْظُورٍ؛ فَإِنَّ كِلاهُمَا مِنْ السَّيِّئَاتِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ. وَتَرْكُ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدُ وَالْفَرَائِضُ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ مِنْ الذُّنُوبِ بِلا رَيْبٍ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ. بَلْ هِيَ أَعْظَمُ الصِّنْفَيْنِ، فَإِنَّ جِنْسَ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ أَعْظَمُ مِنْ جِنْسِ فِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ، إذْ قَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: تَرْكُ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، وَمَنْ أَتَى بِالإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ لَمْ يُخَلَّدْ فِي النَّارِ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ. وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِالإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ كَانَ مُخَلَّدًا وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ جِهَةِ الأَفْعَالِ قَلِيلَةً: كَالزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ؛ كَعُبَّادِ مُشْرِكِي الْهِنْدِ وَعُبَّادِ النَّصَارَى، وَغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لا يَقْتُلُونَ، وَلا يَزْنُونَ، وَلا يَظْلِمُونَ النَّاسَ؛ لَكِنَّ نَفْسَ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ الْوَاجِبِ تَرَكُوهُ. وَلَكِنْ يُقَالُ: تَرْكُ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ الْوَاجِبِ إنَّمَا يَكُونُ مَعَ الاشْتِغَالِ بِضِدِّهِ، وَضِدُّهُ إذَا كَانَ كُفْرًا فَهُمْ يُعَاقَبُونَ عَلَى الْكُفْرِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ. وَإِنْ كَانَ ضِدُّهُ مِنْ جِنْسِ الْمُبَاحَاتِ؛ كَالاشْتِغَالِ بِأَهْوَاءِ النَّفْسِ وَلَذَّاتِهَا مِنْ الأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، وَالرِّئَاسَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ عَنْ الإِيمَانِ الْوَاجِبِ، فَالْعُقُوبَةُ هُنَا لأَجْلِ تَرْكِ الإِيمَانِ؛ لا لأَجْلِ تَرْكِ هَذَا الْجِنْسِ. وَقَدْ يُقَالُ:

كُلُّ مَنْ تَرَكَ الإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدَ فَلا يَتْرُكُهُ إلا إلَى كُفْرٍ وَشِرْكٍ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ لا بُدَّ لَهَا مِنْ إلَهٍ تَعْبُدُهُ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْبُدْ الرَّحْمَنَ عَبَدَ الشَّيْطَانَ. فَيُقَالُ: عِبَادَةُ الشَّيْطَانِ جِنْسٌ عَامٌّ، وَهَذَا إذَا أَمَرَهُ أَنْ يَشْتَغِلَ بِمَا هُوَ مَانِعٌ لَهُ مِنْ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، يُقَالُ: عَبَدَهُ. كَمَا أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ فَقَدْ عَبَدَهُ، وَلَكِنْ عِبَادَةٌ دُونَ عِبَادَةٍ. وَالنَّاسُ نَوْعَانِ: طُلابُ دِينٍ وَطُلابُ دُنْيَا، فَهُوَ يَأْمُرُ طُلابَ الدِّينِ بِالشِّرْكِ وَالْبِدْعَةِ؛ كَعُبَّادِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَيَأْمُرُ طُلابَ الدُّنْيَا بِالشَّهَوَاتِ الْبَدَنِيَّةِ. فَإِنَّ تَرْكَ الْوَاجِبِ وَفِعْلَ الْمُحَرَّمِ مُتَلازِمَانِ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَنْ فَعَلَ مَا نُهِيَ عَنْهُ يُقَالُ: إنَّهُ (عَصَى الأَمْرَ). وَلَوْ قَالَ لِزوجه: إنْ عَصَيْت أَمْرِي فَأَنْتِ طَالِقٌ، فَنَهَاهَا فَعَصَتْهُ، فَفِيهِ وَجْهَانِ: أَصَحُّهُمَا أَنَّهَا تُطَلَّقُ، وَبَعْضُ الْفُقَهَاءِ يُعَلِّلُ ذَلِكَ بِأَنَّ هَذَا يُعَدُّ فِي الْعُرْفِ عَاصِيًا، وَيَجْعَلُونَ هَذَا فِي الأَصْلِ نَوْعَيْنِ. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ كُلَّ نَهْيٍ فَفِيهِ طَلَبٌ وَاسْتِدْعَاءٌ لِمَا يَقْصِدُهُ النَّاهِي، فَهُوَ (أَمْرٌ)، فَالأَمْرُ يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا. وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَضِرِ لِمُوسَى: ﭽﮔﮕﮖ ﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﭼ [الكهف: ٦٧ – ٦٩]. وَقَالَ لَهُ: ﭽﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﭼ [الكهف: ٧٠]. فَقَوْلُهُ: ﭽﯘﯙﯚﭼ؟ قَدْ تَنَاوَلَهُ قَوْلُهُ: ﭽﮭﮮﮯﮰﭼ . وَمِنْهُ قَوْلُ مُوسَى لأَخِيهِ: ﭽﮈﮉﮊﮋﮌ ﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﭼ [طه: ٩٢ – ٩٣]. وَمُوسَى قَالَ لَهُ: ﭽﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨ ﮩﭼ [الأعراف: ١٤٢]. نَهْيٌ، وَهُوَ لامَهُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْهُ، وَقَالَ: ﭽﮒﮓﭼ؟ وَعُبَّادُ الْعِجْلِ كَانُوا مُفْسِدِينَ، وَقَدْ جَعَلَ هَذَا كُلَّهُ أَمْرًا. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﭽﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﭼ [التحريم: ٦]. فَهُمْ لا يَعْصُونَهُ إذَا نَهَاهُمْ. وَقَوْلُهُ عَنْ الرَّسُولِ: ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕ ﮖﮗﭼ [النور: ٦٣]. فَمَنْ رَكِبَ مَا نُهِيَ عَنْهُ فَقَدْ خَالَفَ أَمْرَهُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﯕﯖﯗﯘﭼ [طه: ١٢١]. وَإِنَّمَا كَانَ فِعْلا مَنْهِيًّا عَنْهُ. وَقَوْلُهُ: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭼ [الأحزاب: ٣٦]. هُوَ يَتَنَاوَلُ مَا نُهِيَ عَنْهُ أَقْوَى مِمَّا يَتَنَاوَلُ مَا أُمِرَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: " **إذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** "[1]. وَقَوْلُهُ: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﭼ [النساء:

---

1 (?) سبق تخريجه قريبًا.

٤٢]. فَالْمَعْصِيَةُ مُخَالِفَةُ الأَمْرِ، وَمُخَالِفُ النَّهْيِ عَاصٍ؛ فَإِنَّهُ مُخَالِفُ الأَمْرِ وَفَاعِلُ الْمَحْظُورِ قَدْ يَكُونُ أَظْهَرَ مَعْصِيَةً مِنْ تَارِكِ الْمَأْمُورِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهُمَا مُتَلازِمَانِ؛ كُلُّ مَنْ أُمِرَ بِشَيْءٍ فَقَدْ نُهِيَ عَنْ فِعْلِ ضِدِّهِ، وَمَنْ نُهِيَ عَنْ فِعْلٍ فَقَدْ أُمِرَ بِفِعْلِ ضِدِّهِ، وَلَكِنْ لَفْظُ (الأَمْرِ) يَعُمُّ النَّوْعَيْنِ، وَاللَّفْظُ الْعَامُّ قَدْ يَخُصُّ أَحَدَ نَوْعَيْهِ بِاسْمٍ، وَيَبْقَى الاسْمُ الْعَامُّ لِلنَّوْعِ الآخَرِ، فَلَفْظُ (الأَمْرِ) عَامٌّ، لَكِنْ خَصُّوا أَحَدَ النَّوْعَيْنِ بِلَفْظِ (النَّهْيِ)، فَإِذَا قُرِنَ النَّهْيُ بِالأَمْرِ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ أَحَدَ النَّوْعَيْنِ، لا الْعُمُومُ . والله تعالى أعلم[1].

وقال العلامة ابن القيّم –رحمه الله تعالى-: « يُوضّحُه الوجهُ التاسع: إنّ الطاعة والمعصية إنّما تتعلق بالأمر أصلا، وبالنهى تَبَعًا، فالمطيع ممتثل المأمور، والعاصي تارك المأمور، قال تعالى: ﭽ ﭼ [التحريم: ٦]. وقال موسى لأخيه: ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ [طه: ٩٢ – ٩٣]. ..:

أمرتُك أمْرًا جازمًا فعَصيتِنِي

والمقصود مِن إرسال الرسل طاعة الْمُرْسِل، ولا تحصل إلا بامتثال أوامِره. واجتنابُ المناهي من تمام امتثال الأوامر ولوازمِه، ولهذا لو اجتنب المناهي، ولم يفعل ما أمر به لم يكنْ مُطِيْعًا، وكان عاصيًا بِخلاف ما لو أتي بالمأمورات، وارتكب المناهي؛ فإنه وإنْ عُدّ عاصيًا مُذْنِبًا؛ فإنه مطيع بامتثال الأمر، عاص بارتكاب النهى، بخلاف تارك الأمر؛ فإنه لا يعد مُطيعًا باجتناب المنهيات خاصة!

الوجه العاشر: إنّ امتثال الأمر عبودية وتقرب وخدمة، وتلك العبادة التي خلق لأجلها الخلق، كما قال تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﭼ [الذاريات: ٥٦]. فأخبر سبحانه أنه إنما خلقهم للعبادة، وكذلك إنما أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه، فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها، ولم يخلقوا لمجرد الترك، فإنه أمر عدمي لا كمال فيه من حيث هو عدم، بِخلاف امتثال المأمور، فإنه أمْرٌ وجودي مطلوب الحصول »[2].

---

1 (?) انظر: الاستغفار: أهميته، وحاجة العباد إليه لابن تيمة ص6-12، بتصرف .

2 (?) الفوائد، (175-176).

ومع أنّ ترك جنس المأمور عند الله تعالى أعظم من ارتكاب النّهي[1]، إلا أنّ ذلك لا يَعْنِي التهوين بشأنِ المنْهيات، فإنّ لَها من الله لطالبًا، كما جاء ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها، مرفوعًا في تحذير رسول الله ﷺ: " **إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنْ اللَّهِ طَالِبًا**[2]**.**

وإلى هنا انتهى هذا المطلب، والذي كان في بيان أنّ من لوازم ومقتضيات الإيمان بالرسالة اجتنابَ الزواجر والمناهي التي نهانا عنها الرسول ﷺ، بدءًا بالشرك الذي هو أكبر الكبائر، ومرورًا ببقيتها. وأنّ اقترافها سببٌ للوصف بنقيض الإيمان (الكفر الْمُخرِج مِن الملة)، والإيمان الواجب. وقانا الله مِن الكفر والفسوق والعصيان، وجعلَنا مِن عباده الممتثلين بأوامره وأوامر رسوله!

** * **

المطلب السابع: تصديقه ﷺ في أخباره:

الخبر يحتمل الصدق والكذب لذاته –كما يُقرّر ذلك علماء المعانِي والأصول-، إلا إذا كان الْمُخبِر هو الله ﷻ أو الرسول ﷺ ، فإنّ خبرَ الرسول، بل وخبَر الله تعالى لا يحتمل الكذب أبدًا. لهذا السبب يقيّد العلماءُ -رحمهم الله- الكلامَ السابقَ بلفظة (بذاتِه). والمسلمون يتلقّون خبر الله وخبر رسوله بالقبول. قال الله تعالى: ﭽﮪﮫﮬﭼ في الأخبار، ﭽ ﯓ ﯔﭼ ﯕ في الأحكام. [سورة الأنعام: ١١٥].

---

[1] (?) هذه قاعدة شرعيةٌ، مأخوذة من النصوص والاعتبارات الشرعية المرعية، وقد قررها شيخ الإسلام –رحمه الله- باثنين وعشرين وجهًا (انظرها في مجموع الفتاوى له –رحمه الله- ج20/ 80-158). وتكلم عليها العلامة ابن القيم –رحمه الله- وقررها بثلاث وعشرين وجهًا (انظرها: الفوائد، ص171-181).

[2] (?) جاء الحديث في سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، بَاب ذِكْرِ الذُّنُوبِ، رقم: 4243، قال البوصيري: « إسناده صحيحٌ، رجاله ثقاتٌ، (انظر: شروح سنن ابن ماجه، ج2/ ص1559)، وصححه الشيخ الألباني، (السلسلة الصحيحة/ج2/ 40-41، رقم: 513، وأشار إلى شاهد له من طريق سهل وابن مسعود رضي الله عنهما).

وثَمة سؤالٌ يُطرح في هذا الموضوع، هو:
لِماذا تصديق الرسول في جميع أخباره؟
وأُجيب: بأنّ أخبار الرسول الدينية لا تخرُج عن الأصول الثلاثة؛ إخباره عن الله، وعن نفسه (صاحب الرسالة)، وعن الدين الإسلامي ككُلّ؟
ويجب تصديقه فيها جميعًا لأنّ الله تبارك وتعالى زكّاه وزكّى لسانه، فصار لا ينطق عن الْهَوى، مثلُه في ذلك مثل بقية الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى بالنسبة لتزكية هذا الرسول : ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭼ [النجم:3-٤].
وإنّ مِن الإيمان بالرسول: التصديقَ الجازم له لدعوته الرسالة، كالشيء الأول الذي ينبنِي عليه أُسُس الإيمان، (فيُصدّق الرسول ابتداءً مِن إخباره بأنّه رسُولٌ من الله تعالى)، وأنّ الله سبحانه وتعالى حمَّله تبليغ ما أرسَلَه به إلى الناس عامة، مُرُورًا بكُلِّ خبَرٍ أخبَرَ به عن الله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، والله تعالى غَيْبٌ. وكذلك انتهاءً بتصديقه في كلِّ الدين جملة وتفصيلا؛ ومِن ذلك: تصديقه في بقية أصول الإيمان الستة؛ من الإيمان بالملائكة؛ ووجودهم وإنْ لم نرَهم، وما أخبر به مِن طاعتهم لله، وكثرتهم، ،،، وما أخبر به عن كُتُب الله التي نزَلَت قبله من التوراة والإنجيل وغير ذلك، وما جاء مِن أخبار القرآن ،، وما أخبَر به عن إخوته الأنبياء الذين سبقوه، ،،، وعن اليوم الآخر بتفاصيل مجرياته ابتداء بالقبر ،، وانتهاء بدخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وأُفصّل في هذا فأقول:
الرسول خصوصًا، بل وإخوتُه الرّسُل عليهم الصلاة والسلام عمومًا: يجِب تصديقُهم في كلّ ما أخبَروا به، ولو ظَهَر أنّه خالفَ العادة الجارية، إذْ ذلك هو طبيعة المعجزات والآيات، ومن ذلك: أوصاف الجنة والنار التي أخبَرَنا بِها الرسول الخارجة عن المعتاد الذي عهدناه، ككون الإنسان في الجنة يأكُل ويشرب ثم لا يتغوّط ولا يبول، ولا يتمخط، وكون عرَقه كرائحة المسك، وكونه لا ينام أصلا، كما أنّه لا يمرَض، ولا يهرم، ولا يموت، وكونه لا

يُصيبُه جوعٌ ولا عطش، وكونه لا يخرُج مِن جسده؛ لا في أذُنِه ولا أنفه،...، ولا سائرِ جسده أوساخٌ ولا أقذارٌ، وكون الأزواج في الجنة مطهرَّةً من الحيض مع كونِهِنّ في حالة الصِّبا، وسِنّ مَن تحيض، وكون الثّمر فيها إذا قُطف أخلف في الحال، ويتدانَى إلى يد القاطف إذا اشتهاه، وكون اللبن والخمر والعسل فيها أنْهارًا مِن غير حِلاب، ولا عَصْرٍ، ولا نَحلٍ، وكون الخمر لا يُسكِر. هذا فيما يتعلق بالجنة، وأمثال ذلك مما هو مخالفٌ للعادة، ومن الأعاجيب في شأن النار، ككونِها لا تأتِي على صاحبها حتى يموت. **هذا جانب.**

ويَحسُن أنْ أَذكُر أثَرًا غريبًا أورَده الشاطِبِيُّ –رحمه الله- في كتابه الاعتصام، في شأنِ راهبٍ لا يُؤمِن بنبينا محمدٍ ﷺ، وينْقِم على المسلمين إيْمانَهم به وتصديقهم إيّاه، مع أنّه ﷺ -كما زعم هذا الراهب- أخبَر بأمور في الجنة تخالف ما العادة عليه، أورَده الشاطبيُّ « من طريق إبراهيم بن نشيط، قال: سمعتُ شُعَيب بن أبِي سعيد يُحدِّث أنّ راهبًا كان بالشام من علمائِهم، وكان يَنْزِل مرّة في السَّنة، فتجتمِع إليه الرُّهبان؛ لِـيُعلِّمهم ما أشكَل عليهم مِن دينهم، فأتاه خالد بنُ يزيد بن معاوية فيمَن جاءَه، فقال له الراهب: أمِنْ أهل هذه الملة أنت –يُريد: النصرانية؟ قال خالد: لا، ولكنِّي مِن أمة محمد، فقال الراهب: أفَمِن عُلَمائهم أنت؟ قال خالد: إنّ فيهم لَمَن هو أعلم منِّي، قال الراهب: أليس تقولون: إنّكم تأكُلون في الجنة وتَشرَبون ثم لا يَخرُج منكم أذى؟ قال خالد: بلى! قال الراهب: أفلِهذا مثَلٌ تعرفونه في الدنيا؟ قال: نعم؛ الصبِيّ يأكُل في بطن أمّه مِن طعامها، ويشرَب مِن شرابِها ثم لا يَخْرُج منه أذى. قال الراهب لِخالد: أليس تقول: إنك لستَ مِن عُلَمائهم؟ قال خالد: إنّ فيهم لَمَن هو أعلم منِّي، قال: أفليس تقولون: إنّ في الجنة فواكه تأكلون منها ولا يَنقص منها شيءٌ؟ قال خالد: بلى، قال: أفلهذا مثل في الدنيا تعرفونه؟ قال خالد: نعم! الكتاب يَكتُب منه كلُّ أحدٍ ثم لا يَنقُص منه شيءٌ. قال الراهب:

أليس تقول: إنّك لستَ مِن عُلَمائهم؟ قال خالد: إنّ فيهم لَمَن هو أعلم منِّي، قال خالد: فتمعّر وجهُه، ثم قال: إنّ هذا مِن أمة بُسِط لَها في الحسنات ما لم يبسط لأحَدٍ»[1].

وكذلك يجب تصديقه فيما أخْبَر ﷺ من القدر خيره وشرّه، وكذلك تصديقه فيما أخبَر عن سوالف الدهر، وما أخبَر مما سيَحصُل بعده إلى قيام الساعة، وفي أخباره عن مخلوقات الله تعالى الغائبة عنا من الجنّ وغيرها، وكذلك تصديقه ﷺ في كلِّ أمرٍ أمَر به، أو نَهى عنه، وأنّ الله تعالى أرسله بِهذه الشريعة المعينة، فيُصدّق في الصلوات الخمس وأنها على الشكل الذي ورَدَت الأحاديث بكيفيتها، ويُصدّق في الصوم، وفي الزكاة، والحج، ويُصدّق في حرمة الزنا، ومشروعية الزواج وحلّه، وفي حرمة العقوق والخمر والسرقة، وأذية الجار، وهكذا.

ويدخُل في هذا تصديق القرآن والسنة جملة وتفصيلا، وتصديق أخبارهما خصوصًا.

يقول شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يُقرر هذه الْمعانِي (تصديق النبِيّ ﷺ في أخباره): « أنه إذا ثبتت الرسالة ثبَت ما أخبَر به الرسول مما يُنكِره بعض أهل البِدَع؛ كعذاب القبر، وسؤال منكرٍ ونكيرٍ، وكالصراط، والشفاعة، والحوض، ونحو ذلك مما استفاضت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ. ... أنه إذا عُلِم أنّ محمدًا رسول الله، وأنّ الله مُصدِّقه في قوله: إنّي رسول الله إليكم –فالرسول هو الْمخْبِر عن الْمُرسِل بِما أمَرَه أنْ يُخبِر به- عُلم بذلك أنّه صادقٌ فيما يُخْبِر به عن الله، إذْ الكاذب فيما يُخْبِر به ليس برسول الله في ذلك، كما أنّ الذي لم يُرسَل بشيءٍ قط هو كاذبٌ في كلِّ ما يُخبِر به عمّن زعَم أنه أرسلَه بالأمر، كما قال ﷺ: " **إذا حدثْتُكم عن الله، فلنْ أكذِب على الله** "[2]. وكما يُعلَم أنّه صادقٌ في قوله: إنّي رسول الله إليكم، يُعلَم أنّه صادقٌ

---

[1] الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، (ج/ ص317-318) .

[2] صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا ..، رقم: 2361.

في قوله: إنّ الله يقول لكم كـذا، ويـأمُرُكم بكـذا؛ فتكذيبُه في هذا الخبَر المعيّن كتكذيبِه في الإخبـار بأصل الرسـالة. والطُرُق التي يُعلَم بِها صدقُه في المُطلَق، يُعلَم بِها صدقُه في المُعيّن وأولى؛ فـإنّ ما دلّ على الصـدق في كــلّ ما يُخبِر به عن الله دلّ على الصـدق في هـذا الخبَر المعيّن؛ كـالمعجزة، فـإنّ المعجـزة دلّت على صـدقه في دعـواه، ودعواه: إنّي صادقٌ فيما أُخبِر به عنه، لم يدّع الصدق عليه في بعض الأمــور الــتي يُخْبِر بِها عنه دون بعض، بل قــال الله فيما أخبَر به عنه »[1].

فذكر هذه الآيات بِهذا الترتيب: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑ ﮒﭼ [الحاقة: ٤٤ – ٤٦]. وقوله: ﭽﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉ ﮊﮋﮌﮍﮎﭼ [الشورى: ٢٤]. وقوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟ ﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﭼ [يونس: ١٥ – ١٦]. وقوله: ﭽ... ﭼ [الإسراء: ٧٣ – ٧٤]. وختمها بآية قصة موسى وفرعون: ﭽ... ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭼ [الأعراف: ١٠٤ – ١٠٥].

ثم قال: « والرّسول الـذي يَكـذِب على مُرْسِـله في بعض الأمور مثل الـذي يَكـذب في أصـل الرسـالة، واللـه عـالِمٌ بحقائق الأمور، فلا فرق بين إظهـار المعجـزة على يـد مَن يَكْـذِب في أصـل الرسـالة، أو يَكـذِب فيمـا يُخبِـر بـه عن مُرسِله.

الفصل السابع: أنّه إذا ثَبَتَ صِدقُه في كلِّ ما يُخْبِر بــه عن الله، فمما أخْبَر به عنه: القرآن، فإنّه قَـد عُلم بالاضـطرار أنّـه بلّـغ القـرآن عن اللـه، وأخبَـر أنّ القـرآن كلام اللـه لا كلامه. ومما أخبَر به اللـه في القـرآن أنّ اللـه أنـزل عليـه الكتاب والحكمة، وأنّه أمَر أزواج نبيّـه أنْ يـذْكُرن مـا يُتلى في بيوتِهنّ من آيات الله والحكمة، ... ومِن المعلوم أنّ ما يُذكَر في بيوت أزواج النبِيّ إما القرآن، وإما مـا يقـول مِن غير القرآن، وذلك هو الحكمة، وهو السـنة، فثبَت أنّ ذلـك مما أنزلَـه اللـه وأَمَـر بـذكره. وقـد أمَـر اللـه بطاعتـه في القرآن في آيات كثيرة، وقال: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭼ [النساء:

[1] شرح الأصفهانية، ص724-726 .

٨٠]... فَهذا وأمثالُه يُبيّن أنّ الله أوجَب اتباعـه فيمـا يقولُـه وإنْ لم يكن من القـرآن.وأيضًـا فرسـالتُه اقتضَـت صِـدقه فيما يُخبِـر بـه عن اللـه من القـرآن وغـير القـرآن،فـوجَب بـــذلك تصــديقه فيمـــا أخبَــر بـــه،وإنْ لم يكن ذلـــك من القرآن»(1).

وإنّ مما يَجِب تصديق الرسول ﷺ فيه كذلك: تصديقه فيما أخبَر به عن نفسه؛ لأنه لا يقول إلا حقًّا، بخلاف بعض الناس في التواضع(2)، حيث يقومون بِهَضْم أنفسِهم.

ويجب تصديقه كذلك أخيرًا فيما جاء به، وظهَرَت على يديه من الآيات الكثيرات، وأنّها مِن الله تعالى تأييدًا له على دعواه. وهذا جانبٌ آخَر: وهو تصديق الرسُل ﷺ في الآيات التي يُؤَيَّدون بِها كقلب العصا ثُعبانًا، وفرْق البحر، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، ونبع الماء مِن بين أصابع اليد، وانشقاق القمر، وتكليم الحجر والشجر، وغير ذلك.

كلّ هذا وغيرُه يَجب تصديقهم فيها دون إنكارها والزّعم بأنّها سِحرٌ(3).

ما تقدم كلُّه مِن حيث الجملة، وسيأتِي تفصيل بعضها.

فمَن لم يُصدق النبي ﷺ في شيءٍ مما ذكرنا هنا فإنه يُعتبَر ناقصًا لإيمانه بالرسول ﷺ إلا إذا كان صدر ذلك عن جهلٍ بأنّ الشيء الفلانِي بعينه قاله النبي ﷺ، أو،، ومع ذلك يُخاف على المتجاسِر لتكذيب ما لم يُحِطْ بعِلمه، ولَمّا يأتِه تأويلُه!

ومن المعلوم أنّ الشريعة المحمدية لا تَخرُج عن شيئَين، هما: **الإنشاء**: (الطلب)، وهذا الطلب لا يَخرُج عن طلَب فِعل، أو طلَب ترْك، ويكونان إما على وجه الإلزام أو عكسه. وهذا النوع مطلُوبٌ مقابلَتُه بالامتثال –

---

1 (?) شرح الأصفهانية، 726-728 .

2 (?) انظر كلام شيخ الإسلام، الرد على البكري، 361-363 .

3 (?) انظر: الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، (ج/ 316-317).

وهو الذي تقدم بيانه في المطلب الخامس والسادس.
والثانِي: الخبَر: وهذا النوعُ مطلُوبٌ مقابلتُه بالتصديق الجازم، والإيمان بأنّ المخبَر به على حقيقة الخبر، وكثيرًا ما يكون في الأمور الغائبة المستقبلية أو الماضية، وفي يتعلق بأمور الغيب من الإيمان بالله واليوم الآخر وغير ذلك. فانحصَر المطلوبُ الشرعي من الناس تجاه أنبيائهم في شيئين: الانقياد للطلب وقبوله. وتصديق الخبَرِ والإيمان به.

ثم الناس بالنسبة للثانِي بين مُصدِّقٍ لأخبار الرسول جملةً وتفصيلا، وبين مكذِّب لها، وشاكٍّ في مصداقيتها، والشك كفرٌ، وغير مقبولٍ من صاحبه، قال الله تعالى: ﭽﮬ ﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﭼ [الحجرات: ١٥].

ومصادر أخبار عبد الله ورسوله نبينا محمد هو الوحي (الكتاب والسنة)، وسنَّتُه في أحاديثه، وهي موجودة في كُتُب الحديث أصالة، من الصحاح، والسنن، والمسانيد، والموطآت، والمصنفات، والمعاجم، والمستدركات، والمستخرجات، وكذلك كتُب التاريخ عمومًا، وسيرة النبيّ خصوصًا، كما أنّها توجد في كُتُب التفسير، وخصوصًا القديمة منها، كالتفسير لابن أبِي حاتم، والطبري، وغيرهما. وكلُّ ما ورد فيها وصحّ سندًا ومتنًا = فإنه يجب التصديق به، ويحرُم تكذيبُه وسواء صحّ هذا الحديث عن النبيِّ أنّه قاله، ووصَل إلينا بطريقة آحادية أو متواترة، في العقائد كان أو غير ذلك،، فإذا ثبَت الخبر وصحّ،، فإنه يجب تصديق الرسول في ذلك، ويَحرُم الشكّ فيه، دون إخضاع محتواه ومضمونه لعُقول الناس.

وهذا الذي يقتضيه الإيمان بِمُحَمَّدٍ رَسُولا.

وقد سبقت النماذج الكثيرة المندرجة تحت هذا المطلب، **في مطلب: صِدْق النبي فيما أخبَر به عن الماضي والمستقبل**، تحت مبحث دلائل وآيات نبوة محمدٍ ، مما لا يُحتاج معها إلى إعادة شيءٍ منها،

ففيها الكفاية، فليُراجعها هناك مَن شاء الوقوف على ما له علاقة بِهذا! والله تعالى أعلم.

وبعد كُلّ ما تقدم **أقول:** قد ثَبَت بِما في هذا المطلب أنّ مِن لوازم الإيمان بهذا النبي خصوصًا، ومقتضياته وشروطه: تصديقه في أخباره؛ كما سبق تفصيله! والله تعالى أعلم.

** * **

أما بعد، فهذا نِهاية الباب الثاني من هذه الأطروحة والذي هو مقام الرسالة لنبينا محمد ، وقد تقدمه باب مقام العبودية له عليه الصلاة والسلام لربّه ، وقد قررتُ كُلّ المسائل المندرجة تحت البابَيْن بأدلة الكتاب والسنة الصحيحة.

ثم يأتِي بعدهما بابٌ بعُنوان: موقف الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام مِن مقامَي العبودية والرسالة لنبينا محمد ، وذلك لنَرى المواقف الغالية والجافية من عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ التي خالفَت ما تقرر بدليله في البابَيْن الأوّلَين. واللهَ وحده أسأل الإعانة على ذلك. وسآخُذُ مواقف هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام من مصادرهم –ما استطعت إلى ذلك سبيلا- وذلك لِيُدانُوا مِن أفواههم. والله أعلم.

***** * *****

الباب الثالث: موقف الفِرَق الْمنتسبة إلى الإسلام مِن مقامَي الْعُبُوديّة والرّسالة لنبينا محمد ﷺ، وفيه تمهيدٌ وستةُ فصُولٍ:

التمهيد: الفـرق المنتسبة إلى الإسلام مشابِهون لليهود والنصارى في الغلوِّ في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي جفائهم، وكلُّها وقعَتْ في الغلوِّ أو الجفاء أو كليهما في العقيدة في عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ، وفيه أربعة مطالب.

الفصل الأول: موقف الخوارج من مقامي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

الفصل الثانِي: موقف الرافضة والزيدية من مقامَي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه أربعة مباحث.

الفصل الثالث: موقف الفلاسفة والْمتكلمين من مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه مبحثان.

الفصل الرابع: موقف الصوفية من مقامَي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الخامس: موقف القرآنيين والقاديانيين من مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه مبحثان.

الفصل السادس: موقف البابية والبهائية من مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه تمهيد ومبحثان.

التمهيد: الفـرق المنتسبة إلى الإسلام مشابِهون لليهود والنصارى في الغلو في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي جفائهم، وكلُّها وقعَتْ في الغلوِّ أو الجفاء أو كليهما في العقيدة في العبد الرسول محمد ﷺ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الْمـراد بــ"الغُلُـوّ والجفـاء" لغة وشرعًا،

المطلب الثاني: وقوع كلِّ الفِرَق الْمنتسبة إلى الإسلام في الغلوِّ أو الجفاء أو كليهما في حقِّه عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: اتباع الفرق المنتسبة إلى الإسلام سَنَن اليهود والنصارى في الغلو في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي جفائهم! وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الغلو والجفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند اليهود.

المسألة الثانية: الغلو والجفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند النصارى.

المسألة الثالثة: اتباع الفرَقِ المنتسبة إلى الإسلام سَنَن اليهود والنصارى في الغلو في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي جفائهم.

المطلب الرابع: بيان أنَّ مِن الغُلوّ والجفاء في العقيدة في العبد الرسول ما هو مُخْرِجٌ من الْملة، ومنه ما هو دون ذلك.

المطلب الأول: المراد بـ(الغلوّ والجفاء) لغة وشرعًا:

ذَكَرتُ لفظة الغُلُوّ ولفظة الجفاء في كُلّ مباحث فصول هذا الباب (الثالث)، كما عَقَدتُ الباب الأخير لِذِكر وسطية أهل السنة بين الغُلاة والْجُفاة في العقيدة في العبد الرّسول محمدٍ ، وذَكَرتُ ذلك لِما كانت كُلّ لفظَة منهما (الغلوِّ والجفاء) جِنسًا يَدخُل تَحته أنواعٌ وصُوَر من الإفراط والتفريط، والطغيان والتنقص في العقيدة في العبد الرّسول نبيّنا مُحمدٍ . لكنْ لمَّا كانت اللفظَتَان ليستا مقصودَتين لذَاتيْهما في هذا البحث -وإنْ كنتُ نصَصْتُ على أنّنِي سأعرِّف بِهما، بسبب كثرة ورودهما-، فقد رأيتُ كذلك أنْ أُعرِّف بالكلمات القريبة المعنى منهما، في مسألتين، على النحو التالي:

المسألة الأولى: الكلمات القريبة الْمعنى مِن الْغُلُوّ (الإفراط، الطغيان، التنطع)**.**

المسألة الثانية: تعريف الجفاء لغة وشَرْعًا، وذكر الكلمات القريبة منه في المعنى (التنقص والتفريط).

المسألة الأولى: الكلمات القريبة المعنى من الغلو (التنطع، الطغيان والإفراط):

تقدم تعريف (لفظة الغلو لغة وشرعًا) في مبحث: لازم عبوديته عـــدم الغلو فيـــه، وبقي هنا أنْ أُعَـــرِّف بالألفــاظ القَريبة الْمعنَى منــه، من الإفــراط والطغيــان والتنطع.

فأقول: قد حذّرت الشريعة عن الغلو في الـدين، **وسلَكَت في ذلك مَسالكَ عِدّة:**

منها: النهي عن الغلو في الدين، وهو ما تقدم في الفصل الثانِي من الباب الأول.

ومنها: بيـان مـآل الغـالين الْمتنطّعين وأنه إلى الهلاك: مِن ذلك ما جاء في حديث ابن مسعود مرفوعًـا، " **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُون** " قاله ثلاثًا [1].

والْمُتَنَطِّعُون الموصـوفون بـالْهلاك دنيـا وأخـرى: هم الْمُتَعَمِّقُـونَ الْغَـالُونَ، قـال النـووي -رحمه الله- في شرح الحديث: « قَوْله : " **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُون** " أَيْ: الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَـالُونَ الْمُجَـاوِزُونَ الْحُـدُود فِي أَقْـوَالهمْ وَأَفْعَالهمْ »[2].

ومنها: النهي عن الطغيان (ضد الاستقامة)، قال الله تعالى: ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ [هود: ١١٢].

فالطغيان المنهي هنا مثله مثل الغلو تَمامًـا، وهو الخروج عن الاستقامة بالزيـادة، وطغى أصـلٌ مُعتـلّ يَـدُلّ على مجاوزة حد الشريعة، في العصيان[3].

قال المفسر ابن عطية -رحمه الله-: « ﭽﮏﮐﭼ معناه: ولا تتجـاوزوا حـدود الله تعـالى، والطغيـان: تجـاوز الحد، ومنه قوله: ﭽﮱﯓﯔﭼ [الحاقة: ١١]. وقوله في فرعون: ﭽﭖﭗﭼ [طـه: 24، و43،ــ النازعـات: ١٧]. وقيل في هـذه معنـاه: ولا تطغينكم النِّعَم، وهذا كالأول »[4].

---

[1] صحيح مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم: 2670. وسنن أبي داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم: 4608.

[2] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 1580.

[3] انظر: الصحاح للجوهري، مادة طغى، ص642، ومقاييس اللغة لابن فارس، المادة نفسها، ص619.

[4] المحرر الوجيز، 973-974 .

وقال القرطبي –رحمه الله-: « ﭽﮏ ﮐﭼ نَهى عن الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد، ومنه: ﭽﭺﭻﭼ ـ وقيل: أي لا تتجبروا على أحد »[1].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله-: « .. أمَـر نبيه محمدًا ومَن معه من المؤمنين أن يسـتقيموا كما أُمِـروا، فيَسلُكوا ما شرَعَه الله من الشـــرائع، ويعتقــدوا ما أَخبَــر الله به من العقائد الصـحيحة، ولا يزيغـوا عن ذلك يَمْنة ولا يَسْرَة، ويدُوموا على ذلك، ولا يطغوا؛ بأن يتجاوزوا ما حدّه الله لَهم من الاستقامة »[2].

ومن الألفاظ القريبة المعنى من الغُلـوّ: لفظة الإفراط:

فـالإفراط لغة، مصدَرُ قولك: أفرَط في الأمر يُفْرِط إفراطًا، إذا جاوَز الحدَّ فيه، وارتفع عنه وغلا فيه، وهو من: ف ر ط (الثلاثي) الذي بِمعـنى: إزالة شـيءٍ عن مكانـه، وتَنْحِيَتُه عنه، قال ابن فارس –رحمه الله-: « الفـاء والـراء والطـاء أصْـلٌ صـحيحٌ يـدلّ على إزالة شـيءٍ عن مكانـه، وتنحيته عنه ... فهذا هو الأصل، ثم يقال: أفْرَط، إذا تجاوز الحــدَّ في الأمــر: يقولــون: إيَّاك والفَــرْطَ، أي: لا تجــاوز القــدر؛ وهـذا هو القيـاس، لأنَّه إذا جـاوَز القـدر فقد أزال الشيء عن جِهَته »[3].

والإفراط، إعجـال الشـيء في الأمر قبل التثبت، يقال: أفرط فلانٌ في أمره، عجِل فيه » [4].

وقال الجوهري –رحمه الله-: « ...وأفرَطتُ الْمزادة: ملأتُها، يقال: غديرٌ مُفْرَط، أي: ملآن. قال الكسائيُّ: يقال: ما أفْرطتُ من القوم أحَدًا، أي: ما تَرَكتُ؛ قال: ومنه قوله تعـالى: ﭽ ـ ـ ﭼ [ـ النحـل: ٦٢] أي: مَتْرُوكـون في النّـار

---

1 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج11/ ص225).

2 (?) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص391 .

3 (?) معجم المقاييس في اللغة، مادة فرط، ص 841 .

4 (?) موسوعة نضرة النعيم، مادة التفريط والإفراط، قسم صفات مذمومة، (9 / 4229) .

مَنْسِيُّون. وأفرط في الأمـر، أي: جـاوز فيه الحـدَّ؛ والاسم منه الفرْط بالتسكين، يقال إياك والفرْط في الأمر »[1].

فالإفراط بمعنى الزيادةِ على المأمور، والإسراف فيها، يقال: فرَّط عليه في القـول، إذا أسـرف في ذلك[2]. والإفــراط كــذلك: أنْ تبعث رســولاً مجــرَّدًا خاصًّــا في حوائجكُ[3].

وكلُّ هذه المعانِي لا تخرج عن الأصل الذي ذكره ابن فارس، متقدم الذِّكر.

وأما الإفراط في الشريعة فهو بمعنى الغلوِّ الْمتقدم مِن حَيث شُـمولُه، وأنَّ الْمُجـاوزة لحـدِّ الشـريعة تكـون: اعتقادًا أو قـولاً أو عملاً. ويُمثَّل له بِهـذا المثـال للتقـريب، وهو: ما إذا كـان حـدُّ الاعتـدال في أمـرٍ من الأمـور عشـرُ درجات، كـان الإفـراط تجـاوز ذلك إلى إحـدى عشـرة فما فوقها، وكان التفريط -الآتِي تعريفُه- هو تحصيل تســعٍ فما دونَها عمــدًا [4]. قــال العلامة ابن القيّم –رحمه اللــه-: « **والغلو نوعـان**: **نـوعٌ** يُخرجه عن كونه مطيعًـا؛ كمَن زاد في الصـلاة ركعة، أو صـام الـدهر مع أيـام النهي، أو رمي الجمرات بالصخرات الكبار التي يـرمى بها في المنجـنيق، أو سـعى بين الصــفا والمــروة عشرًا، أو نحو ذلك عمــدا. **وغلُوٌّ** يُخاف منه الانقطاع والاستحسار؛ كقيــام الليل كله، وسرد الصيام الدهر أجمع بدون صوم أيـام النهي، والجـور على النفوس في العبادات والأوراد »[5].

ومَن تأمَّل جميع النصوص الـواردة في النهي عن الغلُوِّ يجد أنَّها على **ثلاثة أنواع**:

النــوع الأول: الغلـــوُّ في الـــدين؛ وذلك بالاعتقـــادات الباطلـة، والعبـادات الزائـدة، كما عند أهل الكتـاب أو عند النصــارى بالغلبــة، وكما عند كثــير من فــرق المســلمين كالشيعة الغلاة ومنهم الرافضة الغالية في الحبِّ والبغض.

---

[1] (?) الصحاح للجوهري، (مادة فرط، ص 807).

[2] (?) انظر: القاموس المحيط، (مادة فرط، ص 627).

[3] (?) نضرة النعيم، مصدرٌ سابقٌ.

[4] (?) انظر: نضرة النعيم، مصدرٌ سابقٌ، ص4230 .

[5] (?) مدارج السالكين، (ج2/ ص496).

وقد ذكر العلامة ابن القيِّم –رحمه الله- في مسائل تلميذ أحمد[1] له، قال: " كتبتُ إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل أسأله عن حديث ابْنِ عَبَّاسٍ: **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ** .. ما معنى الغلوُّ؟ فأتاني الجواب: يَغْلُو في كلِّ شيءٍ؛ في الْحُبِّ والبغض »[2]؛ لذا أطلق **وصف ولقب (الغالية)** على كثيرٍ مِن فِرَق الشيعة**؛** لغلوِّهم في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكَمُوا فيهم بأحكام الإلَهية، .. [3] -كما سيأتي عند التعريف بالفرق في التمهيدات المخصصة لذلك.

والإفراط والْغُلُوّ الذي قصَدتُ كَشفَه في هذا البحث داخلٌ في هذا النوع.

النوع الثاني: الغلُوُّ في القرآن الكريم، وذلك بمجاوزة الحدِّ في قراءته بالتطويل والتطريح والتشدق، والخروج والتأويل المُبَالَغ فيه. وفي الحديث مرفوعًا: **"اقْرَءُوا الْقُرْآن، وَلا تَأْكُلُوا بِهِ، ولا تستكثروا به، وَلا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلا تَغْلُوا فِيهِ "**[4]**.**

النوع الثالث: النوع الثالث: الغلُوُّ في العلم، وذلك الذي يُؤدِّي إلى تحريف الكلم عن مواضعه، كما حصل عند أهل الكتاب وعند المتنطعين في هذه الأيام[5].

هذا، وبتأمل النصوص يَظهَر أنّ **لِمُجاوزة الحد في الدين** (الغلوّ) **مضارًا**، من أهمها:

---

1 (?) وهو الفضل بن زياد القطان.

2 (?) بدائع الفوائد، لابن القيِّم، (ج4/ص 1412).

3 (?) انظر: الملل والنحل للشهرستاني، ط / الكتب الثقافية، (1 / 126)، وانظر: مقالات الإسلاميين للأشعري، ط / المكتبة العصرية، (1 / 66)، ومعجم ألفاظ العقيدة، لعامر عبد الله فالح، مادة الغالية، ط / العبيكان، ص 307 .

4 (?) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الصلاة، في الرجل يقوم بالناس في رمضان فيعطى، ورقمه: 7825، من حديث عبد الله بن شبل، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « ... وَسَنَده قَوِيّ » (فتح الباري، ج 3/3563)، ولذا صححه محمد بن عوامة في تحقيقه للمصنف، (ج5/ 238-240).

5 (?) اختصار من النضرة النعيم، صفات مذمومة، مادة الغلو، (ج 11 / ص5115).

أنَّه مُبعِد عن الله ومـوجب للنـار. ويُسـبب الانقطـاع عن العمـل، وعـدم الـدوام عليـه. وأنَّه دليل ضـعف العقـل، ومدخلٌ لتسلُّط الشيطان. ودليل الجهـل، وقلة الفهم. كما أنَّه يورث الوسواس. وضيق النفس، ودوام الحزن[1].

** * **

[1] النضرة النعيم، مصدرٌ سابقٌ، (11 / 5127).

أولا: تعريف الجفاء لغة وشرعًا:

الجفاء فعلٌ متعدٍّ بنفسه، قال ابن فارس –رحمه الله-: « جفـو: الجيم والفـاء والحـرف المعتل يـدُل على أصـلٍ واحـدٍ: نُبُـوّ الشـيء عن الشـيء، ومِن ذلك جفـوتُ الرّجُـلَ، أجفُـوه، وهو ظـاهرُ الْجِفـوة، أي: الجفـاء، وجفَا السّرجُ عَن ظهرِ الفرَس، وأجفيتُه أنا، وكـذلك كـلّ شـيءٍ: إذا لم يلزم شيئًا، يقال: جفا عنـه، يجفو ... والجفـاء خلاف الْبِرّ، والْجُفاء: ما نفاه السيل .. »[1]، قال تعالى: ﭽ ﭼ [الرعد: ١٧].

فالفعل منه يتعدّى بنفسه، كما في جفَوتُ الرّجُل.

جاء في سنن أبي داود: عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ، قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ : " **إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ: إِكْـرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ؛ غَيْـرِ الْغَـالِي فِيـهِ وَالْجَـافِي عَنْـهُ، وَإِكْـرَامَ ذِي السُّـلْطَانِ الْمُقْسِطِ** "[2].

وتقدم قريبًا حديث: " اقْرَءُوا الْقُرْآن، .. وَلا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلا تَغْلُوا فِيهِ "[3].

فالغلو في القرآن: هو التعمق، والجفا عنه: التقصير، وكلاهما سـيئة، والشـيطان يريد أنْ يظفَر بأيهمـا، قـال صاحب عون المعبود في شـرح حـديث أبي داود: « "**غَيْر الْغَالِي**" بِالْجَرِّ، "**فِيهِ**" أَيْ: فِي الْقُـرْآن. وَالْغُلُـوّ التَّشْـدِيد وَمُجَـاوَزَة الْحَـدّ، يَعْنِي غَيْر الْمُتَجَـاوِز الْحَـدّ فِي الْعَمَل بِـهِ، وَتَتَبُّع مَا خَفِيَ مِنْـهُ، وَاشْـتَبَهَ عَلَيْـهِ مِنْ مَعَانِيه، وَفِي حُـدُود قِرَاءَته، وَمَخَـارِج حُرُوفه، .. "**وَالْجَـافِي عَنْـهُ**" أَيْ: وَغَيْر الْمُتَبَاعِد عَنْـهُ الْمُعْـرِض عَنْ تِلاوَته وَإِحْكَـامِ قِرَاءَته وَإِتْقَـان مَعَانِيه وَالْعَمَل بِمَا فِيـهِ. وَقِيـلَ الْغُلُـوّ الْمُبَالَغَة فِي التَّجْوِيد،

---

1 (?) مقاييس اللغة، مادة جفو، ص219 .

2 (?) سنن أبي داود: كتاب الأدب، بَاب فِي تَنْزِيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ، ورقمه: 4843، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، وصحيح وضعيف الجامع الصغير، برقم: 3962.

3 (?) مصنف ابن أبي شيبة: سبق تخريجه قريبًا، وقوى سنده الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في الفتح.

أَوْ الإِسْرَاع فِي الْقِرَاءَة بِحَيْثُ يَمْنَعهُ عَنْ تَدَبُّر الْمَعْنَى. وَالْجَفَاء أَنْ يَتْرُكهُ بَعْد مَا عَلِمَهُ لاسِيَّمَا إِذَا كَانَ نَسِيَهُ؛ فَإِنَّهُ عُدَّ مِنْ الْكَبَائِر، قَالَ فِي النِّهَايَة: وَمِنْهُ الْحَدِيث: "اقْرَءُوا الْقُرْآن وَلا تَجْفُوا عَنْهُ" أَيْ: تَعَاهَدُوهُ وَلا تَبْعُدُوا عَنْ تِلاوَته بِأَنْ تَتْرُكُوا قِرَاءَته، وَتَشْتَغِلُوا بِتَفْسِيرِهِ وَتَأْوِيله، وَلِذَا قِيلَ اشْتَغِلْ بِالْعِلْمِ بِحَيْثُ لا يَمْنَعك عَنْ الْعَمَل، وَاشْتَغِلْ بِالْعَمَلِ بِحَيْثُ لا يَمْنَعك عَنْ الْعِلْم. وَحَاصِله أَنَّ كُلا مِنْ طَرَفَيْ الإِفْرَاط وَالتَّفْرِيط مَذْمُوم، وَالْمَحْمُود هُوَ الْوَسَط الْعَدْل الْمُطَابِق لِحَالِهِ ﷺ فِي جَمِيع الأَقْوَال وَالأَفْعَال،..»[1].

والجفاء الذي قَصَدتُ في هذا البحث هو التقصير عن ما شرَع الله تعالى تجاه نبِيّه ﷺ، ويختلف مراتِبُه مِن جفاءٍ يُخرِج عن الملّة إلى ما هو دونه. وسيأتِي ذلك.

ثانيًا: التعريف بـ(التفريط والتنقص):

التفريط لغة، مصدرُ قولك فرَّط في الأمر يُفَرِّط تفريطًا، إذا قصَّر فيه، وضيَّعه، وهو مزيدٌ بالتضعيف على قولك فَ رَ ط (الثلاثي)، قال ابن فارس: « الفاء والراء والطاء أصْلٌ صحيحٌ يدلُّ على إزالة شيءٍ عن مكانه، وتنحيته عنه ... فهذا هو الأصل، ... وكذلك التفريط، وهو التقصير، لأنَّه إذا قصَّر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له »[2].

فالتفريط التقصير في الأمر وتضييعه حتى يفوت[3]، وقد جاء هذا المعنى في عدة أحاديث، منها على سبيل المثال: ما جاء عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: ذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ نَوْمَهُمْ عَنْ الصَّلاةِ، فَقَالَ: " **إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا** "[4].

---

1 (?) عون المعبود، ص2095-2096 .

2 (?) مقاييس اللغة، مادة فرط، ص841.

3 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة فرط، ص806.

4 (?) جزءٌ من حديث أبي قتادة الطويل في قصة نومهم عن الصلاة، أخرجه مسلم، كتاب الصلاة ومواضع السجود، باب قضاء الصلاة الفائتة، رقم: 681.

وأما التنقص: مصدر تنقّص يتنقّص، وهو الحط والثلب، يُقال: تنقّص فلانًا يتنقّصه، وانتقصه، ونقّصه: يقَع فيه ويَثْلبُهُ ويَذُمّه ويُعيبُه. والنقيصة العيب والوقيعة في الناس، والطعن فيهم [1]**.** قال ابن فارس –رحمه الله-: « النون والقاف والصاد كلمةٌ واحدة، هي النّقص: خلاف الزيادة، ونقص الشيءَ، ونقَصْتُه أنا، وهو منقوصٌ، والنقيصة: العيب، يقال: ما به نقيصة: أي: شيءٌ يُنقص، ومرجع الباب كُلّه إلى هذا »[2].

هذا هو معنى اللفظة إذا وردَت في هذا البحث. وعَيب الرّسول ﷺ وذمّه وثلبُه (تَنَقُّصُه): منه ما هو كُفرٌ مُخرِجٌ مِن المِلّة، ومنه ما هو دونه. ورَحِم الله شيخ الإسلام حيث كتَب كتابه الفريد (الصارم المسلول) لبيان حُكم سابّه ﷺ ومؤذيه، وأنّ ذلك صورة مِن صُوَر تنَقُّصه، وقد حشَد الأدلة الكثيرة مِن الكتاب والسنة، كما أوْرَد الاعتبارات الشرعية، والأقيسة الصحيحة لذلك.

** * **

المطلب الثاني: وقوع كلِّ الفِرق المنتسبة إلى الإسلام في الغلوِّ أو الجفاء أو كليهما في حقِّه عليه الصلاة والسلام:

كلّ الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام بِكُلّ طوائفها الداخلية؛ مِن خوارج، وشيعة –بكلّ فِرَقِها؛ الغُلاةِ منها والاثنَي عشرية والملاحدة الباطنية والزيدية- وجهمية، ومتفلسفةِ، ومعتزلة، وأشاعرة، وماتريدية، وصوفية –بكلّ طوائفها وفِرَقِها ومنها البريلوية-، والقاديانية، والقُرآنية، والبابية، والبَهائية، وغيرها، كلّ هذه الفِرَق وقعَتْ في الغُلُوّ أو الجفاء أو في كِلَيهما تجاه العبد الرسول محمد ﷺ

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، بَاب مَا جَاءَ فِي تَعْجِيلِ الصَّلَاةِ إِذَا أَخَّرَهَا الإِمَامُ، رقم: 441، وجامع الترمذي: كتاب الصلاة، بَاب مَا جَاءَ فِي النَّوْمِ عَنْ الصَّلَاةِ، رقم: 177، وللفظ له، وقال: « حَسَنٌ صَحِيحٌ ».

[1] (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة نقص، ص1064، والقاموس المحيط ، المادة نفسها، ص584، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، 946-947.

[2] (?) مقاييس اللغة، مادة نقص، ص1045.

عُمومًا، وحقوقه خُصوصًا؛ ذلك أنّ كـلّ واحـدة منها عنـدها شُعبةٌ أو شُعَبٌ مِن بِدَع، فمستقلّ ومستكثر.

فَالْوَصْفُ بجفاء شريعة النبِيّ والخروج عن سنته وصفٌ تَشْتَرِكُ فِيهِ الْبِدَعُ الْمُخَالِفَةُ لِلسُّنَّةِ؛ فَقَائِلُهَا لا بُـدَّ أَنْ يُثْبِتَ مَا نَفَتْـهُ السُّنَّةُ، وَيَنْفِيَ مَا أَثْبَتَتْـهُ السُّـنَّةُ، وَيُحَسِّـنُ مَا قَبَّحَتْهُ السُّنَّةُ، أَوْ يُقَبِّحَ مَا حَسَّنَتْ السُّنَّةُ، وَإِلا لَمْ يَكُنْ بِدْعَةً؛ فأَهْلَ الْبِدَعِ يُخَالِفُونَ السُّنَّةَ الظَّاهِرَةَ الْمَعْلُومَةَ[1].

ولم يَسْلم مِن هذه الأدواء إلا الفِرقةُ الناجيةُ أهلُ السنة والاتباع والجماعة. والميزان لِمعرفة غُلُوّ الغالِي مِن هذه الفِـرَق، وجفـاء الجـافِي منها هو كتـاب الله وأحـاديث الرّسول الصـحيحة. وسـيأتِي في الفصـول القادمة التأكيد على ذلك؛ وذلك بِذكر صُـوَر هـذه الأدواء. كما سـيأتِي في المطلب الرابع ذِكرُ مراتب هـذه الصُّـوَر وبيـان ما هو منها مُخرِجٌ من الملة، مما هو دونه.

أما ما يتعلق بِمطلبِي هذا (وقوع كُلّ الفِرَق في الغلو والجفاء أو كِلَيهما في العقيدة في النبي) فأقول:

قد أمَر الله تعالى بعِدّة أوامر، وشرَع طائفـةً مِن الشرائع لأمة محمدٍ تِجاهه؛ فـأمَر بالإيمـان بـه، وأحبيتـه، وتعظيمه وتوقـــيره وتعزيـــره، وتحكيمه والتحـــاكم إليـــه، وطاعته واتباعـه، والأدب معـه، والصـلاة والسـلام عليـه، وأخذ جميع ما أتى به، وإنزاله منـــزلة العبد الرّسـول، إلى غـــير ذلك مما شُـــرِع للأمة في حقه . كما نَهى عن الغلو فيه، وإطرائه، ومجاوزة الحدّ في وصـفه. لكن الله تعـالى قدّر –كَونًا- أنّه ما أمَرَ بأمْرٍ إلا وللشيطانِ فيه نزغتانِ، قال العلامة ابن القيّم –رحمه اللـــه-: «فَمَا أمَـــرَ الله بـــأمرٍ إلا وللشيطانِ فيه نزغتان:إما إلي تفريـطٍ وإضـاعةٍ، وإما إلى إفراطٍ وغُلُوّ، ودينُ الله وسَـطٌ بين الجـافي عنـه، والغـالِي فيه، كالوادي بين الجبلين، والهدى بين ضـلالتين، والوسط بين طـــرفين ذميمين؛ فكما أنّ الجـــافِي عن الأمر مضـــيّع لـه،فالغـالي فيه مضـيّع لـه:هـذا بتقصـيره عن الحـدّ،وهـذا بتجاوزه عن الحدّ »[2].

---

[1] (?) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج19/ ص72).

[2] (?) مدارج السالكين، (ج2/ ص496).

وقد تقدم بيان الرّسول مصير الغالين المتنطعين؛ المتعمقين المتجاوزين الحدود في أقوالهم وأفعـالهم، وأنّ عاقبتهم إلى الهلاك في الدنيا قبل الآخرة.

كما أنّ الجافي عن النبي وما يجب تجاهه وتجاه دينه الذي جاء به على خطرٍ عظيم. فالفِرَق المنتسبة إلى الإسلام سوى الفرقة الناجية وقعَت في شِراك الشـيطان، وعَصَـت الرحمـان؛ فجَمَع بعضُـها بين الغلـوّ والجفـاء في العقيدة في عبد ورسـوله نبينا محمد ، كما اتسم بعضـها بالغلوّ فيه، والآخرون بالجفاء. وإنْ كان بينهما تلازم.

ومَن عرَف ما أنزل الله في هذا الأمر، وعرَف ما عليه الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام إما بِمعايشتهم أو قراءة ما كَتَبـوا عن أنفسـهم من عقائـدهم أو ما كَتَب العلمـاء الأُمنـاء عنهم عَلِم يقينًا أنّ أسـباب الضـلالات في هـذه العقيـدة مثلها مثل غيرهـا؛ حيث يَرجع بعضـها إلى عـدم العلم (الجهل) بالواجب تجاهه ، وإلى سوء الفهم، كما أنّ سَبب ضـلال بعض الفِـرق في هـذا البـاب يَرجع إلى سـوء القصد، وبغية الكيد على هذا الدين وإفساده.

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله- ذاكـرًا قاعـدة عظيمة في هـذا البـاب: « .. فلا تجد مُشركًا قط، إلا وهو متنقص لله سـبحانه؛ وإنْ زعَم أنّـه يُعظِّمه بـذلك. كما أنك لا تجد مبتـدعًا إلا وهو متنقص للرسـول ؛ وإنْ زعَم أنّـه معَظِّمٌ له بتلك البدعة؛ فإنّـه يَـزْعُم أنّها خَـيرٌ مِن السـّنة وأَولَى بالصـواب، أو يَـزعُم أَنَّها هي السـنة إنْ كـان جـاهلا مقلِّدًا، وإنْ كـان مُستبْصِـرًا في بِدْعَتِـه فهو مُشـاقٌ لله ورسـوله، فالمُتنقِّصـُون المَنقُوصـون عند الله تعـالى ورسـوله وأوليائه: هم أهلُ الشـرك والبدعة، ولاسـيما مَن بنـى دينه على أنّ كلام الله ورسـوله أدلةٌ لفظية لا تُفيد اليقين، ولا تُغنِي من اليقين والعلم شـيئًا، فيا لله للمسـلمين أيَّ شـيء فـات من هـذا التنقّص. وكـذلك مَن نفى صفات الكمال عن الربّ تعالى خشية ما يتوهَّمُـه مِن التشـبيه والتجسـيم فقد جـاء من التنقص بضدّ ما وصف الله سـبحانه به نفسه من الكمـال. والمقصـود: أن هـاتين الطـائفتين هم أهل التنقص في الحقيقة، بل هم أعظم

النـــاس تنقُّصـــًا؛ لَبَّس عليهم الشـــيطان حـــتى ظنُّوا أن تنقُّصهم هو الكمال، ولِهذا كانت البدعة قرينةَ الشـرك في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الأعراف: ٣٣].

فالإثم والبغي قرينان، والشرك والبدعة قرينان »[1].

وإنّ مِن الغرائب –وهي جَمّـةٌ- دعـوى كـلِّ فِرقَـةٍ أوْلَوِيّتَها وأحبيَّتَها لرسول الله ﷺ مِن غيرها.

والأغرب مِن ذلك دعواهم تنقُّصَ أهل المنهج الحق –أهل السنة- المأخوذ مِن هدْي الكتاب والسنة بفهم سـلف الأمـة، مِن قـدرِ النـبي ﷺ. والبـاب الأخـير من هـذا البحث سيأتِي ببراهين ساطعة، وشواهد ناطقة لِتكـذيب الـدعوى الثانية.

بينما عُقد هذا البـاب (الثـالث)- بِمَواقفِه الكثـيرة الجافية والغالية تجـــاه عبد الله ورســـوله نبينا محمد ﷺ لِيَنقض الـــدعوى الأولى البـــاردة؛ الخالية عن حُجَج وأدلة وبـــراهين، ليبقى للحق نصـاعتُه؛ فيكـون أهل السـنة في القـديم والحـديث –والحمد للـه- هم أَوْلَى النّـاس برسـول الله ﷺ؛ بشخصِه، وهَدْيِه وشريعته، وكتابه وسنَّتِه!

فكما أنّ كلّ الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام مُجانبةٌ للصواب -بوجه أو بأكثر- في هذا البـاب خُصوصًـا، فكـذلك في بقية الأبــواب؛ حيث إنها لا تَخلو من مخالفــات فيهــا، قــال أبو محمد المعــروف بــابن حــزم –رحمه اللــه-: « واعلموا -رحمكم الله- أنّ جَميع فِرَق الضلالة لم يُجْـرِ الله على أيـــديهم خَـــيرًا، ولا فَتَح بِهم من بِلاد الكفر قَرية، ولا رفَــع للإســلام راية، وما زالــوا يَسعَون في قَلب نظــام المسـلمين، ويُفرّقـون كلمة المؤمـنين، ويَسـُلّون السـيف على أهل الـــدين، ويســـعون في الأرض مفســـدين؛ أما الخـوارج والشـيعة فـأمرُهم في هـذا أشـهر مِن أنْ يُتكلف ذكرُه. وما توصـــلت الباطنية إلى كيد الإســـلام، وإخـــراج الضـــعفاء عنه إلى الكفر إلا على ألســـنة الشـــيعة. وأما المرجئة فكــذلك، ... والْمعتزلة في ســبيل ذلك، ... فالله اللهَ أيها المســلمون تَحفّظــوا بــدينكم، ونحن نَجمع لكم -

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (ج1/ 62-63).

بعون الله- الكلام في ذلك؛ **الزموا القرآن، وسنن رسول الله ﷺ، وما مضى عليه الصحابة ﷺ، والتابعون، وأصحاب الحديث، عصْرًا عصْرًا؛ الذين طلبوا الأثر، فلزموا الأثر، ودَعُوا كلّ مُحدثة، فكل محدثة بدعة،** وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، وبالله تعالى التوفيق. تمّ الكلام في شِنَع المبتدعة؛ أهل الأهواء والنِّحَل الْمُضلة »[1].

فمقتضى إسلام المنتسبين إليه وكذلك المتوقَّع منهم تجاه نبيهم الكريم (عبد الله ورسوله) أنْ تكون مواقفهم معه كلّها إيجابية، يُمليها عليهم دينُهم الحنيف بكتابه وسنته -وهي المواقف السابقة- مِن الإيمان بهذا النبي الكريم، وبكلّ ما جاء به صغيرِه وكبيرِه، وامتثال أوامره، وتصديق أخباره، ولا يخرج الموقف الحق تجاهه عن إعطائه كلَّ حقوقه الشرعية دون بَخْسه شيئًا منها، أو الغلو في حقه وشخصه، بل الوسطية كما أمر الله، أقول: هذا المقتضى، وهذا المتوقَّع حصوله مِن كلِّ مَن انتسب إلى هذا الدين، لكن الواقع يحكي لنا حالتَين شاذّتين -لا في العدد والكثرة-، بل عن المنهج والمأمور، أولاهما: تجنح إلى تقصير وتفريط وتنقص، والأخرى إلى إفراط وطغيان وزيادة وغُلُوّ. بينهما الخير والخيار والعدل والتوسط. وقد كانت الأبواب الثلاثة (مقام العبودية، مقام الرسالة، وموقف أهل السنة مِن مقامَي نيبنا محمد ﷺ) منسوجةً بِهذا المنظور. فبقي هنا في الباب الثالث (موقف الفرق المنتسبة إلى الإسلام؛ أهل البِدَع = مِن مقامَي العبودية والرسالة لنبينا محمدٍ ﷺ -غُلُوًّا وجفاءً-) أنْ أتطرّق إلى صُوَر هذه المخالفات الزائدة أو الناقصة عن الحق.

وإنْ كان لِي من كلمة أختم بِها هذا المطلب، فأقول:

إنّه يَجب عليّ إنصاف هذه الفرَق، بل وإنصاف اليهود والنصارى، وهذا الذي سيكون عليه العمل هنا، وهناك، حيث إنّي لا أنْسب إلى مخالفِي أهل السنة بل وإلى أعداء المسلمين اليهود والنصارى = إلا ما ثبتَ عنهم، وفي

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ 143).

كتبهم. وهذا هو مقتضى الأمر الربّاني: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ﭼ [النساء: ١٣٥]. وقوله: ﭽ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ۓ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ [المائدة: ٨]. وذمّ سبحانه الإنسان الجاهل وغير المنصف (الظالم)، فقال: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ [الأحزاب: ٧٢].

فالله أسأل الإعانة على ذلك.

** * **

المطلب الثالث: اتباع الفِـرَق الْمنتسبة إلى الإسلام سنن اليهود والنصارى في الغُلُوّ في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي جفائهم[1].

(ذلك لأنّ البِدَع مشتقة مِن الكفر، وشُعَبٌ من شُعَبِه) [2]،

وفيه تمهيدٌ وثلاثُ مسائل:

مسألة تَمهيديةٌ في التعريف باليهود، وبالنصارى:

اليهودية نسبة إلى اليهود، وأصلُ اللفظة (هـ و د) في اللغة –إنْ كانَتْ عربية مشتقة، وهو الْمرجوح- يدل على التوبة والرجوع إلى الحق، فهو مِن: هاد يهودُ هَوْدًا، إذا تاب، نسبة إلى قول موسى لربّه: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ﭼ [الأعراف: ١٥٦] [3].

وعلى هذا فسُمِّي اليهود يهودا؛ لأنّهم تابوا عن عبادة العجل. وإنْ كانت تسمية قوم موسى بـ(يَهود) في القرآن -مع تكرُّرها الكثير- إلا أنه يلاحظ عليه أنه لم يكنْ إلا في

---

1 (?) للاستزادة من هذا، يُنظر: العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي (صفحات لاحقة)، ووسطية أهل السنة بين الفرق، (وسطية المسلمين في باب أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، 294-323)، والرسل والرسالات للدكتور عمر سليمان الأشقر، ص105-108، (تحت عنوان: ما نسبه اليهود والنصارى إلى الأنبياء والمرسلين من القبائح)، والمبحث الثاني: الغلو في الرسل عند اليهود والنصارى، والثالث: الغلو في ذات الرسول عند الشيعة، والرابع: الغلو في الرسول عند الصوفية (الحلاج، وابن عربي نموذجًا)، في كتاب: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص154-192.

2 (?) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية، (ج6/ ص368).

3 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة هود، ص1112، ومعجم مقاييس اللغة، المادة نفسها، ص1057-1058، والقاموس المحيط، نفس المادة، ص310، والمحرر الوجير، (ص95، وص749)، والجامع لأحكام القرآن، (ج2/ ص158-159)، و(ج9/ص350)، وتفسير القرآن العظيم، (ج2/ص334)، وتيسير الكريم الرحمن، ص305 .

مواطن التقريع لهم وذمّهم،، لا في مقامات المدح لهم، مما يدل على أنّهم ما لُقِّبوا بِهذا اللقب إلا بعدما فسد حالهم، وانحرفوا عن دين الله [1].

والقول الآخر: أنّ الكلمة غير عربية، جامدة، وهي نسبة إلى يهوذ (أحد الأسباط)، قُلِبَت الذال فيها دالا.

وفي قولٍ: إنها نسبة إلى دولة يهوذا التي كانت في فلسطين بعد سليمان ، وهذا راجعٌ إلى الذي قبله. ورجّحه بعضهم[2].

ولِهؤلاء القوم في القرآن لقَبَان خاصة هما (اليهود، وقوم موسى)، ولهم وللنصارى لقَبَان آخران، هما: (بنو إسرائيل، وأهل الكتاب)[3].

وأما اليهود اصطلاحًا: فهم الذين يَزْعُمون أنّهم مُتّبعون لشريعة موسى ، مِن بنِي إسرائيل كانوا أو مِن غيرهم. واليهودية ديانتهم، وكانت في أصلها قبل أنْ يُحرِّفها اليهود ديانةً منـزَّلة من الله على موسى، فرسولهم الذي أرسل إليهم موسى ، وقد أيّده الله تعالى بالتوراة التي غيّروها فيما بعدُ بالزيادة فيها والنقص[4].

وهذا هو التعريف الصحيح لليهودية[5].

---

1 (?) انظر: دراسات في أديان اليهودية والنصرانية للأستاذ الدكتور سعود بن عبد العزيز خلف، ص48، ومعجم ألفاظ العقيدة لعامر عبد الله فالح، مادة اليهودية، ص471.

2 (?) انظر: دراسات في أديان اليهودية والنصرانية، ص47، والعنصرية اليهودية، (ج1/ 62) .

3 (?) انظر لمعرفة العلاقة بين الألفاظ الأربعة (اليهود، النصارى، أهل الكتاب، ثم بنو إسرائيل) رسالة: المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم، للباحث أحمد سردار، (ج2/ ص937-941).

4 (?) انظر: دراسات في أديان اليهودية والنصرانية، ص47، وفي الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة تعريفٌ آخر، ج1/ 495، وما بعده)، والعنصرية اليهودية، (1/ ص61-64)، والتلمود وموقفه من الإلهيات –عرض ونقد- د. أبو بكر محمد ثاني، (ج 1/ 41-56).

5 (?) انظر: اليهودية، للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، لتقف على التعريفات التي فيها خللٌ، ص72 (ضمن رسائل في الأديان والفِرَق والمذاهب، له –حفظه الله-).

ومِن عقائدهم وآرائهم المُحرّفة: الشرك بالله تعالى كاتخاذهم العجل معبودًا، ..، ونسبتهم الابن لله تعالى، وجرأتهم عليه سبحانه بنسبة الفقر إليه، والبخل إليه سبحانه، ومنها: قولهم عليه بغير علم، ونسبتهم المرض إليه سبحانه حتى زعموا أنه عادته الملائكة، وزعمهم أنّه ندم سبحانه على خلق البشر. ولهم عقائد فاسدة في الوحي، وكتب الله، وفي ملائكته سبحانه، وفي الإيمان باليوم الآخر[1].

وأما عن **أوصاف اليهود وأخلاقهم: في القرآن والحديث، وشواهد الواقع، وقبله التاريخ** فكثيرة جدًّا، ومنها على سبيل الإجمال: الكبر، والكذب، وقسوة القلب، والظلم، وكتمان الحق، وتحريف الكَلِم عن مواضعه، والحسد، والغدر، والخيانة، وإثارة الفِتَن والحروب، والسعي في الفساد، ومحبة إشاعة الفاحشة، والجشع، واحتقار الآخرين، وأكل الرّبا، وغير ذلك[2].

أما **النصارى: ففي اللغة** مأخوذٌ من نصران ونصرانة، والذي على وزن نجران، مثله: النَّدَامى جمع ندمان وندمانة. ونصرانة: قرية التي فيها المسيح بفلسطين، تُنسب إليها النصارى، وقيل اسْمها: الناصرة، والنصورية أيضًا. والنسبة إلى نصران ونصارنة: نصرانِي ونصرانيَّة، والجمع نصارى. ويقال: نصَّره تنصيرًا، كهوّده، إذا أدخله في اليهودية والنصرانية، وفي حديث الفطرة: "**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ** "[3].

وتنصّر تنصُّرًا: أي: دخل في دين النصارى[4].

---

1 ([?]) انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة، (ج2/ص237-239)، وفصل مجمل عقائد اليهود الواردة في التلمود/ في كتاب التلمود وموقفه من الإلهيات، (ج2/ص856-974 –اعتقادهم في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر-).

2 ([?]) انظر: كتاب اليهود، للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، 91-95.

3 ([?]) صحيح البخاري: بَاب مَا قِيلَ فِي أَوْلادِ الْمُشْرِكِينَ، رقم:1383، وصحيح مسلم: كتاب القدر، باب معنى كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم: 2658،عن أبي هريرة .

وقد قيل في اشتقاق اسم الديانة أنه إشارة إلى صفة: وهي نصرُهم لعيسى ، وتناصرهم فيما بينهم، وعلى هذا فيخُصّ المؤمنين منهم في أول الأمر، ثم أُطلِق عليهم كلِّهم؛ مؤمنهم وكافرِهم على وجه التغليب[1].

ويشهد لهذا الاشتقاق قوله تعالى: ﭽ ﯼﯽﯾ ﭼ [آل عمران: ٥٢].

وأما اصطلاحًا: فالنصرانية –بعد التحريف- هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح ، وكتابهم الإنجيل، وقد حرّفوه[2]. في عقائد الثلاث والسبعين فرقة: « وهم يزعمون أنهم على ملة عيسى وكذبوا»[3]. وفي (الموسوعة الميسرة)، النصرانية: هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنْزِلَت على عيسى، عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتمِّمة لِما جاء في التوراة مِن تعاليم، موجَّهة إلى بنِي إسرائيل خاصة، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح. وهذه الرسالة جابَهَتْ مقاومة واضطهادًا شديدًا، فسرعان ما فقَدَتْ أصولَها، مما ساعَد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدتْ كثيرًا عن أصولها الأولى، لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية، فنشأت النصرانية المعروفة[4].

وقد كان ليد بولس اليهودي الحاقد على الملة النصرانية أكبر الأثر في تحريفها عن أصولها الأولى؛ التوحيد، إلى التثليث.

---

4 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة نصر، ص1044، والقاموس المحيط، المادة نفسها، ص449 .

1 (?) انظر: معجم ألفاظ العقيدة، مادة النصرانية، ص427.

2 (?) انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة، (ج2/ص239-241)، ودراسات في أديان اليهودية والنصرانية، 165، ومصادر النصرانية دراسة ونقدًا، للدكتور عبد الرزاق ألارو (ج1/ 43-44).

3 (?) عقائد الثلاث والسبعين فرقة، (ج2/ص239).

4 (?) الموسوعة الميسرة في الأديان ...، (ج2/ ص564)، وانظر: النصرانية، للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، لتقف على التعريف الذي فيه خللٌ، ص160 (ضمن رسائل في الأديان والفِرَق والمذاهب، له –حفظه الله-).

فتحصّل مما سبق أنّ النصرانية امتداد لليهودية، وذلك لأنّ عيسى أُرسِل إلى بنِي إسرائيل مجدّدًا في شريعة موسى ، ومصحِّحًا لِما حرّفه اليهود منها[1]،ﭽﭼﭽ ﭽﭽﭽﭼﭽﯾﯿﮬﭽ إلى قوله: ﭽﮩﮪ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜ ﯝﯞ ﭙﭘﭖﭗ ﭼ [آل عمران: ٤٩ – ٥١].

ومِن ألقابِهم الخاصة في القرآن، أهل الإنجيل.

أما لقب المسيحية فلم يرِدْ لا في الكتاب ولا في السنة، كما أنهم في الحقيقة والواقع بعد التحريف ليسوا على دين المسيح، لذا لا يستحقون النسبة إليه[2].

وأما **انحرافات النصارى في القرآن والسنة**، فيُمكن إجمالُها في الآتِي:

الغُلُوّ، وجعلُ حق التشريع لغير الله تعالى، واتخاذ القبور مساجد، واتباع الهوى، والتشدد، والتفرّق، والتفرقة العُنصرية، وقسوة القلب، والاختلاف بسبب البغي، والرهبانية، والحسد، وكتمان العلم، ومعرفة الحق بالرجال، واحتقار ما عند الخصم، وحكم الأغلبية، والبُعد عن سبيل المؤمنين، وكثرة السؤال[3].

وتقدم في الخطة عند ذكر أسباب اختيار الموضوع: أنّه مِن بواعث الكتابة فيه: ما يَحْصُل في هذا العصر مِن تطاول طوائف الكفار وأعداء الإسلام مِن اليهود والنصارى على مقام النبوة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ بالتقليل مِن شأنِهم، والحطّ مِن منْزِلتهم، وخصوصًا؛ جناب سيّد الأنبياء والمرسلين محمدٍ عليه الصلاة والسلام -جفاءً منهم-، وما أحداث الدانْمارك وغيرها -عاملهم الله تعالى بِمَا يستحقونه، وأخزاهم في الدنيا والآخرة إنْ لم يكونوا مهتدين!- إلا مظاهر لهذا الأمر، حيث أخذُوا يَسْخَرون منه ويستهزؤون به، ويسبّونه ويشتمونه، ويُصوِّرونه ويرسمونه بأبشع ما أنت

---

1 (?) انظر: معجم ألفاظ العقيدة، مادة النصرانية، ص427-428 .

2 (?) انظر: دراسات في أديان اليهودية والنصرانية، 165-166، ومصادر النصرانية دراسة ونقدًا، (ج1/ 44 .

3 (?) انظر: كتاب النصرانية، للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، 179-182.

راءٍ من صُوَر المجرمين، فاتَّهموه بسفك الدماء، والعنف، وقتل البُرَآء، والاعتداء على الآمنين، تشويهًا لصورته ومنعًا لأقوامهم من الدخول في دينه، وكذبُوا –والله- في ادعاءاتِهم وزعمهم.

ولئِنْ قاموا بِما قاموا به اليوم وبدَت البغضاء من أفواههم وأعمالهم، فلقد قاموا بأبشع صورة تشويهية صادَّةٍ عن سبيل الله مِن قبل، ومن ذلك: ما قاموا به من تصوير الدين الإسلامي عمومًا؛ بقُرْآنه ونبيِّه وبعض شرائعه، في مناهجهم الدراسية بجميع مراحلها، فوصفوه –في الغالب- على غير حقيقته[1].

لكنّ نور الإسلام -بوعد الله- سيصل إلى أقصى الغرب والشرق، ولو كرِه الكافرون، ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚ ﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬ ﭼ [التوبة: ٣٢ – ٣٣]. **هذا من جانب أمة الكفر؛ مِن اليهود والنصارى. ومِن جانب المنتسبين للإسلام فقد كان يَحْصُل من** كثير منهم غُلُوٌّ وجفاءٌ بالنسبة لحقوقه ﷺ وشخصه، وبالنسبة لرسالته.

ومعلوم أنَّه لا عزَّ لِهذه الأمة أبدًا إلا بتحقيقها للتوحيد.

وهذا، وذاك يُلْزِم ويُحَتِّم على العلماء والدعاة الْمُصلحين خصوصًا، والمسلمين عمومًا أنْ يراجعوا دينَهم، ويقوموا بالتصفية والتربية في نفس الوقت (التخلية ثم التحلية)، إحقاقًا للحقِّ، وإبطالاً للباطل، داخِل الإسلام وخارجَه، جعلنا الله تبارك وتعالى من الدعاة والعلماء المُصلحين. آمين! فاللهم وأعزَّ الإسلام، وأصلح المسلمين، آمين!!

وأما عن موقف اليهود والنصارى مِن النبوة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والكلام في ذلك فشيءٌ يطول، بل يستحق أنْ يُكتب فيه رسالة، ورسالتان[2]، لكن أحاول

---

[1] (?) انظر في ذلك: الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، (عرضٌ ونقدٌ)، للدكتور محمد وقيع الله أحمد.

[2] (?) وقد أوصى بِهذه الفكرة الباحث: شيخي أبو بكر محمد ثانِي لَما كتَب عن موقف اليهود –في تلمودهم- من الإلَهيات، وفي الحقيقة هناك مادة كبيرة تعين المتفرِّغ لَها. وأنا هنا أضم صوتِي إلى صوته في استحسان هذا الموضوع، شريطة أنْ يكون من كتبهم المعتمدة عندهم

الاختصار غير المخلّ؛ وإنْ كان مع ذلك لا بد مِن نقل كلامهم الذي يتضح منه مواقفهم مِن العهدين القديم والجديد (التوراة والإنجيل المحرفين) ومُلحقاتِها مِن أسفارهم ورسائلهم، وتلمود اليهود المقدس عندهم، وغير ذلك مِن مصادرهم. لأنّ هذا مما يقتضيه الإنصاف والعدل، فاليهود والنصارى وإنْ كانوا أعداء المسلمين إلا أنّ الله القائمَ بالقسط أمَر بالإنصاف حتى مع الشانئ والعدو، وحذّر من الظلم والهضم، كما تقدم في المطلب السابق.

ثم بعد نقل نصوصهم أشيرُ في آخر المطلب إلى أنّ للفِرَق المنتسبة إلى الإسلام حظًّا كبيرًا من مشابَهة الأمّتَين (اليهود والنصارى) ومتابعتهم في: غُلُوّ وجفاء عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ.

ومشابَهة الفرقِ ومتابعتهم لليهود والنصارى في هذا الباب كانت في مطلَق المشابَهة، لا في أعيان المواقف، حيث إنّ هؤلاء لهم غلُوّ، وهؤلاء كذلك لهم مواقف غالية، وهؤلاء عندهم جفاء، وكذلك هؤلاء. والميزان في ذلك الكتاب والسنة الصحيحة.

وهذه المسألة وجهٌ واحدٌ من الأوجه الكثيرة التي وقَعَتْ بعضُ هذه الأمة فيما حذّرها عنه الصادق المصدوق –صلوات ربّي وسلامه عليه-. وقد وقع مَخبَرُه طِبقًا لِما به أخبَر ﷺ. والله تعالى المستعان!

وبعد هذا، أقول:

لبيان هذا المطلب -كما ينبغي- لا بُدّ من تقسيمه إلى ثلاث مسائل، على النحو التالي:

المسألة الأولى: الغلو والجفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند اليهود.

المسألة الثانية: الغلو والجفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند النصارى.

المسألة الثالثة: الفِـرَق المنتسبة إلى الإسلام واتباعهم لليهود والنصارى في الغلو في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي جفائهم.

ليُدانوا مِن أفواههم.

والمنهج المتبع لِمعالجة هذه المسائل هو ذكر الموقف المشين، ثم أقول: فقد سجّل لَهم القرآن أو السنة هذا الموقف، أو أقول: جاء هذا الموقف في سفر التكوين أو العدد أو غيرهما، وأما نَقْدُ ذلك فيكون داخلِيًّا، كما أنّه قد أذكُرُ بعض الأوجه للرد في آخر المسألة، فأقول –وبالله تعالى التوفيق-:

** * **

المسألة الأولى: الغلو والجفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند اليهود:

يَغلِب على اليهود الجفاء في هذا الباب، وعندهم غُلُوٌّ، وهذه المسألة تتضح مِن خلال ما يأتِي:

أولا من شواهد جفاء اليهود أنبياء الله:

خذلانهم –أخزاهم الله- أنبياءهم عليهم السلام، وعدم قيامهم بنُصرتِهم، ومثاله، بعدما أخذ الله ميثاقهم على نصرتهم، ﭽﮊﮋﮌﭼ [المائدة: ١٢]. إلا أنهم قالوا -ناكثين العهد-: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ [المائدة: ٢٢]. وقالوا: ﭽﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭼ [المائدة: ٢٤].

ثانيًا: قتلُ بعضِ أنبيائهم، وقد سجّل لهم هذا الموقف تجاه أنبيائهم كتابُ الله، فقال: ﭽﮪﮫﮬﮭﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ [البقرة: ٨٧]. وقال: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﭼ [البقرة: ٩١]. ومن أجل هذا الخُلُق المتأصّل فيهم وغيره غضِب الله عليهم، وضرَب عليهم الذلّة والمسكنة، قال تعالى: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ [البقرة: ٦١]. وقال: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﭼ [آل عمران: ١١٢].

واستوجبوا بذلك عذابَ الله الأليمَ، قال تعالى: ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ [آل عمران: ٢١].

وقوله: ﭽﯛﭼ صفةٌ كاشفةٌ؛ إذْ لا قتْل لنبِيٍّ بحق[1].

(1) انظر: المحرر الوجيز، ص285، وص344.

وقد كان قتلهم نبِيَّ اللهِ يحيى على النحو التالِي، ففي (إنجيل مرقس) : « **لأَنَّ هِيرُودُسَ**[1] **نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا**[2]**، وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا**[3] **امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ: «لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ. فَحَنِقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ، لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ، فَعَلَ كَثِيرًا، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ. وَإِذْ كَانَ يَوْمٌ مُوافِقٌ، لَمَّا صَنَعَ هِيرُودُسُ فِي مَوْلِدِهِ عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَقُوَّادِ الأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ، دَخَلَتِ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا وَرَقَصَتْ، فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ: مَهْمَا أَرَدْتِ اطْلُبِي مِنِّي فَأُعْطِيَكِ، وَأَقْسَمَ لَهَا أَنْ مَهْمَا طَلَبْتِ مِنِّي لأُعْطِيَنَّكِ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي. فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ لأُمِّهَا: مَاذَا أَطْلُبُ؟ فَقَالَتْ: رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ. فَدَخَلَتْ لِلْوَقْتِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَائِلَةً: أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي حَالاً رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ عَلَى طَبَق. فَحَزِنَ الْمَلِكُ جِدًّا. وَلأَجْلِ الأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِئِينَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَرُدَّهَا. فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيَّافًا وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ. فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي السِّجْنِ. وَأَتَى**

---

[1] هو والِي (الجليل) اليهودي من قِبل الرومان، وهو هيرود أنتيباس، وهو الذي أمر بقتل يحيى لمنعه زواج الوالِي من ابنة أخيه لأب (هيروديا بنت أرستوبولوس) (انظر ترجمته الموسعة: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي، والموقف منها، للدكتور أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي، ج2/ ص231، -الحاشية الأولى-، ط/ العبيكان).

[2] هو نبي الله يحيى حيث يسميه النصارى (يوحنا المعمدان)؛ لأنه كان يروي الإنجيل في نَهر أردن قبل بدء رسالته، ولذلك يُجله النصارى (انظر ترجمته الموسعة: العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي، ج 2/ ص230، -الحاشية الخامسة-).

[3] هي بنت أورتوبولس، التي أغرت عمها (هيرودوس) والي (الجليل) بقتل يحيى، (انظر ترجمتها الموسعة: العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي، ج2/ ص231، -الحاشية الثانية-).

بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَقٍ وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ، وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ لأُمِّهَا »[1].

ولقد جاء عندنا في مستدرك الحاكم ما يشهد لكيفية القتل تلك: فعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله ﷻ: « چۆۈۉ ۋ چ قال: بعث عيسى ابن مريم في اثني عشر رجلا من الحواريين، يعلمون الناس، فكان ينهاهم عن نكاح ابنة الأخ، وكان ملك له ابنة أخ تعجبه، فأرادها وجعل يقضي لها كل يوم حاجة، **فقالت لها أمها: إذا سألَك عن حاجتِك، فقولي له: أنْ تقتل يحيى بن زكريا. فقال لها الملك: حاجتك؟ فقالت: حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا. فقال: سَلِي غير هذا؟ فقالت: لا أسأل غير هذا. فلما أتى أمر به، فذُبح في طست، فبدرت قطرة من دمه، فلم تـزل تغلي حتى بعث الله بختنصر فدلت عجوزٌ عليه، فألقي في نفسه أنْ لا يزال القتل حتى يسكن هذا الدم،** فقتل في يوم واحد من ضرب واحد وبيت واحد سبعين ألفًا »[2].

وجاء قتل زكريا (والد يحيى) عليهما السلام في (إنجيل متى) بعد قتل ابنه على النحو التالي: « **وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ. فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ. فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى**

---

[1] (?) إنجيل مرقس، الإصحاح (6)، فقرة (17-28)، وانظر للرد عليه: كتاب العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي (ج2/ 230-233).

[2] (?) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، رقم: 3146. قال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.»، ووافقه الذهبي في التلخيص.

مَدِينَةٍ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَم زكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ! يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! »[1].

وهذا الجرم العظيم تجاه أنبياء الله الكرام جاء إثباته في (سفر الملوك الأول)، حيث فيه النص على محاولة بنِي إسرائيل قتل نبيِّ الله إلياس ، حتى اضطرّ إلى الاختباء والهرب منهم: « **وكان كلام الربّ إليه يقول له: ما لك هاهنا يا إيليا؟ فَقَالَ: قَدْ غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا »[2].**

ثالثًا: سبّ الأنبياء عليهم السلام وإهانتهم.

رابعًا: أذية الأنبياء عليهم السلام، وقد نهى سبحانه المؤمنين أن يكونوا مثلهم.

خامسًا: التفريق بين الرسل وعدم الإيمان بِهم جميعًا –وسيأتي هذا مفصَّلا في بيان موقف النصارى-.

سادسًا: الاستكبار عن قبول الحق الذي جاء الأنبياء به، وتكذيبهم.

سابعًا: تنقيصُ اليهود بعض الأنبياء ورميهم بالفظائع (من كبائر الذنوب كالشرك والإعانة عليه، وشرب الخمر والزنا وغيره)[3]؛ فسليمان الذي لم يُقِرَّ مَلِكَةَ سبأ وقومَها

---

[1] (?) إنجيل متى، إصحاح (23)، فقرة (29-37)، وانظر للرد عليه: كتاب العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي (ج2/ 230-233)، ووسطية أهل السنة بين الفرق، للدكتور محمد باكريم، ص305-309 .

[2] (?) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الأول، إصحاح (19)، فقرة (10)، نقلا عن وسطية الشيخ محمد باكريم، ص 308.

[3] (?) للاستزادة يُنظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج1/ ص136-138) و(ص161-163)، ورسالة –اليهود د. محمد بن إبراهيم الحمد،

على عبادة الشّمس من دون الله، وبذَل وُسعه على حملهم على عبادة ربّ العالمين حتى أسلمت الملكة لله سبحانه، يَنْسِب عنه سفرُ الملوك الْميلَ إلى عبادة الأصنام، تنـزُّلا –كما زعموا- لرغبة نسائه في ذلك، حتى بنَى لآلِهتهنّ المعابد، ومال قلبه إلى هذه الآلهة، يقولون: « **وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ. فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ** »[1].

كما نسبوا لهارون صُنع العجل الذي عبَدَه قوم موسى من دون الله، من دون أنْ ينسبوه إلى صانعه الحقيقي السامري، ففي (سفر الخروج): « **وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ، فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ**

ص91-93 ضمن كتبه ورسائله-.

1 (?) سفر الملوك الأول، إصحاح (11)، فقرة (4-10)، وانظر الرد عليه: وسطية الشيخ محمد باكريم، ص301-302.

وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ. فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ »[1].

وأما القرآن فقد ذكر لنا أنّ الذي صنع العجل وأغرى بنِي إسرائيل بعبادته هو السامري، وليس هارون [2].

ونسبوا إلى نوحٍ شرب الخمر حتى سكِر وانكشفت عورتُه، فقد جاء في (سِفر التكوين): « **وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ، فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: مَلْعُونٌ كَنْعَانُ: عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ »**[3].

ونسبوا إلى نبيِّ الله لوطٍ الزنَى بابنـَتَيْه، فقالوا: تآمَر ابنتاه عليه، وأسقتاه خمرًا حتى زنا بهما وحملتا منه -فحاشاه-، ففي (سفر التكوين): « **وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ؛ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ؛ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ،**

---

1 (?) سفر الخروج، الإصحاح (32)، فقرة (1-6).

2 (?) وانظر للرد عليهم: وسطية الشيخ محمد باكريم، ص 299-300، وتأمل لترى براءة نبي الله هارون ، آيات 83-98 من سورة طه.

3 (?) سفر التكوين، الإصحاح (9)، فقرة (18-25)، وانظر للرد عليه: كتاب العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي (ج2/ 222-224)، ووسطية الشيخ محمد باكريم، ص302-303.

فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً. فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا.

وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً، فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا.

فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا؛ فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ بِنْ عَمِّي، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ »[1]**.**

ونبِيُّ الله داود نسبَت إليه التوراة المحرَّفة الزِّنـا بامرأة أحد جنوده، وأنها حمَلَت منه سفاحًا وأنه لما خشِي افتضاحَ أمره احتال لقتله، وتزوج امرأتَه من بعده، فقد جاء في سفر صموئيل الثاني: « **وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا، فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: إِنِّي حُبْلَى »**[2]**.**

---

[1] (?) سفر التكوين، الإصحاح (19)، فقرة (30-38)، وللرد عليهم انظر: وسطية الشيخ محمد باكريم، ص303-304.

[2] (?) سفر صموئيل الثاني، إصحاح (11)، فقرة (2-5)، وللرد عليهم، انظر: وسطية الشيخ محمد باكريم، ص304، وكتاب العنصرية اليهودية، للدكتور أحمد الزغيبي، (ج2/ص235).

ويستمرّ هذا الإصحاح ذاكِرًا ما قام به داود –على زعمهم- طلبًا لإخفاء جريمته بجريمة كبرى هي التآمر مع قُوّاده لقتل هذا المجاهد، وليتم له ذلك أرسل إلى أُوريا ليعود فيُقيم مع زوجه ليُنسب الحمل إليه، ولمَّا لم يُفلح كتَب إلى قائد المعركة يأمرُه بِجعل أُوريا في مقدمة الجيش ليهلك، قائلين –أخزاهم اللهِ-: « **وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا، وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ** » [1].

وأنَّه مِن هذه المرآة الزانية –على زعمهم- أنجب ابنَه نبِيّ الله سليمان [2]، إلى أنْ قالوا في الفقرة الأخيرة من نهاية الإصحاح: « **وَلَمَّا مَضَتِ الْمَنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا.**
وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ »[3].

كما أنّ اليهود قد بَهَتوا مريم عليها السلام وقالوا عليها قولا عظيمًا، وادعَوا أنّ ولدها عيسى ولَد زنا –وحاشا أمه!- وقد صرّحوا بهذا في التلمود[4]، حيث قالوا: « **وإنّ أمه مريم أتت به من العسكري باندار بمباشرة الزنا** »[5].

كما أنهم نسبوا إليه ممارسة السحر وإغواء بنِي إسرائيل عن الطريق القويم إلى الردة، وقد جاء في شرحهم لما ورد في المشنا (أنّ **مَن أضلّ غيره ودعاه إلى عبادة الأصنام إنْ كان إنسانًا عاديًا وأضلّ**

---

1 (?) سفر صموئيل الثاني، إصحاح (11)، فقرة (14-15)، وللرد عليه: انظر: وسطية الشيخ محمد باكريم، ص304-305.

2 (?) انظر: سفر صموئيل الثاني، إصحاح (11)، فقرة: (2-27).

3 (?) صموئيل الثاني، فقرة (27).

4 (?) انظر: رسالة التلمود وموقفه من الإلهيات –عرضٌ ونقد- لشيخي د. أبو بكر محمد ثاني، (ج1/ ص653).

5 (?) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص27، بواسطة العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي، (ج2/ص261).

شخصًا واحدًا فإنه يُقتل رجمًا، وإنْ كان نبيًّا فإنه يُقتل شنقًا، ... وإذا أضلّ جماعة وشعبًا كاملا فإنه يُقتل شنقًا وقيل: رجمًا ..[1].

وقد ذكروا أنه بمثل هذه الطريقة تم أنْ فعلوا بعيسى ابن مريم –على زعمهم، لعنهم الله-، فاليهود –وغالبية النصارى- يرَون أنّه تآمَر على قتل المسيح بإغراء حاكم القدس الرومانِي على ذلك اليهود، حتى استصدروا منه حُكم الإعدام عن طريق المجلس الأعلى للقضاء. وعلى زعم هؤلاء أنه تم أنْ طُبِّق الحكم عليه بالصّلب لا على الشّبَه[2].

ولقد أكذبَهم الله في المقالتين بالبَهْتِ، فقال: ﭽﮍ ﮎ ﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗ ﭼ [النساء:156-١٥٧] الآيات.

وقد سبَقت آيات كيفية ولادته ، بل قد كفّر الله اليهود بتكذيبهم عيسى فقال في آخر آية المائدة: ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟ ﭼ [المائدة: ١١٠].

واتّهم اليهود نبِيّ الله إبراهيم بالدياثة؛ فادعوا أنه أهدى زوجَه سارة إلى الملوك[3].

واتّهموا إسحاق بالغفلة؛ حيث ادعوا بأنّ ابنه يعقوب خدَعَه بأخذ بركة أخيه البكر (عيسو)[4].

واتّهموا يعقوب بالجرأة على الله تعالى؛ حيث صوّروه يصارع الله في صورة إنسان[5]. وبئس ما قالوا.

---

1 (?) سفر سنهدرين، الباب السابع. وشرحه في السفر (67، ص454، نقلا عن رسالة التلمود وموقفه من الإلهيات –عرضٌ ونقد-، (ج1/ ص 653-654).

2 (?) انظر: العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي، (ج2/ص248-249).

3 (?) انظر: سفر التكوين، إصحاح (12)، فقرة: 10-20، وانظر: العنصرية اليهودية، للدكتور أحمد الزغيبي، (ج2/234).

4 (?) انظر: سفر التكوين، إصحاح (27)، فقرة: 1-40، والعنصرية اليهودية، للدكتور أحمد الزغيبي، (ج2/234).

5 (?) انظر: سفر التكوين، إصحاح (32)، فقرة: 24-32، والعنصرية اليهودية، للدكتور أحمد، (ج2/234).

ونبِيُّ الله موسى نفسُه لم يَسْلم من اليهود حتى اتهمه أبناء القردة والخنازير بالخيانة، حيث ادّعوا أنه – وأخاه هارون - لم يُقدِّسا الله في وسط بنِي إسرائيل[1].

كما اتّهموا هارون بالوثنية، حيث صوَّروه صانعًا للأصنام.

واتّهموا يوشع بالتعاون مع الجاسوسة الزانية (راحاب)، ففي (سفر يشوع): « **فَأَرْسَلَ يَشُوعُ بْنُ نُونٍ مِنْ شِطِّيمَ رَجُلَيْنِ جَاسُوسَيْنِ سِرًّا، قَائِلاً: اذْهَبَا انْظُرَا الأَرْضَ وَأَرِيحَا. فَذَهَبَا وَدَخَلاَ بَيْتَ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ اسْمُهَا رَاحَابُ، وَاضْطَجَعَا هُنَاكَ** »[2].

ومن جملة عداء اليهود لعيسى ما جاء في التلمود، منها: قولهم: « والمسيحيون الذين يتبعون أضاليل يسوع وثنيون! »[3]. وقولهم: « أنّ يسوع الناصري موجودٌ في لجات الجحيم بين الزِّفْت والقطران والنار »[4].

هكذا كانت مواقف اليهود –عليهم من الله ما يستحقون في الدنيا والآخرة- مع أنبياء الله جملة.

وأما مواقفهم المخزية الجفائية قديْمًا وحديثًا تجاه نبينا محمد فتتلخص تحت الفقرات الآتية[5]:

أولا: إنكارهم رسالة محمدٍ جملةً وتفصيلاً تكذيباً أو عناداً، وزعم بعضهم أنَّها خاصة بالعرب، واستكبارهم وعدم إيمانِهم.

---

1 (?) انظر: سفر التثنية، إصحاح (32)، فقرة: 48-51، والعنصرية اليهودية، للدكتور أحمدي، (ج2/234).

2 (?) انظر: كتاب العنصرية اليهودية، للدكتور أحمد الزغيبي، (ج2/ ص 88-144).

3 (?) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص106، بواسطة العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي، (ج2/ص261).

4 (?) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص27، بواسطة العنصرية اليهودية للدكتور أحمد الزغيبي، (ج2/ص261).

5 (?) انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص46-47.

ثانيًا: سحر الرسول عن طريق لبيد ابن الأعصم اليهودي[6]. وقد تقدم الحديث عنه.

ثالثًا: وحاول هؤلاء الأنجاس **قتله في مرات متعددة:** فكما مرّ أنّهم قتلوا أنبياء الله، إلا أنهم لم يكتفوا بما فعلوه تجاه أنبيائهم فحسب، فقد لازمهم هذا الخُلُق المشين فحاولوا قتل نبينا محمدٍ بشتى الطرق، **فمنها:** محاولة قتله بالسمّ، فعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ! قَالَ: "**مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ. قَالَ: أَوْ قَالَ: عَلَيَّ**" قَالَ: قَالُوا: أَلا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: "**لا**". قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ[2] رَسُولِ اللَّهِ [3].

ومنها: محاولة يهود بنِي النضير الفتك به بالخناجر، وبذلك نقضوا العهد الذي بينهم وبينه، وهذه المحاولة كانت بعد وقعة بدر وبطلبٍ من قريش [4].

رابعًا: تحزيب الأحزاب ضِدّه : وقد حزّب اليهود أهل الكفر لِمحاربته ، ونجحوا في ذلك، فكانت غزوة الأحزاب المشهورة، ونقض اليهود العهود والمواثيق التي بينهم وبينه ، ثم بعد اندحار الأحزاب وجّه الرسول المسلمين إلى ناقضي العهد، وأن لا يُصلّوا الْعَصْرَ إِلا فِي الخوَنَة بَنِي قُرَيْظَةَ [5].

---

6 (?) انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص46-47.

2 (?) اللَّهَوَات -بِفَتْحِ اللام وَالْهَاء- جَمْع لَهَاة -بِفَتْحِ اللام-، وَهِيَ اللَّحْمَة الْحَمْرَاء الْمُعَلَّقَة فِي أَصْل الْحَنَك. وَقِيلَ: اللَّحْمَات اللَّوَاتِي فِي سَقْف أَقْصَى الْفَم، (انظر: المنهاج للنووي، ص1371).

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية من المشركين، رقم: 2617، وصحيح مسلم –واللفظ له-: كتاب السلام، بَاب السُّمِّ، رقم: 2190.

4 (?) انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص37-40.

5 (?) انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص51-54، والحديث متفق عليه (صحيح البخاري، كتاب صلاة الخوف، بَاب صَلاةِ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ رَاكِبًا وَإِيمَاءً، رقم: 946،

خامسًا: الاستهزاء به ، وذلك باستخدام الكلمات المحتملة: قال الله تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [النساء: ٤٦]. لذا أبدَلَ الله المؤمنين بكلمة (انظرنا) فقال: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [البقرة: ١٠٤].

سادسًا: وبالمكر في التحية[1]، وذلك باستخدام كلمة السام (الموت): قال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [المجادلة: ٨].

وعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: « مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **وَعَلَيْكَ** " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : "**أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ!** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلا نَقْتُلُهُ؟ قَالَ: "**لا؛ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ**"[2].

وله شاهدٌ من حديث عائشة وجابر رضي الله عنهما[3].

سابعًا: نقض اليهود عهوده ، بل ولا يُعاهدون عهدًا إلا وينبُذه فريقٌ منهم، ومِن ذلك: نقض بنِي النّضير الذي سَبّبَ إجلاءَهم [4]، ولنقضهم المواثيق لعنهم الله وجعل قلوبهم قاسية.

وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهمّ الأمرين المتعارضين، رقم: (1770) .

[1] انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص66-68.

[2] صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، بَاب إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ وَلَمْ يُصَرِّحْ ..، رقم: 6926، وصحيح مسلم مختصرًا: كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام...، رقم: 2163. وقف على شرحه في: (فتح الباري، ج4/ ص 4977).

[3] متفق عليهما (صحيح البخاري: الكتاب والباب، برقم: 6926، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، برقم:2165، 2166).

[4] انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص72-74.

ثامنًا: عداوة رسُل الله وعلى رأسهم خاتَمهم، قال سبحانه: ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ [البقرة: ٩٨].

وشواهد عدواة اليهود لنبينا محمدٍ ﷺ من السيرة بعد معرفته بعينه وصفته أشهر مِن أن تُذكَر، والحرب والقتال من مظاهره [1].

تاسعًا: ومن جملة أوجه وصُوَر جفاء اليهود الكثيرة رسولَنا محمدًا ﷺ محاربته في حروب عدّة، لعل أولها هو: غزوة بنِي قينقاع الذي كان بعد بدر كما تَذكُر كُتب السيرة والمغازي. ثم غزوة بنِي النّضير، وهي في السنة الرابعة للهجرة. ثم غزوة بنِي قريظة، وهي في السنة الخامسة للهجرة. ومنها غزوة خيبر التي وقعت في السنة السابعة للهجرة[2].

عاشرًا: وبه أختم، وهو ما قام به مواقع إخبارية إسرائيلية صهيونية مِن إعادة نشر الكاريكاتورية المسيئة السّابة للرسول الكريم ﷺ، والتي سبَق أنْ نشَرَتْها صُحف دانماركية ونرويجية[3]، ويقومون بِهذه السباب والشتائم بدعوى حرية التعبير، -أخرَس الله ألسنتهم! وهذه النقطة (السبّ والأذية بالرّسوم والأفلام) سيأتي مزيد فيها عند ذكر جفاء النصارى.

وبعد: فهذه بعض أوجه جفاء اليهود تجاه نبينا محمد ﷺ، ويُشبهون في بعضها مشركي قريش، والذين تتلخص أهم أوجه جفائهم تجاه رسالة المصطفى ﷺ في الصّور الآتية: السخرية والاستهزاء والتحقير والتكذيب والإعراض والتهديد والتشهير والتعذيب الجسدي والنفي والحصار والمقاطعة والتآمر وقتل الأصحاب والاتهام بالسحر

---

1 انظر: دلائل النبوة للبيهقي: (ج2/ ص392).

2 انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول ﷺ في العصر النبوي والعصر الحديث، ص76-80، وانظر: نقض اليهود للمعاهدات التي أبرمها الرسول ﷺ معهم وحصول الغزوات الأربع (ج2/ 406-498 من كتاب العنصرية اليهودية) .

3 انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول ﷺ في العصر النبوي والعصر الحديث، ص138 .

وبالجنون وبالضلالة وبكونه شاعرًا، ومحاولة الاغتيال والقتل، والطرد.

** * **

ما تقدم فهو نَموذجٌ لِجفاء اليهود أنبياء الله تعالى عمومًا، نبينًا محمدٍ خصوصًا، قديمًا وحديثًا، فعلا وقولا. وهذا الجفاء تجاه هؤلاء العظماء صلى الله عليهم وسلم هو الذي غلَب عليهم، وإنْ كانوا لم يَسْلَموا مِن الغلوّ في بعضهم، عكس صنيع النصارى فيهم.

وباختصارٍ أشير إلى مظهَرَين مِن مظاهر غلوِّهم في بعض أنبيائهم عليهم السلام:

المظهَر الأول: دعواهم زورًا أنّ عُزيرًا ابن الله: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﯛ ﭼ [التوبة: ٣٠].

المظهَر الثانِي: اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، ففي الحديث: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: " **لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** ". لَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ.[1]»الأثر[2].

** * **

فتحصّل لنا مما تقدم؛ أنّ اليهود –عليهم من الله ما يستحقون- كذَّبوا الأنبياء والمرسلين، واستكبروا عن اتباعهم، وفرَّقوا بينهم؛ فآمنوا ببعضهم وكفروا بالبعض الآخر، وقتلوا فريقًا منهم، ورمَوا كثيرًا منهم بكلِّ نقيصة وشين؛ فرموهم بارتكاب كبائر الذنوب، وسبُّوهم وأهانوهم وآذوهم وعادَوهم، وأرادوا قتل عيسى فرفعه الله إليه،

---

1 ([?]) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، رقم: 435، 436، 437. وكتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 3453، 3454. وكتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، رقم: 4441، 4443، و4444 . وصحيح مسلم: كتاب المساجد، باب النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهى عن اتخاذ القبور مساجد، رقم: 529، وما بعده، و531 .

2 ([?]) الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه.

وكفروا بآخرهم وخاتمهم وأفضلهم حسدًا من عند أنفسهم، وأظهروا عداوته وقالوا: إنها حتى الموت، وحاولوا قتله بإلقاء الحجر عليه، وحاربوه وقاتلوه في مواقف عديدة، وأكَّلوه سُمًّا، وقال متقدِّموهم ومتأخِّروهم: كلُّ ما جاء به فمأخوذٌ من اليهودية، إلى غير ذلك –وقد تقدم أكثره مفصَّلاً- فبما سبق غلب على اليهود الجفاءُ والتنقُّص والتفريط في حقوق الأنبياء عليهم السلام، وإنْ كان عندهم غلوٌّ في بعضهم.

وبعد الذي تقدم مِن العرض المفصَّل لِمواقف اليهود تجاه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والذي يُنْبأ عن خُبُث طويتهم، وتحريفهم، وتنقصهم لِمَن أُمِروا بتعظيمهم. سأورد عدة وجوه مجملة لنقد نصوص التوراة المتقدمة. أما الرد المفصّل الذي يتناول كلَّ جملة خاطئة لتفنيدها فلا يَسَع له المكان، وليس من مقصودي في البحث، مع أنّ العلماء قديْمًا وحديثًا قاموا بِهذا الواجب في مؤلفاتِهم الكثيرة، فلتُراجع[1].

ومِن هذه الأوجه المجملة، ما يأتي:

أولا: لا يُستغرب مِن هؤلاء المحرِّفين للنصوص ما صدَر منهم مِن هذه المواقف تجاه أنبياء الله، وكيف لا، وقد كانت مواقفهم في الله لا تقل عن هذه إنْ لم تَفُقْها، بل هي فوقها وأشد، حيث إنّهم قالوا: (يد الله مغلولة) كناية عن البخل. وقالوا: (إنّ الله فقير). كما قالوا إنه تعِب لما خلق السماوات والأرض، مع أنه القدير الذي لا يمسه لغوب، والجواد الذي لا يبخل، والغني الذي لا يحتاج إلى غيره[2]، وبِهذا ردّ الله عليهم في هذه الدعاوى، قال تعالى: ﭽ ﯾﭗ ﭘﭙ ﭽ [المائدة: ٦٤]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭽ [آل عمران: ١٨١]. وقال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭽ [ق: ٣٨].

---

[1] انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، وإظهار الحق، ووسطية أهل السنة بين الفرق، وغير ذلك.

[2] انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية، (ج5/ 168-169).

الوجه الثاني: النماذج السابقة أكْبَرُ شاهدٍ على التحريف الذي أخبَر الله في القرآن بوقوعه في كتاب اليهود.

الوجه الثالث: النماذج مخالفة للمواقف التي أمر الله أن يقِفَها الناس تجاه رسله عليهم الصلاة والسلام.

الوجه الرابع: وهو أنّ كُلَّ ما **ذُمّ به اليهود هنا** مما جاء في أسفارهم الخمسة يُحسَب **على النصارى؛** لاعتقادهم بقداسته وأخذهم به، لذا لَمّا ردّ الشيخ رحمة الله الهندي –رحمه الله- على النصارى عمومًا، والبروتستانت خصوصًا الذين أطالوا ألسنتهم على نبينا محمدٍ ، ذكَر عددًا كبيرًا من مطاعنهم على الأنبياء قبله، وحسَبَها على النصارى، وإنْ كان الكثير منها جاء في العهد القديم فقط، مثل قولهم بعدم عصمة الأنبياء من الذنوب، وأنهم يقعون في الكبائر قصدًا، لا خطأً ولا نسيانًا؛ كعبادة الأوثان من بعضهم –وحاشاه- وبناء المعابد لها، والزنا حتى بالمحارم، بل الذي عندهم أنّه من نبِي الله وخليله إبراهيم ... إلى يحيى لا يخرُج إلا أنْ يكون زانيًا أو من أولاد الزنا، -وحاشاهم- وغير ذلك من المطاعن التي قد مرّ ذكرها مفصَّلة[1].

وينفرد اليهود عن النصارى في استحقاق الذم بما أوردتُ من كتبهم المعتبرة عندهم، وما في بقية مصادرهم الخاصة بهم، كالتلمود وغيره.

** * **

المسألة الثانية: الغلو والجفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند النصارى:

أشَرتُ إلى أنّ الغُلُوّ هو الغالب على النصارى تجاه أنبياء الله تعالى، وخصوصًا عيسى ، كما أنّه لَمّا جاءهم نبيُّنا الْمُبَشَّر به من قِبَل أخيه عيسى كذّبوه. وهذا ما سيكون الحديث حوله في هذه المسألة، فأقول:

[1] (?) انظر الفصل الثانِي من الباب الأخير عند الشيخ رحمة الله الهندي، (وقد خصه بذكر مطاعن النصارى في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ودَفعُها، كتاب إظهار الحق، ج4/ص 1214-1365).

من صُوَر غُلُـوِّ النصـارى أنبيـاءَ الله عليهم الصلاة والسلام، وجفائهم:

**الأولى: غُلُوُّهم في عيسى **، وذلك بِقَولِهم: بألوهيته ، وبِبُنُوّتِه لله سبحانه، تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبـيرًا. وزعم طوائف من النصـارى إلهية المسـيح بعـدما قـرروا التثليث قد تقـدم ردّه لَمَّا تكلمتُ عَنْ موضـوع: **وصف الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام بالعبودية لله **، .. حيث خصصـتُ لـذلك مسـألة تحت المطلب، فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

كما أنّ القول الآخر، وهو دعوى بنوتِه لله سبحانه قد سبق تفنيدُه عند كلامي بعد ذكري لأولاد رسولنا محمدٍ وبناته، حيث بيَّنتُ هناك أنّ الصمد الغنِي سبحانه وتعالى لم يَلِد -خلافًا لـزعم النصـارى هـذا، وغـيرهم- ولم يتخذ ولـدًا، وذلك في المبحث الثـالث من الفصل الأول، في البـاب الأول. والمقصـود هنا أنّ القـول بإلهية المسـيح ، وببنوته لله سبحانه هو أكبَر صُوَر غُلُوّ النصارى في الأنبياء، وبِهما كفّرهم الله تعالى.

الصـورة الثانيـة: وهي في الجفـاء، وهي من المفارقات العجيبـة، وتتمحض في خـذلان النصـارى نـبيّهم عيسى وعدم قيـامهم بنصـرته، وذلك عنـدما جـاء الـذين أرادوا قتلـه، بـزعمهم -كما ذكـروا ذلك في كتبهم. والحق أنه لم يقتله اليهود ولا صلبوه حقيقة، كما قال الله.

الصورة الثالثة: وهِي مِن أكبَر صُـوَر جفـائهم الأنبياءَ، وتتمحض في التفريق بين رُسُل الله تعالى، وعدم الإيمـان بِهم جَميعًا، **وذلك الـذي حصَـل لَمّا جـاء رسولُنا المبشَّر به في كتُبهم، .. فكفرُوا بـه،** وهو يُعبّر عنه: **بـإنكارهم رسالة محمدٍ جملةً وتفصيلاً، تكذيبًا أو عنادًا، واستكبارهم عنها وعدم إيْمانِهم، وزعم بعضهم أنّها خاصة بـالعرب، أو أنّه مبعـوثٌ إلى مَن لم يتمسك بشـرعٍ مِن عبـدَة الأوثـان، وليس بِمبعوثٍ إلى مَن تمسك بشـرعٍ مِن اليهـود والنصارى،** فانقسـموا بالنسـبة لِهـذه الشُّـبهة قسـمين، يَـرَى قِسـمٌ أنّه ليس بنبِيٍّ أصـلا، وآخـرين: أنه نبِيٌّ، لكنْ

ليس إليهم، بل إلى العـرب خاصـة، أو إلى مَن لا شـريعة معـــه. فـــالأولون حَمَلَهم على ذلك إما الْحَسَـــد، وإما الاسـتكبار بعـدما تبَيّن لَهم الحـق. بينما **القسم الثـانِي** يُلزَمون بِما آمنوا به من (أنّه رسـول اللـه) عما لم يؤمنـوا به (وهو عمـوم رسـالته فيهم وفي غـيرهم)؛ إذْ الأنبيـاء يُصدَّقون في أخبارهم، فبإثباتِهم نبوته ﷺ في قومه يلـزمهم تصديقه في قوله: إنه بُعِث إلى الخلق كافة، وبِهذا لا تقوم لَهم شبهة أصلا(1).

ويُرَدّ عليهم (النصارى) وعلى اليهود في تفريقهم بين الرّسل؛ بالإيمان ببعضـهم وكفـرهم بـالآخرين، بقـول اللـه تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [سورة البقرة: ١٣٦]. وقال: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ [سورة البقرة: ٢٨٥]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [سورة آل عمران: ٨٤]. وقال: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [النساء: ١٣٦]. وقال: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ [سورة النساء: 150-١٥٢]. وقال: ﭽ ﭼ [سورة الشعراء: ١٠٥] ومثلُه في عادٍ وثمـود، وقـوم لـوطٍ وأصـحاب الأيكة.

وأغلب الصّوَر السابقة كانت مَوقفًا مَشينًا للنصارى بل مِن أبرَز مواقفهم الكُفرية تجـاه نبينـا محمـدٍ ﷺ، .. في

---

1 (?) وهذا القسم يوردون بعض الشُّبه تقوية لزعمهم، منها: أنّه جاء في الإسلام ما يَدلّ على أنّ رُسل الله تعالى يُبعثون بلسان أقوامهم؛ فمحمد رسول إلى العرب خاصة. ويذكر العلماء –رحمهم الله- أوجُهًا في الرد عليهم، (انظر: أعلام النبوة للماوردي، ص69-72، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يؤلّف كتابه: الجواب الصحيح لِمَن بدّل دين المسيح إلا للرد على شبهة إرسال الرسول محمدٍ ﷺ إلى أهل الجاهلية العرب فقط، دون غيرهم، (الشبهة النقلية والعقلية التي أوردها بولس في إحدى رسائله على علماء المسلمين، وهو أحد الفصول الستة للرسالة) كما ذكر ذلك في مطلعه، ج1/ ص70 وما بعده)، وردها.

جملة مِن مواقفهم المخزية الكثيرة قديْمًا وحديثًا تِجاهه ، والتي سأشير إلى بعضها الآخر، هنا، وعلى عجالة:

الرابعة: تَمثّلت في عزم نصارى الرّوم حرب رسول الله في غزوة تبوك [1].

ومِن جُملة جَفَاء النّصارى عبدَ الله ورسولَه نبيَّنا محمدًا أيضًا[2]: **الصورة الخامسة،** وهي المتمثلة في **قولِهم باستفادة قرآنه من الكُتُب قبله كالتوراة والإنجيل**، ويشترك النّصارى مع اليهود في هذا الوجه الجفائي.

وسأذكُرُ في هذه الصورة نَماذج من كلام المعاصرين خصوصًا والتي فيها هذه التهمة؛ **من ذلك:** قول بات روبرتسون (Pat Robertson) [3] مُفتريًا على رسول الله الأمين، ودينه القويم في بَرنامجٍ بُثّ في قناة فوكس الإخبارية: « أنا أقول: هذا القرآن ما هو إلا سرقة من المعتقدات اليهودية، ثم استدار محمدٌ بعد ذلك ليقتل اليهود والنصارى في المدينة. أنا أقصد: أنّ هذا الرّجل كان قاتلا سفاك دماء »[4].

---

1 (?) انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص80 .

2 (?) للاستزادة يُنظر: كتاب لِماذا يَكرهونه؟! (الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنَبي الإسلام)، د. باسم خفاجي.

3 (?) **بات روبرتسون**: ترجم له الأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر –حفظه الله- بأنه قسيس إنجيلي، عُرف باهتماماته السياسية، وتأييده المطلق للدولة الصهيونية، يمتلك عددًا من المؤسسات الإعلامية، من بينها: محطة فضائية تصل إلى 90 دولة بأكثر من 50 لغة، وهي محطة البث النصراني. ولقد قام البيت الأبيض الأمريكي يوم الجمعة 4/10/2002م بالإعلان عن منحة دينية قدرها: نصف مليون دولار لهذا القسيس، وهي المنحة الأولى التي منحها البيت لمؤسسة أو شخصية دينية. كما قام حزب بوش بتكريمه هو وجيري فالويل الهالك في: 16/أكتوبر/2002م، لمساهمتهما في دعم التيار اليميني المحافظ والحزب الجمهوري. (انظر: التطاول المعاصر على النبي .. مظاهرُه وبواعثُه، ص140-142، ضمن التطاول على النبي وواجبات الأمة).

4 (?) انظر: التطاول المعاصر على النبي .. مظاهرُه وبواعثُه، ص142.

وقال أيضا: « أظُنّ أنّ الإرهاب قد غدا تيّارًا وليس فقط عند حفنة من المتطرّفين. إذا اشترَيتَ مُصحفًا اقرأه بنفسك فستجد عنفًا يُبَشّر به »[1].

ولَمّا أُجبِر على الاعتذار عن قوله هذا عاد ليقول في كتابه الذي صدَر مأخّرًا (The Name)، ص71:ـ « الإسـلام أسّسه فَـردٌ بشـريٌّ يُسـمّى محمـدًا، وفي تعاليمه تـرى تكتيك نشر الإســلام من خلال التوسع العســكري، ومن خلال العنف إذا كان ضروريًّا »[2].

ومن قوله في طعن النبي محمد ﷺ: « إنّه كان يدعو قومه إلى قتل المشـركين، إنّه رجُـلٌ متعصّـبٌ إلى أقصى درجة، إنه كان لِصًّـا، وقـاطع طريـق، ما يـدعو إليه خديعة وحيلــة، 80% من القــرآن نُقل من نصــوص النصــرانية واليهودية، ثم استدار ليقتل اليهود »[3].

وقال: « الإسـلام بخلاف المسـيحية؛ في تعاليمه الأساسية: تعصُّـبٌ عميـقٌ ضـدّ أصـحاب الـديانات الأخـرى »[4].

والتّهمة التي تلفظ بها (بات) هذا، من سرقة نصوص يهودية ونصرانية وتـأليف القـرآن منها تُهمة قديمـة، قد ردّ الله تعالى على مثلها من أسلافه الماضين، فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [النحل: ١٠٣]. وقال: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [العنكبوت: ٤٨].

أما تُهمته ﷺ بأنّه بعد ذلك اسـتدار ليقتل اليهـود والنصــارى في المدينـــة، بل وبقية التهم الــتي تلفظ بِها ففيها قلبٌ للحقــائق، حيث جعل المفســدين من الــذين فعَلــوا بالمسـلمين الأفاعيل بِمكة ثم بالمدينــة، ونقضــوا المواثيق، بل وحاولوا إلى قتل النبي ﷺ مِرارًا -على ما عُـرف في القـرآن وكُتُب الحـديث والسـيرة-، وقتلُـوا من أتباع دينه من قتلوا، ثم يـأتِي هـذا الـذليل ليجعل الرّسـول والمسلم البريء مُفسِدًا.

---

[1] انظر: المصدر نفسه، ص142.
[2] انظر: المصدر نفسه، ص143.
[3] انظر: المصدر نفسه، ص143.
[4] انظر: المصدر نفسه، ص143.

ويقول مستشرقٌ سُويدي[1] مًكـرّرًا التهمة نفسها: «لا شَكّ أنّ الأصول الكبرى للإسـلام مسـتقاة من الديانتين اليهودية والمسيحية، وهذه حقيقة لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير»[2].

وقال آخر[3]: « تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معــارف وآراء دينية عرَفها واســتقاها بســبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرهـا، والـتي تـأثّر بِها تأثّرًا عميقًا »[4].

وقد نصّ كثيرٌ من المستشرقين على عنصر قصص القرآن، وزعموا أنه مأخوذٌ من التوراة[5].

ومما يُمكن أنْ يُضاف هنا: أنه لا يُنكَر وجـود تشـــابُه في القصص خاصة بين القـــرآن من وجـــه، وبين التوراة والإنجيل، ذلك أنّ التــوراة والإنجيل في الأصل من عند الله، وبقي ما هو صحيحٌ أو به شيءٌ من الصحة حــتى بعد التحريف والتبديل. مع أنّ هذا التشابه كان في أصــول القصص، وليس في تفاصـيل كل شـيء، أليس في قصص التــوراة والإنجيل ما هو اتّهـامٌ لأنبيـاء الله تعـالى بـالنقص والرذائل؟

كما أنّ هناك تشابُهًا بينها في العقائد الأساسية، وفي العبـادات كالصـلاة والزكـاة والصـوم والحج، وفي الأخلاق الحسنة كالعدالة، وذم الأخلاق السيئة، والوصايا العشرة.

لكنّ هذا كُله يُقرر حقيقة وهي أنّ مصدر هذه الكتب واحـــد. ولا تـــدل أبـــدًا على أنّ القـــرآن أخذ من التـــوراة والإنجيل[6]. والذين يدّعون أنّ القرآن مستقى من التــوراة والإنجيل يجهلـون ما أورده القـرآن من أصـولٍ عديـدة لم

---

[1] هو تور أندريه.

[2] انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول ﷺ في العصر النبوي والعصر الحديث، ص100 (تحت الوقفة التاسعة: اتهام الرسول ﷺ بالأخذ من اليهودية والنصارى).

[3] هو جولد تسيهر .

[4] انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول ﷺ في العصر النبوي والعصر الحديث، ص100، (اتهام الرسول ﷺ بالأخذ من اليهودية والنصارى).

[5] انظر: المصادر اللاحقة.

[6] انظر: مصادر القرآن عند المستشرقين، أ. د. صدر الدين بن عمر كَومش، ص29-30 .

تَـرد في الكتـابين، ومن تفصـيلات في بعض الأحـداث لم يَعرفها اليهود والنصارى[1].

ثم إنّ القرآن ينتقد أهل الكتاب وما هم عليه من ضـلال وتحريـف، فكيف يأخذ منهم؟ والجـدير بالـذكر أنّ بعض المسـترقين والنصـارى ردّوا على إخـوانهم أصـحاب هذه التهمة، ولم يَرتضوا بالدعوى السابقة[2].

الصورة السادسة: تُهمة النبيّ بالإرهاب:

وقد تقدم شيءٌ منها قريبًا، وينقُل بابا الفاتيكـان بينـديكت السادس عشر[3] عن كبير لهم سبق: « أرِنِي شـيئًا جديـدًا أتى به محمـدٌ، فلنْ تجد إلا ما هو شـرير ولا إنسـانِي، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف »[4].

---

1 ([?]) انظر: مصدر القرآن الكريم، (شبهة أنّ مصدر القرآن الديانات الأخرى)، ص51 .

2 ([?]) انظر عن تفنيد شبهة اتهام النبي بالأخذ من اليهودية والنصارى: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص112، وبحث مصادر القرآن عند المستشرقين، ص6-8، و9-10، وص23-33، وبحث مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين (عرض ونقد)، أ. د، محمد بن السيّد راضي جبريل، ص57-72، وبحث مصدر القرآن الكريم، د. عبد الودود بن مقبول حنيف، (شبهة أنّ مصدر القرآن الديانات الأخرى)، ص46-52، وبحث القرآن في دائرة المعارف الإسلامية، د. حميد بن ناصر الحميد، ص46-49، .

3 ([?]) **جوزيف راتزنغر**، ولد عام 1927م، وهو أول بابا ألماني منذ 480 عامًا، عُيّن رئيس أساقفة ميونخ عام 1977م، وتم انتخابه عام 2005 بابا جديدا للفاتيكان. (انظر ترجمته الموسعة: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بحث بينديكت السادس عشر، وانظر: موقف أهل الكتاب من الرّسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص91).

4 ([?]) انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، لحمود بن عبد الله المطر، ص91، (الوقفة الثانية: اتهام الرسول بالإرهاب) .

وقول جيري فالويل (Jerry Fawell) [1] الْهالك قبل سنوات، في حديث له بُثّ يوم الأحد بتاريخ 6/10/ 2002م على برنامج 60دقيقة: « أنا أعتقد أنّ محمدًا كان إرهابيًّا، لقد قرأتُ ما يَكفي من المسلمين وغير المسلمين أنّه كان رجل عنف، ورجلَ حروب »[2].

وهل قرأ هذا وأمثاله دلائل كون رسول الله لم يُرسَل إلا رحمة للعالمين؟

وقوله « في رأيي أرسى الْمسيح مثالا للحُبّ، موسى فعَل الشيء نفسَه، لكنّ محمدًا ضرَب الْمثل الْمناقض لهما »[3].

وقد كذَب هؤلاء الحاقدون الأفكة في تُهمتهم وطعنهم في الرحمة المهداة، والنعمة المسداة بالإرهاب والعنف وسفك الدماء والقتل بدون مبرر والاعتداء على الآمنين، وهو اتهامٌ غير صحيح، وسيرته على نقيض ذلك. وأما القتال فهم الذين بدأوا، ثم أذن فيما بعد للمظلومين دفعًا للظلم. وبالنسبة لليهود والنصارى فإنهم هم الذين نقضوا العهد كما ستأتِي الإشارة إلى ذلك. كما أنّ للجهاد في الإسلام آدابًا راقية منها:

تخيير العدو عند القتال بين خصال ثلاث. وعدم إكراه العدو على الدخول في الإسلام، وتعظيم الصلح والذمة والهدنة. ومنها النهي عن قتل غير المقاتلين والشيوخ والنساء والأولاد، والنهي عن الْمُثلة إلا على سبيل

---

1 (?) **جيري فالويل**: هو قسيس إنجيلي معاصر، عُرف بشتائمه الكثيرة لنبينا محمد ، وقد أهداه الصهاينة طائرة خاصة من نوع وندستريم (مع قِطع غيار بقيمة نصف مليون دولار)، كما أنه من الاثنين الذين قام حزب بوش بتكريمهما في 16/أكتوبر/2002م، لمساهمتهما في دعم التيار اليميني المحافظ والحزب الجمهوري. قد كان له برنامجًا أسبوعيا إذاعيا، أهلكه الله قبل سنوات. (انظر ترجمته الموسعة: التطاول المعاصر على النبي .. مظاهرُه وبواعثُه، ص 139-140، ضمن التطاول على النبي وواجبات الأمة).

2 (?) انظر: التطاول المعاصر على النبي .. مظاهرُه وبواعثُه، ص 140، وموقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص90، (الوقفة الثانية: اتهام الرسول بالإرهاب).

3 (?) انظر: التطاول المعاصر على النبي .. مظاهرُه وبواعثُه، ص 140.

المقابلــة. ومنها الكف عن الخصم في ســاحة القتــال إذا أظهر الإسلام ونطق بالشـهادتين. ومعلـومٌ أنّ النـاس عند كل منصف ليسوا على درجة واحدة، ومعاملة الجميع على درجة واحــدة مما لا يرضــاه اللــه، ولا يُقــره العقــل، ولا تســتقيم به الحيــاة. كما أنّ الأصل في التعامل مع غـــير المســـلم هو القسط والـــبر والإحســـان، إلا أن يُعلن الحرب[1].

فبالله عليـك! انظر كيف تخـرُج هـذه الإسـاءات العظيمة من رجال الدين عند النصارى، بل ومن رؤوسـهم ومرجعياتهم، وانظر كيف يختـارون لها مناسـبات فـيرتبون لهـا، ويعنـون ما يقولـون بل ويقصـدونه، حـتى إنّ بعضـهم عندما طولب بالاعتذار عما صدر منه زاد الطين بلة؛ فأتى بما هو الأسوأ. والله يحمي دينه وينصر رسوله [2].

الصورة السابعة: اتّهام الرسول بالشذوذ، وبأنّه رجُلٌ شَهوانِي: قال قسيس أمريكي[3] اشتهر بمناظرته مع الداعية الإسلامي أحمد ديدات، مسيئًا لنبينا محمد : « إنّه شاذٌّ جنسيًّا، ضالٌّ، انحرَف عن طريق الصواب»[4].

وقال ضالّ آخر يُسمى بِـ(جيري فاينـز[5] عن نبينا محمد « .. شــاذٌّ يميل للأطفــال، وتــزوج اثنــتي عشــرة زوجة، آخرهنّ طفلةٌ عمرها تسع سنوات »[6].

---

1 (?) انظر لتفنيد الشُّبه: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص103-108.

2 (?) انظر: التطاول المعاصر على النبي .. مظاهرُه وبواعثُه، ص 138-146.

3 (?) هو جيمي سواجارت، الذي يمتلك محطة تلفاز، ويستخدمها للتبشير (انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول ، ص98-99).

4 (?) موقف أهل الكتاب من الرسول ، ص98-99.

5 (?) **جيري فاينـز:** هو راعي كنيسة جاكسون فيل في فلوريدا، ومن أبرز المتحدثين في المؤتمر السنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية، ويمدحه بوش جهارًا وأنه يتحدث عن دينه بصدق. هذا الرّجل هو الذي عمّد بوش. وأما عن المؤتمر فهو أكبر مؤتمر ديني يُعقد في كل عام. (انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول ، ص99، والتطاول المعاصر على النبي .. مظاهرُه وبواعثُه، ص144).

6 (?) انظر: التطاول المعاصر على النبي .. مظاهرُه وبواعثُه، ص 144.

وهذا قول جاهل، والمنافقون في عصر النبوة ما طعنوا النبي بِهذا، مع حرصهم على النيل منه، وذلك لأنه معهود عندهم نكاح المرأة إذا بلغت التسع، لـذا لم يَـدخُل عليها إلا بعدما أتمت التسع.

ومِن أجمع نصوص الْمستشرقين التي احتوَت هذه التهمة أيضًا قول أحدهم: « أنّ هذا الرسـول لم يكن على خُلُق عـالٍ، بل كـان رجلا شَـهوانيًّا تـذوب شخصـيته في مخادع النساء، ولِهذا أكثر من الزوجات، وحـدّد لأمته أربعًا كحد أعلى بينما فتح الأبـواب لنفسه وتـزوج كثـيرات، بل عمل على فسخ نكـــاح زوجة ابنه ومـــولاه وتزوجها لأنها كانت بيضاء جميلة »[1].

وهـذا الغمز غـير مقبـول من هـؤلاء؛ ذلك أنّ المستشرقين يغمزونه بالجور حيث إنّه عدّد النسـاء بِمـا فوق الأربع عشـقًا منهن على زعمهم، وحـدد لأمتـه أربعًـا، والسؤال هنا: هل تُؤمنون به رسولا أم لا؟

والْمعلـوم أنّكم هـاجمتم رسـالته، فـأنتم بـه من الكافرين، فلِماذا تلومونه على فعلٍ خاص به، وهو عنـدكم بشرٌ لا رسول، فأين ما تُسمونه بالحرية الشخصية؟

أما نحن فنعتقد أنّه رسول الله، وفعلُه هذا شريعةٌ؛ بل التعدد شريعة الأنبياء قبلـه، فنبِيّ اللـه سـليمان وغـيره قـد عـدّدوا ولم تنكـروا عليهم، فلِمـاذا الإنكـار على النـبي محمد ؟

كما أنّ النبي قد جاء قومه وهم يُعددون. ثم إنّ مَن عرَف سـيرته يعـرف مـتى عـدد، ولمـاذا[2]؟ وقد تقـدم ردّ هذه الشبهة في مبحث ذكر زوجاته ورضي الله عنهنّ.

وأما مسألة زواج مطلقة متبنّاه فهي قضية شرعٍ إلهي، لا قضية شـهوة أو غريـزة محرمة [3]، وقد تقـدم ردّ

---

[1] (?) من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، د. عبد المنعم فؤاد، ص213.

[2] (?) انظر تفنيد هذه الشبه في كتاب: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، ص213-218.

[3] (?) انظر تفنيد الشبهة: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، ص218-221.

هـذه الشـبهة في ترجمة زينب رضي الله عنها في مبحث ذكر زوجاته ورضي الله عنهنّ.

كما ردّ العلماء على ذاك المستشرق الذي (زعَم أنّ الرسول رأى –اتفاقًا- زوجة ابنه زيد وهي عارية، فوقع –على زعمـــه- في قلبه شـــيءٌ، فســـرّحها بعلُها ليتزوجها محمد)[1] بتكذيب هذه الدعوى.

وبعض المستشرقين أنفسهم ردّوا على دعوى أنه رجلٌ شهوانِيٌّ.

ثم إن التهمة بالشذوذ الجنسي يعني إتيان الرّجل الرّجل. واتهام الرسـول به اتهـام غـريبٌ لم يَقل به أحـدٌ من قبـل، وهو ثمـرة التعصّـب والحقـد. بل العـرب في عصره لم يكونوا يَميلون للشذوذ الجنسـي. وقـد حـاربَ الإسلامُ هذا الأمر وجعل له العقوبات الرّادعة[2].

**الصـورة الثامنـة: اسـتخدام النّصـارى الرّسومات السـاخرة المسـيئة والأفلام المُغْرِضة لتشويه صورته **، وهذا الاتهام في الأيـام الأخـيرة كثـير جدًّا،

الرسومات: هي الصور الـتي تُرسم باليـد، وتمثل ذوات الأرواح، وهي محرمـة، فـإذا كـانت للرسـول فهي أشد حرمة، وإذا كـانت تَسـخر منه فهي أشـدّ وأشـد، لأنه كُفرٌ [3].

أما عن الإسـاءة والسـباب والأذية والاسـتهزاء بالرّسـومات السّـاخرة فهو من فتنة العصر حيث سـخّر فريـــقٌ من النصـــارى وغـــيرهم المنتجـــات العصـــرية ليستخدموها في الإساءة؛ فيَرسُم كاتبٌ –شُـلّت يـدُه- من دولة عربية كاريكاتيرًا؛ ديكًا وحوله تسع دجاجـات، معرِّضًـا

---

1 (?) انظر تفنيد الشبهة: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، ص213.

2 (?) انظر نصوص عقوبة مَن يعمل عمل قوم لوط، في كتاب موقف أهل الكتاب من الرسول ، ص110-111.

3 (?) انظر: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص14148-149.

بنبينا محمد ﷺ، ويُعلّق عليه: (محمد جمعة، زوج التسعة) [1].

والكلب يَنبح لا يضُرّ سماءنا

ثم تأتِي الصحف، وعلى رأسها صحيفة جيلاندز بوستن الدانماركية، وتتجرّأ في 26/ شعبان/ 1426هـ، الموافق: 30/ سبتمبر/ 2005م على نشر اثني عشر رسْمًا كاريكاتيريًا، تُصَوّر الرسول ﷺ في أشكالٍ مختلفة.

وفي أحد الرّسوم يَظهر مُرتديًا عمامة، كُتِب عليها لا إله إلا الله، وعمامته تُشبِه قُنبُلة ملفوفة حول رأسه، لها فتيل. الأمر الذي أثار انتقادات واسعة مشهودة، وطُلب من الصحيفة اعتذار رَسْميّ؛ فامتنعت محتجة بأنه يدخل في حرية التعبير.

ثم بعد مائة يوم من التاريخ السابق قامت مجلة ماجازينت (Magazinet) النرويجية يوم عيد الأضحى من عام: 1426هـ الموافق: الثلاثاء، 10/1/ـ 2006م بإعادة نشر الرسوم نفسها[2].

ثم تبِعَتها عِدة صحف ووسائل إعلام أوروبية، وأعادت نشر الرّسوم تحت ذريعة حرية التعبير، رغم الاحتجاجات التي ظهرت[3]. وقد اعتذرت الحكومة النرويجية فيما بعد.

ويبدو من بعض هذه الرسومات: صورة رجلٍ رسّام، يَرسُم وجهًا لرجلٍ ملتحٍ يرتدي كوفية وعقالا، كُتبَ فوقها: محمد، والرّسام يبدو خائفًا يتصبب عرَقًا ويضع يدَه كمَن يَمنع الناس من الرؤية.

---

[1] انظر: التطاول المعاصر على النبي ﷺ .. مظاهرُه وبواعثُه، ص 146.

[2] انظر: الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة (ردود على حملات تشويه صورة خاتم المرسلين)، تحت فقرة: موسم التهجم على الذات النبوية الشريفة، ص62، وموقف أهل الكتاب من الرسول ﷺ في العصر النبوي والعصر الحديث (الرسومات الساخرة المسيئة، ص122-142)، والتطاول المعاصر على النبي ﷺ .. مظاهرُه وبواعثُه.

[3] انظر تفاصيل الحادثة، وموقف العالم الإسلامي منها من المقاطعة الاقتصادية/موقف أهل الكتاب من الرسول ﷺ في العصر النبوي والعصر الحديث، ص132-133.

ويُشير تعليق رَسمٍ آخر منها: إلى أنّ محمدًا كان يَضطهد النساء[1].

ومن تداعيات ما حصل: ما تعاقَبَ مِن معظم الدول الغربية النصـــرانية وغيرها في نشر تلك الصـــور محاربة للإسـلام، ووقوفًا مع مملكة الـدانمارك؛ فأعـادت صـحيفة فرنسية (فرانس –سـوار) نشـرها في عـددها الصـادر في اليوم الأول / من فبراير/ 2006م.

وانضمت صحيفة سويدية تُعلن عن مسابقة لرسم رسول الله .

وقد سبق أن أشرتُ إلى أنّ مواقع إسرائيلية أعادتْ نشر الرسوم. ...

ثم إنّ كاتبًا دانماركيًا زوّد كتابًا له (مكـون من 272صـفحة) زعم أنه موجّه للأطفـال برسـومات تصـور الرسول [2].

إلى أنْ خرج شريط فيديو دنماركي يسيء للنبي ويُصوّره بشكل جمل يَشرب البيرة[3].

وهكذا رسموا ونشروا، أو أعادوا نشر المرسوم[4].

كُلّ هذا لا يَخْرُج عن جفاء اليهود والنصارى تجاه أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

وأقول رادًّا عليهم في مواقفهم السابقة، وملخصًا الموقف الصحيح تجاه الأنبياء عليهم السلام عمومًـا، ونبينا محمدًا خصوصًا غيرة للمقدسات.

---

1 (?) انظر بقية الرسوم التسعة وما تشير إليه: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص133-135 (وصف الرسومات المسيئة)، ونماذجها: في الملاحق، (ص231-244).

2 (?) انظر إلى رسوماته وما تشير إليه: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص139-141.

3 (?) انظر إلى شرح ذلك: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص141.

4 (?) انظر عنوان موقف المسلم من الرسومات الساخرة: موقف أهل الكتاب من الرسول في العصر النبوي والعصر الحديث، ص148-149.

العقيدة الصحيحة في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المخالفة لعقيدة اليهود والنصارى فيهم:

ما تقدم هو موقف اليهود والنصارى في الأنبياء والمرسلين، بينما ظهَرت وسطية المسلمين الذين آمنوا بالأنبياء والرسل جميعًا ولم يُفرِّقوا بين أحدٍ منهم، وأنزلوهم منازلهم، وعزَّروهم، ووقَّروهم، ونصروهم ولم يخذلوهم، وصدَّقوهم، وأحبوهم، وأطاعوهم، ونفَوا كلَّ ما يقدح في أشخاصهم أو نبوَّتهم أو رسالاتهم، واعتقدوا أنَّهم أفضل الخلق، وأطهرهم وأزكاهم، وأنهم صادقون مصدَّقون في أقوالهم، مقتدىً بهم في أقوالهم وأفعالهم.

كما نصروا النبيَّ محمدًا ولم يتخلَّفوا عن ذلك، وقاتلوا وقتَلوا أعداءه بين يديه، بل فدَوه بأموالهم وأنفسهم -بأبي هو وأمي-. وأنهم آمنوا بهم جميعًا عبيدًا لله ورسلاً مبشِّرين ومنذرِين، ولم يتخذوهم أربابًا من دون الله؛ لأنَّهم لا يملكون لأنفسهم ضَرًّا ولا نفعًا، ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فكيف يملكون ذلك لغيرهم؟ كما أنَّهم لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله تعالى، ولم يغلُوا أيَّ غلُّوٍ فيهم، أو يُطروهم، ولم يُنزلوهم فوق المنزلة التي أنزلهم اللهُ إياها، ولم يرفعوهم فوق المقام الذي لهم؛ فلم يجاوزوا بهم منزلةَ النبوَّة والرسالة، ومقام العبودية لله، وهما المقام والمنزلة التي أقامهم الله عليها، وأنزلهم إياها -كلُّ ذلك عملاً بوصاياهم؛ فالأنبياء والرسل بشرٌ، وليسوا بآلهةٍ، ولا أبناء آلهةٍ كما تزعم النصارى، وتقدم عند الكلام على بشريتهم.

وبعد: فهذه منزلة ومقام الأنبياء والرسل عند المسلمين كما يصوِّره القرآن وصحيح الأحاديث، لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا غلوَّ ولا تقصير؛ فالأنبياء عندهم عبيدٌ لا يُعبَدون، ورسلٌ من الله لا يُكذَّبون، بل يطاعون ويُتَّبَعون، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[1]. قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « فَالْمُسْلِمُونَ وَسَطٌ فِي أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ؛ لَمْ يَغْلُوا فِيهِمْ كَمَا غَلَتْ النَّصَارَى فـ چۇ

[1] انظر: وسطية الشيخ محمد باكريم من ص 315-323 .

ﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮ ﭼ [التوبة: ٣١]. وَلا جَفَوْا عَنْهُمْ كَمَا جَفَتْ الْيَهُودُ؛ فَكَانُوا يَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ ﭽﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﭼ [آل عمران: ٢١]، وَكُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ كَذَّبُوا فَرِيقًا، وَقَتَلُوا فَرِيقًا. بَلْ الْمُؤْمِنُونَ آمَنُوا بِرُسُلِ اللَّهِ وَعَزَّرُوهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَوَقَّرُوهُمْ وَأَحَبُّوهُمْ وَأَطَاعُوهُمْ وَلَمْ يَعْبُدُوهُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوهُمْ أَرْبَابًا .. **وَمِنْ ذَلِكَ**: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ تَوَسَّطُوا فِي الْمَسِيحِ؛ فَلَمْ يَقُولُوا: هُوَ اللَّهُ، وَلا ابْنُ اللَّهِ، وَلا ثَالِثُ ثَلاثَةٍ؛كَمَا تَقُولُهُ النَّصَارَى، وَلا كَفَرُوا بِهِ، وَقَالُوا عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا، حَتَّى جَعَلُوهُ وَلَدَ بَغِيَّةٍ؛ كَمَا زَعَمَتْ الْيَهُودُ. بَلْ قَالُوا هَذَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ..»[1].

فتُلخَّص مواقف المؤمنين بالأنبياء عمومًا، ومن نبينا محمدٍ ﷺ خصوصًا، في موقف أهل السنة والجماعة منهم، وهو على الوجه التالِي:

الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وعدم التفريق بين أحد منهم. وتصديقهم في جميع أخبارهم عن الله وعن غيره وعدم تكذيبهم. وأنهم أحبوهم ووقروهم وعزَّروهم؛ فقدروهم وعظموهم ولم ينتقصوا أحدًا منهم، بل نصروهم ولم يخذلوهم. وأطاعوهم، ونفَوا كلّ ما يقدح في أشخاصهم ونبواتهم ورسالاتهم، وأثبتوا عصمتهم من الكفر وارتكاب الكبائر، والإصرار على الكبائر، قبل النبوات وبعدها. وكذلك أنزلوهم منازلهم ولم يغلوا فيهم أو يطروهم، أو يفرطوا في مدحهم؛ فالأنبياء بشرٌ يأكلون الطعام، ويتزوجون النساء، ويأتِي منهم النسل (بنون وحفدة)، وليسوا بآلِهة ولا أبناء آلهة، وآمنوا بهم جميعًا عبيدًا لله رسلا، مبشرين ومنذرين؛ فلم يعبدوهم أو يتخذوهم أربابًا من دون الله. كما خصوا نبينا محمدًا ﷺ بمزيد من الفداء بالنفس والأهل والمال، ولم يخذلوه أو يتخلفوا عن نصره، والقتال بين يديه. **كما أنّ المسلمين يَرَون أنّ تكذيب أحد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كفرٌ.**

---

[1] مجموع الفتاوى، (ج3/ ص371 رسالة شيخ الإسلام إلى المنتمين إلى عدي بن مسافر الأموي).

** * **

المسألة الثالثة: اتباع الفِرَقِ المنتسبة إلى الإسلام سَنَن اليهود والنصارى في الغلو في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي جفائهم:

رأينا في المطلبَين السّابقَين كيف كانت اليهود والنصارى غُلاةً جُفاةً في أنبيائهم عليهم السلام عمومًا، وجُفاةً في نبينا محمدٍ خصوصًا، بالقول والفعل، قديمًا وحديثًا.

وأما هذا المطلب فقد خصصتُه لبيان أنّ الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام كلّها شابَهُوا اليهود والنصارى في جفاء عبد الله ورسوله نبينا محمد خصوصًا. وزاد بعضُ الفرق على ذلك؛ فغَلَوا فيه. وجمع آخرون بين الغلو والجفاء فيه صلوات ربِّي وسلامه وبركاته عليه. ولَمْ يسْلَم مِن أحد الداءَين، أو مِن كلَيهما إلا الفرقةُ الناجيةُ أهل السنة والجماعة؛ لوقوفها مع المأمور من قِبَل هذا العبد ، دون زيادة أو نقصان.

وأقول هنا -باختصار-: الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام التي سأذكر –بالتفصيل- شيئًا من مواقفها الغالية والجافية تجاه عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ في هذا الباب (باب مواقف الفرق منه) لَها شَبَهٌ جُمْلِيٌّ باليهود والنصارى الذين أخبَر الرسول بأنّ طوائف من هذه الأمة ستتبعها، فاليهود والنصارى جُفاة غلاة في أنبياء الله ورسله عامة، وجفاةٌ في نبينا محمد خاصة، ويكفي مثالا لذلك ما يَحصُل من تَمثيله ورسمه استهزاءً به، في هذه الأيام. ... كما أنه إذا كانت النصارى غَلَت في عبدِ الله ورسولِه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه (عيسى عليه السلام) بحيث اعتقدوا فيه الإلهية، واعتقد طائفة منهم بُنُوّتَه لله، تعالى الله وتقدس عما يقولون. وإذا كانوا هم واليهود اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، .. فإنّ ممن ينتسب إلى الإسلام مَن يَصرف لُبّ العبادة إلى عبد الله ورسوله، فيستغيثون به وبغيره في الشدائد، كما يلوذون به ويستعيذون به بعد وفاته، وفيما لا يقدر على كثيرٍ منه حال حياته. كما أنّ منهم من يتخذون قبور

الصالحين مساجد في أكثر أنحاء العالم الإسلامي، إلى غير ذلك من صُور الغلو فيه. ثم إنه إذا غلب على اليهود الجفاء في الأنبياء بصُور شتى، .. فإنّه وُجد من طوائفَ ينتسبون إلى هذا الدين تلبُّسٌ بعدة صُور جفائية، والتي منها ما هو مخرج من الملة، ومنها ما هو دون ذلك، فمن الأول: الكفر بعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، باعتقاد أن فلانًا نبي بعد النبي الخاتم؛ محمد ﷺ، وككثيرٍ من أنواع البدع التي قالت بها بعض الفرق المنتسبة، كبدعة تقديم العقل على الشرع، وبدعة الكفر بالسنة النبوية، وغير ذلك. ومن أمثلة النوع الثاني: بدعة المولد النبوي.
والمقصود أنّ الغلاة في أنبياء الله ورسله والجفاة فيهم مشابهون لليهود والنصارى في هذا الباب.

ثم إنه قد سبق أنْ أشرْتُ إلى إخبار الرسول ﷺ بوقوع مشابَهة هذه الأمة ومتابعتها للأمم السابقة، وأنّه وقع مخبره ﷺ طبقًا لِما أخْبَر به، فهنا أذكُر جملةً مِن النصوص الدالة على ذلك، فأقول:

الأحاديث التي فيها التحذير والنَهي عن مشابَهة أصحاب الجحيم (اليهود والنصارى) ومتابعتهم:

لقد حذَّرت النصوص الشرعية متابعة أمّتَي الغضب والضلال (اليهود والنصارى وغيرهما) والتشبه بِهم، وأمَرت بمخالفتهم في العقائد والعبادات والآداب والصفات، وإنْ أخبَرتْ النصوص بوقوع هذا التشبه، وحصول هذه المتابعة حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، وفي كلّ شيءٍ، وهنا سأورد بعض هذه النصوص المُحذِّرة:

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "**فَمَنْ؟**" [1]. وفي لفظ: "**حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لاتّبَعْتُمُوهُمْ**".

وعقُد له ترجمة في صحيح مسلم، عُنوِن لها بـ(باب اتباع اليهود والنصارى).

---

[1] صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رقم: 3456، وصحيح مسلم: كتاب العلم، رقم: 2669.

قال النووي –رحمه الله-: « السَّنَن -بِفَتْحِ السِّين وَالنُّون- وَهُوَ الطَّرِيق، وَالْمُرَاد بِالشِّبْرِ وَالذِّرَاع، وَجُحْر الضَّبّ، التَّمْثِيل بِشِدَّةِ الْمُوَافَقَة لَهُمْ، وَالْمُرَاد الْمُوَافَقَة فِي الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَات، لا فِي الْكُفْر.
وَفِي هَذَا مُعْجِزَة ظَاهِرَة لِرَسُولِ اللَّه ، فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ »[1].

هكذا قال النووي، إلا أنه لا يُسلّم له، فالأمر على العموم؛ ذلك أنّ ممن انتسب إلى الإسلام مَن شابه أهل الكتاب حتى في الكفريات، كما في وافقوهم في المعاصي والمخالفات.

2- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ** " فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ**: " وَمَنْ النَّاسُ إِلا أُولَئِكَ! "**[2]**.**

وهل هذا الحديث مخالفٌ للذي قبله؟ أم اليهود والنصارى هم فارس والروم؟

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في الجمع بين الحديثين: « **قَالَ ابْن بَطَّال:** أَعْلَمَ أَنَّ أُمَّته سَتَتَّبِعُ الْمُحْدَثَات مِنْ الأُمُور وَالْبِدَع وَالأَهْوَاء كَمَا وَقَعَ لِلأُمَمِ قَبْلهمْ، وَقَدْ أَنْذَرَ فِي أَحَادِيث كَثِيرَة بِأَنَّ الآخِر شَرّ، وَالسَّاعَة لا تَقُوم إِلا عَلَى شِرَار النَّاس، وَأَنَّ الدِّين إِنَّمَا يَبْقَى قَائِمًا عِنْد خَاصَّة مِنْ النَّاس. **قُلْت:** وَقَدْ وَقَعَ مُعْظَم مَا أَنْذَرَ بِهِ ، وَسَيَقَعُ بَقِيَّة ذَلِكَ. **وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ:** حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة مُغَايِر لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيد؛ لأَنَّ الأَوَّل فُسِّرَ بِفَارِسَ وَالرُّوم، وَالثَّانِي بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَكِنَّ الرُّوم نَصَارَى، وَقَدْ كَانَ فِي الْفُرْس يَهُود. أَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيل الْمِثَال؛ لأَنَّهُ قَالَ فِي السُّؤَال كَفَارِسَ انْتَهَى. وَذَكَرَ عَلَيْهِ جَوَابه بِقَوْلِهِ "**وَمَنْ النَّاسُ إِلا أُولَئِكَ**" لأَنَّ ظَاهِره الْحَصْر فِيهِمْ، وَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ الْكِرْمَانِيُّ بِأَنَّ الْمُرَاد حَصْر النَّاس الْمَعْهُود مِنْ الْمَتْبُوعِينَ. **قُلْت:** وَوَجْهه أَنَّهُ

---

[1] المنهاج للنووي، ص1580.

[2] صحيح البخاري: كتاب أخبار الآحاد، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، رقم: 7319.

لَمَّا بُعِثَ كَـانَ مُلْك الْبِلادِ مُنْحَصِـرًا فِي الْفُـرْس وَالـرُّوم، وَجَمِيع مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ الْأُمَم مِنْ تَحْت أَيْدِيهمْ، أَوْ كَلا شَيْءٍ بِالنِّسْـبَةِ إِلَيْهِمْ، فَصَـحَّ الْحَصْـر بِهَـذَا الاعْتِبَـار، وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون الْجَوَاب اخْتَلَفَ بِحَسَب الْمَقَام، فَحَيْثُ قَـالَ: فَـارِس وَالرُّوم كَانَ هُنَاكَ قَرِينَة تَتَعَلَّق بِالْحُكْمِ بَيْن النَّاس وَسِيَاسَة الرَّعِيَّة. وَحَيْثُ قِيـلَ: الْيَهُـود وَالنَّصَـارَى كَـانَ هُنَـاكَ قَرِينَة تَتَعَلَّق بِأُمُورِ الدِّيَانَات؛ أُصُـولِها وَفُرُوعِهَـا. وَمِنْ ثَمَّ كَـانَ فِي الْجَـــــــوَاب عَنْ الأَوَّل "**وَمَنْ النَّاس إِلا أُولَئِكَ**!". وَأَمَّا الْجَوَاب فِي الثَّانِي بِالإِبْهَامِ فَيُؤَيِّد الْحَمْل الْمَذْكُور وَأَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ قَرِينَة تَتَعَلَّق بِمَا ذَكَرْت»[1].

وأضيف هنا فأقول: لقد اتَّبَعَتْ هذه الأمة وخصوصًا الرافضـةُ فـارسَ (المجـوس)، حـتى في أمـور الـدين من الأعياد والاحتفالات وغير ذلك[2]، كما شابَهُوا اليهود[3].

3- وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ، مَـرَّ بِشَـجَرَةٍ لِلْمُشْـرِكِينَ، يُقَـالُ: لَهَا ذَاتُ أَنْـوَاطٍ؛ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ. فَقَـالُوا: يَا رَسُـولَ اللَّهِ! اجْعَـلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ : "**سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى؛ ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [الأعراف: ١٣٨]. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُـنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** "[4].

---

1 (?) فتح الباري، ج4/ ص 5284).

2 (?) انظر عن هذا/ كتاب الأعياد للدكتور سليمان السحيمي، وخصوصًا أعياد المجوس، وقارنْ مع أعياد الرافضة، وكتاب: الأعياد المحدثة وموقف الإسلام منها، للدكتور عبد الله آل مهنّا.

3 (?) انظر عن هذا في مقدمة منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ج1/ ص24-34)، وكامل كتاب/ بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود لعبد الله الجميلي. ونشأة الشيعة كتاب أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية عرض ونقد، د. ناصر القفاري، وهل جذور الشيعة في النشأة يرجع إلى اليهود أم إلى المجوس، أو هم خليط من الاثنين؟ الراجح الأخير (ج1/100-109).

4 (?) جامع الترمذي: كتاب الفتن، بَاب مَا جَاءَ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، رقم: 2180، ومسند الإمام أحمد: رقم: 20892، قال الترمذي: « حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ »، وصححه الألباني.

4-وعَن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**"[5].

5- وجاء عن ابْنِ لَهِيعَةَ –رحمه الله- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا؛ لا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، وَلا بِالنَّصَارَى** ..."الحديث[2].

6-وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلا بِمِثْلٍ** "[3].

ومثل أحاديث الباب ما جاء عن ابن عباسٍ، وشَدَّاد بن أَوْسٍ، وحُذيفة، وغيرهم ﷺ.

ومِن أجمل ما قيل في بيان معنى هذه الأحاديث ما قاله الشيخ ابن بطة –رحمه الله- في الإبانة بعد ذكر أحد الأحاديث: « فلو أنَّ رجلا عاقلا أمْعَن النظر -اليومَ- في الإسلام وأهله، لعَلم أنّ أمور الناس تَمضِي كلّها على سنَنَ أهل الكتابين وطريقتهم، وعلى سُنّة كِسرى وقيصر، وعلى ما كانت عليه الجاهلية، فما طبَقَةٌ من الناس وما صنفٌ منهم إلا وهم في سائر أمورهم مخالفون لشرائع الإسلام، وسنَّة الرسول ﷺ، مضاهون فيما يفعل أهل الكتابين والجاهلية قبلهم، فإنْ صرفَ بصره إلى **السلطنة وأهلها وحاشيتها**، ومن لاذ بها من حكّامهم، وعُمّالِهم، وجَد الأمر كلّه فيهم بالضد مِما أمروا به،

---

5 (?) سنن أبي داود: كتاب اللباس، بَاب فِي لُبْسِ الشُّهْرَةِ، رقم: 4031، وفي مسند أحمد بأطول منه، رقم: 4868، و4869، و5409، وقد جوّد إسناده ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، وحسّنه ابن حجر والألباني.

2 (?) جامع الترمذي: كتاب الاستئذان والآداب، بَاب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ إِشَارَةِ الْيَدِ بِالسَّلامِ، رقم: 2695، والحديث حسنٌ لغيره، قَالَ الترمذي: « هَذَا حَدِيثٌ إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ هَذَا الْحَدِيثَ عَن ابْنِ لَهِيعَةَ فَلَمْ يَرْفَعْهُ » وحسنه الشيخ الألباني في صحيح جامع الترمذي.

3 (?) مسند الإمام أحمد: رقم: 21808 (حسّنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة، ج7/ص913وما بعدها، شاهدًا لحديث برقم:3312 عنده –ولفظه: ليحملن شرارُ هذه الأمة على سنَن الذين خلَوا مِن قبلهم –أهلِ الكتاب- حذو القذة بالقذة).

ونَصَبُوا له في أفعالهم وأحكامهم وزِيّهم، ولِباسهم. وكذلك في سائر الناس بعـدهم من **التجار والسُّـوقة، وأبنـاء الدنيا وطالبيهـا، من الـزُّرّاع والصـنّاع، والأُجـرَاء، والفقـراء، والقـراء، والعلمـاء**، إلا مَن عَصَـمَه اللـه. ومتَى فكَّرْت في ذلك وجـــــــدْتَ الأمر كما أخبرتُك في المصائب، والأفراح، وفي الزِّيّ، واللباس، والآنية، والأبنية، والمسـاكن، والخُـدَّام، والمـراكب، والـولائم، والأعـراس، والمجالس، والفُـرُش، والمآكـل، والمشـارب، وكـلّ ذلـك، فيجــــري خلاف الكتــــاب والســـنة بالضــــدّ مما أمر به المســـلمون، ونـــدِب إليه المؤمنـــون. وكـــذلك من بـــاع واشترى، وملك واقتنى، واستأجر وزرع وزارع، فمَن طلَب السلامة لدينه في وقْتِنا هذا مع النـاس عـدِمَها، ومَن أحبَّ أنْ يلتمس معيشةً على حُكْم الكتاب والسنة فَقَدَها، وكَثُـرَ خصـــماؤُه وأعـــداؤُه، ومخـــالفوه ومُبْغِضُـــوه فيهـــا، فالله المسـتعان! فما أشـدّ تعـذُّرَ السـلامة في الـدين في هـذا الزمان، فطُرُقَات الحق خاليـةٌ مقفـرَةٌ مُوْحِشَـة، قد عَـدِم سالكوها، واندفَنَتْ مَحَاجُهـا، وتَهَـدَّمَت صـواياها وأعلامُهـا، وفُقِـدَ أَدِلاؤُها وهُـدَاتُها، قد وقَفَتْ شـياطينُ الإنس والجنّ على فِجاجِها وسُـــــبُلِها تتخطف النـــــاس عنهـــــا، فالله المستعان! فليس يعرف هـذا الأمر ويَهُمُّه إلا رَجُـلٌ عاقِـلٌ مُمَيِّز، قد أدَّبَه العلمُ، وشرَح الله صدْرَه بالإيمان »[1].

هذا قاله ابن بطة رحمه الله- بالنسبة لعصره، وقد كانت وفاته سنة: 387هـ، فكيف لو رأى الناس في القرن الخـــامس عشـــر، فما أشد غربة الإســـلام، وما أشد غربة التوحيد والسنة؟ والله المستعان!

ثم إنّ مِن جملة الأبواب التِي وقعَتْ بعضُ هذه الأمة (الفِـــرَق المنتســـبة إلى الإســـلام) في مشـــابَهة اليهـــود

---

[1] الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة (الإبانة الكبرى لابن بطة)، (ج2/ 571-572) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، ط2/ 1415هـ، دار الراية، الرياض، السعودية. بتحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي وحمد بن عبد الله التويجري، وآخرَين.

والنصارى والمشركين ومتابعتهم فيها: غُلُوّ وجفـاء عبدِالله ورسوله نبينا محمدٍ ؛ فظنَّتْ كثيرٌ مِن هـذه الفِـرَق –جهلا منها، أو تجاهلا مِن بعضـها- أنّ التعظيم المـأمور به تجاهه لا يَحصُل ولا يتأتّى إلا برَفْعه فـوق المنــزلة الـتي أنــزله الله عليهــا، وإضــفاء ما للهِ مِن الخصــائص والصــفات والحقــوق عليــه، ، فلمَّا غَلَــوا فيه لَــزِم –ولا بــدّ- جفــاء شريعتِه ، وتنقُّص ربِّ العالمين. بينما قَابَلَهم بعض الفِرَق –فيما لا يُحصى مِن صُــوَرٍ ومظــاهر- بالجفــاء في جــانب رســالته، فابتــدعُوا في دينِه . بل ومن هــذه الفــرق مَن اجتمع فيها الخبثــان والــداءان: الغلــوُّ والجفــاء في حق رسول الله : كالرافضة والصوفية. –كما سـيأتِي كـلُّ ذلك في فصلٍ خاصٍ لكلّ فرقة -إنْ شاء الله-في هذا الباب.

وقد تقدم في أول هذا المطلب أنّ هذه المشابهة بين هـذه الفـرق من جهـة، واليهـود والنصـارى من الجهة الثانية كانت في مطلق المشابهة لا في أعيـان المواقـف، لكن عند اليهـود والنصـارى غلو في الأنبيـاء، وعند هـؤلاء الفـــــرق غلو في عبد الله ورســــوله نبينا محمد . وعند الفـرق أيضًـا جفـاءٌ فيه ، كما أنّ عند الأمـتين من الجفـاء في الأنبياء والرّسل عليهم الصـلاة والسـلام عمومًـا، وفي محمد خصوصًا.

** * **

المطلب الرابع: بيان أنَّ من الغلو والجفاء في العقيدة في العبد الرّسول ما هو مُخرِجٌ من الْمِلّة، ومنه ما هو دون ذلك[1]، وفيه مسألتان:

---

[1] (?) للنظر إلى النماذج لِما تحت هذا المطلب والاستزادة منه يُنظر: الباب الثاني (خصائص النبي عند الغلاة)، والثالث (خصائص النبي عند الْجُفاة) ص69-284 من كتاب خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء –عَرضٌ ونقدٌ على ضوء الكتاب والسنة- للدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم. وهو كتابٌ عظيمٌ في بابه. ومبحث وسطية أهل السنة في باب تعظيم النبي ، وبالأخص منه: ذكر قول بعض مَن غلا وأفرط في تعظيمه ، ثم ذكر قول بعض مَن فرّط وقصّر في تعظيمه ، ص483-497، من كتاب وسطية أهل السنة بين الفِرَق.

الْمسألة الأولى: درجات ومراتب الغلو في عبد الله ورسوله نبيّنا محمدٍ وغيره.

المسألة الثانية: درَجاتُ ومراتِبُ جَفاء عَبد الله ورسولِه نبيِّنا محمدٍ .

الْمسألة الأولى: درجات ومراتب الغلو في عبد الله ورسوله نبيّنا محمدٍ وغيره:

أَشَرتُ في الخطة إلى طائفة كبيرة مِن صُوَر وأوْجُه الْغُلوّ في الرسول الكريم محمد ، وسأذْكُرها مفصّلة في الفصول القادمة منسوبة إلى الفِرَق التي مارَستْها؛ عقيدة وقولا وعملا، وهذه الصُّوَر والمظاهر: منها ما هو كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِن الْمِلّة، ومنها ما هو دون ذلك؛ وعلى كُلٍّ فهي خطيرة، **فمن النوع الأول:**

أولا: الزّعم بأنَّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا أو مَن دونه مِن الأنبياء والأقطاب والأولياء والأئمة وغيرهم، له خصائص الرّبوبية، كالزعم بأنّ له التصرف التام، والقدرة التامة، وبأنه يَخلق ويَرزق، ويُعْطي ويَمْنَع، ويَغْفِر ويَرْحَم ويَمحو الذنوب، ويعافي، ويُعذِّبُ ويَبْتَلِي ويشفي، ويَهْدِي ويُضِلّ، إلى غير ذلك.

ومن نماذج هذا النوع: الزعم بأنَّ النبيّ يَعلم ما يعلمُه الله ، أو أنّ مِن علومه عِلْمَ اللوح والقلم، وعلم ما في الضمير.

ومنه ادعاء الغلاة بأنّ إلى النبِيّ الْملاذ والْمهرَب في الشدائد والكرب فيما لا يَقدر عليه إلا الله تعالى، قال أحدُهم:

يا سيِّدي! يا صفي الدين!!، يا عمدتِي!، بل ويا ذخري!! يا سندي!!!، ومفتخري!!!

أنت الملاذ لما أخشى ضرورته، وأنت لِي ملجأٌ مِن حادث الدّهَر

ويقال لِمثل هذا: ما ترَكت لله؟

(فإذا نُهي عن الغُلُوّ في النبِيّ برَفعه فوق المنزلة البشرية، أو بإعطائه خصائص الرّب). فكيف بزَعم مثل ذلك لِمَن هو دونه ؟ –كائنًا ما كان-.

ثانيًا: وهو أقبَح مِن السابق: الزّعم بأنَّ النبِيّ له شـيءٌ مِن خصـائص الإلَهيـة، وأنّه يُـدعَى مِن دون الله أو معه، ويُستغاث بـه، ويُستَشـفَع بـه، ويُـذبح لـه، ويُنـذَر لـه، ويُستنصَر، ويُسترزق، إلى غير ذلك (صَـرْفُ أنـواعِ العبـادة إليه لا إلى ربّه، وإعطاؤه حقوق الإله).

فكيف بزَعم مثل ذلك لِمَن هو دونه ؟ –كائنًا ما كان-.

قال الشيخ عبد القاهر الغدادي –رحمه الله-: « وقالوا بتكفير مَن ادعى للأنبياء الإلهية، أو ادعى للأئمة بنبوة أو إلهية؛ كالسبئية، والبيانية، والمغيرية، والمنصورية، والخطابية، ومن جرى مجراهم »[1].

ثالثًا: من الغلو المخرج من الملة: الزعْم بأنّ النبِيّ لم يَمُت.

رابعًا: والـزعْم بـأنّ النبِيّ يتصـرّف بعد وفاته تصَـرُّفه في حياتـه؛ فيـأتِي أهلـه، ويَحضُـر مجـالس أذكـار المبتدعــة، ويــزور مشــايخهم في بيــوتهم، ويُخــرِج يــدَه الشــريفة لِمصــافحة بعض هــؤلاء الغلاة، أو أنّه يُــرى بعد وفاته في الحياة الدنيا يقظة لا منامًا.

خامسًا: رَدّ خصائص النبِيّ البشرية التي جبلَه الله عليها، ابتداءً بإنكار بشريته، أو الزّعم بأنه لا يَمرض، أو أنه لا يَنْسى أو أنّه ما مات.

سادسًا: الزعم بأنّ الوجود مخلوقٌ منه (نظرية الحقيقة المحمدية، أو النّور المحمدي، الآتي ذكره).

هذه أهم المقالات والاعتقادات التي حملَتْها عددٌ مِن الْفِرَق المنتسبة إلى الإسـلام تجـاه هـذا الرسـول ، والله المستعان.

ومِن الثانِي: (الغُلُوّ في عبد الله ورسوله نبينا محمد) والتي لا تُخرج مِن الْمِلّة، وإنْ كانت وسائل للشّرك:

أولا: اتخاذ قبره عيدًا، ومسجدًا. **ثانيًا:** الْحَلِف به . **ثالثًا:** التوسّل بجاهه ومكانته. **رابعًا:** شَدّ الرّحْل إلى قَــبرِه، لا إلى مســجده. **خامســا:** الغُلُــوّ في مَدحه

---

[1] الفرق بين الفِرق، ص347.

(الْمَديح) بِما هو دون ما تقدم. **سادسًا:** التعبيد لاسْمه مثل التسمية بعَبد النبِيّ، وعَبد الرّسول، والشيعة تُعبِّد الأسماء لِحُسين، فيقولون: عبد الْحسين. **سابعًا:** الْمولد النبوي وما يقال أو يُمارَس فيه من الغلو والجفاء -شعرًا ونَثْرًا- في جَنابه ، بِما هو دون ما تقدم. **ثامنًا:** القول بأن الرسول ليس له ظل، أو أنّ نوره يطفئ ظلّه إذا مشى في الشمس. أو أنه خلق من نورٍ.

المسألة الثانية: درَجاتُ ومراتِبُ جَفاء عَبد الله ورسولِه نبيِّنا محمدٍ :

جفاء عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ له صُوَر وأوجه كثيرة، كما أنّ درجاتها متفاوتة؛ فمنها ما هو كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِن الْمِلّة، ومنها ما هو دون ذلك. وسأذْكُرها في الفصول القادمة هذه الأوجه والصور الجفائية منسوبة إلى الفِرَق التي مارستها عقيدة وقولا وعملا. وأما هنا فسأرتبها حسب مراتبها ودرجاتها. **فمن النوع الأول:**

أولا: الزعم بِأنّ أحَدًا مِن أمته أفضل منه، قال القاضي عياض –رحمه الله-: «وكذلك نَقْطَع بتكفير غُلاة الرّافضة في قولهم: إنّ الأئمة أفْضَلُ مِن الأنبياء »[1]. وقال عبد القاهر البغدادي –رحمه الله- في حكاية قول أهل السنة: « وقالوا بتفضيل الأنبياء على الأولياء من أمم الأنبياء، خلاف قول من زعم أن في الأولياء من هو أفضل من الأنبياء »[2]. وقال: « وقالوا بفضل الأنبياء على الأولياء من الأمم، خلاف قول من فضّل بعض الأولياء على بعض الأنبياء من الكرامية »[3]. وغيرهم من الرافضة والبابية والبهائية، وذلك بتصريح الباب الشيرازي والْبَهاء الْمازندرانِي الآتِيين تفضيلهما نَفْسَيْهما على النبي الخاتم .

ثانيًا: تسْوِيَةُ غيرِ الأنبياء من الأئمة والشيوخ والأولياء بِالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما هو من خصائصهم، وإعطاؤهم معانِي النبوة، كالعصمة.

1 (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص676.

2 (?) الفرق بين الفِرق، ص347.

3 (?) الفرق بين الفِرق، ص355.

ثالثًا: زعم وادّعاء نُبوةِ أحدٍ مع النبيّ أو بعده، كدعوى كثيرين مِن فِرَق الشيعة الغلاة في أناس (بعض أئمتهم وشيوخهم). وكذلك: دعوى البابية والبهائية في رأسيهما وبعض رموزهما، ومثله دعوى القاديانية في غلام أحمد. وخَرْم عقيدة ختم النبوة بالنّبوة المحمدية، يقول القاضي عياض –رحمه الله- في تكفير مَن ادّعَى ذلك: « وكذلك مَن ادّعى نُبوة أحَدٍ مع نِبيّنَا ، أو بعده؛ كالعيسوية من اليهود[1] القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخرمية[2] القائلين بتواتر الرّسل، وكأكثر الرافضة القائلين بِمشاركة عليٍّ في الرسالة للنبِيّ ، وبعده، فكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة، وكالبَزيغية والبيانية منهم؛ القائلين بنبوة بَزيغ، وبيان[3]، وأشباه هؤلاء. أو مَن ادّعى النبوة لنفسه، أو جوّز اكتسابَها، والبلوغَ -بصفاء القلب- إلى مَرتبتها؛ كالفلاسفة، وغلاة المتصوفة »[4]**.** وقال عبد القاهر البغدادي: « وقالوا بتكفير كل متنبئ، سواء كان قبل الإسلام .. أو بعده كمسيلمة، وسجاح، والأسود بن يزيد العنسي، وسائر من كان بعدهم من المتنبئين »[5].

ويدخل فيه من بعض الأوجه: الزّعم بأنَّ الوحي والنّبّوة لم ينقطعَا؛ كمَن زَعَم أنّه يــوحَى إليه أو إلى فلانٍ، يقــول القاضي عيــاض –رحمه اللــه-: « وكــذلك مَن ادّعى منهم أنّه يُوحى إليه، وإِنْ لم يدّع النبوة، أو أنّــه يصــعد إلى الســماء، ويــدخل الجنة، ويأكل مِن ثِمارها، ويُعــانِق الْحُــور العين؛ فهؤلاء كلُّهم كفارٌ مكذِّبون للنبِيّ ؛ لأنّه أخبَــر أنّــه خاتَمُ النّبيين؛ لا نبِيَّ بعده، وأخْبَر عن الله تعالى أنّــه خــاتمُ

---

1 (?) (قوله كالعيسوية) نسبة إلى أبى عيسى بن إسحاق بن يعقوب الأصبهاني كان موجودا في خلافة المنصور وخالف اليهود في أشياء منها أنه حرم الذبائح.

2 (?) قوله: وكخرمية -بالخاء المعجمة المضمومة- في الصحاح: تخرم: دان بدين الخرمية وهم أصحاب التناسخ والإباحة (انظر: الذيل على الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ص673).

3 (?) سيأتي التعريف بهذه الفرق وبأصحابها في هذا الباب.

4 (?) الشفا للقاضي، ص673.

5 (?) الفرق بين الفِرق، ص347.

النبيين، وأنّه أُرْسِل كافة للنّاس، وأجَمَعَت الأمة على حَمْل هــذا الكلام على ظــاهره، وأنّ مفهومه المــراد به دون تأويل، ولا تخصيص؛ فلا شكّ في كُفْرِ هـؤلاء الطوائف كلِّها قطعًا، إجماعًا وسَمعًا »[1].

ومنه أيضًا: زعم بعض هؤلاء المتنبئين أنّهم جاءوا بشريعة نسَخَت شريعته كُلّها أو بعضها.

رابعًا: الزّعم بأنّ أحدًا يَسَعُه الخروجُ على الشريعة الْمحمدية ورسالته، ومثله الزّعم بأنَّ كِتابًا أو مَنْهَجًا أفضلُ مِن القــرآن ومَنهَجِ رَســول الله ، يقــول بُرهــان الــدين البقــاعي -رحمه اللــه-: « ومَن يَعْتَقِــد أنّ لأحَــدٍ مِن الخلق طريقًــا إلى الله مِن غَــير مُتابعة مُحمد فهو كــافرٌ، من أولياء الشـيطان بالإجمـاع؛ فـإنّ رسـالته عامةٌ، ودعوتُــه شاملةٌ »[2].

ومنه: تلقّي الدين مِن غير شريعته.

خامسًا: ومثل الذي تقدم: تجويز الكذب على هذا الرسول بل وعلى الرسل قبله –صلوات الله وسلامه عليهم- بدعوى مصلحة الجمهور، فهذا كفرٌ بالإجماع، كما سيأتي عن المتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة، حيث يزعمون « أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون؛ مِن أمور الآخرة والحشر، والقيامة، والجنة، والنار، ليس منها شيء على مقتضى لفظها، ومفهومِ خطابِها، وإنّما خاطبوا بِها الخلق على جهة المصلحة لهم؛ إذ لم يمكنهم التصريح؛ لقصور أفهامهم. فمضمّن مقالاتِهم: إبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل، والارتياب فيما أتوا به »[3].

سادسًا: الزعم بزوال نُبُوّته عنه بعد وفاته، وكذلك الأنبياء قبله؛ والقول بأنهم ليسوا رسلا الآن (بعد وفاتهم).

---

[1] (?) المصدر نفسه، ص673 .

[2] (?) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، ص24 بتحقيق عبد الرحمن الوكيل.

[3] (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص672.

سابعًا: تقـديمُ العقل على شَـريعة رسـولِ الله وتحكيمه عليه، ومِن ثَمّ إسقاط النقل تَمامًا.

ثامنًا: وكذلك مَن استخف بالرسول ﷺ أو أزرى عليه أو آذاه (وسـتأتي نمـاذج تـدخل في هـذا عنـد الكلام عن الرافضـــة والخـــوارج والمعتزلـــة والبابيـــة والبهائيـــة والقاديانية). ومثله القـول بأنـه لَم يُبَلّـغ شـيئًا من الـوحي. فهذه الأقوال كلها كفرٌ بالإجماع. فتنقُّصُـه ﷺ وإيـذاؤُه وسَـبُّه كفـرٌ، كما أنّ تُهمته بكتم شـيء من الـوحي، والخيانة فيه وعـدم التبليغ كـذلك، قـال القاضي عيـاض: « وكـذلك مَن أضـاف إلى نبينا ﷺ تَعَمّـد الكـذب فيما بلّغه، وأخْبَـر به، أو شكّ في صدقه، أو سبّه، أو قال: إنّـه لم يبلغ، أو اسـتخف بهِ، أو بأحَدٍ مِن الأنبيـاء، أو أزرَى عليهم، أو آذاهم، أو قتَـل نبيًّا، أو حارَبه، فهو كافرٌ بإجماع. »[1] .

تاسعًا: تنقُّصُ القرآن، وهذا له صُوَر عِدّة، وأكثر الفِـرق تنقّصًـا للقـرآن هم الرافضـة، والفرقة المـدعوة بالقرآنيين. وسيأتِي ذلك.

ومِن صُوَره أيضًا: ما ذكره أبو جعفر الطبري في اعتقاده وهو يتكلم عن القرآن وأنه كلام الله تعالى غير مخلوق: « فمَن قال غير ذلك، أو ادّعى أنّ قرآنًا في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد غير ذلك بقلبه أو أضمره في نفسه، أو قال بلسانه دائِنًا به = فهو بالله كافرٌ حلال الدم، وبرئ من الله والله برئ منه»[2].

ويدخل منه: زعم الباب الشيرازي أنّ له قرآنًا أسماه (البيان)، وزعم البهاء المازندراني أنّ له آخر وسَمَه بـ(ـالأقدس)، وتفضيلهما مكتوبيهما على كلام الله (القرآن الكريم). كما أنّ ما يسمى مصحف فاطمة والجفر المزعومان، وكذلك المصحف المنفرد لذاته وغيرها داخلة في هذا.

---

[1] (?) المصدر نفسه، ص672 .

[2] (?) نقل هذا الاعتقاد عنه/ أبو القاسم الحافظ هبة الله اللالكائي (شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج1/ص206-207).

عاشرًا: اعتقاد وزعم أنّ للكتاب الذي جاء به رسول الله ولسنته معانِي باطنة تختلف تمامًا عن ظواهرهما: كدعوى أنّ الصلاة والحج وغيرهما لها أسرارٌ ومعانِي غير ما يَفهمه المسلمون ويُمارسُه. وتكلم الشيخ عبد القاهر عن أركان الإسلام الخمسة التي تقدمت أنه بُني الإسلام عليها، وهي الشهادتان والصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام ثم قال: « وقالوا مَن أسقط وجوب ركن من هذه الأركان الخمسة، أو تأولهَا على معنى مُوالاةِ قومٍ -كما تأولت عليها المنصورية والجناحية من غلاة الرافضة- فهو كافر. وقالوا في الصلوات المفروضة: إنها خمس، وأكفروا مَن أسقط وجوب بعضها »[1]. كبعض الفرقة المدعوة بالقرآنيين الذين أسقطوا صلاتين من الخمس والتزموا بالثلاث –كما سيأتي في الفصل الخاص بهم.

ويدخل فيه: اعتقاد المزاعم عينها (التأويل الباطني وتحريف النصوص) في نصوص المعاد، وصفات الله، أو آيات استغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الحادي عشر: مما يدخل في الجفاء على الرسالة المحمدية المخرج من الله: إسقاط بعض الشرائع الإسلامية المعلومة من الدين بالضرورة، كإسقاط شرعية الجهاد عند طائفة القاديانية، وكإسقاط الرجم عند بعض الخوارج، قال الشيخ عبد القاهر البغدادي: « وأكفروا من أسقط حد الخمر والرجم من الخوارج »[2].

الثاني عشر: الكُفر بسنته وأحاديثه، وزعم الاكتفاء بالقرآن، كما كان عليه الفرقة المدعوّة بالقرآنيين، وقبلهم طوائف من الشيعة.

الثالث عشر: اتخاذ الطواغيت يكون التحاكم إليها دونه .

وبعد، فهذه أهم مقالات (اعتقادات وأعمال) جفائية كفرية، وقد مارَستها جمعٌ مِن فِرَق تنتسب إلى هذا الدين،

---

1 (?) الفرق بين الفِرق، ص348.

2 (?) الفرق بين الفِرق، ص350.

تجاه هذا الرسـول الكـريم، صـلوات الله وسـلامُه وبركاتُه عليه وعلى آبائه وإخوته الأنبياء، وآله وصحبه!

ومن الثاني: (صُوَر جفاء رسول الله) التي لا تُخْرِجُ من الملة، وإنْ كانت وسيلة إلى الكفر:

الابتداع في دينه ، والإحداث فيه، والبعد عن سنته ظـاهرًا وباطنًـا، كُلاً أو بعضًـا، (الابتـداع الـذي لم يَبْلُغ حَـدّ الكُفـر). ومثلُـه: العـدول عن سـيرته وسـنته الصـحيحة، والتعويض عنها بالأخبار والحكايات الموضوعة. وقريبًا منه: التقدم بين يدي سنته ، ورفع الآراء فوقها. وترك الصـلاة والسلام عليـه. ومخالفة أمـره، وعـدم الأخذ بما آتى به . ورد أخباره الصحيحة بشُبهٍ واهيةٍ (منهـا: أنها أخبـار آحـادٍ لا تفيد القطع واليقين). وعدمُ توقير صحابته وأهل بيته وطعنهم. وهَجْـرُ أهل السـنة، واغتيـابُهم، والاسـتهزاء بِهم. ونَزْعُ هيبة الكلام حين الحديث عنه وعن سنته.

وهذه طائفة من صوَر الجفاء في رسالته وشخصه وحقوقه، والتي قد مارَسَتها الفِرَق المنتسـبة إلى الإسـلام تجاهه . والله تعالى الهادى والمستعان.

** * **

الفصل الأول: موقف الخوارج من مقامي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: التعريف بالخوارج.

المبحث الأول: غُلُوّ الخوارج في الدين الذي جاء به .

المبحث الثاني: جفاء الخوارج شَخْصَه عليه الصلاة والسلام وشريعتَه، وفيه مطلبان.

المبحث الثالث: جفاء الخوارج صحابته وأمته عليه الصلاة والسلام، وفيه ثلاثة مطالب.

والْخوارج جُفاةٌ للرّسالة الْمحمدية وشريعته ، كما سيتضح بماحث الفصل ومطالبه.

التمهيد: التعريف بالخوارج:

نزعة الخروج قد بدأت بذرتُها الأولى على عهد رسول الله في قصة ذي الخويصرة الآتية. وحصَلَ خُرُوجٌ غير رشيد عن الطاعة وعلى الإمام الخليفة عثمان أدّى إلى مقتله مِن قِبَل جماعة مِن الغوغاء ظُلمًا[1]. واستمرّ هذا الفكر الخارجي في أذهان حامليه دون أنْ يكون له حاملٌ، لا من الصحابة ؛ لا مِن طلحة والزُّبير، ولا من عائشة ولا من غيرهم، إلى أنْ خَرَج كَفِكرٍ له اتجاهه السياسي وآراؤه الخاصة يُطلَق على تلك الطائفة التي خَرَجت على جيش الإمام علي ، فقاتلهم في معركة النهروان الشهيرة[2].

---

1 ([?]) انظر/ قصة قتله من الذين لطخ الله دماءهم بذلك مفصلة في: الشريعة للآجري، ص606.

2 ([?]) أورد شيخنا الدكتور غالب –حفظه الله- خمسة أقوال في تحديد بدء نشأة الخوارج ثم ناقشها ورجح الرابع منها، على النحو التالي: 1- الزّعم بأنّهم نشأوا في عهد رسول الله -،- 2 في عهد عثمان -،- 3 ومثلهما الزعم بأنّهم نشأوا في عهد علي؛ بِخروج طلحة والزّبير وعائشة عليه وحاشاهم، 4- القول الراجح: وهو أنهم خرجوا عن جيشه من الْمحكّمة. 5- والأخير هو قول بعض علماء الإباضية من أنهم خرجوا ابتداء من سنة 64هـ، وهو قول غير مقبول ... (انظر: مناقشتها في: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ج 1/232-234، وفي كتابه الآخر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، 21-23).

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ فَارَقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ: الْخَوَارِجُ الْمَارِقُونَ »[1]. وقال: « أَوَّلُ الْبِدَعِ ظُهُورًا فِي الإِسْلامِ، وَأَظْهَرُهَا ذَمًّا فِي السُّنَّةِ وَالآثَارِ: بِدْعَةُ الحرورية الْمَارِقَةِ؛ .. وَأَمَرَ النَّبِيُّ بِقَتْلِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَقَاتَلَهُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. وَالأَحَادِيثُ عَنْ النَّبِيِّ مُسْتَفِيضَةٌ بِوَصْفِهِمْ وَذَمِّهِمْ، وَالأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ، قَالَ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ: صَحَّ الْحَدِيثُ فِي الْخَوَارِجِ مِنْ عَشَرَةِ أَوْجُهٍ »[2].

فالخوارج أوّل الفرق الإسلامية ظهورًا، وهي طائفة وعيدية، خرَجَت أوّل ما خرجَت على علِيّ بن أبِي طالب وقت صفين رضُوا بالتحكيم، ثم نادوا بكلمة حقّ أُريد بِها باطلٌ (حكّمتَ الرّجال، لا حُكم إلا لله)، وهي امتدادٌ طبيعِيٌ للثُّوّار على عثمان ، وتَعتمد أساسًا على الخروج على أئمة المسلمين، وغالبًا ما يكون تحت شعارات الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن الظلم والجور والمنكر، والغيرة على الدين وعلى مصالح الأمة.

وقد تقدم أنه لا قدوة لهم في بِدَعهم من الصحابة وأئمة الإسلام، بل قدوتُهم: مثيرو الفتنة وأهل المطامع ودُعاة الفرقة كذِي الْخُوَيصرة وأضرابه[3].

وقد أحدثت هذه الطائفة دويًّا هائلا واضطرابًا وقلاقل ملموسة في التاريخ الإسلامي، قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وَالْخَوَارِجُ هُمْ أَوَّلُ مَنْ كَفَّرَ الْمُسْلِمِينَ؛ يُكَفِّرُونَ بِالذُّنُوبِ، وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ، وَيَسْتَحِلُّونَ دَمَهُ وَمَالَهُ؛ وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْبِدَعِ يَبْتَدِعُونَ بِدْعَةً وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا. وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فَيَتَّبِعُونَ الْحَقَّ، وَيَرْحَمُونَ الْخَلْقَ. وَأَوَّلُ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ فِي الإِسْلامِ بِدْعَةُ الْخَوَارِجِ وَالشِّيعَةِ حَدَثَتَا فِي أَثْنَاءِ خِلافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَعَاقَبَ الطَّائِفَتَيْنِ؛ أَمَّا الْخَوَارِجُ فَقَاتَلُوهُ فَقَتَلَهُمْ،

---

[1] (?) مجموع الفتاوى، (ج3/ ص349).

[2] (?) المصدر نفسه(ج19/ ص70-71).

[3] (?) انظر: دراسات في الأهواء والفرق والبِدَع وموقف السّلف منها (الخوارج..)، ج2/ 11-13.

وَأَمَّا الشِّيعَةُ فَحَرَّقَ غَالِيَتَهُمْ بِالنَّارِ، وَطَلَبَ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ؛ فَهَرَبَ مِنْهُ. وَأَمَرَ بِجَلْدِ مَنْ يُفَضِّلُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. وَرُوِيَ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ قَالَ: خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَرَوَاهُ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ[1] »[2].

فلفظة الخوارج في كتب اللغة: جمعُ خارجي، وهو مَن فارق جنسه ونظائره، ورجل خرَج على سلطان أو رأيٍ، قال في القاموس: « الخوارج من أهل الأهواء: لهم مقالة على حِدة؛ سُمُّوا به لخروجهم على الناس »[3].

وقيل: الخوارج: فرقة من الفرق الإسلامية خرَجوا على الإمام علي، وخالفوا رأيه[4].

أما اصطلاحًا: فإنّ للخوارج تعريفَين، عامًّا وخاصًّا؛ **فالتعريف العام:** لأهل الفنّ (علماء الفرق) فيه عدة أقوال:

القول الأول: عرّف بِهم الشيخ محمد بن عبد الكريم الشّهرستاني –رحمه الله- فقال: « كلّ مَن خرَج على الإمام الحق الذي اتّفَقَت الجماعة عليه، يسمى: خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان؛ والأئمة في كلّ زمان »[5].

فمَن خرَج على الإمام الذي غلَب واستتب له الأمر يُعدّ خارجيًّا.

والتعريف يتّجه إلى جَعْلِ كلّ خارجٍ على إمامٍ، وفي أي زمن، خارجيًّا؛ فالذين خرجوا على عليٍ من جيشه في صفين خوارج، ومثلهم كُلّ مَن خرج على إمام حق إلى يرِث الله الأرض ومَن عليها.

---

1 (?) أخرج الحديث بذلك البخاري في صحيحه: في كتاب فضائل الصحابة، رقم: 3671.

2 (?) مجموع الفتاوى، (ج3/ 279).

3 (?) القاموس المحيط، مادة خرج، ص183.

4 (?) المعجم الوسيط، مادة الخوارج، ص225.

5 (?) الملل والنحل، (ج1/ ص195).

كما أنّ التعريف عامٌّ يَشمَل أقسام الخروج، ولا يَخُصّ فرقة الخوارج[1].

الثاني: وتنطبق الملاحظة السابقة عليه، وهو الذي يقول: « الخوارج: هم الذين يُكفّرون بالمعاصي، ويَخرُجون على أئمة المسلمين وجَماعتهم »[2].

الثالث: وقال بعض الباحثين: الخارجي هو مَن خرَج على الإمام الحق، وقال بتكفير أصحاب الكبائر[3].

والتكفير بالمعاصي يقول به فِرَق الخوارج عدا النجدات كما سيأتِي.

الرابع: وتُعرّف بتعريف أقرب لتعريفها كفِرقة من الفِرَق: « كُلّ مَن خرَج على الإمام وعلى الجماعة المسلمة بالسيف، للدعاء إلى معتقده؛ وكان خُرُوجه نابعًا مِن مخالفة لأصول في الشريعة »[4].

وهذا التعريف يَخرُج منه مَن خرَج على ولي الأمر بتأويل سائغ يُقِرّه الكتاب والسنة كأصحاب الجمل وصفين، ويَخرُج منه البُغاة الذين يَخرُجون لطلب الدنيا والملك.

أما التعريف الخاص: فهو للخوارج الأولى: الْمُحكّمة:

وهم تلك الطائفة التي خَرَجَت على عليّ بن أبِي طالب عَقِب معركة صفّين بعد قبوله التحكيم، وقالوا بكفره وكفر معاوية وكفر الحكمين ، وكفر مَن رضي بالتحكيم، بل وكفر عثمان وأصحاب الجمل [5].

---

1 (?) للوقوف على أقسام الخروج وأنها كلها مذمومة، فمنهم البغاة، والخوارج، ومَن خَرَج لِمنازعة في الملك لكنه خرَج غَضبًا للدين، مثل الحسين وزيد بن علي زين العابدين، وأهل المدينة في وقعة الحرة، (انظر: موقف الصحابة من الفُرقة والفِرَق، ص393-396).

2 (?) ذكَره أستاذ د. ناصر العقل في: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها،(ج2/ص21).

3 (?) قاله وذكَره د. أبو زيد بن محمد مكي في كتابه مادة مقالات الفرق، ص30.

4 (?) الملل والنحل، (ج1/ ص195).

5 (?) انظر: موسوعة البدع والمخالفات الشرعية، (ج1/ ص407)، والأديان والفِرَق والمذاهب المعاصرة للشيخ عبد القادر شيبة الحمد، ص167، وذكَره د. أبو زيد بن محمد مكي/ مادة مقالات الفرق، ص

وهؤلاء هم الذين خرجوا عند فُرقةٍ من المسلمين[1] فقتلتهم أولى الطائفتين بالحق، فوقَع مخبر النبِيّ كما أخبَر؛ ففي الحديث: " **وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ** "[2]. وفي آخر: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ** "[3].

قال البيهقي –رحمه الله-: بعد ذكرهما: « هذا والذي قبله خبَرُ النبِيّ عن خروج قوم فيهم رجل مُخَدّجُ اليد عند فُرقة مِن المسلمين، وأنه يقتلهم أولى الطائفتين بالحق، فكان كما قال: خرجوا حين وقعت الفرقة بين أهل العراق وأهل الشام، وقتلهم أولى الطائفتين بالحق؛ أمير المؤمنين: علي بن أبي طالب ، ووجدوا الْمُخَدّج كما وصف النبِيّ ،فكان ذلك علامة من علامات النبوة ظهرت بعد وفاة صاحب الرسالة »[4].

هذا، **وللخوارج فِرَقٌ** أصلية كبيرة كثيرةٌ؛ قيل: أربع[5]، وقيل: ستة[6]، وقيل: سبعة[7]. وقيل: اثنا عشر فرقة[8].

وأُخْرَى فَرْعِيّة تندرج مع الأصلية فتصير عشرين، وقيل أكثر من ذلك[9].

30.

1 (?) أوردَته الدكتور أسماء بنت سليمان –حفظه الله- في كتابها موقف الصحابة مِن الفُرقة والفِرَق، ص395.

2 (?) الحديث متفق عليه، وسيأتِي تخريجه قريبًا.

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: 1065.

4 (?) دلائل النبوة للبيهقي، باب اعتراض من اعترض من أهل النفاق في قسمة النبي يوم حنين وإخبار النبي عن خروج أشباه له يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، وإخباره عن آيتهم وما ظهر في ذلك من علامات النبوة، (ج5/ص140-141)، وانظر أحاديث الباب قبله.

5 (?) انظر: المواقف في علم الكلام، ص434.

6 (?) انظر: المواقف في علم الكلام، ص434.

7 (?) انظر: المواقف في علم الكلام، ص434، والأديان والفرق لشيبة الحمد، ص167.

8 (?) انظر: تلبيس إبليس، ص21.

9 (?) انظر: (25 فرقة) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص188.

واختلافُهم وتفرقُهم لأدنَى سببٍ وأتفهه مِن رحمة الله بالناس؛ فلو اتّحدوا لكانوا كارثةً على المسلمين المخالفين لهم[1].

وتطرق العلماء في التعريف بهم إلى ذكر الأمور التي أجْمَعَت عليها فِرَقُهم الكثيرة، كما لم يَغْفُلوا عما تَمَيَّزت كُلُّ فِرقة منهم، قال أبو الحسن الأشعري –رحمه الله- وهو يَذكُر مقالات الخوارج: « أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضوان الله عليه! أنْ حَكَّم، وهم مختلفون هل كفرُه شرك أم لا؟ وأجمعوا على أنّ كل كبيرةٍ كُفرٌ، إلا النجدات[2]؛ فإنّها لا تقول ذلك. وأجمعوا على أنّ الله سبحانه يُعذّب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا إلا النجدات؛ أصحاب نجدة »[3].

ولِهذا لَمّا نقل عبد القاهر البغدادي –رحمه الله- قول الكعبِي في المسألة: (الذي يجمع الخوارج على اختلاف مذاهبها: إكفار علِيّ وعثمان والْحَكَمَين، وأصحاب الجمل، وكلّ مَن رضِي بتحكيم الحكمَين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر) [4]: عقّب عليه بذكر قول أبي الحسن الأشعري السابق، ثم قال: « ولم يَرض ما حكاه الكعبِي من إجماعهم على تكفير مرتكبِي الذنوب، والصواب ما حكاه شيخنا أبو الحسن عنهم، وقد أخطأ الكعبي في دعواه إجماع الخوارج على

---

1 (?) انظر فرقهم وتفرقهم للأسباب التافهة في: الفرق بين الفرق، ص 81-117، والتبصير في الدين، ص213-241، وكتاب الملل والنحل، (ج1/ ص196-255)، وكتاب الخوارج للشيخ غالب (التعريف بفرق الخوارج)، 198-229، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، له، (ج1/ 241-243).

2 **(?) النجدات:** فرقة من الخوارج، من مقالاتهم العذر بالجهالات في الفروع، وخالفوا الأزارقة، (انظر: الملل والنحل للشهرستاني، ج1/ 212-218، والمواقف للإيجي، ص424، والخوارج نشأتهم فرقهم، صفاتهم، الرد على أبرز عقائدهم، أ. د. سليمان بن صالح الغصن، ص 67-69).

3 (?) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (ج1/ 167-168).

4 (?) الفرق بين الفرق، ص81-82.

تكفير مرتكبي الذنوب منهم؛ وذلك أنّ النجدات من الخوارج لا يُكفّرون أصحاب الحدود من موافقيهم »[1].

وعلى هذا، فالتعريف الذي فيه أنّ الخارجي أو الخوارج يلزم أنْ يُكفّر مرتكب الكبيرة (كالثاني والثالث) ليس سديدًا [2].

وعرّف الخوارجَ الإمامُ حرب بن إسماعيل الكرماني (ت280هـ) –رحمه الله- بذكر صفاتهم وما اعتقدوه فقال: « مرقوا من الدين، وفارقوا الملة، وتمردوا على الإسلام، وشَذّوا عن الجماعة، وضلّوا عن سبيل الهدى، وخرجوا على السلطان والأئمة، وسَلُّوا السيف على الأمة، واستحلّوا دماءهم وأموالهم، وأكفروا مَن خالفهم، إلا مَن قال بقولهم، وكان على مثل رأيهم، وثبت معهم في دار ضلالتهم، وهم يَشتمون أصحاب محمدٍ وأصهارَه وأختانَه، ويتبرؤون منهم ويرمونهم بالكفر والعظائم، ويرَون خلافَهم في شرائع الدين وسُنن الإسلام، ولا يؤمنون بعذا القبر ولا الحوض ولا الشفاعة، ولا يُخرجون أحدًا من أهل النار، وهم يقولون: مَن كذَب كذبة أو أتى صغيرة أو كبيرة من لاالذنوب فمات من غير توبة فهو كافرٌ في النار خالدًا فيها أبدًا ...-وسيأتي تتمة كلامه لاحقًا »[3].

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله- في بيان القول الجامع في التعريف بهم: « وَإِذَا عُرِفَ أَصْلُ الْبِدَعِ: فَأَصْلُ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ بِالذَّنْبِ، وَيَعْتَقِدُونَ ذَنْبًا مَا لَيْسَ بِذَنْبِ. وَيَرَوْنَ اتِّبَاعَ الْكِتَابِ دُونَ السُّنَّةِ الَّتِي تُخَالِفُ ظَاهِرَ الْكِتَابِ -وَإِنْ كَانَتْ مُتَوَاتِرَةً- وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ وَيَسْتَحِلُّونَ مِنْهُ؛ لارْتِدَادِهِ عِنْدَهُمْ مَا لا يَسْتَحِلُّونَهُ مِنْ

---

[1] الفرق بين الفرق، ص82 (الصفحة كلها).

[2] انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، (الفصل الرابع: حكم الخوارج على مرتكبي الذنوب، ص335-392). وتساهل من قال باتفاق الخوارج على حكم مرتكب الكبيرة، (الكتاب نفسه، ص361-362)، والفصل الثالث (عقيدة الخوارج في مرتكب الكبيرة والرد عليهم) من كتاب: الخوارج نشأتهم فرقهم، صفاتهم، الرد على أبرز عقائدهم، أ. د. سليمان بن صالح الغصن، ص105-147.

[3] معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام حرب بن إسماعيل، تحقيق: د. سليمان الدبيخي، 163-164.

الْكَافِرِ الأَصْلِيِّ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ فِيهِمْ: " **يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ** "[1]. وَلِهَذَا كَفَّرُوا عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَشِيعَتَهُمَا؛ وَكَفَّرُوا أَهْلَ صفين -الطَّائِفَتَيْنِ-، فِي نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْمَقَالاتِ الْخَبِيثَةِ »[2].

وذكرهم في موضع وأَنْصَفَهم –رحمه الله- بحيث نسَب إلى فِرَقهم ما تَميّزتْ كُلُّ فرقة بِها، فقال بعد حكايته طائفة من عقائدهم وآرائهم عن أرباب المقالات، ومنها قول بعضهم: الخوارج يُجوّزون على الأنبياء الكبائر؛ ولِهذا لا يلتفتون إلى السنة المخالفة في رأيهم لظاهر القرآن؛ وإنْ كانت متواترة؛ فلا يَرْجُمُون الزانِي، ويَقطعُون يَدَ السارق فيما قَلَّ أو كثُر، زَعْمًا منهم على ما قيل: أن لا حجة إلا القرآن، وأنّ السنة الصادرة عن الرسول ليست حجة؛ بناء على ذلك الأصل الفاسد: « والتحقيق أنّهم أصنافٌ مختلفة، فهذا رأيُ طائفة منهم. وطائفة قد يُكذّبون النقلة. وطائفةٌ لَم يَسمعوا ذلك ولم يطلبوا علمه، وطائفة يزعمون أن ما ليس له ذكر في القرآن بصريحه ليس حجة على الخلق: إما لكونه مَنْسوخًا أو مخصوصًا بالرسول، أو غير ذلك. وكذلك ما ذكر مِن تَجويزهم الكبائر؛ فأظنه -والله أعلم- قولُ طائفة منهم. وعلى كل حالٍ فَمَن كان يعتقد أنّ النبِيّ جائرٌ في قَسْمِه يقول: إنه يفعلها بأمر الله فهو مُكَذّب له. ومَن زعَم أنْ يَجُورَ في حُكمٍ أو قِسمَة فقد زعَم أنّه جائرٌ، وأنّ اتّباعه لا يجب. وهو مناقضٌ لِما تَضَمنَتْه الرّسالة مِن أمانته، ووجوب طاعته، وزوال الْحَرَج عن النفس من قضائه بقوله وفعله، فإنّه قد بلّغ عن الله أنّه أوْجَب طاعتَه والانقياد لِحُكمه، وأنّه لا يحيف على أحدٍ، فمَن طعَن في هذا فقد طعَن في صحة تبليغه، وذلك طعنٌ في نفس الرّسالة »[3].

وسأذْكُر ما اتفقوا عليه من تكفير الصحابة سوى الشيخين في المطلب الخاص به.

---

[1] (?) الحديث متفق عليه، وسيأتِي تخريجه قريبًا.

[2] (?) مجموع الفتاوى، (ج3/ص355).

[3] (?) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص159-160.

وأما بالنسبة لترك الخوارج السنة النبوية الزائدة على ما في القرآن، والتي يزعمون أنّها هي السنة المخالفة لظاهر القرآن- متواترة كانت أو آحادًا، فإنّ هذه المسألة **وجهٌ من أوجه جفائهم لِمقام الرسالة تستحق أنْ يُفرَد لها مطلبٌ لتتناول**، لكن لَمّا ذهل عنها الفِكر عند وضع الخطة أحببتُ أنْ أُنبِّه عليها هنا عند التعريف بهم. فتُستدرك، وتُزاد هناك!

كما أنّ من جفاء بعض فِرَق الْغُلاة منهم قول اليزيدية من الإباضية [1]، قولهم: « **وإنّ دين الإسلام سينسخ بنِبِيٍّ من العجم يأتِي بدين الصابئين، وبقرآن آخر يَنْزِل عليه جُملةً واحدةً** » [2]، وإنْ كان **جَمْعٌ من الإباضية يُكفّرون مَن**

---

1 (?) **الإباضية** من الخوارج: هم أتباع عبد الله بن أباض التميمي الذي انشق عن نافع رئيس الأزارقة، وهي الفرقة الوحيدة التي بقيت ولم تنقرض، إلا أنّهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة تكفيرًا يخرجه عن الملة؛ وإن كانوا يُخلدونه في النار. وقد تأثرت هذه الفرقة بالمعتزلة خاصة؛ فقالوا بخلق القرآن وإنكار الصفات وأوّلوا الصراط والميزان، وزعموا أنْ من يثبت رؤية الله في الآخرة كافر، (انظر: أصول الفرق والأديان والمذاهب، ص30-31). أما الميمونية منهم ففي الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ 107)، وانظر: الفرق بين الفرق، ص109، ومفصلا في ص285، والتبصير في الدين، ص353، وكتاب الملل والنحل، (ج1/ ص248-249).

واليزيدية من الإباضية هم: أتباع يزيد بن أبي أنيسة الخارجي، وكان من البصرة ثم انتقل إلى جُور من أرض فارس، وكان على رأي الإباضية من الخوارج، ثم إنه خرج عن قول جميع الأمة؛ لدعواه أن الله يبعث رسولا من العجم ... –السابق-) وقد زعَم كذلك أنّ أتباع ذلك النبي المنتظر هم الصابئون المذكورون في القرآن، فأما المسمون بالصابئة من أهل واسط وحرّان: فما هم الصابئون المذكورون في القرآن. وكان مع ذلك يتولى مَن شهد لمحمد بالنبوة من أهل الكتاب وإنْ لم يدخل في دينه، وسمّاهم بذلك مؤمنين. قال عبد القاهر البغدادي بعد حكاية مقالاته هذه: وليس بجائز أن يُعدّ في فِرَق الإسلام مَن يَعُدّ اليهود من المسلمين، وكيف يُعدّ مِن فِرَق الإسلام مَن يقول بنسخ شريعة الإسلام؟ (الفرق بين الفرق، ص285، وانظر: التبصير في الدين، ص353، (والمترجم له الخارجي: ليس هو يزيد أو زيد بن أبي أنيسة المحدث، المترجم له في التقريب برقم: 2118، ص162، انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة، ج1/ ص82).

2 (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ 107).

قال بشيء من هذا، ويبرؤون منه، ويستحلّون دمَه ومالَه [(1)].

كما أنّ بقية المسائل التي جاءت في تعريف شيخ الإسلام أيضًا؛ من استحلال دماء المسلمين، والخروج على الأمة والأئمة فقد خصصت لكلٍّ منها مطلبًا أُفصِّلها فيه، ثم أذْكُر دخول هذه المسائل في الجفاء لِمقام الرسالة. والله المستعان!

وأما عن أبرز صفات الخوارج وسماتِهم، وخصائص منهجهم عمومًا -كما دلّت عليها النّصوص الشرعية وواقعُهم-: فتنحصر في: الجهل، وكثرة القُراء فيهم مع قلة الفهم والفقه في الدين، والغلو، والشدة في العبادة، والرهبنة، وحداثة السنّ الذي هو مظنّة الخطأ، وقِصَر النّظر والتجربة، وسفاهة العقول، والجفاء والغلظة في الطباع، والْجُرأة، والشجاعة وقوة التأثير، والحكم على القلوب، والصدق في الحديث خلافًا للرافضة، والميل إلى الجدل والقوة فيه، والاندفاع والصعوبة في القيادة، وسرعة التقلب، وقتل وقتال المسلمين[(2)].

** * **

المبحث الأول: غُلُو الخوارج في الدين الذي جاء به ومخالفتهم شريعتَه:

تقدم ذكر النصوص الشرعية الْمُحذِّرة عن الغُلُوّ عند التعريف به، وأنّ الغُلُوّ هو مجاوزة حدود الشريعة في الْحبّ والبغض، وفي كُلّ شيءٍ، بل وسبَق أنْ مثّلتُ بمثال يتضح به معنى الغلوّ، وهو ما إذا حددت الشريعة لشيءٍ عشرًا على أنّه حدُّه، فالزيادة عليه إلى أحدَ عشر أو ما فوق ذلك عمدًا غُلُوٌّ وطُغيانٌ وإفراط، بينما النقص عن ذلك جفاءٌ وتقصير.

---

1 (?) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ 107)، والفرق بين الفرق، ص109، ومفصلا في ص285، والتبصير في الدين، ص353، وكتاب الملل والنحل، (ج1/ ص248-249).

2 (?) انظر: فرق معاصرة (خصائص الخوارج)، ج1/ ص231-249، ودراسات في الأهواء والفرق والبدع، (ج2/ 28-33).

فأقول هنا: الخوارج -من جفائهم لشريعة نبينا محمدٍ ورسالته- زادوا عليها أشياء في أبوابٍ عِدة؛ لَم يأذَن بِها الله.

ويتحدث شيخ الإسلام –رحمه الله- عن عمومهم لا رأسهم بعد ذكر عشرات الرّوايات في صفاتهم: « وأيضًا: فإنّ القوم لم يتعرّضوا لرسول الله ؛ بل كانوا يُعظمونه، ويُعظّمُون أبا بكر وعمر، ولكنْ غَلَوا في الدين غُلُوًا جاوزوا به حَدّه؛ لنقص عقولهم وعلمهم، فصاروا كما تأوله عليٌّ فيهم مِن قوله : ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٤]. وأوجب ذلك لهم عقائد فاسدة تَرَتَّب عليها أفعالٌ مُنْكَرَةٌ؛ كَفّرَهم بِها كثيرٌ مِن الأمة، وتوقّف فيها آخرون »[1].

ومِن أمثلة مخالفتهم لشريعته وجفائهم لَها أمورٌ؛ أقتصر على ثلاثة منها:

أولا: إذا كان رسول الله يَنهى عن تكفير المسلمين ويُشدد في ذلك، كما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " **أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا** "[2].

فإنّ الخوارج مِن أجْرَأ الناس مخالفة لشريعته هذه وأمره؛ حيث يُكفّرون بأدنى شُبهة؛ فكفّروا عثمان وعليًّا وغيرهما من الصحابة، وكثيرين ممن بعدهم.

ثانيًا: وإذا كان رسول الله يأمُرُ بأنْ لا يُنازَع الأمر أهله، ويَنهى عن الخروج على الولاة ما أقاموا في الناس الصلاة، إلا أنْ تَروا كُفرًا بواحًا، ولا يَسمَح للخروج من أجل الحيف والأثرة والجور، .. كما جاء عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ (وفيه قصة)، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ فَبَايَعْنَاهُ فَقَالَ -فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا- **أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فِي**

---

[1] الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص158-159.

[2] صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ، رقم: 6104 (انظر شاهديه عن أبي هريرة، وعن ثابت بن الضحاك رضي اله عنهما، برقم: 6103، و6105)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم: 60.

مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ" [1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : **"مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ،وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ، أو يَنصُرُ عَصَبَةٍ، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ.وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، ولا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلا يَفِي لِذِي عَهْدِهَ،فَلَيْسَ مِنِّي ولست منه"**[2].

فإنّ الخوارج يُجَوّزون الخروج عليهم بِما دون الكفر، (الجور)، ويخالفون ما جاء في هذه الأحاديث.

ثالثًا: وإذا كانت الشريعة الإسلامية جاءت بتعظيم أمر الدماء، والتشديد فيها، وعدم التساهل، كما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ النَّبِيَّ ، قَالَ: " **لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ** " [3].

فإنّ هؤلاء الغوغاء العَجَلَة لا يتريّثون، بل يَقتلون بأدنى شُبهة، فاعتبِر بِمثالين أذكُرهما يُبيّنان كيف تمّ قتل

---

1 صحيح البخاري: كتاب الفتن، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ : "سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا "، رقم: 7055، و7056، وصحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، رقم: 1709.
(وانظر: حكاية الإجماع على منع الخروج على الأئمة الجائرين الفسقة إطلاقًا، أو بعد الاختلاف على قول ثانٍ مرجوح، المنهاج للنووي، ص 1192، وذلك لِما يترتب عليه من المفاسد) .

2 صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم: 1848.

3 جامع الترمذي: كتاب الديات، بَاب مَا جَاءَ فِي تَشْدِيدِ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ، رقم: 1395، وسنن النسائي، كتاب تحريم الدم، تَعْظِيمُ الدَّمِ، رقم: 3987 (وحديث قبله، وثلاثة أحاديث بعده). وهو حديث صحيح، صححه الشيخ الألباني. وله شاهده عن البراء بن عازب عند ابن ماجه في سننه: كتاب الديات، بَاب التَّغْلِيظِ فِي قَتْلِ مُسْلِمٍ ظُلْمًا، رقم: 2619 (وقد صرّح الوليد بن مسلم بالسماع فزالت تهمة تدليسه).

الخليفة الراشد الثالث؛ عثمان ، وعبد الله بن خَبّاب بن الأرت .

الْمثال الأول: وهو لعُثمان لَمّا حُوصِر مِن قِبَل الغوغائيين الذين خرجوا على طاعته، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بنِ سَهْلٍ [1]، قَالَ: كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ، وَكَانَ فِي الدَّارِ مَدْخَلٌ مَنْ دَخَلَهُ سَمِعَ كَلامَ مَنْ عَلَى الْبَلاطِ[2] فَدَخَلَهُ عُثْمَانُ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُتَغَيِّرٌ لَوْنُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَتَوَاعَدُونَنِي بِالْقَتْلِ آنِفًا، قَالَ: قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: وَلِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، يَقُولُ: " **لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ** ". فَوَ اللَّهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلا فِي إِسْلامٍ قَطُّ، وَلا أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلا مُنْذُ هَدَانِي اللَّهُ، وَلا قَتَلْتُ نَفْسًا؛ فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي »[3]. رضي الله عنه وأرضاه!

الْمثال الثانِي: وهو لعبد الله بن خباب بن الأرت، وقد ذَكَر علماء التاريخ والفرق[4] كيفية قتله من قِبل المحكِّمة الأولى، فقال في أسد الغابة في نهاية ترجمته: « وقُتل عبد الله بن خباب، قتله الخوارج، كان طائفة منهم أقبلوا من البصرة إلى إخوانِهم من أهل الكوفة، فلقوا عبد الله بن خباب ومعه امرأته، فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ،

---

[1] **أبو أُمَامَةَ بنِ سَهْلٍ**: أسعد بن سهل بن حُنيف بضم المهملة، وقيل: سعد بن سهل الأنصاري أبو أمامة، معروف بكنيته، معدود في الصحابة، له رؤية، ولم يسمع من النبي ، مات سنة مائة، وله اثنتان وتسعون (قاله الحافظ ابن حجر، في تقريب التهذيب، ص44، رقم: 402) .

[2] **الْبَلاط**: ضَرْب مِنْ الْحِجَارَة تُفْرَش بِهِ الأَرْض، ثُمَّ سُمِّيَ الْمَكَان بَلاطًا اتِّسَاعًا، وَهُوَ مَوْضِع مَعْرُوف بِالْمَدِينَةِ وَالأخير هو الْمُرَاد هَاهُنَا. (انظر: عون المعبود، ص1962).

[3] سنن أبي داود: كتاب الديات، بَاب الإِمَامِ يَأْمُرُ بِالْعَفْوِ فِي الدَّمِ، رقم: 4502، وجامع الترمذي: بَاب مَا جَاءَ لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ، رقم: 2158، وسنن ابن ماجه: كتاب الحدود، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث، رقم: 2533، والحديث صحيحٌ، صححه الألباني. (ولتقف على شيء من قصة قتل الخليفة عثمان ، انظر: عون المعبود، 1962-1963، وتحفة الأحوذي، ج2/ 1756-1757).

[4] انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة، (ج1/ص63).

فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فأثنى عليهم خيرًا، فذبحوه؛ فسَال دمُه في الماء، وقتلوا المرأة وهي حامل متمّ، فقالت: أنا امرأة، ألا تتقون الله؟! فبقروا بطنها. وذلك سنة سبع وثلاثين، وكان من سادات المسلمين »[1].

وجاء في قصة قتله: أنّهم سألوه عن حديث سَمعه عن أبيه، عن رسول ، فحدثهم بحديث الفتن، وأنه إن استطاع الإنسان أن يكون مقتولا فلا يكون قاتلا، ومِن ثَمّ شَدّ عليه رجل منهم فقتله بسيفه، ثم قصدوا بيته فقتلوا أولاده وأمهات أولاده[2].

وبعد، فالكثير مِن المسائل التي خالفت الخوارج فيها شريعة رسول الله ورسالته بأوجُهها وصُوَرِها يأتِي ذِكرُها مفصّلة في مسائل المبحثين القادمَين؛ فلا أُطيل هنا.

فالدين النبوي هو الوسطية، أما مظاهر وصُوَر مخالفة الخوارج لهذا الدين الوسط فيتلخص أبرَزُه في المسائل الثلاثة السابقة، وفي التشديد على النفس، والتصوُّر الخاطىء للدين، وفي المسائل القادمة.

** * **

---

1 (?) أسد الغابة في معرفة الصحابة، (ج3/ ص225، برقم: 2915).
و**عبد الله بن خباب** هذا أدرك النبي ، (وانظر تمام ترجمته: الأُسُد: الموضع نفسه، والإصابة لابن حجر، (ج6/ 122-123، برقم: 4669).

2 (?) انظر: الفرق بين الفرق، ص85-86، والتبصير في الدين، 215-216 .

المبحث الثاني: جفاء الخوارج شَخْصَه عليه الصلاة والسلام وشريعتَه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قول رأس الخوارج ذي الخويصرة للنبي ﷺ : " اعدل! ".

المطلب الثاني: أخذ الخوارج بعض شريعته عليه الصلاة والسلام، وتركهم بعضها الآخر.

المطلب الأول: قول رأس الخوارج ذي الخويصرة[1] للنبي ﷺ : " اعدل!":

تقدم في مطلب صِدق ما أخْبَر الرسول ﷺ عن الماضي والمستقبل: أنّ النبِيّ ﷺ أخبَر بِخروج الخوارج من ضئضئ ذي الخويصرة، وأنّ ذلك وقَع، ويَقع كما أخبَر[2]،

[1] **ذو الخويصرة:** قُتِل فيمَن قُتل من الخوارج أيام علي ﷺ، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة: « وقد قيل في ذي الثدية: إنه ذو الخويصرة، وقيل في ذي الخويصرة: إنه حرقوص » (قاله في نهاية ترجمة حرقوص العنبري، برقم: 1977، ج3/ 37). وقال في ترجمة ذي الخويصرة التميمي بعد إشارته إلى حديث الباب: « وعندي في ذكره في الصحابة وقفة » (برقم: 2459، ج3/ ص421) وقال في ترجمة ذي الثُديَّة: « ذو الثدية له ذكر فيمن قتل مع الخوارج في النهروان، ويقال: هو ذو الخويصرة الآتِي » (الإصابة، برقم: 2455، وانظر ترجمته: ج3/ 416-419). (وللوقوف على الاختلاف في ضبط ذي الثُديَّة، انظر حاشية رقم(5)ص84 الفرق بين الفرق). أما **عزّ الدين ابن الأثير** –رحمه الله- فلَم يزد في ترجمة حرقوص التميمي على ذكر حديثين من أحاديث الباب، في الثاني منهما أنّ ذا الخويصرة التميمي هو حرقوص بن زهير أصل الخوارج، ثم قال: « فقد جعل في هذه الرواية اسم ذي الخويصرة: حرقوص بن زهير. والله أعلم، وقد تقدم في حوقوص باقي خبره » (أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2/206، برقم: 1541)، والذي قال في آخر ترجمة حرقوص بن زهير السعدي هو « .. وبقي حرقوص إلى أيام علي، وشهد معه صفين، ثم صار من الخوارج، ومن أشدهم على علي بن أبي طالب، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين » (أسد الغابة، ج1/ ص581، ورقم ترجمته: 1127). وحكى **شيخ الإسلام ابن تيمية** –رحمه الله- أنّ العلماء ذكروا أنّ اسم ذي الخويصرة: هو حرقوص بن زهير، فقال: «وتسميته ذو الخويصرة هو المشهور في عامة الأحاديث، كما رواه عامة أصحاب الزهري عنه. والأشبه أنّ ما انفَرَد به مَعمرٌ وَهْمٌ منه؛ فإنّ له مثل ذلك، وقد ذَكروا أنّ اسْمه حرقوص بن زهير» (الصارم المسلول لابن تيمية، ص195).

[2] انظر: دلائل النبوة للبيهقي، باب اعتراض من اعترض من أهل النفاق في قسمة النبي ﷺ يوم حنين وإخبار النبي ﷺ عن خروج أشباه له يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وإخباره عن آيتهم وما

وأشرتُ هناك إلى أنّ أدلة ذلك ستأتِي في هذا الْمطلب، وكفَى بقول ذي الخويصرة (اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّك لَمْ تَعْدِلْ) فِي وَجْهِ النَّبِيِّ جُرءة وجفاء!

ويشهد لِهذا المطلب طائفة من الأحاديث، على النحو التالي:

الحديث الأول: وهو حديث الذُّهَيْبَة التي بَعَثَ بِها عَلِيٌّ من اليمن[1]؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: « بَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَرْبَعَةِ؛ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بنِ عُلاثَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلابٍ؛ فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ، وَيَدَعُنَا! قَالَ: **"إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ"** فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ: **"مَنْ يُطِعْ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ، أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ؛ فَلا تَأْمَنُونِي؟** فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ -أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ- فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: **"إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا**[2]**، أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ "** متفق عليه[3]. وهذا لفظ البخاري. وفي رواية لهما: **" لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ "**[4]**.**

ظهر في ذلك من علامات النبوة. (ج5/ ص137).

[1] انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية، 156.

[2] **ضئضئ**: رواية الأكثر بضادين مكسورتين بينهما تحتانية مهموزة ساكنة والمراد به النسل والعقب، وفي روايتنا التي في المتن: من ضئضئ هذا أو من عقب هذا، وفي المعجم: ضئضئ: الأصل: يقال: هو من ضئضئ كريم (المعجم الوسيط، مادة ضأضأ، ص532، وانظر: الصحاح للجوهري، مادة ضأضأ، ص610، وفتح الباري لابن حجر، ج3/ ص3024).

[3] صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللَّهِ :ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ ، ورقمه: 3344، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ورقمه: 1064.

[4] صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالبٍ وخالد بن الوليد ، رقم: 4351، وصحيح مسلم: الكتاب والباب.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « فلَمّا رأى النبِيّ الرجل الطاعن عليه في القسمة الناسب له عدم العدل بجهله وغُلُوّه وظنّه أنّ العدل هو ما يعتقده من التسوية بين جميع الناس، دون النّظر إلى ما في تخصيص بعض الناس وتفضيله من مصلحة التأليف، وغيرها من المصالح عَلِم أنّ هذا أول أولئك؛ فإنّه إذا طعن عليه في وجهه فهو على سنته بعد موته، وعلى خلفائه أشد طعنًا »[1].

وعن أَبِي سَلَمَة وَعَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُمَا أَتَيَا أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، فَسَأَلاَهُ عَنِ الْحَرُورِيَّةِ هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ يَذْكُرُهَا؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي مَنِ الْحَرُورِيَّةُ! وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: « **يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ -وَلَمْ يَقُلْ: مِنْهَا- قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ فَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، أَوْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ إِلَى نَصْلِهِ، إِلَى رِصَافِهِ، فَيَتَمَارَى فِي الْفُوقَةِ[2]: هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ؟** "[3].

وعنه قَالَ: « بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا- أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ -وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اعْدِلْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ** ". فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : **" دَعْهُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ**

---

1 (?) الصارم المسلول، ص159.

2 (?) قال النووي: « قَوْله : (**فَيَنْظُر الرَّامِي إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رِصَافِهِ فَيَتَمَارَى فِي الْفُوقَة** ... أَمَّا (الرِّصَاف) فَبِكَسْرِ الرَّاء وَبِالصَّادِ الْمُهْمَلَة وَهُوَ مَدْخَل النَّصْل مِنْ السَّهْم، وَ(النَّصْل) هُوَ حَدِيدَة السَّهْم، وَ(الْقِدْح) عُودُهُ وَ(الْقُذَذ) بِضَمِّ الْقَاف وَبِذَالَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ وَهُوَ رِيش السَّهْم، وَ(الْفُوق) بِضَمِّ الْفَاء هُوَ الْحَزّ الَّذِي يُجْعَل فِيهِ الْوِتْر، وَ(نَضِيّ) بِفَتْحِ النُّون وَكَسْر الضَّاد الْمُعْجَمَة وَتَشْدِيد الْيَاء وَهُوَ الْقَدَح، وَكَذَا جَاءَ فِي كِتَاب مُسْلِم مُفَسَّرًا، وَكَذَا قَالَهُ الْأَصْمَعِيّ»، (المنهاج للنووي، ص 671).

3 (?) صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم: 6931. وصحيح مسلم: الكتاب والباب.

مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ[1] **فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ -وَهُوَ الْقِدْحُ- ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ**[2] **فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ. آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ**[3] **يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ".** قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ ؓ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَوُجِدَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ؛ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي نَعَتَ. متفقٌ عليه، واللفظ لمسلم[4]. وفي لفظ البخاري: " **فأينما لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ** ".

وقد ضُبط " وَيْلَكَ! .. قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ " بضبطَين، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- بعد كلامه السابق: « ..وبهذا يتبين صحة رواية مَن رَوَى الحديث " **وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ، لقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أكُن أَعْدِلْ** " لأنّ هذا الطاعن يقول: أنّه رسولُ الله، وأنّه يَجب عليه تصديقُه وطاعتُه؛ فإذا قال: إنه لم يَعدل، فقد لزِم أنّه صَدّق غير عدْلٍ ولا أَمِين، ومَن اتّبع مثل ذلك فهو خائبٌ خاسرٌ، كما وصَفهم الله بأنّهم مِن الأخسرين أعمالا؛ وإن حَسِبُوا أنهم يُحسنون

---

[1] **نَضِيِّهِ**: فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيث بِالْقِدْحِ بِكَسْرِ الْقَاف وَسُكُون الدَّال أَيْ: عُود السَّهْم قَبْل أَنْ يُرَاشَ وَيُنَصَّل، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ بُرِيَ حَتَّى عَادَ نِضْوًا أَيْ: هَزِيلا (انظر: فتح الباري لابن حجر، ج2/ ص2629).

[2] **قُذَذِهِ**: جَمْع قُذَّة وَهِيَ رِيش السَّهْم، (انظر: الفتح لابن حجر، ج2/ ص2629).

[3] **الدَّرْدَرَة:** صَوْت إِذَا انْدَفَعَ سُمِعَ لَهُ اخْتِلاط. وتُدَرْدِر: -بِدَالَيْنِ وَرَاءَيْنِ مُهْمَلات- أَيْ: تَضْطَرِب، (انظر: الفتح لابن حجر، ج2/ ص2629).

[4] صحيح البخاري: الكتاب نفسه، باب مَن ترك قتال الخوارج للتألف، ولئلا ينفِر الناس عنه، رقم: 6933. وصحيح مسلم: الكتاب والباب.

صُنْعًا. ولأنّه مَن لَم يُـؤتَمن على المـال لَم يـؤتَمن على ما هو أعظم منه ..» [1].

الحديث الثانِي: وفيه جُرأة زائدة حيث أشار رأس الخوارج –على قولٍ، وقيل: قصة أخرى[2]- إلى ما في القلب: قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّه، فقد قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود : « قَسَمَ النَّبِيُّ قِسْمَةً كَبَعْضِ مَا كَانَ يَقْسِمُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: وَاللَّهِ! إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، قُلْتُ: أَمَّا أَنَا لأَقُولَنَّ لِلنَّبِيِّ ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ؛ حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: " **قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ** »، متفق عليه[3].

وفي رواية:«لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ قِسْمَةَ حُنَيْنٍ قَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ:مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللَّه»[4].

وفي رواية عندهما أجمع وأطول: عَنْه ، قَالَ: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ؛ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنْ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ؛ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ! إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: " **فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ** " [5].

---

[1] الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص160.

[2] انظر: فتح الباري (ج3/ 3014-3015)، وقد تعقب الحافظ ابن حجر مغلطاي وشيخه ابن الملقن، وقال بخطئهما حيث ذكَرا أنّ هذه القصة هي قصة حرقوص ذي الخويصرة رأس الخوارج، بل هو رجل آخر من المنافقين.

[3] صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب الصَّبْرِ عَلَى الأَذَى، رقم: 6100، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر مَن قوي إيمانه، رقم: 1062.

[4] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ، رقم: 4335، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 1062.

[5] صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، بَاب مَا كَانَ النَّبِيُّ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنْ الْخُمُسِ وَنَحْوِهِ، رقم:3150، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 1062.

ولذِكر العلاقة بين أحاديث لَمز الرسول مِن قِبَل ذي الخويصـرة بمناسـبة غنـائم حـنين، وبين حـديث ذُهَيبة علي الـتي أرسـلها وتم تقسـيمها بين أربعة أشـخاص وغيرهـا، وهل كـان اللامز في هـذه كُلّها ذا الخويصـرة، أم مع منـافق آخر أوردُ هنا ما نقله شـيخ الإسـلام عن بعض العلماء في المسألة، وعلّق عليـه، فقد نقل عنهم « أنّ ذا الخويصرة هو الذي اعترض على النـبي في قسم غنـائم حنين، وكذلك المنافق الـذي سَـمعه ابن مسـعود فإنه في غنائم حنين أيضًا. وأما الذي في حديث .. أبِي سـعيد؛ فإنه كـان بعد هـذه المـرة؛ لأنّ فيه أنّ عَلِيًّا بَعَثَ إلى النـبي -وهو باليمن- بذُهَيْبَـةٍ فقسـمها بين أربعة من أهل نجـد، ولا خلاف بين أهل العلم أنّ عليًّا كـان في غـزوة حـنين مع النبي ولم تكن اليمن فتحت يومئذ، ثم إنه اسـتعمل عليًّا على اليمن سنة عشر بعد تبوك، وبعد أنْ بعثه مع أبي بكر إلى الموسم بنبذ العهـود، ووافى النـبي في حجة الـوداع منصـرفه من اليمن، وكـان النـبي بالمدينة لما بعث عليٌّ بالصدقة. ومما يبين ذلك أن غنائم حنين نفَل النـبي منها خَلقًا كثـيرًا من قـريش وأهل نجـد، وهـذه الذهيبة إنّما قسّمها بين أربعة نَجديين، وإذا كان كـذلك: فإما أن يكـون المعترض في هذه المـرة غـير ذي الخويصـرة، ويكـون أبو سعيد قد شهد القصتين، وعلى هذا فالذي في رواية معمر أن آية الصـدقات نـزلت في قصة ذي الخويصـرة ليس بِجيّد، بل هو مُدرج في الحـديث من كلام الزهـري أو كلام معمـر؛ لأنّ ذا الخويصـرة إنما أنكر عليه قسم الغنـائم، وليست هي الصدقات التي جعلها الله لثمانية أصـناف. ولا التفات إلى ما ذكـره بعضُ المفسـرين من أن الآية نـزلت في قسم غنائم حنين. وإما أن يكـون المعـترض في ذهيبة علي هو ذو الخويصرة أيضًا، وعلى هذا: فتكـون أحـاديث أبي سـعيد كلها في هـذه القصـة؛ لا في قسم الغنـائم، وتكون الآية قد نزلت في ذلك. أو يكون قد شهد القصـتين معًا، والآية نزلت في إحداهما »[1].

[1] (?) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص197-198.

وقال أيضًا: « فهذا الكلام مما يوجب القتل بالاتفاق؛ لأنّه جعَل النبِيّ ظالِمًا مُرائيًا، وقد صرح النبِيُّ بأنّ هـذا مِن أذى المرسلين، ثم اقتـدى في العفو عن ذلك بِموسى ولم يستتب؛ لأنّ القـول لم يَثْبُت، فإنّه لَم يُراجع القائـل، ولا تكلم في ذلك بشيء »[1].

ومعلومٌ أنّ أذية المرسلين جفاءٌ لجنابهم الكـريم خصوصًا خاتمهم، ومتوعدٌ عليه.

ويَذكُر الحافظ ابن حجر –رحمه الله- من فوائد الحديث الأخير فيقول: « وَفِي هَذَا الْحَدِيث: جَوَاز إِخْبَار الإِمَام وَأَهْل الْفَضْل بِمَا يُقَال فِيهِمْ مِمَّا لا يَلِيق بِهِمْ، لِيُحَذِّرُوا الْقَائِل. وَفِيهِ: بَيَان مَا يُبَاح مِنْ الْغِيبَة وَالنَّمِيمَة؛ لأَنَّ صُورَتهمَا مَوْجُودَة فِي صَنِيع ابْن مَسْعُود هَذَا، وَلَمْ يُنْكِرهُ النَّبِيّ ، وَذَلِكَ أَنَّ قَصْد ابْن مَسْعُود كَانَ نُصْح النَّبِيّ وَإِعْلامه بِمَنْ يَطْعَن فِيهِ مِمَّنْ يُظْهِر الإِسْلام وَيُبْطِن النِّفَاق؛ لِيَحْذَر مِنْهُ، وَهَذَا جَائِز، كَمَا يَجُوز التَّجَسُّس عَلَى الْكُفَّار لِيُؤْمَن مِنْ كَيْدهمْ. وَقَدْ ارْتَكَبَ الرَّجُل الْمَذْكُور بِمَا قَالَ إِثْمًا عَظِيمًا فَلَمْ يَكُنْ لَهُ حُرْمَة. وَفِيهِ: أَنَّ أَهْل الْفَضْل قَدْ يُغْضِبهُمْ مَا يُقَال فِيهِمْ مِمَّا لَيْسَ فِيهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَيَتَلَقَّوْنَ ذَلِكَ بِالصَّبْرِ وَالْحِلْم، كَمَا صَنَعَ النَّبِيّ اقْتِدَاءً بِمُوسَى »[2].

كما أنّ جفاءَ النبِيّ وتنقُّصَه وعَيبَـه، ورَمْيَه بِما لا يليق به واضحٌ جدًّا في الأحاديث، بل من أجل ذلك عقـدت المطلب، ولا يقول به إلا المنافقون، قال شـيخ الإسـلام –رحمه اللـــه-: « فهـــذا الرجل قد نصّ القـــرآن أنه من المنافقين بقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ [التوبـة: ٥٨]. أي: يَعيبُك ويَطعَن عليـك. وقوله للنبِيّ : اعْـدِلْ، واتق اللـه، بعـدما خَصّ بالمال أولئك الأربعة نِسبة للنّبِي إلى أنّه جَـارَ، ولم يتق الله، ولِهذا قال النبي : " أو لسـتُ أحـقّ أهل الأرض أن يتقي اللـه، ألا تـأمنوني وأنا أمين من في السـماء؟ ". ومثل هـذا الكلام لا ريب أنّه يُـوجب القتل لو قاله اليـوم أحَدٌ، وإنما لَم يقتله النبِيّ ؛ لأنّه كـان يُظهر الإسـلام (وهو

---

[1] المصدر نفسه، ص199.

[2] فتح الباري (ج3/4310).

الصلاة التي يقاتل الناس حتى يفعلوهـا)، وإنما كـان نفاقُه بِما يَخصّ النبي مِن الأذى، وكان له أنْ يَعْفُو عنـه، وكـان يعفو عنهم تأليفًا للقلـوب؛ لئلا يتحـدث النـاس أن مُحمـدًا يقتلُ أصـحابَه. وقد جـاء ذلك مُفسَّـرًا في هـذه القصـة، أو في مثلها »[1].

ومقالات ذي الخويصرة المتقدمة في الأحاديث خروج صريح على النبي عليه الصلاة والسلام. وأيضًا إذا صار مَن اعترض على الإمام المحق خارجيًّا، فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجيًّا، وحقيقة أقواله قول بتحسين العقل وتقبيحه، وحكم بالهوى في مقابلة النص، واستكبار على الأمر بقياس العقل، والله المستعان!

** * **

[1] (?) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص195-196.

مِن أوجُه جفاء الخوارج رسالة نبينا محمدٍ بعد الذي تقدم: ترك العمل ببعض شرائع الإسلامية، كترك جمهورهم رجم المحصن، والتفريق بين قاذف في المحصنات والمحصنين في حد الأول وترك الثاني، إلى غيره مما سيأتي. قال الإمامُ حرب بن إسماعيل الكرماني (ت280هـ) –رحمه الله- وهو يذكر مقالات انفردت بها فرَق من الخوارج، وما هو محل إجماع عند جميعهم مما هو مخالفٌ للشريعة الإسلامية المحمدية، بعد كلام سبق عن تبرئ هؤلاء من بعض صحابة الرسول ورميهم لهم بالكفر والعظائم وغير ذلك. قال: « .. وهم قدرية، جهمية، مرجئة، رافضة، ولا يرَون جماعة إلا خلف إمامهم، وهم يرَون تأخير الصلاة عن وقتها، ويرَون الصوم قبل رؤية الهلال، والفطر قبل رؤيته، وهم يرَون النكاح بغير ولي ولا سلطان، ويرَون المتعة في دينهم، ويرَون الدرهم بالدرهمين يدًا بيد حلالا، وهم لا يرَون الصلاة في الخفاف ولا المسح عليها، وهم لا يرَون لسلطان عليهم طاعة، ولا لقريش خلافة، وأشياء كثيرة يخالفون فيها الإسلام وأهله »[1].

وهذه المقالات كلها جفاءٌ لهذه الشريعة الواضحة.

وأأكد بأنّ هذه المقالات ليست محل إجماع بينهم كما قال محقق كتاب الكرماني (د. سليمان بن محمد الدبيخي): « بل منها ما يختص به بعضهم وينكره البعض الآخر؛ فهم فرق شتى، وقد انفردت بعض الفرق بمقالات لا يقول بها سائر فرق الخوارج »[2].

ومِن مفردات الحرورية منهم: أنهم يرَون أنّ الحائض تقضي الصلاة كما تقضي الصوم، ويشهد له أثر عائشة المروي في الصحيحين المتقدم[3].

---

1 (?) معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام حرب بن إسماعيل، تحقيق:د.سليمان الدبيخي، 164-165.

2 (?) حاشية رقم: 2، لصحيفة: 165 من/ معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام حرب.

وأيضًا فالخوارج لَمّا شدّدوا وأخَذُوا بنصوص الوعيد، فإنّ النتيجة المنطقية هو تركُهم العمل بنصوص الوعد، وفعلا فإنّ هذا هو واقعهم، يقول شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يَذْكُرُ خاصيتَي الخوارج: « وَلَهُمْ خَاصَّتَانِ مَشْهُورَتَانِ فَارَقُوا بِهِمَا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَأَئِمَّتَهُمْ: **أَحَدُهُمَا**: خُرُوجُهُمْ عَنْ السُّنَّةِ، وَجَعْلُهُمْ مَا لَيْسَ بِسَيِّئَةٍ سَيِّئَةً، أَوْ مَا لَيْسَ بِحَسَنَةٍ حَسَنَةً، وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَظْهَرُوهُ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ حَيْثُ قَالَ لَهُ ذُو الخويصرة التَّمِيمِيُّ: (اعْدِلْ؛ فَإِنَّك لَمْ تَعْدِلْ) حَتَّى قَالَ لَهُ النَّبِيُّ : " وَيْلَك وَمَنْ يَعْدِلُ إذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ لَقَدْ خِبْت وَخَسِرْت إنْ لَمْ أَعْدِلْ ". فَقَوْلُهُ: فَإِنَّك لَمْ تَعْدِلْ جَعَلَ مِنْهُ لِفِعْلِ النَّبِيِّ سَفَهًا وَتَرْكَ عَدْلٍ. وَقَوْلُهُ: (اعْدِلْ) أَمْرٌ لَهُ بِمَا اعْتَقَدَهُ هُوَ حَسَنَةً مِنْ الْقِسْمَةِ الَّتِي لا تَصْلُحُ. وَهَذَا الْوَصْفُ تَشْتَرِكُ فِيهِ الْبِدَعُ الْمُخَالِفَةُ لِلسُّنَّةِ فَقَائِلُهَا لا بُدَّ أَنْ يُثْبِتَ مَا نَفَتْهُ السُّنَّةُ، وَيَنْفِيَ مَا أَثْبَتَتْهُ السُّنَّةُ، وَيُحَسِّنُ مَا قَبَّحَتْهُ السُّنَّةُ، أَوْ يُقَبِّحَ مَا حَسَّنَتْ السُّنَّةُ، وَإِلا لَمْ يَكُنْ بِدْعَةً ... وَالْخَوَارِجُ جَوَّزُوا عَلَى الرَّسُولِ نَفْسِهِ أَنْ يَجُورَ، وَيُضِلَّ فِي سُنَّتِهِ، وَلَمْ يُوجِبُوا طَاعَتَهُ وَمُتَابَعَتَهُ، وَإِنَّمَا صَدَّقُوهُ فِيمَا بَلَّغَهُ مِنْ الْقُرْآنِ دُونَ مَا شَرَعَهُ مِنْ السُّنَّةِ الَّتِي تُخَالِفُ –بِزَعْمِهِمْ- ظَاهِرُ الْقُرْآنِ. وَغَالِبُ أَهْلِ الْبِدَعِ غَيْرِ الْخَوَارِجِ يُتَابِعُونَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى هَذَا؛ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الرَّسُولَ لَوْ قَالَ بِخِلافِ مَقَالَتِهِمْ لَمَا اتَّبَعُوهُ، كَمَا يُحْكَى عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ فِي حَدِيثِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ. وَإِنَّمَا يَدْفَعُونَ عَنْ نُفُوسِهِمْ الْحُجَّةَ: إمَّا بِرَدِّ النَّقْلِ؛ وَإِمَّا بِتَأْوِيلِ الْمَنْقُولِ. فَيَطْعَنُونَ تَارَةً فِي الإِسْنَادِ، وَتَارَةً فِي الْمَتْنِ. وَإِلا فَهُمْ لَيْسُوا مُتَّبِعِينَ، وَلا مُؤْتَمِّينَ بِحَقِيقَةِ السُّنَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ، بَلْ وَلا بِحَقِيقَةِ الْقُرْآنِ. **الْفَرْقُ الثَّانِي فِي الْخَوَارِجِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ**: أَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ بِالذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ. وَيَتَرَتَّبُ عَلَى تَكْفِيرِهِمْ بِالذُّنُوبِ: اسْتِحْلالُ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَنَّ دَارَ الإِسْلامِ دَارُ حَرْبٍ، وَدَارَهُمْ هِيَ دَارُ الإِيمَانِ. وَكَذَلِكَ يَقُولُ جُمْهُورُ الرَّافِضَةِ؛ وَجُمْهُورُ الْمُعْتَزِلَةِ؛

[3] (?) الحديث في صحيح البخاري (برقم: 315)، وصحيح مسلم (برقم: 335) وقد تقدم تخريجه.

والجهمية؛ وَطَائِفَةٌ مِنْ غُلاةِ الْمُنْتَسِبَةِ إلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَمُتَكَلِّمِيهِمْ. .. وَهَذَانِ الأَصْلانِ هُمَا خِلافُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ فَمَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ فِيمَا أَتَتْ بِهِ أَوْ شَرَعَتْهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ؛ خَارِجٌ عَنْ السُّنَّةِ، وَمَنْ كَفَّرَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا رَآهُ ذَنْبًا؛ سَوَاءٌ كَانَ دِينًا أَوْ لَمْ يَكُنْ دِينًا، وَعَامَلَهُمْ مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ؛ فَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ »[1].

وقد سبق عن شيخ الإسلام كلام مشابِهٌ لِهذا، وأنّ طائفة مِن الخوارج أعْرَضَت عن السنة التي وسَموها بأنها: سنة مُخالفة لظاهر القرآن، وترَكت العمل بها؛ فأنكرتها، ثم عمِلت بخلافها. ومن فعل هذا فلا بُدّ وأنْ يترتّب على ذلك: ترك بعض الشرائع التي ورَدَت فيها، كرَجْم الزانِي المحصن، وهذا وجهٌ مِن أوجُه جفائهم للشريعة الإسلامية، ويؤكّد هذا المعنى في موضع آخر فيقول –رحمه الله-: « والْخَوَارِجُ لا يَتَمَسَّكُونَ مِنْ السُّنَّةِ إلا بِمَا فَسَّرَ مُجْمَلَهَا، دُونَ مَا خَالَفَ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ عِنْدَهُمْ؛ <u>فَلا يَرْجُمُونَ الزَّانِيَ، وَلا يَرَوْنَ لِلسَّرِقَةِ نِصَابًا</u>، وَحِينَئِذٍ فَقَدْ يَقُولُونَ: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ قَتْلُ الْمُرْتَدِّ، فَقَدْ يَكُونُ الْمُرْتَدُّ عِنْدَهُمْ نَوْعَيْنِ. وأَقْوَالُ الْخَوَارِجِ إنَّمَا عَرَفْنَاهَا مِنْ نَقْلِ النَّاسِ عَنْهُمْ لَمْ نَقِفْ لَهُمْ عَلَى كِتَابٍ مُصَنَّفٍ، كَمَا وَقَفْنَا عَلَى كُتُبِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالرَّافِضَةِ وَالزَّيْدِيَّةِ، وَالْكَرامِيَّةِ وَالأَشْعَرِيَّةِ والسالمية، وَأَهْلِ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ، وَالظَّاهِرِيَّةِ، وَمَذَاهِبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَالْفَلاسِفَةِ، وَالصُّوفِيَّةِ[2]، وَنَحْوِ هَؤُلاءِ »[3].

ومن طالَع كتُب الفرق والتاريخ يرَى أنّ طائفة الأزارقة [4] من الخوارج: هم الذين أنكروا رجم المحصن

[1] (?) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج19/ص 72-74).

[2] (?) سيأتي التعريف بهذه الفرق في مواضعها من هذا الباب.

[3] (?) المصدر نفسه، (ج13/ ص48-49).

[4] (?) **الأزارقة:** هم أتباع أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي، ولم تكن للخورج قط طائفة أشد شوكة منهم، ولا أكثر عددًا، ويَجمعهم طائفة من المقالات: منها: قولهم بأنّ مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، لا كفرة خلافًا للمحكمة الأولى. وأنّ القعدة عن الهجرة إليهم وإنْ كانوا على رأيهم مشركون. وأنّه يَجب امتحان مَن قصد عسكرهم وادّعى أنّه منهم: بدفع أسير من مخالفيهم وأمره بقتله، ويُصدقونه إنْ قتلَه، وإن امتنع قالوا: إنه منافق ومشرك، فيقتلوه. كما أنّهم استباحوا قتل نساء

المجمع عليه بين المسلمين وأسقطوه؛ إذْ لم يأتِ ذِكرُه في القرآن -على زعمهم-، ولم يَعتَبِرو النصاب في القطع في السرقة، كما أنّهم أقاموا الحدّ على قاذف المحصنات من النساء دون قاذف الرجل المحصن. وكلّ هذه العقائد والأعمال مخالفة للشريعة الإسلامية، قال الشيخ عبد القاهر البغدادي: « وزعَم نافع الأزرق وأتباعه أنّ دار مخالفيهم دار كفر، ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء، وأنكَرَت الأزارقة الرّجم، واستحلّوا كفر الأمانة التي أمر الله تعالى بأدائها، وقالوا: إنّ مخالفينا مشركون؛ فلا يَلزَمنا أداء أمانتنا إليهم، ولم يُقيموا الحدّ على قاذف الرّجل المحصن، وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء، وقطعوا يد السارق في القليل والكثير ولم يَعتَبرُوا نصابًا. وأكفَرهم الأمة في هذه البدع التي أحدثوها بعد كفرهم الذي شاركوا فيه المحكمة الأولى؛ فباءوا بكفر على كفر»[1].

وسيأتِي في علم الغيب حديث رَجْمِ النبِيّ مَاعِز بْنِ مَالِكٍ[2] ، وقد أشَرتُ إلى إجماع المسلمين على رَجْمِ الزّانِي المحصن ذكرًا كان أو أنْثى، لكنّ الخوارج -كما في النقل معنا- أنكروه، وقد عُلِم الحكم الإسلامي لإنكار

مخالفيهم وأطفالهم بزَعم أنّهم مشركون وأنهم مُخَلّدون في النار (انظر: الفرق بين الفرق، ص90-91، وأنّ أموال المخالفين مباحة لهم بكل حال، ص100 (وانظر أيضًا: مقالات الإسلاميين، -ج1/ 170، والتبصير في الدين، 221-222، وذكَر محمد الشهرستاني أنّ بِدَع الخوارج ثمانية، وأنّ السابع منها: تجويزه أنْ يَبعَث الله تعالى نبيًّا يعلم أنّه يَكفر بعد نبوته، أو كان كافرًا قبل البعثة –الملل والنحل، ج1/ 210-211 وما قبله- وعقائد الثلاث والسبعين فرقة، ج1/ص69-72، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص50).

[1] الفرق بين الفرق، 92، وانظر قبله أيضًا: مقالات الإسلاميين، (ج 1/ 173-174).

[2] **ماعز بن مالك الأسلمي**، له صحبة وهو الذي رجم في عهد النبي وصلّى عليه واستغفر له، ثبت ذكره في الصحيحين وغيرهما، وفي بعض طرق حديثه: إن النبي قال: لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لأجزأت عنهم رضي الله عنه ورحمه. ويقال: إن اسمه عريب، وماعز لقب (انظر ترجمته في: الإصابة لابن حجر، ج9/ص415-417، برقم:7622).

الأمور المجمع عليها والمعلومة من الدين بالضروة؛ لذا قال البغدادي ما قال في آخر نصّه السابق.

ومن ترك الخوارج بعض شرائع نبينا محمد :
تأويل الإباضـية[1] نصـوص الصـفات والصـراط والمـيزان، آخذة بِمنهج بعض المعتزلة وزيادة، تاركة منهج رسول الله [2].

وتقرر بما تقدم: أنّ الخوارج قد تركوا بعضًا من شرائع رسول الله جفاءً منهم للرسالة المحمدية.

ولِما أنّ الجفاء يساوي المخالفة عمدًا، فالخوارج -بفرقهم- مخالفون للمنهج الذي سار عليه الرسول هو وصحابتُه ، والله تعالى أعلم.

** * **

---

1 (?) **الإباضية** فرقة من الخوارج: هم أصحاب عبد الله بن إباض، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم، قالوا: الإيمان جميع الطاعات، وأنّ مرتكب الكبيرة مخلدٌّ في النار، مع عدم تكفيره كفرًا أكبر. (انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة، ج1/ص72-73، وأصول الفرق والأديان والمذاهب، لسفر الحوالي ص32. ويقولون أيضًا بأنّ القرآن مخلوق، وأنّ مَن يثبت رؤية الله تعالى في الآخرة كافر. وهي الفرقة الخارجية الوحيدة التي وصلتنا في الحياة المعاصرة (انظر: الإباضية عقيدة ومذهبا، لصابر طعيمة، ص90-91، ومبحث الرابع (أهم الآراء العقدية لدى الإباضية) من كتاب الإباضية د. عامر النجار، ص81-161).
ولتأكيد طائفة من معتقدات الإباضية أنقل مقتطفات من كتاب (إزالة الاعتراض عن محقي آل إباض) حيث جاء فيه: أما بعد: فهذا اعتقاد الإباضية الوهبية أهل الحق في الأصول والفروع، .. أما اعتقادهم في الأصول فـ.. –إلى أنْ قال: وأنّ الله ..عرضًا ولا جسمًا، ولا جوهرًا فردًا عند مَن يُبت جوهر الفرد). وليس الله مركبًا ولا بسيطًا، .. وأنّه منزّه عن الحلول في الأماكن، ومنها الجوّ .. ولا يتصف بالتجزؤ ولا بالجهات، وأنّ القرآن مخلوق .. (نقله عنه: سفر الحوالي في أصول الفرق له، انظر النص كاملا فيه، ص32-33).

2 (?) انظر: أصول الفرق لسفر الحوالي، ص32.

المبحث الثالث: جفاء الخوارج صحابته وأمته عليه الصلاة والسلام[1]، وفيه ثلاثة مطالب:

الخوارج لم يتعرّضوا للشيخين أبِي بكر وعمر رضي الله عنهما بالطعن، بل كانوا يُجلّونهما. أما عثمان وعلي ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى ، وأهل الجمل من عائشة وطلحة والزبير وغيرهم، وأهل صفين، ومَن رضِي بالتحكيم، وكُلّ مخالفيهم إلى يوم القيامة؛ فإنّهم قد نالَهم من جفائهم ما نالَهم؛ بدءً بالنقائص الصغيرة والتعييب، وانتهاء إلى تكفيرهم. وهذا الذي سأتناول في هذا المبحث بإذن الله تعالى من خلال ثلاثة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: تكفير الخوارج صحابته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: طعن الخوارج في العلماء والأئمة.

المطلب الثالث: شقُّ الخوارج عصا المسلمين واستحلال قتلهم.

المطلب الأول: تكفير الخوارج صحابته عليه الصلاة والسلام[2]:

تكفيرِ الصحابة مِن الجفاء، لِما صحّ عن النبِيّ من مناقب هؤلاء الكرام ، وأنّهم من أهل الجنة، (والجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة).

ومناقبهم شهيرة في كتب الحديث وغيرها، لا يتسع المقام لنقلها.

قال أبو الحسن الأشعري –رحمه الله-: « أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضوان الله عليه! أَنْ حَكَّم، وهم مختلفون: هل كفره شركٌ أم لا؟ »[3].

---

[1] (?) انظر: كامل فصل موقف الخوارج من مخالفيهم –الفصل الخامس- (موقفهم من الصحابة، موقفهم من بقية المخالفين لهم)، في كتاب: الخوارج، أ. د. سليمان بن صالح الغصن، ص225-250 (25صفحة) .

[2] (?) انظر: كتاب أصحاب رسول الله ومذاهب الناس فيهم، ص160-171 (وراجعه لتقف على شبههم ومناقشتها) ووسطية أهل السنة بين الفِرَق، ص449-452.

[3] (?) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (ج1/ 167).

ويقول محمد الشهرستاني بعد ذكره لفرَق الخوارج: « ويجمعهم: القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما؛ ويُقدِّمون ذلك على كل طاعة »[1].

ويزيده توضيحًا ما في كتاب اعتقادات فِرق المسلمين عند شرحه لفِرَق الخوارج: « سائر فِرَقهم متفقون على أنّ العبد يصير كافرًا بالذنب[2]، وهم يُكفِّرون عثمان وعليًّا رضي الله عنهما، وطلحة والزبير وعائشة. ويُعظّمون أبا بكر وعمر »[3].

قال أبو الحسن الأشعري –رحمه الله-: « والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان رضوان الله عليهم وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يُحكّم، وينكرون إمامته لَما أجاب إلى التحكيم. ويُكفرون معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري »[4].

بل إنّ الخوارج لم يقفوا مِن عليٍّ ومَن معه على مجرّد تكفيرهم، بل تصدوا لقتالهم مستحلين دماءهم، وذلك بعد مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما لهم ورجوع بعضهم، فأصرّ كثير منهم على رأيهم، وبدأوا المسلمين بالقتال، في الموقعة الشهيرة بالنهروان، فأظهر الله المسلمين عليهم[5].

هذه بعض ما قاله علماؤنا في كتب الفرق، في بيان تكفير الخوارج الأولون لعدد كبير من عظماء الصحابة، وأنقل هنا بعض ما حكاه ونقله[6] شيخنا الشيخ غالب

---

1 (?) الملل والنحل، (ج1/ 198).

2 (?) إلا النجدات في أصحاب الحدود، فإنهم اختلف قولهم في تكفيرهم، انظر: مقالات الإسلاميين، (ج1/ ص175) وكتاب أصحاب رسول الله ومذاهب الناس منهم، ص161 .

3 (?) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص49 .

4 (?) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (1/ ص204)، وانظر: وعقائد الثلاث والسبعين فرقة، (ج1/ص125-126).

5 (?) انظر: أصحاب رسول الله ومذاهب الناس فيهم، 161-162 .

6 (?) انظر: نماذج تكفير الخوارج لرموز الصحابة، ومن كتبهم، انظرها في كتاب: الخوارج –تاريخهم- وآراؤهم الاعتقادية، وموقف الإسلام منها- للدكتور غالب عواجي، ص464-481، تحت عنوان: موقف الخوارج من الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة .

عواجي –حفظه الله- من كتب الخوارج أنفسهم حتى الإباضية المعاصرة، ليكون شاهدًا لِما سبق، ودليلا على أنّ العلماء لم يقولوا هذا (نسبة تكفير الصحابة إليهم) افتراء عليهم، ففي كتاب (كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة) لمؤلف إباضي مجهول الاسم (مخطوط): أورد رواية افتراها على لسان عائشة رضي الله عنها، أنّها قالت: « ما رأيتُ شيئًا أقرّ على نفسه بِمثل ما أقرّ عثمان، وخرجت بِمصحف كان معها، وقالت: أشهد بالله بأنّ عثمان كفَر بِما في هذا المصحف »[1]. وهل يُعقل شهادة الصديقة له بالكفر بِمقابل شهادة زوجها له بالجنة في كثير من المناسبات!

وزعيم الإباضية (عبد الله بن إباض) يُوجِّه في كتابه تُهَمًا كثيرة إلى ذي النورين ثم يقول بعدها: « فلو أردنا أنْ نُخبِرك بكثيرٍ من مظالم عثمان لم نُحصِها إلا ما شاء الله، وكلّ ما عددتُ لك بعمل عثمان يكفُر الرجل أنْ يعمل ببعض هذا، وكان من عمل عثمان أنّه لم يحكم بِما أنزل الله، وخالف سنة النبِي والخليفتين الصالحين أبِي بكر وعمر »[2].

وكما كفّروا عثمان فقد كفّروا عليًّا رضي الله عنهما، وتبرؤوا منه كالأول، ففي (كشف الغمة) تحت عنوان: (فصل من كتاب الكفاية) جاء قوله: « ما تقولون في علي بن أبِي طالب؟ قلنا له: إنّ عليًّا مع المسلمين في منـزلة البراءة »، ثم ذكر أسباب التي توجب البراءة منه، وهي: تركه حرب معاوية والتحكيم، وقتله أهل النهروان[3].

وتعتقد فرقة إباضية معاصرة -وهي في غاية التشدد في أمور الدين، وموجودة في عمان، تسمى بالمطوعين- تعتقد هذه الفرقة -كما سجّله عنها المعاصرون- تكفير

---

1 (?) كشف الغمة للمؤلف الإباضي المجهول، 268، نقلا عن كتاب: الخوارج –تاريخهم- وآراؤهم الاعتقادية، وموقف الإسلام منها- للدكتور غالب عواجي، 466 .

2 (?) للوقوف على تهمه للخليفة الراشد عثمان، انظر: كشف الغمة، ص289-295، والدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق، لأبي يعقوب الورجلاني، 27-28 .

3 (?) انظر: الخوارج للدكتور غالب عواجي، 469.

عليّ ؛ فيقول: ج. ج لوريمر عنها: « ويعتقد المطوعون أنّ الخليفة عليًّا لم يكن مسلمًا على الإطلاق، بل كان كافرًا »[1].

ولعل المبغضون لعلي هم الغلاة من الإباضية[2].

وجاء في (كشف الغمة) أيضًا: وصف زعيم الإباضية عبد الله بن إباض معاوية بعدة صفات يزعم هذا الخارجي أنّ الرجل يكفُر بأقل منها، حيث قال: « فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله، ولا صنيعه غير أنّا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس، ولا نعلم من الناس شيئًا لأحدٍ أترك من الغنيمة التي قسم الله، ولا يحكم بحكمٍ حكمه الله، ولا أسفك لدم حرامٍ منه، فلو لم يصب من الدماء إلا دم ابن سُميّة لكان في ذلك ما يُكفّره»[3].

ومواقف الخوارج التكفيرية من هؤلاء الصحابة ظُلمٌ منهم لهم، وكذلك تبرؤهم منهم، يقول الإمام الطحاوي في عقيدته: «ونُحب أصحاب رسول الله ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان»[4].

وسيأتِي الردّ على مطاعن الخوارج في الصحابة وتكفيرهم في (مطلب طعن الرافضة في أصحابه عليه الصلاة والسلام)، وتتمة الرد في (مطلب شتم القادياني وُزراء الرسول (أصحابه) وأبناءه) من مبحث القاديانية. والله أعلم.

** * **

---

1 (?) دليل الخليج (القسم التريخي)، (ج6/ 3406)، نقلا عن الخوارج للدكتور غالب عواجي، 471.

2 (?) انظر: الخوارج للدكتور غالب عواجي، 474، وما قبله وما بعده.

3 (?) كشف الغمة للمؤلف الإباضي المجهول، 295، نقلا عن الخوارج للدكتور غالب عواجي، ص477.

4 (?) شرح العقيدة الطحاوية، (ج2/704).

المطلب الثاني: طعن الخوارج في العلماء والأئمة[5]:

طعن العلماء والأئمة ديدن الخوارج قديمًا وحديثًا، واختصارًا للمشوار أُمثّل هنا بطعن الخوارج المعاصرين في كبار العلماء المعاصرين كالمفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والشيخ الفقيه محمد بن صالح العثيمين –رحمهما الله-، ولا يَستغرِب مَن عَرَف موقف الخوارج التكفيري من علي ومن جيشه ومن معاوية وغيرهم من الصحابة -وعليٌّ ومعاوية رضي الله عنهما من أفاضل العلماء في وقتهم- طعنَهم في العلماء والأئمة المعاصرين؛ إذ الخوارج بِحماستهم الدينية الزائدة المندفعة يطعنون في غير الخوارج عمومًا، وفي العلماء خصوصا بعدم الغيرة لله، بل ويصل حالُهم إلى الطعن في النوايا، أو الزعم بأنّ العلماء يتجارَون الحكومات ويسمونهم: بعلماء السلاطين، أو يفترون عليهم بأنّهم باعوا دينهم بدنيا زائلة زهيدة، أو بدنيا غيرهم، وغير ذلك، وما كتاب (صب الغاز على فتاوى ابن باز)، و(صب

---

[5] العلماء معروفون. وأعنِي **بالأئمة**: الأمراء، وهما المعنيان بـ(أولي الأمر) المأمور بطاعتهم في آية النساء على القول الراجح. والآية هي قوله سبحانه: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ی ی ﯾ ﭼ النساء: ٥٩ والقول بأنّ اللفظة تشمل الاثنين هو ترجيح القرطبي والحافظ ابن كثير –رحمهما الله- (انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج6/429-434، وتفسير القرآن العظيم، ج1/ ص677، حتى قال فيه بعد حكاية تفسيرات السلف للآية: والظاهر –والله أعلم- أنّها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء كما تقدم).

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: بعدما بيّن أنّ طاعة أولي الأمر المأمورة في الآية ليست مستقلة بل مندرجة تحت طاعة الرسول، وأنها تكون في غير معصية الله فقط: « وقد اختلفت الرواية عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى في أولي الأمر: وعنه فيهم -رحمه الله تعالى- روايتان: إحداهما: أنهم العلماء. والثانية: أنهم الأمراء. والقولان ثابتان عن الصحابة في تفسير الاية. والصحيح أنها متناولة للصنفين جميعًا؛ فإنّ العلماء والأمراء ولاة الأمر الذي بعث الله به رسوله؛ فإن العلماء ولاته حِفظًا وبيانًا، وذبًّا عنه، ورَدًّا على من ألحد فيه، وزاغ عنه. وقد وكّلهم الله بذلك، فقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الأنعام: ٨٩ فيالها من وَكالة أوجبت طاعتهم، والانتهاء إلى أمرهم، وكون الناس تَبَعًا لهم. والأمراء وُلاته: قيامًا وعناية، وجهادًا، وإلزاما للناس به، وأخذهم على يد مَن خرج عنه. وهذان الصنفان هما الناس، وسائر النوع الإنساني تبعٌ لهما ورعية. (قاله في الرسالة التبوكية، 45-46، ضمن مجموع الرسائل لابن القيم. وانظر أيضًا/ إعلام الموقعين، له، ج1/ ص39-40).

البنزين على فتاوى ابن العثيمين) من بعض السفهاء المعاصرين إلا دليلا على ما في العنوان. فالطعن في العلماء ديدنُ الخوارج من قديم، وكذلك في الأمراء، ثم إنّهم بذلك يُبيحون الخروج عليهم.

وقد كتب علماؤنا –حفظهم الله تعالى- كُتبًا ورسائل في نُصح الشباب المفتزنين بأفكار الخوارج، فما رسالة: (بأيّ عقلٍ ودين يكون التفجير والتدمير جهادًا؟! ويحَكم أفيقوا يا شباب!!) ورسالة (بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير) لشيخنا الشيخ عبد المحسن البدر إلا نُصحًا لهم ليعودوا إلى رُشدهم وعلمائهم وأئمتهم، ويتركوا التكفير والخروج، والتفجير والتدمير، وقد جاء ضمن عناوين الرسالة الأولى: الفهم الخاطئ يَحصُل باتباع الهوى، وعدم الرجوع إلى أهل العلم. ومنها: حداثة السّنّ مظنّة سوء الفهم، وذكر مثال لذلك. ومنها: مناظرة ابن عباس للخوارج في فهومهم الخاطئة[1]، ورجوع ألفين منهم عن باطلهم. ومنها: رجوع عصابة شغفت برأي الخوارج عن الباطل بحضورهم مجلس جابر بن عبد الله وسمَاعهم منه. كما جاء ضمن عناوين الثانية، قوله: أأنتم المسلمون وغيركم مرتدون، ما لكم كيف تحكمون؟! ومنها: إعراض الشباب المفتونين عن الرجوع إلى العلماء مكيدة شيطانيّة. ومنها: خروج الشباب المفتونين عن الطاعة ومفارقتهم الجماعة. ومنها: وجوه مخالفة الشباب المفتونين بالتكفير والتفجير للإسلام. وآخرها: الآثار السيئة للتكفير والتفجير على المسلمين[2].

ومما قاله الشيخ –حفظه الله- تحت عنوان: (إعراض الشباب المفتونين عن الرجوع إلى العلماء مكيدة شيطانيّة): « من أعظم مكائد الشيطان لِهؤلاء الشباب

---

[1] (?) قف على الأثر (قصة مناظرة ابن عباس للخوارج) في المستدرك: كتاب قتال أهل البغي، رقم: 2656.

[2] (?) انظر إلى الرسالتين وما تضمنتا من الفوائد والنصائح الغزيرة في مجموع كتب ورسائل الشيخ عبد المحسن البدر، (ج6/ الأولى، ص 225-243، والرسالة الثانية في: ص245-279).

المفتونين بالتكفير والتفجير تزيينه في قلوبهم الابتعاد عن أهل العلم وعدم الرجوع إليهم في فهم الدين والفقه فيه، بل آل الأمر ببعضهم إلى رميهم وغيرهم بالردّة عن الدين، بزعم أنّهم وقفوا في صفّ المرتدين، كما في الجملة الأولى من جملهم الساقطة الهابطة، وبذلك تحقق للشيطان ما أراده منهم؛ من تكفييرهم غيرهم مِن الحكّام والمحكومين، ثم الخروج عليهم بالتفجير والتقتيل والتدمير، وبذلك أيضًا خالفوا ما كان عليه سلف الأمة من لزوم جماعة المسلمين، والنصح لهم ولولاتهم، وترك الخروج عليهم »[1].

لكن يقال هنا بأنّ الواجب على الخوارج والمتأثرين بهم هو عكس ما كانوا عليه؛ حيث يجب عليهم أن يتقوا الله في أنفسهم ويتركوا الطعن في العلماء الربانين الذين اتفق العالَم على جلالتهم وعلمهم وورعهم وتقواهم، وطارت الألسن بالثناء عليهم، كالشيخين الجليلين المتقدمَين وغيرهم، كما أنّ عليهم أنْ يرجعوا إليهم لفهم الدين ويقتربوا منهم، لتحصل لهم السلامة من الوقوع في الفتن وما يترتب عليها من مفاسد وأضرار. وكذلك عليهم أن يثوبوا إلى رشدهم وأنْ يعلموا ويتذكروا أنّهم ما بعثوا لتنقيب القلوب ..، ويرجعوا إلى الدين الصحيح مثلما رجعت عصابة شغفت برأي الخوارج بحضورهم مجلس جابر بن عبد الله، ومثلما رجع ألفان من خوارج حروراء بعد مناظرة ابن عباس لهم[2].

ومما يدل على الأول ما جاء في صحيح مسلم من قصتهم: فعن يَزِيد الْفَقِير[3]، قَالَ: « كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ

---

1 (?) بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير، لعبد المحسن البدر، (ج6/262-263).

2 (?) انظر: بأيّ عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهادًا! لعبد المحسن البدر، (ج6/ص228-231).

3 (?) **يَزِيد الْفَقِير:** هُوَ يَزِيد بْن صُهَيْبٍ الْكُوفِيّ ثُمَّ الْمَكِّيّ أَبُو عُثْمَان، تابعيٌّ ثقةٌ، قِيلَ لَهُ: الْفَقِير؛ لأَنَّهُ أُصِيبَ فِي فَقَار ظَهْره فَكَانَ يَأْلَم مِنْهُ حَتَّى يَنْحَنِيَ لَهُ، وهذا من النسبة إلى غير ما يتبادر إلى الذهن (انظر ترجمته في التقريب برقم: 7733، ص531، والمنهاج للنووي، عند شرحه للحديث الذي قبله، ص230).

مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ؛ فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ! مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﭽﮬﮭ￼￼￼￼ﯓﯔﭼ [آل عمران: ١٩٢]. وَ ﭽ￼￼￼￼￼￼ﯼ ﭼ [السجدة: ٢٠]. فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ قَالَ وَأَخَافُ أَنْ لا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ. قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: يَعْنِي فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ. قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ الْقَرَاطِيسُ. فَرَجَعْنَا، قُلْنَا: وَيْحَكُمْ! أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعْنَا، فَلا وَاللَّهِ! مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ[1].

المطلب الثالث: شقُّ الخوارج عصا المسلمين واستحلال قتلهم:

مَن نظَر إلى الخوارج مِن خلال الشرع، والتاريخ، والواقع = وجَد أنّهم مِن أكثر الناس -إنْ لَم يكونوا أكثرهم- استحلالا لدماء المسلمين، وذلك نتيجة لتكفيرهم، وهنا ثلاثة مسائل:

شق الخوارج عصا المسلمين واستحلال قتلهم من خلال النصوص الشرعية.

شق الخوارج عصا المسلمين واستحلال قتلهم في تاريخ الأمة المسلمة.

شق الخوارج عصا المسلمين واستحلال قتلهم في الواقع المعاصر.

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الإيمان بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، على إثر حديث برقم: 191

وما كتاب (حقيقة الخوارج في الشرع وعبر التاريخ[2]) إلا ناطقًا بهذا المعنى.

وقد مرّ شيءٌ من النصوص الشرعية الدالة على تكفير الخوارج مخالفيهم، ومِن ثَمّ قتلهم وقتالهم أهل الإسلام وبمقابل ذلك تركهم أهل الأوثان. (ومن النصوص أيضًا ما جاء ترهيبًا عن إصابة الدماء المحرمة؛ فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا** "[2].

كما تقدم كذلك ذكر قتلهم أكابر المسلمين من الصحابة وغيرهم، وهو شيءٌ مؤلمٌ يدخُل في جفائهم للأمة الإسلامية التي حكاها لنا التاريخ (وقد جاء في صفتهم: يقتلون أهل الإسلام؛ فقتلوا عثمان بن عفان وعبد الله بن خباب وغيرهم، كما تقدم مفصّلا).

فمتابعةً لِما تقدم من أوصاف الخوارج التي جاءت بِها الشـريعة الإسـلامية ورآها النـاس في واقعهم من أحـداث تبنتْها الخوارج قديْمًا وحـديثًا، والْمتـابِع لـذلك يـرَى أنّه من الطــبيعي « عند الخــوارج على ما انتهــوا إليه وقد كفّــروا عثمان وعليًّا -رضي الله عنهما- أنْ ينهجــوا نَهجًا في تأويل كتــاب الله وتناوله بحيث يُكفّــرون أمة الإســلام من أوّلِها إلى آخرهــا، وهــذا هو ما فعلــوه، فهم كما ســبق القــول يُكفّــرون مــرتكب الكبــيرة، أقيم عليه الحد أو لم يُقَم، وبعض فِرَقهم كما أشــرنا يُكفّر المســلمين على المعاصي البسيطة، أو ترك ما هو مندوبٌ ومستحبّ، وهم في سبيل ذلك قد ذهبُوا يتناولون كتـاب الله على وفق ما ذهبُـوا إليه من القول بتكفير صاحب الكبيرة .. » [3].

لذا قال شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يُبيّن أنّ الصحابة لم يُكفّروا الخوارج: « .. أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شَرًّا على

---

[2] (?) لمؤلفه فيصل بن قزاز الجاسم.

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب الديات، رقم: 6862.

[3] (?) دراسات في الفرق د. صابر طعيمة، ص154 (الخوارج وتكفير الأمة الإسلامية).

المسلمين منهم؛ لا اليهود ولا النصارى؛ فإنّهم كانوا مجتهدين في قتل كلّ مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالِهم، وقتل أولادهم، مُكفِّرِين لَهم، وكانوا متديِّنين بذلك لِعظم جَهْلِهِم وبِدْعَتِهم الْمُضِلّة، ومع هذا فالصحابة والتابعون لهم بإحسان لم يُكَفّروهم، ولا جَعَلُوهم مرتدين، ولا اعتَدَوا عليهم بقولٍ ولا فِعلٍ، بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة. وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم »[1].

وبقي أنْ أُركّز هنا على استحلال الخوارج قتل المسلمين في الواقع المعاصر، و**أمثّل فقط بواقع واحدٍ في حياتنا المعاصرة لاستحلال الشباب المفتونين** بالتكفير والفكر الخارجي لدماء المسلمين، وهو أنّه « لَما حصل التفجير عند مبنى الأمن العام في شارع الوشم في الرياض، وانتشر بين الناس أنّ في ذلك قتلا للمسلمين وليس للمشركين، جاء جوابُهم في العدد السادس عشر[2]: ((وعندما جاء التفجير رفعوا عقائرهم بالصياح: هل هذا من قتال الصليبيين؟! هل قال رسول الله : أخرجوا السعوديين من جزيرة العرب، ولا قال: أخرجوا الأمريكان من جزيرة العرب؟! بل قال: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)، ما استثنى سعوديًّا ولا غيره، هذا هو الجواب الواضح الصريح لِهذا التساؤل البليد ممن طرحه!! »[3].

---

[1] منهاج السنة النبوية، (ج5/ 248-249).

[2] وكلام هؤلاء كان في مجلتهم على صفحة الانترنت، وقد كان للدكتور حمد إبراهيم العثمان مقالا بعنوان: أضواء على الفكر التفجيري اشتمل على جمل من كلامهم الساقط، وقد نشرت مقالتَه صحيفة القبس الكويتية، العدد: 11137، وبتاريخ: 24 ربيع الآخر، 1425هـ. ومن هذه المجلة أخذ شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر كلام هؤلاء المفتونين التي وزّعها في أماكن من رسالته: (بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير).

[3] بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير، لعبد المحسن البدر، (ج6/260).

ففي هذا أنّهم استحلّوا دماء هؤلاء الأبرياء (السعوديين المسلمين) بدعوى أنهم مشركون! والله المستعان!

** * **

فثبت بما تقدم من المطالب الثلاثة أنّ الخوارج جفَوا طائفةً من صحابة رسول الله ، فكفّروهم وطعنوا فيهم، كما أنّهم من عادتهم تكفير العلماء والأمراء (أولي الأمر والأئمة)، بل وينتُج عن ذلك شقّ عصا المسلمين بالخروج عليهم واستحلال قتلهم. وكلّ هذه أوجُه جفائيّة للرسالة المحمديّة.

** * **

كما أنه قد اتضح بالمبحثين قبل ذلك: أنّ الخوارج خالفوا شريعة رسولنا محمد بأوجُه من المخالفات، وهذا منها. كما أنّهم –بجفائهم هذا- تم أن ترك فِرَقُهم بعض شرائعه ، وأخذوا بأُخرى!

واتضح هناك أيضًا أنّ رأسَهم لَم يقف جفاؤُه على حدّ مخالفات شريعة عبد الله ورسوله نبينا محمد ، بل تجاوزَه إلى نسبة الظلم للرسول وعدم العدل؛ لذا لا يُستغرَب مِن مواقف أتباعه وتابعي منهجه في صحابة هذا الرسول أو بقية أمته. والله المستعان!

** * **

الفصل الثاني: موقف الرافضة والزيدية من مقامَي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: غلـوُّ الرافضة في النبِيّ ، وفيه تَمهيـدٌ ومطلبان.

المبحث الثاني: جفـاء الرافضة الكتـاب الْمُنــزّل عليه وسنّتَه ورسالته وشريعته، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الثالث: جفـاء الرافضة أزواجه وأصـحابه وأمته ، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الرابع: غلوُّ الزيدية وجفاؤهم لِمقـامَي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ، وفيه تمهيد ومطلبان.

الشيعة رافضةٌ وغيرُ رافضةٍ. وفرقُ الشيعة كُلّها راجعة إلى هذا التصنيف؛ فالرافضة يجمعهم الطعن في الصحابة مع رفض خلافة الثلاثة قبل عليٍّ ، والزيديّة يُثبتون خلافتهم؛ فـ« الرافضة: يتبرؤون من أصحاب النبي ويسبونهم وينتقصونهم، ويكفرون الأمة إلا نفرًا يسيرًا، وليست الرافضة من الإسلام في شيءٍ » كما قاله الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني –ت:280هـ-[1]. وقال في « الزيدية -وهم رافضة-: وهم الذين يتبرؤون من عثمان وطلحة والزبير وعائشة، ويرون القتال مع كل من خرج من ولد علي بَرًّا كان أو فاجرًا حتى يغْلِب أو يُغلَب »[2]. هكذا قال في الزيدية، والحق أنّ ما قاله قولٌ للسليمانية منهم، وأما البترية فتوقفوا في أمر عثمان ، بينما كانت الجارودية على مذهب الرافضة؛ فهم يكفرون الصحابة بما فيهم الصديق والفاروق رضي الله عنهما. كما سيأتي.

لِما سبق تَمّ تقسيم الشيعة في هـذا الفصل إلى رافضــةٍ وزيدية فحســب، خلافًا لِعــادَة طائفة من علمــاء الفِرَق والمتخصصـين فيه مِن تقسـيمها إلى ثلاثة أصـناف؛ زيدية، وإمامية (على رأسها: اثنا عشـرية)، وغاليـة/غُلاة[3].

---

[1] (?) معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام حرب بن إسماعيل، ص155.

[2] (?) المصدر نفسه، ص159.

[3] (?) كأبِي الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين، (ج2/ 65-166)، وكعضد الدين الإيجي في المواقف في علم الكلام، (انظر إليها

وصنّفها بعضهم إلى أربع فِرَق[1]. وأوصلها بعضهم إلى خمس، كالشهرستاني[2]. بينما وُجد مَن عدّد فِرقَهم دون تقسيمها إلى أصناف، بل سرَدَها سَردًا[3].

ومن الشيعة عمومًا مَن قال بإمامة عليٍّ وحده، ووقفَوا وهم السبئية. وسيأتي التعريف بِها. ومنهم مَن قالوا بإمامته وإمامة الحسن والحسين ومحمد (المشهور بابن الحنفية) أبناء عليّ ، ووقفوا عند محمدٍ هذا. وهم الكيسانية، وسيأتي التعريف بِها. ومنهم مَن قالوا بإمامة علِيّ وإمامة الحسن والحسين، وإمامة علي بن الحسين، وإمامة ابنه زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهم الزيدية. وسيأتي التعريف بِها. ومنهم مَن قالوا بإمامة علِيّ وإمامة الحسن والحسين، وإمامة علي بن الحسين، وإمامة الباقر (محمد بن علي)، والصادق (جعفر بن محمد)، وإمامة إسماعيل –عند طائفة منهم-، وهم الإسماعيلية. وسيأتي التعريف بِها. وقالت فرقة منهم بإمامة موسى (الكاظم) بدلا مِن إسماعيل، بعد جعفر، وساقوا الإمامة بعده إلى ولده الرضا (علي بن موسى)، ثم إلى الجواد (محمد بن علي)، ثم إلى العاشر علي بن محمد (الملقب بالهادي)، ثم الحسن بن علي (العسكري) ثم إلى المنتظر المهدي المزعوم الموهوم (محمد بن الحسن)، ووقفت عليه. وهم الاثنا عشرية. وسيأتي

وتفاصيل الفرق المندرجة تحتها: ص418-423)، وأحمد بن عمرو بن أبي العز، في كتابه الجرد الغامدة في قواصم الرافضة، ص61-62 وما بعده، وجلال الدين الدواني الصديقي في كتابه الحجج الباهرة، ص 383.

[1] كفخر الدين الرازي حيث قسّمها إلى أربعة هي الزيدية والإمامية والكيسانية والغالية، (انظر إليها وتفاصيل الفرق المندرجة تحتها: اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين، ص60-79).

[2] انظر: الملل والنحل للشهرساني، (ج1/279 –كيسانية، زيدية، إماميّة، غلاة، ثم إسماعيلية).

[3] كأبي الحسين محمد بن أحمد الشافعي الملطي في كتابه التنبيه والرد، ص29-48، وكابن الجوزي في تلبيس إبليس، ص22-23، وزين العابدين بن يوسف الكوراني في كتابه اليمانيات المسلولة، 153-221 (إلى نهاية المقالة الأولى).

التعريف بِها. ثم إنّ الإسماعيلية قالت: لا بُـدّ من إمـام إما ظاهر أو مستتر، فلم يُوقِفُوا الإمامة إلى يومنا هذا [1].

فقد اضطرَب الشيعة في مسائل الإمامة اضطرابًا كثـيرًا معروفًـا، وهـذا بعضـه، فكيف ببقية مسـائل أصـول دينهم؟ قال شيخ الإسـلام –رحمه اللـه- رادًّا على صـاحب منهـاج الكرامـة: « قد عُلِم أنّ الشـيعة مختلفـون اختلافًا كثيرًا في مسائل الإمامـة، والصـفات، والقـدر، وغـير ذلك مِن مسائل أصول دينهم، فـأيُّ قـولٍ لَهم هو المـأخوذ عن الأئمة المعصـومين؟ حـتى مسـائل الإمامة قد عُـرف اضطرابُهم فيها. وقد تقدم بعض اختلافهم في النص، وفي المنتظـر. .. ويَمتنع أنْ تكـون هـذه الأقـوال المتناقضة مأخوذةٌ عن معصـومٍ؛ فبَطَل قـولُهم أنّ أقـوالَهم مأخـذوةٌ عن معصومٍ »[2].

والرّافضة –بسبب مسألة الإمامة التي أفسَدَت عليهم دينهم- جُفاةٌ للرّسالة الْمحمدية وشريعته ﷺ، غُلاةٌ لشخصه الكريم، وسيتضح ذلك في مباحث الفصل ومطالبه.

وسأُعرّف بالرافضة قريبًا، وأُؤخّر الزيديّة إلى تمهيد المبحث الرابع كما رُسِم في الخطة.

المبحث الأول: غلوُّ الرافضة في النبِيّ ﷺ، وفيه تمهيدٌ ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالرافضة.

المطلب الأول: زعم غلاة الرافضة أنَّه عليه الصـــــلاة والسلام نورٌ أزلي ينتقل من الأنبياء حتى جاءَه.

المطلب الثـانِي: إطـراء الرافضة النــبيَّ ﷺ وإعطـاؤه خصائص الرب أو الإلـه.

التمهيد: التعريف بالرافضة[3]:

---

[1] انظر: فرق الشيعة للنوبختي، ص7-13، وص18-20، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية، (ج4/17-18)، وحقبة من التاريخ لعثمان الخميس، وكشف الجاني محمد التجاني، له أيضًا، ص121 .

[2] قاله شيخ الإسلام في: منهاج السنة النبوية، (ج4/ ص17-18).

[3] **الرفض** لغة: الترك، (انظر: مادة رفض، الصحاح للجوهري، ص 418، ومقاييس اللغة، 415، والقاموس المحيط، المادة نفسها، ص 593)، وانظر عن معنى الرافضة الاصطلاحي: دراسات منهجية لبعض

الولاء والبراء ركيزتان من ركائز الإسلام، يـوالِي المسلِمُ مَن والى الله ورسولَه بقـدر ما معه مِن الإيمـان، ويُعادي ويبْرأ مِن أعدائه. وصحابة رسول الله و عمومًا، والخلفاء الأربعة خصوصًـا أفضل النـاس إيمانًا بعد الأنبيـاء والمرسلين، وأحقّ الناس بِمحبة المؤمنين؛ لِما كـانوا عليه من المجاهـدة في الله بالغـالي والنفيس، ولِمحبة رسـول الله إيّاهم وتعظيمه لهم. والمنتسبون إلى الإسـلام فيهم على طرفَين ووسط.

والرافضة –بِفِرقِها- من الصحابة على طَرَفَي نقيضٍ؛ لِمُغالاتِها في الْحُبِّ والبُغض، والولاء والبراء؛ فيُبـالِغون في حُبّ علِيٍّ وبعض أولاده حـــتى إنّهم يصـــفونَهم بصـــفات الإلهية.

كما يُبـالِغون في بُغض أحبّـاء رسـول اللـه؛ الخلفـاء الثلاثة وغـيرهم حـتى يُخرجـوهم مِن الإسـلام. والسـبب في هـذا وفي كُلِّ بلايا الرافضة هي مسألة الإمامة المفتراة[1] التي جعلوها الركن الأعظم في دينهم، التي لا يجوز على الله –على زعمهم- أنْ يَغفل عنهـا، ولا على رسـوله أنْ يتْـرُك بيانَها. وسيتضح هذا وغيرُه بمسائل هذا الفصل.

والرافضة طائفة ذاتُ آراء اعتقادية خطيرة، منها: القــول بــأنّ الخلافة والإمامة في علِيّ بن أبِي طــالب ، وذرّيته من بعــده، وبســبب ذلك كفّــروا أكـثر الصــحابة، وطعنـــوا في خلافة الشـــيخين؛ أبِي بكر وعمر رضي الله عنهما[2].

فِرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر، ص12. « فالرافضة أسوأ أثرًا في الإسلامي أهل الكفر من أهل الحرب » (قاله الكرماني في/ معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام حرب بن إسماعيل، ص157).

وليُتنبّه إلى أنّني إذا قُلتُ قبل كُلّ فصل: (التعريف بالفرقة الفلانيّة –الرافضة مثلا-) فإنّي أفضّل أنْ أُلِمّ بالتعريف لِكُلّ مَا يندرج تحت هذا اللفظ المشترك حتى لا أعود إليه وأنا في صُلب البحث. ويُسحب هذا إلى جميع تمهيدات فصول هذا الباب.

[1] (?) انظر: دراسات منهجية لبعض فِرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر، ص28-30 (قول الرافضة في الإمامة).

[2] (?) انظر: دراسات منهجية، د. عبد القادر محمد عطا، ص12.

ويحسن هنا أنْ أورد قول الشهرستاني ليُوَضِّح أهم الأمــور والــركن الأعظم لــدى هــؤلاء (الإمامة[1])، وبعض العقائـــد: « الشـــيعة هم: الـــذين شـــايعوا عليًّا على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافتـه: نَصًّـا ووصـية؛ إما جَلِيًّا وإما خفيًّا. واعتقــدوا أنّ الإمامة لا تخــرج من أولاده؛ وإنْ خَرَجَت فبظلمٍ يكون مِن غيره، أو بتقية مِن عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تُناط باختيـار العامة وينتصب الإمام بنصبهم؛ بل هي قضية أصولية، وهي رُكن الـدين؛ لا يجـوز للرسل عليهم السـلام إغفالُه وإهمالُـه، ولا تفويضه إلى العامة وإرسـاله. **ويجمعهم** القـول بوجـوب التعـيين والتنصــيص، وثبــوت عصــمة الأنبيــاء والأئمة وجوبًا عن الكبـائر والصـغائر. والقـول بـالتولِّي والتَّبَـرّي: قـولاً وفعلاً وعقـدًا؛ إلا في حـال التقيـة. ويخـالفهم بعض الزيدية في ذلك. .. » [2].

وقال بِمثله ابن خلدون –رحمه الله- وفصّله وذكَر شــيئًا من النصــوص الجليّة الــتي يَزعُمــون أنّها نصٌّ في التنصــيص عليــه، وردّهــا: « الشــيعة لغــة: هم الصَّــحْب والأتباع، ويُطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتبـاع علي وبنيه . ومـذهبهم جميعًا متفقين عليه: أنّ الإمامة ليست من المصـالح العامة الـتي تُفـوَّض إلى نظَر الأمــة، ويتعين القــائم بِها بتعــيينهم، بل هي رُكنُ الدين وقاعدةُ الإسـلام، ولا يَجـوز لنبِيٍّ إغفالُه ولا تفويضُـه إلى الأمـــة، بل يجب عليه تعـــيينُ الإمـــام لَهم، ويكـــون مَعصومًا من الكبـائر والصـغائر، وأنّ عَلِيًّا هو الـذي عيَّنَه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص يَنقلونَها ويُؤولونَها على مقتضى مـــذهبهم، لا يعرفُها جهابـــذةُ السُّـــنَّة ولا نقَلَة الشـريعة، بل أكثرُها موضـوعٌ أو مطعـونٌ في طريقـه، أو بعيدٌ عن تأويلاتِهم الفاسدة. وتنقسم هذه النصوص عندهم إلى جلي وخفي: **فالجلي** مثل قوله: " **مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ**

---

1 (?) انظر: عنوان: الشهادتان لا تكفيان في دخول الجنة، في كتاب: الخطوط العريضة، لمحب الدين، ص37-41.

2 (?) الملل والنحل، (ج1/ ص277-279).

فَعَلِيٌّ مَـوْلاهُ "[1]. قـالوا: ولم تطـرد هـذه الولاية إلا في علي، .. **ومن الخفي عندهم** بعث النبِيّ ﷺ عَلَيًّا لقــراءة سـورة بـراءة في الموسم حين أنـزلت، فإنه بَعَثَ بِها أولاً أبا بكــر، ثم أوحي إليه ليُبَلِّغَه رجــلٌ مِنْك أو مِن قومــك، فبعَثَ عَلِيًّا ليكـون القـارئ الْمُبلِّغَ. قـالوا: وهـذا يـدُل على تقديم علي. **وأيضًا:** فلم يُعرف أنّه قـدّم أحـدًا على عليٍّ. وأما أبو بكر وعمر فقـدّم عليهما في غـزاتين: أسـامة بن زيد مرة، وعمرو بن العاص أخرى، وهذه كلّها أدلة شاهدة بتَعَيُّن عَلِيّ للخلافة دون غيره. فمنها ما هو غـيرُ معـروفٍ، ومنها ما هو بعيدٌ عن تـأويلهم. ثم منهم مَن يَـرَى أنّ هـذه النصوص تدُلّ على تعـيين علِيٍّ وتَشْخِيصِـه، وكـذلك تنتقل منه إلى مَن بعــده، وهــؤلاء هم الإماميــة، ويتــبرؤون مِن الشـيخين؛ حيث لم يُقـدِّموا عَلِيًّا، ويُبـايِعُوه بِمقتضى هـذه النصــوص، ويَغْمِصُــون في إمامتهمــا. ولا يُلتَفَت إلى نقل القــدح فيهما من غُلاتِهم فهو مـــردودٌ عنـــدنا وعنـــدهم. **ومنهم من يقــول:** إنّ هــذه الأدلة إنّما اقتضت تعــيين علي بالوصف لا بالشــخص، والنــاس مُقصِّــرُون حيث لم يَضَعُوا الوصف موضعه، وهؤلاء هم الزيدية، -كما سيأتِي- ثم اختلفت نقــول هــؤلاء الشــيعة في مســاق الخلافة بعد علي ... » [2].

وللرافضة فِرَقٌ كثيرة كبيرة، وفِـرَقٌ متفرِّعـةٌ من الكبــيرة؛ فلفظ الرافضة –المختـــار هنا في العنـــوان-

---

[1] جامع الترمذي: كِتاب المناقب، بَاب مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، ورقمه: 3713 عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ أَوْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وسنن ابن ماجه عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ مرفوعًا، كتاب المقدمة، بَاب فَضْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، ورقمه: 121، الحديث صحيح، وقد درس الحديث برواياته المختلفة الدراسةَ الوافيةَ الشيخُ الألباني –رحمه الله- (السلسلة الصحيحة، ج4/ 330-344، ورقمه: 1750 عن عشرة من الصحابة بطرقها الكثيرة).

وراجع لنقض استدلال الرافضة على علي دون من تقدمه من الثلاثة بِهذا الحديث وبغيره من شُبهاتهم (الفصل الأول من مسائل خلافة علي من كتاب الحجج الباهرة، من ص147 وأربع صفحات قبله-208، والفصل الذي بعده).

[2] مقدمة تاريخ ابن خلدون، (فصل مذاهب الشيعة في حكم الإمامة)،ص210 .

مشــتركٌ وشــاملٌ[1]: الشــيعةَ الإمامية الاثنَي عشــرية، والغالية من السـبئيّة والمختارية وغـيرهم، وكـذلك الغالية الباطنية الملاحـــدة مِن الإســـماعيلية بِفِرَقها (البهـــرة، الأغاخانيّة)، والـدّروز، والنّصَـيرية. ومثلها البابية والبهائية -اللذان أفردتُ لَهما فصلا لاعتبارات-؛ ذلك أنّه ما من فرقةٍ غالية وباطنيّة مِن فِرَقهم إلا وهي تـرفُض إمامة الشـيخين أبِي بكر وعمر رضي الله عنهمــا، ويــرَون إمامة علِيٍّ بعد رسـول الله بلا فصـل. فالقاعـدة المطـردة هنا أنّ كُـلّ باطنيٍّ رافضيٌّ، وليس كلّ رافضيٍ باطنيًا [2].

كما أنّ اللفظة شاملة الجارودية من الزيدية.

ورَدًّا على ما تقدم مِن أهمية الإمامة عند الرافضة، أقول:

الناظر في سيرة أمير المؤمـنين عليٍّ مع إخوانه الخلفاء الثلاثة قبله ؛ في حيـاتهم وبعـدها: فإنّه يـرَى أنّه لم يَدّع أنّه وصِيّ رسول الله ، ولا أنّه نَصّ عليه أنْ يكـون خليفته بعده، ولا أنّه معصـومٌ، إلى غـير مما يطـول ذكـره هنا. بل كُلّ هذه الأمور وغيرها جاءتْ من مكرٍ يهوديٍّ أراد هدم هذا الدين –كما سيأتي.

ومسألة أنّ عليًّا لم يدّع هذا الأمر لنفسه، وأنّه كان متعاونًا مع الذين سبقوه يأتَمر بأوامرهم كأيّ أحدٍ ممن هو تحت إمرتهم، ويجاهد في صفوفهم، ويتسرّى بِما يُقسم له من غنائمهم فيولد لـه، ويتـولى مهمة القضـاء لحل الـنزاع في ممــالكهم، ويُــزوِج لهم، ويسَــمّي بأســمائهم عليهم، ويُحبّهم حُبًّا شـديدًا ويأسف ويحـزن لوفـاتهم، ويتمـنى أنْ يلقى الله بمثل أعمـــالهم، .. كما أنّ أهل بيته على محبة وولاء شديدين لأبي بكر وعمر، .. هذه المسألة مقررة في كُتُب الشيعة قبل مخالفيهم؛ أهل السّـنة) [3]. بل لَمّا ضـاق

---

[1] انظر: دراسات منهجية لبعض فِرق الرافضة والباطنية، ص38، (عند الحديث عن أشهر فرق الرافضة).

[2] قرر شيخنا الشيخ عبد القادر –حفظه الله- في مواضع كثيرة من كتابه: (دراسات منهجية لبعض فِرق الرافضة والباطنية) قاعدة: كُلّ باطنيٍّ رافضيٌّ، ولا العكس، منها: ص40، وص83، و126، وغير ذلك.

[3] انظر كتاب الشريعة للآجري (كتاب حافل عنْوَن له بـ: مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أبي بكر وعمر وعثمان أجمعين)،

على طوائف من غلاة الشـــــيعة هـــــذه المواقف ولم يحتملوها، ولا قدِروا على تفسيرها، وخصوصًا موقفه من عدم دعواه الإمامة قـالت الكاملية منهم بتكفـيره. وقـالت جماهير الرافضة (الاثنا عشـرية) بأنّه وقف هـذه المواقف تقيّة؛ فزوّج بَضَعَتَه لِمَن يزعمون أنّه يرى كُفرَه تقية .. في سلسلة من الأعاجيب.

وأنا هنا سأذكُرُ طائفة من العقائد التي قالت وتقول بها الرافضة، وكُلّها أو أغلبها نتجَتْ بسـبب قـولهم بالإمامة على الوجه الذي قالوا بِه، كما أنّ أكثرَها وأخطرها أخذُوها مِن اليهود بواسطة ابنهم البار؛ ابن سبأ الصنعاني اليهودي الذي تظاهر بدخول الإسـلام وبمحبة أهل بيت رسـول الله .

وإنّ من ألقاب الرافضة: الإمامية؛ لقولِهم بالنصّ والتشـــخيص وبالوصـــية دون الإشـــارة، « الإماميّـــة: هم القائلون بإمامة علي بعد النبي عليه السلام نَصًّا ظـاهرًا، وتعيينًا صادقًا، من غـير تعـريض بالوصـف، بل إشـارة إليه بالعين. قـالوا: وما كـان في الـدين والإسـلام أمر أهم من تعيين الإمام، حـتى تكـون مفارقتُه الـدنيا على فـراغِ قلب من أمر الأمـــــــــة؛ فإنّه إنما بعث لرفع الخلاف، وتقرير الوفاق؛ فلا يجوز أنْ يُفارق الأمة ويـتركهم هملا، يـرى كل واحدٌ منهم رأيًا، ويسلك كـلٌّ واحد منهم طريقًـا؛ لا يوافقه في ذلك غيرُه، بل يجب أن يُعيّن شخْصًا هو المرجوع إليه، وينُص على واحد هو الموثوق به، والمعول عليه؛ وقد عيّن عليًّا في مواضع تعريضًـا، وفي مواضع تصـريحًا »[1]، ثم ذكر مِن كُلٍّ طرقًا وناقضها[2].

ص728-744)، ومختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة لجار الله الزمخشري، وكتاب: إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي لمحمد بن علي الشوكاني (كامل الكتاب)، وكتاب النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، لعلاء الدين المدرس، ص 329) .

[1] (?) الملل والنحل للشهرستاني، (ص324-325).

[2] (?) ومن العلماء الذين أحسنوا في سبر شُبَه الإمامية من القرآن والسنة والعقل في دعوى التنصيص على عليٍّ ونقضها: شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية في مواضع كثيرة منه، (وخصوصًا المجلد السابع كله؛ حيث ردّ على تشبث ابن المطهر بأربعين دليلا من القرآن

وإذا كانت الإماميّة تـزعُم أنّ قد نصّ على عليٍّ وعيّنَه[1] بِهذا الأمر، وهي دعـوى مغلوطة[2] يُمكن أيّ أحـدٍ أنْ يــدّعي بِهــا؛ فيمكن للراونديّة أنْ تــدّعي أنّه قد عيّن ونصّ على العباس وآله ، وهكـذا غـيرُهم. كما أنّ الإماميّة أنفسهم اختلفوا وتناقضوا فيما بينهم في المنصوص عليهم بعده مما يُبطل دعواهم من أساسها.

ودعوى التنصيص في إمامة عليّ بـالنصّ الجليّ المزعوم هو الذي فـارق بين الزيدية وغـيرهم من طـرف، والإماميّة من الطرف الآخَر[3].

إلْماحة إلى أخطر عقائد الرافضة[4]:

أولا: الــزعم بــأنّ رســول الله نصّ على إمامة عليّ ، وأنّها في ذريته من بعده. على تفصيلات تختلف فيها فرقة عن أخرى.

على إمامة علي، وعشرات الأحاديث من الموضوع والضعيف وما لا دلالة على مبتغاه فيه. بل وذكر شيخ الإسلام أنه توجد أحاديث مكذوبة أدل على مراد الرافضي، وهو لم يذكرها فذكرها ورد عليها، ص442-448): وجلال الدين الدواني الصديقي في كتابه: الحجج الباهرة، ص 143-231، وجمال الدين أبي المحسان الواسطي (من أعلام القرن التاسع) في كتابه: المناظرة بين السنة والرافضة، 57-156، والباب الخامس: في الإمامة (وتفرع منه: إبطال ما استدل به الرافضة على كون الخلافة للأمير بلا فصل) من كتاب: تلخيص ترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، (ص205-325) وغيرهم.

[1] (?) جاء في الكافي: باب نص الله ورسوله على الأئمة واحدًا فواحدًا، وجاء بعده أحد عشر بابًا في الإشارة والنص على الحسن، على الحسين، على ابنه علي، على أبي جعفر، على الصادق، على موسى، على الرضا، على أبي جعفر الثاني، على أبي الحسن الثالث، على أبي محمد، على صاحب الدار. وفي كلٍّ أحاديث باطلة (انظر: كسر الصنم، 223-250).

[2] (?) رد العلماء –كما تقدم ذكر بعضهم- على أسطورة النصّ الجليّ على إمامة علي بمؤلفات، ومنها: كتاب: أسطورة النصّ الجليّ على إمامة علي ، لعلاء الدين البصير. وسيأتي بعضُ ردهم في المبحث الرابع من هذا الفصل،

[3] (?) الملل والنحل للشهرستاني، (ص324-325).

[4] (?) انظر: كامل كتاب أصول وعقائد الشيعة الاثني عشرية تحت المجهر ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها، للدكتور حافظ موسى، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام د. غالب عواجي، (ج1/مجملة في: 358، ومفصلة من 358-452)، ودراسات منهجية لبعض فِرق الرافضة والباطنية، ص 19-37، (أخطر معتقدات الرافضة).

ثانيًــا: دعــوى تحريف الصــحابة (أبي بكر وعمر وزيــد) للقرآن إخفاءً لحقوق أهل البيت.

ثالثًا: دعوى ارتداد الصحابة إلا نفرٌ يسيرٌ منهم، لاغتصـاب حق عليّ وذويه.

رابعًا: تكفير الأمة لعدم قولِها بالإمامة الرافضيّة.

خامسًا: جعل البراء والولاء على الإمامة الرافضـية الـتي لا وجود لَها في الشريعة الإسلامية.

سادسًا: دعوى عصمة الأئمة والأوصياء؛ لإيجاب طـاعتهم في كُــلّ ما يُنسَـــب إليهم. ويُشــــارك الرافضة فيه بعض الزيدية[1].

ســابعًا: تقـديس الأئمــة، ودعــوى بعضــهم فيهم النبّـوة، ودعوى الإلهية فيهم من قبَل بعضهم.

ثامنًا: دعـوى علم الغيب للأئمــة، ودعــوى تفـويض الخلق إليهم عند بعضهم.

تاسعًا: قولُهم بغيبة بعض النــاس دهــورًا، ويبررونه بقصة الخضر ، (ستأتي في فصل الصوفية).

تاسعًا: دعــوى رجعة بعض المــوتى قبل يــوم القيامة من طرف الأئمة ومن طرف الصحابة للانتقام منهم.

عاشــرًا: القــول بالبــداء على الله تعـالى وتجهيله خـوف سقوط مشايخهم.

حادي عشــر: قــول بعضــهم بــأنّ لتنزيل القــرآن تـأويلاً، ولظاهره باطنًا، وعلم التأويل والباطن مخصوصٌ بـأئمتهم دون النبِيّ ، وأنّ نسبة البـاطن من الظـاهر نسـبة القشر من اللبّ. (والاثنا عشـرية من فـرق الرافضة أيضًـا تقـول بالباطن، كما سيأتِي).

ثانِي عشر: تدينهم بالتقيّة.

ثالث عشر: تديّنهم بمتعة النساء المنسوخة.

وسيتضح لاحقًا أنّ أغلب هذه العقائد أخذوها عن معلِّمهم الأول (المؤسس ابن سبأ اليهودي).

وبعد هذا،أرى أنْ أسرد أسماء الأئمة الاثني عشر من عليّ وأولاده الــذين يعتقد الاثنا عشــريّة إمــامتهم بــالنصّ

---

[1] (?) انظر لرد شُبه الرافضة والزيدية في دعوى عصمة الأئمة: الزيدية للصاحب ابن عباد، ص189-190، وما قبله.

واحــدًا بعد آخــر،وذلك لحــاجتي إلى ذلك لاحقًــا،وهــؤلاء (الأئمة) هم:

اسم الإمام	كنيته	لقبه	الميلاد والوفاة/
1- علي بن أبي طالب	أبو الحسن	المرتضى	23ق هـ - 40هـ
2-الحسن بن علي	أبو محمد	الزكي	2-50هـ
3- الحسين بن علي	أبو عبد الله	الشهيد	3-61هـ
4- علي بن الحسين	أبو محمد	زين العابدين	38-95هـ
5- محمد بن علي	أبو جعفر	الباقر	57-114هـ
6- جعفر بن محمد	أبو عبد الله	الصادق	83-148هـ
7- موسى بن جعفر	أبو إبراهيم	الكاظم	128-183هـ
8- علي بن موسى	أبو الحسن	الرضا	148-203هـ
9-محمد بن علي	أبو جعفر	الجواد	195-220هـ
10-علي بن محمد	أبو الحسن	الهادي	212-254هـ
11- الحسن بن علي	أبو محمد	العسكري	232-260هـ
12- محمد بن الحسن	أبو القاسم	المهدي	يرى الإمامية أنه وُلد سنة: 255 أو 256هـ، ويقولون بحياته إلى اليوم.

فهؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر عند الرافضة الإمامية الاثنَي عشرية، وهو سبب تلقيبهم بالاثني عشرية[1].

وأما عند الإسماعيلية فهم الستة الأُوَل، وسابعهم إســماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحســين بن علي بن أبي طالب.

كما أنّ الكيسانية –على رأيٍ- يقولون بإمامة الثلاثة الأُوَل (علي والحسن والحســين) مع محمد بن عليّ بن أبي طـالب المشـهور بـابن الحنفيّـة، نسـبة إلى أمه الـتي كانت من بنِي حنيفة.

وهذا سيأتِي مزيدٌ عليه عندما أُعرِّف بأمهات فِرَق الرافضة مشــيرًا إلى مفــردات كُــلّ فرقــة، في خمس مسائل، على النحو التالي:

المسألة الأولى: التعريف بالغالية من الرافضة بتعريف أصلها السبئيّة الذي تشعبّت منه.

المســألة الثانيــة: التعريف بالرافضة الاثنَي عشــرية، وبفرعِها: النُّصيرية.

المسألة الثالثة: التعريف بالكيسانية الرافضية.

المســألة الرابعــة: التعريف بالإســماعيلية الرافضــيّة الباطنية، وبفرعها: الدّروز.

المســألة الخامســة: التعريف بالجارودية الرافضــيّة.

فأقول –وبالله التوفيق:

المسألة الأولى: التعريف بالغاليَة مِن الرافضة بتعريف أصلها السبئيّة الذي تشعبّت منه:

تقدمت الإشارةُ –عند بيان نشأة الخوارج- إلى أنّ رأس مثيري الفتنة التي أدّت إلى قتل خليفة رسول الله وصهره عثمان الحقيقي هو: عبد الله بن سبأ[2] اليهـودي

---

[1] انظر: كسر الصنم، (ص223-250)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري، (ج1/90)، والملل والنحل للشهرستاني (ج1/ص 362)، وأصول مذهب الاثني عشرية (ج1/ص129)، د.ناصر القفاري.

[2] انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن، (ج1/86-88)، والتنبيه والرد للملطي، ص29-31، والفرق بين الفرق، ص235-237، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص326-328، والملل والنحل للشهرستاني، (ج2/ص365-367)، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة، (ج1/ص464-467)،

الذي ألَّب عليه الطُغَام والغوغائيين الذين قدِموا مِن مصر ومن العراق، كما أنّ له دورًا فعّالا في أحـداث الجمل وما بعده[1]. وهو يهوديٌّ تظاهر بالإسلام ليُفسـده على أهله[2]، فهو المؤسّـس الحقيقي لـدين الرافضـة؛ الـذي وضع لَهم أهم العقائد التي تَفردوا بِها من النصّ والوصـية والغلو في الأئمة والرجعة، والطعن في الصحابة؛ الخلفـاء الثلاثة قبل عليٍّ خصوصًـا، حيث جـاء في رجـال الكشي قوله فيه « وذكر بعضُ أهل العلم أنّ عبد الله بن سـبأ كـان يهوديًّا فأسـلم ووالى علِيًّا عليه السـلام، وكـان يقـول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغُلُوّ، فقـال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في عليٍّ عليه السلام مثل ذلك، وكان أول مَن أشْهَر بالقول بفرض إمامة علِيٍّ، وأظهر الـبراءة مِن أعدائه وكاشف مُخالفيه وكفّرهم، فَمِن هنا قال مَن خالَف الشيعة: إنّ أصْل التشيُّع والرّفض مأخوذٌ من اليهودية »[3].

وقد جاء هذا النصّ في فِـرَق الشـيعة قبل رجـال الكشّي، وزاد عليه: « ولَمّا بَلَغ عبد الله بن سـبأ نعيُ علِيٍّ بالمدائن، قـال للـذي نعـاه: كـذَبتَ، لـو جئتنـا بدماغـه في سبعين صُرّة، وأقَمْتَ على قتله سبعين عدلا لَعَلِمنا أنّـه لم يَمُتْ ولم يُقتـل، ولا يمـوت حـتى يملـك الأرض »[4]. وفيه عنـه: « وكـان ممن أظهـر الطعن على أبِي بكـر وعمـر وعثمان، والصحابة وتبرّأ منهم »[5].

وفرق المسلمين والمشركين للرازي، ص71، واختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص30-31، والشيعة والتشيع: فِرَق وتاريخ، للأستاذ إحسان إلهي ظهير، (باب التشيع والسبئية، ص 52-78، وبابين بعده).

1 (?) انظر: مبحث: مثيرو الفتنة من كتاب: فتنة مقتل عثمان بن عفان وأرضاه، د. محمد الغبان، (ج1/115-125)، وكتاب: ابن سبأ الشبَح المخيف للفكر الجعفري ولمرتضى العسكري، ص73-74، لعلاء الدين البصير.

2 (?) انظر: كتاب الشريعة للآجري، (ص597).

3 (?) رجال الكشّي، ص101.

4 (?) فِرَق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي الشيعي، ص23.

5 (?) المصدر نفسه، ص23.

وتلخص من هذه النصوص أنّ ابن سبأ كان يهوديًّا فتستر بالإسلام وأراد أنْ يُفسد الدين على المسلمين، فتعلق بشيعة عليٍّ ووافقهم فيما كانوا فيه من إظهار محبة أهل البيت لِهذا الغرض الفاسد[1]. وقد أدخل في الإسلام أفكارًا غريبة عليه كالنص والوصية، والغلو في أهل البيت، ودعوى النبوة والإلهية في البشر، ودعوى حلول الإله في الأئمة بالتناسخ، والغيبة والرجعة، وغير ذلك. مثلما عمِل بولس اليهودي من التظاهر بالنصرانية لإفساد دين النصارى[2]. كما تقدم.

ومن السّبئيّة تشعبَت فِرَق الغُلاة كما قرر العُلماء، جاء في الفرق بين الفرق: « وأما الروافض فإنّ السبئية منهم أظهروا بدعتهم في زمان عليّ فقال بعضهم لعليّ: أنت الإله، فأحرق عليٌّ قومًا منهم، ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن. وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام، لتسميتهم عليًّا إلَهًا، ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة. وافترقت الزيدية فِرَقًا، والإمامية فرقًا، والغلاة فِرقًا، كلّ فرقة منها تُكَفّر سائرها، وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام. ..

فأما غلاتُهم الذين قالوا بإلَهية الأئمة، وأباحوا محرمات الشريعة، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة، كالبيانية، والمغيرية، والجناحية، والمنصورية، والخطابية، والحلولية[3]، ومن جرى مجراهم: فما هم من فرق الإسلام، وإن كانوا منتسبين إليه »[4].

و**أما بقية الغاليّة** الذين أخذُوا بمقالات ابن سبأ فـ« هم الذين غَلَوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلَهية؛ فربما شبّهوا واحدًا من الأئمة بالإله، وربما شبّهوا الإله بالخلق، وهم

---

1 (?) انظر: التبصير في الدين، ص328.

2 (?) انظر: كتاب الشريعة للآجري، (ص597).

3 (?) ويأتي التعريف بِكُل فرقة منها في مسألة دعوى النبوة لأناس بعد رسول الله ، من أوجُه جفاء الرافضة فيه.

4 (?) الفرق بين الفرق، ص30-33.

على طـرَفَي الغلو والتقصـير. وإنما نشـأت شـبهاتُهم من مـذاهب الحلوليّـة، ومـذاهب التناسـخيّة، ومـذاهب اليهـود والنصـارى؛ إذ اليهـود شـبهت الخـالق بـالخلق، والنصـارى شبهت الخلق بالخالق؛ فسَرَتْ هـذه الشـبهات في أذهـان الشـيعة الغلاة حـتى حكمت بأحكـام الإلهية في حق بعض الأئمة، وكان التشـبيه بالأصل والوضع في الشـيعة.. وبـدع الغلاة محصـــورة في أربع:التشـــبيه والبـــداء والرجعة والتناسخ »[1].

وقد مـرّت جملة عقائد هـؤلاء الرافضـة، واختصت الغالية (الغلاة) منها وتفرّدَت بدعوى النبوة لأناس بعد رسول الله ﷺ، وبدعوى الإلهية لآخرين؛ كعليّ عند النّصيرية، وكالحاكم لأمر الله عند الـدّروز. والقاعـدة في الغالية من الرافضة أنّهم كُفّارٌ مُرتدّون كما تقدم؛ ويُقرره شيخ الإسلام –رحمه اللـه- أيضًـا وهو يَعمَل مقارنة بين الطـاعنين في علِيٍّ ؓ كـالخوارج وبقية النواصب وأنّها لم تُعـرَف فِرَقُها بـالرّدة بخلاف الرافضة الطـاعنين في الخلفـاء الثلاثـة: « والـذين قَدَحُوا في علِيٍّ ؓ وجعَلوه كـافرًا وظالِمًا ليس فيهم طائفة معروفة بـالرّدة عن الإسـلام، بخلاف الـذين يَمدحونه ويَقدحون في الثلاثة؛ كالغالية الـذي يَـدّعون في إلَهيته مِن النُّصَيرية، والغالية الذين يَـدّعون نُبُوّتـه؛ فـإنّ هـؤلاء كُفّـارٌ مُرتدّون، كُفرُهم بالله ورسوله ظـاهرٌ لا يَخفى على عـالِم بدين الإسـلام؛ فَمَن اعتقَد في بشَـرٍ الإلهيـة، أو اعتقَد بعد محمدٍ ﷺ نبِيًّا، أو أنّه لم يَكُن نبيًّا بل كان عليٌّ هو النَّبِيّ دونه وإنّما غلِطَ جبريل. فهـذه المقـالات ونحوُها مما يَظهر كفر أهلها لِمَن يَعـرف الإسـلام أدنى معرفـة. بخلاف مَنْ يُكفّر علِيًّا ويَلعنُه من الخوارج ... »[2].

وأكتفي بِهـذا عن السـبئيّة وغيرها من الغالية الرافضيّة.

المسألة الثانية: التعريف بالرافضة الاثنَي عشرية، وبفرعِها: النُّصيرية الباطنيّة:

1 (?) الملل والنحل، للشهرستاني، (ج2/ص363-364).

2 (?) منهاج السنة النبوية، (ج5/ص8-9).

وهنا وفي هذه المسألة سأعرِف بِفِرقتين، تحت فرعين:

الفرع الأول: التعريف بالإثنَي عشرية الرافضية.

الفرع الأول: التعريف بالنُّصيرية الباطنيّة.

الفرع الأول: التعريف بالاثنَي عشرية الرافضية[1]**:**

الاثنا عشرية من فِرَق الغالية، وإنْ كانت دون بقية مَن تُلقّب بالغالية (فهي متوسِّطة الغلوّ بالنسبة إليها)، وتقدم ذكر الأئمة الاثني عشر. والإسماعيليّة إماميّة، وكذا الاثنا عشريّة، حتى خصّ الأخيرة بِهذا اللقب بعض

[1] انظر عن **الرافضة الاثني عشرية** مفصَّلا من حيث التعريف بِها وأخطر عقائدها، وألقابُها وفرقها (من المحمدية والاثني عشرية، والشيخية والرشتية، وإلى أصولية وأخبارية، وغير ذلك)، وعداؤها للمسلمين عامّة وللصحابة خاصّة، وحكم الإسلام فيها: أولا: من كُتُب القوم: فرق الشيعة للنوبختي، 18-20، وأوائل المقالات في المذاهب المختارات، ص46، وكشف الأسرار للخميني، (الحديث الثاني في الإمامة)، ص121-198 وكامل كتاب الشيعة والتصحيح –الصراع بين الشيعة والتشيع- (لنقض عقائد الاثني عشريّة)، ومثله كسر الصنم للبرقعي.

ومن كُتُب مخالفيهم: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري، (ج1/ 88-105)، والفرق بين الفرق، ص71-72، وكتاب الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم بتحقيق: د. علي الفقيهي، والفصل لابن حزم، (ج3/99)، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص 204-205، والملل والنحل للشهرستاني، (ج1/343-362)، والمواقف في علم الكلام للإيجي، ص423، والجرد الغامدة في قواصم الرافضة (أصله خمسة أجزاء لجاحظ)، والحجج الباهرة لجلال الدين الصديقي، واليمانيّات المسلولة لزين العابدين الكوراني، والشيخ إحسان إلهي ظهير في كُتُبه الخمسة: الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، والشيعة والقرآن، والشيعة والسنة، والشيعة وأهل البيت، والرد الوافي على مغالطات الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه.. . وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، د. ناصر القفاري، والإمامة عند الشيعة الاثني عشرية لجلال الدين محمد صالح، وجاء دور المجوس لعبد محمد الغريب، وإسلام بلا مذاهب للشكعة، ص، ودراسات في الفرق، د. صابر طعيمة، ص، ص37-71، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب عواجي، (ج1/344-464)، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، للشيخ شيبة الحمد، ص235-239، والفصل الرابع (الشيعة الإمامية الاثني عشرية وأهم تعاليمهم) من كتاب: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين –الخوارج والشيعة-، د. أحمد محمد أحمد جلي، ص201-274.

المتأخرين، فـ« الإماميـة: سـاقوا الإمامة مِن عليّ الرِّضـا، إلى ابنه الحسن بالوصــية، ثم إلى أخيه الحســين، ثم إلى ابنه علي زين العابـدين، ثم إلى ابنه محمد البـاقر، ثم إلى ابنه جعفر الصــادق. ومِن هنا افــترقوا فرقــتين: فرقــةً ساقُوها إلى ولَدِه إسماعيل، ويعرفونه بينهم بالإمـام؛ وهم الإسماعيلية، وفرقةً ساقُوها إلى ابنه موسى الكاظم وهم الاثنا عشــرية لوقــوفهم عند الثــاني عشر من الأئمــة، وقَولِهم بِغَيْبَتِهِ إلى آخر الزمان. .. وأما الاثنا عشرية خصوا باسم الإمامية عند المتأخرين منهم، فقـالوا بإمامة موسى الكـاظم بن جعفر الصـادق لوفـاة أخيه الأكـبر إسـماعيل الإمــام في حيــاة أبيهما جعفــر، فنَصّ على إمامة موسى هـذا، ثم ابنه عليِّ الرّضا الـذي عهِد إليه المـأمون ومـات قبلــه؛ فلم يتم له أمــرٌ، ثم ابنِه محمد التّقيّ، ثم ابنه عليٍّ الهــــادي، ثم ابنِه محمد بْنِ الحسن العســــكريّ، ثم ابنِه محمد المهــــدي المنتظر .. وفي كل واحــــدة من هــــذه المقالات للشيعة اختلافٌ كثيرة، إلا أنّ هذه أشهرُ مذاهبهم .. والله يضل من يشــاء ويهــدي من يشــاء إلى صــراط مستقيم »[1].

والاثنا عشريّة هي أبرز واجهة للشيعة في هذا العصر وأكثر عددًا من بقيّة فـرق الرافضـة، ولهم نشـاطٌ منقطـعُ النظير في تضليل عباد الله وإخراجهم من الدين الصحيح، وكان وراءها دولة كما هو معروفٌ.

ولعل ما تمتاز به هذه الطائفة هو وفرة المصـادر التي فيها الأباطيل والموضوعات والمفتريات على الأئمـة، المناقضة للتوحيد والــدين الصــحيح، كالكــافي والبحــار وغيرهمــا، والــتي اعتاضت بِها عن الأخذ من كُتُب الســنّة الصـحيحة كصـحيح البخـاري وموطأ مالك ومسـند الإمـام أحمد وغيرها.

ومما يُضاف من مقالاتِها التي تفرّدت بِها دون أكثر المسلمين وإنْ شـاركها بعض فِـرَق الرافضـة، أو الزيديـة:

---

[1] (?) قاله ابن خلدون في مقدمة تاريخه، ص214-215.

التـديّن بالمتعة[1]، والشـهادة الثالثة في الأذان: أشـهد أنّ عليًّا وليّ الله) –شعار الشيعة- [2].

وتقدم بأنّهم إماميّة إلا أنّ الذي يلاحظ عليهم في سـوق إمـامتهم بعد الحسـنَين رضي الله عنهما قد عزلـوا أولاد الحسن وأبعـــدوهم؛ لأنّه تصـــالح مع معاوية بل وأصـلح الله به بين فئـتين من المسـلمين، جـاء في أوائل المقالات: (باب الفـرق بين الإماميّة وغـيرهم من الشـيعة وسائر أصحاب المقالات)، ومما قـال فيـه: « فأما السّـمة للمـذهب بالإمامــة، ووصف الفريق من الشـيعة بالإماميّة فهو علَمٌ على مَن دان بوجــوب الإمامة ووجودها في كُـلّ زمانٍ، وأوجب النصّ الجلِيّ، والعصمة والكمال لكُل إمـام، ثم حصَر الإمامة في ولد الحسين بن علي عليهما السلام، وسـاقها إلى الرضا علي بن موسى ع؛ لأنّه وإنْ كـان في الأصل علَمًا على مَن دان من الأصـــول بما ذكرنـــاه دون التخصيص .. فإنّه قد انتقل عن أصله لاستحقاق فِــرَق من مُعتقدِيه ألقابًا بأحاديث لَهم بأقاويل أحدثوها فغلبتْ عليهم في الاسـتعمال دون الوصف بالإماميّـة، وصـار هـذا الاسم في عــرف المتكلمين وغــيرهم من الفقهــاء والعامة علَمًا على مَن ذكرناه »[3].

النقطة الثانية: التعريف بالنُّصَيْرِيَّة الباطنيّة[4]:

---

1 (?) انظر عن الزواج المؤقت: الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي، ص147-156.

2 (?) انظر عنها: الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي، ص141-146.

3 (?) أوائل المقالات في المذاهب المختارات للمفيد، ص46.

4 (?) انظر عن **النُّصَيرية الباطنية** الغالية مفصَّلا من حيث التعريف بِها وأهم عقائدها وقداساتها وأعيادها، وألقابُها وفرقها، وعداؤها للمسلمين عامّة وللصحابة خاصّة، وحكم الإسلام فيها: الملل والنحل للشهرستاني، (ج1/408-411) وهو يتحدث عن النصيرية والإسحاقية، حتى قال وهو يُبيّن غلوهم في علي بن أبي طالب: « فالنّصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي، والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة »، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة، (ج2/ص15-16)، واعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص75-76، والشيعة والتشيع فرق وتاريخ، ص225-229، والباب الثالث (النُّصيريّة، والأصول الباطنيّة التي قامت عليها) من كتاب الحركات الباطنية في العالم

بعد الترجمة للاثني عشرية الرافضية يحسُن أنْ يُردَف ذلك بتعريف الفرقة التي تنتسب إليها، وتقول بالأئمة الاثني عشر، وإنْ كانت زنديقة وخارجة عن الإسلام لتأليه علي وغيره، ألا وهي: النّصَيريّة؛ وهم « أَتْبَاعُ أَبِي شُعَيْبٍ مُحَمَّدِ بْنِ نَصِيرٍ[1]، وَكَانَ مِنْ الْغُلاةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ عَلِيًّا إلَهٌ، وَهُمْ يَنْشُدُونَ:

أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلا حيدرة الأَنْزَعُ الْبَطِينُ
وَلا حِجَابَ عَلَيْهِ إلا مُحَمَّدٌ الصَّادِقُ الأَمِينُ
وَلا طَرِيقَ إلَيْهِ إلا سَلْمَانُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ »[2].

ولهم رمز: ع م س للدلالة على عقيدتهم، وهو ما في هذا البيت وبالترتيب نفسه،ومعناه أنّ عليًّا خالقُ محمد، ومحمدٌ خالق سلمان، وسلمان خالق الأيتام الخمسة. كما سيأتِي.

فالنُّصيريّة: « طائفة باطنية غالية، انْبَثَقت من الشيعة الاثني عشرية في القرن الثالث الهجري، على يد رجُلٍ يقال له: محمد بن نُصير »[3].

الإسلامي، ص319-434، ورسالة النصيرية د. محمد بن إبراهيم الحمد (ضمن رسائله في الأديان والفرق والمذاهب)، ص233-295، وإسلام بلا مذاهب للشكعة، ص331-381، والعقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، د. صابر طعيمة، ص253-324، ودراسات في الفرق، له أيضًا، ص37-71، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب عواجي، (ج 2/ص533-586)، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر بن محمد عطا، ص129-158، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص55-57، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، للشيخ شيبة الحمد، ص93، الفصل السابع (النصيرية –العلويون-: أصولهم، وعقائدهم، وموقفهم من الإسلام) من كتاب: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين –الخوارج والشيعة-، د. أحمد محمد أحمد جلي، ص 357-382، وبحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، د. محمد مجاهد، ص59-65.

[1] **محمد بن نُصير** هو النُّميري ولاء، وأصله من فارس، كان من الشيعة الاثني عشرية، ثم انفصل عنهم إثر نزاع بينهم وبينه على ثبوت صفة بابيّته للحسن العسكري، وكوّن له طائفة وظلّ زعيمًا لها إلى أن هلك في النصف الثاني من القرن الثالث (انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، ج2/537وما بعده).

[2] مجموع الفتاوى، (ج35/ص160).

و« تُعَدّ النُّصَيرية واحدة مِن فِرَق الباطنية. وقد كان مؤسسها –أولاً- يَنتسِبُ إلى الشيعة الإمامية الاثني عشرية، لكنّه تَرَك هذه الفرقة نتيجة خلافٍ حصل بينه وبين أتباعها، وأسّس لنفسه فرقةً ضمّنَها أسوأ ما في الفِرَق المعاصرة له من معتقدات؛ كالقول بأنّ للنّصوص الشّرعية ظاهرًا وباطنًا، وأنّ الباطن غير مراد، وكَسَبّ الصحابة وشتمهم والقول بارتدادهم، وكذا القول بالتناسخ، والقول بالإباحية، ونحو ذلك من المعتقدات »[1].

ولم يبق هنا إلا أنْ أشير إلى أهم عقائدهم التي تميّزوا بِها:

جاء ذكر عقائد النصيرية الباطنية في الاستفتاء الطويل الذي وُجّه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- والذي جاء منه: مَا تَقُولُ فِي (النُّصَيْرِيَّة) الْقَائِلِينَ بِاسْتِحْلالِ الْخَمْرِ، وَتَنَاسُخِ الأَرْوَاحِ، وَقِدَمِ الْعَالِمِ، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي غَيْرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبِأَنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ: عِبَارَةٌ عَنْ خَمْسَةِ أَسْمَاءٍ؛ وَهِيَ: عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ وَمُحْسِنٌ وَفَاطِمَةُ. فَذِكْرُ هَذِهِ الأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ -عَلَى رَأْيِهِمْ- يُجْزِئُهُمْ عَنْ الْغُسْلِ مِنْ الْجَنَابَةِ، وَالْوُضُوءِ، وَبَقِيَّةِ شُرُوطِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَةِ وَوَاجِبَاتِهَا. وَبِأَنَّ الصِّيَامَ عِنْدَهُمْ: عِبَارَةٌ عَنْ اسْمِ ثَلاثِينَ رَجُلا وَاسْمِ ثَلاثِينَ امْرَأَةً يَعُدُّونَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ، وَيَضِيقُ هَذَا الْمَوْضِعُ عَنْ إبْرَازِهِمْ؛ وَبِأَنَّ إلَهَهُمْ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ هُوَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَهُوَ عِنْدَهُمْ الإِلَهُ فِي السَّمَاءِ، وَالإِمَامُ فِي الأَرْضِ، فَكَانَتْ الْحِكْمَةُ فِي ظُهُور اللاهُوتِ بِهَذَا النَّاسُوتِ -عَلَى رَأْيِهِمْ- أَنْ يُؤْنِسَ خَلْقَهُ وَعَبِيدَهُ؛ لِيُعَلِّمَهُمْ كَيْفَ يَعْرِفُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ [2].

ومما جاء في الجواب: « هَؤُلاءِ الْقَوْمُ الْمُسَمَّوْنَ بـ(النُّصَيْرِيَّة) هُمْ وَسَائِرُ أَصْنَافِ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ أَكْفَرُ

---

3 (?) قاله د. محمد بن إبراهيم الحمد في رسالته عن النُّصَيريّة (ضمن:رسائله في الأديان والفرق والمذاهب، ص234).

1 (?) دراسات منهجية لبعض فِرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر محمد عطا، ص129.

2 (?) انظر: مجموع الفتاوى، (ج35/ص144).

مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ بَلْ وَأَكْفَرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَضَرَرُهُمْ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْظَمُ مِنْ ضَرَرِ الْكُفَّارِ الْمُحَارِبِينَ، مِثْلَ كُفَّارِ التَّتَارِ والفرنج وَغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّ هَؤُلاءِ يَتَظَاهَرُونَ عِنْدَ جُهَّالِ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّشَيُّعِ، وَمُوَالاةِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لا يُؤْمِنُونَ بِاَللَّهِ، وَلا بِرَسُولِهِ، وَلا بِكِتَابِهِ، وَلا بِأَمْرٍ وَلا نَهْيٍ، وَلا ثَوَابٍ وَلا عِقَابٍ، وَلا جَنَّةٍ وَلا نَارٍ، وَلا بِأَحَدٍ مِنْ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلا بِمِلَّةٍ مِنْ الْمِلَلِ السَّالِفَةِ، بَلْ يَأْخُذُونَ كَلامَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى أُمُورٍ يَفْتَرُونَهَا؛ يَدَّعُونَ أَنَّهَا عِلْمُ الْبَاطِنِ؛ مِنْ جِنْسِ مَا ذَكَرَهُ السَّائِلُ، وَمِنْ غَيْرِ هَذَا الْجِنْسِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ حَدٌّ مَحْدُودٌ فِيمَا يَدَّعُونَهُ مِنْ الإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَآيَاتِهِ، وَتَحْرِيفِ كَلامِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ إذْ مَقْصُودُهُمْ: إنْكَارُ الإِيمَانِ، وَشَرَائِعِ الإِسْلامِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، مَعَ التَّظَاهُرِ بِأَنَّ لِهَذِهِ الأُمُورِ حَقَائِقَ يَعْرِفُونَهَا مِنْ جِنْسِ مَا ذَكَرَ السَّائِلُ، وَمِنْ جِنْسِ قَوْلِهِمْ: إنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ: مَعْرِفَةُ أَسْرَارِهِمْ، والصِّيَامَ الْمَفْرُوضَ: كِتْمَانُ أَسْرَارِهِمْ، وَحَجَّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ: زِيَارَةُ شُيُوخِهِمْ، وَأَنَّ (يَدَا أَبِي لَهَبٍ) هُمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَنَّ (النَّبَأَ الْعَظِيمَ، وَالإِمَامَ الْمُبِينَ) هُوَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ وَلَهُمْ فِي مُعَادَاةِ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ وَقَائِعُ مَشْهُورَةٌ، وَكُتُبٌ مُصَنَّفَةٌ، فَإِذَا كَانَتْ لَهُمْ مُكْنَةٌ سَفَكُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ .. »[1].

وأصل مذهب هؤلاء وغيرهم التقية والكتمان، وهم هدمةُ الدين؛ فكفرهم ظاهرٌ مجمع عليه.

ولهم ألقابٌ كثيرة تخصهم، وأُخرى مشتركة، وأحبّها إليهم ما لقبهم به الفرنسيّون، وهو العلويون: « تَارَةً يُسَمَّوْنَ الْمَلاحِدَةَ، وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ الْقَرَامِطَةَ، وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ الْبَاطِنِيَّةَ، وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ الإِسْمَاعِيلِيَّة، وتَارَةً يُسَمَّوْنَ النُّصَيْرِيَّة، وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ الخرمية، وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ الْمُحَمِّرَةَ. وَهَذِهِ الأَسْمَاءُ مِنْهَا مَا يَعُمُّهُمْ، وَمِنْهَا مَا يَخُصُّ بَعْضَ أَصْنَافِهِمْ. .. وَشَرْحُ مَقَاصِدِهِمْ يَطُولُ، وَهُمْ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ فِيهِمْ: ظَاهِرُ مَذْهَبِهِمْ الرَّفْضُ، وَبَاطِنُهُ الْكُفْرُ

[1] مجموع الفتاوى، (ج35/148-149).

الْمَحْضُ. وَحَقِيقَةُ أَمْـرِهِمْ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُـونَ بِنَبِيٍّ مِن الأَنْبِيَـاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ لا بِنُوحٍ وَلا إبْرَاهِيمَ وَلا مُوسَـى وَلا عِيسَـى وَلا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلا بِشَيْءٍ مِن كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَـةِ؛ لا التَّوْرَاةِ وَلا الإِنْجِيـلِ وَلا الْقُـرْآنِ. وَلا يُقِرُّونَ بِأَنَّ لِلْعَالَمِ خَالِقًا خَلَقَهُ؛ وَلا بِأَنَّ لَهُ دِينًا أَمَـرَ بِـهِ، وَلا أَنَّ لَـهُ دَارًا يَجْـزِي النَّاسَ فِيهَا عَلَى أَعْمَـالِهِمْ غَيْـرَ هَـذِهِ الدَّارِ»[1].

المسألة الثالثة: التعريف بالكيسانية[2]:

الكيسـانيّة هم الـذين قـالوا بإمامة عليٍّ والحسن والحسين. وقالوا بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب من غـير فاطمـة، على خلاف الزيدية وبقية الإماميـة، فإنّه بعد قتل الحسـين بن علي بن أبي طـالب رضي الله عنهما اختلفت الشيعة فيمن يكـون الإمـام بعـده، فقـالت طائفة بإمامة أخيه محمد بن علي (المسـمى: بـابن الحنفيـة) وهـؤلاء هم الكيسـانيّة. وقـالت طائفة منهم بإمامة ولـده زين العابدين علي بن الحسين، وهم بقية الشيعة، وسيأتي ذكرهم.

وقيل: الكيسانية: هم الذين قالوا بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي بن أبي طالب[3].

فالموسوية هي الإمامية الاثنا عشرية، والإسماعيلية جعلوا الإمامة إلى أكبر سنّا من أولاد جعفر وهو إسـماعيل هـذا، مع أنه تـوفي في حيـاة والـده، فنقلوها إلى ولـده محمد، « وفرقة قـالت بإمامة محمد بن الحنفية لأنه كـان صـاحب راية أبيه يـوم البصـرة دون أخويـه، فسـموا الكيسـانية، وإنما سـموا بـذلك لأن المختـار بن أبي عبيد الثقفي كان رئيسهم، وكان يلقب كيسان، وهو الذي طلب بدم الحسين بن علي صلوات الله عليهما وثأره؛ حتى قتل من قَتَلتِه وغـيرهم مَن قتَـل، وادّعى أنّ محمد بن الحنفية أمـره بـذلك، وأنّه الإمـام بعد أبيـه، وإنما لقب المختـار

---

1 (?) مجموع الفتاوى، (ج35/151).

2 (?) انظر: عقائد الثلاث السبعين فرقة، (ج2/ص11-13).

3 (?) انظر: الملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ 283).

كيسـان؛ لأنّ صـاحب شـرطته المكـنى بـأبي عمـرة كـان اسمه: كيسان، وكان أفرط في القـول والفعل والقتل من المختار جدًا، وكان يقول: إنّ محمد بن الحنفية وصيّ علي بن أبي طـالب، وأنّه الإمـام، وأنّ المختـار قيّمُه وعاملُـه. ويُكفّر مَن تقـدم عليًّا، ويكفر أهل صـفين والجمـل. وكـان يـزعم أنّ جبرئيل يـأتي المختـار بـالوحي من عند الله ؛ فيخبره ولا يراه. وروي بعضُهم أنّه سُـمي بكيسـان مـولى علي بن أبي طـالب عليه السـلام، وهو الـذي حمله على الطلب بـــدم الحســـين بن علي عليه الســـلام، ودَلّه على قتَلَتِه، وكان صاحب سره ومؤامرته، والغالب على أمره »[1].

هذا كلام النوبخـتي فيهم، ولا أدخل هنا في خلاف أصحاب المقالات عن كيسان، لكن الذي أقـول: لا يُتَـرجم للكيسـانيّة أتبـاع محمد بن الحنفية إلا ويُـذكر كـذّاب ثقيف المختـــار بن أبي عبيد الثقفي الـــذي أخذ بثـــأر ابن علي، وقتل أكثر الذين قتلوا حسينًا والذي تقدمت روايات دالة على أنّ الشـيطان زيّن له ادعـاء النبـوة، فادعاها لنفسـه، وزعم أنّ جبريل يأتيه بـالوحي، بما لا يحسن تكـراره هنـا. وسـيأتِي ذكر فرقته المختارية في مسـألة جفـاء الرافضة رسـالة نبينا محمـدٍ بادعـائهم النبـوة لأنـاس بعـده. وقد انتظم للمختار ما انتظم بأمرين، أخذ الثـأر، وانتسـابه إلى ابن الحنفية علمًا ودعـوة. وقد تـبرأ محمد ابن الحنفية من المختار حين وصل إليه أنّه قد لبّس على الناس، وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها[2].

---

1 (?) فرق الشيعة للنوبختي، ص23-24.

2 (?) انظر: رجال الكشي، 110-117 (وفي الموضع ترجمته، دون الاغترار بالروايات التي تمدحه). ثم انظر عنه وعن فرقته: الفرق بين الفرق للبغدادي، 32، وص 48-62، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص190-192، وص 194-197، والملل والنحل للشهرستاني، (ج 1/283-289، (واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص78، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ص215-221، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب عواجي، (ج1/328-334).

وقد صارت الكيسانية فرَقًا، أهمها: المختارية، والبيانية، والكربية، والحربية، والهاشمية[3].

وعقيدتُها تقوم على ألوهية الأئمة من آل البيت، ويدينون برجعة الإمام، ويقولون بالبداء على الله، تعالى وتنزه، ويقولون بتناسخ الأرواح، كما يقولون بالتأويل الباطني. وغير ذلك[2]. ويذكر العلماء أنّه ليس لهم في هذا العصر أتباع في العالم الإسلامي.

المسألة الرابعة: التعريف بالإسماعيلية، وغيرها من بقية فرق الباطنية الملاحدة كالدروز:

وهنا سيكون الكلام في نقطتين:

الأولى: التعريف بالإسماعيلية الرافضيّة الباطنيّة[3]:

تقدم ذكر الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية، وأنّ الثلاثة الأوائل منهم صحابة، وهم عليٌّ وولداه الحسن والحسين، ثم الرابع هو زين العابدين علي بن الحسين، والخامس ولدُه الباقر (محمد بن علي)، والسادس الإمام جعفر بن محمد الملقب بالصادق. وهؤلاء أئمة في العلم يُقتدى بِهم، ومن أفاضل أهل البيت ورحمهم. والإمام السادس له أولادٌ كُثُر، منهم موسى الذي يُلقّب بالكاظم، ومنهم إسماعيل وهو أكبر ولد جعفر، وقد أجمع المؤرخون أنه مات في حياة أبيه. لكن الشيعة –كعادتهم في الاختلاف فيما بينهم- لَمّا مات الصادق جعفر، قال بعضُهم بأنّ إمامهم هو موسى الكاظم، وهؤلاء هم جمهورهم، وقال الآخرون وهم الذين سُمّوا فيما بعد بالإسماعيلية بأنّ إمامهم هو إسماعيل، وأنّ والده قد نصّ عليه، والفائدة من النصّ -على زعمهم- مع أنّ الإمامة

---

[3] (?) سيأتي ترجمة البيانية في مسألة دعوى النبوة، وانظر التعريف بـ(الكربية، والحربية، والهاشمية في: التبصير في الدين للاسفراييني، ص192-193، والملل والنحل للشهرستاني، (ج1/290-297)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص77-78، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، شيبة الحمد، 222-228) .

[2] (?) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص40-41.

[3] (?) انظر عن الإسماعيلية مفصلا: عقائد الثلاث السبعين فرقة، (ج2/ص16-50) بل إلى ص234).

تبقى في ولد المنصوص عليه، وهو محمد. وسفسط بعضهم فزعَم أنّ إسماعيل المجمع على موته لم يمت، فالإسماعيلية « ساقوا الإمامة إلى جعفر وزعموا أنّ الإمام بعده ابنه إسماعيل، وافترق هؤلاء فرقتين: فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه. وفرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر، حيث إنّ جعفرًا نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا أنّه إنّما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل. وإلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية »[1].

فأئمتهم سبعة، حيث « ساقوا الإمامة مِن علي الرِّضا، إلى ابنه الحسن بالوصية، ثم إلى أخيه الحسين، ثم إلى ابنه علي زين العابدين، ثم إلى ابنه محمد الباقر، ثم إلى ابنه جعفر الصادق. ومِن هنا افترقوا فرقتين: فرقةً ساقُوها إلى ولَدِه إسماعيل، ويعرفونه بينهم بالإمام؛ وهم الإسماعيلية، وفرقةً ساقُوها إلى ابنه موسى الكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة، وقَولِهم بِغَيْبَتِه إلى آخر الزمان. .. فقالوا بإمامة إسماعيل الإمام بالنص مِن أبيه جعفر. وفائدة النّص عليه عندهم، وإنْ كان قَد مات قبل أبيه إنما هو بقاء الإمامة في عقبه ... . قالوا: ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم، وهو أول الأئمة المستورين؛ لأنّ الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر؛ وتكون دعاتُه ظاهرين إقامة للحجة على الخلق، وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته. قالوا وبعد محمد المكتوم: ابنه جعفر الصادق، وبعده: ابنه محمد الحبيب، وهو آخر المستورين، وبعده ابنه عبد الله المهدي؛ الذي أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعي في كتامة، وتتابع الناس على دعوته، ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة، وملك القيروان والمغرب، وملك بنوه من بعده مصر .. ويُسمى هؤلاء: (الإسماعيلية)، نسبة إلى القول بإمامة إسماعيل،

1 (?) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص70.

ويسـمون أيضًـا بــ(الباطنيــة) نسـبة إلى قــولِهم بالإمــام الباطن[1]، أي المستور، ويُسمَّون أيضًا (الملحــدة) لِما في ضمن مقالتهم من الإلحـاد. ولهم مقـالات قديمة ومقـالات جديدة .. »[2].

وليس المقصود من هذا السرد التاريخي، بقدر ما هو تميـــيز للفرقة عن بـــاقي أخواتها من فـــرق الرافضـــة، فالإسماعيلية من فِرَق الرافضة الكبيرة والتي تفـرع تحتها فروع، وتُعَدُّ « واحدة مِن فِرَق الباطنية، إضـافة إلى كونها إحـــدى فِـــرَق الشـــيعة الإماميـــة؛ لأنّ من معتقـــداتها أنّ الإمامية في ذرّية الحســـــين بن علِيّ –على نحو قـــــول الشيعة الاثني عشـرية –لكنهم خـالفوا الاثـني عشـرية في تسلسل الإمامة بعد جعفر الصـادق؛ فـزعم الإسـماعيلية أنها صـارت إلى إسـماعيل بن جعفـر، أو ولـده محمد بن إسماعيل، وادعى الاثنا عشرية أنها انتقلت إلى موسى بن جعفـر. والإسـماعيلية رافضـةٌ لحملهم معتقد الـرفض بِما يَنطـوي عليه من أفكـار خطـيرة، فهم: رافضـة، وباطنيـة، وشيعة إماميَّة »[3].

وأخطر عقائدها وأبرز ما تميزوا به منها: هو الإلحاد والقـول بالبـاطن، وتأويل بل إسـقاط الشـرائع الظـاهرة المتمثلة في أركان الإسلام؛ من الصـلاة والزكـاة والصـوم والحج بأشياء لا تخطر ببال المسـلم، ولا يـدُل عليه اللفظ واللغـة، ولا السـياق، ولا العقــول السـليمة؛ فكمـا أوّلت الباطنية عمومًا أصول الـدين على الشـرك، احتـالوا أيضًـا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة أو إلى أحكام المجوس[4].

ومن عقائدهم: تناسخ الأرواح بكُل أنواعه. وهنا أرجع القارئ الكريم إلى مظان المادة لاستكمال التعريف

---

[1] (?) والتعليل الآخر لتسميتهم بالباطنية وهو أصَحّ من هذا هو قولهم بأنّ لِكُلّ ظواهر الشريعة بواطن تَجرى مجرى اللب مع القشر (انظر: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، ص52-53).

[2] (?) مقدمة تاريخ ابن خلدون،ص214-215.

[3] (?) دراسات منهجية لبعض فِرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر محمد عطا، ص83.

[4] (?) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي، ص292.

بهم[1]، ومعرفة خطـــورتهم على الـــدين وضـــررهم على المسلمين، والمقصود هنا أنّ هؤلاء ملاحـدة تسـتروا بحُبّ أهل الـبيت؛ والإسـلام لهدمـه؛ فظـاهر مـذهبهم الـرفض، وباطنه الكفر المحض[2]، ولهم مــراتب مرحلية في دعــوة غيرهم إلى مذهبهم، قيل بأنها ثمانية، وقيل غير ذلك.

---

[1] (?) قد كتب العلماء رحمهم الله عن الفرقة **الإسماعيلية الباطنية** الرافضة كُتُبًا كثيرة جدًّا، قديمًا وحديثًا، استقلالا وضمنًا، وعرّفوا بِهم، وكشفوا أسرارهم وفضحوهم، وحذّروا المسلمين من شرّهم، وذكروا فرقهم التي تفرعت منها (من الإسماعيلية الخالصة، والمباركية، والمستعلية –البهرة-، والنزارية –الأغاخانية-)، وألقابهم الكثيرة، ومنها غير ما تقدم: القرامطة، والتعليمية، والمزدكية، والحرمية لإباحتهم المحرمات والمحارم، والمحمرة:
ومن الكُتُب التي أُلِّفت عنها استقلالا: بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي، وفضائح الباطنية للغزالي وغير ذلك.
ومن الكتب المعاصرة: الإسماعيلية عقائد وتاريخ للشيخ إحسان إلهي ظهير، والإسماعيلية المعاصرة –الأصول، المعتقدات، المظاهر الدينية والاجتماعية، د. محمد أحمد الجوير، وكتاب: أصول الإسماعيلية –دراسة، تحليل، نقد-، د. سليمان عبد الله السلومي، وكتاب: البهرة –تاريخها وعقائدها- د. رحمة الله قمر الهدى الأثري، وغيرها.
ومن التي تكلمت عنها ضمنًا لا استقلالا، أولا: من كُتُب الإمامية: فرق الشعة للنوبختي، ص67-69، وغيرذلك.
ثانيًا: من كتب مخالفي الشيعة: التنبيه والرد للملطي، ص31-33، والفرق بين الفرق للبغدادي، ص289-316، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص353-365، والملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ ص341-342)، و (ج1/ص421-447)، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة، (ج2/16-234)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص65، والمواقف في علم الكلام للإيجي، ص421-423، ومقدمة تاريخ ابن خلدون، ص214-215، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها وحكم الإسلام فيها- د. محمد أحمد الخطيب، ص57-195، والعقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، د. صابر طعيمة، (المبحث الثالث إلى الخامس، ص59-194)، وكتاب دراسات منهجية لبعض عقائد الرافضة والباطنية، د/ عبد القادر محمد عطا صوفي، ص50-127، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص52-55، ودراسات في الفرق د. صابر طعيمة، 75-97، والشيعة والتشيع فرق وتاريخ، أستاذ إحسان إلهي ظهير، 202-208، و الفصل السادس (الإسماعيلية –الباطنية-: أصولهم، عقائدهم، وأهم فرقهم) من كتاب: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين –الخوارج والشيعة-، د. أحمد محمد أحمد جلي، ص303-353. وقد أوردتُ هذه

وقد ظهـرت فتنهم عن تـدبير جماعـة في سـجن العراق، فلما خلصوا من السـجن ظهـرت دعـوتهم[1]. وأما عن الذين وضـعوا أسـاس دين الباطنية فقد ذكر أصـحاب المقالات أنّهم كانوا من أولاد المجوس[2]، لذا كان مذهبهم في الإلهيــات والنبــوات والإمامة والحشر والقيامة أكــثر موافقـــة للثنوية والفلاســفة في البـــاطن، وللـــروافض والشيعة في الظاهر[3]، قال الغـزالي في فضـائح الباطنية القرامطة الإسـماعيلية: « فقــد تطــابق نقلة المقــالات قاطبة على أنهــا لم يفتتحها منتسب إلى ملــة، ولا معتقد لنحلة، معتضد بنبوة؛ ذلك أنّ مسـاقها ينقـاد إلى الانسـلال من الــدين كانســلال الشــعرة من العجين، ولكن تشــاور جماعة من المجــوس، والمزدكيــة، وشــرذمة من الثنوية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سـهام الـرأي في اسـتنباط تـدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين، ويُنفِّس عنهم كربَةَ ما دهاهم من أمر المسلمين، حتى أخرسوا ألسـنتهم عن النطق بما هو معتقـدهم من إنكـار الصـانع، وتكـذيب الرسـل، وجحد الحشر والنشر والمعاد إلى الله في آخر الأمر، وزعموا أنّا بعد أن عرفنا أنّ الأنبيــاء كلهم ممخرقــون ومنمســون، فــإنّهم يســتعبدون الخلق بما يخيلونه إليهم من فنــون الشعبذة والزرق، وقد تفـاقم أمر محمـد، واسـتطارت في الأقطار دعوتُه، واتسعت ولايتُه، واتسقت أسبابُه وشوكتُه، حتى استولوا على ملك أسـلافنا، وانهمكـوا في التنعم في الولايات، مستحقرين عقولَنا، وقد طبقــوا وجه الأرض، ولا

المصادر لاستكمال التعريف بهذه الفرقة الملحدة وبما تفرع منها، حيث لا يسمح المقام به في البحث.

2 (?) انظر: فضائح الباطنية للغزالي، ص38.

1 (?) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي، ص292، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص356.

2 (?) وهؤلاء هم: عبد الله بن ميمون القداح مولى لجعفر بن محمد الصادق، والملقب بدندان، وجماعة، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي، ص289وما بعده، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص353وما بعده.

3 (?) انظر: فضائح الباطنية للغزالي، ص43، وانظر الشبه بل الصلة والتأثر بين الإسماعيلية والفلاسفة والثانوية في هذه الموضوعات، ص 38-43.

مطمع في مقاومتهم بقتال، ولا سبيل إلى استنـزالهم عما أصرّوا عليه إلا بمكر واحتيال، ولو شافهناهم بالدعاء إلى مذهبنا لتنمّروا علينا، وامتنعوا من الإصغاء إلينا، فسبيلنا أنْ ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم هم أركّهم عقولا، وأسخفهم رأيًا، وألينهم عريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات، وهم الروافض. ونتحصن بالانتساب إليهم، والاعتزاء إلى أهل البيت عن شرهم، ونتودد إليهم بما يلائم طبعهم؛ مِن ذِكر ما تَمّ على سلفهم من الظلم العظيم والذل الهائل، ونتباكى لهم على ما حَلّ بآل محمد ، ونتوصل به إلى تطويل اللسان في أئمة سلفهم الذين هم أسوتُهم وقدوتُهم، حتى إذا قبّحنا أحوالَهم في أعينهم، وما ينقل إليهم شرعُهم بنقلهم ورواياتهم اشتد عليهم باب الرجوع إلى الشرع، وسهُل علينا استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين، وإنْ بقي عندهم معتصم من ظواهر القرآن، ومتواتر الأخبار، أوهمنا عندهم أنّ تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأنّ أمارة الأحمق الانخداع بظواهرها، وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها، ثم نبُثّ إليهم عقائدَنا، ونزعم أنّها المراد بظواهر القرآن. ثم إذا تكثرنا بهؤلاء سهُل علينا استدراج سائر الفرق بعد التحيز إلى هؤلاء، والتظاهر بنصرهم. ثم قالوا: طريقُنا أنْ نختار رجلا ممن يساعدنا على المذهب، ونزعم أنّه مِن أهل البيت، وأنّه يَجب على كافة الخلق مبايعتُه، وتتعين عليهم طاعتُه؛ فإنّه خليفة رسول الله، ومعصومٌ عن الخطأ والزلل من جهة الله تعالى »[1]. إلى آخر ما قال.

وهذا هو الجواب على سؤال: هل الذين أسسوا هذا المذهب مسلمون؟ وبيان السبب الباعث للباطنية على نصب دعوتهم وبدعتهم. وقد قال به غير الغزالي كما سبقت الإشارة إليه. وهذا أيضًا هو واقع مذهب الباطنية الإسماعيلية ومَن تفرعوا منها بعد ذلك كالدروز والله المستعان!

وحكَى الغزالي مذهبَهم، فقال: « ثم إنّهم قالوا: كلّ نبِيّ لشريعته مدة؛ فإذا انصرمت مدتُه بعث الله نبِيًّا آخَر

[1] فضائح الباطنية للغزالي، ص26-27.

يَنسخ شـريعتَه، ومـدةُ شـريعة كل نبِيٍّ سـبعة أعمـار؛ وهو سبعة قرون؛ فأولهم هو النبِيّ الناطق؛ ومعـنى (النـاطق): أنّ شريعته ناسخة لما قبله. ومعنى (الصـامت): أنْ يكـون قائمًا على ما أسَّسَـه غـيرُه، ثم أنّه يقـوم بعد وفاته سـتةُ أئمة؛ إمامٍ بعد إمام، فإذا انقضَتْ أعمـارُهم ابتعث الله نبيًّا آخر ينسخ الشـريعة المتقدمة؛ وزعمُـوا أنّ أمر آدم جَـرَى على هـذا المثـال، وهو أول نبِيّ ابتعثه الله؛ ... ولكلّ نِبِيّ سـوس؛ والسـوس هو البـاب إلى علم النبِي في حياته، والوصيّ بعد وفاته، والإمـام لِمن هو في زمانه. -إلى أنْ قـال في تتمة الأدوار السـادس والسـابع بعد ذكـره آدم ونوحًا وإبـراهيم وموسى وعيسى عليهم السـلام وأبـوابَهم ذاكرًا عقيـدتهم الكاذبة في أنّ قـائم الإسـماعيلية الآن هو محمد بن إسماعيل المزعوم بأنّه نسَخ شـريعة نبينا محمد ﷺ- ولَمّا استتم دوره بالسابع ابتعث الله محمـدا ﷺ، وسوسه عليّ -عليه السـلام- وقد اسـتتم دورُه بجعفر بن محمد، فإنّ الثاني من الأئمة: الحسن بن علي، والثـالث الحسـين بن علي، والرابع علي بن الحسـين، والخـامس محمد بن علي، والسـادس جعفر بن محمد -عليه السـلام-، وقد استتموا سبعة معه، وصارت شريعتُه ناسخةً. وهكـذا يـدور الأمر أبد الدهر »[1].

فهو « مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قـول الإمـام المعصـوم، وعزل العقول عن أن تكـون مُدْرِكـةً للحق لِما يعتريها من الشـبهات، ويتطـرق إلى النظـار من الاختلافـات، وإيجـاب لطلب الحق بطريق التعليم والتعلم وحكم بـأنّ المعلم المعصـوم هو المستبصر، وأنَّـه مطلع من جهة الله على جميع أسـرار الشـرائع، يهـدي إلى الحق، ويكشف عن المشـكلات، وأنّ كل زمـان فلا بد فيه من إمـام معصـوم يرجع إليه فيما يستبهم من أمور الدين »[2].

---

1 (?) فضائح الباطنية للغزالي، ص41-42.

2 (?) قاله الغزالي وهو يَذكُر بل ينقُل معتقد الإسماعيلية الباطنية جملة وتفصيلا في كتابه فضائح الباطنية، ص38.

وهؤلاء الإسماعيلية أصل بلية الإلحاد والزندقة بعد السبئية الكافرة، وقد أخذت فــرقٌ من الرافضة مأخــذهم، كالدروز.

النقطة الثانية: التعريف بالدروز الباطنية[1]:

بعد الذي تقدم عن الإسماعيلية فإنّه يسهل التعريف بالدروز التي انبثقت منها، قائلة بمعتقــداتها إلا أنّها فارقتها في بعض العقائد الــتي أتت بهــا، فـ« الــدّروز مِن الفِــرَق التي انشقّت عن الإسماعيلية، وحالُها شبيهٌ بِحال ســابقتها النّصيرية؛ فكما تربّت النُّصَيرية في أحضان الاثني عشــرية ثم انشقت عنها، فكذلك تربّت طائفة الــدروز في أحضــان الإســـماعيلية ثم خـــرجَت عليها ببعض المعتقـــدات الـــتي تُخالفُها –ظاهرًا-. وقد حمَلَت هذه الفرقة عــددًا كبــيرًا من المعتقـــــدات الضّــــالة وافقت في بعضـــــها الفرقة الأم (الإسماعيلية)، وخالفتها في البعض الآخَر »[2].

فتعرف اصطلاحًا بأنّها « طائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية، هم مِن غُلاة الباطنيــة يعتقــدون ألوهيــة الحــاكم بــأمره،

---

[1] (?) انظر عن **الدّروز الباطنية** الغالية مفصَّلا من حيث التعريف بها وأهم عقائدها (تأليهها الخليفة العبيدي الحاكم بأمر الله)، وإنكار الأنبياء وحقدهم وعداوتهم، وفرقها، ومصحفها (المصحف المنفرد لذاته)، وموقفها من الصحابة، وحكم الإسلام فيها: رسالة ماجستير بعنوان: عقيدة الدروز عرض ونقد، د. محمد أحمد الخطيب، والباب الثاني(الدروز، والأصول الباطنيّة التي قامت عليها) من كتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص197-318، وإسلام بلا مذاهب للشكعة، ص273-329، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب عواجي، (ج2/ص591-638)، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص55، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر بن محمد عطا، ص159-189، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، للشيخ شيبة الحمد، ص89-90، والفصل الثامن (الدروز: أصولهم، وعقائدهم، وموقفهم من الإسلام) من كتاب: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين –الخوارج والشيعة-، د. أحمد محمد أحمد جلي، ص 385-407، وبحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، د. محمد مجاهد، ص66-70.

[2] (?) دراسات منهجية لبعض فِرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر محمد عطا، ص159.

انشـقّوا عن الإسـماعيلية في الظـاهر وإنْ كـانوا متفقين معهم في جوهر عقائدهم »[1].

فالدّروز والدُّرْزِيَّةُ: « أَتْبَاعُ هشتكين الدُّرْزِيُّ، وَكَانَ مِنْ مَــوَالِي الْحَــاكِمِ أَرْسَــلَهُ إلَى أَهْــلِ وَادِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَــةَ، فَــدَعَاهُمْ إلَى إلَهِيَّةِ الْحَــاكِمِ، وَيُسَــمُّونَهُ: (الْبَــارِي الْعَلامُ)، وَيَحْلِفُونَ بِـهِ، وَهُمْ مِنْ الإِسْـمَاعِيلِيَّة الْقَـائِلِينَ بِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إسْمَاعِيلَ نَسَخَ شَرِيعَةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْـدِ اللَّهِ، وَهُمْ أَعْظَمُ كُفْـرًا مِنْ الْغَالِيَـةِ، يَقُولُـونَ بِقِـدَمِ الْعَـالَمِ، وَإِنْكَـارِ الْمَعَــادِ، وَإِنْكَــارِ وَاجِبَــاتِ الإِسْــلامِ وَمُحَرَّمَاتِــهِ، وَهُمْ مِن الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ أَكْفَـرُ مِنْ الْيَهُـودِ وَالنَّصَـارَى، وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَغَايَتُهُمْ أَنْ يَكُونُوا فَلاسِفَةً عَلَى مَـذْهَبِ أَرِسْـطُو وَأَمْثَالِـهِ، أَوْ مَجُوسًـا. وَقَـوْلُهُمْ مُـرَكَّبٌ مِنْ قَـوْلِ الْفَلاسِفَةِ وَالْمَجُوسِ، وَيُظْهِرُونَ التَّشَيُّعَ نِفَاقًا »[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « كُفْرُ هَـؤُلاءِ مِمَّا لا يَخْتَلِـفُ فِيـهِ الْمُسْـلِمُونَ، بَـلْ مَنْ شَـكَّ فِي كُفْـرِهِمْ فَهُـوَ كَـافِرٌ مِثْلُهُمْ، لا هُمْ بِمَنْزِلَـةِ أَهْـلِ الْكِتَـابِ وَلا الْمُشْــرِكِينَ؛ بَــلْ هُمْ الْكَفَــرَةُ الضَّــالُّونَ، فَلاَ يُبَــاحُ أَكْــلُ طَعَامِهِمْ، وَتُسْبَى نِسَاؤُهُمْ، وَتُؤْخَذُ أَمْوَالُهُمْ؛ فَـإِنَّهُمْ زَنَادِقَـةٌ مُرْتَدُّونَ؛ لا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ؛ بَلْ يُقْتَلُـونَ أَيْنَمَا ثُقِفُـوا، وَيُلْعَنُـونَ كَمَا وُصِــفُوا؛ وَلا يَجُــوزُ اسْــتِخْدَامُهُمْ لِلْحِرَاسَــةِ وَالْبِوَابَــةِ وَالْحِفَــاظِ. وَيَجِبُ قَتْـلُ عُلَمَــائِهِمْ وَصُــلَحَائِهِمْ؛ لِئَلا يُضِــلُّوا غَيْرَهُمْ؛ وَيَحْرُمُ النَّوْمُ مَعَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ، وَرُفْقَتِهِمْ، وَالْمَشْيُ مَعَهُمْ، وَتَشْـيِيعُ جَنَـائِزِهِمْ إذَا عُلِمَ مَوْتُهَا. وَيَحْـرُمُ عَلَى وُلاةِ أُمُـورِ الْمُسْـلِمِينَ إضَـاعَةُ مَا أَمَـرَ اللَّهُ مِنْ إقَامَـةِ الْحُـدُودِ عَلَيْهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ يَرَاهُ الْمُقِيمُ، لا الْمُقَامُ عَلَيْهِ »[3].

وقال أيضًا: « هَؤُلاءِ الدُّرْزِيَّةُ وَالنُّصَيْرِيَّة كُفَّارٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، لا يَحِلُّ أَكْلُ ذَبَائِحِهِمْ، وَلا نِكَاحُ نِسَائِهِمْ؛ بَـلْ وَلاَ يُقِرُّونَ بِالْجِزْيَـةِ؛ فَـإِنَّهُمْ مُرْتَـدُّونَ عَنْ دِينِ الإِسْـلامِ لَيْسُـوا مُسْلِمِينَ؛ وَلا يَهُودَ وَلا نَصَارَى لا يُقِرُّونَ بِوُجُـوبِ الصَّـلَوَاتِ

---

[1] (?) قاله د. غالب بن علي عواجي (فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ج2/594).

[2] (?) مجموع الفتاوى، (ج35/161-162).

[3] (?) المصدر نفسه، (ج35/162).

الْخَمْسِ، وَلا وُجُـوبِ صَـوْمِ رَمَضَـانَ، وَلا وُجُـوبِ الْحَجِّ، وَلا تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ الْمَيْتَـةِ وَالْخَمْـرِ وَغَيْرِهِمَا. وَإِنْ أَظْهَرُوا الشَّهَادَتَيْنِ مَـعَ هَـذِهِ الْعَقَائِدِ فَهُمْ كُفَّارٌ بِاتِّفَـاقِ الْمُسْلِمِينَ »[1].

المسألة الخامسة: التعريف بالجارودية الرافضية[2]:

ستأتي ترجمة الزيدية في تمهيد المبحث الرابع من هذا الفصل، لكنْ ولداعية الضرورة، أقول: « قد انقسمت الزيدية بعد زيد إلى فرق ثلاث، جنحت إلى الغُلُوّ، وخالفت رأي الإمـام زيـد في الشـيخين، وفي غـير ذلـك من بعض المســائل الأخــرى »[3]. ومن هــذه الفــرق: الجارودية الرافضـية: أصـحاب أبي الجـارود زيـاد بن أبي زيـاد، في كتــاب المقــالات للأشــعري: « الجارودية: أصــحاب أبي الجــارود، وإنما ســُمّوا جارودية؛ لأنّهم قــالوا بقــول أبى الجارود: يزعمـون أنّ النبِيّ نَصّ على عليّ بن أبي طـالب بالوصف لا بالتســمية، فكــان هو الإمــام من بعــده، وإن الناس ضلّوا وكفروا بـتركهم الاقتـداء به بعد الرسـول، ثم الحسن من بعد علي هو الإمام، ثم الحسين هو الإمام من بعد الحسن »[4].

فما أجرأهم على التكفير؛ حيث إنّهم على عقيدة إمامهم أولا من أنّه لم يُسمّ الإمـام بعـده بالاسـم، وهـذا حــق، بل وصــفه بصــفات، ثم زعمــوا التكفـير في أمــور سوّغوا فيها الاجتهاد، « والنـاس قصـّروا حيث لم يتعرفـوا الوصف ولم يطلبــوا الموصــوف، وإنما نصــّبُوا أبا بكر باختيارهم؛ فكفَرُوا بذلك.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى، (ج35/161).

[2] (?) **الجارودية:** (انظر عنها وما تفردت به عن بقية فرق الزيدية، وأنّها رافضية، وقد (ذكر 8 أدلة وعلل لرافضيتها)، كما أنّهم يقولون بالرجعة، أيضًا: المرجع التالية: الفرق بين الفرق للبغدادي، ص32، و41-43، والفصل لابن حزم، (ج3/ص97)، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص 185-186، والشيعة والتشيع: عقائد وتاريخ، للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص185، ورافضة اليمن على مر الزمن، 125-130.

[3] (?) إسلام بلا مذاهب، د. مصطفى الشكعة، ص228.

[4] (?) مقالات الإسلاميين للأشعري، (ج1/ 140-141)، .

وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامَه زيدَ بن عليّ؛ فإنّه لم يعتقد هذا الاعتقاد »[1].

وليس مقصودي هنا الردّ عليهم؛ لكن المقصود: أنْ يتضح مجـــرد مخالفة الجارودية للإمـــام زيد بن علي بن الحسين ، وأنّهم كفّروا الصحابة ورفضوهم وعلى رأسـهم الشـيخين؛ بل وكفـرُوا السـليمانية والبترية كما قـال في الفـرق بين الفـرق: « والجاروديـة يُكفّـرون السـليمانية والبترية لتركهما تكفير أبي بكر وعمر »[2] فهم إذًا رافضة.

وبعد هذه المسائل الخمس المتقدمة، أقول: كُلُّ هذه الفـرق رافضـية، وسـتأتي قصة مَن آل أمـرُهم إلى رفض الشـيخين -في التعريف بفرقة الزيديـة- وخـروجهم من جيش زيد هذا، وقوله لهم: (رفضتموني، أنتم الرافضة).

فالرافضة: هم الذين يرَون إمامة عليٍّ بعد رسـول الله بلا فصـلٍ، ويرفُضـون إمامة الشـيخين ويتـبرّؤون منهمـا، ويصـفونَهما (مع عثمـان) بـالظلم لعلي، بل بـالكفر، ثم يُكفِّرون أكثر الصحابة -على زعمهم- بدعوى أنّ النـبيّ قد نصّ على عليٍّ نصًّـا جليًّا؛ فخـالفوه، ويخـالفهم في دعوى النصّ الزيدية، قـال شـيخ الإسـلام -رحمه اللـه-: « وَأَصْـلُ قَـوْلِ الرَّافِضَـةِ: أَنَّ النَّبِيَّ نَصَّ عَلَى عَلِيٍّ نَصًّـا قَاطِعًا لِلْعُـذْرِ؛ وَأَنَّهُ إمَـامٌ مَعْصُـومٌ وَمَنْ خَالَفَـهُ كَفَـرَ؛ وَأَنَّ الْمُهَـاجِرِينَ وَالأَنْصَـارَ كَتَمُـوا النَّصَّ، وَكَفَـرُوا بِالإِمَـامِ الْمَعْصُـومِ؛ وَاتَّبَعُـوا أَهْـوَاءَهُمْ، وَبَـدَّلُوا الـدِّينَ، وَغَيَّرُوا الشَّرِيعَةَ، وَظَلَمُوا وَاعْتَدَوْا؛ بَلْ كَفَرُوا إلا نَفَـرًا قَلِيلا: بِضْـعَةَ عَشَرَ أَوْ أَكْثَـرَ، ثُمَّ يَقُولُـونَ: إنَّ أَبَا بَكْـرٍ وَعُمَـرَ وَنَحْوَهُمَا مَا زَالا مُنَافِقَيْنِ. وَقَدْ يَقُولُونَ: بَـلْ آمَنُـوا ثُمَّ كَفَـرُوا. وَأَكْثَـرُهُمْ يُكَفِّرُ مَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ، وَيُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ الْمُـؤْمِنِينَ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ كُفَّارًا، وَيَجْعَلُونَ مَدَائِنَ الإِسْلامِ الَّتِي لا تَظْهَـرُ فِيهَا أَقْـوَالُهُمْ دَارَ رِدَّةٍ، أَسْـوَأَ حَـالا مِنْ مَـدَائِنِ الْمُشْـرِكِينَ وَالنَّصَـارَى، وَلِهَـذَا يُوَالُـونَ الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى وَالْمُشْـرِكِينَ عَلَى بَعْضِ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى مُعَادَاتِهِمْ وَمُحَارَبَتِهِمْ:

[1] الملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ ص311).

[2] الفرق بين الفرق للبغدادي، ص45 .

كَمَا عُـرِفَ مِنْ مُـوَالاتِهِمْ الْكُفَّارَ الْمُشْـرِكِينَ عَلَى جُمْهُـورِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَمِنْ مُـوَالاتِهِمْ الإِفْـرِنْجَ النَّصَـارَى عَلَى جُمْهُـورِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَمِنْ مُوَالاتِهِمْ الْيَهُودَ عَلَى جُمْهُـورِ الْمُسْـلِمِينَ. وَمِنْهُمْ ظَهَرَتْ أُمَّهَاتُ الزَّنْدَقَةِ وَالنِّفَاقِ؛ كَزَنْدَقَةِ الْقَرَامِطَـةِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَأَمْثَـالِهِمْ، وَلا رَيْبَ أَنَّهُمْ أَبْعَـدُ طَوَائِفِ الْمُبْتَدِعَـةِ عَنْ الْكِتَـابِ وَالسُّـنَّةِ، وَلِهَـذَا كَـانُوا هُمْ الْمَشْـهُورِينَ عِنْـدَ الْعَامَّةِ بِالْمُخَالَفَـةِ لِلسُّـنَّةِ، فَجُمْهُـورُ الْعَامَّةِ لا تَعْـرِفُ ضِـدَّ السُّـنِّيِّ إلا الرَّافِضِـيَّ، فَـإِذَا قَـالَ أَحَـدُهُمْ: أَنَا سُـنِّيٌّ؛ فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: لَسْت رافضيًّا. وَلا رَيْبَ أَنَّهُمْ شَرٌّ مِنْ الْخَوَارِجِ، لَكِنَّ الْخَـوَارِجَ كَـانَ لَهُمْ فِي مَبْـدَأِ الإِسْـلامِ سَـيْفٌ عَلَى أَهْـلِ الْجَمَاعَـةِ. وَمُـوَالاتُهُمْ الْكُفَّارَ أَعْظَمُ مِنْ سُـيُوفِ الْخَـوَارِجِ؛ فَإِنَّ الْقَرَامِطَةَ والإِسْـماعِيليَّةَ وَنَحْـوَهُمْ مِنْ أَهْـلِ الْمُحَارَبَـةِ لأَهْـلِ الْجَمَاعَـةِ، وَهُمْ مُنْتَسِـبُونَ إلَيْهِمْ. وَأَمَّا الْخَـوَارِجُ فَهُمْ مَعْرُوفُـونَ بِالصِّـدْقِ؛ وَالـرَّوَافِضُ مَعْرُوفُـونَ بِالْكَـذِبِ. وَالْخَوَارِجُ مَرَقُوا مِنْ الإِسْلامِ، وَهَؤُلاءِ نَابَذُوا الإِسْلامَ »[1].

وقال: «.. فَالرَّافِضَةُ تَنْتَحِلُ النَّقْلَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ لِمَا لا وُجُـودَ لَـهُ، وَأَصْـلُ مَنْ وَضَـعَ ذَلِـكَ لَهُمْ زَنَادِقَـةٌ: مِثْـلُ رَئِيسِهِمْ الأَوَّلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ؛ الَّذِي ابْتَـدَعَ لَهُمْ الـرَّفْضَ؛ وَوَضَـعَ لَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ نَصَّ عَلَى عَلِيٍّ بِالْخِلافَـةِ، وَأَنَّهُ ظُلِمَ وَمُنِـعَ حَقَّهُ، وَقَـالَ: إنَّهُ كَـانَ مَعْصُـومًا. وَغَـرَضُ الزَّنَادِقَـةِ بِذَلِكَ: التَّوَسُّلُ إلَى هَدْمِ الإِسْلامِ، وَلِهَذَا كَانَ الـرَّفْضُ بَـابَ الزَّنْدَقَةِ وَالإِلْحَـادِ؛ فَالصَّـابِئَةُ الْمُتَفَلْسِـفَةُ، وَمَنْ أَخَـذَ بِبَعْضِ أُمُـــورِهِمْ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْقَرَامِطَـــةِ والنصـــيرية والإسماعيلية وَالْحَاكِمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ إنَّمَا يَدْخُلُونَ إلَى الزَّنْدَقَةِ وَالْكُفْـرِ بِالْكِتَـابِ وَالرَّسُـولِ وَشَـرَائِعِ الإِسْـلامِ: مِنْ بَـابِ التَّشَيُّعِ وَالرَّفْض »[2].

فثبت بما تقدم وبما سيأتي أنّ أهم سمات وصفات الرافضـة: الكـذب والجهل والظلم، يقـرره شـيخ الإسـلام رحمه الله فيقول: « ومُصـنِّفُ هـذا الكتـاب –يعنِي بـه ابن مطهِّر الْحِلِّي الرافضي- وأمثالُه من الرافضة: إنّما نقابلُهم ببعض ما فَعَلُوه بأمة مُحمد ؛ سَلَفِها وخَلَفِها؛ فإنّهم عَمَدوا

[1] مجموع الفتاوى، (ج3/356-357).
[2] مجموع الفتاوى، (ج22/ص367).

إلى خِيَـار أهـل الأرض من الأولين والآخـرين بعـد النّبـيين والمرسـلين، وإلى خيـار أمـة أخـرجت للنـاس، فجعلـوهم شرارَ الناس؛ وافتَـرَوا عليهم العظـائم، وجعلـوا حسـناتِهم سيئاتٍ. وجاءوا إلى شَرِّ مَن انتَسَبَ إلى الإسلام مِن أهــل الأهواء: وهم الرافضة بأصنافها: غالِيِّهـا وإماميِّهـا وزَيْـدِيّها، والله يعلم -وكفى بالله عليمًـا- ليس في جميـع الطوائـف المنتسـبة إلى الإسـلام مـع بدعـةٍ وضـلالةٍ: شَـرٌّ منهم؛ لا أجْهلَ، ولا أكْذَب، ولا أظْلَم، ولا أقرَبَ إلى الكُفر والفُسُوق والعِصْـيَان، وأبعـد عن حقـائق الإيمـان، منهم؛ فزَعَمُـوا أنّ هؤلاء هم صَفْوَة الله من عباده، فإنّ ما سِوَى أمـة مُحمـدٍ كُفّار، وهؤلاء كَفَّرُوا الأمّةَ كُلَّها، أو ضلّلُوها سِـوَى طـائِفَتَهم التي يَزْعُمُـون أنّهـا الطائفـةُ الْمُحِقَّة، وأنّهـا لا تَجتمـع على ضلالة، فجَعَلُوهم صفوةَ بنِي آدم، ... وهـؤلاء الرافضـة إمـا منافقٌ، وإما جاهلٌ؛ فلا يكون رافضيٌّ ولا جَهْمِيٌّ إلا منافقًـا أو جاهلا بما جاء به الرسـول ﷺ، لا يكـون فيهم أحَـدٌ عالِمًـا بِما جاء به الرسول مع الإيمان به؛ فإنّ مُخالفَتَهم لِمَا جــاء بِه الرّسول وكَذِبَهم عليه لا يَخفَى قَطّ إلا على مُفــرِطٍ في الجهــل والهــوى. وشــيوخُهم الْمُصَــنِّفُون: فيهم طوائــفُ يَعْلَمُون أنّ كثيْرًا مِمّـا يقولونَـه كَـذِبٌ، ولكن يُصَـنِّفُون لَهم لرياسـتهم عليهم، .. فـإنْ كـان أحـدُهم يَعْلَم أنّ مـا يقولـه باطـلٌ ويُظْهـرُه ويقـول: إنّـه حـق من عنـد اللـه، فهـو مِن جنس علمـاء اليهـود الـذين يكتبـون الكتـاب بأيـديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ... وإن كان يعتقد أنّه حَقٌّ دَلّ ذلك على نِهاية جَهْله وضلاله »[1].

وأكتفي بهذا في التعريف بالرافضة، وقد فصلتُه إلى المســائل الخمسة الســابقة للحاجة إليها لاحقًــا، وبالله التوفيق.

** * ** * **

1 (?) منهاج السنة النبوية، (ج5/ص160-162).

وبعد الذي تقدم في التعريف بالفرقة، فـالمبحث الأول مِن الفصل عُقِد لبيــان: **غلوُّ الرافضة في النبِيّ ﷺ**، وهذا له صُوَرٌ عديدة[1]: وسأُجْمِل الحـديث عن المبحث في مطلبَين، هما:

المطلب الأول: زعم غلاة الرافضة أنَّه عليه الصلاة والسلام نورٌ أَزَلِيٌّ يَنْتَقل من الأنبياء حتى جاءَه:

وقد توصّل بعضُهم بِهذا القول إلى أنّ هذا النور الأزلي المتنقل من آدم إلى أنْ جاءته ﷺ = أنه نور الله وروحه. وأنّ هذا النور حلّت فيه فصار هو الله –تعالى الله عن قولهم-. وبِهذه الدعوى نفَوا بشريّة عبد الله ورسوله الثابتة في القرآن والسنة غُلُوًا فيه ﷺ.

وإنّ مما يَنصــبّ على عُنــوان المطلب: قــول الجناحية[2]: «الأرواح تتناســخ، وكــان روح الله في آدم ثم في شــيث، ثم الأنبيــاء والأئمــة، حــتى انتهت إلى علي وأولاده الثلاثة ثم ..»[3].

ويَقْرُب منه ما أورده النوبختي –وهو يتحـدث عن بعض فــــرق الغلاة (الخطابية – البزيغيــــة- الــــتي هي

---

[1] انظر: مبحث الغلو في ذات الرسول ﷺ عند الشيعة من كتاب محبة الرّسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، لعبد الرؤوف محمد عثمان، ص158-160.

[2] **الجناحية:** هي: فرقة رافضية غالية تنتسب إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، ذي الجناحين، ومن مزاعمه: أنه ربٌّ، وأنّه نبِيٌّ، فعبده شيعتُه، ويدعون أنّ الدنيا لا تفنى، ويَكفُرُون بالقيامة، ويستحلون الميتة والخمر وغيرهما: (انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن، (ج1/67).

قال في التبصير في الدين، ص331: « من جملة الغلاة أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يزعمون أنّ روح الإله تَحُلّ في الأنبياء والأئمة، وتنتقل من بعضهم إلى بعض، وكانوا يُنكرون القيامة والجنة والنار، ويستحلون الزّنا واللواط وشرب الخمر وأكل الميتة، ولا يَرَون وجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج، ويُؤوّلون ذلك على موالاة قَومٍ من أهل البيت، ويَدّعون أنّ عبد الله بن معاوية لم يَمُت، وأنّه في جبل أصفهان إلى أنْ يَخْرج. والمشهور أن أبا مسلم صاحب دولة بني العباس بعث إليه عسكرا فصلبوه وقتلوه ».

[3] المواقف في علم الكلام، ص419-420، وانظر: الفرق بين الفرق، ص249.

الإسـماعيلية[1]) ودعـواهم أنّ الله تعـالى نـورٌ يـدخُل في أبدان الأوصياء، وأنه دخل في جعفر بن محمد وحـلّ فيـه، ثم خرَج منه فدخل في أبِي الخطاب، ثم خرج منه فـدخل في معمر. فقيل لهم في ذلك: « كيف يكون هذا، ومحمـدٌ صلى الله عليه وآله لم يَزَل مُقِرًّا بأنّه عبد اللــه؟ وأنّ إلَهه إلهُ الخلق أجمعين إلـهٌ واحـدٌ، وهو اللـه، وهو ربّ السـماء والأرض .. فقـالوا: إنّ محمـدًا كـان يـوم قـال هـذا: عبـدًا رسولا؛ أرسـلَه أبو طـالب، وكـان النـور الـذي هو الله في عبد المطلب، ثم صار في أبي طالب، ثم صـار في محمد، ثم صـار في عليّ بن أبِي طـالب، فهم آلِهـةٌ كُلّهم. .. وأبو طالبٍ هو الله عز وجـل، -وتعـالى الله عما يقولـون عُلُـوًّا كبيرًا- فلَمّا مضى أبو طـالب خـرجَت الـروح وسـكَنَت في محمدٍ صـلى الله عليه وآلـه، وكـان هو الله عـزّ وجـلّ في الحق، وكان علي بن أبي طـالب هو الرسـول، فلما مضى محمـدٌ صـلى الله عليه وآله خـرجَت منه الـرّوح، وصـارت في عليّ، فلَم تــزل تتناسخ في واحـــدٍ بعد واحـــدٍ حــتى صارت في معمر »[2].

وقريبًا منه أيضًا زعم الشيخية[3] الاثنَي عشرية فيه ، حيث زعم رأسهم الإحسائي أنّ رسول الله مخلوقٌ من نور الله تعالى، وأنّ هذا النور عقلٌ واحدٌ يَظهر في محمد، ثم يظهر في علِيٍّ، ثم في الحسن، ثم في الحسين، وأنّ الزمان لا يخلو من ناطق[4].

---

1 (?) انظر: فرق الشيعة للنوبختي، ص69، حيث قال: « فأما الإسماعيلية فهم الخطابية أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ».

2 (?) فرق الشيعة للنوبختي، 45-46.

3 (?) **الشيخية** هي الطائفة المنسوبة إلى زعيمها الضال(أحد شيعة العراق)المسمى: الشيخ أحمد الإحسائي، -أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الإحسائي، الذي وُلد بالمطير من قرى الإحساء، في شهر رجب سنة: 1166هـ، وتوفّي سنة: 1241هـ، ودُفن بالبقيع. .. ويُعتبر من كبار علماء الإمامية، وهو باطنيٌّ من الغُلاة، وله أفكارٌ خارجة عن الإسلام يَظهر فيها الاعتقاد بالحلول، وغير ذلك. – (انظر تتمة ترجمته في: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ج 2/ص643-647).

وكُلّ هذا من الغُلُوّ الذي لا يرضاه الله تعـالى، ولا رســـولُه . وســـيأتِي ردّه عند الحـــديث عن (النـــور المحمـدي)، وعند الــردّ على مَن زعَمـوا حلـول الله في عبده في فصل الصوفية. لكني وقبل ذلـك: يكفيـني في الــردّ على هــؤلاء المنتهين في الغُلُـوّ رَدّ الرافضة الاثــني عشرية، حيث قال النوبخـتي بعد حكاية مقـالتهم: « فهـذه فِرق أهل الغُلُوّ ممن انتحل التشـيع، .. لعنهم اللــه، وكلّهم متفقـــون على نفي الربوبية عن الجليل الخـــالق -تبـــارك وتعــالى عن ذلك عُلــوًا كبـيرًا- وإثباتها في بــدن مخلــوق مئـوف؛ على أنّ البـدن مسـكنٌ للـه، وأنّ الله تعـالى نـورٌ وروحٌ ينتقل في هذه الأبدان –تعالى الله عن ذلك- »[1].

---

4 (?) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (ج2/ص646).

1 (?) فرق الشيعة للنوبختي، 46.

وهذا له صُوَرٌ عدّة، وسأكتفي بذكر بعضها:

الصورة الأولى: دعوى بعض الرافضة أنّه يعلم الغيب، فمن نصوصهم في ذلك، ما في (كشف الأسـرار): « إنّ هـؤلاء المشـاغبين يقولـون: إنّ القـرآن قـال في مواضع عديدة بأنّ النبِيّ لا يَعلَم الغيب، فلِمـاذا إذًا يَنسِـبُ المتديّنون إلى النبِيّ العلم بالغيب؟

لعلّ الجواب على هذه الفرية يتضح من خلال الأقوال السـابقة، لكننـا نَكشِـف هنـا عن أخطـائهم حـتى نُفضِـح أكـاذيبهم. إنّ رجـال الـدين لا يقولـون: إنّ النّبِيّ أو الإمـام يقول الغيب من عنده، أو بـدون إرادة من اللـه؛ إنّـه بشَـرٌ مثلنا، ولـو سُـدّت في وجهـه أسـباب الغيب؛ فإنّـه لا يَغـدو عالِمًا به. وهناك آيـاتٌ كريمـةٌ تُشـيرُ إلى أنّ النبِيّ بشَـرٌ لا يَعلَم بالغيب. إنّ القرآن يقـول: إنّ النبِيّ -بـأمرٍ من اللـه- يعلم بـالغيب، ويَكشِـف مـا خَفِي مِن الأمـور، ويُنـبئ بالمستقبل. في القرآن آياتٌ نزَلَت عن علم النبِيّ بالغيب، نـورد البعض منهـا لِكَي تتوضـح الأمـور للقـراء، وينفضِـح الأدعيـاء، فقـد قـالت الآيـة (26) من سـورة الجنّ -فـذَكَر آيتين منهـا، وآيـة: 49 من سـورة آل عمـران، وآيـة:3 من سورة التحريم التي فيها أنّ الله تعالى أظهَر نبيَّه ما نبّـأتْ به زوجُه مما أسرّ عليها، ثم قال:- فهَل ترتؤون رفـع هـذه الآيات من القرآن، حـتى نُصـدِّق أراجيفكم، أو أنْ تعـترفُوا بأخطائكم حتى يزول الزلل والخلل»[1].

وفي كلام الخمينِي هذا من التناقض والأغاليط ما أُظهِر بعضَه عند المناقشة، فأقول:

كلامُ مَن سمّاهم (المشاغبين) كانَ خاصًّا بنفي عِلم الغيب عن النّبِيّ في القـرآن -كمـا حَكَيتَ هنـا- فلمـاذا أدخَلَ الخميني الإمامَ في الجواب؟

أظُنّ الجواب على هذا: هو ما في الكافي من قولكم الآخَر: « باب أنّ الأئمة يَعلمون جميع العلوم التي خـرَجَت إلى الملائكة والأنبيـاء والرسـل »[2]. وقـولكم: « بـاب أنّ الله لم يُعلِّم نبيّه عِلْمًا إلا أمَرَه أنْ يُعَلِّمه أمير المؤمنين،

[1] كشف الأسرار للخميني، ص67-68.

وأنّه كان شريكه في العلم »[1]. وفي ثالث: « باب أنّ الأئمة ورثوا علم النبِيّ وجميع الأنبِياء والأوصياء »[2].

وشَهِد شاهدٌ مِن أهلها؛ فكَسَر الصّنَمَ وحرّقه وذرّه في الريح أو في البحر، فقال: «إذَن يُصبِح رسول الله والمتقون مِن أصحابه وأمته مؤمنين بالغيب لا عالِمين به،لأنّ العالِم بالغيب هو الله تعالى الذي يَعرِف الغيب بنفسه ولَم يأخُذه من أحدٍ،على خلاف الرسول وأتباعه الذين يؤمنون بأخبار الغيب،..هذا الأمر بهذا الوضوح لَم يَفهمه الرواة ولا الناقلون عنهم،وكانوا لا يُفكِّرون إلا بإغداق الصفات والخصال الخارقة للإمام وحده»[3].

وفهمُ الخميني لآيات الباب (النافية عن النبِيّ عِلم الغيب)، والآيات التي فيها أنّ الله تعالى أطلَع نبيَّه بل أنبياءه عليهم الصلاة والسلام بعض غيبِه بوحيه (كالآيات الثلاثة التي ذكَرها) فَهمٌ مغلوطٌ؛ حيث يَستدلّ بالنوع الثانِي والتي فيها أنّ الله تعالى أطلعهم على ما شاء لنقض آيات القسم الأول (والتي أمَره الله تعالى كما أمَرَ بقية الأنبياء أنْ يقولوا: بأنهم لا يعلمون الغيب، وأنّ جَميع مَن في السموات والأرض لا يعلمون الغيب إلا هو سبحانه، وأنّه لو يعلَم الغيب لاستكثر النبي من الخير وما مسّه السوء، وغيرها). فثبتَ عليه قوله: (فهَل ترتؤون رفع هذه الآيات من القرآن). ولكن أهل السنة –ولله الحمد- لم يضْرِبوا القرآن بعضه ببعض. كما سأسوق عشرات النصوص والنماذج الدالة استعمالهم جميع النصوص في مبحث: أهل السنة يعتقدون أنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا لا يَعلم شيئًا من الغيب في حياته إلا ما علّمه الله، فكيف بعد وفاته؟ وكيف يَعلَمُ ذلك غيرُه؟

---

2 (?) انظره ونقضه في: كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي) للبرقعي، ص191، ترجمة عبد الرحيم ملا زاده البلوشي.

1 (?) انظره ونقضه في: كسر الصنم، ص201، وانظر أيضًا: نقض باب نادرٌ فيه ذكر الغيب، ص188-191.

2 (?) انظره ونقضه في: كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، ص 176.

3 (?) كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، ص189.

وأنّ الغيب مِن خصائص الله تعالى من الباب القادم؛ فأرجئ الكلام هناك!

الثانية: ومما يَدخُل في هذا المطلب أيضًا: نفي بعض خصائص البشرية عنه والتي أثبتها له ربُّه، وأثبَتَها لنفسه ، كخصيصة النسيان وغيره، توهُّمًا منهم بأنّ إثباتَها له نقصٌ لِمرتبته، حتى قيل للرضا –الإمام الثامن- « إنّ في الكوفة قومًا يَزعُمون أنّ النبِيّ صلى عليه وآله لم يقَع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبُوا –لعنهم الله-: إنّ الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو »[1].

ولِهذا لم يأتِ أحد دكاترتهم في كتابه (لأكون مع الصادقين، ص30) بجديد، حيث سبَقَه هؤلاء الغُلاة من الكوفة بنفي السهو والنسيان عنه ، حينما قال وهو يَلمز أهل السنة: « ومرّة يَروُون أنّه سها في صلاته؛ فلَم يدْر كم صلّى مِن ركعة »[2].

وقال فيه أيضًا (ص30): « أما الشيعة -استنادًا إلى أئمة أهل البيت- فهم يُنزّهون الأنبياء عن هذه الترهات، وخصوصًا نبينا محمدًا، ويقولون بأنّه منزَّهٌ عن: الذنوب والخطايا والمعاصي؛ صغيرة كانت أو كبيرة، وهو معصومٌ عن الخطأ والنسيان والسهو، والسحر .. والشيعة يعتبرون الروايات التي رُويَت في هذا المعنى، والتي تتناقض مع عصمة الأنبياء كلها موضوعة، من قِبَل الأمويين وأنصارهم »[3].

وأما قوله (أما الشيعة ..) فيُقابَل بأنّ أهل السنة يَحمدُون الله تعالى الذي لَم يجعل تلقي الدين إلى عقول الرجال؛ فما نزّه الله أنبياءَه نزّهم أهلُ السنة عنها تبَعًا، وما لا فلا! ثم إنّ المسائل التي ذكرها هنا تقدم كلامٌ مُفصّل عنها بل عن أغلبها في الباب الأول، وخصوصًا في مبحث: النبِيّ يَنسى كما يَنسى غيرُه مِن البشر،

---

1 (?) بحار الأنوار: (ج25/ 350)، بواسطة: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية (ج2/ ص942).

2 (?) بواسطة: كشف الجاني محمد التجاني في كتبه الأربعة، ص146، وانظر الرد على التجاني: بذكر روايات نسيانه من كُتُب الرافضة، بل ولعن أئمتهم مَن ينفي عنه بشريته؛ مثل التجاني هذا، ص146-147.

3 (?) بواسطة: كشف الجاني محمد التجاني في كتبه الأربعة، ص148.

والحفيظ العليم لا يَضِـــلّ ولا يَنســـى، ومبحث الســـحر والمرض، من (فصل البشرية).

وسـتأتِي الأخـرى في مبحث العصـمة من البـاب القادم!

الثالثة من صُوَر غُلوّ الرافضة فيه ﷺ: ما قاله عبد الله بن ســـبأ: العجب ممن يـــزعم أنّ عيسى يرجع ويُكذب بأنّ محمدًا يرجع، وقد قال ﷻ: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ﴾ [القصص: ٨٥] فمحمدٌ أحق بالرجوع من عيسـى، قـال: فقبِل ذلك عنه، ووضع لَهم الرجعة فتكلّموا فيها [1]. ولقـد أخطـأ فهم الآية أو تعمد ذلك حيث زعَم أنّ معناها رجـوع النبِيّ ﷺ إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

وعقيدة رجعة الرسول ﷺ إلى الدنيا قبل يوم القيامة قولٌ للسبئية والكيسانية والاثني عشرية وغيرهم، ثم إنهم قد أوّلوا الآية الماضية لتدل على ذلك[2].

الرابعة: ومِن أكبر الغُلُوّ فيه ﷺ القول بأنّه إلـهٌ أو ربٌّ، بالحلول والتجسد أو بغيره: وقد قالت به بعضُ فِـرَق الرافضـة: كبعض فِـرق الذَّمّية[3] الـذين منهم: « مَن قـال بإلَهية محمد وعليّ، إلا أنّ منهم: مَن يُقدّم عليًّا في أحكام الإلهية. ومِنهم: مَن يُقـدّم محمـدًا. ومنهم: مَن قـال بإلَهية خمسة أشخاصٍ، وهم أصحاب العَبَا (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) وأنّ خمستهم شيءٌ واحدٌ، وأنّ الروح حالة فيهم بالسّـوّية، ولا فضل لواحـدٍ على الآخَر » [4]. «

وأما المفوضة من الرافضة[5]: فقوم زعموا أنّ الله تعـالى خلَق مُحمدًا ثم فوّض إليه تدبير العالم وتـدبيره فهو الـذي

---

[1] انظر: التاريخ للطبري، (ج4/ص340)، والرد على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه: بين الشيعة والسنة، 172، وتاريخ المذاهب الإسلامية، ص37، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، 212، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، (ج1/323).

[2] انظر: العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، د. صابر طعيمة، ص23.

[3] الذَّمّية: هي التي تدّعي الإلَهية لعليٍّ وأنّه هو الذي بعث محمدًا ﷺ فادعى الأمر لنفسه –كما سيأتِي-.

[4] اختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص36.

[5] أورَد فرقتَي الذّمّية والمفوّضة البغداديّ في (الفرق بين الفرق، ص 255) بضميمة الغرابية، ونصّ تلميذُه الاسفراييني في (التبصير في الدين، ص335) بأنّها فُرُوع من الغُرابية .

خلق العالم دون الله تعالى ثم فوّض محمدٌ تدبيرِ العالم إلى علي بن أبي طالب؛ فهو الْمُدبر الثالث. وهذه الفرقة شَرّ من المجوس الذين زعموا أنّ الإله خلق الشيطان، ثم إنّ الشيطان خلق الشرور. وشَرّ من النصارى الذين سَمّوا عيسى مُدبِّرًا ثانيًا، فَمَن عَدّ مُفَوِّضة الرافضة مِن فرق الإسلام فهو بِمنزلة مَن عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام » [1].

ويكفي ما تقدم لتوضيح موقف الرافضة الغالي منه ! وقد خصصتُ مبحثَين قادمين لبيان ما غلَبَ عليه تجاهه ، ألا وهو الجفاء، والله المستعان!

---

[1] (?) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص255، انظر عن المفوضة والتعريف بِها: شرح عقائد الصدوق للمفيد، ص239-240 (وقد تقدم نقله).

المبحث الثاني: جفاء الرافضة الكتاب الْمُنـزّل عليه وسنّتَه ورسالته وشريعته،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جفـاء الرافضة الكتـاب المنــزل عليـه، عليه الصلاة والسلام، وسنّته، وفيه أربع مسائل.

المطلب الثانِي: جفـاء الرافضة شـريعته ، وفيه ثلاث مسائل.

المطلب الثالث: جفاء الرافضة في حقه ، وفيه ثماني مسائل.

المطلب الأول: جفاء الرافضة الكتاب الْمُنـزّل عليه، عليه الصلاة والسلام، وسنّته:

أبْرَزُ وصْمَةٍ عارٍ لِمراجع الرافضة خصوصًا، ولعامتهم بالنسـبة للقـرآن، وهو دأبُهم قبل اليـوم: أنّه قد يبلُغ أحد شـيوخهم مرتبة الاجتهـاد دون أنْ يقـرأ القـرآن؛ فقـراءة القرآن في الرافضة قليلة، ومَن يحفظه حفظًا جيّـدًا فإنّما تعلمه من أهل السنة، وكذلك الحديث إنما يعرفه ويصـدق فيه ويؤخذ عن أهل السنة. وكذلك الفقه والعبادة والزهـد، والجهاد والقتـال إنما هو لعسـاكر أهل السـنة؛ وهم الـذين حفظ الله بهم الـــدين علمًا وعملا؛ بعلمـــائهم وعُبّـــادهم ومقاتليهم، أما الرافضة فصاروا بما تقدم من أجهل الناس بدين الإسلام[1]. كما قاله شيخ الإسلام.

وهذا كُلُّه نتيجة طبيعية جدًّا لقولهم بالتحريف والنقص والزيادة، وكذلك اعتقادهم في مصاحف أخرى وغير ذلـك. ولإعراضـهم عن السـنة الصـحيحة المخالفة لمقـرراتهم الهادمة للـدين. وبِمثل ما تقـدم شَـهِد عليهم العلمـاء، وهو أيضًـــــا واقعهم، فـ« الرافضة لا تَعتنِي بحفظ القــــرآن، ومعرفة معانيه وتفسـيره، وطلَب الأدلة على معانيـه. ولا تَعتنِي أيضًــا بحـديث رسـول الله ومعرفة صـحيحه من سـقيمه، والبحث عن معانيـه. ولا تَعتنِي بآثـار الصـحابة والتابعين حتى تَعرِف مآخذهم ومسالكهم، ويُرَدّ ما تنازَعوا فيه إلى الله والرّسـول. بل عُمـدتُها آثـارٌ تُنقَل عن بعض أهل البيت فيها صِدقٌ وكذب .. »[2].

[1] انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية، (ج7/ص415).

[2] المصدر نفسه، (ج5/ ص163-164).

ولبيان هذا المطلب عقَدتُ أربع مسـائل، على النّحو التالِي:

المسألة الأولى: اعتقاد الرافضة تحريف الكتـاب الـذي جاء به عليه الصلاة والسلام.

المســألة الثانيــة: اعتقــاد الرافضة المعــاني الباطنة للكتاب الذي جاء به عليه الصلاة والسلام.

المسألة الثالثـة: اعتقـاد الرافضة في مصـحف فاطمة رضي الله عنها وغيره.

المسألة الرابعة: إعراض الرافضة عن سُنّتِه .

المسألة الأولى: اعتقاد الرافضة تحريف الكتاب الذي جاء به عليه الصلاة والسلام[1]:

حرّف الكلام عن موضعه يُحَرّفه تحريفًا عدّلَه وغيّرَه، وصرَفه عن معانيه[2]. ويكون إما بتغيير اللفظ أو المعنى أو هما جميعًا[3]، وهي من صفات اليهود كما شهِد عليهم به التنزيل. والتحريف يُطلق على التغيير والتبديل، وعلى التقديم والتأخير، وعلى الزيادة، وعلى النقصان.

وأهل السنة ومعهم جميع فِرَق المسلمين يعتقدون أنّ القرآن المجيد محفوظٌ بحفظ الله له؛ لم يتغيّر ولم يتبدل، بل ولن يتحرف ولن يتغير بنقص أو بزيادة إلى أنْ

[1] انظر للاستزادة من هذه المسألة: الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، ص11-21، والسنة والشيعة، والشيعة والقرآن، كلاهما للشيخ إحسان إلهي ظهير، وكتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، (ج1/ 245-370)، تحت عنوان: هل الشيعة تقول بأنّ في كتاب الله نقصًا أو تغييرًا؟، وكتاب أصول الإسماعيلية –دراسة، تحليل، نقد، للدكتور السلومي، (ج1/ الأصل السادس: دعوى تحريف القرآن، ص163-181).

وللانتصار لكتاب الله سورة سورة على قولهم بالتحريف وتفسيرهم الباطني لآياته يُنظر: كتاب الشيخ ربيع المدخلي: الانتصار لكتاب الله العزيز الجبار، ولأصحاب محمد الأخيار على أعدائهم الأشرار.

وبين الأشعري أن الرافضة بالنسبة للقول بتحريف القرآن؛ زيد فيه، ونقص منه: على ثلاثة أقوال (ينظر: مقالات الإسلاميين، له، ج1/ ص 119-120).

[2] انظر: الصحاح للجوهري، مادة حرف، ص225، ومقاييس اللغة لابن فارس، المادة نفسها، ص255، والقاموس المحيط، المادة نفسها، ص738، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص167.

[3] انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص181، وتفسير القرآن العظيم، (ج1/ 663).

تقوم الساعة، وهو الموجود بين دفتي المصحف، وذلك لأنّ الله ضمِن حفظه وصيانته من أيّ تغيير وتحريف وحذف وزيادة، فحينما أنزله الله تعالى تكفل بحفظه: فقال: ﭽﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﭼ [الحجر: ٩]. وقال: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮢ ﮣ ﮤ ﮥﭼ [فصلت: ٤٢]. وهذا على خلاف الكُتُب الإلهية السابقة؛ حيث إنّها لم تسلم من الزيادة والنقصان بعد وفاة رُسُل الله. هذه عقيدة كلّ المسلمين.

وأما الرّافضة فإنهم لا يعتقدون بِهذا القرآن الكريم الموجود بأيدي الناس، والمحفوظ من قِبل الله العظيم، مخالفين جميع الفرَق المسلمة، والمذاهب الإسلامية، ومُنكرين لجمع من الأحاديث الصحيحة ومُعارضين دلائل العقل والمشاهدة، مكابرة منهم للحق، وتاركين للصواب. وهذا الاختلاف الحقيقي بين المسلمين وبين الشيعة؛ ذلك أنه لا يكون الإنسان مسلمًا إلا باعتقاده أنّ القرآن هو هذا الذي بلّغه رسول الله ﷺ إلى المسلمين، بأمر من الله ﷻ. وإنكار القرآن ليس إلا تكذيبًا برسول الله ﷺ[1]. قال أبو محمد المعروف بابن حزم –رحمه الله- في ذكره شِنَع الشيعة، وقولهم بالتحريف بجميع أنواعه، حاكمًا على القائل به بالمروق: « ومِن قول الإمامية كلها قديْمًا وحديثًا: إنّ القرآن مُبَدّلٌ؛ زيد فيه ما ليس منه، ونُقص منه كثيرٌ، وبُدّل منه كثير، -فاستثنى ثلاثة منهم، ثم قال:- القول بأنّ بين اللوحين تبديلاً كفرٌ صريحٌ، وتكذيبٌ لرسول الله ﷺ »[2].

وبعد هذا، سأورد نصوصًا من كتب القوم -الْمعتبرة لديهم- تُثبت هذا الأمر، وسأنوع بحيث تكون هذه الكتب شاملة (كتب الحديث والتفسير والفقه والعقائد، وكتب الفتاوي، وغيرها).

---

[1] (?) انظر: كتاب الشيعة والسنة للشيخ إحسان إلهي ظهير، (الباب الثاني: الشيعة والقرآن)، ص69-71.

[2] (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ص 100).

فأولا: (وقبل كلّ شيءٍ): يُسند المحدث الشيعي الكليني عن أبي عبد الله ، قال: « إنّ القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد سبعة عشر ألف آية »[3].

ومن المعلوم أنّ القرآن الذي بين أيدي المسلمين آياته دون سبعة آلاف، فيعني هذا أنّ الشيعة فُقد عندهم ثلثا القرآن، وهذا ما تُصرّح به رواية مصحف فاطمة الآتية[2].

لِهذا فإنه لا يُستغرب من النوري الطبرسي (ت: 1320هـ) من أكابر علمائهم في القرن الرابع عشر أن يؤلف كتابه المشهور بـ(فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وينقل عن نعمة الله الجزائري قوله: « الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفَي حديث، وادّعى استفاضتها جماعةٌ كالمفيد، والمحقق الداماد، والعلامة المجلسي، وغيرهم »[3].

ويقول في مطلع الكتاب -بأسلوبٍ وقِحٍ مبيِّنًا غرضه من تأليف الكتاب: « وبعد، فيقول العبد المذنب المسيء؛ حسين بن محمد تقي الدين الطبرسي –جعله الله من الواقفين ببابه، المتمسكين بكتابه- هذا كتاب لطيف، وسفرٌ شريف، عملتُه في إثبات تحريف القرآن، وفضائح أهل الجور والطغيان، وسَمّيته: فصل الخطاب، في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقرّ به عين كلّ عين »[4].

وقد ذكر هؤلاء الناس دليل التحريف، فذكَروا أنّ خفاء حق أهل البيت –على زعمهم- على أصحاب العقول في القرآن سبَبُه نقص وحذف بعض الآيات فيه وحاشاه، كما أنّ عدم ذكر أسمائهم مصرّحة (علي، الحسن،

---

[3] (?) الكافي في الأصول، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، (ج2/ ص 634) ط/ طهران 1381هـ بواسطة السنة والشيعة لإحسان إلهي، ص 71.

[2] (?) انظر: السنة والشيعة، ص71-73 .

[3] (?) انظر: فصل الخطاب، ص227، بواسطة: السنة والشيعة، ص81-82 .

[4] (?) مطلع كتاب فصل الخطاب للطبرسي، بواسطة: أصول الإسماعيلية، (ج1/ 171) للسلومي.

الحسين وبقية الأئمة) يدل على التحريف –على زعم رواياتهم-، فقد نسبوا إلى أبي جعفر زورًا، القول: « لولا أنه زيد في القرآن، ونُقص منه ما خفي حقنا على ذي حجى، ولو قد قام قائمنا فنطق صدّقه القرآن »[1].

كما نسبوا إلى أبي عبد الله زورًا:«لو قُرأ القرآن كما أنزل الله لألفيتَنا فيه مسمّين»[2].

فعَدم وجود (في علي، آل محمد، والأئمة، وفلان وفلان) –على هذا الزعم- مما يدل على أنّ الصحابة –وحاشاهم- حرّفوا هذا القرآن، لذا؛ فإنّ بعض الآيات في كُتُب القوم جاءت بتلك الألفاظ وغيرها على أنّه القرآن الذي أنزل الله، ويقولون بعد ذكرها (هكذا أنزل الله)، والله المستعان!

والتحريف كما سبق في تقدمة المطلب أنواعٌ، هذا، وقد أثبت مشايخ هؤلاء وجود جميع أنواعه في القرآن؛ فأثبتوا:

أولا: التحريف في السُّوَر، كما في سورة الولاية التي يزعمون، وهي شهيرة لا حاجة إلى ذكرها هنا[3].

ثانِيًا: التحريف بإسقاط بعض الآيات.

ثالثًا: التحريف في بعض الكلمات. وغير ذلك.

وستأتي الأمثلة على نوعي الثاني والثالث.

وقد كتب الشيخ المجاهد إحسان إلهي ظهير –رحمه الله- كتابه الشيعة والقرآن ليرد به على مَن حاوَل المحاولة الفاشلة، وتورط في الردّ عليه في مسألة (تحريف القرآن عند الشيعة) فقط ضمن المسائل الكثيرة

---

1 (?) تفسير العياشي، ما عني به الأئمة من القرآن، للموسوم في طرة كتابه بالمحدث الجليل، أبي النصر محمد بن مسعود ابن عياش السلمي السمرقندي، (ج1/ 24-25)، والكتاب بتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط1/ 1411هـ.

2 (?) تفسير العياشي، المصدر نفسه، ص25.

3 (?) انظر إليها مع اختلاف آياتها في كتاب: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، (ج1/ص420-430،في بيانه موقف الرافضة من القرآن الكريم)، وفي الخطوط العريضة لمحب الدين، ص15 (7آيات).

المبثوثة في الكتاب الصغير النافع (السُّنّة والشيعة)، وأوضح بالأدلة الكثيرة أنّ الشيعة بالنسبة لِهذه المسألة على أدوار، وأنّهم في الدور الأول قاطبة اعتقدوا أنّ القرآن مبدلٌ ومغير فيه، بما فيهم بُنَاة مذهبهم ومؤسّسو شريعتهم، وأنّهم في الدور الثاني كذلك إلا أربعة منهم، الذين تظاهروا خلاف ذلك تقية، وجاء الدور الثالث الممتد إلى هذا الزمن، حيث قال الكثيرون بها وصرّحوا بها واعتقدوها. ولم يأتِ خلاف هذه العقيدة إلا عند إرادة التمويه لاصطياد الناس، وإيقاعهم في حبائلهم وتغريرهم بالباطل[1]، فهذه الأبواب الثلاثة الأولى لكتابه. ثم عقد الباب الرابع (بعنوان: ألف حديث شيعي في إثبات التحريف في القرآن من كتاب فصل الخطاب لِمحدث شيعي النوري الطبرسي). وهذا الكتاب بيّن للناس حقيقة خفيت على الكثيرين (وهي أنّ الشيعة قاطبة من اليوم الذي وُجدوا لم يعتقدوا في القرآن الموجود بأيدي الناس، بل ظنّوه مبدّلا محرّفًا، زيد فيه، ونقص منه، غيّر فيه، وحرف منه، وأنّ كلهم على هذا إلا عند الخداع والتقية) ومؤلف الكتاب هو أحد مؤلفي المجاميع الشيعية الثلاثة (مستدرك الوسائل)، وكان من عادة هذا المؤلف التفحص وتنقص الشوارد والتنقيب؛ لذا جاء كتابه شاملا لأخبار الأولين، وكاملا لجمع روايات موضوعية، وجامعًا أقوال كل مخالف وموالف. وقد أراد الشيخ إحسان طبع الكتاب مع كتابه (الشيعة والقرآن)، فمنعه من ذلك ضخامة الكتاب فاقتصر على ما له العلاقة المباشرة بالتحريف[2]. فاكتفى بإيراد ألف واثنين وستين رواية حديثية من الألفين التي تثبت تحريف القرآن عندهم –عياذا بالله-[3].

وقد يتساءل إنسان فيقول: لِم قالت الرّافضة بتحريف القرآن؟ ومَن حرّفه وغيّره، وما أمثلة ذلك؟

---

1 (?) انظر: الشيعة والقرآن، الباب الأول، ص27-50، والباب الثاني، 51-89، والثالث: 91-110.

2 (?) انظر: الشيعة والقرآن، ص111-112 .

3 (?) انظر: الشيعة والقرآن، 141-343 .

أما عن السؤال الأول، فقد أجاب المجاهد الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله- بأجوبة، وأهمها جوابان، هما:

عدم ذكر الإمامة في القرآن: الإمامة عند الشيعة لها أهمية كبرى بل هي داخلة في المعتقدات الأساسية؛ يَكفُر مُنكرها، ومعتقدها يكون مسلمًا، كما أنّ الأئمة والأوصياء عندهم شُركاء الرسل في الطاعة؛ (طاعتهم فرضٌ)، لا يسع الناس إلا معرفتهم، ولا يُعذر الناس بجهالتهم؛ من عرفهم كان مؤمنًا، ومن أنكرهم كان كافرًا، ومن لم يعرفهم ولم يُنكرهم كان ضالا حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتهم الواجبة. فقد ذكر الكليني في كتاب الحجة الروايات الدالة على أهمية الإمامة عندهم وأنها كالصلاة والزكاة والصوم والحج [1]. فالإمامة بهذه المرتبة على مزاعمهم وحتى إنّ ولاية علي مما أخذه الله ميثاق النبيين وعهدهم عليه، وأنّ الله اهتم بولاية علي فما بعثَ نبيًّا إلا بِها. إلا أنه -وكما هو معلومٌ- لا وجود للإمامة في القرآن الموجود، فهل من المعقول أنْ يكون الشيء بِهذه الأهمية ولا يَذكرها الله في كلامه؟ فلمَّا وقعت هذه المشكلة عند بُناة المذهب الشيعي لجأوا إلى حلّها؛ فزعموا أنّ القرآن محرّفٌ مغيّر فيه، حُذف عنه آياتٌ كثيرة، وأسقطت منه كلمات غير قليلة، حذفها أجلّة الصحابة، وأكابر الأمة –على زعمهم- حقدًا على علي ، وعنادًا لأولاده، وضياعًا لتراث رسول الله [2]. لذا قال أحدُ مفسّري الشيعة (السيّد البحراني) في مقدمة تفسيره، وهو يتحدث عن تحريف القرآن وتغييره: « وعندي في وضوح صحة هذا القول –بعد تتبع الأخبار، وتفحص الآثار- بحيث يمكن الحكم بكونه من

---

[1] (?) بيّن ابن المطهر الحلي أن الإمامة أهم مطالب أحكام الدين وأشرف مسائل المسلمين، وأنها أحد أركان الإيمان، المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن .. إلى آخر مزاعمه فيها (انظر: منهاج السنة، ج1/ص74-75).

[2] (?) انظر هذا السبب/ كتاب السنة والشيعة، للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص87-94 .

ضروريات مذهب التشيع، وإنّه من أكبر مقاصد غصب الخلافة. فتدبر! »[1].

لذا قالوا: « وقع التحريف والحذف في القرآن الذي ألّفه بعض المنافقين، والقرآن الأصلِي الحقيقي موجودٌ عند إمام العصر، -عجّل الله فرَجَه »[2].

والسبب الآخر: هو لإنكار فضائل أصحاب رسول الله المتكرر في القرآن؛ فالقرآن يشهد لمقامهم العلي، وشأنهم العالي، ودرجاتهم الرفيعة، ومرتبتهم الراقية؛ (المهاجرين منهم والأنصار)، حيث جاء فيه مدح الله لأخلاقهم الكريمة وسيرتهم الطيبة، بل وبشّر كلّهم بالجنة، وخاصة خلفاء رسول الله الأربعة ... ومعلوم أنه مع وجود هذه الآيات في القرآن لا يمكن لبُناة هذا الدين تكفير أبي بكر وعمر وعثمان ، فأرادوا أنْ يتخلّصوا من هذا المأزق بالقول بتحريف القرآن وتغييره، أو بالتأويل الباطل، لذا قالوا: كان الناس بعد النبي أهل ردّة إلا ثلاثة، كما سيأتي، ... فالمهم أنّ هذا مما حملهم على القول بأنّ الصحابة زادوا في القرآن ما ليس منه في مدحهم، كما أنّهم أسقطوا –وحاشاهم- ما أنزل في مذمتهم وتكفيرهم وإنذارهم بالنار ...[3].

إلى غير ذلك، مما كان سببا لقولهم بتحريف القرآن.

وأما عن الإجابة على جملة: مَن غيّر القرآن وحرّفه إذًا؟ فهو ما نصّتْ عليه طائفة من رواياتهم، حيث زعموا أنّ أبا بكر وعمر وزيد بن ثابت [4].. هم الذين تولوا كبر هذا الجرم الأثيم على زعمهم. وسيأتِي بعض هذه الروايات.

وأما ضرب الأمثلة على التحريف بصُورَه، فمنها:

---

1 (?) البرهان في تفسير القرآن، مقدمة الفصل الرابع، ص49، بواسطة: الرد الكافي، لإحسان إلهي، ص80 .

2 (?) عقائد الشيعة، ص27.

3 (?) انظر هذا السبب، والأدلة عليه من كتب الشيعة/ في كتاب الشيعة والسنة، لإحسان إلهي، ص94-99 .

4 (?) انظر: المصدر نفسه، ص76.

ما جاء في المقدمة السادسة لتفسير الصافِي (نُبَذ مما جاء في جمع القرآن وتحريفه وزيادته ونقصه، وتأويل ذلك)، فبعد إيراد فيض الكاشانِي لجمع من الروايات، قال: « أقول: المستفاد من جميع هذه الأخبار، وغيرها من الروايات مِن طريق أهل البيت عليهم السلام: إنّ القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أُنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مُغيّرٌ مُحرّف، وأنّه قد حُذف عنه أشياء كثيرة؛ منها: اسم عليٍّ في كثيرٍ من المواضع، ومنها غير ذلك، وأنّه ليس أيضًا على الترتيب الْمَرضي عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم »[1].

وفي كتاب مشارق الشموس الدرية (ط/البحرين): « والحاصل فالأخبار مِن طريق أهل البيت (ع) أيضًا كثيرة، بل متواترة على أنّ القرآن الذي بأيدينا ليس هو القرآن الذي أُنزل بتمامه على محمد ، بل منه ما خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو محرّفٌ ومغيَّر، وأنّه قد حُذف منه أشياء كثيرة؛ منه: اسم علي (ع) في كثيرٍ من المواضع، ومنها: لفظة آل محمدٍ (ع)، ومنها: أسماء المنافقين، ومنها: غير ذلك، وأنّه ليس على الترتيب الْمَرضي عند الله وعند رسوله ، كما في تفسير علي بن إبراهيم. وأما ما كان خلاف ما أنزل الله فهو كقوله تعالى: ﭽﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭼ [آل عمران: ١١٠]. فقال أبو عبد الله (ع) لقارئ هذه الآية: خير أمة تقتلون أمير المؤمنين، والحسين بن علي (ع)، فقيل له: كيف نزلت يا ابن رسول الله؟ فقال: إنما نزلت خير أئمة أخرجت للناس، ألا ترى مدح الله في آخر الآية: ﭽﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭼ »[2].

---

[1] تفسير الصافي، للمثنى عليه على طرة كتابه هذا بـ(فيلسوف الفقهاء، وفقيه الفلاسفة، أستاذ عصره، ووحيد دهره، المولى محسن الملقب بـ: فيض الكاشاني، ت سنة: 1091)، (ج1/ 49)، بتقديم وتعليق: حسين الأعلمي، ط2/ منشورات مكتبة الصدر، بطهران، شارع ناصر خسروا.

[2] مشارق الشموس الدرية لعدنان البحراني، ص127، وانظر: أعلام التصحيح والاعتدال، ص21.

ويُقرّر هذا الباطل أيضًا ويذْكُر أمثلته أحدُ شيوخ الرافضة في كتابه (آراء حول القرآن) تحت قوله: « السؤال الخامس: مَن هم القائلون بالتحريف؟ وما هِي أدلتهم؟ فيجيب فيقول: « الجواب: أنّ جماعة من المحدثين وحفظة الأخبار استظهروا التحريف بالنقيصة، مِن الأخبار، ولذلك ذهبوا إلى التحريف بالنقصان، و**أولهم -فيما أعلم-: علي بن إبراهيم في تفسيره،** فقد ورد فيه: قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الهاشمي القمّي: (فالقرآن منه ناسخٌ ومنسوخٌ، ... ومنه منقطعٌ، ومنه معطوفٌ، ومنه حرف مكان حرف، ومنه مُحرّفٌ، ومنه على خلاف ما أنزل الله ، إلى أنْ قال: وأما ما هو مُحرّف منه، فهو قوله: ﮋﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮊ في علِيٍّ، كذا أنزلَتْ. ﮋﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮊ [النساء: ١٦٦]. وقوله: ﮋﭻﭼﭽﭾﭿﮀ ﮁﮂﮊ في عليٍّ، ﮋﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊ [المائدة: ٦٧]. وقوله: ﮋﮬﮭ ﮊ آل محمدٍ حقّهم ﮋﯓﯔﯕﯖﯗﮊ [النساء: ١٦٨]. ﮋﮊ آل محمدٍ حقهم ﮋﯽﯾﯿﮊ [شعراء: ٢٢٧]. وقوله: ﮋﯔﯕﯖﮊ الذين ظلموا آل محمد حقهم ﮋﯙﯚﯛﮊ [الأنعام: ٩٣] [1]. ومثلُه كثيرٌ نذكُرُه في مواضعه، انتهى المقصود مِن كلامه، ويظهر ذلك مِن الكليني؛ حيث روى الأحاديث الظاهرة في ذلك، ولم يُعلِّق شيئًا عليها. وذهَبَ السيّد الجزائري إلى التحريف، في شرحَيه على التهذيبَين. وأطال البحث في ذلك في رسالة سمّاها: منبع الحياة »[2].

وفي كتاب أوائل المقالات في (القول في تأليف القرآن، وما ذكر قومٌ من الزيادة فيه والنقصان)، قال: « أقول: إنّ الأخبار مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالِمين فيه من الحذف والنقصان. وأما القول في التأليف؛ فالموجود يقضِي فيه بتقديم المتأخّر، وتأخير المتقدّم، ومَن عرَف الناسخ والمنسوخ، والمكّي والمدنِي لم يرتب بما ذكرناه.

---

1 (?) يعنِي بهذا آية الأنعام. وهؤلاء لهم قلة اهتمام بحفظ القرآن، لذا يحصُل لهم مثل هذا حتى في التصنيف.

2 (?) آراء حول القرآن، لآية الله الفاني الأصفهاني، بواسطة: علماء الشيعة يقولون، ص 16.

وأما النقصان فإنّ العقول لا تحيله، ولا تمنع من وقوعه، وقد امتحنت مقالة من ادعاه، وكلمت عليه المعتزلة وغيرهم طويلا فلم أظفر منهم بحجة اعتمدها في فساده .. »[1].

وقال المجلسي وهو يُقرر القول بتحريف القرآن، ثم يُعلِّق على ذلك بأنّ الأخبار في ذلك متواترة، وذلك بعد ذكره الخبر المروي عن الصادق –رحمه الله- « إنّ القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم سبعة عشر ألف آية »[2].

وقال معلِّقًا: « لا يخفى أنّ هذا الخبَر وكثيرٌ من الأخبار الصحيحة صريحةٌ في نقص القرآن وتغييره، وعندي أنّ الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرحُ جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسًا، بل ظنّي أنّ الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة، فكيف يُثبتونها بالخبَر؟! »[3].

هذا قليلٌ مما يدُلّ على دعوى هؤلاء التحريف بأنواعه في القرآن؛ ولطالب المزيد قراءة كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، كما يحسن الوقوف على كتاب الشيعة والقرآن للرد عليه.

ثم إنّ هذه المسألة لم تكن من مفردات الاثني عشرية دون إخوانهم الإسماعيلية.

ب- الإسماعيلية والقول بتحريف القرآن:

فالإسماعيلية مثلهم مثل أغلب الاثنَي عشرية في القول بتحريف القرآن، يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله-: « وهناك عقائد أخرى وافق فيها الإسماعيلية الطوائف الشيعية الأخرى: منها: الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم .. »[4].

---

1 (?) أوائل المقالات للمفيد، ص93-95 .

2 (?) الكافي، (ج2/ 28) بواسطة أعلام التصحيح والاعتدال، 19 .

3 (?) كتاب مرآة العقول (12/ 525).

4 (?) رسالة: الشيخ إحسان إلهي ظهير منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة، 368-369، (تحت عنوان: عقائد الإسماعيلية في القرآن).

ومن أمثلة ما يدلّ على قولهم بالتحريف: ما ذكره أحد بُناة المذهب الإسماعيلي[1]، منها قوله: (وقد خاب مَن حمل ظلمًا ظلم آل محمد) هكذا أنزلت هذه الآية »[2].

هذا وجه من أوجه جفاء الرافضة الرسالة المحمدية (الطعن في أصلها؛ القرآن)، والله أعلم.

---

1 ([?]) هو **جعفر بن منصور اليمن**، كان يعتقد بألوهية الأئمة والحلول، والتناسخ، والغيبة، والرجعة، وتكفير الصحابة، والطعن في أبي بكر وعمر وعثمان، وتشديد القول فيهم، وتكفير كل من لا يؤمن بولاية علي، ونسخ شريعة محمد بقيام القائم، ونزول جبريل عليه، وجعل العبادات كلها رموزًا أو إشارات على الباطن، وانظر ترجمته وتعاليمه الكاملة: في كتاب الإسماعيلية للشيخ إحسان، ص687-693، والشيخ إحسان إلهي ظهير منهجه وجهوده.. ص369.

2 ([?]) الكشف لجعفر بن منصور اليمن، ص78، بواسطة: الشيخ إحسان إلهي ظهير؛ جهوده ومنهجه، ص369.

مِن ألقاب السبعية الإسماعيلية الشهيرة: الباطنية، و« إنّما لُقِّبُـوا بِها لـدعواهم أنّ لظـواهر القـرآن والأخبـار بواطن، تجرى في الظواهر مجرى اللبّ من القشـر. وأنّها بِصُوَرِها توهم عند الْجُهّال الأغبيـاء صُـوَرًا جلِيّـة، وهي عند العقلاء والأذكياء رمـوزٌ وإشـاراتٌ إلى حقـائق معيَّنَـة، وأنّ مَن تقاعد عقلُه عن الغـــوص على الخفايا والأســـرار والبـواطن والأغـوار وقنع بظواهرها مسـارعًا إلى الاغـترار كـــان تحت الأواصر والأغلال، مُعَنًّى بـــالأوزار والأثقـــال؛ وأرادوا بــ(الأغلال): التكليفـات الشـرعية. فـإنّ مَن ارتقى إلى علم البـــاطن انحـــط عنـــه التكليـــف واســـتراح من أعبائه ... وغرَضُـهم الأقصـى: إبطـال الشـرائع؛ فـإنّهم إذا انـتزعوا عن العقائـد مـوجب الظـواهر قـدِرُوا على الحُكم بدعوى الباطن على حسَب ما يُوجب الانسـلاخ عن قواعـد الدين ... »[1].

وقد قدِروا على ذلك كما سيتبيّن بالأمثلة القادمة، والله المستعان!

وقبل أنْ أنْتقل إلى فرقة باطنية أخْـرَى؛ ألا وهي الرافضة الاثنا عشـــرية يَجْـــدُر أنْ أُشـــير إلى أمثلة من تأويلات الإسماعيلية الباطنية التي أرادوا بِها إفساد الـدين، قـال الغــزالي في الفصل الــذي عَقَــدَه لبيــان تــأويلاتهم لظـواهر نصـوص الكتـاب والسـنة: « القـول الوجـيز فيه: أنّهم لَمّــا عجَــزُوا عن صـَـرْف الخلق عن القــرآن والســنة صــــَرَفوهم عن المــــراد بهما، إلى مخـــــاريق زَخْرَفوها، واستفادوا -بِما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ- إبطالَ معاني الشرع، ... وأنّهم لو صرّحوا بالنفي المحض، والتكذيب المجرد، لم يحظوا بموالاة الموالين، وكـانوا أول المقصودين المقتولين »[2].

ثم ذَكَر نُبَذًا على تأويلاتهم في الأمور الإلهية وظواهر التكاليف وأمور المعاد والمعجـزات فقـال: « ونحن نحكي

---

[1] (?) قاله الغزالي في كتابه فضائح الباطنية، ص23، وانظر: العقائد الباطنية د. صابر طعيمة، ص11.

[2] (?) فضائح الباطنية للغزالي، ص49.

من تأويلاتِهم نُبْذَةً لنستدل بِها على مخازيهم، فقد قالوا: كُلّ ما ورَد من الظواهر في التكاليف، والحشر والنشر، والأمور الإلهية، فكلها أمثلةٌ ورموزٌ إلى بواطن؛ **أما الشرعيات**: فمعنى الجنابة عندهم: مبادرة المستجيب بإفشاء سِرّ إليه قبل أن ينال رتبة استحقاقه. ومعنى الغسل: تجديد العهد على فعل ذلك. ومجامعة البهيمة معناها عندهم: معالجة مَن لا عهد عليه ولم يؤدِ شيئًا من صدقة النجوى؛ وهي مائة وتسعة عشر درهمًا عندهم؛ فلذلك أوجب الشرع القتل على الفاعل والمفعول به، وإلا فالبهيمة متى وجب القتل عليها. والزنا هو: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس مَن لم يسبق معه عقد العهد. الاحتلام: هو أن يسبق لسانه إلى إفشاء السّرّ في غير محله؛ فعليه الغسل أي: تجديد المعاهدة. الطهور: هو التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الإمام. الصيام: هو الامساك عن كشف السّرّ. الكعبة: هي النبِيّ. والباب: عليّ. الصفا: هو النبي. والمروة: علي. ... وكذلك زعمُوا أنّ المحرمات عبارة عن ذوي الشّرّ مِن الرّجال، وقد تُعُبِّدنا باجتنابهم. كما أنّ العبادات عبارةٌ عن الأخيار الأبرار الذين أُمِرنا باتباعهم. **فأما المعاد** فزعم بعضهم أن النار والأغلال: عبارة عن الأوامر التي هي التكاليف؛ فإنّها موظفةٌ على الْجُهّال بعلم الباطن؛ فما داموا مستمرين عليها فهم معذَّبُون، فإذا نالوا علم الباطن وُضِعَت عنهم أغلالُ التكاليف، وسعدوا بالخلاص عنها، وأخَذُوا يؤولون كُلّ لفظ ورد في القرآن والسنة؛ ... **أما المعجزات** فقد أوّلوا جَميعها؛ وقالوا: الطوفان: معناه طوفان العلم؛ أُغرق به المتمسكون بالسنة. والسفينة: حرزه الذي تحصن به من استجاب لدعوته. ونار إبراهيم: عبارة عن غضب نمرود؛ لا عن النار الحقيقية. وذبح إسحاق: معناه أخذ العهد عليه. عصا موسى: حجته التي تلقفت ما كانوا يأفكون مِن الشُّبَه، لا الخشب. انفلاق البحر: افتراق علم موسى فيهم على أقسام. والبحر: هو العالَم ... إبليس وآدم: عبارة عن أبي بكر وعلي؛ إذ أُمر أبو بكر بالسجود لعلي والطاعة له فأبى واستكبر.

الـدجال: زعمـوا أنّـه أبو بكر وكـان أعـور؛ إذْ لم يُبصر إلا بعين الظاهر، دون عين الباطن. ويأجوج ومـأجوج هم أهل الظاهر. هذا من هذيانِهم في التـأويلات؛ حكيناها ليُضْحَك منها؛ ونَعُـوذ بالله من صـرعة الغافل، وكبـوة الجاهل »[1].

ثم رَدّ عليهم بِمسالك ثلاثة.

وللنصيرية والدروز الباطنيان أمثال هذا الهذيان وقد تقـدم شـيءٌ منه عند التعريف بـالفرقتين؛ فلا حاجة إلى إعادته.

وأما الرافضة الاثنا عشرية وأنّها -هي الأخرى- باطنية (تقول في تفسير القـرآن بما لا يَـدُلّ عليه الشّـرع واللغة والعقل) فبُغية للاختصـار أرجئ الحـديث عنهم بـذكر أمثلة لتفسـيرهم البـاطني لبعض الآيـات إلى مسـألة: مخالفة الرافضة النبِيّ في أعظم مطـالب الـدين (توحيد اللــه) من المطلب القـادم. وإنْ كـان يحسُـن هنا أنْ أشـير إلى كتاب فريد انتصر مؤلّفُه لكتاب الله وللصحابة على الاثـني عشرية الذين قـالوا بالتأويل البـاطني لكَمٍّ كبـير من آيـات اللــه؛ حيث أخذ عَيِّنَة من كُتُب التفســير عنــدهم (القمي والعياشي وغيرهم) فاستعرضها من الفاتحة سورة ســورة ناقـــدًا كُل تحريف بـــاطنّي، وإنْ لم يتيسّـــر له إكمـــال المشـروع بعـد، إلا أنه خـرج المجلد الأول منـه، وأسـماه: الانتصـــار لكتـــاب الله العزيز الجبـــار ولأصـــحاب محمد الأخيار على أعدائهم الأشرار[2].

فثبت بما تقدم أنّ من أوجه جفاء الرافضة للرسالة المحمديـة: تغيـير معـاني الآيـات القرآنية وتأويلها التأويل الباطني التي ما أرادها الشارع. والله المستعان!

المسألة الثالثة: إعتقاد الرافضة في مصحف فاطمة رضي الله عنها، وغيره:

جاء في الأصول مِن الكافي للكليني، عن أبِي بصير، قـال: دخلتُ على أبِي عبد الله فقلتُ لـه: جُعِلتُ فـداك، إنّي أسـألك عن مسـألة، ها هنا أحـدٌ يسـمع كلامي؟ قـال:

---

1 (?) فضائح الباطنية للغزالي، ص49-51، وانظر إبطال الهذيان، ص 51-55.

2 (?) الكتاب للشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي، وهو في 440صفحة (ط/ الإمام أحمد).

فرفع أبو عبد الله سترًا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه، ثم قال: يا أبا محمد! سل عما بدا لك، قال: قُلتُ: جُعِلتُ فداك! إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله علّم عليًّا بابًا يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد! علّم رسول الله عليًّا ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، قال: قلتُ: هذا –والله- العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض، ثم قال: إنّه لعلم، وما هو بذاك! قال: ثم قال: يا أبا محمد! وإنّ عندنا الجامعة، وما يُدريهم ما الجامعة؟ قال: قلتُ: جُعلتُ فداك! وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله وإملائه، من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام وكل شيءٍ يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ، فقال: تأذن لِي يا أبا محمد؟ قال: قلتُ: جُعلتُ فداك! إنما أنا لك فاصنع ما شئتَ، قال: فغمزنِي بيده، وقال: حتى أرش هذا –كأنه مغضب- قال: قلتُ: هذا –والله- العلم، قال: إنّه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: وإنّ عندنا الجفر، وما يُدريهم ما الجفر؟ قال: قُلتُ: وما الجفر؟ قال: وعاءٌ من أدم؛ فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بنِي إسرائيل، قال: قلتُ: إنّ هذا هو العلم، قال: إنّه لعلم، وليس بذاك! ثم سكَت ساعة، ثم قال: وإنّ عندنا لَمُصحف فاطمة عليها السلام، وما يُدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلتُ: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه مِن قرآنكم حرفٌ واحدٌ، قال: قلتُ: هذا والله العلم، قال: إنّه لعلم وما هو بذاك »[1].

وعن الجفر الأكبر والأصغر ومصحف فاطمة، والجامعة يقول الطبرسي (ت588هـ): « أنّ الإمام المهدي حينما يظهر يكون عنده سلاح رسول الله، وسيفه ذو القفار، وتكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة، ويكون عنده الجامعة، وهي صحيفة طولها

[1] (?) الأصول من الكافي للكليني، (ج1/ ص239)، ط3/ دار الكتب الإسلامية، طهران.

سـبعون ذراعًـا، فيها جميع العلـوم، حـتى أرشُ الخـدش، وحتى الجلدة، ونصف الجلدة، وثلث الجلدة، ويكون عنـده مصحف فاطمة عليها السلام »[1].

وهذه الخرافات والإيمان بها لم تكُن في السابقين فحسب دون أن تصِل إلى المعاصرين، فقد قرروها وأخَـذَ بِها زُعمـاؤهم؛ فها هو الخميـني يَـرُدّ على مَن يُسَـمّيه (الكاتب) بعد كلام له فيقول: « والحديث الآخَر يقول فيه: إنّ جبريل كـان يـأتِي بعد وفـاة النبِيّ لفاطمة بأنبـاء من الغيب، فيقوم أميرُ المؤمـنين بتـدوينها، وهـذا هو مصحف فاطمة »[2].

ويقول أحد الرافضة المعاصرين: « فإننا لا نجد في الأمة الإسلامية من ادعى ذلك غير أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين صرحوا عديد المرات بأنّ عندهم الجامعة، وهي من إملاء رسول الله، وخط علي بن أبي طالب، وفيها كل ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش. وقد أشرنا إلى هذه الصحيفة الجامعة التي كان يحملها عليٌّ معه »[3].

قال الـبرقعي أبو الفضل في (كسر الصـنم) وهو يُشَرِّحُ الباب الذي عقَده صاحب أصول الكـافي (بـاب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة) ويرُدّ عليهم: بعـدما تكلم على أسـانيد الآثـار، وذكَر أنّ رُواتِها كـذّابون، ناظرًا إلى المتون نفسها: « وأما متونهـا، فالحـديث رقم2 يقــول: جــاء ملَك إلى فاطمة رضي الله عنها ليُؤنســها، وحـدّثَها، مع أنّ الشـيخ مفيد ادّعى الإجمـاع بأنّه لا يـوحى لأحــدٍ بعد خــاتم الأنبيــاء. وقــال علِيٌّ في نهج البلاغة في خطبة رقم131: (خُتم به الـوحي)، ومعـنى خـاتم النبـوة:

---

[1] (?) الاحتجاج على أهل اللجاج، ص223، بواسطة: السنة والشيعة لإحسان إلهي، ص80.

[2] (?) كشف الأسرار للخميني، 143، واقرأ إلى ص147 حيث يُقرر في نهاية رده: فإذا ما قام ربّ العالَمين -..- بإرسال الملائكة ليعزّوا ابنته بوفاة أبيها، ويُبلّغوها بأنباء من عالَم الغيب.. فإنّ العالَم لن يُصاب بمكروه».

[3] (?) الشيعة هم أهل السنة للدكتور الرافضي محمد التجاني السماوي، ص141.

قُطعَت الأخبار من السماء. وذُكِر هذا الباطل في الحـديث الخامس أيضًا »[1].

وحسبِي هنا ذكر كلام هذا العاقل منهم للرد عليهم[2].

وبعد مصحف فاطمة والجفر، فإنّ للرافضة الغلاة كالإسماعيلية: المصحف المُنفـرد لذاتـه. كما أنّ لكـلٍّ من البابية والبهائية –وهما من الرافضة- مصاحف غير القــرآن وهما الموسومان بـ(ــالبيان، والأقـدس). وسـيأتي ذكرهما والرد عليهما. والله المستعان!

المسألة الرابعة: إعراضُ الرّافضَةِ عَن سُنّتِه [3]:

سُنّةُ النبِيّ (أحاديثُه) في اصطلاح الأصوليين: هي أقوالُه، أفعالُـه، وتقريراتُه خاصــة، وهي الأصل الثـانِي مِن أصـول الشـريعة الإسـلامية ومصـادرها، وهي تُـبيّن مُجمل القــرآن وتُفصّــلُه، وتُخصص عامــه، وتقيّد مطلَقَــه، ويـأتِي تشـريعاتٌ فيها لَم تـأتِ في القـرآن، وقد أمَـرَ الله تعـالى بالأخذ والتمسك بِهـــا. ومُنكِر الســـنة النبوية الثابتة عنه كـافرٌ، كما أنّ مُنكِر القـرآن خـارجٌ عن الملة الإسـلامية[4]. وهـــذا لا أُطيل فيـــه؛ حيث يـــأتِي تفصـــيلُه عند الفرقة المدعوة: بالقرآنيين.

والمسألة هنا: هل الرافضة أخَذَتْ بِسُنّة النبِيّ الثابتة عنه المودعة في كُتُب الأحاديث كالصـحاح والسـنن والمسانيد والمصنفات والموطآت والمستخرجات وغيرها، كما قبِلَها المســلمون، أم لم تأخذ الرافضة –جفــاءً منهــا- من هذه الأحاديث إلا ما وافق هواهـا، خلافًا لِكُـلّ الفِـرَق؟

---

[1] (?) كسر الصنم لأبي الفضل البرقعي، ص185.

[2] (?) وقد حكى المسألة وردّ عليهم صاحب كتاب المنحة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الاثني عشرية ص200-202.

[3] (?) انظر: عن مسألة إعراض الرافضة عن سنة النبي : منهاج السنة النبوية، (ج7/ص411-419)، ومسألة والفصل الذي عقده الشيخ الدكتور ناصر القفاري في اعتقاد الرافضة في السنة، من كتابه أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، وقد كان حديثه في واقع ص373-484 أي: في أكثر من 110صفحة، (ويُراجع من المجلد الأول)، ط/ دار الرضا.

[4] (?) انظر: الرد الكافي، على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي، لإحسان إلهي، ص111-112.

وصـــــار لَها أحاديثُها ومـــــدوناتها غـــــير ما يَعرِفه جميع المسلمين؟

والجواب: أنّ الرافضة –على الحقيقة- لم ترفع رأسًا للأحاديث النبوية المودعَة في كُتُب السنة المعروفة (وهذا ما ســمّيتُه: إعــراض الرافضة عن سُــنّته ﷺ)؛ ومعلــوم أنّ حقيقة نفي الســنة نَفيٌ للإســلام وأحكامــه؛ ذلك أنّها قد انفــرَدَت ببيــان أحكــامٍ لم يَـذكُرها القــرآن، كما أنّه بِها –لا بِغيرها- يتبيّن مجمل القرآن، .. فحين تــرَى الاثنَي عشــرية المعاصــرين يَرفعــون رأسًــا لكتــاب (فصل الخطــاب في تحريف كلام ربّ الأربــاب). ويتفق مجتهـدوهم اليــوم على اعتبـــار ما جـــاء في كُتُبٍ لهم أربعة من كُتُبِ أخبـــارهم (والـــتي هي الكـــافي للكُلَينِي -ثقة الإســـلام عنـــدهم-، والتهـــذيب للطوســـي، وما لا يَحضُـــرُه الفقيه لابن بابويه القمي، والاستبصـــــار في ما اختلف فيه من الأخبـــــار للطوســي) [1]، ويُعظّمــون مؤلفيهــا، مع أنّها كُتُب خرافيــة، وفيها من الأباطيل ما الله به عليم، حينها وجــدنا مترفِّضًــا يُثبِتُ أنّ الفرقة الــتي انتقل إليها لا يَرفعــون رؤوســهم لِما في الكُتُب الستة، يقــول ذلك وهو يَطعَن على أهل الســنة (الذين سمّاهم بــالوهابية): «ولا يَعرفون عن السنة إلا أنّها الصــحيحان والسّــنن؛ لــذلك نــرَى الوهّابية يَســتدلّون على الزيدية وعلى غيرهم بِما رواه البخاري، بِما رواه الترمذي، وبِما صــححه أبو داود مثلا، ويَظُنّ هــذا المغــرور أنّ جميع المســلمين يعتقــدون مثل ما يعتقــد، وهو وما درَى هــذا المغــرور أنّ للزيدية كُتُب ســنة غــير تلــك،وللإمامية كُتُب ســنة أيضًــا، وأنّهم جميعًــالايَرفَعون رؤوســهم لِما يَرويه صاحبا الصحيحين أوغيرهما من أهل السنة »[2].

وقال أيضًا: « فتَراه يَصطدم عندما لَم يُقبَل منه ما ذكَر من الحــديث؛ لأنّه يَعتقد أنّ كُتُبَ الســنّة هي الصــحاح

---

1 ([?]) انظر: أمهات الكتب التي تعتمد عليها الشيعة، من كتاب الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، ص133.

2 ([?]) قاله صاحب كتاب لِماذا؟ وهل؟ وكيف؟ الذي رُدّ عليه بالحجج الداحضة لشبهات الرافضة، 28-29.

والسّنن، وإنّ ذلك أمرٌ مفرّغٌ منـه، ومتفـقٌ عليه بين جميع المسلمين » [1].

وصحيحٌ أنّ الرافضة الاثنَي عشرية لَمّا أعرَضُوا عن سُـنّة المصـطفى ﷺ مُسـتبدلين ذلك بـأقوالٍ قوّلُـوا أئمتَهم أكثَرَها صاروا لا يَرفَعون رؤوسَهم للكُتُب التي احْتَوَت هذه السُّنَن الْمُخالِفة لَها؛ لا البخاري ولا غـيرَه من بقية دواوين السنة التي أجمَعَ أهل الحق على تعظيمها والأخذ عنها.

أما دعواه الآخَر وهو أنّ الزيدية لا يَرفعـون لِهـذه الكُتُب رأسًـا فقـولٌ مَـردودٌ، يَـرُدُّه واقعُهم الـذي حكـاه صـاحب كتـاب الزيدية وهو يتحـدث عن الحـديث المتفق عليه مرفوعًـا: " **أَلاَ تَرْضَـى أَنْ تَكُـونَ مِنِّي بِمَنْزِلَـةِ هَـارُونَ مِنْ مُوسَـى إِلاَّ أَنَّه لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْـدِي** "[2]، فقـال: «وأصـحاب الحـديث قد أدخلـوه في الصـحاح، والمعلوم من حالهم أنّهم لا يـدخلون في الصـحاح عنـدهم إلا ما يقبلونه »[3].

وهو الواقع الذي حكاه عنهم محمد بن إبراهيم الوَزير –رحمه الله- أيضًا -وهو من أعرف الناس بِهم-، حيث قال: « فالظـاهر مِن أقـوال أئمة الزّيدية مِن أهل البـيت وشـيعتهم؛ موافقة سـائر العلمـاء مِن المحـدّثين والفقهـاء وأهل السنة على ما ادّعَوه مِن صحة الصـحيح مِن حـديث هـذه الكُتُب. وإنّما قلنـا: إنّ الظـاهر إجمـاعهم على ذلـك: لأنّ الاحتجاج بِما صححه أهل هذه الكُتُب ظاهرٌ في كُتُبِهم، شائعٌ بين عُلمـائهم مِن غـير نكـير، فقد روَى عنهم الإمـام أحمد بن سـليمان في كتابه (أصـول الأحكـام) على وجه يـوجب القـول بصـحتها، فإنّه صـنّف كتابه في أحـاديث الأحكام، وصرّح في خطبته بالرواية منها، ولم يُميّز حديثَها من حديث أهل البيت، فتأمل ذلك. وكذلك الإمام المنصور بالله في كثـير من مصـنفاته، منها كتـاب (العقد الثمين)،

---

1 الحجج الداحضة لشبهات الرافضة المنشورة في رسالة لِماذا؟ وهل؟ وكيف؟ في معرفة الحق من الزيف، 37.

2 الحديث متفق عليه وقد تقدم تخريجه في ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ من الباب الثاني.

3 الزيدية للصاحب بن عباد، ص34.

ونَصّ فيه على صحة أسانيدها. وكذلك الأمير العلامة الحسين بن محمد في كتابه (شفاء الأُوَام) الذي لم يُصنّف أحدٌ من الزّيدية في الحديث مثله، فإنّه صرّح فيه بالرّواية منها على سبيل الاحتجاج بحديثها. وكذلك صاحب (الكشّاف) فإنّه رَوَى من صحيح مسلم وسمّاه صحيحًا. وفي (تعليق اللُّمَع) الذي هو مَدْرَسُ الزيدية: أنّه يَكفي المجتهد في معرفة الحديث: الْموطأ أو سنن أبِي داود، ذَكَره الفقيه علي بن يحيى الوشلي في (تعليقه). وكذلك قال القاضي العلامة عبد الله بن حسن الدوّاري في (تعليقه على الخلاصة): إنّه يَكفي المجتهد أصول الأحكام، وأحد الكتب الصحيحة المشهورة. وكذلك علامة الشيعة علي بن عبد الله بن أبِي الخير في (تعليقه على الجوهرة): إنّه يَكفي المجتهد كتاب جامع لأكثر الأخبار الشرعية كسنن أبي دواد. فهذه الكتُب الزيدية المشهورة المتداولة بين علمائهم الأفاضل، المدروسة على محققيهم الأواخر منهم والأوائل، قد صرّحوا فيها بِما يَقتضي صحة سنن أبِي داود وأمثالِها من كُتُب السنن، فكيف بصحيحي البخاري ومسلم؟! وشاع ذلك وذاع ولم يُنكِره منهم أحدٌ»[1].

فثبت بِهذا الكلام المتين أنّ الزيدية يُعظّمون الصحيحين وغيرهما من دواوين الإسلام، خلافًا للرافضة الاثني عشرية الذين انتهى الحكم عليهم بعد دراسة نصوصهم ورواياتهم. وكذلك ما قد قاله أهل السنة عنهم بأنّهم يتجهون اتجاهًا مجانبًا لسنة رسول الله ﷺ التي يَعرِفها المسلمون في الفهم والتطبيق، وفي الأسانيد والمتون.

فعند هؤلاء أنّ علم الأئمة –وهم على زعمهم مثل النبِيّ ﷺ في العصمة- المزعوم بأنه حاصلٌ لهم على زعمهم بطريقَين هما: عِلمٌ مستودعٌ عندهم ورثوه عن رسول الله ﷺ، وآخر حادثٌ يتحقق عن طريق الإلهام لهم والوحي. هذا عندهم: هو السنة.

[1] الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، (ج1/ص150) ط/ عالم الفوائد.

وهذا ليس كما عند بقية الأمة من أنّ السنة: هي ما أضـيف إليه خاصة من قـول أو فعل أو تقرير أو وصـف. وقد حرمـوا أنفسـهم روايـات الصـحابة ؛ كـأبي هريـرة وسمرة وعمرو بن العاص ونظــائرهم، مُكْتَفين بِما يُنْقَل –وأكـثرُه مكـذوبٌ- عن أهل الـبيت، وليس أهل العلم منهم فقــط، بل أدخلــوا مَن لم يَشــتهر منهم بعلم بل وعَملــوا برقاعٍ وحكايات منسوبة إلى طفلٍ مختلف عندهم أنفسهم في وجوده[1].

ولذا قال أحد مراجع رافضة العصر: « إنّ الشيعة لا يعتبرون من السّنة –الأحاديث النبويـة- إلا ما صـحّ لهم من طُــــرُق أهل الــــبيت عن جــــدّهم.. أما ما يَرويه مثل أبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن العـاص، ونظـائرهم فليس لهم عند الإمامية من الاعتبـــار مقـــدار بعوضــــة، وأمرهم أشهَر مِن أنْ يُذْكَر »[2].

فثبت بِهذا أنّهم أعرَضُوا عن سنة نبينا محمدٍ التي رواها مَن شــهدوا التنزيــل، وعرفــوا التأويــل، وأثــنى الله عليهم ورسوله (صـحابة الرسـول) إلى ما قوّلـوا أئمتهم وحكايات الرقاع والطفل.

ولا يعني كلام مرجعهم هذا أنّهم يَكتفون بروايات الأئمة عن رسول الله دون الصحابة، بل بِما يُقَوّل هـؤلاء الأئمة منتهيًا إليهم غير موصولٍ إليه ، وهذا السرّ في قلة الأحاديث النبوية في كتب الأخبـار عنـدهم خصوصًـا، وبقية كتبهم عمومًا.

وقال أحدُ مشايخهم في كتابه في مصطلح الحديث ذاكرًا الحكم العام عندهم: « فصـحاح العامة كلّهـا، وجميع ما يَروونه غير صحيحٍ »[3].

---

[1] انظر: فصل اعتقاد الرافضة في السنة/ من: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (ج1/ص373-484).

[2] قاله محمد حسين آل كاشف الغطا في: أصل الشيعة وأصولها، ص 79، بواسطة: الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي،ص113، وأصول مذهب الشيعة، (ج1/ ص417).

[3] قاله حسين بن عبد الصمد العاملي (ت:984هـ) في كتابه: وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، ص94، بواسطة: الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي للشيخ إحسان إلهي ظهير،

وما قاله هذا الرافضي هنا فهو قاعدةٌ محكمة متينةٌ في مصطلح حديثهم، ولقد كتَب الشيخ إحسان إلهي ظهير -رحمه الله- بابًا كاملا عن هذه المسألة التي أنا بصددها في ردّه على مغالطات دكتورٍ مصري، عَنْوَن للباب: (الشيعة الاثنا عشرية والسنة النبوية)، ومما قال فيه وهو جديرٌ بالذكر في هذا المقام، بعدما تكلم عن السنة كمصدر ثانٍ من مصادر الدين: « ولكن الشيعة لا يُقرّون بِهذا الأصل الثاني، مثل عدم إقرارهم بالأصل الأول، وبنفس التقوّل والْحِيَل، وبنفس المقولات والعلل؛ فإنّهم يقولون: إنّ السنة النبوية منقولةٌ عن طريق أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه، وإنّ أصحابه ارتدّوا كلهم؛ بِما فيهم سادة بنِي هاشم وغيرهم من الأنصار والمهاجرين إلا ثلاثة: مقداد وأبو ذرّ، وسلمان، وهؤلاء لم يرو عنهم إلا القليل، بل أقل من القليل، وأما البقية فلا يطمئن إليهم ولا إلى مرويّاتِهم؛ لانقلابِهم على أعقابِهم إلى الكُفر ..، ولا يُعتمد عليهم، ولا يوثق بأخبارهم، فإنّها ساقطةٌ مكذوبة موضوعة. فكُلّ حديثٍ أو خبَرٍ نُقِل عن أحدٍ من هؤلاء، أو ورَد في سنده أحدٌ يَنتهج منهجهم، ويتّبع خطاهم يَسقُط من الاعتبار. فهذه قاعدة مُحكمة متينة في مصطلح الحديث عندهم »[1].

فذكَر ما تقدم من كلام صاحب (أصل الشيعة وأصولِها)، ونقولات كثيرة من أحد كُتُبِهم المعتبرة في مصطلح الحديث، وهو: (وصول الأخيار إلى أصول الأخبار) في تقريرهم ذلك. إلى أنْ قال: « جاوزوا جميع الحدود حتى قالوا: الأصل في التشريع -عندهم- هو مخالفة أهل السنة وما رُوِي عنهم وعن أعيانِهم، وعلى رأسِهم: أصحاب رسول الله ، وما يَرَونَه من الرأي .. وبِهذا يظهَر أنّهم لا يؤمنون بالأصل الثانِي من أصول الشريعة الإسلامية، وهو السنة. ولا تغترّ بأنّهم يَدّعون ذلك، فدعواهم في هذا لا يختلف عن دعواهم في الإيمان

ص116.

[1] الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه: .. للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص113.

بـالقرآن؛ لأنّ ما رُوِي بطُـرُقهم عن عليٍّ بن أبِي طـالب عن رسـول الله فنـــزرٌ يسـيرٌ جـدًّا أيضًـا. وما روي عن جعفر عن بـاقر بن زين العابـدين عن الحسـين عن عليٍّ فهو أقـلّ القليـل، وصـحاحهم الأربعة وكتُبُهم في الحـديث تشهد على ما قلناه»[1].

وقال: « ولا تغترّ بأنّهم يَدّعون ذلك، فدعواهم في هـذا لا يختلف عن دعـواهم في الإيمـان بـالقرآن ». وبما تقـدم اتضح تفاهـةُ ما قــرره وادّعــاه د. محمد التجــاني السماوي في كتابه (الشيعة هم أهل السنة) في موضـوع: مصادر التشريع عند الشيعة من دعوى أنّ مصادر التشريع عنـدهم اثنـان هما الكتـاب والسـنة، وأنّ هـذه السّـنة هي (السـنة الشـريفة المنقولة عن طريق الثقـات المتـورّعين في النقـل، مهما كـان مـذهبهم) كما نقل عن مرجع كبـير لهم في هذا العصر[2].

ويُبيّنُ أنّ هـذا الكلامَ دعـوى ادّعاها هـذا الـدكتور للتلبيس على بقية المسلمين مِن أنّهم يأخذون بسُنّة النبِيّ الــتي هم يعرفونها (المودعة في الصــحيحين والســنن مثلا)، فـــإذا بالرافضة يَعنُـــون بِها فقط ما رُوي عنه عن طريق الأئمة الاثني عشرية، لا ما رُوي عن أبِي بكر وعمر وغيرهما عن النـبيّ ، كما صـدّر بالتنصـيص عن الأول في قولـه: « المتتبع لفقه الشـيعة الإمامية يجـدهم يَنقطعـون في كُلّ الأحكـام الفقهية –إلا المسـتحدثة- إلى النبِيّ (ص) عن طريق الأئمة الاثـــني عشر من أهل الـــبيت (عليهم السلام) » [3].

فقوله (يَنقطعون .. إلى النبِيّ عن طريق الأئمة الاثــني..) نصٌّ في أنّهم لا يأخــذون ما جــاء عن طُــرُق غــيرهم كــأبي بكر وعمر موقوفًا عليهم ومرفوعا إليه ،

---

1 (?) المصدر نفسه، ص116-117.

2 (?) المنقول عنه هو محمد باقر الصدر، في رسالته العملية لفقه العبادات والمعاملات في الفتاوى الواضحة، (انظر: الشيعة هم أهل السنة، ص127-128).

3 (?) الشيعة هم أهل السنة، للرافضي محمد التجاني، ص126.

فيبقى النقل الـــذي نقَلَه عن شـــيخهم (.. مهما كـــان مذهبهم) ذُكِر في كتابه هذا تدليسًا على العامة.

كما أنّ لقائلٍ أنْ يقول: أنتَ تدّعِي –بِما نقَلتَ سابقًا عن الرافضـة- أنّهم لا يَرفعـون لِما في كُتُب أحـاديث أهل السنة -كالصحيحين والسنن- رأسًـا، إلا ما وافق أهـواءهم، حـتى نقلْتَ من كُتُبِهم: « فصـحاح العامة كلّهـا، وجميع ما يَروونه غيرُ صحيحٍ »[1].

لكنْ رأينا في كلام التجاني هنا الذي نقَلْتَ بعضَه أنّه استشـهد بحـديث (**عَلَيْكُمْ بِسُـنَّتِي، وَسُـنَّةِ الْخُلَفَـاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّين**) وهو في السنن[2].

أقول: يُجاب على هذا: بتأكيد أنّهم لا يرفعون لِما في هذه الكُتُب رأسًا إلا إذا أردوا لَيّ عنق النصوصِ ليَدُلّ على أهـوائهم، ألَم تَـرَ أين أورَده، وفي أيّ مقـامٍ ذكَـرَه؟ ذكَـرَه وهو يتكلم عن (مصـــــادر التشـــــريع عند أهل الســــنة والجماعة) بعدما أنهى حديثَه عن مصادر التشـريع عنـدهم (الشيعة) زاعمًا أنّ الرسـول ﷺ لم يَقصد به أبا بكر وعمـر، بل قصَـــد به أئمة أهل الــبيت الاثنَي عشر الــذين تنتسب إليهم الرافضة الاثنا عشرية، فلَوَى عُنُق حديثٍ آخر، ولفّق لفظًا، فـذكَرَه هكـذا: (**الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْـدِي اثْنَا عَشَـرَ، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**)[3].

ومما يَدُلّ أيضًا على أنّ هذا الدكتور لَم يَقصد بكلامه السـابق: السـنة المشـهورة عند عامة المسـلمين (والـتي روَى أكثرَها أبو هريرة ﷺ وعائشة وابن عُمَر وغـيرهم، وهي الموجودة في الصحيحين والسنن) بل عـنى بِها رواية أئمة

---

[1] قاله حسين بن عبد الصمد العاملي (ت:984هـ) في كتابه: وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، ص94.

[2] الحديث في السنن، وهو صحيحٌ، وقد تقدم تخريجه.

[3] جاء الحديث في الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن سمرة ﷺ بألفاظ عدة، (انظره بألفاظه الكثيرة: صحيح البخاري: كتاب الأحكام، ، باب (بدون ترجمة)، رقم: 7222، وصحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ، رقم: 1821).

أما هذا اللفظ فَمن تلفيقات هذا الدكتور ومن كذبه (انظر: الشيعة هم أهل السنة، ص130)، وكشف الجاني محمد التجاني، (ص120)، (وانظر شرح الحديث في: فتح الباري، ج4/ ص5226-5228).

أهل البيت فقـط: طَعنُه في مواضع من هـذا الكتـاب على راوية الإسـلام أبي هريـرة وغـيره مِن الصـحابة الكـرام، المُكثرين[1]، بل وأفضل الصحابة (أبي بكر وعمر وعثمان) كما طعنهم وجـرحهم في بقية كُتُبـه. والصـحابة عند أهل السنة كُلِّهم عُدولٌ بتعديل الله ورسوله لهم؛ فلا يحتـاجون إلى رجلين لتعديلهم.

ولقد أعاد الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله- في آخر البـاب المشـار إليه الوصـية بِعـدم الاغـترار بـدعاوى الشيعة بأنّهم أهـلُ أخـذٍ بالسـنة، كما سـيأتي كلامـه، وفيه أيضًا تأكيد لِما قلتُ سـابقًا من أنّ عـدم اعتبـارهم بالسـنّة الـتي رواها الصـحابة أجمعـون جعلتْهم يعتمـدون على روايات مختلقة، قال: « وببيان هذه الأشـياء كلّها وتفصـيل القـول فيها يظهر بـأنّ معتقد الشـيعة في الأصل الثـاني للشـريعة الإسـلامية لا يختلف عن معتقـدهم في الأصل الأول، بل ويزيد الأمر خطـورة: أنّهم لا يعتقـدون بِهـذا الأصل الثـانِي إطلاقًا فعلا، ولو أنّهم يَـدّعون الاعتقـاد به قولا، لأنّهم -زيـادة على ما ذكرنـاه- يجعلـون لـدليل العقل تأثيرًا في قبـول الحـديث وردّه. .. ويَظهر من هـذا كُله أنّ الـذين وضـعُوا الديانة الشـيعية لم يَضـعوها إلا لِمخالفة المسـلمين كُلِّهم، ومخالفة ما يؤمنـون به من القـرآن والسنة، وما يعتقدون به من الآراء والأفكار؛ كي لا يتحـدوا ويتفقـوا معهم يومًا من الأيّـام، ولا تجتمع كلمتهم ويتـألف شـملهم، وعلى ذلك اختلقـوا روايـات كثـيرة على لسـان أئمتهم –كـذبًا عليهم-: أنّ على الشـيعة أنْ يُخـالفوا المسـلمين في جميع الأمـور، حـتى جعلـوا هـذه المخالفة أصلا من أصول المذهب، وأساسًا من أسسه .. »[2].

---

[1] (?) انظر: الشيعة هم أهل السنة، للرافضي محمد التجاني، ص56 حيث قال طاعنًا أبا هريرة: (وهل كان عقل أبِي هريرة أكبر من عقل عليّ بن أبِي طالب ..)، وانظر: ص131، (وانظر للرد عليه في طعنه على أبي هريرة وعائشة وحفصة وغيرهم: كشف الجاني محمد التجاني في كتبه الأربعة: ص131، 132، 139، و145).

[2] (?) الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه: بين الشيعة وأهل السنة، ص133-134.

ويُلخّص هذه المسألة ما قال د.مصـطفى «والاثنا عشـرية بِهذه المناسـبة لا يقبلـون الأحـاديث مِن أيّ مِن الـرّواة أو المحــدثين، بل لا بُــدّ أنْ تكــون قد روِيَت عن طريق أهل الــبيت عن جــدّهم علي بن أبي طــالب، أما ما يرويه أبو هريرة وغـيرُه من المحـدّثين الـرّواة فليس لأحـاديثهم عند الشيعة من الاعتبار –على حدّ تعبير السـيّد كاشف الغطـا- مقدار بعوضة، ولعل هـذا سـبب كبـيرٌ من أسـباب الخلاف بين الشيعة والسّنّة، وتبعًا لذلك فهم لا يعـترفون بكبريـات كُتُب الحديث،مثل موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، والصـحيحين، وكُتُب السـنن الأربعة المعروفـة، ولَمّا كـان الحديث هو المصـدر الثـاني للتشـريع كـان من الواضح أنْ تتسع الهوّة نتيجة للخلاف على الرّواة، وتتزلزل الثقة بكلّ فريق»[1].

ب- هــذا، ولَمّا كــانت الرافضة –كما تقــدم- ليست خاصة بالاثني عشــرية، بل هي لقب لهم ولغـيرهم ممن يجمعهم الرفض أحبَبتُ أنْ أشير إلى مواقف الرافضة الآخـرين من سُنّة المصـطفى (والـتي تمثلت في الإعـراض عنهـا) بنقل واحد عن السـيوطي –رحمه اللــه-؛ حيث ذكَـرَ في مطلع كتابه مفتـاح الجنة في الاحتجـاج بالسـنة: أنّ تـرك السـنة ودعـوى الاكتفـاء بـالقرآن قـولٌ لِفَـرق الغلاة من الرافضة فقال: « اعلموا -يرحمكم الله- أنَّ مِن العلم كهيئة الدواء، ومن الآراء كهيئة الخلاء؛ لا تُذْكَر إلا عنـد داعيـة الضـرورة؛ وأنّ مما فاح رِيْحُه في هـذا الزمـان، وكـان دارسًـا -بحمـد الله تعالى- منذ أزمان، وهو أنّ قـائلا رافضـيًّا زِنْـديقًا أكْثَـرَ في كلامه أنّ السُّـنّة النبويـة، والأحـاديث المرويـة، -زادهـا اللــه عُلُـوًّا وشَـرَفًا- لا يُحتج بهـا، وأنّ الحجـة في القـرآن خاصة، وأورد على ذلك حديثَ: **" مـا جـاءكم عـني من حديث فاعرضوه على القرآن فإنْ وجدتم له أصلا فخذوا به وإلا فـردوه**[2] " وهكـذا سَـمعت هـذا الكلام

---

[1] (?) إسلام بلا مذاهب، للشكعة، ص193-194.

[2] (?) هذا الحديث موضوعٌ مختلق على رسول الله ﷺ، وهو أول ما ينبغي أنْ يُعرض على القرآن؛ فيُرى -بعد ذلك- أنه يتعارض مع ما دل على

بجملته منه، وسَمعه منه خلائقُ غـيري؛ فمنهم من لا يلقي لـذلك بـالا، ومنهم من لا يعـرف أصـل هـذا الكلام، ولا مِن أين جاء، فأردتُ أنْ أوضح للناس أصْلَ ذلك، وأُبَيّن بُطلانَه، وأنّـه مِن أعظم المهالـك. فـاعلموا -رحمكم اللـه- أنّ مَن أنْكَـر كَـون حـديث النبِيّ ﷺ؛ قـولا كـان أو فعلا -بشـرطه المعـروف في الأصـول- حجـةً كَفَـر، وخـرج عن دائـرة الإسلام، وحُشر مع اليهود والنصارى أو مـع مَن شـاء اللـه مِن فِرَق الكَفَرَة؛ روى الإمام الشافعي ﷺ يومًا حديثًا وقال: إنّه صحيحٌ فقـال لـه قائـل: أتقـول بـه يـا أبـا عبـد اللـه؟! فاضطرب وقال: يـا هـذا! أريتنِي نصـرانيًّا؟ أرأيتنِي خارجًـا من كنيسـة؟ أرأيت في وسَـطِي زُنّـارًا؟ أرْوِي حـديثًا عن رسول الله ﷺ، ولا أقول به![1]. وأصـل هـذا الـرأي الفاسـد أنّ الزنادقـة، وطائفـةً مِن غُلاة الرافضـة ذَهَبـوا إلى إنكـار الاحتجـاج بالسُّـنّة، والاقتصـار على القـرآن. وهم في ذلـك مختلفو المقاصد؛ فمنهم مَن كـان يعتقـد أنّ النُّبُـوة لعليٍّ، وأنّ جبريل ﷺ أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين ﷺ، تعالى الله عما يقول الظالِمون عُلُوًّا كبيرًا. ومنهم مَن أقَـرّ للنبِيّ ﷺ بـالنبُوّة ولكن قـال: إنّ الخلافـة كـانت حقًّا لعليٍّ، فلمـا عدَل بِها الصحابة عنه إلى أبي بكر ﷺ أجمعين، قـال هـؤلاء المخذولون: -لعنهم الله- كَفَرُوا؛ حيث جارُوا وعَدَلوا بالحق عن مستحقه، وكَفّروا -لعنهم الله- عَلِيًّا ﷺ أيضًا؛ لعدم طَلَبِه حَقّه؛ فبَنَـوا على ذلـك ردّ الأحـاديث كُلّهـا؛ لأنّهـا عنـدهم – بزعمهم- من رواية قوم كُفّار. فإنا لله وإنـا إليـه راجعـون. وهـذه آراء مـا كنت أستحِلّ حكايتهـا لـولا مـا دعَت إليـه الضرورةُ مِن بَيَان أصْلِ هذا المـذهب الفاسـد، الـذي كـان الناس في راحة منه من أعصار »[2].

فبِهذا ثبتَ أنّ الرافضة بفِرَقهم ما كـانوا يَرفعـون لسنة رسول الله ﷺ رأسًا، وهذا من أكبر جفـائهم لشـريعته

أنه يجب أخذ ما آتى به الرسول الكريم فيطرح (ينظر مفتح الجنة للسيوطي).

[1] سيأتي تخريج الأثر في الباب القادم.

[2] مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي، ص5-6.

عليـــه الصـــلاة والســـلام؛ ولـــذلك أدخلْتُ المســـألة تحت المطلب .

** * **

المطلب الثاني: جفاء الرافضة شريعته ، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تلقِّي الرافضة الدين من غير شــريعته .

المســـألة الثانيـــة: مخالفة الرافضة إيـــاه في أعظم مطالب شريعته: (توحيد الله).

المسألة الثالثة: ابتداع الرافضة في دينه وشريعته .

المسألة الأولى: تلقِّي الرافضة الدين من غير شريعته :

أوّل ما يدل على استقامة فئة أو فرْدٍ مصادرُ تَلَقِّيْه الدين، فَمَن يتلقّ عن الكتاب والسـنّة فهو على هـدى الله المستقيم، قال تعالى: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭽ [آل عمران: ١٠١].

لكن –وللأسف- وُجِد في الرافضة مَن يقول بتحريف القــرآن (التغيــير، والنقص والزيــادة)، كما تقــدم مــوقفهم الحقيقي من السنة النبوية الصحيحة التي رواها الصــحابة، وأنّهم انقطعـــوا –كما هو لفظهم- إلى روايـــات أئمة أهل البيت. وقد تقدم ذلك.

كما أنّ عقيدتهم في الأئمة أيضًا جعَلتْهم لا يتلَقّون عن السّـــنة الصـــحيحة؛ لكفر رواتها من الصـــحابة ومَن بعدهم عندهم[1] كما سيأتِي.

ولأجل هذا كُلّه: صارت طريقتهم الوحيدة هي: تلقي الـــدين من روايـــات نســـبوها إلى أئمتهم، فوضـــعَتْ لَهم شيوخهم أحاديث على ألسنة الأئمة، حتى اشتكى الأئمة –كما في كُتُبِ الرافضة أنفســـهم- مِن الكـــاذبين الـــذين يَكــذبون عليهم ليُســقطوا بِكَــذبِهم عليهم صــدقَهم، ففي رجال الكشي: « قال أبو عبد الله عليــه الســلام: إنــا أهــل بيت صــديقون لا نخلــو من كــذاب يكــذب علينــا، ويســقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صــلى اللــه عليه وآله أصدق الناس لهجة، وأصــدق البريــة كلهــا،وكــان

[1] (?) انظر: الشيعة والتشيع للأستاذ إحسان إلهي ظهير، 191.

مسيلمة يكذب عليه. وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه، ويعمل في تكذيب صدقه، ويفتري على الله الكذب: عبد الله بن سبأ »[1]. وهكذا سائر الأئمة بعدهم ابتلي بعضهم بكذاب ثقيف (المختار بن أبي عبيد)، وبالمغيرة وبالبزيغ وأبي الخطاب وغيرهم[2]. وجاء فيه أيضًا: « عن أبي عبد الله (ع) كان المختار يكذب على علي بن الحسين (ع) »[3].

ويؤكد ما تقدم ما جاء في الكافي: «باب أنّ مستقى العلم من بيت آل محمد »[4]. وأورد تحته حديثين. وقد بيّن صاحب كسر الصنم –بعدما قرر أنّ الحديثين ضعيفان (مجهول، وضعيف –كما هو لفظه)- بيّن أنّ متنهما لم يظهر القصد منهما، فقال: « فهو أنّ على الناس أنْ يأخذوا علومهم من آل محمد والآن: ما هي علوم آل محمد ؟ وهل علومهم مستمدة من القرآن .. وهل هم أتباع للقرآن أم لا؟ وهل الأحكام التي بيّنَها آل محمد هي من أحكام القرآن والسّنة أم أنّها مغايرة لَها. وهل المقصود: العلوم الدينية، أم باقي العلوم الكونية كالطبّ والفيزياء إلى آخره، إنّ القصد من هذا الباب لم يَظهر »[5].

وفيه: « باب أنّه ليس في يد الناس شيءٌ من الحق إلا خرج من عند الأئمة، وأنّ كُلّ شيء لم يَخرُج من عندهم فهو باطلٌ »[6]. وقد نقضه صاحب كسر الصنم وقرر بعد ذلك ما يقتضيه الشرع والعقل فقال: «ولكن يجب العلم أنّ كُل حكم صدر من القرآن يجب قبوله سواءٌ بينه الأئمة، أم لا»[7].

---

1 (?) رجال الكشي، ص100-101، (ترجمة ابن سبأ).
2 (?) انظر: الشيعة والتشيع للأستاذ إحسان إلهي ظهير، 192، وما قبله.
3 (?) رجال الكشي، ص115، (ترجمة المختار).
4 (?) كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، ص278.
5 (?) كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، ص278.
6 (?) انظره ونقضه في: كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، ص 278.
7 (?) كسر الصنم، ص279.

وهذه المسألة لَها علاقة بِما تقدم من مسألة إعراض الرافضة عن سُنة النبِيّ ، ولقد عقد صاحب كتاب (وجاء دور المجوس) مبحثًا تناول فيه هذه المسألة، وأسماه: الخميني ومصادره في التلقي[1]: ومما قال: « الخميني في جميع كُتُبه يُعرِض إعراضًا تامًّا عن الرجوع إلى أيّ كتاب من كُتُب أهل السنّة في الحديث، وهذا أمرٌ بدَهي لِمَن لَم يعرف مذهب الشيعة على حقيقته؛ فهم لا يرجعون إلى كُتُب أهل السّنّة إلا في حالة واحدة، وهي محاولة الاحتجاج بِها على أهل السّنة، أما فيما سوى ذلك، فلا يقيمون للسنّة وزنًا،كما قال أحدُ علمائهم المعاصرين: (إنّ الشيعة لا تُعَوّل على تلك الأسانيد –أي: أسانيد أهل السنة- بل لا تعتبرها، ولا تُعرّج في مقام الاستدلال عليها ... ثم قال: إنّ لدى الشيعة أحاديث أخرجوها مِن طُرُقهم المعتبرة عندهم، ودوّنوها في كُتُب مخصوصة، وهي كافية وافية لفروع الدين وأصوله، عليها مدار علمهم وعملهم، وهي -لا سواها- الحجة عندهم) وقال عن البخاري وصحيحه: وقد أخرج من الغرائب والعجائب والمناكير ما يليق بعقول مخرّفي البربر وعجائز السودان »[2].

وصنيع الرافضة من تلقّيهم الدين مِن الكذّابين الوضّاعين وما نسبوه –زورًا- إلى أئمتهم جفاءٌ منهم لشريعته حيث أدّاهم ذلك إلى تَركِ كثيرٍ من الدين. ومِن المعلوم أنّ النبِيّ لَم يَخُصّ أهل بِيته فقط بإلقاء الدين لهم دون غيرهم، بل أرسَل رُسُلَه ليتلقى الناس عنهم الدين من أهل بيته ومِن غيرهم؛ فأرسَل عليًّا وأبا موسى ومعاذًا إلى اليمن مثلا لِهذه المهمة وأمَرهم أنْ يُعلِّموهم التوحيد أولا، ثم الصلاة، ثم الزكاة .. وهكذا بقية الرّسّل. كما أنّه أمَرَ حملة الشريعة أنْ يُبلِّغوا عنه ما حملوه عنه، ودعا بالنضارة لِمن وعَى ما سمِع مِن الدين فبلّغه، دون أنْ يَخُصّ الْمُبلغين عنه بأهل بيته دون غيرهم. فتقرر بِهذا

---

[1] (?) انظر المبحث مفصّلا: وجاء دور المجوس ص167-173، لعبد الله محمد الغريب.

[2] (?) وجاء دور المجوس، ص171-172.

أنّ تلقِّي الـــــدين عنهم فقط -دون غـــــيرهم مِن حملة الشريعة- بدعةٌ رافضية.

** * **

المسألة الثانية: مخالفة الرافضة إيّاه في أعظم مطالب شريعته (توحيد الله):

أعظم مطالب الشريعة الإسـلامية الـذي جـاء به رسولُنا محمدٌ بل والرسل قبله هـو: توحيد الله القـائم على الإثبـات والنفي؛ والمطلـوب هنا أنْ نُثْبِت له سـبحانه (باعتقادنا وبأعمالنا وأقوالنا) ما أثْبَتَ لنفسه الْمُقدّسة من اسـتحقاقه وحـده لا شـريك له للعبـادة (عبـادات القلب واللســـان وبقية الجـــوارح). ونُثْبِت له أحديتَه في أفعاله وأسمائه وصـفاته، نـافين عنه –كما نفى عن نفسـه، ونفى عنه رسُولُه- الشريك والمثيل[1] في كُلِّ ما تقدم.

ولشرح هذه المقدمة كلام طويلٌ يتعلق بتوحيد الله بأفعـال العبـاد (الألوهيـة)، وبأفعاله (الربوبيـة)، وبأسـمائه وصـفاته أُرجئ بَعضَـه إلى البـاب القـادم (المبحث الثـاني والثـــالث والرابع من الفصل الأول خصوصًـــا) حيث عُقِد فصلٌ لبيان أنّه لا يُشارك الله تعالى في خصائصه وحقوقه حـتى أقـرَبُ الخلق إليه (أنبيـاؤه ورسُـلُه) فكيف مَن هم دونهم؟

أما المسألة هنا فعُقِدت لبيان أنّ الرافضة بجميع طـوائفهم من الإسـماعيلية بفروعهـا، والاثـني عشـرية بفِرَقهـا، وقبلهما مَن لَقّبَهم عُلَمـاء الفِـرَق قـديمًا بالغالية (الْمُؤلّهين للأئمة) لم يحافظوا على هذا الأصل، بل خالفوا رسول الله في أعظم مطالب شريعته (توحيد الله)؛

وأقول أولا: أما عن الغُلاة الْمؤلّهين للأئمة من السـبئية والحلولية والمفوضـية وغـيرهم فسـيأتِي ما يَـدُلّ على مخالفتهم للتوحيد بتأليههم معظّميهم.

وكذلك الإسماعيلية الباطنية، والدروز الذين يؤلّهون الحـاكم بـأمر اللـه، والنّصـيرية الـذين يؤلّهـون علِيًّا فقد تقدم خرمهم للتوحيد وهدمهم للدين.

[1] (?) انظر انقسام توحيد الأنبياء والمرسلين إلى الأقسام الثلاثة في: تيسير العزيز الحميد، ص17، وفتح المجيد، ص15-18.

وأركِّز هنا على الرافضة الاثني عشرية لبيان مخالفتهم إياه في هذا المطلب العظيم (توحيد الله)،

فالرافضة الاثنا عشرية لهم مخالفات عظيمة بل هدمٌ للتوحيد بأنواعه الثلاثة؛ فيكفي مَن أراد الوقوف على ذلك أنْ يَقرأ الباب الـذي أعـدّه الشـيخ الـدكتور ناصر القفـاري المُعَنوَن له بـ(عقيدة الاثني عشرية في أصـول الـدين) [1]. كما أنّ كتــاب الشــيعة والتوحيد (قصة الهــدم الشــيعي للتوحيد[2]) في هــذا المعـنى. وغــير ذلــك. أما أنا ولأهمية المسألة فأشير ببعض ما يتضح به المقام.

فأقول أولا: بالنسبة **للاثني عشرية وهدم توحيد الربوبية**: قد أثّر ما يَدّعيه الاثنا عشــرية للإمــام سلبًا فيما يجب أنْ يعتقدوه في الله بخصـوص أفعاله خلقًا ومُلكًا وتدبيرًا؛ فمَن تأمل عناوين الأبـواب لأصـول الكـافي فقط دون أنْ يغـوص في الروايـات المُضَـمّنة تحتهـا، فإنّه يقِف على هدم لِهذا النوع من التوحيـد. وهكـذا بقية كُتُبهم في الحديث والتفسير وغيره.

فمِن روايتهم -كما افترَوها على لسان علي بن أبي طالب -: أنا ربّ الأرض الذي يَسكُن الأرض به [3].

وقالوا بأنّ الدنيا والآخرة للإمام، كما أسندوا الحوادث الكونية إلى الأئمـة. وزعمـوا أنّه قد حَـلّ جُـزءٌ إلهيّ فيهم، تعالى عن ذلـك. كما قـالوا –بالنسـبة لخلق أفعـال العبـاد- بقــول القدريـــة؛ مِن أنّ العبد هو الـــذي يخلُق أفعالَـــه، وعطّلـوا بـذلك رُبوبية الله عليهـا. وقد تكلم الـدكتور ناصر

---

[1] بالأخص: الفصول الثلاثة التي هي (عقيدتهم في توحيد الألوهية، عقيدتهم في توحيد الربوبية، عقيدتهم في أسماء الله وصفاته). فقد تكلم بِما هو كافٍ في الموضوع في واقع: أكثر من: 150صفحة (انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ج2/ ص 515-677).

[2] لِمؤلفه الدكتور حافظ موسى عامر رحمه الله تعالى (ط/ مكتبة الإمام البخاري)، والكتاب في 126 صفحة (وحقيقته: فصلٌ مستلٌّ من رسالة الدكتوراه للمؤلف، والتي هي بعُنوان: عصمة الإمام، في: ج 2/615-730).

[3] مرآة الأنوار، ص59، بواسطة: أصول الشيعة الإمامية للقفاري، (ج 2/ص618).

القفاري على هذه المسائل، وجعلَها مباحث لعقيـدتهم في الربوبية[1].

وهذا الهدم لم يكن خاصًّا بالْمتقـدمين منهم دون المعاصــرين، فقد قــال زعيم الثــورة الإيرانية في هــذا العصر، وهو يُسند إلى أمير المؤمـنين علي بن أبي طـالب بعض أفعـال اللـه، وهو قيامه على كُـلّ نفس بِما كسـبَت، والـذي هو تـدبيره لشـؤون الخلـق، قـال: « ومبض: وبِمـا علّمنـاك من البيـان والتبيـان يُمكن لـك فهم قـول مـولى الْموحّدين، وقدوة العارفين، أمـير المؤمـنين صـلوات اللـه عليـه وعلى آلـه أجمعين: (كُنتُ مـع الأنبيـاء باطنًـا، ومـع رسـول اللـه ظـاهرًا)؛ فـإنّ عليـه السـلام صـاحب الولايـة المطلقة، والولاية باطن الخلافة، والولاية المطلقـة الكليـة باطن الخلافـة الكذائيـة، فهـو عليـه السـلام بمقـام ولايتـه الكلية قائم على كُلّ نفس بمـا كسـبتْ، ومـع كُـلّ الأشـياء معيّة قيّومية ظِلّية إلهية ظلّ المعية القيومية الحقة الإلهية »[2].

فهذا الزعيم قد اختلس صفة من صفات الله تعالى (وهي قيامه على كُــلّ نفس بِما كســبَت) من صــدر آية الرعـد، وتغافل آخرهـا، والوعيد الـذي جـاء في الآية الـتي بعدها.

ثانيًا: وأما عن **توحيد الله تعالى في أسمائه وصـفاته والهـدم الشـيعي**: فهو الآخَر الـذي تَشـهد عليهم كُتُبُهم وسِــيَرُ مؤلِّفيها ومشــايخهم بالهــدم؛ فتوحيد الله تعالى في أسمائه وصـفاته هـو: الاعتقـاد الجـازم بـأنّ الله تعالى متصفٌ بِجميع صفات الكمال، ومـنزّه عن جميع النقــائص والعيــوب، وأنّه ســبحانه تفــرد بِهــذا عن جميع الكائنات؛ لا مثيل له، ويكون هذا الإثبات والنفي: بإثبات ما أثبَته ســـبحانه لنفسه وأثبتَ له رســـولُه من الأســـماء

---

[1] لتوثيق نصوصهم ونقضها يُراجع: الجزء الثاني من: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، (ج2/617-636)، ومطلب توحيد الربوبية والهدم الشيعي من كتاب: الشيعة والتوحيد، ص15-41.

[2] مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية للخميني، ص142، بواسطة : الشيعة والتوحيد، د. حافظ موسى، ص20.

والصفات الـواردة في الكتـاب والسـنة. والقـادح في هـذا عـــدة أمـــورٍ مَردُّها إلى: تحريف ألفـــاظ هـــذه الأســـماء والصفات، أو معانيهـا، ومثلُه تعطيلها بنفيها أو نفي بعضـها عنه ســبحانه. وتكييفها بتحديد كنهها وإثبـــات كيفية معيّنة لَها. وآخرُها: تشبيهُها بأسماء وصفات المخلوقين.

وبالاختصار الشديد: فإنّ الاثني عشرية وقعوا في كُلّ هـــذه القـــوادح، فســـمّوا أئمتهم بأســـماء الله تعـــالى، ووصفوهم بصفاته كـالزعم بـأنّ الأئمة هم وجه اللـه، وهم يد اللـه، .. ويعقـدون بابًا (أنّ الأئمة يعلمـون علم ما كـان وما يكون، وأنّه لا يخفى عليهم شيء)[1] –كما سيأتِي. كما أنّ أوائلهم مُجسّمة مُشبِّهة[2].

بينما كان متأخروهم معتزلة معطِّلة[3].

ثالثًا: وأما عن **توحيد الله تعالى بأفعالنا** (توحيد العبادة) –أهم المهمات، وأساس قبول العبادات- **والهدم الشـــيعي له**؛ بصَـــرفِهم أنـــواع العبـــادة إلى أئمتهم ومشـاهدهم، وبـالأخص الـدعاء والاسـتغاثة والـذبح والنـذر وغير ذلـك، فهـذا الأصل الآخر الأهم الـذي لم تحافظ الاثنا عشـرية عليـه، واعتقادها في الأئمة قد أثّر على عقيـدتها في توحيد الله سبحانه!

وللحديث عنه سأذكُر قاعـدة باطنية ذكَرَها أحـدُ مـؤلفيهم، ثم أضـرب لَها أمثلة يتضح بـذلك هـدمهم لِهـذا النـوع من التوحيد.

---

1 (?) كسر الصنم للبرقعي، 197.

2 (?) **كالهشامَين:** هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي (انظر عن قول هؤلاء بالتشبيه والتجسيم، وفرقة الهشامية الرافضية: مقالات الإسلاميين للأشعري، ج 1/ ص106-109، والتنبيه والرد للملطي، ص36-38، والفرق بين الفرق، 72-76، والتبصير في الدين، ص323، والملل والنحل للشهرستاني، ج1/ ص173 وما بعده، وفرق المسلمين والمشركين للرازي، ص81، و83.

3 (?) انظر: مقالات الإسلاميين، (ج1/ 109)، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، (ج2/739-688)، ومطلب توحيد الأسماء والصفات والهدم الشيعي من كتاب: الشيعة والتوحيد، ص91-115.

وما سأذْكُرُه هنا دليلٌ على ما سبقَت الإشارة إليه من كون الاثني عشرية تقول بالتفسير الباطِنِي وإنْ كانت دون الإسماعيلية. كما أنّه وفاءٌ بعَهد متقدمٍ.

فأما القاعدة الباطنية الاثنا عشرية الخبيثة الإلحادية بالنسبة للقرآن –على زعم أحد مشايخهم- فهو ما صاغها بقوله: « **كُلّ ما ورد ظاهِرُه في (الذين أشركوا مع الله سبحانه ربًّا غيره؛ مِن الأصنام التي صنَعُوها بأيديهم، ثم عظّموها، وأحبُّوها، والتزموا عبادتها، وجعلوهم شركاء ربهم، وقالوا: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﭼ بغير أمْر مِن الله، بل بآرائهم وأهوائهم، فبطنُه واردٌ في الذين نَصَبُوا أئمةً بأيديهم وعظّموهم، وأحبّوهم والتزموا طاعتهم، وجعلوهم شركاء إمامهم الذي عيَّنه الله لهم**..»[1].

ولا شك أنَّ وضْعَ هذا قاعدة يعنِي أنَّ أخبار الرافضة تواطأت وتضافرت لإثبات هذا المنكر، وهذا ما صرَّحوا به فقالوا: « **إنَّ الأخبار متضافرةٌ في تأويل الشّرك بالله، والشّرك بعبادته: بالشّرك في الولاية والإمامة؛ أي: يُشرك مع الإمام مَن ليس من أهل الإمامة، وأن يتّخذ مع ولاية آل محمد ﷺ -أي: الأئمّة الاثنا عشر- ولاية غيرهم** »[2].

فالاثنا عشرية قد غَيَّروا معنى كُلِّ نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده –والتي سيأتِي طائفة كبيرة منها في الباب القادم- إلى الإيمان بإمامة علي والأئمة. والنصوص التي تَنْهَى عن الشرك جعلوا المقصود بها: الشرك في ولاية الأئمة.

---

[1] مرآة الأنوار: ص100، بواسطة: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية د.ناصر القفاري، (ج2/526).

[2] مرآة الأنوار: ص202، بواسطة: أصول مذهب الشيعة للقفاري (المصدر نفسه).

ومن أمثلة نصوص القرآن -في التوحيد والنهي عن الشرك- الـتي قـرر مفسِّـروهم هـذا الباطل فيها فجعلُوها في الأئمة [3] ما يأتِي:

المثال الأول: جاء تفسير قوله سبحانه: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [الزمر، آية: 65.]، في الكافي -أصح كتاب عندهم- وتفسير القمي -عمـدة تفاسـيرهم- ما يلي: « يعني: إنْ أشركتَ في الولاية غيره »[2].

وفي لفظ آخر: «لئن أمَرْتَ بولاية أحدٍ مع ولاية عليٍّ مِن بعدك ليحبطنَّ عملُك»[3].

وجاء في سبب نزول الآية عندهم: «.. إنَّ الله ﷻ حيث أوحى إلى نبيه ﷺ أنْ يُقيم عليًّا للناس علَمًا اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشْرِكْ في ولايته الأول والثاني، (يعنون: أبا بكر وعمر) حتى يسكن الناس إلى قولك ويُصدقوك! فلما أنزل الله ﷻ: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [المائدة، آية: 67] شكا رسول الله ﷺ إلى جبرائيل فقال: إنّ النـاس يكـذبوني ولا يقبلون مِنّي، فأنزَلَ الله ﷻ: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ[4].

وهذا التفسير لا يستند إلى أصلٍ من لغة أو عقل، فضلاً عن الشرع والدين.

ثم بتلاوة القـارئ للآية وما قبلها وما بعـدها (السـياق) ثم بالرجوع إلى معناها الصحيح نـدرك مـدى تحـريفهم لآيـات الله، وتآمرهم لتغيير دين الإسلام بتغيير أصله العظيم وهو التوحيد.

فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيروا الأمر؛ فـاعتبروا الآية متعلقة بعليٍّ، مع أنّـه ليس له ذكر في الآية أصـلاً، فكـأنهم جعلـوه هو

---

3 (?) انظر هذه المسألة والأمثلة عليها في أصول مذهب الشيعة، د.ناصر القفاري (تحت قوله: نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة، ج2/ 519-530).

2 (?) أصول الكافي: (1/427) رقم (76)، بواسطة: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية للقفاري، (ج2/519).

3 (?) تفسير القمي: (2/251)، بواسطة: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية للقفاري، (ج2/519).

4 (?) تفسير البرهان: (4/83)، بواسطة: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية للقفاري، (ج2/ص520).

المعـــبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلـــوا (العبـــادة) هي الولاية. والآية واضــحة المعــنى[1]، بينة الدلالــة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة.

كما أنَّ في التفسير السابق إساءة أدبٍ للقـرآن، وفيه النيل من رسول الله .

المثال الثانِي: إذا قال الكفار -وهم في النار-: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ [غافر، آية: 12.] يكون جوابهم ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ أي: ذلك الذي أنتم فيه من العذاب بسـبب أنَّه إذا دُعي الله في الـدنيا وحـده دون غـيره كفـرتم به، وتـركتم توحيده ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ غيره من الأصنام أو غيرها، ﭽ ﮝ ﮞ ﭼ بالإشراك به، وتجيبوا الـداعي إليه. فـبيَّن الله لَهم السـبب الباعث على عدم إجـابتهم إلى الخـروج من النـار؛ وهو ما كـــانوا فيه من تـــرك توحيد الله، وإشـــراك غـــيره به في العبادة؛ التي رأسها الدعاء[2].

فالآية مع ما قبلها خَبَرٌ عن جـزاء المشـركين في الآخـرة، وأنّ مصـيرَهم إلى النـار لا يخرجـون منهـا، وأنَّهم يطلبـون الرجعة إلى الـدنيا، ولا يجـابون بسـبب إشـراكهم بالله في عبادته.

ولكن هؤلاء يَرْوُون عن أئمتهم في تأويل الآية غير ما فهمه المســـلمون منها، فينســـبون إلى « أبي جعفر في قوله تعالى: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ بأنّ لعليٍّ ولاية ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ مَن ليسَتْ له ولايةٌ ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ »[3].

وانظر إلى هذا التأويل الباطني أيضًا، والذي لا دلالة عليه من لفظ الآية ولا سياقها مطلقًا.

المثال الثالث: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [النمل، آية: 61.] قال أبو عبد الله -كما يفترون-: «أي: إمامُ هُدى مع إمام ضلالٍ في قرنٍ واحدٍ»[4].

---

[1] انظر تفسير الآية عند ابن كثير في تفسير القرآن العظيم، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي.

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج4/ 93-94).

[3] بحار الأنوار: (ج23/364)، وانظر: تفسير القمي: (2/256)، وتفسير الصافي: (4/337)، بواسطة: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية للقفاري، (ج2/523).

فالآية لا صلة لَها بإمامهم، بل هي لتقرير وحدانية الله، فاقرأها مع ما قبلها وما بعدها.

المثال الرابع: وقد حرَّفوا معنى قوله تعالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ [البقرة، آية: 165] بقولهم: « هم أوليـاء فلان وفلان اتخـذوهم أئمة دون الإمـام الـذي جعله الله للناس إمامًا » [1].

المثال الخامس: وقوله سبحانه: ﭽﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑ ﮒ ﮓ ﭼ [فصلت: ٦ – ٧] قالوا: « وويلٌ للمشركين الذين أشرَكُوا بالإمام الأول، وهم بالأئمة الآخَرين كافرون...» [2].

هذا، ورواياتهم في تأويل نصوص التوحيد والنهي عن الشرك بالمعنى المبتدع عنـدهم لا تكـاد تخلو منها آية من آيـات القـرآن المتعلقة بالتوحيـد، والنهي عن الشـرك كما قال صاحب أصول مذهب الاثني عشرية [3]، ولِهذا وضـعُوا تلك القاعدة الباطنية التحريفية!

وأكَّد شيوخ الشيعة هذه المعاني حتى قال صاحب (علل الشـــرائع): « ..إنَّ الله هو الـــذي لا يخليهم في كلِّ زمان من إمامٍ معصوم، فمن عبَد ربًّا لم يقم لهم الحجـــة، فإنما عبَد غير الله »[4].

وهو يعني أنَّ من آمن بالله سبحانه ربّا، وأخلص له العبـــادة، ولكن اعتقد أنَّه لم يُـــولِّ عليًّـــا، ولم ينصَّ على إمامته، فقد عبَد غير الله!

وأخذوا من هذه النصوص وغيرها الحكم بتكفير مَن عداهم من المسلمين –كما سـيأتِي-، حـتى قـال في بحـار الأنـــوار: « اعلم أنّ إطلاق لفظ الشّــرك والكفر على مَن

---

4 (?) بحار الأنوار: 23/391، بواسطة: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية للقفاري، (ج2/524).

1 (?) الغيبة للنعماني (ص83)، بواسطة: أصول مذهب الاثني عشرية للقفاري، (ج2/525-526 في الحاشية).

2 (?) تفسير القمي: (2/262)، بواسطة: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية للقفاري، (ج2/526 في الحاشية).

3 (?) انظر: أصول مذهب الشيعة، د. ناصر القفاري، (ج2/525).وانظر: مفاتيح الجنان لعباس القمي، (دعاء الاستغاثة بالحجة –ع-، ص164-165، وصلاة الاستغاثة بالبتول عليها السلام، ص727-728).

4 (?) قاله ابن بابويه القمي: (علل الشرائع ص14)، بواسطة: أصول مذهب الشيعة، (ج2/528 وما بعده).

لم يعتقد إمامة أمــير المؤمــنين والأئمّة من ولــده عليهم السّلام، وفضّل عليهم غيرهم، يدلّ أنّهم كفّار مخلّدون في النار »[1] .

هذا، وقد أورَد هذه الطامات وغيرها ونقدها الشيخ الدكتور ناصر القفاري في (مبحث نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة). كما بيّن –حفظه الله- مخالفـاتهم لتوحيد العبادة بمباحث ستة بعد هذا، لا يسمح المقـام بتلخيصـها؛ فليُراجعها مَن أرادها، **وعناوينهـا:** 1-اعتقـادهم أنّ أصل قبـول الأعمـال هو الإيمـان بإمامة الاثـني عشر وولايتهم، وليس توحيد الله ، (واتبـاع رسـوله). 2-واعتقـادهم أنَّ الأئمة هم الواســطة بين الله والخلـــق، حـــتى صـــاروا يعبـدونهم، ويـدعونهم رغبًا ورهبًا. 3-واعتقـادهم أنّ للأئمة حق التشـريع والتحليل والتحـريم. 4-واعتقـادهم أنَّ تـراب قبر الحسين شفاءٌ من كلِّ داء، وأمـانٌ من كل خـوف. 5-ودعاؤهم بالطلاسم والرموز لكشف البلايا ورفع الملمات، واسـتعانتهم بـالمجهول لطلب الهداية. 6-واسـتخارتهم بما يُشْبه رقاع الجاهلية[2].

ولأقف هنا على هـدم الرافضة الاثنَي عشـرية المعاصـرين للتوحيد امتدادًا لأسـلافهم مع أبـرز مَن يُمثّلهم (الخميـنيّ) في (الحــديث الأول) الــذي كَتَبه في كشف الأســرار على إثر السؤال القائل: « هل طلَبُ الحاجة من النّبِيّ والإمام، وطلَب الشّـفاء مِن التربة والسـجود عليهـا، وإقامة القبب والأضـرحة، .. يُعتبَر شـركًا، أم لا؟ فـإنْ كـان كـذلك يُعَـدُّ، وضِّحوه لنا. وإنْ لم يَكُن كـذلك فـالْمرجوُّ أولا بيـان معـنى الشـرك لكي نتـبيّن الفـرق بين ذلك الشـرك الـذي حاربَه الإسلام وبين هذه الأعمال »[3].

---

[1] قاله المجلسي في بحار الأنوار: (23/ 390)، بواسطة: أصول مذهب الاثني عشرية، (ج529).

[2] انظرها في: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، (ج2/ 531-611).

[3] كشف الأسرار للخميني، ص27، ترجمة: د. محمد البنداوي، وتعليق: الشيخ سليم بن عيد الهلالي.

ولقد فرّع السؤال إلى خمسة فروع، وزاد واحدًا من نفسه، ثم قام بالإجابة عليها[1]:

فمما قـال في إجابة الفـرع الأول وهو يُقـرر أنّ طلب الحاجة من الأمـوات ليس شـركًا: « يقولـون: (إنّ طلَب الحاجة مِن الأمـوات شِـركٌ؛ لأنّ الرسـول أو الإمـام بعد موته إنّما هو جمادٌ، ولا يُرْجَى منه: لا نفعٌ ولا ضـرّ. .. وبعد أنْ تبيّن أنّ الشرك هو طلَب الشيء مِن غير ربّ العالَمين على أسـاس كونه إلَهًا، فـإنّ ما دون ذلك ليس بالشـرك؛ ولا فَـرقَ في ذلك بين حيٍّ وميّتٍ. فطلَبُ الحاجة من الحجر أو الصّخر ليس شـركًا وإنْ يَكُن عملا بـاطلا. ثم إننا نَطلُب المدد مِن الأرواح المقدسَة للأنبياء والأئمة ممن قد منَحَهم الله القُـدرة[2]. وقد ثبَت بـالبراهين الدامغة والأدلة العقلية الثابتة بـأنّ الـرّوح –بعد خلاصـها مِن الجسـد- إنّما تَظَـلّ باقيـة، وأنّ إحاطة الأرواح بِهـذا العـالَم تكـون بعد المـوت بشـكلٍ أعلى وأكـثر، والفلاسـفة يَعتـبرون تبـدد الأرواح وزوالَها أمرًا محالا .. »[3].

فسوَّد سـبع صـفحات بنقل كلام فلاسـفة ما قبل الإسـلام وبعـده والغربـيين في بقـاء الـروح وخلودها بعد المـوت، إلى أنْ احتكَم إلى قُرّائه فقـال: « فهل يحق لنا أنْ نتجاهل أفكار .. ونتقبل أفكار ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهّاب ومَن يتبعهما ويُقلّدهما من الإيرانيين الذين تجرّدوا من العقل والحكمة، وأخذُوا يُقلّدونَهما تقليـدًا أعمى..؟ أم نعُدّ ابن تيمية ومَن يتبعه..أفرادًا خارجين عن طريق العلم والمعرفة والدين، ونسقط عنهم حقـوقهم الدينية والمدنية »[4].

---

[1] (?) أجاب عليها الخميني: ص28-45 تكلم عن حقيقة الشرك عنده. ثم بدأ الإجابة على الفرع الأول، في ص46-59، وأجاب على الثاني في: ص59-73، وأجاب على الفرع الثالث في: ص74-77، وعلى الرابع في: 78-105 من كتاب (كشف الأسرار).

[2] (?) قف على نقض هذا الكلام الباطل، في كتاب: الشيعة والتوحيد للدكتور حافظ موسى عامر، ص55-75.

[3] (?) كشف الأسرار للخميني، ص49.

[4] (?) كشف الأسرار للخميني، ص49.

ومما قال في بيان الشرك وهو دليلٌ على أنّه لا يعلم الشرك أيضًا، قوله: « لقد أوضحنا من قبـل: بـأنّ الشـرك يتمثل في القول بإلَهين، أو في عبادة ربّين، أو عبادة وثن، أو كـوكبٍ على أسـاس أنّ كُلاًّ منهما إلـهٌ أو صـورةٌ للإله »[1].

فمَن وقف على ما قال في هذا (الحديث) من بيان الشرك وتفريع المسائل، وعرَف ما جاء به المرسلون من توحيد الله ونبذ الشـــرك علِم يقينًا أنّ هـــذا الخمينِيّ لم يَعرِف توحيد الله ولا ما يناقضُه من الشرك بِجميع أنواعه.

وهنا –واختصارًا- أُرجع القارئ الكريم إلى التمهيد الْمــتين الــذي عَمِلَه صــاحب تيســير العزيز الحميد عند شرحه لكتـاب التوحيد لبيـان ما هو حقيقة التوحيد بأنواعه الثلاثة، وما هو الشـرك الـذي يُضـادّه[2]، وحينها يَعـرِف أنّ الخمينيّ دندنَ في توحيد الربوبية، وأنّ الشـرك الـذي بيّنه لا يعـدو عن الشـرك في جـزء من هـذا التوحيـد. كما أنّ كلامه عن طلب الحاجة من الأئمة والنبِيّ، ومســألة طلب الشفاء من التربة، والسـجود على التربـة، وإقامة القبـاب والمراقد على القبور، وعلم غيب الأئمة والنبِيّ، كلامه في هـذه المسـائل مخـالف لحقيقة التوحيـد. وتخلل بين ذلك افتراءات وأكـاذيب، وعصـبيات للفـرس، وشـتائم للعـرب، وعدم التحقيق في عدة مسائل، إلى غير ذلك.

وفي آخر هذه المسـألة أُقـرّر أنّ مِن أوجه جفـاء الرافضة –بِفِرقهم- شريعة نبينا محمد مخالفتهم إيّاه في أعظم مطالبِهــــا، ألا وهو توحيد الله ؛ اللهم فاجعلنا من مُحَقّقِيْه، واهدِهم يا كريم!

** * **

المسألة الثالثة: ابتداع الرافضة في دينه وشريعته :

---

[1] كشف الأسرار للخميني، ص86.

[2] انظر: تيسير العزيز الحميد، من ص17-28، وتصفح كتاب: تجريد التوحيد المفيد للمقريزي، مع ما يأتِي في الباب القادم مما يتعلق بالتوحيد بأنواعه الثلاثة (المباحث الأربع الأولى من الفصل الأول منه).

باب البِدَع والابتداع عند الرافضة بابٌ واسعٌ، وحقيقة الابتداع –كما هو معلوم- استدراك على صاحب الرسالة، ولازمه خطيرٌ جدًّا –كما سبق من قول الإمام مالك وغيره مِن أئمة السلف.

ومِن الأمور التي ابتدعها الشيعة الاثنا عشرية في دينهم: عصمة الأئمة –وسيأتِي ذكرُه-[1]، والقول بالرجعة[2]، والبداء[3]،

[1] بل ألّف الدكتور حافظ موسى عامر –رحمه الله- كتابه عن ذلك، أسماه: عصمة الإمام في الفقه السياسي الشيعي –دراسة مقارنة- (ثلاث مجلدات، نشر مكتبة الإمام البخاري).

[2] انظر عن **معنى الرجعة**، وأنّه على اعتقادهم رجوع الأموات من أئمتهم والأنبياء والرسل إلى الدنيا قبل يوم القيامة وكذلك أعداؤهم –على زعمهم- من أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة ومعاوية وغيرهم للانتقام منهم وقتلهم شر قتلة، وأنه يكون عند ظهور المهدي، كما أنهم أخذوها من أفكار اليهود، والرد على استدلالاتهم فيها، وأنّه لا ترجع حياة الميت إلى يوم البعث والنشور: كتاب السنة والشيعة للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص59 (عقيدة الرجعة). والشيعة والتشيع له، ص 262-263، وفصل الرجعة من (الرد الكافي على مغالطات الدكتور عبد الواحد وافي، ص161-174). وفصل الرجعة من كتاب أصول مذهب الاثني عشرية، (ج2/1103-1124).

[3] انظر عن **ماهية البداء**، وهو الظهور بعد الخفاء، أو نشأة الرأي الجديد، وبيان أنّ حقيقتها تجهيلٌ للحفيظ العليم سبحانه، (وكلا المعنيين محال على الله، ونسبته إليه من أعظم الكفر؛ وعليه: فكيف تجعله السبئية والمختارية، والاثنا عشرية من أعظم العبادات؟) ومنزلتها حيث إنه ما عُبد الله بشيءٍ على زعمهم مثل القول بالبداء، وأنّه لم يعرف حق معرفته مثل معرفته بالبداء، وما عُظّم بمثلها، ولِماذا قالوا بِها، (وهي والتقية: وهو أنْ لا يظهر لشيعتهم كذب أئمتهم أبدًا)، ووراثتهم لها من اليهود، والفرق بينه وبين النسخ، والرد على شبههم فيه: كسر الصنم للبرقعي، 109-110. وكتاب السنة والشيعة للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص57-58 (مسألة البداء). وفصل البداء من (الرد الكافي على مغالطات الدكتور عبد الواحد وافي، ص199-210). وفصل البداء من كتاب أصول مذهب الاثني عشرية، (ج2/1133-1151). ولإنصاف هؤلاء الروافض، أقول بأنّهم في نسبة هذا الكفر (جواز البداء على الله) على ثلاثة أقوال –انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري، ج1/ ص113-.

والتقية[1]، حتى جاء في فرق الشيعة لمؤلفه الذي يَعدونه من أعلام عصر الغيبة الصغرى: « **فأما البداء**: فإنّ أئمتهم لَمّا أحلّوا أنفسهم من شيعتهم محلّ الأنبياء مِن رعيتها في العلم؛ فيما كان ويكون، والإخبار بما يكون في غد، وقالوا لشيعتهم: إنّه سيكون في غد، وفي غابر الأيام كذا وكذا، فإنْ جاء ذلك الشيء على ما قالوه، قالوا لهم: ألم نُعلّمكم أنّ هذا يكون؛ فنحن نعلم من قِبَل الله ما علمته الأنبياء، وبيننا وبين الله مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت، وإنْ لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا أنه يكون على ما قالوا: قالوا لشيعتهم: بَدَا لله في ذلك بكونه »[2]، فجهّلوا الله خوف السقوط مِن أعيُن الأتباع.

وجاء فيه: « **وأما التقية** فإنّه لَمّا كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام، وغير ذلك من صنوف أبواب الدين؛ فأجابوا فيها وحفظ عنهم شيعتُهم جواب ما سألوهم وكتبوه ودوّنوه ولم يحفظ أئمتُهم تلك الأجوبة؛ لتقادم العهد، وتفاوت الأوقات؛ لأنّ مسائلهم لم ترِد في يوم واحد، ولا في شهر واحد، بل في سنين متباعدة، وأشهر متباينة، وأوقات متفرقة؛ فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدةُ أجوبة مختلفة متضادة. وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة، فلما وقَفُوا على ذلك منهم ردُّوا إليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتِهم وسألوهم عنه، وأنكروه عليهم فقالوا: مِن أين هذا الاختلاف؟ وكيف جاز ذلك؟ قالت لَهم أئمتهم: إنّما أجَبْنَا

---

[1] انظر عن ماهية **التقية الشيعية** ومخالفتها للشريعة، ومنزلتها، ومَن سنّها لهم، وحكمها عندهم، وأمثلة من اتقاءاتهم، والأسباب التي دفعتهم إلى القول بِها (6أسباب رئيسة، مع أنها يمكن إرجاعها إلى سببين: حفظ النفس والعرض والمال، والتناقض الذي في دينهم لأنه من وضع الرجال، وفي مواقف أئمتهم ولاء وبراء، وغير ذلك)، وافترائهم على دين الله (كتاب الله ورسوله)،ورد شُبههم ومزاعمهم فيها: السنة والشيعة، ص135-180. وفصل التقية من (الرد الكافي على مغالطات الدكتور عبد الواحد وافي، ص187-198). وأصول وعقائد الشيعة الاثني عشرية، ص448-489. وفصل التقية من كتاب أصول مذهب الاثني عشرية، (ج2/977-995).

[2] فرق الشيعة للنوبختي، ص65.

بِهـذا: للتقيـة، ولنا أنْ نُجيب بما أحببنـا، وكيف شـئنا؛ لأنّ ذلك إلينـــــا، ونحن نعلم بما يُصـــــلحكم، وما فيه بقاؤُنا وبقاؤكم، وكَفّ عدوّكم عنا وعنكم، فمتى يظهر مِن هـؤلاء على كذب؟ ومتى يعـرف لهم حق من باطـل؟! »[1]. هـذا ما قالوه عن البداء والتقية بأنفسهم، والله المستعان!

ومن بِدعهم أيضًا: التديّن بمتعة النساء[2]، وغير ذلك من الأصول التي تفردوا بِها، وجعلوها أُسُسًا وأصولا لدينهم[3]، مع أنّه لم يُنـزل الله بِها من سلطان.

---

1 (?) فرق الشيعة للنوبختي، ص65-66.

2 (?) انظر عن المتعة الشيعية، وفضائلها ومنزلتها عندهم، وكيف تكون؟ (لا تحتاج إلى ولي، ولا توارث بينهما ..) وكم المدة؟ والرد على شبههم فيها، وأضرارها على المجتمع: الشيعة وأهل البيت، ص211-220. وأصول وعقائد الشيعة الاثني عشرية، ص490- 535.

3 (?) قد كتَب عن الأصول التي تفردوا بِها (الإمامة الشيعية، النصّ والوصية، عصمة الإمام ومسألة الغلو الشيعي، الولاية الشيعية، تكفير الأمة، الغيبة، الرجعة، المهدية الشيعية، التقية الشيعية، المتعة)، وهي مِن بِدَعهم، كتَب عنها كُلّها أو بعضها: كُلٌّ من شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية (ص16-48 من ج4).

والشيخ عبد العزيز الدهلوي في كتابه الذي اختصره الشيخ محمود شكري الألوسي: المنحة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الاثني عشرية: (الباب الخامس: في الإمامة، ص203-325، -وفيه أوجبوا أن يكون الإمام معصومًا، ومنصوصًا عليه، والباب السادس: بعض عقائد الإمامية المخالفة لعقائد أهل السنة، 327-339، وفي الأحكام الفقهية والذي هو الباب السابع تكلم عن مسائل المتعة: ص373-377، وفي التاسع: تكلم عن أشياء ومنها: التقية، 464-476).

والشيخ إحسان إلهي ظهير في عدد من كُتُبه منها: السنة والشيعة، (الولاية والوصاية: ص52-55، مسألة البداء: 57-58، عقيدة الرجعة: 59، الغلو في الأئمة: 60-68، والباب الثالث والأخير من الكتاب كان في التقية –الكذب-: ص132-180)، وردّه الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي .. عقَد بابًا أسماه: الشيعة الاثنا عشرية وعقائدهم (فناقشَ الدكتورَ حول: الرجعة، التقية، البداء، الجفر، الإمامة عندهم كفصول للباب)، ص161-232. وتكلم عن المتعة بكلام مفصّلٍ جدًّا في كتابه: الشيعة وأهل البيت: ص214-222. والباب الخامس (الشيعة الاثنا عشرية، والعقائد السبئية) من كتابه: الشيعة والتشيع عقَدَه لبيان الغيبة، والرجعة وغيرهما: (انظر: ص237-298).

ود. ناصر القفاري الذي عقد الباب الثالث من رسالته: أصول مذهب الاثني عشرية بعنوان: أصولهم ومعتقداتهم الأخرى التي تفردوا بها (فناقش: مسألة الإمامة، وعصمة الإمام، والتقية، والمهدية والغيبية، والرجعة، والظهور، والبداء والطينة كفصول لِهذا الباب)، ج2/791-1164.

هذا، ولم يَكفهم نسبتها إلى الدين فحسب، بل اختلقوا لكثيرٍ منها فضائل، فالتقية من دينهم ودين آبائهم؛ فمَن لا تقية له لا دين له، ومن أحاديثهم في بيان منزلتها ما قوّلوا الإمام جعفر –رحمه الله-: « التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لِمَن لا تقية له »[1].

وفي نصٍّ آخر: « إنّ تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لِمَن لا تقية له »[2].

وقالوا في بيان منزلة المتعة: –كما نسبُوا إلى جعفر الصادق- أنه قال: « إنّ المتعة من ديني ودين آبائي، فمَن عمِل بِها عمِل بديننا، ومَن أنكرها أنكر ديننا، واعتقد بدين غيرنا، والمتعة مقربة من السلف، وأمان من الشرك، وولد المتعة أفضل من ولد النكاح، ومُنكرُها كافرٌ مرتدٌ، ومُقرّها مؤمنٌ موحّدٌ؛ لأنّ له في المتعة أجرين، أجر الصدقة التي يُعطيها للمستمتعة، وأجر المتعة »[3]. وغير ذلك.

وهذه من أصولهم التي تفردوا بِها وركّبوا لَها فضـــائل ليأخُذ بها أتبـــاعُهم، فيبتعـــدوا حقيقة عن دين الرسول ، كما نسـبوها إلى أئمتهم. لكن القاعـدة هنا هي أنّا: « لا نُسَلِّم أنّ الإمامية أخَذُوا مـذهبهم عن أهل الـبيت؛ لا الاثنا عشرية ولا غيرُهم، بل هم مخــالفون لعليّ وأئمة أهل البيت، في جميع أصولِهم التي فارقُوا فيها أهلَ السنة والجماعة: توحيدهم وعدلـهم، وإمامتهم، فـإنّ الثـابت عن علي وأئمة أهل البيت: من إثبـات الصـفات للـه، وإثبـات القدر، وإثبـات خلافة الخلفـاء الثلاثـة، وإثبـات فضـيلة أبي

و د. حافظ موسى عامر: أصول وعقائد الشيعة الاثني عشرية تحت المجهر، ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها (592 صفحة).

و د. عبد القادر محمد عطا: دراسات منهجية لبعض فِرَق الرافضة والباطنية، (مبحث أخطر معتقدات الرافضة، 19-37، وأشهر معتقدات الشيعة الاثني عشرية، ص46-47)، وغيرهم كثير، فلتراجع.

[1] (?) أصول الكافي، باب التقية، (ج2/219)، بواسطة: السنة والشيعة، ص132.

[2] (?) أصول الكافي، باب التقية، (ج2/217)، بواسطة: السنة والشيعة، ص132.

[3] (?) تفسير منهج الصادقين للملا الكاشاني، (ج2/495)، بواسطة: أصول وعقائد الشيعة الاثني عشرية، ص506.

بكر وعمر رضي الله عنهما، وغير ذلك من المسائل كله يناقض مذهب الرافضة. والنقل بذلك ثابتٌ مستفيضٌ في كتب أهل العلم، بحيث أنّ معرفة المنقول في هذا الباب عن أئمة أهل البيت يوجب علمًا ضروريًّا بأنّ الرافضة مخالفون لهم؛ لا موافقون لهم »[1].

هذه بعض بِدَع الرافضة الاثني عشرية العلمية والعملية، وقد شاركهم في بعضها غيرهم من فِرَق الرافضة، كما أنّ لهم بدَعًا أخرى، لكن أكتفي بالمذكور عن غيره اختصارًا. والله المستعان!

---

1 (?) قاله شيخ الإسلام في: منهاج السنة النبوية، (4ج/ ص16-17).

المطلب الثالث: جفاء الرافضة في حقه ، وفيه ثماني مسائل:

المسألة الأولى: جفاء الرافضة إخوته الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

المسألة الثانية: غلوُّ الرافضة في بعض آل بيته ، بِجعلهم فوقه أو في مصافّه.

المسألة الثالثة: دعوى الرافضة العصمة في غيره .

المسألة الرابعة: تفضيل الرافضة أئمتهم عليه .

المسألة الخامسة: جعل الرافضة علـيًّا هو الأصل في الفضل وغيره.

المسألة السادسة: رَدّ الرافضة خصيصته (ختم النبوة به) ودعوى النبوة لأناسٍ بعده.

المسألة السابعة: تخطئة الغرابيةً منهم جبريل في تبليغ الرسالة إليه ، وأنها كانت لعلي استحقاقًا.

المسألة الثامنة: زعم غلاة الرافضة أنَّ عليًّا هو الذي بعث محمدًا بالرسالة.

المسألة الأولى: جفاء الرافضة إخوته الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام[1]:

قد صوّب نعمة الله الجزائري الشيعي قول مَن فضّل أئمتهم على أولي العزم وغيرهم من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال في الأنوار النعمانية: « اعلم أنّه لا خلاف بين أصحابنا في أشرفية نبينا على سائر الأنبياء؛ للأخبار المتواترة، وإنما الخلاف بينهم في أفضلية أمير المؤمنين (علي) والأئمة الطاهرين على الأنبياء ما عدا جدّهم، فذهب جماعةٌ إلى أنهم أفضل من باقي الأنبياء ما خلا أولِي العزم، فهم أفضل من الأئمة، وبعضهم إلى مساواتهم، وأكثر المتأخّرين إلى أفضلية الأئمة على أولِي العزم وغيرهم، وهو الصواب»[2].

---

1 (?) انظر: ما أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير، تحت عنوان: التطاول على الأنبياء، في كتابه الشيعة وأهل البيت، ص257-259 .

2 (?) الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري، بواسطة الشيخ إحسان إلهي ظهير، (السنة والشيعة، 64-65)، وانظر: قول الروافض في الأئمة هل يجوز أن يكونوا أفضل من الأنبياء، على ثلاثة أقوال، من كتاب مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، (ج1/120).

وتطرق المفيد قبله للمسألة في الترجمة التي عقدها بـ(القول في المفاضلة بين الأئمة والأنبياء -ع-) وقال تحته: « قد قطع قومٌ من أهل الإمامة بفضل الأئمة ع من آل محمد ص على سائر مَن تقدم مِن الرسل والأنبياء سوى نبينا محمد ص. وأوجب فريقٌ منهم لهم الفضل على جميع الأنبياء سوى أولي العزم منهم عليهم السلام. وأبى القولين فريقٌ منهم آخَر وقطعوا بفضل الأنبياء كلهم على سائر الأئمة ع –ثم عند الترجيح رجّح القول الأول فقال: وفي القرآن مواضع تقوي العزم على ما قاله الفريق الأول في هذا المعنى »[1].

وقد سَوّد المعلّق على الكتاب 23سطرًا بالمداد لتقرير ما رجحه المؤلف هنا[2].

والقول الأول (الراجح عند المؤلف)، وكذا الثاني فيهما جفاءٌ لمقام الأنبياء حيث فضّلوا أئمتهم عليهم. بل لم يقف الأمر عند هذا الحد حتى فضّلوا مَن لم يَعدّوه من الأئمة على الأنبياء وعلى بعض أولي العزم، فهذا رافضيٌّ معاصرٌ –هو من أجرئِهم على هذه الأمور- يُفضّل فاطمة وبقية الأئمة الاثني عشر على إبراهيم عليه ، ويَذكُر أنّه هو قول محققيهم. وما سبقَت من أقوال أئمتهم، وما يأتي من رواياتهم هي التي جعلت شيخهم المعاصر (القائل بتخليد عائشة رضي الله عنها في النار ولعنها) المدعو بـ(ياسر الحبيب) يقول -وهو يغلو في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من أولاد الحسين وهم الأئمة الاثنا عشر عندهم-، ويُفضّلهم على الأنبياء والمرسلين؛ وفي مقدمتهم إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام: « نحن الشيعة نعتقد بأنَّ أفضل أولياء الله بعد المعصومين الأربعة عشر عليهم الصلاة والسلام، هو سيدنا إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، حسَب تحقيق العلماء؛ فإنَّ أفضل الخلق هو نبيُّنا صلى الله عليه وآله، ثم أمير المؤمنين والزهراء صلوات الله وسلامه عليهما في مرتبة واحدةٍ، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم مولانا الإمام المهدي

---

1 (?) أوائل المقالات في المذاهب المختارات للمفيد، ص81-82.

2 (?) انظر الحاشية ل ص82-83 من الكتاب (أوائل المقالات).

صلوات الله عليه، ثم الأئمة من ذرِّية الحسين من السجاد إلى العسكري في مرتبة واحدة، ثم إبراهيم[1] الخليل صلوات الله عليهم!!! »[2] .

تلك هي تقريرات علمائهم،وهي نتيجة حتمية لأحاديث وآثارٍ موضوعة أخذوا بِها.

ومِن رواياتهم التي فيها إهانة أولي العزم من الرسـل، والتطـاول عليهم، وأنّ عليًّا يـوم ولادته قرأ التوراة والإنجيل والزبور، بل والقرآن، فكــان لو حضر موسى وعيسى عليهما الســـلام لأقـــرَا بأنّه –على زعم الروايــة- أحفظ لهما منهمــا، ... والقصة الغريبة هكـذا: « إنّ عليًّا لَمّا ولد ذهب رسـول الله إليـه، ولكنّه رآه مـاثلا بين يديه، واضعًا يـدَه اليمـنى في أذنه اليمـنى، وهو يُـؤذن ويُقيم بالحنفيـــة، ويشـــهد بوحدانية الله وبرســـالته، وهو مولودٌ ذلك اليوم، ثم قال لرسول اللـه: اقـرأ؟ فقـال لـه: اقــرأ ... لقد ابتـدأ بالصـحف الـتي أنزلها الله على آدم، فقام بِها شـيث فتلاها من أول حـرف فيها إلى آخر حـرف فيها، حـتى لو حضر بها شـيث لأقَـرّ له إنه أحفظ لها منـه، ثم قرأ توراة موسى، حـتى لو حضـره موسى لأقر له بأنه أحفظ لها منه، ثم قرأ زبور داود حتى لو حضـره داود لأقر بأنه أحفظ لها منه، ثم قرأ إنجيل عيسى، حـتى لو حضـره عيسى لأقر بأنه أحفظ له منــه، ثم قــرأ القــرآن، فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة من غير أنْ أسمع منه آية »[3].

هذا ولا يملك الإنسان مع هذه القصة الغريبة إلا أن يقول: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭼ [الكهف: ٥].

وفي رواية أخرى عند الشيعة، زعموا فيها أنّ جعفر الصادق –وحاشاه- أعلم مِن نبِيَّيْن (موسى والخضر

---

[1] (?) كيف لا يكون إبراهيم كذلك وأحد روايات الرافضة تدل على أنّه يعمل مربية لأطفال الشيعة (انظر: البحار، 18/ 303) بواسطة: كشف الجاني محمد التجاني، لعثمان الخميس، ص151.

[2] (?) في الشريط الذي فُرّغ للشيخ عبد المحسن البدر، فقام بالرد عليه بكتابه الشهير: أغُلُوٌّ في بعض القرابة، وجفاءٌ في الأنبياء والصحابة؟! (وهو في 7/9-10، ضمن كتبه ورسائله).

[3] (?) روضة الوعظين للفتال النيسابوري، ص84، بواسطة: الشيعة وأهل البيت، ص257.

عليهما السلام)، فقد أورد الكُلَينِي عن سيف التمار، أنه قال: « كنّا عند أبِي عبد الله جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عينٌ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة، فلم نرَ أحدًا، فقلنا: ليس علينا عينٌ، فقال: وربّ الكعبة! وربّ البنية! –ثلاث مرات- لو كنتُ بين موسى والخضر لأخبرتُهما أنّي أعلم منهما، ولأنبأتُهما بِما ليس في أيديهما »[1]. وهل هذا الذي يعلم الغيب، يسأل هل عليهم جاسوسٌ؟!

وتنُصّ رواية عن خيرية ثلاثة من الأئمة وفاطمة مِن أبي البشر آدم ، فعن الرضا، قال: « قال الله لآدم: هؤلاء من ذريتك (محمد وعليٌّ، وفاطمة، والحسن والحسين)، وهم خيرٌ منك ومن جميع خلقي،ولولاهم ما خلقتُك،ولا خلقتُ الجنة والنار، ولا السماء والأرض؛ فإيّاك أنْ تَنظُر إليهم بعين الحسَد فأُخرِجك عن جواري .. الخ »[2].

وزعموا كذلك أنّه يوم القيامة ينادي منادٍ « أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داود النبي عليه الصلاة والسلام، فيأتي النداء من عند الله : لسنا إيّاك أردنا، وإنْ كنت لله خليفة. ثم ينادي (مناد): أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، فيأتي النداء من عند الله : يا معشر الخلائق! هذا عليّ بن أبي طالب خليفة الله في أرضه، وحجته على عباده »[3].

وتستمر الإهانات للأنبياء والرسل بدعوى حب أهل البيت وموالاتهم فقالوا: «إنّ نبي الله أيوب لم تتغيّر نعمة الله عليه إلا لإنكاره ولاية علي، كذلك صفي الله يونس لم يُحبس في بطن الحوت إلا لإنكاره أيضًا،وكذلك يوسف،وقبله آدم عليهما السلام»[4].

---

1 (?) الأصول من الكافي، كتاب الحجة، (ج1/ ص261)، بواسطة: الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي، ص257.

2 (?) عيون أخبار الرضا، ص170، بواسطة: كشف الجاني محمد التجاني في كتبه الأربعة، ص149.

3 (?) كشف الغمة للأربلي، (ج1/ ص141) بواسطة: الشيعة وأل البيت، ص258 .

4 (?) أوردها صاحب كتاب الشيعة وأهل البيت، ص258.

ويَذكرون رواية على لسان حوت يونس مفسّرةً لِما سبق، في قصة طويلة منها، قول الحوت لزين العابدين –على زعمهم-: « يا سيّدي! إنّ الله تعالى لم يبعث نبيًّا من آدم إلى أنْ صار جدّك محمد، إلا وقد عرَض عليه ولايتكم أهل البيت، فَمَن قبِلَها من الأنبياء سلِم وتخلّص، ومَن توقف عنها وتتعتع في حملها لقي ما لقي آدم من المصيبة، وما لقي نوح من الغرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجب، وما لقي أيوب من البلاء، وما لقي داود من الخطيئة، إلى أنْ بعث الله يونس؛ فأوحى الله إليه أنْ يا يونس! تولّ أمير المؤمنين »[1].

بل ويتسع الأمر فيكون سبب تقسيم الملائكة إلى مقرّبين وغير مقرّبين –على زعمهم-، والأنبياء إلى مرسلين وغير مرسلين، والمؤمنين إلى ممتحَنين وغير ممتحنين هو الإقرار بولاية الأئمة وعدم ذلك، فقد نقل البحراني –أحد مفسري الشيعة- عن (معاني الأخبار) إنّ أبا عبد الله سُئل عن قول عليٍّ: « إنّ أمرنا صعبٌ مستصعب، لا يقرّ به إلا ملَكٌ مقرّبٌ، أو نبيٌّ مرسَل، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: إنّ في الملائكة مقربين وغير مقربين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، فعرض أمركم على الملائكة فلم يقرّ به إلا المقربون، وعرض على الأنبياء فلم يقر به إلا المرسلون، وعرض على المؤمنين، فلم يقر به إلا الممتحنون »[2].

ولم تندرس هذه العقيدة، بل وصلتنا في عصرنا الحاضر الذي قال مُصدّر ثورة الشيعة -الخمينِي– وهو يفضّل الأئمة على الأنبياء والمرسلين (غاليًا فيهم، وجافيًا مقام النبوَّة والرسالة): « الولاية التكوينية: وثبوت الولاية والحاكمية للإمام (ع) لا تعني تجرده عن منزلته التي هي

---

[1] تفسير نور الثقلين للحويزي، ج3/ 435، وأوردهما الشيخ إحسان في/الشيعة وأهل البيت، (ص258).

[2] مقدمة تفسير البرهان للبحراني، ص26، بواسطة: الشيعة وأهل البيت، ص259.

له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام؛ فإنَّ للإمام مقاماً محموداً ودرجةً سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإنَّ من ضروريات مذهبنا أنَّ لأئمتنا مقامًا لا يبْلغه ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإنَّ الرسول الأعظم (ص) والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنوارًا فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزُّلْفَى ما لا يعلمه إلا الله؛ وقد قال جبريل -كما ورد في روايات المعراج- : لو دنوتُ أنملةً لاحترقتُ، وقد ورد عنهم (ع): إنَّ لنا مع الله حالات لا يسعها ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسل »[1].

وياسر الحبيب من مثل هذا أخذ كلامه المتقدم وجراءته، وقد ردّ عليه شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر بكتابه: أغُلُوٌّ في بعض القرابة، وجفاءٌ في الأنبياء والصحابة؟! وعلّق عليه بعد إيراد كلام زعيم الشيعة الخمينِي السابق كنظير لكلامه المتقدِّم بقوله: « ومن المعلوم أنَّ تفضيل أحدٍ من البشر على الأنبياء والمرسلين جفاءٌ فيهم »[2].

وبعد أنْ أورَدَ الشيخ عبد المحسن كارهًا مضطرًا –على حد تعبيره- طائفة كبيرة من جفاء المردود عليه في الأنبياء والصحابة وغلوّه في بعض قرابة النبي ، مُشقِّعًا كلَّ ذلك بذكر أسلافه الغلاة في بعض القرابة، الْجُفاة في الأنبياء والصحابة[3]، والذي كان المردود عليه تبَعًا لَهم في ذلك وغيره، قال بعد ذلك: « وبالنظر فيما جاء في كلام هذا الحاقد الجديد وأسلافه في الأنبياء والقرابة والصحابة، وما جاء عن أهل السنة والجماعة في ذلك **يتَّضح ما يلي:** أنَّ هذا الحاقد الجديد والخمينيَّ فضَّـلاَ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين وتسعةً من أولاد الحسين، وهم

[1] (?) الحكومة الإسلامية، ص52، من منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى .

[2] (?) أغلو في بعض القرابة وجفاءٌ في الأنبياء والصحابة؟! (ضمن كتب الشيخ ورسائله، ج7/ص10).

[3] (?) انظر إلى النصوص الرافضية الجافية والغالية التي نقلها الشيخ: أغلو في بعض القرابة، (ج7/10-23).

الأئمة الاثنا عشر عندهم على الأنبياء والمرسلين سوى نبينا محمدٍ ﷺ، وفي مقدمتهم إبراهيم الخليل ثم موسى الكليم ونوح وعيسى وغيرهم، وهذا غلوٌّ في أئمتهم وجفاءٌ في الأنبياء والمرسلين، أما أهل السنة والجماعة فيؤمنون بأنَّ رسلَ الله وأنبياءَه جميعًا خير البشر »[1].

وفي قصيدة هائية تبلغ ألف بيتٍ مشحونة بالغلو في بعض أهل البيت والجفاء في الصحابة وفي الأنبياء والرسل يقول ناظمها -آتيًا بالغلو الشديد في عليٍّ ﷺ ومفضِّلاً له على الأنبياء، وبالجفاء في الرسل والأنبياء ﷺ-:

وهو الآية المحيطة في الكو ـن ففي عين كلِّ شيءٍ تراها!
الفريد الذي مفاتيح علم الـ ـواحد الفرْد غيرُه ما حواهـا!
واسأل الأنبياء تنْـبيك عنه إنَّه سـرُّها الذي نبَّـــاهـا
جمع الله فيه جامعة الرســ ـل وآتـاه فوق مـا آتاهـا!
لك كف من أبحُر الله تجري أنـهُر الأنبـياء من مجراهـــا!
ورأت قسوراً لو اعترضتْه الـ إنس والجن في وغى أفـناهـا[2].

وهذا غيضٌ من فيضٍ في جفاء الرافضة في مقام النبـوة والأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام وهو نتيجة طبيعيّة لغُلُوّهم في الأئمة والله المستعان! والمسألة القادمة تُبيّن الجـانب الآخــر، وهو جفــاؤهم في خــاتم رسُــلِ الله نبينا محمد ﷺ بجعلهم فوقه أو في مصافّه.

المسألة الثانية: غُلُوُّ الرافضة في بعض آل بيته ﷺ، وجعلهم فوقه، أو في مصافه:

الصحيح أنّ (أهل أو آل بيت النبي ﷺ) هم: أزواجُه وذرِّيتُه وكلّ مسلمٍ ومسلمة مِن نسل عبد المطلب[3].

---

[1] أغلو في بعض القرابة، وجفاءٌ في الأنبياء والصحابة؟! (ضمن كتب الشيخ ورسائله، ج7/ص29-30).

[2] نقلها شيخنا في كتابه: أغلو في بعض القرابة، وجفاءٌ في الأنبياء والصحابة؟! (ج7/ص23).

[3] انظر: فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، لشيخنا عبد المحسن البدر، (ج6/85).

لكن الذي يعتبره الرافضة من أهله هم بعض ذريته فقط، وليس كلهم؛ جفاء لأولاد الحسن، كما أنهم لا يعدون زوجاته من آله وأهل بيته، وكذلك جفوا كثيرين من نسل عبد المطلب. وفي مقابل هذا تجدهم يغلون غلُوًّا فاحشًا في بعض أهل بيته، كعلي والحسين رضي الله عنهما وبقية أئمتهم، فيجعلونهم في مصافّه في الخصائص، بل وفوقه، وعليه فالرّافضة كما أنّهم يُغالون في البغض، فكذلك يغالون في حُبّ مَن يزعمون حُبّهم؛ فيؤول بهم الحال إلى غُلُوٍّ في بعض القرابة، وجفاءٍ في الأنبياء والصحابة.

وقد غلَت جميع فرَق الرافضة (والغلُوّ من أخطر عقائدهم) في بعض آل بيت رسول الله فجعلوهم فوق منزلة الرسول نفسه، أو في مصافه.

ومن نصوصهم في ذلك: ما أورده الكليني:

جرى من الفضل لعليٍّ عليه السلام مثل ما جرى لِمحمد ، ولِمحمد الفضل على جميع من خلق الله ، المتعقب عليه في كل شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله, والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله, كان أمير المؤمنين , باب الله الذي لا يؤتى إلا منه, وسبيله الذي من سلك بغيره هلك, وكذلك جرى لأئمة الهدى واحدا بعد واحد, جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها, وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى, وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: لقد أقرت لي جميع الأنبياء والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمدٍ ، ولقد حمِّلتُ مثل حمولته، وهي حمولة الربِّ، وأنَّ رسول الله يُدعى فيُكسى، وأُدعى وأُكسى، ويُستنطَق، وأُستنطَق على حدِّ منطقه [1].

قال شارحه: (حُمّلتُ): كلفنِي ربي مثل ما كلَّف محمدًا من أعباء التبليغ والهداية[2].

---

1 (?) الأصول من الكافي للكليني، 1 / 196 – 197، بواسطة**:** خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء ـ عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة ـ للباحث الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة الرشد.

2 (?) المرجع نفسه، والصفحة.

وقال الخميني: " قال أستاذنا في المعارف الإلهية شاه أبادي أدام الله ظلَّه: لو كان علي ظهر قبل رسول الله لأظهر الشريعة كما أظهرها النبي ، ولكان نبيًّا مرسلاً، وذلك لاتحادهما في الروحانية، والمقامات المعنوية والظاهرية "[1].

وكما تقدم في مدخل هذا الباب: فالزعم بأنّ أحدًا غيرَه ، مِن أهله أو من بقية أمته فوقه في المنزلة والخصائص، أو مساويًا له، كُفرٌ، ونقضٌ للإسلام.

لكن يقال هنا: هل حافَظ الرافضة على هذه العقيدة؟

الجواب: فالكثيرون من الغلاة ناقضوا هذه العقيدة، فزعموا أنّ للأئمة مِن أهل بيته مقامًا لا يَبلُغُه ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبِيٌّ مرسَلٌ، كما أنّهم -كذلك- جعلوا هؤلاء الأئمة في كثيرٍ من الخصائص في مصافّ نبينا . وسأرجئ مسألة تفضيل الأئمة على النبي لمسألة قادمة (ردّ الرافضة خصيصة ختم النبوة بنبينا محمد بدعوى النبوة لأناس بعده)، حيث إنّ هؤلاء الغلاة ناقضوا عقيدة ختم النبوة به ، فزعموا أنّ كثيرين من أئمتهم أنبياء. لأتناول هنا ما يتعلق بجعل الأئمة في مصاف النبي .

ووجه كون هذه المسألة (غُلُوُّ الرافضة في بعض آل بيته ، وجعلهم فوقه، أو في مصافه) جفاءً -مع أنّها ظاهرةٌ في الغُلُوّ- لِما يستلزم الغُلُوّ في هؤلاء تسويتهم به ، أو جعلهم فوقه.

ومما يَدُلّ أيضًا على أنّ الاثني عشرية كغيرهم من فِرَق الرافضة: حيث جعَلُوا أئمتهم فوق النّبِيّ أو في مصافه ما جاء في عناوين الأبواب مِن أصول الكافي: « باب أنّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنّه لا يَخفى عليهم شيءٌ »[2]؛ وهذا عِلم الله وفوق عِلم رسوله.

---

[1] (?) مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية لآية الله الخميني، ص 153 ، بواسطة: خصائص المصطفى، ص279

[2] (?) كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، ص197، انظر نقضه: 197-200.

ومثله في الكذب «باب أنّ الأئمة عندهم جميع الكُتُب الـتي نـزلت من عنـد اللـه، وأنّهم يعرفونهـا على اختلاف ألسنتها »[1]. مع أنّ الرسول لا يعرف اللسـان العـبري - اللغة التي نزل بها التوراة.

وفيه: « باب أنّ الأئمة إذا شاؤوا أن يعلَموا عِلِموا »[2]. وقولهم: « باب أنّ الأئمة لـو سـتر عليهم لأخبَـروا كـل امرئ بحاله وما عليـه »[3]. وقـولهم: « بـاب أنّ الحجـة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام »[4]. و« بـاب فـرض طاعـة الأئمة »[5]. و« باب عـرض الأعمـال على النبِيّ والأئمـة »[6]. وإذا كان رسُـلُ اللـه كُلّهم خصّـهم بخصيصـة تخيـيرهم بين الموت والحياة إذا جاء أجلهم –كما تقدم[7]- فإنّ هؤلاء سَوّوا بين أئمتهم وإيّاهم في هذا، فوصفوهم بمثل ما جـاء في كتاب الكافي « باب أنّ الأئمة يعلمـون مـتى يموتـون، وأنّهم لا يموتون إلا باختيارٍ منهم »[8].

ومما يدل على جعلهم أئمتهم فوق رسول الله أو في مصافه أيضًا: مقالاتهم في علم الإمام: (لهما في ذلـك قولان، قولٌ بأنّه يعلم كل ما كان وكل ما يكون، ولا يخـرج شيءٌ عن علمه من أمر الدين ولا من أمرِ الدنيا، والثـاني يعلم كُل أمور الأحكام والشـريعة. وفي كُـلٍّ من هـذا غُلُـوّ في حقهم[9].

وجاءت التراجم القادمة في كتاب أوائل المقالات: (القـول في عصـمة الأئمة عليهم السـلام)، و(القـول في ولاة الأئمة (ع) وعصمتهم وارتفاعهـا، وهل ولايتهم بـالنص

---

1 (?) انظره ونقضه في: كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، ص 179.

2 (?) انظره ونقضه في: المصدر نفسه، ص192.

3 (?) انظره ونقضه في: المصدر نفسه، ص202.

4 (?) كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، ص133، وانظر نقضه: 133-134.

5 (?) المصدر نفسه، ص140، وانظر نقصه: 140-144.

6 (?) المصدر نفسه، ص171، وانظر نقضه: 171-173.

7 (?) تقدم في مبحث موت النبي من الباب الأول.

8 (?) انظره ونقضه في: كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي)، ص 193،وانظر إلى ص197.

9 (?) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري، (ج1/ 122).

أو الاختيــار)، و(القــول في معرفة الأئمة بجميع الصــنائع وســائر اللغــات)، و(القــول في علم الأئمة ع بالضــمائر والكائنــات وإطلاق القــول عليهم بعلم الغيب وكــون ذلك لهم في الصفات)، و(القول في الإيحاء إلى الأئمة وظهـور الأعلام عليهم والمعجـزات)، و(القـول في سـماع الأئمة ع كلام الملائكة الكرام وإنْ كـانوا لا يـرون منهم الأشـخاص)[1]. و(القول في المفاضلة بين الأئمة والأنبياء) –وقــرر فيه أنّ الأئمة أفضل من جميع الرسل والأنبيــاء ســوى نبينا محمد [2]-كما تقدم.

وأختم بشيءٍ فيه تنقّصٌ أثبتَه هؤلاء في كُتُبِهم، وهو: زعم الرافضة أنه لا يســتطيع أنْ ينــام حــتى يَضَــع وجهه بين ثـديَي فاطمـة: فقد نسـبوا إلى بعض أئمتهم –كما في بحــار الأنــوار: (أنّ النبِيّ كـان لا ينـام حـتى يقبل عـرض وجنة فاطمة عليها السلام، أو بين ثدييها).

وفي رواية أخرى عن جعفر بن محمد: قال: (كان رسول الله صــلى الله عليه وآله لا ينـام حـتى يضع وجهه بين ثديي فاطمة عليها السلام)[3].

ومعلومٌ أنّ فاطمة رضي الله عنها امـرأة كبـيرة، فكيف يضع النــبي وجهه بين ثــدييها، وهل يضع الشــيعة وجوههم بين ثدي بناتهم البالغات؟[4].

المسألة الثالثة: دعوى الرافضة العصمة في غيره :

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون على الوجه الــذي يــأتِي تقريــرُه في البــاب الأخــير (المبحث الخــاص بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) ولكنّ الشيعة الذين جعَلُــــوا أئمتهم كالأنبيــــاء أو المشــــاركين في النبــــوة والمضاهين لها, اختلقوا لهم هذه المكانة, وادّعَوا لهم هذه المنزلة فجاء في (أوائل المقالات) عند (القول في عصمة

1 (?) انظر: أوائل المقالات في المذاهب المختارات للمفيد، ص74-81.

2 (?) انظر: المصدر نفسه، ص81-83.

3 (?) كلاهما في بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، (43/78)، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ونقل أحدهما في: كشف الجاني محمد التجاني، 138.

4 (?) انظر: كشف الجاني محمد التجاني، 138، و149.

الأئمة عليهم السلام) قوله: « إنّ الأئمة القائمين مقام الأنبياء ص في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع، وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وأنّهم لا يجوز منهم صغيرة إلا ما قدمت ذكر جوازه على الأنبياء، وأنّه لا يجوز منهم سهوٌ في شيءٍ في الدين، ولا يَنسَون شيئًا من الأحكام. وعلى هذا مذهب سائر الإمامية، إلا مَن شَذّ منهم، وتعلّق بظاهر روايات لَها تأويلات على خلاف ظنّه الفاسد من هذا الباب »[1]. ودعوى الرافضة عصمة الأئمة حتى من النسيان والسهو في الأحكام –كما قيّد هنا- باطلة.

وفي منهاج الكرامة أطلَق دعوى العصمة فيهم حيث قال –وهو يَذكُر (أدلة الإمامة) عند الإمامية الاثني عشرية: « إنّ الإمام يجب أنْ يكون معصومًا، ومتى كان ذلك كان الإمامُ هو عليًّا عليه السلام »[2]. وقد فصّل الإجمال وبيّن أنّه في مقدمتين، قال في تمام الأولى والثانية: « لَمّا كان الاجتماع فيه مظنة التغالب والتغابن؛ بأنّ كل واحدٍ مِن الأشخاص قد يحتاج إلى ما في يد غيره، فتدعوه قوتُه الشهوانية إلى أخْذِه وقَهْره عليه وظلمه فيه؛ فيُؤَدّى ذلك إلى وقوع الْهَرجِ والْمَرج وإثارة الفتن، فلا بُدّ مِن نَصْب إمام معصومٍ يَصُدّهم عن الظلم والتعدي، ويَمنعُهم عن التغالب والقهر، ويُنصف المظلوم من الظالم، ويوصل الحق إلى مستحقه؛ لا يجوز عليه الخطأ، ولا السهو، ولا المعصية، وإلا لافتَقَر إلى إمامٍ آخَر؛ لأنّ العلة الْمُحْوِجَة إلى نَصْبِ الإمام هي جواز الخطأ على الأمة، فلو جَاز الخطأ عليه لاحتاج إلى إمام آخر، فإنْ كان معصومًا كان هو الإمام، وإلا لزم التسلسل. وأما المقدمة الثانية فظاهرة؛ لأنّ أبا بكر وعمر وعثمان، لم يكونوا معصومين اتفاقًا، وعليٌّ معصومٌ، فيكون هو الإمام »[3].

---

[1] أوائل المقالات في المذاهب المختارات للمفيد (ت413هـ)، ص 74.

[2] قاله ابن المطهّر الحلي، وردّ عليه شيخ الإسلام، وهو في منهاج السنة لابن تيمية، (ج6/ 382) .

[3] منهاج السنة لابن تيمية، (ج6/ 382-384) .

وهاتان المقدمتان باطلتان، لا يسَع المقام هنا لردّها، وقد رَدّ عليهما بأربعة عشر وجهًا قويّة شيخُ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-[1].

النصّ السابق كان في الإمام علِيّ ، فهَل تقول الاثنا عشرية بعصمة الأئمة الباقين (أحَدَ عشَر إمامًا) بل وغيرهم كفاطمة رضي الله عنها، بعده؟

والجواب على هذا السؤال بالإيجاب (نعَم)، بل: النصّ المتقدم يَدُلّ على الأول، وفي نصٍّ آخر لرافضيٍّ متقدم يدّعي إجماعهم على ذلك: « الشرط الثانِي في الإمام: أنْ يكون معصومًا، وإجماع الإمامية منعقدٌ على أنّ الإمام مثل النبِيّ صلى الله عليه وآله معصومٌ مِن أول عُمره إلى آخر عُمره من جميع الذنوب؛ الصغائر والكبائر، والأحاديث المتواترة على هذا المضمون واردة »[2].

بل المعصومون عندهم أربعة عشر بضميمة فاطمة ووالدها، والأئمة منهم اثنا عشر[3].

وجاء في كتاب (الشيعة هم أهل السنة للرافضي المعاصر) -وهو يُعرِّف بأئمة الشيعة، قولُه: « لقد انقطَعَ الشيعة للأئمة الاثني عشَر مِن أهل البيت عليهم السلام: أولُهم علي بن أبِي طالب، ثم ابنُه الحسن، ثم ابنُه الحسين، ثم التسعة المعصومون مِن ذرِّية الحسين ومِن نسله »[4]. بل أقول هنا: ما كُتِبَ كتاب (عِصمة الإمام في الفقه السياسي الشيعي دراسة ومقارنة) بِمجلداته الثلاثة[5] إلا لإثبات العقيدة من كتبهم وردها؛ فلا أُطيل هنا.

---

1 (?) انظر إليها لزامًا: في منهاج السنة له، (ج6/384-442).

2 (?) قاله خاتمة محدثي الرافضة ملا باقر المجلسي في: حق اليقين (فارسي)، ص39، وأورَده الشيخ إحسان إلهي في / التصوف المنشأ والمصادر، ص221، ذكره (في العصمة) ضمن المسائل التي أخذتها الصوفية عن الشيعة.

3 (?) انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص70، وقد تقدم أن المعصومين عندهم: 14 في كلام ياسر الحبيب.

4 (?) الشيعة هم أهل السنة، للدكتور الرافضي محمد التجانِي السماوي، ص71، وانظر: ص272.

5 (?) لمؤلفه الدكتور حافظ موسى عامر –رحمه الله رحمة واسعة، واقرأ المبحث العاشر لزامًا من كتابه الآخر (أصول وعقائد الشيعة الاثني عشرية تحت المجهر، ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها) -

والمقصود مِن كُلّ هذا أنّ الرافضة الاثني عشرية جَفَوا رسولَ الله بل والرسل والأنبياء قبله بتسوية أئمتهم بِهم حيث جَعَلوا الأئمة –كما في نصّ منهاج الكرامة- معصومين مِما لم يُعصم منه الأنبياء؛ كالنسيان الذي هو من خصائص البشرية.

وأما عن **فرقة الإسماعيلية الباطنية** ودعوى العصمة لغير رسول الله من أئمتهم فهم كما تقدم في حديث الطائفة المجوسية التي عقدَت جلستها للكيد للإسلام، وقالوا -في سياق لهم طويل-: « طريقُنا أنْ نَختار رجلا ممن يساعدنا على المذهب، ونزعم أنّه مِن أهل البيت، وأنّه يَجب على كافة الخلق مبايعتُه، وتتعين عليهم طاعتُه؛ فإنّه خليفة رسول الله، ومعصومٌ عن الخطأ والزلل من جهة الله تعالى »[1].

لذلك قال الغزالي في موضع آخر: « واتفقوا على أنّ الإمام يُساوي النبِيّ في العصمة، والاطلاع على حقائق الحق في كل الأمور؛ إلا أنّه لا ينزل إليه الوحي، وإنما يتلقى ذلك من النبِيّ؛ فإنّه خليفتُه، وبإزاء منزلته »[2].

فباطنية عصر الغزالي بل ومَن قبلهم ومَن بعدهم يوجبون اتباع قائم وقتهم وإمامهم بِدعوى عصمته، وتنزيله في وجوب التصديق والاقتداء به منزلة رسول الله [3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « وأيضًا فالإسماعيلية يَعتقدون عصمة أئمتهم، وهم غيرُ الاثني عشر »[4].

مدخلٌ إلى كتابه (عصمة الإمام)-، والذي بِعُنوان: -مسألة الغلو- أصل عقيدة العصمة الشيعية الاثني عشرية، ص536-562.
واقرأ الفصل الثاني (عصمة الإمام) من/أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، (ج2/ ص941-973).

[1] فضائح الباطنية للغزالي، ص26-27.
[2] المصدر نفسه، ص41.
[3] انظر: فضائح الباطنية للغزالي، ص26.
[4] منهاج السنة لابن تيمية، (ج6/ 430).

ويكفي أهل السنة في الردّ على دعوى الرافضة عصمة أئمتهم ردودُ الزيدية القويّة عليهم، حيث استعرضوا ما اعتمدوا عليها من شُبَهٍ وفنّدوها واحدة تلو الأخرى[5].

ومَن أعطى العصمة لِهؤلاء فقد أعطاهم معنى النبّوة وإنْ لم يُعْطهم لفظها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « .. وكذلك الرافضة موصوفون بالغلو عند الأمة؛ فإنّ فيهم مَن ادّعى الإلهية في علِيٍّ، وهؤلاء شَرٌّ مِن النصارى، وفيهم مَن ادّعى النبوة فيه، ومَن أثبت نبِيًّا بعد محمد فهو شبيهٌ بأتباع مسيلمة الكذاب وأمثاله من المتنبئين، إلا أنّ عليًّا بريءٌ مِن هذه الدعوة، بخلاف مَن ادّعى النبوة لنفسه؛ كمسيلمة وأمثاله. وهؤلاء الإمامية يَدّعُون ثبوت إمامته بالنصّ، وأنّه كان معصومًا هو وكثيرٌ مِن ذريته، وأنَّ القوم ظلمُوه وغصبُوه. ودعوى العصمة تُضاهي المشاركة في النبوة؛ فإنّ المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول؛ لا يجوز أنْ يُخَالَف في شيءٍ. وهذه خاصة الأنبياء؛ .. فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمَرَنا أن نَقُولَه ونؤمن به، وهذا مما اتفق عليه المسلمون أنه يجب الإيمان بكل نِبيٍّ، ومَن كفَر بنِبيٍّ واحِدٍ فهو كافرٌ، ومَن سَبَّه وجَبَ قَتْلُه باتفاق العلماء، وليس كذلك مَن سِوَى الأنبياء، سواء سمّوا أولياء أو أئمة أو حكماء أو علماء، أو غير ذلك؛ فَمَن جعَل بعد الرسول معصومًا يَجب الإيمان بكُلّ ما يقولُه فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها. .. وكثيرٌ مِن الغلاة في المشايخ يَعتقد أحدُهم في شيخه نحو ذلك، ويقولون: الشيخ محفوظ، ويأمُرُون باتباع الشيخ في كُلّ ما يَفعَل؛ لا يُخَالَف في شيءٍ أصلا. وهذا من جنس غُلُوّ الرافضة والنصارى والإسماعيلية؛ تَدَّعِي في أئمتها أنّهم كانوا معصومين، وأصحابُ ابن تومرت الذي ادّعَى أنّه المْهدي يقولون: إنّه معصومٌ، ويقولون في خطبة الجمعة: الإمام المعصوم، والمهدي المعلوم. ويقال: إنّهم قتَلُوا بعضَ مَن أنْكرَ أنْ يكون معصومًا »[2].

---

[5] انظر: الزيدية للصاحب ابن عباد، ص185-190فقد أحسن في إبطال شبه الرافضة على دعوى عصمة الأئمة.

[2] منهاج السنة لابن تيمية، (ج6/ 187-189).

ثم قال في الردّ عليهم: « ومعلـومٌ أنّ كُـلّ هـذه الأقوال مُخالفَةٌ لـدين الإسـلام؛ للكتـاب والسـنة، وإجمـاع سلف الأمة وأئمتها؛ فإن الله تعالى يقول: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ [النساء: ٥٩]. فلَمْ يَأْمُرنا بالرّدّ عند التنـــازع إلا إلى الله والرســـول؛ فمَن أثْبَتَ شَخْصـــًا معصومًا غير الرسول، أوْجَبَ رَدّ ما تنـازعوا فيه إليه؛ لأنّـه لا يقـول عنـده إلا الحق كالرسـول، وهـذا خلاف القـرآن. وأيضًا فإنّ المعصوم تجب طاعتُه مطلقًا بلا قيد، ومخالفُـهُ يستحق الوعيد. والقـرآن إنّما أثْبَتَ هـذا في حق الرّسـول خاصة؛ قال تعالى ..: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [الجن: ٢٣]. فدَلّ القرآن في غير موضِعٍ على أنّ مَن أطـاع الرسـول كـان مِن أهل السـعادة، ولم يشـترط في ذلك طاعة معصــومٍ آخر، ومَن عصى الرّســول كــان من أهل الوعيد؛ وإنْ قُدّر أنّه أطاع مَن ظَنّ أنّه معصومٌ؛ فالرسـول ﷺ هو الــذي فـرق الله به بين أهل الجنة وأهل النـار، وبين الأبرار والفجار، .. وليست هذه المرتبة لغيره، ولِهـذا اتفق أهلُ العلم أهل الكتاب والسنة على أنّ كُـلّ شخْصٍ سِـوَى الرّسول فإنّه يُؤْخَذ مِن قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ؛ فإنّه يجب تصديقُه في كُلّ ما أخْبَر، وطاعتُه في كُلّ أمَـر؛ فإنّـه المعصـوم الـذي لا ينطق عن الهـوى .. »[1]. والله تبـارك وتعالى أعلم.

ونقل صاحب (شرح عقائد الصدوق) عن أحدٍ قوله « أوّل درجة في الغلوّ نفيُ السّهْو عن النبِيّ والإمام »[2]، ثم رَدّ عليه بالتقصير، مُقـررًا أنّ أئمتهم معصـومون حـتى من السّهْو في الأحكام.

فثبت بِكُلّ هذا أنّ الرافضة سوّوا أئمتهم برسول الله ﷺ في العصمة ثم بنَوا على ذلك وجوب إطاعتهم كالرسول ﷺ، وهذا من جفائهم للرسول وحقّه، وتشريكِ أحدٍ معه في خصائصه هو والأنبياء قبله، والله المستعان!

---

[1] المصدر نفسه، (ج6/ 189-191).

[2] شرح عقائد الصدوق، (مع كتاب أوائل المقالات) للمفيد (ت: 413هـ)، ص241.

المسألة الرابعة: تفضيل الرافضة أئمتهم عليه [1]:

وقع في هذا النوع من الجفاء جميع فِرَق الرافضة من الإسماعيلية والدروز والاثني عشرية والنُّصَيرية وغيرهم؛ **وتفضيل الإسماعيلية الرافضية** عليّ بن أبِي طالب على رسول الله جاء مِن وجهٍ خفيٍّ؛ وهو لَمّا كان الباطن وما يتعلق به من أسرار العلم أفضل من الظاهر عندهم، وعليٌّ مخصوصٌ بالتأويل والباطن، ومحمدٌ بالتنزيل والظاهر؛ كان علِيٌّ عندهم أفضل من محمد [2].

وجاء في كتاب (أصول الإسماعيلية -دراسة، تحليلٌ، نقد) في العنوان الذي عقَده في تفضيل الإمامة على النبوة قوله: « بلَغ الغُلُوّ في أصل الإمامة عند الإسماعيليين أقصاه حيث اعتبرُوا رُتْبَتَها أعظم قدْرًا، وأفضل منزلة من النبوة والرّسالة فأطلقُوا على النبوة والرسالة رُتبة الاستيداع، وأطلقوا على الإمامة والوصاية رُتبة الاستقرار، ولا شكّ بأفضلية الرّتبة الثانية على الأولى حسَب أصول الإسماعيلية وقواعدها) -ثم ذكَر نصًّا من نُصوصهم المؤكِّدة لذلك، ثم قال:- ومِن مظاهر تفضيل الإمامة على النّبوة قولهم عن الولاية: إنّها سِرّ النّبوة وباطنُها، ويَرسُمون لَها رسْمًا دائريًّا ابتداءً مِن دائرة كبيرةٍ كتبُوا عليها: الرسالة، ثم دائرة في داخلها، كتبُوا عليها: النبوة، ثم دائرة أخيرة في داخل هذه الدوائر، وكتَبُوا عليها: الولاية. -وذكَر صورة الدوائر، ثم قال-: ويقولون: إنّ الولاية إما كُلّية أو خاصة، فالولاية الخاصة تجلّت في كُلّ أولياء الله الذين سُمّوا أنبياء. أما الولاية الكلّية فقد تجلت في أمير المؤمنين علي بن أبِي طالب، وينسبون إليه أنّه قال: كُنتُ ولِيًّا وآدم بين الماء والطين، ولِهذا يَنعَتون عليًّا بأنّه خاتم الولاية الكلية، كما كان محمد خاتم الأنبياء »[3].

---

[1] انظر: الشيعة وأهل البيت، تحت عنوان: تطاول الشيعة على خاتم النبيين، ص252-256،

[2] انظر: العقائد الباطنية وحُكم الإسلام فيها، لصابر طعيمة، ص12.

والغُلاة من الرافضة فضّلوا أئمتهم عليه بإحدى صورتين هما؛ تأليههم أئمتهم وإعطائهم خصائص الربّ، أو الزعم بأنّ الله سبحانه حلّ في هؤلاء الأئمة. وسيأتِي ذلك.

ومعلوم أنّ نبيَّنا محمدًا ليس له خصائص الإله، ولا حلّ الإله فيه.

فلَمّا زعم الشيعة الغلاة أنّ أئمتهم اتصفوا بصفات الإله، أو أنّ الإله –تعالى وتقدس- حلّ في ذوات أئمتهم صاروا بِهذا قد جفَوا نبينا محمدًا ، وفضَّلوا غيره عليه، من الوجهين:

الأول: إما بأنّ هؤلاء الأئمة بَشَرٌ أضْفَوا عليهم صفات الألوهية، ففاقوا به رسول ربّ العالمين البشَر، وإما أنّ الإله حلّ في ذواتِهم، ولم يحُلّ هو في ذاته، وهذا **الوجه الثانِي.**

فهؤلاء « الغلاة تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة؛ إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات ألوهية، أو أنّ الإله حلَّ في ذاتِهم البشرية، وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه. ولقد حرّق علي بالنار مَن ذهب **فيه** إلى ذلك منهم. وسخِط محمد بنُ الحنفية المختارَ بنَ أبي عُبيد لَمّا بَلَغَه مثل ذلك عنه، فصرَّح بِلَعْنَتِه والبراءة منه. وكذلك فعَل جعفرُ الصادق رضي الله تعالى عنه بِمَن بلَغَه مثل هذا عنه »[1].

وبعدما ذكر المؤرخ ابن خلدون –رحمه الله- الذين قالوا بتأليه الأئمة، أو حلول الله سبحانه فيهم، وذكره لنماذج ذلك من مقالات الشيعة الغلاة، أشار رادًّا عليهم، بقوله: «وقد كفانا مؤونة هؤلاء الغلاة أئمةُ الشيعة، فإنّهم لا يقولون بِها، ويُبطلون احتجاجاتِهم عليها»[2]**.**

---

[3] (?) أصول الإسماعيلية للدكتور سليمان بن عبد الله السلومي، (ج2/ 417).

[1] (?) قاله عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمة تاريخه المشهور بمقدمة ابن خلدون، ص212.

[2] (?) مقدمة ابن خلدون، ص213 .

ولا أذكر هنا طوائف وفِرَق الغلاة الذين ألّهوا أئمتهم بالوجهين أو بأحدِهما فرقة فرقة، بل أكتفي ببعض النقولات، فقد جاء في أحد كُتُب الإمامية (شرح عقائد الصدوق) -وهو يُعرّف بالغلاة من الرافضة-: « الغلوّ في اللغة هو التجاوز عن الحد، والخروج عن القصد .. والغُلاة مِن المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الألوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد. وهم ضُلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين (ع) بالقتل والتحريق بالنار وقضت الأئمة (ع) عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام »[1].

وقال -وهو يُعرّف بالمفوِّضة من غُلاتهم-: « والْمُفوِّضة صِنفٌ من الغُلاة، وقولهم الذي فارقوا به من سواهم مِن الغلاة: اعترافُهم بحدوث الأئمة وخلقهم ونفي القدم عنهم، وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم، ودعواهم أنّ الله سبحانه وتعالى تفرد بخلقهم خاصة، وأنّه فوّض إليهم خلق العالَم بِما فيه وجميع الأفعال. والحلاجية ضَربٌ من أصحاب التصوف وهم أصحاب الإباحة والقول بالحلول، وكان الحلاج يتخصص بإظهار التشيع وإنْ كان ظاهر أمره التصوف. وهم قومٌ من ملحدة وزنادقة، يموهون بمظاهرة كل فرقة بدينهم »[2].

وبِما قال ابن حزم –رحمه الله- بعدما قرر أنّ الغالية من الشيعة، قسمان: قسمٌ أوْجَبَت النبوة بعد النبي لغيره. والثانِي: أوجبوا الإلهية لغير الله ؛ وفصّل في الأول: « **والقسم الثاني من فِرَق الغالية:** الذين يقولون بالإلهية لغير الله فأولهم: قومٌ من أصحاب عبد الله بن سبا الحميري -لعنه الله- أتوا إلى عليّ بن أبي طالب فقالوا –مشافهة: (أنت هو) فقال لهم: ومن هو؟ قالوا: (أنت الله)، فاستعظم الأمر، وأمر بنار فأججت

---

[1] (?) شرح عقائد الصدوق، (مع كتاب أوائل المقالات) للمفيد (ت: 413هـ)، ص238.

[2] (?) شرح عقائد الصدوق، (مع كتاب أوائل المقالات) للمفيد (ت: 413هـ)، ص239-240.

وأحرقهم بالنار، فجعلوا يقولون -وهم يُرمون في النار-: الآن صَحّ عندنا أنّه الله؛ لأنه لا يُعذب بالنار إلا الله، وفي ذلك يقول :

لَمّا رأيت الأمر أمراً منكرًا   أجّجتُ نارًا ودَعوتُ قُنْبُرًا

يريد: قنبرًا، مولاه. وهو الذي تولى طرحهم في النار؛ نعوذ بالله من أن نفتتن بمخلوقٍ، أو يفتتن بنا مخلوقٌ فيما جَلّ أو دَقّ، فإنّ محنة أبي الحسن بين أصحابه كمحنة عيسى بين أصحابه من الرسل عليهم السلام. وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية .. ويقولون: إنّ محمدًا رسولُ عِلِيّ. وقالت **طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية** أنّ مُحمّدًا هو الله، -تعالى الله عن كفرهم. .. **وفرقةٌ ثالثة** قالت بإلَهية آدم والنبيين بعده نبيًّا نبيًّا إلى محمد ، ثم بإلَهية عليٍّ، ثم بإلَهية الحسن، ثم الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ووَقَفوا هاهنا. وأعلنَت الخطابية بذلك نَهارًا بالكوفة في ولاية .. ثم زَادَت فِرقة على ما ذكرنا فقالت بإلَهية محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، وهم القرامطة[1]. **وفيهم** مَن قال بإلَهية أبي سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وأبنائه بعده. **ومنهم** مَن قال بإلَهية أبي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور[2]. وقالت **طائفة منهم** بإلَهية عبيد الله[3]، ثم الولاة من ولده إلى يومنا هذا. وقالت **طائفة** بإلَهية أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بنِي أسد بالكوفة[4]، وكثُر عددهم بِها حتى تجاوزوا الألوف، وقالوا: هو إلهٌ، وجعفر بن محمد إلهٌ، إلا أنّ أبا الخطاب أكبر منه وكانوا يقولون: جميع أولاد الحسن أبناء الله وأحباؤه. وكانوا يقولون: إنّهم لا يموتون؛ ولكنّهم يُرفعون إلى السماء، .. ثم قالت **طائفة** منهم بإلَهية معمر[5] بائع

---

1 (?) **القرامطة** لقب لطوائف من باطنية الشيعية كالنصيرية، وقد تقدم عند التعريف بها.

2 (?) ستأتِي ترجمة منصور اليمن.

3 (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ 104-106).

4 (?) ستأتي ترجمته قريبًا عند ذكر فرقته.

5 (?) سيأتي ذكره قريبًا عند فرقته المتفرعة عن الخطابية.

الحنطة بالكوفة، وعبدوه، وكان من أصحاب أبي الخطاب -لعنهم الله أجمعين. وقالت **طائفة** بإلَهية الحسين بن منصور[1] حلاج القطن، المصلوب ببغداد. .. -وذكر أربع طوائف، وأنّ كلا منها قالت بإلهية أحد معظميها، ثم قال-: وقالت **الراوندية**[2] بإلَهية أبي جعفر المنصور، وأعلنوا بذلك .. وقالت **طائفة** منهم بإلَهية عبد الله بن الحرب الكندي الكوفي وعبدوه[3]، .. **ومن السبئيّة** القائلين بإلَهية علِيٍّ طائفة تُدعى النُّصَيْرِيّة، وقد غلَبُوا في وقتنا هذا على جند الأردن والشام وعلى مدينة طبرية خاصة »[4].

أ- وأُضيف هنا -لتوضيح عقيدة النُّصيرية في تأليه عليّ بن أبِي طالب - نصّين مِن نصوصهم، ومن أحد كُتُبهم المقدسة، وهذا النصّ يُسمّونه قدّاس الأذان، وهو يُوضّح ما مرّ عند التعريف بِهم من زعمهم بإلهية علِيٍّ، وحجابية نبيّنا محمدٍ له، وبابيّة سلمان الفارسي (ثالوث النُّصَيريّة، أو التثليث عندهم[5])، فعليٌّ

---

1 (?) ستأتي ترجمته في فصل الصوفية عند ذكر فرقته الحلولية.

2 (?) **الراوندية** فرقة من الرافضة، كانت كيسانية تقول بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية)، ثم رجعت إلى إمامة بعض العباسية،قال أبو الحسن الأشعري في المقالات،ج1/96:« ثم رجع بعض هؤلاء عن هذا القول وزعموا أنّ النبي نص على العباس بن عبد المطلب ونصبَه إمامًا، ثم نص العباس على إمامة ابنه عبد الله، ونص عبد الله على إمامة ابنه علي بن عبد الله، ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبي جعفر المنصور.وهؤلاء هم الراوندية». وانظر عن الراوندية في فرق الشيعة للنوبختي، ص33-36، ص46-53.

3 (?) **عبد الله بن الحرب** الكندي الكوفي: كان يقول بتناسخ الأرواح، وفرض على أتباعه تسع عشرة صلاة في اليوم والليلة، في كل صلاة 15 ركعة، إلى أنْ ناظرَه رجلٌ من متكلمي الصفرية، وأوضح له براهين الدين فأسلم وصَحّ إسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه وأعلم أصحابه بذلك، وأظهر التوبة؛ فتبرأ منه جميعُ أصحابه الذين كانوا يقولون بإلاهيته ولعنوه وفارقوه،وبقي عبد الله بن الحرب على الإسلام،وعلى مذهب الصفرية إلى أن مات(انظر: الفصَل لابن حزم، ج3/106).

4 (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ 104-106).

5 (?) انظر: الحركات الباطنيّة في العالم الإسلامي، ص341، ورسالة النّصيريّة د. محمد إبراهيم الحمد، ص243، ودراسات منهجيّة لبعض فرق الرافضة والباطنية، ص139.

عندهم هو خالق محمد، ومحمد خالق سلمان، وسلمان خالق الأيتام الخمسة (المقداد، وأبو ذرّ الغفاري، وعبد الله بن رواحة، وعثمان بن مظعون، وقنبر بن كادان) الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض[1]، على زعمهم! فهدموا بِهذا التوحيد. والنصّ: « .. إنّي عبد يا مؤمنين مقرٌّ بِما مرّ به السيّد سلمان في وقت النداء والأذان، أذّن الْمُؤذّن في المأذنة، وبلغ القدم في آذانه، وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، أشهد بأنْ ليس إلهٌ إلا عليٌّ أمير النحل الأصلع المعبود، ولا حجاب إلا السيّد الأجل الأعظم المحمود، ولا باب إلا السيّد سلمان الفارسي المقصود، وأنّ السيّد محمد حجابه المتصل ونبيّه الْمرسل، وكتابه المنزل، وعرشه العظيم، وكرسيّه الْمتين، وأنّ السيّد سلمان سلسل سلسبيل بابه الكريم، ونَهجه القويم الذي لا يؤتَى إليه إلا منه .. –انظره إلى آخره »[2].

ونقل كُلٌّ من د. محمد الخطيب ود. محمد بن إبراهيم الحمد وغيرهما ما في (الباكورة السليمانيّة) من قدّاس الطيب، وفيه: « اعلموا أنّ علي بن أبِي طالب قائمٌ معكم، وحاضرٌ بينكم، ويسمع ويرى، ويعلم ما في السموات السّبع، وما تحت الثّرى، وهو عليمٌ بذات الصدور العزيز الغفور، .. عليًّا إلهُ له الدين الخالص، إنما يدعون من دونه باطل، .. »[3].

ففي كُلّ هذا تأليه النصيريّة عليّ بنَ أبي طالب، وحاشاه، بل وإعطاؤه هو والحجاب والباب والأيتام

---

1 (?) انظر: الحركات الباطنيّة في العالم الإسلامي، ص347-348، ودراسات منهجيّة ..، ص139-142.

2 (?) الباكورة السليمانية، ص51-52، بواسطة: د. محمد بن إبراهيم الحمد، في رسالته (النُّصَيريّة، ص272-273) -ضمن رسائله في الأديان والفرق والمذاهب-، وقد ذكر هذا الشيخ أمثلة كثيرة من كتبهم المقدسة عندهم تحت عنوان (نماذج من كتب النُّصَيريّة، ص270-278)، وانظر: الحركات الباطنيّة في العالَم الإسلامي، د. محمد الخطيب، (نماذج من كتبهم وقداساتهم وأعيادهم وأثر النصرانيّة في ذلك)، ص394-416.

3 (?) الباكورة السليمانية، ص48-49، بواسطة: د. محمد بن إبراهيم الحمد، في رسالته (النُّصَيريّة، ص271)، والحركات الباطنيّة في العالَم الإسلامي، ص399.

الخمسة خصائص الله، وحاشاهم! كما أنّ فيه تفضيلَ أئمة الغُلاة (مِن أهل البيت كانوا أو من غيرهم) على رسول الله ، والله المستعان!

وأسوقٍ هنا ما ختم به ابن حزم كلامه السابق عن الفِرَق الْمُؤلِّهة للبشر بقوله: « واعلموا أنّ كل مَن كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي إلى الإسلام: فإنّما عُنْصُرهم الشيعة والصوفية؛ فإنّ مَن الصوفية مَن يقول: إنّ مَن عَرَف الله تعالى سقطت عنه الشرايع.وزاد بعضهم:واتصل بالله تعالى.. »[1].

ب- وأما من أمثلة تفضيل الرافضة الاثني عشرية أئمتهم كلِّهم أو بعضَهم على رسول الله : فما زعموا من أنّ «عليًّا وازن بينه وبين نفسه فقال: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد حملت على مثل حمولة الرب، وإنّ رسول الله يُدعَى فيُكسى، وأُدعَى فأُكسى، ويستنطق وأستنطق، -إلى هذا نحن سواء، وأما أنا- ولقد أوتِيتُ خصالا ما سبقنِي إليها أحدٌ قبلِي؛ علِمتُ المنايا والبلايا والأنساب، وفصل الخطاب؛ فلم يفُتنِي ما سبقنِي، ولم يَعزُب عنّي ما غاب عنّي»[2].

بل ذكروا عنه -وحاشاه- أنّه قال: «أنا وجه الله، وأنا جنب الله، وأنا الأول وأنا الآخر، وأنا الظاهر وأنا الباطن، وأنا وارث الأرض، وأنا سبيل الله، وبه عزمت عليه»[3].

بل وزعموا فيما زعموا أنّ رسولنا لم يُرسل إلا لتبليغ ولاية علي إلى الناس، وأنّه لو لم يُبلّغ ذلك لحبط عملُه، فقالوا: إنّ رسولنا قال لِعلي: « لو لم أبلّغ ما أُمرتُ به من ولايتك لحبط عمَلي »[4].

---

1 (?) الفِصَل لابن حزم الظاهري، (ج3/ 107).

2 (?) الأصول من الكافي، كتاب الحجة، ص196-197، بواسطة الشيعة وأهل البيت، ص252 .

3 (?) رجال الكشي، ص184، بواسطة: الشيعة وأهل البيت، ص253 .

4 (?) تفسير نور الثقلين، ج1/ ص654)، بواسطة: الشيعة وأهل البيت، ص253.

وهذا كُلّه فيه من تفضيل الرافضة عليًّا على رسول الله بإعطائه خصائص الله، وأنّه يعلم الغيب؛ فلا يَعزُب عنه غيبٌ، إلى غير ذلك. وإنْ كان هناك قولٌ تبناه الاثنا عشرية من تفضيل نبيّنا محمد على عليٍّ وعلى الأئمة، وهو الذي يُرَجحه أكثرُهم –كما تقدم-، إلا أنّ بعض الاثني عشرية يقول بمقتضى هذا؛ فيُفضِّل عليًّا على الأنبياء عمومًا. كما تقدم أيضًا.

ج- ولئن كان ما سبق هو شيءٌ من مواقف الغالية والنُّصَيريّة الباطنية، وبعض الاثني عشرية من تفضيل عليٍّ -كأوّل إمام عندهم- على رسول الله ، فإنّ **الإسماعيلية الباطنية قبلهم** لم تَكُن بعيدة عمّا تُقرِّرُه أخواتُها من تفضيل أئمتهم عليه ؛ حيث يُقررون تفضيل القائم (محمد بن إسماعيل) على سبعة من الأنبياء والرسل؛ بما فيهم نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام: يقول أحد دعاة الإسماعيلية في كتابه كنز الولد (وهذا الكتاب قلّما يؤذن بالاطلاع عليه للإسماعيلية أنفسهم، على ما يَذكُرُه الشيخ إحسان إلهي ظهير) في ذلك: « النطقاء السبعة أولُهم آدم مثله مثل السلالة؛ لأنه كان ابتداؤه ضعيفًا، ونوحٌ مثله مثل النطفة، وإبراهيم مثله مثل العلقة، وموسى مثله مثل المضغة، وعيسى مثله مثل العظام، ومحمد مثله مثل اللحم، والقائم مثله مثل إنشاء خلق آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين على إتقان الروحانيين والجسمانيين بأمره ووحيه وكلمته، فدل ذلك على أنّ الولد التام في الحقيقة هو صاحب القيامة؛ لأنّ الله سبحانه قد بيّن قوله: ﴿ﯓﯔﯕﯖﯗ﴾ [المؤمنون: ١٤] غيرهم، لأنّه قد خرج من حدّ القوة إلى حد الفعل، ومَن تقدمه من النطقاء هم بالقوة إلى أن يدور عليهم ما دار عليه من المراتب مع النفس الكلية، وبذلك كمُلت فيه جميع القوى التي كانت لِمَن تقدمه، وهو أصل الخلقة الروحانية، وعلة الخلقة الجسمانية .... –إلى أن قال: أي: السبعة الحدود يتحد كلّ واحد بناطق من النطقاء بمادة إلهية، ويصِل عليه من المادة والقوة على قدر حاله ومنزلته واحتماله، حتى يكمُل في حدّه، كذلك إلى آخرهم

حتى يجتمع جميع ذلك كلّه في قائم القيامة –على ذكره السلام- ويصير في حد الكمال والتمام، فمِن ذلك أنّا قلنا: إنّه الولد التام، فإذا ظهر القائم في هذا العالم عند تمام الأسابيع والأئمة بجسده، ويراه جميع الخلق بعد إنذار حجته التي تقوم قبله، .. -إلى أنْ قال: فالقائم منه السلام وعلو درجته بأنّ النّطقاء هم أجزاء لنفس الكل، ولا بد للجزء أنْ يصير يومًا كاملا، فلآدم جزءٌ من النفس، ولنوح جزءان، ولإبراهيم ثلاثة، ولِموسى أربعة، ولعيسى خمسة، ولِمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ستة، وللقائم -علينا سلامه- سبعة أجزاء، فإذا اجتمعت فيه الأنوار السبعة –التي قلنا إنها أجزاء- صار بمنزلة النفس، وقابلها وأخذ منها بغير واسطة، ووصلت إليه المادة من الأول بتوسط العلة، فقام مقام النفس، وارتقت النفس إلى حد العقل .. »[1].

د- ثم يأخذ الدروز نفس المأخذ؛ فيقومون بتأليه الخليفة العُبيدي (الحاكم بأمر الله)، ففي الميثاق الذي جاء ذكره في (المصحف المنفرد لذاته) والذي ذهب فيه إلى تأليه الحاكم صريحا، (وهو ما يؤمر به مَن يؤمن به) مع شهادة رجلين من القدماء منهم. وبِه صار هذا الإمام عند هؤلاء أفضل من رسول الله . بل بلَغ الأمر بالدروز أنْ كانوا يُعادون الرّسول والأنبياء أشد المعادات ويحقدون عليهم ويُجهّلونهم، ويوجبون محاربة جميع الأنبياء أصحاب الشرائع الظاهرة والبراءة من أديانهم وعقائدهم وشرائعهم[2]، لا تفضيل إمامهم وحاكمهم عليه ، جاء فيه: « وهذا ما يكتبه ويشهد به الشاهدان ذوا العدل، بلسان الفرد وإيقانه، وهاك هو: توكلتُ على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الزواج والعدد، مَن لا تأخذه سنة ولا نوم، ذي التجلي والإشراق، ومن هو في السماء إله وفي الأرض إله. قد أقرّ (فلان بن فلان) إقرارًا أوجبه على

---

1 (?) كنز الولد، للداعي الإسماعيلي إبراهيم الحمادي، ص268-270، بواسطة: الإسماعيلية لإحسان، ص544-545.

2 (?) انظر: الحركات الباطنيّة في العالم الإسلامي، ص302-306، ودراسات منهجيّة ..، ص174-175.

نفسه، وأشهد به على روحه في جميع أدواره، في صحة من عقله وجسمه، وخالص أمره، طائعًا غير مكره ولا مجبر، بظاهره وباطنه، ومؤمنًا غير منافق ولا مخاتن: إنّه قد برأ من جميع الديانات والمذاهب والمقالات والاعتقادات جميعًا؛ بتباينها واختلافها، وأنّه لا يشرك في عبادة مولانا الحاكم –جل ذكره- أحدًا؛ ماضيًا أو حاضرًا أو آتيًا .. –إلى أنْ يقول في الإقرار على نفسه:- وأنّ (فلان بن فلان) هو قد أقرّ أنْ ليس له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره، وتعالت مطالعه ومشارقه. وبذلك دخل (فلان بن فلان) وأصبح من الموحّدين المؤمنين الفائزين السابقين. كتب في شهر (...) من سنة (...)، من سني عبد مولانا -جل ذكره- ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين المرتدين، بسيف مولانا جل ذكره، وبشدة سلطانه وحده »[1]. ثم يوقع على هذا الميثاق شاهد وكاتب. ولقد أكثر صاحب (إسلام بلا مذاهب) من نقل نصوص هذا المصحف (المنفرد لذاته) والذي كان محوره محورًا واحدًا هو تأليه هذا الحاكم العبيدي[2]. والله المستعان!

ويَحسن أنْ أورد كلام د. الشكعة بعد إيراد طائفة كبيرة من نماذج أعراف هذا المصحف: «ومجمل القول في مصحف المنفرد لذاته أنّه فيما تدل نصوصه كتابٌ منزّلٌ من الحاكم بأمر الله على وزيره ومشيره حمزة بن علي الذي يُعتبر رسول الحاكم إلى الناس. ومَن يطلع على هذا الكتاب تقع عيناه على عبارات تأليه الحاكم بأمر الله في كُلّ عرف من أعرافه، وفي أكثر صفحاته. ثم هو بعد ذلك محاولة لتقليد أسلوب القرآن الكريم، ويضم

---

1 (?) مصحف المنفرد لذاته، ص112-114، بواسطة: إسلام بلا مذاهب للشكعة، ص284-285.

2 (?) انظر إليها: إسلام بلا مذاهب للشكعة، ص285-289 (تأليه الحاكم في مصحف المنفرد لذاته).

عددًا غير قليل من آيات القرآن، ولكنّه يُجريها في خدمة تأليه الحاكم بأمر الله»[1].

وبئس ما قرر هؤلاء من تأليه غير الله تعالى. وسيأتي -في الباب القادم- ردّ مزاعم هؤلاء الرافضة التي جاءت في هذه المسألة.

وبيان أنّ تفضيل غير الأنبياء –مَن كانوا- عليهم - صلوات ربّي وسلامُه عليهم- كُفرٌ.

** * **

المسألة الخامسة: جعل الرافضة علـيًّا هو الأصل في الفضل، وغيره**:**

مَن وقف على ما تقدم من المسائل الأربع لا يستغرب من عقد هذا العُنوان بعدها، ومع ذلك أقول: جاء في الأنوار النعمانية للمدعوّ نعمة الله الجزائري الرواية العجيبة الموضوعة الباطلة، القائلة: « إنّ الصدوق –طاب ثراه- يروي عن النبي ، قال: أعطيتُ ثلاثًا، وعليٌّ مشاركِي فيها، وأعطي عليٌّ (ع) ثلاثة، ولم أُشاركه فيها، فقيل: يا رسول الله! وما الثلاث التي شاركَك عليّ؟ قال: لواء الحمد لي، وعليٌّ حاملُه، والكوثر لي، وعليٌّ (ع) ساقيه، والجنة والنار لي، وعليٌّ قسيمها. وأما الثلاث التي أعطي ولم أشاركه فيها: فإنّه أعطي شجاعة ولم أعطَ مثله، وأعطي فاطمة الزهراء زوجة ولم أعط مثلها، وأعطي ولَديه الحسن والحسين، ولم أُعط مثلهما ». وزاد المجلسِي في كتابه بحار الأنوار: « وخديجة كنتك، ولم أُعط كنة[2] مثلها، ومثلِي رحيمك[3]، ولا رحيم لي مثل رحيمك، وجعفر شقيقك، وليس لي شقيق مثله، وفاطمة الهاشمية أمك، وأنّى لي مثلها »[4].

---

[1] (?) إسلام بلا مذاهب للشكعة، ص289.

[2] (?) الكنة –بالفتح-: امرأة الابن أو الأخ، والجمع: كنائن، (انظر: الصحاح للجوهري، مادة كنن، ص926، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص 802).

[3] (?) رحيم الإنسان: أبو زوجته.

[4] (?) بحار الأنوار، 511، بواسطة كتاب الشيعة وأهل البيت للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص184.

وقد علّق على هذه الروايات الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله- فقال: « وهذه الروايات إنْ دلّت –ومثلها كثيرة كثيرة- دلّت على حقيقة معتقدات القوم؛ بأنّهم يعدّون عليًّا الأصل، ونبينا الفرع، كما أنّهم يُصرّحون بأفضليته على رسول الله، سيّد الخلق ، وهذا ظاهرٌ بيّن، لا شك فيه »[1].

كما أنّه قال قبل أنْ يورد الروايتين السابقتين في العنوان الذي عقَده: مَن الأفضل، عليٌّ أم النبِيّ؟ « ولا ندري أنّ الأصل في الفضل هو النبِي صلوات الله وسلامه عليه أم عليٌّ عند القوم؛ لأنّه إنْ كان الفضل والشرف لعلِيٍّ بسبب النبي ؛ بأنّه صهره، (زوج ابنته) وقريبه ومطيعه، فلِم حرم الآخرون المنتسبون إلى الرسول العظيم، عليه الصلاة والسلام، فكلّ مَن انتسب إليه وصدّقه وآمن به، وأطاعه، وأحبّه وقدّمه على والديه وولده، وصاهره، فهو عظيمٌ يُعظّم، وكبيرٌ يوقّر، ومحترمٌ يُحترم حسب منزلته ومقامه، فعليٌّ زوجُ ابنته فاطمة فيُكرّم، وجديرٌ به أنْ يُكرّم، وذو النورين زوجُ ابنتَيه، زوّجهما رسول الله الناطق بالوحي، واحدة بعد واحدة، عن رضا القلب، وطيب النفس .. فلِم لا يُحترَم ويُعظّم ويُوقّر؟ .. فعدلا يا عباد الله!

وإننا لنرى بأنّ القوم لا يجعلون النبيّ أصلا وجذرًا يعظم عليٌّ لأجله ونسبته إليه، بل هم يُعظّمونه ويحترمونه لِعليٍّ؛ لأنه أخذ ابنته، وجعله قريبَه وحبيبَه؛ لذلك كلّ مَن اقترب مِن عليٍّ وناصره وساعده وأيّده ودخل في شيعته هو الأفضل والأعلى لا غير، وعلى ذلك اخترعوا تلك الرواية الغريبة العجيبة المكذوبة، والموضوعة الباطلة »[2] فذكرها.

« فعليٌّ في كلّ مقامٍ قبل النبِيّ، وهو قبله في السماء، وقبله عند الرب، وبلغته يُخاطبه الله، وبصوته يتكلم، وهو أعلى منه خلقة، وبه رفع ذكره، ووضع عنه وزره، وبحرمته أجيبت دعوته، وبقوته وقيت نفسه،

---

[1] (?) الشيعة وأهل البيت، ص183 .

[2] (?) الشيعة وأهل البيت، ص184 .

وحفظت روحه، وقويت عضده، وقام دينه ... فعليٌّ هو كلّ شيءٍ، ولم يُرسل نبِيّ الله محمد خاتم الأنبياء، وسيّد الرسل إلا ليدعو الناس إليه، ويحببه إلى الناس، وأما نفسه فليس بشيءٍ مقابل علي –نستغفر الله، ونتوب إليه من هذه الإهانات والهفوات- »[1].

وقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير نصوص الشيعة المؤكدة لِهذا، فليُراجعها مَن أرادها.

وهذا أيضًا وجهٌ من أوجُه جفاء نبيّنا محمد الذي احتواه مصارد المذهب الرافضي!

** * **

المسألة السادسة: رَدّ الرافضة خصيصتَه (ختم النبوة به) ودعوى النُّبُوة لأُناسٍ بعده:

مَن ادّعى النبــوة لنفسه أو لغـيره بعد عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ فإنّه يُعَد رادًّا لخصيصةٍ هي مِن أبــرز خصائصه دون إخوتِه الأنبيــاء والمرســلين، ألا وهي: ختم النبــوات والرســالات الســماوية به، وقد تكلمتُ في (مبحث: كونه خاتم النبيين ولا نبِيّ بعده، ورسالته خاتمة الرسالات) من الباب الثاني عن المسـألة، كما أنّه سـيأتِي تتمتها في (مبحث: أهل السنة يعتقدون أنّ العبد الرســول محمدًا خاتم الأنبياء والمرسلين) من الباب القادم.

والمسألة هنا، عن مخالفة هذه العقيدة مِن قِبَل الرافضـة، وأنّه جفـاءٌ وكُفـرٌ منهم في هـذا الجانب: فَمَن تتبع تاريخ دعوى النبوة وأدعيـاءه الـدّجّالين بعد نبيّنا محمدٍ يجد أنّ كثيرين إنْ لم يَكُن أكـثر الأدعيـاء كـان لهم علاقة بفرقة الرافضـة، ذلك أنّ دينهم مهّد لِهـذا الدجل بممهدات؛ كزعم الوحي لأئمتهم؛ حـتى إنّ بعضـهم يقول: « إذا جاز أنْ يوحي الله تعـالى إلى النحـل، .. لِمَ لا يجوز أنْ يـوحي إلينا »[2]. وكـذلك تسـويتهم به في العلم وغــيره بل والغُلــوّ –بأنواعــه- فيهم. فقد كــان في هــذه الفرقة مَن ادعى النبوة لنفسه، أو ادّعِي له، بل حتى وُجِد

---

1 (?) قاله الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه الشيعة وأهل البيت، ص 255-256 .

2 (?) قاله البغدادي في الفرق بين الفرق، ص333 .

فيهم مَن ادّعَى الإلهية لنفسه أو ادُّعِي لــــه. كما سيتضح في الآتِي، وكما تقدم.

وبدعوى الرافضة النبوة لأناسٍ بعد خـاتم الأنبيـاء والمرســـلين المخصـــوص بــــالنبوة الخاتمة فقد رَدُّوا خصوصيته دون بقية الأنبياء والمرسلين.

فمن الفرق الرافضية التي ادّعَت النبوة لأناس بعده ، أو ادّعاها أصـحابُها فتـابعوه عليـه: **فرقة السـبئية**[1]، حتى جاء في رجال الكشّي –وهو مِن كُتب الرجال الأربعة عند الاثني عشرية- عن أبِي جعفر –رحمه الله-: « أنّ عبد الله بن سبأ كان يَدّعي النبوة، ويـزْعم أنّ أمِـير المؤمـنين عليه السلام هو الله، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبِيرًا، فبلـغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فـأقّر بـذلك وقـال: نعم أنت هـو، وقـد كـان أُلقي في روعي أنـك أنت الله، وأنّي نبِيٌّ. .. »[2].

ومنها أيضًا: الغُرابيّة الذين ادّعوها لِعلِيّ [3]، **والبيانية**[4].

---

[1] (?) **السبئية** هي: فرقة رافضية غالية تنتسب إلى عبد الله بن سبأ، وقد تقدمت بعض مقالاتها عند التعريف بها.

[2] (?) رجال الكشي، ص99.

[3] (?) كما سيأتِي في المسألة القادمة، وانظرها أيضًا في: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص38.

[4] (?) **البيانية:** هي: فرقة رافضية غالية تنتسب إلى بيان بن سمعان التميمي، وكثيرٌ من البيان يُثبتون لبيان بن سمعان النبوة، وأنّه نسخ بعض شريعة محمد ، وبعضهم يزعُم فيه الإلهية على مذهب الحلولية. ومِن أفكارها وعقائدها أيضًا: التجسيم، والزعم بأنّ الإله الأزلي رجلٌ من نورٍ وأنّه يفنى كله غير وجهه، وهذه عقائد باطلة.
(انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن، (ج1/66-67)، والفرق بين الفرق، ص239-240، والفِصَل لابن حزم، (ج3/ص103)، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص328، والمواقف في علم الكلام، ص419، والشيعة والتشيع: فِرَق وتاريخ، للأستاذ إحسان إلهي ظهير، (باب التشيع والسبئية، ص52-78، وبابين بعده).

ومنهـــا: المغيرية[1]، **والجناحية**[2]، **والمنصورية**[3] حتى قالوا بأنّ الرسل لا تنقطع[4].

ومنها: الخطّابية[5].

وكــذلك **المختارية**[6]. **والإســحاقية من النصــيرية** القـائلون بـأنّ الأرض لم تخْـلُ ولا تخلو عن نبِيٍّ[7]، ومـالُوا إلى ادعاء النبّـوة لعلِيٍّ، خلافًا لبقية النُّصَـيريّة الـتي مـالَت إلى تأليهه، وغير ذلك.

---

1 (?) **المغيرية:** هي: فرقة رافضية غالية تنتسب إلى المغيرة بن سعيد، قيل: إنّه كان ساحرًا، ويزعمون أنّه كان يقول: إنّه نبِيّ، ويقول بإلهية عليٍّ، وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علي. كما يقول بأنّ معبودهم رجلٌ من نور على رأسه تاج، وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجل، وغير ذلك. ويعرف أتباعه بمحمدية الروافض (انظر لِهذه المقالات والرد عليها: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن، (ج 1/69-74)، والفرق بين الفرق، ص241-244، والفِصَل لابن حزم، (ج 3/ص103)، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص329، والملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ص373).

2 (?) وقد تقدمت ترجمتها.

3 (?) **المنصورية:** فرقة رافضية غالية تنتسب إلى أبي منصور المستنير العجلي، الذي أسقط الفرائض، وأحل الحرام، وادعى لنفسه أنه نبِيّ رسول، وأنّ جبريل يأتيه. وكفر بالجنة والنار، وتبعه على ذلك طائفته: (انظر بقية أفكارها وعقائدها وما تميزت بها: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن، (ج1/74-75)، والتنبيه والرد للملطي، ص، والفرق بين الفرق، ص247-248، والفِصَل لابن حزم، (ج3/ص104)، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص330-331، والملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ص377-379)، والمواقف في علم الكلام للإيجي، ص420، واختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص34.

4 (?) انظر: المواقف للإيجي، ص420.

5 (?) **الخطابية:** هي: فرقة رافضية غالية تنتسب إلى أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع، وكانت الخطابية تقول بأنّ الإمامة كانت في أولاد عليٍّ إلى أن انتهى ذلك إلى محمد بن جعفر الصادق، ويقولون: إنّ الأئمة أنبياء، ثم آلهة.

وقد تفرعت الخطابية بعد موته إلى خمس فرق: الخطابية المطلقة، والمعمّرية الذين عبدوا معمرًا كما عبدوا أبا الخطاب قبله، وفي تلخيص ترجمة التحفة، ص35: « المعمرية: أصحاب المعمر القائلون بنبوة الإمام جعفر الصادق، وأنّ أبا الخطاب بعده نبِيّ ». والبزيغية أصحاب بزيغ بن موسى، والعميرية أصحاب عمير بن بيان العجلي، والمفضلية أتباع المفضل، كلهم زعموا أنّ أبا الخطاب نبيّ. وأخطر عقائدها: دعوى الربوبية أو النبوة لبشر، (انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن، (ج1/76-79)، والتنبيه والرد للملطي، ص، والفرق بين

ومنها أيضًا: الإسماعيلية، و« هي نسبة لَهم إلى أنّ زعيمهم محمد بن إسماعيل بن جعفر، ويزعمون أنّ أدوار الإمامية انتهت به؛ إذْ كان هو السابع من محمد ﷺ، وأدوار الإماميه سبعة سبعة عندهم، فأكبرهم يثبتون له منصب النبوة، وإنّ ذلك يستمر في نَسَبِه وأعقابه »[1].

ومن ألقاب الإسماعيلية أيضًا: **البابكية**، وهو اسم لطائفة منهم؛ بايعوا بابك الخُرّمي، قال الغزالي بعدما ذكَر طائفة من بِدَعهم « ويدّعون -مع هذه البدعة- نبوة رجل كان من ملوكهم قبل الإسلام يقال له: شروين، ويزعمون أنّه كان أفضل مِن نبينا ﷺ، ومِن سائر الأنبياء قبله »[2].

وأركّز هنا على هؤلاء الإسماعيلية ودعواهم الرسالة لقائمهم (محمد بن إسماعيل):

إنّ من أول مقرراتِ الإسماعيلية أنّ النبوة مكتسبة -تُكتسب بالرياضات-، كما ذَكَروا اثنتي عشرة خصلة وأنّه أيّ شخصٍ تحلى بِها يُعتبر عندهم نبِيًّا[3]؛ قالوا: « إذا

الفرق، ص251-253، والفِصَل لابن حزم، (ج3/ص104)، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص331-334، والملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ص380-385)، واختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص35.

[6] (?) **المختارية:** هي: فرقة رافضية غالية تنتسب إلى مختار بن أبي عبيد الثقفي الذي تقدمت ترجمته عند ذكر الكيسانية، (انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن، (ج1/ص61)، والتنبيه والرد للملطي، ص 169-170، والفرق بين الفرق، ص48وما بعده، والفِصَل لابن حزم، (ج3/ص97-98)، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص194وما بعده، والملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ص283-289)، واختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص119، والشيعة والتشيع: فِرَق وتاريخ، للأستاذ إحسان إلهي ظهير، (باب التشيع والسبئية، ص 52-78، وبابين بعده).

[7] (?) انظر: اختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص 37.

[1] (?) قاله الغزالي في كتابه فضائح الباطنية، ص25.

[2] (?) فضائح الباطنية، ص25.

[3] (?) والشروط هي: أنْ يكون تام الأعضاء، جيّد الفهم، جيّد اللفظ، فطنًا ذكيًّا، حسن العبارة، محبًّا للعلم والإفادة، محبًّا للصدق، غير شرِهٍ في الأكل والشرب والنكاح، كبير النفس، زاهدًا في الدنيا، محبًّا للعدل، وأنْ يكون قويّ العزيمة (انظر إليها: الإسماعيلية تاريخٌ وعقائد، ص 319).

اجتمعت هذه الخصال في واحدٍ من البشر، في دورٍ من أدوار القرانات، في وقتٍ من الزمان؛ فإنّ ذلك الشخص هو المبعوث، وصاحب الزمان، والإمام للناس ما دام حيًّا، فإذا بلّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصَح الأمة، ودوّن التنزيل، ولوّح التأويل، وأحْكَم الشريعة، وأوضَحَ المنهاج، وأقام السنة، وألّف شَمْل الأمة ثم توفي ومضى إلى سبيله، بقيتْ تلك الخصال في أمته وراثةً منه، وإنْ اجتمعَتْ تلك الخصال في واحدٍ من أمته أو جُلّها فهو الذي يَحصُل أنْ يكون خليفة في أمته بعد وفاته »[1].

ولم يكتف الإسماعيلية بدعوى النبوة والرسالة لقائمهم حتى زعموا أنّ هذا القائم قد نسخ شريعة نبينا محمد ﷺ، وأسقط التكاليف: ونصوصهم التي يزعمون أنّ هذا القائم نسخ شريعة نبينا محمدٍ ﷺ، وأسقط التكاليف كثيرة جدًّا، فمنها:

قول أحد معصوميهم وإمامهم الرابع عشر[2] في دعاء يوم السبت من أدعية الأيام السبعة: « اللهم صلّ على أبينا آدم الذي شرفته وكرمته، وصلّ على بابه ووصيه شيث بن آدم، وعلى أئمة دوره وهم ستة، اللهم صلّ على رسولك نوحٍ الذي شرفته وكرمته، وعطلت به ظاهر شريعة آدم، وجعلته ثاني النطقاء ..–إلى أن يقول: واخصص اللهم محمد بن عبد الله من ولد إسماعيل الذي شرفته وكرمته، وعطلت به ظاهر شريعة عيسى، وصيرتَه سادس النطقاء، وعلى القائم بالحق، والناطق بالصدق، التاسع من جده الرسول، والثامن من أبيه الكوثر، السابع من آبائه الأئمة من البررة الذي شرفته وكرمته وختمت به عالم الطبائع، وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ،وتملأ به الأرض عدلا وقسطًا ..»[3].

---

[1] رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، (الرسالة السادسة من العلوم الناموسية والشرعية في ماهية الناموس الإلهي وشرائط النبوة، ص 135) بواسطة: الإسماعيلية تاريخٌ وعقائد، 319-320.

[2] وهو المعز لدين الله الإمام الإسماعيلي الرابع عشر، ويقولون بأنه لا يخطئ ولا يلحن ولا ينطق عن الهوى إن هو وحي يوحى، بل يقولون بأنه حائز مرتبة الألوهية والربوبية.

وقد علّق على هذا الدعاء الشيخ إحسان إلهي ظهير بقوله: « وعبارات هذا الدعاء صريحة في معناها، ظاهرة في مفهومها، لا تحتاج إلى توضيح وبيان؛ بأنّ محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد رسول الله الذي جعله الله خاتم النبيين، وأكمل به الدين، كما أنّ محمدًا –صلوات الله وسلامه عليه- نسخَ بمجيئه شريعة عيسى ، وكما أنّ عيسى نسخ شريعة من قبله، وهلم جرًّا »[1].

ودعوى نسخ شريعة نبيّنا محمد من قائمهم لم يَقله معصومُهم السابق وحده، ولا جاء في مصدرٍ واحد، بل صرّح بِهذه الدعوى الآخرون، وورد في كتب إسماعيلية (باطنية) كثيرة؛ فيقول أحد دعاتهم المتوفى سنة 872هـ في كتابه زهر المعاني: « وقام محمد بن إسماعيل –صلوات الله عليه- وهو سابع الأئمة وقائمهم مقابل لجده علي أمير المؤمنين، تمام الدور الروحاني ... وإذا عددتَ الأئمة في دوره كان محمد بن إسماعيل سابعهم، وللسابع قوة على مَن تقدمه، فلذلك صار ناطقًا وخاتمًا للأسبوع وقائمًا، وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس »[2].

ويجمع في النص الواحد بين زعم ختم الشرائع بمحمد بن إسماعيل واعتقاد نسخ شريعة نبينا محمد داعٍ إسماعيليٌّ أقدم من الذي قبله[3] (ت584هـ) فيقول: « ولَما قام الناطق السادس الذي هو محمد بالأمر، وأعلن بالشهادتين، وأقام دعوته الظاهرة دون الباطنة أسلم له مَن أسلم، ... فلما كملت فاطمةُ زوّجها أبوها أميرَ المؤمنين بأمر الله تعالى ووحيه، فتم التمام، واتسق النظام، وازدوج الإيمان والإسلام، وجرَت الدعوة الظاهرة على حالتها، والدعوة الباطنة في ضمنها، واستمرّ أمرها

---

[3] (?) أدعية الأيام السبعة، للمعز لدين الله الإسماعيلي، دعاء يوم السبت، بواسطة الإسماعيلية للشيخ إحسان إلهي ظهير، 536، وما بعده.

[1] (?) الإسماعيلية، ص537 .

[2] (?) زهر المعاني للداعي الإسماعيلي المطلق إدريس عماد الدين –الذي له العصمة الكبرى مثل الإمام، ص53، بواسطة: الإسماعيلية، ص538-539 .

[3] (?) وهو طاهر بن إبراهيم الحارثي.

إلى أن استخرج من الدعوة الظاهرة الحسن، ومن الدعوة الباطنة الحسين، وكانت الدعوة الظاهرة قسط الناطق، والدعوة الباطنة قسط الوصي، واتسق الأمر بعد مولانا الحسين كذلك في باقي الأئمة المتمين، إلى أن انتهى الأمر بمولانا محمد بن إسماعيل، فكان محمد بن إسماعيل مُتم الدور، وخاتَم الرسل المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به، -فقد صرّحوا بِها هنا كما ترى- المشتمل على مراتب حدوده، المحيط بعلومهم، ... -إلى أنْ قال: إذْ بقيامه تمام الدور الستر، واعتقاد دور الكشف، ونسخ شريعة الرسول السادس »[1].

ولا ينتهي النقل عن هؤلاء حتى أنقل زعمَهم: أنّ نبينا محمدًا نفسه شهد لمحمد بن إسماعيل بالرسالة -عياذًا بالله- فيقول داعٍ إسماعيليٌّ آخر عن معنى تسليم الرسول في قوله: السلام عليك أيها النبي: « وتسليمُه لمحمد بن إسماعيل، شهادته له بالأذان عند قوله: أشهد أنّ محمدًا رسول الله؛ لأنّ شهادتَه لنفسه غيرُ جائزة، وإنما كانت شهادته لمحمد بن إسماعيل . وأما شهادة الأئمة وسائر المسلمين فهي له (أي: لرسول الله)؛ لأنه الناطق السادس، وكون الشهادة مثناة في الأذان لما كانت الأولى له، والثانية لِمحمد بن إسماعيل الذي هو متم دوره، وهو سابع الرسل، وإليه أشار مولانا المعز في دعائه يوم السبت؛ إذْ هو الناطق السابع »[2]. وقد تقدم ذكر دعاء يوم السبت للمعز الإسماعيلي.

وقد نقل الشيخ إحسان إلهي ظهير عنهم أكثر من ذلك. ثم قال رادًّا على بعض المعاصرين الذين يُحسنون الظّنّ بالإسماعيلية، ويعدّونها طائفة من طوائف المسلمين فقال: « ولا أظنّ أنه خفي المعنى والمطلوب بعد التصريح والتوضيح، الصراحة التي بلغت حَدّ الوقاحة.

---

[1] (?) الأنوار اللطيفة، لطاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني، الفصل الرابع والخامس من الباب الثاني من السرادق الثالث، ص128-130، بواسطة الإسماعيلية تاريخ وعقائد للشيخ إحسان إلهي ظهير، 540 .

[2] (?) الأنوار اللطيفة للحارثي اليماني المتوفى سنة 584، ص161، بواسطة الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص542.

وإنْ كان هناك إشكال لبعض الْمندفعين حبًّا وولاءً للإسماعيلية، والْمتبلدين الْمتجاهلين الذين يصرّون على جعل الإسماعيلية طائفة من طوائف الْمسلمين مكابرين الحق، ومعاندين أهله، فإليهم ولهم أورِد عبارة أخرى من الداعي الإسماعيلي الآخر .. »[1]، فذكره.

وسيأتي الرد على مدعِي النبوة في الباب القادم، كما تقدم الوعد به.

والإسماعيلية لا يقصدون من نسخ شريعة نبينا محمدٍ من قِبَل قائمهم إلا تعطيلها، ورفع التكاليف، وإسقاط الظاهر وإبقاء الإلحاد الذي يُسمّونه الباطن –على حدّ تقسيمهم- ليكون الناس على ما كانوا هم عليه من الإلحاد والزندقة، يقول أحدُ دُعاتهم: « القائم لا شريعة له، بل هو يُزيل الشرائع، وينسخها بإقامة التأويل المحض »[2].

ويقول القاضي النعمان المغربي (ت: 363هـ) –وهو الذي يصفه الشيخ إحسان بأنه من أكثر الإسماعيلية تحفظًا حتى في كتبه السِّرّية-: « قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة، والذي يكون التكليف في حده مرفوعًا، ويتجرد حينئذ الباطن، ويسقط الظاهر، ويكون الباطن ظاهرًا على خلاف ما هو في حدود الرسل قبل ذلك؛ لأنه في حدودهم مدفوع إلى حججهم، مستورٌ عندهم، محمولٌ من واحدٍ إلى واحدٍ، وهو معجزة لهم، وعلمٌ يستضاء به حتى يصل إلى صاحبه صاحب القيامة، فيظهره ويُجرّده، وذلك محظورٌ ممنوعٌ قبله »[3].

وقال المذكور قبله أيضًا: «القائم المهدي دوره دور علم بلا عمل،والذهب من أمثال الذهب القائم المهدي صاحب دور الجزاء،وخاتم الدنيا،وفاتح باب الآخرة،وإنما

---

1 (?) الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص542 .

2 (?) تأويل الزكاة لجعفر منصور اليمن، نسخة خطية، ص119،بواسطة الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص546-547.

3 (?) أساس التأويل للقاضي النعمان، ص62، ط/ دار الثقافة، بيروت، بواسطة الإسماعيلة تاريخ وعقائد، ص546 .

مثل بالذهب؛لأنّه صاحب الظهور،ومبطل الشرائع كلّها،ومسقط ظاهر النطقاء والعمل به»[1].

والقول بانقضاء دور نبينا محمد ونسخ شريعته من قِبل الرسول المزعوم محمد بن إسماعيل بن جعفر، وكذا رفع التكاليف، وكذلك تأويل الصلاة والزكاة والحج وغيرها من عقائد الإسماعيلة الباطنية = كفرٌ ظاهرٌ، أجمع على تكفيرهم بها العلماء[2] –كما تقدم-.

وهذه المعتقدات الإسماعيلية كما ذكرها عنهم مخالفوهم، فقد نقلها المؤرخون الإسماعيليون أنفسهم.

ومن فِرَق الرافضة المعاصرين الذين ادّعوا النبــوة لأنــاس بعد رســول الله : البابية والبهائية[3]، وسيأتي ذكرهما في فصلهما الخاص. كما أنه سيأتِي الــردّ على هذه المزاعم في الباب القادم (الرابع).

فثبت بِهذا جفاءُ هؤلاء الرافضة وردّ خصيصته : (ختم النبوة به)، بدعواهم لها لأناس بعده!

المسألة السابعة: تخطئة الغرابية الرافضية جبريل في تبليغ الرسالة إليه ، وأنها كانت لعلي استحقاقًا:

مِن أوجُه جفاء الرافضة في حقّ نبينا محمد زعمُ بعضهم أنّ الرسالة -في الأصل- كانت لِعَلِيٍّ فأخطأ جبريل فأنزَلَ الوحي على رسول الله محمدٍ؛ لِمَقام الشّبَه بينهما مثل الغراب بالغُراب، كما زَعمُوا. والمُخطِّئة لجبريل من الغرابية فرقةٌ، ومن فرقهم مَن تقول بأنّه لَم يُخطأ بل تعمّد إزاغتَها عنه قصدًا. ومنهم مَن يقول بِأنّ الله –وحاشاه- استحيا عن تنبيه جبريل. وسيأتِي ذلك كُلّه مُختصَرًا.

ومَن عَرَف سيرة رسول الله ؛ أوصافه الخلقية، ثم سيرة عليٍّ وأوصافه الخلقية عَلِم كذِب مقالة الغرابية بلا ريب.

---

1 (?) تأويل الزكاة لجعفر منصور اليمن، ص62، بواسطة الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص547 .

2 (?) انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، للشيخ إحسان، ص548-576.

3 (?) وسيأتِي ذكر هاتين الطائفتين في الفصل الخاص بهما.

وفي حكاية أبِي محمد ابن حزم لشِنَع الشيعة، -وبعد ذكره شِنَع الإمامية ذكَر قول الغرابية الغالية ضمن الفرق التي ادعت النبوة لغيره ، فقال: « فهذه مذاهب الإمامية؛ وهي المتوسطة في الغُلُوّ مِن فِرَق الشيعة. وأما الغالية من الشيعة، فهم قسمان: قسمٌ أَوْجَبَت النبوة بعد النبي لغيره. والقسم الثانِي: أوجبوا الإلَهية لغير الله ؛ فلحقوا بالنصارى واليهود، وكفروا أشنَع الكفر. فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي فرق: **منهم: الغرابية**[1]: وقولهم: إنّ محمدًا كان أشبه بعليٍّ من الغراب بالغراب وأن الله بعث جبريل بالوحي إلى علي؛ فغلط جبريل بِمحمد، ولا لوم على جبريل في ذلك؛ لأنّه غلَط. وقالت طائفة منهم: بل تعمد ذلك جبريل، وكفّرُوه ولعَنُوه -لعنهم الله »[2].

والذين يقولون بأنّ جبريل أزاغ الرسالة عن علِيٍّ غلطًا لتأكّد المشابهة على زعمهم لا يُسيؤون القول في جبريل، بخلاف الذين يقولون بأنّه أزاغها عمدًا وقصدًا. وهناك فريق منهم يُسيؤون القول في الرسول ؛ ذلك أنّهم « يَزعُمون أنّ جبريل أزاغ الرّسالة إلى عليٍّ، لكنّ محمدًا كان أكبر سنًّا مِن علِيٍّ؛ فاستعان علِيٌّ به ثم إنّ محمدًا استقلّ بالأمر ودعا الخلق إلى نفسه. وهؤلاء يُسيؤون القول في النبِيّ »[3].

ومن هؤلاء الغرابية مَن تسمى «**الذبابية**: وهم قسمٌ من الغرابيــة، إلا أنّهم زادوا عليهم بقــولِهم بنبــوة محمــدٍ صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنّه أشبه بالإله (يعنــون بــه: علِيًّا) مِن بالذّباب، قاتلهم الله! » [4].

---

1 (?) انظر عن هذه الفرقة الرافضية الغالية والرد عليها: الفرق بين الفرق،ص255-256، والتبصير في الدين للاسفراييني،ص334-335 (وفيه أنّ الغرابية هم الذين يقال لهم المفوضة –وقد تقدم ذكرها-)، وفرق المسلمين والمشركين للرازي،ص74-75،، واختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص36.

2 (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/102).

3 (?) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص75.

4 (?) اختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص36.

وفي التنبيه والردّ أنّ هؤلاء من الحلولية، وأنّه لَمّا غلِط جبريل وصار إلى محمد : « استحيا الربّ وترَك النبوة في محمدٍ ، وجعَل عليًّا وزيرَه والخليفة بعده » [1]. وكذَبُوا.

وعلى قول بعض مَن تقدم فإنّ الرسالة كانت لعليٍّ استحقاقًا. بينما على قول الآخرَين أنّ علِيًّا هو الرسول لذا قال في الفرق بين الفِرَق: « وزعموا أنّ عليًّا كان الرّسول، وأولاده بعده هم الرّسل » [2]. وكُفر هذه الفرقة أغلظ من كُفر اليهود!

ولقد قال ابن حزم –رحمه الله- في الرَّدّ عليهم: « فهل سُمع بأضعف عقولاً، وأتم رقاعة من قوم يقولون: إنّ محمدًا كان يُشْبِه عليَّ بنَ أَبِي طالب! فياً للناس أين يقع شَبَه ابن أربعين سنة من صَبِيٍّ ابن إحدى عشرة سنة؛ حتى يَغْلِط به جبريل . ثم محمد فوق الرَّبْعة إلى الطول، قويم القناة، كثّ اللحية، أدلج العينين، ممتلئ الساقين، قليل شعر الجسد، أفرع، وعليٌّ دون الرَّبعة إلى القِصَر، مُنْكبٌّ شديدَ الانكباب، كأنّه كسر ثم جبر، عظيم اللحية، قد مَلَئَت صدرَه مِن مَنْكِب إلى منكب؛ إذا التحى، ثقيل العينين، دقيق الساقين، أصلع؛ عظيم الصلع، ليس في رأسه شعرٌ، إلا في مؤخره يسير، كثير شعر اللحية. فاعجبوا لِحمق هذه الطبقة! ثم لو جاز أن يغلط جبريل -وحاشا لروح القدس الأمين- كيف غَفَل الله عن تقويْمه وتنبيهه، فتَرَكَه على غلَطِه ثلاثًا وعشرين سنة؟ ثم أظرف مِن هذا كله! مَن أخبَرَهم بِهذا الخبَر؟ ومَن خَفَرَهُم بِهذه الْخُرافة؟ وهذا لا يعرفه إلا مَن شاهد أمْر الله تعالى لِجبريل ، ثم شاهد خلافَه، فعلى هؤلاء لعنة الله، ولعنة اللاعنين، ولعنة الناس أجمعين، ما دام لله في عالَمِه خَلْق »[3].

وهذا من أعظم أوجه الجفاء فيه ، قاتل الله الغُلُوّ وأهله. والحمد لله على اندثار هذه الفرق!

---

1 (?) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، ص34.

2 (?) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص255.

3 (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/102).

المسألة الثامنة: زعم غلاة الرافضة أنَّ عليًّا هو الذي بعث محمدًا بالرسالة:

لا ينتهي العجب مع هؤلاء الرافضة فيما ذكروه من معتقدات تناقض دين الإسلام من أساسه، .. إلى أنْ يُزعج سَمعَ كُـلّ مـؤمنٍ بالله ورسـوله محمـدٍ معتقـدُ الرافضة الآخر، حيث جاء عند بعضِ فِرَق الرافضة الغُلاة –كما ذَكَر الدهلوي- (**الذِّمِّية**): وقد لُقِّبـوا بِهـذا اللقب « لأنّهم يَـرَون ذَمّ محمدٍ صلى الله تعالى عليه وسلم، ويَزعُمـون أنّ عليًّا إلـهٌ، وأنّه بعَث محمدًا ليدعو إليـه؛ فـادّعى الأمر لنفسه » ([1]).

وقال عبد القاهر البغدادي: « وأما الذِّمّية منهم فقوم زعموا أنّ عليًّا هو الله، وشـتموا محمـدًا، وزعمـوا أنّ عليًّا بَعَثَه ليُنـبئ عنـه، فـادّعى الأمر لنفسـه. وهـذه خارجة عن فرق الإسلام؛ لكفرها بنبوة محمدٍ من الله تعالى » [2].

وجاء في نصٍّ أوضح، في (التبصير في الدين): « ومن الغرابية أيضًا قـوم يقـال لهم: الذَّمّية كـانوا يقولـون: إنّ عليًّا بعث محمدًا حـتى يـدعو الخلق إلى إلَهيته، فجــاء محمدٌ وادّعى الرسـالة من إلهٍ آخر، ويـذمّون محمدًا بِهـذا السبب، ولهذا سموا الذمية » [3].

ثانيًا: وهذا الفكر والجفاء موجودٌ عند الإسماعيلية أيضًا: حيث يزعمُون أنّ عليًّا هو الذي بعثَ محمدًا بالرسالة، فاستمع إلى قاضيهم النعمان حيث يُقرِّر ذلك فيقول: « وإنّما عظُم فضلُه –يعنِي به: النبِيّ محمدٌ - وعلَت منـزلتُه بوصيّه عليٍّ إمام المتقين، صاحب التأويل، ومُبيّن الشرائع للمرسلين »[4].

وقد نقل الشيخ إحسان إلهي ظهير نقولات إسماعيلية كثيرة من مصادرهم في معتقدهم في النبوة

---

[1] (?) اختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص36.

[2] (?) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص255-256.

[3] (?) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص 335.

[4] (?) الرسالة المذهبية للقاضي النعمان، ص86، (ضمن: 5رسائل إسماعيلية، بتحقيق: عامر تامر) بواسطة: الإسماعيلية لإحسان إلهي، ص333.

والنبي [1]. كما قام بعد ذلك بتلخيص محتواها فقال: « ونُلخِّص ما ذكرناه ههنا أنهم يعتقدون بـ: **أولا:** أنّ النبوة مكتسبة، وأنّ الإنسان يستطيع أنْ يُصبح نبيًّا بعد التحلي؛ بعد الارتياض والمجاهدة. **ثانيًا:** وهي فيضٌ يفيض من أحد العقول العشرة. **ثالثًا:** أنّ جبريل ليس من ملائك الرحمن. **رابعًا:** الرسول تعلّم مِن بَشَرٍ، وهو الْمُعبّر عنه بالوحي. **خامسًا:** وأنّ القرآن ليس بكلام الرحمن الذي تكلم به الرب –جل جلاله- بل هو من كلام الرسول الْمُركّب من خطرات النفس. **سادسًا:** أنّ الرسول أقامه أبو طالب وهو الذي جعله رسولا. **سابعًا:** وأبو طالب هو إمام الزمان والربّ. **ثامنًا:** ودعوة الرسول ومن سبق من الأنبياء كانت إلى عليّ. **تاسعًا:** وعليّ هو مُرسِل الرُّسُل، وباعث الأنبياء. **عاشرًا:** وكان يَفضُل محمدًا ، بل كان مولى له، وهو عبدُه. فهذه هي العقائد الإسماعيلية في النبوة والأنبياء، وفي رسول الله الصادق الأمين، المخالفة لنصوص القرآن، وصريح السّنة، والْمَبْنِية على الكفر المحض »[2]، ثم رَدّ عليها.

** * **

وأُذَكّر -في خاتمة المسألة- بِما تقدم في تمهيد هذا الباب من كون جفاء رسول الله منه ما هو مُخرِجٌ من الْملة، ومنه ما هو دون ذلك. وكذلك الأمر في الغلو فيه . إلا أنّ التي صرّحت بها هنا من صُوَر الغلو والجفاء فيه من قبيل النوع المخرج من الملة. وليكن هذا التنبيه (درجات الغلو والجفاء في عبد الله ورسوله نبينا محمد) مصطحبًا عند تناول جميع مسائل هذا الباب خصوصًا، والكتاب عمومًا. والله أعلم.

---

1 (?) انظرها: الإسماعيلية، 319-336، وانظر للرد عليها، ص336-344 .

2 (?) الإسماعيلية، ص335-336، وانظر كتاب: الشيخ إحسان إلهي ظهير، منهجه وجهوده في ...تحت عنوان: الرد على عقائد الإسماعيلية في النبوة والأنبياء، ص615-621 .

المطلب الأول: طعن الرافضة في أزواجه .
المطلب الثـــاني: طعن الرافضة في أصـــحابه عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثـالث: تكفـير الرّافضة وعـداوتُهم لأمته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الأول: طعن الرافضة في أزواجه :

تقدم -في المبحث الثانِي من الفصل الأول من الباب الأول- طائفةٌ من مناقب أزواج رسولنا أمهات المؤمـنين ورضي الله عنهنّ، الخاصة بآحـادهن، والعامة المشـتركة بينهنّ، وبيّنتُ هنـاك أنّهنّ كلّهن مِن أهل الجنـة، كما أنّهن كذلك أمهـات المؤمـنين -في الاحـترام والتعظيم والإجلال والإكرام-، بنصّ القرآن.

والمسألة هنا هل حافَظ الرافضة على هذه العقيدة، وعلى التأدب معهن رضي الله عنهنّ؟ **الجواب:** الكثيرون منهم لم يُحافظ على ذلـك، بل أخرجـوهن مِن أهل بيتـه، كما سـلقوهن بألسـنة حـدادٍ سـبًّا وشـتمًا، وطعنـوا فيهنّ. ومن كثرة طعن الرافضة بالصحابة لُقّبوا بالسّبيّة كما يُقال لهم: التبرائية كما في تلخيص ترجمة التحفة الاثـني عشرية[1].

إلا أنه -ولله الحمد- قد دافع علماؤنا –رحم الله ميتهم وحفظ أحيـاءهم- عن عِرضه ، وبيّنـوا مفتريـات الرافضة في تلك الطعون، وما كتاب (دفع الكذب المـبين المُفـترَى من الرافضة على أمهـات المؤمـنين، رضي الله عنهن أجمعين) للشـيخ عبد القـادر بن محمد عطا –حفظه اللـه- إلا واحدٌ من تلك الجهود المباركة.

قـال صـاحب الوشـيعة في نقـد عقائـد الشـيعة: « **كُتُب الشـيعة تَطعَنُ على أزواج النبِيّ**: للشـيعة في أزواج النبِيّ أمهـات المؤمـنين، خصوصًـا في عائشة وحفصة وزينب سـوء أدب عظيم لا يتحمله عصـمة النبِيّ وشـرف

[1] انظر: اختصار الألوسي لترجمة التحفة الاثني عشرية للدهلوي، ص 23.

أهل البيت، ولا دين الأئمة- وَذَكَر أنّ أقلّ ما يقوله الكـافي والـوافي في عائشة وحفصة أنّ آية التحـريم الآتية والـتي في ضَرب المثل للذين كفـروا: امـرأة نـوح وامـرأة لـوط، نَـــزَلت فيهما وفي أبِي بكر وعمـــر، وأنّ عائشة وحفصة كافرةٌ منافقة مخلدة في النار »[1].

ولَمّا كانت هذه المطاعن كثيرة جدًّا فـإنِّي سـأنتقي طائفة من مطـاعنهم في الصـديقة بنت الصـديق عائشـة، وفي حفصة بنت الفاروق أجمعين، بغية الاختصار[2].

ومِن المطاعن والقبائح والعقائد الخبيثة فيهما، ومن كُتُبِهم:

أولا: اتّهام عائشة وحفصة بالتآمر مع أبويهما (أبي بكر وعمر) على رسول الله وسقيه سُمًّا، وأنّ ذلك هو سبب وفاته: فقد عمِد الرافضة إلى قول الله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ [التحريم: ١ – ٤].

قال القمّي (علي بن إبراهيم –مرجع مَن أتى بعده منهم في التفسير) في سـبب نـزول هـذه الآيـات: « كـان سبب نزولها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآلـه كـان في بعض بيـوت نسـائه، وكـانت ماريـة القبطيـة تكـون معـه تخدمه، وكـان ذات يـوم في بيت حفصـة، فـذهبت حفصـة في حاجة لها، فتناول رسـول اللـه ماريـة، فعلمت حفصـة بذلك فغضبت، وأقبلت على رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وآله، وقالت: يا رسـول اللـه، هـذا في يـومي، وفي داري، وعلى فراشي! فاستحيا رسول الله منها، فقال: كفى فقد

---

[1] (?) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، لموسى جار الله، 128-129.

[2] (?) ومَن أراد الوقوف على جملة من مطاعن الرافضة في عموم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين، فعليه بكتاب دفع الكذب المبين للدكتور عبد القادر (وأصله جزء من رسالة الشيخ الفريدة في بابها: موقف الشيعة الاثني عشرية من صحابة رسول الله و)، ص9-35، ورسالة الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب، (مطلب سبهم عائشة رضي الله عنها المبرأة)، ص25-27، والمسائل الأخيرة من كتاب حقيقة الشيعة، وهل يُمكن تقاربُهم مع أهل السنة؟ لِمحمد يوبي، ص373-403 .

حرمت مارية على نفسي، ولا أطأها بعد هذا أبدًا، وأنا أُفضِي إليكِ سرًّا، فإنْ أنت أخبرتِ به فعليكِ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فقالت: ما هو؟ فقال: فإنّ أبا بكر يلِي الخلافة بعدي، ثم مِن بعده أبوك. فقالت: مَن أخبركَ بِهذا؟ قال: الله أخبَرني. فأخبَرت حفصة عائشة من يومها ذلك، وأخبَرت عائشة أبا بكر، فجاء أبو بكر إلى عمر، فقال له: إنّ عائشة أخبَرتني عن حفصة بشيءٍ، ولا أثق بقولها، فاسأل أنت حفصة! فجاء عمر إلى حفصة فقال لها: ما هذا الذي أخبَرَت عنك عائشة؟ فأنكرت ذلك، قالت: ما قلت لها مِن ذلك شيئًا. فقال لها عمر: إنْ كان هذا حقًّا فأخبرينا حتى نتقدم فيه. فقالت: نعم، قد قال رسول الله ذلك؛ فاجتمعوا أربعة على أنْ يسمّوا رسول الله. فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه السورة ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭼ إلى قوله ﭽﭟ ﭠ ﭡﭼ يعنِي: قد أباح الله لك أنْ تُكفّر عن يمينك. ﭽﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ أي: أخبَرَت به. ﭽﭰ ﭱﭼ يعنِي: أظهر الله نبيه على ما أخبرت به وما هموا به، ﭽ ﭲ ﭳ ﭼ أي: أخبَرها، وقال: لِم أخبَرْتِ بِما أخبرتك؟ وقوله: ﭽﭴ ﭵ ﭶﭼ قال: لِم لم يُخبِرهم بِما علم مما همّوا به »[1].

وقصة زعم سم هؤلاء الكبار رسولَ الله ﷺ مُعتبرةٌ عند الشيعة لها شواهد[2].

وقد ناقش الدكتور عبد القادر مطاعن هؤلاء الرافضة في القصة، وأبرز كذِبَهم في القصة، وردّ على أنواع طعونهم، وبيّن تناقضاتهم[3].

ثانيًا: تبرّي الرافضة من عائشة وحفصة زوجتي رسول الله ﷺ: ومن نصوصهم في ذلك: ما نقله المجلسي الشيعي وغيره من علمائهم من إجماع الشيعة على التبري منهما: « وعقيدتنا في التبري: أننا نتبرأ من

---

[1] تفسير القمي، ط/ حجرية، ص340، وط حديثة/ ج2/ 375-376) ، بواسطة: دفع الكذب المبين.

[2] للوقوف عليها، انظر ما أورده الدكتور عبد القادر/دفع الكذب المبين المفترى من الرافضة..، 48-56.

[3] انظر، دفع الكذب المبين المفترى من الرافضة على أمهات المؤمنين، ص57-67 .

الأصـنام الأربعـة: أبِي بكر وعمر وعثمـان ومعاويـة، ومِن النساء الأربع: عائشة وحفصة وهند وأم الحكم، ومِن جميع أتباعهم وأشياعهم، وأنّهم شـرّ خلق الله على وجه الأرض، وأنّه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبري من أعدائهم »[1].

ثالثًا: لعن عائشة وحفصة رضي الله عنهما: فقد نسب غيرُ واحدٍ من علماء الشيعة زورًا إلى جعفر الصادق –رحمه اللـه- أنّه كـان يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجـال، وأربعة من النســاء: الــتيمي والعــدوي –أبا بكر وعمر- وعثمان ومعاوية، يسميهم، وعائشة وحفصة وهنـدًا وأم الحكم أخت معاوية[2].

رابعًا: ادعاء الاثـني عشـرية كُفر عائشة وعـدم إيمانها: فقد أسندوا زورًا إلى جعفر الصـادق، أنه قـال في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﮬﮭﮮﭼ [النحل: ٩٢]. التي ﭽ ﮬﮭﮮﭼ : عائشة، هي نكثت إيمانها »[3].

وقد بحث متكلّمو الشيعة في كتب العقائد -كالمفيد في كتابــه أوائــل المقــالات في المــذاهب والمختــارات وغيره، مسألة تكفير أم المؤمنين عائشة وطلحـة والزبـير وغيرهم من كبار الأصحاب، وبنَـوا حكمهم على أنّ مسـلك الاثـني عشـري المتفـق عليـه هـو تكفـيرهم، كمـا أنهم مُخلّدون في النار[4] فعياذًا بالله!

بل عائشة رضي الله عنها هي أحبّ النـاس إلى رسول الله ﷺ، وقد سبق الدليل على ذلـك. ومعلـوم أنّـه لا

---

1 (?) حق اليقين للمجلسي، 519، وللرد عليهم، ينظر: دفع الكذب المبين المفترى من الرافضة، ص38-40 .

2 (?) نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت للكركي(ت940)، ق 74/ ب، وعين الحياة للمجلسي، ص599.

3 (?) تفسير العياشي، (ج2/ 269). وانظر لنقضه: دفع الكذب المبين ...ص80-81، وأوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب، 126.

4 (?) انظر: أوائل المقالات في المذاهب المختارات للمفيد، ص49-50، ورد الشيخ إحسان إلهي ظهير على الدكتور عبد الواحد في كتابه بين الشيعة وأهل السنة، ص239.

يُحبّ إلا طيِّبًا، كما أنّها من أهل الجنة، والجنة لا يدخلها الكفار[1].

خامسًا: الاثنا عشرية ونسبة الطاهرة العفيفة، الصديقة بنت الصديق، المبرأة من الله إلى الفاحشة: زعم الشيعة أنّ قول الله تعالى: ﭽﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [التحريم: ١٠]. مثلٌ ضرَبَه الله لعائشة وحفصة رضي الله عنهما.

قد فسّر بعض الشيعة الخيانة في الآية بارتكاب الفاحشة، وذكر آخرون منهم أنّ « عائشة جمعَتْ أربعين دينارًا من خيانة وفرّقتها على مبغضي عليّ »[2].

وأما الأول فقد قال القمي في تفسير الآية: « واللهِ ما عَنى بقوله: ﭽ ﮠ ﭼ إلا الفاحشة، وليقيمنّ الحدّ على (عائشة) [3] فيما أتت في طريق (البصرة)[4]، وكان (طلحة) [5] يُحبّها، فلما أرادتْ أنْ تخرج إلى (البصرة) قال لها فلان: لا يحل لك أنْ تخرجي من غير محرم، فزوجت نفسها من (طلحة) »[6].

ومما يؤكد أنّ الشيعة الذين لم يَذْكُروا اسم عائشة (صراحة) عنَوا بـ(فلانة): عائشة رضي الله عنها: ما رووه في كتبهم زورًا أنّه « لَمّا نزل قول الله تعالى: ﭽﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ [الأحزاب: ٦]. وحرّم الله نساء النبي صلى الله عليه وآله على المسلمين غضِب طلحة، فقال: يُحرّم محمدٌ علينا نساءه ويتزوج هو بنسائنا، لئن أمات الله محمدًا لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا، -وفي رواية أخرى: لأتزوجَن عائشة[7]، وفي رواية ثالثة: وكان

---

1 (?) انظر الأدلة على ذلك، ورد طعون الرافضة، في كتاب أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب، 126-128.

2 (?) مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي، ص86 .

3 (?) عند القمي (فلانة) بدل (عائشة)، وغيره صرّح باسمها، (انظر: البرهان للبحراني، ج4/ 358).

4 (?) في بعض النسخ (فلان) بدل (طلحة) في الموضعين.

5 (?) في تفسير القمي ط الحديثة (....) بدل (طلحة) في الموضعين (انظر: ج2/ 377).

6 (?) تفسير القمي، ط حجرية، ص341 .

7 (?) انظر الإحالات لتخريج هذا الافتراء برواياته: الحاشية (2) من ص 131 من أوجز الخطاب للدكتور عبد القادر.

طلحة يريد عائشة[1] ، فأنزل الله تعالى: ﭽ ... ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [الأحزاب: ٥٣].

يقول شيخي الشيخ عبد القـادر بن محمد عطا –حفظه اللـــــه- في التعليق على الافــــتراء الأول: « ووجه إقامة الحد عليها –على حد زعم الشــــيعة-: كونها زوّجت نفسـها من آخر بعد رسـول الله ﷺ، مع حُرمة ذلـك، فالله تعالى قد حرّم نكاح أزواج النبي ﷺ من بعـده أبـدًا ... ولا بد أنْ يقــام هــذا الحــدّ عند رجعة الأئمة وأعــدائهم، حسب معتقد الشــيعة الباطل في ذلك »[2]. وبإجمـــاع النـــاس فحفصة لم تخرج إلى البصـرة، والـتي خـرجت بإجمـاعهم هي عائشـــة، فهي إذًا الــتي يقــام عليها هــذا الحد –على زعمهم[3].

وقد زاد خُبث هؤلاء في هذا العصر فأسمعونا فيهنّ الكثـير والكثـير من هـذه المفتريـات وغيرهـا، وما أكـثر المواقع الــتي حملت الكثــير من ذلــك. فقد آذى هــؤلاء رسـول ﷺ في نفسه وأهله أيّما إيـذاء، ومؤذيه ملعـونٌ في الـدنيا والآخـرة بنصّ القـرآن. ومَن يعـذُرُه فيهم في هـذا العصر قليل، اللهم فأخرس لسـانًا تفـوّه بأذيّته إنْ لم يكُن من المهتدين، وأرنا فيهم عجائب قـدرتك! وأرى أنْ أكتفي بذكر هذه الطعون والافتراءات، من التكفير فما دونه التي افتراها الرافضة ووجّهوها إلى أحبّ النـــاس إلى رســـول الله ﷺ؛ زوجاته في الدنيا والآخرة، وخصوصًـا أحبّهنّ وأحبّ الناس إليه إطلاقًـا؛ (عائشة الصـديقة بنت الصـديق رضي الله عنهمـــا). وأعيد هنا فـــأقول: زوجـــات رســـول الله ﷺ زوجاتٌ له في الـدنيا وفي الجنـة، والجنة لا يـدخلها كـافر. كما أنّهنّ رضي الله عنهنّ كـذلك أمهـات المؤمـنين؛ يجب احترامهنّ وتعظيمهنّ ... فهل الرافضة مؤمنون؟

---

1 (?) نفحات اللاهوت للكركي، ق36/ ب.

2 (?) أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب، 130-131 .

3 (?) انظر: أوجز الخطاب، 131، وللوقوف على مناقشة الرافضة في مفترياتهم من القصة، وأنّ قاذفها مما برّأها الله منه كافرٌ، انظر: ص 133-137.

ولكي نستذكر فضائلهنّ الخاصة والعامة، والتي هي على نقيض هذه الافتراءات يحسُن الرجوع إلى المبحث المشار إليه من هذه الرسالة والذي كان في ذكر أزواجه ، حيث فصّلت القول في ذلك هناك. والله المستعان!

وما تقدم في هذا المطلب وجهٌ من الأوجه الكثيرة التي جفا الرافضة رسول الله؛ محمدًا ؛ فلم يحفظوا وصيته في أهل بيته، ولم يرقبوه فيهم. وسيأتي في المطلب القادم وجهٌ آخر من أوجه جفائهم فيه؛ ألا وهو طعنهم في أصحابه بل وتكفيرهم، والله المستعان!

المطلب الثاني: طعن الرافضة في أصحابه عليه الصلاة والسلام:

طعن الرافضة (الغالية والملاحدة والإمامية الاثني عشرية، والجارودية) أصحاب نبينا محمدٍ ، ورضي الله عنهم كان ويَكون بِصُور متعددة، وأقبحها وأسوؤها دعوى أنّ أكثرهم منافقون في حياته ، ومرتدون كفرةٌ بعد وفاته، هذا الحكم على أكثر الصحابة عند الاثنَي عشرية[1]. وقد حكموا على آحادهم وعُظمائهم بِما يؤكّد ذلك، والسبب في ذلك هو مسألة الإمامة التي هي مرجع كلّ عقائدهم. كما أنّهم طعنوهم بأنواع أخرى من الطعونات غير السابقتين.

وكذلك غير الاثني عشرية من الرافضة كالغالية الملاحدة بِفِرَقهم، والجارودية والحوثية من اليمن. = حتى

---

[1] (?) كبار الشيعة وعلماؤهم ذكروا أنّ الروايات التي جاءت بتكفير الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الصحابة، ولعنهم و.. و.. تبلغ مجلدات –لو تصدي لجمعها-، يقول المجلسي الشيعي في ذلك: « أقول: الأخبار الدالة على كفر أبِي بكر وعمر وأضرابهما وثواب لعنهم والبراءة منهم، وما يتضمن بدعهم، أكثر من أن يذكر في هذا المجلد أو في المجلدات شتى، وفيما أوردناه كفاية لِمن أراد الله هدايته إلى الصراط المستقيم » (بحار الأنوار للمجلسي، ج30/ 399)، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد ذكر مثله أحد محققيهم (الكركي) في كتابه نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت، ص198، وذلك بعدما أورد الروايات في تكفير ولعن الخلفاء الراشدين « وهذا النحو في كتب أصحابنا مما لو تحرى المُتصدّي لحصره جمع منه مجلدات ولم يأت على آخره، وقد أورد الأمين الثقة محمد بن يعقوب الكليني في كتابه الكافي من ذلك شيئًا كثيرًا، وفيه أحاديث باللعن الصريح، والحث عليه من الأئمة ». (انظر: موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين، في إحدى حواشيه، ص39).

إنّ هؤلاء كلّهم لم يُسموا رافضة –على القول الراجح- إلا لطعنهم في الصحابة (الشيخين رضي الله عنهما) وتبريهم منهما. كما سيأتِي. وأجْمِلُ المطالب في ثماني مسائل:

المسألة الأولى: طعن السبئية في أصحاب رسول و:

طعن الصحابة من الأفكار التي ورثها الرافضة عن شيخهم الأول ابن سبأ[1] كما ذكَر النوبختي أنّه « كـان أول مَن أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان، صهر رسول الله وأرحامه »[2]. وعلّق عليه الشيخ إحسـان إلهي ظهـير بقوله: « فمِن ذلك اليوم إلى يومنا هذا تناول الشيعة بِهذه العقيدة، وتمسكوا بها، والتقوا حولها؛ فليس بشيعيٍّ الـذي لا يبغض خلفاء رسـول الله الثلاثـة، ووزراءه، ومحبيـه، ولا يطعن فيهم »[3].

المسألة الثانية: طعن فرقة الكيسانية في أصحاب رسول الله و:

من مواقف طائفة من الكيسانية الْمُضحكة الْمُبكية: –القائلة بتناسخ الأرواح، قد بلَغ- الأمر بِمَن يَذهب إلى هـذا إلى « أنْ يأخُذَ أحدُهم البغل أو الحمـار فيعذبـه؛ ويَضْـرِبه، ويعطشه ويجيعــه، على أنّ روح أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيـه. فـاعجبوا لِهـذا الحمق الـذي لا نظـير لـه، وما الذي خص هـذا البغل الشـقيّ، أو الحمـار المسـكين بنقله الروح إليه، دون سـائر البغـال والحمـير؟ وكـذلك يفعلـون بالعنْـز على أنّ روح أم المؤمــنين رضي الله عنها فيهــا »[4].

وهذه المواقف فيها من الجهل والسخافة ما فيها، فإذا قُدّر أنّ الرافضـة على حـق فهم قـد بلغـوا الغاية في الجهل، وقلة العقل؛ يبغضـون من الأمـور ما لا فائـدة لهم في بغضه، ويفعلون من الأمـور ما لا منفعة لهم فيـه، مثل نتف النعجة حــتى كــأن لهم عليها ثــأرًا؛ كــأنّهم ينتفــون

---

1 (?) انظر: كتاب الشريعة للآجري، ص597.
2 (?) فرق الشيعة للنوبختي، ص22.
3 (?) السنة والشيعة، للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص30.
4 (?) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، (ج3/ص100).

عائشة. وشق جوف الكبش كأنهم يشـقون جـوف عمر[1]، فهل فعل هذا أحد من طوائف المسلمين بعـدوه غـيرهم؟ ومثل كراهتهم للفظ العشـرة لبغضـهم للرجـال العشـرة، واختيارهم التكلم بلفظ التسعة على لفظ العشرة. وكذلك كراهيتهم لأسامٍ سُمّي بها من يبغضونه[2].

المسألة الثالثة: طعن طوائف الغالية في أصحاب رسول الله و:

«إنّ الباطنيّة والمنصورية والجناحية والخطابية قد أكفروا أبا بكر وعمر وعثمـان وأكـثر الصـحابة؛ بـإخراجهم عليًّا من الإمامة في عصرهم، وهم قد أخرجُوا الإمامة عن أولاد عليّ في أعصار زُعمائهم؛ فيقـال لهم: إذا كـان عليٌّ في وقته أولى بالإمامة من ســائر الصــحابة، فهلا كـــان أولادُه أولى بها مِن زعمـــائهم في أعصــــارهم؟! وليس العجب مِن هـؤلاء الضـالين، وإنما العجب من علويّة قبِلـوا هؤلاء مع استبدادهم دونَهم بالإمامة »[3].

وهذا عن هؤلاء الغلاة والملاحدة، وسأنقل نقولات أُخرى من كتُب الاثني عشرية والنصيرية والإسماعيلية والدروز وغيرهم ما يزيد في تأكيد مقولة كل باطِنِيّ -من المنتسبين إلى الشيعة- فهو رافضيٌ[4]. وقبلها أقول –كما قلتُ سابقًا: قد أجاد أئمة الإسلام في ردّ باطلهم هذا مثلما ردّوا على مفترياتهم في أهله وأزواجه، وغير ذلك، فكتبوا في ذلك ضمنًا، واستقلالا؛ ذلك لأنّ هؤلاء نقلة الشريعة، ولازم الطعن فيهم: الطعن في الدين كلّه؛ لأنّ الطعن في الناقل طعنٌ في المنقول؛ فعلى سبيل المثال: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، فقد كتَبه شيخ الإسلام –رحمه الله- ليَرُدّ على أغلب طعوناتهم فيهم عمومًا وفي الثلاثة الخلفاء خصوصًا، وعلى بقية

---

[1] (?) وقد علّق عليَّ الشيخُ المشرف (الدكتور عبد القادر) هنا أنّه: ما زالت النصيرية إلى الوقت الحاضر يفعلون هذا.

[2] (?) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية، (ج7/ص416-417).

[3] (?) قاله عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق، ص253.

[4] (?) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن، (ج1/73)، والفرق بين الفرق، ص242-243، والشيعة والتشيع: فِرَق وتاريخ، للأستاذ إحسان إلهي ظهير، (باب التشيع والسبئية، ص52-78، وبابين بعده).

شبهاتِهم في غير بابَي الصحابة والإمامة، كما كتب مشايخنا المعاصرون في الانتصار لهم؛ برَدّ الطعون المختلفة التي وُجهت إليهم[1].

وأنا هنا عالة على هؤلاء، وسأحيل إلى مواضع من كتب المشايخ للاستفادة من أوجه الرد عليهم – خصوصًا- التي ذكرتها وفصلتْها.

---

1 (?) كتب –على سبيل المثال- شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد، كتابه الشهير الانتصار للصحابة الأخيار في رد أباطيل حسن المالِكي، وكتب ردًّا على ياسر الحبيب كتابه: أَغُلُوٌّ في بعض القرابة وجفاءٌ في الأنبياء والصحابة؟! وكتب شيخي الشيخ عبد القادر –حفظه الله- أكثر كتبه في ذلك، وخصوصًا كُتُبه الثلاثة: موقف الشيعة الاثني عشرية من صحابة رسول الله و، وكتاب أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب، وكتاب دراسات منهجية لبعض عقائد الرافضة والباطنية. وكان من مباحث الأخير مواقف فِرَق الرافضة والباطنية من الصحابة . كما كتب شيخنا الآخر إبراهيم بن عامر الرحيلي كتابه الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، (رد عليه في كتابه –ثم اهتديت-) وغير ذلك كثير. فجزاهم الله عن الإسلام خيرًا.

المسألة الرابعة: طعن الرافضة الاثني عشرية في أصحاب رسول الله و:

أبدأ بالفرقة التي هي فتنة العصر (فرقة الإمامية الاثني عشرية) وطعنهم في أصحاب رسول الله ، ثم أذكر مواقف الفرق الأخرى منهم .

وموقف الاثني عشرية من الأصحاب [1] يتضح هنا في ستة صوَر:

الصورة الأولى من صُوَر طعنهم فيهم :

دعواهم نفاق أكثر الصحابة في حياة رسول الله : ومِن نصوصهم في ذلك: قول أحد علمائهم: « إنّهم لم يُسلموا، بل استسلم الكثير رغبة في جاه رسول الله[2]، .. إنّهم داموا مجبولين على توشُّح النّفاق، وترشُّح النفاق »[3].

---

1 (?) للمزيد طالع: الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرّسول لمحمد بن عمر الحضرمي (930هـ)، وصَبّ العذاب على مَن سبّ الأصحاب لعلامة العراق محمود شكري الألوسي، الباب الأول موقف الإمامية من الخلفاء الراشدين الثلاثة ، من كتاب موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين، ص39-130.
ومِن كُتُب الرافضة الاثني عشرية للرافضي المعاصر د. محمد التجاني، وخصوصًا كتابه فاسألوا أهل الذكر، وكتاب الشيعة هم أهل السنة، ص 271-286 (تحت عناوين: الصحابة عند شيعة أهل البيت، والصحابة عند أهل السنة والجماعة، وفصل الخطاب في تقييم الأصحاب)، حتى قال زورًا: « ولستُ مبالِغًا إذا قُلتُ بأنّ أكثرية الصحابة لم يكونوا بعيدين عن النفاق بِما قرره كتاب الله في العديد من الآيات، وبِما قرره رسول الله في العديد من الأحاديث » ص285. وكامل كتابه: ثم اهتديت. وله كتابٌ رابع لا يختلف عن الثلاثة: وهو لأكون مع الصادقين. ولنقض مضمناتها وخصوصًا ما يتعلق بمسألة الصحابة والانتصار لهم، راجع: كشف الجاني محمد التجاني للشيخ عثمان بن محمد الخميس. وللرد على (ثم اهتديت) اقرأ: كتاب (بل ضللتَ!)، وغيره. ويَحسُن الوقوف على كتاب الانتصار لكتاب العزيز الجبار ولأصحاب محمد الأخيار على أعدائهم الأشرار للشيخ ربيع المدخلي. وكتاب عدالة الصحابة عند المسلمين د. محمد محمود لطيف الفهداوي.

2 (?) للرد عليه بذكر سيرته وأنه لا مال له، ولا منصب ولا شيئًا من حطام الدنيا، وخصوصًا في المرحلة المكية، طالع: أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب، ص19-20، وللوقوف على روايات أخرى مشابهة من كتبهم في دعوى نفاقهم، انظر ص20-23.

3 (?) إحقاق الحق للتستري الرافضي، 3، بواسطة: أوجز الخطاب للدكتور المشرف .

الصورة الثانية: دعوى ارتدادهم بعد وفاة رسول الله : ومِن نصوصهم في ذلك: قول صاحب إحقاق الحق أيضًا: « كما جاء موسى للهداية، وهدى خلقًا كثيرًا من بني إسرائيل وغيرهم فارتدُّوا في أيام حياته، ولم يبق فيهم أحدٌ على إيمانه سوى هارون (ع)، كذلك جاء محمدٌ وهدى خلقًا كثيرًا لكنهم بعد وفاته ارتدُّوا على أعقابهم »[1].

وقد نسب الشيعة إلى علي زورًا وبهتانًا أنه قال: « إنّ الناس كلهم ارتدّوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير أربعة[2] »[3].

الصورة الثالثة: طعنهم في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ووصفهم بالنفاق والكفر، ولعن مَن يشك في كُفره، يقول المجلسي: « لا مجال لعاقل أنْ يشُكّ في كفر عمر، فلعنة الله ورسوله عليه، وعلى كلّ مَن اعتبره مسلمًا، وعلى كلّ من يَكُفّ عن لعنه »[4]. ألا فلعنة الله على لاعنه!

الصورة الرابعة: يقول أحد شيوخهم: « إنّ مَن لم يجد في قلبه عداوة لعثمان، ولم يستحلّ عِرضَه، ولم يعتقد كُفرَه فهو عدوّ لله ورسوله، كافرٌ بِما أنزَل الله »[5]. والمعلوم أنّ الكافر لا يدخل الجنة،وعثمان بُشّر بِها في غير ما حديث[6].وتقدم شيء منها.

---

1 (?) إحقاق الحق، ص316، بواسطة: أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب.

2 (?) وللوقوف على روايات أخرى مشابهة من كتبهم في دعوى ارتدادهم بعد وفاته، والرد عليهم، انظر ص14-18.

3 (?) تفسير الصافي، للكاشاني (ج1/ 148، و305) وتفسير العياشي، (1/ 199) وبحار الأنوار، (ج6/ 749) وروضة الكافي، ص115 .

4 (?) جلاء العيون للمجلسي، ص47، بواسطة: أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب.

5 (?) نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت، للكركي ، ق57/ أ ، بواسطة: أوجز الخطاب في بيان موقف..

6 (?) انظر: نقض كلامهم، أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب، ص91-92 .

والموسوم بـ(نعمة الله الجزائري) الشيعي يقول: « عثمان كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله ممن أظهر الإسلام، وأبطن النفاق »[1].

الصورة الخامسة: من ذلك قولهم: الإلَهُ الذي خليفة رسوله أبو بكر.. إلخ. وسيأتِي.

ويقول الفيلسوف الخميني: « نحن نعبُد إلَهًا نعرِف أنّ أعمالَه ترتكز على أساس العقل، ولا يعمَل عملا يخالف العقل، لا إلَهًا يبْنِي بناءً شامخًا من التألُّه والعدالة والتديّن، ثم يُخرِّبُه بيده، ويُعطِي الإمارة ليَزيد ومعاوية وعثمان، وأمثالهم مِن المهاجرين، ولا يُحدّد المطلوب من الناس بعد النبي إلى الأبد، حتى لا يساعد في تأسيس الظلم والجور »[2].

الصورة السادسة: تكفير الرافضة بعضَ العشرة المبشَّرين بالجنّة، ومعاويةَ وعمرَو بن العاص وأبا موسى : ومِن نصوصهم في ذلك: ما نسبوه زورًا إلى علي بن أبي طالب « ألا إنّ أئمة الكفر في الإسلام خمسة: طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري »[3].

هذا، وقد لخّص صاحب (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) موقف الرافضة الاثني عشرية من الصحابة فقال: « **تكفير الصحابة:** كُتُب الشيعة تُكفِّر عامة الصحابة كافة، لم ينجُ من التكفير سِوى قليل منهم لا تزيد عِدّتهم على سبعة. وللشيعة الإمامية في تكفير الأول والثاني أبي بكر وعمر صراحة شديدة، ومجازفة طاغية. في كُتُب الشيعة عن الباقر والصادق: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزكّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: **1/** مَن ادّعى إمامة ليست له. **2/** مَن جحَد إمامًا مِن عند الله. **3/** مَن زعَم أنّ أبا بكر وعمر لهما نصيبٌ في الإسلام. في المجلد الثاني من الوافي .. كلمات لا يَقبَلُها الأدب: الأول والثاني أبو بكر وعمر في كُتُب الشيعة رجسان ملعونان، هما

---

[1] الأنوار النعمانية، للجزائري، (ج1/ 81).

[2] كشف الأسرار، ص116-117 .

[3] الشافي في الإمامة للمرتضى، ص287 .

الجبت والطاغوت، وهما فرعون هذه الأمة وهامانها، هما أشد أهل النفاق نفاقًا وعداءً للنبي، وضررًا للإسلام. في كُتُب الشيعة إنّ أبا بكر أبو كُلّ الشرور لم يُسمّ صِدّيقًا إلا بعد أنْ رأى في الغار معجزات أدهَشَتْه وحيَّرَتْه، فأَضْمَر في قلبه: الآن صدّقْتُ يا محمد إنّك ساحرٌ عظيم.

اللعنات على العصر الأول: في كُتُب الشيعة؛ في الكافي، والتهذيب، والوافي لعناتٌ على أبِي بكر وعمر، وعائشة وحفصة، وعلى العامة وهم كُلّ الأمة، بعبارات ثقيلة شنيعة، وللشيعة في اللعن على الصحابة وعلى الأمة أدعية مأثورة؛ في الوافي في كتابه الثامن وفي غيره كلامٌ طويلٌ ثقيلٌ يَدُلّ على أنّ دأب الشيعة في الكُتُب والكلام والمجالس الانبساط في اللعنات »[1]. ثم أخذَ يسْرُد هذه اللعنات من هذه الكتب.

المسألة الخامسة: طعن فرقة النُّصَيريّة في أصحاب رسول الله و**:**

أما **طعن النُّصَيرِيّة الاثني عشرية الباطنيّة في الصــحابة** فمنه زعمهم أنّ الجهــاد يعــني صَــبّ الشـــتائم على أبِي بكر وعمر وعثمـــان وغـــيرهم ، كما يعتقـــدون رجعة طائفة من الصـــحابة قبل يـــوم القيامة للاقتصـــاص منهم. على ما وثقه العلمـــاء والبـــاحثون من كُتُبهم[2].

المسألة السادسة: طعن فرقة الإسماعيلية في أصحاب رسول الله و [3]**:**

فالإسماعيلية مثلهم مثل إخوتهم الرافضة الاثـني عشـــرية وغـــيرهم في الطعن في الصـــحابة وســـبهم، وخصوصًا الخلفاء الثلاثة، أبا بكر وعمر وعثمـان ، فها هو أحد بُناة المذهب ومؤسسِيه يُفسّـر (الـرفث، والفسـوق،

---

[1] (?) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، تأليف موسى جار الله، ص109-110، وانظر الروايات في: ص110-111.

[2] (?) انظر: موقف النّصيرية من صحابة رسول الله ، من كتاب: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، ص153.

[3] (?) للمزيد طالع: دراسات منهجية لبعض عقائد الرافضة والباطنية، للشيخ الدكتور عبد القادر محمد عطا، وكتاب أصول الإسماعيلية، (ج 1/ ص149-163) تحت عنوان: الوقيعة في الصحابة رضوان الله عليهم وسبهم.

والجدال)، الـذي في سـورة البقـرة بأنّه هو أبو بكر وعمر وعثمــان، والعيــاذ باللــه- فيقــول: « وقد بيّنا الــرفث، والفسوق، والجـدال، وهم أيضًـا في البـاطن مـذمومون –لعنهم الله- وهم: أبو بكر، وعمـر، وعثمـان؛ فـإنّهم طعنـوا على الحجة –- ومنَعـوا حقه في الظـاهر، وأخــذوا فـدَكًا منــه، ومن زوجته فاطمة بنت رســول الله –صــلى الله عليهم أجمعين-، والحجة رســول الله –صــلى الله عليــه- وهو عليّ بن أبي طالب، فادعى على مقامه، وأخذ ميراث زوجته في الظـــاهر، وفي البـــاطن أنه رفث بخروجه عن طاعتــه، وكفــره بمقامــه، واتباعه أمر عمر وهو شــيطان زمانه، الفاسق عن أمر ربه »[1].

وقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير بعض الروايات التي يصف هذا الملحد عمر الخطاب بالشيطان. وأخرى فيها أنّ قائمهم إذا جاء يهدم قبر الصاحِبَين رضي الله عنهما، حتى لا يبقى شيءٌ من أمورهم إلا ويصير مكشوفًا –على زعمهم ....[2].

ويكفّر المؤسس الآخر للمذهب الإسلامي في أرجوزته، أبا بكر فيقول:

كفَر أبو بكر بنصبه عمر وكفره لما أتى عنه الخبر[3].

وقد أشار الشيخ الدكتور عبد القادر محمد عطا –حفظه الله- إلى نصوص الإسماعيلية الأخرى في إطلاقهم إبليس وفرعـون، وهامـان، والطـاغوت، وهُبَل على أفضل

---

[1] (?) هو جعفر منصور اليمن في كتابه: كتاب الكشف، ص125، بواسطة الإسماعيلية للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص692، وانظر: الشيخ إحسان إلهي ظهير جهوده ومنهجه في تقرير العقيدة، ص369.

[2] (?) انظر: الإسماعيلية، 693 .

[3] (?) وهو القاضي النعمان، في الأرجوزة المختارة، ص99، بواسطة: رسالة الشيخ إحسان، منهجه وجهوده في تقرير العقيدة ص370. وهذا **القاضي أبو حنيفة النعمان بن منصور بن أحمد المغربي**، والمسمى بالقاضي النعمان، من تعاليمه: اعتقاده بتحريف القرآن الكريم، وتكفير الصحابة، كما في المتن، ويعتقد بنسخ شريعة محمد بمجيء القائم، وكان يقول مغاليا في الأئمة: « ينبغي لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف ربه، ويتقيهم كما يتقي الله » وغير ذلك، (انظر ترجمته المستفيضة، الإسماعيلية، ص676-687، والشيخ إحسان، منهجه وجهوده في تقرير العقيدة ص369) .

الصحابة العشـرة المبشَّـرين بالجنة عـدا عَلِيٍّ ، وأنّهم لم يَكتفُوا بـذلك حـتى زعمُـوا ارتـدادهم بعد وفـاة الرسـول بسـبب تـركهم مبايعة عليّ ، كما اعتقـدوا فسـاد خلافة الثلاثة قبلـه، وأنّهم طـواغيت بسـبب تـوثّبهم على مرتبة الإمام عليّ[1].

المسألة السابعة: طعن الدروز في أصحاب رسول الله و:

أما **الدروز الباطنية الإسماعيلية الأخرى** فلا يختلف موقفهم من طعن الصحابة عن باقي فِرق الرافضة؛ حيث يَسبُّون الصحابة سَبًّا فاحشًا، وشتائم قبيحة، وخصوصًا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فيَصفونهما بأنّهما: الفحشاء والمنكر اللذين نُهِينَا عنهما. ولا يَكتفون بسبّ الشيخين فحسب، بل يَسُبّون بقية الصحابة [2].

المسألة الثامنة: طعن أصحاب أبي كامل في أصحاب رسول الله و:

ثم أختم المطلب بذكر موقف الفرقة الكاملية من الصحابة : وهو الطعن في الصـحابة عمومًـا، ثم في عَلِيٍّ خصوصًا، بزعم أنـه سـلّم الأمـر، وقـد لخص الموقـف أبـو محمد، المعروف بابن حزم –رحمه الله- عندما أخـذ يـذكرُ شِنَع الشـيعة، فقـال: « ومنهم: أصـحاب أبِي كامـل، ومن قولهم: إنّ جميع الصـحابة كفـروا بعد مـوت النـبي ؛ إذ جحدوا إمامة علي، وإنّ عليًّا كَفَـر؛ إذْ سـلّم الأمر إلى أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان. ثم قال جمهـورهم: إنّ عليًّا ومَن اتبعه رجعـــوا إلى الإســـلام؛ إذْ دعا إلى نفسه بعد قتل عثمان، وإذ كشف وجْهَه، وسَلّ سـيفه، وأنّه وإيّـاهم كـانوا قبل ذلك مرتدين عن الإسلام؛ كُفارًا مشركين. ومنهم مَن

---

1 (?) انظر: موقف الإسماعيلية من صحابة رسول الله ، من كتاب: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، ص126-127.

2 (?) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب، ص304-305، وموقف الدروز من صحابة رسول الله ، من كتاب: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، ص182-183.

يَــرُدّ الــذنب في ذلك إلى النــبي ، إذْ لم يُبَيّن الأمر بيانًا رافعًا للأشكال.. وكلّ هذا كفرٌ صريحٌ لا خفاء به »[1].

فثبت بكُلّ ما تقدم أنّ كلّ هذه الفرق رافضة، وكما في التعريف بهم. ثم إنّ الذي ذُكر في المطلب دليلٌ على رافضيتهم. والله تعالى أعلم.

** * **

المطلب الثالث: تكفير الرّافضة وعداوتُهم لأمته عليه الصلاة والسلام:

عداوة الرافضة –بجميع فِرَقها- للأمة المحمدية وبغضهم وعدم محبتهم وولايتهم، والاعتداء عليهم وظلمهم، والوقوف مع أعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى والمشركين في العمل والقتال، وكونهم ضدهم بل وجمعهم عليهم قديمًا وحديثًا بيّن ظاهرٌ، وشُغلٌ كانوا ويكونون عليه دائمًا.

وقد تقدم ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في عداواتهم للأمة المسلمة، والواقع المعاصر يشهد لذلك[2].

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ 101-102).

[2] من النماذج الواضحة على **عداوة الرافضة للأمة الإسلامية** ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: حيث قال: « دَعْ ما يُسمع وينقل عمن خلا، فلينظر كلُّ عاقل فيما يحدث في زمانه وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام؛ فإنه يَجدْ معظمَ ذلك من قِبَل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا، وأنهم لا يقعدون عما يُمكنهم من الفتن والشر وإيقاع الفساد بين الأمة. ونحن نعرف -بالعيان والتواتر العام وما كان في زماننا- من حين خرج جنكزخان ملك الترك الكفار، وما جرى في الإسلام من الشر؛ فلا يشك عاقل أن استيلاء الكفار المشركين الذين لا يقرون بالشهادتين ولا بغيرها من المباني الخمس، ولا يصومون شهر رمضان، ولا يحجون البيت العتيق، ولا يؤمنون بالله ولا بملائكته ولا بكتبه ورسله واليوم الآخر ... إلى أنْ قال:- **ثم مع هذا**: الرافضة يعاونون أولئك الكفار وينصرونهم على المسلمين، كما قد شاهده الناس لما دخل هولاكو؛ ملك الكفار التركِ الشامَ سنة ثمان وخمسين وستمائة؛ فإنّ الرافضة الذين كانوا بالشام؛ بالمدائن والعواصم من أهل حَلَب وما حولها، ومن أهل دمشق وما حولها، وغيرهم كانوا من أعظم الناس أنصارًا وأعوانًا على إقامة مُلكه، وتنفيذ أمره، في زوال ملك

فـ« الرافضة أسوأ أثرًا في الإسلام من أهل الكفر من أهل الحرب »[1].

كما أنّ تكفيرـ الرافضة لأمة محمد امتدادٌ لتكفير الصحابة. والسبب كذلك واحد، وقد تقدم -في المطلبَين قبل هذا- ذكرُ جفاء الرافضة أصحابَ النبي وأزواجه بطعنهم إيّاهم بأبشع أنواع الطعونات؛ حيث فسّقوهم بل وكفّروهم، وعادوهم وتبرؤوا منهم، ولعنوهم، ورموهم

المسلمين.

وهكذا يعرف الناس عامة وخاصة ما كان بالعراق؛ لما قدم هولاكو إلى العراق، وقتل الخليفة، وسفك فيها من الدماء ما لا يحصيه إلا الله؛ فكان وزير الخليفة؛ ابنُ العلقمي والرافضةُ هم بطانتُه الذين أعانوه على ذلك بأنواع كثيرة باطنة وظاهرة، يطول وصفها. وهكذا ذكر أنهم كانوا مع جنكزخان؛ وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها إذا اقتتل المسلمون والنصارى: هواهم مع النصارى ينصرونَهم بحسب الإمكان. ويكرهون فتح مدائنهم، كما كرهوا فتح عكا وغيرها، ويختارون إدالتهم على المسلمين، حتى أنهم لما انكسر عسكر المسلمين سنة غازان، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وخلَت الشام من جيش المسلمين، عاثوا في البلاد وسعوا في أنواع من الفساد؛ من القتل، وأخذ الأموال، وحمل راية الصليب، وتفضيل النصارى على المسلمين، وحمل السبي، والأموال، والسلاح من المسلمين إلى النصارى؛ أهل الحرب بقبرس وغيرها.

فهذا وأمثاله قد عاينه الناس، وتواتر عند من لم يعاينه، ولو ذكرت أنا ما سمعتُه ورأيتُه من آثار ذلك لطال الكتاب. وعند غيري مِن أخبار ذلك وتفاصيله ما لا أعلمه. فهذا أمر مشهودٌ؛ من معاونتهم للكفار على المسلمين، ومن اختيارهم لظهور الكفر وأهله على الإسلام وأهله.

ولو قدر أن المسلمين ظلمة فسقه ومظهرون لأنواع من البدع .. لكان العاقل ينظر في خير الخيرين، وشر الشرين؛ ألا ترى أن أهل السنة وإن كانوا يقولون في الخوارج والروافض وغيرهما من أهل البدع ما يقولون، لكن لا يعاونون الكفار على دينهم، ولا يختارون ظهور الكفر وأهله على ظهور بدعة دون ذلك. والرافضة إذا تمكنوا لا يتقون، وانظر ما حصل لهم في دولة السلطان خدابندا الذي صنف له هذا الكتاب: كيف ظهر فيهم من الشر الذي لو دام وقوي أبطلوا به عامة شرائع الإسلام ». (قاله في كتابه منهاج السنة، ج7/ص372-376).

ولقد قال قبله: « أصل كل فتنة وبليه هم الشيعة ومن انضوى إليهم وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كانت من جهتهم وعلم أن أصلهم ومادتهم منافقون اختلقوا أكاذيب وابتدعوا آراء فاسدة ليفسدوا بها دين الإسلام ويستزلوا بها من ليس من أولى الأحلام فسعوا في قتل عثمان وهو أول الفتن ثم انزووا إلا على لا حبا فيه ولا في أهل البيت لكن ليقيموا سوق الفتنة بين المسلمين ثم هؤلاء الذين سعوا معه منهم من كفره بعد ذلك وقاتله كما فعلت الخوارج وسيفهم أول سيف سل على

بالفظائع، .. فتقدم صُوَر متعددة من مواقفهم الْمُخزية السلبية منهم، وذلك إثباتًا لمسألة الإمامة والولاية بكلّ وسيلة، .. وأقول هنا في مطلع هذا المطلب الذي خصصتُه لبيان موقف الرافضة التكفيري والعدائي من بقية الأمة المحمدية السالكة ما كان عليه الرسول وأصحابُه ، بل وغيرها مِن فِرَق الأمة التي لم تكن على منهج الرافضة، وأمصارهم، ، أقول: إنّ مَن وقف على مواقف الرافضة تجاه أولئك العظماء الذين ما كان على وجه الأرض جيل مثلهم عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .. لا يَستغْرِب –أبدًا- ما سأورده هنا من مواقفهم تجاه أمة محمدٍ ؛ سلَفِهم وخلَفِهم، وخصوصًا العلماء منهم، الذين قاموا برد قبائح الرافضة، وملأوا المكتبة الإسلامية بما كتبوه انتصارًا للعقيدة الْحَقّة التي تناقض معتقد الرافضة؛ فقد سلق الرافضة هؤلاء الأئمة والعلماء سّبًّا وطعنًا، وسأخُصّ بالذكر مواقفهم تجاه الأئمة الأربعة ومَن على شاكلتهم الذين ذاع صيتهم في الدنيا؛ انتصارًا للمنهج الْمحمدي، فمَا رسالة: موقف الأئمة الأربعة وأعلام مذاهبهم من الرافضة، وموقف الرافضة منهم .. إلا دليلٌ على هذا.

فالطبقة التي يطعن فيها الإمامية الاثنا عشرية من هذه الأمة بعد الصحابة الكرام هم الأئمة الأربعة –رحمهم الله- ونُظراؤهم كما أشَرتُ سابقًا؛ فقد سوّدوا -بِموقفهم العدائي- كتبهم الجمة، من هؤلاء الأعلام، وهذا

الجماعة ومنهم من أظهر الطعن على الخلفاء الثلاثة كما فعلت الرافضة وبهم تسترت الزنادقة كالغالية من النصيرية وغيرهم ومن القرامطة الباطنية والإسماعيلية وغيرهم فهم منشأ كل فتنة والصحابة رضي الله عنهم منشأ كل علم وصلاح وهدى ورحمة في الإسلام ولهذا تجد الشيعة ينتصرون لأعداء الإسلام المرتدين كبني حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب ويقولون إنهم كانوا مظلومين كما ذكر صاحب هذا الكتاب وينتصرون لأبي لؤلؤة الكافر المجوسي ومنهم من يقول اللهم أرض عن أبي لؤلؤة واحشرني معه » (منهاج السنة، ج7/ص370).

[1] (?) معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام حرب بن إسماعيل، ص157.

أيضًا مما لا ينبغي أنْ يُستغرب منهم بحال، فقد نصبوا العداء لِمَن هو أفضل منهم[1].

ويحسُنُ أنْ أفرّع هذا المطلب إلى مسألتين؛ هما:

المسألة الأولى: عداوة الرافضة للأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السنة والحديث.

المسألة الثانية: تكفير الرافضة للفرق الإسلامية ودولهم.

المسألة الأولى: عداوة الرافضة للأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السنة والحديث:

ويُكتفى هنا -بعد الإشارة السابقة- بنقلٍ عن شيخ الإسلام –رحمه الله- حيث قال مُلخّصًا المسألة: « وَهَؤُلَاءِ الرَّافِضَةُ إنْ لَمْ يَكُونُوا شَرًّا مِنْ الْخَوَارِجِ المنصوصين فَلَيْسُوا دُونَهُمْ؛ فَإِنَّ أُولَئِكَ إنَّمَا كَفَّرُوا عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَأَتْبَاعَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ فَقَطْ؛ دُونَ مَنْ قَعَدَ عَنْ الْقِتَالِ أَوْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ. وَالرَّافِضَةُ كَفَّرَتْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَامَّةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَفَّرُوا جَمَاهِيرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ والمتأخرين. فَيُكَفِّرُونَ كُلَّ مَنْ اعْتَقَدَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الْعَدَالَةَ، أَوْ تَرَضَّى عَنْهُمْ كَمَا ﷻ، أَوْ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَلِهَذَا يُكَفِّرُونَ أَعْلَامَ الْمِلَّةِ: مِثْلَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَأَبِي مُسْلِمٍ الخولاني، وَأُوَيْسٍ الْقَرْنِيِّ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النخعي، وَمِثْلِ مَالِكٍ، والأوزاعي، وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَالثَّوْرِيِّ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ، وفضيل بْنِ عِيَاضٍ، وَأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني، وَمَعْرُوفٍ الكرخي، والجنيد بْنِ مُحَمَّدٍ، وَسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التستري، وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ. وَيَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ مَنْ خَرَجَ عَنْهُمْ، وَيُسَمُّونَ مَذْهَبَهُمْ مَذْهَبَ الْجُمْهُورِ؛ كَمَا يُسَمِّيهِ الْمُتَفَلْسِفَةُ وَنَحْوُهُمْ بِذَلِكَ، وَكَمَا تُسَمِّيهِ الْمُعْتَزِلَةُ: مَذْهَبَ الْحَشْوِ

[1] (?) انظر: كتاب موقف الشيعة الاثني عشرية من الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ﷺ، لخالد بن أحمد الزهراني، 3-5، وص53 .

وَالْعَامَّةِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ. وَيَرَوْنَ فِي أَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالْمَغْرِبِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ وَسَائِرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ: أَنَّهُ لا يَحِلُّ نِكَاحُ هَؤُلَاءِ، وَلَا ذَبَائِحُهُمْ، وَأَنَّ الْمَائِعَاتِ الَّتِي عِنْدَهُمْ مِنْ الْمِيَاهِ وَالأَدْهَانِ وَغَيْرِهَا نَجِسَةٌ. وَيَرَوْنَ أَنَّ كُفْرَهُمْ أَغْلَظُ مِنْ كُفْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ لِأَنَّ أُولَئِكَ عِنْدَهُمْ كُفَّارٌ أَصْلِيُّونَ، وَهَؤُلاءِ مُرْتَدُّونَ، وَكُفْرُ الرِّدَّةِ أَغْلَظُ بِالإِجْمَاعِ مِنْ الْكُفْرِ الأَصْلِيِّ. وَلِهَذَا السَّبَبِ يُعَاوِنُونَ الْكُفَّارَ عَلَى الْجُمْهُورِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ؛ -إلى أنْ قال-: وَكُلُّ هَذَا الَّذِي وَصَفْتُ؛ بَعْضَ أُمُورِهِمْ، وَإِلا فَالأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالأَحْوَالِ؛ أَنَّ أَعْظَمَ السُّيُوفِ الَّتِي سُلَّتْ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إلَيْهَا، وَأَعْظَمَ الْفَسَادِ الَّذِي جَرَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ: إنَّمَا هُوَ مِنْ الطَّوَائِفِ الْمُنْتَسِبَةِ إلَيْهِمْ. فَهُمْ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَى الدِّينِ وَأَهْلِهِ، وَأَبْعَدُ عَنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ مِنْ الْخَوَارِجِ الحرورية »[1].

وعداوة هؤلاء ظاهرة. وهذا هو حال جميع الفرق الرافضية من الباطنية والملاحدة والاثني عشرية مع الأئمة والعلماء خصوصًا، ورغبة في الاختصار مع الحرص الشديد ليقف القارئ الكريم على نماذج من مواقف هؤلاء الرافضة من الأئمة الأربعة وأعلام مذهبهم بألفاظهم، ومن مصادرهم، والعكس، أُرجِعُه إلى كتاب الدكتور عبد الرزاق ألارو وغيره–حفظهم الله تعالى-[2].

المسألة الثانية: تكفير الرافضة للفرق الإسلامية ودُوَلِهم:

جاء في أوائل المقالات (القول في أصحاب البِدع وما يستحقون عليه من الأسماء والأحكام)، وفيه «

---

1 (?) مجموع الفتاوى، (ج28/ 477-479).

2 (?) انظر: موقف الأئمة الأربعة وأعلام مذهبهم من الرافضة، وموقف الرافضة منهم، (الباب الثانِي: موقف الرافضة من الأئمة الأربعة، -المجلد الثاني كله)، وكتاب موقف الشيعة الاثني عشرية من الأئمة الأربعة أبِي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل . لخالد بن أحمد الزهراني، ص52-110، وموقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين، وكتاب طهارة المسلمين عند الشيعة بين إشراقة الظاهر وبشاعة الباطن، (الكتاب كله)، كلاهما لمؤلفهما عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي.

واتفقت الإماميّة على أنّ أصـحاب البـدع كُلّهم كفّـار، وأنّ على الإمــام أنْ يســتتيبهم عند التمكن بعد الــدعوة لهم، وإقامة البينات عليهم؛ فإنْ تـابوا عن بـدعهم وصـاروا إلى الصـواب، وإلا قتلهم لـردتهم عن الإيمـان، وأنّ من مـات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النـــــــار، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعموا أنّ كثيرًا من أهل البدع فسّاق وليسوا بكفّار »[1].

ثم إنّ فرقة (الأشـاعرة) وهي من أقـرب الفـرق إلى (أهل السنة) قـد نـالهم طعن متـأخري الرافضـة –معتزلـة المنهج الـذين ينفـون عن اللـه الصـفات[2]- بـل وكفـروهم بسبب إثباتِهم سبع صـفات للـه -رغم مخالفـة الأشـاعرة لأهل السـنة المحضـة في طريقـة إثبـات هـذه الصـفات-، فكيف بأهل السنة الذين يُثبتون له سبحانه جميع مـا أثبتـه لنفسـه وأثبتـه لـه رسـوله ؟ فهم بطعنهم أولى، جـاء في الأنوار النعمانية: « فالأشاعرة ومتـابعوهم أسـوأ حـالا في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارى، .. ووجهٌ آخر لِهذا، ولا أعلم إلا أنّي رأيتُه في بعض الأخبار، وحاصله: إنّـا لم نجتمــع معهم على إلــه، ولا على نبِيّ، ولا على إمــام، وذلك أنهم يقولون: إنّ ربهم هـو الـذي كـان محمـد صـلى الله عليه وآله وسلم نبيه، وخليفته بعده أبـو بكـر، ونحن لا نقول بِهذا الرب، ولا بذلك النبِيّ، بل نقول: إنّ الربّ الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبِيّ نبيّنا »[3].

ولخّص صاحب كتاب (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) موقف الرافضة الاثني عشرية في الفرق الإسلامية، ورأيهم في الدول الإسلامية، فقال في الثاني: « **رأيُ كُتُب الشيعة في الدّول الإسلامية:** حُكومات الدّول الإسلامية، وقُضاتُها، وكُلّ عُلمائها: عند الشيعة طواغيت، ومَن تحاكَم إلى الطاغوت وحَكَم له الطاغوت؛

---

[1] أوائل المقالات في المذاهب المختارات للمفيد، ص54-55.

[2] اعتماد متأخري الرافضة في النظر والعقليات (مسائل الصفات والقدر) كان على كتب المعتزلة (انظر: منهاج السنة، ج1/ص70).

[3] الأنوار النعمانية، لنعمة الله الجزائري (1112هـ) (ج2/278)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، وانظر: الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي، ص127.

فإنْ أخذَه فإنّما يأخُذُ سُحتًا؛ وإنْ كان حقه في الواقع ثابتًا له؛ لأنه يأخُذُ بِحُكم الطاغوت، وقد أُمِرُوا أنْ يكفرُوا به، ويَحرُمُ على الشيعة أنْ تتحاكم إلى الطاغوت، وكلُّ راية تُرفع قبل قيام القائم فصاحبُها طاغوتٌ يُعبَد من دون الله »[1]. وأما عن رأيهم في الفرق الإسلامية فقال: « **رأي كُتُب الشيعة في الفِرَق الإسلامية:** صرّحَتْ كُتُبُ الشيعة أنّ كُلّ الفرق الإسلامية كافرةٌ ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة، والمخالف مطلقًا شَرٌّ من الكفار، وصرّحت كتُب الشيعة أنّ دم الناصب وماله حلالٌ إلا امرأته؛ لأنّ نكاح أهل الشرك جائزٌ. و(الناصب) على حسَب بيان كُتُب الشيعة مَن يُقدّم الأول والثاني أي: أبا بكر وعمر- على عليٍّ. أو يَعتقد إمامة الأول والثاني. تقول كُتُب الشيعة: إنّ الله قد نصَبَ عليًّا علَمًا بينه وبين خلقه؛ مَن أنكرَه فهو كافرٌ، ومَن أشرَكَ معه آخَر فهو مشركٌ، وإنْ المخالف في الإمامة لا إيمان له، هو للنار وإلى النار. والمخالف في الإمامة حُكمُه حُكم المشرك والكافر في جميع الأحكام، لكنّ الله أجْرَى عليهم زمن الهدنة حُكم المسلمين رحمة للشيعة، وإذا ظهَر القائم (قائم آل محمد) أجرَى على المخالف في الإمامة حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام؛ يقول الإمام الباقر والصادق: لولا أنّا نخاف عليكم أنْ يقتل رجلٌ منكم برجل منهم، والرجل منكم خير من مائة ألف رجل منهم لأمرناكم بقتل كلهم. يقول الإمام الصادق في أئمة المذاهب الأربعة من هذه الأمة: لا تأتِهم! ولا تسمعْ منهم! لعنَهم الله ولعَن مِلَلَهم المشركة. وفي التهذيب كان الصادق يقول: خذ مال الناصب حيثما وجدتُه، وادفع إلينا الخمس »[2].

لِما تقدم: فقد كان في بالِي: أن أقوم بنقل نصوص الرافضة، وخاصة الاثني عشرية من كُتُبِهم في تكفيرهم لخلفاء المسلمين وحكوماتهم –بعدما تقدم مِن تكفير الخلفاء الراشدين، وبيان بطلان حكوماتهم- وأنّ

---

[1] الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، تأليف موسى جار الله، ص112-113.

[2] المصدر نفسه، ص113-114.

الحكومات باطلة، وأصحابها ظلمة وطواغيت تُعبَد من دون الله، كما أنّ الذي يُبايعهم إنّما يعبُد غير الله، وأنّ هذا هو حكم مَن أنكر إمامة أحد الأئمة الاثني عشر. كما أنّ الأمصار الإسلامية –مِن جانب- دارُ كُفر لهذا السبب، ولِهذا صرّحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، بل وأنّها في هذا العصر يحكمها شرذمة أشرّ من اليهود، وأنّ أهل مصر ملعونون، وهكذا غيرُها. وقضاة المسلمين طواغيت؛ لارتباطهم بالإمامة الباطلة. وأنّ أئمة المسلمين وعلماءهم كملل أهل الشرك. وأنّ الفِرَق الإسلامية بكل اتجاهاتها، كالمرجئة والقدرية والحرورية والأشاعرة كافرةٌ مشركة لا تعبُد الله على شيء، وأنّه حتى (فرقة الزيدية) لم تسلم من تكفيرهم؛ فهم لِمجرد محبتهم أبا بكر وعمر كفار، وهكذا غيرهم. كما أنّ الأمة كُلّها لِمخالفتها لِمنهجهم ملعونةٌ وأولاد زنا، وقردةٌ وكلاب وخنازير، إلى غير ذلك. قد كُنتُ أَرَدتُ أنْ أنقُل نصوصهم المؤكّدة لذلك لِمقام لفظة (تكفير أمة النبِيّ) التي قُلتُها في عُنوان المطلب، وأنّ المذكورين كُلّهم داخلون فيها (الأمة)، لكن أعرَضْت عن ذلك اختصارًا. لكني رأيتُ أنْ أدُلّ القارئ الكريم إلى مرجع أصيل؛ حيث نقَل هذه النصوصَ وغيرَها موثقةً مِن كُتُبهم؛ لأنّ في الإشارة الكفاية، ألا وهو: كتاب أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية في فصل الإمامة، عند قوله: (حكم مَن أنكر إمامة أحد الاثني عشر)[1].

وأخيرًا أقول: للرافضة الاثني عشرية طُرُق عدة لتكفير أمة محمد ، منها: دعوى نجاستهم، وقد نقل صاحب كتاب موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين نقولات كثيرة من كتب الفقه الإمامية الجعفرية الدالة على دعوى نجاسة (غير الشيعة الإمامية)؛ من أهل السنة وغيرهم –ومعلوم أنّ المشركين نجس-.

فثبَت بِما تقدم أنّ موقف الرافضة التكفيري والعدائي لم يقتصر على عدوّهم اللدود (أهل السنة

---

[1] (?) نقل عن الاثني عشرية الدكتور ناصر القفاري تكفير الأصناف المتقدمة في 50صفحة (انظر: ج2/866-913).

والجماعة؛ أئمة وعامةً) بل تعدى إلى باقِي فِرَق المسلمين؛ وأمصارهم. ورواياتُهم وفتاواهم الكثيرة تكشف هذا الجانب، والسبب في تكفيرهم هو عدم إيمانهم بالولاية المدعاة المفتراة لأئمتهم الاثني عشر الكامنة في زعم النص من رسول الله على ذلك، ودعوى عصمتهم[1]. وهذا كُلّه من الجفاء لصاحب الرسالة الذي نَهى عن تكفير المسلمين، وذكَر أنّ الكلمة إذا خرجت؛ إنْ كان الْمُكفَّر على الكفر حقيقة، وإلا رجَعَت إلى الْمُكفِّرين. وهنا لم تكن هذه الدول ولا هذه الفرق (ولا أمته) مستحقة للتكفير! والله المستعان!!

** * **

---

[1] انظر: مجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان، ص22-23.

المبحث الرابع: موقف الزيدية مِن مقامَي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ، وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالزيدية.

المطلب الأول: جفـاء الزيدية لمقـام الرسـالة لنبيِّنا محمدٍ .

المطلب الثاني: غلوُّ متأخري الزيدية في مقام العبودية لنبيِّنا محمدٍ .

الشّيعة الزّيدية جُفاةٌ للرّسالة الْمحمدية وشريعته ، كما أنّ المتـأخرين منهم تـأثّروا بالصـوفية والرافضة والباطنية فـدخلهم شـيءٌ من الغلـوّ في مقـام العبوديـة. وسيتضح ذلك بِمَطْلَبَي المبحث ومسائله.

التمهيد: التعريف بالزيدية:

تقدم -في تمهيد المبحث الأول من هـذا الفصـل- التعريف بالرافضة لغة واصطلاحًا، وذُكر هناك أشـهرُ وأهم فِـرَقهم، مع التثنية بأفكارها ومبادئها العامـة، وعقائـدها وأسُسُـها الجامعة الكبـيرة. وأرجعتُ الحـديث عن هـذه الفرقة (الزيدية –أصلِ تسمية الرافضة-) خصوصًا إلى هذا التمهيد –كما في الخطة- لأذْكُر أفكارها الـتي اختلفَت فيها عن الرّافضة؛ فهذا أوان الشروع في التعريف بِها:

كما تقدم ذكر الأئمة الاثني عشر عند التعريف بالرافضة، وأولّ هؤلاء الأئمة عندهم: عليّ بن أبي طالب، وابناه: الحسن، ثم الحسين ، والرابع علي بن الحسين (الملقب بزين العابدين السجاد). وغير الكيسانية الذين قالوا بإمامة عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب هذا من الإمامية اختلفوا بعد مقتله؛ فمنهم مَن قال بإمامة أخيه زيد، وهؤلاء هم الذين سُمّوا بالزيدية فيما بعد. وآخَرون قالوا بإمامة ولده محمد (الملقب بالباقر)، وهؤلاء انقسموا إلى إسماعيلية وموسوية؛ قال في (فرق الشيعة) -وهو يتكلم عن الزيدية: « وأما الشيعة العلوية الذين قالوا بفرض الإمامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام من الله، ومن رسوله صلى الله عليه وآله؛ فإنّهم

ثبتوا على إمامته، ثم إمامة الحسن من بعده، ثم إمامة الحسين بعد الحسن، ثم افترقوا بعد قتل الحسين عليه السلام فِرَقًا: فنـزلت فرقةٌ إلى القول بإمامة عليّ بن الحسين، .. فلم تزل مقيمةً على إمامته حتى توفي بالمدينة .. فصاروا مع زيد بن عليّ بن الحسين عند خروجِه بالكوفة، فقالوا بإمامته، فسُمّوا كلهم في الجملة: الزيدية .. » [1].

وقال في أوائل المقالات: « وأما الزيدية: فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحسن والحسين، وزيد بن عليّ عليهم السلام، وبإمامة كلّ فاطميّ دعا إلى نفسه، وهو على ظاهر العدالة، ومن أهل العلم والشجاعة، وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد » [2]. هذا الذي جاء في كُتُب الاثني عشرية عن الزيدية، ولا يُخالف ما هو المعتمد عند جمهور الزيدية؛ فقد قرر صاحب كتاب الزيدية –وهو من أعلام القرن الرابع- في الفصل الذي عقَده لبيان (مذاهب الزيدية في أصول الإمامة) بعدما بيّن أنّ الإمامة عندهم لا تُستحق من جهة الإرث، ولا جزاء الأعمال، كما أنّه ليس من صفاتها أن يكون صاحبها مأمون الباطن، ولا النص الجلي على الوجه الذي تذهب إليه الإمامية، بل تُنال عندهم بأحد سببين، فذكر الأول ومفادُه أنّ عليًّا هو صاحب الإمامة الذي أشار إليه النبِيّ بِما يُسمى النص الخفي؛ فقصّرت الأمة –الصحابة خصوصًا على زعمه- عن تنزيله في محله. وهذا غير سائغ، ولأهل السنة عليه ملاحظة؛ حيث إنّ هذه النصوص الخفيّة أشارت إلى أبي بكر ، وأنّه به أدلّ؛ فأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر[3]؛ فالصحابة لم تُقصّر في وضع النصوص موضعها. وأما الثاني: فهو أنْ يقوم بالدعوة إلى نفسه والنهوض بالأمر، إلى أنْ قال: « وأول مَن جمع صفات الإمامة واستوفى شرائطها، وقرن الدعوة إليها

1 (?) فرق الشيعة للنوبختي، ص53-55.
2 (?) قاله المفيد في أوائل المقالات في المذاهب المختارات، ص46.
3 (?) انظر هذه النصوص وبيان دلالتها على أبي بكر : منهاج السنة النبوية، (ج1/486-494، وما بعده).

بعد الحسن والحسين عليهما السلام هو أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، ثم ابنه يحيى بن زيد عليه السلام، ثم مَن سلك طريقتهما وسار سيرتهما وأقام الدعوة، ونهض بالأمر، وتجرد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومباينة الظالمين، مع اجتماع الأوصاف فيه، من ولد الحسن والحسين عليهم السلام »[1]. وقد فاته أو سقط ذكر علي بن الحسين.

ففي هذا أنّهم لا يقولون بالنصّ الجليّ؛ فخالفوا بذلك الاثني عشرية[2]، كما أنّهم باشتراطهم أنْ يكون الإمام فاطميًّا خالفوا الكيسانية الذين يقولون بأعم من الفاطمية؛ بل بالعلويّة؛ سواء منها أو من غيرها.

وأما الأوصاف التي أشار إليها بقوله (مع اجتماع الأوصاف فيه) فسيأتي ذكرها لاحقًا.

وقبله ولتوضيح بعض الجوانب فيما يتعلق بِهذه الفرقة أسوق قول أبي الحسن الأشعري: « وإنما سُمّوا زيدية لتمسكهم بقول زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان زيدُ بن عليّ بويع له بالكوفة في أيام هشام بن عبد الملك، وكان أمير الكوفة يوسف بن عمر الثقفي. وكان زيد بن عليّ يُفضّل عليّ بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله، ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين بايعوه سَمِع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر؛ فأنكر ذلك على مَن سمعه منه؛ فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم: (رفضتموني) فيقال: إنّهم سُموا الرافضة لقول زيد لهم: رفضتموني. وبقي في شرذمة، فقاتل يوسف بن عمر فقُتِل ودُفن ليلا »[3].

وفي القصة أنّ الرافضة الكوفية غدروا بالإمام زيد كما غدروا بالحسن وبالحسين قبله.

---

[1] الزيدية للصاحب بن عباد، ص160.

[2] انظر: الزيدية للصاحب بن عباد، ص159.

[3] مقالات الإسلاميين للأشعري، (ج1/ 136-137).

وفيها أيضًا ذكر السبب الراجح في تسمية الفرقة المشهورة بالخشبية بـ(الرافضة)، وقد أشرتُ أول هذا الفصل إلى أنه سيأتي ذكر السبب.

فالزيدية: فرقةٌ إسلامية شيعية تقول بأفضلية علِيّ على الشيخين، وتقول بأنّ أدلة تعيين الإمام بعد الرسول اقتضت تعيين علِيٍّ بالوصف لا بالشخص، وأنّ الناس قصّرَت في وضع الوصف موضعه. ولا يتبرءون من الشيخين ولا يغمصون إمامتهما وإنْ كان عليٌّ –على زعمهم- هو صاحب الخلافة المشار إليه، وتقول بإمامة المفضول مع وجود الأفضل[1]، فهم « لا يتبرؤون من الشيخين ولا يَغْمِصُون في إمامتهما، مع قولهم بأنَّ عَلِيًّا أفضل منهما، لكنّهم يُجَوِّزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل. ثم اختلفت نُقُولُ هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي: فمِنهم: مَن سَاقَها في ولَدِ فاطمة بالنَّصّ عليهم واحدًا بعد واحدٍ ..، وهؤلاء يُسَمّون الإمامية؛ نسبةً إلى مقالتهم باشتراط معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان، وهي أصلٌ عندهم. ومنهم مَن ساقها في ولَد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ، ويُشْتَرط أنْ يكون الإمام منهم عالِمًا، زاهدًا، جوادًا، شُجاعًا، داعيًا إلى إمامته، وهؤلاء هم الزّيدية؛ نسبة إلى صاحب المذهب، وهو زيد بن علي بن الحسين السبط، وقد كان يناظر أخاه مُحَمّدًا الباقر على اشتراط الخروج في الإمام، فيُلزِمه الباقر أنْ لا يكون أبوهما زين العابدين إمامًا؛ لأنّه لَم يَخرُج ولا تَعَرّض للخُرُوج. وكان مع ذلك يَنْعَى عَليه مذاهِب المُعتزلة، وأخذَه إياها عن واصلِ بن عطاء. ولَمّا ناظر الإمامية زيدًا في إمامة الشيخين ورأوه يقول بإمامتهما، ولا يتبرأ منهما، رفضوه: ولم يجعلوه من الأئمة، وبذلك سُمّوا رافضة » [2].

وقال أيضًا: « **وأما الزيدية** فساقوا الإمامة -على مذهبهم فيها، وأنّها باختيار أهلِ الْحَلّ والعَقْد، لا بالنص-

---

[1] (?) انظر: دراسات في الفرق، د. صابر طعيمة، ص32.

[2] (?) قاله ابن خلدون في مقدمة تاريخه، (في الفصل 27: في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة)،ص211 .

فقالوا بإمامة عليٍّ، ثم ابنه الحسن، ثم أخيه الحسـين، ثم ابنه علي زين العابـدين، ثم ابنه زيد بن علي، وهو صـاحب هـذا المـذهب. وخـرج بالكوفة داعيًا إلى الإمامـة، فقُتِل وصُلِب بالكُنَاسَة. وقال الزيدية بإمامة ابنه يحيَى مِن بعده، فمضى إلى خراسان وقتل بالجوزجـان، بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط، ويقال له النفس الزكية، ... »[1].

ولِكُل ما تقدم جاء في تاريخ المذاهب الإسلامية: « والزيدية لا يؤمنون بأنّ الإمـام الـذي أوصى به النـبيّ قد عيّنه بالاسم والشخص، بل عرّفه بالوصف، وإنّ الأوصـاف التي عرفت تجعل الإمـام عليًّا هو الإمـام من بعـده؛ لأنّ هـذه الأوصـاف لم تتحقق في أحد بمقـدار تحققها فيـه. وهذه الأوصاف توجب أن يكـون هاشـميًّا، ورعًا تقيًّا، عالِمًا سخيًّا، يخرج داعيًا لنفسه. ومن بعد علي يشترط أنْ يكون فاطميًّا؛ أي: من ذرية السـيدة فاطمة رضي الله تعـالى عنها »[2]. والحقيقة أنّ الصـفات الـتي ذكرها زيـدٌ للإمـام ليست هي الصفات الواجب توفرها لصحة الإمامـة، وعلى هذا الأصل أقرّ الإمام زيد إمامة الشيخين أبي بكر وعمـر، ولم يُكفّر أحدًا من الصحابة[3]. بل تلك الصفات عنـده هي صفات الإمام الأمثل الأكمل.

وأما مَن هو الإمام زَيدٌ (رأس الزيدية)؟

فهو زيد بن علي (الملقب بزَين العابدين السجاد)، بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشِمي العلوي المدني، أخو أبي جعفر البـاقر، وعبد اللـه، وعمـر، وعلي، وحسـين. وأمه أم ولـد. قد روى عن أبيه زين العابدين، وأخيه الباقر، وعروة بنِ الزُّبَيْر[4]. وأخـذَ عنه ابنُ أخيه جعفـرُ بن محمـد، وشـعبة، وفضـيل بن مـرزوق،

---

[1] (?) قاله ابن خلدون في مقدمة تاريخه،ص213، وانظر ما بعده.

[2] (?) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص43.

[3] (?) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص44.

[4] (?) انظر طائفة من شيوخه أيضًا: الزيدية بين الإمامية وأهل السنة ص159-164.

والمطلب بن زيـاد، وسـعيد بن خـثيم، وابن أبي الزنـاد[1]. وكان ذا علم وجلالة وصلاح.

وفَدَ على مُتولِّي العراق يوسف بن عمر يومًا كما قال الذهبي –رحمه الله-، فأحسن جائزتـه، ثم رده، فأتـاه قوم من الكوفة، فقالوا: ارجع نبايعك، فما يوسف بشـيء، فأصغى إليهم وعسكر، فبرز لحربه عسـكر يوسـف، فقتل في المعركـة، ثم صـلب أربع سـنين. وهـذا معـنى قـول الـذهبِي: (هَفَـا، وخــرج، فاستشـهد). وحكى قصة مجيء الرافضة له، ومفادُها أنّه جاءت الرافضة زَيْدًا، فقالوا: تَبَرّأْ مِن أبِي بكر وعمر حتى ننصرك، قال: بل أتولاهما. قــالوا: إذا نرفضــك، فمِنْ ثَمّ قيل لهم: الرافضــة. وأما الزيديــة، فقالوا بقولـه، وحـاربوا معـه. قيل عنه أنه قـال: الرافضـةُ حِزْبُنا مَرَقوا علينا.

حكَى أحدٌ دخوله على جعفر الصادق، فقال: دخلت على جعفر الصــادق، وعنــده نــاس من الرافضــة. فقلت: إنّهم يبرؤون مِن عَمّك زيد، فقال: بَرَأ الله مِمن تَبَرّأ منــه؛ كـان –واللــه- أقرأنا لكتــاب اللــه، وأفقهنا في دين اللــه، وأوصلنا للرحم، ما ترَكَنا وفينا مثله.

ومن قوله: (كان أبو بكر إمام الشاكرين)، ثم تلا آية آل عمران. ثم قال: (البراءة مِن أبي بكر هي الـبراءة من علي).

قال الذهبي بعد ذكره قصة، قلتُ: خرَجَ متأولا، وقُتل شــهيدًا، وليته لم يخــرج! وقد عــاش نيِّفًا وأربعين ســنة، وقُتِل يوم ثاني صـفر، سـنة اثنتَين وعشـرين ومائـة-رحمه الله[2].

وهذا الراجح من سنة وفاته، ومما قيل غير ذلك، أنه استشـهد سـنة 118هـ، وقيـل: سـنة 120هـ، وقيل بعـدها بسنة. وقيل: سـنة123هــ. وقد ذكر ثلاثة تعليلات لـترجيح استشهاده سنة: 122هـ صاحب كتاب الزيدية بين الإمامية وأهل السنة[3].

---

[1] (?) انظر طائفة من تلامذته أيضًا: المصدر نفسه، ص164-170.

[2] (?) انظر: سِير أعلام النبلاء، (ج4/ ص563-564).

وأما عن سنة ولادته فمُختلف فيه، قيل سنة 66 أو 67 بالمدينة، وقيل سنة 75هـ، وقيل سنة 78هــ والـرّاجح من سنة ولادته أنّه: 80هــ[1]. وقد لَخّص الحافظ ابن حجر رحمه الله ترجمته في ذَاكـرًا الـرّاجح من ولادته ووفاتــه: «زيد بن علي بن الحســـين بن علي بن أبي طــــالب أبو الحسـين المـدني،ثقـةٌ،من الرابعـة،وهو الـذي يُنسب إليه الزيديــةُ،خــرَج في خلافة هشـــام بن عبد الملـــك، فقُتل بالكوفة،سنة اثنتين وعشرين،وكان مولده سنة ثمانين»[2].

والقصة التي ذُكِرَت هنا مِن طلَب جماعة مِن عسكر زيـدٍ أنْ يتبَـرّأ من الشـيخين[3] –رضي الله عنهما – وذكـرُه أنّه يتولاهما لكونهما وزيرَي جـدّه رسـول الله ، وأنّ علِيًّا كــــــذلك يتولاهما ويُحبُّهمـــــا. وهو ما أطبَق عليه مؤلفو الفِرَق[4].

وهذا السبب الأصح لتسمية تلك الجماعة من جيشه بالرافضـــة، وإنْ كـــانت الجماعة على عقيـــدتها من غمط الشيخين وتكفيرهما قبل الواقعة، كما أنّه قيل بـأنّ سـبب تسميهم بذلك هو رفضهم الدين[5].

وهنا وليتم التعريف بالزيدية أرى أنْ أُلقي الضـوء على **أكبر فرقتَيها، وهما: (السليمانية، والبترية):**

قد أشرتُ إلى أنّ الزيدية افترقت بعد قتل زيد رحمه الله- إلى ثلاث فرق؛ هي: الجارودية الـتي خـالفت عقيدته

---

3 (?) انظر حكاية هذه الأقوال والترجيح وسببه: الزيدية بين الإمامية وأهل السنة ص151-152.

1 (?) انظر حكاية هذه الأقوال ومصادرها: الزيدية بين الإمامية وأهل السنة (دراسة تأريخية تحليلية في نشأتها وظهورها وعقائدها)، لسامي الغزيري الغرّاوي، ص143.

2 (?) تقريب التهذيب، ورقمه: 2149، ص164.

3 (?) انظر -لتقف على قصة أخرى مماثلة-: فصل موقف الزيدية من أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة من كتاب القول الجلي في الذبّ عن مذهب الإمام زيد بن علي (دراسة لبعض مسائل الأصول والفروع من مذهب الإمام زيد بن علي) لعلي بن أحمد بن ناصر مجمل، ص51-72.

4 (?) لاحظ مراجع الحاشية بعد التالية.

5 (?) لاحظ المراجع الحاشية التالية.

في الشيخين، بتكفيرهما؛ فصارت رافضية. وقد تقدم التعريف بِها.

والسليمانية أو الجريرية أتباع سليمان بن جرير الزيدي القائلون بأنّ الإمامة شورى، وأثبت إمامة أبي بكر وعمر، مع الزعم بأنّ الأمة تركت الأصلح والأولى؛ عليًّا ، لكن هذا الخطأ لم يوجب كفرًا ولا فسقًا. ثم تجرؤوا في تكفير عثمان للأحداث التي نُقم عليه بها. ولقد أخطأ سليمان بن جرير هذا خطأ فاحشًا في تكفير ذي النورين.

ثم البترية الذين هم أحسن حالا عند أهل السنة من الجارودية والسليمانية؛ حيث إنّهم توقفوا في عثمان ؛ ولم يُقدموا عليه بذمٍّ ولا مدح. وهو الممدوح وأرضاه المبشر على لسان المعصوم [1].

وهؤلاء أتباع رجلين هما: الحسن بن صالح بن حي، وكثير النواء الملقب بالأبتر. لذا جاء في فرق الشيعة « وفرقة منهم يُسمون البترية، وهم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حيّ، وسالم بن أبي حفصة، والحكم بن عتيبة، وسلمة بن كهيل، وأبي المقدام ثابت الحداد. وهم الذين دعوا الناس إلى ولاية عليّ عليه السلام، ثم خلطوها بولاية أبي بكر وعمر؛ فهم عند العامة أفضل هذه الأصناف؛ وذلك أنهم يفضلون عليًّا، ويُثبتون إمامة أبي بكر، وينتقصون عثمان وطلحة والزبير. ويَرَون الخروج مع كُلّ مِن ولد عليٍّ عليه السلام؛ يذهبون في ذلك إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويثبتون لمن خرج من ولد عليّ الإمامة عند خروجه، ولا يقصدون في الإمامة قصد

[1] انظر عن هذه الفرقتين (**السليمانية والبترية**) وما تميزتا به عن الجارودية، والفرق فيما بينهما، وغير ذلك: المراجع التالية: مقالات الإسلاميين للأشعري، (ج1/143-145)، والتنبيه والرد للملطي، ص45-48، والفرق بين الفرق للبغدادي، ص43-48، والتبصير في الدين للاسفراييني، ص187-190، والملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ ص315-322)، وتاريخ ابن خلدون، ص213-214، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، شيبة الحمد، ص234-237، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب عواجي، (ج1/343)، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص43-46، والشيعة والتشيع: عقائد وتاريخ، للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص185، ورافضة اليمن على مر الزمن، 130-133.

رجل بعينه، حتى يخرج كلُّ ولَدِ عليٍّ عندهم على السـواء؛ مِن أيّ بطن كان » [1].

وبين هاتين الفرقتين وبين الجارودية تكفيرٌ من أجل أنّ هاتين لم تكفر الشيخين، وهذه كفرتهمـا، كما قاله عبد القاهر البغداديّ.

الأمور التي خالفت الزيدية فيها الرافضة، وأهمها:

أولا: الكيسانية من الرافضة يشترطون أنْ يكون الإمام علويًّا من ولد فاطمة أو من غيرها. وبقيـة الرافضـة يشـترطون أنْ يكـون فاطميًّا حُسَـينِيًّا فقـط؛ دون ذريـة الحسَن. بينمـا الزيديـة لم يشـترطوا إلا أنْ يكـون فاطميًّا؛ حسنيًّا كان أو حسينيًّا.

ثانيًا: أغلب الزيدية لم يشترطوا في الإمـام أنْ يكون مـأمون البـاطن كالرسـول، بخلاف الرافضـة الـذين اشترطوا فيه ذلك (أن يكون معصومًا كالرسول) كما قـال في كتـاب الزيديـة: « ولا يجب أنْ يكـون مـأمون البـاطن كالرسـول صـلى الله عليه وآله » [2]. بل عقد ترجمة وتناول هذه المسـألة رادًا على الرافضة قـولهم،وعُنوانهـا: (فصل في أنّ الإمـام لا يجب أن يكـون مـأمون البـاطن معصـومًا كالرسـول صـلى الله عليه وعلى آلـه) ثم قـال: (اعلم أنّ الإماميّة وبعض الزيدية ذهبـوا إلى أنّ الإمـام يجب أنْ يكون مأمون الباطن، وإنْ كان طرائق من يقـول بـذلك من الزيدية مخالفة لطرائق الإماميـة. ونحن نـدل على فسـاد هـذا القـول، .. » [3]. فحكى شُـبههم وما يعتمدونه في ذلك، ثم بيّن فسادها.

ثالثًا: الزيدية يرَون جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، بخلاف الرافضـة، قـال الشهرسـتاني وهـو يحكي مذهب الزيدية: « وكان من مذهبه: جواز إمامة المفضـول

---

1 (?) فرق الشيعة للنوبختي، ص57.

2 (?) الزيدية للصاحب بن عباد، ص183.

3 (?) الزيدية للصاحب ابن عباد، 185، وانظر ما بعدها: لإفساد شبه الرافضة على دعوى عصمة أئمتهم.

مع قيام الأفضل؛ فقال: كـان علي بن أبي طـالب أفضل الصـــحابة، إلا أنّ الخلافة فُوّضت إلى أبي بكر لِمصـــلحة رأوهـا، وقاعـدة دينية راعَوهـا: من تسـكين ثـائرة الفتنـة، وتطيب قلوب العامة؛ .. »[1].

رابعًا: الرافضة بالنسبة لعلم الإمام في جملة من صفاته على قولين، بعضُهم يقول: بأنّـه يعلم كـل مـا كـان وكل ما يكون، ولا يخرج شيء عن علمه من أمر الدين ولا من أمر الدنيا، حتى عقد صـاحب أوائـل المقـالات ترجمـة بعنـوان: (القـول في معرفة الأئمة بجميع الصـنائع وسـائر اللغــات)، وآخـــر: (القـــول في علم الأئمة ع بالضـــمائر والكائنــات وإطلاق القــول عليهم بعلم الغيب وكــون ذلك لهم في الصـفات) [2]. والقـول الثـاني لهم هـو أنّ الإمـام يعلم كُل أمور الأحكام والشـريعة. وفي كُـلٍّ من هـذا غُلُـوّ في حقهم[3].

بينما يقول الزيديـة بـأنّ الإمـام لا يجب كونـه أعلم النـاس لجميع المعلومات على ما ذهب إليـه الإماميـة، حـتى قـال في كتـاب الزيديـة « فأما الـذي يـدل على أنّه لا يجب أن يكون أعلم الناس لجميع المعلومـات .. الإمـام إنما يُحتـاج إليه لتنفيذ أحكـــام مخصوصة من جملة الشـــرعيّات وما يتصل بِها، وتنفيذ هذه الأمور لا يحتاج إلى كــون الْمُنفِّذِ لَها أعلم الناس لجميع المعلومات »[4].

خامسًا: الرافضة قالوا بأنّ الإمامة ثبتت بـالنص الجليّ، أو ما قام مقامه، والزيدية لا تقول به[5].

سادسًا:: الرافضة بالإجماع لا ترى الخروج بالسيف قبـل ظهـور الإمـام حـتى يظهـر ويـأمر بـذلك[6]. والزيديـة

---

1 (?) الملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ 304).

2 (?) أوائل المقالات في المذاهب المختارات، 76، و77.

3 (?) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، (ج1/ ص136-137).

4 (?) الزيدية للصاحب بن عباد، ص183.

5 (?) انظر: فصل في الدلالة على فساد من يذهب إلى أنّ الإمامة لا تثبت إلا بالنص الجليّ أو ما قام مقامه من كتاب: الزيدية للصاحب بن عباد، ص191-197.

6 (?) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، (ج1/ ص129).

يشترطون على الإمام الخروج بالسيف، لذا اشترطوا فيـه الشجاعة، وأن يكون غير خوار ولا جزوع[1].

سابعًا: وكما أنّ زيدًا وطائفته الزيدية تبَعًا لا يقولون بعصـمة الأئمـة، كـذلك لا يقولـون بالرجعـة المزعومـة الرافضـية، ولا بالبـداء على اللـه، كمـا أنّهم لا يقولـون بالمهـدي المنتظـر ولا بالغـائب المكتـوم. خلافًـا للرافضـة ومنها الجارودية[2].

ثامنًا: الزيدية لا ترى المتعة، خلافًا للرافضة الاثني عشرية[3].

تاسعًا: الزيدية يجوزون وجود أكثر من إمام واحد في قطرين مختلفين في وقت واحد. خلافًا للرافضة.

** * **

المطلب الأول: جفاء الزيدية لِمَقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ:

المطلوب مِن الكلّ الإيمان بكلّ ما جاء به رسول الله ﷺ من ربّه ﷻ سواء كان ذلك فيما يتعلق بالله تعالى أو باليوم الآخر أو بغيرهما، وكذلك القيام بالأوامر امتثالا، وبالنواهي ترْكًا، وبِهذَين يكون الإنسان آخذًا بكلّ الدين المحمدي، فهل أخذت الزيدية بِهذا وهذا، أم قصّروا في بعض ما يجِب عليهم، فكانوا على البدَع وخلاف السنة؟

الجواب: أنَّهم قصّروا فكان المنهج الذي كانوا عليه على خلاف ما جاء به رسول الله ﷺ في أبواب كثيرة. ولبيان ذلك عقدت ثلاث مسائل على النحو التالي:

المسـألة الأولى: الزيدية على مثل مـذهب المعتزلة في بـاب صـفات الله تعـالى وأسـمائه، أو على الأقل يُقـال: تلاقت مـذهبهم في هـذا البـاب وغـيره، حيث نَفى كُلٌّ من الفـريقين عنه سـبحانه ما أثبت لنفسه وأثبت له رسوله ﷺ من الصفات. وهـذه المسـألة لها واقعيتها في

[1] انظر: الزيدية للصاحب بن عباد، ص181، وانظر ما نُسب إلى زيد من اشتراط الخروج على الإمام الجائر بالسيف: الملل والنحل، (ج 1/306)، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص231.

[2] انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (ج1/ 339-343 –آراء زيد والزيدية).

[3] انظر: إسلام بلا مذاهب، د. مصطفى الشكعة، ص229.

الفكر الزيـدي ومذهبـه، ولو لم تثبت قصة تتلمذ زيد على واصل بن عطـــاء الأثلغ. وهو الأقـــرب. فـــبين المعتزلة والزيدية « نسب واشج من جهة المشـــاركة في التوحيد والعـدل والإمامة والتفضـيل » [1] كما قاله شـيخ الإسـلام ابن تيمية.

أما نقطة تتلمذ زيد على يد واصل وكونه من شيوخه وهو من تلامذته محل أخذ وردّ، ونفي وإثبات بين العلماء والباحثين قديمًا وحديثًا، ومن أوائل مَن قالها الشهرستاني في الملل والنحل، كما أنّ من أبرز مَن نفاها صاحب كتاب العواصم والقواصم[2].

وفرضًا على عدم صحة ذلك، وهو الأقرب: إلا أنّه لا يُبعد طائفة الزيدية من الأخذ ببدعة التعطيل مثلما كان عليه المعتزلة من نفي الصفات، سواءٌ كان ذلك بالتأثّر بِمنهجهم أو بالأخذ منهم، أو بتلاقي البدع. وعلى كُلٍّ فالزيديّة معتزلة في باب الصفات كما يقول واقعهم، بل « لقد وضح الاعتزال عند أعيان الزيدية من الحكام والأدباء كأبي الفضل بن العميد، والصاحب بن عباد، وبعض أمراء بنِي بُويه »[3].

---

1 (?) منهاج السنة لابن تيمية، (ج1/ص70).

2 (?) انظر: عن **الطائفة التي تثبت تتلمذ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على واصل بن عطاء المعتزلي**: الملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ص303-307) –وقد فصّل في نسبة اقتباس الاعتزال منه، وحكى مناظرات وقعت بينه وبين أخيه الباقر محمد بن علي. ولعله من أوائل مَن حكى ذلك- ولقد تناقل عنه الناس ذلك. وإسلام بلا مذاهب، ص227، وتاريخ المذاهب الإسلاميّة، ص43، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب عواجي، (ج1/336-337)، ودراسات في الفرق، د. صابر طعيمة، ص 33، وغير ذلك.

وعن التي تنفي التتلمذ وأدلتهم: العواصم والقواصم لابن الوزير، (ج/) –ولقد ردّ على الشهرستاني في هذه المسألة وأغلظ في نفي ذلك وردّه-، والإمام زيد بن علي وواصل بن عطاء من كتاب: الزيدية بين الإماميّة وأهل السّنّة، ص256-266 حيث ذكر عشرة أدلة ينفي بِها ذلك. وعُنوان: نفي الاعتزال عن زيد بن علي من كتاب: رافضة اليمن على مرّ الزمن، ص109-112 حيث ذكر ثمانية أدلة لنفي ذلك عنه (وهي أقوى من العشرة).

3 (?) إسلام بلا مذاهب، د. مصطفى الشكعة، ص227.

وقد ذكَر صاحب كتاب (رافضة اليمن على مرّ الزمن) أنّ جدّ الهادي المسمى القاسم بن إبراهيم (المتوفى 246هـ) -الذي فيه النـزعة الرافضية كان يتوقف عن الترضي عن الشيخين[1]- هو أوّل زيديّ اشتهر بعلم الاعتزال، وأنّ دليل ذلك كُتُبَه التي ألّفها –وذكَر منها طائفة- وحشاها بمعتقدهم في القول بخلق القرآن وقرر ذلك وهو يُفسِّر الجعل الذي في أول سورة يوسف والزخرف. كما أنّه قال بالمنزلة بين المنزلتين. كما سار في باب أسماء الله وصفاته على طريقة المعتزلة من تحريفها وتعطيلها. وقد بيّن أنّ الهادي يحيى بن الحسين لا يُستبعد –هو الآخر- أنْ يكون تلقى منهج الاعتزال عن جده القاسم، حيث إنّه عاش معه في بداية حياته ستًّا وعشرين سنة (26) [2]. وقد عقد عُنوانًا بعد ذلك: الهادوية تلقى عقيدة الاعتزال من المعتزلة. وآخر: الهادي أشهر من أدخل الاعتزال إلى اليمن. وثالثًا بعنوان: الهادوية[3] معتزلة إلا في الإمامة فإنهم رافضة، فلتراجع[4].

المسـألة الثانيـة: خَفِي عليهم فضل أفضل الصـحابة أبي بكـر، ثم عمـر... ففضـلّوا عليًّا عليهمـا، بل وخفي عليهم تفضيل عليٍّ للشيخين أو تغافلوا عنه. مع أنّه استفاض عن عليّ من غـيرِ وجه تفضـيلهما عليـه، وقاله مـرّات على المنـبر، بل وذكَر أنه يجلد مَن يجـده يُفضّـله عليهما حد المفـتري، وقد تقـدم شـيءٌ من تفضـيلهما منه بعد وفـاة عمر –كما في حـديث ابن عبـاس: (لا يفضـلِني

1. ([?]) انظر ترجمة القاسم بن إبراهيم الزيدي في كتاب: رافضة اليمن على مر الزمن، ص233-236.
2. ([?]) انظر المسألة في كتاب: رافضة اليمن على مر الزمن، ص233-236، لأبي نصر محمد بن عبد الله الإمام.
3. ([?]) هل الهادوية الْحَسَنِيّة رافضة؟ انظر ذلك في الجواب على الشبهة الثالثة (كيف تحكم على الهادوية بأنهم رافضة وهم يحاربون الرافضة؟): رافضة اليمن على مر الزمن، ص671. وملخصه: أنّ مفهوم الرفض عند الهادوية مختلف عن مفهومه عند المسلمين.
4. ([?]) انظر: رافضة اليمن على مر الزمن، ص236-241، وانظر أيضًا:الجواب على الشبهة الرابعة: كيف يكون الهادي وأتباعه معتزلة وقد ذم المعتزلة؟ ص671-672.

على أبي بكر وعمر، أو لا أجد أحدًا يُفضـلني على أبي بكر وعمر إلا وجلدته جلد حد المفـتري) [1]. وإنْ أجـازوا إمامة المفضول مع وجود الفاضل.

وبِهذه المناسبة لا بُدّ من كلمة تقطع دابر الرافضة والزيدية في دعوى النصّ الخفي أو الجلي من هـؤلاء على عليٍّ، وتفضيله على الشيخين من الفريقين، وهذه الكلمـة مفادُها أنّ رواية خلاف المتواتر والمستفيض ممـا يُعلم بـه كذبُ المنقول. كما أنّه إذا انفرد الواحد والاثنـان بِمـا يُعلم أنّه لو كان واقعًا لتوفرت الهمم والدواعي على نقله -كمـا قرره شـيخ الإسـلام-: « ومن هـذا البـاب: نقل النّص على خلافة عليٍّ، فإنّا نعلم أنّه كذِبٌ من طرق كثيرة، فـإنّ هـذا النّص لم يَنْقُله أحَـدٌ من أهل العلم بإسـنادٍ صـحيحٍ، فضلا عن أن يكـون متـواترًا. ولا نُقِل أنّ أحَـدًا ذكَـرَه على عهـد الخلفاء، مع تنازع الناس في الخلافة، وتشاورهم فيها يـوم السقيفة، وحين موت عمر، وحين جُعل الأمر شورى بينهم في سـتة، ثم لمّا قُتل عثمـان واختلف النـاس على عليٍّ؛ فمن المعلـــوم أنّ مثل هـــذا النص ولو كـــان كما تقوله الرافضــة: مِن أنّه نَصّ على عليٍّ نَصًّـا جَلِيًّا قاطعًا للعــذر علِمَه المسلمون، لكان من المعلوم بالضرورة أنّه لا بد أن ينقله النــاس نقل مثلــه، وأنّه لابد أن يــذكره لكثــيرٍ من النـاس، بل أكـثرهم، في مثل هـذه المـواطن الـتي تتـوفر الهمم على ذكـــره فيها غاية التــوفر؛ فانتفــاء ما يُعلم أنّه لازمٌ يقتضي انتفـــاءَ ما يُعلم أنّه ملـــزومٌ. .. ففي الجملة الكـذب هو نقيض الصـدق؛ وأحـدُ النقيضـين يُعلم انتفـاؤه تارة بثبوت نقيضه، وتارة بما يـدل على انتفائه بخصوصـه. والكلام مع الشـيعة أكـثره مبنِيّ على النقــل: فمَن كــان خبــيرًا بِما وقــع، وبالأخبــار الصــادقة؛ الــتي تــوجب العلم اليقينِي علِم انتفـاء ما ينـاقض ذلك يقينًـا، ولِهـذا ليس في أهل العلم بالأحـــاديث النبوية إلا ما يـــوجب العلم بفضل الشيخين، وصحة إمامتهما، وكـذب ما تدعيه الرافضـة. ثم

[1] رواه ابن أبي عاصم في السنة، ورقمه: 1219، (ص531)، (باب ما روي من تفضيله أبا بكر وعمر، وإيمائه عثمان بن عفان ثالثهم في الفضل).

كُـلّ مَن كـان أعلم بالرسـول وأحواله كـان أعلم ببطلان مـذهب الزيدية وغـيرهم ممن يـدعي نصًّـا خفيًّا،وإنّ عليًّا كان أفضل من الثلاثة، أو يتوقف في التفضيل؛ فإنّ هـؤلاء إنّما وقعوا بالجهل المركب أو البسـيط؛ **لضـعف علمِهم بما عليه**[1] **أهلُ العلم بالأحاديث والآثار** »[2].

في صحيح البخاري: عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ[3]، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ) [4].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في آخر شرحه للأثر: «قدْ سَبَقَ بَيَان الِاخْتِلاف فِي أَيّ الرَّجُلَيْنِ أَفْضَل بَعْد أَبِي بَكْر وَعُمَر:عُثْمَان أَوْ عَلِيّ؟ وَأَنَّ الإِجْمَاع انْعَقَدَ بِآخِرِهِ بَيْن أَهْل السُّنَّة:أَنَّ تَرْتِيبهمْ فِي الْفَضْل كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلافَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ..» [5].

المسألة الثالثة: الزيدية يَرَون وجوب الخروج على أئمة الجور، ويشترطون في الإمام الخــروج بالسيف، وقد اعتاد بعض أصحاب المقالات وضع عناوين لذكر أسـماء الخـارجين من الزيدية على ولاتهم، كما فعل الأشعري وغيره[6]. والخـروج منهيٌّ عنه على لسـان الـذي أتى بالشرع المطهر. والخطأ خطأ أيًّا كان الواقع فيه. وقد تمت مناقشة مسألة الخـروج على أئمة الجـور في (فصل

---

1 (?) في منهاج السنة المطبوع بتحقيق محمد رشاد هكذا (بما علِمه أهل)، (ج7/ص442).

2 (?) منهاج السنة النبوية لابن تيمية، (ج7/440-442).

3 (?) **محمد ابن الحنفية**: محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، أبو القاسم، ابن الحنفية، المدني ثقة عالم من الثانية، مات بعد الثمانين (تقريب التهذيب لابن حجر، ص432، برقم: 6157). وفي فتح الباري: أنّ اسْم الْحَنَفِيَّة خَوْلَة بِنْت جَعْفَر (ج1/ ص2660).

4 (?) صحيح البخاري:كتاب فضائل الصحابة، رقم: 3671.

5 (?) فتح الباري، ج2/ ص2660-2661.

6 (?) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، (ج1/ 150-166 (ذكر 25 شخصًا).

الخوارج)، وذُكِر هناك وجه كونه جفاءً للرسالة المحمديــة، وعن المسألة المتقدمة، وهـذه أسـوق ما أورده الأشـعري في (قـولهم في الخـروج على الأئمـة، وفي الصـلاة خلـف مخالفيهم): « والزيدية بأجمعها ترى السيف والعرض على أئمة الجـور، وإزالة الظلم، وإقامة الحــق. وهى بأجمعها لا تـــرى الصـــلاة خلف الفـــاجر ولا تراها إلا خلف من ليس بفاســق. وأجمعت الــروافض والزيدية على تفضــيل عليّ على سائر أصحاب رسول الله، وعلى أنّه ليس بعد النبي أفضل منه » [1].

وأكتفي بِهذا في تجلية مطلب (جفاء الزيدية مقام الرسالة المحمدية). والمسائل المندرجة تحته واضحة الدلالة في أنّها جفاءٌ ومخالفة لما أمرَت به الرسالة المحمدية. والله المستعان!

المطلب الثاني: غلوُّ متأخري الزيدية في مقام العبودية لنبيِّنا محمدٍ ﷺ:

الغلو من قبل علماء الزيدية وعوامهم يعتبر من الاستثناء، وخصوصًا المتقدمين منهم.. وإنْ كان لَمّا حصلَت اختلافات في الأمة المحمدية، ونتج عنها الافتراق، فكان الأمة فِرَقًا فِرَقًا –كما هو مضمون هذا الباب-، ولَمّا طال بِها الزمن هكذا، وبأسباب كثيرة داخلية -في جسم الأمة الإسلامية- وخارجية جعَلَتْ بعض الفِرَق تُؤَثّر في البعض فتغَذّيها ببعض عقائدها، والأخرى تتأثر فتقبل من صاحبة حضانتها، إلى أنْ تداخلت العقائد في آخر الأمر، بحيث يكون ناسٌ جهميةً أو معتزلة أو أشعرية أو ماتريدية في باب، وصوفية (قادرية أو رفاعية أو نقشبندية أو تجانية) من جهة أخرى. وهكذا. وقد عرَف أهل الملل والنحل قديمًا فرقة الزيدية وصنّفوها ضمن الفرق الجافية للرسالة المحمدية، كما عرَفوا المتقدمين من الأشاعرة بإثبات أكثر من سبع صفات. بينما كان المتأخّرون منهم ينفون غير السبع؛ فيؤولون ويُفوّضون. وهكذا قيّد المتابعون لتطوّر الفِرَق غُلُوّ المتأخّرين من الزيدية بِما يخدش في تحقيق الإيمان الكامل أو ينقضه في جانب

[1] مقالات الإسلاميين للأشعري، (ج1/ 150).

مقام العبودية لنبينا محمدٍ ﷺ؛ فتأثّر الزيود المتأخّرون المتمركزون في اليمن بطوائف من الرافضة ومن الباطنية، ومن الإمامية الإيرانية أيضًا، ومن الصوفية القبورية؛ فبدأتْ كُتُب الزيدية المتأخرّين تحمل في طيّاتها الاستغاثة بالنبِيّ ﷺ ومناداته في الشدائد تَطلُب كشف الكروب وتنفيس الهموم، ووصفه بعلم الغيب وما إلى ذلك[1]، بل قُل باختصار أنّه قد وُجِد مثل ما وُجد عند الزيود المتأخرين في باب الغلوّ في الرسول ﷺ أو في غيره ممن هو دونه مثلما يُسطّرُه أصحاب طُرُق الصوفية وفِرَق الرافضية والباطنية في مُعظّميهم. كما انتشرت فيهم أيضًا عبادة القبور وكثرة المشاهد[2]. وهذا هو فكرة المطلب.

وحاصل المبحث أنّ فرقة الزيدية تُعدّ من الفِرَق الجافية للرسالة المحمدية بالوجوه المذكرة بعضها في المطلب الأول، والمتأخرون منهم قد زاد بعضهم فجمع بين الغلوّ والجفاء كالجارودية وغيرها، آخذة ومتأثّرة بالرافضة الاثنَي عشرية وغيرها. والله أعلم.

وبعد بيان غُلوّ الرافضة بفرَقها في هذا الباب، وجفائهم وجفاء الزيدية بالمباحث الأربعة المتقدمة، فأنتقل إلى الفصل القادم لبيان جفاء المتفلسفة والمتكلمين للرسالة المحمدية.

---

[1] (?) يستدل هؤلاء بالأحاديث الضعيفة والموضوعة في الزيارة وشد الرحل إليها، قال الشوكاني –رحمه الله- في شرحه على شفاء الأوام المسمى: وبل الغمام على شفاء الأوام/ في تعليقه على مضمنات (فصل زيارة قبر رسول الله ﷺ: هذه الأحاديث المذكورة في هذا الفصل جميعها ما عدا الثلاثة الأخيرة منها، هي ما بين موضوع وضعيف لم يرتق شيء منها إلى رتبة الصحة أو الحسن (ج1/ص581-582) بتحقيق: محمد صبحي حلاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1/1416هـ.

[2] (?) تصفح لقبورية متأخّري الزيدية: رسالة القبورية نشأتها آثارها موقف العلماء منها –اليمن نموذجًا-، للشيخ أحمد بن حسن المعلم، ورسالة:الصوفية في حضرموت نشأتها أصولها آثارها –عرض ونقد-،لأمين بن أحمد بن عبد السعدي، وكتاب رافضة اليمن على مرّ الزمن، لأبي نصر محمد بن عبد الإمام. بضميمة أبواب زيارة مسجد رسول الله ﷺ في آخر كتاب الحج من كُتب الفقه الزيدي. والله تعالى أعلم.

** * **

الفصل الثالث: موقف الفلاسفة والمتكلمين من مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ، وفيه مبحثان:

المبحثُ الأول: جفاء الفلاسفة شريعته عليه الصلاة والسلام.

المبحثُ الثانِي: جفاء المتكلمين شريعته عليه الصلاة والسلام.

المبحثُ الأول: جفاء الفلاسفة شريعته عليه الصلاة والسلام وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بالفلاسفة.

المطلب الأول: زعم الفلاسفة أنَّ الرسالة مكتسبة.

المطلب الثاني: تصوُّر الفلاسفة الخاطئ لأركان دينه وملته.

المطلب الثالث: تقديم الفلاسفة عقولهم على شريعته .

التمهيد: التعريف بالفلاسفة[1]:

الفلسفة –باليونانية-: محبة الحكمة، والفيلسوف مركَّبٌ من: فيلا وسوفا؛ و(فيلا) هو الْمُحبّ، و(سوفا): الحكمة؛ أي هو: مُحِبّ الحكمة.

والحكمة: قولية، وفعلية: أما الحكمة القولية، وهي العقلية أيضًا؛ فهي كل ما يعقله العاقل بالحد، وما يجري مجراه؛ مثل الرسم، وبالبرهان، وما يجري مجراه؛ مثل الاستقراء، فيعبر عنه بهما. وأما الحكمة الفعلية: فكل ما يفعله الحكيم لغاية كمالية.

---

[1] للاستزادة ينظر: مقاصد الفلاسفة لأبي حامد الغزالي، ص66، والملل والنحل للشهرستاني، (ج2/ص795وما بعده)، ومقدمة ابن خلدون لتاريخه، (ص583 فصل في إبطال الفلسفة وفساد منتحليها)، وفصل موقف ابن تيمية من مناهج الفلاسفة والمتكلمين، من كتاب: باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي، ونقده لمسالك المتكلمين من الفلاسفة في الإلهيات، د. محمد خليل هراس، ص42وما بعد، وكتاب: فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، د. عبد الفتاح أحمد فؤاد، ص15وما بعده، ومقدمة في الفلسفة للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، ص9-36 (ضمن رسائله في الأديان والفرق والمذاهب)، والمعجم الوسيط (مادة: فلسف، ص700).

ثم إن الفلاسفة اختلفوا في الحكمة القولية العقلية اختلافًا لا يحصى كثرة؛ والمتأخرون منهم خالفوا الأوائل في أكثر المسائل. وكانت مسائل الأولين محصورة في الطبيعيات، والإلهيات؛ وذلك هو الكلام في الباري تعالى، والعالَم؛ ثم زادوا فيها الرياضيات.

وقالوا: العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: علم مَا، وعلم كيفَ، وعلم كمْ. فالعلم الذي يُطلب فيه ماهيات الأشياء هو العلم الإلهي، والعلم الذي يُطلب فيه كيفيات الأشياء هو العلم الطبيعي، والعلم الذي يطلب فيه كميات الأشياء هو العلم الرياضي؛ سواء كانت الكميات مجردة عن المادة، أو كانت مخالطة بعد. فأحدث بعدهم أرسطو طاليس الحكيم: علم المنطق، وسَمّاه تعليمات؛ وإنما جرّده من كلام القدماء؛ وإلا فلم تخل الحكمة عن قوانين المنطق قط. وربما عدها آلهة العلوم؛ لا من جملة العلوم؛ فقال: الموضوع في العلم الإلهي؛ هو الوجود المطلق؛ ومسائله: البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود. والموضوع في العلم الطبيعي؛ هو الجسم؛ ومسائله: البحث عن أحوال الجسم من حيث هو جسم.

والموضوع في العلم الرياضي؛ هو الأبعاد والمقادير؛ وبالجملة: الكمية من حيث إنها مجردة عن المادة؛ ومسائله: البحث عن أحوال الكمية من حيث هي كمية.

والموضوع في العلم المنطقي؛ هو المعاني التي في ذهن الإنسان من حيث يتأدى بها إلى غيرها من العلوم؛ ومسائله: البحث عن أحوال تلك المعاني من حيث هي كذلك[1].

ومن تعريفات الفلاسفة للفلسفة، ما عرّفها به الكندي (الذي عاش ما بين: 185-252تقريبًا) في رسالته التي بعثها إلى المعتصم (حدود الأشياء ورسومها) بستة تعريفات، (وهي حقيقة تعريفات مشهورة مأثورة عن فلاسفة اليونان)، وقد جاءت في قوله:

ويُذكَر أنّ القدماء حَدُّوا الفلسفة بِما يلي:

[1] (?) انظر: كتاب الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (ج 2/ 795-797).

إما من اشتقاق اسمها، وهو (حب الحكمة)؛ لأنّ فيلسوف هو مركّب من (فلا) وهي: محب، ومن (سوفا) وهي: الحكمة.

وحدّوها من جهة فعلها .. التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان[1]، أرادوا أنْ يكون الإنسان كامل الفضيلة. وحدّوها أيضًا من جهة فعلها، فقالوا: العناية بالموت، والموت عندهم موتان: طبيعي، وهو ترك النفس استعمال البدن، والثاني: إماتة الشهوات، فهذا هو الموت الذي قصدوا إليه، لأنّ إماتة الشهوات هي السبيل إلى الفضيلة .. وحدوها أيضًا من جهة العلة، فقالوا: صناعة الصناعات، وحكمة الحِكم. وحدوها أيضًا فقالوا: الفلسفة معرفة الإنسان نفسه.

فأما ما يُحد به عين الفلسفة فهو: أنّ الفلسفة علم الأشياء الأبدية الكلّية: إنّياتها ومائياتها وعللها بقدر طاقة الإنسان[2].

لكن الفلسـفة –حقيقـة- مـرّت بـأطوار ومراحل (كمرحلة البحث في عـــالم الطبيعـــة، وفي الثانية اهتمت فيها بــــالنظر والتأمل في جـــانبي التفكـــير والإرادة في الإنسان، وفي الثالثة اسـتخدم الـذين يُعبّرونه معـارف مَن قبلهم ونظّمـوه ووسـعوه، وفيه نشـأت مـدارس واختلفت فيما بينها في أصـول، وهي: الــدهريون[3]، والطــبيعيون[4] والإلهيــون[5])، ويمكن أنْ تُعــرَّف في آخر أطوارها الــتي استقرّ عليه أمرها، حيث صـارت تُطلَق على آراء محـددة،

---

[1] (?) قد رد شيخ الإسلام –رحمه الله- على تعريف الفلسفة بأنه التشبه بالإله بقدر الطاقة في مواضع كثيرة، منها: درء تعارض العقل والنقل، ج5/ 82 وما بعده.

[2] (?) انظر: رسائل الكندي الفلسفية، ط2/ القسم الأول: رسالة حدود الأشياء ورسومها، ص121-123، بواسطة: فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، للدكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد، ص34 .

[3] (?) **الدهريون** من الفلاسفة هم الذي يجحدون الخالق المدبر العالم القادر، وهم الزنادقة. (انظر: معجم المصطلحات (بآخر الموسوعة الميسرة في الأديان، ج2/ ص1110).

[4] (?) **الطبيعيون** من الفلاسفة هم الذين أكثروا في البحث عن عالَم الطبيعة، وعجائب الحيوان والنباتات (انظر: المصدر السابق، ج 2/1110).

ونظرات خاصة للكون، والوحي والنبوات، والإلهيات، ونحو ذلــك. وصــارت تُعــنى بالعقل عناية زائــدة، وتُقدّمه على النقل، بل أصبح العقل عند الفلاسفة إلهًا ومصدرًا للتلقي. وعلى ما تقــدم يُمكن أنْ تُعــرّف بأنّهــا: « النظر العقلي المتحــرر من كُـلّ قيد وسـلطة تُفـرَض عليه من الخـارج، بحيث يكون العقل حاكمًا على الـوحي والعُـرف ونحو ذلك »[1]، ومتى ما كان العقل حاكمًا على الوحي من الله فقد استحكم عليه الضلال!

هذا، ويعتقد أغلب المتفلسفة عقائد خطيرة، أبرزها (**أبرز عقائد الفلاسفة**)، هي:

قولهم بقدم العالَم.

ويقولون: بـأن الله يعلم الكليـات دون الجزئيـات (تجهيل الله).

ومنها قولهم: بأنّ النبوة مكتسبة، وأنّ منزلة الفيلسـوف كمنزلة النبِيّ، وربّما فضّل بعضُهم الفيلسوف على النبِيّ .

وفي الإيمــان بــاليوم الآخر يقولــون: بحشر الأرواح دون الأجساد.

ويقولــون بــأنّ الجنّة والنّــار أمثــالٌ مضــروبةٌ، وخيــالات؛ لتفهيم العــوام، وضــبطهم دون أنْ يكــون لَها حقيقة في الخارج.

وفي مصــادر التلقي: المحسن منهم يــرى أن الــوحي يسـتقيم به أمر العامــة، أما الفلاســفة فليســوا محتــاجين إليه، لذا فهم يُؤلّهون العقل[2].

وسيأتي -في كلام لاحق لابن أبي العز- إجمالٌ لعقائد

5 (?) **الإلهيون** من الفلاسفة هم الذين تصدوا للرد على المدرستين السابقتين، لكن إفضاحهم لهم كان مشوبًا بالوثنية (انظر: مصدر سابق، ج2/1110).

1 (?) مقدمة في الفلسفة، (ضمن رسائل د. محمد بن إبراهيم الحمد في الأديان والفرق والمذاهب)، 12، وانظر: معجم المصطلحات (في آخر الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب المعاصرة، ج2/ ص 1109).

2 (?) انظر: رسائل الكندي الفلسفية، ط2/ القسم الأول: رسالة حدود الأشياء ورسومها، ص121-123، بواسطة: فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، للدكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد، ص34 .

هـؤلاء، وأنها تصـبّ في مصب واحـد، ألا وهو الانحرافـات الخطيرة في أبواب أصول الدين الستة.

هذه أبرز عقائدهم، وسيأتي توضيح لبعضها لبيان جفائهم الرسالةَ المحمدية في مطالب المبحث الثلاثة إنْ شاء الله الكريم.

لِكّل هذه وغيرها كفّرهم العلماء وبيّنوا للناس فساد عقائدهم، قال الذي خبَرَهم وعرَف كيف يرُدّ باطلهم (الغزالي) بل وأنّه أيسر له من شربة ماء –على ما قال. وهو الذي دخل فيهم وما استطاع الخروج، في العنوان الذي عقده لذكر أصنافهم وشمول الذم كافتهم في منقذه من الضلال: بين أنّ أصنافهم هم الدهريون، والطبيعييون، والإلهيون: -وهم المتأخرون-، ثم حكم بالكفر على بعض المتقدمين كأرسطو، وكفّر شيعتهم من المتفلسفة الإسلاميين. كابن سينا والفارابي وأمثالهما [1]. ولقد أوضَح في موضع وهو يَذكُر أسباب نشره للعلم بعد الإعراض عنه ببغداد مع كثرة الطلبة، والعزلة أحد عشر سنة، بيّن من أسباب معاودة نشره للعلم بنيسابور: أنّ بعض الذين سألهم عن تقصيرهم في متابعة الشرع: تعلل بأنّه ليس يفعل ذلك تقليدًا، ولكنه قرأ علم الفلسفة، وأدرك حقيقة النبوة، وإنّ حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة، وأنّ المقصود من تعبداتِها ضبط عوام الخلق وتقيدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات، وأنّه ليس هو من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف، وإنما أنا من الحكماء أتبع الحكمة وأنا بصير، مستغن فيها عن التقليد![2]. (وهذا هو السبب الخامس ضمن الأسباب التي عوّدته إلى نشر العلم).

ثم قال الغزالِي معلِّقا: « هذا منتهى إيمان من قرأ مذهب فلسفة الإلهيين منهم، وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وأبي نصر الفارابي. وهؤلاء هم المتجملون بالإسلام. وربما ترى الواحد منهم يقرأ القرآن ويحضر الجماعات

---

1 (?) انظر: المنقذ من الضلال للغزالي، 43وما بعده (والفلاسفة أقسام ثلاثة، وشمول الذم كافتهم).

2 (?) انظر: الغزالي، المصدر نفسه، ص78.

والصلوات، ويعظم الشريعة بلسانه، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر، وأنواعًا من الفسق والفجور، وإذا قيل له: إن كانت غير صحيحة فلم تصلي؟ فربما يقول: لرياضة الجسد، ولعادة أهل البلد، وحفظ المال والولد. وربما قال: الشريعة صحيحة، والنبوة حق. فيقال: فلم تشرب الخمر؟ فيقول: إنما نهي عن الخمر لأنها تورث العداوة والبغضاء، وأنا بحكمتي محترز عن ذلك، وإني أقصد به تشحيذ خاطري. حتى إن ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها: إنه عاهد الله تعالى على كذا وكذا، وأن يعظم الأوضاع الشرعية، ولا يقصر في العبادات الدينية، ولا يشرب تَلَهِّيًا بل تداويًا وتشافيًا، فكان منتهى حالته في صفاء الإيمان، والتزام العبادات، أن استثنى شرب الخمرة لغرض التشافي، فهذا إيمان من يدعي الإيمان منهم، وقد انخدع بهم جماعة، وزادهم انخداعًا ضعف اعتراض المعترضين عليهم، إذ اعترضوا بمجاهدة علم الهندسة والمنطق، وغير ذلك مما هو ضروري لهم، على ما بينا علته من قبل. فلما رأيتُ أصناف الخلق قد ضعُف إيمانهم إلى هذا الحد بِهذه الأسباب، ورأيت نفسي ملبة بكشف هذه الشبهة، حتى كان إفضاح هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء، ولكثرة خوضي في علومهم وطرقهم، وأعنِي طرق الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمتوسمين من العلماء انقدح في نفسي أنّ ذلك متعيّن -في هذا الوقت- محتوم »[1].

فالغزالي (في المنقذ من الضلال) أجمل سبب تكفيره للفلاسفة، بينما فصلها في كتابه الآخر (تهافت الفلاسفة)، وكفرهم بثلاثة أمور: 1- قولهم بقدم العالَم. 2- إنكار علم الله للجزئيات. 3- إنكار حشر الأجساد. وصاغها بعض متأخري الأشاعرة بقوله:

بثلاثة كفَّر الفلاسفة العدا إذْ أنكروها، وهي حق مثبتة
علم بجزئي، حدوث عوالم حشر لأجساد وكانت ميتة [2]

---

1 (?) المنقذ من الضلال، ص79

2 (?) .

كما كفّر الغزالي مَن يقول بأنّ العبادات التي جاء بها الأنبيـاء إنما وضـعت لحكمة ضـبط العامـة، أما الفلاسـفة الحكمـاء على زعمهم أنّهم ليسـوا ملـزمين بها لوصـولهم إلى الغايــة، حيث قــال: « وأما من أثبت النبــوة بلســانه، وســوى أوضــاع الشــرع على الحكمــة، فهو على التحقيق كافر بالنبوة »[1].

وبعد ما تقدم فمن الواضح جدًّا أنَّي عنَيتُ بـ(الفلاسفة) هنا، الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام[2]، وذلك بإرجاع عنوان الفصل (موقف الفلاسفة ... من مقام رسالة نبينا محمدٍ ﷺ) إلى عنوان الباب (موقف الفرَق المنتسبة إلى الإسلام مِن مقامَي العبودية والرسالة لنبينا محمد ﷺ)، وبإرجاعه كذلك أخيرًا إلى ما هو أعم منه: وهو عنوان مشروع الرسالة. وعلى ذلك؛ فلا أعنِي بعنوان الفصل: مواقف حكماء الروم والهند القدامى منهم والمتأخرين، من أرسطو المقدونِي (ت: ق.م. 322)[3] وغيره؛ وذلك لأنّهم جاءوا قبل هذه الرسالة، بل وبعضهم قبل رسالات سابقات، كما أنّ بعضهم لا يؤمن بالنبوات أصلا. وإنّما أذكُر مواقف فلاسفة المشرق والمغرب الإسلامي (المنتسبين إلى الإسلام)[4]، كابن سينا وغيره، وابن رشد وغيره، .. تجاه رسالة نبينا ﷺ.

---

[1] (?) المنقذ من الضلال للغزالي، ص82.

[2] (?) ومن الخطأ القبيح تسميتهم بـ(فلاسفة الإسلام) أو تسمية الحكمة المخالفة التي تزعموها بـالفلسفة الإسلامية).

[3] (?) **أرسطو/ أرسطو طاليس: (Aristotel) بن نيقوماخوس**، كان والده طبيبًا، وقد حافظ الولد على ذلك، وهو مؤسس علم المنطق، ومِن أهل مقدونية من بلاد الروم، مِن تلاميذ أفلاطون حيث درَس في معهده ثم درّس، ومكث عنده نيّفًا وعشرين سنة، كما أنه معلم الإسكندر الرومي، يُسَمّونه: (المعلم الأول) على الإطلاق، ويعنون به معلم صناعة المنطق؛ إذ لم تكن قبله مُهَذّبَة؛ وهو أوّل مَن رتّب قانونَها، واستوفى مسائلَها، وأحسن بسطها؛ فهو إمامُ هذه المذاهب، الذي حصّل مسائلَها، ودَوّن علمَها، وسَطّر حِجَاجَها، كتب في الطبيعيات والإلهيات والأخلاق، مات قبل ميلاد عيسى ﷺ بـ: 322 . وكانت ولادته 384 قبل الميلاد، أي: في أول سنة من ملك أردشير بن دارا.
(انظر ترجمته الموسعة والمسائل التي تفرد بها، في كتاب الملل والنحل للشهرستاني، ج2/ 963-1000، وفصل إبطال الفلسفة وفساد منتحليها من مقدمة ابن خلدون، ص584-585)،

يَذكُر الشيخ الدكتور محمد أحمد لوح –حفظه الله- نِماذج من حَمَلة لواء الفلسفة المنسوبة إلى الإسلام فيقول: « لقد تحدثتُ في المبحث السابق عن نشأة (ما يُسمَّى بالفلسفة الإسلامية) وأنّ أبرز مرحلتين مرّت بِهما نشأة تلك الفلسفة هما: مرحلة انتقال الفلسلفة من اللغات الأجنبية إلى لغة القرآن، ثم مرحلة الدمج بين الفلسفة الإلهية الوثنية مع علوم الدين الإسلامي،وذكَرتُ هناك أنّ الذين قاموا بِهذا العمل لم يكن لهم في علوم الشريعة الإسلامية نصيبٌ يُذكَر في الغالب، وإنما هم شرذمة من الناس تلقت تعليمها الفلسفي على أيدي اليهود والنصارى أحيانًا، أو من الزنادقة والملحدين،ثم هجموا بأنفسهم على العلوم الشرعية دون تلقٍّ من أحد، وقصدهم أنْ يفهموا من أصول الدين وفروعه ما يُؤهلُهم للقيام بِمهمة الدمج والتوفيق بين الدين والفلسفة، وفي هذا المبحث إلمامة سريعة حول نشأة بعض الرجال الذين أسهموا في الترجمة والدمج إسهامات قوية،جعَلَت بعض الباحثين يرى أنّه لولا وجود جهود هؤلاء لم توجد فلسفة لدى المسلمين»[1].

(**ذكر أشهر المتفلسفة):** لَمّا قال صاحب (جناية التأويل الفاسد ..) ما تقدم ذكَر جهود الملقب بفيلسوف العرب أبي يوسف الكندي[2] بيّن بأنّ له الجهود الكبيرة،

---

4 ([?]) انظر عن تقسم الفلاسفة وذكر أصنافهم، من حكماء العرب قبل الإسلام (شرذمة قليلة) وحكماء الهند، وحكماء الروم بأقسامهم والذين كان غيرهم عليهم عيال، وحكماء العجم، (وأكثرهم من المنتسبين إلى الإسلام (انظر: كتاب الملل والنحل، ج2/ 799-800).

1 ([?]) جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، ص443 .

2 ([?]) هو **يعقوب بن إسحاق** بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي، الأشعثي الفيلسوف، من ولد الأشعث بن قيس، أمير العرب. كان يقال له: فيلسوف العرب، يكنى أبا يوسف، صاحب الكتب، يقال: هو أول مَن تبحر من المسلمين في الفلسفة وسائر أجزائها من المنطق والطبيعيات والرياضيات والإلهيات، فكان رأسًا في حكمة الأوائل، ومنطق اليونان، والهيئة والتنجيم والطب، وغير ذلك، لا يُلحق شأوُه في ذلك العلم المتروك، وله باع أطول في الهندسة والموسيقى، وكان مُحِبًّا للعلوم العقلية وللمشتغلين بها ولِمَن تولّى ترجمتها إلى العربية، ويُصلح بعض ما يُترجمونه، كإصلاحه لترجمة عبد المسيح بن ناعمة الحمصي لكتاب الربوبية المنحول على

والعناية الفائقة بتراث اليونان، وكان يُقدسهم، وخصوصًا المعلمَ الأول[1] منهم وتراثَه، ترجمة وتهذيبًا وترتيبًا وإحصاءً، كما يُحدِّث ذلك عنه حتى عناوين كتبه ورسائله الكثيرة جدًّا، وقد ذكر ذلك المترجمون له. في حين أنّ نصيبه في العلوم الشرعية لا كُتُبه ولا مترجمون له ذكروا شيئًا، وإنْ ذكَروا أنه متّهَم في دينه، بخيلٌ حتى لأمه، ساقط المروءة .. إلى غير ذلك. وكان يُقدّسه العقلانيون وكأنه إمامٌ من أئمة المسلمين[2].

وحينما ذكر الكنديَّ، وذكر أبا نصر الفارابي (المعلمَّ الثانِي)، وابن سينا، وربّعهم بأبِي الوليد ابن رشد (المعروف بالحفيد)، عاملا لكُلٍّ منهم ترجمة موسّعة، قال في آخرها: « هؤلاء الأربعة: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد هم أقطاب الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي ورموزه، وإليهم يرجع اكتمال جهود التوفيق بين الفلسفة والإسلام، وأسهموا إسهامًا لا يُنكر في وضع الأصول التي بنَى عليها الفلاسفةُ ما لديهم من التأويل، ولذا كان المقصود الأساس من وراء الترجمة لهم على هذا النحو أنْ تعرف حقيقة هؤلاء، ويطلع على الظروف التي أدّت إلى تكوينهم الفكري، حتى إذا رجعنا إلى كلامهم فيما يأتي ... عرَف القارئ عمن نقلنا »[3].

وهؤلاء الأربعة وغيرهم هم المعنيون بفلاسفة الإسلام (المتفلسفة). ثم إنّه -عن المقصود بـ(الفلسفة الإسلامية، أو الفلاسفة الإسلاميين)- يقول أحد الباحثين بعدما ذكَر أنّ مباحث الفلسفة الإسلامية خليط؛ فليست إسلامًا صافيًا، ولا فلسفة خالصة، بل مجموعة المتناقضات، وذكَر جملة

أرسطوطاليس، وقد عُني بالتعريفات بالمصطلحات الفلسفية، ويمتاز فيها بالدقة والإيجاز، مما يدل على فهمه التام لموضوع التعريف. وكان يقال له: فيلسوف العرب، وكان متَّهمًا في دينه، بخيلا، ساقط المروءة. وله نظم جيد وبلاغة وتلامذة. هَمّ بأن يعمل شيئًا مثل القرآن، فبعد أيام أذعن بالعجز.

(انظر: سير أعلام النبلاء، ج8/ 173، وكتاب فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، 31-33).

[1] (?) هو أرسطو.

[2] (?) انظر: جناية التأويل الفاسد، ص443-445 .

[3] (?) جناية التأويل الفاسد، 453-454 .

كبيرة من أقوال الباحثين في هذا، وفي سبب هذا الوصف (الفلسفة الإسلامية).

ثم عن هؤلاء الفلاسفة (المنتسبين إلى الإسلام) وغايتهم الكبرى ومهمتهم التي قاموا بها، والتي هي: التوفيق بين الفلسفة والدين (على حساب الدين)، فإنّ الفارابي[1] (259-339هـ) يُعد المؤسس الحقيقي لهذا الجانب؛ ذلك أنّ مذهب الكندي تسوده النزعة الكلامية في بعض جوانبه، أما الفارابي فهو -بخلاف الكندي- فإنه صاحب مذهب فلسفي متكامل في الطبيعيات والإلهيات والأخلاق والسياسة، .. حتى أطلق عليه معاصروه بـ(المعلم الثاني)[2]، -كما أشرتُ سابقًا.

وقد وقع الفارابي وغيره في خطأ منهجي كبير حيث راموا التوفيق بين الفلسفة والدين، ولبلوغ هذه الغاية كان ينبغي التمهيد لها بمحاولة خاطئة ترمِي إلى إزالة التعارض بين فلاسفة اليونان فيما بينهم، حتى يتسنى الزعم بعدم تعارض المذاهب الفلسفية مع الدين. وعلى كلٍّ فالفارابي أول فيلسوف في العالم الإسلامي يفتح مجال بحث آراء ونظريات فلسفية، تابعه معظم مَن يُسمى فلاسفة الإسلام، وعلى رأسهم شيخهم ابنُ

---

[1] **الفارابي:** هو شيخ الفلسفة، أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزَلَغ، التركي الفارابي المنطقي، ولد: 259هـ، أحد الأذكياء، له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهُدى منها ضلّ وحار، منها: تَخَرّج ابنُ سينا. وكان الرجل ذا نزعة صوفية، قد وقف حياته على التأمل الفلسفي الصوفي. وقد أحكم أبو نصر العربية بالعراق، ولقي متى بن يونس صاحب المنطق، فأخذ عنه، وسار إلى حران، فلزم بها يوحنا بن جيلان النصرانِي. ويقال: إنه هو أول من اخترع القانون، وكان يحب الوحدة، ويتزهد زهد الفلاسفة، ويقال: إنهم سألوه أأنت أعلم أو أرسطو؟ فقال: لو أدركتُه لكنت أكبر تلامذته. من مصنفاته: إحصاء العلوم، ومقالة في إثبات الكيمياء. وسائر تواليفه في الرياضية والإلهية. وبدمشق كان موتُه في رجب 339هـ عن نحو من ثمانين سنة. (انظر: سير أعلام النبلاء، ج 9/537-538، وفلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، د. عبد الفتاح أحمد فؤاد،ص35-37، تحت عنوان:حياته ومكانتُه. ومقدمة في الفلسفة، د.محمد بن إبراهيم الحمد، ص22-23–معتقد الفارابي وابن سينا-).

[2] أي بعد أرسطو الملقب: المعلم الأول.

سينا[1]، وقد كانت معالجة ابن سينا للمسائل الفلسفية أكثر عُمقًا من المعلم الثانِي[2]. قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[3]: (ت:548هـ) في الباب الرابع: « المتأخّرون من فلاسفة الإسلام: مثل يعقوب بن إسحاق الكندي .. وأبِي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابِي، وغيرهم، وإنما علامة القوم: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، قد سلكوا كلّهم طريقة

---

[1] (?) **ابنُ سينا:** هو الشهير الفيلسوف، أبو علي، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، يُلَقّب بـ(الرئيس): قال الذهبي: « ما أعلمه روى شيئًا من العلم، ولو روى لَمَا حلَّت الرواية عنه؛ لأنّه فلسفي النحلة، ضالٌّ، لا ، انتهى. مولدُه في صفر سنة سبعين وثلاثمائة، ومات يوم الجمعة في رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. وهو رأسُ الفلاسفة الإسلامية، لم يأتِ بعد الفارابي مثله. وكان أبوه كاتبًا من دعاة الإسماعيلية. لابن سينا مصنفات عدة، منها: كتاب الشفاء، وغيره. وقد اتفق العلماء على أن ابن سيناء كان يقول بقدم العالم، ونفي المعاد الجسماني ولا ينكر المعاد النفساني، ونقل عنه أنه قال: إن الله لا يعلم الجزئيات بعلم جزئي بل بعلم كلي (انظر عن هذا: نهاية المسألة السابعة في قول ابن سينا في الإلهيات، من كتاب الملل والنحل للشهرستاني، ج2/ 1116وما بعده) ، فقطع علماء زمانه ومَن بعدهم من الأئمة -مِمن يعتبر قولهم أصولاً وفروعًا- بكفره، وبكفر أبي نصر الفارابي من أجل اعتقاد هذه المسائل، وأنَّها خلاف اعتقاد المسلمين. كما كفّره الغزالِي في كتاب الْمُنْقِذ من الضلال، وكفّر الفارابي.، (انظر: سير أعلام النبلاء، ج10/ 583-585، ولسان الميزان في ترجمته، وكتاب فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، 56-58، ومقدمة في الفلسفة، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ص23-25 -معتقد الفارابي وابن سينا-).

[2] (?) انظر: موقف أهل السنة منهم، للدكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد، ص 36-37 .

[3] (?) قال الذهبي: « الشهرستاني الأفضل **محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني**، أبو الفتح، شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف. برع في الفقه على الإمام أحمد الخوافي الشافعي، وقرأ الأصول على أبي نصر بن القشيري، وعلى أبي القاسم الأنصاري. وصنف كتاب نهاية الإقدام، وكتاب الملل والنحل. وكان كثير المحفوظ، قوي الفهم، مليح الوعظ ». .. ولد سنة سبع وستين وأربعمائة. ومات في شعبان: سنة ثمان وأربعين وخمسمائة. .. غير أنه كان متهما بالميل إلى أهل القلاع والدعوة إليهم، والنصرة لطاماتهم .. (هو متهم بالإلحاد، غال في التشيع). .. يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم، .. وقال ابن أرسلان: مات بشهرستانة سنة تسع وأربعين وخمسمائة. (انظر: سير أعلام النبلاء، ج12/ 157-158).

أرسطوطاليس في جميع ما ذهب إليه، وانفرد به، سوى كلمات يسيرة، ربّما رأوا فيها رأي أفلاطن، والمتقدمين. ولما كانت طريقة ابن سينا أدق عند الجماعة، ونظره في الحقائق أغوص، اخترتُ نقل طريقته من كُتُبه على إيجازٍ، واختصار كأنّها عيون كلامه، ومتون مرامه، وأعرضْتُ عن نقل طُرُق الباقين، وكلّ الصيد في جوف الفِرا »[1].
ثم قال: « كلامُه في المنطق »، فذكر عيونها[2]. وقال: « في الإلهيات »، وذكر عنه ذلك[3]، وقال: « في الطبيعيات »، فذكر ذلك[4].

ولَمّا فصّل صاحب (جناية التأويل) في مهمة هؤلاء للتوفيق بين الدين والفلسفة خلصَ إلى القول « .. إذًا ذلك مقصد دارسِي الفلسفة الإسلامية، ويتلخص من ذلك: **أولا:** أنّهم كلّهم اتفقوا على أنّ ما سُمّي بالفلسفة الإسلامية لا يُعبّر عن إسلامٍ خالصٍ، ولا عن فلسفة محضة، وإنما هو خليط من الفكر الأجنبي صيغ صياغة إسلامية، أو ألبس ثوب الإسلام. **ثانيًا:** ثم تفرّقت كلمتهم وتعددت أفكارهم في تحديد السبب المبرر لتسمية هذا الفكر بـ(الفلسفة الإسلامية)، وهؤلاء المفكّرين بـ(فلاسفة الإسلام): -فمِن قائلٍ: إنّ هذا الفكر نشأ في ديار الإسلام وكنَفِه، فنُسب إليه. -ومِن قائل: إنّ الإسلام مجموعة عقائد وجدانية، وقواعد عقلية، وأنظمة اجتماعية، ومبادئ مدنية، والفلسفة كذلك، فصحّت النسبة. -ومِن قائل: السبب في تسمية هؤلاء المفكّرين بـ(فلاسفة الإسلام) يعود إلى ما قاموا به من عملية المزج بين الدين الإسلامي والفلسفة. -ومن قائلٍ: إنّ فلاسفة الإسلام تعيينًا هم المعتزلة، ومعهم غيرهم من فِرَق الكلام. -ومِن قائل: إنّ كلّ مشتغلٍ بالفلسفة في ديار المسلمين سُمّي

---

[1] (?) كتاب الملل والنحل، (ج2/ 1049-1052).
[2] (?) كتاب الملل والنحل، وكان عيون كلام ابن سينا في المنطق، والذي اختصره الشهرستاني، (ج2/من: 1053-1080).
[3] (?) المصدر نفسه، وكان عيون كلام ابن سينا في الإلهيات، والذي اختصره الشهرستاني، (ج2/من: 1081-1153).
[4] (?) المصدر نفسه، وكان عيون كلام ابن سينا في الطبيعيات، والذي اختصره الشهرستاني، (ج2/من: 1154-1216).

فيلسوفًا إسلاميًّا، وإنْ كان يهوديًّا، أو نصرانيًّا، أو ملحدًا "حرًّا" في تفكيره! **ثالثًا:** نلاحظ أيضًا أنّ أحدًا من هؤلاء الباحثين لم يجرؤ –مع ما أتوا من الأغاليط والاضطرابات، وفقدانٍ للمنهجية- على إدراج أهل الحديث في زمرة الفلاسفة، وهذه نقطة لا ينبغي أنْ تغيب أهميتها عن البال، ولنا عودٌ إليها –بإذن الله- بعد سطور»[1].

وُجدَت الفلاسفة من كل الطوائف المنتسبة إلى الإسلام؛ فوجد عدد كبير من الصوفية ومن الرافضة ومن الباطنية ومن غيرهم، إلا من أهل الحديث والسنة، والحمد لله!

ولَمّا نشأت الفلسفة في البلاد الإسلامية بدخول العلوم والمناهج الأجنبية إلى المسلمين، بدورٍ من جامعة الإسكندرية، وأفراد، وحكومات، وتُرجمت كتبها من عدة لغات إلى العربية، ومن مجموعة حضارات كان لذلك آثارُه المدمّرة على المسلمين وعلى عقيدتهم، من أبرزها:

-إشغال الناس بالفلسفة وصرفهم عن القرآن والسنة، حتى وُجد من آثار ذلك في الساحة الإسلامية مَن يفتي بوجوب قراءة كُتُب الفلسفة.

-تعدد المناهل والمناهج والمصادر التي تستقى منها الدين، فوقع الاختلاف حتمًا[2].

ويكفي ما تقدم إطلالة على المتفلسفة، وفيما يلي ذكرٌ لأهم مواقف الفلاسفة الجفائية تجاه الرسالة المحمديّة في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: زعم الفلاسفة أنَّ النبوة مكتسبة.

المطلب الثاني: تصوُّر الفلاسفةِ الخاطئ لأركان دينه وملته.

المطلب الثالث: تقديم الفلاسفة عقولهم على شريعته .

---

1 (?) قاله الدكتور محمد أحمد لوح في كتابه جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، ص405-406 .

2 (?) انظر: نشأة ما يسمى بالفلسفة الإسلامية، من جناية التأويل الفاسد، ص423-424، و17 صفحة قبل ذلك.

المطلب الأول: زعم الفلاسفة أنَّ الرسالة مكتسبة[1]:

هذا المطلب جاء لبيان وجهٍ من أوجه جفاء الفلاسفة للرســالات عمومًــا، ولرســالة خــاتم الأنبيــاء والمرســلين خصوصًا، ومفادُه أنّ الفلاسفة لا يَرون أنّ النبوة والرسالة اصــطفاءٌ من البــاري ســبحانه لعبــده، ورحمة ومنّة منه لعباده، كما تقدم في تمهيد الباب الثاني، حيث تقدم هناك ذكر الأدلة من الكتــاب والســنة على أنّ (الرســالة محض اصطفاء الله للعبد وأنّها ليست مكتسبة)، وكما هو عقيــدة المسلمين.

فالفلاسفة يقولون بأنّ النبوة مكتسبة، وأنّ خاصة النبي قوة يُنال بها العلم، وقوة يتصرّف بها في العالَم، وقوّة تجعل المعقولات في نفسه خيالاتٍ تُرى وتُسمع، فتكون تلك الخيالات ملائكة الله وكلامه، كابن سينا وأتباعة من المتفلسفة[2]، **فهؤلاء حقيقة لم يحققوا الإيمان بالملائكة ولا بالكتُب، على الوجه الذي جاءت به الرسل**. كما أنّهم (الْمُتفلسفة) والقرامطة الباطنية « يجعلون النبوة فيضًا يفيض من العقل الفعّال على نفس النبي، ويجعلون ما يقع في نفسه من الصّوَر هي: ملائكة الله، وما يسمعه في نفسه من الأصوات هو: كلام الله، ولِهذا يجعلون النبوة مكتسبة، فإذا استعد الإنسان بالرياضة والتصفية فاض عليه ما فاض على نفوس الأنبياء ... »[3].

فموقف هؤلاء من النبوة هو الذي يُشخّصُه معلمهم الثــاني ابن ســينا، وأخَــذَه عنه الآخَــرون –كما حكــاه عنهم شــيخ الإســلام- ومُلخّصه أنّ النبِيّ –عنــدهم- هو الــذي له ثلاث قُــوًى؛ هي خصــائص النبِيّ –على زعمــه-، ولازم ذلك

---

[1] (?) انظر: عنوان: النبوة غير مكتسبة عند شرح السفاريني –رحمه الله- لبيتيه:
ولا تنال رتبة النبوةبالكسب والتهذيب والفتوةلكنها فضل من المولى الأجللمن يشأ من خلقه إلى الأجل(من كتاب: لوامع الأنوار البهية للسفاريني، ج2/281-282).

[2] (?) انظر: درء تعارض العقل والنقل، (ج5/341-وما بعده).

[3] (?) درء تعارض العقل والنقل، (ج5/ 353).

أنّ كُـلَّ مَن اجتمعَتْ فيه هـذه الثلاث فإنّه يصـير نبيًّا، وأنّها لا تنقطــع. وهي **أولا**: أنْ يَنَـالَ العلم بلا تعلُّم، (ويســميها القـوة القدسـية؛ وهي القـوة الحدسـية). **ثانيًا**: أن يتخيل في نفسه ما يعلمـــه؛ فيَــرى في نفسه صُــوَرًا نورانيــة، ويسمع في نفسه أصواتًا؛ كما يَرى النـائمُ في نومه صُـورًا تُكلِّمُــه، ويســمع كلامَهم. وذلك موجــودٌ في نفسه لا في الخارج. فعند هـؤلاء أنّ جَميع ما يختص به النبِيّ مِمّا يـراهُ ويسمعُه دون الحاضـرين –مِما يـأتِي ذكر بعضه في البـاب القادم عند مسألة السـمع-، إنما يـراه في نفسه ويسـمعه في نفسه. **ثالثًا**: أنْ يكون له قوة يتصرف بِها في هيـولِى العـالم، بإحـداث أمـور غريبة –وهـذا معـنى آيـات الأنبيـاء عندهم-. كما أنّه ليس –عنـدهم- في العـالَم حـادثٌ إلا عن قوة ..، وأنّهم لا يُقرّون بأنّ فوق الفلك نفسِه شـيءٌ يفعَل ويُحــــدثُ أشـــياء، لا ملَك ولا غـــير ملَك فضلا عن ربّ العالَمين. وقد نقل هذا عنهم مَن هو مِن أخبَر النـاس بِهم؛ شيخ الإسلام ابن تيميّة[1].

وهـؤلاء عنـدهم أنّ جميع ما يحصل في نفـوس (الأنبيـــاء)، إنما هو من فيض العقل الفعـــال. ثم إنهم لَمّا سَــمعوا كلام الأنبيــاء أرادوا الجمع بينــه، وبين أقــوالهم؛ فصاروا يأخذون ألفـاظ الأنبيـاء، فيضـعونها على معـانيهم، ويسمون تلك المعاني بتلك الألفـاظ المنقولة عن الأنبيـاء، ثم يتكلمـون ويصـفون الكتب بتلك الألفـاظ المـأخوذة عن الأنبياء؛ فيظن من لم يعـرف مـراد الأنبيـاء ومـرادهم أنهم عنوا بها ما عنَتْه ا لأنبياء. وضل بذلك طوائف، وهذا موجود في كلام ابن سينا، ومن أخذ عنه.

يقرر كُلّ ما تقدم شيخ الإسلام فيقول -وهو يرد على ابن عربي الطائي في مسألة خاتم الأولياء التي ابتـدعوها، ورادًّا على فلاسفة الإسلام في إرادة توفيق بين ما جاء به الإسـلام وبين أقـوال سـلفهم اليونـان، قـال-: « فَلَمَّا أَرَادَ هَؤُلاءِ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ، كَـابْنِ سِـينَا أَنْ يُثْبِتَ أَمْـرَ النُّبُـوَّاتِ عَلَى أُصُـولِهِمْ الْفَاسِـدَةِ، وَزَعَمُـوا أَنَّ النُّبُـوَّةَ لَهَا خَصَـائِصُ

[1] انظر خصائص الأنبياء عند الفلاسـفة، والـرد عليهـا: النبـوات لشـيخ الإسلام، (ج2/835-839) والرد فيما بعد ذلك.

ثَلاثَةً مَنْ اتَّصَفَ بِهَا فَهُوَ نَبِيٌّ. أنْ تَكُونَ لَهُ قُوَّةٌ عِلْمِيَّةٌ، يُسَمُّونَهَا الْقُوَّةَ الْقُدْسِيَّةَ؛ يَنَالُ بِهَا مِنْ الْعِلْمِ بِلا تَعَلُّمٍ. وأَنْ يَكُونَ لَهُ قُوَّةٌ تَخَيُّلِيَّةٌ؛ تُخَيِّلُ لَهُ مَا يَعْقِلُ فِي نَفْسِهِ، بِحَيْثُ يَرَى فِي نَفْسِهِ صُوَرًا، أَوْ يَسْمَعُ فِي نَفْسِهِ أَصْوَاتًا، كَمَا يَرَاهُ النَّائِمُ وَيَسْمَعُهُ، وَلا يَكُونُ لَهَا وُجُودٌ فِي الْخَارِجِ. وَزَعَمُوا أَنَّ تِلْكَ الصُّوَرَ هِيَ مَلائِكَةُ اللَّهِ، وَتِلْكَ الأَصْوَاتُ هِيَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى.

وأَنْ يَكُونَ لَهُ قُوَّةٌ فَعَّالَةٌ؛ يُؤَثِّرُ بِهَا فِي هَيُولي الْعَالَمِ، وَجَعَلُوا مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ، وَكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَخَوَارِقَ السَّحَرَةِ، هِيَ قُوَى النَّفْسِ، فَأَقَرُّوا مِنْ ذَلِكَ بِمَا يُوَافِقُ أُصُولَهُمْ.. »[1].

وَبَيَّنَّا أَنَّ كَلامَهُمْ هَذَا أَفْسَدُ الْكَلامِ. ومما يدُلّ على بطلان ما زعموه خصائص (3) للأنبياء « وَأَنَّ هَذَا الَّذِي جَعَلُوهُ مِنْ الْخَصَائِصِ يَحْصُلُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ لآحَادِ الْعَامَّةِ، وَلأَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ الْمَلائِكَةَ الَّتِي أَخْبَرَتْ بِهَا الرُّسُلُ أَحْيَاءٌ، نَاطِقُونَ، أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَهُمْ كَثِيرُونَ »[2].

ويقول أيضًا (وهو يرُدّ عليهم بما مفادُه أنّ ما جعلوه خصائص للرسل ليست خصائص لهم): «وهذه الصفات الثلاث التي جعلوها خاصة الأنبياء، توجد لعموم الناس، بل توجد لكثير من الكفار؛ من المشركين، وأهل الكتاب؛ فإنه قد يكون لأحدهم من العلم والعبادة، ما يتميز على غيره من الكفار، ويحصل له بذلك حدس وفراسة يكون أفضل من غيره.وأما التخييل في نفسه: فهذا حاصلٌ لجميع الناس الذين يرون في منامات ما يرون،لكن يقول:إنّ خاصة النبِيّ أنْ يحصُل له في اليقظة ما حصل لغيره في المنام،وهذا موجود لكثير من الناس،قد يحصل له في اليقظة ما يحصل لغيره في المنام.ويكفيك أنّهم جعلوا مثل هذا يحصل للمرور وللساحر»[3].ثم ردّ عليهم بالنسبة

---

1 (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ص133-134.

2 (?) كتاب النبوات لابن تيمية، (ج2/ص841-842.

3 (?) المصدر نفسه، (ج2/ص841-842.

للخاصية الثالثة،فقال:«وكذلك ما أثبتوه من القــوّة الفعالة المتصرِّفة:هي عندهم تحصل للساحر وغيره »[1].

والزعم بأنّ الرسالة مكتسبة زعمٌ خطيرٌ، وخطورتُه تَبرُز من جهة لازمه، وهذا اللازم هو القول بِعدم ختم النبوة بالنبوة المحمدية، وهو خلاف الإجماع، والقائل به كافرٌ، ويذكر العلماء ألفاظ الكفر، فيقول بعضهم « ومنها: أنّ مَن ادّعى أنّ النبوة مكتسبة، وأنّه يبلغ بصفاء القلب إلى مرتبتها، أو ادعى أنّه يوحى إليه بنزول ملك عليه وإنْ لم يدّع النبوة فهو كافرٌ بالإجماع في جميع ما ذكر »[2].

كما أنّ هذا القول (الزعم بأنّها مكتسبة) أفضى إلى طلب النبوة من قِبَل بعض الفلاسفة –كما سيأتي- لذا فمِن أصول الفلاسفة الفاسدة « أنّ النبوة مكتسبة، وكان السهروردي المقتول يَطلب أنْ يكون نبيًّا، وكذلك ابن سبعين »[3].

وقال في موضع آخر: « أنّ النبوة مكتسبة، ولِهذا كان أكابر هؤلاء يطمعون في النبوة، فكان السهروردي المقتول يقول: لا أموت حتى يقال لي: قم فأنذِر، وكان سبعين يقول: لقد زرب ابن آمنة حيث قال: (**لا نبِيّ بعدي**).. »[4].

وقد رَدّ زَعْمَ الفلاسفة هذا حتى بعضُ الطوائف والفِرَق أيضًا، وإنْ لَم تخلُ من مخالفات في أبواب أخرى، يقول في جوهرة التوحيد حاكيًا قول الفلاسفة ورادًّا عليهم: « قولُه: (ولَم تَكُن نُبُوّةٌ مُكتسبة) أي: لا يَكتَسبُها العبد بِمباشرة أسباب مخصوصة كملازمة الْخَلوة والعبادة، وتناول الحلال كما زَعَمت الفلاسفة -لعنهم الله تعالى-، فالذي ذَهَب إليه الْمسلمون جميعًا أنّ النبوة خصيصة من الله تعالى لا يَبلغ العبد أنْ يَكتسبها، ويُفسِّرونَها: **باختصاص العبد بسَماع وحيٍ مِن الله تعالى**

---

1 (?) المصدر نفسه، (ج2/ص842-843.

2 (?) رسـالة في ألفـاظ الكفر لقاسم بن صـلاح الـدين الخـاني الحلـبي الصـــوفي المتكلم، ص396، بتحقيـــق: د. محمد بن عبد الـــرحمن الخميس (ضمن الجامع في ألفاظ الكفر).

3 (?) النبوات لشيخ الإسلام، (ج2/ ص844).

4 (?) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، (ج1/ 318).

بِحُكمٍ شَرعِيٍّ تكليفيّ سواء أمر بتبليغه أم لا. وهكذا الرّسالة، لكنْ بشَرط أنْ يُؤمَر بالتبليغ. وذهَبَت الفلاسفة إلى أنّ النبوة مكتسبة للعبد بِمباشرة أسبابٍ خاصّة، ويُفسّرونَها بأنّها صفاءٌ وتَجلٍّ للنفس يَحدُثُ لَهاَ مِن الرّياضات بالتّخلّي عن الأمور الذّميمة، والتّخلّق بالأخلاق الحميدة، فالخلاف بين المسلمين والفلاسفة في أنّ النبوة ليست مُكتسبة أو أنّها مكتسبة: مَبنِيّ على الخلاف بينهما في معناها، والقول باكتساب النّبوة أقوى المسائل التي كَفَرَت بِها الفلاسفة، وإنْ لم تَكُن مِن المسائل المذكورة في النّظم المشهور. ويَلْزَم على قولِهم باكتسابِها: تَجويز نَبِيٍّ بعد سيّدنا محمدٍ أو معه، وذلك مستلزمٌ لتكذيب القرآن والسّنة، .. »[1].

أما صاحب المتن فقد نَظم بيتين للرد عليهم:

ولَم تَكُن نُبُوّةٌ مُكتَسَبَةٌ ... ولَو رَقَى في الخير أعلى عَقَبَه

بل ذاك فَضْلُ الله يُؤتيه لِمَن ... يشاءُ جَلّ الله واهِب المِنَن[2]

وهذا وجهٌ من أوجه جفاء هذه العصابة للرسالة الخاتمة؛ حيث جوّزوا اكتسابها، حتى جُنّ جنون بعضهم فبدأ يدّعي طلبها. وهذا مصادمٌ للنصوص المتواترة المصرِّحة بختم النبوة بنبيّ الله محمد ﷺ. وقد تقدم الرد على مثله عند الحديث عن دعوى بعض الرافضة النبوة لأناس بعده ﷺ.

المطلب الثاني: تصوُّر الفلاسفة الخاطئ لأركان دينه ﷺ وملته:

تقدم في المطلب قبل هذا: معتقد الفلاسفة في النبوة وموقفهم منه، وقولهم بأنّها مكتسبة تُدرَك بالرياضة، وتفيض على متطلِّبِها بالتربية والمجاهدة. والإيمان بالنبوة من الأسس والأصول العظيمة، والقواعد والأركان الكبيرة التي جاءت الأنبياء تطالب بالإيمان بها.

---

[1] تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري، ص142.

[2] جوهرة التوحيد لبرهان الدين اللقاني، (وهما بيت رقم: 63 و64، ضمن مجموع مهمات المتون).

وأما هذا المطلب فسيكون الحديث عن بقية الأجزاء المهمة وموقف المتفلسفة منها. وهي ما تُسمى بـ(أركان الإيمان، فأقول:

قد جاء نبينا محمدٌ بل والأنبياء قبله بالإيمان بالله واليوم الآخر. وهذان الركنان يتضمنان الإيمان بكلّ ما طلب الله تعالى بالإيمان به، من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، والقدر خيره وشرّه، قال تعالى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭼ [البقرة: ١٧٧]. وغيرها، وفي الحديث عن رسول الله ، أنّه قال: " **الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ** "[1]. والآيات والأحاديث التي بيّن الله تعالى على لسان رسوله أمر الإيمان بالله واليوم الآخر كثيرة، فقد –والله- كشَف بِها مُراده، وهدى بِها عبادَه، فالمؤمنون حقًّا في هذا الباب (باب الإيمان بما جاء به الرسول) من الصحابة والتابعين ومَن سلك طريقهم علِموا -قطعًا- أنّ ما بيّنه هذا الرسول في هذا قد حصَل به مراده من البيان، وما أراده من البيان هو مطابِقٌ لِعلمه، وعِلْمُه بذلك هو أكمل العلوم. -هذا ما عليه المؤمنون.

وأما الْمُنحرِفون الفلاسفة فكما يقول ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله- في شرح قول الطحاوي: (ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين) بعدما بيّن أنّ مَن آمن بِهذه الأركان وغيرها من أصول الإيمان هو المؤمن حقًّا، ومَن أنكرها أو بعضها أولئك هم الكافرون حقًّا مُلخّصًا مقصود هذا المطلب: « فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل. وأما أعداؤهم ومَن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع: فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكارًا الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإنّ من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن

[1] صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة لقمان، رقم: 4777، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: 9.

مذهبهم أن الله سبحانه موجود مجرد لا ماهية له ولا حقيقة، **فلا يعلم الجزئيات بأعيانها**. وكل موجود في الخارج فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته، وإنما العالَم عندهم لازم له أزلا وأبدًا، وإنْ سَموه مفعولا له؛ فمصانعة ومصالحة للمسلمين في اللفظ، وليس عندهم بمفعول ولا مخلوق ولا مقدور عليه. وينفون عنه سَمعه وبصَرَه وسائرَ صفاته! **فهذا إيمانُهم بالله،**
وأما كتبه عندهم: فإنّهم لا يصفونه بالكلام، فلا يكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول. والقرآن عندهم فيضٌ فاضَ من العقل الفعّال على قلب بَشَرٍ زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته؛ لينال من العلم أعظم مما يناله غيره، وقوة النفس؛ ليؤثر بِها في هيولى العالم بقلب صورة إلى صورة، وقوة التخييل؛ ليخيل بِها القوى العقلية في أشكال محسوسة، **وهي الملائكة عندهم**! وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل، وتذهب وتَجيء، وترَى وتُخاطب الرسول، وإنّما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان.
وأما اليوم الآخر، فهم أشد الناس تكذيبًا به وإنكارًا له في الأعيان. وعندهم أنّ هذا العالَم لا يخرب، ولا تنشق السماوات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم، ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم ويبعثون إلى جنة ونار، كلّ هذا عندهم أمثالٌ مضروبةٌ لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج ، كما يفهم منها أتباع الرسل . فهذا إيمان هذه الطائفة الذليلة الحقيرة بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر. وهذه هي أصول الدين الخمسة »[(1)].

لذا قال د. محمد خليل هراس: « .. وأما فلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا فيقول: إنّهم وإنْ كانوا قد توسعوا في هذه المباحث وتكلموا في الإلهيات والنبوات والمعاد بما لا يوجد عند هؤلاء الفلاسفة المتقدمين، وكان كلامهم في ذلك أجود وأقرب إلى الحق من كلام سلفهم

[1] (?) شرح ابن أبي العز للعقيدة الطحاوية، (ج2/ص455-456). وانظر: ص454 للوقوف على متن الطحاوي.

إلا أنّهم مزجوا الحق الذي أخذوه من الدين بالباطل الذي بنوه على أصولهم الفلسفية الفاسدة، وحاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة ولكن على حساب الدين؛ فهم يعمدون إلى النصوص فيؤولونها بتأويلات بعيدة ومتكلفة حتى تتلاءم مع قواعدهم الفلسفية؛ فيقولون -مثلا-: إنّ صفات الله التي جاء بها القرآن، ونطقت بها السنة ليست إلا تعبيرات عن ذات واحدة، ويقولون: إنّ العرش هو الفلك التاسع، والكرسي هو الفلك الثامن، والملائكة هي النفوس والقوى التي في الأجسام، وما يحدث في العالَم من خوارق العادات حتى معجزات الأنبياء إنما سببه –عندهم- هو قوة فلكية أو طبيعية أو نفسانية، إلى غير ذلك من الأمور التي وجدوها في الفلسفة فتمحلوا لَها نصوصًا من الدين »[1].

ففي كلام ابن أبي العز السابق: إجمالٌ لعقائد الفلاسفة، وهي: نفي علم الله تعالى بالجزئيات، والقول بقدم العالم، ونفي الصفات عن الله تعالى، ثم الانحرافات القبيحة في أبواب أصول الإيمان؛ الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وفي الوحي. وهنا سأدرسُ أهم هذه الأمور لأبرز تصور الفلاسفة الخاطئ فيها فأقول:

أولا: أصل الأصول هو الإيمان بالله تعالى؛ بأسمائه وصفاته، وأفعاله، وإخلاص التوجه إليه بالعمل والقصد، وقد بيّنه الرسول أيّما تبيين، وفصلتْه القرآن والسنة أيّما تفصيل، لكن هؤلاء خرموه أيّما خرم، فبالنسبة لأسمائه وصفاته فقد نفَوا عنه سبحانه النقيضَين، فآل أمرهم إلى وصفه بالعدم، وزعمُوا أنّ حقيقة صفة الله تعالى أنّه ليس خارج العالَم ولا داخله، ولا محايثه ولا مداخله، ولا .. ولا.. وأنّ هذا النفي هو حقيقة وصفه –على زعمهم- لكن الذي يقرأ القرآن والسنة يَرى أنّ الله وصف نفسه بصفات كما وصفه رسُولُه بصفات، ونفى الله عن نفسه النقص والعيب ومماثلة مخلوقاته، وهكذا نفاه عنه رسوله النقائص والعيوب. فالملحظ هنا أنّ المسلم يقول كيف تصفون الله بلا شيءٍ، وقد قرأنا الكتاب والسنة

[1] باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي، ص42-43.

ووجدناهما يصفانه بصفات تليق به؟ وقد اختلفوا في الجواب على مثل هذا السؤال، فمن قائل بأنّ النبِيّ - على زعمه- يعلَم أنّ الله متصفٌ بأنّه لا فوق ولا تحت، ولا كذا ولا كذا، إلا أنّه لا يحتمله عقول أصحابه والناس، فقال لهم ما قال. ومن قائل بأنّه لا يعلم ذلك، إنّما يعلَم الذي قال للناس، ويعلَم حقيقة صفة الله –الوصف بالعدم حقيقة على هذا الزعم- الفلاسفةُ؛ فصاروا فوقه. ويحكي الشيخان مقالاتهم الساقطة الكاذبة، ويرُدّان عليهم، فلنستمع إلى قصة هؤلاء بأكملها، قال ابن تيمية –رحمه الله- وهو يذكر الْمُنْحَرِفينَ عَنْ طَرِيقِ الكتاب والسنة في العلم بالله ، وأنّهمْ ثَلَاثُ طَوَائِفَ، وهم: « أَهْلُ التَّخْيِيلِ، وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَأَهْلُ التَّجْهِيلِ، (فَأَهْلُ التَّخْيِيلِ: هُمْ الْمُتَفَلْسِفَةُ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَمُتَصَوِّفٍ وَمُتَفَقِّهٍ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ مَا ذَكَرَهُ الرَّسُولُ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، إنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ لِلْحَقَائِقِ، لِيَنْتَفِعَ بِهِ الْجُمْهُورُ، لا أَنَّهُ بَيَّنَ بِهِ الْحَقَّ، وَلا هَدَى بِهِ الْخَلْقَ، وَلا أَوْضَحَ بِهِ الْحَقَائِقَ. ثُمَّ هُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَعْلَمْ الْحَقَائِقَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُونَ: إنَّ مِنْ الْفَلاسِفَةِ الإِلَهِيَّةِ مَنْ عَلِمَهَا. وَكَذَلِكَ مِنْ الأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُسَمُّونَهُمْ الأَوْلِيَاءَ مَنْ عَلِمَهَا. وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مِنْ الْفَلاسِفَةِ وَالأَوْلِيَاءِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ مِنْ الْمُرْسَلِينَ. وَهَذِهِ مَقَالَةُ غُلاةِ الْمُلْحِدِينَ مِنْ الْفَلاسِفَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ: بَاطِنِيَّةِ الشِّيعَةِ وَبَاطِنِيَّةِ الصُّوفِيَّةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ الرَّسُولُ عَلِمَهَا، لَكِنْ لَمْ يُبَيِّنْهَا وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِمَا يُنَاقِضُهَا، وَأَرَادَ مِنْ الْخَلْقِ فَهْمَ مَا يُنَاقِضُهَا؛ لأَنَّ مَصْلَحَةَ الْخَلْقِ فِي هَذِهِ الاعْتِقَادَاتِ؛ الَّتِي لا تُطَابِقُ الْحَقَّ. وَيَقُولُ هَؤُلاءِ: يَجِبُ عَلَى الرَّسُولِ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إلَى اعْتِقَادِ التَّجْسِيمِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِلَى اعْتِقَادِ مَعَادِ الأَبْدَانِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ. قَالُوا: لأَنَّهُ لا يُمْكِنُ دَعْوَةُ الْخَلْقِ إلا بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْكَذِبَ لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادِ. فَهَذَا قَوْلُ هَؤُلاءِ فِي نُصُوصِ الإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ. (وَأَمَّا الأَعْمَالُ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُقِرُّهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْرِيهَا هَذَا

الْمَجْرَى. وَيَقُولُ : إنَّمَا يُؤْمَرُ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، وَيُؤْمَرُ بِهَا الْعَامَّةُ دُونَ الْخَاصَّةِ، فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْبَاطِنِيَّةِ الْمَلاحِدَةِ والإسماعيلية وَنَحْوِهِمْ »[1].

وما تقدم هنا عن معتقد الفلاسفة في الإيمان بالله هو السرّ في قوله –رحمه الله- في التدمرية بعد حكاية معتقد الباطنية، قال: «وقاربهم طائفة من الفلاسفة وأتباعهم فوصفوه بالسلوب والإضافات، دون صفات الإثبات، ..-ثم ردّ عليهم »[2].

وقال: والفلاسفة المشّاؤون يُنكرون ما أخبر الله عن نفسه، وعن اليوم الآخر، كما أنّ بعضهم طرَد ذلك فأدخله في باب الأمر والنهي، كما قرّر هذا شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يتكلّم عن افْتَرَقَ النَّاس في الإيمان بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وأنهم فِي هَذَا الْمَقَامِ ثَلاثَ فِرَقٍ، منها: الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالْفَلاسِفَةِ أَتْبَاعِ الْمَشَّائِينَ وَنَحْوِهِمْ مِنْ الْمَلاحِدَةِ نَفَوْا حَقَائِقَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ الْيَوْمِ الآخِرِ، ثُمَّ إنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَجْعَلُونَ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ فَيَجْعَلُونَ الشَّرَائِعَ الْمَأْمُورَ بِهَا، وَالْمَحْظُورَاتِ الْمَنْهِيَّ عَنْهَا: لَهَا تَأْوِيلاتٌ بَاطِنَةٌ تُخَالِفُ مَا يَعْرِفُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا، كَمَا يَتَأَوَّلُونَ مِنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، فَيَقُولُونَ: إنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ: مَعْرِفَةُ أَسْرَارِهِمْ، وَإِنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ: كِتْمَانُ أَسْرَارِهِمْ، وَإِنَّ حَجَّ الْبَيْتِ السَّفَرُ إلَى شُيُوخِهِمْ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ التَّأْوِيلاتِ الَّتِي يُعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّهَا كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ عَلَى الرُّسُلِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- وَتَحْرِيفٌ لِكَلامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَإِلْحَادٌ فِي آيَاتِ اللَّهِ. وَقَدْ يَقُولُونَ: الشَّرَائِعُ تَلْزَمُ الْعَامَّةَ دُونَ الْخَاصَّةِ؛ فَإِذَا صَارَ الرَّجُلُ مِنْ عَارِفِيهِمْ وَمُحَقِّقِيهِمْ وَمُوَحِّدِيهِمْ: رَفَعُوا عَنْهُ الْوَاجِبَاتِ، وَأَبَاحُوا لَهُ الْمَحْظُورَاتِ[3].

ولقد قال العلامة ابن القيّم –رحمه الله- مثل كلام شيخه السابق، وزاد عليه فائدة يحسُن الوقوف عليها:

---

1 (?) الفتوى الحموية لابن تيمية، ص266-268.

2 (?) التدمرية لابن تيمية، ص17.

3 (?) انظر: التدمرية، 48-49.

فقال: « أصحاب التخييل، وهم الذين اعتقدوا أنّ الرسل لَم يفصحوا للخلق بالحقائق، إذْ ليس في قواهم إدراكها، وإنما أبرزوا لهم المقصود في صورة المحسوس، قالوا: ولو دعت الرسل أممهم إلى الإقرار بربٍ لا داخل العالَم ولا خارجه، ولا محايثه ولا مبايِنًا له، ولا متصلا به ولا منفصلا عنه، ولا فوقه ولا تحته، ولا عن يمينه ولا عن يساره لنفرت عقولهم من ذلك، ولَم تصدق بإمكان هذا الموجود، فضلا عن وجوب وجوده. وكذلك لو أخبرهم بحقيقة كلامه، وأنه فيض فاض من المبدأ الأول على العقل الفعال، ثم فاض من ذلك العقل على النفس الناطقة الزكية المستعدة، لم يفهموا ذلك؛ ولو أخبروهم عن المعاد الروحانى بما هو عليه لم يفهموه. فقربوا لهم الحقائق بإبرازها في الصور المحسوسة، وضربوا لهم الأمثال بقيام الأجساد من القبور، في يوم العرض والنشور، ومصيرها إلى الجنة فيها أكل وشرب ولحم وخمر وجوار حسان، أو نار فيها أنواع العذاب، تفهيمًا للذات الروحانية بهذه الصورة، وللألم الروحانى بهذه الصورة. وهكذا فعلوا في **وجود الرب تعالى وصفاته وأفعاله**، ضربوا لهم الأمثال بموجود عظيم جدا أكبر من كل موجود، وله سرير عظيم وهو مستو على سريره، يسمع ويتكلم، ويأمر وينهى، ويرضى ويغضب، ويأتي ويجيء وينزل، وله يدان ووجه، ويفعل بمشيئته، وإذا تكلم العباد سمع كلامهم، وإذا تحركوا رأى حركاتهم، وإذا حجش في قلب أحد منهم هاجش علمه، وأنه ينزل كل ليلة إليهم إلى سمائهم هذه .. إلى غير ذلك مما نطقت به الكتب الإلهية، قالوا: ولا يحل لأحد أن يتأول ذلك على خلاف ظاهرة للمجهول؛ لأنّه يفسد ما وضعت له الشرائع والكتب الإلهية. وأما الخاصة فإنهم يعلمون أنّ هذه أمثالٌ مضروبة، لأمور عقلية تعجز عن إدراكها عقول الجمهور، فتأويلها جناية على الشريعة والحكمة. وحقيقة الأمر عند هذه الطائفة أنّ الذي أخبَرَتْ به الرسل عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعن اليوم الآخر لا حقيقة له تطابق ما

أخبَروا به، ولكنّه أمثالٌ وتخييلٌ وتفهيمٌ بضرب الأمثال، .. »[1].

والمطلب كما تقدم في (تصوّر الفلاسفة الخاطئ في أركان دين النبِي وملته)، وما أبعد هذا التصوّر الفلسفي عن الحقائق الإيمانية التي جاء بها رسولُ البشرية؟ وآخر كلام العلامة ابن القيّم المتقدم تطرّق إلى مفاهيمهم (المتفلسفة) الخاطئة عن: اليوم الآخر، وما فيه من المعاد والحشر وغير ذلك مما هو من أركان الإيمان الستة المعروفة، ولقد تكلم الغزالي عن تأويل الأشاعرة (المتأخرين) بكل ما يتعلق بصفات الله سبحانه، ومنعهم التأويل فيما يتعلق بأمور الآخرة، وأنّ المعتزلة (البغدادية دون البصرية[2]) زادوا عليهم فأولوا في الصفات وفي كثير مما يتعلق بأمور الآخرة، كما بيّن أنّ الفلاسفة زادوا على الجميع حيث أوّلوا أيضًا ما يتعلق بالحشر، ونعيم القبر والجنة، وعذاب القبر والنار، وغير ذلك، فصاروا حقًّا غير مؤمنين بالإيمان باليوم الآخر على المعنى الذي أثبتته الشريعة، قال: « ومِن ترقيهم إلى هذا الحد: زاد الفلاسفة؛ فأوّلوا كلَّ ما ورَد في الآخرة، وردُّوه إلى آلام عقلية وروحانية، ولذات عقلية، وأنكروا حشر الأجساد، وقالوا: ببقاء النفوس، وأنّها تكون إما معذَّبة، وإما منَعّمَة، بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس، وهؤلاء هم المسرفون »[3].

ومثله قول مَن هو مِن أخْبَر الناس بالفلاسفة؛ شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- وهو يذْكُر أقسام الفلاسفة المنتسبة إلى الإسلام وغيرهم بالنسبة للإيمان بالْمعاد (معاد الأجسام ومعاد الأرواح)، وممّ يستفاد؛ هل بالعقل الْمجرّد أو بالسمع، فالفارابِي –مثلا- له في معاد الأرواح ثلاثة أقوال متناقضة: تارةً يقول: لا تُعاد، ويُنكِر الْمعاد

1 (?) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص72-73، (وله كلام شبيهٌ من هذا عندما تكلم عن توحيد الفلاسفة، ص135وما بعده)، وانظر أصله في الحموية لابن تيمية، (ص266-268)، والفرقان بين أولياء الرحمن والشيطان، 140-146.

2 (?) وبِهذا المعنى في الموضعين علق عليه الشيخ المنصف في كتابه: درء تعارض العقل والنقل، (ج5/ 347-348).

3 (?) إحياء علوم الدين، للغزالي، (ج1/134).

بالْكلّية. وتارةً يقول: إنّها تُعاد، وتارةً يُفرّق بين الأنفس العالِمة والْجاهلة؛ فيُقرّ بِمعاد الْعالِمة دون الْجاهلة. كما أنّ القرامطة –وهم من الفلاسفة يُنكرون المعاد ويؤولون نصوصه كما يؤولون أركان الإسلام ويزعمون بأنّها رموزٌ وإشارات إلى علومٍ باطنة، يقول في ذلك: « والفلاسفة الإلَهيون يُثبتون معاد النفوس بالعقل، وقد وافقهم على إثبات معاد الأرواح بالعقل طوائفُ من أهل الكلام والتصوف وغيرهم، وإنْ كان هؤلاء يُثبون معاد الأبدان أيضًا، إما بالسمع، وإما بالعقل، فالمقصود أنّ العقل عندهم قد يُعلَم به إما معاد الأرواح وإما المعاد مطلقًا. وأما إنكار الفلاسفة لِمعاد الأبدان فهذا مما اتفق أهل الْمِلل على إبطاله. .. أنّ مَن انتسب إلى الْمِلل منهم من المسلمين واليهود والنصارى، هم مُضطربون فيما جاءَت به الأنبياء في المعاد، فالْمحققون منهم يعلمون أنّ حُجَجَهم على قِدَم العالَم، ونفي معاد الأبدان ضعيفةٌ، فيَقبَلون من الرّسل ما جاؤوا به. ومنهم قومٌ واقفةٌ متحيِّرون لتعارض الأدلة وتكافئها عندهم. ومنهم قومٌ أصرّوا على التكذيب، ثم زعموا أنّ ما جاءت به الرّسل هو أمثالٌ مضروبة لتفهيم الْمعاد الرّوحانِي؛ وهؤلاء إذا حُقِّق عليهم الأمر صرّحوا بأنّ الرّسل تَكذِب لِمصلحة العالَم، وإذا حسّنوا العبارة قالوا: إنّهم يُخيِّلون الحقائق في أمثالٍ خياليّة. وقالوا إنّ خاصة النّبوة تخييل الحقائق للْمُخاطَبين، وإنّه لا يُمكِن خطاب الْجمهور إلا بِهذا الطريق، كما يَزعُم ذلك الفارابِي وأمثاله. مع أنّ الفارابِي له في معاد الأرواح ثلاثة أقوال متناقضة: تارةً يقول: لا تُعاد، ويُنكِر الْمعاد بالْكلّية. وتارةً يقول: إنّها تُعاد، وتارةً يُفرّق بين الأنفس العالِمة والْجاهلة؛ فيُقرّ بِمعاد الْعالِمة دون الْجاهلة. ولهم في تفضيل النبيّ على الفيلسوف أو بالعكس نزاعٌ؛ فعقلاؤُهم كابن سينا وأمثاله يُفضّل النبيّ على الفيلسوف، وأما غُلاتُهم فيُفضّلون الفيلسوف. .. ولا ريب أنّ أولِيّهم ليس لهم في النبوات كلامٌ مُحصّل، وكلامُهم في الإلهيات قليلٌ، وإنما توسّع القوم في الأمور الطبيعية والرياضية. ومصنّفات معلِّمهم الأول أرسطو:

عامَّتُها من ذلك، والذي فيها من الإلهيات أمرٌ في غاية القلة مع اضطرابه وتناقضه. فإذا عُرف ذلك، فمَا جاء به السمع مِن أمر المعاد قرّره عليهم النّظار بطريقين: أحَدِهما: ببيان الكلام الصريح في إثبات معاد الأبدان، وتفاصيل ذلك. والثانِي: أنّ العلم بأنّ الرّسل جاءت بذلك عِلمٌ ضروريّ؛ فإنّ كلّ مَن سمِع القرآن والأحاديث المتواترة، وتفسير الصحابة والتابعين لذلك عَلِم بالاضطرار أنّ الرسول أخبَر بِمعاد الأبدان، وأنّ القدح في ذلك كالقدح في أنّه جاء بالصلوات الخمس، وصوم رمضان، وحج البيت العتيق، ونحو ذلك. والقرامطة والباطنية –وهم من الفلاسفة- أنكروا هذا وهذا، وزعموا أنّ هذه كلّها رموزٌ وإشارات إلى علوم باطنة، كما يقولون: إنّ الصلاة معرفة أسرارنا، والصيام كتمان أسرارنا، والحج زيارة شيوخنا المقدّسين، ونحو ذلك مما هو مذكورٌ في الكُتُب المؤلفة في كشف أسرارهم وهتك أستارهم. ولِهؤلاء القرامطة صُنّفت رسائل إخوان الصفا، وهم الذين يقال لهم: الإسماعيلية؛ لانتسابهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر؛ قال ابن سينا: كان أبي وأخي مِن أهل دعوتهم، ولِهذا اشتغلتُ بالفلسفة. وأما الفلاسفة الذين لم يَدخُلوا في القرمطة المحضة؛ فهم لا يُنكرون العبادات والشرائع العملية، بل قد يوجبون اتباعها والعمَل بِها، لاسيما مَن دخل منهم في التصوّف أو الكلام؛ لكن منهم مَن يوجب اتباعها على العامة دون الخاصة. أو يوجبها مِن غير الوجه الذي أوجبها الرسول، كمَا يُجوّزون أنْ يكون بعد محمد مَن يأتِي بشريعة أخرى، ويقولون: إنّ أحدَهم يُخاطبُه الله كما خاطب موسى بن عمران، ويُعرَج به كما عُرج بالنبي . وأمثال هذه المقالات التي كثُرت لَمّا ظهَرت الفلسفة التي أفسدت طوائفَ من أهل التصوف والكلام »[1].

---

[1] شرح الأصفهانية، ص720-724.

وهـذا كلام نفيس بيّن فيه شـيخ الإسـلام معتقد الفلاسفة في أكثر أصول الإيمان، والذي به خالفوا ما جـاء به رسول الله من هذه الحقائق.

كما أنه قد جاء مضمون المطلب ملخصًا في قولٍ لشيخ الإسلام في (أولياء الشيطان وأولياء الرحمن): « ثُمَّ أَنْكَرُوا حَقِيقَةَ الْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَجَعَلُوا أَهْلَ النَّارِ يَتَنَعَّمُونَ، كَمَا يَتَنَعَّمُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَصَارُوا كَافِرِينَ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. مَعَ دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ خُلاصَةُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ مِنْ أَهْلِ وِلايَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ الأَنْبِيَاءَ إنَّمَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ مِنْ مِشْكَاتِهِمْ »[1].

ومما يدخل في المطلب: عدم إقرار الدهرية الطبيعية: بواجبٍ أبدَع ممكنًا، وهذا قول فرعون، وقد سرى ذلك إلى ابن عربي الملحد. وهذا **تصوُّر خاطئ للإيمان بالله**، والذي أوله الإيمان بوجوده.

ومن ذلك: جعلهم أهل النار يتنعمون فيها كما يتنعم أهل الجنة في الجنة، ففي هذا **كفرٌ بحقيقة الإيمان باليوم الآخر**[2].

ويدخل فيه، ويتعلق بالإيمان بالرسل: حال ملاحدة الفلاسفة والقرامطة أهل التخييل، الذين يعارضون كلام الله وكلام رسوله بعقولهم، ويقولون (إنّ الرسل أبطنت خلاف ما أظهرت، وقالوا: لأجل مصلحة الجمهور. فآل بهم الأمر إلى إسقاط الواجبات واستحلال المحرمات: إما للعامة، وإما للخاصة دون العامة، -كما تقدم- وهذا مخالفٌ لِما عُلم بالاضطرار من دين الإسلام[3].

فثبت بِهذا المطلب أنّ الفلاسفة (المتفلسفة) لَم يؤمنوا بالله واليوم الآخر وببقية أصول الإيمان بالله، وإنْ انتسبوا إلى الإسلام إلا أنّهم من الذين ألحدوا في آيات الله وأسمائه، وكفروا به. والله المستعان!

---

1 (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، 146.
2 (?) انظر هاتين النقطتين، درء تعارض العقل والنقل، (ج5/4).
3 (?) انظر: درء تعارض العقل والنقل، (ج5/234).

المطلب الثالث: تقديم الفلاسفة عقولهم على شريعته [1]:

« وبالجملة فالمنهج الذي يسلكه هؤلاء الفلاسفة في بحث هذه الأمور الإلهية منهجٌ عقليٌّ، لا يرجعون في العلم بشيءٍ إلى ما جاء به الرسول، ولا يعرفون من العلوم الكليّة ولا العلوم الإلهية إلا ما يعرفه الفلاسفة المتقدمون، مع زيادات تلقوها عن بعض أهل الكلام أو أهل الملة »[2]. وهذا مثل الفارابي وابن سينا.

فمن أوجُه جفاء المتفلسفة (فلاسفة الإسلام -كما يقال) رسالةَ نبينا محمدٍ : تقدِيمهم معقولاتهم على المنقولات عنه كتابًا وسنة.

ولإنْ كان هؤلاء المتفلسفة ليسوا هم الذين ابتدعوا هذه البدعة، إلا أنّهم لَمّا اتخذوه منهجًا لهم، ذلك أنّه منهج سلفهم (فلاسفة ما قبل الإسلام) ومبنى قوانينهم، كما أنّهم تلقفوه من الفرق التي أخذتْه من الفلاسفة بعد ترجمة كتبها إلى العربية، ألا وهي الجهمية والمعتزلة، ثم إنّهم لَمّا أخذوا تقديس العقول من أولئك نسجوا على منوال الفلاسفة القدماء حيث إنهم يشعرون بأنّ عقولهم لها القوة الخيالية .. الفائقة، وأنّهم أذكياء (أوتوا ذكاء، ولم يُعطُوا زكاة) .. فأدخلوا هذه العقول فيما لا يجوز لها الدخول، فقبِلوا ما وافقها من النصوص، وردُّوا ما عارضها –على زعمهم-.

وأما عن القول بأنّهم ليسوا هم الذين ابتدعوا هذه البدعة في الأمة الإسلامية، بل الجهمية ثم المعتزلة ثم أخذ الناس عنهم وعن الفلاسفة القدماء، حتى هؤلاء المتفلسفة، فأقول ذاكرًا للمراحل التي مرّت بها هذه البدعة من نشأتها إلى وصولها غايتها الخبيثة القبيحة، ملخِّصًا ذلك كلّه مما أوردَه العلامة ابن القيّم –رحمه الله-:

---

1 (?) باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي، د. محمد خليل هراس، ص43.

2 (?) قاله محقق رسالة أضحوية في أمر المعاد، لابن سينا ص44-51، (د: سليمان دينا، ط/ دار الفكر العربي.

فبعدما أخرَج الله الناس من ظُلُمات كانوا فيها ببعثة نبينا محمدٍ ، مضى الرعيل الأول، وضَوءُ هذا النور لم تُطفِئه عواصفُ الأهواء، وليس يلتبس بِظُلَم الآراء، وقد أوصى هؤلاء الصحابة مَن بعدهم ألا يُفارقوا ذلك النور الذي اقتبسوه منهم، إلى أنْ جاء آخر عصرهم حيث حدَثت فيه بِدَع الشيعة والخوارج والقدرية والمرجئة، فبعُدوا عن النور الذي كان عليه أوائلُ الأمة، ومع هذا فلم يُفارقوه بالكلية، بل كانوا للنصوص مُعظّمين، وبها مُستدلِّين، ولهَا على الآراء والعقول مقدِّمين، ولَم يدّعِ أحدٌ منهم أنّ عنده عقلياتٍ تُعارض الوحي والنصوص، وإنما أوتوا من سوء الفهم فيها، فصاح بهم مَن أدركهم مِن الصحابة وكبار التابعين مِن كلّ قُطُر .. ولَمّا كثُرَت الجهمية في آخر عصر التابعين كانوا هم أوّل مَن عارض الوحي بالرأي، ومع هذا فكانوا قليلين أذلاء مذمومين، وأوّلهم شيخهم الجعد بن درهم، .. إلى أنْ جاء أوّل المائة الثالثة، وولي على الناس عبد الله بن مأمون، وكان يُحبّ أنواع العلوم، وكان مجلسه عامرًا بالمتكلّمين في العلوم، فغلب عليه حُبّ المعقولات، فأمَر بتعبير (تعريب) كُتُب اليونان، وأقدم لها الْمُترجمين من البلاد، فتُرجمَت له وعُبِّرَت، فانشغل بها الناس والْمِلِك، فغلب على مجلسه من الجهمية فحشَوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه فقبلها واستحسنها، ودعا الناس إليها وعاقبهم عليها، فلم تطل مدتُه. فصار الأمر بعده إلى المعتصم، وهو الذي ضرَب أحمد بن حنبل، والجهمية تُصوِّب فعله وتدعوه إليه، وتُخبِره أنّ ذلك هو تنزيه الرّب عن التشبيه والتجسيم؛ فغلبوا على قربه ومجلسه، والقضاة والولاة منهم، ومع هذا فلم يكونوا يتجاسرون على إلغاء النصوص وتقديم العقول والآراء عليها، ولكنْ كانوا على ذلك يحومون وحوله يُدَندِنون، وأخذوا الناس بالرغبة والرهبة، .. ثم أطفأ الله برحمته تلك الفتنة وأخْمَد تلك الكلمة، ونصَر السنة نصْرًا عزيزًا، وفتح لأهلها فتحًا مبينًا، وصُنّف في ذلك الزمان في السنة ما لا يُحصيه إلا الله. ثم انقرض ذلك العصر وأهلُه، وقام بعدهم ذرّيتُهم يدعون إلى كتاب

الله وسنة رسوله ﷺ على بصيرة، .. إلى أنْ جاء ما لا قِبَل لأحدٍ به، وهم جنود إبليس حقًّا، المعارضون لِما جاءت به الرُّسل بعقولهم وآرائهم، وهم القرامطة والباطنية والملاحدة وفيهم الكثير ممن يُدعى بفلاسفة الإسلام، فدعَوهم إلى العقل المجرّد، وأنّ أمور الرسل تعارض العقول، فهم القائمون بِهذه الطريقة حقّ القيام؛ بالقول والفعل، فجرى على الإسلام وأهله منهم ما جرى، وكسَروا عسكر الخليفة مرارًا عديدة، وقتلوا الحجاج قتلا ذريعًا. **وأصل طريقتهم: أنّ الذي أخبَرتْ به الرسل قد عارضه العقل، وإذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل**. وفي زمانهم استولى الكفار على كثير من بلاد الإسلام بالمشرق والمغرب، وكاد الإسلام أنْ ينهدم ركنُه لولا دفاع الله الذي ضمِن حفظه إلى أنْ يرث الأرض ومَن عليها، ثم خمدت دعوة هؤلاء في المشرق، وظهرت في المغرب قليلا، حتى استفحلت وتمكنت واستولى أهلها على كثير من بلاد المغرب، ثم أخذوا يطأون البلاد حتى وصلوا إلى بلاد مصر فملكوها وبنوا بها القاهرة، وأقاموا على هذه الدعوة مصرّحين بها هم وولاتهم وقُضاتهم، وفي زمانِهم صُنّفت رسائل إخوان الصفا والإرشادات والشفا وكُتب ابن سينا ، فإنّه قال: كان أبِي من أهل الدعوة الحاكمية، وعُطّلت في زمانهم السنة وكتبها والآثار جملة إلا خفية. **وشعار هذه الدعوة: تقديم العقل على الوحي.** وأهل السنة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين، بل كان لأهل الذمة من الأمان والجاه والعزّ عندهم ما ليس لأهل السنة، فكم أغمدت سيوفهم في أعناق العلماء، وكم مات في سجونهم من ورثة الأنبياء، حتى استنقذ الله الإسلام والمسلمين من أيديهم في أيام نور الدين وابن أخيه: صلاح الدين. وعلَت كلمة السنة، وأذن بها على رؤوس الأشهاد فعاش الناس في ذلك النور مدة ... حتى استولَت الظلمة على بلاد الشرق؛ فقدّموا الآراء والعقول والسياسة والأذواق على الوحي، وظهَرت فيهم الفلسفة والمنطق وتوبعهما، فبعث الله عليهم عبادًا أولي بأسٍ

شديدٍ فجاسوا خلال الديار، وعاثوا في القرى والأمصار، وكاد الإسلام أنْ يذهب اسمُه، وينمحِي رسمُه، وكان مثار هذه الفتنة وعالمها الذي يُرجع إليه وزعيمها المُعوّل فيها عليه: شيخ شيوخ المعارضين بين الوحي والعقل، وإمامهم في وقتِه، نصير الشرك والكفر الطوسي، وليس هو بنصير الدين[1] فلم يُعلَم في عصره أحدٌ عارَض بين العقل والنقل معارضة رام بِها إبطال النقل بالكلِّية مثله، فإنّه أقام الدعوة الفلسفية، واتخذ الإشارات عِوَضًا عن السّوَر والآيات، وقال: هذه عقليات قطعية برهانية قد قابلت تلك النقليات الخطابية، واستعرضَ أهل الإسلام وعلماءَ أهل الإيمان والسنة والقرآن على السيف، فلَم يُبقِ منهم إلا مَن قد أعجزَه؛ قصدًا لإبطال الدعوة الإسلامية، وجعَل مدارس المسلمين وأوقافهم للنجسة السحَرة والمُنجّمين، والفلاسفة والملاحدة والمنطقيين، ورأى إبطال الأذان وتحويل الصلاة إلى القطب الشمالِي، .. فحال بينه وبين ذلك الله الذي تكفّل بحفظ الإسلام ونصره، وهذا كلّه من ثمرة المعارضين بين الوحي والعقل. ولْتَكُن قصة شيخ هؤلاء القديم (إبليس) منك على ذكر كلّ وقت، فإنّه أول مَن عارض بين العقل والنقل وقدّم العقل. وورّث الشيخ تلامذتَه هذه المعارضة، فلَم يَزَل يجري على الأنبياء وأتباعهم منها كلّ محنة وبلية، وأصل كلّ بلية في العالَم من معارضة النص بالرأي، وتقديم الهوى على الشرع، والناس إلى اليوم في شرور هذه المعارضة. ثم ظهَر مع هذا الشيخ المتأخّر المُعارِض أشياءُ لم تكن تُعرَف قبله: حسّيات العميدي، وحقائق ابن عربِي، وتشكيكات الرازي. وقام سوق الفلسفة والمنطق وعلوم أعداء الرّسل. ثم نظر الله إلى عباده وانتصَر لكتابه ودينه، وأقام جُندًا يَغزوا هؤلاء بالسيف والسّنان، وجُندًا يغزُوا عُلماءهم بالحجة والبرهان. ثم نبغَت نابغة منهم في رأس القرن السابع فأقام الله لدينه شيخ الإسلام أبا العباس أحمد بن تيمية –رحمه الله- فأقام على غزوهم مدة حياته باليد والقلب واللسان، وكشف

---

[1] هو محمد بن عبد الله الطوسي.

للناس باطلهم، وبيّن تدليسهم وتلبيسهم وذلك بكتابه بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بِدعهم الكلامية، وقابلَهم بصريح المعقول وصحيح المنقول ليدرأ به التعارض الموهوم بين العقل والنقل، وشفى واشتفى، وبيّن تناقضهم ومفارقتهم لِحُكم العقل الذي به يدلون، وإليه يدّعون، وأنّهم أترك الناس لأحكامه وقضاياه، فلا وحي ولا عقل، فأرداهم في حُفَرهم، ورشقهم بسهامهم، وبيّن أنّ صحيح معقولاتهم خادم نصوص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيرًا[1].

وهذا السياق المر من البعثة النبوية إلى أنْ وصل إلى عصر شيخ الإسلام –رحمه الله-.

واعلم أنّه –قبل هذا الوقت وبعده إلى اليوم- ما من مدة إلا ويبتدع ناس البِدع ثم يزعمون أنّ العقل دلّ عليها، والله المستعان.

والمقصود مما سبق أنّ هذه البدعة (سمِّها: عزل النصوص وإسقاطها، أو تأويلها التأويل الباطني، أو تقديم العقول على المنقول ..) ما بلَغتْ منتهاها قُبحًا إلا على أيدي مَن يُدعون فلاسفة الإسلام؛ حيث إنّ غلاتَهم من الملاحدة والباطنية استخدموا هذا السلاح فنفَوا الصفات وأمور المعاد، ولم يسْلَم منهم الشرائع والأعمال، فآل الأمر بِهم إلى الإلحاد، في الثلاثة الأصول (الإيمان بالله، وباليوم الآخر، والعمل الصالح)، كفى الله الإسلام شرّهم!

وينبغي أنْ أسوق بعض النماذج من نصوص الفلاسفة التي قرروا فيها تقديم العقل على النقل، **فمن نماذج أقوال فلاسفتهم المقدّمين للعقل على النقل**:

قول الملقّب بالرئيس شيخهم ابن سينا في أضحويته: « أما أمر الشرع فينبغِي أنْ يُعلم فيه قانون واحد، وهو أنّ الشرع والمِلَل الآتية على لسان الأنبياء يُرام بِها خطاب الجمهور كافة. ثم من المعلوم الواضح أنّ التحقيق الذي ينبغِي أن يرجع إليه في صحة التوحيد –من الإقرار بالصانع موحّدًا مقدَّسًا عن: الكم والكيف، والأين والمتى، والوضع والتغير، حتى يصير الاعتقاد به أنه ذات واحدة لا يمكن أنْ

---

[1] (?) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، ص173-178.

يكون لها شريكٌ في النوع، أو يكون لها جُزءٌ وجودي كمِّيٍّ أو معنوي، ولا يمكن أنْ تكون خارجة عن العالم ولا داخلة، وإلا بحيث تصح الإشارة إليه أنها هناك- ممتنعٌ إلقاؤه إلى الجمهور. ولو ألقي هذا –على هذه الصورة- إلى العرب العاربة، أو إلى العبرانيين والأجلاف، لتسارعوا إلى العناد، واتفقوا على أنّ الإيمان المدعو إليه إيمانٌ معدومٌ أصلا. ولِهذا ورد التوحيد تشبيهًا كله؛ ثم لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيءٌ، ولا أتَى بصريح ما يحتاج إليه من التوحيد بيان مفصّل، بل أتَى بعضُه على سبيل التشبيه في الظاهر، وبعضُه تنـزيهًا مطلقًا عامًّا جدًّا لا تخصيص ولا تفسير له. وأما أخبار التشبيه فأكثر مِن أنْ تحصى، ولكن القوم لا يقبلونها. وإذا كان الأمر في التوحيد هكذا، فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية؟! ولبعض الناس أنْ يقولوا: إنّ للعرب توسُّعًا في الكلام ومجازًا، وأنّ ألفاظ التشبيه مثل: اليد والوجه، والإتيان في ظُلَلٍ مِن الغمام، والمجيء، والذهاب، والضحك، والحياة، والغضب صحيحةٌ، ولكن نحو الاستعمال وجهة العبارة يدلّ على استعمالها استعارة ومجازًا، ويدلّ على استعمالها غير مجاز ولا مستعارة، فأين النصوص المشيرة إلى التصريح بالتوحيد المحض .. ...؟ وأين الإشارة إلى الدقيق من المعاني المستندة إلى علم التوحيد، مثل أنّه: عالم بالذات، أو عالِمٌ بعلم .. فظاهرٌ من هذا كلّه أنّ الشرائع واردة لِخطاب الجمهور بِما يفهمون، مقربًا ما لا يفهمون إلى أفهامهم بالتشبيه والتمثيل. ولو كان غير ذلك لَما أغنت الشرائع البتة.
وكيف يكون ظاهر الشرع حجة في هذا الباب، ولو فرضنا الأمور الأخروية روحانية غير مجسمة، بعيدة عن إدراك بداية الأذهان لحقيقتها، بل لم يكن سبيل الشرائع في الدعوة إليها، والتحذير عنها منبِّهًا بالدلالة عليها، بل بالتعبير عنها بوجوه من التمثيلات المقرِّبة إلى الأفهام .. فهذا كلّه هو الكلام على تعريف مَن طلب أن يكون خاصًّا

من الناس لا عامًّا، وأنّ ظاهر الشرائع غير محتجٍ به في مثل هذه الأبواب »[1].

وقد ردّ على هذا الكلام بكليته العلامة ابن القيّم رحمه الله- فليُراجع[2]!

وأضرب مثلا آخر بأحَدٍ من الفلاسفة أيضًا، والذي اشتهر بتقديم العقل على النقل، والقائل -وهو ابن رشد الحفيد (520هـ ت: 595هـ)[3]-: « ... فإنْ أدى النظر البرهانِي إلى نحوٍ ما من المعرفة بموجودٍ ما، فلا يخلو ذلك أنْ يكون قد سُكت عنه في الشرع أو عُرف به، .. وإنْ كانت الشريعة نطقَت به فلا يخلو ظاهر النطق أنْ يكون موافقًا لِما أدّى إليه البرهان أو مخالفًا، فإنْ كان موافقًا فلا قول هناك، وإنْ كان مخالفًا طُلب هناك تأويلُه، .. ونحن نقطع أنّ كل ما أدى إليه البرهان، وخالفَه ظاهر الشرع، أنّ ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربِي »[4].

وابن رشد هذا، قد كتب عنه وعن منهجه العقلي وتقديم ذلك على النقل، الشيخ الدكتور أمان بن علي

---

[1] (?) رسالة أضحوية في أمر المعاد، لابن سينا ص44-51، بتحقيق، د: سليمان دينا، ط/ دار الفكر العربي،.

[2] (?) انظر: نص الكلام ورده: مختصر الصواعق المرسلة، تحت الوجه الأربعين، ص181-187 .

[3] (?) هو الحفيد الفقيه الفيلسوف، **محمد بن أبي القاسم أحمد** ابن شيخ المالكية أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي. مولده قبل موت جده بشهر سنة 520هـ. برع في الفقه، وأخذ الطب عن أبي مروان بن حزبول، ثم أقبل على علوم الأوائل وبلاياهم، حتى صار يضرب به المثل في ذلك، كان متواضعًا، منخفض الجناح، وله كتاب بداية المجتهد في الفقه، وتهافت التهافت، وكتاب منهاج الأدلة، وفصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، ومقالة فيما يعتقده المشاؤون وما يعتقده المتكلمون في كيفية وجود العالم، ومقالة في الرد على ابن سينا، مات محبوسا بداره بمراكش في أواخر سنة أربع. وقيل: مات في صفر، وقيل: ربيع الأول سنة خمس. (انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج12/ 486-487، وكتاب فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، 74-84، وكتاب العقل والنقل عند ابن رشد، للدكتور محمد آمان بن علي الجامي).

[4] (?) فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، لابن رشد، ص15-16، صبيح.

الجامي –رحمه الله- وعنوَن لرسالته بـ(العقل والنقل عند ابن رشد) من طبعة الجامعة الإسلامية.

وستأتي مسألة في المبحث القادم (مبحث جفاء المتكلمين الرسالة المحمدية) ترُدّ على جفاء هؤلاء المتفلسفة بتقديم عقولهم على الكتاب والسنة، كما أنّه في نفس الوقت ردٌّ على مزاعم المعتزلة والأشعرية والماتريدية. والله أسأل الإعانة على ذلك.

وخلاصة القول أنّ الفلاسفة كغيرهم من المعتزلة والأشعرية، فالموفّقة (الذين حاولوا التوفيق بين الدين والعقل، مثل الفارابي وابن سينا وغيرهما) منهم ابتدعُوا أصول دين سَمّوها المعقولات، وجعلوا هذه الأقوال البدعية محكمة يقينية يجب اتباعها واعتقاد موجبها، ومَن خالفَها إما كافرٌ وإما جاهلٌ ليس له علمٌ بالمعقول ولا بالأصول، ولَم يعتمدوا ما جاء به رسول الله ؛ فصارت مناهجهم بعيدة عن الحق؛ « لأنّهم جميعًا يُسلّمون بقضية عامة؛ وهي: أنّه إذا تعارض العقل والنصّ وجَبَ تقديم العقل، فيُحكمون عقولهم في مسائل العقيدة، ويتلاعبون بالنصوص، فإذا كانت ثابتة بحيث لا يمكن ردها جعلوها من المتشابه، وإلا بادروا إلى إنكارها »[1].

هؤلاء هم الفلاسفة، وهذا أيضًا أحد أوجه الجفاء عندهم للرسالة المحمدية. وقد شاركوا فيه المتكلمين. ولقد خصصتُ مسألة في المبحث القادم لذكر أنّهم –هم الآخرون- قدّموا عقولهم على الكتاب الذي جاء به نبينا محمدٌ ، وعلى سنته.

وأما بعد، فقد تبيّن بالمطالب الثلاثة المتقدمة أنّ الفلاسفة كما قالوا بأنّ النبوة مكتسبة ولزمهم القول بعدم انقطاعها بنبوة نبينا محمد حتى كان بعض أعيانهم يطلبها، وكما أنّهم تصوّروا أركان هذا الدين من الإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر تصوُّرًا خاطئًا، فنفوا عن الله صفاته، وزعموا أنّ الملائكة قوة خيالية لا حسية، وأنّ المعاد روحيّ لا حسّيٌّ؛ ونفوا معاد الأبدان، فكذلك قالوا بعزل نصوص الكتاب والسنة عن معانيها الحقيقية التي

---

[1] (?) باعث النهضة الإسلاميةابن تيمية السلفي، ص44.

أُريد منها؛ فأسقطوا كثيرًا من النصوص بدعوى مخالفتها لمعقولاتهم القطعية المزعومة، وأولوا باقيها على غير تأويلها. وكلّ هذه أوجه لجفائهم الرسالة المحمدية الخاتمة. والله المستعان!

** * **

المبحثُ الثانِي: جفاء المتكلمين شريعته عليه الصلاة والسلام، وفيه تمهيدٌ وخمسة مطالب:

التمهيد: التعريف بالمتكلمين.

المطلب الأول: تقديم الْمتكلمين العقل على الكتاب الْمُنـزّل عليه ، وعلى سنَّتِه.

المطلب الثاني: انحراف الْمتكلمين عن شريعته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: طعن المعتزلة في أصحاب رسول الله الْمُوصَى بِهم.

المطلب الرابع: تلقيب غلاة الْمعتزلة حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بـ(ـالْمُشبِّهة).

المطلب الخامس: قول بعض الأشاعرة ببطلان نبوّته بعد موته عليه الصلاة والسلام.

التمهيد: التعريف بالمتكلمين، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بعِلم الكلام.

المسألة الثانية: التعريف بالفِرقة الأولى الْمُتكلّمة: (الْمُعتزلة).

المسألة الثالثة: التعريف بالفرقة الثانية الْمتكِّلمة: (الأشاعرة).

المسألة الرابعة: التعريف بالفرقة الكلامية الثالثة: (الْماتريدية).

المسألة الأولى: التعريف بعِلم الكلام:

يُعرّف أصحابُ الكلام علمهم (علم الكلام) بِأنّه: « علمٌ يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الْحُجج، ودفع الشُّبَه »[1].

وهذه الْحُجج حججٌ عقلية، لأنّ اعتناء المتكلمين كان بِها، يوضِّحه ما في (المقدمة):

---

1 (?) ذكَره عضد الدين عبد الرحمن الإيجي في كتابه: المواقف في علم الكلام، ص7 . وانظر/ التعريف ومحترزاته في: لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (1/ص7-8).

« إنّه علمٌ يتضمن الْحِجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية »[1].

فالأدلة العقلية التي يستدل بِها المتكلّمون هي: الأقيسة والأصول الفلسفية المجملة، والبراهين والقوانين المنطقية، والشبهات التي سَمّوها: معقولات، وقواطع عقلية، والتي عارضوا بِها صحيح المنقول[2].

لذا قال الشيخ الدكتور محمد أحمد لوح –حفظه الله- بعد ذكر التعريفَين، ذاكرًا حقيقته: « والذي أراه في تعريفه أنّه: مزيجٌ من القوانين المنطقية، والأصول الفلسفية، أُلبست لباس الإسلام، وقدّمت في صورة ظاهرها الدفاع عن الدين، وباطنها زرع الحيرة والشك والإلحاد في القلوب »[3].

وذكر أحدُهم أنّ الوصف المناسب الذي ينبغي أن يوصَف به علم الكلام: أنه علم يُتوصَّل به إلى إثبات عقائد أهله، والدفاع عنها، وردّ الشُّبَه، بطريقة الجدل والأدلة العقلية[4].

وكلام الدكتور محمد أحمد لوح قصد به العلم نفسه، لا كل المتكلمين، وذلك لأنّ كثيرين ممن حمل العقائد التي بُنيت على أصول عقلية لم يُبطِن زرع الإلحاد في القلوب، لذا قد سبق في التعريف الأول والثاني: الإشارة إلى الغرَض من علم الكلام (هو الْحجاج عن العقائد الإيمانية تقريرًا وردًّا)، « والحق أنّ بعضهم كان غرَضه كذلك، بغض النظر عن صحة العمل والأسلوب، ولكن

---

1 (?) مقدمة ابن خلدون لكتابه التاريخ: (المسمى: ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر، ومَن عاصرهم مِن ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون، ت:808هـ)، ص479، ط1/ دار الفكر، 1424هـ، ببيروت لبنان.

2 (?) انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، وأثر المنهجين في العقيدة، للدكتور جابر إدريس، (ج1/ ص47).

3 (?) جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، ص39، وراجع المدخل الذي عقده للتعريف به وذكر نشأته، كلّه، 39-43.

4 (?) انظر: منهج الإمام الشافعي –رحمه الله- في إثبات العقيدة، ص 70، أ. د. عبد الوهاب العقيل.

بعضهم كان هو نفسُه مُلحدًا جاحدًا، لكنه تستّر بِهذا العلم لإثارة الشبهات، وزعزعة العقيدة »[1].

وعلى هذا فتعريف الدكتور لوح تعريفٌ للعلم على ضوء مذهب السلف، وموقفهم من علم الكلام[2]؛ حيث إنّ علماء السلف ذمّوا هذا العلم ذمًّا شديدًا، وحذّروا منه أيّما تحذير، يقول شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وَإِنَّمَا عُمْدَةُ الْكَلامِ عِنْدَهُمْ وَمُعْظَمُهُ: هُوَ تِلْكَ الْقَضَايَا الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْعَقْلِيَّاتِ، وَهِيَ أُصُولُ دِينِهِمْ. وَقَدْ بَنَوْهَا عَلَى مَقَايِيسَ تَسْتَلْزِمُ رَدَّ كَثِيرٍ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ؛ فَلَحِقَهُمْ الذَّمُّ مِنْ جِهَةِ ضَعْفِ الْمَقَايِيسِ الَّتِي بَنَوْا عَلَيْهَا، وَمِنْ جِهَةِ رَدِّهِمْ لِمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ. وَهُمْ قِسْمَانِ: قِسْمٌ: بَنَوْا عَلَى هَذِهِ الْعَقْلِيَّاتِ الْقِيَاسِيَّةِ: الأُصُولَ الْعِلْمِيَّةَ دُونَ الْعَمَلِيَّةِ، كَالأَشْعَرِيَّةِ. وَقِسْمٌ: بَنَوْا عَلَيْهَا الأُصُولَ الْعِلْمِيَّةَ وَالْعَمَلِيَّةَ، كَالْمُعْتَزِلَةِ، حَتَّى إنَّ هَؤُلاءِ يَأْخُذُونَ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ فِي الأَفْعَالِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ؛ فَمَا حَسُنَ مِن اللَّهِ حَسُنَ مِنْ الْعَبْدِ، وَمَا قَبُحَ مِن الْعَبْدِ قَبُحَ مِنْ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا سَمَّاهُمْ النَّاسُ: مُشَبِّهَةَ الأَفْعَالِ. وَلا شَكَّ أَنَّ هَؤُلاءِ هُمْ الْمُتَكَلِّمَةُ الْمَذْمُومُونَ عِنْدَ السَّلَفِ؛ لِكَثْرَةِ بِنَائِهِمْ الدِّينَ عَلَى الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ الْكَلامِيِّ، وَرَدِّهِمْ لِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ. وَالآخَرُونَ لَمَّا شَارَكُوهُمْ فِي بَعْضِ ذَلِكَ لَحِقَهُمْ مِنْ الذَّمِّ وَالْعَيْبِ بِقَدْرِ مَا وَافَقُوهُمْ فِيهِ؛ وَهُوَ مُوَافَقَتُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ دَلائِلِهِمْ؛ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُقَرِّرُونَ بِهَا أُصُولَ الدِّينِ وَالإِيمَانِ. وَفِي طَائِفَةٍ مِنْ مَسَائِلِهِمْ الَّتِي يُخَالِفُونَ بِهَا السُّنَنَ وَالآثَارَ، وَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ»[3].

والمتكلّمون أرادوا بِهذا العلم المذموم الْمُتعِب للأذهان، المؤدّي إلى فساد الاعتقاد والضلال والشك ورجوع الموقن حيرانًا، أرادوا به أنْ يَرُدّوا على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فأخذوا قواعدهم العقلية الفلسفية، فردّوا بدعتهم ببدعة، فكاد أنْ لا يتميز علم

---

1 (?) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، ص52 .

2 (?) انظر: النفي في باب صفات الله ، ص505 .

3 (?) مجموع الفتاوى، (ج2/ 7-8)، وانظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (ج1/ص48).

الكلام عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات[1]، فصاروا بصنيعهم: لا هُمْ -فِي الْحَقِيقَةِ- لِلإِسْلامِ نَصَرُوا، وَلا لِلْفَلاسِفَةِ كَسَرُوا؛ كما يقوله شيخ الإسلام[2]-رحمه الله-.

ويرجع سرّ إنكار السلف على أهل علم الكلام ومنهجهم إلى عدة أمور، مجملها: أنّ العقيدة إنّما تثبت بالوحي كتابًا وسنة، لا بعقول المخلوقين وآرائهم. وأنّ الوحي مصدرٌ معصومٌ، بخلاف العقول فإنّها مختلفة متناقضة، مع جهلها وقصورها عن معرفة حقائق الغيب. كما أنّ القرآن والسنة يشتملان على الحجج والبراهين التي ليس بعدها حجة ولا برهان. ورسول الله وأصحابه قد ناظروا أصناف الكفار وأفحموهم، دون أنْ يستعينوا بالمناهج الكلامية ولا غيرها. وكذلك علماء السنة بعدهم في سائر العصور[3].

وقد جمع بعض الباحثين خمسة من تعليلات المتكلمين أنفسهم، والعلماء –رحمهم الله- لسبب تسمية علم الكلام: بعلم الكلام، وأفاد بأنّ مَن ينظُر إلى علم الكلام، ويتأمل في مسائله ودلائله يجد أنّ التعليلات كلّها أو أغلبها تنطبق عليه مع ما أحدثَه .. منذ نشأته إلى اليوم من أضرار على العقيدة الإسلامية خصوصًا، وفي العالَم الإسلامي ككُلّ. وملخص هذه الآراء: **أولا:** قيل: سُمّي بِهذه التسمية لأنّ (مسألة كلام الله) كانت أشهر مباحثه، وأكثرها نزاعًا بين فِرَق المتكلّمين؛ فكثُر كلامهم فيها بالباطل. **ثانيًا:** أو لأنّ المجادلة والقيل والقال قد كثُر فيه حتى أصبح سمةً لأهله. **ثالثًا:** أو تكون التسمية بذلك راجعة إلى الأدلة العقلية التي سلكها أولئك في إثبات مسائل العقيدة، وقلّما يرجعون إلى النقل، بل إلى الكلام. **رابعًا:** وإما مقابلة للفلاسفة في تسميتهم لأحد علومهم:

---

1. (?) انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (ج 1/ص48-49).
2. (?) انظر: مجموع الفتاوى، (ج5/ ص33)، ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (ج1/ص48).
3. (?) انظر عن هذه الأسباب مفصّلة، أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، للدكتور سفر الحوالي، ص52-54.

بِعلم المنطق، فسمّى المتكلِّمون هذا العلم بِعلم الكلام؛ وذلك: لأنّ علم الكلام في طُرُق الاستدلال على مسائل الاعتقاد أشبه بالمنطق في تنبيه مسالك الحجة في علوم أهل النظر. **خامسًا:** أو أنّه سُمّي بِذلك لأنّ العادة جرَت -عند علماء الكلام الباحثين في الأصول، بِما سَمّوه معقولات- أنْ يُعَنْوِنوا أبحاثهم بـ(الكلام في كذا، الكلام في كذا.

ووجه مطابقة التعليلات للتسمية –والله أعلم- أنّ المعتزلة والذين هم الفرقة الكلامية الأولى- تبنَّوا مسألة أنّ القرآن ليس بكلام الله، بل مخلوق، ونفَوا صفة الكلام، وأكثروا فيها القيل والقال، والجدال والنـزاع. كما أنّ بقية الفرق الكلامية كلّها لها نزاع وجدال حول هذه الصفة. وكلّهم صار الجدال وكثرة الكلام مِن أبرز سماتهم. كما أنّ المتكلّمين –كما سيأتِي تفصيلُه- قد سلكوا تقديم ما سمّوه معقولات على صحيح المنقول في غالب مسائلهم الاعتقادية، وتأثّروا بالفلاسفة، وأخذوا بعض أصولهم الفلسفية، التي أدّت إلى فساد اعتقادهم[1].

وأما عن أثر علم الكلام على الأمة الإسلامية فيتلخص أهمها في الآتِي:

أولا: إخضاع عالَم الغيب لعالَم الشهادة. **ثانيًا:** إثارة الشكوك والرّيَب في أمور قطعية يجب الإيمان والتسليم بها بلا اعتراض ولا مناقشة، مثل إثبات وجود الله، وقضية كون العالَم مخلوقًا. **ثالثًا:** افتعال التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، ثم إسقاط النقل. **رابعًا:** فتح الباب للملاحدة والحاقدين للطعن في الإسلام، بقصد أو بدونه. **خامسًا:** تفريق الأمة الإسلامية، بفتح باب الخصومة بين المسلمين في أمور ما أنزل الله بِها من سلطان. **سادسًا:** تحويل الفائدة الإيمانية إلى قضايا عقلية جافة، وجدل لا أثر له في الإيمان والأخلاق[2].

---

1 (?) انظر بيان سبب التسمية بعلم الكلام، من: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (ج1/ص57-59)، وجناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، 42-43.

2 (?) انظر: أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، ص54-55 .

وبعد، **فالمتكلّمون هم: الطوائف والفِرق** الذين ارتضَوا علم الكلام وقواعد الفلسفة منهجًا في الاستدلال على مسائل الاعتقاد[1].

وأشهَر الفرَق الكلامية: المعتزلة والأشعرية، والماتريدية. لكنه يدخُل في المتكلّمين ويصحّ أنْ يُطلق عليه أنّه متكلّمٌ: كلّ مَن ارتضى هذه الأصول مِن الجماعات والأفراد، كالشيعة المتأخّرين الذين كانوا في باب الصفات على مذهب المعتزلة من التعطيل؛ آخذين بِشُبههم وأصولهم الاستدلالية. وكذلك الإباضية من الخوارج[2] الذين يجعلون الأصل في تقرير مسائل الاعتقاد: العقل، ويقدّمون آراءهم ومعقولاتهم على صحيح المنقول[3]. كما أنهم يشاركونَهم في الذمّ على قدْر موافقتهم لهم.

وهنا، ولتتم الفائدة لا بد وأنْ نقف على التعريف بأَشْهَر هذه الفِرَق الثلاثة فرقة فرقة:

المسألة الثانية: التعريف بالفِرقة الْمُتكلّمة الأولى: (الْمُعتزلة)**:**

فرقة إسلامية كلامية ظهرَت -كَفِرقة- في أوائل القرن الثانِي الهجري، على يد مؤسسَيها الحقيقيَين، واصل بن عطاء الغزّال[4]، وعمرو بن عُبيد القدري [5]، المولودين سنة (80هـ)، وسلكت منهجًا عقليًّا مجرّدًا،

---

[1] (?) انظر: الإيمان بين السلف والمتكلمين لشيخنا أ. د. أحمد بن عطية بن الغامدي –رحمه الله-، ص13، ط/ العلوم والحكم، ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (ج1/ص49).

[2] (?) سبقت ترجمة فرقة الإباضية.

[3] (?) انظر هذا الكلام، والنماذج الدالة على أنّ الشيعة والإباضية من متكلمي المعتزلة فيما وافقوهم فيه: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (ج1/ص49-56).

[4] (?) هو البليغ الأفوه الأثلغ، أبو حذيفة المخزومي، مولاهم البصري الغزّال، مولده سنة 80هـ بالمدينة، قيل: عرف بالغزال لتردداه إلى سوق الغزْل ليتصدق على النسوة الفقيرات. جالس أبا هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية، ثم لازم الحسن، وكان صموتًا، وله مؤلف في التوحيد، وكتاب الْمنزلة بين المنزلتين. وهو وعمرو بن عُبَيد رأَسَا الاعتزال، **قيل:** كان يجيز التلاوة بالمعنى، وهذا جهل. وسيأتي بعض مقالاته، منها: طعنُه في طائفة من الصحابة، **قيل إنه:** مات سنة 131هـ. (انظر: الفرق بين الفرق ص121-125، والملل والنحل للشهرستاني، ج1/ 64- 70، وسِيَر أعلام النبلاء، ج4/ ص611، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني، ج1/14).

ومتطرِّفًا في بحث العقائد عمومًا، وفي الصفات خصوصًا، فأخضعوا العقائد والغيبيات للعقل البشري القاصر، وقد أخذوا مسألة القول بخلق القرآن عن الجهمية. كما تأثرت في عقائدها وفيما تقول به بأصول يهودية، وفلسفية، وغير ذلك[1]، وأصل تسميتها على الرأي الأقرب للصواب هو: اعتزال واصل بن عطاء لِمجلس شيخه في مسألة حكم مُرتكب الكبيرة ... وقد افترقت إلى فِرَق كثيرة، منها: الواصلية، والعمرية، إلا أنها يجمعها أمورٌ خمسة، أسموها: الأصول الخمسة، ولا يسمى أحدٌ بالمعتزِلِي إلا إذ آمن بِها، قال في المواقف وهو يذْكُر فرقة المعتزلة: «

[5] هو الزاهد، العابد، القدري، كبير المعتزلة، وأولهم، أبو عثمان البصري. له عن أبي العالية وأبي قلابة، والحسن البصري. **وعنه:** الحمادان، وعبد الوارث، وابن عيينة، ويحيى بن سعيد القطان، ثم تركه القطان. **وقال النسائي:** ليس بثقة. **وقال حفص بن غياث:** ما لقيت أزهد منه، وانتحل ما انتحل. **قال ابن علية:** أول من تكلم في الاعتزال واصل الغزال، فدخل معه عمرو ابن عبيد، فأعجب به وزوجه أخته، قال حميد: كان يكذب على الحسن. **وقال ابن حبان** أيضًا:كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث، واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة، **وقال الفلاس:** عمرو متروك صاحب بدعة. وفي ترجمته النماذج الكثيرة من الجرأة لا على الصحابة فقط، بل حتى على الله ورسوله، وسيأتِي ذكر ذلك. مات بطريق مكة (سنة 143)، وقيل:سنة أربع. وله كتاب العدل، والتوحيد، ومن كبار تلامذته: عثمان بن خالد الطويل شيخ العلاف، وأبو حفص، عمر بن أبي عثمان الشمزي، (انظر: الفرق بين الفرق ص125-126، وسِيَر أعلام النبلاء، ج5/ 63-64، وميزان الاعتدال، ج3/ ص274، وما قبله وما بعده، ورقم ترجمته: 6404، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني، ج1/ص15).

[1] انظر: التعريف بالمعتزلة على التفصيل، كتاب الملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ 135-137)، والتبصير في الدين، (الباب العاشر) ص307-309، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، الباب الثالث عشر- (ج3/1163-1201)، وكتاب دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها للدكتور ناصر العقل، (ج2/ ص303-378، تحت عنوان: المعتزلة نشأتها وأصولها وسماتها ورؤوسها وموقف السلف منها قديمًا وحديثًا)، وأصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، ص43-48، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (ج1/ 64-74)، وكتاب آراء المعتزلة الأصولية –دراسةً وتقويمًا- للدكتور علي بن سعد بن صالح الضويحي، 45-76، وكتاب جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، ص205-210، وكتاب النفي في باب صفات الله بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، ص548-556.

أصحاب واصل بن عطاء الغزّال: اعتزل عن مجلس الحسن البصرى؛ وأخذ يُقرر أنّ مرتكب الكبيرة ليس بِمؤمن ولا كافر، ويُثبت له المنـزلة بين منـزلتين. فقال الحسن: قد اعتزل عنا واصل. ويُلقّبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرهم، ... ولقَّبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد، لقولهم بوجوب الأصلح، ونفي الصفات القديمة، وقالوا جميعًا بأنّ وصف القدم أخص وصف الله، وبنفي الصفات، وبأنّ كلامه مخلوق مُحدَث، وبأنّه غير مرئي في الآخرة، والحسن والقبح العقليان، ويجِب عليه ... وعقاب صاحب الكبيرة، ثم افترقوا عشرين فرقة يُكفِّر بعضُهم بعضًا. منهم: 1- الواصلية: قالوا بنقي الصفات، وبالقدر، ... وبالمنـزلة بين المنـزلتين، وذهبوا إلى الحكم بتخطئة أحد الفريقَين من عثمان وقاتليه، وجوّزوا أن يكون عثمان لا مؤمنًا ولا كافرًا، وأنْ يُخلّد في النار. وكذا عليٌّ ومقاتلوه، وحكموا بأنّ عليًّا وطلحة والزّبَير -بعد وقعة الجمل- لو شهِدوا على باقة بقلة لم تُقبل، كشهادة المتلاعنين. 2- العمرية: مثلهم، إلا أنّهم فسّقوا الفريقين »[1].

وسيأتِي المزيد على أصولهم الخمسة عند ذكر انحراف المعتزلة عن الدين، وكذلك تفسيقهم لأصحاب الرسول الكبار عند الكلام على جفائهم لمقام الرسالة بالابتداع فيها، والطعن في مَن شهد له الرسول بالجنة.

ويَذكُر شيخ الإسلام –رحمه الله-: ما تميّزت به كلُّ فرقة فيقول عن المعتزلة القدرية: « وَأَمَّا الْقَدَرِيَّةُ الْمَحْضَةُ فَهُمْ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلاءِ بِكَثِيرٍ –يعنِي من الخوارج والرافضة- وَأَقْرَبُ إلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَكِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ الْقَدَرِيَّةِ هُمْ جهمية أَيْضًا، وَقَدْ يُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَيَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقْرُبُونَ مِنْ أُولَئِكَ »[2].

---

[1] (?) المواقف في علم الكلام لعضد الدين عبد الرحمن الإيجِي، ص 415 .

[2] (?) مجموع الفتاوى، (ج3/ص357).

والمعتزلة قسمان: معتزلة بغداد، ومعتزلة بصرة، وعند كلٍّ مقالات لا توجد عند أخرى[1]. فمعتزلة بغداد – كما سيأتِي– ينفُون كَثِيرًا مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ النصوص من أمور الآخرة كالحوض والميزان وغيرهما زيادة على نَفيهم الكَثِير مِنْ الصِّفَاتِ[2]، كما أنّ كلام البغداديين في النبوة والإمامة يخالف البصريين؛ لأنّ من شيوخهم من يَميل إلى الروافض[3].

المسألة الثالثة: التعريف بالفرقة الْمتكِّلمة الثانية: (الكلابية والأشاعرة):

الأشاعرة: فرقة إسلامية كلامية تتخذ من البراهين والدلائل العقلية وسيلة إثبات العقائد، تؤَوِّل الصفات أو تفوّض، وتقول بنوع من الجبر والإرجاء، وتنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، وغالب أتباعها الشافعية، والمالكية، وقد ظهرت في بداية القرن الرابع (حدود 324هـ)، ومرّت بِمراحل عدة تختلف كلّ مرحلة عن الأخرى، أولها مرحلة النشأة على يد المؤسس، وسيأتي أنّ حياته العلمية مرّت بأطوار. تليها مرحلة التلاميذ وكبار الأتباع، ثم مرحلة التوسع في علم الكلام وخلط المذهب بالتصوف، ثم الصورة النهائية التي اتخذها المذهب على يد الرازي وغيره؛ حيث عزلوا المذهب عن معتقد أهل السنة، وتوسعوا زيادة في وضع الأسس الفلسفية والكلامية والصوفية[4]، يقول محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

---

1. سيأتي تقسيم شيخ الإسلام المعتزلة إلى بغدادية وبصرية، وأنّ لكلٍّ منهما مقالات تتميز بها في تعقيبه على الغزالي.
2. انظر: التدمرية، ص47-48.
3. انظر: الملل والنحل، (ج1/ 130)، ومحبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، 189-190.
4. انظر: التعريف بالأشاعرة بالتفصيل، رسالة موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، (ج1/298-447–الفصل الثالث: أبو الحسن الأشعري، والرابع: نشأة الأشعرية وعقيدتهم-)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (ج1/ 83-94)، وكتاب الفرق الإسلامية أ. د. محمود محمد مزروعة، (موضوع الأشاعرة)، ص145-162، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، الباب الرابع عشر- (ج3/1205-1224)، وكتاب جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، ص 250-255، وكتاب النفي في باب صفات الله بين أهل السنة

(ت:548هـ): « الأشعرية أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما »[1]. والأشعري هو العلامة، إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله أبي موسى (عبد الله بن قيس بن حضار)، الأشعري اليمانِي البصري. كان عجَبًا في الذكاء، وقوة الفهم. ولَمّا برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرُد على المعتزلة، ويهتك عوارهم، فقد كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نشأ الأشعري فحجرهم. ولأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمة تقضي له بسعة العلم. قال الذهبي –رحمه الله-: « رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تُمَرّ كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تُؤَوّل ». وذكر أبو الحسن الأشعري كُتُبه ومصنفاته، كما ذكرها كبار تلامذته، ومنها: الفصول في الرد على الملحدين، والموجز وخلق الأعمال، واللمع في الرد على أهل البدع، والنقض على الجبائي، وجمل مقالات الملحدين، والرد على ابن الراوندي، والإبانة عن أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ورسالة إلى أهل ثغر بباب الأبواب، وغيرها. وفي هذه الكتب الثلاثة الأخيرة وخصوصًا الإبانة قرر ما يدل على رجوعه إلى مذهب السلف، وإنْ بقي عليه بقايا ورواسب ... بعد أنْ تاب عن اعتناقه مذهب المعتزلة وصعد منبر البصرة، وقال: إني كنت أقول: بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن الشر فِعلِي ليس بقدر، وإني تائبٌ معتقدٌ الرد على المعتزلة[2].

والجماعة والمعطلة، ص614-625، وموسوعة البدع والمخالفات الشرعية، (ج1/ ص427-431)

[1] (?) الملل والنحل، (ج1/ 149).

[2] (?) انظر: سير أعلام النبلاء، (ج9/ص370-372).

وقد مرّ أبو الحسن –رحمه الله- في عقيدته بمراحل قيل إنها: ثلاث مراحل وأطوار، وقيل مرحلتان؛ حيث كان على مذهب المعتزلة، يُقرره ويناظر عليه، وقد ذُكر أنه بقي على هذا أربعين عامًا، فهداه الله تعالى فانتقل عنه وردّ عليهم وضللهم، وهنا سلك طريق إثبات الأسماء والصفات خلافًا للمعتزلة، إلا أنه ينفي منها ما يتعلق بمشيئة الله وإرادته (وهي ما تسمى: الصفات الاختيارية) بناء على نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى؛ فوافق المعتزلة على هذا الأصل المقرر عندهم المبني على دليل حدوث الأجسام.

وهذا هو مذهب عبد الله بن سعيد بن كلاب[1] القطان. وهو طورٌ بين الاعتزال المحض والسنة المحضة. ثم انتهى أمرُه –برحمة الله له- باعتقاد ما كان عليه سلف الأمة، وأبان عن ذلك في كتابه الإبانة عن أصول الديانة، بيّن فيه أنّه على ما كان عليه إمام أهل السنة الإمام أحمد[2] رحمه الله وغيره من أهل السنة، وهو إثبات ما

[1] (?) **ابن كلاب**: رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد، عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم. أخذ عنه الكلام داود الظاهري، قاله أبو الطاهر الذهلي. وقيل: إن الحارث المحاسبي أخذ علم النظر والجدل عنه أيضا. وكان يلقب كلابًا؛ لأنه كان يَجُرّ الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته. وأصحابه هم الكلابية، لحق بعضَهم أبو الحسن الأشعري، وكان يَرُدّ على الجهمية. وبيّن الذهبي أنّ الرجل أقرب المتكلمين إلى السنة، بل هو في مناظريهم. وكان يقول بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة. وهذا قاله في معارضة من يقول بخلق القرآن. وصنف في التوحيد، وإثبات الصفات، وأن علو الباري على خلقه معلوم بالفطرة والعقل على وفق النص، كان باقيا قبل الأربعين ومئاتين. ولابن كلاب كتاب الصفات وكتاب خلق الأفعال وكتاب الرد على المعتزلة (مختصرة من سير أعلام النبلاء، ج7/ص453، برقم:2005).

[2] (?) قال أبو الحسن الأشعري –رحمه الله- في الإبانة: « فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟ **قيل له**: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا وبسنة نبينا محمد ، وما روى عن السادة الصحابة، والتابعي،ن وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله

أثبت الله لنفسه من الصفات والأسماء والأفعال، وأثبته له رسوله من غير تعطيل ولا تحريف، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على قاعدة: ﭽﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭼ [الشورى: ١١].

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- هذه المراحل فقال: « وهذا مما مُدح به الأشعري؛ فإنه من بين من فضائح المعتزلة وتناقض أقوالهم وفسادها ما لم يبينه غيره لأنه كان منهم وكان قد درس الكلام على أبي على الجبائي أربعين سنة وكان ذكيا ثم إنه رجع عنهم وصنف في الرد عليهم ونصر في الصفات طريقة ابن كلاب لأنها أقرب إلى الحق والسنة من قولهم ولم يعرف غيرها فإنه لم يكن خبيرا بالسنة والحديث وأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم وتفسير السلف للقرآن والعلم بالسنة المحضة إنما يستفاد من هذا ولهذا يذكر في المقالات مقالة المعتزلة مفصلة يذكر قول كل واحد منهم وما بينهم من النزاع في الدق والجل كما يحكى ابن أبي زيد مقالات أصحاب مالك وكما يحكي أبو الحسن القدوري اختلاف أصحاب أبي حنيفة ويذكر أيضا مقالات الخوارج والروافض لكن نقلة لها من كتب أرباب المقالات لا عن مباشرة. ... ويذكر مقالة ابن كلاب [1] عن خبرة بها ونظر

به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه؛ من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم » (الإبانة عن أصول الديانة للأشعري، ص43)، ثم ذكر جملة قوله الذي يقول.

[1] (?) **مذهب الكلابية**: في (باب الأسماء والصفات) إثباتها، خلافًا لِمذهب المعتزلة المتمحض في (نفي الصفات عن الله تعالى)، وإنْ كان الكلابية –على التحقيق- (ينفون الصفات الاختيارية التي تتعلق بِمشيئة الله)، بناء على أصل المعتزلة في تقرير حدوث الأجسام. فالكلابية في هذا الباب بين أهل السنة والمعتزلة. يدل على كون المذهب الكلابي في هذا الباب بين مذهب السنة والاعتزال: ما حكاه أبو الحسن علي الأشعري –رحمه الله- عنه، تحت قوله:

(شرح قول عبد الله بن كلاب في الأسماء والصفات)، قال: « **قال عبد الله بن كلاب**: لم يزل الله عالِمًا قادرًا حيًّا سَميعًا بصيرًا عزيزًا عظيمًا جليلا متكبِرًا جبارًا كريْما جوادًا واحدًا صمدًا، فردًا باقيًا أولا ربًّا إلَهًا، مريدًا، كارهًا، راضيًا عمن يعلم أنه يموت مؤمنًا وإن كان أكثر عمره كافرًا، ساخطًا على من يعلم أنه يَموت كافرًا وإن كان أكثر عمره مؤمنًا، مُحبا مبغضًا، مواليًا معاديًا، قائلا متكلمًا، رحمانًا، بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر

في كتبه. ويذكر اختلاف الناس في القرآن من عدة كتب. فإذا جاء إلى مقالة أهل السنة والحديث ذكر أمرا مجملا يلقى أكثره عن زكريا بن يحيى الساجي، وبعضه عمن أخذ عنه من حنبلية بغداد ونحوهم، وأين العلم المفصل من العلم المجمل؟»[1].

وبيّن الأطوارَ الحافظُ الذهبي –رحمه الله- مختصرة فقال: « ولد الأشعري سنة ستين ومائتين، ومات سنة

وعزة وعظمة وجلال وكبرياء وجود وكرم وبقاء وإرادة وكراهة ورضى وسخط، وحب وبغض، وموالاة ومعاداة، وقول وكلام، ورحمة. وأنه قديم لم يزل بأسمائه وصفاته. وكان يقول: معنى أن الله عالم: أن له علمًا. ومعنى أنه قادرٌ: أن له قدرة. ومعنى أنه حي: أن له حياة. وكذلك القول في سائر أسمائه وصفاته » (مقالات الإسلاميين، ج1/ص249-250).

ففي كلام ابن كلاب هذا: تقرير أنه –رحمه الله- يُثبت لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله من الأسماء والصفات على التحقيق. وهذا حقٌّ، وهو مذهب ومنهج السلف أهل السنة والجماعة. فهو –رحمه الله- بهذا الكلام يُبت لله الصفات الذاتية وصفات المعاني. بيد أنه لَمّا جاء إلى الصفات الفعلية (الاختيارية التي تتعلق بالمشيئة كالرضا والسخط، والكلام) قيّدها بما دلّ على أنه يُثبتُ جنسَها وينفي قيام آحادها بالله الكريم متى شاء ذلك، فأثبت رضا الله عمن يعلم أنه يموت مؤمنا وإن كان أكثر عمره كافرًا، وسَخطَه سبحانه على مَن يعلم أنه يموت كافرًا وإنْ كان أكثر عمره مؤمنًا. ولم يُثبت لله الصفتين في الحالتين المختلفتين (أعني الرضا عن العبد حال كونه مؤمنًا، ثم السخط عليه بعد كفره، فوافق المعتزلة بهذا؛ حيث نفى عن الله تعالى قيام أفعاله به متى شاء، وأثبت الصفات القديمة وجعلها أزلية، لذا قال: وأنه قديم لم يزل بأسمائه وصفاته.

وقل مثل هذا في إثبات ابن كلاب صفة الكلام، فبدلا أنْ يقول بقدم نوع الصفة، وحدوث آحادها متى شاء الله وأراد أن يتكلم: كما أفادته النصوص الشرعية (كندائه سبحانه لآدم وزوجه لما أكلا الشجرة وقوله لهما: إنّ الشيطان لكما عدو مبين، وككلامه الذي حصل لما جاء موسى لميقاته، والذي سيحصل إذا جمع الله الأولين والآخرين؛ فيناديهم: بـ:ماذا أجبتم المرسلين، وكلما أحبّ فلانًا من عباده نادى جبريل: إنّ الله يحب فلانا، وغير ذلك من آحاد الكلام التي تكلم الله بها ويتكلم بها متى شاء – انظرها في: شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص1101-105) قرر أزلية صفة الكلام وأنه قائم بالله كالعلم والقدرة؛ (فبنى قوله في صفة الكلام والقرآن على نفي الصفات الاختيارية؛ لئلا يقال: إنّ الله تعالى تحل فيه الحوادث. قال الأشعري: «**قال عبد الله بن كلاب**: إن الله سبحانه لم يزل متكلما، وإن كلام الله سبحانه صفة له قائمة به، وأنه قديم بكلامه، وأن كلامه قائم به كما أن العلم قائم به، والقدرة قائمة به، وهو قديم بعلمه وقدرته. وأن الكلام ليس بحروف ولا صوت ». (قوله في القرآن من

أربع وعشرين وثلاثمائة، بالبصرة رحمه الله، وكان معتزليًّا ثم تاب، ووافق أصحاب الحديث في أشياء يخالفون فيها المعتزلة، ثم وافق أصحاب الحديث في أكثر ما يقولونه، وهو ما ذكرناه، عنه من أنه نقل إجماعهم على ذلك، وأنه موافق لهم في جميع ذلك. فله ثلاثة أحوال:حال كان معتزليًّا،وحال كان سنياً في بعض دون البعض،وكان في غالب الأصول سنياً،وهو الذي علمناه من حاله،فرحمه الله وغفر له ولسائر المسلمين»[1].

كتاب: مقالات الإسلاميين، ج2/ص257). (وانظر قوله أيضا/ في معنى أنه تعالى متكلم: حيث بيّن أنه لم يزل متكلمًا، وأن الكلام من صفات النفس كالعلم في: مقالات الإسلاميين، ج2/ ص201). هذا كله خلاف التحقيق والصحيح.

والمقصود أنّ هذا هو مذهب الكلابي في هذه المسألة « وقد كانت من أهم الأسباب في موقف علماء السلف من الكلابية ورميهم بالابتداع والأمر بهجرهم. كما كانت أيضًا من أهم الأسباب في عدم قبول مذهب الأشعرية والطعن فيه من جانب علماء السلف » كما قاله د. عبد الرحمن المحمود في رسالته: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (ج1/ص400). فابن كلاب مع ما ثبت من مخالفته للمعتزلة بل ورده عليهم، إلا أنه التزم أصلهم السابق؛ فدخل عليه البدعة. كما تسرب إلى أبي الحسن الأشعري والأشعرية بعده؛ فدخل عليهم البدعة.

لما تقدم قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به؛ فإن ابن كلاب والأشعري وغيرهما ينفونَها، وعلى ذلك بنو قولهم في مسألة القرآن، وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم في هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم، ونسبوهم إلى البدعة وبقايا بعض الاعتزال » (درء تعارض العقل والنقل، ج2/ص18).

وقال: « كان الناس قبل أبى محمد بن كلاب صنفين: فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها. والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا. فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته؛ من الأفعال وغيرها. ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري، وغيرهما » (درء تعارض العقل والنقل، ج2/ص6). (وانظر بالتفصيل/ مذهب الكلابية والأشعرية في صفة كلام الله، ومسألة القرآن في: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، ص497-498)، ومعارج القبول للحكمي، ص284-286).

[1] (?) منهاج السنة النبوية، (ج5/ص276-277).

[1] (?) العرش للحافظ الذهبي، (ج2/ص302-303)، تحقيق: د. محمد خليفة التميمي، ط/أضواء السلف .

ثم إنه قد أشرتُ إلى أنه انتهى أمر هذا الإمام إلى القول بأنه على مذهب الإمام أحمد في أصول الدين[2]. بيد أنه –رحمه الله-لم يرجع إلى مذهب السلف رجوعًا تامًّا، بل بقي عليه الراسب والأصل الاعتزالي الذي دخل على ابن كلاب –سابق الذكر- القائم على نفي الصفات الاختيارية، وفي صفة الكلام. وكتبه حتى الإبانة فيها شيء من هذا. والله يغفر لنا وله!

هذا هو أبو الحسن، ويقال: بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة.

وأما الأشاعرة من بعده فإنّهم لم يقتَدُوا الاعتقاد الذي ينبغي،حيث بَقُوا على المذهب الكلابي الذي كان الأشعري عليه قبل الانتقال إلى مذهب السلف (أهل السنة والجماعة).

المسألة الرابعة: التعريف بالفرقة الكلامية الثالثة: (الْماتريدية):

الماتريدية هي شقيقة الأشعرية لِما بينهما من الائتلاف والاتفاق في كثير من العقائد ودلائلها، وهي فرقة إسلامية كلامية تُؤَوِّل الصفات، وتقول بالإرجاء، وتنتسب إلى أبي منصور الماتريدي، وأتباعُها الحنفية، وقد ظهرت في بداية القرن الرابع (حدود 333هـ) على يده، **وهو** أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، السمرقندي، قد كان يُلقب بإمام الهدى وإمام المتكلّمين، والإمام والزاهد وغير ذلك، وتطوَّرت ومرّت بمراحل بعد النشأة تتميز كلٌّ عن بعضها بسمات، وهي: مرحلة التكوين (333-500) على يد تلامذته، وفيه أصبحت فرقة

---

[2] انظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكري (ص110)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج12/ص165)، ومقدمة كتابه الإبانة، (بقلم الشيخ حماد الأنصاري)، ص 5-27 (حيث ترجم الشيخ لأبي الحسن في هذه الصفحات، وأثبت أنّ كتاب الإبانة من تواليفه، ونقل عن الأعلام الذين صرّحوا بانتقاله وانتهائه إلى مذهب الإمام الكامل الفاضل إمام أحمد). وخاتمة كتاب قواعد المثلى، لابن العثيمين، ص84-90، والفائدة الثامنة من الفوائد العشرة التي صدّر بها شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر كتابه: قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبِي زيد القيرواني، 37-38، ضمن كتبه ورسائله، ج4)، وكتاب نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، لخالد بن علي المرضي الغامدي، ص21-27.

كلامية، ومرحلة التأليف (500-700) حيث اتسمت بجمع الأدلة للعقيدة، تليها مرحلة التوسع والانتشار (700-1300) وهو من أهم مراحلها حيث بلغت أوج توسعها في بلاد العرب والعجم، لمناصرة السلاطين[1].

وُلد أبو منصور حوالي: 238هـ، وأجمع عامة من ترجم له على أنه توفي: 333هـ، وقيل: 332هـ، وقيل: 336هـ. ويحتل الماتريدي مكانة كبيرة حيث إنه مؤسس إحدى المدارس الكلامية التي ذاع فكرها في العالم الإسلامي[2].

وأبو منصور الماتريدي أقام نظرياته في العقائد ... فأثبَت « قضايا الشرع بالأدلة العقلية المنطقية والبراهين التي لا مجال للشك فيها » -على زعمهم-[3].

وقد قال الأستاذ أبو زهرة وهو يتكلم على أنّ أبا منصور الماتريدي عند إثباته لعقائد القرآن أعطى للعقل سلطانًا أكثر مما أعطاه أبو الحسن الأشعري، وعلى هذا مذهباهما، « فالأشاعرة يعتبرون –مثلا- معرفة الله واجبة بالشرع، بينما الماتريدية –اتباعًا لِمنهاج أبي حنيفة- يعتبرونها مدركة الوجوب بالعقل، والأشاعرة لا يعتبرون للأشياء حسنًا ذاتيًّا يُدركه العقل من غير أمر الشارع، والماتريدية يُقرّرون أنّ الأشياء لها حسن ذاتيّ يُدركه أيضًا .. ولذلك نُقرر أنّ منهاج الماتريدية، للعقل سلطانٌ كبيرٌ فيه من غير أيّ شطط أو إسراف، والأشاعرة يتقيّدون بالنقل، ويؤيّدونه بالعقل[4]، حتى أنّه يكاد الباحث يقرر أنّ الأشاعرة في خط بين الاعتزال وأهل الفقه والحديث، والماتريدية في خط بين المعتزلة والأشاعرة، فإذا كان

[1] (?) انظر: التعريف بالماتريدية بالتفصيل، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (ج1/95-106)، وكتاب الفرق الإسلامية أ. د. محمود محمد مزروعة، (موضوع الماتريدة)، ص163-176، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، الباب الخامس عشر- (ج3/1227-1239)، وكتاب جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، ص256-270، وكتاب النفي في باب صفات الله بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، ص659-670.

[2] (?) انظر: الماتريدية دراسة وتقويمًا، 93-96 .

[3] (?) تاريخ المذاهب الإسلامية للأستاذ أبي زهرة، 178.

[4] (?) في نسختي (بالفعل) ويترجح أنه كما أثبت في المتن.

الميدان الذي تسير فيه هذه الفِرَق الإسلامية الأربع ... ذا أقسام أربعة، فعلى طرف منه المعتزلة، وعلى الطرف الآخر: أهل الحديث، وفي القسم الذي يلي المعتزلة: الماتريدية، وفي الرابع الذي يلي المحدثين: الأشاعرة ... »[1].

تنبيه:

لم يحظَ أبو منصور الماتريدي ولا فرقته الماتريدية باهتمام المؤلفين في المِلل والنحل خصوصًا، والتاريخ والطبقات والتراجم والعقائد وغيرها عمومًا، فكُتُب الفِرَق المشهورة من مقالات الإسلاميين، والفَرق بين الفِرَق، والفِصَل في الملل والأهواء والنحل، والتبصير في الدين، والملل والنحل، كذا اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين، لم يَذكُروا شيئًا عن الماتريدي ولا الماتريدية، والرازي في كتابه الآخر (محصّل أفكار المتقدمين والمتأخّرين أشار إليهم عند كلامه على صفة التكوين، وذكَرَهم باسم الحنفية.

وابن تيمية –رحمه الله- الذي لم يَترُك فرقة مِن الفِرَق المنحرفة عن المنهج القويم إلا وبيّن عُوارها وكشَف زيفها، لم يوجد له كلامٌ عن هذه الفرقة ومؤسسها إلا إشارات عابرة.

ولم يُذكر الماتريدي لا في الكامل، ولا في البداية والنهاية، ولا في شذرات الذهب، من كُتُب التاريخ، ومثل ذلك في الفهرست، ووفيات الأعيان، والوافي والوفيات، والأنساب، واللباب. وقل مثل ذلك في الذهبي في السِّيَر، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر، فإنّه لم يُترجم له، ولا ذُكر من قريب ولا بعيد، ومع أنّ للماتريدي تفسيرًا مشهورًا بعنوان: تأويلات أهل السنة إلا أنّه أُغفل في طبقات المفسرين.

بل حتى كُتب طبقات الحنفية لم تُترجم له بتلك الترجمة، بل مرّت على ترجمته مرورًا عابرًا، وقد تحدث عن كلّ

---

[1] (?) تاريخ المذاهب الإسلامية، تحت عنوان: منهاج أبي منصور الماتريدي وآراؤه، 179-180، وانظر إلى 182.

ذلك الدكتور أحمد عوَض في كتابه الماتريدية، وأرجع أسباب إغفال الماتريدي من الماتريدية أنفسهم وغيرهم إلى أربعة أمور[1].

وأهم كتب الماتريدي ومؤلفاته، هي: كتاب التوحيد، والتفسير الذي مرّ ذكرُه.

** * **

وأختم مطلب التعريف بالمتكلِّمين بالقول: بأنّ هؤلاء المتكلمين جمَعَهم التعطيل والتأويل الفاسد، وتقديم العقل على النقل؛ ومخالفة الكتاب والسنة، ... إلا أنّهم ليسوا على درجة واحدة في ركوب هذا التعطيل والتأويل في الفِرْقة الواحدة، فكيف بالفِرَق المتباينة، فمنهم مَن بلغ نِهايات هذا الخبث، ومنهم المتوسط، ومنهم دون ذلك، وكلّهم يُشفَق عليهم –وهذا إنْ نُظرُوا بعين القدر-، كما أنّهم يستحقون الذم، لذا ذمهم السلف -وهذا بالنظر إليهم بعين الشرع-، وأنهم مخالفون للكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام –رحمه الله- في هذا المعنى في نهاية الحموية، ذاكرًا سبب ضلالهم: « فَإِذَا افْتَقَرَ الْعَبْدُ إلَى اللَّهِ وَدَعَاهُ، وَأَدْمَنَ النَّظَرَ فِي كَلامِ اللَّهِ وَكَلامِ رَسُولِهِ وَكَلامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الْهُدَى؛ ثُمَّ إنْ كَانَ قَدْ خَبَّرَ نِهَايَاتِ إقْدَامِ الْمُتَفَلْسِفَةِ والمتكلمين فِي هَذَا الْبَابِ؛ وَعَرَفَ أَنَّ غَالِبَ مَا يَزْعُمُونَهُ (بُرْهَانًا) هُوَ شُبْهَةٌ، وَرَأَى أَنَّ غَالِبَ مَا يَعْتَمِدُونَهُ يُؤَوَّلُ إلَى دَعْوَى لا حَقِيقَةَ لَهَا؛ أَوْ شُبْهَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ قِيَاسٍ فَاسِدٍ؛ أَوْ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ لا تَصِحُّ إلا جُزْئِيَّةً؛ أَوْ دَعْوَى إجْمَاعٍ لا حَقِيقَةَ لَهُ؛ أَوْ التَّمَسُّكِ فِي الْمَذْهَبِ وَالدَّلِيلِ بِالأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ، ثُمَّ إنَّ ذَلِكَ إذَا رُكِّبَ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ طَوِيلَةٍ غَرِيبَةٍ عَمَّنْ لَمْ يَعْرِف اصْطِلاحَهُمْ -أَوْهَمَتْ الْغِرَّ مَا يُوهِمُهُ السَّرَابُ لِلْعَطْشَانِ- ازْدَادَ إيمَانًا وَعِلْمًا بِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؛ فَإِنَّ الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِالْبَاطِلِ أَعْلَمُ كَانَ لِلْحَقِّ أَشَدَّ تَعْظِيمًا، وَبِقَدْرِهِ أَعْرَفَ -إذَا هُدِيَ إلَيْهِ. فَأَمَّا الْمُتَوَسِّطُونَ مِنْ الْمُتَكَلِّمِينَ فَيُخَافُ عَلَيْهِمْ مَا لا يُخَافُ عَلَى مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَعَلَى مَنْ قَدْ أَنْهَاهُ نِهَايَتُهُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ فَهُوَ فِي عَافِيَةٍ، وَمَنْ أَنْهَاهُ فَقَدْ عَرَفَ الْغَايَةَ، فَمَا بَقِيَ يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ؛ فَإِذَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ -وَهُوَ عَطْشَانُ إلَيْهِ- قَبِلَهُ، وَأَمَّا الْمُتَوَسِّطُ فَيَتَوَهَّمُ بِمَا يَتَلَقَّاهُ

[1] (?) انظرها في كتاب: الماتريدية دراسة وتقويمًا، 83-84، وأربع صفحات قبل ذلك.

مِنْ الْمَقَالاتِ الْمَأْخُوذَةِ تَقْلِيدًا لِمُعَظِّمَةِ هَؤُلاءِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نِصْفُ مُتَكَلِّمٌ، وَنِصْفُ مُتَفَقِّهٌ، وَنِصْفُ مُتَطَبِّبٌ، وَنِصْفُ نَحْوِيٌّ، هَذَا يُفْسِدُ الأَدْيَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْبُلْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الأَبْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَانَ. وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي الْغَالِبِ فِي: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ يَعْلَمُ الذَّكِيُّ مِنْهُمْ وَالْعَاقِلُ: أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ فِيمَا يَقُولُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَأَنَّ حُجَّتَهُ لَيْسَتْ بِبَيِّنَةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ كَمَا قِيلَ فِيهَا:

حُجَجٌ تهافت كَالزُّجَّاجِ تَخَالُهَا حَقًّا، وَكُلٌّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ

وَيَعْلَمُ الْعَلِيمُ الْبَصِيرُ بِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ وَجْهٍ مُسْتَحِقُّونَ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ حَيْثُ قَالَ: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافُ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلامِ. وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ إذَا نَظَرْت إلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْقَدَرِ - وَالْحَيْرَةُ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَيْهِمْ، وَالشَّيْطَانُ مُسْتَحْوِذٌ عَلَيْهِمْ- رَحِمَتْهُمْ وَرَفَقْتَ بِهِمْ؛ أُوتُوا ذَكَاءً وَمَا أُوتُوا زَكَاءً، وَأُعْطُوا فُهُومًا وَمَا أُعْطُوا عُلُومًا، وَأُعْطُوا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ [الأحقاف: ٢٦]. وَمَنْ كَانَ عَلِيمًا بِهَذِهِ الأُمُورِ: تَبَيَّنَ لَهُ بِذَلِكَ حِذْقُ السَّلَفِ، وَعِلْمُهُمْ وَخِبْرَتُهُمْ، حَيْثُ حَذَّرُوا عَنْ الْكَلامِ، وَنَهَوْا عَنْهُ، وَذَمُّوا أَهْلَهُ، وَعَابُوهُمْ. وَعَلِمَ أَنَّ مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَمْ يَزْدَدْ مِنْ اللَّهِ إلا بُعْدًا. فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ »[1].

وفيما يلِي ذِكرٌ لأهم مواقف المتكلّمين الجفائية تجاه الرسالة المحمدية، تحت خمسة مطالب:

المطلب الأول: تقديم المتكلمين العقل على الكتاب الْمُنـزّل عليه ، وعلى سنَّتِه.

المطلب الثاني: انحراف المتكلمين عن شريعته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: طعن المعتزلة في أصحاب رسول الله الْمُوصَى بِهِم.

[1] (?) الفتوى الحموية الكبرى، 530-534.

المطلب الرابع: تلقيب غلاة المعتزلة حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بـ(الْمُشبِّهة).

المطلب الخامس: قول بعض الأشاعرة ببطلان نبوّته بعد موته عليه الصلاة والسلام.

** * **

المطلب الأول: تقديم المتكلّمين العقل على الكتاب الْمُنـزّل على رسول الله ، وعلى سنَّتِه[1]:

وقد رأيتُ أنْ يتضمن هذا المطلب تمهيدًا وخمسة مسائل، على نحوٍ تالٍ:

التمهيد:

مسألة تقديم العقل على الكتاب والسنة -كما سبق عند الفلاسفة المنتسبة إلى الإسلام منهجٌ سار عليه الْمتكلّمون (معتزلة وأشعرية وماتريدية).

وتقديم العقل على النقل من نقاط اتفاق هؤلاء المتكلمين –على تفاوُتٍ بينهم في تقريرِ ذلك وسُلوكه، فعند أوائلهم بدايات هذا الخبث، بينما بَلَغَ الأمر إلى أشَدِّه وأخْبَثِه عند متأخري الأشاعرة (الرازي خصوصًا ومَن بعده)، فعندهم تم ذلك على سوقه-.

أما أصل المسألة فمتفقٌ عليها بينهم مثلما ما اتفقوا على قلة المعرفة والاهتمام بالتوحيد الذي من أجله خُلِق الخلق (توحيد العبادة)، -كما سيأتي تقريرُه!

وتقديم العقل على النقل عمومًا، وعلى السنة المحمدية خصوصًا من المساوئ الكبيرة التي ابتلي بِها هؤلاء المنتسبون إلى الإسلام، حيث قاموا بتقديس العقل واعتماده، بل وجعله أعلى من كلام خالق العقل. وقد لبّس عليهم إبليس فرأوا أنّهم على صواب، وقوِيَت في نفوسهم شُبَه الملاحدة أعداء الإسلام، فارتكبوا هذا الجرم الأثيم، فرأى الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية: أنّه إذا تعارض العقل والنقل فإنّ العقل هو المقدَّم. وإنْ كان لا يوجد في الحقيقة تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح.

ولِهؤلاء القوم شُبَه في ما ارتكبوه، ولكنها شُبَهٌ لا تَسلم لهم، فمنها:

أولا: أنّ العقل هو الأصل في معرفتنا بالنقل. **ثانيًا:** أنّ الدلالة العقلية قطعية، بينما الدلالة النقلية ظنّية،

---

[1] (?) انظر: مقدمة كتاب درء تعارض العقل والنقل، تحت عنوان: موضوع الكتاب، (ص10-16)، ووسطية أهل السنة بين الفرق (التمهيد)، موقف الأشاعرة من النقل عمومًا والسنة خصوصًا، 71-86.

والقطعي مقدّم على الظنّي. **ثالثًا:** أنّ معرفة الله الذي هو أصل الأصول ما قام إلا بالعقل، وما عداه فرعٌ عنه، وهذا الأصل إنما قام على العقل، فلو قُدِّم النقل –على زعمهم- لكان من باب تقديم الفرع على الأصل. **رابعًا:** قالوا: إنّ صِدق الأنبياء في إخبارهم عن الله تعالى لا يتوقف على النقل، بل على العقل؛ لأنّ النقل لا يُقبل إلا أنْ يكون عن الأنبياء، فلو توقف صدق الأنبياء على النقل، للزم الدور، وهو ممتنع. **خامسًا:** النقل الذي خالفه العقل، لا يخلو إما أنْ يكون متواترًا أو آحاد، فالثاني لا يُقبل في العقائد، والأول يُؤول ليتوافق مع العقل، أو يُفوّض[1]، ومثالٌ لذلك: دعواهم أنه لو حكم عقلهم –مثلا- باستحالة شيءٍ من الصفات، وحكَم السمعُ (الشرعُ) المتواتر القطعي بخلافه –على زعمهم- قُدّم العقل عليه، وأُوّل السمع ليتوافق معه، وهذا فيما تواتر السمع بإثباته، وأما الآحاد فليس يجب تأويل السمع ليتوافق مع العقل القاطع، بل يمكن أنْ يُتَبرّع في التأويل، أو يُفوَّض[2].

هذه أهم شُبَههم في الباب، وسيأتي تقريرُها من كلام الْمتكلمين وتقريراتهم، من خلال أربع مسائل (مسألةٍ لكُلّ فرقة منهم)، ثم يأتِي ردّ ذلك في المسألة الخامسة والأخيرة.

المسألة الأولى: تقديم الجهمية العقل على الكتاب الْمُنـزّل على رسول الله وعلى سنَّتِه[3]:

يرَى بعضُهم أنّ الجهمية الخالصة المحضة ليسوا من المتكلمين، بل ملاحدة (وهو الذي يترجح)، ويرى آخرُ أنّهم منهم. ولَمّا كانوا من أوائل مَن تلقفوا بدعة تقديم العقول على الكتاب والسنة الصحيحة، استأنستُ بالقول الثاني لأذكُر جفاءهم –كفرقة تنتسب إلى الإسلام، وإنْ أجمع

---

[1] (?) انظر هذه الشبَه الخمسة: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب، (ج3/ 1243-1244).

[2] (?) وسيتضح هذا من كلام المتكلمين أنفسهم وتقريراتِهم الآتية.

[3] (?) للاستزادة انظر: بحث بعنوان: مقالة التعطيل، والجعد بن درهم، للدكتور محمد بن خليفة التميمي، ص176-178، النقطة الرابعة: مِن بِدع الجعد: معارضته للنصوص بالعقليات، تحت مطلب: بِدعُه ومقالته.

السلف على تكفيرهم- للرسالة المحمدية في هذا الجانب. وقبله لا بد من التعريف بهم، فأقول –وبالله تعالى التوفيق-:

التعريف بالجهمية:

إطلاق لفظة الجهمية بِمقابل المعتزلة، والأشاعرة والماتريدية (الصفاتية المثبتين، الذين فيهم نوع تجهم) يُعنى به: الجهمية الخالصة الغالية المحضة؛ الذين ينفون أسماء الله وصفاته على الحقيقة[1]، وهي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، ظهَرَت في بداية القرن الثاني (حدود: 128هـ) على يد مؤسسها جهم بن صفوان[2]. وهي فرقة ذات آراء ومفاهيم خاطئة في مسمى الإيمان، وفي بابَي الإيمان بالله واليوم الآخر، وفي القدر.

وأما عن أَصْل التَّجَهُّم فزَنْدَقَةٌ وَنِفَاقٌ[3].

ومن جملة مقالاتهم: القول بأنّ الله -تعالى وتقدّس- في كلّ مكان بذاته، وإنكار الأسماء والصفات وردّ النصوص المتعلقة بِها، أو تأويلها، والقول بخلق القرآن، كما أنهم يقولون بالإرجاء، والجبر[4].لهذا قال الإمام حرب

---

1 (?) انظر: التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ج1/ 265-271)، بواسطة: النفي في باب صفات الله بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، ص511 .

2 (?) **جهم بن صفوان** هو أبو محرز، مولاهم، السمرقندي، الكاتب المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية، صاحب جدال وخصومات ومناظرات وكلام، دعا الناس إلى متشابه القرآن، كما قال الإمام أحمد، عاش في آخر عصر التابعين. قال الذهبي في ترجمته في ميزان الاعتدال (ج1/ 426): « الضال المبتدع، رأس الجهمية. هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئًا، لكنه زرع شرًّا عظيمًا »، وكان ينكر الصفات؛ ويُنَزّه الباري عنها –بزعمه-، ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها. قيل: إن سلم بن أحوز قتل الجهم، لإنكاره أنّ الله كلم موسى في آخر خلافة بني أمية (ت 128هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء، ج5/ 15، والمراجع اللاحقة).

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى، (ج3/ ص353).

4 (?) انظـــر: التعريف بالجهمية بالتفصـــيل، كتـــاب الملل والنحل للشهرستاني، (ج1/ 135-137)، والتبصير في الدين، (الباب العاشر) ص307-309، وكتـــاب الصـــواعق المرســـلة على تـــاريخ الجهمية والمعتزلة لجمـــال الـــدين القاســـمي تـــأليف: عبد الحميد بن خليـــوي الرفاعي، (وفي ترجمة القاسمي جعل جهم داعية إلى الكتاب والسنة، وبذلك خالف ما قـرر العلمـاء فيه قـديمًا من جعله أسّ الضـلالة، والله

الكرماني (ت280هـ): « الجهمية: أعداء الله: هم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأنّ الله لم يكلم موسى، وأن الله لا يتكلم ولا يرى، ولا يُعرف لله مكان، وليس لله عرش ولا كرسي، وكلام كثير أكره حكايته، وهم كفّار زنادقة أعداء الله فاحذروهم »[1].

والجهم بن صفوان المؤسس أخذ بدوره هذه العقيدة عن الجعد بن درهم[2]، الذي هو أول مَن ابتدع القول بـأنّ الله ما اتخذ إبـراهيم خليلا، ولا كلّم موسى تكليمًـا، وأنّ ذلك لا يجوز على الله.

وأما عن أهم معتقـدات الجهمية في غـير بـاب الصفات، فكما يقول الأشعري –رحمه الله- في مقالاته: « **ذكر قـول الجهمية:** الـذي تفـرد به جهمٌ: القـولُ بـأنّ الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأنّ الإيمـان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقـط، وأنّـه لا فعل لأحدٍ في الحقيقة إلا الله وحـده، وأنّـه هو الفاعل، وأنّ النـاس إنّما تُنسب إليهم أفعـالُهم على المجـاز، كما يقـال: تَحَـرّكت الشـجرة، ودار الفُلكُ، وزالت الشـمسُ، وإنّما فَعَـل ذلك بالشـجرة والفلك والشـمس اللهُ سـبحانه، إلا أنّـه خلَـق للإنسـان قـوة كـان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختيـارًا له، منفـردًا له بـذلك، كما خلق له طـولاً كـان به

المستعان!)، ص12-23، وفـرق معاصـرة تنتسب إلى الإسـلام وبيـان موقف الإسلام منها، الباب الثاني عشر- (ج3/1129-1160)، وكتاب دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها للدكتور ناصر العقـل، (ج2/ ص219-302، تحت عنـوان: الجهمية نشـأتها وأصـولها ومناهجها وموقف السـلف منها قـديمًا وحـديثًا)، وكتـاب جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، ص162-171، وكتاب النفي في بـاب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، ص510-523.

[1] معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني، ص154.

[2] الجعد بن درهم، مؤدب مروان الحمار، قال المدائني: كان زنديقا. وقد قال له وهب: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أنّ له يدًا، وأنّ له عينًا ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أنْ صُلِب (انظر: سير أعلام النبلاء، ج 4/ 590-591).
وكتب المقالات والتراجم والتاريخ لم تسعف بشيء عن تاريخ ولادته (انظر ترجمته: مقالة التعطيل والجعد، للتميمي، ص132-143).

طــويلاً، ولونًــا كــان به متلوِّنًــا، وكــان جهم ينتحل الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر، وقُتِــل جهمٌ بِمَــرْوَ ... في آخر مُلْكِ بنِي أمية، ويحكى عنه أنه كان يقول: لا أقول إنّ الله سـبحانه شــيءٌ؛ لأنّ ذلك تشـبيهٌ له بالأشـياء، وكــان يقـــول: إنّ علم الله ســـبحانه مُحْـــدَثٌ فيما يحكى عنه، ويقول بخلق القرآن، وأنّه لا يقـال: إنّ الله لم يـزل عالِمًـا بالأشياء قبل أن تكون »[1].

وبسبب هذه المعتقدات الخطيرة التي تناقض السّنّة والكتاب كفَّرَهم السّـلَف، وحكمـوا على الجهمية بـالمروق من الدين وأنهم لَيْسُوا مِنْ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّـبْعِينَ فِرْقَـةً، قـال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه اللـه-: « وَأَمَّا تَعْيِينُ الْفِـرَقِ الْهَالِكَةِ فَأَقْـدَمُ مَنْ بَلَغَنَا أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي تَضْلِيلِهِمْ يُوسُـفُ بْنُ أَسْبَاطٍ ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَـارَكِ -وَهُمَا إمَامَـانِ جَلِيلانِ مِنْ أَجِلاءِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ- قَالا: أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعَـةٌ: الـرَّوَافِضُ وَالْخَـــوَارِجُ وَالْقَدَرِيَّةُ وَالْمُرْجِئَةُ. فَقِيـــلَ لابْنِ الْمُبَـــارَكِ: والجهمية؟ فَأَجَابَ: بِأَنَّ أُولَئِكَ لَيْسُوا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ. وَكَانَ يَقُـولُ: إنَّا لَنَحْكِي كَلامَ الْيَهُـودِ وَالنَّصَـارَى وَلا نَسْـتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلامَ الجهمية. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ اتَّبَعَهُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ قَالُوا: إنَّ الجهمية كُفَّارٌ فَلا يَدْخُلُونَ فِي الاثْنَتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَة »[2].

ويذكر شيئًا من عقيدتهم، وحكم السلف –رحمهم اللــه- عليهم، فيقــول: « وَالْمَــأْثُورُ عَنْ السَّــلَفِ وَالأَئِمَّةِ: إطْلاقُ أَقْــوَالٍ بِتَكْفِــيرِ الجهمية الْمَحْضَــةِ؛ الَّذِينَ يُنْكِـرُونَ الصِّــفَاتِ، وَحَقِيقَــةُ قَـوْلِهِمْ: أَنَّ اللَّهَ لا يَتَكَلَّمُ وَلا يُـرَى؛ وَلا يُبَايِنُ الْخَلْقَ؛ وَلا لَهُ عِلْمٌ وَلا قُـدْرَةٌ، وَلا سَـمْعٌ وَلا بَصَـرٌ، وَلا حَيَاةٌ، بَلْ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لا يَرَوْنَهُ كَمَا لا يَـرَاهُ أَهْلُ النَّارِ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمَقَالاتِ »[3].

---

[1] (?) مقالات الإسلاميين واختلاف الْمصلين، (ج1/ 338).
[2] (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج3/ ص350).
[3] (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج3/ ص352).

وبعد، فعن عُنوان المسألة، والذي هو: (تقديم الجهمية العقل على الكتاب الْمُنـزّل على رسول الله ﷺ، وعلى سنَّتِه)، أقول:

اعلم أنّه قد كان المسلمون في عصر الصحابة[1] وكِبار التابعين إلى ما بعد حدوث الخوارج والشيعة الأولى، والمرجئة والقدرية في عافية من دينهم؛ حيث إنّهم لا يعدِلون بالكتاب والسنة شيئًا، وكانوا يحتجون بهما، ويرُدّون التنازُع إليهما، ولا يدّعون أنّ عندهم معقولات يُعارضون بِها النصوص إلى أنْ حدثَتْ فرقة الجهمية في أواخر عصر التابعين حيث أخذُوا يَشُكّون في حجية الكتاب والسنة، ولا سيّما نصوص الأسماء والصفات، وأول ما عُرف عنهم: معارضة النقل بالعقل، وعدم الاحتجاج بصحيح المنقول، بحجة أنها تخالف معقولاتهم، وإنْ كانوا في أول الأمر قليلين، أذلاء مذمومين، مقموعين في الأمة[2]. وأولهم الجعد بن درهم.

لكن يُعتبر الخوارج والشيعة الأولى، وكذلك القدرية والمرجئة –بِما ابتدعوه مِن بِدع تفرّق بسببها المسلمون- أنّهم الذين مهّدوا للجهمية، من بعدهم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، فقد مهّدوا لِهؤلاء إسقاطَهم حجية الكتاب والسنة، والقول بظنيّة دلالتهما، وعدم الاحتجاج بالخبَر الواحد في مسائل الاعتقاد، والزعم بأنّ الحجة القاطعة تكون في معقولاتهم[3] المختلفة[4].

---

1 (?) الصحابة لم يكونوا يوردون على النصوص معقولا يعارض به، ... بل يستشكلون بعض النصوص ولا يقفون على طرق الجمع بينها وبين الأخرى فيسألون النبي ﷺ فيجيبهم، ... وللوقوف على نماذج من أسئلتهم وإجابته، انظر: مختصر الصواعق، 169-173 .

2 (?) انظر: درء تعارض العقل والنقل، (ج5/ 244)، ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، ص175 .

3 (?) انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، (ج 1/19-120).

4 (?) المشكلة أنّ كلّ فِرقة من فِرَق المتكلمين (من معتزلة وأشعرية وماتريدية)، وغيرهم من المبتدعين يزعمون معقولات وآراء وبراهين، وحُجج –كما يسمونها، وبِها ينفون ما ينفون من أدلة السنة والكتاب، وتختلف معقولات كل فرقة عن الأخرى، فخذ مثلا: المعتزلة: ما نفَت نصوص صفات الله وعطلوها إلا بزعمهم مناقضتها لِمعقولات

وقد تكلم في ذلك شيخ الإسلام –رحمه الله- وأسهَب فقال فيما قال: « حقيقة قول هؤلاء الذين يُجوّزون أنْ تُعارَض النصوص الإلهية بِما يُناقضها من آراء الرجال أنْ لا يُحتج بالقرآن والحديث على شيءٍ من المسائل العلمية، بل ولا يُستفاد التصديق بشيءٍ مِن أخبار الله ورسوله، فإنه إذا جاز أنْ يكون فيما أخبَر الله به ورسوله في الكتاب والسنة أخبارٌ يُعارضها صريح العقل، ويجب تقديمه عليها من غير بيان من الله ورسوله للحق الذي يُطابق مدلول العقل، ولا لِمعانِي تلك الأخبار المناقضة لصريح العقل، ... ومعلوم أنّ عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه مَن يُعارض النصوص بالعقليات، فإنّ الخوارج والشيعة حدَثوا في آخر خلافة علي، والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة، وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص، ويستدلون بِها على قولهم، لا يدّعون أنّهم عندهم عقليات تعارض النصوص. <u>ولكن لَمّا حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم،</u> ومع هذا فكانوا قليلين مقموعين في الأمة. وأولهم الجعد بن درهم ... والمقصود هنا أنّ ما تذكرُه الجهمية نُفاة الصفات من العقليات المتناقضة للنصوص لم يكن معروفًا عند الأمة إذْ ذاك، ولَمّا ابتدعوه لم يسمعه أكثرُ الأمة. ثم قد وضعت الجهمية من المعتزلة وغيرهم من ذلك في الكتب ما شاء الله، وأكثر المؤمنين لا يعلمون ذلك، وما من أحد من النفاة إلا وقد يذكُر على النفي من حججه العقلية ما لا يذكره الآخر، ولا تجد طائفتين يتفقان على طريقة واحدة عقلية »[1] .

ولَمّا مدح الرافضيُّ -الذي ردّ عليه شيخ الإسلام رحمه الله بكتاب منهاج السنة النبوية- عليًّا بالكذب،

ابتدعوها، فعمدة المعتزلة في نفي الصفات: هو أنّ الصفات أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، وعمدتهم في نفي الجسم كونه لا ينفك من الحوادث، أو كونه مركبًا من الأجزاء المفردة، .. ولا تكاد تجد طائفتين معقولهم واحد .. (انظر: درء تعارض العقل والنقل، ج5/ ص 245-246).

[1] (?) درء تعارض العقل والنقل، (ج5/ 242-245، وانظر ما بعده، ص 252، وص256).

وبِما لا مدح فيه لو ثبت، وهو أنّه أصل علم الكلام (الذي هو مقاييس فلسفية، والتي نتج عنها ردّ الكتاب والسنة – كما تقدم)، وأنّ الناس تعلّموا ذلك مِن خُطَبِه ، والناس بعده فيه تلاميذه، قال شيخ الإسلام في سياق الرد عليه: أنّ هذا العلم لم يعرفه القرن الأول، بل هو من الجعد بن درهم وتلميذه، « بل أول ما ظهَر هذا الكلام في الإسلام بعد المائة الأولى، من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، ثم صار إلى أصحاب عمرو بن عُبيد، كأبِي الهذيل العلاف وأمثاله. ... »[1].

المسألة الثانية: تقديم المعتزلة العقل على الكتاب الْمُنـزّل على رسول الله وعلى سنَّتِه[2]:

فقد قدموا العقل على النقل، وبلغ الأمر ببعضهم إلى إسقاط حجية النقل:

ويذكر أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي (ت 377هـ) المعتزلة وعقيدتهم: وأنّهم « أرباب الكلام، وأصحاب الجدل، والتمييز، والنظر، والاستنباط، والحجج على مَن خالفهم، وأنواع الكلام، والمفرِّقون بين علم السمع وعلم العقل.. »[3]اهـ.

ويُقرر واصل بن عطاء –رأس المعتزلة- هذا المعنى فيقول:«إنّ كلّ خبَرٍ لا يمكن التواطؤ والتراسل والاتفاق على غير التواطؤ فهو حجة،وما يصِحّ ذلك فيه فهو مطّرح»[4].

وهذا القول مِن أوائل نصوص المعتزلة، بل وأهل الأهواء عمومًا في عدم الاعتبار بصحة السند وعدالة الرواة فقط، بل اشترط واصل الاستناد إلى حجية العقل، وهو: إثبات عدم إمكان التوافق والتراسل، فتؤول

---

1 (?) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام، (ج8/ 5-6).

2 (?) للاستزادة: يُنظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي (ج1/ص 9-12)، وج1/ص20).

3 (?) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبِدَع، ص49 .

4 (?) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار المعتزلي، وآخرين، ص234)، بواسطة: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، (ج1/ ص120-121).

الأحاديث –بالنسبة إلى هذا الشرط- إلى حديثين؛ حديث توفر فيه الشرط فيكون حجة، وآخر مطَّرَح، وبهذا بدأ تحكم الاتجاه العقلي في الأخبار الشرعية. كما أنّه يستوي في هذا ردّ خبَر الواحد أو أكثر، ويستوي عدم إفادتها للعلم والعمل.

وبسبب اعتماد المعتزلة على العقل، وطرح ما لا يوافق عقولهم من نصوص الوحي، تجرأ عمرو بن عبيد –من رؤساء المعتزلة وروادهم- على الله تعالى وعلى رسوله، لَمّا ذُكِر له حديث كَتْب أربع كلمات والجنين في بطن أمه، (حديث الصادق المصدوق)، فقال: لو سمعت الأَعْمَش يقول هذا لكذّبْتُه، ولو سَمعته من زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ لَما صَدّقْتُه، ولو سَمعت ابن مسعود يقوله ما قَبِلْتُه، ولو سَمعت رسولَ الله ﷺ يقول هذا لرَدَدْتُه، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذْتَ ميثاقنا »[1].

فيا لَجُرأة هذا القدري على الله ﷻ! وعلى رسوله ﷺ!!

والحديث الذي ردّه عمرو بن عبيد هو ما أخرجَه البخاري –رحمه الله- في الصحيح، فقال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: " **إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ** "[2].

---

[1] (?) ميزان الاعتدال، (ج3/ 278).

[2] (?) صحيح البخاري وهذا لفظه: كتاب بدء الخلق، بَاب ذِكْرِ الْمَلائِكَةِ، ورقمه: 3208، وصحيح مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته، ورقمه: 2643.

ومن جرأة عمرو بن عبيد على الله وعلى رسوله ﷺ في رَدّه بعض النصوص لِمخالفتها للأصول القدرية التي يعتقدها: ما ذُكر في ترجمته من قول معاذ بن معاذ: سمعت عَمرًا يقول: إنْ كانت ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [المسد: ١] في اللوح المحفوظ، فما لله على ابن آدم حجة. ... وقال عاصم الأحول: نِمتُ فرأيت عمرو بن عبيد يحك آية، فَلُمْتُه. فقال: أعيدها؟ قلت: أعِدْها! فقال: لا أستطيع[1].

وقد استمر ردّ الأخبار عند المعتزلة، واعتبارهم أنّ الحجة إنما تكون في معقولاتهم، ومن ذلك: ما صَنَعَه أبو الهذيل العلاف (ت:235هـ)[2] حيث فاق شيخَ مذهبِه واصل، واشترط شروطا في قبول حجية النقل؛ وهي: أنْ يكون متواترًا، وأنْ يكون أحد رواته من أهل الجنة، ففي الفرق بين الفرق: « والفضيحة السادسة من فضائحه: قوله: إنّ الحجة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام، وفيما سواها لا تَثْبُتُ بأقلّ من عشرين نَفْسًا، فيهم واحدٌ من أهل الجنة أو أكثر، ... وخبر العشرين إذا كان فيهم واحدٌ من أهل الجنة يجب وقوع العلم منه لا محالة »[3].

وفي الملل والنحل: « الحجة لا تقوم فيما غاب إلا بخبر عشرين، فيهم واحدٌ من أهل الجنة أو أكثر، ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله: معصومون، لا يَكْذِبون،

---

1 (?) انظر: سير أعلام النبلاء (ج5/ 63).

2 (?) **العلاف:** هو شيخ الكلام، ورأس الاعتزال، أبو الهذيل، محمد بن الهذيل بن عبيد الله، البصري العلاف، صاحب التصانيف، مولده سنة: 135هـ. وأنكر الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة، كما زعم أنّ نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، لم يلق عمرو بن عبيد، بل لازم تلميذه عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء. واقتبس بعض مقالاته عن الفلاسفة، وله مقالات مفاريد. وصفه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث: بأنه كذّاب أفّاك. يقال: قارب مائة سنة، وخرف، وعمي. مات سنة: 226، ويقال: سنة: 235هـ. وانظر تمام ترجمته هو وفرقته في الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ 111)، والملل والنحل، ج1/ ص71-76، وسير أعلام النبلاء للذهبي، (ج7/ 452-453، وقد ترجمه قبل ذلك في: 7/267).

3 (?) الفرق بين الفِرَق، ص131.

ولا يَرْتَكبون الكبائر؛ فهم الحجة لا التواتر؛ إذ يجوز أن يَكْذِب جماعةٌ ممن لا يُحصون عدَدًا، إذا لم يكونوا أولياء الله، ولم يكن فيهم واحدٌ معصوم »[1].

وفي قوله هذا: إسقاط حجية النقل، والله المستعان!

كما أنّ قوله (وأنْ يكون أحد رواته من أهل الجنة): أراد بِهذا الواحد من أهل الجنة: مَن كان في نِحْلته من الاعتزال، ففي الفرق بين الفرق: « ما أراد أبو الهُذيل باعتبار عشرين في الحجة من جهة الخبر إذا كان فيهم واحدٌ من أهل الجنة إلا تعطيل الأخبار الواردة في الأحكام الشرعية عن فوائدها، لأنّه أراد بقوله: (ينبغي أن يكون فيهم واحدٌ من أهل الجنة) واحدًا يكون على بدعته في الاعتزال والقدر، وفناء مقدورات الله ؛ لأنّ مَن لم يقُلْ بذلك لا يكون عنده مُؤمنًا، ولا من أهل الجنة ..» [2].

وكذا الجاحظ[3] يُقرر أنّ الحكم القاطع للعقل؛ فيقول: « فما الحكم القاطع إلا للذهن، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل »[4].

---

1 (?) الملل والنحل، (ج1/ 76)، حكى ذلك عنه الكعبي.

2 (?) الفرق بين الفرق، ص132.

3 (?) **الجاحظ:** أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، المعتزلي، صاحب فنون وأدب باهر، وذكاء بين، قد كان ماجنًا قليل الدين، قال ثعلب: ما هو بثقة. تتلمذ على النّظام. مات سنة: 250هـ وقال الصولي: مات سنة: 255هـ. طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة، وروّج كثيرًا من مقالاتهم بعباراته البليغة، وكان يميل إلى الطبيعيين أكثر منه إلى الإلَهيين، له نوادر، وكان باقعة في قوة الحفظ. وتصانيف الجاحظ كثيرة جدا، منها: كتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين، وكتاب الوعيد وما روى من الحديث إلا النزر اليسير، ولاهو بمتهم فيه، ولكنه أخباري علامة، (انظر: الفصل لابن حزم، ج3/ ص114، وكتاب الملل والنحل، ج1/ 112-115، وسير أعلام النبلاء، ج7/ 654-657).

4 (?) رسالة التربيع والتدويير للجاحظ، ضمن رسائله، 88، بواسطة: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، (ج1/ 124).

والنظام[1]: « له أقاويل في أحاديث يَدّعي عليها أنها مناقضة للكتاب، وأحاديث يستبشعها من جهة حجة العقل، وذكَر أنّ جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار »[2].

ولَمّا ذكر القاضي عبد الجبار[3] أنواع الدلالات قدّم عليها حجة العقل، وذكر أنّ معرفة الله تعالى لا تنال إلا بالعقل، فقال: « وإذْ قد عرفت هذا، فاعلم أنّ الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل »[4].

كما أنّه يرى أنّ الأخبار في الاعتقادات عمومًا يُنظر إليها؛ فإنْ كانت موافقة لحجج العقول قُبِلت واعتقد وجوبها، ولكن لا لأنها حجة، ولا لمكانها، بل للحجة العقلية،

---

1 (?) **النَّظّام:** شيخ المعتزلة، أبو إسحاق إبراهيم بن سيار، البصري، المتكلم، تكلم في القدر، وهو شيخ الجاحظ، طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وانفرد بمسائل منها: أنه كان يقول: إنّ الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، ولو كان قادرًا، لكنا لا نأمن وقوع ذلك، وإن الناس يقدرون على الظلم، وصرّح بأنّ الله لا يقدر على إخراج أحد من جهنم، وأنه ليس يقدر على أصلح مما خلق. قال الذهبي: القرآن والعقل الصحيح يكذبان هؤلاء، ويزجرانهم عن القول بلا علم، ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفره جماعة. أحدث القول بالطفرة، وله كتاب الطفرة، وكتاب الجواهر والأعراض، وكتاب حركات أهل الجنة، وكتاب الوعيد، مات، في خلافة المعتصم أو الواثق، سنة بضع وعشرين ومائتين، (انظر للتوسع في ترجمته: تأويل مختلف الحديث، ص 66-94، والفصل لابن حزم، -ج3/ 112، والملل والنحل، ج1/77-87، وسير أعلام النبلاء، ج7/267-268).

2 (?) قاله الإمام ابن قتيبة الدينوري في مطلع (تأويل مختلف الحديث، في باب ذكر أصحاب الكلام وأصحاب الرأي) ص 93-94. وقد صدّر الكلام عن النظام بعنوان: مزاعم النظام وأكاذيبه، ثم أوردها، ص66-94، ثم ختمها بما في المتن، ووعد أنّه سيأتي بالنماذج للأحاديث التي استبشعها بعقله، والتي نسخها بعقله -في الكتاب.

3 (?) **القاضي عبد الجبار:** هو أبو الحسن الهمذاني: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، المتكلم، شيخ المعتزلة، بل من غلاتهم، ومن كبار فقهاء الشافعية. ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة، منها: شرح الأصول الخمسة، والمغني في أبواب التوحيد والعدل، وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، وغيرها. تخرج به خلق في الرأي الممقوت، مات في ذي القعدة سنة: 415هـ، (انظر: سير أعلام النبلاء، ج 10/ ص435، ومقدمة شرح الأصول الخمسة، ص7-13).

4 (?) شرح الأصول الخمسة للقاضي، ص50، وانظر: ما بعده (ص51).

وإنْ لم تكن موافقة لها ففيها مسلكان: إما التأويل، أو الرد والحكم بأنّ النبي لم يقلها، وإنْ قالها فإنما قالها على طريق الحكاية عن غيره[1].

« فالقاضي عبد الجبار وغيره من المعتزلة يُقدّمون العقل على النقل، فما وافق عقولهم قبِلوه، وما لم يوافقها من النصوص الصحيحة الصريحة التي تتعارض ومذهبهم في نفي الصفات ردّوه، أو تأولوه تأويلات باطلة »[2].

وأختم مسالة تقديم المعتزلة للعقل على النقل بِما قاله الدكتور عابد السفياني في (معالمه): «وقد اشتد تمسك المعتزلة بمنهجهم العقلي الذي أخذ في التولّي عن الأدلة النقلية رويدًا رويدًا، حتى بلغ القمة على يد النظام، فبقدر ما يقربون من الفكر الفلسفي المترجم بقدر ما يبتعدون عن الأدلة النقلية، فلما تعانق الفكر المعتزلي والفلسفي على يد النظام، استوَت مقالة واصل بن عطاء على سوقها، بعد أن اشتد عودها على يد أبِي الهذيل العلاف ... وتَمَت مقالة المعتزلة على ثلاث مراحل:

الأولى: اطراح جميع الأخبار ما لم يتقرر عدم إمكان التواطؤ. **الثانية:** الأخبار ريبة، والحجة في المقاييس, **الثالثة:** الحجة قد تنسخ الأخبار »[3].

وقبل الردّ على المتكلمين عمومًا بالنسبة لمسألة تقديم العقل على النقل أنقُل ردًّا ضمنيًّا؛ وذلك فيما حكاه الشيخ عبد العزيز آل الشيخ –حفظه الله- من مقالة هؤلاء وغيرهم من جنسهم في الفصل الذي عقَده لذكر أقسام المخالفين لشهادة أنّ محمدًا رسول فقال:

---

1 (?) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي، 522، وما قبله.

2 (?) انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي، ص152، نقلا عن محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، 189.

3 (?) معالم طريق السلف في أصول الفقه، د/ عابد السفياني، ص 186-187، بواسطة منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، ج1ص123-124).

« **وقسمٌ مِن الناس**: جفا في حق النبي المصطفى ، وسنته الصحيحة، فأخذوا ينكرون طائفة من أحاديث النبي ، تارة بدعوى أن العقل لا يقبلها، فلما تعارض فهم عقولهم مع ما صح سنده من سنة المصطفى نبذوا السنة وراء ظهورهم؛ تقديما منهم للعقل على النقل، وما علموا أن العقل الصريح لا يمكن أن يعارض النقل الصحيح، ومتى توهم هذا التعارض فإن الْمُتَّهَم في ذلك عقلُ مَن توهم التعارض، وإلا فالنص الصحيح مقدم بكل حال. وهذا القسم من الناس ضال مبطل ، مخالف لمقتضى شهادة أن محمدا رسول الله . وقد تقدم بيان الأدلة في ذلك، ونقل قول الشافعي -رحمه الله-: أجمع العلماء على أنّ مَن استبانتْ له سنة رسول الله لم يكن له أن يَدَعَها لقولِ أحَدٍ . وتارة يرد السنة بدافع الهوى وغلبة الشهوات، وقد كثر هذا في الأزمان المتأخرة، حتى صار ينطق في الأمور الشرعية بتحليل أو تحريم: مَن ليس أهلا لها ، وهذا من أعظم الجرم »[1].

المسألة الثالثة: تقديم الأشاعرة العقل على الكتاب الْمُنـزّل على رسول الله ، وعلى سنَّتِه:

تقديم الأشاعرة للعقل على النقل، بل وإسقاطهم حجية صحيح المنقول في كثير من مسائل الاعتقاد، بتقديم معقولاتهم عليه؛ فعندهم أنّ المتواتر ظنّي الدلالة لا يحتج به إلا إذا وافق العقل. أما الآحاد فظنّي الثبوت والدلالة معًا، ولا يُستدل به في المسائل الاعتقادية، ولو كان صحيحًا مُسْندًا[2]. وسيأتي تقريره لاحقًا من كلام المعتزلة أنفسهم.

يذكر العلماء –رحمهم الله تعالى- أنّ الأشاعرة يُقسِّمون أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام، **قسمٌ** مصدرُه العقل وحده، وهو معظم أبواب العقيدة، ومنه باب: صفات الله تعالى، فعندهم الصفات

---

[1] (?) حقيقة شهادة أنّ محمدًا رسول الله ، ص102-103.

[2] (?) انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (ج1/ 126).

التي تُثبت بالعقل، ويسمّونها العقلية، وحكم هذا النوع عندهم: وجوب اتصاف الله تعالى بِها دون توقف الوحي، أما ما عدا هذا النوع من الصفات الخبرية التي جاء بها الكتاب والسنة فإنّهم يؤولونها إلى الصفات العقلية التي أثبتوها، فالحاصل هنا أنّ الأشاعرة جعلوا العقل حاكمًا في صفات الله تعالى. **وقسمٌ** مصدرُه النقل وحده، وهو المغيبات من أمور الآخرة. فعطّلوا العقل هنا. **وقسم** ثالثٌ جعلوا مصدره العقل والنقل معًا، كالرؤية، على خلاف بينهم. فجعلوا العقل هنا مساويًا للنقل [1].

يقول أبو منصور البغدادي (ت429هـ): « وأخبار الآحاد متى صحّ إسنادها، وكانت متونها غير مستحيلة في العقل، كانت موجبة للعمل بها دون العلم، ...»[2].

ويشترط أبو المعالي الجويني (478هـ) للاحتجاج بصحيح المنقول أنْ يكون قطعيًّا[3].

كما اشترط أبو حامد الغزالي (ت505هـ) للاحتجاج بأحاديث الصفات أنْ تكون قطعية، وأنْ تكون مما يُجوِّزها العقل، فإنْ فُقد هذان الشرطان أو أحدهما، فمصيرها إلى التأويل، لتوافق حجج العقول[4] . ويشهد لتقسيمهم هذا كلام الجويني اللاحق.

بل إنّ للمتأخرين من لأشاعرة قانونًا ابتدعوه سَمّوه قانونًا كُلِّيًا لا يأخذون العقائد إلا بِموجبه، -كما سيأتِي نصّه، وقد أشار إليه الجوينِي، وكذلك الغزالِي، وهذا (القانون) قد سبق أولئك في تقريره طائفة، منهم: **الغزالِي، وابن العرَبِي والجُوينِي، والباقلانِي**[5].

وأبو حامد الغزالي الـذي سـبق الـرازي إلى هـذا القانون، جعله قانونًا في جواب المسائل التي سئِل عنها.. في نصوص أشكلت على السائل، منهـا: سـؤاله عن بيـان

---

[1] انظر: الموسوعة الميسرة، (ج1/ ص87)، وقسم الدراسة في كتاب التبصير في الدين، ص66.

[2] أصول الدين، لأبِي منصور، ص12، نقلا عن منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، 127 .

[3] انظر: الإرشاد للجويني، ص301-302 .

[4] انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، ص32-133 .

[5] انظر: درء تعارض العقل والنقل (ج1/ ص4-6).

معنى قول رسول الله ﷺ: " **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ** .. "[1] وهل مِن سبيلٍ إلى الجمع بين هذا القول من الشرع في الجن والشياطين وبين قول الفلاسفة: إنّها أمثلة وعبارة عن الأخلاط الأربعة التي في داخل الأجسام لتدبيرها؟

والغزالي- في جوابه على السائل ذكر عدة وصايا، فقال في الوصية الثانية: « أنْ لا يُكذِّب برهان العقل أصلا، فإنّ العقل لا يُكذِّب، ولو كُذِّب العقل فلعله كُذِّب في إثبات الشرع، إذْ به عرفنا الشرع، فكيف يُعرَف صدق الشاهد بتزكية المزكّي الكاذب، والشرع شاهدٌ بالتفاصيل، والعقل مزكّي الشرع .. وإذا قيل لك: إنّ الأعمال توزن، علِمتَ أنّ الأعمال عرضٌ فلا يوزن، فلا بدّ من التأويل، وإذا سمعتَ أنّ الموت يؤتى به في صورة كبش أملح فيُذبح، علِمتَ أنّه مؤول، إذْ الموت عرَضٌ لا يؤتى به إذ الإتيان انتقالٌ، ولا يجوز على العرض، ولا يكون له صورة كصورة كبش أملح، إذ الأعراض لا تنقلب أجسامًا، ولا يُذبح الموت، إذ الذبح فصل الرقبة عن البدن، والموت ما له رقبة ولا بدنٌ، فإنه عرض، أو عدم عرض .. »[2]، وانظر كيف يؤول كلامهم إلى تكذيب النصوص وقائلها من حيث لا يشعرون! والله المستعان!

وفي الوصية الثالثة قال: « أنْ يكُف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات، فإنّ الحكم على مراد الله سبحانه، ومراد رسوله ﷺ بالظن والتخمين خطر، فإنما تعرف مراد المتكلّم بإظهار مراده، فإذا لم يَظهر، فمِن أين تعلم مراده؟ إلا أنْ تنحصر وجوه الاحتمالات، ويبطُل الجميع إلا واحدًا، فيتعيّن الواحد بالبرهان، ولكنّ وجوه

---

[1] هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، بَاب صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، ورقمه: 3281، ومسلم أيضًا في: كتاب السلام، ورقمه: 2175.

[2] قانون التأويل، ص11، بتحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط1، 2006م/ المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

الاحتمــالات في كلام العــرب وطُــرُق التوسع فيها كثــير، فمتى ينحصر ذلك؟ فالتوقف في التأويل أسلم »[1].

وممن سبق الغزالي إلى هـذا القـانون البـاقلانِي والجوينِي، فقد خصص الجُوينِي بابًا في كتابه (**الإرشــاد**)، سـمّاه: «بـاب القـول في السـمعيات »، قـال في أولـه: «اعلمــوا–وفّقكم اللــه-أنّ أصــول العقائد تنقسم إلى ما يُدرك عقلا ولا يسوغ تقـدير إدراكه سـمعًا، وإلى ما يُـدرك سمعًا ولا يتقـدّر إدراكه عقلا، وإلى ما يجـوز إدراكه سـمعًا وعقلا»[2].

وبعد أنْ تكلم عن هذه الأقسام الثلاثة، قال: « فإذا ثبتَت هـذه المقدمة فيتعيّن بعـدها على كـلّ معتنٍ بالـدين، واثقٍ بعقله أنْ ينظُر فيما تعلقت به الأدلة السـمعية، فـإنْ صادفه غير مسـتحيلٍ في العقـل، وكـانت الأدلة السـمعية قاطعة في طُرُقها لا مجالٍ للاحتمال في ثبوت أصـولها ولا في تأويلها، فما هـذا سـبيلُه فلا وجه إلا القطع بـه. وإنْ لم تثبت الأدلة السـمعية بطُـرُقٍ قاطعـةٍ، ولم يكن مضـمونها مسـتحيلا في العقــل، وثبتت أصــولها قطعًا ولكن ســبيل التأويل يجـول فيها فلا سـبيل إلى القطـع، ولكن المتـديّن يغلب على ظنّه ثبـوت ما دل الـدليل السـمعي على ثبوته وإنْ لم يكنْ قاطعًا، وإنْ كان مضـمون الشـرع المتصل بنا مخالفًا لقضــية العقل فهو مــردودٌ قطعًا بــأنّ الشــرع لا يُخـالف العقـل، ولا يُتصـوّر في هـذا القسم ثبـوت سـمعٍ قاطعٍ، ولا خفاء به »[3].

وهكذا بدؤوا يقررون هذا القانون إلى أنْ جاء محمد بن عمر بن الحسين بن علي الـرازي[4] في عـدد من كتُبه

[1] (?) قانون التأويل، ص11-12.

[2] (?) الإرشاد، ص358، ط/ الخانجي .

[3] (?) الإرشاد، ص359-360، ط/ الخانجي .

[4] (?) **محمد بن عمر الرازي:** هو أبو عبد الله، التيمي البكري، الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، الشافعي، الملقب بفخر الدين، ولد سنة544هـ بالري، وإليها نسبته، صاحب الجدل والكلام، والرحلة والتنقلات، وقد اشتغل طول عمره بجمع أقاويل الناس للنظر فيها، فما انتفع بها إلا زيادة التحير. ومن شيوخه: المجد الجبلي، قرأ الحكمة عليه بمراغة، وتفقه على الكمال السمناني. ومن تلامذته: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد السلمي المغربي، شمس الدين عبد الحميد

كأساس التقديس والأربعين، والمسائل الخمسين، فقــرره بِما مفــادُه: عــزلُ الرســول (بل النقل عمومًــا) عن أنْ يُحتج به في العلم بالله تعالى، وقرر أنّ العقل والنقل، إذا تعارضا فإمّا أنْ يُقدّم النقل على العقل، أو عكســه، وزعم أنّ الأول باطل؛ لأنّه بالعقل عرفنا صدق الرســول؛ فيلــزم من إبطاله إبطال النقل فيتســاقطان، ولــزم تقــديم العقل عن النقل.

فسبحان الله! عقلُ مَن يُقــدّم؛ العقل الجهمي أو المعــتزلي أو الأشــعري أو الرافضي أو .. أو ...، فاســمع الرازي وهو يُقرّر القانون بألفاظــه؛ ويقــول: «إذا تعارضت الأدلة الســمعية والعقليــة، أو الســمع والعقــل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقوطع العقليــة، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أنْ يجمع بينهمــا، وهو محــال؛ لأنه جمع بين النقيضين. وإما يُردّا جميعًا، وإما أنْ يُقدّم السمع، وهو محال؛ لأنّ العقل أصل النقل، فلو قــدمناه عليه كــان ذلك قــدحًا في العقل الــذي هو أصل النقــل، والقــدح في أصل الشــيء قــدحٌ فيــه، فكــان تقــديم النقل قــدحًا في النقل والعقل جميعًــا، فــوجب تقــديم العقــل. ثم النقــل: إما أنْ يُتــأول، وإما أنْ يُفــوّض. وأما إذا تعارضا تعــارُض الضــدين امتنع الجمع بينهما، ولم يمتنع ارتفاعها »[1].

وقرره (القانون) في موضعٍ آخر، وبيّن أنّه لو اشتغل عالِم بتأويل النصّ المتعارض مع الدليل العقلي القاطع –

بن عيسى بن عمر الخسروشاهي، .. ومن مؤلفاته: الأربعين في أصول الدين، وأساس التقديس الذي رد عليه شيخ الإسلام ببيان تلبيس الجهمية، وأقسام اللذات، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، السر المكتوم، المسائل الخمسون في أصول الدين، وكتاب نهاية العقول، أوصى في آخر حياته بِما يدل على توبته ورجوعه إلى الكتاب والسنة؛ متمسكًا بهما، وتوفي بِهراة، سنة 606هـ، (انظر ترجمته الموسعة، في قسم الدراسة لكتاب بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بِدَعهم الكلامية، -ترجمة لحياة الرازي، -التعريف به-، ص208-227).

[1] (?) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، وقد بَنى كتابه هذا على إبطال هذا القانون الخبيث، فأجاد في ذلك –كما هو عادته- وأفاد، (انظر: هذا القانون، ج1/ ص4)، (والمجلد الأول من الأصول التي بَنَى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام –رحمه الله-، د. عبد القادر محمد عطا).

على زعمه- فهو تبرّعٌ منه للنقل، كما زعَم أنّ آيات الصفات من المتشابِهات، فقال: « الفصل الثاني والثلاثون: في البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية، فكيف يكون الحال فيها؟ ثم قال: اعلم أنّ الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيءٍ، ثم وجدنا أدلة نقلية يُشعِر ظاهرُها بخلاف ذلك فهناك لا يخلو الحال من أحد أمورٍ أربعة: إما أنْ يُصدّق مقتضى العقل والنقل، فيلزم تصديق النقيضين، وهو محال. وإما أنْ يبطل، فيلزم تكذيب النقيضين، وهو محال. وإما أنْ يُصدّق الظواهر النقلية، ويُكَذّب الظواهر العقلية، وذلك باطلٌ؛ لأنّه لا يمكننا أنْ نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ، وظهور المعجزات على محمد ﷺ، ولو جوّزْنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متّهَمًا غير مقبول القول، ولو كان كذلك لَخرَج أنْ يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة. فثبَتَ أنّ القدح في العقل لتصحيح النقل يُفضِي إلى القدح في العقل والنقل معًا، وأنّه باطلٌ. ولَمّا بطلَت الأقسام الأربعة لم يبْق إلا أنْ يُقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة، وأنّ هذه الدلائل النقلية إما أنْ يقال: إنّها غير صحيحة، أو يقال: إنّها صحيحة إلا أنّ المراد منها غير ظواهرها. ثم إنْ جوّزنا التأويل، واشتغلنا على سبيل التبرُّع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإنْ لم يجز التأويل فوّضنا العلم بها إلى الله تعالى. فهذا هو القانون الكُلّي المرجوع إليه في جميع المتشابِهات، وبالله التوفيق »[1].

وهذا القانون هو الذي استخدمه لنفي علو الله تعالى على خلقه؛ فقد قال في (المسائل الخمسين في أصول الدين) -وهو يتكلم عن (تنزيه الله تعالى عن الجهة والمكان-)، فقال بعد أنْ ذكر أربع حجج لنفي فوقية الله

[1] أساس التقديس في علم الكلام، 125-126، بتحقيق الدكتور محمد العريني ط/ دار الفكر اللبناني.، ط1/ 1993م

سبحانه: « فإنْ قال قائل: ﭼﯕﯖﯗﯘﯙﭼ [النحل: ٥٠] ﭼﮃﮄﮅﮆﮇﭼ [طه: ٥] يدل هذا على جهة الفوق! **فالجواب:** إنّ الدلائل العقلية والنقلية إذا تعارضت فلا جائز أنْ يُصدّقا معًا؛ لأنه يلزم تصديق النفي والإثبات، وهو محال. أو تكذيبهما، وهو أيضًا محال. أو تكذيب الدلائل العقلية، وتصديق الدلائل النقلية، وهو محال؛ لأنّ تصحيح الأدلة النقلية موقوفٌ على صحة برهان العقل، لأنّه ما لم يثبت بالدلائل العقلية القاطعة وجود الصانع وصفاته، وصدق الرسل لم تثبت بالدلائل النقلية. ولو كذبنا الأدلة العقلية لأجل تقرير ظواهر النقل لكنا كذّبنا الأصل بالفرع، وحينئذ يكون الفرع أولى بالبطلان، ويُفضي ذلك إلى تكذيب العقل والنقل، وهو محال. فلم يبقَ إلا القسم الرابع: وهو تصديق الدلائل العقلية، والاعتقاد في الظواهر بأنّ مراد الله تعالى من ظاهر الآيات ما يوافق الأدلة العقلية. ثم هنا مقامان: المقام الأول: هو أنْ نقول: مراد الله من قوله: ﭼﮃﮄﮅﮆﭼ ليس إثبات الجهة، والمراد على سبيل التفصيل غير معلوم، فآمنا وصدقنا، ونترك التفسير والتأويل »، ثم ذكر المقام الثاني[1].

وقال أيضًا: «مسألة: الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمورٍ عشرة: عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ، وإعرابها، وتصريفها، وعدم الاشتراك، والمجاز، والنقل، والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار، والتأخير والتقديم، والنسخ، وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه؛ إذْ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل؛ لافتقاره إليه، وإذا كان المنتج ظنّيًا فما ظنُّك بالنتيجة»[2].

وقال بمثله في كتابه (الأربعين في أصول الدين)، تحت المسألة الثامنة والثلاثين: في أنّ التمسك بالدلائل اللفظية هل يفيد اليقين أم لا؟ وذلك بعدما قدّم بأنّ

---

[1] (?) المسائل الخمسون للرازي، ص117-118، (ومعه عدة رسائل لعز الدين بن عبد السلام)، بتحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط/دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م: 1425هـ.

[2] (?) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، 31 ط/ الحسينية، القاهرة.

الدليل إمّا أنْ يكون عقليًّا بجميع مقدماته، أو نقليًّا بجميع مقدماته (وذكر أنّ هذا النوع محال)، أو يكون مركّبا من القسمين: ثم قال: « إذا عرفتَ هذه المقدمة، فنقول: اختلف العقلاء في أنّ التمسك بالدلائل النقلية هل يفيد اليقين أم لا؟ قال قومٌ: إنّه لا يفيد اليقين البتة، وذلك لأنّ التمسك بالدلائل العقلية موقوفٌ على مقدمات عشر، كلّ واحدة منها ظنِّي، والموقوف على الظنِّي أولى بأنْ يكون ظنِّيًّا » [1].

فذكر المقدمات وملخصها:

أنّ التمسك بالدلائل اللفظية موقوف على معرفة اللغات، والروايات منقولة برواية الآحاد لا بالتواتر، ولا شك أنّهم ما كانوا معصومين. ومثل هذه الرواية لا يفيد إلا الظن.

أنّ ذلك موقوف على صحة النحو، و(النحو) منقسم إلى أصول ثبتت بالرواية، وإلى فروع ثبتت بالأقيسة، .. وقد عرفت الأول، والثانِي: في غاية الضعف، فثبت أنّ دلالة الكل مظنونة لا معلومة. أنه موقوف على عدم الاشتراك في الألفاظ.

وعلى وجوب حمل اللفظ على حقيقته لا مجازه، والمجازات كثيرة..

وعلى نفي الحذف والإضمار؛ لأنّ تجويزه مفضٍ إلى انقلاب النفي إثباتًا، والإثبات نفيًا. وهو ظنيٌّ.

وعلى نفي التقديم والتأخير. وهي ظنية.

التمسك بالعمومات إنما يفيد المطلوب إذا لم يوجد المخصص، لكن عدم المخصص مظنون لأنّ أقصى ما في الباب أنا طلبناه فما وجدناه، والاستدلال بعدم الوجدان على عدم الوجود في غاية الضعف.

وعلى عدم الناسخ، وهو مظنون.

وعلى عدم المعارض السمعي، إذْ بتقدير وجوده يجب الرجوع إلى الترجيحات التي لا تفيد إلا الظن..

---

[1] الأربعين، (ج2/251-252)، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، ط/ مكتبة الكتاب الأزهرية، القاهرة، الأزهر، شارع الصنادقية، ط1/ 1406هـ .

وعلى عدم المعارض العقلي القاطع إذْ بتقدير وجوده يجب صرف الظاهر السمعي إلى التأويل. وعدم هذا المعارض القطعي مظنون لا معلوم، لأنّ أقصى ما في الباب أنّ الإنسان لا يعرف ذلك المعارض، وعدم العلم لا يفيد العلم بالعدم.

ثم قال: « فثبت أنّ الدلائل النقلية موقوفة على هذه المقدمات العشرة، وكلها ظنية، والموقوف على الظنّي أولى بأنْ يكون ظنِّيًا، فالدلائل النقلية ظنيّة. وأنّ هذا الكلام على إطلاقه ليس بصحيح لأنه ربما اقترن بالدلائل النقلية أمور عرف وجودها بالأخبار المتواترة. وتلك الأمور تنفي هذه الاحتمالات. وعلى هذا تكون الدلائل السمعية المقرونة بِتلك القرائن الثابتة بالأخبار المتواترة مفيدة لليقين » [1].

وبعد، فذاك هو القانون الكلِّي بتقريرات مُقَرِّره الرازي، وتمهيدات الجويني والغزالي، وقد لخّصه شيخ الإسلام –رحمه الله- وصاغه في مطلع درء تعارض العقل والنقل، ثم ردّ عليه وعلى شبهات مماثلة بالكتاب (درء تعارض العقل والنقل)[2].

وهذا القانون (الكلي) هو الذي يستخدمونه لمعرفة ما يُستدلّ به من كتب الله وكلام أنبيائه، وما لا يُستدلّ به، عند الرازي وأتباعه، وبِهذا ولَه ردّ هؤلاء الاستدلال بِما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى وغير ذلك ظنًّا منهم أنّ العقل يُعارضها، وبعضهم قد يَضُمّ إلى ذلك: قوله بأنّ الأدلة السمعية لا تفيد اليقين –كما تقدم-.

ولم ينته تقرير تقديم العقل على النقل عند الأشاعرة بوفاة الرازي، بل جاء آخَرُ منهم في القرن التاسع، فقال: « ما أخبَر الشارع به وكان ظاهرُه مستحيلا عند العقل، فإنّا نَصْرِفُه عن ظاهره المستحيل؛ لأنّا نعلم

[1] (?) انظر: الأربعين، (ج2/ ص252-254، وانظر: المطالب العالية، (مخطوط رقم:45، بدار الكتب)، ص310.

[2] (?) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية كتاب عظيم، بَناه مؤلفه على إبطال هذا القانون الخبيث، فأجاد في ذلك –كما هو عادته- وأفاد، (انظر: هذا القانون، ج1/ ص4)، وكان بداية الرد ص20 (ط/ محمد رشاد سالم).

قطعًا أنّ الشرع لا يُخْبِر بوقوع ما لا يُمكن وقوعه. ولو كذّبنا العقل في هذا وعمِلنا بظاهر النقل المستحيل لأدّى ذلك إلى انهدام النقل أيضًا؛ لأنّ العقل أصل لثبوت النبوات التي يتفرّع عنها صحة النقل، فلزم إذنْ من تكذيب العقل تكذيب النقل »[1].

وأختم مسألة تقديم بل إسقاط النقل عند الأشاعرة بِما في شرح الكبرى السنوسية والذي فيه أنّ التمسك في أصول العقائد بظواهر الكتاب والسنة دون عرضها على ما سَمّوه البراهين العقلية أن ذلك من أصول الكفر –والعياذ بالله-، فيقول مؤلِّفُه: وأما مَن زعَم أنّ الطريق إلى معرفة الحق: الكتاب والسنة، ويُحرّم ما سواهما فالردّ عليه أنّ حجيتهما لا تُعرَف إلا بالنظر العقلي. وأيضًا فقد وقعَت فيهما ظواهرُ مَن اعتقدها على ظاهرها كفَر عند جماعة، وابتدع. ويقول: أصول الكفر ستة، وذكر خمسة ثم قال: « سادسًا: التمسك في أصول الدين بِمجرّد ظواهر الكتاب والسنة مِن غير عرضها على البراهين العقلية، والقواطع الشرعية »[2].

هذا، ولقد خصصتُ مسألة في الردّ عليهم، بل وعلى الجهمية والمعتزلة والمتفلسفة، وغيرهم، ستأتي لاحقًا.

المسألة الرابعة: تقديم الماتريدية العقل على الكتاب الْمُنـزّل على رسول الله ، وعلى سنَّتِه:

قول الْماتريدية بعدم حجية أخبار الآحاد في العقائد:

كما قلت في الأشاعرة: إنّهم ابتدعوا أمرًا لم يعرفه الصحابة وهو أنّهم لا يحتجون بأحاديث الآحاد في العقائد فكذلك إخوانهم الماتريدية.

فمِن الأصول المنهجية عندهم أنّهم لا يُثبتون العقائد إلا بالقرآن، أو المتواتر من الأحاديث، بل ولا يثبتونها منهما إلا إذا كان النصّ قطعي الدلالة، ومعناه عندهم: أنّه لا

[1] (?) شرح الكبرى للسنوسي (ت885هـ) مع حواشي الحامدي عليها، ص502، بواسطة: منهج الأشاعرة في العقيدة للدكتور سفر الحوالي، 71.

[2] (?) شرح الكبرى للسنوسي، ص502، بواسطة: منهج الإمام الشافعي –رحمه الله- في إثبات العقيدة، ص72 .

يحتمل التأويل، أي: أنها مقبولة عقلا، خالية من التعارض مع العقل. وقالوا: الآحاد قطعي الثبوت والدلالة؛ فهو لا يفيد العلم القطعي، كما أنّ الشبهة في كونه من خبَر الرسول قائمة، وعلى ذلك؛ فلا يستفاد بها في العقائد، بل في الأحكام الشرعية.

وقد نصّ على عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد: مؤسس الفرقة أبو منصور الماتريدي نفسه في كتاب التوحيد وفي التأويلات. كما نصّ على ذلك تلامذته ومقرروا مذهبه من بعده. فمِن أقوالهم في ذلك:

قول الناصري في النور اللامع: « خبر الآحاد يوجب العمل ولا يوجب العلم يقينًا».

وأصرح من ذلك قوله في موضع آخر: « ولا تُبنى العقائد على أخبار الآحاد؛ لأنّها لا توجب العلم يقينًا »[1].

مسألة: هل حقًّا يحتج الماتريدية بأحاديث الآحاد الصحيحة في الأحكام الشرعية العملية مطلقًا؟

الجواب: إنها لا تكون مقبولة لديهم حتى توافق قواعدهم وأصولهم التي قرّروها، ولك المثال بحديث المصراة[2].

وقد صرّح بذلك غير واحدٍ منهم، ففي تأسيس النظر: «الأصل عند أصحابنا أنّ خبر الآحاد متى ورد مخالفًا لنفس الأصول، مثل ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنّه أوجب الوضوء من مس الذكر، لم يَقبل أصحابُنا هذا الخبر؛ لأنّه ورد مخالفًا للأصول.. »[3].

وقال آخَر [4]: « الأصل أنّ الحديث إذا ورد عن الصحابي مخالفًا لقول أصحابنا: فإنْ كان لا يصح في الأصل كفينا مؤنة جوابه، وإنْ كان صحيحًا في مورده فقد سبق ذكر أقسامه، إلا أنّ أحسن الوجوه وأبعدها عن

---

1 (?) النور اللامع، 99-100، بواسطة كتاب الماتريدية دراسة وتقويمًا، 178.

2 (?) حديث المصراة في الصحيحين، وقد تقدم تخريجه.

3 (?) تأسيس النظر لعبيد الله بن عمر بن عيسى أبي زيد الدبوسي الأصولي الحنفي، ص156، بواسطة الماتريدية دراسة وتقويمًا، 179.

4 (?) هو أبو الحسن الكرخي، وهو عبيد الله بن الحسين بن دلال، البغدادي.

الشبه، أنّه إذا ورد الحديث لصحابي في غير موضع الإجماع أنْ يُحمل على التأويل، أو المعارضة بينه وبين صحابي مثله »[1].

وانظر هذين النقلين، كيف يُبيّن هؤلاء أنّهم حتى في غير العقائد فإنّهم إذا خالفت الأحاديث الصحيحة الأصول التي أصّلوها، فإنّ لهم طرُقًا لردّها، فأين تعظيم السنة مع هؤلاء، فتقرر أنّ أمرهم ليس فقط ردّ الأحاديث الأحادية في العقائد فحسب، بل حتى في غيره[2]. والله المستعان!

والقول بأنّ أحاديث الآحاد لا يُعمل بِها في العقائد قولٌ مبتدع لا يعرِفه الصحابة ولا السلف الصالح، بل بالعكس من ذلك حيث إنّهم أجمعوا على القول به وأخذه، فيقول الشافعي –رحمه الله- بعدما ذكر عددًا كبيرًا من علماء الإسلام في الأمصار وأنهم بالإجماع يقبلون خبر الآحاد في العقائد وغيره، « كلّهم يُحفظ عنه تثبيت خبر الواحد عن رسول الله، والانتهاء إليه، والإفتاء به، ويقبله، كلّ واحد منهم عمن فوقه، وقَبِلَه عنه مَن تحته. ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة أجمع المسلمون قديمًا وحديثًا على تثبيت خبر الواحد، والانتهاء إليه، بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جاز لي »[3].

والمسألة القادمة هي المخصصة لرد بدعة تقديم العقل على النقل عند المتكلمين والجهمية والمتفلسفة، وأنتقل إليها.

المسألة الخامسة: نقض منهج المتفلسفة والمتكلمين في تقديم عقولهم على الكتاب الْمُنـزّل على نبيِّنا محمد **، وعلى سنَّتِهِ:**

---

1 (?) الأصول للكرخي، ص170، بواسطة الماتريدية دراسة وتقويمًا، ص 180.

2 (?) للوقوف على عشرات الأمثلة لرد الماتريدية الأحاديث الصحيحة بزعم أنّها خالفت مقرراتهم في مذهبهم، وفي المسائل العملية منها والعقدية طالع: التنكيل لِما في تأنيب الكوثري من الأباطيل للشيخ المعلمي –رحمه الله-.

3 (?) الرسالة، ص475، بتحقيق أحمد شاكر.

وبعد جولة طويلة وقفت معها على مواقف المتكلمين الجفائية الكثـــيرة، وقبلهم المتفلســـفة، تجـــاه النقل عمومًا (كتابًا وســـنة)، والســـنة النبوية خصوصًـــا؛ المتواترة منها والآحاد، نشأة وتطوُّرًا؛ نشأةً عند الجهميـــة، .. ومرورًا بالمعتزلة، .. وتطوُّرًا عند الأشاعرة؛ حيث وصَل إلى قمته عند متـــأخريهم، وبـــالأخص: فخر الـــرازي منهم (مقرِّر القانون الكلِّي).. بعد كـلِّ هـذا، أقف مع أوجه الـرد عليهم، فيما يلي:

أولا: من المعلوم أنّ العقل منحةٌ إلهيـةٌ جليلـة، ونعمة ربانيـــةٌ عظيمـــةٌ، اختص الله تعـــالى بِها بنِي آدم، وبالعقل يَعرِف الإنسان ربَّه تعالى بآياته ومخلوقاته، ويقِف على عظمته ووحدانيتـــــــه، عن طريق التفكّر في دلائل قدرتِـــه، فقد وصف الله تعـــالى المتـــأملين في الآيـــات الباهرات في السموات وفي الأرض = بالعقل، فقال: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ﭼ [البقرة: ١٦٤]. وبالعقل يتدبَّر الإنسان كتاب الله فيقف على الحلال فيمتثله، وعلى الحـرام فيجتنبـه، وعلى المواعظ فينتفع بها بالاســـتقامة على منهج اللـــه، قـــال تعالى: ﭽ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ﭼ [ص: ٢٩].

وذمّ الله تعالى الذين عطّلوا عقولهم سعيًا وراء تقليد الآباء دون وعيٍ وبصيرة، فقال: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ﭼ [البقرة: ١٧٠].

وفي كلّ هذا، الدلالة الواضحة على أنّ للعقل مكانةً عاليـة في الإسـلام، ويؤكِّد ذلـك جعـلُ اللـه تعـالى العقـل مناط التكليف في الإنسان وجودًا وعدمًا، **فرفعَ الشارع الحكيم الْقَلَمَ عَنْ الْمَجْنُـــونِ حَتَّى يُفِيـــقَ**[1]، وفي رواية: " **حَتَّى يَبْرَأَ** ".

فالحاصل أنّـه لا يجـوز تعطيـل العقـل في مجـال العقيـدة وغيرهـا؛ لأنّ العقـل أسـاس التكليـف، ومنـاط الأهلية، وكاشف الأشياء الموجودة والحقائق الواقعـة على مـا هي عليـه، وبـه يُفْهم عن اللـه تعـالى ورسـوله. لكن

1 (?) الحديث في سنن أبي داود، وفي البخاري معلَّقًا، وقد سبق تخريجه، وهو مما تلقته الأمة بالقبول.

الكلام هنا أنه لا تكــون نعمة العقل نعمة على الإنســان إلا إذا استرشد بــالوحي القــرآنِي، واســتنار بقبس الســنة المحمديــة، وكــان محكومًا بمنهج اللــه، لا حاكمًا عليــه، ومؤتمًّا به لا إمامًا له، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ [آل عمران: ١٠١].

أما إذا جُعِل العقل حاكمًا على الوحي فإنّه سيضل العقل الطريقَ المستقيم؛ لكل هذا، تقـرر أنّـه لا يجـوز أنْ يتجاوز العقل حدوده، ويجنح في مجـال الغيب؛ فلـو أردتَ أنْ يُريَك كلّ ما تُحبّ وتتخيّل، من المغيبـات والمعـدومات فلا ســبيل لــه إلى ذلك[1]، لِهَـــذا لَمّا غَلا الْمتكلِّمـــون والمتفلسفة في تقـديس العقل وتمجيـده، وأعطـوه فـوق منـزلته التي يستحقها، ولم يقفوا به على الحـدّ الـذي حُـدّ له؛ إذْ هو مجعولٌ له حـدًّا من الله ينتهِي إليه ولا يتعـداه، -وهو شيءٌ من عالَم الشهادة، أما الغيب فلا سبيل له إليه- ولم يجعل له سـبيلا إلى إدراك كـلّ مطلـوبٍ) فمثله مثل العين والسمع وغير ذلك، فإنّ لكلٍّ منها حدًّا، لا يجاوزُه، .. لَمّا غلا هـؤلاء فيه قـادهم ذلك إلى شـطحات في الفكـر، حتى خالفوا منهج السلف، وتنكبُّوا الصراط المستقيم فيما يتعلق بالمسـائل الغيبية الـتي لا مجـال للعقل فيها[2]، مثل مسألة الإيمان بالله، واليوم الآخر، وهذا ما سيأتِي الحديث عنه لاحقًا.

وبعد هذا، فاعلم أنّ من أبرز ما يُميّز أهل السنة من أهل البدعة هو تقـــــــديمهم النقل على العقل والآراء، والاحتكـام –عند التنـازع- إلى كتـاب الله وسـنة رسـوله ﷺ، يُقرّر هذا أبو الْمُظفّر السمعانِي فيقول: « واعلم أنّ فصْل ما بيننا وبين المبتدعة هو: مسـألة العقـل؛ فـإنّهم أسسـوا دينهم على المعقـــول، وجعلـــوا الاتبـــاع والمـــأثور تبعًا للمنقول. وأما أهل السنة: قالوا: الأصل في الدين: الاتباع،

[1] (?) انظر: العقل والنقل عند ابن رشد، للدكتور محمد أمان الجامي، ص12-13 .

[2] (?) انظر: فصل تحسين الظن بالعقل، ضمن أسباب الضلال، التي ذكرها أبو إسحاق الشاطبي في الاعتصام، (ج2/ص311-329)، وآراء المعتزلة الأصولية –دراسة وتقويمًا-، 15-19، .

والعقول تبَعٌ، ولو كان أساس الدين على العقول لاستغنَى الخلق عن الـــوحي، وعن الأنبيـــاء صـــلوات الله عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال مَن شاء ما شاء »[1].

وللرد على الفلاسفة والمتكلّمين عمومًا ونقدهم، أقول: الدين الإسلامي بابُه واحـدٌ؛ والمطلـوب منـــه: إثبـــاتُ ما أثبَتَ الله ورســـولُه، ونفْيُ ما نفَى الله ورسوله، فالقول في الصفات كالقول في مسائل الإيمـان باليوم الآخر، وكالقول في الشرائع (الـتي أوّلتْها الفلاسـفة القرامطة)، ومَن فرّق بين هذه الأبواب فـأثبت في بعضـها وأوّل في الأخرى، تناقض، وألزمه نـافي ما أثبت بتأويل ما أثبت، أو بإثبـــات ما نفى، فالأشـــاعرة من المتكلِمين لم يُؤوّلـوا مسـائل الإيمـان بـاليوم الآخـر، مثلما أوّلـوا بقية الصـفات غـير السـبعة، فيُلـزمهم المعتزلة الـذين نفَـوا الصـفات وأوّلـوا طائفة من مسـائل الإيمـان بـاليوم الآخر كـالميزان والصـراط وغيرهـا، بنفي المسـائل الأخرويـة، كبقية الصفات. والأشـاعرة والمعتزلة لا يسـتطيعون الـرد على الفلاســفة القرامطة الــذين أوّلــوا الصــلاة والحج والصيام وبقية الأعمال الصالحة إلى غير حقائقها الشرعية المعروفة، لوقوعهم في مثل ما وقعوا في أبـواب الإيمـان بالله واليوم الآخـر. فالمسـائل لا تخـرج عن أبـواب ثلاثـة: (الإيمان بالله، واليوم الآخر، والأعمال الصالحة)، وكلٌّ من هذه الفِرق وقع في تحريف بابٍ أو أكـثر، قـال تعـالى في بيان اتفاق الملل على هذه الأصول الثلاثة: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [البقرة: ٦٢].

قال الغزالي في إحيائه، في كلام طويل عن علم الظاهر والبـاطن: « وذهبت طائفة إلى الاقتصـاد؛ وفتحـوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها، ومنعوا التأويل فيـه؛ وهم الأشـعرية. وزاد المعتزلة عليهم: حـتى أوّلـوا مِن صـفاته تعالى: الرؤية، وأوّلوا كونه سميعًا بصيرًا، وأوّلوا المعــراج، وزعموا أنّه لم يكن بالجسد، وأوّلوا عذاب القبر والمــيزان

---

[1] الانتصار لأهل الحديث، ضمن صون المنطق للسيوطي، ص182، بواسطة: وسطية أهل السنة بين الفرق، 79.

والصـراط، وجملة من أحكـام الآخـرة، ولكن أقـروا بحشر الأجساد، وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسـة، وبالنـار واشـتمالها على جسم محسوس يحـرق بحـرق الجلـود، ويُـذيب الشـحوم. ومِن تـرقيهم إلى هـذا الحد زاد الفلاسـفة؛ فـأوّلوا كـلّ ما ورَد في الآخـرة، وردُّوه إلى آلام عقلية وروحانيـة، ولـذات عقلية، وأنكروا حشر الأجساد، وقالوا: ببقاء النفوس، وأنّها تكــون إما معذَّبــة، وإما منَعّمَــة، بعــذاب ونعيم لا يــدرك بالحس، وهؤلاء هم المسرفون »[1].

ويُعلّق الشيخ الْمُنصِف ابنُ تيمية على قوله (وهم الأشـعرية) بـأنّهم المتـأخّرون منهم الموافقـون لصـاحب الإرشـاد -الـذي سـبق نقـل كلامـه. كمـا علـق على قولـه: (وزاد المعتزلة ..) بـأنّ تأويـل المـيزان والصـراط وعـذاب القبر والسمع والبصـر إنمـا هـو قـول البغداديـة منهم دون البصرية[2].

لكُل ما سبق، قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « الوجه الأربعـون: أنّ الطريـق الـتي سـلكها نُفـاة الصـفات والعلو والتكلم من معارضة النصوص الإلهيـة بـآرائهم، هي بعينهـا الطريـق الـتي سـلكها إخـوانُهم من الملاحـدة في نصـوص المعـاد بـآرائهم وعقـولهم ومقـدماتها، ثم نقلوهـا بعينها إلى ما أمـروا بـه من الأعمـال؛ كالصـلوات الخمس والزكـاة والحج والصـيام، فجعلوهـا للعامـة دون الخاصـة، فـآل الأمـر بهم إلى أنْ ألحـدوا في الأصـول الثلاثـة الـتي اتفق عليها جميع المِلل، وجاءت بِهـا جميـع الرسـل، وهي: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ... ﭼ [المائدة: ٦٩]. فهؤلاء الملاحدة يحتجّون على نفاة الصفات بِما وافقهم عليه من الإعراض عن نصوص الوحي، ونفي الصفات، كما ذكرَ ابن سينا في رسالته الأضحوية، فإنّه قال فيهـا لَمّـا ذكَـر حجـة مَن أثبت معاد البدن، وأنّ الداعي لهم إلى ذلـك مـا ورَد بـه الشـرع

---

1 (?) إحياء علوم الدين، للغزالي، (ج1/134).

2 (?) انظر: درء تعارض العقل والنقل، (ج5/ 347-348).

من بعث الأموات، فقال: (وأما أمر الشرع فينبغي أنْ يُعلم فيه قانونٌ واحد .. » إلى آخر ما قال [1].

والمقصود هنا أنّ ابن سينا تسلّط على المعطلة بنفيهم الصفات الذي اشترك -هو- وهم فيه إلى تسويغ بقية الإلحاد الذي انفرد به عنهم، فتأمّل كيف أدخل هذا الملحد إلحاده « من باب نفي الصفات، وتسليطه على المعطلة النفاة بما وافقوا عليه من النفي، وإلزامه لهم أنْ يكون الخطاب بالمعاد جمهوريًّا، أو مجازًا أو استعارة، كما قالوا في نصوص الصفات التي اشترك هو وهم في تسميتها تشبيهًا وتجسيمًا، مع أنّها أكثر تنوُّعًا وأظهر معنى، وأبيَن دلالة، من نصوص المعاد، فإذا ساغ لكم أنْ تصرفوها عن ظاهرها بما لا تحتمله اللغة، فصرف هذه عن ظواهرها أسهل »[2].

وحاصل كلام الرجل وإلزامه يقول: إنّ نصوص الصفات أكثر تنوّعًا وتقسيمًا من نصوص المعاد، والتنويع والتقسيم الذي جاءت به يمنع المجاز، بل ما دلّ اللفظ عليه ظاهرًا قد صرفتموه –أيها المعطلة- عن ظاهره الذي دلّ عليه اللفظ، وقلتم: لقيام الدليل العقلي، « (فهكذا نفعل نحن في نصوص المعاد سواء). فهذا حاصل كلامه وإلزامه، ودخوله إلى الإلحاد من باب نفي الصفات والتجهم »[3].

والطريق المستقيم في إبطال قول ابن سينا وقول جماعته الفلاسفة، وقول المعطلة المتكلمين جميعًا أن يُقال: لا يخلو إما أن يكون الرسول ﷺ يعرِف بِما دلّ عليه العقل –بزعمكم- من إنكار علو الله على خلقه واستوائه، وتكليمه لرسله وملائكته، أو لم يعرف ذلك؟ فإنْ قلتم: لم يكن يعرف ذلك: كانت الجهمية المعطلة، والملاحدة والمعتزلة والقرامطة والباطنية والنصيرية والإسماعيلية وأمثالهم أعلم بالله وبأسمائه وصفاته، وما يجب له وما

---

[1] مختصر الصواعق المرسلة، 181، وانظر: درء تعارض العقل والنقل، (ج5/ ص3).

[2] مختصر الصواعق المرسلة، ص184.

[3] المصدر نفسه، ص184.

يمتنع عليه من رسله وأتباعهم. وهذا كُفرٌ. وإنْ كان يعرِفه امتنع أنْ لا يتكلم به يومًا من الدهر مع أحدٍ.. فلو كان الحق في الباطن خلاف ما أظهرَه لزم أحد الأمرين: إما أن يكون الرسول جاهلا به، أو كاتمًا له عن الخاصة والعامة، ومظهرًا خلافه للخاصة والعامة. وهذا من أعظم الأمور امتناعًا، ومدّعيه في غاية الكفر والوقاحة والبهت[1].

وهؤلاء المعطلة بنفيهم صفات الله - قد تنقصوا الله تعالى، ورسوله، وكتابه؛ أما تنقصهم الله تعالى: فإنهم سلبوه صفات كماله، ونزهوه عن الكلام، والفوقية، وجعلوا إثبات ذلك تشبيها وتجسيما. وأما تنقصهم الرسول: فإنهم عزلوه أن يحتج بقوله في العلم بالله. وأما تنقصهم القرآن: فإنه عندهم لا يفيد اليقين؛ إذ هو أدلة لفظية عارضتها القواطع العقلية -بزعمهم- وأن القرآن لا يحكم عند الاختلاف،وإنما يرجع إلى العقول والمنطق[2].

- ما تقدم مِن مواقف المتكلمين وفلاسفة الإسلام –كما يُقال- في تقديمهم العقل على الكتاب والسنة لا يَخرُج عن:

أ- وسْم كلام الله ، وكلام رسوله (أحاديثه التي رواها الثقات، وتلقتها الأمة بالقبول) بأنّها أدلة ظنّية لا تفيد عِلمًا، ولا يحصُل بِها اليقين. وأما مناهجهم الكلامية، وطرُقهم الفلسفية، وبراهينهم المنطقية، فأدلتها –عندهم- قطعية، كما أنّها مسلّمات يقينية.

ب- لذا قالوا: إذا تعارض العقل والنقل أخذنا بالعقل، ولم نلتفت إلى النقل.

ت- فنتج عن ذلك: عزل النصوص عن أنْ يُستشهد بها، وكذلك القول بأنّ نصوص الصفات (آيات وأحاديث) مجازات لا حقيقة لها؛ فنفَوها وعطّلوها. وهذه هي طواغيت المتكلّمين التي هدموا بِها معاقل الدين، وانتهكوا بِها حُرمة القرآن، ومحوا بِها رسوم الإيمان. وقد كسَر

[1] انظر: مختصر الصواعق المرسلة، ص184-185.

[2] انظر: شرح نونية ابن القيم، (ج3/804).

هذه الطواغيت شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيّم –رحمهما الله- بما لا مزيد عليه[1] .

- ثم عندما أرجع إلى فخر الرازي الذي دَنْدَن سابقًا على أنّه ثبَت عندهم أنّ الدلائل النقلية يتوقف الحكم بمقتضياتها على عدم المعارض العقلي، وأنّ ذلك مظنون لا معلومٌ، لكون العلم بانتفاء المعارض مطلقًا لا سبيل إليه؛ وذلك أنه ما من معارض إلا ويحتمل أنْ يكون له معارضٌ آخر .. فيتسلسل ليكون النتيجة الأخيرة عزل الوحي عن رتبته، وهذا من أعظم أصول الزندقة كما قال العلامة ابن القيّم –رحمه الله-:«الوجه الثاني والأربعين: أنّ المعارضين بين العقل والنقل الذي أخبَر به قد اعترفوا بأنّ العلم بانتفاء الْمُعارض مطلقًا لا سبيل إليه، إذْ ما مِن معارضٍ نفسه إلا ويحتمل أنْ يكون له معارضٌ آخر، وهذا ممّا اعتمد صاحب نهاية العقول، وجعل السمعيات لا يُحتج بِها على العلم بحال، وحاصل هذا أنّا لا نعلم ثبوت ما أخبَر به الرسول حتى نعلم انتفاء ما يُعارضه، ولا سبيل إلى العلم بانتفاء الْمُعارض مطلقًا لِما تقدم. وأيضًا فلا يلزَم من انتفاء العلم بالمعارض. ولا ريب أنّ هذا القول أفسد أقوال العالَم، وهو من أعظم أصول أهل الإلحاد والزندقة، وليس في عزل الوحي عن رتبته أبلغ من هذا »[2].

- **ومن أوجه الرد أيضًا**: أنّا نقول للمتكلمين، -ومثلهم الفلاسفة متقدم الذكر-: أنّ العقول تفاوتَت وتباينت واختلفت، فعَقل مَن نعتمد؟ فللهند معقولات تختلف عن معقولات أهل الفرس، وللمجوس عقليات، وللصابئة عقليات، فهي ليست محصورة ولا ضابط لها، لكن بمجيء النصوص أعفي كلّ صاحب عقل عن عقله إلى ما جاء به الرسول [3]. قال العلامة ابن القيمّ –رحمه الله-: «

[1] قد كسر العلامة ابن القيم، ناقلا عن شيخه ابن تيمية –رحمهما الله- في الدرء أوجه الردود عليهم، حيث ردّ عليهم بواحد وخمسين وجهًا، وذكر أنها قطرة من بحر شيخه، (انظر: مختصر الصواعق المرسلة، 109-216).

[2] مختصر الصواعق المرسلة، ص97 .

[3] انظر: مختصر الصواعق، 169-178 .

السادس والخمسون: أنّ أرباب هذا القانون الـذين منعـوا اســتفادة اليقين من كلام الله ورســوله مضــطربون في العقل الذي يُعارض النقل أشد الاضطراب؛ فالفلاسـفة مع شدة اعتنائهم بـالمعقولات أشد النـاس اضـطرابًا في هـذا البــــاب من طوائف أهل الملــــل، ومَن أراد معرفة ذلك فليقِف على مقالاتهم في كُتُب أهل المقـالات، كالمقـالات الكبرى للأشعري، والآراء والديانات للنوبختي، وغـير ذلـك. وأما المتكلّمــون فاضــطرابهم في هــذا البــاب من أشد اضــطراب؛ فتأمل اضــطراب فِــرَق الشــيعة والخــوارج والمعتزلة وطوائف أهل الكلام، وكــــلٌّ منهم يـــدّعي أنّ صريح العقل معه، وأنّ مخالفَه قد خرَج عن صريح العقل، ونحن نُصــدّق جميعهم، ونبطِل عقل كــلِّ فِــرَقهم بعقل الأخرى، ثم نقول للجميع: بعقل مَن منكم يــوزن كلام الله ورسوله ؟ فما وافقه قُبِل وأُقـرّ عليـه، وما خالفَه أُوّل أو فــوّض إلى عقــولكم: أعقل أرســطو وشــيعته؟ أم عقل أفلاطون؟ أم فيثاغورس؟ أم بقراط؟ أم الفارابي؟ أم ابن سيناء؟ أم محمد بن زكريا؟ أم ثابت بن قــرة؟ أم جهم بن صــفوان؟ أم النّظــام أو العلاف؟ أم الجبــائي؟ أم بشر المريسـي، أم الإسـكافي؟ أم توصـون بعقـول المتـأخرين الذين هذّبوا العقليات، ومخضُوا زبدتها واختاروا لأنفســهم، ولم توصوا بعقول سائر مَن تقدم؟ فهـذا أفضـلهم عنـدكم محمد بن عمر الــرازي، فبــأيّ معقولاته تزنــون نصــوص الوحي، وأنتم ترون اضطرابه فيها في كُتُبه أشد اضطراب ولا يثبت على قـول؟ أم تـرون عقـول القرامطة والباطنية والإسماعيلية، أم عقول الاتحاديـة؟ فكـلّ هـؤلاء وأضـعاف أضــعافهم يــدّعي أنّ العقل الصــريح معــه، وأنّ مخالفيه خرجوا عن صحيح المعقول. وهذه عقـولهم تنـادي عليهم، ولــولا الإطالة لعرضــناها على الســامع عقلا (عقلا)، وقد عرضها المعتنون بذكر المقـالات، وهـذه العقـول إنما تفيد الــريب والشك والحــيرة والجهل المــركب. وإذا تعــارض النقل وهــذه العقــول أخذ بالنقل الصــحيح، ورُمي بِهــذه

العقـول تحت الأقـدام، وحُطّت حيث حطّها الله وأصـحابَها »[1].

- **ومن الأوجه كذلك**: أنّا نقول للمتكلمين؛ بل للمعتزلة الذين يقولـون بـأنّ العقل كـافٍ لمعرفة الحسن والقـبيح، وتفصـيل ذلـك: من المعلـوم أنَّ عقل رسـول الله ﷺ أكمل عقـــول أهل الأرض على الإطلاق؛ حـــتى لو وُزن عقله بعقولهم لرجحها، ومع ذلك لم يكن ليعلم –بعقله- تفاصـيل القبـائح والمحاسـن، بل بـالوحي الـذي أوحـاه إليه ربُّه، فكيف إذًا يَحصُـل لسُـفهاء العقـول الاهتـداء إلى حقـائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الوحي[2].

- **والحق في مسألة ما**: لو عارض العقل الشـرعَ فإنّه يجب تقديم الشرع عكس ما يقوله المتكلمـون، وذلك لأنّ « العقل قد صدّق الشرع، ومِن ضرورة تصـديقه له قبـول خبره، والشـرع لم يُصـدّق العقل في كـلّ ما أخبَر بـه، ولا العلم بصدق الشرع موقـوف على كـلّ ما يُخبِر به العقـل، ومعلوم أنّ هذا المسلك إذا سُلك أصح من مسـلكهم، كما قال بعض أهل الإيمان: يكفيك من العقل أنْ يُعرِّفك صدق الرسول ومعاني كلامـه، ثم يُخلّي بينك وبينـه. وقـال آخـر: العقل سلطانٌ ولّى الرسولَ ثم عـزَل نفسَـه. ولأنّ العقل دلّ على أنّ الرسـول يجب تصـديقه فيما أخـبر، وطاعته فيما أمر. ولأنّ العقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة ولا يدل على قضايا نفسه دلالة عامـة. ولأنّ العقل يغلط كما يغلط الحس، وأكثر من غلَطه بكثـير، فـإذا كـان حكم الحس من أقوى الأحكـام ويعـرِض فيه من الغلط ما يعرِض، فما الظنّ بالعقل؟ »[3].

- **ويُردّ على القـول بـأنّ الأدلة لا تفيد اليقين**: لو كـان ما أخبَر الله تعـالى به عن أسـمائه وصـفاته واليـوم الآخر وأحوال الأمم فيه وعقوباتهم لا تفيد إلا الظنّ، لكـان المؤمنـون إنْ يَظنّـون إلا ظنًّا وما هم بمسـتيقنين، ولكـان

---

1 (?) مختصر الصواعق المرسلة، ص106-107 .

2 (?) انظر الوجه الرابع والأربعين، (مختصر الصواعق المرسلة، 98).

3 (?) مختصر الصواعق المرسلة، الوجه السابع لمنع دعوى المتكلمين، وتعكيسه، ص112-113 .

قوله تعالى: ﭽﭬ ﭭﭮ ﭼ [البقرة: ٤]. خبرًا غير مطابق؛ فإنّ علمهم بالآخرة إنما استفادوه من الأدلة اللفظية؛ لا سـيّما وجمهور المتكلّمين يُصرّحون بأنّ المعاد إنمـا عُلم بالنقـل، فإذا كان النقل لا يفيـد يقينًـا لم يكن في الأمـة مَن يـوقن بالآخرة؛ إذْ الأدلة العقليـة لا مـدخل لهـا فيهـا. وكفى بِهـذا بطلانًا[1].

- وقـد رد العلامـة ابن القيّم –رحمـه اللـه- على القـانون الكلّي السابق بأنّه –وإنْ زعَم أصحابُه أنّه من الضـروريات العقليـة- مبتـدَع؛ لا يعرفـه غـيرُهم من أصـناف النـاس وطوائـف العقلاء، فقـال: « أنّ هـذا القـول الـذي قالـه أصحاب هذا القانون لم يُعرَف عن طائفة من طوائف بنِي آدم، ولا طوائف المسلمين، ولا طوائف اليهود والنصـارى، ولا عن أحدٍ من أهل الملل قبل هؤلاء، وذلك لظهور العلم بفساده، فإنّه يَقدح فيما هو أظهر العلوم الضرورية لجميع الخلـق، فـإنّ بنِي آدم يتكلّمـون ويخـاطب بعضـهم بعضًـا مخاطبة ومكاتبة، وقد أنطـق اللـه تعـالى بعض الجمـادات وبعض الحيوانـات بمِثـل مـا أنطـق بنِي آدم، فلم يسـترب سامعٌ النطق في حصول العلم واليقين به، بـل كـان ذلـك عنده من أعظم العلوم الضرورية ... »[2].

- بل قد أخذ الأمور العشرة التي أوقف الرازي الاسـتفادة من النصوص وحصول العلم بها إلا بعد عرضها عليهـا (في قوله: الـدليل اللفظي لا يفيـد اليقين إلا عنـد انتفـاء أمـور عشرة)، قد ردّ عليها واحـدًا بعـد آخـر العلامـة ابن القيّم –رحمه الله- [3].

- **وأما بالنسـبة لعـدم احتجـاج المتكلمين بأخبـار الآحـاد في المسـائل العقديـة العلمية**، بحجـة أنّهـا ظنية الثبوت والدلالة فيُردّ عليها بالآتِي:

---

[1] (?) انظر الوجه السابع والأربعين، (مختصر الصواعق المرسلة، ص 105).

[2] (?) مختصر الصواعق المرسلة، ص105.

[3] (?) انظر: رده على توقف الاستدلال بالأدلة اللفظية على نقل اللغة، الوجه الثامن والأربعين، ص100، وعلى النحو والتصريف، الوجه الخمسين، ص101، ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (ج1/ 134).

أولا: التفريـق بين المسـائل العلميـة؛ فلا يجـوز الاحتجـاج بما ثبوته ودلالته ظنيٌّ، والعملية الفقهية وأنّـه يجـوز ذلـك: أمرٌ مبتدَع، ذلك أنّه قد أرسل رسول الله رُسُـلَه ودُعاتـه آحادًا، فبلّغوهم أصول الدين بـل أصـل الأصـول (ودعـوهم إلى توحيد العبادة) وغير ذلـك من العقـديات، والعمليـات، وقام على المرسَل إليهم الحجة بآحاد هؤلاء الرسُـل، فلـو لم تُفد الآحاد إلا ظنًّا لَما بعثهم رسول الله .

ثانيًا: مـا اشـتهر عن السـلف من إدخـالهم مـدلول أخبـار الآحــاد في معتقــداتهم، وتصــريحهم بــالقول بمقتضــاها، وردّهم لقول من جحدها، وتحذيرهم منهم[1]. وغير ذلك.

فهؤلاء المتكلمـون (الأشـاعرة والماتريديـة خصوصًـا) وإنْ زعمـوا أنهم الفرقـة الناجيـة، وأهـل السـنة، وقـالوا: نحن نقبل ما صحّ من سنة النبي ، بعيـدون من السـنة. ويقـال لهم هنـا: أنتم لسـتم أهـل السـنة المحضـة؛ وقـولكم أنكم تقبلون الصحيح من السنة، فمعلوم لنا أنّ قبـولكم لشـيءٍ منهـا لم تقبلـوه لكونـه سـنة يجب التسـليم لهـا، وإنمـا قبِلتموه لكون العقل دلّ على ما جاءت بـه السـنة، بـدليل أنّه إذا كان النصّ –وإنْ صحّ- معارضًا للعقل –في نظـركم- لم تقبلـوه؛ فإمـا أنْ تـردوه أو تؤوِّلـوه -كمـا تقـدم في النقولات عنكم مثل نصوص الاستواء-. ومَن كان هذا حاله فلا يكون من أهل السنة وإنْ أصاب السنة[2].

هذا، وقد بسطتُ القول في هذه المسألة (مواقف المتكلمين من المعتزلـة والأشـاعرة والماتريديـة الجافيـة تجاه رسالة نبينا محمد كتابًا وسنة، مما خـالفوا بـه منهج الصحابة وأهل السنة والجماعة)، لأنّها الأصل الذي انبنى عليه بقية عقائدهم؛ فكَسرُه كسرٌ لِمُعتقدهم.

-أيضًا المواقف السابقة، في الحقيقة هي التي جعلت أهل السنة -غيرةً للقرآن والسـنة- يُبغضُـون هـؤلاء المتفلسـفة

[1] انظر: أخبار الآحاد في الحديث النبوي –حجيتها، مفادها، العمل بموجبها- 123-128، -وقد ذكر خمسة أدلة على ذلك-، وخبر الواحد وحجيته للدكتور أحمد محمود عبد الوهاب الشنقيطي، ص114-122، ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل، (ج1/ 134-136).

[2] انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، 81 .

والمتكلمة الْمُعطّلة، إذْ كيف يمكن لِمَن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويُعظّم آيات الله وكلام رسوله، ولا يُقـدّم بين يـدي الله ورسوله، ويؤمن أنّه لا خيرة له إذا قضى الله ورسوله أمرًا .. إلا رفض هذه المواقف دون نقاش وتردد!

فحالُ هؤلاء كلّهم -وخصوصًا الأشاعرة الذين أرادوا التوفيـق بين المنهج السـلفي والعقلي المعـتزلي- يُشـبِه حـال المنـافقين عنـدما يُـدعَون إلى حكم اللـه ورسـوله فيُعرِضـوا عنـه، وإذا قُبِضـوا زعمُـوا أنّهم مـا يُريـدون إلا إحسانًا وتوفيقًا بين العقـل والنقل[1]. وقـد أجمـل العلامـة ابن القيّم –رحمه الله- هذا المعنى (سبب عـداوة السـلف لهؤلاء)، فقال:

يا قومِ تدرُون العداوة بيننا ... مِن أجل ماذا في قديم زمان؟

إنّا تحيّزنا إلى القرآن، والنـ ... ـقل الصحيح مفسّر القرآن

وكذا إلى العقل الصريح، وفطرة الر ... ـرحمن قبل تغيّر الإنسان

هي أربع متلازمات بعضها ... قد صدّقت بعضًا على ميزان

والله ما اجتمعت لديكم هذه ... أبدًا، كما أقررتُمُ بلسان

إذْ قلتم العقل الصحيح يُعارض الـ ... ـمنقول بالتأويل ذي الألوان

فإذا عجزنا عنه ألغينا ولم ... نعبأ به، قصدًا إلى الإحسان

ولكم بذا سلفٌ لهم تابعتُمُ ... لَمّا دعوا للأخذ بالقرآن

صدّوا، فلَمّا أنْ أصيبوا أقسموا ... لَمرادنا توفيق ذي الإحسان[2].

نحمد الله تعالى على اتباع السنة، ونسأله الثبات على ذلك.

** * **

المطلب الثاني: انحراف الْمتكلمين عن شريعته ﷺ:

---

[1] (?) انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة، 71-72 .

[2] (?) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، ص205، (بيت رقم: 3824-3831).

لفظة (الشريعة) تُطلَق على الدين كلّه، كما تطلَق على ما يُقابل العقيدة، والمراد هنا الإطلاق الأول.

ومَن كان له انحراف في مصادر التلقي –كالمتكلمين مثلا- كان له انحرافات في أبواب الدين الأخرى ولا بد، كلّ فرقة بحسبها مِن مستقلة ومستكثرة، والله المستعان!

ولبيان هذا المطلب أقسمه إلى خمس مسائل:

المسألة الأولى: انحراف المتكلمين في مفهوم توحيد العبادة.

المسألة الثانية: تعطيل المتكلمين النصوص عن مدلولاتها وتأويلها التأويل الفاسد.

المسألة الثالثة: مخالفة المتكلمين منهج القرآن والسنة في إثبات الصفات ونفيها.

المسألة الرابعة: مناقضة أصول المعتزلة لأصول الدين التي جاء بها رسول الله ﷺ.

المسألة الخامسة: مخالفة منهج متأخري الأشاعرة في إثبات ما أثبتوا للمنهج القرآني.

المسألة الأولى: انحراف المتكلمين في مفهوم توحيد العبادة:

إنّ مِن صوَر انحراف المتكلمين عن شريعة نبينا محمد ﷺ، وهي من المسائل التي اتفق عليها أهل الكلام، بل هي أعظم مشكلتهم، وكبرى قضية انحرفوا فيها عن الشريعة المحمدية، هي: **عدم اهتمامهم، بل ومعرفتهم -المعرفة الحقيقية- لتوحيد العبادة** التي هي الغاية لخلق الجن والإنس[1]،مما كان ولا يزال له أثرُه السلبِي في العالم الإسلامي،حيث وقَع الكثيرون من الناس في صرف أنواع كثيرة من العبادة إلى غير الله،من المقبورين وغير ذلك.

ويُقرر هذه المسألة وغيرَها ويرد عليهم شيخُ الإسلام –رحمه الله- فيقول: « وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام، ومن أهل الإرادة

[1] (?) انظر: جهل أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية بمعنى توحيد الألوهية، من كتاب فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (ج3/ 1258-1266)، وقبله: شرح الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص123.

والعبادة، حتى قلبوا حقيقته: .. وطائفة: ظنوا أن التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية، وأن الله خلق كل شيء، وهو الذي يسمونه توحيد الأفعال. ومن أهل الكلام: من أطال نظره في تقرير هذا التوحيد: إما بدليل أن الاشتراك يوجب نقص القدرة وفوات الكمال، وبأن استقلال كل من الفاعلين بالمفعول محال، وإما بغير ذلك من الدلائل، ويظن أنه بذلك قرر الوحدانية وأثبت أنه لا إله إلا هو، وأن الإلهية هي: القدرة على الاختراع أو نحو ذلك، فإذا ثبت أنه لا يقدر على الاختراع إلا الله، وأنه لا شريك له في الخلق، كان هذا معنى قولنا: لا إله إلا الله، ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد، ... وهذا التوحيد هو من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به الواجب، ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه كله لله . والإله: هو المألوه الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الإلهية مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبودًا محبوبًا لذاته إلا هو، وكلُّ عملٍ لا يُراد به وجهُه فهو باطلٌ، وعبادةُ غيره، وحُبُّ غيره يُوجب الفساد، ..»[1].

ومما يُؤكّد هذا المعنى ويدلّ على أنّ هؤلاء المتكلّمين لا يعرِفون هذا النوع من التوحيد (توحيد العبادة) ما جاء في كتاب أم البراهين في العقائد: « ويَجمَع معانِي هذه العقائد كُلِّها قول: لا إله إلا الله، محمدٌ رسولُ الله؛ <u>إذْ معنى الألوهية: استغناء الإله عن كُلّ ما سِواه، وافتقارُ كلِّ ما عداه إليه، فمعنَى: لا إلَه إلا الله: لا مُستغنِي عن كُلّ ما سواه ومُفتقِرٌ إليه كُلُّ ما عداه إلا الله تعالى ... »</u>[2].

ولا إله إلا الله معناها الصحيح: أنه لا مألوه (معبود بحق إلا الله وحده، فهي لتقرير توحيد العبادة، لا الربوبية، خلافًا لمزاعم المخالفين[3].

---

1 (?) اقتضاء الصراط المستقيم، 365-366.
2 (?) أم البراهين في العقائد، ص5، ضمن مجموع مهمات الْمتون.

الوجه الآخر مما انحرف هؤلاء كلّهم عن شريعته ، وهم فيه بين الْمُقلّين –وقليلهم هذا كثير- والْمُكثرين: تعطيل الْمتكلّمين النصوص عن مدلولاتها، والذي نتَج عنه: تأويلها بِصَرفها عن معانيها الحقيقية التي أراد الشارع منها، حتى قال أحدُهم:

وكلّ نصٍّ أوهَم التشبيها أوِّله أو فوّض، ورُم تنـزيهًا[1].

فنفى بعضهم عن الله الأسماء والصفات، وبعضهم أثبَت الأسماء ونفى الصفات، وبعضهم أثبَت الأسماء وسبع صفات، وبعضهم ثماني صفات[2].

ثم إنّ من المتكلّمين مَن طرَد منهجه التأويلي هذا في كلّ الغيبيات (باب الصفات، وعدد كبير من مسائل الإيمان باليوم الآخر، كالصراط والميزان وغير ذلك)، وهم معتزلة بغداد[3].

ومنهم مَن أجرى نصوص المسائل الأخروية على ظاهرها، واقتصر تأويله على نصوص الصفات[4]. وقد تقدم ذكر ذلك. والله تعالى المستعان!

ويقول شيخُ الإسلام –رحمه الله-: « وقد غلِط في مسمى التوحيد طوائفُ من أهل النظر والكلام، ومِن أهل الإرادة والعبادة، حتى قلبوا حقيقته: فطائفة: ظنّت أنّ التوحيد هو نفيُ الصفات، بل نفي الأسماء الحسنى أيضًا،

---

3 (?) انظر: تيسر العزيز الحميد، ص13، ومعنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع، للشيخ صالح فوزان، ص17، وص20.

1 (?) قاله برهان الدين إبراهيم بن هارون اللقانِي، في نظمه، جوهرة التوحيد التوحيد، 7، ضمن مجموع مهمات المتون، وانظر شرح البيت في كتاب تحفة الْمُريد شرح جوهرة التوحيد، لإبراهيم البيجوري، 103-106.

2 (?) انظر: شرح الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص29.

3 (?) انظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية، ص724.

4 (?) انظر: عن تعطيل المتكلمين النصوص عن مدلولاتها، وضرب الأمثلة على ذلك بعدد كبير من صفات الله تعالى، كتاب فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، (ج3/ 1266-1294).

وسَمّوا أنفسهم: أهل التوحيد وأثبتوا ذاتًا مجردة عن الصفات، ووجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق. وقد عُلم بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول: أنّ ذلك لا يكون إلا في الأذهان، لا في الأعيان. وزعموا أنّ إثبات الصفات يستلزم ما سموه (تركيبا) وظنّوا أنّ العقل يَنْفيه، كما قد كشفنا أسرارهم، وبيّنا فرط جهلهم، وما أضلّهم من الألفاظ المجملة المشتركة، في غير هذا الموضع »[1].

المسألة الثالثة: مخالفة المتكلمين منهج القرآن والسنة في إثبات الصفات ونفيها:

الوجه الآخر من انحراف المتكلمين عن شريعة نبينا محمد ﷺ: هو مخالفتهم لِمنهج القرآن والسنة: الذي هو إثبات الصفات لله تعالى إثباتًا مفصّلا، ونفي النقائص والعيوب والمثلية عنه نفيًا مجملا، إلا إذا اقتضى الحال عكس ذلك. هذا هو منهج القرآن في هذا الباب، وخذ آية الكرسي، وخاتمة الحشر مثلا في الإثبات، وآيات النفي الإجمالية في مريم والشورى والإخلاص.

أما هؤلاء المتكلّمون فإنّهم عكّسوا ذلك؛ فأثبتوا لله الصفات إثباتًا مجملا، وفصّلوا في النفي، فقالوا: ليس بكذا، ولا كذا، .... في سلسلة طويلة في النفي).

وهنا يحسن أنْ أضرب مثلا بالمعتزلة والأشعرية من الْمتكلّمين، قال الأشعري –رحمه الله-: شرح قول المعتزلة في التوحيد وغيره، ثم قال: « أجمعت المعتزلة على أنّ الله واحد، ﭽﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭼ الشورى: ١١]. وليس بجسم، ولا شبَح، ولا جُثة، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم، ولا شخص، ولا جوهر، ولا عرض، ولا بذي لون، ولا طعم، ولا رائحة، ولا مَجَسّة، ولا بذي حرارة، ولا برودة، ولا رطوبة ولا يبوسة، ولا طول، ولا عرض، ولا عمق، ولا اجتماع ولا افتراق، ولا يتحرك ولا يسكن، ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء، وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهات؛ ولا بذي يمين وشمال، وأمام وخلف، وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة،

---

[1] (?) اقتضاء الصراط المستقيم، 365.

ولا العزلة، ولا الحلول في الأماكن، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم، ولا يوصف بأنه متناه، ولا يوصف بمساحة، ولا ذهاب في الجهات، وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الحواس، ... »[1].

وقال أحد شيوخ الماتريدية[2]: « والْمُحدِث للعالَم هو الله تعالى الواحد القديم، الحيّ القادر، العليم السميع البصير، الشائي الْمُريد، ليس بعَرضٍ، ولا جِسم، ولا جوهَرٍ، ولا مُصوَّرٍ، ولا محدودٍ، ولا معدود، ولا متبعِّضٍ، ولا متَجَزٍّ، ولا مُتَركِّب، ولا متناهٍ، ولا يُوصَف بالْماهية، ولا بالْكَيفية، ولا يتمكّن في مكانٍ، ولا يَجرِي عليه زمانٌ »[3] .

وعلى هذا بقية الْمتكلّمين.

هذا في النفي. أما في الإثبات فقال بعضهم: هو وجودٌ مطلَق بشرط الإطلاق، أي: بنفي الصفات، وهذا لا وجود له في الخارج، بل في الأذهان، وإلا فهو عدم.

وأثبت بعضهم الأسماء دون الصفات، وآخرون أثبتوا له بعض الصفات. ... فلزم من صنيعهم هذا: سوءُ أدبٍ مع الله العظيم، فالتفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي غايةٌ في الأدب.

ويُرَدّ على الذين أثبتوا له الوجود، ونفوا الصفات والأسماء بقاعدة « الْقَوْل فِي الصِّفَاتِ، كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ »[4].

وعلى المعتزلة الذين نفَوا الصفات، بأن لا فَرْقَ بَيْنَ إثْبَاتِ الأَسْمَاءِ، وَإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ[5].

وعلى الآخَرين الذين أثبتُوا بعض الصفات كالأشاعرة والماتردية بقاعدة « الْقَوْل فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ، كَالْقَوْلِ فِي بَعْضٍ »[6].

---

1 (?) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (ج1/ 235).

2 (?) هو عمر بن محمد النسفي ت537هـ في عقيدته (العقائد النسفية، ص19، ضمن مجموع مهمات المتون).

3 (?) العقائد النسفية، ص19، ضمن مجموع مهمات المتون.

4 (?) التدمرية، ص43.

5 (?) انظر: التدمرية، 35.

6 (?) التدمرية، ص31.

وَيَذكُر شيخ الإسلام –رحمه الله- طريقة القرآن ويَرُدُّ على المُعطلة ضلالهم، فيقول: « وسورة ﭽﭑﭒﭓﭔﭼ [الإخلاص: ١]. فيها إثبات الذات، وما لها من الأسماء والصفات التي يتميز بها مثبتو الرب الخالق، الأحد الصمد، عن المعطلين له بالحقيقة، نفاة الأسماء والصفات، المضاهين لفرعون وأمثاله ممن أظهر التعطيل والجحود للإله المعبود، وإن كان في الباطن يقر به، ... والله سبحانه بعَثَ أنبياءَه بإثبات مُفصَّل، ونفي مُجْمَل، فأثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات. ومن خالفهم من المعطلة المتفلسفة وغيرهم عكّسوا القضية، فجاءوا بنفي مُفصّل وإثبات مُجْمَل، يقولون ليس كذا، ليس كذا، ليس كذا. فإذا أرادوا إثباته قالوا: وجود مطلق بشرط النفي، أو بشرط الإطلاق، وهم يُقرُّون في منطقهم اليونانِي: أنّ المطلق بشرط الإطلاق لا يكون في الخارج، فليس في الخارج حيوان مطلق بشرط الإطلاق، ولا إنسان مطلق بشرط الإطلاق، ولا موجود مطلق بشرط الإطلاق، بخلاف المطلق لا بشرط الذي يطلق على هذا وهذا، وينقسم إلى هذا وهذا، فإن هذا يقال: إنه في الخارج لا يكون إلا مُعَيّنًا مُشخَّصًا. أو يقولون إنه الوجود المشروط بنفي كل ثبوت عنه، فيكون مشاركا لسائر الموجودات في مسمى الوجود، متميِّزًا عنها بالعدم. وكلّ موجود متميِّزٌ بأمرٍ ثبوتِي. والوجود خير من العدم. فيكون أحقَرَ الموجودات خيرًا من هذا الذي ظنُّوه وجودًا واجبًا، هذا إذا أمكن تحقيقه في الخارج، فكيف وذلك ممتنع؛ لأنّ المتميز بين الموجودين لا يكون عدمًا محضًا، بل لا يكون إلا وجودًا؟ فهؤلاء الذين يدعون أنّهم أفضلُ المتأخرين، من الفلاسفة المشائين يقولون: في وجود واجب الوجود، ما يعلم بصريح المعقول الموافق لقوانينهم المنطقية: أنه قول بامتناع الوجود الواجب، وأنه جمع بين النقيضين، وهذا في غاية الجهل والضلال. وأما الرسل صلوات الله عليهم: فطريقتُهم طريقةُ القرآن، قال سبحانه وتعالى: ﭽﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﭼ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢]. والله تعالى يُخبر في كتابه أنه: حي، قيوم،

عليم، حكيم، غفور، رحيم، سميع، بصير، علي، عظيم، خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وكلم موسى تكليما، وتجلى للجبل فجعله دكا، يرضى عن المؤمنين، ويغضب على الكافرين، إلى أمثال ذلك من الأسماء والصفات . ويقول في النفي ﭽﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭼ [الشورى: ١١]. ﭽﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭼ [الإخلاص: ٤]. ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭼ [مريم: ٦٥]. ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﭼ [البقرة: ٢٢]. فنفى بذلك أن تكون صفاتُه كصفات المخلوقين، وأنّه ليس كمثله شيء، لا في نفسه المقدسة، المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في شيء من صفاته ولا أفعاله: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﭼ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤]. فالمؤمن يؤمن بالله، وما له من الأسماء الحسنى، ويدعوه بها، ويجتنب الإلحاد في أسمائه وآياته، ... وهو يدعو الله وحده، ويعبده وحده، لا يشرك بعبادة ربه أحدا، ويجتنب طريق المشركين ... وهذه جمل لها تفاصيل، ونكت تشير إلى خطب جليل. فليجتهد المؤمن في تحقيق العلم والإيمان، وليتخذ الله هاديًا ونصيرًا، وحاكمًا ووليًّا، فإنه نعم المولى ونعم النصير، وكفى بربك هاديا ونصيرا »[1].

المسألة الرابعة: مناقضة أصول المعتزلة لأصول الدين التي جاء بها رسول الله ﷺ:

الوجه الآخر من صُوَر انحراف الْمعتزلة دون بقية المتكلمين عن شريعة نبينا محمدٍ ﷺ: ابتداعهم أصولا سمّوها أصول الدين، تناقض الأصول التي جاء بِها رسولنا ﷺ، وهذه الأصول الخمسة، ضمّن المعتزلة فيها معانِي باطلة في ألفاظ شرعية، إلا أصل (المنزلة بين المنزلتين) الذي لم يكن له أصلٌ في الشريعة، وهذه الأصول وما ضمَّنُوه فيها، كالتالي:

الأصل الأول: التَّوْحِيد، ضمّنوا فيه: نَفْيَ صِّفَاتِ الله تعالى عنه[2] . **الأصل الثانِي:** الْعَدْل، وضمّنوا فيه: نفي أنْ يكون الله خَالقًا لأفْعَالِ عِبَادِه، بل هم الذين يخلُقون

---

1 (?) اقتضاء الصراط المستقيم، 369-371 .

2 (?) انظر توحيد هؤلاء المعطلة: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، 136

أفعالهم دونه سبحانه[1] –على زعمهم. **الأصل الثالث:** الْمَنْزِلَة بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، ويعنُون به: أنّ مرتكب الكبيرة في الدنيا خرَج مِن الإيمان، ولم يدخُل في الكفر، فهو في منـزلة بينهما. **الأصل الرابع:** إِنْفَاذ الْوَعِيدِ، وضمّنوا فيه: أنّ فُسَّاقَ الْمِلَّةِ في الآخرةِ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، لا يَخْرُجُونَ مِنْهَا بِشَفَاعَةٍ، وَلا غَيْرِ ذَلِكَ، فحَكَموا على وعيد الله بِحُكم وعدِه من حيث عدم الإخلاف. **الأصل الخامس:** الأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ، وقصدُوا به: الخروج على الْحُكّام الجائرين.

يقول شيخ الإسلام –رحمه الله- في جوابه على سؤال المفاضلة بين عدد من كتب التفاسير، وأنّ تفسير الكشّاف تفسيرٌ محشوٌّ ببدعة الاعتزال: « وَأَمَّا الزمخشري فَتَفْسِيرُهُ مَحْشُوٌّ بِالْبِدْعَةِ وَعَلَى طَرِيقَةِ الْمُعْتَزِلَةِ، مِنْ إنْكَارِ الصِّفَاتِ وَالرُّؤْيَةِ، وَالْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنْكَرَ أَنَّ اللَّهَ مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ، وَخَالِقٌ لأَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُصُولِ الْمُعْتَزِلَةِ. وأُصُولُهُمْ خَمْسَةٌ يُسَمُّونَهَا: التَّوْحِيدَ، وَالْعَدْلَ، وَالْمَنْزِلَةَ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَإِنْفَاذَ الْوَعِيدِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ. لَكِنَّ مَعْنَى (التَّوْحِيدِ) عِنْدَهُمْ يَتَضَمَّنُ نَفْيَ الصِّفَاتِ؛ وَلِهَذَا سَمَّى ابْنُ التومرت[2] أَصْحَابَهُ الْمُوَحِّدِينَ، وَهَذَا إنَّمَا هُوَ إلْحَادٌ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ[3]. وَمَعْنَى (الْعَدْلِ) عِنْدَهُمْ يَتَضَمَّنُ

---

[1] (?) انظر عن مرادهم بالعدل، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، 143.

[2] (?) **ابن تومرت** الشيخ الإمام، الفقيه الأصولي الزاهد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي، الخارج بالمغرب، المدّعِي أنه علوي حسني، وأنه الإمام المعصوم المهدي، وأنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب. أخذ عن أبي حامد الغزالي، وأبي بكر الطرطوشي، ألف عقيدة لقبها بالمرشدة، فيها توحيد وخير بانحراف ، فحمل عليها أتباعه، وسماهم الموحدين، ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم، وأباح دمه. مات في آخر سنة 524هـ (انظر ترجمته الموسعة في سير أعلام النبلاء، ج11/ ص612-617).

[3] (?) انظر شرح هذا الأصل، وأنه نفي صفات الله تعالى الثابتة له في الكتاب والسنة، في مقالات الإسلاميين، (ج1/ 235 وما بعده) وقد

التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ؛ وَهُوَ خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَإِرَادَةُ الْكَائِنَاتِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى شَيْءٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ تَقَدُّمَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ؛ لَكِنَّ هَذَا قَوْلُ أَئِمَّتِهِمْ؛ وَهَؤُلاءِ مُنْصَبُّ الزمخشري؛ فَإِنَّ مَذْهَبَهُ مَذْهَبُ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَبِي هَاشِمٍ وَأَتْبَاعِهِمْ. وَمَذْهَبُ أَبِي الْحُسَيْنِ وَالْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ عَلَى طَرِيقَتِهِ نَوْعَانِ: مشايخية وَخَشَبِيَّةٌ.

وَأَمَّا (الْمَنْزِلَةُ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ) فَهِيَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْفَاسِقَ لا يُسَمَّى مُؤْمِنًا بِوَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ، كَمَا لا يُسَمَّى كَافِرًا، فَنَزَّلُوهُ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ. و(إنْفَاذُ الْوَعِيدِ) عِنْدَهُمْ مَعْنَاهُ أَنَّ فُسَّاقَ الْمِلَّةِ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ؛ لا يَخْرُجُونَ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ، وَلا غَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا تَقُولُهُ الْخَوَارِجُ. والأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ) يَتَضَمَّنُ عِنْدَهُمْ جَوَازَ الْخُرُوجِ عَلَى الأَئِمَّةِ، وَقِتَالِهِمْ بِالسَّيْفِ. وَهَذِهِ الأُصُولُ حَشَا بِهَا كِتَابَهُ بِعِبَارَةِ لا يَهْتَدِي أَكْثَرُ النَّاسِ إلَيْهَا، وَلا لِمَقَاصِدِهِ فِيهَا، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ الأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ، وَمِنْ قِلَّةِ النَّقْلِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ » [1].

وأرُدّ على مضمَّنَات هذه الأصول[2]، فأقول: نبيُّا محمدٌ ﷺ جاء بالتوحيد (الذي هو عبادة الله وحده بجميع أنواع العبادات، وإثبات ما أثبت الله لنفسه وأثبَتَه له رسولُه من الأسماء والصفات والأفعال)[3].

كما أنه ﷺ جاء بأنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى مثلها مثل غيرها من مخلوقاته، وإنْ كان العباد أيضًا فاعلين لأفعالهم، فالله تعالى خلَقَنا وأعمالَنا، كما قال تعالى: ﭽﯫﯬﯭﯮﯯﭼ [الصافات: ٩٦].

شاركهم على التعطيل الشيعة المتأخرون، وقد كان أئمتهم الأوائل مجسمة مشبهة، وانظر الأصول الخمسة في كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبِدَع، ص49 للملطي.

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج13/ص387).

[2] انظر هذه الأصول والرد عليها، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (ج3/ 1178-1201).

[3] انظر عن التوحيد الذي جاء بها الرسل، المخالف لتوحيد هؤلاء وغيرهم، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، 137.

وكذلك نَهى النبي عن الخروج على الولاة الفسقة الظلمة، وأمَر بالصبر على جورهم، ما لم يَر الناس منهم كُفرًا بواحًا، واقتدروا على إزالتهم، دون أنْ يَتَرتّب على ذلك ضررٌ كبيرٌ.

كما أنّ الفاسق الْمُرتكب لِما حرّم الله، والْمُقصّر عن أداء واجباته سبحانه مؤمنٌ بإيمانه، فاسق بكبائره، هذا حكمُه في الدنيا. وأما في الآخرة فمآلُه إلى الجنة، وما قبل ذلك فهو تحت مشيئة الله؛ فإنْ شاء عذّبه بذنوبه، ثم أخرجه من النار بعد ذلك بالشفاعة أو بغير ذلك، وإنْ شاء عفا عنه أوَّل وهْلَة دون أنْ يَدخل النار.

وهذا الذي لخّصتُ هنا هو الذي يدُلّ عليه مئاتٌ من النصوص الشرعية، خلافًا لقول المعتزلة القدرية، والنصوص بذلك شهيرةٌ، وأعرضت عن ذكرها هنا اختصارًا.

المسألة الخامسة: مخالفة منهج متأخري الأشاعرة في إثبات ما أثبتوا للمنهج القرآني:

الوجه الآخر مِن صوَر انحراف المتكلمين عن شريعة نبينا : هو الطريقة التي سلَكها متأخرو الأشاعرة في إثبات ما أثبتوه من الصفات السبعة لله، حيث أخذوا بطريق العقل فقط، دون الشرع. ومَن سلك طريقتهم استطاع أن يُثبت له سبحانه غير السبع من الصفات، كالرحمة والمحبة والبغض، وغير ذلك[1].

لكنّ هؤلاء قومٌ مقصِّرون فيما إليه ينتسبون (العقل)!

وكلّ هذه الصوَر الخمسة من صُوَر انحراف المتكلّمين عن شريعة رسول الله . فحسبنا ونعم الله الوكيل!

** * **

---

[1] (?) انظر: التدمرية، ص34 ، وانظر مناقشة هؤلاء: شرح الأصفهانية لابن تيمية أيضًا، ص29-42.

المطلب الثالث: طعن المعتزلة في أصحاب رسول الله الْمُوصَى بهم[1]:

أُلَخِّص هنا طعن بعض كبار المعتزلة وأئمتهم الذين لم يتورّعوا في الوقوع في بعض الصحابة وسبّهم وتفسيقهم، في مسألتين، فقد صار هؤلاء الرموز في مذهبهم الباطل مثل الرافضة الذين لا يحترمون الصحابة :

المسألة الأولى: شتم المعتزلة بعض الصحابة واتهامهم بالجهل والكذب ونحوهما.

المسألة الثانية: تفسيقهم لطوائف من الصحابة؛ ورد شهادتهم.

ومِن النماذج للمسألة الأولى: ما جاء في ميزان الاعتدال من نقل الذهبي –رحمه الله- عن ابن حبان عن عمرو بن عُبيد، أنه: « كان يشتم الصحابة، ويكذب في الحديث وهمًا، لا تَعَمُّدًا »[2].

ومن سبّه لعثمان قوله: « إنّ عثمان لم يكن بحجة ولا سنة »[3].

وسيأتِي ردّ شهادته لأهل الجمل وتفسيقهم في المسألة الثانية.

وسبّ كذلك الصحابي الجليل سمرة بن جندب لَما سئل عن حديثه، وقيل له: « كيف حديث الحسن عن سمرة في السكتتين؟ فقال: ما تصنع بسمرة؟ قبّح الله سمرة! »[4].

وأختم هذه المسألة بِما حُكي عن النَّظام المعتزلي من رفضه وطعنه في عمر وعثمان وعلي وابن مسعود

---

1 (?) انظر للاستزادة: كتاب أصحاب رسول الله ومذاهب الناس فيهم، للعجلان،(مذهب المعتزلة في الصحابة ومناقشتهم ص175-182، وكتاب وسطية أهل السنة بين الفِرَق، (ذكر قول المعتزلة وعقيدتهم في أصحاب رسول الله ص452-455 .

2 (?) ميزان الاعتدال، (ج3/ ص274، وما قبله وما بعده، ورقم ترجمته: 6404).

3 (?) أخبار عمرو بن عبيد، ص98، رقم: 14، بواسطة كتاب وسطية أهل السنة بين الفرق، ص454.

4 (?) ميزان الاعتدال، (ج3/ ص274).

وغيرهم ، بل وقوله بجملة من بقية عقائد الرافضة كالنص وعصمة الأئمة وغير ذلك، فقد قال الشهرستاني وهو يذكر مفاريده عن بقية المعتزلة « العاشرة: قوله في الإجماع: إنه ليس بحجة في الشرع، وكذلك القياس في الأحكام الشرعية، لا يجوز أن يكون حجة، وإنما الحجة في قول الإمام المعصوم. الحادية عشرة: ميلُه إلى الرفض، ووقيعتُه في كبار الصحابة؛ قال: أولاً : لا إمامةَ إلا بالنص والتعيين ظاهرًا أو مكشوفًا، وقد نصّ النبي على عليٍّ في مواضع، وأظهره إظهارًا لم يشتبه على الجماعة، إلا أنّ عمر كتَم ذلك، وهو الذي تولّى بيعة أبِي بكر يوم السقيفة. ونسَبَه إلى الشك يوم الْحُديبية في سؤاله الرسول حين قال: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ؟ أليسوا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قال: نعم! قَالَ عمر: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا[1]؟ قال: هذا شكٌّ وترددٌ في الدين، ووجدانُ حرَج في النفس مما قضى وحكم. وزاد في الفرية؛ فقال: إنّ عمر ضرَب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقَتْ الجنين من بطنها، وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها؛ وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين. وقال: .. وإبداعه التراويح؛ ونهيه عن متعة الحج؛ ومصادرته العمال. -كل ذلك أحداث. ثم وقع في أمير المؤمنين عثمان، .. وضربه عبد الله بن مسعود على إحضار المصحف، وعلى القول الذي شاقه به -كل ذلك أحداثه. ثم زاد على خزْيِه ذلك؛ بأنْ عاب عليًّا وعبدَ الله بن مسعود لقولهما: أَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي، وكذّب ابن مسعود في روايته: السعيد من سعُد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه، وفي روايته: انشقاق القمر، وفي تشبيهه الجن بالزُّطّ.

[1] (?) أصل الحديث في الصحيحين، وهو جزء من حديث صلح الحديبية، وقد سبق تخريجه.

ولكن النّظام جمع إلى الكلمة الصحيحة كلامًا كاذبًا، فأشبَه مسترقِي السمع مِن الجنّ. وهذه الشبهة التي أوردها شبهة رافضية، (انظر: موقف الشيعة الإثنَي عشرية من صحابة رسول الله و، ج2/ ص 674).

وقد أنكر الجنّ رأسًا. إلى غير ذلك من الوقيعة الفاحشة في الصحابة، أجمعين »[1].

وما طعن النّظامُ به هؤلاء الكبار كذِبٌ عليهم !

وقد وافق النّظامَ أحدُهم وزاد عليهم فخطّأ الصحابة كلَّهم -بزعمه- على إجماعهم على حدّ شارب الخمر[2].

أما المسألة الثانية، والتي هي تفسيق بعض أئمة المعتزلة لطوائف من الصحابة ، وردّ شهادتهم تبعًا، فقد ذكَر الشهرستاني فرقة الواصلية من المعتزلة وذكر تفسيق رأسها (واصل بن عطاء) لأحد الفريقين لا بعينه كالمتلاعنين، كما زاد عمرو بن عبيد عليه بعدم قبول شهادة الفريقين وتفسيقهما، بل وكونهما من أهل النار، فقال: « القاعدة الرابعة: قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين: إنّ أحدهما مخطئ بعينه، وكذلك قوله في عثمان، وقاتليه، وخاذليه، قال: إنّ أحد الفريقين فاسقٌ لا محالة، كما أنّ أحد المتلاعنين فاسقٌ لا محالة، لكن لا بعينه، وقد عرفت قوله في الفاسق، وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما، كما لا تقبل شهادة المتلاعنين؛ فلم يُجَوّز قبول شهادة علي وطلحة والزبير على باقة بقل، وجوّز أنْ يكون عثمان وعلي على الخطأ.

هذا قوله! وهو رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في أعلام الصحابة، وأئمة العترة.

ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه، وزاد عليه في تفسيق أحد الفريقين لا بعينه، بأنْ قال: لو شَهد رجلان من أحد الفريقين مثل علي ورجل من عسكره، أو طلحة والزبير: لم تقبل شهادتهما؛ وفيه تفسيق الفريقين، وكونهما من أهل النار »[3].

وذكَر فخر الدين الرازي فرقة الواصلية (أتباع واصل) فقال: « ومِن مذهبهم أنّ عليًّا وطلحة رضي الله عنهما لو

---

1 (?) الملل والنحل، (ج1/ ص82-84).
2 (?) انظر: الملل والنحل، (ج1/ 86).
3 (?) الملل والنحل، ج1/ ص69-70).

شهدَا في شيءٍ واحدٍ، فشهادتهما غير مقبولة، وإنْ شهد فيه كلّ واحدٍ منهما مع شخص آخر فشهادتُه مقبولة »[1].

وجاء في كتاب ميزان الاعتدال أنّ عَمر بن عُبيد سُمِع « يقول: لو شهد عندي علي، وطلحة، والزبير، وعثمان، على شراك نعل ما أجَزْت شهادتهم »[2].

لذا لَمّا جاء الرازي في ذكر فرقةَ العَمرية (أتباع عمرو هذا) حكى قوله بِهَذه العبارة الموجزة:«ومِن قولهم:إنّ شهادة طلحة والزبير غير مقبولة بوجهٍ ما»[3].والله المستعان!

** * **

المطلب الرابع: تلقيب غلاة المعتزلة حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بـ(ـالْمُشبِّهة) [4]:

مِن عادات وسمات وأساليب المخالفين التنفيرية: نبز أهل الحق بألقاب شنيعة بقصد التنفير منهم وحطهم وطعنهم، والتشنيع عليهم وعلى مذهبهم، حتى أصبحت الوقيعة في أهل السنة من أبرز علامات أهل الأهواء.

ولهم في ذلك سلفهم، وهم كفار مكة مع رسول الله حيث اقتسموا القول فيه، فسماه بعضهم كاهنًا، وبعضهم شاعرًا، وبعضهم مجنونًا، وبعضهم مفتونًا، وبعضهم مفتريًا مختلقًا كذَّابًا، وكان النبي من تلك المعايب بريئًا، ولم

---

1 (?) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص39.

2 (?) ميزان الاعتدال، (ج3/ ص275).

3 (?) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص39.

4 (?) يذكر العلماء رحمهم الله أن علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر، (كما جاء في اعتقاد أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين وآخرين)، وأن علامة الجهمية بفرقهم: تسمية أهل السنة مشبهة (ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ج1/ص200-201). قال الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني (ت:280هـ): وقد أحدث أهل الأهواء والبدع أسماء شنيعة قبيحة، فسموا بها أهل السنة، يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم، والوقيعة فيهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال) معتقد أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام حرب، ص174. فذكر الألقاب عند المرجئة والقدرية ثم قال: (وأما الجهمية فإنهم يسمون أهل السنة مشبهة، وكذبت الجهمية، أعداء الله! بل هم أولى بالتشبيه والتكذيب) ص176. قلت: لأنّ كل معطل مشبه!

يكن إلا رسولا مصطفى نبيًّا، قال تعالى: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﭼ [الفرقان: ٩].

وكذلك المبتدعة اقتسموا القول في حمَلة أخباره، ورواة أحاديثه، ونقلة آثاره، فهَا هو بعضُهم يسمونَهم مشبِّهة[1]، بل ويغْلو البعض فيُسمي حتى الأنبياء الكرام، عليهم الصلاة والسلام بِهذا اللقب الشنيع، وينبُزُهم بِهذا النبز الفظيع.

وعند التحقيق لا يلحق أهل السنة هذا النبز؛ لأنّهم يُثبتون لله ما وصف نفسه به من الصفات ووصفه رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تأويل، ومِن غير تشبيه ولا تمثيل على حدّ قوله تعالى: ﭽﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭼ [الشورى: ١١].

بل أهل السنة من أشد الناس مقتًا للمشبّهة والتشبيه؛ إجلالا لله، حتى قالوا قاعدتهم التي أحْكَمَت نصوص باب الصفات: وهي: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلا رَسُولُهُ تَشْبِيهًا.

لكنّ المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة النابزين بهذا اللقب، لمّا قصدوا التنـزيه، وظنّوا أنّ طريقه التعطيل والنفي والتأويل سمّوا أهل السنة بهذا الاسم، كلُّ فرقة منهم بحسب ما عندهم، وعلى تفاوت بينهم. والله المستعان!

فقد ذَكَر ذلك عن غُلاة المعتزلة أمين في النقل عن الفِرَق والأديان، شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية –رحمه الله- حيث قال وهو يتكلم عن إجماع السلف –رحمهم الله- على إثبات الصفات عمومًا، ومنها: الصفات الخبرية، وذاكِرًا كلام **ثُمامة بن الأشرس (ت213هـ)**[2] الغالِي

---

[1] (?) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، 143-150 .

[2] (?) **ثمامة بن أشرس**، أبو معن النميري البصري المتكلم، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن، وكان نديما ظريفًا، اتصل بالرشيد، ثم بالمأمون، روى عنه تلميذه الجاحظ، من جملة مقالاته: المقلدون من أهل الكتاب وعبَدَة الأوثان لا يدخلون النار، بل يَصيرون ترابًا. وأنّ مَن مات مسلمًا وهو مُصِرّ على كبيرة خُلّد

في الاعتزال في تنقصّه لنبيّنا محمدٍ ، وكذلك أخوَيه موسى وعيسى عليهما السلام، بتلقيبهم بـ(ـالْمُشبِّهة):

« وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَ الْبَحْثِ التَّامِّ وَمُطَالَعَةِ مَا أَمْكَنَ مِنْ كَلامِ السَّلَفِ مَا رَأَيْت كَلامَ أَحَدٍ مِنْهُمْ يَدُلُّ -لا نَصًّا، وَلا ظَاهِرًا، وَلا بِالْقَرَائِنِ- عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ؛ بَلْ الَّذِي رَأَيْتُه أَنَّ كَثِيرًا مِنْ كَلامِهِمْ يَدُلُّ -إمَّا نَصًّا وَإِمَّا ظَاهِرًا- عَلَى تَقْرِيرِ جِنْسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَلا أَنْقُلُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إثْبَاتَ كُلِّ صِفَةٍ؛ بَلْ الَّذِي رَأَيْته أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ جِنْسَهَا فِي الْجُمْلَةِ؛ وَمَا رَأَيْت أَحَدًا مِنْهُمْ نَفَاهَا، وَإِنَّمَا يَنْفُونَ التَّشْبِيهَ وَيُنْكِرُونَ عَلَى الْمُشَبِّهَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ؛ مَعَ إنْكَارِهِمْ عَلَى مَنْ يَنْفِي الصِّفَاتِ أَيْضًا؛ كَقَوْلِ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الخزاعي (ت228) شَيْخِ الْبُخَارِيِّ: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلا رَسُولُهُ تَشْبِيهًا. وَكَانُوا إذَا رَأَوْا الرَّجُلَ قَدْ أَغْرَقَ فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ مِنْ غَيْرِ إثْبَاتِ الصِّفَاتِ، قَالُوا: هَذَا جهمي مُعَطِّلٌ؛ وَهَذَا كَثِيرٌ جِدًّا فِي كَلامِهِمْ؛ فَإِنَّ الجهمية وَالْمُعْتَزِلَةَ إلَى الْيَوْمِ يُسَمُّونَ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنْ الصِّفَاتِ مُشَبِّهًا -كَذِبًا مِنْهُمْ وَافْتِرَاءً-، حَتَّى إنَّ مِنْهُمْ مَنْ غَلا وَرَمَى الأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، حَتَّى قَالَ ثُمَامَةُ بْنُ الأَشْرَسِ مِنْ رُؤَسَاءَ الجهمية: ثَلاثَةٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ مُشَبِّهَةٌ؛ مُوسَى حَيْثُ قَالَ: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: ١٥٥]. وَعِيسَى حَيْثُ قَالَ: ﴿[illegible]﴾ [المائدة: ١١٦]. وَمُحَمَّدٌ حَيْثُ قَالَ: " **يَنْزِلُ رَبُّنَا** "[1] . وَحَتَّى إنَّ جُلَّ الْمُعْتَزِلَةِ تُدْخِلُ عَامَّةَ الأَئِمَّةِ: مِثْلَ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، وَالثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِهِ، والأوزاعي وَأَصْحَابِهِ،

في النار، وهو مع قوله بتخليد الفساق في النار ... إلا أنه –كما ذُكر عنه- كان جامعًا بين سخافة الدين، وخلاعة النفس؛ فهو بِهذا حال حياته في منـزلة بين المنـزلتين (انظر تتمة ترجمته في الملل والنحل، ج 1/ 105-107، وسير أعلام النبلاء، ج7/ 94-95).

[1] أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم: 1145، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم: 758.

<u>وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَأَحْمَد وَأَصْحَابِهِ، وَإِسْحَاقَ بْنِ راهويه وَأَبِي عُبَيْدٍ وَغَيْرِهِمْ = فِي قِسْمِ الْمُشَبِّهَةِ</u> »[1].

وهكذا رأينا أنّ الأنبياء عليهم السلام ومنهم رسولنا ﷺ قد نالَهم من جفاء غلاة المعتزلة ما نالَهم، بسبب إثباتهم ما أثبتَه الله لنفسه. والله المستعان!

** * **

المطلب الخامس: قول بعض الأشاعرة ببطلان نبوّته عليه الصلاة والسلام بعد موته[2].

قد عايَش هذا النوع من الأشاعرة أبو محمد ابن حزمٍ –رحمه الله- وذكر هذا الوجه الجفائي عنهم تجاه نبيناً ﷺ وغيره من إخوتِه، ثم ردّ عليهم بالنقل والعقل، فأنا هنا أنقل ذلك عنه من كتابه الفِصل في المِلل والأهواء والنحل، لأنّ كلامه فيه قد كفى وشفى!

قال: « الرد على من زعم أنّ الأنبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم، ولا الرّسل اليوم رُسُلا »[3].

وذكر أنّ الذي قال بِهذا هي **فرقة من الأشاعرة** فقال: « حدَثَت فرقةٌ مبتدعة تزعُم أنَّ محمدَ بن عبد الله

---

1 (?) الفتوى الحموية الكبرى، 510-513، ونقل بعضه عنه الدكتور محمد باكريم في وسطية أهل السنة بين الفرق، ص147.

2 (?) انظر هذه المسألة في الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، (ج1/ ص92-95)، ومقدمة حياة الأنبياء، ص50-56، وكتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ج3/ 1209، في الحاشية3 حيث علّق المحقق على قول الجهمية والأشعرية ... أن النبوة صفة إضافية وليست ثبوتية في النبي، وأصلهم الفاسد: العرض لا يبقى زمانين، مما يلزم منه فناء روح النبي ﷺ -والعياذ بالله- بعد وفاته، والقول بأنه ﷺ ليس هو الآن رسولا، ولكنه كان رسولا. فقد أراد بعضهم أنْ يتخلص من هذه اللوازم الباطلة، فأثبت له ﷺ الحياة الحقيقية مثل حياة الدنيا تمامًا، حتى زعموا أنه كان يأتي أهله وهو في قبره ... خوفًا من أن يلزمهم هذه اللوازم، انظر: مقدمة كتاب البيهقي حياة الأنبياء، لشيخنا الشيخ أحمد عطية الغامدي –رحمه الله-ص50-56) وسير أعلام النبلاء، (ج10/ ص419-420)، وكتاب نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، ص471-474).

أما صاحب كتاب مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني فقد أورد هذه المسألة فيه (ص440-441) ونقل عن السبكي ما يدل على أنّ القول ببطلان نبوة الأنبياء بعد وفاتهم افتراءٌ على مَن نُسبت المسألة إليهم من الأشاعرة، وأنه فقط كان لازمًا لهم فيما ذهبوا إليه، وإن كان لازم المذهب ليس بمذهب. والله أعلم!

3 (?) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، (ج1/ ص92).

بن عبد المطلب ليس هو -الآن- رسول الله ، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية، وأخبرنِي سليمان بن خلف الباجي، وهو من مقدِّمِيهم اليوم أنَّ محمد بن الحسن بن فورك الأصبهانِي[1] على هذه المسألة قتله بالسم محمود بن سُبُكْتِكين[2] صاحب مادون وراء النهر من خرسان -رحمه الله- »[3].

ثم قال في الرد على المقالة: « وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالى، ولرسوله ، ولِما أجمع عليه جميع أهل الإسلام إلى يوم القيامة، وإنما حملَهم على هذا قولُهم الفاسد: إنّ الروح عرض، والعرض يفنى أبدًا، ويَحْدُث ولا يبقى وقتين، فروح النبي عندهم قد فنيت وبطلت، ولا

---

[1] « **ابن فورك:** الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلمين، أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، ...
كان أشعريا، رأسًا في فنّ الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري. ... قلت: حُمِل مُقيَّدًا إلى شيراز للعقائد، ونَقَل أبو الوليد الباجي أنّ السلطان محمودًا سأله عن رسول الله ، فقال: كان رسول الله، وأما اليوم فلا. فأمر بقتله بالسم. وقال ابن حزم: كان يقول: إن روح رسول الله قد بطلت، وتلاشت، وما هي في الجنة. قلت: وقد روى عنه الحاكم حديثا، وتوفي قبله بسنة واحدة » (قاله الذهبي السِيَر، (ج10/ 419-420).

[2] **محمود بن سُبُكْتِكين:** هو السلطان الملك يمين الدولة، فاتح الهند، أبو القاسم، محمود بن سيّد الأمراء ناصر الدولة سبكتكين، التركي، صاحب خراسان والهند وغير ذلك. ولد محمود سنة: (361هـ)، قيل: كان حنفيا يحب الحديث فتحول شافعيًّا، وقد كان صادق النية في إعلاء الدين، مُظَفَّرًا كثير الغزو، وكان ذكيا بعيد الغَوْر، صائب الرأي، وكان مجلسه مورد العلماء. كانت غزوات السلطان محمود مشهورة عديدة، وفتوحاته الْمُبْتَكرَة عظيمة. وكان إلْبًا على القرامطة والإسماعيلية، وعلى المتكلمين، على بدعة فيه -فيما قيل-، ويغضب للكرامية، قال أبو مسعود أحمد بن محمد البجلي: دخل ابن فورك على السلطان محمود، فقال: لا يجوز أنْ يُوصف الله بالفوقية؛ لأنّ لازم ذلك وصفه بالتحتية، فمن جاز أنْ يكون له فوق، جاز أن يكون له تحت. فقال السلطان: ما أنا وصَفتُه حتى يلزمنِي، بل هو وصف نفسَه، فبُهتَ ابن فورك، فلما خرج من عنده مات. فيقال: انشقت مرارته. ومات بغزنة في جمادى الأولى سنة (421هـ) (انظر: سِيَر أعلام النبلاء، ج10/ 556-562).

[3] الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، (ج1/ ص92-93).

روح له الآن عند الله تعالى. وأما جسدُه ففي قبره مواتٌ، فبطلت نبوتُه بذلك ورسالته »[1].

ثم تابع في الرد على المقولة فقال: « ونعوذ بالله من هذا القول؛ فإنه كفرٌ صُراحٌ، لا ترداد فيه. ويكفي من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع أنّه مخالفٌ لِما أمر الله به، ورسولُه ، واتفق عليه جميع أهل الإسلام من كل فرقة، ومِن كلّ نحلة من الآذان في الصوامع، كل يوم خمس مرات، في كل قرية من شرق الأرض إلى غربها، بأعلى أصواتهم، وقد قرَنَه الله تعالى بذكره: أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا رسولُ الله. فعلى قول هؤلاء الموكلين إلى أنفسهم يكون الآذان كذِبًا، ويكون مَن أمَر به كاذبًا، وإنما كان يجب أن يكون الآذان على قولهم: أشهد أنَّ محمدًا كان رسولُ الله! وإلا فمن أخبر عن شيء كان وبطل: أنّه كائنٌ الآن، فهو كاذبٌ؛ فالأذان كذِبٌ على قولهم، وهذا كُفرٌ مجرد. وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الإسلام بلا خلاف من أحدٍ منهم؛ من تلقين موتاهم لا إله إلا الله[2]، محمدٌ رسولُ الله، فإنّه باطلٌ على قول هؤلاء. وكذلك ما عمل به رسول الله مدة قتاله الأمة وأمره عن الله بأنْ يُعمل به بعده أبدًا، وأجمع على القول به والعمل جميعُ أهل الإسلام؛ من أول الإسلام إلى آخره، ومن شرق الأرض إلى غربها؛ إنسِهم وجنّهم، بيقينٍ مقطوعٍ به دون مخالف، فما تخرج به الدماء من التحليل إلى التحريم، أو إلى الحقن بالجزية = مِن أنْ يُعرض على أهل الكفر أن يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ فيجب على قول هؤلاء المحرومين: أنّ هذا باطلٌ وكذب، وإنما كان يجب أنْ يُكلّفُوا أنْ يقولوا: محمدٌ كان رسول الله. وكذلك قوله تعالى: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭼ [النساء: ١٦٤]. وكذلك قوله تعالى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭼ [المائدة: ١٠٩].

---

[1] (?) المصدر نفسه.

[2] (?) التلقين الذي عناه ابن حزم هنا هو المشروع الذي أمَرت السنة به، وهو عند الاحتضار، وهو الذي أشار باتفاق جميع أهل الإسلام عليه، أما الذي يقول به الشافعية والذي يكون على القبر بعد الدفن فغير مقصوده هنا.

وقوله تعالى: ﭼﭬﭭﭮﭽ [الزمر: ٦٩]. فسمّاهم الله رسلا وقد ماتوا، وسماهم نبيين ورسلا وهم في القيامة.
وكذلك ما أجمع الناس عليه، وجاء به النص من قول كلّ مُصلٍّ -فرضًا أو نافلة-: السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فلو لم يكن روحُه ﷺ موجودًا قائمًا، لكان السلام على العدم هدرًا. **فإن قالوا:** كيف يكون ميتًا رسولُ الله، وإنما الرسول هو الذي يُخاطِب عن الله بالرسالة؟ **قيل لهم:** نعم، مَن أرسله الله مرة واحدة فقط رسولا لله تعالى أبدًا؛ لأنّه حاصلٌ على مرتبةِ جلالةٍ لا يحطه عنها شيءٌ أبَدًا، ولا يسقط عنه هذا الاسم أبَدًا، ولو كان ما قلتُم لوَجَب أن لا يكون رسول الله ﷺ رسولا إلى أهل اليمن في حياته؛ لأنّه لم يُكلّمهم، ولا شافههم؟ ويلزم أيضًا أنْ لا يكون رسولُ الله إلا ما دام يُكلّم الناس؛ فإذا سكت، أو أكل، أو نام، أو جامع لم يكن رسول الله! وهذا حمقٌ مشوبٌ بكُفر، وخلافٌ للإجماع المتيقن. ونعوذ بالله من الخذلان! وأيضًا: فإنّ خبَر الإسراء الذي ذكره الله ﷻ في القرآن، وهو منقول نقل التواتر، وأحدُ أعلام النبوة، ذكر فيه رسول الله ﷺ أنّه رأى الأنبياء عليهم السلام في سماءٍ سماءٍ، فهل رأى إلا أرواحهم التي هي أنفسهم؟ ومَن كذَّب بِهذا أو بعضَه فقد انسلخ عن الإسلام بلا شك! ونعوذ بالله من الخذلان! وهذه براهين لا مَحيد عنها! ... ولقد بلغنِي عن بعضهم أنّهم يقولون: إنّ أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم لسْنَ الآن أمهات المؤمنين، لكنّهُنّ كُنّ أمهات المؤمنين. ... وهذا ضلال بَحْتٌ، وحماقة محضة، ولو كان هذا لوَجَب أنْ لا تكون أم المرء التي ولدَتْه، وأبوه الذي ولده أباه، ولا أمه إلا في حين الولادة، والحمل من الأم فقط، وفي حين الإنزال من الأب فقط، لا بعد ذلك. وهذا من السخف الذي لا يرضى به لنفسه ذو مِسكة. **فإن قالوا:** أتقولون أنَّ عُمَر أمير المؤمنين اليوم، أو عثمان أيضًا كذلك؟ **قلنا لهم:** لا، وهذا إجماعٌ؛ لأنّه لا يكون أميرًا إلا مَن يكون الائتمار بأمره واجبٌ، وليس هذا لأحدٍ بعد موته، إلا للنبي ﷺ، وإنما هو لخليفة بعد

خليفة طول حياته فقط، فبطل أنْ يكون لهم فيها متعلق. وبالله التوفيق »[1].

وهذا كلام في الرد له متانتُه! والأمر كما قال –رحمه الله-؛ فرسول الله ، بل وإخوتُه الأنبياء عليهم السلام لم تَبطُل نبواتُهم بعد وفاتهم، خلافًا للزعم السابق!

وفي قوله الذي خاطَب به الأمة كلِّها إلى يوم القيامة: " **مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ** "[2] نقضٌ لِمزاعم مَن ادعى فناء الروح لكونها عرَضًا، والعرَض –على زعمهم- لا يبقى زمانين.

وبِهذا انتهى المطلب الأخير لِهذا المبحث، وبه انتهى المبحث، بل والفصل، وقد بينت فيه مواقف جفائية تجاه الرسالة المحمدية من الفلاسفة والمتكلِّمين، ومناهجهم المخالفة.

وبعد هذا، فإلى فصل آخر لأقف فيه على أوجه جفائية تجاه الرسالة المحمدية، وأخرى غالية من الفرقة الصوفية.

** * **

---

1 (?) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، (ج1/ ص93-95).

2 (?) سنن أبي داود، وهو صحيح، وسيأتِي تخريجُه.

الْمبحث الأول: غلُوُّ الصوفية وإطراؤُهم النّبِيَّ ﷺ، وفيه تَمهيد وثَمانية مطالب.

الْمبحث الثاني: جفاء الصوفية سنته ﷺ ورسالته، وفيه ستة مطالب.

الْمبحث الثالث: موقف البريلوية من مقامَي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ،
وفيه تَمهيدٌ ومطلبان.

الفكر الصوفي وعقيدته في رسول الله ﷺ، أو عقيدة الصوفية في الرّسول ﷺ تتلخص في غُلُوٍّ مُفْرَطٍ فيه؛ فلمّا كان المذهب الرافضي –كما تقدم- قد دار فيه الغُلُوّ حول عليٍّ ﷺ والأئمة مِن ذريته بعده، فإنّ الغلُوّ عند الصوفية قد دار حول الرسول ﷺ أو ما يُسَمّونه الحقيقة المحمدية، والأولياء من بعده.

وإذا وُجد في الرافضة مَن قال بأنّ روح الإله قد حَلَّت في النبِيّ ﷺ ثم في علِيّ ﷺ وأولاده من بعده، فقد وُجِد في الصوفية مَن يقول بمثل ذلك من الحلول كالحلاج مثلا [1]، تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:«ثم إنّ الْغُلُوَّ فِي الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِين قد وقَع فيه طوائف من ضُلال المتعبّدة والمتصوّفة، حتى خالط كثيرًا منهم من مذاهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى، أو مثله، أو دونه»[2].

وبمقابل غُلُوّ الصوفية في شخص الرسول ﷺ فإنّهم كذلك أهل جَفاءٍ زائِدٍ لرسالته؛ حيث بلَغ بِهم الابتداع في دينه ما بلَغ، كما سيأتِي.

---

[1] (?) انظر: فصل الغلو في رسول ﷺ من كتاب ظاهرة الغلو في الدين –الأسباب والمظاهر والعلاج، ص257.

[2] (?) اقتضاء الصراط المستقيم، ص26.

فالصوفية يعتقدون فيه عقائد شتى؛ فمنهم مَن يُعظّم الرّسول ويَغْلو فيه ويوصِلُه إلى درجة الألوهية؛ حيث يعتقد غُلاتُهم أنّ الرّسول هو الله المستوي على عرشه، وهذه عقيدة ابن عربي ومن جاء بعده. وأنّ السماوات والأرض والعرش والكرسي وكلّ الكائنات خُلِقت من نوره، وأنّه أول موجودٍ .. في سلسلة طويلة من غُلُوّهم فيه.

ومن الصوفية مَن يَزعُم أنّ الرسول وإخوتَه الأنبياء دونهم؛ ولا يَصِلون إلى مرتبتهم وحالهم, كما قـال أبو يزيد البسطامي: « خُضْنا بَحرًا وقَف الأنبياءُ بساحله »[1]. وهذا مِن الجفـــاء فيه . فالرجل يـــزعم أنّ الأنبيـــاء –عليهم السلام- كانوا جُهّالا بعلوم رجال التصوف (علوم الحقائق)

ومثله ما قرّره ملاحدة الصوفية كابن عرَبي الطائِي من تفضيل خاتم الأولياء على خـاتم الأنبيـاء، والولاية على النبــوة، وأنّ الأنبيــاء يعرفــون الشــريعة والظــواهر، أما الحقيقة والبـــواطن فللأوليـــاء فقط على زعمهم، كما أنّ الأنبياء يَسْتَفيدُون عُلُومَهم مِن خـاتم الأوليـاء، كما سـيأتِي تقريرُه. فخَرّ عليهم السقف من تحتهم؛ لا عقل ولا قرآن.

وسيتضح كُلّ هذا من خلال مباحث الفصل الثلاثة.

الْمبحث الأول: غلُوُّ الصوفية وإطراؤُهم النّبِيَّ ، وفيه تمهيد وثَمانية مطالب:

التمهيد: التعريف بالصوفية.

المطلب الأول: رفع الصوفية النبيَّ فوق المنـزلة البشرية، بإعطائه خصائص الإلـه، وفيه سبع مسائل.

المطلب الثانِي: دعوى الصوفية أنَّه عليه الصلاة والسلام خُلِق من نور.

---

[1] (?) الإبريز لعبد العزيز الدباغ، ص276، بواسطة: التصوف المنشأ والمصادر، ص206.

المطلب الثالث: دعوى الصوفية أنَّه ليس له ظِلٌّ أو أنَّ نوره يُطفئ ظلَّه إذا مشى في الشمس.

المطلب الرابع: إطراء الصوفية إياه، عليه الصلاة والسلام المنهي عنه.

المطلب الخامس: زعم غلاة الصوفية حلول الله سبحانه فيه ﷺ.

المطلب السادس: اعتقاد الصوفية أنَّ الكون خُلق من أجله ﷺ.

المطلب الثامن: زعم غلاة الصوفية أنّ زيارة قبره عليه الصلاة والسلام أفضل من الحج.

التمهيد: التعريف بالصوفية:

لا يُختلَف في أنّ الفكر الصوفي حادثٌ في الإسلام، وحتى الصوفية تُقِرّ بذلك، وإنْ كانوا يقولـون: بـأنّ أحـوال الصـــــوفية موجـــــودة منذ عهد النبِيّ ﷺ؛ تمثّلت في أهل الصُّفّة؛ ولأجله ذَهَبَ بعضهم إلى أنّ التّصـوّف مشـتقٌ من الصُّفّة[1]. كما سيأتِي ردُّه.

ولفظة الصــــــوفية: ممّ اشــــــتقت؟ وهل هي مِن لُبس الصُّوف، أو الصُّفّة أو الصَّفاء أو مِن صُــوْفَة (رجل أو قبيلة في الجاهليـة)، أو من الصّـفّ الأول المقـدم بين يـدي الله تعالى؟

للصوفية أنفسهم، وللعلماء، والباحثين في ذلك كلامٌ كثيرٌ. كما أنّهم كــذلك ذكَــرُوا عشَــرَات التعــاريف للصــوفي، ولِماهية التصوف[2].

---

[1] (?) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، د. لطف الله خوجه، ص83، وقبله: ابن خلدون في مقدمة تاريخه، ص504.

[2] (?) انظر إلى الأقوال مِن كُتُب الصوفية: باب التصوف في الرسالة القشيرية، ص272-277، والباب الخامس (في ماهية التصوف) والسادس (ذكر سبب تسميتهم بِهذا الاسم) من كتاب الصوفي المقتول (السهروردي) –كتاب عوارف المعارف (ملحق بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، (ج2/ص1936-1942)، وهو يُرَجِّح كونه مِن لُبس الصُّوف.

ومِن كُتُب غير الصوفية: تلبيس إبليس لابن الجوزي، (171 وما بعده)، ومجموع فتاوى لابن تيمية، (ج11/5-7)، ومقدمة ابن خلدون، 504، وفصل أصل التصوف واشتقاقه، وآخر في تعريف التصوف في كتاب:

قال ابن الجوزي –رحمه الله- في تلبيس إبليس: « والتصوف: طريقةٌ كان ابتداؤها الزهد الكلّي، ثم ترَخّص المنتسبون إليها بالسَّمَاع والرّقص؛ فمَالَ إليهم طُلابُ الآخرة من العَوَام لِما يُظهرونَه مِن التزهُّد، ومال إليهم طُلابُ الدنيا لِما يَرَونَه عندهم من الراحة واللعب. فلا بُدّ مِن كشف تلبيس إبليس عليهم في طريقة القوم، ولا ينكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها، وشرح أمورها » [1].

وفي عوارف المعارف: « التصوُّف غير الفقر، والزهد غير الفقر، والتصوف غير الزّهد؛ فالتصوّف: اسمٌ جامعٌ لِمعانِي الفقر، ومعانِي الزّهد، مع مزيد أوصافٍ وإضافات لا يكون بدونِها الرجل صوفيًّا، وإنْ كان زاهدًا فقيرًا » [2].

فما هي الإضافات والأوصاف التي تنضاف على التفقّر والتزهّد التي لا يكون بدونها الرجل صوفيًّا وإنْ كان فقيرًا زاهدًا؟

وهل هي السّماع والخلوات بالذكر (المبتدع وغيره على هيئات التمايل حينًا، والاختلاط آخر) والطقوس والرقص ونحوها الْمُؤدِّية إلى الفناء ودعوى الحلول، بل والاتحاد؟

أجاب بِمثل هذا صاحب كتاب الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرضٌ ونقد عند كلامه عن ماهية التصوّف، وبيّن –حفظه الله- أنّ ماهيتها لا تتضح إلا بالكلام عن الفناء، والحلول، والاتحاد، والوحدة [3].

التصوف المنشأ –المصادر للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص36-56، وموسوعة البِدَع والمخالفات الشرعية (من كلام ابن باز، الألباني، العثيمين، الفوزان، اللجنة الدائمة، وغيرهم)، ج1/ص460-461.

ومن الرسائل: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، ص83-111، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرضٌ وتحليلٌ، (ج1/34-44)، ومجمل عقائد الصوفية في ميزان أهل السنة والجماعة، د. فاروق مصطفى، (الباب الأول: معنى كلمة الصوفية)، ص23، وموقف الإمام ابن القيم من الصوفية، 75-85، والردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، 20-24، وبحوثٌ ودراساتٌ في المذاهب والتيارات، 121-131.

[1] تلبيس إبليس، ص171.

[2] عوارف المعارف، ص1937 (في آخر إحياء علوم الدين للغزالي).

وصدَق ابن الجوزي في أنّ ابتداء التصوّف في البصرة (موطن التصوف الأصلي[1]) وغيرها كان زُهْدًا، وكان الزهّاد الأولى في تلك الأيام يُقِرّون بأنّ التعويل على الكتاب والسنة لا على غيرهما، كأَبِي الْقَاسِمِ الجنيد[2] وغيره، حتى قال في مقدمة تاريخ ابن خلدون: « وسلفُ المتصوفة مِن أهل الرسالة أعلام الملة الذين أشَرْنا إليهم من قبل، لم يكن لهم حرصٌ على كشف الحجاب، ولا هذا النوع من الإدراك، إنما همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا. ومن عَرَض له شيءٌ مِن ذلك أعْرَضَ عنه ولم يحفل به، بل يَفِرُّون منه ويَرَون أنّه مِن العوائق والمِحَن، وأنّه إدراكٌ مِن إدراكات النّفس مخلوقٌ حادثٌ، وأنّ الموجودات لا تنحصر في مدارك الإنسان، وعِلمُ الله أوسعُ وخَلْقُه أكبر، وشريعته بالهداية أملك؛ فلم ينطقوا بشيءٍ مما يدركون، بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا مَن يكشف له الحجاب مِن أصحابِهم مِن الخوض فيه والوقوف عنده، بل ويلتزمون طريقتَهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والاقتداء، ويأمرون أصحابَهم بالتزامها. وهكذا ينبغي أن يكون حال المريد »[3].

ومِن نصوص هؤلاء الصريحة في ذلك:

قَولِ أَبِي الْقَاسِمِ الجنيد: (عِلْمُنَا هَذَا مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ الْقُرْآنَ، وَيَكْتُبْ الْحَدِيثَ لا يَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي عِلْمِنَا، أَوْ قَالَ: لا يُقْتَدَى بِهِ).

ثانيًا: إِنَّهُ لَيَقَعُ فِي قَلْبِي النُّكْتَةُ مِنْ نُكَتِ الْقَوْمِ فَلا أَقْبَلُهَا إلا بِشَاهِدَيْنِ: الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

---

3 (?) بيّن ذلك د. لطف الله خوجه في غضون 12صفحة (99-111) في كتابه الإنسان الكامل في الفكر الصوفي.

1 (?) انظر: مجموع فتاوى لابن تيمية، (ج11/6)، ودراسات في الفرق، د. صابر طعيمة، ص107.

2 (?) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري، سيد الزهاد، وشيخ الصوفية، ولد سنة نيّف وعشرين ومائتين، تعبّد وتألّه، ونطق بالحكمة، وقلّ ما روى، (انظر تمام ترجمته ودُررًا مِن حِكَمه في: الرسالة القشيرية، ص38-40، وسير أعلام النبلاء، ج9/ 38-40).

3 (?) مقدمة ابن خلدون، 515.

ثالثًا: (مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ؛ قَوْلا وَفِعْلا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَّرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ؛ قَوْلا وَفِعْلا نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ؛ ..).

رابعًا: (كُلُّ وَجْدٍ لا يَشْهَدُ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَهُوَ بَاطِلٌ)[1].

ثم إنّه لَم يَلبَث أنْ لبّس على الصوفية إبليس؛ فتغَيّر من الزهد شيئًا فشيئًا إلى عقائد مخالفة للكتاب والسنة، لاعتمادهم مصادر يتلقون من الدين غيرهما، كالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والإلهام الشيطاني والوساوس، والذوق والوجد والخيال، والكشف والمنامات والإسراءات والمعراجات والقبور، والهواتف، والخضر ، واللوح المحفوظ، والجنّ والشياطين[2].

وكذلك تأثير علم الكلام والفلسفة جعل التصوف على ما هو عليه اليوم، من عقائد لها قواعدها ورسومها، وطرائقُها ومقدِّموها، وشيوخها ومريدوها، وأورادها ووظائفها، إلى غير ذلك من لوازم الطرق الصوفية، ويُقرر ما تقدم ابن الجوزي، فيقول:

« كانت النِّسبة في زمن رسول الله إلى الإيمان والإسلام فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدَثَ اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوامٌ تعلقوا بالزهد والتعبد؛ فتخلوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها، وأخلاقًا تخلقوا بها، ورأوا أنّ أول من انفرد بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث بن مر فانتسبوا إليه، لِمشابَهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى؛ فسموا بالصوفية ... وقد ذهب قوم إلى أنّ التصوف منسوبٌ إلى أهل الصفة، وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة

---

[1] القول الثاني لأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني، والثالث لأَبِي عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيّ، والأخير لأَبِي عَمْرِو بْنِ نجيد، (انظرها في كتاب تلبيس إبليس، ص179، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص 99-100).

[2] انظر عن التعريفات مصادر التلقي عند الصوفية هذه والرد عليها: موقف ابن تيمية من الصوفية، د. محمد العريفي، (ج1/317-365).

على ما ذكرنا من صــفة صــوفة في الانقطــاع إلى الله ، وملازمة الفقر؛ فإنّ أهل الصفة كانوا فقراء يَقْـدِمون على رسول الله وما لهم أهـلٌ ولا مـال؛ فبُنِيَت لهم صُـفّة في مسجد رسول الله ، وقيل: أهل الصفة. ... وهؤلاء القــوم إنما قعدوا في المسجد ضـرورة، وإنما أكلـوا من الصـدقة ضــرورة، فلما فتَح الله على المســلمين اسـتغْنَوا عن تلك الحال وخرجوا.
ونسبة الصوفي إلى أهل الصفة غلـطٌ؛ لأنّه لو كـان كـذلك لقيل: صُفّي. وقد ذهَب إلى أنّه من الصــوفانة، وهي بقلــةٌ رعنــاء قصـيرة، فنسـبوا إليها لاجـتزائهم بنبـات الصـحراء، وهذا أيضًا غلَطٌ؛ لأنّه لو نسبوا إليها لقيل: صـوفاني. وقـال آخــرون: هو منسـوبٌ إلى صــوفة القفــا، وهي الشـعرات النابتة في مــؤخره؛ كــأنّ الصــوفي عطف به إلى الحــق، وصـرفه عن الخلـق. وقـال آخـرون: بل هو منسـوبٌ إلى الصوف، وهذا يحتمـل. والصـحيح الأول. وهـذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهَـرَه أوائلُهم؛ تكلمـوا فيـه وعبّروا عن صفته بعبارات كثـيرة؛ وحاصـلها: أنّ التصـوف عندهم رياضة النفس، ومجاهدة الطبـع؛ بـردّه عن الأخلاق الرذيلــة، وحمله على الأخلاق الجميلــة؛ من الزهد والحلم والصــبر والإخلاص والصــدق، إلى غــير ذلك من الخصــال الحســنة؛ الــتي تكسب المــدائح في الــدنيا، والثــواب في الأخــرى. .. وعلى هــذا كــان أوائل القــوم، فلبّسَ إبليسُ عليهم في أشــياء، ثم لبّس على مَن بعـدهم مِن تـابعيهم، فكلما مضَــى قــرنٌ زاد طمعُه في القــرن الثــاني؛ فــزاد تلبيسه عليهم إلى أنْ تَمكّن من المتـــأخرين غاية التمكن.
وكان أصل تلبيسه عليهم أنّه صدّهم عن العلم، وأراهم أنّ المقصود العمل؛ فلما أطفأ مصـباح العلم عنـدهم تخبطـوا في الظلمات؛ فمنهم مَن أراه أنّ المقصـود من ذلك تـرك الــدنيا في الجملــة، فرفضــوا ما يُصــلح أبــدانَهم، وشــبهوا المــال بالعقــارب ونَسُــوا أنّه خُلق للمصــالح، وبــالغوا في الحمل على النفوس حـتى أنّه كـان فيهم مَن لا يضـطجع. وهؤلاء كانت مقاصدُهم حسنَةً، غير أنّهم على غير الجـادة. وفيهم مَن كان لقلة علمه يَعمل بِما يقع إليه من الأحاديث

الموضوعة، وهو لا يدري. ثم جاء أقوامٌ فتكلموا لَهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات، وصنّفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها؛ من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق، وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة . ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لَهم أوضاعًا، ويتكلمون بواقعاتِهم، ويتفق بُعدُهم عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه: العلم الباطن، وجعَلوا علم الشريعة: العلم الظاهر. ومنهم مَن خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة؛ فادّعى عشق الحق والهيمان فيه، فكأنهم تخايلوا شَخصًا مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق؛ ففسدت عقائدُهم، فمِن هؤلاء مَن قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد »[1].

واستمرّ قائلا: « وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سَنَنًا .. فالتصوف مذهبٌ معروفٌ يَزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أنّ الزهد لم يَذُمّه أحدٌ، وقد ذَمّوا التصوف على ما سيأتي ذكره. .. »، [2].

وتبين مما تقدم: أنّ أصول انحراف أهل التصوف هو قلة العلم بالدين كتابًا وسنة، واعتماد مصادر تلقي الدين غيرهما، وتقديمهم الاشتغال بالعبادة على الاشتغال بالعلم، وتقليد مشايخهم في أغلاطهم وزلاتهم. يُضاف إلى ذلك الرغبة عن طريق النبِيّ وصحابته الكرام في الزهد والعبادة وغيرهما[3].

وقد اختار بعضهم في تعريف التصوف بأنّها: « حركةٌ دينيّةٌ انتشرَت في العالَم الإسلامي في القرن الثالث الهجري تدعو للزهد وشدّة العبادة، تعبيرًا عن فعل مضاد للانغماس في الترف، ثم تطوّر حتى صار طُرُقًا مميزة،

---

1 (?) تلبيس إبليس، ص171-174.

2 (?) تلبيس إبليس، ص174-177.

3 (?) انظر: موقف ابن تيمية من الصوفية، (ج1/ 240-247).

تبنّت مجموعــةً مِن العقائد المختلفــة، والرّســوم العملية المخترعة، تكوّنَت من مناهج كثيرة »[1].

وهذه العقائد منها ما هو كُفرٌ ومنها ما هو دونه كما ســيأتِي. وأمــا المنــاهج الكثــيرة الــتي تــداخلت طريقــة الصــوفية ففيهــا: الفلســفات الوثنيــة الهنديــة والفارســية واليونانيـــة المختلفة[2]. كمـــا أنّ بعض عقائـــد الصـــوفية مأخوذة مِن النصارى أيضًا كالحلول والاتحاد.

ولقد فارق الصوفيةُ الجماعةَ والسنة التي كان عليها رســولُ الله وأصــحابُه في أصــول الــدين الكثــيرة، الاعتقادية منها والعملية[3].

ولِكي أنصِــف القــوم (الصــوفية)؛ وذلك باعتبــار الــذين انتســبُوا أو نُســبُوا إليهم: لا بُــدّ من ذكر تقســيم العلمــاء للمنتسبين إلى التصوف إلى: المتصوفة الذين أخذُوا أفكار وتعــاليم المتصــوفة القــدماء، وإلى متصــوِّفة أخــذوا من مصادر قديمة شتى، وهذا النوع يُسَــمّيه بعضُــهم التصــوّف الفلسفي، وقد كثُر فيه الانحرافات والبِـدَع من المنتســبين إليه، وكان هذا إبان القــرن الرابــع، والخــامس الــذي ظهَر فيه القول بالاتحاد، والقول بسقوط التكــاليف وغــير ذلــك. فــإذا كــان قــرن جُنيد وأمثاله (الثــالث الهجــري) نجَى التصوف فيه من البدع غالبًا، فإنّه في القــرون الــتي بعــده اتجه نحو الانحـــراف؛ ففي القـــرن الرابع يُلاحظ أنّ بعض الصوفية لم يلتزموا بالشــرائع الدينية تَمامًــا، بل قــالوا: إنّ مَن بلغ درجة الولاية تحرر من المظــاهر، وأنّ المعصــية لا تَمنع الولاية، كما أحدثوا عَداءً بينهم وبين الفقهاء. واســتمر الأمر في القرن الخامس على ذلك، ودخله علم الكلام. وتـــوجهت اهتمامـــات الصـــوفية في القـــرنَين الســـادس والسابع نحو المبالغة في رياضات النفوس وكشف حجاب الحس، وتعميق الفلســفة فيــه. وفي الثــامن اكتفت غالبًا

---

1 (?) انظر: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها. د. عبد الله السّهلي، ص10.

2 (?) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (1/ 249)، وموسوعة البدع والمخالفات الشرعية، (ج1/460).

3 (?) انظر: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، للسّهلي، ص14-15.

بشـــرح كتب ابن عـــربِي وابن الفـــارض وغيرهمـــا. وفي القرون المتأخرة تَدَنّى حالُهم وابتعدوا عن الإسلام أكثر[1]، وهـذا حـال أربـاب الطـرق ممن خـالف طريقة سـادة القوم[2]. والتصوف البدعيّ هو المقصود هنا.
وأزيد الأمر وضوحًا فأقول:

أقسام التصوف:

بناء على ما تقدم، فـإنّ التصـوف على قسـمين، تصوّفُ شيخ الطائفة الجنَيد وأمثاله:
وهـذا القسم للشـيوخ الأوائـل الـذين لم يَخرُجُـوا عن الكتاب والسنة، ورَفَضُوا كُلّ محاولة لإخراجه عن الشّـرع، وأبَوا إلا تقييده بالوحي.
وأهـل هـذا النـوع ليسـوا في الحقيقـة صـوفية. بـل لقـد مدَحَهم العلماء لأجل ما كـانوا عليـه من الاتبـاع والتمسـك بالسنة، كشـيخ الإسـلام في رسـائل كثـيرة، وخصوصًـا مـا أودعت تحت عنوان السلوك [3] والتصـوف [4] من مجمـوع الفتاوى. ولم يَمدحُوا أصل التصـوف والمنهج، ولْيُتنبّـه إلى هذا.
وهو الذي يُطالَب صوفية القسم الثاني للعودة إليـه؛ منهج الكتاب والسنة.
والقسم الآخَر: هو الخارج عن الـتزام الكتـاب والسـنة، والميل إلى الأهواء والبِدَع، وهـو الـذي غـالى أصـحابُه في الولايـة والأوليـاء، والكشـف والمواجيـد والأذواق وغيرهـا، ويُفرّقون بين الحقيقة والشريعة، ويغـالون في الزهـد إلى رهبانية النصارى، ويُرَبُّون المريـد على أنْ يكـون بين يـدي

[1] انظر تفصيل المراحل التي مَرّ الفكر الصوفي منذ نشأته، وتطوراته إلى أنْ بَلَغ ما بلغ اليوم: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (ج1/ 249-261).
[2] انظر: موقف الإمام ابن القيم من الصوفية لمصطفى مراد، (84-85)، ومبحث حقيقة التصوف السّني والفلسفي من كتاب الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرضٌ ونقد، ص112-137 (وخصوصًا مسألة: التصوّف بين الفكرة والمنتسبين. منه)، والردود العلمية في دحض حجج وأباطيل الصوفية، (نشأة التصوف ومراحل تطوره، 26-65).
[3] المجلد العاشر.
[4] المجلد الحادي عشر.

الشيخ كالميت بين يدي الغاسل. وهؤلاء على درجتين، الثانية منهما زادوا عليه فكرة الحلول ووحدة الوجود، وتفضيل خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء. وهذا ما يُسمى بالتصوف الفلسفي، وهو خروجٌ عن الإسلام، وإلحاد وزندقة[1].

ولأصحاب هذا القسم (التصوف البدعي والفلسفي) عقائد شتّى خطيرة في الله تعالى، وفي رسوله ﷺ، وفي الأولياء، وغير ذلك، وسأُجْمِلُ أهَمّها في الآتِي:

أولا: الشرك في توحيد الربوبية وتوحيد العبادة، والأسماء والصفات (الشرك الأكبر). ومِن أجله صار أغلبُهم قبورية.

الثانِي: وهو متفرِّعٌ عن الأول: دعوى علم الغيب للبشر كالنبِيّ وأولياء الصوفية.

الثالث: القول بِما يُسمّونه الحقيقة المحمدية الذي مضمونه الزعم بأنّ الله خلَق محمدًا ﷺ أوّلَ ما خَلَق، وأنّه خلَقَه مِن نوره تعالى، ثم إنّ محمدًا –على هذا الزعم- خَلَق بقية الخلق مِن العرش، فما دونه.

الرابع: الغُلوّ في رسول الله ﷺ والزّعم بأنّ مقاليد السموات بيده، وابتداعُ صلواتٍ فيها غُلُوٌّ وإطراء. ومِن ذلك: دُعاؤُهم إيّاه واستغاثتهم به من دون الله تعالى.

الخامس: القول بحلول الله تعالى في مخلوقاته كُلا أو بعضًا، والقول بوحدة الوجود، تعالى عن قولهم (الحلول، والاتحاد)، وسيأتِي مزيدٌ عليه.

السادس: الإيمان بِرِجالٍ سَمّوهم رجال الغيب، وهم الأقطاب والأوتاد والنقباء والنجباء، ويعتقدون أنّ الله تعالى أسنَد تدبير العالَم والتصرّف في الكون، (وهذا ما يُعرَف بتقديس الأشخاص، بل تأليه البشر[2]). وكذبوا، وسيأتِي مزيد عليه.

---

[1] انظر: موقف الإمام ابن القيم من الصوفية لمصطفى مراد، (89-90).

[2] تصفح لِهذا خصوصًا: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرضٌ ونقدٌ لمحمد لوح (بمجلديه)، والإنسان الكامل في الفكر الصوفي عَرضٌ ونقد، د. لطف الله خوجه.

السابع: التأويلات الباطنية للنصوص الشرعية وتحميلها ما لا تحتمله لا شرعًا ولا لُغة.

الثامن: الزعم بأنّ ما اصطلحوا عليه الحقيقة أو التأويل أو المعرفة لا تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة، وإنما تنال بالعلم اللدني والكشف والإلهام والذوق.

التاسع: سقوط التعبدات (ما يُسمى التكاليف) عمّن وصَل غاية الطريق وحصل على اليقين، وسيأتِي مزيدٌ عليه.

العاشر: ادّعاء الولاية (ومعناها عندهم خلاف الولاية في الإسلام)، وتفضيل الولي على النبِي والرسول، وتفضيل خاتم الأولياء المزعوم على خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وسيأتِي المزيد.

الحادي عشَر: دعوى التلقّي عن الله تعالى، ورُؤْية النّبِيّ ﷺ يقظة ومقابلته، ومِن ثمّ تلَقّي الأوراد والوظائف عنه، والأخذ عن الخضر ؑ[1]. حتى جاء في حزب الرحيم وهو يَذكر الشروط التي لا بُد من توفّرها لِمن أراد أنْ يُلقَّن الطريقة التجانية: « والثالث عشر: أنْ لا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية، قال في جواهر المعاني: ولا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية لا بالترابية؛ لأنّ النبيّ ﷺ يَحضرُها، والخلفاء الأربعة يَحضرون عند قراءتها »[2].

الثانِي عشر: التعبُّد بالبِدَع والضلالات؛ فيتخذون أحزابًا وأورادًا من عند أنفسهم، تُردد مئات وآلاف المرات في أوقاتٍ مخصوصة، ويُركّبون لها فضائل، كما يتخذون الرّقص والغناء والمزمار والعود والدفوف وسيلة للتقرب والتزكية[3].

---

[1] تصفح لِهذا خصوصًا: معجم مَن رأى سيّد الخلق في اليقظة والمنام، لمحيي الدين الطعمي (والكتاب في 450).

[2] رماح حزب الرحيم، 377، وجوهرة الكمال هذه سيأتِي ذكرها، وهي في جواهر المعاني، ص235 (وقيّد حضور النبي ﷺ هنا عند قراءتها سبعًا فأكثر).

[3] انظر هذه العقائد وعقائدهم الأخرى في: مجمل عقائد الصوفية في ميزان أهل السنة والجماعة د. فاروق مصطفى، وأصول الفرق

وهذه العقائد توزّعَتْها فِـرَقُ الصـوفية وطُرُقُهـا بين الْمُقِـلّ والْمُكْثِر.

وقد برَزَت طُرُقٌ صـوفية واشـتهرَت في القــرن الســادس خصوصًــا، وبعــده، وبقيَتْ إلى اليوم.

ولا ضابط جامع مانع في التعريف بالطرق الصوفية، فحين تُعَرّف الطريقة في التعريفات: بـ«السيرة الْمختصّة بالسالكين إلى الله تعالى؛ من قطع المنازل، والتّرقّي في المقامات »[1]. (وهذا فيه نظَر)؛ تُعـرّف عنـد آخـرين: بــ« الهيئـات الصـوفية المنظمـة »، وعنـد غـيرهم « مجموعـة القواعد والرسوم التي يفرضها الشـيوخ على مريـديهم »؛ وعليه فتعاليم كُلّ طريقة ترجع إلى شيخها الخاص؛ ودليلُه ما في هذه الطـرق من تبـاين وخلاف. وإنْ كـانت الطـرق تتفق في أهم الأسس[2]. ويَـرَى بعضُ البـاحثين أنّ حقيقـة الطريقة أقرب مـا تكـون إلى: جملـة مراسـم وتنظيمـات لجماعات صوفية[3]، فالطريقـة تكـون: بـأنْ يلتـفّ جماعـةٌ مِن الْمريدين حول شـيخ يَسـلُك بهم رياضـة خاصـة، على دعـوى تصـفية القلب لغَايـة الوصـول إلى معرفـة الله[4]؛ وهذا صائب لأكبر الجزء من الحقيقـة؛ لـذا جـاء في كتـاب التجانية « نريد بـالطريق: ما يضـعه شـيخٌ من مشـايخ الصـوفية لمجموعة من المريـدين من أوضـاعٍ يلتزمونها ويختصـون بها دون غـيرهم »[5]؛ وعليـه: فتكـثّر الطـرق وتختلف حتى في القسم الواحد.

والأديان والمذاهب الفكرية، ص65-66، وعقائد الطرق الصوفية من كتاب الطرق الصوفية للسهلي، ص55-70، وأخطر المعتقدات عند الصوفية، من كتاب بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، ص131-140، والباب الثاني بعنوان: أبرز عقائد الصوفية ومناقشتها، وبيان أثرها من كتاب: الصوفية في حضر موت، ص229-753، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (ج1/261-263 الأفكار والمعتقدات).

1 (?) التعريفات للجرجاني، ص215.

2 (?) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد لوح، (ج1/ 342-343).

3 (?) انظر: تعريف الطرق الصوفية ونشأتها من الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها للسهلي، ص9.

4 (?) انظر: دراسات في الفرق لصابر طعيمة، ص113.

فكلّ طريقة لها شروطٌ مَن أخذَ بِها فهو منها، ومن لا فلا؛ فخُذْ مثلا بِما جاء من شروط الطريقة التجانية في فصل (ذكر شرائط طريقتنا) من كتاب حزب الرحيم، ومما قال في الفصل: « اعلم أنّ شروط طريقتنا هذه ثلاث وعشرون شرطًا[1]؛ فَمَن استكملها كُلّها ولم يتخلف عنه واحدٌ منها فهو من أهل الطريقة الفائزين المحبوبين المقربين الأعلين. ومَن لم يستكملها واستكمل أحدًا وعشرين شرطًا من الشروط التي أعدّها على الترتيب الذي ستراه فهو من الرابحين المحبوبين، وإنْ لم يساوِ الأولين. ومَن لم يستكملها فليس من أهل الطريقة »[2]. فتختلف الشروط من طريقة إلى طريقة.

ومن الشروط التي تميزَتْ التجانية بها على ما قال في الحزب ونقله عن جواهر المعاني: أنْ يكون طالب تلقين الورد « خاليًا عن ورد من أوراد المشايخ اللازمة لطرقهم، أو منسلخًا عنه إنْ كان موجودًا غير راجع إليه أبدًا »[3]. وشرَحَه بِما في الجواهر.

ومن الشروط أيضًا: عدم زيارة أحد من الأولياء الأحياء والأموات.

وقد كانت طُرُقٌ في القرن الثالث والرابع كطريقة الجنيد، وطريقة غيره[4]، لكنّها اندثَرَت. إلى أنْ تَجددتْ طُرُقٌ في القرن السادس وما بعده -كما سيأتِي- واختلفت تَمامًا عن الأولى، وبَقِيَتْ إلى اليوم. ولا خلاف بين الطرق الصوفية في الأخذ بتلك المعتقدات والأسس والمبادئ الأصيلة، وإنّما الفرق في أنواع الأذكار والأوراد التي يواظب عليها المريد من كُلّ طريقة منها، كما قرره جمعٌ من الباحثين[5].

ومِن أشْهَرِ هذه الطرق:

---

[5] (?) قاله د. علي دخيل الله في كتابه التجانية دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسّنة، ص38.

[1] (?) رماح حزب الرحيم، ص372-380، (مع جواهر المعاني).

[2] (?) رماح حزب الرحيم، ص372، (مع جواهر المعاني).

[3] (?) رماح حزب الرحيم، ص372، (مع جواهر المعاني).

[4] (?) انظر عن التعريف بالجنيدية والمحاسبية وغيرهما: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها د. السهلي، 38-39.

أولا: الطريقــة القادرية/ إحــدى الطــرق الصــوفية، تنتســب إلى الشَّــيْخ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْد القَــادِرِ بن عَبْـدِ اللــهِ الجِيْلِيّ الجيلاني/ الكيلاني، صــاحب الغنيــة، قــال عنــه الذهبِي: الشَّيْخُ، الإِمَامُ، العَالِمُ، الزَّاهِـدُ، العَـارِفُ، القُـدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، الحَنْبَلِيُّ، شَيْخُ بَغْدَادَ، كان شـافعي المـذهب فتحنبل. وكـان مَوْلِـدُهُ: بِجيلاَنَ، فِي سَـنَةِ إِحْـدَى وَسَـبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ (471هـ)، وَقَدِمَ بَغْدَادَ شَـابًّا، فَتَفَقَّهَ، يُثنَى عليـه خيرًا، وعنده بعض البدع التي نسـأل اللـه أنْ يتـوب عليـه، لذا خَتَمَ الذهبِي ترجمتـه بقولـه: وَفِي الجُمْلَة: الشَّـيْخ عَبْد القَادِرِ كَبِيْرُ الشَّأْنِ، وَعَلَيْهِ مآخذ فِي بَعْضِ أَقْوَالِه وَدَعَاويـه، وَاللهُ المَوْعِدُ، وَبَعْضُ ذَلِكَ مَكْـذُوْبٌ عَلَيْـه. عـاش 90سـنة، وتوفي: 561هـ[1]. وقـد اختلـف في نسـب الشـيخ؛ فمنهم مَن نسبه إلى الأشراف والعرب، وآخرون إلى العجم، وقد رُفِعَت حول نسـبه نزاعـات إلى قضـاء بغـداد، واللـه أعلم بحقيقة الحال.

أما أتباع طريقته فقد ابتدعوا بِدعًا خطيرة، ونسبوا له ولبقية شيوخهم الكرامات والأقوال الـتي فيهـا غلـوٌّ يَصِـل إلى الشــرك في العبــادة والرّبوبيــة تحت ســتار الولايــة والكرامة، وقبره وثنٌ يُعبَد من دون الله[2]، كما زَعَمُــوا أنّ الخضـر والملائكـة والأوليـاء ورجـال الغيب والجـان، بـل ورسول الله يزدحمون في مجلسه، وأنّـه يعلم مـا يختلج في الصدور، ويتصرف حيًّا وميتًا، ويملك المغفرة لمريديه، وأنّ مَن اسـتغاث بـه في كُربـة كُشِـف عنـه، ومَن نـادى باسمه في شدة فُـرِجَت عنه[3]. وقـد أورد الشـيخ إحسـان

---

[5] (?) انظر: ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع، (سبب تعدد الطرق وتكاثرها)، ص341-342.

[1] (?) انظر: سير أعلام النبلاء، (ج12/242-249).

[2] (?) لا يسَع المقام بنقلها، ومَن أراد الوقوف عليها مجتمعة، ثم نقدها فليراجع: جهود علماء الحنفية، د. شمس (725-732)، وكتاب أعجوبة الزمان الشيخ عبد اليقين مصطفى (خليفة الجيلاني)، ص14، بل الكتاب كله .

[3] (?) انظر ترجمة الشيخ المفصلة: سير أعلام النبلاء، (ج12/ 242-249)، وعقائد الفرقة في: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها. د. عبد الله بن دجين السَّهلي، ص84-86، ودراسات في التصوف للشيخ إحسان، ص281-295، والموسوعة الميسّرة في الأديان

إلهي ظهـير –رحمـه اللـه- عشـرات من مـزاعمهم وغلُـوّ أتباعهم فيه، حتى قال بعد حكايـة طائفـة منهـا: « فهـؤلاء القادرية أحيانًا اتصــفوا بصــفات الــربّ جلا وعلا، وأحيانًا جعلــوه نبيًّا؛ لا يَفعل شـيئًا إلا إذا أُمِـر، وأحيانًا ذكَـروا عنه وقــائع، ونســبُوا إليه منــاقب وفضــائل فيها إهانة للنبِيّ الطاهر المطهر وأهله صلوات الله وسلامه عليه » [1]. كما قالوا بالحقيقة المحمدية، وبالكثير من الشطحات.

وقـد اشـتهرت هـذه الطريقـة في بلاد أفريقيـا كنيجيريـا، والبلاد العربية، وباكستان وغيرها.

ثانيًا: الطريقة الأحمدية /الرفاعية/ (البطائحيــة)، إحدى الطُّرُق الصوفية، تنتســب إلى أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَد بن أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ يَحْيَى بنِ حَـازِمِ بنِ عَلِيِّ بنِ رِفَاعَةَ الرِّفَاعِيّ، المَغْرِبِيّ، ثُمَّ البَطَـائِحِيّ، الـذي قـال عنـه الذهبي –رحمـه اللـه-: « الإِمَـامُ، القُـدْوَةُ، العَابِـدُ، الزَّاهِـدُ، شَيْخُ العَارِفِيْن، أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ ... »[2]، قِيْلَ: كَانَ مَوْلِدُهُ فِي أَوَّلِ سَـنَة خَمْس مائَة (500هـ). ومن قولـه مـا نقلـه الذهبي عَنْهُ: « أَقْرَب الطَّرِيْقِ الانْكِسَـار وَالـذُّلّ وَالافْتِقَـار، تُعظِّم أَمر اللـه، وَتُشـفق عَلَى خلق اللـه، وَتَقتـدِي بسُـنَّةِ رَسُوْلِ اللهِ »[3].

وقال أيضًا: « كَانَ كَثِيْـرَ الاسْـتِغْفَار، عَـالِي المِقْـدَار، رقيق القَلْب، غزِيْر الإِخْلاَص »[4].

وقد توجَّهَت ترجمتُه الوجهةَ البيضاء في كتب التاريخ، أما في كُتُب التصوّف فقد اختلفتْ عن ذلك تَمامًا؛ حيث يُبـالغ أتباعُه فيه ويغـالون؛ فعنـدهم أنّ الطينـة الـتي خُلـق منهـا تختلف عن الطينة التي خلـق منهـا سـائر البشـر، كمـا أنّ رُوحه مركَّبَةٌ مِن خُلاصـة أرواح الأنبيـاء، بـل من نـور وجـه الله تعالى، كما زعَمُـوا أنّ أحوالـه منـذ ولادتـه إلى وفاتـه

والمذاهب، (ج1/ ص265-266).

[1] دراسات في التصوف للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص290.

[2] سير أعلام النبلاء، (ج12/ 364).

[3] المصدر نفسه، (ج12/ 365).

[4] المصدر نفسه، (ج12/366).

مطابقة لحال رسول الله ﷺ، وأوصافُه موافقة لأوصافه، وزعموا أنّه قد خُتم به الولاية كما ختِم بنبينا النبوة، وأنه يخاطب أمه وهو في بطن أمه، وأنه سبح عند ولادته، وأنّه ولد في رجب فلما جاء رمضان امتنع عن شرب الحليب نهاره كله، وأنه شق صدره وأخرج منه شيئًا مظلمًا ... كما فعل بالرسول ﷺ . ... إلى آخر المبالغات الخطيرة فيه، كما اتخذوا قبره وثنًا يُعبَد من دون الله[1].

ولا يسع المقام لذكر المقارنات لترجمته مِن كُتُب التاريخ من طرف، وكُتُب التصوف مِن الطرف الآخَر، لكن أشير إلى أنه كتَبَها ووثّقَها صاحبُ كتابِ الطريقة الرّفاعية [2].

تُوُفِّيَ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ (578هـ)، فِي جُمَادَى الأُوْلَى -رَحِمَهُ الله-[3].

وأما عن فرقته الغالية البطائحية: فلها عقائد خطيرة، وفيها سحرة كثر؛ واشتهر عنهم أحوال ومخاريق، ومن أخطر عقائدهم: الاستغاثة بغير الله، والتوجه للقبور، والحقيقة المحمدية، والنور المحمدي، كما أنّهم على منهج الأشعرية المتأخرة، وتتفق مع الشيعة في أمور، كإيمانهم بالجفر، والاعتقاد في الأئمة الاثني عشر، وأنّ أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر، ومشاركة الشيعة في الحزن يوم عاشوراء، وغير ذلك[4]. وانتشار هذه الطريقة ملحوظٌ في غرب آسيا. ويُضْرَب بالطائفة الْمثل في الكذب على شيخهم، فيقال: أكذب من الأحمدية على

---

[1] لا يسَع المقام بنقل مغالاة الرفاعية في الشيخ الرفاعي، ومَن أراد الوقوف عليها مجتمعة، ثم نقدها فليراجع: جهود علماء الحنفية، د. شمس (733-740).

[2] انظر مقارنة ترجمته عند: عبد الرحمن دمشقية، في كتابه الطريقة الرفاعية (ص10-26). وللتوسع في ترجمة طريقته يُنظر: دراسات في التصوف، -الرفاعية، (ص246-267)، والطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها د. السهلي، -الطريقة الرفاعية، ص89-90، والصوفية القلندرية تاريخها وفَتْوى شيخ الإسلام ابن تيمية فيها لأبِي الفضل محمد بن عبد الله القُونوي، ص90-96، والموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب، (ج1/ ص266).

[3] انظر: سير أعلام النبلاء، (ج12/366).

[4] انظر: الطرق الصوفية للسهلي، (ص89-90).

شيخهم! وقد ناظَرَهم شيخ الإسلام ابنُ تيمية –رحمه الله- بمناظرته المشهورة ونصَر الله بها الدين في الملأ[1].

ثالثًا: الطريقة الشاذلية/ إحدى الطرق الصوفية، تنتسب إلى أبِي الحسن عليّ بن عبد الله المغربِي، المولود: سنة 593هـ. اختلف في نسبه؛ فمريدوه يصلون بنسبه إلى الحسن بن علي، وآخرون إلى الحسين بن علي بن أبِي طالب ، كعادة أهل كُلّ طريقة صوفية من نسبة رؤسائهم إلى الأشراف. ويُنسب إلى غير ذلك. له شعرٌ ونثر تأثّر فيها بمناهج الفلاسفة؛ فيها متشابهات وعبارات توهم[2]، ويتكلف له في الاعتذار عنها. مات سنة: 656هـ. ومن أقواله الجميلة: « إذا عارَضَ كشفُك الكتاب والسّنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقُل لنفسك: إنّ الله تعالى قد ضمِن لي العصمة في الكتاب والسّنة، ولم يَضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة »[3].

وبعد وفاته خلَفَه أحَدُ أتباعه الذي يقول عن نفسه: « والله! لو حُجِب عنِّي رسول الله طرفة عين ما عددتُ

---

1 (?) انظر المناظرة في: مجموعة الرسائل والمسائل، (ج1/ ص121-146).

2 (?) مثال ذلك، قوله في الحزب الكبير(حزب البر): «والغِنَى بك حتى لا نشهد إلا إياك » (انظر: الرد على أبي الحسن الشاذلي في حزبه لابن تيمية، (ص114)، وهذا يوهم مشهد أهل الوحدة والحلول، وقد بيّن شيخ الإسلام أنّ القول إذا أريد حتى لا نشهد عبادة سوى الله؛ فيكون هذا الفناء يقارنه البقاء بعبادته تعالى فهذا هو حقيقة لا إله إلا الله. وإنْ أريد حتى لا نشهد موجودًا إلا إياك، فهذا الإلحاد ومشهد أهل الوحدة (انظر تفصيله من114-120). وانظر أيضًا من كلامه الموهم: ما صنّفه الشاذلي في آداب الطريق في علم الحقيقة (التصوف)، ص121-127 وفيه قسّم الطريق إلى طريق الخاصة (المحبوبين)، وطريق العامة (المحبين) وأتى بالغرائب والأغاليط من الفلسفة التي ما أنزل الله بها من سلطان. والرد عليه فيها لابن تيمية في الفصل الرابع والخامس (ص128-186)، وانظر: ص189.

3 (?) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (ج1/276).

نفسِي من المسلمين »[1]. وهـو الـذي كـان يـدّعي صـحبة الخضر واللقاء معه[2].

وأما أتباعه فكما قال الذهبِي (في العِبَر) أنّ فيهم الجيّد والرديء، وقد كثُر الزغل فيهم؛ وتجددت لهم أحوالٌ شـيطانية؛ من دخـول النـيران، وركـوب السـباع، واللعب بالحيـات. وهـذا مثـل مـا عنـد الرفاعيـة. ولقـد انتشـرت طريقته في مصر كمركز أولٍ لها، ثم في تونس والجزائــر وسـوريا وغيرهـا. ولقـد غـالى الشـاذلية في شـيخهم هـذا مغالاة وجاوزوا فيـه الحـدّ. واشـتهر لهم عـدة أوراد منهـا: حزب البَرّ، وحزب البحر (وهو ما يُسـمى: الحـزب الكبـير) لــرأس الطريقــة، وغيرهمــا من الأحــزاب والأوراد، وقــد اختلقوا لها فضائل ما أنزل الله بِها من سلطان؛ منها زعم الشيخ نفسه أنّ الحزب الكبير كُتِب بإذنٍ من الله ورسوله ﷺ[3].

وقد ردّ عليه فيها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-[4].

رابعًا: الطريقة النقشبندية/ إحـدى الطـرق الصـوفية تنتسب إلى محمد بن بهاء النقشبندي البخاري، المعــروف بشاه نقشبند، هلك سنة: 791هـ، وسلسلة الطريقة تعــود

[1] الطبقات الكبرى للشعراني، (ج2/14) بواسطة: دراسات في التصوف للشيخ إحسان إلهي ظهير، 278، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (ج1/276).

[2] انظر: جامع كرامات الأولياء للنبهاني، (ج1/314) بواسطة: دراسات في التصوف، 278.

[3] انظر ترجمته الوافية وطريقته في: قسم الدراسة من كتاب الرد على أبي الحسن الشاذلي في حزبه لابن تيمية (دراسة وتحقيق: د. سمية علي أحمد، ص24-26)، والطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها د. السهلي، -الطريقة الشاذلية-، ص86-88، ودراسات في التصوف للشيخ إحسان (الشاذلية)، ص268-280، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (ج1/275-280 الشاذلية).

[4] انظر ردّ شيخ الإسلام على أبِي الحسن في مواضع من حزب البحر: 34-68 من كتابه (الرد على أبي الحسن الشاذلي في حزبه). والرد على الحزب الكبير (حزب البر) من ص69-120)، بتحقيق: د. سمية علي أحمد.

لأئمة الرافضة؛ لذا كان لهم ميلٌ إلى الرافضة. وقد كثُرَت شـروحهم لكُتب ابن عـرَبِي وغـيره من القـائلين بوحـدة الوجـود. وعنـدهم الغلـوّ في الأوليـاء مثلمـا عنـد غـيرهم، ويقولون بالحقيقة المحمدية، ورؤية الله تعالى في اليقظة وخطابه، تعالى عن قولهم. ولَها فروعٌ؛ وأكبرها: المجدديـة نسـبة إلى أحمـد السـرهندي مجـدد الألـف الثـاني. وإليهـا تنتسب عامـة الديوبنديـة والتبليغيـة والفنجفيريـة وغيرهـا. وانتشـرت النقشـبندية في العـالم انتشـارًا واسـعًا لاسـيما تركيا والروم وأفغانستان والصين والهند وما والاها [1].

وأُفصّل قليلا في الطريقة الدِّيوبنديّة، والذين هم طائفة في الفقه من الحنفية، في شبه القـارة الهنديـة وغيرها، وفي العقائد تنتمي إلى الماتريدية من وجه، وإلى التصـوف النقشـبندي الجشـتي، والقـادري السـهروردي طريقًا وسلوكًا من وجه آخر. يسلُكون مسلك جامعـة ديـو بنـد، وينتمـون إليهـا تَميـيزًا لَهم عن إخـوانِهم البريلويـة الحنفية[2]. والديوبندية تأثّروا بالصوفية، حتى قـال بعضُـهم بوحدة الوجود[3]، والغُلُوّ في رسـول اللـه ﷺ، من الاسـتغاثة به ودعائه[4]، وأنّـه يعلم الغيب[5]، ويقولـون بـأنّ نـوره هـو أول ما خلق الله[6]، وبأنّه ﷺ حَيٌّ في قبره حياته الدنيوية[7]، وأنّه ﷺ يُرى رأى العين يقظة[8]، وبشَدّ الرِّحال إلى قـبره[9]. ولهم عناية بكتابي دلائل الخيرات والبردة[10].

---

[1] (?) انظر عن الطريقة النقشبندية وفروعها: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها د. السهلي، -الطريقة النقشبندية-، ص91-92، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/ 753-754).

[2] (?) انظر عن الديوبندية: كتاب الديوبندية تعريفها وعقائدها، ص 24-25، د. سيد طالب الرحمن، والموسوعة الميسرة للندوة العالمية للشباب، (ج1/303-309).

[3] (?) انظر: الديوبندية تعريفها وعقائدها، ص29-48.

[4] (?) انظر: المصدر نفسه، ص121-130.

[5] (?) انظر: المصدر نفسه، ص165وما بعده.

[6] (?) انظر: المصدر نفسه، ص188-198.

[7] (?) انظر: المصدر نفسه، ص199-212.

[8] (?) انظر: المصدر نفسه، ص233-239.

[9] (?) انظر: المصدر نفسه، ص213-222.

[10] (?) انظر: المصدر نفسه، ص63-68.

خامسًا: الطريقة التيجانية/ إحـدى الطـرق الصـوفية تنتسـب إلى أبِي العبـاس أحمـد بن محمـد بن المختـار التجانِي، وُلد سنة خمسين ومائة وألف (1150هـ)[1].

ويَدّعي انتسـابه إلى رسـول اللـه ﷺ، لا بالطريقـة العلمية، بل بـدعوى أنّـه سأل الرّسـول ﷺ يقظـة لا منامًـا، فأجابَـه: أنت ولـدي حقًّا، كرّرهـا ثلاثًـا، وقـال: نسَـبُك إلى الحسن بن علي صحيحٌ[2]. انتقـل من طريقـة إلى أخـرى، ومِن شيخ إلى آخَر، ثم ترَكَها، وزعَم أنّه لقي رسول الله ﷺ يقظة لا منامًا؛ فأعطاه طريقته التي هو عليها، وأنّه لا منة لِمخلوق من أشياخ الطرق عليه، وأمَـرَه –على زعمـه- أنْ يترُك جميع ما أخَذَ من جميع الطـرق، وأنْ يلـزم الطريقـة الجديـدة الأحمديـة المحمديـة الإبراهيميـة الحنيفيـة التجانية[3].

وكان **كثير دعوى مقابلة النبِيّ ﷺ مقابلة مادية، واللقـاء به لقـاء حسِـيًّا في هـذه الـدنيا, وأنّ الرسـول قد خصه بصـلاة الفـاتح، وتعلمها منـه، وأنّها في آخر المطاف تعدل قراءة القرآن سـتة آلاف مرة**[4]، كما سيأتِي.

وحسَب ما يَحكيه تلميذُ هذا الشيخ عنـه في كتابه جواهر المعاني فإنّه كثـيرُ الكـذِب على رسـول الله ﷺ، من ذلك، ما أورِدُه هنا، قال التلميذ: « قال ﷺ -يعـني التيجـاني- أخبَـرَنِي سـيّد الوجـود ﷺ يقظة لا منامًـا، قـال لِي: أنت من الآمنين، وكل مَن رآك من الآمنين إنْ مـات على الإيمـان، وكـلّ مَن أحسن إليك بخدمة أو غيرهـا، وكـلّ من أطعمك

---

1 بقرية عين ماضي (انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأمانِي في فيض سيدي أبِي العباس التجانِي، لمؤلفه سيدي علي حرازم ابن العربي براد المغربي الفاسِي، ط/1427هـ، دار الفكر ص17).

2 انظر: جواهر المعاني، ص18، ودراسات في التصوف للشيخ إحسان، ص296.

3 انظر: رماح حزب الرحيم، ص355 وما بعده، (مع جواهر المعاني).

4 انظر: جواهر المعاني، ص18، ودراسات في التصوف للشيخ إحسان، ص296.

= يَدخلون الجنة بغير حسـاب ولا عقـاب. ثم قـال : فلَما رأيتُ ما صدَر لي منه من المحبة وصرّح لي بِها، تذكّرتُ الأحبابَ ومَن وصَلَنِي إحسانُهم ومَن تعلق بِي بخدمـة، وأنا أسْمَع أكثَرهم يقولون لي: تُحاسبك بين يدي الله إنْ دخلنا النار وأنت ترَى، فأقول لهم: لا أقْدِرُ لكم على شيءٍ. فلَمّا رأينا منه هذه المحبة سألتُه لكـلّ مَن أحبّنِي ولم يعـادِنِي بعدها، ولِكُلّ مَن أحسَن لي بشـيءٍ مِن مثقـال ذرّة فـأكثر ولم يُعادِنِي بعدها، وأكّدتُ ذلك: مَن أطعمنِي طعامه. قـال : كُلُّهم يَدخُلون الجنّة بغير حسابٍ ولا عقاب »[1].

أي: فأعطـاه النبِيُّ ضـمانًا على دخـول أتباعه والمذكورين الجنة بغير حساب ولا عقاب على زعمه!

واستمَرّ في الجواهر قائلا: « وسألتُه لكلّ من أخذَ عنّي ذكـرًا أنْ تغفر لهم جميع ذنـوبِهم؛ وما تقـدم منها وما تـأخّر، وأنْ تُـؤدِّي عنهم تبعـاتهم من خـزائن فضل اللـه؛ لا مِن حســناتهم. وأنْ يَرفع الله عنهم محاســبته على كُــلّ شيءٍ، وأنْ يكونـوا آمـنين مِن عـذاب الله من المـوت إلى دخول الجنة. وأنْ يدخُلوا الجنة بلا حسـاب ولا عقـاب؛ في أول الزمرة الأولى. وأنْ يكونوا كلهم معي في علــيين في جوار النبِي . فقال لي :

ضَمِنتُ لهم هـذا كلّه ضـمانةً لا تنقطع حـتى تُجـاورِني أنت وهم في عليين »[2].

وهذه ضمانة ذكَر صاحبُ جواهر المعاني أنه كتبها من إملاء التجاني عليه. وستأتي ضـمانة أخـرى أطـول من السابقة لاحقًا.

وأعلّق هنا بأنّ الذي كان يأتِي التجاني ويقابلُه بأنواع الوحي الذي في جواهر المعاني فقط -إنْ كـان حصـل- لا بُدّ وأنْ يكـون أحد الشـياطين، لا رسـول ؛ ذلك أنّه جـاءه بخلاف شَرعه!

---

1 (?) جواهر المعاني، ص55.

2 (?) المصدر نفسه، ص55.

وقد توفي التجـانِيّ يـوم الخميس17 من شـوال/ 1230هـ، وكان عُمرُه ثمانين سنة[3].

أما عن أتباعه وأهل طريقته فأصحاب غُلُوٍّ ومغالاة في شيخهم وفي طريقتهم وفي رسول الله ، ويَزعُم صاحب الجواهر أنّ الرسول قال بالنسبة لكتاب جواهر المعاني: (كتابي هذا وأنا ألفتُه) كما في بغية المستفيد[2]؛ فالطريقة التجانية طريقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية المتقدمة، ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي مقابلة مادية، واللقاء به لقاء حسِيًّا في هذه الدنيا, وأنّه قد خصهم بصلاة الفاتح التي احتلت لديهم تلك المكانة العظيمة. كما أنّ لهم أذكارًا من خاصيتها وفضائلها أنه يُمحى بِها الذنوب صغيرها وكبيرها، وآخر لا تُكتب على قائلِه السيئات، وغير ذلك من الأفكار التي جاءوا بها في باب الأذكار. كما يَزعُمون بأنّ لهم مزايا عن غيرهم يوم القيامة، **في رماح حزب الرحيم من قول رأس التجانية: «** وليس لأحدٍ من الرجال أنْ يُدخِل كافة أصحابه الجنة، بغير حساب ولا عقاب؛ ولو عمِلوا من الذنوب ما عمِلوا، وبلَغُوا من المعاصي ما بَلَغُوا إلا أنا وحدي » **[3].**

وأنّ مَن رأى التجاني –كما تقدم- يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب[4]، وقال: « ومَن أخذَ عنّي الورد الذي هو لازم للطريقة، أو عمّن أذنتُه بدخول الجنة هو وولده وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب، ..» [5].

---

3 (?) انظر: التجانية د. علي آل دخيل الله، ص55.

2 (?) انظر: التجانية لدخيل الله، 57.

3 (?) رماح حزب الرحيم، ص405، (في آخر جواهر المعاني).

4 (?) انظر: ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع، 338 وما بعده (عند ترجمته للتجانية).

5 (?) جواهر المعاني، ص56، ورماح حزب الرحيم، ص376-377.

والملاحظ على أصحاب هذه الطريقة شدة تهويلهم للأمور الصغيرة، والعكس، على حسب هواهم؛ ما أدى إلى أنْ يَفْشُوَ التكاسل بينهم لِما شاع بينهم من الأجر العظيم على أقلّ عمل يقومون به. وقد بدأت هذه الطريقة في مدينة فاس، وصار لها أتباع في السنغال، ونيجيريا، وشمال أفريقيا، ومصر، والسودان[1].

سادسًا: الطريقـة الختمية/ إحـدى الطـرق الصـوفية تنتسب إلى محمد بن عثمـان بن محمـد أبي بكـر بن عبـد الله المرغنِي المحجوب، ويلقب بـ(الختم)، المولـود بمكـة عام: 1208هـ، وقد استمد طريقتـه الختميـة من القادريـة والشاذلية والنقشبندية والميرغنية والجنيديـة، وهي أقـرب إلى النقشبندية، ولما أنشأ طريقته استطاع أنْ يُنشـئ لهـا عدة زوايـا في مكـة وجـدة والطـائف والمدينـة. والختميـة طريقــة صــوفية تلتقي مــع بقيــة الطــرق في كثــير من المعتقـدات، مثـل الغلـو في شـخص الرسـول ﷺ، وادعـاء لقيـاه، وأخـذ أورادهم وتعـاليمهم الـتي تمـيزوا بهـا عنـه مباشرة، ويقولون بالحقيقة المحمدية، وبـالنور المحمـدي. كمـا تبنـوا عقيـدة وحـدة الوجـود. ولهـا ارتبـاط بالمعتقـد الشـيعي. وتـوفي شـيخ الختميـة محمـد عثمـان بالطـائف سنة: 1268هـ[2].

هذه أهم طُرُق الصوفية، وإلا فالطُرُق كثيرة وكثيرة، وقد أوردَ جملة كبيرة منها صاحب كتاب الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها وغيره[3].

** * **

---

[1] انظر عن التجاني والتجانية: كتاب التجانية دراسة لأهم عقائدها على ضوء الكتاب والسنة، د. علي آل دخيل الله، ص47-63، بل إلى آخر الكتاب. ومختصره له، ومشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني للشنقيطي، والطرق الصوفية للسهلي، (ص95-97)، ودراسات في التصوف للشيخ إحسان، ص296-309، بل وما بعده، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (1/281-286).

[2] انظر عن الختمي والطريقة الختمية: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها د. السهلي، -الطريقة الختمية-، ص92-94، والموسوعة الميسرة للندوة العالمية للشباب، (ج1/291-297).

ويَندرج تحت هذا المطلب سبع مسائل، هي:

المسألة الأولى: ادِّعاء بعض الصوفية أن النبي يعلم ما يعلمه الله.

المسألة الثانية: ادِّعاء بعض الصوفية أن النبي يقدِر على ما يقدِر الله عليه.

المسألة الثالثة: زعم بعض الصوفية أنَّ النبِيَّ يعطي ويمنع، وينفع ويضرُّ.

المسألة الرابعة: تجويز بعض الصوفية الاستغاثة به في كلِّ ما يُستغاث فيه بالله.

المسألة الخامسة: قول بعض الصوفية: نحن نعبد الله ونعبد رسولَه.

المسألة السادسة: حلف بعض الصوفية به .

المسألة السابعة: التعبيد لاسمه عليه الصلاة والسلام مِن قِبَل بعض الصوفية.

المسألة الأولى: ادِّعاء بعض الصوفية أنه يعلم ما يعلمه الله:

هذا من عقائد غلاة الصوفية، وقد حَكَى هذا النوع من الغُلُوّ شيخ الإسلام –رحمه الله- عن شيخ صـوفي في ردّه على البكـري، حيث قـال: « قد حـدثنِي بعضُ الثقـات عن هذا الشخص أنّه كان يقول: إنّ النبِيّ علم مفـاتيح الغيب التي قال فيها النـبي ، تكـذيبًا لقولـه، ولقَـول غـيره، ورَدًّا عليهم: " **خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللَّه تعالى**: ﭽ ﯾﯿ ﭼ [لقمان: ٣٤][1].

وأظنُّه ذَكَر عنه أنّه قـــال: عَلِمَها بعد أنْ أخْبَر أنّه لا يعلمها إلا الله تعـالى. وآخر مِن جِنْسه يُباشر التـدريسَ ويُنْسَـب

3 ([?]) انظر عن بقية الطرق: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها د. السهلي، ص94-95، والتجانية لدخيل الله، (طرق صوفية، وقد ذكر 34طريقة، وفصل في 13طريقة)، ص38-46. والموسوعة الميسرة للندوة العالمية للشباب، (ج1/275-331، ذكر خمسة طرق صوفية، ثم ترجم للجماعات المتأثرة بالصوفية كذلك).

1 ([?]) الحديث في صحيح البخاري، وسيأتِي تخريجه في مبحث علم الغيب من الباب القادم.

إلى الفتيــا، كــان يقــول: إنّ النبِيّ يَعْلَم ما يَعلَمُه اللــه، ويَقْدِر على ما يَقْدِر عليه الله. وإنّ هـذا السِّـرّ انْتَقَل بعـده إلى الحســن، ثم انتَقَل في ذرية الحسَـن، إلى الشـيخ أبِي الحسَن الشاذلِي، وقالوا: هذا مقامُ القُطْبِ الْغَـوْث الفَـرْد الجامع »[1].

وقد نَقَل ما حكاه شيخ الإسلام عن هذا المدرس صــاحبُ كتــاب تيســير العزيز الحميد وذكَــرَ مقــالات مِن جنسها، ثم قال: « وكلّ ذلك كفرٌ صريحٌ »[2].

ويَدخُل في هذا الموضوع: كُلُّ مزَاعم القبورية الصوفية مِن أنّه عالمٌ بِجميع ما كان وما يكون؛ أزلا وأبدًا، وأنّه يَعلَم ما في الضمائر والقلوب من الأسرار، ولا تخفى عليه خافيةٌ، ولا يَخرُجِ عن عِلمه شيءٌ، وأنّ عِلمه محيطٌ بِجميع الكون؛ فيَعلَم جميع المخلوقات وأحوالهم تمامًا وكمالا، في الماضي والحاضر والمستقبل، ويَعلم جميع علم المخلوقين من الأولين والآخرين والجنّ والإنس والملائكة وغيرهم من العالمين، وأنّه حاضرٌ وناظرٌ في كُلِّ مكان وزمان، وهو يشاهد العَالَم كُلَّه من المدينة، وأنّه يَعلَم الأمور الخمسة، بل كان يُعطيها مَن يشاء من خَدَمِه، بل ويَعلم القرآن قبل ولادته لعلمه بِما في اللوح.

وهذه المقالات الخبيثة الكاذبة توزّعها طُرُق الصوفية. وقد نقلَها موثّقةً مِن مصادرهم الكثيرة صاحبُ كتاب جهود عُلماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية[3].

ولَمّا كان عُنوان المسألة هو ما تقدم أحْبَبْتُ أنْ لا أطيل في توثيقها من مصادرهم.

كما أنّه –على زعمهم- أنه يعلم ما في اللوح المحفوظ، بل هو بعض عُلُومه، كما قال البوصيري القبوري في بردته، في مناداته نبيَّنَا محمدًا :

---

[1] تلخيص كتاب الاستغاثة، (ج1/ ص426-427)، بتحقيق محمد علي عجال (هكذا النصّ في طبعات الكتاب الثلاثة، وفي أوله ركاكة، ولعل فيه سقطًا).

[2] تيسير العزيز الحميد، ص263.

[3] انظرها مُوثقة مِن كتب الصوفية الكثيرة في كتاب جهود علماء الحنفية للدكتور شمس الأفغاني، (ج2/695-702).

ومِن عُلومِك علمَ اللوح والقلم[1].

وهذا القول، بل الأقوال قبله، في غاية السقوط والبطلان؛ فإنّ مضمونها أنّ الرسول يعلم الغيب[2]؛ وهذا تكذيب لكتاب الله، وكفر بالله ؛ قد ردّه سبحانه في آيات كثيرة، كما ستأتِي في مبحث: الرّسول لا يَعلم شَيْئًا مِن الغيب في حال حياته إلا ما علّمه الله، فكيف بعد وفاته؟ مِن باب وسطية أهل السنة في العبد الرسول بين الغلاة والجفاة.

بل و« قسم من هؤلاء: غَلَوا فيه ، وزعموا أنه يعلم الغيب ويعلم أحوالهم وما هم عليه، بل وصَل بعضُهم أنْ زَعَم أنّه يشاهده ويجتمع به يقظة لا منامًا »[3].

وقد مهّد القبورية بِمسألة علم الرسول التي زَعمُوا أنّها تشْمَلُ كُلّ شيءٍ، والتي جعلُوها بمثابة علم الله تعالى، وكذلك ما قالوه مِن أنّه يَقْدِر على كُلّ شيءٍ، ...ومثلُهما ما يأتِي مِن مسألَتَي حياته في قبره الحياة الدنيوية -على زعمهم- وسَمَاعه لنداء المستغيثين به بعد موته، ليتذرّعُوا بِذلك إلى طلب غَوثِه في المهمات والنائبات؛ لأنّه إذا كان يَعلَم حالهم، ويَقدِر على إزالة كُرَبِهم، وهو حَيٌّ يَسمع صُراخهم وندائهم على زَعمهم فقد صَحَّ عندهم أنْ يستغيثوا به ويَعبُدوه، كما سيأتِي في ثلاث مسائل بعد هذا.

** * **

المسألة الثانية: ادِّعاء بعض الصوفية أنه يقدِر على ما يقدِر الله عليه!

تقدم قريبًا في حكاية شيخ الإسلام –رحمه الله- عن ذلك الْمُدرّس أنّه زعَمَ أنّ « النبيّ يَعْلَم ما يَعلَمُه الله، <u>ويَقْدِر على ما يَقْدِر عليه الله</u>. وإنَّ هذا السِّرّ انْتَقل بعده

---

1. ([?]) بردة البوصيري، بيت رقم: 154 (ضمن مجموع مهمات المتون)، ص63.
2. ([?]) انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري، ص187 (ضمن حقوق النبي بين الإجلال والإخلال).
3. ([?]) انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري، ص187.

إلى الحســن، ثم انتقل من ذرّية الحسن إلى الشــيخ أبِي الحسن الشـاذلِي[1]، وقـالوا: هـذا مقـام القطب الغـوث الفرد الجامع[2] »[3].

وهذه التسوية بين هذا العبد وبين ربّه في هـذه الصــفة وغيرهـا من هـذا المـدرس وغـيره قــولٌ منكـرٌ وسـاقطٌ، وكُفـرٌ بالنصـوص الـتي تُقـرر أنّـه لا يُماثِـل اللـهَ تعالى أحَدٌ من خلقه في أسـمائه وصـفاته وأفعالـه، (حـتى أقربُ الخلق إليه) لذلك قال شيخ الإسـلام: « وقـال بعض الغلاة: إنّه كـــان يعلم علم اللــــه، ويَقْــــدِر قُدرتَـــه، وكَفّر المسلمون مَن قال ذلك »[4].

وكُلّ مَن زَعَم بأنّ النبِيّ هو حقيقة ذات الله تعالى مِن غُلاة الصـوفية أو غـيرهم فإنّه يَقُـول: بأنّه يَقـدِر قُـدرة الله، ويَعْلَم عِلْمَه[5].

هذا وجه من أوجه الْغُلوّ فيه ، وسيأتِي إسقاطُه في الباب القادم؛ فلا أُطيل هنا.

** * **

المسألة الثالثة: زعم بعض الصوفية أنَّ النبِيَّ يُعطي ويَمنع، ويَنفع ويَضُرُّ:

الله تبارك وتعالى هو المعطِي المانع، النافع الضّار. وفي القرآن أمرُه بـ: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [الأعراف: ١٨٨].

وتقدمت -بالنسبة للغنائم وأمثالها- الأدلة الْمُبَيّنةُ بأنّ النّبِيّ ليس إلا قاسِمًا، والله الْمُعطِي. وهذا القسَـم كـان في حياته ، أما بعـد وفاتـه فليس بمقـدورٍ لـه التصّـرف

[1] تقدمت ترجمته عند التعريف بطريقته.

[2] سيأتِي بيان هذا المصطلح في مطلب ابتداع الصوفية من المبحث القادم، ومَن ذَكَرت الصوفية أنّهم حازوا هذا المقام الصوفي.

[3] تلخيص كتاب الاستغاثة، (ج1/ ص427)، بتحقيق محمد علي عجال.

[4] الاستغاثة في الرد على البكري، (ج2/ 545)، بتحقيق: عبد الله بن دجين السّهلي.

[5] انظر الحاشية الثانية من محقق الاستغاثة في الرد على البكري -عبد الله السّهلي-، (ج2/ 545).

بالقَسَم الذي كان يفعلُه في حياته، ولا الفتيا، ولا نفْع صحابته وآله بِما كان يُعطيهم ويَنفعُهم بِها.

وهذا ما سأسوق الأدلة لتوضيحه في مبحَثٍ قادمٍ من مباحث الباب القادم، وهو في بيان أنّ الرّسول ليس له من خصائص الرّبوبية شيء.

لكنّ السؤال هنا: هل حافظَت الصوفية على هذا الأمر؟

والجواب: أنّ الصوفية الغلاة سَوّوا بين الله تعالى وبين رسوله في هذه الخصيصة العظيمة؛ (المنع والإعطاء، النفع والضرّ)، حتى زعَم في شواهد الحق في الاستغاثة بسيّد الخلق، وقوَّل المسلمين وأهل السنة الكُفر: « إنّ المسلمين ...، من أهل السنة والجماعة، وهم جمهور الأمة المحمدية -يعني القبورية- يعتقدون فيه أنّه يَعلم الغيب، ويُعطي ويَمنع، ويَقضي حوائج السائلين، ويُفرِّج كُرُبات المكروبين، وأنّه يَشْفَع فيمن يَشاء، ويُدخِل الجنة مَن يشاء، فهذا مِن أصَحّ الاعتقادات، وإنكارُه مِن أقبح المنكرات »[1].

ولذلك جاء في رَدّ هذه الدعوى في غاية الأمانِي في الرّد على النبهانِي تحت قوله (القول بِكُفر مَن اتخذ الملائكة والنبيين أربابًا من دون الله) ما معناه:

فمَا ذَكَره في بيان كونه يُعطِي ويَمنَع، ويَقضِي حوائج السائلين ..الخ. فمردودٌ؛ ذلك أنّ الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية ورَدَتْ بخلافه، فذَكَر الشيخ آيات في الإسراء، وفي سبأ، ثم ذكَرَ آيتَين من آل عمران[2]، وعلّق عليهما بقوله: (فبيّن سبحانه أنّ اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر؛ فَمَن جعل الملائكة والأنبياء وسائطَ يدعوهم ويتوكّل عليهم، ويسألُهم جَلْبَ المنافع ودفع المضار، مثل أنْ يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسدّ الفاقات، فهو كافرٌ بإجماع

---

1 (?) شواهد الحق للقبوري يوسف بن إسماعيل النبهاني، ص279، بواسطة جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/ ص 705).

2 (?) هما آيتا رقم:79-80.

المسلمين). وذكَر طائفة من الآيات ومنها آيـة الأعـراف[1] ثم قال: إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنّـه سـبحانه يُعطي ويمنـع، ويَقضـي حـوائج السـائلين، ويُفـرّج كربـات المكروبين، وأنّه الذي يَشفع فيمن يَشاء ويُدخل الجنـة مَن يشاء. وكـذلك الأحـاديث الـواردة في هـذا المعـنى؛ فـذَكَر حديث ابن عباس في أنّ الأمة كُلّها لو اجتمعوا لنفع العبـد أو ضـرّه لا يسـتطيعون إلا بشـيءٍ مُقَـدّر لـه أو عليه[2]، وحـديثًا آخـر. ثم قـال: (وغـير ذلـك، فالآيـات والأحـاديث وأقوال السلف تَدُلّ على أنّ الله تعالى هو الْمُتفـرد بِمُلـك الضّـرّ والنفـع، والنبهـاني يقـول: إنّ النبِيّ ﷺ يُعطِي ويَمنـع، وينفع ويَضُرّ، وهكذا الأنبياء والرّسل، وهكذا صالحو أممهم، واستدل على ذلك بمنامات وخرافات وبـأقوالِ أمثالـه مِن الغلاة؛ فبقي الخلاف بين اللـه وبين النبهـاني، وأنّ اللـه تعالى يقول: لا يملك الضرّ والنفع غيرُه، سواءٌ كـان ملكًـا أو نبيًّا أو رسولا أو صفيًّا. والنبهانِي يقول: ليس الأمـر كمـا قـال اللـه ورسـوله، بـل إنّ النبِيّ أو الـوليّ يُسـتغاث بـه ويُرجى ويُطلب منه كل ما يُطلب من الله. وها نحن نُحيـل المحاكمة بين النبهاني وبين الله تعالى إلى ذوي الإنصـاف والفهم، ولا شك أنّ أصدق الكلام كلام اللـه، وخـير الهـدي هـدي محمـد ﷺ. وأمـا أقـوال النبهـاني وآراء كـل مبتـدع شيطاني فمردودة عليه، وملقاة بين يديه)[3]. انتهى.

والزّعم بأنّ النبِيّ ﷺ ينفع ويعطي مثلما ينفع ربُّه تعالى ويَضُرّ، ويعطي ويمنع، هو الذي حَمَل القبورية على الاستغاثة به ﷺ، وطلب غِنَى الدارين مِن يده دون ربّه، كما زعَم البوصيري ذلك في قوله:

ولا التمستُ غِنَى الدارين مِن يده ... إلا استَلَمْتُ النّدَى مِن خَيْرِ مُستلم[4].

---

1 (?) هي آية الأعراف 188 المتقدمة في أول المسألة.

2 (?) سيأتي تخريج الحديث في الباب القادم.

3 (?) انظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني، (ج247-248).

4 (?) قصيدة البردة، (بيت رقم: 81)، ضمن: مجموع مهمات المتون، ص 60.

والنماذج الغالية من الطُرُق الصوفية في هذا المعنى كثيرةٌ جِدًّا[1]، لا يَسَع المقام لـذكرها. فـانظر كيـف جعـل البوصيري غنَى الدارين مُلتَمسًا مِن يَدِ النبِيّ ، مع أنّ الله قال: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊ [العنكبوت: ١٧]. وأمر الله نبيَّه محمدًا أنْ يَبْرَأ من دعوى أمـور ثلاثـة، ومنهـا: نفي كـون خزائن الله عنده[2].

وسيأتِي ردّ هذه الدعوى في مبحث: الرسول ليس له من خصائص الرّبوبية شَيءٌ، فكيف يكون ذلك لِمَن هــو دونه؟ خصوصًـا. من بـاب وسـطية أهـل السـنة في العبـد الرسول بين الغلاة والجفاة.

** * **

المسألة الرابعة: تجويز بعض الصوفية الاستغاثة به في كلِّ ما يُستغاث فيه بالله:

هذا من عقائد غُلاة الصوفية الذين يُسَمّون: القبورية[3].

والاستغاثة بغير الله تعالى هو أخطر عقيدتِهم[4].

---

1 ([?]) انظر إلى طائفة منها في: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/ ص703-707).

2 ([?]) انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري، ص184، (مقالة ضمن رسالة حقوق النبي بين الإجلال والإخلال.

3 ([?]) **القبورية** نسبة للجمع، وقد سوّغ نسبته للجمع مع أنّ له واحدًا مستعملا من لفظه، كونُه جاريًا مجرى العَلَم لاختصاصه بطائفة بأعيانهم، كالأنصاري والأصولي، ويُطلَق وصفُ القبورية على الغُلاة في تعظيم القبور، وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز اعتقادُه إلا في الله تعالى، وقصدها بأنواع العبادات والقربات، ودُعاء أربابها من دون الله تعالى. (انظر: كتاب القبورية، نشأتها – آثارها- موقف العلماء منها "اليمن نموذجًا"، ص29) والقبورية فِرَقٌ كثيرة ومتفاوتة في التقديس، قبل الإسلام وفيه، فأشهرها في الإسلام: الروافض بجميع فرقهم، والصوفية الحلولية والاتحادية، والقادرية والرفاعية والشاذلية، والجشتية والنقشبندية والسهروردية، والتجانية والبريلوية، وكثير من الديوبندية، وكثيرٌ من التبليغية، والكوثرية، وغيرها، وكثير من الجهمية، وبعض الأشعرية والماتريدية، (انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ج1/ 27-29)، وطالع الرسائل المودعة في مغلف: دمعة على التوحيد، كالأضرحة في العالم الإسلامي (مشاهد متفرقة)، ورسالة: انحرفات القبوريين –الداء والدواء، وغيرهما.

والاستغاثة –كما سيأتِي- نوعٌ من الدعاء، وهو الدعاء في الشدة طلَبًا لِكشفها، وإذا كان فيما لا يَقدِر عليه مَخلوقٌ؛ نبِيٌّ كان أو مَن دونه، مثل هداية القلوب، وغُفران الذنوب، وشفاء المرض، والنّصر على الأعداء، وغير ذلك فطلَبُه منه مِن الشرك الأكبر الذي يُخرِج عن الْملة. وهذا النوع من الشرك يَدخُل في أنواع التوحيد الثلاثة.

والاستغاثة بالميت ولو كان نبيًّا فهو من الشرك أيضًا. كما أنّ النوع الثالث من الاستغاثة الممنوعة هو طلَبُ كَشف الشدة بل واستعانة الغائب [1]؛ ومن نُصوص القبورية في ذلك:

أولا: ما حَكَى شيخ الإسلام –رحمه الله- عن البكري[2] القبوري: « لَمّا قال: (إنه يجوز أنْ يستغاث بالنبِيّ ﷺ في كُلّ ما يُستغاث الله فيه، وأنّ ذلك صحيحٌ في حَقّ النبِيّ والصالحين). وقال: إنّ كُلّ مَن توسّل إلى الله بنبِيّه في تفريج كُرْبَةٍ فقد استغاث به، سواء كان حَيًّا أو مَيْتًا، وإنّ مَن سأله وطَلَبَ منه فقد استغاث به، فاقتضى ذلك أنّه يُطْلب منه حَيًّا وميتًا كلّ شيءٍ، كما يُطْلَبُ مِن الله، ويُطلب بالتوسل به حيًّا ومَيْتًا كُلّ ما يطلب من الله تعالى، وأنّ ذلك ثابتٌ للصالحين أيضا، فاقتضى كلامه أنّه يُطلَب مِن الْمخلوق حَيًّا وميْتًا كل ما يطلب مِن الخالق سبحانه وتعالى. **ومعلومٌ أنّ هذا الذي قاله لو كان حقًّا لم يَجُز نفي الاستغاثة** بوجهٍ من الوجوه كما لا يجوز نفي شفاعته التي أثبتها الله تعالى، ونفي استشفاع الناس به يوم القيامة كما نطقت به النصوص، ونفي

---

4 (?) انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري، ص184 (ضمن حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال).

1 (?) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري، (ج1/ ص57-60، بتحقيق عبد الله السهلي).

2 (?) هو أبو الحسن نور الدين علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي المصري، ولد سنة: 673هـ، وتوفي سنة: 724هـ، ويَظهر من النصوص التي نقَلها عنه شيخ الإسلام –رحمه الله- أنّه صوفيٌّ قبُوري، ومنها الذي نَقَلْتُ هنا. وذكَر محقق الاستغاثة في الرد على البكري (عبد الله بن دجين السهلي) أنّ كُتُب التراجم ضنّت علينا بترجمته (وترجم له خلال 13صفحة)، وانظر: ترجمته في بداية تلخيص كتاب الاستغاثة بتحقيق: محمد علي عجال (ج1/ ص49-50).

توسل الصحابة بشفاعته ودعائه في الدنيا. فمن قال: إن النبي لا يشفع لأحد ولا يستشفع به وإنه لم تكن الصحابة يستشفعون به فهو مفتر كذاب بل هو كافرٌ بعد قيام الحجة عليه. وأما مَن قال: إنه لا يطلب منه ما لا يَقدر عليه إلا الله تعالى، أو قال: إنه لا يسأل بعد موته كما كان يُسأل في حياته، فهذا قد أصاب، فأين هذا من هذا؟ »[1].

وقال رادًّا عليه، فقال: « وحينئذ؛ فإذا قُدّر أنّ سائلا سأَل: هل يستغاث بميت من الأنبياء والصالحين؟ فقيل له: لا تستغِثْ بأحَدٍ منهم؛ لا نبِيٍّ ولا غيرِه، وقيل: لا يستغاث بنبِيٍّ فكيف بمن دونه؟ أو قيل: أفضل الخلق لا يُستغاث به، أو نحو ذلك من العبارات التي يفهم منها عموم النفي، وأنّه ذكر الأفضل تحقيقًا للعموم كان هذا من أحسن الكلام؛ كما إذا قيل: لا يسجد لقَبْره ولا يُتمسح به ولا يُقَبَّل، ولا يُتخذ وثَنًا يُعبد، ونحو ذلك. وكذلك لو كان الخطاب ابتداءً في سياق التوحيد، ونفي خصائص الربّ سبحانه وتعالى عن العبد؛ فقيل: ما لا يقدِر عليه إلا الله تعالى لا يُطلب إلا منه؛ لا مِن نبِيٍّ ولا غيره، أو قيل: لا يستغاث فيه إلا بالله؛ لا يستغاث فيه بالنبِيّ، فكيف من دونه؟ أو نحو هذا الكلام كان حسَنًا. **فالاستغاثة المنفية نوعان**: أحدهما: الاستغاثة بالميت مطلقًا في كُلّ شيء. والثاني: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يَقْدِر عليه إلا الخالق. فليس لأحَدٍ أنْ يَسأل غيرَ الله ما لا يَقْدِر عليه إلا الله؛ لا نبِيًّا ولا غيره، ولا يستغيث بِمخلوق فيما لا يَقْدِر عليه إلا الخالق، وليس لأحَدٍ أنْ يسأل ميتًا، ولا يستغيث به في شيءٍ مِن الأشياء، سواءٌ كان نبِيًّا أو غيره، وإذ كان كذلك فجميعُ ما وقَع هو مِن هذا الباب. ولم يَفْهَم أحَدٌ مِن الخلق شيئًا إلا هذا»[2].

وقال في موضع آخر: « ولو كان يجوز السؤال والاستغاثة به في كل ما يُسأل اللهُ ويُستغاث به فيه، كما

---

[1] (?) الاستغاثة في الرد على البكري، (ج2/ ص475-476)، بتحقيق عبد الله بن دجين السهلي.

[2] (?) الاستغاثة في الرد على البكري، (ج2/ 472-473)، بتحقيق: محمد علي عجال.

قال هؤلاء المفترون: إنّه تجوز الاستغاثة به وبغيره من الصالحين في كُلِّ ما يُستغاث الله فيه، لم يَحْرُم مِن مسألته إلا ما يَحرم مِن مسألة الله تعالى. والعبد يجوز أنْ يَسأل الله الرزقَ والعافيةَ، والنّصرَ على الأعداء، والهداية. والنبِيّ لا يجوز أنْ يَسأَله أحَدٌ كلَّ ما يَقدر عليه، فضلا عن أن يسأله ما لا يقدر عليه، لِما في ذلك مِن الأذى والعدوان عليه، وهو أحق بالتعزيز والتوقير من غيره؛ فإذا كان يحرم أذى غيره بذلك، فأذاه أولى بالتحريم، بل أذاه كُفرٌ وأذى المؤمنين ذَنْبٌ، قال تعالى: ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [الأحزاب: ٥٨]»[1].

ثانيًا: ومن نماذج استغاثات الصوفية ولياذهم[2] بالرسول أيضًا قول البوصيري فيما اشتهر ببردته[3]:

إنّ لم يَكُنْ في مَعادي آخِذًا بيدي ... فضلاً، وإلا فَقُل يا زَلّة القَدَم![4]

وصاحب البيت يُنَزّل الرّسول منْزلة ربّ العالمين؛ إذ مضمونه أنّ الرسول عنده هو المسئول لكشف أعظم الشدائد في اليوم الآخر. وقارن بين قوله الساقط هذا وبين قول الله لِهذا النّبيّ : ﭽﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭼ [الزمر: ١٣] [5].

ومنها: قوله أيضًا:

يا أكرَمَ الخلق ما لِي مَن أَلُوذُ به ... سِواك عند حُلُول الحادثِ العَمَم[6].

---

[1] تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية بقلم الحافظ ابن كثير، ص210.

[2] اللياذ يكون لطلب الخير، والاستعاذة والعياذ يكون لدفع الشر، (انظر: فتح المجيد، ص182).

[3] بُردة البوصيري (ت695) والبردة هذه لَها أكبر الأثر فيما بعدها من القصائد والأراجيز في تطور الغلو في مديح النبي (انظر: مظاهر الغلو في قصائد المديح النبوي، ص171، ضمن حقوق النبي بين الإجلال والإخلال) .

[4] بردة البوصيري، ورقم البيت: 147، (ضمن مجموع مهمات المتون)، ص62.

[5] انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري، ص185 (ضمن حقوق النبي بين الإجلال والإخلال).

[6] بردة البوصيري، ورقم البيت: 152، (ضمن مجموع مهمات المتون)، ص62. وانظر الرد عليه في: قوادح عقدية في بردة

يقول صاحب تيسير العزيز الحميد -رحمه الله- تعقيبًا على البيت، وطالبًا منا أنْ نتأمّل ما فيه من الشرك: « منها: أنّه نَفَى أنْ يكون له **ملاذ** إذا حَلّت به الحوادث إلا النبِيّ ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذٌ إلا هو. ومنها: أنّه دعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأل منه هذه المطالبَ التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية » [1].

فانظر كيف قصر هذا الشاعر لياذه على مخلوق دون الخالق الذي لا يستحق اللياذ سواه، وهذا المخلوق الذي نفى كل ملاذ ما عداه هو عبد الله ورسوله نبينا محمد ، وفي الوقت نفسه غفَل عن ذكر ربه ورب هذا الرسول! واللياذ كما تقدم عبادة كالعياذ، ويكون لطلب الخير كما أنّ العياذ لدفع الشر، فهو سواء في الطلب والهرب [2].

ثالثًا: ما سيأتِي في عِدة أبياتٍ من (الدواوين الستّ) لشيخ التجانية المعاصر إبراهيم الكولخِي من أحواله الكثيرة في طلبِه مِن النبِيّ الكريم بعد وفاته، مستغيثًا به لا بِرَبّه، في أمور جسيمة لا يَقدِر عليها إلا الله، كرَفع شكايته والكَرب الذي عَمّهم، وأنْ يَنفِي عنه الأشرار والأعداء، وأنْ يكون مُغيثًا له في أموره كُلّها، وفي القبر خصوصًا، بل طلَب منه أنْ يُجيبَ عنه فَتَنَة القبر والسَّألةَ فيه، وأنْ يُغيثَه في النائبات، وكذا إنْ عارضٌ عَرَض له، وإنْ مَسَّه الضرّاء والبأساء والجفاء أنْ يُزيله عنه، ويَقِيَه من شرور الجنّ والإنس، ومكر الماكرين وكيدهم، وسِحر الساحرين، وعَين العائنين، وشُؤْم ذِي شُؤْمٍ. كمَا زَعَم أنّ النبِيّ هو أفضَل مَن يُدعَى لِدَفْع النوائِب، وأنّه ملجأه، ومِن كُلّ البليات مُنْقِذه، إلى غير ذلك من الاستغاثات التي تفوَّه بِها [3].

البوصيري، ص185 (ضمن حقوق النبي بين الإجلال والإخلال)

[1] تيسير العزيز الحميد، ص182.

[2] انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري، 186، ضمن حقوق النبي بين الإجلال والإخلال.

[3] تأمّل هذه الاستغاثات من هذا الصوفي في الشواهد التي انتقيتُها من دواوينه الست تحت المطلب الرابع القادم (إطراء الصوفية النبِيّ).

وكلّ هذه الأفعال خاصة لله تعالى، « والرسول لم يَضْمَن للخلق أنْ يَـرْزُقَهم ويُحاسِـبَهم، ولا يُجيب دعـاءَهم، بل هــذا كلّه أخــبر أنه لله وحــده » [1]. « فالله قد جعَل الرسـول مُبَلِّغًا لكلامه الـذي هو أمـره ونهيـه، ووعـده ووعيده. وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يُـدَبّرُون العـالم بالخلق والرَّزْق، وقضاء الحاجات، وكشف الكربـات. وهـذا ليس من دين المسـلمين، بل النصـارى تقـول هـذا في المسيح وحده لشـبهة الاتحـاد والحلـول، ولِهـذا لم يقولـوا ذلك في إبراهيم وموسى وغيرهما من الرسل » [2].

فالحق -في المسألة- أنّ الله تعالى فقط هو كاشف الضّرّ، ومجيب دعوة المضـطر، أما خَلقُه فلا يملكـون ذلك عن أنفســهم فضلا عن غــيرهم، ولا تحــويلا، وعليه فلا يُستغاث بِميّت أصلا؛ لا بالرسول ولا غيره، كما لا يُسـتغاث بِمخلوقٍ فيما لا يَقـدِر عليه إلا الخـالق، وهـذا هو الحق في المسـألة. وسـيأتِي تأكيـدها في المبحث الرابع من الفصل الأول من الباب القادم. والله تعالى أعلم.

** * **

المسألة الخامسة: قول بعض الصوفية: "نحن نَعبُد الله، ونعبُد رسولَه ":

قَلّما يَصِل الغُلُوّ بصاحبه أنْ يقول بِهذه الصـراحة (نعبُدُ رسول الله)، فـالغُلاة فيـه وإنْ كـانوا يَصْـرِفون لـه بعض أنواع العبادة بل أخصّها ومخّها، بتمييزٍ أو بغـيره، وأنّ كثيرًا مِنهم لا يستطيع المجاسرة بقول هذه العبارة، إلا أنّ بعضـهم قـد قالَهـا؛ حيث حَكَى شـيخُ الإسـلام ابنُ تيميـة –رحمه اللـه- هـذا القـول عن بعض القبورية في جملـة من نظائره:

« ومنهم مَن يقـول: (نحن نعبد الله ورسـوله)، فيَجْعَلُـون الرسولَ معبودًا » [3].

---

[1] (?) تلخيص كتاب الاستغاثة، (ج2/629)، بتحقيق:محمد عجال،وانظر الآيات الدالة على المعنى في الموضع نفسه.

[2] (?) المصدر نفسه، (ج2/630)، بتحقيق: محمد علي عجال.

[3] (?) المصدر نفسه، (ج2/428) بتحقيق: محمد علي عجال.

وعُــرِفَت فرقــةٌ من فِــرق الصــوفية بالتوسع الشــديد في التكفــير، حيث كفّــرو كُــلّ مخــالفيهم حــتى في أبسط الأشياء[1]. وهذه الفرقة هي أيضًا من أكثر الفرق غُلُوًّا في رســول الله البريلويــة؛ حيث نســبوا إليه وإلى أوليــائهم جميع أفعــال تعــالى وخصائصــه، وبالمقابل جعلــوا الله متقاعدًا متعطلا لا يملك شيئًا[2]، وهم البريلوية، فقد كفّــرو كُلّ أحدٍ وبالمقابل من ذلك قالوا: « مَن قال: إلَهُنا محمــدٌ فلا يكفُر »[3].

أما عبارة (نحن نعبد رسول الله أو نعبُدُ غيرَه؛ دون الله تعالى) –عنوان المســألة هنــا- فقد بلَغَتْ مِن الْقُبح ما بلَغَت، كما أنّها لا عِبــارة أكــثر منها قَلْبًا للحقــائق، وصَــرْفًا لِحقّ الخالق المعبود وأخصّ خصائصه إلى العبد المخلوق.

بل ألّف الشيخ عبد الرحمن بن قاسم كتابَه (السيف المسلول على عابد الرسول) لِيَرُد به على جزائريٍّ قُبُوريٍّ زَعَمَ أنّ دعاء الرّسول أو غــيره، والاســتغاثة به بعد موته جــائزٌ ليس بِشِــركٍ، وأنّ مَن نَهى عن ذلك وبيّن أنّه شِــرك فهو مُنكِرٌ للشفاعة، كافر.

ومما ذَكَر الشيخ عبد الرحمن –رحمه الله- في هذا الْمُؤلَّف العظيم هذا التســاؤل: « هَل عُبِد رســولُ الله ؟! »[4].

وأجاب –رحمه الله- بـ« نعم، عَبَدَه كثيرون، ووقَــع مــا أخْبَرَ به ، ... فاليهود عبَدُوا الْعُزيــر؛ قــالوا: إنّــه ابن اللــه، والنصارى عَبَدوا المسيحَ؛ وقالوا: إنّه ابن الله، وقــالوا: هــو الله، وعبَدَت هذه الأمة رســول اللــه ؛ يدعونــه ويُناجونــه بِمــا يشــاءون من أمــورهم؛ مســتغيثين بــه، لائــذين بــه،

---

[1] (?) انظر لذلك –الباب الرابع من كتاب البريلوية عقائد وتاريخ للأستاذ إحسان إلهي ظهير، بعنوان: البريلوية وتكفير المسلمين- ص153-211.

[2] (?) انظر: البريلوية عقائد وتاريخ للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص153-154.

[3] (?) المبين، المندرج في الفتاوى الرضوية، ص114، بواسطة: البريلوية للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص209.

[4] (?) انظر: 72، من كتاب السيف المسلول على عابد الرسول، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ص197.

متوسّلين به، يقول أحَدُهم إذا قام أو قعد أو أهمّه أمرٌ: يا رسول الله، ويقول الآخر: (ما لي مَن ألوذ به سواك)، والآخر: فرّج كَرْبِي يا رسول الله، أو اشفع لي يا رسول الله، أو الشفاعة يا رسول الله. ومنهم مَن يَنذر له، ومنهم مَن يَذبح له، ويوقف لذلك الأوقاف، ومنهم مَن يقول: هذا المال للنبِيّ؛ أي: قربة له، وصَرَفوا له جُلّ أنواع العبادة، التي هي حق الله ، وعلى ألسنتهم: الله والنبِيّ، وبالنّبِيّ، وقد لا يَحلِف إلا به؛ وإنْ كان هذا شرْكًا أصغر، فإنّه إذا كان المخلوق في نفسه بمنزلة الخالق جلّ وعلا لا يَحلف إلا به يكون أكبر، ... فقد غَلَوا فيه كما غَلَت النصارى في المسيح، وأطْرَوه كما أطرتْه. ... وحَضّ على ذلك بعضُ مَن يَدّعي العلم، وصنّفوا فيه المصنفات نظْمًا ونثْرًا مما لا يُحصى كثرة؛ وجوّزوا الاستغاثة به في كُلّ ما يُستغاث الله فيه، حتى ذَكَرَ بعضُهم: أنّ ما أرسَل الله أو يُرسِل من رحمة إلا وهو الواسطة فيها أو أصلها، وقال:

فَعُذْ به من كُلّ ما تشتكي ...
ولذْ به في كُلّ ما ترتجي ...
فأنت باب الله؛ أيُّ امرئٍ أتاهُ من غيرك لا يدخل
عجّلْ بإذهاب الذي أشتكي فإنّ توقفتَ فَمَن أسأل »[1].

إلى آخر ما ذكَر من أنواع العبادة التي صَرَفها القبوريُّون عن الله تعالى، إلى عبد الله ورسوله محمدٍ ، وإلى غيره. وهذه المسألة أخطر أوجه الغلُوّ في العباد.

ومِن المعلوم أنّه ليس الغُلُوّ في هذا الباب فقط هو القول (نحن نعبد رسول الله)، بل لو لم يَقُلْه، وإنّما صرَفَ له نوعًا من أنواع العبادة التي لا يستحقها إلا الله تعالى فقد وقَع فيه، كالاستغاثة التي تقدم ذكرُها وغيرها؛ ولذا لَمّا أخَذَ المفتي العام الشيخ عبد العزيز آل الشيخ –حفظه الله- يُعدد أقسام الغلاة في رسول الله قال: « وقسم

[1] (?) السيف المسلول على عابد الرسول، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ص72-74.

منهم: غلا فيه أيضا، بأنْ صَرَف له أنواعًا من العبادة، مثل: الدعاء، والخشوع، والصلاة إلى قبره، ونحو ذلك مما هو من خالص حق الله ...» [1].

وأضرِب مثالا واحدًا هنا لعبادة رسول الله مِن قِبَل هؤلاء القبورية، حيث أرسَلَ سلطانٌ عثمانيٌّ اسمه (...[2]) برسالة إلى الرسول وُجِدَت لَمّا فُتِحَت الحجرة النبوية عام 1213هـ من قِبَل آل سعود، بعثَها إلى رسول الله يستغيث به ويدعوه، ويسأله النصر على الأعداء من النصارى وغيرهم، أولُها: « **مِن عبدِكم السلطان (فذَكَر اسمَه)، وبعد:** يا رسول الله قد نالنا الضّرّ، ونزل بنا من المكروه ما لا نَقْدِر على دفعه، واستولى عُبّاد الصلبان على عباد الرحمن، نسألك النّصر عليهم، والعون عليهم، وأنْ تُكسرَهم عنّا » [3].

وهذه الرسالة من أحد الخاصة، فما بال العامة؛ لذا فقد ذَكر صاحب كتاب السيف المسلول على عابد الرسول مُعلِّقًا على الرسالة: (فإذا كان هذا حال خاصتكم، فما الظنّ بفعل عامتكم، وقد رأينا من جنس كلام سلطانكم كُتُبًا كثيرة في الحجرة للعامة والخاصة؛ فيها سؤال الحاجات وتفريج الكُرُبات ما لا نقدِر على ضبطه .. [4].

** * **

المسألة السادسة: حلف بعض الصوفية به :

---

1 ( ) حقيقة شهادة أنّ محمدًا رسول الله ، للشيخ عبد العزيز آل الشيخ، ص96.

2 ( ) اسمه السلطان سليم، ويَظهر من رسالته أنّه قبوريٌّ حتى النّخاع، بلغ به الغلو مبلغه، والله المستعان!

3 ( ) انظر إلى هذه الرسالة: في كتاب السيف المسلول على عابد الرسول، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ص197.

4 ( ) السيف المسلول على عابد الرسول، ص197-198.

قد حَكى صاحب كتاب السيف المسلول على عابد الرسول حلِف بعض الغلاة به ، فقـال: « وعلى ألسـنتهم: الله والنبِيّ، وبـالنّبِيّ، وقد لا يَحلِف إلا بـه؛ وإنْ كـان هـذا شــرْكًا أصــغر، فإنَّه إذا كـان المخلــوق في نفسه بمنزلة الخالق جلّ وعلا لا يَحلف إلا به يكون أكبر » [1].

والحلف به صورةٌ مِن الغُلُوّ فيه، ولِهذا قال المفتي العام الشيخ عبد العزيز آل الشيخ –حفظه الله- وهو يَـذْكُر الطوائـف المخالفـة لحقيقـة الرسـالة النبويـة (بـالغُلُوّ): « هذا، وإنّ مِن النـاس مَن خـالف حقيقـة شـهادة أنّ محمدًا رسـول اللـه ِبمـا هـو دون الكفـر، وإنْ كـان خطـيرًا يَجِب الحذر منه. فمن ذلك: الحلف بالنبِيّ ، وهذا شِركٌ أصـْغَرُ، وذريعةٌ للشرك الأكـبر. يقـول : **" مَنْ حَلَفَ بِغَيْـرِ اللَّهِ فَقَـدْ كَفَـرَ أَوْ أَشْـرَكَ "**[2]، وفي الحــديث الآخر: **"لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم"** [3]» [4].

وهو شائعٌ في بعض المجتمعات الإسلامية وقد كان يفعله بعضُ النــــاس ظنًّا منه أنّ ذلك يُعـــــدّ من محبته وتعظيمــه، وليس من المحبة في شــيء؛ إذْ كيف تكــون المحبة بمخالفة الحــبيب [5]، ويَـذكُر صـاحب كتـاب إعلام الأبِي بِمنع الحلف بالنبِيّ سببَين لجمع رسالته هذه فيقول: « 1-النصح للمسلمين، وأنْ أُنبِّه إلى خطأ ما اعتـاده بعض الناس من الخاصـة، وعـدد كبـير من العامة من اعتقـادهم جواز الحلف بالنبِيّ ، حـتى تسـاهل النـاس في هـذا الأمر جـدًّا؛ فـتراهم يُكـثرون الحلف به ، سـواءٌ كـانوا صـادقين فيما حلفوا عليه أم كـاذبين. 2- الـردّ على مجـيزي الحلف بغير اللـه، لاسـيما وقد رأينا د. أحمد الطيب رئيس جامعة

---

1 (?) المصدر نفسه، ص73.

2 (?) الحديث رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيحٌ سيأتِي تخريجه في المبحث الرابع من الباب القادم.

3 (?) الحديث متفق عليه، وسيأتِي تخريجه في الباب القادم.

4 (?) حقيقة شهادة أنّ محمدًا رسول الله ، للشيخ عبد العزيز آل الشيخ، ص103-104.

5 (?) انظر: إعلام الأبي بمنع الحلف بالنبي، لصاحبه: أبي أنس السيد عبد المقصود، ص8.

الأزهر حاليًّا، والمفتي السابق يُبيحُ بشدة الحلف بـالنبِيّ مسـتدلا على ذلك بأدلة هي أوهى من بيت العنكبـوتـ ..»[1].

ومن نماذج حلف الصوفية بالنبي أو بحقّه أو بجاهه: حكاية ابن تيمية –رحمه اللـه- عن القبورية: « ومِن هـؤلاء مَن يقول: (وحَقّ النبِيّ الذي تُحجّ إليه المطايا) »[2].

وسـيأتِي الـرَّدّ على القبورية الصـوفية مُفصّـلا في مطلب مسألة الحلِف بالعبد الرسول محمدٍ ؛ فلا أطيل هنا.

** * **

المسألة السابعة: التعبيد لاسمه عليه الصلاة والسلام مِن قِبَل بعض الصوفية:

مِن أوجُه الغلُوّ الكثيرة في عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ وغيره: التعبيد لأسمائهم دون الله تعالى، وللصوفية من هذا الغلوّ النصيب الأوفَر، كما أنّ الرافضة يشاركونَهم فيه، فكثيرٌ مِن الصوفية يُعَبِّدُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَوْلادَهُمْ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَيُسَمُّونَ بَعْضَهُمْ: عَبْدَ النّبِيّ، وعَبْدَ الرّسول، وعبد محمدٍ، وعبد المصطفى، وغير ذلك.

كما أنّ الرافضة يُسَمُّونَ بَعْضَهُمْ: عَبْدَ الحسين، وعبد البهاء، وغير ذلك.

وأعرِف واحدًا سمّاه أهلُه: بـ(عبد النبِيٍّ)، ثم تبيّن لَهم –والحمد لله- فيما بعدُ أنّ هذا من الانحرافات العقدية بتوضيح من أحدِ طُلاب الجامعة الإسلامية فغُيّر اسْمُه إلى: عَبْد ربّ النّبِيّ، ومِن توفيق الله لِهذا الأخ أنْ جاء إلى الجامعة الإسلامية ليدْرُس فيها العقيدة الإسلامية، وهو الآن يُحضّر الماجستير بقسم الدعوةـ والحمد لله!

وليس لِهؤلاء مبررٌ في أنّ معنى (عبد فلان) عندهم: خادمُه؛ كما يتعلل به بعضُهم؛ وذلك لأنّ النبيّ غيَّر الأسماء المعبّدة إلى غير الله تعالى، كما أنَّه نَهَى أن يُنادي الإنسان عبْدَه بيا عبدي، بل فتاي، وأمَتَه: يا فتاتِي، فقال فيما رواه: عَنْه أبو هُرَيْرَةَ : " **لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ:**

---

1 (?) إعلام الأبي بمنع الحلف بالنبي، ص7.

2 (?) تلخيص كتاب الاستغاثة، (ج2/560)، بتحقيق: محمد علي عجال.

سَيِّدِي، مَوْلايَ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ، وَفَتَاتِي، وَغُلامِي "[1].

وفي لفظ تفرد بها مسلمٌ عنه " **لا يَقُولنّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، كُلُّكُمْ عَبِيد اللَّه، وَكُلّ نِسَائِكُمْ إِمَاء اللَّهِ، ولكن ليَقُلْ: غلامِي وجاريتِي، وفَتَايَ وَفَتَاتِي** "[2].

ومما قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرح الحديث: « قَوْله: " **وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي** " زَادَ الْمُصَنِّف فِي الأَدَب الْمُفْرَد وَمُسْلِم مِنْ طَرِيق ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: " **كُلُّكُمْ عَبِيد اللَّه، وَكُلّ نِسَائِكُمْ إِمَاء اللَّهِ** " وَنَحْو مَا قَدَّمْته مِنْ رِوَايَة ابْن سِيرِينَ، فَأَرْشَدَ إِلَى الْعِلَّة فِي ذَلِكَ؛ لأَنَّ حَقِيقَة الْعُبُودِيَّة إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهَا اللَّه تَعَالَى، وَلأَنَّ فِيهَا تَعْظِيمًا لا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ اسْتِعْمَاله لِنَفْسِهِ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ كُلّه رَاجِع إِلَى الْبَرَاءَة مِنْ الْكِبْر، وَالْتِزَام الذُّلّ وَالْخُضُوع لِلَّهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَلِيقُ بِالْمَرْبُوبِ » [3].

ولقد قال قبله: « وَفِيهِ: نَهْي الْعَبْد أَنْ يَقُولَ لِسَيِّدِهِ: رَبِّي، كَذَلِكَ نَهْي غَيْره فَلا يَقُول لَهُ أَحَد رَبّك، وَيَدْخُل فِي ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ السَّيِّدُ ذَلِكَ عَنْ نَفْسه؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَقُول لِعَبْدِهِ: اسْقِ رَبّك؛ فَيَضَعُ الظَّاهِرَ مَوْضِع الضَّمِير عَلَى سَبِيل التَّعْظِيم لِنَفْسِهِ، وَالسَّبَب فِي النَّهْيِ أَنَّ حَقِيقَة الرُّبُوبِيَّة لِلَّهِ تَعَالَى؛ لأَنَّ الرَّبّ هُوَ الْمَالِك وَالْقَائِم بِالشَّيْءِ، فَلا تُوجَدُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ إِلا لِلَّهِ تَعَالَى. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: سَبَب الْمَنْع أَنَّ الإِنْسَان مَرْبُوبٌ، مُتَعَبِّدٌ بِإِخْلاص التَّوْحِيد لِلَّهِ، وَتَرْك الإِشْرَاك مَعَهُ، فَكَرِهَ لَهُ الْمُضَاهَاة فِي الاسْم؛ لِئَلا يَدْخُل فِي مَعْنَى الشِّرْك، وَلا فَرْق فِي ذَلِكَ بَيْن الْحُرّ وَالْعَبْد. فَأَمَّا مَا لا تَعَبُّد عَلَيْهِ مِنْ سَائِر الْحَيَوَانَات وَالْجَمَادَات، فَلا يُكْرَهُ

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب العتق، بَاب كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ، وَقَوْلِهِ: عَبْدِي أَوْ أَمَتِي، رقم: 2552، وصحيح مسلم: كتاب الألفاظ من الآداب وغيرها، وهو على إثر حديث برقم: 2249.

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الألفاظ من الآداب وغيرها، رقم: 2249.

3 (?) فتح الباري، (ج2/ 2061).

إِطْلاق ذَلِكَ عَلَيْهِ عِنْد الإِضَافَة؛ كَقَوْلِهِ رَبّ الدَّار، وَرَبّ الثَّوْب » [4].

فإذا كان رسول الله يَنهى السّيد أنْ يقول وينادي عبدَه بـ:يا عبـدي، فمِن بـاب أولى النهي عن التسـمية بِما فيه التعبيد لغير الله تعالى!

ويتكلم شَيْخُ الإِسْلامِ –رحمه الله- عن التعبيد في الاسم بكلام نفيس، فيقول: « كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُعَبِّدُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَوْلادَهُمْ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَيُسَمُّونَ بَعْضَهُمْ: عَبْدَ الْكَعْبَةِ؛ كَمَا كَانَ اسْمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَبَعْضَهُمْ: عَبْدَ شَمْسٍ، كَمَا كَانَ اسْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَاسْمُ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَبَعْضَهُمْ: عَبْدَ اللاتِ، وَبَعْضَهُمْ: عَبْدَ الْعُزَّى، وَبَعْضَهُمْ: عَبْدَ مَنَاةَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُضِيفُونَ فِيهِ التَّعْبِيدَ إلَى غَيْرِ اللَّهِ؛ مِنْ شَمْسٍ، أَوْ وَثَنٍ، أَوْ بَشَرٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ يُشْرَكُ بِاَللَّهِ. وَنَظِيرُ تَسْمِيَةِ النَّصَارَى عَبْدَ الْمَسِيحِ. فَغَيَّرَ النَّبِيُّ ذَلِكَ؛ وَعَبَّدَهُمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَسَمَّى جَمَاعَاتٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: عَبْدَ اللَّهِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، كَمَا سَمَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَنَحْوَ هَذَا، وَكَمَا سَمَّى أَبَا مُعَاوِيَةَ وَكَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الْعُزَّى فَسَمَّاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ اسْمَ مَوْلاهُ قَيُّومٌ، فَسَمَّاهُ عَبْدَ الْقَيُّومِ. وَنَحْوَ هَذَا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ: مَا يَقَعُ فِي الْغَالِيَةِ مِنْ الرَّافِضَةِ، وَمُشَابِهِيهِمْ الْغَالِينَ فِي الْمَشَايِخِ، فَيُقَالُ: هَذَا غُلامُ الشَّيْخِ يُونُسَ، أَوْ لِلشَّيْخِ يُونُسَ، أَوْ غُلامُ ابْنِ الرِّفَاعِيِّ، أَوْ الْحَرِيرِيِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَقُومُ فِيهِ لِلْبَشَرِ نَوْعُ تَأَلُّهٍ، كَمَا قَدْ يَقُومُ فِي نُفُوسِ النَّصَارَى مِنْ الْمَسِيحِ، وَفِي نُفُوسِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ آلِهَتِهِمْ رَجَاءً وَخَشْيَةً، وَقَدْ يَتُوبُونَ لَهُمْ كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَتُوبُونَ لِبَعْضِ الآلِهَةِ، وَالنَّصَارَى لِلْمَسِيحِ، أَوْ لِبَعْضِ الْقِدِّيسِينَ. وَشَرِيعَةُ الإِسْلامِ الَّذِي هُوَ الدِّينُ الْخَالِصُ لِلَّهِ وَحْدَهُ: تَعْبِيدُ الْخَلْقِ لِرَبِّهِمْ كَمَا سَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَتَغَيُّرُ الأَسْمَاءِ .. إلَى الأَسْمَاءِ الإِسْلامِيَّةِ وَالأَسْمَاءِ الكفرية إلَى الأَسْمَاءِ الإِيمَانِيَّةِ. وَعَامَّةِ مَا سَمَّى بِهِ النَّبِيُّ عَبْدَ اللَّهِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﭼ [الإسراء: ١١٠]. فَإِنَّ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ هُمَا أَصْلُ بَقِيَّةِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى. وَكَانَ شَيْخُ

---

4 (?) المصدر نفسه، (ج2/ 2061).

الإِسْلامِ الْهروي قَدْ سَمَّى أَهْلَ بَلَدِهِ بِعَامَّةِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَيْتِنَا: غَلَبَ عَلَى أَسْمَائِهِمْ التَّعْبِيدُ لِلَّهِ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدِ الْغَنِيِّ، وَالسَّلام، وَالْقَاهِرِ، وَاللَّطِيفِ، وَالْحَكِيمِ، وَالْعَزِيزِ، وَالرَّحِيمِ، وَالْمُحْسِنِ، وَالأَحَدِ، وَالْوَاحِدِ، وَالْقَادِرِ، وَالْكَرِيمِ، وَالْمَلِكِ، وَالْحَقِّ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ، قَالَ: **" أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ "**[1]. وَكَانَ مِنْ شِعَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مَعَهُ فِي الْحُرُوبِ: يَا بَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ، يَا بَنِي عُبَيْدِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالُوا ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، وحنين، وَالْفَتْحِ، وَالطَّائِفِ، فَكَانَ شِعَارُ الْمُهَاجِرِينَ: يَا بَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَشِعَارُ الْخَزْرَجِ: يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ، وَشِعَارُ الأَوْسِ: يَا بَنِي عُبَيْدِ اللَّهِ » [2].

وسأزيد هذه المسألة بيانًا في المطلب الثامن من المبحث الرابع من الفصل الأول في الباب القادم.

** * **

وأما بعد، فقد تلخص من مجموع المسائل السبعة المتقدمة (المطلب) أنّ طائفةً من الصوفية رفعوا النبِيّ فوق المنزلة البشرية؛ فأعطوه خصائص الرّبّ والإله، وخالفوا بذلك شريعته الآمرة بعدم رفعه فوق منزلته التي أنزله الله عليها، وناقضوه. وهذا المطلب من أوجه الغلو فيه .

المطلب الثاني: دعوى الصوفية أنَّه عليه الصلاة والسلام خُلِق من نور[3]:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: مَن أدخل عقيدة النور المحمدي في الصوفية، ومِن أين أخذها؟

---

1 (?) هذا الحديث صحيح، وقد تقدم تخريجه في مبحث محبته عليه الصلاة والسلام لوصفه بالعبودية.

2 (?) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج1/ 377-379).

3 (?) للاستزادة في موضوع النور المحمدي، أو الحقيقة المحمدية،: مجمل عقائد الصوفية في ميزان أهل السنة والجماعة، ص20وما بعده، وص101، وص113وما بعده.

المسألة الثانية: ابن عربي وتقرير عقيدة النور المحمدي، وشرحها من شُرّاح كتبه.
المسألة الثالثة: التجانية وعقيدة النور المحمدي.
المسألة الرابعة: بيان بطلان أدلة القائلين بالنور المحمدي.

المسألة الأولى: مَن أدخل عقيدة النور المحمدي في الصوفية، ومِن أين أخذها؟

تقدم فصل البشرية في الباب الأول من هذه الرّسالة، ومِن أبجدياته أنّ رسولنا محمدًا بشَرٌ خُلِق مما خُلِق غيرُه مِن جنسه (من أمّ وأبٍ) وفي الفصل: مبحثُ: النبِيّ خُلِق من أبَوَين، وبيان نسبِه الشريف. لكن الصوفية لِغُلّوهم في رسول الله قالوا باختلاف المادة التي خُلِق منها، وهي أنّه خُلِق مِن نورٍ، وصرّح بعضُهم بأنّه من نورِ الله تعالى، فهم يقولون بِهذا نافين بِه بشريتَه؛ وهذا غُلُوّ في شخصه، وجفاء لشرعه الذي أثبَتَ البشرية. والتصريح: بأنه خُلِق من نور الله زيادةٌ منهم في الغُلُوّ، تعالى عما يفترون!

وهذه العقيدة الخطيرة (النور المحمدي، أو ما يُسمّونها: الحقيقة المحمدية[1]) التي عند غُلاة الصوفية كالحلاج[2] الصوفي الباطني الذي هو أول مَن أدخلَ هذا المفهوم إلى التصوف. وفيلسوف وحدة الوجود الصوفية محمد بن علي ابن عرَبي الذي أخذَها عن الباطنية بقضّها وقضيضها، ثم أطنب في شرحها. وتتابع أعلامهم في

[1] الحقيقة المحمدية « هي الذات مع التعيّن الأول، وهو الاسم الأعظم » (التعريفات للجرجاني، ص154). وفي موضع وهو يُعرّف بالروح الأعظم: ص182-183: «الروح الأعظم: الذي هو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها، ولذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم، ولا يروم وصلها رائم، لا يعلم كنهها إلا الله تعالى، ولا ينال هذه البغية سواه، وهو العقل الأول، والحقيقة المحمدية، والنفس الواحدة، والحقيقة الأسمائية، وهو أول موجود خلقه الله على صورته، وهو الخليفة الأكبر، وهو الجوهر النوراني، جوهريته مظهر الذات ونورانيته، مظهر علمها، ويسمى باعتبار الجوهرية نفسا واحدة، وباعتبار النورانية عقلا أولا... ». ألفاظ جافة!

[2] سيأتي التعريف بالحلاج الرافضي الباطني الصوفي (المتلون) لاحقًا.

تأكيدها تحت مسميات مختلفة: كالإنسان الكامـل وغـيره. وما يُسمّونه الحقيقة المحمديـة وأنّـه أول مخلوقـات اللـه تعـالى، وأنّ الواحـد لا يَصـدُر عنـه إلا واحـد، ثم تـأتِي المحـدثات عنـه « ليسـت من عقائـد الإسـلام، بـل هي نظريات فلسـفية وثنيـة دخلت على بعض غلاة المتصـوفة بواسـطة فـرق الشـيعة الباطنيـة، الـتي تظهـر الـرفض، وتبطن العقائد اليونانية والمجوسية.

وحُبّ النبي وتعظيمـه وتقـديره يكـون باتباعـه، وتعظيم شرعه، وتوقير سنته المطهـرة؛ فنحبـه كمـا أمَـر، ونُوقِّره كما أوصى، لا أن يكـذب عليـه، أو أن تنسـب إليـه العقائد الفاسدة، فذلك –والله- إساءة بالغة لـه ، وتنقيص من حقه ومكانته، خاصة إذا كان الإنسـان عالِمًـا ومتعمـدًا وقاصدًا ذلك.

ومن لديه معرفة بالعقائـد والفلسـفات اليونانيـة، وخاصة نظريات أفلوطين الـتي تُفسّـر صـدور العـالم عن المبدِع الأول، والعقائد المسيحية المحرفة، وبقايـا العقائـد الإيرانيـة، ثم اطلـع على عقائـد الإسـماعيلية الباطنية في الموضوع ذاته، ثم بعد ذلك نظَر في عقائد غلاة الصـوفية في ما يُسمى بـ(الحقيقة المحمديـة) عَلِم عِلمًـا يقينيًّا أنّهـا من مشكاة واحدة، وأنّ سنَدها الـذهبِي هـو غُلاة الصـوفية الباطنية عن الشيخ اليوناني أفلوطين »[1].

ثم أخَذَ صـاحب (الحقيقة المحمدية أم الفلسـفة الأفلوطينيــة) يُفصِّــل في هــذه الطبقــات الثلاث (نظرية أفلــوطين في انبثــاق الوجــود عن الواحد عند الفلاســفة، والثـانِي: عقيـدة الإسـماعيلية الباطنية في الْمُبْـدِع الأول، والثــالث: الصــوفية ونظرية النــور المحمــدي)، وبيّن من خلالها كيف انتقلت هــذه العقائد الوثنية إلى أنْ اســتقرت عند غُلاة الصوفية.

1 (?) الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، لمؤلفه: عائض الدوسري، ص16-17، وانظر: ص51وما بعده.

والحلاج[1] المقتول سنة: 309هـ هو أوّل شيعيّ باطنّي منتسب للتصوف أدْخَلَ عقيدة الإسماعيلية في المُبْدع الأول إلى التصوف، فقد قال قولا يُعتَبر من أوائل ما جاء عن الصوفية في الحلول والنور المحمدي (الحقيقة المحمدية) بعد تأثره بالإسماعيلية والفلاسفة.

ونصّه: « أنوارُ النبوة مِن نوره بَرَزَتْ، وأنوارُه مِن نوره ظَهَرَتْ، وليس في الأنوار نورٌ أنْوَر وأقدم في القِدَم سِوَى نور صاحب الحرم، همتُه سبَقَت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمُه سبَق القَلَم؛ لأنّه كان قبل الأمم والشّيم .. وهو سيّد أهل البرية، الذي اسمُه أحمد .. لَم يَزَل كان، مشهورًا قبل الحوادث والكوائن والأكوان » [2].

وهذا النصّ الصوفي من الحلاج (من أوائل النصوص الصوفيّة في المسألة) يُبيّن فيه بجلاء حقيقة النور المحمدي وطبيعته ووظيفته، ولقد قال صاحب الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية عن صاحب هذا النصّ: « هذا الحلاج الباطنِيّ المندسّ بين الصوفية الأوائل هو ولأول مرة في تاريخ التصوف يَجعَل النور الإلهي الأزلِي ينتقل من أول صادرٍ عن الله وهو نورُ محمدٍ ﷺ، وهذا النور

---

1 (?) **الحُسَيْنُ بنُ مَنْصُوْرٍ الحلاج**: هو الحُسَيْنُ بنُ مَنْصُوْرِ بن مَحْمِيٍّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَيُقَالُ: أَبُو مُغِيْثٍ الفَارِسِيُّ، البيضَاوِيُّ، الصُّوْفِي، وَقد أَكْثَر التَّرحَال وَالأَسفَار وَالمُجَاهَدَة، وقد أورَد الذهبِيّ في ترجمته ما دلّ على سوء سِيرتِهِ وَمُروقه؛ فمِن الصوفية أنفسهم والعلماء مَن نَسَبَهُ إِلَى الحُلول، وَمِنْهُم مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الزَّنْدَقَةِ، وَإِلَى الشَّعْبَذَةِ وَالزَّوكرَة، ونقل أيضًا عن ابن النديم عن شيخ أنه قال: كَانَ الحَلاَّج مشعبذاً محتَالاً، يتعَاطَى التصرُّف، وَيدَّعِي كُلَّ علم وَكَانَ صِفْرًا مِنْ ذَلِكَ، وَيدَّعِي عِنْد أَصْحَابه الإِلهيَّة، وَيَقُوْلُ بالحُلول، وَيُظهر التَّشَيُّع لِلْمُلُوْك، وَمَذَاهِبَ الصُّوْفِيَّة لِلْعَامَّة، وَفِي تضَاعِيف ذَلِكَ يَدَّعِي أَنَّ الإِلهيَّة حلَّت فِيْهِ، تَعَالَى الله وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَقُوْل. وسأورد لاحقًا أبياته في دعوى الحلول والكفر. ومن قوله أيضًا: ((أنا الحق أنا الحق)) (انظر: فضائح الباطنية للغزالي، ص80). قُتل صَلْبًا على الزندقة ببغداد سنة: 309هـ بفتوى الفقهاء، من كتبه: كتاب الأساطين الأول، وكتاب هو هو، وغير ذلك (انظر ذمه بل وترجمته الموسعة: تلبيس إبليس، ص182-184، وسير أعلام النبلاء،ج9/ص183-207، ومقدمة ابن خلدون، 515).

2 (?) كتاب الطواسين للحلاج، ص120، بتحقيق: بولس نويّا اليسوعي، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص63.

هو نورٌ قديمٌ كـان قبـل أنْ تكـون الأكـوان، ومنـه صَـدَرَت الموجودات، ومن نورِه ظَهَرَت أنوارُ النّبوات » [1].

المسألة الثانية: ابن عربي وتقرير عقيدة النور المحمدي، وشرحها من شُرّاح كتبه:

إذا كان الحلاج هو أول مَن فتَق الكلام في مسألة النـور المحمـدي فـإنّ الفيلسـوف الصـوفي البـاطِني ابن عرَبي[2] أكمَل الكلام فيها حتى اكتملت ملامحُها، ونضَـجَت على يــده[3]: « المفعــول الإبــداعي الــذي هــو الحقيقة المحمدية عنـدنا، والعقـل الأول عنـد غيرنـا، وهـو القلم الأعلى الذي أبدعه الله تعالى من غير شيء » [4].

---

1 (?) الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص62-63.

2 (?) **ابن عربي**: النكرة، هو محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتِمي الْمُرْسِيّ، الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية، كان ذكيًّا كثيرَ العلم، صاحب ذِهن وقّاد، تزهد وتفرد، وتعبد وتوحد، عمل الخلوات وعلّق شيئًا كثيرًا في تصوف أهل الوحدة؛ فهو ممن يقول بوحدة الوجود من النوع الأول، وهم الذين يقولون به مُطْلَقًا؛ فيَقُولُون: بِأَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ؛ وَوُجُود الْمَخْلُوقِ هُوَ وُجُودُ الْخَالِقِ، خلافًا لِمن يَقُولُ بِالْحُلُولِ وَالاتِّحَادِ فِي مُعَيَّنٍ كَالنَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ، وَطائفة من غَالِيَةِ الرافضة والصوفية (انظر نوعَي الاتحاد والحلول: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج2/ ص364-367). لابن عربي تواليف كثيرة؛ من أردئها: كتاب الفصوص؛ قال الذهبِي –رحمه الله- إن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كُفرٌ، نسأل الله العفو والنجاة فوا غوثاه بالله! وقد عظمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات، يقول عِزّ الدين ابن عبد السلام عنه: شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم ولا يُحرِّم فَرْجًا. فإنْ كان رجَع عن مقالاته تلك قبل الموت، فقد فاز، توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وست مائة. (انظر تتمة ترجمته في سير أعلام النبلاء، ج13/ 237، وتنبيه الغبِي إلى تكفير ابن عربي للبقاعِي، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل –عقد عنوانًا قال فيه: المكفرون لابن عربي، ص137-144 وما بعده. وإبطال القول بوحدة الوجود ونقض نصوص ابن عربي لعلي القاري، ص150-161، وأجاب شيخ الإسلام عما تضمنه كتاب ابن عربي الفصوص بأنّه كفرٌ باطنًا وظاهرًا، -انظر: مجموع الفتاوى، ج2/ 362-380-، وهذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل، وغير ذلك).

3 (?) انظر عن أخذ ابن عربي هذه العقيدة عن الإسماعيلة، وهم بدورهم عن الفلاسفة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص 66-79.

4 (?) الفتوحات المكية، (ج2/97)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص79.

ويقول: « ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلي ذلك الهباء، والعالَم كله فيه القوة والصلاحية، فقبل منه كُلّ شيء في ذلك الهباء على حسب قوته واستعداده، كما تقبل زوايا البيت نور السراج، وعلى قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوءُه وقبوله. قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [النور: ٣٥] فشبّه نورَه بالمصباح، فلم يكن أقرب إليه تعالى قبولا في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ المسماة بالعقل، فكان سيّد العالَم بأسره، وأول ظاهرٍ في الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الإلهي، ومن الحقيقة الكلية.

وفي البهاء وُجد عينُه، وعين العالَم من تجليته، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب، وأسرار الأنبياء »[1]. وظهَر في هذا النصّ تأثّرُه الواضح بالشيعة الإسماعيلية.

ويَذكُر من وظائف الحقيقة المحمدية، وأنّه ما قامت السموات والأرض إلا به، فيقول: « اعلم أنّ الحقيقة المحمدية مسماة بالعقل الأول، وبالقلم الذي علّم الله به الخلق كُلهم، وبالحق الذي قامت به السموات والأرض، وبالباء. وأحسنُ أسماء هذه الأسماء: الحقيقة المحمدية: الباء من حيث ظهور الأشياء بِها؛ وإنما ظهَرَت الأسماء بالباء؛ إنّ الحق تعالى واحدٌ لا يَصدُرُ عنه إلا واحدٌ؛ فكان الباء أوّل شيءٍ صدَر عن الحق تعالى، فهي ألف على الحقيقة، وحدانِيٌّ من جهة ذاتِها، وهي باءٌ من جهة مرتبتها؛ لأنّها ظهرَت في المرتبة الثانية من الوجود »[2].

ويشْرَح كيفية خروج العالَم إلى الوجود فيقول: « بدء الخلق: الهباء، وأول موجود فيه: الحقيقة المحمدية الرحمانية، ولا أين يَحصرها لِعدم التحيز. ومم وُجد العالَم؟ وجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم. وفيم وُجد؟ وجد في الهباء »[3].

---

[1] ( ) الفتوحات المكية، (ج2/226-227)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص80.

[2] ( ) تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العلية (ج1/394 ضمن رسائل ابن عربي)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص 82.

ويستمر في بيانه فيقول: « فلما أراد الله وجود العالَم وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه، انفعل عن تلك الإرادة المقدسة بِضَرب تجلٍّ من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية. نقول: انفعل عنها حقيقة تُسمى الهباء، وهي بِمنزلة طرح البَنَّاء الجِصّ ليَفتح فيها ما شاء من الأشكال والصُّوَر، وهذا أول موجود في العالَم » [1].

ويستمر في بيان كيف فاض عن الحقيقة المحمدية الوجودُ فيضًا إجماليًّا وتفصيليًّا، فيقول: « اعلم أنّ الحق تعالى تجلى لذاته بذاته، وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته، وأراد أنْ يُشاهدها في حقيقة تكون كالمِرآة؛ فأَوْجَد الحقيقة المحمدية التي هي أصل النوع الإنساني في الحضرة العلمية، فوجدت حقائق العالَم كلها بوجودها وجودًا إجماليًّا، ثم أوجَدهم فيها وجودًا تفصيليًّا، فصارت أعيانًا ثابتةً »[2].

وفي قول له آخر يقول: « إنّ أحقّ ما سُمِع من النبأ، وأتَى به هدهدُ الفهم من سبأ: وجود الفلك المحيط، الموجود في العالَم المركّب والبسيط، المسمى بالهباء، وأشبه شيءٍ به الماء والهواء، وإنْ كان مِن جُملة صُوَره المفتوحة فيه، ولَمّا كان هذا الفلك أصل الوجود، وتجلى له اسم النور من حضرة الجود كان الظهور. وقبلت صورتُك صلى الله عليك من ذلك الفلك أول فيض ذلك النور .. فأنت أبٌ لنا في الروحانية، كما كان -وأشرتُ إلى آدم صلى الله عليه عليه في ذلك الجمع- أبًا لنا في الجسمية »[3].

---

3 (?) الفتوحات المكية، (ج2/220)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص83.

1 (?) الفتوحات المكية، (ج2/226)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص83.

2 (?) تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العلية لابن عربي، (ج1/ص407)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص84-85.

3 (?) الفتوحات المكية، (ج1/54-55)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص84.

وصرّح أكثر، فقال: « فالحقيقة المحمدية صورة اسم (الله) الجامع لجميع الأسماء الإلهية الذي من الفيض على جميعها، فهو تعالى ربُّه. فالحقيقة المحمدية التي هي تَرُبّ العالَم كلها بالرب الظاهر فيها، الذي هو ربّ الأرباب؛ فبظاهرها ترُبّ ظاهرَ العَالَم، وبباطنها ترُبّ باطن العالَم؛ لأنّه صاحب الاسم الأعظم، وله الربوبية المطلقة » [1].

وأشار إلى دليله على هذه النظرية، وهي الأحاديث الموضوعة الآتِية، فقال: « لأنّه –يعنِي: النبِيّ ﷺ- قال: " **أوّل ما خلق الله تعالى نوري** " الذي سمّاه عقلا بقوله: " **أوّل ما خلق الله تعالى العقل** " فأعطاه رُتبة الفاعلية، بأنْ جعَله خليفة متصرّفًا في الوجود العينِيّ، مُعطيًا لكُلّ من العالَم كماله، فالروح المحمدي هو المظهر الرحماني الذي استوى على العرش» [2]. وتأمل آخر نصّه هذا!

ويقرر أنّ من مصطلحات الحقيقة المحمدية أيضًا الإنسان الكامل فيقول: « اعلم أنّ مرتبة الإنسان الكامل –الذي لا أكمل منه- من العالَم: مرتبة النفس الناطقة من الإنسان، وهو سيّدنا محمد الذي هو الغاية المطلوبة من العالَم » [3].

« مقام أصل الوجود وسيّده ومبدأ العالَم ومُمِدُّه، وهو: سيّدنا محمد الذي اتخذه الله حبيبًا كما اتخذ غيره خليلا. فمِن حقيقة هذا السيّد تفرّعت الحقائق كلها؛ علوًا وسفلا؛ فأعطى الله تعالى أعلا المقامات وهو المحبة لأصل الموجودات وهو سيّدنا محمد » [4].

---

1 (?) تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العلية لابن عربي، (ج1/ص406)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص84-85.

2 (?) تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العلية لابن عربي، (ج1/ص416)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص86.

3 (?) تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العلية لابن عربي، (ج1/ص395)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص87-.

4 (?) تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العلية لابن عربي، (ج1/ص404)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص87-88.

وقد أشارَ مستشرقٌ بالحقيقة وأصاب كبدها، وهي أنّ هذه الفلسفة المشتركة بين ابن عربي والباطنية غيّرَت صورة النبِيّ محمد عند الصوفية في العصور المتأخرة من نبِيٍّ مرسلٍ إلى عقلٍ مُؤَلّهٍ موجودٍ منذ الأزل، وكان ذلك سببٌ في إيجاد ما يُشبه عبادة النبِيّ محمد [1].

وهذه أهم نصوصه في الباب، وهي صريحة بالمراد لا تحتاج إلى أيّ تعليق.

وقد نقلتُ النقولات المتقدمة من بحث موثّق[2]، كشَف جذور عقيدة الحقيقة المحمدية، أو ما يُسمونه النور المحمدي، وبيّن أنّ أصلها من فلسفة أفلوطين، وأخذَها عنه مَن بعده مِن الفلاسفة، وعنهم الباطنية، ومنهم أخذَها ابنُ عربي الحاتمي صاحب وحدة الوجود. وقد كشف فيه أيضًا العلاقة الوطيدة والحميمة بين ابن عربي والباطنية، وأنه معدودٌ منهم. كما كشف عن سبب تبنّي رؤوس غلاة المتصوفة لِهذه العقيدة الدخيلة، وأنّ ذلك لمآرب شخصية خطيرة، وهي رفع أنفسهم عند الأتباع إلى مقام النبِيّ ، بل إلى مرتبة الألوهية[3].

وهكذا أخَذَ الذين جاءوا بعد ابن عربِي ممن أخذوا أفكاره ومبادئه التي خلّفها في مدرسته في تفصيل ما يُسمّونه الحقيقة المحمدية، أو الإنسان الأول، أو الكامل. وقد نقَل عشرات نصوصهم صاحبا كتابَي الحقيقة المحمدية، والإنسان الكامل في الفكر الصوفي –حفظهما الله-، فليُراجعهما مَن شاء الوقوف عليها كُلّها[4]، ومنها:

---

[1] قال هذا المعنى المستشرق كارل هينرس بكر، انظر ص12 من كتابه: تراث الأوائل في الشرق والغرب، بترجمة د. عبد الرحمن بدوي، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، ص88.

[2] وعنوان البحث –كما تقدم- هو الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية، للشيخ عايض بن سعد الدوسري.

[3] لبيان سبب قول الصوفية بالحقيقة المحمدية، وأنّه لرفع أنفسهم في آخر المطاف إلى مقامه عقد صاحب كتاب: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلاطونية فصلا كاملا (ص115-131)، ونقل ما يُقرر ذلك من مقالات ابن عربي وعبد الكريم الجيلي وغيرهما.

[4] انظر: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلاطونية، ص89-106 (تحت عنوان: نظرية الإنسان الكامل عند الصوفية)، ويحسن هنا تصفح

قول صاحب كتاب الإنسان الكامل: « اعلم أنّ الله تعالى لَمّا خلق النفس المحمدية من ذاته، وذات الحق جامعة للضدين، خلق الملائكة العالِين من صفات الجمال والنور والهُدى من نفس محمد، وخلق إبليس وأتباعه من صفات الجلال، والظُلمةَ من نفس محمد » [1].

وقال وهو يُقرر أنّ جبريل بل والعالَم خُلِق من الحقيقة المحمدية، وأنّه -على زعمهم-أصل جميع العالَم. فاستمع إليه وهو يقرر كُلّ هذا: « العقل الأول والقلم الأعلى نور واحدٌ؛ فنسبتُه إلى العبد يسمى العقل الأول، ونسبتُه إلى الحق يُسمى القلم الأعلى، ثم إنّ العقل الأول المنسوب إلى محمد خلَق الله جبريل منه في الأزل، فكان محمدٌ أبًا لِجبريل، وأصلا لجميع العالم » [2].

وقال أيضًا: « خلق الله تعالى العالم جميعه من نور محمد » [3].

وقال: « اعلم أنّ الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته، وذات الحق جامعة للضدين، خلق الملائكة العالين من حيث صفات الجلال والنور والهدى من نفس محمد ، وخلَق إبليس وأتباعه من صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد » [4].

كتاب: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد د. لطف الله خوجه، وخصوصًا فصل: معنى الإنسان الكامل في الفكر الصوفي بماحثه الثلاثة (منزلة الإنسان الكامل، تعريفاته، ومرادفاته، ص141-180).

[1] (?) هو عبد الكريم الجيلي في كتابه الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ج2/ ص41 بواسطة مجمل عقائد الصوفية في ميزان أهل السنة والجماعة، ص113.

[2] (?) الفكر الصوفي ليوسف زيدان، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلاطونية، ص102.

[3] (?) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي، (2/18)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلاطونية، ص102.

[4] (?) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي، (2/16)، بواسطة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلاطونية، ص102وما بعده.

وهـل هـذا هـو تكـريم الصـوفية لِهـذا الرسـول ومحبتهم الدعية التي جعَلْتهم يُصرِّحون بأنّ إبليس خُلِق من نفسه الكريمة؟ عياذًا بالله!

المسألة الثالثة: التجانية وعقيدة النور المحمدي:

ولم تكُن عقيدة النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية بعـد دخولهـا على الصـوفية على يـد الحلاج، وشـرحها وتقريرهـا وتوضـيحها على يـد الفيلسـوف الصـوفي ابن عرَبي والآخذين من مدرسته وشُرّاح كُتُبـه من المتقـدمين لتقف دون أنْ تصِل إلى الصوفية المعاصـرين؛ فأنقُـل هنـا بعض تقريرات الطريقـة التجانيـة لَهـا تاركًـا بقيـة الطـرُق اختصارًا[1]؛ فقد جاء في كتاب جواهر المعاني قوله: « أما حقيقتُه المحمدية صلى الله تعالى عليـه وآلـه وسـلم فهي أول موجودٍ أوجَـدَه اللـه تعـالى من حضـرة الغيب، وليس عند اللـه من خلقـه موجـودة قبلهـا، لكنّ هـذه الحقيقـة لا تعرف بشيءٍ، ... » [2].

ومن أوراد التجانية: « الحمد لله الذي فتق من كنه الغيب رتق الكائنـات، وجعـل أصـلها ونشـأتها نـور حقيقـة سيّدنا محمدٍ؛ فكان أصل الموجودات، فأوجد منها -بقدرته القدسية وكلمته الأزلية- فطرة آدم، وجعـل شـكله صـورة العالَم، ... » [3].

وأيضًا قال كاتب جواهر المعاني في شرح جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال[4] التي يَزعُم أحمـد التجـانِي أنّ رسول هو الـذي أملاهـا لـه، وذكَـرَ لـه فضـائلها الـتي منها: أنّ المرة الواحدة تعدل تسـبيح العـالَم ثلاث مـرّات، وأنّ مَن قرأهـا سـبعًا فـأكثر = يَحضُـرُه روح الرسـول

---

1 (?) انظر طائفة من تقريرات النقشبندية والعيدروسية لِهذه الحقيقة: الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلاطونية، ص106-107.

2 (?) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ص60 .

3 (?) المصدر نفسه، ص234.

4 (?) انظر نصّ هذه الصلاة: جواهر المعاني، ص218، ورماح حزب الرحيم، ص380، (مع الجواهر)، -فصل: بيان الأذكار اللازمة للطريقة التجانية.

والخلفاء الأربعة ما دام يَذكرُها. كما أنّ مَن لازمها أزْيد من سبع مرات يُحبه النبِيّ محبة خاصة، ولا يموت حتى يكون من الأولياء[1]. قال: « اعلم أنّ الحق سبحانه اقتطع قطعة من النور الإلهي في غاية الصفاء والتجوهر، ثم أبطن في تلك القطعة ما شاء أنْ يُقسمه للجهلة من العلم بصفات الله وأسمائه، وكمالات ألوهيته، وبأحوال الكون وأسراره، .. وجعل تلك القطعة من النور مقرًّا لانصباب كل ما قسمه لخلقه، .. ثم صار يفيض على خلقه ما أقرّه في الحقيقة المحمدية من العلم والرحمة. فكان بِهذه هو عين الرحمة . وكان ذلك النور هو الحقيقة المحمدية، .. فلا يصِل شيءٌ من الرحمة إلى الوجود إلا من ذاته » [2].

وقال أحمد التجاني –كما نقل عنه تلميذُه في الجواهر: « أول ما خلق الله تعالى روحه الشريفة وهي الحقيقة المحمدية ، ثم بعد ذلك نسَل الله منها أرواح الكائنات من روحه الشريفة الكريمة، وأما طينتُه التي هي جسدُه الشريف فكوّن الله منها أجساد الملائكة والأنبياء والأقطاب .... » [3].

وجاء أحد شيوخ التجانية المعاصر (إبراهيم إنياس) مُقررًا -نظمًا- هذه العقيدة:

وأوّل خَلقِ الله نُورُ محمدٍ وحَلّ لأصلاب الذين قدْ أسْلَموا[4].

وقد زعَم قبل ذلك في هذا الديوان أنّ الله تعالى خَلَق العرْش والفلَكَ مِن نوره :

لقَدْ عبَد المَولى وما ثَمّ عابِدٌ سِواه، فَمِن أنواره العرْشُ والفلَك[5].

---

[1] (?) انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ص235.

[2] (?) المصدر نفسه، ص235.

[3] (?) المصدر نفسه، ص61.

[4] (?) شِفاء الأسقام في مَدْحِ خير الأنام ، ص151، ضمن الدواوين الست.

[5] (?) المصدر نفسه، ص148، (ضمن الدواوين الست).

المسألة الرابعة: بيان بطلان أدلة القائلين بالنور المحمدي:

وبعد كُلّ ما تقدم، فيستدل الآخذون هذه العقيدة عن الفلاسفة والباطنية الإسماعيلية بحديث لا أصل له[1]، وهو ما يُروى عن جابر بن عبد الله ، ويُزْعَم أنّه في الجزء المفقود من مصنّف عبد الرزاق،[2] قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي! أخبرني عن أول شيء خلَقَه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: " **يا جابر! إنّ الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوحٌ ولا قلمٌ، ولا جنَّةٌ ولا نارٌ، ولا ملَكٌ، ولا سماءٌ ولا أرضٌ، ولا شمسٌ ولا قمَرٌ، ولا جنِّيٌ ولا إنسيٌّ، فلما أراد أن يخلق الخلق قسّم ذلك النور أربعة أجزاء؛ فخلق من**

---

[1] قال أحمد رضا القبوري البريلوي بالنسبة للحديث: (قد تلقت الأمة هذا الحديث بالقبول، وإنّ تلقي الأمة بالقبول هو ذلك الشيء العظيم الذي لا حاجة للسند بعده) قاله في رسالته: صلاة الصفا في نور المصطفى، ص33. ردّ عليه الشيخ إحسان إلهي ظهير بقوله: (فلا ندري أيّة أمة يقصدها البريلويّ؟ إنْ يريد من الأمة أمثاله من الذين يتبعون الجهل والزيغ والاعوجاج فلا يضرّ. وإنْ يريد من الأمة علماءها والمهرة الحذقة في الحديث فلا وجود لتلقيهم بقبول هذه الرواية. ثم ومن قال بأنّ تلقي الأمة بالقبول لرواية يجعلها في مرتبة لا ينظر إلى إسنادها؟ وكيف وإنّ الرواية بظاهرها تعارض نصوص القرآن والأحاديث الثابتة من بشريته . والواقع أيضا يعارضها حيث إنّ النبي ولد من بيت عبد الله .. –إلخ ما قال). قاله في كتابه: البريلوية تاريخ وعقائد، ص103.

[2] نسَب بعضُ الصوفية حديث النور المحمدي إلى عبد الرزاق في مصنفه عن جابر (كأحمد رضا البريلوي وغيره، ينظر: البريلوية تاريخ وعقائد، ص102). وطُبِع الكتاب ولا وجود للحديث فيه، إلا أنّه لَما كان هناك جزء مفقود من أوله سعى بعضُ المثقفين (الدكتور عيسى الحميري) في بحث هذا الجزء عَلّه يجد حديث النور المحمدي فيه، فأخرجا (هو بتقديم محمود سعيد ممدوح) مخطوطة كُتِبَت ووُضِعت في هذا العصر في بلاد ما وراء النهر -فيما بعد- محشوة بالأحاديث الموضوعة ومنها هذا الحديث (رُكِّب له سندٌ) زعَمَا أنّه من الجزء المفقود، ففضح الله أمرهما بامتناع ثالثٍ عن أنْ يَرضَى بقدم المخطوطة على ما زُعم فيه، بل هي معاصرة. وبغير ذلك من الوسائل التي سخّرها الله حتى افتضح الوضع (انظر تفاصيل القصة في ملتقى أهل الحديث، ورد الكتاب من الشيخ محمد زياد تكلة بنقض رواياته حديثيًّا، والذي أجاد فيه)

الجـــزء الأول القلم، ومن الثـــاني اللـــوح، ومن الثــالث العــرش، ثم قسّــم الجــزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول حَملة العرش، ومن الثاني الكرسيّ، ومن الثـالث بـاقي الملائكـة، ثم قسّم الجـزء الرابع أربعة أجـزاء، فخلق من الأول السـموات، ومن الثـاني الأراضـين، ومن الثـالث الجنة والنار، ثم قسّم الرابع أربعة أجــزاء؛ فخلق من الأول أبصــار المؤمــنين، ومن الثــاني نــور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعـالى، ومن الثـالث نـــور أنســـهم؛ وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ".

والحديث مشهور بحديث النور المحمدي، وهو حديث طويـــلٌ في بعض الروايـــات ومختصر في أخـــرى، وهو موضــوع وباطــلٌ، ذكَر العلمــاء –رحمهم اللــه- أنه مختلق على رسول الله ، حـتى قـال الشـيخ محمد ناصر الـدين الألباني في الصـحيحة بعد إيـراد حـديث مسـلم: « وفيـه: إشـــارة إلى **بطلان الحــديث المشــهور** على ألســـنة الناس: " **أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر** " ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنّه خلق من نور؛

فإنّ هذا الحديث –أي: حديث أنّه خُلق آدم مما وصف لنا- دليـلٌ واضـحٌ على أنّ الملائكة فقط هم الـذين خلقـوا من نور، دون آدم وبنيه، فتنبه ولا تكن من الغافلين! » [1].

وبعد، فهذه المسألة (مسألة النور المحمدي) صعبة الفهم في نفســـها، كما أنّها لا مســـتند لَها في الشـــرع المطهر، كما شهِد بذلك ابن خلدون في مقدمته؛ فقال: « وربما قصَــد بعض المصــنفين بيــان مــذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه، فأتى بالأغمض فالأغمض بالنســبة إلى أهل النظر والاصـطلاحات والعلــوم. كما فعل (فــذَكَرَ أحَــدَ شُــرّاح تائية ابن الفــارض[2])، فإنّه ذكَر في صــدور الوجــود عن الفاعل وترتيبــه: أنّ الوجــود كلّه صــادرٌ عن

1 ([?]) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (فائدة تحت حديث برقم:458، ج2/820).

صــفة الوحدانيــة؛ الــتي هي مظهر الأحديــة، وهما معًا صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غــير. ويسـمون هـذا الصـدور: بـالتجلي. وأول مـراتب التجليـات عنـدهم تجلي الـذات، على نفسـه، وهو يتضـمن الكمـال بإفاضة الإيجـاد والظهـور، .. وهـذا الكمـال في الإيجـاد المتنَزَّل في الوجود وتفصيل الحقـائق، وهو عنـدهم عـالَم المعـاني، والحضـرة الكماليـة، والحقيقة المحمديـة، وفيها حقائق الصفات، واللـوح والقلم، وحقـائق الأنبيـاء والرسل أجمعين، والكُمّل مِن أهل الملة المحمدية. وهــــــذا كلّه تفصــيلُ الحقيقة المحمدية. ويصــدُر عن هــذه الحقــائق حقائق أخرى في الحضرة الهبائية، وهي مرتبة المثـال، ثم عنها العرش، ثم الكرسي، ثم الأفلاك، ثم عـالم العناصــر، ثم عالم التركيب. هذا في عـالم الرتـق، فـإذا تجلت، فهي في عالم الفتق. انتهى. ويسمى هذا المـذهب مـذهب أهل التجلي والمظــاهر والحضــرات، وهو كلام لا يَقْــدِر أهل النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه » [1].

لكن يسّر الله فهمها بِما قام به مَن نقلتُ عنهم مِن جمع نصـوص ابن عـرَبِي وشُـرّاح كتابه من بعـده. فعملْتُ هنا في التنسيق بينها والتقديم والتأخير فيها.

وانظر إلى هذه النظرية كيف استقرت وضُبطَت حتى صــارت أهم نظرية في التصــوف المتــأخّر، وكيف درَج الشـيطان بأصـحابِها بعـدما أخـذَها وتلقفتها الإسـماعيلية الباطنية من الوثنيــات البائــدة، ثم تســرّبت إلى الفكر الصوفي، وأخذوا يستدلون لَها بالموضوعات من الأحـاديث التي من شؤمها أنْ تُغيّر الأديان، فصارت هـذه البدعة في آخر المطــاف ســالبة لله أفعاله وخصائصه بل وأســماءه

---

2 (?) ابن الفارض: شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي ثم المصري، صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية، قال الذهبي –رحمه الله- عن قصيدته هذه: فإنْ لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟! توفي في جمادى الأولى، سنة اثنتين وثلاثين، 632هـ، وله ست وخمسون سنة. (انظر تمام ترجمته في: سير أعلام النبلاء، ج13/ ص196).

1 (?) مقدمة ابن خلدون، 509.

وصــفاته عند هــؤلاء؛ ذلك أنّه يُخلَص من تأمّل ما تقــدم نصـوص البـاب الـتي ذكَرْتُها والـتي أشـرتُ إليها إلى أنّ أوصاف الحقيقة المحمدية ووظائفها كالتالي:

1-أنّها التعين الأول، أي: أول الموجودات.

2-أنّها مبدأ العـالَم وأصـله، فهو النـور الـذي خلق الله منه الموجودات.

3-أنّ لها كل الأسـماء الحسـنى، وهي بـذلك أكمل مجلى للذات الإلهية. وهذا له علاقة بمطلب الحلول القادم.

4-أنّها دون مرتبة الألوهية، وفوق جميع المكونات.

5-أنّها مصدر النور والعلم الإلهي المِمُدّ لجميع الأنبياء.

6-أنّها واسـطة بين الحق والخلـق؛ يَقْبَل مِن الحق ويُمِـدّ الخلق.

7-أنّها منتهى غايــات الكمــال الإنســاني؛ فهي الصــورة الكاملة للإنسان الكامل الجامع لحقائق الوجود[1].

ويزيد بعض هذه الأوجه وضوحًا ما جاء في كتـاب (الحقيقة المحمدية أم الفلسـفة) مِن أنّ الإنسـان الأول – وهو رسولنا على زعم هؤلاء الصوفية- « يكـون بوجـوده قيام الحياة، وهو الذي صنع وخلق الموجودات، وهو الــذي فاض بالوجود السفلي والعلوي، وهو الواسطة بين الخالق والخلق لِما لـه من شـبَهٍ بـالاثنين؛ فلـه صـفات الإلـه ولـه صفات البشر، وهو يعلم الغيب، ويُدبّر أمر العالَم، ويسمى بأسماء عديدة، منها: الحقيقة المحمدية، والقطب، والروح الأعظم، والعقل الأول » [2]. ويعـني بـالقطب هنـا: الأكـبر على زعمهم.

فتقرر أنّه من أوجه الغلُوّ في عبد الله ورسوله نبينا محمد القــول بأنّه خُلِق من نــور اللــه، والــذي انتهى بأصحابه إلى سلب أفعال الله تعالى ووظائفه، بل وصفاته وأسـمائه وإعطائها لمَن يُسـمونه: الإنسـان الكامـل، أو

---

1 (?) كما قاله د. لطف الله خوجة (انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، ص175 (عند كلامه عن الحقيقة المحمدية وأنها من مرادفات الإنسان الكامل وفوقه بقليل، فالحقيقة المحمدية هي مرتبة القطبية الكبرى، بينما الإنسان الكامل القطبية الصغرى).

2 (?) الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلاطونية، ص91.

القطب الأكبر، والإنســان الأول، والحقيقة المحمديــة، إلى غير ذلك.

** * **

طال المطلب المتقدم، وجُزءٌ من هذا متفرِّعٌ عنه؛ فأختصرُه وأقول:

« الظل ما نسَخَتْه الشمس، وهو من الطلوع إلى الزوال » [1] كما في التعريفات.

هذا، ومِن أوجُه غُلُوّ الصوفية في عبد الله ورسوله نبينا محمـدٍ ما تقـدم من جعلهم إيّـاه نـورًا لا بشَـرًا، وقد أضـافُوا إلى ذلك قـولهم بـأنّ نـورَه يُطفئ ظِلّه إذا مشَـى في الشمس والقمر، بل هو شَفّاف؛ لا ظِلّ له. ونصوصهم في ذلك كثيرة، بل ألّف أحدُ عُلماء البريلوية الصوفية كتُبَه في ذلك، منها: قمر التمام في نفي الظِّلّ عن سيّد الأنـام ، ونفي الفيء عمّن أنار بنوره كُلّ شيء، وهدي الحـيران في نفي الفيء عن سيّد الأكوان ، ومما قال في ثانِيهمـا: «إنّ ظِلّ النبِيّ لم يَقَع على الأرض؛ لأنّه كان نورًا،فكـان إذا مشَى في الشمس أو القمر لا يرى له الظلّ،والأنوار لا ظِلّ لها؛ لأنّها شفّافةٌ لطيفةٌ لا تُحجَب» [2].

ودعْوى أنّه لا ظِلّ له أو غـيره مما في العُنـوان باطـلٌ؛ ينافيه ما تقـدم في الفصل الأول من البـاب الأول من نصوص الكتاب والسـنة الدالة على بشـريته ، وأنّها لا تختلف في تكوينِها عن بقية النـاس، ومنها أنّ له ظِلاًّ كما لأيّ إنسان. وبمثل هذا يقـال على دعـوى أنّ نـورَه يُطفئ ظِلّه إذا مشى في الشمس. وما أكرمه الله تعـالى به مِن الرّسـالة لا يُخْرجه عن وصـفه البشـريّ الـذي خلَقَه الله عليه مِن أمّ وأبٍ.وتلك النصـوص صـريحة بِهـذا. وأما ما يُروَى من حديث النور المحمدي فقد تقدم أنّه موضـوعٌ[3]؛ لا أصل له. والله أعلم.

** * **

---

[1] (?) التعريفات للجرجاني، مادة الظل، ص219.

[2] (?) نفي الفيء عمن أنار بنوره كُلّ شيء لإمام البريلوية أحمد رضا خان الأفغاني، ص6، بواسطة: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/ 721).

[3] (?) انظر ردّ مسألة أنّ النبِيّ لا ظِلّ له: موسوعة البِدع والمخالفات الشرعية، (ج1/ 468).

المطلب الرابع: إطراء الصوفية المنهي عنه إياه، عليه الصلاة والسلام:

الإِطْرَاء هو: الْمَدْح بِالْبَاطِلِ. وهو أيضًا: الإفـراط ومجاوزة الحد والغلو في المدح [1].

وقد نَهى عنه الشارع الحكيم –كما سيأتِي تقريرُه-.

والصوفية وقَعُوا فيما نَهاهم رسول الله ﷺ؛ فمدحوه بالباطل، كما جاوزُا الحدّ وأفرطُوا وغَلَوا في مدحه، **فمِن ذلك:**

أولا: قول أحدهم مُغالطًا في حديث نهي الإطراء نفسه، فقـال: « أسـقِطِ الرُّبوبيـة، وقُـلْ في الرّسـول مـا شِئتَ »[2].

ونظَم ذلك البوصيري، فقال:

دَعْ مـا ادّعَتْـه النصـارى في نبيّهم   واحكم بِما شـئتَ مَـدْحًا فيه واحتكم[3].

ثانيًا: ما جاء في تخميس العشرينية، من قولهم:

بصير بسِرّ الغيب قبل كيانه   له يَقـرُب المـرمى، وترتَفـعُ الحُجب[4].

وقال أيضًا:

عليمٌ بِمـــا في القلب حـــالَ اكتتامه   عُلومُ الـوَرى في لفظـةٍ مِن كلامه[5].

وهذا كُلّه مما لا يَرضاه رسولُ الله ﷺ! وفيه أيضًا:

هــو الغــوث يكفِي إنْ أويتَ من النّوى   هو الطبّ يَشفِي إنْ شكَوتَ من الجوى[6].

---

[1] كما سيأتي في الباب الرابع، وانظر أيضًا: فتح الباري مع صحيح البخاري، (2/ 2544)، وعشرون حديثًا من صحيح البخاري، (ج2/213) ضمن كتب ورسائل عبد المحسن بن حمَد العباد البدر.

[2] تلخيص كتاب الاستغاثة، (ج1/ ص428)، بتحقيق: محمد علي عجال، وانظر: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة لمحمد بن خليفة التميمي (ج2 / 720).

[3] البردة لشرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري، وهو البيت الثالث والأربعين منها، ص58 (ضمن مجموع مهمات المتون، ط/ دار الكتب العلمية).

[4] انظر: النوافح العطرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية ﷺ، ص30-31.

[5] انظر: النوافح العطرية، ص252.

[6] انظر: النوافح العطرية، ص182.

وقال الشارح هنا في حلّ ألفاظ القصيدة، وإنْ كان في كلامه ما فيــه: (هو الغــوث) أي: ذو الغــوث، وجَعْلُه نفس الغوث مبالغة[1].

ألا هل لِمَن يشـــتاقه يـــوم يُعفِّر خَدًّا عند قبر محمدٍ مورِدِي

إلى الله أشكو لوعةَ الهـائمِ ظَمِئتُ إلى تقبيل آثـــــــار أحْمَدِ الصَّدِي[2].

وهداه تعالى في موضعٍ من تخميسه هذا إلى الحق في المسألة، فقال:

ألا فأعِد ذِكرَ النبِيّ وجددِ وفي مَدحه فاعـدل وقـاربْ وسدّدِ

ولا تغـــــلُ في شـــــيءٍ من زِنْ القـول إنْ حَـاوَلْتَ مَـدْحَ القول واقصِدِ محمدِ

ففي كُلِّ قولٍ مستحيلٌ وجائزُ[3].

ثالثًا: ما جاء في (الدواوين الستّ) الذي قرضها وألّفَها أحــدُ شــيوخ التجانية المعاصــرين، وهو المســمى الحاج إبراهيم بن الشـيخ الحـاج عبد الله (إبـراهيم نيـاس) الكولخي السنغالي[4].

---

[1] (?) انظر: المرجع نفسه، ص182.

[2] (?) انظر: المرجع نفسه، ص246.

[3] (?) انظر: النوافح العطرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية ، ص147.

[4] (?) **الحاج إبراهيم بن الشيخ الحاج عبد الله (إبراهيم نياس) الكولخي السنغالي** لقّب نفسَه بخديم المصطفى ، ويَظهَر من ثنايا الدواوين أنّ الرجل كان مُحِبًّا لرسول الله حُبًّا شديدًا، لكِنّه أخطأ طريق محبته؛ فغالى فيه مغالاة أخرَجتْه عن دائرة البشرية، وجَعَلتْه يُضفِي عليه ويُعطيه خصائص الإله، والله المستعان! كما سيتضح شيءٌ من ذلك. كما أنّ الرّجل مُعجَبٌ بنفسه؛ حيث يُصنّفها حذو المنافحين عن رسول الله (حسان بن ثابت وغيره من الصحابة) حينًا، وحينًا يُفضّل نفسَه عليه، بل ويُعطِي نفسَه التصريف في الكون (لأنّه رقَى –كما ذكَر تلميذُه- مقام الغوثية الفردية، -الدواوين الستّ، ص 129-،والتي يَزعمون أنّ أصحابَها يتصرفون في الكون)كما في هذه الأبيات:

عليه صلاة الله ثم سلامُهتُملّكُنِي التكوينَ، والأمرَ أمرَك وقال تلميذُه المعلّق على الدواوين: قوله تُملّكني التكوين الخ مذ أجاب الله تبارك وتعالى دعاءه؛ فأعطاه كلِمة التكوين حتى قال في بعض أراجيزه: إذا قلتُ: كُنْ، يكُن (لعله يكون) بلا توان. (انظر: أوثق العرى في مدح

وهذه الدواوين فيها من إطـراء النبِي ما الله به عليم، وتقع الــدواوين في قـــريبٍ من ثلاثة آلاف بيتٍ [1]، ولَمّا لم أقِف على مَن رَدّ عليه ونبَّه على ما فيهــــــا، مع عِظَم الرّجل عند القوم وفي بلاد أفريقيا خصوصًـا، كالـذي عُمِل مع انحرفـات البُـردة وغيرهـا، فقد قـرأتُ الـدواوين، وحصَرتُ الأبيات التي فيها الإطراء الشديد، وبقية الأخطاء العقدية الفاضحة الأخرى، وسأُشير إلى بعض الأبيات هنا:

فَمَن هذه الدواوين **أولا:** تيسير الوصول إلى حضرة الرسول: ومِن أبرز الغلو فيه :

ألا يــا رســول اللــه وأرفــع شكايتِي ... إليك، وحالي مـا تـرى العبـدَ سوّدَا

فحــاجِيْ وحــاجُ المســلمين أحَلتُه ... عليــك، فطبتَ النفس حُــرًّا مُسرْمَدًا[2].

وقال:

رَفَعْتُ إلى طــــــــه الأمينِ شكايَتِي ... ولَم يُلْقَ ذُو شَقْوَى إليه فلَم يُشْكِ[3].

وقال:

ومَدحُ سوى الهـادي الْمُقفّى مذلّةٌ ... ومَينٌ، فكُــلّ المــدح فيــه مُجمّعًا

فَمِن جــودِه الــدنيا وأخــرى، وعِلمُه ... أمَـدّ قِلامَ اللـوح بعضُ الـذي وعَا

سيّد الورى، ص111، البيت مع التعليق، ضمن الدواوين الست).
وزعَم أنّ النبِيّ أذِن له أنْ يُبيّن أنّ السعادة بعد مجيئه مناطةٌ بحبّه، ورؤيته ورؤية خطه، والشقاوة بعكس ذلك، -وكذَب- فقال:
حَلَفتُ يمينًا إنّني لا يُحبّني سِوى أسْعَدٍ، والعكس في حال بُغضيَاوقد عَلِم الأقوام أنّي خَدِيمُههفوَصْلُ حبيبِ الله يُلفَى بوَصليَاوما قُلتُ قولِي شاطحًا متبجِّحًاوما مسّنِي سُكرٌ يُغيّبُ عَقلِيَاوإنّ خطوطي للأنام سعادةٌفلَم يَشقَ يومًا مَن رآنِي وخطّيَاوما قلتُ هذا دون إذنٍ وإنّنِيلأكتُمُ سِرًّا لا يُبَاحُ لغيرِيَاوذا كُلّه من حُبّ سيّدِ مُرْسَلٍعليه صلاة الله، ولْتعْلُ شأنِيَا(قاله في ديوان أوثق العرَى في مدح سيّد الوَرى 116-117،).
مات في رجب سنة: 1395هـ، في لندن.

[1] 2972 بيتًا.

[2] تيسير الوصول إلى حضرة الرسول، ص10، ضمن الدواوين الست.

[3] المصدر نفسه، ص22، (ضمن الدواوين الست).

ومِن حُسـنِه حـورُ الجنـان تزَيّنَتْ ومِن نـوره نـورُ البُـدُور تفرّعا[1].

والبيت الثانِي يُشابِه في الإفراط بيت البوصيري القائل:

وإنّ مِن جـودك الـدنيا وضرّتها ومِن عُلُومِـك علمَ اللـوح والقلَم

وقريبًا منه قول هذا أيضًا:

فأفضـلُ مبعـوثٍ مِن اللـه سيّدي محمـدُ عبـدُ اللـه مَن جُـودُه الْحسنا [2].

وقال:

نفَى عَنِّيَ الأشـرارَ طـهَ وساق لِي رجالَ التّقى والرُّشْـد والعِلم والفَوز[3].

وقال:

يُمِدّ جميعَ الكَون نورُ بَهائه ويَمحُو جلالا كُـلّ بُطْـلٍ مَـتى دَجّا [4].

ومعَ هذه الأباطيلِ والغلو في هذا الديوان فقد زَعَم صاحبُه أنّه لَم يَكُ مُفرِطًا مغاليًا في رسول الله ﷺ، فما هـو الغُلُوُّ إذن؟ وذلك في قوله:

فليس علَيّ اللـومُ في مَـدح سيّدي فمَـا شـئتُهُ مَـدْحًا فلَم أكُ أُفْرِط[5].

ثانيًا: ما جـاء في ديوانه الآخر المسـمى (اكسـير السـعادات في مـدح سـيّد السـادات ﷺ)، حيث قـال فيه مغاليًا في النـاهي عن إطرائه (رسول الله ﷺ):

فَمِن نـوره الكَونـان[6] منـه عُلُومُ جميعِ الرّسـل، والكُـلّ

---

1 (?) المصدر نفسه، ص18، (ضمن الدواوين الست).

2 (?) تيسير الوصول، ص19، ضمن الدواوين الست.

3 (?) المصدر نفسه، ص20، ضمن الدواوين الست.

4 (?) المصدر نفسه، ص34، ضمن الدواوين الست.

5 (?) تيسير الوصول إلى حضرة الرسول، ص36، ضمن الدواوين الست.

6 (?) الدنيا والآخرة، كما قاله المعلق على الديوان (تلميذ إبراهيم الكولخي صاحب الديوان)، وقد ذكر المعلق نظير البيت، وهو ما جاء في بردة البوصيري:

تفجّرَتْ يَشْرَبُ[1].

وقال:

هو العبدُ حقًّا والأنام عَبيدُهُ فكُنْ لِيَ يـا مختـارُ، كُنْ لِي لَدَى الْجَدَثْ
وكُنْ لِمُحِبٍّ في الأمـور بأسْرِها أغِثْـهُ سـريعًا يـا كـريمُ أغِث أغِث
لَدَى القبر مهما يُسألُ العبْـدُ عنكُمُ فقُلْ: خادِمِي، واشْـفَع لِحِبِّكَ إذْ بُعِثْ [2].

وقال فيه:

خَـديمُك مَلَّكه الْمُلـوكَ وأمْرَها خـدِيمُك مَخـدُومُ الْمُلـوكِ أميرَا[3].

وقال:

ألا يا رسـولَ الله وجّهتُ وِجهتِي إليـك، فكُنْ لِيَ الـدَّهرَ إنْ عارِضٌ عَرَضْ
فلا عُدّةٌ في النائباتِ سواكُمُ لذا العبـدِ، والمطلـوبُ ذاتُك والْغَرَضْ[4].

وقال:

كفـانِي شُـرُورَ الجِنّ والإنْسِ مَن نَفى دُجَى الْبَغْيِ والأسواء بـالنّور مُصطفَى
كفـانِيَ مَكْـرَ المـاكرين وكَيْدَهم كفَى الضُّـرّ والبأسـاء عنِّيَ والْجَفا[5].

وقال في هذا الديوان أيضًا:

أَتيتُك يا خيرَ البرّية أبْتغِي مَنـالا جَسـيمًا مِن جَـوَادٍ مُقسِّم
وتَعْلَمُ حاجاتِ الْعُبَيدِ جمِيعِها أرَانِي اسْـتَلمتُ الْكُـلّ مِن

وكُلّهم من رسول الله مُلتمسٌغَرفًا من البحر، أو رشْفًا من الدِّيَم(انظر: اكسير السعادات، حاشية رقم: 2، ص39، ضمن الدواوين الست).

[1] (?) اكسير السعادات في مدح سيد السادات ﷺ، ص39، ضمن الدواوين الست.

[2] (?) اكسير السعادات، ص41، (وانظر التعليقات على الأبيات من الحاشية الأولى إلى الخامسة، في الموضع نفسه).

[3] (?) اكسير السعادات في مدح سيد السادات ﷺ، ص47، ضمن الدواوين الست.

[4] (?) المصدر نفسه، ص53، ضمن الدواوين الست.

[5] (?) المصدر نفسه، ص58، ضمن الدواوين الست.

خَير مُسلِمِ[1].

وبعدما بيّن أنّه لَم يَرْجُ مخلوقًا سوى رسول الله ﷺ، وأنّه ما له إذا ما حَلّ خَطْبٌ سواه، ناداه بأنّه شَدّ فَقْرُهُ واغترابُه وذِلّتُه، وطَلَبَ منه أنْ يكون له بِغَيبَته في أهليه مُغيثًا، ثم نَفَى أنْ يكونَ له وكيلٌ سواه إنْ لَم يتدارَكْهُ، في قوله:

فإنْ لَم تُدارِك في شُؤونِي بعَطفَةٍ -وحاشاك- ما لِي مِن سِواكَ وَكيلا[2].

قلتُ: فأين الله في كُلّ هذه الأمور؟

ثالثًا: ما جاء في ديوانه الآخر المسمى (سَلوة الشُجُون في مَدح النّبِيّ الْمأمون ﷺ)، حيث قال فيه مغاليًا في الناهي عن إطرائه (رسول الله ﷺ):

أُنادِي رسولَ الله في كُلّ حالةٍ إليه مصيرِي فهْوَ قَصدِي ومنهَجُ[3].

ويُقرر من أخص معتقدات غُلاة الصوفية في الرسول ﷺ، وهي مسألة الحاضر والناظر، أي: أنّه حاضرٌ لا يخْلُو مكان أو زمان إلا وهو موجودٌ فيه[4]، فيقول:

أخاطب خير الناس وهو معِي، وقد وَجَمتُ وشِعرِي للمقامِ يُشيرُ[5].

ومثله في هذا الْمقام ما في ديوانه الآخر: (أوثق العرى في مدح سيّد الورى ﷺ):

جَعلْتُ رَجائِي في الذي هو الْماحي أبو القاسمِ الْماحي الضّلال

[1] اكسير السعادات في مدح سيد السادات ﷺ، ص67، ضمن الدواوين الست.

[2] اكسير السعادات، ص73، واقرأ ستة أبيات قبل شاهدنا هذا لترَى المعنى المأخوذ منها، ضمن الدواوين الست. (وانظر أيضًا ص41، و42، و43، 49، و61، و70 لتقف على نماذج أخرى من الأبيات التي فيها الإطراء).

[3] سَلوَة الشجون في مدح النبي المأمون ﷺ، ص79، ضمن الدواوين الست.

[4] انظر: الربريلوية عقائد وتاريخ، ص106، للشيخ إحسان إلهي ظهير.

[5] سَلوَة الشجون في مدح النبي المأمون ﷺ، ص82، ضمن الدواوين الست.

حاضري وناصِري[1].

وقال وهو يُقابل نهي النبِيّ عن إطرائه بالمعارضة والمناقضة:

لأنّ رسولَ الله مَدْحٌ وروحُه فقُل فيه ما قد شِئْتَ لا تَخْتَشِي الإطرا

إذا قُلتَ: عبدُ الله، سيّدُ خَلقِه لِتنسِب له ما شِئْتَ لا تَخْتَشِي الْكُفرا[2].

ويُثنِي على البوصيري الْمُغالِي في الرّسول الذي يَنسِجُ هو على منواله فيقول:

فما ترَكَ البوصيري قولا لقائل وكعبٌ وحسّان المديح تكلموا[3].

وأختم من هذه النماذج بقوله:

عليه صلاةُ الله ثم سلامُه ألوذُ لِخير الْخلق في الجهر والنجوى[4].

رابعًا: ما جاء في ديوانه الآخر المسمى (أوثق الْعُرى في مدح سيّد الوَرى)، حيث قال فيه مغاليًا في الناهي عن إطرائه (رسول الله):

دَعَوتُ رسولَ الله مُذْ عمَّنَا الْكَرْبُ وسيّان في هذاكُمُ الشّرقُ والغربُ[5].

ونادى الرسول بغوث مُرمِلٍ (فقير)، وذكَر أنه يُرَجّيه، في أبياتٍ ثلاثة بعد الشاهد:

ألا يا رسولَ الله، يا أفضلَ الوَرى لِتُصلِحْ شؤونِي لم أجدْ عَنْكَ مَعْدِلِ[6].

وقال:

هو الْكُلّ منه الْكُلُّ حقًّا ولم أُجَسّم معنًى إذْ قصَدْتُ

---

1 ([?]) أوثق العرى في مدح سيد الورى ، ص112، ضمن الدواوين الست.

2 ([?]) سَلوَة الشجون في مدح النبي المأمون ، ص86، ضمن الدواوين الست.

3 ([?]) سَلوَة الشجون، ص100، ضمن الدواوين الست.

4 ([?]) سَلوَة الشجون، ص108، واقرأ للازدياد من هذه الأبيات الغالية، ص87، 88، 95، 103، ثم 106.

5 ([?]) أوثق العرى في مدح سيد الورى ، ص114، ضمن الدواوين الست.

6 ([?]) أوثق العرى، ص121، ضمن الدواوين الست.

أكُنْ ثناهُ[1].

وقال في أنّه لا يَخشَى ولا يَرجُو غير رسول الله ، لا ربّــه، كما أنّه في الــبيت الثــالث بعد الشــاهد زَعَمَ أنْه لم يَرفَع يومًا إلى غير النبِيّ شَكوَى:

عليه صلاة الله ثم سلامُه أكُــونُ سِــواه لَن أُرَجّى ولَنْ أخْشَى[2].

وقال:

فَمِن جُــوده الكَونــانِ والأمر تعــــالى، وحُبّ المصـــــطفى ثم ما رَدْعُ مَن يَسْطُو[3].

خامسًا: ما جاء في ديوانه الآخر المسمى (شِفاء الأسقام في مدح خـير الأنـام)، حيث قـال فيه مغاليًا في الناهي عن إطرائه (رسول الله):

حمانِي رســولُ الله مِن كُــلّ علَى رَغْمِ غادٍ للبِرَاز ورائِحِ رامحِ

حمانِي رسولُ الله عَن مَكْـرِ وشُــؤْمٍ لِــذِي شُــؤْمٍ، وكُــلّ ماكِرِ الجوَائِحِ

وسِــحرٍ لــذِي سِــحْرٍ، وعَيْنٍ فَمَنْ رامَ ضُـــرِّي قد سَـــعَى لِعائِنٍ في مصالِحِ[4].

وقال ضارعًا في مناداة النبِيّ ومناجاته لِيَرْحَمَه –على زعمه- ويَنْظُر لحالِه:

أنادِي حبيبَ الله طه محمدًا أبا القاسِــمِ الْهــادِي الْمُقَفّى مناجِيَا

لِتَــرحَم خَــديْمًا ضــارعًا عند بابِك الْـ ـــمُؤَمَّل، يا محمــود فــانْظُر لحالِيَا[5].

ونادَى النبِيّ وزَعَم أنّه حاضِرٌ سامعٌ، ثم طَلَبَ منه أنْ يُجِيرَه، فقال:

---

[1] أوثق العرى، ص124، ضمن الدواوين الست.

[2] أوثق العرى، ص128، ضمن الدواوين الست.

[3] أوثق العرى في مدح سيد الورى ، ص132، وللازدياد من هذه الأبيات الغالية في هذا الديوان اقرأ، ما جاء في ص111، و112، و 118، و119، و122، و123، و134، ضمن الدواوين الست.

[4] شِفاء الأسقام في مَدْحِ خير الأنام ، ص145 ، ضمن الدواوين الست.

[5] المصدر نفسه، ص147، ضمن الدواوين الست.

أَيَا سيِّدِي خَيْرَ الْوَرى نبِيَّنَا يقينًا أُنـادِي حاضِـرِي الـدّهْرَ سامِعِي

أجِـرْنِي جِـوَارًا هاشـمِيًّا فَلَم أخَفْ فلَمْ يَـكُ يومًا مَن تَجِـرْه بضائِعِ[1].

وجَعَلَ خَبَر ثلاث جُمَلِ لا يَفعَلُها إلا الله تعالى (جَعَلَ خبَرها مُحمدًا عبْدَ الله أحمدَ)، فقال:

وأفَضـلُ مَن يُـدْعَى لِـدَفْعِ نوائِبٍ وأفْضَـلُ مَنْ يُسْـدِي العطَا ويُواسِ .. [2].

وزَعَم أنَّه مُنقِذُه مِن كُلّ البليات، فقال:

محمـدُ أُنْسِـي وَهْـوَ كـنزِي وملجَئِي وسِـرّي ومِن كُـلّ البليـات مُنْقِذِي[3].

سادسًا: ما جاء في ديوانه الآخر (المسمى: مناسك أهل الوداد في مَـدح خـير العبـاد ﷺ)، حيث قـال فيه مغاليًا في الناهي عن إطرائه (رسول الله ﷺ):

فَمِنْ جُودِه الكَونان والعـالَمُ الذي تَقاصَـر حِسٌّ عنه وهْـوَ كبيرُ[4].

وقال وهو يَزعُم أنّه عُرِج به إلى الله، ولقِي رسولَ الله ﷺ يقظة وجهارًا:

جِهـارًا لَقِيْتُ المصـطفى بِعُرُوجِي إلى الله مِن ذَا الْكَـونِ وقْتَ خروجِي

إلى قوله بعده بستة أبياتٍ:

رُجُوعِي مِنَ الْمـولَى لأحمـدَ نازِلا إلى الملإ الأعلى فُوَيقَ بُرُوجِ

كأنّي بَريد السِّرّ للكُلّ قاذقًا بِـوَقتِ هُبُـوطِي مثـلَ وقْتِ عُرُوجِي

تلقّاه مِنّي كُلّ رُوحٍ مُجرَّدٍ صـفَا وقْتُهُم والأمر غـيرُ

---

[1] المصدر نفسه، ص155، ضمن الدواوين الست.

[2] المصدر نفسه، ص160 (البيت وبيتان بعده، ضمن الدواوين الست).

[3] شِفاء الأسقام، ص164، وللازدياد من هذه الأبيات الغالية في هذا الديوان اقرأ، ما جاء في ص 140، 147، 151، 162، 164، 167، ضمن الدواوين الست.

[4] مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد ﷺ، ص182، ضمن الدواوين الست.

مَرِيج[1].

وقال:

رأَيتُ رَسولَ الله نَصّ بأنّنِي سفيرٌ له في الكائنات مُخَلِّص[2].

وفي ختام هذه النماذج أقول: إنْ لَم يكُن في هذه النماذج إطراء النبيّ الْمنهي عنه، والشرك بأنواعه الثلاثة؛ في توحيد الإلهية (في الدعاء والاستغاثة خصوصًا) والربوبية والأسماء والصفات، فما قرأتُ شركًا في كتاب! أما قائلُه فقد يكون تاب عن ذلك، ومات على غير هذه العقيدة، وأقول فيه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- عن سلَفه البكري الشافعي: « فإنّا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنّه لم يشرع لأمته أنْ تَدْعُوَ أحَدًا من الأموات؛ لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنّه لم يَشْرَع لأمته السجود لميت ولا لغير ميّتٍ، ونحو ذلك. بل نعلم أنّه نَهى عن كلّ هذه الأمور، وأنّ ذلك مِن الشرك الذي حرّمه الله تعالى ورسولُه، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرّسالة في كثيرٍ من المتأخرين: لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لَهم ما جاء به الرسول مما يخالفه، ولِهذا ما بيّنْتُ هذه الْمسألة قطّ لِمن يَعرف أصلَ الإسلام إلا تفطّن وقال: هذا أصل دين الإسلام. وكان بعض الأكابر من الشيوخ العارفين مِن أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بَيَّنْتَه لنا؛ لِعِلْمِه بأنّ هذا أصلُ الدين. وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يَدْعُون الأموات ويسألونَهم، ويستجيرون بِهم، ويتضرّعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم؛ لأنّهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزَلَتْ بِهم؛ فيدعونه دُعاءَ الْمُضطرّ، راجين قضاء حاجتهم بدعائه، والدعاء به، أو الدعاء عند قبره، بخلاف عبادتِهم الله تعالى ودعائهم إيّاه؛

---

[1] مناسك أهل الوداد، ص176، ضمن الدواوين الست.

[2] مناسك أهل الوداد، ص187، وللازدياد من الأبيات الغالية في هذا الديوان وزوائده اقرأ ما في ص، 171، 173، 205، 212، 217، 218 ضمن الدواوين الست.

فـإنّهم يَفعلونه في كثـيرٍ من الأوقـات على وجه العـادة والتكلّف، حتى إنّ العـدو الخـارج عن شـريعة الإسـلام لَمّا قدم دمشق خرَجُوا يستغيثون بـالموتى؛ عند القبـور الـتي يَرْجُون عندها كَشْفَ ضرّهم ... »[1].

وهذا الحُكم يَنْطبِـق على كُـلّ شـخصٍ نقَلتُ عنـه كُفرياتٍ في هذا البحث وغيره.

وما تقدم في هذا المطلب وجهٌ من أوجُه غُلُوّ الصوفية في عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ.

** * **

المطلب الخامس: زعم غلاة الصوفية حلول الله سبحانه في رسول الله ﷺ:

حلّ المكانَ، يَحُلّ حَلاًّ وحلولا: نَزَل به، كاحتلّه، ويُقال: حَـلّ به فهو حَـالٌّ[2]. هـذا من حيث اللغـة. واصـطلاحا: « **الحلول السَّرَيانِيّ:** هو عبارةٌ عن اتخاذ الجسمين بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخـر، كحلـول مـاء الوَرد في الوَرد، فيُسـمى السـاري حـالاًّ، والمسـرِي محلا. **والحلـول الجـواري:** عبـارة عن كـون أحـد الجسـمين ظرفًـا للآخـر، كحلـول المـاء في الكـوز »[3]، كمـا في التعريفات. والحلول فيه بقاء الاثنينية بخلاف الاتحاد؛ حيث إنّه تصـيير ذاتين واحـدة ولا يكـون إلا في العـدد، وهو محال[4].

وتعالى وتنزه القـدوس السـلام من أنْ يَحُـلّ في مخلوقاته، بل هو فوقها مباينًا لها، والحلـول والاتحـاد عـامٌ وخاصٌّ، وقـد قـرّر ذلـك شـيخ الإسـلام ابن تيميـة –رحمـه اللـه-، وذكَـر مصـدرَه، فقـال: « حَـدَثَتْ هَـذِهِ الْمَقَـالاتُ بِحُـدُوثِ دَوْلَـةِ التَّتَـارِ، وَإِنَّمَا كَـانَ الْكُفْـرُ الْحُلُـولَ الْعَـامَّ أَوْ الاتِّحَادَ أَوْ الْحُلُولَ الْخَـاصَّ؛ وَذَلِـكَ أَنَّ الْقِسْـمَةَ رُبَاعِيَّةٌ؛ لأَنَّ مَنْ جَعَلَ الـرَّبَّ هُـوَ الْعَبْـدَ حَقِيقَـةً؛ فَإِمَّا أَنْ يَقُـولَ بِحُلُولِـهِ

[1] الاستغاثة والرد على البكري، (ج2/ص731-732) بتحقيق: محمد بن علي عجال.

[2] انظر: الصحاح للجوهري،ما دة حلل، ص257، والقاموس المحيط، مادة، حلّ، ص907.

[3] التعريفات للجرجاني، ص157.

[4] انظر: التعريفات للجرجاني، ص64.

فِيهِ، أَوْ اتِّحَادِهِ بِهِ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ: فَإِمَّا أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مُخْتَصًّا بِبَعْضِ الْخَلْقِ؛ كَالْمَسِيحِ. أَوْ يَجْعَلَهُ عَامًّا لِجَمِيعِ الْخَلْقِ. فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ.

الْأَوَّلُ: هُوَ الْحُلُولُ الْخَاصُّ: وَهُوَ قَوْلُ النسطورية[1] مِنْ النَّصَارَى وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَقُولُ: إنَّ اللاهُوتَ حَلَّ فِي النَّاسُوتِ وَتَدَرَّعَ بِهِ، كَحلوْلِ الْمَاءِ فِي الإِنَاءِ. وَهَؤُلاءِ حَقَّقُوا كُفْرَ النَّصَارَى؛ بِسَبَبِ مُخَالَطَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ أَوَّلُهُمْ فِي زَمَنِ الْمَأْمُونِ؛ وَهَذَا قَوْلُ مَنْ وَافَقَ هَؤُلاءِ النَّصَارَى: مِنْ غَالِيَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ كَغَالِيَةِ الرَّافِضَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّهُ حَلَّ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَئِمَّةِ أَهْلِ بَيْتِهِ. وَغَالِيَةِ النُّسَّاكِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْحُلُولِ فِي الأَوْلِيَاءِ، وَمَنْ يَعْتَقِدُونَ فِي الْوِلايَةِ، أَوْ فِي بَعْضِهِمْ: كَالْحَلاجِ، وَيُونُسَ وَالْحَاكِمِ، وَنَحْوِ هَؤُلاءِ. **وَالثَّانِي**: هُوَ الاتِّحَادُ الْخَاصُّ: وَهُوَ قَوْلُ يَعْقُوبِيَّةِ[2] النَّصَارَى، وَهُمْ أَخْبَثُ قَوْلا، وَهُمْ السُّودَانُ وَالْقِبْط، يَقُولُونَ: إنَّ اللاهُوتَ وَالنَّاسُوتَ اخْتَلَطَا وَامْتَزَجَا كَاخْتِلاطِ اللَّبَنِ بِالْمَاءِ. وَهُوَ قَوْلُ مَنْ وَافَقَ هَؤُلاءِ مِنْ غَالِيَةِ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى الإِسْلامِ. **وَالثَّالِثُ**: هُوَ الْحُلُولُ الْعَامُّ: وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ الْجَهْمِيَّة الْمُتَقَدِّمِينَ، وَهُوَ قَوْلُ غَالِبِ مُتَعَبِّدَةِ الْجَهْمِيَّة؛ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ اللَّهَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَيَتَمَسَّكُونَ بِمُتَشَابِهِ مِنْ الْقُرْآنِ؛ .. وَالرَّدُّ عَلَى هَؤُلاءِ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ فِي كَلامِ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَعُلَمَاءِ الْحَدِيثِ.

الرَّابِعُ: الاتِّحَادُ الْعَامُّ: وَهُوَ قَوْلُ هَؤُلاءِ الْمَلاحِدَةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ عَيْنُ وُجُودِ الْكَائِنَاتِ، وَهَؤُلاءِ أَكْفَرُ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ وَجْهَيْنِ: **مِنْ جِهَةِ** أَنَّ أُولَئِكَ قَالُوا: إنَّ الرَّبَّ يَتَّحِدُ بِعَبْدِهِ الَّذِي قَرَّبَهُ وَاصْطَفَاهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونَا مُتَّحِدَيْنِ، وَهَؤُلاءِ يَقُولُونَ: مَا زَالَ الرَّبُّ هُوَ الْعَبْدُ، وَغَيْرُهُ مِنْ

---

[1] **النسطورية** فرقة من فرق النصارى وهم: « أصحاب نسطور، وهم الذين قالوا: إنّ المسيح قال: إني أنا الله » (عقائد الثلاث والسبعين فرقة، ج2/ص239).

[2] **اليعقوبية:** فرقة من فرق النصارى، « وهم أصحاب يعقوب، زعم هؤلاء أن الله هو المسيح ابن مريم » (عقائد الثلاث والسبعين فرقة، ج 2/ص240).

الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ هُوَ غَيْرهُ. **وَالثَّانِي:** مِنْ جِهَةِ أَنَّ أُولَئِكَ خَصُّوا ذَلِكَ بِمَنْ عَظَّمُوهُ كَالْمَسِيحِ، وَهَؤُلاءِ جَعَلُوا ذَلِكَ سَارِيًا فِي الْكِلابِ وَالْخَنَازِيرِ، وَالأَقْذَارِ وَالأَوْسَاخِ ..»[1].

وقد ذكرتُ هذا الكلام المتين في الوحدة والحلول، مع أنّ المقام مقام ذكر الحلول فحسب، لِما تقدم من إشارتِي إلى أنّ القول بالوحدة أو الاتحاد والحلول من عقائد أهل التصوف الفلسفي، فتقدم هناك الإشارة، وهنا -وبِهذه المناسبة- التفصيل.

والحلولية المنتسبة إلى الإسلام طائفة من الرافضة ومن الصوفية؛ لِهذا لَمّا جاء فخر الرازيّ –رحمه الله- إلى ذكر طائفة من الصوفية التي قالت بالحلول بيّن أنّه سبقَتها إليه طائفة من الرافضة، فقال: « الحلولية: وهم طائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم؛ يَرَون في أنفسهم أحوالا عجيبة، وليس لَهم مِن العلوم العقلية نصيبٌ وافرٌ؛ فيتوهّمون أنّه قد حصَل لَهم الحلول أو الاتحاد، فيَدعون دعاوى عظيمة. وأوّل مَن أظْهَرَ هذه المقالة في الإسلام الروافض؛ فإنّهم ادّعَوا الحلول في حق أئمتهم »[2].

ونقل ابن الجوزي –رحمه الله- عن شيخ بَلَغَه، أنّ « جماعةً مِن الحلوليين زعموا أنّ الحق اصطَفى أجسامًا حَلّ فيها بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشربة. ومنهم مَن قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات، ومِنهم مَن قال: حالٌّ في المستحسنات »[3].

وبعد هذا، أقول: غُلاة الصوفية يَزعمون أنّ مَن تَهذَّب بالطاعة فإنه لا يزال يصفو عن البشرية حتى يحُلّ فيه روح الله، فلا يُريد شيئًا إلا كان، تعالى الله عمّا يصفون. ولا يَسعُنِي هنا نقل كلام هؤلاء في الحلول عامة[4]، بل يَكفِي أنْ أورد قول الحلاج فقط:

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوْتُه   سِرَّ سَنَا لاَهُوتِه الثَّاقِب

---

[1] مجموع الفتاوى، (ج2/171-172)، وانظر: مقدمة تاريخ ابن خلدون، ص508-510.

[2] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص100-101.

[3] تلبيس إبليس، ص181.

ثُمَّ بدَا فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا فِي صُوْرَةِ الآكِلِ وَالشَّارِب
حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقُهُ كَلَحْظَةِ الحَاجِبِ بِالحَاجِبِ[1].

فبعض هؤلاء الصوفية يقولون بأنّ الله تعالى يَحُلّ في مختارات من خلقه، كالمتهذِّب بالطاعة مثلا، وعيسى ، ومحمد ؛ فابنُ عَرَبِي المُلحِد وغيرُه مِن أهل الاتحاد لَم يَكتَفوا بنصوصهم العامة التي فيها التنصيص على عقيدة حُلول الباري -سبحانه وتعالى عما يصفون- في مخلوقاته الجميلة عامة، أو اتحاده سبحانه بِهم، حتى خَصّ نبيّنا محمدًا بِحُلول الباري وتَجَسُّده فيه، فقال في إحدى صلواته: « اللهم صَلّ على محمدٍ الذي تَجسّد فيه الله، اللهم صَلّ على نفسك التي ظَهَرَت وتَظهَرُ في صُوَر الكائنات » [2].

والتجسّد بِمعنى الحلول تَمامًا. وكُفر هذه المقالة مما لا يختلف فيه اثنان؛ فإذا كان الله تعالى يُكفِّر مَن قال: (بأنّ الله هو المسيح ابن مريم)، فكيف لا يَكفُرُ قائلُ: إنّ الله يَظهر في صُوَر عموم الكائنات [3]؟!

وللصوفية أيضًا في الصلاة عليه بألفاظ غامضة مبتدعة، فيها النصرانية: « اللهم صَلّ وسلِّم وبارك على الطلعة الذات المُطلسَم، والغيث المُطَمْطَم، لاهوتُ الجمال، وناسوت الوصال، وطلعة الحق، هوية إنسان

---

4 (?) من أراد أنْ يقف على طائفة كبيرة منها، فعليه: بمصرع التصوف، وهذه هي الصوفية، والإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، (الحلول، والاتحاد والوحدة، ص105-111).

1 (?) ديوان الحلاج، ص30، بواسطة: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي عرض ونقد، ص109، وأوردها ونظائرها الذهبيّ في ترجمته (سير أعلام النبلاء،ج9/ص190).

2 (?) مجموعة الأحزاب بواسطة، هذه هي الصوفية د. عبد الرحمن الوكيل، ص159.

3 (?) لإبطال عقيدة الحلول عقلا ونقلا انظر الكلام الموسع في: موقف اليهود والنصارى من المسيح ، وإبطال شبهاتهم حوله، ص402-419 (تحت عنوان: بطلان عقيدة الحلول والاتحاد عقلا ونقلا)، وانظر: مجموع الفتاوى (ج2/173 أيضًا).

الأزل في نشر مَن لم يَزَل، مَن أَقَمْتَ به نواسيتَ الفَرْق إلى طريق الحق، فَصَلّ اللهم به منه فيه »[1].

وقال قُبوري آخَر في زعمه أنّ الله المستوي على العرش جاء في صورة محمدٍ : « إنّ محمدًا هو عين الله تعالى، فالذي كان مُسْتَوِيًا على العرش قد نزَل إلى المدينة فصار المصطفى. إنّ الله الذي أرانا حُسْنَه وجَمَالَه قد جاء في صُورة محمد »[2].

وهذا الزعم الصوفي له علاقة بِما يُسمّونه (الحقيقة المحمدية)، وقد تقدم[3].

وأزيد هنا ما جاء في آخر جواهر المعاني وهو يشرح ما يسمونه الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية بيّن فيه أنّ للنبِيّ مقامَين، هما: « مقام حقيقته الأحمدية، وهو الأعلى، ومقام حقيقته المحمدية، وهو أدنَى، ولا أدنى فيه. وكُلّ ما أدركه جميع الموجودات من العلوم والمعارف والفيوضات والتجليات، والترقيات، والأحوال والمقامات، والأخلاق، إنما هو من كله من فيض حقيقته المحمدية، وأما ما في حقيقته الأحمدية فما نال منه أحدٌ شيئًا؛ اختص به وحده لكمال عزّها، وغاية علوها. فهذه الحقيقة الأحمدية »[4]. ذلك أنّ؛ « الحقيقة الأحمدية: فهي الأمر الذي سبق به في الحمد لله كُلّ حامد من الوجود، .. - وذكَر الأنبياء والملائكة والأولياء والعارفين والأقطاب والصديقين وغيرهم، وما أدركوه من المعارف والأسرار والعلوم والفيوضات والتجليات والمنح والمواهب والأحوال والأخلاق، وقال-: كل ما أدركوا على جمله وتفصيله: إنّما

---

1 (?) مجموع الأحزاب الصوفية، ص14، بواسطة هذه هي الصوفية، ص 158-159، وانظر شرحه فيه، والمباحث العقدية المتعلقة بالأذكار لعلي بن عبد الحفيظ الكيلاني، (ج3/1008).

2 (?) إمداد المفتيين، ص126، بواسطة: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/ ص705).

3 (?) تقدم في مطلب النور المحمدي (المطلب الثاني من هذا المبحث).

4 (?) جواهر المعاني، ص239.

هو من فيض حقيقته المحمدية. وأما حقيقته الأحمدية؛ فلا مطمع لأحدٍ بنيل ما فيها »[1].

هكذا زعَم، فلم تَكفِ التجانية القول ببدعة الحقيقة المحمدية، حتى اخترعوا حقيقة أخرى سمّوها: الحقيقة الأحمدية، وأنّها الخاصة بها والأعلى.

وهذا الزّعْم الذي قالَه ابن عَرَبِي وغيرُه مِن تجسّد الله تعالى في رسوله ﷺ، وأنّ الله تعالى جاء في صورته، بل محمدٌ عَينُه، كما أنّ الكائنات مظاهرُ يتجلّى فيها الله، تعالى وتقدس كُفرٌ وباطلٌ، وقد ردّ عليه العلماء، ومِن المعاصرين منهم: سَماحة المُفتِي العام الشيخ عبد العزيز آل الشيخ –حفظه الله تعالى- لَمّا ذكَر أقسام مَن ناقَضَ شهادة أنّ محمدًا رسول الله ﷺ: « وقِسْمٌ: يَشْهَدُون أنّ مُحمدًا رسولُ الله، وينتسبون للإسلام، لكنّهم خالَفُوا حقيقة هذه الشهادة بأنواع ومراتب مِن المخالفات، بعضها أعظم من بعض؛ فقسم منهم: بالَغ في الغُلُوّ فيه ﷺ، وجَعَلَه نُورًا أزَلِيًّا ينتقل في الأنبياء حتى جاء ﷺ. ومِنهم مَن يَزْعُم أنّه مَظْهَرٌ يتجَلّى الله فيه -والعياذ بالله. فالأول: قول الغلاة؛ الشيعة والباطنية، وأيضا غلاة الصوفية. والثاني: هو قول أهل وحدة الوجود. وكلّ هذه أقوال كُفرية لا تَصْدُر عن قلبٍ مؤمن، وإنما يُزَخْرف فيها القول، وتُلْبَس لباسُ الإسلام؛ تَمويهًا على العوام. وإلا فهي مضاهاة لقول مَن سبق من الأمم الكافرة، مثل اعتقاد النصارى في المسيح، وأنّه إلهٌ في صورة إنسان. والرسول ﷺ إنما هو بَشَرٌ، وعَبْدٌ من عباد الله، اصطفاه الله وشَرّفَه بأَنْ كان خاتمَ الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وبَشَرِيّتُه تَنْفِي ما زُعِم فيه مِن المزاعم الباطلة التي ذكرت سابقًا، وما شابَهها » [2].

وهذا وجهٌ مِن أوجُه غُلُوّ الصوفية في رسول الله ﷺ. وسيأتِي أوجهٌ أخَرى لغلو الصوفية فيه ﷺ.

---

[1] المصدر نفسه، ص239.

[2] حقيقة شهادة أنّ محمدً رسول الله، للشيخ عبد العزيز آل الشيخ، ص94.

** * **

المطلب السادس: اعتقاد الصوفية أنَّ الكون خُلق من أجله ﷺ:

لفظة الكون: فَعْلٌ بِمعنى مُكَوّن، وهو كُلّ ما خلَقَه الله تعالى وكَوَّنَه؛ مِن سَمواتٍ وأرَضِين، وإنس وجانّ، وآخرة ودنيا، وغير ذلك.

فيَزعُم الصوفية –في عددٍ من صُورِ غُلُوّهم- أنّ الدنيا لم تُخلَق إلا لأجل محمدٍ ﷺ خلافًا لِما ثبت في الشريعة مِن أنّ الله ما خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن إلا لِيُعلم، فيُعبَد، كما دلّت آيات خلق الجنّ والإنس، ومنهم محمدٌ ﷺ نفسُه؛ فهو وبقية الإنس ثم الجنّ، ثم السموات السبع والأرضون، بل والدنيا والآخرة لم تُخلق إلا لعبادة الله وما يَتبَع ذلك. أما هؤلاء الصوفية فيقولون غُلُوّا ﷺ أنّ الكون خُلِق من أجله، قال خطيبُهم البوصيري[1]:

وكيفَ تَدعُو إلى الدّنيا ضَرورةُ مَن لولاه لم تَخرُج الدّنيا مِن العَدَم[2].

وجاء في كتاب جواهر المعانِي من قول التجاني لَمّا سئل عن معنى (الفاتح لِما أُغلِق) أجاب بأنّ « معناه الفاتح لِما أُغْلِق من صُوَر الأكوان، فإنّها كانت مُغلقة في حجاب البطون وصُوَر العدم، وفتحت مغاليقها بسبب وجوده ﷺ، وخرجَت من صورة العدم إلى صورة الوجود،

---

[1] صاحب البردة: هو: محمد بن سعيد البوصيري نسبة إلى بلدته أبو صير بين الفيوم وبني سويف بمصر، ولد سنة 608هـ، واشتغل بالتصوُّف، وعمل كاتبًا مع قلة معرفته بصناعة الكتابة، ويظهر من ترجمته وأشعاره أن الناظم لم يكن عالِمًا فقيهًا، كما لم يكن عابدًا صالِحًا؛ حيث كان ممقوتًا عند أهـل زمانه لإطلاق لسانه في الناس بكل قبيح، كما أنه كثير السؤال للناس، ولذا كان يقف مع ذوي السلطان مؤيدًا لَهم سواء كانوا على الحق أم على الباطل. ونافح البوصيري عن الطريقة الشاذلية التي التزم بها، فأنشد أشعارًا في الالتزام بآدابها، كما كانت له أشعار بذيئة يشكو من حال زوجه التي يعجز عن إشباع شهوتها! توفي البوصيري سنة 695هـ وله ديوان شعر مطبوع (راجع ترجمته الموسعة في: البوصيري دراسة ونقدًا لمحمد سعيد كيلاني، والمقدمة لديوانه، وانظر أيضًا: قوادح عقدية في بردة البوصيري، د. عبد العزيز آل عبد اللطيف، ص180 (ضمن حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال).

[2] البردة لشرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري، (البيت 33)،ص58 ضمن مجموع مهمات المتون.

ومن حجابية البطون إلى نفسها في عالم الظهور؛ إذْ لولا هو ما خَلَق الله موجودًا، ولا أخرَجه من العدم إلى الوجود، فهذا أحد معانيه، ..» [1].

وقال كاتب الجواهر أيضًا وهو يشرح أحدَ أورادهم: « فإنّه كُلِّية مراد الحق، وغايته من الوجود؛ فإنّـه مـا خلـق الكون إلا من أجله » [2].

وبِمثل بيت البوصيري السابق قال شيخ التيجانية المعاصر الحاج إبراهيم الكولخي:

وذاك الذي لولاه ما كان كائنٌ ولولاه لَم نسلُكْ إلى الحق منهجًا[3].

فهذا الزّعم الصوفي يناقض تمامًا قول الله تعالى: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ [الذاريات: ٥٦].

ولا يخفى ما في عَجز بيت البوصيري، وصدر البيت المتقدم من الغلو الشنيع في حق نبينا محمد حيث زعما أنّ الدنيا لم توجد إلا لأجله .وربما عوّلوا على أخبار موضوعة[4].

** * **

---

[1] جواهر المعاني وبلوغ الأمانِي في فيض سيدي أبِي العباس التجانِي، ص60 .

[2] المصدر نفسه، ص235.

[3] شفاء الأسقام في مدح خير الأنام ، ص140، ضمن الدواوين الست له.

[4] من الأحاديث الموضوعة التي يستدلون به: **حديث لولاك ما خلقت الأفلاك**. (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للشيخ الألباني، برقم: 282، ج1/ص451).

المطلب الثامن: زعم غلاة الصوفية أنّ زيارة قبره عليه الصلاة والسلام أفضل من الحج:

هذا وجهٌ من أوجُه الغُلُوّ في عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ، وقد حكـاه عنهم شـيخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه الله- حيث قال:

« ومِن هؤلاء مَن يُرَجّح الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت »[1].

وهذا عامٌّ في قبره ﷺ وقـبر غـيره، بـل بلَـغ ببعض القبورية أنْ يَزعُم بأنّ زيـارة قـبر غـيره ﷺ أفضل من الحج بعـدد من المـرات، كما حكـاه أيضًـا، فقـال: « ومِنهم مَن يجعل السفر إلى المشهد والقـبر الـذي يُعظّمُه أفضل مِن الحج، ويقول أحد المريـدين لآخر -وقد حَجّ سـبع حجج إلى بيت الله العتيق-: أتبيعُنِي زيارة قبر الشيخ بالْحِجَج السّبع؟ فشاوَرَ الشيخ، فقال: لو بِعْتَ لكنتَ مغْلوبًا »[2].

بل حكى حكايـات مضـمونها أنّ مِن القبورية مَن يُصـلِّي إلى القـبر، كما أنّ منهم مَن إذا حجّ يكـون منتهى قصـده قـبر النبِيّ ﷺ، لا الحج، حـتى إنّ بعضـهم جـاء للحج ولَمّا زار القبر الشريف ترَك الذهاب إلى مكة، وذكَروا هذا من مناقبـــه، وأما نصّ حكاياته فكـــالآتِي: « فطائفة مِن هـؤلاء يصـلون إلى الميت، ويـدعو أحـدهم الميت فيقـول: اغفر لي، وارحمني، ونحو ذلك، ويسجد لقـبره. ومنهم مَن يستقبل القبر، ويصلي إليه مستدبرًا الكعبة ويقول: (القـبر قبلة الخاصــة، والكعبة قبلة العامــة) وهــذا يقوله مِن هو أكثر الناس عبادة وزهـدا وهو شـيخٌ متبـوع، .. ومِن هـؤلاء مَن يقـول: (وحَـقّ النبِيّ الـذي تُحجّ إليه المطايـا)؛ فجعل الحج إلى النبِيّ لا إلى بيت الله ﷻ. وكثـير من هـؤلاء أعظم قصــده من الحج قصد قــبر النبِيّ ﷺ لا حج الــبيت. وبعض الشـيوخ المشـهورين بالـدين والزهد والصـلاح صـنف كتابا سماه الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام، وهذا الضــال –يعنِي: البكري- استعان بهذا الكتاب.

---

1 ([?]) تلخيص كتاب الاستغاثة، (ج2/562)، بتحقيق: محمد علي عجال.

2 ([?]) المصدر نفسه، (ج2/562)، بتحقيق: محمد علي عجال.

وقد ذكر في مناقب هـذا الشـيخ أنّه حج مـرة، وكـان قـبر النـبي منتهى قصــده، ثم رجع ولم يــذهب إلى الكعبــة، وجعل هذا مِن مناقبه. .. »[1].

وفي هذا من الغلو والإفراط الذي يؤول إلى الشرك البـواح، فضـلاً عن الابتـداع والإحـداث في الـدين[2]. واللـه المستعان!

** * **

ما تقدم في هذا المبحث عبارة عن طائفة مِن أوجُه غُلُوّ الصوفية في عبد الله ورسوله نبينا محمـدٍ ، وغُلُـوّهم فيه متنوِّعٌ وكثيرٌ لا يَسَع المقـام لـذكره كُلّـه، وقد مَـرّ في ثنايا البحث، وسـيَمُرّ الإشـارةُ إلى بعض الصُّـوَر المندرجة تحت هذا المبحث (غُلُوّ الصوفية وإطراؤهم النّبِيّ).

** * **

استدراك:

1- ومما مَرّ في الباب الأول، ولم أذْكُر له نَصًّا من كُتُبِهم: زَعمُهم بل كــــذِبُهم بأنّه يَحْيَى في قـــبره حياته الدنيوية لا البرزخية، كما قـال في (الشـهاب الثـاقب على المسـترق الكـاذب) لِمؤلّفه الديوبنـدي: (إنّ الأنبيـاء أحيـاء عندنا حياة حقيقية غـير برزخيـة). قـال: (والوهابية الخبيثة مخـالفون لنا في ذلـك). وقــال أيضًــا: (إنّ محمد بن عبد الوهاب النجدي وأتباعه يعتقدون إلى الآن أنّ حياة الأنبيـاء كـانت في المـدة الـتي قَضَـوها في الـدنيا، وبعد ذلك هم وأتباعُهم سواءٌ في الموت » [3].

بل زَعَم بعضُ الغُلاة بأنّ (النبِيّ يُصلِّي في قبره بأذانٍ وإقامة)[4].

---

1 (?) المصدر نفسه، (ج2/560-561)، بتحقيق: محمد علي عجال.

2 (?) انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري، ص183 (ضمن حقوق النبي بين الإجلال والإخلال).

3 (?) الشهاب الثاقب لحسين أحمد المدني الديوبندي، ص45، بواسطة: القول البديع في التحذير من جماعة التبليغ، ص80. وانظر للوقوف على أقوال الصوفية المشابهة والرد عليها في كتاب: الديوبندية تعريفها –عقائدها، (حياة النبي) ص199-212.

4 (?) انظر: فيض الباري على صحيح البخاري لأنور شاه الكشميري، (ج1/ص83)، بواسطة: الديوبندية تعريفها –عقائدها، ص202.

وبلَغ بالآخَرين منهم إلى أنْ زَعَم (بأنّ تركة النبِيّ لا تُورَث، وأنّ أزواجه لا يحللن لأحدٍ بعده، فهذا دليلٌ على أنّ النبِيّ حيٌّ في قبره حياة عُنصرية، لكنّه انعزل عن الناس كما ينعزل المعتكف أربعين يومًا مثلا)[1].

وقال ديوبنديٌّ آخر في بيان عقيدتهم في المسألة: (الجواب: عندنا وعند مشايخنا حضرة صاحب الرسالة حَيٌّ في قبره الشريف، وحياتُه دنيوية من غير تكليف؛ وهي مختصة به ، وبجميع الأنبياء صلوات الله عليهم، والشهداء؛ لا برزخية، كما هي حاصلةٌ لسائر المؤمنين؛ بل لجميع الناس؛ كما نص عليه العلامة السيوطي في رسالته: إنباه الأذكياء بحياة الأنبياء، حيث قال: قال الشيخ تقي الدين السبكي: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا...؛ فثبت بهذا أنّ حياته دنيوية، برزخية؛ لكونها في عالم البرزخ؛ ..)[2].

وقد امتازت البريلوية الصوفية –والتي سيأتِي ذكرُها في مبحثها الخاص- بـدعْواها أنّ حياة النبِيّ في قبره حياةٌ دنيوية يُجامع فيه أزواجه[3].والنماذج في هذا كثيرة وكثيرة[4].

وقد جعَل القبورية مسألة حياة الأنبياء في قبورهم بل والأولياء تمهيدًا للاستغاثة بِهم.

وقد تقدم في مبحث موت النبِيّ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، والله الحيّ القيّوم مُنَـزَّهٌ عن الموت من الباب الأول إبطالُ دعوى كون حياتهم حياة دنيوية بالنصوص الشرعية، وبالواقع.

---

1 (?) انظر: عقائد أهل السنة والجماعة، لعبد الشكور الحنفي، ص 162وما بعده، بواسطة: الديوبندية تعريفها –عقائدها، ص202.

2 (?) المهند على المفند (الملقب بعقائد علماء أهل السنة الديوبندية، لمؤلفه: الخليل أحمد السهارنفوري القبوري صاحب بذل المجهود على سنن أبي داود، ص38وما بعده، بواسطة: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/711-712).

3 (?) قد نقَل نصوص الصوفية وخصوصًا البريلوية منهم صاحب كتاب جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/715-717)، وانظر: البريلوية عقائد وتاريخ للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص80.

4 (?) انظر إليها في كتاب: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/711-718 غُلوُّ القبورية في حياته البرزخية).

2- وغالَى الصوفية فيه وجَعَلُوا سَمعَه مثل سَمع ربِّه، وأنّه لا يَخفى عليه المسموعات، ويسمع نداء المستغيثين به، فـ(قالوا: إنّ رسول الله كان يَسمع صَرير الأقلام في اللوح المحفوظ، ويَسمع أصوات تسبيح الملائكة تحت العرش وهو كان في بطن أمه؛ بل كان يعلم الغيب من بدء الأمر » [1].

وهذا سيأتِي تفنيده في مبحث توحيد الإثبات، وفيما يتعلق بصفة السمع خصوصًا.

** * **

وأختم مبحث غُلُوّ الصوفية وإطرائهم النبِيّ هذا – بعد التفصيل المتقدم في سبعة مطالب- بالتأكيد بأنّ الصوفية غُلاة في عبد الله ورسولنا نبينا محمد ، ومخالفون له فيما أمر من التوسط فيه وعدم رفعه عن منزلته الحقيقية. وبالمقابل من هذا فإنّهم جُفاة لرسالته وشريعته عليه الصلاة والسلام. وهذا ما يأتي تقريره في المبحث القادم.

** * **

1 ([?]) عِلم غيب الرسول للميترانوالي، ص34، بواسطة: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/709).

المبحث الثاني: جفاء الصوفية سنته ورسالته، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تقديم الصوفية آراءَ شُيُوخِهم على سُنّتِه عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: رفع الصوفية بعض أوليائهم فوق مقام نبوَّته عليه الصلاة والسلام**.**

المطلب الثالث: ابتداع الصوفية ومخالفتهم شريعته عليه الصلاة والسلام**.**

المطلب الرابع: تبديل الصوفية شريعته من دعاء للأموات إلى دعائهم.

المطلب الخامس: اعتقاد الصوفية أنَّ بعض الناس يسعه الخروج على شريعته ، كالخضر.

المطلب السادس: تسوية الصوفية مشايخهم به في الحفظ والعصمة، وغير ذلك.

المطلب الأول: تقديم الصوفية آراءَ شُيُوخِهم على سُنّتِه عليه الصلاة والسلام[1]**:**

أقصد بـ(السُّنّة) في هذا المطلب: معناها اللغوي والأعمّ (الطريقة)، ومن طريقة المصطفى أنّه لا شيء يُتلى أفضل من القرآن؛ لأنّه كلام خالق البشر، وفضلُه على كلام البشر كفضل الله تعالى على خلقه. وعلى ما سبق إجماع المسلمين. وأقول ثانيًا: القرآن أخصّ خصائص وآيات رسولنا محمدٍ ، ولا يُدانيه شيءٌ فضلا عن أنْ يُماثله، وتفضيل غيره عليه من كلام البشر كُفرٌ [2]!

لكنّ طائفة من الصوفية (وهم غلاة التجانية) يُفضّلون ما نسَبوه إلى شيخهم التيجانِي من ثواب قراءة صلاة الفاتح (والتي نصّها: اللهم صلّ على محمد الفاتح لما أُغلق، والخاتم لِما سبَق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم) [3] تفضيل ثواب قراءتها على القرآن بستة آلاف

---

1 (?) انظر: فصل في صلاة الفاتح لِما أُغلِق من كتاب الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية لمحمد بن تقي الدين، ص122-128.

2 (?) انظر مشتهى الخارف الجانِي في ردّ زلقات التجانِي الجانِي، ص 259.

3 (?) رماح حزب الرحيم، ص380، (مع جواهر المعاني)، -فصل: بيان الأذكار اللازمة للطريقة التجانية.

مرة؛ ففي الفصل الثانِي من الباب الرابع، والذي هو بعُنوان: فضل ورده –التيجاني- وما أعد الله لتاليه، ...، وقال صاحب كتاب جواهر المعاني: « ... وأما فضل صلاة الفاتح لِما أُغلِق إلخ، فقد سَمِعتُ شيخنا يقول: كنتُ مشتغلا بذكر صلاة الفاتح لِما أُغلق حين رَجعتُ من الحج إلى تلمسان لِما رأيتُ من فضلها، وهو أنّ المرّة الواحدة بستمائة ألف صلاة، كما هو في ورد الجيوب ... فلما رأيتُ الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركتُ الفاتح لِما أغلق إلخ، واشتغلت بِها، وهي: اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك، وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله سلامًا يعدل سلامهم، لِما رأيت فيها من كثرة الفضل، ثم أمرنِي بالرّجوع إلى صلاة الفاتح لِما أُغْلِق، فلمّا أمرنِي بالرجوع إليها سألتُه عن فضلها أخبَرَنِي أولا بأنّ المرّة الواحدة منها تعدل من القرآن ستّ مرّات، ثم أخْبَرنِي ثانيًا أنّ المرة الواحدة تَعدل من كُلّ تسبيحٍ وقَع في الكون، ومن كلّ ذكر، ومن كلّ دعاء؛ كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنّه من الأذكار »[1].

فتدرج في هذه المعادلة من ستة إلى ستة آلاف.

وتفضيل أيّ ذِكرٍ على آية من القرآن ولو بِمرة أو مساواته بِها كُفرٌ بالإجماعِ[2]، وقد ذكَر صاحب كتاب مشتهى الخارف الجانِي طائفة من الأحاديث ونصوصِ الأئمة على أنّ تفضيل غير القرآن عليه من كلام البشر كُفرٌ، وذلك عند ردّه على هذه المسألة التي لم تُروَ عن النبِيّ ، وقد قال بعد ذكر طائفة منها: « فما رأيتَ من الأحاديث النبوية الدالة على أنّ نسبة كلام الله تعالى لكلام الخلق

---

1 (?) جواهر المعاني وبلوغ الأمانِي في فيض سيدي أبِي العباس التجانِي، ص57.

2 (?) للرد الوافي على هذا الكفر، انظر: مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، ص259-266، والأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي (ومعه: بحث مختصر عن الطائفة التجانية، إعداد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) ص89-92، وفصلٌ في صلاة الفاتح لِما أُغْلِق من كتاب الهدية الهادية إلى الطريقة اليجانية لمحمد بن تقي الدين المغربي، ص122-128.

في الفضل كنسبة الله تعالى لخلقه = تعلم أنّ مدّعِي فضل شيء من كلام المخلوقات عليه مُلحدٌ مُكذِّبٌ لِما جاء عن الله تعالى ورسوله » [1].

وانظر إلى هذه الردة، وقارن بينها وبين ما ثبَت عَنْه من ثواب الباقيات الصالحات –على أحد الأقوال- فقط دون القرآن: " **لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ** "[2].

ثم إنّه قد يكون القصد من تفضيل هذه البدعة على القرآن هو صدّ العوام عن قراءة القرآن، والله تعالى أعلم.

وهَل حقيقة كلام هذا الصوفي تفضيلٌ لِهذه الصلاة على القرآن فحسب، أم استهزاءٌ بالقرآن وتحقيرُه، وهو إلى الثانِي أقرب، قال صاحب المشتهى الخارف الجانِي –رحمه الله-: « وأما كلام هذا الرّجل فهو من باب التهكم، لا من باب التفضيل الحقيقي الذي المشاركة فيه في أصل الفضل شرطٌ، **وإيضاح ذلك:** هو أنّه لو صحّ ما قاله هذا الرّجل من الافتراء من أنّ صلاة الفاتح تَعدِل ستة آلاف من القرآن، فأيّ فضلٍ للقرآن معها، وأيّ فائدة فيه مع وجودها، فكيف يَشتغل عاقلٌ به ويَختمُه في ليالٍ عديدة، وهو يجد هذه الكلمات التي يمكنه قولها في طرفة عين، ويحصل له من الأجر ما يعدل ستة آلاف مما لم يُحصّله إلا في ليالٍ عديدة! فاشتغال العاقل به حينئذٍ عبثٌ لوجود ما هو أيسر وأفضل بشيء لا يَنتهي، فعلى كلامه لَم يَبقَ للقرآن فضلٌ مع صلاة الفاتح ألبتة، فآل كلامه إلى التهكم، لأنّ مدار التهكم على عدم المشاركة في أصل الفضل، وعلى كلامه لم يَبق للقرآن بالنسبة لَها فضلٌ تَحصُل فيه المشاركة » [3].

---

[1] (?) مشتهى الخارف الجانِي، ص261.

[2] (?) الحديث في جامع الترمذي وهو صحيح وقد تقدم تَخريجه في مبحث شدة محبة النبِيّ لربه .

[3] (?) مشتهى الخارف الجانِي، ص262.

ثم أقول أخيرًا: وكون التجانِي يدّعي أنّ هذا الورد (صلاة الفاتح) وفضله صادرٌ له من النبِيّ ﷺ: فيه زيادة إثم على إثم؛ لأنّه قد جمَع بين الكذب على الله تعالى بكونِها من كلامه تعالى، والكذب على النبِيّ ﷺ بكونه ذكَر لِهذه الأباطيل فضلا. ووعيد الكذب على الله تعالى، والكذب على رسوله معلومٌ [1].

تنبيه في إنصافِ الْخصم:

قد ذَكَرتُ هذا الوجه الجفائِيّ منسوبًا إلى هؤلاء التجانية ومن أبرز كتُبهم، مع معرفتِي بأنّ بعض عقلاء هؤلاء ممن قد يُسمّون: أعلام التصحيح منهم، كأحد شيوخهم في نيجيريا المسمى الشّريف إبراهيم صالح بن يونس بن محمد الأول صاحب كتاب (التكفير أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة بين المسلمين في نيجيريا)، وآخرين[2] يتبرؤون من تفضيل ثواب قراءة صلاة الفاتح على ثواب قراءة القرآن ويُبرّؤون ساحة شيخهم من قول ذلك، بل والتجانية من اعتقاده = وذلك بالطّرق الكثيرة، **منها:** دعوى التناقض بين ثواب قراءة صلاة الفاتح (تَعْدِل من القرآن ستة آلاف مرة) وثواب قراءة الاسم الأعظم؛ حيث جاء في جواهر المعاني نفسه: ما يَدُلّ على أنّ مِن ثواب تالِي الاسم الأعظم –على ما زعَم أحمد التجانِي من أنّ سيّد الوجود ﷺ أخبَرَه-: (أنّ لتاليها ثوابَ صلاة الفاتح لِما أُغلِق بتمامها ستة آلاف مرة منه)[3].

---

1 (?) انظر: مشتهى الخارف الجانِي، ص264، وانظر الفصل الذي عقده في رد قول التجاني: إنّ النبِي ﷺ أخبَرَه بذلك الفضل، ص287-291.

2 (?) منهم من يُسمى: أبو عزكِي الشيخ عبد القادر. والأول هو صاحب كتاب (التكفير أخطر بدعة تُهدد السلام والوحدة بين المسلمين في نيجريا)، وهو مفتي التجانية في نيجيريا. ومِن أقواله التي فيها وفيها: ما قاله في كتابه هذا، ص87: « ولقد جاء في كثير من كتب الطريقة التجانية مبالغات غير عادية في نظر الكثيرين، وخصوصًا في موضوع ثواب صلاة الفاتح »، والرجل في قيد الحياة، وكان عدُوًّا لِمَن يُسميهم الوهابية في البلد (أهل السنة)، بل ويَذكُر أنّ الفكر التيمي والوهابي لا بُدّ من قلعه في البلد إذا أُريد سلامتُه في حوار صحافي أجري معه (26دقيقة، مع مراسل الجزيرة.نت).

فصار هنا ثواب صلاة الفاتح مفضولٌ، وثواب تلاوة الاسم الأعظم: الفاضل.

وجاء في هذا النصّ أيضًا: أنّ تالِي هذا الاسم (الاسم الأعظم) له أجر ختمة واحدة[1]. فقال التصحيحيُّ صاحب كتاب التكفير بعد نقل آخر من جواهر المعانِي: « وهذا القول يرُدّ القول السابق؛ وهو كونُها تَعدِل ستّ ختمات في الإخبار الأول، فإذا كان الاسم الذي هو أفضل من صلاة الفاتح بستة آلاف درجة ليس فيه إلا ثواب ختمة، فليس من المعقول أنْ تعدل صلاة الفاتح شيئًا من القرآن؟ » [2].

وقال أيضًا حكاية النصّ الطويل في الاسم الأعظم من الجواهر: « وإذا قارَنتَ بين هذا الكلام وما تقدم تجد تناقُضًا ظاهرًا بين الكلامين؛ لأنّ الاسم الذي هو أفضل يعدِل ثواب ختمة فقط من القرآن، وهو أفضل من صلاة الفاتح بتمامها ستة مرات، أو ستة آلاف، ولا شكّ أنّ أحَد القولين هو الصحيح، ويجِب أنْ يكون هو هذا؛ إذْ هو أشبههما بالصواب، وأقربهما إلى نفوس المؤمنين. وقد زاد هذه القولة النكراء بعضَ أعداء الشيخ للنيل من مكانته السامية، وليس ذلك بضارّه شيئًا إنْ شاء الله » [3].

وقد كان بدَأَ تناوُل هذه المسألة بعدما عقَد عُنوَانًا تكلّم فيه عن (ثواب الفاتح لِما أُغلِق عند الشيخ التجانِي) بقوله: « وهنا يجِب أنْ ننبّه على أنّ هذا الكلام الذي فيه أنّ الفاتح تعدِل ستة مرّات من القرآن، أو ستة آلاف من القرآن على اشتهاره بين الناس: كلامٌ غير صحيح، ويُبطِلُه كلام الشيخ التجانِي الصحيح في نفس جواهر المعانِي، فقد جاء فيه عند الكلام على الاسم الأعظم » [4]، فأورَد ما تقدمت الإشارة إليه من فضائل الاسم الأعظم.

---

3 (?) نقله عن جواهر المعاني (ج1/ص69) صاحب كتاب التكفير أخطر بدعة تُهدد السلام والوحدة بين المسلمين في نيجريا، ص88.

1 (?) كتاب التكفير أخطر بدعة، الموضع نفسه، ص88.

2 (?) التكفير أخطر بدعة، ص90.

3 (?) التكفير أخطر بدعة، ص88-89.

4 (?) التكفير أخطر بدعة، ص88-89.

ومِن أدلتهم: دعوى أنّ الجملة المتنازَع فيها من جواهر المعانِي، والتعليل الذي خُتمتْ به، وهما: «.. ومن القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنّه من الأذكار »[1]، غلَطٌ من بعض النُّسّاخ، أو أنّه أدخلَه ناشرو الكتاب بقصد التشويه والتشنيع على الشيخ وطريقته.

ودليلهم على هذه الدعوى: أنّ عليّ حرازم أعاد عبارة أحمد التجانِي دون أنْ يتعرّض فيها إلى ذكر القرآن. (وأرى أنّ هذا فقط لا يَكفِي لدعوى الغلَط من بعض النّسّاخ، أو الإدخال بقصد التشويه).

هذا حاصلُ أدلة صاحب كتاب (التكفير أخطر بدعة).

وفي التقديم للكتاب من شيخٍ تجانِيّ في السودان بعض الأوجه المُدّعمة لِما تقدم، ومنها أنّ جواهر المعانِي لم يَكْتُبه أحمد التجانِي بنفسه، كما أنّ الناقل عنه لَم يَكُنْ مُحتاطا كُلّ الاحتياط في ضبط عين عبارته، بل كان يَروي بالمعنى[2].

ومما قال هذا المقدِّم تحت عنوان: (ثواب صلاة الفاتح): « بعد أنْ ذَكَر الشيخ الشريف –صاحب كتاب التكفير- ثواب صلاة الفاتح المرويّ عن الشيخ التجانِيّ في جواهر المعانِي استنتج من كلامٍ وقعَ فيه التناقض في الجواهر المطبوع: أنّ عبارة: تَعدِل ستة آلاف ختمة من القرآن، لم يَقُلها الشيخ؛ وبيان ذلك؛ .. -فذَكَر نحوًا مما تقدم- »[3].

ومما قال في هذا المقام أيضًا: أنّه « قد أثبَتَ خُلَفاء الشيخ وعلماء الطريقة ما أثبتَه الشيخ الشريف بأنّ هذه العبارة لم يَقُلها الشيخ ..»[4]، فذكَر ما ورَد في مجلة طريق الحق[5] تحت عُنوان: أسئلة من شرق أفريقيا،

---

1 (?) جواهر المعاني وبلوغ الأمانِي في فيض سيدي أبِي العباس التجانِي، ص57.

2 (?) انظر: تقديم د. أبِي عُركي عبد القادر من السوادن على كتاب التكفير أخطر بدعة، ص: (ع).

3 (?) المصدر نفسه، ص: (ك).

4 (?) المصدر نفسه، ص: (ل).

5 (?) السنة العشرون، العدد6/ جمادى الثانية، 1390هـ أغسطس 1970م، ص23.

ونصّ السؤال: (يقول التجانيون: إنّ صلاة الفاتح مُنزّلةٌ من عند ربّ العالمين، وأنّ مَن قرأها مرّة واحدة فإنّ ثوابه يُعادل من ختم القرآن ستة آلاف مرة، هل هذا صحيح؟ ولِماذا؟). وجاء الجواب بأنّ شيخًا بالمغرب الأقصى وهو من كبار العلماء التجانيين نفَى صحة ورود هذا عن الشيخ أحمد التجانِي. وأنّ كُلّ مسلمٍ يَنفِي ذلك)[1]. كما بيّن أنّ التجانيّ الرادّ على الزمزمي[2] مشى على ذلك ونقله، وفيه أنّ ذلك الموضع من جواهر المعاني شاذٌّ خالَفَ فيه تسعة عشر موضعًا من جواهر المعاني نفسه[3].

ونقل عن جماعة تُسمى جماعة الوحدة الإسلامية قولهم في الرسالة الرابعة: « ونعتقد أنّ من أعظم الكفر أنْ يَعتقد أحدٌ أنّ صلاة الفاتح أو غيرها من الصلوات عليه تعادلُ في الفضل آية من القرآن، فكيف به كله، ولا نعتقد أنّها تساوي الكلمة المشرفة: لا إله إلا الله » [4].

فتحصل هنا أنّ خمسة من عُلماء التجانية، وهم صاحب كتاب التكفير أخطر بدعة، والمقدِّم له (شيخ من السودان) والثلاثة الذين نقَل المقدِّم كلامهم قد يُعدّون في هذا الوجه من علماء التصحيح في الطريقة التجانية. هذا إذا حمَلنا هؤلاء الرجال وغيرهم ممن قد يقول بقولهم على المحمَل الحسَن، وأنّهم قالوا ما تقدم صدقًا من قلوبهم؛ لا تقية وفرارًا مِن المسبَّة التي أُصيب بِها الطريقة التجانية بعد ظهور جواهر المعانِي.

وبإزائهم رجالٌ آخرون في الطريقة التجانية باقون على أنّ المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل من القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنّه من الأذكار. ويَرَون بأنّ المتقدّمين القائلين بعكس ذلك يُريدون هدم الدين التجانِي، بل ولهم علاقة بالوهابية؛ حيث باعوا لهم إيمانَهم، وعلى رأسهم

---

1 (?) تقديم د. أبِي عُركي عبد القادر من السوادن على كتاب التكفير أخطر بدعة، ص: (ل).

2 (?) في كتابه تهافت الزمزمي (13/ 4).

3 (?) تقديم د. أبِي عُركي عبد القادر من السوادن على كتاب التكفير أخطر بدعة، ص: (ل).

4 (?) المرجع نفسه، ص: (م).

مؤلِّف كتاب السمّ الزعاف من الفاشر بالسودان. حتى قال مما قال في سُمّه: «هذه طعنةٌ ما فطن لَها الوهابيّون أنفسهم إذْ ليس فيهم مَن تعرض لِهذا الشيء الذي يجب فيه النظَّر، ونحن نرُدّ عليك: بأنّ ما تَذكُرُ من الفرائض والنوافل إذا كانت أذكارًا فإنّ صلاة الفاتح تعدِل من كُلّ ذكرٍ وتسبيحٍ ودعاءٍ، ومن القرآن ستة آلاف مرة»[1].

وقد كَتَب صاحب كتاب (التكفير أخطر بدعة) كتابًا آخر ليَرُد به على صاحب السمّ الزعاف أسماه: الْمُغير على شبهات أهل الأهواء وأكاذيب، الْمُنكر على كتاب التكفير.

وبعد هذه الجولة، أقول: الآن يُمكِن أنْ يُقال: إنّ في التجانية نفسِها بالنسبة لتفضيل ثواب قراءة صلاة الفاتح لِما أُغْلِقَ على آلاف ختمات القرآن أو ما دون ذلك: طائفَتَين؛ طائفةً لَم ترْضَ بذلك، وعلى رأسهم: صاحب كتاب التكفير النيجيري، والْمقدّمِ لكتابه السودانِيّ والباقون، والذين أطْلَقتُ علَيهم: من أعلام التصحيح في التجانية.

وطائفةً أَبَتْ إلا تفضيل قراءة هذه الصلاة الْمبتدعة على قراءة القرآن ستّ آلاف ختمة، وعلى رأس هؤلاء: صاحب السمّ الزعاف الذي رَدّ على مؤلِّف (التكفير أخطر بدعة ..) وقرر في كتاباته: أنّ التصحيحيَّ على علاقة بالوهابية، وأنّه باعَ إيمانه بثمن بخس دراهم معدودة.

وهنا: أُنَبّه إلى أمور:

الأمر الأول: كلا الطائفتين حتى (أعلام التصحيح) تجانية على عداءٍ وبُغضٍ كبيرَين لأهل السنة والذين يُسمّونهم الوهابية؛ فخُذْ مثلا صاحب كتاب التكفير أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة بين المسلمين في نيجيريا الذي زَعَم صاحب السُّمّ الزّعاف أنه له علاقة بالوهابية. فالحقيقة: أنّ هذا الرجل من ألَدّ أعداء مَن يُسَمِّيهم الوهابية حتى إنّ مَن يَقْرأ كتابه التكفير هذا يَجد أماكن يطعن فيها على أهل السنة الحقيقيين، بل لم يُؤلّف الكتاب (قبل ثلاثين سنة) إلا ليُبيّن أنّ الذين على السنة

[1] (?) المرجع نفسه، ص: (م).

المحضة هم أهل التكفير، وزَعَم أنّهم يُهددون سلام المسلمين ووحدتهم في بلدي تأليبًا للحكومة عليهم، وما ذنبُهم إلا أنْ درّسوا كُتُب التوحيد ونواقض الإسلام وكشف الشبهات وغير ذلك.

وقد تقدم كلامه الذي يُشير إلى عدائهم لأهل السنة، حيث يقول: « وقد زاد هذه القولة النكراء بعضَ أعداء الشيخ للنيل من مكانته السامية، وليس ذلك بضارّه شيئًا إنْ شاء الله » [1].

وهذا الرجل من تاريخ بعيد على هذا المنهج، بل زاد الأمر سوءًا في الأيام الأخيرة حيث أجرَى مراسلٌ للجزيرة حوارًا معه على إثر جماعة خرَجَت في 26دقيقة بيّن من خلالها أنّ الفكر الوهابِيّ والفكر التيمي (ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب) هما الأصل والجذور الذي يَجب أنْ يُقتلع من بلدي مادام الحكومة تريد أنْ تقضي على هؤلاء. وبيّن -وهو صاحب الكلمة المسموعة- أنّه في صدد كتابة كتاب له كبيرٍ يَشرَح هذا المعنى؛ فلا أتمّ الله خروج الكتاب، واجعل اللّهم تدميره –إنْ لم يكن مهتديًا- في تدبيره. أما الطائفة الثانية والذين بَقُوا على تفضيل صلاة الفاتح لِما أُغلق على القرآن فتجانيتهم واضحة. وحتى عامة المسلمين لا يَرضَون إلحادهم، والحمد لله!

الأمر الثاني: أنّ أهل السنة مشفقون على هؤلاء سواءٌ الذين فضّلوا هذه الصلاة المبتدعة على القرآن، أو الذين لم يصِلوا إلى القول بذلك، ويُحبّون الخير للجميع، وأنّ أرجى ما يرجون أنْ يَتْرُكوا هذه العقيدة التي تُبعِدهم عن الإسلام الحقيقي وغيرها من عقائدهم الْمُخرِجة عن الملة –كما تقدم في تمهيد أول الفصل-، ويسألون الله تعالى أنْ يوقظ المسلمين أجمعين ليتنبّهوا إلى الكفريات ويجتنبوها حتى تَسلَم لهم آخرتُهم؛ آمين!

---

[1] (?) التكفير أخطر بدعة، ص88-89، وانظر التقديم على الكتاب لتعرف مدى عدائهم للسنة، ص: (و)، والْمغِير بأكمله (وهو كتاب ألّفه ليرد على الذي زعَم أنّ له علاقة بالوهابية، فأبرز فيه أوجهًا تدل على عكس ذلك، والكتاب في مئات الصفحات).

الأمر الثالث: وهو أهمها: أنني مُصِرّ على نسَبة هذا الجفاء إلى الفكر التجانيّ، مع ما آليتُ على نفسي أنْ أنْصِف الخصم ما استطعتُ إلى ذلك سبيلا، ذلك وإنْ ردّ عدم تفضيل أيّ وردٍ (صلاة الفاتح مثلا) على القرآن الطائفةُ الذين نَقَلتُ كلامهم، ونفَوا أنْ يكون شيخهم أحمد التجانِي قد قال به بالطرق السابقة إلا أنّ هناك الطائفة الأخرى منهم وقفَتْ تستميت على إثباته كعقيدة منسوبة إلى الفكر التجانِي. فتمّ بذلك المقصود، وهم المقصودون بِهذا المطلب؛ حيث يُقدّمون رأي شيخهم (تفضيل ثواب تلاوة الصلاة على القرآن) على طريقة النبيّ ودينه.

والتجانية وإنْ بيّن بعضهم أنّ أصل صلاة الفاتح مأثورةٌ عن عليّ بن أبي طالب موقوفة عليه ضمن صِيَغ الصلاة على الرّسول وحاول تصحيح الأثر[1] إلا أنّهم يُقرّون بِأنّها هذه المعادلة بين تلاوتها وقراءة القرآن 6000مرة، أو ستّ مرّات لم تأتِ عن عليٍّ، بل ولا عن البكري المصري، بل عن أحمد التجانِي رأس التجانية.

وهب أنّ هذه الصيغة من الصلاة ثبَتَت عن رسول الله بالطريقة الحديثية المعروفة مرفوعة غير موقوفة فإنّه لم يجئ في الأحاديث ما يَدُلّ على المفاضلة بينها وبين القرآن.

بل هذا جاء من كيس التجاني حيث زعم أنّ النبِيّ جاءه يقظة وأعطاه ونبّهه إلى الورد الذي كان آخذًا به ثم تركهُ، وبيّن له فضلَه.كما قالوا-

فالقصد من هذا كله: أنّه إنْ وُجد طائفة من التجانية ينفُون صحة إضافة ثواب صلاة الفاتح وتفضيلها على القرآن بآلاف المرات إلى شيخهم التجاني –كما تقدم-، فقد وُجِد منهم طائفة أخرى تعتقد تفضيل قراءة صلاة الفاتح على القرآن، وأنّ ثوابه بِما تقدم، ويقولون بأنّ هذا

---

[1] (?) كصاحب كتاب التكفير أخطر بدعة تهدد .. ص83-86 (تحت عنوان: ما هي صلاة الفاتح)، وحاول أنْ يُصحح الأثر، بعد حكاية قول الحافظ ابن كثير الذي نقل بعضه عن شيخه المزّي (في تفسيره لآية الصلاة والسلام على النبيّ ، ج3/ص666)، كما نقل عن القاضي عياض وعلي القارئ وغيره (انظر: ص83-84). وقد بيّن صاحب الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية أن الأثر غير صحيح، (انظر: ص124).

هو عقيدة شيخهم التجاني، وأنّ الذي ينفيه عنه وعن الفرقة: فإنّه ساوَم الوهابية بدينه وعقيدته. وهؤلاء هم المقصودون بِهذا الردّ، وبِهم ثَبَتَ مقصود ما عُقد في هذا المطلب، والله المستعان! وأكتفي بِهذا المثال في كشف ما عُقد المطلب لأجله!

** * **

المطلب الثاني: رفع الصوفية بعض أوليائهم فوق مقام نبوَّته عليه الصلاة والسلام:

وهذا من عقائد غُلاتِهم، حيث يُفضّلون شيوخهم وأولياءهم على شخص النبِيّ ﷺ أو ولايتهم المزعومة على مقام نبوته، أو يصفونَهم بخصائص تفوق خصائصه، من ذلك، ما حكَى ابن الجوزي –رحمه الله- أنّه شهد قومٌ على أحمد بن أبي الحواري أنّه يُفضّل الأولياءَ على الأنبياء، فهَرَب من دمشق إلى مكة [1].

ومن شطحات أبِي يزيد **البسطامي**[2] **وتفضيله شيوخ الصوفية وعلى رأسهم نفسه على الأنبياء عمومًا، وعلى رأسهم رسولنا ﷺ، قوله: « خُضْنا بَحرًا وقَفَ الأنبياءُ بساحله »**[3]. وقوله أيضًا: « تالله إنّ لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نورٍ تحته الجن والإنس؛ كلّهم من النّبيين » [4].

---

[1] (?) تلبيس إبليس، ص178.

[2] (?) أَبُو يَزِيْدَ البسطامي هو طَيْفُوْرُ بنُ عِيْسَى بنِ شَرْوَسَانِ البِسْطَامِيُّ، مع تقدمه قَلَّ مَا رَوَى، قال الذهبي: جَاءَ عَنْهُ أَشْيَاء مُشْكِلَةٌ لاَ مَسَاغَ لَهَا، الشَّأْنُ فِي ثُبُوْتِهَا عَنْهُ، أَو أَنَّهُ قَالَهَا فِي حَالِ الدَّهْشَةِ وَالسُّكْرِ وَالغَيْبَةِ وَالمَحْوِ فَيُطْوَى، وَلاَ يُحْتَجُّ بِهَا، إِذْ ظَاهِرُهَا إِلْحَادٌ، مِثْل: سُبْحَانِي، وَمَا فِي الجُبَّةِ إِلاَّ الله. مَا النَّارُ؟ لأَسْتَنِدَنَّ إِلَيْهَا غَداً، وَأَقُوْلُ: اجعَلْنِي فَدَاءً لأَهْلِهَا، وَإِلاَّ بَلَعْتُهَا. مَا الجَنَّةُ؟ لُعْبَةُ صِبْيَانٍ، وَمُرَاد أَهْلُ الدُّنْيَا. مَا المُحَدِّثُونَ؟ إِنْ خَاطَبَهُم رَجُلٌ عَنْ رَجُلٍ، فَقَدْ خَاطبنَا القَلْبُ عَنِ الرَّبِّ. ومما حُكي عنه من الشّطحِ قوله: سُبْحَانِي سُبْحَانِي! ما أعظم شأنِي!! (انظر: فضائح الباطنية للغزالي، ص80). ومثله ما مَرّ في صلب البحث. تُوُفِّيَ أَبُو يَزِيْدَ بِبِسْطَامَ: سَنَةَ 261هـ، (انظر ترجمته: الرسالة القشيرية، ص28-29، وسير أعلام النبلاء، ج8/ ص382-384).

[3] (?) الإنسان الكامل للجيلي: (ج1/ ص124) بواسطة: التصوف المنشأ والمصادر، ص206.

[4] (?) لطائف المنن والأخلاق لعبد الوهاب الشعراني، (ج1/ص125)، بواسطة: التصوف المنشأ والمصادر، ص206.

وقال آخرُ: « معاشر الأنبياء أوتِيتم اللقب، وأوتينا ما لم تؤتوه » [1].

وقال الفيلسوف الباطنِي الصوفي ابْن عَرَبِيٍّ الطائي مُفضّلا الولاية على الرّسالة والنبوة:-

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُولِ، وَدُونَ الْوَلِيّ [2].

وفي الفتوحات المكية [3]:

بين الرسالة والولاية بَرْزَخ فيه النُّبُوَّةِ حُكمها لا يُجهل

والحق أنه:

ولَم يَفضُل ولِيٌّ قطّ دهرًا نبيًّا أو رسولا في انتحال [4].

كما أنّه « لا يَبلُغ ولي درجة الأنبياء أصلا » [5].

وحقيقة بَيتَي ابن عَرَبِي أنّه يُفضّل نفسه على نبيّنا الكريم ﷺ، كما سيأتِي تقريرُه لاحقًا. ثم إنّ سبب تفضيل الولي -على زعم غلاة الصوفية- على النبي هو أنّ النبي عنده علم الشريعة، فعنده علم الظاهر، أما الولي فعنده الحقيقة (علم الباطن) ولذا تَسقط عنه التكاليف دونه، قال ابن عرَبي: « ولَمّا مثّل النبِيّ ﷺ النبوة بالحائط من اللبن؛ فرآها قد كَمُلَت إلا موضع اللبنة، وكان هو ﷺ موضع اللبنة. وأما خاتم الأولياء فلا بُدّ له من هذه الرؤية، فيرى ما مثّله به النبِيّ ﷺ، ويرَى نفسه في الحائط موضع لبنتين، ويَرَى نفسه تنطبع في موضع لبنتين، فيكمل الحائط. والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين أنّ الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبنة الفضة هي ظاهره، وما يتبعه فيه من الأحكام؛ كما هو آخذٌ عن الله تعالى في السرّ ما هو في الصورة الظاهرة متّبِعٌ فيه؛ لأنّه يرَى الأمر على ما

---

1 (?) الإنسان الكامل للجيلي: (ج1/ ص124) بواسطة: التصوف المنشأ والمصادر، ص206.

2 (?) الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، وابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص128.

3 (?) الفتوحات المكية، (ج2/ 252) بواسطة محقق كتاب إبطال القول بوحدة الوجود، ص74.

4 (?) بدء الأمالي، لسراج الدين علي بن عثمان الفرغاني، (البيت33، ضمن مجموع مهمات المتون).

5 (?) العقائد النسفية لعمر بن محمد النسفي، ص22 (ضمن مجموع مهمات المتون).

هو عليه فلا بدّ أنْ يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن؛ فإنّه يأخذ من المعدن الذي يأخُذ منه الملك الذي يوصي به إلى الرّسول. قال: فإنْ فهمتَ ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع) قال الشارح: فَمَن ضرَب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسول بلبنة فضة؛ فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول ، تلك أمانيّهم، إنْ في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه. وكيف يخفى كُفرُ مَن هذا كلامُه، وله من الكلام أمثال هذا! ... »[1].

ونقل علي القاري عنه أيضًا، فقال: « وقوله أيضًا في الفصّ المذكور: لَمّا شبّه النبِيّ جدار النّبوة المبني باللبن، وقد قال: قد تم ذلك الجدار إلا موضع لبنة، وعَنَى به نفسه، فكَمُلَت النّبوة بوجوده في عالم شهوده، فلا بُدّ لِخاتَم الأولياء مِن رؤية ذلك الجدار مبنيًّا مِن الذهب والفضة المركبتين في الدار، وأنّه ناقصًا مكان لبنتين أحدهما مِن ذهبٍ، والأخرى من فضة للاعتبار، وأنّه يرَى خاتم الأولياء نفسه منطبعًا مكان تينك اللبنتين، فيَكمُل به البناء. وسبب رؤيته ذلك أنّه تابعٌ شرع خاتم الرّسل في الظاهر، وهو موضع لبنة الفضة، ولكونه يأخُذُ شرع خاتم الرّسل من الحق بطريق الإلهام، كجبريل -- يكون هو موضع لبنة الذهب أيضًا »[2].

وقد قال قبل ذلك: « الرّابع: قوله في فصّ شيث بعد بيان بعض العلوم: إنّه ليس هذا العلم إلا لِخاتم الرّسل وخاتم الأولياء، ولم يَرَ أحدٌ هذا العلم من الأنبياء والرّسل إلا من مشكاة خاتم الرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولم يَرَ أحدٌ من الأولياء إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فالرّسل من حيث ولايتهم لا يرَون ما ذُكِر إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فخاتم الرّسل من حيث ولايته بالنسبة إلى خاتم الأولياء كنسبة الرّسل والأنبياء إلى خاتم الرّسل »[3].

---

1 (?) إبطال القول بوحدة الوجود ونقض نصوص ابن عربي، ص74-75.
2 (?) إبطال القول بوحدة الوجود ونقض نصوص ابن عربي، ص89.
3 (?) المصدر نفسه، ص89.

فانظر كيف يُفضّل خاتمِ الأولياء على زعمه على خاتم الأنبياء محمدٍ ، وقد ذكَرَ أنّه صرّح في كتابه الفتوحات بأنّه (ابن عربي) هو المراد بخاتم الأولياء[4]، فثَبَتَ بِهذا أنّه يُفضّل نفسَه على هذا النبِيّ الكريم .

وأصـرَحُ نَصّ لـه في هـذا التفضـيل مـا قالـه في فصوصـه: « وما يـراه أحَـدٌ من الأنبيـاء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم, ولا يَـراه أحَـدٌ مِن الأوليـاء إلا من مشكاة الوليّ الخاتم, حتى إنّ الرُّسُل لا يرَونه -متى رأوه- إلا مِن مشكاة خاتم الأولياء: فـإنّ الرسـالة والنبـوة -أعنِي نبوة التشريع ورسـالته- تنقطعـان, والولاية لا تنقطع أبـدًا؛ فالمرسـلون مِن كـونهم أوليـاء لا يـرَون ما ذكَرْنـاه إلا مِن مشكاة خاتمِ الأوليـاء, فكيف مَن دونَهم مِن الأوليـاء؟ وإنْ كان خاتم الأولياء تابعًا في الحكم لِما جاء به خـاتم الرسل مِن التشريع, فذلك لا يَقْدح في مقامه، ولا يناقض ما ذهبنا إليـه؛ فإنّه مِن وَجْـهٍ يكـون أنْـزَلَ كما أنّه مِن وجْـهٍ يكـون أعلى ... لَمّا مثَّل النبِيّ النبـــوة بالحائط من اللبِّن، وقد كَمُـلَ سـوى مَوضع لبِنَة, فكـان تلك اللبنة. غـير أنَّه لا يَرَاها كما قـال لبِنَة واحـدة. وأما خـاتم الأوليـاء: فلا بُـدّ له مِن هذه الرُّؤْيا؛ فيَرَى ما مثَّلَه به رسـولُ الله , ويَـرَى في الحائط مَوضـعَ لبِنَـتين, واللبن مِن ذهب وفضــة؛ فيَـرَى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما وتكمُل بهما؛ لبنة ذهَبٍ ولَبِنة فِضّـة, فلا بُـدّ أنْ يَـرَى نفسَـه تنطبع في موضع تينك اللبنـتين, فيكـون خـاتم الأوليـاء تينك اللبنـتين؛ فيكمُـلُ الحائطُ. والسّبَب الموجب لكونه رآها لبنتين أنّه تابعٌ لشَرْعِ خـاتم الرُّسُـل في الظـاهر، وهو موضع اللبنة الفضة, وهو ظـاهرُه وما يتبعه فيه من الأحكـام, كما هو آخِـذٌ عن الله في السِّــرّ ما هو موضــعُ اللبنة الذّهبية في البــاطن, فإنّه أخَذَ مِن المعدن الذي يأخذ مِن الملك الـذي يـوحى به إلى الرسول .. فإنْ فَهِمْتَ ما أشَـرْتَ به فقد حصَـل لك العلمُ النافع بكُلّ شيء. فكُل نـبي من لـدن آدم إلى آخر نبِيٍّ ما منهم أحَـدٌ يأخذ إلا من مشـكاة خـاتم النبـيين, وإنْ تـأخّر وجودُ طينته, فإنّه بحقيقته موجـودٌ, وهو قوله : (كنت نبيًّا

[4] انظر: المصدر نفسه، ص89.

وآدم بين الماء والطين). وغيره من الأنبياء ما كــان نبِيًّا إلا حين بُعثَ, وكذلك خـاتم الأوليـاء كـان وليًّا وآدم بين المـاء والطين, وغـيره من الأوليـاء ما كـان وليًّا إلا بعد تحصـيله شــرائط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصــاف بها مِن كون الله تعالى تسمى (بالولي الحميد). خـاتم الرسل من حيث ولايته, نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه , فإنه الـولي الرسـول النـبي. وخـاتم الأوليـاء الـولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب » [1].

وهذه صراحة في التفضيل لا تحتمل التأويل[2].

وقرر أنّ الوليّ يَعلم علمَيْن: علم الشريعة والحقيقة، أي: الظاهر والباطن، والتنـزيل والتأويل، وأما النبي مِن حيث هو نبيٌ فليس له إلا علمٌ بالظاهر والتنـزيل والشريعة، بل « إذا رأيْتَ النبِيّ يتكلم بكلام خارجٍ عن التشريع فمِن حيث هو وليٌّ عارفٌ، ولِهذا مقامُه مِن حيث هو عارفٌ أتم وأكمل من حيث هو رسولٌ، أو ذو تشريع وشرع » [3].

إلى غير ذلك من أقوال ابن عربِي الكثيرة الصريحة التي يُقرر فيها تفضيل الأولياء على الأنبياء، والولاية على النبوة والرسالة، والتي أوردَ طائفة كبيرة منها صاحب كتاب إبطال القول بوحدة الوجود ونقض نصوص ابن عرَبِي، وصاحب كتاب التصوف المنشأ والمصادر، وصاحب كتاب هذه هي الصوفية، وقبلها صاحب كتاب تنبيه الغبِي إلى تكفير ابن عرَبِي، وحكى مثلها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية[4] وغيرهم وردُّوا عليها، بل وكفَّروه بسببها، وقد أودَعَ هذه العقائد ابن عرَبِي في كتابه فصوص الحِكَم خصوصًا، بل والفتوحات المكية.

---

1 (?) فصوص الحكم (فص حكمة نفثية في كلمة شيشية)، ص62-64، بواسطة:التصوف المنشأ والمصادر، ص208

2 (?) انظر: التصوف المنشأ والمصادر، ص208.

3 (?) فصوص الحكم (فص حكمة قدرية في كلمة عزيزية)، ص135، بواسطة: التصوف المنشأ والمصادر، ص207.

4 (?) حكى عنه في مواضع كثيرة من كُتُبه، وقد تقدم نقل شيء منه في المبحث التاسع من الفصل الثاني من الباب الأول، كما ذكَر شيئًا منها في رده على أبِي الحسن الشاذلي في حزبه، ص142.

كما أنه قد جاء في زُبدة الحقائق ما يَدخُل في هذا الباب، وهو قول صاحبه: « إنّ طائفة مِن الصوفية ذَهَبَت إلى تفضيل الولاية على النبوة, وقالوا: إنّ النبوة باطنُها الولاية, وأما الولاية فباطنُها عالم الإله » [1].

والكتاب الآخر (كشف الحقائق): « أيها العارف! إنّ العـارفين عند أهل الوحـدة ثلاثة طوائف: حكمـاء وأنبيـاء وأولياء؛ فالحكيم مَن يكـون عارفًا بطبـائع الأشـياء, والنبِيّ مَن يكـون عارفًا بطبـائع الأشـياء وخواصّـها, والـوَلِيّ مَن يكون عارفًا بطبائع الأشـياء وخواصّـها وحقائقها, فظهر أنّه لا يوجد في العالم أحدٌ يضاهي الـولِيَّ في العلم والقـدرة, لأنّ الله له تجليّـان: تجلي عــام, تجلي خــاص؛ فــالتجلي العــام: عبـارة عن أفــراد الموجــودات, والتجلي الخــاص عبارة عن الوَلِيّ, وهذا هو معنى قول الله : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [الشـورى: ٩] » [2]. وكفى بكلامـه هـذا تحريفًـا للنصّ، وقـولا بالباطنية وكذبًا.

وأختم هذا المطلب بما ختم به الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله- مسألة تَفْضِيل الـوَليّ عَلَى النَّبِيِّ، حيث قال: « فهذه هي عقيـدة المتصـوفة في الأوليـاء والولاية, عين تلك العقيدة الشيعية الشنيعة الــتي ذكرناها من قبل, وهي تتضــمن تفضــيل الأوليــاء على أنبيــاء الله ورســله, والبعض الآخر كتموها عملا بالتقية الـتي لم يأخـذوها أيضًـا إلا من الشـيعة كما سـنذكرها. فـإنّ الـولِيّ عنـدهم فـوق الرســول والنبِيّ, ودون الله قليلا, وأحيانًا يَحــذِفون هــذا الفــرق البسـيط أيضًــا بينه وبين الله, ويجعلونه ذات الله وعينه, ســواء اتحد به, أو ذلك اتحد به, وعلى ذلك قــالوا: (لو كشف عن حقيقة الوليّ لعبد) » [3]. والله أعلم.

المطلب الثالث: ابتداع الصوفية ومخالفتهم شريعته، عليه الصلاة والسلام:

---

[1] (?) قاله عزيز الدين بن محمد النسفي المتوفى 671هـ في كتابه: زبدة الحقائق، ص59، بواسطة: التصوف المنشأ والمصادر، ص213.

[2] (?) كشف الحقائق لعزيز الدين النسفي، بواسطة: التصوف المنشأ والمصادر، ص214.

[3] (?) التصوف المنشأ والمصادر، ص214-215.

البِدَع والابتداع في الدين عند الصوفية كثير وكثير، وعندهم البدعة بنوعيها؛ المخرجة من الملة، وما دونَها، في العقائد والعبادات والسلوك وغير ذلك؛ وفيهم من السحر والكهانة والشعوذة والطلاسم، والأذكار البدعية، واستعمال الرقص والدفوف في الأذكار، وكذلك القيام بالأوراد والأحزاب والوظائف التي لم أصل لها، ثم دعوى حضور النبِيّ والخلفاء الراشدين وغيرهم، والاحتفالات وإحداث بدعة الموالد، وأمور ما أنزل الله بها من سلطان بل من تلبيس إبليس، ويكفي هنا أنْ أحيل القارئ الكريم إلى كتاب ابن الجوزي (تلبيس إبليس) اختصارًا. فقد لبَّس عليهم اللعين من البِدع في الطهارة والصلاة والصيام وغير ذلك ما الله به عليم! وقد تقدمت مسائل تدخل في إحداث الصوفية وابتداعهم في الدين، وسأخصّ هذا المطلب بذكر ما لم يتقدم مِن أبرز بدعهم العلمية منها والعملية.

والبِدَعُ –كما هو معلومٌ- مُخالَفَةٌ لشريعة الله، كما أنّ المبتدعَ مُخالفٌ للشريعة التي جاء بِها الرسول ، قال المفتي العام الشيخ عبد العزيز آل الشيخ –حفظه الله- في ذكر أقسام المخالفين للشهادة للنبِيّ بالرّسالة: « وقِسمٌ مِن الناس: خالف حقيقة شهادة أنّ محمدًا رسول الله بالابتداع في الدين، وكل بدعة أحدثت فهي مخالفة لحقيقة شهادة أنّ محمدًا رسول الله؛ لأنّ مِن حقيقتها ألا يُعبد إلا الله، إلا بِما شرَع ، فإذا تقرَّبَ العبدُ لله بالبِدَعِ فقد خالف مدلول الشهادة »[1].

ولبيان هذا المطلب عقدت أربع مسائل على النحو التالي:

المسألة الأولى: ابتداع الصوفية اصطلاحات ناقضوا بها أصل الدين (التوحيد).

المسألة الثانية: بدعة المولد النبوي واتخاذ يومه عيدا.

المسألة الثالثة: الابتداع في باب الأذكار (ذكر الله بالاسم المفرد مظهرًا كان أو مضمرًا).

---

[1] (?) حقيقة شهادة أنّ محمدًا رسول الله ، للشيخ عبد العزيز آل الشيخ، ص104.

المسـألة الرابعـة: بدعة إعطـاء الضـمانات والصـكوك لدخول الجنة.

المسألة الأولى: ابتداع الصوفية اصطلاحات ناقضوا بها أصل الدين (التوحيد):

بدعة بعض المصطلحات التي اصطلحها الصوفية وضـمنوها مخالفة أصل الـدين وقاعدته (التوحيـد)؛ حيث ادّعَـوا لأصـحابِها أفعـال الله تعـالى، وألّهـوهم، وهـذه المصـطلحات، منهـا: الأقطـاب، والأوتـاد، والأبـدال، والأغـواث، والقطب الغـوث الفـرد الجـامع، وغـير ذلـك، والإيمان بِالعقيدة المضـمنة في هـذه الألفـاظ يكـاد يطّـرد عند كُلّ طُرُق الصوفية. ومِمن لقّبوهم بِهذه الألقـاب: عبد القادر الجيلاني، وأبو الحسن الشاذلي، والبدوي، والتجاني [1]، وغيرهم[2].

و« الغوث –عندهم- هو القطب حينما يلتجأ إليه، ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثًا »[3].

و« القطب: وقد يسمى غوثًا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان؛ أعطـاه الطلسم الأعظم من لدنـه، وهو يسـري

---

[1] (?) مرّت تراجم هؤلاء عند التعريف بطرقهم، في تمهيد الفصل.

[2] (?) انظر: جواهر المعاني، ص17، وص239، ورماح حزب الرحيم، ص 398، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، (ج2/ 727-756 عند ترجمته لبعض هذه الأعلام)،

من إطلاقات هذه الألقاب التي أُطلقت على الجيلاني: أنه: الغوث الأعظم، وغوث الثقلين، وغوث الأقطاب، وغيث الكونين، وغوث المغيثين وغياث المستغيثين، وغوث الأغواث، ومغيث لأهل الدين، والقطب الرباني. (وانظر إليها أيضًا: البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير، ص71-74).

ومن إطلاقاتهم على الرفاعي: الغوث الأكبر، والقطب الأشهر، وغوث الثقلين، إنّه يتجاوز مرتبة القطب والغوث، قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السموات، ..

ومن إطلاقاتهم على الشاه البخاري النقشبندي: غوث الخليقة، الغوث الأعظم، وقطب الحقيقة، وغوث الورى السبحاني.

وعلى أحمد التجاني: خاتم الأولياء، ممد الأقطاب والأغواث، وأنه القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، والقطب الجامع والغوث النافع، قطب الزمان، القطب الغوث الجامع الوارث الرباني. وبِهذه الألقاب صرفوا لهؤلاء شيئًا من خصائص الألوهية والربوبيّة.

[3] (?) التعريفات للجرجاني، مادة غوث، ص241 .

في الكـون وأعيانه الباطنة والظـاهرة سـريان الـروح في الجسـد، بيـده قسـطاس الفيض الأعم، وزنُه يتبع علمـه، وعلمُه يتبع علم الحـق، وعلم الحق يتبع الماهيـات الغـير المجعولـة، فهو يفيض روح الحيـاة على الكـون الأعلى والأسـفل. وهو على قلب إسـرافيل؛ من حيث حصـته الملكية الحاملة مـادة الحيـاة والإحسـاس، لا من حيث إنسـانيته. وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية. وحكم ميكائيل فيه كحكم القـوة الجاذبة فيها. وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها »[1].

وعرف بالقطبية الكبرى فقال: « القطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطـاب وهو بـاطن نبـوة محمد عليه السلام، فلا يكون إلا لورثته لاختصاصه عليه بالأكمليـة، فلا يكـون خـاتم الولاية وقطب الأقطـاب الأعلى بـاطن خـاتم النبوة » [2].

وفي جواهر المعاني أنّه سألَ الشيخ التجانِي عن حقيقة القطبانية فأجاب بقوله: «اعلم أنّ حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقًا في جميع الوجـود جملة وتفصـيلا، حيثما كـان الـربّ إلَهًا كـان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كُلّ من عليه ألوهية الله تعالى .. »[3]، إلى نهاية كلامه الفارغ.

و« **الإنسان الكامل** هو الجـامع لجميع العـوالم الإلهية والكونية؛ الكلية والجزئية، وهو كتـاب جـامع للكتب الإلهية والكونيـة، فمِن حيث روحه وعقله كتـاب عقلي مسـمى بـأم الكتـاب، ومن حيث قلبه كتـاب اللـوح المحفـوظ، ومن حيث نفسه كتـاب المحو والإثبـات، فهو الصحف المكرمة، المرفوعة المطهرة؛ التي لا يمسـها ولا يـدرك أسـرارها إلا المطهـرون من الحجب الظلمانيـة، فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقـواه. وإن النفس الكلية قلب

---

1 (?) التعريفات للجرجاني، مادة القطب، ص258.
2 (?) المرجع نفسه، ص258.
3 (?) جواهر المعاني.

العـــالم الكبـــير، كما أن النفس الناطقة قلب الإنســـان، ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير » [1].

و« مرتبة الإنسان الكامل: عبارة عن جميع المراتب الإلهية والكونية، من العقـول والنفـوس، الكلية والجزئيـة، ومـــراتب الطبيعة إلى آخر تـــنزيلات الوجـــود، وتســـمى المرتبة العمائية أيضًـا، فهي مضـاهية للمرتبة الإلهيـة، ولا فرق بينهما إلا بالربوبيـة، ولـذلك صـار خليفة لله تعـالى » [2].

هذه من مصطلحاتهم، وبيان شيءٍ من معناها.

ومن المصطلحات أيضًا: مصطلح: (الْقُطْب الْغَوْث الْفَـرْد الْجَـامِع) كما تقـدم، وقد كـانت الصـوفية يُطلقونه على (فَـرْدٍ واحـدٍ) زَعَمـوا أنّه لا يخلو عصـرٌ منـه، وهو المنتهى -عنـــدهم- في إزالة الكربـــات، وإغاثة اللهفـــات، وكشف البليـات والملمـات. وهـذه الأمـور –عنـدهم- من الأفعال الـتي لا يفعلها سـواه، وقد سـئل شـيخ الإسـلام –رحمه الله- عن هذه العقائد، فقال: « وَأَمَّا سُؤَالُ السَّـائِلِ عَنْ (الْقُطْبِ الْغَوْثِ الْفَرْدِ الْجَامِعِ). فَهَذَا قَدْ يَقُولُهُ طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ وَيُفَسِّرُونَهُ بِأُمُورٍ بَاطِلَةٍ فِي دِينِ الإِسْـلام: مِثْـلُ تَفْسِيرِ بَعْضِهِمْ: أَنَّ (الْغَوْثَ) هُـوَ الَّذِي يَكُـونُ مَـدَدُ الْخَلائِقِ بِوَاسِـطَتِهِ؛ فِي نَصْـرِهِمْ وَرِزْقِهِمْ، حَتَّى يَقُـولَ: إنَّ مَـدَدَ الْمَلائِكَةِ، وَحِيتَـانِ الْبَحْـرِ بِوَاسِـطَتِهِ. فَهَـذَا مِنْ جِنْسِ قَـوْلِ النَّصَـارَى فِي الْمَسِـيحِ ، وَالْغَالِيَـةِ فِي عَلِيٍّ . وَهَـذَا كُفْـرٌ صَرِيحٌ يُسْتَتَابُ مِنْهُ صَاحِبُهُ؛ فَإِنْ تَابَ، وَإِلا قُتِـلَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ الْمَخْلُوقَـاتِ؛ لا مَلَـكٌ، وَلاَ بَشَـرٌ، يَكُـونُ إمْـدَادُ الْخَلائِقِ بِوَاسِـطَتِهِ، وَلِهَـذَا كَـانَ مَا يَقُولُـهُ الْفَلاسِـفَةُ فِي (الْعُقُـولِ الْعَشْرَةِ) الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا الْمَلائِكَةُ، وَمَا يَقُولُهُ النَّصَـارَى فِي الْمَسِيحِ، وَنَحْوَ ذَلِـكَ، كُفْـرٌ صَـرِيحٌ بِاتِّفَـاقِ الْمُسْـلِمِينَ. وَكَذَلِكَ عَنَى بِـالْغَوْثِ مَا يَقُولُـهُ بَعْضُـهُمْ مِنْ أَنَّ فِي الأَرْضِ ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْـعَةَ عَشَـرَ رَجُلا يُسَـمُّونَهُمْ: (النُّجَبَـاءَ)، فَيُنْتَقَى مِنْهُمْ سَبْعُونَ هُمْ (النُّقَبَـاءُ)، وَمِنْهُمْ أَرْبَعُـونَ هُمْ (الأَبْـدَالُ)، وَمِنْهُمْ سَـبْعَةٌ هُمْ (الأَقْطَـابُ)، وَمِنْهُمْ أَرْبَعَـةٌ هُمْ (الأَوْتَـادُ)،

[1] (?) التعريفات للجرجاني، مادة الإنسان الكامل، ص96.
[2] (?) التعريفات للجرجاني، مادة مرتبة الإنسان الكامل، ص293.

وَمِنْهُمْ وَاحِدٌ هُوَ (الْغَوْثُ)؛ وَأَنَّهُ مُقِيمٌ بِمَكَّةَ، وَأَنَّ أَهْلَ الأَرْضِ إذَا نَابَهُمْ نَائِبَةٌ فِي رِزْقِهِمْ، وَنَصْرِهِمْ، فَزِعُوا إلَى الثَّلاثِمِائَةِ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلا، وَأُولَئِكَ يَفْزَعُونَ إلَى السَّبْعِينَ، وَالسَّبْعُونَ إلَى الأَرْبَعِينَ، وَالأَرْبَعُونَ إلَى السَّبْعَةِ، وَالسَّبْعَةُ إلَى الأَرْبَعَةِ، وَالأَرْبَعَةُ إلَى الْوَاحِدِ. وَبَعْضُهُمْ قَدْ يَزِيدُ فِي هَذَا وَيُنْقِصُ فِي الأَعْدَادِ وَالأَسْمَاءِ وَالْمَرَاتِبِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ فِيهَا مَقَالاتٍ مُتَعَدِّدَةً؛ حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ: إنَّهُ يَنْزِلُ مِن السَّمَاءِ عَلَى الْكَعْبَةِ وَرَقَةٌ خَضْرَاءُ بِاسْمِ غَوْثِ الْوَقْتِ، وَاسْمِ خَضِرِهِ -عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ: إنَّ الْخَضِرَ هُوَ مَرْتَبَةٌ، وَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ خَضِرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ- وَهَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ؛ لا أَصْلَ لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلا سُنَّةِ رَسُولِهِ، وَلا قَالَهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَلا أَئِمَّتِهَا، وَلا مِنْ الْمَشَايِخِ الْكِبَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ، الَّذِينَ يَصْلُحُونَ لِلاقْتِدَاءِ بِهِمْ»[1].

واستمرّ في ردّه عليهم فقال: « وَمَعْلُومٌ أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا كَانُوا خَيْرَ الْخَلْقِ فِي زَمَنِهِمْ وَكَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ يَكُونُوا بِمَكَّةَ. .. وَبِالْجُمْلَةِ: فَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ أَنَّ مَا يَنْزِلُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ النَّوَازِلِ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ: مِثْلُ دُعَائِهِمْ عِنْدَ الاسْتِسْقَاءِ لِنُزُولِ الرِّزْقِ، وَدُعَائِهِمْ عِنْدَ الْكُسُوفِ، وَالاعْتِدَادِ لِرَفْعِ الْبَلاءِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ: إنَّمَا يَدْعُونَ فِي ذَلِكَ اللَّهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا؛ لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ قَطُّ أَنْ يَرْجِعُوا بِحَوَائِجِهِمْ إلَى غَيْرِ اللَّهِ ؛ بَلْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ يَدْعُونَهُ بِلا وَاسِطَةٍ فَيُجِيبُهُمْ اللَّهُ، أَفَتَرَاهُمْ بَعْدَ التَّوْحِيدِ وَالإِسْلامِ لا يُجِيبُ دُعَاءَهُمْ إلا بِهَذِهِ الْوَاسِطَةِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؟ قَالَ تَعَالَى: ﭽﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ [يونس: ١٢]. .. وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى لأَصْحَابِهِ بِصَلاةٍ وَبِغَيْرِ صَلاةٍ، وَصَلَّى بِهِمْ لِلاسْتِسْقَاءِ، وَصَلاةَ الْكُسُوفِ، وَكَانَ يَقْنُتُ فِي صَلاتِهِ؛ فَيَسْتَنْصِرُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَكَذَلِكَ خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ، وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ

---

[1] (?) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، 62-64، (وهي ضمن مجموع الفتاوى ابن تيمية، 27/ص95-97).

الدِّينِ، وَمَشَايِخُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا زَالُوا عَلَى هَـذِهِ الطَّرِيقَـةِ. وَلِهَذَا يُقَالُ: ثَلاثَةُ أَشْـيَاءَ مَا لَهَا مِنْ أَصْـلٍ (بَـابُ النُّصَـيْرِيَّة، ومُنْتَظَرُ الرَّافِضَـةِ، وغَـوْثُ الْجُهَّالِ): فَإِنَّ النُّصَـيْرِيَّة تَـدَّعِي فِي الْبَابِ الَّذِي لَهُمْ مَا هُـوَ مِنْ هَـذَا الْجِنْسِ أَنَّهُ الَّذِي يُقِيمُ الْعَالَمَ؛ فَذَاكَ شَخْصُهُ مَوْجُودٌ؛ وَلَكِنَّ دَعْـوَى النُّصَـيْرِيَّة فِيـهِ بَاطِلَـةٌ. وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَـنِ الْمُنْتَظَـرُ، وَالْغَـوْثُ الْمُقِيمُ بِمَكَّةَ، وَنَحْـوُ هَـذَا: فَإِنَّهُ بَاطِـلٌ لَيْسَ لَـهُ وُجُـودٌ. <u>وَكَـذَلِكَ مَا يَزْعُمُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ (الْقُطْبَ الْغَوْثَ الْجَامِعَ) يَمُدُّ أَوْلِيَـاءَ اللَّهِ، وَيَعْـرِفُهُمْ كُلَّهُمْ، وَنَحْـوَ هَـذَا؛ فَهَـذَا بَاطِـلٌ</u>؛ فَـأَبُو بَكْـرٍ وَعُمَـرُ -رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- لَمْ يَكُونَا يَعْرِفَـانِ جَمِيـعَ أَوْلِيَـاءِ اللَّهِ، وَلا يَمُـــدَّانِهِمْ، فَكَيْـــفَ بِهَـــؤُلاءِ الضَّـــالِّينَ الْمُغْتَـــرِّينَ الْكَذَّابِينَ؟ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ سَـيِّدُ وَلَدِ آدَمَ إنَّمَا عَـرَفَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ رَآهُمْ مَنْ أُمَّتِـهِ بِسِـيمَاءِ الْوُضُوءِ، وَهُوَ الْغُرَّةُ وَالتَّحْجِيلُ. وَمِنْ هَـؤُلاءِ مِنْ أَوْلِيَـاءِ اللَّهِ مَنْ لا يُحْصِــيهِ إلا اللَّهُ . وَأَنْبِيَــاءُ اللَّهِ الَّذِينَ هُــوَ إمَــامُهُمْ وَخَطِيبُهُمْ لَمْ يَكُنْ يَعْــرِفُ أَكْثَــرَهُمْ؛ .. وَمُوسَــى لَمْ يَكُنْ يَعْـرِفُ الْخَضِـرَ، وَالْخَضِـرُ لَمْ يَكُنْ يَعْـرِفُ مُوسَـى؛ بَـلْ لَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: (وَأَنَّى بِأَرْضِـك السَّـلامُ؟ فَقَـالَ لَـهُ: أَنَا مُوسَـى قَـالَ: مُوسَـى بَنِي إسْـرَائِيلَ؟ قَـالَ: نَعَمْ)[1]. وَقَـدْ كَـانَ بَلَغَـهُ اسْـمُهُ وَخَبَـرُهُ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْـرِفُ عَيْنَـهُ. وَمَنْ قَــالَ: إنَّهُ نَقِيبُ الأَوْلِيَــاءِ، أَوْ أَنَّهُ يُعَلِّمُهُمْ كُلَّهُمْ فَقَــدْ قَــالَ الْبَاطِـلَ. .. وَقَــوْلُ الْقَائِلِ: إنَّهُ نَقِيبُ الأَوْلِيَـاءِ. فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ وَلاهُ النِّقَابَةَ؟ وَأَفْضَلُ الأَوْلِيَاءِ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ .. »[2].

والمعـنى المتقـدم والـذي مفـادُه: التصـرّف في الكون،وكشف النائبات والكربـات والمهمـات والبليّـات هو الــذي يُضَــمّن الصــوفية في إطلاقهم هــذا المصــطلح: (الْقُطْب الْغَـوْث الْفَـرْد الْجَـامِع) على أبـرز رمـوزهم. ومع ذلك، وتتمة للفائدة وبيان هذه التسمية من بِـدَع الصـوفية

---

[1] (?) الحديث في صحيحي البخاري ومسلم، وسيأتِي تخريجه في المطلب الخامس من هذا المبحث.

[2] (?) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ص64-72، (وهي ضمن مجموع الفتاوى ابن تيمية، 27/ ص96-99).

التي ما أنزل الله بها من سلطان ولا سُمِع من سلف هذه الأمة. قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « وَأَمَّا إِنْ قَصَدَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ: (الْقُطْبُ الْغَوْثُ الْفَرْدُ الْجَامِعُ) أَنَّهُ رَجُلٌ يَكُونُ أَفْضَلَ أَهْلِ زَمَانِهِ، فَهَذَا مُمْكِنٌ؛ لَكِنْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ فِي الزَّمَانِ اثْنَانِ مُتَسَاوِيَانِ فِي الْفَضْلِ، وَثَلاثَةٌ وَأَرْبَعَةٌ، وَلا يُجْزَمُ بِأَلا يَكُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ أَفْضَلُ النَّاسِ إلا وَاحِدًا، وَقَدْ تَكُونُ جَمَاعَةٌ بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ، وَتِلْكَ الْوُجُوهُ إمَّا مُتَقَارِبَةٌ وَإِمَّا مُتَسَاوِيَةٌ. ثُمَّ إذَا كَانَ فِي الزَّمَانِ رَجُلٌ هُوَ أَفْضَلُ أَهْلِ الزَّمَانِ فَتَسْمِيَتُهُ (بِالْقُطْبِ الْغَوْثِ الْجَامِعِ) بِدْعَةٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَلا تَكَلَّمَ بِهَذَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَظُنُّونَ فِي بَعْضِ النَّاسِ أَنَّهُ أَفْضَلُ أَوْ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَلا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ هَذِهِ الأَسْمَاءَ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؛ لاسِيَّمَا أَنَّ مِن الْمُنْتَحِلِينَ لِهَذَا الاسْمِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ أَوَّلَ الأَقْطَابِ هُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، ثُمَّ يَتَسَلَّلُ الأَمْرُ إلَى مَا دُونَهُ؛ إلَى بَعْضِ مَشَايِخِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَهَذَا لا يَصِحُّ؛ لا عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلاَ عَلَى مَذْهَبِ الرَّافِضَةِ؛ فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِن المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ؟ وَالْحَسَنُ عِنْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَدْ قَارَبَ سِنَّ التَّمْيِيزِ وَالاحْتِلامِ. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الأَكَابِرِ مِنْ الشُّيُوخِ الْمُنْتَحِلِينَ لِهَذَا: أَنَّ (الْقُطْبَ الْفَرْدَ الْغَوْثَ الْجَامِعَ) يَنْطَبِقُ عِلْمُهُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتُهُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَيَعْلَمُ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَيَقْدِرُ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ اللَّهُ. وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ كَذَلِكَ، وَأَنَّ هَذَا انْتَقَلَ عَنْهُ إلَى الْحَسَنِ، وَتَسَلْسَلَ إلَى شَيْخِهِ = فَبَيَّنْت أَنَّ

هَذَا كُفْرٌ صَرِيحٌ، وَجَهْلٌ قَبِيحٌ[1]، وَأَنَّ دَعْوَى هَذَا فِي رَسُـولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ كُفْرٌ، دَعْ مَا سِوَاهُ .. »[2].

المسألة الثانية: بدعة المولد النبوي واتخاذ يومه عيدا:

ومِن بِدَع الصوفية العملية التي أخذوها من الرافضة العبيدية الملاحدة الذين حكموا مصر، وشابهوا بِها النصارى[3]، ولَها علاقة بموضوع الرسالة: فعل المولد النبوي سَنَوِيًّا (بل وجعلُه عيدًا؛ فيها كُلّ معانيه؛ ولا عيد زمانيًّا في الإسلام سوى الجمعة والفطر والأضحى). ولا يسَعُنِي أنْ أقول شيئًا عن هذه البدعة التي جعلها بعض الناس -هداهم الله- المعيار لمحبة العبد للرسول ﷺ عندهم، فيا ويلَ الْمُنكِرِ لها، والقائل إنّها بدعة! حيث يُوسَم بأنّه مُبغِضٌ للرسول كارهٌ له (أي: منافق)، والله المستعان! وبُغضُ الرّسول ﷺ وكُرهُه بإجماع المسلمين نفاقٌ وكُفرٌ[4]. وأترك بسط القول عن هذه البدعة اختصارًا، ومَن أراد الوقوف على خطرها وردّها فليُطالِع الرسائل المودعة في (رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي[5]).

---

[1] (?) ولقد بيّن هذا شيخ الإسلام رحمة الله عليه في الاستغاثة والرد على البكري (ج1/ص427) بتحقيق: محمد علي عجال، ولقد تقدم نقل كلامه في مسألة دعوى بعض الصوفية أنّ النبي ﷺ يعلم كُل ما يعلمه الله.

[2] (?) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ص73-75، (والرسالة ضمن مجموع الفتاوى، 27/ ص101-102).

[3] (?) انظر: القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، (ج 2/642-644 ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد النبوي).

[4] (?) انظر: الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، (ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي، ج1/ ص376).

[5] (?) وهذه الرسائل هي: 1- المورد في عمل المولد (حكم الاحتفال بالمولد النبوي) لتاج الدين الفاكهاني.

2- حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على مَن أجازه، للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

3- حكم الاحتفال بالمولد النبوي لسماحة الشيخ عبد الغزيز بن عبد الله بن باز.

4- الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي،للشيخ حمود التويجري.

ومن بِدَعهم في باب الأذكار: ذكر الله تعالى بالاسم المفرد مظهرًا كان أو مضمرًا، كقولهم: (أو الذكر الفرد، الله، الله، الله بالإثبات من غير نفي[1]) أو (هو، هو، هو)، حتى ورَد في حزب الشاذلي: (يا مَن هو هو هو، يا هو، يا هو يا هو).

وفي جواهر المعاني في ذكر ورد ياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيّد الخلائق (الله الله الله اللهم أنت الله الذي لا إله إلا أنت، العالي في عظمة انفراد حضرة أحديتك) [2]، وغير ذلك. ويؤولون آية الأنعام[3] تأويلا فاسدًا لتدل على باطلهم. ويقولون بأنّ الذكر بالجملة التامة ذكرٌ لغير الواصلين، لا الخاصة، أو خاصة الخاصة منهم، « وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا ذِكْرُ الْعَامَّةِ، وَأَنَّ ذِكْرَ الْخَاصَّةِ هُوَ: الاسْمُ الْمُفْرَدُ، وَذِكْرُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ هُوَ: الاسْمُ الْمُضْمَرُ، فَهُمْ ضَالُّونَ غالطون »[4].

وقد تكلم عن هذه البدعة شيخ الإسلام في كتابه العبودية، فأغنى عن تناولها[5].

وبـذِكره سـبحانه بالجملة التامة كما علّمنا الله ورسولُه -لا بغيرها- يَحصُـل مقصـود الـذكر، « وَالْمَقْصُـودُ هُنَا: أَنَّ الْمَشْرُوعَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ سُـبْحَانَهُ هُـوَ ذِكْـرُهُ بِجُمْلَـةِ

5- الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري.
6- القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، لفضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري.
7- الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع، لفضيلة الشيخ محمد بن سعد بن شقير. (وهذه الرسائل في مجلدين).

1 (?) رماح حزب الرحيم، ص381، (مع الجواهر)، -فصل: بيان الأذكار اللازمة للطريقة التجانية.

2 (?) جواهر المعاني، ص218.

3 (?) هي آية 91 التي فيها أنّ الله تعالى وحده هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى .. .

4 (?) رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص96.

5 (?) انظر ردّ شبه القبورية وتفصيل القول في المسألة: رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص96-106، وكتاب ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع، لعبد الرحمن محمود خليفة، ص325.

تَامَّةٍ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْكَلامِ، وَالْوَاحِدُ مِنْهُ بِالْكَلِمَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْفَعُ الْقُلُوبَ وَيَحْصُلُ بِهِ الثَّوَابُ وَالأَجْرُ، وَالْقُرْبُ إِلَى اللَّهِ، وَمَعْرِفَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَخَشْيَتُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ. وَأَمَّا الاقْتِصَارُ عَلَى الاسْمِ الْمُفْرَدِ؛ مُظْهَرًا أَوْ مُضْمَرًا؛ فَلا أَصْلَ لَهُ، فَضْلا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذِكْرِ الْخَاصَّةِ وَالْعَارِفِينَ، بَلْ هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنْ الْبِدَعِ وَالضَّلالاتِ،وَذَرِيعَةٌ إِلَى تَصَوُّرَاتِ أَحْوَالٍ فَاسِدَةٍ؛ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الإِلْحَادِ،وَأَهْلِ الاتِّحَاد»[1].

بل وتقسيم الناس إلى العامة، والخاصة وخاصة الخاصة بهذه الألفاظ بدعة أخرى، ويَدخُل هذا الباب من وجهٍ ما جاء الرماح حيث جعَل الذكر بكلمة الشهادة للعامة: « فذكر العامة: كلمة الشهادة أو غيرها من التسبيحات، والذكر الخاص مما يكون بتلقين شيخ مرشدٍ عارفٍ بأدواء النفوس يكون أقوى في إزالة الحجب »[2]. والله أعلم.

المسألة الرابعة: بدعة إعطاء الضمانات والصكوك لدخول الجنة:

ومن بِدع الصوفية: بدعة إعطاء الضمانات والصكوك بدخول الجنة من قِبَل مشايخهم كذبًا، وقد تقدم في ترجمة التجانية ذكر إحدى الضمانات لأتباع التجاني، وأُمّثل هنا بضمانة أخرى ذكر صاحب جواهر المعاني أنّها من خط ونص شيخه التجانِي، قال في آخرها بعد سرد أصناف مطلوب الضمانات لهم: فأجاب بقوله الشريف: « كلّ ما في هذا الكتاب ضمِنتُه لك ضمانةً لا تتخلف عنك وعنهم أبدًا إلى أن تكون أنت وجميع مَن ذكرْتَ في جواري في أعلى عليين ... »[3].

ولنقِف على أصناف مطلوب الضمان وبُشرى دخولهم الجنة المزعومة: أنقُل قول التجانِيّ في طلبِه إيّاها مِن النبِيّ -على زعمه- حيث قال: « أسألُ مِن الله فضل سيّدنا رسول الله أنْ يَضْمَن لي دخول الجنة بلا

---

[1] (?) قاله شيخ الإسلام –رحمه الله- في رسالة العبودية، ص106.
[2] (?) رماح حزب الرحيم، (مع جواهر المعاني).
[3] (?) جواهر المعاني وبلوغ ، ص55.

حساب ولا عقـابٍ، في أول الزمـرة الأولى؛ وأنا وكُـلّ أبٍ وأمّ ولـدونِي مِن أبـويّ، إلى أول أبٍ وأمٍّ لي في الإسـلام مِن جهة أبِي،ومِن جهة أمّي، وجميع مَن ولَد آبـــــــــائي وأمهاتِي إلى الجد الحادي عشـر، والجـدة الحادية عشـرة؛ مِن جهة أبِي ومن جهة أمّي، مِن كُـلّ ما تناسَـل منهم مِن وقتهم إلى أنْ يمـوتَ سـيّدنا عيسى ابن مــريم من جميع الـذكور والإنـاث، والصـغار والكبـار، وكـلّ مَن أحسن إليّ بإحسانٍ حسّيٍ أو معنويٍّ، مِن مثقال ذرّة فأكثر، وكـلّ من نفعنِي بنفعٍ حسّيٍ مِن مثقـال ذرة فـأكثر من خـروجي من بطن أمي إلى مـوتِي، وكـلّ مَن له علَيّ مشـيخة في علمٍ أو قُرآن أو ذكرٍ أو سِـرٍّ؛ مِن كُـلّ مَن لم يُعـادِني مِن جميع هـؤلاء. وأمـا مَن عـادانِي أو أبغضـنِي فلا. وكـلّ مَن أحبّنِي ولم يُعادنِي، وكل مَن والانِي،واتخذنِي شـيخًا، أو أخَـذَ عنِّي ذكــر (والصــحيح: ذكــرًا)، أو كــلَّ من زارنِي، وكــلّ مَن خـدمنِي، أو قضـى لي حاجـة، أو دعـا لي، كُـلّ هـؤلاء من خــروجي من بطن أمي إلى مــوتِي، وآبــائهم (والصــحيح: وآباؤهم) وأمهـاتهم، وأولادهم وبنـاتهم، وأزواجهم ووالــدي أزواجهم، وكُـلّ مَن أرضـعنِي وأولادهم وبنـاتهم ووالــديهم ووالدي أزواجهم، يَضـمَنُ لي سـيدنا رسـول اللـه لجميـع هؤلاء: أنْ نموت أنا وكل حيّ منهم على الإيمان والإسلام، أنْ يؤمننا الله وجميعهم من جميع عذابـه وعقابـه وتهويلـه وتخويفه ورعبه، وجميع الشرور من المـوت إلى المسـتقر في الجنة، وأنْ تغفر لي ولجميعهم جميع الذنوب ما تقــدم منهــا ومــا تــأخّر، وأنْ تــؤدّي عنّي وعنهم جميــع تبعاتنــا وتبعاتهم، وجميـع مظالمنـا ومظـالمهم، مِن خـزائن فضـل اللــه لا من حســناتنا، وأنْ يؤمنــني اللــه وجميعهم من جميع محاسبته ومناقشته وسؤاله عن القليل والكثير يــوم القيامـة،وأنْ يُظلّـني اللـه وجميعهم في ظـل عرشـه يـوم القيامة، وأنْ يُجيزَنِي ربّي وكلّ واحـدٍ من المـذكورين على الصراط أسرع من طرفة العين على كواهل الملائكـة،وأنْ يسـقينِي اللـه وجميعهم من حـوض سـيدنا محمـد يـوم القيامــة،وأنْ يُـدخلِني ربّي وجميعهم جنتـه بلا حسـابٍ ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، .. أسأل سيدنا رسول اللــه

 باللـه أنْ يضْـمَن لي ولجميـع الـذين ذكـرتهم في هـذا الكتـاب = جميـع مـا طلبْتُ من اللـه لي ولهم في هـذا الكتاب بكماله كُلّه ضمانًا يوصـلنِي وجميـع الـذين ذكـرتُهم في هذا الكتاب إلى كُلّ ما طلبتُه من الله لي ولهم » [1].

فجاء الجواب المتقدم من أنّه -على حدّ زعمه- ضمن لهم ضمانة لا تتخلف.

وزعم الشيخ –كما حكى التلميذ- أنّ كل هذا حصل يقظة لا منامًا، بل وعلّق الشيخ هنا مخاطبًا أتباعه: « وأنتم جميع الأحباب لا تحتاجون إلى رؤيتي، إنّما يحتاج إلى رؤيتِي مَن لم يكن حبيبًا لي، ولا أخذَ عنِي ذكرًا، ولا أكلتُ طعامه. وأما هؤلاء فقد ضمنهم لي بلا شرط رؤية، مع زيادة أنّهم معي في عليين » [2].

هذا، ولقد بيّن صاحب جواهر المعاني أنّ كرامة شيخه هذه التي هي: دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لِمَن أخذ ورده ودخول والديه وأزواجه وذرياته عظيمةٌ، لم تقع لأحد من الأولياء، عِلمًا بأنّ هناك من الأولياء مَن وقع لهم –على زعمهم- أنّ مَن رآهم يدخُل الجنة كالشيخ عبد القادر الجيلاني، إلا أنّ خصيصة عدم الحساب والعقاب كانت لشيخه دون غيره [3].

وقد قلت هناك بأنّ الذي كان يأتِي التجاني ويقابلُه بـأنواع الـوحي الـذي في جـواهر المعـاني فقط –إنْ كـان حصل- لا بُـدّ وأنْ يكـون أحد الشـياطين، لا رسـول ؛ ذلك أنّه جاءه بخلاف شَرعه!

فالتجانية يَزعُمون بأنّ لهم مزايا عن غيرهم يوم القيامة، في رمـاح حـزب الـرحيم من قـول رأس التجانية: « **وليس لأحدٍ من الرجـال أنْ يُـدخِل كافة أصحابه الجنة، بغير حساب ولا عقاب؛ <u>ولو عمِلـوا</u>**

---

[1] جواهر المعاني وبلوغ الأمانِي في فيض سيدي أبِي العباس التجانِي، ص55.

[2] المصدر نفسه، ص55.

[3] انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأمانِي في فيض سيدي أبِي العباس التجانِي، ص56.

من الـذنوب ما عمِلـوا، وبلَغُـوا من المعاصي ما بَلَغُوا إلا أنا وحدي »[1].

وأنّ مَن رأى التجاني -كما تقدم- يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب[2]، وقال: « ومَن أخذَ عنّي الورد الذي هو لازم للطريقة، أو عمّن أذنتُه بدخول الجنة هو وولده وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب، ..» [3].

هذه بعض بِدَع الصوفية، وبِدعهم كثيرة وكثيرة لا يمكن حصرها، لكني اكتفيت بما تقدم.

** * **

المطلب الرابع: تبديل الصوفية شريعته من دعاء للأموات إلى دعائهم:

ما أمَرَ به النبِيّ في القبور وزيارتها إنما هو دعاء للأموات، كالـدعاء في الصـلاة على جنازتـه، لا دعـاءهم[4]. بل وسيأتِي البيان الشافي في الباب القادم في أنّ شرائع الأنبيــاء عليهم الســلام الــتي أنزَلَها الله تعــالى عُمومًــا، وشريعة نبينا محمد خصوصًا لم تَأمُر إلا بـإخلاص الـدعاء والاستغاثة لله تعالى خصوصًا، وإخلاص العبــادة له وتجريد التوحيد عُمومًــا. أما الطلب من الأحيــاء الغــائبين، أو من الأموات، أو الحاضرين من الأحياء ما لا يَقْدر عليه، إلا الله فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يَغفر الله لِمَن لم يَتُب منه. ســواءٌ أكــان ذلك المــدعو والمطلــوب منه من الأنبيــاء والصالحين أو من غيرهم.

---

1 (?) رماح حزب الرحيم، ص405، (في آخر جواهر المعاني).

2 (?) انظر: ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع، 338 وما بعده (عند ترجمته للتجانية).

3 (?) جواهر المعاني، ص56، ورماح حزب الرحيم، ص376-377.

4 (?) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة، (ج2/ 529) بتحقيق محمد علي عجال.

وأقول هنا: هل حافَظت الصوفية على هذه الشريعة؛ الـتي هي أصل الـدين الـتي بَعَثَ الله بها رُسُـلَه، وأنـزَلَ لأجلها كُتُبه، وفـرّق النـاس لأجلها إلى سُـعداء أهل الجنـة، وأشقياء أهل النار؟

وللجـواب على هـذا، أقـول: لَم تُحافظ الصـوفية القبورية على هذا، بل بدّلوا شـريعة الرسـول ﷺ؛ مِن دُعـاءٍ للأمــوات إلى دُعــائهم واســتغاثتهم، واســتعاذتهم وطلَب المدد والعياذ واللياذ منهم، واستنصارهم واسـتنجادهم إلى غير ذلك من أنواع الأدعية في الحالات، والله المستعان!

ومَن أراد النماذج على ذلك بخصوص دعائهم نبيّنا محمدًا ﷺ فليَرجِع إلى المطلب الرابع من المبحث المتقـدم حيث ذَكَــرتُ طائفة من قــريض شـــيخ التجانية المعاصر إبراهيم إنياس الكولخي في تبديله قولا غير الذي قيل لـه، ودعاءِ الرّسول ﷺ، بل واستغاثتِه به، منها قولُه:

دَعَوتُ رسولَ الله مُــذْ عَمَّنَا الْكَرْبُ ... وسـيّان في هـذاكُمُ الشّـرقُ والغربُ[1].

وأما بالنسبة لدعاء الصوفية القُبورية غَيرَ النبِيّ ﷺ مِن الأمــوات، فقد شــاع وكثُر وخصوصًــا أئمتهم؛ فلا أشــتغل بذكره.

ومَن أراد أنْ يقف بنفسه على واقع حالهم في ذلك لا مِن كُتُبهم فليَنظر حـالَهم عند القبـور المُعظمة عنـدهم؛ كقبــور شــيوخ ورؤوس طــوائفهم كالقــادري والرفــاعي والتجــاني والبــدوي والكــولخي ومَن دونَهم مِن القبــور الموجودة في العالم الإسلامي .. والله المستعان!

وفعلهم عين مخالفة رسول ﷺ ومحادّته في أعظم ما جاء به وهو إخلاص التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

وسيأتِي أيضًا أنّ الأموات الذين بَدّلت الصوفية بل والرافضة الدعاء لهم إلى دعائهم أحوَج ما يكونون إلى أنْ يُدْعَى لهم، لا أنْ يُدْعَون.

** * **

[1] أوثق العرى في مدح سيد الورى ﷺ، ص114، ضمن الدواوين الست.

المطلب الخامس: اعتقاد الصوفية أنَّ بعض النّاس يَسَعُه الخروجُ على شريعته ، كالخضر مع موسى عليهما السلام[1]:

وهذا العنوان أعنِي به: أنّ طائفة من ملاحدة الصوفية يعتقد أنّه أو أنّ شيخه يسَعُه الخروج على شريعة محمدٍ ؛ فتجد أحَدَ مشايخهم أو تسمع عنه أنه لا يُصلِّي، أو يأكل في نهار رمضان، أو يزنِي، أو يشرب الخمر، وغير ذلك، مثلما ذَكَر الغزالي الصوفي في منقذه من الضلال أنّ من الأسباب الكثيرة التي جعلتْه يَعود إلى نشر العلم بنيسابور، بعد الإعراض عن نشره ببغداد وعزلته إحدى عشرة سنة: أنّ بعض الذين سألهم عن تقصيرهم في متابعة الشرع تعللوا بأنّهم يرَون فلانًا يَدّعي علم التصوف، ويزعم أنّه قد بلَغ مبلغًا ترقّى عن الحاجة إلى العبادة، وبعض المشاهير من الفضلاء لا يُصلّي، وفلانٌ منهم يَشرَب الخمر، وآخر يأكُل الأوقاف وأموال اليتامى، ومنهم مَن يأكل الرشوة على القضاء والشهادة، فزَعم هذا المقصّر أنه لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك، فشَعُر الغزالِي أنّه تعيّن عليه والحالة هذه نشر العلم وترك الخلوة والعزلة، وساعَدَه على ذلك أمرُه من قِبَل سلطان الوقت بالتوجه إلى نيسابور [2].

وهذا ما يُسَمى: رفع التكاليف عند غلاة الصوفية، الذين يُسمون: المباحية[3].

---

[1] (?) مسألة حياة الخضر إلى اليوم أو موته، ونبوته أو ولايته مسألة شغلَتْ أذهان مشايخ الصوفية وتشبثوا بِها في مسائل عدة، لكن الراجح فيه أنّه نبِيٌّ من أنبياء الله تعالى، كما أنّه مات مثله مثل غيره (وقد فصّل أدلة الفريقين ورجح الحق العلامة محمود شكري الألوسي في كتابه غاية الأماني في الرد على النبهاني، ج1/ 526-535 تحت قول: بيان حجج المنكرين لحياة الخضر ، فذكر تسع حجج، ثم قال: الذاهبون إلى حياته، وذكر أحاديثهم الموضوعة)، وانظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة، (ج1/385-410)، وكتاب ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع، 426-434).

[2] (?) انظر: المنقذ من الضلال، ص78، وما بعده.

[3] (?) انظر عن هؤلاء الذين يرَون أنّه يسعُهم الخروج عن شريعة نبينا محمد ورد شبههم، في تفصيل جيّد: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، (ج1/377-456).

ومِن المعلوم أنّ بعثة نبينا محمدٍ كانت إلى الناس عامة، ومنهم الصوفية الذين يَخرج طائفة منهم عن شريعته بشُبهة الخضر ، أو غيرها.

ويقال هنا: هل موسى المبعوث إلى بنِي إسرائيل خاصة بُعث إلى الخضر أصلا، حتى يتم القياس لِهؤلاء الصوفية الذين بُعثَ محمدٌ إليهم أجمعين؟

ولقد قال بعضُ الصوفيّة: « العارف لا تكليف عليه »[1]. ويَعنِي بـ(العارف) الذي وصَل الغاية في علم الحقيقة الصوفية. لذا قالوا أيضًا: «إنّ التكاليف الشرعية مِن أمر بالمعروف، ونَهْي عن الْمُنكر تسقُطُ عن العبد وجوبًا أثناء خَلْوَته واعتزاله الناس »[2].

وأوضَحُ من ذلك وأخبَث قولهم: «إنّ العبد إذا بَلَغ غاية المحبة، وصَفَا قلبُه مِن الغفلة، واختار الإيمان على الكفر: سَقَط عنه الأمر والنّهيُ، ولا يُدخِلُه الله النار بارتكاب الكبائر، وتسقُطُ عنه العبادات الظاهرة، وتكون عبادتُه التّفكّر »[3].

والمسؤول هنا: هل لم يَبلُغ النبِيّ بلِ والأنبياءُ قبلَه هذه الغاية؛ فلم تسقُط العبادات عنهم، وبلَغَها الْمُلحدون من الصوفية؛ فسقطَتْ عنهم؟

ويُسمّون المباحية، قال فخر الرازي المائل إلى الصوفية –رحمه الله- وهو يَذْكُر فِرَق الصوفية « المباحية: وهم قوم يحفظون طامات لا أصل لها، وتلبيسات في الحقيقة. وهم يَدّعون محبة الله تعالى وليس لهم نصيبٌ مِن شَيءٍ مِن الحقائق، بل يُخالفون الشريعة، ويقولون: إنّ الحبيبَ رُفع عنه التكليف. وهو الأشرّ مِن الطوائف، وهم على الحقيقة على دين مزدك.. » [4].

---

[1] قاله: أحمد بن عطاء المقتول (309هـ) مع الحلاج لموافته له: طبقات الكبرى للشعراني، (ج1/ 96)، بواسطة: التوثيق والتحصيل لردود ابن عقيل على الصوفية، ص34.

[2] حياة القلوب بهامش قوت القلوب، (ج2/ ص101)، بواسطة: التوثيق والتحصيل، ص34.

[3] إتحاف السادة المتقين، (ج2/ 284)، بواسطة: موقف ابن عقيل من الصوفية، ص66-67.

[4] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص101.

وهؤلاء الصوفية يفعلـون هـذه الأفاعيل متشـبِّثين بأفهام سقيمة لآية: ﭽﮘﮙﮚﮛﮜﮝﭼ [الحجر: ٩٩]. وأنهم أتاهم اليقين الذي هو الغاية للعبادة، وما درى هؤلاء، أو تجـاهلوا بـأنّ (اليقين) هنـا: المـوت. كما أنّ نبينا محمـدًا ﷺ مع أنه أكمل الناس يقينًا وإيمانًـا، إلا أنّه لم يـترك عبـادة الله إلى الممـات –لو كـان اليقين هنا اسـتيقان القلب-. بل اليقين فيها كالذي في قوله: ﭽﯦﯧﯨﯩﭼ [المدثر: ٤٧]. ومثله ما جاء في الحديث المتقدم: " **أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ** "[1]، لذلك قال الحافظ ابن كثير –رحمـه اللـه- في تفسـير آيـة الحجر: « ويُستَدلّ بِهذه الآية الكريمة وهي قوله: ﭽﮘﮙﮚﮛﮜﮝ ﭼ [الحجر: ٩٩] على أنّ العبادة كالصـلاة ونحوها واجبـةٌ على الإنسـان ما دام عقله ثابتًـا، فيصـلي بحسب حالـه،.. ويُسـتدلّ بِها على تخطئة مَن ذَهَب مِن الملاحـدة إلى أنّ المراد باليقين المعرفة، فمـتى وصل أحـدهم إلى المعرفة سقَط عنه التكليف عندهم. وهذا كُفرٌ وضلالٌ وجَهـلٌ، فـإنّ الأنبيـاء عليهم السـلام، كـانوا هم وأصـحابهم أعلم النـاس بالله وأعـرفهم بحقوقه وصـفاته، وما يسـتحق من التعظيم،وكـانوا مع هـذا أعبد النـاس وأكـثر النـاس عبـادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة.وإنما المـراد باليقين هاهنا الموت ..»[2].

وآخرُون منهم يُغالطون، فيَزعُمون أنّ الخَضِر ﷺ -على ما يُرجّحون من أنّه ولِيٌّ وليس بنَبِيٍّ - وسِعَه الخروج على شريعة نبِيّ الله موسى ﷺ؛ فقَتَل نفسًا زكية بغير نفس، وخَرَق السّفينة، .. مع الزعم بأنّ شريعة موسى ﷺ تُخالف ذلك، والسبب –على زعمهم- أنّ الخضر وصَل إلى الحقيقة، وعرَف باطن هذه الأمور، وأنّ موسى عنده الظاهر والشريعة دون معرفة باطن الأمور والحقيقة. فبِهذا الاستدلال يَخرج هؤلاء الصوفية على شريعة نبينا محمد ﷺ؛ فيقومون بترك الصلوات، وفعل الزنا، وشرب الخمر، وترك بقية الواجبات؛ زَعْمًا منهم أنّه وصَلُوا إلى

---

[1] تقدم تخريج الحديث، وهو في صحيح البخاري، وهو حديث أُمّ الْعَلاَءِ الأَنْصَارية رضي الله عنها.

[2] تفسير القرآن العظيم (ج2/730).

الحقيقة الكونية وباطن الأمور، فلا عليهم أنْ يلتزموا بالشريعة.

وقد تكلم في هؤلاء الملاحدة أبو محمد المعروف بابن حزم –رحمه الله- فقال: « ادّعَت طائفةٌ مِن الصوفية أنّ في أولياء الله تعالى مَن هو أفضل مِن جميع الأنبياء والرسل، وقالوا: مَن بلَغ الغاية القصوى مِن الولاية سَقَطَت عنه الشرائعُ كلُّها مِن الصلاة والصيام والزكاة، وغير ذلك، وحَلَّت له المُحرمات كلُّها؛ من الزّنا والخمر، وغير ذلك، واستباحوا بِهذا نساءَ غيرهم. وقالوا: إننا نرى الله، ونُكَلِّمُه، وكلّ ما قَذَف في نفوسنا فهو حق »[1].

وذَكَر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- الْمأخَذَين السابقين لهؤلاء الملاحدة، فقـال: « وَمِنْ هَـؤُلاءِ مَنْ يَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ: چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ چ [الحجر: ٩٩]. وَيَقُولُ: مَعْنَاهَا: اُعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَحْصُلَ لَك الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ سَـقَطَتْ الْعِبَادَةُ. وَرُبَّمَا قَالَ بَعْضُـهُمْ: اعْمَـلْ حَتَّى يَحْصُـلَ لَك حَـالٌ؛ فَإِذَا حَصَلَ لَك حَالٌ تَصَوُّفِيٌّ سَقَطَتْ عَنْك الْعِبَـادَةُ. وَهَـؤُلاءِ فِيهِمْ مَنْ إذَا ظَنَّ حُصُـولَ مَطْلُوبِـهِ مِنْ الْمَعْرِفَـةِ وَالْحَـالِ اسْتَحَلَّ تَرْكَ الْفَرَائِضِ، وَارْتِكَابَ الْمَحَـارِمِ، وَهَـذَا كُفْـرٌ كَمَا تَقَدَّمَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَظُنُّ اسْـتِغْنَاءَهُ عَنْ النَّوَافِـلِ حِينَئِذٍ وَهَـذَا مَغْبُونٌ، مَنْقُوصٌ، جَاهِـلٌ ضَـالٌّ، خَاسِـرٌ؛ بِاعْتِقَـادِ الاسْـتِغْنَاءِ عَنْ النَّوَافِـــلِ، وَاسْــــتِخْفَافِهِ بِهَا حِينَئِذ، بِخِلافِ مَنْ تَرَكَهَا مُعْتَقِـدًا كَمَـالَ مَنْ فَعَلَهَا حِينَئِذٍ، مُعَظِّمًا لِحَالِـهِ، فَـإِنَّ هَـذَا لَيْسَ مَــذْمُومًا، .. وَمِنْ هَــؤُلاءِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الاسْتِمْسَـــاكَ بِالشَّرِيعَةِ -أَمْرًا وَنَهْيًا- إنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَحْصُلْ لَـهُ مِنْ الْمَعْرِفَـةِ أَوْ الْحَـالِ، فَـإِذَا حَصَـلَ لَـهُ لَمْ يَجِبْ عَلَيْـهِ حِينَئِذٍ الاسْتِمْسَاكُ بِالشَّرِيعَةِ النَّبَوِيَّةِ، بَلْ لَهُ حِينَئِذٍ أَنْ يَمْشِـيَ مَـعَ الْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ، أَوْ يَفْعَلَ بِمُقْتَضَـى ذَوْقِـهِ وَوَجْـدِهِ وَكَشْفِهِ وَرَأْيِهِ، مِنْ غَيْرِ اعْتِصَامٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَهَؤُلاءِ مِنْهُمْ مَنْ يُعَاقَبُ بِسَلْبِ حَالِـهِ حَتَّى يَصِـيرَ مَنْقُوصًـا عَـاجِزًا مَحْرُومًـا. وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَـاقَبُ بِسَـلْبِ الطَّاعَـةِ حَتَّى يَصِيرَ فَاسِقًا. وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَاقَبُ بِسَلْبِ الإِيمَانِ حَتَّى يَصِــيرَ

---

1 (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3/ 142).

مُرْتَدًّا مُنَافِقًا أَوْ كَافِرًا مُلَعَّنًا. وَهَؤُلاءِ كَثِيرُونَ جِدًّا. وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلاءِ يَحْتَجُّ بِقِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ »[2].

ولبيان كيفية استدلالهم بالقصة، قال -رحمه الله-: « وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِقِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ فَيَحْتَجُّونَ بِهَا عَلَى **وَجْهَيْنِ: أحدهمَا**: أَنْ يَقُولُوا: إنَّ الْخَضِرَ كَانَ مُشَاهِدًا الإِرَادَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الشَّامِلَةَ، وَالْمَشِيئَةَ الإِلَهِيَّةَ الْعَامَّةَ، وَهِيَ الْحَقِيقَةُ الْكَوْنِيَّةُ ؛ فَلِذَلِكَ سَقَطَ عَنْهُ الْمَلامُ فِيمَا خَالَفَ فِيهِ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ الشَّرْعِيَّ، وَهُوَ مِنْ عَظِيمِ الْجَهْلِ وَالضَّلالِ، بَلْ مِنْ عَظِيمِ النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ؛ فَإِنَّ مَضْمُونَ هَذَا الْكَلامِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِالْقَدَرِ، وَشَهِدَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَمْرٌ وَلا نَهْيٌ، وَهَذَا كُفْرٌ بِجَمِيعِ كُتُبِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِن الأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ ... وَهَؤُلاءِ هُمْ الْقَدَرِيَّةُ المشركية: الَّذِينَ يَحْتَجُّونَ بِالْقَدَرِ عَلَى دَفْعِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ؛ هُمْ شَرٌّ مِنْ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ ... لأَنَّ هَؤُلاءِ يُقِرُّونَ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، لَكِنْ أَنْكَرُوا عُمُومَ الإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْخَلْقِ، وَرُبَّمَا أَنْكَرُوا سَابِقَ الْعِلْمِ . وَأَمَّا الْقَدَرِيَّةُ المشركية فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، لَكِنْ وَإِنْ لَمْ يُنْكِرُوا عُمُومَ الإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْخَلْقِ، فَإِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، وَيَكْفُرُونَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَالْكُتُبِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إنَّمَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ مَنْ أَطَاعَهُمْ بِالثَّوَابِ وَمُنْذِرِينَ مَنْ عَصَاهُمْ بِالْعِقَابِ. ... وَأَيْضًا فَإِنَّ مُوسَى كَانَ مُؤْمِنًا بِالْقَدَرِ، وَعَالِمًا بِهِ، بَلْ أَتْبَاعُهُ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ كَانُوا أَيْضًا مُؤْمِنِينَ بِالْقَدَرِ، فَهَلْ يَظُنُّ مَنْ لَهُ أَدْنَى عَقْلٍ أَنَّ مُوسَى طَلَبَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ الْخَضِرِ الإِيمَانَ بِالْقَدَرِ؟ وَأَنَّ ذَلِكَ يَدْفَعُ الْمَلامَ، مَعَ أَنَّ مُوسَى أَعْلَمُ بِالْقَدَرِ مِنْ الْخَضِرِ، بَلْ عُمُومُ أَصْحَابِ مُوسَى يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. وَأَيْضًا: فَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ السِّرُّ فِي قِصَّةِ الْخَضِرِ بَيَّنَ ذَلِكَ لِمُوسَى. وَقَالَ: إنِّي كُنْت شَاهِدًا لِلإِرَادَةِ وَالْقَدَرِ، وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ. بَلْ بَيَّنَ لَهُ أَسْبَابًا شَرْعِيَّةً تُبِيحُ لَهُ مَا فَعَلَ. ... **وَأَمَّا الْوَجْهُ الثَّانِي**: فَإِنَّ مِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يَظُنُّ: أَنَّ مِنْ الأَوْلِيَاءِ مَنْ يَسُوغُ لَهُ

---

[2] مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/ص417-418).

الْخُـرُوجُ عَنْ الشَّـرِيعَةِ النَّبَوِيَّةِ، كَمَا سَـاغَ لِلْخَضِـرِ الْخُـرُوجُ عَنْ مُتَابَعَةِ مُوسَـى، وَأَنَّهُ قَـدْ يَكُـونُ لِلْـوَلِيِّ فِي الْمُكَاشَـفَةِ وَالْمُخَاطَبَةِ مَا يَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ مُتَابَعَةِ الرَّسُـولِ فِي عُمُـومِ أَحْوَالِهِ، أَوْ بَعْضِهَا. وَكَثِـيرٌ مِنْهُمْ يُفَضِّـلُ الْـوَلِيَّ -فِي زَعْمِـهِ- إمَّا مُطْلَقًـا، وَإِمَّا مِنْ بَعْضِ الْوُجُـوهِ = عَلَى النَّبِيِّ زَاعِمِينَ أَنَّ فِي قِصَّـةِ الْخَضِـرِ حُجَّةٌ لَهُمْ. وَكُـلُّ هَـذِهِ الْمَقَـالاتِ مِنْ أَعْظَمِ الْجَهَالاتِ وَالضَّـلالاتِ؛ بَـلْ مِنْ أَعْظَمِ أَنْـوَاعِ النِّفَـاقِ وَالإِلْحَـــادِ وَالْكُفْـــرِ. فَإِنَّهُ قَـــدْ عُلِمَ بِالاضْـــطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْـلامِ: أَنَّ رِسَـالَةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْـدِ اللَّهِ ﷺ لِجَمِيـعِ النَّاسِ: عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، وَمُلُـوكِهِمْ وَزُهَّادِهِمْ وَعُلَمَـائِهِمْ وَعَـامَّتِهِمْ، وَأَنَّهَا بَاقِيَةٌ دَائِمَةٌ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ بَـلْ عَامَّةُ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لأَحَدِ مِنْ الْخَلائِقِ الْخُـرُوجُ عَنْ مُتَابَعَتِـهِ وَطَاعَتِهِ، وَمُلازَمَـةِ مَا يَشْـرَعُهُ لأُمَّتِـهِ مِنْ الـدِّينِ، وَمَا سَـنَّهُ لَهُمْ مِنْ فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ، بَلْ لَـوْ كَـانَ الأَنْبِيَـاءُ الْمُتَقَـدِّمُونَ قَبْلَـهُ أَحْيَـاءً لَـوَجَبَ عَلَيْهِمْ مُتَابَعَتُـهُ وَمُطَاوَعَتُهُ ..»[1].

وإنّ مِمَّا يُعْلَمُ بِالاضْـــطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْـــلامِ: أَنَّهُ لا يَجُـوزُ لِمَنْ بَلَغَتْـهُ دَعْوَتُـهُ ﷺ أَنْ يَتَّبِـعَ شَـرِيعَةَ رَسُـولٍ غَيْـرِهِ، كَمُوسَى وَعِيسَى. فَإِذَا لَمْ يَجُزْ الْخُرُوجُ عَنْ شَــرِيعَتِهِ ﷺ إلَى شَرِيعَةِ رَسُولٍ، فَكَيْفَ بِالْخُرُوجِ عَنْهُ وَالرُّسُلِ[2]؟

ولرد مغالطة هؤلاء بالقصة أقول أيضًا: لَفْظُ (الشَّرِيعَةِ) في المطلب، المراد بِهِ: أوامر الْكِتَاب وَالسُّنَّة ونواهيهما؛ وعليه فلَمْ يَكُنْ لأَحَدِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَلا لِغَيْرِهِمْ: أَنْ يَخْرُجَ عَنْهُما، قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ لأَحَدِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ طَرِيقًا إلَى اللَّهِ غَيْرَ مُتَابَعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ فَلَمْ يُتَابِعْهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ فَهُوَ كَافِرٌ. وَمَنْ احْتَجَّ فِي ذَلِكَ بِقِصَّةِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ كَانَ غالطا مِنْ وَجْهَيْنِ »[3].

فالأول: « أَنَّ مُوسَى لَمْ يَكُنْ مَبْعُوثًا إلَى الْخَضِرِ، وَلا كَانَ عَلَى الْخَضِرِ اتِّبَاعُهُ؛ فَإِنَّ مُوسَى كَانَ مَبْعُوثًا إلَى

---

1 (?) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/ص420-423).

2 (?) المصدر نفسه، (ج11/ص424).

3 (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، 189.

بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَرِسَالَتُهُ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَلَوْ أَدْرَكَهُ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ الْخَضِرِ: كَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَجَبَ عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُهُ؛ فَكَيْفَ بِالْخَضِرِ، سَوَاءٌ كَانَ نَبِيًّا أَوْ وَلِيًّا؛ وَلِهَذَا قَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: " **إِنَّا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لا تَعْلَمُهُ؛ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أَعْلَمُهُ** "[1]، وَلَيْسَ لأَحَدِ مِنْ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ بَلَغَتْهُمْ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا »[2]. فمُوسَى لَمْ يَكُنْ مَبْعُوثًا إلَى الْخَضِرِ، ودَعْوَتُه كَانَتْ خَاصَّةً. وأما دَعْوَةُ مُحَمَّدٍ فشَامِلَة لِجَمِيعِ الْعِبَادِ؛ لَيْسَ لأَحَدِ الْخُرُوجُ عَنْ مُتَابَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَلا اسْتِغْنَاءَ عَنْ رِسَالَتِهِ، كَمَا سَاغَ لِلْخَضِرِ الْخُرُوجُ عَنْ مُتَابَعَةِ مُوسَى وَطَاعَتِهِ مُسْتَغْنِيًا عَنْهُ بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ؛ لذا لَيْسَ لأَحَدِ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ الإِسْلامُ أَنْ يَقُولَ لِمُحَمَّدِ : إنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ؛ لا تَعْلَمُهُ، وَمَنْ سَوَّغَ هَذَا، أَوْ اعْتَقَدَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْخَلْقِ: الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ، أَوْ غَيْرِهِمْ لَهُ الْخُرُوجُ عَنْ دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ وَمُتَابَعَتِهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ[3].

أما الوجه الثَّانِي: فمفادُه أَنَّ حقيقة مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ لَمْ يَكُنْ مُخَالِفًا لِشَرِيعَةِ مُوسَى ، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: « أَنَّ مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ لَمْ يَكُنْ مُخَالِفًا لِشَرِيعَةِ مُوسَى ، وَمُوسَى لَمْ يَكُنْ عَلِمَ الأَسْبَابَ الَّتِي تُبِيحُ ذَلِكَ، فَلَمَّا بَيَّنَهَا لَهُ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ خَرْقَ السَّفِينَةِ ثُمَّ تَرْقِيعُهَا لِمَصْلَحَةِ أَهْلِهَا خَوْفًا مِنْ الظَّالِمِ أَنْ يَأْخُذَهَا إحْسَانٌ إلَيْهِمْ؛ وَذَلِكَ جَائِزٌ. وَقَتْلُ الصَّائِلِ جَائِزٌ؛ وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا. وَمَنْ كَانَ تَكْفِيرُهُ لأَبَوَيْهِ لا يَنْدَفِعُ إلَا بِقَتْلِهِ؛ جَازَ قَتْلُهُ. قَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لنجدة الحروري لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ قَتْلِ الْغِلْمَانِ -قَالَ لَهُ- إنْ كُنْت عَلِمْت مِنْهُمْ مَا عَلِمَهُ الْخَضِرُ مِنْ ذَلِكَ الْغُلامِ فَاقْتُلْهُمْ، وَإِلا فَلا تَقْتُلْهُمْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَأَمَّا الإِحْسَانُ إلَى الْيَتِيمِ بِلا عِوَضٍ وَالصَّبْرُ

---

1 (?) هذا الحديث أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، رقم: 122، ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر ، رقم: 2380.

2 (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص189.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/ ص425-426).

عَلَى الْجُوعِ فَهَذَا مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ فَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مُخَالِفًا شَرْعَ اللَّهِ »[1].

فتَبيّن بهذا أنّ الاحْتِجَاج بِقِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَى مُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ مُغالطةٌ؛ إذْ لَيْسَ فِيهَا خُرُوجٌ عَنْ الشَّرِيعَةِ؛ ذلك أنّه لَمَّا بَيَّنَ الْخَضِرُ لِمُوسَى الأَسْبَابَ الَّتِي فَعَلَ لأَجْلِهَا مَا فَعَلَ وَافَقَهُ مُوسَى؛ وَلَمْ يَخْتَلِفَا حِينَئِذٍ. وَلَوْ كَانَ مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ مُخَالِفًا لِشَرِيعَةِ مُوسَى لَمَا وَافَقَهُ؛ فالخضر لَمّا كان عَلِمَ الأَسْبَابَ الْمُبِيحَة؛ وأنَّه أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صالحة غَصْبًا، وَكَانَ مِنْ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي يَخْتَارُهَا أَصْحَابُ السَّفِينَةِ إذَا عَلِمُوا ذَلِكَ؛ فَخَرْقُ السَّفِينَة لِئَلا يَأْخُذَهَا خَيْرٌ لهم مِنْ انْتِزَاعِهَا مِنْهُمْ. وهكذا مسألة قتل الولد، ولِهذا تَصرَّف هذا التصرّف، وموسى لَمّا لم يَعلَم ذلك أولا أنكر، فلمّا عَلِمه وافق[2].

هذا كُلّه بالنسبة لاستدلالهم بقصة الخضر وموسى عليهما السلام، أما تتمة الرد على استدلالهم بآية الحجر، فهي عليهم لا لهم، وبه رَدّ عليهم شيخ الإسلام –رحمه الله- بعد حكايته السابقة، حيث قال: « فَأَمَّا اسْتِدْلالُهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ﴾ [الحجر: ٩٩]. فَهِيَ عَلَيْهِمْ، لا لَهُمْ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِينَ أَجَلا دُونَ الْمَوْتِ ..؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَقِينَ هُنَا: الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ، بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَؤُلاءِ مِنْ الْمُسْتَيْقِنِينَ؛ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ: .. ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ [المدثر: ٤٧]. فَهَذَا قَالُوهُ وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَأَخْبَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ؛ مِنْ تَرْكِ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالتَّكْذِيبِ بِالآخِرَةِ، وَالْخَوْضِ مَعَ الْخَائِضِينَ حَتَّى أَتَاهُمْ الْيَقِينُ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ مَعَ هَذَا الْحَالِ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، .. وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَتَاهُمْ مَا يُوعَدُونَ، وَهُوَ الْيَقِينُ. ... وَ(يَقِينٌ) عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ، - وَسَوَاءٌ كَانَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أيّ: الْمَوْتِ. كَالْحَبِيبِ وَالنَّصِيحِ وَالذَّبِيحِ، أَوْ كَانَ مَصْدَرًا وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَفْعُولِ. ... فَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ الْمَعْنَى لا يَخْتَلِفُ؛ بَلْ الْيَقِينُ هُوَ مَا وُعِدَ بِهِ الْعِبَادُ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ. وَقَوْلِهِ: ﴿ﯛ ﯜ﴾ كَقَوْلِك: يَأْتِيك مَا

---

[1] (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، 190.

[2] (?) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/ص426).

تُوعَدُ. فَأَمَّا أَنْ يَظُنَّ أَنَّ الْمُرَادَ: اُعْبُدْهُ حَتَّى يَحْصُلَ لَكَ إيقَانٌ، ثُمَّ لا عِبَادَةَ عَلَيْك. فَهَذَا كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ للجنيد بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَصِلُونَ مِنْ طَرِيقِ الْبِرِّ إلَى تَرْكِ الْعِبَادَاتِ. فَقَالَ: الزِّنَا وَالسَّرِقَةُ وَشُرْبُ الْخَمْرِ خَيْرٌ مِنْ قَوْلِ هَؤُلاءِ! وَمَا زَالَ أَئِمَّةُ الدِّينِ وَمَشَايِخُهُ يُعَظِّمُونَ النَّكِيرَ عَلَى هَؤُلاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ الزُّهَّادِ الْعَابِدِينَ، ... فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ قَدْ يَكُونُ بَعْضُهَا فِي أَهْلِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَمِنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ »[1].

والسبب في شدة النكير عليهم هو أنّ القول بالخروج عن شريعته ﷺ إلحاد وشيطنة!

وكما مرّ هنا أنّ شيخ الإِسْلامِ –رحمه الله- ردّ على هؤلاء الملاحدة من الصوفية بقول الزاهد الجنيد، وهذا دأبُه في الرّد عليهم حيث يذْكُرُ أقوال من تُعظِّمهم الصوفية من العلماء فَيَرُدّ على غُلاتِهم بِها؛ وقد نقَل في الحموية قول أحد علماء الصوفية أيضًا وهو يَذْكُرُ معتقده، ومما جاء فيه قوله: « وَإِنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ، وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَبْلُغُ مَعَ اللَّهِ إلَى دَرَجَةٍ يُبِيحُ الْحَقُّ لَهُ مَا حُظِرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ -إلا الْمُضْطَرَّ عَلَى حَالٍ يَلْزَمُهُ إحْيَاءٌ لِلنَّفْسِ- لَوْ بَلَغَ الْعَبْدُ مَا بَلَغَ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَاتِ - فَذَلِكَ كُفْرٌ بِاَللَّهِ، وَالقَائِل بذَلِكَ قَائِلٌ بِالإِلحَاد، وَهُمْ المنسلخون مِنْ الدِّيَانَةِ »[2].

واستمر النقل عنه إلى أنْ قال: « وَإِنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ الْعَبْدَ مَا دَامَ أَحْكَامُ الدَّارِ جَارِيَةً عَلَيْهِ، فَلا يَسْقُطُ عَنْهُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، وَكُلُّ مَنْ ادَّعَى الْأَمْنَ فَهُوَ جَاهِلٌ بِاَللَّهِ، وَبِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄ [الأعراف: ٩٩]. وَقَدْ أَفْرَدْتُ كَشْفَ عُوار مَنْ قَالَ بِذَلِكَ. وَنَعْتَقِدُ: أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ لا تَسْقُطُ عَنْ الْعَبْدِ مَا عَقَلَ وَعَلِمَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ، فَيَبْقَى عَلَى أَحْكَامِ الْقُوَّةِ وَالاسْتِطَاعَةِ؛ إذْ لَمْ يُسْقِط اللَّهُ ذَلِكَ عَنْ الأنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ

---

[1] (?) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج11/417-420).

[2] (?) الحموية الكبرى، ص439-0440

خَرَجَ عَنْ رِقِّ الْعُبُودِيَّةِ إلَى فَضَاءِ الْحُرِّيَّةِ بِإِسْقَاطِ الْعُبُودِيَّةِ، ...: فَهُوَ كَافِرٌ لا مَحَالَةَ؛ إلا مَنْ اعْتَرَاهُ عِلَّةٌ أَوْ رَأْفَةٌ؛ فَصَارَ مَعْتُوهًا أَوْ مَجْنُونًا أَوْ مُبَرسَمًا، وَقَدْ اخْتَلَطَ في عَقْله، أَوْ لَحِقَهُ غَشْيَةٌ ارْتَفع عَنْهُ أَحْكَامُ الْعَقْلِ، وَذَهَبَ عَنْهُ التَّمْيِيزُ وَالْمَعْرِفَةُ- فَذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ الْمِلَّةِ، مُفَارِقٌ لِلشَّرِيعَةِ »[1].

وهذا الكلام من هذا الصوفي له مكانته في الرد على الصوفية المنسلخة عن أحكام الدين!

** * **

المطلب السادس: تسوية الصوفية مشايخهم به في الحفظ والعصمة، وغير ذلك:

قد سَوّى الصوفية أولياءهم بنبيّنا محمدٍ في طائفة كبيرة مِن خصائصه التي لم يَشْرَكْه فيها أمّتُه، جفـاءً منهم لِمقامه.

هذا، ويتفرع عن المطلب أربع مسائل، على النحو التالي:

المسألة الأولى: الزعم بأنّ شيوخ الصوفية محفوظـون (معصومون) مثل الرسول.

المسـألة الثانيـة: إلـزام شـيوخ الصـوفية مريـديهم بالتسليم المطلق لهم كالتسليم للرسول.

المسألة الثالثة: زعم بعض الصوفية أنّ الهداية في هذا الزمان منوطة باتباعه.

المسألة الرابعـة: زعم بعض شـيوخ الصـوفية بـأنّ لـه معراجًا، مثلما كان للرسول .

المسألة الأولى: الزعم بأنّ شيوخ الصوفية محفوظون (معصومون) مثل الرسول:

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون ومحفوظون على الوجـه الـذي يـأتِي تقريـرُه في البـاب الأخـير (في المبحث الخاص بعصـمة الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام). أما غيرُهم مِن بقية الأولياء فإنّ ما ثبَتَ مِن أنّ الله تعـالى يحفـظ لَهم أسـماعهم وأبصـارهم وأيـديهم وأرجلهم[2]، لا

---

[1] (?) الحموية الكبرى، ص444-447

[2] (?) جاء هذا المعنى في حديث أبِي هريرة الذي أخرجه البخاري، وهو ما يُسمّى بِحديث الولي، وقد تقدم تخريجه. هذا، وقد قام العلماء –رحمهم الله- بشرح الحديث، وهم كل شُرّاح البخاري، وقام بشرحه

يَعنِي أنّهم على الدوام معصومون، بل يَمسُّهم طـائفٌ من الشـيطان حينًـا؛ فيَلطُـف بِهم ربُّهم؛ فيتـذكَّروا فـإذا هم مبصرون. وهذا المعتقد الصحيح في الأولياء. أما القـول بعصـمتهم فغـير سـديد. ونفي عنهم مـا أجمـع عليـه، كمـا سيأتِي في الباب الأخير: «أجمع المسلمون أنّ العصـمة لا تكون إلا للأنبيـاء عليهم السـلام، وأما من دونهم كأصـحاب النبِيّ فليسوا بمعصومين إجماعًا، فضلا عمن دونَهم»[1].

لكن الصوفية خالفوا في هذه العقيدة؛ وإنّ كـانوا يتحفظـون مِن ذِكـر لفظـة العصـمة مضـافة إلى الأوليـاء، ويَستبدلون بِها ما هو قـريبٌ منهـا، ومؤداهمـا واحـدٌ؛ وهي الحفظ، مع أنّهم قد قالوا اللفظة (العصمة مضافة إليهم)، وبقلة؛ جاء في الرسالة القشيرية: « فصـل: **فإنْ قيـل:** فما معنى الولي؟ **قيل:** يحتمل أمرين: أحـدهما أنْ يكـون فعيلاً مبالغة من الفاعل؛ كالعليم، والقدير وغـيره، فيكـون معناه: من توالت طاعاته من غير تخلل معصية. ويجوز أنْ يكون فعيلاً بمعنى مفعول، كقتيل بمعـنى مقتـول، وجـريح بمعنى مجـروح، وهـو الـذي يتـولى الحـقّ سـبحانه حِفظَـه وحِراسَـته على الإدامـة والتـوالي، فلا يخلـق لـه الخـذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قـدرة الطاعة، قال الله تعالى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭼ [الأعراف: ١٩٦] »[2]. ثم قال: « فصل: **فإن قيل:** فهـل يكـون الـولي معصـومًا؟ **قيل:** أما وجوبًا، كما يقال في الأنبياء فلا. وأمـا أن يكـون محفوظًا حـتى لا يُصرّ على الـذنوب إنْ حصَـلَت هنـات أو آفـات أو زلات، فلا يمتنـع ذلـك في وصـفهم. ولقـد قيـل للجنيد: العارف يزني يا أبا القاسم؟ فـأطرق مليًّا، ثم رفَـع رأسه وقال: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﭼ الأحزاب: ٣٨] »[3].

العلامة ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم، وشرَحه قبله شيخُ الإسلام ابن تيمية في رسالته القيمة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان, كما أفرده الإمام الشوكاني بكتاب ضخم سماه القطر الجلي شرح حديث الولي. وكتَبَ أحدُهم رسالة في شرح الحديث نال بِها الدكتوراه، سماها: الخلاصة في شرح حديث الولي.

[1] (?) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص37.

[2] (?) الرسالة القشيرية، 345.

[3] (?) المصدر نفسه، 346.

وفي رَدّ الغزالي[1] على الباطنية الإسماعيلية دعواهم (أنّه لا يَدّعي العصمة في العالم سوَى شخصٌ واحدٌ) وأنّـه هـو حـاكمُهم؛ فـوجَب -على زعمهم- اتباعـه ذَكَـر -وهـو المائــل إلى الصــوفية- أنّ مِن الصــوفية مَن زعَم ذلــك؛ ففسد بذلك دعوَى الإسماعيلية، في وجـهٍ مِن أوجُـه الـرّد عليهم؛ قال: « الوجه الثاني: في إفسـاد هـذه المقدمة هو أنّكم ظنَنْتُم أنّه لا يَدّعِي العصمة في العالَم سـوى شـخصٌ واحدٌ، وهو خطأ؛ فإنّا بالتواتر نتسامع بِمُدّعِين: أحدهما في جيلان، فإنّها لا تنفك قط عن رجُــلٍ يُلَقِّبُ نفسَــه بناصِــرٍ الحق، ويَدّعى لنفسه العصمة، وأنّه نـازلٌ منزلة الرّسـول، ويَستعبد الحمقى مِن سُــكّان ذلك القطر إلى حد يُقْطِعُهُم جوانبَ الجنة مقدرًا بالمسـاحة، ويُضـايق في بعضـهم إلى حد لا يبيع ذراعًا من الجنة؛ لا بمائة دينار وهم يحملون إليه ذخـائر الأمـوال، ويشـترون منه مسـاكن في الجنـة. .. فلا تظنُّوا أنّ الحماقة مقصــــورةٌ عليكم، ... فأما المـــــدعي الثاني فرجلٌ في جزائر البصـرة يَـدّعي الربوبيـة، .. ورَتَّبَ

---

[1] الغزالي: هو **أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، الغزالي** الشافعي، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، ولد: سنة450هـ، مهَر في الكلام والجدل، قال تلميذه أبو بكر ابن عربي: « شَيخُنَا أَبُو حَامِدٍ بَلَعَ الفَلاسِفَةَ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَقَيَّأَهُم، فَمَا اسْتَطَاعَ ». مال إلى الصوفية كما يَدُل عليه كُتُبُه وسيرته (انظر: المنقذ من الضلال، ص64-71)، عمِل (الإحياء) وشحنَه برموز الصوفية كالحلاج، وبالموضوعات. وقد وجَدَت الإمامية في بعض كلامه بغيتها، قال الذهبي في ترجمته: « قَدْ أَلَّفَ الرَّجُلُ فِي ذَمِّ الفَلاَسِفَة كِتَاب(التهافت)، وَكَشَفَ عوَارِهُم، وَوَافقهُم فِي موَاضِع ظنّاً مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ حقٌّ، أَوْ مُوَافِقٌ لِلملّةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِالآثَار وَلاَ خِبْرَةٌ بِالسُّنَنِ النَّبويَّة القَاضِيَة عَلَى العَقْل، وَحُبِّبَ إِلَيْهِ إِدمَانُ النَّظَر فِي كِتَاب(رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصَّفَا) وَهُوَ دَاءٌ عُضَال، وَجَرَبٌ مُرْدٍ، وَسُمٌّ قَتَّالٌ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَبَا حَامِد مِنْ كِبَارِ الأَذكيَاء، وَخِيَارِ المُخلِصينَ، لَتَلِفَ فَالحِذَارَ الحِذَارَ مِنْ هَذِهِ الكُتُب، وَاهرُبُوا بدينكُم مِنْ شُبَهِ الأَوَائِلِ، وَإِلاَّ وَقعتُم فِي الحَيْرَةِ، فَمَنْ رَام النَّجَاةَ وَالفوز، فَليلزم العُبُوديَّة، وَلْيُدْمِنِ الاسْتغَاثَةَ بِاللهِ، وَليبتهلْ إِلَى مَوْلاَهُ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الإِسْلاَمِ وَأَنْ يُتوفَّى عَلَى إِيْمَانِ الصَّحَابَة، وَسَادَةِ التَّابِعِيْنَ، وَاللهُ الموفق، فَبِحُسْنِ قَصْدِ العَالِمِ يُغْفَرُ لَهُ وَيَنجُو -إِنْ شَاءَ اللهُ-». كانت خاتمة أمره إقبالَه على طلب الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين، توفي: سنة 505هـ. (وانظر ترجمته الكاملة في: سير أعلام النبلاء، ج11/ 501-513).

قُرآنًـــا، ... وزَعَم أنّه بمنزلة محمد ، وأنّه رســـولُه إلى الخلق. .. وهو يَدّعِي لنفسه العصمة وما فوقها »[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- وهو يَرُدّ على الرافضة الاثـني عشـرية: « فقـولُهم ليس بمعصـومٍ غيرُ علي اتفاقًا ممنـوعٌ، بل كثـيرٌ من النـاس؛ مِن عُبّـادِهم وصُـوفيتِهم وجُنْـدِهم وعـامتهم؛ يعتقـدون في كثـيرٍ مِن شُـيُوخهم مِن العصـمة، مِن جنس ما تعتقـده الرافضة في الاثـــني عشـــر، وربما عَبّــروا عن ذلك بقـــولِهم: الشـــيخ محفوظ ..»[2].

فالصوفية –كما تقدم في فصل الرافضة « يعتقدون في أوليـــائهم ما يعتقد الشـــيعة في أئمتهم من تـــأليههم, وجعلهم أنبيـاء، أو كالأنبيـاء معصـومين, ولو أنّهم كثـيرًا ما يتجنبون استعمال هـذه اللفظة, ويسـتبدلونها بــ(الحفـظ), ولا يقصدون مِن ورائها إلا العصمة التي يستعملها الشـيعة توقِّيًا وتَحفُّظًا مِن طعن الطاعنين، واعتراض المعترضـين, وسترًا لتلك الصلة الوثيقة التي تربطهم مع الشـيعة, لو أنّ بعض المتهـورين منهم لم يراعـوا هـذا الكتمـان والإخفـاء, وباحوا بهذا السِّرّ جهـرًا وعَلنًا عـارفين بـأنّ تقيتَهم هـذه لا تُسْـمِن ولا تغنِي من جـوع, لأنّ المـراد مِن كلتا اللفظـتين واحد, لا اختلاف بينهما من حيث المدلول »[3].

وقد نقل الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله- عن ابن عرَبي وأبِي الحسن الشاذلي وغـيرهم نُصوصًـا كثـيرة يَـزعُم الصـوفية فيهـا عصـمة أوليـائهم عن المـذمومات، مســتخدمين لفظـــة العصـــمة؛ ولا أرى نقْـــل نصوصـــهم اختصارًا[4]. والله تعالى أعلم.

** * **

---

1 (?) فضائح الباطنية للغزالي، 79.

2 (?) منهاج السنة لابن تيمية، (ج6/ 430).

3 (?) قاله الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله- في كتابه التصوف المنشأ والمصادر عند حديثه عن أخذ الصوفية عن الشيعةوتأثرهم بهم، ص224.

4 (?) انظر إليها في كتابه: التصوف المنشأ والمصادر،224-232.

مِن أوجه تسوية الصوفية شيوخهم برسول الله ﷺ، وهو متفرِّعٌ عن الوجه المتقدم (دعوى العصمة فيهم)، مع أنه يُعتبَر ضمن أخطر بِدَع الصوفية، وهو المتمحض في العلاقة بين شيوخ الصوفية ومريديهم:[1] حيث يأمر شيوخ الصوفية مريديهم أنْ يكونوا بين أيديهم كالميت بين يدي الغاسل يُقلِّبُه كيف يشاء؛ لا حرَكَة ولا تدبير، فالشيخ لا يُسأل عما يفعل[2]؛ فبِهذا يأخُذُ الشيوخ يُشرّعون لهم في دينهم ما لم يأذن به الله، وخصوصًا في باب الأذكار وأعدادها وكيفياتها[3]، فالصوفية « يُقدّسون الشيخ ويُسلّمون له القياد، ولا يُفكّرون في أنفسهم ولا في أيّ شيءٍ آخر، إلا فيما يأمُرُ به الشيخ، ولا يَخطُرُ ببالهم أنْ يعرضوا أفعال الشيخ أو أقواله، وما يأمُرُ به على الشريعة؛ لأنّ ذلك قد يُؤدّي إلى الاعتراض الذي هو السبب المباشر للانطراد والخسارة عندهم »[4].

وهذا النوع من الاتباع والتسليم يجب في الدين الإسلامي أنْ يكون فقط لرسول الله ﷺ، ﭽ[illegible]ﭼ [النساء: ٦٥]. أما غيرُه فلا بُدّ من موافقته شريعة الله قبل طاعته.

ومِن نماذج أمر الصوفية مريديهم بهذا النوع من الاتباع: ما جاء عن شيخٍ ديوبنديٍّ جشتيٍّ ونقلَه الشيخ حمود التويجري –رحمه الله- مِن « أنّ رجُلا جاءه للمبايعة، وقبّل رِجليه فأجلسه الشيخ، فقال: إنّي جئتُ لأكون مريدكم، فقال الخواجة معين الدين الجشتي: هل تفعل ما آمُرُك؟ فإنْ تقبل هذا الشرط أجعلك مريدي. قال الرجل: أنا أعمل بكُلّ ما تقول، فقال الخواجة: قد

---

1 ([?]) انظر الفصول 17 التي عقدها القشيري عن المريد في رسالته، ومنها: في علاقته مع شيخه، ص394-400.

2 ([?]) انظر: الصوفية في ضوء العقيدة الإسلامية ضمن دراسات في الفرق للدكتور صابر طعيمة، ص113.

3 ([?]) انظر: مبحث الطرق وما فيها من تشريعات صوفية من كتاب تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، (ج1/ ص346-376).

4 ([?]) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتابة والسنة، (ج1/ ص344).

تعـودتَ على قـراءة كلمة الإسـلام (لا إله إلا اللـه، محمد رسـول اللـه) فـاقرأ مـرة هكـذا: (لا إله إلا اللـه، جشـتي رسول اللـه)، ولأجل أنّه كـان راسـخًا في عقيدته قـرأ كما أمَرَه الشيخ، فبايعه الخواجة، .. وأنعم عليه، ثم قـال: إنما اختبرتُك لأعـرف مـدى حُبّي وتقـديري في قلبـك، ما كنتُ قاصدًا منك قراءة كلمة الإسلام بِهذا الطريق. فيظهَـرُ من هـذا صـدق اعتقـادك بِي، وصِـرتَ الآن مريـدًا لِي صـادقًا؛ هكذا ينبغي للمريد أنْ يكون صادقًا في جناب شيخه »[1].

وفي جواهر المعاني في الفصل الثاني من الباب الرابع عند حديثه عن (صفة المريد وحاله، وما يَقطعه عن أسـتاذه) ذكَـر كاتبُـه أنّـه سـأل شـيخه أبـا العبـاس أحمـد التجاني مسائل منها عن حقيقة المريـد الصـادق ... فجـاء الجواب الذي مضـمونه: تسـليم المريـد التسـليم المطلـق للشيخ مثل تسليم العبـد لربـه، ولرسـوله محمـدٍ ﷺ، وأنْ لا يعترض على الشيخ بقلبه ولسانه وإنْ رأى معـه المخالفـة للشريعة الظاهرة .. [2].

ومن أجوبته للسؤال ما معناه أنّه يجب على المريد أنْ لا يُشرِّك شيخَه بآخَر في المحبة والتعظيم والأخذ عنه، واقرأ هذا النصّ في ذلـك: « ومِن أكـبر الشـروط الجامعة بين الشيخ ومُريـده هو أنْ لا يُشـارِك في محبته غـيرَه، ولا في تعظيمه، ولا في الاستمداد منه، ولا في الانقطــاع إليه بقلبه. ويتأمل ذلك في شريعة نبينا ﷺ؛ فإنّ مَن سـاوَى رُتبة نبيّه ﷺ مع رُتبـةِ غـيره من النبـيين والمرسـلين؛ في المحبة والتعظيم، والاسـتمداد والانقطـاع إليه بـالقلب والتشـريع، فهو عُنوانٌ على أنّه يموتُ كافرًا، إلا أنْ تُدرِكَه عناية ربّانية بسبْق محبـةٍ إلهيـة. فـإذا عـرَفتَ هـذا؛ فليكُن المريـد مـع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ؛ في التعظيم والمحبة، والاستمداد

[1] نقله عن محمد أسلم -عن كتابه جماعة التبليغ- الشيخُ حمود التويجري (القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ، ص110-111،وفيه الرد عليه وبيان أنّ اختبار الشيخ لمريده فيما تقدم يُعتبر ردة من الشيخ والمريد. والله الهادي).

[2] انظر: جواهر المعاني، ص65.

والانقطاع إليه بالقلب؛فلا يُعادل غَيرَه في هـذه الأمـور،ولا يُشارك غَيره »[1].

وانظـر هـذه الْجُـرأة في التسـوية بين شـيوخهم المنحرفين برسول ربّ العـالمين عليـه الصـلاة والسـلام! ومما أورَدَه صاحبُ جواهر المعـانِي شـعرًا لغـيره في هـذا الموضع والمعنى. وفيهـا أنْ يسـلب المريـد إرادتـه، وأنْ لا يعترض على شيخه مهمـا رأى، كمـا أنّ عليـه أنْ لا يعـرف بشيخٍ بحضرة شيخه، وأن لا ينطـق يومًـا لديـه؛ إلا القليـل مع داعية الحاجة، وأنْ لا يرفع صوته فوق صوته، ولا يَجهَـر له بالقول، وغير ذلك، قال:

ومَن لم يَكُن سَلبَ الإرادة وصفُه	فلا يَطمَعَن في شَمّ رائحة الفقر
ولا تَعترِض يومًا عليه؛ فإنّه	كفيلٌ بتشتيت المريد على هجر
ومَن يعترض والعلم عنه بمَعزل	يرَ النقص في عين الكمال، ولا يَدْرِي
ومَن لَم يوافق شيخه في اعتقاده	يظلّ مِن الإنكار في لهب الجمر
فذو العقل لا يرضى سواه، وإنْ نأى	عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر
ولا تعرِفَن في حضرة الشيخ غيرَه	ولا تملأنْ عيْنًا من النظر الشزر
ولا تنطقَنْ يومًا لديه، فإنْ دعا	إليه؛ فلا تعدلْ عن الكلم النزر
ولا ترفعُوا أصواتَكم فوق صوته	ولا تَجهرُوا جَهر الذي هو في قفر[2].

وجاء في الرماح وهو ينقُل آداب المريد في حـق الشيخ، ومنها « وعدم الاعتراض عليه في شيءٍ فعلَه، ولو

---

[1] (?) جواهر المعاني، ص65، ورماح حزب الرحيم، ص327 (مع الجواهر). وانظر للاستزادة من هذه النماذج: (باب آداب المريد مع الشيخ، من كتاب عوارف المعارف، ج2/2096، و2097، في آخر كتاب إحياء علوم الدين).

[2] (?) جواهر المعاني، ص66.

كان ظاهره أنّه حرامٌ .. –إلى أن قال: فإذا قال له: اقرأ كذا، أو صلّ كذا، أو صم كذا، وجَبَ عليه المبادرة، وكذا إذا قال له هو صائم: أفطر، وجَبَ الفطر، .. –إلى أنْ قال: وأنْ لا يزوره إلا على طهارة؛ لأنّ حضرة الشيخ حضرة الله»[1].

وفيه: أنْ يبايع الشيخ في المنشط والمكره، وأنْ لا يعترض عليه فيما يكون منه، ولا يَطلب علة الأمر الذي يأمُرُ به، إلى أنّ نصّ بأنّ « من شرط المريد أنْ يكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغاسل؛ إنْ غسل عُضوًا من أعضائه قبل عُضوٍ آخر، أو حرّكَه أو تصرّف فيه كيف يشاء بما يَرَى من المصلحة فلا يخطر عليه خاطر اعتراض »[2].

ويُركّزون كثيرًا على عدم الاعتراض على الشيخ في أقواله وأفعاله، وأنّه كُلّما خطَرَ لك شيءٌ من هذا الجنس تذكّر قصة موسى والخضر عليهما السلام لينـدفع عنك الاعتراض، وذكَر صاحب الرماح قصة شيخ مع أحد المريدين « أرأيتَ لو وجهك شيخك في أمرٍ فمررتَ بمسجدٍ تقام فيه الصلاة فما تصنع؟ فقال: أمضي لأمر الشيخ ولا أُصلّي حتى أرجِع إليه، فقال: أحسنتَ »[3].

وهكذا بلَغَ بِهم تقديس شيوخهم بل وتأليههم، وحينًا تسويتُهم برسول الله ﷺ!

المسألة الثالثة: زعم بعض الصوفية أنّ الهداية في هذا الزمان منوطة باتباعه:

الوجه الآخر من نماذج وأوجه تسوية الصوفية مشايخهم وأوليائهم برسول الله ﷺ: ما جاء في قول أحد علماء الديوبندية الحنفية الصوفية عن شيخ سَمِعَه يقول عن نفسه عدة مرات: « اسمعوا! الحق هو الذي يقوله رشيد أحمد، وأُقسِم بالله أنّي لستُ

---

1 (?) رماح حزب الرحيم، ص323 (مع جواهر المعاني).

2 (?) المصدر نفسه، ص324.

3 (?) رماح حزب الرحيم، ص324، وانظر لقصص مشابهة، ص325وما بعده، وكتاب عوارف المعارف، ج2/2100، في آخر إحياء علوم الدين).

بشـيءٍ: إلا أنّ الهدايـة والنجـاة موقوفـة على اتّبـاعي في هذا الزمن »[1].

وفيه تحجير الواسع؛ حيث جعـل الهدايـة والنجـاة لأتباعه دون غيرهم، وفي اتباعه لا اتباع نبِيّ الإسلام، وهذا قبيحٌ وباطلٌ[2]، ويُكذِّب هـذا القائـل مـا تقـدم من أنّ اللـه تعالى –كمـا في مطلب طاعـة النبِيّ في أوامـره- جعَـل الهداية مشروط طاعة نبِيّه ؛ لا غيره، فمِن اتبعه وأطاعـه سواءٌ علِم هـذا القائـلَ المتحجِّرَ أو لم يسـمع بـه كـان من المهتدين. كما أنّ الفِرْقـة والأفـرادَ النـاجين هم مَن كـانوا على ما هـو عليـه الرسـول وأصـحابُه ، لا على مـا كـان عليه هذا القبوري وأمثالُه!

المسألة الرابعة: زعم بعض شيوخ الصوفية بأنّ له معراجًا، مثلما كان للرسول :

إنّ مما أكثرَ الصوفية فيه تسويةَ مشايِخهم برسـول اللـه بدعـة الإسـراءات والمعراجـات لشـيوخهم، وذكَـر ابن الجـوزي –رحمـه اللـه- أنّ أهـل بسطام أنكـروا على أبي يزيد البسـطامي ما كـان يقـول، حـتى إنّه يقـول: لِي معـراجٌ كما كـان للنـبي معـراجٌ؛ فـأخرجُوه مِن بِسـطام، وأقـام بمكة سـنتين. إلخ [3]. والقصص كثيرة وكثيرة. والله أعلم.

** * **

وأقول في ختام هذا المطلب: الأوجُه التي يُسوِّي شيوخُ الصـوفية أنفسَـهم أو يُسـوِّيهم أتبـاعُهم ومريـدوهم برسول الله فيما هـو من خصائصـه كثـيرة جِـدًّا، اكتَفَيتُ بِما تقدم تنبيهًا للـذي لَم أذْكُـر؛ وقـد عقـد الشـيخ إحسـان إلِهي ظهـير –رحمـه اللـه- عُنوانًـا بلفـظ: (المسَـاوَاة بَيْنَ النَّبِيِّ وَالوَليّ) [4]، يَحسُن الرجوع إليه وهو من الأمور الـتي تأثّرت الصوفية فأخذوه عن الشيعة.

---

1 (?) تذكرة الرشيد لمحمد عاشق إلهي الميرتي، (2/17) بواسطة: الديوبندية تعريفها عقائدها، ص182.

2 (?) انظر: الرد عليه: القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ للشيخ حمود التويجري، ص113-115.

3 (?) انظر: تلبيس إبليس، ص178.

4 (?) انظر: التصوف المنشأ – المصادر، ص204-205.

ولا غرابة من تسوية الصوفية شيوخهم برسول الله في أمـورٍ هي من خصائصـه، فقـد تقـدم تفضـيل غُلاتهم الأولياء على الأنبياء، قال الشيخ إحسان إلهي كاتبًا ونـاقلا: «وأما تسوية الصـوفية بين الولاية والنبـوة, بل وتفضـيلهم الولاية على النبـوة والرسـالة, والأوليـاء على أنبيـاء الله ورسـله مثل الشـيعة، فتـدل عليه عبـاراتُ القـومِ وتصريحاتُهم, -فنقل عن أحدهم قوله-: (الولاية: أنْ يتـولى الله الواصـلَ على حضر قدسه بكثـيرٍ مما تـولى به النبِيّ, من حفظ وتوفيقٍ، وتمكين واستخلاف، وتصريف. فـالولي يساوي النبِيّ في أمـورٍ, منها: العلم من غـير طريق العلم الكسبِيّ, والفعل بمجـرد الهمة, فيما لم تجر به العـادة أنْ يفعل إلا بـالجوارح والجسـوم, مما لا قـدرة عليه لعـالم الجسـوم. .. ويفعل بالهمة في عـالم الخيـال وفي الحس؛ فإنه يَسـمع ويَـرى ما لا يُـرى ولا يُسـمع، وهو بين النـاس. ويفـارق الـولي النـبي في المخاطبة الإلهية, والمعـارج, فإنّهما يجتمعان في الأصول، وهي المقامـات, إلا أنّ النبِيّ يَعـرُجُ بـالنور الأصـلي, والـولِيّ يَعـرُج بِما يَفيض من ذلك النور الأصلي, وإنّ جَمَعَهُما مقـامٌ اختَلَفَا بالوحـدة في كُـلّ مَقامٍ, من فناء وبقاء, وجمع وفرق. والولي يأخذ المواهب بواسـطة روحانية نبيه, ومِن مقامه يَشـهد, إلا ما كـان من الأوليـاء المحمـديين؛ فإنّه لَمّا كـان نـبيُّهم صـلوات الله وسلامه عليه جامعًا لمقامات الأنبيـاء أوْرَثَهُم الله مقامـات الأنبيـاء، وأوْصَـل إليهم أنـوارَهم, مِن نـور نـبيهم الـوارث وبوسـاطته, فإنّه هو الـذي أعطى جميـعَ الأنبيـاء والرسل مقاماتِهم في عالم الأرواح. ثم شاركت الأولياء الأنبياء في الأخذ عنه؛ .. فقد يَرِث ولِيٌّ مِن الأولياء آدم, أو إدريس, أو إسـحاق, أو إسـماعيل, أو يوسف, أو موسى, أو عيسى, لكن لا يتوصل إلى نـوره ولا حاله إلا من محمد صـلوات الله وعليهم وسـلامه, إلا القطب وحـده؛ فإنّه على قَلْبِ محمد . ولِمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون) »[1].

[1] قاله لسان الدين ابن الخطيب في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف، ص519-520، ونقله عنه الشيخ إحسان في التصوف المنشأ والمصادر، 204-205.

وفي هذا الكلام من الأكاذيب ما الله به عليم! ولردّها المفصّل مقامٌ غير هذا. والمقصود أنْ يتضح أنّ هؤلاء الصوفية يُسوّون مشايِخَهم بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- عمومًا في خصائصهم، وبنبيّنا خصوصًا!

** * **

وما تقدم من المطالب الستة (المبحث) أوجُهٌ قليلةٌ -إلا أنها بارزة- من أوجه جفاء الصوفيّة رسول الله ، وقد سبقتْها أوجُهٌ سبعة (المبحث المتقدم) تناولتْ غُلُوّهم فيه. وتقرر بهما (المبحث القائم والمتقدم) أنّ الصوفيّة على نقيض دعوى محبة رسول الله والأوْلويّة به؛ لِمخالفتهم له بموقفَيْهم المتناقضين. كما أنّه من نافلة القول سقوط دعواهم العظيمة في أنّ أهل السنة المحضة -على زعمهم- لا يُحبّون رسول الله - وحاشاهم- على حدّ المقولة: رمَتْنِي بدائها وانسلت.

ثم إنّي قد خصصتُ المبحث القادم لتناول موقفَي الفرقة البريلوية الصوفيّة الغالي والجافي من عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ؛ ذلك أنّه لا يَسمح المقام بتفصيل ما لِكُلّ طريقة صوفية من إفراط وتفريط في هذا الباب على غرار ما سيأتِي بخصوص الطريقة البريلويّة. (وقل بالنسبة لفرق الرافضة في الفصل الثانِي من أنه لا يمكن تفصيل جفاءات فِرَقها الكثيرة، بل اكتفي في ذلك بإشارات)، كما أنّ البريلوية عندها الغلُوّ فيه والجفاء الزائدان؛ فأُفردت!

** ** **

المبحث الثالث: موقف البريلوية من مقامَي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه تمهيدٌ ومطلبان:

طائفة البريلوية طائفة صوفية، يُتهم رأسها بالتشيع، وهي من أكثر فِرق الصوفية غُلُوًّا في عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ، كما أنّهم جُفاةٌ لشريعته ورسالته، وهذا ما سيتضح جليًّا بِمطلَبي المبحث.

التمهيد: التعريف بالبريلوية:

تقدم التعريف بالصوفية لغة واصطلاحًا في تمهيد المبحث الأول من هذا الفصل، كما تقدم ذكر أشهر وأهم طُرُقهم، مع التثنية بأفكارها ومبادئها العامة، وعقائدها وأُسُسُها الجامعة الكبيرة. وهناك أرجئتُ الحديث عن هذه الطريقة (البريلوية) خصوصًا إلى هذا التمهيد للتعريف بها -كما في الخطة- لأذْكُر بعض الأفكار التي تميّزت بها عن باقي فِرَق وطُرُق الصوفية؛ وليكون قريبًا من مطْلَبَيْها، فهذا أوان شروع التعريف بِها:

الطريقة البريلوية: « نحلة جديدة من طوائف شبه القارة الهندية الباكستانية .. إنّها جديدة من النشأة والاسم، ومن فرق شبه القارة من حيث التكوين والهيئة، ولكنها قديمة من حيث الأفكار والعقائد، ومن الفرق المنتشرة الكثيرة في العالَم الإسلاميّ بأسماء مختلفة وصُوَر متنوعة من الخرافيين وأهل البدَع، .. وسيجد القارئ عندما يقرأ عقائدهم وتعاليمهم في الكتاب من أيّ قُطر كان، كأنّه يقرأ عن نفس تلك الفِرَق التي توجد عنده وفي بلاده، بأسماء أُخَر؛ من التجانيّة والسنوسيّة والمهدويّة والقادريّة والسهرورديّة والنقشبنديّة والجشتيّة والرفاعيّة[1] وغيرها »[2].

---

1 (?) قد تقدم التعريف بهذه الطرق عند التعريف بالصوفية.

2 (?) قاله الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص7.

فالبريلوية طائفةٌ صوفيةٌ من طوائف شبه القارة الهندية الباكستانية، ومن جـانب آخـر؛ فهي من فـرق الأحنـاف بـإزاء الديوبندية والندويـة، وتنتسب إلى مجـدد دعـوتهم ورافع كلمتهم، ومؤسس قواعـدهم، ومـبيِّن أصولِهم وأسسهم أحمد رضا، المولـود في مدينة (بـريليّ) من مـدن الهند في ولاية أتر بـرديش، في:10/ شـوال/ 1272هـ، الموافـق: 14/ مـايو/ 1865م، في بيت علميّ؛ حيث كـان أبـوه نقيّ عليّ، وجـدّه رضا عليّ[1] يُعـدان من العلمـاء الأحنـاف. ولقد سـمّى أحمد رضا الـبريلويّ نفسه بعبد المصطفى (والتعبيد لغير الله -شـرعًا- لا يجـوز)، كما استلزم باستعماله في الكتب والرسائل والمكاتبـات. كـان الرجل غائب الـدماغ سـيّء الـذاكرة نسّـاءً، كما كـان حـاد المزاج، سـريع الانفعـال، شـديد الغضـب، طويل اللسـان، قاسي الألفـاظ؛ لعّانًا سـبّابًا، بـذيئًا فاحشًـا، شـديدًا على المخـالفين لـه؛ لا يـرى الرأفة والرحمة عليهم، فظًّا غليظ القلب، قلّ له مثيلٌ في الآونة الأخـيرة؛ فـإنّ لفظة الكلب والخـنزير وإبليس، والكـذّاب والمتمـرد، والكـافر والفـاجر والمرتد شائعة عنـده وبكـثرة حـتى يمكن القـول: إنّ كتابًا من كتبه، ورسالة من رسائله –على كثرة رسـائله- لا تخلو من هـذه الألفـاظ والألقـاب[2]، ومن دلائل قسـوته ما نقله القـوم أنفسُـهم (إنّ الـبريلوي تقـدم إلى أحد العلمـاء البارزين والماهرين في العلوم العقلية كي يُعلّمه ويُدرّسه، فسـأله المعلم عن أشـغاله وأعمالـه، فقـال: أكتب ضد

---

1 (?) من العلماء والباحثين من ذهب إلى أنّ أسرة أحمد رضا أسرة شيعية أظهرت تسننها تقية للإضرار بالسنة، ولقد ذكر الشيخ إحسان إلهي ظهير سبعة من أدلة قائلي ذلك؛ فمنها أنّ أسماء آبائه وأجداده أسماء شيعية؛ فاسمه أحمد رضا بن نقي علي بن رضا علي بن كاظم علي. كما أنّ البريلوي تكلم بكلمات حول الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما لا يتصور التفوه بها من سُنّي أبدًا. ومع ما عُرف به من تكفير مخالفيه السنة وأساطينها –كما سيأتي في المسألة الرابعة من المطلب الثاني- فإنه لم يجعل الشيعة هدفه. وغير ذلك. (انظرها: البريلوية له، ص21-24)، لذا قال في موضع، ص55: « وربما تشبه عقائدها بالمعتقدات الشيعية وعقائدها، وحقيقة أنها أقرب إلى التشيع من التسنن ».

2 (?) انظر: البريلوية، المصدر نفسه، ص27 (أسلوب البريلوي).

الوهّابيّة وأبيّن ضلالهم وكفرهم، فأجـاب ذلك الشـيخ: هـذا مما لا يليق، فرجع البريلوي عنه وانقلب[1]، وأبى أن يتعلم من مثل هذا الشخص الـذي يمنعه من تفسـيق الموحّـدين وتكفيرهم. وكُـلّ هـذا مما جعل النـاس ينفـرون منـه، كما قلاه وهجَـرَه حـتى أخلص المخلصـين لـه، بل وصل الأمر إلى أنْ كـانت المدرسة الـتي بناها أبـوه في الـبريلي وأسسها باسم مصباح التهذيب فضّلت البريلوي –كما قاله الشـيخ إحسـان- « لشـدته وقسـوته وتطاوله على النـاس وتكفـيره المسـلمين، وابتعـدت عنه حـتى انضـمت إلى الوهابيّــة، ولم يبــقَ للبريلوية مدرسة في عُقر دارهم مع وجود حضرة الأعلى فيها »[2].

وهذا من ثمرة الغلظة التي كان عليها؛ مما سيأتي آثارها أيضًـا في المســألة الرابعة والخامسة (حيث كفّر العالم الإسلامي ممن خالفه، وافـترى على أئمة التوحيـد) من المطلب الثاني.

وأما البريلويون فينسجون الأساطير والمبالغات في إمامهم[3]، من ذلك:

ما قالوا بالنسبة لطفولته وعصمته المزعومة « إنّ أحمد رضا عصم في طفولته من الانحـراف والغلطـة، وأودع فيه اتباع الصراط المسـتقيم »[4]. و« إنّ قلم أحمد رضا ولسانَه حُفظ من زلة، وحتى قدر النقطة، مع الثابت: أنّ لكلّ عالِم هفوةً »[5]. و« إنّ البريلويّ لَم ينطق بلسانه المبارك بلفظة غير شرعية، والله عصمه من كُلّ زلة »[6].

---

1 (?) حياة أعلى حضرة للبهاري الرضوي، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص28.

2 (?) حياة أعلى حضرة، ص211، بواسطة البريلوية –عقائد وتاريخ، ص 15-16.

3 (?) استزد من خرافات البريلويين في البريلوي في: البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص16-21. ومبالغاتهم وغلوهم فيه، ص46-51، وأيضًا، ص75-76.

4 (?) أنوار رضا، صص223، بواسطة البريلوية –عقائد وتاريخ، ص18.

5 (?) ياد أعلى حضرة لعبد الحكيم شرف، ص32، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص18.

6 (?) الفتاوى الرضوية، مقدمة ج2/5 لمحمد أصغر العلوي، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص18.

مع ما ثبت من أنّ الكُلّ خطّاء. وزعموا « أنّ الحضرة الأعلى (البريلويّ) كان في يد الغوث الأعظم (يعني الشيخ عبد القادر الجيلاني) كالقلم في يد الكاتب، والغوث الأعظم في يد رسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كالقلم في يد الكاتب، والرسول في الحضرة الإلهية ما ينطق عن الهوى »[1]. فانظر إلى هؤلاء! وقالوا أيضًا: « رضا الله في رضا الرسول، ورضا رسول الله في رضا البريلوي»[2]. وقالوا: إنّه كان مجددًا وسيّدًا، وإمامًا ومرشدًا، ومالكًا وشافعًا، وداره دار الشفا، وهو الذي أبصر العيان، وأسمع البكم، وإنّه مشكاة نور الله، ومرآة حسن المصطفى، وأسد أسود الله[3] –إلى آخر الخرافات.

وإنْ كانوا بالمقابل أيضًا قد نقلوا عنه ومن عاداته: شرب الشيشة والإدمان فيها، والتنبول الهندي الذي يُسمى هناك (بان) [4].

وأما عن **معاش هذا الرجل** فأولى الأقوال فيه أنّ الاستعمار الإنجليزي هي التي تمده وتساعده بِما يُخرجه من حقيبته المشهورة، مقابل استعماله في أغراضهم للتفريق بين المسلمين وتكفير المجاهدين الذين ضحّوا بأنفسهم لتطهير أراضيهم من وجود المستعمر الغاشم، ولقد كتب بعض الرسائل التي قرر فيها تحريم الجهاد في الهند لصالح المستعمرين. ومع ما قيل من المد الإنجليزي له إلا أنّه لا يمنع أنْ يكون يحصل على بعض الإمداد والكسب المعيشي من بقية الوسائل المذكورة[5].

وأما بالنسبة **لِمؤلفاته**: فإنّه كتب الفتاوى في استفتاءات يسأله طائفتُه بمعونة أشخاص عديدين، وكان

---

[1] (?) أنوار رضا، ص270، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص18-19.

[2] (?) باغ فردوس لأيوب رضوي، ص7، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص19.

[3] (?) نفحة الروح لأيوب البريلوي، ص5، بواسطة: البريلوية المصدر نفسه، ص49.

[4] (?) انظر: البريلوية المصدر نفسه، ص26.

[5] (?) انظرها: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص24-26. وانظر أيضًا موضوع: مخالفته الجهاد والمجاهدين، ومناصرته الاستعمار والمستعمرين، ص 36-44.

من عادته -قبل إرسالها إلى أصحابها- يُطلق عليها الاسم المناسب، وقد يطبعها أيضًا قبل الإرسال. (وقد طبع الفتاوى في 8مجلدات)، وكان يُراعي في الفتاوى أنْ يكون فيها الرد على المتمسكين بالكتاب والسنة والدعاة إلى التوحيد الخالص –كما سيتبين ببعض النقولات منها- لذا يرى القارئ أكثر ما يرى منها هي المسائل الخلافية، أو قل: المسائل الخرافية، مثل علم الغيب للرسل والأولياء والصالحين، وكونهم من جنس البشر أو النور، ووجودهم في بقعة من بقاع العالم في آنٍ واحد، وحياتهم بعد وفاتهم، وتصرفاتهم الكاملة في عالم الكون والتدبير أثناء وجودهم في الدنيا وغيابهم منها، وقدرتهم واختيارهم، والتبرك بالقبور وأصحابها والتماثيل والصور، وغير ذلك من المسائل [1]. كما أنّ له رسائل مفردة أخرى ليست ضمن الفتاوى.

مات البريلوي من مرض ذات الجنب، وقد كتب وصايا بدعية عديدة ما أنزل الله بها من سلطان[2]، وكان الهلاك في 25 صفر 1340هـ ظهرًا، الموافق: 1921م بعدما عمر 68سنة (من 1272-1340هـ).

هذا هو البريلويّ، وتلك هي مجازفات وشطحات أتباعه فيه، وهو الذي لقنهم إيّاها وعلّمهم، وعليها أقاموا شريعتهم وأسسوا دينهم.

وأخلُص إلى أنّ البريلويّة: فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي بالهند أيام الاستعمار البريطاني، تعتقد بجميع العقائد التي ذكرتُها عند التعريف بالصوفية (كالاستغاثة بغير الله، وعدم بشرية الرسل، وضرورة علمهم بأمور الغيب، وكونهم شركاء لله؛ في صفاته وقدرته وتصرفاته، وغير

---

1 (?) انظر عن مؤلفاته: البريلوية لإحسان، ص28-36.

2 (?) انظر إلى نماذجها: البريلوية لإحسان، ص45.

ذلك[1])، وتعتقد حتى حلول الله تعالى في البشر، حيث يقول البريلويّ (أحمد رضا خان): « ما قيمة هذا الطين والماء، إذا لم يكن النور الإلَهي حَلّ في صورة البشر »[2].

وأخطر عقائدها وأشهرها: تقديس الأنبياء والأولياء بعامة, والنبِي بخاصة. وتعتقد هذه الطائفة بأنّ الرسول لديه القدرة التي يتحكم بها في الكون, ولقد غالوا في نظرتِهم إليه حتى أوصلوه إلى قريبٍ مِن مرتبة الألوهية؛ يقول أحمد رضا خان البريلويّ: « أي: يا محمد لا أستطيع أنْ أقول لك: الله, ولا أستطيع أنْ أفَرّق بينكما, فأمْرُك إلى الله هو أعلم بحقيقتك »[3]. كما أنّ هذه الطائفة لديها عقيدة الشهود ومفادها أنّ النبِيّ –على زعمهم- حاضرٌ وناظرٌ لأفعال العباد، في كُلّ زمانٍ ومكانٍ, وهو جزءٌ من عقيدتهم التي زعموا فيها أنّه والأولياء يعرفون ما استأثر الله بعلمه من غيبه حتى المفاتيح الخمسة. كما أنّهم يستغيثون به وببقية الأنبياء والأولياء، ويشيدون القبور ويُجصصونها ويُنذرون لها النذور؛ فيعمرونها ويتبركون بها[4]. ويؤمنون بالإسقاط -وهي صدقة تدفع عن الميت بمقدار ما ترك من صلاة أو صيام أو سائر العبادات. وهي مقدار صدقة الفطر. وأعظم أعيادهم هو ذكرى المولد النبوي. ويكفرون المسلمين لأدنى سبب مثل: الرئيس الباكستاني السنّي الراحل (ضياء الحق)،

---

1 (?) البريلوية لإحسان، ص55-56.

2 (?) نقله عنه صاحب بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، ص 151.

3 (?) حدائق بخشش، (ج2/ ص104)، بواسطة: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، ص151.

4 (?) انظر عن عقائدهم، باب البريلوية ومعتقداتها في: البريلوية لإحسان، ص55-112.

وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام محمد بن عبد الوهاب، لِهذا فإنّ لِهذه الفرقة (البريلوية) ميزةٌ -إنْ كانت- هي ما ذكرها الشيخ إحسان: « من ميزاتهم التي يمتازون بها من الآخرين، وحتى الأحناف: أنّهم يلتزمون محدثات الأمور ويُصرُّون عليها ويشتمون تاركها، ويسبّونه ويطعنون فيه، ويتهمونه بالوهابية. ولا غرو أنّ متبعي الكتاب والسنة يُطعنُون ويُبغَضُون من قِبَل الخرافيين وأهل البدع والأهواء وأصحاب الزيغ والضلال »[1].

وهذا كُلّه سيأتِي تفصيله في مسائل المطلبين. وأكتفي بِالمتقدم في التعريف بالبريلويّ والبريلويّة، وأهمّ ما امتازت به من الخرافات والأباطيل، ومَن استزاد فعليه بمظان المادة[2]**.**

** * **

المطلب الأول: غلوُّ البريلوية في مقام العبودية لنبيِّنا محمدٍ ، وفيه ستُّ مسائل:

المسألة الأولى: زعم البريلوية أنه أُعطي علم جميع ما في اللوح المحفوظ.

المسألة الثانية: زعم البريلوية أنَّ لديه قدرةً يتحكَّم بها في الكون.

المسألة الثالثة: زعم البريلوية أنه يرى أفعال الخلق في كلِّ مكان وزمان.

المسألة الرابعة: استغاثة البريلوية به وبالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل وبالأولياء.

المسألة الخامسة: زعم البريلوية أنه نائب مطلق عن الله .

---

[1] البريلوية لإحسان، ص149.

[2] للاستزادة من التعريف بالبريلوي والبريلوية يُنظر: البريلوية – عقائد وتاريخ للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ورسالة الشيخ إحسان وجهوده في تقرير العقيدة، د. علي بن موسى الزهراني، ص665، وبحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، د. محمد مجاهد نور الدين، 150-152، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة للندوة، (ج1/ ص298-303).

المسألة السادسة: إنكار بشريته وزعمهم أنه خُلق من نور.

المسألة الأولى: زعم البريلوية أنه أُعطي علم جميع ما في اللوح المحفوظ:

العلماء يَذكرون أنّه «لو قال لغيره: أتعلم الغيب؟ فقال: نعم، يكفر»[1].

وقالوا: « لو قال: أنا أعلم ما كان وما لَم يكن، يكفر »[2]؛ ذلك أنّ الغيب عمومًا ومعرفة ما كـان وما يكـون، وعلم ما في أم الكتاب خصوصًا مما استأثر الله تعالى به.

وهـذه هي عقيـدة المسـلمين. لكن هل اعتـبرت القبورية البريلوية المدّعية ما في عُنوان المسـألة، وأكـثر، خصوصًـا لعبد الله ورسـوله نبيّنا محمد بقـول العلمـاء المأخوذ من دلالات النصوص؟

والجواب بالسلب، حيث إنّه قال زعيمها أحمد رضا البريلويّ: « إنّ عِلم اللوح وعِلم القلم، وعِلم ما كـان وما يكون، جزءًا واحدًا من علوم النبِيّ »[3].

وفي هذا أنّ جميع ما في اللوح المحفوظ جزءٌ من علم الرسول .

وأيضًا قـال الـبريلوي أحمد الرضا وهو يُفصّـل ما تقـدم: « إنّ علومه تتنـوع إلى الجزئيـات والكليـات، وحقـائق ودقـائق، وعـوارض ومعـارف؛ تتعلق بالـذات والصـفات. وعلم اللـوح والقلم إنّما يكـون سـطرًا من سـطور علمـه، ونَهرًا من بُحور حِلمه »[4].

---

1 (?) رسالة في ألفاظ الكفر لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد بن عبد العزيز الماتريدي، ص477، بتحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس (ضمن الجامع في ألفاظ الكفر).

2 (?) المصدر نفسه، ص477.

3 (?) خالص الاعتقاد للبريلوي، ص38، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص87.

4 (?) المصدر نفسه، ص38، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص87.

كما قال مفتي المذهب أحمد يار[1]: « إنّ رسول الله يعلم غيــوب الماضي والمســتقبل، ويعلم أكــثر ما في اللوح المحفوظ، ويعلم علم الساعة »[2].

ففي النصوص المتقدمة الزعم بأنّ أكثر ما في اللوح المحفوظ من علمه ، أو أنّ علم اللوح سطرٌ من سطور علمه، وجزءٌ واحدٌ منه. وهذا زعمٌ فاسدٌ لمخالفته للنصوص الشرعية والسيرة النبوية. ولقد فصّلتُ الردّ على مزاعم ودعوى أنّه يعلم الغيب، في مبحث: أهل السنة يعتقدون أنّ العبد الرسول محمدًا لا يعلم من الغيب في حياته إلا ما علّمه الله، فكيف بعد وفاته؟! وكيف يعلم ذلك غيرُه؟ وأنّ الغيب من خصائص الله تعالى[3]، وهو من مباحث الباب القادم.

وبمناسـبة حكاية زعم ذاك الكـذاب (أحمد يـار الــبريلويّ) القائل (بأنّه يعلم النــبيّ علم الســاعة) أنقُل بعض نصوص هـؤلاء المفـترين الغـالين (البريلويّـة) والـتي زعمـوا فيها أنّه يعلم حـتى مفـاتيح الغيب الخمسة الـتي استأثر الله تعـالى بعلمها (الـتي منها العلم بـالوقت الـذي يكـون فيه السـاعة والقيامـة)، قـال أحمد رضا الـبريلويّ مناقضًـا الحـديث الـذي يُفسّـر آخر آية من سـورة لقمـان التي تُقرر -ويقرر الحديث معها- أنّه لا يعلم هـذه المفـاتيح

---

[1] (?) هو **أحمد يار نعيمي البدايوني،** المولود في بدايون سنة 1906هـ، استقر في كجرات وأسس مدرسة يدل اسمها على عقائده ومعتقداته (الجامعة الغوثية النعيمية)، وهو من كبار المناصرين للبريلوي والبريلوية، وكتب كتبًا لتأييدها، منها وأهمها: جاء الحق، وكرس جهده فيه للرد على أتباع الكتاب والسنة، وسالك مسلك التوحيد، الذين يُسميهم الوهابية، مات سنة1971هـ. (انظر تمام ترجمته في : البريلوية لإحسان، ص53-54).

[2] (?) جاء الحق لأحمد يار، ص43، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص 90.

[3] (?) رددت على الغلاة فيه في هذا الباب بذكر أدلة الكتاب والسنة، ونماذج السيرة، وكلام العلماء في نحو ثلاثين صفحة (ومضمونه يدل على استئثار الله تعالى بعلم الغيب). وانظر –أيضًا- لتفصيل الرد على البريلوية بخصوص مسألة علم الغيب: البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص85-98 (مسألة علم الغيب)، ومبحث الرد على البريلوية في مسألة علم الغيب من رسالة: الشيخ إحسان؛ منهجه وجهوده في تقرير العقيدة، والرد على الفرق المخالفة، ص675-678.

إلا الله وحـده: « لَم يَخـرج رسـول الله إلا بعد أنْ أعْلَمه الله تعالى بهذه الغيوب الخمس »[1]. وقـال: « إنّه أوتي علم الخمس في آخر الأمـر، لكنّه أُمِر فيها بالكتمـان »[2]. وتمادى وزاد في الزعم، فقـال: « إنّ النبِيّ لم يكن يعلم هذه الغيوب الخمسة فحسب، بل كان يُعطي هذه العلــوم مَن شـــاء من خدَمه »[3]. وقـــال: « وكيف يَخفى أمـــرُ الخمس عليه ، والواحـــــدُ من أهل التصـــــوف من أمته الشـــريفة لا يمكنه التصـــرف إلا بمعرفة هـــذه الخمس، فاسمعوا هذا يا منكـرين، ولا تكونـوا لأوليـاء الله مكـذبين، فإنّ تكذيبهم خـرابٌ للـدين، وسـينتقم الله من الجاحـدين، وأعاذنا الله بعباده العارفين »[4]. ونقَل مثله عن أمثاله: « إنّ النبِيّ لا يخفى عليه شيءٌ من الخمس المـذكورة في الآية الشـريفة، وكيف يخفى عليه ذلك والأقطـاب السـبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث! فكيف بسـيّد الأولين والآخرين الذي هو سبب كُلّ شيءٍ ومنه كُلّ شـيء »[5].

هذا[6]، وسأذكر هنا طائفة مما يدخل في الباب (علم الغيب) من نصوص هذه الفرقة (البريلوية) المخالفة لأدلة الكتاب والسنة، وواقع الرسول ، فمن ذلك:

أولا: ما جاء في كتاب البريلوي الآخـر، حيث قـال -ذاكـرًا من عقيدة البريلوية في الرسول الله-: « إنّ رسول الله يعلم علم ما كان وما يكون، وهـذا ما يعتقـده أئمة ديننا لم

---

[1] (?) خالص الاعتقاد للبريلوي، ص53، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص90.

[2] (?) المصدر نفسه، ص56، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص90.

[3] (?) المصدر نفسه، ص14، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص91.

[4] (?) المصدر نفسه، ص54، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص92.

[5] (?) خالص الاعتقاد للبريلوي، ص53-54، بواسطة البريلوية لإحسان، ص92.

[6] (?) والقوم حكوا حكايات عريضة أثبتوا بِها أنّ الأولياء فضلا عن الأنبياء عليهم السلام، وفضلا عن نبينا محمد يعلمون الغيوب الخمسة: (انظر إلى بعضها: البريلوية لإحسان، ص93-96)، مخالفين بذلك الكتاب والسنة.

يختلف فيه أحدٌ، إلا ذلك المتمرد الطاغي، وعبدُ الشـيطان اللعين –يعنِي: إسماعيل الدهلوي- »[1].

ثانيًا: وقال: « وأما النبي فحصل له جميع العلوم الجزئية والكلية وأحاط بها »[2].

ثالثًا: و« إنّ النبِيّ عليمٌ بجميع الأشياء من شئونات الإلهية وأحكام صفات الحق، والأسماء والأفعال والآثار، وأحاط بجميع العلوم الظاهرة والباطنة، والأولى والآخرة »[3].

رابعًا: وقال: « إنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعلمون بل يرَون ويشاهدون جميع ما كان وما يكون من أوّل يوم إلى آخره »[4].

خامسًا: وافترى فقال: « إنّ أصحاب النبِيّ جازمون بإطلاعه على الغيب »[5].

سادسًا: بل قال أحمد يار: «إنّ النبِيّ لو وضع قدمه على حيوان لَعلِم الحاضر والغائب، فالوليّ الذي يضع عليه النبِيّ يده كيف لا يصير عالِمًا للشاهد والغائب»[6].

وقال آخَرُ: « إنّ النبِيّ يعلم جميع المخلوقات والموجودات، وجميع أحوالهم، تمامًا وكمالا، من ماضيهم وحالهم ومستقبلهم، ولا يخفى عليه خافيةٌ، كما أنّه يعلم خالقهم وبارئهم »[7].

سابعًا: « الأنبياء يعلمون الغيب منذ ولادتهم »[8].

---

[1] (?) الأمن والعلى للبريلوي، ص112، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص167.

[2] (?) الدولة المكية، ص230، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص87.

[3] (?) المصدر نفسه، ص210، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص87.

[4] (?) الدولة المكية بالمادة الغيبية، ص58، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص86.

[5] (?) خالص الاعتقاد للبريلوي، ص28، بواسطة البريلوية لإحسان، ص 88.

[6] (?) مواعظ نعيمية، ص364-365، بواسطة البريلوية لإحسان، ص88.

[7] (?) تسكين الخواطر في مسألة الحاضر والناظر لأحمد الكاظمي، ص 65، بواسطة البريلوية لإحسان، ص88.

[8] (?) مواعظ نعيمية لأحمد يار، ص192، بواسطة: البريلوية إحسان، 87.

وكلّ هذه وغيرها قد ذكرها الشيخ إحسان في الموضع المشار إليها، ثم ردّها بنصوص الكتاب والسنة. والمقصود أنّ هذه الطائفة غلَت في رسول الله من أوجه كثيرة، منها هذا الوجه الذي في العنوان. وقد ترتب على هذا الغلوّ الجفاء في جانب شريعته ورسالته.

** * **

المسألة الثانية: زعم البريلوية أنَّ لديه قدرةً يتحكَّم بِها في الكون[1]:

يَزْعُم البريلوي أنّ النبِيّ هو الذي يتصرّف في الدنيا والآخــرة، فيقــول: « إنّ رســول الله هو المــبرئ مِن السـقم والآلام، والكاشف عن الأمة كُــلّ خَطْب، وهو المحــيي، وهو الــدافع عن المعضــلات، والنــافع للخلــق، والرّافع للمــراتب، وهو الحافظ والناصــر، وهو دافع البلاء أيضًــا، وهو الــذي أبـرَد على الخليل النّـار، وهو الـذي يَهَب ويُعطِي، وحُكمه نافذٌ، وأمرُه جارٍ في الكونَين »[2].

فماذا أبقى المسمِّي نفسَه بِعَبدِ المصطفى لله ربّ المصــطفى؟ وقد تــبيّن من هــذا أنّ معــنى لقبه (عبد المصطفى) عابدُ المصطفى لا خادمُه. والله المستعان!

ويقول أيضًا في هذا المعنى: « إنّ رسـول الله مالك الأرَضـــين، ومالك النـــاس، ومالك الأمم، ومالك الخلائـق، وبيـده مفـاتيح الجنّة والنـار، وهو الـذي يُعِـزّ في الآخرة، ويكون صاحب القدرة والاختيار يـوم القيامـة، وهو الــذي يَكشف الكـروب، ويَـدفع البلاء، وهو حافظ لأمتــه، وناصرٌ لها، وإليه تُرفع الأيدي للاستنجاد »[3].

وقال مفتي البريلوية أحمد يار: « إنّ جميع العالَم وكـلّ الأمـور في يد رسـول الله ، يتصـرف فيه وفيها كما يشاء، ويعطي منه ومنها ما يشاء من يشاء »[4].

---

1 (?) انظر عن هذه المسألة، عُنوان: قدرة الأنبياء والأولياء واختيارهم في كتاب البريلوية –عقائد وتاريخ، ص65-77.

2 (?) الاستمداد على أجيال الارتداد للبريلوي 29-30، بواسطة البريلوية –عقائد وتاريخ، ص68.

3 (?) أنوار رضا، ص240، بواسطة البريلوية –عقائد وتاريخ، ص69.

4 (?) جاء الحق لأحمد يار البريلوي، ص195، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ إحسان، ص70.

وقال: «إنّ الأنبياء يتصرفون في بواطن الخلق وأرزاقهم، كما يتصرفون في ظواهر الخلق»[1].

وقال أحمد يار البريلويّ: « إنّ رسول الله متصرّف في كُلّ مكان »[2].

وقد جمع ولخّص مَن أرجو أنْ يُثيبَه الله تعالى بالفردوس الأعلى (الشيخ إحسان إلهي ظهير) عقيدة البريلوية في (قدرة الأنبياء والأولياء واختيارهم) من كلام البريلويين، فقال: « .. مسألة أخرى، وهي مسألة قدرة الأنبياء والأولياء واختيارهم، حيث إنّ القوم جعلوا الله معطلا معزولا عن الاختيار والقدرة والاقتدار –عياذًا بالله- لأنّ الاستغاثة والاستعانة والاستمداد والدعاء لا يكون إلا من القادر المختار، وإنّ الأنبياء والصلحاء والأولياء انتقلت إليهم قدرة الله وملكه واختياره –حسب زعمهم- ولَم يبقَ عنده شيءٌ، لذا على الناس أنْ يرجعوا إليهم ويراجعوا إيّاهم؛ يستغيثوا بهم ويستعينوا منهم ويسألوا عنهم، والله فوّض إليهم أموره ولَم يبقَ عنده شيءٌ، وصار متقاعدًا ومعطلا عن العمل والقدرة. ونُوّابُه -أنبياؤه وأولياؤه- هم الذين أخذوا زمام الأمور في أيديهم؛ وهم مُلاك الأرض ومن فيها وما فيها، وهم حُكّام السماء، ولهم كلمة مطلقة يُنفِّذون أوامرهم في الكونين، ويتصرّفون فيهما بما يشاؤون، وهم الذين يخلقون، وهم الذين يرزقون، وهم الذين يعطون ويمنعون، وهم الذين يُحيُون ويُميتُون، وهم الذين يُدبّرون الأمر، ومنهم النصر والمدد، ومنهم الشفاء والعطاء، ومن عندهم كل شيءٍ، وليس لله إلا العبادات، وهم له شركاء فيها أيضًا »[3].

وهنا –واختصارًا- أقول: سبحانك هذا بهتانٌ عظيم، بل كُل هذه الأفعال مما تدخل في الخلق والملك والتدبير أفعال لله تعالى وملكٌ له، لا يُشاركه فيها أقرب الخلق إليه. وسيأتِي ردّ هذه الطامات في مبحث أهل السنة

---

1 (?) المصدر نفسه، ص195-196، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص 70.

2 (?) مواعظ نعيمية، ص336، بواسطة البريلوية –عقائد وتاريخ، ص69.

3 (?) البريلوية عقائد وتاريخ، ص65.

يعتقــدون أنّه ليس للعبد الرســول من خصــائص الربوبية شيءٌ، فكيف يكون ذلك لِمَن هو دونه؟ من الباب القــادم. (وإليه الملتقى).

والمسألة القائمة وجهٌ من أوجه غُلُوّ البريلويّة في عبد الله ورســوله نبينا محمــدٍ . ومنها أيضًــا ما يــأتي في المسألة القادمة.

المسألة الثالثة: زعم البريلوية أنه يرى أفعال الخلق في كلِّ مكان وزمان:

هــذه المســألة لَها علاقة بــ(مســألة علم الغيب) المتقدمة؛ فلا أُطيل، قال أحمد رضا البريلويّ: « ابكوا أيّها الوهّـابيون! لأنّ نبِيّ الله حاضـرٌ ونـاظرٌ، ولم يَحـدث في العالَم شيءٌ ولا يَحدُثُ إلا ويَراه ويُشاهدُه، فهو حاضـرٌ في كُلّ مكان، وناظرٌ كُلّ شيء »[1].

ويزعُم البريلوي أيضًا أنّ النبي يشاهد نيّات الناس ويَعرفها، وأنّ معرفة عَزائم الناس جلِيٌّ عنده لا خفاء فيه، فيقول: « لا فــرق بين موته وحياته في مشــاهداته لأمته ومعرفته بـأحوالهم ونيـاتهم وعـزائهم؛ وذلك عنـده جلِيٌّ لا خفاء »[2].

وبريلوي آخر يقول: « لا يخلو مكان ولا زمـان إلا والرسول موجود فيه »[3].

وفي نصّ له أصرح: « لا يُستبعد من رسول الله أن يكون حاضرًا موجودًا في الأمكنة المتعددة الــتي لا تُعد ولا تحصى، بوجوده المقدس بعينه »[4].

وهذه الأقوال صريحة في تكذيب ما تكرر ذكره في القـــرآن، حيث يُعقّب الله تبـــارك على قصص الأنبيـــاء والصديقين التي يَحكيها على رسوله بأنّه ما كــان لــديهم أو بجانبهم.

---

1 (?) خالص الاعتقاد للبريلوي، ص46، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص112.

2 (?) المصدر نفسه، ص46، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص111.

3 (?) تسكين الخواطر في مسألة الحاضر والناظر، لأحمد الكاظمي، ص 85، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص106.

4 (?) المصدر نفسه، ص18، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص106.

وفي قول للبريلوية أيضًا: أنّه شاهَدَ ورأى إرسال مَن تقدمه من الأنبياء، بل وأكثر من ذلك، حيث زعمـوا أنّ « رسول الله كان حاضـرًا رسـالة كُـلّ رسـول، وما وقع من لدن آدم إلى أنْ ظهر بجسمه الشريف »[1].

و«إنّ رســـول الله يعلم أحـــوال جميع الموجـــودات والمخلوقات،ولا تخفى عليه خافية»[2].

و« إنّ رسول الله يرى جميع الدنيا بعينه المباركة »[3].

وقال أحمد يار البريلويّ: « إنّ رسول الله يُشاهد من المدينة العالَم كلّه »[4].

وهذا جزء من عقيدة البريلوية فيه والتي نسجوها بقـولهم: عقيـدة الحاضر والنـاظر، (ولعل التوسع فيها من مفاريـــدهم، حيث ألّف أحـــدهم كتابًا أســـماه: تســـكين الخواطر في مسـألة الحاضر والنـاظر)، ومن أقواله الـتي قرر بها هذه العقيـدةه: « إنّ رسـول الله حاضـرٌ ونـاظرٌ في كل مكان وزمان ..»[5].

و(عقيـدة الحاضر والنـاظر) وإنْ قـال بها بعض الصوفية –كما تقدم عن بعض التجانية؛ إبراهيم الكـولخي- إلا أنّها من أخصّ معتقدات البريلوية الصوفية، قال الشـيخ إحســان –رحمه اللــه- في هــذه المســألة: « ومن أخص المعتقدات التي يعتقـدها الـبريلويون هي ما يخالفه العقل والنقل من كون الرسـول حاضـرًا في كل مكـان، نـاظرًا كـلّ شـيء، بـالمعنى الـذي لا يُطلق حـتى وعلى الخـالق المتعال، العليم الخبير جل وعلا »[6].

---

1 (?) جاء الحق، لأحمد يار البريلوي، ص163، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص108.

2 (?) تسكين الخواطر لأحمد بن سعيد الكاظمي البريلوي، ص65، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص111.

3 (?) تسكين الخواطر، لأحمد بن سعيد البريلوي، ص90، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص111.

4 (?) مواعظ نعيمية، ص326، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص91.

5 (?) تسكين الخواطر في مسألة الحاضر والناظر، لأحمد الكاظمي، ص 5، بواسطة:البريلوية لإحسان، ص111.

6 (?) البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص106.

ومسألة أنّه يرى أفعال الخلق في كُل زمان ومكان، وحتى قبل ولادته زعم باطل[1]، وتسوية لِهذا العبد الكريم بربّه البصير السميع الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يُماثله أحدٌ من خلقه في صفاته، لذا فإنّ البريلويّة « لَم يفعلوا هذا إلا ليُؤلّهوا البشر ويرفعوه إلى حدٍّ ليس له أنْ يُرفع إليه »[2]. وسيأتي في مبحث: أهل السنة يعتقدون أنْ ليس للعبد الرسول من خصائص الربوبية شيءٌ .. وعند بيان صفة سمعه وبصره تكذيب هذه الدعوى بأدلة الكتاب والسنة، في مسألة مخصصة لذلك؛ فلا أُطيل.

المسألة الرابعة: استغاثة البريلوية به وبالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل وبالأولياء:

في هذا العنوان ثلاث نقط، على النحو التالي:

استغاثة البريلوية بعبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ، دون الله. **الثانية:** استغاثة البريلوية بالأنبياء عليهم السلام دون الله تعالى. **الثالثة:** استغاثة البريلوية بالأولياء دون الربّ سبحانه

ويُقرر كُلّ هذا نصوص البريلوي وأتباعه التي سأوردها تباعًا. فأقول:

مَن تأمل قول البريلوي المتقدم « إنّ رسول الله مالك الأرَضين، ... وإليه تُرفع الأيدي للاستنجاد »[3] وجد أنّه يُحرّض إلى الاستغاثة بالنبي عند طلب النجدة.

كما أنّه صرّح في نصّ له آخر بتجويز الاستغاثة بالأنبياء بل وبالصالحين، وقال: «الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأنبياء والصالحين جائزة »[4].

---

[1] (?) انظر تفصيل الرد على البريلوية بخصوص مسألة الحاضر والناظر: البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص108-112، ومبحث الرد على البريلوية في مسألة الحاضر والناظر من رسالة: الشيخ إحسان؛ منهجه وجهوده في تقرير العقيدة، والرد على الفرق المخالفة، ص 683-686.

[2] (?) البريلوية عقائد وتاريخ للشيخ الأستاذ إحسان إلهي ظهير -رحمه الله-، ص98.

[3] (?) أنوار رضا، ص240، بواسطة البريلوية –عقائد وتاريخ، ص69.

[4] (?) حياة الموت للبريلوي المندرجة في الفتاوى الرضوية، ج4/ص300، ص10، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص57.

بل وقال بما هو أعم من المتقدم من وجهين: « إنّ الاستعانة والاستغاثة بغير الله مشروعٌ ومرغوبٌ، ولا يُنكره إلا مكابرٌ أو معاند »[1]. وكيف لا يقول بما قال وقد مهّد له بقوله: « إنّ رسول الله r هو دافع البلاء، ومانح العطاء »[2]. وقالوا:

منه الرجا، منه العطاء، منه في الدين والدنيا والأخرى المدد للأبد[3].

وزعموا أنّ الرسول هو قاضي قضاة الحاجات، فقالوا: « إنّ جبريل عليه الصلاة والسلام قاضي الحاجات، وإنّ رسول الله هو قاضي قضاة الحاجات، حيث إنه عليه السلام يقضي حوائج جبريل أيضًا »[4].

ومن الأمثلة على تحريض زعيم البريلوية الناس على مناداة عليّ واستغاثته في النوائب والشدائد قوله: « إنّ عليًّا يدفع البلاء، ويكشف الكروب؛ لِمَن يقرأ الدعاء السيفيّ المشهور[5] سبع مرّات أو ثلاث مرات، أو مرة واحدة، وهذا هو الدعاء:

ناد عليًّا مظهر العجائب تجده عونًا لك في النوائب
كُلّ همٍّ وغمّ سينجلي بولايتك يا علي يا علي »[6].

كما كان يقول:«إنّ ترتيب الأغواث أي المستغيثين للخلق، والذين يُستغاث بهم يبدأ من علي رضي الله

---

1 ([?]) حياة الموت للبريلوي، (المصدر نفسه)، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص57.

2 ([?]) الأمن والعلي للبريلوي، ص10، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص57.

3 ([?]) الفتاوى الرضوية، ج1/ ص577، بواسطة البريلوية –عقائد وتاريخ، ص69.

4 ([?]) ملفوظات للبريلوي، ص99 –بترتيب حسين رضا-، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص57.

5 ([?]) هذا من الأمور السبعة التي ذكرها الشيخ إحسان إلهي ظهير الدالة على تشيع أحمد رضا وأسرته: (تقدم بعضها، انظرها: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص22 وما قبله وما بعده).

6 ([?]) الأمن والعلي للبريلوي، ص12-13، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص22، و: ص57.

تعـالى عنـه، إلى الحسن العسـكري، الأئمة الإحـدى عشر عند الشيعة»[1].

ومما يدخل في العنوان قوله في الشيخ عبد القادر المتوفى 561هـ:

« يا ظل إله شـــــــيخ عبد القادر | شيئًا لله شيخ عبد القادر
عطفًا عطفًا عطـــــوف عبد القادر | اصـــرف عنا الصـــروف عبد القادر »[2].

وكان يقول فيه: « يا غوثي أنت المحيي وأنت المميت، وأنّ النبِيّ هو القاسم وأنت الموصل »[3]. ويقول: « إنّ الشيخ الجيلاني هو الغوث الذي حصلت له قدرة كلمة كن فيكون »[4].

وكذب البريلويّ عليه، وزعم أنّه قال: « مَن استغاث بي في كربة كشفتُ عنه، ومَن ناداني في كربة كشفتُ عنه، ومَن نادى باسمي في شدة فرّجتُ عنه، ومَن توسل بِي إلى الله في حاجة قضيتُ حاجته »[5]. لذا حكى البريلوي حاله فقال: « إنّني لَم أستعن في حياتي أحدًا ولَم أستغث غير الشيخ عبد القادر، كلّما أطلب المدد أطلب منه، وكلما أستغيث أستغيث به، ومرة حاولتُ أنْ أستغيث وأستعين بوليٍّ آخر .. وعندما أردتُ النطق باسمه للاستغاثة والاستعانة ما نطقت إلا يا غوثاه، فإنّ لساني يأبى أنْ ينطق الاستغاثة بغيره »[6].

---

[1] ملفوظات للبريلوي، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص22.
[2] حدائق بخشش (ديوان شعر للبريلوي)، ص186، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص58. وانظر الأبيات بلفظ مقارب من المتقدم في: ص71.
[3] حدائق بخشش125-126، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص71.
[4] المصدر نفسه، 122، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص72. وانظر مبالغاتهم في الشيخ عبد القادر، ص71-73.
[5] بركات الاستمداد للبريلوي المندرج في (رسائل رضوية)، وفتاوى أفريقية، له أيضًا، ص62، وجاء الحق لأحمد يار، ص200، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص59.
[6] ملفوظات للبريلوي، ص307، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص58.

فيا ويله! إذْ يستغيث بأصحاب القبور، ويترك اللطيف بعباده الخبير!!

وإذا كان هذا موقف الزعيم فكيف لا يأتي تليمذه ببدعة أخرى؟ فقد أورد مفتي البريلوية أحمد يار بدعتهم المسماة بـ(صلاة غوثية) وصورتها (أنْ يُصلّي ركعتين، ثم يخطو إلى بغداد إحدى عشرة خطوة، وكُلّما يضع قدمه يستغيث بالغوث –أي الشيخ الجيلاني- ويناديه باسمه، ويقدم حاجته، ويقرأ هذين البيتين:

أيُدركُنِي ضيمٌ وأنت ذخيرتي وأُظلَم في الدنيا وأنت نصيري

وعارٌ على حامي الحمى وهو منجدي إذا ضاع في البيدا عقال بعيري»[1].

ومعلوم أنّ الله وحده هو الذي يُفزع إليه لقضاء الحاجات، لكن أختم هنا بزعم البريلوي الذي عمم في ذكر المفزَع إليهم دونه، حيث فقال: « إنّ لله عبادًا اختصهم بحوائج الناس يفزعون إليها بحوائجهم »[2]. وقال: « كلّ مَن كان متعلّقًا بنَبِيٍّ أو رسولٍ أو ولِيٍّ فلا بُدّ له أنْ يَحضره وأخذ بيده في الشدائد »[3]. وقال: « إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أصحاب القبور »[4].

وقال أحمد يار: « إنّ جميع العالَم للأولياء ككفة يد ينظرون إليها، وإنْ ناداهم أحدٌ واستغاث بهم من أيّة بقعة كان يُغيثونه ويقضون حوائجه »[5].

فتبيّن مما تقدم من عقائدهم « أنّه سواءٌ كان المستغاث والمستعان من الأحياء أو الأموات، وسواءٌ كان نبيًّا ورسولا، أو وليًّا وصالحًا لا فرق بينهم؛ فإنّهم ولاة الأمور، وقضاة الحاجات، ودافعوا البليات، وشافوا

---

[1] (?) جاء الحق، له، ص200، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص58.

[2] (?) الأمن والعلى للبريلوي، ص29، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 56.

[3] (?) فتاوى إفريقية للبريلوي، ص135، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 60، و63.

[4] (?) الأمن والعلى للبريلوي، ص44، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 60.

[5] (?) جاء الحق، ص138-139، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص63.

الأمراض، وكاشفوا الكربات »[1]. سبحانك هذا بهتان عظيم[2]!

وقد ضرَبتُ للنقط الثلاثة التي في عُنوان المسألة أمثلة من مواقف البريلويـــة، حيث يســـتغيثون بـــالنبيّ ﷺ، وبالأنبياء قبله، وبالأوليـاء = ما اتضح بها مقصـودها، وهـذه من أعظم صُوَر غُلوّ البريلوية فيه ﷺ وفي الأنبياء والأوليـاء، حيث صرفوا إليهم أخص خصائص الله (الاستغاثة).

النقد:

سأورد في (مطلب: مسألة الدعاء والاستغاثة) من الباب القادم نماذج عديدة لمواقف الأنبيـاء (من آدم ونـوح وإبراهيم وموسى ويـونس إلى خـاتم النبـيين محمد صـلى الله عليهم وسـلم) والصـالحين الـتي ذكرها القـرآن من حـالهم، وأنّ هـؤلاء لَمّا أَلَمّت بهم الملمـات، واضـطروا فزعـوا إلى ربهم الـذي يكشف السـوء ويجيب دعـوة المضـطرين وحـده مما فيه الأسـوة لنـا، خلافًا لِما كـانت عليه هذه الفرقة الغالية.

وقبله: أقول لِهؤلاء بل ولبقية الصوفية المستغيثين بغـير الله بما قاله شـيخ الإسـلام -رحمه اللـه- رادًّا على شيخهم البكري، ما مضمونه: أنّ استغاثة غير الله تعالى -كائنًا ما كان- شركٌ بالله، بالكتاب والسنة والإجماع، وغـير مقبولٍ بالعقـل، قـال: « الوجه الثـالث: أنْ يقـال مسـألتُنا ليست محتاجة إلى هـذا، فـإنّ ما نفي عنه وعن غـيره من الأنبيـاء والمؤمـنين، وهو أنهم لا يُطلَب منهم بعد المـوت شيئًا، ولا يُطلَب منهم في الغيبة شـيئًا؛ لا بلفظ الاسـتغاثة، ولا الاسـتعاذة، ولا غـير ذلـك. ولا يُطلب منهم ما لا يقـدر عليه إلا الله تعـالى؛ حُكمٌ ثـابتٌ بـالنص، وإجمـاع علمـاء الأمة، مع دلالة العقل على ذلك، فلا يُحتاج إلى ذكر حديثٍ فيه نفيُ ذلك عن نفسه، كقوله: **" إنّه لا يُسـتغاث بي،**

---

[1] قاله الشيخ إحسان إلهي ظهير في: البريلوية تاريخ وعقائد، ص57.

[2] انظر تفصيل الرد على البريلوية بخصوص مسألة الاستغاثة بغير الله في: مسألتي الدعاء والاستغاثة من الباب القادم من هذه الرسالة، وكتاب البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص56-65، ومبحث الرد على البريلوية في الاستغاثة من رسالة: الشيخ إحسان؛ منهجه وجهوده في تقرير العقيدة، والرد على الفرق المخالفة، ص665-669.

وإنّما يُستغاث بالله تعالى "[1]، فإنّ هذا اللفظ هو بمنزلة أن يقال: لا يستعاذ به ولا غيره من المخلوقين، وإنما يستعاذ بالله ، وهذا كله معلومٌ. وكذلك لفظ الاستجارة. وأما طلَبُ ما يَقدِر عليه في حياته، فهذا جائزٌ؛ سواء سُمّي استغاثة، أو استعاذة، أو غير ذلك »[2].

وهذه المسألة هي أكبر ما خالف فيها البريلوية الصوفية رسول الله . واستغاثة الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو بعد وفاتهم غُلُوٌّ في حقهم، وجفاء لحق ربّهم المستحق لذلك.

المسألة الخامسة: زعم البريلوية أنه نائب مطلق عن الله :

زعَم البريلويةُ أنّ عبد الله ورسولَه نبيَّنا محمدًا نائبٌ مطلق عن الله تعالى؛ فزعموا أنّه يفعل كُلّ ما يفعله الله، (وكذبوا، بل هو عبدٌ رسولٌ لا يُجاوز ما رُسم له).

وقد تبيّن جُزءٌ كبيرٌ من هذا بالمسائل الأربع المتقدمة، وهذا المعتقد مثله مثل معتقدات النصارى في المسيح، واليهود في عزير، بل وكعقيدة المشركين والوثنيين القدامى في طائفة من عباد الله الصالحين الذين جعلوهم لله شركاء[3]، ولَم يأتِ نبِيٌ من الأنبياء إلا للقضاء على هذه العقائد وإبطالها، لكن هؤلاء البريلوية يضاهؤن الذين كفروا من قبل، فيقول البريلوي: (إنّ كلّ مفاتيح الكون في يد رسول الله ، وأنّه النائب الأكبر للقادر، وهو الذي يَملك كلمة كن) »[4].

وقال بريلويٌّ: « إنّ رسول الله نائبٌ الرّبّ؛ يُعطي ما يشاء مَن يشاء، ويَنزع ما يشاء ممن يشاء »[5].

---

1 (?) سيأتِي تخريج الحديث، وهو وإنْ كان في سنده ابن لهيعة إلا أنّه موافقٌ للنصوص الشرعية. فمعناه -كما في المتن- مجمع عليه.

2 (?) تلخيص كتاب الاستغاثة (ج2/716-717)، بتحقيق: محمد علي عجال.

3 (?) انظر: البريلوية عقائد وتاريخ، ص74-75، وانظر: 76.

4 (?) انظر: المصدر نفسه، ص68.

5 (?) بهار شريعت لأمجد علي جزء، (ج1/ ص15)، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص68.

وقال البريلويّ أحمد رضا: « إنّ رسول الله خليفة الله الأعظم، وإنّه متصرّفٌ في الأرض والسماء »[1].

والله تعالى لا نائب له ولا خليفة على المعنى الذي أثبتوه، وحتى ملائكته الذين أوكل إليهم ربُّهم بعض الأفعال فدبّروا أمــورًا، و.. و.. إنّما يقومــون بما يقومــون بتوكيــلٍ منه سبحانه، كما أنّه إذا قـدّر أمـور السّـنّة تـنزّلت بِها الملائكة والروح في ليلة القدر بإذنه سبحانه. وسـيأتِي تقريـره في مبحث خصائص الربوبية من الباب القـادم، وأنّه ليس لعبد الله ورســوله نبينا محمد ولا لغــيره من خلق الله منها شيءٌ.

المسألة السادسة: إنكار بشريته ، وزعمُهم أنّه خُلق من نور[2]:

يَزعُم البريلوي –مثلما تقدم عن طُرُق عدة من طُرُق الصوفية- أنّ نبيّنا محمدًا ليس ببشـر، وأنَّه خُلق من نـور الله ، ومنه خُلّق بقية الخلق من العرش والكرسـيّ وآدم وحواء والملائكة وغيرها، بل ويَكتُب رسـالة يُسـميها صـلاة الصفا في نور المصـطفى[3]: ويقـول في مقـدمتها بعربيته العجيبة -وكما يقوله الشــيخ إحســان إلهي ظهــير رحمه الله-: « اللهم لك الحمد يا نـور، يا نـور النـور، يا نـور قبل كل نور، ونور بعد كل نور، يا من له النور، وبه النور، ومنه النـور، وإليه النـور، وهو النـور، صـلّ وسـلّم وبـارك على نـورك المنـير؛ الـذي خلقته من نـورك، وخلقت من نـوره الخلق جميعًا، ..»[4].

---

1. (?) الفتاوى الرضوية، ج6/ ص155، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص69.
2. (?) انظر –للاستزادة من هذه المسألة-: البريلوية لإحسان، ص98-106 (مسألة بشرية الرسول، ومبحث الرد على عقائد البريلوية في مسألة بشرية الرسول ، من رسالة: الشيخ إحسان وجهوده في تقرير العقيدة، ص679-682.
3. (?) البريلوية عقائد وتاريخ، 102.
4. (?) رسالة صلاة الصفا، ضمن مجموعة رسائل، ص33، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص102.

وقال أيضًا: « إنّ في مرتبة الوجـود ليس إلا ذات الحق والباقي كله عكسه وظله، وكذلك في مرتبة الإيجـاد إلا ذات محمد والباقي كله عكس فيضه وفي كماله »[1].

هـذا كله في رسـالته (صـلاة الصـفا في نـور المصـطفى)، ولقد ألّف رسـالة أخـرى قـرر فيها مثل هـذا وزيادة، أسماها: (نفي الفيء عمّن أنار بنوره كـلَّ شـيءٍ)، ومما قال فيهـا: « الحمد لله الـذي خلق قبل الأشـياء نـور نبينا من نوره، وفتق الأنوار جميعًا من لمعات ظهوره، فهو نور الأنـوار، وممد جميع الشـموس والأقمـار، سـمّاه ربُّه في كتابه الكريم نورًا،وسراجًا منـيرًا،فلـولاه لَما اسـتنارت شمسٌ،ولا تبيّن يوم من أمس،ولا تعيّن وقت الخمس»[2].

وقـال آخر من أتباعـه: « إنّ الله خلق الصـورة المحمدية من نور اسمه البديع القـادر، ونظر إليها باسـمه القاهر، وتجلى عليها باسم اللطيف الغافر »[3].

هــذه عقيــدتهم في هــذه المســألة وهي من معانــداتهم لتعاليم الكتاب والسنة المُصرحة ببشريته.

لكن يُقال هنا: ما معنى كونه مخلوقًا من نور الله على زعمهم؟

لَم يُفتِ البريلويّ فيها بشيءٍ، حيث قال: « إنّ الله لَم يُـبيّن لنا كيفية كونه نـورًا من نـوره، ولا سـبيل لنا إلى معرفته بـــدون اللـــه، فهو من المتشـــابهات الـــتي أمرنا بالإيمان عليها، بلا خوض فيها »[4].

أما آيات بشريته المناقضة لـزعمهم فقد أوّلوها تأويلا باطلا، فعقيدتهم هذه غريبـةٌ، قـال الشـيخ إحسـان – رحمه الله- « ومن غرائب ما يعتقـده القـوم مع انتسـابهم إلى الإسلام واعتقـادهم في القـرآن، وتسـميتهم أنفسـهم أهل السنة: عقيدتهم في النبِيّ بأنّه نورٌ من نور الله، مع

---

[1] (?) صلاة الصفا، المصدر نفسه، ص60، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص104.

[2] (?) نفي الفيء للبريلوي المندرج في مجموع رسائل، ص199، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص104.

[3] (?) الفتاوى النعيمية، ص37، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص102.

[4] (?) من هو أحمد رضا البريلويّ الهندي؟ لشجاعت علي البريلويّ، ص 39، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص105.

أنّ القـرآن الكـريم صـرّح ببشـريته أكـثر من مـرة، وكما صـرّح أنّ الكفـار في كل عصر من عصـور الرسـل، وفي زمـان سـيّد المرسـلين لم ينكـروا نبـوة أولئك إلا لكـونهم بشرًا »[1]. فأورد آيـات وأحـاديث البـاب، وقد تقـدمت في فصل البشرية، وهو أول فصول هذه الرسالة الـتي أسـأل الله أنْ يطرح فيها البركة، ويرزقها القبـول. ثم بعـدما ذكر زعم الكفار من أنّ النبوة منافيـةٌ للبشـرية، وأنّ الأنبيـاء لا يكونون من البشر؛ فأنكروا نبواتهم ورسـالاتهم، ثنّى بـذكر عقيدة الغلاة في الباب مثل البريلوية، فقال: « وأما القوم وأمثالهم من الجهلة لَمّا ولدوا في البيئة الإسلامية، وبيوت المسـلمين لم يسـتطيعوا إنكـار نبـوتهم، ولكنهم اعتقـدوا بنفس تلك العقيـدة: هي المنافـاة بين البشـرية والنبـوة، فـأنكروا بشـرية الأنبيـاء والرسـل، والتجئـوا إلى روايـات موضـوعة، وحكايـات باطلـة، وأسـاطير مختلقـة، وإلى التأويل الباطني المستعار من غلاة الروافض والإسماعيليّة لآيات القرآن الحكيم، وأحـاديث الرسـول العظيم صـلوات الله وسلامه عليه، فقالوا: (إنّ رسـول الله ﷺ نـورٌ من نـور الله، وكُـلّ الخلائق من نـوره)[2]. و (إنّ الله خلق الصـورة المحمديّة من نور اسمه البديع القـادر، ونظر إليها باسـمه القـاهر، ثم تجلى عليها سـام اللطيف الغـافر)[3]. أما البريلوي فلقد كتب رسائل عديدة في إثبات نورانية محمد ﷺ، منهـا: رسـالته الـتي سـمّاها: صـلاة الصـفا في نـور المصطفى .. وأدرج فيها رواية موضوعة باطلة نسـبها إلى الحافظ عبد الرزاق أنّه أخرجها في مصنفه، مع أنّ لم ترد فيه »[4].

وهو حديث جابر الذي أوله: (إنّ الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نـوره) المتقـدم. والمقصـود هنـا: أنّ هذه المسألة تُعدّ ضمن سلسلة غُلُـوّ هـذه الفرقة في عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ. وقد تقدم في أول فصـلٍ لهـذه

---

[1] (?) البريلوية لإحسان، ص98.
[2] (?) مواعظ نعيمية لأحمد يار بريلوي، ص14.
[3] (?) الفتاوى النعيمية، ص37.
[4] (?) البريلوية لإحسان، ص101-102.

الرسـالة (فصل البشـرية) ردّ أبـاطيلهم بـدلائل الكتـاب والسنة، فليُراجعه مَن شاء!

** * **

أما بعد، فقد تبيّن بالمطلب ومسائله السـتة أنّ البريلوية أهل غُلُـوّ زائـدٍ وإفـراط ومغـالاة في عبد الله ورسوله محمدٍ الناهي عن إطرائـه، بـأبي هو وأمّي! كما سيتبيّن بـالمطلب القـادم ومسـائله الخمسة أنّهم اتسـموا بالجفاء لرسـالته وشخصـه، حيث يتـبين صـريح مخـالفتهم لتعـاليم الكتـاب والسـنة، بل وللمـذهب الـذي يـدّعون الانتساب إليه (المذهب الحنفيّ) [1].

****

1 (?) انظر: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص152.

المطلب الثاني: جفاء البريلوية في مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ، وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: مخالفة البريلوية شرعه في أمر القبور.

المسألة الثانية: تهاوُن البريلوية بأمر الصلاة.

المسألة الثالثة: ابتداع البريلوية في دينه عليه الصلاة والسلام.

المسألة الرابعة: تكفير البريلوية المسلمين المخالفين لهم.

المسألة الخامسة: افتراءات البريلوية على دعاة التوحيد الخالص.

المسألة الأولى: مخالفة البريلوية شرعه في أمر القبور:

ستأتِي أحاديث رسول في الباب القادم تُبيّن شيئًا من شريعته في أمر القبور.

والمسألة هنا هل البريلويّة الصوفيّة عَمِلَت بمقتضى الأحاديث (الشرائع التي فيها)، أو جفَتْها وخالفتْها؟

والجواب أنه: خالفت فرقة البريلوية رسول الله عدة مخالفات في أمر القبور، فحين يأمر الرسول بعدم اتخاذ القبر عيدًا، فإنّهم يتخذون الأعياد والأعراس عليها. وحين ينهى عن تجصيص القبور ويأمر بتسوية المشرفة منها، فإنّهم يأمرون باتخاذ القباب ويرفعون البناء عليها. وحين يأمرُ بصُنع الطعام لأهل الميت؛ لمجيئهم ما يُشغلهم، فإنّ البريلوية يحثّون أولياء الميت بصُنع الضيافة لهم في أيام مختلفات (في اليوم الثالث والرابع والسابع والعاشر والثاني عشر والسابع عشر والأربعين، وغير ذلك)، آكلين أموال الناس بالباطل، ومخالفين السنة، والفتاوى الحنفية أيضًا[1].

وهنا سأورد نصوصهم التي أمروا أتباعهم بهذه المخالفات مع الردّ المجمل لها، تاركًا ردّها المفصل إلى الباب القادم.

---

1 (?) انظر للرد عليهم بالأحاديث، وبأقوال أئمة الحنفيّة أيضًا: البريلوية لإحسان، ص132-135.

أولا: من بدعهم ومخالفاتهم لشـريعة الرسـول في أمر القبور: كتابة مكتوب على صدر الميّت، وقد ذكروا فضائل أحد المكتوبـات فقـال الـبريلوي: « مَن كتب هـذا الـدعاء وجعل بين صدر الميت وكفنه في رقعة لَم ينله القــبر، ولا يرى منكرًا ونكيرًا »[1].

ثانيًا: ومن بدعهم ومخالفاتهم لشريعة الرسول في أمر القبور أيضًا: الأذان على القبر، قال بريلـويٌّ زاعمًا أنّ ذلك مسـتحبٌّ:«إنّ الأذان على القــبر مسـتحب؛ لأنّه ينتفع به الميت»[2].

وذكر البريلوي أحمد رضا فوائده المزعومة مع أنّه من المحــدثات؛ لَم يفعله الرســول ولا صــحابته « إنّ الأذان على القبر يؤذنه المسلمون لـردع الشـيطان، ودفع الوحشة، وحصول الطمانينة، ونزول البركات »[3].

ثالثًا: وأما بالنسبة لإقامة الأعياد والأعراس على القبور[4] -متقدم الإشارة-، فـإنّ البريلويّة كـذبوا على رسـول الله في ذلك، فقالوا بأنّه سُـنته: « إنّ الأعـراس والأعيـاد على القبــــور يعــــني اجتمــــاع النــــاس على قبــــور أهل الله ومشاهدتهم في يوم معين سنة سيّد الأنبيــاء .. . ومن ثَم طبخُ الطعــام، وتنــويرُ المقــام، وبســطُ الفــرش ســببٌ للبركـات، ومـوجب للثـواب، وإنّها لثابتة بالشـريعة، ومن سنة رسول الله ، ومخالفتها مخالفة الرسول »[5].

---

1 (?) رسالة الحرف الحسن في الكتابة على الكفن للبريلوي، المندرج في الفتاوى الرضوية (ج4/ص127)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 148-149. وهناك مكتوبٌ آخر اسمه عهد نامه، (انظره وفضله المزعوم في الموضع نفسه).

2 (?) جاء الحق لأحمد يار، (ج1/ص315)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص151.

3 (?) الفتاوى الرضوية (ج4/ص54)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 151.

4 (?) انظر -للرد على البريلوية في هذه المسألة بالنصوص الشرعية وبأقوال أئمة مذهب الحنفية-: البريلوية لإحسان، ص121-123، ومطلب إقامة الأعياد على القبور والطواف حولها، من رسالة: الشيخ إحسان وجهوده في تقرير العقيدة، ص693-695.

5 (?) رسالة المعجزة العظمى المحمدية لنعيم الدين مراد آبادي المندرجة في فتاوى صدر الأفاضل، ص160، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص123.

وبعدما فصّل العلامة إحسان إلهي ظهير –رحمه الله- الكلام في ذكر بِـــدع البريلوية وتعاليمها الـــتي خـــالفت الشريعة الإسلامية في ثلاثين صفحة، قال: « فهذا هو دين القوم، وهذه هي تعليماتهم ضد تعليمات ذلك النبِيّ الكريم عليه الصلاة والسلام، الذي منع أصحابَه وأمته من المبالغة حتى وفي ذاته ﷺ، حيث قال »[1]، فذكر أحـاديث النهي عن المبالغة فيه .

وسيتقرر في الباب القادم أنّ خير القبور؛ قبر رسول الله ﷺ لا يجـوز اتخـاذه عيـدًا لدعائـه، فكيف يجـوز بقبـور غـيره، وسـيكون ذلك في مبحث: أنْ ليس للعبد الرسـول محمد ﷺ من خصائص الألوهية شـيء، تحت مسـألة: اتخـاذ قبره عيدًا.

رابعًـا: وزعمـوا أنّ بنـاء القبـاب على القبـور سـنة كـذبًا وزورًا[2]: « إنّ بنـــاء قبـــاء على قبـــور العلمـــاء والأوليـــاء والصـلحاء أمـرٌ جـائزٌ، بل سـنة الصـحابة؛ لأنّ فيه تعظيمًا وتوقيرًا للمشايخ والأولياء »[3].

وقال أحمد رضا: « تبنى هذه القبـاب لكي تمتـاز مشـــاهد ومـــزارات الأوليـــاء والصـــلحاء الطيبة من قبـــور العامة، ولكي يُعظمها الناس ويهابوها، ولا يلقـوا بأنفسـهم في التهلكة بقلة الأدب، وعدم المبالاة »[4].

وتقدم أنّ السنة النبوية تسوية القبور المشرفة دون تفريق بين قبـــور الأوليـــاء والعامـــة، كما نهت الســـنة عن البناء على القبور وعن التجصيص.

---

1 (?) البريلوية لإحسان، ص142-143.

2 (?) للرد على البريلوية في هذه المسألة بالنصوص الشرعية وبأقوال أئمة مذهب الحنفية، يُنظر: البريلوية لإحسان، ص115-118، ومبحث الرد على عقائد البريلوية في القبور، من رسالة: الشيخ إحسان وجهوده في تقرير العقيدة، ص687-690.

3 (?) جاء الحق لأحمد يار، ص282، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 115.

4 (?) أحكام شريعت للبريلوي، (ج1/ص71)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص115.

خامسًا: ومن مخالفات البريلوية شرع الرسول في أمر القبــور أيضًــا: إيقــاد الشــموع والقناديل ووضع الســتور والثياب والعمائم عليها[1].

هذا، ومخالفات البريلوية للشريعة المحمدية في أمر القبور كثـيرة، اكتفيتُ بِما تقـدم[2]، « والأصل في ذلك أنّ هـذه الأشـياء لَم تـأت بِها الشـريعة الإسـلامية النقيّة من شـوائب الشـرك، ولَم يثبت من النبِيّ ، ولا من أحـدٍ من أصـحابه: أنّهم فعلوها وعملـوا بهـا، مع كـثرة الأمـوات في زمنهم؛ من تلامــذة ورفــاق رســول الله عليه الصــلاة والسلام، ولَم يأمر الله ولا رسـوله ، ولو كـان فيها فائـدة للدين أو الدنيا، أو أجر من الله وثواب منه، ومنفعة للميت وورثته لَما ترك الله بيانها، ولا رسـوله إتيانهـا، ولا أصـحابه العمل بها. بل وأكثر من ذلك: لَم يثبت في القـرون الأولى المشهود لها بـالخير أنّ واحـدًا من أهلها عمل بهـا، وحـتى بقبر سيّد البشر وخاتم الأنبياء. وأما عكس ذلـك، أي: نهي الناس عن جميع الأمور والأعمال التي تـؤدي إلى الشـرك فقد ثبت وجــوده، وحصل ثبوته من الصــادق المصــدوق، الناطق بالوحي ؛ حيث منع الخلق منعًا بالتأكيد والتشديد؛ من تعظيم القبور، وشد الرحـال إليهـا، والاجتمـاع حولهـا، والتبرك بها. ووجههم إلى عبادة الله وحده، والاجتناب عن أدنى ملابسـات الشـرك، كما دعا الله سـبحانه وتعـالى أنْ يحفظ قـبره من هـذه الشـنائع والقبـائح والشـركيات في دعائه المشهور .. ولكن ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا »[3].

وما تقدم في هذه المسألة وجهٌ من أوجه جفاء هذه الفرقة الرسالةَ المحمدية.

---

[1] (?) انظر -للرد على البريلوية في هذه المسألة بالنصوص الشرعية وبأقوال أئمة مذهب الحنفية-: البريلوية لإحسان، ص118-121، ومطلب إيقاد الشموع ووضع الستور على القبور، من رسالة: الشيخ إحسان وجهوده في تقرير العقيدة، ص690-692.

[2] (?) مَن أراد الاستزادة فيراجع، باب البريلوية وتعاليمها من: البريلوية لإحسان، ص113-152(40صفحة تقريبًا).

[3] (?) البريلوية لإحسان، ص121، وانظر أيضًا: ص127.

الصلاة عماد الدين وعمـوده؛ فمَن أقامها وحافظ عليها فقد أقام الدين، ومَن ضـيّعها فهو لِما سـواها أضـيع، وهي ركن الإسـلام الأعظم بعد الشـهادتين، والعهد الـذي بين المسلمين والكفار؛ فبين الرجل وبين الكفر والشــرك تـرك الصـلاة، وللصـلاة مكانة عظيمة في الإسـلام، وهـذا منه. وقد أمر الله تعـالى ورسـولُه ﷺ بتعظيم قـدرها، ووعد المتصفين بذلك بأنّ لهم درجات عند ربهم ومغفــرة ورزق كريم. كما أوعد مضيعها غيًّا.

هذا، ولإضاعة الصلاة والتهاون بِها صُوَرٌ عدة؛ أخطرها ما أشير إليه هنا (تركها إطلاقًا، أو بعضًـا، ثم تقـديم الفدية المبتدعة للتخلص من تبعتهــا)، وهو مما تفــردت به هــذه الفرقة (البريلويّة)؛ حيث اخترعوا ما سمّوه حليــة، للتفدية لِمن لَم يُصلِّ إطلاقًا ممن يدّعي الانتساب إلى الإسـلام أو كـان تاركًا لبعضـها حـتى مـات؛ إبـراءً لذمته على زعمهم، فاسمع القصة بكاملها، قال الشـيخ إحسـان إلهي ظهـير –رحمه اللـه-: « واخـترعوا للأكل والشـرب مسـألة غريبـة، وبدعة قبيحة، وهي وإنْ مات شخصٌ ولم يصل ولم يصُــمْ، فيمكن إدخاله الجنة بتقديم الطعام إلى الأحبـار والرهبـان غير كثير، عن كل صـوم نصف صـاع من بـر، أو صـاعًا من تمر أو شــعير. وكــذلك عن كل صــلاة. ومن جــاء ليتــاجر بالجملة فيرخص له خصوصا حيث جعلوا له الحيلة. وإليكم بيان ذلك من كتب القوم »[1].

فذكر أنّ البريلوية قالت –وقد كتبوا في المسـألة رســائل- بعربيّة مكسّــرة: « إنّ وارث الميت يقــول عن الميت الذي لَم يكن يُصلّي ولا يصوم، **هكذا**: كُلّ حــقٍّ من حقـــوق الله لـــزم على ذمة هـــذا الميت من الفـــرائض والواجبات والمنذورات وغير ذلك، بعضـها أدّى وبعضـها لم يُـؤد، فـالتي أدّى قبِل الله بفضــله وبجــاه سـيّد الأنبيــاء والمرســـلين، واســـتدعاء هـــذه الجماعة الحـــارة من المسلمين. والتي لَم يُؤدّ وبقيَت على ذمته؛ فبعضـها قابلة للفدية، وبعضها ليست بقابلة لَهـا، فالـذي بقابلة لَها غفرها

---

[1] (?) البريلوية لإحسان، المصدر نفسه ص144.

الله تعالى له وتجاوز عنـه، والـتي قابلة للفدية وبقيت في ذمته أعطيتُ في فديتها هـذا المصحف الشـريف مع هـذا النقد والجنس »[1]. أو يقــول: « وهبتُ هــذا المصــحف الشريف مع هذا النقد والجنس لإسـقاط ما على ذمة هـذا الميت من الصلاة والصيام وغير ذلك »[2].

وإن كان الميت لَم يُصلّ ولَم يصُم في حياته كُلّها، قـالوا الحيلة هي أنْ « يُحسب على الميّت بحسب مدة عمـره – بعد إسـقاط اثنـتي عشـرة سـنة للـذكر، وتسع سـنوات للأنثى؛ لأنّها أقلّ مـدة بلوغها- فيجب عن كل شـهر نصف عزارة بالمد الدمشقي، ولكُلّ سـنة شمسـيّة سـتّ عزائر »[3].

ومن المعلوم أنّه بِهذا الحساب يصير المجموع وزنًا غـير قليـل، وصـاعات كثـيرة، فهل من تخفيـف، وهل من حيلة في حيلة؟ قالوا: « يأخذ مقدار المحـدود ويـدفع ذلك المقدار للفقير؛ فيسقط عن الميّت بقدره. ثم يهبه الفقير للـولي ثم يدفعه للفقـير؛ فيسـقط عن الميت بقـدره. ثم يهبه الفقـير للـولي ويقبضـه، يـدفع الـوليّ للفقـير، حـتى يسقط ما كان على الميت من صلاة وصيام »[4].

وإذا لَم يـترك الميت مـالا، فما الحيلـة؟ قـالوا: (يستقرض وارثه نصف صاعٍ مثلا ويدفعه للفقير، ثم يدفعه الفقير للوارث، ثم، وثم –حتى يتم [5].

وهم أنفسهم سمّوا خداعهم هذا بالحيلة، لكن الحيلة والاحتيـــال على مَن؟! ومَن جـــاء بِها كشـــريعة؟ فمن نصوصـهم في تسـمية الخـداع حيلـة: (فالحيلة لإبـراء ذمة الميت عن جميع ما عليـه: أنْ يـدفع ذلك المقـدار اليسـير

---

[1] (?)غاية الاحتياط في حيلة الإسقاط،المندرج في مجموعة بذل الجوائز، 35،بواسطة:البريلوية لإحسان،ص144-145.

[2] (?) المصدر نفسه، ص26، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص145.

[3] (?) جاء الحق لأحمد يار، ص387، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 145.

[4] (?) غاية الاحتياط في جواز حيلة الإسقاط، ص41، بواسطة:البريلوية لإحسان،ص145.

[5] (?) جاء الحق لأحمد يار، ص387، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 145.

بعد تقديره بشيءٍ من صيام، أو صلاة أو نحوه، ويعطيه للفقير بقصد إسقاط ما يرد عن الميّت،ثم بعد قبضه يهبه الفقير للولي.. -الحيلة المتقدمة[1].

وذكروا طريقة أخرى لإبراء ذمته، وزعموا أنها أسهل فقالوا: « أسهل طريقة أنْ يبيع الوارث على الفقير مصحفًا صحيحًا، قابلا للقراءة، بغبن فاحش، ثم يهب الفقير له، ثم، فثم، حتى يستتم، لعل الله يجعله فدية في مقابلة الصوم والزكاة والمنذورات »[2].

وبعد القصة بكاملها أخلُص إلى المقصود، وهو أنّ حقيقة هذا الأمر من هؤلاء يؤدي إلى حثّ الناس على التهاون بعمود الإسلام وعماده. ومن ترك الصلاة فقد كفر، والإنسان ليس له إلا ما سعى. والخداع محرّم، وأكل أموال الناس ظلمًا وبالباطل محرّمٌ أيضًا، « فهكذا باع القوم آخرتهم بدنياهم، وحرّضوا الناس على عدم العمل،وترك الصلوات والصوم، والأعمال التي عليها مدار النجاة حسب تعاليم الله جل وعلا، وإرشادات رسول الله ﷺ »[3].

ووجه الجفاء في هذه التفدية البريلويّة للرسالة المحمديّة ظاهرة؛ فالصلاة أهم الأركان بعد التوحيد، وهذا موقفهم منها. بل وتقدم -ضمنًا- موقفهم من الصيام والزكاة وغيرهما المتروكة. والله الهادي.

المسألة الثالثة: ابتداع البريلوية في دينه عليه الصلاة والسلام:

مِن أوجه جفاء البريلوية للرسالة المحمدية: ابتداعهم في دينه الكامل. ولقد مرّ -في المبحث المتقدم من هذا الفصل (موقف الصوفية)، وفي فصل الرافضة- ذكر الابتداع على أنّه وجهٌ جفائيٌّ للرسالة المحمدية. وهذه الفرقة (البريلوية) فرقة صوفيةٌ، كما أنّ عندها شيءٌ من الترفض -تقدم عند التعريف بها-؛ فعندها من بِدَع الرافضة والصوفية المتقدمة أخبثها وشرّها، مثل الغُلُوّ ومحاوزة حدود الشريعة في مُعظّميهم، كنبينا محمدٍ ﷺ،

[1] غاية الاحتياط في جواز حيلة الإسقاط، ص41، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص146.

[2] المصدر نفسه، ص44، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص146.

[3] البريلوية لإحسان، ص146.

وأولياء الصوفية وشيوخهم كعبد القادر الجيلي وأحمد رضا البريلوي. وكأئمة الرافضة –كما تقدم-. ومثل الاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وغير ذلك. وقد تقدم ذلك في مسألة الاستغاثة من المطلب المتقدم.

وأمثل هنا بمثالٍ من نوعٍ آخر، فيه تحريض البريلوية للاستغاثة بشيخهم ووليّهم المزعوم (الملقب بعبد المصطفى أحمد رضا): « إنّه قاضي الحاجات، وكاشف الكروب، ومحلل المشكلات، وساقي الكوثر، وصاحب القبر والنشر والحشر، وهو الغوث وقطب الأولياء، وخليفة المصطفى، وخضر بحر الهدى، والمعطي والرزاق »[1] سبحان الله، هذا بهتان.

ثانيًا: كما أنّ عندهم من البِدَع الرافضية الصوفية العملية بدعة الاحتفال بمولد النبيّ سنويًّا[2] فـ« يقيمون به المجالس، ويُزيّنون به المحافل، ويعدّون القائمين به من الناجين، والمنكرين له الوهّابيين المنتقصين شأن الرسول .. ، مع اعترافهم أنفسهم أنْ لا وجود له في القرون المشهود لها بالخير، كما نقل ذلك .. محدّث القوم (إنّ أصل المولد الشريف لم ينقل عن السلف الصالح في القرون الفاضلة، وإنما حدث بعدها[3]) ومع ذلك يقولون: (إنّ الاحتفال بمولد النبِيّ يوم ولادته، وإظهار الفرح، وإقامة المجالس، وتوزيع الحلويات مستحب، وسبب لنزول البركات الإلهية ورحمته، وإنّ النصارى ليحتفلون باليوم الأحد، اليوم الذي نزلت عليهم المائدة من السماء، فلِماذا لا نحتفل باليوم الذي هو أفضل منه بكثيرٍ[4]) » انتهى[5].

والكلام الأخير من تغليب العاطفة على الشرع. ثم إنّ الاستحباب المزعوم لِفعل المولد المتقدم حكمٌ إلَهيٌّ

---

[1] (?) نفحة الروح، ص47-48، بواسطة: البريلوية: البريلوية لإحسان، ص 49-50.

[2] (?) للاستزادة يُنظر: مبحث الرد على عقائد البريلوية في المولد، من رسالة الشيخ إحسان وجهوده في تقرير العقيدة، 699-701.

[3] (?) رسول الكلام في بيان المولد والقيام لديرار علي، ص15.

[4] (?) جاء الحق لأحمد يار، (ج1/ ص231).

[5] (?) البريلوية لإحسان، ص125.

كالإيجاب والتحريم، لا يقـال بها إلا بـدليلٍ من الشـرع؛ ولا دليل بالاعتراف المتقدم، بل ولا عمل السلف في القـرون الثلاة المفضلة[1].

وأما الأشياء والتعاليم التي ابتدعوها، وقد تكون من مفاريدهم: فمنها:

أولا: تقبيل الإبهـامَين في الأذان عند سـماع اسم رسـول الله ﷺ، وقد كتب عنها الـبريلويّ رسـالة مسـتقلة سـماها: منير العين في حكم تقبيل الإبهامين. وقد قوّلوا الرسول ﷺ في المسألة ما لَم يقله وكذبوا عليه[2].

ثانيًا: إلزام البريلوية مقلديهم ومتبعيهم الدعاء بعد صـلاة الجنازة، وخالفوا بذلك السـنة الـتي شـرعت الصـلاة على الميت والـدعاء له فيهـا، ثم الانفضـاض لأمر الـدفن دون الوقوف لأدعية أخرى بعد التسليم، قال البريلوي: « الـذي يمنع عن الـدعاء بعد الجنـازة هو يتمسك بالمخالفة الصريحة للفقه الحنفي، ولكن النجدية قومٌ يجهلون »[3].

ولقد أثبت الشيخ إحسان –بالنقولات المعتمدة من أئمة المـذهب الحنفي- أنّ الـبريلويّ هو المتجاهل لِمذهبه المتبع لهـواه، لا النجدية أهل الحـديث والاتبـاع الـذين جهّلهم[4].

ثالثًا وأخـيرًا: ابتـداع البريلوية فيما يتعلق بـالتبرك بالآثار[5]: فقد كتب أحمد رضا الـبريلوي كتابًا أسـماه: بـدر الأنـوار في الآداب بالآثـار) أثبت التـبرك بآثـار الأنبيـاء والعلماء والصالحين بغير هـدى من اللـه، وقـرر بـأنّ منكر

---

[1] انظر تفصيل تقرير البريلوية لبدعة الاحتفال بالمولد النبوي والرد عليهم في: البريلوية لإحسان، ص124-132.

[2] بذل الجوائز على الدعاء بعد صلاة الجنائز للبريلوي، المندرج في الفتاوى الرضوية، (ج4/25-26)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص149.

[3] بين المصنفون في الموضوعات من السخاوي والسيوطي وعلي القاري والشوكاني وغيرهم أنّ الأحاديث بذلك موضوعة (انظر النقولات عنهم: البريلوية لإحسان، ص146-148.

[4] انظر عن النقولات من الكتب الحنفية الرادة على البريلوي (مدعي فقه الحنفية): البريلوية لإحسان، ص150.

[5] للاستزادة يُنظر: مبحث الرد على عقائد البريلوية في التبرك بالآثار وزيارتها، من رسالة الشيخ إحسان وجهوده في تقرير العقيدة، 696-698.

التبرك بها جاهل خاسر، وضال فاجر، وبيّن أنّ المقصود بالتعظيم والتقبيل والتبرك من الآثار النبوية هي: جميع أسبابه ومشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه أو عرف به، بل قرر أنّه يتبرك بالآثار بمجرد وقوعها في بلد الرسول، ولو لم تكن في زمنه ، وإنما أحدثت بعده ولم تتشرف برؤيته ومسه.

مستشهدًا بكلام مجنون بنِي عامر:

أمُرّ على الديار ديار سلمى أُقَبّل ذا الجدارا وذا الجدارا
وما حُبّ الديار شغفن قلبي ولكن حُبّ مَن سكَن الديارا

واستدل البريلوي بإمامه الآخر، حيث قال: (وجديرٌ لِمواطن اشتملت تربتها على جسد سيّد البشر مدارس ومساجد ومشاهد ومواقف أنْ تُعظّم عرصاتها، وتُنسّم نفحاتها، وتقبّل ربوعها وجدرانها

وعليّ عهدٌ إنْ ملأت محاجري من تلكم الجدران والعرصات
لأعفرن مصون شيبِي بينها من كثرة التقبيل والرشفات

وطردوا هذا على عتبات قبور الأولياء والعلماء وأبوابها أيضًا[1].

وزعم البريلوي أنّه لا يحتاج أنْ يُطلب دليل وسندٌ لصحة نسبة هذه الآثار إلى أصحابها، بل يُكتفى بالشهرة[2].

بل وتجاوز القوم الحدود، فقالوا: « لا يجوز تقبيل جدران المدينة والقبور وآثار الأنبياء والصلحاء والعلماء فحسب، بل يجوز أيضًا تقبيل صُوَر هذه الأشياء وأمثالها وتماثيلها، بل ويجب، فيقول البريلويّ: (إنّ الأرفع والأعلى والأجلى بأنّ علماء الشريعة والأئمة المعتمدين طبقة عن طبقة، عن الشرق والغرب، من العرب والعجم كانوا يُصورون النّعال المطهرة، والروضة المعطرة لسيد

---

1 (?) انظر: بدر الأنوار للبريلوي، ص21، ورسالة أبر المقال في قبلة الإجلال، له أيضًا، ص159، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص138-139.

2 (?) انظر: بدر الأنوار للبريلوي، ص43 بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص138.

البشـــر، ويُمثلونهـــا، ويســـطرونها في الكتب، ويقبلونهـــا، ويضعونها على العيون والرؤوس، وكانوا يأمرون به »[1].

واعتقدوا في ذلك حصول منافع مزعومـة، « مَن يوجد عنده صـورة النعل يحفظ من ظلم الظـالمين، وشر الشياطين، وحسد الحاسدين، وإنْ أمسكتْها المـرأة بيـدها اليمـنى في مخاضِـها سـهلت عليها الـولادة، ومَن حفظها عنده والتزمها عظُم في أعين الخلـق، وحصـلت له زيـارة الروضة المقدسة، أو زيارة رسـول الله ﷺ في منامـه، وإن احتفظها العســاكر لا يُهزمــون، والقوافل لا ينهبــون، وإنْ وضعت في السفن لا تغرق، وفي الأمـوال لا تُسـرق، وأية حاجة يتوسل بها تقضـــى، ولأية نية تعلق تـــوفى، ومواضع المـرض والوجع لو وضـعت عليها تشـفى، ومن المصـائب والآلام المهلكة تنجى »[2]. (خرافـات ما أنـزل الله بها من سلطان).

وهؤلاء جمعوا أشياء زعموا أنّها من آثاره ﷺ لذا؛ لَم ينته البريلوي من ترويج بدعة التبرك بالآثار حـتى أظهر ما لأجله روّج هذه الأشياء وأمر بتعظيمها وتكريمها، وبـالتبرك بها، وهو الكسب، والأكل والشرب، حيث قال: « ويُستحب للزائر أنْ يُقدّم النذور إلى مَن يأتِي بهـذه الآثـار الشـريفة للنبِيّ ﷺ، أو للولي المكرم المعظّم، فيثاب المهدي والآخـذ؛ لإعانة المسلمين؛ حيث أعان المزور الزائرين بزيارة هـذه الآثار، وأعان الزوار المزور بتقديم النذور إليه »[3].

وأما بعد، فلنقد هذه النقطة أقول:

أولا: القـــول الفصل في مســـألة تعظيم الآثـــار النبوية والتبرك بها هو: أنّ جميع آثاره ﷺ يُمكن أنْ تُقسّم إلى ثلاثة أقسام، على النحو التالي: **1-** آثار رسـول الله ﷺ المرويـة، وهي أحاديثه وســـنتُه، فهـــذه يجب تعظيمها والمحافظة عليها، كما أنّ الإنسان يحصُل على بركة ذلك عـاجلا وآجلا.

---

1 (?) أبر المقال في قبلة الإجلال، ص143، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص140.

2 (?) بدر الأنوار في آداب الآثار ، ص40، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص140.

3 (?) المصدر نفسه، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص142.

2- والقسم الثاني هي الآثار الجسـدية من الشـعر والريق والنخامــة، بل وكل ما مسّــه جســدُ النــبيّ الشــريف من وَضوءٍ وثيابٍ ونعالٍ وغيرها. وسـيأتي في (مسـألة التـبرك بالعبد الرسـول محمد) من البـاب القـادم أنّ الصـحابة ظفروا بذلك وتبركوا به ووجدوا بركته، وأرشدهم إلى ذلك النـبيُّ وأقـرّهم عليـه. كما أنّ من وصـلَه شـيءٌ منها من التابعين ومَن بعدهم تبرك بـه. ثم إنّها انقرضـت، ولَم يكن لها وجودٌ على الحقيقة؛ فلا مجال للتعلق بها؛ حيث لا سند يُثبت صـحة نسـبة ما يُـزعَم نسـبته إليه اليـوم. **3-** وأما القسم الثـالث والأخـير: فهي ما تسـمى بالآثـار المكانيّـة، وهذا فيها تفصيل؛ حيث يؤخذ بما ثبتت بها السنة، كالصلاة في مسـجده ومسـجد قبـاء وقصـدهما. وأما المسـاجد والأماكن التي صلى فيها أو وقف فيها اتفاقًا لا قصدًا فهذه تُترك؛ فلا تُقصد، سدًّا لذريعة الشـرك، ولِهـذا نهى الخليفة الثـاني الراشد عمر من تتبع هـذه الآثـار. كما أنّ جمهـور الصحابة لَم يكونوا يفعلون ذلك[1].

ثانيًا: وسيأتي أيضًا في (مسألة التـبرك) المشـار إليه أنّه لا يجوز قيـاس مَن تُيُقّن صـلاحُه كـأبي بكر وعمر وعثمـان وعليّ وغــيرهم من الصــحابة على رســول الله [2]، فيُتــبرك مثلا بفضل وضــوئهم وعــرقهم وريقهم وما إلى ذلك؛ والسبب أنّ الصحابة لم يتبركوا بهؤلاء الخلفـاء، ولم يفعلـوا بهم شـيئًا من ذلـك، وهم تركـوا ذلك بهـؤلاء إما لاعتقاد اختصاص الرسول بذلك، أو سدًّا لذريعة الشرك[3].

---

1 (?) انظر تقسيم الآثار النبوية في: التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة، للشيخ عبد المحسن البدر، ج4/215-216 (ضمن كتبه ورسائله)،ومبحثَي: تبرك الصحابة به في حياته، والتبرك بآثاره بعد وفاته من باب: التبرك المشروع، 243-260. وكذلك مبحثَي: التبرك بقبره ، والتبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها من باب: التبرك الممنوع، 316-358. (كلاهما من كتاب: التبرك أنواعه وأحكامه د. ناصر الجديع). وعنوان: التبرك بآثار النبي من كتاب: التبرك المشروع والممنوع، ص12-34.

2 (?) انظر مبحث هل يقاس عليه غيره من الصالحين: (التبرك أنواعه وأحكامه د. ناصر الجديع،ص261-268.

3 (?) انظر الكلام الجميل في هذا من الشاطبي (الاعتصام، ج1/478-482) والتعليق عليه من الشيخ عبد المحسن البدر (التحذير من

وتـرك هـذه الأمـور من قِبَل الصـحابة كـان مع المـتيقن صلاحه؛ الخلفـاء الأربعة مثلا. مما يـدُلّ على تركه بـالأولى والأحرى مع مَن يُظَنّ صـلاحُه أو يُـزعَم؛ كأوليـاء الصـوفية ورؤساء طُرُقهم وشيوخهم، كالجيلي والبريلوي.

ثالثـا: وبعض النـاس لو تُركُـوا ليَحكُم فيهم عـواطفهم لا الشــرع فـإنّهم –والحالة هـذه- يقولـون بـالتبرك بجـدران مدينة رسول الله كُلّها؛ قـديمها وحـديثها، وبـتراب البلـد، والبئر الذي سقط فيه خاتمه، وبمسقط رأسه في مكة، .. إلى ما لا نهاية لــه- ولا أدلّ على ذلك من قــول الــبريلوي المتقدم الذي قـرر فيه هـذا، وزيـادة، بل وعـدّاه إلى غـير الرسول ممن يزعم صلاحهم. والله المستعان!

وبعد هذا،فقد تلخص بهـذه المسـألة،وبالنقطة الأولى منها خصوصًا (الاستغاثة بغـير الله تعـالى) أنّ هـذه الفرقة تنتمي إلى الإسلام،ثم تخالف أصـله الـذي لا يقـوم إلا عليه؛فابتدعت في الدين بِدَعًا خطيرة وقبيحـة،مما يزيد من عذابها عند الله إن لَم ترجع إلى الإسلام.

المسألة الرابعة: تكفير البريلوية المسلمين المخالفين لهم:

صدَرت عجائب عن أحمد رضا (البريلوي) وعن فرقتِه (البريلوية) في تكفير مخالفيهم؛ حيث كفَّرَوا جميع طوائف الأمة عداهم –باتجاهاتها- ما دام أنّهم خــالفوهم في جزئيّة من مقرراتهم الشركية والبدعية والخرافيــة، فالبريلوية لم تكتف بالشـــتائم والســـباب واللعنـــات للمخـــالفين لهم فحسب، « بل التفسيق والتكفير لأساطين الأمة وأعلامها، وأعيان المسـلمين وقـادتهم، محـدّثيهم وفقهـائهم، زعمـاء الإصلاح ومجددي الـدعوة السـلفيّة الصـحيحة المسـتقيمة »[1].

وكلّ هؤلاء وغيرهم قد نالَهم من تكفير البريلويّة ما نــالَهم؛ فــدعاة الحكومة الإســلامية، والإمــارة الشــرعية أصــحاب زيغ وضــلال؛ لأنّهم يُرشــدون النــاس إلى دولة إسلامية غير دولتهم التي أقاموها في زواياهم.

تعظيم الآثار غير المشروعة، ج4/ص218، ضمن كتبه ورسائله).

[1] (?) البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص153.

وساسة عُرفوا بالصلاح في القارة الهندية ومحررو الأمة من أغلال الاستعمار، وقيد المستغلين والمستبدين باسم الدين كفرة وملاعين.

وزعماء التعليم الذين أنشأوا مدارس للعلوم العصرية الجديدة في الهند ليجابه المسلمون بها التيارات العصرية كي لا يقهروا من قبل الهندوس، قالوا: هم فجرة ملاحدة؛ لتعميمهم نور العلم في أناس توارثوا العبودية للمشيخة المتزعمين الولاية[1].

وشعراء الإصلاح في شبه القارة الهنديّة وكتابه وأدباؤه ضالون مضلّون؛ لإبعادهم المسلمين عن التقاليد العتيقة[2].

وحملة لواء الجهاد في سبيل الله بغاة طغاة بل ومباحو الدم؛ لأنّهم ينفثون روح الجهاد في الضعفاء. والندويون أنجاسٌ مشركون؛ لأنّهم لم يبايعوا البريلوي[3].

بل بلغ بهم الأمر إلى أنْ قالوا بارتداد ومروق إخوتهم الديوبندية -المقلدين للإمام أبي حنيفة- عن الدين، وخروجها عن الإسلام[4]، مع أنهما رضيعا لبان ثدي أمٍّ واحدة –المذهب الحنفيّ- تقاسما؛ ذلك أنهم لم يؤمنوا بالقصص الخرافية التي اختلقتها البريلويّة.

وأما عن تكفيرهم لأهل الحديث في شبه القارة الهندية؛ القائلين باتباع الكتاب والسنة، وتكفير أتباع محمد بن عبد الوهاب؛ لاعتقادهم بألوهية الله وحده، وعدم الإيمان بشركيات وبدع وخرافات البريلويّة، وسبب ذلك[5] فهو ما يأتي تفصيله لاحقًا تحت نقطتين.

فوصف البريلويّة -كما قال الشيخ إحسان- هو أنّه لا يظن بأنّ طائفة من الطوائف، ولا فرقة من الفرق المنتمية إلى الإسلام وسّعَت التكفير إلى حدّ وسّعه

---

[1] (?)انظره مختصرًا: البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان، ص156، ومفصلا: ص206.

[2] (?) انظره مختصرًا: المصدر نفسه، ص155-156، ومفصلا: ص203-205.

[3] (?) انظره مختصرًا: المصدر نفسه، ص155، ومفصلا: 193-194.

[4] (?) انظره مختصرًا: المصدر نفسه، ص155، ومفصلا: 185-193.

[5] (?) انظر ما تقدم مفصلا: المصدر نفسه، ص154-156.

الـبريلويون[1]. ولقد اسـتثنى -في موضـع- طائفة الشـيعة الرافضة، وقال: « فلا ندري أيّهما أشد أو أكـثر »[2] يعـني: تكفيرًا.

وبالنسبة لِهذه المسألة خصوصًا فإنّه قد أحسَن –رحمه الله- غاية الإحسان بالباب الرابع الذي عقَـدَه لبيـان عقيـــدة البريلوية وتكفـــير المســـلمين[3]، حيث ذكر أنّهم كفّروا كل المخالفين لهم (المتقدمين وغيرهم). وسأختصر بعض ما نقله من كتبهم في البـــاب حـــتى يتضح عُنـــوان المسألة الذي عقدتُ.

ومِن المعلوم أنّ تكفـير المسـلمين من الجـرائم الكبيرة التي يُخاف على مُرتكبِه أنْ يَبُوء به قائلُه ويحور ما قاله عليه. كما أنّه من الجفاء لسُنَن المصـطفى الكثـيرة الناهية عن ذلك.

والآن فمع النقطـتين من نمـاذج تكفـير البريلويّة لِمخالفيهم:

النقطة الأولى: في تكفير البريلوية لأهل السنّة النجديين الذين سمّوهم: (بالوهّابيّة) ولِمن استرشد بهم في العقائد ضـــدّ الشـــرك والبـــدع والخرافات:

وأبدأ هنا بذكر تكفيرهم لهؤلاء مع تباعد الديار بينهم، إلا أنّهم في الحقيقة هم ألـدّ أعـدائهم؛ فيقـول الـبريلويّ أحمد رضا: « إنّ أخبث المرتدين هم الوهابيون »[4].

ويقـول: « إنّ الوهّـابيّين أخبث وأضـرّ وأنجس من اليهـود والنصارى والوثنيين والمجوس »[5].

بل وألّف الـبريلويّ كتابه الـذي أسْـماه: (الكوكبة الشـــهابيّة في كفريـــات أبي الوهابيّـــة) رادًّا على الشـــيخ

---

[1] (?) انظر: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص157.

[2] (?) البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص202.

[3] (?) انظر ذلك مفصلا في: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص153-211 (ستون صفحة تقريبًا).

[4] (?) أحكام الشريعة للبريلوي (ج1/ ص123)، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص181.

[5] (?) أحكام شريعت للبريلوي (ج1/ص124) بواسطة: البريلوية لإحسان، ص181.

إسماعيل الدهلوي[1] (الإسـماعيلية الوهابية حسـبما لقّبهم به). ذكر فيه: «إنّ الوهّابية وزعماءهم كفرةٌ لوجوه كثيرة، ونطقهم بالشهادة ليس بنافٍ عن الكفر»[2].

وذكر أنّ الوجوه تصل إلى الآلاف، فقال: « إنّ هذه الطائفة ثبت كفـرهم بـآلاف الوجـوه والأسـباب »[3]. كما قرر أنّ كفرهم بإجماع أئمة الأمة البريلوية، فقـال: « إنّهم كفرة مرتدون بإجماع الأئمة »[4]. وفي كتابٍ له آخر قـال: « إنّ الوهّـابيّين مرتـدون منـافقون؛ لأنّهم يتظـاهرون بالإسلام بنطقهم بالشهادة »[5].

وإبليس من أكفر خلق الله إنْ لَم يكن أكفرهم، لكن الوهابيّة أفسد وأضل منه على زعم البريلوي؛ قال: « وإنّ الوهّـابيّين أرذل من إبليس، وأفسد منه وأضـل؛ لأنّ الشيطان لا يكذب، وهـؤلاء يكـذبون »[6]. و« إنّ الله كتب في نصيبهم الكفر »[7].

ومادام أنهم مرتـدون فلا يصـلى خلفهم، ولا لهم، وبذلك أفتى الـبريلوي وطائفتـه، فقـال: « ليست صـلاتهم

---

1 (?) الشاه إسماعيل هو المجاهد الباسل البطل، العالم الكبير، كان مجددًا للدعوة الإسلامية الصحيحة، ومحييًا الطريقة السلفية المستقيمة بكتابه: تقوية الإيمان الذي قيل بأنه في اللغة الأردية مثل كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في اللغة العربية، وحاملا لواء الإسلام لإقامة دولة إسلامية في جزء من الأراضي الهندية لتنفيذ الشريعة الإسلامية بكاملها، كما حمل لواء الجهاد ضد الاستعمار الإنجليزي والسيخ الذين استولوا على البلاد المسلمة ونفّذوا فيها الكفر، وأباحوا دماء المسلمين. (مختصر من البريلوية لإحسان، وانظر تمام ترجمته: ص162-163).

2 (?) الكوكبة الشهابية في كفريات أبي الوهابية للبريلوي، ص10، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص194.

3 (?) المصدر نفسه، ص59، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص194.

4 (?) المصدر نفسه، ص60، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص194.

5 (?) أحكام شريعت للبريلوي، ص112، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 194.

6 (?) المصدر نفسه، ص117، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص194.

7 (?) المبين في ختم النبيين، المندرج في الفتاوى الرضوية، (ج6/ص 198)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص195.

صلاة، وجماعتهم جماعة »[1]. وقـال: « إنّ الوهّابيّة كفـرة مرتدون، ومن صلّى عليهم فقد كفر »[2].

وحرّم المعاملات معهم؛ من مجالستهم، والاستماع إلى حديثهم، ومصـافحتهم، ومنـاكحتهم، وإشـهادهم عليـه، بل وبلغت قسوته عليهم أنْ قـال: « إنّ الوهّـابيّ المرتد لا يزوج؛ لا من حيوان، ولا من إنسـان، فـإنْ تـزوج يكـون زنا محضًا »[3].

وتساءل الشيخ إحسان هنا، فقال: « ولأول مرة أريد أنْ أســأل الــبريلويين؛ هل هم يُزوّجــون ويــتزوّجون من حيوان؟ »[4].

وإنّ « الاستفتاء من الوهّابيّة حـرامٌ حـرامٌ حـرامٌ بالتأكيد، ومَن شك في كفره وعذابه فقد كفر »[5].

كما حرّم عيادتهم إن مرضوا، وغسلهم إن مـاتوا، وحمل جنائزهم، وغير ذلك.

وذبيحة وهابيّ ولو سمى الله عليها مرات فحرام، قـال الـبريلويّ: « إنّ ذبيحة اليهـودي حلال، وكـذلك ذبيحة النصراني حلالٌ، وأما ذبيحة الوهابيين فلو سموا الله عليها مئة ألف مــرة وكــانوا من المتقين فحــرام أكلهــا؛ لأنّه لا ذبيحة لمرتد »[6]، (وانظر التناقض!).

ورئيسٌ باكستانيٌّ كافرٌ، وأميرٌ في منطقة فنجاب[7] كافرٌ، ووزراء حكومة باكستان كفّار، ذلك لأنّهم صلّوا خلف إمــام المســجد النبــوي وإمــام الحــرم المكّي حينما زار باكســتان. وهــذا الحكم هو الجــواب، لمّا ســئل عن حكم أولئك الــذي صــلّوا خلف أئمة الحــرمين: « إنّ حضــرة

---

1 ([?]) ملفوظات للبريلوي، ص105، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 195.

2 ([?]) المصدر نفسه، ص76، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص196.

3 ([?]) الفتاوى الرضوية للبريلوي، (ج4/ ص106)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص198.

4 ([?]) البريلوية لإحسان، ص198.

5 ([?]) الفتاوى الرضوية للبريلوي، (ج4/ ص106)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص198.

6 ([?]) فتاوى إفريقية، ص27، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص199.

7 ([?]) رئيس باكستان الْمُكفَّر من قبل البريلويين هو: ضياء الحق. أما أمير بنجاب فسوار خان (انظر: البريلوية لإحسان، ص208).

النــوراني الفاضل الــبريلويّ رضي الله تعــالى عنه أفــتى بتكفير وردة كُلّ من يعتقد أنّ الوهّابيّة النجديين مسلمون، أو يُصلّي خلفهم »[1].

ولِماذا هذا كُلّه؟

فعندهم « أنّ أشد الناس كفرًا المجوس، وكفرهم أشد من كفر اليهـود والنصـارى، وكفر الهنـدوس أشد من المجــوس، وكفر الوهّــابيّين أشد من الهنــدوس »[2] على زعمهم.

ولم يكتف البريلويّ بالتكفير حتى زاد اللعنات، فقال: « إنّ المجــوس ألعن من اليهــود والنصــارى، والهنــدوس ألعن من المجوس، والوهّابيّين ألعن من الهندوس »[3].

ولم يُكفّروا هؤلاء الأبرار لأنهم لَم يؤمنوا بالخرافات التي أتى بها البريلويون، واختلقها الخرافيون فحســب، بل ﭽڤڦڄڃڃڇڇڇچڍڌڎﭼ [البروج: ٨ – ٩][4].

وقبل أنْ أترُك هذه النقطة إلى التي بعدها أُشير إلى أنّ البريلويّة قـالوا بـأنّ مطالعة كتب الوهّـابين –نتيجة لما سبق- حرامٌ، بل قال الـبريلويّ « وحـتى للعـالم الكامل لا يجوز أنْ ينظر في كتب الوهابيين »[5].

النقطة الثانية: في تكفير البريلوية لجماعة أهل الحديث الباكستانيّة الهنديّة[6]:

فكما كفّر البريلويون أهل التوحيد لإنكـارهم على شــركياتهم وبــدعهم وخرافــاتهم، فقد كفّــروا جماعة أهل الحـديث في شـبه القـارة الهندية لـذلك، ولإنكـارهم على الــبريلويين ما كــانوا عليه من التعصب المقيت لمــذهبهم

---

1 (?) فتوى سيد شجاعة علي القادري، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 208.

2 (?) بالغ النور المندرج في الفتاوى الرضوية، (ج6/ص13)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص199.

3 (?) الفتاوى الرضوية للبريلوي، ص13، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 176.

4 (?) انظر: البريلوية لإحسان، ص199-200.

5 (?) ملفوظات البريلوي، ص335، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 201.

6 (?) انظره مختصرًا: (البريلوية لإحسان ص154-155، ومفصلا: ص 160-179).

وإنكار بعض السنة، ولأمـرهم بالتمسك بكتـاب الله العزيز وسنة نبيه المطهرة.

وأول مَن كفروا هو رائد حركة أهل الحديث وقائدها العـالِم الشـاه إسـماعيل حفيد الشـاه ولي الله الـدهلويّ. وكفـروا بعـده وريث دعوته وجهـاده الشـيخ المحـدث من سلالة الرسول الشريف **نذير حسين الدهلوي**[1]. فكفّر الــبريلويّ وأذنابُه هــذين الإمــامين الهمــامين، كما كفَّروا أتباعَهمــا؛ متبعي الســلف أهل الحــديث، وخاصة الأول منهما[2].

فكتب في تكفيره الرسالة المستقلة الماضية [3] قال فيها مُكفِّرًا مفتريًا: « يا أيّها المنافقون المردة الفاسقون، الزاعم كبيرهم أنّ مدح الرسول كمـدح بعضـكم بعضًـا بل أقل منه في حسبانكم، قد بدت البغضاء من أفـواهكم وما تُخفي صـدوركم أكـبر، والله مُخــرج أضـغانكم، اسـتحوذ

---

1 (?) **نذير حسين الدهلوي**: قال الشيخ إحسان إلهي: (حمل لواء السنة في شبه القارة الهندية الباكستانية، وبدد غيوم الجهل والضلالة، ونوره بنور الكتاب والسنة، وجلس مسند الشاه ولي الله الدهلوي ونقح تعليماته وهذب، ونشِط وأنشط تلامذته في نشر الحديث الشريف في ربوع هذه القارة)، له رسائل عديدة أشهرها: معيار الحق، وثبوت الحق الحقيق، ورسالة الولي باتباع النبي. ومن تلامذته البارزين: ابنه السيد الشريف حسين المتوفى في حياته، والشيخ محمد بشير العمري السهسواني صاحب صيانة الإنسان، والشيخ أمير حسن السهسواني، والشيخ محمد حسين البتالوي صاحب إشاعة السنة، والمحدث شمس الحق صاحب العون المعبود وغيرهم. كانت وفاته: يوم الاثنين لعشر ليال مضين من رجب سنة 1320هـ ببلدة دلهي (البريلوية لإحسان، ص163-164، وترجمته المطولة، ص170-174).

2 (?) انظر: البريلوية لإحسان، ص162-164.

3 (?) **الشاه إسماعيل** هو المجاهد الباسل البطل، العالم الكبير، كان مجددًا للدعوة الإسلامية الصحيحة، ومحييًا الطريقة السلفية المستقيمة بكتابه: تقوية الإيمان الذي قيل بأنه في اللغة الأردية مثل كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في اللغة العربية، وحاملا لواء الإسلام لإقامة دولة إسلامية في جزء من الأراضي الهندية لتنفيذ الشريعة الإسلامية بكاملها، كما حمل لواء الجهاد ضد الاستعمار الإنجليزي والسيخ الذين استولوا على البلاد المسلمة ونفّذوا فيها الكفر، وأباحوا دماء المسلمين. (مختصر من البريلوية لإحسان، وانظر تمام ترجمته: ص162-163).

عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله وتعظيم الرسـول، وقد نطق القـرآن بخـذلانكم، زادَ فـاءَكم الشـيطانُ نُقطًا من شِـيْنِه، وقـاعَكم التـدوير من دائـرة نُونِـه؛ فـأراكم (تقوية الإيمان) في تفويتِ إيمانكم، ما كـان ليـذر المؤمـنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وما الله بغافل عن كفرانكم »[1].

وقـال مكفِّرًا ومفتريًا أيضًـا: « إنّ الوهّـابيين غـير المقلدين وإمامَهم الذي ذُكِر كُفْرُه قطعًا ويقينًا من وجــوه كثيرة، وحسَب تصريحات الفقهاء وأصحاب الفتاوى الأكابر والأعلام –رحمهم اللـــه- الملك المنعـــام، أنّ حكم الكفر ثــابتٌ عليهم، وقــائمٌ، ولا ينفعهم كلمة التوحيــد، ولا ينفي عنهم الكفر .. وقد أقــرّ هــؤلاء وإمــامهم في كتابه (تقوية الإيمــان) الــذي يَعُدّونه مثل القــرآن بكفــرهم الصــريح والظاهر »[2].

وكفَّر الشيخَ إسماعيل الدهلوي بضميمة المعلّم الأول (محمد بن عبد الوهاب) على زعمه: « إنّ تكفيره وتكفــير أتباعَه الوهّـابيين يجب فقهًـا، لأنّهم ينسـبون إلى محمد بن عبد الوهّــاب النجــدي، فكــان معلّمهم الأول، فكتب كتابه التوحيـــد. و(تقوية الإيمـــان) ليس إلا ترجمته في اللغة الأرديــة. فإمــامهم كــان الشــيخ النجــدي، فقبِل مذهبه إســماعيل الــدهلوي، وتــرجم كتابه باسم (تقوية الإيمــان) الذي ليس حقيقة إلا تفوية الإيمان، فبالنسـبة إلى معلمهم الأول هم الوهــابيون، وبــالنظر إلى معلمهم الثــاني هم الإسـماعيليون، فثبت أنّ هـؤلاء الوهّـابيين الإسـماعيليين، وإمــامَهم يلــزمهم الكفر جزمًا وقطعًا ويقينًا من وجــوه كثيرة، وإنّهم كلهم مرتدون، بل كفرة »[3].

وفي كتاب آخر له قال بكُلّ إيجاز: « إنّ إسماعيل الدهلوي كان كافرًا محضًا »[4].

---

1 (?) الكوكبة الشهابيّة على كفريات أبِي الوهّابيّة لأحمد رضا البريلوي،ص78،بواسطة:البريلوية لإحسان،ص164.

2 (?) المصدر نفسه، ص10، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص165.

3 (?) المصدر نفسه، ص60، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص166.

4 (?) دامان باغ ملحق سبحان السبوح، ص134، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص166.

وأما من نصوص البريلوية في تكفير الثاني (المحدث نذير حسين الدهلويّ) وأتباعه فمنها قول البريلويّ نفسه: « إنّ النذيريّة -لعنهم الله- ملعونون مرتدّون أبديّون »[1].

وقال: « يلزم عليكم الاعتقاد أنّ نذير حسين الدهلوي كافرٌ مرتدٌّ في جملة أشخاص الذين ذكرنا كفرهم، كما يجب الاعتقاد أنّ كتابه (معيار الحق) كفرٌ من كتب الكفر الصريح،وأنجس من البول،وأردأ منه، وأخبث مع الكتب الأخرى المذكورة للوهابيين»[2].

وأتباعه السلفيون أهل الحديث كفارٌ على زعم البريلويّة، قال البريلوي في أبيات له سقيمة:

أنى لكم إلى الهدى تحويل قد أشرب في القلوب إسماعيل

وإنّ أهل الحديث كلهم كفرة مرتدون[3].

ولمّا كان أهل الحديث لا يُقلّدون في الدين، بل يتّبعون الرسول ﷺ ويَذُمّون التقليد، فإنّ هذا الرجل المتعصب لِمذهبه كثيرًا ما يَطعنهم ويميّزهم بقوله: (غير المقلِّدين)، فيقول مثلا: « إنّ غير المقلِّدين ضالون مضلّون، ويقول الفقهاء كفرة مرتدون »[4]. « إنّ غير المقلِّدين كلّهم صابئة وشياطين الخلص، وملاعين بمعنى الكلمة »[5]. وطبّق على (أهل الحديث) أحكام المرتدين، وزعم أنّهم ملاحدة، فقال: « إنّ أهل الحديث صابئون ملاحدة؛ لا تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تناكحوهم، ومَن أنكح امرأة منه فنكاحها باطلٌ، وليس إلا الزنا المحض »[6].

---

1 (?) الفتاوى الرضوية للبريلوي، ص59، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 176.

2 (?) دامان باغ سبحان السبوح، للبريلوي، ص136، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص174.

3 (?) المصدر نفسه، ص125-126، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 175.

4 (?) المصدر نفسه، ص125-126، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 175.

5 (?) دامان باغ سبحان السبوح، للبريلوي، ص134، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص175.

بل وبيّن أنّهم أهل بدعة، وأهل أهواء، وأهل النار، بل وجاوز الحدود فأفتى بأنّ مَن صلّى خلف أهل الحديث جنازة فحكمه حكم المرتد؛ يَطلق نكاحه، فقال: « مَن صلّى خلف أهل الحديث صلاة الجنازة فلا يجوز أنْ يقتدى به، ونكاحه باطل »[1].

ونسج أتباعُ البريلوي على منواله في التكفير، فقال أحدهم: « إنّ أهل الحديث أتباع نذير حسين الدهلويّ، وأمير أحمد السهسوانِيّ[2]، وبشير حسن قنّوجي ومحمد بشير قنوجي[3]، كلهم كفرةٌ قطعًا ويقينًا، بحكم الشريعة المطهرة، ومرتدّون مستحقون العذاب الأبديّ الشديد، ولعنة الربّ الوحيد »[4].

وقالوا: « أتباع ثناء الله الأمر تستري وغيرهم كلهم كفرة مرتدون، بحكم الشريعة المطهرة »[5].

---

6 (?) الفتاوى الرضوية للبريلوي، (ج5/137)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص175.

1 (?) الفتاوى الرضوية للبريلوي، (ج6/121)، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص176.

2 (?) **السيد أمير حسن السهسواني**، تقدم أنّه من أشهر تلامذة السيد الشريف نذير حسين الدهلوي، وهو من العلماء البارزين لأهل الحديث. (انظر: البريلوية لإحسان، ص177).

3 (?) **بشير حسن السهسواني وابنه محمد** بشير (الوالد والابن) من تلامذة المحدث نذير حسين الدهلوي، ومن العلماء الكبار للسلفين في الهند، والابن هو صاحب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان الجامع بين العلوم الشرعية والعقلية، وقد فضح بكتابه أحمد دحلان، وقد ولد في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، توفي أبوه وهو ابن تسع سنين، قضى زمن طفولته في لكنو وبدأ فيها تعلمه القراءة ثم ذهب إلى دلهي لتكميل علوم التفسير والحديث والفقه والأصول، وأخذ عن السيد نذير كتب الصحاح والسنن الستة وغيرها سماعًا وقراءة، وبعد فراغه من الطلب اشتغل بالتدريس، وقد ناظر الشيخ دحلان في مكة، كما تناظر مع القادياني كتابة بعد رفض القادياني المناظرة الشفهية. توفي في دلهي 1326هـ ، وعمره 74سنة. (انظر: مقدمة صيانة الإنسان، ص48-49، وص53-62 والبريلوية لإحسان، ص177).

4 (?) تجانب أهل السنة عن أهل الفتنة، لمحمد طيب القادري، ص219، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص178.

5 (?) المصدر نفسه، ص248، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص178.

فهؤلاء هم البريلويون، وهذا هو بغضهم بل وتكفيرهم للموحدين المتبعين كتاب الله وسنة رسوله الأمين [1].

وطـبيعيٌّ أنْ يسـأل إنسـان: أنّه ما ذنبُ هـؤلاء كلّهم (المسمون بالوهابيّـة، وأهل الحـديث في باكسـتان) حـتى شـــدد عليهم هـــذا المتعصّـــب بتلك الفتـــاوى والأحكـــام والقرارات البريلوية، وتبعه على ذلك أتباعُه.

والجواب الصحيح: هو أنّ البريلويّ وأتباعُه ينادون إلى الاستغاثة بغير الله، ويدّعون اتصـاف معظِّمِيهم ببعض خصائص الله تعالى كعلم الغيب، كما ينادون إلى التعصّب، وأهل الحديث –في أيّ مكان كانوا- ينهـون عن دعـاء غـير الله تعالى واستغاثته، وينفون اتصـاف أحد –كائنًا ما كـان- بِما هو من خصائص الله، ويُحذّرون عن التعصب، ويأمرون بالتمسك بالكتاب والسّنة.

فالبريلوية « قد حصروا الإسلام في الجماعة التي تعتنق بـــدعاتها ومخترعاتهـــا، وتعـــترف بإمامة قادتها ومشـيختها، ويـدينون في الله بأنّه متقاعـدٌ؛ لا يملك شـيئًا، وقد سلّم قدرته واختياره لأوليـاء الأمر وأصـحاب الطـرق، وعبــادِه الــذين يعــدّونهم هــؤلاء صــالحين، وهم أصـحاب القدرة المطلقة، والخيارات الإلهية، والطاقـات الصـمدية، فالله ينزل من عرشه لزويارتهم، والكعبة تطـوف حـولهم، والملائكة خـــدمٌ لأبـــوابهم، والســـماء مطوية بأيمـــانهم، والأرض مقبوضة بشـمائلهم، والسـحب تـنزل بـأوامرهم، والأرزاق تقسم بإشارتهم، فهم يملكـون المـوت والحيـاة، والبعث والنشـــور، وإحيـــاء المـــوتى، والســـماع لمن في القبور، وإغاثة الملهوفين، وكشف كرب المكروبين، ونصر المستغيثين، ومدد المضطرين .. وغير ذلك من الخرافـات والترهـات كما مـرّ بيانهـا. فعلى الجميع أنْ يُسـفّه رأيـه، ويحجر عقله، ويغلف قلبه، ويقول بِهذا القول ويعتقد بِهـذا المعتقـد، وإلا فقد خـرج عن الإسـلام، والإسـلام الـبريلوي بتعبيرٍ صحيح » [2].

---

[1] (?) انظر: البريلوية لإحسان، ص202.

[2] (?) تجانب أهل السنة، ص248، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص178.

وهذا السبب الصحيح لتكفير هؤلاء.

وبعد الذي تقدم من تفصيل تكفير البريلوية لجماعة أهل الحـــديث في قـــارتهم، وقبله تكفـــير محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- وأتباعه أختم المسـألة بقـول الشـيخ عطية محمد سـالِم –رحمه اللــه- « الموقف الثـالث: في تكفيرهم لِكُلّ من سواهم حتى الديوبنديّة والأحناف، وهـذا من ســخافة عقـــولِهم، وقِصَـــر نظـــرهم؛ لأنّ الديوبنديّة يشـــتركون معهم في النســـبة إلى المـــذهب الحنفي، والأحنـاف هم الأصل للفـريقين، فـإذا كفّـروا الديوبنـديين، والديوبنديون أحنافٌ، وهـؤلاء الـبريلويون أحنـاف، فيكـون البريلويون كفارًا، وهذا قياسٌ منطقيٌّ واضح، وقديمًا قـال العلماء: مَن سبّ جنسه فقد سـبّ نفسـه، فهم قد كفّـروا أنفسهم من حيث لا يشعرون. وقد أصـبح تكفـيرهم للغـير شـــعارًا لهم؛ لم يتحاشـــوا أحـــدًا، بل إنّ المؤلّف نقل عن مؤسســـها أنّه كفّر نفسه في بعض الأحيـــان، فهو كجرير الشـاعر الهجـاء: لَمّا كـثر هجـاؤه لَم يَعد يصـبر عن قـول الهجاء، حتى إذا لَم يجد مَن يهجوه هجا نفسـه. ولو فتشـنا عن العلة في كفر كُلّ مَن سـواهم لوجـدناه في حسـابهم هم أنّه شـيءٌ واحـد؛ وهو لعـدم إيمـان غـيرهم بخرافـات اعتقادهم .. ومن هنا نأتي إلى الموقف الرابع معهم »[1].

ثم قال: « الموقف الرابـع: تكفـيرهم للمسـلمين خارجة القارة الهنديِّة ابتداءً من الإمام الجليل الـذي شـهد بفضله ومكانته العالَم كله حـتى أعـداؤُه لَم يسـتطيعوا أنْ يطعنوا في علمه وفضـله وهو الإمـام ابن تيمية رحمه الله تعـالى، ومجـدد الـدعوة الحـديث الشـيخ محمد بن عبد الوهاب الذي لمس العالَم المعاصر وكل عاقل منصف أنّه إنما دعا النـاس جميعًا إلى التحـاكم إلى كتـاب الله وسـنة رسـوله، ونبذ البـدع والمعتقـدات الفاسـدة الـتي لم يكن عليها أحـــدٌ من ســـلف الأمـــة؛ من ســـؤال غـــير اللـــه، أو الاسـتغاثة بغـير اللـه، أو العمل بغـير ما عمل به القـرون المشهود لَها بالخير من سلف الأمة، ودعا إلى وحدة الأمة

---

[1] (?) تقديم لكتاب البريلوية تاريخ وعقائد، لعطية محمد سالم، ص4-5.

تحت راية لاإله إلاالله، محمد رسول الله، وتحكيم شرع الله »[1].

تقدم شيءٌ من تكفير البريلوي للمسلمين، والغريب في الأمر أنّه مع ذلك قال: « نحن نتحفظ في تكفير المسلم، ونحاول أن لا نكفر من قال لا إله إلا الله حتى الإمكان »[2] زاعمًا أنّه شديد الاحتياط في أمر التكفير، وأنه لم يكن يتعجل.

ولقد علّق على مقالته تلك الشيخ إحسان بعدما تكلم عن تكفيرهم للمسلمين في 60صفحة، فقال: « فهذا كان حاله وحال طائفته مع هذه الاحتياطات والتحفظات؛ بأنّهم كفّروا جميع العالَم، ولو لَم يكونوا محتاطين لَم ندرِ ماذا كانوا يفعلون؟ »[3].

واعلم أنّ البريلويّة لم تكتف بتكفير الناس جزافًا، وخصوصًا أهل السنة، حتى افترَوا عليهم افتراءات كاذبة، واتهموهم باتهامات فاسدة. وإلى الله المشتكى! وهذه الجزئيّة هي التي يأتِي بيانُها في المسألة القادمة.

** * **

---

1 (?) المصدر نفسه، ص5.

2 (?) الفتاوى الرضوية للبريلوي، (ج6/251)، بواسطة البريلوية تاريخ وعقائد، لإحسان، ص210.

3 (?) البريلوية تاريخ وعقائد، 210.

هذه المسألة متفرِّعةٌ عن سابِقَتِها، وإنْ كان الفرق بينهما أنّ تلك في تكفــير البريلوية لمخــالفيهم عمومًا -أيًّا كان توجهه-، وهذه في اختلاق الأكاذيب والافــتراءات –بعد التكفـــير- لأهل التوحيد خصوصًـــا، ولقد رأيتُ إفرادها لِما أكثَر هؤلاء من طعن دُعـاة التوحيد الخـالص ما لم يَطعَنـوا به على فرقة، بل والافتراء عليهم بأكـاذيب هم منها بُـراء؛ ذلك أنّ دُعـاة التوحيد الخـالص (وبـالأخص الأئمة والـدعاة المصلحين في تاريخ الأمة، كالشـيخين؛ ابن تيمية وتلميـذه العلامة ابن القيّم، وكإمـام الـدعوة محمد بن عبد الوهـاب وأتباعهم –رحمهم اللـه-) هم ألـدّ أعـداء القبورية عمومًـا، والبريلوية خصوصًـا، فــ« كـانوا الهـدف الأكـبر للـبريلوي والــبريلويين، كــإخواهم البــدعيين والقبــوريين في البلاد العربية؛ لأنّه لا يوجد بدعيّ ولا قبوريّ في العالَم إلا ويــرى الشيخ أكـبر حجر في طريقـه، والسـدّ المـنيع في سـبيله. ولم يجد الـــبريلويّ وأذنابُه لفظة ســـوء إلا أطلقوها على ذلك الإمام المظلوم، ولا فتوى إلا وأفتوا به عليه »[1].

من ذلك (أعني: الافترءات الكاذبة) قول البريلوي: « إنّ الوهـابيين المنسـوبين إلى ابن عبد الوهـاب النجـدي الــذي كتب (كتــاب التوحيــد)، وأهــان الحــرمَين الطيّبَين زادهما الله شرفًا وتكريمًـا، وشـنّ عليهما الغـارات، وأوقع فيهما الشرّ والظلم والقتل، فكـان يعد جميع أهل الإسـلام غـير فرقته الخبيثة مشـركين، فيجب تكفـيرهم فقهًـا. وإنّ طائفته من فــروع الخــوارج الــذين خرجــوا على ســيّدنا ومولانا عليّ[2] كـرّم الله وجهه الكـريم، ودخل الجحيم من ذي القفـــار لأسد الله القهـــار، قاتل الكفـــار الـــذين ورد الحـديث فيهم أنّهم لا ينقطعـون إلى قيـام السـاعة، حـتى يخرج آخـرهم مع اللعين، فبمـوجب هـذا الوعد الصـادق لا يزال هذا القوم المغضـوب عليهم يُثـيرون الفتن، فخرجـوا

[1] البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص180.

[2] انظر -لتبرئة السلف من فكر الخوارج أو الفروعية لهم-: فكر التكفير قديمًا وحديثًا وتبرئة أتباع مذهب السلف من الغلو والفكر المنحرف، للدكتور عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي –حفظه الله-.

في القـرن الثـالث عشر من ديـار نجـد، واشـتهروا باسم النجديين، وكـان إمـامهم الشـيخ النجـدي، حـتى كسر الله شـوكتهم، وخـرب بلادهم، وظفر بهم عسـاكر المسـلمين عام 1233هـ »[1].

ولَمّا سألوه عن وجود ما أسموها (الفرقة الوهابيّة) في عهد الخلفاء الراشدين؟

أجاب بالإيجاب، وذكر أنّ علائمهم وصفاتهم وردت في الأحـاديث، فـذكر صـفات الخـوارج وبيّن أنّها بأسـرها موجـودة بأسـرها فيهم، (والصـفات هي صـفات الخـوارج المتقدمة -تحقـرون صـلاتكم مع صـلاتهم، وصـيامهم عند صيامهم، يقـرؤون القـرآن لا يجـاوز تـراقيهم، يقولـون من خير قول البريّة، يمرقون من الدين كما يمرق السـهم من الرّميّة، سـيماهم التحليـق)، وعند الصـفة الأخـيرة زاد من الافتراء فقال: « وكان النجدي ابن عبد الوهّـاب مغاليًا في التحليـق، حـتى لو أنّ امـرأة دخلت في دينه النجس كـان يحلق رأسها؛ لأنّها من باقيات زمان الكفر »[2].

هذا من افتراءات رأس البريلويّة على دعاة التوحيد، وملخصـها أنّ محمد بن عبد الوهـاب –رحمه اللـه- وأتباعه الذين على منهج السنة والكتاب خوارج، لذا زعموا أنّهم « قتّلـوا الخلائق بـدون إثم في الحـرمين الشـريفين، وزنـوا بنسائهم وبناتهم وأسروهم، وجعلوا نساءهم إماء، وأكـثروا قتل الأشـــراف .. وما فعله ابن ســـعود في الحـــرمين الشـريفين هو واضـحٌ وظـاهرٌ على كـلّ حـاج[3]، وقد رأيتُ هذا بعيني »[4].

---

1 (?) الكوكبة الشهابيّة على كفريات أبي الوهابيّة للبريلوي،ص58-59،بواسطة:البريلوية لإحسان، ص181-182.

2 (?) ملفوظات مجدد المائة الحاضرة –أي البريلوي- جمع وترتيب ابنه مصطفى رضا خان، ص67-68، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد، ص 182.

3 (?) صحيح أنّ ما فعله ابن سعود ويفعله أولاده بالحرمين الشريفين من تعميره وصنوف الخدمة المميزة له ظاهر باهر لِكلّ من تشرف ويتشرف بزيارتهما، أما افتراءات هؤلاء الظالمة وأكاذيبهم الفاضحة فالتاريخ والحقائق والوقائع والأحداث تكذبها، والحمد لله. (انظر: البريلوية تاريخ وعقائد، ص183).

وهذه التهمة سُبِق البريلوي وأذنابُه إليها وإلى أمثالها، وهي كُلّها محض افتراء على أهل السنة[1].

ولقد ساق طائفة كبيرة من جنس هذه التّهم وغيرها الشيخ إحسان إلهي ظهير، ثم قال: « هذا، والشتائم والتكفير والتفسيق لشيخ الإسلام وأتباعه، والحكومة السعوديّة شيءٌ يسيرٌ عند البريلويّ والبريلويّة. ولا نرى أحدًا أغضب هؤلاء القوم مثل ما أغضبهم الموحّدون المؤمنون بكتاب الله، والمتمسّكون بسنّة رسول الله ﷺ، فإنّه لا يوجد كلمة مؤلمة، وشتيمة خبيثة إلا ويستعملونها خلاف هؤلاء الناس. وكتب أكابرهم وأصاغرهم -بالردّ على هؤلاء الناس- كتبًا كثيرة. وقليلا ما يوجد فيها شيءٌ غير ذلك من الوعظ والنصيحة للمسلمين، وتحريضهم على عبادة الله، وأداء حقوق العباد، وحسن المعاشرة، وطيب الخلق، ومراعاة حقوق الآخرين، وغير ذلك من الأمور التربويّة الإسلاميّة. كما أنّ كتبهم خاليةٌ عن الرّدّ على الفئات الخارجة عن الدين، والباغية على الإسلام، كالقاديانيّة والهندوكيّة والنصارى، والبابيّة والبهائيّة، والباطنيين، والروافض، وغير ذلك من الطوائف. فالباحث والقارئ يرى العجب العجاب حينما يتفحص كتب القوم ويجد أنّها مليئة من أقذع الفواحش، وأقبح الشتائم لِمصلحي الأمة وهداتها، ولا يجد كلمة ضدّ أعداء الإسلام والمسلمين، وضد أعداء الله ورسوله الكريم ﷺ. فهذا هو دأب القوم، وهذه أحوالهم مع أهل الحديث، ومع أتباع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب »[2].

---

[4] جاء الحق وزهق الباطل لمفتي البريلويين أحمد يار، ص574، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد، ص183.

[1] لقد نقل الشيخ المحدث محمد بشير السهسواني اثني عشرة تهمة من تهم خصوم الشيخ إيّاه، وإجابة الشيخ نفسه عليها من إحدى رسالاته، ومنها شبهة وافتراء وتهمته بتكفير كُلّ من يخالفه الشاهد هنا (انظرها وجوابها: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ص267 وما بعده)، كما خصّ د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف في رسالته: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض (مبحثًا ردّ على فرية أنّ الوهابيين خوارج، وأنّ نجد اليمامة قرن الشيطان، ص229-248).

[2] البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص184-185.

ولئن شتم البريلويّة النجديين (أهل السنة) وافتروا عليهم افـتراءات كاذبة –كما تقـدم شـيءٌ منهـا- وطعنـوا عليهم فقد طعنوا على أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغـيرهم من قبلهم، كما طعنـوا على محمد بن علي الشـوكاني، فمِن طعنهم على إمـام أهل السـنة في زمانه وبعده (ابن تيميّة): « إنّ ابن تيمية كان يَهذي جزافًا »[1].

وقال أحد خلفاء الـبريلويّ مفتريًا عليه بأنّه أفسد نظـام الشـريعة: « إنّ ابن تيميّة أفسد نظم الشـريعة –ونقل عن أحـدٍ مثله قوله فيـه-: إنّ ابن تيميّة عبـدٌ خذله الله وأضـلّه، وأعمـاه وأصـمه، وأذلّه .. وإنّه مبتـدعٌ ضـالٌّ، ومضلٌّ جاهلٌ غالٍ »[2].

رمتنِي بـدائها وانسـلت؛ والغـريب أنّ المبتدعة هم الـذين ينسبون أهل السنة إلى الابتداع، وأنفسَهم إلى التسنن!

ومِن طعنهم على العلامة ابن القيّم –رحمه الله-: « إنّه لا اعتماد على قول ابن قيّم، لأنّ ابن القيّم كان ملحـدًا »[3].

وطعنوا على الشوكاني السالك مسلكهم فقالوا: « إنّ الشوكانيّ كـان فاسد المـذهب »[4]. و« إنّ الشـوكانيّ عقله ناقصٌ مثل متأخّري الوهّابيّة »[5].

وبعـد، فهـذا أيضًـا وجـهٌ جفـائيٌّ واحـدٌ يُعـدُّ لهـذه الفرقة بالنسبة للرسـالة المحمدية الـتي تنهى أن يكـون الإنسـان الفـاحش المفش الفـذيع اللعـان، كما أنها تنهى عن أن يقول المرأ لأخيه المسلم يا كافر. والله المستعان!

---

1 (?) الفتاوى الرضوية للبريلوي أحمد رضا، (ج3/ 399)، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص179.

2 (?) سيف المصطفى للبريلوي، ص92، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص179.

3 (?) الفتاوى الرضوية للبريلوي أحمد رضا، (ج4/199)، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص179.

4 (?) سيف المصطفى للبريلوي، ص95، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص180.

5 (?) الفتاوى الرضوية للبريلوي أحمد رضا، (ج2/ص442)، بواسطة: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص180.

أما بعد، فقد تبيّن بالمطلب ومسائله الخمسة أنّ البريلويّة فرقةٌ اتسمت بالجفاء للرسالة المحمدية، فهم –بتعاليمهم- كما كانوا مخالفين -صريح المخالفة- لتعاليم الكتاب والسنة، فكذلك خالفوا المذهب الذي يدّعون الانتساب إليه (المذهب الحنفيّ) [1]. كما تبيّن بالمطلب قبله ومسائله الستة بأنّهم أهل غُلُوّ زائدٍ وإفراط ومغالاة في عبد الله ورسوله محمدٍ ﷺ الناهي عن إطرائه، بأبي هو وأمّي! **والطريف**: أنّ مسلك البريلوية ومنهجهم -بالمطلب الأول (المتقدم)، وبالذي أوشك الانتهاء هذا-: جامعٌ للإفراط والتفريط؛ فكما أفرطوا في معتقداتهم في معبوداتهم من دون الله؛ من أحياء وأموات، حتى أعطوهم صفة القادر سبحانه، فقد فرّطوا في الجانب الآخر « حيث جعلوا فدية لِمَن ترك مدة في حياته؛ فيقدّم لدعاتها الفدية حسب عدد السنين التي لم يكن صلّى فيها »[2]. وهذا وجهٌ من أوجه جفائهم!

** * **

وأقول هنا في ختام فصل موقف الصوفية من نبينا محمدٍ ﷺ: بأنّ البريلوية هي الفرقة الوحيدة من فِرَق الصوفية الكثيرة والكثيرة- التي استطعتُ -بهذا المبحث- أنْ أفصّل في موقفَيها المتناقضين (المتمثل في الإفراط والتفريط) من عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ. أما بقية فِرَق الصوفية فقد أجملتُ ذلك في المبحثين المتقدمين. ومع ذلك فقد تمّ المقصود؛ حيث تبيّن: أنّ الصوفية فرقة خالفت الوسطية في العقيدة فيه ﷺ، وجنحت إلى غُلُوٍّ فيما لا يُمكن حصر صُوَره، كما وقفتْ موقفًا آخر؛ ألا وهو جفاء رسالته وشريعته، بل وشخصه. وقد تقدمت صُوَر ونماذج ذلك. والله تعالى أعلى وأعلم.

** * **

[1] انظر: البريلوية تاريخ وعقائد لإحسان، ص152.

[2] تقديم الشيخ عطية محمد سالم لكتاب البريلوية لإحسان، ص4.

الفصل الخامس: موقف القرآنيين والقاديانيين من مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ:

كُلٌّ من القاديانيّة (الأحمدية)، والطائفة المدعوة: بالقرآنيّين على ضلالٍ وزندقة وكُفرٍ مباينٍ لِما عند أختها، كما سيتضح بِمَبْحَثَي الفصل، لكنّي جمعتُهما في فصلٍ واحدٍ لأمرٍ إجرائِيٍّ شكليٍّ، ألا وهو أنّ كُلًّا منهما جعلتُ مطالبها في مبحثٍ (فكان الجمع ليستقيم الفصل، لا غير)، قال صاحب كتاب (القرآنيّون وشبهاتُهم حول السُّنّة): « إنّ الدعوة إلى الاعتماد على القرآن دون السُّنّة في التشريع الإسلامي بدأتْ تغزو الهند منذ نِهاية القرن التاسع عشر، على إثر انتشار الأفكار التي بثّها أعضاء حركة السيّد أحمد خان، غير أنّ مفعولَها سرَى بشكل واضح في (بنجاب) بأوساط الهند الموحّدة، وما أسوأ حظّ هذه البقعة من الأرض؛ إذْ نبَعَت منها حرَكتان هدّامتان للإسلام: القاديانيّة، والقرآنيّة؛ ففي سنة: 1900م نهَض من تلك البقعة غلام أحمد القاديانِي؛ وادّعى النبّوة. **ومنها** في عام: 1902م بدأ غلام نَبِيّ المعروف بعبد الله جَكرَالَوي –مؤسس الحركة القرآنيّة- نشاطه الهدّام؛ بإنكار السّنّة كُلّها، متّخذًا مسجد جِينِيَان والذي بلاهور مقرًّا لحركته تلك.

بالإضافة إلى فتنة أحمد رضا بَرِيلِي[1] التي كادت أنْ تعُمّ الهند كُلّها آنذاك »[2]. وسيأتِي التعريف بِكُلٍّ من القاديانية والقرآنِيين في هذا الفصل.

ولبيان هذا الفصل عقَدتُ مبحثَين، هما:

المبحثُ الأول: جفاء القرآنيين سنته وشِرعته عليه الصلاة والسلام، وفيه تمهيد ومطلبان.

المبحث الثاني: جفاء القاديانيين مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه تمهيد وستة مطالب.

---

[1] (?) تقدم التعريف بالفرقة البريلوية في تمهيد مبحث موقفها من الرسالة المحمدية من (فصل الصوفية) .

[2] (?) قاله د. خادم حسين إلهي بخش في كتابه: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص19.

المبحثُ الأول: جفاء القرآنيين سنته وشِرعته عليه الصلاة والسلام، وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد: التعريف بالقرآنيين.

المطلب الأول: عدم قَبُول القرآنيين ما صَحَّ مِن سنته ﷺ.

المطلب الثاني: إلغاء القرآنيين بعض شريعته عليه الصلاة والسلام.

التمهيد: التعريف بالقرآنيين:

تتابعت الفرق الضّالة من الخوارج والمعتزلة والشيعة على ردّ سُنّة رسولِ الله ﷺ وإلغاء حُكمها؛ مِن مُقلٍّ ومُكْثِرٍ، كُلا أو جُـزْءًا؛ مِن القـرن الأول إلى اليـوم. وقد تقـدم ذلك في الفصـــول الخاصّـــة بهم. كما وُجـــدت طائفـــةٌ يُمكن تسميتهم بـ(القرآنيين السابقين)، والذين جرت بين الإمـام الشافعي وبين أحـدهم منـاظرة[1]. ولَمّا جـاء نهاية القـرن الثالث عشر الهجري دبّت الحياة من جديد في هذه الفتنة في شـــبه القـــارة الهندية خصوصًـــا، وفي غيرها عمومًـــا؛ ووُجدَت جماعة مارقة عن الإسلام، تسمَّت بـ(أهل القرآن، أو القرآنيين) تُنكر السّنة كُلِّيًا[2].

وقد ذكرتُ بأنّ مطيّة هذه الجماعات هو إنكار السنة، وهو على نـــــوعين: إنكـــــارٌ كُلّيٌّ[3]، وهو ما عليه طائفة القرآنيين، ثم إنكـار جُـزْئِيّ[4]. ولقد عقَـدتُ المبحث لبيـان النوع الأول من الإنكارَين (إنكار السّنّة الْكُلّي) والـذي وُجِد في هــذا العصر من أفــرادٍ وجماعــات، وفي بلاد العــرب والعجم[5]. لكن لَمّا كــانت هــذه الــدعوة وُجِــدت بشــكل جمــاعي، ولها اعترافــات رســميّة، كما أنّ لها نشــاطاتٍ

[1] انظر عنها: الرسالة للشـافعي، وكتـاب القرآنيّـون وشـبهاتهم حـول السنّة، ص93-98.

[2] انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص99-111.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص53.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص187.

[5] ولتقف على الأصــول التاريخية عــبر العصــور لفكر القرآنــيين من إنكـار السـنة الكلية أو الجزئيـة، من أفـراد وجماعـات، وعـرب وعجم، وأبرز المنكرين لكلا النوعين، انظر: الفصل الثاني من الباب الأول من كتاب: القرآنيّون وشبهاتهم حـول السـنّة، للـدكتور خـادم حسـين إلهي بخش ص69-203.

جماعيـة، وإنتاجـات علميـة، وعـدد الأفـراد في بلاد العجم (الهند وباكســتان خصوصًـــا) ما لا توجد مجتمعة في بلاد العـــرب [1]، ولَمّا كنتُ أتعامل بـــالمكتوب أيضًـــا لبيـــان مواقفهم = فإنّي والحالة هذه سـأتكلم عن القرآنـيين في شــبه القــارة الهنديــة، دون غيرهــا، مع أنّ هــذه الجماعة موجودة حتى في نيجيريا، ولهم نشـاطات وعظية شـفهيّة إلى اليـــوم، كما أنّه قبل ربع من القـــرن قد قـــاتلتهم الحكومة، فقتلت جُلّهم، بِما فيهم رأسـهم، إلا أنّه –والحمد لله- ليس لهم إنتاجٌ علميٌّ من جرائد ونشرات وكتب وغير ذلك –حسب علمي- إلى اليـــوم، كما أنّ هـــذه الفرقة لا يُعتــبر بِها رســميًّا، وليس لها مســاجد ومراكز مســتقلة، وعليه فــأعْرِضُ عنهم هنــا. بخلاف ما في الهند القديمــة؛ حيث إنّه -لَمّا تأسست هــذه الجماعــة- كـان لها فيه وفي باكســتان بعد انفصــالها عنها وانتقــال بعض الجماعة منها إليها تحت مســمى الــبروزيين وغــيره، نشــاطٌ زائــدٌ في الدعوة إلى ترك السُّنّة؛ بإقامة الجمعيات، وتأليف وإصدار الكتب والرســائل والمجلات في الإنكـــار الكلي للسّـــنّة وإثارة الشُّـبَه في وجهها، والـدعوة إلى الاكتفـاء بـالقرآن، إلى يومنا هذا.

وقد كان الاستعمار الإنجليزي وراء هذه الطائفة التي تزعمت الاعتمـاد على القـرآن وحـده، وهـذا الضـلال كـان على يد أبنـاء تلك البقعة المتـأثّرين بـالفكر الغـربي الـذين رأوا -في التمسك بالسّنّة- عائقًا عن التقدم زورًا؛ فجــاءوا بما لم يــأت به مَن ســبقهم من الضــالين، مُنْكِـرين حجية السّنّة كليًّا، مع عَـدّ اتباعها شِـركًا، وهـؤلاء لم يُفرّقـوا بين متواترها المجمع عليه وغــير ذلــك، وبين الصــحيح وغــيره مثلما عمِلَه غيرُهم من الضالين، بل سلكُوا مَسْلَكًا واحــدًا: هو الرّدّ والدفع. وقد كتبوا الكثـير والكثـير، لكن نحمد الله تعــالى على أنْ لم يكن فيما ســوّدت هــذه العصــابة بِها الصــحف أثـــارة من علم، أو بقية من بحث؛ فلا نقل فيها

---

[1] (?) انظر المقارنة الــتي عقــدها د. خـــادم حســين إلهي بخش بين القرآنيين العـرب والعجم في: القرآنيّـون وشـبهاتهم حـول السـنّة، ص 202-203.

مصــدّقٌ، أو بحثَ محقــقٌ[2]، بل هي فيما ســوى ذلك من هـــذيان وساوسة وجهـــالات مزوّقة؛ فشُـــبهاتُهم ليست محيّرة، فحق عليها قول قائـلٍ: (إنما سـلكوا فيها مسـالك الســـفهاء المـــارقين، والزنادقة الملحـــدين، ولم تكن ضـلالاتهم عن شـبهات مـؤثرة أو إيــرادات محيّـرة، وإنما كـانت عمايـاتهم من جـرّاء وسـاوس شـيطانية، وأهـواء نفسية، أو عمالات استعمارية).

كما أنه قد أقام الله لدفعهم مَن شاء من أهل العلم؛ فصنّفوا الكتب والرسائل وأصـدروا الفتـاوى في تكفـيرهم والتحذير منهم، ودرء فتنة إنكار السنة، وتحصين الأمة من سُــمُومها، وصــيانة القــرآن الكــريم من عبث العــابثين، وتحريف المارقين الذين ضلّ سعيهم.

فهنا وباختصـار أشـير -**لبيـان نشـأة الجماعة المــدعوة بــالقرآنيين**- إلى كلام أحد العلمــاء الــذين ناظرهم خلال سكناه بباكستان (ثلاث سنين) وعرفهم عن كثب، ألا وهو الأســتاذ الــدكتور محمــود محمد مزروعة، فيقـــول: منذ جـــاءت الرســالة الخاتمة وأعـــداء الله لها بالمرصاد، وقد اتخذت العـداوة لله ورسـوله ولدينه صـورا مختلفة، وتلبست أشكالا عديدة؛ فمنها: المنـافقون الـذين يظهــرون غــير ما يبطنــون، يتــدثرون بعبــاءة الإســلام، ويصـطنعون الحــرص عليــه، والــدعوة إليه، والعمل على وحـــدة الأمـــة، وبينما يعلنـــون ذلك يســـعون إلى تحقيق أغراضــهم الخبيثة من القضــاء على الإســلام عن طريق التشكيك في مصادره الموحى بها من عند الله ، وبخاصة الســّنّة النبوية المطهــرة؛ وذلك بإثــارة الشــبهات ضدها، والــزعم بأنها ليست من الــدين، ولا صــلة لها بالتشــريع الإســلامي، ويزعمـــون أنّ القـــرآن هو المصـــدر الوحيد للشريعة الإسلامية. وهذه الدعوى قديمة، والعداء لرسول الله ولســـنته مـــوروث. لكن الجديد هو هـــذه الفئة من أعداء الله ورسوله والمسلمين، منكري سُنّة رسول الله

---

2 ( ) قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه اللـه-:« العلم شـيئان: إما نقـلٌ مصـدّق، وإما بحثٌ محقـق، وما سـوى ذلك فهـذيان مسـروق » (الـرد على البكري، ص376).

التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين الميلادي، في بلاد الهنـــد، ثم انتقلت إلى باكســـتان بعد اسـتقلالها عن الهنـد، وما تـزال. وليس من المسـتغرب وجـود مثل هـذه الطائفـة، فأعـداء الإسـلام كُثُـر، ومنكـرو السّنّة مضت بهم القـرون جيلا بعد جيـل، وقد أخـبر عنهم رسول الله ﷺ كما سيأتي، لكن الغريب من هـؤلاء هي تلك الشـبهات الـتي أثاروها ضد سـنة رسـول الله ﷺ، والـتي يزعمـون أنها أدلةٌ على أنّ السـّنّة ليست من الـدين، ولا الـدين منها، كما سـيأتي بعضـها وقد ملأوا بها مؤلفـاتهم -وهي في جملتها أوردية[1]-، ونـــدواتهم ومنـــاظراتهم مع الآخرين. وقد كان لي حظ من تلك المناظرات، على مدى ثلاث جلســات بيننا وبين (الــبرويزيين) بمدينة (كراتشي) في عــام 1983م . وذلك أثنــاء عملي أســتاذًا بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أبـاد بباكسـتان. وشـبهاتُهم هـذه المزعومة هي محلّ الغاية في هـــذا البحث المـــوجز [2]. انتهى مختصرًا منه.

وهذه الطائفة يحبون أنْ يُسمّوا (القرآنيـون أو ما شابهه) -نسبة إلى القرآن- ظلمًا وزورًا، وقد اختاروا هــذه النسبة إيهامًا للناس بـأنهم ملـتزمون بكتـاب الله القـرآن، وليشـيروا من طرَفٍ خَفِيٍّ إلى أنّ غـيرهم من المسـلمين الـذين يؤمنـون بسُنّة رسـول الله ﷺ ويعملـون بها ليسـوا قرآنـيين، وأنّهم اشـتغلوا بالسُّنّة وتركـوا القـرآن. وأيضًـا تسـمّوا بـذلك حـتى يجنبـوا أنفسـهم المؤاخـذة، ويقطعـوا سـبل الاعـتراض عليهم، لأنّـه مَن ذا الـذي يعـترض على طائفة أعلنت أنها تنتسب إلى القرآن وتتمسك به؟

لكن الحقيقة: أنّه يجب أنْ لا يفهمَن أحـدٌ من تسمية هذه الفرقة بـالقرآنيين أنّه مـدح لهم، أو تعبـيرٌ عن شدّة تمسكهم بالقرآن، كلاّ، بل واقع هؤلاء وحـالُهم يقـول بأنّ هذه التسمية آتيـةٌ لَهم من حيث إنهم تنَكّـروا للقـرآن، ورفضوا ما ثبت فيه من اتباع الرسول ﷺ وطاعته؛ مِما نشأ

---

[1] (?) لغة طائفة كبيرة من الناس في الهند وباكستان وما جاورهما.

[2] (?) انظر مقدمة كتابـه/ شـبهات القـرآنيّين حـول السـنّة النبويـة، أ. د. أحمد محمود مزروعة.

عنه ضلالٌ كبيرٌ في تطبيق الأوامر القرآنية، فخرجوا بـذلك عن جماعة المسلمين، وعليه فيُسمّون بالقرآنيين من هذا الجـانب، مثلما قيل للقدريّـة: قدريّـة؛ لا لأنّهم قـالوا به وأثبتوه، بل لنفيه وإنكاره.

وأُمثّل هنا ببعض ما بلغ بأحد القرآنيين –وهو يَذكر اعترض المستشرقين على زواج النبِيّ ﷺ من عائشة رضي الله عنها وعُمرُها سِـتّ سِـنِينَ، وَبَنَى بِها وَهي بِنْتُ تِسْـعِ سِنِين[1]- أنْ يَزعُم أَنّ الأخذ بالحـديث هو الـذي سـوّغ لهم أنْ يطعنوا في جنابه الطاهر، فيجب إبطالُه؛ قال: « البلوغ شـرطٌ النكـاح كمـا هـو واضـحٌ من القـرآن، ومـا ينتج من الطعن في صاحب السيرة المطهرة بـإقرار هـذا الحـديث تشهد له كتب المستشرقين، فتحقق لي عـدم صـحة هـذا الحديث، وإنّ عمرها رضي الله عنها حين الزواج بهـا كـان ما بين 17 إلى 19 عامًا »[2].

هـذا شـيءٌ. **وأذكُر هنا تـراجم لـرجلين من أهم وأبرز دُعاتهم:** وقبل ذلـك، أقـول: قد تقـدمت الإشـارة إلى أنّ (السيّد أحمد خان) وأفكاره التي دعا إليها، وخلّفها هي البذرة الأولى التي تأسس عليها جماعة القرآنـيين، بل وجـود الجماعة القرآنيّة هي الثمـرة الطبيعية لحركة هـذا (السـيّد أحمد خـان)، حيث إنّه أنكر كُـلّ ما تُنكـرُه الثقافة الغربية -ولو كـان دينًـا-، كما أنّه يُثبت ما تثبتُه بحـذافيره وعلى علاته ولو كـان مخالفًا للـدين ولإجمـاع المسـلمين. وموقفه هذا كفيلٌ بأنْ يجعل موقفه من السّنة النبوية، بل ومن القـرآن موقفًا إلحاديًّا؛ لـذا لَمّا أقـدم على تفسـير القرآن متّخذًا عقلَه المجرد واتجاهه هـذا أساسًـا لـه، غـير ملـتزم للألفـاظ ودلالتهـا، ولا لِما أجمع عليه علمـاء المسلمين على مرّ الزمن = أنكر الجنّة والنـار، والملائكة والجن، وأخذ يسـتهزئ بالشـعائر الإسـلامية .. وقـرر في

---

[1] الحديث في الصحيحين (صحيح البخاري: كتاب النكـاح، بـاب إنكـاح الرجل ولده الصغار، ورقمه: 5133، وصحيح مسلم:كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، ورقمه: 1422، وانظر: شـرح النـووي،ص 883).

[2] القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص277.

تفسيره أنّ القـرآن نـزل على محمد بـالمعنى فقـط، ثم صـــاغ الرســـول ألفاظه من عنـــده، مما جعل العلمـــاء يُشددون النكير عليه، ويَحكمـون بِكُفـره. ومَن هـذا شـيءٌ من مواقفه فلا تســأل عن موقفه من الســنّة؛ **ويتلخص موقفه من الأحاديث في نقطتين: الأولى:** تحريف بعضها وتأويلها بمثل تأويلاته لآيات القرآن؛ فأوّل المغيبـات الواردة في السنة، كتأويله للشـيطان، وللملَك الـذي يـأتي الحاملَ بعد استقرار النطفة في الرحم بأمور إلحاديـة. بل وتقدم **ثانيًا:** إلى إنكـار جزئيـاتٍ من السّـنّة، مثل إنكـاره للروايــات المؤكّــدة لآية أنّ الأرضــين ســبعٌ كالســموات، وإنكـار خـوارق العـادات الـتي ثبتت في السّـنّة والقـرآن؛ فنفى إلقاء نبي الله إبـراهيم في النـار، وولادة عيسى من غير أب، وابتلاع الحوت ليونس، وغير ذلك، أو يحملها على الاستعارات والمجـازات. وما كـان من الخـرق في السـنّة أنكره استنادًا إلى أنّه مخالفٌ للقوانين الطبيعيــة؛ ولا يصح الخلف فيها البتة. كما أنكر أحاديث الجنّ الثابتـة. فـالمقود أنّ السيّد خـان –بموقفَيـه- وضـعَ لبنة عامّة للتشـكيك في السّنة بأكملها في القـارة الهنديّة خصوصًـا. كما قـرر ذلك في مقالاته التي أورد طائفة منها د. خادم حسـين. كما أنّه بنـاء على موقفه المشـار إليه من السّــنة جعَل الأحكــام المســـــتنبطة منها –بوجه عـــــام- أحكامًا لا يجب على المســلمين –على زعمـــه- اتباعها[1]. فالحاصل أنّ هـــذا الرجل أنكر طائفة كبـيرة من الأحـاديث، وخاصّـة إذا طُبّق على الأحــاديث الشــروط الثلاثة الـتي وضـعها قبل قبوله ونســـبته إلى الرّســـول، مما يتعـــذر توفّرها في أغلب الأحاديث، بل في المتواتر اللفظي، بل وحتى اللفظي هذا لا يسلم لو طُبّق الشـرط الثـالث [2]. فشـروطه ومقاييسه

---

[1] انظر عن موقف الســيّد أحمد خــان من الســنة النبوية مُفصّــلا: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص100-106.

[2] والشروط هي: أ - أن يكون الحـديث المـروي هو قـول رسـول الله بالجزم واليقين. وهـذا المقيـاس دون إقنـاعهم به خـرط القتـاد، حيث إنهم يطعنون في المتواتر، فما البال بغيره؟
ب - أن تكون هناك شهادة تثبت أنّ الكلمات التي أتى بها الراوي هي عين الكلمات التي نطقها النبي فعلا.

تـوخى أن تكـون مُبطلة للسـنة في جُملتهـا، فلا تكـاد تلك المقــاييس المتعنتة تنطبق على حــديث واحد أو بضــعة أحاديث، هذا إذا صدقت النية في تطبيقهـا، أما إذا أُخذ في الاعتبـــار تكلفهم وتعنتهم في التأويـــل، والخــــروج على مقتضـيات اللغــة، فـإنّ مقـاييس الرجل تــزري بالسّــنّة جميعها.

ثم إنّ كون هذا السيّد هو الذي مهّد لنشْأَة جماعة القرآن (القرآنيين) في القـارة الهندية وخـروجهم إلى حيّز الوجــود مِمّا اتّفَقَت عليه جميع المصــادر الــتي بحثت عن نشأة هذه الفرقة هناك. كما قال مَن هو مِن أخْبَـرِ النـاس بِهم؛ د. خادم حسين[1].

ومن أعلامهم الكبار الذين أنشأوا الفكرة:

(مولوي عبد الله بن عبد الله جكرالوي) نزيل لاهور، وهو: الذي صنّف رسائل، دعا فيها إلى إنكار الأحاديث قاطبة، بل وأسمى أتباعه (أهل الذكر والقرآن). وُلد في بلدة جكرالَه بالباكستان في نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر، سمّاه أحد مشايخ بلده: (غلام نبِي) واشتهر به، ثم تحاشاه وتركه. في أول أمره كان قد درس الحديث حتى صار شيخًا من شيوخ أهل الحديث، ولقد تِفرّس فيه أستاذُه وخشي أنْ يكون هو مصداق حديث: "أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ؛ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ" الحديث[2]. ولعل مناظرة ابن عمّه له هو بدءُ انحرافه عن جادة الحق، حيث اصطدم ببعض مشكلات من متشابه الحديث الشريف، فخرج على الناس بعقيدته الجديدة، وخرج منها بقولته المشهورة كشعار لها: « هذا هو القرآن الموحى به وحده من عند

ج- ألا يكـون لألفـاظ الحـديث الـتي أتى بها الـرواة معـان سـوى ما أتى به شراح الحديث، وبنى عليه الفقهاء أحكامهم.

(انظر إلى شــروطه الثلاثة لقبــول الأحــاديث ونســبته إلى الرســول: القرآنيون وشبهاتهم حول السنّة،ص105-106).

1 (?) انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص21-22، وما قبله.

2 (?) الحديث في سنن أبي داود وجامع الترمذي، وهو صحيح، وسـيأتي تخريجه قريبًا.

الله إلى محمد عليه الصلاة والسلام، وأنّ ما عداه فليس بوحيٍ ». وقد حفلَت حياته العلمية بالتصنيفات لنشر دعوته الجديدة، ولقد اتخذ لاهور –مدينة العلم- مقرًّا دائمًا لها سنة:1902م؛ فأبلغ رسالته بين الناس، ونشر أفكاره منها إلى المسلمين، ومن كتبه الكثيرة: تفسير القرآن بآيات القرآن (مجلد واحد)، وترجمة القرآن بآيات الفرقان (3مجلدات ضخمة)، وإشاعة القرآن في جواب إشاعة السّنّة (مجلد واحد)، ولقد ذكَر د. خادم حسين أربعة عشر كتابًا من كُتبه، وبيّن أنه اطلع على تسعة منها.

وقد ذكر بعض المحققين أنّ لبريطانيا يــدًا وراء حــركتَي: الجكرالوية والقاديانيّــة، وأنّ عبد الله الجكرالــوي هـــذا اختاره المسيحيّون لأداء مهمة إنكار السنّة كلّها.

ولقد وقف مِن أفكاره العلماءُ موقف الإنكار، ممثلة في مجلة إشاعة السّنة التي كانت له بالمرصاد؛ فأسرعت إلى جمع أفكاره الانحرافية وإجـراء اسـتفتاء عـام حولهـا، وطلبت من علمــاء الــدين بيــان موقف الإســلام من مثل صاحب هذه الأفكار، فأفتى بكفر عبد الله هذا جُـلّ علمـاء شـــبه القـــارة الهنديّة في باكســـتان والهند وبنغلاديش، وخروجه من بوتقة الإسلام وأنّه مقطوع الصلة عن الــدين والمسلمين.

غـير أنّ عبد الله بقي مسـتمرًّا في دعوته حـتى اخترمته المنيّة عام 1914م[1].

والرجل الآخر الـذي يُمكن أن يسـمى بـ(مؤلف القرآنـيين هـو: غلام أحمد برويز بن فضل دين بن رحيم بخش، ولد: 9يوليو/ 1903م، في بلدة بتالة، القريبة من قاديـان بالبنجـاب الشـرقية في الهنـد، شـحن عقلَه جـــدُّه العـــالِم، لكن برويز ســـرعان ما تخلص منها وأصـــبح لها عـــدوًّا لـــدودًا، توظف في المطبعة الحكومية

---

[1] (?) هذا ملخص ترجمة زعيم حركة القرآنيين في لاهور، والذي أسس هذه الفرقة على الاعتمـاد على كتـاب الله وحـده، (تـرجم لعبد الله الجكرالـوي ترجمة حافلة تناول جوانب حياته الشخصية والعلمية وأفكاره الإلحاديـة: د. خادم حسين إلهي بخش -انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السـنة، من: ص 25-32).

برتبة كـــاتب إلى أن أصـــبح مـــديرًا لتلك المطبعة قبل استقلال باكستان. وقد أصدر (مجلة طلـوع إسـلام) سـنة: 1938م وسـجّلها بغـير اسْـمه الخـاصّ، وبعد اسـتقلال باكسـتان انتقل برويز من الهند إلى باكسـتان مع مجلتـه، وقد وجد باكسـتان أرضًـا خصـبة لنشر أفكـاره (الأفكـار الأوروبية) التي يرى وجوب صبغ الإسلام بهـا، وقد صـار له شـعبية من المثقفين والمهندسـين والمحـامين والقضـاة، وأسـاتذة الجامعــات والطلاب. ويُقــال بأنّه ما من معتقد إسلاميّ إلا وقد مسّه قلم برويز هذا بالتأويـل؛ بأسـلوب لا يفطن إليه إلا المتعمق في دراسة العلوم الإسلامية.

دخلته الشبهات فأفسدت عقيدته، بحيث اصطدم عنده يومًا نصٌّ حديثي مع آية **الذين** ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﭼ الأحزاب: ٦٩. فأخـذت الشـبهات تـراودُه شـبهة تلو الأخـرى، فـأنكر الأحاديث، فأخذ يثير الشبهات حول السّنّة لإزالة الثقة بها، وأعلن عن عقيدته الجديدة؛ فقد كان بعد ثقة الجمهـور به وبمجلته أخذ أسـلوبه فيما بعد يتلـون؛ فبـدأ بالتأويل في السّـنّة، فـالتعريض بهـا، ومن ثَمّ إنكـار حجيتها على منـبر دلهي، ثم نهاه سكريتارية البلد عن إلقاء الخطب، هذا في الهنـد، وبعد اسـتقلال باكسـتان اتخذ كراتشي مقـرًّا مؤقتًا لنشر أفكـاره الـتي تختلج في صـدره. وكـان يُثْنِي على (منهج ادعـاء كمـال الـدين في القـرآن، وعـدم التسـليم للحديث في الحجة والبرهان عقائد القرآنيين-) الـذي عليه رأس جماعة القرآنيين (عبد الله جكرالـوي الـذي تقـدمت ترجمتـه) وإنْ اختلف معه في بعض الجزئيـات؛ حيث يـرى الجكرالوي كمال القـرآن بشـموله لجميع جزئيـات الـدين، بينما يـــرى برويز كماله بـــذكره أصـــول الـــدين، تاركًا الجزئيـــات إلى (مركز الملـــة). لكنهما اتفقا على: إلغـــاء السّنّة من مصادر التشريع في الإسلام. عياذًا باللـه! وهـذا الرجل (برويـز) يمكن أنْ يُسـمى بـــمؤلّف القرآنـيين، كما قـال د. خـادم حسـين إلهي بخش، ودعم كلامه هـذا بـذكر 32 مؤلَّفًا له، منها: تبـويب القـرآن (3مجلـدات)، وقـرآنِي فيصـلي (3مجلـدات)، مقـام حـديث (مجلـد) وغـير ذلـك، بالإضافة إلى بحوث وكتيبات مختصرة. وقد اطلع الـــدكتور

على 16 من كتبه. وأما عن حكم الإسلام في أفكار برويز، فقد وُضعت معتقداته سنة1961م فأفتى فيها ما لا يقل عن ألف عالم من علماء الدين من باكستان والهند والشام والحجاز بتكفيره وخروجه عن ربقة الإسلام. وحزب الرجل (طلوع إسلام) من أقوى أحزاب الحركة القرآنيّة الموجودة في العصر الحاضر[1]. وقد هلك هذا الرجل سنة: 1985م.

هذا، وللقرآنيين أربع فرق معاصرة في باكستان:

أولا: (فرقة أمت مسلم أهل الذكر والقرآن). وهي البقية الباقية من أصل فرقة عبد الله الجكرالوي مؤسس الحركة القرآنيّة، وقد وضع حجر أساسها -في الواقع- محمد رمضان (ت: 1939م). **ثانيًا:** فرقة (أمة مسلمة). **ثالثًا:** فرقة طلوع إسلام. وهي فرقة برويز متقدم الترجمة، التي تأسست قبل استقلال باكستان، وهذه أنشط فرق القرآنيين الموجودة في الآونة المعاصرة، بل ما من مدينة من مدن باكستان إلا وفيها فرع من فروع البرويزيين (طلوع إسلام)، وإنْ كان نشاطها قد خفّ بعد إصدار فتوى كفر برويز[2].

رابعًا: تحريك تعمير إنسانيت. ويجمع هذه الفِرَق شيئان هما: **أولا:** القول بالاقتصار على القرآن وحده في أمور الدنيا والآخرة. **ثانيًا:** أنّ السنّة النبوية ليست بحجة في الدين؛ فلا مجال لإقحامها فيه[3].

** * **

وبعد، فهذا شيءٌ من التعريف بالفرقة القرآنيّة الْمُنكرة للسُّنّة النبويّة. والله أعلم.

فإلى مطلَبي المبحث، على النحو التالِي:

---

[1] قف على ترجمة كُلّ من هذه الفرق، (تحت عنوان: فرق القرآنيين المعاصرة) في: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، د. خادم حسين، ص 57-64.

[2] انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، د. خادم حسين، ص61.

[3] انظر ترجمته الموسعة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، د. خادم حسين، ص47-55.

أعظم وجهٍ جفائِيٍّ بل إلحاديّ وأفحشه للجماعة المدعوة بـ(القرآنيين) هو: إنكارهم المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، ألا وهو السنة النبوية (الأحاديث الصحيحة عن النبِيّ ﷺ). يَدُلّ على ذلك ما أسوقه من أقوالِهم.

قال بعضهم -وهو يزعُم أنّ القرآن فيه تفصيلاتُ كُلّ دقيقةٍ وجليلة؛ فلا حاجة إلى شرح الرّسول ﷺ-: « إنّ الكتابَ المجيد ذكَر كُلّ شيءٍ يُحتاج إليه في الدين مفصَّلا مشروحًا مِن كُل وجهٍ، فما الداعي إلى الوحْي الخفيّ؛ وما الحاجة إلى السّنّة؟ »[1]. وفي قولٍ لبعضهم في المعنى نفسه: « كتابُ الله كاملٌ مفصَّلٌ لا يحتاج إلى الشرح، ولا إلى تفسير محمد ﷺ له وتوضيحه إيّاه، أو التعليم العملي بمقتضاه »[2].

ومثله قول غلام أحمد برويز: « قد انحصرت ضروريات الدين في اتباع القرآن المفصّل؛ ولا تتعداه »[3].

وقالوا: « إنّ الأصل الذي لا يتغير ولا يتبدل هو الوحي الإلهي فحسب، وهل أُمِرْنا بالبحث عن الوحي الإلهي في التوراة أو الإنجيل، .. أو البخاري ومسلم أو الترمذي وأبي داؤد وابن ماجه ..، أو مسانيد أئمة آخرين ..؟ »[4].

وقال عبد الله الجكرالوي -وهو يزعُم أنّ العمل بالسّنة شِركٌ، وأنّ الواجب التوحيد، وهو العمل بالقرآن وحده: « إنّ العمل بالسّنّة والنزول عند أحكام النبِيّ ﷺ الواردة في الحديث شركٌ، وإنّ الامتثال لتلك الأحكام طريقة من طرق إحياء الشرك، وتصحيح المعتقدات الشركية »[5].

---

1 (?) مجلة إشاعة القرآن، ص49، العدد الثالث: عام1902م، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص210.

2 (?) ترك افتراء تعامل، ص10، وغيره، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص211.

3 (?) مقام حديث لغلام أحمد برويز، ص143، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص211.

4 (?) برهان فرقان، لخواجه أحمد الدين، ص4، بواسطة: القرآنيّون ..، ص213، وانظر مثيلاته في الموضع وما قبله.

5 (?) ترك افتراء تعامل، لعبد الله جكرالوي، ص10، وغيره، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص298.

وقال عبد الله الجكرالوي: « الحضّ على أقوال الرّسل وأفعالِهم وتقريراتِهم مع وجود كتاب الله علة قديْمةٌ قِدَم الزّمن، وقد برّأ الله رُسُلَه وأنبياءَه من هذه الأحاديث، بل جعل تلك الأحاديث كُفْرًا وشِرْكًا »[1]. وهذا من الجهل بحقيقة الشرك وماهيته.

وصاحب (بلاغ الحق) يُحذّر من الجهر بالسّنّة فيقول: « إيّاكم وإعلان الأحاديث على المنابر، وإنْ أبَيتُم ذلك فسيدخُل إلى دين الله ما ليس منه، وينضاف إلى شرع الله ما لا يجوز إضافته إليه »[2]. وقال أعجميٌّ آخر منهم: « خطاب القرآن عامٌّ عندنا، غير أنّ المخاطبين بالأحاديث أمة خاصة؛ وهم العرب »[3]. وزعموا أنّه « يجب نبذ تلك الأحاديث التي توصل الإسلام إلى بوتقة الهدف والاتهام؛ لأنّ نبِيّ الإسلام بريءٌ منها »[4]. ويستمرّ طعنهم في السّنّة، فهذا غلام أحمد برويز يقول: «قد فاق تقديس هذه الكتب كُل التصوّرات البشرية، مع أنّها جزءٌ من مؤامرة أعجميّة، استهدفت النيل من الإسلام وأهله»[5]. وقال أيضًا في كتاب آخر: « فما أصحاب الصحاح الستّة إلا جزءٌ من تلك المؤامرة؛ لذا نجدهم إيرانيين جميعًا، ولا وجود لساكن الجزيرة بينهم، والشيءُ الْمُحيّر للعقول أنّ العرب لم يسهموا في هذا العمل البنّاء، بل أسندوا جمع الأحاديث وتدوينها إلى العجم، حتى بناء هذا الصّرح الْمُؤَامر »[6]. وقال غيرُه « إنّ الصحاح الستة التي يُفتخر

---

[1] (?) عبد الله جكرالوي، ص10، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص219.

[2] (?) بلاغ الحق لمحب الحق عظيم آبادي، ص34، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص224.

[3] (?) تبويب القرآن، لحشمت علي خليفة عبد الله، ص5، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص231.

[4] (?) بلاغ الحق لمحب الحق، ص34، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص233.

[5] (?) شاهكار رسالت، ص446، لغلام أحمد برويز، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص238.

[6] (?) مقام حديث لغلام أحمد برويز، ص22، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص238-239.

بها، والتي يُقال بحاجة القرآن إليها، كُلّ تلك الكتب جمعت ودونت في القرن الثالث حسب إقرار المحدثين »[1].

هذه من كبرى شبهات هذه الجماعة، ولا يسع المقام لرّدها ردًّا تفصيليًّا، وإنْ أغنى صاحب كتاب (القرآنيّون وشبهاتهم حول السنة) في هذا المقام، وهو من أعرف الناس بهم؛ حيث أوردها ومثيلاتها الكثيرة كشُبَهٍ لِهؤلاء الناس وردّها شبهة شبهة؛ فجزاه الله خيرًا[2]، **لكنّي هنا أُجملُ القول فأقول**:

شُبُهات جماعة القرآنيين التي أوردتُها من نصوصهم المتقدمة تتلخص:

أولا: في قولهم (حسبنا كتاب الله)؛ لأنّه تكفّل بذكر الأمور الدينيّة كُلّها بالشرح والتفصيل؛ فلَم يبْقَ للمسلمين -على زعمهم- حاجة إلى السنّة النبوية. وقولهم: (حسبنا كتاب الله) -على المعنى الذي أرادوه- إلحادٌ وخروجٌ عن الدين.

وما تقدم من أقوال ومواقف القرآنيين كُلّه مبنِيٌّ على قاعدتهم الإلحادية (حسبنا كتاب الله)، وهي أصلُهم الأول الذي انبنى عليه مذهبهم.

ولَهم أصلٌ آخرَ أدّى إلى إلغاء الشرائع والإلحاد فيها، وهو راجعٌ إلى القرآن الذي قالوا بأنّه كافيهم ولا يحتاجون معه إلى توضيح الرسول وشرحه (الحديث) حيث اعتمدوا كُلِّيًا في فهمه على اللغة العربية وحدها؛ وبناءً على هذا المسلك « نفى أكثر القرآنيين جُلّ الحقائق الشرعيّة المستفادة من الألفاظ التي خصّها الشارع لشيءٍ معيّن؛ كالصلاة والزكاة والطواف، وما شاكل ذلك »[3].

ويقال هنا لدفع باطلهم: لا شك أنّ القرآن شمِل أصول الشريعة كُلّها، كما نصّ بالتفصيل على بعض جزئياتها، وأما ادعاء هؤلاء تنصيص القرآن على كُلّ

---

1 (?) قاله في (تبليغ القرآن، ص41)، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص243.

2 (?) انظر الردّ على هذه الشّبه: فصل شبهات القرآنيين حول السنة والردّ عليها من كتاب د. خادم حسين إلهي بخش، (209-256).

3 (?) بلاغ الحق لمحب الحق، ص34، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص233.

صغيرة وكبيرة فهو من البَهْتِ عليه؛ الذي لا يُقِـرّه واقعُـه؛ وإلا فــأين التنصــيص فيه على عــدد الصــلوات الخمس المفروضة في كُـلّ يـومٍ وليلـة؟ وأين ركعـات كُـلٍّ منهـا؟ وأين..؟ وأين..؟ وهــذا من الأمــور الــتي بيّنها الرســول بسُـنّته -القولية منها والفعليـة- للنـاس[1]. ويحسُـن هنا أنْ أورد ما رواه الـبيهقيّ -رحمه اللـه- بسـنده عن أبي نُجيـدٍ عمــران بن الحصــين ، وحاصــلُه، أنّــه: « لَمّــا بُنِي هــذا المسجد؛ مسـجد الجـامع، إذا عمـران بن حصـين جـالسٌ، فذكروا عند عمران الشفاعة، فقال رجلٌ من القـوم: يا أبا النجيد! إنكم لتحــــدثوننا بأحــــاديث لَم نجد لَها أصلا في القرآن! قال: فغضب عمران، وقال لرجل: قرأتَ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدتَ صلاة العشـاء أربعًـا، ووجـدت المغـرب ثلاثًـا، والغـداة ركعـتين، والظهر أربعًـا، والعصر أربعًا؟ قال: لا، قال: فعَمّن أخذتم هذا الشـأن؛ ألسـتم عنا أخذتُموه، وأخذنا عن نبِيّ الله ؟

ووجدتم في كل أربعين درهمًا درهمًا، وفي كل كـذا شـاة، وفي كل كذا بعيرًا كذا، أوجدتم في القرآن هـذا؟ قـال: لا، قال: فعمن أخذتم هذا، أخذناه عن النبي وأخذتموه عنا.

وقال: وجدتم في القرآن: ﭽﮬ ﮭ ﮮﭼ [الحج: ٢٩]. أوجدتم فطوفوا سبعًا، واركعوا ركعتين من خلف المقام؟ أوجــدتم هــذا في القــرآن، فعَمّن أخــذتُموه؛ ألستُم أخــذتُموه عنّــا وأخذناه عن رسول الله ، وأخذتموه عنا؟ قالوا: بلى. .. – إلى آخر الأثر، والذي فيه: أنّ الصحابة أخذوا عن الرسـول أشياء غير ما في القرآن- »[2].

ثانيًا: وإنكار كون السّنّة وحيًا من الله تعالى. وهذا تكذيبٌ لِما ثبت عنه من كونها كـذلك. كما أنّ مَن عـرَف أنــواع وحي الله إلى عبده ورسوله الذي جـاء في القـرآن عَلِم أنّ وحي السّـنّة إليه أعمّ وصـولا إليه من إيحـاء القـرآن، حيث إنّها تأتيه في صُوَر متعـددة: من الإلهـام، والنفث في الرّوع، والرّؤيا في المنـام، ومِن وراء حجـاب، أو بواسـطة

---

[1] (?) انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص210-213.

[2] (?) دلائل النبــوة للــبيهقي، (ج1/40-41)، ونقله عنه الســيوطي في مفتاح الجنة، (ص10).

ملك الوحي. وأنّ القرآن جـاء بطريقة واحـدة منها فقـط، وهو آخرها[1].

ولعل السبب الذي أوقعَهم في هـذا عـدم فهمهم لحقيقة الوحي في السُّنّة[2].

ثالثًا: دعوى أنّ السّنّة خاصّة بالعرب، والقرآن عـامٌّ فيهم وفي غيرهم. هذا باطـلٌ، فكلاهما عـامٌّ دون قيد الـزمن أو الخطـاب، والعـبرة في نصـوص القـرآن والسّـنّة بعمـوم اللفظ لا بخصوص السبب [3].

رابعًـا: ومنها افـتراءات وأكـاذيب، قـالوا في بعضـها: إنّ المسـلمين لا يـرَون سـبيل الـرقيّ والتقـدم إلا مع محو الأحاديث، والتي زعموا أنها سبب التشـتت والفرقة فيهم. ويقـال هنـا: هل توحّد القرآنيّـون النابـذون للأحـاديث، والجواب بالسلب[4]. إلى غير هذه الأربعة.

وأما الردود العامة على ما تقدم من شُبُهاتٍ فيكون في النقاط القادمة:

الأولى: قد جاء القرآن العظيم مشتملا على الـدين كُلّـه، بعضُـه مُفصـَّل، والكثـير منه مُجملٌ بيّنَتْه السُّـنّة، فمثلا: الصلاة المطلوبة، ما هي؟ وما كيفيتهـا؟ وما حـدّ أوقاتهـا؟ وكذلك الزكاة؛ ما مقدارها؟ ومِن أيّ الأموال تؤخذ؟ ومتى تُؤدّى؟ وعلى مَن تجب؟ وكـذلك بقية الشـرائع. وقد وكّـل الله تعالى تبيين هذا الكتاب وتفصيله إلى رسوله محمد ﷺ، ومِن ثَمّ جـاءت سنتُه مُبيِّنَـةً لِما أُبْهم، ومفصـلة لِما أُجْمِل؛ يقول الله تعالى: ﭽﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭼ [النحل: ٤٤]. والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا، وقد سبق بعضُها.

1. قـال أ. د. فهد الـرومي في كتابه دراسـات في علـوم القـرآن، ص 198: «4- ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل ﷺ ... ولم ينزل شيء من القـرآن على الرسـول ﷺ بغـير هـذا النـوع، كالإلهـام أو المنـام أو التكليم بلا واسطة ».
2. انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حـول السـنّة، ص213-219. وانظر عن حالات الوحي بالسنة وأنّه ليس مقصورًا بمجيء جبريل في غير المنام كالـذي في الـوحي بـالقرآن:مفتـاح الجنة في الاحتجـاج بالسـنة للسيوطي، ص14، وص16.
3. انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص230وما بعده.
4. انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص239.

وقد عقَد الخطيب البغدادي –رحمه الله- بابًا أسْماه: (باب تخصيص السُّنن لعموم محكم القرآن، وذكر الحاجة في الْمُجمل إلى التفسير والبيان)[1].

والقصد هنا: أنّه لولا السّنّة النبويّة الْمُبيِّنة لأصبح بعض القرآن الْمتصَف بــ(تبيان كُلّ شيءٍ) عُقَدًا لا تُفْهم معانيه، ولأصبح العمل عليها محالا في شرع الإسلام، ولكان أوّل ذلك: دعائم الإسلام وأركانه العظيمة؛ الصلاة والزكاة وغيرهما[2].

ولَمّا كان القرآن بحاجة إلى السنة؛ تُبيّنه وتُفصّله، فقد كانت السُّنّة من وحْيِه تعالى أيضًا إلى نبيّه ﷺ؛ حتى يكون الْمبيِّن والمبيَّن من مصدرٍ واحدٍ، وعلى مستوى واحد، وحاشا الله تعالى أن ينزل الكتاب وحيًا، ثم يترك بيان ما فيه لبشرٍ، بعيدًا عن الوحي؛ فإنّ الْمُبيِّن له نفس أهمية الْمُبيَّن من حيث هو وسيلة الانتفاع به، وسبيل العمل بِمقتضاه، من ذلك كان القرآن العظيم والسُّنّة النبوية المطهرة يَصْدُران من مشكاة واحدة؛ مشكاة الوحي الإلهي المعصوم[3].

يقول ﷻ عن رسوله ﷺ: ﭽﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭼ [النجم: ٣ – ٤].

الثانية: فيما تقدم طرف من بيان علاقة القرآن بالسُّنّة، ونسبة السنّة إلى القرآن، من تلك الأوجه؛ وهي نسبةُ تأكيدٍ وتقريرٍ أحكامٍ جاءت في القرآن. **وهناك وجه آخر** لا يقِلّ أهمية عن سابقه؛ حيث إنّها تأتِي حينًا لإثبات وإنشاء أحكام سكت عنها القرآن؛ بحيث يكون هذا الحكم ثابتًا بالسّنّة ولا يَدُلّ عليه نصٌّ في القرآن. ومما ذكَر العلماءُ من أمثلة هذا النّوع: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، وتحريم كُلّ ذي ناب من السّباع، وتحريم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال، وأنّه

---

[1] انظر مضمنات الباب، (وهي أمثلة للنقطة التي في المتن): الكفاية في معرفة علم أصول علم الرواية، (ج1/ص73-87).

[2] انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة النبوية، د. خادم حسين إلهي بخش، ص209-210.

[3] انظر: شبهات القرآنيّين حول السنّة النبوية، أ. د. محمود محمد مزروعة، وانظر أيضًا: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسّنة للسيوطي، ص 44.

يحرُم من الرّضاع ما يحرم من النسب، وغير ذلك[1]؛ وقد قال العلامة ابن القيّم –رحمه الله- في هذا المعنى وهو يتكلم عن (السنة) وأنّها على أيّ وجه منها لا تعارض القرآن: **والسُّنّة مع القرآن على ثلاثة أَوْجُهٍ**: **أحدِها**: أنْ تكون موافقةً له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسّنّة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها. **الثاني:** أن تكون بيانًا لِما أريد بالقرآن، وتفسيرًا له. **الثالث:** أن تكون مُوجبةً لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو مُحرمةً لِما سكت عن تحريمه. ولا تخرج عن هذه الأقسام؛ فلا تُعارض القرآنَ بوجهٍ ما، فما كان منها زائدًا على القرآن: فهو تشريعٌ مبتدأٌ من النبِيّ تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديْمًا لَها على كتاب الله، بل امتثال لِما أمر الله به [2].

النقطة الثالثة: تقدمت الإشارة إلى منكري السّنّة وأنّهم على نوعين متفاوتين، الأول: إنكار السّنّة الكليّة، وهو الأخطر. وإنكار السّنة الجزئيّة. وأصحاب هذا المنهج بنوعَيهم قد أخبَر النبِيّ عن خروجهم بعده، وأنّهم يتركون سنّتَه وأحاديثه؛ فوقع مخبرُه كما قال؛ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، أَنَّهُ قَالَ: « أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ؛ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ؛ أَلاَ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيّ، وَلاَ كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلاَ لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ؛ إِلاَّ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا. وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ

---

[1] (?) قد ذكر العلامة ابن القيم عشرات الأمثلة للسنن الزائدة على ما في القرآن، وذكر أنها تصل 300 مسألة، (انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج2/ـ 232-236، ومكانة السنة في التشريع الإسلامي، ص111-112).

[2] (?) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم، (ج2/ص232)، وانظر ما بعده. وقد نقل أنّ السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه -مثلما جاء هنا- البيهقي عن الشافعي (وذكره عنهما صاحب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص14).

فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يعقبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ »[1].

ولقد أورَد الحديث الخطيب البغدادي –رحمه الله- في (باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى وحكم سُنّة رسوله ﷺ؛ في وجوب العمل، ولزوم التكليف) بطُرُقه الكثيرة[2].

ولَمّا أورد الحديثَ البيهقيُّ –رحمه الله- (فصل في قبول الأخبار) علّق عليه بقوله: « وهذا خبرٌ من رسول الله عما يكون بعده من رَدّ المبتدعة حديثَه، فوُجد تصديقُه فيما بعده »[3].

ولقد خشِي عمر الفاروق ﷺ مع طُول الزمن على الناس أنْ يتركوا العمل ببعض ما هو ثابت، فقام على منبر الرسول ﷺ بعد عودته من حجته الأخيرة.. في خطبة له طويلة: رواها عَنْه ابْن عَبَّاسٍ ﷺ، وفيها: « فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُونَ قَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ! فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا، لا أَدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِي، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لا يَعْقِلَهَا؛ فَلا أُحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَة الرَّجْمِ؛ فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللَّهِ! مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ! فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى؛ إِذَا أُحْصِنَ مِنْ

---

[1] سنن أبي داود: كتاب السنة، باب فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، 4604، وجامع الترمذي: كتاب العلم، باب ما نُهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ، ورقمه: 2664، وحسنه الترمذي، وقال البيهقي: بإسناد صحيح أخرجه أبو داود –كما حكاه عنه السيوطي- (في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص12)، والألباني (السلسلة الصحيحة، ج6/ـ 871، برقم: 2870). وللحديث شواهد أيضًا (ذكر السيوطي منها عن سبعة من الصحابة: مفتاح الجنة، ص55).

[2] انظر: الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، (ج1/ص59-72).

[3] دلائل النبوة للبيهقي، (ج1/40).

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ؛ إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الْحَبَلُ، أَوْ الاعْتِرَافُ ... [1].

والذي خشيَه عمر قد وقع من طائفة من الخوارج وبعض المعتزلة[2]، كما أنّ الرافضة أنكرت السّنة كذلك.

النقطة الرابعة: لِهذا فإنّ أهل العلم متفقون –بالإجماع- على أنّ إنكار السّنة الكلّي زندقة مُخرجة عن الملة، قال ابن حزم –رحمه الله-: « فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورةً ولو أنّ امرَأً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافرًا بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر، لأنّ ذلك هو أقلّ ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حد للأكثر في ذلك. وقائل هذا كافرٌ مشركٌ؛ حلالُ الدم والمال، وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ممن قد اجتمعت الأمة على كفرهم »[3].

وقال السيوطي –رحمه الله- في مطلع كتابه (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسّنة): « فاعلموا -رحمكم الله- أنّ مَن أنكر كون حديث النبيّ قولا كان أو فعلا -بشَرطه المعروف في الأصول- حُجةً كَفَر، وخَرَج عن دائرة الإسلام، وحُشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله مِن فِرَق الكَفَرَة؛ روى الإمام الشافعي يومًا حديثًا وقال: إنّه صحيحٌ فقال له قائل: أتقول به؟ يا أبا عبد الله! فاضطرب وقال: يا هذا! أرأيتنِي نصرانيًّا؟ أرأيتنِي خارجًا من كنيسة؟ أرأيت في وسَطِي زُنّارًا؟ أَرْوِي حديثًا عن رسول الله ، ولا أقول به؟ »[4]. إلى آخر كلامه الذي تقدم سَوق بعضه.

ومن الطريف هنا: أنّ ابن مسعودٍ قال: مَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ النَّبِيُّ وَهْوَ فِي كِتَابِ اللهِ، قال ذلك بعدما

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الحدود، بَاب رَجْمِ الْحُبْلَى مِنْ الزِّنَا إِذَا أَحْصَنَتْ، ورقمه: 6830، وصحيح مسلم: مختصرًا، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنا، ورقمه: 1691 .

[2] انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ص1085، وفتح الباري لابن حجر، (ج4/ ص4888) .

[3] الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، (ج2/ ص200).

[4] مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص5-6.

قـال: " لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِـمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِـمَاتِ، وَالنَّامِصَـاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ[1]، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْـقَ اللَّه " فجاءته امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَد وقَالَتِ لَه: (قَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَي الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ). فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيـهِ لَقَـدْ وَجَدْتِيهِ[2].

واســـــتدل بآية الحشر الــــتي فيها الأمر بأخذ ما آتانا به الرسول، والانتهاء عما نهانا.

الخامسة: كما أنّ أهل العلم أيضًا مـتيقِّنون أنّـه لا سـبيل إلى فهم القرآن الكـريم فَهْمًـا صـحيحًا إلا مقرونا بالسُّنّة؛ فلا يمْكِن لأحـدٍ –مهمـا عَلَت كعبُـه في اللغـة- فهمُ الـدين الإسلامي على الوجه الذي أراده الله تعالى، وجاء بــه نبيُّه محمدٌ ﷺ: بالاكتفاء بالقرآن؛ بِمعزلٍ عن السنّة النبويّة، قـال الشـيخ محمد ناصر الـدين الألبـاني –رحمه اللـه- بعد ذكر طائفة –كعَيِّنَـةٍ- من نصـوص القـرآن الـتي لا يمكن فهمها فهمًا صـحيحًا كما أرادها الله تعـالى إلا بالسـنة النبويـة: « **ففي المثـال الأول**: فَهم الصـحابةُ (الظلمَ) المــذكورَ في الآية على ظــاهره، ومع أنّهم كــانوا ﷺ.. (أفضل هــذه الأمة؛ أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلُّفًـا) فـإنّهم مع ذلك قد أخطئوا في ذلك الفهم فلولا أنّ النبِيّ ﷺ ردّهم عن خطئهم، وأرشدهم إلى أنّ الصـواب في (الظلم) المـذكور إنما هو الشـرك لاتبعنـاهم على خطئهم، ولكنّ الله تبـارك وتعــالى صــاننا عن ذلك بفضل إرشــاده ﷺ وســنته. **وفي المثال الثاني**: لولا الحديث المذكور لبقينا شاكين -على الأقل- في قصر الصلاة في السـفر في حالة الأمنِ، إنْ لَم نذْهَب إلى اشتراط الخوف فيه، كما هو ظــاهر الآية، وكما تبــادر ذلك لبعض الصـحابة، لــولا أنّهم رأَوا رســول الله ﷺ يقصر ويقصرون معه، وقد أمنوا. **وفي المثال الثـالث**:

---

[1] **النامصة**: التي تزيل الشعر، والمتنمصة: التي تطلب ذلك، والمتفلجة: مُفرجة الأسـنان بـالفرج بين الثنايا والرباعيـات، لطلب الحسـن، (انظـر: المنهاج للنووي، ص1339وما بعده، وفتح الباري، ج3/3415).

[2] الحديث في الصحيحين (صحيح البخاري: كتاب التفسير، رقم: 4886، وصحيح مسلم، واللفظ له: كتاب اللباس والزينة، باب تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَة ..، رقم: 2125).

لــولا الحــديث أيضــًا لحرمنا طيبــات أُحِلّت لنا: (الجــراد والسمك، والكبد والطحـال). **وفي المثال الرابع**: لـولا الأحـاديث الـتي ذكرنا فيه بعضَـها لاسـتحللنا ما حرّم الله علينا على لســان نبيّــه من الســباع، وذوي المخلب من الطير. **وكذلك المثال الخـامس**: لـولا الأحـاديث الـتي فيه: لاســتحللنا ما حرّم الله على لســان نبيه من الــذهب والحرير. ومن هنا قـال بعض السـلف: السـّنّة تقضي على الكتاب[1] »[2].

السادسة: أغلب مَن قالوا بإنكار السّنّة والاكتفاء بالقرآن في القرن التاسع عشر، مِن الأعـاجم، وقد عُلِم بِما تقـدم عدم كفاية اللغة وحدها لفهم القـرآن؛ فـ«ــلا مجـال لأحدٍ مهما كــان عالِمًــا باللغة العربية وآدابها: أنْ يفهم القــرآن الكــريم دون الاســتعانة على ذلك بسـُنّة النبِيّ القولية والفعلية؛ فإنّه لم يكن أعلم في اللغة من أصـحاب النبِيّ الــذين نــزل القــرآن بلُغَتهم، ولم تكن قد شــابتها لوثةُ العُجْمَــة، والعاميّــة، واللحن، ومع ذلك فــإنّهم غلطــوا في فهم الآيــات الســابقة حين اعتمــدوا على لغتهم فقط؛ وعليه: فمِن البَدَهِي أنّ المرء كُلّما كان عالِما بالسّنّة كـان أحرى بفهم القرآن، واستنباط الأحكام منه ممن هو جاهل بها، فكيف بِمن هو غــير معتد بها ولا ملتفت إليها أصــلا؟ ولذلك كــان من القواعد المتفق عليها بين أهل العلم : أن يفسر القرآن بالقرآن والسنة، ثم بأقوال الصحابة »[3].

السابعة: أما الزنادقـة المسـتغنون بـالقرآن عن السـّنّة، والذين وُجدوا في الوقت الحاضر، وألّفـوا الكثـير والكثـير، وخصوصًــا باللغة الأرديّــة، ويتســمون بــ(القرآنــيين)؛ ويُفَسّرون القرآن بأهوائهم وعقولِهم، دون الاسـتعانة على ذلك بالسّنّة الصحيحة، بل السّنّة عندهم تبعٌ لأهـوائهم؛ فما وافقهم منها تشــبثوا به، وما لم يــوافقهم منها نبــذوه

---

[1] نسبه السيوطي إخراجه إلى الدارمي وسعيد بن منصـور،وقائله هو يحيى بن أبي كثير (انظر:مفتاح الجنة، ص43).

[2] منزلة السنة وبيان أنّه لا يُستغنى عنها بالقرآن، للشيخ ناصر الدين الألباني، ص10.

[3] منزلة السنة لألباني، ص12-13.

وراءهم ظهريًّا، ولعلهم الذين أشار إليهم النبِيّ بالحـديث المتقدم[1].

الثامنة والأخيرة: من المهم وفي تمام هذا المطلب أنْ أشير إلى الجهد الكبـير الـذي قـام به الصـحابة والتـابعون والأئمة بعدهم تجاه السُّنّة النبويّة، وأكتفي هنا بِما قال ابن أبي العـزّ –رحمه اللـه-: « وكيف يتكلم في أصـول الـدين من لا يتلقـاه من الكتـاب والسـنة، وإنما يتلقـاه من قـول فلان؟! وإذا زَعَم أنّه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسـير كتـاب الله من أحـاديث الرّسـول ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصـحابة والتـابعون لهم بإحسـان؛ المنقـول إلينا عن الثقات النقلة الذين تَخيّرهم النقـاد؛ فـإنّهم لم ينقلـوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعنـاه، ولا كـانوا يتعلمـون القــرآن كما يتعلم الصــبيان، بل يتعلمونه بمعانيه. ومَن لا يسلُكُ ســـــبيلَهم فإنّما يتكلم برأيه، ومَن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله، ولم يتلق ذلك من الكتاب فهو مـأثومٌ؛ وإن أصــاب. ومَن أخذ مِن الكتــاب والسـّنة فهو مــأجورٌ؛ وإنْ أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف أجره »[2].

ولقد قال قبل ذلك: « وكيف تُعلَم أصولُ دينِ الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله؟ وكيف يُفَسَّـر كتـابُ الله بغير ما فسّره به رسـولُه وأصـحابه رضـوان الله عليهم؛ الذين نزَل القرآن بلغتهم؟ »[3].

وجملة القول: أن الواجب على المسلمين عمومًا: أنْ لا يُفرّقُوا بين القرآن والسـّنّة من حيث وجـوب الأخذ بهما كليهما، وإقامة التشريع عليهما معًا؛ فإنّ هـذا هو الضـمان لَهم أن لا يَميلـوا يَمينًـا ويسـارًا، وأن لا يرجعـوا القهقـرى ضلالا، كما أفصح عن هذا الرسول .

وأنّ الجماعة المدعوة: بالقرآنيين قد جَفَوا رسالة نبيّنا بإلحــادهم الســابق (إنكــار الســنة وزعم الاكتفــاء بالقرآن)، وخرجوا من الإسلام.

---

[1] (?) انظر: المصدر نفسه، ص11.
[2] (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، (ج1/ص296).
[3] (?) المصدر نفسه، (ج1/ص294).

المطلب الثاني: إلغاء القرآنيين بعض شريعته عليه الصلاة والسلام:

تقدم بيان إنكار الجماعة المدعوة بالقرآنيين للسّنّة النبوية كمصدرٍ تشريعيٍّ يتلقى منها الشرائع. وهذا خلاف ما عليه المسلمون. وسلوك منهج إنكار السّنّة، وقصر التلقي عن القرآن أنتَجَ لهم إلغاء طائفة كبيرة من الشرائع الإسلامية الثابتة بالأحاديث، وقد تقدمت الإشارة إلى شيءٍ من ذلك. وأقول هنا:

اعتماد القرآنيين عند تفسيرهم للقرآن على اللغة العربيّة المجرّدة كأصل وحيد: أنتج لهم إلغاء شرائع كثيرة أيضًا، فمثلا الصلاة التي يعرفها المسلمون بالمفهوم الشرعي (أقوال وأفعال على هيئة مخصوصة) لَمّا اعتمد بعض القرآنيين على اللغة العربية وحدها لفهم القرآن صاروا لا يعترفون بِهذه الحقيقة الشرعية على الوجه المتقدم، فهم أعادوا لفظتها إلى اللغة وكشفوا عنها المعاجم، حتى وُجد أحدُهم وهو ينسب إلى لسان العرب شرح لفظ الصلاة، ويقول: (الصلاة من الله رحمة، ومن المخلوقين والملائكة والإنس والجن: القيام والركوع والدعاء والتسبيح. وهذا هو معنى الصلاة بروح القرآن) [1].

كما أنّ فهم طائفة منهم للطواف ليس بعيدًا عن هذا، حيث قال أحدُهم: « ليس معنى الطواف أنْ ندور حول البيت، بل معناه أنْ نتردد إليه بين الحين والآخر، وهو المقصود من الطواف؛ لقوله : ﴿[illegible]﴾ [النور: ٥٨] »[2]. وهذا التحريف فيه إلغاءٌ لشريعة الطواف الذي شُرع على الحجاج والمعتمرين والمتطوّعين حقيقة.

بل وبيّن د. خادم أنّ كتاب (ترجمة القرآن بآيات الفرقان) لرأس فرقة من القرآنيين المسمى عبد الله جَكْرالوي -الذي خالف المسلمين منذ اللحظة الأولى من تأسيس فرقته[3]- بمجلداته الثلاثة خيرُ دليلٍ على الاكتفاء بِهذا الأصل الذي اعتمدوه؛ حيث لا تخلو صفحة من صفحاته

1 (?) قاله محمد فاضل سيلكوتي، في برهان الفرقان، ص45، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص276.

2 (?) فريضة حج لإدارة بلاغ القرآن ببنجاب لاهور، ص16، بواسطة: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص277.

من نســبة اللفظ إلى معجم لُغَــويّ[1]. إلى أنْ توصل في آخر كلامه عن هــذا الأصل الــذي اعتمــدوه إلى إمكانية « الجـزم بأنـه لم يقـع إلحـادٌ في تفسـير القـرآن على هـذا المنـوال اللغـوي طـوال القـرون الماضـية، ولم يـدّع أحـدٌ العـودة إلى اللغـة في المصـطلحات الشـرعية، بـل نـرى الملحـدين يؤولـون فيهـا دون أنْ يـزعُم أحـدٌ إعادتهـا إلى اللغة، كما يفعلُه القرآنيون »[2].

أولا: وكيلا أذْهَب بعيدًا أُمثّل هنا بالركن الثانِي من أركــان الإسـلام؛ الصـلاة، حيث إنّ بعض القرآنـيين ألغى صـلاتين من الخمسة المفروضة في كُلّ يـومٍ وليلـة، وطائفة منهم ألغـوا واحـدة، إلى غـير ذلـك. فلطائفة من القرآنـيين في باكستان –كما حكى مَن هو مِن أخبر النــاس بِهم- « معابد يتعبـدون فيها على طـريقتهم الكـافرة الـتي لا يعرفها دين الله، ويسمّون معابدهم هذه: مسـاجد، إصـرارًا منهم على أنّهم من المســـلمين، بل على أنهم هم المســـــلمون، ومعابدهم هذه توجد في بعض المدن الباكستانية، والمعبد منها لا يزيد على حجم الحجرة الواسعة، وهم يــؤدون فيها صلاة الجمعة، وثلاث صلوات في كل يوم حسب عقيدتهم، وكل صلاة ركعتـان، وفي كل ركعة سـجدة واحـدة، وهم لا يرفعون من الركوع، بل ينزلون منه إلى السجود مباشــرة »[3].

وتأكيدًا لهذا أقول: ليس يقف أمر القرآنيين إلى إلغاء بعض الشــرائع الــتي ثبت تشــريعها بــالوحي في السّــنّة فحســـب، بل تجـــاوز ذلك فـــألغى طائفة منهم ما تناقله المســـلمون خلَفًا عن ســـلَفٍ، « من الصـــورة الواضـــحة للصــلوات الخمس، منذ عهد الصـحابة إلى اليــوم، فــأداء الصـــــلاة خمسًـــــا؛ مِن الثنائيّة والثُلاثيّة والرّباعيّة لَم يكن موضع خلاف عند المســلمين، وفق مــراد الله على بيــان

---

[3] (?) وفرقة عبد الله هــذا هي المســمى أهل الــذكر والقــرآن. انظــر: القرآنيّون وشبهاتهم ..، ص21.

[1] (?) انظر: القرآنيّون وشبهاتهم ..، لخادم حسين إلهي بخش، ص277.

[2] (?) القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص277.

[3] (?) قاله أ. د. محمود محمد مزروعة في كتابه: شبهات القرآنيين حــول السنة.

رِسوله عليه الصلاة والسلام، قولا وعملا. بيد أنّ القرآنيين لَم يَختلفوا في شيء كاختلافهم في الصلاة، افتتاحًا بالعدد .. واختتامًا بالتسليم. ويمكنني تقسيم هـؤلاء بـإزاء الصـلاة إلى أربع طوائــف، طائفة عبد اللــه، وطائفة أحمد الــدين، .. ؛ إذْ لِكُـلّ طائفة عـددها الخـاص من الصـلوات، ونمطها المنفرد في أدائها، وما يقرأ فيها من الآيـات القرآنيّـة، كما أنّـني سأشـير إلى ما عليه العمل في الـوقت الحاضر عند كُـلّ طائفــة، وما شـاهَدتُه خلال السـنتين الماضـيتين عند بعض هؤلاء »[1].

فذكَر د. خـادم –حفظه اللـه- أولا طائفة عبد الله الجكرالـــوي، كيف أنّها مـــرّت إزاء الصـــلاة المفروضة بِمراحل ثلاث، مرحلة عبد اللــه، ومرحلة خليفته حشــمت عليّ، ومرحلة ما بعد حشمت عليّ حــتى الآن. وذكَر أنّ « أوّل مشكلة تعـرّض لَها عبـدُ الله بعد إنكـاره السُّـنّة، هي: أنْ يسـتنبط الصـلاة بِكُـلّ جزئياتها وأعـدادها من القــرآن الكريم، فركب عبد الله الصعب والذلول، وأتى ما يُضـحك ويُبكي في آنٍ واحـــدٍ في اســـتخراج جزئيّـــات الصـــلاة؛ فـالجكرالويّ يـرى خماسـيّة الصـلاة خلال اليـوم والليلة .. كما أنّ عبد الله يرى الثُّنائيّة والثُّلاثيّة والرُّباعيّة في ركعات الصلاة –كالمسلمين تمامًا- لقوله ﷻ: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ [فاطر: ١].

ووجّه استدلالَه فقال: (اقرؤوا يا أهل الســماوات والأرض: ((الحمد للــه)) في صــلواتكم الخمس؛ لإرضــاء الله ﷻ ..، وهو الذي يُرسل إليكم رُسُـلَه من الملائكة الـذين يَجلبـون لكم الصلوات، ذات الأركان السّتّة، ومِن حقّ كُـلّ ركن أنْ يُـؤَدّى مـرّتَين وثلاثًا حينًـا، وأربعًا أخــرى، وفق كتــاب الله ﷻ[2]). .. وأما ما يقرأ عبدُ الله في صلاته فهو مختلف كُلّ[3] الاختلاف عمّا يقــرؤُه المســلمون في صــلاتهم، ما عـــدا الفاتحة وقراءة شيءٍ من القرآن بعدها، فتكبيرة إحرامــه:

---

1 (?) القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص366-367.

2 (?) القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص366-367.

3 (?) وللــرد على اســتدلالهم بالآية لا عقل ولا ســياق ولا ســابق انظــر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، 379-380.

ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭼ [الحج: ٦٢] وتسليمته: ﭽﭞﭟﭠ ﭡﭢﭣﭤﭥﭼ [الأنعام: ٥٤] الآية. ولا يُجيزُ في صلاته قراءة شيءٍ سوى القرآن الكريم »[1].

وقد –والله- سمعتُ الاستدلال بآية الحج المتقدمة في عدد ركعات الصلوات الخمس عند طائفة من القرآنيين في بلدي، بل وفي قريتِي. والأغرب منه: استدلالهم بآية تجويز التعدد؛ الاثنتين والثلاثِ والأربعِ مما يطيب من النساء لِمَن أمِنَ وما خاف الجور. وكفى بِهذا إلحادًا في الآيات.

وتُعدّ هذه المرحلة للجكرالوية القرآنيّة أخفّ مراحلهم الثلاث المشار إليها، وقد أدّى أهلُ الذّكر والقرآن صلاتَهم على هذا المنوال « حتى سنة 1916م حيث طُبع كُتيّب حشمت علي: صلاة القرآن، فنقده الحافظ عناية الله وزير آبادي في كتابه (أحسن البيان) وأفحمه بالحجة والبرهان على حسب منهجه، وقال فيه: (إنّ عدد الصلوات التي ذكرها القرآن لا تتجاوز الثلاث؛ الفجر، ودلوك الشمس، والعشاء، وإنّ أداء كُلّ صلاة من تلك الصلوات لا يعدو أن يكون المصلّي مستقبل القبلة، قائمًا يقرأ القرآن بصوت وسط، ثم يركع، ثم يسجد على الأرض، وإذا رفع رأسه من السجود انتهت الصلاة) [2] .. »[3].

وقال د. خادم: « وكان كتاب عناية الله ضربة قاصمة لظهر الجكرالويّة، مما نتَج عنه إعادة النظر في الصلاة، وفي محتوياتها؛ فشمّر محمد رمضان ..[4] عن ساعده عام: 1922م لتصنيف (صلاة القرآن كما علّم الرحمن) وعدّل الأمور التالية في صلاة أهل الذكر والقرآن: 1-

---

1 ([?]) ترجمة القرآن بآيات القرآن للجزء الخامس لعبد الله الجكرالوي، ص76، و83.

2 ([?]) أحسن البيان فيما في صلاة القرآن، لعنايت الله وزير آبادي، ص 30-31.

3 ([?]) القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص370-371.

4 ([?]) هو أحد تلامذة عبد الله الجكرالوي، ومن أعمال هذا القرآنِيّ: إصدار مجلة بلاغ القرآن التي تحمل أفكار بعض القرآنيين إلى الآفاق الباكستانيّة (انظر: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص371) .

(المفروض من الصلوات ثلاث، وأنّ أداء العصر والمغـرب اتبـاع لِهـوى النفس) [1]. 2- (لِكُـلّ صـلاة ركعتـان، وما زاد على ذلك فهو تعــيينٌ من النــاس لا من ربّ النــاس) [2]. 3- .. 4- الرفع من الركوع مُخالفٌ لتعليم القرآن، فيجب أنْ يَخِرّ من الركوع إلى السجود مباشرة؛ دون الرفع منـه. 5- لِكُلّ ركعة سـجدة واحـدة لا غـير. 6- حين الانتهـاء من أذكار السجود تنتهي الصلاة »[3].

واسـتمر د. خـادم ببيـان صـلاة الجكرالـويين في المرحلة الثالثة هـذه، فقـال: « والجـدير بالـذكر هو أنّ ما رسَمَه محمد رمضان من أمور الصلاة يُطبّقه أصحابُ بلاغ القــرآن في الآونة المعاصـرة جملة وتفصـيلا .. هـذا، وقد شهدتُ لَهم صلاة بمركزهم في لاهور، حيث يقوم إمـامهم بينهم دون أنْ يتقدم عليهم، ثم يبدأ في قراءة ﭼﮋﮌﮍﮎﮏﭼ [الإســـراء: ٨٠]، ثم يُكبّر تكبـــيرة الإحـــرام (..)، ثم يأخذ في قراءة الآيات التي رسمها لهم محمد رمضان، وهي خمسٌ وعشرون آية من مختلف سُوَر القرآن، ثم يسجد مباشــرة دون الرفع منه، ويقرأ في السـجود خمس آيـات مختلفـة، وهكــذا تتم له ركعة من الصــلاة .. وبانتهــاء الركعة الثانية تنتهي الصلاة »[4]. هذه مراحل صلاة طائفة منهم فقط.

وهذه هي المرحلة الثانية والثالثة للجكرالويّة في أمر الصــلاة، في تأدية صــلاة اليــوم والليلة المفروضة ثلاثًــا، وبالمواصفات المـذكورة. ثم إنّ الفـرق القرآنيّة الثلاثة لَها مواقف مشابهة، ومحصّل الصـلوات المفروضة في اليـوم والليلة عند طائفة منها صـلاتان، وعند بعضـهم ثلاثًـا، وعند آخـرين أربعًـا، وعند آخـرين خمسًـا، فتناقضـوا فيما بينهم، ولِهــذا لَمــا ادّعى بعض القرآنــيين زُورًا وكــذبًا أنّ اختلاف المسـلمين في مسـائل، وأخـذ بعضـهم بقـول الحنفيـة أو بالمالكية، أو بأقوال الشـافعية أو الحنابلـة، أنّ سـبب كُـلّ هذه الاختلافات هي أحاديث الرسـول ﷺ، وأنّـه لـو نُبِـذتْ –

---

[1] (?) صلاة القرآن كما علّم الرحمن، لمحمد رمضان، ص35.

[2] (?) صلاة القرآن، ص32.

[3] (?) القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص371-372.

[4] (?) القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص372.

على زعمهم- وأخذ بالقرآن وحده لَما اختلفوا = ردّ د. خادم حسين على الافتراء، مُلقِمًا إيّاهم الحجر؛ وأنّه كيف لم تتوحّد كلمة القرآنيين في الصلاة فقط، مع نبذهم للأحاديث؟ فقال: « اقتراحٌ في غير محلّه؛ إذْ لو كان إزالة السّنّة مِن الدين يوحّد الصفوف لتوحّد القرآنيّون، ولَما أصبحَت لهم فرق متعددة في مدة محدودة، ولَما صدرَت من رؤسائهم آراء متباينة؛ فخذ الصلاة مثالا للواقع الملموس بينهم: فمِن قائلٍ منهم بأدائها خمسًا، وآخر أربعًا، وثالث ثلاثًا، وآخر مرتين في اليوم والليلة، وكُلّ صاحب رأيٍ من هذه الآراء يزعم أنّها صلاة القرآن. وأما اختلافهم في جزئياتها من عدد الركعات والهيئة فحدّث عنه ولا حرج »[1]، كما تقدم.

فكفى بِصنيع مَن يقول بما دون الخمسة من الصلوات -في اليوم والليلة- إلغاءً للشريعة المحمديّة (إلغاء صلاتين أو صلاة يوميًّا من الخمس التي جاء تفصيلها في السنة، في حديث معاذ وغيره الذي افترض الله على العباد خمس صلوات في كُلّ يوم وليلة، فهي خمس وهي خمسون)، والذي هو أيضًا عمَلُ المسلمين منذ بعثته إلى أنْ يأتِي أمرُ الله.

وبِهذا وضُحَ عُنوان المطلب (إلغاء القرآنيين بعض شريعته عليه الصلاة والسلام).

ومواقف الفرق الأخرى وبقية الطوائف من الجماعة المدعوة بالقرآنيين المشار إليهم في إلغاء شرائع تتعلق بالصلاة لا تختلف كثيرًا عما سبق. لذا قال الدكتور خادم حسين –حفظه الله-[2]: « هكذا الصلاة عند القرآنيين، ولو أردنا وصف ذلك ما تجاوزنا القول: إنّه مشروعٌ طُرِح للمناقصة، كُلٌّ يتقدم بعرضه لِما يُحوِّل ذلك المشروع إلى صورة واقعيّة، لا شكَّ أنها نتيجة طبيعيّة لإنكار السّنّة

---

[1] (?) القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص239.

[2] (?) للوقوف على مدى إلغاء بقية طوائف القرآنيين شرائع تتعلق بالصلاة يرجع إلى الفصل الرابع المعنون له بـ: آراء القرآنيين التشريعية من الباب الثاني) من كتاب القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، (من ص363-382).

وعدم الاعتراف بِها في شـرع اللـه، وقد سـبقهم إلى مثل هذا التبجح القرآنيّون الأوَل .. »[1].

ويقال ردًّا على هؤلاء في أمر الصلاة: « فلو رجعوا إلى السّـــنة واعـــترفوا بِها لأغنتهم عن هـــذا الشـــطط، ولوجدوا فيها نصوصًا صريحة توضح عدد الصلوات، وتـبيّن كُلّ جزئيّة من جزئيّاتها، والأمور التي يجب توفرها مسبقًا، ولا تـدع مجـالا للاقتراحـات، بل تشـرح مقصـود القـرآن بـالواقع والعمـل، دون أنْ تلجئهم إلى ركـوب ما لا يحمد عقباه »[2].

كما أنّ ما وقفتُ أنا عليه بل وعايَشتُه فيما يتعلق باستدلال القرآنيين بـالقرآن لعـدد ركعـات الصـلوات بآيـة تجـويز التعـدد بـاثنتين والثلاثـة والأربعـة بشـرط العـدل، والواحـدة لِمن خـاف من إقامتـه، وآيـة جعـل اللـه بعض ملائكتـه أولي أجنحـة مثـنى وثلاث وربـاع بأنّهـا الركعـات للصلوات المطلوبة وأنّ منها ذات ركعتين، وثلاثـة وأربعـة، كما أنّ منها ذات واحـدة وهي الزيـادة والنافلـة فهـذا كُلّـه من المضـــحكات المبكيـــات، اللهم فاهـــدنا الصـــراط المستقيم.

ثانيًا: وقل مثل ما قيل في الصلاة: في بقية الأركـان من الصيام والزكاة. وكذلك الحدود الإسلامية وتعـدد الزوجـات والميراث وغير ذلك، واختلافهم في ذلك[3].

وكُلّ ما تقدم يَدُلّ على ما عُقد من أجله المطلب. وهـو أنـه من أوجـه جفـاء الطائفـة المـدعوة بـالقرآنيين: إلغاؤهم لبعض شرائع الإسلام.

ثم أقول في ختام هذا المبحث الذي تكلمتُ عن جفـاء القرآنـيين الرسـالة المحمديـة: كفى بمواقفهم المتقدمة إلحادًا في آيات الله، وزندقة وخروجًـا عن الإسلام.

---

[1] (?) القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص372.

[2] (?) القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، ص381.

[3] (?) انظرها في: القرآنيّون وشبهاتهم حول السنّة، د. خادم حسين إلهي بخش، (من ص383-441).

وبعـد هـذا، فسـيُعالج المبحث الثـاني -والـذي هـو تتمـة للفصل- الجانب الآخر، حيث سـيتكلم عن جفـاء القاديانيّـة الرسالة المحمدية. فإلى ذلك المبحث.

** * **

المبحث الثاني: جفاء القاديانيين مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ، وفيه تمهيد وستة مطالب:

التمهيد: التعريف بالقاديانيين.
المطلب الأول: ادّعاء أحمد القادياني النُّبُوَّة والرسالة.
المطلب الثانِي: إلغاء القادياني بعض شرائعه عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثالث: تحريف القادياني معاني القرآن.
المطلب الرابع: تجرؤ القادياني على تفضيل نفسه على الرسول الأمين .
المطلب الخامس: نيلُ رأس القاديانية (أحمد الغلام) من كرامة النبيِّ .
المطلب السادس: شتم القادياني وُزراءَ الرسول (أصحابَه) وأبناءَه.

التمهيد: التعريف بالقاديانيين:

القاديانيَّة: وتسمّى الأحمدية: فرقة تنتسب إلى غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطا بن المـــرزا كل محمد بن عبد الهـادي القاديـانِي، نسـبة إلى (قاديـان) إحـدى مـدن إقليم البنجاب، المولود بِها: 1256هـ الموافق: 1840م[1]، أو نسبة إلى المؤسس أحمد.

وقد ادّعى أوّل أمره أنّه مجدد الدين في قرنه، ثم ادّعى أنه المســيح الموعــود،والمهــدي المنتظــر، وختم بــدعوى النبــوة والرســالة -فيما كتبه مُــؤخّرًا (بعد عــام: 1900م) [2]-، بل وأفضليته على الأنبياء والمرسلين عليهم الصــلاة والســلام، « اشــتغل على حســاب الاســتعمار وبتوجيهاتهم، فكان أوّل إعلانه سنة 1885 أنّه مجدد، وفي سنة1891م ادّعى أنّه مهديٌّ معهودٌ، وفي نفس السنة أنّه مســيحٌ موعــود ولكنّه نبِيٌّ متَّبِــعٌ، وبعد ذلك أعلن ســنة 1901م أنّه نبِيٌّ مســـــتقلٌّ وأفضل من جميع الأنبيــــاء والمرسلين. وقد عرف أهل البصائر قبل ادّعائه النبـوة أنّه

[1] انظر: الإيضاحات الجليّة في الكشف عن حال القاديانيّـة، للسـبيل، ص5، والقاديانية لإحسان، ص125.
[2] انظر: بحوث ودراسات في المـذاهب والتيـارات، د. محمد مجاهـد، ص111.

يُريد هـذا، ولكنّه أنكر أول الأمر أشد الإنكـار، وقـال: (أنا أعتقد كُلّ ما يعتقده أهل السّـنّة، كما أنا أعتقد أنّ محمـدًا خاتم النبيين، ومَن يدّعي النبوة بعده هو كافرٌ، كاذبٌ؛ لأنّي أؤمن أنّ الرسالة بـدأت من آدم، وانتهت إلى رسـول الله ﷺ[1]) »[2].

فالقادياني لَمّا بدأ دعاويه بدأ بأنّه محدثٌ -والمحدث نبِيٌّ بـالقوة على زعمـه- وكليمٌ ومُلهمٌ من اللـه، ثم تـدرج إلى دعوى أنّه مجدد الملة، ثم زعم بأنّه المسيح الموعود، وأنّه المهـديّ. وكـانت دعـواه السـابقة من أنه نبِيٌّ متَّبِع لِمحمد ﷺ وأنّه ما جاء بشريعة جديدة (وهو ما قصد بقولـه: النبوة الظليّة والبروزيّة) في عام: 1899م. ثم أخيرًا زعم أنه نبِيٌّ ورسولٌ صاحب شريعة مسـتقلة[3]، واسـتمرّ على ذلك إلى هلاكـه، حـتى وقبل ثلاثة أيّـامٍ من بسط الملائكة أيـديها إليه ليخـرج نفسه كتَب: « أنا نبِيٌّ وفقًا لأمر اللـه، وأكـون آثمًا إنْ أنكـرتُ ذلك »[4]. وقد أسّـس هـذا الأفّـاك عقيدته المعروفة باسْـمه، وسـجّل مذهبه الكفـري رسْـميًّا سنة1900م، وأنشأ مجلة تنطق باسْـمه، وتُعبّر عن فكـرة المذهب، كما ألّف مجموعة من الكتب شـرح فيها أفكـاره[5].

---

1 ([?]) إعلان الغلام بتـــاريخ 12 أكتـــوبر، 1891م، المندرجة في تبليغ رسالت، ج2، ص2، بواسطة الحاشية القادمة.

2 ([?]) القاديانية دراسات وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص138.

3 ([?]) انظر مقالات القاديـاني المؤكـدة لمزاعمه ودعاويـه، منقولة موثّقة من كتاب: القاديانية للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص138-139، وعنوان ادعاءات الميرزا في: الأصـول الذهبية في الـرد على القاديانية للشـيخ منظور الجنيوتي، ص232-239.

4 ([?]) انظر: بحوث ودراسات في المـذاهب والتيـارات، د. محمد مجاهـد، ص111.

5 ([?]) انظر: إسلام بلا مذاهب، د. مصطفى الشكعة، ص383، ودراسات منهجية لبعض فِرق الرافضة والباطنية، د. عبد القـادر محمد عطـا، ص 262.

وقد وقعت بينه وبين أحد العلماء[1] مناظرات ودعوة وابتهال عام1907م، فأما المناظرة فخـرج القاديـاني منها مغضبًا مـدحورًا. وأما إلحـاح المتنـبئ القاديـاني في دعائه وابتهاله فيه فهو في أنْ يُميت الله الكاذب منهما في حياة الصادق، ويسلط داءً مثل الطاعون أو الكولـيرا يكـون فيه حتفـه، وقد أجيبت الـدعوة لمنـاظر الغلام عليـه؛ فمـات المتنبئ القادياني وهلك في بيت الخلاء عام: 1908م في 16 مايو، بمرض الكوليرا (إسهالٌ متكرر وقيئ) الذي نصّ عليه في المباهلة –كما شـــهدت بـــذلك زوجه ورحيمه وغيرهمـا-، وهكـذا نهاية الـدجّالين إلى سـوء. وموتُه في لاهور، ونُقل إلى قاديان فدفن هناك.

وبقي التســتري بعد هلاك القاديــاني قرابة أربعين ســنة يهـدم بنيـان القاديانيّة ويناضـلهم ويقمعهم ويـرُدّ عليهم[2]، ولله الحمد. يقول شيخنا الشيخ عبد القـادر –حفظه اللـه- في مناســبة هلاكه في بيت الخلاء: «وقد فــات أتباعُه أنْ يُطبّقـوا عليه خصـائص الأنبيـاء؛ إذْ الأنبيـاء يُـدفنون حيث يُقبَضون؛ فلم يقوموا بدفنه في بيت الخلاء –حيث خـرَجَت روحه»[3].

وأما عن **أخلاق غلام أحمد القادياني وانحراف سلوكه** فهو ما تـدل بعض منشـوراتهم حيث نشـروا –في جريدتهم- أنه كـان فاسـقًا يشـرب الخمـر، ويمس النسـاء

---

[1] هو شـيخ الإسـلام **ثنـاء الله الأمر تسـتري** الـذي لقبه الشـيخ إحسان إلهي ظهير بـ:مناظر الإسلام، ومحـامي المسـلمين في القـارة الهنديـة، (انظر تمـام ترجمة التسـتري، ومناظراته للمتنـبي القاديـاني، وصـيغة الـدعاء المحـررة، ومن ثم موته بسـببها: القاديانية للشـيخ إحســان، ص154-159، والأصـول الذهبيّة في الـرد على القاديانيّة للشيخ منظور، 319 وما بعده.

[2] في القاديانية للشـيخ إحسـان، ص159: أنه بقي قريبًا من أربعين سنة بعد موت الميرزا يقمع القاديانية.

وفي: (فـرق معاصـرة تنتسب إلى الإسـلام، د. غـالب عـواجي، (ج2/ ص 836): أربعين سنة. وفي الأصول الذهبية للشيخ منظـور، ص326: أنّه ظـلّ يـرد عليهم بعد مـوت المـيرزا لقمع فتنة القاديانية مـدة واحد وأربعين عامًا.

[3] دراســات منهجية لبعض فِـرق الرافضة والباطنيــة، لــه، ص266، وانظر: فـرق معاصـرة، د. غـالب عـواجي، (ج2/ ص837)، والقاديانية للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص87، وص159.

الأجنبيـات، ففي جريـدة الفضـل: « إنّ المسـيح الموعـود غلام أحمد كـان نبيًّا؛ فلــذلك ليس عليه شــيءٌ إنْ اختلط بالنسوة ومسّهنّ، وأمـرهنّ بمسـاج يديه ورجليـه، بل هـذا موجبٌ للثواب والرحمة والبركات »[1]. كما أنّ منشـورات القادياني وأتباعه تدل على أنّه يشربُ الخمـر، وإنْ تـأوّلوا ذلك وزعموا أنّه كان يشربُه دواءً[2]. حتى قال أحد أتباعـه: « شـــرب الخمر في مثل هـــذه الأحـــوال، فليس مخالفًا للشـريعة، بل هو عينٌ للشـريعة »[3]. لكن الحـق أنّ اللـه تعالى لم يجعل شفاء الناس في الحرام.

وأما **عن فرقته القاديانيّة** فـتُعَدّ « امتدادًا للفِرَق الْمُنْكِـرة لختم النبــوات بـالنّبوة الْمحمديــة. وهي إحــدى الحركات الهدّامة التي نشأتْ في أحضان أعـداء الإسـلام، وتحت رعــايتهم وصــيانتهم؛ فالاســتعمار البريطــانِي هو الْمُغذِّي لأفكار هـذه الفرقـة، والْمُوجِّه لزعيمها القاديـانِي، وقد أوجَــدَها بغــرض التشــويه على المســلمين؛ وذلك بِمحاولة ضَـرب مفهـوم الإسـلام الصـحيح، وتنْحية مفهـوم الجهـاد، وإيجـاد جماعـات تعيش في كنف الإسـلام وتعتمد مبـــادءه، وتَرفع شـــعاراته، وتتحـــرك في ضـــوء أسُسه ومُقوِّماته مســتهدفةً محاربتــه، قابلة بنفــوذ الاســتعمار المعادي له، خاضعة لتوجيهاته »[4].

و« هي طائفة كافرةٌ، ونحلة هدّامـةٌ، ظهَـرَت في أوائل القــرن الرابع عشر الهجــري، في أرض قاديــان من أرض الهنـــــد، على يد رجل اســـــمه مــــيرزا غلام أحمد القاديــاني، واتخـذَت من الإسـلام شـعارًا، لسَـتر أغراضـها الخبيثة، وعقائـدها الفاسـدة. والقاديانيـة: هم أتبـاع مـيرزا

---

[1] (?) جريــدة قاديانيّة –الفضــل-، 20مــايو/1928م، بواســطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص68.

[2] (?) انظر مقــالاتهم الدالة على شـــرب القاديـــاني الخمـــر: القاديانيّة لإحسان، ص54-55.

[3] (?) مجلة قاديانيّة –بيغـــام صـــلح-، 14مـــارس، 1935م، بواســـطة: القاديانيّة لإحسان، ص55.

[4] (?) دراســات منهجية لبعض فِـرق الرافضة والباطنيــة، د. عبد القــادر محمد عطا، ص259.

غلام أحمد القادياني، وسُمُّوا بذلك نسبة إلى البلد الذي ولد فيه هذا المتنبئ الكذّاب »[1].

«وهي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة ..، وتسمى في الهند وباكستان بالقاديانية، وسَمّوا أنفسهم في أفريقيا وغيرها من البلاد التي غزوها: بالأحمدية؛ تَمويهًا على المسلمين أنّهم ينتسبون إلى الرسول ﷺ. (والقاديانية ثورةٌ على النبوة المحمدية وعلى صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وثورةٌ على الإسلام، ومؤامرةٌ دينيةٌ وسياسيةٌ ..). احتضنها الإنجليز حينما كانوا حُكّامًا مستعمرين للهند، وتَبَنَّوها، وبذلوا لنُصرتِها ما في وُسْعِهم من الإمكانيات المادية والمعنوية؛ وذلك لِما رأَوه فيها من تحقيق مآربِهم، والتمكين لَهم في الهند وفي غير الهند، واحتضَنَتْها كذلك اليهودية العالَمية، ولهم مراكز في أنحاء العالم وفي إسرائيل لنشر الإسلام-كما يزعم القاديانيون »[2].

هذا ما قاله العلماء المتخصصون في التعريف بِها[3].

---

[1] قاله د. محمد بن إبراهيم الحمد في رسالته عن القاديانيّة (ضمن:رسائله في الأديان والفرق والمذاهب، ص363).

[2] قاله د. غالب بن علي عواجي (فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ج2/774).

[3] انظر عن نبذة من حياة القادياني، وبداية شهرته ودعوته، وشخصيته وأخلاقه، ودعاويه الباطلة، والمراحل التي مرّ بها فكريًّا من ادعاء الإلهام والكشف، والمهدية، ودعوى المسيحيّة، ثم ادعاء الوحي والنبوة، وصلته بالإنجليز، ونهايته، مفصّلا، وعن الفرقة القاديانيّة الباطنية، واسمها الآخَر (الأحمدية)، وعن نشأتها من حيث الأسباب، والأهداف، والعقائد (الحلول، والتناسخ، التأويل الباطني، إلغاء الجهاد، وغير ذلك)، وعنها بعد هلاك مؤسسها، وفرقها، ومواطن انتشارها، وصلتها بإسرائيل. ثم خطرها على العقيدة الإسلاميّة، والرد عليها وبيان حكم الإسلام فيها: كتاب القاديانية دراسات وتحليل للمجاهد إحسان إلهي ظهير، والأصول الذهبيّة في الرد على القاديانيّة، للشيخ منظور أحمد شنيوتي، تعريب د. سعيد عنايت الله، والإيضاحات الجليّة في الكشف عن حال القاديانيّة، للشيخ محمد بن السبيل، ورسالة القاديانيّة د. محمد بن إبراهيم الحمد، ص361-390، (ضمن رسائله في الأديان والفرق والمذاهب)، وكتاب: في مذاهب اللا إسلاميين –البابيّة، البهائيّة، القاديانيّة- د. عامر النجار، ص171-246، وختم النبوة بالنبوة المحمدية د. أحمد بن حمدان الغامدي، وختم النبوة والرد على البهائيّة والقاديانيّة، متعب بن مقبل الشثان، ص39-103، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، -التبشير، الاستشراق، الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، لعبد الرحمن الميداني ص277-286، وفرق معاصرة تنتسب إلى

ويدُلّ على عمالة القاديـاني للإنجلـيز ما قاله عن نفســـه: « إنّي أفنَيتُ أكـــثر حيـــاتي في تأييد الحكومة الإنكليزيـــة، ومخالفة الجهــاد، ولا زلتُ أجتهد حــتى صــار المسلمون أوفياء مخلصـين لِهـذه الحكومة »[1]، إلى غـير ذلك من أقواله التي سيأتِي سرد طائفة منها عند الحـديث عن إلغاء القاديانِي شريعة الجهاد في المطلب الثاني.

فالقاديانية من الفـرق الجديـدة العميلـة الأجـيرة المصنعة من قِبَل أعداء الإسلام المستعمرين، وقد أنْكرت ختم النبوات بالنّبوة المحمدية، وادّعى رأسـها في مراحلـه الأخــيرة: النبــوة والرســالة لنفســه، وعملت على إلغــاء الجهاد في سبيل الله، وقالت بالتأويل البـاطني، .. ضـمن عقائد فاسدة، واتخذَت من الإسلام شعارًا، لسَتر أغراضها الخبيثة، وليس لها من الإسلام نصيب. وقـد تقـدم أنّ بـدء أمرها كان في الهند القديمة ثم انتشرت منها إلى غيرهــا، وأنّ ذلك في القرن الرابـع عشـر، على يـد المـيرزا الغلام المتنبئ الكذاب. وقد كان لتأسيس هذه الفرقة تحت ستارٍ دينِيّ هدفان رئيسان، كما قال في (أجنحة المكر الثلاثــة)، هما:

أولا: هــدم عقائــد الإســلام ومبادئــه، وتفريــق وحــدة المسلمين وتوهين قوتهم.

ثانيًا: تمكين الحكومة البريطانيّـة من بسـط نفوذهـا على البلاد الإســلامية المغتصــبة، لاســيّما الهند[2]. وقــد ذكَــر

الإسلام، د. غالب عواجي، (ج2/ 737-852)، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، شيبة الحمد، ص97-125، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، 224-232، وإسلام بلا مذاهب د.مصطفى الشكعة، ص383-396، والشيخ إحسان إلهي وجهوده في تقرير العقيدة، ص703-739 وبحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، د. محمد مجاهد، ص108-113، والعقائد الباطنيّة وحكم الإسلام فيها، د. صابر طعيمة، ص371-400، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية (ومنها: القاديانية)، د. عبد القادر، ص259-292.

[1] (?) ترياق القلوب للغلام، ص15، بواسطة: القاديانيّة دراسـات وتحليل للشيخ إحسان، ص78.

[2] (?) انظــر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيهــا، لعبد الــرحمن الميــداني ص 282.

المؤلف قصة وضع الخطة في مدينة (لندن)[1] لإنشاء فرق تنتسب إلى الإسلام وتعمل من داخله لهدم عقيدته وشريعته، وأصوله وقواعده، وتقطيع أوصاله، وإبعاد المسلمين عن جوهره، من قبَل قوّاد الاستعمار، وأنّ بريطانية لأجل هذه الغاية أرسلت بعثات خاصة إلى البلاد التي استعمرتها للبحث عن الظروف الملائمة، كما أنّها عثرت في الهند على رجل منحرف نفسيًّا وفكريًّا، طامحٍ للزعامة المزوّرة، طامعٍ بالمال، ضمن أسرة عميلة لهم، ألا وهو ميرزا غلام المتنبئ المتقدم[2]. فراجعه!

وبعد التعريف بالقادياني المتنبئ الكذّاب، وبفرقته القاديانيّة، أنتقل إلى مطالب هذا المبحث الستة مطلبًا مطلبًا، لِمعرفة جفاء هذه الفرقة للرسالة المحمديّة الخاتمة، فأقول:

---

1 (?) انظر عن وضع الخطة في لندن من قبل قواد الاستعمار لهدف هدم الإسلام: مقال/ القاديانية عميلة الاستعمار، من: القاديانية دراسات وتحليل، للشيخ إحسان، ص19 (انظر: كامل المقال 19-33).

2 (?) انظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، لعبد الرحمن الميداني ص 282.

المطلب الأول: ادّعاء أحمد القادياني النُّبُوَّة والرسالة[1]:

تقدم حديث الصحيحين الذي فيه أنّه سَيَكُونُ فِي أُمَّة نبينا محمد ﷺ قبل قيام الساعة كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ، كُلُّهُمْ يَـزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَمحمـدٌ خَـاتَمُ النَّبِيِّينَ والمرسـلين؛ لاَ نَبِيَّ بَعْده. وتقدم ذكـرُ طائفة كبـيرة مِن مَن ادّعى النبـوة بعـده عليه الصـلاة والسـلام في (فصل الرافضة خصوصًـا)، ويسـتمرّ سلسلةُ مَن ادّعى النبـوة؛ فيـدّعي غلام أحمد القاديـانِي – وهو من أكـــذبهم وأكـــثرهم دجلا- النبـــوة والرســـالة في الآخِـرِين، وفي آخر تـدرج دعاويـه، زاعمًا أنّه يـنزِل عليه الوحي والشريعة زورًا، فيقول:

« دعوانا أنا رســولٌ ونبِيٌّ »[2]. وقــال: « إنّ إله الحق هو الإله الذي أرسل رسوله في القاديان »[3]. وصـرّح بأنّه هو المبعوث فقـال: « الـرب هو الـربّ الـذي أرسل رسـوله، أي: هذا العـاجز بالهـدى ودين الحق وتهـذيب الأخلاق »[4]. وقال: « أنا رسولٌ أيضًا، ونبِيٌّ أيضًـا، أعنِي: الـذي أرسـل، والذي أنبئ عن أخبار الغيب »[5].

وانظر كيف يُنَوّع هـذا الـدّعِي العبـارات في دعـواه النبـوة والرســالة؟ ومن ذلك قوله وهو يَــذكر أنّه أوحي إليــه: « والله العظيم أؤمن بوحيي كما أؤمن بـالقرآن، وبقيـة كُتُب

[1] (?) للاستزادة انظر: الباب الخامس: (مسألة ختم النبوة، وتفرع منه: شوق القاديانية في استمرار النبوة –أدلة الميرزا بل شبهاته، وتفنيدها- وإشكالات القاديانية على "**لا نبي بعدي**"، وإشكالاتهم على كلمة خاتم وردودها) من كتاب الأصول الذهبيّة في الرد على القاديانية للشيخ منظور، 503-537، ومقال نبي القاديانية من خلال التاريخ، وآخر في المتنبي القادياني وتنبوءاته، من كتاب: القاديانية دراسات وتحليل للشيخ إحسان، 124-198، ومبحث: الرد على عقائد القاديانيّة في ختم النبوة، من كتاب: الشيخ إحسان إلهي ظهير، منهجه وجهوده في تقرير العقيدة، ص710-716.

[2] (?) جريـدة البـدر القاديانية الصـادرة في 5مـايو/ 1908م، بواسـطة: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، د. محمد مجاهد، ص111.

[3] (?) دفع البلاء في الخـزائن الروحانيـة، (18/225-226)، بواسـطة الأصول الذهبية في الرد على القاديانية، 236.

[4] (?) التذكرة، 492، بواسطة: الأصول الذهبية، للشيخ منظور الجنيوتي، 236.

[5] (?) إزالة الأوهام في الخـزائن الروحيـة، 18/211، بواسـطة: الأصـول الذهبية، للشيخ منظور الجنيوتي، 236.

أنزلت من السماء، وأنا أؤمن بأنّ الكلام الذي ينزل عليّ من الله، كما أؤمن بأنّ القرآن نزل من عنده »[1].

وقال: « إيمانِي بوحيي كإيمانِي بالتوراة والإنجيل والقرآن »[2].

وقال هذا المتنبِّي في وصف نفسه: « أحلف بالله الذي في قبضته روحي، هو الذي أرسلني وسَمّانِي نبيًّا، وناداني بالمسيح الموعود، وأنزل لصدق دعواي بيناتٍ بلغ عددها ثلاثمائة ألف بيّنة »[3]. وقال هذا الكذاب أيضًا: « هو الإله الحق الذي أرسله رسوله في القاديان، وإنّ الله يحفظ القاديان، ويحرسها من الطاعون؛ ولو يستمر إلى سبعين سنة؛ لأنّها مسكن رسوله، وفي هذا آية للناس »[4].

وادّعى لنفسه « أنّه ما ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يوحى »[5].

وذكر غلام أحمد القادياني شريعته، فقال: « فافهموا ما هو الشريعة، فالشريعة: هي عبارة عن بيان أمر ونهي، فمَن فعل هذا، وفتن لأمته قانونًا، صار صاحب شريعة؛ فأنا صاحب الشريعة؛ لأنّه يوحى إلَيّ الأوامر والنواهي، وليس من الضروري أنْ تكون مشتملة على أحكامٍ جديدة؛ لأنّه ما يوجد في القرآن من التعليمات يوجد في التوراة .. -إلخ »[6].

وقد زعَم قبل كُلّ شيءٍ أنّ وحي الله لم ينقطع، فقال الغلام: « ولا تحسبنّ أنّ الوحي فيما مضى ولَم يعُد له وجودٌ في هذه الأيّام، وأنّ روح القدس كان ينزل فيما

---

1 (?) حقيقة الوحي للغلام القادياني، ص211، بواسطة: القاديانيّة للشيخ إحسان، ص106-107.

2 (?) الأربعين للغلام، نمرة4، ص25، بواسطة: القاديانية للشيخ إحسان، ص161.

3 (?) تتمة حقيقة الوحي للغلام القادياني، ص68، بواسطة: القاديانيّة للشيخ إحسان، ص104.

4 (?) دافع البلاء للغلام القادياني، ص10-11، بواسطة: الإيضاحات الجليّة في الكشف عن حال القاديانيّة، لابن السبيل، ص16.

5 (?) أربعين للغلام القادياني، نمرة3، ص43، بواسطة: القاديانيّة للشيخ إحسان، ص279.

6 (?) أربعين نمرة للغلام، 4/ ص7، بواسطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص111.

مضى وليس له أنْ ينزل الآن، الحق والحق أقـول أنّ كُـلّ بابٍ يمكن أنْ ينسدّ، لكن باب روح القدس سيظل مفتوحًا إلى الأبد »[1].

وقبـل أنْ ينتهي بالقاديـاني المتنـبئ الضـلال منتهـاه قـال متـأثِّرًا بـابن عـرَبي في تقسـيم النبـوة إلى نبـوة التشـريع وغـير التشـريع، وأنّ الـذي انقطع هو الأول (النبـوة التشـريعيّة): « لو لم أكُن من أمة محمد ولو لم أتـابع طريقه لَما تشـرفتُ بالمكانة والمحادثة الإلهيّة حـتى ولو وازنتْ أعمـالِي جبـال الـدنيا بأجمعهـا، وذلك لأنّ جميع النبوات قد انقطعت إلا النبوة المحمديّة، فلا مشـرِّع بعـده ، أما النبِيّ غير المشرّع فممكن وجوده، وإنما ينبغي أولا أنْ يكـون من أمتـه » [2]. وأما بعد أنْ اسـتحكم أمـره، وانتهى التـدرج فقد صـرّح بأنّه نبِيّ ورسـولٌ، وصـاحب شـريعة مسـتقلة. كما في بعض نصوصه المتقدمـة، واللاحقة.

ومن أقواله أيضًـا: « يُكلمـني ربي من لدنه ويحسن أدبي، ويوحي إليّ رحمة منه فأتبع ما يوحى »[3].

وأنّ كتابه الذي أوحاه شيطانُه إليه -على زعمه-: الكتاب المبين، وهو عشرون جزءًا[4]. وقال: « إنّي مرسلٌ من الله »[5]. وقـال: « سَـمّانِي الله نبيًّا »[6]. وقـال: « أنا نبِيٌّ ومتشـرّفٌ بمخاطبة الله والتكلم معـه، أنا أسـأله فيجيبُنِي، ويظهر علَيّ أشياء من غيبه، ويُخبرُنِي عن أسرار

---

1 (?) رسالة التعليم للغلام، ص14، بواسطة: الأديان والفرق والمذاهب، لشيبة الحمد، ص101.

2 (?) التجليات الإلهية للغلام القادياني، ص24، بواسطة: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص227.

3 (?) ومـواهب الـرحمن للغلام، ص4، بواسـطة: الأديـان والفـرق والمذاهب، لشيبة الحمد، ص103.

4 (?) انظر: القاديانيّة للشيخ إحسان، ص109، والشيخ إحسـان وجهـوده في تقرير العقيدة، لعلي الزهراني، ص711.

5 (?) الاسـتفتاء للغلام، ص12، بواسـطة: الأديـان والفـرق والمـذاهب، لشيبة الحمد، ص103.

6 (?) الاسـتفتاء للغلام، ص17، بواسـطة: الأديـان والفـرق والمـذاهب، لشيبة الحمد، ص103.

العـالَم الـتي تَحـدُث في المسـتقبل .. ولأجل ذلك سـمّيت نبيًّا »[1].

بل وفتح باب النبوة على مصرعيه، بعدما أغلقه الله وختمه بمحمدٍ ﷺ: «إنّ من نعم اللـه أنْ يجيء الأنبيـاء، وأن لا ينقطـع سلسـلتهم،وهـذا قـانون اللـه لا تسـتطيعون أن تجابهوه»[2].

وجاء في جريدة قاديانيّة ما نصُّه: « إنّ الله أظهر هذه الرسالة في خرابة قاديان، وانتخب لِهذه المهمة غلام أحمد الـذي هو من أصـلٍ فارِسِـي[3]، وقـال لـه: أنا أُبلّغ اسـمك إلى أقصى العَـالَم، وأُؤيّـدك بـالقوّة، وأُغلّب دينك الـذي جئت به على الأديـان كُلّهـا، ويبقى غلبتُه إلى يـوم القيامة »[4].

كما جاء فيها: «إنّ غلام أحمد كان نبيًّا ورسولا في المعنى الذي يُراد به الأنبياء والرسل السابقون»[5].

ولِكلّ ما تقدم فإنّه لا يُستغرب من أنْ يأتِي ابن غلام القادياني وخليفته الثاني ناسجًا على منوال والده، قائلا: « نحن (يعـني: القاديانيّـة) نعتقـد بـأنّ اللـه لا يـزال يُرسـل الأنبياء لإصلاح هذه الأمة وهـدايتها، على حسـب الضـرورة »[6]. وقال: « هل يفهمـون بـأنّ خـزائن الله قد نفـذت، .. ففهمهم هذا خطـأ؛ لأنّه لا يعرفـون قـدرة اللـه، وإلا فـأين

---

1 (?) مكتـوب غلام أحمد المرسل إلى جريـدة عـام بلاهـور المـؤرخ: 23مايو /1908م، بواسطة: القاديانية لإحسان، ص161.

2 (?) خطـاب سـيالكوت للغلام، ص22، بواسـطة: القاديانيّة دراسـات وتحليل للشيخ إحسان، ص103.

3 (?) تنـاقض القاديانية كـائن حـتى في أصل رأسـهم، قـال هو مغـوليٌّ، وقال فارسيّ، ومن بني فاطمة وأهل البيت، وأنّه صيني الأصل (انظر: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص125-126).

4 (?) جريـدة الفضـل، 3فـبرير، 1935م، بواسـطة: القاديانيّة دراسـات وتحليل للشيخ إحسان، ص110.

5 (?) جريـدة الفضـل، 13/ سـبتمبر، 1914م، بواسـطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص105.

6 (?) جريـدة الفضل للقاديانيـة، الصـادرة: 14/مـايو/1925م، بواسـطة: القاديانيّة دراسات وتحليل لإحسان، ص102.

النبِيّ الواحد، بل أنا أقول: سـوف يجيء آلاف من الأنبيـاء »[1].

وقال في بيانه أنّ نُبُوّة والده (الكذّاب) لا تحتاج إلى كلمة الشـهادة الجديـدة، بل تكفي الشـهادة الإسـلامية المعروفة: « نحن لا نحتاج إلى كلمة جديدة للشهادة بنُبُوّة غلام أحمـد؛ لأنّه بين النبِيّ وبين غلام أحمد أيّ فـارق، كما قال غلام أحمد بنفسه: صـار وجـودي وجـوده، ومَن فـرّق بينِي وبينه وبين المصـطفى فما عـرفنِي. وأيضًـا: إنّ اللـه وعد بأنّه يُرسل خـاتم النبـيين مـرة أخـرى، وعلى هـذا إنّ المسيح الموعود هو ذاته محمد رسـول اللـه الـذي أرسـل لنشر الإسلام مرة ثانية، ولأجل ذلك كلّه لا نحتـاج إلى أيّـة كلمة الشهادة الأخرى، نعم إنْ كـان المرسـل غـير محمـد فكنا نحتاج إلى كلمة جديدة »[2]. وهؤلاء حقيقـة لـو كـانوا أحياء فإنّهم بحاجـة إلى أطبـاء نفسـانيّين؛ إذْ في عقـولهم خلل.

وقال أحد أبنائه ومن زعماء القاديانيّة: « إنّ هـذا الأمـر متحقـق بـأنّ غلام أحمـد كـان نبيًّا ورسـولا، ونـاداه محمد باسم النبِيّ، وخاطبه الله في الوحي بقوله: (يا أيّهـا النبِيّ) »[3].

وقالوا: « إنّ ما أنزل على غلام أحمد من ربّه لا يقـلّ عمّا أنـزل على أيّ نبِيٍّ، بل هو أكـثر من الكثـيرين من الأنبيـاء »[4].

وزعموا أنّ « كُلّ من لم يؤمن بغلام أحمد فهو كافرٌ خارجٌ عن الدين، ولو يكون مسـلمًا، ولـو يكـون لم يسـمع اسم غلام أحمد قط »[5] كما قاله ابنُه وخليفته.

---

1 (?) أنـوار الخلافة لابن الغلام محمـود، ص62، بواسـطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص102.

2 (?) كلمة الفصل المنقول من ريويو آف ريليجنز، ص158، نمـرة4، ج 14، بواسطة: القاديانيّة لإحسان، ص87.

3 (?) كلمة الفصل لبشـير بن أحمد القاديـاني، من مجلة ريويو آف ريليجنـز، نمرة3 ج13، ص14، بواسطة: القاديانيّة لإحسان، ص105.

4 (?) جريدة الفضل، 15/ فبرير، 1919م، بواسطة: القاديانيّة دراسـات وتحليل للشيخ إحسان، ص109.

5 (?) آئينة صداقت لمحمود أحمد ابن الغلام، ص35، بواسطة: القاديانيّة دراسات وتحليل لإحسان، ص122.

وقال ابنُه الثاني بعدما قرر أنّ مَن آمن ببعض الأنبياء ولم يؤمن بالآخرين فهو كافر:

« وهكـذا مَن يـؤمن بمحمـد ولا يـؤمن بغلام أحمـد كـافرٌ، كافرٌ، لا شك في كفره »[1].

ولكُلّ ما تقدم: قال الشيخ إحسان –رحمه الله- عن غلام أحمد وفرقتـــه: « وحينما فتح الطريق للنبـــوة –ولو النبــوة الكاذبــة- فكــان أوّل داخل فيــه، وعلى هــذا تعتقد القاديانيّة بأنّ غلام أحمد نبِيّ الله ورسوله، ولا هـذا فقـط، بل هو أفضل من جميع الأنبيـــاء والمرســـلين، وهو فخر الأولين والآخرين »[2].

ويكفي في الرّدّ على هؤلاء وأزواجهم ممن يدّعون أنّ الوحي ينزل عليهم، ولم يوحَ إليهم = قولُ الله تعـالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ [الأنعام: ٩٣].

** * **

المطلب الثاني: إلغاء القادياني بعض شرائعه عليه الصلاة والسلام:

وأبرز شـيءٍ في هـذا هو إلغـاء المتنـبئ القادياني الجهاد: فمِن المعلـوم أنّ الجهـاد في سـبيل الله ذروة سنام الإسـلام، ولا يُمكن حصر نصـوص الكتـاب والسنّة الآمرة به والحاضّة عليـه؛ مُبيِّنــةً لفضـائله وما أعد الله تعـــالى للقـــائمين به من الحســـنى والأجر العظيم، والفضل والدرجات منه سـبحانه. والجهـاد بـاقٍ منذ بعثته ﷺ إلى قيام السّاعة مع البرّ والفاجر[3]. هذا شـيءٌ مقـررٌ في العقيدة الإسلاميّة السمحة الغرّاء.

لكن من جفاء أحمد غلام القادياني للرسالة المحمدية، زعمُه نسخَها بشـرائعه تأكيـدًا لزعمه: أنّه نبِيٌّ ورســولٌ؛ لكنّ حقيقة هــذا الكــذّاب –كما تقــدم- رســولٌ للحكومة الإنجليزيّـة، أمّا أنْ يكـون رسـولا لله فلا، لختم النبوة والرسالة بالنبوة المحمدية.

---

1 (?) قاله بشير ابن الغلام المتنبئ، ريويو آف ريليجـنز، نمـرة35، ج14/ ص110، بواسطة: القاديانيّة لإحسان، ص122.

2 (?) القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص103.

3 (?) انظــر: دراســات منهجية لبعض فــرق الرافضة والباطنيّــة، د. عبد القادر، ص270.

ومن شرائع هذا الأفّاك الكذاب الدجال: نسخ شريعة الجهاد ولاءً للإنجليز المستعمرين النُّهاب الذين أقضّ مضاجعهم جهادُ المقاومين؛ المدافعين عن دينهم قبل بلادهم وخيراتِهم المسلوبة، قال في (الأديان والفرق): « وقد تجاهل هذا الغلام آيات الجهاد في كتاب الله ، كما تجاهل ما تواتر من الأحاديث عن رسول الله وفضله، وما ثبت أنّه ماضٍ إلى يوم القيامة »[1].

ولإدانة المتنبئ القاديانِي مِن فَمِه: أسُوق بعضًا من كلامه الكثير الذي يُقرر فيه أنّه ألّف ونشر الكثير والكثير في منع الجهاد، ونفي فكرته –على حدّ تعبيره- يتبيّنُ به ما عُقد المطلب لأجله؛ من ذلك قوله: « لقد قضيتُ معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزيّة وتصرفها، وقد ألّفتُ في منع الجهاد، ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكُتُب والنشرات ما لو جُمع بعضها إلى بعض، لملأ خمسين خزانة »[2]. وقال المتنبئ أيضًا:« لقد ظللتُ -منذ حداثة سنّي، وقد ناهزتُ اليوم سِتّين- أُجاهد بلساني وقلمي لأُصرف قلوبَ المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الانجليزيّة والنصح لها، والعطف عليها، وأنفِي فكرة الجهاد التي يَدين بِها بعضُ جُهّالِهم، والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة »[3].

وقال: « أنا لا أعتقد أنّي مهديٌّ هاشِميٌّ قرشِيٌّ سفّاح ينتظرُه الناس من بنِي فاطمة يملأ الأرض دمًا، ولا أرى مثل هذه الأحاديث صحيحة، بل هي كومةٌ من الموضوعات، نعم أدّعي لنفسي أنّني المسيح الموعود الذي يعيش متواضعًا مثل المسيح، متبرِّئًا من القتال والحرب، كاشفًا عن وجه ذي الجلال بالطريق السلمى والملاطفة، ذلك الوجه الذي احتجب عن أغلب الأمم. وأنا متأكّدٌ من أنّ أتباعي كُلّما زاد عددهم قلّ عدد القائلين

---

1 (?) الأديان والفرق والمذاهب، لشيبة الحمد، ص116.

2 (?) نقله الشيخ ابن السبيل في: الإيضاحات الجليّة في الكشف عن حال القاديانيّة، ص21.

3 (?) نقله الشيخ ابن السبيل في: الإيضاحات الجليّة في الكشف عن حال القاديانيّة، ص21.

بالجهاد المزعوم، لأنّ الإيمان بي كمسيح ومهديّ معناه: رفض الجهاد » [1].

وقد بيّن المتنبئ القادياني الكذّاب أنّه في عهد النبِيّ أُلغي قتل الأطفال والشيوخ والنسوان عند القتال، ثم قال: « ثم في عهدي ألغي حكم الجهاد أصلا »[2]. بل وصرّح بالتحريم فقال: « يُحرَّم الجهاد بالسيف من هذا اليوم، وكُلّ مَن يرفع السيف للدين ويقتُل الكفّار باسم الغزو والجهاد يكون عاصيًا لله ورسوله » [3]. وكذَب على رسول الله محمدٍ ، فقال: « اليوم أُلغي حكم الجهاد بالسيف، ولا جهاد بعد هذا اليوم، فمَن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفّار ويُسمّي نفسه غازيًا يكون مخالفًا لرسول الله الذي أعلن قبل ثلاثة عشر قرنًا بإلغاء الجهاد في زمن المسيح الموعود، فأنا المسيح الموعود، ولا جهاد بعد ظهوري الآن، فنحن نرفع عَلَم الصلح وراية الأمان »[4].

وقال: « وإنني لم أعمل على ملء قلوب مسلمي الْهند بالطاعة المخلصة للحكومة البريطانيّة فحسب، بل كذلك ألّفتُ كُتُبًا كثيرة بالعربيّة والفارسيّة والأرديّة بيّنتُ فيها لسُكّان البلاد الإسلاميّة كيف نقضي أيّام حياتنا ناعمين بالأمن متمتعين بالسعادة والرّفاهيّة والحرّيّة، في كنف الحكومة البريطانيّة، وتحت ظلها الوارف »[5]. وبلَغ به الأمر إلى أنْ سَمّى الجهاد: (اعتقادًا نجِسًا)، فقال: « بلغ عدد هذه الكتب التي نشرتها خمسين ألف كتابًا، ونشرتُها في كُلّ مكان في مكة والمدينة والقسطنطنيّة، وبلاد الشام، ومصر، وأفغانستان، ونشرتها إلى حد ممكن،

[1] تبليغ الرسالت، ص17، بواسطة: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص228-229.

[2] الأربعين للغلام، نمرة4، ص15، بواسطة: القاديانيّة للشيخ إحسان، ص118.

[3] الخطبة الإلهاميّة للغلام المتنبئ، ص46-47، بواسطة: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنيّة، د. عبد القادر، ص271 .

[4] الأربعين للغلام، ص47، بواسطة: القاديانيّة لإحسان، ص118-119.

[5] ترياق القلوب للغلام، ص10، بواسطة: الأديان والفرق لشيبة الحمد، ص113-114.

وظهــرت ثمــرة هــذه الكتب بــأنّ مئــات الألــوف من المسلمين الذين كانوا يعتقدون الجهاد (القتـال في سـبيل الله) قد تركوا هذا الاعتقاد النجس الذي كـان راسـخًا في قلـوبهم، وعلّمهم علمـاءهم[1] الجهلـة، وهـذه هي الخدمة الكبـيرة الجليلة الـتي ظهـرت مـني، والـتي أسـتطيع أنْ أفتخر بها على جميع مسـلمي الهنـد؛ بأنّه لا أحد يقـدر أنْ يأتي لها مثيل »[2]. كما قـال: « وإنّي لأقـول وأدّعي أنـني أكثر المسـلمين إخلاصًـا ونُصـحًا للحكومة البريطانيّـة؛ لأنّ هناك ثلاثة أمورٍ جعلتـني أرتفع في إخلاصي لتلك الحكومة إلى الدرجة الأولى، وأول تلك الأمــور: نفــوذ المغفــور له والدي، وثانيها: أيادي هذه الحكومة العاليّة، وثالثها: الإلهام من الله تعالى »[3].

وهذه التصريحات منه ومن أتباعه -التي لم أذكُرها- في علاقته بالحكومة البريطانيّة هي الــتي جعلتْ كُـلّ مَن تكلم عن الفرقة القاديانيّة وجــــــذورها يتكلم عن عمالته لتلك الحكومة -بل وعمالة أســــرته- لِهــــدم الــــدين الإسلامي[4]، وقد كشف الله تعالى أسرارهم، والحمد لله!

قال مؤلف (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها –التبشير، الاستشـراق، الاسـتعمار-) -وهو يتحـدث عن خطط هـؤلاء الأعداء لتفريغ الإسلام من مضـامينه الصـحيحة-: « الخطة الرابعة: اصطناع الفرق العميلة الأجـيرة، الـتي تعمل على إلغاء الجهاد في سبيل اللــه، بحِيَـلٍ شـتى، ومنها ما ينقض الإسلام كُلّه »[5].

---

1 (?) الصحيح: علماؤهم.

2 (?) سـتارة قيصـرة للغلام، ص3، بواسـطة: القاديانيّة للشـيخ إحسـان، 59-60.

3 (?) تريـاق القلـوب للغلام، ص309-310، بواسـطة: الأديـان والفـرق لشيبة الحمد، ص113.

4 (?) انظر -لتقف على ولاء القاديـــــاني لِمَن أمَر الله بـــــالبراءة منهم (الاستعمار الإنجليزي، وغـيرهم)، وعمالته لهم لهـدم الإسـلام-: كُـلّ ما تقدم من المراجـع. (انظـر: وجـوه تكفـير القاديانيـة؛ حيث ذكر الشـيخ منظور 8 من هذه الأوجه في: الأصول الذهبية في الرد على القاديانية، 545-557، ومن بينها إهاناته في عيسى الآتية بعضها).

5 (?) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميـداني، 277.

وبيّن –حفظه اللــه- أنّ أعـداء الأمة بأصــنافهم استأجروا للقيام بتنفيذ هذا المخطط أجراء ضمن صـفوف المسلمين بألوان شتى، وصُوَرٍ مختلفة، منهـا: أنّه « ابتـدع بعضـــهم دينًا جديـــدًا دعا إليه وجمع فريقًا من المرتزقة عليه؛ فظهـرت البهائيّة في إيـران، وظهـرت القاديانيّة في الهنــد، وكــلٌّ منهما قد ضــمّن أخلاطه الاعتقادية الملفقة إلغاء ركن الجهاد في سبيل الله، ودعا إلى التعايش بمحبة وإخاء وتعاون مع السلطات الكافرة، والتي تمتص خـيرات البلاد، وتنشر مبادءها باعتبارها أمة غالبة مستعمرة »[1].

ولقد قال الغلام المتنـبئ -وهو يُشـير بنفسه إلى مواقف الحكومات الإسلامية من دعاويـه، وأهمهـا: دعـواه النبوة، ونسخ بعض الشرائع المحمدية؛ كالجهاد-: « إنّ كُل حكومة من الحكومـات الإسـلامية تعض عليكم الأنامل من الغيــظ، وتــتربص بكم الــدوائر، وتَتَحيّن الفــرص لقتلكم؛ لأنّكم قد أصبحتم في نظرها كفّارًا مرتدين، فاعرفوا لِهـذه النعمة الإلهية؛ نعمة وجود الحكومة البريطانيّة » [2].

ويُعدد الشيخ منظور أوجه تكفير الميرزا، فيَذكُر أنّ السابع هو إنكارُه فريضة الجهاد الإسلامي، وأنّ هذا الإنكار في حد ذاته كُفــرٌ؛ لِما فيه من إنكــارٍ لِما ثبت بالضــرورة؛ بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة[3].

وما تقدم من ألفاظ الغلام المتنبئ هذا يُبين إلغاءه بعض شــرائع نبينا محمـدٍ ﷺ الْمُعَنـوَن له في المطلب. كما أنّه ولوُضـوحه لا يحتـاج إلى تصـنيفه لبيـان أنّه جفـاءٌ منه للرسالة المحمدية.

** * **

---

[1] (?) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشــير والاستشــراق والاســتعمار، 278. وسيأتي ما يتعلق بالبهائية في الفصل الخاص بها، (وانظر أيضًــا: البهائية وموقف الإســلام منهــا، د. دخيل الله بن محمــود، 274-279 /قول البهائية في الجهاد).

[2] (?) نقله الشيخ ابن السـبيل في كتابـه: الإيضـاحات الجليّة في الكشف عن حال القاديانيّة، ص22.

[3] (?) انظر: الأصول الذهبية في الرد على القاديانية، للشيخ منظـور، ص 555-556.

ويتمثل هذا المسلك الجفائي تجاه رسالة نبينا محمد بسُــلوك القاديــاني المتنــبئ وأتباعه مســلك التأويل الباطِنِيّ للنصوص الشرعية[1]. وما يـأتي في هـذا المطلب يؤكّد ما تقدم من كون هذه الفرقة إحدى فِرَق الباطنية.

ومن الأمثلة التي تبيِّن تحريف القاديانِي والقاديانيّة لِمعاني القرآن: تحريفهم لِـ(معـنى آية ختم النبـوة بـالنبوة المحمدية) الـتي تقـدم تفسـيرها[2]. وتحريفـاتُ القاديـانِي كثيرة لكنّي هنا أكتفي بِما له (علاقة بختم النبوة فحسـب) تأكيدًا لِما تقدم من دعواه النبوة والرّسالة.

وهي قوله تعالى: ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ [الأحزاب: ٤٠].

والآية بإجماع الأمة الإسلامية سَلَفًا وخَلَفًا تدلّ على أنّه آخِـرُ النبـيين؛ ولا نبِيّ بعـده، وأنّ النبـوة انقطعَتْ بموتـه، وتوقف وحي الله بـنزول جبريـل. ولكن انشـقت طوائف منها القاديانيّة عن الأمة الإســلاميّة زاعمــةً أنّ محمدًا ليس بخـاتم النبـيين على معـنى أنّه لا نبِيّ بعـده. بل بعـده أنبيـاء إلى يـوم القيامة كما تقـدم من كلامهم. وحرّفــوا هــذه الآية وغيرهــا، وما جــاء في معناها من الأحاديث المتـواترة بتحريفـات فاسـدة، وتـأويلات كاسـدة خبيثة[3]، قال الشـيخ إحسـان –رحمه اللـه-: « وهـذه الآية نصٌّ في المسـألة، وظـاهرة في معنـاه، ولا تحتـاج إلى أيّ تأويل وتوضــــيح، ويفهم منها مَن له أدنى إلْمَــــامٌ باللغة العربية: أنّه لا نبِيّ بعد محمد . ولكنّ العجيب كُـلّ العجب أنّ أعداء الإسلام يقولون: إنّ هذه الآية لا تــدُلّ على أنّه لا نبِيّ بعد محمد ، متلاعبين بالأقوال الآتية »[4].

فنَقَـل ثلاثـة تحريفـاتٍ للآيـة من متّبِعي خطـوات الشيطان، وملخصُها:

---

[1] (?) انظــر: دراســات منهجية لبعض فــرق الرافضة والباطنيّــة، د. عبد القادر، ص266.

[2] (?) تقدم تفسيرها بذكر أقوال المفسّرين، لبيان معنى خاتم النبيين في مبحث كون محمد خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات، من الباب الثاني.

[3] (?) انظر: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص268.

[4] (?) القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص269.

أولا: أنّ الخـاتم ليس معنـاه: الآخِـر، بـل معنـاه الأفضـل؛ وعليه فيكون معنى الآية -على زعمهم- أفضـل النبـيين، لا بِمعنى أنّه انقطعت بـه النبـوات. واسـتدل بعض القاديانيّـة هنـا بكلام بعض الشـعراء الـذي اسـتعمل خـاتم بمعـنى أفضل، فقال:

فجع القريض بخاتم الشعراء   وغـــدير روضـــتها حـــبيب الطائي[1].

ثانيًا: معنى الخاتم: المهر، يعني أنّه يمهر الناس، وبِمهـره يصير الواحد نبيًّا.

ثالثًـا: إنّ المـراد من (النبـيين) في الآيــة: الأنبيــاء ذوو الشــريعة، أي: أنّ محمـدًا ﷺ خــاتم النبـيين الـذين جـاءوا بشريعة مستقلة، كهارون لِموسى عليهما السلام[2].

وقد ردّ على التأويل الأول (تأويل خاتم بالأفضل، وإنكار معنى الآخرية) بأنّه مخـالفٌ للقواعد العربيّـة؛ حيث نقَل عن سـبعة من أئمة اللغة من أهم قواميسـها. وحكى إجمــــــاع الأمة على كونه ﷺ آخر الرّســــــل. كما ذكر أنّ النصــوص الحديثيّة الأخــرى تــدل على أنّه ﷺ آخر الأنبيــاء (فذكر أحاديث كثيرة). ثم نقل الشـيخ إحسـان سـبعة من أقــوال المفســرين الدالة على فهمهم للآية معــنى ختم النبـوة به وآخريتـه، لا الأفضـليّة[3]، وقـال: « فـدلت هـذه الأحاديث كلها أنّ رسول الله هو خاتم النبيين، أي: أنّه آخر الأنبيـاء، وما يقوله القاديانيّـة: أنّ معـنى الخـاتم أفضل لا آخر فهو باطلٌ فاسـدٌ، فـارغٌ تافـهٌ، لا أصل له ولا أسـاس، وهــاهم أئمة اللغة وأئمة التفســير يَنُصّــون بــأنّ (معــنى الخــاتم): آخر لا أفضــل، كما أنّ إمــام المســلمين ونــبيّ المؤمـنين النـاطق بـالوحي قد نصّ على أنّه آخر الأنبيـاء،

---

[1] نقله عنهم الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه: القاديانيّة دراســات وتحليل، ص278.

[2] انظــر: القاديانيّة دراســات وتحليل للشــيخ إحســان، ص269-270. وقد ذكر هذه الإشكالات وغيرها الشيخ منظور وردّها (انظرها: الأصول الذهبية في الرد على القاديانية، ص537-542).

[3] انظر: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص270-277.

وختمت به النبوة، وانقطعت به الرسالة؛ فلا مجال لأحدٍ أنْ يقول شيئًا خلاف ما قاله الرّسول .. »[1].

وأما استدلالهم بالبيت المتقدم فلا يدل على مرادهم، بل يمكن أنْ نُحوّل الاستدلال به عليهم، ويقال: هل معناه أنّ أبا تمام كان أفضل مِن كُلّ من سبقه من شعراء العرب؟ لم ولن يقول أحدٌ بِهذا، بل معناه أنّه هو آخر شاعر من طراز الشعراء المتقدمين الحكماء في اعتقاد قائل هذا البيت، فيكون البيت حجة عليهم؛ لا لهم.

كما ردّ عليهم (القاديانيّة) بوجهين آخرَين بعد هذا [2].

وأما **التأويل الثاني**، وهو كون معنى الخاتم المهر فهذا ما لم يسمعه العرب، ولا وجود له في لغتهم. وهذا كافٍ. وهل بمثل هذه السفاهة تريد القاديانيّة أنْ تثبت نبوة متنبئهم الكذاب، أو يخدعوا بها المسلمين؟ [3].

وأما **الثالث** وهو قولُهم: إنّ المراد بالنبيين في الآية: الأنبياء أصحاب الشريعة) فهذا قولٌ باطلٌ لا دليل عليه؛ لأنّه لم يُفرّق بين الأنبياء المشرعين وغير المشرّعين، بل أطلقه، والمعروف في أصول الفقه أنّ المطلق يجري على إطلاقه ما لم يرد مقيّد، وهكذا العام ما لم يرد مخصص، ولا قرينة تدل على التخصيص أو التقييد هنا[4].

ووجهٌ رابعٌ لتحريف الآية: هو تحريف المتنبئ الغلام نفسه، حيث زعم أنّ النبوات بعده لا تكون إلا لِمَن طبع له نبيُّنا محمدٌ ؛ والخاتم: الطابع، فقال: « هو –يعني النبيّ - خاتم الأنبياء، بمعنى: أنّه وحده صاحب الختم لا غير، وليس لأحدٍ أنْ يَحظى بنعمة الوحي إلا بفيض خاتمه ، وأنّ أمّته لن يغلق في وجهها باب المكالمة والمخاطبة الربّانيّة إلى يوم القيامة، فلا صاحب للختم الآن إلا هو، وخاتمُه وحده يكسب النبوة التي تستلزم أنْ يكون صاحبها من أمة محمد » [5].

---

1 (?) القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص275.

2 (?) انظرها: القاديانيّة للشيخ إحسان، ص278.

3 (?) انظر: القاديانيّة للشيخ إحسان، ص279-280.

4 (?) انظر: القاديانيّة للشيخ إحسان، ص280.

5 (?) حقيقة الوحي لغلام القادياني، ص27، بواسطة: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص227.

وقال في ملفوظاته في هذا المعنى: « إنّ المراد به: أنّه لا يمكن أنْ تُصـدّق الآن نبـوة أيّ نـبيٍّ من الأنبيـاء إلا بخاتمه ، وكما أنّ كل قرطاسٍ لا يكون مصدّقًا مستندًا إلا حين يُطبع عليه بالخاتم، فكذلكَ كُلّ نبوة لا تكـون مطبوعًا عليها بخاتمه وتصديقه تكون غير صحيحة »[1].

وهذا من تحريفات المتنبئ غلام أحمد القادياني لآية الأحزاب المتقدمة، ولا سلف له فيها من المفسـرين. وقد تقدم ذكر إجماع الأمة على كـون نبـوة نبينا محمد خـاتم النبوات، ورسالاته آخر الرسالات.

فثبت بِهذا أن لا حجة للقاديانيّة في تحريفهم لمعنى آية الأحزاب، وبقيت الآية دالة على أنّ النبوة ختمت بنبوته ؛ فهـو آخـر الأنبيـاء والمرسـلين الـذي لا نبِيّ بعـده ولا رسول، كما أنّ الوحي انقطـع عن الأرض بعـده. وبهـذا تم المقصود. وهذا مثالٌ واحدٌ من تحـريفهم لمعـاني القـرآن، وهو من أوجه الجفاء لرسالته بأبي هو وأمي ونفسي .

ثانيًا: ويُحرّف ابنُ المتنبئ القادياني بعض نصوص القرآن أيضًـا على طريقة والـده، فيقـول: « إنّ الـذي بشّـر به الرسُـلُ غلامَ أحمد لا نبِيّ الله محمـد، وهو المـراد بقوله تعالى: ﭽﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭼ [الصف: ٦]لأنّ نبِيّ الله كان اسمه محمد، لا أحمد، فلذا لا بدّ أن يكون المراد غير محمد، فهـا هو المراد بأنّ المقصود منه غلام أحمد لا محمد »[2].

وألّف متحمّسٌ آخر لنبوة القاديانِي كتابه وسَمّاه: حقيقـة النبـوة، وأثبت فيـه أنّ القاديـانِي كـان أفضـل من بعض أولي العزم من الرسل، بـل يمكن أنْ يكـون أفضـل من جميعهم، وتمادى في الانحراف والغلوّ والتحريف حتى

---

[1] (?) ملفوظـات أحمديـة، ص290، بـترتيب: محمد منظـور القاديـاني، بواسطة: الأديان والفرق، لشيبة الحمد، ص108.

[2] (?) من مقال بشـير أحمد -ابن المتنـبئ-، ريويو آف زيليجـنز، ص139-141، المنشور في جريدة الفضل القاديانيـة، 19أغسـطس، 1916م، بواسطة: القاديانية، للشيخ إحسان، ص86.

قال: إنّ ميرزا هو محمد ، وهو مصداق قول الله الكريم: ﭽﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭼ [الصف: ٦][1].

وهذه التحريفات الإلحادية، والدجل والكذب كفرٌ واضح لا يحتاج إلى أيّ تعليق.

ثالثًا: وأختم بتحريف لكـذّاب من قاديـان، وهـو من النـوع الآخَـر؛ المختلـف عن سـابقَيه: « إنّ مؤتمرنا السّـنوي هو الحج، وإنّ الله اختــار المقــام لِهــذا الحج القاديــان ..، وممنوعٌ فيه الرفث والفسوق والجدال » [2].

حيث يــزعم القاديانيّة أنّ (مدينة القاديــان) الــتي لَم يتم انضمامها إلى باكستان عند الانفصال: دار أمن، وقد كـانوا على تسـميتها دار الإسـلام ودار الأمن في أكـثر من نصف قــرن، إلى أنْ أكــذبهم الله وأظهر تحوّلها إلى دار الهلاك والفــــرار –في قصة طويلة ذكرها أمين الحركة العالميّة لختم النبـوة الشـيخ منظـور أحمد جـنيوتي (ت: 9جمـادى الأولى، 1425هــ رحمه اللــه- وأنّه اضـطرّ عائلة المـيرزا وعائلة خليفته (زعيم الطائفة بعـده) بشـير الـدين محمـود للفـرار من قاديـان حـتى قـرّ قـرارهم في باكسـتان، ولَما وصلُوا إليها سـكنوا في قرية قـرب جـنيوت، وسَـمّوا هـذه المنطقة بـ(ربوة). والشـاهد من هـذه القصة أنّ تسـميتهم هذه « كـانت نوعًا من أنـواع التحريف الخطـير في كتـاب الله العزيز، وذلك بـأنْ يبقى اللفظ على ما هو عليـه، لكن يتغيّر محلّه ومدلولـه، ولكن أنّى لَهم ذلـك! ويـأبَى الله إلا أنْ تبوء مؤامرتهم هذه كـذلك بالفشـل، وتنكشف نوايـاهم الخفيّة السـيّئة، والحمد لله أنّ هـذا الاسم المنتحل قد تمّ تغييره رَسمِيًّا »[3].

والمقصود أنّ هؤلاء أرادوا بتحريفهم تحريف ما جاء من هجرة عيسى وأمه إلى هجرتهم، ذلك أنّهم يزعمـون

---

1 (?) انظر المصدر المنقول عنه: في كتاب: إسلام بلا مذاهب، للشـكعة، ص388.

2 (?) بركات الخلافت لمحمود ابن الغلام القادياني، ص5، و7، بواسطة: الإيضـاحات الجليّة في الكشف عن حـال القاديانيّـة، لابن السـبيل، ص 20.

3 (?) تقديم الشيخ منظور جنيوتي رحمه الله- لكتـاب: القاديانيّة ودعايتها الضّالة والرد عليها للبنعلي، ص13-14.

أنّ متنبئهم هو المسيح الموعود، لذا زعموا أنّ مكانَهم هذا هو المقصود بـ(الربوة) التي في قوله: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞ ﮟﭼ [المؤمنون: ٥٠].

بينما الأظهر كما يُرجحه بعض المفسرين من مكان هذه الربوة هو منطقة فلسطين[1].

والمقصود من هذا المطلب أنّ رأس القاديانيّة ومن بعده أتباعُه في دينه الجديد لَمّا أرادوا تحريف دين الله تعالى (كتاب الله وسنة رسوله): سلكوا المسلك الخبيث (التأويل الباطني والتحريف) ليتم لهم مرادهم وهو إفساد هذا الدين بالتفسير الباطِني لنصوصه، إلا أنّ الله بلُطفه كشف عن نواياهم وهتك سرّهم.

** * **

المطلب الرابع: تجرؤ القادياني على تفضيل نفسه على الرسول الأمين [2]:

تقدم أنّه من جفاء نبينا محمدٍ تفضيل أحدٍ من أمته عليه، ومن الفِرَق التي مارست هذا النوع من الجفاء: القاديانيّة، حتى قال المتنبّئ القادياِني -وهو يُفضِّل نفسه على رسول الله -: « إنّ النبِيّ له ثلاثة آلاف معجزة، ولكنّ معجزتي زادت على مليون معجزة »[3]. بل ادّعى بالحرف الواحد: « أنّه أفضل من جميع الأنبياء والرسل، ولذا سمّي آدمُ، وشيث، ونوحٌ، وإبراهيمُ، وإسحاقُ، وإسماعيلُ ويعقوبُ، ويوسفُ، وموسى، وداود، وعيسى »[4]. وقال أيضًا: « الكمالات التي كانت توجد في جميع الأنبياء وُجدت في رسول الله ، وأكثر منها، ثم انتقلت كلّ هذه الكمالات إلَيّ، ولذا سُمّيت آدم، وإبراهيم،

---

1 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج3/327-328)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص553، وتقديم الشيخ منظور جنيوتي رحمه الله- لكتاب: القاديانيّة للبنعلي، ص13.

2 (?) للاستزادة انظر: فصل غُلُوّ القادياني وتفضيله نفسه على الأنبياء وغيرهم من كتاب: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجي، (ج2/ ص803-812).

3 (?) تحفة كولره لغلام أحمد، ص40، وتذكرة الشهادتين، له أيضًا،ص 41، بواسطة:القاديانيّة لإحسان،ص72، و69.

4 (?) هامش حقيقة الوحي للغلام، ص72، بواسطة: القاديانيّة لإحسان، ص71.

وموسـى، ونـوح، وداود، ويوسـف، وسـليمان، ويحـيى، وعيسى »[1].

كما ذكر « جاء أنبيـاء كثـيرون، ولكن لَم يتقـدم أحـدٌ علَيّ في معرفة الله، وكلّ ما أعطي لجميع الأنبيـاء أعطيتُ أنـا وحدي بأكمله »[2]. وقال الغلام المتنبئ أيضًا: «وآتـاني مـا لم يُؤتَ أحدٌ من العالَمين »[3].

وما تقدم من المقالات والجفاءات عامّة في نبيّنا محمد ﷺ وفي غيره من إخوته الأنبياء، ولقد خصّه بجفائه، فقال -وهو يفتخر بأنّه خُسف له الشمس والقمر، ولم يُخسف للنبِيّ ﷺ إلا القمر-:

« له خسف القمر المنـير، غسا القمـران المشـرقان، وأنّ لي أتنكر؟»[4].

وفسّروه بأنفسهم فقالوا: « ظهَرَت له (أي: للنبِيّ الكريم ﷺ) علامة خسوفُ القمر، وظهَر لي خسـوف القمر والشمس كليهمان فهل تستطيع أنْ تُنكِر الآن »[5].

ثم إنه لَمّا فتح الغلام بابَ تفضيلِ نفسه على الأنبياء عليهم السلام، قال ابنُه وخليفتُه الثاني: « إنّ الارتقاء الذّهنِي لإمامنا كان أزْيد، وأكثر من النبِيّ الكريم ﷺ؛ لأنّ هذا الزمان أرقى من آنذاك من حيث التمدن، وهذه هي الفضيلة الجزئية التي حصلت لغلام أحمد على محمد ﷺ »[6].

وقال آخر: « إنّ محمدًا نزَل مرة أخرى فينا، والحال أنّه أكبر شأنًا من بعثته الأولى، والذي يريد أنْ ينظر إلى

---

[1] ملفوظـات أحمدية للغلام، (ج4/ ص142)، بواسـطة: القاديانية للشيخ إحسان، ص67.

[2] در ثمين لغلام أحمـد، ص287-288، بواسـطة:القاديانيّة لإحسـان، ص67، وانظر: ص71.

[3] ضميمة حقيقة الوحي للغلام، ص87، بواسـطة: القاديانية للشـيخ إحسان، ص69.

[4] إعجاز أحمدي للغلام، ص71، بواسطة: القاديانيّة دراسـات وتحليل للشيخ إحسان، ص75.

[5] الإعجـاز الأحمـدي، 71، بواسـطة: الأصـول الذهبية في الـرد على القاديانية، ص552. وانظر: القاديانيّة لإحسان، ص75.

[6] ريويو القادياني مايو 1939 م، بواسطة: القاديانية للشيخ إحسان، ص69.

محمد بصورة أكمل فلينظر إلى غلام أحمد في القاديان »[1].

وكتب كذاب آخر في جريدة (الفضل): « نحن نعتقد بأنّ الله أنزل لصداقة غلام أحمد آيات بيّنات لو توزّع على ألف نبِيٍّ لتثبت بِها نبوتهم، وكان يجمع في ذاته جميع الصفات القدسيّة التي وجدت في جميع الأنبياء »[2].

وقال القادياني وهو يذكر فضائل من دخل في جماعته على زعمه: « مَن دخَل في جماعتي فإنّه دخل في الحقيقة في صحابة سيّد المرسلين »[3]. ولقد نشرت جريدة قاديانيّة ما نصّه: « إنّ كُلّ مَن رأى غلام أحمد في حال اعتناق القاديانيّة يُقال له: صحابِيّ »[4].

كما فضّل الغلام أحمد وأتباعُه مسقطَ رأسِه (قاديان) على مكة والمدينة، ولقد حكى نصوصهم الكثيرة الشيخ إحسان –رحمه الله-، وقبل إيرادها قال: « ويعتقد القاديانيّة أنّ قاديان (أي: القرية التي ولد فيها الدجال الكذّاب، المخبول غلام أحمد) هي كالمدينة المنورة، ومكة المكرمة، بل أفضل منهما، وأرضها أرض الحرم، وفيها شعائر الله، وتنزل فيها أنوار الله وبركاته، وفيها قطعة من قطعات الجنّة، وفيها مقبرة يُسلّم عليها محمدٌ رسول الله، وقد ورد ذكرها في القرآن، ومسجدها يُضاحي المسجد النبوي، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، بل هذه القرية نفسها تضاهي قبلة المسلمين وكعبتهم »[5].

ثم أخَذَ يَسردُ رواياتهم الْمُقرَّرَة لذلك، فليرجع إليها مَن أرادها.

---

[1] (?) جريدة قاديانيّة (بدر)، 25 أكتوبر/ 1902م، بواسطة: القاديانية للشيخ إحسان، ص76.

[2] (?) جريدة قاديانية –الفضل-، 16أكتوبر/ 1917م، بواسطة: القاديانية للشيخ إحسان، ص77.

[3] (?) خطبة إلهامية للغلام، ص171، بواسطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص110.

[4] (?) جريدة الفضل، 3فبرير، 1936م، بواسطة: القاديانيّة لإحسان، ص 110، وانظره مع التعليق عليه: ص82.

[5] (?) القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص111-112.

وما في هذا المطلب مظهرٌ من مظاهر جفاء هذه الفرقة لمقام الرسالة المحمدية، وسيأتِي رَدّ مـزاعم هـذا المطلب في مبحث: (أهل السّـنّة يعتقـدون أنّ محمـدًا أفضل المرسـلين، وسـيّد الخلق أجمعين) في الفصل الثاني من الباب الأخير.

** * **

المطلب الخامس: نيلُ رأْسِ القاديانية (أحمد الغلام) من كرامة النبيِّ [1]:

لَم يكتف القاديـانِيّ المتنبئ بتفضيل نفسه على الأنبياء وعلى رأسهم نبينا محمد -كما تقدم-، بل نـال من كرامة عبد الله ورسـوله نبيّنا محمد ومنزلتـه، يـدُلّ عليه قوله: « وأما تجليات كمالات رسول اللـه مـا كـانت راقيـة إلى منتهاها، بل هذه التجليات بلغت إلى ذروتها في عهدي وفي شخصي »[2].

ويَذكر الشيخ منظور في (الأصول الذهبيّة في الرد على القاديانية) في خاتمته ثمانية أوجُه لتكفـير القاديانيـة، قال في الخامس منها: (إهانته الأنبياء الآخرين غير عيسى) فقال: « وخصوصًا سيدنا محمدًا ، ومن أقاويل الميرزا في هذا الباب: 1- (اصطفى الله للتسـتر على نبيّـه مكانًـا مهينًا، والذي كـان في غايـة التعفن، وكـان ضـيّقًا مظلمًـا، وكان موضع نجاسة لحشرات الأرض)[3] –وذكر الثـاني من نوعه- »[4].

وقد سلك ابنٌ للقادياني في النيل من منزلة وكرامة نبينا محمد مسـلك والـده، ونسج على منوالـه، فقـال محمـود بن أحمد الغلام -وهو الخليفة الثـاني لوالـده

---

1 (?) للاستزادة انظر: مبحث: الرد على عقائد القاديانيّة في الأنبياء والصحابة، من كتاب: الشيخ إحسان إلهي ظهير،منهجه وجهوده في تقرير العقيدة، ص717-726.

2 (?) خطبة إلهامية للغلام أحمد، ص177، بواسـطة: القاديانيّة دراسـات وتحليل للشيخ إحسان، ص79.

3 (?) التحفة الجولروية في الخـزائن الروحانيـة، 11/ـ 205، بواسـطة الحاشية القادمة.

4 (?) الأصول الذهبية في الرد على القاديانية، للشيخ منظور، ص551.

القاديـاني- [1]: « في إمكـان كُـلّ واحـدٍ أنْ يـرتقي ويبلُغ المنزلة التي يُريدها، حـتى ولو يريد أنْ يتقـدم على محمد رسول الله مرتبة وشأنًا يستطيع أنْ يبلغ »[2].

والنيل من بقية الأنبياء والطعن فيهم طعنٌ في نبينا أيضًا: وقد خصّ الشيخ إحسان –رحمه الله- صفحات كثيرة[3] من كتابه (القاديانية دراسات وتحليل) لذكر تفضيل الغلام نفسه على الأنبياء والمرسلين. بل وأثبتَ أنّ القادياني لم يكتف بذلك حتى اتهم نبِيّ الله عيسى (قياسًا على نفسه[4]) بشرب الخمر والاختلاط بغير المحرمات من النساء، الذي هو واقعٌ فيهما؛ فمما قال في الأول: « إنّ مسيحًا ما استطاع أنْ يقول لنفسه بأنّه صالح؛ لأنّ الناس كانوا يعرفون بأنّه خمّارٌ مفسدٌ »[5]. وقال: « أنا أرى بأنّ المسيح ما كان يتنزّه عن شرب الخمر »[6]. ولعنة الله على الكاذب.

وقال المتنبئ في الثاني: « إنّ أُسرة عيسى أسرةٌ عجيبةٌ، كانت جداته الثلاثة فاجرات زانيات، .. ولعله كان ميلان عيسى إلى المومسات لهذه النسبة، وإلا لا يسمح

---

1 (?) **محمـود بن أحمد الغلام**: هو خليفة القاديانية الثـاني بعد مـوت الخليفة الأول (الحكيم نور الدين البهيروي) وقد زعم أنه خليفة العـالم أجمعـه، لا خليفة القاديانية فحسـب، وجنّ محمـود جنـون أبيه الغلام المتنـبي، وزعم أنه ابن لقمـان المـذكور في القـرآن، وأنّ والـده هو لقمان، وسيرته مملوءة بالغدر والخيانة الأسرية، بل كتبهم ومطويـاتهم تشهد عليه بالزنا بأقصى حد، وما سـبق وما يـأتي من كلامه يـدل على زندقته. وقد أسس للقاديانية مركزًا جديدًا في باكستان، سـموه ربـوة، (وترجمته في كتـاب: القاديانية لإحسـان، ص253-259، والأصـول الذهبية في الرد على القاديانية للشيخ منظور، ص242-243، ووفـرق معاصرة لغالب، ص840-841) (انظر: 707).

2 (?) يوميـات محمـود أحمد خليفة القاديانيّة المنشـورة في جريـدة الفضل، الصادرة 17/ يوليو/ 1922م، بواسطة: القاديانيّة لإحسان، ص 88-89.

3 (?) انظرها من ص: 57-70.

4 (?) القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص75.

5 (?) ستّ بجن للغلام القادياني –حاشـية، ص172، بواسـطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص67.

6 (?) ريويـو، ج1/ ص123، 1902م)، بواسـطة: القاديانيّة دراسـات وتحليل للشيخ إحسان، ص67.

من المتقين، وأن يمس رأسه شابة زانية، وتعطره بمالها الحرام .. »[1].

وقال مفضِّلا نفسه عليه، « اتركوا ذكر ابن مريم فأفضل منه غلام أحمد »[2].

وقد سبق نصوصٌ في تمهيد المبحث والذي خصصته بالتعريف للفرقة ذكرٌ لشرب القادي الخمـر، واختلاطه هو بالأجنبيات.

وقد قـرر الشـيخ إحسـان –رحمه اللـه- المتنـبئ القادياني على ما قـال، وذكر أنّ كلامه ينطبق عليـه، قـال غلام: «الذي يسبّ أو يشـتم الأخيـار المقدسـين فليس إلا خبيثٌ ملعونٌ لئيم»[3]. ويقول أيضًا: « الذي يحتقر أيّ نبِيّ فهو كافر »[4].

فما حُكم القادياني هذا، وما الحكم الإسلامي فيه وفي أتباعه على حسب المعتقدات الـتي يحملونهـا؟ لأجله أطبق العلمـاء على تكفـير من يعتقد عقائـدهم ومـروقهم عن الدين الإسلام[5].

المطلب السادس: شتم القادياني وُزراءَ الرسول (أصحابَه) وأبناءَه[6]:

تقدم ذكر أبناء وبنات رسولنا محمدٍ في (مبحث ذكر أولاده و) من الباب الأول. ومن أبناء النبِيّ أيضًـا: الحسن والحسـين رضي الله عنهما وغيرهمـا. وهـذان من

---

1 (?) ضـميمة انجـام آتتهم للغلام المتنـبئ، ص7، بواسـطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص67.

2 (?) دافع البلاء في الخـزائن الروحانيـة، بواسـطة: الأصـول الذهبية في الرد على القادياني للجنيوتي، ص235.

3 (?) البلاغ المبين، ص19، بواسطة: القاديانيّة دراسـات وتحليل للشـيخ إحسان، ص69.

4 (?) عين المعرفة للغلام، ص18، بواسـطة: القاديانية للشـيخ إحسـان، ص88.

5 (?) انظـر: إجمـاع أهل العلم على تكفـير القاديـاني وأتباعـه: القاديانية دراسات وتحليل، للشيخ إحسان، ص21، وقد تقدم أن الشيخ منظـور ذكر ثمانية أوجه لتفكير القاديانية/ (الأصول الذهبية له، ص545-557).

6 (?) للاستزادة انظر: مبحث: الرد على عقائد القاديانيّة في الأنبياء والصحابة، من كتاب: الشيخ إحسان إلهي ظهير، منهجه وجهوده في تقرير العقيدة، ص726-729.

أبناء بنته فاطمة رضي الله عنها، والتي انقطع نسلُه إلا منها، ولقد قال -وهو عَلَى الْمِنْبَرِ- في حقّ الْحَسَن بْنِ عَلِي رضي الله عنهما: " **إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِين** "[1].

وما أروع مواقف المسلمين في مراقبة نبيهم محمد في أهل بيته، فاعتبر بمواقف أبي بكر فيهم، بل ما كتب الحافظ السخاوي كتابه: استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف إلا لبيان ذلك، ومن أبوابه فيه: ذكر إكرام السلف رضوان الله عليهم لأهل البيت، وما في ذلك من أخبار[2].

أما هذا المتنبّي وتلامذته فإنهم وقعوا في عكس ذلك. فقد قال غلام أحمد -وهو يزري بأبناء رسول الله : « إنّهم يغضبون عليّ؛ لأنّي أفضّل نفسي على حسين، ومع أنّه لم يذكر اسمه في القرآن، بل ذكر فيه اسم زيدٍ، وإنْ كان كذلك فكان ينبغي أنْ يذكر اسمه في القرآن، أما نسبة الأبوة فقد قطعت بقوله: ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ [الأحزاب: ٤٠] »[3].

وقال: « يقولون عنّي بأنّي أفَضّل نفسي على الحسن والحسين، فأنا أقول: نعم؛ أنا أفضّل نفسي عليهما، وسوف يُظهر الله هذه الفضيلة »[4].

وقد تقدم في المطالب السابقة أنّ تفضيل القادياني نفسه جاوز كُلّ الحدود، فَمَن يُفضّل نفسه على الأنبياء وعلى رأسهم خاتمهم محمدٍ فإنّ تفضيل نفسه على الصحابة مما يُتَوقّع صدوره منه بالأحرى، هذا من جانب.

ومن جانب آخر، فإنّ المتنبّئ وابنه المسمى محمود أحمد قد طعنا في طائفة من أصحاب رسول الله ، وهم

---

[1] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَابٌ مَنَاقِبُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورقمه: 3746.

[2] انظر: استجلاب ارتقاء الغرف، ص148-157.

[3] ملفوظات أحمدية، (ج4/191-192)، بواسطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص50-51.

[4] إعجاز أحمدي للغلام، ص58، بواسطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص51.

الـذين عَـنيْتُ بقـولي: (وُزراء النّبِيّ). وهـؤلاء المطعـون فيهم هم أفاضل الصحابة على الإطلاق؛ فذكروا أنّ أبا بكر وعمـر لا يسـتحقان حمـل نعلي الغلام اللـتين لا يسـتطيع التمييز بينهما. كمـا طعن الغلام في أكـثر الصـحابة روايـة؛ أبي هريرة، ولعله أراد الطعن في منقولاته الكثيرة. فقـال محمود بخصوص العمرين رضـي اللـه عنهمـا: « إنّ منزلة أبي بكر حصل عليها مئـات من أمة محمد »[1]. وقـال: « أين أبو بكر وعمر من غلام أحمـد، وإنهما لا يسـتحقان أنْ يحملا نعليه »[2].

وقال الغلام نفسه في راوية الإسلام (أبي هريرة):«إنّ أبـا هريـرة كـان غبيًّا، ومـا كـان لـه درايـة صحيحة»[3].وسفّه بعض الصـحابة فقـال: «بعض الصـحابة السفهاء»[4].

لكن الـذي علِم بمواقـف المتنـبئ وأتباعـه المتقدمـة؛ مِن دعوى غلام القادياني النبوة والرسالة بل وتفضـيله نفسـه على الأنبياء لا يستغرب من مواقفهم تجاه آل رسول اللـه وأصحابه!

ولقد عقد الشيخ إحسان –رحمه الله- مقالا بعنوان: (المتنبئ القادياني وإهانته الصـحابة والأنبيـاء)، وممـا قـال فيـه: « كـان رأس الـدّجّالين في القـرن الأول: مسـيلمة الكـذاب، وفي القـرن الرابع عشـر: غلام أحمد القاديـاني، فاتفقا في دعـوة النبـوة والرسـالة، ولكنّ الثـاني زاد في غلوائه حتى فضّـل نفسه على سـائر الأنبيـاء والمرسـلين، وأهـانهم عليهم السـلام، ومسّ بكـرامتهم، وسـبّ بعضـهم وشـتم الآخـرين. كما تهجم على كرامة سـيّد شـباب أهل الجنّة، وعلى وزيري رسول الله ورحمائه، وسفّه أصحابه

---

1 (?) حقيقة النبـوة لمحمـود بن الغلام القاديـاني، ص152، بواسـطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص52.

2 (?) المهدي نمرة لمحمد حسين القادياني، ص57، بواسطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص52.

3 (?) إعجاز أحمدي للغلام، ص18، بواسطة: القاديانيّة دراسـات وتحليل للشيخ إحسان، ص55-56.

4 (?) ضميمة نصرة الحق، ص140، بواسطة: القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص56.

الـبررة؛ حملة لـواء الإسـلام وناشـري سـنته المطهـرة رضـوان الله عليهم أجمعين، والأئمة المجتهـدين، وأوليـاء الأمة وأصفيائها. ومع ذلك يوهم القاديانيّة بأنّهم مسلمون، ومع المسلمين، ويعتقدون ما يعتقده المسلمون؛ فَمَن من المســـلمين يعتقد أنّ أحـــدًا أفضل من أبي بكر وعمر وعثمــان وعلي؟ .. ومَن مِن كافة المســلمين يحسب أنّ أحدًا وُلد أفضل من أفضل البشر، وسيّد ولـد آدم ؟ لا ولا أحـدَ. فَمَن يكـون قائـل هـذا مسـلمًا؟ أبـدًا؛ .. ومَن من المسلمين يتصوّر أنّ أحدًا من المسـلمين يسـبّ أو يشـتم أحدًا من الأنبياء والمرسـلين؟ »[1]، ثم وثّـق هـذا الإجمـال بالنقولات من كُتُب القادياني[2].

** * **

هذا، وقد تقدم في (فصل الرافضة) مبحثٌ خاصٌّ في طعنهم في أزواج النبِيّ كعائشـــة وحفصـــة، وكـــذا في أصحابه كأبِي بكـر وعمـر وعثمـان وغـيرهم ، بـل ولعنهم وتكفيرهم. وكما تقدم هناك وقد رددت تلك المطـاعن رَدًّا مجملا، وأزيدُ **-ولأرُدّ على باطل هؤلاء وأولئك- أذكُرُ الأوجه العامة الآتية:**

الأول: الطعن في الصحابة على مراتب، منه ما هو كُفرٌ، ومنه ما هو دون ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيميـة – رحمـه اللـه- في خاتمـة الصـارم المسـلول: « وأما مَن سبّهم سبًّا لا يَقدح في عـدالتهم ولا في دينهم؛ مثل وصف بعضـــهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عـــدم الزهد، ونحو ذلك فهـذا هو الـذي يسـتحق التـأديب والتعزير؛ ولا يُحكم بكفـره بمجـرد ذلك، وعلى هـذا يُحمل كلام مَن لم يُكفّـرهم من أهل العلم. وأما مَن لعن وقبّح مُطلقًـا فهـذا محل الخلاف فيهم؛ لـــــتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد. وأما مَن جـاوَز ذلك إلى أنْ زعَم أنهم ارتـدوا بعد رسول الله إلا نفَرًا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسـًا، أو أنّهم فسقوا –عامتهم- فهذا لا ريب أيضـًا في كفـره؛ فإنّـه مُكذّب لِما نصـّه القـــرآن في غـــير موضع:من الرضـــا

---

[1] القاديانيّة دراسات وتحليل للشيخ إحسان، ص49-50.

[2] انظرها في: القاديانيّة للشيخ إحسان، ص50-70.

عنهم،والثناء عليهم. بل مَن يَشـُكّ في كفر مثل هـذا فـإنّ كُفره متَعَيّن؛فـإنّ مضـمون هـذه المقالة أنّ نقَلَـةَ الكتـاب والســنة كُفّــارٌ أو فُســّاق –إلى أنْ قــال:وبالجملة فمِن أصـناف السـّابّة مَن لا ريب في كفـره.ومنهم مَن لا يُحكم بكفره.ومنهم مَن تردد فيه»[1].

فإذا كان المتنبئ القادياني المعروف ببذاءة اللسان[2] لم يُـؤثر عنــه في الطعن في الصــحابة إلا تلــك الألفــاظ المتقدمة، ولم يَقُل ما هو أشنع منها = فإنّه والحالـة هـذه لا يكون جفـاؤه هـذا من أوجـه تكفـيره. ولَم أرَ مَن كفّـره بسبب طعنه في الصحابة ، بل بأمور أخرى متقدمة.

الثــــاني: طعن القاديانيّة والرافضة عمومًا في أبي بكر وعمر وفي أبي هريــرة وغــيرهم من نَقَلَة الشــريعة من الصــحابة، وكــذلك طعن القاديانيّة في بقيّة أهل الــبيت كالحسن والحســين وغيرهما ممــرّ إلى إبطــال الــدين الإسلامي؛ بكتابه وسُنّته؛ ذلك أنّ الصحابة هم رُوّاةُ الدين، والطعن في الناقل طعنٌ في المنقـول؛ فمـؤدّاه الزندقـة، ولقد تنبّه السلف لهذا؛ فقال أبو زرعة -رحمه اللـه-: « إذا رأيتَ الرّجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنّه زنديقٌ؛ وذلك أنّ الرسـول عنـدنا حقٌ، والقـرآن حقٌ، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رســول الله ، وإنّما يريدون أنْ يُجرّحُوا شهودَنا؛ ليبطلوا الكتاب والسّنة، والجــرح بهم أولى، وهم زنادقة »[3]. وقــال القرطــبي –رحمه اللــه- بعــدما ذكَر أحد الصــحابة: « فمَن نســَبَه، أو واحدًا من الصــحابة إلى كذِبٍ فهو خــارجٌ عن الشــريعة، مُبطلٌ للقـرآن، طـاعنٌ على رسـول الله . ومـتى أَلْحِـق واحدٌ منهم تكــذيبًا فقد ســُبّ، لأنّــه لا عــار ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب »[4].

---

[1] (?) الصارم المسلول لابن تيمية، ص513.

[2] (?) انظر: شواهد من بذاءة لسان القادياني: القاديانية للشيخ إحســان، ص139-144، ودراســات منهجية لبعض فــرق الرافضة والباطنيــة، للشيخ الدكتور عبد القادر، ص263-264.

[3] (?) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية للخطيب البغدادي، (ج1/ ص 188).

[4] (?) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج19/ ص349).

فالذي يطعن في الصحابة فهو في الحقيقة يُزري ويـزدري على رسـول الله ﷺ وعلى ما جـاء به؛ ذلـك: أنّه إذا كـان أصحابُه كذابين فالشريعة باطلة، والفـرائض والأحكـام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مـردودٌ غـير مقبول [1].

الوجه الثالث: لَمّا كان الناس يُعتَبَـرون بأخـدانهم وأخِلاّئهم، كما قيل قديمًا:

عن المـرء لا تسـأل وسـَل عن قرينه فكُلّ قرينٍ بالْمُقارَن يقتدي

كان الْقَدْح فِي خَيْرِ الْقُرُونِ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ الله قَـدْحٌ فِي الرَّسُولِ ﷺ من وجه خفيّ، ولقد تفطن لِهـذا أيضًـا أَئِمَّة السـلف والعِلْمِ –رحمهم اللـه- فقَـالَ مَالِـكٌ: (إنما هـؤلاء أقوام أرادوا القدح في النـبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقـدحوا في أصحابه حتى يقال: رَجُلُ سَوْءٍ كَانَ لَـهُ أَصْحَابُ سَـوْءٍ، وَلَوْ كَانَ رَجُلا صَالِحًا لَكَانَ أَصْحَابُهُ صَـالِحِينَ) [2]. ولقد علّق عليه شـيخ الإسـلام فقـال: « وذلك أنّـه ما منهم رجلٌ إلا كـان ينصر الله ورسـوله، ويذُبّ عن رسـول الله بنفسه وماله، ويعينه -ﷺ- على إظهـار دين الله، وإعلاء كلمة الله، وتبليغ رسـالات الله وقت الحاجة، وهو حينئذ لم يسـتقرّ أمرُه، ولم تنتشر دعوتُـه، ولم تطمئن قلـوب أكـثر النـاس بدينه. ومعلـومٌ أنّ رجلا لو عمل به بعض النـاس نحو هـذا، ثم آذاه أحدٌ لغضب له صـاحبُه، وعدّ ذلك أذى له »[3]، فكـان الْقَـدْح فِيهم قَـدْحًا فِيـه بنفسي هو ﷺ. ولقد قـال البربهـاري –رحمه اللـه- مثل كلام مالـك: « واعلم أنّه مَن تناول أحدًا من أصـحاب رسـول الله ﷺ فـاعلم أنّه إنما أراد محمدًا ﷺ، وقد آذاه في قبره »[4].

الرابـع: قـال القرطـبي –رحمه اللـه-: « الصـحابة كلهم عدول، أولياء الله تعـالى وأصـفياؤه، وخيرته من خلقه بعد

---

1. (?) انظر: المصدر نفسه، (ج19/ ص350).
2. (?) انظر كلام مالك: الصارم المسلول على شـاتم الرسـول، ص506-507.
3. (?) المصدر نفسه، ص507.
4. (?) شرح السنةللبربهاري، ص57.

أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة »[1].

الخامس: قرر طائفة من العلماء أنّ مَن غاظه الصحابة فيُخاف عليه المروق من الإسلام، قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله، في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم»[2].

السادس: « فحذَارِ من الوقوع في أحد منهم، كما فعل من طعن في الدين »[3] من الرافضة والزنادقة الذين تستّروا بدعوى حُبّ أهل البيت؛ والإسلام، فطعنوا في الصحابة وألحدوا في آيات الله، كالقرامطة والدروز والنصيرية وغيرهم، وكذلك البابية والبهائيّة. وقد دخل في شيءٍ منه فرقة القاديانية.

واعلم بأنّ لازمَ سَبّ الصحابة والقول بأنّهم ارتدوا أو فسقوا خطيرٌ غاية الخطورة، حيث إنه يَرجع بالهدم والطعن في الأصول الثلاثة؛ التي مِنها: القول بأنّ مُرَبّيهم رسول الله من أكثر الناس فشلا، وأنّه لم ينجح حتى في تربية أخص الناس به حيث ارتدّوا بعد بل بُعيد موته مباشرة. كما أنّه يؤول إلى معنى: أنّ الله الحكيم تبارك وتعالى لَم يختَر لصحبة رسوله الطيّبين والطيّبات، بل جعَل أخص الناس به وأقربهم إليه هم المعول الأول لِهدم البنيان الذي بناه خليلُه. وحاشاه! كما أنه من الواضح جدًّا: أنّ الطعن في النقَلَة طعنٌ في المنقول؛ فالدين الإسلامي لم ينقله إلى التابعين ومن بعدهم إلا الصحابة ، فالطعن فيهم طعنٌ فيما بلّغوه عن رسولهم الكريم .

---

[1] (?) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج19/ ص350).

[2] (?) قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية الأخيرة لسورة الفتح، (ج4/ص259)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج19/ص347).

[3] (?) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج19/ ص349).

وفي ختام المبحث الذي تقدم في القاديانيّة أقول بأنه: تبيّن بمطالبه الستة المتقدمة أنّ القاديانية فرقة تنتسب إلى الإسلام، إلا أنه بجفائها للرسالة المحمدية صارت لا نصيب لها منه، بل تبين أنهم أرادوا هدمه من أساسه، بدعوى متنبئهم النبوة الكاذبة، وإلغاء بعض الشرائع الإسلامية. كما أنّ رأسهم قام –جفاءً منه- بتفضيل نفسه على رسل الله عامّة، وعلى خاتمهم خاصّة. والله المستعان!

كما أقول في ختام هذا الفصل –فصل موقف القرآنيين والقاديانيين من مقام الرسالة لنبينا محمد -: بأنّ هاتين الفرقتين جافيتان للرسالة المحمدية الخاتمة، وقد كانتا تنتسبان إلى الإسلام إلا أنّهما ناقضتاه وخرجتا منه. والله تعالى أعلم.

** * **

الفصل السادس: موقف البابيّة والبهائيّة مِن مقامي العبودية والرسالة لنبيِّنا مُحمدٍ ، وفيه تَمهيدٌ ومبحثان:

التمهيد: التعريف بالبابيّة والبهائيّة.

المبحثُ الأول: جفاء البابية والبهائية في مقام رسالة نبيِّنا محمدٍ ، وفيه أربعة مطالب.

المبحث الثاني: جفاء البابية والبهائية شخصه عليه الصلاة والسلام بتفضيل رأسَيهما نفسَيْهما عليه، وفيه مطلبان.

التمهيد: التعريف بالبابيّة والبهائيّة:

قد وُجد رجال كثيرون دجّالون كذّابون -في الرافضة وفي غيرها مِن فرق هذه الأمة- زعموا أنّهم أنبياء الله ورُسُله، من ابن سبأ وابن أبِي عُبيد الثقفيّ، .. إلى الغُلام القاديانِيّ، أرادُوا من وراء دعاويهم الكاذبة الْمُلكَ واستعبادَ البلادِ والعبادِ، وقصدوا الكيد للإسلام، والقضاء على الأمة. ووُجد طرازٌ آخر منهم لَم يقتنعوا بدعوى الرّسالة والنبوة فحسب، بل طار الشيطان بعقولِهم وجنّ جنونهم؛ فارتقوا –مضاهين اللعين الأكبر؛ فرعون- إلى الألوهيّة، وادّعوا الربوبيّة، مثل الحاكم بأمر الله، وبيان بن سمعان، وغيرهم. و« من هذا القبيل: كان حسين عليّ المازندرانِيّ الملقب نفسه بالبهاء، ومِن قبله أستاذه ومرشده إلى النار؛ عليّ محمد الشيرازيّ الْملقب بالباب »[1] حيث رأوا النّبوة والرّسالة أحطّ من مقامهم، وأقلّ من مرتبتهم وشأنِهم، فادّعوا الإلهية في آخر أمرهم. وهذان الأخيران هما اللذان يأتِي التعريف بِهما وبفرقتهما في هذا المطلب التمهيديّ. ولا غرابة من ادّعائهم هذه الدعاوى الكاذبة، حيث إنّ وراءهم أعداء الإسلام من الروس والإنجليز وغيرهم في التنشئة والتطوير والدعم والنشر والحماية، والذين هدفهم الأكبر هو تقويض بنيان الإسلام، كما أنّ لهم مطامع كُبرى دنيويّة -يومذاك-؛ من نَهْبِ خيرات المسلمين من وَجْهٍ، وزرع أمة الغضب (اليهود) المفسدين في قَلْبِهم خصوصًا في فلسطين،

[1] (?) البهائية نقد وتحليلٌ للشيخ إحسان، ص62، وانظر ما قبله.

وغير ذلك. وهذا ما يدعو -قبل التعريف بالفرقتين- إلى القول بأنّه:

قد ابتلي العالَم الإسلامي في القرن التاسع عشر بدخول الأمم الكافرة فيه وهو ما سَمّوه: الاستعمار، وذلك من قِبَل الإنجليز والروس، والبرتغال وفرنسا، ولقد أنشأ قادة الاستعمار عقائد مصنعة لا تَمُتّ إلى الإسلام بصلة كأحد الخطط لديهم[1]، وبثّوها بين المسلمين لتمزيق اتحادهم، وتشتيت شملهم، وتفريق كلمتهم، وإثارة الفِتَن والخلافات بينهم، واستئصال حبّ نبينا محمد النبي العرَبي -بالقوميّة حينًا، وبغيره آخر-؛ فأوجدوا للقيام بذلك أشخاصًا، هيئوهم وأمَدّوهم بالمال والعتاد لترويج تلك العقائد بينهم، وكذلك لنـزع روح الجهاد الذي لم يزَل يقلق مضاجعهم بعد مضي ثلاثة عشر قرنًا على ارتحال ذلك القائد الباسل البطل الذي نفخ تلك الروح؛ لتحرير الإنسانية من مخالب أعدائها، وجبابرة الأرض وطغاتها؛ فأوجدوا في فارس دجالا شيرازيًّا هو المدعو مرزا علي محمد رضا (الباب) عميلهم في إيران والذي أراد رمي إيران في أحضان الروس الصليبيين آنذاك، وللفتْك بالمسلمين وإبادتهم، لولا تداركت رحمة ربّهم. ووضعوا تاج عمالتهم وجاسوسيتهم بين العرب على رأس المرزا حسين علي النوري المازندراني (البهاء) المتألّه، وذلك بعدما يئسوا من وجود واحدٍ من العرب يقوم بِهذه الخيانة الكبيرة، ويجترئ على سرقة رداء النبوة والرسالة، والتربُّع على عرش الألوهيّة والربوبيّة. واستطاعوا –كما تقدم- استعمال المرزا غلام أحمد القادياني عميلا للاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الباكستانية الهندية لأداء تلك المهمة. فعمل كلّ واحدٍ من هؤلاء الخوَنة المرتزقة حسَب الخطة المرسومة لَه، وادّعى ادّعاءات باطلة كاذبة، كالمهدية والمسيحية والنبوة والألوهية،

[1] (?) انظـر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها لعبد الـرحمن الميـداني، ص 277وما بعده، وانظر طائفة من خطط أعـداء الإسـلام لغـزوه بتفريغه من مضامينه (فصل خطط العدو لغـزو الإسـلام بتفريغه من مضـامينه، ص250-306).

لإيجاد الفتن، وإثارة القلق بين المسلمين، وتوهين قُواهم، وإضعاف جمعهم. **ومن الغريب**: أنّ جميع هؤلاء الخونة اتفقوا على أمرٍ واحدٍ وأجمعوا عليه، وهو إبطال الجهاد، ونسخ القتال، ولو دفاعًا عن الدين والأعراض والوطن، وأفتى كلّ واحدٍ منهم بوجوب الولاء للمستعمر الغاشم، والمستبدّ الغاصب، وبِعدم التعرُّض له بسوء، وبالمجابهة والمقاتلة ضدّه، كما أنّ الجميع روّجوا الإباحية والانحلال الخلقي والإلحاد، وأحلّوا الكثير من الأشياء التي حرّمها الله على لسان رسوله ، وذلك ترغيبًا للسفلة وأصحاب الأغراض من الناس بدعوتهم[1].

وأرجع فأقول: لم تكن ادعاءات الشيرازي علي محمد إلا بإيعازٍ وتشجيع الاستعمار الروسي الصليبي الطامع في إيران، كما اعترف مؤرخو البابية والبهائية أنفسهم حين زعموا: أنّ الروس كانوا يحولون بينهم وبين القضاء عليه من قِبل الحكومة الإيرانية، وكيف كانوا يُدافع عنهم ويحمونهم من غضب المسلمين، ويُهدؤن ثورتهم عليهم، ثم كيف كانوا يُموّلونهم بالأسلحة والعتاد، ويُدرّبهم على استعمال المدافع والأسلحة الثقيلة ضد إخوتهم وبنِي قومهم، وذلك لِيُمهّدوا السبيل لاكتساحهم وتدخلهم في إيران، بل قد تجاوز الروس في حمايتهم عميلهم الشيرازيّ وأتباعه جميع الحدود الرسْمية، وحقوق الدول المستقلة المجاورة، حتى جاهروا باتصالاتهم بِهم علَنًا بتعاون الصليبيين الإنجليز. وقد شَهِد على هذا مؤرخوهم أنفسهم في كثيرٍ من كتبهم –كما قاله الشيخ إحسان إلهي ظهير-. ولَما هلكَ الشيرازي، وقُتِل في سبيلهم بِيَد الحكومة الإيرانية، أوْلَوا عنايتهم وحمايتهم المرزا حسين علي النوري، ولم يتركوه فريسة السيوف والرماح، وخصوصًا بعدما فشلوا في إنقاذ الشيرازي من مصيره الذي صيّرته إليه الحكومة الإيرانية[2].

---

[1] (?) انظره مفصلا في: مقدمة كتاب البابيّة عرض ونقد، للشيخ المجاهد إحسان إلهي ظهير، 25-26، وما بعده.

[2] (?) انظر: البابية لإحسان، 26-27، وانظره مفصلا في: مقـال البهائية تاريخها ومنشؤها،له أيضًا،ص19وما بعده.

وكل ما تقدم كان بشهادة دعاتهم ومؤرخيهم، بل وبشهادته نفسه على ذلك، حيث قال مخاطبًا ملك روسيا: « لوح إلى حضرة شاهنشاه روسيا -أيّده الله تبارك وتعالى- كذا حينما كنت في طهران أسيرًا في السلاسل والأغلال، أيّدنِي أحدُ سُفرائكم لإخراجي من السجن وإنقاذي منه، فقدّر الله لكم مقامًا جزاء ذلك لا يعرف رفعته إلا هو وحده »[1].

وبعد هذا، فسأُعرّف بفـرقتَي البابيّة والبهائيّة من خلال مسألتين، هما:

المسألة الأولى: التعريف بالبابيّة.

المسألة الثانية: التعريف بالبهائيّة.

المسألة الأولى: التعريف بالبابيّة[2]**:**

«تُعرَّف البابيّة اصطلاحًا: بأنّها إحدى فِرَق الباطنية، نشـأَتْ وتـربّت في أحضـان الشـيعة الاثـني عشـرية، ثم انشقت عنها؛ وأتَت بِمعتقدات فاسدة؛ أشهرُها زعمهم أنّ روح المهـــدي المنتظر قد حَلّت في أئمة البابيّـــة، وأنّ

---

1 (?) البابيّة عرض ونقد لإحسان، ص27، وانظر: ص80، والبهائيّة نقد وتحليل، له أيضًا، ص21-22.

2 (?) **مصطلح الباب** عند الشيعة يعني: الواسطة للوصول إلى القـائم، أو المهدي المنتظر، ولهم مصطلحات أخرى تدل على المعـنى نفسـه، منها: النوّاب. والحقيقة أنّ هؤلاء زادوا على عقيدتهم في الإمام الغائب عقيـدة أخـرى، هي: « البابيّـة، أي: النيابة عن ذلك الإمـام الغـائب لشخص (شيعيّ كامل) يكون واسـطة الفيض الـدائم بين الغـائب وبين الناس، ليُبلّغهم بأحكامه وأوامره، ويأخُذُ منهم النـذور والخمس باسـمه » (البابيّة للأستاذ إحسان، ص163).

ولئن كانت كلمة الباب تعني المدخل الذي يدخل منه الإنسان، أو الوسـيلة التي يتصل بواسطتها بما هو في الداخل في لغة العرب، إلا أنّها شائعة في جميع الأوساط الشـيعيّة حاوية لِمعـاني ومعتقـدات ضـمنوها فيهـا؛ فالإســماعيلية يســتعملونها اســتعمالا مجازيًّا للدلالة على الأســاس (الشيخ) الـذي يُعلّم النـاس أسـرار الـدين؛ الإلحـاد، وقد يُطلقونه على الإمام عليّ ، كما يُسمون الدعاة بالأبواب أيضًا.

وسلمان الفارسي معروفٌ بين النصيريّة بالبـاب. والـدروز يطلقـون اسم الباب على الوزير الروحاني الأول وهو يشمل العقل الكلّي.

كما تستعمل عند غير المـذكورين من الشـيعة على نـوّاب الإمـام الأخـيرة. ويزعمون أنّ « البـاب يكـون معصـومًا عن الأخطـاء، وإفادته كإفـادات الأئمة » (انظره مفصلا: البابيّة عرض ونقد، للأستاذ إحسـان، ص164-165).

الشريعة البابيّة قد نسخَت الدين الخاتم؛الإسلام»[1]. فـهي بـذلك « فرقـةٌ ضـالةٌ، ونِحلـةٌ كـافرةٌ، انبَثَقَت من الشـيعة الاثني عشرية، وظهَرَت في القـرن الثـالث عشر الهجـري في إيران، على يد رجلٍ شيعي، يُدعَى الميرزا عليّ محمد الشيرازي، الذي ظهَر بفكـرة البـاب إلى المهـدي المنتظر »[2]، ثم تدَرّج منها إلى دعواه أنّه المهدي نفسُه، وإلى أنّه نبِيٌّ ورســـولٌ، وختم بأنّه إلـــهٌ ورَبٌّ –والعيـــاذ باللـــه- بالحلول[3].

والرافضة الاثنا عشرية -التي انبثقت الشيخيّةُ ثم البابيّـةُ عنهـا- بعـدما قـالوا بالمهـدي مسـتورًا عن الأعين اعتقدوا أنّ مِن النـاس من له اتصـالٌ مباشر وبلا واسـطة مع هذا الغائب، والواسـطة -على حـدّ زعمهم- تكـون بينه وبين شيعته، وهي ما تسمى: البابيّة -عندهم.

ويقررون بأنّ للإمام الثـاني عشر (الملقب بالمهـدي، وهو مولودٌ –على القول المشهور عندهم- على فراش الحسن العسكريّ الإمام الحـادي عشـر)، يزعمـون بـأنّ له غَيْبَتَيْن غَيْبةً صُغرى، ومدتُها 74سنة، ويقولون بأنّ الناس يتصلون به بواسطة نُوّابه وسُفرائه، وهم أربعة. وأنّه بِموت رابعهم دون الوصـــية لِمَن يكـــون البـــاب بعـــده ابتـــدأت الغيبة الكبرى[4].

هذا ما قاله المجلسي في (حق اليقين) عن مهدي الشيعة المزعوم، وقائمهم الموهوم: « إنّه ولدٌ لِحَسَـن العَسْـكَريّ سـنة255هــ -على أشـهر الأقـوال- وكـانت وفاتُه (يعـني الحسـن) سـنة260هـ، فغـاب (ولـده المهـدي، وكـانت له غيبتان، غيبـةٌ صـغرى، وغيبـةٌ كـبرى. فأما الغيبة الصـغرى فكـان النـاس يتصـلون به بواسـطة السـفراء والنّـوّاب، ويقـــدّمون لَهم الْخُمُس والنـــذور لعرضـــها على الإمـــام،

---

1 (?) دراســات منهجية لبعض فِــرق الرافضة والباطنيــة، د. عبد القــادر محمد عطا، ص191.

2 (?) قاله د. محمد بن إبــراهيم الحمد في رســالته عن البابية (ضــمن: رسائله في الأديان والفرق والمذاهب ، ص301).

3 (?) ستأتي هذه الزاعم موثقة عند ترجمة الباب الشيرازي لاحقًا.

4 (?) انظـر: البابيّة عـرض ونقـد، للأسـتاذ إحسـان إلهي ظهـير، ص162-164.

والإمام كان يجيب بخطه الشريف، وكانت مدة هذه الغيبة 74سنة، وكـان نُوّابُه وسُـفراؤه المعروفـون أربعة -فـذكر أسماءهم وأنّ الثاني جاء بعد الأول بنص المهدي، والثـالث بنصّه وبوصـية البـاب الثـاني، بينما الرابع مـات ولَم يـوص بالسفارة لأحـد، وقـال- إلى أنْ مـات سـنة 329هــ بـدون وصيّة لأحد، فابتدأت الغيبة الكبرى، وانقطعت آثـار الإمامة ظاهرًا »[1].

ثم بعد بدء الغيبة الكبرى اختلف الاثنا عشــرية فيما بينهم في المهــدي الغــائب، فمِن قائل إنّه بعد هــذه الغيبة لم يتصل بأحد، وإنّ الـذي سـيرجع ويعـود هو نفس الـذي ولد على فراش الحسن العسكريّ.

ومِن قائل: بأنّ له اتصالات مباشرة بعدها، وأنّ كُلّ مَن له اتصالٌ مباشر به فهو بابُه، فهم يعتقـدون تسلسل الأبـواب بعد غيبة الأئمة [2].

والقـول الثـاني هـذا هو الـذي بَنَت عليه فرقـةُ الشـيخّية مذهبها، ثم حمّلته البابيّة والبهائيّة بعدها.

---

1 (?) حق اليقين للمجلسي، ص293، بواسطة البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص163.

2 (?) انظر: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص164، وص 166.

فالشيخيّة[1] الرافضيّة الباطنيّة -التي تقدمت الإشارة إليها، عند الحديث عن فِرَق الإمامية الاثني عشرية- ترى أنّ المهدي المنتظر المسمى محمد بن الحسن العسكري قد مات، وأنّ المهدي رجلٌ آخر يولد من أبوَين آخرين يَحُلّ فيه روح المهدي بشيء من التناسخ، وأنّ الأبوابَ إليه والأسباب المؤدّية عنه أمره ونهيه إلى شيعته يتسلسلون، بل وأنّ رأسها الملقب بالشيخ، وهو أحمد بن زين الدين الإحسائي المولود، سنة: 1166هـ هو الباب الواصل إليه. وبعد وفاته انتقلت البابيّة إلى تلميذه ووارثه وقائد الشيخية بعده، السيّد كاظم الرشتي[2]، الذي « كان يُبشّر تابعِيه ومُريدِيه وتلاميذه باقتراب ظهور المهديّ ودنوّ

---

[1] (?) **فرقة الشيخية**: طريقة في مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية أنكروا رجعة الغائب المنتظر (مهدي الشيعة)، وحكموا بموته، وإنْ زعموا أنّ روحه ستعود مرة أخرى في إنسان جديد –بالحلول- يولد من أبوين؛ غير والدي الغائب. أسسها أحمد زين الدين بن إبراهيم الأحسائي (نسبة إلى الأحساء بالبحرين) الملقب بالشيخ، والمولود سنة: 1166هـ الموافق: 1753م، والمتوفى سنة 1241هـ. والشيخية تنتسب إلى هذا الرجل الذي كان في بدأ أمره من كبار علماء الاثني عشرية، لكن ضم إلى ذلك معتقد الباطنية، فكان يقول -وتقول فرقته تبعًا- بالحلول: وأنّ الحقيقة المحمدية تجلت في الأنبياء قبل محمد ﷺ تجلّيًا ضعيفًا، ثم تجلت أقوى في محمد والأئمة الاثني عشر. ثم اختفت زهاء ألف سنة، <u>وتجلت في الشيخ أحمد الأحسائيّ، ومن بعده في تلميذه السيّد كاظم الرشتي</u>. ومعنى الرسالة والإمامة عند الأحسائي أنّ الله تجلّى في هذه الصورة، فمنهم رسول، ومنهم إمام. والأحسائي أيضًا من حلولية الصوفية.

(انظر تتمة ترجمة المؤسس الأحسائيّ وترجمة الشيخية في: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص166-168، والبهائيّة وموقف الإسلام منها، د. دخيل الله الأزوري، ص35-37، وأصول مذهب الاثني عشرية للقفاري، ج1/ص136-137، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر، ص192-190، وفرق معاصرة، د. غالب، -ج2/648-649، وختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية لمتعب الشثان، ص 45-46).

[2] (?) **المدعو بالسيّد كاظم الرشتي:** هو تلميذ الأحسائي الذي تولى زعامة الشيخية ومنصبه سنة: 1242هـ « ونهج منهجه وسلك مسلكه، وصار ركنًا رابعًا للشيخيّة، غير أنّه زاد الطين بلة، حيث قال: حلّ فيه روح الأبواب كما حلّ في الأحسائيّ، ولكن آن الأوان لانقطاع الأبواب ومجيء المهديّ نفسه»، ومات: 1258هـ، (انظر تتمة ترجمة كاظم الرشتي، في: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص168-169).

قيام القائم المنتظر بموجب العلامات والأمارات والآثار والإشارات »[1].

ودائمًا كان يُردّد مُؤججًا ضرام أشواق جميع شيعته إلى المهدي المنتظر الذي سيظهر: « إنّ الموعود يعيش بين هؤلاء القوم، وإنّ ميعاد ظهوره قد قرُب، فهيّئوا الطريق إليه، وطهّروا نفوسكم حتى تروا جماله، ولا يظهر لكم جماله إلا بعد أنْ أفارق هذا العالَم، فعليكم بعد فراقي أنْ تقوموا على طلبه، ولا تستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه »[2]. فـ«الرشتي كان يوميًّا يُشوّق الناس إلى ظهور المهدي، وأحيانًا كان يشير إلى أنّه موجود في حلقته، جالسٌ في حضرته. إلى أنْ مات في 1258هـ، وانتشر مذهبه ومذهب شيخه في فارس وخراسان وسائر ممالك إيران »[3]. هذا هو الرشتي، وذاك شيخه الأحسائيّ. والفرقة الشيخية –كما تقدم- خالفت بقية الاثني عشرية في المسائل المتقدمة.

وبعد هذه الترجمة المختصرة لقائدَي الشيخية وفرقتهما، أنتقل إلى الحديث عن حياة تلميذ الرشتي الشاهد هنا الناسج على منوالهما، المرزا عليّ محمد الشيرازيّ المتنبئ، والمدعي الألوهيّة والربوبيّة.

حياة الشيرازيّ ودعاويْه:

الشيرازيّ (رأس البابيّة) وُلد بـ(شيراز) عام 1235هـ، الموافق: 1819م، وقد توفي والده وهو صغيرٌ فكفله خالُه وعهد به إلى أحد تلامذة الرشتي؛ فحمله إلى أستاذهم الذي أخذ يوحي إليه بقرب ظهور المهدي، فبدأ ينحرف عن مذهب الاثني عشرية. وقد أخَذ الشيرازيّ عقائده الاثنَي عشرية بواسطة رأس الشيخيّة، وتلميذه الرشتي الذي أثّر فيه كثيرًا. وتقدم بأنّه طالما أثار قادة الشيخية أشواق الناس وهيّجوهم إلى قُرب ظهور المهدي

---

[1] (?) الكواكب الدرية في مآثر البهائيّة، ص24، (فارسي)، بواسطة البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص163.

[2] (?) مطالع الأنوار للنبيل الزرندي البهائي، ص31، بواسطة البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص169.

[3] (?) البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص171.

المنتظر الموعود، فكـانوا في توقّع بمجيئه في كُـلّ لحظة حتى كان عندهم مَن يأتيهم باسم المهـدي يكـون حـاجتهم المطلوبة، وأمنيتهم المنتظـرة، فكـان المتمهـدي لا يحتـاج مع ذلك إلا إلى شيءٍ يسيرٍ من التمويه والتلبيس.

كما أخذ بقية مزاعم الشيخية في المهديّ والمهديّة وغيرهما من الأحسـائيّ والرشـتي (قـادة الشـيخية السابقين) حتى كان الرشتي أَخَـذَ يومًا يسـامر الشـيرازي بحديث المهدي وظهوره، ويُهيّج عواطفه وأشواقه، ويُغْريه على أنّه من الممكن أن يكون هو المهدي، كما كان كثـيرًا ما يُشير بالتلويح والكناية إلى أنّ المهـدي هو المـرزا علي محمد الشيرازي[1].

وبعد ذلك ادّعي الشيرازي أنّه الباب إلى المهديّ، ثم ادّعى أنّه هو المهـدي، ثم تـدرج منها إلى بقية دعاويه القادمة [2]. وقد تكلم الشـيخ إحسـان إلهي ظهـير عن الرشتي إلى موته، ثم قال: « وبعد موته جاء وقت المـرزا عليّ محمد الشـيرازيّ الـذي ولد في مثل هـذه البيئـة، وترعرع في مثل هذا الجـوّ، وكـان تلاميذ الرشـتي وأتباعه يجوبـون الفيـافي والأقطـار، ويـردون الأقـاليم والأمصـار والبوادي والقفار، بَحثًا عن المنتظَر. وكـان الشـيرازيّ مِن خاصّـته، ومِن تلامذته المخلصـين لـه، ومن الشـيخيّة الرّاسـخين، وكـان يُعـدّ من الطبقة الثالثة (الـذين كـانوا يلازمونه الليل والنهار، والعشيّ والأبكار، وكـانوا مسـتودع أسـراره، وأمنـاء جـواهر أفكـاره) فانتخبه أصـحاب هـذه الطبقة رئيسًـا وزعيمًا لهم، وصـار رُكنًا رابعًا حسَـب عقيدتِهم، ونازَعَه في الرّئاسة أحـدهم[3] ولكنّـه لم يحصـل له الموافقة من تلك الطبقة »[4].

فإشارات الرشتي وتلويحاته بالشيرازي هي التي صـيّرَتْه الْمُسـلَّمَ له بعد وفاتـه: فسـلّم للبـاب الزّعامة

---

1 (?) انظر: البابيّة عرض ونقد، للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص69.

2 (?) انظر: البابيّة عرض ونقد، للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص63-64.

3 (?) الـذي نازعه على الرئاسة هو محمد كـريم خـان الكرمـاني، ابن إبراهيم الكرماني، 1225-1285هـ. (البابيّة لإحسان، ص171).

4 (?) البابيّة عـرض ونقـد، للشـيخ إحسـان، ص171، وقد نقله من عـدة مصادر للبابية.

والسيادة أكثرُ الشيخيّة واعترفوا بأنّه هو الركن الرابع عشر لهم بعد الرشتِي، ولم ينازعه من الشيخيّة البارزين إلا قليلٌ منهم. أما الأغلبية من الشيخيّة في تبريز التي كانت مليئة بهم يومذاك وغيرها فاعتنقوا البابيّة والتفّوا حول الباب، وغيّروا اسْمهم إلى البابيّة دون الشيخيّة [1].

ولقد أضاف الشيرازيُّ على ما أخذ من الشيخيّة كُفريات سيأتي الحديث عن جملة منها في معرض الكلام عن دعاويه.

1-ثم من هناك بدأ الشيراي دعاويه: « فلَم يدّع الشيرازيّ في أول الأمر سوى الزعامة الشيخيّة وقيادتها بعد وفاة الرشتي، (وما كان ينتقد عقائد الشيعة العامة، ولا يتعرض لها، بل كان يُثني عليها ويُقرر صحتها ومتانتها؛ حتى وجود الغائب المنتظر) ولم يمض من الوقت إلا القليل .. (وعندما وصل الباب سنّ الخامسة والعشرين – كما قاله أحدُ دعاة البهائية- أجاب الأمر الإلهي وأعلن أنّ الله قد اختاره لمقام البابية .. وقد كان تبليغ الدعوة لِعالِم عظيم من تلك الطائفة[2] .. وتاريخ هذا الإعلان مذكورٌ بالضبط في كتاب البيان .. وهو في ساعتين وخمسة عشر دقيقة بعد غروب اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى سنة: 1260هـ، موافق: 23مايو سنة: 1844م »[3].

وبالتاريخ/ جمادى الأولى: من سنة 1260هـ -وهو الصحيح الذي عليه مؤرخو البابيّة، وليس كما يقال من أنّه بعد الحج؛ ذلك أنّه خاف الغرق لَما رأى اضطراب البحر؛ فلَم يركب الباخرة[4]-: ادّعى الشيرازيّ أوّل دعاويه، وهو أنّه الباب إلى الغائب بل المعدوم؛ الملقب بالمهدي، وبعد جملة أيّام أظهر الرجل الشيعيّ الذي كان طرفًا في

---

[1] انظر: البابيّة عرض ونقد، للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص75-76.

[2] يُدعى: الملا حسين البشروئي (ص172).

[3] البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص171-172، وقد نقل معظمه عن (بهاء الله والعصر الجديد، ص22).

[4] انظر لهذا الترجيح: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص173، وما أورده تحت: سفره إلى الحج الذي لم يحج، ص179-181.

الحيلة المــدبرة[1] الاقتنــاعَ بظهــور الموعــود المنتظر عند الشــيعة اقتناعًا يقينيًّا؛ فلقّبه الشــيرازي بــ(أول مَن آمَن، وبـباب الباب) يعنِي أنّ الشيرازيّ هو البـاب للوصـول إلى المهدي المنتظر، وهذا العالِم هو الباب إلى الشيرازيّ.

وكما جاء في (بهاء الله والعصر الجديد) أنّه لم يمض الكثـير من الـزمن حـتى شـارك ذاك العـالِمَ الشـيعيَّ في الحماس كثـيرٌ من الشـيخيّة، وحـتى آمَن بــ(البـاب) أغلب الشيخيّة، وتسمّوا بـ(البابيين)، وابتدأت شهرة الباب الغلام تنتشر في طول بلاد فارس (إيران خصوصًا) وعرضها[2].

وهذه الدعوى هي سبب تسمية أتبـاع الشـيرازي بـ(البابيّة).

لكنّ الملفت للنظر في هذه الدعوى اختلاف مقالاته فيها وعـدم ثباتـه، وكـثرة اضـطرابه، فبعض نصوصه تـدُلّ على أنـــه: البـــاب إلى محمد بن الحسن العســـكري (المهدي)، ومرة قال لَمّا أُنّب عليه: باب العلم، وباب علمٍ إلَهيٍّ، وبــاب المظهر الإلَهي، ومــرة أُخــرى قــال: بــابُ الصــدق، وتــارة: بــاب مدينة أخــرى، إلى غــير ذلك من الهوسات الـتي يجيب بِها حسب ما فهِم من حـال السـائل واتجاهه [3].

2-ولقد أقام عليها مدة يسيرة لا تتجاوز خمسة أشهر حتى خطا خطوة أُخرى متقدِّمًا إلى الأمام، **فـادّعى الـدعوة الثانيـة:** الـتي تتمثل في أنّه القـائم والمهـدي بعينه –في خطة دبّرها، منها: قوله لأول المؤمنين بـه، وبابِه المتقـدم قبل أنْ يـــــدّعيَ المهدويّة والقائميّة بحلـــــول نفس ابن العسكري الغـائب فيـه-: « يا مَن هو أوّل مَن آمَن بِي حقًّا إنّني أنا: باب الله، وأنت: باب الباب، ولا بدّ وأنْ يـؤمن بِي ثمانيـةَ عشَـرَ نفسًـا تلقـاء أنفسـهم ويعـترفون برسـالتِي، وسينشدنِي كُلّ منهم على انفـراد بـدون أنْ يـدعُوَهم أحـدٌ

---

[1] (?) اسمه: الشيخ الملا حسين البشـروئيّ: (انظـر: البابيّة عـرض ونقـد، للشيخ إحسان، ص172).

[2] (?) انظر: البابيّة عرض ونقد، للشـيخ إحسـان، ص172، نقلا عن (بهـاء الله والعصر الجديد، ص22).

[3] (?) ولقد أورد مقالاته المتناقضة في المســألة الشــيخ إحســان إلهي ظهير، (انظرها: البابيّة، له، ص173-175).

وينبّههم إليها. وعندما يتم عددهم يجب انتخاب أحدهم لِمرافقتِي إلى الحج؛ إلى مكة والمدينة، وهناك أبلّغ الرّسالة الإلَهيّة إلى شريف مكة، ثم أرجع إلى الكوفة، وفي مسجد تلك المدينة أظهر الأمر، وعليك الآن أنْ تكتم عن أصحابك، وعن كُلّ شخصٍ آخَر، .. واحذر أنْ تظهر مكنون هذا السرّ من سلوكك وهيئتك إلى وقت مفارقتي للحجاز، وسأعيّن لِكُلّ مِن الثمانية عشر نفسًا رسالته ومهمته، وسأعرّفكم كيفية تبليغ كلمة الله وإحياء النفوس »[1].

والثمانية عشر شخصًا الذين قال الشيرازي لا بُدّ من إيمانهم به هم الذين يُسمون حروف الحيّ عندهم[2].

3-وبعدما أقرّ البابيّة واعترفوا بحلول روح المهديّ القائم في الشيرازيّ **تقدم أخرى في دعوى حلول روح نبينا محمدٍ ، بل وروح الأنبياء السابقين، فصار بذلك نبيًّا، بل وأفضل من الجميع، وكتابه أفضل من كُتُب الأولين والآخرين**[3] -والعياذ بالله-. وهذا ما أرجئ الحديث عنه إلى المطلب الثالث من المبحث الأول، والذي هو بعُنوان**:** زعم البابيّة أنّ الوحْيَ لم ينقطع، وأنَّ محمدًا ليس هو خاتم الأنبياء. والمقصود هنا أنّ دعوى حلول روح الأنبياء فيه مرحلة ادعائيّة أخرى.

4-وأختم سرد دعاوي الشيرازيّ بدعواه الألوهيّة والرّبوبيّة: وهذا مما لا يُستبعد صدوره من أولئك الأنعام –كما هو لفظ الشيخ إحسان رحمه الله-، فقد ادّعى أنّه

---

1 (?) مطالع الأنوار للزرندي البهائي، ص50، بواسطة: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص175.

2 (?) **حروف الحي عند البابية** هم ثمانية عشر شخصًا من كبار تلامذة الرشتي وزعماء الشيخية، سماهم الباب: حروف الحي لأنّ (ح) و (ي) يعادل الثمانية عشر من العدد، بحساب حروف أباجادا، وهؤلاء الثمانية عشر هم الذين أرسلهم الباب إلى جهات مختلفة (في إيران وتركستان) لنشر أخبار مجيئه وظهوره. فهم والباب نفسه عُرفوا بحروف الحيّ .(انظر أسماءهم في: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص74-75، وص: 175وما بعده).

3 (?) انظر عن ادعاء الشيرازي النبوة، ثم توبته وكتابته الوثيقة بذلك، ثم عودته بل ودعواه الربوبية والإلهية: في كتاب البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص189-196.

حَــلّ روح الله –تعــالى وتقــدس- فيــه، ففي (العقيــدة والشــريعة): « أرفع المــراتب: الحقيقة الإلهيّــة، حلّت في شخصه حلولا ماديًّا وجسمانيًّا »[1].

وقد تضمنت وصية الشيرازيّ لوصيّه الميرزا يَحيَى –صــبح الأزل- دعــواه الإلَهيّة فيهمــا؛ حيث كتَبَ إليه ووقــع، وختم الرســالة بختمه[2]، قــال فيهــا: « الله أكــبر تكبــيرًا كبــيرًا، هــذا كتــابٌ من عند الله المهيمن القيّــوم، إلى الله المهيمن القيّوم .. -إلخ»[3].

لكــلّ هــذا اعتقد أتباعُه أنّ الشــيرازيّ ربّهم وإلَههم: فقــال أكــــــــــــــــبر داعية البهائية على الإطلاق أبو الفضل الجلبائيجـــاني[4]: «نحن لا نعتقد في المــــرزا علي محمد الباب إلا أنّه ربٌّ وإلَهٌ»[5].

بل وألّف الجلبائيجاني البهائي هــذا كتابه (الفرائــد) وردّ به على شيعيّ، قال في مقدمته: « إنّ الشيخ والنــاس عامــة

---

1 (?) العقيدة والشـريعة لجولد زيهـر، ص242، بواسـطة: البابيّة عـرض ونقد، للشيخ إحسان، ص197.

2 (?) انظر توثيق المقالات في: البابيّة عرض ونقــد، للشــيخ إحســان، ص 198.

3 (?) مقدمة نقطة الكاف لبروفســور بــراؤن، ص: لــد، و: لــه، بواســطة: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص265.

4 (?) **أبو الفضل الجلبائيجـــاني** هو الملا محمد بن ملا محمد رضا الملقب بأبي الفضــل، والمولــود بقرية جلبائيجــان، ســنة1844هـ، تعلم سفســـطة وعلـــوم العربية والفارســـية وغـــير ذلك طالبًا الوجاهة في النــاس، ولمّا لم يلتفت النــاس إليه انتقم منهم حسب وهمه فارتد عن الإســـلام واعتنق البهائيّة في شـــهر ســـبتمبر ســـنة1876م، لإظهـــار شخصيته من باب خالف تعــرف. وكــان من الــذين يقــرون إلهية البــاب والبهاء. كما كــان ســهيمًا وشــريكًا لعبــاس أفنــدي في نبوته ومزاعمــه، وواســـطة بين البهائية والـــروس حيث مكث في بلادهم بـــأمر من المازندراني، وسافر إلى أروبا وأمريكا على حســاب الخونة والصــهاينة والصــليبيين. ويُبــالَغ فيه ويقــول البهــائيون إنّــه: جــامع لعلــوم الأولين والآخرين، وإنّ كتبه تغــني عن جميع كتب العــالَم بما فيها من الصــحف والزبر الــتي نــزلت من الســماء، ومن كتبــه: الفرائــد، والحجج البهيــة، وستأتي بعض النقولات الكفرية منه لاحقًا (انظر تمام ترجمتــه: البهائيّة نقد وتحليــل، ص341-346) لقي حتفه في مصر بعد إقامته فيها مــدة، في21يناير سنة1914م.

5 (?) الفرائد لأبي الفضل الجلبائيجاني ، ص15، بواسـطة: البابيّة عـرض ونقد، للشيخ إحسان، ص198.

يعترضون على البهائيّة أنكم كيف آمنتم بالباب واعتقدتم بأنّه نسخ شريعة الإسلام مع قول الله ﷻ: ﭽ ﭽ [الأحزاب: ٤٠] وقول النبِيّ: " **لا نبِيّ بعدي** "؟ والجواب: أنّهم لا يفقهون، لأنّ القائم الموعود (أي الشيرازي) حائزٌ على منصب الربوبية طبق الآية الكريمة: يوم يأتي ربك، و ﭽ ﭽ [الفجر: ٢٢] ويقال ليوم ظهوره يوم الربّ، ومقام الربّ مقام الأصالة لا النيابة، وأما الآية والحديث ففيهما نفيٌ لِمجيء النبِيّ ودعوى النبوة، لا مجيء الربّ ودعوى الربوبية »[1].

وانظر إلى تأويلات باطنيّة من هذا الزنديق. وقال أيضًا: « إنّ الشيرازيّ ربٌّ، وإنّ المازندراني إلهٌ، فيوم ظهور الأول يوم الربّ، ويوم ظهور الثاني يوم الله »[2].

وبمناسبة أقوال صاحب (الفرائد) في ربوبية الشيرازي وإلهية المازندراني، يَحسُن أنْ أنقُل قوله الناقض لِما تقدم من كتابه الآخر، حيث يقول « فمع ما كانت تصادف ربنا الأبهى (المازندراني) طول أيام ظهوره من البلايا والمصائب الجسمية والدواهي العظيمة .. ومع أنّه لم يكن من أهل العلم .. »[3]، (وهذا الرب عنده الذي لا يستطيع دفع الذل عن نفسه، ولا يكون من أهل العلم؟.

والمقصود هنا أنّ البابيِّين كانوا يُسمون الشيرازي: الربّ، ويقولون: حضرة الربّ الأعلى. كما كان تلميذه أيضًا حسين عليّ البهائِي يسمّيه الربّ والإله –بالحلول-، ويتشبث بالآية الأولى المتقدمة؛ يُحرّفها[4].

كما أنّ من نصوصهم لإحدى دعاويه السابقة: ما جاء في نصّ وجيز في ثلاثة مواضع : « أنا قيّوم الأسْماء، مضى من ظهوري ما مضى، وصبرتُ حتى يُمحص الكلّ

---

1 (?) مقدمة الفرائد لأبي الفضل، ص15، والفرائد، ص450، بواسطة: البهائيّة لإحسان، ص344-345.

2 (?) الفرائد، ص8، بواسطة: البهائيّة لإحسان، ص345.

3 (?) الحجج البهية للجلبائيجاني، ص124-125، بواسطة: البهائيّة لإحسان، ص345.

4 (?) انظر: البابيّة لإحسان، ص198، بل وموضوع دعوى الشيرازي الألوهية والربوبية، ص197-201.

ولا يبقى إلا وجهي، وأعلم بأنّه لست أنا، بل مــرآة؛ فإنّه لا يرى فيّ إلا الله »[1].

وهذا شبيهٌ بدعوى النصارى في المسيح .

تلك أهم دعاوي الشـيرازيّ ابتـداءً بـدعوى البابيّة للمهدي، ثم زعم حلول المهدي فيه، ثم زعم حلـول أرواح الأنبيـاء فيـه، ثم دعـوى حلـول روح الله تعـالى فيـه، ولقد فصّـل العلمـاء في هـذه الـدعاوى ووثقوها من وثـائقهم، وعلى رأسـهم الشـيح إحسـان، بل الـذي تقـدم هنا كـان اختصارًا منه[2]، إلى أنْ قال في آخرها: « هـذه هي القصة بكاملهــا، بــدأت من الشــوق إلى رؤية المهــدي المنتظر الموعـود الموهـوم، بنـاء على الأسـاطير البالية القديمـة، وانتهت من البابيّة إلى المهديـــــــــة، ومن المهدوية إلى المسيحيّة، وإلى النبـوة المسـتقلة، ثم أخـيرًا إلى الألوهية والرّبوبية »[3].

وهذه الدعاوى والضلالات بدأ الشيرازي بالإعلان بها تدريجيًّا في بلده شيراز -من مدن إيران-، سنة: 1260هـــ. ثم إنه على إثـر الإعلان قـامت فتنـة دعت الحـاكم إلى أنْ يسجن أتباعه، فهاجر الشيرازي منها إلى أصـفهان فحمـاه حاكمها، ولَمّا توفي الحاكم أمر بقبضه، ومن ثَمّ قُتِـل رميًـا بالرصاص في تبريز، سنة1266هـ، وكـان قتلـه بعـد سـت سنوات من بداية ضلالاته[4].

فما سبق فهو شيءٌ من ترجمة الباب الشيرازيّ. والبابيّة فرقتُـه. وقد صـدّرتُ المسـألة بـذكر التعريف بِها اصطلاحًا.

ثم إنه تتمة لذلك وتوطئة للمسألة القادمة أقول بأنّه: قبل قتْل الشيرازيّ شرّ قتلة[5] كتَبَ وصايتَه بالخلافة بعده

---

[1] العقيدة والشريعة لجولد، ص242، بواسـطة: البابيّة عـرض ونقـد، للشيخ إحسان، ص197.

[2] انظرها مفصلة: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص171-201.

[3] البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص199.

[4] انظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، لعبد الرحمن حبنكة الميــداني، ص279.

[5] انظر عن قتل الشـيرازي وإعدامـه: البابيّة عــرض ونقــد، للشــيخ إحسان، ص110-114.

إلى المرزا يحيى النوري –أخٍ أصغر لِحسين عليّ النوري المازندرانِي البهائِي- الملقبَ: بصبح الأزل[1]، عن طريق: المرزا أسد الله التبريزي الملقب بالدّيّان. وكان من قصة الثلاثة أنّ الأول منهم (صبح الأزل –وهو من حروف الحيّ-) هو المنصوص على خلافته في ورقة الوصيّة -التي تقدم نقل مطلعها قريبًا- بل هو المأمور من قِبَل الشيرازيّ بأنْ يُتِمّ البيان الفارسي؛ بكتابة الأوحاد الثمانية التي تركها لخليفته ونصّ على أنه لا يُكمّلُها إلا وصيّه ووليّه.

ولقد كتب مما كتب قبل موته: تكملة البيان الفارسي، وكتب (المستيقظ) الذي يظُنّون أنّه ناسخٌ لـ(لبيان) الذي يَزعُمون أنّه ناسخٌ للقرآن[2].

أما أسد الله التبريزي –الديّان[3] فـ« هو الذي أرسله الشيرازيّ إلى المرزا يحيى، ونصبَه على منصب كاتب وحيه –وحي صبح الأزل الذي سيتم كتابة البيان- وكان عارفًا باللغة العبرية والسّريانيّة »[4]. لكن لَمّا رآى جهل

---

1 (?) هو **المرزا يحيى النوري**، لقبه الشيرازي بـ:صبح الأزل؛ ليجعله مصداقًا لرواية شيعية موضوعة، تنتسب إليه الفرقة الأزليّة البابيّة بعد الخلافات التي حصلت للبابيين الذي أدّى إلى خروج البهائية منها، وكان حقيقة هو وصيّ الشيرازي لا أخاه المازندراني البهائي ولا غيره (ذكَر الشيخ إحسان -في البابية عرض ونقد، ص267-270- ثمانية أدلة لذلك)، وذكروا في ترجمته أنّ « المرزا يحيى هذا لم يكن من أهل العلم والذكاء، ولَم يدرُس العربية وعلومها إلا قليلا جدًّا، ولكنه كان خطاطًا، ومائلا إلى التصوف وأهل المعرفة » -نقطة الكاف للكاشاني البابي، ص239-. بعد قتل الشيرازي ومحاولة اغتيال الشاه الفاشلة من البابيين انتقامًا هرب إلى بغداد، ولحقه طائفة من البابيين ومن جملتهم أخوه المازندراني البهائي، وهناك بدأ نزاعهم. مات في التاسع والعشرين من أبريل، سنة: 1912م، بعدما عُمّر 82 سنة تقريبًا. (انظر تمام ترجمة الرجل: في البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص 263-272، والبهائيّة نقد وتحليل للشيخ إحسان، ص26-30).

2 (?) انظر: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص265، وص: 272.

3 (?) هو **المرزا أسد الله التبريزي**، الملقب بالديان تنتسب إليه الفرقة الأسدية البابيّة، كان انتهت قصته بدعوى النبوة والرسالة، والألوهية والربوبية، (انظر تمام ترجمته: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص273-274).

4 (?) مقدمة نطقة الكاف للبروفسور إدوارد المستشرق، ص: م، بواسطة: البابيّة للشيخ إحسان، ص273.

صـبح الأزل، وأنّه دونه بكثـير في اخـتراع الآيـات وافترائه على الله ادّعى الأمر لنفسـه، بـدل أنْ يكتفي بكتابة آيـات ذلك الجاهل[1]، ادّعى ما هو أعظم من ذلك حيث زعم أنّه نـبيٌّ ورسـولٌ، وربٌّ وإلـهٌ، وذلك في السـنة الثانية بعد وفاة الشيرازيّ « فادعى النبوة والرسالة أولا، ثم الألوهية والربوبيّة، ومثل الشيرازيّ حذوًا بحـذوٍ، ونعلا بنعـل، قـائلا: إنني أنا الله لا إله إلا أنا »[2].

ولقد وصلت الادعاءات إلى هذا الحد عندهم، وهو ما انتهى إليه أمر المـرزا حسـين علي النـوري البهـائيّ –أخٍ لصـبح الأزل الـذي نازعه في نهاية أمرهما الخلافـةَ أشدّ المنازعـة، ورأس الفرقة البهائيّـة-، حيث ادّعى النبـوة والرسالة، والألوهيّة والربوبيّة.

وهذا ما أتناوله في المسألة القادمة عند التعريف بفرقته الـتي انبثقت من البابيّة (البهائيّـة)، وبقيت الأولى تحمِل اسم رأسها: الأزلية (يحيى صبح الأزل).

المسألة الثانية: التعريف بالبهائيّة:

تقدم قريبًا أنّ (صبح الأزل) هو وصـيّ الشـيرازيّ حقيقـة، كما أنّه هو المـأمور بكتابة التكملة لقرآنه البيـان، والأدلة على ذلك كثـيرة، ومنها قـول ابن ربّ البهـائيين، ونـبيّهم، الملقب: بعبد البهـاء[3]: « إنّ المـرزا يحـيى صـبح الأزل كـان محبوبًا لـدى الجميـع، وتـاجهم قبل حصـول الاختلاف .. »[4]. بل حـتى المـرزا حسـين علي نفسه في أول الأمر على هذا، إلى أنْ حصل بينهما الاختلاف والتنازع في الخلافة فافترقوا فرقتين؛ فرقة لازمت الأصل (المرزا يحيَى) وتسمت بالأزليـة، وكـان فيها كبـار البـابيين والبقية من حروف الحيّ، وتبع الآخرون المرزا حسين وكـان أعلم من المرزا يحيى، وتسمت بالبهائيّة، وهذا كان في (أردنـة)

---

1 (?) انظر: البابيّة للشيخ إحسان، ص273.

2 (?) البابيّة للشـيخ إحسـان، ص274، كما أثبت ذلك المـرزا جـاني الكاشاني في تاريخه (نطقة الكاف، ص255).

3 (?) ستأتي ترجمته قريبًا.

4 (?) قاله عباس أفندي -ابن للبهـائي النـوري المازنـدراني- في حق عمه هـذا: مقالة سـائح، ص95-96، بواسـطة: البابيّة للشـيخ إحسـان، ص 270.

وإنْ بدأ شيءٌ منه، وهم في بغـداد، ولقد تنازعَا حـتى امتد إلى القتل والقتال بين أتباعهما، وحتى كان يُريد كُلّ منهما قتل الآخر[1]، وحين لعن البـابيّون والأزليـون البهـاء تعـالى عليهم بفرية أنّه دخل مكتب الله وهم لم يـدخلوه، فقـال: « يا ملأ البيـــان إنّا دخلنا مكتب الله إذْ أنتم راقـــدون، ولاحظنا اللـــوح إذْ أنتم نـــائمون »[2]. وأين وجَد أنّ لله مكتبًا؟.

ثم أعود، فأقول: **أما عن شخصية البهاء** (رأس الفرقة البهائية ومؤسسها)؛ - **وحياته-، ودعاويه**:

فهو الميرزا حسين عليّ المولود في قرية نور من قُرى المازندران من إيران، يـوم 12نوفـبر، سـنة1817م، الموافق: 2/ المحرم/ سنة1233هـ، وهـذا الصـحيح، وقيل غـير ذلـك. ولد في أسـرة كـانت لها علاقـات طيّبة مع السّفّارة الرّوسـيّة بطهـران، حيث كـان أخـوه الأكـبر كاتبًا في السّفارة الرّوسيّة، ونسيبُه (زوج أخته) كـان سـكرتيرًا للوزير الرّوسي بطهران [3].

وقد تلقّى الميرزا حسين العُلوم الشيعيّة والصوفية وهو صغير، فأورثه ذلك معرفة وإلمامًا بالروايات الشـيعيّة وكُتُبها، وخاصّـة الـتي تـروي عن المهـدي والمهدويّـة. وقد ألّف كُتُبًا، منهـا: كتابه (الإيقـان) الـذي ألّفه وهو في بغـداد لتأييد البـاب الشـيرازي ومزاعمـه، مؤمنًا به ومـدافعًا عنه وعن عقائده وخرافاته الـتي اخترعهـا. كما أنّ له (الألـواح والسّـوَر)، وكتـاب (الأقـدس) الـذي زعم أنّه أفضل من القرآن وناسخه، كما سيأتِي [4].

وبعد، فأقفز إلى نقطة مهمة في ترجمة هذا المتنبئ والمدعي الإلهية، وهي أنّه لَمّا قُتِل البـاب الشـيرازيّ شـرّ

---

[1] (?) انظر تفاصيل المجريات: البهائيّة نقدٌ وتحليلٌ، للشـيخ إحسـان، ص 26-42 (تحت عنوان: نفيه ببغداد واختلافاته مع أخيـه، وعنـوان: الجهر بالدعوة، وعنوان: القاتل والسفاح)، والبابيّة عرض ونقـد، له أيضًـا، ص 270-272.

[2] (?) الأقدس، العدد:386، ص49، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص152.

[3] (?) انظر: البهائيّة نقدٌ وتحليلٌ، للشيخ إحسان، ص7-8.

[4] (?) انظر: البهائيّة نقدٌ وتحليلٌ، للشيخ إحسان، ص8-12.

قتلة –كما تقدمت الإشارة إلى ذلك- تألفت جمعيةٌ سريّةٌ قررت وجوب قتل الشاه أخذًا بثأر الباب؛ فحددوا الزمان وكيفية القتل، وبدءوا يتربّصون الفرصة لاغتياله (الشاه) في الطريق، وقد أحكموا خطة الاغتيال، لكن المؤامرة لم تنجح، ومن الذين اشترك فيها: المرزا حسين علي؛ البهاء.

ولَمّا بلغت جرأة البابين إلى هذا الحد قُبض على أكثرهم وزجّوا في السجون، بل انتهى بهم الحال إلى أنْ قتل جماهيرهم وأبيدوا، ومن جملة هؤلاء: قرة العين، وانتهى أمر هؤلاء البابيين بذلك [1]، ولَم ينجُ منهم إلا مَن تولى هاربًا من إيران كالمرزا حسين علي البهاء المازندراني الذي جعله الأعداء خَلَفًا للشيرازي؛ فاشتروه للقيام -بعد سلفه- بالمكيدة، فصار هو الجاسوس الجديد، والعميل بعد العميل –كما هو اصطلاح الشيخ إحسان-. فبعدما تسلّم رئاسة الدعوة للنحلة الجديدة لم يلبث حتى اتهم بالاشتراك في تلك المؤامرة، واعتقل ثم أبعد، فنزل ببغداد وأقام بها اثنتي عشر يُبشّر بضلالته، إلى أنْ ضجّ منه علماء العراق، وإلى أن انتهى في آخر أمره إلى فلسطين في (البهجة) خصوصًا، وهلك في اليوم الثاني من شهر ذي القعدة بها سنة: 1309هـ، الموافق: مايو سنة1892م، بعد أنْ أنهكته الحمى [2]، ومهّد الطريق لولده الأكبر الذي سمّاه: عبد البهاء[3]، وحاول قبيل هلاكه

---

1 ([?]) انظر عنوان: الحادث الأخير وإبادة البابيين، من كتاب: البابيّة عرض ونقد، للأستاذ إحسان، ص145-148.

2 ([?]) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص279.

3 ([?]) **هو عباس أفندي ابن للبهائي النوري** المازندراني، وهو زعيم البهائيّة ووصي أبيه بعده. والجدير بالذكر أنّ الابن المترجم له هنا كان يُقرّ بألوهية أبيه، وادّعى لنفسه منصب النبوة والرسالة، مخالفًا نصوص أبيه الصريحة في أنه انقطع أمر النبوة بعده إلى ألف سنة. وسمى نفسه عبد البهاء إظهارًا لربوبية أبيه المازندراني، ولعبوديته هو له. وكانت ولادة عباس هذا بطهران في نفس اليوم الذي أعلن فيه الباب الشيرازي دعوته، 1260هـ الموافق: 23مايو سنة 1844م، وقد هلك: يوم الاثنين 28 ربيع الأول، سنة1340هـ الموافق 1921م ولقد حزن الإنجليز على وفاة عميلهم وجاسوسهم في فلسطين حزنًا عميقًا. (انظر: البهائية عرض وتحليل، ص309، وص:310، وص:324، وص:333). والرجل من أذكى الناس وأعرفهم بطرق النفاق والغدر، وخبير بخبايا الكذب وزوايا الجدل، وبمسايرة الناس ومداراتهم

أنْ يجمع وصف الألوهية لنفسه ولولده هذا؛ إذْ كتب له قائلا: (من الله العزيز الحكيم، إلى الله اللطيف الخبير)،وكان يُلقبه بالفرع العظيم المنشعب من الأصل القديم[1].

وأما بالنسبة لدعاوى البهاء، أو بهاء الله –على حدّ زعمهم-: فمما لا شك فيه أنّ حسين عليّ المازندراني لَم يدّع الألوهيّة فجأة ومرة واحدة، بل تدرج إليها بالترتيب مثل شيخه الشيرازيّ؛ **فادّعى أولا** أنّه **خليفة الباب**، ونازع وصيّه ونائبه الأصليّ، كما تقدم.

وبعدما تغلب على أخيه واستطاع جلب كثير من البابيين إليه **تقدم أخرى فادّعى أنّه هو المهدي المنتظر**، بل لَم يكن الشيرازيّ نفسه إلا مُبشّرًا بمجيئه، وسمّاه بِمَن يُظهرُه الله؛ قال المازندراني البهائي: « إنّ حضرة الْمُبشّر (أي: الشيرازيّ) بشر عنه سنة ستين، وتنور العالَم سنة ثمانين من النور الجديد، والروح البديع »[2]. أي: بعد موت الباب بسنتين.

ثم لَمّا لاقت خزعبلاته القبول تقدم **فادعى النبوة ونزول الوحي والملائكة عليه، و**في سجنه بالعشيّ والإشراق، بل زعم أنّه الذي أخبَر بمجيئه جميعُ الأنبياء والرّسل. وهذا سيأتي ما يؤكده في مطلب: (زعم البهائية أنّ الوحي لم ينقطع، وأنَّ محمدًا ليس هو خاتم الأنبياء).

ثم بعد ذلك تقدم بدعواه الأخيرة، فأخَذَ يُصرِّح بربوبيته وألوهيته، حيث قال -وهو يزعم حلول الله سبحانه فيه-: « لا يُرى في هيكلِيّ إلا هيكل الله، ولا في جمالي إلا جماله، ولا في كينونتي إلا كينونته، ولا في ذاتي إلا ذاته، ولا في حركتي إلا حركته، ولا في سكوني إلا

والمماشاة معهم، وبصير بمتطلبات العصر ومقتضيات الناس، بل له الأهمية الكبرى في تكوين البهائية وتطويرها وهو المؤسس الحقيقي للبهائية الموجودة كما قال الشيخ إحسان، (ومن أجل ما تقدم ترجم له ترجمة حافلة في: البهائية عرض وتحليل، ص309-337).

1 (?) انظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، للشيخ شيبة الحمد، ص153.

2 (?) لوح العالَم للمازندراني، ص222 من المجموعة، بواسطة: البهائيّة نقد وتحليل، للشيخ إحسان، ص65.

سكونه، ولا في قلمي إلا قلمه العزيز المحمود، قل لم يكن في نفسي إلا الحق، ولا يرى في ذاتي إلا الله »[1].

وقال –وحاشا الله عن قوله وتعالى وتقدس- « يا قوم طهّروا قلوبكم، ثم أبصاركم لعلكم تعرفون بارئكم في هذا القميص المقدس اللميع »[2].

وذكر الشيخ إحسان أنّ المؤسس البهائِي لديانته الخبيثة لم يكتف بمجرد دعوى الألوهية والربوبية بل أمر أتباعه أن يدعوه في السراء والضراء، ويستغيثوه في ملماتهم وهمومهم وكرباتهم، فعلّمهم أنْ يقولوا: « أسألك بجمالك الأعلى في هذا القميص الدري المبارك الأبهى بأنْ تقطعني عن كل ذكر دون ذكرك »[3]. وعلّمهم أيضًا أنْ يقولوا: « أسألك يا إله الوجود، ومالك الغيب والشهود، بسجنك ومظلوميتك وما ورد عليك من خلقك لا تُخيّبني عما عندك .. إنّك أنت مالك الظهور، والمستوي على العرش في يوم النشور، لا إله إلا أنت العليم الحكيم »[4].

وهذا الذي أثبتها في أعظم كتبه الذي زعم أنّه أرفع الكتب السماوية، وناسخًا لجميعها بما فيها كتاب الله الخالد؛ القرآن العظيم، فهل يبقى شَكٌّ بأنّه ما ادّعى الإلهية؟

وأرجئ ذكر نصوصه الأخرى في هذا المعنى إلى مطلب تفضيل البهاء نفسه على رسول الله ﷺ من المبحث الثاني في الفصل؛ ذلك أنّ مَن زعم أنّه الله والربّ فإنّه –بذلك- يُفضّل نفسه على الأنبياء والرسل باللزوم.

فالنصوص المتقدمة تدلّ على دعوى النوري المازندراني البهائي الإلهية، والرجل تدرّج كما تدرّج سابقُه

---

1 (؟) الأقدس للمازندراني، بواسطة: البهائيّة نقد وتحليل، للشيخ إحسان، ص73.

2 (؟) مبين للحسين علي البهاء، ص30، بواسطة: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص34.

3 (؟)الألواح المباركة للمازندراني، ص197، بواسطة: البهائية نقد وتحليل لإحسان، ص74.

4 (؟) الأقدس للمازندراني، بواسطة: البهائية نقد وتحليل لإحسان، ص 74.

في الــدعاوي والمــزاعم؛ فــادّعى أنّــه المهــدي، وأنّــه المســيحيّ، ثم ادّعى النبــوة والرّســالة، وختمهــا بــدعوى الربوبيّة والإلَهيّة -بالحلول.

وأما فرقة البهـاء وأتباعه -البهائيّـة- فتُعـرَّف « اصــطلاحًا: بأنّها فرقة مِن فِــرق الباطنيــة، قــامت على أنقاض البابيَّة، وتبَنَّت أغلَبَ معتقـداتِها، وزادتْ عليها عـددًا من العقائد الإلحادية »[1]. فهي « فرقــة باطنيّــةٌ كــافرة، ظهَرَت في إيران، في القرن الثـالث عشـر الهجـري على يد حسين علي المازندرانِي، الْمُلقّب: بالبَهاء »[2]. وأشـمل تعريف للفرقة البهائيّة مع ذكر أهدافها وغايتها التي سـعَت وتسعى إلى تحقيقها، هو ما جاء في قول بعضـهم: « نحلة جديدة ظهرَت في جسم الأمة بتـدبيرٍ من أعـداء الإسـلام، وإمـدادٍ منهم لَها بـالأموال، وبتيسـير المصـالح، وبالـدعم والتأييد، فلفقتْ دينًا جديدًا؛ بعقيدته وشـريعته، تحت قنـاع الإصلاح الديني والاجتماعي الْمُزيّف، وباسم التـآخي العـام بين النــاس على اختلاف أديــانِهم وقوميّــاتِهم ومــذاهبهم. ولِهــذه النحلة (البهائيّــة) صــلة في مفاهيمها بالإباحيّة من جهة، وبطرح الفوارق الدينيّة من جهة أخرى، وإلغـاء مبـدأ الجهـاد في سـبيل الله من جهة ثالثـة، وتعمل على هــدم الإسـلام وتمزيق وحـدة الأمة الإسـلاميّة، وخدمة أغـراض وأهداف المستأجرين لَها: من أعـداء الإسـلام والمسـلمين .. » [3].

هذه ترجمة البهائيّة، مسبوقة بترجمة أمها البابيّـة التي مهّدت لها فرقة الشيخيّة، **وأما بعد،** فكُلٌّ من رأس البابيّة والبهائيّة كتَبَا كتابًا بأيديهما ثم زعَما أنّه من عند الله ليشتروا به من أعداء الإسلام ثمنًا قليلا، فكَتَب الباب كتابه البيان، والبهاء كتاب الأقدس، ثم ادّعى كُلٌّ منهما أنّ كتابَه أفضل من القــرآن ومن التــوراة والإنجيــل. كما فضّــلا

---

[1] دراســات منهجية لبعض فِــرق الرافضة والباطنيــة، د. عبد القــادر محمد عطا، ص217.

[2] قاله د. محمد بن إبـراهيم الحمد في رسـالته عن البهائية (ضـمن: رسائله في الأديان والفرق والمذاهب ، ص332).

[3] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشـير والاستشــراق والاســتعمار، لعبد الرحمن بن حسن الميداني، 278.

نفسَيهما على شخص عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ، وقد جاءوا ظُلمًا وزورًا. ولسبب ما سبقت الإشارة إليها من كُفريّات الرجلين كتَب العلماء والجهات الإسلامية أجمع -قيامًا منهم بواجب النصيحة- الكثيرَ والكثيرَ من الكُتب والرسائل وغيرها لبيان موقف الإسلام من عقائدهما، وأنّ مَن اتبعهما عليها كان من الكافرين بالله وبرسوله، ومُرتدًّا عن دينه[1].

هذا ما قاله العلماء المتخصصون في التعريف بِها.

وقد عقدتُ مبحثَين تحت هذا الفصل لذكر وتوثيق العظائم التي أتيَا بِها، وذكر أوجه جفائهما للرسالة النبويّة؛ الخاتمة، بالتفصيل، فإلى المبحثين.

** * **

[1] انظر حكم الإسلام في البابيّة والبهائيّة، بل وأهم تعليماتهم التي مرقوا عن الإسلام بسببها، في: البهائيّة نقد وتحليل، والبابيّة عرضٌ ونقدٌ كلاهما للشيخ إحسان، ورسالة علمية (ماجستير، د. دخيل الله الأزوري) بعنوان: البهائيّة وموقف الإسلام منها، (كامل الكتاب، وخصوصًا الفصل الأخير من الباب الخامس) ص307-313، ورسالة البابيّة، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ص322-326 تحت عنوان: معتقدات البابيّة وتعاليمهم، ورسالة أخرى في: البهائيّة، له أيضًا، ص 355-357 تحت عنوان: حكم البهائية والانتماء إليها. (والرسالتان ضمن رسائله في الأديان والفرق والمذاهب). والنصيحة الإيمانيّة في كشف فضائح البابية والبهائيّة، للحسيني الحسيني معدي، (كامل كتابه، وخصوصًا الملاحق للكتاب، ص278-288). وكتاب: في مذاهب اللا إسلاميين –البابيّة، البهائيّة، القاديانيّة- د. عامر النجار، ص9-61. وص 104-105 حيث تكلم عن: رأي الدين في البهائيّة. وختم النبوة والرد على البهائيّة والقاديانيّة، متعب بن مقبل الشثان، ص47-59، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب عواجي، (ج2/ـ 737-852)، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، شيبة الحمد، ص129-156، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، 215-223، والشيخ إحسان إلهي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة، (الرد على عقائد البابية، ص745-784، وجهوده في الرد على عقائد البهائيّة، ص785-811)، والعقائد الباطنيّة وحكم الإسلام فيها، د. صابر طعيمة، ص327-368، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية (ومنها: البابيّة –أخطر معتقدات البابيّة)، د. عبد القادر، ص 201-211. (وأخطر معتقدات البهائيّة)، ص225-234.

المبحثُ الأول: جفاء البابية والبهائية في مقام رسالة نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفضيل الباب الشيرازي والبهاء المازندراني كتابيهما على كتابه عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثاني: مخالفة الباب والبهاء شريعته عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثالث: زعم البابية والبهائية أنّ الوحي لم ينقطع، وأنَّ محمدًا ﷺ ليس هو خاتم الأنبياء.
المطلب الرابع: تأويل البابية والبهائية سنته ﷺ على طريقة الباطنية الملحدة.

المطلب الأول: تفضيل الباب الشيرازي والبَهاء المازندراني كتابيهما على كتابه عليه الصلاة والسلام:

تقدم أنّ للباب الشيرازي كتابًا أسماه البيان، وهذا الكتاب عرَبيٌّ وفارسيٌّ.
وأنّ للبهاء المازندراني كتابًا وسَمَه بـ(الأقدس).
والقول هنا: هو أنّ كُلاّ من الباب الشيرازي والمدعو بَهاء الله النوري فضّل كتابه الذي كتبَتْه يدُه –حقيقة- على القرآن المجيد الذي نزَل على محمدٍ ﷺ من الرحمن الرحيم سبحانه، وهذا جفاءٌ وكفرٌ منهما ومن أتباعهما في هذا الجانب. وسيتبيّن مضمون المطلب بمسألتين هما:
المسألة الأولى: تفضيل الباب الشيرازيّ كتابه (البيان) على القرآن العظيم.
المسألة الثانية: تفضيل حسين علي المازندراني كتابه (الأقدس) على القرآن العظيم.

المسألة الأولى: تفضيل الباب الشيرازيّ كتابه (البيان) على القرآن:

أما عن تفضيل الباب الشيرازي كتابه البيان[1] على القرآن فهو ما جاء في سخافاته الكثيرة، وأغلاطه، منها قوله في بيان أنه لا كُفؤ لكتابه هذا: « قد نزّلتُ البيان،

---

[1] (?) **حقيقة البيان للشيرازي** أنه مجموع مملوءٌ بِجمل متناقضة، وأكاذيب وسفسطات، جعلها الشيرازيّ أساس دينه الجديد، وقد عده من معجزاته ونافس بينه وبين القرآن وفضّله عليه (انظر: الأديان والفرق والمذاهب لشيبة الحمد، ص134، والبابية لإحسان، ص134) .

وجعلتُه حجة من لدنا على العالمين. فيه ما لم يكن له كفو، ذلك آيات الله، قل كلٌّ عنها عاجزون. فيه ما لم يكن له عدل، ذلك ما أنتم به تدّعون. فيه ما لم يكن له شبه، ذلك ما كنا فيه لمفسّرين. فيه ما لم يكن له قرين، وذلك جوهر العلم والحكمة أنتم به تجيبون. فيه ما لم يكن له مثل، ذلك ما ينطق به الفارسيّون وأنتم في الواحد لتنظمون »[1].

وادّعى الشرازي أنّ البشر عاجزون عن الإتيان بحرفٍ واحدٍ من حروف قرآنه المزعوم، بعد تفضيله على القرآن الكريم بالصراحة التي لا تقبل التأويل، وبالحرف الواحد، فقال: « إنّي أفضلُ من محمد، كما أنّ قرآنِي أفضل من قرآن محمد، وإذا قال محمدٌ بعجز البشر عن الإتيان بسورة مِن سُوَر القرآن، فإنّي أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرفٍ واحدٍ من حروف قرآنِي »[2].

وهذا إفكٌ عظيمٌ وزندقة وكُفرٌ وإلحاد. وقال هذا الأفّاك أيضًا: « ما ينزل عليك في آخريك أعظم عما نزلنا عليك في أوّليك –كذا- فكن من الشاكرين، وإنّ فضل ما نزلنا عليك على ما نزلنا عليك من قبل كفضل القرآن على الإنجيل »[3].

لكلّ هذا لَمّا أراد حاكم شيراز (حسين خان) معرفة حقيقة الباب ثم القبض عليه بِطلب من العلماء، في حيلة مدروسة، استدعاه في مجلسه، ومكر به ... ثم فوجئ الباب بحشد من العلماء في قصر الحاكم، ففزع فطمأنه الحاكم بأنّه ما جمع هؤلاء الشيوخ إلا لِيُمكّن الباب من إعلان دعوته أمامهم لِيُرغمهم على الإيمان به = انبسط وأعلَنَ ثانية، ثم سجّل ما كان يدعو إليه كتابة أمامهم، وما

---

[1] (?) البيان العربي للشيرازي (قرآن البابية)، الباب الواحد من الواحد السادس، بواسطة: البابية لإحسان، 128، وص:237

[2] (?) مفتاح باب الأبواب لمحمد مهدي، ص20، بواسطة: البابيّة لإحسان، ص122، وص203، ودراسة عن فرقة البهائية، د. عبد القادر، ص175.

[3] (?) البيان(قرآن الشيرازي)الباب الرابع من الواحد الثالث من الواحد،بواسطة:البابية لإحسان،ص127،وص:190.

هو إلا خلط وكفر[1]، من ذلك زعمه أنّ بيانه -قرآنه- أفصح عبارة من القرآن المجيد، ففي مفتاح باب الأبواب: « إنّ نبيّكم لم يُخلِّف لكم بعده غير القرآن، فهاكم كتابِي البيان فاتلوه واقرأوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن »[2].

وطَلَب منه أنْ يَكتُب ذلك لتتم الحجة على العلماء ففعل. ثم استفتى الحاكم العلماء فكفّره بعضُهم، وقال بجنونه الآخرون. وهنا وبعد ما ظفر الحاكم بسِرّ الباب كشف القناع عن وجهه، فقال: كيف تَدّعي الرّسالة، وتُرَجّح نفسَك على خاتم النبيين، وأنت عاجزٌ عن التعبير عن مكنون نفسك، إنّي أرى قرائن أحوالك تُثبِت اختلال عقلك، وفساد دماغك وعتهك[3]، وبلهك، فلأعذبنّك لعلك تَرجع عن غيّك[4].

وقال تلميذه (البَهاء المازندراني) -الذي صار فيما بعدُ نبيًّا على زعمه وزعم البهائية، بل ربًّا- عن شيخه الشيرازي وقرآنه (البيان): « يا قوم اتبعوا حدود الله التي فُرضت في البيان من لدن عزيز حكيم. قل إنّه (يعني: الشيرازي المتنبي) لسلطان الرسل، وكتابه لأم الكتاب إن أنتم من العارفين »[5].

ولَمّا كان هذا هو زعم الباب الشيرازيّ بالنسبة لكتابه البيان؛ من أنّه أفصح عبارة من القرآن، فيحسن أن أورد فقرات من كتابه -لاحقًا- لنرى تلك الفصاحة التي يدّعيها ويفضّل بِها البيان على القرآن، مع أنّ الحقيقة التي يَجزم بِها كُلّ عاقلٍ ومتعلّمٍ سَمع قرآنَه الآتِي بعضُ آياته هو أنّ

---

[1] (?) انظر تفصيل الواقعة: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (القبض على الباب)، ص258-259.

[2] (?) نقله د. عبد الرحمن عميرة في المذاهب الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص259. والشيخ إحسان، في البابيّة عرض ونقد، ص122.

[3] (?) **العته:** يقال عتِه يعته عُتاها وعتاهةً فهو معتوه: نقص عقله من غير مس جنون، (انظر: المعجم الوسيط، مادة عته، ص583).

[4] (?) انظر تمام القصة: عبد الرحمن عميرة، المذاهب الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص259-260، والأديان والفرق والمذاهب لشيبة الحمد، ص136.

[5] (?) لوح أحمد الحسين علي البهاء، ص154، بواسطة البابية عرض ونقد، ص190.

الشيرازيّ لا يعرف كثيرًا مما يقول ويَكتب، ولا ماذا يَهدف من وراء كثير من نصوصه؛ فمن نماذج آياته السقيمة الغامضة: قوله: « إنني أنا الله الأسلط الأسلط، والأثبت الأثبت، والأغيث الأغيث »[1].

وقال أيضًا: « إنا قد جعلناك جليلا للجالّين، وإنا قد جعلناك به عظيمًا عظيمانًا للعاظمين، وإنا قد جعلناك نورًا نورانًا للناورين، وإنا قد جعلناك رحمانًا رحيمًا للراحمين، وإنا قد جعلناك تمامًا تميمًا للتامّين. قل إنا قد جعلناك كمالا كميلا للكاملين. قل إنا قد جعلناك كبرانًا كبيرًا للكابرين. قل إنا قد جعلناك عزانًا عزيزًا للعازّين. قل إنا قد جعلناك ظهرانًا ظهيرًا للظاهرين. قل إنا قد جعلناك حبّانًا حبيبًا للحابّين. قل إنا قد جعلناك شرفانًا شريفًا للشارفين. قل إنا قد جعلناك سلطانًا سليطًا للسالطين. قل إنا قد جعلناك ملكانًا مليكًا للمالكين. قل إنا قد جعلناك عليانًا عليًّا للعالين. قل: إنا قد جعلناك بشرانًا بشيرًا للباشرين »[2].

ونموذج ثالث أيضًا، قوله: « تبارك الله من شمخ مشمخ شميخ، تبارك الله من بذخ مبذخ بذيخ، تبارك الله من بدأ مبدأ بديء، تبارك الله من فخر مفخر فخير، تبارك الله من قهر مقهر قهير، تبارك الله من غلب مغتلب غليب تبارك الله من علم معتلم عليم »[3].

---

1 (?) البيان (قرآن الشيرازي) الباب الثامن عشر من الواحد العاشر، بواسطة البابية عرض ونقد، ص121. ونقله عنه الدكتور عبد القادر في كتابه: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، ص204-205.

2 (?) مفتاح باب الأبواب ص278-279، بواسطة: البابيّة لإحسا، ص 119-120، وانظر: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر صوفي، ص204-205.

3 (?) مفتاح باب الأبواب ص282، بواسطة: البابية لإحسان، ص120-121، وفرق معاصرة لغالب ج2/ص657.

ورابع أيضًا[1]، قوله: « تبارك الله من سلط متسلط رفيع، تبارك الله من وزرٍ مؤتزر وزير، تبارك الله من حكم محتكم بديع، تبارك الله من جمل مجتمل جميل »[2].

لِهذا وغيره حُقّ للشيخ إحسان –رحمه الله- أنْ يقول بالنسبة لِهذا الكتاب الذي فيه من الغوامض والمبهمات والمهملات والسخافات والغرائب والعجائب والرذائل والحماقات، وما لا معنى له إطلاقًا: « ذلك البيان الذي أنسانا اللغة العربية الأصيلة من اليوم الذي بدأنا نقرؤه للبحث والتنقيب والنقد والعرض، بعربيته السقيمة التافهة المليئة من الأغلاط والرداءة والسخافة »[3]. إي، وربّي! ويقول أيضًا: « وأجزم وأوقن أنّه هو نفسه ما كان يعرف ماذا يقول ويكتب، وماذا يهدف من ورائها؟! »[4].

والشيرازيّ يستند ويستدل على صحة دعوى رسول بكلامه[5]، بل ويبيّن أنّ أقوى أدلته وأقنعه كلامه؛ فيقول: « ألَم يكفِهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب، ولقد آتاني الله هذا البرهان، ففي ظرف يومين وليلتين أقرر بأنّي أقدِر أنْ أظهِر آياتٍ توازي في الحجم جميع القرآن »[6].

وقد زعم أنّه نبيٌّ ورسول، بل وربٌّ وإله. وقد تقدم شيءٌ من كلامه، وهل هذا كلام رسولٍ؟ بل وربّ وإله؟!

ومن أمثلة آيات كتابه (البيان) أيضًا، وتدل على عقيدة نسخ الشريعة المحمدية عند هذه الفرقة (البابيّة) قوله فيه: « ولا يجوز التدريس في كتب غير البيان، ولا تتعلمون إلا بِما نزل البيان، أو ما ينشئ فيه من علم

---

[1] (?) للاستزادة من آيات هذا الكتاب يُنظر: النصيحة الإيمانية في كشف فضائح البابيّة والبهائيّة، للحسيني الحسيني معدِّي، ص57-64 .

[2] (?) مفتاح باب الأبواب ص276، بواسطة: البابيّة لإحسان، ص121. ولأمثال هذه الآيات التافهة يُنظر أيضًا: ص128-130.

[3] (?) البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص237.

[4] (?) البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص120.

[5] (?) وقد قيل قديمًا: أقوى دليل على صدق رجل وكذبه هو كلامه، (انظر: البابيّة لإحسان، ص135).

[6] (?) مطالع الأنوار لنبيل الزرندي، ص150، بواسطة: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص120.

الحروف وما يتفرع على البيان .. ولا تتجاوزوا عن حدود البيان فتحزنون »[1].

تلك ما سبق من آيات قرآن البابيّة الركيكة، المبهمةِ كثيرٌ منها، والذي يُفضِّلُه الباب الشيرازي وأتباعُه على القرآن. ومع هذا كُلِّه فقد زعم أنّ الجن والإنس لن يقدروا على أنْ يأتوا بمثل بعض حروفه أو تأويلاته، فقال: « يوم نكشف الساق عن ساقهم ينظرون إلى الرحمن وذكره في أرض المحشر قريبًا، فيقولون: يا ليتنا اتخذنا مع الباب سبيلا، إمامكم هذا كتابي قد كان من عند الله في أم الكتاب بالحق على الحق مشهود، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا الكتاب بالحق على أنْ يستطيعوا، ولو كان أهل الأرض ومثلهم معهم على الحق ظهيرًا. فوربك الحقِّ لن يقدِرُوا بمثل بعض حروفه ولا على تأويلاته من بعض السرّ قطميرًا »[2].

وقال الباب أيضًا: « ولا يقولوا كيف تكلم عن الله مَن كان في السن خمسة وعشرين، فوربّ السماء والأرض! إنّي عبد الله في أم الكتاب بالحق مسطور، وقد جعلني مباركًا أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والصبر ما دمت فيكم على الأرض حيًّا. وإنّ الله قد أنزل له بسورة من عنده والناس لا يقدرون بحرفه على المثل دون المثل تشبيرًا »[3].

«فأيّ لغة هذه: (والناس لا يقدرون بحرفه على المثل دون المثل تشبيرًا؟) وما معناها؟»[4].

(وانظر: السرقات لمقاطع في القرآن المجيد).

وقال: « إنّما البيان حجتنا على كل شيءٍ، يعجز عن آياته كلُّ العالَمين »[5].

---

1 (?) البيان (قرآن الشيرازي) الباب العاشر من الواحد الرابع، بواسطة: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص128.

2 (?) مفتاح باب الأبواب ص282.

3 (?) البابيّة عرض ونقد، ص123، ونقله عنه صاحب ختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية، 49.

4 (?) البابيّة عرض ونقد، ص123.

5 (?) البيان العربي، الواحد الأول، بواسطة: البابية لإحسان، ص127.

هذا هو قرآن الباب الشيرازي، وفيه أهم تعاليمه ومزاعمه، وقد نسخه تلميذه بكتاب آخر (وسمه بالأقدس) وزعَم فيه مثل مزاعم شيخه؛ من تفضيله على القرآن، بل وتفضيله على البيان أيضا، وهذا ما أتناوله في المسالة القادمة.

المسألة الثانية: تفضيل حسين علي المازندراني كتابه (الأقدس) على القرآن العظيم:

وأما عن تفضيل البهاء المتنبي والمتأله الآخر حسين علي المازندرانِي كتابَه (الموســـوم بالأقـــدس[1]) على القرآن[2] فهو ما جاء في سخافاته الكثيرة، والتي منها:

1-قوله في تفضيل قـراءة آية من كتابه على قـراءة جميع الكتب بما فيها القرآن العظيم: « وهذا روح الكُتُب قد نفخ به في القلم الأعلى وانصـــعق من في الإنشـــاء، وبه زيّن صحف الأولين، هـذا ذكر الله من قبل ومن بعـد، قد طـرز به ديباج كتاب الوجود إن أنتم من الشاعرين. مَن يقرأ آية

[1] (?) **الكتاب الموسوم بالأقـدس** هو أحد الكتب الـتي ألفها النـوري المازندراني زاعمًا أنّه ناسخ لجميع الكتب السماوية، حـاول فيه مؤلفه محاكـاة القـرآن في فواصل آياته وفي أنبـاء الغيب، وفيه من الأغلاط والأخطاء، والحماقات المتدفقة في كل سطر من سطوره، وفقرة من فقراتـه، كما أنّ فيه عبـارات مهملـة، وتـراكيب سـاقطة، وعجمة بينة ظـاهرة، وأسـاليب ركيكـة، وعربية ضـعيفة، لكل هـذا وغـيره لم يطبع البهائيون الأقدس لمدة طويلة حتى نقحوه من الأخطـاء وصـححوه من الأغلاط مرات عديدة. ومع ذلك سيأتي بعض ما فيه. والغريب أنّ عــدد صـفحات الكتـاب 22صـفحة من الحجم المتوسـط، و50 من القطعة الصـغيرة، ومع ذلك وجد فيه هـذه الأخطـاء الفاحشـة، كما أنّ مؤلفه يقول -كذبا وزورًا- بأنّ آية واحدة منه خـيرٌ من كتب الأولين والآخـرين. وأسـجاعه وإرسـاله وازدواجه لا يجعله مشـابها للقـرآن كلا، هـذا بغض النظر عن ســـياق الكلام وصـــياغته وتركيبه وألفاظه وحروفـــه، بل ومعانيـه. (انظر الكلام المفصل فيه بـذكر نمـاذج كثـيرة منه ونقـدها: البهائية نقد وتحليل لإحسان، ص230-240، وقبله ص59).

[2] (?) للاسـتزادة: انظـر: موقف البهائية من القـرآن الكـريم، مِن بَحث بعنوان: دراسة عن فرقة البهائيّة في ضـوء كتابها الموسـوم بالأقـدس، د. عبد القادر، ص202-205، ومبحث الرد على البهائية في تفضـيلهم كتبهم على القـرآن الكـريم، من رسـالة: الشـيخ إحسـان وجهـوده في تقرير العقيدة، ص803-807.

من آياتِي لَخيرٌ له مِن أنْ يقرأ كُتُب الأولين والآخرين. هـذا بيان الرحمن إنْ أنتم من السامعين »[1].

وفي موضع آخر: « وآيةٌ واحدة منه خيرٌ من كُتُب الأولين والآخرين »[2].

وقال أيضًا: « قل تالله الحق، لا تغنيكم كُتُب العالَم ولا ما فيه من الصحف، إلا بِهذا الكتاب الذي ينطق في قطب الإبداع: أنّه لا إله إلا أنا العليم الحكيم »[3].

وهذا الزعم من (أنّه لا تغني الناسَ كُتُبُ العالَم إلا بِهذا الكتاب) الذي يتسترون عليه ويُخفونه ويكتمونه، والذي لم تطبعه المحافل البهائية حتى يوم كتابة الشيخ إحسان إلهي ظهير (1976م) [4]، بل طبع من قِبل القاديانيين الملاحدة، ومن النصارى، ومن المسلمين، وغيرهم[5] = هو الذي فسّروه بقولهم: « لا يُتصوّر ويُعقل صلاح العالَم بدون الكتاب المستطاب (الأقدس) الذي هو العلاج الأكبر لأمراض الكون، والمغناطيس الأعظم لجذب قلوب الأمم »[6]، ثم يُخفونه ويتسترون عليه، وهذا كافٍ على بطلان هذه الدعوى!

وقد كذب داعية البهائية الأوروبيّ حين زعَم أنّ « الدين البهائي فريدٌ بين أديان العالَم بسبب كمال مُدوّناته الأصليّة، ومن هذه الوجهة لَم يسبق له مثيلٌ؛ لأنّ الكلمات المدونة التي تُعزى إلى المسيح أو موسى، أو زرادشت أو

---

[1] (?) الأقدس للبهاء، ص81، بواسطة: البابيّة عرض ونقد للشيخ إحسان، ص37، ودراسة عن فرقة البهائيّة في ضوء كتابها الموسوم بالأقدس، د. عبد القادر، ص202.

[2] (?) الأقدس للمازندراني، بواسطة: البهائيّة نقد وتحليل لإحسان، ص 230.

[3] (?) الأقدس للمازندراني، ص100، بواسطة: دراسة عن فرقة البهائيّة، د. عبد القادر، ص202، ونقله الشيخ إحسان في كتابه البهائيّة نقد وتحليل، ص222، و227.

[4] (?) انظر: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص38، وص: 41.

[5] (?) وقل مثله بالنسبة لبيان الشيرازي وبقية كتبه فإنّ البهائيين ورثة الباب لم يطبعوه لرداءته خوف الفضيحة والعار، وإنما طبع من غيرهم لإفضائهم (من المسلمين والمستشرقين وغيرهم، انظر: البابيّة لإحسان، ص135).

[6] (?) قاله الجلبائيجاني في الفرائد، ص10، بواسطة: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص37.

بـوذا أو كرشـنا، هي قليلة جـدًّا .. وأنّ محمـدًا نفسه كـان أميًّا كما كـان أغلب أتباعه .. أما البـاب والبهـاء فقد كتب كلاهما كُتُبًا عديـــــدة بفصــــاحة وبلاغة تامة؛ حيث كانا ممنــــوعَين من الخطابـــة، وصــــرَفَا أغلب أوقاتهما في السـجن، وخصصا جــزءًا كبــيرًا من وقتهما في الكتابــة؛ فكانت النتيجة: أنّ الدين البهائيّ لا يُضارعه غيرُه من جهة صحة الكتب المقدسة وكثرتتها »[1].

ومَن يقف على طبيعة ما يُسمونه كتابًا من عشر صفحات أو دونه أو فوقه عرف السبب في التكثر. كما أنّ من عرف لغة الكتاب (فخذ مثلا الأقدس الذي تقدم نماذج من آياته) والـذي يـزعم البهائيّة أنّه ناسـخٌ للقـرآن، عـرف كذب دعوى فصاحته وبلاغته أيضًا.

ومثله البيان للباب الشيرازيّ. وهذان الكتابان قد بلغا مبلغًا في الــرداءة وكـــثرة ما لا معـــنى له على الإطلاق، وفيهما من الأخطاء اللغويــة، والأغلاط النحوية والتركيبيــة، والتنسيقية، وضعف التعبير والتركيب، وركاكة الأسلوب ما لا يـــأتي في بــــال. كما أنهما في مـــيزان اللغة العربية وصياغتها وسياقتها ساقطان، فكذلك في ميزان الفصــاحة والبلاغة والمعــاني والبيــان، حيث اجتمع فيها التعقيــدات اللفظية والمعنوية، والإبهام، وغموض الفكرة، وغير ذلــك. إلى جانب ما يُعطي كلامه « فكـرة واضـحة لعقلية الرجل وثقافته، وعن عدم معرفته بقواعد اللغة، وأسـلوب البيـان غير الأدب الرفيع، وسموّ المعاني، وقوة المنطق والفكــر، ورزانة العقل ورتانة الحجـــا، وإنْ دلّت على شـــيءٍ فإنّما تـــدلّ على أنّ المتكلم بها والمتفـــوه ليس إلا رجلا جـــاهلا صـرفًا، وكـان مسـكينًا مسـتكينًا خالطه الوسـواس؛ ففعل أفعـال المجـانين، وتكلم مثل كلامهم. .. لَمّا اعـترض عليه في مثل هذه الأخطــاء اللغويّة والنحويّــة، وفي كـثرة لحنه وغلطـــه، مع ادّعاءاته الكبـــيرة من الرســـالة والنبـــوة والألوهيّــة، والحــال أنّ النبِيّ والرسـول، والإله والــربّ لا يُخطئ ولا يلحن .. أجــاب بقوله المضــحك المبكي معًا ..

[1] بهـاء الله والعصر الجديـد، لأسـلمنت، ص132، بواسـطة: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص36.

(إنّ الحــروف والكلمــات كــانت قد عصــمت، واقــترفت خطيئة في الزمن الأول؛ فعوقبت على خطيئتها بأنْ قيّدت بسلاسل الإعراب، وحيث أنّ بعثتنا جـاءت رحمة للعـالَمين فقد حصل العفو عن جميع المــذنبين والمخطــئين حــتى الحروف والكلمات؛ فـأُطلقت من قيـدها تـذهب إلى حيث تشاء من وجوه اللحن والغلط) [1] ..»[2].

ومع ذلك فإنّ مؤلّف كُلٍّ من الكتابين يزْعُمُ أنّه ربٌّ وإله، والكتابين من وحي الربّ والإلهام، بل وأولهما يـزعم بأنّ كتابه أفصح عبارة من القـرآن الكـريم. وكما يزعمـان هو والآخَر بأنّ الكتابَين أفضل من القرآن وناسخان له، بل ولكتب الأولين والآخرين.

ومعلـومٌ أنّ الـربّ لا يُخطأ ولا يلحن -في الكلام وغيره-، بل يكون كلامه أعلى الكلام، كما قيل قديمًا: كلام الملوك ملوك الكلام[3]. وهذه النقطة أيضًا من أوجه كـذب الرجلين.

وأما بعد، فمعلومٌ –كما تقدم في فصل الصوفية- أنّ تفضـيل كتـاب على القـرآن زندقة وكفـرٌ. وهـذا من أوجه كفر هاتَين الطائفتين؛ البابيّة والبهائيّة.

وأيضًـا لَمّا فتح هـؤلاء (البـاب الشـيرازيّ والبهـاء المازندراني) باب المفاضلة بين كلامهم الممجــوج الركيك السـاقط المكــرر التافه .. وكلام خــالق البشر (القــرآن خصوصًــا) الــذي لا يُماثله في صــفاته وأســمائه، ولا في

---

[1] دائرة المعـارف للبسـتاني، (ج5/ص26)، بواسـطة: البابيّة عـرض ونقد، للشيخ إحسان، ص131.

[2] بهـاء الله والعصر الجديـد، لأسـلمنت، ص132، بواسـطة: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص36.

[3] انظـر: البهائية لإحسـان، ص223، بل مقـال المازنـدراني ولغته عمومًا من الكتـاب: ص221-248. وانظـر: موضـوع أسـلوب البـاب الشيرازي في كتابه البيان وغيره من: البابيّة عرض ونقد لإحسـان، ص 119-122، ثم لغته وجهله، ص122-135 (فالشيرازي كما تقول كُتبه فقــير محض ومفلس خــالص في اللغة العربية والفارســية، وكلامه لا لفظ ولا معــنى)، حــتى قــال الشــيخ إحســان فيــه، ص125: (كــان الشيرازي أجهل المتنبئين، وأغبى الدجالين الكذابين، وأسفل السافلين من مدّعي الألوهية والربوبية منذ اليوم الذي بـدأ الكـذّابون والـدجّالون يظهرون على وجه هذه البسيطة).

أفعاله أحدٌ من خلقه، والذي نسبة صفاته من صفات خلقه كنسبة ذاته منهم، لمّا كان كذلك حسُن -ردًّا عليهم- أنْ أرجع القارئ الكريم إلى ما تقدم من مزايا القرآن وخصائصه في مطلب: نزول القرآن على رسول الله ﷺ، ضمن مبحث: دلائل نبوته ورسالته. وما تقدم هناك فإنّه مغْنٍ عن الردّ التفصيلي عليهم، ولله الحمد. كما أنّه يكفي القرآن أنْ مدحه أشد أعداء الله ورسوله، وألد خصوم الإسلام من الجاهليين وغيرهم، وذكروا أنّهم ما سمعوا مثله قط، وأنّه ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة « وحتى اليوم مع مضيّ أربعة عشر قرنًا على نزوله من لدن عليم خبير لم يستطع كفّار الشرق والغرب أنْ يأتوا بكتاب مثله في عذوبة البيان وندرة الخيال والتفكير، وقوة النطق والبرهان، وسلامة الأسلوب، وروعة الخيال، وغزارة العلم والحكمة، وعظمة إحكام ومرونة الشريعة، وسلامة القواعد والأصول، ومتانة اللغة ورصانتها، وكرامة التعليم وشرافته، ولباقة القول ولياقته، فما أعظمه شأنًا! وما أعلاه مقامًا! وما أجمله! وما أحسنه! وما أكمله! »[1]. وهذا شيءٌ من مزايا القرآن وخواصه، ولله الحمد!

** * **

المطلب الثاني: مخالفة الباب والبهاء شريعته عليه الصلاة والسلام:

الدين البابِيّ والبهائِيّ الجديدان مبنيان على مخالفة الشريعة الإسلامية في عقائدهما وشرائعهما، وقد تقدم وسيأتِي مخالفاتُهم العقدية، وأما هذا المطلب فقد خصصتُه لبيان أهم مخالفاتِهم للشريعة المحمدية، خاصّة؛ من خلال ثلاث مسائل، مِن ذلك:

المسألة الأولى: مخالفة البابيين الشريعة الإسلامية في أركانها[2]**:** « فالبابيّون بدل أنْ يقتدوا بالإسلام في مزاياه في العبادات؛ حيث جمع المقاصد الدنيوية العليا، والدينية العظمى، أسسوا ديانتهم على

---

1 (?) البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص126-127.

2 (?) انظر (شرعة الباب) في: البابيّة للحموي، ص29-32.

المخالفة المحضة؛ إرضاءً لساداتِهم المستعمرين الروس والإنجليز، وأعداء أمة محمد من اليهود والمجوس، فمنعوا عن الصلاة بالجماعة »[1].

وصورة الصلاة عند البابيّة تنافي الفطرة الإسلاميّة والعقول السليمة، قال الشيرازي: « أنتم بالجماعة لا تُصلّون، وأنتم على الكرسيّ بما يحبه الله تذكرون وتوعظون »[2].

ومن مفهوم الصلاة عندهم ما ذكَره أحدُ البابيين الذي قُتِل في هذا السبيل: « إنّ المقصود من الصلاة: التكبير والتحميد والتعظيم قولا وفعلا لحضرة النقطة (يعنِي الشيرازي)، وهذا هو المفهوم لقول الأمير عليه السلام: نحن الصلاة »[3].

وفي البيان العربي أيضًا: « رفع عنكم الصلوات كلهن إلا من زوال إلى زوال تسعة عشرة ركعة، واحدًا واحدًا بقيام وقنوت وقعود، لعلكم يوم القيامة بين يدي تقومون ثم تسجدون، ثم تقنتون وتقعدون »[4].

وفيه أيضًا: « ولتصلين كلكم مرة، ولكنكم فرادى تقصدون »[5].

وبين هذين النّصين تفاوُتٌ كبيرٌ فيقال هنا: كم عدد الصلوات إذن عند البابيّة؟

ومن آيات بيان الشيرازي ما يَدُلّ على أنّ قبلتهم التي يتوجّهون إليها في صلاتهم هي بيت الشيرازي، « أنْ يا عبادي إلى بيتِي تصعدون .. –إلى قوله: وأنّ (مسجد

---

1 (?) البابية عرض ونقد، لإحسان، ص218.

2 (?) البيان العربي للشيرازي، الباب التاسع من الواحد التاسع، بواسطة: البابية عرض ونقد، لإحسان، ص218.

3 (?) المصدر نفسه، الباب الثامن عشر من الواحد السابع، بواسطة: البابية عرض ونقد، لإحسان، ص220.

4 (?) البيان العربي للشيرازي، الباب الثالث عشر من الواحد السابع، بواسطة: البابية، لإحسان، ص219.

5 (?) نقطة الكاف للكاشاني، بتحقيق: براؤن، ص148، بواسطة: البابية عرض ونقد، لإحسان، ص218.

الحـرام): ما يولد مَن يُظهـره اللـه، ذلك ما وُلـدتُ عليه .. أنتم هنالك لتصلّون »[1].

قال الحمـوي: « ألغى البـابُ الصـلوات الخمس، وصـلاة الجمعة وصـلاة الجماعة إلا في الجنـازة، وقـرر أنّ الطهر من الجنابة غير واجب، وأنّ القبلة هي الـبيت الـذي ولد فيه بشيراز، أو مكـان سـجنه، أو الـبيوت الـتي عـاش فيها هو وأتباعــه. وهي نفس الأمــاكن الــتي فــرض على أتباعه الحج إليها » [2].

والأذان عندهم: الله أغنى، يقول الشيرازي: « فلتجعلن من أول ليلكم إلى آخر نهاركم خمسة قسمة، ثم عند كلّ قسمة لتؤذنون، لتبدأنّ بـأوّل الليـل، ثم في الأول تسعة عشر مرة لا إله إلا اللـه، ثم الله أغـنى تقولـون. ثم في الثـاني تسـعة عشر مـرة لا إله إلا اللـه، ثم الله أعلم تقولون. ثم في الثالث تسعة عشر مرة لا إله إلا اللــه، ثم عدد الواحد الله أحكم تقولـون. ثم في الرابع تسـعة عشر مرة لا إله إلا اللـه، ثم عـدد الواحد الله أملك تقولـون. ثم في الخــامس تســعة عشر مــرة لا إله إلا اللــه، ثم عــدد الواحد الله أسلط تقولون »[3].

هذا شيء من مخالفة البابية شريعة رسولنا محمدٍ في الصلاة.

وأما الزكاة[4] « فحكمها حكم الصلاة بالضبط؛ حيث لا تفاصــــيل لها مطلقًا في البيـــــان لا العـــــربي ولا الفارسي، اللهم .. ثم ولا يوجد أيّ تفصيل بأنّها مـتى تجب وعلى من تجب، ولِمن تصرف عليـه. خلاف الإسـلام؛ دين الله القيّم الــذي أراد هــؤلاء البلهــاء مخالفته ومعارضــته ..»[5].

---

[1] (?) البيان العربي للشيرازي، البـاب السـادس عشر من الواحد الرابـع، بواسطة: البابية لإحسان، ص227.

[2] (?) انظر: البابيّة للحموي، ص29-30.

[3] (?) البيـان العـربي للشـيرازي، البـاب الرابع عشر من الواحد الحـادي عشر، بواسطة: البابية لإحسان، ص228.

[4] (?) انظر: البابيّة للحموي، ص30.

[5] (?) قاله الشيخ إلهي ظهير في: البابية عرض ونقد للشيخ إحســان، ص 229.

ومخالفة أخرى بل وتحريفٌ باطنيٌّ في **أمر الزكاة** أيضًا ما قاله أحد مؤرخي البابية[1]: «الزكاة هو إقرارٌ بِمِلِّيَة حضرة الباب يوم قيامِ أمرِه، حيث يقول: لِمَن الملك؟ وجميع العباد الصالحين يقولون: لله الواحد القهار، .. وهذا هو المقصود من قول الأمير عليه السلام: نحن الزكاة »[2].

ومما له علاقة بِهذا تحريم الشيرازي -الذي يزعم أنّ بيانه ناسخًا للقرآن- تحريمه السؤال مطلقًا على الفقراء المعوزين لقمة عيش وقطرة ماء، وسؤاله هو البابيين الأثرياءَ وتحريضُهم على التصدق عليه وعلى حروف الحيّ الثمانية عشر[3] بالذهب والفضة واليواقيت والجواهر والألماس. ويقال هنا: ما الفرق بين سؤال أولئك القرش والفلس، وهؤلاء القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وغير ذلك، ألا يجب أنْ يُحرّم السؤال مطلقًا (وفي شريعته هذه عدم المساواة في الحكم والتوازن)[4].

وأما بالنسبة **للركن الآخر (الصيام)** من أركان الشريعة الإسلامية ومخالفة البابية إيّاه، فحقيقة الصوم عندهم فكما في (نطقة الكاف): « هو كفّ النفس عن كلّ ما لا يرضاه الشيرازي »[5].

وفي البيان رفع الصوم عمن بلغ من العمر اثنتين وأربعين سنة (والعجيب هو رفعهم للصوم عمن بلغ سن اكتمال القوة ونضج الطاقات)، وبلا سبب، قال المتنبئ الشيرازي: « أنتم في كل حول شهر العلاء[6] لتصومون،

---

1 (?) الملقب بالكاشاني.

2 (?) نقطة الكاف للكاشاني البابي، ص148، بواسطة: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص230.

3 (?) وقد تقدم بيان مصطلح (حروف الحي عند البابية) وأنهم 18شخصًا من كبار تلامذة الرشتي وزعماء الشيخية.

4 (?) انظر: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص230-232.

5 (?) نقطة الكاف للكاشاني، ص148، بواسطة: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص232.

6 (?) **شهر العلاء عند البابيّة والبهائيّة:** هو شهر الصوم عند البابية، (انظر: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص233). بل وبِهذه المناسبة ذكر الشيخ إحسان أسماء شهور البابية المأخوذة من دعاء السحر الشيعي، وهي: 1- شهر البهاء، 2- شهر الجلال، 3- شهر

وقبل أن يكمل المرء والمرأة إحدى عشرة سـنة من حين ما ينعقد نطفته أن يريـدون أن حين الـزوال ليصـومون، وبعدما يبلغ إلى اثنين وأربعين سـنة يعفى عنـه، وما بينهما من الطلـوع إلى الغـروب لتصـومون، لعلكم يـوم الظهـور في أبواب النار لا تدخلون، وأنتم أن من قبل الطلوع وبعد الغـروب لتضـيفون، ولا تـأكلون ولا تشـربون ولا تقـترنون »[1].

وذكر الشيخ إحسان –رحمه الله- مخالفة البابيين للفطـرة وسـنة اللـه، وجميع الأديـان السـماوية والأرضـية الموجودة المصـطنعة، وذلك باعتقـادهم أنّ الشـهر تسـعة عشر يومًـا، وأنّ السـنة تسـعة عشر شـهرًا، وكـون رقم تسعة عشر ذا قداسية عندهم[2]، قال الشيرازي المتنـبئ: « قد جعلنا الحـول تسـعة عشر شـهرًا لعلكم في الواحد تسلكون »[3].

وعدّةُ الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتابه، كما هو معلومٌ.

وتقرر –عند هؤلاء- بما تقدم أنّ « الصوم الذي كنا نتحدث عنه، يقولون: إنّ شهر العلاء هو شهر الصوم، وقد ذكرنا العجائب فيه: أنّهم يفرضـونه على الـذي بلغ الحادية عشر من العمر من الصـبيان والفتيـات، ويسـقطون عمن اكتمل شـبابه من الرجـال والنسـاء، وقـويت قـواه لتحمل

الجمال، 4- شهر العظمة، 5- شهر النـور، 6- شـهر الرحمـة، 7- شـهر الكلمـات، 8- شـهر الكمـال، 9- شهرالأسـماء، 10- شـهر العـزة، 11- شهر المشيئة 12- شهر العلم، 13- شـهر القـدرة، 14- شـهر القـول، 15- شـهر المسـائل، 16- شـهر الشـرف، 17- شـهر السـلطان، 18- شهر الملـك، 19- شـهر العلاء. ولكل شـهر تسـعة عشر يومًا عنـدهم، ومجموع أيام هذه الشـهور: 361 يومًـا، وتبقى أيـام لا تعد عنـدهم في السنة، ويسمونها أيـام الهـاء، ويعمل فيها ما يُشـاء من اللهو والمجـون والمنكر، وهي تأتي قبل شهر الصوم عنـدهم (العلاء) (انظـر: ص233-234).

[1] البيان العـربي للشـيرازي، البـاب الثـامن عشر من الواحد الثـامن، بواسطة: البابية للشيخ إحسان، ص232.

[2] انظر: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص232.

[3] البيان العـربي للشـيرازي، البـاب الثـامن عشر من الواحد الثـامن، بواسطة: البابية للشيخ إحسان، ص232.

المشاق والمتـاعب، كما هو أحـوج من الصـبيان إلى كسر اللذات، وتـرك الشـهوات، واجتنـاب المرضـيات، ولإصـلاح النفس الطاغية الأمّارة بالسوء، ولتقويم الاعوجاج الخلقي والنفسـي، ولإدراك معـاني الفقر ومحنة وفتنـة، ومطـالب المؤاخلة والمواساة والصبر، ولكن الأمور منعكسة تمامًـا، فأخذوا مَن لَم يكن من أهل التكليف، وتركوا مكلّفًا بالأخذ »[1]. ومَن يُضلل الله فلا هادي له!

و**أما الحج** عند البابيين فهو « زيارة البيت الذي ولد فيه الشيرازي، أو البيت الذي عاش فيه، أو بيوت أصـحابه الثمانية عشر (حـــروف الحيّ) »[2]، في البيـــان العـــربي للشـــيرازي: « وليس عليكم فرضًـــا إلا زيـــارة الـــبيت، ثم مقعد النقطـــــــة، ثم المقاعد الحيّ، والمســــــاجد إنْ تستطيعون »[3]. وهذا بخلاف الحج في الإسلام[4].

وفي شريعة البابية تمنع الأرامل البقـاء أكـثر من خمسة وتســـعين يومًا بـــدون زواج مهما كُنّ ســـواءٌ كنّ حاملات أو غير ذلك[5].

ولهم مضحكات مبكيات في توزيع التركة (الميراث) فورّثـــوا الإخـــوة مع الأولاد والأب، كما أدخلـــوا المعلم في الورثة. وجوّزوا الإنابة في الميراث بعد تحديدهم للأصـناف الذين يرثون ومنهم مَن تقدم، مع أنّ مجمـوع التركة الـتي توزع لهم ليس واحدًا صحيحًا[6].

كما أنّ من شرائع البابية المخالِفَةِ لشريعة اللـه: أنّه يجب تخـريب البقـاع المقدسـة، كمكة وبيت المقـدس وقبـور الأنبيـــاء عند حصـــول أول ســـلطة لأحد ممن تبع دينهم.

---

1 (?) كما قاله الشيخ إحسان إلهي ظهير في البابية عـرض ونقد للشـيخ إحسان، ص234.

2 (?) المصدر نفسه، ص234.

3 (?) البيـــان العـــربي للشـــيرازي، البـــاب الســـادس عشر من الواحد السادس، بواسطة: البابية للشيخ إحسان، ص236.

4 (?) انظر عن مقاصد الحج في الإسلام وحِكَمُه، ومخالفته لحج البابيين: البابية للشيخ إحسان، ص234-236.

5 (?) انظر النص على ذلك: البابية عرض ونقد، لإحسان، ص222.

6 (?) انظـــر: البابية عـــرض ونقـــد، لإحســـان، ص240، وانظـــر: البابية للحموي، ص47-48. للبهائية في تقسيم التركة مثل ما تقـدم وزيـادة، (انظر: البهائية للشيخ إحسان، ص214-217).

ويجـوز العقد على اثنـتين فقـط، والمتعة عنـده بلا حصـر. وكذلك الشراء. واتخذ عيد النيروز[1]. إلى غير ذلك.

« فهذه هي شريعة البابيّة –والبهائيّة أيضًـا- الـتي يزعمــون أنّها ناســخة لجميع الشــرائع الأخــرى بِما فيها شريعة الله الأخيرة (الشريعة الإسلامية البيضاء التي ليلها كنهارها ولا يضل المتمسك بِها أبد الآباد). وهـذا هو البيـان (كتاب دينهم) الـذي يقولـون فيـه: إنّه ناسـخٌ لجميع الكتب السماوية الحقة بما فيها القرآن الذي أنزله الــرحمن على أفضل البشر وخــاتم الأنبيــاء والمرســلين؛ على محمد الذي أرسله »[2].

وديانة البابية وشــريعتها وأهم تعاليمها الــتي خــالفت بِها شريعة محمد ، بل والأنبياء قبله هو المقال الثـالث الـذي تكلم فيه الشـيخ إحسـان، وبيّن أنّهم خـالفوا الشـرائع في مسائل الإيمان باليوم الآخر من القيامة والبعث إلى الجنة والنار، كما خـالفوا في أسس الإسـلام وأركانه العملية من الصلاة والزكـاة والحج والصـيام، ولهم مخالفـات في بقية أبواب الدين، وقد تكلم في ذلك فأجـاد وأفـاد[3]، فليُراجعه طالب التفصيل. ومنه لخصتُ المسألة.

وما تقدم فبالنسبة لِمخالفة الباب الشيرازيّ وأتباعه؛ بِمبادئه وتعليماته شـريعةَ نبيّنا محمـدٍ وهـدمهم لأركـان الإســلام الخمسة [4]. **وأما تليمــذه الآخر (البهـــاء) فليس بعيـــدًا عنـــه، بل يوافقه في أكـــثر تلك المبادئ والشرائع[5]؛ ذلك أنّه ناسـخٌ على منوالـه، كما أنّ القول بالباطن يجمعهما، وأقول بأنّ:** أهم تعاليم البهاء التي خالفت شريعة نبينا محمـدٍ جـاءت في

---

[1] انظر: البابية عرض ونقد، لإحسان، ص241.

[2] البابية عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص236-237.

[3] انظر تفصـيل مقـال: شـريعة البابية وتعاليمهـا: ص202-243 من: البابية عرض ونقد، للشيخ إحسان.

[4] للاسـتزادة يُنظـر، مسـألة: العبـادات عند البابيّـة، من: دراسـات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر صوفي، ص211-215.

[5] للاستزادة من شرائع البهائيين، يُنظر: النصيحة الإيمانية في كشف فضائح البابيّة والبهائية، للحسيني الحسيني معدِّي، ص99-115.

كتابه الأقـدس الـذي حـاول فيه « تقليد القـرآن؛ فيـأتي ببعض آية يمزجه ببعض آية أخرى، أو يضع شيئًا من عنـده بأسلوبٍ يُخزي صاحبه، وينطق بجهله العميق بلغة القرآن. ويبدو أنّ أهم ما قصد واضعه: ألوهيّة حسـين المازنـدراني وربوبيتـه، والـدعوة لإنشـاء وطنٍ قـوميٍّ لليهـود في فلسطين، والتبشـير بالصـهيونيّة، مع محاولة إيجـاد أحكـام خاصة بالبهائيّـة؛ يلغى بها أحكـام الإسـلام، كجعله الصـلاة تسع ركعـات دون بيـان كيفيتهـا، وأنّ القبلة حيث يكـون الحسين المازندراني، أو عكا وحيفا، ورفع الجماعة إلا في صلاة الجنازة، وأنّ الحائض تسبح 95 مـرة، وأنّ المسـافر يسجد سجدة واحـدة، إلى غـير ذلك مما وافق فيه البـاب، أو خالفـه. كما حمل فيه حملات على الـذين يتمسـكون بكتاب البيان المنسوب إلى الباب »[1].

ومن نصوص البهاء في الأقدس المقررة لبعض ما تقـدم، قوله في عـدد ركعـات الصـلاة -**الـركن الثـاني للإسـلام**[2]-: « قد كتب عليكم الصـلاة تسع ركعـات لله مـنزل الآيـات حين الـزوال وفي البكـور والآصـال، وعفونا عن عدة أخرى أمـرًا في كتـاب الله أنّه لهو الأمر المقتـدر المختار »[3].

وقوله في قبلة البهائية: «وإذا أردتم الصلاة ولـوا وجوهكم شطر الأقدس المقام»[4].

ويُخالف الإسلام في صلاة المسافر فيشرع لهم ما جاء في هـذا العـدد ويقـول: «ولكم ولهن في الأسـفار إذا

---

1 (?) الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص144.

2 (?) للاسـتزادة من مخالفـاتهم للشـريعة الإسـلامية في الصـلاة: يُنظـر: البهائيّة لإحســان، 160-162، والبهائية وموقف الإســلام منهــا، د. الأزوري، (الصلاة عند البهائية، ص236-249)، وفرق معاصـرة لغـالب عــواجي، (ج2/ـــ 707)، ودراســات منهجية لبعض فــرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر، ص248-251.

3 (?) الأقدس، العدد:13، ص4، بواسطة: الأديان والمـذاهب المعاصـرة لشيبة الحمد، ص145.

4 (?) الأقدس، العدد:14، ص4-5، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص147.

استنزلتم واستحرتم المقام الآمن مكان كل صلاة سجدة واحدة»[1].

وقوله: « مَن لم يجد الماء يذكر خمس مرات: بسم الله الأطهر الأطهر »[2].

وشرع عيد النيروز المجوسي الإيراني **بعد صيام رمضانِهم المخالف**[3]؛ الذي قلّد فيه الباب (19يومًا) فقال: « يا قلم العلى، قل يا ملأ الإنشاء قد كتبنا عليكم الصيام في أيام معدودات، وجعلنا النيروز عيدًا لكم بعد إكمالها، كذلك أضاءت شمس البيان عن أفق الكتاب من لدن مالك المبدأ والمآب »[4].

وأسقط حج وقصد بيته في عكا وحيفا ما دام حيًّا، ثم منزل خليفته من بعده على النساء فقال: « قد حكم الله لمن استطاع منكم حج البيت من دون النساء، عفى الله عنهن رحمة من عنده أنه لهو المعطي الوهاب »[5]. وهذا من إلحادهم **في ركن الحج**[6].

ويدعو البهاء للدعارة والزنا مقابل مبالغ مالية يُعطى له أو لِمَن ينوب عنه بعد، فيقول: « قد حكم الله لكل زانٍ

---

1 (?) الأقدس، العدد:31، ص6، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص146.

2 (?) الأقدس، العدد:26، ص6، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص145.

3 (?) للاستزادة من مخالفاتهم للشريعة الإسلامية في الصيام: يُنظر: البهائيّة لإحسان، 165-167، والبهائية وموقف الإسلام منها، د. الأزوري، (الصوم عند البهائية، ص250-252)، وفرق معاصرة لغالب عواجي، (ج2/ــ 708)، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر، ص251-252.

4 (?) الأقدس، العدد:41، ص8، بواسطة: الأديان والفرق لشيبة الحمد، ص146، والبهائية لإحسان، ص165.

5 (?) الأقدس، العدد:65، 11، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص147.

6 (?) للاستزادة من مخالفاتهم للشريعة الإسلامية في الحج: يُنظر: البهائيّة لإحسان، 169-173، والبهائية وموقف الإسلام منها، د. الأزوري، (الحج عند البهائية، ص256-257)، وفرق معاصرة لغالب عواجي، (ج2/ــ 708)، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية، د. عبد القادر صوفي، ص252-253.

وزانية ديّة مسلمة إلى بيت العدل، وهي تسعة مثاقيل من الذهب، وإنْ عادا مرة أخرى عودوا بضعف الجزاء »[1].

وأجاز استعمال أواني الذهب والفضة، محاربًا تعاليم الرسول ﷺ الناهية عن ذلك[2].

ومما وافق المازندراني شيخَه البابَ: عدة الشهور، محاربًا دين الله تعالى، ومخالفًا جميع بنِي البشر، قال: « إنّ عدة الشهور تسعة عشر شهرًا في كتاب الله »[3].

وما تقدم فهو شيءٌ من مخالفات الباب الشيرازي، والبهاء المازندراني شرائع رسول الله ﷺ، والهدف من وراء شرائعهم الجديدة هو إرادة هدم الدين الإسلامي إرضاء لأسيادهم الكفرة؛ أعداء الإسلام من الروس واليهود والصليبيين.

المسألة الثانية: زعم البهاء الْمازنداني نسخ شرعية الجهاد، وذلك إرضاءً للكفار المستعمرين أيضًا، يقول في ذلك في كتابه البشارات: « البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالَم: محوُ حُكم الجهاد من الكتاب، وقد نزل هذا الأمر المبرم من أفق إرادة مالك القدم »[4].

وقال في مصحفه المزعوم (الأقدس): « حرم عليكم حمل آلات الحرب »[5].

---

1 (?) الأقدس، العدد:111، ص17، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص148.

2 (?) انظر النص في: الأقدس، العدد، 104، ص16، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص148.

3 (?) الأقدس، العدد:270، ص35، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص151.

4 (?) بشارا المازندراني، ص1، ص30، وإشراقات، ص108-109، بواسطة: البهائية نقد وتحليل، ص208، وانظر: الشيخ إحسان إلهي ظهير، منهجه وجهوده في تقرير العقيدة، ص808 .

5 (?) الأقدس، الفقرة 383، بواسطة: البهائية للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص208.

ويقول عبد البهاء المتنبئ عن أبيه إله البهــائيين: «محا آية السيف، ونسَخَ حُكمَ الجهاد»[1].

وقد تقدم شيءٌ من هذا عند التعريف بِها؛ فلا أُطيل. كما أنّه تقدم رَدّ إنكار الجهاد[2] ونفيه عند فرقة القاديانية.

المسألة الثالثة: مجيء دين البهائية بمبادئ تهدم الإسلام من أساسه، -وليس فقط تخالفه كما هو العنـوان- منها وحـدة الأديـان والسـلام العـالمي الـتي نـادَوا بِها –مع أنّهم ليسوا صـادقين في المنـاداة بها[3]. وبالنسـبة لوحـدة الأديان التي تعـني عنـدهم « الخـروج من الأديـان جميعًـا، والدخول في دين جديدٍ ناسخٍ للأديان والاجتماع عليه، وهو دين الحب الــذي نـادى به قبلهم غلاة الصـوفية؛ أصـحاب وحدة الوجود »[4]. مع فرق بينهم.

فوحدة الأديان يعني إلغاء الأديان وعلى رأسها دين الإسـلام بل هو الهـدف الحقيقي للإلغـاء دون بقية الأديـان (اليهودية الصهيونية والنصرانية الصليبية).

والإسلام المستهدف هو –لا غيره- الدين عند الله، والذي مَن ابتغى غـيره فلن يُقبل منه وهو في الآخــرة من

---

1 (?) إشـراقات لعبد البهـاء، 109، بواسـطة: البهائية وموقف الإسـلام منها، د. دخيل الله الأزوري، ص274.

2 (?) وانظر للرد على هؤلاء بخصوص إنكارهم الجهاد: البهائية لإحسـان، ص207-208 (مخالفة الجهــاد)، والبهائية وموقف الإســلام منهــا، د. دخيل الله الأزوري، (قولهم في الجهاد، ص274-279).

3 (?) ولقد فصّل في تعليمـات البهائية ومبادئها الهدامة المتمثلة في: 1- وحدة الأديان، 2- ووحدة الأوطان، 3-وحدة اللغة، 4- التعـايش الهـادئ بين الشعوب وترك الحروب (السلام العام/ العالمي) 5-المســاواة بين الرجال والنساء: الشيخ إحسان إلهي ظهـير، ناقشـهم ورد عليهم تحت عنوان مقال: البهائية وتعليماتها، (انظره مفصلا، ص91-146)، وانظر: دراسة عن فرقة البهائية في ضـوء كتابها الموسـوم بالأقـدس، د. عبد القادر محمد عطا صوفي ص211-231، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنيّـة، له أيضًـا، ص234-247، وفـرق معاصـرة تنتسب إلى الإسلام (ج2/ ص678 وما بعده).

4 (?) دراسة عن فرقة البهائية في ضـوء كتابها الموسـوم بالأقـدس، د. عبد القادر صـوفي، ص212، ودراسـات منهجية لبعض فـرق الرافضة والباطنيّة، له أيضًا، ص235.

الخاسرين. فأراد هؤلاء إلغاءه، وجمع الناس حول الدين البهائي[1].

وبعد، فتقرر بالمسائل الثلاثة أنّ دين البابيّة والبهائيّة مبنِيٌّ على مخالفة الدين المحمدي والشريعة الإسلامية. وهذا من أعظم الكفر بنبينا محمدٍ ﷺ، والجفاء! وهذا المقصود بالمطلب.

** * **

المطلب الثالث: زعم البابية والبهائية أنّ الوحي لم ينقطع، وأنَّ محمدًا ﷺ ليس هو خاتم الأنبياء[2]:

كُلٌّ من الباب الشيرازي، والبهاء الْمازندرانِي آل أمرُه -لَمّا فتَح الباب الْمغلق؛ باب النّبُوة التي خُتمت بنبوة رسولنا محمدٍ الخاتم ﷺ: إلى القول بأنّ الوحي لَم ينقطع، وأنّ هناك نبِيٌّ بعد نبيِّنا- فآل أمرُهما إلى ادّعاء النبوّة والرّسالة، وكذلك بعض أتباعهم كما تقدم، بل وأكثر من ذلك. وأتكلم عن هذه القضية من خلال مسألتين:

الأولى: لَم يدّع الباب الشيرازي النبوة والرسالة مباشرة، وإنما تدرج في ذلك؛ فادّعى أولا أنّ روح المهدي حلّت فيه؛ فصار هو الباب الموصل إليه. ثم ادّعى أنّه هو المهدي المنتظر. ثم صار يتخيّل أنّه يوحى إليه؛ فادّعى النبوة، وزعم أنّه نبِيٌّ ذو شريعة ناسخة للشريعة الإسلامية، وألّف كتابه البيان، وزعم أنّه ناسخٌ للقرآن. بل من دعاويه قبل أنْ يُقتل: أنّه (حقيقة كُلّ قدّيس ونبِيٍّ ورسول). كما زعم أيضًا أنّه الْمظهر الإلهي، وأنّ الحقيقة الإلَهية حلّت فيه أتم حلول -تعالى الله وتقدس-، بل وتمادى في الدعوى حتى زعم أنّه هو الله نفسُه[3].

---

[1] (?) انظر: دراسة عن فرقة البهائية في ضوء كتابها الموسوم بالأقدس، ص216، ودراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنيّة، له أيضًا، ص238.

[2] (?) للاستزادة يُنظر مبحث معنى ختم النبوة من: البهائية وموقف الإسلام منها،د.دخيل الله الأزوري،ص167-180.

[3] (?) انظر: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنيّة، د. عبد القادر، ص198، .

وقد تقدم هذا مفصلا، والقصد هنا قوله بعدم انقطاع النبـوة ودعواها لنفسـه. ومن تقريـراتِهم الـتي أثبتـوا من خلالها هذه الزندقة قول الشيرازيّ نفسه: « إنّ الله يبعث في كُلّ زمان كتابًا وحجة للخلق، وفي سنة: 1270هــ من بعثة محمد رسول الله أنزل الكتـاب (البيـان) وجعل حجته ذات الحروف السبعة: ع ل ي م ح م د »[1]، يعني اسـمه: علي محمد الشيرازي.

وقول تلميذه الميرزا الحسين علي المازندراني في (إيقانه) الذي كتبَه مثبتًا فيه دعاوى شيخه ومزاعمه، ومنها أنّ كتاب البيان هو كتاب هذا العصر: « في عهد موسى كانت التوراة، وفي عهد عيسى كان الإنجيل، وفي عهد محمد رسول الله كان الفرقان، وفي هذا العصر: البيان »[2].

والأصرح منه قولهم: « إنّه (أي الباب الشيرازيّ) هو النبِيّ، وإنّ الله قد أنزل عليه كتابًا يُسمى بالبيان، وإنّه المشار إليه بقوله: ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ [الرحمن: ٣ – ٤] والإنسان: هو علِيّ محمد، والبيان: هو هذا الكتاب الْمنزّل عليه »[3].

ولا يكتمل النظر في هذه الجزئيّة إلا بالوقوف على ما حصل في مؤتَمر بيداء بدشت ومحاوره التي بحثها

---

1 (?) الواحد الأول من مقدمة البيـان العـربي، بواسـطة: البابية عـرض ونقض، لإحسان، ص189.

2 (?) الإيقان لحسين علي البهاء، ص138، وص:171، بواسطة: البابية لإحسان، ص127، و193، وص:203.

3 (?) دائرة المعـارف للبسـتاني، ص26، ج5، بواسـطة: البابية عـرض ونقض، لإحسان، ص189.

فيه[1]، وقول قُرّة العين[2]، وهي على مِنَصّة الخطابة لِحاضريه زاعمة ظهور الباب ونبوته، ثم نسخ شريعة الباب للشريعة الإسلامية، وما تَلَتْ هذا من موافقة الباب الشيرازي نفسه بعدما وصلَتْه قرارات المؤتمر. وعلى حدّ قول أحد الحاضرين للمؤتمر: « أنا أقيم الحدّ على حُضّار مؤتمر بدشت »[3].

---

[1] (?) **مؤتمر بيداء بدشت:** وموقعه (بين خراسان ومازندران، على نهر شاهرود) وزعماء البابيّة الذين حضروه، (زهاء واحد وثمانين شخصًا، وقيل: واحد وخمسين، من بينهم: ملا حسين البشروئي (باب الباب)، ومحمد علي البارفوشي الملقب بالقدوس، والمرزا يحيى الملقب بالوحيد وصبح الأزل، والمرزا حسين علي المازندراني البهائي، وأم سلمى زرين تاج -قرة العين-)، والسّنة التي انعقد فيها (رجب عام 1264هـ، الموافق: يونيو 1848م). ولَما اجتمع أولئك عملوا فيه المنكر، وارتكبوا الفواحش، وبحثوا ضمن محاوره عن شيئين، هما: **أولا:** إنقاذ الباب من معتقله (قلعة ماه كو، التي بولاية أذربيجان، والتي فيها ألّف كتابه البيان الفارسي ودلائل السبعة) ونقله إلى مكان آمن، بطلب الإفراج عن حضرته من محمد الشاه سلمًا، أو بصارم القوة. **ثانيًا:** نسخ الشريعة المحمدية، وإنشاء دين جديد باسم البابيّة. وهذا المؤتمر تم بإيعاز من الباب نفسه.

(انظر التفاصيل: البابيّة لإحسان إلهي ظهير، ص88، وص:190-191).

[2] (?) **قرّة العين**: اسمها أم سلمى بنت الملا محمد صالح القزويني، ولدت 1231هـ، أو بعد ذلك بسنتين، أو بأربع، ولجمال شعرها كانت تلقب بـ: زرين تاج –التاج الذهبي-، مالت إلى فرقة الشيخية وتعلقت بتعاليمها، ثم البابيّة، وكاتبت الرشتي ودافعت عن عقائده، وكانت ذكيّة فصيحة، ولقبها بقرة العين، والباب الشيرازي لقبها بالطاهرة، وهي صاحبة فكرة الانسلاخ من حدود الإسلام إلى الإباحية لمشاكلها الاجتماعية وغيرها الذي أخذ به الدين البابِي، وبطلة مؤتمر بيداء بدشت، كما يُسميها الشيخ إحسان، وهي والمرزا الحسين علي المازندراني من الأكثرية ممن حضر المؤتمر، « ويعتقد بوجوب النسخ والتجديد، ويرى أنّ من قوانين الحكمة الإلهية في التشريع الدينِيّ أنْ يكون الظهور اللاحق أعظم مرتبة وأعظم دائرة من سابقه، وأنْ يكون كُلّ خلف أرقى وأكمل من سلفه، فعلى هذا القياس يكون الباب أعظم مقامًا وآثارًا من جميع الأنبياء الذين خلوا من قبل، ويَثبُتُ له الخيار المطلق في تغيير الأحكام وتبديلها! وذهب قلائل إلى عدم جواز التصرف في الشريعة الإسلامية .. وكانت قرة العين من القسم الأول؛ لذا أصرّت على وجوب الشروع فعلا في إجراء بعض التغييرات؛ كإفطار رمضان ونحوه » -الكواكب الدرية، ص220، نقلا عن: البابية عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص191- لكُلّ هذا «وقفت مكانها

وأسوق خطبة قرة العين بطولها التي نسخت بها الشريعة الإسلامية على زعمها والبابيّة، حيث قالت: « اسْمعُوا أيُّها الأحباب والأخيار، اعلموا أنّ أحكام الشريعة المحمدية قد نُسِخَت الآنِ بظهور الباب، وأنّ أحكام الشريعة الجديدة البابية لَم تَصل إلينا، وأنّ اشتغالَكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتَى به محمدٌ كُلّه عمل لغو، وفِعلٌ باطلٌ، ولا يعمَل بِها بعد الآن إلا كُلّ غافل وجاهل. إنّ مولانا الباب سيفتح البلاد، ويُسخِّر العباد، وستخضع له الأقاليم السبع المسكونة، وسيُوحّد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلا دينٌ واحدٌ. وذلك الدين الحق هو دينُه الجديد، وشَرْعُه الحديث الذي لم يَصِل إلينا إلى الآن منه إلا نزرٌ يسيرٌ، فبناء على ذلك أقول لكم –وقولِي هو الحق- لا أمر اليوم ولا تَكليف، ولا نَهيٌ ولا تعنيفٌ، وإنّا نحن الآن في زمن الفترة، فاخرجوا مِن الوحدة إلى الكثرة، ومزّقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم؛ بأنْ تشاركوهنّ بالأعمال، وتقاسموهنّ بالأفعال، واصلوهنّ بعد السّلوة، وأخرجوهنّ مِن الخلوة إلى الجلوة، فما هي إلا زهرة الحياة الدنيا، وإنّ الزهرة لا بُدّ من قطفها وشَمّها، لأنّها خُلقت للضم والشَّمّ، ولا يَنبغي أنْ يُعدّ ولا يُحدّ شاموها بالكيف والكم، فالزّهرة تُجتنَى وتُقطَف، وللأحباب تُهدَى وتُتحَف، وأما ادّخار المال عند أحدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كُلّ وزر، وأساس كُلّ وبال، ساووا فقيركم بغنيّكم،

وخاطبت الباقين .. غير وجلة ولا مهتمة بما حصل في قلوب أصحابها، .. وكان ذلك اليوم التاريخي والأيام التي تَلَتْه قد أثرت في أخلاق وعوائد وحياة المؤمنين المجتمعين أعظم التغيرات الثوريّة؛ فتغيّرت طريقة العبادة تغيّرًا فجائيًّا كُلّيًا، وطُرحت العبادات القديمة التي كان المتعبدون المخلصون يتبعون نظامها طرْحًا أبديًّا » -قاله في مطالع الأنوار للزرندي البهائي(عربي) ص234-235-. قتلت بعد مؤامرة اغتيال الشاه ناصر الدين، أول ذي القعدة، سنة1268هـ، الموافق: 1852م. (انظر ترجمة قرة العين الموسعة: البابية للشيخ إحسان، ص 246-256، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحمن عميرة، 285-288، والبهائية نقد وتحليل لإحسان، ص14).

3 (?) قاله البشروني، (نقطة الكاف للبابي الكاشاني، ص154)، بواسطة: البابية للشيخ إحسان، ص193.

ولا تَحجبوا حلائلكم مِن أحبابكم؛ إذْ لا ردع الآن، ولا حدّ ولا مَنع، ولا تكليف ولا صَدّ. فخذوا حظّكم من هذه الحياة فلا شيء بعد الممات »[1].

وفي هذا من الإلحاد والانسلال عن الدين، والمبادئ الكفريّة ما هو واضحٌ لا يحتاج كبير تأمّل؛ كما لا يسَع المقام لردّها الرّدّ التفصيلي. ولقد علّق عليها (الخطبة) الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله- فقال: « وهكذا وبخطة مدبّرة أحكمَت نسجَها غانيةٌ فاجرةٌ مثل قرة العين: ابتدعت دينًا، واخترعت الشريعة التي لَم يُنزلها الإله من السماء، بل كوّنتْها طائفةٌ باغيةٌ مارقةٌ عن القِّيَم الروحيّة، والْمُثُل الْخُلقيّة كما تُنبئ عن حقيقتها أخبارٌ تفصيليّة عن هذا المؤتمر الذي ذكرنا تفصيله في محله .. فأرسلت قرارات هذا المؤتمر إلى المرزا علي محمد الشيرازي إلى معتقله، فوافق على هذه القرارات، وخاصة على نسخ الشريعة الإسلامية؛ فقال في بيانه العربِي: (لا تتعلمن إلا بِما نزل في البيان أو ما يُنشئ فيه من علم الحروف وما يتفرّع على البيان .. لا تتجاوزون عن حدود البيان فتحزنون .. ومَن يتجاوز لن يحكم عليه بالهدى، قل أنْ يا أولي الهدى بهداي تهتدون)[2] »[3].

بل كان « الباب السادس –من بيانه العربي كان- في حُكم محو الكتب كُلّها، إلا ما أنشأت أو تنشأ في ذلك الأمر »[4].

وقد ذكَر أحدُهم أنّ الشيرازيّ قال مخاطبًا العلماء: « ألَم يأنِ لكم أيّها العلماء أنْ تنبذوا الهواء، وتتبعوا الهدى وتتركوا الضلال .. إنّ نبيّكم لَم يُخلّف بعده غير القرآن،

---

[1] (?) نقله صاحب كتاب المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحمن عمَيرة، ص262، والبابية عرض ونقض، لإحسان، ص192 وعنه في كتاب: الشيخ إحسان إلهي ظهير، وجهوده في تقرير العقيدة، ص780.

[2] (?) البيان العربي (قرآن البابية للشيرازي)، الباب العاشر من الواحد الرابع، بواسطة: المصدر اللاحق.

[3] (?) البابية عرض ونقد، للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص193.

[4] (?) البيان للشيرازي، الباب االسادس من الواحد السادس، بواسطة: البابية عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص193.

فهاكم كتابي البيان فاتلوه واقرءوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن، وأحكامه ناسخة لأحكام القرآن »[1].

فتقرر بما سبق أنّ البابيّة «يعتقدون أنّ النبِيّ الصادق الأمين محمدًا العربي عليه الصلاة والسلام ليس بآخر الأنبياء والرسل، وحتى الشيرازي ليس بخاتم المظاهر كما صرح ذلك[2]»[3].

المسألة الثانية: وأما البهاء المازندراني فقد زعم هو الآخر، نفس مزاعم ودعاوى سابقه (رأس البابية) وبالتدرج نفسه -كما تقدم-، ومنها الشاهد هنا، وهو دعوى النبّوة؛ فزعَم أولا أنّه المهدي، ثم زعَم أنّه المسيح، ثم ادّعى النبّوة، واختتم بإعطاء نفسه خصائص وميزات تختصّ بالذات الإلهيّة؛ فزعم أنّه بَهاء الله وجماله، وأنّ الله -تعالى وتقدس- قد حلّ فيه[4].

ومن نصوصه التي ادّعى فيها النبوة والرسالة: زعمُه –وهو في بغداد- أنّه الذي أخبَر بمجيئه جميع الأنبياء والرسل؛ فقال في الإشراقات: « الحمد لله الذي أظهر النقطة وفصل منها علم ما كان وما يكون، وجعلها منادية باسْمه، ومُبشّرة بظهوره الأعظم الذي به فرائص الأمم .. هذا هو الذي ذكره محمدٌ رسول الله، ومن قبله الروح، ومن قبله الكليم .. وهذا .. الذي كان مكنونًا في أفئدة الأنبياء »[5].

وقال البهاء: « وأنزل لكم ما تبقى به أذكارُكم وأسماؤكم في كتابٍ لا يأخذه المحو، ولا تبدله شبهات المغرضين؛ضعوا ماً عند القوم،وخذوا ما أُمرتم به من لدن آمرٍ قديم»[6].

---

1 (?) ذكره محمد مهدي خان عن الشيرازي، (مفتاح باب الأبواب، ص 137)، بواسطة: البابية لإحسان، ص193.

2 (?) صرّح بذلك الشيرازي في بيانه (البيان الفارسي)، وقد نقله الشيخ إحسان إلهي في: البابيّة، ص209.

3 (?) البابية عرض ونقد، للشيخ إحسان إلهي ظهير، ص209.

4 (?) انظر: دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنيّة، د. عبد القادر، ص222-223.

5 (?) إشراقات للمازندراني، ص94-95، من المجموعة، بواسطة: البهائيّة نقد وتحليل، للشيخ إحسان، ص66-67.

6 (?) نقله عنه صاحب ختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية، 57.

ومن نصوص البهائيّة ما هو صريح عنوان المطلب حيث يعتقد البهائيّون بعدم انقطاع الوحي والرسالة[1]، « إنّ القول بانقطاع الوحي بعد محمد ليس له سندٌ في منطق الواقع»[2]. كما زعم هؤلاء المفترون.

بل لم يلبث المفتري الكذاب الدجال أنْ تمادى في الغيّ والضلال، وزعم أنّه ربّ إلَه.

وما تقدم -من المسألتين- وجهٌ بل وجهَين من أوجه جفاء الفرقتين للرسالة المحمديّة الخاتمة الخالدة، وكفرٌ بآيات الله عظيمٌ، وبأحاديث سيّد المرسلين الْمُصرِّحة بآخرية نبيّنا للرسل والأنبياء، وخالدية رسالته وشريعته دون أنْ يأتِي عليها ما أتى على الشرائع قبلها من النسخ والهيمنة. وسيأتي إبطال مزاعم الفرقتين في مبحث: (أهل السنة يعتقدون أنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا خاتَمُ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام) من الباب القادم.

** * **

المطلب الرابع: تأويل البابية والبهائية سُنّته على طريقة الباطنية الْملحدة [3]:

قد تقدم بيان التفسير الباطِني في فصل الرافضة، وفي فصل الصوفية، وأنّه تفسيرٌ للنصوص بِما لا يَدُلّ عليه اللغة والسياق، والسباق واللحاق، وكثيرًا بِما لا يدُلّ عليه العقل السليم.

كما تقدم في التعريف بالبابيّة والبهائيّة ما دلّ على أنّهما فرقتان باطنيّتان حتى النخاع، فالقول بالتفسير الباطِنيّ مركَب كُلّ فِرق الباطنيّة للإلحاد في آيات الله

---

[1] (?) للاستزادة يُنظر: البهائية نقد وتحليل، ص53-59 .

[2] (?) بهاء الله والعصر الجديد، ص8، بواسطة: البهائيّة نقد وتحليل، للشيخ إحسان، ص181.

[3] (?) انظر عن هذه المسألة: (الفصل الثالث والأخير (بِعُنوان: القرآن والحديث والسنة في وثائق البهائية، من كتاب: قراءة في وثائق البهائية د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. وفصل: أمثلة من تأويلات البهائية للقرآن الكريم (الخامس)، وفصل: موقف البهائيّة من السّنّة النبوية (السادس) من كتاب فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (ج2/716-723).

تعالى وتغيير شرعه ودينه، إلى زندقة ما أنزل بِها من سلطان.

ثم لبيان هذا المطلب أجعلُه في مسألتين، هما:

المسألة الأولى: تأويلات البابية سُنّة النبي على طريقة الباطنية الملحدة.

المسألة الثانية: تأويلات البهائيّة سُنّة النبي على طريقة الباطنية الملحدة.

المسألة الأولى: تأويلات البابية سُنّة النبي على طريقة الباطنية الْملحدة:

قد أوّل البابيّة سُنّة النبِيّ ودينه على طريقة الباطنية الملحدة، فمِن أمثلة تأويل البابيّة ذلك:

تأويلهم لأمور الآخرة، بل وإنكارهم إياها: **ومِن المعلوم أنّ تفاصيل أمور الآخرة كما جاء في القرآن فإنه جاء في السنة النبوية الشريفة**، وهؤلاء القوم أبطلوا المعاني والحقائق الشرعية المفهومة منها بتأويلات فاسدة بعيدة كُلّ البعد عن معانيها الصحيحة، وأنكروا حقائقها الثابتة في الشرع. وما كلمة قرة العين المتقدمة إلا شيئًا يُمثّل هذا. فـ« البابيّون يُنكرون جميع أمور الآخرة؛ من القيامة والبعث، والصراط والحساب، والميزان والجنة والنار، وغير ذلك مما يُقِرّها الإسلامُ، وجميعُ الأديان السماوية الإلهية الأخرى »[1]. كما قاله مَن هو مِن أخبَر الناس بهم؛ الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله-. وقال عبد الله بن صالح الحموي: « كفَرَ البابُ بالقيامة، كما فصّل أمورها ووصفها القرآن، وأخذ بتفسير الباطنية لها أو بجحود الباطنيّة بِها؛ .. » [2].

ومن أمثلة ذلك قول الشيرازي نفسه عن (القيامة) الثابتة في السُّنة والكتاب: « إنّها عبارةٌ عن وقت ظهور شجرة الحقيقة في كُلّ الأزمنة؛ مثلا: أنّ بعثة عيسى كانت قيامة لِموسى، وبعثة رسول الله قيامة لعيسى، وبعثتُه هو قيامة لرسول الله، وكُلّ مَن كان على شريعة القرآن كان ناجيًا إلى ليلة القيامة، أي: من يوم السّاعة،

---

1 (?) البابية عرض ونقد، لإحسان، ص209.

2 (?) البابيّة للحموي، ص28، وانظر ما بعده.

وهي السّاعة الثامنة والدقيقة الحاديـة عشـرة من غـروب الشمس من الربع الأول، وأوّل الليلـة الخامسـة من شـهر جمادى الأولى سنة: 1260هـ »[1].

فـ(القيامة) عند البابيّة هي قيام القائم، وهو إما النبِيّ والرسول، وإما المظهر، حسب مصطلحهم[2].

وعلى مثل هذا أوّلوا البرزخ، والبعث، والصـراط، والميزان، والحساب، ويـوم الجـزاء، والجنة والنـار،وغيرها من أمـور الآخـرة، أوّلوها إلى معـانِي فاسـدة مخالفة لِما يعلمه المسلمون من هذه الحقائق الشرعيّة[3].

وخذ مثلا أيضًا عن تأويل الحساب والميزان حيث يقول الشيرازي: « أتحسـبون أنّ الحسـاب والمـيزان في غير هذا العالَم، قل سبحان الله عما يظنون » [4].

وقد أخذوا عقيدة نفي حقائق القيامة والبعث وما يتعلق بذلك من الملاحـدة النـاقمين على الإسلام. كما أنّ مقصـودهم هو العبث بالشـريعة الإسـلاميّة المثبتة لِهــذه الأمــور ثبوتًا قطعيًّا، والآمــرة باعتنــاق هــذه العقائد الــتي تترتب عليها النجاة، لِهذا قال الشيخ إحسـان –رحمه اللـه- بعد سـرده لمقـالاتهم ونصوصـهم الـتي أنكـروا فيها أمـور الآخرة: « فهذه أمـور الآخـرة عن البابيّة مُسخَت وغُيّـرَت تمَامًا على ما كـانت عليه عند جميع الأمم والملــل، وأخبَر عنها الأنبيــاء ورُسُــل الله جميعًــا، وفصّــل الله أوصــافها واضــحة جليّة لا غمــوض فيها ولا إبهــام، ولكن البــابيين والبهائيين أرادوا التشـكيك فيهـا، عامـدين لإزالة الردعـات والموانع عن الإباحيّة والانحلال والارتــداد، مشـجّعين على أنْ لا مؤاخذة عليها؛ مادام لا يكون البعث والحشر والنشر

---

1 (?) البيان للشيرازي –الباب السابع من الواحد الثاني-، بواسطة: البابية عرض ونقد لإحسان، ص209.

2 (?) انظر: البابية عرض ونقد لإحسان، ص211.

3 (?) انظر نصوصهم الـتي أوّلـوا بِها حقـائق أمـور الآخـرة: البابيّة عـرض ونقد، ص209-217، ومبحث: الرّد على عقائد البابيّة في اليـوم الآخر وما يتعلق به، من رسالة: الشيخ إحسـان وجهـوده في تقرير العقيـدة، ص753-758.

4 (?) البيان للشـيرازي، بواسـطة: النصـيحة الإيمانية في كشف فضـائح البابيّة والباطنية، للحسيني معدِّي، ص63.

والمـيزان والحسـاب والجنّة والنـار، فلِم يُحـرّم الإنسـان نفسَـه من الملـذات والشـهوات؟! وأيضًـا قاصـدين العبث بالتعليمـات الإسـلاميّة الْمثبِتة لِهـذه الأمـور ثبوتًا قطعيًّا، والأمر بالتمسك والاعتناق بِهذه العقائد الـتي تـترتب عليها النجاة »[1]. والله المستعان.

ومثال آخر: هو تأويلهم الباطني لحـديث لا نبِيّ بعدي، فقد تقدم قول أبِي الفضل البـابِيّ البهـائِيّ فيه في أول كتابه الفرائد، حيث يقول: « إنّ الشيخ والنـاس عامـة يعترضون على البهائيّة أنكم كيـف آمنتم بالبـاب واعتقـدتم بأنّه نسخ شريعة الإسلام مع قول الله : ﭽ ﭽ [الأحـزاب: ٤٠] وقـول النبِيّ: " **لا نبِيّ بعدي** "؟ والجـواب: أنّهم لا يفقهون، لأنّ القائم الموعود (أي الشيرازي) حـائزٌ على منصب الربوبية طبق الآية الكريمة: يوم يأتِي ربك، و ﭽ ﭽ [الفجر: ٢٢] ويقال ليوم ظهوره يوم الربّ، ومقام الربّ مقـام الأصـالة لا النيابـة، وأما الآية والحـديث ففيهما نفيٌ لِمجيء النبِيّ ودعـوى النبـوة، لا مجيء الـربّ ودعوى الربوبية »[2].

وانظر إلى تأويلات هذا الزنديق الباطنيّة الإلحادية.

المسألة الثانية: تأويلات البهائيّة سُنّة النبي على طريقة الباطنية الْملحدة:

ذاك المتقـدم شـيءٌ من تـأويلات البابيّة للأمـور الشرعية التي قالها رسول الله وتفسـيرها إلى أرادا وما شاءوه من الإلحاد والإباحيّـة. وكـذلك أوّل البهائية القـرآن بالتـأويلات الباطنية الـتي لا دلالة على مـرادهم من حيث اللغة والسـياق والعقـل، بغية أنْ يـدل على آرائهم، فمثلا الأمور التي جاءت في السنة والكتاب فإنّ البهائية بالنسبة لها بين النفي والإنكار الكامـل، أو السـكوت التـام عنها[3].

---

1 (?) البابية عرض ونقد لإحسان، ص215-216.

2 (?) مقدمة الفرائد لأبي الفضل، ص15، والفرائد، ص450، بواسطة: البهائيّة لإحسان، ص344-345.

3 (?) انظر: البهائية نقد وتحليل، للشيخ إحسان، (أمور الآخـرة) ص181-182.

فما ورَد من ذكر القيامة في القـــرآن مثلا، قـــالوا: قيامة البهاء بدعوته، وإنتهاء الرسالة المحمدية [1].

ومن تـأويلاتهم الباطنية الإلحاديـة: تـأويلهم لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ [التكوير: ١] بقولهم: (ذهَب ضوؤها، أي: انتهت الشـريعة المحمديـة، وجـاءت الشـريعة البهائيـة). وقـال بمثله في تفسـير الآية الأولى للانفطـار، حيث قـال: إذا بطلت شريعة وظهرت شريعة جديدة[2].

وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ [الزمر: ٦٧] قالوا: (القصد منها: الأديان السبعة؛ البراهمية[3]،

1 (?) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، لغالب عواجي (ج2/716).

2 (?) انظـــر: النصـــيحة الإيمانية في كشف فضـــائح البابيّة والبهائيّـــة، للحسيني الحسيني معدِّي، ص63.

3 (?) **البراهمية:** ويطلق عليها: **الهندوسـية** أيضًـا: هم المخصوصـون بنفي النبـوات أصلا ورأسًـا، انتسـبوا إلى رجل منهم يقـال له بـراهم، والقول بأنهم انتسبوا إلى إبـراهيم النـبي ﷺ خطأ قـبيح، لنفيهم النبـوات كما أن رأسهم مهد لهم ذلك وقرر استحالة ذلك في العقول. وهم قوم بأرض الهند بل معظم أهلها، وقد تفرقوا أصنافًا منهم أصحاب البددة – الأصنام-، وأصحاب الفكرة والوهم، والتناسخية. ومجموعهم على سـبع طبقـات: الشـاكرية –وهم الأشـراف وفيهم الملـوك، يعبـدون البـددة، والبراهمة –وهم لا يشـربون الخمـر، والسـكرية –يشـربون منها ثلاثة أقـداح، والشـودرية –أصـحاب الفلاحة والزراعـة-، والعبسة –أصـحاب الصـناعات، والسـندالانية –أصـحاب الغـنى والمجـون-، والدينكينية – أصحاب اللعب والعـزف. زعمـوا أن لهم اثنـتين وأربعين ملـة. وليسـوا على شـيء. (انظر تتمة التعريف بهم: كتـاب الملل والنحـل، ج2/صص 1270-1280، وعقائد الثلاث والسـبعين فرقـة، ج2،ص261-262، والموسوعة الميسرة، ج2/ص724-731).

والبوذية[1]، والكونفوشيستية[2]، الزرادشـتية[3]، واليهوديـة، والنصرانية، والإسلام: أنّها مطويّاتٌ بيمين المـيرزا حسـين المازندراني[4].

وقوله تعالى: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [التكوير: ٧] (أي: اجتمعت اليهود والنصارى والمجوس على دين واحدٍ؛ فـامتزجوا في دين الميرزا المازندرانِي)[5]، وفي هذا عقيدتهم التي نــادوا بِها؛ وحدة الأديان، التي تقدم الإشارة إليها.

وكما أوّلوا آيات القرآن فقد أوّلـوا السـنة النبوية كذلك؛ حتى جاء في بيان تأويلاتهم أنهم « وكما أوّلوا آيات القــرآن الكــريم، أوّلــوا كــذلك الأحــاديث النبويــة، على طريقتهم الباطنية الملحدة، التي زعموا أنّ الأحاديث كُلّهـا

---

[1] **البوذية:** هي ديانة فلسـفية وضـعية ظهـرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسـية في القـرن الخـامس قبل الميلاد، فيها دعـوة إلى التصوف والخشونة. أسسها سدهارتا جوتاما الملب ببوذا، تعني العالم. وبعد موت مؤسسـها تحـولت إلى معتقـدات ذات طـابع وثـني، وغـالى أتباعها في مؤسسها حتى ألّهـوه. ومن عقائـدهم: أن بـوذا هو ابن الله المخلص، والإلحـاد، الإيمـان برجعة بـوذا، وتناسخ الأرواح، والحلـول، (انظر: رسالة أديان الهند وشرق آسيا –البوذية-، د. محمد بن إبـراهيم، ضـمن رسـائله في الأديـان والفـرق والمـذاهب، ص48، 54-55، والموسوعة الميسرة، ج2/ص758-759).

[2] **الكونفوشيسـتية**: ديانة أهل الصـين، ترجع إلى الفيلسـوف كونفوشيوس الذي ظهر فيالقرن السادس قبل الميلاد، داعيا إلى إحياء العادات والطقوس الدينية، وتقوم على عبـادة إله السـماء أو الأعظم، وتقـديس الملائكة وعبـادة أرواح الآبـاء والأجـداد، (انظـر: الموسـوعة الميسرة، ج2/ص748، وانظر معتقداتهم الأخرى، ص753).

[3] **الزرادشـتية:** ديانة فارسـية قديمة من المجـوس، تنتسب إلى سـبيتاما زرادشت (551ق. م)، أعلن أنه رسـول الله بعثه ليزيل ما علق بالـدين من الضـلال، وأخـيرًا أصبح الـدين الرسـمي للدولـة، من تعاليمهم: أنهم يعبـدون النـار (بل كـان لهم بيت نـار في مـدين الشـيز لعظيم لهم يقـال لـه: أذخش)، بـدعوى أنها أعظم شـيء في الـدنيا، ويسـجدون للشـمس إذا طلعت، ويسـتحلون زواج وغشـيان الأمهـات لتسـكيت الشـهوات، وتحـريم الصـوم لأنه يضـعف الجسد عن العمل (انظـر: عقائد الثلاث والسـبعين فرقـة، ج2،ص242-244، وقـاموس المذاهب والأديان، د. حسين علي حمد، ص107-109).

[4] انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (ج2/719).

[5] انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، (ج2/717)، وقد ذكر 23 نموذجًا منها.

شأن القرآن تدل على نهاية الشـريعة المحمديـة، وظهـور القيامة؛ بِمجيء البهاء، على قلـة مـا التفتـوا إلى السـنّة؛ لأنّ البهاء في أنفسهم أعلى من الرسول .. ولأنّ السّـنّة والحديث –كما صرّح البهائيّ الحاقد الـدكتور محمـد رشـاد خليفة[1]- إنّما هي بِدَعٌ شـيطانيّة، والوقـوف على ظاهرهـا دون تأويلها بظهور البهـاء يُعتبَـر كُفـرًا بالرّسـول نفسـه، ويُعتبر خروجًا بالأمة إلى الشـرك والضـلال .. وقـد أضـاف إلى افتراءاته وإلحاده؛ فزعَم أنّ القـرآن حـذّر المسـلمين عن أخـذ الـدين عن الرّسـول ، بـل يجب أنْ يأخـذوه عن القرآن فقط »[2].

هذا، وما جاء في هذا المطلب تأكيدٌ لِما جـاء في التمهيد عند التعريف بـــالفرقتين بأنّهما فـــرقٌ باطنيّـــة. وكونهما كذلك (بتأويلهم للكتاب والسنة إلى مثل ما تقدم) لَمِن أعظم الجفاء للرسالة المحمديــة، حيث آل بِهم الأمر إلى تغييرها.

وأما بعد، فقد تلخص من المطالب الأربعة أنّ كُلا من فرقة البابيّة، والبهائيّة الباطنيّة الرافضية تعتقدان بـأنّ النبِيّ محمدًا « ليس هو خاتم الأنبياء، وأنّ الوحي الإلَهيّ لا انقطــاع لــه، لِهــذا فهم يزعمــون أنّ البيــان العــربِي للشيرازيّ، والأقدس للمازندراني، والإيقان المختلف عليه بين حسين المازنـدراني وصـبح الأزل =يزعمـون أنّ هـذه الكتب كانت بوحي الله ، وأنها أفصح الكتب المنزلة كلها، وأنّها أفضل من القــرآن الكــريم، وتحــدوا البشر والجنّ ومثلهم معهم أنْ يـأتوا بِحـرف واحد مما فيهـا. .. تسـلطوا على القرآن الكـريم فـأوّلوه بتـأويلات باطنيّة إلحاديّة »[3]. فالفرقتــان على دينٍ مخــالفٍ للــدين الإســلامي؛ بعقيدته وشريعته، وأنّهما وما تفرع عنهما كافرة بالله العظيم. وقد

---

[1] هو إمـام مسـجد توسـان بولاية أريزونا الأمريكيـة، وقد أصـدر هـذه التصريحات سنة: 1982م، (انظر: فرق معاصـرة تنتسب إلى الإسـلام للشيخ الدكتور غالب عواجي، ج2/721).

[2] قاله د. غالب بن علي عواجي (فـرق معاصـرة تنتسب إلى الإسـلام وبيان موقف الإسلام منها، ج2/594).

[3] فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام لغالب عواجي، (ج2/ص706).

عمل الـروس واليهـود والنصـارى في تنشـئتها ونشـرها وحمايتهـــا، كما أنّهم لا يزالـــون يعملـــون في دعمهما وخصوصًـــا البهائيّـــة، هـــادفين من وراء ذلك إلى هـــدم الإسلام[1]. وقد هتك الله أستارهم، وكشف أسـرارهم، وله الحمد.

وبعد هذا، فإلى مبحث آخر، حيث يتبيّن فيه نوعٌ آخَر من الجفــاء؛ وهو تفضـيل البــاب والبهــاء نفسَـيهما على شخص رسول الله .

** * **

[1] تصفح: صلة البهائية بالاستعمار والصـهيونية لمؤلفه أ. د. محمد بن عبد العزيز بن أحمد العليّ، ط/دار طيبـــة، وانظـــر: ما بعد عنـــوان: مناصرة الاستعمار الروسي والإنجليزي للشيرازي وللبابيين من كتـاب، البابيّة لإحســان، ص77-81، وعنــوان: ولاء النــوري البهــاء وعمالته للاستعمار، ص19-26 من كتابه الآخر (البهائيّة نقد وتحليل)، والنصيحة الإيمانية في كشف فضائح البابيّة والبهائية، للحسيني الحسيني معـدِّي، ص116-132 (فصل علاقة الصهيونية العالمية بالبابيّة والبهائيّة، وفصل البهائية مخلب للهيمنة الأمريكية في العالَم الإسلامي).

المبحث الثاني: جفاء البابية والبهائية شخصه عليه الصلاة والسلام بتفضيل نفسَيْهما عليه،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفضيل الباب نفسه على رسول الله ﷺ.

المطلب الثاني: تفضيل البهاء نفسه على رسول الله ﷺ.

فضّل كُلٌّ من الباب الشيرازيّ والبهاء المازندرانيّ نفسَيهما على شخص رسول اللـه؛ محمـدٍ ﷺ، ظُلمًا وزورًا، كما فضلا كتابَيهما على كتابـه، ولقد تقـدم ذلـك. وأما هـذا المبحث فسـأتناول فيه تفضـيلهما نفسـيهما عليه ﷺ، تحت مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: تفضيل الباب نفسه على رسول الله ﷺ:

يقول المرزا علي محمد الباب عن نفسه بالحرف الواحد -وكفى به قبحًا-: « إنّي أفضلُ من محمد، كما أنّ قرآنِي أفضل من قرآن محمد، وإذا قال محمدٌ بعجز البشر عن الإتيان بسورة مِن سُوَر القرآن، فإنّي أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرفٍ واحدٍ من حروف قرآنِي »[1].

والباب الشيرازي لا كُفؤ له -كما في البيان العربي- على زعمه: « ما خلق له من كفء وعدل، ولا شبه، ولا قرين ولا مثال »[2].

ومما جاء عن الباب الشيرازيّ هذا في تفضيل نفسه على رسول الله ﷺ من وجهٍ خفيّ ظاهر: زعمه أنّ المراد بمعرفة الله تعالى هو معرفة مظهره هو –تعالى الله عن دعوى حلوله في خلقه-، وأنّ الشيرازي هذا والأنبياء هم مظاهر الله، كما أنّ الشيرازي هو آدم وهو محمد عليهما الصلاة والسلام، « أنّ نقطة البيان (يعني: نفسه) هو الآدم نفسه؛ بديع الفطرة الأولى، والخاتم الذي في يده

---

1 (?) مفتاح باب الأبواب لمحمد مهدي، ص20، بواسطة: البابيّة عـرض ونقد لإحسان، ص203، ودراسة عن فرقة البهائية، د. عبد القـادر، ص 175.

2 (?) البيان (قرآن الشيرازي) الباب الثالث من الواحد الرابع، بواسـطة: البابية عرض ونقد للشيخ إحسان، ص190.

هو نفس الخاتم الذي حفظه الله من ذلك اليوم إلى هذا اليوم »[1]. « وهو نفس محمد الذي كان نقطة الفرقان »[2]. كما أنه « لم يزل ولا يزال في الماضي والمستقبل عند الله، وليس له بداية ولا نهاية »[3]. وزعم مفضّلا نفسه « أنّ ظهوره في هذا العصر في إيران أقوى وأكمل وأعلى وأشرف من ظهوره في العرب قبل ثلاثة عشر قرنًا (بصورة محمد)، وقبل اثني عشر ألف سنة بصورة آدم »[4]. وأفك فزعم أيضًا: « كنت في يوم نوحٍ نوحًا، وفي يوم موسى موسى، وفي يوم عيسى عيسى، وفي يوم محمد محمدًا، وفي يوم عليّ قبل نبيلٍ عليًّا، .. إلى آخر الذي لا آخر له، قبل أول الذي لا أول له، كنتُ في كل ظهور حجة الله على العالَمين »[5].

و« المظهر عند البابيين له اختياراتٌ لا تقل عن اختيارات الله، بل وتزداد أحيانًا؛ حيث إنّ الله خلق المشيئة في المظاهر، وتقاعد وتقاعس عن التخليق والأمور بعده، وملّك جميع اختيارات التخليق وإرسال رسله (إلى) مظاهره؛ ففي البيان العربي: «فإنّه (يعني: المظهر) لو يجعل ما على الأرض نبيًّا ليكونن أنبياء عند الله، ولكن لن يجعل إلا من يشاء»[6].

وقد زعَم الشيرازيّ فيما تقدم أنّه والأنبياء (آدم ومحمد صلى الله عليهما وسلّم) مظاهر الله، وأنّ ظهور الله فيه في إيران أكمل وأقوى وأعلى وأشرف من ظهوره بصورة محمدٍ ، فزعم -بِهذا- أنّ أرفع مراتب

---

[1] (?) المصدر نفسه، الباب الثالث عشر من الواحد الثالث، بواسطة: البابيّة عرض ونقد لإحسان، ص207.

[2] (?) البيان الفارسي، الباب الخامس عشر من الواحد الأول، بواسطة: البابيّة للشيخ إحسان، ص207.

[3] (?) البيان الفارسي، الباب الخامس عشر من الواحد الثالث، بواسطة: البابيّة عرض ونقد لإحسان، ص207.

[4] (?) المصدر نفسه، الباب الخامس عشر من الواحد الثالث، بواسطة: البابيّة عرض ونقد لإحسان، ص207.

[5] (?) التراث اليوناني، ص237، ترجمة الدكتور البدوي، بواسطة: البابيّة للشيخ إحسان، ص189، وص:207.

[6] (?) البيان للشيرازي، الباب الخامس من الواحد السابع، بواسطة: البابية عرض ونقد لإحسان، ص207

الحقيقة الإلهية حلّت في شخصه، كما حلّ أدنى ذلك في الأنبياء، ثم زعَم أنّه هو حقيقتهم (آدم ونوح وموسى وعيسى ومحمد وعليّ وغير ذلك).

وفضّل البَهاءُ المازندراني شيخَه الشيرازيَّ على الأنبياء وزعم أنّه سلطان الرسل، فقال: « يا قوم اتبعوا حدود الله التي فُرضت في البيان من لدن عزيز حكيم. قل إنّه (يعني: الشيرازي المتنبي) لسلطان الرسل، وكتابه لأم الكتاب إن أنتم من العارفين »[1].

لكُلّ ما تقدم فإنّه لا يُستغرب من أبي الفضل الجلبائيجانِي -في كتابه الفرائد وهو يحكي معتقد طائفته- قوله: « نحن لا نعتقد في المرزا علي محمد الباب إلا أنه ربٌّ وإله»[2].

وما أعظم هذه المقررات قبحًا، وجفاءً في حق نبيّنا محمدٍ .

وإلى المطلب الثاني لبيان تفضيل تلميذ الشيرازيّ (البهاء) الذي تلقف عقائده من الشيرازي نفسه على رسول الله .

المطلب الثاني: تفضيل البهاء نفسه على رسول الله :

إذا كان الباب الشيرازيّ -كما تقدم- فضّل نفسه على رسول الله محمدٍ بالحرف الواحد، فإنّ تلميذه الذي نسج على منواله وادّعى مثل مزاعمه فضّل نفسَه على الرسول أيضًا؛ بزعمه أنّ يوم ظهور النوري البهائيّ بالمظهر الإلهي (بالحلول) هو اليوم الذي احترق النبِيّ شوقًا إليه لو بلَغه، وكذلك الأنبياء الآخرون، كما أنّ رسولنا –على زعمه- لو بلَغ يوم ظهور النوري لناداه بمقصود المرسلين، فإذا كان هو المقصود فهو الهدف والغاية، وغيرُه دونه، قال: « هذا يوم لو أدركه محمدٌ رسول الله

[1] لوح أحمد الحسين علي البهاء، ص154، بواسطة البابية عرض ونقد، ص118.

[2] نقلا عن البابية لمحمده عبده يماني، ص82، والنحلة اللقيطة للنمر، 132، وانظر: دراسات منهجية لبعض عقائد الرافضة والباطنية، 201 .

لقال: قد عرفناك يا مقصود المرسلين، ولو أدركه الخليل ليضع جبهته على التراب خاضعًا لله ربّك ويقول: قد اطمئنّ قلبِي يا إله مَن في ملكوت السموات والأرضين »[1].

وحاول البهاء منع أتباعه ذكر رسول الله محمد ﷺ، زاعمًا أنّه النبأ الأعظم منه، فقال: «إيّاكم يمنعكم ذكر النبِيّ عن هذا النبأ الأعظم، أو الولاية عن الله المهيمنة على العالمين»[2].

ووفاءً بعهد متقدم فإنّي هنا أورد طائفة أخرى من تصريحات المازندراني بأنّه ربٌّ وإله، ومَن زعَم أنّه ربٌّ –ولو بالحلول- فقد لزم قوله هذا تفضيل نفسه على نبينا خصوصًا، وعلى الأنبياء عمومًا. من ذلك:

قوله في الأقدس مُدّعيًا أنّه الذي كان يُنزل على شيخه (الشيرازي) الوحي (البيان –شريعة البابيّة-: « يا ملأ البيان تالله قد أتى مُنْزِلُه ومُرسِلُه، اتقوا الرحمان ولا تكونوا من الظالمين »[3].

وتعالى وتجبّر عليهم فقال: « يا ملأ الإنشاء أنِ استمعوا نداء مالك الأسماء، إنّه يناديكم من شطر سجنه الأعظم: أنّه لا إله إلا أنا المقتدر المتكبر المفتخر المتعالي العليم الحكيم »[4].

وقد علّق عليه الشيخ شيبة الحمد –حفظه الله- فقال: « أيّ إلهٍ هذا الذي عجز عن فك نفسه من السجن، ومع ذلك يدّعي هذا العاجز أنّه لا إله إلا هو المقتدر المتكبر المفتخر ..؟ »[5].

---

[1] الأقدس للمازندراني، بواسطة: البهائيّة نقد وتحليل، للشيخ إحسان، ص72، وكلام الميرزا حسين على (مجموعة الألواح المباركة)، ص94، بواسطة: البابيّة عرض ونقد، للشيخ إحسان، ص53.

[2] المصدر نفسه، العدد:365، ص47، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص152.

[3] الأقدس للمازندراني، بواسطة: البهائيّة نقد وتحليل، للشيخ إحسان، ص69.

[4] الأقدس،العدد،283،ص36،بواسطة:الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد،ص151،والبابيّة،لإحسان،ص34.

[5] الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص151.

ولِيُمهّد المازنـدراني لليهـود الألمـان طلَبَ من حكومتهم الاعتراف بأنّه الله، فقال: «قل يا ملك برلين إن استمع النداء من هذا الهيكل المبين إنه لا إله إلا أنا الباقي الفرد القديم»[1].

ودعا حكومات أمريكا ورؤساءها أيضًا لنفس الغرض إلى الاعــتراف بألوهيته المــدعاة فقــال: « إن يا ملــوك أمريكا ورؤساء الجمهور فيها اسـتمعوا ما تغن به الورقـاء على غصن البقـاء أنّه لا إله إلا أنا البـاقي الغفـور الكـريم »[2].

ويُكرر أنّه لا إله إلا هو، ويُبيّن –كذبًا- أنّ القبلة إلى بيته في عكــا؛ لا إلى بيت الله الحــرام بمكة –كما تقــدم- فيقول: « توجهوا يا قوم بوجوه بيضاء، وقلـوب نـوراء إلى البقعة المباركة الحمراء التي نادى فيها سدرة المنتهى أنّه لا إله إلا أنا المهيمن القيّوم »[3].

وجعل نفسه مثل فرعون فقال: « مَن عرفنِي فقد عــرف المقصــود، ومَن توجّه إليّ فقد توجّه إلى المعبــود »[4].

ويتبجح بوصف نفسه بأنّه ربّهم الرحمن، فيقول: « إيّاكم أنْ يمنعكم ما في البيان عن ربّكم الرحمن »[5].

والنصوص المتقدمة دلّت على المقصود باللزوم، كما دلّ أول ما صــدّرتُ به المطلب على المقصــود (تفضــيل المازندراني نفسه على رسول الله) بالنص والمطابقة.

وفي نقضه أقول: قد عقد القاضي عياض –رحمه الله- فصلا بَيَّن فيه ما هو من المقالات كفـرٌ مقطـوعٌ بـه، ومنهـا: « وكـذلك نقطع بتكفـير غُلاة الرافضة في قـولِهم:

---

[1] الأقدس، العدد:173، ص26، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص149.

[2] المصدر نفسه، العدد:192، ص27، بواسـطة: الأديـان والمـذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص150.

[3] الأقــدس، العــدد: 220، ص30، بواســطة: الأديــان والمــذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص150.

[4] المصدر نفسه، العدد:299، ص38-39، بواسطة: الأديان والمذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص152.

[5] المصدر نفسه، العدد:393، ص50، بواسـطة: الأديـان والمـذاهب المعاصرة لشيبة الحمد، ص153.

إنّ الأئمة أفضل من الأنبيـــــاء »[1]. كما بيّن المختلف فيه أيضًا.

والبابيّة والبهائيّة من غلاة الرافضة كما تقدم. وأنّ الرافضة عمومًا –كما في قـول أوائل المقـالات ومقـالات الإسلاميين المتقدم[2]- بالنسبة لتفضيل الأئمة على الأنبياء أو العكس على ثلاثة أقـوال، هي: أ- أنّ الأنبيـاء أفضل من الأئمـة. ب- العكس. ج- أنّ الأئمة أفضل من الأنبيـاء حـتى أولي العــزم ســوى نبينا محمد ﷺ. وقد تقــدم أنّ الرافضة الإمامية منهم مَن يُلقب بالسـبعية لقـولهم بسـبعة أئمـة، ومنهم الاثنا عشرية؛ لقولهم باثني عشر إمامًـا. **والقـول هنا**: أنه إذا كان العلماء أجمعوا وقطعوا بكفر القائل: بأنّ الأئمة –وهم من آل بيت رسول الله ﷺ- أفضل من الأنبيـاء؛ وإنْ استثنى مع ذلك نبيَّنا محمـدًا ﷺ؟ فكيف بالـذي يُفضّـل نفسَه أو يُفضِّلُه أصحابُه –وليس هو مِن أولئك الأئمة- على الأنبيـاء، بل ويُفضّـل نفسه على نبيّنا محمد ﷺ؟ فكفـرُ هـذا بالإجماع من باب أولى؟ مثل البابيّة والبهائيّة اللتـان تقـدم تفضـيل رأسَـيهما على رسـولنا بالصـراحة الـتي بلغت حد الوقاحة (إنّي أفضلُ من محمـد، كما أنّ قـرآنِي أفضل من قرآن محمد ..[3]). والله المستعان! وهذا أحد وجوه تكفير البابيّة والبهائيّـة. ومنهـا: ادعـاء الشـيرازي والمازنـدراني النبـوة والرســالة، وكفرهما بعقيـدة ختم النبـوة بـالنبوة المحمديــة. ومنهــا: تفضـيل كتابَيهما (البيـان والموســوم بالأقـدس) على كلام الله تعـالى (القـرآن). ومنها زعمهما حلـول الله تعـالى وتقـدس في شخصـيهما؛ فصـارا ربَّين وإلهَين[4]. ومنها إبطالهما الدين الإسلامي لقولهما بالتأويل الباطني الإلحادي لنصوص الكتاب والسـنة. وإهانـات لنبينا

---

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص676.

[2] انظر: أوائل المقالات للمفيد، ص81-82، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، (ج1/ص120).

[3] مفتاح باب الأبواب لمحمد مهدي، ص20، بواسطة: البابيّة عـرض ونقد لإحسان، ص203، ودراسة عن فرقة البهائية، د. عبد القـادر، ص 175.

[4] حكى القاضي عياض الإجماع على تكفـير من قـال بحلـول الله في مخلوقاته، (انظر: الشفا، ص671).

محمـــدٍ . وإنكارهما فريضة الجهـــاد ونفيهما له إرضـــاء لأسـيادهم. ومنها تكفـيرهم للمسـلمين الـذين لم يؤمنـوا بمزاعمهم ابتداء بالمهدية، مرورًا بدعوى النبوة والرسالة، وانتهاء بدعوى الربوبية والإلهيّة.

وسيأتِي تتمة الردّ على هؤلاء المفضِّلين أنفسـهم على رسول الله محمدٍ في مبحث: (أهل السـنة يعتقـدون أنّ العبد الرسول محمدًا أفضل المرسـلين وسـيّد الخلق أجمعين) من الباب القادم.

وأما بعد، فقد تبيّن بِمبحثَي هذا الفصل أنّ فرقتَي البابيّة والبهائيّة جافيتــان للرســالة المحمديّة مِن طــرَف، ولشخصه الكـــريم من الطـــرف الآخـــر. وهما فرقتـــان مارقتان عن الدين الإسـلامي. وإنْ نشـأتا بين المسـلمين، وكـان منشـؤهما في أحضـان مـذهب ينتمي إلى الإسـلام، وهو الاثنا عشـرية، إلا أنّهما خرجتا عن المبـادئ الإسـلاميّة التي أجمع عليها المسلمون[1].

** * **

[1] انظر: تاريخ المذاهب الإسلاميّة لأبِي زهرة، ص215.

وأما بعد، فهذا آخر الفصول لِهذا الباب، وتمامها. ونظامها معقودٌ بستّة فصول؛

فالفصل الأول منها في موقف الخـوارجِ من الرسالة المحمديّـة، والـذي اتسم بالجفـاء والمخالفة لَهـا، كما أنّ رأسـهم جفَا شـخْصَ رسـول الله أيضًـا بقولـه: اعــدل؛ فإنّك لَم تعــدل. **والثـانِي** في مواقف الرافضة بفِرَقها الكثـيرة والكثـيرة من الرســالة المحمديــة، تلك المواقف الــتي جمعت بين الغُلُــوّ والجفــاء. كما أنّ تتمة الفصل كان في جفاء الفرقة الزيدية للرسـالة المحمديـة. **والثـالث** في مواقف المتكلمين (المعتزلـة، الأشـاعرة، الماتريديّــة) والمتفلســفة الجافية للرســالة المحمديــة. **والرابع** في مواقف الصوفية بِطرقها الكثيرة الكثيرة من الرســالة المحمديّــة، وقد جَمعتْ مــواقفُهم بين الغلــوّ والجفـاء. وقد خصصـتُ طريقة من طـرق الصـوفية وهي الفرقة البريلوية بِمبحث –لِما عنـــــدها من مزيد الغُلُـــــوّ والجفاء- ففصـلتُ في مواقفهـا. **والخامس** في مواقف الفرقة المـدعوة بـالقرآنيين، والقاديانيّة المتمثّل في عـدة صُوَرٍ جفائيّة. **والسادس والأخــير** هو في مواقف البابيّة والبهائيّة من الرسالة المحمديّـة، وقد تمثل ذلك في جفـاء شـريعة النبِيّ ورسـالته من طـرف، وجفـاء شخصه من الطرف الثاني.

وهذه الفرق تُلَقّب بالمنتسبة إلى الإسلام، فمنها ما هي صـحيحة الإسـلام، وإنْ كـان عنـدها مخالفـات وبِـدع بحسـبها، ومنها ما أجمع العلمـاء على تكفيرهـا؛ فلَم تكن صـحيحة الانتسـاب إليـه. ومنها ما اختلفت أقـوال العلمـاء فيها.

وقد ذكرتُ من خلال فصول الفرق المتقدمة (الباب) صُوَرًا عديدة ونماذج كثيرة، ومواقف متناقضة وَقَفْتْها هذه الفـرق من عبودية نبينا محمد ورسـالته. وقد تـبيّن بِهـذه المواقف التي وقفتها الفرق أنّهم –وإنْ زعمت كُـلّ فرقـةٍ منهم أنّها أولى برسول الله من غيرها- إلا أنّ المخالفات التي كانوا عليها والبِدَع كافيةٌ في بيان بُعدها عن الصــراط

المستقيم الذي كان عليه الرسـول ، وصـحابتُه رضي الله عنهم.

ولِما أنني ذكرتُ العقائد المخالفة للحق فيه في هذا الباب، فإنّي أعقد بابًا أُبيّن فيه العقيـدة الصـحيحة فيه صلوات ربي وسـلامه عليـه. ويَحصُـلُ به ردٌّ إجمـالِيٌّ على الشُّبَه والمخالفات الـتي جـاءت في بـاب الفـرق، ويكـون عنوانُه كالآتِي:

وسطيّة أهل السنّة والجماعة في عبد الله ورسوله نبينا محمد بين الغُلاة والجُفاة.

والله وحده أسأل الإعانة على إتمامه وتجليته.

الباب الرابع: وسطية أهل السّنّة في العبد الرسول محمد (بين الغُلاة والجُفاة)، وفيه تمهيدٌ، وفصلان:

(وموقفُ أهل السنة الوسَطِيُّ هذا ناتجٌ من تحقيقهم لِمقامَيه: مقامِ العبودية ومقام الرسالة)

ومعلـومٌ أنّ « شـرع الله عـدلٌ بين الغـالِي فيه والجافي عنه، لا إفـراط ولا تفريط »[1]**.** وأنّ الـدين يضـيع بين الغـــالي فيـــه، والجـــافي عنـــه، فجعلنا الله من أهل التوسط والاعتدال[2].

فلِما أنّ نصوص القرآن والسّنّة قد نصَّتْ على أمورٍ متعدِّدة –أوامر ونواهي- فيما يتعلّق بشأنِ نبيّنا وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، صار مَن أخَذَ بِهذه الأمورِ جَميعِها، وآمَن بِها، وعمِل بمقتضاها قد توسَّط. بينما مَن أخَلَّ بشيءٍ منها فهو لا محالة يقَع في أحَدِ حالَيْن؛ إما الغُلُوّ أو التنقُّص [3].

ولِما أنّي قد ذكرتُ -مُفصّلا- مواقف الفِرق المنتسبة إلى الإسلام الغالية والجافية تجاه هذا النّبِيّ الكريم في الباب المتقدّم (باب مواقف الفِرَق منه).

ولِما وعَدتُ عند كلامي في عشرات المسائل في الباب المتقدّم أيضًا: بِأنّي سأرُدُّ عليها الرّدّ المجمل؛ بذكر المعتقد الصحيح الوسط فيه ، وخصوصًا عند كلامي هناك

---

[1] قاله الحافظ ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم له، ج2/ ص123)، وانظر: (ج3/ ص431).

[2] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (3/ ص380).

[3] انظر: حقوق النبِيّ على أمته في ضوء الكتاب والسّنّة د. محمد التميمي، (ج2/ص690).

عناك في المسائل المندرجة في أوسع الفصْلَين من ذاك الباب (فصل موقف الرافضة من عبد الله ورسوله نبينا محمد ، وفصل موقف الصوفيّة والبريلويّة منه) ..

لكُلّ ما تقدم فقد رأيت أنْ أقتصر في هذا الباب على ذكر المعتقد الصحيح الناتج من تأمل وتدبر النصوص، دون أنْ أذْكُرَ ما خالفَه هنا؛ لتقدّمه.

والباب الأخير (هذا) يستحق أنْ يسمى بـ(قاعدة الانطلاق أو الرّدّ الْمجمل)؛ وهو في الحقيقة خلاصة لهذا البحث، ولُـبُّه. وقد رأيت أن يتضمن خمسة عشَر مبحثًا في فصلين[1]**.** مع كلّ مبحثٍ دليلُه -مِمّا يسَّر الله- مِن نُصُوص الكتاب والسنة. وهذه المباحث كلُّها تبيِّن وسطية أهل السنة والجماعة في هذا الباب (العقيدة في عبد الله ورسوله نبينا محمد).

ولا يُقال بطولـه؛ غَيـرَةً للسّنّة، وصيانةً للتوحيد، ومعلومٌ أنّه في فصلين، ومقابله (باب معتقد المخالفين فيه) في ستة فصولٍ، وإنْ كان البابان الأوّلان بفصولهما الخمسة حلِيفَـيْه؛ فتعادلا. وقد أشَرتُ إلى أنّ في هذا الباب تمهيدًا وفصلَين، فهي على النحو التالِي:

التمهيد: وسطية أهل السنة لغة وشرعًا، وفيه مطلبان.

الفصل الأول:أهل السنة والجماعة لم يَغْلُوا في العبد الرسول محمدٍ ،وفيه ثمانية مباحث.

الفصل الثانِي: أهل السنة والجماعة لم يَجْفُوا العبدَ الرسول محمدًا ،وفيه سبعة مباحث.

;

---

[1] (?) استفدت ثمانية من عناوين هذه المباحث بِما جاء في كتاب وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم (انظر إليها: الوسطية، ص 483-490)، ثم زدت عليها سبعة بُغيَة التفصيل في الباب.

التمهيد: وسطية أهل السنة لغة وشرعًا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الوسطية لغة وشرعًا.

المطلب الثاني: التعريف بـ"أهل السنة".

المطلب الأول: معنى الوسطية لغة وشرعًا:

الوسطيّة: مأخوذة من مادة: وسط: وهي لُغة بتحريك عين الكلمة، وبتسكينها، فبالتسكين (الوسْط) ظرفٌ بمعنى: (بين)، تقول: جلسْتُ وسْط القوم، أي: بينهم[1].

وأما الوسَط (بفتح العين) فله عدة معانٍ، منها **أولا:** اسمٌ لِما بين الشيء وهو منه، كما يُقال: جلَستُ وسَط البيت. **ثانيًا:** ويأتِي بمعنى: خير وخيار، وأفضل، وأجود؛ فقريشٌ أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي: خيرها وأشرفها، ونبينا محمد أوسط قريش نسَبًا. ومنه: الصلاة الوسطى: فضلى الصلوات. **ثالثًا:** ويأتِي بِمعنى: عدل، والأوسط: الأعدل، **رابعًا:** ويأتِي رابعًا بمعنى الشيء الجيّد بين الرديء[2].

وهذه هي معاني اللفظة في مواردها من اللغة والقرآن والسّنّة.

ويُقرر كُلّ ما تقدم ما جاء في أقدم معاجم اللغة، ففي الصحاح « والتَوْسيطُ: قطعُ الشيء نصفين. والتَوسُّط بين الناس، من الوَساطَةِ. والوَسَطُ من كلِّ شيء: أعدَلُهُ. قال تعالى: ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ [البقرة: ١٤٣]. أي: عدلاً. ويقال أيضاً: شيءٌ وَسَطٌ، أي: بين الجيِّد والرّديء. وواسِطَةُ القلادةِ: الجوهرُ الذي في وَسَطها، وهو أجودها. وواسِطُ الكور: مُقدَّمه. ويقال: جلست وَسْط القومِ بالتسكين، لأنَّه ظرف، وجلستُ في وَسَطِ الدار – بالتحريك- لأنَّه اسمٌ » [3].

وفي مقاييس اللغة « الواو والسين والطاء: بناءٌ صحيحٌ يدُلّ على العدل والنصف. وأعدل الشيء: أوسطُه

---

[1] (?) انظر: المعجم الوسيط، مادة الوسط، ص1031.

[2] (?) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم، ص19-27، والوسطية في القرآن الكريم للصلابي، ص15-19.

[3] (?) الصحاح للجوهري: مادة وسط، ص1138.

ووسطه، قال الله ﷻ: ﭽ ﯯ ﯰﭼ ويقولون: ضرَبتُ وسَط رأسه –بفتح السين- ووسْط القوم بسكونها، وهو أوسطهم حسَبًا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلاّ، والوَسُوط: بيتٌ من بيوت الشعر أكبَر من المِظَلَّة » [1].

وفي جاء في القاموس المحيط: « الوَسَط –محرَّكة- مِن كُلّ شيء: أعدله »[2].

والوسَطُ والوسطيّة: « المعتدل بين شيئين » [3]. وما عدا الوسط هذا، فأطرافٌ داخلةٌ تحت الخطر.

وأختم بقولهم: «وكيفما تصرّفت هذه اللفظة نجدها لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية، والنصف والبينيّة والمتوسط بين الطرفين»[4].هذا من حيث اللغة.

وقد أشرتُ إلى أنّ هذه **المادة جاءتْ في الكتاب والسّنّة**، ومن مواردها ما تقدم من آية البقرة، وهي الآية الدالة على أنّ الله تعالى جعل المسلمين أمةً وَسَطًا، فهُم أعدل الناس، وأفضلهم، وخيرهم وخيارهم[5]، كما قال تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [آل عمران: ١١٠]، فكما كانت هذه الأمة وسَطاً بين اليهود والنصارى في توحيد الله تعالى وصفاته[6] وشرائعه[7] وعبادته[8] وأمرِ حلاله

---

1 ([?]) مقاييس اللغة: مادة وسط، ص1091.

2 ([?]) القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة وسط، ص637.

3 ([?]) المعجم الوسيط، مادة الوسط، ص1031.

4 ([?]) قاله د. علي محمد الصلابي في كتابه: الوسطية في القرآن الكريم، ص17، والدكتور محمد باكريم، في الوسطيّة بين الفرق، ص 21.

5 ([?]) انظر عن معاني الوسطية المتقدمة: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، (ج1/ ص250-251)، و(ج3/431)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص70.

6 ([?]) انظر عن هذا: وسطية أهل السنة بين الفرق، للدكتور محمد باكريم محمد با عبد الله، ص269، ولتفصيل ذلك انظر: من ص275ـ 293، والمفيد في مهمات التوحيد للشيخ الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، ص44 ـ45.

7 ([?]) انظر عن هذا وسطية الشيخ محمد باكريم: ص 271، والمفيد في مهمات التوحيد: ص 45-46.

8 ([?]) انظر عن هذا وسطية باكريم: ص 272-274، والمفيد، د. عبد القادر: ص 47-48.

وحرامه[1]، فكذلك الأمة الإسلامية وسطٌ بينهم في باب العقيدة في أنبيائه عليهم السلام؛ من حيث تعظيمهم وتوقيرهم .. إلخ. وقد تقدم شيءٌ منه؛ يقول شيخ الإسلام –رحمه الله- في مقدمة الجواب الصحيح ذاكرًا وسطية المسلمين في العقائد والشرائع بين ملة اليهود والنصارى الْمُحرَّفَين: « .. ولذلك؛ المسلمون وسطٌ في الشريعة؛ فلم يجحدوا شرعَه الناسخ لأجل شرْعِه المنسوخ كما فعلت اليهود، ولا غيَّرُوا شيئًا من شرعه المُحْكَم، ولا ابتدعُوا شرعًا لم يأذنْ به اللهُ كما فعلت النصارى، ولا غلَوا في الأنبياء والصالحين؛ كغلوِّ النصارى، ولا بَخَسُوهم حقوقهم كفعل اليهود، ولا جعلوا الخالق سبحانه متَّصِفًا بخصائص المخلوق ونقائصه، ومعايبه؛ من الفقر، والبخل، والعجز كفعل اليهود، ولا المخلوق متَّصفًا بخصائص الخالق سبحانه؛ التي ليس كمثله فيها شيءٌ كفعل النصارى، ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود، ولا أشركوا بعبادته أحدًا كفعل النصارى. وأهل السنة والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل...»[2].

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله- في تفسير آية البقرة: « أي: عدلا خيارًا، وما عدا الوسط، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسَطًا في كُلّ أمور الدين؛ وسَطًا في الأنبياء بين مَن غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بِهم كلّهم على الوجه اللائق بذلك. ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تَهاون النصارى. وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصحّ لهم صلاة إلا في بِيَعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا يُنجسون شيئًا، ولا يحرمون شيئًا، بل أباحوا ما دَبّ ودَرَج. بل طهارتهم أكملُ طهارة وأتَمّها. وأباح الله

---

1 (?) انظر عن هذا وسطية أهل السنة للشيخ باكريم: ص 271-272، والمفيد: ص 46-47.

2 (?) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، (1 / 53)، وانظر: الرسالة الصفدية، 345ـ347.

لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرّم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكملُه، ومن الأخلاق أجلُّها، ومن الأعمال أفضلُها. ووهَبَهم الله من العلم والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم »[1].

وعُنوان التمهيد –كما تقدم- هو وسطية أهل السّنّة. وأهل السنّة هم خير هذه الأمة، « فالخيرية والوسطية ثابتة لِهذه الأمة على سائر الأمم، وخيرُ هذه الأمة وأوسطها وأعدُلها: أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ومَن تبعهم ... فأهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل، وكلُّ خيرٍ وفضلٍ وعدلٍ ثبَت لِهذه الأمة فلأهلِ السّنة والجماعة منه الحظ الأوفر، والقدح الْمُعَلّى، وعندما تُثبت وسطية هذه الأمة وخيريتَها وعدالتها، فإنما نثبت كلَّ ذلك لأهل السنة بطريق الأولى؛ لأنَّهم خير هذه الأمة وأوسطها، وهم الطائفة التي تحقَّقَ فيها الوسطية المطلقة لِهذه الأمة » [2].

يقول الدكتور محمد باكريم –حفظه الله- مبيِّنًا سبب اتصاف أهل السنة بِهذه الوسطية المطلقة: « .. وما ذلك إلا لأنَّهم النموذج الأمثل للأمة التي جعلها الله أمةً وسطًا، وأخبر أنّها خير أمة أخرجت للناس؛ إذْ هم الطائفة الوحيدة التي حقَّقت الْمتابعة الْمحضة لكتاب الله ﷻ، وسُنّة رسوله ﷺ، **بخلاف** غيرهم من فرق وطوائف الأمة، فإنَّه ما من فرقةٍ ولا طائفة منها إلا ولها من الأقوال والاعتقادات ما يخالف كتاب الله و[سنة] رسولِه ﷺ ..»[3].

هذا هو معنى الوسطية لغة واصطلاحًا، فَمَن إذنْ: أهل السنّة؟ الذين هم أكمل الناس اتصافًا بِها، وتحقيقًا لِمقتضاها؟ هذا ما سأتناوله في المطلب القادم.

** * **

المطلب الثاني: التعريف بـ"أهل السنة"، وفيه مسألتان:

---

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص70 .

[2] وسطية أهل السنة بين الفرق للشيخ محمد باكريم، ص 178ـ179 .

[3] المصدر نفسه، ص 327.

وهنا وفي هذا المطلب سأعرّف بـ(السُّنة) لغة واصطلاحًا، ثم أُعرِّف بِمَن هم أهلُها (أهل السُّنَة والجماعة) - أهل السُّنَة المحضة-، في مسألتين:

المسألة الأولى: التعريف بالسُّنّة لغة واصطلاحًا.

المسألة الثانية: المراد بـ(ـأهل السنة).

المسألة الأولى: التعريف بالسُّنّة لغة واصطلاحًا:

السُّنّة في اللغة: هي الطريقة والسيرة، قال في التعريفات: « السُّنّة في اللغة: الطريقة، مرضية كانت أو غير مرضيّة »[1]. وقد اختلف جهابذة اللغة وعلماؤها هل (السّنّة) مقصورة فيه على الطريقة الحميدة أم أنها تتعدى إلى أبعد من ذلك فتكون: عامة في الطريقة، سواء كانت محمودة أو مذمومة. والصحيح أنها تشمل الاثنين، قال ابن منظور: السنة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة. قال الشاعر:

فلا تجزعنْ من سُنّةٍ أنت سِرْتَها ... فأوّلُ راضٍ سُنّةً مَن يَسيرُها[2].

وفي التنزيل: ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ﭽ[الكهف ٥٥]. وفي الحديث: " **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا** "[3].

فالسّنّة في اللغة عامة للطريقة الحسنة والسيّئة- وهو قول ابن منظور وغيره.

فإذا تقرر أنّ السّنّة في اللغة هي الطريقة -سواء كانت حسنة أو قبيحةـ فالذي يفرق بينهما يعرف من السياق بالإضافة أو بالوصف، مثال الأول: كأنْ تضاف إلى الله أو رسله فيعرف بذلك أنها حسنة كما في قول الله

---

1 (?) التعريفات للجرجاني، ص195.

2 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة سنن، ص517، والمعجم الوسيط، مادة السنة، ص456، ولسان العرب، المادة نفسها.

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب الحثّ على الصدقة ولو بشق تمرة، .. رقم: 1017، عن جرير .

تعالى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭼ [الإسراء: ٧٧]. ومثال الثاني: " **مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً** ". وكذلك إن أضيفت إلى مذموم أو وُصِفَت فهي في هذه الحالة طريقةٌ مذمومةٌ، فمثال الأول: قول النبي ﷺ: " **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُم**.. "، وفيه أنّه سُئِل: اليهود والنصارى؟ قال: " **فَمَنْ**؟ "[1]، ومثال الثانِي: " و **مَنْ سَنَّ سُنَّةً سيّئَةً** ". [2].

أما تعريف السّنّة في الاصطلاح، فأقول: لها عدة اصطلاحات عند طوائف من أهل الفنون، منها:

اصطلاح المحدثين، وهي عندهم: ما أثر عن النبيّ ﷺ من قول أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خَلقيةٍ أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها [3].

وفي **اصطلاح الأصوليين** تطلق السّنّة على ما جاء منقولاً عن النبيّ ﷺ على الخصوص مما لم يُنصَّ عليه في الكتاب العزيز بل نُصّ عليه من جهته عليه الصلاة والسلام، كان بياناً لما في الكتاب أو لا " [4]. كما تطلق عندهم على ما: أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعلٍ أو تقريرٍ خاصة.

وفي اصطلاح الفقهاء: كل ما ثَبَت من أحكام الشرع عن النبي ﷺ مما ليس بفرض ولا واجب. وعرفها

---

[1] (?) الحديث في الصحيحين، وقد تقدم تخريجه.

[2] (?) وينظر ما تقدم: موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع، للرحيلي، (ج1/ ص29-33)، وكتاب النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، ص61ـ 62، وكتاب: خبر الواحد وحجيته، للشنقيطي، وفيه –كذلك- التنبيه على أن قول الجمهور في تعريف السنة لغةً أرجح؛ وهو كونها عامة للطريقة المحمودة والمذمومة خلافاً للخطابي والأزهري، ص28-29، وجهود المملكة في نشر السنة والسيرة النبوية في الخارج، ص11، وكتابة السنة النبوية في عهد النبي ﷺ والصحابة ﭫ، وأثرها في حفظ السنة النبوية، ص 3ـ5، واتخاذ السنة النبوية إلى جانب القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، ص11ـ12 (وهذه الثلاثة الأخيرة من موضوعات ندوة المجمع ملك فهد لطباعة المصحف الشريف).

[3] (?) انظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح الدمشقي، ص 3، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د/ مصطفى السباعي، ص 47).

[4] (?) الموافقات للشاطبي، (ج4/ ص47).

فقهاء المالكية: بأنها ما واظب عليه الرسول مع ترك ما بلا عذر، وأظهره في جماعة.

وتطلق السنة على أعمّ من ذلك: كما في مقابلة البدعة؛ وذلك بعد أنْ نشأت البِدع والأهواء بعد العصور المفضلة. وهذا إطلاق علماء السنة حيث عرّفوها بقولهم: بأنّها (كل ما ثبت بالدليل الشرعي، أو ما دلَّ عليه الدليل الشرعي، سواء كان قرآنًا أو حديثًا، أو من القواعد الشرعية العامة).

أو (هي ما كان عليه النبِيّ وأصحابه اعتقادًا واقتصادًا، وقولاً وعملا).

وهذه هي السنة الكاملة، الموافق لما ورد عن المتقدميين، وإن كان كثير من العلماء المتأخرين يخصها بما يتعلق بالاعتقادات؛ وعلى هذا جاءت كتب السنة للخلال والمروزي والبربهاري وشروحها. ويستعملونها كثيرا في مثل قولهم: (هذا من السنة، أو فلان من أهل السنة). **وتطلق -كذلك- على ما عمل به الصحابة** رضوان الله عليهم، سواء كان ذلك في القرآن أم في الحديث أم باجتهاد منهم كجمع المصحف، وتدوين الدواوين، وحمل الناس على القراءة بحرفٍ واحدٍ من الحروف السبعة. والشاهد على ذلك حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه مرفوعًا المتقدم " **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ**"[1]، ويقابل الإطلاقين الأخيرين: البدعة.

هذه طائفة من اصطلاحات العلماء للفظة (السنة)، كلٌّ بحسبه. وأعمُّها (الاصطلاحات) اصطلاحُ المحدثين. مع أنّ شاهدي هنا: إطلاق (السنة) بمقابل (البدعة)، وإطلاق: (أهل السنة) بمقابل (أهل التفرق والبدعة) [2]. ثم يأتِي التعريف بـ(أهل السّنّة).

المسألة الثانية: المراد بـ(ـأهل السنة):

---

1 (?) الحديث في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح، وقد تقدم تخريجه.

2 (?) انظر: مراجع سابقة.

تقدم التعريف بالسّنّة لغة واصطلاحًا، وأما مصطلح (أهل السنة) -عند الناس- المْعنِي به هنا فله إطلاقان؛ إطلاقٌ في مقابل أهل البِدع عمومًا، وهو ما يُعرَف بـ(الإطلاق الخاص). وآخر في مقابل الرافضة خصوصًا، وهو (الإطلاق العام)؛ ومن هذا الثاني: القول بأنّ المسلمِين سُنّة ورافضة.

والمْعنِي به هنا (في هذا البحث عمومًا، وفي عنوان هذا الباب خصوصًا) هو الإطلاق الخاص الذي لا يدخل فيه إلا مَن أثبت جميع الأصول الاعتقادية والعملية المعروفة عند أهل السّنّة والجماعة، الموروثة عن النّبِيّ وصحابته ، في بَابَي القول والعمل.

و(أهل السنة) -تحديدًا- هم الصحابة والتابعون، ومَن تبعهم بإحسان من العلماء وغيرهم، وساروا على نهج الكتاب والسنة إلى يوم الدين. وعلى ذلك، فهم ليسوا محصورين في فئة أو جماعة معيّنة، ولا بلد أو زمن دون آخر، بل مَن اعتقد وعمل بموجب الكتاب (القرآن) كله، والسّنّة الشاملة، بفهم السلف الصالح، وكان على منهجهم، فهو داخلٌ فيهم[1].

وأهل السنة هم أهل الحديث الذين « أعزهم الله بدينه، ورفعهم بكتابه، وأعلى ذكرهم بسنته، وهداهم إلى طريقته وطريقة رسوله؛ فهي الطايفة المنصورة، والفرقة الناجية، والعصبة الهادية، والجماعة العادلة، المتمسكة بالسنة التي لا تريد برسول الله بديلا، ولا عن قوله تبديلا، ولا عن سنته تحويلا، ولا يثنيهم عنها تقلب الأعصار والزمان، ولا يلويهم عن سَمتها تغير الحدثان، ولا يصرفهم عن سمتها ابتداع من كاد الاسلام ليصد عن سبيل الله »[2].

---

1 (?) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، 52-54، وكتاب النفي في باب صفات الله بين أهل السنة والجماعة والمْعطّلة، 65-66، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، (ج1/ 47-48، وما قبله وما بعده) .

2 (?) قاله الإمام الحافظ هبة الله اللالكائي، (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج1/ص25).

وأما عن المراد بمنهج أهل السنة –فكما يقول السفاريني رحمه الله: « المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم وأئمة الدين، ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي؛ مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية، ونحو هؤلاء » ممن تقدم تعدادهم في الباب الثالث[1] –باب مواقف الفرق منه-.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- عن اصطلاح العامة، وهو المعنى العام -وهو يتحدث عن الرافضة: « وَلا رَيْبَ أَنَّهُمْ أَبْعَدُ طَوَائِفِ الْمُبْتَدِعَةِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلِهَذَا كَانُوا هُمْ الْمَشْهُورِينَ عِنْدَ الْعَامَّةِ بِالْمُخَالَفَةِ لِلسُّنَّةِ، فَجُمْهُورُ الْعَامَّةِ لا تَعْرِفُ ضِدَّ السُّنِّيِّ إلا الرَّافِضِيَّ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ: (أَنَا سُنِّيٌّ) فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ (لَسْت رافضيًّا) »[2].

وبالنسبة للاصطلاح الخاص الْمعنِي هنا، والعام، قال في موضعٍ آخَر: « فلفظ (أهل السّنّة) يراد به مَن أثبَتَ خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخُل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يُراد به: أهل الحديث والسّنّة المحضة، فلا يدخُل فيه إلا مَن يُثبت الصفات لله تعالى، ويقول: القرآن غير مخلوق، وإنّ الله يُرى في الآخرة، ويُثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة. وهذا الرافضي –يعنِي به صاحب: منهاج الكرامة- جعَلَ (أهلَ السّنّة) بالاصطلاح الأول، وهو اصطلاح العامة: كلّ مَن ليس برافضِيٍّ، قالوا: هو مِن أهل السنة. ثم أخذ ينقُل عنهم مقالات لا يقولُها إلا بعضُهم مع تحريفه لَها .. »[3].

---

[1] (?) لوامع الأنوار البهية، (ج1/ص20).
[2] (?) مجموع فتاوى (3/ 356).
[3] (?) منهاج السنة النبوية، (ج2/ ص221).

وَمَنْ خَالَفَ هذه الأصول أو شَيْئًا مِنْها فَهُوَ مِنْ أهل السُّنّة بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ، فيُطلق عليه: مبتدعٌ، ولا ينطبق عليه (أهل السّنّة) بالْمعنى الخاص، كالخوارج والجهمية والأشاعرة والماتريدية، والمرجئة والصوفيّة، وغيرهم من أهل الأهواء، فيكون مثلهم مثل الشّيعة، وهؤلاء (الْمبتدعة) هم الْمعنيّون بالباب الثالث (باب الفرق) الْمتقدم من هذه الرسالة.

يؤكّد هذا ما جاء قاله في (تأويل مختلف الحديث) بعدما ذكَر الفِرَق الْمتقابلة المخالفة للسّنّة عند (رَدّه على أصحاب الكلام وأصحاب الرأي) ذاكِرًا مَن هم أهلُ السّنّة الحقيقيون (أهل السّنّة المحضة)، ومبيّنًا أنّ غيرهم على تشتتٍ وتفرُّقٍ: « ولو أرَدنا -رحمك الله- أنْ ننتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم، إلى أصحاب الكلام ونرغب فيهم، لخرجنا من اجتماع إلى تشتُّت، وعن نظامٍ إلى تفرُّقٍ، وعن أُنْسٍ إلى وَحْشَة، وعن اتفاق إلى اختلاف؛ لأنّ أصحاب الحديث كلّهم مجمعون على أنّ ما شاء الله كان، وما لم يشَأْ لا يكون، وعلى أنّه خالق الخير والشر. وعلى أنّ القرآن كلامُ الله غير مخلوق. وعلى أنّ الله تعالى يُرى يوم القيامة، وعلى تقديم الشيخين. وعلى الإيمان بعذاب القبر، لا يختلفون في هذه الأصول؛ ومَن فارَقَهُم في شَيءٍ منها نابذوه وباغضوه، وَبَدّعُوه وهَجَرُوه، وإنما اختَلَفُوا في اللفظ بالقرآن لغموضٍ وقَعَ في ذلك، وكلُّهم مُجْمِعُون على أنّ القرآن بكل حالٍ -مقروءًا ومكتوبًا ومسموعًا ومحفوظًا غير مخلوق، فهذا الإجماع »[1].

وأستحسِن جدًّا ذكر قول الإمام عبد الله بن المبارك فيما نقله عنه الإمام البربهاري –رحمهما الله- في تحديد ضابط صاحب السّنّة، وأنّه لا يُقال: فلانٌ صاحب سُنّة أو من أهلها حتى تجتمع فيه خصال السُّنّة كُلّها، حيث قال: « أصل اثنين وسبعين هوى، أربعةُ أهواء: فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة،

[1] (?) قاله أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث، ص64.

والشيعة، والخوارج؛ **فمن** قدّم أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا على أصحاب رسول الله ولم يتكلم في الباقين إلا بخير، ودعا لهم فقد خرَجَ من التشيّع أوّلِه وآخره. **ومَن قال**: الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص: فقد خرج مِن الإرجاء أوّله وآخره. **ومَن قال:** الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجرٍ، والجهاد مع كل خليفة، ولم يرَ الخروجَ على السلطان بالسيف، ودعا لَهم بالصلاح فقد خرَجَ من قول الخوارج أوّله وآخره. **ومَن قال:** المقادير كلُّها من الله خيرها وشرّها، يُضلّ مَن يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوّله وآخره. وهو صاحب سنة » [1].

وكلام ابن المبارك هذا كلامٌ متين، ويكفي في التعريف بأهل السّنة المقصودين هنا. وقد علّق عليه الشيخُ الأستاذ إبراهيم الرحلي بقوله: « لِهذا كان السلف –رحمهم الله تعالى- ينصّون عند ذكر اعتقادهم على ما يُقابل باطلَ كُلّ فِرَق البِدَع من الحق، دلالة على تبريهم من تلك المقالات الفاسدة، وبِهذا تتحقق متابعة السّنة. والله أعلم » [2].

وبيّن المحدث سفيان بن عيينة –رحمه الله في اعتقاده أنّ «السنة عشرة؛ فمَن كنّ فيه فقد استكمل السنة، ومَن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة» [3] فذكر: «إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم»[4].

---

[1] (?) شرح السنة ، للإمام الحسن بن علي بن خلف البربَهاري، (ص 57)، بتحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيّم.

[2] (?) موقف أهل السّنّة من أهل الأهواء، (ج1/ص39).

[3] (?) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ أبي القاسم هبة الله اللالكائي (ج1/ص175).

[4] (?) المصدر نفسه. وانظر مثيلاتِها في مطلع اعتقاد إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل، ص176وما بعده. واعتقاد الحافظ علي بن المديني حيث صدّره بقوله: «من السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها» فذكرها. (انظر/ ص185-192)، وكذلك اعتقاد سهل بن عبد الله التستري، لما «قيل له: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال »، فذكرها

ولا شك أنّ المسائل الجوهرية العظيمة التي ذكرها هنا مِن أهم المسائل التي امتاز أهل السنة والجماعة بالقول بها جميعها، دون بقية الفرق، ولله الحمد.

وأما بعد، فأسوق هنا طائفة مما قالها العلماء -رحمهم الله- في التعريف بِهم أيضًا ليتضح بذلك بعض معالِم أهل السنّة والجماعة وسِماتِهم؛ من ذلك:

أولا: ما قال ابن حزم –رحمه الله-: « وأهل السّنّة الذين نذكُرُهم: أهل الحق، ومَن عداهم فأهل البدعة؛ فإنّهم الصحابة ، وكلّ مَن سلك نَهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث، ومن اتبعهم من الفقهاء، جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومَن اقتدى بِهم من العوام، في شرق الأرض وغربِها، رحمة الله عليهم »[1].

ثانيًا: وقال ابن الجوزي –رحمه الله-: « ولا رَيْبَ في أنّ أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله وآثار أصحابه هم أهل السّنّة؛ لأنّهم على تلك الطريقة التي لم يَحدث فيها حادثٌ، وإنّما وقعت الحوادث والْبِدَع بعد رسول الله وأصحابه. والبدعة: عبارة عن فعلٍ لم يَكن فابتُدِع، والأغلب في الْمبتدعات أنّها تُصادم الشريعة بالْمخالفة، وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان »[2].

فذَكر آثارًا إلى أنْ قال في فصل بعد ذلك:« فقد بَانَ بِما ذَكَرْنا أنّ أهل السُّنّة هم الْمتّبِعُون، وأنّ أهل البدعة هم الْمُظهرون شيئًا لم يَكُن قبلُ ولا مُستند له، ولِهذا استترُوا ببدعتهم. ولَم يَكتُم أهلُ السُّنّة مذْهَبَهم؛ فكَلِمتهم ظاهرةٌ، ومذهبُهم مشهورٌ، والعاقبة لهم »[3].

ثالثًا: وقال شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يَشرح حديث افتراق الأمم: « وَشِعَارُ هَذِهِ الْفِرَقِ مُفَارَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ، فَمَنْ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ: كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ »[4].

(انظرها في ص205).

[1] (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج1/ 318).

[2] (?) تلبيس إبليس، ص17-18.

[3] (?) تلبيس إبليس، ص19.

[4] (?) مجموع الفتاوى، (ج3/ ص346).

رابعًا: وقال محمد بن إسماعيل الصنعاني –رحمه الله-: « أَهْلُ السُّنَّةِ هم الذين كانوا على طريقة المصطفى وأصحابه، الذين لم يبتدعوا في الدين، ولا خالفوا طريق سيّد المرسلين »[1].

خامسًا: ما قرره العلامة السفارينِي حيث بيّن أنه: إنما أخذ أهل السنة الاعتقادات والعمل، واعتمدُوا من المعتقدات على ما جاءتْ به النّصوص الصّريحة، والأخبار الصحيحة، ودرَج عليه سلف الأمة، ونَهَج عليه أعلام الأئمة من الرّعيل الأول، ومَن عليهم دون سِواهم المعوّل [2].

فأهل السّنّة شيخهم الرّسول ﷺ، وطريقتهم الاتباع، بخلاف غيرهم.

سادسًا: و« القصد من التعريف بأهل السنة: تعريفهم في المقام الأول حتى لا ينسب إليهم خارج عنهم، ولا يخرج منهم داخل فيهم »[3]، كما قاله أ. الدكتور إبراهيم الرحيلي. وقد ذكر بعد ذلك أهم الأسس التي يقوم عليها منهجهم، ويتميّز بها عن مناهج المخالفين لهم في العقيدة والسّنة.

ففيما تقدم من النقولات شيءٌ من التحديد والتعريف بأهل السنة. والتعريف بهم كثيرٌ، ومضمونها واحدٌ، وإنْ تفاوتَت في الاستيعاب وغيره.

وبعد هذه النقولات العظيمة والذي اتضح بِها مَن هم أهل السنة المحضة أخلُصُ إلى استنباط معالِم وسمات لأهل السّنّة مِن الأقوال المتقدمة[4]، على النحو التالي:

---

[1] الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، ص103.

[2] انظر: لوامع أنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، (ج1/ص66).

[3] موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع، له، (ج1/ص36).

[4] بل يحسُن هنا –للوقوف على منهج أهل السنة وسماتهم المخالف لمناهج أهل الأهواء والبدع والافتراق وسماتهم- يحسُن الوقوف على النقاط الواحد والأربعين (41) التي ذكرها وفصّلها الأستاذ الدكتور ناصر العقل في: دراسات في الأهواء والفِرَق والبِدَع، وموقف السلف منها، (ج1/ص394-568 –وهو الفصل الثالث من الكتاب).

المعلم الأول: المراد من أهل السنة هم: الصحابة ، ثم مَن اتبَع منهجهم في الاعتقاد والعمل إلى قيام الساعة من أهل الحديث والسّنّة المحضة، مُثبِتًا الأصول المعروفة –المتقدمة- عند أهل الحديث. أما مَنْ خَالَفَ هذه الأصول أو شَيْئًا مِنْها فَهُوَ مِنْ أهل السُّنّة بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ، فهم المبتدعة، وهم الذين يقابلون أهل السنة، مثل الخوارج والشيعة والجهمية والأشاعرة والماتريدية، والمرجئة والصوفيّة، والقدرية والجبرية، وغيرهم من أهل الأهواء.

المعلَم الثانِي: شِعَارُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: الأخذ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ، وفق منهج سلف الأمة. بينما شِعَارُ الفِرَقِ: مُفَارَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ، ومخالفة السلف.

المعلم الثالث: أهل السّنّة لا يعتمدون -في أخذ دينهم- إلا على النّصوص المحكمة الصّريحة، والأخبار الصحيحة، بخلاف المبتدعة؛ في تركهم المحكمات والأخذ بالمتشابهات، وكذلك اعتمادهم على الأخبار الضعيفة والموضوعة، وعلى المواجيد والكشوفات والمنامات، وغير ذلك.

المعلَم الرابع: أَهْل السُّنَّةِ هم أهل الاتباع. والحوادث والبِدَع حدثت وتحدُث من غيرهم لا منهم (أهل السُّنّة هم المتَّبِعُون، وأنّ أهل البدعة هم المُظهرون شيئًا لم يَكُن قبلُ، ولا مُستند له).

المعلم الخامس: أهلُ السنة لا يَكتمون ما عندهم من الحق (مذهبهم)، بخلاف أهل البدع فإنّهم يتسترون ويسترُون عقائدهم وبِدَعَهم.

المعلم السادس: أهلُ السُّنّة هم أهل الوسطيّة المطلقة؛ فهم الخير والخيار والأجود والأفضل وبين طوائف الإفراط والتفريط، في الدين كُلّه؛ فهم وسطٌ بين المشبهة والمعطلة في الأسماء والصفات. وبين القدرية والجبرية في أفعال الله تعالى وأفعال العباد. وبين الوعيدية والوعدية في نصوص الوعد والوعيد، وفي باب الأسماء والأحكام. وبين الرافضة والناصبة في الصحابة

وأهل البيت. وبين الغلاة والجُفاة في تعظيم الأنبياء والصالحين من الأولياء والأئمة والشيوخ وغيرهم. إلى غير ذلك.

فأَهْل السُّنَّةِ هم أَهْلِ التوسّط، بخلاف الفِرَقِ؛ فهم أَهْل تفريط وإفراط، وغُلُوّ وجفاء.

وبعد التعريف بـ(السُّنّةِ) وبِمَن هم أهلُها؟ وقبله التعريف بالوسطية لُغة واصطلاحًا، ثم الإشارة إلى وسطية أهل السنّة بين الفِرَق في العقيدة في رسول الله خصوصًا، في هذا التمهيد (الذي عُقد بِعنوان: وسطية أهل السنة لغة وشرعًا): سأعرج إلى فصلَي الباب للبيان التفصيليّ لأَوْجُه وسطية أهل السنة في العقيدة فيه بين الغُلاة والجفاة، وتحت خمسة عشر مبحثًا، على نحوٍ تالٍ.

وأما قبلُ، فأقول: بالنسبة للباب القائم الذي جاء قبله ثلاثة أبوابٍ (بابٌ: في مقام العبودية لنبينا محمدٍ ، وثانٍ: في مقام الرسالة له ، وثالثٌ: في بيان مواقف الفرَق المنتسبة إلى الإسلام مِن مقامَيْه غُلُوًّا وجفاءً): بات معلومًا أنَّه قد تنوَّعت دلالات نصوص الوحيَـيْن في بيان مقامَي العبودية والرسالة لنبيِّنا محمدٍ ، ومقتضى كُلِّ مقامٍ منهما، بإشارات تارة، وبتصريحاتٍ أخرى، مما لا يدعً مجالاً للتغافل عنهما –وقد تقدم الحديث عنهما بتفصيلٍ في البابَـيْن الأَوَّلَيْن، بل كلُّ هذا البحث الهدفُ الأساسُ منه؛ بيانُ هذين المقامين وكيفية تحقيقهما علمًا وعملاً، مع بيان الانحرافات الواقعة فيهما مِمَن ينتسب إلى الإسلام-.

وتحقيق أنّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه واعتقاد ذلك فيه هو الذي جعل السلف أهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة وسطًا في هذا الباب، كما في غيره. ومع ما تقدم من تفصيل الباب الأول والثاني سأختصر الكلام عن جزئيّات لَها علاقة بِهما هنا لسَبَبَيْنِ:

السبب الأول: أنَّ المعتقد الصحيح في كيفية الإيمان بالنبِيّ وتحقيق مقامَيْه وصفتَيْه لم يؤمن به على

حقيقته إلا أهلُ السّنّة الذين هم الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ لأنَّهم أسعد الناس باتباع الكتاب والسنة، وأحرصهم على هديهما في الدقيق والجليل -جعلنا الله منهم، وأماتنا على ذلك، آمين- وكذلك كانوا وسطًا لأنهم لم يطغَ جانبٌ عندهم على آخر؛ حيث إنَّهم لَمّا راعَوا جانب عبوديته لربِّه لم يرفعوه فوق المنزلة التي أنزله الله تعالى إيَّاها، بل اعتقدوا بشريته، وكمال عبوديته لربه ربِّ العزَّة والجبروت.

ولَمّا راعَوا جانب رسالته لم يعبدوا الله تعالى إلا وفقَ هديه وشريعته وحده، كما أحبوه ، وعظَّموه ووقَّروه، وصدَّقوه في أخباره، وأطاعوه في شريعته، ورأوا أنَّه لا يسَعُ أحداً الخروجُ عنها كائنًا من كان، إلى قيام الساعة.

السبب الثاني: أنَّ كُلَّ ما تقدم في الباب الثالث (باب مواقف الفرق منه) من الانحرافات والمخالفات التي وقَع فيها الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام، وأقاويلهم ومواقفهم التي هي أو فيها جفاءٌ لشريعته ومقام رسالته ، أو في شخصه، أو غُلُوّ وجفاءٌ في جانب بشريته وشخصه -ما بين المقلِّ منهم والمُكْثر، والمنحرف في المقامين أو في أحدهما- كان سبب نُشُوئه: الأخذ والإيمان ببعض النصوص وترك البعض الآخر، خلافًا لِما عليه أهل السنة، السابق الإشارة؛ إذْ الباب الواحد إذا لم يُجمَع شتاتُه لم تُعْلَم وتُعمَل بحقيقته، وهذا، وكونُ هذه الفِرق اتَّبعت وتشابَهت بالأمم الماضية غلوًّا وجفاءً في باب العقيدة في الأنبياء عمومًا، وفي العقيدة في نبيِّا محمد خصوصًا[1]، -كلُّ هذا هو الذي جعلنِي أختصرُ هنا بعض ما تقدم، حتى يكون هذا المختصرُ (الباب بفصْلَيه) قاعدةً عظيمةً تُحْكِم هذا الباب إحكاماً؛ أستفيد ويستفيد بها من يريد الفقه فيه (العقيدة في الرسول)، وكذا من يرُدُّ على المخالفين فيه من هذه الأمة؛ إذْ هو ردٌّ مجملٌ محبَّذ، يستطيعه البُسَطاء من المسلمين، وأنصافُ طلَبَةِ

---

[1] كما تقدم مفصَّلاً في تمهيد الباب الثالث.

العلم؛ حيث عنده أدلةٌ مُحْكَمَةٌ، لا يتركها أبدًا لشبهاتٍ (تقدمت في باب مواقف الفرق) طارئة، وإنْ لم يستطع الردَّ التفصيليَّ عليها؛ إذْ لذلك رجالُه!

أما المنهج الإجرائيّ في الباب: فقد رأيتُ أنْ أتْرُكَ –في أغلب المباحث- ما اعتاد ذكرَه كلُّ مَن كتَب في الوسطية ممَّن وقفتُ عليه -سواءٌ في ذلك: وسطية هذه الأمة بين الأمم، أو وسطية أهل السنة بين الفرق- من ذكر الطرَفَين المتناقضين التي تكون الأمة وسَطاً بينهما **في نفس المكان**، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: تحاشيًا من التطويل والتكرار؛ ذلك أنّه قد تقدم ما لكلِّ فرقةٍ مِن مواقف في فصلها الخاص بها؛ حيث ذكرتُ ما وقفتُ عليه من كلامهم وكلام غيرهم عنهم، بل وعموم مواقفهم، الذي به وقعَتْ كُلٌّ في الانحراف في المقامين غلوًّا وجفاءً، أو في أحدهما. فبقِي أنْ أَذْكُرَ هنا (في هذا الباب) ما هو الحق والوسَط، والعدل والخير الذي أمَرتِ الشريعة به تجاه نبينا الكريم، عليه من الله ومنّا أزكى صلاةٍ وأتمُّ تسليم، حتى يُعتقدَ ذلك.

الأمر الثاني: هو ما ذكَره د. محمد بن خليفة التميمي في مبحثٍ خصَّه ببيان توسُّط السلف في حق النبِيِّ مما يدل على أنَّ ما أسلكه هنا جادةٌ مطروقةٌ، وذلك في قوله: « فقد نصَّت النصوص على أمورٍ متعدِّدة فيما يتعلَّق بشأن نبينا وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمَن أخَذَ بِهذه الأمور جَميعِها، وآمن بِها، فقد توسَّط، ومن أخلَّ بشيءٍ منها فهو لا محالة واقعٌ في أحد حالَيْن؛ إما الغلو أو التنقُّص » [1].

ومهما يكُن من أمرٍ، فإلى فصلَيْ الباب فصلا فصْلا.

*** ** ***

[1] حقوق النبيِّ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (2/690).

المبحث الأول: أهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ النبيَّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه.

المبحث الثانِي: أهل السنة يعتقدون أنه ليس للعبد الرسول [1] محمدٍ من خصائص الربوبية شيءٌ، فكيف يكون ذلك لِمَن هو دونه؟! وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما يتعلق بتوحيد الربوبية.

المطلب الثاني: ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: أهل السنة يعتقدون أنَّ العبد الرسول محمدًا لا يعلم شيئًا مِن الغيب في حياته إلا ما علَّمه الله، فكيف بعد وفاته؟ وكيف يعلم ذلك غيرُه**؟** وأنّ الغيب مِن خصائص الله تعالى!

المبحث الرابع: أهل السنة يعتقدون أنَّه ليس للعبد الرسول محمدٍ مِن خصائص الألوهية شيءٌ! فكيف يكون ذلك لِمَن هو دونه من الأنبياء وغيرهم؟! وفيه أحَدَ عشَرَ مطلبًا:

المطلب الأول: مسألتا الدعاء والاستغاثة.

المطلب الثاني: مسألة النهي عن السجود للعبد الرسول محمد ، فكيف بالسجود لغيره؟

المطلب الثالث: مسألة اتخاذ القبور مساجد.

المطلب الرابع: مسألة اتخاذ قبر النبيِّ وثنًا.

المطلب الخامس: مسألة اتخاذ قبر العبد الرسول محمدٍ وغيرِه عيدًا.

المطلب السادس: مسألة التبرُّك بالعـبد الرسول محمدٍ .

المطلب السابع: مسألة التوسل بالنبِيّ .

---

[1] (?) يلاحظ في جملة من عناوين هذه المباحث أنّه نُفي عن "العبد الرسول" محمدٍ خصائص الله. فلا يتوهَّمَنَّ أحدٌ بأنّ قَسيمَـه: "الرسول الملِكَ " كسليمان -مثلاً- له ذلك؛ مِن أجل أنّ النفي تمّ أن كان "للعبد الرسول".
بل إذا نُفي عن الأول، وهو الأفضل فانتفاؤه عن الثانِي الذي هو دون الأول في الكمال، -كما في مبحث: اختيار النبيِّ العبودية على الملك- وغيرِه مِن الأنبياء وغيرهم مِن باب أولى! وليُعلم ذلك!!

المطلب الثامن: أهل السنة لا يُعبِّدون أحدًا لغير الله في التسمية ولا في غيرِهِ.

المطلب التاسع: مسألة إلى أين تُشَدُّ الرِّحالُ، وتُعمَل الْمُطِيّ؟

المطلب العاشر: مسألة الحلف بالعبد الرّسول محمد ﷺ.

المطلب الحادي عشر: مسائل متفرّقة لها علاقة بالمبحث.

المبحث الخامس: أهل السنة يَرون أنَّ وَاسِطة العبدِ الرسول محمدٍ ﷺ بين الله والجنِّ والإنس واسطة تبليغٍ، لا واسطة عبادة، بخلاف مخالفيهم في المسألة.

المبحث السادس: أهل السنة ينْهَون عن إطراء العبد الرسول محمدٍ ﷺ، والغلوِّ والمبالغة في مدحه.

المبحث السابع: أهل السنة يعتقدون كُفرَ مَن رَفَع الأنبياء عليهم السلام إلى درجة الربوبيَّة والألوهية! فكيف بِرَفع مَن هو دونهم وإعطائه هذه الخصائص والحقوق؟!

المبحث الثامن: أهل السنة يعتقدون أنْ لا عِصمة لأحدٍ من هذه الأمة إلا للعبد الرسول محمدٍ ﷺ في التبليغ وغيره.

وهذه المباحث مَن حققها في حق النبِيِّ ﷺ -اعتقادًا وقولا وعملاً-، ثم حقق كُلّ ما أمَر الله بها ورسولُه في بقية الأبواب يُعتبَر مِن أهل التوسط الذين عقدتُ هذا الباب لبيان عقيدتهم، ومَن لَم يُحَقِّقها فيه ﷺ فهو منحرفٌ فيه غالٍ؛ له خلَلٌ في تحقيق الإيمان بِـ(مقام عبودية الرسولِ لربِّه ﷻ)، ثم هو بعد ذلك على حسَب درجة غُلُوّ.

كما أنّ ما يأتِي في الفصل القادم (فصل أهل السُّنّة لَم يجفو رسولَ الله ﷺ) من المباحث مَن لم يحققها يُعتبَر –ولا بدَّ- مِن الجفاة في النبِيِّ ﷺ -إما لشخصه ﷺ أو لِمقام رسالته أو لكلَيهما-.

بينما يكون مُـحقِّق مجموع الفصلَين مِن أهل الوسطية في هذا الباب، جعلنـي اللهُ وإياك مِن أهلها.

وإليك مباحث القسم الأول، تليها مباحث القسم الثاني، فأقول، وبالله التوفيق:

** * **

ومن النصوص الدالة على هذا فيما أرى –والعلم عند الله-: كلُّ نصٍّ جاء فيه:
إيتاء الكتاب والحُكم والنبوة للبشر؛ إذ البشر من عباد الله بالمعنى العام أو الخاص أو الأخص؛ فالنبيُّ ﷺ بشرٌ وهو أخصُّ عباد الله ﷺ؛ لأنه الأعلم بالله والأتقى له، والأخشى منه كما قال رسول الله ﷺ: " **فوَ الله إنِّي لأعلمهم بالله؛ وأشدهم له خشية** "[1]. ثم توجد القرينة الدالة على أن المُراد به فيها محمد ﷺ خاصة، أو هو مع إخوته الأنبياء عليهم السلام.

وكذا كل نصٍّ فيه تكليم الله لبعض البشر (مراداً به رسولنا أو مع الأنبياء الآخرين عليهم الصلاة والسلام)، إذْ لم يُكلِّم من البشر شِفاهًا بدون واسطةٍ إلا بعض أنبيائه[2]، وكذا التي فيها الإيحاء لبعض البشر (محمد ﷺ). وما جاءت فيها الإرسال إلى بعض البشر (محمد). والتنـزيل على العبد (محمد). والرسالة للعبد (محمد). وهذا النوع الأخير جاء في السنة بكثرة (وقد تقدمت من هذا النوع النصوص المختارة).

وسأمثِّل لكلٍّ ذلك ببعض الأمثلة:

النوع الأول: إيتاء الكتاب والحكم والنبوة لبعض البشر، قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [سورة آل عمران: ٧٩]. والآية تعم نبينا محمدًا ﷺ وبقية الأنبياء والرسل عليهم السلام.

النوع الثاني: التكليم لبعض البشر، قال تعالى: ﭽ ... ﭼ [سورة الشورى: ٥١]. وهذه

---

[1] (?) الحديث في الصحيحين، وقد تقدم تخريجه.

[2] (?) جاء في قصة المعراج: أنَّ الله ناجى وكلَّم عبده محمدًا كما كلَّم موسى ﷺ، وأنَّه أوحى إليه بلا واسطةٍ، وقد حُكي هذا القول عن جماعة من السلف منهم ابن مسعودٍ وابن عباسٍ رضي الله عنهما، وجعفر بن محمد الصادق، وغيرهم (انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص 214ـ216). وقد تقدمت قصة المعراج.

الآية كسايقتها حيث تعم نبينا محمدًا وبقية الأنبياء والرسل عليهم السلام.

النوع الثالث: الإيحاء لبعض البشر، (مرادًا به في الآيتين محمدًا) قال تعالى: ﭽ   ﭼ [سورة الكهف: ١١٠ ، وسورة فصلت: ٦].

النوع الرابع: الرسالة لبعض البشر (مرادًا به في الآية محمدًا)**،** قال تعالى: ﭽﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯣ ﯤ   ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ [سورة الإسراء: 93 ـ ٩٤].

النوع الخامس: التـنـزيل على العبد (مرادًا به في الآيات محمدًا)، قال تعالى: ﭽ   ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [سورة البقرة: ٢٣]، وقال أيضاً: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ [سورة الأنفال: ٤١]، وقال: ﭽ ﯓ ﯔ ﯖ ﯗ   ﯚ ﭼ [سورة الكهف: ١]، وقال: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ [سورة الفرقان: ١]، وقال: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯜ ﯝ ﭼ [سورة الحديد: ٩].

النوع السادس والأخير: النصوص التي صرَّحت بأنّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه، ومن ذلك قوله تعالى في سياق قيام عبده بدعوة ربه : ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [سورة الجن: من 19 ـ ٢٣ بل وإلى آخر السورة].

وأما في السنة فقد جاء هذا النوع فيما لا يمكن حصره كثرةً، وقد تقدمت أبرز هذه النصوص وأدلّها على المراد في الباب الأول (وفي مبحث: محبته عليه الصلاة والسلام لوصفه بالعبودية)، وهي ثلاثون حديثًا منتقاة، كما أنّها السبب من أكبر العوامل التي جعلتني أكتُب في هذا الموضوع. ومن أمثلتها: قوله : " **لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**" [1].

[1] الحديث في صحيح البخاري: وسيأتي تخريجه في (مبحث أهل السنة ينهون عن إطراء الرسول).

والحديث –كما قلتُ- أصل في بابه، وفيه الأمر الصريح بأنْ نقول (القولَ القلبِي واللسانِي) لرسولنا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . وفي قوله: " فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ " حصرُ الموصوف على هذه الصفة، وأنّه لا يتجاوزها أبدًا إلى الصفة التي فوقها (صفة الإلهية).

لهذا قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ -رحمه الله- في شرحه، وبيان ما لا يستحقه رسول الله r من الحقوق والخصائص: « قوله: " إنما أنا عبدٌ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " أي: لا تمدحونِي فتغلوا في مدحي كما غلَت النصارى في عيسى؛ فادَّعوا فيه الربوبية، وإنّما أنا عبد الله؛ فصِفونِي بذلك كما وصفني به ربِّي، و" قولوا: عبد الله ورسوله " فأبَى عبَّاد القبور إلا مخالفةً لأمره، وارتكابًا لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة، وظنُّوا أنَّهم إذا وصفوه بأنَّه (عبد الله ورسوله)، وأنَّه لا يُدعى، ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يُطاف بحجرته، وأنَّه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علَّمه الله، أنَّ في ذلك هضمًا لجنابه، وغضًّا من قدره؛ فرفعوه فوق منـزلته، وادَّعوا فيه ما ادّعت النصارى في عيسى أو قريبًا منه؛ فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب الاستغاثة عن بعض أهل زمانه أنَّه جوَّز الاستغاثة بالرسول r في كلِّ ما يستغاث فيه بالله، وصنَّف فيه مصنَّفًا، وكان يقول: إنّ النبي r يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله. وحكي عن آخر من جنسه، يباشر التدريس، ويُنسَب إلى الفتيا، أنَّه كان يقول: إنَّ النبي r يعلم ما يعلمه الله، ويقدِر على ما يقدر الله عليه، وإنَّ هذا السِّرَّ انتقل بعده إلى الحسن، ثم انتقل في ذرية الحسن إلى أبي الحسن الشاذلِي[1]، وقالوا: هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع، ومِن هؤلاء مَن يقول في قول الله تعالى: ﭽ   ﭼ [الأحزاب: ٤٢]، إنَّ الرسول r هو الذي يُسبَّح بُكرةً وأصيلاً، ومنهم من يقول:

---

1 ([?]) أبو الحسن الشاذلي، سبقت ترجمته في فصل الصوفية عند التعريف بالطريقة الشاذلية.

نحن نعبد الله ورسوله؛ فيجعلون الرسول -r- معبودًا.

قلت: وقال البوصيري[1]:

فإنَّ من جودك الدنيا وضرَّتها ومن علومك علمَ اللوح والقلم[2].

فجعل الدنيا والآخرة من جوده، وجزَم بأنَّه يعلم ما في اللوح المحفوظ، وهذا هو الذي حكاه شيخ الإسلام عن ذلك المدرِّس، وكلُّ ذلك كفرٌ صريحٌ »[3]. وسيأتِي تتمة كلامه هذا في تعزير الرسول وتعظيمه وتوقيره، وفي بعض المباحث المتعلقة بإطراء النبي المنهي عنه.

وقال شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر -حفظه الله تعالى- في شرح حديث النهي عن الإطراء هذا: « قوله: " فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ": جمَع بين وصفه بكونه عبد الله، ووصفه بكونه رسوله، دفعًا للإفراط والتفريط؛ دفعًا للإفراط والإطراء والغلو؛ لأنَّه (عبدُ الله تعالى)، ودفعًا للتقصير والتفريط بترك متابعته، وعدم الأخذ بسنته، والسير على نهجه الذي أرسله الله به، ورحم الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إذ يقول: (عبدٌ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُكذَّب، بل يطاع ويُتَّبع[4]). وهذا هو مقتضى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، فإنَّ معناها كما قال رحمه الله: " طاعتُه فيما أمر، وتصديقُه فيما أخبر، واجتنابُ ما نَهى عنه وزجر، وأن لا يُعبدَ الله إلا بما شرع[5] »[6] .

وقال: « وما أحلى وأجمل وصفه بكون (عبد الله ورسوله) تحقيقًا لرغبته عليه الصلاة والسلام، وامتثالاً

---

[1] (?) مرت ترجمته في فصل الصوفية.

[2] (?) انظر البيت في البردة (بيت رقم: 154، ضمن مجموع مهمات المتون، ص63).

[3] (?) تيسير العزيز الحميد، ص 262 – 263.

[4] (?) ذكر هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، ط/ الخضيري، 33 .

[5] (?) ذكر هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصول الثلاثة وأدلتها، ط / دار الخضيري، ص 13 .

[6] (?) شرح الحديث: (عشرون حديثاً من صحيح البخاري) ص2/214، ضمن مجموع كتب عبد المحسن البدر .

لقوله في هذا الحديث: " فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " »[1].

وفي شرح الحديث الذي جاء فيه وعد الله بسِلعتِه الغالية؛ الجنّة لِمَن شهِد شهادات خمس، (ومنها: الشهادة لِمحمدٍ ﷺ بأنه عبد لله ورسوله) والذي قال النووي -رحمه الله- فيه: « هذا حديثٌ عظيمُ الموقع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنَّه ﷺ جمَع فيه ما يُخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم، فاختصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم ..»[2]: قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله-: « قوله: " وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه " أي: وشهِد بذلك، وهو معطوفٌ على ما قبله؛ فتكون الشهادة واقعةً على هذه الجملة، وما قبلها، وما بعدها، فإنَّ العامل في المعطوف وما عُطف عليه واحدٌ. ومعنَى "العبد" هنا يعني: المملوك العابد، أي: مملوك لله تعالى، وليس له من الربوبية والإلهية شيءٌ إنما هو عبدٌ مقرَّبٌ عند الله، ورسولُه: أرسله الله كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [الجن: 19- ٢٣]، قيل: وقُدِّم العبد هنا على الرسول ترقِّيًا من الأدنَى إلى الأعلى، وجُمع بينهما لدفع الإفراط والتفريط، الذي وقع في شأن عيسى ﷺ، وقد أكَّد النبيُّ ﷺ هذا المعنى بقوله: " **لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** "[3]، وذلك يتضمن تصديقَه فيما أخبر، وطاعتَه فيما أمر، والانتهاء عما عنه

---

1 (?) عشرون حديثًا من صحيح البخاري، للشيخ عبد المحسن البدر، (ج 2 /ص 216).

2 (?) المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، ط / بيت الأفكار الدولية، ص 109 .

3 (?) الحديث في صحيح البخاري وسيأتي تخريجه.

زجر، فلا يكون كاملَ الشهادة له بالرسالة؛ مَن ترَك أمرَه، وأطاع غيره، وارتكب نَهْيَـه »[1].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-: « قوله: (وأنَّ محمدًا)، محمد: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي، خاتم النبيين. وقوله: (عبدُه) أي: ليس شريكًا مع الله. وقوله: (ورسوله) أي: المبعوث بما أوحي إليه؛ فليس كاذبًا على الله. فالرسول عبدٌ مربوبٌ ، جميع خصائص البشرية تلحَقُه ما عدا شيئًا واحدًا، وهو ما يعود إلى أسافل الأخلاق؛ فهو مُنـزَّه معصوم منه..» [2].

وأختم بما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت 1206) ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح الركن الحادي عشر من أركان الصلاة، الذي هو (التشهد الأخير): « **(أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وحده لا شريك له):** تشهَّد شهادةَ اليقين أنْ لا يُعبد في الأرض، ولا في السماء بحق إلا الله. **وشهادة أنّ محمدًا عَبْدُه ورَسُولُه**: بأنه (عبدٌ) لا يُـعبد، و(رسولٌ) لا يكذّب؛ بل يُطاع ويتّبع، »[3].

فهذه النقولات في شرح هذه الأحاديث من علماء أهل السنة فيها التقرير بأنهم (أهل السنة) يشهدون لِمحمدٍ بِهذه الشهادة (شهادة أنّ محمدًا عبدُ الله ورسولُه)، ويصفونه بِهاتين الصفتين العظيمتين؛ صفة العبودية لله والرسالة، على مراده ومراد ربّه. ويعملون بمقتضى ذلك. خلافًا لبعض الغُلاة الذين يرَون أنّ وصفة بالعبودية، والقول بأنّ محمدًا عبدٌ تنقيص له. وخلافًا لكثيرٍ ممن ينتسب إلى الإسلام وينطق بها (الشهادة) بلسانه، في حين ينقضها بعمله واعتقاداته الغالية؛ فآل أمره إلى قولها باللسان دون الوقوف عندها لمعرفة معناها الحقيقي، والعمل بمقتضاه.

---

1 (?) تيسير العزيز الحميد، ص59-60 .

2 (?) القول المفيد لابن العثيمين، (ج1/ ص46).

3 (?) شروط الصلاة وواجباتها وأركانها، ص33 ضمن مجموع، وص 542، ط/مدار الوطن، في الجامع للمتون العلمية لعبد الله الشمراني.

وهذا المبحث هو أول المباحث التي يتبيَّن منها توسط أهل السنة والجماعة في هذا الباب (باب العقيدة في رسول الله)، وذلك لأنّهم **قالوا: النبِيُّ عبدُ الله ورسولُه،** -كما جاء بذلك النصوص- **واعتقدوا وعمِلوا بمقتضاهما** –كما سيأتي ذلك تفصيل ذلك-.

أما غيرهم فإما غلاةٌ لم يُحققوا الإيمان بمقام عبوديته لربِّه قولاً واعتقادًا وعملاً على الوجه الذي جاءت به الشريعة، بل زادوا عليها، ورفعوه فوق منزلته التي أنزله الله عليها.

أو جفاةٌ عما يقتضيه مقامُ رسالتِه، مقصّرون عن الواجب[1]. والله تعالى المستعان.

** * **

---

[1] (?) ولقد تقدم الباب الثالث مفصلا لبيان مواقف الفرق الغالية والجافية في العقيدة في رسول ، فيراجعه مَن شاء، وانظر أيضًا: وسطية أهل السنة بين الفِرَق للدكتور محمد باكريم، ص484 .

مسألة تَمهيديّة للتعريف بالخصائص:

الخصائص: هي الأمور التي انفرد وامتاز أحد بها عن آخر، ومفرده الخصيصة[1]. **وخصائص الله**: هي ما انفرد وتميَّز بها من الحقوق والأفعال والأسماء والصفات دون أنْ يشاركه أحدٌ مِن خلقه كائنًا ما كان، **وخصائص الربوبية** هي الثلاثة الأخيرة دون الأول.

ومن هنا كان لا ينحصر البيان في هذا المبحث في توحيد الخلق والملك والتدبير، والذي هو محض أفعال الله خاصةً، المصطلَح عليه: بـ(توحيد الربوبية)؛ دون أن يصل إلى توحيد الأسماء والصفات، بل سيكون الكلام في الجانبين، وهما: توحيد المعرفة والإثبات، لأترك الحديث عن الحقوق الإلهية (توحيد العبادة وبيان استحقاق الله لجميع أنواعها) للمبحث الرابع.

ولْيُعلَم أنه ما كان لِيُعقَد هذا المبحث إلا لبيان العقيدة الصحيحة في رسول الله ، وأيضًا لولا ما حصل مِن الشرك بالله مِن بعض الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام في توحيد المعرفة والإثبات بتسويتهم عبد الله ورسوله نبينا محمدًا أو مشايخهم وأئمتهم بربِّ العالمين في جملة كبيرةٍ مِن خصائصه؛ في أفعاله وأسمائه وصفاته، مما جعل هذه الفِرَق يفوقون كفار قريش في باب الشرك بالله! فأقول -وبالله تعالى التوفيق-:

** * **

---

1 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة خصص، ص298.

المطلب الأول: ما يتعلق بتوحيد الربوبية:

فأهل السنة يعتقدون اختصاص الله تعالى بفعل جميع أفعاله (توحيد الله في أفعالـه).

وهذا خلافًا لِمُخالفيهم القبورية، حيث تقدم إضافتهم خصائص الله تعالى في أفعاله إلى عباده (الأنبياء والأولياء)، أما أهل السنة فيعتقدون ويُقِرّون أنْ ليس للنبِيِّ ﷺ ولا لغيره من خصائص الخلق والرَّزق والملك والتدبير شيءٌ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: « فمَن نفى عن شيءٍ مِن المخلوقين خصائص الخالق لا يقال: إنه نفى عن ذلك المخلوق صفةً من صفات كماله؛ فإذا قال: ليس أحدٌ من المخلوقين لا ملَكٌ ولا نبيٌّ ولا غيرهما لا ربًّا، ولا خالقًا للخلق، ولا مالكًا للملك، ولا هو بكلِّ شيءٍ عليم، ولا على كلِّ شيءٍ قدير، ونحو ذلك، لم يكن نفى عن المخلوق صفةً من صفات كماله، بل نفى عنه ما ليس إلا لله وحده، وهذا من تحقيق التوحيد لله، وهو أن ينفي عن خلقه كلِّهم ما لا يكون إلا له؛ فيقول: لا إله إلا الله، فلا تصلح الإلهية إلا له،بل الخلق كلهم عبادُه»[1].

بل الله وحده « ربُّ كلّ شيءٍ ومالكه وخالقه ورازقه، وأنّه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرّد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كلّه، وبيده الخير كلّه، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر »[2].

قال تعالى في بيان اختصاصه بـخصائص الخلق والملك وشؤون التدبير: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [الأنعام: ١٠2]. وقال: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ [يونس:31-٣٢]. وقال: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ

[1] تلخيص كتاب الاستغاثة والرد على البكري لابن تيمية، تلخيص ابن كثير –رحمهما الله-، ص142.

[2] تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، للشيخ سليمان، ص 17.

ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [الرعد: ١٦]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ [الفرقان: ٣]. وقال: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ [العنكبوت:61-٦٣].

وقال: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ [لقمان:25-٢٦]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [فاطر: ٣]. وقال: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [الزمر: ٣٨]. وقال: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [الروم: ٤٠].

وهذه الأفعال وغيرها مما اختص الله بها، ولا يشاركه فيها حتى أقرب الخلق إليه من ملائكته وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فلنعتبر بالملائكة –مثلاً- وهم وإنْ كانوا يدبِّرون ويُقسِّمون كثيرًا من أمور العالم العُلْوي والسُّفْلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجنة، والنار وغير ذلك [1] إلا أنهم موكَّلون بذلك، ومأمورون به، وليسوا –أبدًا- مشاركين الله في هذه الأمور، ولا كان تصرفهم فيها تصرُّفًا مطلقًا. وهكذا غيرهم، وقد أقرّ بهذا -في الجملة- كلُّ الناس، إلا ما حصل مِن بعض الناس، كالغلاة الذين جعلوا تدبير وتصريف بعض الأمور (من التوفيق للعباد وإضلالهم، وإحياء الموتى، والإعزاز والإذلال، وحق التشريع والتحليل والتحريم، وإنزال المطر، بل وحفظ العالم، وضمان الجنة، والإخراج من النار، وغير ذلك) إلى مَن يغْلُون فيهم؛ فأسندت الرافضة طائفة كبيرة من ذلك إلى أئمتهم، وتبِعها الصوفية والبريلوية[2] في ذلك، فزعموا أنّ تصريف هذا الكون، وغير ذلك إلى عبد الله ورسولِه

---

[1] (?) انظر: تيسر الكريم الرحمن للسعدي، عند تفسيره لقوله تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﭼ [النازعات: ٥]، ص908 ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج 22/ ص43)، وللوقوف على أعمال الملائكة التي أوكلوا بها، وأدلتها من الكتاب والسنة، (راجع: ص144-204 من كتاب: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين لشيخنا الدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل –حفظه الله- .

[2] (?) تقدم التعريف بهذه الفرق،كما تقدم نصوصهم التي غلوا فيها في معظميهم في باب مواقف الفرق المتقدم.

حينًا، وإلى شيوخهم وأوليائهم وأقطابهم وأوتادهم وأئمتهم حينًا آخر. وهذا هو فكرة هذا المطلب في المبحث؛ لبيان أنّ سيّد الأنبياء والمرسلين ليس له من هذه الخصائص شيءٌ، بل هي لله، فكيف تكون لِمَن هو دونه مِن الأنبياء وغيرهم!

وسأُجْمِل هذا المطلب في أربع مسائل:

المسألة الأولى: عبد الله ورسوله نبينا محمدٌ ﷺ لا يملِك لنفسه النفع والضَرّ، فكيف يَملِكه لغيره! أوْ كيف يَملكُه غيرُه؟!

المسألة الثانية: الأمر الكونِيُّ؛ ومنه: الهداية والإضلال من خصائص الله وحده، وهي منفيـة عن عبد رسوله نبينا محمدٍ ﷺ، وعن غيره بالأحرى.

المسألة الثالثة: الشفاعة خصيصة من خصائص الله، ولا تُطلب مِن عبده ورسولـه نبينا محمدٍ ﷺ.

المسألة الرابعة: عبد الله ورسوله نبينا محمدٌ ﷺ قاسمٌ، والله ﷻ هو المعطي.

المسألة الأولى: عبد الله ورسوله نبينا محمدٌ ﷺ لا يملِك لنفسه النفع والضَرّ، فكيف يَملِكه لغيره! أوْ كيف يَملكُه غيرُه؟!

أرشد الله تعالى عبدَه ورسولَه نبيَّنا محمدًا ﷺ أنْ يقول: إنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقال: ﴿ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﴾ [يونس: ٤٩]. ومفهوم الآيتين أنّه ﷺ لا يملك لغيره ذلك مِن باب أولى وأحرى. وقد أمرَه سبحانه أنْ يُصرِّح بذلك المفهوم المنفي في قوله: ﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﴾ [الجن:21-٢٢] الآيات.

وقد ذكر النبيُّ ﷺ أخصّ أقربائه، وبيّن لهم أنه لا يملك لهم من الله شيئًا، ولا يُغنِي عنهم مِن عذابِه فتيلا؛ فكيف يُغنِي عمَّن هم أبْعَدُ بِهِ منهم نسَبًا!، فـعن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﴾

[الشعراء: ٢١٤]. قَالَ: " **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .. اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا** " متفق عليه[1]، وفي رواية لعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما: " **لاَ أَمْلِكُ ... مِنَ اللَّهِ شَيْئًا** »[2].

وخطب الصحابة ﷺ مرّةً، وحذّرهم هم ومَن يأتي بعدَهم إلى قيام الساعة، وذكَر لهم هذا المعنى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: « قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: " **لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ[3] يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي؛ فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ[1]؛ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي؛ فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ[1]؛ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي؛ فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ**

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، ورقمه: 2753، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ، ورقمه: 206.

2 (?) رواية أبي هريرة في صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، ورقمها: 3527، وهي في عمته وبنته رضي الله عنهما، وبلفظ: " **لا أملك لكما من الله شيئًا، سلاني من مالي ما شئتما** "، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ، ورقمها: 204، وهي بلفظ: " **يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا** "، ورواية عائشة: في صحيح مسلم: الكتاب نفسه، ولفظها: " **لا أملك لكم من الله شيئًا** "، ورقمه: 205.

3 (?) (1)(1)(1)(1) « **الرغاء**: بالمد صوت البعير، وكذا المذكورات بعد وصف كلّ شيءٍ بصوته » قاله النووي، (ص1187 من المنهاج بشرح صحيح مسلم ابن الحجاج، وانظر: فتح الباري، ج2/2340).

أَبْلَغْتُكَ، لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ(1) فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي؛ فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ[1] **تَخْفِقُ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي؛ فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ**[2] **فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي؛ فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ** »، متفق عليه، وهذا لفظ مسلم[3]، وفي رواية: " **فأقول: إني لا أغني عنك شيئًا إنِّي قد بلَّغْت** ".

وهذا ليس فيه مأخذ لنُفاة شفاعة النبي لأهل الكبائر، بل إنما قاله أولاً غضبًا على أهل المخالفة، ثم يشفع في جميع الموحّدين بعد ذلك، كما في أحاديث شفاعته [4].

بل وجميع المعبودين -دون الله- لا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم النفع والضرّ، ولا المنع والإعطاء إلا ما شاء الله تعالى، فقد أمر الله عيسى أن يقول لبني إسرائيل موبِّخًا إياهم عبادتهم غيرَه : ﭽ ... ﭼ [المائدة: ٧٦]. وذكر الله حقيقة أولئك المعبودين غيرَه –كائنًا مَا كان- بما يكون ذكره رادعًا وزاجرًا عن عبادتهم دونه، فقال: ﭽ ... ﭼ [الأعراف: 191-١٩٨]. وقال في عِجل قوم موسى :ﭽ ...

---

[1] (?) **الرقاع**، المراد به: الثياب، وقيل هو ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقاع. ومعنى رقاعٌ تخفق: تتقعقع وتضطرب إذا حركتها الرياح، وقيل: تلمع (انظر: فتح الباري لابن حجر، ج2/2340).

[2] (?) **الصامت**: الذهب والفضة. قاله النووي، المصدر نفسه، (وانظر: فتح الباري لابن حجر، ج2/2340).

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الغلول، ورقمه: 3073، وصحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب غِلَظ تحريم الغلول، ورقمه: 1831.

[4] (?) انظر: المنهاج لنووي، المصدر نفسه.

ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [طه:88-٨٩] .

فالله تعالى هو خالق الضرّ والنفع، وبيده ذلك، فلا تطلبه مِن غيره كائنًا ما كان[1].

وهذه المسألة ردٌّ على مزاعم الصوفية المتقدمة، وخصوصًا في مسألة: زعم بعض الصوفية أنّ عبد الله ورسوله محمدًا ﷺ يُعطي ويمنع، وينفع ويضر، وبالأخص قول النبهاني في كتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق –سابق الذكر.

** * **

المسألة الثانية: الأمر الكونِيُّ؛ ومنه: الهداية والإضلال من خصائص الله وحده، وهي منفيـة عن عبد رسوله نبينا محمدٍ ﷺ، وعن غيره بالأحرى:

نفى الله ﷻ عن عبـده ﷺ أنْ يكون له شيءٌ مِن تصريف الخلق، كالهداية والإضلال، والإعزاز والإذلال، كما أنّه ليس له شيءٌ مِن الأمر، بل هو مبلِّغٌ عن صاحب الخلق والأمر، وما جاء في قصة أُحُد المشهورة يُوضّح ذلك؛ فعَن أَنَسٍ ﭬ، قال: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ؛ فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﻷ: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ [آل عمران: ١٢٨][2]. وقد قال الله تعالى في بيان اختصاصه سبحانه بـذلك: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ [آل عمران: ١٥٤]. وقال: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [الأعراف: ٥٤].

وبعد، فأقول: قد تنوّعت دلالاتُ النصوص في بيان اختصاص الله -وحده لا شريك له- بالهداية والإضلال؛ فلا يستقلّ به أو يشارك اللهَ فيـه أقربُ الخلق إليه، مِن

---

[1] انظر كلامًا جميلا في هذا الباب، عند ابن تيمية في الاستغاثة، ص 237-246.

[2] صحيح البخاري معلَّقًا: كتاب المغازي، بَاب ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ قبل حديث رقم: 4069، وصحيح مسلم موصولا: كتاب الجهاد والسير، بَاب غَزْوَةِ أُحُدٍ، ورقمه: 1791، واللفظ لمسلمٍ.

أنبيائه ورُسُلـه عليهم الصلاة والسلام، والصالحين، **فمِن تلك الدلالات:**

أولا: النصوص التي فيها بيان اختصاص الله وحده بالهداية والإضلال[1]، وهي على أربعة أنواع:

النوع الأول: النصوص التي فيها أنّ الله وحده يهدي مَن يريد، ويضل مَن يشاء:

قال تعالى: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﯗ ﭼ [الأنعام: ٨٨]. وقال: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ [الأنعام:106-١٠٧]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [الأنعام: ١١١5]. وقال: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [الرعد: ٢٧]. وقال: ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [النحل: ٣٦]. وقال: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ [النحل: ٩٣]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [الحج: ١٦]. وقال: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ [النور: ٣٥]. وقال: ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [النور: ٤٦]. وقال: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ [فاطر: ٨]. وقال: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [الزمر: ٢٣]. وقال: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ [المدثر: ٣١].

النوع الثاني: نصوص فيها أنّه لا يكون لنفسٍ إيمانٌ ولا كفرٌ إلا بإذن الله الكوني، فلنْ يُطاع إلا بإذنه سبحانه، كما أنه لن يعصى إلا بعلمه: قال سبحانه: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [يونس: ١٠٠].

النوع الثالث: نصوص فيها أنّ الله لو شاء لهدى الناس جميعًا، ولجعلهم دينًا واحدًا؛ إذ الهداية بيده وحده: قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ [المائدة: ٤٨]. وقال: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [الأنعام: ١٤٩]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [هود: ١١٨]. وقال: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [الرعد: ٣١]. وقال: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ [النحل: ٩]. وقال: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ [النحل: ٩٣]. وقال: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [السجدة: ١٣]. وقال: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [الشورى: ٨].

وفي الحديث القدسي: عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: « **يَا عِبَادِي! إِنِّي**

---

[1] انظر عن طائفة كبيرة منها في/ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، ص178-180.

حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلا تَظَالَمُوا! يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ .. الحديث[1].

النوع الرابع: النصوص التي فيها بيانُ أنّ مَن لم يجعل الله له نورًا فلا نور له:

قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [النور: ٤٠]

ثانيًا: النصوص التي فيها أنَّ جميع الخلق بما فيهم الأنبياء والرسل –عليهم السلام-، وبما فيهم رسولُنا ﷺ، والجن وبقية الإنس، لا يستطيعون هداية مَن أضله الله، ولا إضلال مَن هدى الله:

قال الله تبارك وتعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [النساء: ٨٨]. وقال: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [الأعراف: ١٨٦]. وقال: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭼ [الرعد: ٣٣]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [الإسراء: ٩٧]. و: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [الكهف: ١٧]. وقال: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ [الروم: ٢٩]. وقال: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [الزمر: ٢٣]. وقال: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الزمر:36-٣٧]. وقال: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ [غافر: ٣٣]. وقال: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ [الشورى: ٤٤]. وقال: ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [الشورى: ٤٦]. بل الرسل -عليهم الصلاة والسلام- أنفسُهم عليهم ليس عليهم إلا البيانِ والبلاغ، والعزيز الحكيم هو الهادي: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [إبراهيم: ٤].

ثالثًا: النصوص التي فيها أنّ الهداية ليستْ بيد خاتم الأنبياء والمرسلين؛ العبدِ الرسولِ محمدٍ ﷺ خاصة، وهي على خمسة أنواع:

النوع الأول: النصوص التي فيها بيانُ أنّ العبد الرسول محمدًا ﷺ لا يستطيع هداية مَن أحبّ؛ لأنّ ذلك ليس إليه، ولا عليه: **فعبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ وغيرُه** -لما تقدم ولِمَا سيأتي- **لا يَملك هداية قلوب الكفار، ومَن أراد الله فِتنتَه**؛ وقد جاء هذا المعنى

---

[1] صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، ورقمه: 2577 .

في آيات كثيرة، من أوضحِها وأصرحِها: قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ [البقرة: ٢٧٢]. وقوله: ﭽ ... ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ... ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ... ﭼ [المائدة: ٤١]. وقوله: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [القصص: 56].

وقد أورد البخاري حديث مراجعة وعرض النبي الشفوق ﷺ على عمّه أبي طالب كلمة التوحيد لمّا حضرته الوفاة في عدة أبواب من عدة كتب، ومن الأبواب التي عقدها للحديث: بَاب إِذَا قَالَ الْمُشْرِكُ عِنْدَ الْمَوْتِ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، مِن كتاب الجنائز[1]، وبَاب قَوْلِهِ: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [التوبة: ١١٣] مِن كتاب التفسير[2]، وبَاب قَوْلِهِ ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ . من الكتاب نفسه[3]. وأورد تحته القصة والرواية بأتمها، وهي:

أنّه قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: " **أَيْ عَمِّ! قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ** " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ -آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ. قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ** " فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [التوبة: ١١٣]. وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ ، وغير ذلك من الأبواب.

وأما مسلم فقد أوردَه فيما تُرجم له بباب الدليل على صحة إسلام مَن حضره الموتُ ما لم يشرع في النَّزْع -وهو الغَرْغَرَة- ونسخ جواز الاستغفار للمشركين، والدليل على أنّ مَن مات على الشرك فهو في أصحاب

---

1 (?) صحيح البخاري: ورقمه: 1360 .
2 (?) صحيح البخاري: ورقمه: 4675 .
3 (?) صحيح البخاري: ورقمه: 4772 .

الجحيم؛ ولا يُنقِذه من ذلك شيءٌ من الوسائل، من كتاب الإيمان[1].

و**معلومٌ** أنّه لا تعارض بين آية القصص الأخيرة والتي نُفي عن النبي هداية مَن أحبّ؛ كعمّه أبي طالب، وبين قوله تعالى: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ [الشورى: ٥٢]. والتي فيها إثبات أنّه يَهدي إلى ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ [الشورى: ٥٣]؛ وذلك لأنّ العلماء -رحمهم الله- بيّنوا: « أنّ الهدى المنفي عنه في قوله تعالى هنا: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ ، هو هدى التوفيق؛ لأن التوفيق بيد اللّه وحده، وأن الهدى المثبت له في قوله تعالى: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ هو هدى الدلالة على الحق والإرشاد إليه »[2].

وقد عقد الآجري –رحمه الله- في كتابه (الشريعة) بابًا لبيان هذا المعنى، فقال: « باب ذكر ما أخبر الله أنه يُضِلّ مَن يشاء، ويَهدِي مَن يشاء، وأنّ الأنبياء لا يهدون إلا مَن سبَق في عِلم الله أنه يهديه » وأورد تحته قريبًا من ثلاثين آية[3]، تـتوزّع في الأضرُب السابقة واللاحقة. كلّها تبيِّن أنّ الهداية والإضلال مِن خصائص الله، وأنّه لا يهتدي إلا مَن أراد الله له ذلك، ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ [النور: ٤٠]. وقد خَتَم هذه الآيات بقوله: « اعلموا -يا معشر المسلمين- أنَّ مولاكم الكريم يُخبِركم: أنَّه يهدي مَـن يشاء؛ فيوصل إلى قلبه مَحبة الإيمان، فيؤمن ويُصدِّق. ويُضِلّ مَن يشاء فلا يقدِرُ نبِـيٌّ ولا غيرُه على هدايته بعد أنْ أضـلّه الله عن الإيمان »[4] .

---

1 ( ) صحيح مسلم: ورقمه: 24 .

2 ( ) قاله صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج6/ 505).

3 ( ) وما أجمَل العقيدة المتلقاة عن الوحي! واقرأ الأبواب التي بعد الباب السابق من كتاب الآجري، ومنها: ما أورَد تحت « باب ذكر ما أخبر الله أنّ مشيئة الخلق تَبَعٌ لمشيئته سبحانه وتعالى، فمَن شاء الله له أن يهتدي اهتدى، ومَن شاء لم يهتدِ أبداً » (ص147-154) لتقف على هذه الحقيقة التي اختصّ بها أهل السنة. والحمد لله على ذلك!

4 ( ) انظر: كتاب الشريعة للآجري، ص 144-145، بتحقيق عصام موسى هادي.

النوع الثاني: النصوص التي فيها أنه لا يهتدي مَن كتب الله عليه الشقاوة، ولو حرص عبدُ الله ورسولُه وغيرُه هدايـته: قال الله تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ إلى قوله: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [الأنعام:35-٣٩]. وقال: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [النحل: ٣٧].

النوع الثالث: النصوص التي فيها بيان أنّ العبد الرسول ليس على الناس بمسيطر، ولا يُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين، إنما الأمر بيد الله وهو يحكم فيهم بعدله وفضله سبحانه: قال الله تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ [يونس:99-١٠٠]. وقال: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ [ق: ٤٥]. وقال: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [الغاشية:21-٢٢].

النوع الرابع: النصوص التي فيها بيان أنّ مَن أضلَّه الله وأصلاه جهنم لا يستطيع العبد الرسول محمدٌ ولا غيـرُه –كائنًا ما كان- إنقاذَه: قال الله تعالى: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ [النمل:80-٨١][1] . وقال: ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [فاطر: ٢٢]. وقال: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [الزمر:18-١٩].

النوع الخامس: النصوص التي فيها أنّ العبد الرسول محمدًا وغيرَه مِن المنذرين يهدون الناس ويرشدونهم إلى صراط مستقيم، أما التوفيق فـبيد الله تعالى وحده: قال سبحانه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ [الشورى:52-٥٣].

وقد مرَّ وجه الجمع بين هذه الآية وآية القصص وأمثالها. وبمثل ذلك قال جميع المفسّرين المعتبَرين. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله- في تفسير آية القصص: « يُخبر تعالى أنك يا محمد! -وغيرك من باب أولى- لا تقدِر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس

[1] (?) انظر تفسير الآيتين في أضواء البيان للشنقيطي، (ج6/ ص460-4).

إليك، فإن هذا أمرٌ غير مقدور للخلق؛ هدايةٌ للتوفيق، وخلقُ الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد اللّه سبحانه تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله. وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: ﭽﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭼ فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويُرَغِّب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا! ولهذا، لو كان قادرًا عليها، لهدى من وصل إليه إحسانُه، ونصرَه ومنَـعَه من قومه، عمَّه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم مما فعله معه عمُّه، ولكن الهداية بيد اللّه تعالى »[1].

فالدلالات العظيمة المتقدمة كلّها تدل صريحًا على اختصاص الله وحده بتصريف القلوب وتثبيتها، فهو مقلِّبها، وأنه لا يشاركه في ذلك أحدٌ مِن خلقه، فلا الرسل ولا الملائكة ولا غيرهم –مِن باب أولى- يستطيع هداية أحدٍ، خلافًا لِما عليه الغلاة مِن وصف عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ وغيره من شيوخهم بهذه الخصيصة، وقد سبق ذكر بعض النقول عنهم وردها. والله الهادي!

** * **

المسألة الثالثة: الشفاعة خصيصة من خصائص الله،
ولا تُطلب مِن عبده ورسولـه نبينا محمدٍ ﷺ [2]:

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص620.

[2] للاستزادة من كلام العلماء في مسألة شفاعة الشافعين المثبتة والمنفية عمومًا، وشفاعة نبينا ﷺ خصوصًا، يُنظر: كتاب الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين فيها، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، وكتاب الشفاعة عند المثبتين والنافين –دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة- للدكتوراه عفاف بنت حمد الونيس، وباب الشفاعة من كتاب التوحيد وشروحات العلماء له (وهي: تيسير العزيز الحميد، ص518-526، وتهذيبه في فتح المجيد، ص471-475، وقرة عيون الموحدين، ص162-164، والقول المفيد، ج2/ ص228-239، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص462-466، مع كتاب معارج القبول، ص367-368، وملخصه: أعلام السنة المنشورة، ص

مِن جملة الأمور التي لا يملكها غيرُ الله كائنًا مَا كـان، سـواء في ذلك نبيُّنا محمد أم غـيرُه من الأنبيـاء والمرسـلين، وكـذا الملائكة المقرَّبـون، ومَن دونهم مِن الإنس والجنّ إلا بـإذن مِن الله الـرحمن الـرحيم، إنّ من جملة ذلك: الشفاعة؛ قال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﭼ [البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ [سبأ: ٢٣]. وقال جلّ شأنُه: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ [الزمر:43-٤٤].

وَلَمّا كانت الشفاعة ملكًا لله تعالى، وليس لغيره ملكُها كائنًا مَا كان، وكان طلبُها ورجاؤها مِن غيره سبحانه شركًا -كما في قاعدة ديننا المقرَّرة[1]-.

هذا، وفي آيتي سورة السبأ المتقدمة نفي لكل من الملك والشراكة والمعاونة والشفاعة، وهذه الأمور الأربعة هي الـتي يمكن أن يـدعيها الـذين يَـدعُون غـير الله لمن يـدعونهم، فـإذا لم تكن ولا واحـدة منها فلا يصح عقلاً أن يوجه السؤال لمن لا يتصف بواحدة منها فكفى بهـذه الآية نـورًا وبرهانًـا ونجـاةً وتجريدًا للتوحيد، وقطعًـا لأصـول الشرك ومواده لمن عقلها.

ولا يجوز أن يقال: بأنّ نبيَّنا محمدًا أعطيَ الشفاعة، كما في حـديث: " وأعطيت الشـفاعة" الآتي ذكره؛ فصارت بذلك ملكًا له يتصـرف فيهـا قبل الإذن، ولكلِّ أحد –وسـيأتي الـرد على المتشـبِّث بذلك عند مناقشته-.

وطلب الشـفاعة عنـد اللـه الملِـك ليس كطلب الشفاعة المعهودة عند الملوك، حيث يشفع عندهم بإذنهم أو بغيره الذين يرجـونهم أو يخـافونهم كأبنـائهم وزوجـاتهم

52-54 كلاهما للحكمي، وكتاب هذه مفاهيمنا للشيخ صالح آل الشيخ، ص127-164).

[1] انظر هذه القاعدة في: كتاب القواعد في توحيد العبادة، وما يضّاده مِن الشرك عند أهل السنة والجماعة، للدكتور محمد بن عبد الله بن علي بن عبد القادر، ص806 وما بعدها. (الرسالة غير منشورة -فيما أعلم-).

وإخـوانهم وأعـوانهم ونُظـرائهم وغـيرهم فيجيبـونَهم بِحبٍّ منهم، أو كارهين [1].

قـال الشـيخ المقبل الـوادعي في مقدمة كتابه الشفاعة بعدما ذكر المنكرين لبعض مقامـات الشـفاعات، والجهلة من الصوفية والشـيعة الـذين يظنـون أنّ لرسـول الله وللصـالحين أن يـدخلوا الجنة من شـاءوا، ويخرجـوا من النــار من شــاءوا، والــذين يظنــون أنّ لهم التصــرف المطلق في الـدنيا، قـال: « والحـقّ وسط أنّ الرسـول والصـالحين سيشـفعون في الآخـرة لكن بشـروط سـتأتي في الجمع بين الآيـات المثبتة للشّـفاعة والآيـات النّافيـة، وهكـــذا لهم في حيـــاتهم أن يشـــفعوا عند الله لكن فيما يقدرون عليـه، وقد شـفع النـبي للمشـركين عند الله أن يسقوا كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود »[2] .

وقد جعل الله لحصول الشفاعة الأخروية شرطين؛ لا تحصل بدونهما[3]:

الأول: إذن الله للشافع وإكرامه له بها: واعتبر هذا الشـرط في أفضـل الخلـق، والـذي هـو أول شـافعٍ، وأوّل مشفَّع يوم القيامة (نبيُّنـا محمـدٌ)، فهـو إذا مـا جـاء يـوم القيامـة مسـتأذنًا ربَّه شـفاعتَه للأمـة -الشـفاعة العظمى- يَخِرُّ لله ساجِدًا؛ فيُعطى مِن محامدِ الله ما لم يحصِهِ وهــو في الـدنيا، ثم يقـال لـه: **ارفع -أي: يـا محمـد- وقـل يُسمع، وسل تعطَه، واشفع تُشـفَّع**[4]. وهـذا بعـدما يرُدُّهـا آدم وبقيـة أولي العـزم مِن الرسـل. وهـو المقـام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون.

---

[1] (?) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ص212-213، ط / الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، بتحقيق أحمد محمد شاكر، وكتاب: هذه مفاهيمنا للشيخ صالح آل الشيخ، ص 129.

[2] (?) الشفاعة للوادعي، ص9.

[3] (?) انظر: كتاب الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين فيها، للدكتور ناصر الجديع، ص71-84، وكتاب الشفاعة عند المثبتين والنافين للدكتور عفاف الونيس، 376-386.

[4] (?) قد سبق هذا في حديث الشفاعة الطويل، وهو مخرج في الصحيحين.

وهذه هي أولى شفاعاته، فإذا أذِن الله له شفع عدة شفاعات بعدها، كما ستأتي.

وثاني شرطَي نفع الشفاعة: رضا الله للمشفوع له ولعمَلِه وقوله القلبي واللساني، ولا يرضى إلا بالمسلم، قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [غافر: ١٨]. واعتبر هذا الشرط بالذين شفَع فيهم نبيُّنا محمدٌ ﷺ وغيره مِن الأنبياء عليهم السلام ومع ذلك لم تقبل شفاعتهم، أو الذين لو شُفع فيهم ما قبِل الله ذلك كالمنافقين.

والله ﷻ لا يرضى بالشرك والظلم الأكبرَين، وكذلك أهله المتخذين غير الله شفعاء، الراجين الشفاعة والطالبين لها مِن غيره سبحانه، قال تعالى: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [الزمر: ٧]. وقال: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ [الأنبياء: ٢٨]. وكذلك لمَّا لم يرضَ الله قول وعملَ أبي طالبٍ عمِّ النبيِّ ﷺ لم تنفعه شفاعته بالإخراج من النار، بل بالتخفيف، فقد روى مسلم - باب شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لأَبِي طَالِبٍ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ بِسَبَبِهِ- عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﭬ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَك، قَالَ: **« نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ »**[1]. وفي لفظ: إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: **« نَعَمْ وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ ».**

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﭬ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ؛ فَقَالَ: « **لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ »**[2].

وكذلك ما جاء في شأن أمّ النبيّ ﷺ مع أنّها من أقرب القريب، إلا أنّ الله لم يأذن له أن يستغفر لها، فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﭬ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ؛ فَقَالَ: « **اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ**

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، رقم: 209.

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، رقم: 210.

لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ »[1] .

وروى مسلم -باب بَيَانِ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَلاَ تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ وَلاَ تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِين- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: « **فِي النَّارِ** ». فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: « **إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ** »[2].

والمنافقون في عهده –وبعدَه- لا يرضى الله قولهم، لما قد قام معهم مانعُ قبول الشفاعة فيهم، ألا وهو الكفر، بل لو استغفر لهم النبي مائة مرة فإنه لن يغفر الله لهم، كما في سياق آيات سورة التوبة[3].

فبهذه النصوص وغيرها ظهر جليًّا أنّ الكفار والمنافقين والمشركين، ومنهم وعلى رأسهم الذين يعبدون أصحاب القبور لا يُشفَع فيهم! ولا هم شافعون!!.

بل الذين يرضى الله عنهم هم أهل: لا إله إلا الله، المخلِصون له الدين، ودليل ذلك قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ [مريم: ٨٧].

وعن ابن عباس في تفسير (العهد)، قال: « الْعَهْدُ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيَتَبَرَّأُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَلاَ يَرْجُو إِلاَّ اللَّهَ »[4].

وقوله : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ [الزخرف: ٨٦].قال مجاهد رحمه الله:«كلمة الإخلاص،وهم يعلمون أن الله حقّ»[5].

وقال ابن جرير -رحمه الله-: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَعْبُدُهُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ لأَحَدٍ ، إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ، وَشَهَادَتُهُ

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ رَبَّهُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، رقم: 976 .

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، رقم: 203 .

3 (?) سورة التوبة، 75-80 .

4 (?) جامع البيان للطبري، (ج15/ص633).

5 (?) جامع البيان للطبري، (ج20/ص661).

بِالْحَقِّ: هُـوَ إِقْـرَارُهُ بِتَوْحِيـدِ اللَّهِ، يَعْنِي بِـذَلِكَ: إِلاَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ تَوْحِيدِهِ »[1].

ويشهد لِهذا المعنى الذي جاء في هاتين الآيتين ما جاء فيما يأتي من الأحاديث:

الحديث الأول: عن أبي هريرة ، أَنَّهُ قَالَ، قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ مَنْ أَسْـعَدُ النَّاسِ بِشَـفَاعَتِكَ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ؟ فَقَالَ: " -**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَـدٌ أَوَّلُ مِنْـكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِـكَ عَلَى الْحَـدِيثِ- أَسْـعَدُ النَّاسِ بِشَـفَاعَتِي يَـوْمَ الْقِيَامَةِ؛ مَنْ قَالَ: لا إِلَـهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًـا مِنْ قِبَـلِ نَفْسِهِ** " رواه البخاري[2]. وجـاء في روايـات الحـديث عند أحمد والحـاكم[3]: " **وَشَـفَاعَتِي لِمَنْ شَـهِدَ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا اللَّهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَـانُهُ قَلْبَـهُ** ".

الحديث الثاني: وعنه أيضًا مرفوعًا، قال: " **إنَّ لكل نبيٍّ دعـوة مسـتجابة، وإني اختبـأتُ دعـوتي شفاعةً لأمتي، فهي نائلةٌ مَن مات منهم** -إن شـاء الله- **لا يُشرك بالله شيئًا** " رواه مسـلم في الصـحيح، والترمـذي وابن ماجه وأحمد[4]. وقد روى البخـاري أصـلَ الحديث دون الشاهد منه هنا[5].

---

[1] المصدر نفسه، (ج20/ص662).

[2] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم: 99، وكتاب الرقاق، بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم: 6570 .

[3] مسند أبي هريرة مِن مسند الإمام أحمد، رقم: 8070،و 10713،والمستدرك: كتاب الإيمان، رقم: 233

[4] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته، رقم: 199.
وجامع الترمذي: كتاب الدعوات، باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله، رقم: 3602، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم: 4307، ومسند أبي هريرة من مسند الإمام أحمد: رقم: 9500، وقال أبو عيسى الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح » وصححه الشيخ الألباني والأرناؤوط .

[5] صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، رقم: 6304، وكتاب التوحيد، بابٌ في المشيئة والإرادة، رقم: 7474.

الحديث الثالث: عن عوف بن مالك الأشجعي قال، قال رسول الله : " **أتاني آتٍ من عند ربي فخيَّرنِي بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة؛ فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا** " رواه الترمذي وغيره[1].

واقرأ –إنْ شئتَ- ما أورده الآجري –رحمه الله- في شريعته وضمّنَه هذه الأبواب « ما روي أنّ الشفاعة لِمَن لم يشرك بالله شيئًا » و« باب ذكر قول النبي : (لكلّ نبيٍّ دعوة يدعو بها، وخبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي »، و« باب ذكر قول النبي : " إنّ الله خيّرنِي بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، أو الشفاعة »[2].

وإذا كان أهل التوحيد أنفسهم لا تحصل لهم هذه الشفاعة إلا بعد إذن الله للشفعاء، فإنّ الواقع في الشرك الأكبر غير التائب منه حتى الممات، الذي عبَدَ المشايخ والأنبياء والصالحين وغيرَهم ليس له من الشفاعة نصيب أصلا. والله تعالى المستعان!

ودليل الشرطين في القرآن على الاجتماع في الآية الواحدة قوله تعالى: ﴿ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﴾ [طه: ١٠٩]. وقوله: ﴿ ... ﴾ [النجم: ٢٦].

فاللهم فشفِّع فينا نبيَّك يا أكرم الأكرمين.

هذا، وقد أشرتُ سابقًا إلى أنّ لنبينا محمدٍ عدة شفاعات تخصه، وهنا موضع ذكرها[3]:

---

[1] أورده الترمذي في جامعه: في باب منه (بدون: ترجمة)، وقبلها: باب ما جاء في الشفاعة، رقم: 2441، وابن حبان: كتاب التاريخ، باب الحوض والشفاعة، -ذكر تخيير الله جل وعلا صفيه بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمته الجنة-، 6470، وجاء الحديث عند أحمد –وله قصة-، وهو في مسند "عوف الأشجعي " رقم: 24002. وقد صحح الحديث الشيخان الألباني والأرناؤوط –رحمهما الله-.

[2] كتاب الشريعة، (من: ص340-344)، بتحقيق: محمد حامد الفقي.

[3] انظر: كتاب الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين فيها، للجديع، ص39-61، وكتاب الشفاعة عند المثبتين والنافين لعفاف الونيس، ص389-411.

الشفاعة رسول الله الأولى: هي الشفاعة العظمى، وقد تقدم ذكرها بدليلها.

شفاعته الثانية: باستفتاح باب الجنة: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا** "[1]. وبلفظ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ** "[2].

وعنه قال: قَالَ النَّبِيُّ : " **أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ؛ لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلا رَجُلٌ وَاحِدٌ** "[3].

شفاعته الثالثة: في أهل الكبائر الذين استحقوا واستوجبوا دخول النار أنْ لا يدخلوها[4]:

وهؤلاء -والنوع الذي بعده- هم عصاة الموحدين، الذين ماتوا دون أنْ يتوبوا من الكبائر فاستحقوا بذلك النار. ويمكن الاستدلال له بعموم حديث شفاعته مخبأة لكلِّ مسلم الآتي، وهؤلاء من جملة المسلمين، فعن عَوْف بْنَ مَالِكٍ الأَشْجَعِيّ ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَتَدْرُونَ مَا خَيَّرَنِي رَبِّيَ اللَّيْلَةَ؟** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: " **فَإِنَّهُ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ** " قُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا! قَالَ: "

---

1 صحيح مسلم: بَاب فِي قَوْلِ النَّبِيِّ : "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا، ورقمه: 196.

2 صحيح مسلم: المصدر نفسه، ذكره على إثر الذي قبله، (فهو على نفس الرقم).

3 صحيح مسلم: المصدر نفسه، ذكره على إثر الذي قبله، (فهو على نفس الرقم).

4 هذا النوع ذكر العلامة ابنُ القيم أنه لم يظفر فيه بِنَصٍّ يدل عليه (قاله في تعليقه على سنن أبي داود).

هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ " وهذا لفظ ابن ماجه، وعند الترمـذي: " **وهي لِمَن ماتَ لا يشرك بالله شيئًا** "[1].

وهؤلاء المذكورون من أهل الكبائر مسلمون، وقد ماتوا لا يشركون بالله شيئًا.

كما يمكن أنْ يستدل له بحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ قَـالَ: " شَـفَاعَتِي لأَهْـلِ الْكَبَـائِرِ مِنْ أُمَّتِي "[2]. وله شاهدٌ من حديث جَابِرِ بن عبد الله، مرفوعًا بلفظه[3].

ووجه الاستدلال به هو كون لقب (أهل الكبائر) شاملا للذين دخلوا النـار والـذين لم يـدخلوها بعـدُ فتنفعهم هـذه الشفاعة.

وليس في الحديث حصرُ شفاعته في أهل الكبائر، بل غايته أن يكون هـذا الحـديث تفسـيرًا لحـديث لكلِ نبِيٍّ دعـوة مسـتجابة، .. وإني اختبـأتُ دعـوتي شـفاعة لأمـتي ..الحديث. ولَعَلَّ الإِضَافَة التي في قوله (شفاعتي) بِمَعْنَى " أَلْ " الَّتِي لِلْعَهْـدِ، وَالتَّقْـدِير الشَّـفَاعَة الَّتِي أَعْطَانِيهَا اللَّه تَعَـالَى، بإجابته لي قطعًـا، وَوَعَـدَنِي بِهَا لأُمَّتِي فادَّخَرْتُهَـا، تكـون لأهل الكبـائر المتلـوثين المـذنبين الخطـائين منهم لحاجتهم الشديدة إليها، ولانتفاعهم الأزيـد، فتكـون للـذِينَ اِسْـتَوْجَبُوا النَّار بِـذُنُوبِهِمْ الْكَبَـائِر فَلا يَـدْخُلُونَ بِهَا النَّار، ويُخْرَج بِهَا مَنْ أَدْخَلْته كَبَائِر ذُنُوبه النَّار مِمَّنْ قَالَ: لا إِلَه إِلا اللَّه مُحَمَّد رَسُـول اللَّه. وبهـذا فيُسـتدل بالحـديث على نوعين من شفاعته ، والثاني منهما: **شـفاعته للـذين دخلوا النـار فيخرجـون منها بها**، وهما اسـتدلالان لا خفاء فيهما[4].

---

1 (?) جامع الترمذي: الكتاب والباب، رقم: 2441، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الشفاعة، رقم: 4317، صححه الألباني والأرناؤوط.

2 (?) سنن أبي داود: كتاب السنة، بَاب فِي الشَّفَاعَةِ، رقم: 4739، وجامع الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، بَاب مِنْهُ (وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ) رقم:2435، قال الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

3 (?) جامع الترمذي: الكتاب والباب، رقم: 2436، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد، بَاب ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ، رقم: 4310، وقد حسنه الترمذي، وهو صحيح بالذي قبله الشاهد له.

4 (?) انظر: عون المعبود، ص2058، وتحفة الأحوذي (ج2/ ص1909).

شفاعته الرابعة: في الذين دخلوا النار من أهل الكبائر أنْ يخرجوا منها: والأدلة على هذا النوع واضحة وصريحة بخلاف الذي قبله، فعَن عِمْرَان بْن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: " **يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ** "[1].

وقد تقدم قول النبي في حديث الشفاعة الطويل بعد ما يقال له: (ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ! وَتَكَلَّمْ يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ): " **فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي! فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ الإِيمَانِ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَأَذْهَبُ فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ أَدْخَلْتُهُمْ الْجَنَّةَ. وَفَرَغَ اللَّهُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ، وَأَدْخَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي النَّارَ مَعَ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ أَهْلُ النَّارِ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ ؛ لا تُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ : فَبِعِزَّتِي! لأُعْتِقَنَّهُمْ مِنْ النَّارِ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ فَيَخْرُجُونَ وَقَدْ امْتَحَشُوا، فَيَدْخُلُونَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِيهِ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ. وَيُكْتَبُ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ فَيُذْهَبُ بِهِمْ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَلْ هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ الْجَبَّارِ** "[2].

ومن شواهدهما (هذا النوع والنوع قبله، اللذان أنكر حصولهما الخوارجُ والمعتزلةُ) ما جاء في صحيح مسلم من حديث العصابة التي شغفتهم رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ فخرجوا إلى الحج ومرّوا على الْمَدِينَةِ؛ فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ -جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ. ..الحديث المتقدم في

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم: 6566.

2 (?) الحديث في الصحيحين وقد سبق تخريجه.

فصل الخــوارج، وفيه أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُــونَ مِنْ النَّارِ بَعْــدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا بشفاعته [1].

هذا، وللأحاديث شواهد عامة في شفاعته وغيره من الشــافعين في أصـحاب الكبـائر (هـؤلاء)، حـتى بلغت هذه الأحاديث مبلغ التواتر[2]، لا جعلنا الله منهم.

شفاعته الخامسة: في تخفيف العذاب عن عمــه خاصــة، وهــو تخصــيص لقولــه تعــالى في الكفار: ﭽ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ﭼ [فاطر: ٣٦].

وعَـنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: " **لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ** " [3].

وبعد، فأعود وأقول: تقـدم أنّ الشـفاعة للـه جميعًا، وأنّه يأذن لبعض عبيده مثل نبينا محمد فيشــفعوا فيمَن رضـي اللــه قـولهم، فهـو سـبحانه المسـئول وحـده عنها. أما سـؤال نبِيّنـا أو غـيره هـذا الشـيءَ (الشـفاعة) والذي لا يملكه إلا الله وحـده، فمِن الشـرك باللــه غـيرَه به، الواقع فيه كثير مِن الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام، ولقد تقدم شيءٌ مِن أقوالهم وردّها.

فتقرر بما تقدم أنّ الشفاعة ملكُ الله ومن خصائصه سبحانه وحده، وأنها لا تُطلب إلا منه فقط. كمـا أنّـه يـأذن لرسوله ولغيره ليشفعوا في طوائـف من النـاس الـذين رضي الله عنهم. والله تعالى أعلم.

*** ** ***

المسألة الرابعة: عبد الله ورسوله نبينا محمدٌ قاسمٌ، والله هو المعطي:

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الإيمان بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، على إثر حديث برقم: 191

[2] ذكر النووي هذا التواتر نقلا عن القاضي عياض (شرح النووي على صحيح مسلم، مصدرٌ سابق).

[3] صحيح البخاري: كتاب الرقاق، بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم: 6564، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبِيّ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، رقم: 210

النبي هو القاسم، والله المعطي؛ ولا مانع لِما أعطى الله، ولا معطي لِما منع، جاء هذا المعنى في حديثين لمغيرة ومعاوية؛ الأول: فيما كتب مغيرة لمعاوية رضي الله عنهما ما سمع من النبي مما كانَ يَقُولُه دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ؛ وكان يقول: **لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ** " [1].

والثاني: جاء في البخاري في حديث معاوية عن النبي أنّه قال: " ... **وَاللَّهُ الْمُعْطِي، وَأَنَا الْقَاسِمُ** ..."[2].

قال العلامة ابن القيّم في شرحه لكلام الهـرَوِي – رحمهما الله- وبيانه لمعنى هذه الأحاديث: « يعني: أنَّ الفقير هو الذي يُجرِّد رؤية المُلكِ لِمالكه الحق؛ فيرى نفسَه مملوكةً لله، لا يرى نفسه مالكًا بوجهٍ من الوجوه، ويرى أعمالَه مستحقة عليه بمقتضى كونه مملوكًا عبدًا مستعملا فيما أمرَه به سيُّده؛ فنفسه مملوكةٌ، وأعماله مستحقةٌ بموجب العبودية، فليس مالكا لنفسه، ولا لشيءٍ من ذراته، ولا لشيء من أعماله، بل كلُّ ذلك مملوكٌ عليه، مستحقٌّ عليه؛ كرجل اشترى عبدًا بخالص مالِه ثم علَّمه بعضَ الصنائع، فلما تعلَّمها قال له: اعمل وأدِّ إليَّ، فليس لك في نفسك ولا في كسبك شيءٌ، فلو حصل بيد هذا العبد من الأموال والأسباب ما حصل لم يرَ له فيها شيئًا، بل يراه كالوديعة في يده، وأنها أموال أستاذِه، وخزائنه، ونعَمُه بيد عبده، مستودعًا، متصرَّفًا فيها لسيِّده لا لنفسه، كما قال عبدُ الله ورسولُه وخيرتُه من خلقه: " **والله إني لا أعطي أحدًا، ولا أمنع أحدًا، وإنما أنا**

---

[1] صحيح البخاري: بَاب الدعاء بعد الصلاة،رقم: 6330،وكتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، رقم: 6473، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود، باب استحباب الذكر بعد الصلاة...رقم: 593.

[2] صحيح البخاري: وقد تقدم تخريجه في مبحث اختيار النبِيّ العبودية على الملك...

قاسم أضَعُ حيث أُمرتُ "[1] فهو متصرِّفٌ في تلك الخزائن بالأمرِ المحضِ تصرُّفَ العبدِ المحض الذي وظيفتُه تنفيذُ أوامر سيِّده، فالله هو المالك الحق. وكلّ ما بيد خلقِه هو مِن أمواله وأملاكه وخزائنه أفاضها عليهم ليمتحنهم في البذل والإمساك، وهل يكون ذلك منهم على شاهد العبودية لله ﷻ؛ فيبذل أحدُهم الشيءَ رغبةً في ثواب الله، ورهبةً من عقابه، وتقرُّبًا إليه، وطلَبًا لمرضاته...»[2].

وهذا فيه تمام الرد على القبورية الذين زعموا ويزعمون في معظميهم أنهم يعطون ويمنعون، وينفعون ويضرون بما لم يأذن به الله، بل تقدم من مقالاتهم أنّ تصريف هذا الكون موكلٌ إليهم لا إلى ربّهم. فمثل عقيدتهم هذه مثل عقيدة النصارى في زعم أنّ الله خلق الكون بواسطة ابنه عيسى. وكذبوا!

** * **

وبعد، فقد تقرر بالمسائل الأربعة المتقدمة أنّ أفعال الله تعالى لا يُشاركه فيها حتى أقربُ الخلق إليه؛ رسولنا محمدُ ﷺ ولا غيرُه من الأنبياء؛ فثبت أنْ ليس لهم من خصائص الربوبية شيءٌ، فكيف يكون لِمَن دونهم؟ وأما المطلب القادم فخصصتُه لبيان أنّ صفات الله وأسمائه أيضًا لا يماثله فيها حتى هؤلاء العظماء، وفيه أبلغ الردّ على القبورية من الصوفية وخصوصًا البريلوية الزاعمين بأنّ مُعظّميهم لا يخفى عليهم شيءٌ، فأقول:

**** *** ****

المطلب الثاني: ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات:

في هذا المطلب سأتكلم عن توحيد الله ﷻ في أسمائه وصفاته، وعدم مماثلة أحدٍ مِن مخلوقاته له في شيء من ذلك، ذلك جل وعلا تفرد بصفات الجلال والكمال، وبالأسماء الحسنى. فكما أنّه سبحان لا شريك له في أفعاله، فكذلك لا مثيل له في أسمائه وصفاته؛ قال

---

[1] سبق تخريج الحديث .

[2] طريق الهجرتين، لابن القيم، ص25-26، بتحقيق: أبي النضر محمد بن عبد الهادي، ط1/1428هـ.

الله تعالى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭼ [مريم: ٦٥]. وقال: ﭽﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭼ [الشورى: ١١]. وقال: ﭽﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭼ [الإخلاص: ٤].

وجماع هذه المسألة أنّ الله وحده –لكماله- لا يشاركه ولا يماثله أحدٌ مِن خلقه كائنًا مَا كان؛ فهو المحيط بكلّ شيء عِلمًا؛ الذي يرى دبيبَ النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظّلماء، ويَسَعُ سَمعُه الأصوات، كما يرى كلّ المُبصرات، ويعلم كل شيء، ويقدر على كل شيء.

وليتضح هذا الأمر جليًّا سأمثِّل هنا بخمس صفات؛ العلم، القدرة، المشيئة، ثم السمع والبصر، في أربع مسائل، ولتكون الصفات المذكورة دليلا لِما لم تُذكر. والقدر المشترك فيها بين الخالق والمخلوق فقط في الصفة. وهذه المسائل هي:

المسألة الأولى: اختصاص الله تعالى بالعلم المحيطة، والقدرة الشاملة (على كلّ شيء) وعدم مماثلة خلقه له فيهما:

المسألة الثانية: اختصاص الله بالمشيئة النافذة، وقوله في الحديث: " ما شاء الله وحده ".

المسألة الثالثة: اختصاص الله تعالى بالسمع الواسع.

المسألة الرابعة: صفة البصر وعدم مماثلة مخلوقات الله له فيها.

المسألة الأولى: اختصاص الله تعالى بالعلم المحيطة، والقدرة الشاملة (على كلّ شيء) وعدم مماثلة خلقه له فيهما:

قد تقدم في الباب السابق (باب مواقف الفرق منه) ادّعاء طائفة من غلاة الصوفية القبوريّة القائل: بأنّ النبِيّ يعلم كُلّ ما يعلمه الله. كما تقدم فيه أيضًا زعمهم القائل: بأنّه يقْدِر على ما يقدِر الله عليه. وقد أخّرتُ الردّ عليهم إلى هذا الموضع.

وهذا الزعم فيه أو في غيره من المخلوقين كذبٌ عليهم، بل العلم الشامل المحيط، والقدرة على كلّ شيءٍ صفتان خاصّتان بالله العظيم. فلا يماثـلُ الله أحدٌ مِن خلقه –كائنًا ما كان- لا في قدرته، ولا في سمعه وبصره،

ولا في عِلمه، وكذا جميع صفاته، فالله سبحانه لا سَمِيّ له ولا عديل، ولا نظير له ولا مثيل، في أسمائه وصفاته؛ بل ولا نسبة بينه وبين عباده البتة[1]، قال تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [الشورى: ١١]. فهو سميع بسمعٍ، وبصيرٌ ببصرٍ، وعليمٌ بعلمٍ، وقديرٌ بقدرة، إلا أنّ سمعَه وبصرَه وعلمَه وقدرتَه ليس كسمع وبصر وعلم وقدرة المخلوقين. وسأورد هنا طائفة من النصوص الشرعية التي يتضح منها صفات الخالق القدير العليم من صفات المخلوق الضعيف العاجز. وأقول:

جاءت نصوص كثيرة تصف الله تعالى بالعلم المحيط والقدرة الشاملة وتطالبنا بالإيمان بذلك، كما جاءت أخرى تصف خلقه بعكس ذلك، ولتقريبها إلى الأفهام سأصنّفها إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: النصوص التي تصف الله تعالى بالعلم المحيط والقدرة الشاملة:

منها: ما دلّ على أنّ الله سبحانه خلق السبع السموات، والأرَضين، وأنزل الأمر الشرعيَّ، وأنزل ويُنـزِّل الكونيَّ ليُعلم إحاطةُ علمه بكلِّ شيءٍ، وقدرته الشاملة على كلّ شيءٍ، قال تعالى: ﭽ [illegible] ﭼ [الطلاق: ١٢].

وفي آخر هذه ذكر هاتين الصفتين العظمتين، وهما صفة العلم المحيطة وصفة القدرة الشاملة. ولقد جاء تسمية الله تعالى باسمَيه العليم والقدير المتضمن للصفتين في آخر آيات كثيرة، منها أنه سبحانه ختم قولَه: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ [illegible] ﭼ فختم الآية بهما ليدلل على كمال عِلمه وقُدرته، فقال: ﭽ [illegible] ﭼ [فاطر: ٤٤]. قال المفسر ابن جريرٍ –رحمه الله-: « (إنّ الله كان عليمًا) بخلقه، وما هو كائن، ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى

---

[1] انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي –عرض وتحليلٌ على ضوء الكتاب والسنة- د. لوح (ج1/ 191).

آِيبٌ. (قديرًا) على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق مَن أراد منهم للإيمان »[1].

وختم بهما قوله:ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [النحل: ٧٠]. مما يدل على أنّ الخلق والإماتة وتصريف الخلق كانت وتكون بعلم الله وقدرته.

وختم بهما قوله: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [الروم: ٥٤].

وقال: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ [الشورى: ٥٠] ليدلّ على أنّه يعلم ما يخلق وما يملك، وأنّه يتصرّف فيهم بالإعطاء والمنع، وبإعطاء الذكور أو الإناث أو التزويج خاصة بالعلم والقدرة؛ وذلك لنفوذ تصرفه في الملك في خلقه لما يشاء[2].

كما صيّر الله بيته مثابة وقيامًا للناس ليُعلَم إحاطة علمه بكلّ شيء، فقال: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ [المائدة: ٩٧]

وقال النبِيُّ ﷺ جامعًا لربِّه الصفتَين: " **اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ** .." الحديث[3]. وجاء في حديث الاستخارة: " **ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. ..**" الحديث[4].

واعلم أنَّ وصف الله تعالى نفسَه بكلِّ صفةٍ مِن تيْنِك الصِّفتَين غايةٌ في الكمال، كما أنّ في اجتماع واقترانهما كمالا ثالثًا ناتجٌ، وصفة ثالثة بذلك تحصل، وهي قدر زائدٌ على معنى المفردين[5]؛ إذ المالك: إما أن يكون (عليمًا)

---

1 (?) جامع البيان للطبري، (ج19/396).

2 (?) انظر: تفسير الشيخ السعدي للآية، ص762 .

3 (?) سنن النسائي: والحديث صحيح سيأتِي تخريجه في المبحث القادم (مبحث علم الغيب).

4 (?) صحيح البخاري: وسيأتِي تخريجه في المبحث القادم (مبحث علم الغيب).

5 (?) إشارة إلى القاعدة العظيمة التي ذكرها العلامة ابن القيم -رحمه الله- في الفائدة الجليلة في لطائف اقتران الأسماء الحسنى، بدائع الفوائد (ج1 /ص294-295)، وانظر أيضًا: أسماء الله الحسنى جلالها

بما يملك وبما يُصلِحُه، و(قديرًا) عليه وعلى تدبير أموره، وهو الكامل. أو لا يكون يعلَمُه، وهذا صنفٌ، وفيه نقصٌ. أو يكون يعلمه لكنه يعجز على تدبيره. وهذا فيه نقصٌ كذلك. والله منـزَّه عن النقص سبحانه، فوجب الأول.

ثم إنّ ما يعطي الله عبادَه الأنبياء عليهم السلام مِن الآيات وخوارق العادات تأييدًا لهم على رسالاتهم، وتصديقًا لهم على دعواهم كان مِن هذيْن البابَينِ؛ باب القدرة، والعلْم[1]؛ فيُقْدرُهم على ما لا يقدِر عليه غيرُهم، ويُعلِّـمُهم مِن غيبِه ما لا يعلمه سواهم.

كما جرى لعيسى مِن إقدار الله له على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذنه تعالى، وكنبع الماء مِن بين أصابع نبيِّنا الشريفة، وتكثير الماء والطعام -الذي سبق ذكره في الفصل الأول مِن الباب الثاني[2]- أو كإنبائه الغيوب الماضية والمستقبَلة. بل الكمال كلُّه راجعٌ إلى هاتَين الصفتين (صفة العلم والقدرة)[3]، قال شيخ الإسلام -رحمه الله- « صِفَاتُ الْكَمَالِ تَرْجِعُ إلَى ثَلاثَةٍ: **الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْغِنَى**. وَإِنْ شِئْت أَنْ تَقُولَ: الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ. وَالْقُدْرَةُ إمَّا عَلَى الْفِعْلِ وَهُوَ التَّأْثِيرُ، وَإِمَّا عَلَى التَّرْكِ وَهُوَ الْغِنَى، وَالأَوَّلُ أَجْوَدُ. وَهَذِهِ الثَّلاثَةُ لا تَصْلُحُ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ إلا لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ فَإِنَّهُ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ. وَقَدْ أَمرَ الرَّسُول أَنْ يَبْرَأَ مِنْ دَعْوَى هَذِهِ الثَّلاثَةِ بِقَوْلِهِ: ﭽ [الأنعام: ٥٠] وَكَذَلِكَ قَالَ نُوحٌ . فَهَذَا أَوَّلُ أُولِي الْعَزْمِ، وَأَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إلَى أَهْلِ الأَرْضِ. وَهَذَا خَاتَمُ الرُّسُلِ، وَخَاتَمُ أُولِي الْعَزْمِ، كِلاهُمَا يَتَبَرَّأُ مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا لأَنَّهُمْ يُطَالِبُونَ الرَّسُولَ تَارَةً بِعِلْمِ الْغَيْبِ، كَقَوْلِهِ: ﭽ ﭼ [يونس: ٤٨]. **و** ﭽ ﭼ [الأعراف: ١٨٧]. وَتَارَةً بِالتَّأْثِيرِ، كَقَوْلِهِ : ﭽ

ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: ماهر مقدم، ص77.

[1] وهنا تقسيم لطيف لشيخ الإسلام ابن تيمية لكل الخوارق، وأنّها لا تخرج عن هذين الصنفين.

[2] في مبحث الآيات والدلائل لنبوة نبينا محمد .

[3] القدرة والعلم رأس كلّ كمال، هذا يَصلُح موضوعًا لبُحيِّث!

ﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡ إلى قوله: ﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﭼ [الإسراء:90-٩٣]. وَتَارَةً يَعِيبُونَ عَلَيْهِ الْحَاجَةَ الْبَشَرِيَّةَ، كَقَوْلِهِ: ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩ ﮪﮫﮬﮭﭼ [الفرقان:7-٨]. فَأَمَرَهُ أَنْ يُخْبِرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلا يَمْلِكُ خَزَائِنَ اللَّهِ، وَلا هُوَ مَلَكٌ غَنِيٌّ عَنْ الأَكْلِ وَالْمَالِ؛ إنْ هُوَ إلا مُتَّبِعٌ لِمَا أُوحِيَ إلَيْهِ؛ وَاتِّبَاعُ مَا أُوحِيَ إلَيْهِ: هُوَ الدِّينُ، وَهُوَ طَاعَةُ اللَّهِ، وَعِبَادَتُهُ عِلْمًا وَعَمَلا، بِالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ.

وَإِنَّمَا يَنَالُ مِنْ تِلْكَ الثَّلاثَةِ بِقَدْرِ مَا يُعْطِيه اللَّهُ تَعَالَى؛ فَيَعْلَمُ مِنْهُ مَا عَلَّمَهُ إيَّاهُ، وَيَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْنِي عَمَّا أَغْنَاهُ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ الأُمُورِ الْمُخَالِفَةِ لِلْعَادَةِ الْمُطَّرِدَةِ، أَوْ لِعَادَةِ غَالِبِ النَّاسِ. فَمَا كَانَ مِنْ الْخَوَارِقِ مِنْ (بَابِ الْعِلْمِ) فَتَارَةً بِأَنْ يُسْمِعَ الْعَبْدَ مَا لا يَسْمَعُهُ غَيْرُهُ. وَتَارَةً بِأَنْ يَرَى مَا لا يَرَاهُ غَيْرُهُ يَقَظَةً وَمَنَامًا. وَتَارَةً بِأَنْ يَعْلَمَ مَا لا يَعْلَمُ غَيْرُهُ وَحْيًا وَإِلْهَامًا أَوْ إنْزَالُ عِلْمٍ ضَرُورِيٍّ أَوْ فِرَاسَةٍ صَادِقَةٍ، وَيُسَمَّى كَشْفًا وَمُشَاهَدَاتٍ وَمُكَاشَفَاتٍ وَمُخَاطَبَاتٍ: فَالسَّمَاعُ مُخَاطَبَاتٌ، وَالرُّؤْيَةُ مُشَاهَدَاتٌ، وَالْعِلْمُ مُكَاشَفَةٌ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ كُلُّهُ (كَشْفًا) وَ(مُكَاشَفَةً) أَيْ: كَشَفَ لَهُ عَنْهُ. وَمَا كَانَ مِنْ (بَابِ الْقُدْرَةِ) فَهُوَ التَّأْثِيرُ، وَقَدْ يَكُونُ هِمَّةً، وَصِدْقًا، وَدَعْوَةً مُجَابَةً، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ الَّذِي لا تَأْثِيرَ لَهُ فِيهِ بِحَالِ، مِثْلُ هَلاكِ عَدُوِّهِ بِغَيْرِ أَثَرٍ مِنْهُ، ... وَمِثْلُ تَذْلِيلِ النُّفُوسِ لَهُ وَمَحَبَّتِهَا إيَّاهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ (بَابِ الْعِلْمِ وَالْكَشْفِ). قَدْ يُكْشَفُ لِغَيْرِهِ مِنْ حَالِهِ بَعْضُ أُمُورٍ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمُبَشِّرَاتِ: " **هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ** "[1]. وَكَمَا قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: " **أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ** "[2].. »[3].

---

1 (?) هذا الحديث صحيح، وقد تقدم تخريجه في مبحث ختم نبوته ﷺ النبوات، ورسالته الرسالات.

2 (?) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، بَاب ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى الْمَيِّتِ، رقم: 1367 عن أنس، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب فيمن يُثنى عليه خيرٌ أو شرٌّ من الموتى، رقم: 949.

3 (?) قَاعِدَةٌ شَرِيفَةٌ فِي الْمُعْجِزَاتِ وَالْكَرَامَاتِ، ضمن مجموع الفتاوى(ج 11/ ص312-314). وقد نقل الدكتور أحمد بن فارس السلوم جزءًا كبيرًا منه في تحقيقه لكتاب دلائل النبوة للحافظ جعفر المستغفري،

فثبت أنّ رسول كلِّ قومٍ أعلمُهم، كما أنّه أقدرهم على الفعل وعلى الترك، وعلى هذا مدار أيّ كمال، ولا يدخل على العبد النقص إلا من أحدهما أو من كليهما. ورسولنا قد اجتمع فيه كمال العلم والقدرة والإرادة، يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: « ... وَمَعْلُومٌ لِلْمُؤْمِنِينَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَعْلَمُ بِذَلِكَ منْ غَيْرِهِ، وَأَنْصَحُ لِلأُمَّةِ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَفْصَحُ مَنْ غَيْرِهِ عِبَارَةً وَبَيَانًا، بَلْ هُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِذَلِكَ،وَأَنْصَحُ الْخَلْقِ لِلأُمَّةِ، وَأَفْصَحُهُمْ، فَقَدْ اجْتَمَعَ فِي حَقِّهِ كَمَالُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ.وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ أَوْ الْفَاعِلَ إذَا كَمُلَ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَإِرَادَتُهُ: كَمُلَ كَلامُهُ وَفِعْلُهُ، ...وَالرَّسُولُ هُوَ الْغَايَةُ فِي كَمَالِ الْعِلْمِ،وَالْغَايَةُ فِي كَمَالِ إرَادَةِ الْبَلاغِ الْمُبِينِ،وَالْغَايَةُ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَلاغِ الْمُبِينِ..»[1].

لكن الذي ينبغي أنْ يُعلم هنا هو أنّ كلّ تأييدات الله لرسله عليهم السلام عامة، ولنبينا خاصة في بابَـي العلم والقدرة لا يجعل مَن أيَّده الله بِهما مِن هؤلاء الأنبياء والصالحين أنْ يكون مساويًا لله في هاتَين الصفَتين ولا غيرهما، حاشاهم؛ إذ ليس كمثل الله في أسمائه وصفاته وأفعالِه شيءٌ. وهل مِن مساواة ونسبة بين مخلوق وخالق أصلا؟! كما لا يكون ذلك مبرِّرًا للنصارى والقبورية في عبادتهم قبور الأنبياء والصالحين، وإضفاء خصائص الربِّ عليهم[2]. فالقدر الكبير من الكمال الذي أعطى الله أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام –كما مرّ قريبًا- لا يجعلهم يماثلون الله فيها.

(ج1/ص67-69).

1 (?) الفتوى الحموية، ص264-266 .

2 (?) انظر عن هذا: فصل كرامات الأولياء وما يجري على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، / العقيدة الواسطية مع تقريرات سماحة الشيخ ابن إبراهيم، لمحمد ابن القاسم، ص227 وما بعدها، وكتاب: رسالة خاتم النبيين محمد (ضرورتها، وطرائق إباتها، ولوازمها) للدكتور ثامر بن ناصر بن فهد بن غشيان، ص298، و299 ـ 304 فيما كان مِن الخوارق جهته: العلم. وانظر ما كان جهته القدرة مِن ص304 ـ 308.

الصنف الثاني: النصوص التي فيها بيان صفة علم الله، وصفة علم المخلوقين[1]:

وأقول هنا: كيف يكون مَن سَمعُه محدودٌ، وبصرُه محدودٌ، وعِلمُه محدود، وقدرته محدودة (وهم الخلق)، بل كان هذا العلم المحدود **مُسْبَقًا** بجهل، كما قال الله: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ [النحل: ٧٨]. **ومعرَّضًا** للغفلة والعزوب والنسيان، كما قال الله في أبينا آدم : ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [طه: ١١٥]. وفي عبده ونبيِّـه محمدٍ : ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ [الأعلى:6-٧]. **ونهايتُه** عند الكِبَر والتعمير إلى الزوال، كما قال الله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ [النحل: ٧٠].

فعلمُ الخلق كلهم حتى الأنبياء الموحى إليهم يدخل ضمن العلم الإضافي المقيد، فالأنبياء يعلمون بعض المغيبات بواسطة الوحي، وليست صفات ذاتية لهم يستقلون بها استقلالا، بل يتلقونها وحيًا حسب ما اقتضاه الحاجة[2].

كيف يُسَوّى بين مَن هذا حالُه بالذي ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ [طه: ٩٨]. الذي ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [غافر: ١٩]. والذي أحاط علمُه بما ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [إبراهيم: ٣٨]. والذي ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [طه: ١١٠]. والذي عنده ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭼ [الأنعام: ٥٩]. والذي قال: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭼ [يونس: ٦١]. والذي يعلم الغيب، فكيف الشهادة؟ ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [سبأ: ٣].

فربِّي سبحانه –بِهذا- أحاط ووسِع علمُه جميعَ المعلومات، وجميعَ الأشياء، شاهدَها وغائبها، ظاهرَها

---

1 (?) هذه المسألة طويلة الذيل، لذا أشرت إليها هنا، وفصّلتها بذكر أنّ الغيب من خصائص الله، وأنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا لا يعلم من الغيب في حياته إلا ما أعلمه الله، فكيف بعد وفاته! وكيف يعلم ذلك غيره (وذلك في المبحث القادِم).

2 (?) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، مصدرٌ سابق، (ج1/ 191).

وباطنها، سِرَّها وعلنَها، جليلَها وحقيرها، عُلويَّها وسُفليَّها، صغيرَها وكبيرها، دقيقَها ولطيفها، ماضيها وحاضرَها ومستقبلَها، ويعلم بالواجبات، والممتنعَات، والممكنات، وبالذوات، والأوصاف، والأفعال. وبالأعمال، والجزاء. شرّها وخيرها. في الدنيا والآخرة. فله العلم التّام المحيط الشامل الدائم؛ لا يخفى عليه شيءٌ مِن الأشياء؛ يعلم ما كان، وما يكون، وما لَم يكُن لو كان كيف يكون! وعلمه من صفات ذاته [1].

ولهذا لَم يَجُز أنْ يقال فيما يراد نفي علمه، وتفويضه إلى عالمه، الله ورسوله أعلم إنْ كان مِن أمور القدر لا الشرع، كما أنه حتى في المسائل الشرعية لا يجوز إطلاق هذا القول بعد وفاته ﷺ، وقد كان بعض الصحابة ﭫ يقولونه في حال حياته ﷺ فحسب[2].

الصنف الثالث: النصوص التي فيها بيان صفة قدرة الله، وقدرة المخلوقين:

وأقول بالنسبة لهذه المسألة أيضًا ردّ على القبورية السابق نقل كلامهم: كيف يعدِل الذين كفروا بربِّهم غيرَه العبدَ المملوكَ الذي لا يقدر على شيءٍ، بالمتين القويِّ القاهر الذي هو على كلّ شيء قدير؟ والذي له مطلق الجمال والكمال في الذات والصفات والأفعال؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكنْ، قد وسِعَتْ قدرتُه جميع المقدورات، فأوجد بها جميع الكائنات والموجودات، وبقدرتِه يدبِّر الخلق؛ فيهدي مَن يشاء، ويُضلّ مَن يشاء، ويقلِّب القلوب على ما يشاء ويصرفُها. وبها يسوِّي الخلق ويُحكِمها، ويحييها ويميتها، ويبعثها لجزاء المحسنين بالحسنى، والمسيئين بالسُّوآى، فلا يُعجزُه أحدٌ مِن خلقه ولا يفوته، بل هو في قبضته، ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ [البقرة: ١٤٨]. ولكمالها خلق السموات والأرضين

---

[1] انظر: شرح أسماء الله الحسنى د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ضمن مجموعه المسمى عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، 253-255، وفقه الأسماء الحسنى لشيخنا الشيخ عبد الرزاق البدر، ص134-137 .

[2] انظر: التوسل أنواعه وأحكامه للألباني، ص125، وجهود الإمام الألباني في تقرير توحيد العبادة (ج2/ 13).

وما بينهما في ستة أيام وما مسّه مِن لغوبٍ ولا تعَبٍ، ولا عجز ولا إعياء[1]. ولشمولها وتمامها خلَق الخلق وأعمالَهم: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [الصافات: ٩٦]. والتي مِن آثارها: أنّك ترى ﭽ ﮛ ﮜ ﭼ [الحج: ٥].

وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ [فصلت: ٣٩]. ومنها: ما أوقعه بالأمم المكذِّبين، والكفار الظالمين مِن أنواع العقوبات، وحلول المَثُلات، وأنّه لم يُغنِ عنهم كيدُهم ومكرهم، ولا أموالهم ولا جنودهم ولاَ حصونهم مِن عذاب الله مِن شيءٍ لَمَّا جاء أمرُ ربّك: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ [هود: ١٠٢]. ومنها: ما ذكره في كتابه مِن نصره أولياءه على قلة عدَدِهم وعُدَدهم، على أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العَدد والعُدّة. ومنها: ما يُحدثه لأهل الجنة من أصناف النعيم المستمرّ الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى. ومنها: ما أعدّه لأهل النار مِن أنواع العقاب[2]. عياذًا بالله!

وكيف يضربوا لله الأمثال فيعبدون مِن دونه الذي لا يملك لنفسه أو لغيره شيئًا؟ ويشركونه بالذي له المثل الأعلى في السموات والأرض، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﭼ [النحل:73-٧٨].

وأما بعد، فأقول بأنّه قد سبقت صفتا القدرة والعلم، وتقدم بذلك الردّ على بعض المبطلين الذين الذين يُسوون بين الله وخلقه في صفاته، ومنها هاتان الصفتان العظيمتان. ولَمّا كانت الصفتين (علم الله بخلقه، وقدرته عليها) مِن أهم وأعظم أركان الإيمان بالقدر، سأعرج في المسألة القادمة (الثانية) لذكر الركن الثالث

---

[1] (?) انظر: شرح الأسماء الحسنى د. سعيد القحطاني، 258-259، وفقه الأسماء الحسنى د. عبد الرزاق، ص217 .

[2] (?) انظر: شرح الأسماء الحسنى، المصدر نفسه، ص258- 259 بتصرف .

من أركان الإيمان بالقدر، وهي مشيئة الله النافذة: فأقول:

المسألة الثانية: اختصاص الله بالمشيئة النافذة، وقوله في الحديث: " ما شاء الله وحده "[1]:

لله تعالى المشيئة النافذة التي لا يردها شيءٌ[2]، كما أنّ له القدرة البالغة التي لا يعجزها شيء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ﭽ﴿﴾ﭼ [التكوير: ٢٩].

ما شئتَ كان وإنْ لَم أشأْ وما شئتُ إنْ لَم تشأْ لَم يكنْ[3].

أما مشيئة العباد كلِّهم أكبرِهم وأصغرهم، أوَّلِهم وآخرهم، ملائكتهم وجنهم وإنسهم وغير ذلك، فهي تابعةٌ لمشيئة الله؛ وجودًا وعدمًا، فمشيئتهم –مَن كانوا- لا تكون قَبل مشيئته سبحانه أبدًا؛ فما شاءه الخلق، وقد شاء الخالق وقوعه كان ووقع، وما لا فلا.

ويتضح ذلك ويجلو عندما أُمثِّل بسيد ابن آدم أجمعين؛ محمد عبد الله ورسوله، وأتكلم عن مشيئته، مستلهمًا ذلك من خلال نصوص الوحي، فأقول: -وبالله تعالى التوفيق-

جاء عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **لا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ** " رواه أبو داود[4].

---

1 (?) للاستزادة من كلام العلماء في هذه المسألة يُنظر: تجريد التوحيد المفيد للمقريزي، ص56-57، وباب قول ما شاء الله وشئت من كتاب التوحيد وشروحات العلماء له (وهي: تيسير العزيز الحميد، ص518-526، وتهذيبه في فتح المجيد، ص471-475، وقرة عيون الموحدين، ص162-164، والقول المفيد، ج2/ ص228-239، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص462-466، مع كتاب معارج القبول، ص، وملخصه: أعلام السنة المنشورة، ص52-54 كلاهما للحكمي، والمفيد في مهمات التوحيد، ص192-194، وجهود الإمام الألباني في تقرير توحيد العبادة، وثناؤُه على دعاة ودولة التوحيد...، لتلميذه الدكتور وليد بن محمد بن سيف النصر، -ج2/ 11-12).

2 (?) انظر: اعتقاد الفرقة الناجية في الإيمان وأسماء الله وصفاته، ص 190، وكتاب بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها، ص140، كلاهما للدكتور سعيد بن وهف القحطاني، (ضمن مجموع له).

3 (?) قاله الشافعي –رحمه الله- كما في ديوانه.

وعند ابن ماجه عنه[1] رضي الله عنهما وهْمًا وهو عن الطُّفيل تحقيقًا بلفـــظ: أَنَّ رَجُلا مِنْ الْمُسْـــلِمِينَ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلا مِنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ، فَقَـالَ: نِعْمَ الْقَـوْمُ أَنْتُمْ! لَـوْلا أَنَّكُمْ تُشْـرِكُونَ؛ تَقُولُـونَ: مَا شَـاءَ اللَّهُ وَشَـاءَ مُحَمَّدٌ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ فَقَالَ: " **أَمَا -وَاللَّهِ!- إِنْ كُنْتُ لأَعْرِفُهَا لَكُمْ، قُولُـوا: مَا شَـاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَـاءَ مُحَمَّدٌ** "[2].

وفي لفظ: " **قد كنت أسمعها منكم فتؤذيني، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمـد، وقولـوا: ما شاء الله وحده** "[3] .

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِذَا حَلَـفَ أَحَـدُكُمْ، فَلا يَقُـلْ: ما شـاء الله وشئت، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ** "[4].

---

4 (?) سنن أبي داود: كتاب الأدب، بابٌ (بدون ترجمة)، ورقمه: 4980، مسند الإمام أحمد، ورقمه: 23313، و23395، و23429، والحديث صحيح بمتابعاته، (انظرها في السلسلة الصحيحة، الإحالة الآتية).

1 (?) ذكر الحفاظ أنّه حصل وهمٌ لبعض الرواة في نسبة الحديث بهذا السياق إلى حذيفة دون الطفيل رضي الله عنهما إذْ الحديث بالسياق هذا للطفيل لا لحذيفة، قال الشيخ سليمان: « وهكذا رواه حمادُ بنُ سلَمَة وشعبةُ وابنُ إدريس عن عبد الملك، فقالوا: (عن الطفيل) وهو الذي رجحه الحفاظ، وقالوا: ابن عيينة وهِم في قوله: عن حذيفة » (تيسير العزيز الحميد، ص523)، وقال الشيخ الألباني بعدما ساق الحديث من طرق ثلاثة رواة عن عبد الملك خلافًا لرواية سفيان عنه: « وهذا هو الصواب عن ربعي عن الطفيل ليس عن حذيفة، لاتفاق هؤلاء الثلاثة حماد بن سلمة، وأبو عوانة، وشعبة عليه » (السلسلة الصحيحة، ج1/ 264-265) وانظر ذلك في ترجمته: الاستيعاب، ص 363.

2 (?) سنن ابن ماجه: كتاب الكفارات، بَاب النَّهْيِ أَنْ يُقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، رقم: 2118، قال البوصيري فِي الزَّوَائِد: « رِجَالُ الإِسْنَاد ثِقَات عَلَى شَرْط الْبُخَارِيّ »، (شروح ابن ماجه: ج1/ ص826) وصحح الشيخ الألباني حديث حذيفة هذا في السلسلة الصحيحة، رقم: 137، (1/ ص263).

3 (?) مصنف عبد الرزاق: باب: قول الرجل: ما شاء الله وشئت، ورقمه: 19813، (ج11/ ص28).

4 (?) سنن ابن ماجه: الكتاب والباب، رقم: 2117، والحديث صحيح، في إسناده الأجلح بن عبد الله، مختلف فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات (انظر: الزوائد، ص826، والسلسلة الصحيحة، ص266) فالإسناد حسن.

وفي لفظ عنه رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى النبي فحدثه ببعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت، فقال: " **جعلتنِي لله عديلا، لا بل ما شاء الله وحدَه** "[1].

وفي لفظ: " **جعلتَ لله ندًّا! ما شاء الله وحده** "[2].

وعَن الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ[3] أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا أَنَّهُ رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّهُ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنْ الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْيَهُودُ، قَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ! لَوْلا أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللَّهِ، فَقَالَتْ الْيَهُودُ: وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ! لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنْ النَّصَارَى، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ النَّصَارَى، فَقَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ! لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ! لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: " **هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟** قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا صَلَّوْا خَطَبَهُمْ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّ طُفَيْلا رَأَى رُؤْيَا، فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، قَالَ: لا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ** "[4].

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة: في الرجل يقول: ما شاء الله وشاء فلان، رقم في الباب: 3، (ج6/ 264).

[2] الأدب المفرد للبخاري: باب قول الرجل: ما شاء الله وشئت، رقم: 783، وصححه الشيخ الألبانيّ.

[3] وهو **الطفيل بن سخبرة** –بفتح السين وسكون الخاء-، الأزدي: حليف قريش، صحابي، ويظهر أنه لم يُروَ عنه إلا حديث واحد، ويقال بن عبد الله بن الحارث بن سخبرة، وهو أخو عائشة لأمها وأكبر من عبد الرحمن ومنها. (انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، برقم: 1271، والإصابة لابن حجر، ج5/ ص400-401، والتقريب له، برقم: 3018).

[4] مسند الإمام أحمد، رقم: 20713، وأشار إلى الحديث ابن ماجه، وقال بنحو سابقه: المصدر السابق نفسه، ورقمه: 2118، وبيَّن البوصيري أنّ رجاله ثقات على شرط مسلم، واستثنى الشيخ شعيب ومساعدوه، صحابي الحديث من ذلك؛ إذْ لم يروِ له إلا ابن ماجه، أما الحديث فصحيح. (انظر: شروح ابن ماجه، والسلسلة الصحيحة، ج1،

وفي لفـظ: " **قد كنت أسـمعها فأكرهُها، وأسـتحي منكم أنْ أنْهـاكم، قولـوا: ما شـاء الله وحده لا شريك له** ".

وعَنْ قُـتَيْـلَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ الْجُهَنِيَّةِ[1] رضي الله عنها، قَالَتْ: أَتَى حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَـالَ: يَا مُحَمَّدُ! نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، قَالَ: " **سُبْحَانَ اللَّهِ! وَمَا ذَاكَ؟** قَـالَ: تَقُولُـونَ: -إِذَا حَلَفْتُمْ- وَالْكَعْبَـةِ) قَـالَتْ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّهُ قَدْ قَالَ: فَمَنْ حَلَـفَ فَلْيَحْلِـفْ بِـرَبِّ الْكَعْبَـةِ** " قَـالَ: يَا مُحَمَّدُ! نِعْمَ الْقَـوْمُ أَنْتُمْ لَـوْلا أَنَّكُمْ تَجْعَلُـونَ لِلَّهِ نِـدًّا، قَـالَ: " **سُبْحَانَ اللَّهِ! وَمَا ذَاكَ؟** " قَـالَ: تَقُولُـونَ: ما شـاء الله وشـئتَ، قَالَ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّهُ قَدْ قَـالَ: فَمَنْ قَـالَ: مَا شَـاءَ اللَّهُ، فَلْيَفْصِـلْ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ شِئْتَ** "[2].

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ: « رَأَى رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ[3] فِي النَّوْمِ قَوْمًا مِنَ الْيَهُـودِ، فَأَعْجَبَتْـهُ هَيْئَتُهُمْ فَقَالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللـهِ. قَـالَ: وَأَنْتُمْ قَـوْمٌ لَـوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُـونَ: مَا شَـاءَ اللـهُ وَشَـاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى قَوْمًا مِنَ النَّصَـارَى فَأَعْجَبَتْـهُ هَيْئَتُهُمْ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالَ: وَإِنَّكُمْ قَوْمٌ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُـونَ: مَا شَـاءَ اللـهُ وَشَـاءَ مُحَمَّدٌ. فَلَمَّا أَصْبَحَ قَصَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ فَقَـالَ النَّبِيُّ عَلَيْـهِ

ص265).

1 (?) **قُـتَيْـلَةَ**: بضم القاف، وفتح التاء، بعدها الياء، صحابيةٌ، كانت من المهاجرات الأُوَل. الجهنية، ويقال: الأنصارية. والأول يأباه. ويظهر أنه ليس لها حديثٌ إلا هذا، -كما أشار إلى ذلك ابن سعد بعد إخراجه-، روى عنها عبد الله بن يسار. (انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ص933، ورقم ترجمتها: 3434، والإصابة: ج14/ 130-131، والتقريب، برقم: 8661، كلاهما لابن حجر).

2 (?) مسند الإمام أحمد: ورقمه: 27138، المستدرك: كتاب الأيمان والنذور، ورقمه: 7815، وقال الحاكم: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه »، وقال الذهبي –رحمه الله-: « صحيح »، وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في ترجمتها: « وسنده صحيح » (انظر الحديث: السلسلة الصحيحة، ج1/ ص263، برقم: 136).

3 (?) هكذا بإفراد السلام عن الصلاة.

السَّلامُ: " **قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُهَا مِنْكُمْ فَتُؤْذِينِي فَلا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ , وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ , ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ** "[1].

مَن تأمل هذه الأحاديث رأى أنّ الحوادث كانت كثيرةً؛ ففي حديث قُتيلة رضي الله عنها أنّ يهوديًّا جاء فقال: إنّ المسلمين يشركون؛ وذكر وجهه؛ وهو أنهم يقولون: (ما شاء الله وشئتَ) ويقولون في الحلف: (والكعبةِ).

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما ففيه أنّ رجلا بالإبهام جاء وقال للنبيِّ هذه الكلمة، ويظهر أنه قالها تعظيمًا له مِن أجل شيءٍ حصل منه، كما أنَّ قول اليهود بأنّ المسلمين يشركون كان إشارة إلى صنيع مثل هذا، والمسلمون الذين قالوا: " **ما شاء الله وشئتَ** " أو " **ما شاء الله، وشاء محمد** " وقعوا في الشرك الأصغر بهذه اللفظة، لا الأكبر؛ وذلك لأنَّهم لا يعتقدون أنّ مشيئة الرسول مساوية لمشيئة الله، وإنما قالوها باللفظ[2] غير معتقدين المساواة، وكذا لو كان من الأكبر ما منع الرسولَ شيء من إنكاره. والله تعالى أعلم.

ومع ذلك فقد أنكر على القائل المخاطِب منهم العبدُ الرسول أبلغ إنكارٍ، وأرشده إلى أبلغ الألفاظ تحقيقًا للتوحيد، ونفيًا للمساوي، وقطعًا للتنديد، وهو قوله: " **أجعلتنِي لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده** ".

بينما كان في باقي الأحاديث كحديث الطفيل أنه كان رؤيًّا رآها وقصّها على الناس قبل أنْ يأتي رسولَ الله ، وقد كان رسول الله يعتنِي بالرؤيا اعتناءً بالغًا، -سواءٌ كان ذلك منه أو من صحابته - لأنها جزءٌ من الوحي، -والرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له في عهده وبعد وفاته جزءٌ مِن أجزاء النبوة وباقٍ حتى بعد انقطاع الوحي، وهي المبشِّرات-. ففي حديثه -كما هو ظاهرٌ من سياقته- أنَّه رآه كأنه مرَّ على نفرٍ من اليهود فقال لهم ما

---

1 (?) شرح مشكل الآثار للطحاوي: (ج1/ص219)، ط1/1415هـ، مؤسسة الرسالة، بتحقيق: الأرناؤوط.

2 (?) انظر: القول المفيد، (ج2/ ص232).

قـال، ثم ردُّوا عليـه، ثم مـرّ على نفـرٍ آخر من النصـارى، وقـال لهم ما قـال، ثم ردُّوا عليه بما هو سـببٌ النهي عن هذه الألفاظ.

ومن سبَر هذه الروايـات وتأملها رأى أنَّ النـبي ﷺ اسـتخدم عـدة أسـاليب في النهي عن الألفـاظ الشـركية التي تقتضي التسـوية في ظاهرهـا، فنهى بـالنهي المجـرد في بعض الألفاظ، ونهى وأرشد إلى البدل القريب الحسن في بعضـها، كما أرشد في بعضـها الأخـرى على ما يقطع الشرك والتنديد، فجزاه الله خيرًا مِن ناصحٍ أمين. وترتيب الألفاظ كالتالي:

أ- النهي: " **فلا تقولوا: ما شـاء الله وشـاء محمد** ". ب- الإرشاد: " **قولوا: ما شـاء الله ثم شـاء محمد** " ومنه قوله: " **قولوا: ما شـاء الله ثم شـئت** ". ت- النهي والبدل: " **لا تقولوا: ما شـاء الله وشـاء محمد، ولكنْ قولوا: ما شاء الله وحـده**". ث- تجريد التوحيـد: "**قولوا: ما شـاء الله وحـده لا شـريك له**" وهذه اللفظة المستحبة في الباب.

حكم قول (ما شاء الله وشئتَ) ونظائره:

(سواءٌ كان ذلك في حق عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ، أو في غيره)

للعلماء فيه قولان، قولٌ بالتحريم، والثاني بالجواز -وهو ساقط-،

ودليلُ القول الأول: هي الأساليب التحذيرية الكثيرة الـتي جـاءت في طـرق هـذه الأحـاديث، والمتمثلة في: **أولا:** نهي النبيِّ ﷺ عن هذا القـول باللفظ الصـريح (لا تقولـوا). **ثانيًـا:** نهي النـبيِّ ﷺ عن اللفظة وإرشـاده إلى البـدل " **إِذَا حَلَـفَ أَحَـدُكُمْ، فَلا يَقُـلْ: ما شـاء الله وشئتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ ..". ثالثًا:** إقراره ﷺ اليهـوديَّ بـأنّ هـذا القـول اتخـاذ نـدٍّ للـه، ولا يكـون ذلك إلا محرَّمًـا، بل وتصـريحه هو بـأنْ قـال: " **جعلتَ لله ندًّا!..** ". **رابعًـا:** عدم إنكاره ﷺ على اللفظة الـتي رُئي اليهـودي والنصـرانِي يقولانها وينسـباِّنها إلى المسـلمين، وهي قولهمـا: (إنكم

تشركون؛ تقولـون ما شـاء الله وشـاء محمـد). **خامسًـا:** كــون اللفظة يكرهها النــبيُّ وتؤذيـــه. **سادسًــا:** وصف قائلها بأنّـه جعل العبد الرسول محمدًا لله عديلا.

فَمَنْ تأمَّل هذه الأمور فلا يسَعُه إلا القول بحرمة ذلــك، والله تعــالى المســتعان! يقــول الحافظ أبو جعفر الطحاوي –رحمه الله-: « فكان فيما روينا في هـذا البـاب عن رســول الله نَهـــيَه أمته أنْ يقولــوا: ما شـــاء الله وشئت، وأمره إياهم أنْ يقولوا مكـان ذلك: ما شـاء اللـه، ثم شئت. قال قائل: فـإنْ في كتـاب الله تعـالى ما قد دل على إباحة هذا المحظور في هذه الأحــاديث، ثم ذكر قوله تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﭼ [لقمان: ١٤]. ولم يقل: (ثم لوالديك)، فكان جوابنا له في ذلك -بتوفيق الله- أنَّ هــذا مما كــان مباحًــا قبل نهي رســـول الله عليه السلام[1] عن مثله في هـــذه الأحــاديث، ثم نَهى عن ما نهى عنه في هــذه الأحــاديث، فكان ذلك نسخًا لِما قد كان مباحًا مما قد تلوتَه قبل ذلك، ومــذهبنا أنَّ السـنة قد تنسخ القــرآن؛ لأنَّ كلّ واحدٍ منهما من عند الله، ينسخ ما شاء منهما بما شاء منهما »[2].

والجواب على شبهة المُجيز لها بالنسخ، في النفس عليه شيءٌ، والأحسن منه ما قاله الشيخ سـليمان –رحمه اللــه- في شــرح قوله **(إنكم تشـركون؛ تقولـون: ما شاء الله وشئتَ**) في الحديث، وبيان حكم ذلك: « هــذا نصٌّ في أنَّ هـــذا اللفظ مِن الشــــرك؛ لأنّ النـــبي أقرَّ اليهـوديّ على تسـمية هـذا اللفظ تنديدًا، أو شـركًا، ونهى النــبي عن ذلك، وأرشد إلى اســتعمال اللفظ البعيد من الشـرك، وقـول: ما شـاء الله ثم شـئت، وإن كـان الأولى قــول: ما شــاء وحــده كما يــدلّ عليه حـديث ابن عبـاس وغـــيره. **وعلى النهي عن (قـــول ما شـــاء الله وشــئت) جمهــور العلمــاء، إلا أنَّه حُكِي عن أبي جعفر الــداودي[3] ما يقتضي جــواز ذلك**، احتجاجًــا

---

[1] (?) هكذا عنده بإفراد السلام عن الصلاة، والأولى الجمع بينهما.

[2] (?) شرح مشكل الآثار للطحاوي: (ج1/ ص219).

[3] (?) هو أحمد بن نصر، وهو أول شارح لصحيح البخاري، أو من أوائل شراحه.

لقوله تعالى: ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﭼ [التوبة: ٧٤]. وقوله: ﭽﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ [الأحزاب: ٣٧]. ونحو ذلك. والصواب، القول الأول: فـإنَّ النـبي ﷺ أنكر ذلك، وقـال لمن قـال له ذلك: " **أجعلتنِي لله نـدًّا؟** وأقرّ اليهـوديَّ على تسـميته تنديـدًا؛ ومِن المحـال أن يكـون هـذا أمرًا جـائزًا. وأما ما احتج مِن القـرآن فقد ذكـروا عن ذلك جـوابَين: **أحـدهما:** أنَّ ذلك لله وحده لا شـريك له، كما أنه تعـالى يُقسم بما شـاء من مخلوقاته، فكذلك هذا. **الثاني:** أنَّ قوله: " **ما شاء الله وشـئتَ** " تشـريكٌ في مشـيئة الله، وأما الآية فإنَّما أخبَر بها عن فعلين متغـايرين، فـأخبر تعـالى أنه أغنـاهم، وأن رسوله أغنـاهم، وهو من الله حقيقة؛ لأنه الـذي قدَّر ذلك، ومن الرسول ﷺ حقيقة باعتبار تعاطي الفعل، وكذا الإنعـام أنعم الله على زيد بالإسـلام، والنبِيّ ﷺ أنعم عليه بـالعتق، وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد، فـالكلام إنما هو فيه، والمنع إنما هو منه » [(1)].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله- في ذكره مناسـبة بـاب قـول ما شـاء الله وشـئت لكتـاب التوحيد: « أنَّ قـول: (ما شـاء الله وشـئتَ) مِن الشـرك الأكبر، أو الأصغر; لأنه إن اعتقد أنَّ المعطوف مسـاوٍ لله; فهو شـركٌ أكـبر، وإن اعتقد أنّـه دونه لكن أشـرك به في اللفظ; فهو أصـــــغر. وقد ذكر بعض أهل العلم، أنَّ مِن جملة ضوابط الشـرك الأصـغر: أنَّ ما كـان وسـيلة للأكـبر فهو أصغر » [(2)].

ثم بعد هذا، أقول: مِن المعلوم أنّ للعباد مشيئة في أفعـالهم وأقـوالهم الدينية وغيرهـا، الموافقة للشـرع، والمخالفة له ما لم يُكرَهوا على عمـل، هـذه هي العقيـدة الحقة في المسألة، وهي مـأخوذةٌ من الآيـات والأحـاديث، إلا أنّ مشـيئتهم تابعـةٌ لِمشـيئة الله تعـالى، خلافًا للقدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخـالف ما أراده الله تعـالى من العبد وشـاءه، بل وقـدّره. لكن وإن كـان للعبد مشـيئة، إلا أنَّ مشـيئته تابعة لمشـيئة الله كما

---

1 (?) تيسير العزيز الحميد، ص519-520.

2 (?) القول المفيد على كتاب التوحيد: (ج2/ ص228).

قال الله تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ [التكوير: ٢٩]. ففي هذه الآية والحديث الرّدّ على هؤلاء النفاة للقدر؛ الـذين يثبتـون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله من العبد وما شاءه، وقد قال تعالى: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﮊ [القمر: ٤٩]. وقال تعالى: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ [الفرقان: ٢] [1]. وهذه هي كبرى الفوائد في هذا الباب والـتي مِن أجلها عقـدتُ هـذه الترجمـة، وهي أنّ مشـيئة العباد -مَن كانوا- تابعةٌ لِمشيئة الله ﷻ، فهذا العبد الرسـول محمـدٌ ﷺ لَما قيل في حقه من هـذه الكلمة ما قيل أنكرها بعد الوحي، وقد كانت آذتْـه وكرهها، صلوات ربي وسـلامه عليه وعلى إخوانه من النبـيين وآلـه وصـحبه. وعلى هــذا حُـرِّم عطف مشـيئات العبـاد على مشـيئة خـالقهم بـالواو المقتضية للتسوية، ولو كان ذلك المسـوَّى به رسـولَ الله ﷺ، يقول الحكمي في الجواب على سـؤال: ما الفـرق بين الـواو و(ثم) في هـذه الألفـاظ؟ قـال –رحمه اللـه-: « لأن العطف بــالواو يقتضي المقارنة والتســوية ، فيكــون من قال: ما شاء الله وشـئت، قارنًا مشـيئة العبد بمشـيئة الله مسوِّيًا بهــا، بخلاف العطف بثم المقتضــية للتبعيــة، فمَن قــال: ما شــاء الله ثم شـئت، فقد أقرَّ بـأنَّ مشـيئة العبد تابعةٌ لمشـيئة الله تعــالى، لا تكــون إلا بعــدها، كما قــال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮜ [التكوير: ٢٩]، وكذلك البقية »[2].

ألفاظ مقاربة لهذا:

هذا الحكم يسرِي في هذه المسألة وفي مسائل مقارِبة لها، بل وفِي بعضها بالأَولى، قال العلامة ابن القيم –رحمه اللــــه-: « ومن ذلك –أي: من الشــــرك بالله في الألفاظ- قول القائل للمخلوق: (ما شـاء الله وشـئتَ) كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قـال له رجل: ما شـاء الله وشـئت، - وذكر الحديث المشروح ثم قال-: هـذا مع أنّ الله قد أثبت للعبد مشيئة لقوله: ﮋ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [التكوير: ٢٨]. فكيف بمن يقــول: أنا متوكل على الله وعليك! وهــذا من الله ومنك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما شـاء الله وشـئت، وهـذا

---

[1] (?) انظر: فتح المجيد، 471-472.

[2] (?) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص54.

لله ولك، وأمثال ذلك »[1]. التي منها: ما لي إلا الله وأنت! وهذا من الله ومنك! وهذا من بركـات الله وبركاتك! والله لِي في السماء وأنت لي في الأرض! واللهِ وحياةِ فلان! أو يقول: نـذرًا لله ولفلان! وأنا تـائبٌ لله ولفلان! وأرجو الله وفلانًا! فوازِن بين هذه الألفاظ وبين قـول القائل: ما شـاء الله وشـــئت! ثم انظر أيهما أفحش؛ يتـــبين لك أنَّ قائلَها أولى بِجـواب النـبي القائل تلك الكلمة، وأنه إذا كـان قد جعله ندًّا بها، فهذا قد جعل مَن لا يدانِي رسـول اللهِ في شيء من الأشـياء، بل لعله أن يكـون من أعدائه ندًّا لـرب العالمين. قال الشيخ الألباني –رحمه اللـه- في بيـان **فقه الحـديث:** « قلت: وفي هـذه الأحـاديث أن قــول الرجل لغــيره: " ما شــاء الله وشــئت " يعتــبر شــركًا في نظر الشـارع، وهو من شـرك الألفـاظ، لأنّـه يـوهم أن مشـيئة العبد في درجة مشـيئة الــرب سـبحانه وتعـالى، وســببه القـــرن بين المشـــيئتين، ومثل ذلك قـــول بعض العامة وأشـــــباههم ممن يدّعي العلم: ما لي غــــير الله وأنت. وتوكلنا على الله وعليك. ومثله قــول بعض المحاضــرين: باسم الله والــوطن،. أو باسم الله والشــعب، ونحو ذلك من الألفاظ الشركية، التي يجب الانتهاء عنها والتوبة منها، أدَبًـا مع الله تبـارك وتعـالى. ولقد غفل عن هــذا الأدب الكـريم كثـيرٌ من العامـة، وغـير قليل من الخاصة الـذين يُسوّغون النطق بمثل هـذه الشـركيات ... إلى آخر كلامه الجميل[2] .

ومن فوائد الحديث[3]:

أ- في هذه الأحاديث حَمَى العبد الرسول محمدٌ حِمَى التوحيد بسده طرق الشرك في مثل هـذه الألفـاظ، وإنْ ذكر العلماء –رحمهم اللـه- أنّ النهي عن الشـرك في الألفـاظ أتى بالتـدريج في تـاريخ بعثة النـبي عليه الصـلاة والســلام وتبليغه أمته بــالأوامر والنــواهي، فكـان الحلف

---

[1] (?) إغاثة اللهفان لابن القيم، (ص2/ص233) .
[2] (?) سلسلة الأحاديث الصحيحة، (ج1/ ص266-267).
[3] (?) انظر فوائد الحديث في كتاب التوحيد، ص316، (ضمن الجامع للمتون العلمية للشمراني)، وراجع شروحه للتعليقات المفيدة عليها.

بالآباء جائزا، ثم نهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك. وكذلك قول: ما شاء الله وشئت، ثم نهاهم عن ذلك[1]؛ وقد بلَّغ البلاغ المبين، وأنذر عن الشرك، وحذَّر عن قليله وكثيره، لكن كثيرًا من الناس تركوا نبيهم وما جاء به ونهى عنه، كأنهم لم يسمعوا كتابًا ولا سنة، وقد بعثه الله بالنهي عن الشرك كما ترى، فما زال يدعو الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له حتى أكمل الله لهم به الدين، وأتم عليهم النعمة، لكن رجعوا من الكمال إلى الضلال، ومن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك[2]، فعياذًا بالله من الخذلان!

ب- وفي قوله: " **ما شاء الله وحده** ": التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد في كل وجه، فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص.

ت- وفي قوله: " **أجعلتني لله ندًّا** ": فيه بيان أنَّ من سوّى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر، فقد جعله ندًّا لله، شاء أم أَبى، خلافًا لما يقوله الجاهلون مما يختص بالله تعالى من عباده، وما يَجب النهي عنه من الشرك بنوعَيه، ومن أراد الله به خيرا فقهه في دينه!

ج- وفي قوله: " **وإنكم قلتم كلمة كان يَمنعُنِي كذا وكذا أنْ أنْهاكم عنها** " وفي بعض الروايات: " **وإنَّكم كنتم تقولون كلمة كان يَمنعُنِي الحياء منكم أنْ أنهاكم عنها "،** وفي هذا -إنْ ثبتت الرواية بذلك- أنّ حياءه منهم المانع له مِن الإنكار، ليس على سبيل الحياء من الإنكار عليهم، بل كان يكرهها ويستحيي أنْ يذكُرَها؛ لأنه لم يُؤمر بإنكارها، فهذا الذي يجب أنْ تحمل عليه اللفظة -إنْ كانت محفوظة-؛ إذْ الرسول لا يستحيي مِن الحق، ولكنّه الحياء من أنْ يُنكر شيئًا قد درج عليه الألسنة، وأَلِفَه الناس قبل أنْ يُؤمَر بالإنكار، فلما جاء الأمر الإلهي؛ بهذه الرؤيا الصالحة أنكرها، ولم يستحي في ذلك[3].

---

[1] (?) التمهيد في شرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ، ص465-466.

[2] (?) انظر: قرة عيون الموحدين، ص163.

وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة وغيرها مع أنها بيت الله التي قصدها وزيارتها بالحج والعمرة فريضة.

وأختم بالقول بأنّ مسـألتي هـذه من حيث كونهـا تسوية مشيئة الله الخالق بمشيئة خلقه –ولو كان أقـربَهم إليـه سـبحانه، كعبـده ورسـوله محمـدٍ ﷺ- فإنهـا شـركٌ في توحيد الربوبية والأسماء والصـفات، فكـانت بهـذا الاعتبـار في هذا المبحث (مبحث خصائص الربوبية). أما لو نُظِـرَت من حيث إنَّ قائلها الذي تصدُرُ منه إنما يقولها بلفظه، كما أنّـه قـد يعتقـد مقتضـاها؛ (تسـوية المخلـوق بالخـالق).. فتكون بهذا الاعتبار شركًا بالله في توحيد الإلهية والعبادة. وتكون أيضًا ضمن مطالب المبحث الرابع (القـادِم). واللـه أعلم.[3]

** * **

المسألة الثالثة: اختصاص الله تعالى بالسمع الواسع:

تقدم في باب الفرق أنّ الجهال الذين يستغيثون بالأموات من الأنبياء والأولياء والصالحين وينادونهم ويدعونهم من دون الله لا يدعونهم إلا لاعتقاد أنّهم يسمعونهم[1] ويستجيبون، وكذبوا. ويقال هنا: هل مِن نسبةٍ يُماثَل بها بين مَن وسِع سَمعُه جميعَ المسموعات فأحاط بجميع متعلقاته الظاهرة والباطنة، فهو السميع الذي أحاط سمعه بجميع ما في العالم العُلوي والسُّفلي من الأصوات، فيسمعها سرَّها وعلنَها، وكأنها لديه صوتٌ واحدٌ، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، ولا تفنُّنُ الحاجات، والذي لا تغلطه تنوُّع المسائل، ولا تبرمه كثرة السائلين. فكان القريب منها والبعيدُ، والسرُّ والعلانية عنده سواء[2]: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ [الرعد: ١٠] .

---

3 (?) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان، ص525-526، وفتح المجيد للشيخ عبد الرحمن، ص474-475، وقرة عيون الموحدين، له أيضًا، ص163، والقول المفيد لابن العثيمين، (ج2/ 234).

1 (?) انظر مضمنات عنوان سماع الموتى، في: البريلوية عقائد وتاريخ للشيخ إحسان، ص78-85.

2 (?) انظر: شرح الأسماء الحسنى للدكتور سعيد القحطاني، ص251ـ 252، وفقه الأسماء الحسنى للدكتور عبد الرزاق البدر، ص126 .

وروى البخاري في بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ، وابن ماجه في السنن، وغيرُهما[1] عن عائشة رضي الله عنها، قالت: « الحمد لله الذي وسِع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلةُ إلى النبي ﷺ، وأنا في ناحية البيت، تشكو زوجها وما أسمع ما تقول؛ فأنزل الله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [المجادلة: ١].

فكيف يقارب مَن هذا حالُه بمَن لسمعه حدٌّ، وكانوا لا يسمعون فأسْمعهم الله، فالخلقُ –ومنهم الملائكة والرسل عليهم السلام- لهم حدٌّ حدَّه الله لأسماعهم.

والثابت في حق رسولنا ﷺ خصوصًا أنّه –بعد موته- يُرَدُّ عليه روحه –إذا سلَّم عليه المسلِّم القريب- ليرُدَّ عليه السلام. أما المُسَلِّم البعيد فإنَّه يُبَلغ عن طريق الملائكة السيَّاحين، لا أنّه يسمعهم أين كانوا، خلافًا لما يقولُه الغلاة الجهلة؛ لأنّ ذلك مما اختص الله به، يقول ابنُ عبد الهادي –رحمه الله-: «.. إنّما يقوله بعض الجهال يقولون: إنه يوم الجمعة وليلة الجمعة يسمع بأذنيه صلاة من صلى عليه، فالقول: بأنّه يسمع ذلك من نفس المصلي باطلٌ، وإنما في الأحاديث المعروفة أنه يبلغ ذلك ويعرض عليه، وكذلك السلام تبلغه إياه الملائكة، وقول القائل: إنه يسمع الصلاة من بعيد ممتنع، فإنّه إنْ أراد وصول صوت المصلي إليه، فهذه مكابرةٌ، وإنْ أراد إنه هو يكون بحيث يسمع أصوات الخلائق من البعد، فليس هذا إلا لله رب العالمين الذي يسمع أصوات العباد كلهم ، قال تعالى: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ [الزخرف: ٨٠]. ..

وليس أحدٌ من البشر، بل ولا من الخلق يسمع أصوات العباد كلهم، ومن قال هذا في بشر فقوله من جنس قول النصارى، الذين يقولون إنَّ المسيح هو الله، وإنه يعلم ما يفعله العباد، ويسمع أصواتهم ويجيب دعاءهم، .. فلا المسيح ولا غيره من البشر، ولا أحد من

---

[1] أورده البخاري في صحيحه معلَّقًا بصيغة الجزم، (ج4/5331)، وقبل رقم: 7386. وابن ماجه في سننه، في: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهيمة، ورقمه: 188، وهو صحيحٌ.

الخلق يملك لأحد من الخلق ضرًّا ولا نفعًا، بل ولا لنفسه، وإن كان أفضل الخلق، .. [1].

وسيأتي أنّ الله قد أبطل شرك المشركين بقصدهم إلى أصنامهم التي لا تسمع ولا تبصِر، وأنّها إن سمِعت ما استجابت، وبيّنَ أنّ المألوه المستحق للعبادة هو الذي له كمال السمع، وكمال البصر، وهو الله السميع العليم وحده[2].

** * **

[1] (?) الصارم المنكي، ص266-267، بتصرُّف.

[2] (?) سيأتي هذا لاحقًا في هذه الرسالة.

المسألة الرابعة: صفة البصر وعدم مماثلة مخلوقات الله له فيها:

قد تقدم ادّعاء البريلوية من الصوفية القبوريّة القائل: بأنّ النبِيّ ﷺ يرى أفعال الخلق في كُلّ زمان ومكان، بل حتى إنّ بعضهم يعتقد عقيدة شهوده كلّ شيء والتي عبّروا عنها بـ(الحاضر والناظر) [1]، وتقدمت مزاعم مشابهة في فصل الصوفية خصوصًا من الباب السابق، مما فيها تسوية هذا العبد وربّه. **لكن الحق** أنّه لا يماثِلُ بين الخلق والخالق في أوصافه وأسمائه وصفاته وأفعاله إلا الذين هم بآيته يجحدون، وبالله لا يؤمنون؛ إذْ كيف يشبَّه مَن « أحاط بصرُه بجميع المبصرات، في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها؛ فيرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسَرَيان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصِغرها ودِقّتها، ويرى نياطَ عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك. فسبحان من تحيَّرت العقولُ في عظَمَتِه، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبرته بالغيب والشهادة، والحاضر والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلُّبات الأجفان، وحركات الجنان »[2]، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ [المجادلة:٦]. وقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ [الشعراء:217-٢٢٠]. فهو تعالى مطَّلِعٌ ومحيطٌ علمُه وبصرُه وسمعُه بجميع الكائنات سبحانه.

ومما يدل على أنّ العبادة حق خالص للسميع البصير[3] قوله تعالى في غير ما موضع مِن كتابه: ﭽ ﯗ ﯘ ... ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [الأعراف:194-١٩٥]. وقال في قصة إبراهيم ﷺ: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ

[1] انظر مسألة زعم البريلوية أنّه ﷺ يرى أفعال الخلق في كل مكان وزمان من الباب المتقدم. ومسألة الحاضر والناظر في: البريلوية عقائد وتاريخ للشيخ إحسان، ص106-112.

[2] شرح الأسماء الحسنى للدكتور سعيد القحطاني، ص253 .

[3] انظر: فقه الأسماء الحسنى، ص128، و132 .

ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [مريم:41-٤٢]. وأنّ ما يُعبَد مِن دون الله كائنًا ما كان لو سمعوا ما استجابوا، قال تعالى بعد ما بيّن طائفة من أفعاله: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ [فاطر:13-١٤].

ومعلوم أنّ الباب الذي يعلم العبادُ معلوماتِهم -السابق الإشارة إليه- لا تخرُج مفاتيحُه عن ثلاثة؛ هي: السمع، والبصر، والفؤاد، التي وهبَها الله خلقَه ليعلموا بها، كما امتنّ اللهُ بِها علينا في سورة النحل بأنّه أخرَجنا مِن بطون الأمّهات جاهلين، كما أنّنا غيرُ قادرين على شيءٍ، ثم أعطانا مفاتيح العلوم، فقال: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭼ [النحل: ٧٨]. فالعِلم بالشيء إنْ كان بمشاهدته هو بنفسه بالسمع والبصر، أو كان بمشاهدة مثيله وقياس النظير بالنظير كان مُدرِك ذلك السمع والبصر، وإنْ كان بالذوق واللمس والشعور باللسان أو بغيره، كان مدركُه الفؤاد، أو كان بوصفِه الوصفَ الصادق بالكتاب والسنة والتواتر كان مدرِكُ ذلك أيضًا الفؤاد، فلا يخرجُ مفاتيح العلوم مِن الثلاث.

وعلى ذلك فالصم البكم الأعمى المجنون لا يكون له مِن العلم نصيب. كلُّ هذه الثلاثة هبة الله تعالى لعبادة، فالفضل أولا وآخرًا له سبحانه!

ومِن المعلوم أيضًا أنّ نبيَّنا محمدًا ﷺ قد خصَّه الله بخصائص في باب العلم بالشيء والسمع والبصر بِما لم يُعطِ أحدًا مِن أمته[1]، فصار يعلم ما لا نعلم، ويرى ما لا نرى؛ لأنّه يرى مِن خلفِه في صلاته كما يرى مِن أمامه[2]، ويسمع ما لا نسمع، كما جاءت هذه الخصائص والصفات في هذه الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **" يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلا "**

---

[1] انظر: خصائص المصطفى ﷺ بين الغلوّ والجفاء -عرضٌ ونقدٌ- على ضوء الكتاب والسنة، للدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم، ص61-62، ط / دار المنهاج.

[2] انظر: الصحيحة للشيخ الألباني (ج1/ ص72)، وجهود الإمام الألباني في تقرير توحيد العبادة، (ج2/178).

متفقٌ عليه[1]، واللفظ لعائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في باب صَلاَةِ الْكُسُوفِ في صحيح مسلمٍ[2]، -وله قصة-.

الحديث الثاني: عن أبي ذرٍّ قال، قال رسول الله : **" إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّتِ السماءُ، وحُقَّ لها أنْ تئِطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا وملَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجدًا لله، لو تعلمون ما أَعْلَم لضحِكتم قليلا، ولبَكَيتُم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله "** [3].

الحديث الثالث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ، قَالَ: " **أَقِيمُوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؛ فَوَ اللَّهِ إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ بَعْدِي** " وَرُبَّمَا قَالَ: " **مِنْ بَعْدِ ظَهْرِي، إِذَا رَكَعْتُمْ وَسَجَدْتُمْ "**[4]**.**

الحديث الرابع: وللبخاري ومسلم مِن حديث **أبي هريرة أن رسول الله قال: " هل ترَون قبلتي ههنا، والله وما يخفى عليَّ ركوعُكم، ولا خشوعُكم، وإني لأراكم وراء ظهري "**[5]**.**

الحديث الخامس: وعن أنس عند ابن خزيمة[6] قال، قال رسول ذات يوم، وانصرف مِن الصلاة، وأقبل

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي : "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا"، ورقمه: 6485 عن أبي هريرة ، وبرقم: 6486 عن أنس . وكتاب الأيمان والنذور، بَاب كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ، ورقمه: 6637، وصحيح مسلم عن أنس مطولاً في عرض الجنة والنار عليه : كتاب الفضائل، باب توقيره ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، ورقمه: 2359 .

[2] صحيح مسلم: كتاب الكسوف، باب صَلاَةِ الْكُسُوفِ، ورقمه: 901 .

[3] جامع الترمذي: كتاب الزهد، باب في قول النبي : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا "، ورقمه:2312، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، ورقمه: 4190، وقال عنه الشيخ الألباني: « حسن دون قوله: (لَوَدِدتُ) ».

[4] صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب الخشوع في الصلاة، ورقمه: 743، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الأَمْرِ بِتَحْسِينِ الصَّلاَةِ وَإِتْمَامِهَا وَالْخُشُوعِ فِيهَا، ورقمه: **425 .**

[5] صحيح البخاري: المصدر السابق، ورقمه: 741، وصحيح مسلم: المصدر السابق، ورقمه: 424.

إلينا بوجهه؛ فقال: **" يا أيها الناس إنِّي إمامُكم فلا تسبقوني بالركوع، ولا بالسجود، ولا بالقيام، ولا بالقعود، ولا بالانصراف؛ فإني أراكم من خلفي، وايم الذي نفسي بيده! لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا "**، قال: فقلنا يا رسول الله، وما رأيت؟ قال: **" رأيت الجنة والنار ".**

الحديث السادس: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا، ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: « **يَا فُلاَنُ أَلاَ تُحْسِنُ صَلاَتَكَ! أَلاَ يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّى!! فَإِنَّمَا يُصَلِّى لِنَفْسِهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لأُبْصِرُ مَنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ »**[1] **.**

الحديث السابع: وعَنْه أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ لِلنَّاسِ: " **أَحْسِنُوا صَلاتَكُمْ؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَاكُمْ أَمَامِي** " رواه أحمد في مسنده[2].

وبعد فمع ما خصّ الله عبدَه ورسولَه في هذا الباب وغيرِه إلا أنَّه لا ينبغي أن يقال بأنّ النبيَّ يعلم كلَّ ما يعلمه الله، أو أنّ جميع ما في اللوح مِن عِلمه، أو يسمع جميع المسموعات، ويرى جميع المبصَرات. كما لا يقال بأنَّه يقدِر على كلِّ شيءٍ، أو يقدِر على كلِّ ما يقدِر عليه الله –وقد تقدم الردّ على قائليه في فصل الصوفية-؛ لأنَّ ذلك تسويةٌ بينه وبين العليم القدير، السميع البصير، وهو شرك بالله عظيم، في باب الأسماء والصفات. وإذا كان لم يجز هذه التسوية في سيد المرسلين، فلا ينبغي في حق غيره مِن باب أحرى!

** * **

وهذه خمسة أمثلة ذكرتها في أربع مسائل لخمس صفات، وقُلْ مثل ما قلتُ فيها في بقية الصفات التي

---

6 (?) صحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب النهي عن مبادرة المأموم الإمام بالقيام و القعود، ورقمه: 1602، وباب الزجر عن مبادرة الإمام بالانصراف من الصلاة، برقم: 1716 كلاهما عن أنس .

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الأَمْرِ بِتَحْسِينِ الصَّلاَةِ وَإِتْمَامِهَا وَالْخُشُوعِ فِيهَا، رقم: 423 .

2 (?) مسند الإمام أحمد: رقم: 8927، وقد بيَّن الشيخ شعيب أنّ الحديث صحيح، والإسناد جيِّدٌ .

اتصف بها مولانا سبحانه، مما جاءت في كتابه الكريم، أو على لسان رسوله الكريم ﷺ! وما أكثرها!!

ثم إنه قد تبيّن بالمطلبَين (مطلب أفعال الله، ومطلب أسمائه وصفاته) أنّه ليس للعبد الرسول محمد ﷺ من خصائص الربوبية شيءٌ، كما أنه لأنْ ينتفِي ذلك لغيره مِن خلق الله من باب أولى!

** * **

المبحث الثالث: أهل السنة يعتقدون أنَّ العبدَ الرّسولَ محمدًا ﷺ لا يعلم شيئًا من الغيب في حياته إلا ما علَّمه الله، فكيف بعد وفاته؟
وكيف يعلم ذلك غيرُه[1]؟ وأنّ الغيب مِن خصائص الله تعالى!

مطلبٌ تَمهيديٌّ في التعريف بالغيب وذِكر أنواعه:

الغيب هو ما استتر وغاب عن الحواس، قال ابن فارس –رحمه الله-: « غيب: الغين والياء والباء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تستُّر الشيء عن العيون. ثم يقاس من ذلك الغيب ما غاب مما لا يعلمه إلا الله. ويقال: غابت الشمس تَغِيب غيبةً وغيوبًا، وغاب الرجل عن بلده. وأغابت المرأة فهي مُغِيبةٌ؛ إذا غاب بعلُها »[2].

وفي حديث جابر الطويل في قصة زواجه ﷺ مرفوعًا: " **أمهِلوا حتى تدخلوا ليلاً -أي: عِشاءً- لِكيْ تمتشط الشَعِثَةُ، وتستْحِدَّ المُغِيبة**[3] "[4]، والمُغيبة: التي غاب عنها زوجها. ويقال: غاب عنه فلانٌ غيبةً وغَـيْـبًا وغيابًا وغيوبًا ومغيـبًا[5] .

وأما الغِيبة -بكسر فاء الكلمة- فهي الوقيعة في الناس؛ لأنَّها لا تقال إلا في غَيبتهم[6]. هذه أهم معاني الكلمة في اللغة.

---

[1] للاستزادة مما يدخل هذه المسألة، يُنظَر: مسألة علم الغيب في كتاب البريلوية عقائد وتاريخ للشيخ إحسان إلهي ظهير، 85-98، ورسالة أصول الإيمان بالغيب وآثاره، د. فوز بنت عبد اللطيف بن كامل الكردي.

[2] معجم المقاييس في اللغة، ص 808 .

[3] **الشَعِثَةُ** -بفتح المعجمة وكسر العين-، يُطلق على التي غاب عنها زوجها شعثة؛ لأنَّها في مظنَّة عدم التزيُّن. وقوله في الحديث: " **وتستحِدَّ الـمُغيبة** " الاستحداد: استعمال الحديدة في شَعر العانة، وهو إزالته بالموسى، والمراد ههنا إزالته كيف كانت، وعُبِّر بالاستحداد؛ لأنَّه الغالب استعماله في إزالة الشعر. أما " الـمُغِيْبَة "، فهي التي غاب عنها زوجها، -كما مرَّ-، وإنْ حضَر زوجُها فهي مَشهد بغير هاء. انظر: (المنهاج للنووي، ص 919، والفتح، 3 / 3580).

[4] صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب تزويج الثِّيبات، ورقمه: 5079، وصحيح مسلم: كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر، ورقمه: 1466 .

[5] انظر: معجم الصحاح للجوهري، مادة غيب، ص 789، والقاموس المحيط، ص 125).

[6] انظر: معجم المقاييس في اللغة، ص 808 .

وأما الغيب في الشرع: فهو لا يختلف عن المعنى اللغوي، قال ابن الجوزي –رحمه الله-: « وأصل الغيب المكان المطمئن الذي يستتر فيه؛ لنزوله عما حوله فسُمِّي كلُّ مستَتِرٍ، غَيْبًا »[1]. ثم ذكر ستة أقوالٍ في المراد بالغيب الذي امتدح الله المتقين المتصفين به في قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭽ [البقرة: ٣]، ونسَبَ كلَّ قولٍ إلى قائله من الصحابة والتابعين، وأنا هنا أذكرها بدون نِسبتها إلى أصحابها تلخيصًا، وهي:

أوَّلاً: أنه الوحي. (أي: الكتاب والسنة وأخبارهما الماضية والمستقبلة). **ثانيًا:** القرآن. (أي: أخباره وأقاصيصه الماضية والمستقبلة غيبٌ عنا). **ثالثًا:** الله . (والله ذاتُه وكيفيّة صفاته غيبٌ، وليس غائبًا). **رابعًا:** ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار[2]، ونحوِ ذلك مما ذُكِر في القرآن، (وهذا يرجع إلى الثاني). **خامسًا:** أنّه قدَر الله (والقدر سرُّ الله). **سادسًا:** أنّه الإيمان بالرسول في حق من لم يرَه[3] .

وهذه الأقوال كلُّها بِهذه الأوجه من الغيب. وبمجموعها يتَّضح ضابطُ وتعريفُ الغيب في الشرع[4] .

والغيب على نوعين؛ مطلَق ونِسبِيّ.

فالنِّسبي: هو الذي يكون لمخلوقٍ معلومًا، ولآخر مجهولاً، أو الغيب في حالٍ دون حالٍ؛ بحيث يمكن التعرّف عليه في الدنيا، إما مطلقًا أو بعد توفُّر الأسباب المؤدية إلى معرفته. والعلم بهذا النوع من الغيب يكون جزئيًا

---

1 ( ) زاد المسير، (تفسير الآية الثالثة من سورة البقرة).

2 ( ) قال العلامة ابن القيِّم –رحمه الله- « أن الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غَيْبًا، وحجَبَها عن إدراك المكلفين في هذه الدار؛ وذلك مِن كمَال حكمته، وليتميّز (المؤمنون بالغيب) مِن غيرِهم. فأوَّل ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر، وتجلس قريبًا منه، ويشاهدهم عَيَانًا، ويتحدثون عنده، ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار، ويُؤَمِّنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر، وقد يُسلّمون على المحتضر، ويَرُد عليهم تارة بلفظه، تارة بإشارته، وتارة بقلبه؛ حيث لا يتمكن من نطقٍ ولا إشارةٍ » (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

3 ( ) انظر: تفسير قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭽ في زاد المسير.

4 ( ) انظر: علم الغيب في العقيدة الإسلامية، ص 25ـ31.

ونسبيًّا بحيث لا يختص بعلمه أحدٌ معيَّن، أو طبقة خاصة؛ فيحصل للوليِّ وغيرِ الولي، وللمسلم والكافر، وللعالم والجاهل[1] .

وهو على أضرُبٍ كثيرة[2].

وأما الغيب المطلق، فهو الذي استأثر الله بعِلمِه دون سواه، وهو من خصائصه[3] سبحانه. وله نوعان:

---

[1] انظر: المصدر نفسه، ص 35، و145 .

[2] **الضرب الأول**: غيبٌ يمكن التعرف عليه مطلقًا. مثاله: ما يغيب عن بعض الخلق، ويعرفه غيرهم بالمشاهدة أو الحس أو بالإخبار المتواتر عن وجوده كالعلم بالأقطار النائية، والعلم بالأجهزة الداخلية للإنسان، ونحو ذلك. ويعتبر هذا الضرب غيبًا نسبيًّا لمن غاب عنه، وعلمُ شهادةٍ لمن شاهده ورآه أو علِمه.

الضرب الثاني: غيبٌ لا يمكن التعرف عليه إلا بعد توافر بعض شروط واستعدادات. مثل معرفة الجنين بعد اكتمال خَلقِه في بطن أمه هل هو ذكر أو أنثى؟ ويكون بواسطة الأشعة التليفزيونية. ومثل معرفة ما سيقع في الأعوام المقبلة من الخسوفات والكسوفات، وتحديد ذلك بناءًا على دراسات الأجرام السماوية من الكواكب التي جعلها الله من الأسباب الكونية التي يُعرف بها الحساب.

الضرب الثالث: غيبٌ يتناوله العلم البديهي؛ مثل معرفة عقل الرجل بمنطقه وكلامه، وحياة الجنين بحركته، وبالخلق على الخالق.

الضرب الرابع: غيب لا يمكن التعرف عليه في الدنيا إلا على وجهٍ مجملٍ، كالنعيم والعذاب الأخروي، وعن هذا النعيم قال الله تعالى: چ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ [السجدة: ١٧].

الضرب الخامس: غيبٌ لا يمكن التعرف عليه بحالٍ من الأحوال ما دُمنا في الحياة الدنيا. كالحياة البرزخية، مع أنَّ هناك مِن الخلق من يعرف ذلك، كالميت؛ فإنَّه يعرف حقيقتَها ويشاهدها، وكالذين أطلعهم الله عليها من الملائكة والرسل والبهائم.

الضرب السادس: الغيب الزماني، -المتعلِّق بزمنٍ معين- وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الغيب المتعلق بالأخبار والأحداث التي وقعت في زمنٍ مضَى، فقصة يوسف وموسى عليهما السلام غيبٌ بالنسبة للنبيِّ ﷺ ولنا، وإنْ كانت ليست غيبًا بالنسبة لمن حضَرها.

القسم الثاني: الغيب الحاضر، كالأحداث التي تقع في أقطار الدنيا، فهي غيبٌ نِسبي.

القسم الثالث: الغيب المستقبلي، وأكثره من الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله كوقت الساعة، وبقية المفاتيح الخمسة. ومنه ما أطلعه الله بعض رسله مما سيقع. وأما ما يُخبر به بعض الناس فهي مبنية على توقعات وتحليلات، قد تقع وقد لا تقع.

النوع الأول: ما ورد النّص الصريح على أنَّ الله قد كتَمه عن خلقه، فلا اطلاع لأحدٍ من الخلق عليه؛ لا ملَكٍ مقرَّبٍ، ولا نبيٍّ مرسل، كمفاتيح الغيب الخمسة[1].

أما النوع الثاني من الغيب المطلق: فهو ما لم يرِد نصٌّ صريحٌ على أنَّ الله كتمه عن خلقه، فهذا قد يُطلع الله بعض خلقه على شيءٍ منه كالملائكة والرسل[2]. والله أعلم.

الضرب السابع: الغيب المكاني، وهو قسمان:
قسم لا يعلمه إلا الله، كمعرفة مكان موت الإنسان ودفنه.
وقسم يغيب عن بعض الناس دون آخر، كمعرفة مكان الضالة. وكمعرفة ما في باطن الأرض من المعادن والماء الذي يعرفه المختصون بذلك دون غيرهم (ولِمَن أراد التفصيل في هذه الأضرب للغيب النِّسبي وأمثلتها، النظر في كتاب علم الغيب في العقيدة الإسلامية: من ص 146-150. وهذا مختصرٌ منه).

[3] (?) انظر: علم الغيب في العقيدة الإسلامية، ص 35، و41 .

[1] (?) وتفصيل هذا ببيان وجه الغيبوبة من هذه المفاتيح مِفتاحًا، مِفتاحًا مع الاختصار:
المفتاح الأول: عِلم الساعة: فالعلم بوَقت الذي تقوم فيه القيامة، فيتغير كلُّ شيءٍ من هذه الدنيا؛ فتُبدل السموات غير السموات، والأرض غير الأرض، وتبدأ حياة أخرى للجن والإنس لم يعرفوها مِن قبلُ، وذلك حين يبعثهم الله للجزاء والحساب على الأعمال التي قدموها في هذه الدنيا، فهذا العلم مما استأثر الله به، إذْ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ [فصلت: ٤٧]. وأنَّه لم يطلع عليها ملَكًا مقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلاً، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [الأحزاب: ٦٣]. وقد قال النبيُّ في حديث مُسلم لما سأله جبريل عنها في حديثه المشهور: " **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** ".
المفتاح الثاني: العلم بالغيث: إنزال الغيث والمطر من الله القدير وحده دون سواه، ولا يعلم وقتَ نزوله إلا الله، وإنْ كان إذا أمر به علِم ملائكتُه الموكَّلون بذلك، ومَن شاء الله مِن خلقه، ففي حديث: مفاتيح الغيب الخمس التي لا يعلمها إلا الله... السابق، قوله: " **وما يدري أحدٌ متى يجيء المطر** ". وكذا لا يعلم مقدار ما ينزل إلا هو سبحانه وتعالى، قال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ [المؤمنون: ١٨]. وكذلك لا يعلم أحدٌ من الخلق المكان الذي سينزل فيه المطر، قال تعالى: ﭽ   ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ   ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ [السجدة: ٢٧].
المفتاح الثالث: اختصاص الله تعالى بالعلم اليقيني للأجنة في الأرحام الشامل لكلِّ لَحَظاتها وأطوارها: فمبدأ خَلق الجنين من حيث الذكورية والأنوثة، وتمام الخلقة وعدمها، وطول العمر وقصره، وشقاوته أو سعادته، وطوله وقصره، وبياضه وسواده، وسلامة حواسه، وصحته

** * **

وبعدُ، أقول: إنّ **من الأمور التي وضّحها الله تعالى في القرآن أتمّ بيانٍ وتوضيح، وأمَر عبده ورسولَه محمدًا بتبليغها إلى الأمة: كونه لا يعلم الغيب**. وعند تأمل القرآن نرى أنّ كلّ آية صرّحت باختصاص الله تعالى بعلم الغيب فإنها في الوقت ذاته تتضمن نفيَـه عن هذا العبد ، وعن غيره بالأحرى. كما أنّه -بالإضافة إلى ما سبق- هناك آيات صرّحت بأنه عليه

وسقمه، وأجله، وحياته وموته، وهل هو سقط أو لا؟ وطبائع موروثة في الجنين وأخرى مكتسبة،...إلخ. ففي بداية خلقه تكون كلّ هذه الأمور من الغيب المطلق لجميع الخلق، ثم يكون بعضها نِسبيًّا لبعضهم بعد أنْ يطلعهم الله على ما شاء منه؛ فالملائكة التي يأمرها الله بكتابة رزق الجنين وأجله، وشقيٍّ أو سعيدٍ تكون هذه المعلومات عندها معلومة وشاهدة، وإن كانت مجهولة عند غيرها من الخلق. وكذلك الذكورية والأنوثة يعرفها الأطباء معرفة ظنيَّة، وبواسطة، وبعد تمام الخلق لا قبله. وقد اختص الله تعالى بعلم الأجل والعمل والشقاوة أو السعادة ... وقد يعلمها غيره بعد اطلاع الله ذلك لهم. قال تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ [آل عمران: ٦].

المفتاح الرابع: علمُ ما تكسبه النفوس في المستقبل: وهذا شاملٌ للكسب المعنوي والمادي، والتي هي الأعمال الطالحة والصالحة، والأرزاق التي تكسبها النفس. فمِن إطلاق الكسب على الأعمال الصالحة قوله تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ [الأنعام: ١٥٨]. ومن إطلاقاته على الأعمال السيئة: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ [الأنعام: ١٢٠]. ومن إطلاقه على الرزق قوله تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ [البقرة: ٢٦٧]. يقول الدكتور أحمد بن عبد الله الغنيمان بعدما ذكر إطلاقات الكسب في القرآن: « ومن كلِّ ما تقدم يتبيَّن أنَّ الكسب عامٌ يطلق على كلِّ عملٍ يعمله الإنسان سواء كان معنويًّا كالأعمال الصالحة أو السيئة، أو حسِّيًّا كالرزق من مالٍ أو طعامٍ أو شراب ...» وأنَّها كلّها مما استأثر الله بها دون غيره، فيكون معنى آية: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ شاملاً لكلِّ ما ذُكر؛ فالنفس لا تدري ماذا قدِّر لها أو عليها في المستقبل. ولا فرق في ذلك بين نفوس الملائكة والأنبياء، والجن والإنس. إنما يختص بذلك علام الغيوب لكمال علمه سبحانه. وقد يُطلع الله مَن شاء مِن رسله.

المفتاح الخامس والأخير: العلم بالموت زمانًا ومكانًا: فالموت نهاية هذه الحياة، ولا يدري الإنسان متى وبأيِّ أرض يموت، إنما اختص بذلك العليم الخبير. وقد يُعلمه الله مَن شاء من ملائكته ورسله. ودليل هذه المفاتيح الخمسة إشارةُ آية الأنعام، وتصريح آية لقمان، وزيادة تفسير بالأحاديث، وسيأتي ذكر هذه النصوص قريبًا. والله أعلم. (انظر عن المفاتيح الخمسة مفصَّلا: في ص 44-64، وص 65- 86، وص 87-

الصلاة والسلام لا يعلم الغيب. وهذا الأمر قد صرَّح به العبد الرسول في غير ما حديث، وقد جاءت مئات الأدلة في كتب الحديث، ووقائع السيرة تشهد لذلك.

ففي الكتاب والسنة الرد المفحم على ما يدّعيه المدعون مِن أنّه يعلم الغيب المطلق، وعنده مفاتحه[1]! وأُذكّر هنا بما تقدم من قول البريلويّ: (إنّ النبِيّ عليه الصلاة والسلام يعلم الغيوب الخمسة التي هي مخصوصة بذات الله تبارك وتعالى) [2] ثم ذكر آية لقمان. وقال أيضًا: (إنّه أوتي علم الخمس في آخر الأمر لكنه أُمر فيها بالكتمان) [3].

ثم ليُعلَم أنّ ما أعلمه الله تعالى في قضية من القضايا فإنّها صارت عنده ليست بغيب، وإنْ كانت غيبًا عند غيره.

وعلى هذا فإذا كان النبِيُّ لا يعلم الغيب، فكيف يعلم ذلك غيرُه من الأنبياء عليهم السلام، ثم كيف يعلم ذلك مَن هم دونَهم من الأولياء والصالحين![4].

وأما الدعاوى البريلوية السابقة فباطلة بدلائل الكتاب والسنة القادمة.

ولبيان ما تضمنّه عُنوان المبحث أقول: قد تنوّعت دلالاتُ نصوص الكتاب والسنة في بيان

110، وص 118- 119، وص 111-126، وص 127-142 في كتاب علم الغيب في العقيدة الإسلامية للدكتور أحمد الغنيمان –حفظه الله-).

2 (?) انظر الأمثلة في ذلك: المصدر السابق، ص 42-43، والفصل الثالث: تأييد الله للرسل بإطلاعهم على أمور الغيب، من الباب الثالث الذي هو: الرسل وعلم الغيب، من ص 313-342 من المصدر نفسه. وراجع: مطلب صِدق ما أخبَر به عليه الصلاة والسلام عن الماضي والمستقبل في مبحث دلائل نبوته من هذه الرسالة.

1 (?) انظر نصوص الغلاة التي زعموا بها أنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا يعلم الغيب في: مسألة زعم البريلوية أنه أعطي علم جميع ما في اللوح المحفوظ. ومسألة علم الغيب من كتاب البريلوية لإحسان، ص85-98.

2 (?) نقله عنه الشيخ إحسان في كتابه: البريلوية عقائد وتاريخ، ص88.

3 (?) خالص الاعتقاد للبريلوي، 56، بواسطة: البريلوية لإحسان إلهي ظهير، ص90.

4 (?) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي للدكتور محمد أحمد لوح (ج1/ ص192، وص198).

اختصاص الله وحده لا شريك له واستئثاره بعلم ما غاب عن العباد، وأنّه لا يستقلّ به أو يشارك اللهَ في معرفته حتى أقرب الخلق إليه، مِن ملائكته المقرَّبين، وأنبيائه ورُسُلـه والصالحين، فمِن تلك الدلالات:

أولا: النصوص التي فيها بيان استئثار الله وحده بعلم ما غاب عن العباد، وهي على أربعة أنواع:

النوع الأول: النصوص التي فيها أنّ الله وحده ﭽ [illegible] ﭼ: قال الله تعالى في قصة الملائكة مع أبينا آدم -ﷺ-: ﭽ [illegible] ﭼ [البقرة: ٣٣]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [هود: ١٢٣]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [النحل: ٧٧]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [الكهف: ٢٦]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [فاطر: ٣٨]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [الحجرات: ١٨].

النوع الثاني: النصوص التي فيها أنّ الله وحده ﭽ [illegible] ﭼ: قال الله تعالى: ﭽ [illegible] ﭼ [الأنعام: 73]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [التوبة: ٩٤]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [التوبة: ١٠٥]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [الرعد:8-٩]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [المؤمنون:91-٩٢]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [السجدة:5-٦]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [الزمر: ٤٦]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [الحشر: ٢٢]. وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [الجمعة: ٨]، وقال: ﭽ [illegible] ﭼ [التغابن: ١٨].

النوع الثالث: النصوص التي فيها أنّ الغيب إطلاقًا لله وحده، قال الله تعالى: ﭽ [illegible] ﭼ [يونس: ٢٠]. فالله تعالى هو الذي عنده ﭽ [illegible] ﭼ [الأنعام: ٥٩].

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ هذه المفاتيح التي لا يعلمها إلا الله بقوله فيما رواه عنه ابنُ عمر رضي الله عنهما: "

مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما

في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغِيض الأرحامُ إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله " [1]، وفي رواية للبخاري: " **مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ:** ﭽ   ﭼ[لقمان: ٣٤] [2].

وهو العالم بما كان وما يكون، وما لم يكنْ لو كان كيف يكون، الذي لا يضلُّ ولا ينسى، والذي هو بكلِّ شيءٍ عليم، كما أنَّه سبحانه وتعالى على كلِّ شيءٍ قديرٌ، قال تعالى: ﭽ   ﭼ[الطلاق: ١٢]، فالغيب عنده سبحانه وتعالى شهادة. و**الآيات** التي فيها أنَّ الله قد أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، فهو عالِمُ ما غاب عن عباده وما شهِدوه كثيرةٌ جدًّا.

وأما **الأحاديث** التي تُبين استئثار الله بعلم الغيب فكثيرة جدًّا؛ ومنها:

حديث دعاء الهم والحزن الذي رواه ابن مسعود قال مرفوعًا، وفيه: " **.. أسألك بكلِّ اسمٍ هو لَكَ، سمَّيتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابكَ، أو علَّمتَه أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن تَجعل القرآنَ ربيعَ قلبي، ..**" [3] .

---

[1] صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ [الرعد: ٨]، ورقمه: 4697، وقد جاءت لفظة" في خمسٍ لا يعلمهن... " في حديث جبريل الطويل عند الشيخين من طريق أبي هريرة ، في صحيح البخاري: (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، ورقمه: 50. وفي صحيح مسلم: (كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، ورقمه: 9 و10).

[2] صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ﭽ   ﭼ، ورقمه: 4777.

[3] صحيح ابن حبان: كتاب الرقائق، باب الأدعية -ذكر الأمر لمن أصابه حزَنٌ أن يسأل الله ذهابَه عنه، وإبداله إياه فرَحًا-، ورقمه: 972، ومستدرك الحاكم: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، ورقمه: 1877، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلِم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه؛ فإنه مختلف في سماعه عن أبيه »، وقال شعيب الأرناؤوط ومساعدوه: « إسناده صحيح »، وقد جزم في أبي سلَمَة الجهني بأنَّه هو موسى الجهني في تعليقه

وعن حماد [1] قال حدثنا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ [2] قَالَ: « صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ [3] صَلاةً فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلاةَ؟ فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ هُوَ أُبَيٌّ، غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنْ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: **اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ؛ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، ..** "الحديث[4]. إلى غير ذلك مِن الآثار.

النوع الرابع: النصوص التي فيها بيانُ أنّه إلى الله وحده مردّ علم الساعة: قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [الأحزاب: ٦٣]. وقال: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [فصلت: ٤٧]. وقال: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [الزخرف: ٨٥].

ثانيًا: النصوص التي فيها أنَّ جميع مَن في الأرض بِما فيهم الأنبياء والرسل -عليهم السلام-، وبما فيهم رسولنا ، والجن وبقية الإنس، وجميع مَن في السماوات، بما فيهم الملائكة، سوى الله لا يعلمون الغيب: قال الله تعالى: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [النمل: ٦٥].

فقد أرشد اللهِ عبدَه ورسولَه محمدًا أنْ يقول بهذه الآية ويعتقدها ويعلّمها الخلق: وفيها عمومٌ في النفي وخصوصٌ في الإثبات، فهي ككلمة (لا إله إلا الله)، إذْ كلُّ ما سوى الله منفيٌّ عنه علم الغيب كما نُفي عنه استحقاق الإلهية؛ لأنَّ ذلك كِليهما من خصائص الرب الإله،

على ابن حبان، والأمر محتمل، واستدرك على ذلك في المسند. هذا، وللحديث شاهدٌ من حديث أبي موسى، فحديث ابن مسعود هذا حسن به، (وراجع مسند ابن مسعودٍ ، من مسند الإمام أحمد، للتوسع في تخريج الحديث، ورقم الحديث: 3712).

[1] سبقت ترجمته.

[2] عطاء بن السائب، سبقت ترجمتهما (عطاء ووالده).

[3] سبقت ترجمته.

[4] سنن النسائي، وقد سبق تخريجه، وهو حديث صحيح.

وقُدِّم النفي على الإثبات ليشمل كلَّ من في الأرض والسماوات، ثم جاء الإثبات لاستثناء الله من بينِ عمَّار السماوات.

ويشهد للآية في نفي علم الغيب عن عموم **الجنّ** من بين عُمَّار الأرض قوله تعالى في قصة سليمان : ﭽ   ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ   ﭼ [سبأ: ١٤].

كما يشهد لها في نفي علم الغيب عن عموم الملائكة من بين عُمّار السماوات قوله تعالى في قصة خلق آدم : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ [البقرة: 30 ـ ٣٢][1] .

ثالثًا: النصوص التي فيها شواهدُ دالةٍ على عدم علم الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- ما غـيَّـبه الله عنهم، مع أنَّهم الـخيرة من خلقـه:

فقد تبرئ نوحٌ ونفى عن نفسه علم الغيب وذكر أنّه لو ادعى فهو من الظالمين، فقال -فيما ذكَر عنه تعالى- : ﭽ ﭼ [هود: ٣١]. كما أنه لم يدرِ أنَّ ابنَه الذي غرِق ليس من أهله الموعود بنجاتهم حتى أخبره الله بقولَه: ﭽ ﭼ [هود: 46 ـ ٤٧] [2]. وقل مثل ذلك في شأن امرأته .

وأما **خليل الرحمن إبراهيم** فمن النماذج على أنَّه لا يعلم الغيب: ذبْحُه العجل للملائكة، ولم يعلم أنَّهم ملائكةٌ، ولا لِماذا جاؤوا حتى أخبروه من هم! وأنَّهم رُسلُ

---

[1] (?) أشار إلى هذا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في آخر تفسير قوله تعالى:(وعنده مفاتح الغيب) (2ج/ص231).

[2] (?) انظر: أضواء البيان، تفسير قوله: (وعنده مفاتح الغيب)، (ج2 /ص 231).

الله إلى قوم لوط [1]، وقد جاءت القصة في سُوَر كثيرة منها سورة الذاريات [2].

وأما **لوطٌ** ￼ فكذلك؛ إذْ لَمّا جاءته الملائكة لم يعلم بأنَّهم ملائكة، وخاف لضيوفه أنْ يفعل بهم قومُه فاحشتَهم المشهورة، حتى أخبروه و ﭽ ￼￼ ى ې ې ى ￼￼￼￼￼￼￼ ￼￼￼￼￼￼￼￼￼￼￼￼￼￼￼￼ ﭼ [هود: ٨١] [3]، ولم يدر كذلك بحقيقة امرأته، وأنَّها كافرةٌ حتى أعلمه الله، قال تعالى: ﭽ ک ک ک گ گ گ گ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ￼￼￼￼￼ ￼ ه ه ﭼ [التحريم: ١٠].

وأما **يعقوب** ￼ فقد وافق بـنِيه على إرسال يوسف وبعده أخاه (بنيامين) عليهما السلام معهم، ولم يعلم بالذي دبَّره إخوة يوسف عليه من الإجماع على أن يجعلوه في غَيَابَة الجُبِّ. وقد ابيضت عيناه من الحزن على يوسف ￼ حتى ذهب عنه بصرُه، وهو في مصر لا يعرف خبرَه وخبر أخيه حتى أظهرهما الله[4]، ولو كان يعلم الغيب لـما أَمِن بقولهم[5].

ولَما سأل فرعون **موسى** ￼ عن القرون الأولى تبرَّأ من علم الغيب وردَّ علمَها إلى علام الغيوب، قال تعالى: ﭽ ￼￼￼￼ ￼￼￼ ￼ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ﭼ [طه: ٥٢]، ولَمّا همَّ آل فرعون بقتله ￼ وأرسل فرعون من يبطشوا به من الجنود وذلك بعد قتله القبطي الذي يقتتل مع الإسرائيلي في قصتهما المشهورة، لم يعلم بذلك إلا بعدما أخبره ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة (20 من سورة القصص). ولما قتِل قتيلٌ في بني إسرائيل وطُلب من موسى ￼ أنْ يُبيِّن لهم القاتل لم يكن يعلم من هو ذاك القاتل حتى دعا الله وأمره سبحانه أنْ يأمرهم

---

[1] (?) انظر: الأضواء للشيخ محمد الأمين، تفسير الآية السابقة، (ج1/ص 230)، وعلم الغيب في العقيدة الإسلامية، للدكتور أحمد بن عبد الله الغنيمان، ص289 .

[2] (?) اقرأ من آية 24-34 في سورة الذاريات.

[3] (?) انظر: أضواء البيان، (2 / 231)، وعلم الغيب، ص 290 .

[4] (?) اقرأ القصة في سورة يوسف: (في حدود آية ثمانين وما بعده).

[5] (?) انظر: أضواء البيان، (ج2/ص231)، وعلم الغيب في العقيدة الإسلامية، ص 291 .

بذبح بقرة ...، كما في قصة سورة البقرة [آيات 67 ـ 74][1] .

وأما **عيسى** فإنَّه سيتبرَّأ يومِ القيامة على رؤوس الأشهاد[2] من أنْ يكون هو الذي طلَب أنْ يتخذه الناس ـ هو وأمّه ـ إلَهَيْنِ من دون الله، وسيذكر أنَّ الله يعلم حقيقة الأمر، في حين أنَّه لا يعلم ما أخفاه الله عنه، ولم يُطلِعه عليه؛ لأنَّه إنما يعلم من الأشياء ما أعلمه ربُّه: ﮋ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ [المائدة: ١١٦][3].

وأما **داود** فلم يعرِف تفاصيل قصة الخصمين، ولو كان يعلم الغيب لعلِم ذلكَ، ولَعَلِم المحِقَّ منهما من المبطِل، وقد جاءت قصته معهم في سورة ص [آيات 21 ـ 26][4] .

و**أما ابنه سليمان** فلما حُشِر له جنودُه من الجنِّ والإنس والطير اعتذرت نملةٌ له ولجنوده عن أنْ يحطموا أخواتها وهم لا يشعرون، ﮋ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ [النمل: ١٨]. وقد حصل أنْ تفقَّد الطير، ولم يعلم بمكانه. كما أنَّه ما كان يدري عن أهل مأرب قوم بلقيس حتى جاءه الهدهد وذكر له. وشاهد القصتين قول الله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﮊ، إلى قوله: ﮋ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ [النمل: 20-٢٧] مع أنَّ الله سخَّر له الشياطين والريح والطير ما لم

---

[1] انظر هذه النماذج الدالة على أنَّ موسى لا يعلم من الغيب إلا ما أُعلم، علم الغيب: ص 291-294.

[2] هذا هو قول قتادة وغيره في الآية من أنَّ التبري سيكون في الآخرة، وليس أنَّه وقع لـمَّا رُفع عيسى إلى السماء، وإنْ صُدِّر الكلامُ بلفظ المضي، وعُقِّب بقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﮊ وﮋ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﮊ ، وهذان هما العلتان اللتان استدل بهما ابن جَريرٍ في ترجيح أنَّ ذلك كان في الدنيا وليس في الآخرة، وقد نظَّرهما ابن كثيرٍ، ورجح الأول، وقال: « هو الأظهر ». راجع تفسير الآية، في تفسير القرآن الكريم، وجامع البيان.

[3] انظر: تفسير الطبري للآية، وعلم الغيب في العقيدة الإسلامية، ص 295 .

[4] انظر: الحليّة بشرح القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة، لعيسى مال الله فرج، ص 361 .

يُسَخِّره على أحدٍ من العالمين[5]. ولو كان يعلم الغيب لما احتاج إلى النظر للوقوف على صِدق الهدهد من كذبه.

وأما **زكريا** فلم يدر من أين يأتي مريم عليها السلام الطعامُ، فكان ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [آل عمران: ٣٧]. فلو كان يعلم الغيب لَما سألها عن ذلك [1] .

ومما يخصُّ عدداً من أولِي العزم مِن الرُّسلِ (وهم محمدٌ وإبراهيم وموسى وعيسى –عليهم الصلاة والسلام-) ويدلُّ على أنَّهم لا يعلمون متى تقوم الساعة ما رُوِي عن مُؤْثِر بن عَفَازة[2] عن عبد الله بن مسعود قال: « **لَما كان ليلة أُسري برسول الله لقِيَ إبراهيم، وموسى، وعيسى . فتذاكروا الساعة؛ فبدؤوا بإبراهيم، فسألوه عنها، فلم يكن عنده منها علمٌ. ثم سألوا موسى، فلم يكن عنده منها علمٌ . فرُدَّ الحديثُ إلى عيسى بن مريم؛ فقال: قد عُهد إليَّ فيما دون وَجْبَتِها[3]، فأما وجبتُها فلا يعلمها إلا الله. فذكر خروج الدجال، قال: فأَنْزل فأقتُله، فيرجع الناس إلى بلادهم، فيستقبلهم** ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ، **فلا يَمرُّون بماءٍ إلا شربوه، ولا بشيءٍ إلا أفسدوه . فيجأرون إلى الله، فأدعو الله أن يُمِيتَهم، فتنتن الأرض من ريحهم، فيجأرون إلى الله؛ فأدعو الله، فيرسل السماء بالماء، فيحملهم في البحر. ثم تنسف الجبال، وتُمد الأرضُ مدَّ الأديم. فعُـهد إليَّ متى كان ذلك**

---

5 (?) انظر: الأضواء، نفس المصدر، وعلم الغيب، ص 294 .

1 (?) انظر: الأضواء، نفس المصدر، وعلم الغيب، ص 294 .

2 (?) **مُؤْثِر بن عَفَازة**، قال عنه الحافظ في التقريب: « مُؤْثِر بضم أوله، وسكون الواو، وكسر المثلثة، بن عَفَازة بفتح المهملة والفاء، ثم زاي، أبو المثنى، الكوفي، مقبولٌ من الثالثة، ق »، ورقم الترجمة: 6939، ص 549.

3 (?) **وجبتُها:** أي: سقوطها ووقوعها (انظر: القاموس مادة وجب، ص 143، وشرح الحديث في شروح ابن ماجه).

كانت الساعةُ من الناس كالحامل التي لا يدري أهلُـها متى تفجؤُهُم بولادتها "[1].

وقد قال ابن كثيرٍ في تفسير آية الأعراف (187) بعدما أورد هذا الحديث من طريق عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه[2]، وأشار إلى طريق ابن ماجه، وأنَّه بنحوه، قال رحمه الله: « فهؤلاء أكابر أولي العزم من المرسلين ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين، وإنَّما ردُّوا الأمر إلى عيسى فتكلَّم على أشراطها؛ لأنَّه ينـزل في آخر هذه الأمة مُنفِّـذًا لأحكام رسول الله ، ويقتل المسيح الدجال، ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه، فأخبـر بما أعلمه الله تعالى به »[3].

فإذا كان كذلك، فغير هؤلاء من الأنبياء، ومن غيرهم أَوْلى بأنْ لا يكونوا بالعلم بوقتها وببقية الغيوب عالِمين.

رابعًا: النصوص التي فيها نَفْيُ علم الغيب عن سـيّد الخلق؛ العبد الرسولِ محمدٍ خصوصًا، وهذه النصوص على ستـة أنواع:

---

[1] سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، ورقمه: 4081، وأحمد، في مسند ابن مسعودٍ ، ورقمه: 3556، قال البوصيري في الزوائد: « هذا إسناده صحيحٌ، رجاله ثقاتٌ، مؤثر بن عَفَازة ذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات. .. ورواه الحاكم عن أبي العباس .. وقال: هذا صحيح الإسناد »، شروح سنن ابن ماجه ص1501ـ 1502)، وقد ضعَّف الحديث الشيخ الألبانيُّ، وضعَّف الإسناد الشيخ أرناؤوط، وذكر أنَّ لبعضه شواهد.

[2] **عبد الله بن الإمام أحمد**: هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الإمام، الحافظ، الناقد، محدِّث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الشيباني، المروزي، ثم البغدادي، سمع عن أبيه الكثير، وله كتاب الرد على الجهمية، والجمل، قَالَ إِبْرَاهِيْم بن مُحَمَّدِ بن بَشِيْر: سَمِعْتُ عبَّاسًا الدُّوْرِيّ يَقُوْلُ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْد أَحْمَد بن حَنْبَلٍ، فَدَخَلَ ابْن عَبْد اللهِ فَقَالَ لِي أَحْمَدُ: يَا عَبَّاس! إِنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ وَعَى عِلْماً كَثِيْرًا، وقد كَانَ ثِقَةً ثَبْتًا فَهمًا، قال الذهبي: **وَكَانَ صَيِّنًا دَيِّنًا صَادِقاً، صَاحِبَ حَدِيْثٍ وَاتِّبَاع وَبصرٍ بِالرِّجَال. (انظر:** سير أعلام النبلاء، /ج8 ، 624 ـ 630، ورقم الترجمة: 2635، وقسم الدراسة لكتابه كتاب السنة، بقلم: عادل بن عبد الله آل حمدان، ص7-9).

[3] تفسير القرآن العظيم (2 / ص 362).

النوع الأول: النصوص التي فيها نفي علم الغيب عن عبد الله ورسوله نبينا محمد وتبرِّيه عن ذلك: قد أمر الله تعالى هذا العبد أنْ يتبرأ مِن علم الغيب: ﭽﮠﮡﮢ ﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﭼ [الأنعام: ٥٠].

ولقد قال نوحٌ قبلَه مثله، وقد تقدم، مما يدلُّ على أنَّ الرسل بل وحتى أولي العزم -وهم كلُّهم أولو عزم- بل وحتى أفضلِهم محمدٍ ، عِلمُهم محدودٌ بما أُوحِي إليهم، وإنْ كانوا قد أوتوا من العلم كثيرًا إلا أنَّه لم يُوتَوا منه إلا قليلاً بالنسبة لعِلم الله [1]، بل النسبة بين علم الله وعلم خلقه كالنسبة بينهم وبينه سبحانه.

كما نفى عنه ذلك في بعض الآيات، ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ [هود: ٤٩].

النوع الثاني: النصوص التي فيها بيانُ أنّ ما أخبر به عبدُ الله ورسولُه نبينا محمد من علم الغيب كان بالوحي، ولو لم يطلعه الله عليها لَمَا علِمها، ولا وقف عليها:

وتأمل تعقيب الله على قصص الأمم البائدة، والقرون الخالية، بأنبيائهم وأممهم، في هذه الآيات:

قال تعالى تذييلا على قصة مريم الصديقة رضي الله عنها: ﭽﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﭼ [آل عمران: ٤٤]. وقال بعد قصة نوحٍ : ﭽﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﭼ [هود: ٤٩].

وما عقّب به قصة يوسف : ﭽﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﭼ [يوسف: ١٠٢]. وقال في التذييل على قصة موسى : ﭽﭑﭒ ﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [القصص:44-٤٦]. (وفي هذه الآيات ردّ على زعم أنّ الرسول حاضرٌ ناظرٌ، المتقدم). وقال: ﭽﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟ ﯠﯡﯢﯣﯤﭼ [آل عمران: ١٧٩].

وقال: ﭽﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﭼ [الجن:26-٢٧].

---

[1] وقد قال خضر لموسى فيما رواه البخاري وغيره : " والله ما عِلمي وما علمُك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر "، البخاري: التفسير، باب ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ، ورقمه: 4726 ومسلم: الفضائل، باب من فضائل الخضر ، ورقمه: 2380، بدون ذكر الشاهد.

مما يُبيِّن ويدلُّ دلالة واضحةً على أنَّه لو لم يُطلعه الله على ذلك لَما كان به عالِمًا؛ والدليل أنَّه لم يكنْ شاهدًا الأحداث والأقاصيص في حينِها، لكنَّ الله بلطفه أخبره بها[1] تأييدًا له على رسالته.

النوع الثالث: الآثار التي فيها بيانُ أنّ مَن اعتقد أنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا يعلم الغيب فقد كذّب الوحي، وأعظم الكذب على الله:

روى مسروق[2]-رحمه الله- عن عائشة رضي الله عنها قولها –هو في حُكم المرفوع-: (من زعم أنَّ الرسول يعلم الغيب فقد أعظم على الله الكذب، حيث قال: « **كنت متكئًا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلَّم بواحدةٍ منهن فقد أعظم على الله الفرية**[3]**.** قلت: ما هن؟ ...فذكرت، إلى أن قالت: **ومن زعم أنَّه** -تعني: رسول الله - **يُخبِر بما يكون في غدٍ؛ فقد أعظمَ على الله الفِرْية؛ والله يقول:** ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭽ [النمل: ٦٥]. ...الحديث» رواه مسلم [4].

النوع الثاني: النصوص التي فيها بيانُ أنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا خصوصًا، وغيرَه عمومًا، لا يعلم متى تقوم الساعة؛ لأنّ ذلك مما استأثر الله بعلمـه: قال الله تعالى بخصوص نبيِّنا : ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭽ [الأحزاب: ٦٣]. وقال: ﭽﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﭽ

1. (?) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (3 / 86)، تفسير آية سورة يوسف المذكورة أعلاه.
2. (?) **مسروق بن الأجدع** بن مالك بن أمية بن عبد الله الهمدانى الوادعى، الإمام، القدوة، العلم، الثقة، أبو عائشة الكوفى، من كبار التابعين، يقال: إنَّه سُرق وهو صغيرٌ، حدَّث عن: عثمان وابن مسعود وعائشة ، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، مات سنة: 62 ، ويقال: 63 هـ بالسلسلة.
(انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج4 / ص34، ورقم ترجمته: 521، والتقريب: ص528، وبرقم: 6601).
3. (?) الفِرية: أعظم الكذب .
4. (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ ، وهل رأى النبيُّ ربَّه ليلة الإسراء؟، رقم: 177 .

[النازعات:42-٤5]. ومثلهما آية الأعراف، فالساعة تأتي بغتة، والناس لا يشعرون.

ومعلومٌ أنّ معرفة متى تكون الساعة مِن المفاتيح الخمسة التي استأثر الله بها.

النوع الخامس: النصوص التي فيها أنّ عبد الله ورسوله نبينا محمدًا ﷺ لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير، وما مـسَّه أيُّ سوءٍ.

قد تقدم أنّ الأنبياء كلَّهم عليهم السلام لا يعلمون الغيب إلا ما أوقفهم الله عليه، وأطلعهم إياه، وكذلك **آخر الأنبياء وخاتمهم وخيرهم محمدٌ** عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي أرشده الله تعالى أنْ يقول للناس بعضَ ما يجب اعتقادُه تجاه مقامه مقام العبد الرسول ﷺ مِن أنَّه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضَرًّا إلا ما شاء الله [1]، فضلاً عن أنْ يملك ذلك لغيره. ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله تعالى، ولو كان يعلم ذلك لاستكثر من الخير، وما مسَّه أيُّ سوءٍ، بل هو رسولٌ عبدٌ. أهم وظيفته ومهمته: البشارة لمن أطاعه من المؤمنين بالسعادة، والنذارة للعاصين منهم وللكافرين. ولا يملك شيئًا من خصائص الربوبية -السابقة وغيرها-، يقول تعالى: ﭽ

ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ

ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ

ﭼ [الأعراف: 187- ١٨٨].

فهاتان الآيتان في هذا الباب وغيرِه عظيمتان لو كان الغالون يعقلون، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله- في تفسير الآية الثانية: «ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ

---

[1] للعلماء في الاستثناء الذي في آية ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ ونظائرها قولان، القول الأول: أنَّه استثناءٌ منقطعٌ؛ فيكون المعنى أنَّ النبيَّ ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا لكن يكون مِن ذلك ما شاء الله كونه؛ إذ المخلوق لا يملك لنفسه ذلك بحالٍ، فضلاً عن أن يملك لغيره، وهو الصحيح. وقيل هو استثناءٌ متصل، والمعنى على هذا: أنَّ النبيَّ ﷺ يملك من ذلك ما ملَّكه الله، وانظر: الصارم المُنكِي في الردِّ على السُّبكِي لمحمد بن عبد الهادي، ص 267 ـ 268، بتحقيق أحمد سليمان، ط / مكتبة ابن تيمية، وقد نقل ابن عبد الهادي هذه المسألة عن الرد على الأخنائي لابن تيمية.

ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنـتج لي المصالح والمنافع، ولحذرت مِن كلّ ما يُفضي إلى سوء ومكروه، لعلمي بالأشياء قبل كونها، وعلمي بما تفضي إليه. ولكني -لعدم علمي- قد ينالني ما ينالني من السوء، وقد يفوتُنِي ما يفوتني من مصالح الدنيا ومنافعها، فهذا أدلّ دليلٍ على أنِّي لا علم لي بالغيب»[1].

ثم قال في التذييل على الآيات: « وهذه الآيات الكريمات، مُـبيِّـنة جهلَ مَن يقصد النبي ﷺ ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرّ؛ فإنَّه ليس بيده شيءٌ مِن الأمر، ولا ينفع مَن لم ينفعه اللّه، ولا يدفع الضرّ عمن لم يدفعه اللّه عنه، ولا له من العلم إلا ما علَّمه اللّه تعالى، وإنما ينفع مَن قَبِل ما أُرسل به مِن البشارة والنذارة، وعمِل بذلك، فهذا نفعُه ﷺ، الذي فاق نفْع الآباء والأمهات، والأخلاء والإخوان بما حث العباد على كل خير، وحذّرهم عن كلِّ شرّ، وبيَّـنَه لهم غايةَ البيان والإيضاح »[2].

النوع السادس: نماذج مِن نصوصٍ جاء فيها شواهد تؤكّد معنى أنّ العبد الرسول ﷺ لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير، وما مسّه أيُّ سوءٍ:

فبعد الأدلة السالفة أسجّل هنا جملة من النماذج والوقائع في السيرة النبوية الدالة على أنَّ هذا العبد الكريم، والنبِيّ العظيم ﷺ لا يعلم الغيب، وهي كثيرةٌ جدًّا[3]، منها:

أولا: ما أصاب النبيَّ ﷺ وحبيبَتَه عائشة رضي الله عنها وأهلَها بل والمسلمين من أذية المنافقين برميها بصفوان بن المعطّل[4] البريءِ في حادثة الإفك الشهيرة.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، ص311.

[2] المصدر نفسه.

[3] انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي –عرض وتحليلٌ على ضوء الكتاب والسنة- للدكتور محمد أحمد لوح (ج1/ 192-198)، حيث ذكر أربعة أمثلة من السيرة تبرهن أنّ العبد الرسول ﷺ لا يعلم الغيب.

[4] **صفوان بن المعطَّل** بنِ رَحَضَةَ بنِ المُؤَمَّلِ السُّلَمِيُّ ، قال النووي: « هو بفتح الطاء بلا خلاف »، (المنهاج ص 1628)، وهو أَبُو عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ، المَذْكُوْرُ بِالبَرَاءةِ مِنَ الإِفْكِ، وَقد قال فيه النَّبِيُّ ﷺ في القِصَّةِ معنا: " **مَا عَلِمْتُ إِلاَّ خَيْراً** "، قال ابن إسحاق: «

فلو كان النبي يعلم الغيب لبَرَّأها مِن أوّل الأمر[1].

وسأشير هنا إلى مقاطع من القصة الطويلة مما يبيِّن حجمَ وضخامةَ ما أصاب النبيَّ وأهلَه، وأبا بكرٍ وأهلَه، بل والمسلمين من الصحابة ومن بعدهم، من أذية المنافقين:

قالت عائشة في سياق قصتها ما معناه: أنَّ عِقدها من جزع أظفارٍ قد انقطع فرجَعَت تلتمسه، فحبسها

قتل في غزوة أرمينية، سنة تسع عشرة » انظر: (سير أعلام النبلاء، ج3 / ص 273 ـ276، وبرقم: 347).

1 (?) ذكر شيخ الإسلام خلاف العلماء –رحمهم الله- في هذه المسألة بخصوصها، وهل يعلم النبي انتفاء الفاحشة التي أُفِـكَتْ به حبيبتُه رضي الله عنها، وبراءتها من ذلك، بدليل قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ [النور: ٢٦]. ولِما يَذكر بعضُ السلف مِن أنه لم تزنِ امرأة نبـيٍّ قط، أو أنه لا يعلم بذلك يقينًا، والراجح –والله أعلم- أنّه متردد في المسألة، ولم يكن له علم يقين بـحصول المرمي به أو انتفائه، مع أنه يغلب عليه انتفاء ذلك عنها، وعن صفوان، رضي الله عنهما،

قال –رحمه الله-: « وقد تنازع الناس في النبي هل كان يعلم براءة عائشة قبل نزول الوحي مع اتفاقهم على أنه لم يجزم بالريبة؟

فمِن الناس من قال: يعلم براءتها، وكذلك علي، ولكن لخوض الناس فيها ورميها بالإفك توقف؛ قالوا: وذلك أنّ نساء الأنبياء ليس فيهن بغيٌ كما قالت طائفة من السلف: **ما بغَتْ امرأة نبيٍّ قط**؛ لأنّ في ذلك من العار بالأنبياء ما يجب نفيُـه.

وقال آخرون: بل كان النبي حصل له نوع شك وترجحت عنده براءتها ولما نزل الوحي حصل اليقين

قالوا: والدليل على ذلك أنه استشار في طلاقها عليًّا وأسامة، قال أسامة: أهلك يا رسول الله! ولا نعلم إلا خيرًا وقال علي: لا يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرٌ، وسل الجارية تصدقُك فسأل النبي بَرِيرة: " **ما علمتِ على عائشة أو ما رأيت؟** " فقالت: « ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها حتى تأتي الداجن فتأكله » فسؤاله لبريرة، واستشارته لعلي وأسامة دليلٌ على حصول الشك فيها، وهو لما خطب ما جزم بالبراءة فقال فيما قال: " **والله! ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلا ما علمتُ عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي** " ولو كان جازمًا بالبراءة لقال: إنهم كذبوا على أهلي وافتروا، وإنَّ أهلي لبريئةٌ مما قيل، ونحو ذلك.

ونفي العلم ليس علما بالعدم، لكن هذه العبارة تصلح لدفع المتكلم ونهيه وذمه على قبول القول، كما قال تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ [النور: ١٥].

ابتغاؤُه، ثم وجدتْـه بعد ما استمر الجيش، وكان صفوان بن المعطَّل السُّلَمي مِن وراء الجيش فأصبح عند منزلها فرأى سواد إنسانٍ نائمٍ فأتاها -وكان يراها قبل الحجاب- فاستيقظَتْ باسترجاعه..إلخ. وما أخبرت به من أنَّها رضي الله عنها اشتكت شهرًا بعد عودتها من سفرها، إلا أنَّ الذي يريبها في وجعها أنَّها لا ترى من النبي اللطف الذي كانت ترى منه حين تمرض، بل كان يدخل فيسلم ثم يقول: " **كيف تيكم؟** " ..إلخ. وأنها رضي الله عنها خرجت مع أم مسطح[1] رضي الله عنها لقضاء الحاجة فسمعَتْ منها السبَّ لابنها فأنكرتْ عليها، وقالت: بِئس ما قلتِ أتسبين رجُلاً شهد بدرًا، فقالت: يا هَنَتَاه! ألم تسمعي ما قالوا! فأخبرتْها بقول أهل الإفك[2]؛ فازدادت

والعدل الذي عُرِفَت عدالـتُه إذا لم يعلم فيه مَن له به خبرة ما ظنّ به إلا الخير كان عدلا عنده، فإذا جرحه جارحٌ لم يعلم صدقه بل ترجح عنده كذبُـه لم يقدح في عدالته، ولم يوجب الجزم ببراءته.

قال صاحب هذا القول: ولولا نزول براءتها من السماء لدام الشك في أمرها وإن كان لم يثبت شيءٌ،

ففرق بين عدم الثبوت مع حد القاذف وبين البراءة المنـزلة من السماء من الله ، ولهذا ذكر غيرُ واحد من العلماء اتفاق الناس على أنّ مَن قذفها بما برأها الله تعالى منه فقد كفر؛ لأنه مكذِّبٌ للقرآن.

وأصحاب هذا القول يقولون: إن النبي تردد هل يطلقها أم لا؟ لما حصل الشك لكون امرأة النبي لا تكون بغيًّا، وكان عزمه أن يطلقها -والعياذ بالله- لو كان ما ذكر صحيحا لكن تأنَّى وانتظر أمر الله تعالى حتى بـيّن الله الحق.

ومن قال هذا، يقول: المحفوظات هن اللواتِي يبقين عند النبي ولا يطلقهن، وقد يقال: بل كلّ مَن تزوجها النبي محفوظة، وإن طلقها »، (تلخيص كتاب الاستغاثة، والرد على البكري، ص340-341).

[1] **أم مسطح**، واسمها سلمى، وهى بنت أبى رُهْم، أما رُهم فبضم الراء، وإسكان الهاء، **وأما ابنها مسطح** فبكسر الميم، وهو « مِسْطَحُ بنُ أُثَاثَةَ بن عَبَّادِ بنِ المُطَّلِبِ المُطَّلِبِيُّ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ قُصَيٍّ، المُطَّلِبِيُّ، المُهَاجِرِيُّ، البَدْرِيُّ، المَذْكُوْرُ فِي قِصَّةِ الإِفْكِ. كَانَ فَقِيْراً، يُنْفِقُ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ » كما قاله الذهبي. ومسطح لقبٌ، واسمه: عامر، وقيل: عوف، كنيته: أبو عباد، وقيل: أبو عبد الله. وأُثاثة بهمزة مضمومة، وثاء مثلثة مكررة، توفى سنة سبع وثلاثين، وقيل أربع وثلاثين، انظر: (المنهاج، ص 1628 ـ 1629، والسير للذهبي، ج2 / 151).

[2] فهنا سَمِعَت عائشة رضي الله عنها بقذف المنافقين ورميهم لَها بِهذا الصحابي البريء .

مرضًا إلى مرضها، فلما رجعتْ إلى بيتها دخل عليها رسول الله فسلَّم ... فقالت: ائذن لي إلى أبويَّ؛ أرادت أن تستيقن الخبر من قبلهما، فأذِن لها رسول الله ، قالت: فأتيت أبويَّ؛ فقلت لأمي: ما يتحدَّث به الناس؟ فقالت: يا بُنَية هوِّني على نفسك الشأن، .. فقلت: « سبحان الله! ولقد يتحدث الناس بهذا؟ قالت: فبِتُّ الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحل بنومٍ ». وفي الصباح دعا رسول الله علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد[1] رضي الله عنهما حين استلبث[2] الوحي يستشيرهما في فراق أهله، وكان يسأل أم المؤمنين زينب رضي الله عنها، عنها. ثم قام في اليوم الثاني مستعذِرًا من عبد الله بن أبي ابن سلول[3] وقال: " **من يعذرني مِن رجلٍ بلغني أذاه في أهلي فو الله ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا، وقد ذكروا رجلاً ما علِمتُ عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي** "، فقام سعد بن معاذ[4] فقال يا رسول الله! أنا والله أعذرك منه؛

1 (?) هو **أُسَامَةُ بنُ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ** بنِ شَرَاحِيْلَ، المَوْلَى، الأَمِيْرُ الكَبِيْرُ، حِبُّ رَسُوْلِ اللهِ وَمَوْلاَهُ، وَابْنُ مَوْلاَهُ، فهو الحِبّ ابن الحِبّ، وكنيته: أَبُو زَيْدٍ، وَيُقَالُ: أَبُو مُحَمَّدٍ، وقيل غير ذلك، وقد اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ عَلَى جَيْشٍ لِغَزْوِ الشَّامِ، وَفِي الجَيْشِ عُمَرُ وَالكِبَارُ؛ فَلَمْ يَسِرْ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُوْلُ اللهِ ؛ فَبَادَرَ الصِّدِّيْقُ بِبَعْثِهِمْ. وكان عمر يُجلُّه ويكرمه، وقد فضَّله في العطاء على ولده عبد الله، واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية ، وقد صحَّح ابن عبد البَرِّ أنَّه مات سنة أربع وخمسين، انظر: (الإصابة، ج1 / ص102 ـ 103، ورقم ترجمته: 89، وقد ذكر الذهبي طائفة كبيرة من فضائله، انظر: ج3 / 247 ـ 252، وبرقم: 336).

2 (?) **استلبث الوحي**، أي: أبطأ ولبِث ولم ينزل، قاله النووي: (المنهاج للنووي، 1629).

3 (?) عبد بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، ومؤجج الفتنة، قبَّحه الله تعالى.

4 (?) **سَعْدُ بنُ مُعَاذِ** بنِ النُّعْمَانِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ الأَنْصَارِيُّ، السَّيِّدُ الكَبِيْرُ، الشَّهِيْدُ، أَبُو عَمْرٍو الأَنْصَارِيُّ، الأَوْسِيُّ، الأَشْهَلِيُّ، البَدْرِيُّ، **الَّذِي اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِهِ**. (انظر ترجمته الوافية في: الإصابة، ج4 / 303 ـ 30305، وبرقم الترجمة: 3218، وفي السير للذهبي، ج2 / ص 366، وبرقم: 197).

إن كان مِن الأوس ضربنا عنقه، وإنْ كان من إخواننا من الخزرج أَمرْتَنا ففعلنا فيه أمرك ..

قالت عائشة رضي الله عنها: وبكيت يومي لا يرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحل بنومٍ، فأصبح عندي أبواي قد بكيت ليلتين ويومًا، حتى أظن أنَّ البكاء فالقٌ كبدي[1].

ثم جاء اليوم الذي نزل فيه الفرَج من السماء، قالت: فبينا هما جالسان عندي، وأنا أبكي إذ استأذنتْ امرأةٌ من الأنصار، فأذنتُ لها فجلست تبكي معي، فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، فجلس ولم يجلس عندي من يومِ قيل فيَّ ما قيل قبلها، وقد مكث شهرًا لا يُوحى إليه في شأني شيءٌ، قالت: فتشهد ثم قال: " **يا عائشة! فإنَّه بلغني عنكِ كذا وكذا، فإنْ كنتِ بريئةً فسيبرئك الله، وإنْ كنتِ ألْمَمتِ بشيءٍ فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإنَّ العبدَ إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه** ". قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلُص دمعِي حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً، وقلت لأبي: أجبْ عنِّي رسول الله ﷺ! قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!! فقلت لأمي: أجيبي عنِّي رسول الله ﷺ فيما قال! قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!! قالت عائشة رضي الله عنها: وأنا جاريةٌ حديثة السنِّ لا أقرأ كثيرًا من القرآن؛ فقلت: إني –والله- لقد علِمتُ أنَّكم سمعتم ما يتحدث به الناس! ووَقَر في أنفسكم!! وصدّقتم به!!! ولئِن قلتُ لكم إنِّي بريئةٌ -والله يعلم إنِّي لبريئة- لا تصدقوني بذلك، ولئِن اعترفتُ لكم بأمرٍ -والله يعلم أنِّي بريئةٌ- لتصدقُنِّي، والله ما أجِدُ لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ. قالت: ثم تحولتُ إلى فراشي، وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن -والله!- ما ظننتُ أن يُنزل في شأني وحيًا، ولأَنا أحقرُ في نفسي مِن أن يُتكلم بالقرآن في أمري، ولكنِّي كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيًا يبرئنِي الله! فو الله ما رام مجلسَه[2]، ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي... فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك

---

[1] فالقٌ كبدي، أي: شاقه.

فكان أول كلمةٍ تكلَّم بها أنْ قال لي: " **يا عائشة! احمدي الله؛ فقد برَّأكِ الله** "[1] .. فأنزل الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭼ الآيات. ... القصة[2].

وتأمل هذه القصة تجدها دالة على الذي سيقت من أجله، والله الهادي إلى صراطٍ مستقيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثانيًا: إرساله ﷺ سبعين من القراء لبعض القبائل لتعليمهم الإسلام فقتلوهم كما قال أنس ﷺ: « بعث النبي ﷺ أقوامًا من بنِي سُلَيم إلى بنِي عامر في سبعين، فلما قَدِموا قال لهم خالي: أتقدمُّكم؛ فإنْ أمَّنوني حتى أُبلِّغهم عن رسول الله ﷺ، وإلا كنتم مني قريبًا، فتقدَّم فأمنوه، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومَئُوا إلى رجلٍ منهم فطعَـنَه، فأنفذه؛ فقال: الله أكبر، فُزتُ وربِّ الكعبة! ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم، إلا رجلاً أعرج، صعِد الجبل »، متفق عليه [3]، وهم الذين دعا عليهم النبِيُّ ﷺ في القنوت شهرًا.

فلو كان رسول الله ﷺ يعلم ما سيقع لهم لما أوردهم هذا المورد.

ثالثًا: ومن هذه الوقائع: أكلُه ﷺ من الشاة المسمومة بِخَيبَر حتى أخبَرتْه أو أخبره الذِّراع، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها، قالت: « كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: " **يا عائشة! ما أزال أجِد ألَمَ الطعامِ الذي أكلتُ بِخَيبَر، فهذا أوان**

---

2 (?) « ما رام رسول الله ﷺ مجلسه » أي: ما فارقه، قاله النووي: (المنهاج، 1629).

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، رقم: 2661، وصحيح مسلم: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم: 2770 .

2 (?) للنظر إلى شرح الحديث وذكر فوائده يُنظر/ تفسير سورة النور من فتح الباري لابن حجر، (ج3293-3311، وقد ذكر عشرات من الفوائد الفرائد من القصة والحديث.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب أو يطعن في سبيل الله، رقم: 2801، وصحيح مسلم: كتاب المساجد..، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، رقم: 677.

وجَدتُ انقطاعَ أبْهُري[1] **من ذلك السَّم** "، رواه البخاري، وعند أبي داود في طريق أخرى قال: كان رسول الله يَقبل الهدية، ولا يأكل الصدقة، -زادَ: فأهدَتْ له يهوديةٌ بِخَيبر شاةً مصْليةً سَمَّتْها-؛ فأكل رسول الله منها، وأكل القوم، فقال: " **ارفعوا أيديَكم فإنَّها أخبرتْني أنَّها مسمومةٌ** " فمات بِشرُ بنُ البَراء بن معرور الأنصاري[2]؛ فأرسل إلى اليهودية "**ما حمَلَكِ على الذي صنعتِ؟** " قالت: إنْ كنتَ نبِـيًّا لم يَضرّك الذي صنعتُ، وإنْ كنتَ ملِكًا أرحتُ الناس منك، فأمَر بها رسول الله فقُتِلت. ثم ذكَره كما عند البخاري [3]، ورواية أبي داود هذه صحيحة أيضًا.

رابعًا: ما اشتهر في كتب الحديث والسير والتفاسير من مسوس السوء والمكروه له في غزوة أُحُد من شجِّ وجهه، وكسر رباعيته[4]، فلو كان يعلم الغيب لأخذ بأحد الـمَشورَتين؛ الذي هو البقاء داخل المدينة حتى يقاتلوا العدو من وراء الحيطان.

خامسًا: وفيها كذلك ما اشتهر من إرسال عثمان في السنة السادسة إلى أهل مكة لإعلامهم بقدوم الرسول وصحابته زائري البيت معتمرين، لا حاربين. فبعد ذهابه إليهم أشيع في الناس بأنه قُـتل فصدّق النبيُّ وصحابته ذلك، وغيروا موقفهم، وطلب الرسول مبايعة

---

1 (?) **الأبْهر**: قال ابن حجر: « قال أهل اللغة: الأبهر عرق مستبطنٌ بالظهر متَّصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه، وقال الخطابي: إنَّ القلب متصل به » الفتح: (3 / 3065).

2 (?) **بِشْرُ بنُ البَرَاءِ بنُ مَعْرُوْرٍ الخَزْرَجِيُّ**، مِنْ كِبَارِ البَدْرِيِّيْنَ، قال الذهبي: « مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ، .. وهُوَ الَّذِي أَكَلَ مَعَ النَّبِيِّ مِنَ الشَّاةِ المَسْمُوْمَةِ يَوْمَ خَيْبَر، فَأُصِيْبَ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ البَدْرِيِّيْنَ »، السير للذهبي: (ج2 / ص 362، ورقم الترجمة: 195) .

3 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، رقم: 4428. وأبو داود: الديات، باب فيمن سقى رجُلاً سُمًّا، أو أطعمه؛ فمات أيُقَاد منه؟ رقم: 4512. وللنظر إلى الروايات وهل قتَل النبي هذه اليهودية، وإنْ كان فما سببُه؟ يُنظر إلى هذا الباب عند أبي داود وشروح العلماء له، وشرح الحافظ ابن حجر لأحاديث غزوة خيبر!

4 (?) قد تقدمت الأحاديث الدالة على ذلك في الباب الأول من هذه الرسالة.

الناس –بيعة الرضوان- على قتال قريش لو قتلوا عثمان ، فبايعوه، فما أنْ تمت البيعة فإذا بعثمان راجعٌ.

فلو كان الرسول يعلم الغيب –وهو على مقربة من مكة- لأخبرهم بحياة عثمان !

سادسًا: ومن ذلك: ما حصل للنبِيِّ ، مع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من التعب بالبيداء، بسبب فقدان عقد عائشة رضي الله عنها، وأنَّها أقامت الناس في موضع بِلا ماءٍ حتى أصبحوا، وقد شكا الناس ذلك لأبي بكر ..، ثم لَما أقاموا البعير رأوا العقد، وفي ذلك نزلت آية التيمم، فعن عائشة زوج النبي ورضي الله عنها قالت: « خرجنا مع رسول الله في بعض أسفاره، حتى إذا كنَّا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عِقدٌ لي؛ فأقام رسولُ الله على التِماسه، وأقام الناسَ معه وليسوا على ماءٍ؛ فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق، فقالوا: ألا ترى ما صنعتْ عائشة؟ أقامَت برسول الله والناس وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماء! فجاء أبو بكر -ورسول الله واضعٌ رأسَه على فخذي قد نام-، فقال: حبَستِ رسولَ الله والناسَ وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماء؟! فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال، ما شاء الله أنْ يقول، وجعل يطعنُنِي بيده في خاصرتي؛ فلا يمنعُنِي من التحرُّك إلا مكانُ رسول الله على فخِذي، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماءٍ فأنزل الله آية التيمم؛ فتيمموا حتى قال أحد الصحابة[1]: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر! قال: فبعثنا البعير الذي كنت عليه؛ فأصبنا العقد تحته[2]**.** ولو كان يعلم الغيب لأمر بإقامة البعير لأخذ العقد، ولمَا تعِبوا هذا التعب.

سابعًا: ومن ذلك: عدم علمه بنجاسة نعلَيه حين صلَّى فيهما حتى أعلمه جبريل ، فـعَن أبي سعيد الخدري قال: « صلَّى بنا رسول الله ذات يومٍ، فلما كان في

---

[1] (?) هو أسيد بن الحضير .

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب التيمم، باب قوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ ، ورقمه: 4607، وصحيح مسلم: كتاب الحيض، باب التيمم، ورقمه: 367.

بعض صلاته خلع نعلَيْه فوضعهما عن يساره، فلما رأى الناسُ ذلك خلعُوا نعالهم، فلما قضى صلاتَه، قال: " **ما بالُكم ألقيتُم نعالَكم؟** " قالوا: رأيناك ألقيتَ نعلَيك؛ فألقينا نعالنا، فقال رسول الله ﷺ: " **إنَّ جبريل أتاني فأخبرنِي أنَّ فيهما قذَرًا، أو قال: أذًى فألقيتهما، فإذا جاء أحدُكم إلى المسجد، فلينظُرْ في نعلَيه؛ فإنْ رأى فيهما قذرًا، أو قال: أذى فليمسحهما، وليُصلِّ فيهما** "[1]

هذا، ولو كان يعلم الغيب لما صلَّى ومعه القذر في ملبوسه.

ثامنًا: ومن ذلك: قصة مجيء الحَِبر[2]، فعن ثوبان[3] ﷺ في أسئلة الحبر من اليهود، وفيه: « وجِئتُ أسألك عن شيءٍ لا يعلمُه أحدٌ مِن أهل الأرض إلا نبِـيٌّ أو رجلٌ أو رجلان، قال رسول الله ﷺ " **ينفعك إنْ حدثتُك**؟ " قال: أسمع بأُذنِي، قال: جئتُ أسألك عن الولد؟ قال: " **ماءُ الرجل أبيضُ، وماء المرأة أصفرُ، فإذا اجتمعا؛ فعَلاَ منِيُّ الرجُلِ منِيَّ المرأةِ أذْكـرَا بإذن الله، وإذا علا منِيُّ المرأة منِيَّ الرجلِ آنَـثا بإذن الله**[4] "، قال اليهودي: لقد صدقتَ، وإنَّك لنبِيٌّ، ثم انصرف؛ فذهب، فقال رسول الله ﷺ: " **لقد سألنِي هذا**

---

[1] (?) أحمد في مسند أبي سعيدٍ ﷺ، رقم: 11895، وابن حبان: كتاب الصلاة، باب الجماعة والإمامة، -ذكر الأمر لمن أتى المسجد للصلاة أن ينظر في نعليه ويمسح الأذى عنهما إن كان بهما-، رقم: 2185، وقال عنه الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[2] (?) بالفتح والكسر لغتان.

[3] (?) يلقب بثَوْبَان النَّبَوِيِّ، مَوْلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ سُبِيَ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ، فَاشْتَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْتَقَهُ، فَلَزِمَ النَّبِيَّ ﷺ وَصَحِبَهُ، وَحَفِظَ عَنْهُ كَثِيْرًا مِنَ العِلْمِ، وَطَالَ عُمُرُهُ، وَاشْتُهِرَ ذِكْرُهُ. يُكْنَى: أَبَا عَبْدِ اللهِ، وَيُقَالُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ. وَقِيْلَ: هُوَ يَمَانِيٌّ. وَاسْمُ أَبِيْهِ: جَحْدَرٌ، وَقِيْلَ: بُجْدَدٌ. وَكَانَ مِنْ نَاحِيَةِ اليَمَنِ. وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: نَزَلَ حِمْصَ، وَلَهُ بِهَا دَارٌ، وَبِهَا مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِيْنَ، مختصر من السير للذهبي، ج3 / ص323 ـ 324، وانظر: ص133 من التقريب لابن حجر، برقم: 858.

[4] (?) قال النووي: « قوله: " **أذكرَا بإذن الله**) وآنَثا بإذن الله " معنى الأول كان الولد ذكرًا، ومعنى الثاني كان أنثى » (المنهاج للنووي ص 302).

عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيءٍ منه حتى أتانِي الله به "[1].

وواضِحٌ من القصة أنَّه لو كان يعلم الغيب لما احتاج إلى أنْ يُخبَر به.

تاسعًا: ومن الوقائع التي تدل على ذلك: قصة ماعز وطلبه التطهير، وفيها -وخصوصًا بعد جمع رواياتها- أكثر من شاهِدٍ؛ منها: سؤال النبيّ إيَّاه : مِن أيِّ شيءٍ يُطهِّره؟ وأبِه جنونٌ؟ وهل شرِب خمرًا؟، وغير ذلك، فلو كان يعلم الغيب لما احتاج إلى كلِّ هذا. ومثل ذلك ما جاء في قصة الغامدية رضي الله عنها؛ فعن سليمان بن بُرَيدة[2] عن أبيه قال: جاء ماعز بن مالك[3] إلى النبِي فقال: يا رسول الله! طهِّرني، فقال: " **ويْحك! ارجع؛ فاستغفر الله، وتُب إليه** " قال: فرجع غيرَ بعيدٍ، ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهِّرني، فقال رسول الله : " **ويْحك! ارجع فاستغفر الله، وتُب إليه** " قال: فرجع غيرَ بعيدٍ، ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهِّرني، فقال النبي مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعةُ؛ قال له رسول الله : " **فيمَ أُطهِّرك؟** " فقال: من الزِّنَى، فسأل رسول الله " **أبِهِ جنونٌ؟** " فأُخبر أنَّه ليس بمجنونٍ، فقال: " **أشَرب خمرًا؟** " فقام رجلٌ فاستنكهه [4]؛ فلم يَجدْ منه ريحَ خمرٍ، قال: فقال رسول الله : " **أزَنَيت؟** " فقال: نعم. ...الحديث. وفي الحديث: قال: ثم جاءتْـه امرأةٌ مِن غامدٍ من الأزد[5] فقالت: يا رسول الله! طهِّرني فقال: " **ويْحكِ! ارجعي فاستغفري الله، وتوبي**

---

1. (?) صحيح مسلم: كتاب الحيض، باب بيان صفةِ مِنِيِّ الرجل والمرأة، وأنَّ الولدَ مخلوقٌ من مائهما، رقم: 315.
2. (?) **سُلَيْمَانُ بنُ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيُّ**، قَدْ كَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يُفَضِّلُهُ عَلَى عَبْدِ اللهِ بنِ بُرَيْدَةَ، رَوَى عَنْ: أَبِيْهِ الصحابي، وَعَائِشَةَ، وَعِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ. ثِقَةٌ، مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمائَةٍ، وَلَهُ تِسْعُوْنَ عَامًا، (انظر:ج4 /ص 364).
3. (?) هو **ماعز بن مالك الأسلمي،** معدودٌ من المدنيين، قد روى رجمه وتطهيره ابن عباس وأبو هريرة وبريدة (انظر تمام ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج5/8-9).
4. (?) بمعنى: أراد أن يجد نكهة فمِه.
5. (?) غامد بطن من جُهَينة، قاله النووي، (المنهاج للنووي ص 1089).

إليه " فقالت: أُرَاك تريد أن تُرَدِّدَني كما ردَّدتَ ماعِزَ بنَ مالك، قال: " **وما ذاك؟** " قالت: إنَّها حُبلى من الزِّنى، فقال: " **آنتِ؟** " قالت: نعم، فقال لها: "**حتى تضَعِي ما في بطنك**" ...الحديث[1].

هذا، والأحاديث التي فيها استفصالات الرسول لمستفتيهم قبل أنْ يفتيهم كثيرة، مثل سؤاله " **هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟** " **هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟** "[2] كثيرة جدًّا، وهي تدل على أنه لا يعلم الغيب. والله أعلم.

عاشرًا: ومن ذلك: أنَّ امرأةً مِن الأنصار رضي الله عنها في قصة وجع ووفاة عثمان بن مظعون [3] وأنَّها لما دخل رسول الله قالت: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ! فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ : " **وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟** فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: " **أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي -وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِي** "، قَالَتْ: فَوَ اللَّهِ لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا »[4].

الحادي عشر: ومن ذلك: أنَّ النبيَّ لم يعلم قدر بقائه في الصحابة رضوان الله أجمعين، فقد روى حُذيفة قال: كنا جلوسًا عند النبي فقال: **إني لا أدري ما قدرُ**

---

1 (?) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزِّنَى، ورقمه: 1695. **و الرُّبَيِّع** -بضم الراء، وفتح الباء، مع تشديد وكسر ما بعده-، **هي** الأنصارية النجارية، كانت من المبايعات بيعة الشجرة، وكانت ربما غزت مع رسول الله ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر حديث الباب في ترجمتها، انظر: (الإصابة، ج13 / ص375 ـ 376).

2 (?) الحديث في سنن أبي داود، وهو صحيح وقد تقدم تخريجه. وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- من فوائد الحديث فقال: الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك (انظر: كتاب التوحيد، ص 72).

3 (?) عُثْمَانُ بنُ مَظْعُوْنِ ، (سبقت ترجمته).

4 (?) صحيح البخاري: ورقمه فيه: 1243، وأتم منه برقم: 2687، وقد سبق تخريجه .

بقائي فيكم؛ فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر ... "الحديث[1].

وبعد، فـ« السيرة النبوية وأحوالها مليئة بالأمور التي تقطع جازمًا بأنّه لَم يكن يعلم الغيب، وإلا لَم يَحدُث تلك الحوادث التي حدثت، كشهادة القراء في بئر معونة، وبيعة الرضوان، ووقعة الإفك، وتأبير النخل، وحادثة العرنيين، وغيرها من الوقائع والحوادث الكثيرة والكثيرة »[2]، لكن تقدم دعاوى البريلوية الزاعمة أنّ البريلوي أحمد رضا نفسه يعلم يوم موته ووقته بالتحديد[3]، تكذيبًا للآيات السابقة. والله المستعان!

أقول: تلك هي نصوص والنماذج الدالة على أنه لا يعلم الغيب أحدٌ سوى الله تعالى (قريب من 70 دليلا ونموذجًا)، وقد يكفي في معرفة اختصاصه سبحانه بذلك وعدم معرفة مَن سواه الغيب أقل مما جمعت، ولكني جمعتها ليتدبرها أهل العقول ولأفهام؛ فيعرفوا ضلالة الزاعمين بأن أحدًا غير الله يعلم الغيب.

وبعد تلك النماذج[4]، أقول: قد ردّ العبد الرسول محمدٌ على مَن زعم أنّه يعلم الغيب، حمايةً منه مِن أنْ يوصف بما لا يستحقه من خصائص الإله، فجزاه الله خيرًا مِن ناصحٍ لأمتـه أمين! فـعن الرُبَيِّع بنت مُعوِّذ[5] رضي الله

---

1 (?) جامع الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله ، بابٌ في مناقب أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما كِلَيهما، ورقمه: 3663، وباب مناقب عمار بن ياسر ، ورقمه: 3799، وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة، فضل أبي بكر الصديق ، ورقمه: 97، وقال الترمذي: « هذا حديثٌ حسن ».

2 (?) قاله الشيخ إحسان إلهي ظهير في: البريلوية عقائد وتاريخ، ص97 .

3 (?) انظر: وصايا البريلوي، ص7، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص98.

4 (?) انظر عن أكثر هذه النماذج والتعليقات عليها، فصل: تبرؤ الرسل من علم الغيب، من باب الرسل وعلم الغيب، في كتاب: علم الغيب في العقيدة الإسلامية، للدكتور أحمد بن عبد الله الغنيمان، ص283 ـ 309

5 (?) الربيّع بنت معوّذ بن عفراء الأنصارية، رضي الله عنها، لها صحبة، واسمها بضم الراء، وفتح الموحدة، وتشديد الياء، كانت من المبايعات تحت الشجرة في بيعة الرضوان وهي قريبته من بني النّجار، (انظر تتمة ترجمتها: أسد الغابة لابن الأثير، ج7/119-120).

عنها، قالت: دخل عليَّ النبِيّ غداةَ بُنِي عليَّ فجلس على فراشي كمجلسك مني وجُوَيرِيات يضربن بالدف يندبن[1] مَن قُتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية:

وفينا نـبِـيٌّ يعْلَمُ ما في غدا

فقال: النبِي : " **لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين** "، رواه البخاري[2].

وعند ابن ماجه عن أحد التابعين [3]، وفيه أنّهم دخلوا عليها، فذكرتْ لهم القصة، وفيها قوله : " **أما هذا فلا تقولوه، ما يعلم ما في غدٍ إلا الله** "[4] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبِي ناسًا يتغنون في عرسٍ لهم:

وأهدى لها كبشًا ينحنحن ... وحبك في النادي ويعلم ما في غد

قال النبِي : " **لا يعلم ما في غدٍ إلا الله** "[5].

وأقول أيضًا: هذا هو العبد (المعـبَّد العابد) الرسول محمدٌ ، وهذا هو حمايته حمى التوحيد، وهذه هي العقيدة فيه في هذا الباب، لا يعلم الغيب في حياته إلا ما علّمَه الله، فكيف بعد وفاته؟!

ومما يدلُّ على هذا (أي: أنّه من باب أولى أنْ لا يعلم من الغيب بعد وفاته خلافًا للغلاة القائلين: لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم

---

1 (?) **يندبن**: من الندبة وهو ذكر الميت بأحسن أوصافه، وتعديد محاسنه، وهو مما يهيج الشوق إليه والبكاء (انظر: فتح الباري لابن حجر، ج3/ ص3636).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا، ورقمه، 4001، وكتاب النكاح، ضرب الدف في النكاح والوليمة، ورقمه: 5147 .

3 (?) هو أبو الحسين -واسمه خالد المدني.

4 (?) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح، باب الغناء والدف، ورقمه: 1897، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، (ج1/ 320)، وهو حديث رقم: 1539.

5 (?) المستدرك على الصحيحين: كتاب النكاح، ورقمه: 2753، وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » وقد وافقه الذهبي.

ونياتهم وعزائمهم. كما تقدم عن أحمد رضا البريلويّ[1]) ما جاء عن عبد الله بن مسعودٍ، وأنس، وسهل بن سعد، وأبي سعيد الخدري، وأمِّ سلَمَة، وابن عباسٍ رضي الله عنهم في الذين يُذادَون عن الحوض، واللفظ لابن عباسٍ -كما في البخاري- أنَّه قال: « خطب رسول الله ، -وفيه: **ألا! وإنَّه يُجاء برجالٍ من أمتي؛ فيُؤخَذ بهم ذات الشمال**؛ فأقول: " **يا رب أُصَيحابي** " فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ ﴾ [المائدة: ١١٧]، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » متفق عليه[2].

وكان القياس الصحيح يدل على أنَّ النبـِيَّ لَمَّا كان لا يعلم كثيرًا من الأمور في حياته -كما مرَّ ذكر جملة من نماذج ذلك- حتى يأتيَـه الوحي فيُطلعُه الله به عليها، فمِن باب أولى أنْ لا يعلمَ ذلك بعد وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وهذا الحديث من النماذج التي تدل على ذلك، والله أعلى وأعلم.

وأعود فأقول: هذا هو علم الغيب في العقيدة الإسلامية، وهو مما اختصَّ الله تعالى بعلمه واستأثر به، كما اتضح ذلك من الأدلة والنماذج الأكثر من ستين (66) التي ذكرتُها مبثوثةً هنا وهناك، وهي كلُّها تشهد للنفي الذي جاء في آية سورة النمل من أنَّ جميع عالَمي الغيب والشهادة من الملائكة المقرَّبين والجن والإنس بل والأنبياء والمرسلين –عليهم الصلاة والسلام- لا يعلمون شيئًا من الغيب إلا ما أعلمهم الله، وأطلعهم عليه. وهذه الأدلة والنماذج قليل من كثيرٍ، والمذكور دليلٌ على ما لَم يُذكر.

---

[1] خالص الاعتقاد للبريلوي، ص39، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص 91.

[2] البخاري: التفسير، باب ﴿ ﴾، رقم: 4625، ومسلم: الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، رقم: 2304 .

ويجمل قبل أن أختم أنْ أجْمِل ما تقدم في نقاط، وأزيد -بعض شيءٍ- تفصيلاً حتى أذكر كلَّ ما علِق بالبال مما له تعلُّقٌ بالمسألة، فأقول -وبالله تعالى التوفيق- :

النقطة الأولى: الغيب لا يعلمه أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى، فهو مما استأثر به دون خلقه.

النقطة الثانية: إطلاع الله بعض عباده بعض الغيوب، وتفسير آية الحنّ: فقوله: ڇ ی ی ی ی ڇ، الآية الأولى: لفظٌ عامٌ، لمجيء النكرة بعد النفي، ويدلُّ على أنَّه لا يُطلع الله أحدًا غيبَه وعِلمَه. ثم استثنى بعض الرسل من الإنس والملائكة بالآية التي بعدها بأنَّه يُظهر عليهم بعضها لحكمة أرادها، كالتأييد في إبلاغ الرسالة وغيره. وقوله في الآية ڇ ڇ منكَّرًا بعد طريقة النفي العام والإثبات الخاص؛ ليشمل رسولَيْه الإنسي والملكي[1]، فالآية شبيهة بقوله: ڇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ې ې ى ى ڇ [آل عمران: ١٧٩] حيث أضاف النكرة إلى نفسه (المضمر) للتشريف وشمول الجنسَين السابقين، وجاء بلفظة ڇ ڇ قبل لفظة ڇ ڇ في الآية الأولى، ولفظة: ڇ ڇ في الآية الثانية لتدلَّ على أنَّ ذلك يحصل لبعض الرسل دون بعضٍ عليهم كلِّهم الصلاة والسلام.

والآية الثانية هذه وإنْ وردت في سياق أحداث أُحُدٍ وأنَّ الله لما امتحن المؤمنين وأمرهم بالجهاد أظهر لهم بذلك المنافقين، وميَّز الخبِيثين من الطيِّبين[2]، حيث رجع ثُلثُ الجيش الذي خرج من المدينة برئاسة ابن سلول، وقد كانوا لا يعرفونهم. إلا أنَّها لا تخصُّ هذا الحدث بعينه، واللفظ أعم من ذلك، والعبرة بعموم اللفظ. وهذا الذي فهمه العلماء -رحمهم الله- من الآية.

أما بدون هذا الإطْلاع، وذاك الإظهار فلا يعلم المَلَكُ المقرَّب، ولا النبِيُّ المرسل شيئًا مِن علم الله وغيبه، قال تعالى:ڇ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ڇ [البقرة: ٢٥٥].

---

[1] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (4 / 556)، تفسير آية الجن .

[2] (?) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، (5 / 435 ـ 436) تفسير آية آل عمران.

النقطة الثالثة: أطلع الله نبيَّنا جملةً من الغيوب الماضية والمستقبلة فأخبر عنها، سواءٌ في ذلك ما وقعت في القرون الماضية، والأمم البائدة كقصص الأنبياء مع أقوامهم، أو التي أخبر عنها وأنَّها ستقع فوقعت أثناء حياته، أو بعد وفاته، وكان الله يُطلعه عليها بالوحي الذي ينـزل عليه من الكتاب والسنة. وقد أفرد التي جاءت في الأحاديث مَن ألَّفوا في دلائل النبوة، كالبيهقي في دلائلـه، والماوردي في أعلام النبوة، والسيوطي في الخصائص الكبرى، وغيرهم، وقد تقدم منها أوضحُ وأشهر النماذج في مطلب: بيان صدق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن الماضي والمستقبل، من مبحث آيات نبوته ودلائلها عليه الصلاة والسلام[1].

النقطة الرابعة: في سياق آية الأعراف التي فيها: ﭽ ﯾ ﯿ ﭑ ﭚ ﭛ ﭜﭼ الآية. جاء نفيُ ثلاثة أمورٍ عظيمة عن مقام هذا العبد الرسول -ومعلومٌ أنّ غير النبِيِّ بنفيـها عنه أولى-، ذلك أنّه استئثر الله تعالى بها؛ كما أنّها من خصائصه دون سواه، وهذه الأمور الثلاثة قد تكررت في سياق قوله تعالى: ﭽ ﯼ ﭼ ، وهي كالتالي:

أولاً: نفيُ نوعٍ خاصٍ من علم الغيب عن العبد الرسول محمدٍ ، والذي هو العلم بوقت قيام الساعة، وهذا جاء في قولَيْـه: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ [الأعراف: ١٨٧]. وﭽ ﯓ ﭼ [الجن: ٢٥].

**ثانيًا: نفي عموم علم الغيب عنه ** في قوله: ﭽ ﯾ ﯿ ﭑ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ وقوله: ﭽ ﯼ ﭼ إلى آخر السورة.

ثالثًا: نُفِـي عن العبد الرسول أنْ يملك لنفسه نفعًا أو ضَرًّا، إلا بإذن الله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ ، **فضلاً عن أنْ يملك ذلك لغيره، وصُرِّح**

---

[1] انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، (ج1 / ص 542 ـ 554).

بنفي المفهوم الأولـوِي في سورة الجنِّ في: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [الجن: 21 ـ ٢٢].

النقطة الخامسة: يدخل -والله أعلم- في عموم استكثار النبـيِّ من الخير، وعدم مسوسـه السوء، واللذان لو حصل له العلم بالغيب لَحَصَلا له، ما ذكرتُ من تلك النماذج، والكثير مما لم أذكُر، والتي فيها ابتلاءٌ من الله له ليزيد من أجره عليه الصلاة والسلام، وقد تضمَّن بعضُها سوءًا كيف كان حجمه، أو قلَّ خيرها ولم يكثر.

أما تفسير قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ بالاستكثار من العمل الصالح لو كان يعلم متى يموت وغيره ففـيه نظر؛ لأنَّ الرسول كان إذا عمِل عملاً أثبته[1]، -كما تقدم في فصل كمال عبوديته عليه الصلاة والسلام، وأنَّ عملَه كان دِيْمةً[2]، وهو الذي أحسن في عبادته وعبَـدَ الله كأنَّه يراه، فهو في حياته -حتى أتاه اليقين- مستكثرٌ في كلِّ أوقاتـه من الخير الذي هو العمل الصالح[3].

النقطة السادسة: ذكرت في الباب السابق المزاعمَ الباطلة المخالفة لهذه العقيدة في النبـيِّ الغاليـة فيه؛ بادعاء أنَّه يعلم الغيب أو أنَّه يعلم جميع ما في اللوح، أو أنَّه يعلم جميع ما يعلمه الله -سبحانك ربِّي هذا بهتانٌ عظيمٌ-، عن الرافضة الذين غَلَوا في النبيِّ متذرِّعين بذلك للغلو في أئمتهم، متوسِّعين بأنْ قالوا

---

[1] (?) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه، أو مرض، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: « **كان رسول الله إذا عمِل عملاً أثبته، وكان إذا نام من الليل، أو مرض صلَّى من النهار اثنتَيْ عشرة ركعةً**..» الحديث، رقم: 746.

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب الصيام، باب صوم شعبان، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: « لم يكن النبي يصوم شهرًا أكثر من شعبان..، وكان يقول: " خذوا من العمل ما تطيقون فإنَّ الله لا يَملُّ حتى تملُّوا ". وأحب الصلاة إلى النبي ما دُووِم عليه، وإنْ قلَّت، وكان إذا صلَّى صلاةً داوم عليها » رقم: 1970، وصحيح مسلم: كتاب الصيام، باب صيام النبي في غير رمضان واستحباب أن لا يُخْلِيَ شهْرًا عن صومٍ، رقم: 782 .

[3] (?) انظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله، (ج9 / ص 406)،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2 / 363)، وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين،(2/400)، تفسير الآية من سورة الأعراف.

وعقَدوا أبوابًا في كتبهم، إنَّ الأئمة يعلمون الغيب، وأنَّ الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون، وأنَّهم لا يموتون إلا باختيارٍ منهم، وأن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرَجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام، ... وعن الصوفية القائلة فيه عليه الصلاة والسلام وعلى شيوخـهم والأولياء ما لا يجوز في هذا الباب، وغيرهم من القائلين بأنَّ أحدًا يعلم الغيب. كما تقدم عن البوصيري: ومن علومك علم اللوح والقلم، ومقررات البريلوي.

وبذلك يتبيَّن وسطية أهل السنة بين الفرق في هذه المسألة، وأنَّهم هم الذين عمِلوا بما ثبت عن الله وعن رسوله .

النقطة السابعة: من زعم أنَّ أحدًا -كائنًا ما كان- يعلم الغيب فقد كذَّب النصوص المتقدمة، وأعظَمَ على الله الفِرية، وأنَّ مُدَّعِي ذلك لنفسه من الطواغيت.

ولا يجوز أنْ يُتشبث بالأدلة التي فيها إطلاعات الله لرسله عليهم السلام بعض غيوبه في القول بأنَّهم يعلمون الغيب؛ لأنَّ ما أخبَرهم به لم يعُد عنهم غَيْبًا، وإنْ أمكن أن يكون غيبًا عند غيرهم، أو القول بأنَّ النصوص المُصرِّحة بأنَّ النبيَّ لا يعلم الغيب بأنَّها تدل على حاله في أول الأمر من عدم علمه به –كما زعم البريلوي فيما تقدم-، ثم بعد ذلك علِمه فأخبر بأنَّه في الجنة، وانَّه قَرُب موتُه، وما إلى ذلك، فحصل بذلك نسْخٌ.

وما خصَّه الله تعالى بها فأطلعه عليها كانت آيات له ودلائل وتأييدات من ربِّه له لصدق نبوته ورسالته، لا أكثر[1]، والله ولي التوفيق.

***** **** *****

[1] (?) انظر: علم الغيب في العقيدة الإسلامية، ص 308 ـ 309.

تقدم في مطلع المبحث الثاني أنّ لله جلَّ وعلا خصائصَ لا تُحصى تـميَّز بها عن خلقه وتفرَّد، وأنّها كلّها ترجع إلى عُلا الصِّفاتِ وكمالِها، وحُسنِ الأفعال والأسماء وجَمَالهما، واستحقاقِه العبادات واختصاصه بها. وبين هذه الخصائص تلازمٌ وتضمُّنٌ. وأهمُّها آخرُها، وهو ما في هذا المبحث؛ لدعوة كلِّ الرُّسُل إليه، وتضمُنِّه الخصائص الباقيات.فالله وحده هو المستحقّ للعبادة،وهي خِصِّيصتُه -ﷻ- التِي لا يشاركه فيها أحدٌ.

وهنا سأذكر الأدلة مِن الكتاب والسنة والإجماع على أنَّ الله سبحانه لا يشاركُه أقرَبُ خلقِه إليه في عبادته[1]، فكيفَ مَن دونَهم، بل أعداؤُه؟! فأقول:

قد جاءت الكثير، والكثير من النصوص بأساليب متنوِّعة، وفي مقامات مختلفة تدل على **أنّه لا يستحق العبادةَ** -عامةً، والدعاءَ والاستغاثةَ خاصةً- **أحدٌ كائنًا مَن كان، مِن ملَكٍ مقرَّبٍ، أو نبيٍّ مُرسَلٍ**. وكان دِلالة هذه النصوص على عدم استحقاق وأحقِّية مَن هو دون الملائكة والأنبياء عليهم السلام مِن باب أولى. وقد تقدم[2] أنَّ العبادة: « هي اسمٌ جامعٌ لكُلِّ ما يُحبُّه اللّه ويرضاه مِن الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كالصلاة والزكاة، والصيام، والحج، وصِدق الحديث، وأداء الأمانة، وبِرِّ الوالدين، وصِلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم، والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حبّ اللّه ورسوله، وخشية اللّه، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لِحُكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكّل

---

1 (?) انظر: أدلة توحيد الألوهية، في رسالة توحيد الألوهية للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، ص160-161، ضمن رسائل في العقيدة، وهي الرسالة الخامسة في المجموع، ط/ دار ابن خزيمة.

2 (?) سبق عند التعريف بالعبادة، في شرح مفردات عنوان البحث.

عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادات للّه »[1] .

وذكر الشيخ محمدُ بنُ عبدِ الوهّاب –رحمه الله- أنواع العبادة وحُكم مَن صرفها لغير الله تعالى فقال: « وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلام، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﭼ [الجن:18]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽﯥﯦﯧ[illegible]ﭼ [المؤمنون: ١١٧] »[2]. ثم استدل –رحمه الله- لكلِّ واحدة منها بأدلة الكتاب والسنة[3].

وكلُّ هذه الأنواع وغيرها مِن العبادات لا يُصرَف منها شيءٌ لغير الله كائنًا مَا كان.

وقد تنوّعت دلالاتُ النصوص على وجوب إخلاصها لله وحده لا شريك له، وعدم إشراكه فيها أحدًا، أو صرفِها لغيره. ولَمّا كانت هذه المسألة هي أعظم مسألة خالَفَت القبورية فيها دينَ الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام –كما تقدم في فصل الصوفية والبريلوية خصوصًا-، فقد رأيتُ أنْ أذكُر طائفة كبيرةً من الآيات والأحاديث، تَقرُّ بِها عُيُون الموحِّدين، وتَدْحَض شُبَهَ المعاندين، ويدمغ بِها باطلُ الملحدين. والله المستعان!

فمِن دلالات النصوص في تقرير هذا الأمر، ونفي ضدِّه عن غير الله سبحانه، ما يلي:

أولا: النصوص التي تأمُرُ عبدَ الله ورسولَه نبينا محمدًا ﷺ أنْ يقصُر العبادة ويحصُرَها في الله وحده دون سواه، وفي ذلك الأمر نهيٌ له ﷺ عن الشرك به أو الكفر؛

---

1 (?) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص20، ط / الكتاب العربي، بتحقيق خالد عبد اللطيف العَلمي.

2 (?) الأصول الثلاثة وأدلتها، ص10 .

3 (?) المصدر نفسه، انظر: ص10-11 .

لأنَّ الأمر بالشيء نهْيٌ عن ضدِّه. كما أنَّ أمر النبيِّ ﷺ أمرٌ لأمته، ونهيُه نهيٌ لأمته بأبلغ وجهٍ:

أرشد الله نبيَّه وصفيَّه محمدًا ﷺ أنْ يقول لأمته: ﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﭼ [الرعد: ٣٦]. وقال: ﭽﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﭼ [الجن: ٢٠]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ ، إلى قوله:ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الزمر:11-١5].

وقال: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [الأنعام:162-١٦٣]. وقال: ﭽﭵﭶﭷﭸﭹﭼ [الفلق: ١]. وقال: ﭽﭻﭼﭽﭾ ﭿﭼ [الناس: ١]. إلى غير ذلك.

ثانيًا: النصوص التي تأمُرُ جميع الثقلين بتوحيد الله -وحده لا شريكَ له- في جميع العبادات التي أمر الله بها:

ومِن ذلك، قولُه تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ [البقرة:21-٢٢]. أول أمرٍ في القرآن العظيم، جاء في هذا السياق وهو أمر بتوحيد العبادة،كما أنّ أوَّل نهيٍ فيه هو النهي عن جعل الأنداد لله ﷻ، والذي جاء في آخر الآية الثانية. وقد توسط بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك جملةٌ من دلائل توحيد العبادة؛ فألزم المقِرُّ بتوحيد الله في أفعاله (الربوبية) أنْ يُقرَّ بتوحيده سبحانه في أفعالنا (الألوهية). وقال تعالى: ﭽﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﭼ [التوبة: ٣١]. وقوله: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الإسراء: ٢٣]. وقوله تعالى: ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ [البينة: ٥]، وقوله: ﭽﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭼ [غافر: ٦٠]، وقوله: ﭽﯸﯹﯺﯻ ﯼﯽﭼ [المائدة: ٢٣]، وقوله: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﭼ [الزمر: ٥٤]. وقوله ﷺ في الحديث: " **إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ** "[(1)] مِن حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

والنصوص الآمرة بتوحيد العبادة كثيرة جدًّا.

ثالثًا: النصوص التي تُبيّنِ أنّ الْمألُـوهَ الْمستحِقَّ للعبادة واحدٌ وهو الله لا شريكَ له:

---

1 ((?)) جامع الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (بدون ترجمة)، رقم: 2516، قال الترمذي: « حديث حسن صحيح ».

ومِن ذلك، قوله تعالى: ﭽﯨﯩﯪ□□□□□□□ﭼ [البقرة: ١٦٣]. وقوله: ﭽ□ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [النساء: ١٧١]. وقوله: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝ□ﭼ [المائدة: ٧٣]. وقوله: ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭼ [الأنعام: ١٩]. وقوله: ﭽﯩ□□□□□□□□ﭼ [إبراهيم: ٥٢]. وقوله: ﭽﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﭼ [النحل: ٢٢]. وقوله: ﭽﯙ□□□□ﯦﯧﯨﯩ□□□ﭼ [النحل: ٥١]. وقوله: ﭽ□□□□□□□□□□□□ﭼ [الكهف: ١١٠]. وقوله: ﭽﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﭼ [الأنبياء: ١٠٨].
وقوله: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﭼ [الحج: ٣٤]. وقوله: ﭽﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭼ [العنكبوت: ٤٦]. وقوله: ﭽﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﭼ [فصلت:6].

والإلـهُ فِعالٌ بمعنى مفعولٌ، أي: معبودٌ،وهو الذي يُؤلَّه محبة وإنابة وإجلالا وإكرامًا[1]. والعبد الرسول وغيره من خلق الله ليس لهم من خصائص الإلهية شيءٌ.

رابعًا: النصوص التي فيها حصر الإلهية لله تعالى وحده لا شريك له، وله ثلاثُ طرُق:

الطريقة الأولى: حصر ذلك بطريقة النفي والإثبات. **الطريقة الثانية:** حصر ذلك بطريقة "إنّما". **الطريقة الثالثة:** حصر ذلك بطريقة "تقديم ما حقه التأخير".

وقد تم بهذه الطرق حصر هذه الصفة (استحقاق الإلهية) لهذا الموصوف وحده سبحانه، (الله، دون غيره مِن خلقه كائنًا ما كان).

أمثلة نصوص الطريقة الأولى: (الحصر بطريقة النّفي والإثبات):

جاء هذا في سبعٍ وثلاثين موضعًا في القرآن، منها: قوله تعالى: ﭽﮠ□□□□□□ﮪﮫﭼ [البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭼ [آل عمران: ٢]. وقال: ﭽﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭼ [آل عمران: ١٨]. وقال: ﭽﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭼ [الرعد: ٣٠]. وقال: ﭽﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ [القصص: ٨٨].

أمثلة نصوص الطريقة الثانية: (الحصر بطريقة "إنّما")، وقد جاء هذا في مواضع كثيرة في القرآن، منها: قوله تعالى: ﭽﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭼ [النساء: ١٧١]. وقال:

---

[1] (?) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج1 / 22).

ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﭼ [الرعد: ٣٦]. وقال: ﭽ[illegible]ﭼ [طه: ٩٨].

أمثلة نصوص الطريقة الثالثة: (الحصر بطريقة "تقديم ما حقه التأخير) وقد جاء هذا في مواضع كثيرة في القرآن، منها قوله تعالى: ﭽﭞﭟﭠﭡﭼ [الفاتحة: ٥]. وقال: ﭽﭛﭜﭝﭼ [البقرة: ٤٠] إلى قوله: ﭽﮏﮐﮑﭼ [البقرة: ٤١]. وقال: ﭽﯓﯔ[illegible]ﯜﯝﯞﯟ[illegible]ﯠﯡﯢ[illegible]ﭼ [النحل:51-٥٣]. وقال: ﭽﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﭼ [العنكبوت: ٥٦].

فقد دلت هذه الآيات وغيرها على أنّ الذي يجب أنْ يكون التوجُّه إليه، والعبادة له، ولا يستعان إلا به، ولا يُلتجأ إلا إليه، ولا يُتقى ولا يُخاف إلا منه، وغير ذلك، هو الله وحده دون سواه.

خامسًا: النّصوص التي فيها أنَّ إفراد الله بالعبادة وعدم الشّرك به هو حقّه سبحانه على عِبادِه: فعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: « كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: " **يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**! ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: " **يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**!! ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: " **يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**!!! ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: " **هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ**؟ ". قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: " **فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ؛ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**[1] ". ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: " **يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**! ". قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: " هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ ". قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: " **أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ** ". واللفظ لمسلم[2].

---

1 (?) انظر شرح الحديث في: الرسالة الثانية مِن جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، والتي هي بعنوان: **فصلٌ في حق الله وحق عبادته وتوحيده**، ص51-66،المجموعة الثالثة، جمع وتحقيق: محمد عُزيز شمس.

سادسًا: النصوص التي فيها أنَّ رسولنا محمدًا بدأ دعوتَه وختمَها بتوحيد العبادة:

عاش الرسول الكريم بعد بِعثَتِه ثلاثًا وعشرين سنة، بدأها بالدعوة إلى توحيد العبادة، وختمها بالتحذير مِن الشرك ووسائلِه، قَالَ أَحَد الصحابة « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ بَصَرَ عَيْنِي، بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ تُفْلِحُوا** ". وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا "الحديث[1].

وفي حديث جندب أنَّ الرسول قبل أنْ يموت بخمسٍ حذَّر ونهى أمّتَه مِن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجدَ الذي ابتُلي به مَن تقدمنا. وكذا في آخر لحظاته لما نُزِل به -مع أنَّه في أشقّ الحالات- خاف أنْ يُعَظَّم قبرُه ويُعبَد كما فعَل مَن مضى بقبور أنبيائهم وصالحيهم فأخذ يلعنُ اليهود والنصارى لاتّخاذهم القبور مساجد، تحذيرًا لأمته أنْ يصنعوا به مثل ما صنَعوا. وهو مِن حديث عائشة. وسيأتي حديثهما بلَفْظَيهما[2].

سابعًا: النصوص التي تَنْهَى عن إشراك الله أحَدًا في أيّ نوعٍ من أنواع العبادات:

قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [النساء: ٣٦]. وقوله: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ وصّاكم[3] ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [الأنعام: ١٥١]. وقوله تعالى: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [الإسراء: ٢٢]. وختَم الوصايا الثمانية عشَر بقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [الإسراء: ٣٩]. وقوله: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ [البقرة: ١٥٠]. وقوله: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ [المائدة: ٤٤]. وقوله: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ [آل عمران: ١٧٥]. وأرشد سبحانه نبيَّه أنْ يقول لأمته: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [الأنعام: ٥٦]، مع

2 (?) صحيح البخاري: كِتَاب التَّوْحِيدِ، بَاب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ..، رقم: 7373 . وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أنَّ مَن مات على التوحيد دَخَلَ الْجَنَّةَ قطعًا،رقم:30.

1 (?) مسند الإمام أحمد: ورقمه: 16032، صححه الشيخ شعيبُ الأرناؤوط ومساعِدوه.

2 (?) انظر: أهمية توحيد العبادة، لشيخنا الشيخ عبد المحسن البدر –حفظه الله- 24-26، وص20 .

3 (?) تفسير ابن كثير، (2 / 253) .

قوله: ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ [غافر: ٦٦].

والآيات الناهية عن الشرك في العبادة عمومًا أو التي خُصَّ فيها بالنهي بعض أنواعها كثيرةٌ جدًّا.

ثامنًا: النصوص التي تفرِض لو أنّه وقَع الشركُ من الأنبياء –عليهم السلام- عمومًا أو مِن نبيِّنا محمدٍ ﷺ خصوصًا ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ ، فكيف مَن دونَهم؟:

قال تعالى -بعد تمام ذكر طائفة من الأنبياء عليهم السلام- آمرًا نبيَّنا ﷺ أنْ يهتدي بهداهم: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [الأنعام:٨٨]. وقال عنه في آيات التوحيد: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ [الزمر:64-٦٦]، وحاشا هؤلاء الكرام على الله، أن يُشركوا به شيئًا!

وفي الحديث مرفوعًا: " **إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا؛ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ** "[1].

وقضية حبوط العمل بإشراك غير الله معه خطيرةٌ جدًّا، أعاذنا الله مِن ذلك.

تاسعًا: النصوص التي تبيّن أنّه ما كان للأنبياء والملائكة -عليهم الصلاة والسلام- أن يُعَبِّدوا الناس لأنفسهم؛ لأنّ ذلك كفرٌ بالله ﷻ:

من ذلك قوله تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [آل عمران:79-٨٠]. وقال في عبدِه ورسولِه عيسى ﷺ مبرِّئًا إيّاه من أنْ يكون أمَرَ الناسَ باتخاذه –هو- وأمِّه إلَهَينِ مِن دون الله: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ

---

[1] جامع الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، بابٌ ومِن سورة الكهف، رقم: 3154. وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد باب الرياء والسمعة، رقم: 4202 . صححه الشيخ الألباني.

ۀ ۇ ۇ ۆ ۆ ﭼ [المائدة:116-١١٧]الآيات. وقال في الملائكة -عليهم السلام- : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [سبأ:40-٤٢].

ومَن عبَد الصالحين أو الملائكة أو الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فإنما عبَد الجنَّ بل الشياطين[1] ؛ وهذا هو حقيقة الأمر، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [يس:60-٦١].

فهذه النصوص تبيّن أنّه ما كان للأنبياء والملائكة عليهم السلام أن يُعَبِّدوا الناس لأنفسهم؛ لأنّ ذلك كُفرٌ بالله عظيمٌ.

عاشرًا: النصوص التي تَفرِض لو أنّ الملائكة والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قالوا: إنّهم آلهة لأدخلهُمُ الله جهنّم، فكيف بغيرهم لو قالوها؟:

قال تعالى في سياق ذكر التوحيد: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [الأنبياء: ٢٩].

حادي عشَر: النصوص التي تدل على أنّ الله لم يخلق الجنّ والإنس إلا لتوحيده في عبادته: قال تعالى: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ [الذاريات: ٥٨].

فالجنّ والإنس لم يُخلَقوا إلا لكبرى الغايات؛ هي عبادته سبحانه وحده.

ثانِي عشَر: النصوص التي تبيّن أنّ مَن أشرك مع الله في عبادته أحدًا -كائنًا مَا كان المعبود- ترَكَه الله وشركَه: رَوَى مسلمٌ –رحمه الله- في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « **قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** »[2].

ففيه براءة الله من الأعمال التي دخلها الريِّاء وغيرُه، والإشارة إلى حبوط العمل.

---

[1] (?) انظر: السيف المسلول على عابد الرسول، ص 33 .

[2] (?) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، **باب مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ** ، رقم: 2985 .

ثالث عشَر: النصوص التي تدل على أنّ الله ما أنزل كتابًا، ولا أرسل رسولا إلا للأمر بِهذا التوحيد: قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الحديد: ٢٥ الآية. ولفظة (الكتاب)هنا تعني: جنس الكُتُب المنـزَّلة. وأعظم القسط وأكبر العدل: وضعُ العبادة في محلّها، وعدم صرفها لِمَن لا يستحقها -كائنًا ما كان-؛ فالله أرسَل الرُّسُل وأنزل معهم الكتب، من أجل أن يقوم الناس بتوحيد الله في عبادته، وبقية الشرائع التي كلّها عدْلٌ. والله أعلم.

وكذا ما أرسل الله رسولا إلا بالدعوة إلى توحيد العبادة. والأدلة في ذلك نوعان:

نوعٌ مُجمَلٌ: حيث عمّم الله فيها القول بأنّه لم يُرسل رسولا إلا لتحقيق هذا الأصل، وأمرِه قومه به. ومن ذلك: قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ [النحل: ٢]. وقوله: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ [النحل: ٣٦]. وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ [الأنبياء: ٢٥]. وقوله: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ [الزخرف: ٤٥].

وفي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ** ". قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " **الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ** "[1].

ونوعٌ مفصَّلٌ: ذكر فيه رسلاً بآحادهم؛ فأخبَر سبحانه في كتابه عن جملةٍ منهم أنَّ كلَّ واحدٍ منهم قال لقومه:ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[2]. وقد تقدم ذكرُها وبَسطُها[3].

رَابع عشر: النصوص التي تُثبت وحدانية الله في عبادته، وتنهى عن الغلو في الدين الذي فيه: تشبيه المخلوق بالخالق: كما في آية النساء والمائدة.

---

1 (?) الحديث متفقٌ عليه، وقد تقدم تخريجه في الباب الأول.

2 (?) في غير ما موضع.

3 (?) تقدمت في المطلب التمهيدي لبيان دعوة الأنبياء إلى العبودية لله تعالى.

خامسَ عشَر: النصوص التي تُسـفِّه[1] أحلام مَن عبَد غير الله كائنًا مَا كان المعبود: ومِن ذلك ما في مُحكَم التنزيل: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ [الأنبياء: ٦٧].

وهذا مِن ملة إبراهيم التي لا يرغَب عنها ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ [البقرة: ١٣٠].

سَادسَ عشَر: النصوص التي تُضلِّل مَن عبَد غيرَ الله، بل وتجعله أضلَّ مَن في الأرض:

قال تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [الحج:11-١٣]. وقوله: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ [الأحقاف: ٥، اقرأها مع الآية التي بعدها].

سابعَ عشَر: النصوص التي تبين أنّ المعبودات غير الله لا تَملك النفع والضّرَّ لنفسها فضلا عن أنْ تَملِكه لغيرها: قال تعالى مذيِّلا على قصة عيسى : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ [المائدة: ٧٦]. وقال: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [يونس:104-١٠٧]. وقال: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ [الرعد: ١٦]. ووبَّخ عِجل السامريِّ فقال: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [طه: ٨٩]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [الفرقان: ٣].

وقد ذكر شيخ الإسلام –رحمه الله- أنَّ هذا الوجه أظهرُ للعامة مِن الوجه الأول، (الذي هو أنَّ الله خلَق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه، ومحبته والإخلاص له). قال: «وَهَذَا الْوَجْهُ أَظْهَرُ لِلْعَامَّةِ مِنْ الأَوَّلِ؛ وَلِهَذَا خُوطِبُوا بِهِ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ الأَوَّلِ؛ لَكِنْ إذَا تَدَبَّرَ اللَّبِيبُ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ؛ وَجَدَ أَنَّ اللَّهَ يَدْعُو عِبَادَهُ بِهَذَا الْوَجْهِ إلَى الأَوَّلِ. فَهَذَا الْوَجْهُ يَقْتَضِي؛ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَالاسْتِعَانَةَ بِهِ، وَدُعَاءَهُ، وَمَسْأَلَتَهُ، دُونَ مَا سِوَاهُ؛ وَيَقْتَضِي

---

[1] (?) قد عقد شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر –حفظه الله- ترجمةً في كتابه: أهمية توحيد العبادة لبيان سفاهة عقول الذين يعبُدون مع الله غيرَه، فذكر تحته ستة أو سبعة ألوان السَّفه لهؤلاء، والتي جاءت الكثيرُ مِن آيات القرآن بتوضيح ذلك. (وانظر: 37-45).

أَيْضًا مَحَبَّةَ اللَّهِ وَعِبَادَتَهُ لِإِحْسَانِهِ إِلَى عَبْدِهِ، وَإِسْبَاغِ نِعَمِهِ عَلَيْهِ؛ وَحَاجَةِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ النِّعَمِ،وَلَكِنْ إِذَا عَبَدُوهُ وَأَحَبُّوهُ؛ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ؛ دَخَلُوا فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ»[1].

ثَامن عشَر: النصوص التي فيها أنَّ عبادةِ غيرِ الله -كائنًا ما كان- لا يَحصُل معها عزٌّ ولا قوَّة، بل ذلٌّ ووهنٌ:

قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [هود: ١٠١]. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ [النحل:73]. وقال:ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ [مريم:81-٨٢]. وقال:ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [العنكبوت: ٤١]

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله- بعدما أورد أربعة آياتٍ نظيرةً لآية يشرَحُها: « فهذه أربعة مواضع في القرآن تدلّ على أنَّ مَن اتَّخَذَ مِن دون الله وليًّا يَتَعزَّزُ به، ويتكثَّر به، ويستنصرُ به، لم يحصل له به إلا ضدُّ مقصوده. وفي القرآن أكثر من ذلك، وهذا من أحسن الأمثال وأدلِّها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضدّ مقصوده.

فإن قيل: فَهُم يعلمون أنَّ أوهن البيوت بيتُ العنكبوت، فكيف نفَى عنهم عِلمَ ذلك بقوله: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ . **فالجواب:** أنه سبحانه لم يَنْفِ عنهم علمَهم بوَهنِ بيتِ العنكبوت، وإنما نفى علمَهم بأنَّ اتّخاذهم أولياء مِن دونه كالعنكبوت اتخذت بيتًا، فلو علِمُوا ذلك لَمَا فعلوه. ولكن ظنُّوا أنَّ اتخاذهم الأولياء مِن دونه يفيدُهم عِزًّا وقوةً، فكان الأمرُ بخلاف ما ظنوا»[2].

تَاسعَ عشر: النصوص التي فيها أنَّ الخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق: قال تعالى: ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ [البقرة:21مع الآية التي بعدها]. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعودٍ قَالَ: « سَأَلْتُ النَّبِيَّ : أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ

---

[1] قاعدة في توحيد الألوهية، ضمن مجموع الفتاوى (ج1 /ص27-28).

[2] أمثال القرأن لابن القيِّم ص21-22، (أفرد من كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين).

اللَّهِ؟ قَالَ: " **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ** " قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ » الحديث[1].

وفي حديث آخر، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ، قَالَ: " **إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلام بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُخْسَفَ بِي. قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ، فقعد عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ؛ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:** أَوَّلُهُنَّ: **أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَل رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ، بِوَرِقٍ، أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ؛ فَاعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ..».

وأمرهم بالصلاة والصيام والصدقة وذكر الله [2].

العشرون: النصوص التي تبيِّن أنّ المعبودين غيرَ الله عِبادُه، لا يستطيعون نصر أنفسهم: قال تعالى: ﭽ ﮀ

ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب التفسير، بَاب قَوْلُهُ تَعَالَى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ ، رقم: 4477. وصحيح مسلم:كتاب الإيمان: باب كَوْنِ الشِّرْكِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ وَبَيَانِ أَعْظَمِهَا بَعْدَهُ، رقم:86 .

[2] مسند الإمام أحمد: رقم: 17170، وصحيح ابن حبان: بأطول، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، (ذكر تشبيه المصطفى عيسى ابن مريم بعروة بن مسعود)،رقم: 6233،وصحَّحه الشيخ الأرناؤوط في الكتابين.

ﭽ [الأعراف:191-١٩٤][3] . وقال: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌ [يس:74-٧٥].

وغيرُ الله خلقُ الله وعبِيدُه، فهل أنتم تقبلون مشاركة عبيدكم في رزقكم والتساوي بينكم فيه؟ فالله أولى بعدم قبول ذلك، قال تعالى: ﭽﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹ ﭼ [الروم:28-٣٠]، الآيات. وتأمل المثل السابق الذي في حديث يحيى .

قال العلامة ابن القيِّم –رحمه الله- في بيان هذا المعنى وتفسير الآية: « وهذا دليلٌ قياسيٌّ احتجَّ الله سبحانه به على المشركين؛ حيث جعلوا له من عبيدِه ومُلْكِهِ شركاءَ، فأقام عليهم حجةً يعرفون صحَّتَها مِن نفوسهم، ولا يَحتاجون فيها إلى غيرِهم. ومِن أبلغِ الحجاج أنْ يأخُذَ الإنسانُ مِن نفسه، ويَحتجَّ عليه بما هو في نفسه مقرَّرٌ عندهم، معلومٌ لها، فقال: ﭽ ﮍﮎﮏﮐﮑ ﭼ عبيدُكم وإمائُكم شركاءَ في المال والأهل؟ أي: هل يشارِكُكُم عبيدُكم في أموالكم، وأهلِيكُم؟ فأنتم وهم في ذلك سواء؟ تَخافون أنْ يقاسِموكم أموالَكم، ويشاطروكم إيَّاها، ويستأثِرون ببعضها عليكم، كما يَخاف الشريكُ شريكَه؟ وقال ابن عباس: **" تَخافون أنْ يَرِثوكُم كما يرِثُ بعضُكم بعضًا؟ "**[1] والمعنى: هل يرضى أحدٌ منكم أنْ يكون عبدُهُ شريكَه في ماله وأهله، حتى يساوِيَه في التَّصرُّف في ذلك، فهو يَخاف أنْ ينفرِد في ماله بأمرٍ يتصرَّف فيه، كما يَخاف غيرَه مِن الشركاء والأحرار! فإذا لم ترضَوا ذلك لأنفسِكم فَلِمَ عدَلْتُم بِي مِن خلقي مَن هو

---

[3] (?) راجع: باب قول الله تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ مِن كتاب التوحيد وشروحه -كتاب التوحيد، ص270-272. وتيسير العزيز الحميد، ص206-218. وفتح المجيد، ص204-216. وقرة عيون الموحِّدين، ص73-80.

وقد ذكروا جملة كبيرةً من نعوت الباري في شرحهم للأحاديث وتفسيرهم للآيات، والتي مَن تأملها عرف يقينًا أنَّ الله وحده هو المستحق للعبادة دون سواه. كما ذكروا نقص وحاجة المخلوقين مما يُبرهن على بطلان عبادتها كائنًا ما كانت حتى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

[1] (?) أورده ابن جرير الطبري في تفسير الآية (ج18/ص490) ط1/ بدار هجر.

مملوكٌ لِي؟! فإنْ كان هذا الحكمُ باطلاً في فِطَرِكم وعقولِكم مع أنَّه جائزٌ عليكم، مُمكنٌ في حقكم؛ إذْ ليس عبيدُكم ملكًا لكم حقيقةً، وإنَّما هم إخوانُكم جعَلَهُم الله تحت أيديكم[1]، وأنتم وهُم عبادِي، فكيفَ تستجيزُون مثْلَ هذا الحُكمَ في حقِّي؟ مع أنَّ مَن جعلتموهم لِي شركاءَ عبيدي، ومُلكي، وخَلْقِي؟!، فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول»[2].

والعبد (العابد أو الـمُعبَّد المسخَّر المملوك) لا يكون معبودًا! « فنُعُوت الباري تعالى، وصفاتُ عظَمَتِه، وتوحُّدِه في الكمال المطلق أكبرُ برهانٍ على أنَّه لا يستحق العبادة إلا هو. وكذلك صفاتُ المخلوقات كلّها، وما هي عليه من النّقص والحاجة، والفقر إلى ربها في كلِّ شئونها، وأنَّه ليس لها مِن الكمال، إلا ما أعطاها ربُّها مِن أعظم البراهين على بطلان إلهية شيءٍ منها. فمَن عرف الله، وعرف الخلق، اضطَّرَتْه هذه المعرفةُ إلى عبادة الله وحدَه، وإخلاص الدين له، والثناء عليه، وحمدِه، وشُكرِه بلسانه وقلبه وأركانه، وانصرَف تعلُّقُه بالمخلوقين خوفًا ورجاءً وطمَعًا »[3] .

الحادي والعشرون: النصوص التي تبين أنّ عبادة غيرِ الله –كائنًا مَا كان المعبود- باطلةٌ، وعبادةُ الله الحقُّ: قال تعالى: ﭽ ﮪﮫﮬ ﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜ ﭼ [الحج: ٦٢]، ومثلها في سورة لقمان.

الثَّانِي والعشرون: النصوص التي فيها أنَّ عابدي غيرِ الله ومعبوديهم حصَب جهنم، سوى المعبودين الذين تَقدم لَهم مِن الله الحُسنى؛ فهم عن جهنم مُبعَدون: قال تعالى: ﭽ ﭛﭜ ﮪﮫﮬ ﯕﯖ ﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞ ﯟﯠ ﯦﯧﯨﯩ ﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚ ﭼ [الأنبياء:98-١٠٣][4] .

---

[1] (?) كما جاء بذلك الحديث .

[2] (?) أمثال القرآن لابن القيِّم ص26، ط / مطابع الصفا بمكة، بتحقيق: ناصر بن سعد الرشيد.

[3] (?) القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ السعدي، ضمن خمسة متون علمية، ص78.

[4] (?) انظر: تفسير الشيخ السعدي للآيات، 531 .

وقد جاء في تفسير الآيات عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت: ﭽﮢﮣﮪﮫﭼ فقال المشركون: الملائكة وعيسى وعُـزَيرٌ يُعبَدون مِن دون الله. فقال: لو كان هؤلاء الذين يُعبدون آلهةً ما وردوها. قال: فنزلت ﭽﯹﯺﯻﯼﭼ عيسى وعزيز والملائكة[1].

وهكذا يُستثنى بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصالحين؛ الذين عُبِدوا وليسوا عن ذلك راضين. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: « لَقَدْ عَلِمْتُ آيَةً مِنْ الْقُرْآنِ مَا سَأَلَنِي عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ، فَمَا أَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا فَيَسْأَلُوا عَنْهَا، .. الأثر.

وفيه: أنَّه لما سأله أحدٌ، قال: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: " **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ** " وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ. فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا؟ فَلَئِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ! قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﭽﯖﯗﯘﯙﯚﯜﭼ[2] [الزخرف: ٥٧] »[3].

الثالث والعشرون: النصوص الكثيرة التي ضرَب الله الأمثال للتوحيد وجزائه وأهله، والشرك وعقابه وأهله، ترغيبًا للأول، وترهيبًا عن الثاني. وهي كثيرة مشهورة.

الرابع والعشرون: النصوص التي فيها الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات على توحيد العبادة، منها قوله: ﭽﯽﯾﯿﭼ [البقرة: ١٦٣]. وقوله: ﭽﮢﮪﮫﮬﮰﭼ [البقرة: ٢٥٥]الآية. وقوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭼ [آل عمران: ٢]. وقوله: ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭼ [آل عمران: ٦]. وقوله: ﭽﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭼ [آل عمران: ١٨]. وقوله: ﭽﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭼ [الأنعام: ١٠٢]. وقوله: ﭽﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭼ [مريم: ٦٥]. وقوله: ﭽﮢﮪﮫﭼ [طه:

[1] المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة الأنبياء، رقم: 3449، صحح إسناده الحاكم، والذهبيُّ قال:(صحيح).

[2] ﯙ ﭽ ﯚ ﭼ بمعنى: (يَضِجُّونَ). كما فسِّر للراوي في الحديث، وتأمل عشر آيات بعد الآية.

[3] مسند الإمام أحمد: رقم: 2918، وقد حسّن إسنادَه الشيخ الأرناؤوط ومساعدوه.

٨]. وقوله: ﭽ﮴﮴﮴﮴﮴﮴﮴﮴﮴﮴﮴ﭼ [طه: ٩٨]. وقوله: ﭽﯗﯘﯙﯚ ﯛﯜ﮴﮴﮴﮴ﯝﭼ [المؤمنون: ١١٦]. وقوله: ﭽﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﭼ [النمل: ٢٦]. وقوله: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭼ [غافر: ٣]. وقوله: ﭽﮓﮔﮕﮖﮗ﮴﮴﮴﮴﮴ﮢﮣ﮴﮴﮴ﮩﮪ﮴ﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛ﮴ﯜ﮴﮴﮴ﭼ [الحشر:22-٢٣] . وغير ذلك كثيرٌ، ففـي هذه النصوص التقـرير بأنّ **المألـوه هو الله وحده، المتّصِـف بالكمالات المطلقة في أسمائه الحسنى وصفاته العلا، لا غيـرُه!**

الخامس والعشرون[1]**:** النصوص التي فيها الأمثلة والبراهين الدالة على بطلان الشرك وسوء عاقبته، مما يجعل النفوس السليمة تنفِر منه، ومثاله قوله تعالى: ﭽ﮴ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭼ [الحج: ٣١].

السادس والعشرون: النصوص التي فيها بيان مصير الموحّدين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة، مما يجعل النفوس السليمة تقتَرِبُ منه، مثاله: قول الله تعالى: ﭽ﮴ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭼ [الأنعام: ٨٢].

السابع والعشرون: النصوص التي فيها بيان عاقبة المشركين، وبيان مآلهم مع مَن عبَدوهم؛ حيث تـتبـرّأ منهم تلك المعبودات في أحرجِ المواقف، كآيات التبري في سورة البقرة.

الثامن والعشرون: النصوص التي فيها الاستدلال على وجوب عبادة الله بانفراده بصفات الكمال، وانتفاء ذلك عن بقية الآلهة، مثاله: قول الله تعالى عن خليله إبراهيم ﷺ أنَه قال لأبيه: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﭼ [مريم: ٤٢]، وقوله: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭼ [مريم: ٦٥].

---

[1] مِن هنا إلى الوجه الأخير استفدتُه مِن كتاب توحيد الألوهية للشيخ محمد بن إبراهيم الحمَد، وقد وقفت عليه بعد كتابتي لأكثر هذه الأوجه. وقد ذكر 16 طريقًا تحت عنوان: **طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية في القرآن الكريم**. وقد رأيتُ تلخيص بعض الطرق التي ذكرها مما لم أذكرها عند تأملي للقرآن. (وانظر هذه الطرق: توحيد الألوهية وهي الرسالة السادسة ضمن: رسائل في العقيدة للمؤلِّف، ص183-187).

التاسع والعشرون[1]**:** النصوص التي فيها الاستدلال على وجوب عبادة الله بدقة صنعه، وبتعدد نِعَمه، وغير ذلك[2].

تلك هي نصوص الباب، ويكفي في معرفة المسألة (اختصاص الله تعالى بالعبادة) أقل مما جمعت، ولك جمعتها ليتدبرها أهل العقول والأفهام؛ فيعرفوا ضلال القبورية الذين يصرفون أخص حق الله تعالى إلى غيره، أو يشركون معه أحدًا في عبادته!

** * **

وبعد العرض المفصَّل السـابق لأدلة توحيد العبادة لبيان اختصاص الله تعالى بها، دون أنْ يشاركَه في نوعٍ واحدٍ منها أقربُ الخلق إليه، ومجموعها ردٌّ عظيمٌ على القبورية من جميع الفرق: فقد رأيتُ هنا أنْ أخُصّ بعض العبادات والمسائل بالذكر تأكيدًا لَما قلتُ، وحسَب الخطة

---

1 (?) **ملاحظة/** اكتفيتُ في سردي لنصوص الباب –في الغالب- بسرد نصوص وأساليب القرآن في الأمر بتوحيد الله في عبادته، والتنفير عن الشرك به أو الكفر. وأراه لزامًا عليّ هنا أنْ أشير إلى مرجع أصيلٍ جَمَع جملةً مِن الأدلة الحديثية في هذه المسألة العظيمة، ألا وهو كتاب: **بلوغ السعادة مِن أدلة توحيد العبادة** لمؤلفه الدكتور صلاح بن محمد البُدير، (إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف، والقاضي بالمحكمة الكبرى بالمدينة النبوية حاليًّا) –حفظه الله، حيث جمع فيه ألفًا ومائة وتسعة وثمانين حديثًا في ذلك. وقد قام الشيخ شعيب الأرناؤوط بالتعليق على الكتاب، **(**انظره بطبعته الأولى/مؤسسة الرسالة، دار المؤيّد**).** ومَن وفقه الله يكفيه مجرَّد اطلاعه على أبوب الكتاب، فكيف لو تأمل الأحاديث!

2 (?) للاستزادة من مثل هذه الأدلة والأساليب يُنظر في: قاعدة في توحيد العبادة لشيخ الإسلام (مجموع فتاويه ج1/20-33). وأمثال القرآن لابن القيِّم. -والملاحظ أنّ جُلّ أمثال القرآن كانت في تقرير توحيد العبادة، وبيان ضدِّه: الشرك، وفي التفريق بين الموحِّد والمشرك-. ورفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، المعروف بكتاب العبادة، للعلامة عبد الرحمن المعلمي، وكتاب توحيد الألوهية لمؤلفه محمد الحمد. وأهمية توحيد العبادة لشيخنا عبد المحسن البدر، وبلوغ السعادة مِن أدلة توحيد العبادة للشيخ الدكتور صلاح البُدير، ومنهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، للشيخ الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ص107-141، وقبل ذلك: ص97 تحت عنوان: مسلك القرآن في إثبات الوحدانية. –رحم الله ميتهم، وحفظ أحياءهم-.

-كعبادة الدعاء والاستغاثة وبيان اختصاص الله تعالى بهما، ومثلهما السجود. وكمسألة اتخاذ القبور مساجد، واتخاذ قبر الرسول وثنًا، أو عيدًا، وكذا مسألة شدّ الرحال إلى قبرِه أو قبر غيره، ومسألتَي التبرُّك والتوسُّل به ، مع عدم جواز التعبيد له ولغيره حتى في الأسماء والألفاظ[1]، والحلف به - لاعتباراتٍ عِدّة، ويكون ذلك في أحد عشر مطلبًا. فأقول –وبالله تعالى- التوفيق:

المطلب الأول: مسألتا الدعاء والاستغاثة وبيان اختصاص الله تعالى بهما:

جاء التحذير في كتاب الله، وعلى لسان رسوله مِن دعاء غير الله، ببراهين قاطعة، وبأساليب وعبارات متنوِّعة، وموضوعات مختلفة، ومواضع متعددة، وبطرائق شتى، وتكررت هذه النصوص في مناسبات جمة. كلُّ هذا إمعانًا في التنفير مِن هذا الأمر النكير القبيح (الشرك في الدعاء)، الذي لم يُنفّر مِن شيءٍ أعظم منه. وقبحه أيضًا مستقرٌّ حتى في الفِطر والعقول السليمة.

سببُ تنوُّع الأساليب المُحذِّرة عن شِرْك الدعاء -في النصوص الشرعية-:

لَمَّا كان شرك الدعاء بأصنافه في الاستعانة والاستغاثة والاستعاذة وغير ذلك أكثر وقوعًا مِن غيره مِن أنواع الكفر الأخرى. وأكثر انتشارًا في جميع أصناف الناس وطبقاتهم، وجميع الأزمان والأمكنة. ولخطورة دعاء غير الله، وكونه أظلم الظلم .. لِهذا كلِّه أبدى الله في كتابه العزيز التحذير منه وأعاد، وكذلك رسولُه في حديثه وسنَّته[2].

وقد عقدتُ هذا المطلب لأتحدَّث عن قضيَّتَيْ الدّعاء والاستغاثة مِن خلال مسألتين:

المسألة الأولى: مسألة دعاء غير الله -كائنًا ما كان- وبيان عدم جوازه.

---

[1] وقد سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل مسألتا: قول: (ما شاء الله وشاء محمدٌ) أو غيرُه، وكذا الاستشفاع بالرسول أو بغيره، وبيان عدم جواز ذلك، وهما داخلان في هذا المبحث مِن وجه.

[2] انظر: الدعاء ومنزلته، مصدرٌ سابقٌ، (ج1 /ص 415).

المسألة الثانية: المسألة الثانية: مسألة الاستغاثة وبيان اختصاص الله تعالى بها.

المسألة الأولى: مسألة دعاء غير الله -كائنًا ما كان- وبيان عدم جوازه**:**

التعريف بالدعاء:

دعا يدعو دُعاء ودعْوًا ودعوة، ودِعاوة، ودعوى.

وأصل همزة المصدر الأول (دعاء) واوًا بدليل قولك: دعَوت أدعو. ومدعُوٌّ، اسم مفعول. ومعاني الدعاء **في اللغة** يَرجع إلى إمالة الشيء. ومِن أبرز هذه المعاني: الطلب والسؤال: يقال: دعوتُ الله له بالفلاح. ودعوتَ عليه[1]. والطلب الذي يسمى دعاءً هو طلب الأدنى مِن الأعلى. كما قال الأخضري –رحمه الله-:

أمرٌ مع استعلا، وعكسُه دعا ... وفي التساوي التماسٌ وقَعَا

ومن **معانيها: العبادة. ومنها: الرغبة إلى الله ﷻ. ومنها: الاستعانة والاستغاثة.** وغير ذلك[2].

وفي الشرع، ذَكَر العلماء –رحمهم الله- للدّعاء عدَّةَ تعريفات، منها: « **هو السّؤال والطلب رغبَةً، أو رهْبَةً، أو مجموعَهما** »[3]. وقيل**:« هو استدعاء العبد ربَّه العناية، واستمدادَه منه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرُّؤ مِن الحول والقوّة، وهو سِمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية »**[4].

---

1 انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (دعا)، ص356وما بعده. والصحاح للجوهري، ص343. والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ص 1179.

2 انظر هذه المعاني والاستشهاد لها مِن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأئمة اللغة: كتاب الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، (ج1/ص25-31).

3 هذا التعريف ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتابه: كشف ما ألقاه إبليس مِن البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، ص94، ط /دار العاصمة، بتحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد.

4 هذا التعريف ذكره الشيخ عبد الرؤوف المناوي–رحمه الله- نقلا عن الخطابي، في كتابه: الفيض القدير شرح الجامع الصغير ، (ج1 / 228)، ط/ المكتبة التجارية، وبتعليقات يسيرة لماجد الحموي.

والدعاء نوعان؛ دعاء مسألة ودعاء عبادة، ولعلّ التعريف الشامل للنوعَين: هو أنّه:

« **الرغبة إلى الله تعالى، والتوجّه إليه في تحقيق المطلوب، أو دفع المكروه، والابتهال إليه في ذلك، إمَّا بالسؤال، أو بالخضوع والتّذلُّل، والرّجاء والخوف والطمع**. فقولنا: (بالسؤال) يراد به دعاء المسألة، وقولنا: (أو بالخضوع... إلخ) يراد به دعاء العبادة، فشمِل التعريف نوعَي الدعاء، فصار جامعًا مانعًا »[1].

** * **

ثم إنّ من أساليب نصوص الشريعة في التحذير مِن دعاء غير الله تعالى واستغاثته -كائنًا ما كان-[2]:

أولا: نصوصٌ بيَّـنتْ أنّ " الدعاء هو العبادة "[3] وحذّرتْ مِن صرفها لغير الله تعالى:

وهذه النصوص كثيرة؛ قد مرّت جملة كبيرةٌ منها بأساليب متنوعة، وستأتي أخرى[4].

ويَشهدُ للحديث قولُه تعالى في الذكر الحكيم: ﭽﮋﮌﮍ ﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﭼ [الأنعام: ٥٦]. وقوله: ﭽﯭﯮﯯﯰﯱ [مريم:48-٤٩]. وقوله: ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭼ [غافر: ٦٠]الآية. وقوله: ﭽﯭﯮﯯﯰﯱﭼ [غافر: ٦٦]. وغيرها كثير.

1 (?) هذا التعريف ذكره الشيخ جيلان بن خَضِر العروسي في كتابه: الدعاء ومنزلته، (ج1/ص27).

2 (?) كلُّ الذي أذكُرُه عن دعاء المسألة هنا فملخصٌ مِن كتاب: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، للشيخ جيلان بن خضر العروسي. ولا يخرُج عمَلي عَن تقديمٍ لبعض الأوجه وتأخير، ودمجٍ وفصل، واختصارٍ شديد (انظره من: ص414- القريب مِن ص500).

3 (?) نصّ حديث أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم: 1479، والترمذي في جامعه: كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء، رقم: 3372، وابن ماحه في سننه: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، رقم: 3828: مِن حديث النعمان بن بشير ﭬ، قال الترمذي: «حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ».

4 (?) قد سبقت جملةٌ كبيرةٌ مِن ذلك في ثنايا البحث، وستأتي أخرى في المبحث السابع من هذا الفصل. وانظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله لعبد الرحمن المعلمي، ص 392-396.

والمقصود أنّ الدعاء هو (أفضل العبادة)[1]، كما أنَّ (الحج عرفة)[2]. والعبادة خصِّيصةٌ هي أهم خصائص الله -كما تقدم- لا يَجوز صرفُها لغيره تعالى.

وفي هذا الأسلوب التنفير مِن دعاء غير الله تعالى.

الأسلوب الثاني: نصوصٌ أمَر الله فيها عبدَه ونبيَّه محمدًا بإخلاص الدعاء له وحده. وفي ذلك الأمر نهيٌ عن دعاء غيره تعالى؛ لأنَّ الأمر بالشيء نهْيٌ عن ضدِّه. كما أنَّ أمر النبيِّ أمرٌ لأمته، ونهيُه نهيٌ لأمته بأبلغ وجهٍ.

مثال ذلك قوله تعالى: ﭽ   ﯾﯿﰀﰁﭼ [الشرح: 7-8]. وإلى ربِّك -لا إلى غيرِه- فارغب. والأمر بهذا الدعاء وإظهار الرغبة يدلّ على أنّه إما واجبٌ أو مستحبٌّ، وما كان كذلك لا يكون إلا عِبادة، والعبادة خِصيصة من خصائص الله، لا يجوز صرفُها لغيره تعالى.

ومن هذا الباب الآيات التي أمر فيها النبي بالاستعاذة؛ إذْ الاستعاذة نوعٌ من الدعاء؛ ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﭽﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [المؤمنون:97]. وقوله: ﭽﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭼ [الفلق:1-٢].

وأمر النبي وغيرِه بالاستعاذة بالله تعالى يُفهَم منه بطريق المخالفة: النهي عن الاستعاذة بغيره تعالى في الأمور التي لا يُعيذ فيها غيرُه؛ لأنَّه لا يُعقَل أنْ يُستعاذ بمخلوقٍ من مخلوق، كما صرَّح بذلك كثير من علماء السلف، يقول الخلال أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون[3] (ت:311هـ)، في تعليقه على أحاديث الاستعاذة بكلمات الله: « ولا يجوز أنْ يقال: أعيذُك بالسماء، أو بالجبال، أو

---

[1] إشارةٌ إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما في المستدرك، في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر. وهو شاهد لحديث الدعاء هو العبادة.

[2] سنن النسائي: كتاب مناسك الحج، فرض الوقوف بعرفة، رقم: 3016، مِن حديث عبد الرحمن بن يعمُر ، وهو صحيحٌ.

[3] **الخلال**: هو العلامة الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون، شيخ الحنابلة ووارث علم الإمام أحمد وجامعه، ولد سنة234هـ أو في التي تليها، فيجوز أن يكون رأى الإمام أحمد، وقد أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، ألف كتاب السنة وغيره مما دلّ على إمامته وسعة علمه. توفي سنة 311هـ وله 77سنة. (انظر تمام ترجمته: سير أعلام النبلاء، ج9/ص173).

بالأنبياء، أو بالملائكة، أو بالعرش، أو بالأرض مما خلَق الله، لا يُتعوذُ إلا بالله، أو بكلماته »[1].

الأسلوب الثالث: نصوصٌ نَهى الله فيها عبدَه ونبِيَّه وصفِيَّه محمداً ﷺ عن دعاء غيره، وهذا أبلغ ما يكون من النهي؛ لأنّه إذا كان رسول الله ﷺ ينهاه ربه ويُحذِّرُه من دعاء غيره، مع أنَّه المعصوم، فمِن باب أولى أنْ يَخاف منه باقي الأمة، ويَحذروا من الوقوع فيه.

ومن أمثلة هذا، قوله تعالى: ﮋﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷ ﯸﮊ [يونس: ١٠٦]. ففي هذه الآية تحذيرٌ بليغٌ مِن دعاء غير الله تعالى. وأنَّ فاعله (ظالمٌ) أي: مشركٌ؛ فإنّ الظلم هو الشرك، قال تعالى: ﮋﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﮊ[لقمان: 13]. وقوله تعالى: ﮋﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮊ [الشعراء: 213-214]. وقوله: ﮋﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮊ [القصص: 87-٨٨]، ففي هاتين الآيتين أنَّ مَن دعا غير الله مع الله ﷻ فقد جعله إلَهًا أي: معبودًا، فكيف بِمَن أفرد الدعاء لغير الله تعالى، وأخلص الدعاء له، -كما في الآية الأولى- واعتقد أنَّ الأولياء أسرعُ في الإجابة مِن الله تعالى؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وفيهما أنّه وُجِّه خطابُ التحذير إلى المصطفى ﷺ للدلالة على خطر دعاء غير الله تعالى.

الأسلوب الرابع: نصوصٌ أمر الله فيها عباده بإخلاص الدعاء والطلب منه وحده، أو حثّ رسولُه ﷺ ورغَّب على ذلك، وفي ذلك نهيٌ عن دعاء غير الله استقلالا، أو إشراكه مع الله فيه، وذلك لأنَّ الأمر بالشيء نهيٌ عن ضده.

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﮋﭵﭶﭷﭸﭹﮊ [الأعراف:29].

وقال تعالى: ﮋﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮊ [العنكبوت: 17]، ففي الآية حصرٌ لطلب الرزق بالله تعالى، فكأنه قال: (لا تبتغوا الرزق إلا عند الله تعالى). ويدلّ على ذلك تقديم الظرف، قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وَقَدْ دَلَّتْ النُّصُوصُ عَلَى الْأَمْرِ بِمَسْأَلَةِ الْخَالِقِ وَالنَّهْيِ عَنْ مَسْأَلَةِ الْمَخْلُوقِ؛ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ .. فذكر جملة كبيرةً منه إلى أن

---

[1] (?) السنة للخلال.

قال-: وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَلِيلِ: ﭽﭼﭽﭾﮊ [العنكبوت: ١٧]. وَلَمْ يَقُلْ فَابْتَغُوا الرِّزْقَ عِنْدَ اللَّهِ؛ لأَنَّ تَقْدِيمَ الظَّرْفِ يُشْعِرُ بِالِاخْتِصَاصِ وَالْحَصْرِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: لا تَبْتَغُوا الرِّزْقَ إلا عِنْدَ اللَّهِ. .. وَالإِنْسَانُ لا بُدَّ لَهُ مِنْ حُصُولِ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ مِنْ الرِّزْقِ وَنَحْوِهِ ، وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ؛ وَكِلا الأَمْرَيْنِ شُرِعَ لَهُ أَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُ لِلَّهِ؛ فَلَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ وَإِلَيْهِ يَشْتَكِي؛ »[1]**.**

وقال سبحانه: ﭽﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﭼ [غافر:14]. وقال: ﭽ ﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑ ﭼ [غافر:65].

وقال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: " **إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعَنْتَ فاستعن بالله "**[2]**.** وعن أبي ذر ؓ عن النبي ﷺ فيما روَى عَن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: «.. **يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ** »[3]. وغير ذلك.

الأسلوب الخامس: نصوصٌ نهى الله فيها جميع الناس عن دعاء غيره، أو نهى الرسول ﷺ عن ذلك ووصفه بأنه أكبر الكبائر، وذكر مغبَّته، وأنّه سبب لدخول النار، منها قوله تعالى: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﭼ [الجن:18]. ففيها نهيٌ وتحذيرٌ عن دعاء أيِّ شيءٍ -كائنًا ما كان- مع الله، سواء كان ملَكًا مقرَّبًا، أو نبِيًّا مرسلاً، أو غيرهما؛ لأنَّ النكرة في سياق النهي تَعُم، فكيف بإخلاص الدعاء لغيره؟

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودٍ ؓ قال: « قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً، وَقُلْتُ أُخْرَى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ "**. وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ وَهْوَ لا يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ »[4]**.** وعنه ؓ أنه قَالَ: «

---

1 (?) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص55 .

2 (?) جامع الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، بابٌ، رقم: 2516، قال الترمذي: « حسَنٌ صحيحٌ ».

3 (?) صحيح مسلم: كتاب البرِّ والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، رقم: 2577 .

4 (?) صحيح البخاري: كتاب التفسير،بَاب قَوْلِهِ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ، رقم: 4497. وصحيح مسلم بغير اللفظ: كتاب الإيمان،باب مَن

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: "**أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ** "[1].

الأسلوب السادس: نصوصٌ ورَدَت في ذمِّ سؤال الناس أموالهم[2]، وفي ذلك تَحذيرٌ بليغٌ مِن بابِ أولى مِن سؤالهم ما لا يقدِرون عليه؛ إذْ كيف يُمكن سؤالُهم وهم أموات لا يعلمون شيئًا مما يُطلب منهم، ولا يقدرون عليه؟

فالأحاديث الدالة على هذا النهي كثيرةٌ وشهيرةٌ، منها:

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا في بيان وعيد السائل، حتى إنه " **يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ** "[3]. وحديث أبي هريرة والزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما مرفوعًا في تفضيل الاحتطاب على الظهر على مسألة الناس[4]. وحديث عوف بن مالك الأشجعي مرفوعاً في البيعة: "**وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ**

مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، رقم: 92.

[1] صحيح البخاري:كِتَاب الدِّيَاتِ،بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ، رقم: 6861.وصحيح مسلم:كتاب الإيمان باب كَوْنِ الشِّرْكِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ وَبَيَانِ أَعْظَمِهَا بَعْدَهُ،رقم: 86.

[2] ذكر شيخ الإسلام أنواع الاعتداء المنهي عنه في الدعاء، وذكر من أعظمها، وهو: سؤال المخلوق الله ما هو من خصائص الله كإعطائه إياه خزائنه أو علم الغيب، أو خصائص النبوة، أو سؤاله أن لا يقيم الساعة، **إلى أنْ ذكر أنّ مِن أعظم الاعتداء والعدوان والذل والهوان: دعاء غير الله، وسؤال المخلوق،** وذكر أحاديث ذم المسألة، ثم أورد حالات الفاقة والحاجة للصحابة المقتضية للسؤال، مع أحاديث الرسول المفضِّلة للتعفف والاستغناء على السؤال، ثم قال في تعليقه على حديث أبي سعيد الخدري في إصابته الفاقة وإتيانه النبي : « فإذا كان ترك سؤال الأنبياء في حياتهم أفضل مع الحاجة والفاقة، ومع عدم الحاجة يكون حرامًا، فكيف سؤال الغائب والميِّت منهم ومِن غيرهم، هل يكون عملا صالحًا مشروعًا مستحبًّا للناس؟ والله تعالى لم يأمر بسؤال الخلق قط لا أحياء ولا أمواتًا، ومن زعم أنّ سؤال المخلوق حيًّا أو ميتًا قد أمر الله به أو هو واجبٌ أو مستحبٌ فهو غالط »، انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية، من ص94-100 .

[3] صحيح البخاري: كتاب الزكاة، بَاب مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا، رقم: 1474. وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ، رقم: 1040 .

شَيْئًا" قال الراوي: « فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ »[1].

الأسلوب السابع: نصوصٌ تُصوِّر مَن يدعو غير الله تعالى بأحطّ صورة، وتُمثِّل هلاكه بما يُوضِّح قبحَ دعاء غير الله تعالى، ومدى شناعته، وفي ذلك أبلغ زجر، وأشد تقريع. قال تعالى: ﭽﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [الأنعام:71]. وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [الرعد:14]. وقال تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ [العنكبوت: 41، 42].

الأسلوب العاشر: نصوصٌ توضِّح أنَّ المدعوين أنفسهم يلتجئون إلى الله تعالى ويتقربون إليه، فهم بين الخوف والرجاء، أليس اللائق أن يُلتجَأ إلى مَن يلتجئون إليه، وأن يُتَقَرَّبَ إلى مَن يتقربون إليه؟ وهذا هو شأنُ الصالحين مِن الجنِّ والإنس الذين افتـتن الناس بهم، قال الله تعالى: ﭽﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ [النساء: ١٧٢]. وقوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ [الإسراء:56-٥٧][2].

الأسلوب الحادي عشر: نصوص تصِف المؤمنين بإخلاص الدعاء لله وحده، وبأنَّهم يلتجئون في الشدائد والكربات إلى الله وحده، أو تُخبر عن تعهُّد المؤمنين والتزامهم إخلاص الدعاء لله تعالى، وأنَّهم لا يدعون غيره: ففي هذا تعريضٌ وتوبيخٌ لِمَن يلتجئ إلى غير الله تعالى في الشدائد والكرُبات، ويدعو مع الله الأموات والغائبين، ولا يلتزم إخلاص الدعاء. قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ [الفرقان: ٦٨]. وقال عزَّ شأنُه: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ [الكهف: ١٤].

---

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، بَاب الاسْتِعْفَافِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ عن صحابيَي الحديث، رقم: 1470، و1471. وصحيح مسلم: الكتاب والباب نفساهما، عن أبي هريرة ﭬ رقم: 1042 .

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ، رقم: 1043 .

2 (?) راجع: تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن السعدي، لتفسير الآية الثانية، ص536 .

الأسلوب الثاني عشر: نصوصٌ وصَفَتْ دعاء غير الله تعالى بأنَّه شركٌ، أو كفرٌ، أو وصَفَت الداعين بأنَّهم مشركون، أو كفارٌ، وفي ذلك أعظم تَحذيرٍ، وأبلغ إنذارٍ مِن دعاء غير الله تعالى: وسيأتي تفصيل هذه النصوص في المبحث السابع إنْ شاء الله الكريم[1].

الأسلوب الثالث عشر: نصوصٌ دلَّت على أنَّ دعاء الله وحده في الشدة إخلاصٌ وتوحيدٌ، ودعاءَ غيره في الرخاء –كائنًا ما كان- شركٌ وكفرٌ، واتخاذُ أندادٍ للَه تعالى[2]:

الأسلوب الرابع عشر: نصوصٌ تصِف مَن دعا غير الله بالظلم، والضلال، -وهما كثيرًا ما يطلقان على الكفر؛ قال تعالى: ﭽﭵﭶﭷﭸﭹﭼ [لقمان: ١٣]. وقال: ﭽﮗﮘﮙﮚﮛ ﮜﮝﮞﮟﮠﭼ [المائدة: ١٢]-.

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﭽﯨﯩﯪﯫ ﭼ [يونس: ١٠٦]. وقال: ﭽﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭼ [الرعد: ١٤]. وقال: ﭽ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ [الحج: ١٢].

الأسلوب الخامس عشر: نصوصٌ تُوضِّح أنَّ دعاء غير الله تعالى ضلالٌ مبينٌ، وأنَّه مضلَّةٌ في الرأي والفكر، وخسرانٌ مبينٌ، ولا يزداد بذلك إلا طغيانًا وضلالاً وإثمًا[3]:

قال الله تعالى: ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﭼ [الحج:12-١٣]. وقال: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﭼ [الجن: ٦].

الأسلوب السادس عشر: نصوصٌ تُبيِّن عجز المدعوين مِن دون الله تعالى كائنًا ما كانوا، وعدم استحقاقهم للدعاء، وأهليِّتهم له؛ لأنَّه ليس لهم الصفات التي ينبغي أنْ تكون للذي يستحق أن يُتوَجَّه إليه بالدعاء: وفي ذلك أبلغُ تحذيرٍ لِمَن يدعونهم بتسخيف عقولهم، وتسفيه أحلامهم.

وهذه المجموعة من الآيات التي تُبَيِّن عجز المدعوين تتنوع إلى عِدَّة أنواع:-

---

[1] (?) ستأتي هذه النصوص قريبًا.
[2] (?) ستأتي هذه النصوص قريبًا في مسألة الاستغاثة.
[3] (?) انظر: تفسير السعدي لآية الجنّ الآتية، ص890 .

النوع الأول: **نصوصٌ** بيَّن الله فيها أنّ الذي يستحق أنْ يُصرَف له الدعاء ينبغي أنْ يكون متصِفًا بالسمع والبصر المحيطين، وبالعلم الشامل، والحياة.. إلى آخر الصفات التي يستحقها مَن يستحق أنْ يُوَّجه إليه الدعاء، وهو الله تبارك وتعالى. وأنَّ المدعوين مِن دونه سبحانه ليسَتْ لهم هذه الصفات. منها: قوله عزَّ مِن قائِلٍ: ﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﭼ [النحل:20-٢١]. وقوله تعالى في قصة إبراهيم مع قومه: ﭽﭨﭩﮬﮭﭼ [الشعراء:72-٧٣]. وقوله: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﭼ [فاطر:13-١٤]. وقوله تعالى: ﭽﯼﯽﭼ [الأحقاف:5].

النوع الثاني: نصوصٌ بيَّن الله فيها أنَّ المدعوين مِن دون الله تعالى ليس لهم مُلكٌ، ولا شراكةٌ فيما يُطلب منهم، ولا تُقبَل منهم شفاعةٌ إلا بإذن سبحانه، فكيف يُدعَون؟ وأيُّ فائدةٍ في ذلك؟! قال الله تعالى: ﭽﯼﯽﯾﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭼ [سبأ:22-٢٣]. ففي هاتين الآيتين نفيٌ لكلِّ مِن الملك، والشراكة، والمعاونة، والشفاعة إلا مع الإذن، وهذه الأمور الأربعة هي التي يُمكن أنْ يدَّعيها الذين يَدعُون غيرَ الله لِمن يدعونهم، فإذا لم تكن ولا واحدةٌ منها؛ فلا يَصِحُّ عقلاً أنْ يُوجَّه السؤال لِمَن لا يتَّصِف بواحدةٍ منها؛ « فالمشرك إنما يتخِذُ معبوده لِما يعتقد أنَّه يَحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلةٌ من هذه الأربع: إما مالكٌ لما يريده عابدُه منه، فإنْ لم يكنْ مالكًا كان شريكًا للمالك، فإنْ لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإنْ لم يكنْ معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده. فنفى سبحانه المراتب الأربعَ نفْيًا مترتِّبا متنقِّلا مِن الأعلى إلى ما دونه؛ فنفى الملك، والشَرِكة، والمظاهرة، والشفاعة التي يظنُّها المشركُ، وأثبَتَ شفاعةً لا نصيب فيها لِمشركٍ؛ وهي الشفاعة بإذنه. فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا ونجاةً، وتجريدًا للتوحيد، وقَطْعًا لأصول الشرك ومواداه لِمَن عَقَلَها! والقرآن مملوءٌ مِن أمثالها ونظائرها[1]، ولكنَّ أكثر

---

[1] (?) سيأتي ذكر بعض النظائر للآية!

الناس لا يشعرون بدخول **الواقع** تَحته، وتَضَمُّنِه له، ويظنونه في نوعٍ، وفي قومٍ قد خلَوا مِن قبلُ ولم يُعْقِبُوا وارِثًا. وهذا هو الذي يَحول بين القلب وبين فهم القرآن! ولَعَمرُ الله! إنْ كان أولئك قد خلَوا فقد وَرِثَهم مَن هو مثلُهم، أو شرٌّ منهم، أو دونهم. وتناوُل القرآن لهم كتناولِه لأولئك »[1].

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [فاطر: ٤٠]. وقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ [الأحقاف: ٤].

النوع الثالث: **نصوصٌ** بيّن الله فيها عجز المدعوين عن دفع الضرر عن أنفسهم فضلاً عن غيرهم، وفي هذا أبلغُ رادعٍ لِمن يَطلب منهم دَفعَ الضرر، أو إيصال النفع. قال جلَّ شأنُه: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [الأعراف: ١٩٧]. وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ [الحج: ٧٣].

النوع الرابع: نصوصٌ بيّن الله تعالى فيها عجزهم وعدم استطاعتهم لإزالة ضرٍّ، أو جلْب نفعٍ عن الداعين لهم، والمستغيثين بهم في الشدائد والمصائب. قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [الإسراء: ٥٦]. وقال: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [الزمر: ٣٨].

الأسلوب السابع عشر: نصوصٌ تُبَيِّن غياب المدعوين عن الداعين عند هجوم الشدائد، ونزول المِحن والبلايا والمصائب، مع العلم بأنّ الذي لا ينفع عند الاضطرار لا حاجة تدعو إلى عبادته ودعائه في الرخاء، ففي هذا أوضح تحذير وأبلغ زجْرٍ لمن يدعو ما لا ينفعه عند الشدائد. قال تعالى: ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ [الأنعام:40-41]. وقال سبحانه: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ [الأعراف: ٣٧]. وقال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ هود: ١٠١]. وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [الإسراء: ٦٧]. وقال تعالى: ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ

[1] (?) مدارج السالكين (ج1/ص 343)، ط2 / دار الكتاب العربي، بتحقيق محمد حامد الفقي.

ﮪﮫ ﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠ ﭼ [غافر:73-٧٤]. وقال سبحانه: ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈ ﭼ [فصلت:48].

الأسلوب الثامن عشر: نصوصٌ تتوعد مَن يدعو غير الله تعالى بالعذاب الأليم، وبأنّ له الحسابَ القاسي، قال تعالى**:** ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫ ﭼ [المؤمنون: ١١٧]. وقال تعالى**:** ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄ ﭼ [الشعراء: ٢١٣].

هذه من نصوص الكتاب والسنة في نهي دعاء غير الله[1]، وقد قال العلماء المعتبرون بمقتضاها، بل قد أجمععوا على كفر مَن دعا غير الله تعالى، وجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم. وحكى إجماعهم على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقل عنه غير واحد مقررين له. وهذا الإجماع الذي ذكروه إجماعٌ صحيحٌ معلومٌ بالضرورة من الدين، وقد نصّ العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في باب حكم المرتد، على أن مَن أشرك بالله كفر (أي: مَن عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات).

ما سبق هو طائفة من أساليب نصوص الباب، ويكفي لمعرفة أنّ الله تعالى وحده المدعو المستغاث به؛ لا غيره أقل مما جمعت، ولكن جمعتها منوعة الأساليب ليتدبرها أهل العقول والأفهام؛ فينقعلوا عن دعاء غير الله تعالى كائنًا ما كان، أو يعرفوا ضلالة ذلك، وضلال القبورية المستغيثين بسوى الحي القدير المغيث الذي لا يموت!

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن دعاء الله عبادة له، فيكون صرفه لغير الله شركًا[2].

وبعد الذي تقدم عن دعاء غير الله تعالى، فسأتطرق في المسألة القادمة عن نوعٍ خاصّ من الدعاء؛ وهو الاستغاثة، وفي الحقيقة أنّ الاستغاثة أولى بالتحريم وكون الواقع فيه مشركًا من مطلق الدعاء.

---

1 (?) انظر للتوسع فيما يدخل المسألة، باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، في: تيسير العزيز الحميد،ص170-175.

2 (?) انظر: تيسير العزيز الحميد، 186-188.

المسألة الثانية: مسألة الاستغاثة وبيان اختصاص الله تعالى بها[1]**:**

معنى الاستغاثة ونوعاها:

الألف والسين والتاء في الكلمة للطلب، ومعناها، طلب الغوث[2]: " وهو التخليص مِن الشدّة والنقمة، والعون على الفكاك من الشدائد"[3].

وهي نوعٌ خاصٌ مِن أنواع الدعاء؛ إذْ هي خاصة بطلب دفع المضار والمكاره[4].

جاء في كتاب التوحيد: « باب مِن الشرك أنْ يستغيثَ بغيرِ الله أو يدعُوَ غيرَه »[5].

ومرادُه –رحمه الله- بالشرك هو الشرك الأكبر.

ومعنى (أنْ يستغيثَ بغيرِ الله**)** *كالاستغاثة بالميِّت، أو الغائب، أو الحيِّ؛ فيما لا يقْدِر عليه إلا الله*. قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في جوابه عن سؤال مَن قال: يجوز الاستغاثة بالنبي في كلِّ ما يُستغاث الله فيه، مبيِّنًا معنى الاستغاثة ونوعَيها: « وَالاسْتِغَاثَةُ طَلَبُ الْغَوْثِ، وَهُوَ إزَالَةُ الشِّدَّةِ، كَالاسْتِنْصَارِ طَلَبُ النَّصْرِ. وَالاسْتِعَانَةِ طَلَبُ الْعَوْنِ. **وَالْمَخْلُوقُ يُطْلَبُ مِنْهُ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْهَا** كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﭼ [الأنفال: ٧٢]. وَكَمَا قَالَ: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭼ [القصص: ١٥]. وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﭽ ﯦﭼ [المائدة: ٢].

وَأَمَّا مَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللَّهُ؛ فَلا يُطْلَبُ إلا مِنْ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ لا يَسْتَغِيثُونَ بِالنَّبِيِّ .

---

[1] (؟) انظر للتوسع فيما يدخل هذه المسألة، باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعوَ غيره، في: تيسير العزيز الحميد، 175-206

[2] (؟) انظر لمعنى الكلمة/ الصحاح للجوهري، مادة: غوث، ص787، والمعجم الوسيط، مادة غاث، ص667.

[3] (؟) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، للدكتور شمس، (ج 3 / 1394). (نقلا عن الزيدي).

[4] (؟) انظر: المصدر نفسه. ورسالة الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، (ج1 /ص 58).

[5] (؟) كتاب التوحيد، ص268، ضمن الجامع للمتون العلمية لعبد الله الشمراني، ط / مدار الوطن.

وَيَسْتَشْفُونَ بِهِ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِ، كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ »[1] فأورد حديث عمر في الاستسقاء.

و« يظهر من موارد لفظة الاستغاثة: أنَّها أخصّ من الاستمداد، والاستنصار، والاستعانة؛ لأنّ الاستغاثة تكون عند مسِّ الحاجات، ونزول المُلِمّات، وحدوث الكربات، فالنصر، والمدد، والعون الذي يطلبه المضطرّ والمكروب عند الكربة والشدة هو الغوث، وفعل ذلك المضطرّ، وطلب ذلك المكروب يسمى: استغاثة »[2].

الفرق بين الاستغاثة والدّعاء:

قد تبيّن شيءٌ منه فيما تقدم، ويقول الشيخ سليمان بنُ عبد الله –رحمه الله- في شرح الباب السابق بعدما أورَد تعريف شيخ الإسلام للاستغاثة، ذاكِرًا الفرق بينها وبين الدعاء: « وقال غيرُهُ –يعني: ابن تيمية-: الفرقُ بين الاستغاثة والدعاء: أنَّ الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، كما قال تعالى: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭼ [القصص: ١٥]. وقال: ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭼ [الأنفال: ٩]. والدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنَّه يكون مِن المكروب وغيرِه. فعلى هذا: عطفُ الدعاء على الاستغاثة مِن عطف العام على الخاص. -ونقل عن شيخٍ أنّ: الإغاثة: الإعانة، فعلى هذا تكون الاستغاثة هي الاستعانة. ولا ريب أنَّ مَن استغاثك فأغثتَه فقد أعنتَه. إلا أنّ لفظ الاستغاثة مخصوصٌ بطلب العون في حالة الشدة، بخلاف الاستعانة »[3].

فـ« تَحصّل مما سبق أنّ الاستغاثة خاصةٌ بما إذا كان المطلوبُ رفعَ الشِّدّة الواقعة، وأما الدعاء، فيشمل ما إذا كان المطلوب حصولَ منفعةٍ، أو دفعَ شدة، كما أنه يشمل طلب منع الشدّة التي لم تقَعْ، ويشمَل أوقات الشدة والرخاء؛ فهو أعم، فعلى هذا، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ

---

[1] (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج1 / ص103-104).

[2] (?) جهود علماء الحنفية، مصدرٌ سابقٌ.

[3] (?) تيسير العزيز الحميد، ص175، وانظر: فتح المجيد للوقوف على تعريف الاستغاثة والفرق بينه وبين الدعاء، ص186، وقرة عيون الموحِّدين، ص69، والقول السديد، ص74ضمن مجموع لطيفٍ فيه خمسة كتب.

مطلق، يجتمعان في مادة، وينفرد الدعاء في مادة، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة »[1].

أدلة تحريم الاستغاثة بغير الله كائنًا مَا كان فيما لا يَقْدِر عليه إلا القويُّ المتين:

اعلم أنَّ الميِّت –كائنًا من كان- والغائب لا يجوز بحالٍ في دين المسلمين أنْ يُطلَبَ منهم دفعُ مكروهٍ يُتَوقَّع، أو إزالةُ ضرٍّ حاصل، مهما تَفُهَ -خلافًا لِما تقدم في فصل الصوفيّة والبريلوية خصوصًا-. وكذا الحيّ الحاضر فيما لا يَقْدِر عليه، إلا الله تعالى. وقد دلّ على ذلك أدلة الكتاب والسنة[2]، وقد تقدمت جملةٌ كبيرةٌ مِن ذلك عند ذكر أساليب القرآن والسنة في منع دعاء غير الله تعالى، وعبادته. وجُملتُها تصلُحُ أدلة لتلك المسألة وهذه، للعموم والخصوص الذي بين الدعاء والاستغاثة. وسأفصِّل هنا عن نوعَين مِن أدلة منْع هذا الأمر (الاستغاثة)، بل هو بالمنع أولى:

النوع الأول: الأدلة التي استخدم في سياقها مشتقات كلمة (غ و ث) في النهي عن استغاثة غير الله فيما لا يقدِر عليه إلا الله[3]:

ومن هذا النوع:

أولا: قول الله تعالى في بيان حال الصحابة من الاضطرار يوم بدر، والذي مـثَّله الرسول محمدٌ فاستحقوا به إجابة الدعاء، وكشف الكربة: ﭽﭑﭒﭓﭔ ﭼ لا غيرَه ﭽ ﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝ ﭼ [الأنفال: ٩].

---

1. (?) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، (ج1 /ص 59).
2. (?) للاستزادة من مثل هذه الأدلة يُنظر: ما أورده الشيخ محمود الألوسي بعدما ذكر شُبَه النبهاني لقبوريته واستغاثته بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله عارضه بأدلة الكتاب والسنة بمختلف أنواع الدلالات المطابقية والتضمنية والالتزامية، والأقيسة الصحيحة في أعظم المقاصد، ألا وهو إفراد الله وتوحيده بخصائصه (انظرها، ج1/ ص360-383).
3. (?) انظر هذا النوع مِن الأدلة: معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي، (ج 2 /ص 453).

و« اسْتِغَاثَةُ الْمَخْلُوقِ بِالْمَخْلُوقِ -فيما لا يقْدر عليه- كَاسْتِغَاثَةِ الْغَرِيقِ بِالْغَرِيقِ، وكَاسْتِغَاثَةِ الْمَسْجُونِ بِالْمَسْجُونِ »[1].

وهذه الآية في الاستغاثة غير الجائزة، ومثلها ما يأتي:

ثانيًا: عن أنس بن مالك قال: كان النبي إذا كرَبَه أمرٌ قال: " **يا حيُّ، يا قيُّومُ، برحمتك أستغِيثُ** "[2].

ثالثًا: وجاء في الحديث الذي يُستأنس به، ويَعتضِد بغيره مِن أصول الشريعة ونصوصها[3] نَهيُ النبي أنْ يُستغاث به في حياته حتى فيما يقْدِر عليه، فكيف فيما لا يقْدِر عليه، أو الاستغاثة به بعد وفاته؟ فروى الطبراني في الكبير: أنّه كان في زمن النبيّ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله مِن هذا المنافق، فقال النبي : " **إنه لا يُستغاث بِي، وإنما يُستغاث بالله** "[4]. مِن حديث ابن لهيعة[5] -رحمه الله-. ولفظه في المسند: عَن رجلٍ سمِع عبادة بن الصامت يقول: « خرج علينا رسول الله فقال أبو بكر: قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق! فقال

---

1 () نقل ذلك شيخ الإسلام عن أَبي يَزِيدَ البسطامي وأبي عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيّ، (انظر: مجموع الفتاوى، (ج1 /ص106).

2 () جامع الترمذي: كتاب الدعوات، بابٌ (وقبله عدة أبواب بدون ترجمة)، ورقمه: 3524، وهو حديث حسن (انظر: السلسلة الصحيحة للألباني، ج7/ص556، برقم: 3182).

3 () ذكرتُ جملة مِن نصوص الشريعة التي عليها اعتمادي قبل هذا وبعده، أما هذا الحديث فإنما ذكرته استئناسًا واعتضادًا، وثانيًا: ضعف هذا الحديث ولينُه ضعفٌ منجبر. كما ذكره في هذا المعرض شيخ الإسلام للاستئناس والاعتضاد لا للاعتماد، (انظر: تلخيص الاستغاثة والرد على البكري، ص153).

4 () أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » 10 / 159 : ورجاله رجال الصحيح ، غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث ».

5 () هو **عبد الله ابن لَهِيعة** ابن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري، القاضي، صدوقٌ، خلَّط بعد احتراق كُتُبِه. ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل مِن غيرهما. والعبادلة الأربعة روَوا عنه قبل الاختلاط، فروايتهم عنه صحيحة. مات سنة أربعٍ وسبعين. (انظر: تقريب التهذيب، للافظ ابن حجر –رحمه الله- برقم: 3563).

رسول الله ﷺ: **" لا يقام لي، إنما يقام لله تبارك وتعالى "**[1].

ويلاحظ هنا أنّ رسول الله ﷺ نهى عن الاستغاثة به، مع أنّها في أمرٍ ظاهرٍ، وهو أمر جائزٌ، ويقْدِر عليه، إلا أنّ سبب النهي هو حمايةً التوحيد، والتحذير من الشرك، وقطع الطريق الموصل إلى التوسل بغير الله تعالى حتى لا يتعوَّدَ الناس الاستغاثة بغير الله. ولا حولا ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- في شرح الحديث: « قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ مِن هذا المنافق! "؛ لأنَّه ﷺ يقدِر على كفِّ أذاه. قوله: "**إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله**" فيه النَّص على أنَّه لا يُستغاث بالنبي ﷺ ولا بِمَن دونه. كرِه ﷺ أن يُستعمل هذا اللفظ في حقه، وإنْ كان مما يقدِر عليه في حياته حمايةً لجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، وأدَبًا وتواضُعًا لربه، وتَحذيرًا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال. فإذا كان فيما يقدِر عليه ﷺ في حياته فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته! ويُطلب منه أمورًا لا يقدِر عليها إلا الله ﷻ؟ كما جرى على ألسنة كثيرٍ من الشعراء كالبوصيري والبرعي[2]، وغيرِهم من الاستغاثة بِمَن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ويُعرِضون عن الاستغاثة بالربِّ العظيم، القادر على كلِّ شيءٍ، الذي له الخلق والأمر وحده، وله الملك وحده، لا إله غيرُه، ولا ربَّ سواه »[3].

---

1 (?) مسند الإمام أحمد، 22706، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف عبد الله ابن لهيعة.

2 (?) تقدمت ترجمة البوصيري، أما البرعي فهو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليمني، شاعر متصوف، له ديوان مطبوع، ت803هـ، ويكفي لمعرفة قبوريته ما قاله شعرًا بالنسبة للنبي ﷺ، والتي منها قوله:

واسمع دعائي، واكشف ما يساورنيمن الخطوب، ونفّس كل أحزانيفأنت أقرب من ترجى عواطفهعندي وإنْ بعُدت داري وأوطانيإنّي دعوتك من نيابتي بُرَعٍوأنت أسمع من يدعوه ذو شأن(نقلها وغيرها عنه صاحب تيسير العزيز الحميد، ص184-185).

3 (?) فتح المجيد، ص201-202، وانظر: تيسير العزيز الحميد، 199-200، وقرة عيون الموحدين، ص71-72.

رابعًا: وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ « أَنَّ رَجُلا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ ..، وَرَسُولُ اللَّهِ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ قَائِمًا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلَكَت الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعْتِ السُّبُلُ؛ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " **اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا** ". قَالَ أَنَسٌ: وَلا وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلا قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ[1] مِنْ بَيْتٍ وَلا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلا وَاللَّهِ! مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلَكَت الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَت السُّبُلُ؛ **فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا**. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " **اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ**[2] **وَالظِّرَابِ**[3]**، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ** "، قَالَ: **فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ** »[4].

ففيه بيان الاستغاثة الجائزة في حق الرسول وغيرِه فيما يقدِر.

خامسًا: قال تعالى في الاستغاثة الجائزة أيضًا التي يقِدر عليها الإنسان، في قصة موسى : ﭽﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ [القصص: ١٥].

هذه من نصوص الباب، لكن: كَم مِن الناس اليوم مَن يطلب زوال البلايا والمِحَن والرزايا النازلة للأمة

---

1 (?) **جبل سلع:** هو الجبل المعروف الذي خُندق حوله يوم غزوة الأحزاب، وهو في الشمال الغربي من مسجد النبي (انظر فتح الباري لابن حجر، ج1/ص1123).

2 (?) **الآكام:** جمع أكمة بفتحات، قيل في المراد به، المجتمع من التراب، وقيل غير ذلك (انظرها في: فتح الباري لابن حجر، ج1/ص 1124-1125).

3 (?) **الظراب:** جمع ظرب بكسر الراء وقد تسكن، قيل هون الجبل المنبسط ليس بالعالي، (انظر فتح الباري لابن حجر، ج1/ص1125).

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء، بَاب الاسْتِسْقَاءِ فِي الْمسجد الجامع، رقم: 1013. وصحيح مسلم: واللفظ له: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدُّعَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ، رقم: 897.

الإسلامية أو في خاصة آحادها وأفرادِها، بالاستغاثة بالأنبياء والصالحين بدلاً مِن الالتجاء إلى مُجيب دعوةِ المضطرين، وكاشف ضُرِّ المتضرِّرين والمنكوبين، الذي هو على كلِّ شيء قدير، فتسمعُهم يهتِفون باسم النبي محمدٍ ﷺ مستغيثين به أنْ يُدرِك هذه الأمة، أو بعليٍّ أو بالحسين رضي الله عنهما أو بغيرهما، أو بسيدي عبد القادر الجيلي أو غيرهم حتى مِن غير الصالحين! وقد تقدم شيءٌ منه في فصل الصوفية والبريلوية. فأنَّى يأتي النصر والشرك الصراح قائم! والله المستعان!!

النوع الثاني: الأدلة التي ورد فيها معنى الاستغاثة المنهية عنها دون لفظها:

ومِن هذا النوع:

ما تقدمت الإشارة إليها؛ وهي: النصوصُ الدالة على أنَّ دعاء الله وحده في الشدة إخلاصٌ وتوحيدٌ، ودعاءَ غيرِه في الرخاء –كائنًا ما كان- شركٌ وكفرٌ، واتخاذُ أندادٍ لله تعالى: فمِن ذلك، قوله سبحانه: ﴿…﴾ [الأنعام: 40-٤١]. وقوله: ﴿…﴾ لتراكُم الأمواج وغيره[1] ﴿…﴾ [الإسراء: ٦٧]. وقوله: ﴿…﴾ [النحل: 53-٥٥]. وقوله: ﴿…﴾ فاشتد عليهم الحال في البحر، بتلاطم أمواجه، فخافوا مِن الهلاك[2] ﴿…﴾ [العنكبوت:65-٦٦]. وقوله: ﴿…﴾ كالجبال والغمام[3] ﴿…﴾ [لقمان: ٣٢]. وقوله: ﴿…﴾ [الزمر: ٨].

قال ابن عبد البرِّ –رحمه الله- في ردِّه على المعطِّلة الذين نـفَوا عن الله استواءه على عرشه، وعلوَّه على خلقه، شارحًا حديث النزول: « ومِن الحجة فيما ذهبت إليه الجماعةُ أنَّ الموحدين مِن العرب والعجم، إذا كرَبَهم

---

1 (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، ص462 .
2 (?) انظر: المصدر نفسه، في تفسير الآية،، ص635 .
3 (?) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج3 / 541).

أمرٌ، أو دهمَهم غمرٌ، أو نزلت بهم شدّة، رفعُوا أيديَـهم إلى السماء يستغيثون ربَّهم؛ ليكشف ما نزَل بهم، ولا يشيرون بشيء من ذلك إلى الأرض »[1].

ومنها: نصوصٌ ذكرَت حال المشركين الأوَّلِين مِن أنّهم إذا مسَّهم الضُرّ لـجئوا إلى الله وحده واستغاثوا به: وهذا بخلاف مَن يستغيث بغير الله في هذه الأزمان؛ حيث يُشركون به في الشدة والرخاء، فصار أولئك أصحّ عقولا، وأخفَّ شِركًا[2]. قال الله تعالى: ﭽﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ [يونس: ١٢]. وقال جلّ شأنُه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ [الروم: ٣٣]. وقوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ [الزمر: ٤٩].

ومنها: نصوصٌ ذكرَتْ أنَّ المستغاث بهم دون الله لا يَملكون كشف الضرِّ عن الناس ولا تحويله: وقد تقدمت آية الإسراء، ومما جاء في المعنى أيضًا قوله جلّ جلاله: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ [الزمر: ٣٨].

ومنها: نصوصٌ تبيِّن أنَّ الإله الحق هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وهو الله سبحانه: قال تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ [النمل: ٦٢].

وعَنْ أحد الأصحاب[3] عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَوْ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ قَالَ: أَنْتَ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: " **نَعَمْ** ". قَالَ: فَإِلامَ تَدْعُو؟ قَالَ: " **أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﷻ وَحْدَهُ؛ <u>مَنْ إِذَا كَانَ بِكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ. وَمَنْ إِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَ لَكَ. وَمَنْ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ فَأَضْلَلْتَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّ عَلَيْكَ</u>**

---

1 (?) الاستذكار لأبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري، (ج2/ 528) ط1/ دار الكتب العلمية ببيروت، بتحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض.

2 (?) انظر: كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب، 374-375 ضمن الجامع للمتون العلمية للشمراني .

3 (?)**كُنيته** –كما في السند- أبو تميمة ﷺ، غير منسوب، ذكر الحافظ ابن حجر حديثه هذا في ترجمته في الإصابة (قسم الكنى، حرف التاء، ج 12/ص85، برقم: 9679) وأورد المؤرخ ابن الأثير حديثه هذا في ترجمة أبي تميمة الهجيمي. وبيّن أن أحمد العسكري قال بأنهما شخصان (انظر: أسد الغابة، ج6/ص44، برقم:5737).

". قَالَ: فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ، ثُمَّ قَالَ: « أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! »؟ فأوصاه ... الحديث[1].

فالله وحده هو الملجأ في الرفع والدفع، لا رادّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه سبحانه.

ويَحسُن هنا أنْ أقف مع أحوال الصالحين من الأنبياء وأتباعهم، حيث إنّهم إذا كربَهم أمرٌ لا يلجؤون إلا إلى الله كاشف الضّرّ وحده.

نَماذج مِن استغاثة الأنبياء –عليهم السلام- والمؤمنين وغيرهم بالله تعالى[2] في الكتاب والسنة، وكيف أنَّ الله أسرَع في كشف ضُرِّهم!

وبعدما تقدم من استغاثة القبورية بغير الله من الأنبياء والصالحين عند الحديث عن الصوفية والبريلوية حسُن أنْ أورد نماذج من حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لجئهم إلى الله وحده، في حال الشدة خصوصًا، ليُعرف مدى الفرق، وليقتدي بهم مَن أراد الله هدايته، لأنّه إذا كانوا كذلك فما أَخْلَقَ المسلمين أنْ يقتدوا بهم**!** وكيف يليق بِمَن ينتسب إلى الإسلام أنْ يلتجئ إلى غير الله، في حال الشدة خصوصًا، مالا يفعلُه المشركون الأولون؟ ولَمّا كان المستغيث محتاجًا بل مضطرًا مكروبًا كانتْ سُنّةُ الله فيه أنْ يَعقُبَ اضطرارَه وسؤالَه الإجابةُ؛ وبالنظر إلى أحوال مَن سأذكرُهم هنا يتـضح الشاهد، وهو سرعة إجابة الله لدعائهم وقضاء حوائجهم:

حالُ الرسول وصحابته رضوان الله عليهم في بدرٍ لَما تراءى الجمعان، وأخذ الرسول يدعو الله ويُلِحُّ عليه أنْ ينصُرَه؛ فإذا بِإجابة الله لهم نازلة[3]، قال تعالى:

---

1 (?) مسند الإمام أحمد، ورقمه: 16616، و23205، وقد صحَّح الحديث الشيخ شعيبٌ ومساعدوه.

2 (?) انظر مثل هذه النماذج في كلام جعفر الصادق، ص49-53 من كتاب القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي للشيخ محمد بن أحمد.

3 (?) انظر لأدلة ذلك: دلائل النبوة للبيهقي، باب ما جاء في دعاء النبي على المشركين قبل التقاء الجمعين وبعده، ودعاء أصحابه عليهم،

ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭼ [الأنفال: ٩الآية]. فتأملْ حرف الفاء (ف) التي للتعقيب مِن قوله: ﭽﭓﭼ .

وتأمل **حال موسى** قبلهم لَمّا تراءى جماعتُه وجماعةُ فرعون، وقال أصحابُ موسى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭼ [الشعراء: ٦١-62]. قال تعالى منَجِّيًا لهم: ﭽﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭼ [الشعراء:63]الآيات إلى: 67.

وتأمل كذلك قصة الإسرائيلي مع مُشاجِره القبطي، وأنَّه لَمّا كان هذا الإسرائيليُّ مضطرًا جاءه النصر عَقِيب استغاثته بموسى على عدوِّه، بتيسير دخول موسى والوكز، قال تعالى: ﭽﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [القصص: ١٥].

وموسى بُعَيد ما استغفر الله غفَر له: ﭽﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﭼ [القصص: ١٦][1] . ولما ائتمر القوم ليَقتلوه ثأرًا وخرج من مصر خائفًا قائلا: ﭽﯣﯤﯥﯦﯧﭼ [القصص: ٢١]، وتوجَّه تلقاء مدين، فهداه الله سواء السبيل. ولما احتاج إلى الطعام وتوسل إلى الله بذكر عجزه وفقره، وعدم قدرته على تحصيل ما يسدُّ به رمقه الذي بلغ مبلغَه، استرزق الله وقال: ﭽﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﭼ [القصص: ٢٤]، فجاءه الفرَجُ من الله فجوزي بأجر السّقاية[2]، ﭽﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﭼ [القصص: ٢٥].

و**نوحٌ** لَمّا استغاث ربَّـه حين دعا قومـه ليلا ونهارًا، وما زادهم دعاؤه إلا فرارًا، ولبثَ في ذلك ألف سنة إلا خمسين عامًا، وما آمن معه إلا قليلٌ و ﭽﮒﮓﮔﮕﮖﮗﭼ [المؤمنون: ٢٦]، قال الله تعالى مجيبًا دعاءه: ﭽﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﭼ [المؤمنون: ٢٧].

وأما **إبراهيم** أبو الحنفاء وإمام المخلصين، وأمير المتوكِّلين على الله، فمَع ما قام به قومُه مِن إلقائه في الجحيم، ومع طلَبِ ملائكة الله المقرَّبـين من مساعدته،

واستغاثتهم ربهم واستجابة الله تعالى لهم وإمدادهم بالملائكة، ..(ج 3/ص36-48).

[1] (?) انظر: فقه الأدعية والأذكار للشيخ الدكتور عبد الرزاق البدر، (ج2/ 398) .

[2] (?) انظر: المصدر السابق، (ج2/ص400-401) .

كان أولَ وآخرَ قوله[1]: استغاثتُه بحاله، أنْ قال: (حسبي الله ونِعم الوكيل). وكذلك رسولُنا حين قيل له ما قيل؛ فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما « **ﭽ   ﭼ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ، حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ حِينَ قَالُوا: ﭽ ﯽﯾﯿ   ﭼ** [آل عمران: ١٧٣][2].

وأيوب لمّا نادى ربَّه بأنَّه مسَّه الضُّرُّ أجابَه، فقال: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭼ [الأنبياء: ٨٤].

ولَمّا وهَنَ العظمُ مِن **زكريا** واشتعل رأسُه شيبًا، ونادى ربَّه بحاله متوسِّلا إليه، سبحانه بالافتقار إليه، متبرِّئًا من حوله وقوَّته، ومتعلِّقًا قلبُه بحول الله وقوَّته، وخاف مِن أنْ لا يتولَّى على بني إسرائيل بعده الصالح الرَّضي الذي يقوم بدين الله حق القيام .. اشتغاث ربَّه في أنْ يَهَبَه وليًّا مِن لدنه يرِث النبوة والعلم والدين، مع كون امرأته عاقرًا، ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠ ﭼ [آل عمران: 38]، فقبِل الله دعاءه، وأجابه عن سؤالِه بما تمناه: ﭽﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭼ [آل عمران: ٣٩]الآية. بل وأصلح الله له زوجَه فصارتْ ولُودًا بعد أنْ كانت عاقِرًا، قال تعالى: ﭽ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜ ﯝ   ﯞ ﭼ [الأنبياء:89-٩٠][3].

وتأمَّلوا **حال الناس** لما أجدبوا زمان رسول الله وجاعَت الناس، وهَلَكَتْ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعتِ السُّبُلُ، وتوسَّلوا برسول الله والحالة هذه، وقال: **اللهم أغثنا** .. فإذا بالسّحابة ترعُد وتبرُق[4] .. إلخ.

والمرأة التي اتهمت بالوشاح حتى فُتِّش قُبُلُها، دعَت الله واستغاثت به أن يبرئها؛ أنجاها الله؛ فإذا بالحدأة طارحةً ذلك ليقع بينهم -كما في حديثها مع أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنهما-. وهي التي كَانَتْ لا تَجْلِسُ عِنْدِها مَجْلِسًا إلا قالت:

وَيَوْمَ الْوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ ... أَلا إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الْكُفْرِ

---

[1] (?) فتح الباري مع صحيح البخاري، (ج3/ص 3133).

[2] (?) صحيح البخاري:كتاب التفسير،باب قولهﭽ   ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ، رقم: 4563.

[3] (?) انظر: فقه الأدعية والأذكار، (ج2/ص414-417).

[4] (?) سبق تخريجـه قريبًا.

رَبِّنَا أَنْجَانِي[1].

ويوم القيامة يستغيث نبينا محمد مِن شدة الهول والكرب الذي بالناس، فسرعان ما يَجِد المؤمنون ربّهم الكريم مغيثًا، فيقال له: "**ارفع رأسَك، وسَلْ تُعطه، واشفع تُشفع**"[2].

وبعد هذه النماذج **أقول بالنسبة لِمسألتي الدعاء والاستغاثة** (المطلب):

أليس للناس قدوة بِمَن ذكرتُ من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والصالحين في فرارهم إلى الله، ولجوئهم إليه، واستمدادهم منه واستنصارهم به، واستعانتهم به واستغاثتهم، واستجارتهم، ولياذهم وعِياذهم! فاللهُ يجيبُ مَن دعاه، ويُلبي مَن ناداه، ويكشف الضرّ والبلوى، ويسمع السرَّ والنجوى، فكيف يُؤمّل غيرُه في الشدائد، وكشف الشدائد بيده! ويُرجي غيرُه ويُطرَق -بالفقر- أبوابُ الملوك وغيرِهم، والأبواب مُغلَقةٌ، ومفاتِحُها بيده؟ وبابُه مفتوح لِمن دعاه وناجاهُ!

أما غيرُه -كائنًا ما كان- ففقير إليه لذاته محتاج، والفقير والفقير سواء!

عقيدة أهل السنة في عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ في باب الاستغاثة[3]:

وهنا وفي آخر المطاف سألخص عقيدة أهل السنة في هذا الباب في نبيِّهم عبدِ الله ورسولِه ، وهذه العقيدة تتلخّص في نُقَط آتية:

الأولى: في حياة الرسول : يجوز استغاثته في **الأمور التي يقدِر عليها بجسمه أو حُكمِه أو دعائه**، وقد طلَبَ الصحابةُ رضوان الله عليهم منه ذلك؛ فطلبوا منه أنْ يُغيثهم مِن ذلك المنافق، وكانوا إذا

---

[1] قف على كامل القصة في: صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَاب نَوْمِ الْمَرْأَةِ فِي الْمَسْجِدِ، رقم: 439.

[2] سبق تخريجه قريبًا.

[3] انظر عن هذه المسألة وعلاقتها بعبد الله ورسوله نبينا محمد : حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (ج2/ ص752-761).

قـحطوا استغاثوا به، وكذلك في الحروب وعند الخوف وغيرِ ذلك. وقد سبقت أدلة ذلك كلّه.

جاء في البخاري أنّ عَائِشَة رضي الله عنها قَالَتْ: « وَا رَأْسَاه![1] » فَقَالَ لها رَسُولُ اللَّهِ : **"ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ؛ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ** "الحديث[2].

ولفظه عند ابن ماجه –رحمه الله-: **"مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي فَقُمْتُ عَلَيْكِ، فَغَسَّلْتُكِ، وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُـكِ"**[3].

«فلو كان يحصل منه الدعاءُ والاستغفارُ بعد موته لم يكن فرقٌ بين أنْ تموت قبله، أو يموت قبلها »[4].

وعلى حياته، تفسيرُ قوله تعالى: ﭽﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﭼ [النساء: ٦٤].

وما لم يقدِر عليه في حياته مما اختص الله به، مِن رَزق عباده، أو هبة الذرية لهم وغيره فإنه لا يجـوز سؤال عبد الله ورسوله ذلك، كما أنّ بقية عبادِه سبحانه من باب أولى.

الثانية: وأما بعد وفاته : فإنّه لا يـجوز سؤالـه في حياته البرزخية، حتى الأمور التي قدِر عليها وهو في حياته الدنيوية، لعدم استطاعته.

الثالثة: يوم القيامة: يطلب الناس الشفاعة لنـزول الربّ تبارك وتعالى لفصل القضاء من عددٍ من أنبياء الله ورُسلِه، إلى أنْ يصلـوا إليه صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، فيقول خيرُ خلقِ الله محمدٌ : " أنا لها! " فتُقبَل شفاعته في الناس، وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه الأولون والآخرون. وذلك فضلٌ من

---

1 (?) **وا رأساه**: « تَفَجُّع عَلَى الرَّأْس لِشِدَّةِ مَا وَقَعَ بِهِ مِنْ أَلَم الصُّدَاع » قاله ابنُ حجر،(الفتح، ج3/ص4045).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب المرضى، بَاب قَوْلِ الْمَرِيضِ إِنِّي وَجِعٌ، أَوْ وا رأساه، أَوْ.. ، رقم: 5667.

3 (?) سنن ابن ماجه: كتاب الجنائز، بَاب مَا جَاءَ فِي غَسْلِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَغَسْلِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا، رقم: 1465.

في الزوائد: « إِسْنَاد رِجَاله ثِقَات، رَوَاهُ الْبُخَارِيّ مِنْ وَجْه آخَر مُخْتَصَرًا »، (شروح ابن ماجه: ج1/ص587).

4 (?) قالـه شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر، في كتابه: فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها، ص54، ط9.

الله أعطاه هذا العبد الرسول . والله ذو الفضل العظيم. وهذه الـنُّقَط الثلاث تجمع مقتضى نصوص هذا الباب. وقد آمن بها أهل السنة والجماعة، كما هو شأنهم في كلِّ بابٍ مِن جمع أدلة المسألة الواحدة وتفهمها والإيمان والعمل بمقتضاها. ولكون عوامهم على الفطرة؛ فلا يسألـون الحيَّ ما لا يقدِر عليه، ولا الميِّـت أيَّ شيءٍ.

وأما القبورية –كما تقدم في فصل الصوفية-[1] فإنَّهم لم يُفرِّقـوا بين ما هو مقدورٌ منه فعلُه وعكسه، وحالة الحياة الدنيا، ويوم تقوم الأشهاد، وحالة الحياة البرزخية. كما أنّ كثيرًا منهم جعلوا ذلك في حقِّه وحق غيره مِن أئمتهم ومشايخهم غُلُـوًّا بهم.

ويتبيَّن ما تقدم وما عليه المخالفون بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « وذلك أنه في حياته يجوز أن يستغاث به فيُطلَب منه أنْ ينصر المظلوم، ويُطعمَ الجائعَ، ويسقِيَ الظمآن، ويُخلِّصَ الأسرى، ويقضِيَ دين المدين، ويُبَيِّنَ الدِّين، ويُزيـحَ شبهاتِ المعارضين، ويُجـيب السائلين، ونحو ذلك. .. **الاستغاثة**: طلَبُ

---

[1] للقبورية شبهات على ما يقومون بها مِن صرف هذه العبادات لغير الله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين ومَن يُتوهم فيهم الصلاح، أجاب على جملة كبيرةٍ منها شيخ الإسلام في كتابه الاستغاثة والرد على البكري، وكتاب الرد على الأخنائي، والقاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة، وابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي، وعلامة جدة في تكملته للصارم، ومحمد بن عبد الوهاب في كشف الشبهات، والشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد، والحكمي في معارج القبول، إلى غير ذلك من الكتب التي ناقشت القبورية على شبههم، وبينت الحق فيها، ولا يسمح المجال بذكرها هنا. مع أنه سبق ذكر بعضها في فصل الرافضة والصوفية مع مناقشتها، وكلها لا تخرج عن آيات وأحاديث صحيحة أولوها وتعسفوا في تفسيرها حتى توافق باطلهم، ولا دلالة لها في الحقيقة على ما زعموا، وهذا النوع الأول.
النوع الثاني: أحاديث واهية أو موضوعة، وهذا هو أغلب ما عندهم.
النوع الثالث: حكايات مكذوبة منسوبة لبعض أئمة الدين، والذين لهم في نفوس الناس منزلة كمالك وغيره. النوع الرابع: منامات مكذوبة، أو ملبسة من الشياطين. النوع الخامس: أقوال مَن تكلم في الدين بلا علم، ولا دليل شرعيٍّ. النوع السادس: حجج من جهة الرأي والذوق مخالفة لأصول الدين وقواعده، وحقيقتها أنّها أوهن من بيت العنكبوت. (انظر عن هذا: حقوق النبي في ضوء الكتاب والسنة –ج2/ ص760-761).

الإغاثة، والتخليص من الكربة والشدة. وأنواعُ الكُرَب في الشدائد كثيرةٌ؛ لكَثْرَة أسبابِها، كالأمراض، والحاجات، والأعداء؛ فإنَّ الأمراض فيها مِن الشدة التي تلحق المريضَ، وأهلَه، وأصدقاءَه ما الله به عليمٌ، والحاجة إلى الرزق لنفسه وعياله. وما ينال الإنسانَ بسبب الديون عليه كذلك. وما يناله إذا قلّ رزقُه مِن أنواع الشدائد. وكذلك حال العدوِّ، الظالم من الكفار والفجار، في عدوانهم على الناس من الكُرَبِ، والشدائد، ما لا يقدِرُ قدرَه إلا الله. ومَن هو دون الرسول مِن عموم المؤمنين يُستغاثُ به، ويُطلَب منه في حياته الإغاثة على دفع هذه الشدائد كلِّها بِحَسب قدرتِه، وذلك إما واجبٌ و إما مستحبٌ. ومعلوم أن طلب المؤمنين ذلك مِن رسول الله في حال حياته أعظم مِن طلبهم له مِن كلِّ خليفةٍ، وعالِمٍ وشيخٍ، وملِكٍ. وهو أقوَمُ بذلك مِن هؤلاء، وأقْدَرُ على إزالةً ذلك مِنْهم، فكانوا عند الجدْب يفزَعون إليه حتى يستسْقِيَ الله لهم، وعند الحرب يفْزَعون إليه طلَبًا لأمْرِه ودعائه، بل قد روى البـراء عن عليٍّ أنَّه قال: (كنَّا إذا احْمَرَّ البأسُ، ولقِيَ القومُ القومَ اتَّقَيْنا برسول الله ﷺ، فلَمْ يكُن أحَدٌ أقْرَبَ إلى العدُوِّ منه)[1]. وفي الصحيح: أنَّ أهل المدينة فَزِعُوا فرَكِب رسولُ الله ﷺ فرَسًا لأبي طلحة عُري[2] فكشف لهم، ثم رجع فقال: " **لن تُراعُوا**[3] **، وإنْ وجدناه لبَحرًا** "[4]. وعند قلة الطعام والماء، فإليه يفزَعون، فيدعُو لهم؛ فيكثر الطعام، -كما فعل ذلك غير

---

1 ([?]) الحديث في مسند الإمام أحمد، ورقمه: 1276، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب قسم الفيء رقم: 2584، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه »، وبدون ذكر للبراء ﷺ.

2 ([?]) **فرس عُـرْي:** بِضَمِّ العين وَسُكُون الرَاء، وَقِيلَ: بِكَسْرِ الرَّاء وَتَشْدِيدهَا أَيْ: لا سَرْجَ عَلَيْهِ، وَلا غَيْره (انظر: شروح ابن ماجه، ج2/ ص1055).

3 ([?]) **لَن تُرَاعُوا**: « كَلِمَة تُقَال عِنْدَ تَسْكِين الرَّوْع تَأْنِيسًا، وَإِظْهَارًا لِلرِّفْقِ بِالْمُخَاطَبِ » (الفتح، ج3/ 4273).

4 ([?]) انظره في: صحيح البخاري: (كتاب الأدب، بَاب حُسْنِ الْخُلُق وَالسَّخَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْ الْبُخْلِ، رقم: 6033. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فِي شَجَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقَدُّمِهِ لِلْحَرْبِ، رقم: 2307، ولفظ الشيخ أقرب إلى لفظ مسلم.

مرة- في عام الخندق، وفي السفر، وغير ذلك. وعند قلة الماءِ؛ فيُكَثِّرُه الله ببركته؛ إما بنَبعِيه من بين أصابعه كما نبع -غير مرة- بالمدينة، وغيرها كيوم الحديبية، وإما بدون النَّبع كما فعل بمزادتَي المرأة اللتين شرِب منهما الجيشُ، ولم ينقص منهما شيءٌ. وعند المخاوف يفزعون إليه فيَرمِي الحصى في وُجُوه الكفار، ونحو ذلك.

فقول القائل: إنَّ الاستغاثة به بعد موته ثابتةٌ ثبوتَها في حياته لزِم مِن ذلك أنْ نطلب منه هذه الأشياء المذكورة وغيرها بعد موته، ووجب أن يفعلها بعد موته؛ فيخرُجَ في الغزوات، ويُقيم الحدود، ويعود المريض، فاعلا ذلك ببدنه بعد مماته، كما كان يفعل ذلك في حياته. فهل يقول هذا إنسانٌ! أو يحتاج ردّ هذا إلى برهان!! ولكن علينا بعد موته من الإيمان به، وطاعته ما علينا في حياته، أنْ نُصدق خبره، ونطيع أمره، ونشهد له أنَّه قد بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبَدَ الله حتى أتاه اليقِينُ. فليس عليه بعد موته أنْ يأمرَنا، ولا ينهانا، ولا يُعلِّمَنا، ولا يهدينا، وليس عليه بعد الموت فعلٌ مِن الأفعال؛ لا واجبٌ ولا مستحبٌ. كما ليس ذلك على غيره مِن الناس، بل الموت ينتهي به التكليف الثابت في الحياة بإجماع الخلق. فليس على نبِيٍّ ولا غيرِه بعد موته أنْ يَفعل ما كان يُؤمَر به في حال الحياة مِن واجبٍ ومستحبٍ. وإغاثةُ الأمة مِن جملة ما كان يفعله من الواجبات والمستحبات باقيًا لهم. قد أدَّى، وأبان، ونصح. ولا يستطيع أحدٌ أنْ ينقُل عن أحدٍ من الصحابة، ولا من السلف؛ أنَّهم بعد موته طلبوا منه إغاثةً، ولا نصرًا، ولا إعانةً، ولا استسقوا بقبره، ولا استنصروا به، كما كانوا يفعلون ذلك في حياته. ولا فعَل ذلك أحدٌ مِن أهل العلم والإيمان »[1].

وهذا كلامٌ متينٌ، وهو تلخيص لمسألة الاستغاثة المتقدمة. وعليه، فالقول: بتجويز الاستغاثة بالنبِيّ في

---

[1] الرد على البكري لشيخ الإسلام، (ج1 /195-201)، بتحقيق: محمد علي عجال.

كلِّ ما يُستغاث فيه بالله سبحانه كفرٌ[1] –كما سيأتي بيانـه في المبحث السادس.

تنبيه: قد تبيّن أنّه لا يُدعى عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ، ولا يُستغاث به، ولا يُلتجئ إليه، ولا .. وأنّه ليس له من خصائص الألوهية شيءٌ، فلَمّا كان كذلك كيف يكون لِمَن دونه (الأنبياء وغيرهم)؟ -كما هو عنوان المبحث-، يُقرر هذا شيخ الإسلام –رحمه الله- فيقول: « فَصْلٌ: وَإِذَا تَبَيَّنَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، فِي حَقِّ أَشْرَفِ الْخَلْقِ، وَأَكْرَمِهِمْ عَلَى اللَّهِ ﷺ، وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ، وَخَاتَمِ الرُّسُلِ وَالنَّبِيِّينَ، وَأَفْضَلِ الأَوَّلِينَ والآخرين، وَأَرْفَعِ الشُّفَعَاءِ مَنْزِلَةً، وَأَعْظَمِهِمْ جَاهًا عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، <u>تَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ دُونَهُ مِنْ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَوْلَى بِأَنْ لا يُشْرَكَ بِهِ، وَلا يُتَّخَذَ قَبْرُهُ وَثَنًا يُعْبَدُ، وَلا يُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ لا فِي حَيَاتِهِ وَلا فِي مَمَاتِهِ</u>. وَلا يَجُوزُ لأَحَدِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِأَحَدِ مِنْ الْمَشَايِخِ؛ الْغَائِبِينَ وَلا الْمَيِّتِينَ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: يَا سَيِّدِي فُلانًا أَغِثْنِي، وَانْصُرْنِي، وَادْفَعْ عَنِّي، أَوْ أَنَا فِي حَسْبِك، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ بَلْ كُلُّ هَذَا مِنْ الشِّرْكِ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَحْرِيمُهُ مِمَّا يُعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الإِسْلامِ. وَهَؤُلاءِ الْمُسْتَغِيثُونَ بِالْغَائِبِينَ وَالْمَيِّتِينَ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وَغَيْرِ قُبُورِهِمْ لَمَّا كَانُوا مِنْ جِنْسِ عُبَّادِ الأَوْثَانِ، صَارَ الشَّيْطَانُ يُضِلُّهُمْ وَيُغْوِيهِمْ، كَمَا يَضِلُّ عُبَّادَ الأَوْثَانِ وَيُغْوِيهِمْ » [2].

هذا، وسيتضح بقية الكلام وتتمته بالمطالب القادمة.

** * **

المطلب الثاني: مسألة النهي عن السجود للعبد الرسول محمد ﷺ، فكيف بالسجود لغيره؟:

السجود غاية في الخضوع والذلّ، ولا يستحقه إلا الربُّ الكريم سبحانه.

قد نَهى عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ عن السجود له؛ في حياته، وبعد وفاته حماية للتوحيد، ولأنّ ذلك من

---

[1] (?) راجع فتْوى شيخ الإسلام السابقة، في الإحالة السابقة.

[2] (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج1/ ص358).

خصائص ربّه دون غيره، فكيف بالسجود لغيره؟ فـعن عبد الله بن أبي أوفى ، قال: « لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنْ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ [1]، قَالَ: مَا هَذَا؟ يَا مُعَاذُ! قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **فَلا تَفْعَلُوا؛ فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ[2] لَمْ تَمْنَعْهُ** "[3].

وفي مسند الإمام أحمد أنه: قَدِمَ مُعَاذٌ الْيَمَنَ أَوْ قَالَ الشَّامَ فَرَأَى النَّصَارَى تَسْجُدُ لِبَطَارِقَتِهَا وَأَسَاقِفَتِهَا فَرَوَّأَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُعَظَّمَ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ النَّصَارَى تَسْجُدُ لِبَطَارِقَتِهَا[4] وَأَسَاقِفَتِهَا[5]، فَرَوَّأْتُ فِي نَفْسِي أَنَّكَ أَحَقُّ أَنْ تُعَظَّمَ، فَقَالَ: " **لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهَا كُلَّهُ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا عَلَيْهَا كُلَّهُ، حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ لأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ** ".

---

1 (?) وفعل معاذ هذا كان سببه كما جاء في الرواية الأخرى، وهو أنّه سأل نصارى الشام عن سبب فعلهم هذا، فذكروا أنّه تحية الأنبياء فشعُر بأن الأحق به رسول الله ؛ لكونه أفضلَهم، فلذلك قال ما قاله، ثم أرشده إلى الصحيح.

2 (?) **قتَب**: بالتحريك: رحلٌ صغيرٌ على قدر السنام (الصحاح للجوهري، مادة: قتب، ص836).

3 (?) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، رقم: 1853، قال الألباني: حسن صحيح، (انظر دراسة الحديث: السلسلة الصحيحة، ج3/ص200وما بعده، برقم: 1203، ج7/ص1097وما بعده، برقم: 3366).

4 (?) **بطارِكة، وبطارك:** جمع بطرك، وهو مقدَّم النصارى، ورئيس رؤساء الأساقفة (تقدم في الباب الأول).

5 (?) **الأساقفة:** جمع لأسقف: وهو لقب ديني لأحبار النصارى، فوق القسيس ودون المطران (تقدم في الباب الأول).

وقد أورد الإمام أحمد –رحمه الله- على إثره الأثر الذي فيه أنّ معاذًا فعل ما فعل لَمّا سأل نصار الشام وقال: " **لأَيِّ شَيْءٍ تَصْنَعُونَ هَذَا؟** " قَالُوا: هَذَا كَانَ تَحِيَّةَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَنَا، فَقُلْتُ: نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَصْنَعَ هَذَا بِنَبِيِّنَا! فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ : " **إِنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، كَمَا حَرَّفُوا كِتَابَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَنَا خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ: السَّلَامَ؛ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** "[1].

ويشهد له حديث أنس قال، قال رسول الله : " **لا يصلح لبشرٍ أن يسجُد لبشرٍ، ولو صلُح لبشر أن يسجد لبشرٍ؛ لأمرتُ المرأةَ أن تسجُد لزوجها من عِظَم حقه عليها** "[2].

وعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أَتَيْتُ الْحِيـرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ[3]، فَقُلْتُ: رَسُولُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ، فَأَنْتَ -يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ. قَالَ: " **أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ؟** "، قَالَ: قُلْتُ: لاَ. قَالَ: " **فَلاَ تَفْعَلُوا لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ** "[4].

ومثـله عن أبي هريرة عند الترمـذي –رحمه الله-[5].

---

1 (?) مسند عبد الله بن أبي أوفى مِن مسند الإمام أحمد، رقم: 18591 (وهو صحيح، كما مر في السلسلة قريبًا).

2 (?) السنن الصغرى للنسائي، كتاب ، حق الرجل على المرأة، ورقمه: 9147.ط1/ دار الكتب العلمية، وبتحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن.

3 (?) **مَرْزُبَان:** الرئيس من الفرس، وجمعه مرازبة (انظر: المعجم الوسيط، مادة: المرزبان، ص863).

4 (?) سنن أبي داود: كتاب النكاح، باب فِي حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ، رقم: 2140. الحديث صحيحٌ دون جملة القبر.

5 (?) جامع الترمذي: كتاب الرضاع، بَاب مَا جَاءَ فِي حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ، رقم: 1159.

وعن بريدة قال: جاء أعرابي إلى رسول الله فقال: يا رسول الله! قد أسلمت فأرني شيئًا أزداد به يقينًا، قال: " **ما الذي تريد؟** " قال: ادع تلك الشجرة، فلتأتك، قال: " **اذهب فادعها** "، فأتاها الأعرابي، فقال: أجيبي رسول الله ، فمالتْ على جانب مِن جوانبها، فقطعت عروقها، ثم مالت على الجانب الآخر فقطعت عروقها حتى أتت رسولَ الله فقالت: السلام عليك يا رسول الله! فقال: " **بم تشهدين، يا شجرة؟** " قالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبدُ الله ورسولُـه، قال: " **صدقتِ** "، فقال الأعرابي: حسبي حسبي، مُرْها فلترجعْ إلى مكانها، فقال: " **ارجعي إلى مكانك، وكوني كما كنت** "، فرجعت إلى حفرتها، فجلست على عروقها في الحفرة، فوقع كل عرق مكانه الذي كان فيه، ثم التأمتْ عليها الأرضُ، فقال الأعرابي: أتأذن لي -يا رسول الله! أنْ أُقبِّل رأسك ورجلَيْك، ففعل، ثم قال: أتأذن لي أنْ أسجُد لك؟فقال:"**لا يسجُدُ أحدٌ لأحد**"[1].

وفي بعض المصادر هكذا « ائذن لي أسجد لك، فقال له: " **لو أمرتُ أحدًا أنْ يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أنْ تسجُد لبعلها** " قال: فائذَنْ لي أنْ أُقبِّل يديك ورجليك، فأذن له[2].

والحديث بشواهده السابقة صحيحٌ. قال الترمذي: « وَفِي الْبَاب عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَسُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، وَعَائِشَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، وَطَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَأَنَسٍ، وَابْنِ عُمَرَ » --.

1 (?) أخرجه أبو نعيم في الدلائل، الفصل التاسع عشر، ورقمه: 291، وفي سنده صالح بن حيان، وهو ضعيف (التقريب لابن حجر: ورقم ترجمته، 2851)، والحاكم في المستدرك: كتاب البر والصلة، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ورقمه: 7434، والحديث وإنْ كان في سنده مقالٌ إلا أنّ الشاهد منه ثابتٌ (وهو النهي عن السجود لرسول الله خصوصًا، ولغيره عمومًا، سوى الله).

2 (?) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته ، ص307-308)، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، للقرطبي، ص357، بتحقيق: د. أحمد حجازي السقا.

وكلّ هذه الأحاديث لتُؤكّد حصر السجود لله تعالى الذي جاء في مدحه للملائكة: ﭽﯨﯩﯪﭼ [الأعراف: ٢٠٦].

وكما كان الصحابة لا يسجدون للنبِيّ كذلك ما كانوا يقومون إذا رأوه ، لِما يعرفون مِن كراهته لذلك، فـعن أَنَسٍ قَالَ: « لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ: وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ »[1]. مع أنه قال: " **قوموا إلى سيدكم** "[2] في شأن غيره !

---

[1] جامع الترمذي: كتاب الأدب، بَاب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ قِيَامِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ، رقم: 2754، ومسند الإمام أحمد: رقم: 11895، و 13132، والشمائل المحمدية، باب ما جاء في تواضع رسول الله ، رقم:324. قَالَ الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ»،وصححه الألباني (الصحيحة،ج2/ص698،برقم: 358).

[2] انظر: صحيح البخاري: كتاب الاستئذان، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، رقم: 6262، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، بَاب جَوَازِ قِتَالِ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ.. رقم: 1768.

ولتحرير مسألة القيام إلى إنسان أو لـه وبيان حكمها ما بين الجائز والممنوع، ومعرفة أقوال العلماء في ذلك، (راجع شرح الحديث: في فتح الباري، ج4/ ص4410-4413، والمنهاج للنووي، ص1137، حيث قال: « قَوْله : (**قُومُوا إِلَى سَيِّدكُمْ أَوْ خَيْركُمْ**) فِيهِ: إِكْرَام أَهْل الْفَضْل وَتَلَقِّيهمْ بِالْقِيَامِ لَهُمْ إِذَا أَقْبَلُوا، هَكَذَا احْتَجَّ بِهِ جَمَاهِير الْعُلَمَاء لاسْتِحْبَابِ الْقِيَام، قَالَ الْقَاضِي: وَلَيْسَ هَذَا مِنْ الْقِيَام الْمَنْهِيّ عَنْهُ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِيمَنْ يَقُومُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِس، وَيَمْثُلُونَ قِيَامًا طُول جُلُوسه. قُلْت: الْقِيَام لِلْقَادِمِ مِنْ أَهْل الْفَضْل مُسْتَحَبّ، وَقَدْ جَاءَ فِيهِ أَحَادِيث، وَلَمْ يَصِحّ فِي النَّهْي عَنْهُ شَيْء صَرِيح، وَقَدْ جَمَعْت كُلّ ذَلِكَ مَعَ كَلام الْعُلَمَاء عَلَيْهِ، فِي جُزْء، وَأَجَبْت فِيهِ عَمَّا تَوَهَّمَ النَّهْي عَنْهُ. وَاَللَّه أَعْلَم ». ولقد قال العلامة **ابن القيم** كلامًا طريفًا في ذكره أدلة سدّ الذرائع: « **الوجه الرابع والأربعون:** أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمر المأمومين أنْ يصلوا قعودًا إذا صلى إمامُهم قاعدًا، وقد تواتر عنه ذلك ولم يجيء عنه ما ينسخه، **وما ذاك إلا سدًّا لذريعة مشابهة الكفار حيث يقومون على ملوكهم وهم قعود** كما علله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وهذا التعليل منه يبطل قول من قال: إنه منسوخٌ، مع أنّ ذلك دعوى لا دليل عليها ». **وقال: « الوجه التاسع:** والأربعون: أنه نهاهم إذا أقيمت الصلاة أنْ يقوموا حتى يرَوه قد خرج لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قيامهم لغير الله، ولو كانوا إنما يقصدون القيام للصلاة، لكن قيامهم قبل خروج الإمام ذريعة، ولا مصلحة فيها فنهوا عنه » (إعلام الموقعين عن رب العالمين، 2/ ص 129).

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله- في ذكر تلاعب الشيطان بأمة النصارى في أصول دينهم وفروعه حتى صاروا يسجدون لِمخلوق أو لصورته: « .. وإنما المثال المطابق لما يفعله هؤلاء المشركون مثالُ خادمٍ من خُدَّام الملِك، دخَل على رجل فوثب الرجل مِن مجلسه، وسجد له، وعبَدَه، وفعَل به ما لا يصلُح أنْ يُفعل إلا مع الملك. وكلُّ عاقل يستجهله ويستحمقه في فعله؛ إذْ قد فعَل مع عبْدِ الملِكِ ما كان ينبغي له أن يَخُص به الملِـكَ دون عبيده: من الإكرام والخضوع والتذلل. ومعلومٌ أنّ هذا إلى مقْت الملِك له وسقوطه من عَينِه أقربُ منه إلى إكرامٍ له، ورفع منزلتِه. كذلك حالُ مَن سجد لمخلوقٍ أو لصورة مخلوقٍ؛ لأنه عمد إلى السجود الذي هو غاية ما يتوصل به العبد إلى رضا الرب، ولا يصلح إلا له، ففعله لصورة عبدٍ من عبيده، وسوّى بين الله وبين عبده في ذلك، وليس وراء هذا في القبح والظلم شيء، ولهذا قال تعالى: ﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂ [لقمان: ١٣]. وقد فطر الله سبحانه عباده على استقباح معاملة عبيد الملك وخدمه بالتعظيم والإجلال والخضوع والذل الذي يُعامَل به الملك، فكيف حال مَن فعل ذلك بأعداء الملِك! فإنَّ الشيطان عدوُّ الله، والمشركُ إنما يشرك به، لا بولِـي الله، ورسولِه، بل رسولُ الله وأولياؤُه بريئون ممن أشرك بهم، مُعادون لهم، أشدّ الناس مقتًا لهم. فهم في نفس الأمر إنما أشركوا بأعداء الله، وسوَّوا بينهم وبين الله في العبادة، والتعظيم والسجود والذل، ولهذا كان بطلان الشرك وقبحه معلومًا بالفطرة السليمة، والعقول الصحيحة. والعلم بقبحه أظهر من العلم بقبح سائر القبائح »[1].

وقال –رحمه الله-: « أنَّ النبي نهى الرجل أنْ ينحنـي للرجل إذا لقـيه، كما يفعله كثيرٌ مِن المنتسبين إلى العلم، ممن لا علم له بالسنة، بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلا، حتى يصير أحدُهم بصورة الراكع لأخيه، ثم يرفع رأسه من الركوع، كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، (ج2/ 292-293).

والأموات، أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها، وطائفة ثالثةٌ قيامَها؛ يقوم عليهم الناس وهم قعودٌ كما يقومون في الصلاة فقاسمت الفِرَقُ الثلاثُ أجزاء الصلاة. **والمقصود** أنَّ النبي نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدًّا لذريعة الشرك، كما نهى عن السجود لغير الله، وكما نهاهم أن يقوموا في الصلاة على رأس الإمام، وهو جالس، مع أنَّ قيامهم عبادةٌ لله تعالى. فما الظنُّ إذا كان القيام تعظيمًا للمخلوق، وعبوديةً له؟ فالله المستعان »[1] وهذا هو الوجه التاسع والثمانون من الأوجه التسعة والتسعين التي ذكرها أدلةً لسدِّ الذرائع .

وأهل السنة يقولون بِما في هذا المطلب؛ مِن أنّه لا يستحق السجود ولا غيرَه مِن خصائص الإلهية إلا الإله الواحد القهار، أما غيرُه ولو كان أقرب الخلق إليه فإنه لا يستحقه، وليس ذلك بحقه. بخلاف القبورية مِن الرافضة والصوفية وغيرهم، بل قد حصل -عندنا- في هذه الأيام أنْ سجَد أحدُ المريدين لأحد كبار شيوخ الصوفية[2] مِما أثار البلبلة والردود في البلد بين السنة وأولئك. ومعلومٌ أنّ السجود لله عبادة مأمورة بها، وفعلها لله توحيد، كما أنّ صرفها لغيره شركٌ به سبحانه، وهو من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر لما يقترن به، قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « ومن أنواع الشرك : سجود المريد للشيخ فإنّه شركٌ من الساجد والمسجود له، والعجب: أنهم يقولون: ليس هذا سجود وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احترامًا وتواضعًا، فيقال لهؤلاء: ولو سَمّيتموه ما سَميتموه فحقيقة السجود: وضع الرأس لمن يسجد له وكذلك السجود للصنم وللشمس وللنجم وللحجر كله وضع الرأس قدامه »[3].

---

[1] (?) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، (2/ ص135-136)، ط/ دار الحديث بالقاهرة.

[2] (?) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (1/ ص423) لترى حكم سجود المريد لشيخه، وأنه شركٌ من الساجد والمسجود له، عياذًا بالله!، ط/ دار ابن خزيمة، بتحقيق عامر بن علي ياسين.

[3] (?) المصدر نفسه، (ج1/ 423).

فهؤلاء الناس لا يعرفون توحيد العبادة وحمايتَه، والذي كانت كلُّ حياة رسول الله ﷺ في تحقيقه، والتحذير مـمّا يُضادُّه أو ينافي كماله، كما اتضح من استعراض الأحاديث السابقة، ومثلها كثير. والله المستعان!

** * **

المطلب الثالث: مسألة اتخاذ القبور مساجد[1]:

جاء النهي البليغ، والتحذير والنكير من الناصح الأمين محمدٍ عبد الله ورسوله ﷺ عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد عمومًا، وقبره خصوصًا، في أوقات متفاوتة حرِجة، بأساليب مختلفة، إمعانًا منه في التحذير من ذلك.

النصوص المتواترة[2] الصريحة المحكمة في التحذير مِن اتخاذ القبور مساجد:

[1] انظر عن هذه المسألة والتي بعدها المراجع التالية: 1- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (ج1/185وما بعده)، وزاد المعاد (ج1/ ص525-526) كلاهما لابن القيم، وتجريد التوحيد المفيد للعلامة أحمد بن علي المقريزي، ص51-53، وتطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني. 2- شرح الصدور بتحريم رفع القبور، للإمام محمد بن علي الشوكاني. 3- تحذيـر الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني. 4- مجـانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، للشيخ عبد العزيز الراجحي. 5- الاستـعاذة بالغفور من بدعة بناء المسـاجد والقباب على القبور، وكتاب إتحاف الأماجد بتحريم دفن الموتى في المساجد، كلاهما لأبي أنس السيّد بن عبد المقصود. وغير ذلك كثير.

[2] ذكر ابن القيم –رحمه الله- هذا التواتر، والإجماع عليه، فقال: « فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ، أنَّ الصلاة عند القبور منهيٌّ عنها، وأنه لعن مَن اتخذها مساجد. فمِن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام بالنهي عن ذلك، والتغليظ فيه، فقد صرَّح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها، متابعةً منهم للسنة الصحيحة الصريحة، وصرَّح أصحاب أحمد، وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك. وطائفة أطلقت الكراهة؛ والذي ينبغي أنْ تُحمل على كراهة التحريم إحسانًا للظن بالعلماء، وأنْ لا يُظنُّ بهم أن يُـجوِّزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله، والنهي عنه »، ثم ذكر هذه الأحاديث. (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج1/185)، وقد ذكر التواتر قبله شيخُ الإسلام، (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص 270).

الدليل الأول: عن جُنْدَبٌ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: " **إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا. أَلا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا! فَلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ** " [1].

والتحذير في الحديث مِن وجوه: **أولا:** ذكر حصول الفعل من الأمم السابقة لهذه الأمة، والقصد منه: تحذير هذه الأمة من عملهم. **ثانيًا:** النهي بلا الناهية الموجه إلى هذه الأمة. **ثالثًا:** تأكيد ذلك بالجملة الخبرية المؤكدة بـ(إنّ). **رابعًا:** قوله " أنهاكم عن ذلك ". **خامسًا:** تصدير الجملة بأداة التنبيه (ألا!). وكلّ هذا مِن كمال نصحه في نهيه عن الوسائل المؤدية إلى الشرك وذرائعه[2]، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًّا عن أمته.

الدليل الثاني: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ فَقَالَ: " **إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** "[3].

وقد جاء عند البخاري في (بَاب بِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى الْقَبْرِ) من كتاب الجنائز ما يفيد على أنَّـهما رضي الله عنهما ذكرتا له ذلك عند مرضه بأبي هو وأمي، إذْ قالت

[1] الحديث باللفظ في صحيح مسلم: وقد تقدم تخريجه عند مسألة خلة النبي . واقرأ شرحه مستوفى في كتاب عشرون حديثًا من صحيح مسلم؛ -دراسة أسانيدها وشرح متونها- (ج2/ 462-472).

[2] انظر: أهمية توحيد العبادة لشيخي الشيخ عبد المحسن البدر، ص 25.

[3] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَاب هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ؟ رقم: 427، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا، وَالنَّهْيِ عَنْ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، رقم: 532.

عائشة رضي الله عنها: « لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ[1]، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ .. » الحديث[2].

وعند مسلم عنها رضي الله عنها « أَنَّهُمْ تَذَاكَرُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فِي مَرَضِهِ؛..»[3]. فقاله سدًّا لذريعة اتخاذ قبره مسجدًا.

الدليل الثالث: عن عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالا: لَمَّا نزلَ بِرَسُولِ اللَّهِ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ-: " **لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** " يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[4].

وعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ النَّبِيِّ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: " **لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا** " قَالَتْ: وَلَوْلا ذَلِكَ لأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا[5] .

وعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: " **لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** " لَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَوْ خُشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا[6].

---

1 (?) **مارية**:اسم لتلك الكنيسة،بكسر الراء وتخفيف الياء التحتانية،كما قاله الحافظ ابن حجر (الفتح،ج1/ص738).

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، بَاب بِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى الْقَبْرِ، رقم: 1341.

3 (?) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ..، رقم: 528.

4 (?) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رقم: 3453و3454، وكتاب المغازي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، رقم: 4443و4444.

5 (?) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، رقم: 1330.

وفي هذه الروايات للحديث مِن الفوائد ما يلي:

الأولى: جاء في بعض روايات هذا الحديث: قَالَتْ عَائِشَةُ: « لَوْلا ذَلِكَ لأبْرِزَ قَبْرُهُ، خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا »[1]. وفي بعضها: « وَلَوْلا ذَلِكَ لأَبْرَزُوا قَبْرَهُ، غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا ». وفي البعض الآخر: « لَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَوْ خُشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا ». فرواية (أخشى) تَقْتَضِي أَنَّ عائشة رضي الله عنها هِيَ الَّتِي امْتَنَعَتْ مِنْ إِبْرَازه، وكذلك رواية خُشي (بالضم)؛ مُبْهَمَة يُمْكِن أَنْ تُفَسَّر بِرواية أخشى، وَالْهَاء في (أنَّه) ضَمِير الشَّأن؛ وَكَأَنَّهَا رضي الله عنها أَرَادَتْ نَفْسهَا وَمَنْ وَافَقَهَا عَلَى ذَلِكَ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ بِاجْتِهَادٍ. بِخِلافِ رِوَايَة الْفَتْح فَإِنَّهَا تَقْتَضِي أَنَّ النَّبِيّ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ[2]. ويُجمَع بينها بأنّه خشي هو أنْ يُتخذ قبرُه مسجدًا كما فُعل بقبور أولئك الأنبياء والصالحين، لذا أخذ يحذِّر منه في هذا الوقت الحَرِج، ثم إنّ عائشة وبقية الصحابة بعدما سمعوا بقوله هذا وفهموا مقصودَه وما يترتب على إبرازه مِن مفسدة خشُوا ذلك الإبراز خوف وقوع المفسدة المذكورة.

الثانية: قال الحافظ ابن حجر في شرح روايتي عائشة وابن عباس رضي الله عنهما في باب الصلاة في البيعة من كتاب الصلاة: «قَوْله: (فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ-:) أَيْ: فِي تِلْكَ الْحَال،وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون ذَلِكَ فِي الْوَقْت الَّذِي ذَكَرَتْ فِيهِ أُمّ سَلَمَة وَأُمّ حَبِيبَة أَمْر الْكَنِيسَة الَّتِي رَأَتَاهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَة،وَكَأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ مُرْتَحِل مِنْ ذَلِكَ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يُكرَه من اتخاذ المساجد على القبور، رقم: 1330، وكتاب الجنائز، بَاب مَا جَاءَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رقم: 1390. وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ...، رقم: 529.

[2] هذه الرواية في صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ وَوَفَاتِهِ، رقمها: 4441.

[3] انظر: فتح الباري: (ج1/ ص1315).

الْمَرَض،فَخَافَ أَنْ يُعَظِّم قَبْره،كَمَا فَعَلَ مَنْ مَضَى فَلَعَنَ الْيَهُود وَالنَّصَارَى إِشَارَة إِلَى ذَمّ مَنْ يَفْعَل فِعْلهمْ»[1].

الثالثة: « وَقَوْله: (اتَّخَذُوا) جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَة عَلَى سَبِيل الْبَيَان لِمُوجِبِ اللَّعْن، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا سَبَب لَعْنهمْ؟ فَأُجِيب بِقَوْلِهِ " اتَّخَذُوا ..." الحديث [2].

الرابعة: « وَقَوْله: (يُحَذِّر مَا صَنَعُوا) جُمْلَةٌ أُخْرَى مُسْتَأْنَفَة مِنْ كَلَام الرَّاوِي، كَأَنَّهُ سُئِلَ عَنْ حِكْمَة ذِكْر ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْت فَأُجِيب بِذَلِكَ »[3].

الدليل الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " **قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** "[4]، وفي رواية عنه بلفظ: " **لعن الله** .."الحديث.

الدليل السادس: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: " **إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ** "[5].

الدليل السابع: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: « لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ، وَالسُّرُجَ »[6] .

---

1 (?) فتح الباري: (ج1/ ص743).

2 (?) المصدر نفسه، (ج1/ ص743).

3 (?) المصدر نفسه، (ج1/ ص743).

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَاب الصَّلاةِ فِي الْبِيعَةِ، رقم: 437، صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَاب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ...، 530 .

5 (?) مسند الإمام أحمد، رقم: 3651، و3929، الشاهد من الحديث حسن (انظر: ص26-27 من كتاب تحذير الساجد)، وشطره الأول في البخاري، كتاب الفتن، بَاب ظُهُورِ الْفِتَنِ، ورقمه: 7067 .

6 (?) سنن أبي داود: كتاب الجنائز، بَاب فِي زِيَارَةِ النِّسَاءِ الْقُبُورَ، رقم: 3236، وجامع الترمذي: كتاب الصلاة عن رسول الله ، بَاب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَى الْقَبْرِ مَسْجِدًا، رقم: ،320، وهذا الحديث وإنْ ضُعِّف إلا أنّ جملة اتخاذ المساجد على القبور يشهد لها جميع الأدلة السابقة.

الدليل الثامن[1]**:** عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ[2] عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ[3] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ؛ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** "[4] .

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله- وهو يُعدّد أوجه إبطال قول مَن زعم أنّ نَهي الصلاة في المقبرة كانت العلة فيه النجاسة، لا سد ذريعة الشرك بالله، « فذكرُه ذلك –يعني: جملة اشتداد غضب الله على متخذي قبور الأنبياء مساجد- عَقيب قوله: " **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد** " تنبيـهٌ منه على سبب لحوق اللعن لهم؛ وهو توصُّلهم بذلك إلى أنْ تصير أوثانًا تعبد »[5] .

الفوائد مِن الأحاديث السابقة:

الفائدة الأولى: النهي عن اتخاذ القبور مساجد كان مستفادًا مِن صِيغ عديدة[6]: 1-حيث قيل في بعضها: " **ألا! فَلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ** ". 2- ووصف فاعِلـيهِ بأنهم شرار الخلق عند الله. وأنّه يشتد عليهم غضب الله تعالى. 3- وكذلك الدعاء بلعن الله لهم وقتالهم[7] .

---

[1] قد ذكر هذه الأدلة وغيرها العلامة ابن القيم في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، في كلامه عن فتنة القبور (مصدر سابق)، كما أوردها شيخ الإسلام قبله في (اقتضاء الصراط المستقيم، ص270-271) والشيخ الألباني حيث ذكر أربعة عشر حديثًا في الفصل الأول من كتابه تحذير الساجد، (انظرها: 14-28).

[2] ستأتي ترجمته في المطلب بعده.

[3] ستأتي ترجمته في المطلب بعده.

[4] موطأ مالك، سيأتي تخريجه في المطلب بعده.

[5] سيأتي إحالة موضعه.

[6] تنويع صيغ الرسول ﷺ في التحذير عن هذا المنكر دال على كمال نُصحـه ﷺ، وحرصه على نجاة أمته، وشفقته عليها (انظر عنها في: عشرون حديثًا من صحيح مسلم؛ لعبد المحسن العباد، -ج2/ 463-464).

[7] ذكر العلامة ابن القيم أنّ ما لعن الله فاعله، أو غضب عليه، وما قيل: « قاتل الله مَن فعَلـه » وما نُبِّـه على وجه المفسدة فيه، كهذه المسألة (النهي عن اتخاذ القبور مساجد): أنها تدل على المنع، ودلالتها على التحريم أطرد من دلالتها على مجرد الكراهة، بل المسألة هنا جاء فيها صيغة النهي الصريحة في قوله ﷺ: "فَلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي

الفائدة الثانية: نُصّ على زمن النهي بعبارات مختلفة، في صيغ الأحاديث، فقيل في بعضها: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيّ . وفي البعض: قَالَ فِي مَرَضه الَّذِي مَاتَ فِيهِ. وفي البعض الآخر: قَبْل أَنْ يُتَوَفَّى بِخَمْسٍ. وفي البعض الآخر: لما نزل برسول الله . وفي بعض الآخر: آخر ما تكلم به النبي : (فذكر شيئين: إخراج اليهود مِن جزيرة العرب، وأنّ المتخذين قبور الأنبياء مساجد، هم شرار الناس)[1]، نُصَّ على ذلك كلِّه لبيان أنه من المحكم الذي لم يُنسَخ. قال الحافظ ابن حجر: « وَفَائِدَة التَّنْصِيص عَلَى زَمَن النَّهْي: الإِشَارَة إِلَى أَنَّهُ مِن الأَمْر الْمُحْكَم الَّذِي لَمْ يُنْسَخ لِكَوْنِهِ صَدَرَ فِي آخِر حَيَاته »[2].

الفائدة الثالثة: على ما سبق مِن هذه الأحاديث المحكمة فإنه لا يجوز أنْ يعترض معترضٌ، ويتشبث متشبِّث بالأدلة التي غايتها أنْ تكون من المتشابهات[3]؛ أو بصنيع أناسٍ -مخالف لهذه الأحاديث- بقبر عبد الله ورسوله نبينا محمد الذي كان بعد عصر الخلافة الراشدة، مما لم يرض به العلماء حينه وبعده -كما سيأتي-. أو بغير ذلك، ويُجَوِّز بـه جواز إدخال الموتى في المساجد والذي هو صورة مِن صُـوَر اتخاذ القبور مساجد[4]،-كما سيأتي-.

أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ"(انظر: بدائع الفوائد، ج4/ 1308-1310).

1 (?) انظر: مَن خرَّجوا الحديث، في كتاب: تحذير الساجد مِن اتخاذ القبور مساجد للشيخ الألباني (ص23).

2 (?) فتح الباري: المصدر نفسه، (ج1/ ص738).

3 (?) مثل قوله تعالى: ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ [الكهف: ٢١]، وانظر الجواب عليها في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج3/ ص214 وما بعده).

4 (?) قد ذكر الشيخ الألباني ستّ شبهات لِمجيزي بنـاء المساجد والقباب على القبور، ثم أجاب عليها شبهة شبهة، انظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص63-134، كما ذكر الشيخ أبي أنس السيّد بن عبد المقصود تسعة عشر (شبهة19) في كتابه: الاستعاذة بالغفور من بدعة بناء المساجد على القبور، وأتى عليها رادًّا (وانظرها مع الردود عليها، ص79-147). وشبهاتهم لا تخرج عن أن تكون نصوصًا صحيحة لا تدل على ما زعموا، أو ضعيفة أو موضوعة، أو اعتبارات ومصالح زعموها، لم يعتبرها الشرع؛ لمصالح عظمى منها.

الفائدة الرابعة: أقوال رسول الله في آخر لحظات حياته، وفي الحالة الصعبة مِن المرض الشديد عليه، **كان القصد منه سدّ ذريعة الشرك بالغلو في الصالحين**، فصلى الله وسلّم وبارك عليه مِن ناصحٍ لأمته أمين، قال العلامة ابن القيم –رحمه الله- في بيان الحكمة من النهي عن عدة أمور في أمر القبر، (والذي هو سدّ ذريعة الشرك بالله)، ومِن ذلك: النهي عن اتخاذ القبور مساجد : « الوجه الثالث عشر: أن النبي نهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن مَن فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور[1]، وتشريفها[2]، واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها[3]، وعندها[4]، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمَر بتسويتها[5]، ونهى عن اتخاذها عيدًا[6]،وعن شد الرحال إليها[7]؛لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا، والإشراك بها، وحرَّم ذلك على مَن قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه،سدًّا للذريعة»[8] .

الفائدة الخامسة: معنى اتِّخاذ القبور مساجد المنهي عنه، وصُوَره[9]:

---

1 (?) إشارة إلى حديث جابر عند مسلم وغيره، فعَنْه قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ » (صحيح مسلم: كتاب الجنائز، بَاب النَّهْيِ عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ، ورقمه: 970).

2 (?) إشارة إلى حديث سيأتي تخريجه.

3 (?) إشارة إلى حديث أبي مرثد الغنوي وغيره، وسيأتي تخريجه.

4 (?) إشارة إلى حديث سيأتي تخريجه.

5 (?) إشارة إلى حديث علي عند مسلم وغيره، ولفظه: عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: « ألا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ؟: أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالا إلا طَمَسْتَهُ، وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَهُ » (صحيح مسلم: كتاب الجنائز، بَاب الأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ، ورقمه: 969، -وقد تقدم تخريجه في استهلال البحث-. وانظر الحديث قبله في صحيح مسلم).

6 (?) إشارة إلى حديث سيأتي تخريجه وبيان مراده.

7 (?) إشارة إلى حديث سيأتي تخريجه وبيان مراده.

8 (?) إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، (2/ 123).

9 (?) انظر هذه الصُوَر (الفصل الثاني من كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص29-44، وأحكام الجنائز وبدَعها، ص279، كلاهما للشيخ الألباني، وكتاب عشرون حديثًا من صحيح مسلم؛ دراسة

الأحاديث السابقة نَهـت عن اتخاذ القبور مساجد، ولذلك أربع صُـوَر[1]:

الصورة الأولى: بناء المسجد على القبر، وقصد القبر للصلاة فيه[2]، وبناء المسجد عليه يكون بأنْ يوجد القبر أولا، ثم يُبنى عليه المسجد، وشاهده ظاهر الحديث السابق: " **أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ..** ". وحكم هذه الصورة هدم المسجد، مثله مثل مسجد الضرار.

وأما عن قصد القبر للصلاة عنده وإنْ لَمْ يُبْنَ عليه مسجد فقد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التعليق على الحديث: « فقد نَهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- مِن فِعله، والصلاةُ عندها مِن ذلك وإنْ لَمْ يُبْنَ مسجدٌ، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكلّ موضع قُصِدَت الصلاةُ فيه فقد اُتُّخذ مسجدًا، بل كلّ موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، ...»[3] .

الصورة الثانية: دفن الميت أو الموتى في المسجد[4]، وحكمه: حفر القبر وإخراجه منه، وتطهير المسجد مِن أسباب الشرك، ويؤيد هذه الصورة ويشهد لها: ما روى ابن سعد بسند صحيح عن الحسن البصري –رحمه الله-، قال: ائتمـروا أن يدفنوه في المسجد، فقالت عائشة رضي الله عنها: « إنَّ رسول الله كان

أسانيدها وشرح متونها، لشيخنا الشيخ عبد المحسن البدر-ج2/ 464، وكتاب أهمية توحيد العبادة، 49-50، له أيضًا، وكتاب الاستعاذة بالغفور من بدعة بناء المساجد والقباب على القبور، ص201-207).

1 (?) ذكر المشايخ ثلاثة صُوَر، وبالتأمل رأيتُ أنّه يمكن أنْ يزاد صورة رابعة خارجة عن الثلاثة التي ذكروها، (انظر الصور الثلاثة: تحذير الساجد للألباني، 29-44، وأحكام الجنائز وبدعها، ص279، والاستعاذة بالغفور لأبي أنس، ص201-207).

2 (?) وانظر عن هذا: كتاب الاستعاذة بالغفور مِن بدعة بناء المساجد والقباب على القبور.

3 (?) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ص48-49 (ضمن مجموعة التوحيد النجدية).

4 (?) وانظر عن هذا: كتاب إتحاف الأماجد بتحريم دفن الموتى في المساجد.

واضعًا رأسه في حجري إذ قال: "**قاتل الله أقوامًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"، واجتمع رأيُـهم[1] أنْ يدفنوه حيث قُـبِض؛ في بيت عائشة[2].

وأما مسألة دفن عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ في البنيان (في بيت عائشة رضي الله عنها) فلخصوصيته عن سائر أمته؛ لأنّ الأنبياء يُدفَنون حيث يموتون[3]؛ فكَتَب الله وشاء أنْ يموت في بيت أمّنا أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد جاء في الترمذي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: « سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: " **مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إلا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ** " ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِه[4].

ويشهد له حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن ماجه، وفيه: «...لَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُحْفَرُ لَهُ، فَقَالَ قَائِلُونَ: يُدْفَنُ فِي مَسْجِدِهِ، وَقَالَ قَائِلُونَ: يُدْفَنُ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إلا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ** " قَالَ: فَرَفَعُوا فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ عَلَيْهِ فَحَفَرُوا لَهُ ثُمَّ دُفِنَ ﷺ وَسَطَ اللَّيْلِ مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ ..» الحديث[5] .

---

1 ( ) هذا الأمر مبني على دليلٍ، لا على رأيٍ مجرد، كما سيأتي ذكر أبي بكر ﷺ دليله لِما ذكّرهم به أو علّمهم ﷺ.

2 ( ) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد، (ج2/ 241)، بتحقيق: إحسان عباس، ط1/ دار صادر.
وقد حكم على سنده بالصحة المحدث ناصر الدين الألباني –رحمه الله- في تحذير الساجد، ص37.

3 ( ) انظر: عن هذه الخصيصة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام كتاب: سير أعلام النبلاء (مصدر لاحق)، وتحفة الأحوذي، (ج1/ ص1085)، وكتاب خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء –عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة- للدكتور الصادق، ص64، وكتاب: أهمية توحيد العبادة، ص52-53، وكتاب إتحاف الأماجد بتحريم دفن الموتى في المساجد، ص64، وكتاب الاستعاذة بالغفور مِن بدعة بناء المساجد والقباب على القبور، ص130.

4 ( ) جامع الترمذي: كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ، بابٌ أخر (وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي قَتْلَى أُحُدٍ وَذِكْرِ حَمْزَةَ، رقم: 1018، وهو صحيح لشاهده الآتي، وقد صححه الشيخ الألباني.

وجاء في مسند أبي يعلى الموصلي عن عائشة رضي الله عنها في حديث طويل، -فيه قصة مرض ووفاة النبي ، ودفنه وقبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما-: « ثم تشاجروا في دفنه: أين يدفن؟ فقال بعضهم: عند العود الذي كان يمسك بيده وتحت منبره، وقال بعضهم: في البقيع حيث كان يَدفن موتاه. فقالوا: لا نفعل ذلك. إذًا لا يزال عبدُ أحدِكم ووليدتُه قد غضب عليه مولاه فيلوذُ بقبره، فيكون سنة. فاستقام رأيُهم على أنْ يُدفن في بيته تحت فراشه حيث قبض روحه. فلما مات أبو بكر دفن معه. فلما حضر عمر بن الخطاب الموت أوصى، قال: إذا ما مت فاحملوني إلى باب بيت عائشة فقولوا لها: هذا عمر بن الخطاب يقرئك السلام، ويقول: أُدخل أو أُخرج؟ قال: فسكتت ساعة ثم قالت: أدخلوه فادفنوه معه. أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره. قالت: فلما دُفن عمر أخذت الجلباب فتجلببت به. قال: فقيل لها: مالك وللجلباب؟ قالت: كان هذا زوجي، وهذا أبي، فلما دفن عمر تجلببت »[1].

فعبـد الله ورسوله نبينا محمدٌ لم يُدفن في المقبرة العامة (البقيع) مع أنّـه كان يَدفن موتاه فيه، ودُفِن في بيت زوجه أم المؤمنين عائشة لسببين:

الأول: سدّ ذريعة إشراكه بالله، وذلك خشية اتخاذ قبره مسجدًا، كما اتخذ اليهود والنصارى قبور أنبيائهم مساجد، وقد سبق في حديث عائشة رضي الله عنها ما يدل على خشيته هو وخشية صحابته مِن أنْ يفتـتن الناس بقبره في قولها: « قلت: « **لَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ**

---

[5] سنن ابن ماجه: كتاب الجنائز، بَاب ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ ، رقم: 1628، وفيه ضعف لكنه شاهدٌ للذي قبله.

[1] مسند أبي يعلى، رقم: 4834، ولهذا المقطع مِن الحديث شواهد، سبقت، وسيأتي أحدها قريبًا.

قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَوْ خُشِيَ[1] أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » [2].

السبب الثاني: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يُدفنُون إلا حيث يموتون، فقد روى مالكٌ في موطئه بلاغًا عن أبي بكر في اختلاف الصحابة في موضع دفنه ، فَقَالَ نَاسٌ: يُدْفَنُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ. وَقَالَ آخَرُونَ: يُدْفَنُ بِالْبَقِيعِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: " **مَا دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلا فِي مَكَانِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ** " فَحُفِرَ لَهُ فِيهِ[3].

« وَقَوْلُهُ: (مَا دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلا فِي مَكَانِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ) إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى حُكْمِهِ هُوَ

---

1 (?) قال النووي –رحمه الله-: « (**غَيْر أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذ مَسْجِدًا**) ضَبَطْنَاهُ (خُشِيَ) بِضَمِّ الْخَاء وَفَتْحهَا، وَهُمَا صَحِيحَانِ »، (المنهاج في شرح صحيح مسلم، ص406).

2 (?) في الصحيحين وقد تقدم التخريج به.

3 (?) قال السيوطي –رحمه الله- في شرحه للحديث: « وصلَه ابنُ سعدٍ من طريق داود بن الحصين، عن عكرمة عن ابن عباس. ومن طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. وذكر بعضُهم أنّ هذا أول اختلاف وقَع بين الصحابة » تنوير الحوالك شرح الموطأ مالك، (ج1/239).
وقد أورد الشيخ الألباني لحديث أبي بكرٍ هذا طريقًا منقطعًا ضعيفًا؛ لأنّ عمر مولى غفرة مع ضعفه لم يُدركْ أيام الصديق ، والطريق هي ما أخرجه ابن زنجويه عن عمر مولى غفرة قال: « لما ائتمروا في دفن رسول الله قال قائل: ندفنه حيث كان يصلي في مقامه. وقال أبو بكر: **معاذ الله أن نجعله وثنًا يُعبَد**! وقال الآخرون: ندفنه في البقيع؛ حيث دُفن إخوانه من المهاجرين. قال أبو بكر: إنا نكرَه أنْ يَخرج قبرُ رسول الله إلى البقيع فيعوذ به من الناس مَن لله عليه حق، وحق الله فوق حق رسوله ، فإنْ أخرجناه ضيعنا حق الله، وإنْ أخفرناه أخفرنا قبر رسول الله ، قالوا: فما ترى أنت يا أبا بكر؟ قال: سمعت رسول الله يقول: ما قَبَض الله نبِيًّا قط إلا دُفِن حيث قُبِض روحُه، قالوا: فأنت والله رضِيٌّ مقنِع، ثم خطوا حول الفراش خطًّا، ثم احتمله عليٌّ والعباس والفضل وأهلُه، ووقع القوم في الحفر يحفرون حيث كان الفراش ». (انظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للشيخ الألباني، ص15-16، وقد ذكر الشيخ الألبانيُّ –رحمه الله- أنّ ابن كثيرٍ –رحمه الله تعالى- ضعّف الحديثَ مِن هذا الوجه) إلا أنه يرتقي بالطريق الثانية إلى الحسن، (انظر: الاستعاذة بالغفور من بدعة بناء المساجد والقباب على القبور للشيخ أبي أنس السيِّد بن عبد المقصود، ص17-18، ط/ أضواء السلف).

، وَكَذَلِكَ احْتَجَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَأَخَذَ بِهِ سَائِرُ الصَّحَابَةِ؛ (فَحَفَرُوا لَهُ فِيهِ) يُرِيدُ: مَوْضِعَ وَفَاتِهِ، وَدُفِنَ فِيهِ »[1].

وأما قبر أبي بكر وعمر في البنيان فتبعًا لتقبير رسول الله فيه[2]، وقد أوَّل سعيدُ بن المسيب –رحمه الله- دخول رسول الله بئرًا وجلوسه عليه، مع توسط قفِّها، وإدلاء رجلَـيْه المكشوفتين الشريفتين فيه، ثم دخول أبي بكر بعده وصنعه مثل ما صنَع في البئر عن يمينه، ثم دخول عمر بعد أبي بكر وصنعه مثل ما صنعا عن يسار رسول الله . ثم دخول عثمان بعدهما على رسول الله ووجود الْقُفّ ممتلئًا، ثم جلوسه وِجَاهَ الرسول مِن الشَّقِّ الآخَرِ، فسَّر ذلك سعيد بقبورهم، وأنَّ الثلاثة في مكان واحد. أما عثمان فلما جاء وُجد أنّ المكان لا يسعُهم[3].

وقد سبق سعيدًا –رحمه الله- أبو بكر وعليٌّ رضي الله عنهما بهذا التأويل؛ فـروى مالك بسنده عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ، قَالَتْ: « رَأَيْتُ ثَلاثَةَ أَقْمَارٍ سَقَطْنَ فِي حُجْرَتِي فَقَصَصْتُ رُؤْيَايَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَدُفِنَ فِي بَيْتِهَا، قَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: « هَذَا أَحَدُ أَقْمَارِكِ، وَهُوَ خَيْرُهَا »[4].

وروى البخاري ومسلم عَن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: « وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ؛ يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي؛ فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَتَرَحَّمَ عَلَى

---

1 (?) قاله الباجي –رحمه الله- في شرح الحديث، (المنتقى –شرح الموطأ، ج2/ 44).

2 (?) انظر لذلك: أهمية توحيد العبادة، ص52 . وللرد على مَن استدل لجواز الدفن في البيوت بدفن النبي وصاحبَـيْه في بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (انظر: كتاب إتحاف الأماجد بتحريم دفن الموتى في المساجد، لأبي أنس، ص64، وكتاب الاستعاذة بالغفور من بدعة بناء المساجد والقباب على القبور، ص130-136).

3 (?) الحديث في الصحيحين وقد سبق تخريجه (في مطلب صدق ما أخبر به الرسول في الماضي والمستقبل عند الحديث عن إخباره بالبلوى الذي يصيب عثمان ، وأنه وقع ذلك طبقًا لما أخبر به).

4 (?) موطأ مالك: كتاب الجنائز، بَاب مَا جَاءَ فِي دَفْنِ الْمَيِّتِ، ورقمه في الكتاب: 30، ومثله ويشهد له ما في المستدرك عن أنس مرفوعًا .

عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللَّهِ! إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ يَقُولُ: " **ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** »[1].

ومن المناسب أن أذكر هنا: توسعة مسجد الرسول الذي أُدخل فيه حجرات نسائه رضي الله عنهن بما في ذلك مرقده (حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأنّ ذلك كان في عهد الوليد بن عبد الملك، وأنّ لوالي المدينة عمر بن عبد العزيز امتناعًا في أول الأمر إلى أنْ أُجبِر[2]، كما أنّ عدم الإدخال هو فتوى الفقهاء السبعة بالمدينة[3]، خوفًا من الجميع من اتخاذ القبور مساجد المنهيّ عنه، قال شيخ الإسلام في بيان التوسعة التي دخل بها القبور الشريفة (الثلاثة) المسجد: « والمقصود أنّ الصحابة كانوا في زمن الخلفاء الراشدين أجمعين يدخلون المسجد ويصلون فيه الصلوات الخمس، ويصلون على النبي ويُسلّمون عليه عند دخول المسجد، ولم يكونوا يذهبون يقفون إلى جانب الحجرة ويسلمون هناك، وكانت على عهد الخلفاء الراشدين والصحابة حجرتُه خارجةً عن المسجد، ولم يكن بينهم وبينه إلا الجدار، ثم إنه إنما أدخلت الحجرة في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك[4] بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة،

---

[1] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رقم: 3685، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، بَاب مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ ، رقم: 2389، واللفظ للبخاري.

[2] ذكر هذه التوسعة محمد بن الحسن بن زبالة (199هـ) في: أخبار المدينة، ص116-122..

[3] **الفقهاء السبعة** في عصر التابعين هم الذين ذكر أسماؤهم في البيتين القادمين:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحرروايتهم ليست عن العلم خارجةفقل: هم: عُبيد الله، عروة قاسم،سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجةانظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، (ج1/ص1).

[4] **الوليد بن عبد الملك:** هو الخليفة، أبو العباس الأموي، الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية وتكامل على يديه، فكان يومها على وجه الأرض لا بناء أحسن منه، بويع بعهد من أبيه، وكان مُترفًا،

وكان من آخرهم موتًا جابرُ بن عبد الله، وهو توفي في خلافة عبد الملك قبل خلافة الوليد، فإنه توفي سنة بضع وسبعين، والوليد تولى سنة بضع وثمانين، وتوفي سنة بضع وتسعين، فكان بِناء المسجد وإدخال الحجرة فيه فيما بين ذلك، وقد ذَكَر –فذكر اسم صاحب أخبار المدينة [1]- .. في كتاب أخبار المدينة؛ مدينة الرسول عن أشياخه، وعمن حدثوا عنه أنّ عمر بن عبد العزيز لَمّا كان نائبًا للوليد على المدينة في سنة إحدى وتسعين هجرية، هدَم المسجد، وبناه بالحجارة المنقوشة .. وهدم حجرات أزواج النبي فأدخلها في المسجد، وأدخل القبر فيه، ونقل لبِنَ المسجد ولبن الحجرات فبنـى به داره في الحرة، فهو فيها اليوم بياض على اللبن »[2]، ثم ذكر الآثار المروية في زيادة عمر بن عبد العزيز المسجد.

ولقد ذكَر الحافظ ابن كثير في حوادث سنة ثمان وثمانين أمرَ أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك عمرَ بن عبد العزيز –رحمه الله- بهدم المسجد النبوي وإضافة حُجَر أزواج رسول الله وأنْ يُوسعه من قِبلـتِهِ وسائر نواحيه، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع، وأنّ عمر لَما جاءه الكتاب جمع الفقهاء العشرة[3] ووجوه الناس وأهل

دميمًا جبارًا عنيدًا، وكان قليل العلم. نهمتُه في البناء. وأنشأ أيضا مسجد رسول الله ، وزخرفه، وأدخل القبر فيه، خلافًا لما أفتى العلماء. قيل: كان يختم في كل ثلاث، وختم في رمضان سبع عشرة ختمة. مات في جمادى الآخرة سنة:96، وله إحدى وخمسون سنة. وكان في الخلافة عشر سنين سوى أربعة أشهر. (انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ج4ص185، والبداية والنهاية، ج9/ ص84-182، وقد أكثر الحافظ ابن كثير في شأن هذا الجامع).

[1] (?) أبو زيد عمر بن شبة النميري صاحب كتاب أخبار المدينة.

[2] (?) كتاب الرد على الأخنائي، على هامش تلخيص كتاب الاستغاثة، ص 188-189، ونقلا عنه: الصارم المنكي في الرد على السبكي، لابن عبد الهادي، ص248-249 .

[3] (?) ذكرهم الحافظ ابن كثير –رحمه الله- نفسُه في نفس السياق، وهم: « عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأخوه عبيد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد بن ثابت » (البداية والنهاية، ج9/ 86، وقد سبق ذكر الفقهاء

المدينة، وأنهم شق عليهم ذلك وأشاروا عليه بإجماع هؤلاء الفقهاء بأنّ الأولى إبقاء الحُجَر على هيئتها المتواضعة حتى يعتبر بها الحجاج والزوار والمسافرون، فيزهدوا في الدنيا، إلا أنّه لم يَرَ الذي رأوه فأبى، قال الحافظ –رحمه الله- « فعند ذلك كتب عمرُ بنُ عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم. فأرسل إليه يأمُرُه بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر، وأنْ يُعلِيَ سُقوفه، فلم يَجد عمرُ بدًّا من هدمها، .. وشرع في بنائه وشـمّر عن إزاره واجتهد في ذلك، وأرسل الوليد إليه فعولا كثيرة، فأدخل فيه الحجرة النبوية -حجرة عائشة- فدخل القبر في المسجد، وكانت حدّه من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد، .. - إلى أنْ قال: ويحكى أنّ سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد -كأنه خشي أن يُتَّخذ القبر مسجدًا- والله أعلم[1].

الصورة الثالثة: ويشمل السجود على القبر من باب أولى، إذْ هو أخصّ من الصلاة إليه، ولأنّ المساجد هي أماكن السجود وغيره، وشاهده ظاهرُ حديث الباب، وحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لا تُصَلُّوا إِلَى قَبْرٍ، وَلا تُصَلُّوا عَلَى قَبْرٍ** "[2].

الصورة الرابعة: قصد القبور بالعبادات كالصلاة والدعاء، وغير ذلك، واستقبالُها في ذلك، ويزيد الأمرَ قبحًا: الشعور والاعتقاد بأنّ القبور هي الترياق المجرَّب التي يكون الدعاء أكثر استجابة عندها، وشاهد هذه الصورة: حديث أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا** "[3].

وعن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: رآني عمر بن الخطاب وأنا أصلي عند قبر فجعل يقول: القبر، قال:

السبعة منهم نظمًا.

1 (?) انظر: البداية والنهاية، المصدر نفسه، ص9/ 89-90 .

2 (?) المعجم الكبير للطبراني، ورقمه: 11883، صححه الشيخ الألباني بشاهده عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الجنائز، بَاب النَّهْيِ عَنْ الْجُلُوسِ عَلَى الْقَبْرِ وَالصَّلاةِ عَلَيْهِ، رقم: 972.

فحسبـته يقول: القمر، قال: فجعلت أرفع رأسي إلى السماء فأنظر، فقال: إنما أقول: القبر؛ لا تصلي إليه. قال ثابت: فكان أنس بن مالك يأخذ بيدي إذا أراد أن يصلي فيتنحى عن القبور[1].

وعن عمرو بن دينار –وقد سئل عن الصلاة ذات الركوع والسجود وسط القبور؟- قال: ذكَر لي أنّ النبي ، قال: **" كانت بنو إسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فلعنهم الله تعالى"**[2].

وبعد: فأقول: هذه صُـوَر اتخاذ القبور مساجد المنهي عنه في الحديث، وليس من شرط ذلك، بناء المسجد على القبر، بل قصد الصلاة عند قبر النبي أو صالح أو إليه أو عليه كافٍ -ولو لم يـبْن بناءً عليه- في حرمته، وهو ذريعة إلى الشرك بالله، قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وَاتِّخَاذُهَا مَسَاجِد يَتَنَاوَلُ شَيْئَيْنِ: أَنْ يَبْنِيَ عَلَيْهَا مَسْجِدًا، أَوْ يُصَلِّيَ عِنْدَهَا مِنْ غَيْرِ بِنَاءٍ وَهُوَ الَّذِي خَافَهُ هُوَ وَخَافَتْهُ الصَّحَابَةُ؛ إذَا دَفَنُوهُ بَارِزًا: خَافُوا أَنْ يُصَلَّى عِنْدَهُ؛ فَيُتَّخَذَ قَبْرُهُ مَسْجِدًا »[3].

---

1 (?) مصنف عبد الرزاق: باب الصلاة على القبور، ورقمه: 1581، والسنن الكبرى للبيهقي/ (ج2/ 435)، وأورده البخاري في صحيحه معلقًا بتكرار لفظة القبر على التحذير: في كتاب الصلاة، بَاب هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ؟ وقبل رقم: 427، وقد حكم الشيخ الألباني على سنده بالصحة، (تحذير الساجد، ص35). قال العلامة ابن القيم معلقًا على الأثر: « وفعل أنس لا يدل على اعتقاده جوازه فإنه لعله لم يره أو لم يعلم أنه قبر أو ذهل عنه، فلما نبهه عمر رضي الله تعالى عنه تنبه » (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (ج1/ ص186).

2 (?) مصنف عبد الرزاق، باب الصلاة على القبور، رقم: 1591، والحديث مرسَلٌ صحيح الإسناد، والشاهد منه استشهاد عمرو به على النهي عن الصلاة بين القبور. ولعن النبي لبني إسرائيل المتخذين مِن قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد حديثٌ صحيح مشهور.

3 (?) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج27/ 160)، وانظر: مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، للشيخ عبد العزيز الراجحي، ص156-157، وأهمية توحيد العبادة، ص50.

وقد قال بتحريم هذه الصور كلّها بل وأجمع عليها أهلُ السنة والجماعة، تحريمَ الوسائل المؤدية إلى الشرك[4].

أما القبورية المشركون فقد بَنَوا المساجد والقباب على القبور، ودفنَوا في المساجد وأجازوا ذلك وتواصَوا به، حتى عمّت هذه البليةُ أكثر أقطار العالم الإسلامي إلا ما رحِم ربُّك[2]، وقليلٌ ما هو، كما سجدوا على القبور وتمرغُوا بتُربتها، وقصدوا وتحرَّوا دعاء الله عندها باعتقاد أنّ ذلك أجوب، بل وأشد مِن ذلك وأدهى: ما قاموا ويقومون به من دعاء للميّت مِن دون الله، كما صلوا إليها وعليها، وغير ذلك. فقد فعَلوا ذلك كلّه حتى كأنّ الإجماع انعقد على جواز هذا المنكر لا العكس، زاعمين أنّ ذلك محبةٌ لأصحاب القبور مِن الأنبياء والصالحين، -والمحبة عبادة-. وأكلوا أموال الناس عندها بالباطل، قال العلامة ابن القيِّم –رحمه الله- بعد ذكره لعدة أمور حُرِّمَتْ في أمر القبر سدًّا لذريعة رفع أصحابها وتعظيمهم بما لا يُشرع: « وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهِم عن الرسول مقاصدَه جزَم جزمًا لا يحتمل النقيض؛ أنَّ هذه المبالغة منه باللعن، والنهي بصيغتيه: صيغة **(لا تفعلوا)** وصيغة (**إني أنهاكم)** ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقلّ نصيبه أو عدُم في تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنّ هذا وأمثاله من النبي صيانة لحمى التوحيد أنْ يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريدٌ له وغضبٌ لربه أنْ يُعدَل به سواه، فأبى المشركون إلا معصيةً لأمره، وارتكابًا

---

4 (?) انظر: حكاية الإجماع على التحريم، (عشرون حديثًا من صحيح مسلم؛ لعبد المحسن العباد ج2/ 464)، ومجانبة أهل الثبور، ص135.

2 (?) للوقوف على مئات من هذه الأضرحة التي شُيِّدت وزخرفَت وبنيت، وعلى المساجد التي دفن فيها الأموات وقصِدت (حج المشاهد) تصفح: كتاب: القبورية –نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها «اليمن نموذجًا، للشيخ أحمد بن حسن المعلم، وكتاب: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، للدكتور شمس الدين الأفغاني –رحمه الله-، وكتاب دمعة على التوحيد.

لنهيه، وغرّهم الشيطان، فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين وكلما كنتم أشد لها تعظيما وأشد فيهم غُلُوًّا كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله من هذا الباب بعينه دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر، ومنه دخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم. وهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها؛ من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم. فأما المشركون فعصوا أمرهم وتنقصوهم في صورة التعظيم لهم، قال الشافعي: أكره أنْ يُعظَّم مخلوقٌ حتى يُجعل قبرُه مسجدًا مخافة الفتنة عليه، وعلى مَن بعده من الناس »[1].

وقد تقدمت نصوص القبورية في ذلك في باب الفرق، وخصوصًا في فصل الرافضة وفصل الصوفية والبريلوية.

** * **

المطلب الرابع: مسألة اتخاذ قبر النبيِّ وثنًا:

سأتناول هذا المطلبَ مِن خلال ثلاثِ مسائلَ على النحو التالِي:

المسألة الأولى: التعريف بالوثَن.

المسألة الثانية: أحاديث أدعيةِ النبِيّ ربَّه أنْ لا يَجعَل قبْرَه وثنًا يُعْبَد؛ يُصلّى له ويُسجَد.

المسألة الثالثة: بيان المحققين بأنّ الله تعالى استجاب دعاءَه.

المسألة الأولى: التعريف بالوثَن:

الوثَنُ –مُحرّك الفاء والعين- « الواو والثاء والنون كلمةٌ واحدة، هي الوثَنُ واحدُ الأوثان: حجارةٌ كانت تُعبَد »[2]. لذا قال في القاموس: «الوَثَن –محرّكة-: الصنم»[3].

---

1 ([?]) إغاثة اللهفان مِن مصايد الشيطان، (ج1/ص188، ص212، وص 217، ص222)، ط2/ بتحقيق: محمد حامد الفقي.

2 ([?]) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة وثن، ص1082.

3 ([?]) القاموس المحيط، مادة وثن، ص1140.

ويُجمَع على وُثْن، وأوثان، كأُسْد وآساد جمع أسَد[1].

وفصّل بعض اللغويين فقال: « الوَثَن: التمثال يُعبَد، سواءٌ أكان من خشبٍ أم حجر، أم نحاس، أم فضة، أم غير ذلك » [2]. والوَثَنِيّ: مَن يتديّن بعبادة الوَثَن، والوَثَنِيّة: مذهب عبَدَة الأوثان[3].

هذا ما قالوه بالنسبة للوثَن، وقال ابن فارس في مادة (صنم): «الصاد والنون والميم كلمة واحدةٌ لا فرعَ لَها، هي الصنم، وكان شيئًا يُتّخذ من خشَبٍ أو فضة أو نُحاس فيُعبَد»[4].

وجاء مثله عند الآخَرِين، وأيضًا: صنّم صنَمًا: مثّله على صورة صنَم، وبعض الناس يعكفون على أصنامٍ لهم بزعم أنّها تُقرّبُهم إلى الله زلفى[5].

فيلاحظ مما تقدم أنّ (الوثَن) هو (الصنم)، لكن الحقيقة التي عليها العلماء المحققون أنّ الوثَن أعمّ من الصنم، وأنهما إذا اجتمعَا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، وهذه هي النسبة بينهما. فـ« الأوثان: هي المعبودات التي لا صورة لها، كالقبور والأشجار، والعُمد والحيطان، والأحجار ونحوها. .. وقيل: الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن. وهذا غيرُ صحيح، إلا مع التجريد؛ فأحدهما قد يعنى به الآخر. وأما مع الاقتران فيُفسّر كلّ واحد بِمعناه »[6].

وقال أيضًا –وفيه بيان أنّ الوثَن يُطلق على الصنم-: « الصنم: ما كان منحوتًا على صورة البشر. والوثَن: ما كان منحوتًا على غير ذلك، ذكره الطبري عن مجاهد. والظاهر: أنّ الصنم ما كان مُصوّرًا على أيّ صورة، والوَثَن بخلافه، كالحجر والبنية. وإنْ كان الوثَن قد يُطلق

---

1 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة وثن، ص1123، والقاموس المحيط، ص1140.

2 (?) المعجم الوسيط، مادة وثن، ص1012.

3 (?) انظر: المعجم الوسيط، مادة وثن، ص1012.

4 (?) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة صنم، ص578.

5 (?) انظر: المادة نفسها (صنم)، في: القاموس المحيط، ص1042، والمعجم الوسيط، ص526.

6 (?) قاله صاحب تيسير العزيز الحميد، ص284.

على الصنم، ذكَر معناه غيرُ واحدٍ، ويُروى عن بعض السلف ما يدل عليه »[1].

فثبَت بالذي تقدم أنّ الصحيح في الفرق بين الصنم والوثَن أنّ « الصنم هو ما له صورة، والوثَن: ما ليس له صورة »[2].

وبعد التعريف فإلى المسألة الأولى التي فيها بيان دعاء النبِيّ ﷺ ربّه ألا يجعل قبره وثنًا يُعبَد.

المسألة الثانية: أحاديث أدعيةِ النبِيّ ﷺ ربَّه أنْ لا يَجعَل قبْرَه وثنًا يُعْبَد؛ يُصلّى له ويُسجَد:

القبور -وخصوصًا قبور الصالحين- يُمكن أنْ تكون أوثانًا تُعبَد من دون الله؛ لأنّ الفتنة بِها أشد وأبلغ من الفتنة بالأحجار والأشجار وغيرهما التي هي الأوثان والأصنام فقط عند الخرافيين القبوريين[3]، وقد سأل العبد الرسول محمدٌ ﷺ ربَّه تعالى وتضرع إليه بألا يجعل قبرَه وثَنًا يُعبَد، فمِن الآثار الدالة على ذلك: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: " **اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا؛ لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** "[4].

---

1 (?) المصدر نفسه، ص89-90.

2 (?) المصدر نفسه، ص162.

3 (?) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ، ص271-272، والمفيد على كتاب التوحيد لعبد الله القصير، ص131-132.

4 (?) مسند الإمام أحمد: رقم: 7358، وصححه الشيخ الألباني (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد): ولفظه: رواه أحمد وابن سعد والمفضل الجندي في فضائل المدينة وأبو يعلى في مسنده، والحميدي، وأبو نعيم في الحلية، بسند صحيح. وله شاهد مرسل، رواه عبد الرزاق في المصنف، وكذا ابن أبي شيبة عن زيد بن أسلم. وإسناده قويّ. وآخر أخرجه مالك في الموطأ، وعنه ابن سعد عن عطاء بن يسار مرفوعًا. وسنده صحيحٌ، وقد وصله البزار عنه عن أبي سعيد الخدري. (انظر: ص25-26). والشواهد التي ذكرها هي ما تأتي في الحاشيتين بعد.

ومنها ما جاء عن سعيد بن أبي سعيد مولى المهري[1]، أنَّ رسول الله قال: " **اللهم إني أعوذ بك أنْ يُتخذ قبري وثَنًا، ومنبري عيدًا "**[2].

وجاء عن عطاء بن يسار أنّ رسول الله مرسلاً قال: " **اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعبد، اشتد غضبُ الله على قوم اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ "**[3].

وفي رواية أخرى عن زيد بن أسلم عن النبِيّ مرسَلا بلفظ: ".. **قبري وثنًا يُصلَّى له؛**.."[4].

وقد تفاوَتَت روايات الباب، فمنها: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا. ومن بعضها: لا تَجعَلنْ قَبْرِي وَثَنًا[5]. ومنها: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ. ومنها: اللهم لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يصلى له. ومنها: اللهم لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُصلِّي إليه[6].

و« دلّ الحديث على أنّ قبر الرسول لو عُبِد لكان وثَنًا، فما ظنك بقبر غيره مِن القبور التي عُبدت هي وأربابُها من دون الله. وإذا أريد تغيير شيءٍ من ذلك أنِفَ عُبّادُها، واشْمأزّت قلوبُهم، واستكبرتْ نفوسُهم، وقالوا: تنقّصَ أهلَ الرُّتَبِ العالية، ورموهم بالعظائم، فماذا يقولون: لو قيل لهم: إنّها أوثانٌ تُعبد من دون الله. فالله المستعان على غربة الإسلام! »[7].

---

1 (?) **أبو سعيد مولى المهري:** قال الحافظ ابن حجر: مقبول، ورمز لإخراج مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي لأحاديثه (انظر: تقريب التهذيب، ص567، برقم: 8133).

2 (?) أورده عبد الرزاق في مصنفه عن إبراهيم بن أبي يحيى وابن جريج عن صفوان بن سليم عنه به، باب من نذر أن ينحر في موضع، ونهي النبي أن يتخذ قبره مسجدا أو وثَنًا، رقم: 15916.

3 (?) وأورده مالك في كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة عن عطاء بن يسار عن النبي مرسلاً، ورقمه في الكتاب: 85، (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

4 (?) مصنف بن أبي شيبة، في الصلاة عند قبر النبي وإتيانه، رقم: 7626، ومَن كره زيارة القبور، رقم: 11941.

5 (?) هذه هي رواية أبي هريرة للحديث عند أبي يعلى في مسنده، ورقمها: 6681.

6 (?) هذه الرواية بهذا اللفظ، رواها عبد الرزاق في مصنفه عن زيد بن أسلم مرفوعًا مرسلا، باب الصلاة على القبور، رقم: 1587.

7 (?) تيسير العزيز الحميد، ص285.

كما دلّ على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها. وفي الحديث أيضًا: النهي عن السجود على قبور الأنبياء. والنهي عن اتخاذها قبلة يصلى إليها[1]، نقل الحافظ ابن رجب –رحمه الله- في شرح الحديث عن ابن عبد البر قوله: « الوثن: الصنم. يقول: لا تجعل قبري صنَمًا يُصلى إليه، ويسجد نحوه، ويُعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبلهم الذين صلوا في قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجدا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، وكان رسول الله يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه ؛ خشية عليهم من امتثال طرقهم ، وكان رسول الله يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار ، وكان يخاف على أمته اتباعهم »[2].

المسألة الثالثة: بيان المحققين بأنّ الله تعالى استجاب دعاءَه:

قبر النبِيّ -بالأحاديث المتقدمة- لو عُبِد لكان وثَنًا، لكن لَم يُعبد القبر -وإنْ عُبِد صاحبُه مِن قِبَل طوائف الغُلاة [3]-؛ وذلك بِما حَماه تعالى، وحال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه، وهذا ما قرره العلماء المحققون في الجواب على سؤال: (هل استجاب الله دعوة نبيِّه بأنْ لا يَجعلَ قبْرَه وثَنًا يُعبد، أم اقتضت حكمتُه غير ذلك؟)؛

نقل الحافظ ابن رجب –رحمه الله- عن القرطبي قوله: « بالَغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبِيّ ، فأعلوا حيطان تُربته، وسَدّوا الداخل إليها، وجعلوها مُحدقة بقبره ، ثم خافوا أنْ يُتّخذ موضع قبْره قبلة؛ إذ كان مستقبل المصلين؛ فتتصور إليه الصلاة بصورة العبادة، فبَنَوا جِدارَين مِن ركنَي القبر الشماليين، وحرّفوهما حتى التقيا على زاوية مُثَلّثٍ من ناحية الشمال،

---

[1] (?) انظر: فتح المجيد، ص274.

[2] (?) فتح الباري لابن رجب، (ج3/ ص216). وقد نقله الشيخ الألباني (تحذير الساجد، ص25).

[3] (?) انظر: السيف المسلول على عابد الرسول لعبد الرحمن ابن قاسم (هل عُبد رسول الله ؟) ص72-81.

حتى لا يتمكن أحدٌ من استقبال قبره. ولِهذا المعنى قالت عائشة: ولو لا ذلك لأبرز قبره »[1].

وقال العلامة ابن القيّم –رحمه الله-:

ودعا بأن لا يجعل القبر الذي ضمه وثنًا من الأوثان
فأجاب ربُّ العالَمين دعاءَه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدتْ أرجاؤُه بدعائه- في عِزّةٍ وحِماية وصِيان[2].

وعقَد الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- بابًا بعنوان: (ما جاء أنّ الغُلُوّ في قُبور الصالحين يُصيّرُها أوثانًا تُعبَدُ من دون الله) [3]. ثم أورَد حديث الباب.

ومن فوائد الحديث والباب:

أولا: التحذير من الغلو في قبور الصالحين. **ثانيًا:** أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها. **ثالثًا:** أنّها إذا عُبِدَت سُمّيت أوثانًا، ولو كانت قبور الصالحين. **رابعًا:** التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها، واتخاذها مساجد والأوثان، هي المعبودات التي لا صورة لها، كالقبور، ونحوها[4]. وجاء في فتح المجيد في شرح الحديث أنه «قد استجابِ الله دعاءَه كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: -فذكَر البيتين الأخيرَين، وقال-:ودَلّ الحديث على أنّ قبْر النبِيّ لو عُبِد لكان وثَنًا، لكن حَماه الله تعالى،بما حال بينه وبين الناس؛فلا يوصل إليه. ودل الحديث على أنّ الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها» [5].

---

[1] (?) فتح الباري لابن رجب، (ج3/ 217).

[2] (?) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، ص215 (بيت رقم: 4041-4043).

[3] (?) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ص50 (ضمن مجموعة التوحيد النجدية).

[4] (?) القول المفيد على كتاب التوحيد للعثيمين، (ج1/ ص423).

[5] (?) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن، ص274، وانظر أصله:(تيسير العزيز الحميد، ص285).

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في الجواب على السؤال: « الجواب: يقول ابن القيم: إنّ الله استجاب له؛ فلم يُذْكر أن قبْره جُعل وثَنًا، بل إنّه حُمي بثلاثة جدران؛ فلا أحَدَ يَصِلُ إليه حتى يَجعله وثَنًا يُعبَد من دون الله، ولم يُسمع في التاريخ أنّه جُعل وثَنًا.

-فذكر البيت الثاني، ثم قال:- صحيحٌ أنّه يُوجَد أُناسٌ يَغْلُون فيه، ولكن لم يَصِلوا إلى جعل قبره وثنًا، ولكن قد يعبدون الرسول ولو في مكان بعيد، فإنْ وُجد مَن يتوجه له بدعائه عند قبره؛ فيكون قد اتخذه وثنًا، لكن القبر نفسه لم يجعل وثنًا »[1].

هذه من تحقيقات وتقريرات العلماء المحققين في المسألة. والله أعلم.

** * **

المطلب الخامس: مسألة اتخاذ قبر العبد الرسول محمدٍ وغيرِه عيدًا[2]:

مسألة تَمهيديّةٌ في التعريف بالعيد (الزمانِي والمكانِيّ): فالعيد مجمَعٌ زمانـيٌّ ومكانِـيٌّ؛ **فالزمانيُّ** هو الوقت الذي يتَّخذُه المعيِّدُ بدوَران أسبوع أو شهر أو سنة، يقوم في هذه المناسبة بعادات أو عبادات كلما دار عليه هذا الزمن، كالجمعة عند المسلمين والفطر والأضحى، وغيرها عند غيرهم.

وأما **المكاني** فهو البقعة التي يعتاد المجيء إليها لغرض مِن الأغراض.

فإنْ أمر الله بذلك فهو العيد المشروع كمساجد الجمعة تُقصد للجمعة والاعتكاف، وكمصلى العيدين للعيد، وكمنى وعرفات ومزدلفة، والمساجد الثلاثة التي لم يشرع الله شَـدّ الرِّحال إلى غيرها. وإنْ لم يأذن الله

---

1 (?) القول المفيد على كتاب التوحيد للعثيمين، (ج1/ ص423).

2 (?) انظر عن مسألة النهي عن اتخاذ القبور أعيادًا: كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، (إحالات لاحقة) وتيسير العزيز الحميد، ص295-306، وفتح المجيد، ص286-293، والقول المفيد، (ج1/ ص444-451)، وأحكام الجنائز وبدعها للشيخ الألباني، 280-285، وكتاب الأعياد وأثرها على المسلمين للدكتور سليمان السحيمي، 433-449، والأعياد المحدثة وموقف الإسلام منها للدكتور عبد الله بن سليمان آل مهنّا، 245-254.

بقصدها أو نهى عن ذلك -كأماكن عبادة غير الله-، أو أمر الشارع بالذهاب إليها للاتعاظ لا مع شد الرحال -كالقبور- ولم يُقَيِّده بوقت، فخَـصَه أحدٌ بأوقات معيَّنة التزم ذلك فيها، أو خصّ ذلك المكان بعبادات كالدعاء والصلاة والقراءة والذكر وغيرها، أو اعتقد أنّ فعلها عندها أرجى في قبولها، فهذه صُوَر لأعياد مبتدعة غير مشروعة، وهي ذريعة إلى عبادة غير الله؛ فيُزَيِّن الشيطان لمثل هذا أنْ يدعُوَ المقبور فيهلَك. قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « والعيد: إذا جُعل اسمًا للمكان فهو: المكان الذي يقصد الاجتماع فيه، وانتيابه للعبادة عنده، أو لغير العبادة، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة، جعلها الله عيدًا، مثابة للناس، يجتمعون فيها، وينتابونها للدعاء والذكر والنسك. وكان للمشركين أمكنة ينتابونها للاجتماع عندها، فلما جاء الإسلام محا الله ذلك كله. وهذا النوع من الأمكنة يدخل فيه: قبور الأنبياء والصالحين، والقبور التي يجوز أن تكون قبورًا لهم، بتقدير كونها قبورًا لهم، بل وسائر القبور أيضًا داخلة في هذا » [1].

فـ«ـالعيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام، على وجهٍ معتاد، عائدٍ: إما بعَود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك. فالعيد: يجمع أمورًا: منها: يوم عائد كيوم الفطر، ويوم الجمعة. ومنها: اجتماع فيه. ومنها: أعمال تَـتْبَع ذلك: من العبادات، والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكلُّ هذه الأمور قد تسمى عيدًا. فالزمان، كقوله ليوم الجمعة: " **إِنَّ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ** " مِن حديث ابن عباسٍ رضي الله

---

[1] (?) اقتضاء الصراط المستقيم، ص266، ط/ الكتاب العربي، بتحقيق: خالد اللطيف السَّبع العَلمَيى.
ولتقف على أدلة الكتاب والسنة لكون المسجد الحرام، ومنى، ومزدلفة، وعرفة، أعيادًا مكانية، انظر كتاب: الأعياد وأثرها على المسلمين، للدكتور سليمان السحيمي، ص175-179، وعلى كون يوم عرفة والنحر وأيام التشريق أيام عيد، المصدر نفسه: ص169-170

عنهما[1] . والاجتماع والأعمال، كقول ابن عباس رضي الله عنهما: " **شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ** ..الحديث[2]. والمكان، كقوله : " **لا تتخذوا قبري عيدًا** " حديث الباب الآتي تخريجـه.

وقد يكون لفظ: (العيد) اسْمًا لِمجموع اليوم والعمل فيه، وهو الغالب، كقول النبي : "**دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ! إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ** "[3]. وعن ثَابِتِ بْن الضَّحَّاكِ[4] قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلا بِبُوَانَةَ[5] فَأَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ : " **هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟** " قَالُوا: لا. قَالَ: " **هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟** " قَالُوا: لا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ،**

---

1 أخرجه ابن ماجه في سننه موصولا من طريق صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن عُبَيد بن السَّباق عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: كتاب إقامة الصلاة، بَاب مَا جَاءَ فِي الزِّينَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، رقم: 1098، قال البوصيري في الزوائد: « هذا إِسْنَاد فِيه صَالِح بْن أَبِي الأَخْضَر لَيَّنَهُ الْجُمْهُور، وَبَاقِي الرِّجَال ثِقَات » وقد جاء الحديث في الموطأ (كتاب وقوت الصلاة، بَاب مَا جَاءَ فِي السِّوَاكِ، رقم في الكتاب: 113) عن ابن السباق هذا مرسلا، دون ذكر لابن عباس، والحديث حسن، وله شاهدٌ مِن حديث أبي هريرة في باب الاغتسال للأعياد من كتاب السنن الكبرى للبيهقي، (ج1/ 299، ورقم الحديث: 1478).

2 صحيح البخاري: كتاب العيدَين، بَاب الْخُطْبَةِ بَعْدَ الْعِيدِ، رقم: 962، وصحيح مسلم مطولا: كتاب صلاة العيدين، رقم: 884.

3 صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، بَاب مَقْدَمِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ الْمَدِينَةَ، رقم: 3931، وصحيح مسلم: الكتاب نفسه، بَاب الرُّخْصَةِ فِي اللَّعِبِ الَّذِي لا مَعْصِيَةَ فِيهِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ، رقم: 892.

4 **ثابت بن الضحاك** بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، صحابيٌّ مشهور، ويظهر أنه ولد سنة: 3 من البعثة لا من الهجرة، وشهد الحديبية وبايع فيها، (قيل: إنه توفي: 45، ورجح الحافظ ابن حجر كون وفاته سنة: 64).
(انظر: الإصابة، ج2/ص48-49، والاستيعاب، ص103، حرف الثاء، ورقمه في التقريب لابن حجر: 819).

5 **بُوَانَة:** بِضَمِّ الباء، وَقِيلَ بِفَتْحِها: هَضْبَة مِنْ وَرَاء يَنْبُع، كَذَا نَقَلَهُ الشَّوْكَانِيُّ عَنْ الْمُنْذِرِيّ. وَقَالَ الْبَغَوِيّ: أَسْفَل مَكَّة دُون يَلَمْلَم. .. (انظر: عون المعبود، ص1420).

وَلا فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَم "[1]. فقول النبي : " **هل بها عيدٌ من أعيادهم**؟ يريد اجتماعًا معتادًا من اجتماعاتهم التي كانت عيدًا، فلما قال: لا، قال له: " **أوفِ بنذرك** "، وهذا يقتضي أنَّ كونَ البقعة مكانًا لعيدهم: مانعٌ من الذبح بها -وإن نذر-، كما أنَّ كونَها موضعُ أوثانِهم كذلك، وإلا لما انتظم الكلام، ولا حسُن الاستفصال »[2].

وزاد العلامة ابن القيّم –رحمه الله- معاني عزيزة بعدما ذكَر أنّ العيد زمانيٌّ ومكاني: « والعيد: مأخوذٌ من المعاودة والاعتياد؛ فإذا كان اسْمًا للمكان، فهو المكان الذي يُقصَد الاجتماعُ فيه، وانـتيابُه للعبادة أو لغيرها، كما أنَّ المسجد الحرام، ومنى ومزدلفة وعرفة، والمشاعر جعلها الله تعالى عيدًا للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام الـتَّعبُّد فيها عيدًا. وكان للمشركين أعياد زمانيّة ومكانيّة، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوّض الحنفاء منها عيد الفطر، وعيد النحر، وأيام منى، كما عوّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام، وعرفة ومنى والمشاعر، فاتخاذ القبور عيدًا هو من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الإسلام، وقد نهى عنه رسول الله في سيِّد القبور منَبِّهًا به على غيره »[3]. ثم أورد مجموعة مِن الآثار.

هذا، وللحديث عن اتخاذ القبور أعيادًا بشيءٍ مِن التفصيل قسمتُ هذا المطلب إلى خمسة مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة الناهية عن اتخاذ قبر العبد الرسول وغيره عيدًا. **المسألة الثانية:** صُوَر اتخاذ القبور أعيادًا. **المسألة الثالثة:** بعض الأمور المفضِـيَة إلى اتخاذ القبور أعيادًا. **المسألة الرابعة:** حكم اتخاذ القبور أعيادًا.**المسألة الخامسة:** فهم أئمة أهل البيت –وهم من أهلِ السنة والجماعة- للصُّوَر المندرجة في

---

[1] سنن أبي داود: كتاب الأيمان والنذور، بَاب مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنْ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ، رقم: 3313، والحديث صحيح (السلسلة الصحيحة، ج6/ص 874، برقم: 2872).

[2] اقتضاء الصراط المستقيم، ص164-165-بتصرف-، وانظر: ص 265-266.

[3] إعاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (ج1/ ص190-191).

النهي، خلافًا لفهم من شابَه اليهود والنصارى في التحريف والشرك.

المسألة الأولى: الأدلة الناهية عن اتخاذ قبر العبد الرسول ﷺ وغيره عيدًا:

قد نَهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا في غير ما حديث، منبِّهًا بذلك على حرمة اتخاذ قبر غَيـرِه بالأولى في أحاديث صريحة، مِـن ذلك:

أولا: عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** "[1].

ثانيًا: وعن الحسن بن الحسن[2] -أحد أئمة أهل البيت- قال: « قال رسول الله ﷺ: " **لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، ولا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُما كُنْتُمْ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي** "[3].

---

1 (?) سنن أبي داود: كتاب المناسك، بَاب زِيَارَةِ الْقُبُورِ، رقم: 2043، ومسند الإمام أحمد، رقم: 8790، وهو حديثٌ صحيح، قال العلامة ابن القيم « وهذا إسناد حسن رواته كلهم ثقات مشاهير»، (إغاثة اللهفان، ج1/ 191)، وقال ابن عبد الهادي-: « حديثٌ حسنٌ، جيّد الإسناد، وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة » (الصارم المنكي، ص 490).

2 (?) هو الحسن بن الحسن بن علي، صدوق، (ت97)، وله بضع وخمسون سنة، (انظر: التقريب، 1226).

3 (?) مصنَّف ابن أبي شيبة، (211) في الصلاة عند قبر النبي ﷺ وإتيانه، ورقم الأثر في الباب:2، (ج2/269)، و (146) مَن كره زيارة القبور، ورقم الأثر فيه: 5، (ج3/226).

ثالثًا: وعن زين العابدين[1] -أحد أئمة أهل البيت[2]- أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَدَعَاهُ، فَقَالَ: أَلاَ أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: " **لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلاَ بُيُوتَكُمْ قُبُورًا؛ وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ وَتَسْلِيمَكُم يَبْلُغُنِي حَيْثُ مَّا كُنْتُمْ** "[3]، وفي لفظ: " **فإنَّ تسليمكم يبلغني أينما كنتم** "[4].

رابعًا: وعن سُهيل بْن أبي سُهَيْل[5] قَالَ: رَآنِي الْحَسَن بْنُ الْحَسَن بْن عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب عِنْد الْقَبْر فَنَادَانِي -وَهُوَ فِي بَيْت فَاطِمَة يَتَعَشَّى- فَقَالَ: هَلُمَّ إِلَى الْعَشَاء! فَقُلْت: لا أُريدهُ، فَقَالَ: مَا لِي رَأَيْتُك عِنْد الْقَبْر؟ فَقُلْت: سَلَّمْت عَلَى النَّبِيّ ﷺ، فَقَالَ: إِذَا دَخَلْت الْمَسْجِد فَسَلِّمْ، ثُمَّ قَالَ: « إِنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: " **لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلا تَتَّخِذُوا بُيُوتكُمْ مَقَابِر، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتكُمْ تَبْلُغنِي حَيْثُ مَا كُنْتُمْ، لَعَنَ**

---

[1] **زين العابدين**: لقبٌ لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ: الهاشمي العلوي، المدني، السيد الإمام، ثقة ثبت عابد فقيه، فاضل، مشهور، قال الزهري: « ما رأيت قرشِيًّا أفضل منه » يكنى أبا الحسين، ويقال: أبو الحسن، وقيل غير ذلك. ولد في (38 ظنًّا)، و(ت 93، وقيل: غير ذلك). وحدث عن أبيه الشهيد، وعن أم المؤمنين عائشة، وأبي هريرة، ﷺ وغيرهم. وحدث عنه أولاده: أبو جعفر محمد، وعمر، وزيد المقتول، وعبد الله، والزهري، وابن دينار، وآخرون. (ترجم له الذهبي بتوسع في سير الأعلام: ج4/ص207-214، وعند الحافظ ابن حجر في التقريب برقم: 4715).

[2] ذكر الحافظ ابن حجر –رحمه الله- أنّ أشرف وأفضل سلسلة ذهبية مِن بين الأسانيد هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ عن أبيه عن جده، وهو السند الذي روي به هذا الحديث.

[3] مصنَّف ابن أبي شيبة، (211) في الصلاة عند قبر النبي ﷺ وإتيانه، ورقم الأثر في الباب:1، (ج2/268).

[4] مسند أبي يعلى الموصلي: حديث رقم: 469، بمسند علي منه، ط/ دار المأمون للتراث، بتحقيق:حسين سليم أسد، وقال: إسناده ضعيف.

[5] وسُهيلٌ هذا وإن كان فيه نوع جهالة إلا أنّ الحديث الأول يشهد لحديثنا هذا، (انظر: الحاشية الأولى، ص265 من اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية).

اللَّه الْيَهُود وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُور أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد" مَا أَنْتُمْ وَمَنْ بِالأَنْدَلُسِ إِلا سَوَاء »[1].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله- بعد إيراده الأثرين « فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لاسيما وقد احتج به مَن أرسله؛ وذلك يقتضي ثبوته عنده، هذا لو لم يكن روى من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندًا[2] »[3]. **وقد** نقل عنه هذا الكلام بحرفه تلميذه العلامة ابن القيم –رحمه الله-[4].

خامسًا: وروى سعيد بن منصور –رحمه الله- في سننه بسنده عن أبي سعيد مولى المهري، قال: قال رسول الله ﷺ: " **لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قـبُورًا، وصلُّوا عليَّ حيثما كنتم؛ فإنَّ صلاتكم تبلـغُنِي** "[5].

المسألة الثانية: صُوَر اتخاذ القبور أعيادًا[6]**:**

لاتخاذ القبور أعيادًا صُوَرٌ، فمنها:

أولا: تحرِّي الدعاء عند القبور، وقصدها لذلك، أما لو حصل الدعاء عندها من غير تَحرٍّ وقصدٍ، أو زارها فدعا لها ولنفسه العافية، فهذا لا يدخل في اتخاذها عيدًا[7].

---

1 (?) أورده شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم عن سعيد بن منصور في سننه (انظر: الاقتضاء، ص265).

2 (?) وهو حديث أبي هريرة الذي صدرتُ به المطلب.

3 (?) اقتضاء الصراط المستقيم، ص 265.

4 (?) إغاثة اللهفان لابن القيم، (ج1/ 192).

5 (?) لم أقف عليه في سنن سعيد بن منصور، وقد عزاه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم، ص264.

6 (?) هذه الصُّوَر نثرها –دُررًا- شيخُ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم، (ستأتي الإحالة إلى مواضعها عند كلّ صورة)، وجمَعَها في موضع واحد الدكتور عبد الله بن سليمان آل مهنا في كتابه الأعياد المحدثة وموقف الإسلام منها، ص248-255.

7 (?) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص276-280، وكتاب القول المنصور في التحذير من بدعة تحرِّي الدعاء عند القُبور، وخصوصًا الباب الثاني منه، ص59-74.

ثانيًا: تخصيص الحجرة النبوية الشريفة بجعل الصلاة والسلام عليه فقط عندها[1]: وقد أدخل هذه الصورة، والصورة التي قبلها في اتخاذ قبـره عيدًا المنهي عنه أئمةُ أهل البيت والسنة[2]، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في الصورتين: « ثم إنّ أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين نَهى ذلك الرجلَ أن يتحرى الدعاء عند قبره ، واستدل بالحديث، وهو راوي الحديث الذي سمعه من أبيه الحسين، عن جده علي، وأعلم بمعناه من غيره؛ فبيَّنَ **أنَّ قصدَه للدعاء ونحوِه اتخاذٌ له عيدًا**. وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته، **كرِه أنْ يقصِد الرجلُ القبرَ للسلام عليه ونحوه عند دخول المسجد، ورأى أنّ ذلك من اتخاذه عيدًا** »[3].

ثالثًا: السفر للقبر الشريف بقصد القبر، لا المسجد، وعيين وقت لذلك يُعاد إليه كلما عاد الوقت[4]: حرّره في عون المعبود، فقال: « وَالْحَدِيث

---

[1] تقصدّ هذا الأمر هو المذموم أما مَن وصل إلى مسجده للصلاة فيه ثم زار القبر وسلم عليه ودعا له، –كما سيأتي في مسألة إلى أين تشد الرحال وتعمل المطيّ- ثم كان مِن ذلك أنْ صلى عليه كما يفعل ابن عمر –رضي الله عنهما-، ثم ينصرف فلا إشكال، حيث كان يصلِّي على النبيِّ وعلى أبي بكر وعمر –كما في رواية يحيى عن مالك، ورواية الأكثر عنه، أنه كان يصلي على رسول الله ، ويدعو لأبي بكر وعمر. (وانظر صنيع ابن عمر هذا في الموطأ: كتاب قصر الصلاة في السفر، بَاب مَا جَاءَ فِي الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ، ورقم الأثر في الكتاب: 68). بل وذكر ذلك العلامة ابن القيم ضمن المواطن التي يصلى عليه ويُسلَّم، وهو الموطن الرابع عشر عنده، (انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ، ص474).

[2] ذكر أيضًا هذه الصورة ضمن صوَر اتخاذ القبر عيدًا ابنُ عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي، ص472.

[3] اقتضاء الصراط المستقيم، ص266، وانظر: 297-300، حيث بيَّن أنَّ مالكًا منع الذي سأله عن قصد قبر الرسول دائمًا للصلاة والسلام عليه، فخاف من ذلك، وذكر أنّ السلف لم يفعلوه، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كما أنّ ذلك من اتخاذ القبر عيدًا المنهي عنه، وانظر كذلك: الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص472.

[4] هذه المسألة أخص مِن مسألة شد الرحال، حيث قصدتُ هنا ذكر الصورة والحالة التي يكون شد الرحال إلى القبور اتخاذًا لها عيدًا. وسيأتي في المطلب السادس مسألةُ حرمة شد الرحال إلى القبور.

دَلِيل عَلَى مَنْع السَّفَر لِزِيَارَتِهِ ﷺ؛ لأنَّ الْمَقْصُود مِنْهَا هُوَ الصَّلاة وَالسَّلام عَلَيْهِ وَالدُّعَاء لَهُ ﷺ، وَهَذَا يُمْكِن اسْتِحْصَاله مِنْ بُعْد كَمَا يُمْكِن مِنْ قُرْب، وَأَنَّ مَنْ سَافَرَ إِلَيْهِ وَحَضَرَ مِنْ نَاس آخَرِينَ فَقَدْ اتَّخَذَهُ عِيدًا، وَهُوَ مَنْهِيّ عَنْهُ بِنَصِّ الْحَدِيث. فَثَبَتَ مَنْع شَدّ الرَّحْل لأَجْلِ ذَلِكَ بِإِشَارَةِ النَّصّ، كَمَا ثَبَتَ النَّهْي عَنْ جَعْله عِيدًا بِدَلالَةِ النَّصّ، وَهَاتَانِ الدَّلالَتَانِ مَعْمُول بِهِمَا عِنْد عُلَمَاء الأُصُول، وَوَجْه هَذِهِ الدَّلالَة عَلَى الْمُرَاد قَوْله: " **تَبْلُغنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** " فَإِنَّهُ يُشِير إِلَى الْبُعْد، وَالْبَعِيد عَنْهُ ﷺ لا يَحْصُل لَهُ الْقُرْب إِلا بِاخْتِيَارِ السَّفَر إِلَيْهِ، وَالسَّفَر يَصْدُق عَلَى أَقَلّ مَسَافَة مِنْ يَوْم فَكَيْف بِمَسَافَةٍ بَاعِدَة، فَفِيهِ النَّهْي عَنْ السَّفَر لأَجْلِ الزِّيَارَة.وَاَللَّه أَعْلَم »[1].

رابعًا: التعريف[2] عشية عرفة عند قبور مَن يُعتقد فيهم مِن الأولياء والصالحين[3] ، والصلاة عندها خاضعين متذللين.

خامسًا: قصد القبور للذبح عندها[4].

سادسًا: الحج إلى القبور سنوِيًّا، وحلق الرؤوس عندها، حتى ألفوا في ذلك مناسك حج المشاهد.

سابعًا: اتخاذ الوقت المخصص لزيارة قبره ﷺ، يُعاد إلى القبر كلما عاد ذلك الوقت، كأنْ يقول بعد صلاة معينة (كالفجر) من كل يوم، أو يوم الخميس من كل أسبوع، وهكذا. وهذه الصورة أعم من صورة السفر إلى القبر السابقة.

---

[1] عون المعبود لشرف الحق، ص906.

[2] التعريف هنا: هو قصد مسجد البلد يوم عرفة للدعاء والذكر، وقد اختلف العلماء فيه، والراجح عدم جوازه، أو إلى غير مسجد المصر بشد الرحال إليها كالأقصى. أو إلى القبور بالشد أو بدونه، وهذه الأخيرة محرمة بدون خلاف، وصورة من صور اتخاذ القبور أعيادًا – عياذًا بالله-، انظر: باب كراهية اجتماع الناس عشية عرفة في كتاب البدع لابن وضاح القرطبي، ص86-87، واقتضاء الصراط المستقيم، ص256 وما قبله.

[3] انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص256 وما قبله.

[4] انظر: المصدر نفسه، ص309، وهذا ما يسمى بالعقيرة الجاهلية.

ثامنًا: الاجتماع على انتياب قبره في أوقات مخصوصة.

تاسعًا: الاجتماع عند القبور في أيام ومواسم معلومة مِن السنة، إما في المحرم، أو ربيع الأول، أو رجب أو شعبان، أو ذي الحجة، أو في يوم عاشوراء أو يوم عرفة، أو في النصف مِن شعبان، بحيث يكون لها يوم من السنة تقصد فيه[1]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « وفي الجملة : هذا الذي يفعل عند هذه القبور هو بعينه الذي نهى عنه رسول الله بقوله: " **لا تتخذوا قبري عيدًا** "[2]، فإنَّ اعتياد قصد المكان المعين، وفي وقت معين، عائد بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع، هو بعينه معنى العيد. ثم ينهى عن دِقِّ ذلك وجلِّه »[3].

عاشرًا: الاجتماع عند القبور للهو والرقص بالزّينة وغيرها من المحدثات التي تُعمَل في الأعياد.

حادي عشر: قصد القبور للذكر عندها والقراءة والصيام والاعتكاف وغيرها من العبادات: وهو كذلك من صور وأنواع اتخاذ القبر عيدًا[4]، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في فصل عدم جواز سائر العبادات عند القبور: « وتمام الكلام في ذلك، بذكر سائر العبادات، فالقول فيها جميعا كالقول في الدعاء، فليس في ذكر الله هناك، أو القراءة عند القبر، أو الصيام عنده، أو الذبح عنده فضلٌ على غيره من البقاع، ولا قصد ذلك عند القبور مستحبًّا. وما علمت أحدًا من علماء المسلمين يقول: إنَّ الذكر هناك، أو الصيام أو القراءة أفضلُ منه في غير تلك البقعة »[5].

هذه صُوَر اتخاذ القبور عيدًا المنهي عنه.

---

1 (?) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص304-305.
2 (?) سبق تخريج الحديث.
3 (?) اقتضاء الصراط المستقيم، ص305، وانظر: 306.
4 (?) المصدر نفسه، ص309.
5 (?) اقتضاء الصراط المستقيم، ص306.

المسألة الثالثة: بعض الأمور المفضِـيَة إلى اتخاذ القبور أعيادًا[1]:

تقدم أنّ العيد المكاني هو تلك البقعة أو ذلك المكان الذي ينتابه الناس ويقصدونه ويجتمعون فيه في ساعات معينَّة، أو في يوم محدَّدٍ من الأسبوع أو الشهر أو السنة، ويقومون ببعض العبادات أو العادات أو الملاهي وغيره. والممنوع إذا حذَّرت منه الشريعة الحكيمة فإنها تحرِّم ذرائعه وطرقَه المؤدية إليه كي لا يُتذرَّع بها إلى الوقوع فيه. ومن تلك الأمور المفضية إلى التعلق بالقبور واعتيادها:

أولا: بناء المساجد على القبور: من المعلوم أنّ المساجد مأمورٌ قصدها واعتيادها لصلوات الخمس والاعتكاف والذكر وقراءة القرآن. وجعلُ القبور أعيادًا منهيٌّ عنه بالحديث. وبناءُ المساجد عليها واعتيادها يوميًا للصلاة، سببٌ مفضٍ للتعلُّق بهذه القبور، فحُرِّم بناء المساجد عليها كي لا يتذرَّع به إلى اتخاذها أعيادًا، ومن ثَمّ التعلق بها وعبادتها.

ثانيًا: اتخاذ القبور مساجد: وهذا سببٌ يفضي كذلك إلى اعتياد هذه القبور، فحرِّم بأحاديث المطلب الثالث السابق.

ثالثًا: قصد المذنبين قبره ﷺ للتوبة وطلب المغفرة من الله، وهذا سببٌ مفضٍ لاعتياده لكثرة ذنوب العباد. وتأويل فاسدٌ للنص بغير ما فهمه السلف مِن الصحابة والتابعين ﷺ ومَن بعدهم ممن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين[2]. حتى قال الشيخ السعدي في تفسير آية النساء: « وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء؛ بل ذلك شرك »[3] .

المسألة الرابعة: حكم اتخاذ القبور أعيادًا:

---

1 (?) انظر: الأعياد المحدثة وموقف الإسلام منها، ص248، و250، و 254.

2 (?) انظر : الأعياد المحدثة وموقف الإسلام منها، للدكتور عبد الله بن سليمان آل المهنا، ص248، وص250، وص254.

3 (?) تيسير الكريم الرحمن، ص185.

لا شكَّ أنّ مَن وقف على نهي الرسول السابق عن هذه المسألة، وعرف قصده لذلك لا يسعه إلا أنْ يقول بحرمته، بل هذا هو حكم المسألة بالإجماع، وبه قال جميع العلماء المعتبرين–رحمهم الله تعالى-، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في بيان ذلك: « فأما اتخاذ قبورهم أعيادًا، فهو مما حرمه الله ورسوله، واعتياد قصد هذه القبور في وقت معين، أو الاجتماع العام عندها في وقت معين، هو اتخاذها عيدًا، ... ولا أعلم بين المسلمين، أهلِ العلم في ذلك خلافًا. ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة، فإنَّ هذا من التشبه بأهل الكتابين، الذين أخبرنا النبي أنه كائنٌ في هذه الأمة »[1] .

وقال -بعدما ذكر أمثلة للبُقَع والمشاهد المزعومة على أنّها لبعض الأنبياء عليهم السلام أو الصالحين أو مقاماتهم، والتي لا خصيصة لها في الشرع، بل هي نوعٌ من الأنواع الثلاثة التي ذكرها للأعياد المكانية المحرمة-: « وهذه المشاهد الباطلة، إنّما وُضعت مضاهاة لبيوت الله، وتعظيمًا لما لم يُعظِمْـه الله، وعكوفًا على أشياء لا تنفع ولا تضر، وصدًّا للخلق عن سبيل الله، وهي عبادتُه وحده لا شريكَ له بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلّم تسليما، واتخاذها عيدًا هو الاجتماع عندها، واعتياد قصدها، فإنَّ العيد من المعاودة »[2].

فقوله شيخ الإسلام هنا أنّ هذه القبور والمشاهد وضعت مضاهاة لبيوت الله، للصد عن عبادة الله وحده، ولتعظيم ما لم يعظمه الله، وللعكوف على ما لا يضر ولا ينفع، لا شك أنّ هذه المفاسد محرمة في دين المسلمين بالإجماع، والله المستعان.

المسألة الخامسة: فَهمُ أئمة أهل البيت –وهم من أهلِ السنة والجماعة- للصُّوَر المندرجة في النهي، خلافًا لفهم من شابَه اليهود والنصارى في التحريف والشرك:

مَن تأمل ونظر في المقامات التي أورد أئمةُ أهل البيت أهلِ السنة والجماعة تلك الأحاديث السابقة علِم يقينًا أنّ تخصيص الصلاة والسلام على الرسول عند

---

[1] (?) اقتضاء الصراط المستقيم، ص306.

[2] (?) اقتضاء الصراط المستقيم، ص261-262.

فرجة من الحجرة، كما عمله ذلك الرجل، وقصد ذلك، -لا عند دخول المسجد وغير ذلك من المواطن الكثيرة[1] التي يتأكد الصلاة عليه وجوبًا أو استحبابًا-. وكذا قصد قبره للدعاء، أو كثرة انتيابها والاختلاف إليها دائمًا، أو تحديد أوقات في اليوم أو الأسبوع أو الشهر أو السنة، أو الاجتماع وقصدها، أو قصدها للصلاة ذات الركوع والسجود، كلُّ هذا مما فهمه أئمة أهل البيت (السلف) أنه اتخاذٌ لها عيدًا المنهي عنه.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله- بعد أنْ أورد حديث أبي هريرة في النهي عن اتخاذ قبره عيدًا: « ووجه الدلالة: أنَّ قبر رسول الله أفضل قبْـرٍ على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدًا، فقبر غيرِه أولى بالنهي كائنًا مَن كان »[2].

وقال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: « **وقد حرَّف هذه الأحاديث بعض من أخذ شَبَـهًا من النصارى بالشرك، وشَبَـهًا من اليهود بالتحريف**، فقال: هذا أمرٌ بملازمة قبره، والعكوف عنده، واعتياد قصده وانتيابه، ونهيٌ أن يُجعَل كالعيد الذي إنما يكون في العام مرة أو مرتين؛ فكأنه قال: (لا تجعلوه بمنزلة العيد الذي يكون من الحول إلى الحول، واقصدوه كلّ ساعة، وكلّ وقت)، وهذا مراغمةٌ، ومحادةٌ لله، ومناقضةٌ لما قصَدَه الرسول ، وقلبٌ للحقائق، ونسبةُ الرسول إلى التدليس والتلبيس بعد التناقض، فقاتل الله أهل الباطل أنّى يؤفكون، ولا ريب أنَّ مَن أمر الناس باعتياد أمر وملازمته وكثرة انتيابه، بقوله: (لا تجعلوه عيدًا) فهو إلى التلبيس وضدّ البيان، أقرب منه إلى الدلالة والبيان؛ فإن لم يكنْ هذا تنقيصًا

---

1 (?) انظر: الباب الثالث من جلاء الأفهام حيث ذكر هذه المواطن الأكثر من أربعين والتي يتأكد طلب الصلاة على العبد الرسول إما وجوبًا أو استحبابًا، وإن كان أدلة بعضها ليست بتلك القوية بل الضعيفة والموضوعة، ص380-520، وهذا كله في الصلاة والسلام عليه المقيدة بأوقات أو أماكن أو حالات، أما المطلقة فقلها ولا حرج!

2 (?) اقتضاء الصراط المستقيم، ص 265، ونقلا عنه ابنُ القيم في كتابه إغاثة اللهفان، (ج1/ 172)، وابنُ عبد الهادي في الصارم المنكي، ص490.

فليس للتنقيص حقيقة فينا، كَمَن يرمى أنصار الرسول وحزبه بدائه ومصابه وينسل، كأنه بريء، ولا ريب أنَّ ارتكاب كلِّ كبيرة بعد الشرك أسهل إثْمًا، وأخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه وسنـته، وهكذا غُيِّرَت ديانات الرسل، ولولا أنَّ الله أقام لدينه الأنصار والأعوان الذابـين عنه لجرى عليه ما جرى على الأديان قبله. ولو أراد رسول الله ما قاله هؤلاء الضلال لم ينـهَ عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، ويلعن فاعل ذلك؛ فإنّه إذا لعن مَن اتخذها مساجد يعبد الله فيها، فكيف يأمر بملازمتها والعكوف عندها، وأن يعتاد قصدها وانتيابها، ولا تجعل كالعيد الذي يجيء من الحول إلى الحول؟ وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثنًا يُـعبَد؟ وكيف يقول أعلم الخلق بذلك (ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن خشي أن يتخذ مسجدا؟)، وكيف يقول: " **لا تجعلوا قبري عيدًا؛ وصلوا عليَّ حيثما كنتم** "؟ وكيف لم يفهم أصحابُه وأهلُ بيته من ذلك ما فهمه هؤلاء الضلال **الذين جمعوا بين الشرك والتحريف**؟ وهذا أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنهما نَهى ذلك الرجل أن يتحرَّى الدعاء عند قبره ، واستدل بالحديث، وهو الذي رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جدِّه علي ، وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضلال. وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن، شيخ أهل بيته كره أنْ يقصد الرجل القبر، إذا لم يكن يُريد المسجد، ورأى أنَّ ذلك من اتخاذه عيدًا. قال شيخنا: فانظر هذه السنة كيف مَخرجها مِن أهل المدينة وأهل البيت؛ الذين لهم من رسول الله قُربُ النسب، وقرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط »[1].

وقال الشيخ ابن عبد الهادي –رحمه الله- ناقلا ومبيِّنًا أنَّ اتخاذ القبور أعيادًا أخطر من اتخاذها مساجد، وأنه

---

[1] (?) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (ج1/ ص192-193)، وانظر نقله الأخير عن شيخه ابن تيمية، في اقتضاء الصراط المستقيم، ص 266. كما نقل ذلك عنه تلميذه الآخرُ ابنُ عبد الهادي، (الصارم المنكي، ص490).

بالنهي أحق، كما أنّ التحريم والنهي عن اتخاذ قبر غير المصطفى عيدًا أولى مِن اتخاذ قبره ، قال: « خرج هذا الحديث منه مَخرج نَهْيه عن اتخاذ القبور مساجد، وعن الصلاة إليها، وإيقاد السُّرُج، ومخرج دعائه ربه -تبارك وتعالى- أنْ لا يَجعل قبرَه وثنًا، ومَخرج أمره بتسوية القبور المشرفة، ونحو ذلك. كلّ هذا لئلا يحصل الافتتان بها، ويتخذ العكوف عليها، وإيقاد السرج، والصلاة فيها، وإليها، وجعلها عيدًا ذريعة إلى الشرك؛ لاسيما أصل الشرك وعبادة الأصنام في الأمم السابقة إنما هو من الافتتان بالقبور وتعظيمها، فاتخاذ القبر عيدًا هو مثل اتخاذه مسجدًا، والصلاة إليه، بل أبلغ وأحق بالنهي؛ فإنَّ اتخاذَه مسجدًا يصلى فيه لله ليس فيه من المفسدة ما في اتخاذ نفسه عيدًا؛ بحيث يُعتاد انتيابه، والاختلاف إليه، والازدحام عنده، كما يحصل في أمكنة الأعياد وأزمنتها، فإنَّ العيد يقال في لسان الشارع على الزمان والمكان »[1].

وذكر حديث الرجل الذي نذر أنْ ينحر إبلا ببوانة، ثم قال في التعليق عليه: « وفي هذا الحديث دلالة على أنّ تعظيم المكان المتخذ عيدًا بالذبح عنده لا يجوز كما لو ذبح عند الوثن، كلّ هذا سدًّا للذريعة المفضية إلى الشرك، وحماية وصيانة لجانب التوحيد، فإذا كان قد منع من الذبح عند المكان المتخذ عيدًا سواءٌ كان قبرًا أو غيره، فنهـيُه عن اتخاذ القبور عيدًا أولى وأحرى؛ إذْ المفسدة في اتخاذ القبر عيدًا أعظم بكثير من مفسدة الذبح عند المكان الذي اتخذ عيدًا، وهذه الأحاديث تدل كلها على تحريم تخصيص القبور بما يوجب انتيابها، وكثرة الاختلاف إليها، من الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، واتخاذها عيدًا، وإيقاد السرج عليه، والصلاة إليها، والذبح عندها، ولا يخفى مقاصد هذه الأحاديث وما اشتركت فيه على مَن شمّ رائحة التوحيد المحض »[2] .

---

[1] (?) الصارم المنكي في الرد على السبكي، 492-493.
[2] (?) المصدر نفسه، ص494-495 .

وقال أيضًا: « وبهذا يعلم بطلان تأويل مَن تأوَّل قولَـه ﷺ: " **لا تجعلوا قبري عيدًا** " أي: لا تجعلوه في قلة الاختلاف إليه، وانتيابه، ومتابعة قصده، بمنزلة العيد الذي إنما يكون في السنة مرتين، بل اقصدوه في كلِّ وقت، واحـتشدوا للمجيء إليه، وواظبوا على إتيانه، من القرب والبعد، واجعلوا ذلك دأبَكم وعادتَكم. ومعلومٌ أنّ هذا مناقضٌ لما عُلِم من سننه في قبره الكريم وغيرِه أشد مناقضة، وترغيبٌ للنفوس في الوقوع فيما حذَّر منه أمته، وخاف عليهم منه، ومعاكسةٌ له في قصده، ومن المعلوم أنَّ من أراد هذا المعنى الذي ذكره المتأوِّل بقوله: " **لا تجعلوا قبري عيدًا** " فهو إلى الألغاز ضد البيان، أقرب منه إلى الإرشاد والبيان، كيف والسنة المعلومة تناقضه أبْيَن مناقضة، بل نفس هذا الحديث يرُدُّ هذا التأويل ويبطله، وهو قوله: " **وصلوا عليَّ حيثما كنتم** " »[1] .

وقال أيضًا: « ثم لو كان هذا مرادُه -وحاشاه من ذلك- لأتـى بلفظٍ صريحٍ، أو ظاهرٍ في الترغيب في قصده، وكثرة الاختلاف إليه، كما جاء عنه الترغيب في كثرة الاختلاف إلى المساجد »[2].

فذكَر الأحاديث على ذلك، مثل حديث وعد الله بإعداد النُّـزُل في الجنة لِمَن غدَا إلى المسجد، أو راح، كلما غدا أو راح. وأنَّ مَن تطهّر في بيته، ثم مشى إلى مسجد لأداء الفريضة، كانت خطواته إحداهما تحط خطيئته، والأخرى ترفع درجته. وأنّ المشائين في الظُّلَم إلى المساجد، يُبَشَّرون بالنور التام يوم القيامة. كما أنّ اعتياد الرجل المساجد علامة لإيمانه[3].

ثم قال -بعدها-: « إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على الترغيب في انتياب أمكنة المساجد، والحث عليها، فمَن تأمّلها وتأمل الأحاديث الواردة في القبر تبيَّنَ له

---

[1] (?) الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص494.
[2] (?) ابن عبد الهادي، المصدر نفسه، ص494.
[3] (?) انظر ألفاظ هذه الأحاديث وتخريجها، في كتاب: الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص494-495.

الفرق المبين بين الهدى والضلال، والغيّ والرشاد، والشك واليقين »[1].

وقال أيضًا: « ومما يبين بطلان هذا التأويل الذي لم يعرف عن أحدٍ من السلف والخلف قبل هذا المتأوِّل[2]، إنه لو كان هو المراد لكان أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون لهم بإحسان أحق الناس بالعكوف على قبره، وكـثرة انتيابه، والازدحام عنده، وتقبيله والتمسح به، وكانوا أشدّ الناس ترغيـبًا للأمة في ذلك، بل المحفوظ عنهم الزجر عن مثل ذلك، والنهي عنه »[3]. ثم أورد آثار الباب السابقة.

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يذكر أوجه بطلان حديث: (إذا تَحيَّرتُم في الأمور، فاستعينوا بأهل القبور)[4] : « أحدُها: أنَّه قد تبيَّن أنَّ العلة التي نهى النبي ﷺ لأجلها عن الصلاة عندها، إنما هو لئلا تتخذ ذريعة إلى نوعٍ من الشرك؛ بالعكوف عليها، وتعلق القلوب بها، رغبةً ورهْـبَةً. ومن المعلوم أن المضطرَّ في الدعاء الذي قد نزلت به نازلةٌ؛ فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء، أو لرفع شرٍّ كالاستنصار حالُـه في افتتانه بالقبور -إذا رجا الإجابة عندها- أعظمُ من حال مَن يؤدِّي الفرض عندها في حال العافية، فإنّ أكثر المصلين -في حال العافية- لا تكاد قلوبهم تفتن بذلك إلا قليلا، أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمةٌ جدًّا، فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة متحققة في حال هؤلاء، كان

---

[1] الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص495-496.

[2] لعله يعني بهذا المتأوِّل: الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذري، حيث إنه ذكر تأويله لحديث: " لا تجعلوا قبري عيدًا " بقوله: « يحتمل أنْ يكون المراد به: الحثّ على كثرة زيارة قبره ﷺ، وأنْ لا يُهمل حتى لا يُزار إلا في بعض الأوقات كالعيد الذي لا يأتي في العام إلا مرتين » وذكر التأويل الثاني له وهو للسبكي، وهو كذلك تأويل باطل، ثم التأويل الثالث له كذلك، وهو متضمن للحق والباطل، (انظر كلام المنذري بحكاية السبكي، والرد عليها في الصارم المنكي، ص489-490).

[3] الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص496، وانظر الآثار ص 496-498.

[4] وقد ذكر أنه حديثٌ موضوعٌ (تخريجه/).

نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد. وهذا واضح لمن فقه في دين الله، وتبين له ما جاءت به الحنفية من الدين الخالص لله، وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفيِ الشرك بكل طريق »[1].

وقد أغوى الشيطان اللعينُ قومًا زيَّن لهم عبادة الصالحين في صورة محبة الصالحين وتعظيمهم، فحملهم على أن اتخذوا مجامع ومواسم واحتفالات عائدة عند قبورهم يَجتمعون فيها سنويًّا يدعون الله عندها، ومنهم مَن يدعونهم، ويُصلون إليها وعليها ولها، ويذبحون وينذرون ويخشعون ويتضرعون ويتذللون لها وعندها ما لا تجد مثله أو قريبًا منه في المساجد والمناسك والمشاعر المقدسة، على مزاعم متفاوتة قبحًا، فمنهم مَن يزعُم أنّ قصدها والحج إليها سبع مرات يعدل الحج إلى بيت الله الحرام، وقد سمعتُ هذا مِن بعضهم[2]. ومنهم من يراهما سيان. ومنهم مَن يُفضِّل حجّ هذه المشاهد على حج بيت الله الحرام، بل وكتب بعض الرافضة كتابه في الحج إلى المشاهد، وما يقوم به هذا الزائر من العبادات والعادات والطقوسات عندها، بل ويفضل ذلك على الحج إلى بيت الله الحرام، والعياذ بالله!

فإذا كان قبر رسول الله ﷺ -وهو أفضل القبور على وجه الأرض إطلاقًا- لا يجوز اتخاذه عيدًا، فقبرُ غيرِه أولى بالنهي كائنا ما كان[3].

** * **

فائدتان: بِمناسبة ذكر أحاديث الباب أقول شارحًا لجملتيْها الباقيتَين، ومشيرًا إلى فائدتين:

---

1 (?) الاقتضاء لابن تيمية، ص277.

2 (?) ذَكرَت لِي إحدى الكبيرات في السن مفتخرة بأنه حصل منها السفر إلى قبر الشيخ عثمان فودي –رحمه الله- بمدينة صوكوتو في الشمال الغربي بنيجيريا، مما يعني عندهم أنه حصل لها ما يعادل الحج. وهذا الشيخ رحمه الله- ابتلت قبيلة كاملة بقبره، ألا وهي قبيلته الفلاتية، والله المستعان!

3 (?) انظر: الاقتضاء لابن تيمية، ص310.

سبق أنّ حديث الباب هو قول رسول الله ﷺ: " **لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** "، **وفيه فائدتان:**

-الفائدة الأولى: شرح قوله ﷺ في آخر الحديث: " **وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** " وعلاقة ذلك بقوله في أوله: " **لا تجعلوا قبري عيدًا** ":

ففي التعقيب بقوله: " **وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ ...** "[1] **بعد النهي عن جعل قبره عيدًا:**

إرشاد وإشارة منه ﷺ إلى أنّ الصلاة على الحبيب البشير، المطلوبُ منها أنْ تكون في أيِّ مكان؛ قريبًا مِن قبره كان أو بعيدًا؛ فإنّ ذلك يبلُغه ﷺ بواسطة الملائكة السياحين ويعرض عليه. وإنْ كان لا وصول لأحدٍ إلى قبره بعد إحاطته بالجدران إجابةً لدعوته –كما سيأتي-. وهذا التعقيب فيه فائدة، وهي: أننا لَما نُهينا عنْ اتخاذ قبره ﷺ عيدًا، -والذي مِن صُوَره: تخصيص قبره بالصلاة والسلام عليه-، ناسَبَ أنْ يُذكَر لنا ما يكون سببًا وعاملا كبيرًا يجعل المسلمين كلَّهم أينما كانوا في مشارق الأرض ومغاربها يُكثرون مِن الصلاة والسلام عليه، -الصلاة المطلقة- وهو: **أنّ الله بفضله ولطفه يُبلِغـه ذلك، ويُعرَض عليه بواسطة الملائكة.** قال شيخ الإسلام رحمه الله:«ثم إنه ﷺ أعقب النهي عن اتخاذه عيدًا بقوله: "**صلوا عليَّ؛ فإنّ <u>صلاتكم تبلغني</u> حيثما كنتم**"، وفي الحديث الآخر:"**فإنّ <u>تسليمكم يبلغني</u> أينما كنتم**" يشير بذلك ﷺ إلى أنّ ما ينالُني منكم من الصلاة والسلام يحصُل مع قُرْبكم من قبري،وبُعدِكم منه،فلا حاجة بكم إلى اتَّخاذه عيدًا»[2].

وقال صاحب عون المعبود: « قَوْله: " **وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتكُمْ تَبْلُغنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** " أَيْ: لا تَتَكَلَّفُوا الْمُعَاوَدَة إِلَيّ، فَقَدْ اسْتَغْنَيْتُمْ بِالصَّلاةِ عَلَيَّ؛ قَالَ الْمُنَاوِيُّ: وَيُؤْخَذ مِنْهُ أَنَّ اجْتِمَاع الْعَامَّة فِي بَعْض أَضْرِحَة الأَوْلِيَاء فِي

[1] (?) انظر شرح الحديث في: عون المعبود لشرف الحق، ص905.
[2] (?) اقتضاء الصراط المستقيم، 265.

يَوْمِ أَوْ شَهْرٍ مَخْصُوص مِنْ السَّنَة، وَيَقُولُونَ: هَذَا يَوْم مَوْلِد الشَّيْخ، وَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَرُبَّمَا يَرْقُصُونَ فِيهِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ شَرْعًا. وَعَلَى وَلِيّ الشَّرْع رَدْعهمْ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْكَاره عَلَيْهِمْ وَإِبْطَاله »[1].

ويدلُّ على هذا المعنى -وهو أنّ صلاتنا وسلامنا تُعرض عليه- أحاديث كثيرة[2]، منها:

أولا: حديث أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " **مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ** "[3].

ثانيًا: عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ[4] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ؛ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ** " قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ

---

1 (?) عون المعبود لشرف الحق، ص906.

2 (?) انظر أكثر هذه الأحاديث في: اقتضاء الصراط المستقيم، ص265-266، وتلخيص كتاب الاستغاثة، ص32-35، وص118-120.

3 (?) سنن أبي داود: كتاب المناسك، بَاب زِيَارَةِ الْقُبُورِ، رقم:2041، والحديث حسن، قال ابن تيمية: «الحديث على شرط مسلم » اقتضاء الصراط المستقيم،265 (السلسلة الصحيحة،ج5، ص338، برقم: 2266).

4 (?) **أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثقفي**: صحابِيّ سكن دمشق، وهو غير أوس بن أبي أوس، (انظر: ترجمته في الإصابة: ج1/ ص284، وتقريب التهذيب، ورقمه: 572، حرف الألف، ص55، كلاهما لابن حجر –رحمه الله-).

تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرِمْتَ[1] يَقُولُونَ: بَلِيتَ؟ فَقَالَ: " **إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**[2] "[3].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا،** " قَالَ: قُلْتُ: وَبَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: " **وَبَعْدَ الْمَوْتِ؛ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ، فَنَبِيُّ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ** "[4].

ثالثًا: وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ؛ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلامَ** "[5].

---

[1] **أَرْمَمْت**: مِنْ أَرَمَّ بِتَشْدِيدِ الْمِيم إِذْ صَارَ رَمِيمًا، فَحَذَفُوا إِحْدَى الْمِيمَيْنِ كَمَا فِي ظَلَّتْ. وَلَفْظه إِمَّا عَلَى الْخِطَاب أَوْ عَلَى الْغَيْبَة عَلَى أَنَّهُ مُسْتَنِد إِلَى الْعِظَام. وَقِيلَ: مِنْ أَرَمَ بِتَخْفِيفِ الْمِيم أَيْ فَنِيَ، وَكَثِيرًا مَا يُرْوَى بِتَشْدِيدِ الْمِيم وَالْخِطَاب؛ فَقِيلَ: هِيَ لُغَة نَاس مِنْ الْعَرَب. وَقِيلَ: بَلْ خَطَأ؛ وَالصَّوَاب سُكُون تَاء التَّأْنِيث لِلْعِظَام، أَوْ أَرْمَمْتْ بِفَكِّ الإِدْغَام (كفاية الحاجة في سنن ابن ماجه لأبي الحسن السندي، ضمن شروح سنن ابن ماجه، ج1، ص450، وانظر: ص651، وعون المعبود، ص501).

[2] انظر خصيصة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أنّ الله حرّم على الأرض أكل أجسادهم: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، ص65.

[3] سنن أبي داود: كتاب الصلاة، بَاب فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، رقم: 1047، وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، بَاب فِي فَضْلِ الْجُمُعَةِ، رقم: 1085، وكتاب الجنائز، بَاب ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ ﷺ، رقم: 1636، والحديث صحيح (انظر: السلسلة الصحيحة، ج4، برقم: 1527). ولطرفه الشاهد هنا شاهد من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ، (انظره وتخريجه عند العلامة ابن القيم –رحمه الله- في جلاء الأفهام في الموطن 18 من مواطن الصلاة عليه ﷺ: يوم الجمعة، ص481، وعند الشيخ الألباني –الإحالة السابقة-).

[4] سنن ابن ماجه: وكتاب الجنائز، بَاب ذِكْرِ وَفَاتِهِ وَدَفْنِهِ ﷺ، رقم: 1636، والحديث مرسلٌ مِن وجهين لكنّ غالبه في الحديث الصحيح الذي قبله (انظر كلام البوصيري عنه: في مصباح الزجاجة، ج1، ص 651).

[5] سنن النسائي: كتاب السهو، بَاب السَّلامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، رقم: 1282، وهو صحيح، (انظر: السلسلة الصحيحة، ج6، ص842-843، برقم: 2853، وقد ذكر له شاهدًا عن ابن عباس رضي الله عنهما).

رابعًا: عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله : " **إنّ الله وكَّل بقبري ملكًا أعطاه الله أسماء الخلائق، فلا يصلي علي أحدٌ إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه؛ هذا فلان بن فلان قد صلَّى عليك** "[1].

إلى أحاديث أخر في هذا الباب متعددة. وهي تدلّ على أنّ الرسول يُبلَّغ سلام البعيد، ويسمع سلام القريب منه، لولا أنّ الله أحاطه بثلاثة جدران، فكان لا وصول لأحد إليه، ولقد جاء أنّ ناسًا مِن الصحابة يوم ألقي جِيَف كفار قريش في القليب ببدر ما كانوا بأسمع لكلام النبيِّ الذي كلمهم مِنهم، والميت إذا تولى عنه أصحابه يسمع قرع نعالهم، والمسألة خلافية بين الصحابة[2]، وإنْ ترجح

---

[1] البحر الزخار، المشهور بمسند البزار: مسند عمار منه، رقم: 1274، وقال بعد إيراد الحديث: « وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عمار إلا بهذا الإسناد »، وقد أورده الشيخ الألباني في كتاب الدعاء من صحيح الترغيب والترهيب، برقم:1667، ج2/136).

[2] **مسألة سماع الموتى** مختلف فيها بين الصحابة، حيث خالفت عائشة ابن عمر وغيره ، حتى نسبتْـه إلى الوهم، وإنْ كان قولها هو المرجوح، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- بعدما ذكر الذين على قول ابن عمر وأدلتهم، قال: « وَعَائِشَةُ تَأَوَّلَتْ فِيمَا ذَكَرَتْهُ كَمَا تَأَوَّلَتْ أَمْثَالَ ذَلِكَ. وَالنَّصُّ الصَّحِيحُ عَنْ النَّبِيِّ مُقَدَّمٌ عَلَى تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَنْفِي ذَلِكَ فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ [النمل:80]. إنَّمَا أَرَادَ بِهِ السَّمَاعَ الْمُعْتَادَ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، فَإِنَّ هَذَا مَثَلٌ ضُرِبَ لِلْكُفَّارِ، وَالْكُفَّارُ تَسْمَعُ الصَّوْتَ، لَكِنْ لا تَسْمَعُ سَمَاعَ قَبُولٍ بِفِقْهٍ وَاتِّبَاعٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [البقرة: ١٧١]. فَهَكَذَا الْمَوْتَى الَّذِينَ ضَرَبَ لَهُمْ الْمَثَلَ لا يَجِبُ أَنْ يُنْفَى عَنْهُمْ جَمِيعُ السَّمَاعِ الْمُعْتَادِ أَنْوَاعَ السَّمَاعِ، كَمَا لَمْ يُنْفَ ذَلِكَ عَنْ الْكُفَّارِ؛ بَلْ قَدْ انْتَفَى عَنْهُمْ السَّمَاعُ الْمُعْتَادُ الَّذِي يَنْتَفِعُونَ بِهِ. وَأَمَّا سَمَاعٌ آخَرُ فَلا يُنْفَى عَنْهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ الْمَيِّتَ **يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**، فَهَذَا مُوَافِقٌ لِهَذَا فَكَيْفَ يَدْفَعُ ذَلِكَ؟ وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ: إنَّ الْمَيِّتَ فِي قَبْرِهِ لا يَسْمَعُ مَا دَامَ مَيِّتًا كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ، وَاسْتَدَلَّتْ بِهِ مِنْ الْقُرْآنِ، وَأَمَّا إذَا أَحْيَاهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ كَمَا قَالَ قتادة: أَحْيَاهُمْ اللَّهُ لَهُ. وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ لا يَسْمَعُونَ بِهَا، كَمَا نَحْنُ لا نَرَى الْمَلائِكَةَ وَالْجِنَّ، وَلا نَعْلَمُ مَا يُحِسُّ بِهِ الْمَيِّتُ فِي مَنَامِهِ، وَكَمَا لا يَعْلَمُ الإِنْسَانُ مَا فِي قَلْبِ الآخَرِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. »، (مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج4/ ص298-299)، وقد ذكر القول الراجح في المسألة، وأجاب على أدلة القول الثاني الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان، ج6/ 466-486،

سماع الموتى لما يقال قريبًا من قبورهم على عدم السماع. والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ الشيخ سليمان –رحمه الله- حديث " **مَن صلّى عليَّ عند قبري سمعتُه، ومَن صلّى عليَّ غائبًا بُلِّغْتُه** " عن أبي هريرة مرفوعًا، وأشار إلى وضعه، وقال: « على أنّ معناه صحيحٌ معلومٌ مِن أحاديث أُخَر، كإخباره بسماع الموتى لسلام مَن يُسلِّم عليهم إذا مرّ على قبورهم. **فإنْ قيل**: إذا سمع سلام المسلِّمِ عليه عند قبره حصلت المزيّة بسماعه؟ **قيل**: هذا لو حصل الوصول إلى قبره، أما وقد منع الناس من الوصول إليه بثلاثة الجدران فلا تحصل مزية، **فسواء سلّم عليه عند قبره، أو في مسجده إذا دخله، أو في أقصى المشرق والمغرب، فالكل يبلغه كما وردت به الأحاديث، وليس في شيء منها أنه يسمع صوت المصلي والمسلِّمِ بنفسه، إنما فيها أنَّ ذلك يُعرض عليه ويبلغه **، ومعلومٌ أنَّه أراد بذلك الصلاة والسلام الذي أمر الله به؛ سواء صلّى عليه في مسجده، أو في مدينته، أو في مكان آخر؛ فعُلم أنَّ ما أمر الله به من ذلك فإنَّه يبلغه، وأما من سلّم عليه عند قبره فإنه يرُدُّ عليه، وذلك كالسلام على سائر المؤمنين، ليس هو من خصائصه، ولكن لا يوصل إلى قبره »[1].

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله-: بعد ذكره أكثر أحاديث الباب: « فهذه الأحاديث تدل على أنَّ الصلاة و السلام يُعرضان عليه، وإنَّ ذلك يصل حيثما كنا، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: " **ما من أحد يُسلِّم علي إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرُدّ عليه السلام** "[2]. وهذا الحديث هو الذي اعتمد عليه العلماء، كأحمد وأبي داود وغيرهما في السلام عليه عند قبره، وهو الذي اعتمد في زيارة قبره؛ إذ لم يكن معهم سنةٌ يستندون إليها في زيارة قبره إلا هذا الحديث. وبقية

ولابن القيم كلام طويل عن سماع الموتى في كتابه الروح، فلتراجع).

[1] (?) تيسير العزيز الحميد، ص298-299.

[2] (?) تقدم تخريجه.

الأحاديث التي رُويت في زيارة قبره ضعيفة بل موضوعة، أكثرُها وُضعت بعد أحمد وأمثاله. فهذه النصوص تدلّ على أنه يسمع سلامَ القريب، ويُـبَلَّغ سلام البعيد وصلاته، لا أنه يسمع ذلك من المصلِّي المسلِّمِ، وإذا لم يسمع سلام البعيد إلا بواسطة، فإنَّه لا يسمع دعاء الغائب واستغاثته بطريق الأولى والأحرى، والنص إنما دلّ على أنَّ الملائكة تُبلِغُه الصلاة والسلام. والحديث الذي فيه (ما من رجل يسلِّم علي إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرُدّ عليه السلام) فهموا مِن هذا الحديث السلام عليه عند قبره خاصةً، فلا يدلّ على البعيد. ثم نقول لا يخلو إما أنْ يكون الحديث عامًا في سلام البعيد والقريب، وإما أن يكون خاصًّا بالقريب؛ فإنْ كان الثانِي فلا حجة فيه على سماع خطاب البعيد بغير واسطة تبليغ الملائكة. وإنْ كان الأول فالحجة فيه أضعف من وجهين: **أحدهما:** أنَّه حينئذٍ لا يبقى السلام عند قبره بخصوصه حديثٌ ولا سنةٌ أصلا، بل لا يبقى فرق بين السلام عليه من القريب والبعيد، كما لم يُفرّق بين الصلاة من القريب والبعيد. لكن هذا خلافُ ما عُرِف من السنة، وخلاف ما عليه الأئمة من استحباب السلام عليه عند قبره، فإنَّه قد سنَّ إذا زار القبور زائرٌ مطلقًا أنْ يُسلِّم عليهم، وكان ﷺ يخرج إلى أهل البقيع يسلِّم عليهم ويدعو لهم. فكيف لا يُسلَّم على الميت عند قبره! وقد كان الصحابة يسلِّمون عليه عند قبره، وقد كان ابن عمر يقول: **السلام عليك يا رسول الله! السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت**. رواه مالك عن نافع عنه، ورواه أحمد وغيرُه. **الثاني:** إن الذي في الحديث أنَّ الله يرُدُّ عليه روحَه ليرُدّ السلام، وهذا قد يكون بتوسط تبليغ الملائكة وقد يكون بمباشرته هو سماع المسلِّم، وإذا احتمل الأمرين فتعيين أحدِهما مما يفتقر إلى دليلٍ. والأحاديث المتقدمة تدلّ على أنَّ صلاة البعيد وسلامه معروض عليه، مبلَّغٌ إليه بواسطة الملائكة، وذلك ينفي السماع مباشرة من غير تبليغ؛ فإنْ كان يسمع كلام المخاطب بنفسه لم يحتج إلى واسطة. والمقصود هنا أنَّ هذا المحتج لم يحرِّر أدلته تحريرًا ينفي عنها الإجمال

والالتباس، حتى يتبين ما فيها من الضلال والإضلال لجميع الناس »[1].

الفائدة الثانية: شرح ما جاء في الحديث مِن قوله ﷺ: "لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا":

كما نَهَتْ الشريعة الإسلامية عن اتخاذ القبور وغيرها أعيادًا، بالنهي عن قصدها بذكر الله، والدعاء، والصلاة، وقراءة القرآن، وغير ذلك سدًّا لذريعة التوجُّه إلى المقبور بذلك بدَلا مِن ربه، وكما جاءت وأمَرت باتخاذ المساجد، ومصلى العيدين، والكعبة، ومقام إبراهيم، والصفا والمروة، ومنى وعرفات ومزدلفة أعيادًا مكانـية؛ فـإنها كذلك شرَعَت قصد البيوت بذكر الله، وصلاة النوافل من الرواتب، وقيام الليل، وغير ذلك، وقراءة القرآن، كي لا تكون البيوت كالقبور خالية عن ذكر الله بهذا المعنى العام[2].

وقد جاء النهي الصريح عن اتخاذ وجعل البيوت قبورًا في الروايات الخمس للحديث، والتي أوردتها في بداية هذا المطلب، وجاء ذلك في حديث ابن عمر وأبي هريرة ﷺ الآتيَـيْن، بل تواتر النهي منه ﷺ عن ذلك. فقد جاء ذلك هنا مقرونًا بالنهي عن اتخاذ قبـره ﷺ عيدًا، وملخص ألفاظها كالتالي: " **لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا** " و" **لا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِر** " و**لا تتخذوا بيوتكم قبورًا**[3].

والبيوت تكون قد اتُّخذت وجُعلت قبورًا إذا دُفِن فيها، وكذا **إذا** امتُنع فيها من الصلاة ذات الركوع، ومن الذكر والدعاء عمومًا، وقراءة القرآن خصوصًا، وغير ذلك، قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « ثم إنه قرَن ذلك بقوله ﷺ: "**ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا** " أي: لا تُعطِّلوها عن الصلاة فيها، والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور؛ فأمر بتحرِّي العبادة في البيوت، ونهى عن تحرِّيها عند

---

[1] تلخيص كتاب الاستغاثة، ص120-122، ونصفه الأول مكرر ومذكور قبله في ص35.

[2] انظر: أهمية توحيد العبادة للشيخ عبد المحسن البدر، ص51.

[3] وقد تقدم تخريج هذه الألفاظ في المسألة الأولى.

القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم »[1] .

وعَـن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " **اجْعَلُوا مِنْ صَلاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا** "[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ** "[3].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في التعليق عليه: « فَإِنَّ ظَاهِره يَقْتَضِي النَّهْي عَنْ الدَّفْن فِي الْبُيُوت مُطْلَقًا »[4].

وقال الشيخ عبد الرحمن المباركفوري –رحمه الله- في شرح الحديث: « قَوْلُهُ: " **لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ** " أَيْ: خَالِيَةً عَنْ الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ، فَتَكُونُ كَالْمَقَابِرِ، وَتَكُونُونَ كَالْمَوْتَى فِيهَا. أَوْ مَعْنَاهُ: لا تَدْفِنُوا مَوْتَاكُمْ فِيهَا. وَيَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الأَوَّلِ قَوْلُهُ: " **وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ الْبَقَرَةُ فِيهِ لا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ** "، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: " **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ** " »[5] .

وعَنْ ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: « حَفِظْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ رَكَعَاتٍ؛ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الصُّبْحِ؛ وَكَانَتْ سَاعَةً لا يُدْخَلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا، حَدَّثَتْنِي حَفْصَةُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَطَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ »، متفق عليه، وفي لفظ مسلم: عنه رضي الله عنهما قَالَ: « صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ

---

1 (?) اقتضاء الصراط المستقيم، 265، ونقل عنه ابنُ عبد الهادي في الصارم المنكي، ص490.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَاب كراهية الصلاة في المقابر، رقم: 432، وصحيح مسلم: واللفظ له، الكتاب نفسه، بَاب اسْتِحْبَابِ صَلاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ، رقم: 777.

3 (?) صحيح مسلم: المصدر نفسه، ورقمه: 780 .

4 (?) فتح الباري: (ج1/ 741).

5 (?) تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي: (ج2/ ص2140).

اللَّهِ قَبْلَ الظُّهْرِ سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْعِشَاءِ سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْجُمُعَةِ سَجْدَتَيْنِ، فَأَمَّا الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَالْجُمُعَةُ فَصَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ فِي بَيْتِهِ »[1].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ اتَّخَذَ حُجْرَةً قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ حَصِيرٍ فِي رَمَضَانَ فَصَلَّى فِيهَا لَيَالِيَ، فَصَلَّى بِصَلاتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: " **قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ؛ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاةِ صَلاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلا الْمَكْتُوبَةَ** "[2].

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلاةَ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاتِهِ خَيْرًا** "[3].

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: " **مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ** "[4].

وهذه الأحاديث كلُّها على خلاف الأحاديث التي تنهى عن اتخاذ القبور مساجد وأعيادًا، فهذه تأمر بقصد البيوت بذكر الله ودعائه والصلاة فيها، وقراءة القرآن وغير ذلك، وتلك تنهى عن قصد القبور بها، وفعلها عندها.

وهذا مجمل عقيدة أهل السنة في هذه المسألة، خلافًا للقبورية المخالفين لعقيدة المسلمين. ثم ماذا

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب التهجد، بَاب الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، رقم: 1180، وقبله في كتاب الجمعة بأخصر منه، بَاب الصَّلاةِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ وَقَبْلَهَا، رقم: 937، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب فَضْلِ السُّنَنِ الرَّاتِبَةِ قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَبَعْدَهُنَّ وَبَيَانِ عَدَدِهِنَّ، رقم: 729، واللفظ للبخاري.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب صَلاةِ اللَّيْلِ، رقم: 731، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 781.

3 (?) صحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 778.

4 (?) صحيح البخاري بلفظ مختلف: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ، رقم: 6407، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، رقم: 779.

ستقول الرافضة القبورية عن فهم مَن ذكرت من أئمة أهل البيت الذين يدّعون -زورًا وبهتانًا- أنهم أئمتهم، وأنّهم هم الموالون لهم لا غيرهم؟!

** * **

المطلب السادس: مسألة التبرُّك بالعبد الرسول محمدٍ ﷺ:

اقتضى النظر في هذا العنوان إلى جعله تحت تَمهيدٍ ومسألتَين، على النحو التالي:

مسألة تَمهيديّة في التعريف بالتبرّك.

المسألة الأولى: بركة النبِيّ ﷺ وتبرُّك الصحابة ﷺ بجسده الشريف، وما لامسه.

المسألة الثانية: مسائل لَها علاقة بالتبرك بعبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ.

مسألة تَمهيديّة في التعريف بالتبرّك:

التبرُّك: تَفَعُّلٌ من تبرّك يتبرّك، الذي هو تيمّنٌ وتفاؤُل خيرًا، وإذا قيل: تبرك به فمعناه: تيَمّنَ به وتفاءل خيرًا[1]. وأصله من البركة التي هي النماء والزيادة والسعادة[2]، وبرَك السماءُ: دام مطرُها[3]، قال ابن فارس: « الباء والراء والكاف أصلٌ واحدٌ، وهو ثبات الشيء، ثم يتفرّع فروعًا يقارب بعضُها بعضًا »[4]. وبارك الله الشيء، وبارك فيه، وعليه، وله: جعل فيه الخير والبركة[5]. وبرّك فيه وعليه، والتبريك أيضًا: دعاء بالبركة[6].

وجمع أكثر هذه المعاني في كلام له وجيز صاحبُ القاموس فقال: «البرَكة: -محرّكةٌ- النماء والزيادة والسعادة. والتبريك: الدعاء بها. وبريكٌ: مبارَكٌ فيه.وبارك الله لك، وفيك، وعليك، وباركك، وبارك على محمد وعلى آل محمد: أدِم له ما أعطيتَه من التشريف والكرامة.

---

1 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة برك، ص88، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص51.

2 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة برك، ص88، ومقاييس اللغة، المادة نفسها، ص125، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص52.

3 (?) انظر: المعجم الوسيط، مادة برك، ص51.

4 (?) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة برك، ص124.

5 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة برك، ص88، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص51.

6 (?) انظر: الصحاح للجوهري، مادة برك، ص88، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص51.

وتبارك الله: تقدس وتنزّه،صفة خاصة بالله تعالى. وبالشيء: تفاءل به»[1].

فالتبرك هو: اعتقاد البركة في الشيء ورجاؤه منه وقصده لذلك؛ فيكون (تبرّك به) بمعنى: اعتقد البركة فيه وطلبها ورجا حصولها منه.

وبعد التعريف بالتبرك فأنتقل إلى المسألة الأولى، والتي هي:

المسألة الأولى: بركة النبِيّ وتبرُّك الصحابة بجسده الشريف، وما لامسه:

عبدُ الله ورسوله نبينا محمدٌ مبارَكٌ حسًّا ومعنى، فذاتُه وآثارُه، وكتابُه وسنته برَكَاتٌ مباركات، والبركَةُ مِن الله . والصحابة تبرّكوا به وبأثره وما لامسه جسدُه الشريف (أي: اعتقدوا البركة فيه وطلبوها ورجوا حصولها منه)، وقد حصلوا عليها[2].

وإن مما يدل على بركات دينه كتابًا وسنة، ما:

وصَفَ الله القرآن الذي جاء به هذا النبِيّ الكريم بالبركة، في أربعة مواضع، فقال: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﭼ [الأنعام: ٩٢] الآية. وقال: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ   ﭼ [الأنعام: ١٥٥]. وقال:ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ [الأنبياء: ٥٠]. وقال: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﭺ ﭼ [ص: ٢٩].

وقد ذكر الله في هذه الآيات أنّه أنزل هذا الذكر، لفظَه، ومعناه المتضمِّن لجميع السنة النبوية مبارَكًا ليُتدبَّر فيُتذكَّر، وليُتَّبع فيُتَّقى. وكم سَعِد بِهذين الوحيَين المبارَكين-الكتاب والسنة- في الدنيا والآخرة المؤمنون؟ وكم شقِي في الدنيا والآخرة بعدم اتباعهما الكافرون؟ ولا بركة -دنيوية كانت أو أخروية- في غير اتباعهما ولزوم منهجهما. فاللهم يا ولِيَّ الصالحين، يا كريم فاجعلنا مِن أهلك؛ أهل القرآن!

فالمسلم بإسلامه وعمله واتباعه للرسول يناله شيءٌ مِن بركة الله، ففي جاء مرفوعًا: **"إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ**

---

[1] (?) القاموس المحيط، مادة برك، ص859.

[2] (?) انظر: تيسير العزيز الحميد، 140 (شرح عنوان باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما).

لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ" فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[1].

وأما ما يدلُّ على برَكَةِ ذات رسول الله ﷺ وآثاره وما لامسهُ جسدُه الشريف فأدلةٌ كثيرةٌ وردت في السنة، فنبيّنا محمدٌ ﷺ مبارَكٌ كلُّه؛ فـيَدُهُ مباركةٌ، ويُتبرَّك بها، فـعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا »، متفقٌ عليه[2]، وهذا لفظ البخاري. وفي رواية مسلم: « لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي ». وهكذا بقية أعضائه الشريفة ﷺ.

وقد أثبت أهل السنة والجماعة التبرُّك بِهذا النبِيِّ المبارَك، ومثَّل ذلك عمليًّا الصحابة ﷺ الذين فازوا بلُقياه، وسأذكر نماذج من تبرك الصحابة ﷺ به، فأقول:

نَماذجِ من تبرُّك الصحابة ﷺ بعبد الله ورسوله نبينا محمد المبارك، وحصولهم على البركة، -وهو أيضًا دليلٌ على عظيم حبِّهم له ﷺ، كما سيأتي في مبحث: (أهل السنة والجماعة يُحبون عبد الله ورسوله ﷺ فوق المحبوبات المخلوقة)، من الفصل القادم-**:**

أولا: تبرَّكَ الصحابةُ ﷺ بوضع النبِيِّ ﷺ يده الشريفة في مياههم: في صحيح مسلم باب بعنوان: (قُرْبِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنَ النَّاسِ وَتَبَرُّكِهِمْ بِهِ)**،** وتَحْتَه، حديثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ؛ فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ؛ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا[3].

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، بَاب أَكْلِ الْجُمَّارِ، رقم: 5444، وصحيح مسلم: كتاب صفة القيامة، باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم: 2811.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الطب، بَاب الرُّقَى بِالْقُرْآنِ وَالْمُعَوِّذَاتِ، رقم: 5735 ، وصحيح مسلم: كتاب السلام، باب رُقْيَةِ الْمَرِيضِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَالنَّفْثِ، رقم: 2192 .

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، رقم: 2324 .

ثانيًا: وتبرّكوا بالموضع الذي وضع فيه فمه : وعَنْ كَبْشَةَ الأَنْصَارِيَّة[1] رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ »[2]. قال الراوي عنها: « تَبْتَغِي بَرَكَةَ مَوْضِعِ فِي رَسُولِ اللَّهِ »[3].

وقال النووي –رحمه الله-: « وإنما قطعَـتْها: لتحفظ موضع فَم رسول الله ، وتتبرك به، وتصونه عن الابتذال»[4].

ثالثًا: وتبركوا بفضل وَضوئه وبيدَيه الشريفتين: ويشهد له ما جاء من أنّه « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْهَاجِرَةِ إِلَى الْبَطْحَاءِ[5] ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ ..وفيه: **وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ،** قَالَ: **فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي؛ فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنْ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنْ الْمِسْكِ** » متفق عليه[6].

قال النووي –رحمه الله- في شرح رواية مسلم للحديث: « قَوْله : " **فَمِنْ نَائِل وَنَاضِح** " مَعْنَاهُ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَنَال مِنْهُ شَيْئًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْضَح عَلَيْهِ غَيْرُه شَيْئًا مِمَّا

---

[1] (?) **كبشة** -ويقال بالتصغير- بنت ثابت بن المنذر بن حرام، الأنصارية، أخت حسان لأبيه من بني مالك بن النجار، لها صحبة وحديث، وكانت تُعرَف: بالبرصاء. أخرج حديثها الترمذي وابن ماجه وأحمد. (انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ص934، برقم: 3440، والإصابة لابن حجر، -ج14/ص155-156، برقم: 11803، ورقم ترجمتها في التقريب: 8668).

[2] (?) جامع الترمذي: كتاب الأشربة، بَاب مَا جَاءَ فِي الرُّخْصَةِ فِي ذَلِكَ، وقبله:باب فِي النَّهْي عَنْ اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ، رقم: 1892، وسنن ابن ماجه: كتاب الأشربة: باب الشرب قائمًا، رقم: 3423، وصححه الترمذي.

[3] (?) سنن ابن ماجه: الكتاب والباب.

[4] (?) رياض الصالحين للنووي، ص334.

[5] (?) قال النووي –رحمه الله- :« هُوَ الْمَوْضِع الْمَعْرُوف عَلَى بَاب مَكَّة » وَهُوَ بِالأَبْطُحِ، -كما في الرواية الثانية. (المنهاج: ص 394).

[6] (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب صِفَةِ النَّبِيِّ ، رقم: 3553، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب سترة المصلِّي، رقم: 503، واللفظ للبخاري .

نَالَهُ، وَيَرُشّ عَلَيْهِ بَلَلا مِمَّا حَصَلَ لَهُ »[1]. وَهذا هُوَ مَعْنَى مَا جَاءَ فِي الْحَدِيث الآخَر: **فَمَنْ أصاب منه شيئًا تمسّح به، ومَن لَمْ يُصِبْ منه أَخَذَ مِنْ بلل يَد صَاحِبه**[2].

رابعًا: تبركوا بنُخامته ﷺ وبوَضوئه: ويشهد له ما في البخاري مِن حديث طويل في قصة صلح الحديبيّة [3]. وفيه: « ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: **فَوَ اللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَه،** وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، **وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ،** ..»الحديث.

وقد سأل الصحابةَ ﷺ الرسولُ ﷺ عن سبَبِ ابتدارهم نخامتَه ووَضوءَه، ومسحَهُم بها وجوههم وجلودهم؛ فقال: " **لِم تفعلون هذا؟** " قالوا: نلتمس به البركة، فقال رسول الله ﷺ: " **من أحبَّ أن يُحبَّه الله ورسولُه؛ فليصدق الحديث، وليُؤَدِّ الأمانة، ولا يُؤْذِ جارَه** " – كما في رواية لعبد الرزاق في المصنَّف، والبيهقي في الشعب[4]-.

وقال أحد الصحابة[5] أنّه ذَهَبَتْ بِه خَالَتُه إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي <u>وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ؛ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ،</u> ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زِرِّ الْحَجَلَةِ »[6].

---

1 (?) المنهاج للنووي، مصدر سابق.

2 (?) صحيح مسلم: مصدر نفسه.

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الشروط، بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ، وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، رقم: 2731، و2732.

4 (?) كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي، باب الغناء والدف، رقم: 19748، وشعب الإيمان للبيهقي: في: باب في تعظيم النبيِّ ﷺ، رقم: 1534، وباب في إكرام الجار، 9551.

5 (?) هو السَّائِب بْن يَزِيدَ ﷺ.

6 (?) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، بابٌ (بدون ترجمة) وقبله: بَاب اسْتِعْمَالِ فَضْلِ وَضُوءِ النَّاسِ، رقم: 190، وتكرر الحديث في كتاب الدعوات، بَاب الدُّعَاءِ لِلصِّبْيَانِ بِالْبَرَكَةِ وَمَسْحِ رُءُوسِهِمْ، برقم: 6352. وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب إِثْبَاتِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ وَصِفَتِهِ وَمَحِلِّهِ مِنْ جَسَدِهِ ﷺ، رقم: 2345.

خامسًا: وتبركُوا بريقه ﷺ: ويشهد له ما جاء منْ حديث أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: وُلِدَ لِي غُلامٌ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ، فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ، .."الحديث[1].

وعَنْ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: «كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، -وَالْحُدَيْبِيَةُ: بِئْرٌ- فَنَزَحْنَاهَا حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً،فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ الْبِئْرِ،فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي الْبِئْرِ،فَمَكَثْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوِينَا،وَرَوَتْ -أَوْ صَدَرَتْ- رَكَائِبُنَا»[2].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ r كَانَ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ، وَيُحَنِّكُهُمْ[3]. ولقد قال أحدُهم:

وريقُه شفَى عينَ الإمام عليّ

وشاهده ما في الصحيحين عن سَهْل بْن سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: " **أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟** " فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ؛ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ... الحديث[4].

سادسًا: تبرّكُوا بعَرَقه ﷺ وبشَعره: ويشهد له ما جاء عن ثابت البناني عَنْ أَنَسِ بن مالك أَنَّ أُمَّ سُلَيْم رضي الله عنهما كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نِطَعًا؛ فَيَقِيلُ عِنْدَهَا

---

1 (?) صحيح البخاري: كِتَاب الْعَقِيقَةِ، بَاب تَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ غَدَاةَ يُولَدُ لِمَنْ لَمْ يَعُقَّ عَنْهُ وَتَحْنِيكِهِ، رقم: 5467، وصحيح مسلم: كتاب الآداب، باب اسْتِحْبَابِ تَحْنِيكِ الْمَوْلُودِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ، رقم: 2145 .

2 (?) صحيح البخاري: كتاب المناقب، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، ورقمه: 3577.

3 (?) صحيح مسلم: المصدر نفسه، ورقمه: 2147 .

4 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ خَيْبَرَ، ورقمه: 4210. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ورقمه: 2406 .

عَلَى ذَلِكَ النِّطَعِ. قَالَ: فَإِذَا نَامَ النَّبِيُّ أَخَذْتُ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعَرِهِ؛ فَجَمَعْتُهُ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَمَعْتُهُ فِي سُكٍّ. قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ الْوَفَاةُ أَوْصَى إِلَيَّ أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذَلِكَ السُّكِّ، قَالَ: فَجُعِلَ فِي حَنُوطِهِ » متفق عليه[1].

وفي رواية عند مسلم أتمّ مِن السابقة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا، وَلَيْسَتْ فِيهِ، قال: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا فَأُتِيَتْ؛ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ نَامَ فِي بَيْتِكِ عَلَى فِرَاشِكِ، قال: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا، فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا فَفَزِعَ النَّبِيُّ ، فَقَالَ: " **مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟ ".** فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا! قَالَ « أَصَبْتِ!**! "**[2].

سابعًا: مِن شواهد تبرُّكهم بشعره أيضًا: ما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حلق رأسَه لتمام نسكِه؛ فَبَدَأَ بِالشِّقِّ الأَيْمَنِ فَوَزَّعَهُ الشَّعَرَةَ وَالشَّعَرَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: بِالأَيْسَرِ فَصَنَعَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: " هَا هُنَا أَبُو طَلْحَةَ "، فَدَفَعَهُ إِلَى أَبِى طَلْحَةَ. وفي رواية قَالَ له: " **اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ** " رواه مسلم[3].

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان، باب من زار قومًا فقال عندهم، ورقمه: ، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب طِيبِ عَرَقِ النَّبِيِّ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ، ورقمه: 2331 .

2 (?) صحيح مسلم: الكتاب والباب .

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب بَيَانِ أَنَّ السُّنَّةَ يَوْمَ النَّحْرِ أَنْ يَرْمِيَ، ثُمَّ يَنْحَرَ، ثُمَّ يَحْلِقَ. وَالاِبْتِدَاءِ فِي الْحَلْقِ بِالْجَانِبِ الأَيْمَنِ مِنْ رَأْسِ الْمَحْلُوقِ، ورقمه: 1305 .

وعَن ابْنِ سِيرِينَ[1] قَالَ: قُلْتُ لِعَبِيدَةَ[2]: «عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ، أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ »،فَقَالَ: «لأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[3].

ثامنًا: وتبرّكُوا بدعائه : فقد وقع هذا كثيرًا، ومنها أنّه لَما أعيا بعيرُ جابرٍ وعلِل، حكى قصته فقَالَ: « غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ: فَتَلاحَقَ بِيَ النَّبِيُّ وَأَنَا عَلَى نَاضِحٍ لَنَا قَدْ أَعْيَا فَلا يَكَادُ يَسِيرُ، فَقَالَ لِي: " **مَا لِبَعِيرِكَ؟** " قَالَ: قُلْتُ: عَيِيَ. قَالَ: " فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ فَزَجَرَهُ وَدَعَا لَهُ، فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيْ الإِبِلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ. فَقَالَ لِي: " **كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ؟** " قَالَ: قُلْتُ: **بِخَيْرٍ قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ** »[4].

تاسعًا: وتبركُوا بِملابسه : فـعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ: « جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ بِبُرْدَةٍ[5]، .. الحديث. وفيه: فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَحْسَنَ هَذِهِ؛ فَاكْسُنِيهَا. فَقَالَ: " **نَعَمْ** ". فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ لامَهُ أَصْحَابُهُ. قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا -وَقَدْ

---

1 (?) **محمد بن سيرين**، مِن كبار التابعين، أخذ عن أنس بن مالك وغيره. وسيرين (والد محمد هذا)مولى لأنس بن مالك ربيب أبي طلحة الذي حصل على شعر النبي لما حلق رأسه، فقد بقي هذا الشعر عنده، ثم في أهل بيته، حتى انتقل إلى مواليهم. (انظر: فتح الباري، ج1 / ص567).

2 (?) **عبِيْدَة بن عمرو السلماني** -بسكون اللام، ويقال بفتحها- أبو عمرو الكوفي، تابعيٌّ كبير مخضرمٌ، فقيه ثبت، كان شُريح القاضي إذا أشكل عليه شيءٌ يسأله. الصحيح أنه مات قبل سنة 70هـ (انظر: تقريب التهذيب، ص320، برقم4412).

3 (?) صحيح البخاري: كتاب الوضوء، بَاب الْمَاءِ الَّذِي يُغْسَلُ بِهِ شَعَرُ الإِنْسَانِ، رقم: 170 .

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَاب اسْتِئْذَانِ الرَّجُلِ الإِمَامَ، رقم: 2967.

5 (?) وقد جاء شرح البردة في الحديث، في قول صحابِيِّه : « هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا ».

عَرَفْتَ أَنَّهُ لا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ- فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا »[1].

عاشرًا: وتبركوا بالصلاة في الأماكن التي قصَدَها ﷺ، أما التي لم يقصدها بل اتفق أنه أقام بها فلا: فعن عِتْبَان بْن مَالِكٍ ﷺ -وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْأَنْصَارِ- أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **سَأَفْعَلُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ-** قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: " **أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟** قَالَ: فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ الْبَيْتِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَبَّرَ فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ. قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ: فَثَابَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا..» [2].

وعنْونَ البخاري في صحيحه، فقال: « بَاب مَا ذُكِرَ مِنْ دِرْعِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَصَاهُ وَسَيْفِهِ وَقَدَحِهِ وَخَاتَمِهِ، وَمَا اسْتَعْمَلَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ قِسْمَتُهُ، وَمِنْ شَعَرِهِ، وَنَعْلِهِ، وَآنِيَتِهِ، مِمَّا يَتَبَرَّكُ أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ »[3]، ثم أورد طائفة من الأحاديث بذلك.

إلى غير ما تقدم من الآثار الجسدية لرسول البشرية (الشعر والريق والنخامة وكلّ ما مسّه جسدُه الشريف من وَضُوءٍ وثيابٍ ونعال وغيرها) التي ظفِر الصحابة ﷺ بها وتبركوا بها ووجدوا بركتها، بل

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنْ الْبُخْلِ، رقم: 6036.

[2] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَاب الْمَسَاجِدِ فِي الْبُيُوتِ، رقم: 425 . وصح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، رقم: 33 .

[3] صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، (البخاري مع الفتح، ج2/ ص 2357).

وأرشدهم النبيُّ إلى ذلك وأقرّهم عليها. كما أنّ فيها أنّ مَن وصلَه شيءٌ منها من التابعين كابن سيرين والخلفاء ومَن بعدهم تبركوا بها[1]. ثم إنّها انقرضت، ولَم يكن لها وجودٌ على الحقيقة؛ فصار لا مجال للتعلق بها؛ حيث لا سند يُثبت صحة نسبة ما يُزعَم نسبته إليه اليوم[2]. وقد فصّلتُ ذلك عند ذكر (بِدَع وابتداع الفرقة البريلوية الصوفية)، بِما أغنى عن الإعادة هنا.

والنبِيُّ أقرِّ الصحابة في كلِّ ما تقدم –كما هو واضحٌ مِن الروايات-، فثبت بذلك التبرُّك بآثاره وما لامسه جسدُه الشريف. وكان على القول بصحته وشرعيته الصحابة ، ومَن جاءوا بعدهم بإحسان مِن أهل السنة والجماعة. وهي خاصة به -كما سيأتي-.

المسألة الثانية: مسائل لَها علاقة بالتبرك بعبد الله ورسوله نبينا محمد :

بعد سرد تلك الأحاديث الحاوية التبرُّك بالعبد المبارَك محمدٍ مِن قِبَل الصحابة الكرام ، وبعض السلف الذين وصَلَهم بعضُ آثاره، قبل انقراضها: يجدر الإشارة إلى أنّ التبرك بما لامسه جسَدُ النبِيِّ الشريف بعد مرور الزمن مِن وفاته وعدم حِفاظ ذلك بالسند الصحيح، إنَّ ذلك لا يجوز. وتقدم القول الفصل في مبحث البريلوية القائلين بأنّ عندهم شعراتٌ منه بلا برهان من الله. وفعلهم من أنواع ما يسمى بالتبرك غير المشروع[3]. **هذا أولا**.

وثانيًا: ويبقى التبرك بكتاب الله وسنة رسوله (وهما الأثران النبويّان الحقيقان بتتبعهما واتباعهما)؛

---

1 (?) انظر لنماذج تبرك التابعين وغيرهم ببعض الآثار التي وجدوا: صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، (البخاري مع الفتح، ج2/ ص2357-2358).

2 (?) انظر: التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة، للشيخ عبد المحسن البدر، ج4/215-216 (ضمن كتبه ورسائله)، ومبحث: تبرك الصحابة به في حياته، والتبرك بآثاره بعد وفاته من باب: التبرك المشروع، 243-260. من كتاب: التبرك أنواعه وأحكامه د. ناصر الجديع). وعنوان: التبرك بآثار النبي من كتاب: التبرك المشروع والممنوع، ص12-34.

3 (?) لاحظ ذلك في المراجع التي في الحاشية اللاحقة.

بالاهتداء بهما، والسير على منهجهما حتى يسعد الإنسان ويُبَارَك له في حياته دنيًا وأخرى، والله تعالى أنزل هذا الكتاب المبارك لاتباعه، وهو والسنة النبوية باقيان إلى أن يُرفَع العلم، ويُسرَى على كتاب الله في ليلة. والله أعلم.

ثالثًا: هل يُقاس غير النبِيِّ عليه؟ الجواب: أنّه لا يقاس عليه غيره، -وقد تقدم شيءٌ من ذلك- لعدة أمور؟

أنّه لا يُقاس غيرُه عليه -سواء في ذلك مَن تُحقق من صلاحِهم أو مَن لَم يُتحقق-؛ لعدم المقاربة بين الرسول وغيره فضلا عن المساواة، ولأنَّ العبادة توقيفية. ولعدم معرفة أنّه بِماذا يُختم له، أبصلاحه المشاهد، أم ينتكس على عقبه، والله المستعان! كما أنّ الصحابة لم يتبرَّكوا بأبي بكر ولا بعُمر ولا بغيرهما مِن أهل الصلاح، فثبتَتِ الخصوصية. ولِما يُخشى مِن الفتنة على المتبرَّك به. فمسألة التبرُّك بالذات والآثار كالوَضوء وما لامسه الجسدُ كانت خاصة به -ثم انقرضت- دون غيره مِن العلماء والأولياء والصالحين[1].

** * **

[1] (?) انظر هذه المسائل: الاعتصام للشاطبي، (ج1/478-482)، وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان، (ص140-151 في شرحه لباب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما). وفتاوى نور على الدرب للشيخ عبد العزيز ابن باز (ج2 / 161-164)، فتوى رقم:55، و56، بترتيب الدكتور محمد الشويعر. وبلوغ السعادة مِن أدلة توحيد العبادة، للشيخ البُدير، ص319-320، وعقيدة الإمام ابن عبد البرِّ في التوحيد والإيمان –عرضًا ودراسةً- للدكتور سليمان بن عبد العزيز الغصن، ص237-245، حيث ناقش المصنِّف ابنَ عبد البرِّ في تجويزه التبرك بذوات الصالحين وآثارهم قياسًا على تبرك الصحابة بذات النبي وآثاره المنفصلة عنه والأماكن التي قصدها قصدًا، لا التي اتفق مجيؤه إليها، وبيَّن أنّ هذا القياس قياسٌ مع الفارق، لعدم المقاربة فضلا عن المساواة، ولأنه قد يُختم للصالح بخاتمة سوءٍ –والعياذ بالله-، ولأنَّ الصحابة لم يفعلوه بأبي بكر وعمر وبغيرهما وخوف الفتنة. وأما الأماكن فالتي قصدها يتبرَّك بها دون التي مرَّ بها اتفاقًا. وكتاب: التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة، للشيخ عبد المحسن البدر، ج 4/215-216 (ضمن كتبه ورسائله)، ومبحث التبرك بقبره ، والتبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها من باب: التبرك الممنوع، 316-358. (من كتاب: التبرك أنواعه وأحكامه د. ناصر الجديع). وعنوان: التبرك بآثار النبي من كتاب: التبرك المشروع والممنوع، ص12-34.

المطلب السابع: مسألة التوسل بالنبِيّ [1]**:**

ولبيان هذه المسألة كما ينبغي أتحدث عنها من خلال ثلاث مسائل، على النحو التالي:

المسألة الأولى: ذكر مفاهيم متنوعة عن التوسل والوسيلة (لغة، واصطلاحًا، وفي القرآن والسنة، وفي عُرف الصحابة ، وعند المتأخرين).

المسألة الثانية: صُورتان للتوسل الممنوع بالعبد الرسول وغيره، وحكمهما.

المسألة الثالثة: استعراض أنواع التوسل المشروع كبديل، بالإيجاز.

المسألة الأولى: ذكر مفاهيم متنوعة عن التوسل والوسيلة (لغة، واصطلاحًا، وفي القرآن والسنة، وفي عُرف الصحابة **،** وعند المتأخرين:

معنى التوسل في القرآن الكريم وفي السنة، وفي كلام الصحابة وعُرفهم، يختلف تمامًا لِما يعنيه المتأخرون الناكبون الصراط المستقيم. لذا لا بُدّ مِن بيان معناه في الكتاب والسنة وعُرف السلف من جهة، وبِيان معناه عند الخلف المبتدعين من جهة أخرى، فَمَن ذكر لفظة (التوسل) اليوم فإنّه قال كلمة مجملة، يجب استفصالُه، حيث يختلف حكمها، وإنْ كان المتأخّرون يعنون بها المعنى المخالف غالبًا، يقول شيخ الإسلام –رحمه الله- « فَصْلٌ: إذَا عُرِفَ هَذَا فَقَدَ تَبَيَّنَ أَنَّ لَفْظَ (الْوَسِيلَةِ) وَ (التَّوَسُّلِ) فِيهِ إجْمَالٌ وَاشْتِبَاهٌ يَجِبُ أَنْ تُعْرَفَ مَعَانِيهِ، وَيُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ؛ فَيُعْرَفُ مَا وَرَدَ بِهِ الْكِتَابُ

---

[1] (?) انظر عن التوسل المشروع والممنوع، المراجع التالية: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، والتوسل المشروع والتوسل الممنوع للإمام عبد العزيز ابن باز، والتوسل أنواعه وأحكامه (كامل الكتاب)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (ج1/ حديث رقم22-25) كلاهما للمحدث الشيخ الألباني، والتوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، لمِحمد نسيب الرفاعي، والقول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي، للشيخ محمد بن أحمد خضر، وكتاب هذه مفاهيمنا ردٌّ على كتاب مفاهيم يجب أن تصحح، لمِحمد بن علوي المالكي، تأليف الشيخ صالح آل الشيخ، ص 13-88، والمفيد في مهمات التوحيد للدكتور عبد القادر محمد عطا صوفي، ص215-222.

وَالسُّنَّةُ مِنْ ذَلِكَ وَمَعْنَاهُ، وَمَا كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ الصَّحَابَةُ وَيَفْعَلُونَهُ وَمَعْنَى ذَلِكَ، وَيُعْرَفُ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ فِي هَذَا اللَّفْظِ وَمَعْنَاهُ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ اضْطِرَابِ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْ الإِجْمَالِ وَالاشْتِرَاكِ فِي الأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا، حَتَّى تَجِدَ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْرِفُ فِي هَذَا الْبَابِ فَصْلَ الْخِطَابِ »[1].

وهذا ما يقتضي تقسيم النظر في التعريف بالتوسل والوسيلة إلى النظر:

أولا: النظر إلى معنى المادة في اللغة:

فالوسيلة والواسلة: المنـزلة عند الغير، ومنه: الملِك[2]، وجمعها: الوسيل والوسائل. والوسيلة: الدرجة والقربة.

وهي الرغبة والطلب أيضًا،إذْ يقال: وسَل إذا رغِب،والواسل:الراغب إلى الله [3].

وأما **التوسُّل**: فالتقرُّب، قال الفيروز أبادي –رحمه الله-: « ووسَّل إلى الله توسيلا: عمِل عملا تقرّب به إليه »[4].

والتوسُّل في القرآن الكريم، وفي سنة سيّد ولد آدم أجمعين، وعند شراح الحديث والمفسِّرين، والعلماء المعتبرين واللغويين، إنما هو التقرّب والتوصُّل إلى ربّ العالمين بطاعته وما شرَعه لعباده على لسان سيّد النبيين، صلوات ربي وسلامه وبركاته عليهم أجمعين، وكذلك المنزلة عند الملك، أو في الجنة[5]، وسيأتِي.

---

1 (?) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: ص83، بتخريج: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

2 (?) انظر: القاموس المحيط، مادة الوسيلة، ص985، والصحاح للجوهري، المادة نفسها، ص1139، والمنهاج للنووي في شرح الحديث، ص339.

3 (?) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة وسل، ص1091، .

4 (?) القاموس المحيط، مادة الوسيلة، ص985، وانظر: الصحاح للجوهري، المادة نفسها، ص1139.

5 (?) قد ذكَر نصوص هؤلاء –رحمهم الله- صاحبُ كتاب القول الجليّ في حكم التوسل بالنبي والولي (انظر: ص9، وما بعده).

ثانيًا: لفظة الوسيلة في القرآن، ومعناها:

لَفْظُ الْوَسِيلَةِ مَذْكُورة فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْله تَعَالَى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [المائدة: ٣٥]. وقَوْله: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ [الإسراء:56-٥٧].

فالوسيلة –كما تقدم-: القربة، ابتداءً بالإيمان والاستجابة لله ولرسوله ﷺ، وانتهاءً بامتثال كُلّ الأوامر، وقد أمَر الله المؤمنين بذلك كما في الآية الأولى. ومدح الذين يبتغون إليه القُربة بتحقيق التوحيد، والإيمان بهذا النبِيِّ وطاعته في كلِّ أمرٍ، كما في آية الإسراء.

ويقرر أنّ معناها (الوسيلة) في الآيتين: القربة شيخُ الإسلام، فيقول: « فَالْوَسِيلَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُبْتَغَى إلَيْهِ، وَأَخْبَرَ عَنْ مَلائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ أَنَّهُمْ يَبْتَغُونَهَا إلَيْهِ، هِيَ: مَا يُتَقَرَّبُ إلَيْهِ مِنْ الْوَاجِبَاتِ والمستحبات. فَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِابْتِغَائِهَا تَتَنَاوَلُ كُلَّ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ، وَمَا لَيْسَ بِوَاجِبِ وَلا مُسْتَحَبٍّ لا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ، سَوَاءٌ كَانَ مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوهًا أَوْ مُبَاحًا. فَالْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحَبُّ هُوَ مَا شَرَعَهُ الرَّسُولُ؛ فَأَمَرَ بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ وَأَصْلُ ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ. فَجِمَاعُ الْوَسِيلَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِابْتِغَائِهَا هُوَ التَّوَسُّلُ إلَيْهِ بِاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، لا وَسِيلَةَ لأَحَدِ إلَى اللَّهِ إلا ذَلِكَ»[1].

وهذا المعنى قال به أهل اللغة، حيث ذكروا أنّ معناها الأول: هو الرغبة والطلب، إذْ يقال: وسَل إذا رغِب، والواسل: الراغب إلى الله ﻷ -كما تقدم-[2].

ثالثًا: لفظ الوسيلة في السنة الصحيحة، ومعناها: وفي السنة الصحيحة جاءت المادة في حديثين، الثاني منهما تفسيرٌ للأول؛ ومعناها فيهما: منزلة عند الملك، وفي الجنة، -كما هو أحد معاني الكلمة اللغوية-. فـعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّ

---

1 (?) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: ص83-84.

2 (?) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة وسل، ص1091، والقاموس المحيط، المادة نفسها ص985 .

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ:..آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ .."**[1].

وجاء تفسيرها في حديث آخر بأنّها: منـزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ، فـعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " **إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، .. ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ. فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ** " [2].

وقد قال بهذا التفسير ضمن معانيها أهل اللغة، حيث قال بعضهم: الوسيلة والواسلة: المنـزلة عند المِلك[3]، والدرجة والقربة.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « وَالثَّانِي لَفْظُ الْوَسِيلَةِ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ؛ .. -فذكر الحديثين، ثم قال-: فَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً. وَقَدْ أُمِرْنَا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ لَهُ هَذِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا لا تَكُونُ إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْعَبْدَ، وَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ أُمِرْنَا أَنْ نَسْأَلَهَا لِلرَّسُولِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ سَأَلَ لَهُ هَذِهِ الْوَسِيلَةَ فَقَدْ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَلَمَّا دَعَوْا لِلنَّبِيِّ ﷺ اسْتَحَقُّوا أَنْ يَدْعُوَ هُوَ لَهُمْ؛ فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ نَوْعٌ مِنْ الدُّعَاءِ، كَمَا قَالَ: إنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مَرَّةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا »[4].

ولقد جاءت اللفظة في أحاديث ضعيفة وموضوعة بالمعنى الذي يقصِده المبتدعون. وستأتِي!

---

1 صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب الدُّعَاءِ عِنْدَ النِّدَاءِ، رقم:614، وكتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ ورقمه: 4719.

2 صحيح مسلم: كتاب الصلاة، بَاب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلِ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ الْوَسِيلَةَ، رقم: 384 .

3 انظر: القاموس المحيط، مادة الوسيلة، ص985، والمنهاج للنووي في شرح الحديث، ص339 .

4 قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص84.

رابعًا: التوسل بالنبِيِّ والتوجّه به في عُرف الصحابة (جُزءٌ من التوسل المشروع):

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ وَالتَّوَجُّهُ بِهِ فِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ، فَيُرِيدُونَ بِهِ التَّوَسُّلَ بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ، لا غير، وهذا الثابت عنهم في الأحاديث والآثار الصحيحة. كما كانوا يفعلون ذلك به في حياته، لا بعد وفاته، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: « **اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا، فَتَسْقِينَا. وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**، قَالَ: **فَيُسْقَوْنَ** »[1].

وكما طلَب أعمى أَنْ يَدعُوَ له الرسول ربّه ليُعافيَه، فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ رَجُلا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: " **إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** ". قَالَ: فَادْعُهْ. قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ؛ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**[2].

وهذا الصحابي طلب الدعاء من النبِيّ ، وهو خيّره بين أنْ يدعُوَ له وبين الصبر، ثم إنّه اختار أنْ يَدعُوَ له، ثم أعطاه هذا النوع الخاص من التوسّل بدعائه الذي وعده. فتقرر بهذا وغيره أنّ توسُّل الأعمى كان بدعائه، لا بذاته أو بجاهه، أو بغيرهما. وكذلك حديث عمر في الاستسقاء؛ فلو كان بجاهه لَما عدَل عن النبِيّ بعد موته إلى عمّه. ومن ذلك: توسُّل الصحابة بدعاء النبيِّ في مناسبات عدة، منها: توسلهم بدعاء النبيِّ في أعوام القحط، مثل الذي في حديث الأعرابي الذي طلب أنْ يَدعوَ لهم بنزول

---

1 صحيح البخاري: كتاب الاستسقاء، بَاب سُؤَالِ النَّاسِ الإِمَامَ الاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا، رقم: 1010.

2 جامع الترمذي: كتاب الدعوات، باب (بدون ترجمة، وقبله: بَاب فِي انتظار الفرج وغير ذلك)، رقم: 3578، وحسّنه الترمذي والألباني.

الغيث وهو على المنبر، وعودته بعد أسبوع طالبًا الدعاء بأنْ يكون المطر لا عليهم، بل حوالَيهم[1].

وهذا ما يُسمى بالتوسّل بدعاء الرجل الصالح[2]، وهو أحد الأنواع المشروعة، ورسول الله إمام الصالحين، ومِن أدلة وشواهد هذا النوع في القرآن قوله تعالى في إخوة يوسف : ﭽﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭼ [يوسف: ٩٧]. وقوله في المنافقين: ﭽﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [الفتح: ١١]الآية.

والقصد هنا أنّ لفظة التوسلّ بالنبِيّ في عُرف الصحابة –كما في الآثار الصحيحة- يعنون به: طلب دعائه؛ فلا يتوسلون بذاته ولا بحقه ولا بجاهه ..)، وهذا المعروف عندهم إذا قالوا: (توسلنا بنبيا)، لا غير[3].

خامسًا: مفهوم التوسل بالنبِيِّ ، والتوجّه به في كلام بعض المتأخرين والقبورية:

ما تقدم هو التوسل والوسيلة في الكتاب والسنة، ثم التوسل بالنبِيّ في عُرف السلف، أما غير أولئك من المتأخّرين المبتدعين، فالتَّوَسُّلُ بِهِ فِي عُرْفِ كَثِيرٍ مِنْهم يُرَادُ بِهِ: الإِقْسَامُ بِهِ، وَالسُّؤَالُ بِهِ، (ومنه: التوسل بذاته وبجاهه ومكانته)، كَمَا يُقْسِمُونَ بِغَيْرِهِ مِنْ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَمَنْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ الصَّلاحَ[4]. وهذا ما يأتِي مزيد عليه في المسألة القادمة.

** * **

فتلخص مِن مِما تقدم أنّ لَفْظ التَّوَسُّلِ بِهِ بل والتوسل عمومًا « يُرَادُ بِهِ مَعْنَيَانِ صَحِيحَانِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُرَادُ بِهِ مَعْنًى ثَالِثٌ لَمْ تَرِدْ بِهِ سُنَّةٌ. فَأَمَّا الْمَعْنَيَانِ الأَوَّلانِ -الصَّحِيحَانِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ- **فَأَحَدُهُمَا:** هُوَ أَصْلُ الإِيمَانِ وَالإِسْلام- وَهُوَ التَّوَسُّلُ بِالإِيمَانِ بِهِ وَبِطَاعَتِهِ. **وَالثَّانِي**: دُعَاؤُهُ وَشَفَاعَتُهُ كَمَا تَقَدَّمَ؛ فَهَذَانِ

---

1 (?) تقدم تخريج الحديث، وهو في الصحيحين.

2 (?) انظر عن هذا النوع وأدلته وشواهده، التوصل إلى حقيقة التوسل، ص141-179 .

3 (?) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص84-85.

4 (?) انظر: المصدر نفسه، ص84.

جَائِزَانِ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ. وَمِنْ هَذَا: قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: (..تَوَسَّلْنَا إِلَيْك بِنَبِيِّنَا..) أَيْ: بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ، وقَوْله تَعَالَى: ﭽﮬﮭﮮﭼ [المائدة: ٣٥]. أَيْ: الْقُرْبَةَ إلَيْهِ بِطَاعَتِهِ. وَطَاعَة رَسُولِهِ طَاعَتُهُ.. فَهَذَا التَّوَسُّلُ الأَوَّلُ هُوَ أَصْلُ الدِّينِ، وَهَذَا لا يُنْكِرُهُ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ -كَمَا قَالَ عُمَرُ- فَإِنَّهُ تَوَسَّلَ بِدُعَائِهِ لا بِذَاتِهِ؛ وَلِهَذَا عَدَلُوا عَنْ التَّوَسُّلِ بِهِ إلَى التَّوَسُّلِ بِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ، وَلَوْ كَانَ التَّوَسُّلُ هُوَ بِذَاتِهِ لَكَانَ هَذَا أَوْلَى مِنْ التَّوَسُّلِ بِالْعَبَّاسِ، فَلَمَّا عَدَلُوا عَنْ التَّوَسُّلِ بِهِ إلَى التَّوَسُّلِ بِالْعَبَّاسِ: عُلِمَ أَنَّ مَا يُفْعَلُ فِي حَيَاتِهِ قَدْ تَعَذَّرَ بِمَوْتِهِ؛ بِخِلافِ التَّوَسُّلِ الَّذِي هُوَ الإِيمَانُ بِهِ وَالطَّاعَةُ لَهُ، فَإِنَّهُ مَشْرُوعٌ دَائِمًا» [1]. والله أعلم!

وقال أيضًا مجملا القول بعدما ذكر معاني الوسيلة في الكتاب والسنة وعرف الصحابة، وعند بعض المتأخرين: « **فَلَفْظُ التَّوَسُّلِ يُرَادُ بِهِ ثَلاثَةُ مَعَانٍ**:- **أَحَدُهَا:** التَّوَسُّلُ بِطَاعَتِهِ، فَهَذَا فَرْضٌ لا يَتِمُّ الإِيمَانُ إلا بِهِ. **وَالثَّانِي:** التَّوَسُّلُ بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ، وَهَذَا كَانَ فِي حَيَاتِهِ، وَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَوَسَّلُونَ بِشَفَاعَتِهِ. **وَالثَّالِثُ:** التَّوَسُّلُ بِهِ بِمَعْنَى الإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ بِذَاتِهِ، وَالسُّؤَالِ بِذَاتِهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَهُ فِي الاسْتِسْقَاءِ وَنَحْوِهِ؛ لا فِي حَيَاتِهِ، وَلا بَعْدَ مَمَاتِهِ، لا عِنْدَ قَبْرِهِ وَلا غَيْرِ قَبْرِهِ، وَلا يُعْرَفُ هَذَا فِي شَيْءٍ مِنْ الأَدْعِيَةِ الْمَشْهُورَةِ بَيْنَهُمْ. وَإِنَّمَا يُنْقَلُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ ضَعِيفَةٍ مَرْفُوعَةٍ،وَمَوْقُوفَةٍ، أَوْ عَمَّنْ لَيْسَ قَوْلُهُ حُجَّةً »[2].

وقبل أنْ أختِم التعريف بالتوسّل وذكر المفاهيم المتنوّعة عنه يَجدر بِي أنْ أشير إلى الفرق الذي بينه (التوسّل) وبين (الاستغاثة) المتقدمة؛ للبس الذي يكون لبعضهم؛ فيستغيث به ﷺ ويُسمّيه توسُّلا، مع أنّ التوسل بذاته ﷺ -كأنْ يقول: اللهم أتوسّل إليك بذات نبينا أو بجاهه أو بحُرمته بدعة، والاستغاثة به فيما لا يَقْدِر عليه شركٌ؛

---

1 (?) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص85.

2 (?) قاعدةٌ جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، ص85-86.

ذلك أنّ الأول كان يسأل الله لكن بالطريقة البدعية، بينما الثانِي يسأل رسوله ما لا يَقدِر عليه، فافترقا، ولقد ذكر الفرق بينهما شيخ الإسلام فقال: -وهو يجيب عن سؤال مَن أجاز الاستغاثة به : « وَقَوْلُ الْقَائِلِ: إنَّ مَنْ تَوَسَّلَ إلَى اللَّهِ بِنَبِـيٍّ . فَقَالَ: أَتَوَسَّلُ إلَيْك بِرَسُولِك، فَقَدْ اسْتَغَاثَ بِرَسُولِهِ حَقِيقَةً، فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَجَمِيعِ الأُمَمِ قَدْ كذبَ عَلَيْهِمْ، فَمَا يُعْرَفُ هَذَا فِي لُغَةِ أَحَدٍ مِنْ بَنِـي آدَمَ، بَلْ الْجَمِيعُ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمُسْتَغَاثَ مَسْئُولٌ بِهِ مَدْعُوٌّ؛ وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَسْئُولِ وَالْمَسْئُولِ بِهِ سَوَاءٌ اسْتَغَاثَ بِالْخَالِقِ أَوْ بِالْمَخْلُوقِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُسْتَغَاثَ بِالْمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَى النَّصْرِ فِيهِ. وَالنَّبِيُّ أَفْضَلُ مَخْلُوقٍ يُسْتَغَاثُ بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ. وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ يَسْتَغِيثُ بِهِ: أَسْأَلُك بِفُلَانٍ أَوْ بِحَقِّ فُلَانٍ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ: إنَّهُ اسْتَغَاثَ بِمَا تَوَسَّلَ بِهِ بَلْ إنَّمَا اسْتَغَاثَ بِمَنْ دَعَاهُ وَسَأَلَهُ؛ -إلى أنْ قال-: وَلِلنَّاسِ فِي مَعْنَى هَذَا قَوْلانِ: **أَحَدُهُمَا:** أَنَّ هَذَا التَّوَسُّلَ هُوَ الَّذِي ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَمَّا قَالَ: كُنَّا إذَا أَجْدَبْنَا نَتَوَسَّلُ بِنَبِيِّنَا إلَيْك فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْك بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. فَقَدْ ذَكَرَ عُمَرُ : أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ فِي الاسْتِسْقَاءِ، ثُمَّ تَوَسَّلُوا بِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَتَوَسُّلُهُمْ بِهِ هُوَ اسْتِسْقَـاؤُهُمْ بِهِ بِحَيْثُ يَدْعُو وَيَدْعُونَ مَعَهُ، فَيَكُونُ هُوَ وَسِيلَتَهُمْ إلَى اللَّهِ. وَهَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ الصَّحَابَةُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلا فِي مَغِيبِهِ. وَالنَّبِيُّ كَانَ فِي مِثْلِ هَذَا شَافِعًا لَهُمْ، دَاعِيًا لَهُمْ. وَلِهَذَا قَالَ فِي حَدِيثِ الأَعْمَى: اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ. فَعَلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ شَفَعَ لَهُ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُشَفِّعَهُ فِيهِ. **وَالثَّانِي:** أَنَّ التَّوَسُّلَ يَكُونُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ، وَفِي مَغِيبِهِ وَحَضْرَتِهِ: وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ: إنَّ مَنْ قَالَ بِالْقَوْلِ الأَوَّلِ فَقَدْ كَفَرَ وَلا وَجْهَ لِتَكْفِيرِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ خَفِيَّةٌ لَيْسَتْ أَدِلَّتُهَا جَلِيَّةً ظَاهِرَةً، وَالْكُفْرُ إنَّمَا يَكُونُ بِإِنْكَارِ مَا عُلِمَ مِنْ الدِّينِ ضَرُورَةً، أَوْ بِإِنْكَارِ الأَحْكَامِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَالْمُجْمَعِ عَلَيْهَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَاخْتِلافُ النَّاسِ فِيمَا يُشْرَعُ مِنْ الدُّعَاءِ وَمَا لا يُشْرَعُ كَاخْتِلافِهِمْ هَلْ تُشْرَعُ الصَّلاةُ عَلَيْهِ

عِنْدَ الذَّبْحِ؛ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ مَسَائِلِ السَّبِّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ »[1].

ولَمّا سُئِلَ شَيْخُ الإِسْلامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- هَلْ يَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ أَمْ لا؟ أَجَابَ بالتفصيل، فقال: « أَمَّا التَّوَسُّلُ بِالإِيمَانِ بِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَالصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلَيْهِ وَبِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَفْعَالِ الْعِبَادِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي حَقِّهِ. فَهُوَ مَشْرُوعٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَتَوَسَّلُونَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَتَوَسَّلُوا بَعْدَ مَوْتِهِ بِالْعَبَّاسِ عَمِّهِ، كَمَا كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِهِ. وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: اللَّهُمَّ إنِّي أَتَوَسَّلُ إلَيْك بِهِ. فَلِلْعُلَمَاءِ فِيهِ قَوْلانِ: كَمَا لَهُمْ فِي الْحَلِفِ بِهِ قَوْلانِ: وَجُمْهُورُ الأَئِمَّةِ كَمَالِكِ؛ وَالشَّافِعِيِّ، وَأَبِي حَنِيفَةَ: عَلَى أَنَّهُ لا يَسُوغُ الْحَلِفُ بِغَيْرِهِ مِنْ الأَنْبِيَاءِ وَالْمَلائِكَةِ، وَلا تَنْعَقِدُ الْيَمِينُ بِذَلِكَ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَهَذَا إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ، وَالرِّوَايَةُ الأُخْرَى تَنْعَقِدُ الْيَمِينُ بِهِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ للمروذي صَاحِبِهِ: إنَّهُ يُتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ فِي دُعَائِهِ؛ وَلَكِنْ غَيْرُ أَحْمَدَ قَالَ: إنَّ هَذَا إقْسَامٌ عَلَى اللَّهِ بِهِ، وَلا يُقْسَمُ عَلَى اللَّهِ بِمَخْلُوقِ. وَأَحْمَدُ فِي إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ قَدْ جَوَّزَ الْقَسَمَ بِهِ، فَلِذَلِكَ جَوَّزَ التَّوَسُّلَ بِهِ. وَلَكِنَّ الرِّوَايَةَ الأُخْرَى عَنْهُ: هِيَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ لا يُقْسِمُ بِهِ؛ فَلا يُقْسَمُ عَلَى اللَّهِ بِهِ كَسَائِرِ الْمَلائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّا لا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ السَّلَفِ وَالأَئِمَّةِ قَالَ إنَّهُ يُقْسَمُ بِهِ عَلَى اللَّهِ؛ كَمَا لَمْ يَقُولُوا إنَّهُ يُقْسَمُ بِهِمْ مُطْلَقًا؛ »[2]. والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية: صُورتان للتوسل الممنوع بالعبد الرسول وغيره، وحكمهما:

بعد الذي تقدم مِن تفصيل معنى التوسل لغة وشرعًا، ثم في عُرف السلف، والإشارة إلى مخالفة الخلف لهم في المسألة، فهنا في هذه المسألة سيكون الكلام عن صورتَين مِن صُوَر التوسُّل غير المشروعة. وقد تقدم أنّ التَّوَسُّل بِهِ فِي عُرْفِ كَثِيرٍ مِن المتأخرين يُرَادُ

---

1 (?) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (ج1 / 105-106) .

2 (?) مجموع فتاوى ابن تيمية، (ج1/ ص139-140).

بِهِ: الإِقْسَامُ بِهِ، وَالسُّؤَالُ بِهِ، كَمَا يُقْسِمُونَ بِغَيْرِهِ مِنْ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَمَنْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ الصَّلاحَ[1].

وسأرجئ ما يتعلق بالإقسام به إلى المطلب الذي بعد هذا (مسألة الحلف بالعبد الرسول محمد)، لأتحدث عن الصورة الثانية هنا، وهي: التوسّل بذاته، وبمنزلته، وبجاهه، وبحقه، إذْ التوسل الصحيح بالأنبياء والصالحين يكون بأمرين: إما بطاعتهم واتباعهم. وإما بدعائهم وشفاعتهم. « أما مجرد دعاء الداعي وتوسّله بهم من غير طاعة منه لَهم، ولا شفاعة منهم له، فلا ينفعه، وإنْ عظُم جاهُ أحدهم عند الله تعالى »[2].

وقد ذكر صاحب كتاب (القول الجليّ في حكم التوسل بالنبِيّ والولِيّ) ملخص كتابه: « وخلاصة القول الجليّ: أنّ التوسل ينقسم إلى خمسة أقسام: -فذكرها إلى أنْ قال: **الثالث:** التوسل بحق النبِيّ أو الولِيّ، أو بِجاهه، أو بركته، أو بحق قبره، أو قبته، وهذا مذمومٌ منهِيٌّ عنه، محرّمٌ بلا نزاع. قال شارح الإحياء وغيره: وكِره أبو حنيفة وصاحباه أنْ يقول الرجل: أسألك بحق فلانٍ، أو بحق أنبيائك ورُسُلك، أو بحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك؛ إذْ ليس لأحدٍ على الله حق. وفي متون الحنفية: إنّ قول الداعي المتوسل: بحق الأنبياء والرسل، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم ا.هـ. »[3].

هذا، وللمجيزين للتوسُّل بذاته ، وبجاهه، وبحقه أو ذات غيره أو جاهه وحقه أو حق السائلين على الله، وغير ذلك شُبَهٌ كثيرة[4] في تجويزه، قد أماط على صحتها أو

---

1 (?) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص84.

2 (?) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص339.

3 (?) المصدر نفسه ص42-44 .

4 (?)كحديث: توسلوا بجاهي فإنّ جاهي عند الله عظيم (الذي لا أصل له)، وحديث: لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي (وهو موضوع)، وغير ذلك (انظر: حديث رقم22-25 من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، من المجلد الأول. والفصل الرابع (الشبهات والجواب عليها) من كتابه الآخر: التوسل أنواعه وأحكامه، ص91-117، ونقل صاحب كتاب

وجوه الاستدلال بِها المحققون اللثام وأبانوا ذلك وتكلموا في نقد أسانيدها ومتونها، كلٌّ على حدة [1]. ولولا مقام الاختصار لنقلت ذلك مفصلاً. والصحيح أنّ أهل السنة والجماعة وإن كانوا يقولون بأنّ نبيَّنا محمدًا ﷺ هو أوجه الوجهاء عند ربِّه في الدنيا والآخرة إلا أنّهم مع ذلك لا يَخرجون عن شريعته فيبتدعون في دينه ﷺ ما لم يأذن به الله، فهم لذلك- لا يتوسّلون إلى الله بجاه النبِيِّ ﷺ ومكانته وحرمته و..؛ ذلك لأنّهم تأملوا كتاب الله، وسنة رسوله الصحيحة، وعمل السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يجدوا له محلاً.

أما الصورة الثانية فهي في الإقسام على الله تعالى بِنبيّه خصوصًا، أو بمخلوقاته المعظمة[2]. وهذا ما سيأتي ذكره في المطلب القادم (مسألة الحلف بالعبد الرسول محمد ﷺ). وقد تكلم عن المسألتين « التَّوَسُّلُ بِهِ بِمَعْنَى الإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ بِذَاتِهِ، وَالسُّؤَالِ بِذَاتِهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَهُ فِي الاسْتِسْقَاءِ وَنَحْوِهِ، لا فِي حَيَاتِهِ وَلا بَعْدَ مَمَاتِهِ، لا عِنْدَ قَبْرِهِ وَلا غَيْرِ قَبْرِهِ، وَلا يُعْرَفُ هَذَا فِي شَيْءٍ مِنْ الأَدْعِيَةِ الْمَشْهُورَةِ بَيْنَهُمْ، وَإِنَّمَا يُنْقَلُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ ضَعِيفَةٍ مَرْفُوعَةٍ وَمَوْقُوفَةٍ، أَوْ عَمَّنْ لَيْسَ قَوْلُهُ حُجَّةً، .. وَهَذَا هُوَ الَّذِي قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ: إنَّهُ لا يَجُوزُ، وَنَهَوْا عَنْهُ؛ حَيْثُ قَالُوا: لا يُسْأَلُ بِمَخْلُوقٍ، وَلا يَقُولُ أَحَدٌ: أَسْأَلُك بِحَقِّ أَنْبِيَائِك. .. قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ إلا بِهِ. وَأَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ عَرْشِك، أَوْ بِحَقِّ خَلْقِك، .. قَالَ أَبُو يُوسُفَ: .. وَأَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ فُلانٍ، أَوْ بِحَقِّ أَنْبِيَائِك وَرُسُلِك، وَبِحَقِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ. .. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ لا يُسْأَلُ بِمَخْلُوقٍ، لَهُ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا هُوَ مُوَافِقٌ لِسَائِرِ الأَئِمَّةِ

التوصل إلى حقيقة التوسل 27 حديثًا وقولا مما استدل بها الخصوم على صحة دعواهم شرعية التوصل بذوات المخلوقين، (انظرها، ص 208-326).

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، (ج1/ ص139-140).

[2] انظر: القسم الثالث (الإقسام على الله بشيءٍ من المخلوقات) من كتاب: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، 165-232.

الَّذِينَ يَمْنَعُونَ أَنْ يُقْسِمَ أَحَدٌ بِالْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهُ إِذَا مَنَعَ أَنْ يُقْسِمَ عَلَى مَخْلُوقٍ بِمَخْلُوقٍ، فَلأَنْ يُمْنَعَ أَنْ يُقْسِمَ عَلَى الْخَالِقِ بِمَخْلُوقٍ أَوْلَى وَأَحْرَى. وَهَذَا بِخِلافِ إِقْسَامِهِ سُبْحَانَهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ .. بِخِلافِ الْمَخْلُوقِ؛ فَإِنَّ إِقْسَامَهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ شِرْكٌ بِخَالِقِهَا »[1].

وهذا النوع شركٌ، والتوسل بالجاه بدعة، وسيأتي تتمة الكلام عليه في المطلب القادم.

المسألة الثالثة: استعراض أنواع التوسل المشروع –كبديل- بالإيجاز:

لَما نَهى الشارع الحكيم سبحانه وتعالى عباده عن التوسلات البدعية والشركية السابقة أرشدهم إلى بديل مشروعٍ، فجاءت هذه الشريعة الغرَّاء بتوسُّلات مشروعة عظيمة عديدة، أجملُها في الآتي:

النوع الأول: التوسُّل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا[2]، ومِن أدلته وشواهده قوله تعالى: ﭽ[illegible]ﭼ [الأعراف: ١٥٥]. وقوله: ﭽﭾﭿﮀﮁ ﭼ [الأعراف: ١٨٠].

وعن أَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ[3]، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلاتَهُ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ، قَالَتْ: « كَانَ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاتَهُ؛ **اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي ..** »[4].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذَ أَحَدُنَا مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ: " **اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ**

---

1 (?) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص85-87.

2 (?) انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل، ص25-54، حيث ذكر عدة نماذج من الكتاب والسنة الصحيحة لما قام به بعض الأنبياء عليهم السلام، وما أمر به المؤمنون من التوسل بأسماء الله وصفاته.

3 (?) تابعيّ جليلٌ مشهور بكنيته، بل وأحد الفقهاء السبعة بالمدية في عصر التابعين الذين تقدم ذكرهم.

4 (?) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَاب الدُّعَاءِ فِي صَلاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، رقم:770.

وَرَبَّ الأَرَضِينَ، وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَالظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَالْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنْ الْفَقْرِ "[1].

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ : " **لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ[2]؛ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**"[3].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: " **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** ".. الحديث[4].

النوع الثاني: التوسُّل إلى الله سبحانه بالإيمان به، وبالأعمال الصالحات[5]، ومِن شواهد ذلك: قوله تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ [البقرة:285]إلى

[1] صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، بَاب مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ، رقم:2713.
وسنن أبي داود: كتاب الأدب، بَاب مَا يُقَالُ عِنْدَ النَّوْمِ، رقم: 5051، وجامع الترمذي –واللفظ له-: كتاب الدعوات، بَاب مِنْهُ (وقبله: بَاب مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ)، رقم: 3400.

[2] هكذا في موضع من سنن أبي داود وفي سنن النسائي، وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه: "باسمه الأعظم ".

[3] سنن أبي داود: كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم: 1495، وهذا لفظه، وجامع الترمذي: كتاب الدعوات، بابٌ (بدون ترجمة)، ورقمه: 3544، وسنن النسائي: كتاب السهو، بَاب الدُّعَاءِ بَعْدَ الذِّكْرِ، رقم: 1300، وابن ماجه: كتاب الدعاء، بَاب اسْمِ اللَّهِ الأَعْظَمِ، رقم: 3858، وهو صحيح.

[4] جامع الترمذي: كتاب القدر، بَاب مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ، رقم: 2140، وحسنه الترمذي.

[5] انظر: التوصل إلى حقيقة التوسل، ص57-137، حيث ذكر عدة نماذج من الكتاب والسنة الصحيحة لعدة نماذج من التوسل إلى الله تعالى بالإيمان أو بالأعمال الصالحة، أو بكليهما.

آخر السورة. وقوله: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭼ [آل عمران: ١٦]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وعَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ رَجُلا يَدْعُو -وَهُوَ يَقُولُ-: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، .."الحديث[1].

وتوسُّل أصحاب الكهف الثلاثة بأعمالهم السابقة الصالحة، مِن بِرِّ أحدهم لوالديه، وأداء أمانة الآخر، وسماحته في المعاملة، ومراقبة الأخير لله في خَلْوتِه، وتركه مشتهاه لله بعد القدرة عليه، وقد عُقد للفظ مسلم بَاب قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ، وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الأَعْمَالِ، وقد ذكر حالتهم النبيُّ في معرض الثناء عليهم [2].

النوع الثالث:التوسُّل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين[3]،وقد تقدم شيءٌ منه. والله أعلم.

** * **

المطلب الثامن: أهل السنة لا يُعبِّدون أحدًا لغير الله في التسمية ولا في غيرِه[4]:

وهذا بخلاف مَن تقدم من المبتدعة في فصل الصوفية. وقد كان أهل السنة على عدم التعبيد لغير الله امتثالاً منهم لِما ورد عنه عليه الصلاة والسلام مِن حديث عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبِيَّ كان يُغيِّر الاسم القبيح

---

1 (?) سنن أبي داود: كتاب الوتر، بَاب الدُّعَاءِ، رقم: 1493، وجامع الترمذي: بَاب مَا جَاءَ فِي جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عَنْ النَّبِيِّ ، رقم: 3475، وسنن ابن ماجه: كتاب الدعاء، بَاب اسْمِ اللَّهِ الأَعْظَمِ، رقم: 3857،وهو صحيحٌ.

2 (?) قف على الحديث في صحيح البخاري: كتاب الإجارة، بَاب مَنْ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا، فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ فَعَمِلَ فِيهِ الْمُسْتَأْجِرُ فَزَادَ...، رقم: 2272، وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، رقم: 2743.

3 (?) انظر عن هذا النوع وأدلته وشواهده في/ التوصل إلى حقيقة التوسل، ص141-179 .

4 (?) للتوسع عن: تحريم كلّ اسم مُعبّد لغير الله، يُنظر: تيسير العزيز الحميد، ص547-549.

"[1] « وأقبحُه: ما كان شركًا في التسمية »، كما قاله الشيخ صلاح البُدير[2].

وقد جاء عبدُ الحَجَر فغيَّر النبِيُّ اسمَه، فَعَنْ هانئ بن يزيد [3] أنه: لما وفد إلى النبي مع قومه فسمِعَهم النبِيُّ وهم يُكَنُّونَه بـ(أبي الحكم) فدعاه النبي فقال: "**إنَّ الله هوِ الحَكَمُ، وإليه الحُكْم، فلِمَ تكَنَّيْتَ بـ(أبي الحَكَم)**" قال: لا، ولكِنّ قَوْمِي إذا اختلفوا في شيءٍ أتوني فحَكَمْتُ بينهم فرَضِيَ كلا الفريقين، قال: " **ما أحسن هذا!** " ثم قال: " **ما لكَ مِن الولد؟** " قلت**:** لِي شُريحٌ، وعبدُ الله، ومسلمٌ؛ بنو هانئ. قال: " **فمَن أكبرُهم** " قلت: شُريح**.** قال**:** " **فأنْتَ أبُو شُريح** "**،** ودعا له ولِوَلدِه. وسمِع النبي يُسمُّونَ رجلا منهم: (عبد الحجر) فقال النبي : " **ما اسمك؟** " قال: عبدُ الحَجَر. قال**:** " **لا؛ أنت (عبدُ الله)**"**. ..** الحديث[4].

وعلى هذا فالمسلمون لا يُسمُّون بهذه الأسماء القبيحة، لا (عبد الرسول أو عبد النبِيِّ) ولا (عبد عليٍّ) ولا (عبد الحسين) [5] ولا غيرها، قال صاحب تيسير العزيز الحميد حاكيًا الإجماع على تحريم هذه الأسماء: « فعلى هذا لا تجوز التسمية بعبد المطلب ولا غيره مما عُبّد لغير

---

[1] جامع الترمذي: كتاب الأدب، باب ما جاء في تغيير الأسماء، رقم: 2899، وقال الشيخ الألباني: «صحيحٌ».

[2] بلوغ السعادة مِن أدلة توحيد العبادة، باب تحريم التعبيد بغير أسماء الله تعالى، ووجوب تغيير ما كان مِن ذلك، ص275 .

[3] **هانئ بن يزيد** : هو هانئ بن يزيد الْمَذْحِجِي، أبو شريح الكندي، صحابي نزل الكوفة. وأشار ابن حجر إلى أنّ البخاري أخرج له في الأدب المفرد، وأبو داود والنسائي في سننيهما (انظر: تقريب التهذيب، ص501، رقم: 7265).

[4] الأدب المفرد للإمام البخاري: باب كنية أبِي الحَكَم، رقم: 811، قال الشيخ الألباني: « صحيحٌ ».

[5] اقرأ: « الحوار الهادئ » الذي جرى بين مَن اسْمه (عبْدُ الله) و(عبْدُ النبيِّ)، وقد ذكر (عبد النبِيِّ) فيه أنَّ أخاه اسمه: (عبدُ الحُسين)، وأباه اسمه: (عبد الرسول). وفي آخر القصة تاب الموسوم بـ(عبد النبي) واستغفر الله، ثم كفر بكلِّ ما كان يعبُد من دون الله، وطلب مِن الله الثبات على الحق. انظرها في الملحق الذي في آخر تفسير العشر الأخير من القرآن الكريم من كتاب زبدة التفسير، الموسوم بـ(أحكامٌ تهم المسلم) ص82-91.

الله، وكيف تجوز التسمية وقد أجمع العلماء على تحريم التسمية بـ: عبد النبِيّ، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد عليّ، وعبد الحسين، وعبد الكعبة؟! وكلّ هذه أولى بالجواز من عبد المطلب لو جازت التسمية به. وأيضًا فقد نصّ النبِيّ على أنّ التسمية بعبد الحارث من وحي الشيطان وأمره، فعبد المطلب كعبد الحارث لا فرق بينهما..»[1].

والحديث الذي أشار إليه في آخر كلامه قد تقدم عند الرد على الصوفية في (مسألة التعبيد لاسمه عليه الصلاة والسلام من قِبَل بعضهم). كما تقدم هناك كلام متينٌ -في المسألة لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-. ولكلّ هذا وذاك كان أهل السنة يأمرون بتغيير مثل هذه الأسماء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، عمَلا بما جاء في هذه السنة، بخلاف القبورية المتشبِّهين بالنصارى في ذلك مِن الرافضة وغيرهم؛ فإنهم كانوا لا يتوقّون الشرك في الأفعال، فكيف بالألفاظ!

هذا بالنسبة لإنشاء التَّسمِي. أما الإخبار بما كان من التعبيد إلى غير أسماء الله فيجوز[2]، لقول النبيِّ : " **خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ: بَنُو النَّجَّارِ ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ** "[3].

وسَأَلَ رَجُلٌ الْبَرَاءَ t فَقَالَ: يَا أَبَا عُمَارَةَ! أَوَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ الْبَرَاءُ: وَأَنَا أَسْمَعُ، أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ r لَمْ يُوَلِّ يَوْمَئِذٍ؛ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذًا بِعِنَانِ بَغْلَتِهِ، فَلَمَّا غَشِيَهُ الْمُشْرِكُونَ نَزَلَ فَجَعَلَ يَقُولُ:

" **أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ** — **أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ** "

قَالَ: فَمَا رُئِيَ مِنْ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَشَدُّ مِنْهُ [4].

---

[1] (?) تيسير العزيز الحميد، ص548.

[2] (?) انظر أدلة هذه المسألة: صلاح البدير، مصدر سابق، ص277 .

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، بَاب فضل دور الأنصار، رقم: 3789. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب في خير دور الأنصار، رقم: 2511 من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ ما.

** * **

[4] (?) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسِّيَر، بَاب مَنْ قَالَ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ فُلَانٍ، رقم: 3042. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسِّيَر، باب فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، رقم: 1776.

كثُر الكلام وطال، وصُنِّف العديدُ والعديد، وظُلِمَ وسُجن وافتُرِي على العلماء المحققين، وتُحُومِل عليهم، وحُرّف كلامُهم وفتاويهم، إلخ. .. كُلّ هذا وغيره بسبب مسألة: (إلى أين تُشَدّ الرِّحال وتُعمَل المطيّ؟)؛ هل هو إلى المساجد أو المقابر، أو إلى غيرهما؟

ولقد أجابَ عليها رسول الله بصريح لفظِه.

وإذا جاء نَهْرُ الله بطَلَ نَهرُ معْقِل

وقد فهِم السلف -من الصحابة والتابعين- أحاديث الباب وعمِلوا بمقتضاها، .. ولو احتكم جميع مَن بعدهم من المسلمين إلى فهمهم لها وتقيّدوا به، لَما حصَل كُلّ ما تقدم.

ولبيان الأماكن التي ينشأ السفر –عبادة- لأجلها وتُقصَد، أسوق أقوال العلماء المحققين، التي هي الموافقة لفهم السلف، وذلك بعد إيراد أحاديث الباب[1].

جاء في صحيح مسلم عن قَزَعَةَ[2] عَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ مِنْهُ حَدِيثًا فَأَعْجَبَنِي فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ: فَأَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مَا لَمْ أَسْمَعْ، قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « **لاَ**

[1] ومَن أراد الوقوف على أقوال المتأخرين الضعيفة في المسألة، أو السجال الذي كان فيها عمومًا، أو أراد معرفة ما يدخل في المسألة ويخرج عنها بكلام السلف والمحققين من العلماء: يَنظر أولا، في: كتب شيخ الإسلام وتلامذته التي ساجلهم فيها بعضُ المبتدعين، كمنسك الحج الذي كتبه، ورسائله في النهي عن شد الرحال إلى القبور، وفي الاستغاثة والرد على البكري، وفي الأخنائية. وكذلك كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي كان في هذه المسألة. وفتح الباري لابن حجر، (ج1/ ص1223-1226مع تعليق ابن باز عليه). ومن الرسائل المتأخرة: رسالة كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر، للشيخ حماد بن محمد الأنصاري، والسعي المشكور من بدعة شدّ الرحال للمقبور، لأبي أنس السيّد بن عبد المقصود، وأحكام الجنائز وبدعها، للشيخ ناصر الدين الألباني، ص287-293.

[2] **قزعة** -بزايٍ وفتحات- قال ابن حجر –رحمه الله- : « قزعة ابن يحيى البصري، ثقةٌ، من الثالثة » ورمز له بـ((ع)) للدلالة على إخراج أصحاب الكتب الستة لحديثه. (انظره في تقريب التهذيب، برقم: 5547).

تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى »[1].

وقد أورد الحافظ أبو بكر ابن أبي شيبة في مصنَّفِه آثارًا عن عمر وغيره في نهيه للذهاب إلى الطور مستدِلا بالحديث، عن قزعة نفسِه، قال: سألت عمر؛ آتِي الطور؟ قال: « دع الطور؛ ولا تأتِها »، وقال: « لا تَشُدُّوا الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد »[2].

وعن أبي هريرة أنه قال: « خرجت إلى الطور[3]، فلقيتُ كعب الأحبارِ فجلست معه فحدثنِي عن التوراة، وحدثته عن رسول الله ... الأثر. وفيه: قال أبو هريرة: « فلقيت بصرة[4] بن أبي بصرة الغفاري[5] فقال: مِن أين

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب سَفَرِ الْمَرْأَةِ مَعَ مَحْرَمٍ إِلَى حَجٍّ وَغَيْرِهِ، رقم: 827 .

2 (?) واقرأ: مصنف ابن أبي شيبة، (الصلاة في البيت المقدس ومسجد الكوفة، ورقم الباب: 210).

3 (?) **الطور:** قال الباجي في المنتقى شرح الموطأ: «الطور: وَاقِعٌ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ، إلا أَنَّهُ فِي الشَّرْعِ يُطْلَقُ عَلَى جَبَلٍ بِعَيْنِهِ، وَهُوَ الَّذِي كُلِّمَ فِيهِ مُوسَى عليه السلام، وَهُوَ الَّذِي عَنَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ».

4 (?) الصواب: فلقِيتُ أبا بصرة، قال ابن عبد البرِّ –رحمه الله- :« لا أعلم أحدًا ساق هذا الحديث أحسن سياقة مِن مالكٍ، عن يزيد بن الهادي، ولا أتمَّ معنى منه فيه، إلا أنه قال فيه: (بصرة بن أبي بصرة) ولم يتابعه أحدٌ عليه، وإنما الحديث معروفٌ لأبي هريرة (فلقيت أبا بصرة الغفاري) كذلك رواه يحيى بن أبي كثير عن أبي أسامة عن أبي هريرة. كذلك رواه سعيد بنُ المسيب، وسعيد المقبري عن أبي هريرة؛ كلُّهم يقول فيه: (فلقيتُ أبا بصرة الغفاري) ولم يقُلْ واحدٌ منهم (فلقيت بصرة بن أبي بصرة) كما في حديث مالك عن يزيد بن الهادي، وأظنُّ الوهم فيه جاء من قِبَل مالكٍ، أو مِن قِبَل يزيد بن الهادي. والله أعلم ». (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، -ج23م ص37-38، ط/ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1387، بتحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي, ومحمد عبد الكبير البكري).

5 (?) **أبو بصرة** صحابي اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه، فقيل: جميل بن بصرة وقيل: حُميل. وذكر ابن عبد البرِّ –رحمه الله- أنّ الأصح الأول.واستدل على ذلك بقول علي بن المديني: « اسم أبي بصرة الغفاري: جميل بن بصرة، قاله لي: بعض ولده ». وهو جميل ابن بصرة بن وقاص بن حبيب بن غفار.روى عنه أبو هريرة وأبو تميم الجيشاني. سكن الحجازَ، ثم تحول إلى مصر.(انظر: الاستيعاب/ ج 2ص372، والتقريب لابن حجر برقم: 1572).

أقبَلْتَ؟ فقلت: مِن الطور؛ فقال: لو أدْرَكْتُك قبل أنْ تَخرج إليه، ما خرجت؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: " **لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ**[1] **إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ** »[2].

وقد جاء حديث الباب عن أبي سعيدٍ أيضًا، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة بالإخبار[3] الـمُؤمِئ إلى أنّه نُهي عن ذلك وامتُثل. وصيغة النفي المستخدَمة فيه هو (لا تُشّدُّ) -المبنِيَّة للمجهول-، والتي بمعنى: النهي[4]، كما يُفسِّر ذلك: الرواية التي صدّرتُ بها المسألة. فثبت أنّ قَوْله: (لا تُشَدّ اَلرِّحَال) -بِضَمّ أَوَّله- بِلَفْظِ اَلنَّفْي « الْمُرَاد اَلنَّهْي عَنْ اَلسَّفَرِ إِلَى غَيْرِهَا، قَالَ اَلطِّيبِيّ: هُوَ أَبْلَغُ مِنْ صَرِيحِ اَلنَّهْي، كَأَنَّهُ قَالَ: لا يَسْتَقِيمُ أَنْ يُقْصَدَ بِالزِّيَارَةِ إلا هَذِهِ اَلْبِقَاع، لاخْتِصَاصِهَا بِمَا اِخْتَصَّتْ بِهِ.وَالرِّحَال –بِالْمُهْمَلَةِ- جَمْع رَحْل، وَهُوَ لِلْبَعِيرِ كَالسَّرْجِ لِلْفَرَسِ. وَكَنَّى بِشَدِّ اَلرِّحَالِ عَنْ اَلسَّفَرِ؛ لأَنَّهُ لازِمُهُ، وَخَرَجَ ذِكْرُهَا مَخْرَج اَلْغَالِبِ فِي رُكُوبِ اَلْمُسَافِرِ، وَإِلا فَلا فَرْقَ

---

1. (?) **الـمَطيُّ:** مفردٌ، وجمعه: المطايا، وهو الظهر والدابة تمطو في سيرها (انظر: الصحاح، مادة مطا، ص992، والقاموس المحيط، المادة نفسها، ص1225).
2. (?) موطأ مالك: برواية يحيى، كتاب الجمعة، باب (7) ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة، ورقمه: 16 بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار الحديث.
3. (?) أما حديث أبي سعيد فرواه الترمذي عنه (انظر: جامع الترمذي: كتاب الصلاة عن رسول الله ، باب ما جاء في أيّ المساجد أفضل، رقم: 326 . وهو نفس حديث أبي سعيد الذي عند البخاري). وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ما فمقرونٌ بحديث أبي سعيد عند ابن ماجه (انظر: سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، رقم: 1410). وأما حديث أبي هريرة فاتفق البخاري ومسلم على إخراج لفظه، قال فيه رسولُ الله **: " لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ**؛ .." فذكرها (انظر: صحيح البخاري: كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، بَاب فَضْلِ الصَّلاةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، رقم: 1189. وصحيح مسلم: كتاب الحج، باب لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ، رقم: 1397)، وفي لفظ عند مسلم عنه مرفوعًا: " **إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ**" فذكرها (صحيح مسلم، مصدرٌ سابق).
4. (?) انظر: عون المعبود، ص899، ط/ بيت الأفكار الدولية، بتحقيق: رائد صبري.

بَيْنَ رُكُوبِ الرَّوَاحِلِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ وَالْمَشْيِ فِي الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ " إِنَّمَا يُسَافِرُ " أَخْرَجَهُ مُسْلِم »[1].

فتلخص أنّ الصِّيَغ التي جاء نَهيُ شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة أنها هي:

أولا: النهي الصريح (لاَ تَشُدُّوا الرِّحَالَ، كما في رواية مسلم). **ثانيًا:** "لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ "، وهذه قد تكون أبلغ في النهي كما تقدم). **ثالثًا:** "إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ "، (وهذه فيها حصر الأماكن التي يُسافَر إليها للعبادة وتُقصَد). **رابعًا:** "لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ"، أو لا يَنبغي للمَطيِّ أنْ تُعمَل (ولفظة: لا ينبغي استعملتْ في القرآن في نفي العظائم) [2].

وتقرر بِهذا أنّ « في هذه الأحاديث تحريم السفر إلى موضع من المواضع المباركة، مثل مقابر الأنبياء والصالحين، وهي وإنْ كانت بلفظ النفي: (لا تُشَدُّ) فالمراد النهي كما قال الحافظ »[3]، بل وأَبْلَغُ مِنْ صَرِيحِ النَّهْيِ كما تقدم من قول الطيبِيّ. ولِذلك شواهد في الكتاب والسنة أيضًا.

وبعدما تكلم شيخ الإسلام –رحمه الله- عن المسجد الحرام وأنّه الوحيد بِمكة مِما شُرع لنا قصدُه للصلاة والدعاء والطواف، ولم يُشرع قصدُ مسجدٍ بعينه بِمكة سواه؛ فلا يصلح أنْ يُجعَل هناك مسجدٌ يُزاحِمه في شيء مما تقدم، ويكون قصد غيره لذلك هناك تحريًّا لفضل[4] بدعةً غير مشروعة[5]، قال: « وأصلُ هذا: أن المساجد التي تُشد إليها الرحال، هي المساجد الثلاثة، كما ثبت في الصحيحين عن النبِيّ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما –فذكر الحديث، ثم قال-: وقد رُوي هذا من وجوه أخرى، وهو حديث ثابتٌ عن النبِيّ باتفاق أهل

1 (?) فتح الباري لابن حجر، (ج1/ ص1223).

2 (?) انظر: أحكام الجنائز وبدعها للألباني، 285-287.

3 (?) المصدر نفسه للألباني، 288.

4 (?) وقُل مثله لمساجد المدينة، بالنسبة لمسجد رسول الله ، إلا مسجد قباء الذي جاء فضله. مع أنّه لا يُسافَرُ لأجله لحديث الباب.

5 (?) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ص343-344.

العلم، متلقى بالقبول عنه. فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف، من الأعمال الصالحة. وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم، حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة، ولا يشرع شَدّ الرحال إليه -إلى أنْ قال-: وأما المساجد الثلاثة فاتفق العلماءِ على استحباب إتيانِها للصلاة ونحوها »[1].

ولَما تكلم عن القبور –وهو يَشْرَحُ حديث النهي عن اتخاذ قبر رسول الله عيدًا- قال: « وقد اختلف أصحابُنا وغيرُهم، هل يجوز السفر لزيارتِها؟ على قولين:

أحدِهِما: لا يجوز، والمُسافرة لزيارتِها معصيةٌ، ولا يجوز قصر الصلاة فيها، وهذا قول ابن بطة وابن عقيل، وغيرُهما؛ لأنّ هذا السفر بِدعةٌ، لَم يكن في عصر السلف، وهو مشتملٌ على ما سيأتي من معاني النهي، -وذكر حديث النهي عن شدّ الرحل إلا إلى المساجد الثلاثة، ثم قال-: وهذا النهي يَعُمّ السّفر إلى المساجد والمشاهد، وكلّ مكان يُقصد السفر إلى عَيْنِهِ للتقرُّب والعبادة؛ بدليل أنّ بُصرة بن أبِي بُصرة الغفاري لَما رأى أبا هريرة راجعًا من الطور الذي كلّم الله عليه موسى، قال: لَوْ رأيتُك مِنْ قَبْل أَنْ تَأْتِيَهُ لَمْ تَأْتِهِ؛ لأنّ النبِيّ قال: " **لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ** ". فقد فهم الصحابِيّ الذي روَى الحديث أنّ الطور وأمثالَه مِن مقامات الأنبياء مندرجةٌ في العُموم، وأنّه لا يجوز السفر إليها كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة. **وأيضًا:** فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله –غير المساجد الثلاثة- لا يجوز، مع أنّ قصده لأهل مصره يَجِب تارة، ويُستحب أخرى، -وقد جاء في قصد المساجد من الفضل ما لا يحصى- فالسفرُ إلى بُيُوت عِبادِهِ أوْلَى أنْ لا يَجوز. **والوجه الثاني:** أنه يجوز السفر إليها، قاله طائفة من المتأخرين، منهم: أبو حامد الغزالي، وأبو الحسن بن عبدوس الحراني، والشيخ أبو محمد المقدسي، وما علمته منقولا عن أحد من المتقدمين، بناء على أنّ الحديث لَم يتناول النّهي عن

[1] الاقتضاء لابن تيمية، المصدر نفسه، ص344-345.

ذلك، كما لَم يتناول النهْي عن السفر إلَى الأمكنة التي فيها الوالدان، والعلماء والمشايخ، والإخوان، أو بعض المقاصد مِن الأمور الدنيوية المباحة »[1].

والقول الأول هو الصحيح، وقد استغنينا –والحمد لله- بقول السلف من الصحابة ومَن اتبعهم وبفهمِهم في المسألة –كما في غيرها- عن قول هؤلاء المتأخرين المجانبين للصواب.

وقد أشرتُ أول الحديث إلى أنّ (مسألة شدّ الرحال إلى القبور) مِما كُتِب فيها الكثير، وظُلِم بعض المحققين كابن تيمية وتلامذته[2]، وهنا يؤكّد الكرْمَانِيّ –رحمه الله- بعضًا مِما سبق فيقول: « وَقَعَ فِي هَذِهِ اَلْمَسْأَلَةِ فِي عَصْرِنَا فِي اَلْبِلَادِ اَلشَّامِيَّةِ مُنَاظَرَات كَثِيرَة، وَصُنِّفَ فِيهَا رَسَائِلُ مِنْ اَلطَّرَفَيْنِ »[3]. ويُعلّق على كلامه الحافظ ابن حجر[4] –رحمه الله- ويخطأ فيه أخطاء فاحشة فيقول: «

---

[1] (?) اقتضاء الصراط المستقيم، المصدر، ص269-270.

[2] (?) وهذا الظلم كان من جهات، وبدايته هو ما كان عند بعض المفتين، حيث ألّف أحدُهم كتابه الذي أسماه شفاء السقام، وقد كان أسماه: شن الغارة على مَن أنكر سفر الزيارة، فجعله في عشرة أبواب قرر فيها أنّ سفر الزيارة المنهي عنه قربة. (وكان منشأ الغلط في المسألة عدم تفريقهم بين الزيارة وبين السفر إليها، وجعلهم المسألتين مسألة، فنشأ عن ذلك قولهم وافتراؤهم على شيخ الإسلام بأنه يُحرم زيارة قبر الرسول ﷺ (انظر: الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص25-36) .

[3] (?) فتح الباري لابن حجر، (ج1/ ص1225).

[4] (?) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني عالِم جليلٌ، ذو فنون في العلم كثيرة كالحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وله أبحاثٌ لغوية ماتعة عند شرحه للأحاديث، وغير ذلك، فهو صاحب جهود علمية كبيرة، لكنه بشر يُخطأ ويصيب، وكُلّ يؤخَذ من قوله ويُرَدّ. وكان يُجلّ شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمهما الله- وينقل عنه في الفتح تحريرات علمية يُصرّح في بعضها، كما عقد له ترجمة حافلة في الدرر الكامنة أثنى فيها عليه ثناء عطرًا. لكن لَم يُوفَّق عندما بحث مسألة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين. وكما يبدو أنّه لَم يقف على كلام شيخ الإسلام بنفسه في المسألة، ولعله تلقفه من خصومه كالسبكي خصوصًا، الذي ختم بحث المسألة بكلامه، ولعله له وقف عليه بنفسه لَما قال: وَهِيَ مِنْ أَبْشَعِ اَلْمَسَائِلِ اَلْمَنْقُولَةِ عَنْ اِبْن تَيْمِيَةَ. وشيخ الإسلام لَم يُحرّم زيارة قبر النبِيّ ﷺ، وإنّما حرّم شدّ الرحل إلى مجرد القبر، والحق معه، فالزيارة شيء، وشد الرحال إليها شيء آخر. لكن خصومه افتروا عليه أنّه يُحرّم الزيارة (انظر: فصل التعقيب على الحافظ ابن حجر

قُلْت: يُشِيرُ إِلَى مَا رَدَّ بِهِ اَلشَّيْخ تَقِيّ اَلدِّين اَلسُّبْكِيّ وَغَيْره عَلَى اَلشَّيْخ تَقِيّ اَلدِّين اِبْن تَيْمِيَةَ، وَمَا انْتَصَرَ بِهِ اَلْحَافِظُ شَمْس اَلدِّين بْن عَبْد اَلْهَادِي وَغَيْره لابْن تَيْمِيَةَ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ فِي بِلادِنَا. وَالْحَاصِلِ: أَنَّهُمْ أَلْزَمُوا اِبْن تَيْمِيَةَ بِتَحْرِيمِ شَدِّ اَلرَّحْلِ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ سَيِّدِنَا رَسُول اَللَّهِ ، وَأَنْكَرْنَا صُورَة ذَلِكَ، وَفِي شَرْحِ ذَلِكَ مِنْ اَلطَّرَفَيْنِ طُول، وَهِيَ مِنْ أَبْشَعِ اَلْمَسَائِلِ[1] اَلْمَنْقُولَةِ عَن ابْن تَيْمِيَةَ. وَمِنْ جُمْلَةِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى دَفْعِ مَا ادَّعَاهُ غَيْرُهُ مِنْ اَلإِجْمَاعِ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ زِيَارَةِ قَبْرِ اَلنَّبِيِّ مَا نُقِلَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ: زُرْت قَبْرَ اَلنَّبِيِّ . وَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ اَلْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ: بِأَنَّهُ كَرِهَ اَللَّفْظَ أَدَبًا لا أَصْلَ اَلزِّيَارَة؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَفْضَلِ اَلأَعْمَالِ، وَأَجَلِّ اَلْقُرُبَات اَلْمُوَصِّلَة إِلَى ذِي اَلْجَلالِ، وَإِنَّ مَشْرُوعِيَّتَهَا مَحَلّ إِجْمَاع بِلا نِزَاع. وَاَللَّه اَلْهَادِي إِلَى اَلصَّوَابِ »[2].

ولِي ثلاثِ وقفاتٍ معه.

الأولى: أَصْل زِيَارَة القبور ومنها قبر رسول الله ، دون إنشاء السفر مِن أجلها، بل للشاهد والموجود في البلد التي كانت مَشْرُوع ومَحَلّ إِجْمَاع بِلا نِزَاع، وكذلك زيارة قبر الرسول لِمَن وجِدَ نفسه في المدينة النبوية أيضًا، وأنّ ذلك مِنْ أَفْضَلِ اَلأَعْمَالِ، وَأَجَلِّ اَلْقُرُبَات اَلْمُوَصِّلَة إِلَى ذِي اَلْجَلالِ، ويقول بِهذا شيخُ الإسلامِ كما تقدم. أما شدّ الرحال لذلك فهو موضع الخلاف، والراجح منه هو ما قاله شيخ الإسلام؛ ذلك أنّ الصحابة فهموا أنّ الاسْتِثْنَاء في الحديث مُفَرَّغٌ –كما تقدم من أمر الطور- « وَالتَّقْدِير: لا تُشَدُّ اَلرِّحَال إِلَى مَوْضِع »[3]. وَلازمهُ مَنْع

بخصوص كلمة ذكرها في حق مقولة شيخ الإسلام، من كتاب السعي المشكور للتحذير من بدعة شد الرحال للمقبور، لأبي أنس السيد بن عبد المقصود، ص75-76).

[1] (?) قد علّق العلامة عبد العزيز بن باز هنا في الفتح في الهامش بأنه (ليس في ذلك شناعة بحمد الله عند من عرف السنة ومواردها ومصادرها ..) –في كلام له نفيس. (فتح الباري، ج3/79، بواسطة: السعي المشكور).

[2] (?) ابن حجر، المصدر نفسه، (ج/1225).

[3] (?) فتح الباري لابن حجر، (ج1/ ص1223).

اَلسَّفَرِ إِلَى كُلِّ مَوْضِعٍ للعِبادةِ غَيْرِهَا (دون التجارة والسفر إلى الآباء والإخوان)، « لأَنَّ اَلْمُسْتَثْنَى مِنْهُ فِي اَلْمُفَرَّغِ مُقَدَّر بِأَعَمّ اَلْعَامّ »[1]. وإنْ كان هنا لا يُقدّر بأعم العام –للفهم السلفي- إنما يُقَدَّرَ بأنّه لا تُشَدّ اَلرِّحَال إِلَى مَسْجِدٍ لِلصَّلاةِ فِيهِ أو للاعتكاف .. وكذلك لا تُشَدّ اَلرِّحَال إِلَى مقامات الأنبياء والصالحين كالطور للتعظيم .. سوى الثّلاثَةِ المساجد. ويبقَى جواز السفر أو استحبابه لصلة الرحم، وطلب العلم، والتجارة وغير ذلك، ذلك أنّ الشريعة جاءت باحتياطات لجناب التوحيد، وبِمحو الآثار وإزالتها ونسخها[2].

لكن المنازِعِين لشيخ الإسلام زعمُوا أنّه رحمه الله- –بتحريمه لشد الرحال إلى القبر (السفر)- يُحرّم زيارة قبر الرسول لِمَن كان بالمدينة أو جاءها لزيارة مسجد الرسول . وهذا من صُوَر ظُلمِه مِن قِبَل هؤلاء، حيث حملوا فتواه ما لا تحتملُه.

الوقفة الثانية: ليسَت هذه المسألة بشعَة كما يقوله الحافظ –سامحه الله- هنا، ذلك أنّ ابن تيمية قال بِمقتضى عموم النصوص، بضميمة فهم الصحابة وتابعيهم لَها، وكيف يكون القول بمقتضى النصوص مع الفهم السلفي لها بشعًا؟!

الوقفة الثالثة: ثم إنّ قول السلف الذي نصَره شيخ الإسلام في منع شدّ الرحال حتى إلى قبر رسول الله لا يُفضِي إلى سَدِّ بَابِ اَلسَّفَرِ لِلتِّجَارَةِ وَصِلَةِ اَلرَّحِمِ وَطَلَبِ اَلْعِلْمِ وَغَيْرِهَا المزعوم، ذلكَ أنّ السلف وإنْ فهموا العموم في الحديث، إلا أنّهم لَم يَفهموا منه أنّ دلالتَه أعم العام، فقد سافرُوا لطلب حديث واحد، كما سافرُوا للتجارة. فسقطت الدعوى! وثبَتَ بِكُلّ ما تقدم سقوط ما ادّعاه الحافظ ابن حجر –رحمه الله- من إلزام خصم شيخ الإسلام له في المسألة بِما أُجْمِع عليه من جواز السفر أو استحبابه لصلة الرحم وطلب العلم والجهاد من المباحات

---

1 (?) المصدر نفسه، (ج1/ ص1223).
2 (?) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص351.

والمندوبات، الذي هو خارجٌ من عموم النهي على القولين. والله تعالى أعلم.

وأختم بالقول بِأنّ فِي حديث الباب بَيَان عَظِيم فَضِيلَة هَذِهِ الْمَسَاجِد الثَّلَاثَة وَمَزِيَّتهَا عَلَى غَيْرهَا لِكَوْنِهَا مَسَاجِد الأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِمْ ، وَلِفَضْلِ الصَّلاة فِيهَا، وَلأَنَّ الأَوَّل قِبْلَة النَّاس وَإِلَيْهِ حَجُّهُمْ، وَالثَّانِي كَانَ قِبْلَةَ الأُمَم السَّالِفَةِ، وَالثَّالِث أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى[1]. والله تعالى أعلم.

** * **

المطلب العاشر: مسألة الحلف بالعبد الرّسول محمد ﷺ[2]:

قد اختلف العلماء –رحمهم الله- في جواز الحلف بالعبد الرسول محمد ﷺ وعدم جواز ذلك، بعد اتفاقهم على عدم جواز الحلف بغير الله مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُعَظَّمَةِ، كَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْكَعْبَةِ وَالْمَلائِكَةِ، = على قولين. وألْحَقَ بعضُ المتأخرين بقية الأنبياء عليهم السلام به ﷺ.

القول الأول: يَرَى جواز الحلف به ﷺ .

القول الثاني: يَرَى عدم جواز ذلك.

وسأذْكُر ما تشبَّثَ به أصحابُ القول الأول، وأناقشُه، ثم أسوق أدلة القـول الثـانِي وأبيّنُ رجحانـه، واللـه تعـالى المستعان!

أقول: قد حكَى الْمسألة والخلاف الذي فيها شيخُ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-، فقال: « تَنَازَعَ النَّاسُ هَـلْ يُحْلَـفُ بِـالنَّبِيِّ ﷺ؟ مَـعَ اتِّفَـاقِهِمْ بِأَنَّهُ لا يُحْلَـفُ بِشَـيْءٍ مِنْ الْمَخْلُوقَـاتِ الْمُعَظَّمَـةِ، كَـالْعَرْشِ وَالْكُرْسِـيِّ وَالْكَعْبَـةِ

[1] انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي، ص865، وفتح الباري لابن حجر، (ج1/ ص1224).

[2] للاستزادة انظر: مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الأيمان والنذور، الرجل يَحلف بغير الله أو بأبيه، -أحاديث من: 12407-12423، (ج7/ 545-551)، وإعلام الأبِيّ بِمنع الحلِف بالنبِيّ لأبِي أنس بن عبد المقصود، دار أضواء السلف، وحقوق النبِيّ ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة للتميمي، (ج2/ 766-767، والسلسلة الصحيحة (ج5/ 69-70) تحت عنوان: الحلف بغير الله شركٌ لفظيٌّ أو قلبي. حديث رقم: 2042.

وَالْمَلائِكَةِ. فَذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: كَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَأَحْمَد فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ، إلَى: أَنَّهُ لا يُحْلَفُ بِالنَّبِيِّ، وَلا تَنْعَقِدُ الْيَمِينُ، كَمَا لا يُحْلَفُ بِشَيْءٍ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلا تَجِبُ الْكَفَّارَةُ عَلَى مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَحَنِثَ ... وَعَنْ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ رِوَايَةٌ أَنَّهُ يُحْلَفُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً؛ لأَنَّهُ يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ خُصُوصًا، وَيَجِبُ ذِكْرُهُ فِي الشَّهَادَتَيْنِ وَالأَذَانِ. فَلِلإِيمَانِ بِهِ اخْتِصَاصٌ لا يُشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ. وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: بَلْ هَذَا لِكَوْنِهِ نَبِيًّا. وَطَرَدَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ. مَعَ أَنَّ الصَّوَابَ الَّذِي عَلَيْهِ عَامَّةُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ؛ سَلَفُهُمْ وَخَلَفُهُمْ: أَنَّهُ لا يُحْلَفُ بِمَخْلُوقٍ؛ لا نَبِيٍّ وَلا غَيْرِ نَبِيٍّ، وَلا مَلَكٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ، وَلا مَلِكٍ مِنْ الْمُلُوكِ، وَلا شَيْخٍ مِنْ الشُّيُوخِ. وَالنَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ نَهْيُ تَحْرِيمٍ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ، كَمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِ. وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَد، كَمَا تَقَدَّمَ حَتَّى إنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ وَابْنَ عَبَّاسٍ وَغَيْرَهُمَا، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: (**لأَنْ أَحْلِفَ بِاَللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ صَادِقًا**)[1]. وَفِي لَفْظٍ: لأَنْ أَحْلِفَ بِاَللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أُضَاهِيَ. فَالْحَلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ، وَالشِّرْكُ أَعْظَمُ مِنْ الْكَذِبِ، وَغَايَةُ الْكَذِبِ أَنْ يُشَبَّهَ بِالشِّرْكِ. ... وَهَذَا الْمَنْهِيُّ عَنْهُ، بَلْ الْمُحَرَّمُ -الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنْ الْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ عِنْدَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- قَدْ ظَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ مَشْرُوعٌ غَيْرُ مَنْهِيٍّ عَنْهُ. ... وَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ. وَهُوَ ﷺ نَهَى عَنْ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ ... لِتَحْقِيقِ إخْلاصِ الدِّينِ لِلَّهِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؛ فَهَذَا كُلُّهُ مُحَافَظَةً عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ﷻ، وَأَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ؛ فَلا يُعْبَدُ غَيْرُهُ، وَلا يُتَوَكَّلُ إلا عَلَيْهِ، وَلا يُدْعَى إلا هُوَ، وَلا يُتَّقَى إلا هُوَ، وَلا يُصَلَّى وَلا يُصَامُ إلا لَهُ، وَلا يُنْذَرُ إلا لَهُ، وَلا يُحْلَفُ إلا بِهِ، وَلا يُحَجُّ إلا إلَى بَيْتِهِ »[2].

وحكى المسألة ووضَّحَها وزاد عليها في كتابه الآخر (اقتضاء الصراط المستقيم)، فقال: « بل لو أقسم على

---

[1] (?) الأثر في مصنف ابن أبي شيبة، وسيأتي تخريجه.

[2] (?) مجموع الفتاوى، (ج27/ 348-351) .

الله ببعض خلقه من الأنبيـاء والملائكة وغـيرهم؛ لنُهيَ عن ذلك، ولو لم يكن عند قبره، كما لا يُقسم بِمخلوقٍ مطلقا، وهذا القسم منهيٌّ عنه، غير منعقد باتفـاق الأئمة. وهل هو نَهْيُ تحــريمٍ أو تنـــزيه؟ على قــولين: أصــحهما: أنه نَهيُ تحريمٍ. ولم يتنازع العلماء إلا في الحلف بـالنبِيّ خاصـة، فإنّ فيه قـولين في مـذهب أحمـد، وبعض أصـحابه؛ كـابن عقيل: طَرَد الخلاف في الْحَلِفِ بسائر الأنبياء، لكنّ القــول الذي عليه جمهور الأئمة، كمالك، والشافعي، وأبِي حنيفـة، وغـــيرهم: أنّه لا ينعقد اليمين بِمخلـــوق ألبتـــه، ولا يقسم بمخلوق ألبته، وهذا هو الصواب. والإقسـام على الله بنبِيّه مُحمدٍ مبنِيٌّ على هذا الأصل، ففيه هذا النـزاع، وقد نُقِل عن أحمد في التوسل بـالنبي في (منسك المــروزي) ما يناسب قوله بانعقـاد اليمين بـه، لكن الصـحيح أنه لا تنعقد اليمين به. فكـذلك هـذا. وأما غـيرُه: فما عَلِمْتُ بين الأئمة فيه نزاعًا، بل قد صرّح العلماء بـالنهي عن ذلـك، واتفقـوا على أنّ الله يُسـأل ويقسم عليه بأسـمائه وصـفاته، كما يقسم على غيره بـذلك، كالأدعية المعروفة في السـنن .. »[1].

والقول الذي يَرَى عدم جواز الحلف بالنّبِيّ هو الراجح في هذه المسألة بدليل ما ثَبَتَ عَن النبِيّ من الأحاديث العامة، الناهية عن الحلف بغير الله (لا تَحْلِفُوا إلا بِاَللَّهِ). والآمرة بالحلف به سبحانه (مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاَللَّهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ). والْمُبيِّنة بأنّ (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ)، وبالقرائن الآتية. والقرائن التي تحرِّم هذا الأمر، وتبين أنه شركٌ أصغر، لا تـميِّز بين العبد الرسول محمدٍ ، ولا الكعبة، ولا غيرهما من بين بقية المخلوقات، ولقد قال النووي –رحمه الله- قبل أنْ يورد أكثر أحاديث الباب: « باب النهْي عن الحلف بِمخلوق؛ كالنبِيّ والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان، ونعمة السلطان، وتربة فلان، والأمانة؛ وهي أشدها نهْيًا »[2].

---

[1] (?) اقتضاء الصراط المستقيم، ص327.
[2] (?) رياض الصالحين للنووي، ص624 .

وهذه الأدلة والقرائن كثيرةٌ جدًّا، **منها:**

الأولى: ما جاء مِن أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما سَمِعَ رَجُلا يَقُولُ: لا، وَالْكَعْبَةِ! فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: « لا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ** "، هكذا في جامع الترمذي. ولفظ أبي داود: "**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**"[1]. وفي المسند "**مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ أَشْرَكَ**" وَقَالَ الآخَرُ وَهُوَ شِرْكٌ. وجاء في أثرٍ أنّ رجُلَينِ جلسَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، ثُمَّ قام أحدُهما مِنْ عِنْدِهِ فَجَلَسَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: فَجَاءَ صَاحِبِي وَقَدْ اصْفَرَّ وَجْهُهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقَالَ: قُمْ إِلَيَّ، قُلْتُ: أَلَمْ أَكُنْ جَالِسًا مَعَكَ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: قُمْ إِلَى صَاحِبِكَ! قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ؟ قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! أَعَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَحْلِفَ بِالْكَعْبَةِ؟ قَالَ: وَلِمَ تَحْلِفُ بِالْكَعْبَةِ؟ إِذَا حَلَفْتَ بِالْكَعْبَةِ فَاحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ؛ فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ إِذَا حَلَفَ قَالَ: (كَلا! وَأَبِي!!) فَحَلَفَ بِهَا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لا تَحْلِفْ بِأَبِيكَ، وَلا بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ** "[2].

ثانيًا: عقَد البخاري –رحمه الله- في صحيحه بابًا، عَنْوَن له بـ(بَاب لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ) وأورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: " **أَلا إِنَّ**

---

[1] سنن أبي داود: كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء، رقم: 3251، وجامع الترمذي: كتاب النذور والأيمان، بَاب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، رقم: 1535، وقال الترمذي: « حَدِيثٌ حَسَنٌ » وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين ولم يخرجاه »، (المستدرك،ج4/ ص297، ورقم الحديث: 7814)، وصححه الألباني في الصحيحة (ج5/69-71، برقم: 2042).

[2] مسند الإمام أحمد، رقم: 5375، ضعف إسناده محققو المسند، وله شواهد.

اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ؛ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ "[1].

قَالَ ابْنُ عُمَرَ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ** "، قَالَ عُمَرُ:« فَوَ اللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاكِرًا وَلا آثِرًا[2]» [3].

وقد جاء بيانُ ما يحلف به عمرُ ﷺ عند الترمذي وغيره، ولفظه: « **يَقُولُ: وَأَبِي وَأَبِي!»**[4]. فنهاه النبيُّ ﷺ.

وعن عِكْرِمَة مرسلا قَالَ: قَالَ عُمَر: « حَدَّثْت قَوْمًا حَدِيثًا فَقُلْت: لَا، وَأَبِي! فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي: " **لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ** "، فَالْتَفَتّ فَإِذَا رَسُول اللَّه ﷺ يَقُول: " **لَوْ أَنَّ أَحَدكُمْ حَلَفَ بِالْمَسِيحِ هَلَكَ، وَالْمَسِيح خَيْر مِنْ آبَائِكُمْ** " [5].

ثالثًا: وعن عَبْدِ اللَّهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ** " [6].

قال النووي –رحمه الله- في شرحه: « ... قَالَ الْعُلَمَاء: الْحِكْمَة فِي النَّهْي عَنْ الْحَلِف بِغَيْرِ اللَّه تَعَالَى أَنَّ الْحَلِف يَقْتَضِي تَعْظِيم الْمَحْلُوف بِهِ، وَحَقِيقَة الْعَظَمَة مُخْتَصَّة بِاللَّهِ تَعَالَى، فَلا يُضَاهِي بِهِ غَيْره، وَقَدْ جَاءَ عَن ابْن

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور، ورقمه: 6646، وصحيح مسلم: كتاب الأيمان، بَاب النَّهْيِ عَنْ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، على إثر حديث رقم: 1646.

[2] قَوْله: (**مَا حَلَفْت بِهَا ذَاكِرًا وَلا آثِرًا**) مَعْنَى ذَاكِرًا: قَائِلا لَهَا مِنْ قِبَل نَفْسِي، أو عَامِدًا، وَلا تكلمت بها (آثِرًا) -بِالْمَدِّ- أَيْ: حَاكِيًا عَنْ الْغَيْر، أَيْ: مَا حَلَفْت بِهَا وَلا حَكَيْت ذَلِكَ عَنْ غَيْرِي، وقد اغتفره الآن لضرورة التبليغ (انظر: المنهاج للنووي، 1047، وفتح الباري، ج4/ ص 4732-4733).

[3] صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 6647، وصحيح مسلم: الكتاب والباب، 1646.

[4] جامع الترمذي: كتاب النذور والأيمان، بَاب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، رقم: 1533، وهو الحديث المتفق عليه السابق.

[5] مُصَنَّف اِبْن أَبِي شَيْبَة: كتاب الأيمان والنذور، الرجل يَحلف بغير الله أو بأبيه، رقم: 12410 (ج7/ ص547)، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « وَهَذَا مُرْسَلٌ يَتَقَوَّى بِشَوَاهِدِهِ » (فتح الباري، ج4/ 4732) .

[6] صحيح البخاري: الكتاب والباب، رقم: 6648.

عَبَّاس: **لأنْ أحْلِف بِاَللَّهِ مِائَة مَرَّة فَآثَم، خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَحْلِف بِغَيْرِهِ فَأَبَرّ** »[1].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرحه: « قَوْله: " **مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاَللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ** ": قَالَ الْعُلَمَاء: السِّرّ فِي النَّهْي عَنْ الْحَلِف بِغَيْرِ اللَّه أَنَّ الْحَلِفَ بِالشَّيْءِ يَقْتَضِي تَعْظِيمَهُ،وَالْعَظَمَة فِي الْحَقِيقَة إِنَّمَا هِيَ لِلَّهِ وَحْدَهُ،وَظَاهِر الْحَدِيث تَخْصِيص الْحَلِف بِاَللَّهِ خَاصَّة،لَكِنْ قَدْ اِتَّفَقَ الْفُقَهَاء عَلَى أَنَّ الْيَمِينَ تَنْعَقِد بِاَللَّهِ وَذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الْعَلِيَّةِ»[2].

وهنا إجماعان، **الأول:** إِبَاحَة الْحَلِف بِاَللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاته كُلّهَا، وَهَذَا مُجْمَع عَلَيْهِ، حكاه النووي في شرح الحديث[3].

والثاني: عدم جواز الحلف بغير الله إجْمَاعًا، نقله الحافظ ابن حجر عن الحافظ ابن عبد البر[4] –رحمهما الله-.

ثالثًا: وتقدم حديث قُـتَيْـلَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ[5] رضي الله عنها، قَالَتْ: أَتَى حَبْرٌ مِنِ الأَحْبَارِ رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، قَالَ: " **سُبْحَانَ اللَّهِ! وَمَا ذَاكَ؟** قَالَ: تَقُولُونَ: -إِذَا حَلَفْتُمْ- وَالْكَعْبَةِ، قَالَتْ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّهُ قَدْ قَالَ: فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ** " قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلا أَنَّكُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدًّا، قَالَ: " **سُبْحَانَ اللَّهِ! وَمَا ذَاكَ؟** " قَالَ: تَقُولُونَ: ما شاء الله وشئتَ، قَالَ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّهُ قَدْ قَالَ: فَمَنْ قَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ شِئْتَ** "[6].

---

1 (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص1047.

2 (?) فتح الباري، (ج4/ 4732).

3 (?) شرح النووي، مصدرٌ سابق.

4 (?) فتح الباري، مصدرٌ سابقٌ.

5 (?) بضم القاف، وفتح التاء، بعدها الياء، صحابيةٌ، كانت من المهاجرات الأُوَل. (وقد سبق ترجمتها هناك).

رابعًا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلا بِالأَنْدَادِ، وَلا تَحْلِفُوا إِلا بِاللَّهِ، وَلا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ** "[1].

وإنْ اعترض معترِضٌ على أحاديث النهي عن الحلف بغير الله بما ورَد في حديث قصة الأعرابي وسؤاله عن الإسلام، ثم قوله بعد الإجابة عليه: « وَاللَّهِ! لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ » وقول النبِيّ فيه –كما في رواية-: " **أَفْلَحَ –وَأَبِيهِ- إِنْ صَدَقَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ –وَأَبِيهِ- إِنْ صَدَقَ** "[2].

فقد حرر العلماء –رحمهم الله- أجوبة لذلك، منها:

قول النووي –رحمه الله-: « قَوْله : " **أَفْلَحَ –وَأَبِيهِ- إِنْ صَدَقَ**" هَذَا مِمَّا جَرَتْ عَادَتُهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ الْجَوَاب عَنْهُ مَعَ قَوْله : "**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ** " وَقَوْله : " **إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ** ". وَجَوَابه أَنَّ قَوْله : " أَفْلَحَ وَأَبِيهِ " لَيْسَ هُوَ حَلِفًا إِنَّمَا هُوَ كَلِمَة جَرَتْ عَادَة الْعَرَب أَنْ تُدْخِلَهَا فِي كَلامهَا غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهَا حَقِيقَةَ الْحَلِفِ. وَالنَّهْي إِنَّمَا وَرَدَ فِيمَنْ قَصَدَ حَقِيقَة الْحَلِف لِمَا فِيهِ مِنْ إِعْظَام الْمَحْلُوفِ بِهِ، وَمُضَاهَاتِهِ بِهِ اللَّهَ سُبْحَانه وَتَعَالَى. فَهَذَا هُوَ الْجَوَاب الْمَرْضِيُّ. وَقِيلَ: يُحْتَمَل أَنْ يَكُون هَذَا قَبْل النَّهْي عَنْ الْحَلِف بِغَيْرِ اللَّه تَعَالَى. وَاَللَّه أَعْلَمُ »[3].

---

6 الحديث في مسند الإمام أحمد ومستدرك الحاكم، وهو صحيح، وقد تقدم تخريجه.

[1] سنن أبي داود: كتاب الأيمان والنذور، بَاب فِي كَرَاهِيَةِ الْحَلْفِ بِالآبَاءِ، رقم: 3248، وسنن النسائي: كتاب الأيمان والنذور، الْحَلِفُ بِالأُمَّهَاتِ، رقم: 3769، صححه الشيخ الألباني.

[2] هذه الرواية رواها مسلم في صحيحه في: كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الإِسْلامِ، وهو: على إثر حديث رقم: 11، وأبو داود في سننه في: كتاب الأيمان والنذور، بَاب فِي كَرَاهِيَةِ الْحَلْفِ بِالآبَاءِ، ورقمه: 3252،

[3] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص86 .

وقال صاحب عون المعبود: " **أَفْلَحَ وَأَبِيهِ** " : لَعَلَّ هَذَا وَقَعَ قَبْل وُرُود النَّهْي أَوْ التَّقْدِير: (وَرَبِّ أَبِيهِ) أَوْ كَلِمَة جَرَتْ عَلَى اللِّسَان مِنْ أَنْ يُقْصَد بِهَا الْيَمِين »[1].

بل وقيل بشذوذ رواية "أفلح –وأبيه- .." التي لم يروِها البخاري، ولا مسلمٌ في الأصول، بل في الشواهد والمتابعات. قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « قَوْله: " **أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ** " وَقَعَ عِنْد مُسْلِم مِنْ رِوَايَة إِسْمَاعِيل بْن جَعْفَر الْمَذْكُورَة " أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ " أَوْ " دَخَلَ الْجَنَّة وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ ". وَلأَبِي دَاوُدَ مِثْله لَكِنْ بِحَذْفِ " أَوْ ". فَإِنْ قِيلَ: مَا الْجَامِع بَيْن هَذَا وَبَيْن النَّهْي عَنْ الْحَلِف بِالآبَاءِ؟ أُجِيبَ: بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْل النَّهْي، أَوْ بِأَنَّهَا كَلِمَة جَارِيَة عَلَى اللسَان لا يُقْصَد بِهَا الْحَلِف، كَمَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِمْ عَقْرَى، حَلْقَى، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَوْ فِيهِ إِضْمَار اِسْم الرَّبّ كَأَنَّهُ قَالَ: وَرَبّ أَبِيهِ، وَقِيلَ: هُوَ خَاصّ وَيَحْتَاج إِلَى دَلِيل، وَحَكَى السُّهَيْلِيّ عَنْ بَعْض مَشَايِخه أَنَّهُ قَالَ: هُوَ تَصْحِيف، وَإِنَّمَا كَانَ وَاَللَّه، فَقُصِّرَتْ اللامَان. وَاسْتَنْكَرَ الْقُرْطُبِيّ هَذَا وَقَالَ: إِنَّهُ يَجْزِم الثِّقَة بِالرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَة. وَغَفَلَ الْقَرَافِيّ فَادَّعَى أَنَّ الرِّوَايَة بِلَفْظِ: (وَأَبِيهِ) لَمْ تَصِحّ؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ فِي الْمُوَطَّأ،وَكَأَنَّهُ لَمْ يَرْتَضِ الْجَوَاب فَعَدَلَ إِلَى رَدّ الْخَبَر،وَهُوَ صَحِيح لا مِرْيَة فِيهِ،وَأَقْوَى الأَجْوِبَة الأَوَّلانِ»[2].

خامسًا: من المعلوم أنه قد أقسم الله بذاته وبجملة كبيرة مِن خلقه على أشياء خفية وغيرها مهمة؛ فأقسم بالزمن، وبالبلد الأمين، والبيت المعمور، وبحياة رسوله ﷺ، فقال: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭼ [الحجر: ٧٢]. فـ« أقسم تعالى بحياة نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع وجاه عريض. ... عن ابن عباس، أنه قال: **ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحدٍ**

---

[1] (?) ص1399-1400 .

[2] (?) فتح الباري: (ج1/450).

غيره، قال الله تعالى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭼ **يقول: وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا** ... رواه ابن جرير »[1].

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: «..أكثر المفسرين من السلف والخلف، بل لا يعرف عن السلف فيه نزاعًا أنَّ هذا قسَمٌ من الله ِبحياة رسوله ، وهذا من أعظم فضائله أنْ يُقسم الرب ِبحياته، وهذه مزية لا تعرف لغيره. ولم يوافق الزمخشري على ذلك فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط وأنه من قول الملائكة فقال : هو على إرادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه الصلاة و السلام: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭼ . وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين، بل ظاهر اللفظ وسياقه إنما يدل على ما فهمه السلف لا أهل التعطيل والاعتزال. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمرك أي وحياتك قال: وما أقسم الله تعالى بحياة نِبيٍّ غيره. و(العمر) واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإثبات الأخف، لكثرة دوران الحلف على ألسنتهم. وأيضًا فإنّ العمر حياة مخصوصة، فهو عمر شريف عظيم أهلٌ أن يقسم به لِمزيته على كل عمر من أعمار بنِي آدم. ولا ريب أنّ عمره وحياته من أعظم النعم والآيات، فهو أهل أن يقسم به والقسم به أولى من القسم بغيره من المخلوقات»[2]**.**

وأقسم تبارك وتعالى بغير ذلك مِن سمائه، والقمر والنجوم، والملائكة، والقلم، وأقسم بالخلق كلهم؛ ما يُبصَر وما لا يُبصَر... إلى غير ذلك مما أقسم الله بِها على أشياء مهمة وعظيمة. ولله سبحانه أنْ يُقسم بِما شاء مِن خلقه، بخلاف الخلق؛ فإنّهم لا يجوز لهم أنْ يحلفوا إلا بالله تبارك وتعالى، ويحرُم عليهم الحلِف بالمخلوقات أمثالهم، سواءٌ في ذلك الملائكة المقرَّبون، والأنبياء والمرسلون، وغيرهم من بقية الصالحين؛ لأنّ الحلِف عبادة، وهي مبنية على التوقف حتى يأتي الطلب، فقد قال القرطبي –رحمه الله- بعد تفسيره للآيات الأولى من سورة النازعات: « ومن أول السورة إلى هنا قسم أقسم الله

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ 722-723).

[2] التبيان في أيمان القرآن لابن القيم، ص649-651 .

به، ولله أنْ يُقسم بِما شاء من خَلْقه، وليس لنا ذلك إلا به »[1].

وقال النووي –رحمه الله- في شرح حديث: (**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاَللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**): « فَإِنْ قِيلَ: الْحَدِيث مُخَالِف لِقَوْلِهِ : " **أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ** "[2] فَجَوَابه: أَنَّ هَذِهِ كَلِمَة تَجْرِي عَلَى اللِّسَان لا تُقْصَد بِهَا الْيَمِين، فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ أَقْسَمَ اللَّه تَعَالَى بِمَخْلُوقَاتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﭽ ﭼ [الصافات: ١]، وﭽ ﭼ [الذاريات: ١]، وﭽ ﭼ [الطور: ١]، ﭽ ﭼ [النجم: ١]، فَالْجَوَاب: أَنَّ اللَّه تَعَالَى يُقْسِم بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاته تَنْبِيهًا عَلَى شَرَفه »[3].

وعن ميمون، قال: سمعته يقول: « **إنّ الله تعالى يقسم بِما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله، ومن أقسم فلا يكذب** »[4].

وقد نقل الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير ﭽ ﭼ قول السلف، وهو أنّ: « الخالق يُقسِم بِما شاء مِن خَلْقه، والمخلوق لا ينبغي له أنْ يقسم إلا بالخالق »[5].

وروى بعضهم عن الضحاك: إن الله لا يقسم بشيء من خلقه، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه. وهذا قولٌ ضعيف. والذي عليه الجمهور أنه قَسَمٌ مِن الله ، يُقْسِم بِما شاء من خلقه، وهو دليلٌ على عَظَمَته[6] .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله-: « وقوله: ﭽ ﭼ [الحجر : 72] معناه أُقسِم بِحياتك. والله جل وعلا له أنْ يُقسم بِما شاء مِن خلقه، ولم يقسم في القرآن بِحياة أحد إلا نبينا محمد ، وفي ذلك من التشريف

---

[1] (?) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (ج22/ 43-44) .

[2] (?) الحديث في صحيح مسلم، وقد تقدم تخريجه قريبًا.

[3] (?) شرح النووي على صحيح مسلم، ص1047.

[4] (?) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الأيمان والنذور، الرجل يَحلف بغير الله أو بأبيه، ورقمه: 12421 (ج7/ ص550).

[5] (?) قاله الشعبي وغيره: وقد رواه ابن أبي حاتم كما في (تفسير القرآن العظيم، (ج4/ 313).

[6] (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ج4/ ص379) .

له ما لا يخفى. ولا يجوز لِمخلوق أن يحلف بغير الله، لقوله : « مَن كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت »[1].

فالحلف بغير الله -كائنًا ما كان- شركٌ أصغر، وقد يكون أكبر؛ لذا قال عبد الله ابن مسعودٍ : « **لأنْ أحلِف بالله كاذبًا أحبّ إلَيّ مِن أنْ أحلف بغيره صادقًا** »[2].

وبِما تقدم ثبَت أنّه لا يجوز الحلف بالمخلوق أيًّا كان، ومنها نبينُا محمد ، وهذا هو الصحيح في المسألة. ولا يكون تعظيم النبّيّ بِمُخالفة أوامره، والله تعالى أعلم.

** * **

المطلب الحادي عشر: مسائل متفرِّقة لها علاقة بالمبحث:

وهنا وفي هذا المطلب سأذكُر مسألتَين فقط، على نحوٍ تالٍ. كما أنّني سأبنِي ما أقوله على كلام متين لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- حيث قال فيه: « الكلام إذا كان في سياق توحيد الربّ سبحانه ونفْيِ خصائصه عمّا سواه، لَم يجُز أنْ يقال: هذا سوءُ عبارةٍ في حق مَن دون الله تعالى مِن الأنبياء والملائكة؛ فإنّ المقام أجَلُّ مِن ذلك، وكُلّ ما سِوى الله تعالى يتلاشى عند تجريدِ توحيدِه. ونبِيُّ الله كان مِن أعظم الناس تقريرًا لِما يُقال على هذا الوجه، وإنْ كان نفس المسلوب؛ وهذا كما في الصحيحين من حديث الإفك لَما نزَلَتْ براءة عائشة رضي الله تعالى عنها من السماء، وأخبَرها النبِيّ بذلك، فقالت لَها أمُّها: قومي إلى رسول الله ، فقالت: (**والله لا أقوم إليه ولا أحمده، ولا إيّاكما؛ لقد سَمعتم فلا أنكرتم ولا غيّرتم، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتِي**). وفي رواية قالت: (**نحمد الله لا نحمد أحدًا**)، وفي رواية: (**نحمد الله لا نحمدك**)[3]. فأقرّها

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ج3/ص40).

[2] مصنف ابن أبي شيبة،كتاب الأيمان والنذور، الرجل يَحلف بغير الله أو بأبيه، رقم: 12414 (ج7/ ص549).

[3] أصل الحديث في البخاري، وبقية الروايات التي ذكرها شيخ الإسلام هنا في غيره. وقد تقدم تخريج الحديث في مبحث النبي لا يعلم من الغيب إلا ما علّمه الله.

النبِيّ وأبوها على مثل هذا الكلام الذي نفثْ فيه أنْ تحمد رسولَ الله، وأنْ تحمد أحَدًا إلا الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى هو الذي أنزل براءتَها بغير فعل أحدٍ، ولَم يقُلْ أحدٌ: هذا سوء أدبٍ عليه، وسوء الأدب عليه كفرٌ. قال البيهقي: حدثنا .. - فساق سند البيهقي إلى رجلٍ، أنّه قال-: قلتُ لعبد الله بن المبارك: قول عائشة للنبِيّ حين نزَلَت براءتُها من السماء: نحمد الله لا نحمدك إنّي لأستعظمُ هذا القول، فقال عبد الله: (**ولَّت الحمدَ أهلَه**). وكذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده .. أنّ النبِيّ أُتِي بأسيرٍ فقال: اللهم إنّي أتوب إليك، ولا أتوب إلى محمدٍ، فقال النبِيّ : "**عَرَفَ الْحَقَّ لأَهْلِهِ** "[1]. .. وكان النبِيّ يُعلّم أصحابه بتجريد التوحيد، فقال: "**لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد**". وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: "**أجعلتني لله ندًّا، بل ما شاء الله وحده**"[2]. وما أحدثه الله بغير فعلٍ منه أضَافَه إلى الله تعالى وحده، كما في الصحيحين: لَمّا تاب الله تعالى عن الثلاثة الذين خُلّفوا، وآذن النبِيّ الناس بتوبتهم، فجاء كعبٌ إليه، فقال: "**يا كَعْبُ! أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ " فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَمِنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِك؟ قَالَ: " بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّه**[3]"..»[4].

---

[1] الحديث في مسند الإمام أحمد ومستدر الحاكم، وشعب الإيمان للبيهقي، (ج4/ ص103، برقم: 4425)، كلهم من طريق الْحَسَن البصري عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، وقد ضعفه الذهبي في تعليقه على المستدرك والشيخ الألباني في الضعيفة (برقم: 3862) وضعيف الجامع الصغير (برقم: 8144، وشعيب الأرناؤوط ومساعدوه في تحقيق المسند، ذلك أنّ الْحَسَن لم يسمع من الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ.

[2] الحديث صحيح، وقد تقدم تخريجه في مسألة: ما شاء الله وشاء محمد.

[3] الحديث في صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، رقم: 4416، وصحيح مسلم: كتاب التوبة، باب توبة حديث توبة كعب وصاحبيه، رقم: 2769.

[4] تلخيص كتاب الاستغاثة، (ج2/ 647-651)، بتحقيق: محمد علي العجال.

ولِي هنا وقفتان مع السنن النبوية التقريرية التي جاءت في هذا الكلام المتين الصائب، من خلال مسألتَين:

المسألة الأولى: مسألة: هل يُتاب إلى النبِيِّ ؟

المسألة الثانية: مسألة الحمد.

الأولى: مسألة: هل يُتاب إلى النبيِّ ؟[1]:

فالوقفة مع حديث " **عَرَفَ الْحَقَّ لأَهْلِهِ** " بضميمة قصة توبة الله على كعب المتقدمة:

حديث الباب هو: أَنَّ النَّبِيَّ أُتِيَ بِأَسِيرٍ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، وَلا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ)، فَقَالَ النَّبِيُّ : " **عَرَفَ الْحَقَّ لأَهْلِهِ** ". والحديث وإنْ متكلَّمًا فيه؛ بالانقطاع وعدم سماع الراوي الأدنى عن الأعلى، إلا أنّ له شواهدَ من نصوص الشريعة الدالة على أنّ التوبة تكون إلى الله وحده، لا إلى غيره –كائنًا ما كان- قال تعالى: ﭽﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﭼ [النور: ٣١]. وأنّه لا يَغفِر الذنوب سواه: ﭽﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﭼ [آل عمران: ١٣٥] أي: لا أحَدَ يَغفِر إلا هو.

فالحديث ضعيف السند، لكن لَم يكن ضعفُه شديدًا، كما أنّه متوافق مع أصول الشريعة الإسلامية، غير متخالف معها ولا مخالف لها، ومعلومٌ أنّ الله تعالى هو: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [الشورى: ٢٥]. بالإضافة إلى إنَّه جاء حديث كعب بن مالك المتقدم عند البخاري وغيره يشهد لِمعناه.

فثبت بالسنة التقريرية التي أقرّ النبيّ هذا الأسير على قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، وَلا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ) بقوله: : " **عَرَفَ الْحَقَّ لأَهْلِهِ** "، وثبت أيضًا -ببقية النصوص- حيطةُ المصطفى في أنْ لا يُصرَف حقّ الله تعالى وخصيصته (التوبة) إلى غيره، فجزاه الله خيرًا من ناصح أمينٍ!

المسألة الثانية: مسألة الحمد:

فكما أنّ التوبة تكون إلى الله وحده –وقد تقدمت في المسألة السالفة-، كذلك لا يستحق الحمد كُلّه، ولذاته إلا العظيم المجيد الصمد سبحانه، وتقدم في قصة عائشة رضي الله عنها، في حادثة الإفك، وفيها قولُها: (فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ! احْمَدِي اللَّهَ؛ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقُلْتُ: لا

---

[1] (?) انظر مسألة التوبة بأدلتها: تيسير العزيز الحميد، ص24.

وَاللَّهِ! لا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلا أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ) [1]. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَاتِ في سورة النور فِي بَرَاءَتِها.

وانظر كيف أرشدها النبِيّ ﷺ بقوله: " **يَا عَائِشَةُ! احْمَدِي اللَّهَ** "! وانظر –أيضًا- كيف أنّه أقرها على قولها جوابًا لأمها: (لا وَاللَّهِ! لا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلا أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ)!!

فثبت بهذه السنة التقريرية أيضًا حيطة المصطفى ﷺ في أنْ لا يُصرَف حقّ الله تعالى وخصيصته (الحمد) إلى غيره، فجزاه الله خيرًا من ناصح أمينٍ!

******

وأما بعد، فمَا تقدم في المطالب الأحد عشر من مسألتَيْ الدعاء والاستغاثة وقول الرسول ﷺ فيها: " **إنّه لا يُستغاث بِي، وإنّما يُستغاث بالله** "[2].

وكذلك مسألة النهي عن السجود لغير الله، وقوله في ذلك: " **فَلا تَفْعَلُوا؛ فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، ..** "[3].

ومسألة النهي عن اتخاذ القبور أعيادًا، وقوله فيه: " **لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ ..** "[4].

ومسألة النهي عن الاستشفاع بالله على خلقه، -وذلك في حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ-، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جُهِدَتْ الأَنْفُسُ، وَضَاعَتْ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتْ الأَمْوَالُ، وَهَلَكَتْ الأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللَّهَ لَنَا،

---

1 (?) جزء من قصة عائشة في حادثة الإفك الطويلة التي تقدمت. وهي في البخاري وغيره.

2 (?) تقدم تخريجه في أول هذا المبحث (مسألتا الدعاء والاستغاثة)، وفيه ابن لهيعة.

3 (?) تقدم تخريجه (في مسألة السجود)، مرويّا (في سنن ابن ماجه صحيحًا).

4 (?) تقدم تخريجه (في اتخاذ قبر العبد الرسول محمد ﷺ عيدًا)، في سنن أبي داود صحيحًا.

فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟** " وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: " **وَيْحَكَ! إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا** "[1].

وتقدم في موضع من الرسالة النهي عن إطرائه ﷺ: " **لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**" [2].

والنهي عن رفعه فوق منزلته التي أنزله الله عليها: " **قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ؛ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ** ﷻ **"**. وقالوا له السيّد، فقال: " **السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** " [3].

ونفي علم الغيب عنه في قوله:"**أَمَّا هَذَا فَلا تَقُولُوهُ؛ مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلا اللَّهُ**"[4].

والرجل الذي قال لرسول الله ﷺ: (ما شاء الله وشئت)، أجابه بقوله: " **جعلتنِي لله عديلا، لا بل ما شاء الله وحدَه** "[5].

وقال: " **إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ، فَلا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ** "[6].

---

[1] سنن أبي داود: كتاب السنة، بَاب فِي الْجَهْمِيَّةِ، ورقمه: 4726، وقد ضعفوه

[2] الحديث في صحيح البخاري: وسيأتي تخريجه في (مبحث أهل السنة ينهون عن إطراء الرسول ﷺ).

[3] الحديث في سنن أبي داود وغيره (وسيأتي تخريجه في المبحث الخامس من الفصل القادم).

[4] الحديث صحيح، وقد تقدم تخريجه في (مبحث علم الغيب).

[5] الحديث في مصنف ابن أبي شيبة، وقد تقدم تخريجه (في المبحث الثاني من الفصل).

[6] الحديث في سنن ابن ماجه، وقد تقدم تخريجه.

وأَقَرّ قائلَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، وَلا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ)، بقوله: " **عَرَفَ الْحَقَّ لأَهْلِهِ** "[1].

كما أَقَرّ عائشة على قولها:(لا وَاللَّهِ! لا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلا أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ)[2]ولَم يعاتبها.

كُلّ هذه وغيرها مرّت في هذا المبحث، وبعضها القليل توزّعَت في بقية المباحث هنا وهناك؛ (وخصوصًا في مبحث محبته عليه الصلاة والسلام لِوَصفِه بالعبودية من الباب الأول) وتَنْصَبُّ هذه السنن القولية والفعلية والتقريرية في مصَبٍّ واحد؛ ألا وهو: **حماية المصطفى حمى التوحيد بأقواله وأفعاله وتقريراته، وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك**[3]. والخلاصة أنّ « صاحب الشريعة حسَم المادة، وسدّ الذريعة، بلعنة مَن يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأنْ لا يُصلّى عندها لله، ولا يُسأل إلا الله، وحذّر أمّته من ذلك. فكيف إذا وقع نفس المحذور من الشرك وأسباب الشرك! »[4]. والله المستعان!

لكنّ الملاحظ أنّ أغلَب ما مرّتْ في المطالب العشرة –قبل هذا- وفي غيرها سُننٌ قوليّة وفعليّة؛ لذا جعلتُ هذا المطلب الأخير لذكر طائفة من سُنَنٍ نبويّة تقريريّة أيضًا؛ فيها الاحتياط لجناب التوحيد، حتى تكتمل

---

[1] (?) الحديث في شعب الإيمان، وقد تقدم تخريجه في أول هذا المطلب.

[2] (?) جزء من قصة عائشة في حادثة الإفك الطويلة التي تقدمت. وهي في البخاري وغيره.

[3] (?) للاستزادة انظر: مضمنات باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، وسدّه كلّ طريق يوصل إلى الشرك، ص51، وباب ما جاء في حماية النبِيّ حمى التوحيد وسدّه طرق الشرك ص: 91، من كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ضمن مجموعة التوحيد النجدية)، وحماية الرسول حمى التوحيد، د. محمد بن عبد الله زربان الغامدي، وعنوان: احتياط الشرع لتوحيد الإلهية، من كتاب دعوة التوحيد، للشيخ د. محمد خليل هراس، ص66-70، وكتاب: البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار لفوزان السابق، ص347-351، .

[4] (?) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص339.

الجوانب الثلاثة للسنة عند الأصوليين (السنة القولية والفعلية والتقريريّة).

فثبت بكل ما تقدم أنّ العبد الرسول محمدًا سلَكَ طُرُقًا كثيرة لحماية جانب توحيد العبادة خصوصًا، بل التوحيد عمومًا، فأمَر بجملة مِن الاعتقاداتٍ والأقوال فيه (فوصف نفسه بصفتين عظيمتين في غير ما حديث، هما: العبودية والرسالة، والتي لكلٍّ واحدة منهما مدلولها ومعناها العظيم، يجب أنْ نقف على الفهم الجيِّد لهما ثم العمل بمقتضاهما لنكون مسلمين حقًّا) وفي غيره، ونَهى عن أُخَر.

حتى قال عن نفسه فيما رواه عَلِيّ بن الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: « أَحِبُّونَا بِحُبِّ الإِسْلامِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " **لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي رَسُولا** "[1].

ولقد امتثل الصحابة هذه الاعتقادات والأقوال، فأقرَّهم الرسول على ذلك.

كما سلك صحابتُه مسلك الاحتياط وحماية التوحيد؛ اقتداءً به، فكانوا لا يقومون له؛ لِما يعرفون مِن كراهته لذلك، فعن أَنَسٍ قَالَ: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ: وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ[2]، مع أنه قال: " **قوموا لسيدكم**[3] " في شأن غيره.

ولقَد كَانَ رُبَّمَا سَقَطَ الْخِطَامُ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، فَيَضْرِبُ بِذِرَاعِ نَاقَتِهِ فَيُنِيخُهَا فَيَأْخُذُهُ، قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: أَفَلا أَمَرْتَنَا نُنَاوِلُكَهُ؟ فَقَالَ: « **إِنَّ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ أَمَرَنِي أَنْ لاَ أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا** »[4].

---

[1] (?) الحديث رواه الطبراني في الكبير، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي والألباني،وتقدم تخريجه في الباب الأول.

[2] (?) الحديث في جامع الترمذي وغيره، وقد صححه الترمذي والألباني. وقد مرّ تخريجه.

[3] (?) مرّ الحديث في منتصف المبحث، وهو عند البخاري وغيره.

[4] (?) مسند الإمام أحمد: رقم: 62، حكم الشيخ شعيب الأرناؤوط بأنه حسن لغيره، وأنّ سنده ضعيف .

وروى مالك بسنده عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِعَطَاءٍ فَرَدَّهُ عُمَرُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : " **لِمَ رَدَدْتَهُ؟** " فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَيْسَ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ خَيْرًا لأَحَدِنَا أَنْ لا يَأْخُذَ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِنَّمَا ذَلِكَ عَنْ الْمَسْأَلَةِ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ يَرْزُقُكَهُ اللَّهُ** ". فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: « أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لا أَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، وَلا يَأْتِينِي شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ إِلا أَخَذْتُهُ »[1] .

وقد ذكر مسلم قول سالم –رحمه الله- بعد روايته للحديث، وهو « **فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ؛ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، وَلا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَهُ** »[2].

وحال حكيم ليس بعيدًا عن أولئك، حيث: روى الترمذي عَنْ عُرْوَةَ وَابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: " **يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ. وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى** " فَقَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ. ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ

---

1 (?) موطأ مالك، كتاب الصدقة، بَاب مَا جَاءَ فِي التَّعَفُّفِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ، ورقمه في الكتاب: 9، وهو مرسَل بالاتفاق، وأصل الحديث موجود في الصحيحين من غير طريق عطاء هذا، (صحيح البخاري: كتاب الأحكام، بَاب رِزْقِ الْحاكمِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا، رقم: 7163، و7164، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، بَاب إِبَاحَةِ الأَخْذِ لِمَنْ أُعْطِيَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلا إِشْرَافٍ، رقم: 1045، والذي بإثره).

2 (?) صحيح مسلم، الكتاب والباب.

يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ شَيْئًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى تُوُفِّيَ[1].

وحديث عوف بن مالك الأشجعي مرفوعاً في البيعة: "**وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**" قال الراوي: « **فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ** »[2].

وأبو سعيد لَما أصابته فاقة وأتى النبي فوجده يخطب ويذكر أنه مهما يكن عنده من خير فلن يدخره عن الصحابة، وإنّه من يستغن يغنه الله.. الحديث[3] قال في نفسه: والذي بعثك بالحق لا أسألك شيئًا. فرجع فأغناه الله وجاء بخيرٍ، ويُخبر أحد التابعين بالقصة فيقول: أنّه [4] قدِم المدينة فنزل على أبي سعيد الخدريّ في داره، فضمنه وإياه المجلس، فسمعه يحدث، ويقول: أصابنِي جوعٌ على عهد رسول الله حتى شددت على بطني حجرًا، فقالت امرأتي: لو أتيت رسول الله فسألته، فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه، وأتاه فلان فسأله فأعطاه، فقلت: لا أسأله حتى لا أجد شيئًا، فالتمستُ فلم أجد شيئًا فانطلقتُ إليه فوافقته يَخطب فأدركت مِن قوله: « **ومَن يستعف يعفه الله، ومن يستغن يغنِه الله، ومَن سألنا فإما أن نبذل له، وإما أن نواسيه، ومن استغنَى عنا أحب إلينا مِمن سألنا** »، فرجعتُ فما سألتُ أحدًا بعده شيئًا، فجاءت الدنيا؛ فما من أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منا[5].

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم: 1469، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى...، رقم: 1035.

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ، رقم: 1043 .

3 (?) انظر: الاستغاثة والرد على البكري، ص99، والحديث متفق عليه.

4 (?) هو هلال بن حصين.

5 (?) شُعَب الإيمان للبيهقي، الشعبة الثانية والعشرون، (باب في الزكاة) فصل في الاستعفاف عن المسألة، ورقمه: 3348، وأصل الحديث في الصحيحين.

ودليل أبي بكر الصديق ودليل غيره في هذا هو: ما قاله ثوبان مولى رسول الله : سَمعتُ رسولَ الله يقول: "لاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا" قال: فما سألتُ أحدًا شيئًا بعدها، فكان سوطه يسقط من يده، فما يسأل أحدًا أن يناوله إياه.

ثم إنه إذا امتنع الصحابة سؤال الناس -وعلى رأسهم رسول الله - ما يَملكون ويقدرون على تحصيله لهم امتثالا لهذا الأمر أفتراهم يسألون الناس ما لا يقدرون عليه، ويستغيثون بهم فيها، أو يسألونَهم بعد وفاتهم؟! هذا ما لَم يَثبُت عنهم؛ لاحتياطهم للتوحيد ولِحمايتهم له، ويُعلّق شيخ الإسلام على حديث أبي سعيد المتقدم فيقول: « فأبو سعيد فهِم من كلام النبِيّ أنّ ترك سؤاله تعففًا واستغناء خيرٌ له من سؤاله، فإذا كان ترك سؤال الأنبياء في حياتِهم أفضل مع الحاجة والفاقة، ومع عدم الحاجة يكون حرامًا، فكيف سؤال الغائب والميّت منهم ومِن غيرهم؟ هل يكون عملا صالحًا مشروعًا مستحبًّا للناس..»[1].

ثم إنّ عُمَرَ هو الذي -لَمّا جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الأَسْوَدِ، وقَبَّلَهُ- قَالَ: « **إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ؛ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ**، .. »[2].

وهو الذي أمَر بقطع شجرة الرضوان التي بايع تحتها الصحابةُ -على الموت- رسولَ الله عام الحديبيَّة، لِما عَلِم أنَّ بعض الناس يذهبون إليها، ويتعمدون الصلاة عندها[3].

كما عَزَل خالدًا عن القيادة في وقتٍ تَعَلَّقَت الآمالُ به؛ ليُتمَّ ما بدأه من الانتصارات على الرُّوم، ولكنَّه خَشِيَ أنْ يفتتن به الناسُ، وولّى مكانَه أبا عبيدة بنَ الجرّاح [4].

[1] (?) انظر: الاستغاثة والرد على البكري، ص99، والحديث متفق عليه.

[2] (?) الأثر في صحيح البخاري ومسلم، وقد تقدم تخريجه في مستهل البحث.

[3] (?) انظر الروايات عن عمر في ذلك: كتاب البدع، لابن وضاح، ص78-80 (باب ما جاء في اتباع الآثار).

[4] (?) لم أقف عليه إلى الآن، لكن أورده الشيخ خليل الهراس (دعوة التوحيد، ص69).

وقال -لَمّا رأى أنس بنَ مالك يصلي عند قبرٍ-: « **القبرَ القبرَ** »[1]- يعنِي به: التحذير ليجتنب الصلاةَ إليه-.

وأمَر أصحابَـه بتَعْمِيَة قبرِ دانيال ، وذلك لَمّا عَثَرُوا عليه بتُسْتَر؛ وأمَرهم بِحَفر ثلاثةَ عشَرَ قَبْرًا متفرِّقة، وأنْ يقبروه في واحدٍ منها بليل، مع تسويتها[2].

وعليٌّ قال لأبي الهياج الأسدي: « **أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ؛ أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالا إِلا طَمَسْتَهُ، وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَهُ** »[3].

وأما أبو بَصرة فقد قال لأبِي هريرة رضي الله عنهما بعدما رجع أبو هريرة من الطور: لَوْ لَقِيتُكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَهُ لَمْ تَأْتِهِ، قُلْتُ لَهُ: وَلِمَ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: " **لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ** " [4].

فالصحابة سلكوا مسلك رسولنا محمدٍ في الحفاظ على التوحيد والاحتياط له، بنفيهم عن المخلوقين -طُرًّا أجمعين- خصائص الأولهية والربوبية، وسدهم ذرائع الشرك والتمثيل وجميع الطرق الموصلة إليه. وهذا خلافًا لِما عليه المتأخرون من الرافضة والصوفية، والبريلوية خصوصًا –وقد تقدم- حيث خرقوا سياج توحيد العبادة وغيره؛ بغُلُوِّهم في معظميهم. والله المستعان!

** * **

وبعد، فأختم (مبحث أنّه ليس للعبد للرسول محمد من خصائص الألوهية شيء، فكيف يكون لِمَن هو دونه من الأنبياء وغيرهم؟!) بالقول بأنّ « مَن أشرك بين اللّه

---

1 (?) أورد هذا الأثر البخاري في صحيحه معلقًا مجزومًا به، على إثر بَاب هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ، (انظر البخاري مع الفتح، ج1/ 737).

2 (?) أورده الطبري في تاريخه (تاريخ الأمم والملوك، في حوادث سنة 17، ج4/220)، بواسطة: حاشية في فتح المجيد، ص275.

3 (?) الأثر في صحيح مسلم، وقد تقدم تخريجه في مستهل البحث.

4 (?) الحديث في الموطأ، وفي سنن النسائِي، وهو صحيح، وقد تقدم تريجه في مطلب إلى أين تشد الرحال.

تعالى وبين مخلوق -فيما يختص بالخالق تعالى من هذه العبادات أو غيرها- فهو مشرك. وإنما ذكرنا هذه العبادات خاصة؛ لأنّ عُبّاد القبور صرَفُوها للأموات من دون اللّه تعالى، أو أشركوا بين اللّه تعالى وبينهم فيها، وإلا فكلُّ نوع من أنواع العبادة، مَنْ صرفه لغير اللّه، أو شرّك بين اللّه تعالى وبين غيره فيه فهو مشرك. قال اللّه تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [النساء: ٣٦] »[1]. قاله صاحب تيسير العزيز الحميد بعدما ذكر عشرة عبادات، (المحبة، الخوف، الرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله، الصلاة والركوع والسجود، الدعاء فيما لا يقدر عليه إلا الله، سواء كان طلبًا للشفاعة أو غيرها من المطالب، الذبح، النذر، الطواف؛ فلا يُطاف إلا ببيت الله، التوبة؛ فلا يُتاب إلا لله، الاستعاذة فيما لا يقدر عليه إلا الله، الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله)[2].

** * **

1 (?) تيسير العزيز الحميد، ص25.

2 (?) انظرها بأدلتها: تيسير العزيز الحميد، ص23-25.

المبحث الخامس: أهل السُّنّة يَرَون أنَّ واسطة العبدِ الرّسول محمدٍ ﷺ بين الله والجنِّ والإنس: واسطةُ تبليغٍ، لا واسطةَ عبادةٍ، بخلاف مخالِفِيهم في المسألة:

قد طال المبحث المتقدم بمطالبه الأحد عشَر بالمفيد (آيات وأحاديث)، ولَمّا كان الْمبحث القائم (هذا) كالتتمة بل تتمةً له؛ فأختصرُه، وأقول بأنه: قد بَحَثَه شيخ الإسلام -رحمه الله- في رسالة له صغيرة نافعة في إحدى فتاويه، وعنوانُها: الواسطة بين الحق والخلق[1]، وأنا هنا أرَدتُ ما هو أخصّ مما عنده، وسأورِدُ من كلامه ما يتضح -إنْ شاء الله- به المقصود.

فواسطة الرّسول محمد ﷺ، بل والرُّسُل قبله بين المبعوثين إليهم وبين الله تعالى في الدنيا واسطةُ تبليغِ رسالةِ الله إليهم، لا واسطة عبادتِهم بدعوى طلب أنْ يُقرِّبوهم إلى الله زلفى. وهذا الذي يَجب أنْ يَعتقده الْمسلمون، وعليه أهل السُّنّة والجماعة، خلافًا للقبورية من الرافضة والصوفية -وقد تقدم ذلك في الباب المتقدم مُفصّلا- الذين لَم يُوفّقوا للتمييز بين الأمرين؛ فصرَفوا ويَصْرِفون لَهم، بل ولِمَن دونَهم -بعد وفاتِهم خاصةً- أنواعًا من العبادات، كدعائهم واستغاثتهم، والنذر والذّبح لَهم، وغير ذلك. ومَن زعَم أنّ واسطتَهم -عليهم الصلاة والسلام- واسطةُ عبادة، فهذا الاعتقاد منه ناقضٌ لدينه بالإجماع، قال في ذكر نواقض الإسلام: « الثانِي: مَن جَعَل بينه وبين الله وسائِطَ يَدعُوهم، ويَسألُهم الشّفاعةَ، ويتوكّل عليهم، فقد كفَرَ إجْماعًا »[2].

أما فتوى شَيْخ الإِسْلامِ -رحمه الله- الْمشار إليها فسببُها السؤال الذي هذا نصُّه: سُئِلَ عَنْ رَجُلَيْنِ تَنَاظَرَا؛

---

[1] (?) انظرها ضمن الرسائل والفتاوى والكتب المودعة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج1/121-137)، وقد حقق الرسالة الشيخ محمد جميل زينو -رحمه الله- وطبعتها الجامعة الإسلامية مفردة. وللدكتور المرابط بن محمد يسْلم المجتبى الشنقيطي رسالة الدكتوراه في هذا الموضوع، وقد ذكَرتُها في الخطة ضمن الدراسات السابقة حول موضوع هذا البحث، وعنوانُها: الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة وأهل الأهواء، وأثرها في العقيدة، وقد طبعتْها دار الفضيلة، (مهمة في الباب).

[2] (?) رسالة نواقض الإسلام، (ص177، ضمن مجموعة التوحيد)، وسيأتي حكاية الإجماع أيضًا من ابن تيمة.

فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لا بُدَّ لَنَا مِنْ وَاسِطَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ، فَإِنَّا لا نَقْدِرُ أَنْ نَصِلَ إلَيْهِ بِغَيْرِ ذَلِكَ. وقد كان جوابُه –رحمه الله- عليه: هو التفصيل الذي في عُنوان هذا المبحث، حيث بيّن أنّه إنْ كان مقصود هذا القائل أنه لا يَصِل عبادُ الله من الجنّ والإنس إلى الله تعالى وإلى رضوانه وجناته إلا بواسطة رسُله عمومًا، ورسوله محمدٍ ﷺ خصوصًا؛ فيُبلّغونَهم دينه؛ ما يُحبُّه ويرضاه، أوامره ونواهيه، وأنّهم بدون ذلك لا يَصلون إلى معرفة تفاصيل محابّ الله ومراضيه = إنْ كان مقصوده هذا فنَعم؛ بل وهو مما أجمَع عليه أهل الملل. وإنْ كان يُريد بقوله السابق أنّ العبادَ لا يَصِلون إلى الله وعبادته، وجلب المنافع منه ودفع ضدّها، إلا إذا اتخذوا وسائط بينهم وبينه سبحانه؛ فيَسألونَهم ذلك ليتوسّطوا لقضائها لهم إليه، مثلما يَحصُل عند ملوك الدنيا فهذا عين شِرك كُفارُ قريش. قال –رحمه الله- مجيبًا: « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. إنْ أَرَادَ بِذَلِكَ: أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْ وَاسِطَةٍ تُبَلِّغُنَا أَمْرَ اللَّهِ: فَهَذَا حَقٌّ؛ فَإِنَّ الْخَلْقَ لا يَعْلَمُونَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَمَا أَمَرَ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ، وَمَا أَعَدَّهُ لأَوْلِيَائِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَمَا وَعَدَ بِهِ أَعْدَاءَهُ مِنْ عَذَابِهِ، وَلا يَعْرِفُونَ مَا يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا؛ الَّتِي تَعْجِزُ الْعُقُولُ عَنْ مَعْرِفَتِهَا وَأَمْثَالِ ذَلِكَ إلا بِالرُّسُلِ؛ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ اللَّهُ إلَى عِبَادِهِ؛ فَالْمُؤْمِنُونَ بِالرُّسُلِ الْمُتَّبِعُونَ لَهُمْ: هُمْ الْمُهْتَدُونَ الَّذِينَ يُقَرِّبُهُمْ لَدَيْهِ زُلْفَى، وَيَرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ، وَيُكْرِمُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَأَمَّا الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ: فَإِنَّهُمْ مَلْعُونُونَ وَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ ضَالُّونَ مَحْجُوبُونَ؛قَالَ تَعَالَى:ﭽﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ [الأعراف: ٣٥ – ٣٦]»[1].

وبعد سرده لأمثال هذه الآيات، قال: « وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ. وَهَذَا مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْمِلَلِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ؛ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ الْوَسَائِطَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ؛ وَهُمْ الرُّسُلُ الَّذِينَ بَلَّغُوا عَنْ اللَّهِ أَمْرَهُ وَخَبَرَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [الحج: ٧٥]. وَمَنْ أَنْكَرَ هَذِهِ الْوَسَائِطَ فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْمِلَلِ. وَالسُّوَرُ الَّتِي

---

1 (?) مجموع الفتاوى، (ج1/ ص120).

أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِمَكَّةَ مِثْلُ: الأَنْعَامِ، وَالأَعْرَافِ، وَذَوَاتِ: الر وحم وطس وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ هِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لأُصُولِ الدِّينِ؛ كَالإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ قِصَصَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَكَيْفَ أَهْلَكَهُمْ، وَنَصَرَ رُسُلَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا »[1]. ثم خَتَم هذا الجانب بقوله: « فَهَذِهِ الْوَسَائِطُ: تُطَاعُ وَتُتَّبَعُ وَيُقْتَدَى بِهَا »[2]، وسَرَد أدلة ذلك.

ثم قال: «وَإِنْ أَرَادَ بِالْوَاسِطَةِ: أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْ وَاسِطَةٍ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، مِثْلَ: أَنْ يَكُونَ وَاسِطَةً فِي رِزْقِ الْعِبَادِ وَنَصْرِهِمْ وَهُدَاهُمْ؛ يَسْأَلُونَهُ ذَلِكَ وَيَرْجُونَ إلَيْهِ فِيهِ:فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الشِّرْكِ الَّذِي كَفَّرَ اللَّهُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ؛حَيْثُ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهُ أَوْلِيَاءَ وَشُفَعَاءَ؛ يَجْتَلِبُونَ بِهِمْ الْمَنَافِعَ، وَيَجْتَنِبُونَ الْمَضَارَّ.لَكِنَّ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ يَأْذَنُ اللَّهُ لَهُ فِيهَا»[3].

وذكَر آياتٍ في هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ [سبأ: ٢٢ – ٢٣]، وعلّق عليها بقوله: « وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: كَانَ أَقْوَامٌ يَدْعُونَ الْمَسِيحَ وَالْعُزَيْرَ وَالْمَلائِكَةَ: فَبَيَّنَ اللَّهُ لَهُمْ أَنَّ الْمَلائِكَةَ وَالأَنْبِيَاءَ: لا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْهُمْ وَلا تَحْوِيلا، وَأَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إلَى اللَّهِ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ»[4].

وقوله سبحانه: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [آل عمران: ٧٩ – ٨٠]. وعلّق عليها بقوله: « فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ: أَنَّ اتِّخَاذَ الْمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا كُفْرٌ. فَمَنْ جَعَلَ الْمَلائِكَةَ وَالأَنْبِيَاءَ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْأَلُهُمْ جَلْبَ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعَ الْمَضَارِّ؛ مِثْلَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ غُفْرَانَ الذَّنْبِ، وَهِدَايَةَ الْقُلُوبِ، وَتَفْرِيجَ الْكُرُوبِ، وَسَدَّ الفاقات: فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ»[5].

وقد تقدمت نماذج كثيرة من طلب غُفْرَان الذّنوب، وَهِدَايَة الْقُلُوبِ، وَتَفْرِيج الْكُرُوبِ، وَسَدّ الفاقات من نبيِّنا

---

1. (?) مجموع الفتاوى، (ج1/ ص121-122).
2. (?) المصدر نفسه، (ج1/ 122).
3. (?) المصدر نفسه، (ج1/ 122).
4. (?) المصدر نفسه، (ج1/ 123).
5. (?) المصدر نفسه، (ج1/ 123).

خصوصًا من قِبَل الصوفية، وخصوصًا ما تقدم من النماذج المأخوذة من الديوان المسمى: الدواوين الستّ. والله المستعان!

ومما قاله شيخ الإسلام في المسألة في هذا الجانب: « وَإِنْ أَثْبَتَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ -كَالْحُجَّابِ الَّذِينَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَرَعِيَّتِهِ- بِحَيْثُ يَكُونُونَ هُمْ يَرْفَعُونَ إلَى اللَّهِ حَوَائِجَ خَلْقِهِ؛ فَاَللَّهُ إنَّمَا يَهْدِي عِبَادَهُ وَيَرْزُقُهُمْ بِتَوَسُّطِهِمْ؛ فَالْخَلْقُ يَسْأَلُونَهُمْ، وَهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ؛ كَمَا أَنَّ الْوَسَائِطَ عِنْدَ الْمُلُوكِ يَسْأَلُونَ الْمُلُوكَ الْحَوَائِجَ لِلنَّاسِ؛ لِقُرْبِهِمْ مِنْهُمْ، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُمْ؛ أَدَبًا مِنْهُمْ أَنْ يُبَاشِرُوا سُؤَالَ الْمَلِكِ؛ أَوْ لأَنَّ طَلَبَهُمْ مِنْ الْوَسَائِطِ أَنْفَعُ لَهُمْ مِنْ طَلَبِهِمْ مِنْ الْمَلِكِ؛ لِكَوْنِهِمْ أَقْرَبَ إلَى الْمَلِكِ مِنْ الطَّالِبِ لِلْحَوَائِجِ. فَمَنْ أَثْبَتَهُمْ وَسَائِطَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ: فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ يَجِبُ أَنْ يُسْتَتَابَ؛ فَإِنْ تَابَ، وَإِلا قُتِلَ. وَهَؤُلاءِ مُشَبِّهُونَ لِلَّهِ؛ شَبَّهُوا الْمَخْلُوقَ بِالْخَالِقِ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا. وَفِي الْقُرْآنِ مِنْ الرَّدِّ عَلَى هَؤُلاءِ: مَا لَمْ تَتَّسِعْ لَهُ هَذِهِ الْفَتْوَى. **فَإِنَّ الْوَسَائِطَ الَّتِي بَيْنَ الْمُلُوكِ وَبَيْنَ النَّاسِ**: يَكُونُونَ عَلَى **أَحَدِ وُجُوهٍ ثَلاثَةٍ**: -إمَّا لإِخْبَارِهِمْ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ بِمَا لا يَعْرِفُونَهُ. وَمَنْ قَالَ: إنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ أَحْوَالَ عِبَادِهِ حَتَّى يُخْبِرَهُ بِتِلْكَ بَعْضُ الْمَلائِكَةِ أَوْ الأَنْبِيَاءُ أَوْ غَيْرُهُمْ: فَهُوَ كَافِرٌ؛ بَلْ هُوَ -سُبْحَانَهُ- يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، لا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ؛ ﭽﭡﭢﭣﭤﭼ [الشورى: ١١]. يَسْمَعُ ضَجِيجَ الأَصْوَاتِ بِاخْتِلافِ اللُّغَاتِ، عَلَى تَفَنُّنِ الْحَاجَاتِ، لا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلا تُغَلِّطُهُ الْمَسَائِلُ. وَلا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ. **الْوَجْهُ الثَّانِي:** أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ عَاجِزًا عَنْ تَدْبِيرِ رَعِيَّتِهِ، وَدَفْعِ أَعْدَائِهِ -إلا بِأَعْوَانٍ يُعِينُونَهُ- فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْصَارٍ وَأَعْوَانٍ لِذُلِّهِ وَعَجْزِهِ. وَاَللَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَيْسَ لَهُ ظَهِيرٌ وَلا وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ. ... وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِن الأَسْبَابِ: فَهُوَ خَالِقُهُ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، فَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إلَيْهِ؛ بِخِلافِ الْمُلُوكِ الْمُحْتَاجِينَ إلَى ظهرائهم، وَهُمْ -فِي الْحَقِيقَةِ- شُرَكَاؤُهُمْ فِي الْمُلْكِ، وَاَللَّهُ تَعَالَى: لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، بَلْ لا إلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. **وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ:** أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ لَيْسَ مُرِيدًا لِنَفْعِ رَعِيَّتِهِ، وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَرَحْمَتِهِمْ: إلا بِمُحَرِّكٍ يُحَرِّكُهُ مِنْ خَارِجٍ. فَإِذَا خَاطَبَ الْمَلِك مَنْ يَنْصَحُهُ وَيُعَظِّمُهُ، أَوْ مَنْ يَدُلّ عَلَيْهِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ يَرْجُوهُ وَيَخَافُهُ: تَحَرَّكَتْ إرَادَةُ الْمَلِكِ، وَهِمَّتُهُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ رَعِيَّتِهِ، إمَّا لِمَا حَصَلَ فِي قَلْبِهِ مِنْ كَلامِ النَّاصِحِ الْوَاعِظِ الْمُشِيرِ، وَإِمَّا لِمَا يَحْصُلُ مِنْ الرَّغْبَةِ أَوْ الرَّهْبَةِ مِنْ كَلامِ الْمُدِلِّ عَلَيْهِ.
وَاَللَّهُ تَعَالَى هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، وَهُوَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، وَكُلُّ الأَشْيَاءِ إنَّمَا تَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ؛ فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَهُوَ إذَا أَجْرَى نَفْعَ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ: فَجَعَلَ هَذَا يُحْسِنُ إلَى هَذَا، وَيَدْعُو لَهُ، وَيُشَفَّعُ فِيهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فِي قَلْبِ هَذَا الْمُحْسِنِ الدَّاعِي الشَّافِعِ إرَادَةَ الإِحْسَانِ وَالدُّعَاءِ وَالشَّفَاعَةِ. وَلا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي الْوُجُودِ مَنْ يُكْرِهُهُ عَلَى خِلافِ مُرَادِهِ، أَوْ يُعَلِّمُهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، أَوْ مَنْ يَرْجُوهُ الرَّبُّ وَيَخَافُهُ »[1].

إلى أنْ قال: « وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ وَسَائِطَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ كَالْوَسَائِطِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالرَّعِيَّةِ فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ بَلْ هَذَا دِينُ الْمُشْرِكِينَ عُبَّادُ الأَوْثَانِ كَانُوا يَقُولُونَ: إنَّهَا تَمَاثِيلُ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَإِنَّهَا وَسَائِلُ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إلَى اللَّهِ؛ وَهُوَ مِنْ الشِّرْكِ الَّذِي أَنْكَرَهُ اللَّهُ عَلَى النَّصَارَى »[2].

وبمثل ما تقدم لكنه بالإيجاز المفيد أجاب –رحمه الله- لَمّا سُئِلَ: (إنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ بِوَاسِطَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّهُ الْوَسِيلَةُ وَالْوَاسِطَةُ): الجواب: « الْحَمْدُ لِلَّهِ، إنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الإِيمَانَ بِمُحَمَّدِ وَطَاعَتَهُ وَالصَّلاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْهِ وَسِيلَةٌ لِلْعَبْدِ فِي قَبُولِ دُعَائِهِ، وَثَوَابِ دُعَائِهِ فَهُوَ صَادِقٌ. وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ اللَّهَ لا يُجِيبُ دُعَاءَ أَحَدٍ حَتَّى يَرْفَعَهُ إلَى مَخْلُوقٍ، أَوْ يُقْسِمَ عَلَيْهِ بِهِ، أَوْ أَنَّ أَنْفُسَ الأَنْبِيَاءِ بِدُونِ

---

[1] (?) مجموع الفتاوى، (ج1/ص125-127).
[2] (?) المصدر نفسه، (ج1/ ص133-134).

الإِيمَانِ بِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَبِدُونِ شَفَاعَتِهِمْ وَسِيلَةٌ فِي إجَابَةِ الدُّعَاءِ: فَقَدْ كَذَبَ فِي ذَلِكَ.وَاَللَّهُ أَعْلَمُ »[1].

وبعد، فأهل السنة أمة الوسط والوسطية أثبتُوا للنبِيّ واسطةَ التبليغ دون واسطة العبادة، بِمقتضى ما تقرر في النّصوص الشرعية. أما الكثير من المبتدعة فيجعلون العبد الرسول واسطةً بين الحق والخلق في أمر العبادة، ويلغونَها في أمر التلقِّي والاستدلال، وهذا قلب للأمور رأسًا على عقِب[2]، والله تعالى المستعان!

** * **

---

1 (?) المصدر نفسه، (ج1/ ص138).

2 (?) انظر: في مقدمة الشيخ سَليم الهلالي للسيف المسلول على مَن سبّ الرسول (السبكي)، ص62 .

لمبحث السادس: أهل السنة يَنْهَون عن إطراء العبد الرسول محمد والغلوِّ والمبالغة في مَدْحِه:

أوجَب الله سبحانه وتعالى تعظيم مقامات الأنبياء عليهم السلام عمومًا، وتعظيم نبيّنا محمدٍ وتوقيره خصوصًا، وأذن بأخذ شرائعه واتباعه، والاقتداء به، وتوقيره وتعظيمه، وتبجيله واحترامه، وموالاته، ونصرته وإعانـته، وغير ذلك من المعانِي، التي هي حقوقٌ له خاصة، كما أمَر له بِحقوق مشتركة، جماعها: محبة الله ومحبته، والإيمان بالله وبه، وطاعة الله وطاعته، إلى غير ذلك. وقد تقدم هذا مفصلا في مبحث لوازم الإيمان بالرسالة.

كما حَرّم سبحانه مجاوزة حدّ هذا الواجب الذي حدّه؛ بالزيادة عليه، أو بالتقصير عنه. والرسول أيضًا قد حَذَّر أمَّته عن مُجاوزة حُدود الشريعة في مَدحه وتعظيمه.

وقد اتّبَعه في ذلك أهل السنة والجماعة مِن الصحابة ومَن تبِعَهم بإحسان، فَنَهوا عن إطرائه، والغلو والمبالغة في مدحه؛ فـمِن السنّة الْمُحذِّرة عن ذلك: ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه سمع عمر يقول على المنبر سَمعتُ النبِيّ يقول: "**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ**[1]**، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**" [2].

وقد جاء الشاهد من الحديث عند البخاري وغيره[3] في حديث طويل قالَه عمر على منبر المدينة بين يدي أجَلِه بُعَيد حِجَّته الأخيرة رافِعًا إياه إلى النبيِّ .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: « قَوْله: "**لا تُطْرُونِي**" بِضَمِّ أَوَّله، وَالإِطْرَاء الْمَدْح بِالْبَاطِلِ، تَقُول: أَطْرَيْت فُلانًا: مَدَحْته فَأَفْرَطْت فِي مَدْحه. قَوْله: "**كَمَا**

[1] (?) وفي رواية: "**إِنَّمَا أَنَا عَبْده**" الحديث.

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ، رقم: 3445.

[3] (?) صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، رقم: 6830.

أطْرَتْ النَّصَارَى ابن مَرْيَم" أيْ: فِي دَعْوَاهُمْ فِيهِ الإِلَهِيَّة، وَغَيْر ذَلِكَ »[1].

وقيل: لا تجاوزوا الْحدّ في مَدحِي فتغلوا كما غَلَت النصارى في عيسى فادَّعَـوا ألوهيته، وحاشاه![2].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ -رحمه الله- في شرح الحديث، وبيان ما لا يستحقه الرسول من الحقوق والخصائص: « قوله: "**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ** " الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه. قاله أبو السعادات. وقال غيره: **لا تُطْرُونِي** -بضم التاء، وسكون الطاء المهملة- من الإطراء؛ أي: لا تمدحوني بالباطل، أو لا تجاوزوا الحد في مدحي. قوله: "**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**" أي: لا تَمدحونِي فتغلوا في مدحي كما غلَت النصارى في عيسى؛ فادَّعوا فيه الربوبية، **وإِنَّمَا أَنَا عَبْد الله**؛ فصِفونِي بذلك كما وصفنِي به ربِّي. و**قُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** ". فأبَى عبَّاد القبور إلا مخالفةً لأمره، وارتكابًا لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة، وظنُّوا أنَّهم إذا وصفوه بأنَّه (**عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**)، وأنَّه لا يُدعى، ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يُطاف بحجرته، وأنَّه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علَّمه الله، أنَّ في ذلك هَضْمًا لِجنابه، وغَضًّا مِن قدره؛ فرفعوه فوق منـزلته، وادَّعوا فيه ما ادّعت النصارى في عيسى أو قريبًا منه؛ فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب الاستغاثة [3] عن بعض أهل زمانه أنَّه جوَّز الاستغاثة بالرسول في كلِّ ما يستغاث فيه بالله، وصنَّف فيه مصنَّفًا، وكان يقول: إنّ النبي يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله. وحكي عن آخر مِن جنسه، يُـباشر التدريس، ويُنسَب إلى الفتيا، أنَّه كان يقول: إنَّ النبِيّ يَعْلَم ما يَعلمُه الله، ويَقْدِر على ما يَقْدِر

---

1 (?) فتح الباري مع صحيح البخاري، (2 / 2544).

2 (?) انظر: عشرون حديثاً من صحيح البخاري، (ج2 /213) ضمن رسائل عبد المحسن بن حمَد العباد البدر).

3 (?) تقدم حكاية شيخ الإسلام عن ذلك الشيخ القبوري في فصل الصوفية.

الله عليه، وإنَّ هذا السِّرَّ انتقل بعده إلى الحسن، ثم انتقل في ذرية الحسن إلى أبِي الحسن الشاذلِي[1]، وقالوا: هذا مقام القُطب الغوث الفرد الجامع[2]. ومن هؤلاء من يقول في قول الله تعالى: ﭽ   ﭼ [الأحزاب: ٤٢]: إنَّ الرسول هو الذي يُسبَّح بُكرةً وأصيلاً. ومنهم من يقول: (نحن نعبُد الله ورسوله)؛ فيجعلون الرسول -- معبودًا. قلت: وقال البوصيري[3]:

فإنَّ مِن جودك الدنيا وضرَّتَها ... ومِن عُلُومك علمَ اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة مِن جوده، وجزَم بأنَّه يَعلم ما في اللوح المحفوظ، وهذا هو الذي حكاه شيخ الإسلام عن ذلك الْمُدرِّس، وكلُّ ذلك كُفرٌ صريحٌ »[4].

وليس معنى حديث الباب أنّ الإطراء الْمنهي عنه هو فقط ما وصَل إلى قول النصارى الشنيع قبحًا؛ من جعل عيسى إلِهًا، أو ثالث ثلاثة، أو ابنًا لله، وحاشاه! بل هذا الإطراء المنهي عنه عامٌ منصَبٌّ عليه وعلى ما هو دونه، فالتشبيه في قوله: " **كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى** " مطلقُ التشبيه، لا التشبيه المطلق. وهذا هو الحق الذي لا مِرية فيه، بدليل قوله فيه: " **إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** "، بل مِن الظلم والتحريف اجتزاء الحديث على جملة "**لا تطرونِي**" دون آخره " **إنّما أنا عبدٌ ..** "؛ فمَن قال من الغلاة: إنّ رسولنا خُلق مِن نور الله، وأنه ليس ببشرٍ، أو أنّ الوجود مخلوقٌ منه، أو أنّه أوّل النّبيين خَلقًا، ومُرسل إلى جميعهم وأُمَمهم، أو أنّه خُلِق قبل العرش، أو أنه توسّل الأنبياء عليهم السلام به قبل وجوده، أو أنه لولاه ما خلَق الله آدمَ، أو أنّ الغُلاة يَرَونه بعد مَوته في الحياة الدنيا يَقظة لا منامًا، وأنّ فُلانًا لم يُحجب عنه الرسول مِن أربعين سنة، وفلانًا يَرَى الرّسول كلّ يَومٍ أرْبعًا وعشرين مَرّة، أو أنّه يُمكن رؤيَته يقظة والتلقي عنه، وأنّه ليس بِميّت، أو أنّ يده الشريفة

---

1 (?) تقدمت ترجمته في فصل الصوفية.

2 (?) تقدم بيان المراد بِهذا المصطلح في فصل الصوفية.

3 (?) تقدمت ترجمة البوصيري صاحب البردة في فصل الصوفية.

4 (?) تيسير العزيز الحميد، ص 262–263.

خرَجَت مِن القبر لِمصافحة فُلانٍ، أو الزعم بحضوره حِلَق الغلاة، ويُلقِّن مشايِخهم الأوْرَاد ويُمْليها عليهم. كلُّ هذا وغيرُه داخلٌ في الإطراء المنهي عنه في الحديث، لأنه مدحٌ بالباطل، وخروجٌ عن بشريته وعبوديته المنصوصة في قوله: " **إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** ".

فهذه الصُّوَر وإنْ لم تَصِل إلى إعطائه خصائص الرّبوبية والإلهية إلا أنّها داخلة في النهي؛ فإذا المنهي هو الغُلُوّ فيه، وما يَتَرَتّب عليه مِن المَدح بالباطل ومُجاوزة الحدّ، كما غَلَت النصارى في عيسى ابن مريم ، بل كلٌّ منهما عَبْدٌ للّهِ وَرَسُولُهُ.

وهذا الحق في معنى الحديث خِلافًا لِما زَعَم البوصيري مِن أنّ ما دون زعم النصارى في عيسى من الربوبية والبنوة في نبينا محمدٍ محمودٌ؛ وليس مَذمومًا مَنْهيًّا عنه، حتى قال:

دَعْ ما ادّعـتْه النصارى في نبيِّهم ... واحكم بِما شِئْتَ مَدْحًا فيه واحْتَكِم[1].

وقال مُغالٍ مُعاصر في تحريف الحديث: « جاء في الحديث: " **لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛** " والمعنَى أنّ إطراءَه والتغالِيَ فيه، والثناءَ عليه بِما سِوَى ذلك هو محمودٌ ». وقال أيضًا: « نَعَم، يَجِب علينا أنْ لا نَصِفَه بِشَيءٍ مِن صفات الرّبوبية، ورحِم الله القائل حيث قال:

دَعْ ما ادّعـتْه النصارى في نبيِّهم ... واحكم بِما شِئْتَ مَدْحًا فيه واحْتَكِم

فليس في تعظيمه بشيءٍ مِن صفات الرّبوبية شيءٌ مِن الكفر والإشراك، بل ذلك مِن أعظم الطاعات والقربات »[2]. وهذا كلامٌ باطلٌ! [3].

---

[1] (?) البردة، (البيت43) ضمن مجموع مهمات المتون.

[2] (?) حكاهما عن قائلهما (محمد بن علوي المالكي) صاحبُ كتاب هذه مفاهيمنا، 227.

[3] (?) للرد على هذا التأويل الباطل للحديث، يُنظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، (1/370)، وهذه مفاهيمنا للشيخ صالح آل الشيخ، ص 227-229 .

قال الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله- في شَرْح الحديث رَادًّا على شَرْح القبورية له: « لا تتجاوزوا الحد في مدحي؛ فَيُفضي بكم ذلك إلى ما آل بالنصارى لَمّا أغرقوا في مدح وتعظيم عيسى ؛ فإنّهم رَأَوا ما أجْرَاه الله على يَدَيه مِن معجزات؛ كإحياء الموتى، وإسماع الصم، وإعادة الأبصار، مع ضميمة كونه كلمة الله، فادعوا فيه الألوهية.
فالكاف في قوله : " **كما** " ليست كاف تشبيه، وإنما هي كاف التعليل التي تدل على مآل الحال. جاء في إنجيل (برنابا) في الفصل الرابع والتسعين قول عيسى : « **إني أشهد أمام السماء، وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريءٌ مِن كلّ ما قاله الناس عنّي من أعظم مِن بشر؛ لأنّي بشرٌ مولودٌ مِن امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام** ». ثم جاء فيه رد النصارى عليه: «قال الوالي وهيرو دوس: **يا سيّد! إنه لَمِن المحال أنْ يفعل بشر ما أنت تفعله، فلذلك لا تفقه ما تقول**[1]»ا.هـ[2].

فالنصارى في هذا النصّ لَم يرتضوا ما قاله المسيح عن نفسه مِن أنه بشر ابن امرأة يأكلان الطعام، كما قال الله : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [المائدة: ٧٥].

وكذلك المشابِهون لَهم (القبورية) مِن هذه الأمة لَم يرتضوا ما ارتضاه الرّسول لنفسه، وأمَر أنْ يُعتقد فيه ذلك ويقال؛ مِن وصفه بالعبودية والرسالة ولوازمهما، بل أخَلّوا بالأول، فأنْتَجَ لَهم الإخلالَ في الثانِي.

وقوله في الحديث: " **عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** " يَشْمَل قولَ القلب وقول اللسان؛ فيعتقد المسلم بقلبه كلَّ ما فيه تعظيمه ، مما لا مجاوزة فيه للحدّ، ومما هو مَشروعٌ، ويقوله العبد فيه بلسانه مَدْحًا؛ شِعرًا كان أو نَثْرًا. وقد تقدم بَيانُ تعظيم قَدْر النبِيّ : وأنّه

---

[1] (?) إنجيل برنابا، 94/ 1، (نسخة ثمينة ونادرة، انظر www hurras. Org/vb/showthread.php?t=1954 .

[2] (?) هذه مفاهيمنا للشيخ صالح آل الشيخ، ص228-229 .

يكون بالقلب اعتقادًا، وباللسان نُطقًا، وبالجوارح تأدُّبًا، وسبق في أول المبحث نقلٌ جيّد عن الشيخ سليمان (صاحب تيسير العزيز الحميد) في نقله عن ابن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي في الرَّدّ على السبكي. وهنا ذكرٌ لكلام ابن عبد الهادي في المسألة مباشرة دون واسطة، قال –رحمه الله-: « الوجه الثانِي عشر: أنّ هذا الذي يفعله عُبّاد القبور مِن المقاصد والوسائل ليس بتعظيم، فإنّ التعظيم مَحَلّه القلب، واللسان، والجوارح، وهم أبعدُ الناس منه، فالتعظيم بالقلب ما يتبع اعتقاد كونه رسولاً؛ مِن تقديم مَحبته على نفسِه، والولد، والوالد، والناس أجمعين؛ ويُصدِّق هذه المحبة أمران: **أحدهما:** تجريد التوحيد، فإنه كان أحرص الخلق على تجريده، حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ونَهى عن عبادة الله بالتقرب إليه بالنوافل من الصلوات في الأوقات التي يَسجد فيها عُبّاد الشمس لَها، بل قبل ذلك الوقت بعد أنْ تُصلّيَ الصبح والعصر لئلا يتشبه الموحدون بهم في وقت عبادتهم ،ونهى أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان[1]، ونَهى أنْ يَحلف بغير الله وأخبَر أنّ ذلك شِركٌ[2]، ونَهى أنْ يُصلّي إلى القبر[3]، أو يتخذ مسجداً[4]، أو عيداً[5]، أو يوقد عليه سراج[6] وذم مَن شرّك بين اسمه واسم ربه تعالى في لفظ واحد، فقال له: بئس الخطيب أنت[7]، بل مدار دينه على هذا الأصل الذي هو قطب رحى النجاة، ولم يقرر أحدٌ ما قرّرَه بقوله وفعله وهديه، وسَدّ الذرائع المنافية له، فتعظيمه بموافقته على ذلك لا بمناقضته فيه. **الثانِي:** تجريد متابعته وتحكيمه وحده في الدقيق والجليل؛ من أصول الدين وفروعه، والرضا بحكمه، والانقياد له والتسليم،

---

1 (?) سبق تخريج الحديث.

2 (?) سبق تخريج الحديث.

3 (?) سبق تخريج الحديث.

4 (?) سبق تخريج الحديث.

5 (?) سبق تخريج الحديث.

6 (?) سبق تخريج الحديث.

7 (?) سبق تخريج الحديث.

والإعراض عمن خالفه، وعدم الالتفات إليه حتى يكون وحده الحاكم الْمتبع المقبول قوله، كما كان ربُّه تعالى وحده الْمعبود الْمألوه، المخوف الْمرجو، الْمستغاث الْمستعان به، الْمتوكل عليه، الذي إليه الرّغبة والرّهبة، وإليه الوجهة والعمل، الذي يؤمل وحده لكشف الشدائد، وتفريج الكربات، ومغفرة الذنوب، والذي خلق الخلق وحده، ورزقهم وحده، وأحياهم وحده، وأماتَهم وحده، ويبعثهم وحده، ويغفر ويرحم، ويهدي ويُضلّ، ويُسعِد ويُشقي وحده، وليس لغيره من الأمر شيء، كائنًا من كان، بل الأمر كله لله. وأقربُ الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأرفعهم لديه ذكرًا وقدرًا، وأعمهم عنده شفاعة، ليس له من الأمر شيء، ولا يعطي أحدًا شيئًا، ولا يَمنع أحدًا شيئًا، ولا يَملك لأحد ضرًّا ولا رشَدًا، وقد قال لأقرب الخلق إليه -وهم ابنته وعمه وعمته-: "**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ عم رسول الله لا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا**"[1]. فهذا هو التعظيم الحق الْمطابق لحال الْمعظَّم، النافع للمعظِّم في معاشه ومعاده، الذي هو لازم إيمانه وملزومه. **وأما التعظيم باللسان** فهو الثناء عليه بما هو أهله، مما أثنى به على نفسه، وأثنى به عليه ربُّه من غير غُلُوٍّ ولا تقصير، فكما أنّ الْمقصر الْمفرط تاركٌ لتعظيمه، فالغالِي الْمفرط كذلك، وكلٌّ منهما شرٌّ من الأخر من وجه دون وجه، وأولياؤه سَلَكُوا بين ذلك قَوَامًا. **وأما التعظيم بالجوارح** فهو العمل بطاعته، والسعي في إظهار دينه، وإعلاء كلماته، ونصر ما جاء به، وجهاد ما خالفه. **وبالجملة: فالتعظيم النافع** هو تصديقه فيما أخبْر، وطاعته فيما أمَر، والموالاة والمعاداة والْحب والبغض لأجله وفيه، وتحكيمه وحده، والرّضا بِحُكمه، وأن لا يتخذ من دونه طاغوت يكون التحاكم إلى أقواله؛ فما وافقها مِن قول الرسول قبِلَه،

---

1 (?) الحديث في الصحيحين، وقد سبَق تخريجه.

وما خالفها ردَّه، أو تأوَّله أو فوضه، أو أعرض عنه. والله سبحانه يشهد -و ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ- وملائكتُه ورسلُه وأولياؤُه أنَّ عُبَّاد القبور وخصوم الموحدين ليسوا كذلك، وهم يَشْهَدون على أنفسهم بذلك. وما كان لَهم أنْ يَنْصُروا دينَه ورسولَه ، شاهدين على أنفسهم بتقديم آراء شيوخهم، وأقوال متبوعهم على قوله، وأنه لا يستفاد من كلامه يقينٌ، وأنه إذا عارضتْه عقول الرجال قدمت عليه، وكان الحكم ما تحكم به، أفلا يستحي من الله ومن العقلاء مَن هذا حاله، في أصول دينه وفروعه، أنْ يـتستّر بتعظيم القبر ليوهم الجهال أنه معظم لرسوله، ناصرٌ له، منـتصرٌ له ممن ترك تعظيمه وتنقصه، ويأبَى الله ذلك ورسولُه والمؤمنون: ﭽﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭼ [الأنفال: ٣٤] »[1].

وقال شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر -حفظه الله تعالى-: « قوله: " فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ": جَمَع بين وصفه بكونه عبد الله، ووصفه بكونه رسوله، دَفْعًا للإفراط والتفريط؛ دفعًا للإفراط والإطراء والغلو؛ لأنَّه عبدُ الله تعالى، ودَفْعًا للتقصير والتفريط بترك متابعته، وعدم الأخذ بسنته، والسَّيْر على نَهجه الذي أرسَلَه الله به، ورَحِم الله شَيخَ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إذ يقول: (عبدٌ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُكذَّب، بل يُطاعُ ويُتَّبع[2]). وهذا هو مقتضى شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله، فإنَّ معناها كما قال -رحمه الله-: " طاعتُه فيما أمر، وتصديقُه فيما أخبر، واجتنابُ ما نهى عنه وزَجَر، وأنْ لا يُعبدَ الله إلا بما شرع[3] »[4] .

---

1 (?) الصارم المنكي، ص531-534، نقله عنه صاحب تيسير العزيز الحميد، ص262 –264.

2 (?) ذكر هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، ط / الخضيري، ص33.

3 (?) ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصول الثلاثة وأدلتها، ط / دار الخضيري، ص13 .

4 (?) شرح الحديث في:(عشرون حديثاً من صحيح البخاري) ص2 / 214،ضمن مجموع رسائل عبد المحسن البدر.

وفي **بيان مدح الرسول المشروع وغيره**، قال: « مَدْحُ الرّسول : منه ما هو محمودٌ، ومنه ما هو مذمومٌ؛ **فالمدح المحمود** هو أنْ يُوصَف بكُلِّ كَمالٍ يليق بالإنسان؛ فهو أعلم الناس، وأنصحهم، وأخشاهم لله وأتقاهم، وأفصحهم لسانًا، وأقواهم بيانًا، وأرجحهم عقلاً، وأكثرهم أدَبًا، وأوفرهم حِلْمًا، وأكملهم قوَّة وشَجَاعةً وشفَقَةً، (وأكرمهم)[1] نفسًا، وأعلاهم منـزلةً، وكلُّ مَدحٍ هو كمالٌ في حق الإنسان فلِسَيِّد ولد آدم -صلوات الله وسلامه عليه- منه القسط الأكبر، والحظُّ الأوفر، وكلُّ وَصْفٍ يُعتبر نَقْصًا في الإنسان فهو أسْلَمُ الناس منه، وأبعدُهم عنه، فلقد اتّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ كَريم، وسَلِم مِن أدْنَى أيِّ وَصْفٍ ذَمِيمٍ، وحَسْبُه شَرَفًا قولُ اللهِ تعالى فيه: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [القلم: ٤]. قد –والله- بلَّغ البلاغ المبين، وأدَّى الأمانة على أكمل وجه، ونصَح الأمة غاية النصح، ببيانٍ ليس وراءه بيان، ونُصحٍ يَفُوق نُصْحَ أيِّ إنسان، فكلُّ ثَنَاءٍ على سيِّد الأولين والآخرين مِن هذا القَبيل فهو حَقٌّ، مع الحذر من تجاوز الحد والخروج عن الحق، **وما أحلى وأجمل وصفه بكون (عبد الله ورسوله) تحقيقًا لرغبته عليه الصلاة والسلام، وامتثالاً لقوله في هذا الحديث: " فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ".**

والمدح المذموم: هو الذي يتجاوز فيه الْحَدّ، ويَقَع به الْمادح في الْمحذور الذي لا يَرضَاه الله ولا رسولُه ، وذلك أنْ يُوصَفَ بِما لا يجوز أَنْ يُوصَف به إلا الله تبارك وتعالى، أو أن يُصرف له ما لا يستحقه إلا الباري جل وعلا »[2].

ثم ذكر بيتين من قصيدة البوصيري[3] الميمية السابقِ أحدُهما، وردَّ عليهما.

---

1 (?) المثبت هو الصحيح، وإن حصل خطأ مطبعبي؛ حيث كُتبت الكلمة: « **وأكرهم** » .

2 (?) عشرون حديثا من صحيح البخاري، للشيخ عبد المحسن البدر، (ج2/ص216-218).

3 (?) تقدمت ترجمته.

وأُضيف هنا ما يُمكن أنْ يَدخُل في الْمَدح الْمشروع في حقّه ﷺ: منه أنْ يُقال مثلا: كان نبيُّنا ﷺ لا يُوازى في الأخلاق الكريمة ولا يُبارى، وكان في قريشٍ مذ كان حدثًا وغلامًا كان أرضاهم فيهم، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانةً، وكان ﷺ أبعد الناس عن الإثم، وكان أوقر الناس في مجلسه، وكان كثيرَ السكوت لا يتكلّم في غير حاجةٍ، وكان ضحكه تبسُّمًا، وكلامه فصلاً، وكان ﷺ أعلى الناس قدرًا، وأعظمهم محلاً، وأكملهم محاسنَ وفضلاً، وكان أبلغ الناس كلامًا، وأفصحهم لسانًا، وكان أعقل الناس وأذكاهم وأثقبهم فهمًا، وكان أبعد الناس غَضبًا، وأسرعهم رِضًا، وكان ﷺ بالخير أجود الناس، وأشجع الناس، وكان أوسع الناس صدرًا، وأصدقهم لَهجة، وألينهم عَريكة، وأكرمهم عِشرة، وكان أكثر الناس تبسُّمًا، وأطيبهم نَفْسًا، وكان ﷺ أعظم الناس صلة للرّحم وحسن العهد والوفاء، وكان أشد الناس تواضعًا وأعدمهم كِبرًا، وكان آمن الناس، وأعدل الناس، وأعفّ الناس، وكان أحسن الهدي هديه ﷺ، وكان كثير الذكر، دائم الفكر والبِشر، وكان له من المدائح أصدقه وأحسنه، ومن الصفات والأخلاق أكملها وأعظمها بأبي هو وأمي ﷺ [1].

ثم إنّ لِكُلّ مَن يَمدَح رسول الله ﷺ شِعرًا ونثْرًا الأسوَة الحسنة في حسّان بن ثابت وغيره مِن الصحابة ﷺ الذين أقرّهم الرسول ﷺ على مدائحهم له، وهجائهم أعداءَه. وأنْ يَحذَر مِن مثل قول الجَارِيَة:

وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ.

[1] (?) وانظر عن هذا وغيره في/ الفصل الخامس والعشرون، في جمع الشمائل من: الشفا للقاضي،ص165-172.

عاملا بِما قَالَ لَها النَّبِيُّ : " **لا تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ** "[1]، وبقوله الآخر: " **أَمَّا هَذَا فَلا تَقُولُوهُ؛ مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلا اللَّهُ** ".

وقد تقدم في أول المبحث عدّةُ صُوَرٍ تَدخُل في مَدح رسول الله المدح الْمَذموم، ومدارُها في وَصْفِه بِما ليس له من صفات الرّبوبية، أو ما فيه مجاوزة حدود شريعته التي جاء بِها. فأهل السّنة والجماعة ينهَون عن إطراء النبِيّ والمبالغة في مدحه يفعلون ذلك عملاً بِما صحّ عنه من النهي المتقدم عن رفع منزلته فوق المنزلة التي أنزله الله عليها، وعملاً بالنصوص الواردة في النهي عن الغلوّ في الدين عمومًا؛ أما غير أهل السنة من الغلاة فكما تقدم في الفصول الخاصة بِهم؛ حيث يَرَى بعضُهم أنّه يجوز أن يُمدَح بأيّ شيءٍ؛ حتى قال قائلهم: « اسقط الربوبية، وقُلْ في الرّسول ما شِئتَ »[2]، ونظم ذلك البوصيري، في بيته السابق. والجهلة المفتونون بالبردة يَحتجون بِهذا البيت على أنّه مَخْلَصٌ مِن الغُلُوّ، ولم يَعلَموا أنّه هو الذي فتَح باب الغُلُوّ والشرك؛ لاعتقاد ناظمه بِجَهْله أنّ الغُلُو مقصورٌ على مثل أقوال النصارى الثلاثة.

فالغُلاة يقولون بذلك، مع أنّ الْمبالغة في مَدحه يَؤول بِالْمُبالغين -بل آل بِهم فعلا- إلى ما وقَع فيه النصارى من الغُلُوّ في عيسى الْمنهي عنه في الحديث.

ثم إنه مِن الْمعلوم: أنّه ليس ما ادّعاه النّصارى في عيسى من البنوة لله سبحانه، والقول بأنّه ثالث ثلاثة فقط هو الإطراء والغلوّ في هذا الباب لا لُغة ولا شَرعًا، بل هناك ما هو دونه الكثير!

فالنبِيُّ يقول: " **لا تُطْرُونِي**.." وينهى عن أن يوصف بِخصائص الإلَهية، حاصرًا وصفه بالعبودية لربه ،

---

1 (?) الحديث في صحيح البخاري، وقد تقدم تخريجه في مبحث علم الغيب.

2 (?) انظر: حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة لمحمد بن خليفة التميمي (ج2/ص720).

وآمرًا العباد أن يعتقدوا فيه ويقولوا: عبد الله ورسوله.

في حين يقول هؤلاء المضاهون بذلك النصارى:

..واحكم بما شئت... -البيت السابق-.

فأي مُحادّة ومُشاقّة لرسول الله أعظَمُ مِن هذا؟!

ثم ومَن هو أولى به -الموافق له الممتثل أوامرَه، المجتنب نواهيَه! أم المخالف المحادّ المشاق؟ والجواب واضحٌ. والله أعلم!

** * **

المبحث السابع: أهل السنة يعتقدون كُفرَ مَن رَفَع الأنبياء عليهم السلام إلى درجة الربوبيَّة والألوهية[1]! فكيف بِرَفع مَن هو دونَهم وإعطائه هذه الخصائص والحقوق؟!

تقدم في المباحث الستة الأولى قبل هذا، أنّ أهل السنة يقولون بأنّ عبد الله ورسوله نبيَّنا محمدًا ليس له من خصائص الربوبية والإلهية شيءٌ، في تفصيل عريض، وفي هذا المبحث يأتِي ذكرُ عقيدتِهم في القول بِكفر مَن رفَعَه إلى درجة الربوبيَّة والألوهية!

فكيف بِرَفع مَن هو دونه عليه الصلاة والسلام مِن الأنبياء عليهم السلام، وغيرهم، وإعطائه هذه الخصائص والحقوق؟! ويكون تتمة لِما تقدم.

وقد قال أهل السنة بِهذا عَملا بالنصوص الكثيرة.

منها قوله تعالى: ﭽﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﭼ [آل عمران: ٧٩ – ٨٠]. فذَكَر أنّه لو حصَل ذلك فإنّه دعوةٌ للكفر بعد الإيمان! كما أنّه كُفرٌ أيضًا لَمّا حصل بدون الدعوة إلى ذلك[2]. وستأتِي النصوص الأخرى في الباب.

ولْيُعلَم أنّ رفع النّبِيِّ محمدٍ فوق الْمنـزلة التي أنزَله الله عليها يكون بِما دون إعطائه خصائص الرّبوبية، والحقوق الإلهية، ويكون بِهما، فالأول ليس مُخرِجًا مِن الملة[3].

أما الثاني –وهو المقصود هنا- فهو الْمُخرِج منها –عِياذًا بالله-.

وهكذا، بل ومِن باب أولى رَفْعُ غيرِه مِن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، كعيسى وغيرِهم من الملائكة والصالحين، وبقية عبيد الله –كما سبق عند طوائف من

---

[1] للاستزادة مما يدخل في هذا الموضوع ينظر: فصل في ذكر بعض أقسام المخالفين لشهادة أنّ محمدًا رسول الله ، من كتاب/ حقيقة شهادة أن محمدًا رسول الله ، للشيخ عبد العزيز آل الشيخ، ص92-104.

[2] انظر: السيف المسلول على عابد الرسول، وبالأخص قوله: هل عُبِد رسول الله ؟ والجواب: نعم، عَبَدَه كثيرون؛ .. إلخ. ص72-76.

[3] وهذا تقدم ذكره مفصلا في مطلب: الغلوُّ والجفاء في عبد الله ورسوله ، وبيان أنَّ منهما ما هو مخرِجٌ من الملة، ومنهما ما هو دون ذلك.

الرافضة والبابية والبهائية، والصوفية والبريلوية، والقاديانية، بل وبعض المتفلسفة، يقول شيخ الإسلام –رحمه الله- وهو يتكلم عن سَبّ الرافضة للشيخين، وتفصيل الحكم عليهم:

« وأما مَن اقْتَرَن بسَبّه دعوى أنّ عليًّا إلهٌ، أو أنّه كان هو النبِيّ، وإنّما غلِط جبريل في الرّسالة، فهذا لا شَكّ في كُفره، بل لا شك في كُفر مَن توقف في تكفيره ..»[1].

فأهل السنة –كما في العنوان- يَرَون كُفرَ مَن رفَعَهم عليهم السلام، أو رفَع غيرَهم إلى هذه الدرجة؛ ذلك لتكفير الله لَهم، ولِكُفرهم للنصوص التي تُبيِّن أنَّ الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- دون ذلك[2].

ولَمَّا كانت الخصائص الربوبية والحقوق الإلهية كثيرةً –كما سبق؛ إذْ كمْ للعبادة –فقط- مِن نوعٍ؟!- فإنِّي هنا أذْكُر أبرَزَ هذه الخصائص والحقوق، وهي الأكثر فيها رفع الأنبياء –عليهم السلام- إليها، ليكون المذكور -مِن الأبرز والأكثر فيها انتشار الشركِ- دليلاً على ما دونه؛ لأنَّ الأدلة عامةٌ وشاملةٌ للجميع. فأبدَأُ باسم الله مستعينًا به:

فقد تنوعت دلالات النصوص على أنّ إعطاء عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ وغيره –كائنًا ما كان- الخصائص الربوبية، والحقوق الإلهية، ورفعه إلى هذه الدرجة كفرٌ أو شركٌ!

فَمَن دعا أو استغاث بغير الله فيما لا يقدِر عليه إلا الله، أو عبده بأيٍّ نوعٍ مِن العبادة، أو أعطاه صفة مِن صفات الربوبية كعلم الغيب وغيره، فإنه بذلك يكون كافرًا

---

1 (?) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص512 .

2 (?) وقد سبقت جملة كبيرة مِن هذه النصوص في المباحث الخمسة الماضية –مِن المبحث: **1**-إلى:**5**-، والتي هي: عقيدة أهل السنة والجماعة في أنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ عبدُ الله ورسولُه. وعقيدتهم في أنه ليس له ﷺ من خصائص الربوبية شيءٌ، فكيف يكون ذلك لِمَن هو دونه؟!. وأنَّه ﷺ لا يعلم شيئًا من الغيب في حياته إلا ما علَّمه الله، فكيف بعد وفاته؟!. وعقيدتهم في أنَّه ليس له ﷺ مِن خصائص الألوهية شيءٌ! فكيف يكون ذلك لِمَن هو دونه من الأنبياء وغيرهم؟!. وعقيدتهم في أنَّ وَاسِطته ﷺ بين الله والجنِّ والإنس واسطة تبليغٍ، لا واسطة عبادة، بخلاف مخالفيهم في المسألة.

بالله، أو مشركًا بالإجماع، وقد تقدم نقله في موضعين.

يقول الناقض الثاني من نواقض الإيمان العشرة: «مَن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فقد كفَر إجماعًا» [1].

لِهذا سأضرب هنا ثلاثة أمثلة يتضح بها المقصود، تحت ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: مسألة العبادة:

مَن عبَد عَبْدَ الله ورسولَه نبينا محمدًا ﷺ أو غيرَه مِن الأنبياء والمرسلين –عليهم السلام- والصالحين دون الله أو مع الله فقد أشرك أو كفَر؛ وذلك لإعطائه غير الله خالصَ حقِّ الله الذي مِن أجله خلق الخلق، والذي لبيانه أنزل الكتُبَ، وأرسل الرُّسُل، وافترق لأجل تحقيقه الناس إلى مؤمنين سُعداء، وكافرين أشقياء. وتكون عبادة هؤلاء بالذُّلِّ لهم والخضوع والدعاء والاستغاثة واتخاذ قبورهم بعد وفاتهم أوثانًا تُعبَد، وغير ذلك مِن أنواع العبادة. وقد قررت آيتا آل عمران أنّ مثل هذه العبادة كفرٌ بعد إسلام، قال تعالى: ﭽ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ﭼ [سورة آل عمران: 79-80].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله- في تفسير قوله: ﭽ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﭼ: « أي: لا يَفْعَل ذلك؛ لأنَّ مَن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنّما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له »[2]، فذكر آيات بذلك.

وقد سبقت نقولات عن علماء أهل السنة –في هذا البحث هنا وهناك- تُقرر كُفر عابِد غير الله –كائنًا ما كان- مما هي تفسير لمثل هذه النصوص، فلا أرى إعادتها.

الثانية: مسألة الدعاء والاستغاثة:

---

[1] (?) نواقض الإسلام، ص177، ضمن مجموعة التوحيد.

[2] (?) تفسير القرآن العظيم، (ج1/ص492)، وانظر تفسير الآيتين في تيسير الكريم الرحمن، ص136.

ولِما تقدم من شرك القبورية في هذا النوع من العبادة فإنه -والحالة هذه- حقيق بأنْ يُنوّع من ذكر دلالات الشريعة المُكفِّرة للواقع فيه.

فمَن دعا عبد الله ورسوله نبينا محمدًا أو استغاث به، أو بغيره مِن الأنبياء والمرسلين –عليهم السلام- والصالحين دون الله أو مع الله فقد أشرك أو كفَر؛ لإعطاء غير الله خالصَ حقِّ الله سبحانه. ويدلّ على ذلك عدة أساليب، وقد أشرتُ في المبحث الرابع إلى أنه **قد تنوعت دلالة النصوص على كفر مَن دعا غير الله تعالى، وجاءت بأساليب شتى، وبطرق متنوعة. أما هاهنا فأذكر تلك الأساليب حسب المستطاع على شكل مجموعات، فمن تلك الدلالات والأساليب:**

الأول: نصوصٌ تدلُّ على أن الدعاء عبادة، وهذا يدلُّ على أنَّ مَن صرفه لغير الله تعالى فقد أشرك وكفَر؛ لأنَّ مَن صرَف شيئًا من العبادات لغير الله تعالى فقد أشرك، والله قد أمر بإخلاص العبادة له، ونهى عن الإشراك به، في غير ما آية، قال تعالى: چڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ںچ النساء: ٣٦، وقال: چژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گچ الجن: ٢٠،

فهذه الآيات وغيرها تدل على أن صرف العبادة لله تعالى وحده إخلاصٌ وتوحيد، وصرفها لغيره إشراكٌ وتنديد.

فمن أمثلة الآيات الدالة على كون الدعاء عبادة: قوله تعالى: چ ې ې ى ى چ[مريم: ٤٩]، وقال: چ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤچ [غافر: ٦٠]، وقال:چ ى ى ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ چ [الأحقاف: ٦]. وعن النبي قال: " **الدعاء هو العبادة** ثم قرأ: چ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤچ[1].

والمقصود هنا أن يتبّين أنّ الدعاء عبادةٌ، وأنّ صَرْفَ العبادة لغير الله شركٌ وكفرٌ[2].

---

1 الحديث صحيح، وقد تقدم تخريجه، وهو عند الترمذي وغيره.

2 انظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله للمعلمي، ص392-396.

ثانيًا: نصوصٌ وصَفَتْ دعاء غير الله تعالى بأنَّه شِركٌ، أو وصَفَت الداعين بأنَّهم مشركون، وفي ذلك أعظم تَحذيرٍ، وأبلغ إنذارٍ مِن دعاء غير الله تعالى**:** قال الله تعالى: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [الأنعام: ٤١]. وقوله: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ [فاطر: ١٤]. وقوله: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [غافر: ١٢]. فقد بيَّنَتْ هذه الآية أنّ الذي يَكْره إخلاص الدعاء لله تعالى، ويَفرح ويستبشر إذا دُعي أصحاب القبور كافرٌ ومشركٌ.

وقوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ [الجن: ٢٠].

فهذه الآيات واضحة الدلالة على شرك مَن دعا غير الله–كائنًا ما كان-والعياذ بالله!

ثالثًا: نصوصٌ وصفَت دعاء غير الله تعالى بأنَّه كُفرٌ، أو وصَفَت الداعين بأنَّهم كافرون، وفي ذلك أعظم تحذير وأبلغ إنذار مِن دعاء غير الله تعالى: قال الله تعالى: ﭽ ﭼ [الأعراف: ٣٧]**.** وقوله: ﭽ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ [المؤمنون: ١١٧]**،** قال الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله- في هذه الآيَة: « والآية نصٌّ في أنَّ دعاءَ غيرِ الله والاستغاثةَ به شركٌ أكبر »[1].

فهذه الآيات واضحة الدلالة على كفر مَن دعا غير الله تعالى! فعِياذًا بالله تعالى عِياذًا!

رابعًا: آيات دلت على أنّ دعاء الله وحده في الشدة إخلاص وتوحيد، ودعاء غيره سبحانه في الرخاء شركٌ وكفر واتخاذ أنداد لله تعالى، **فمن تلك الآيات**:

-ما ذكر الله ﻷ فيها أنَّ المشركين القدامى (كفار قريش) كانوا ينسَون معبوداتهم، راجعين إلى الله مخلصين له الدعوات والعبادات في حال الشدة، فقال:ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الأنعام: ٤١، وقال:ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ [النحل: ٥٥-٥٤]، وقال: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [العنكبوت: ٦٦]، وقال: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ

[1] تيسير العزيز الحميد، بابٌ من الشرك أنْ يستغيث بغير الله أو يدعو غيرَه، ص195 .

ﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧ ﭼ [الزمر: ٨]. وقال سبحانه: ﭽﮆﮇﮈﮉﮊﮋ ﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣ ﭼ [فاطر: ١٤].

خامسًا: آيات وصفت دعاء غير الله بأنَّه كفرٌ، ووصفت الداعين بصفة الكفر، ومنها قوله تعالى: ﭽ ﭼ [الأعراف: ٣٧].

سادسًا: آيات تتوعد مَن دعا غير الله بعدم الفلاح، وأنَّ حسابَه عند الله، وأنّه من جملة الكافرين، قال تعالى: ﭽﯨﯩﯪﯫ ﭼ [المؤمنون: ١١٧].

سابعًا: آيات تصف من دعا غير الله بالظلم، والظلم كثيرًا ما يطلق على الكفر، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ ﭼ [لقمان: ١٣].

ومن أمثلة هذا النوع: ﭽﯭﯮﯯﯰ ﭼ [يونس: ١٠٦].

ثامنًا: آيات تصف مَن دعا غير الله بالضلال، والضلال كثيرًا ما يُطلق على الكفر، كما في قوله سبحانه: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗ ﭼ [النساء: ١١٦]. وقوله: ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏ ﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗ ﭼ النساء: ١٣٦، وقوله: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝ ﭼ [المائدة: ١٢].

ومن أمثلة هذا النوع: قوله تعالى: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗ ﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨ ﭼ [الرعد: ١٤]. وقال: ﭽﯓﯔ ﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠ ﭼ [الحج: ١٢].

هذا، والآيات التي تدُلّ على أنّ رفْع أحد الخلق إلى منزلة الربوبية وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى كفرٌ وشرك بالله سبحانه كثيرة جدًّا. وكما دلّت الآيات على ذلك، فإنّ الأحاديث أكّدت هذا المعنى. إلا أنّه لا يسمح المقام لعرضها، فمنها ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود ، قال: قَالَ النَّبِيُّ كَلِمَةً، وَقُلْتُ أُخْرَى، قَالَ النَّبِيُّ : " **مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ** "، وَقُلْتُ أَنَا: « مَنْ مَاتَ وَهْوَ لَا يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » [1].

وقد تقدم نقل الإجماع على أنّ دعاء غير الله تعالى –كائنًا ما كان- فيما لا يقدر عليه إلا الله كفرٌ، فتواردت

[1] (?) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم: 4497.

بذلك نصوص الكتاب والسنة، واستند عليهما الإجماع على هذا الأمر.

المسألة الثالثة: وبعد الذي تقدم مِن مسألة العبادة عمومًا، والدعاء والاستغاثة خصوصًا، وهي أهم خصائص الله تعالى. فأذكِّر بما تتقدم من قول العلماء رحمهم الله: أنّ مَن وصَف غير الله بعلم الغيب كَفَر[1].

فثبت بِهذا –وبِما لَم يُذكَر- أنّ أهل السنة والجماعة يعتقدون كُفر مَن رفَع الأنبياء عليهم السلام إلى درجة الربوبية والألوهية، فكيف بالذي يَرفَع مَن هو دونَهم ويعطيهم خصائص الله تعالى وحقوقه، فكفر هذا عندهم من باب أولى. وذلك عملا منهم بتكفير الله تعالى لِهؤلاء الأصناف. والله تعالى أعلم.

** * **

[1] (?) انظر: الإعلام بقواطع الإسلام للهيتمي، ص223، ورسالة في ألفاظ الكفر لتاج الدين أبي المعالي، ص477 (كلاهما ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، جمع: د. محمد عبد الرحمن الخميس.

المبحث الثامن: أهل السنة يعتقدون أنْ لا عِصمة لأحدٍ مِن هذه الأمة إلا للعبد الرسول محمدٍ في التبليغ، وغيره:

وقد جعلتُ هذا المبحث في تمهيدٍ، ومطلبَين.

التمهيد: تعريف العصمة لغة واصطلاحًا.

المطلب الأول: عصمة الأنبياء عمومًا، ونبيِّنا محمد خصوصًا، -مِمّ هي؟

المطلب الثانِي: لا عصمة لأحدٍ مِن أمة محمد بعده.

التمهيد: تعريف العصمة لغة واصطلاحًا:

العصمة في اللغة المنع والحفظ، فالعين والصاد والميم (ع ص م) أصلٌ صحيحٌ يدل على إمساك ومنع وملازمة، وحفظ ووقاية. والعِصمة: أنْ يحفظ الله تعالى عبدَه من سوء يقَع فيه، ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﭼ [المائدة: ٦٧]. أي: يقيك ويحفظك ويحميك[1]، وينصُرك ويؤيّدك. واعْتَصَمَ به، -كما في قوله تعالى: ﭽﭙﭚﭛﭼ [آل عمران: ١٠١]. أي: امتنع به؛ بقوته وبرحمته؛ فتوكل عليه واستعان به[2]، فالاعْتِصامُ: الامْتِساكُ بالشيء، افْتِعالٌ منه. واسْتَعْصَمَ –كما في ﭽﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭼ [يوسف: ٣٢]. أي: أمسك وامتنع[3]، وتَأَبَّى عليها؛ ولم يُجِبها إلى ما طلبَتْ. والعاصمُ من السوء: الْمانعُ الحامي منه، وقوله تعالى: ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﯘ ﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﭼ [هود: ٤٣]. فالعاصم في الآية: بِمعنى مفعول، وقيل: العاصم فيها: الله تعالى[4]. ويوم القيامة ليس للكفار مِن الله مِن عاصم. والمعصوم: المحفوظ بحفظ الله تعالى من الوقوع في مساخطه وموبقاته[5]، وهم أنبياؤه عليهم الصلاة والسلام خاصةً. **جاء في لسان العرب:** «(عصم) العِصْمة في كلام العرب: الْمَنْعُ،

---

1 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (ج2/ 108)، وتيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، ص239 .

2 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج1/ ص505)، وتيسير الكريم الرحمن، للشيخ السعدي، ص141.

3 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج2/ص620).

4 (?) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج2/ص582).

5 (?) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة عصم، ص779-780، والصحاح للجوهري، المادة نفسها، 711-712، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، المادة نفسها، ص1049-1050، والمعجم الوسيط، المادة نفسها، ص605.

وعِصْمةُ الله عَبْدَه: أن يَعْصِمَه مما يُوبِقُه،عَصَمه،يَعْصِمُه عَصْمًا:منَعَه ووَقَاه»[1]. وفيه: «والعصْمة الْحِفْظُ، يقال:عَصَمْتُه فانْعَصَمَ واعْتَصَمْتُ بالله:إذا امتنعْت بلُطْفِه من المَعْصِيةِ،وعَصَمه الطعامُ:منَعه من الجوع»[2].

وقد عُرِّفَت العصمة اصطلاحًا بتعريفات، منها:

أولا: « ملكةُ اجتناب الْمعاصي مع التمكن منها »[3]. وبلفظ قريبٍ: « ملكة إلَهية تَمنع مِن فعل المعصية والميل إليها، مع القدرة عليه »[4]. وهذان التعريفان خصصا العصمة بباب المعاصي فقط. مع أنهما يَنقُضان قولَ بعضهم: « واصطلاحًا: حفظ الله للمُكلَّف مِن الذّنب مع استحالة وقوعه »[5].

ثانيًا: « لطفٌ مِن الله تعالى يَحْمِل النبِيّ على فعل الخير، ويزجُرُه عن الشرّ مع بقاء الاختيار، تحقيقًا للابتلاء »[6].

ثالثًا: قول أحد الباحثين: « والخلاصة: أنّ الأمة تعارَفَت على تعريف العصمة الاصطلاحِي بِما معناه، أنّها: ملكة إرادية بشرية من الله تعالى في الأنبياء والمرسلين، يَعلَم بِها المعصوم مثالب المعاصي، ومناقب الطاعات، فيمتنع بِها عن اقتراف الذنوب، مُدّعَمةً بالوحي، والمؤاخذة إنْ خالف مقتضاها، ولا تكون إلا للأنبياء والمرسلين »[7].

وقد قال قبل ذلك في ذكره عناصر العصمة وأهلها، وأنّها تتكون مِن التالِي: ملكة نفسية راسخة في نفس المعصوم، مانعة عن المعاصي. لا تنتفي معها بشريته،

---

[1] (?) لسان العرب، مادة عصم.
[2] (?) لسان العرب، مادة عصم.
[3] (?) قال الجرجانِي، في تعريفاته، مادة العصمة، ص228 .
[4] (?) المعجم الوسيط، مادة عصم، ص605 .
[5] (?) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري، ص149.
[6] (?) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض، (ج4/ص39) بواسطة: حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (ج1/ ص 129).
[7] (?) قاله الدكتور حافظ موسى عامر –رحمه الله- في كتابه عصمة الإمام، (ج1/ص47).

وكونه من المكلفين أصحاب الإرادة والاختيار. وهي خاصة بالأنبياء، من الله تعالى، عطاء ولطفًا منه تعالى بالمعصوم. يعلم بها المعصوم مثالب المعاصي ومناقب الطاعات، علمًا يقينيًا يمنعه عن اقتراف الذنوب. وأنه لا بد من تتابع الوحي الإلهي إلى المعصوم، ليكون معصومًا ويوصف بالعصمة. فإذا صدَر من المعصوم بمقتضى بشريته ما يخالف الأَوْلى، أو كان منه سهوًا أو نسيانًا، أدركه الله تعالى بالتنبيه والعتاب. ثم بعد ذكر هذه العناصر، قال: « هذه عناصر ستة، إذا انتفى منها عنصُرٌ انتفت العصمة، ومدارها حول الوحي، والوحي لا يكون إلا للأنبياء والمرسلين »[1].

وبعد التعريف، فأنتقل إلى المطلب الأول من مطلبَي المْبحث، وهو:

المطلب الأول: **عصمة الأنبياء عمومًا، ونبيِّنا محمد خصوصًا، -مِمّ هي**[2]**؟**

ويُمكِن أنْ يُعبّر عنه أيضًا بـ(جوانب العصمة).

فللإجابة على السؤال المْحدَّد: (مِمَّ عُصَم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟) أقول -مبيّنًا الجوانب التي حفِظ الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام عمومًا، ونبينا محمدًا خصوصًا فيها:

الجانب الأول: عصمة الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام عن الكذب في التبليغ:

قد تقدم بيان أنّ الكذب هو الإخبار غير المطابق للواقع، وأنّ الكاذب هو المخبر بذلك

وبعد، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام عمومًا، ونبيُّنا محمدٌ خصوصًا جاءوا ليُبلّغوا جِنْسَيْن مِن الرّسالة؛ أخبارٌ ليُؤمَن بِها وتُصدّق، ومطالب لتُمتثَل الأوامر منها، والنواهي لتُجتنب، وهؤلاء الأنبياء معصومون بعصمة الله لهم، ومحفوظون بِحفظه مِن أنْ يَكذِبوا عليه، فيُضيفوا إليه شيئًا من تلقاء أنفسهم مما لم يأذن به الله. وقد

1 (?) عصمة الإمام، 0ج1/ 43).

2 (?) للاستزادة انظر: لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، (ج2/)، وعصمة الإمام، (ج1/48-87)، وكتاب: عصمة الأنبياء في الكتاب والسنة ورد الشبهات الواردة عليها، لمحمد الخضر بن الناجي ضيف الله.

عَصَم الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام في هذا الجانب لِيَحْصُل مقصود الرّسالة، فتصل إلى المرسل إليهم دون زيادة أو نقصان، قال تعالى: ﭽﯨ ﯩ [الجن:27-٢٨].

فقوله سبحانه: ﭽﯨ ﭼ « أي: فإنَّه يُخبرُه بِما اقتضتْ حكمتُه أنْ يُخبره به، وذلك لأنّ الرُّسل ليسوا كغيرهم، فإنَّ الله أيَّدهم بتأييدٍ مَا أيَّده أحَدًا مِن الخلق، وحَفِظ ما أوحاه إليهم حتى يُبلغوه على حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا يزيدوا فيه أو ينقصوا، ولِهذا قال: ﭽ ﭼ أي: يَحفظونه بأمر الله؛ ﭽ ﭼ بذلك، ﭽ ﭼ بِما جعَلَه لَهم مِن الأسباب، ﭽ ﭼ أي: بِما عندهم، وما أسرُّوه وأعْلَنُوه، ﭽ ﭼ. وفي هذه السورة فوائد كثيرةٌ: **منها:** وجود الجن، وأنهم مُكلّفُون مأمورون، مُكلّفُون مَنْهيّون، مُجازُون بأعمالِهم، كما هو صريحٌ في هذه السورة. **ومنها:** أنّ رسول الله ﷺ رسولٌ إلى الجنّ، كما هو رسولٌ إلى الإنس، فإنّ الله صَرَف نَفَرَ الجن ليستمِعُوا ما يُوحى إليه، ويُبلّغوا قومَهم. .. **ومنها:** اعتناءُ الله برسوله، وحفظُه لِما جاء به، فحين ابتدَأتْ بَشَائِرُ نُبُوّته، والسماء مَحروسة بالنّجوم، والشياطين قد هَرَبَت عن أماكنها، وأُزْعِجَت عن مراصدها .. »[1].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعْصُومٌ، فَلا يَجُوزُ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ خَبَرَانِ مُتَنَاقِضَانِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلا أَمْرَانِ مُتَنَاقِضَانِ فِي الْحَقِيقَةِ إلا وَأَحَدُهُمَا نَاسِخٌ، وَالآخَرُ مَنْسُوخٌ. وَأَمَّا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ فَلَيْسَ بِمَعْصُومِ؛ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَالَ خَبَرَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ، وَأَمْرَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ وَلَمْ يَشْعُرْ بِالتَّنَاقُضِ »[2].

وإثبات هذا الجانب من العصمة للنبِيّ ﷺ خصوصًا، وللأنبياء عليهم السلام قبله عمومًا كان باتفاق العلماء، لا منازع فيه، إذْ به يَحصُل مقصود الرّسالة، قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « الأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

---

[1] قاله الشيخ عبد الرحمن السعدي في تيسير الكريم الرحمن، ص 892.

[2] مجموع الفتاوى، (ج4/ 168).

مَعْصُومُونَ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَفِي تَبْلِيغِ رِسَالاتِهِ، بِاتِّفَاقِ الأُمَّةِ، وَلِهَذَا وَجَبَ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أُوتُوهُ، ... بِخِلافِ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ؛ فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا مَعْصُومِينَ، كَمَا عُصِمَ الأَنْبِيَاءُ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ، وَلِهَذَا مَنْ سَبَّ نَبِيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ قُتِلَ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ، وَمَنْ سَبَّ غَيْرَهُمْ لَمْ يُقْتَلْ. وَهَذِهِ الْعِصْمَةُ الثَّابِتَةُ للأَنْبِيَاءِ هِيَ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا مَقْصُودُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ هُوَ المنبأ عَنْ اللَّهِ، والرَّسُولُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولا، وَالْعِصْمَةُ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ عَنْ اللَّهِ ثَابِتَةٌ، فَلا يَسْتَقِرُّ فِي ذَلِكَ خَطَأٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ »[1].

وَلَكِنْ هنا سؤال: هَلْ يَصْدُرُ مَا يَسْتَدْرِكُهُ اللَّهُ، فَيَنْسَخُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ، وَيُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ؟

أجاب عليه شيخ الإسلام –رحمه الله- فقال: « هَذَا فِيهِ قَوْلانِ: وَالْمَأْثُورُ عَنْ السَّلَفِ يُوَافِقُ الْقُرْآنَ بِذَلِكَ. وَالَّذِينَ مَنَعُوا ذَلِكَ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ طَعَنُوا فِيمَا يُنْقَلُ مِنْ الزِّيَادَةِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ بِقَوْلِهِ: (تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى) وَقَالُوا: إنَّ هَذَا لَمْ يَثْبُتْ. وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ ثَبَتَ: قَالَ: هَذَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي مَسَامِعِهِمْ وَلَمْ يَلْفِظْ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

وَلَكِنَّ السُّؤَالَ وَارِدٌ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ أَيْضًا. وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ: ﭽﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﭼ [الحج:52] هُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ. وَأَمَّا الَّذِينَ قَرَّرُوا مَا نُقِلَ عَنْ السَّلَفِ، فَقَالُوا: هَذَا مَنْقُولٌ نَقْلا ثَابِتًا، لا يُمْكِنُ الْقَدْحُ فِيهِ، وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﭽﮆﮇﮈﮉ ﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﭼ [الحج:52-٥4]. فَقَالُوا: الآثَارُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ مَعْرُوفَةٌ ثَابِتَةٌ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، وَالْقُرْآنُ يُوَافِقُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ نَسْخَ اللَّهِ لِمَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ وَإِحْكَامَهُ آيَاتِهِ إنَّمَا يَكُونُ لِرَفْعِ مَا وَقَعَ فِي آيَاتِهِ، وَتَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنْ الْبَاطِلِ، حَتَّى لا تَخْتَلِطَ آيَاتُهُ بِغَيْرِهَا. وَجَعْلُ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ، إنَّمَا يَكُونُ إذَا كَانَ ذَلِكَ ظَاهِرًا يَسْمَعُهُ النَّاسُ لا بَاطِنًا فِي النَّفْسِ. وَالْفِتْنَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَذَا النَّوْعِ

---

[1] (?) مجموع الفتاوى، (ج10/ 290-291).

مِنْ النَّسْخِ مِنْ جِنْسِ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَحْصُلُ بِالنَّوْعِ الآخَرِ مِنْ النَّسْخِ. وَهَذَا النَّوْعُ أَدَلُّ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ ، وَبُعْدِهِ عَنْ الْهَوَى مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ؛ فَإِنَّهُ إذَا كَانَ يَأْمُرُ بِأَمْرِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِخِلافِهِ، وَكِلاهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ مُصَدَّقٌ فِي ذَلِكَ، فَإِذَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: إنَّ الثَّانِيَ هُوَ الَّذِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ وَهُوَ النَّاسِخُ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْمَرْفُوعَ الَّذِي نَسَخَهُ اللَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، كَانَ أَدَلَّ عَلَى اعْتِمَادِهِ لِلصِّدْقِ، وَقَوْلِهِ الْحَقَّ. وَهَذَا كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ كَاتِمًا شَيْئًا مِنْ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﭼ [الأحزاب: ٣٧][1]. أَلا تَرَى أَنَّ الَّذِي يُعَظِّمُ نَفْسَهُ بِالْبَاطِلِ يُرِيدُ أَنْ يَنْصُرَ كُلَّ مَا قَالَهُ، وَلَوْ كَانَ خَطَأً؟ فَبَيَانُ الرَّسُولِ أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمَ آيَاتِهِ، وَنَسَخَ مَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ، هُوَ أَدَلُّ عَلَى تَحَرِّيهِ لِلصِّدْقِ، وَبَرَاءَتِهِ مِنْ الْكَذِبِ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالرِّسَالَةِ؛ فَإِنَّهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ تَسْلِيمًا، وَلِهَذَا كَانَ تَكْذِيبُهُ كُفْرًا مَحْضًا بِلا رَيْبٍ »[2].

والله تعالى قال -بعد قَسْمه بالنُّجوم عند هُوِيِّها في هذه الآيات: ﭽﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭼ [النجم: ٢ – ٦] شهد « للرّسول -صلوات الله وسلامه عليه- بأنّه بارٌّ راشدٌ، تابعٌ للحق، ليس بضالٍ -وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريقٍ، بغير علم-، والغاوي: هو العالم بالحق، العادلُ عنه قصْدًا إلى غيره »-[3]. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله-: « أي: ليس نُطقه صادرًا عَن هوَى نفسه. ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭼ أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره. ودَلّ هذا على أنّ السُّنّة وحيٌ من الله لرسوله ، كما قال تعالى: ﭽ ﭼ [النساء: ١١٣]. وأنَّه معصومٌ فيما يُخْبِر به عن الله تعالى، وعن شرعه، لأنَّ كلامَه لا يَصْدُرُ عَن هوى، وإنما يصدر عن وحْيٍ يُوحى. .. فقال: ﭽﭣﭤﭥﭼ أي: نزَل بالوحي على الرسول جبريل ، ﭽﭤﭥﭼ أي: شديد القوة الظاهرة

---

1 (?) الحديث في صحيح مسلم، وقد سبق تخريجه.

2 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج10/ ص291-292)، وانظر عصمة الإمام، (ج1/ 49).

3 (?) قاله ابن كثيرٍ –رحمه الله- في تفسيره؛ تفسير القرآن العظيم، (ج 4/ ص313).

والباطنة، قويٌّ على تنفيذ ما أمَرَه الله بتنفيذه، قويٌّ على إيصال الوحي إلى الرسول ، ومَنْعِه من اختلاس الشياطين له، أو إدخالِهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه، أنْ أرسله مع هذا الرّسول القوي الأمين. ﭽﭬ ﭭﭼ أي: قوة، وخُلُقٍ حَسَن، وجَمَالٍ ظاهرٍ وباطن »[1].

فنـزّه الله سبحانه وتعالى رسولَه وشَرْعَه عن مُشابَهة أهل الضلال كالنّصارى وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو وما بَعَثَه الله به مِن الشّرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسّداد.

الجانب الثاني: عصمة الله تعالى عبْدَه ونبيَّه عن الشّرك[2]:

الذي يظهَر من تأمّل أحاديث حادثة شق الصّدر أنّه حصَل للنّبِي ذلك مرتان[3]، في المرة الأولى: حصلت لَمّا كان عند مُرضعته حليمة السعدية، وكانت الحكمة –والله أعلم- من ذلك، هو التهيئة للعصمة والوحي؛ بإخراج حَظّ الشَّيْطَانِ مِنْه ووساوسه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ؛ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ. وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ –يَعْنِي: ظِئْرَهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرْئِي أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ »[4].

قال تعالى مُمتنًا على رسوله بِهذا وغيره: ﭽﮪﮫ ﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﭼ [الشرح: ١ – ٤].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص818 .

[2] انظر: عصمة الإمام، (ج1/ 51-54).

[3] انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ج1/ 123-127).

[4] مسلم في كتاب الإيمان، بَاب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، رقم: 163 .

وأما **المرة الثانية** فكانت أنْ شُقّ صدرُه وغُسِل عند الإسراء والمعراج به، زيادة في تطهيره، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ** "[1].

وعلاقة ذلك بالعصمة من حيث إنّ الأول تمهيدٌ لَها بإخراج حظوظ الشيطان الآمرِ بالسوء والفحشاء، وأكبَر ما يأمُرُ به الشرك. والثانِي: زيادةٌ في التطهير والحفظ والرّعاية. والله أعلم.

وقد تَقدمت النصوص الكثيرة الدالة على أنّه ما كان للرّسول الذي جاء للتحذير عن الشّرك والدعوة إلى التوحيد، أنْ يُشرك غير الله تعالى في عبادته، خلافًا لدعوته.

الجانب الثالث: عصمة الله تعالى نبيَّه مِن الإصرار على بقية الذنوب، غير ما تقدم:

قد تقدم حديث علي رضي الله عنه الذي في دعاء الاستفتاح والركوع والسجود، وهو حديث مسلم، وفيه " **اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ، لا إِلَهَ لِي إِلا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي؛ فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا؛ إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ** "[2]. وتقدمَت أحاديث مثله.

وسبق القول بأنّ الأنبياء معصومون من الكذب عن الله، وهو مِن الكبائر، أما هذه المسألة فلبيان أنّهم معصومون –على القول الصحيح- من الإصرار على عموم الذنوب (الكبائر وغيرها).

فمن المعلوم في هذه الشريعة: أنّ درجات الكمال الإنسانِي ومراتبَها ومقاماتِها أربعةٌ لا خامس لَها، فأعلاها: مقام النّبوة، ثم درجةُ الصِّدّيقية، ثم درجةُ الشهادة،

---

[1] (?) مسلم في كتاب الإيمان، بَاب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ، رقم: 163 .

[2] (?) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: 771.

والأخيرة منها: مرتبةُ الصّالحية، وشاهدُ الأربع قوله تعالى: ﭽﭼﭻﭺﭹﭸﭷﭶﭵﭴﭳﭲﭱﭰﭯﭮﭭﭬﭫﭪﭩﭨﭧﭦﭥﭤﭣﭢﭡﭠﭟﭞﭝﭜﭛﭚﭙﭘﭗﭖﭕﭔﭓﭒﭑﭐ ﯾ [النساء: ٦٩].

وكلُّ هذه المراتب كسبية تُنال بالاكتساب إلا النّبوة التي هي أرفعها، فإنَّها موهِبِيُّة. ولا عِصمة في أيِّ منـزلةٍ مِن هذه المنازل إلا في آخرها الذي هو النبوة، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون، ولا معصوم سواهم. والأنبياء هم الأكمل مِن أولياء الله الصالحين المتقين والصدِّيقين، وهم الذين بَلَغُوا الذِّروة في الإيمان والتقوى، وكلُّ مؤمنٍ تقِيٍّ، فهو لله ولِي، قال تعالى: ﭽﭙﭘﭗﭖﭕﭔﭓ ﭼ [الأنفال: ٣٤]. وقال: ﭽ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮ ﭼ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

وهذه المراتب الأربع وأصحابها متوزِّعة في قسمَين مِن الأقسام الثلاثة الذي لا يَخرُج منها عبادُ الله المصْطَفَون، وهذان القسمان هما: أصحاب اليمين المقتصدون بفعل الواجبات وترك الْمحرَّمات، والسابقون بالخيرات الذين زادوا عليهم بِملازمة المندوبات، وترك المكروهات، قال تعالى في بيان أقسام هؤلاء المصطفَين: ﭽ ﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘ ﭼ [فاطر: ٣٢ – 36، وما بعدها].

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أعلى قسم السابقين بالخيرات، ونبيُّنا محمدٌ ﷺ في الذّروة منه. وقد تقدم أنّ النبِيّ ﷺ شُقّ صَدرُه لإخراج حظ الشيطان منه.

وقد تكلم العلماء –رحمهم الله- عن عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الكبائر والصغائر، أصاب بعضهم، وأخطأ فيه الآخَرون، لكنّ الذي يتوافق مع النصوص هو أنه سبحانه يُوَفِّقهم للتوبة لينالوا ما أعدّ للتائبين من الفضائل والخيرات، ولا يُصِرّون على ما يحتاج إلى الاستغفار، وممن حققوا هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله-، حيث قال تتمة لكلامه السابق: « وَأَمَّا الْعِصْمَةُ فِي غَيْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، فَلِلنَّاسِ فِيهِ نِزَاعٌ: هَلْ هُوَ ثَابِتٌ بِالْعَقْلِ أَوْ بِالسَّمْعِ؟ وَمُتَنَازِعُونَ فِي الْعِصْمَةِ مِنْ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ، أَوْ مِنْ بَعْضِهَا؟ أَمْ هَلْ

الْعِصْمَةُ إنَّمَا هِيَ فِي الإِقْرَارِ عَلَيْهَا لا فِي فِعْلِهَا؟ أَمْ لا يَجِبُ الْقَوْلُ بِالْعِصْمَةِ إلاَّ فِي التَّبْلِيغِ فَقَطْ؟ وَهَلْ تَجِبُ الْعِصْمَةُ مِنْ الْكُفْرِ وَالذُّنُوبِ قَبْلَ الْمَبْعَثِ أَمْ لا؟

وَالْكَلامُ عَلَى هَذَا مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. وَالْقَوْلُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ النَّاسِ، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِلآثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنْ السَّلَفِ: إثْبَاتُ الْعِصْمَةِ مِنْ الإِقْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ مُطْلَقًا، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إنَّهُ يَجُوزُ إقْرَارُهُمْ عَلَيْهَا. وَحُجَجُ الْقَائِلِينَ بِالْعِصْمَةِ إذَا حُرِّرَتْ إنَّمَا تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ. وَحُجَجُ النفاة لا تَدُلُّ عَلَى وُقُوعِ ذَنْبٍ أُقِرَّ عَلَيْهِ الأَنْبِيَاءُ: فَإِنَّ الْقَائِلِينَ بِالْعِصْمَةِ احْتَجُّوا بِأَنَّ التَّأَسِّي بِهِمْ مَشْرُوعٌ، وَذَلِكَ لا يَجُوزُ إلا مَعَ تَجْوِيزِ كَوْنِ الأَفْعَالِ ذُنُوبًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّأَسِّي بِهِمْ إنَّمَا هُوَ مَشْرُوعٌ فِيمَا أُقِرُّوا عَلَيْهِ، دُونَ مَا نُهُوا عَنْهُ، وَرَجَعُوا عَنْهُ، كَمَا أَنَّ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ إنَّمَا تَجِبُ طَاعَتُهُمْ فِيمَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهُ، فَأَمَّا مَا نُسِخَ مِنْ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَلا يَجُوزُ جَعْلُهُ مَأْمُورًا بِهِ وَلا مَنْهِيًّا عَنْهُ، فَضْلا عَنْ وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ وَالطَّاعَةِ فِيهِ. وَكَذَلِكَ مَا احْتَجُّوا بِهِ مِنْ أَنَّ الذُّنُوبَ تُنَافِي الْكَمَالَ، أَوْ أَنَّهَا مِمَّنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ أَقْبَحُ، أَوْ أَنَّهَا تُوجِبُ التَّنْفِيرَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ. فَهَذَا إنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْبَقَاءِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَدَمِ الرُّجُوعِ، وَإِلا فَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ الَّتِي يَقْبَلُهَا اللَّهُ يَرْفَعُ بِهَا صَاحِبَهَا إلَى أَعْظَمَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كَانَ داود بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ. وَقَالَ آخَرُ: لَوْ لَمْ تَكُنْ التَّوْبَةُ أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إلَيْهِ لَمَا ابْتَلَى بِالذَّنْبِ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ حَدِيثُ التَّوْبَةِ " **لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلا** "[1] إلَخْ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﭼ [البقرة: ٢٢٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﭽﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﭼ [الفرقان: ٧٠]. ... وَفِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْكُتُبِ الَّتِي أُنْزِلَتْ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِمَّا يُوَافِقُ هَذَا الْقَوْلَ مَا يَتَعَذَّرُ إحْصَاؤُهُ. وَالرَّادُّونَ لِذَلِكَ تَأَوَّلُوا ذَلِكَ بِمِثْلِ تَأْوِيلاتِ الجهمية وَالْقَدَرِيَّةِ وَالدَّهْرِيَّةِ لِنُصُوصِ الأَسْمَاءِ

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب التَّوْبَةِ، ورقمه: 6309، وصحيح مسلم: كتاب التَّوْبَةِ، باب في الحض على التوبة والفرح به، ورقمه: 2747.

وَالصِّفَاتِ، وَنُصُوصِ الْقَدَرِ، وَنُصُوصِ الْمَعَادِ، وَهِيَ مِنْ جِنْسِ تَأْوِيلاتِ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ الَّتِي يُعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ، وَأَنَّهَا مِنْ بَابِ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ. وَهَؤُلاءِ يَقْصِدُ أَحَدُهُمْ تَعْظِيمَ الأَنْبِيَاءِ، فَيَقَعُ فِي تَكْذِيبِهِمْ، وَيُرِيدُ الإِيمَانَ بِهِمْ فَيَقَعُ فِي الْكُفْرِ بِهِمْ. ثُمَّ إنَّ الْعِصْمَةَ الْمَعْلُومَةَ بِدَلِيلِ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَالإِجْمَاعِ، وَهِيَ الْعِصْمَةُ فِي التَّبْلِيغِ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا؛ إذْ كَانُوا لا يُقِرُّونَ بِمُوجِبِ مَا بَلَّغَتْهُ الأَنْبِيَاءُ، وَإِنَّمَا يُقِرُّونَ بِلَفْظِ حَرَّفُوا مَعْنَاهُ، أَوْ كَانُوا فِيهِ كَالأُمِّيِّينَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إلا أَمَانِيَّ. وَالْعِصْمَةُ الَّتِي كَانُوا ادَّعَوْهَا -لَوْ كَانَتْ ثَابِتَةً- لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَلا حَاجَةَ بِهِمْ إلَيْهَا عِنْدَهُمْ، فَإِنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِغَيْرِهِمْ، لا بِمَا أُمِرُوا بِالإِيمَانِ بِهِ، فَيَتَكَلَّمُ أَحَدُهُمْ فِيهَا عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ مِنْ اللَّهِ، وَيَدَعُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ تَصْدِيقِ الأَنْبِيَاءِ وَطَاعَتِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي تَحْصُلُ بِهِ السَّعَادَةُ، وَبِضِدِّهِ تَحْصُلُ الشَّقَاوَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭼ [النور: ٥٤]. الآيَةُ. وَاَللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْ فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَنْ نَبِيٍّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ إلا مَقْرُونًا بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ؛ كَقَوْلِ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ: ﭽﭑﭒﭓﭔﭕ ﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭼ [الأعراف: ٢٣] »[1].

وذكر مثله من قَوْلِ نُوحٍ، وَقَوْلِ الْخَلِيلِ، وَقَوْلِ مُوسَى، وقَوْله تَعَالَى عَنْ داود، وعَنْ سُلَيْمَانَ عليهم السلام. وتكلم عن نبي الله يوسف ﷺ وأنّ الله تعالى لم يَذكُر عنه ذنبًا، فلِهذا لم يَذكُر عنه ما يناسب الذنب من الاستغفار[2]. وتكلم عن يونس ﷺ فقال: « والْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ مَا تَضَمَّنَتْهُ قِصَّةُ ذِي النُّونِ مِمَّا يُلامُ عَلَيْهِ كُلُّهُ مَغْفُورٌ بَدَّلَهُ اللَّهُ بِهِ حَسَنَاتٍ؛ وَرَفَعَ دَرَجَاتِهِ وَكَانَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ وَتَوْبَتِهِ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مَا وَقَعَ قَالَ تَعَالَى: ﭽﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﭼ [القلم: ٤٨ – ٥٠]. وَهَذَا بِخِلافِ حَالِ الْتِقَامِ الْحُوتِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﭽﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [الصافات: ١٤٢]. فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ مُلِيمٌ، والْمُلِيمُ الَّذِي فَعَلَ مَا يُلامُ عَلَيْهِ، فَالْمَلامُ فِي تِلْكَ الْحَالِ لا فِي حَالِ نَبْذِهِ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ، فَكَانَتْ حَالُهُ بَعْدَ قَوْلِهِ:

---

1 (?) مجموع الفتاوى، (ج10/ ص293-296).

2 (?) انظر: المصدر نفسه، (ج10/ ص296-298).

ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟ ﭼ [الأنبياء: ٨٧] أَرْفَعَ مِنْ حَالِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مَا كَانَ، وَالاعْتِبَارُ بِكَمَالِ النِّهَايَةِ، لا بِمَا جَرَى فِي الْبِدَايَةِ. وَالأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا »[1].

ثم فصّل في موضوع حديثي وهو ما يتعلق بنبينا محمدٍ ﷺ واستغفاراته، ورَدّ على الذين أوّلوا هذه النصوص بتأويلات باطنية، فقال: « دِين مُحَمَّدٍ ﷺ فِي التَّوْبَةِ جَاءَ بِمَا لَمْ يَجِئْ بِهِ شَرْعٌ مِنْ قَبْلِهِ؛ ... وَقَدْ رُفِعَ بِهِ مِنْ الآصَارِ وَالأَغْلالِ مَا كَانَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟ ﭼ [البقرة: ٢٢٢]. وَأَخْبَرَ أَنَّهُ تَعَالَى يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ التَّائِبِ أَعْظَمَ مِنْ فَرَحِ الْفَاقِدِ لِمَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْمَرْكَبِ إذَا وَجَدَهُ بَعْدَ الْيَأْسِ. –ثم قال: فَإِذَا كَانَ هَذَا فَرَحُ الرَّبِّ بِتَوْبَةِ التَّائِبِ وَتِلْكَ مَحَبَّتُهُ؛ كَيْفَ يُقَالُ: إنَّهُ لا يَعُودُ لِمَوَدَّتِهِ ﭽﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦ ﭼ [البروج: ١٤ – ١٦]. وَلَكِنَّ وُدَّهُ وَحُبَّهُ بِحَسَبِ مَا يَتَقَرَّبُ إلَيْهِ الْعَبْدُ بَعْدَ التَّوْبَةِ؛ فَإِنْ كَانَ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ مَحْبُوبَاتِ الْحَقِّ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ يَأْتِي بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، كَانَتْ مَوَدَّتُهُ لَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَعْظَمَ مِنْ مَوَدَّتِهِ لَهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ. ... وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَفْضَلَ الأَوْلِيَاءِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ هُمْ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ؛ وَكَانَتْ مَحَبَّةُ الرَّبِّ لَهُمْ وَمَوَدَّتُهُ لَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ أَعْظَمَ مَحَبَّةٍ وَمَوَدَّةٍ، وَكُلَّمَا تَقَرَّبُوا إلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَحَبَّهُمْ وَوَدَّهُمْ. ...

وَحِينَئِذٍ فَإِذَا كَانَ إتْيَانُ التَّائِبِ بِمَا يُحِبُّهُ الْحَقُّ أَعْظَمَ مِنْ إتْيَانِ غَيْرِهِ كَانَتْ مَحَبَّةُ الْحَقِّ لَهُ أَعْظَمَ، وَإِذَا كَانَ فِعْلُهُ لِمَا يَوَدُّهُ اللَّهُ مِنْهُ أَعْظَمَ مِنْ فِعْلِهِ لَهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ، كَانَتْ مَوَدَّةُ اللَّهِ لَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَعْظَمَ مِنْ مَوَدَّتِهِ لَهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ. فَكَيْفَ يُقَالُ: الْوُدُّ لا يَعُودُ. وَبِهَذَا يَظْهَرُ جَوَابُ شُبْهَةِ مَنْ يَقُولُ: إنَّ اللَّهَ لا يَبْعَثُ نَبِيًّا إلا مَنْ كَانَ مَعْصُومًا قَبْلَ النُّبُوَّةِ، كَمَا يَقُولُ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْ الرَّافِضَةِ وَغَيْرِهِمْ. وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَ: إنَّهُ لا يَبْعَثُ نَبِيًّا إلا مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَبْلَ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ تَوَهَّمُوا أَنَّ الذُّنُوبَ تَكُونُ نَقْصًا؛ وَإِنْ تَابَ التَّائِبُ مِنْهَا. وَهَذَا مَنْشَأُ غَلَطِهِمْ؛ فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ صَاحِبَ الذُّنُوبِ مَعَ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ يَكُونُ نَاقِصًا، فَهُوَ غالط غَلَطًا عَظِيمًا؛ فَإِنَّ الذَّمَّ

---

[1] (?) انظر: مجموع الفتاوى، (ج10/ ص298-303).

وَالْعِقَابِ الَّذِي يَلْحَقُ أَهْلَ الذُّنُوبِ لا يَلْحَقُ التَّائِبَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصْلا؛ لَكِنْ إنْ قَدَّمَ التَّوْبَةَ لَمْ يَلْحَقْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ أَخَّرَ التَّوْبَةَ فَقَدْ يَلْحَقُهُ مَا بَيْنَ الذُّنُوبِ وَالتَّوْبَةِ مِنْ الذَّمِّ وَالْعِقَابِ مَا يُنَاسِبُ حَالَهُ. وَالأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلامُهُ كَانُوا لا يُؤَخِّرُونَ التَّوْبَةَ؛ بَلْ يُسَارِعُونَ إلَيْهَا وَيُسَابِقُونَ إلَيْهَا؛ لا يُؤَخِّرُونَ وَلا يُصِرُّونَ عَلَى الذَّنْبِ بَلْ هُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ أَخَّرَ ذَلِكَ زَمَنًا قَلِيلا كَفَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ بِمَا يَبْتَلِيهِ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِذِي النُّونِ ، هَذَا عَلَى الْمَشْهُورِ: أَنَّ إلْقَاءَهُ كَانَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ؛ وَأَمَّا مَنْ قَالَ إنَّ إلْقَاءَهُ كَانَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ فَلا يَحْتَاجُ إلَى هَذَا. .. وَإِذَا عرفَ أَنَّ الاعْتِبَارَ بِكَمَالِ النِّهَايَةِ، وَهَذَا الْكَمَالُ إنَّمَا يَحْصُلُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَلاَ بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ التَّوْبَةِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الأَوَّلِينَ والآخرين. ... وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِتَوْبَةِ آدَمَ وَنُوحٍ وَمَنْ بَعْدَهُمَا إلَى خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ وَآخِرُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ، أَوْ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ.

-فذَكَر سورة النصر وحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي يُؤَوِّلُها. كما ذكر قوله تعالى: ﭽ ... ﭼ [التوبة: ١١٧]. وأحاديث توبته سبعين مرّة، ومائة مرّة، وحديث الغين، وحديث " **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْت وَمَا أَخَّرْت وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي** "[1]. وحديث علي فِي دُعَاءِ الاسْتِفْتَاحِ وغيرها، إلى أنْ قال: « وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﭽ ... ﭼ [محمد: ١٩]. وَقَالَ: ﭽ ... ﭼ [الفتح: ١ - ٢]. وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ " **أَنَّ الْمَسِيحَ يَقُولُ : اذْهَبُوا إلَى مُحَمَّدٍ؛ عَبْدٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ** "[2]. وَفِي

---

[1] (?) الحديث في الصحيح، وقد تقدم تخريجه في مبحث كمال ذل رسول الله لربه.

[2] (?) الحديث في الصحيح، وقد تقدم تخريجه في مبحث كون النبي مقدّما على الأنبياء وغيرهم في الدنيا والآخرة لتكميله العبودية.

الصَّحِيحِ: أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَقُومُ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ فَيُقَالُ لَهُ: " أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: " **أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا** "[1]. وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ مُتَظَاهِرَةٌ، وَالآثَارُ فِي ذَلِكَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ كَثِيرَةٌ. لَكِنْ الْمُنَازِعُونَ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ النُّصُوصَ مِنْ جِنْسِ تَأْوِيلاتِ الجهمية وَالْبَاطِنِيَّةِ، كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا الْبَابِ. وَتَأْوِيلاتُهُمْ تُبَيِّنُ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا أَنَّهَا فَاسِدَةٌ مِنْ بَابِ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ. كَتَأْوِيلِهِمْ قَوْلَهُ: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞ ﭟﭠﭼ الْمُتَقَدِّمُ: ذَنْبُ آدَمَ. وَالْمُتَأَخِّرُ: ذَنْبُ أُمَّتِهِ. وَهَذَا مَعْلُومُ الْبُطْلانِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وُجُوهٌ: **أَحَدُهَا:** أَنَّ آدَمَ قَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ إلَى الأَرْضِ فَضْلا عَنْ عَامِ الْحُدَيْبِيَةِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ هَذِهِ السُّورَةَ، .. **وَالثَّانِي:** أَنْ يُقَالَ: فَآدَمُ عِنْدَكُمْ مِنْ جُمْلَةِ مَوَارِدِ النِّزَاعِ، وَلا يَحْتَاجُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ ذَنْبُهُ عِنْدَ الْمُنَازِعِ؛ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ أَيْضًا، وَمَنْ قَالَ: إنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ مِنْ الأَنْبِيَاءِ ذَنْبٌ يَقُولُ ذَلِكَ عَنْ آدَمَ وَمُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِمَا.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ اللَّهَ لا يَجْعَلُ الذَّنْبَ ذَنْبًا لِمَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ، فَإِنَّهُ هُوَ الْقَائِلُ: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﭼ [فاطر: ١٨]. فَمِنْ الْمُمْتَنِعِ أَنْ يُضَافَ إلَى مُحَمَّدٍ ذَنْبُ آدَمَ أَوْ أُمَّتِهِ أَوْ غَيْرِهِمَا. .. وَلَوْ جَازَ هَذَا لَجَازَ أَنْ يُضَافَ إلَى مُحَمَّدٍ ذُنُوبُ الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ، وَيُقَالُ: إنَّ قَوْلَهُ: ﭽﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭼ الْمُرَادُ ذُنُوبُ الأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ قَبْلَك؛ فَإِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْفَعُ لِلْخَلائِقِ كُلِّهِمْ، وَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، ... وَحِينَئِذٍ فَلا يَخْتَصُّ آدَمَ بِإِضَافَةِ ذَنْبِهِ إلَى مُحَمَّدٍ، بَلْ تُجْعَلُ ذُنُوبُ الأَوَّلِينَ والآخرين عَلَى قَوْلِ هَؤُلاءِ ذُنُوبًا لَهُ. ... **الْوَجْهُ الرَّابِعُ**: أَنَّهُ قَدْ مَيَّزَ بَيْنَ ذَنْبِهِ وَذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﭽﰈﰉﰊﰋﰌﭼ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَنْبُ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبًا لَهُ؟

-وذَكَر الْوَجْه الخامس والسادس، ثم قال-:

وَالاسْتِغْفَارُ وَالتَّوْبَةُ قَدْ يَكُونَانِ مِنْ تَرْكِ الأَفْضَلِ. فَمَنْ نُقِلَ

---

[1] (?) الحديث في الصحيح، وقد تقدم تخريجه في مبحث محبته لوصفه بالعبودية.

إِلَى حَالٍ أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قَدْ يَتُوبُ مِنْ الْحَالِ الأَوَّلِ؛ لَكِنَّ الذَّمَّ وَالْوَعِيدَ لا يَكُونُ إلا عَلَى ذَنْبٍ » [1].

وكفى بِهذا تحقيقًا في المسألة، ومَن يَعتصم بكتاب الله فهو الذي يَهديه الله تعالى إلى صراطه المستقيم. ولا يجوز أنْ يُعتَمد في المسائل الخطيرة على غير المحققين من العلماء.

فثَبَت بالجوانب الثلاثة المتقدمة أنّ الأنبياء عليهم السلام عمومًا، ونبينَا محمدًا خصوصًا معصومون باتفاق علماء أهل السنة فيما يُبَلِّغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة. كما أنّهم متفقون على أنّ الأنبياء لا يُقَرّون علي خطأ في الدين أصلا، ولا على فسوق، ولا كذب؛ ففي الجملة كُلّ ما يقدح في نبوتِهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تنـزيههم عنه. كما قرّر هذا شيخ الإسلام –رحمه الله- في ردّه على كذب ابن المطهّر على أهل السنة، حيث ادّعى عليهم زورًا: أنّهم يقولون: إنّ الأنبياء غيرُ معصومين على الإطلاق [2].

تنبيه:

وليس الأنبياء معصومين عن الخصائص البشرية كالنسيان مثلا، خلافًا لدعوى الرافضة المتقدمة[3]. وقد فصّلت في ذلك القول في مبحث النبِيّ ينسى كما ينسَى غيرُه من البشر، والحفيظ العليم سبحانه مُنَزّه عن النسيان، فليُراجِعه مَن شاء.

الجانب الرابع: عصمة الله نبيّه محمدًا عن قتل الناس له دون أنْ يُبلّغ:

قد أمر الله رسولَه بإبلاغ ما نزل عليه، ووعَده بعصمته مِن الناس؛ فلا يصِلوا إلى قتله، فقال: ﭽﭼﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﭼ [المائدة: ٦٧]، لذا لما أراد كفار مكة قتله فشِلوا قال تعالى: ﭽﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭ

[1] مجموع الفتاوى، (ج10/ ص311-315) (باختصار).
[2] انظر: منهاج السنة النبوية، (ج1/ ص470-472).
[3] انظر: منهاج السنة النبوية، (ج1/ ص472)، وعصمة الإمام (ج1/ 84-86.

ﮒﮠﮡﮢﮣﮤﭼ [الأنفال: ٣٠]. لِهذا لَمّا نزلَت آية الباب أمَر مَن يَحرسُه بالكف عن ذلك. والله تعالى أعلم.

المطلب الثانِي: لا عصمة لأحدٍ مِن أمة محمد ﷺ بعده:

تَقدم في التعريفات أنّ العصمة الإلهية كصفة لمخلوق إنما هي خاصة بأنبياء الله المحفوظين، والمؤيَّدين بلُطف الله الحفيظ العليم سبحانه.

أما غيرهم مِن بقية المخلوقين فلم يكونوا بِها على الدوام متصفِين. فاللهم احفظنا بحفظك، واكلأنا برعايتك، فوقفنا لطاعاتك، وجنبنا معاصيك، يا كريم!

أما هذا المطلب فمُخصص لبيان أنّه لا أحدَ معصومًا لا أئمة، ولا شيوخًا محفوظين دائمًا[1]، بل « القاعدة الكلية في هذا: أنْ لا نعتقد أنَّ أحدًا معصومٌ بعد النبي ﷺ، بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ. والذنوب التي تقع منهم قد يتوبون منها، وقد تُكفّر عنهم بحسناتِهم الكثيرة، وقد يُبْتَلون أيضًا بِمصائب يكفر الله عنهم بِها، وقد يُكفَّر عنهم بغير ذلك »[2].

ومما يَشهدُ لِهذا ما جاء عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ** "[3].

ولهذا لَمّا كانت الملامة –عند أهل السنة- متصَوَّرة في حق الجميع سوى الأنبياء؛ الأئمة مِن الصحابة ومَن بعدهم مِمَّن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ وذلك لأنَّهم غير معصومين، وأنّ الخطأ والنسيان والغفلة، وحتى التعمد جائزٌ فيهم، لما كان كذلك ذكَر العلماء –رحمهم الله تعالى- في كتب العقائد وغيرها أعذارًا وأسبابًا يُرفَع بها ما قد يلومهم بها لائم، فكتب شيخ الإسلام –رحمه الله- مثلاً: رَفْع الْمَلامِ عَنْ الأَئِمَّةِ الأَعْلامِ، وبيّن في موضع

---

[1] (?) تصفح كامل كتاب: عصمة الإمام، والإنسان الكامل في الفكر الصوفي.

[2] (?) منهاج السنة النبوية، (ج6 / 196-197)، تابع ما بعد القاعدة إلى ص238.

[3] (?) جامع الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (بدون ترجمة)، رقم: 2499، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد، بَاب ذِكْرِ التَّوْبَةِ، رقم: 4251، حسنه الشيخ الألباني.

آخر أنّ الأَعْذَارِ التي ذكرها فيه تصِل إلى نَحْو عِشْرِينَ عُذْرًا[1].

وأما الرافضة كما تقدم فإنّهم ينفون كلّ هذه الأمور عن أئمتهم الذين يغْلُون فيهم -بزعم عصمتهم- بِما لم تُعصَم الأنبياء عليهم السلام منها، مِن العوارض البشرية كالنسيان وغيره[2].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله- في عقد مقارنة بين الخوارج والرافضة: « وَأَيْضًا: فَإِنَّ الْخَوَارِج الحرورية كَانُوا يَنْتَحِلُونَ اتِّبَاعَ الْقُرْآنِ بِآرَائِهِمْ، وَيَدَّعُونَ اتِّبَاعَ السُّنَنِ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُخَالِفُ الْقُرْآنَ. وَالرَّافِضَةُ تَنْتَحِلُ اتِّبَاعَ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَتَزْعُمُ أَنَّ فِيهِمْ الْمَعْصُومَ الَّذِي لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ الْعِلْمِ، وَلا يُخْطِئُ؛ لا عَمْدًا وَلا سَهْوًا وَلا رُشْدًا » [3].

ويتشبّثون بالآية الآتية. لكنّ الحق أنّ الإرادة إرادتانِ، قدرية كونيّة لا تتخلّف. وأخرى شرعية قد تقع وقد تتخلف؛ لعلاقتها وصدورها مِن المكلّفين. وقد شرَع الله تعالى وأمَر بجملة مِن الشرائع التي جاءتْ في سياق وعد ووعيد زوجات الرسول ﷺ، وأمرهنّ ونَهيهِنّ، وذكرِ أفضليتهن مع التقوى، ... إلى أنْ حصر علة ومَقْصَد هذه الشرائع، وهي: إرادة الله -شرعًا- إذهاب الرجس عن أهل بيت رسوله، وتطهيرهم، فقال:ﭽﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﭼ [الأحزاب: ٣٣]. فالإرادة في الآية شرعيةٌ لا قدرية؛ وعليه فلا دليل لِمَن يرى عصمة أناسٍ مِن أهل بيته ﷺ؛ كأهل الكساء الذين دعا اللهَ لَهم؛ فقال: " **اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا** "[4].

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى، (ج20/ 213).

[2] انظر ما تقدم من مزاعمهم في أئمتهم في مسألة (دعوى الرافضة العصمة في غيره ﷺ) والرد عليها في في الفصل الخاص بهم.

[3] مجموع الفتاوى، (ج28/ 491).

[4] جامع الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب وِمِن سورة الأحزاب، ورقمه: 3205، وكتاب المناقب، بَاب مَنَاقِبِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، ورقمه: 3787، وهو حديث صحيحٌ، وانظر شرحه في (تحفة الأحوذي، ج2/ ص2335).

والصوفية –كما تقدم- خالفوا في هذه العقيدة، حيث يُسوون شيوخهم بالأنبياء[1] في هذا الجانب.

أما عقيدة أهل السنة في هذا الباب فهو خلافًا للاثني عشرية الزاعمين أنّ المعصومين من أهل البيت أربعة عشر[2]، (وهم: النبيّ ، وفاطمة وعليٌّ وابناهما ، والتسعة مِن أحفادهم، الموهوم تاسعُهم)، والأئمة منهم اثنا عشر، وقد اشترطوا أنّ يكون الإمام معصومًا، ولم يَعُدّوا فاطمة رضي الله عنها منهم، مع قولهم بعصمتها. وخلافًا للصوفية الذين أشرتُ إلى معتقدهم.

فتقرر بِهذا المبحث أيضًا تعظيم أهل السنة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بتصديقهم في أخبارهم، خلافًا لغيرهم الذين يُبطلون معاني نصوص الباب بالتأويلات الفاسدة.

** * **

أما بعد، فبِهذه المباحث الثمانية تم الفصل الأول من هذا الباب، وقد اتضح جليًّا أنّ أهل السّنّة وقفُوا من رسول الله الموقف الذي أمرَ الله تعالى أنْ يقف الناس منه عليها؛ حيث إنّهم لَم يَرفعوه فوق منزلته التي أنزلَه سبحانه عليها. وبِهذا الموقف سلِموا مِن الغُلُوّ فيه. خلافًا للفِرَق الغالية فيه كالصوفية بفروعها، والرافضة بطوائفها، وغيرهم والتي تقدمت مواقفهم الغالية منه في باب الفرق وموقفهم منه .

كما أنّه سيتضح بالفصل القادم (تتمة الباب) أنّ أهل السنة في الوجه الآخر لَم يجفُوا هذا العبد الكريم، والرسول العظيم محمدًا عليه أزكى صلاة وأتم تسليم؛ خلافًا للفرَق الجافية منه كالمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والمتفلسفة والقرآنيين، والقاديانيين، والبابيّة والبهائيّة، وخلافًا للرافضة والصوفية، والخوارج والزيدية،

---

[1] (?) انظر مزاعم الصوفيه في هذا، والرد عليهم، فيما تقدم من مطلب: تسوية الصوفية مشايخهم به في الحفظ والعصمة وغير ذلك) في الفصل الخاص بهم .

[2] (?) انظر: اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين للرازي، 70 .

وجميع الفرَق الذين جفَوا شيئًا من شريعته ورسالته، فأنتقل إليه سائلا الله تعالى الإعانة فيه.

*** ** ***

المبحث الأول: أهل السنة يُحِبُّون العبد الرسول محمدًا فوق المحبوبات، ويرَون محبته إنما تتحدّد بالدين، وفيه مطلبان.

المبحث الثانِي: أهل السنة يَرَون تجريد متابعة العبد الرسول محمدٍ ، ولا يبتدعون، ولا يُقدِّمون على قوله عقلًا أو رأيًا أو قولا أو غير ذلك.

المبحث الثالث: أهل السنة يَرَون تعظيم العبد الرسول ، وتعظيم ما جاء به.

المبحث الرابع: أهل السنة يعتقدون ويشهدون أنَّ العبدَ الرسول محمدًا بلَّغ أمَّته ما أمره به ربُّه، ولم يكتم شيئًا؛ فلم يزِد، ولم يُنقِص.

المبحث الخامس: أهل السنة يعتقدون أنّ العبدَ الرسولَ محمدًا أفضل المرسلين، وسيّدُ الخلق أجمعين، وفيه مطلبان.

المبحث السادس: أهل السنة يعتقدون ويشهدون أنّ العبد الرسول محمدًا خاتَِمُ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

المبحث السابع: أهل السنة يَرَون وجوب الصلاة والسلام على العبد الرسول محمدٍ .

هذه سبعة مباحث مَن آمَن بِها على حقيقتها التي ورَدَت في النصوص فإنّه -بإذن الله تعالى- يَسْلَم من جفاء الجفاة في الرسول ؛ ذلك أنّه ما مِن وجهٍ من أوجُه جفائهم –حسب ما ظهر لِي إلى الآن- إلا وفيه خرمٌ لأحد هذه الأصول. وأهل السنة والجماعة أخذوا بمقتضاها كُلِّها، بخلاف غيرهم من الجفاة فيه .

المبحث الأول: أهل السنة يُحِبُّون العبدَ الرّسول محمدًا ﷺ فوق الْمحبوبات الْمخلوقة، ويَرَون محبته ﷺ إنما تتحدّد بالدين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهل السنة يُحِبُّون العبد الرسول محمدًا ﷺ فوق المحبوبات المخلوقة.

المطلب الثانِي: محبة عبد الله ورسوله نبينا محمد ﷺ تتحدّد بالدين؛ لا بالعاطفة.

المطلب الأول: أهل السنة يُحِبُّون العبد الرسول محمدًا ﷺ فوق الْمحبوبات الْمخلوقة، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: نماذج من محبة أهل السنة للعبد الرّسول محمدٍ ﷺ، وأنّها فوق الْمحبوبات الْمخلوقة.

المسألة الثانية: محبة أهل السنة للعبد الرّسول محمدٍ ﷺ بين الاتباع والابتداع، وبين الغُلُوّ والجفاء.

المسألة الأولى: نماذج من محبة أهل السنة للعبد الرّسول محمدٍ ﷺ، وأنّها فوق الْمحبوبات الْمخلوقة:

محبة الله هي أصل الدين ولا يُدانيها محبة أيّ مخلوق. والرّتبة التي بعدها هي محبة عبده ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ، وقد سبقت النصوص الكثيرة من الكتاب الدّالة على وجوب تقديم محبته ﷺ على بقية الْمحابّ الثمانية المخلوقة المذكورة في سورة التوبة: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [سورة التوبة: ٢٤].

ومرّ حديث أنَسٍ وأبِي هريرة رضي الله عنهما، مرفوعًا، باختلاف في آخرهما: " **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** "[1].

بل وأمَرَت النصوص بتقديم محبته ﷺ حتى على النفس التي بين جنبَي الإنسان، كما في حديث عُمَر ﷺ، وقول النَّبِيّ ﷺ له: " **الآنَ، يَا عُمَرُ!** "[2].

ووصل الأمر في كلّ نصوص الباب إلى نفي الإيمان –كُلاّ أو كمالا- وتفسيق مَن لَم يُحقق تلك الأحبية. ولهذا جاء في حديث أَنَس ﷺ، مرفوعًا: " **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ**

[1] (?) الحديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه.

[2] (?) صحيح البخاري، وقد سبق تخريجه.

إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ ... " الحديث، متفقٌ عليه[1].

وسبب هذه الأحبية الثابتة والسِّرّ فيها هو: « كونه سبَبَ هداية الناس الذين بعثه الله إليهم؛ إذْ أخرجهم الله به مِنْ ظُلُمَات الْكُفْر إِلَى نُور الإِيمَان، فلما كان سبب المحبة بين المحب والمحبوب ما يحصل من النفع للمحب، كانت محبة الرسول مقدمةً على محبة أعزّ الناس إلى الإنسان، لأنَّ النفع الذي حصل للمسلم بسبب الرسول هو بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي ... »[2].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في هذا المعنى في شرح حديث أنس: « وَفِي هَذَا الْحَدِيث إِيمَاء إِلَى فَضِيلَة التَّفَكُّر، فَإِنَّ الأَحَبِّيَّةَ الْمَذْكُورَة تُعْرَف بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَحْبُوب الإِنْسَان إِمَّا نَفْسه وَإِمَّا غَيْرهَا، أَمَّا نَفْسه فَهُوَ أَنْ يُرِيد دَوَام بَقَائِهَا سَالِمَة مِنْ الآفَات، هَذَا هُوَ حَقِيقَة الْمَطْلُوب. وَأَمَّا غَيْرهَا -فَإِذَا حَقَّقَ الأَمْر فِيهِ- فَإِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ تَحْصِيل نَفْع مَا عَلَى وُجُوهه الْمُخْتَلِفَة حَالا وَمَآلا. فَإِذَا تَأَمَّلَ النَّفْع الْحَاصِل لَهُ مِنْ جِهَة الرَّسُول الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ ظُلُمَات الْكُفْر إِلَى نُور الإِيمَان، -إِمَّا بِالْمُبَاشَرَةِ وَإِمَّا بِالسَّبَبِ- عَلِمَ أَنَّهُ سَبَب بَقَاء نَفْسه الْبَقَاء الأَبَدِيّ فِي النَّعِيم السَّرْمَدِيّ، وَعَلِمَ أَنَّ نَفْعه بِذَلِكَ أَعْظَم مِنْ جَمِيع وُجُوه الانْتِفَاعَات، فَاسْتَحَقَّ لِذَلِكَ أَنْ يَكُون حَظّه مِنْ مَحَبَّته أَوْفَر مِنْ غَيْره؛ لأَنَّ النَّفْع الَّذِي يُثِير الْمَحَبَّة حَاصِل مِنْهُ أَكْثَر مِنْ غَيْره، وَلَكِنَّ النَّاس يَتَفَاوَتُونَ فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ اسْتِحْضَار ذَلِكَ وَالْغَفْلَة عَنْهُ. وَلا شَكّ أَنَّ حَظّ الصَّحَابَة مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَتَمّ؛ لأَنَّ هَذَا ثَمَرَة الْمَعْرِفَة، وَهُمْ بِهَا أَعْلَم، وَاَللَّه الْمُوَفِّق! وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: كُلّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ إِيمَانًا صَحِيحًا لا يَخْلُو عَنْ وِجْدَان شَيْء مِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّة الرَّاجِحَة، غَيْر أَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَة بِالْحَظِّ الأَوْفَى، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا بِالْحَظِّ الأَدْنَى،

---

1 (?) متفق عليه، وقد سبق تخريجه.

2 (?) قاله شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر حفظه الله في كتابه:عشرون حديثًا من صحيح البخاري،(ج2/ص192).

كَمَنْ كَانَ مُسْتَغْرِقًا فِي الشَّهَوَات مَحْجُوبًا فِي الْغَفَلات فِي أَكْثَر الأَوْقَات، لَكِنَّ الْكَثِير مِنْهُمْ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيّ ﷺ اشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَته، بِحَيْثُ يُؤْثِرهَا عَلَى أَهْله وَوَلَده وَمَاله وَوَالِده، وَيَبْذُل نَفْسه فِي الأُمُور الْخَطِيرَة، وَيَجِد مَخْبَر ذَلِكَ مِنْ نَفْسه وِجْدَانًا لا تَرَدُّد فِيهِ »[1].

وقد ذكَر العلماء –رحِمَهم الله- طائفة كبيرة من علامات محبة النبِيّ ﷺ، ومُلخّصها كالآتِي: **أولا:** الاقتداء به ﷺ واتباع سنته (أقواله، أفعاله، وتقريراته)؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عُسر العبد ويسره، ومَنشطه ومَكرهه. **ثانيًا:** إيثارُه ﷺ بكُلّ خيرٍ، وإيثارُ شرعه على هوَى النّفس والشهَوَات. **ثالثًا:** الإكثار من ذكره ﷺ والصلاة والسلام عليه. **رابعًا:** تَمنّي رؤيته ﷺ والشوق إلى لقائه. **خامسًا:** توقيرُه ﷺ وتعظيمه. **سادسًا:** النّصيحة له ﷺ بعد النّصيحة لله ﷻ، ثم النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم. **سابعًا:** محبة كتابه ﷺ الذي هَدَى به، واهتدى وتخلق به. **ثامنًا:** محبة مَن أحبّهم ﷺ مِن صحابته، ومَن هو بسببه مِن أهله، ومحبة ما أحَبّه من الأعمال والأماكن. **تاسعًا:** بُغض وعداوة مَن أبغضهم النبِيّ ﷺ وعاداهم، ومجانبة مَن خالف سنته وابتدع في دينه. **عاشرًا:** الزهد في الدنيا. **حادي عشر:** شفقة العبد على أمته ﷺ ونصحه لهم، وسعيه في مصالحهم، ورفع المضار عنهم، مثل ما كان النبِيّ بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا. **حادي عشر:** بذل ما يُقدَر عليه في رضاه ﷺ مما كان يتمتع به بدون المحبة، مثلما كان عليه الصحابة ﷺ من تفديته؛ حتى لو كان لهم شيء أعز من نفوسهم فدَوه به [2].

---

[1] (?) فتح الباري، (ج1/ 416-417)، ونقله عبد المحسن البدر في: عشرون حديثًا مِن البخاري، (ج2/193).

[2] (?) انظرها مفصّلة في : الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 409-414، وحقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (ج1/ 321-369)، وانظر مبحثي الثالث، والرابع بعُنوان:دواعي محبة الرسول ﷺ وأسباب زيادتها، ومظاهر محبة الرسول ﷺ من كتاب: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع،ص52-97. وقد ذكر د. غسان 13 علامة لِمحبة الله ورسوله ﷺ، في كتابه محبة الله ورسوله ﷺ في الكتاب والسنة، ص 426-465.

ولبيان هذه المسألة (نماذج محبة أهل السنة للعبد الرّسول محمدٍ وأنّها فوق المحبوبات المخلوقة) كما يَنبغي أذْكُرُ صُورًا واقعية مُشرِقة مِن حال الصحابة وسيرتِهم في محبتهم للنبِيّ بل وتقديمهم محبته على محبة بقية المخلوقات، وإيثارهم ذلك على الغالي والنّفيس، كما أمرَت بذلك النصوص، وقد ضرَب هؤلاء الكبار أرْوَعَ الأمثلة في ذلك؛ فأحبُّوه وآثرُوه على كلِّ أحدٍ، بل وعلى النفس، وَمَن آثر محبوبه بنفسه فهو له بالمال وغيره أشد إيثارًا[1]، وفَدَوه بِهما، كما اقتضت محبتهم له : اتباعه في جميع شؤون حياتهم، وتعظيمه ونصحه، والإكثار مِن ذكره والصلاة عليه، والشوق إلى لقياه، ... في جملة أمورٍ شرعية ألزمتْها محبتُهم له ، بل وصَلَ الحالُ بِبعضهم إلى قتل مِن أقرب الناس إليه (أبيه أو ابنه أو غيرهما) وأعزّهم عليه، أو هَمّ إلى ذلك[2]، وذلك لأذيتهم رسولَ الله ، فصار أولئك هم المؤمنون الذين صدقوا في إيمانهم، فرَضِي الله عنهم وجازاهم خيرَ ما جازى صحابة نبِيٍ عن نبيّهم، وجَعَلَنا من محبيهم، ومعهم في جنّته، آمين! كما نسأله تعالى أنْ يجعلنا مقتدين بِهم، ومقتفين آثارَهم في هذا وفي كلّ مطلوبٍ شرعِيٍّ!

فالنعِشْ الآن مع طائفة طيّبَة من مواقف الصحابة الإيثارية لنبِيّ البشرية، من هؤلاء أولي العقول والنّهى السّنيّة؛ وقد انتقيتُ هذه الطائفة التطبيقية؛ العامة فيهم، والعينية؛ التي وقَفُوها في محبته وإيثاره، وتعظيمه في حياته، وبعد مماته مِن كُتُب الأحاديث والسيرة خصوصًا، والتاريخ عمومًا المليئة بِهذه النماذج. ثم إنّ عادة العلماء فيما يوردونه من كتب السيرة والتاريخ من النماذج في هذا القبيل: هو عدم التشديد؛ فيَكتفُون بشُهرة الآثار ما لم يَشتد ضعفُها. مع أنّ أكثر ما أورُده هنا -والحمد لله- صحيحٌ! كما أنّ هؤلاء (الصحابة) هم قدوة أهل السنة في هذا الباب وغيره.

---

1 (?) انظر: روضة المحبين، ص387.

2 (?) جامع العلوم والحكم،

ومن هذه النماذج والصّوَر[3]**:**

النموذج الأول: في محبة عموم الصحابة للنبِيّ وتعظيمهم إياه: فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ عَنْ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " **وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا** " قَالَ: لا شَيْءَ إِلا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ: " **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** ". قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ : (**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**). قَالَ أَنَسٌ: « فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ؛ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ » متفق عليه[2]. وفي رواية: « مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاةٍ، وَلا صَوْمٍ، وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »، وفي رواية: « كَبِيرَ صِيَامٍ، ... » الحديث[3].

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنّ محبة النبِي مع قليل العمل على السنة: كافٍ لدخول الجنة، و«الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[4]، كما قاله ابن مسعودٍ .

-وراوي هذا الحديث (أَنَس بن مَالِكٍ) هو الذي يَقُولُ: « إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ: أَنَسٌ فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَرَأَيْتُهُ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيْ الْقَصْعَةِ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ[5].

---

[3] للاستزادة انظر: الفصل الذي عقَده الشيخ عبد الله آل الشيخ المفتي العام بعنوان: ذكر طرف من طريقة محبة الصحابة ، لنبِيّ الْهدى والرحمة واتباعهم له من كتابه الفريد: حقيقة شهادة أن محمدا رسول الله ، ص81-91، وصُوَر مشرقة من محبة الصحابة للنبِيّ ، لأشرَف أحمد عثمان.

[2] صحيح البخاري: كتاب الأدب، بَاب عَلامَةِ حُبِّ اللَّهِ ، رقم: 6171، وبأتم منه مع ذكر قول أنس في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، برقم: 3688 . وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، رقم: 2639 .

[3] صحيح مسلم، المصدر السابق.

[4] المستدرك للحاكم، كتاب العلم، رقم: 352،، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، برقم: 13 و14، ثم 114، (ج1/ص61، وص99).

[5] صحيح البخاري: كتاب الأطعمة، بَاب مَنْ تَتَبَّعَ حَوَالَيْ الْقَصْعَةِ مَعَ صَاحِبِهِ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ مِنْهُ كَرَاهِيَةً، رقم: 5379، وصحيح مسلم: كتاب الأشربة، باب جواز أكل المرق... رقم: 2041. وقف على فوائد وشرح الحديث، (المنهاج للنووي، ص1293، وفتح الباري، ج3/ 3858).

أما موقفٌ آخر لَهم فكما شرَحه أحدُهم في رجزه، وحكاه عنه العلامة ابن القيّم –رحمه الله- في آخر كلامه بعدما ذَكَر شاهدًا من شواهد المحبة: « ومنها: بذل الْمُحِبّ في رضا محبوبه ما يَقْدِرُ عليه مِمّا كان يتمتع به بدون المحبة، وللمحب في هذا ثلاثة أحوال: أحدها: بذله ذلك تكلفًا ومشقة، وهذا في أول الأمر. فإذا قويت المحبة بذله رضا وطوعًا، فإذا تمكنت من القلب غاية التمكن بذله سؤالا وتضرعًا؛ كأنه يأخذه من المحبوب حتى إنه ليبذل نفسه دون محبوبه كما كان الصحابة يَقُون رسولَ الله في الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله.

ولِي فؤاد إذا لَجّ الغرام به	هام اشتياقًا إلى لُقْيا مُعَذّبه
يفديك بالنفس صبّ لو يكون له	أعزّ مِن نفسه شيء فَدَاك به

ومن آثَرَ مَحبوبه بنفسه فهو له بِماله أشد إيثارًا ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ   ﭼ [الأحزاب: ٦]. ولا يتم لَهُم مقامُ الإيمان حتى يكون الرّسولُ أحَبّ إليهم مِن أنفسهم؛ فضلا عن أبنائهم وآبائهم، ... فإذا كان هذا شأن محبة عبده ورسوله فكيف بمحبته سبحانه؟ وهذا النوع من الحب لا يمكن أن يكون إلا لله ورسوله شَرْعًا وقدرًا، –إلى أنْ قال-: ولِهذا حَكّم الصحابة رسولَ الله في أنفسِهم وأموالِهم، فقالوا: هذه أموالنا بين يديك، فاحكم فيها بما شِئتَ، وهذه نفوسُنا بين يَدَيْك لو استعرضْتَ بنا البحر لَخُضْنَاه؛ نقاتلُ بين يديك ومِن خَلْفِك، وعن يَمينك وعن شِمالك، ..

ثَوَى في قريشٍ بِضْعَ عشرة حجة	يُذَكّر لو يَلْقى حبيبًا مؤاتِيًا
ويَعْرِض في أهل المواسم نفسَه	فلم يَرَ مَن يُؤوي، ولم يَرَ داعِيًا
فلما أتانا واستَقَرت به النّوى	وأصبَح مسرورًا بطيبة راضيًا
بذَلْنا له الأموالَ مِن حِلّ مالِنا	وأنفسَنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادى مِن الناس كلِّهم	جميعًا، وإنْ كان الحبيبَ الْمُصافيا

ونعلم أنّ الله لا ربّ غيره وأنّ رسول الله أصبَحَ هاديًا
فالْمحب وصفُه الإيثار، والْمُدّعي طبعه الاستئثار »[1].

النموذج الثانِي مِن نماذج إيثار الصحابة رسولَ الله ﷺ على بقية المحاب المخلوقة: إيثار أبي بَكْرٍ ﷺ النبِي ﷺ على نفسه، وبماله، وله في ذلك عدّة مواقف، ومنها ما اشتَهر من كونه في الرّصد ثم الخلف، فالأمام والخلف [2]، وكذلك إيثارُه إياه بالمال؛ بل ومَن آثر محبوبه بنفسه فهو له بالمال أشد إيثارًا؛ فقد جاء أبو بكر بكلّ ماله، ولم يترك لأهله إلا الله ورسوله، فعن عُمَر بْن الْخَطَّابِ ﷺ، قال: « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟** " قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ**؟ "، قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا » [3].

-ومن ذلك: اتباع أَبِي بَكْرٍ ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وكذلك إيثاره قَرَابَته على قَرَابَة نفسه: فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا؛ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ؛ تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ، وَفَدَكٍ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ** "، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ؛ يَعْنِي -مَالَ اللَّهِ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى

---

[1] روضة المحبين ونزهة المشتاقين، 387-388.

[2] ذكَر الأثر بذلك البيهقي عن ابن سيرين عن عمر ﷺ، باب خروج النبِيّ ﷺ مع صاحبه أبِي بكر الصديق ﷺ إلى الغار، وما ظَهَر في ذلك من الآثار، رقم: 771، والأثر طويل ومتكلم فيه مرسلا؛ لأنّ ابن سيرين لم يدرك ابن الخطاب (دلائل النبوة، ج2/ 349-350، وانظر كلام المحقق في تضعيف إسناد الأثر).

[3] سنن أبي داود: كتاب الزكاة، بَاب فِي الرُّخْصَةِ فِي ذَلِكَ، (وقبله: بَاب الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ)، رقم: 1678، وجامع الترمذي: كتاب المناقب، بَاب فِي مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كِلَيْهِمَا، رقم: 3675، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وهو حديث حسن.

الْمَأْكَلِ، وَإِنِّي -وَاللَّهِ- لا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ، وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا -يَا أَبَا بَكْرٍ- فَضِيلَتَكَ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَحَقَّهُمْ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي » متفق عليه، وفي رواية للبخاري: وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَعْمَلُ بِهِ إِلا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ » [1].

-ولِهذا فقد نقَل كُتّاب السّير والتاريخ: قول أبِي بكر للنبِيّ : (والذي بَعَثَك بالحق لإسلام أبي طالب –لو أسلم- أقرّ لعينِي من إسلامه –يعنِي: أبيه أبي قحافة-، وذلك مِن أجل أنّ إسلام أبِي طالب كان أقَرّ لعينك[2].

النموذج الثالث: مواقف عمر الذي قال فيه الرّسول : **" الآنَ، يَا عُمَرُ! "**، فقد تأثّر بِالقول أميرُ المؤمنين في حياته كلّها وآثر مَحابّ رسولِ الله على محابّ نفسِه: ومن شواهد ذلك التطبيقية: ما جاء عن ابنِه رضي الله تعالى عنهما، أنّ عمر قال للعباس : « والله لإسلامُك يوم أسْلَمتَ كان أحبّ إلَيّ من إسلام الخطاب لو أسْلَم، لأنّ إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب »[3].

هذا بالنسبة لأبيه، وأما بالنّسبة لابنه عبد الله، وإيثار أسامة عليه، فقد جاء في جامع الترمذي: عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ فَرَضَ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي ثَلاثَةِ آلافٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ، وَفَرَضَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي ثَلاثَةِ آلافٍ[4]، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لأَبِيهِ: لِمَ فَضَّلْتَ أُسَامَةَ عَلَيَّ؛ فَوَ اللَّهِ مَا سَبَقَنِي إِلَى

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْقَبَةِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلام بِنْتِ النَّبِيِّ ، رقم: 3711، و3712، وصحيح مسلم في حديث طويل: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي : "لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ" رقم: 1758.

2 (?) منسوب إلى ابن عساكر، وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص406-407).

3 (?) الطبقات الكبرى لابن سعد. وأورَدَه الحافظ ابنُ كثيرٍ في تفسير آية -إلا المودة في القربى-(ج4/ 142).

مَشْهَدٍ؟ قَالَ: لأنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبِيكَ، وَكَانَ أُسَامَةُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ، فَآثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حُبِّي»[1].

وقد علّق عليه القرطبي –رحمه الله- فقال: « ففضّل ﷺ محبوبَ رسول الله ﷺ على محبوبه. وهكذا يَجب أنْ يحب ما أحبّ رسول الله ﷺ، ويُبْغَض مَن أبغض »[2].

-ويؤكّد كلّ هذا: ما جاء في سيرته أنه لَمّا وضَع عمر « ديوان العطاء كَتَب النّاس على قدر أنسابِهم؛ فبدأ بأقربِهم فأقربِهم نسبًا إلى رسول الله ﷺ، فلَمّا انقَضَت العرب ذكر العجم، هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين، وسائر الخلفاء مِن بنِي أمية، وولد العباس، إلى أن تغَيَّر الأمر بعد ذلك »[3].

-وقال أيضًا: « وانظر إلى عمر بن الخطاب ﷺ، حين وضع الديوان، وقالوا له: يبدأ أميرُ المؤمنين بنفسه، فقال: لا، ولكن ضَعُوا عمر حيث وضَعَه الله؛ فبَدَأَ بأهل بيت رسول الله ﷺ، ثم مَن يليهم، حتى جاءت نوبتُه في بنِي عَدِيٍّ، وهم متأخرون عن أكثر بُطون قريش »[4].

---

4 (?) الرواية التي أوردها القرطبي (موضعٌ لاحِقٌ) أنه كان عمر ﷺ يَفْرِض لأسامة في العطاء **5** آلاف، ولابنه عبد الله: ألفين.

1 (?) جامع الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة ﷺ، رقم: 3813، قال الترمذي: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ »، وضعفه الشيخ الألباني. وإنّ مما يُلاحظ على الحديث ما فيه من جعل زيد بن الحارثة ﷺ أحبّ إلى رسول الله ﷺ من الفاروق ﷺ، لأنه من المعلوم أنّ زيدًا وولده أسامة من أحبّ الناس إليه ﷺ، لكنهما دون عمر ﷺ، ففي البخاري (كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ، برقم: 3730) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ** " وفي حديث البخاري الذي سبق تخريجه في بَعثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاسِلِ، وأنه قال: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: " **عَائِشَةُ** " قُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: "**أَبُوهَا** ...».

2 (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج17/ 225).

3 (?) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص143.

4 (?) اقتضاء الصراط المستقيم، (ج1/ص453)، ط/الرشد، بتحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل.

النموذج الخامس: مواقف عُثْمَان المشرقة في محبة رسول الله : وقد ثبَتَ في كُتُب السيرةِ أنّ عُثْمَان قَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ؛ بِأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حين حَثّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ، ولَمّا حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ أيضًا قَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ولَمّا حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ ثالثة قَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَيَّ ثَلاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَنْزِلُ عَنْ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ[1].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ: « جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي كُمِّهِ، حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ، يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ؛ وَيَقُولُ: " **مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ** "، مَرَّتَيْنِ »[2].

وهو الذي اشتَرَى بئر رومة، ولقد جاء حديثٌ حسَنٌ بذلك[3]، قال البخاري –رحمه الله: « بَابِ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو الْقُرَشِيِّ ، وَقَالَ النَّبِيّ : " **مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ**، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: " **مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ**، فَجَهَّزَهُ عُثْمَان »[4].

وفي كُلّ ما تقدم الدليل الواضح على إيثارِ عثمان دينَه، وأنّه مقَدّمٌ عنده على أمواله وبقائها، وكلُّ هذا فعله إرضاءً لرسول الله .

النموذج السادس: وهذا علي الذي أعطاه رسول الله الرَّايَةَ وذَكَر أنّه يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ

---

[1] (?) جاء هذا المعنى في حديث رواه الترمذي في جامعه: كتاب المناقب، باب (بدون ترجمة، وقبله: باب في مناقب عثمان بن عفان ، ورقمه: 3700، وقد ضُعّف، إلا أنّ الحديث الذي يأتي بعده يشهد له.

[2] (?) جامع الترمذي: المصدر نفسه، رقم: 3701، وحسنّه الترمذي والألباني.

[3] (?) جامع الترمذي: المصدر نفسه، رقم: 3703، حسّنه الشيخ اللباني.

[4] (?) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، (الصحيح مع الفتح، ج2/ ص 2674).

اللَّهُ وَرَسُولُهُ[1]، يذكُر إيثار الصحابة محبة رسول الله على بقية المحاب المخلوقة، فيقول بعدَما سُئِل كيف كان حُبُّكم لرسول الله ؟ فيُجيب: « كان –والله- أحبّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمإ »[2].

كما ذَكَرَت كُتُب السيرة أنّه نام على فراش رسول الله ليلة الهجرة[3].

وهذا فيه تفدية النبي بالنفس الذي يطلبه كفار قريش لقتله.

النموذج السابع: ما قاله عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري لولده جابر البارّ به رضي الله عنهما وأرضاهما، قال جابر –كما في صحيح البخاري-: « لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلاَّ مَقْتُولاً فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، وَإِنِّي لاَ أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ » [4].

في الحديث عظيم الحب للرسول الكريم، « وفيه: قوة إيمان عبد الله المذكور لاستثنائه النبي ممن جعل ولده أعز عليه منهم » [5].

النموذج الثامن: ما سيأتِي في المبحث الثالث من قول عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ مَوْتِهِ لابنه: « وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ، وَلَوْ

---

[1] الحديث في متفق عليه وقد تقدم تخريجه في مطلب صدق ما أخبَر به النبي عن الماضي والمستقبل.

[2] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص407.

[3] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (ج1/483)، وروايات ذلك في: دلائل النبوة للبيهقي، (ج2/ 343-346).

[4] صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلة، رقم: 1351.

[5] فتح الباري، لابن حجر، (ج1/ص1326).

سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ »[1].

النموذج التاسع: قول سَعْد بْن مُعَاذٍ : رَوَى ابْنُ إسْحَاقَ بسنده عنه ، قَالَ: يَا نَبِيّ اللّهِ! أَلا نَبْنِي لَك عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ وَنُعِدّ عِنْدَك رَكَائِبَك، ثُمّ نَلْقَى عَدُوّنَا، فَإِنْ أَعَزّنَا اللّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوّنَا كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِك، فَلَحِقْت بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلّفَ عَنْك أَقْوَامٌ -يَا نَبِيّ اللّهِ- مَا نَحْنُ بِأَشَدّ لَك حُبّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنّوا أَنّك تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلّفُوا عَنْك، يَمْنَعُك اللّهُ بِهِمْ؛ يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَك. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرِ. ثُمّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللّهِ عَرِيشٌ فَكَانَ فِيهِ [2].

وجاء في سيرة ابن هشام قوله أيضًا: (... وَأَعْطَيْنَاك عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا، عَلَى السّمْعِ وَالطّاعَةِ؛ فَامْضِ يَا رَسُولَ اللّهِ لِمَا أَرَدْتَ؛ فَنَحْنُ مَعَك، فَوَالّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلّفَ مِنّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوّنَا غَدًا، إنّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللّقَاءِ؛ لَعَلّ اللّهَ يُرِيك مِنّا مَا تَقَرّ بِهِ عَيْنُك، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللّهِ. فَسُرّ رَسُولُ اللّهِ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشّطَهُ ذَلِكَ) [3].

النموذج العاشر: وهو موقفٌ من مواقف أَبِي طَلْحَةَ يوم أُحُدٍ التي آثَر فيها الرّسول على نفسه، حيث قال: « يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! لا تُشْرِفْ؛ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ؛ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ »[4].

---

[1] الحديث في صحيح مسلم: وسيأتِي تخريجه قريبًا.

[2] السيرة النبوية لابن هشام، بِنَاءُ الْعَرِيشِ لِرَسُولِ اللّهِ ، (ج2/ ص 620-621)، ونقله عنه البيهقي في دلائل النبوة، باب ما جاء في العريش الذي بُنِي لرسول الله حين التقى الناس يوم بدر، (ج3/ص 35).

[3] السيرة النبوية لابن هشام، استيثاق الرّسُولِ من أمر الأنصار، (ج 2/ ص615)، ويشهد له ما جاء في صحيح مسلم عن أنس (كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، رقم: 1779).

[4] صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، بَاب مَنَاقِبُ أَبِي طَلْحَةَ ، رقم: 3811، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء

النموذج الحادي عشر: ما جاء في كُتُب السيرة من شَأْن المْرَأة الدِّينَارِيِّةِ رضي الله عنها وكون رسول الله آثر عندها وأحَبّ إليها مِن زَوْجهَا وَأَخيهَا وَأبيهَا والناس أجمعين: ذَكَر ابْنُ إسْحَاقَ بسنده إلى سَعْدِ بْنِ أبِي وَقّاصٍ ، قَالَ: « مَرّ رَسُولُ اللّهِ بِامْرَأةِ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ بِأُحُدٍ، فَلَمّا نُعُوا لَهَا، قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أُمّ فُلانٍ! هُوَ بِحَمْدِ اللّهِ كَمَا تُحِبّينَ. قَالَتْ: أرُونِيهِ حَتّى أَنْظُرَ إلَيْهِ؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إلَيْهِ، حَتّى إذَا رَأَتْهُ؛ قَالَتْ: كُلّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ[1]»[2].

الثاني عشر: موقف زَيْد بْن الدّثِنّةِ الوَفَائي وأنّه يُفدي رسول الله بنفسه من أنْ تصيبَه شوكةٌ وهو في أهلهِ: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَأَمّا زَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ، أُمَيّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَبَعَثَ بِهِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ مَعَ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ نِسْطَاسُ إلَى التّنْعِيمِ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، وَاجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قُدِمَ لِيُقْتَلَ: أَنْشُدُكَ اللّهَ يَا زَيْدُ! أَتُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا عِنْدَنَا الآنَ فِي مَكَانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ، وَأَنّك فِي أَهْلِك؟ قَالَ: وَاَللّهِ مَا أُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا الآنَ فِي مَكَانِهِ الّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ، وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي. قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْت مِنْ النّاسِ أَحَدًا يُحِبّ أَحَدًا كَحُبّ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا؛ ثُمّ قَتَلَهُ نِسْطَاسُ يَرْحَمُهُ اللّهُ[3].

الثالث عشر: حال السّبعة الذين قُتلوا عن بَكرة أبيهم بأُحُدٍ أمام نبِيّ الله مدافعين عنه: ففي صحيح مسلم من حديث أنس، وفي المسند من حديث: ابْنِ

مع الرّجال، رقم: 1811.

[1] **جَلَلٌ**: « تُرِيدُ صَغِيرَةً قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْجَلَلُ يَكُونُ مِنْ الْقَلِيلِ وَمِنْ الْكَثِيرِ وَهُوَ هَاهُنَا مِنْ الْقَلِيلِ. قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ فِي الْجَلَلِ الْقَلِيلِ: لَقَتْلُ بَنِي أَسَدٍ رَبّهُمْأَلا كُلّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلُ ».السيرة النبوية لابن هشام، (ج3/ 99).

[2] المصدر نفسه، (ج3/ 99).

[3] المصدر نفسه، (مَقْتَلُ ابْنِ الدّثِنّةِ وَمَثَلٌ مِنْ وَفَائِهِ لِلرّسُولِ)، ج3/ ص172.

مَسْعُودٍ رضي الله عنهما: أنّه لَمَّا خَالَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَعَصَوْا مَا أُمِرُوا بِهِ، أُفْرِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تِسْعَةٍ؛ سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهُوَ عَاشِرُهُمْ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ[1] قَالَ: " **رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا رَدَّهُمْ عَنَّا** " قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ سَاعَةً حَتَّى قُتِلَ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ أَيْضًا، قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ رَجُلا رَدَّهُمْ عَنَّا، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَا، حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: " **مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا** "[2].

لأجل النماذج الكثيرة المتعلقة بأُحُد ذكَر شيخ الإسلام -رحمه الله- أنّ « أشهَرَ ما نُقل مِن ذلك: ذَبّ المؤمنين عن النبِيّ يوم أُحُد؛ لَمّا ولّى أكثرُ المسلمين مُدْبِرين، فطَمِع العدُوّ في النبِيّ ﷺ وحَرِصُوا على قتله، وطلب أمية بن خلف قتله، فقتله النّبِيّ ﷺ بيده، وشج المشركون جبينه، وهشّموا البيضة على رأسه،وكسروا رباعيته. وذَبّ عنه الصحابة الذين حوله،كسعد بن أبِي وقاص، جعَل يَرمي. ..ووقاه طلحة بيده، فشُلّت يدُ طلحة، وقتل حوله جماعة من خيار المسلمين »[3].

الرابع عشر: ما سيأتِي في المبحث الأخير من إيثار أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ النَّبِي ﷺ؛ بصلاته عليه ودعائه له، على الدعاء لنفسه. فَكُفِي له هَمّه، وَغُفِر لَه ذَنْبه " [4].

الخامس عشر: ما جاء عند الطبراني في الكبير، ونحوه في شعب الإيمان للبيهقي، واللفظ للأول، أنّه خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ إِنَّهُ لَيَسُوؤُنِي الَّذِي أَرَى بِوَجْهِكَ وَعَنْ مَا هُوَ؟ قَالَ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى وَجْهِ الرَّجُلِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ:"**الْجُوعُ**", فَخَرَجَ الرَّجُلُ يَعْدُو أَوْ شَبِيهًا بِالْعَدُوِّ، حَتَّى أَتَى بَيْتَهُ فَالْتَمَسَ فِيهِ الطَّعَامَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، فَخَرَجَ إِلَى

[1] فَلَمَّا رَهِقُوهُ: -بِكَسْرِ الْهَاء- أَيْ: غَشُوهُ وَقَرُبُوا مِنْهُ (انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ص1158).

[2] صحيح مسلم: كتاب المغازي والسير، باب غزوة أُحُد، رقم: 1789.

[3] منهاج السنة النبوية، (ج8/ 93)، وانظر: من الكتاب ص99-100 لبعض النماذج من هذا القبيل.

[4] الحديث في جامع الترمذي، وهو صَحِيحٌ، سيأتِي تخريجه في مبحث الصلاة والسلام على الرسول ﷺ.

بنِي قُرَيْظَةَ؛ فَآجَرَ نَفْسَهُ بِكُلِّ دَلْوٍ يَنْزِعُهَا تَمْرَةً، حَتَّى جَمَعَ حَفْنَةً أَوْ كَفًّا مِنْ تَمْرٍ، ثُمَّ رَجَعَ بِالتَّمْرِ حَتَّى وَجَدَ النَّبِيَّ فِي مَجْلِسٍ لَمْ يَرِمْ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: كُلْ أيْ: رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ : " **مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا التَّمْرُ؟** "، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : " **إِنِّي لأَظُنُّكَ تُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟** "، قَالَ: أَجلْ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لأَنْتَ أَحَبّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَالِي، فَقَالَ: " **أَمَا لا, فَاصْطَبِرْ لِلْفَاقَةِ، وَأَعِدَّ لِلْبَلاءِ تِجْفَافًا، فَوَ الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ! لَهُمَا إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي أَسْرَعُ مِنْ هُبُوطِ الْمَاءِ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ** "[1].

السادس عشر: ما ذَكَره المفسّرون برواياته الكثيرة من سبب نزول آية في سورة النساء، ومفادُه أنه يَرَى بعض الصحابة أنّه سيموت إن لم يَرَ النّبيّ ، وإذا كان في بيته فذكَره لا يصْبِر حتى يأتيَه؛ فينظُر إليه، وقد أورد الحافظ ابن كثير –رحمه الله- هذه الروايات في تفسير الآية[2]: ومن ألفاظ الحديث: (جاء رجُلٌ مِن الأنصار إلى رسول الله ، فقال: لأنت أحَبّ إليّ مِن نفسي وولدي وأهلي ومالي، ولولا أنّي آتيك فأراك؛ لخشيت أنّي سأموت، وبكى الأنصاري؛ فقال له النبِيّ : " **ما أبكاك؟** قال: ذَكَرتُ أنّك سَتَموت ونَموت؛ فتُرفع مع النّبيين، ونحن إنْ دَخَلْنا الجنة كُنّا دُوْنَك؛ فلم يُخْبِره النبِيّ بشيء؛ فأنْزَل الله على رسوله : ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛ [النساء: 69-٧٠]. فقال له النبِيّ: " **أبشر** ".

---

[1] شعب الإيمان للبيهقي: (تحت الشعبة الرابعة عشرة)، رقم: 1475، صححه الشيخ الألباني بشواهده (السلسلة الصحيحة، ج6/ص 789-791، ورقمه: 2827).

[2] أورَد الحافظ طائفة من هذه الرّوايات، وقال: « قد روي هذا الأثر مرسلا عن مسروق، وعكرمة، وعامر الشَّعْبي، وقتادة، وعن الربيع بن أنس، وهو من أحسنها سَنَدًا »، ولَمّا أوردَ هذا الحديث من طريق عائشة رضي الله عنها (مع اختلاف يسير في اللفظ) حكى قول أبي عبد الله المقدسي: لا أرَى بإسناده بأسًا. (انظر هذه الروايات في: تفسير القرآن العظيم، ج1/ ص683-685) .

السابع عشر: موقف أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما حين رَغِبَت بفراش رسول الله عن أبيها: فقد دخل عليها بيتها رضي الله عنها أبوها أبو سفيان قبل فتح مكة حين بَعَثته قريش ليشدَّ العقد لَمَّا صنعوا بخُزاعة ما صنعوا. فلما ذهَب ليجلس على فراش رسول الله طَوَتْه عنه. فقال: يا بُنيَّة، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبتِ به عنِّي؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ، وأنت رَجُلٌ مُشْرِك نَجِس، فلم أُحِبَّ أن تجلس على فراش رسول الله . ..[1].

الثامن عشر وبه أختم النماذج والصور: حال ناس مِن أهل السنة غير الصحابة من أشدّهم حُبًّا له : جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " **مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي؛ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ** " [2].

فاللهم واجعلنا منهم، ومعه، ولا تَحرِمنا أجرهم، يا كريم! فقد ثبت في الصحيح عَنْ عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :"**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** "[3].

ومهما يكُن من أمرٍ، فقد –والله- أحبّ الصحابة؛ رجالُهم ونساؤُهم، كبارُهم وصغارُهم وشبابُهم وشيبانُهم رسولَ الله حُبًّا ليس له نظير، ووصل –كما في النماذج- إلى أنْ فَدَوه بالمال والأهل بل وبالنفس، والْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، فجزاهم الله خير ما جازى صحابةَ نبِيٍّ عن نبيّهم.

فما تقدم من النّماذج بعضٌ مِن الصُّور الجليلة الدالة على عظيم محبة الصحابة للنبِيِّ وحرصهم على اتباع

---

[1] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (ج3/396)، ودلائل النبوة للبيهقي، باب نقض قريش ما عاهدوا عليه رسول الله ، (ج5/ص9).

[2] صحيح مسلم: كتاب الجنة، باب فِيمَنْ يَوَدُّ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ، رقم: 2832 .

[3] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله، رقم: 6169 (ورقم قبله،وحديث آخر عن أبي موسى برقم بعده)، وصحيح مسلم:كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، رقم: 2640.

أوامره والتسليم له. ووراء هذه المواقف المذكورة -مما طُويَ ذكرُه طَلَبًا للاختصار- مواقف أخرى عظيمة، قد حفلت بها دواوين السنة، وازدانت بها كتب التواريخ والسيرة، وهؤلاء هم السلف الصالح الذي يجب علينا اتباعهم، واقتفاء آثارهم في معرفتهم لحق النبِيّ وعملهم بسنته[1].

وأما بعد، فأقول: قد تقدم في تمهيد الباب أنّ أهل السنةّ هم: الصحابة ، وكلّ مَن سلَك نَهجهم من التابعين -رحمة الله عليهم-، ثم أصحاب الحديث، ومَن اتبعهم من الفقهاء، جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومَن اقتدى بِهم من العوام، في شرق الأرض وغربِها، -رحمة الله عليهم- كما حققه ابن حزمٍ –رحمه الله- [2].

وهؤلاء الصحابة هم الذين أنعم الله تعالى عليهم بالحياة مع رسول الله ومشاهدة طلعته الشريفة، ونُصرته في شخصه؛ بتفديته بنفوسهم –كما في النماذج-، وبَقِيَت ألوانٌ أخرى مِن دلائل محبته والتي تَكمُن في اتباعه والأخذ بكلّ ما جاء به من الشرع، والذي كان الصحابة والتابعون ومَن بعدهم إلى يوم الدين من أهل السنة هم أحْظَى الناس بالتمسك بذلك، خلافًا لبقية الفِرَق أصحاب دعوى محبته مع مخالفته والابتداع في دينه؛ من الصوفية والرافضة وغيرهم. وسأُبيّن في المسألة القادمة وسطية أهل السنة في محبة النبيّ بين الغلاة والجفاة!

المسألة الثانية: محبة أهل السنة للعبد الرّسول محمدٍ بين الاتباع والابتداع، وبين الغلو والجفاء:

أشَرتُ سابقًا إلى أنّ محبة رسول تعنِي وتقتضي أمورًا؛ مَن اتصف بِها؛ باعتقاده وقوله وعمَلِه وظهرت فيه علاماتُها وشواهدها وأدلتها، كلها فهو كامل المحبة، ومَن

---

[1] بِهذا الكلام ختم الشيخ عبد العزيز المفتي العام للسعودية فصل محبة الصحابة للنبي من كتابه حقيقة شهادة أنّ محمدًا رسول الله ، ص91.

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج1/ 318).

لا فلا، ومَن ببعضها اتصف فإنَّ إيمانه بِحَسَب ذلك، **فأهم هذه العلامات وأبرزها:**

اتباع الحبيب في كلّ أموره؛ عقيدة وقولا وعملا، وطاعته. والفرق المنتسبة إلى الإسلام في ذلك على طرَفَي نقيض، وأهل السنة في الوسط. فيقال لكل فرقة: هاتوا برهانكم، وهو في الاتباع؛ قال الله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [آل عمران: ٣١]. فمُحبّ رسول الله طَبعُه إيثاره واتباعُه، والمُدّعي طَبعُه الاستيثار والابتداع، قال شاعرٌ:

تعصي الإله وتَزْعم حُبّه هذا لعمرك في القياس شنيع

لو كان حُبّك صادقًا لأطعتَه إنّ المُحبّ لِمَن يُحبّ مطيع

واتباع الرّسول هو الفيصل بين أهل السنة والاتباع وعموم أهل الفرقة والابتداع من الإسلاميين. وأما دعوى المحبة مع المخالفة والعصيان فيقال لها: الدعاوى المرفوعة لا بد لها مِن بيِّـناتٍ مقامة، وإلا بقِيَت دعاوى فارغات مجردات عن المصداقية، كدعوى اليهود محبة الله مع عدم اتباعهم نبيـه محمد . فقد امتحن الله تعالى بإنزال هذه الآية كلّ مَن ادعى محبته، مطالبًا منه إقامة اتباع نبيه شاهدًا له ودليلا على ذلك.

ثم إنه إذا كانت توافه الدنيا عند القاضي يُطلَب لَها شواهد صادقاتٍ، فدعوى محبة الله، ومحبة رسوله، وغير ذلك مِن الدعاوى الدينية مِن باب أولى، وإلا صدّقنا اليهود ومضاهيهم على دعواتهم الفارغة، وهذه الدعوى مِن أكثر الدعاوات ادعاءً، قديْمًا وحديثًا. والصادق فيها مَن أقام بينة الاتباع، قال الشيخ حافظ حكمي –رحمه الله-: « وإنما المحبة نفس وفاق العبد ربه؛ فيحب ما يحبه ويرضاه، ويبغض ما يكرهه ويأباه، وإنما تتلقى معرفة محاب الله ومعاصيه من طريق الشرع، وإنما تحصل بمتابعة الشارع، ولذا قال الحسن -رحمه الله تعالى- ادعى قومٌ محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ فمن ادّعى محبة الله ولم يَكُ متبعًا

رسوله فهو كاذب، وقال الشافعي -رحمه الله تعالى: إذا رأيتم الرّجل يَمشي على الماء، أو يطير في الهواء، فلا تُصدّقوه حتى تَعْلَمُوا متابعته رسول الله »[1].

ولما كان هذا المبحث عمومًا في باب وسطية أهل السنة والجماعة في محبة عبد الله ورسوله نبينا محمد بين الغلاة والجفاة، وكان من طبيعة الوسطية أنّها تكون أكثر جلاء إذا ذُكِرت مع طرَفَيها الزائد والناقص، أحببتُ أنْ أشير إلى انقسام الفِرق المنتسبين إلى الإسلام بالنسبة إلى هذه العبادة الجليلة، ليتضح محبة أهل السّنة للرسول حقيقة، وذلك لِما كانوا عليه من الاتباع دون الابتداع، ثم يتضح تلقائيّا مَن هم أهل الجفاء، أصحاب الدعاوى، وقليلي محبةِ هذا الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم! وأيضًا فقد مرّت نصوص الشريعة الدالة على أنّ محبة رسول الله عبادة جليلة وقربة عظيمة، ومَرّ كذلك تطبيق الصحابة لِهذه النصوص من خلال النماذج التي سبقت في المسألة المتقدمة؛ وتبيّن من خلاله أنّ الصحابة هم المحبون الحقيقون لرسول الله بلا منازع؛

وحيث كان كذلك (كون محبته عبادة وقربة يتقرب بها المسلم إلى ربه) فلا بُدّ فيها مِن تحقيق شروط قبول العبادة وهي:

1- الإخلاص فيها لله سبحانه وتعالى وابتغاء وجهه.

2- ثم متابعة النبي والالتزام بسنته وهديه وأن يعبد الله بما شرع لا بالأهواء والبدع.

وبالنسبة لتحقق هذين الشرطين في هذه العبادة عند الفرق أقول: قد ضَلّ في باب محبة النبي طائفتان كبيرتان من الطوائف المنتسبة للإسلام، طائفة الجفاة، وقد مثلها في الماضي المعتزلة الذين قدموا عقولهم على نصوص الوحي وحاكموا سنة الرسول إلى أقيستهم وأهوائهم، فما وافقها قبلوه وما خالفها ردوه - بحجة أنه خبر آحاد مع أن أغلب أحكام الشريعة إنما جاءت من طريق الآحاد -أو تأولوه وحرفوا دلالته إلى ما يوافق رأيهم

---
[1] معارج القبول شرح سلّم الوصول، ص322.

ومذهبهم، وقد تقدم ذلك في فصل المتكلمين بما لا مزيد عليه. ولِأولئك المعتزلة اليوم ورثة –والله تعالى المستعان!

وهناك جفاة لا يصل جفاؤهم إلى هذا الحدّ إلا أنهم لا يتهيبون من ردّ الحديث الصحيح إذا عارض مذهبهم، أو خالف توجهاتِهم الفكرية، متجاهلين خطورة هذا المسلك، ومتناسين تحذيرات السلف منه.

ويقابل الجفاةَ طوائفُ الغلاة -وما أكثرهم في الأمة المحمدية- والذين أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم تنبئ أنّ محبة الرّسول عندهم مجرد عاطفة متعلقة بالوجدان؛ تُفرغ على شكل احتفالات وقصائد وأناشيد، دون أن تلزم أصحابَها بطاعة الرّسول ، واتّباع هديه وسنته، والدّفاع عن دينه، وتحكيم شَرْعِه.

وقد وصَلَ الْغُلُوّ عند كثيرٍ مِن هؤلاء إلى مناقضة كتاب الله سبحانه، ومُخالفة صَريح أمره وخبَره، والوقوع في الشرك الأكبر -والعياذ بالله. وقد تقدمت صُوَر غُلُوّهم في فصل الصوفية والرّافضة بِما لا يحتاج معه إلى إعادة.

وعلى ما تقدم فالمنتسبون إلى الإسلام مِن أفرادٍ وجماعات في فهم هذه العبادة الجليلة (محبة الرسول)، والعمل بمقتضاها منقسمون –بالنظر إلى واقعهم، لا إلى ما أمَرَتْهم به شريعة الله تعالى- إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أهل الإفراط عنها: وهم الذين بالغوا في محبة مزعومة؛ فابتدعوا أمورًا في دينه لم يشرعها الله ورسوله ظنًّا منهم أنَّ فعل هذه الأمور هي علامة المحبة وبرهانُها؛ كالاحتفال بمولده، وإطرائه الموصِل إلى أمور لا تنبغي إلا لله والذي قد نهى عنه، إضافةً إلى صَرف بعض أنواع العبادة له كالدعاء، والاستغاثة، والاستشفاع، والتوسّل، والحلف به، والطواف والتمسح بالحجرة التي فيها قبرُه ، وغير ذلك من الأمور السابقة التفصيل، مما هي بدعيات أو شركيات. وقد قاموا بها بدعوى محبة رسول الله وتعظيمه، وأنّ الذي لم يقم بهذه الأمور بزعمهم –مع أنَّها لم يشرعها الله ولا رسولُه، ولم يفعلها صحابتُه رضوان الله عليهم الذين

عُرفوا بإجلالهم وتقديرهم ومحبتهم له ، بل هذه الأمور مما حذَّر الشارع الكريم مِن فعلها- مُتَّهمون ومُعَدُّون ممن انتقص الرسول ، بل ممن لا يحبُّه. ولا حظ لأكثر هؤلاء مِن رسول الله ومحبته سوى مدحه بالأشعار والقصائد المقترنة بالإطراء الزائد الذي حذَّر منه الشرع، مع عصيانهم له في كثيرٍ مِن أمره ونهيه؛ فصاروا بذلك مِنْ أعصى الخلق له صلَوات ربِّي وسلامه عليه.

فيا تُرى أيُّ محبة هذه التي يخالف أصحابها شرع نبيِّهم وحبيبهم؛ بإحلال ما حرَّم، وتحريم ما أحلَّ؛ فكرِهوا ما أحبّ الله ورسوله، وأحبُّوا ما كرهه الله ورسوله؟

وقد وقع هؤلاء في بعض ما وقعوا فيه لعدم تفريقهم بين ما هو حق الله مختصًا به، وبين ما هو حقُّ رسولِه مختصًّا به، وبين الحقوق التي هي لله ورسوله.

القسم الثانِي: أهل التفريط فيها الذين قصّروا في تحقيق محبته ولوازمها؛ مِن تقديم محبته على محبة النفس والأهل والمال، وغير ذلك مِن الحقوق العظيمة الأخرى الواجبة له مما تقدم ذكر كثيرٍ منها[1]. وسبب ذلك يعود إلى الأمور الآتية جميعًا، إلى بعضها:

أولا: جهل الكثير مِن المسلمين بأمور دينهم بما فيها الحقوق الواجبة للنبي ، والتي مِن ضمنها محبته .

ثانيًا: إعراض بعضهم عن سنته وعن اتباع شرعه بسبب ما هم عليه مِن المعاصي. وإسرافهم في تقديم شهواتِهم وأهوائهم... على ما جاء في الشرع مِن الأوامر والنواهي.

ثالثًا: اعتقاد الكثير أنَّ مجرد التصديق بنبوة محمد هو القدر الواجب عليهم، وأنّه يكفي في تحقيق الإيمان، دون تحقيق المتابعة له ، وهذا هو حال الذين يُؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، وهم أهل الإرجاء.

القسم الثالث: المتوسطون بين الإفراط والتفريط، وهم السلف الصالح أهل السنة والجماعة: وهم الذي الذين عقدتُ هذا المبحث للكلام

1 (?) في مبحث لازم الإيمان برسالته من الفصل الثالث في باب مقام الرسالة .

عن معتقدهم، مِن الصحابة والتابعين ومَن تبعهم بإحسانٍ، الذين آمنوا بوجوب محبة الرسول بل وتقديمها على النفس والأهل والمال حُكمًا، وقاموا بمقتضاها اعتقادًا وقولا وعملا. امتثالا لأمر الله وأمر رسوله في ذلك. وهم مع قيامهم بجميع حقوقه التي تدخل في لوازم الإيمان برسالته، والتي تزيد عليها، لم يتجاوزوا ما أُمروا به؛ فلم يُغالوا ولم يُبالغوا فعلَ القسم الأول في وصفه بعلم الغيب وإعطائه خصائص الإلهية والربوبية. بل عند أهل هذا القسم لم يكن الذي أكرم الله به عبده ورسوله مِن النبوة والرسالة، وعِظَم القدر عند الله وعند الخلق، وشرف المنزلة موجبًا لخروجه أو إخراجه عن بشريته وعبوديته لله تعالى. كما اعتقدوا أنَّه ليس مِن المحبة في شيءٍ: الغلوُّ في حقه وقدره ووصفه بأمور قد اختص الله بها وحده. بل علموا أنَّ في ذلك مخالفة ومضادة لمحبته، ومناقضة لما أمر به سبحانه وتعالى نبيّه أنْ يقوله لأمته فيه في غير ما آية.

وليس في هذا المنهج انتقاصٌ مِن قدر النبِيّ ، وغمطٌ لحقه، بل الأمر بالعكس؛ إذْ الذي عليه السلف الصالح مِن حقه الواجب هو: أنْ يُثنى عليه بما هو أهلٌ له مِن الخصائص الثابتة له التي خصَّه الله بها، والفضائل العظيمة التي شرَّفه بها، والصفات الخِلقية والخُلُقية التي كان عليها، للتعرُّف وتعريف الناس بفضله ومكانته، وعظيم قدره عند الله وعند خلقه، حتى يُتأسى ويُقتدى به في أقواله وأفعاله. خلافًا لما يظن الغلاة ويتهمون به أهل السنة. فالسلـف « كانت محبتهم للنبِيّ تَحكمُها قواعدُ الكتاب والسنة؛ فما أمَر به الشارع ائتمروا به، وما نهى عنه الشارع انتهوا عنه، ولم يُحكِّموا في هذه المحبة عواطفَهم وأهواءهم كما فعل الغلاة الذين زلَّتْ أقدامهم بسبب غلوِّهم في حقه »[1].

وأما بالنسبة لتهمة بعض المبتدعة أهل السنة بعدم محبته أو نقصها عندهم، أقول:

---

[1] (?) حقوق النبيِّ على أمته في ضوء الكتاب والسنة لمحمد بن خليفة التميمي (ج1/ص300).

كيف يُتهم أهل السنة بعدم محبة رسول الله أو تعظيمه، أو بانتقاصه؟ مع أنّ مَن أبغضه ولم يُحبَّه فالنار مصيرُه، قال تعالى: ﭽﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﭼ [هود: ١٧].

أم كيف يوصف الرسول بخصائص هي لربِّه وإلهه؟ قال تعالى: ﭽﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﭼ [ق: ٢٦]. والله تعالى أعلم.

المطلب الثانِي: محبة عبد الله ورسوله نبينا محمد تتحدّد بالدين؛ لا بالعاطفة:

محبة عبد الله ورسوله نبينا محمد تتحدد بالدين لا بالعاطفة –خلافًا لزعم الغلاة المتقدم، حيث وقعوا في المخالفات الشرعية بدعوى المحبة؛ فمعلومٌ أنّ كل مَن انتسب إلى الإسلام مِن فردٍ وجماعةٍ عنده قدرٌ من محبته يصحح إيمانه، كما أنّه يَدّعي محبة العبد الرسول محمد إلا أنَّ مَن يتقيَّد بضوابطها على ما هي عليه في الشرع قليلٌ. فالواجب أنْ تُتعلَّم هذه العبادة (والتي هي محبة الرسول) بحدودها وكيفيتها وشواهدها وعلاماتها مِن ربِّ العالمين، ومِن سيِّد المرسلين، لا أنْ تتلقى بالأهواء والتشهي، ولا بالأذواق والآراء، فأهل السنة نظروا في نصوص الباب، وكيف طبّقها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأرضاهم. ومعلوم أنّ للدين الإسلامي مصدرَان تستقى منه، وهما الكتاب والسنة، فلما كانت محبته مِن الإيمان والدين كان لا بد مِن تعلمها مِن مصادر الدين. وهذا التقيد بهاذين المصدرين فقط هو الذي لو رَجَع إليه الجميع لقضى على خلافات الناس، فكم مِمن زعم محبته وهو عن شرعه واتباعه مِن الأبعدين، وبالبِدع والأهواء مِن المُحدِثين أو مِن العاملين. قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله-: «وإنما المحبة نفس وفاق العبد ربه فيحب ما يحبه ويرضاه ويبغض ما يكرهه ويأباه وإنما تتلقى معرفة محاب الله ومعاصيه من طريق الشرع وإنما تحصل بمتابعة الشارع ولذا قال الحسن رحمه الله تعالى ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية:ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ فمن ادعى محبة الله ولم يك متبعًا رسوله فهو كاذب،وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا رأيتم الرجل

يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعته رسول الله »[1].

فأصل الإيمان والدين: محبة الله ورسوله. وتكميله: أنْ يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما. وتفريع ذلك: أنْ يُحبّ المرء المسلم لا يُحبُّه إلا لله. وأنْ يدفع ضدِّها.

ثم أقول في ختام المبحث (مبحث أهل السنة يحبون عبدَ الله ورسولَه نبينا محمدًا فوق المحبوبات المخلوقة، ويرَون محبتَه إنما تتحد بالدين): قد تبيّن أنّ أهل السنة من الصحابة فَمَن بعدهم إلى قيام الساعة هم أهل محبة رسول الله حقًّا. وأما المبتدعة فدعواهم محبته خالية من حجج وشواهد وبراهين لتُثبت لَهم الحبّ الكامل له، بأبي هو وأمي ونفسي! كما أنّ رميَ الصوفيةِ والرافضةِ أهلَ السنّة بقلة محبته أو عدم ذلك، وتهمتهم بكرهه لا يعدو أنْ يكون افتراءًا عليهم، لا غير! والله تعالى أعلم!

** * **

---

[1] (?) معارج القبول شرح سلّم الوصول، ص322

المبحث الثاني: أهل السّنّة يَرَون تجريد مُتابعة العبد الرّسول محمدٍ ولا يَبْتَدِعون،
ولا يُقدِّمون على قوله عَقْلا أو رأيًا أو قولا، أو غير ذلك[1]:

تجريد متابعة الرّسول هو ما يُسمى بتوحيد الرّسالة، وقد سبَقَت الأدلة الشرعية الدالة على ذلك في مطلب اتباع النبِي في كلِّ ما شرع، في مبحث لوازم الإيمان بِهذه الرسالة. كما تقدم مواقف الجفاة من المنتسبين إلى الإسلام كالمتفلسفة والمتكلمين والشيعة والإباضية الذين قدّموا ما يُزْعَم أنه العقل على ما جاء به من الله. أما هذا المبحث فمعقودٌ لبيان مفارقة منهج أهل السنة لِمناهج العقلانية الجفاة؛ وأنّهم لا يُقدّمون على قول رسول الله شيئًا. ولأزيد الأمر وضوحًا، فلا بد من جعل المبحث في مطلَبين، هما:

المطلب الأول: أهل السنة يَرَون تجريد متابعة الرسول محمدٍ ، ولا يبتدعون في الدين.

المطلب الثاني: أهل السنة لا يُقدِّمون على قول الرسول معقولا، أو رأيًا أو قولا، أَوْ قِيَاسًا، أو غير ذلك.

المطلب الأول: أهل السنة يَرَون تجْرِيد متابعة الرّسول محمدٍ ، ولا يبتدعون في الدين:

أهل السنة والجماعة -ابتداءً من الصحابة، مرورًا بأئمة السنة والاتباع الآخَرِين، وانتهاءً بالطائفة التي لا يَضُرّها مَن خالفَها إلى أنْ يأتِيَ أمْرَ الله وهم على ذلك- يَرَون تجريد متابعة العبد الرسول محمدٍ ، ولا يَبْتَدعون، لِهذا فقد عَمِلوا بالكتاب والسنة واعتصموا بهما، وتواصوا بالتمسك بهما، كما حذّروا من نَقِيضِه الذي هو الابتداع. وكفى أهلَ السّنة شرَفًا أنّ شعارَهم الاتباع!

يبيّن الحافظ أبو القاسم هبة الله اللالكائي أنّ أصحاب الحديث أولى الناس بالاتباع فيقول: « فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على

---

[1] راجع: خاتمة معارج القبول للحكمي، والذي عقده في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما، فما خالفهما فهو ردٌّ، ص884-895، ورسالة: تجريد المتابعة للرسول بين السلف والمخالفين (رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية).

الاتباع، وذم التكلف والاختراع، فمَن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقهم بهذا الوسم، وأخصهم بهذا الرسم: أصحاب الحديث؛ لاختصاصهم برسول الله ، واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه، وحفظهم أنفاسه وأفعاله، وأخذوا الإسلام عنه مباشرة، وشرايعه مشاهدة، وأحكامه معاينة، من غير واسطة ولا سفير بينهم وبينه واصلة، فجاولوها عيانًا، وحفظوا عنه شفاهًا، وتلقفوه من فيه رطَبًا، وتلقنوه من لسانه عذبًا، واعتقدوا جميع ذلك حقًّا، وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينًا. فهذا دين أخذ أوله عن رسول الله مشافهة، لم يشبه لبس ولا شبهة، ثم نقلها العدول عن العدول من غير تحامل ولا ميل، ثم الكافة عن الكافة، والصافة عن الصافة، والجماعة عن الجماعة، أخْذَ كفٍّ بكفٍّ، وتَمسُّكَ خَلَفٍ بسلف، كالحروف يتلو بعضُها بعضًا، ويتسق أُخرَاها على أولاَها رَصفًا ونظْمًا ... فهؤلاء الذين تعهدت بنقلهم الشريعة، وانحفظت بهم أصول السنة ... إلى أن قال: فحريٌّ أنْ يكونوا أولى الناس به في حياته وبعد وفاته»[1]. **وسأبيّن هذا المطلب مِن خلال ثلاث مسائل**:

المسألة الأولى: مِن أقوال الصحابة في الأخذ بالسُّنّة والحثّ عليها، وترك البِدَع.

المسألة الثانية: مِن أقوال الأئمة في اتّباعِ السُّنّة، وترك أقوالِهم الْمُخالِفَة لها.

المسألة الثالثة: أهل السنة يَنهَون عن التَقْلِيد في الدين (إذْ التقليد عائق عن الاتباع).

المسألة الأولى: مِن أقوال الصحابة في الأخذ بالسُّنّة والحثّ عليها وتَرك البِدَع[2]:

---

[1] (?) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي، (ج1/ص 23-24).

[2] (?) للاستزادة انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (ج1/ص 82-106)، ومفتاح الجنة للسيوطي، 28-37.

نصوص الصحابة في مُلازمتهم للسّنة، والوصية بذلك، وبيان أنّ تَرك العمل بِها زيغٌ وضلال، والتحذير من البِدَع كثيرةٌ جدًّا، منها:

أولا: قَول أبِي بَكر : « **لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَعْمَلُ بِهِ إِلا عَمِلْتُ بِهِ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ** »[1].

ثانيًا: وذَكَرَ عُمَرُ أنَّ الناس إذا أنكروا واجبًا -كالرجم مثلا- مما جاء به الرسول فإنهم سيَضِلُّون، فقال: « **لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ لا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ أَلا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ** ... »الأثر[2].

ثالثًا: لَمّا أذنَ رَسُول اللَّهِ فِي النَّاسِ فِي السنة الْعَاشِرَةِ بِحجة الوداع « **قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ؛ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ، وَيَعْمَلَ مِثْلِ عَمَلِهِ**»قاله جابر [3].

رابعًا: قَول عَبْد اللَّهِ بن مسعود : « **اتَّبِعُوا وَلاَ تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُم** »[4].

وله نظائر كثيرة مِن هذا القبيل[5]، لا يَسْمَح الْمقام لسردها.

هذه بعض نصوص الصحابة وأقوالهم في هذا الأمر، فإذا كانوا على هذا: فإنّ متبعيهم من أئمة أهل السنة والعلماء حثُّوا أيضًا على السنة ورغَّبوا فيها، وذمّوا البدعة وحذّروا منها، بل كان هذا هو ديدنهم؛ فلَم يحيدوا عنه ولا

---

1 (?) صحيح البخاري: كِتَاب فَرْضِ الْخُمُسِ، باب (بدون ترجمة) ورقمه: 3094، وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي : "لا نورث ما تركنا فهو صدقة"، ورقمه: 1759، واللفظ للبخاري.

2 (?) صحيح البخاري: كِتَاب الحدود، بَاب الاعْتِرَافِ بِالزِّنَا، رقم: 6829، وصحيح مسلم: باب رجم الثيب في الزنا، رقم: 1691 .

3 (?) انظر: صحيح مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ، رقم: 1218 .

4 (?) شعَب الإيمان للبيهقي، (ج2/ ص408، تحت شعبة التاسعة عشرة: في تعظيم القرآن)، والباعث على إنكار الْبِدَع والحوادث لأبِي شامة، ص74 .

5 (?) انظر: باب كلّ محدثة بدعة، من كتاب البدع لابن وضاح القرطبي، 42-64، وقبله ص22.

يحيدون أبد الآبدين، فقد جاءت الوصية بالأخذ بالسنة وترك البِدَع شعرًا ونثرًا، قال صاحب المنظومة الرائية:

فَـدَعْ عَنْكَ قَـوْلَ النَّاسِ فِيمَـا كُفِيتَـهُ فَمَا فِي اسْتِمَاعِ الزَّيْغِ شَيْءٌ سِوَى الضَّرَرْ

لَقَدْ أَوْضَحَ اللهُ الْكَرِيمُ بِلُطْفِهِ لَنَا الأَمْرَ فِـي الْقُـرْآنِ فَانْهَضْ بِمَـا أَمَرْ

وَخَلَّفَ فِينَا سُنَّةً نَقْتَدِي بِهَا مُحَمَّدٌ الْمَبْعُوثُ غَوْثاً إِلَى الْبَشَرْ

وقد قال في مطلعها:

تَدَبَّرْ كَلاَمَ اللهِ وَاعْتَمِدْ الْخَبَرْ وَدَعْ عَنْكَ رَأْياً لاَ يُلاَئِمُهُ أَثَرْ

ومثله ما قاله صاحب المنظومة الحائية:

تَمسّكْ بِحَبْل الله واتبع الْهُدى ولا تَكُ بِدْعيًّا لعلك تُفلح

ودِنْ بكتاب الله والسّنن التي أتَتْ عَن رَسُول الله تنجو وتَرْبَح

وهذا ما سيأتي تأكيدُه في المسألة القادمة.

والمقصود أنّه يجب نبذ البِدَع، والاعتصام بالكتاب والسنة، وهو واجبٌ على جميع العالمين بالإجماع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: « وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُه مِنْ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْهِمْ الاعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ مَعْصُومٌ يَسُوغُ لَهُ، أَوْ لِغَيْرِهِ اتِّبَاعُ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ = هُوَ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ؛ مَنْ خَالَفَ فِي هَذَا فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِمْ؛ بَلْ إمَّا أَنْ يَكُونَ كَافِرًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُفْرِطًا فِي الْجَهْلِ»[1].

فثبت بِهذا أنَّ الْوَاجِب عَلَى النَّاسِ اتِّبَاعُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ. ولو خَالَفَ قَوْلَ بَعْضِ الناس –كائنًا مَن كان-، وأنه يَجِبُ عَلَى العبد أَنْ يَعْرِضَ كلّ ما يعرض له عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ : فَإِنْ وَافَقَهُ قَبِلَهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ لَمْ يَقْبَلْهُ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَمُوَافِقٌ هُوَ أَمْ مُخَالِفٌ؟ تَوَقَّفَ فِيهِ[2].

---

1 (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ص98-99.

2 (?) انظر: المصدر نفسه، ص87، وص100، و101، ص104.

المسألة الثانية: مِن أقوال الأئمة في اتّباعِ السُّنّة، وترك أقوالِهم الْمُخالِفَة لَها[1]:

ما في المسألة المتقدمة هو طائفة من أقول الصحابة في بيان منزلة اتباع الرسول والحث على ذلك، والتحذير من نقيضه الذي هو الابتداع، وهو –بعدما سبق في مطلب اتباع الرسول في شؤون الدين من النصوص الشرعية الآمرة بالاتباع والناهية عن الابتداع- كافٍ، لكن مِن باب الذّكرَى لِمَن يُقلِّد الأئمة الأربعة أصحاب الْمذَاهب الْمُتّبَعَة، أو يُقلّد غيرهم أو مَن دونَهم ويتمسك بِمذاهبهم في كلّ شيء حتى كأنّها وحيٌ من السماء فإنّني أَسُوق بعضَ ما قاله الأئمة في هذا الأمر، وأكتفي بنصوص قليلة عن كلٍّ منهم، فأقول:

أوّلُ هؤلاء الأئمة الأربعة: الإمام أبو حنيفة النّعمان بنُ ثابت -رحمه الله- الذي روَى عنه أصحابُه عباراتٍ متنوعة، مؤداها إلى شيءٍ واحِدٍ: هو وجوب الأخذ بالحديث، وترك تقليد آراء الأئمة الْمخالِفة لَها، منها:

1- (إذا قلت قولا يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول فاتركوا قولي)[2].

2- وقال: (إذا صَحّ الْحديثُ فهو مذهبِي)[3].

ثانيًا: الإمام مالك بن أنس -رحمه الله-، من أقواله:

1- (إنّما أنا بَشَرٌ أُخْطِئ وأُصِيبُ؛ فانظُرُوا في رأيي**،** فكُلّ ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكُلّ ما لَم يُوافِق الكتابَ والسُّنّة فاتْرُكُوه)[4].

---

[1] انظر: فَصْل نَهَى الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ، من كتاب إعلام الموقعين لابن القيم (ج2/ ص139-140). وأما هذه المسألة فقد لخصتها من كلام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني –رحمه الله- في كتابه صفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنّك تراها، (وانظر المسألة كاملة: ص41-51، بل إلى 65)، وانظر أيضًا: مفتاح الجنة للسيوطي، ص43-53، وص65-66.

[2] إيقاظ الهمم للشيخ صالح الفلاني، ص50 بواسطة: الشيخ الألباني (صفة صلاة النبي)، ص41.

[3] حاشيته ابن عابدين على البحر الرائق (ج1/63) بواسطة: الشيخ الألباني في كتابه صفة صلاة النبي ، ص41.

[4] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ج2/ص70)، ط1/1424هـ، مؤسسة الريان، بتحقيق: فواز زمرلي.

2- وقال: (ليس أحدٌ بعد النبِيّ ﷺ إلا ويُؤخَذ من قوله ويترك إلا النبِيّ ﷺ) [1].

ثالثًا: محمد بن إدريس الشّافعيُّ -رحمه الله-: وقد كانت النُّقول عنه في ذلك كثيرة وطيبة، منها:

1- (مَا مِنْ أَحَدٍ إلا وَتَذْهَبُ عَلَيْهِ سُنَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَعْزُبُ عَنْهُ، فَمَهْمَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَصَّلْت مِنْ أَصْلٍ، فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خِلاف مَا قُلْتُ؛ فَالْقَوْلُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ قَوْلِي، وَجَعَلَ يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلامَ) [2].

2- نقَل العلامة ابن القيم –رحمه الله- عن بعض تلامذة الشَّافِعِيّ –رحمه الله- قال: « إذَا وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِي خِلافَ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولُوا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَعُوا مَا قُلْت، .. الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: إذَا وَجَدْتُمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خِلافَ قَوْلِي فَخُذُوا بِالسُّنَّةِ، وَدَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي أَقُولُ بِهَا. .. الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: كُلُّ مَسْأَلَةٍ تَكَلَّمْت فِيهَا، صَحَّ الْخَبَرُ فِيهَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ بِخِلافِ مَا قُلْت، فَأَنَا رَاجِعٌ عَنْهَا فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي »[3].

رابعًا: وأما الإمام أحمد بن محمد بن حنبل فهو أكثر الأئمة جَمعًا للسّنّة وتَمسُّكًا بِها، فَمِن أقواله:

1- (الاتِّبَاعُ: أَنْ يَتْبَعَ الرَّجُلُ مَا جَاءَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ هُوَ مِنْ بَعْدُ فِي التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ) [4].

2- وقال: (مَن رَدّ حديثَ رسولِ الله ﷺ فهو على شفا هلكة) [5].

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألبانِي بعد سرد طائفة كبيرة من هذه الأقوال: « تلك هي أقوال الأئمة رضي الله تعالى عنهم في الأمر بالتمسك بالحديث،

---

1 (?) المصدر نفسه، (ج2/ص183).

2 (?) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ج2/ 213)، وانظر: صفة صلاة النبي ﷺ، ص45.

3 (?) إعلام الموقعين، (ج2/ 212-213)، وانظر: صفة صلاة النبي ﷺ، ص 45.

4 (?) إعلام الموقعين، (ج2/ 139)، وانظر:مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي،ص244،وصفة صلاة النبي ﷺ، ص47.

5 (?) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي، ص249، وانظر: صفة صلاة النبي ﷺ، ص48.

والنهي عن تقليدهم دون بصيرة، وهي مِن الوضوح والبيان بحيث لا تَقْبَل جَدَلا ولا تأويلا، وعليه فإنّ مَن تَمسّك بكلّ ما ثبَتَ في السّنّة ولو خالف بعض أقوال الأئمة لا يكون مُباينًا لِمذهبهم، ولا خارجًا عن طريقتِهم، بل هو مُتبع لَهم جَميعًا، ومتمسكٌ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. وليس كذلك مَن تَرَك السّنّة الثابتة لِمجرد مخالتفها لقولهم، بل هو بذلك عاصٍ لهم، ومخالف لأقوالِهم المتقدمة. .. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (فالواجب على كل مَن بَلَغَه أمرُ الرّسول وعَرَفَه أنْ يُبَيّنه للأمة، ويَنْصَح لَهم، ويأمُرَهم باتّباع أمْرِه، وإنْ خالَف ذلك رأيَ عظيمٍ مِن الأمة؛ فإنّ أمْرَ رسول الله أحَقّ أنْ يُعَظّم ويُقْتَدَى به مِن رأيِ أيِّ مُعَظّم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ، ومِن هنا رَدّ الصحابةُ ومَن بعدهم على كُلّ مُخالِفٍ سُنّةً صحيحةً، ورُبّما أغْلَظُوا في الرَّدّ؛ لا بُغْضًا له بل هو محبوبٌ عندهم، مُعَظَّمٌ في نفوسِهم، لكنّ رسولَ الله أحَبّ إليهم، وأمْرُه فوق أمْرِ كُلّ مَخلوقٍ؛ فإذا تعارض أمرُ الرّسول وأمرُ غَيْرِه فأمْرُ الرّسول أولى أنْ يُقَدّم ويُتَّبَع. ولا يمنع من ذلك تَعظيمَ مَن خالف أمرَه، وإنْ كان مغفورًا له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يَكْرَهُ أنْ يُخالَف أمْرُه إذا ظَهَر أمْر الرّسول بِخلافه). قلتُ: كيف يكرهون ذلك وقد أمَرُوا به أتباعَهم -كما مَرّ- وأوْجَبُوا عليهم أنْ يَتْرُكُوا أقوالَهم المُخالفة للسُّنّة، بل إنّ الشّافِعِيّ -رحمه الله- أمَرَ أصحابَه أنْ يَنْسِبُوا السُّنّةَ الصحيحةَ إليه، ولو لَم يأخُذْ بِها، أو أخَذَ بِخلافِها »[1].

ثم إنه –والحمد لله- قد ترَك تلامذةُ الأئمة وأتباعُهم بعضَ أقوال الأئمة اتباعًا للسّنّة، وكُتُب الفروع كفيلة ببيان ذلك، ولا يَسَع المقام بضَرب الأمثلة لَها[2].

ويَكمُل النّظَر في هذه المسألة بالنَّظَر إلى حرمة تقليد العلماء في كُلّ شيء. وهو ما يأتِي.

---

[1] (?) صفة صلاة النبي ، ص48-49.

[2] (?) انظر للأمثلة عليها: صفة صلاة النبي ، ص50-51.

تقليد العُلماء فيما أصابوا الحق وفيما أخطئوا (في كُلّ شيءٍ) من أكبَر عوائق اتباع الرّسول ﷺ؛ ذلك لأنّ الْمُقلّد يُقلِّد مُقلَّدَه في كُلّ شيء دون أنْ يُميِّز ما أصابَ فيه الحق والسُّنّة من غيره، فيترتّب عليه تركُ سُنن ثابتة عن رسول الله ﷺ، قال العلامة ابن القيم –رحمه الله- « وَالْمُصَنِّفُونَ فِي السُّنَّةِ جَمَعُوا بَيْنَ فَسَادِ التَّقْلِيدِ وَإِبْطَالِهِ، وَبَيَانِ زَلَّةِ الْعَالِمِ: لِيُبَيِّنُوا بِذَلِكَ فَسَادَ التَّقْلِيدِ، وَأَنَّ الْعَالِمَ قَدْ يَزِلُّ وَلا بُدَّ؛ إذْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ، فَلا يَجُوزُ قَبُولُ كُلِّ مَا يَقُولُهُ، وَيُنَزَّلُ قَوْلُهُ مَنْزِلَةِ قَوْلِ الْمَعْصُومِ؛ فَهَذَا الَّذِي ذَمَّهُ كُلُّ عَالِمٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَحَرَّمُوهُ، وَذَمُّوا أَهْلَهُ وَهُوَ أَصْلُ بَلاءِ الْمُقَلِّدِينَ وَفِتْنَتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُقَلِّدُونَ الْعَالِمَ فِيمَا زَلَّ فِيهِ وَفِيمَا لَمْ يَزِلَّ فِيهِ، وَلَيْسَ لَهُمْ تَمْيِيزٌ بَيْنَ ذَلِكَ، فَيَأْخُذُونَ الدِّينَ بِالْخَطَأِ وَلا بُدَّ؛ فَيَحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَيُشَرِّعُونَ مَا لَمْ يُشَرِّعْ، وَلا بُدَّ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ؛ إذْ كَانَتْ الْعِصْمَةُ مُنْتَفِيَةً عَمَّنْ قَلَّدُوهُ، وَالْخَطَأُ وَاقِعٌ مِنْهُ وَلا بُدَّ » [1].

أما عن التَّقْلِيد، ما هو؟

فقد نقَل العلامة ابنّ القيّم –رحمه الله- تعريفه عن أحد علماء المالكية[2] فقال: « التَّقْلِيدُ: مَعْنَاهُ فِي الشَّرْعِ: الرُّجُوعُ إلَى قَوْلٍ لا حُجَّةَ لِقَائِلِهِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مَمْنُوعٌ مِنْهُ فِي الشَّرِيعَةِ، وَالاتِّبَاعُ: مَا ثَبَتَ عَلَيْهِ حُجَّةٌ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ: كُلُّ مَنْ اتَّبَعْت قَوْلَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجِبَ عَلَيْكَ قَبُولُهُ بِدَلِيلٍ يُوجِبُ ذَلِكَ فَأَنْتَ مُقَلِّدُهُ، وَالتَّقْلِيدُ فِي دِينِ اللَّهِ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَكُلُّ مَنْ أَوْجَبَ الدَّلِيلَ عَلَيْك اتِّبَاعُ قَوْلِهِ فَأَنْتَ مُتَّبِعُهُ، وَالاتِّبَاعُ فِي الدِّينِ مُسَوَّغٌ، وَالتَّقْلِيدُ مَمْنُوعٌ » [3].

فقد اتضح من كلامه هذا أحد وجوه الْفَرْق بَيْنَ الاتِّبَاعِ وَالتَّقْلِيدِ، فالاتِّبَاع: سُلُوكُ طَرِيقِ الْمُتَّبَعِ وَالإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ [4].

---

[1] (?) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، (ج2/ص 132).
[2] (?) هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادٍ الْبَصْرِيُّ الْمَالِكِيُّ.
[3] (?) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، (ج2/ص 137).
[4] (?) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم، (ج2/ ص130).

ومِن التَّقْلِيد المذموم: التَّقْلِيدُ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ وَظُهُورِ الدَّلِيلِ عَلَى خِلافِ قَوْلِ الْمُقَلَّدِ[1].

وَهَذَا الْقَدْرُ مِنْ التَّقْلِيدِ هُوَ مِمَّا اتَّفَقَ السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ عَلَى ذَمِّهِ وَتَحْرِيمِهِ[2].

وإذا ثَبَت أنَّ الذي يُقلَّد هو مَن يُقْبَلُ كُلّ مَا يَقُولُهُ، وَيُنَزَّلُ قَوْلُهُ مَنْزِلَة قَوْلِ الْمَعْصُومِ؛ فيُعطى بذلك معنى النبّوة = فلا بُدّ وأنْ يَذُمّه العلماء قاطبة؛ لذا أورَد العلامة ابن القيم –رحمه الله- في فَصْل نَهي الأَئِمَّة الأَرْبَعَة عَنْ تَقْلِيدِهِمْ من مقالاتهم في ذلك، فقال: « وَقَدْ نَهَى الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ، وَذَمُّوا مَنْ أَخَذَ أَقْوَالَهُمْ بِغَيْرِ حُجَّةٍ؛ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَثَلُ الَّذِي يَطْلُبُ الْعِلْمَ بِلا حُجَّةٍ كَمَثَلِ حَاطِبِ لَيْلٍ، يَحْمِلُ حُزْمَةَ حَطَبٍ وَفِيهِ أَفْعَى تَلْدَغُهُ وَهُوَ لا يَدْرِي، ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَقَالَ أَبُو دَاوُد: قُلْت لأَحْمَدَ: الأَوْزَاعِيُّ هُوَ أتبع مِنْ مَالِكٍ؟ قَالَ: لا تُقَلِّدْ دِينَك أَحَدًا مِنْ هَؤُلاءِ، مَا جَاءَ عَنْ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ فَخُذْ بِهِ، ثُمَّ التَّابِعِيُّ بَعْد الرَّجُلِ فِيهِ مُخَيَّرٌ. وَقَدْ فَرَّقَ أَحْمَدُ بَيْنَ التَّقْلِيدِ وَالاتِّبَاعِ فَقَالَ أَبُو دَاوُد: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: الاتِّبَاعُ أَنْ يَتْبَعَ الرَّجُلُ مَا جَاءَ عَنْ النَّبِيِّ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ هُوَ مِنْ بَعْدُ فِي التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ، وَقَالَ أَيْضًا: لا تُقَلِّدْنِي وَلا تُقَلِّدْ مَالِكًا وَلا الثَّوْرِيَّ وَلا الأَوْزَاعِيَّ، وَخُذْ مِنْ حَيْثُ أَخَذُوا. وَقَالَ: مِنْ قِلَّةِ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يُقَلِّدَ دِينَهُ الرِّجَالَ. .. قَالَ أَبُو يُوسُفَ: لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَقَالَتَنَا حَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ قُلْنَا »[3].

فالمطلوب من المسلم إذَا سَمِعَ مِن عالِم حَقًّا أنْ يَقبَله، وَإنْ سَمِعَ خَطَأً أنْ يَتْرُكَهُ، لا أنْ يَقبَل كُلّ ما قيل وكلّ ما أجيب بِهِ، وهذا التمييز يتطلب قدرًا من المعرفة. وبِهذا فقط يَسْلَم للعبد اتباعه الذي أفصح عنه رَسُولُ اللَّهِ بأنّ مَن كان عليه لا يَضلّ: " **خَلَّفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا**

---

[1] (?) انظر أنواع التقليد المذمومة: المصدر نفسه، (ج2/ص 128).

[2] (?) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم، (ج2/ص 129).

[3] (?) المصدر نفسه، (ج2/ ص139-140).

حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ " وفي رواية: " **تركتُ فيكم أمرين** ..الحديث [4].

فكما أنّ مَنْهَج أهل السّنّة هو الاتباع دون الابتداع، كذلك فإنّهم يُقدّمون قول رسول الله ﷺ على كُلّ قولٍ، وسنتَه على كُلّ رأيٍ وقياسٍ مخالِفٍ، ولا يَعكسون. وهذا ما يتحدث عنه المطلب القادم.

المطلب الثاني: **أهل السنة لا يُقدِّمون على قَولِ رَسول الله ﷺ معقولا، أو رأيًا أو مقالا، أَوْ قِيَاسًا، أو غير ذلك:**

تَقدم في فصل الفلاسفة والمتكلّمين تقديم عقولِهم ومعقولاتِهم المتباينة، وأقيستهم وآرائهم وأقوالهم المتضاربة على الكتاب والسنة، بزعم أنّ العقل هو الأصل، وأنّ دلالة النصوص ظنيّة .. وتقدم ردّ شبهاتِهم هناك مفصّلا.

أما هذا المطلب فمعقود لبيان أنّ أهل السنة مِن عصر الصحابة إلى أنْ يَرِث الله الأرض ومَن عليها قد سَلِموا مِن جفاء الرّسول ﷺ؛ بتقديمِ شيءٍ من هذه الأمور على ما جاء به، وسبَبُ ذلك -والحمد الله-: هو ما كانوا عليه من الاتباع.

---

[4] أخرجه الإمام مالك في موطئه بَلاغًا (كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ورقمه في الباب: 3)، وروي عن النبي ﷺ مسندًا من حديث أبي هريرة وعمرو بن عوف المزني رضي الله عنهما، أما حديث أبي هريرة ﷺ فقد أخرجه الحاكم في كتاب العلم من مستدركه، ورقمه: 291، والدارقطني في باب في المرأة تقتل إذا ارتدت من كتاب الأقضية من سننه، ورقمه: 4665. وأما حديث عمرو بن عوف الْمُزنِي ﷺ فلم أقف عليه، لكن أشار إلى روايته له ابنُ عبد البر –رحمه الله- في الاستذكار عند شرحه للحديث، (الاستذكار، ج8/ ص265)، وإسناد الحديث حسن معتبر، لذا قال الشيخ الألباني –رحمه الله-: « رواه مالك بلاغًا، والحاكم موصولا بإسناد حسن » (منزلة السنة في الإسلام وبيان أنها لا يُستغنى عنها بالقرآن، ص14، وفي كتابه الآخر: -الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام- قال بعدما أورَده: أخرجه مالك مُرسلا، والحاكم مسنَدًا، وصححه). كما أنّ معناه موافقٌ للنصوص الشرعية، والقواعد المرعية، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [آل عمران: ١٠١] . قال ابن عبد البر في شرحه: « فالْهدي كُلّ الهدي في اتباع كتاب الله وسنة رسوله ».

وهنا أسوق نَماذج من أقوال أئمة أهل السنة من الصحابة ومَن بعدهم والذي فيه ذمّ الآراء المخالفة للكتاب والسُّنّة، ثم أُبيّن أنّ مَن جاءوا بعد هؤلاء الكبار مِن بقية أهل السُّنّة باقون على ما كان عليه أسلافُهم، وبذلك يُعرفُ سلامتُهم مِن هذا الوجه الجفائي تجاه مقام الرسالة، فأقول:

أهل السُّنّة والجماعة عُمومًا لا يُقدِّمون على قول رسولِ الله معقولا أو رأيًا أو قولا أَوْ قِيَاسًا، أو غير ذلك، خلافًا للمُبتدعة مِن المتكلمين والرافضة والصوفية والإباضية وغيرهم. بل وأبلغ مِن ذلك: فإنّ أهل السنة يرَون أنّ كلَّ أحدٍ غير الرّسول -كائنًا مَن كان- يَجب عليه وعلى غيره عرض أقواله على الكتاب والسنة؛ فما شَهد له الكتاب والسُّنّة بالقبول قُبِل، وما لا فلا، كائنًا بعد ذلك قائله.

واعتبِر في ذلك بأعظم رجلين عند المسلمين بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ أبِي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما، فإذا كانت الصحابة ومَن تبعهم بإحسانٍ من أهل السنة إلى يوم الدين لا يَرَون وجوب اتباع كُلّ ما قالاه، مع صوابِهما الكثيرة، بل قالوا بترَك ما أخطآ فيها من المسائل في الاجتهاد .. مع أنّ عُمَر هو الذي إِنْ يَكُنْ فِي الأُمَّة المحمدية مُحَدَّثًا فَهو هو[1]، كما أَنَّ اللَّهَ ضَرَبَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِه وَقَلْبِهِ، وهو صاحب الموافقات الكثيرة للوحي[2]. وأبو بكر كان أكثر صوابًا منه، «وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ تَعْيِينُ عُمَرَ بِأَنَّهُ مُحَدَّثٌ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، فَأَيُّ مُحَدَّثٍ وَمُخَاطَبٍ فُرِضَ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَعُمَرُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَمَعَ هَذَا فَكَانَ عُمَرُ يَفْعَلُ مَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ؛ فَيَعْرِضُ مَا يَقَعُ لَهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ؛ فَتَارَةً يُوَافِقُهُ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ، كَمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ. وَتَارَةً يُخَالِفُهُ فَيَرْجِعُ عُمَرُ عَنْ

[1] إشارة إلى حديث البخاري عن أبي هريرة : (كتاب فضائل الصحابة، بَاب مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ..، رقم: 3689، وصحيح مسلم عن عائشة، باب من فضائل عمر، رقم: 2398).

[2] كما في إشارته إلى قتل أسارى بدر،وإشارته في احتجاب نساء الرسول ، والصلاة بعد الطواف،وغير ذلك.

ذَلِكَ؛ كَمَا رَجَعَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ لَمَّا كَانَ قَدْ رَأى مُحَارَبَةَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْحَدِيثُ مَعْرُوفٌ فِي الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ؛ (فَإِنَّ النَّبِيَّ قَدْ اعْتَمَرَ سَنَةَ سِتٍّ مِنْ الْهِجْرَةِ وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ نَحْوُ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَهُمْ الَّذِينَ بَايَعُوهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانَ قَدْ صَالَحَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ مُرَاجَعَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ، وَيَعْتَمِرَ مِنْ الْعَامِ الْقَابِلِ، وَشَرَطَ لَهُمْ شُرُوطًا فِيهَا نَوْعُ غَضَاضَةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الظَّاهِرِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم وَأَحْكَمَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْمَصْلَحَةِ، وَكَانَ عُمَرُ فِيمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ لِلنَّبِيِّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: " **بَلَى** "، قَالَ: أَفَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: " **بَلَى** "، قَالَ: فَعَلامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : " **إنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ نَاصِرِي وَلَسْت أَعْصِيه** " ثُمَّ قَالَ: أَفَلَمْ تَكُنْ تُحَدِّثُنَا أَنَّا نَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: " **بَلَى** ". قَالَ: " **أَقُلْت لَك أَنَّك تَأْتِيه الْعَامَ؟** قَالَ: لا، قَالَ: " **إنَّك آتِيه وَمَطُوفٌ بِهِ** " فَذَهَبَ عُمَرُ إلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ النَّبِيُّ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ مِثْلَ جَوَابِ النَّبِيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ يَسْمَعُ جَوَابَ النَّبِيِّ [1]؛ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَكْمَلَ مُوَافَقَةً لِلَّهِ وَلِلنَّبِيِّ مِنْ عُمَرَ، وَعُمَرُ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: فَعَمِلْت لِذَلِكَ أَعْمَالا.

وَكَذَلِكَ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ أَنْكَرَ عُمَرُ مَوْتَهُ أَوَّلا، فَلَمَّا قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إنَّهُ مَاتَ رَجَعَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ[2]. ..

وَلِهَذَا نَظَائِرُ تُبَيِّنُ تَقَدُّمَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عُمَرَ مَعَ أَنَّ عُمَرَ مُحَدَّثٌ؛ فَإِنَّ مَرْتَبَةَ الصِّدِّيقِ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الْمُحَدَّثِ؛ لأَنَّ الصِّدِّيقَ يَتَلَقَّى عَنْ الرَّسُولِ الْمَعْصُومِ كُلَّ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ، وَالْمُحَدَّثُ يَأْخُذُ عَنْ قَلْبِهِ أَشْيَاءَ، وَقَلْبُهُ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ؛ فَيَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِضَهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ، وَلِهَذَا

---

1 (?) أخرج هذا الحديث الشيخان (البخاري ومسلم) في صحيحيهما، وقد تقدم تخريجه.

2 (?) أخرجه البخاري ومسلم في صحِيحَيهما، وقد سبق تخريجه في مبحث موت النبي .

كَانَ عُمَرُ يُشَاوِرُ الصَّحَابَةَ ، وَيُنَاظِرُهُمْ، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الأُمُورِ، وَيُنَازِعُونَهُ فِي أَشْيَاءَ؛ فَيَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ، وَيَحْتَجُّونَ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُقَرِّرُهُمْ عَلَى مُنَازَعَتِهِ، وَلا يَقُولُ لَهُمْ: أَنَا مُحَدَّثٌ مُلْهَمٌ مُخَاطَبٌ، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا مِنِّي، وَلا تُعَارِضُونِي؟ »[1].

ولَمّا كان كذلكَ « فَأَيُّ أَحَدٍ ادَّعَى، أَوْ ادَّعَى لَهُ أَصْحَابُهُ: أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّهِ، وَأَنَّهُ مُخَاطَبٌ يَجِبُ عَلَى أَتْبَاعِهِ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ كُلَّ مَا يَقُولُهُ وَلا يُعَارِضُوهُ، وَيُسَلِّمُوا لَهُ حَالَهُ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُوَ وَهُمْ مُخْطِئُونَ، وَمِثْلُ هَذَا مِنْ أَضَلِّ النَّاسِ؛ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُنَازِعُونَهُ فِيمَا يَقُولُهُ، وَهُوَ وَهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا: عَلَى أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إلا رَسُولَ اللَّهِ .

وَهَذَا مِنْ الْفُرُوقِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلامُهُ يَجِبُ لَهُمْ الإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنْ اللَّهِ ، وَتَجِبُ طَاعَتُهُمْ فِيمَا يَأْمُرُونَ بِهِ؛ بِخِلافِ الأَوْلِيَاءِ؛ فَإِنَّهُمْ لا تَجِب طَاعَتُهُمْ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ، وَلا الإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ؛ بَلْ يُعْرَضُ أَمْرُهُمْ وَخَبَرُهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَمَا وَافَقَ الْكِتَاب وَالسُّنَّةَ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَمَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مَرْدُودًا، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَكَانَ مُجْتَهِدًا مَعْذُورًا فِيمَا قَالَهُ، لَهُ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ؛ لَكِنَّهُ إذَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مُخْطِئًا، وَكَانَ مِنْ الخطأ الْمَغْفُورِ إذَا كَانَ صَاحِبُهُ قَدْ اتَّقَى اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ؛ ...»[2].

فالصحابة وأئمةُ هذا الدين مِن أصحاب الْمذاهب الأربعة وأصحاب الكُتُب السّتّة وغيرهم والذين هم سَلَفُ أهل السُّنّة الْمُتأخّرين كَانَ دِينُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَجَلَّ فِي صُدُورِهِمْ، وَأَعْظَمَ فِي نُفُوسِهِمْ، مِنْ أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهِ رَأْيًا أَوْ مَعْقُولا أَوْ تَقْلِيدًا أَوْ قِيَاسًا، فَطَارَ لَهُمْ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ فِي الْعَالَمِينَ[3].

---

1 (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص91-96.

2 (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص96-97.

3 (?) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، (ج1/ص 4).

هذا منهجهم « ثُمَّ سَارَ عَلَى آثَارِهِمْ الرَّعِيلُ الأَوَّلُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَدَرَجَ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ الْمُوَفَّقُونَ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ، زَاهِدِينَ فِي التَّعَصُّبِ لِلرِّجَالِ، وَاقِفِينَ مَعَ الْحُجَّةِ وَالاسْتِدْلالِ، يَسِيرُونَ مَعَ الْحَقِّ أَيْنَ سَارَتْ رَكَائِبُهُ، وَيَسْتَقِلُّونَ مَعَ الصَّوَابِ حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهُ، إذَا بَدَا لَهُمْ الدَّلِيلُ بِأَخْذَتِهِ طَارُوا إلَيْهِ زرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا، وَإِذَا دَعَاهُمْ الرَّسُولُ إلَى أَمْرٍ انْتَدَبُوا إلَيْهِ وَلا يَسْأَلُونَهُ عَمَّا قَالَ بُرْهَانًا، وَنُصُوصُهُ أَجَلُّ فِي صُدُورِهِمْ وَأَعْظَمُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا قَوْلَ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ، أَوْ يُعَارِضُوهَا بِرَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ. ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ، وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا وَكُلٌّ إلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، جَعَلُوا التَّعَصُّبَ لِلْمَذَاهِبِ دِيَانَتَهُمْ الَّتِي بِهَا يَدِينُونَ، وَرُءُوسَ أَمْوَالِهِمْ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ، وَآخَرُونَ مِنْهُمْ قَنَعُوا بِمَحْضِ التَّقْلِيدِ، ...، وَالْفَرِيقَانِ بِمَعْزِلٍ عَمَّا يَنْبَغِي اتِّبَاعُهُ مِنْ الصَّوَابِ، ..، قَالَ الشَّافِعِيُّ -قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ-: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ »[1].

هذا قول الشافعي –رحمه الله-، وقد تقدمت نظائرُه وما يُشبِهه من أقواله وأقوال غيره من الأئمة في الباب، بل قال بمثله قبلهم الصحابة والتابعون مِن أئمة السّنّة والاتباع، فهنا أنقُل طائفة من أقوال الصحابة خصوصًا، على نَحوٍ تالٍ.

وقد ساق العلامة ابن القيم –رحمه الله- آثارًا عن كبار الصحابة ﷺ في ذَمّ الْقَوْلَ بِالرَّأْيِ المخالف للسُّنّة، وسأورِد بعضًا مما أورَد في هذا الأمر:

أولا: بدَأ بذكر ذمّ أَبِي بَكْرٍ ﷺ الْقَوْلَ بِالرَّأْيِ في فَصْل مَا رُوِيَ عَنْ صِدِّيقِ الأُمَّةِ وَأَعْلَمِهَا مِنْ إنْكَارِ الرَّأْيِ، فمنها: ما أَوْرَده بِالسّند عَنْ ابْنِ سِيرِينَ –رحمه الله- قَالَ: « لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْيَبَ بِمَا لا يَعْلَمُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ أَهْيَبَ بِمَا لا يَعْلَمُ مِنْ عُمَرَ ﷺ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ نَزَلَتْ بِهِ قَضِيَّةٌ فَلَمْ يَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْهَا أَصْلا، وَلا فِي

[1] (?) إعلام الموقعين لابن القيم، (ج1/ 4-5).

السُّنَّةِ أَثَرًا فَاجْتَهَدَ بِرَأْيِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا رَأْيِي، فَإِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَمِنْ اللَّهِ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّي وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ »[1].

ثانيًا مِن الْمَنْقُولِ مِنْ ذَمّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْقَوْلَ بِالرَّأْيِ**:** ما سَاقه بالسّنَد إليه، قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ أَعْيَتْهُمْ الأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا، فَقَالُوا بِالرَّأْيِ، فَضلُّوا وَأَضَلُّوا »[2].

وعَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنْ أبيه أَنَّهُ قَالَ: « أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا الرَّأْيَ فِي الدِّينِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ بِرَأْيِي؛ فَأَجْتَهِدُ وَلا آلُو، وَذَلِكَ يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَالْكِتَابُ يُكْتَبُ وَقَالَ: اُكْتُبُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ: يُكْتَبُ بِاسْمِك اللَّهُمَّ، فَرَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَبَيْتُ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ تَرَانِي قَدْ رَضِيتَ وَتَأْبَى؟ »[3].

ومثله قول سَهْل بْن حُنَيْفٍ : « اتَّهِمُوا رَأيَكُمْ؛ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لأَمْرٍ يُفْظِعُنَا إِلا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ، غَيْرِ أَمْرِنَا هَذَا »[4].

ثالثًا: ولَمّا ذَكَر –رحمه الله- قصة عثمان في مسألة، والتي قال فيها : (إِنَّمَا كَانَ رَأْيًا أَشَرْت بِهِ، فَمَنْ شَاءَ أَخَذَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ)، علّق عليه العلامة بقوله: « فَهَذَا عُثْمَانُ يُخْبِرُ عَنْ رَأْيِهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِلازِمٍ؛ للأُمَّةِ الأَخْذُ بِهِ، بَلْ مَنْ شَاءَ أَخَذَ بِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ، بِخِلافِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ : فَإِنَّهُ لا يَسَعُ أَحَدًا تَرْكُهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ»[5].

---

1 (?) المصدر نفسه، (ج1/ 44).

2 (?) أورده العلامة ابن القيم بالطُّرُق الكثيرة ثم عقّب عليها بقوله: « وَأَسَانِيدُ هَذِهِ الآثَارِ عَنْ عُمَرَ فِي غَايَةِ الصِّحَّةِ » (إعلام الموقعين، ج1/ ص46).

3 (?) أصل الحديث في صحيح البخاري، وهو جزء من حديث صلح الحديبية الطويل، وقد تقدم تخريجه.

4 (?) صحيح البخاري: كتاب أخبار الآحاد، باب ما يُذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، رقم: 7308، وصحيح مسلم مطولا: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، رقم: 1785.
(وانظر شرح الأثر: فتح الباري،ج4/ ص5275).

5 (?) إعلام الموقعين لابن القيم، (ج1/ ص48).

رابعًا: قول عَلِيٍّ في ذَمّ الرَّأيِ: « لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ »[1].

خامسًا: ذَمُّ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما الْقَوْلَ بِالرَّأْيِ: فعَنْه، قَالَ: « مَنْ أَحْدَثَ رَأْيًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَمْ تَمْضِ بِهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يَدْرِ عَلَى مَا هُوَ مِنْهُ إذَا لَقِيَ اللَّهَ »[2].

وَقَالَ رضي الله عنهما: « إنَّمَا هُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ؛ فَمَنْ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَأْيِهِ فَلا أَدْرِي أَفِي حَسَنَاتِهِ يَجِدُ ذَلِكَ أَمْ فِي سَيِّئَاتِهِ؟ »[3].

وجاء أنه « قَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يُنَاظِرُ ابْنَ عَبَّاسٍ فِي الْمُتْعَةِ، فَقَالَ لَهُ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ! أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ [4]. وَكَذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ لَمَّا سَأَلُوهُ عَنْهَا فَأَمَرَ بِهَا فَعَارَضُوا بِقَوْلِ عُمَرَ، فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ عُمَرَ لَمْ يَرُدَّ مَا يَقُولُونَهُ فَأَلَحُّوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ أَمْرُ عُمَرَ؟ مَعَ عِلْمِ النَّاسِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَعْلَمُ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ. وَلَوْ فُتِحَ هَذَا الْبَابُ لَوَجَبَ أَنْ يُعْرِضَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَبْقَى كُلُّ إمَامٍ فِي أَتْبَاعِهِ بِمَنْزِلَةِ النَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ، وَهَذَا تَبْدِيلٌ لِلدِّينِ، يُشْبِهُ مَا عَابَ اللَّهُ بِهِ النَّصَارَى فِي قَوْلِهِ: ﭽﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﭼ [التوبة: ٣١] »[5].

---

1 سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب كيف المسح، رقم: 162، ومصنف ابن أبي شيبة: كتاب الطهارة، في المسح على القدمين، رقم: 183. وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير وبلوغ المرام. وقد أورد محمد عوامة طرق الأثر الكثيرة (ينظر: المصنف، ج1/ ص298-301، وأيضًا تكرر الحديث في: المسح على الخفين، من الكتاب نفسه، برقم: 1907 .

2 إعلام الموقعين لابن القيم، (ج1/ ص48).

3 المصدر نفسه، (ج1/ ص48).

4 أخرج الأثر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، (ج2/ص378-379).

5 قاله شيخ الإسلام –رحمه الله- في مجموع الفتاوى، (ج20/215-216).

فـ« لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُعَارِضَ الْحَدِيثَ عَنْ النَّبِيِّ بِقَوْلِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِرَجُلٍ سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ فِيهَا بِحَدِيثٍ، فَقَالَ لَهُ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ! أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟ »[1].

وذكر العلامة ابن القيّم –رحمه الله- مثل الآثار السابقة عن ابْنِ مَسْعُودٍ وابْن عُمَرَ وزَيْد بْن ثَابِتٍ ومُعَاذ بْن جَبَلٍ وأَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ ومُعَاوِيَة بْن أَبِي سُفْيَانَ ، ثم قال: « فَهَؤُلاءِ مِنْ الصَّحَابَةِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبْلٍ، وَمُعَاوِيَةُ خَال الْمُؤْمِنِينَ، وَأَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ يُخْرِجُونَ الرَّأْيَ عَنْ الْعِلْمِ، وَيَذُمُّونَهُ، وَيُحَذِّرُونَ مِنْهُ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْفُتْيَا بِهِ، وَمَنْ اضْطُرَّ مِنْهُمْ إلَيْهِ أَخْبَرَ أَنَّهُ ظَنٌّ، وَأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْهُ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ وَمِنْ الشَّيْطَانِ، وَأَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَرِيءٌ مِنْهُ، وَأَنَّ غَايَتَهُ أَنْ يُسَوّغَ الأَخْذَ بِهِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ مِنْ غَيْرِ لُزُومِ لاتِّبَاعِهِ وَلا الْعَمَلِ بِهِ. فَهَلْ تَجِدُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطُّ أَنَّهُ جَعَلَ رَأْيَ رَجُلٍ بِعَيْنِهِ دِينًا تُتْرَكُ لَهُ السُّنَنُ الثَّابِتَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَيُبَدِّعُ وَيُضَلِّلُ مَنْ خَالَفَهُ إلَى اتِّبَاعِ السُّنَنِ؟ فَهَؤُلاءِ بَرْكُ الإِسْلامِ، وَعِصَابَةُ الإِيمَانِ، وَأَئِمَّةُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، وَأَنْصَحُ الأَئِمَّةِ لِلأُمَّةِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالأَحْكَامِ وَأَدِلَّتِهَا، وَأَفْقَهُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، وَأَعْمَقُهُمْ عِلْمًا، وَأَقَلُّهُمْ تَكَلُّفًا، وَعَلَيْهِمْ دَارَتْ الْفُتْيَا، وَعَنْهُمْ انْتَشَرَ الْعِلْمُ، وَأَصْحَابُهُمْ هُمْ فُقَهَاءُ الأُمَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مُقِيمًا بِالْكُوفَةِ كَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَبِالْمَدِينَةِ كَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَابْنِهِ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَبِالْبَصْرَةِ كَأَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، وَبِالشَّام كَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَبِمَكَّةَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَبِمِصْرٍ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ. وَعَنْ هَذِهِ الأَمْصَارِ انْتَشَرَ الْعِلْمُ فِي الآفَاقِ. وَأَكْثَرُ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ التَّحْذِيرُ مِنْ الرَّأْيِ مَنْ كَانَ

[1] رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ص43-44 .

بِالْكُوفَةِ إِرْهَاصًا بَيْنَ يَدَيْ مَا عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَحْدُثُ فِيهَا بَعْدَهُمْ »[1].

وقول ابن عباس في أنّ الناس سيهلكون إذا قدّموا قول أبي بكر وعمر على قول رسول ﷺ، فكيف إذا قاموا بتقديم قول من دونهما عليه، صلوات ربّي وسلامه عليه؟ والله المستعان!

وما سبق هو قول الصحابة في عدم تقديم أقوالهم وآرائهم على ما ثبَت عن رسول ﷺ، وقد قال بِمثله مَن بعدهم من علماء السنة، جاء أنه سَأَلَ رَجُلٌ الشَّافِعِيَّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَفْتَاهُ، وَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَذَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَتَقُولُ بِهَذَا؟ قَالَ: أَرَأَيْت فِي وَسَطِي زُنَّارًا؟ أَتَرَانِي خَرَجْت مِنْ الْكَنِيسَةِ؟ أَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَتَقُولُ لِي: أَتَقُولُ بِهَذَا؟ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَلا أَقُولُ بِهِ؟ [2].

ويَذكر السيوطي –رحمه الله- في حكايته للمسألة أنّ الشافعي اضطرب بعد سَماع كلام هذا القائل (روَى الإمام الشّافعيّ ﷺ يومًا حديثًا وقال: إنّه صحيحٌ، فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟! فاضطرب .. -إلخ[3].

وتقدمت أقوال أبِي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في المسألة، وقد ذكَر بعضَها، وأخرى مما لم تتقدم شَيْخُ الإِسْلامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- في جوابه (عن وَسُؤاله عَنْ رَجُلٍ تَفَقَّهَ فِي مَذْهَبٍ مِنْ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ، وَتَبَصَّرَ فِيهِ، وَاشْتَغَلَ بَعْدَهُ بِالْحَدِيثِ؛ فَرَأَى أَحَادِيثَ صَحِيحَةً لا يَعْلَمُ لَهَا نَاسِخًا، وَلا مُخَصِّصًا، وَلا مُعَارِضًا، وَذَلِكَ الْمَذْهَبُ مُخَالِفٌ لَهَا: فَهَلْ يَجُوزُ لَهُ الْعَمَلُ بِذَلِكَ الْمَذْهَبِ؟ أَوْ يَجِبُ عَلَيْهِ الرُّجُوعُ إلَى الْعَمَلِ بِالأَحَادِيثِ وَيُخَالِفُ مَذْهَبَهُ؟):

فَأَجَابَ: « الْحَمْدُ لِلَّهِ، قَدْ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرَضَ عَلَى الْخَلْقِ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَمْ يُوجِبْ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ طَاعَةَ أَحَدٍ

---

1 (?) إعلام الموقعين لابن القيم، (ج1/ ص50).

2 (?) المصدر نفسه، (ج2/ 213)، وانظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي،5.

3 (?) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ص5-6.

بِعَيْنِهِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ إلا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى كَانَ صِدِّيقُ الأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا بَعْدَ نَبِيِّهَا يَقُولُ: أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللَّهَ، فَإِذَا عَصَيْت اللَّهَ فَلاَ طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مَعْصُومًا فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، إلا رَسُولُ اللَّهِ ، وَلِهَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الأَئِمَّةِ: كُلُّ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إلا رَسُولَ اللَّهِ . وَهَؤُلاءِ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ قَدْ نَهَوْا النَّاسَ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هَذَا رَأْيِي، وَهَذَا أَحْسَنُ مَا رَأَيْت؛ فَمَنْ جَاءَ بِرَأْيٍ خَيْرٍ مِنْهُ قَبِلْنَاهُ، وَلِهَذَا لَمَّا اجْتَمَعَ أَفْضَلُ أَصْحَابِهِ أَبُو يُوسُفَ بِمَالِكِ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةِ الصَّاعِ؛ وَصَدَقَةِ الْخَضْرَاوَاتِ؛ وَمَسْأَلَةِ الأَجْنَاسِ؛ فَأَخْبَرَهُ مَالِكٌ بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ السُّنَّةُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: رَجَعْت إلَى قَوْلِك يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! وَلَوْ رَأَى صَاحِبِي مَا رَأَيْت لَرَجَعَ إلَى قَوْلِك كَمَا رَجَعْت. وَمَالِكٌ كَانَ يَقُولُ: إنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُصِيبُ وَأُخْطِئُ؛ فَاعْرِضُوا قَوْلِي عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ كَلامًا هَذَا مَعْنَاهُ. وَالشَّافِعِيُّ كَانَ يَقُولُ: إذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي الْحَائِطَ، وَإِذَا رَأَيْت الْحُجَّةَ مَوْضُوعَةً عَلَى الطَّرِيقِ فَهِيَ قَوْلِي. وَفِي مُخْتَصَرِ المزني لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ اخْتَصَرَهُ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ مَذْهَبِهِ قَالَ: مَعَ إعْلامِهِ نَهْيَهُ عَنْ تَقْلِيدِهِ وَتَقْلِيدِ غَيْرِهِ مِنْ الْعُلَمَاءِ. وَالإِمَامُ أَحْمَد كَانَ يَقُولُ: لا تُقَلِّدُونِي، وَلا تُقَلِّدُوا مَالِكًا، وَلا الشَّافِعِيَّ، وَلا الثَّوْرِيَّ؛ وَتَعَلَّمُوا كَمَا تَعَلَّمْنَا. وَكَانَ يَقُولُ: مِنْ قِلَّةِ عِلْمِ الرَّجُلِ أَنْ يُقَلِّدَ دِينَهُ الرِّجَالَ. وَقَالَ: لا تُقَلِّدْ دِينَك الرِّجَالَ؛ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَسْلَمُوا مِنْ أَنْ يَغْلَطُوا »[1].

ومعلومٌ أنّ أهل السنة لم يَذُمّوا كلّ رأيٍ أو كلّ قولٍ، بل المذموم هو ما خالف الكتاب والسنة والذي يَنتُج عن الأخذ به تقديم أقوال الرجال على قول الله ورسوله المنهيّ عنه، لِهذا فقد نقل الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في شرح حديث انتزاع العلم بقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، والذي فيه مرفوعًا: " .. **وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ؛ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ**

[1] (?) مجموع فتاوى ابن تيمية، (ج20/ص 209-211).

بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ "[1] والجمع بينه وبين الآية التي صدّر بِها البخاري الباب = عن أحد العلماء ما نصُّه: « التَّوْفِيق بَيْن الآيَة وَالْحَدِيث فِي ذَمِّ الْعَمَل بِالرَّأْيِ وَبَيْن مَا فَعَلَهُ السَّلَف مِنْ اسْتِنْبَاط الأَحْكَام أَنَّ نَصَّ الآيَة ذَمُّ الْقَوْل بِغَيْرِ عِلْم، فَخَصَّ بِهِ مَنْ تَكَلَّمَ بِرَأْيٍ مَحْمُود عَنْ اسْتِنَاد إِلَى أَصْل، وَمَعْنَى الْحَدِيث ذَمّ مَنْ أَفْتَى مَعَ الْجَهْل، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُمْ بِالضَّلالِ وَالإِضْلال، وَإِلا فَقَدْ مَدَحَ مَنِ اسْتَنْبَطَ مِنْ الأَصْل لِقَوْلِهِ: ﭽﮕﮖﮗﭼ [النساء: ٨٣]، فَالرَّأْي إِذَا كَانَ مُسْتَنِدًا إِلَى أَصْلٍ مِنْ الْكِتَاب أَوْ السُّنَّة أَوْ الإِجْمَاع فَهُوَ الْمَحْمُود، وَإِذَا كَانَ لا يَسْتَنِد إِلَى شَيْء مِنْهَا فَهُوَ الْمَذْمُوم. قَالَ: وَحَدِيث سَهْل بْن حُنَيْف وَعُمَر بْن الْخَطَّاب وَإِنْ كَانَ يَدُلّ عَلَى ذَمِّ الرَّأْي، لَكِنَّهُ مَخْصُوص بِمَا إِذَا كَانَ مُعَارِضًا لِلنَّصِّ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: اتَّهِمُوا الرَّأْي إِذَا خَالَفَ السُّنَّة، كَمَا وَقَعَ لَنَا حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُول اللَّه ﷺ بِالتَّحَلُّل فَأَحْبَبْنَا الاسْتِمْرَار عَلَى الإِحْرَام، وَأَرَدْنَا الْقِتَال لِنُكْمِل نُسُكنَا وَنَقْهَر عَدُوّنَا، وَخَفِيَ عَنَّا حِينَئِذٍ مَا ظَهَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِمَّا حُمِدَتْ عقبَاهُ، وَعُمَر هُوَ الَّذِي كَتَبَ إِلَى شُرَيْح (اُنْظُرْ مَا تَبَيَّنَ لَك مِنْ كِتَاب اللَّه؛ فَلا تَسْأَل عَنْهُ أَحَدًا، فَإِنْ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَك مِنْ كِتَاب اللَّه فَاتَّبِعْ فِيهِ سُنَّة رَسُول اللَّه ﷺ، وَمَا لَمْ يَتَبَيَّنْ لَك مِنْ السُّنَّة فَاجْتَهِدْ فِيهِ رَأْيك) .. فَهَذَا عُمَر أَمَرَ بِالاجْتِهَادِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّأْي الَّذِي ذَمَّهُ مَا خَالَفَ الْكِتَاب أَوْ السُّنَّة »[2].

فبِهذا ثبَتَ أنّ أهل السُّنّة –والحمد لله- كما أنّهم لا يُقدّمون قول أحدٍ -كائنًا مَن كان- على قول رسول ﷺ، -بخلاف مَن تقدم مِن الفِرَق في الفصول الخاصة بِهم- كذلك هم متّبعون للسّنّة في كُلّ أمورهم وليسوا مُبتدعين.

وهذا وجهٌ من أوْجُه توسطهم، وعدم الجفاء لمقام الرّسالة النبوية!

---

[1] الحديث متفق عليه (البخاري: كتاب وباب سابقان، رقم: 7307، وصحيح مسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الفتن والجهل والفتن، رقم: 2673).

[2] فتح الباري، (ج4/ ص5275).

** * **

المبحث الثالث: أهل السنة يَرَون تعظيم العبد الرّسول ﷺ، وتعظيم ما جاء به:

تقدم في مطلب توقير النبِي ﷺ ضمن مبحث لوازم الإيمان برسالته ﷺ، أنْ ذكرْتُ تعليل الله تعالى لإرسال هذا النبِيّ ﷺ، وأنه ما أرسَله إلا ليُؤمَن به ... ويُعزّر ويُوقّر: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ [الفتح: ٨ – ٩].

كما تقدمت مواقف الجفاة والغلاة من تعظيمه ﷺ في باب الفِرَق، وصُوَرٌ مِن مواقف الجفاة من تعظيم ما جاء به؛ كتابًا وسنة، حيث إنّهم يُقدّمون عقولهم، أو معقولات وآراء شيوخهم، أو أئمتهم، أو فلاسفتهم ... على الوحي.

أما هذا المبحث فمعقودٌ لبيان وسطية أهل السنة في الْمسألتين، وتحت مطلبَين على النحو التالِي:

المطلب الأول: وسطية أهل السنة في تعظيم عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ؛ بين الغُلاة والْجُفاة.

المطلب الثانِي: تعظيم أهل السنة لِمَا جاء به الرسول ﷺ كتابًا وسُنَّة، خلافًا للجُفاة.

المطلب الأول: وسطية أهل السنة في تعظيم عبد الله ورسوله نبيِّنا محمدٍ ﷺ؛ بين الغُلاة والْجفاة:

إنَّ من أهم صُوَر تعظيم عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ ﷺ: تعظيمَ ما جاء به ﷺ كتابًا وسنة. وهذا قد خصصْتُ لبيانه الْمطلب القادم.

كما أنّ مِن تعظيمه: تعظيم شخص الرّسول ﷺ، وأهله، وصحبه، وتعظيم ما عظّمه. وسأورِد نماذج لذلك من مواقف الصحابة التي يقتدي بِها أهل السّنة دائمًا، وفي كُلّ عَصْرٍ.

وما أذكُرُه من هذه النماذج سيكون جوابًا لِمَا قد يَسألُه سائلٌ، أو يستشكِله مستشكِلٌ: مِن ذِكري للطعن في صحابة النبِيّ ﷺ وأهل بيته ضمن أوجُه وصُوَر الجفاء فيه نفسِه؛ وذلك ما تقدم في فصول الخوارج والمعتزلة والرافضة. وكيف لا يكون الطعن فيهم جفاءً لِهذا النبِيّ ﷺ، وقد ناقضَه الطاعن فيهم؟ فحيث هو يُثنِي عليهم (آله وصحابته) خيرًا ويوصِي بآل بيته، ويُبيّن فضائلهم

ومناقبهم، ويَشْهَد لكثيرين منهم بأعيانِهم بالْجنّة، فإنّ الطاعن فيهم بخلاف ذلك. وعلى هذا:

فالطعن في هؤلاء مناقضةٌ للنبِي وقعَتْ فيه طوائف من الفِرَق كما بيّنتُه سابقًا مُفصّلا، نقَصَ من تعظيم الطاعن لَهم بِقدر ما طعَن في الذين أثنَى عليهم النبِيّ .

ويؤكّد هذا أيضًا صنيع العلماء الذين كتبُوا عن تعظيم النبِيّ ؛ فكتبُوا الصارم المسلول على شاتم الرسول ، والسيف المسلول على مَن سبّ الرسول وغير ذلك، ثم إنّهم ضمّنوا كُتُبَهم هذه النقيصة والطعن في آل بيته وزوجاته وصحابته على أنّه جفاءٌ سافر وطعنٌ غير مباشرٍ، لِمقامه . وعليه فلستُ بِدعًا في الأمر. والحمد لله!

والآن فمع النماذج في توقيره وتعظيمه وتفخيمه وإجلاله وتعزيره:

النموذج الأول: ما قال عروة بنُ مسعود حين وجَّهَتْه قُريش إلى رسول الله وقت صلح الحديبِية ورأَى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوئه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بُصاقًا، ولا يتخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم؛ فدلكوا بِها وجوهَهم وأجسادَهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفَضُوا أصواتَهم عنده، كما أنّهم لا يُحدّون إليه النظر تعظيمًا له، فقال لقريشٍ لَمّا رجع إليهم: ما جاء في صحيح البخاري عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ، قَالا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ .. وفيه:

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَ اللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ؛ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ! وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ؛ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ!

إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ! إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ؛ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا .. »الأثر[1].

النموذج الثاني: في سنن أبي داود أنّ أحد الصحابة قَالَ: « أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمْ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ .. » [2].

وقوله: وَأَصْحَابه: الْوَاو لِلْحَالِ. (كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسهمْ الطَّيْر): وَصَفَهُمْ بِالسُّكُونِ وَالْوَقَار، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ طَيْش وَلا خِفَّة؛ لأَنَّ الطَّيْر لا تَكَاد تَقَع إِلا عَلَى شَيْء سَاكِن[3].

النموذج الثالث: قَالَ أحَد الرّواة[4]: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ -وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ- فَبَكَى طَوِيلا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ! أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا، قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ مِنِّي، وَلا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: " **مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟** قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: " **تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟** قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: " **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا**

---

1 (?) صحيح البخاري: كتاب الشروط، بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ...، رقم: 2731، 2732 .

2 (?) سنن أبي داود: كتاب الطب، بَاب فِي الرَّجُلِ يَتَدَاوَى، رقم: 3855، وجامع الترمذي (دون الشاهد): كتاب الطب، بَاب مَا جَاءَ فِي الدَّوَاءِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، رقم: 2038، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح.

3 (?) انظر عون المعبود، ص1646 .

4 (?) وهو ابْن شِمَاسَةَ الْمَهْرِيّ.

كَانَ قَبْلِهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ "، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلالا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، .. الأثر [1].

قال النووي –رحمه الله-: « وَفِيهِ: مَا كَانَتْ الصَّحَابَة عَلَيْهِ مِنْ تَوْقِير رَسُول اللَّه وَإِجْلاله »[2].

النموذج الرابع: وقد تقدمت أحاديث حَلْقِ رسول الله شعره، وأنّ الصحابة لا يُريدون أنْ تَقَع شَعرَةٌ إلا في يد رَجُل منهم، بل كان يُوزِّع عليهم[3].

النموذج الخامس: وذكَرت كُتُب السيرة أنّه لَمّا أَذِنَت قريشٌ لعثمان في الطواف بالبيت حين وجّهه النبِيّ إليهم عام الحديبية أبَى، وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله [4]. وقد فعَل ذلك تعظيمًا للنبِيّ وتقديمًا له.

النموذج السادس: وجاء في حديث الْمغيرة وأنس رضي الله عنهما، واللفظ له: « أنّ أبواب النبِيّ كانت تُقرَع بالأظافر »[5].

النموذج السابع: كما قد كانت الصحابة يَهابونه ويوقرونه ويُعظّمونه؛ فلا يستطيعون سؤاله[6].

في هذه النماذج السبعة بيان ما كانت عليه الصحابة من تعظيم عبد الله ورسوله نبينا محمد وتوقيره وإجلاله، وهي تنبئ عن عادتهم في هذا الأمر، وقد ذكَر القاضي عياض –رحمه الله- أحد عشر نموذجًا [7].

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، بَاب كَوْنِ الإِسْلامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ، وَكَذَا الْهِجْرَةِ، وَالْحَجِّ، رقم: 121 .

2 (?) المنهاج للنووي، ص171 .

3 (?) راجع أحاديث مسألة التبرك بالعبد الرّسول محمد من المبحث الرابع من الفصل الماضي، والشفا، ص425.

4 (?) انظر: السيرة لابن هشام، (ج3/315)، ودلائل النبوة للبيهقي، (ج4/ص103، والشفا للقاضي، ص425.

5 (?) شعب الإيمان: فصل في قرع الباب عند الاستئذان، رقم: 8821 (ج6/ص442)، وانظر: الشفا، ص425.

6 (?) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص425.

7 (?) انظرها في: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص423-425 .

وأهل السنة من بعد الصحابة متّبعون لَهم فيما يُمكن اتباعُهم مِن أوجُه تعظيمه؛ مثل مبادرة امتثال أوامره، واجتناب نَواهيه، واتباعه في الدقيق والجليل، وتوقير صحابته وأهله.

وإنّ مِن صُوَر تَعظيمه : -كما ما قرر العلماء -رحمهم الله- وعلى رئسهم محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة، والقاضي عياض في كتابه الشفا، وابن تيمية في الصارم المسلول: **توقيره بعد وفاته:** « واعلم أنّ حُرْمَة النبِيّ بعد مَوته وتوقِيْره وتعظيمه لازمٌ، كما كان حالَ حياته، وذلك عند ذكره ، وذكر حديثه وسنته، وسَمَاع اسْمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته »[1].

وقد تقدم عَن ابْنِ عَبَّاسٍ، أنه سَمِعَ عُمَرَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ؛ سَمِعْتُ النَّبِيَّ يقول: " **لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** " [2].

ومن تعظيمه وتوقيره وبِرّه: « بِرّ آله وذريته، وأمهات المؤمنين أزواجه؛ كما حضّ عليه ، وسَلَكَه السلَفُ الصالِح » [3].

« **ومن توقيره وبِرّه :** توقيرُ أصحابِه وبرُّهم، ومعرفةُ حقِّهم والاقتداء بِهم، وحسنُ الثناء عليهم، والاستغفارُ لَهم، والإمساك عما شجَر بينهم، ومعاداةُ مَن عاداهم، والإضرابُ عن أخبار الْمؤرِّخِين، وجهَلة الرُّواة، وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحَدٍ منهم، وأن يُلْتمس لَهم -فيما نُقل عنهم مِن مثل ذلك، فيما كان بينهم من الفتن- أحسَنُ التأويلات، ويُخْرَج لَهم أصوب المخارج؛ إذ هم أهل ذلك، ولا يذكر أحدٌ منهم بسوء، ولا يُغمض عليه أمرٌ، بل تُذكر حسناتُهم وفضائلهم، وحميدُ سيَرهم، ويُسكَت عما وراء ذلك » [4].

---

[1] (?) قاله القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص432.

[2] (?) صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء،باب قول الله:ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼرقم: 3445.

[3] (?) قاله القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص432.

[4] (?) المصدر نفسه، ص438.

ومن إعظامه وإكباره أيضًا: إعظام وإكرام مكة والمدينة.

وفي ختام هذا المطلب أقول: أهل السنة وسَطٌ في تعظيم النّبِيّ بين الْغُلاة الذين يَدّعون تعظيمه ، وبين الْجُفاة. وقد تقدم ذلك. كما اتضح أنّ الغُلاة في تعظيمه مَثَلُهم مَثَل الغُلاة في عبد الله ورسوله عيسى ، وكذلك الغالية في علِيٍّ ، وكُلّ هؤلاء بَخسوا حقّ مُعظّمِيهم ما يستحقون من التعظيم الحقيقي، قال شيخ الإسلام –رحمه الله- مُقَرِّرًا هذا المعنى: « الغلاة المشركون هم في الحقيقة بَخسوا الرّسل ما يستحقونه من التعظيم، دون الأمة الوسط؛ أهل التوحيد الْمتبعين لشريعة الرسول، **وبيان ذلك بأمور: منها:** أنّ النّصارى يقولون: إنّهم يُعظّمون المسيح، وكذلك الغالية في علِيٍّ، أو الأئمة، أو الشيوخ، أو غيرهم: وهم في الحقيقة مُنَقّصُون لَهم؛ فإنّ المسيح أمَرَهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأخبَرهم أنه (عبد الله)؛ فهم إذا اتّبعوه كان له من الأجر مثل أجورهم مِن غير أن ينقص من أجورهم، ويكونون سعداء؛ أولياء الله تبارك وتعالى، مِن أهل الجنة. وإذا غَلَوا فيه واتّخذُوه ربًّا: انقطع ثوابُ العمل الصالح الذي كان يحصل بتوحيدهم وطاعتهم، وحصَل لَهم مع ذلك عذابٌ أليمٌ، وإنْ كان هو سليمًا من العذاب، لكِن فوَّتُوه الأجر الذي كان يَحصل له بتوحيدهم وطاعتهم. وأما أهل الاستقامة فهم إذا وحّدوا الله تعالى وعبدوه -كما شَرَعَتْه لَهم الرُّسُل- وأطاعوهم، صاروا أولياء الله تعالى، مستيقنين لثوابه، وحصَل للرّسول بالذي دعَاهم مثل أجورهم. وكان في هذا مِن التعظيم للرُّسل ما ليس في طريق الغلاة. **الأمر الثاني:** أنّ أهل التوحيد والسُّنّة يَدْعُون لَهم دائمًا؛ فينتفعون بذلك الدعاء. وأهل الشرك والبدعة يُكلفونَهم حوائجهم، وأين مَن يَحصل بسَعيه مَنفعةٌ لَهم، إلى من يُكلّفُهم ويُؤْذيهم بسؤاله؟ واعتبِر هذا بحالِ الصديق الذي كان يُعاون الرّسول بِماله ونفسه ولا يسأله شيئًا، أين منـزلتُه من منـزلة مَن يَسأله ويُكلّفُه ولا يعاونُه؟ **الأمر الثالث:** أنّ أهل التوحيد والسّنة

يُصدّقونَهم فيما أخبَروا، ويطيعونَهم فيما أمروا، ويَحفظون ما قالوا، ويفهمونَه ويعمَلون به، ويَنْفُون عنه تحريفَ الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويُجاهدون مَن خالفَهم، ويفعلون ذلك تقرُّبًا إلى الله تعالى؛ طلَبًا للجزاء منه، لا منهم. وأهل الجهل والغُلُوّ لا يُميّزون بين ما أَمَروا به ونَهوا عنه، ولا بين ما صَحّ عنهم وما كُذِب عليهم، ولا يفهمون حقيقة مُرادهم، ولا يتحَرّون طاعَتَهم ومتابعَتَهم، بل هم جُهّال بِما أَتَوا به، مُعظّمون لأغراضهم؛ إما لينالوا منهم منفعةً، أو ليدفعوا بِهم عن أنفسهم مضرةً؛ فالسدنة الذين عند القبور ونَحوُهم غَرَضُهم: يأكلون أموال الناس بِهم، وأتباعُهم غَرَضُهم تعظيم أنفسهم عند الناس، وأخذ أموالِهم لهم. والصادق الْمحض الْمتدين منهم غَرَضُه أنّه إذا سألَهم واستغاث بِهم في دَفْع شِدّةٍ، أو طَلَب حاجةٍ قضَوها له. فأيّ الفريقين أشَدّ تعظيمًا؛ أولئك أو هؤلاء؟ **الأمر الرابع:** إنّ أولئك الغلاة المشركين: إذا حصَل لأحدهم مطلوبُه؛ ولو مِن كافِرٍ لم يُقْبِل على الرّسول، بل يَطلُب حاجَتَه مِن حيث يَظُنّ أَنّها تُقضى؛ فتارة يَذْهَب إلى ما يظنُّه قَبْر رجلٍ صالِحٍ، أو يكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارة يَعلم أنّه كافرٌ ومنافقٌ؛ ويَذْهَب إليه، كما يذهب قوم إلى الكنيسة، وإلى مواضع يقال لهم: إنّها تُقْبَل النذر. فهذا يَقَعُ فيه عامتُهم. وأما الأول فيقع فيه خاصّتُهم ... »[1].

فهؤلاء يؤول بِهم الأمر إلى أنْ يُسَوُّوا بين الأنبياء وغير الأنبياء، بل وبين الأنبياء والكفار، ويَطلبون من هذا ما يَطلبون من هذا.

فأيّ الفريقين أشدّ تعظيمًا للأنبياء؛ هؤلاء أو مَن يوجب تعظيمهم، واتباع شريعتهم، ويُفرّق بين الحق الذي جاءوا به وبين غيره، ولا يُنْزِل أحَدًا منـزلتَهم، ولا يُشبّه بِهم مَن ليس منهم[2]. فقارن بين هؤلاء الغلاة الجفاة، وبين أهل السنة والتوحيد تجد ذلك عَيانًا. والعلم عند الله!

---

1 (?) تلخيص كتاب الاستغاثة، 308-310.

2 (?) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة، 312.

** * **

المطلب الثاني: تعظيم أهل السنة لِمَا جاء به الرسول (كتابًا وسُنَّة)، خلافًا للجُفاة[1]**:**

سبَق ذكر تعظيم أهل السنة لعبد الله ورسوله نبينا محمدٍ في نفسِه وشخصه، وأما هذا المطلب فلِبيان تعظيمهم لِما جاء به كتابًا وسُنّة، وأوامره ونواهيه، قال القاضي -رحمه الله-، الباب الثالث (في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره) [2].

وسأمثّل بنماذج من مواقف الصحابة وتابعيهم بإحسانٍ من تعظيمهم لِما جاء به ، وعقوبتهم مُخالِفَها، وهذه المواقف كثيرة جدًّا، لكنّي سأنتقي منها طائفة طيبة يتضح بها المقام، فأقول، وبالله تعالى التوفيق:

عقَد المحدّث ابن ماجه –رحمه الله- في سنَنِه بابًا، عَنْوَن له بـ(بَاب تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ عَارَضَهُ)[3].

وكذلك الحافظ أبو محمد الدارمي –رحمه الله- عَنْوَن لباب في سُنَنِه وأسْماه بـ(تَعْجِيلِ عُقُوبَةِ مَنْ بَلَغَهُ عَنِ النَّبِيِّ حَدِيثٌ؛ فَلَمْ يُعَظِّمْهُ وَلَمْ يُوَقِّرْهُ)، ومما أورَداه:

أولا: ما روَاه مسْلِمٌ –رحمه الله- بسنده عَنْ سَالِمٍ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ, عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما, قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **لا تَمْنَعُوا النِّسَاءَ حُظُوظَهُنَّ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُم إليها** ", قال: فَقَالَ بِلالٌ: « وَاللَّهِ! لَنَمْنَعُهُنَّ, قَالَ: فأقبل عليه عبد اللَّهِ؛ فسبّه سَبًّا سيِّئًا, ما سَمعتُه سَبَّه مثله قط, وقَالَ: أُخبِرُك عن رَسُول اللَّهِ , وَتَقُولُ: وَاللَّهِ! لَنَمْنَعُهُنَّ »[4].

---

1 (?) انظر للاستزادة: كتاب المقدمة في سنن ابن ماجه، وفي سنن الدارمي (إحالات قادمة، ص83)، وجامع بيان العلم وفضله (ج2/ص375وما بعده)، ومفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي، ص61-63، واتباع النبي في ضوء الوحيين، 113-114.

2 (?) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص438.

3 (?) سنن ابن ماجة: كتاب المقدمة، (ج1/ 58).

4 (?) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة...، رقم: 442.

ولفظ ابن ماجه من حديث سَالِمٍ، عَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " **لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ أَنْ يُصَلِّينَ فِي الْمَسْجِدِ**" فَقَالَ ابْنٌ لَهُ: إِنَّا لَنَمْنَعُهُنَّ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَقُولُ إِنَّا لَنَمْنَعُهُنَّ![1].

وعند الدارمي: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ فَشَتَمَهُ شَتْمَةً لَمْ أَرَهُ شَتَمَهَا أَحَدًا قَبْلَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُحَدِّثُكَ عَن النبِيّ وَتَقُولُ إِذًا وَاللَّهِ أَمْنَعُهَا[2]؟

وعُمَر مع أنه يَكْرَهُ خروج أهله وَيَغَارُ لذلك، إلا أنه منَعَه تعظيمُه لإِباحة الرّسول لإِمَاء اللَّهِ شهود الجماعة في مَسَاجِد اللَّهِ مِن أنْ يَمنعها، كما شَهِدَت له زوجُه، لَمّا قال لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ! وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ : "**لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ** "[3].

ثانيًا: ما جاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ أَنَّهُ رَأَى رَجُلا يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: « لا تَخْذِفْ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ نَهَى عَنْ الْخَذْفِ، أَوْ كَانَ يَكْرَهُ الْخَذْفَ، وَقَالَ: " **إِنَّهُ لا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ، وَلا يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ** "، ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ؛ فَقَالَ لَهُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ نَهَى عَنْ الْخَذْفِ، أَوْ كَرِهَ الْخَذْفَ وَأَنْتَ تَخْذِفُ؛ لا أُكَلِّمُكَ كَذَا وَكَذَا »، متفق عليه[4]**،** وفي لفظ عند مسلم: « **لا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا** »[5]**.**

وفي لفظ آخر للدارمي في سُننه: قَالَ راوي الأثر[6]: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَتًى يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ شَيْخٌ: لا تَخْذِفَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ. فَغَفَلَ الْفَتَى

1 (?) سنن ابن ماجة: كتاب المقدمة، رقم: 16.
2 (?) سنن الدارمي: المقدمة، ص84.
3 (?) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب (بدون ترجمة) رقم: 900.
4 (?) صحيح البخاري: كتاب الذبائح والصيد، بَاب الْخَذْفِ وَالْبُنْدُقَةِ، رقم: 5479، وصحيح مسلم: كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يُستعان به على الاصطياد والعدو، وكراهة الخذف، رقم: 1954.
5 (?) صحيح مسلم، الكتاب والباب. وهو لفظ ابن ماجه في سننه: مصدرٌ سابقٌ، رقم: 17.
6 (?) هو خِرَاش بْن جُبَيْرٍ.

وَظَنَّ أَنَّ الشَّيْخَ لاَ يَفْطِنُ لَهُ فَخَذَفَ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: أُحَدِّثُكَ أَنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَنْهَى عَنِ الْخَذْفِ ثُمَّ تَخْذِفُ؟ وَاللَّهِ لاَ أَشْهَدُ لَكَ جَنَازَةً، وَلاَ أَعُودُكَ فِي مَرَضٍ، وَلاَ أُكَلِّمُكَ أَبَداً » [1].

قال النووي –رحمه الله- « فِيهِ: هِجْرَان أَهْل الْبِدَع وَالْفُسُوق وَمُنَابِذِي السُّنَّة مَعَ الْعِلْم، وَأَنَّهُ يَجُوز هِجْرَانه دَائِمًا. وَالنَّهْي عَنْ الْهِجْرَان فَوْق ثَلَاثَة أَيَّام: إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ هَجَرَ لِحَظِّ نَفْسه وَمَعَايِش الدُّنْيَا، وَأَمَّا أَهْل الْبِدَع وَنَحْوهمْ فَهِجْرَانُهمْ دَائِمًا »[2].

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-: « وَفِي الْحَدِيث جَوَاز هِجْرَان مَنْ خَالَفَ السُّنَّة وَتَرْك كَلامه... »[3].

ثالثًا: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ الأَنْصَارِيَّ ، أنّه غَزَا مَعَ مُعَاوِيَةَ أَرْضَ الرُّومِ، فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ يَتَبَايَعُونَ كِسَرَ الذَّهَبِ بِالدَّنَانِيرِ، وَكِسَرَ الْفِضَّةِ بِالدَّرَاهِمِ، فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَأْكُلُونَ الرِّبَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، يَقُولُ: " **لا تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلا مِثْلا بِمِثْلٍ، لا زِيَادَةَ بَيْنَهُمَا، وَلا نَظِرَةً** " فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ! لا أَرَى الرِّبَا فِي هَذَا إِلا مَا كَانَ مِنْ نَظِرَةٍ! فَقَالَ عُبَادَةُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ رَأْيِكَ؟ لَئِنْ أَخْرَجَنِي اللَّهُ لا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ لَكَ عَلَيَّ فِيهَا إِمْرَةٌ، فَلَمَّا قَفَلَ لَحِقَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ! فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ وَمَا قَالَ مِنْ مُسَاكَنَتِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ -يَا أَبَا الْوَلِيدِ- إِلَى أَرْضِكَ؛ فَقَبَحَ اللَّهُ أَرْضًا لَسْتَ فِيهَا وَأَمْثَالُكَ، وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ لا إِمْرَةَ لَكَ عَلَيْهِ، وَاحْمِلْ النَّاسَ عَلَى مَا قَالَ، فَإِنَّهُ هُوَ الأَمْرُ » [4].

وعند الدارمي: فَقَالَ عُبَادَةُ: « أَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ وَتَقُولُ: لاَ أَرَى بِهِ بَأْساً؟ وَاللَّهِ لاَ يُظِلُّنِي وَإِيَّاكَ سَقْفٌ أَبَدًا »[5].

---

1 (?) سنن الدارمي: كتاب المقدمة، بابٌ سابق، ص83

2 (?) المنهاج للنووي، ص1242.

3 (?) فتح الباري، (ج3/ ص3915).

4 (?) صحيح مسلم: كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا، رقم: 1586.

5 (?) سنن الدارمي: كتاب المقدمة، مصدر سابق.

ومثله وبمعناه ما جاء في الموطأ بسند مالك، عن أبي الدَّرْدَاءِ ، قال: « مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ مُعَاوِيَةَ أَنَا أُخْبِرُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَيُخْبِرُنِي عَنْ رَأْيِهِ، لا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ أَنْتَ بِهَا، ثُمَّ قَدِمَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى مُعَاوِيَةَ، أَنْ لَا تَبِيعَ ذَلِكَ إِلا مِثْلا بِمِثْلٍ، وَزْنًا بِوَزْنٍ »[1].

رابعًا: روَى أبو عمر ابن عبد البَرّ –رحمه الله- بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: « تَمتع رسول الله ، فقال عروة: نَهى أبو بكر، وعمر عن المتعة، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ما يقول عرية؟ قال: يقول: نَهى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عن المتعة، فَقَالَ: أَرَاهُم سَيَهْلكُون، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ! »[2].

خامسًا: وإذا كان ما تقدم هو شيءٌ من مواقف الصحابة في تعظيم ما جاء به الرّسول ، فإنّ مَن جاء بعدهم مِن أئمة أهل السنة من التابعين ومَن بعدهم إلى يوم القيامة عَمِلوا ويَعملون بنظيره في مواقف كثيرة لا يسَع المكان بِذكره، فاسْتمِع إلى ما قاله قَتَادَةُ –رحمه الله-: « حَدَّثَ ابْنُ سِيرِينَ رَجُلاً بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ، فَقَالَ رَجُلٌ: قَالَ فُلاَنٌ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: أُحَدِّثُكَ عَنِ النَّبِيِّ وَتَقُولُ: قَالَ فُلاَنٌ؟ لا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا » [3].

وبعد، فهذا شيءٌ من مواقف الصحابة وتابعيهم بإحسان في تعظيم ما جاء به الرّسول كتابًا وسنة، وقد تقدم شيءٌ من هذا في مبحث تجريد المتابعة (المبحث الثانِي). وهذا الموقف بخلاف موقف المتكلّمين والفلاسفة والقرآنيين وغيرهم ممن لا يرى للسنة عظمة

---

[1] الموطأ: كتاب البيوع، بَاب بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْفِضَّةِ تِبْرًا وَعَيْنًا، ورقمه في الكتاب: 34، والقصة مشهورة بعُبادة.

[2] جامع بيان العلم وفضله، باب فضل السنة ومباينتها لسائر أقوال علماء الأمة، (ج2/ص378).

[3] سنن الدارمي: كتاب المقدمة، باب تَعْجِيلِ عُقُوبَةِ مَنْ بَلَغَهُ عَنِ النَّبِي حَدِيثٌ فَلَمْ يُعَظِّمْهُ وَلَمْ يُوَقِّرْهُ، ص84.

ومكانة، ولا يَرجو لكتاب الله وقارًا. وهذا وجهٌ مِن أوجُه وسطية أهل السنة بين هذه الفرق. والله تعالى أعلم.

** * **

المبحث الرابع: أهل السنة يعتقدون ويشهدون أنَّ العبدَ الرّسول محمدًا ﷺ بلَّغ أمَّته ما أمره به ربُّه، ولم يكتم شيئًا؛ (فلم يزِد، ولم ينقص):

تقدمت -في مطلب تَبليغ النبِيّ ﷺ كُلّ ما أوحي إليه مِن ربّه ﷻ في مبحث لوازم رسالته ﷺ الْمتعلّقة به- الأدلةُ الكثيرةُ تحت دلالات متنوعة، الدالة بأنّ نبيَّنا محمدًا ﷺ بلّغ كل ما أوحي إليه مِن ربّه؛ فلَم يَزِد، ولَم ينقص.

وقد عمِل بِهذه النصوص كُلِّها أهلُ السنة والجماعة؛ حيث آمنوا بها وشَهدوا بتبليغ جميع ما أَمَرَه ربُّه، وذلك عَملا منهم بقوله ﷺ: " **أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً** " متفق عليه [1]، وفي رواية عند مسلم: " **فَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِي**". وبقوله الآخر: **وأنتم تُسألون عنِّي فما أنتم قائلون؟** " قالوا: نشهد أنَّك قد بلَّغتَ وأدَّيتَ، ونصحْتَ؛ فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويُنَكّتها إلى الناس " **اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات** " [2]. فشهد له ﷺ خير القرون الصحابةُ [3] -رضي الله عنهم- بالإبلاغ، والأداء والنصيحة، حيث شهِدوا له بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع له قبله مثله، وفي اليوم العظيم، في المكان العظيم.

وكذلك شَهدَت له أمُّ المؤمنين زوجُه عائشةُ -رضي الله عنها- بالبلاَغ وعدم الكتمان؛ فعَن مسروق –رحمه الله- عنها رضي الله تعالى عنها، قالت: « مَن حدَّثك أنَّ محمدًا ﷺ كتَم شَيئًا مما أُنزِل عليه فقد كذب، والله يقول: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الآية [المائدة: ٦٧] وعند مسلم عنها بلفظ: « **ومَن زَعَم أنَّ رسول الله ﷺ كتَمَ شَيْئًا مِن**

---

[1] صحيح البخاري: كتاب المغازي: بَاب بَعْثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؓ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ؓ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، رقم: 4351، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رقم: 1064 .

[2] مسلم: الحج، باب حجة النبي ﷺ، الحديث الطويل في صفة حجه عليه الصلاة والسلام، رقمه: 218 .

[3] انظر عن هذا تفسير ابن كثير لآية المائدة، ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [المائدة: ٦٧]، (ج2 / 108)، وشرح ابن أبي العزِّ للطحاوية، (ج2 / 440) .

كتاب الله؛ فقد أعْظَمَ على الله الفرية » ثم تَلَت الآية[1].

والنصوص التي تدلّ على هذه المعانِي كثيرة جدّا، وقد وصلتُ لَها القول وفصّلتُ، في المطلب المشار إليه.

فلِكُلّ هذا وغيره فإنّا « نشهد أنَّه بلَّغ البلاغ الْمبين، وأدَّى رسالةَ ربِّه كما أُمِر، ونَصَح أمَّتَه غاية النصيحة، فلا يُحتاج مع بيانه وتبليغه وكشْفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذْلَقَة المُتحَذْلِقين ! والحمد لله رب العالمين »[2]، بل ويجب علينا الإيمان بأنَّ الرُّسلَ كلَّهم عليهم السلام بلَّغوا جميع ما أرسلوا به، على ما أمرهم الله به، وأنَّهم بينوه بَيَانًا لا يَسَع أحَدًا مِمّن أُرْسِلوا إليه جهلُه، ولا يَحِلّ خلافُه، قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [النحل:٣٥] [3].

فأهل السنة مِن زمن الصحابة ومَن اتبع سبيلهم إلى يوم الدين يؤمنون بكلِّ النصوص السابقة؛ الدالّة على أنّ الرّسول بلّغ كلّ ما أُمِر بتبليغه، ولم يكتم مِن دين الله شيئًا. كما أنّه ما زاد على الله آية ولا حرفًا، ولا تقوَّل عليه قولا ولا حُكمًا[4]. وهذا هو البلاغ المبين الذي وصفه به ربُّه.

وأما غيرهم مِن المبتدعة؛ فظاهِرُ كلامِهم ومقالاتِهم السابقة يُفهَم منها أنَّ رسول الله لم يُبَلِّغ البلاغ المبين، فالرافضة –مثلاً- عندما اختَرَعوا بدعة الوصية لعليٍّ ، كأنَّهم زَعَمُوا أنَّ الدين لم يَكمُل، والنّعمةَ لم تَتِمّ، بل يلزم مِن كلامهم، القول بأنَّه ليس بأمينٍ وأنَّه خان الرّسالة.

فغالبية الرافضة القائلة بتحريف القرآن

(الزيادة والنقصان) وإنّ كانوا لا يَقولون بأنّ النبِيّ هو

---

[1] صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ، رقم: 4612، ومسلم في حديث طويل: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله : ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ،ورقم: 177 .

[2] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزِّ الحنفي، ط/الرسالة، بتحقيق التركي وشعيب،(ج2/ 440-441).

[3] مصدرٌ سابقٌ بتصرف، (ج2 / 474) .

[4] وقد تقدم هذا في مبحث لوازم الرسالة التي تتعلق بالرسول في أحَدِ مطلبَيْه، وهو: **تبليغه كلَّ ما أوحي إليه من ربه .**

الذي نقص وزاد، بل أبو بكر وعمر وزيد [1] -وحاشاهم-، إلا أنّهم لَمّا كانوا أصحاب المتناقضات فإنّ الجريء الخمينِي –عامله الله بِما يستحق- منهم وغيره يتّهم النبِيّ بِعدَم الإبلاغ؛ فيَزعُم أنه كتَم مسألة إمامة علي ، حيث قال: « ووَاضحٌ أنّ النبِيَّ لو كان قد بلّغ بأمر الإمامة طِبقًا لِما أمَرَ به الله، وبذَل المساعي في هذا المجال، لَما نشَبَتْ في البلدان الإسلامية كلُّ هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك، ولَما ظهر ثَمَّة خلافات في أصول الدين وفُروعه »[2]. وكفى بِهذا الكلام جُرأة وكذبًا.

وقال محمد حسين آل كاشف الغطاء –أحد مراجع الشيعة المعاصرين-: « إنّ حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه –سلام الله عليه- أودعها عند أوصيائه؛ كلّ وصيّ يعهد بها إلى الآخَر، ينشُرُه في الوقت المناسب له »[3].

فالرجل بهذا الزعم يدّعي أنّ الرسول كتم ولم يُبلغ جميع ما نزل عليه، بل أخرج قدرًا معيّنًا حسب حاجة الناس –على زعمه- وأودع الباقي عند الأوصياء ... [4].

وبيّن آية الشيعة العظمى شهاب الدين النجفي أنّ النبي بلّغ جزءًا من الشريعة، وأنه أودع الباقي –على زعمه- عند علي بن أبي طالب فقال: « إنّ النبي صلى الله عليه وآله ضاقت عليه الفرصة، ولم يسعه المجال لتعليم جميع أحكام الدين، ... وقد قدّم الاشتغال بالحروب على التمحيصاصيل الأحكام، ... لاسيما مع عدم كفاية استعداد الناس في زمنه لتلقي جميع ما يحتاج إليه طول قرون »[5].

---

1 (?) انظر: السنة والشيعة للشيخ إحسان إلهي ظهير، (مَن حرّف القرآن وغيّره؟)، ص75-78.

2 (?) كشف الأسرار: 155، ترجمة د. محمد البنداوي، بتعليق الشيخ سليم الهلالي، مؤسسة تبوك، القاهرة.

3 (?) أصل الشيعة وأصولها، ص77، بواسطة: وجاء دور المجوس، لعبد الله الغريب، ص173.

4 (?) انظر: وجاء دور المجوس، لعبد الله الغريب، ص173.

5 (?) من تعليقات هذا الرافضى على إحقاق الحق وإزهاق الباطل للتستري، ج2/ص288-289)، وانظر: س20 من كتاب/ عقائد الشيعة الاثني عشر للشثري، ط11/1431هـ. تحت عنوان: هل بلّغ رسول الله

ورأس الطائفة التجانية الصوفية أجاب عما سأله تلميذُه صاحب جواهر المعاني عن فضل صلاة الفاتح المزعوم (تعدل من كل دعاء وكل ذكر ومن القرآن ستة آلاف مرة): هل كان النبِيّ في وقته عالِمًا بالفضل المتأخّر لِهذه الصلاة؟ فأجاب بنَعم، فسأله ثانيًا: ولِم لم يَذْكُره لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين؛ لِما فيه من هذا الخير الذي لا يكيف؟

أجاب بِما حقيقتُه طعنٌ في كمال تبليغه، ونسبة الكتمان إليه -وحاشاه! فقال: «منَعه أمران: الأول: أنّه عَلِم بتأخير وقته وعدم مَن يُظهِرُه الله على يَديه في ذلك الوقت ..»[1]. فعلى زعمه هذا: النبِيّ لم يُبلّغ فضل هذه الصلاة المزعومة في وقته، بل إلى ما بعد ألفٍ ومائتين من هجرته ليدّخرَها للتجانِي الأهل لها؟ وكفى بِهذا طعنًا عليه وكذِبًا! ولِبيان هذا الوجه الجفائِي عَقَد صاحب كتاب مشتهى الْخارف الْجانِي في رَدّ زلقات التجاني الجانِي بابًا في بيان بطلان ما نَسَبَه هذا الرّجلُ الْمُشرِّع مِن الكتمان للنبِيّ وضمّنه خمسة فصول؛ أولُها: في بيان الألفاظ الْمروية عنه الْمُصرّح فيها نصًّا بنسبة الكتمان للنبِيّ ، وما ورَد في نفي ذلك عنه من الآيات والأحاديث وإجماع الأمة. ثم صدّر الفصل بالمثال الذي ضرَبت[2].

ومما قال فيه: « فانظر –رحمك الله- هل قول هذا الرجل: إنّ النبِيّ لم يَذكُر هذا الورد الذي فيه من الفضل -على ما قال- ما يَعجز عن إحصائه اللسان، وعن إدراك كنهه الجنان ... هو عين الكتمان المار تحقيقه، إنّه عدم التبليغ للمأمور بتبليغه، وعين ما ما ورَد عن عليّ وابن عباس رضي الله تعالى عنهما نفيه عن النبِيّ من أنّه لم يخصّ أحدًا كائنًا من كان بوحيٍ ما ... فإنّه نصٌّ لا يَحتمل التأويل؛ لأنّه قال: لم يُعلّمه ولَم يَذكُره لأحدٍ من أصحابه، فقد صرّح فيه بالنفي، ... وهذا الذي قاله زورٌ

 الشريعة كلها قبل وفاته في اعتقادهم؟ ص67

[1] (?) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ص59.

[2] (?) انظر: مشتهى الخارف الجاني، ص19.

عظيمٌ وبُهتانٌ من أشنع ما يختلسه الشيطان من الإنسان، يخرج قائله به من دين الإسلام خروج السهم من الرمية بإجماع الأمة المعصومة من الاجتماع على الضلال والطغيان » [1].

كما أنّ القول بأنّ النبِيّ ﷺ نقَص شيئًا مِن الوحي هو لازمُ صنيعِ المبتدِع -كائنًا مَن كان-؛ إذْ لو اعتَقَد كمالَ الرّسالة وتَمامها[2] وأنَّ الرّسول ﷺ بلَّغ البلاغ المبين ولم يكتم شيئًا؛ (فلم يزد ولم ينقص) لكفاه الاتّباع دون الابتداع، وقد نقل الشاطبِيُّ –رحمه الله- عَن مالك بن أنس –رحمه الله- أنّه قال: « **مَن ابتَدَع في الإسلام بِدعةً يَراها حسَنَةً، فقد زعَم أنَّ محمدًا ﷺ خانَ الرِّسالة؛ لأنَّ الله يقول:** ﴿ چ ڇ چ چ ڇ گ چ ﴾ [المائدة: ٣]. **فمَا لم يكُن يومئذٍ دِينًا، فلا يكون اليوم دِينًا** »[3].

وإنْ كان كثيرٌ من المبتدعة إذا بُـيِّن لَهم هذا اللازم الخطير قد لا يلتزِمُه. والله تعالى أعلم.

وهذا الوجه كذلك مِن الأوجه التي تُبيِّن وسطية أهل السنة في هذا الباب، وأنَّهم يؤمنون بكلِّ ما ثبت عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ.

وأَرُدّ على كذب الخمينِي السالف الذي زَعَم فيه أنّ المصائب من الاختلافات والمعارك التي كانت ولا تزال بين الشيعة والسنة سببها النّبِي ﷺ وكتمانه لبعض الوحي على زعمه وحاشاه: بأنّ هذا مِن التطيّر المنهي عنه، ومن أذية رسول الله ﷺ الذي لَعَن الله صاحبه في الدنيا والآخرة وأعدّ له عذابًا مهينًا.

ونظيرُ قوله مِن وجهٍ آخر ما « يُذكر عن بعض الرافضة أنّه آذَى اللهَ ورسولَه بسبب تقديم الله ورسوله لأبِي بكر وعمر. وعن بعضهم أنّهم كانوا يقرؤون شَيئًا مِن الحديث في مسجد النبِيّ ﷺ فأتَوا على فضائل أبِي بكر؛

[1] مشتهى الخارف الجاني، ص19.

[2] قد تقدم مزيدُ تفصيلٍ لِهذا في مبحث رسالة النبيِّ ﷺ كاملة، من الفصل الثاني مِن الباب الثاني.

[3] الاعتصام للشاطبي، (ج1/ ص86)، بتحقيق الشيخ سليم بن عيد الهلالي.

فلمّا سَـمِعَها قـال لأصـحابه: (تعلمـون –واللـه- بلاءكم مِن صـاحب هـذا القـبر؛ يقـول: " **مُـرُوا أَبَا بَكْـرٍ فَلْيُصَـلِّ بِالنَّاسِ** "[1]، " **وَلَــوْ كُنْتُ مُتَّخِــذًا مِنْ أَهْــلِ الأَرْضِ خَلِيلا مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَـذْتُ أَبَا بَكْـرٍ** "[2]، " **يَـأْبَى اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِلا أَبَا بكر** ")[3].

وهذا، كما أنّه ليس لأحدٍ أنْ يقول: بسـبب نـزول القرآن بلسان العرب اختَلَفَت الأمة في التأويل، واقتتلـوا. إلى أمثال هذه الأمور التي يجعل الشَّرّ الواقع فيها بسـبب ما جـاء به الرّسـول؛ فـإنّ هـذا كلّه باطـلٌ، وهو مِن كلام الكفار؛ »[4].

ولا يجوز نسب ما أصاب العبد من مصيبات إلى ما أمر الله به ورسولُه، لأنّ ذلك من التطير، بل هي (المصيبات والبلايا) مما كسبت الأيدي ومن الذنوب، قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: « فمن قال بسبب تقديْمه لأبِي بكر وعمر، واستخلافه في الصلاة، أو بسبب ولايتهما حصل لهم مصيبة، قيل مصيبتكم بسبب ذنوبكم ... بل هذا كُلّه من أذَى المؤمنين بغير ما اكتسبوا »[5].

وقد قال الله تعالى: ﭽﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﭼ [الأحزاب: ٥٨].

** * **

---

[1] (?) الحديث في الصحيح وقد تقدم تخريجه.

[2] (?) الحديث في الصحيح وقد تقدم تخريجه.

[3] (?) الحديث في الصحيح وقد تقدم تخريجه.

[4] (?) منهاج السنة النبوية، (ج5/ص137-138).

[5] (?) المصدر نفسه، (ج5/ 143).

المبحث الخامس: أهل السنة يعتقدون أنّ العبدَ الرسول محمدًا أفضل المرسلين، وسيّدُ الخلق أجمعين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهل السنة يعتقدون أنّ رسولنا محمدًا أفضل المرسلين.

المطلب الثاني: أهل السنة يعتقدون أنّ رسولنا محمدًا سيّدُ الخلق أجمعين.

المطلب الأول: أهل السنة يعتقدون أنّ رسولنا محمدًا أفضل المرسلين:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعًا ما يشهد لهذا؛ قال عبدُ الله ورسولُه في حديث الخصائص: " **فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ؛ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّون** "، وهذا اللفظ انفرد به مسلم[1].

وهذا حديث عظيمٌ، وأصلٌ في باب الخصائص كبير، وهو نصٌّ صريحٌ في هذه المسألة؛ لأنَّه قال: " **فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ**... "، أي: على جَميعهم.

وفي البخاري عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله : " **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِن الأنبياء قَبْلِي** " الحديث[2].

وعند البيهقي في السنن الكبرى، والطبراني في الكبير[3] عن أبي أمامة في مسنده عن النبي بلفظ: " **إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَنِي عَلَى الأَنْبِيَاءِ،** أَوْ قَالَ: **أُمَّتِي عَلَى الأُمَمِ، بِأَرْبَع** "[4].

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب قول النبي : " جُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مسجدًا وطهورًا "، رقم: 438 .

2 (?) كتاب الطهارة من صحيح البخاري، باب التيمم بعد دخول وقت الصلاة، رقم: 999 .

3 (?) مسند أبي أمامة من المعجم الكبير، رقم: 8001، والسنن الكبرى للبيهقي، برقم: 1098.

وهو عند الترمذي عن أبي أمامة بدون لفظ: أربع، (كتاب السير، باب ما جاء في الغنيمة، رقم: 1553)، وقال: حسن صحيح .

4 (?) فذكر أربعة من الخصائص السابقة .

وهذه الألفاظ تفيد أنَّ كثيرًا مما يُذكَر في كتب الخصائص كالخصائص الكبرى وغيره -وخصوصًا الصحيحة الأسانيد منها- يَدْخُل في باب الفضائل؛ ولعله -والله تعالى أعلم- لأنَّ التخصيص بالأُعطيات والْهِبات والْمِنَح دليلُ التفضيل **غالبًا**[1] .

وقد عدَّد النبيُّ في هذه الرواية ستة أمورٍ هي من خصائصه في ذاته أو في أمته، دون الأنبياء أو أُمَمِهم، في الدنيا أو في الآخرة. وفي بعض روايات الحديث كما عند البخاري وغيره: " **وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَة** ".

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه لرواية البخاري: « وَمَفْهُومه أَنَّهُ لَمْ يَخْتَصَّ بِغَيْرِ الْخَمْس الْمَذْكُورَة، لَكِنْ رَوَى مُسْلِم مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة مَرْفُوعًا " **فُضِّلْت عَلَى الأنْبِيَاء بِسِتٍّ** "، فَذَكَرَ أَرْبَعًا مِنْ هَذِهِ الْخَمْس، وَزَادَ ثِنْتَيْنِ -كَمَا سَيَأْتِي بَعْدُ، وَطَرِيق الْجَمْع أَنْ يُقَال: لَعَلَّهُ اِطَّلَعَ أَوَّلا عَلَى بَعْض مَا اِخْتَصَّ بِهِ، ثُمَّ اِطَّلَعَ عَلَى الْبَاقِي. وَمَنْ لا يَرَى مَفْهُوم الْعَدَد حُجَّةً يَدْفَع هَذَا الإِشْكَال مِنْ أَصْله. وَظَاهِر الْحَدِيث يَقْتَضِي أَنَّ كُلّ وَاحِدَة مِنْ الْخَمْس الْمَذْكُورَات لَمْ تَكُنْ لأَحَدٍ قَبْله، وَهُوَ كَذَلِكَ، ..».

وقال أيضًا بعدما أجاب عن جملة من الاعتراضات التي قد ترِد على بعض ما جاء في الحديث من الخصائص وأنَّها قد شارك النبيَّ فيها بعضُ الأنبياء عليهم السلام، وبعد ذكره –كذلك- اختلافات الروايات وأوجُه الجمع، قال -رحمه الله-: « (تَكْمِيلٌ): أَوَّل حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة هَذَا، " **فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ** " فَذَكَرَ الْخَمْس الْمَذْكُورَة فِي حَدِيث جَابِر إِلا الشَّفَاعَة، وَزَادَ خَصْلَتَيْنِ، وَهُمَا: " **أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّون** ". فَتَحْصُل

---

[1] (?) **مادة خصَصَ** في اللغة يدور معناها على ثلاثة أمورٍ، منها التخصيص بمعنى التفضيل، والثلاثة: 1- الانفراد. 2- الفضل. 3- التميز. وبناء على هذا فيُعرَّف بالخصائص النبوية: **بالفضائل والأمور التي انْفَرَدَ بِها النّبِيّ وامتاز بِها إما عن إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإمّا عن سائر البشر** (انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء –عرضٌ ونقدٌ على ضوء الكتاب والسنة، للدكتور الصادق، ص16).

مِنْهُ، وَمِنْ حَدِيث جَابِرٍ سَبْع خِصَال. وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا مِنْ حَدِيث حُذَيْفَة " **فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاثِ خِصَال: جُعِلَتْ صُفُوفنَا كَصُفُوفِ الْمَلائِكَة** "[1]، وَذَكَرَ خَصْلَة الأَرْض كَمَا تَقَدَّمَ. قَالَ: وَذَكَرَ خَصْلَة أُخْرَى، وَهَذِهِ الْخَصْلَة الْمُبْهَمَة بَيَّنَهَا ابْن خُزَيْمَةَ وَالنَّسَائِيُّ وَهِيَ: " **وَأُعْطِيت هَذِهِ الآيَات مِنْ آخِر سُورَة الْبَقَرَة، مِنْ كَنْز تَحْت الْعَرْش** "[2]. يُشِير إِلَى مَا حَطَّهُ اللَّهُ عَنْ أُمَّته مِنْ الإِصْر وَتَحْمِيل مَا لا طَاقَة لَهُمْ بِهِ، وَرَفْع الْخَطَأ وَالنِّسْيَان، فَصَارَتْ الْخِصَال: تِسْعًا. وَلأَحْمَد مِنْ حَدِيث عَلِيّ: " **أُعْطِيتُ أَرْبَعًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحدٌ مِنْ أَنْبِيَاء اللَّه: أُعْطِيت مَفَاتِيح الأَرْض، وَسُمِّيت أَحْمَد، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْر الأُمَم** "[3]، وَذَكَرَ خَصْلَة التُّرَاب؛ فَصَارَتْ الْخِصَال اِثْنَتَيْ عَشْرَة خَصْلَة. وَعِنْد الْبَزَّار مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَفَعَهُ: " **فُضِّلْت عَلَى الأَنْبِيَاء بِسِتٍّ: غُفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْر الأُمَم، وَأُعْطِيت الْكَوْثَر، وَإِنَّ صَاحِبكُمْ لَصَاحِبُ لِوَاء الْحَمْد يَوْم الْقِيَامَة؛ تَحْته آدَم فَمَنْ دُونه** "[4]، وَذَكَرَ ثِنْتَيْنِ مِمَّا تَقَدَّمَ. وَلَهُ مِنْ حَدِيث اِبْن عَبَّاس رَفَعَهُ: " **فُضِّلْت عَلَى الأَنْبِيَاء بِخَصْلَتَيْنِ: كَانَ شَيْطَانِي كَافِرًا فَأَعَانَنِي اللَّه عَلَيْهِ؛ فَأَسْلَمَ** "[5]، قَالَ: وَنَسِيت الأُخْرَى. **قُلْت:** فَيَنْتَظِم بِهَذَا سَبْع عَشْرَة

---

[1] (?) صحيح مسلم: في المساجد ومواضع الصلاة، رقم: 522 .

[2] (?) سنن الكبرى للنسائي: كتاب فضائل القرآن، الآيتان من آخر سورة البقرة، رقم: 8022، 8023، وصحيح ابن خزيمة: كتاب الوضوء، باب ذكر ما كان الله فضل به رسول على الأنبياء قبله وفضل أمته على الأمم السالفة قبلهم..، رقم: 263، وباب ذكر الدليل على أن ما وقع عليه اسم التراب فالتيمم به جائز ..، رقم: 264. وصحيح ابن حبّان: كتاب الصلاة، باب شروط الصلاة، رقم: 1697، وكتاب التاريخ، بابٌ مِن صفته ، رقم: 6400، قال شعيب الأرناؤوط: « إسناده صحيحٌ على شرط الصحيح ».

[3] (?) مسند عليٍّ مِن مسند الإمام أحمد: رقم: 1361، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: « **إسناده حسن** ».

[4] (?) مسند أبي هريرة مِن مسند البزّار، رقم: 8133 .

[5] (?) وجدت الحديث في مسند أبي هريرة مِن مسند البزّار، لا في مسند أنس ، رقم: 7826 .

خَصْلَة. وَيُمْكِنُ أَنْ يُوجَد أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ أَمْعَنَ التَّتَبُّع. وَقَدْ تَقَدَّمَ طَرِيق الْجَمْع بَيْن هَذِهِ الرِّوَايَات، وَأَنَّهُ لا تَعَارُضَ فِيهَا. وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو سَعِيد النَّيْسَابُورِيّ فِي كِتَاب شَرَف الْمُصْطَفَى أَنَّ عَدَد الَّذِي اِخْتَصَّ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ الأَنْبِيَاء سِتُّونَ خَصْلَة. وَفِي حَدِيث الْبَاب مِنْ الْفَوَائِد غَيْر مَا تَقَدَّمَ: مَشْرُوعِيَّة تَعْدِيد نِعَمِ اللَّه،..»[1].

وبإضافة ما اختصَت به أمَّتُه دون الأمم على ما اختص به ﷺ دون الأنبياء عليهم السلام تضَّاعف الخصائص. ومظانّ وجود ذلك الكتُب المؤلفة في الخصائص والفضائل[2].

ولقد قال ابن حزمٍ -رحمه الله تعالى- قبله، بعدما تكلم عن كفر مَن فضَّلَ أحَدًا مِن غير الأنبياء على نبيِّنا محمدٍ ﷺ، ذاكِرًا أفضليةَ الرّسول على الرّسل قبلَه عليهم الصلاة والسلام: « وأما فضلُ رسولِ الله ﷺ على كلِّ رسولٍ قبلَه فالثابت عنه ﷺ أنَّه قال: " **فُضِّلْت عَلَى الأَنْبِيَاء بِسِتٍّ**[3]" ورُوِي: " **بخمسٍ**[4]" وروي: " **بأربعٍ**[5]" وروي: " **بثلاثٍ**[6]" رواه جابر بنُ عبد الله، وأنس بنُ مالك، وحذيفة بنُ اليمان، وأبو هريرة -ﭫ- وبقوله ﷺ: " **أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم وَلا فَخْرَ** "[7]، وأنه ﷺ بُعث إلى الأحمر والأسود، وأنَّه ﷺ أكثر الأنبياء أتباعًا، وأنَّه ذو الشفاعة التي يحتاج إليه يوم القيامة فيها النّبيون فمَن

---

[1] فتح الباري، (ج1 / ص679) .

[2] للوقوف على ذلك أو بعضها يُراجع: كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي كلِّه، وبداية السول في تفضيل الرسول ﷺ لعِزِّ الدين ابن عبد السلام، وانظر: فصلاً خاصًا بالخصائص في مقدمة تهذيب الأسماء واللغات للنووي، (ج1/ص37-44)، ومختصر الفصول في سيرة الرسول ﷺ للحافظ ابن كثير، ص87-109، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ، (ج1/ص 439-519)، والباب الأول من كتاب خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، د. الصادق بن محمد، 26-65 .

[3] سبق تخريجه، بل هو حديث الباب .

[4] سبقت، وهي رواية البخاري عن جابر ﭬ للحديث .

[5] سبقت، وهي رواية علي وأبي أمامة رضي الله عنهما .

[6] سبقت، وهي رواية مسلم عن حذيفة ﭬ للحديث .

[7] سيأتي تخريجه.

دونهم، أماتنا الله على مِلَّته، ولا خالف بنا عنه، وهو أيضًا ﷺ[1] خليلُ الله، وكليمُه »[2].

وهذه الفضائل والخصائص التي أشار إليها ابنُ حزمٍ سبق ذكر كثيرٍ منها مُخرَّجةً من مصادرها موزّعة في البحث، والله الحمد، كما أنه ستأتى بعضها الأخرى إن شاء الله.

ولَمّا كان من الاعتبارات والأسباب التي تتفاضل بها الأعمال، ويتفاضل بتفاضُلها الأشخاص: **اعتبار تعدي نفعها للخلق وعدم ذلك**[3]**؛** فكان العمل المتعدي –بهذا- أفضل من القاصر -كما هو متقرِّرٌ في النصوص الشرعية، والاعتبارات المرعية-، وكان رسولُ الله ﷺ أنفعَ الرسل للخلق، وأشدهم لهم نصيحة، بل كان نفعه لنصف أهل الجنة كما ثبت عنه. بينما كان بعض الأنبياء يأتي يوم القيامة ومعه الرّجل والرجلان. بل ويأتي النّبِيُّ وليس معه أحدٌ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال**:** " **عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَم، فرأيت النّبِيَّ ومعه الرُّهَيط**[4]**، والنّبِيّ ومعه الرَّجُلُ وَالرَّجُلان، وَالنَّبِيِّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إذْ رُفع لي سوادٌ عظيمٌ فظننت أنَّهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى ﷺ وقومه، ولكن انظر إلى الأفق؛ فنَظَرْتُ؛ فإذا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر؛ فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: هذه أمَّتُك ومعهم سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُون الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عذابٍ، ..**" الحديث، متفق عليه[5].

---

[1] هكذا النّص، بإفراد السلام دون الصلاة، والمأمور به تجاهه ﷺ الجمع بين الاثنين.

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج3 /ص169) .

[3] انظر هذه القاعدة في الفصل العاشر من كتاب تجريد الاتباع في بيان أسباب تفاضل الأعمال، تأليف شيخنا أ. د. إبراهيم بن عامر الرحيلي، ص146-154 .

[4] **الرُّهَيط**: تصغير الرهط، وهي الجماعة من الثلاثة إلى العشرة، انظر: معجم المقاييس، مادة (رهط) ص427 .

[5] صحيح البخاري: كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، رقم: 5705، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حسابٍ... رقم: 220 .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي قال: " **يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ! قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ،** ﭼ ﭛ ﭜﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ [الحج: ٢]، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: " **أَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلا، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا** "، ثُمَّ قَال: " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " فَكَبَّرْنَا؛ فَقَالَ: " **أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّة** "، فَكَبَّرْنَا؛ فَقَالَ: " **أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " فَكَبَّرْنَا؛ فَقَالَ: " **مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَد** " متفق عليه[1].

وعن عبد الله بن مسعودٍ قال: كنا مع رسول الله في قُبَّةٍ نحوًا مِن أربعين رجلاً، فقال: " **أترضون أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟** " قال: قلنا: نعم؛ فقال: " **أترضون أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟** " فقلنا: نعم؛ فقال: " **والذي نفسي بيده! إني لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ وذَاكَ أنَّ الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمةٌ، و مَا أَنْتُمْ فِي أهل الشرك إلا كَالشَّعَرَةِ البيضاء فِي جِلْدِ الثَّوْر الأسود، أو كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثور الأحمر** " متفقٌ عليه[2].

فالذي نفع هؤلاء النصف من أهل الجنة، وكانوا كلّهم يوم القيامة في ميزان حسناته -من غير أنْ يُنقص لهم من أجورهم شيءٌ- أفضل من جميع المرسلين. وهو

---

[1] (?) صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم: 3348، وصحيح مسلم: الإيمان، باب قوله: " يقول الله لآدم أخرجْ بعث النار من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٍ وتسعين، رقم: 222 .

[2] (?) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم: 6528، وكتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبيِّ ؟ رقم: 6642 . وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، رقم: 221 .

القائل -فيما رواه أبو هُرَيْرَةَ عنه-: " **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا** .." الحديث. وقد انفرد بروايته مسلم عن البخاري[1].

قال عزُّ الدين ابن عبد السلام –رحمه الله- : « ومنها: -أي: من وجوه تفضيل الرسول على بقية المرسلين- أنَّ الله تعالى يكتب لكلِّ نبيٍّ من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته، وأحوالها، وأقوالها. وأمتُه شطْر أهل الجنة، وقد أخبر الله تعالى أنَّ أمته خير أمة أُخرجت للناس، وإنَّما كانوا خير أممٍ لِما اتَّصفوا به من المعارف والأحوال[2] والأقوال والأعمال. فما مِن معرفةٍ، ولا حالةٍ، ولا عبادةٍ، ولا مقالةٍ، ولا شيءَ مما يُتقرَّب به إلى الله تعالى مما دلَّ عليه رسول الله ودعا إليه، إلا وله أجره، وأجر من عمِل به إلي يوم القيامة، لقوله : " **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ أجره وأجر من عمِل به إلى يوم القيامة** " [3]. ولا يبلغ أحدٌ من الأنبياء إلى هذه الرتبة.
وقد جاء في الحديث: " **الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله** " [4]، فإذا كان قد نفع شطر أهلِ الجنة، وغيره من الأنبياء إنما نفع جزءًا من أجزاء الجزء الشطر الآخر، كانت منزلتُه في القرب قدر منزلتِه في النفع.
فما من عارفٍ من أمته إلا وله مثل أجر معرفته مضافًا إلى معارفه . وما من ذي حالٍ من أمته إلا وله مثل أجره على حاله مضمومًا إلى أحواله . وما من ذي مقالٍ يُتقرَّب به إلى الله إلا وله مثل أجر ذلك القول

---

1 (?) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم:2674 .

2 (?) هذان المصطلحان من مصطلحات أهل السلوك.

3 (?) سبق تخريج الحديث، وهو في صحيح مسلم.

4 (?) شعب الإيمان للبيهقي، (الشعبة 49)، رقم: 7445 عن ثابت البناني عن أنس، (ج6/ ص43-44)، والحديث بِهذا اللفظ ضعيفٌ، -كما قال الشيخ الألباني في الضعيفة، ومحقق الشعب- إلا أنَّ شطره الأخير له شاهدٌ بلفظ: " **خير الناس أنفعهم للناس** "، وهو مخرج في الصحيحة 427.

مضمومًا إلى مقالته وتبليغ رسالته. وما مِن عملٍ من الأعمال المقرِّبة إلى الله -- من صلاةٍ، وزكاةٍ، وعِتقٍ، وجهادٍ، وبِرٍّ، ومعروفٍ، وذِكرٍ، وصبرٍ، وعفْوٍ، وصفْحٍ إلاَّ وله مثل أجر عامله مضمومًا إلى أجره على أعماله. وما من درجةٍ علِيَّةٍ، ومرتبةٍ سَنيَّة نالَها أحدٌ من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضمومًا إلى درجته ومرتبته. ويتضاعف إلى ذلك. فإنَّ من دعا من أمته إلى هُدى، أو سَنَّ سُنَّةً حسنةً كان له أجر من عمِل بذلك على عدد العاملين، ثم يكون المضاعَف لنبيِّنا ؛ لأنَّه دلَّ عليه، وأرشد إليه. ولهذا بكى موسى -- ليلة الإسراء بكاءَ غِبطةٍ غَبَط بها نبيَّنا ؛ إذْ يدخل من أمته الجنَّة أكثر مما يدخل من أمة موسى ، ولم يبْكِ حسَدًا كما توهَّمه بعض الجَهَلة، وإنما بكى أسَفًا على ما فاته من مثل مرتبته»[1].

واستمرَّ قائلاً: « ومنها: أنَّ الله سبحانه أرسل كلَّ نبِيٍّ إلى قومه خاصةً، وأرسل نبيَّنا إلى الجنِّ والإنس. ولكلِّ نبيٍّ من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمته، ولنبيِّنا ثواب التبليغ إلى كلِّ من أرسل إليه؛ تارة بمباشرة البلاغ، وتارة بالتسبب إليه. ولذلك يمتنُّ عليه بقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [الفرقان: ٥١]، ووجه التمنُّن؛ أنَّه لو بعث في كلِّ قريةٍ نذيرًا لما حصل للرسول إلا أجر إنذاره لأهل قريته »[2].

وقال الشيخ عبد المحسن البدر -حفظه الله تعالى- في الفائدة السابعة عشرة من الفوائد العشرين التي استنبطها من حديث " **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى** " السابق: « أنَّ للرسول مثل أجور أمته من حين بعثه الله إلى قيام الساعة؛ لأنَّ كلَّ خيرٍ عرفتْه أمتُه إنَّما هو بدعوته وإرشاده صلوات الله وسلامه عليه، وإذًا فأيُّ إنسانٍ يحبُّ أنْ يَصِل إلى الرّسول زيادة ثوابٍ بسببه، فعليه...وعليه أن يفعل ما أرشد إليه من أفعال الخير، ويبتعد عما حذَّر منه من الشرِّ، ويتخذه الأسوة والقدوة فيما يأتي ويذر، فإنَّ الله

---

1 (?) بداية السول في تفضيل الرسول لعزِّ الدين، ط/دار المدينة، باعتناء:حسين محمد علي شكري(ص 13-15) .

2 (?) بداية السول، نفس المصدر، ص 15.

يثيب نبيَّه بمثل ثواب الذي وفقه الله للانتفاع بدعوته، والسير على نهجه ؛ لأنَّه هو الذي دلَّ أمته على كلِّ خيرٍ، وحذَّرها من كلِّ شرٍّ، ومن دلَّ على هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبِعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ...»[1] .

وكما نفع صحابتَه نفعًا دينيًّا ودنيويًّا، ونفَع مَن يأتون بعدهم عمومًا، وأنَّه ما مِن بابٍ من أبواب الخير والنفع إلا ضرب فيه الرسول بسهم، فكذلك نفَع أهلَه خصوصًا، بل هو خير الناس لأهله، تقول عائشة رضي الله عنها، قَالَ رَسُولُ اللَّه : "**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي** .." الحديث[2] .

بل مَن وقف على سيرته في بيته وهديه فيه، وخدمته لزوجاته، وملاطفة أولاده وأسباطه عرَف عَظَمَتَه ، ورأى العجب العجاب .

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفارينِي الحنبلي في عقيدته:

« وأفضل العالم من غير امتِرا ... نبيُّنا المبعوث في أمّ القُرى

وبعده الأفضل أهل العزم ... بالجزم[3] ».

---

[1] (?) عشرون حديثًا من صحيح مسلم؛ دراسة أسانيدها وشرح متونها لعبد المحسن العباد، (2/387-388).

[2] (?) جامع الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله ، باب فضل أزواج النبي ، رقم: 3895، وابن حبان: النكاح، باب معاشرة الزوجين -ذكر استحباب الاقتداء بالمصطفى للمرء في الإحسان إلى عياله إذْ كان خيرهم خيرهم لهن-، رقم: 4177، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني. وقد رواه ابن ماجه في كتاب النكاح من سننه، باب حسن معاشرة النساء، رقم: 1977، من حديث ابن عباس إلا أنَّ فيه عمارة بن ثوبان " قال البوصيري في الزوائد (ص ج 1/ص777 مع سنن ابن ماجه): « هذا إسناد ضعيفٌ، عمارة بن ثوبان ذكره ابن حبان في الثقات. وقال عبد الحق: ليس بالقوي... وجعفر بن يحيى ليس بالقوي الحال ... . وله شاهدٌ من حديث عائشة رواه الترمذي في جامعه وابن حبان في صحيحه ». قلت: وهو حديث الباب. وقد حكم على حديث ابن عباس هذا الشيخ شعيب بأنَّه حسن لغيره في تعليقه على ابن حبان.

[3] (?) الدرّة المضية في عَقد أهل الفرقة المرضية مع شرحها للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص563 .

وإنّ مما يدلُّ على عظيم قدر الرّسول عند الله أيضًا، وتفضيله على بقية رسله، مخاطبة الله لكلِّ نبِيٍّ ومناداته باسْمه؛ فنادى آدم باسمه فقال: ﭽ ﯖ ﭼ [الأعراف: ١٩]. ونادى نوحًا فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ[هود: ٤٦]. ونادى إبراهيم فقال: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ [الصافات: ١٠٤]. ونادى موسى فقال: ﭽ ﮬ ﮭ ﭼ [النمل: ٩]. ونادى زكريا فقال: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[مريم: ٧]. ونادى يحيى فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ[مريم: ١٢]. ونادى داود فقال: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ [ص: ٢٦]. ونادى عيسى فقال: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [المائدة: ١١٠]. ولم يخاطب نبيَّنا عليه الصلاة والسلام ولا ناده باسْمه العَلَم؛ تعظيمًا له، بل قال: ﭽ ﮃ ﮄ ﭼ[المائدة: ٤١ و67]. ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ [1].

ويتكلم شيخ الإسلام –رحمه الله- في تعزير النّبِيّ وتوقيره، فقال: **ومن ذلك:** أنّه خَصّه في الْمخاطبة ِبما يَليق به، فقال: ﭽﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﭼ [النور: ٦٣]. فنَهَى أنْ يَقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نِبيّ الله، وكيف لا يُخاطبونه بذلك، والله سبحانه وتعالى أكْرَمَه في مخاطبته إياه ِبما لم يُكرِم به أحَدًا من الأنبياء، فلم يَدْعُه باسْمه في القرآن قط، بل يقول: ﭽﮚﮛﮜﮝﮞﮟﭼ [الأحزاب: ٥٠]. ﭽﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﭼ [المائدة: ٦٧]. ﭽﭑﭒﭼ [المزمل: ١]. ﭽﮩﮪﭼ [المدثر: ١]. مع أنه سبحانه قد قال: ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﭼ [البقرة: ٣٥]. ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭼ [هود: ٤٦]. ﭽﮆﮇﮈﮉﮊﭼ [هود: ٧٦]. ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭼ [الأعراف: ١٤٤]. ﭽﯯﯰﯱﯲﯳﯴﭼ [ص: ٢٦]. ﭽﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﭼ [المائدة: ١١٠][2].

كما ذكَر عزُّ الدين ابن عبد السلام قبله وجهًا عاديًّا وعقليًّا لتفضيل نبيِّنا محمدٍ في هذه الصورة على بقية الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في كتابه الماتع في الباب، فقال -رحمه الله تعالى-: « ولا يَخفى على أحَدٍ أنَّ

---

[1] (?) اقرأ هذه الآيات: في سورة الأنفال: ٦٤، و65، و70. وفي التوبة: 73، وفي الأحزاب: ١، و28، و45، و50، و59. وفي الممتحنة: ١٢، وفي أول الطلاق، وفي أول التحريم، وفي آخره: 9.

[2] (?) انظر:الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص366،والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي، ص362وما بعدها.

السيِّد إذا دعا أحدَ عبيدِه بأفضل ما وُجد فيهم من الأوصاف العليَّة، والأخلاق السّنيّة، ودعا آخرين بأسْمائهم الأعلام، لا تُشعِر بوصفٍ من الأوصاف، ولا بخلقٍ من الأخلاق، أنَّ منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعزّ عليه، وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلَم. حتى قال القائل:

لا تدعُني إلا بـ"**يا عبدَها**" «.[1]

وذكر ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- أنَّه لما ذكر الله اسم نبيِّنا محمدٍ ﷺ للتعريف قرَنَه بذكر الرسالة فقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﭼ [آل عمران: ١٤٤]. ﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ[الأحزاب: ٤٠]. ﭽ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭼ[الفتح: ٢٩]. ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ [محمد: ٢]. ولما ذكره مع الخليل إبراهيم عليهما السلام ذكر الخليل باسْمه، وذكَر محمدًا باللقب، فقال: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [آل عمران: ٦٨] [2] . وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الآية. أنَّه قد كان الأنبياء يجادلون عن أنفسهم؛ يقول قوم نوحٍ ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [الأعراف: ٦٠]، فقال دافعًا عن نفسه: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ [الأعراف: ٦١]. وقال قوم هودٍ: ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ [الأعراف: ٦٦]، فقال: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ[الأعراف: ٦٧]. وقال فرعون لِموسى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [الإسراء: ١٠١]، فقال موسى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ [الإسراء: ١٠٢]. فتولى الله ﷻ المجادلة عن نبيِّه ﷺ فلما قالوا: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [الأنبياء: ٥]، قال الله تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ [يس: ٦٩]. وقالوا: (كاهن) فقال الله تعالى: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ [الحاقة: ٤٢]. وقالوا: (ضال)؛ فقال الله تعالى: ﭽ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ [النجم: ٢]. وقالوا: (مجنون)؛ فقال تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[القلم: ٢][3].

** ** **

[1] (?) بداية السول في تفضيل الرسول، ص 12.

[2] (?) انظر: الوفا بأحوال المصطفى، ص362-363.

[3] (?) الوفا بأحوال المصطفى، (ص 363) بتصرف، وانظر: خصائص المصطفى بين الغلو الجفاء، ص36 .

المطلب الثاني: أهل السنة يعتقدون أنّ رسولنا محمدًا سيّدُ الخلق أجمعين:

تقدم في المطلب السابق القول بأن رسولنا أفضل المرسلين، وأما هذا المطلب فلبيان اعتقاد أهل السنة في أنّه سيِّد ولد آدم أجمعين، وذلك لِما روَى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ القَبر، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ** "[1].

وقد عُقد للحديث في صحيح مسلم بن الحجاج بَابٌ عُنوانه: باب تَفْضِيل نَبِيِّنَا عَلَى جَمِيعِ الْخَلائِقِ.

ونظير أوّل الحديث ما جاء في أول حديث الشفاعة الطويل، وهو قوله : " **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِك؟** "الحديث[2].

قال العزُّ ابن عبد السلام -رحمه الله-: « والسيِّد الذي اتصف بالصفات العلية، والأخلاق السنية، وهذا مشعِرٌ بأنَّه أفضل منهم[3] في الدارين »[4].

وقال النووي -رحمه الله- في شرح الحديث: « وَقَوْله : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ " لَمْ يَقُلْهُ فَخْرًا، بَلْ صَرَّحَ بِنَفْيِ الْفَخْرِ فِي غَيْر مُسْلِم فِي الْحَدِيث الْمَشْهُور " **أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم وَلا فَخْرَ** "[5]، وَإِنَّمَا قَالَهُ **لِوَجْهَيْنِ: أَحَدهمَا:** امْتِثَال قَوْله تَعَالَى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ[الضحى:

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَاب تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا عَلَى جَمِيعِ الْخَلائِقِ،رقم: 2278. (وانظر شرح الحديث: عشرون حديثًا من صحيح مسلم؛دراسة أسانيدها وشرح متونها،للشيخ عبد المحسن البدر، ص 438-444).

[2] صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [الإسراء: ٣]، رقم: 4712، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلاً فيها، رقم: 194 .

[3] يريد مِن هذا الضمير: بقيَّةَ الأنبياء والمرسلين –صلوات ربِّي وسلامه عليهم أجمعين-.

[4] بداية السول في تفضيل الرسول ، ص 9 .

[5] جامع الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم: 3148، وكتاب المناقب، باب: في فضل النبي ، رقم: 3615. وقد صححه الترمذي والألباني لشواهده، وإن كان في سنده: علي بن زيد بن جدعان الضعيف، (الترمذي مع التحفة، ج2 / 2291، والتقريب، رقم الترجمة: 4734).

١]. **وَالثَّانِي:** أَنَّهُ مِنْ الْبَيَان الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ تَبْلِيغه إِلَى أُمَّته لِيَعْرِفُوهُ، وَيَعْتَقِدُوهُ، وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ، وَيُوَقِّرُوهُ ﷺ بِمَا تَقْتَضِي مَرْتَبَتُهُ، كَمَا أَمَرَهُمْ اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا الْحَدِيث دَلِيل لِتَفْضِيلِهِ ﷺ عَلَى الْخَلْق كُلِّهِمْ؛ لأَنَّ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة أَنَّ الآدَمِيِّينَ أَفْضَل مِنْ الْمَلائِكَة [1]، وَهُوَ ﷺ أَفْضَل الآدَمِيِّينَ وَغَيْرهمْ. وَأَمَّا الْحَدِيث الآخَر: " **لا تُفَضِّلُوا بَيْن الأَنْبِيَاء** "[2]، **فَجَوَابه مِنْ خَمْسَة أَوْجُه**: **أَحَدها**: أَنَّهُ ﷺ قَالَهُ قَبْل أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيِّد وَلَد آدَم، فَلَمَّا عَلِمَ أَخْبَرَ بِهِ. **وَالثَّانِي**: قَالَهُ أَدَبًا وَتَوَاضُعًا. **وَالثَّالِث**: أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ تَفْضِيلٍ يُؤَدِّي إِلَى تَنْقِيص الْمَفْضُول. **وَالرَّابِع: إِنَّمَا** نَهْيٌ عَنْ تَفْضِيلٍ يُؤَدِّي إِلَى الْخُصُومَة وَالْفِتْنَة كَمَا هُوَ الْمَشْهُور فِي

---

[1] الحقيقة أنَّ السكوت عن مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر أولى؛ إذْ إنَّ أدلتها متكافئة، وليست نظيرة مسألة المفاضلة بين الأنبياء بعضهم على بعض. وصحيحٌ أنَّ الذي نُسب إلى أهل السنة القول به هو: تفضيل صالحي البشر على الملائكة، كما قال الشيخ هنا؛ قال شيخ الإسلام: « وقد ذكر جماعةٌ من المنتسبين إلى السنة أنَّ الأنبياء وصالح البشر أفضل من الملائكة، وذهَبَت المعتزلة إلى تفضيل الملائكة على البشر. وأتباع الأشعري على قولين؛ منهم مَن يُفضل الأنبياء والأولياء. ومنهم مَن يقف ولا يقطع فيهما بشيءٍ. وحُكي عن بعض متأخريهم أنَّه مال إلى قول المعتزلة، وربما حكي ذلك عن بعض من يدَّعى السنة ويواليها. ... وكنت أحسِب أنَّ القول فيها مُحدَثٌ حتى رأيتها أثَريةً سلفيةً صحابيةً فانبَعَثَتِ الْهِمّةُ إلى تحقيق القول فيها؛ فقلنا حينئذٍ بما قاله السلف؛ فروى أبو يعلى الموصلي في كتاب التفسير المشهور له عن عبد الله بن سلام -ﷺ-... قال: **ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمدٍ** -ﷺ- الحديث عنه. قلت: **ولا جبرائيل ولا ميكائيل**؟، قال: **يا ابن أخي أوَ تدري ما جبرائيل وميكائيل؟ إنَّما جبرائيل وميكائيل خلق مسخَّرٌ مثل الشمس والقمر، وما خلق الله تعالى خلقًا أكرم عليه من محمدٍ** » (الفتاوى، ج4 / 357،) وانظر المسألة مبسوطة في (الفتاوى السابق من ص 350ـ392)، ومختصرة في شرح الطحاوية لابن أبي العزِّ (ج2 / 462ـ474 مع ذكر أدلة كلِّ فريقٍ). وأما التوقف الذي أشرت إليه بالسكوت، فهو الذي رجحه الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- في شرحه للعقيدة السفارينية، ص 653ـ659 ، وذكر أنَّ الذي يقول به: هو التوقف في المسألة؛ وقال: « ليتَ أنّ المؤلف رحمه الله لم يَعْقِده » يعني: فصلَ المفاضلة بين الملائكة والبشر، خلافًا لقول شيخ الإسلام الذي هو التفصيل. والله أعلم.

[2] صحيح البخاري: باب قول الله تعالى ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ [الصافات: ١٣٩] ، رقم: 3414، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم: 2373 .

سَبَب الْحَدِيث. **وَالْخَامِس**: أَنَّ النَّهْيَ مُخْتَصٌّ بِالتَّفْضِيلِ فِي نَفْس النُّبُوَّة؛ فَلا تَفَاضُلَ فِيهَا، وَإِنَّمَا التَّفَاضُل بِالْخَصَائِصِ وَفَضَائِل أُخْرَى. وَلا بُدَّ مِن اعْتِقَادِ التَّفْضِيل، فَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭼ [البقرة: ٢٥٣] »[1].

وعلى الوجه الأول السابق يكون القرآن ناسخًا للمنع من التفضيل، ومعلومٌ أنَّه لا يُصار إلى النسخ إلا عند تعذُّر الجمع، ولعلَّ ذلك هو سبب قول ابن كثيرٍ -رحمه الله-:« وهذا فيه نظر »[2].

وقد قيل في أوجه الجمع: أنَّ النهي اقتَضَى منع إطلاق التفضيلِ باللفظ، لا منع اعتقاد ذلك المعنى؛ فيُعتقد المعنى عملاً بما تضمنه القرآن من التفضيل، ولا يُطلق اللفظ، وهذا **الوجه السادس**، ويرجع أصلُه إلى الوجه الثالث. **والوجه السابع**: إنَّ النصوص تقتضي التفضيل الجُملِي دون تعيين أحدٍ مفضولٍ، ولهذا قال: " **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ** "[3] ولم يعيِّن، وقال في النهي عن التفضيل الخاص: " **لا تُفضِّلوني على موسى** "[4]، وقال: " **لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى** "[5]، وقد أجاب بِهذا الطحاويُّ -رحمه الله. وزاد الحافظ ابن كثيرٍ -رحمه الله- وجهين، هما: **الثامن:** لا تفضِّلوا بمجرد الآراء والعصبية. **والتاسع:** أنَّه ليس مقام التفضيل إليكم، إنَّما هو إلى الله، وعليكم الإيمان به، والتسليم له. **والوجه العاشر**: إنَّ المنهي من التفضيل هو التفضيل بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يُترك للمفضول فضيلة[6].

---

1 (?) المنهاج للنووي، ص 1413 .

2 (?) تفسير القرآن العظيم، (1/397).

3 (?) سبق عزوه إلى مصادره .

4 (?) صحيح البخاري: كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي، رقم: 2411، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ، رقم: 2373 .

5 (?) صحيح البخاري: باب قول الله تعالى**:** ﭽ ﮪ   ﭼ [طه: ٩]، رقم: 3395، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب ذكر يونس **...،** رقم: 2377 **.**

6 (?) وانظر مسألة تفضيل الرسل بعضهم على بعضٍ، والجمع بين نصوص الباب، في الجامع لأحكام القرآن، (ج4 /ص 253-257)،

وقد جاء في جملةٍ مِن الأحاديث ما يدلُّ على أنَّ النبِيَّ هو الأكرم على الله مِن ولَد آدم، وقد أورَد بعضها الترمذي –رحمه الله- في بَاب فِي فَضْلِ النَّبِيِّ من كتاب المناقب[1]، منها أنّه لَما اسْتَصْعَبَ عَلَى النبيّ الْبُرَاق ليلة أسري به قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : (أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا، فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، قَالَ: فَارْفَضَّ عَرَقًا)[2].

أما تقييد السيادة بيوم القيامة في الحديث السابق، فقد قال النووي –رحمه الله-: « وَأَمَّا قَوْله : " **يَوْم الْقِيَامَة** " مَعَ أَنَّهُ سَيِّدهمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، فَسَبَبُ التَّقْيِيد أَنَّ فِي يَوْم الْقِيَامَة يَظْهَرُ سُؤْدُده لِكُلِّ أَحَدٍ، وَلا يَبْقَى مُنَازِع، وَلا مُعَانِد، وَنَحْوه، بِخِلافِ الدُّنْيَا؛ فَقَدْ نَازَعَهُ ذَلِكَ فِيهَا مُلُوكُ الْكُفَّار وَزُعَمَاء الْمُشْرِكِينَ. وَهَذَا التَّقْيِيد قَرِيب مِنْ مَعْنَى قَوْله تَعَالَى: ﴿ ... ﴾ [غافر: ١٦] مَعَ أَنَّ الْمُلْكَ لَهُ سُبْحَانه قَبْل ذَلِكَ، لَكِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مَنْ يَدَّعِي الْمُلْكَ، أَوْ مَنْ يُضَافُ إِلَيْهِ مَجَازًا، فَانْقَطَعَ كُلّ ذَلِكَ فِي الآخِرَة »[3].

وأُعلِّق على كلام النووي بأنَّه قد نازع النبِيَّ في سيادته وأفضليته، بل ورسالته بعضُ مَن انتسب إلى الإسلام -وهو من الإسلام بريء- كما سبق في فصل البابيّة والبهائيّة[4] في الباب الثالث من هذا البحث. وقد كان هذا النوع من الجفاء بتفضيل أحدٍ على الرسول

وتفسير القرآن العظيم، (ج1 / ص 397)، وأضواء البيان، (ج1 / ص 264ـ267)، وشرح ابن أبي العزِّ للطحاوية، (ج1/ص242-247)، وفتح الباري، (ج2/ 2513-2514)، وشرح العقيدة السفارينية لابن العثيمين، ص 563-568).

1 (?) قف على أحاديث فضائل النبي وكرامته على الله (جامع الترمذي، ج2/ ص2534-2539، مع شرحها في تحفة الأحوذي).

2 (?) رواه الترمذي في: كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم: 3131، وأحمد في مسند أنسٍ ، رقم: 12694 وابن حبان في المقدمة، في كتاب الإسراء، -ذكر استصعاب البراق عند إرادة ركوب النبي - إياه، رقم: 46، وقال الترمذي: « حديث حسن غريبٌ »، وصحَّحه غيرُه.

3 (?) النووي، مصدر سابق.

4 (?) سبق التعريف بكل فرقة في تمهيد فصلها الخاص بها في الباب السابق (الثالث).

موجودًا عند بعض فِرَق الشيعة والصوفية والفلاسفة[1]؛ حيث فضَّلوا بعض الأئمة والأولياء والفيلسوف عليه – صلوات ربِّي وسلامه عليه وآله وصحبه-، بل هو الذي مهّد الطريق لأولئك. وقد تقدم كُلّ هذا مُفصّلا في الفصول الخاصة بالمخالفين. والله تعالى المستعان.

أما أهل السنة فاعتقدوا ما جاءت النصوص به من تفضيله على الأنبياء والمرسلين فضلاً عن مَن دونَهم من العالَمين، في الدنيا، وفي الآخرة، حيث يَرغبُ إلى النبِيِّ الخلقُ كلُّهم حتى إبراهيم [2]، فيكون آدم ومن دونه تحت لوائه كما جاء عند الترمذي في إحدى طرُق حديث الشفاعة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ؛ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلا فَخْرَ ... إلى أنْ قَالَ: فَيَأْتُونَنِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ ... فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا**[3] **فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي وَيُرَحِّبُونَ بِي، فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا؛ فَأَخِرُّ سَاجِدًا فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ مِنْ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ؛ فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ** ..." الحديث[4].

---

[1] سبق التعريف بكل فرقة.

[2] إشارة إلى حديث مسلم الذي رواه عن أُبَيٍّ في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، وأنَّ النبيَّ قيل له -بعدما أعطاه الله تعالى السبعة الأحرف-: إنَّ له بكلِّ رَدَّةٍ رُدَّهَا مسألةً مُجابةً قطعًا، فسأل الأولى والثانية المغفرة لأمته... وأخَّر الأخيرة ليومٍ يرغب إليه الكلُّ حتى إبراهيم. وعدد الردات أربع -على ما جاء في إحدى الروايات-.

[3] **أُقَعْقِعُهَا**: أي: أُحرِّكها لتصوت، والقعقعة حكاية حركة الشيء يسمع له صوتٌ، قاله المباركفوري، (ج2/ ص 2299).

[4] جامع الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم: 3148، وقال الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح »، وصححه الشيخ الألباني، وقد سبق تخريجه.

تنبيهٌ في إزالة ما قَد يُشْكِل:

تقرر أنّ النبِيّ سيّد ولد آدم أجمعين، أما ما جاء من قوله فيما رواه عنْه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلا -وفي رواية: أنَّ أناسًا قالوا: يا رسول الله- قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! يَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا! وَخَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ؛ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ ** "[1].

وجاء مثله وشاهدٌ له عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، قال: « انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: " **السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** "، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلا، فَقَالَ: " **قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ** " [2].

حيث ذكَر الرّسول أنّ السَّيِّد اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى = فلا ينفي ما تقرر في هذا المطلب؛ وذلك لأنّه قد بلغ في الحيطة لِهذا التوحيد والحماية لجانبه مبلغًا عظيمًا؛ فنَهى عن الألفاظ والأقوال التي قد تُضعف كماله، ... ومن المعلوم أنَّ الصحابة هنا لم يقولوا فيه إلا حقًا؛ إذْ هو أفضلهم، وخيرهم، وأعظمهم، بل وسيِّد ولد آدم

---

[1] (?) سنن النسائي في الكبرى، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيِّدنا وسيِّدي، رقم: 10077، وأحمد: في مسند أنس رقم: 12573، 13553 (بسندٍ ضعيفٍ)، ثم 13621، والحاكم: معرفة الصحابة، باب: أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن علي الشهيد رضي الله عنهما ابن فاطمة بنت رسول الله و على آله، رقم: 4825، وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعدما أورد الحديث: رواه النسائي بسندٍ جيِّد، (وانظر: كتاب التوحيد، باب: ما جاء في حماية النبيِّ حمى التوحيد، وسدِّه طرق الشرك، ص 339، ضمن الجامع للمتون العلمية للشمراني).

[2] (?) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح، رقم: 4806، والبخاري في الأدب المفرد: باب هل يقول سيدي، رقم: 211، والنسائي في الكبرى، عمل اليوم والليلة، باب: ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيدنا وسيدي، رقم: 10074، والحديث صحيح، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ـ ص 329 رواه أبو داود بسند جيد).

أجمعين، لكن قال : " **وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ** "، وقال: " **قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ** "، وقال: " **وَاللَّهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ** "، وما قال كلَّ هذا ونوَّع في الأساليب إلا صيانة لجناب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ومنعًا لِمدح الناس على وجوههم وغير ذلك[1] . ولِهذا جاء في عون المعبود « قَالَ السُّيُوطِيُّ: قَالَ الْخَطَّابِيُّ: قَوْله : " **السَّيِّد اللَّه** " أَيْ: السُّؤْدُد كُلّه حَقِيقَة لِلَّهِ ، وَأَنَّ الْخَلْق كُلّهمْ عَبِيد اللَّه، وَإِنَّمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَدْعُوهُ سَيِّدًا مَعَ قَوْله: " **أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم**[2] " لأَنَّهُمْ قَوْم حَدِيث عَهْد بِالإِسْلامِ، وَكَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّ السِّيَادَة بِالنُّبُوَّةِ كَهِيَ بِأَسْبَابِ الدُّنْيَا. وَكَانَ لَهُمْ رُؤَسَاء يُعَظِّمُونَهُمْ وَيَنْقَادُونَ لأَمْرِهِمْ. وَقَوْله: "**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ**" أَيْ: قُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ دِينكُمْ وَمِلَّتكُمْ، وَادْعُونِي نَبِيًّا وَرَسُولا؛ كَمَا سَمَّانِي اللَّه تَعَالَى فِي كِتَابه، وَلا تُسَمُّونِي سَيِّدًا كَمَا تُسَمُّونَ رُؤَسَاءَكُمْ وَعُظَمَاءَكُمْ، وَلا تَجْعَلُونِي مِثْلهمْ؛ فَإِنِّي لَسْت كَأَحَدِهِمْ؛ إِذْ كَانُوا لَيسُودُونكُمْ فِي أَسْبَاب الدُّنْيَا، وَأَنَا أَسودكُمْ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَة؛ فَسَمُّونِي نَبِيًّا وَرَسُولا. وَقَوْله: "**أَوْ بَعْض قَوْلكُمْ**" فِيهِ حَذْف وَاخْتِصَار، وَمَعْنَاهُ دَعُوا بَعْض قَوْلكُمْ وَاتْرُكُوهُ، وَاقْتَصدُوا فِيهِ؛ بِلا إِفْرَاط، أَوْ دَعُوا سَيِّدًا وَقُولُوا نَبِيًّا وَرَسُولا »[3].

ولقد قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ -رحمه الله- في الآخِرين شارحًا للحديث كلامًا محرَّرًا في ذكر بعض أوجه الجمع: « وفي هذا الحديث نَهى عن أنْ يقولوا: أنت سيّدنا، وقال: " **السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** "، ونَهاهم أن يقولوا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، وقال: " **لا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ** "، وكذلك قوله في حديث أنس: أنَّ أناسًا قالوا: يا رسول الله- يَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا! ... إلى إلخ. كره أن يواجهوه بالمدح؛

---

[1] (?) انظر: عون المعبود، ص 2085.

[2] (?) هذا الحديث في الصحيحين، وقد سبق تخريجه قريبًا، في أول هذا المطلب.

[3] (?) عون المعبود، شرح حديث رقم: 4806، ص2085 .

فيُفضي ِبهم إلى الغلوِّ، وأخبر أنَّ مواجهة المادح للممدوح بمدحه -ولو بما هو فيه- مِن عمَل الشيطان؛ لِما تقضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد؛ فإنَّ العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غاية الذُلِّ في غاية المحبة، وكمال الذُّل يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالى، وأنْ لا يَرَى نفسَه إلا في مقام الذمّ لَها، والمعاتبة لَها في حق ربّه، وكذلك الْحُبّ لا تحصل غايتُه إلا إذا كان يُحبّ ما يحبه الله، ويكرَه ما يكرَهُه الله من الأقوال والأعمال والإرادات. ومحبة المدح من العبد لنفسه تخالف ما يحبه الله منه، والمادح يَغُرُّه من نفسه فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة الْمدح رأسًا، والنهي عنه صيانةً لِهذا المقام، فمتى أخلَصَ العبد الذلّ لله، والْمحبة له، خلُصت أعمالُه وصحَّتْ، ومتَى أدْخَل عليها ما يشوبُها من هذه الشوائب دخَل على مقام العبودية بالنّقص أو الفساد، وإذا أدّاه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها، وقع في أمرٍ عظيمٍ ينافي العبودية الخاصة؛ كما في الحديث: " **الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي شَيئًا مِنْهَا عَذَّبْتُهُ** "[1]. وفي الحديث " **لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ** " [2]. وهذه الآفات قد تكون محبة المدح سببًا لَها، وسُلَّمًا إليها، " **والعجب يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَب** "[3]. وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن يُنَزِّل الممدوح منـزلةً لا يستحقها، كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلوِّ الذي نَهى عنه الرسول وحذَّر أمته أن يقع منهم، فقد وقع

---

1 (?) روى الحديث مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، رقم: 2620 .

2 (?) روى الحديث مسلم في صحيحه عن ابن مسعود ، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم: 91 .

3 (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان من قول يحيى بن معاذ، فصل في الطبع على القلب أو الرين، تحت الشعبة السابعة والأربعون من شعب الإيمان الذي هو باب في معالجة كل ذنب بالتوبة، رقم: 7248 .

الكثير منه حتى صرَّحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شيءٍ من ذلك. والنبيُّ لَمّا أكمل الله له مقام العبودية صار يَكرَه أن يُمدح صيانةً لِهذا المقام، وأرشد إلى ترك ذلك نصحًا لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يُفسده أو يُضْعِفه من الشرك ووسائله. ﭽﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [البقرة: ٥٩]، ورَأَوا أنَّ فعل ما نَهاهم عن فعله قربةً مِن أفضل القُرُبات، وحسنةً من أعظم الحسنات »[1].

وقال مبيِّنًا حكم إطلاق السيِّد على المخلوق عمومًا، ومحقِّقًا القول في مسألتنا -ناقلاً عن العلامة ابن القيِّم رحمه الله أكثر كلامه-: « وأما تسمية العبد بالسّيد؛ فاختلف العلماء في ذلك: قال العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد:[2] (**اختلف الناس** في جواز إطلاق السيِّد على البشر؟ فمَنَعَه قومٌ، ونُقِل عن مالكٍ، واحتجوا بقول النِبيّ لَمّا قيل له: يا سيّدنا، قال: " **السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ". وجَوَّزَه قومٌ، واحتجوا بقول النِبيّ للأنصار: " **قوموا إلى سيدكم** [3] "، وهذا أصح من الحديث الأول. قال هؤلاء: السّيد أحد ما يضاف إليه؛ فلا يقال للتميمي سيّد كندة، ولا يقال: الملك سيّد البشر، قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم؛ وفي هذا نظر؛ فإن السّيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منـزلة المالك، والمولى، والرب، لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق. انتهى. قلت: فقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ   ﭼ [سورة الأنعام: ١٦٤]، أي: إلَهًا وسيّدًا، وقال في قول الله تعالى: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ، (**إنه السّيد الذي كمُل في**

---

[1] (?) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، بتحقيق محمد حامد الفقي، ص 575-577.

[2] (?) كلام ابن القيم موجود في بدائع الفوائد (ج3/1158-1175)، بتحقيق علي بن محمد العمران.

[3] (?) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاستئذان، باب قول النبي : "قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُم"، رقم: 6262، وأخرجه مسلم: في جواز قتال من نقض العهد..، رقم: 1768 .

جميع أنواع السُؤدَد[1])، وقال أبو وائل: (**هو السيّد الذي انتهى سؤدده**[2])، وأما استدلالهم بقول النبِيّ للأنصار: " **قوموا إلى سيدكم** " فالظاهر أنّ النبِيّ لم يواجه سعدًا به، فيكون في هذا المقام تفصيل »[3].

وعلى هذا فالرسول منعَ هؤلاء من إطلاق السيّد له، مع أنّه سيّد ولد آدم صيانةً للتوحيد، أو لأنّهم واجهوه بِهذا المدح، أو لكليهما. والله تعالى أعلم.

ويتلخص من المبحث ثلاثةُ أمور:

الأمر الأول: أنَّ التفضيل والتفاضل بين الأنبياءِ والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- خصوصًا، وغيرِهم عمومًا موجودٌ وثابتٌ شرعًا، ومبناه على النصِّ دون الهوى والتَّشهِّي، وقد كان الله فضَّل ﭽ ﮪ   ﭼ [الإسراء: ٥٥]، وقال في تفضيل الرسل بعضهم على بعضٍ -وهو أصدق القائلين-: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ الآية. [البقرة: ٢٥٣]. وكان نبيُّنا محمد سيّد ولد آدم أجمعين، كما أنّه أفضل المرسلين -على الإطلاق. ثم إبراهيم ثم موسى ثم نوح وعيسى عليهم السلام، ثم بقية المرسلين، ثم الأنبياء[4]. وإذا كان التفضيل حصَل على وجهٍ يُؤدِّي إلى التنقيص بالمفضول، أو إلى الشحناء والعداوة فإنَّه لا يجوز عمَلاً بالحديث المتفق عليه السابق التخريج .

الأمر الثاني: تفضيل الله نبيَّنا محمدًا على بقية الرسل زيادة اصطفاءٍ منه سبحانه إياه وتقريبه إليه، وهو راجعٌ عند استقراء نصوص الفضائل والخصائص إلى: المِنَح والمواهب الربَّانية، والاختصاصات الرَّحمانيَّة، وإلى تكميل عبوديته لربه، وزيادة اتصافه بجميع أوجه الكمالات من الأخلاق والأقوال والأعمال[5]، والنفع العميم،

---

1 (?) سبق الأثر في الفصل الأول من الباب الأول.

2 (?) سبق الأثر في الفصل الأول من الباب الأول.

3 (?) فتح المجيد، مصدرٌ سابقٌ، ص 575 ـ 577.

4 (?) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (ج2/ص312-313)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، (ج2/ص474).

5 (?) ذكر الماوَردي -رحمه الله- في الباب الذي عقد لبيان شرف أخلاق الرسول وكمال فضائله، أنَّ الكمال المعتبر في البشر يكون من

مما جعله أهلاً لذلك، فهذا -وربِّ العزَّة- ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ [الجمعة: ٤]. قال ابن قتيبة –رحمه الله-: « وليس ما أعطاه لنبينا محمدٍ من السؤدَد والفضل يوم القيامة على جميع الأنبياء والرسل بعمَله، بل بتفضيل الله إياه، واختصاصه له »[1]. والله أعلم.

الأمر الثالث: قد ظهرت وسطية أهل السنة في هذا المطلب، كما في غيره، مع الإشارة إلى الجفاة الحقيقيين للنبي مِن الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام التي خالفت في هذه المسألة؛ حيث فضّلت طائفة من الصوفية الولي على النبي، وطائفة من الفلاسفة الفيلسوف على النبي، والشيرازي والمازندراني –رأسَي فرقتَي البابية والبهائية- نفسَيْهما على رسولنا عليه الصلاة والسلام. وقد سبق الكلام عن ذلك مفصَّلاً في فصول باب مواقف الفرق منه .

** * **

أربعة أوجه: كمال الخَلْق، وكمال الخُلُق، وفضائل الأقوال، وفضائل الأعمال. وهذه عند الذين كتبوا في الشمائل والخصائص والفضائل النبوي أنَّ الكمال البشري لا يخرج عنها شريطة تقييد الأوَّلَين بلفظة ((كمال))، والأخيرين بلفظة: ((فضائل))، وهو صنيع الماوردي الذي أشرت إليه في ابتداء الكلام. ثم إنَّه -رحمه الله- فصَّل في كلِّ واحدة من الأمور الأربعة، وذكر بماذا يكون؟ وانظره من ص 215 ـ 232 من كتابه أعلام النبوة، له. ونقلاً عنه في: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ج1/439 ـ 447).وتقدم بسطه في فصل كمال عبوديته لربه، في باب مقام العبودية لنبينا محمدٍ .

[1] (?) نقله عنه القرطبي في: الجامع لأحكام القرآن (ج4/ص254).

المبحث السادس: أهل السنة يعتقدون أنّ العبد الرّسول محمدًا خاتمُ الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام[1]:

تقدم في الباب الثاني معنى ختم النبوة، وأنه: **انتهاء إنباء الله للناس، وانقطاع وحي السماء**، وأنّ رسولنا محمدًا به خُتِم النبوة والرسالة، كما تقدمت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والإجماع، وأبرز هذه النصوص قوله : " **أَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّين** "[2]. وقوله: " **وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ** "[3]. وقوله: " **.. فَإِنِّي آخِرُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّهُ آخِرُ الْمَسَاجِد فإنِّي آخرُ الأنبياء، وإنَّ مسجدي آخرُ المساجد** "[4]. وقوله: " .. **وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ** "[5]. وقوله: " **وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي** .."[6] . وقوله: " **إِلا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي** "[7]. وقوله: " **إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ؛ فَلا رَسُولَ بَعْدِي وَلا نَبِيَّ** "[8].

سبقت الأدلة، وسبق بعد ذلك مواقف الجُفاة في رسول الله الذين لم يشهدوا له بِهذه الخصيصة (خصيصة انقطاع الوحي بِموته، وختم النبوة بنبوته) مِن الفِرَق المنتسبة، والغلاة فيمَن اعتقدوا فيهم النبوة، وزعموا نزول الوحي عليهم بعد انقطاعه.

---

1 (?) للاستزادة انظر: هذه المراجع: عقيدة ختم النبوَّة بالنبوة المحمدية، للدكتور أحمد بن سعد الغامدي، وختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية، لـمتعب بن مقبل الثنان .

2 (?) الحديث متفق عليه وقد سبق تخريجه.

3 (?) الحديث في صحيح مسلم، وقد سبق تخريجه.

4 (?) الحديث في صحيح مسلم، وقد سبق تخريجه.

5 (?) الحديث في الصحيحين، وقد سبق تخريجه.

6 (?) الحديث في الصحيحين، وقد سبق تخريجه.

7 (?) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، ورقمه:4416. وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ، ورقمه: 2404 .

8 (?) الحديث في جامع الترمذي ومسند أحمد، وهو صحيحٌ، وله شواهد في ذهاب الوحي وبقاء المبشرات في الصحيحين. وقد تقدم تخريجه في الباب الثاني.

وأما هذا المبحث فمعقود لبيان موقف أهل السنة من هذه النصوص (والذي هو مفارقة الغلاة الجفاة) بالإيمان بِهذه الخصيصة.

فالمسلمون يعتقدون أنَّ النبِيَّ قد خُصَّ بنبُّوة خاتمةٍ، وجُعلَت رسالتُه خاتمةُ الرسالات، وكان ختم النبوة مما اختُصَّ به عليه الصلاة والسلام دون إخوته الأنبياء والمرسلين، عليهم صلوات وسلام ربِّ العالمين، وقد صرَّحت النصوص الكثيرةُ بذلك، وأشارت أخرى، واستلزمتْ ذلك، وتنوَّعت دلالاتها، وهو أمرٌ مجمعٌ عليه، وقد سبقت النصوص مفصلّة في (مبحث كون رسولنا خاتم النبيين ولا نبِيَّ بعده، وكون رسالته خاتمة الرسالات)، مما لا أحتاج معها إلا الإشارة إلى واحدٍ منها، .. كما تقدم أثر بكاء المرأة التي هيجت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما على البكاء أسفًا على انقطاع خبر السماء. وهذه المسألة (اعتقاد خنم النبوة بالنبوة المحمدية ومستلزماتها) لم يُؤمن بها على حقيقتها إلا أهلُ السنة والجماعة من الصحابة ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين؛ وذلك لأَنَّهم فقط الذين يؤمنون بجميع ما ثبت عن الله وعن رسوله .

أما غيرهم من أهل الأهواء فكما تقدم البابُ السابق في فصلٍ خاص بكلّ طائفة منهم، حيث اعتقد كثير من الفرق المنتسبة إلى الإسلام أنَّ الوحي ينزل على أئمتهم، ولم ينقطع بِموت الرسول ، بل ولا ينقطع، كما تزعم بذلك طوائف من الشيعة. وقد تأثَّرت بهم الصوفية؛ فزعموا نفس المزاعم لأوليائهم وشيوخهم وأقطابهم. مما كان له أثرُه الواضح في خروج القادياني المصاب في عقله العميل، والباب الشيرازي والبهاء المازندراني[1] الكذابين في بلاد الهند وفارس، في العصور المتأخِّرة وادعاؤهم النبوة، بل وتفضيل الأخيرين نفسَيهما على رسول الله ، وكتابَيهما (البيان والأقدس) على القرآن العظيم، وشريعَتَيْهما على شريعته ، بل وصل الأمر بهما إلى أن ادَّعيا الربوبية كما ادّعاها طائفة من أتباعهم، مِما

[1] (?) سبقت تراجمهم والتعريف بأديانهم الجديدة، وبيان بطلانه.

ألزَمَ المسلمين وخصوصًا العلماء جهادهم باللسان والسنان، إبقاءً لعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية في نفوس المسلمين، كما تقدم ذلك كلّه مفصَّلا والحمد لله!

وهذا الوجه كذلك من الأوجه التي تُبيِّن وسطية أهل السنة في هذا الباب، وأنَّهم يؤمنون بكلِّ ما ثبت عن الله وعن رسوله .

** * ** ** * **

المبحث السابع: أهل السنة يَرَوْن وُجوبَ الصلاة والسلام على العبد الرّسول محمدٍ [1]:

إنّ من حقوق عبد الله ورسوله نبيّنا محمدٍ على أمته الزائدةِ على لوازِم الرسالة: الصلاةَ والسلام عليه، وهما أداءٌ لأقلّ القليل من حقّه، وشُكرٌ له على نعمته التي أنعم الله بِها علينا، مع أنّ الذي يستحقه من ذلك لا يُحصى عِلمًا ولا قدرة ولا إرادة، ولكنّ الله سبحانه –لِكَرمه- رضِي عنا باليسير[2]. وبالقيام بذلك يَخرُج العبد عن الجفاء[3]، وهذا من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه.

---

[1] (?) للاستزادة انظر: كتاب الشريعة للآجري (مصدر لاحقٌ)، وشُعب الإيمان للبيهقي، (ج2/ فصل في معنى الصلاة على النبي والمباركة والرحمة، تحت شعبة الخامسة عشرة: في تعظيم النبي ، 219-234)، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص446-468، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ، وكتاب زهر الرياض في رد ما شنّعه القاضي عياض على مَن أوجب الصلاة على البشير النذير في التشهد الأخير، وفتح الباري لابن حجر، كتاب التفسير –سورة الأحزاب، (ج3/ 3346-3347)، و(ج4/ 4478-4489)، وكتاب فضل الصلاة على النبي وبيان معناها وكيفيتها وشيء مما أُلِّف فيها، لشيخنا الشيخ عبد المحسن البدر (ضمن مجموع كتبه ورسائله، ج6/ 59-78)، وكتاب حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (فصل الصلاة والسلام عليه ج2/497-572)، ومبحث وجوب الصلاة والسلام عليه من كتاب رسالة خاتم النبيين محمد -ضرورتُها، وطرائق إثباتِها، ولوازمها- ص461-465، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، (الصلاة على رسول الله ، ج1/ 555-610).

[2] (?) انظر: جلاء الأفهام، ص534 .

[3] (?) انظر: المصدر نفسه، ص524.

وقد ذكر العلامة ابن القيّم –رحمه الله- من ذلك أربعين فائدة[4]، وسيأتِي تلخيصها.

ومن علامات حبّه الإكثار من الصلاة والسلام عليه؛ ففي المثل المشهور: مَن أحبّ شيئًا أكثرَ مِن ذكره[2].

وآية الباب –كما ستأتِي- أوجَبَت الصلاة والسلام على البشير النذير ، وهذا الواجب مطلَقٌ ومُقيّد، والمقيّد له مواطن يتأكّد المطالبة به. ولمّا كان السلام على الرسول معلومًا لم يشتدّ عناية الصحابة والعلماء به كاشتداده بالصلاة عليه، وقد كان السلام عليه في حياته عند مقابلته، أو مع الاستئذان إذا كان في بيته، وكذلك في التشهد (**السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه**)[3]. وأما بعد وفاته فَمَن سلّم عليه فإنّ الله يَرُدّ عليه روحه؛ فيَرُدّ على المُسلّم السلام، كما أنّ لله تعالى ملائكةً سيّاحين يُبلّغون رسولَه سلامَ أمتِه عليه. كما سبق ذلك في المبحث الرابع من الفصل السابق. وهنا سأركّز على: الصلاة عليه ، وأتكلم عليها من خلال أربعة مطالب:

المطلب الأول: وجوب الصلاة والسلام على النبيّ .

المطلب الثاني: معنى الصلاة عليه ، وفضْلُها، وفيه مسألتان.

المطلب الثالث: الإكثار مِن الصلاة على النبيّ موجِبٌ لدوام محبته ونمائها.

المطلب الرابع: انقسام الطوائف المنتسبة إلى الإسلام تجاه هذا الواجب، وباعتبارات، وبيان وسطية أهل السنة في ذلك.

المطلب الأول: وجوب الصلاة والسلام على النبيّ :

قد أمَرَ الله عِبادَه المؤمنين بالصلاة والسّلام على نبيِّنا محمدٍ ، لتزكوَ به نفوسُنا، وتصلُح به أحوالُنا[4]؛ فقال

---

[4] (?) انظرها: المصدر نفسه، ص521-536 .

[2] (?) انظر: المصدر نفسه، ص526 .

[3] (?) الحديث في الصحيحين، وقد سبق تخريجه.

[4] (?) انظر: جلاء الأفهام، ص497 .

وهو يُحتِّم ذلك: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [سورة الأحزاب: ٥٦].

« وَالإِجْمَاع مُنْعَقِد عَلَى أَنَّ فِي هَذِهِ الآيَة مِنْ تَعْظِيم النَّبِيّ ﷺ وَالتَّنْوِيه بِهِ، مَا لَيْسَ فِي غَيْرهَا »[1].

قال الحافظ ابن كثيرٍ –رحمه الله- في تفسير الآية: « والمقصود مِن هذه الآية: أنّ الله سبحانه أخبَر عِباده بِمنـزلة عَبدِه ونبِيّه عندَه في الْملأ الأعلى، بأنّه يُثنِي عليه عند الملائكة الْمقرّبين، وأنّ الملائكة تُصلّي عليه. ثم أمَر تعالى أهل العالم السّفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمين العُلوي والسّفلي جميعًا »[2].

وقد جاءت أحاديث بالأمر بِهما، وذِكر كيفية ذلك ﷺ، فمنها:

أولا: حديث عَبْد الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى[3]، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ﷺ فَقَالَ: « أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: " **فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** "[4].

ثانيًا: وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا السَّلامُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي؟ قَالَ: " **قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ،**

---

[1] قاله الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في فتح الباري، (ج4/ص 4480).

[2] تفسير القرآن العظيم، (ج3/ ص663).

[3] **عبد الرحمن بن أبي ليلى:** تابعيّ كبير، وهو والد ابن أبي ليلى فقيه الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ينسب إلى جده (فتح الباري، ج4/ص4478. وهل هو الذي استدرك على الحافظ في التقريب برقم: 8514؟ ص654، يحتمل!).

[4] صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، رقم: 6357، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، بَاب الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بعد التشهد، رقم: 406. وقف على شرحه الموسع في/ فتح الباري لابن حجر، (ج4/ 4478-4481).

وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ "[1].

ثالثًا: وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** " [2].

وفي الصلاة عليه يُصلّى على آله، كما علّمنا الرسول ، ومعنى **آله -**على القول الصحيح- هم: **أزواجه وذرِّيتُه وكلّ مسلم ومسلمةٍ مِن نسل عبد المُطلب، وهُم مَن تَحرُم عليهم الصدقة**[3]**.**

ومعنى ذريته: هم جميع ولدِه وولَدِ ولَدِه الذين عقبوا إلى أنْ يرِث الله الأرض ومَن عليها.

رابعًا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: " **مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ** "[4].

---

1 (?) صحيح البخاري، الكتاب والباب، رقم: 6358.

2 (?) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، بَاب هَلْ يُصَلَّى عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ، رقم: 6360، وصحيح مسلم: كتاب وبابٌ سابقان، رقم: 407.

3 (?) انظر: فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، (ج 6/ ص85، ضمن مجموع كتب ورسائل الشيخ عبد المحسن البدر). وقبله فصل الاختلاف في آل النبي على أربعة أقوال، من كتاب جلاء الأفهام لابن القيم، وملخصها، أولا: مَن تَحرُم عليهم الصدقة، وتفرع إلى ثلاثة آراء، وهي: أنهم بنو هاشم وبنو المطلب، والرأي الثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى بني غالب. والقول الثاني: هم ذرّيته وأزواجه خاصة. والثالث: هو أنّ آله أتباعه إلى يوم القيامة. والقول الرابع والأخير: أنّ آله هم الأتقياء من أمته، (انظرها وأدلتها ونقاشها، والترجيح فيها: جلاء الأفهام، ص236-257، وفضل أهل البيت لشيخي عبد المحسن البدر، ص85-88، والتعريف الاصطلاحي لآل البيت من كتاب: العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط لشيخنا الدكتور سليمان السحيمي –ج1/ ص55-74. ولتقف على آراء أهل السنة في أهل بيت النبي ، وآراء مفسري الشيعة مع المناقشة، انظر: 53-131 من كتاب آيات آل البيت في القرآن الكريم –الدلالات والهدايات- لمؤلفه: منصور بن حمد بن صالح العيدي).

4 (?) سنن أبي داود، وقد مرّ تخريجه، وهو صحيح.

ولقد روى أحاديث الصلاة عليه عددٌ كبيرٌ من الصحابة ، قال العلامة ابن القيّم –رحمه الله-: « الفصل الأول: فيمَن روَى أحاديثَ الصلاة على النبِيّ عنه: روَاها ... »[1]؛ فذَكَر اثْنَيْن وأربعين صحابِيًّا مجملاً، ثم لَمّا جاء لِذكر أحاديثهم والكلام عليها مفصّلة أوْرَد أحاديث أربعة وأربعين صحابيًّا (بزيادة أحاديث لثلاثة من الصحابة، وعدم ذكر حديث واحدٍ من الاثنين والأربعين)[2]. وقد أجاد في ذلك وأفاد.

وبدَأ هذا التفصيل بقوله: « أما حديث ..(فلان) فحديث صحيح رواه مسلم..إلخ.

ثم إنه قد ذكر الحافظ ابن حجر –رحمه الله- أنّ حَاصِل مَا وَقَفَ عَلَيْهِ في حُكْم الصلاة عليه مِنْ كَلام الْعُلَمَاء، عَشَرَة مَذَاهِب:

أَوَّلهَا: قَوْلٌ بأَنَّهَا مِنْ الْمُسْتَحَبَّات، وَادَّعَى صاحبُه الإِجْمَاع عَلَى ذَلِكَ. **ثَانِيهَا**: مُقَابِله وَهُوَ نَقْل الإِجْمَاع عَلَى أَنَّهَا تَجِب فِي الْجُمْلَة بِغَيْرِ حَصْر، لَكِنْ أَقَلّ مَا يَحْصُل بِهِ الإِجْزَاء مَرَّة. **ثَالِثهَا:** تَجِب فِي الْعُمْر فِي صَلاة أَوْ فِي غَيْرهَا، وَهِيَ مِثْل كَلِمَة التَّوْحِيد. **رَابِعهَا:** تَجِب فِي الْقُعُود آخِر الصَّلاة بَيْن قَوْل التَّشَهُّد وَسَلام التَّحَلُّل، قَالَهُ الشَّافِعِيّ وَمَنْ تَبِعَهُ. **خَامِسهَا:** تَجِب فِي التَّشَهُّد. **سَادِسهَا:** تَجِب فِي الصَّلاة مِنْ غَيْر تَعْيِين المحلّ. **سَابِعهَا**: يَجِب الإِكْثَار مِنْهَا مِنْ غَيْر تَقْيِيد بِعَدَد. **ثَامِنهَا** كُلَّمَا ذُكِرَ قَالَهُ الطَّحَاوِيّ وَجَمَاعَة مِنْ الْحَنَفِيَّة وَالْحَلِيمِيّ وَجَمَاعَة مِنْ الشَّافِعِيَّة، وَقَالَ ابْن الْعَرَبِيّ مِنْ الْمَالِكِيَّة إِنَّهُ الأَحْوَط، وَكَذَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيّ. **تَاسِعهَا**: فِي كُلّ مَجْلِس مَرَّة، وَلَوْ تَكَرَّرَ ذِكْرهُ مِرَارًا، حَكَاهُ الزَّمَخْشَرِيّ. **عَاشِرهَا:** فِي كُلّ دُعَاء حَكَاهُ أَيْضًا[3]. وقد نسَبَ كلّ قولٍ إلى صاحبه، وحذَفتُ أسماءهم هنا اختصارًا.

---

1 (?) جلاء الأفهام، ص5.

2 (?) انظرها والكلام عليها من ص6-123.

3 (?) انظر: فتح الباري، (ج4/ص 4478).

قال الإمام الشافعي –رحمه الله- ذَاكِرًا وُجوب الصلاة عليه في التشهد: « فرَض الله الصلاة على رسوله ، فقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ (قال الشافعي) فلم يكن فَرْضُ الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة، ووَجَدنا الدلالة عن رسول الله بِما وصَفْت مِن أنّ الصلاة على رسوله فرضٌ في الصلاة ». والله تعالى أعلم[1].

وقال محمد بن الحسين الآجري الشافعي -رحمه الله-: « ... ثم فرَض على خلقه أنْ يُصلّوا على رسوله ، وأعلَمَهم أنّه يُصلّي عليه هو وملائكته تشريفًا له، فقال جل ذكرُه: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ فَصَلّى الله عليه وسلّم، وعلى أهله أجمعين، في الليل والنهار، صلاة له فيها رضى، ولنا بِها مغفرة مِن الله، ورحمة إن شاء الله، وعلى آله الطيبين، ولا حرَمَنا الله النظر إليه، وحشَرَنا على سنته، والاتباع لِما أمر، والانتهاءَ عما نَهى، واعلموا -رحمنا الله وإياكم-: لو أنّ مصلّيًا صلّى صلاةً فلم يُصَلّ على النبي فيها؛ في تشهده الأخير، وجَب عليه إعادة الصلاة »[2].

وكلامه الأخير هذا هو مذهب الشافعي –رحمه الله-، والقول بوجوب الصلاة عليه في التشهد الأخير هو القول الصحيح، وإنْ شُنّع على الشافعي عليه[3].

فالآية الكريمة السابقة أوجَبَت على الأمة الْمحمدية الصلاة والسلام عليه، وقد تكلّم العلماء –رحِمَهم الله- عن هذا الواجب، **وبيّنوا أنه على قسمين، قسم مُطلَق** يَجِبُ الإتيان به ولو مرّة في العمر، امتثالا لِهذه الآية، وذلك لأنّ الماهية تَحْصُل بالْمرّة، والأمر المطلق لا يقتضي تكرارًا، قال القرطبي –رحمه الله- في تفسير آية الباب في فاتحة المسائل الخمسة التي ذكَرها: « الأولى: قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮎ أمَر الله تعالى عبادَه بالصلاة على نبيِّه محمدٍ دون أنبيائه تشريفًا له، ولا

---

1 (?) كتاب الأم للشافعي، (ج1/ص140).
2 (?) كتاب الشريعة، ص366-367.
3 (?) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (إحالة قادمة).

خلاف في أنّ الصلاة عليه فَرْضٌ في العمر مرة، وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يَسَع تركُها، ولا يَغْفَلُها إلا مَن لا خير فيه. الزمخشري: فإنْ قلت: الصلاة على رسول الله واجبةٌ أم مندوبٌ إليها؟ **قلت:** بل واجبة. وقد اختلفوا في حال وجوبها، فمنهم مَن أوجَبَها كُلّما جرَى ذكرُه، وفي الحديث: " **مَن ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فدخل النار فأبعده الله**[1] "، ... **ومنهم مَن قال:** تَجِب في كلّ مجلس مرة، وإنْ تكرّر ذكرُه، كما قال في آية السجدة، وتشميت العاطس. وكذلك في كلّ دعاء في أوله وآخره. **ومنهم** مَن أوجَبَها في العُمر. وكذلك قال في إظهار الشهادتين. والذي يقتضيه الاحتياط: الصلاة عند كلّ ذِكرٍ، لِما ورَد من الأخبار في ذلك »[2].

وقِسم آخر يَجبُ في حالات، وقد اختلفوا في كثيرٍ من مواطن هذا النوع؛ فرأى بعضُهم أنّ الصلاة والسلام عليه فيها مشروعة مستحبة لا واجبة، بينما ذكَر الآخرون أنّها أوكَدُ من المستحبات والمندوبات، وأنّ القيام بِها من الأمور الواجبات، ومِن أحسن مَن تطرّق إلى هذه المواضع وبيّنها ورجّح ما رآه راجحًا بدليله في كل موضع: العلامةُ ابنُ قيّم الجوزية –رحمه الله- في الباب الثالث الذي عقَدَه في كتابه (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام)، لبيان مواطن الصلاة على النبيّ التي يتأكد طلَبُها إمّا وجوبًا، وإما استحبابًا مُؤَكّدًا[3]، فذَكر واحدًا وأربعين موطنًا.

وسأشير هنا إلى بعض هذه المواطن للتمثيل بِها:

---

[1] (?) أخرج الحديث الترمذي وغيره بلفظٍ قريب عن أبي هريرة (جامع الترمذي: بَاب قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ، رقم: وحسنه الترمذي وصححه الحاكم. قال محقق جلاء الأفهام: لفظة "فمات فدخل النار" غريبة جدًّا.

[2] (?) الجامع لأحكام القرآن، (ج17/ ص215-216)، وانظر المنهاج للنووي، ص354، وجلاء الأفهام، ص453-454.

[3] (?) انظر إلى هذه المواطن الأربعين، ص380-520 .

الموطن الأول: وقد وصَفَه العلامة ابن القيّم –رحمه الله- بأنّه أهَمّ هذه المواطن وآكدها. وهو في الصلاة في آخر التشهد، وهو مشروعٌ بالإجماع، مع اختلافٍ في وجوبه[1]. والراجح الوجوب. وقد سبق دليله.
الموطن الثاني: في التشهد الأول. **الموطن الثالث:** صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية. **الموطن الرابع:** عند ذِكره ﷺ؛ كُلّما ذُكر اسمه، حتى قال العلامة ابن القيّم –رحمه الله- حاكيًا أدلة مَن قال بوجوبه في هذا الموطن « وأيضًا: فَمَن ذكر النبي ﷺ، أو ذُكر عنده فلم يُصلّ عليه فقد جفاه، ولا يجوز لِمسلمٍ جفاؤُه »[2]. وذَكر أثرًا مرسلا لذلك، وبيّن أنه لو ترَكْنا هذا المرسل فإننا نعمل بأصوله وشواهده التي سَمّتْ تارك الصلاة عليه عند ذكره بخيلا وشحيحًا، وكذلك الذي دَعَت عليه أنْ يُلصق أنفُه بالرغام (التراب)، وأنّ هذا من موجبات جفائه. وجفاؤه « منافٍ لكمال حُبّه، وتقديم محبته على النفس والأهل والمال، وأنه أولى بالمؤمن من نفسه »[3].

وقال العلماء –رحمهم الله-: « فلَما كانت محبتُه فرضًا، وكانت توابعُها من الإجلال والتعظيم والتوقير، والطاعة، والتقديم على النفس، وإيثاره بنفسه بحيث يَقِي نفسه بنفسه = فرْضًا؛ كانت الصلاة عليه ﷺ إذا ذُكر مِن لوازم هذه الأحبية وتَمامها »[4].

ثم بعد ذكره لأدلة القائلين بوجوب الصلاة عليه عند كلِّ ذِكرٍ له، ذكَر اثنَي عشر دليلا واعتبارًا لنفاة ذلك. وكلّ وجهٍ منهما له قوتُه، ولم يُرجّح العلامة أيًّا منهما[5].
الموطن الخامس: في الخُطَب. **الموطن السادس:** بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة. **الموطن السابع:** عند الدعاء. **الموطن الثامن:** عند اجتماع القوم قبل تفرقهم. **الموطن التاسع:** وعند الوقوف على قبره،

---

1 (?) انظر جلاء: ص380 .
2 (?) المصدر نفسه، ص464 .
3 (?) المصدر نفسه، ص465 .
4 (?) المصدر نفسه، ص466 .
5 (?) انظر النِّقاش في: جلاء الأفهام ص453-472، وفتح الباري، (ج4/ ص4489).

وقد سبق معنا الحديث. **الموطن العاشر:** يوم الجمعة. **الموطن الحادي عشر:** أول النهار وآخره[1].

المطلب الثاني: معنى الصلاة عليه ﷺ، وفضْلُها، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: معنى الصلاة على النبي ﷺ.

المسألة الثانية: فضل الصلاة على النبي ﷺ.

المسألة الأولى: معنى الصلاة على النبي ﷺ:

الصلاة في اللغة: معناها الدعاء، قال تعالى في الأمر بالدعاء للمؤمنين: ﭽﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﭼ [التوبة: ١٠٣] وقال في النهي عن الدعاء للكفار: ﭽﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥ ﯦﯧﭼ [التوبة: ٨٤] [2].

وصلاة الله تعالى على عبده: حسن ثنائه له، وهي نوعان: عامة؛ وهي: صلاتُه سبحانه على عباده المؤمنين، ﭽﯾﯿﰀﰁﰂﭼ [الأحزاب: ٤٣]. وخاصة، وهي على أنبيائه ورسله، خصوصًا خاتمهم وخيرهم نبينا محمد[3] ﷺ، ﭽﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ [الأحزاب: ٥٦]. آية الباب.

وليست صلاة الله على عبده رحمته ومغفرته، وقد ردّ العلامة ابن القيّم –رحمه الله- على هذا الزعم بخمسة عشر وجهًا[4].

والصلاة على الرسول ﷺ من العبد هي دعاؤه وسؤاله الله أنْ يُثنِي عليه. قال البخاري –رحمه الله-: «بَاب قَوْلِهِ:ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ[سورة الأحزاب: ٥٦]. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ صَلاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلائِكَةِ، وَصَلاةُ الْمَلائِكَةِ الدُّعَاءُ.قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﭽ ﭹ ﭼ يُبَرِّكُونَ»[5].

وقال العلامة ابن القيّم –رحمه الله-: « الأربعون: أنّ الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء، ودعاء العبد وسؤاله

---

1 (?) انظر المواطن الأربعين: جلاء الأفهام، ص380-520. وبعضها في فتح الباري، (ج4/ 4489).

2 (?) انظر: الصحاح، مادة صلى، ص596، ومقاييس اللغة، المادة نفسها، ص572-573، والقاموس المحيط، المادة نفسها، ص1198، وجلاء الأفهام، ص159-161.

3 (?) انظر: جلاء الأفهام، ص161-163 .

4 (?) انظر: جلاء الأفهام، ص16-182.

5 (?) صحيح البخاري، (ج3/ص3346).

من ربّه نوعان: **أحدهما:** سؤاله حوائجه ومهماته، وما ينوبه في الليل والنهار، فهذا دعاء وسؤالٌ، وإيثارٌ لِمحبوبٍ العبد ومطلوبه. **الثانِي:** سؤاله أنْ يُثنِي على خليله وحبيبه، ويزيد في تشريفه وتكريمه، وإيثاره ذكره، ورفعه، ولا ريب أنّ الله تعالى يُحبّ ذلك، ورسوله يُحِبّه ، فالْمُصلّي عليه قد صرَف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محابّ الله تعالى ورسوله، وآثر ذلك على طلبه حوائجَه ومحابَّه هو، بل كان هذا المطلوب مِن أحبّ الأمور إليه وآثرها عنده، فقد آثر ما يُحبُّه الله ورسوله على ما يُحبّه هو، فقد آثر الله ومحابّه على ما سواه، والجزاء من جنس العمل؛ فَمَن آثر الله على غيره، آثرَه الله على غيره، .. »[1].

وأشار البيهقي –رحمه الله- إلى معنى التعظيم زيادة على ما تقدم من المعانِي، فقال:

« **فصل: في معنى الصلاة على النبي ، والسلام والمباركة والرحمة**: قَالَ الْحَلِيمِيّ -رحمه الله-: أما الصلاة باللسان فهي التعظيم، .. فَإِذا قُلنَا: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد) فإنما نُريد به: اللَّهُمَّ عَظِّمْ مُحَمَّدًا؛ فِي الدُّنْيَا بِإِعْلاءِ ذِكْره، وَإِظْهَار دعوته، وَإِبْقَاء شَرِيعَته، وَفِي الآخِرَة بِتَشْفِيعه فِي أُمَّته، وَإِجْزَالِ أجره ومَثُوبَته، وَإِبْدَاء فَضِيلَته لِلأولين والآخرين بِالْمَقَامِ الْمَحْمُود، وتقديمه على كافة المقربين في اليوم المشهود. وهذه الأمور وإنْ كان الله تعالى قد أوجَبَها للنبي ، كان كلّ شيءٍ منها ذا درجات ومراتب، فقد يجوز إذا صلى عليه واحدٌ مِن أمته، فاستجيبَ دعاؤُه فيه: أنْ يزداد النبي بذلك الدعاء في كلّ شيءٍ مما سَمّينا رُتبةً ودَرَجَةً، ولقد كانت الصلاة عليه مما يقصد بها قضاء حقه، ويتقرب بإكثارها إلى الله تعالى. ويدلّ على أنّ قولنا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد صلاة منا عليه: لأنا لا َنملك إيصال ما يَعظُم به أمرُه، ويعلُو به قَدْرُه إليه، وإنما ذلك بيد الله تعالى؛ فصح أن صلاتنا: عليه الدعاء له، وابتغاؤه من الله له »[2].

---

[1] (?) جلاء الأفهام، ص534-535 .

ويَجمع هذه الْمعانِي شيخ الإسلام –رحمه الله- فيقول: « .. **فمن ذلك:** أنه أمر بالصلاة عليه والتسليم بعد أنْ أخبَر أنّ الله وملائكته يُصلّون عليه. والصلاة عليه: تتضمن ثناء الله عليه، ودعاء الخير له، وقربته منه، ورحمته له. والسلام عليه: يتضمن سلامته من كل آفة، فقد جَمعت الصلاة عليه والتسليم: جميع الخيرات. ثم إنه يُصلي سبحانه عشرًا على مَن يُصلّي عليه مرة واحدة حَضًّا للناس على الصلاة عليه؛ ليسعدوا بذلك، وليرحَمَهم الله بِها »[1].

المسألة الثانية: فضل الصلاة على النبي ﷺ:

أما عن فضل الصلاة على النبي ﷺ فقد ورد ذلك في عدة أحاديث في صحيح مسلم وغيره[2]، وسأشير إلى بعضها هنا، كما أنّ بعضَها الآخر قد تقدم ذِكرُها في المطالب والمباحث السابقة. فمِن هذه الفضائل:

أولا: صلاةٌ بصلواتٍ مِن الله تعالى: ويَدلّ عليه عدةُ أحاديث، **منها:**

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " **مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا** "[3].

وعَنْ أَبِي طَلْحَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبُشْرَى فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: " **إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ، أَنَّهُ لا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا** "[4].

---

2 (?) شُعَب الإيمان للبيهقي، (ج2/ 219-220)، ونقَل بعضه الحافظ ابن حجر في الفتح، (ج4/ص4480).

1 (?) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص364-365.

2 (?) انظر عن أحاديث فضل الصلاة: فتح الباري، (ج4/ص4488-4489).

3 (?) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم: 408.

4 (?) سنن النسائي: كتاب السهو، فَضْلُ التَّسْلِيمِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، رقم: 1283، وباب الفَضْل في الصلاة عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، رقم: 1295، حسّنه الشيخ الألباني.

وتقدم حديث عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرٍو ، وفيه: قول الرّسُول : "**إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**، .. "[1]. وكفى بصلاة الله على العبد منقبة وفضلا.

ثانيًا: كِفاية الهموم ومغفرة الذّنوب، ويدلّ عليه حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ المتقدم، وفيه قول أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي؟ فَقَالَ: " **مَا شِئْتَ** "، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: " **مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** "، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: " **مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** "، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: " **مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** "، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: " **إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ** "[2].

إلى غير ذلك من الفضائل مِما جاءَت في الأحاديث؛ مِن أنّ الذي يُصلّي عليه يستفيدها، مثل رفع درجاته وحط سيئاته، وكذلك نيل شفاعته ، وانتفاء الوصف بالبخل والجفاء عن المصلّي عليه عند ذكره، وأنّ الصلاة عليه طُهرَة مِن لَغْو المجلس، كما أنّه سبَبٌ لإجابة الدعاء، وغير ذلك.

وكثيرٌ ممن كَتَبوا في الصلاة عليه عَنْوَنوا مُدوَّناتِهم بـ(فضل الصلاة على ... [3]، كما تقدم في أول حاشـية من هذا المبحث)، وقد استنبطوا طائفة من الفوائد والثمــرات التي تحصل بالصلاة على الرسـول ، وقد أوصَـلها العلامة ابن القيّم –رحمه اللـه- إلى أربعين فائـدة، قـال: « البـاب الرابع: في الفوائد والثّمرات الحاصلة بالصّلاة عليه »[4].

ومُلخصها:

---

[1] (?) الحديث في صحيح مسلم، وقد تقدم تخريجه.

[2] (?) الحديث في جامع الترمذي (برقم: 2457) وهو صحيح، وقد تقدم تخريجه.

[3] (?) انظر: قسم الدراسة من كتاب جلاء الأفهام للوقوف على عناوين المؤلفات، ص6-10 .

[4] (?) جلاء الأفهام، ص521.

امتثال أمر اللّه سبحانه وتعالى. هذه هي الفائدة الأولى. **الثّانية:** موافقتُه سبحانه في الصّلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصّلاتان. **الثّالثة:** موافقة ملائكته فيها. **الرّابعة:** حُصولُ عَشر صلوات من اللّه على المصلّي مرّة. **الخامسة:** أنّه يُرفعُ له عَشرُ درجات. **السّادسة:** أنّه يُكتب له عشرُ حسنات. **السّابعة:** أنّه يُمْحى عنه عشرُ سيّئات. **الثّامنة:** أنّه يُرجى إجابةُ دعائه إذا قدّمها أمامه، فهي تصاعد الدّعاء إلى عند ربّ العالمين. **التّاسعة:** أنّها سبَبٌ لشفاعته ﷺ إذا قرنَها بسؤال الوسيلة له، أو أفردها. **العاشرة:** أنّها سَبَبٌ لغُفران الذّنوب. **الحادية عشرة:** أنّها سبَبٌ لكفاية اللّه العبد ما أهَمّه. **الثّانية عشرة:** أنّها سبَبٌ لِقُرب العبد منه ﷺ يوم القيامة. **الثّالثة عشرة:** أنّها تقومُ مقام الصّدقة لذي العُسْرة. **الرّابعة عشرة:** أنّها سَبَبٌ لقضاء الحوائج. **الخامسة عشرة:** أنّها سبَبٌ لصلاة اللّه على المُصلّي وصلاة ملائكته عليه. **السّادسة عشرة:** أنّها زَكاةُ للمصلّي وطهارة له. **السّابعة عشرة:** أنّها سببُ لتبشير العبد بالجنّة قبل موته. **الثّامنة عشرة:** أنّها سبَبٌ للنّجاة مِن أهوال يوم القيامة. **التّاسعة عشرة:** أنّها سبَبٌ لردّ النّبيّ ﷺ الصّلاة والسّلام على المصلّي والمسلِّم عليه. **العشرون:** أنّها سبَبٌ لتذكّر العبد ما نَسِيَه. **الحادية والعشرون:** أنّها سبَبٌ لطيب المجلس، وأن لا يعود حَسرة على أهله يوم القيامة. **الثّانية والعشرون:** أنّها سَبَبٌ لنفي الفقر. **الثّالثة والعشرون:** أنّها تَنفي عن العبد اسم البخل إذا صلّى عليه عند ذكره ﷺ. **الرّابعة والعشرون:** نجاتُه من الدّعاء عليه بِرُغم الأنْف إذا تَرَكَها عند ذِكره ﷺ. **الخامسة والعشرون:** أنّها ترمي صاحبها على طريق الجنّة وتخطىء بتاركها عن طريقها. **السادسة والعشرون:** أنّها تنجي من نَتَن المجلس الّذي لا يُذكر فيه اللّه ورسوله، ويُحمد ويُثنَى عليه فيه، ويُصلّى على رسوله ﷺ. **السّابعة والعشرون:** أنّها سبَبٌ لتمام الكلام الّذي ابتدىء بحمد اللّه، والصّلاة على رسوله. **الثامنة والعشرون:** أنّها سبَبُ لوُفور نُور العبد على الصّراط.

التاسعة والعشرون: أنّه يَخرج بها العبد عن الجفاء. **الثّلاثون:** أنّها سبَبُ لإبقاء اللّه سبحانه الثّناء الْحَسَن للمصلّي عليه بين أهل السّماء والأرض؛ لأنّ الْمصلّي طالبٌ مِن اللّه أنْ يُثنِي على رسوله، ويكرمه ويشرّفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بدّ أنْ يَحصل للمصلّي نوعٌ من ذلك. **الحادية والثّلاثون:** أنّها سبَبٌ للبَرَكَة في ذات الْمصلّي وعَمَله وعُمْره، وأسباب مصالحه، لأنّ الْمُصلّي داعٍ ربّه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدّعاء مستجابٌ، والجزاء من جنسه. **الثانية والثّلاثون:** أنّها سبَبٌ لنيل رحمة اللّه له، لأنّ الرحمة مِن لوازمها وموجباتِها على القول الصّحيح، فلا بدّ للمصلّي عليه من رحمة تناله. **الثّالثة والثّلاثون:** أنّها سبَبٌ لدوام محبّته للرّسول وزيادتها وتضاعفها. **الرّابعة والثّلاثون:** أنّ الصّلاة عليه سبَبٌ لِمحبّته للعبد، فإنّها إذا كانت سبَبًا لزيادة محبّة المصلّى عليه له، فكذلك هي سبب لمحبّته هو للمصلّي عليه . **الخامسة والثّلاثون:** أنّها سبَبٌ لِهداية العبد وحياة قلبه، فإنّه كلّما أكثر الصّلاة عليه وذكره، استولت محبّته على قلبه، حتّى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره. **السادسة والثّلاثون:** أنّها سبَبٌ لعرض اسم الْمصلّي عليه وذكره عنده. **السّابعة والثّلاثون:** أنّها سبَبٌ لتثبيت القَدَم على الصّراط، والجواز عليه. **الثّامنة والثّلاثون:** أنّ الصّلاة عليه أداءٌ لأقلّ القليل مِن حقّه، مع أنّ الّذي يستحقّه لا يحصى علما ولا قدرة، ولا إرادة، ولكنّ اللّه سبحانه لكرمه رضِي من عباده باليسير من شكره وأداء حقّه. **التاسعة والثّلاثون:** أنّها متضمّنة لذكر اللّه تعالى وشكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله، فالْمُصلّي عليه قد تَضَمّنَت صلاتُه عليه ذِكرَ اللّه وذِكْرَ رسوله، وسؤالَه أن يَجزيه بصلاته عليه ما هو أهله. **الأربعون:** أنّ الصّلاة عليه من العبد هي دعاء، والمصلّي عليه قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محابّ اللّه ورسوله، وآثر ذلك على طلبه حوائجه ومحابّه هو، بل كان هذا المطلوب من أحبّ الأمور إليه وآثرها عنده، فقد آثر ما يحبّه اللّه ورسوله على ما يحبّه

هو، فقد آثر اللّه ومحابّه على ما سواه، والجزاء من جنس العمل[1].

المطلب الثالث: الإكثار مِن الصلاة على النبيّ موجِبٌ لدوام محبته ونمائها:

الإكثار من الصلوات على الرسول مِن شواهد ودلائل وعلامات محبته وتعظيمه، لذا كلّما تكلم العلماء –رحمهم الله- عن وجوب محبة هذا النبيّ الكريم وتَطرّقُوا إلى علامات ذلك، كلّما ذكَروا علامة: **الإكثار من ذكره والصلاة عليه، ضِمْنَها**؛ لأنّ مَن أحبّ شيئًا أكثر مِن ذكره، ولأنّ دَوَام ذِكرِ المحبوب سبَبٌ لدوامِ المحبة وزيادتِها ونَمائها، فكما أنّ أقرّ شيءٍ لعين المُحِبّ رؤيةَ حبيبه، فكذلك كان أقر لقلبه ذكر محبوبه واستحضار محاسنه. وبِحَسَب قوة استحضار المحبوب وذكره في القلب يقوَى جرَيَانُه على اللسان بالمدح والثناء عليه. كما أنّ بالإعراض عن هذا الذكر والاستحضار بالقلب ينقص حبّه ولا بد، وقد تقدم بعض قول العلامة ابن القيم –رحمه الله- في ذكر فوائد الصلاة عليه ، مبيِّنًا أنّها (الصلاة عليه) موجِبٌ لدوم محبته وتضاعفها، وتمامه: « **الثالثة والثلاثون:** أنّها سبَبٌ لدوام محبته للرسول وزيادتِها وتضاعُفِها؛ وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنّ العبد كلّما أكثَر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه، الجالبة لِحُبّه =تَضاعَف حبُّه له، وتزايد شوقُه إليه، واستولى على جميع قلبِه، وإذا أعرَض عن ذكره وإخطاره وإخطار محاسنه بقلبه، نقَص حُبُّه من قلبه، ولا شيء أقرّ لعين المُحبّ من رؤية محبوبه، ولا أقرّ لقلبه من ذكره وإخطاره وإخطار محاسنه. إذا قوي هذا في قلبه جرى لسانُه بِمدحه والثناء عليه، وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحُبّ ونقصانه في قلبه، والحسّ شاهدٌ بذلك ..»[2].

---

1 (?) انظر: جلاء الأفهام، (ص521-536، بتصرّف). ونقل تسعة وثلاثين منها مؤلفوا: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ج1/ ص571-573).

2 (?) جلاء الأفهام، ص525.

وقال: « فهذا قلبُ المؤمن: توحيد الله، وذكر رسوله ﷺ مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما مَحوٌ ولا إزالة، ولَمّا كانت كثرة ذكر الشيء موجبةٌ لدوام محبته، ونسيانه سببًا لزوال محبته أو ضعفها، وكان الله سبحانه هو المستحق من عباده نهاية الحبّ مع نهاية التعظيم، .. والمقصود: أنّ دوام الذكر لَمّا كان سببًا لدوام المحبة، وكان الله سبحانه أحق بكمال الحبّ والعبودية والتعظيم والإجلال = كان كثرة ذكره مِن أنفع ما للعبد،.. والمقصود أنّ دوام الذّكر سبَبٌ لدوام المحبة، فالذّكر للقلب كالماء للزّرع، بل كالماء للسّمك؛ لا حياة له إلا به .. »[1].

وقد بيّن الشيخ الدكتور محمد بن خليفة التميمي –حفظه الله- أنّ المقصود بالذكر في القول: بأنّ مِن علامات محبته ﷺ: الإكثار من ذِكره، أنّه: الذكر المشروع، وأنّ على رأسه: **الصلاة والسلام على النبيّ ﷺ**. كما أنّه يَدخل ضِمن هذا الذكر: **تعداد فضائله وخصائصه ﷺ، وما وهَبَه الله من الصفات والأخلاق والخلال الفاضلة، وما أكرَمَه به من المعجزات والدلائل**.

وأنّه « لا محظور في التمدّح بذلك نثْرًا وشِعرًا ما دام أنّ ذلك في حدود المشروع الذي أمَر به الشارع الكريم [في][2] نصوص القرآن والسنة، كأنْ يَتجاوز به حدود بشريته؛ فيُصرف له شيءٌ من الأمور الخاصة بالله ﷻ، كما فعَل بعضُ الغلاة في أشعارهم ومدائحهم للنبيّ ﷺ. وكذلك فإنّ من الأمور المنهي عنها: **الذكر المقترن بالغناء**، وأدوات اللهو، والطرَب والرّقص. وهذا الذكر البدعي هو الذي عليه أرباب الطرق والتصوف، وقد وافقهم كثيرٌ من عوام الناس ظنًّا منهم أنّ فِعْل مثل ذلك هو الطريق إلى تحقيق محبة النبي ﷺ، وهو في حقيقة فعله يُعَدّ محادة لله ورسوله، فقد تبرّأ ﷺ ممن أحدث في الدين...»[3].

---

[1] المصدر نفسه، ص527-530 .
[2] لا تستقيم الجملة بدون [في)]الزائدة.
[3] حقوق النبيّ ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، (ج1/ ص328-329).

ومن موجبات إكثار هذه الصلوات عليه أيضًا: « أنّها سببٌ لِهداية العبد، وحياةِ قلبِه؛ فإنّه كُلّما أكثَر الصلاة عليه، وذكره، استولَت محبتُه على قلبِه؛ فلا يَبْقى في قلبه معارضة لشيءٍ مِن أوامِره، فلا شكّ في شيءٍ مما جاء به، ويصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا في قلبِه، لا يزال يقرؤه على تعاقُب أقواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، كلّما ازداد في ذلك بصيرة وقوّة ومعرفة، ازدادت صلاتُه عليه ﷺ. ولِهذا صلاة أهل العلم –العارفين بِسنّته وهديه، المتبعين له- عليه، خلافُ صلاة العوام عليه، الذين حظّهم منها إزعاج أعضائهم بها، ورفع أصواتِهم، وأما أتباعُه العارفون بسُنته، العالِمون بما جاء به، فصلاتُهم عليه نوعٌ آخر، فكُلّما ازدادوا فيما جاء به معرفة، ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله تعالى. وهكذا ذِكر الله سبحانه، كُلّما كان العبد به أعرَف، وله أطْوَع، وإليه أحبّ، كان ذكرُه غير ذكر الغافلين اللاهين، وهذا أمرٌ إنّما يُعلَم بالخُبْر لا بالخَبَر، وفرقٌ بين مَن يذكُر صفات محبوبه الذي قد ملك حُبُّه جميع قلبِه، ويثني عليه بِها ويُمجّده بِها، وبين مَن يَذكرها إما إثارة، وإما لفظًا ولا يَدري ما معناه لا يُطابِق فيه قلبُه لسانه، كما أنّه فرقٌ بين بكاء النائحة وبكاء الثَّكلى، فذِكرُه ﷺ وذِكر ما جاء به، وحمد الله تعالى على إنعامه علينا ومنّه بإرساله، وهو حياة الوجود وروحه »[1].

والمقصود: أنّ الصلاة على رسول الله ﷺ سببٌ لزيادة محبته، وأنّ شدة محبته تحمل الازدياد من الصلاة عليه. والله أعلم.

المطلب الرابع: انقسام الطوائف المنتسبة إلى الإسلام تجاه هذا الواجب، وباعتبارات، وبيان وسطية أهل السنة في ذلك:

المسلمون في أداء حق الصلاة والسلام على النّبِيّ محمدٍ ﷺ، وعلى الوجه المشروع بصِيَغِه المشروعة طرَفان ووسط. والصِّيَغ المشروعة هي الآمان من المخالفة الشرعية، وهي الصيغة النبوية التي علّمها الصحابة ﷺ،

---

[1] (?) جلاء الأفهام، ص531-532 .

والصيغتان المختصرتان المأثورتان عن السلف قاطبة، وهما: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام.

وقد سبَقَت الإشارة إلى مَوقف بعض الْجُفاة الفرادى تجاهه ﷺ؛ في بُخْلِهم عن الصلاة عليه عند ذِكْره، مَرّ ذلك قريبًا، وقد قال شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر –رحمه الله- في هذا المعنى: « ومِن حَقّه على أمته ﷺ أنْ تكون الألسنة رطَبَةً بالثناء عليه بكلّ ما يليق به، مع الحذر مِن الغُلوّ الذي لا يرضاه الله ولا رسولُه، وبالثناء على سنته، وإيضاح محاسنها، وبيان ضرورة الناس إلى التمسك بِها، وأن تكون الألسنة رطَبَة بالصلاة والسلام عليه ﷺ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان، والبخيل حقّ البُخل مَن ذُكر عنده النبِيُّ ﷺ فلم يُصلّ عليه، وأرغم الله أنفَ مَن ذُكر عنده النبِيّ ﷺ فلم يُصلّ عليه، وأبخل ممن يبخل بالدرهم والدينار مَن يبخل بالصلاة والسلام على النبِي ﷺ عند ذكره، صلوات الله وسلامه الأتمان الأكملان عليه، وعلى آله وأصحابه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين »[1].

وأما عن موقف الغلاة في هذا، فيَلزَم لغُلُوّهم فيه عند الصلاة عليه وغيره جفاءَ شريعته، كما سيأتِي في النماذج الآتية.

وأهَمّ صُوَر الغلوّ والجفاء في هذا الباب:

أولا: الصلاة والسلام عليه بغير المشروع مما فيه الإطراء والغلو المنهي عنه، والمخالفة لشريعته[2]. **ثانيًا:** تقييد هذه العبادة بأعدادٍ لم يَشْرَعْها الله سبحانه ولا رسولُه ﷺ. **ثالثًا:** تحديد ذلك بأمكنة لم يَخصها الله ولا رسوله. **رابعًا:** تحديدُ أزْمِنَةٍ للقيام بِها لَم تُحدّدها الشريعة.

وقد جمَع هذه الأمور وغيرَها من المخالفات الشرعية في بقية أبواب الدين: الكتابُ الشهيرُ الذي كانت

---

1 (?) من أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ص52، ضمن كتب ورسائل عبد المحسن بن حمد البدر، (المجلد السادس).

2 (?) انظر طائفة من الصلوات المتكلفة التي ابتدعها البكري المصري، ونقلها عنه يوسف بن إسماعيل النبهاني، (الشرف المؤبّد لآل محمد ﷺ. ليوسف النبهاني، ص56-58)

المبتدعة مُولعين بقراءته، وهو ما يُسمى بكتاب **(**دلائل الخيرات، وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار)؛ ففيه الكيفيات المبتدعة في الصلاة والتسليم عليه والتي فيها مجاوزة حدّ الشريعة فيه، بالوقوع في المحذور الذي لا يرضاه الله ولا رسوله. وفيه كذلك الأحاديث الموضوعة والضعيفة جدًّا في فضل الصلاة عليه.

ومن النماذج لكيفيات الصلوات المبتدعة في كتابه هذا:

أولا: قول الْجَزولِي: (اللهم صلّ على من تفتقت من نوره الأزهار .. اللهم صلّ على مَن أخضرت من بقية وضوئه الأشجار، اللهم صلّ على مَن فاضت من نوره جميعُ الأنوار)[1].

ثانيًا: وقوله: (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيءٌ[2]، وارحم محمدًا وآل محمد حتى لا يبقى من الرّحمة شيءٌ، وبارك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البَرَكة شيءٌ، وسلّم على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من السلام شيء)[3].

ثالثًا: وقوله: (اللهم صلّ على سيّدنا محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وإمام حضرتك[4]، وطراز ملكك، وخزائن رحمتك ... إنسان عين الوجود، والسّبب في كلّ موجود)[5].

---

1 (?) دلائل الخيرات، وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، للسيد محمد بن سليمان الجزولي، ص124-125.

2 (?) تكرر جزء (حتى لا يبقى من الصلاة شيء) ص289، من دلائل الخيرات للجزولي.

3 (?) دلائل الخيرات، للسيد محمد بن سليمان الجزولي، ص67-68.

4 (?) استمرار نسختي: وخاتم أنبيائك، صلاة تدوم بدوامك، وتبقى ببقائك ... وهذه النسخة طُبعت في كانو بنيجيريا. أما نسخة شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر فبالزيادة التي في المتن. والذي فيه التكلف والغلو.

5 (?) دلائل الخيرات، وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، للسيد محمد بن سليمان الجزولي، ص94.

رابعًا: وقوله: (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ما سَجَعت الحمائم، وحَمَت الحوائم، وسرَحَت البهائم، ونفعت التمائم، وشُدّت العمائم، ونَمَت النوائم)[1].

وقد أورَد هذه النماذج الأربعة شيخنا الشيخ عبد المحسن البدر –حفظه الله- في كتابه (فضل الصلاة على النبي ﷺ وبيان معناها، وكيفيتها، وشيءٌ مما أُلّف فيها)، وعلّق على الثانِي بقوله: « فإنّ قوله حتى لا يبقى من الصلاة والرحمة والبركة والسلام شيءٌ مِن أسوأ الكلام، وأبطل الباطل؛ لأنّ هذه الأفعال لا تنتهي. وكيف يقول الجزولِي: حتى لا يَبقى من الرحمة شيءٌ، والله تعالى يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]»[2].

وأما الرابع ففيه الإشادة بالتمائم وحثٌّ عليها، مع أنّها محرّمة بنصّ المصطفى ﷺ [3].

وأضيف هنا بعض النماذج من هذا الكتاب:

خامسًا: قول الجزولِي: (اللهم صلّ على كاشِف الغُمّة، اللهم صلّ على مُجْلِي الظُلمة، اللهم صلّ على مولِي النّعمة، اللهم صلّ على مؤتِي الرّحمة ...)[4].

سادسًا: وذكر الجزولي أنّ مِن أسْماء النبي ﷺ على زعمه: مُصحّح الحسنات، مقيل العثرات[5]، كما زعَم أنّ من ذلك: كاشف الكُرَب، ورافِع الرّتَب[6]. وهذه في الحقيقة صفات الله تعالى.

سابعًا: وسَمّى اللهَ بغير اسْمه حقيقة فقال: (يا هو يا مَن لا هو إلا هو)[7].

---

1 الجزولي، المصدر نفسه، ص346.

2 فضل الصلاة على النبي ﷺ ...، (ج6/ص74، ضمن كتب الشيخ عبد المحسن البدر وسائله).

3 انظر: فضل الصلاة على النبي ﷺ (المصدر نفسه).

4 دلائل الخيرات، للسيد محمد بن سليمان الجزولي، ص109-110.

5 انظر: الجزولي، المصدر نفسه، ص31.

6 انظر: الجزولي، المصدر نفسه، ص35-36.

7 الجزولي، المصدر نفسه، ص387.

ثامنًا: قوله: (اللهم إنا نستشفع به إليك؛ إذْ هو أوْجَه الشّفعاء إليك، ونقسِم به عليك؛ إذْ هو أعظم مَن أقسم بحقه عليك ..)[1].

ففي ما سبق من الكيفيات من التكلف والغلو في النبي الذي لا يرضاه الله ولا رسوله، كما أنّ فيه المخالفات الشرعية، كمسألة التمائم.

وهذا بالنسبة لِهذا الكتاب فقط، وكُتُب الأذكار والصلوات على النبي الحاوية للمخالفات الشرعية كثيرة جدًّا، فقل مثلما قيل هنا فيما فيها من المخالفات.

والمبتدعة من الرافضة والصوفية القبورية كثيرًا ما تَجدهم يُكثرون الصلاة على النبي من إنشاءاتِهم الحاوية للكثير والكثير من المخالفات والشركيات والغلو والمجاوزات، فيُضيّعوا حقوق الله تعالى، ويخالفوا رسوله بدَعوى محبتهم له –والله المستعان!

وما تقدم ليُؤكّد وجوب الالتزام بالألفاظ الشرعية في الصلاة على النبي ، بل وعموم باب الأذكار ليحصل السلامة من الوقوع في المخالفات الشرعية. وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة، والذين كان سلَفُهم الصحابة القائلين: فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ والذين قال الرّسُول لأحَدهم بعدما رَدَّد الذكر الذي علّمه إياه ليَسْتَذْكِرَهُنَّ، فقَالَ: (آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) قَالَ له: " **قُلْ آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ** "[2].

فالصحابة ومتبعوهم مِن أهل السنة يتقيّدون بالصيغة النبوية السابقة، لأنها الفُضلى الكاملة الآمنة، والتي الفائدة للأخذ بِها مُحَقّقة، والمَضرّة عنها منتفية، ولا يَرغبُون عن هذه الصيغة. كما أنّهم أجْمعُوا على صيغَتَين أُخْريَين في باب الصلاة على النبي ، وهما: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام، وقد امتلأ بِهما كُتُب

---

[1] (?) الجزولي، المصدر نفسه، ص396-397.

[2] (?) الحديث متفق عليه من حديث الْبَرَاء بْن عَازِبٍ ، وقد تقدم تخريجه.

الحديث، ويَجمعان بين المأمور به من الصلاة والسلام عليه[1] .

ولِمَا أنّ هذا المطلب هو آخر المطالب الْمنتظم تحت آخر المباحث لِهذه الرسالة التي أرجو أن يُبارك الله فيها، أقول مختتمًا المبحث خصوصًا، والبحث (الرسالة) عمومًا:

اللهم يا ولي يا حميد يا مجيد، فاجعلنا –بِما أكثرنا مِن الصلاة على عبدِك ورسولِك محمدٍ في هذا البحث- مِن أوليائك الْمحبين لرسولك، الصالحين، فنزداد بِهذه الصلوات حُبًّنا له، ويزيدُنا حبُّنا له إكثارًا لِهذه الصلوات الطيبات المباركات، واجعلنا مِن الذين يَشفعُ فيهم نبيُّهم يوم تبيضُّ وجوه، وتسودُّ وجوه! يا رحمن يا رحيم!!

*** ** ** *** ** ** ***

الخاتمة:

وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

الحمد لله الّذي بنعمته تَتمُّ الصّالحات, وبجود كرمه تُنالُ البركات, وبلطفه يذلّل الصّعوبات. وصلىّ الله وسلّم وبارك وأنعم وشرّف وكرّم على عبده ورسوله نبينا محمدٍ الذي بُعث رحمةً لجميع البريّات, وعلى آله وصحبه أولو الفضل والمكرمات, وسلّم تسليما مزيدًا.

أما بعد: فبعد هذه الرّحلة الطّويلة التي عشت فيها مع موضوع: العقيدة في عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ بين الغلاة والجفاة، في ضوء الكتاب والسنة، وفي ضوء واقع الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام ومواقفهم منه ؛ بذكر المعتقد الصحيح فيه المأخوذ من التعليمات الإسلامية (الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية)، والذي هو -بِحمد الله كما أثبتت الدراسة- العقيدة التي كانت عليها أهلُ السنة والجماعة من الصحابة وتابعيهم إلى أنْ يأتِي أمر الله. وبذكر الطرفين؛ الغالي فيه، والجافي عنه: مِمّا وقَفَتْها الفرَقُ المنتسبةُ إلى الدين الإسلامي = يَجمل بِي في خاتمة ذلك أنْ أقدّم عرضًا ملخّصًا للمعالم الرّئيسة لِهذا

---

[1] انظر: فضل الصلاة على النبي وبيان معناها وكيفيتها وشيء مما أُلّف فيها، للشيخ عبد المحسن العباد البدر، (ج6/ 66-67).

البحث، بذكر أهمّ ما ورد فيه, مع عرضٍ موجزٍ للنّتائج، ثم التّوصيات. على النحو التالي:

أولا: خلاصة البحث.

ثانيًا: أهم نتائج البحث.

ثالثًا: توصيات البحث.

أولا: خلاصة البحث:

تناول الباحث موضوع **العقيدة في عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ بين الغلاة والجفاة، في ضوء الكتاب والسنة، وفي ضوء واقع الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام ومواقفهم منه** منطلقًا من الأحاديث الكثيرة التي تحمل معانِي عظيمة في هذا الباب، وهي الأحاديث التي فيها الشهادة لِنبينا محمدٍ بأنّه: عبدُ الله ورسولُه، ووصفُه بذلك. وقد جَمع منها الباحث ثلاثين حديثًا بدلالاتها المتنوعة.

-مثل الحديث الذي فيه: الأمر النبوي بأنْ نشهد له ونقول: **عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** -بقلوبنا وألسنتنا، ونعمل بمقتضاه الذي منه: الانتهاء عن إطرائه ورفعه فوق منزلته بأبِي هو أمّي: "**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**" [1]. ففي الحديث: نَهيُ المادحين عن مُجاوزة الحد في مدحه، وكذلك مدحه بالباطل.

-وكذلك الأحاديث **التي فيها** أنّه لا يُحبّ أنْ يُرفع فوق المنزلة التي أنزله الله تعالى عليها (وهي منزلة العبد المربوب كاملِ العبادة لله، بضميمة النبوة والرسالة) كقوله لَمّا قال ناسٌ: يَا مُحَمَّدُ! يَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا! وَخَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ؛ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ! مَا أُحِبُّ أَنْ**

---

[1] (?) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ، رقم: 3445.

تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ ﷺ "[1]**.**
وكقوله ﷺ: "**لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي رَسُولا"** فيما رواه عنه أهل بيته الأطهار حيث روى عنه عَلِيّ بن الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ مرفوعًا[2]. وهذا فيه: أنّه اتخذَه ربُّه عبدًا قبل أنْ يتخذه رسولا.

-وكالأحاديث التي دلّت على أنّ مَن يَشهد لنبِيّنا محمدٍ ﷺ بصفتَي عبوديته لله والرسالة ويُقرّ بذلك، مع طائفةٍ من مطالبَ شرعية، فهو من أهل وعد الله بالجنة، ومحرّمٌ على النار، منها: **(أ)** قوله ﷺ: **(مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ؛ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ "**، متفق عليه، وعند مسلم بلفظ: " **وأنَّ عيسى عَبْدُ اللَّهِ وابن أمته** " وفي آخره: " **أدخله الله مِن أيِّ أَبْوَاب الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَة شَاءَ "**[3] **. (ب)** وأنه لا يَتَوَضَّأُ عبدٌ وَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ وُضُوئِهِ " **أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** "، إِلا

---

1 (?) سنن النسائي في الكبرى، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل: سيِّدنا وسيِّدي، رقم: 10077، وأحمد: في مسند أنس ﷺ رقم: 12573، 13553 (بسندٍ ضعيفٍ)، ثم 13621، والحاكم: معرفة الصحابة، باب: أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن علي الشهيد رضي الله عنهما ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ و على آله، رقم: 4825، وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعدما أورد الحديث: رواه النسائي بسندٍ جيِّد، (وانظر: كتاب التوحيد، باب: ما جاء في حماية النبيِّ ﷺ حمى التوحيد، وسدِّه طرق الشرك، ص 339).

2 (?) الطبراني في الكبير، رقم: 2820، قال الشيخ الألباني بعدما أورده من مستدرك الحاكم، قال الحاكم: (صحيح الإسناد)، ثم قال: ووافقه الذهبي. وقال: (قلتُ: وهو كما قالا) –انظره: السلسلة الصحيحة، ج 6/ص106، برقم: 2550 (النهي عن الغلو في تعظيمه ﷺ)-. وهذا الأثر عظيمٌ!

3 (?) صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ الآية. رقم 3435، وصحيح مسلم: الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، رقم: 28 .

فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ "[1].

(ت) وفي حديث إرداف معاذ على الدابة، أنه: "**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، إِلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**"[2].

-بل جاء في بعض الأحاديث: **أ**نّ خير الخيارَين الذي اختاره رسولُ الله لَما خُيّر بين أن يكون مَلِكًا نَبِيًّا، أوْ عَبْدًا رَسُولا، هو ما يُحبُّه له ولغيره ربُّه من التواضع لله والتذلل والخضوع له، وهو من مقتضى العبودية (فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: « جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ! قَالَ: " **بَلْ عَبْدًا رَسُولا** "[3].

هذا، إلى غير ذلك من الأدلة والدلالات الشرعية الجامعة للنبيِّ الصفتين (صفة العبودية والرسالة). وأنه لَمّا تجمع عندي عددٌ طيّبٌ أحببتُ أنْ أدرُسَها مستخرجًا دُرَرَها لاستفادتي أنا أولا، ثم نشرها في العالمين. وبَحثتُ فلَم أرَ رسالة انطلقت من حيث انطلقت هذه، ومن حيث جمعها لِمواقف المنتسبين إلى الإسلام مِن عبْد الله ورسولِه؛ نبِيّ الإسلام محمد ، وحينها استعنتُ بالله تعالى، فوضعتُ الخطة على النحو الذي سبق في البحث. فالمقصود أنّ فكرة هذا البحث انبثقت من تأمل دلالات تلك الأحاديث، ثم انطلق البحث منها.كما أنّ الواقع المرير للفرق المنتسبة إلى الإسلام المخالف لِما دلّت عليه النصوص السابقة زادني اشتياقًا إلى الكتابة في الموضوع. وعدم وجود رسالة علمية –حسب علمي- أيضًا

---

1 (?) صحيح مسلم: الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، 234 .

2 (?) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، رقم: 32.

3 (?) أحمد في مسند أبي هريرة، ورقمه: 7160، وابن حِبان: التاريخ، باب من صفته وأخباره، رقم: 6365، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

انطلقت من حيث انطلقت هذه، ومن حيث جمعها لِمواقف المنتسبين إلى الإسلام مِنه له دوره الكبير.

وأقول هنا: تلك هي طائفة من الأحاديث الكثيرة التي فيها الشهادة لِمحمدٍ بأنّه: عبدُ الله ورسولُه، بدلالاتها المتنوّعة، والتي **منها**: محبة هذا النبي لِوصفه بصفة العبودية والرسالة **كالحديث الأخير** منها. وأمر الناس أنْ يقولوا فيه (عبدُ الله ورسولُه) باللسان وبالقلب، ثم يَعملوا بِمقتضاهما بالجوارح، ثم التنصيص على النهي عن إطرائه ورفعه فوق منزلته، **كالحديث الأول**. **وفي الطائفة الثانية** التعريف بالنبي وأنه **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،** ثم القَسم منه -وهو البارُّ الصادق في قسَمِه- بأنّه لا يُحبّ أنْ يُرفع فوق المنزلة التي أنزله الله تعالى عليها (وهي منزلة العبد المربوب كاملِ العبادة، بضميمة النبوة والرسالة). كما جاء **في الأخرى**: اشتراط أنْ **يُصدّق اللِسَانَ القَلْبُ والجوارح**، قبل أنْ يتحقق الوعد المذكور بفتح أبواب الجنة، والتحريم من النار. وغير ذلك من الدلالات. فكما أنّني جمعتُ هذه الأحاديث فقد وقفتُ كذلك على عبارات جميلة في شرح المقاطع المستشهد بها منها، كقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- في شرح حديث تعليم النبِيّ الصحابة التشهد كما يُعلّمهم السورة من القرآن، والذي منه: (أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**)** قال في شروط الصلاة وأركانها وواجباتها: «**عبدٌ لا يُعبَد، ونبِيٌّ لا يُكذَّب؛ بل يُطاعُ ويُتّبع، شرّفه الله بالعبودية**»[1].

تلك أبرزُ نصوص الباب وقد نثَرتُ النصوص الأخرى في مواضعها من البحث، وكما أنّ فيها: حمايةَ المصطفى حمى التوحيد وسدَّه ذرائعِ الموصلةِ إلى الشرك. فكذلك فيها بيانُ منْزلتِه العالية، ومكانته الشريفة، حيث اصطفاه الله له رسولا، وأوجَب له حقوقًا، من الإيمان به

---

[1] (?) شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، ص33 (ضمن مجموع فيه كتاب التوحيد والأربعين النووية وغيرهما).

والتسليم له، وأوجب طاعتَه واتباعه، ومحبته التي تفوق محبة كل أحد، حتى من النفس التي بين جنبي الإنسان، وتعظيمه وتعزيره وتوقيره، وتعظيم ما جاء به كتابًا وسُنة، وكذلك تعظيم أهله وصَحبِه ومُتّبعيهم بإحسان، وكذلك تحكيمه في كل شؤون الحياة والتحاكم إليه، واعتقاد أفضليته وسيادته على ولد آدم أجمعين، واعتقاد خاتِمية نبوته للنبوات، وغير ذلك من حقوقه التي فيها عَظَمتُه. ثم إنّ الصحابة الذين تربَّوا على يديه ومَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين (أهل السنة والجماعة) قد آمنوا بِهذه الأمور، وعملوا بِمقتضاها. أما غيرهم -فكما مرّ في البحث- فإنهم أخلّوا ببعض هذه المطالب بالغلو أو بالتقصير.

ثم تناول الباحث الموضوع من خلال: **مقدِّمةٍ, ومدخلٍ, وأربعة أبوابٍ, وخاتِمةٍ, وفهارس** علمية تسهّل الاستفادة من البحث.

ففي المقدّمة: ذكرٌ لأهمّية الدراسة وأسباب اختياري للموضوع، والدّراسات السابقة حوله, ثم ذكر خطّة البحث والمنهج الذي سار الباحث على ضوئه في كتابته، ثم ختمتها بالشكر والتقدير.

وفي التمهيد: **تناوَلَ فيه بيانَ مفردات عنوان البحث**؛ حيث اشتمل على أربعة مطالب: **الأول** منها في التعريف بالمقام لغة واصطلاحًا. و**الثاني: في** التعريف بالعبودية لغة وشرعًا، وذكر أنواع العبادة بعِدّة اعتباراتٍ، ومِن ثَمّ بيان معنى مصطلح "مقام العبودية" من خلال أربعة مطالب. **والثالث: في** التعريف بالنبي والرسول لغة وشرعًا، وتحقيق القول في الفرق بينهما، ومِن ثَمّ بيان معنى مصطلح "مقام النبوة والرسالة" من خلال أربعة مطالب. **والأخير:** بيّنتُ فيه معنى الفِرَق لغةً، واصطلاحًا، وتدرجتُ من خلاله إلى بيان المراد بِمصطلح: " الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام "، من خلال ثلاثة مطالب.

ثم الباب الأول كان: في بيان **مقام العبودية لنبيِّنا محمدٍ **، وأدرَجتُ **فيه فصلين؛ فصلا:** لبيان

بشريته وكون النبي مربوبًا، مثله مثل غيره، (فلفظة "العبْد" فيه فَعلٌ بِمعنى "المفعول": فهو معَبّد مخلوق مَملوك مدَّبَر، يَجري عليه كُلّ ما يجري على غيره من جنسه)، **وضمنتُه أحَدَ عشَر مبحثًا**، **تحتها واحدٌ وثلاثون مطلبًا**، كُلّها شواهد وأدلة للبشرية والضعف والعجز والحاجة، ومِن خلالها تَم أنْ فصّلتُ عن أبرز طائفة من خصائص البشريّة، مُتمثلةً فيه . وتبيّن من خلال دراسة تلك المطالب ثلاثة أمور: **الأول:** أنّه كغيره من جنسه في الاتصاف بِصفات البشرية وخصائصها. وهذا أكبر دليل على أنّه مربوبٌ ليس له من خصائص الربّ الخالق شيءٌ. **الثاني:** الشرح والإيضاح لبعض الميزات التي خصّه الله تعالى بها في تلك الصفات؛ فتفرّد بها دون أمته، وشاركه فيها الأنبياء أمثاله، مثل كون الأَنْبِيَاء تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ، وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ. **الثالث**: انتفاءُ خصائص البشرية عن الله سبحانه، مثل الزواج والولادة والجوع والأكل والنوم والنسيان والمرض والموت. وأما **الفصل الثاني** من الباب: فهو في بيان كمال عبودية نبينا محمدٍ لربّه ، وأنّ ما ورَد في الفصل من العبودية فهي العبودية التابعة للألوهية؛ حيث إنّ لفظة " العبد " هنا بِمعنى: العابد المحبّ الخائف الراجي، ..إلخ. وجعلتُه **في عشرة مباحث**، تبيّن بِها أنّ رسولنا محمدًا كاملُ العبودية والعبادة لله تبارك وتعالى، بل هو أكمل الناس تحقيقًا للعبودية، فهو أكملهم حُبًّا لله، وذُلا لجنابه، وخوفًا منه، ورجاء له ولِما عنده، أعلمهم به وأتقاهم له، وأنصحهم للخلق، وأنّ عبوديته هي التي يُسمّيها العلماء عبودية أخصّ خاصة الخاصة، والتي أشاد الله ونوّه بها في كتابه. فالمؤمنون أولياء الله وعباده الخاصة، والأنبياء منهم خاصة الخاصة، وهو أخصّ الخاصة، صلوات ربّي وسلامه وبركاته عليه. لذا اتخذَ ربُّه خليلا، كما اتخذَه ربُّه هو وإبراهيم –عليهما السلام- خليلَين، ولَم يتخذ غيرهما، والخلة فوق المحبة، فهو سبحانه يُحبّ أنبياءَه والصالحين، وجعل خلّته في عَبْدَيْه ورسولَيه. كما أنّه سبحانه قدّم عبدَه رسولنَا محمدًا على الأنبياء والمرسلين في الدنيا

والآخرة، وما ذلك إلا لتكميله العبودية له، فصلوات ربّي وسلامُه وبركاته عليه من محققٍ للتوحيد.

وبعد، فالباب الأول من هذه الرسالة مَبنِيّ على لفظَة العَبْدِ التي تَمّ النظر إليها من جِهة الفاعليّة والمفعولية؛ ذلك أنّ الأفعال المتعدية -في اللغة- يَصلُح أنْ يُنظَر إليها مِن الجهتَين؛ (جهة الفاعلية، وجهة المفعولية).

وأتَى **الباب الثانِي بعنوان: (مقام الرسالة لنبيِّنا محمدٍ ﷺ)؛** وجاءتْ فصُوله الثلاثةُ تقرر **أولا:** نُبُوَّته ﷺ ورسالتَه؛ بدلائلها وآياتها (واكتفيتُ في الرسالة بذكر: البشارات به ﷺ في التوراة والإنجيل، وكذلك المبشِّرات والإرهاصات قبل بعثته، ثم المعجزات التي أيّده الله بها: من نزول القرآن عليه، والإسراء به والمعراج، وإجابة دعوته.. إلخ). **وهذا فصلٌ. والفصل الثانِي**: في عموم رسالة نبينا محمدٍ ﷺ وكمالها وختم الرسالات والنبوات به. **بينما جاء الفصل الأخير: لبيان** لوازم رسالته المتعلقة به (من إيمانه ﷺ بها، واتباعه لها، وتبليغه ما حُمّل من تكاليفها). وكذلك اللوازم المتعلقة بالإيمان بها (من حيث الإيمان برسالته، وتصديقه في أخباره، وطاعتُه واتباعُه، ومحبته وتعزيره وتوقيره، والتحاكم إليه وإلى شريعته والتسليم له، ...إلخ.).

وقد اتضح بالبابين الأول والثاني: العقيدة الحقّةُ فيه ﷺ -المأخوذة من دلالات النصوص-.

ولوَزْن مواقف الناس؛ المنتسبين إلى الإسلام من هذه العقيدة من حيث التزامها الكلّي والجزئي، عقدتُ الباب الثالث: بعنوان: **مواقف الفرق المنتسبة إلى الإسلام مِن مقام العبودية والرسالة لنبينا محمد ﷺ** ، واندرج تحته **ستةُ فصول**، كلٌّ فرقة اختصت بفصل، فللخوارج فصل، وللرافضة والزيدية فصل، وللمتكلّمين والمتفلسفة فصل، وللصوفية والبريلوية فصل، وللقرآنيين والقاديانيين فصل، وللبابيّة والبهائيّة فصل.

وقد توصّلت الدراسة إلى أنّ هذه الفرق كُلّها جانبت الصواب في العقيدة فيه ، وإنْ كانت على درجات متفاوتة قبحًا. وأنّ بعضها كالرافضة والصوفية غلاةُ في شخصه بإعطائه خصائص الربّ والإله (كعبادته ودعائه واستغاثته أو القول بأنّه يعلم الغيب، أو إليه التصرّف والتصريف في الكون لا إلى ربّه، وغير ذلك)، كما أنهم جُفاةٌ إيّاه وشريعتَه ورسالتَه، فجمعوا بين الداءين الخبيثين (الغلو والجفاء) في موقفهم منه ، وجانبوا الوسطية المأمور بها. كما أنّ طائفة مِن الفِرَق جفاةٌ شريعتَه ورسالتَه، مثل الخوارج والمعتزلة والأشعرية والماتريدية والزيدية. ومن الفرق المنتسبة إلى الإسلام مَن خرجت من الإسلام بالكُلّية بسبب جفائها في جانب رسالته؛ فكفرت بسنته التي أوحي الله إليه، كالطائفة المدعوة بالقرآنيين. وزعمَ بعضُها أنّ هناك أنبياء بعده، وكفرَت بالمجمع عليه من ختم النبوة به كالسبئية والخطابية والجناحية وغيرها. وزعمت أخرى أنّ أحدًا جاء بعده فنسخ شريعته كلا أو بعضًا، كالإسماعيلية والبابيّة والبهائيّة، ومنها: القاديانيّة. وفضّلَت فِرَقٌ بعضَ الناس عليه كالسبئيّة أيضًا، والغرابية والحلولية من الصوفية والرافضة، والإسماعيلية، والنصيرية والدروز، وكالبابية والبهائيّة والقاديانيّة. كما فضّلت فِرَقٌ وقدمت معقولاتِها على ما جاء به من الكتاب والسنة، مثل الفلاسفة والمتكلمين. وزعم ناسٌ من الفرقة التجانية أنّ وِرْدًا أو صلاة أفضل ثوابًا من قراءة القرآن. كما اعتقدت فِرقتا البابية والبهائية الشيعية أنّ قرآنها الذي ما أوحاه إلى شيخها إلا الشيطانُ أفضلُ من قرآن محمد . إلى أمثال ذلك من صُوَر جفاء رسالة النبِيّ ؛ بكتابه وسُنته وشريعته، أو شخصه. وكذلك الأمر في صُوَر الغلوّ فيه، مما تقدم تفصيله في الباب الثالث خصوصًا، ووَقَفْتُهُ هذه الفرق تِجاهه من المواقف الغالية والجافية.

ثم إنّ الجفاء في البحث يَعنِي: مخالفة شريعة محمدٍ بِهوى، أو بتأويل غير سائغ، وبناءً عليه فإنّ كُلّ مخالفة للعقيدة الصحيحة كانت إحدى الفِرَق المنتمين إلى

الإسلام عليها فإنّها تُعتبَرُ جفاءً لجانب رسالة نبيّنا محمد ، ذلك أنّ مخالفاتهم ناشئة عن تأويل غير سائغ أو عن هوى؛ وعليه أيضًا فإنّ ما ذكَرتُه في كامل الرسالة عمومًا وفي باب الفرق خصوصًا من جفاء الفِرَق للرسالة المحمدية لا يتجاوز العيّنة؛ إذْ واقعهم فوق ما يُتَوقّع, والله المستعان! **هذا من حيث الإجمال. وأزيد بعضَ تفصيلٍ بالنسبة لهذا الباب (باب الفِرَق) فأقول: كان الفصل الأول** من هذا الباب في بيان موقف الخوارج من الرسالة المحمديّة، والذي اتسم بالجفاء والمخالفة لها، كما أنّ رأسهم جفَا شخْصَ رسول الله أيضًا بقوله: اعدل؛ فإنّك لَم تعدل. **والفصل الثانِي** فيه في بيان مواقف الرافضة بفِرَقها الكثيرة والكثيرة من الرسالة المحمدية، والذي جمع بين الغُلُوّ والجفاء. كما أنّ تتمة الفصل كان في جفاء الفرقة الزيدية للرسالة المحمدية. **بينما جاء الثالث** لبيان مواقف المتكلمين (المعتزلة، الأشاعرة، الماتريديّة) والمتفلسفة الجافية من الرسالة المحمدية، مُمهدة بِموقف الجهمية الكامن في تقديم عقولهم على كتاب الله وسنة رسوله . **والرابع** في مواقف الصوفية بِفرَقها الكثيرة الكثيرة من الرسالة المحمديّة، وقد جَمعتْ مواقفُهم بين الغلوّ والجفاء. وقد خصصتُ فرقة من فِرَق الصوفية وهي الفرقة البريلوية بِمبحث –لِما عندها من مزيد الغُلُوّ والجفاء- ففصلتُ في مواقفها. **والخامس** في مواقف الفرقة المدعوة بالقرآنيين، والقاديانيّة المتمثّل في عدة صُوَرٍ جفائيّة. **والسادس والأخير** هو في مواقف البابيّة والبهائيّة من الرسالة المحمديّة، وقد تمثل ذلك في جفاء شريعة النبِيّ ورسالته من طرف، وجفاء شخصه من الطرف الثاني.

ثم إنه قد اصطلح العلماء والمتخصصون بتسمية هذه الفرق: بالفرق المنتسبة إلى الإسلام، ذلك أنّ منها ما هي صحيحة الإسلام، وإنْ كان عندها مخالفات وبِدعٍ بِحسبها. كما أن منها: ما أجمع العلماء على تكفيرها؛ فلَم تكن صحيحة الانتساب إليه. ومنها: ما اختلف أقوال العلماء

والباحثين قديمًا وحديثًا في صحة انتسابها إليه، أو مروقها منه.

وقد ذكرتُ من خلال فصول الفرق (الباب الثالث) صُوَرًا عديدة ونماذج كثيرة، ومتناقضة في نفس الوقت، وَقَفَتْها الفِرَقُ المنتسبين إلى الإسلام من عبودية نبينا محمد ورسالته –غُلُوًّا وجفاءً. وقد تبيّن بِذلك (المواقف التي وقَفَتْها الفرق منه) أنّهم –وإنْ زعَمَتْ بعضها كالصوفية والرافضة أولَوِيَّتها برسول الله من أهل السنة، بل واتهموهم ويتّهمونَهم بأنّهم يكرهونه ولا يُحبّونه، أو أنهم لا يُحبّونه كثيرًا، أو بأنّهم ينتقصونه –على زعمهم- ولا يُعظّمونه (رَمَتْنِي بدائها وانْسَلَت) إلا أنّ المخالفات التي كانت الفِرَق عليها –مما قد مَرّ بعضُه وأبرزُه- والبِدَع والطآمات لأدلةٌ كافيةٌ في بيان بُعدها عن الصراط المستقيم الذي كان عليه الرسول ، وصحابتُه رضي الله عنهم.

وبعد ذكري للعقائد المخالفة للحق فيه في الباب المتقدم، فإنّي عَقَدتُ **بابًا رابعًا** عنوانه: **وسطيّة أهل السنّة في العبد الرسول محمد بين الغُلاة والجُفاة**، ضمنتُه فصلين، وبيّنتُ فيه العقيدة الصحيحة فيه ، كما حصَل به ردٌّ إجمالِيٌّ على الشُّبَه والمخالفات التي جاءت في باب الفرق، وكان الختام به مسكًا، هذا أولا. وأول الفصلين جاء بعنوان: (**أهل السّنّة لَم يغلُوا في العبد الرسول محمد **)، وانتظم تحته ثَمانيةُ مباحث. والثاني: في أنّ (**أهل السنّة لَم يجفُوا العبدَ الرسولَ محمدًا **) وانتظم تحته سبعة مباحث، وتناوَلتُ فيهما بقية المسائل التي لم تندرج في البابَيْن الأوّل والثاني، كما ذكَرتُ أوجه وسطية أهل السنة بين الغلاة والجفاة في جميع المسائل المذكورة في الرسالة.

وحصل بذلك **فائدتان: الأولى: تأصيل** تلك المسائل بأدلتها، وبيان أنّ أهل السنة أخذوا بها كلّها –والحمد لله! **الثانية: الرد** الموسَّع على مواقف الغلاة والجفاة فيه ، والتِي جاء ذكرُها في الباب الثالث.

وبعد: فهذه هي الأبواب الأربعة التي تضمنتها الرسالة، وقد حرصتُ كُلّ الحرص على أنْ أَلِمّ بِجميع ما يُمكن أنْ يُقال في هذه الأبواب بفصولِها ومباحثها ومطالبها ومسائلها وغير ذلك من الأمور المندرجة تحتها قدر الاستطاعة؛ ذلك حتى وإنْ كان الموضوع واسعًا ينبغي أنْ يُكتَب فيه رسائل، فيقال مثلا: (عبوديةُ نبيّنا محمد ورسالتُه ومَوقف الصوفية من ذلك -غُلُوًّا وجفاءً-)، و(عبوديةُ نبيّنا مُحمد ورسالتُه ومَوقف الرّافضة والزّيديّة مِن ذلك غُلُوًّا وجفاءً)، و(عبودية نبينا محمد ورسالته وموقف المتفلسفة والمتكلمين من ذلك)، و(عبودية نبيّنا محمد ورسالته وموقف القاديانية والبابيّة والبهائيّة من ذلك)، و(عبودية نبيّنا محمد ورسالتُه ومَوقف الجماعة المدعوة: بالقرآنيين من ذلك)، و(عبودية نبيّنا مُحمد ورسالتُه وموقف الخوارج من ذلك) إلى غير ذلك –كما أشار لي إليه بعض الأساتذة الفضلاء في القسم، لكنه لَمّا لم يتم ذلك، وبقيت الخطة شاملةً لِكُلّ ما تقدم عملتُ قدر ما أستطيع لإجلاء وتوضيح العناوين التي ضمنتُها الخطة. ولا أدّعي فيه الكمال؛ فهو مستحيل، فالقصور والتقصير موجود، والله أسأل الغفران، إلا أننِي لَم آلُ جُهدًا في ذلك؛ فالله أسأل القبول. وأما بالنسبة لما أشرتُ إليه من طول الخطة فإنها احتوت: أربعة أبواب، اندرج تحتها أربعة عشر فصلا، وأكثر من ستين مبحثًا، تضم أكثر من مائتَي مطلبٍ، وأكثر من ثلاثمائة مسألة. هذا ملخّص البحث. وقد أنهَيْتُها بهذه الخاتمة (لتحتوي على ملخص البحث، وأهم النتائج، ثم التوصيات).

ثانيًا: أهم نتائج البحث:

بعد تلك الجولة الماتعة فقد توصل البحث إلى عدة نتائج، سأشير هنا إلى أهمها:

أولا: إنّ نصوص القرآن والسّنّة قد نصَّتْ على أمورٍ متعدِّدة –أوامر ونواهي- فيما يتعلَّق بشأن نبيّنا وَبِمَا جَاءَ بِهِ: فيجب على كلّ المسلمين، بل وعلى جميع العالمين ممَن رجى سَعَادَة نفسه وَأَحَبّ نَجَاتَهَا أنْ ينْصَحَها؛ فَيَعْرِفَ

مِنْ هَدْيِهِ، وَسِيرَتِهِ، وَشَأْنِهِ، مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ، ذلك أَنّ سَعَادَةَ الْعَبْدِ فِي الدّارَيْنِ بعد بعثته مُعَلّقَةً بِهَدْيِه مِن حيث مَعْرفَتُه ومَعْرِفَةُ مَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقه فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَته فِيمَا أَمَرَ؛ فَإِنّهُ لا سَبِيلَ إلَى السّعَادَةِ وَالْفَلاحِ، لا فِي الدّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ، إلا عَلَى يديه، وَلا سَبِيلَ إلَى مَعْرِفَةِ الطّيّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التّفْصِيلِ إلا مِنْ جِهَتِهِ، وَلا يُنَالُ رِضَا اللّهِ أَلْبَتّةَ إلا عَلَى يدِيهِ، فَالطّيّبُ مِنْ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ وَالأَخْلاقِ بعد بعثته لَيْسَ إلا هَدْيَهُ، وَمَا جَاء بِهِ، فَهُو الْمِيزَانُ الرّاجِحُ الّذِي عَلَى أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَخْلاقِهِ، تُوزَنُ الأَقْوَالُ وَالأَخْلاقُ وَالأَعْمَالُ، وبمتابعته يَتَمَيّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضّلالِ، فَالضّرُورَةُ إلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنِ إلَى نُورِهَا، وَالرّوحِ إلَى حَيَاتِهَا. فأيّ ضرورةٍ وحاجةٍ فُرِضَت فضرورة العبد وحاجته إلى هذا الرّسول فوقها بكثيرٍ. وما ظَنُّك بِمَن إذا غَابَ عَنْك هَدْيُهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَسَدَ قَلْبُك، وَصَارَ كَالْحُوتِ إذَا فَارَقَ الْمَاءَ، وَوُضِعَ فِي الْمِقْلاةِ. فَحَالُ الْعَبْدِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ قَلْبِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرّسُولُ، كَهَذِهِ الْحَالِ بَلْ أَعْظَمُ.

ثانيًا: وهو كتأكيد لِما سبق من كون الأوامر الإلهية ونواهيه المتعلقة بهذا الأمر كثيرةٌ، وكذلك تفسيرها وبيانُها التي جاءت على لسان رسوله في الأحاديث، **أقول**: مَن أخَذَ بِهذه الأمور (الأوامر والنواهي) جَميعها، وآمَن بِها، وعمِل بِمقتضاها يكون قد توسَّط. بينما مَن أخَلَّ بشيءٍ منها تعمدًّا فهو لا محالة يقَع في أحَدِ حالَيْن؛ إما الغُلُوّ أو التنقُّص في عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ . **وإنّ مِن أهم هذه الأوامر**: الأمر بالإيمان بالرسول وبما جاء به، واعتقاد خاتمية رسالته للنبوات، وأنّ رسالته كافية شافية كاملة لا تحتاج إلى مكملّ، واعتقاد سيادته على بني آدم طُرًّا أجمعين، وكذلك التسليم له وتحكيمه في شؤون الحياة والتحاكم إليه، وطاعته واتباعه، ومحبته التي تفوق محبة كل أحد، وتعظيمه وتعزيره وتوقيره، وتعظيم ما جاء به كتابًا وسُنة، وكذلك تعظيم أهله وصَحبِه ومُتّبعيهم بإحسان. والأمر بإنزاله منزلته الشرعية؛ دون

زيادة عليها أو نقصان، بل والأمر باعتقاد جميع مقتضيات كونه عبدًا رسولا، وغير ذلك من حقوقه التي فيها عَظَمتُه.

ومِن النواهي في الباب: النهي عن إطرائه ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله عليها، بالقول مثلا بأنه يعلم الغيب، أو أنه يسجد له، الاستغاثة به، وتسوية مشيئته بمشيئة ربه تعالى بالواو، أو الزعم بأنه يصلى إلى قبره، أو يجعل قبره مسجدًا، أو وثنًا، أو عيدًا، أو أنه يُشدّ الرحال لا إلى مسجده بل إلى قبره. وكذلك النهي عن أنْ يوصف بصفات ربه وخصائصه، أو يُصرَف إليه شيءٌ مما لا يستحقه إلا إلهُه وخالقه من الحقوق. فكلّ هذه وغيرها من النواهي التي نَهى الله تعالى عنها ورسوله .

ثالثًا: أثبتت الدراسة أنّ أهل السنة والجماعة من الصحابة وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين هم: أسعد المنتسبين إلى الإسلام من أفراد وجماعات برسول الله ؛ فهم أشد المسلمين حُبًّا له –الحبّ المشروع- بحيث يحبونه بأشدّ مما يحبون أنفسهم ووالديهم وأموالهم والناس أجمعين، وأكثرهم تعظيمًا له وتوقيرًا وتعزيرًا، وتعظيمًا لما جاء به، كما أنهم أكثرهم اتباعًا له وتقديمًا لقوله على قول أيّ أحدٍ، وتركًا للابتداع. وسيكونون –لتوحيدهم واتباعهم- كذلك يوم القيامة أسعدَهم بشفاعته والشرب من حوضه.

كما أثبتت أنّ كلّ الفرق المنتسبة إلى الدين الإسلامي غير أهل السنة خالفوا العقيدة الحقة في عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ بوجه أو بآخر؛ فهم إما غلاةٌ فيه ، أو مقصِّرون، أو تكون الفرقة جمعت بين الداءين. والله المستعان!

رابعًا: تقرر في البحث أنّ عبْدَ الله ورسولَه نبيَّنا محمدًا بشَرٌ له مِن خصائصهم، كما تقرر أنه ليس له مِن خصائص الربوبية والإلهية شيءٌ. ولَمّا كان كذلك فلأنْ تثبُت خصائص البشرية –كالنسيان- لغيره مِن المعظّمين، وتنتفي عنه خصائصُ الإلهية مِن باب أولى. وهذا فيه اجتثاثٌ للغلوّ مِن أساسه، ورَدٌّ على الرافضة والصوفية، ولله الحمد.

خامسًا: وأثبتت الدراسة أنّ الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام والتي مَرّ في البحث ذكرٌ لأوجِه وصُوَر من مواقفهم الغالية فيه والجافية عنه: لها شَبَهٌ جُمْلِيٌّ باليهود والنصارى الذين أخبَر الرسول بأنّ طوائف من هذه الأمة ستتبعها، فاليهود والنصارى جُفاة في أنبياء الله تعالى ورسله عامة، غلاة فيهم، كما أنهم جفاةٌ في نبينا محمد خاصة، ويكفي مثالا للأخير: ما يَحصُل من تِمثيله ورسمه استهزاءً به، في هذه الأيام. ... فإذا كانت النصارى غَلَت في عبدِ الله ورسولِه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه (عيسى) بحيث اعتقدوا فيه الإلهية، واعتقد طائفة منهم بُنُوّتَه لله، تعالى الله وتقدس عما يقولون. وإذا كانوا هم واليهود اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم، .. فإنّ ممن ينتسب إلى الإسلام مَن يَصرف لُبّ العبادة إلى عبد الله ورسوله، فيستغيثون به وبغيره في الشدائد، كما يلوذون به ويستعيذون به بعد وفاته، وفيما لا يقدر على كثيرٍ منه حال حياته. كما أنّ منهم من يتخذون قبور الصالحين مساجد في أكثر أنحاء العالم الإسلامي، إلى غير ذلك من صُور الغلو في المعظمين. وإذا غلب على اليهود الجفاء في الأنبياء بصُور شتى، كالإيمان ببعضهم والكفر بالبعض، وكالتنقُّص منهم، والإيذاء، والسبّ، والشتم، والقذفُ بارتكاب جرائم السكر، والزنا، والقتل، ثم التشريد، والمطاردة، والقتل لبعضهم، وغير ذلك مما مرّ في البحث.

فإنّه وُجد من طوائف ينتسبون إلى هذا الدين (الإسلامي) تلبُّسٌ بعدة صُور جفائية، تجاه عبد الله ورسوله نبينا محمد والتي منها ما هو مخرج من الملة، ومنها ما هو دون ذلك. **فمن الأول**: الكفر بعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، باعتقاد أن فلانًا نبِي بعد النبي الخاتم؛ محمد ، وككثير من أنواع البدع والابتداع في الدين الذي خَيّم على كثيرٍ الفرق المنتسبة حتى سُمّوا بالمبتدعة، كبدعة تقديم العقول المتباينة على الشرع، عند المتفلسفة، وأذنابهم ممن أخذوا بمناهجهم، من جهمية ومعتزلة وأشعرية وماتردية وخوارج ورافضة

وغيرهم، وبدعة الكفر بالسنة النبوية عند الجماعة المدعوة بالقرآنيين، ووُجد مَن يَتّهم الرسول بالجور، ويقول له: اعدل فإنك لم تعدل. وكتفضيل بعض الناس على النبي مطلقًا أو من بعض الوجوه، كتفضيل الفيلسوف عند المتفلسفة، والولي عند الصوفية، والإمام عند الرافضة، عليه ، أو تفضيل مزاعم شيطانية على القرآن.

مثال الأول: قول الخميني: «...فإنَّ للإمام مقاماً محمودًا، ودرجةً سامية، وخلافة تكوينية؛ تخضع لولايتها وسيطرتها جَميعُ ذراتِ هذا الكون، وإنَّ من ضروريات مذهبِنا: أنَّ لأئمتنا مقامًا لا يبْلغه ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ،..وقد ورد عنهم(ع): إنَّ لنا مع الله حالات لا يسعها ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسل »[1].

وادّعاءُ محمد علي الشرازي (ت: 1266هـ) تفضيلَ نفسه على رسول الله ، وأنّ البشر عاجزون عن الإتيان بحرفٍ واحدٍ من حروف قرآنه الموسوم بـ(ـالبيان)، بعد تفضيله على القرآن الكريم بالصراحة التي لا تقبل التأويل: « إنّي أفضلُ من محمد، كما أنّ قرآنِي أفضل من قرآن محمد، وإذا قال محمدٌ بعجز البشر عن الإتيان بسورة مِن سُوَر القرآن، فإنّي أقول بعَجَز البشر عن الإتيان بحرفٍ واحدٍ من حروف قرآنِي »[2]. وقال: « إنّ نبيّكم لم يُخلّف لكم بعده غير القرآن، فهاكم كتابِي البيان فاتلوه واقرأوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن»[3].

وادعاء تلميذه المسمى حسين علي المازندرانِي (ت: 1309هـ) تفضيلَ كتابَه (الموسوم بالأقدس) على القرآن:

---

1 (?) الحكومة الإسلامية، ص52، من منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى .

2 (?) مفتاح باب الأبواب لمحمد مهدي، ص20، بواسطة: البابيّة لإحسان، ص122، وص203، ودراسة عن فرقة البهائية، د. عبد القادر، ص175.

3 (?) نقله د. عبد الرحمن عميرة في المذاهب الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص259. والشيخ إحسان، في البابيّة عرض ونقد، ص122.

« وآيةٌ واحدة منه خيرٌ من كُتُب الأولين والآخرين »[4].

وقالَ في الأقدس: « قل تالله الحق، لا تغنيكم كُتُب العالَم ولا ما فيه من الصحف، إلا بِهذا الكتاب الذي ينطق في قطب الإبداع: أنّه لا إله إلا أنا العليم الحكيم »[5].

وسبق هؤلاء رأسُ الطريقة التيجانية (أحمد التجانِي – ت:1150هـ-) فزعم قبلهم أن (صلاة الفاتح لِما أُغلق) التي ادّعى أنّ الرسول جاءه يقظة ورَدّه إلى قولها بعد هجره لها: أفضل من القرآن بستة آلاف مرة، حيث قال: "...فلمّا أمرنِي بالرجوع إليها سألتُه عن فضلها، أخبَرَنِي أولاً بأنّ المرّة الواحدة منها تعدل من القرآن ستّ مرّات. ثم أخْبَرَنِي ثانيًا أنّ المرة الواحدة تَعدل من كُلّ تسبيحٍ وقَع في الكون، ومن كلّ ذكر، ومن كلّ دعاء؛ كبير أو صغير، **ومن القرآن ستة آلاف مرة**؛ لأنّه من الأذكار »[3].

إلى غير ذلك مِن صُوَر الجفاء للرسالة المحمدية الخاتمة الخالدة الكاملة التي لا نبوة بعدها، وليست ناقصة، مما قال ويقول به فِرَقٌ ينتمون إلى هذا الدين.

ومن أمثلة الجفاء والتقصير في جانب الرسالة غير المخرج من الملة: بدعة المولد النبوي، وغير ذلك. **هذا مِن جانب**.

ومن الجانب الآخر: فإنه قد وُجدَت فِرَقٌ كثيرة اتسَمُوا بالغلو فيه عليه الصلاة والسلام ومجاوزة قدَرِه الشرعي، ومنزلته التي أنزله الله تعالى عليها؛ حيث يصفُه بعضُهم بصفات الرَّبّ، ويصرِفون إليه حقوق الإله، كقولِ بعضهم: نحن نعبُد الله، ونعبُدُ رسوله، وكزعمِ آخَرين أنه يُستغاث بالرسول في كُلّ ما يُستغاث بالله، وأنه يَعلَم كُلّ ما يعلمه الله، ويَقْدِر على كُلّ يَقْدِر الله

---

4 (?) الأقدس للمازندراني، بواسطة: البهائيّة نقد وتحليل لإحسان، ص 230.

5 (?) الأقدس للمازندراني، ص100، بواسطة: دراسة عن فرقة البهائيّة، د. عبد القادر، ص202، ونقله الشيخ إحسان في كتابه البهائيّة نقد وتحليل، ص222، و227.

3 (?) جواهر المعاني وبلوغ الأمانِي في فيض سيدي أبِي العباس التجانِي، ص57.

عليه، فنـادى بعضُـهم –وهو يَـزعُم أنه لا أحَـدَ يلـوذ به عند حدوث الحادث العمَم إلا الرسول-:

يا أكرَمَ الخلق ما لِي مَن ألُوذُ به   سِواك عند حُلُول الحادثِ العَمَم[1].

ومن أكثر الفِرَق غُلُـوًّا في عبد الله ورسـوله نبينا محمد ﷺ: فرقة البريلوية، قـال زعيم الفرقة أحمد رضـا: « إنّ رسول الله ﷺ هو دافع البلاء، ومانح العطاء »[2].

وقال البريلويّ أحمد رضـا: « إنّ رسـول الله ﷺ خليفة الله الأعظم، وإنّه متصرّفٌ في الأرض والسـماء »[3]. وزعمـوا أنه ﷺ يعلم الغيب، قال البوصيري:

وإنّ مِن جـــودك الــدنيا وضرّتَها   ومِن عُلُومِـك علمَ اللـوح والقلَم[4].

قال أحمد رضا الـبريلويّ: « إنّ عِلم اللـوح وعِلم القلم، وعِلم مـا كـان ومـا يكـون، جـزءًا واحـدًا من علـوم النبِيّ ﷺ »[5].

وأيضًا قال وهو يُفصّل ما تقدم: « إنّ علومه ﷺ تتنوع إلى الجزئيــات والكلّيــات، وحقــائق ودقــائق، وعــوارض ومعارف؛ تتعلق بالذات والصفات. وعلم اللوح والقلم إنّما يكون سطرًا من سطور علمه، ونَهرًا من بُحور حِلمه »[6].

وقال مفتي المـذهب أحمد يـار: « إنّ رسـول اللـه ﷺ يعلم غيـوب الماضـي والمسـتقبل، ويعلم أكـثر مـا في اللـوح المحفوظ، ويعلم علم الساعة »[7]. بل حتى مفاتيح الغيب الخمسة التي استأثر الله تعـالى بعلمهـا، قـال أحمـد رضـا

---

1 (?) انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري، ص185 (ضمن حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال).

2 (?) الأمن والعلي للبريلوي، ص10، بواسطة: البريلوية –عقائد وتاريخ، ص57.

3 (?) الفتاوى الرضوية، ج6/ ص155، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص69.

4 (?) قصيدة البردة للبوصيري.

5 (?) خالص الاعتقاد للبريلوي، ص38، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص87.

6 (?) المصدر نفسه، ص38، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص87.

7 (?) جاء الحق لأحمد يار، ص43، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص 90.

البريلويّ مناقضًا الحديث الذي يُفسّر آخر آية من سورة لقمان التي تُقرر -ويقرر الحديث معها- أنّه لا يعلم هذه المفاتيح إلا الله وحده: « لَم يَخرج رسول الله إلا بعد أنْ أعْلَمه الله تعالى بهذه الغيوب الخمس »[1]. وقال: « إنّه أوتي علم الخمس في آخر الأمر، لكنّه أُمِر فيها بالكتمان »[2]. وتمادى وزاد في الزعم، فقال: « إنّ النبِيّ لم يكن يعلم هذه الغيوب الخمسة فحسب، بل كان يُعطي هذه العلوم مَن شاء من خدَمه »[3].

وقال: « وكيف يَخفى أمرُ الخمس عليه ، والواحدُ من أهل التصوف من أمته الشريفة لا يُمكِنُه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس، فاسمعوا هذا يا منكرين، ولا تكونوا لأولياء الله مكذبين، فإنّ تكذيبهم خرابٌ للدين، وسينتقم الله من الجاحدين، وأعاذنا الله بعباده العارفين »[4]. ونقَل مثله عن أمثاله: « إنّ النبِيّ لا يخفى عليه شيءٌ من الخمس المذكورة في الآية الشريفة، وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث! فكيف بسيّد الأولين والآخرين الذي هو سبب كُلّ شيءٍ، ومنه كُلّ شيء »[5].

والمقصود مِن كلّ هذا: أنّ الغلاة في أنبياء الله ورسله والجفاة فيهم من المنتسبين إلى الإسلام: مشابهون لليهود والنصارى في هذا الباب.

سادسًا وأخيرًا: ولئن كانت هناك نتيجة –عظيمة- توصّل البحث إليها وينبغي أنْ تُشاد -غير ما تقدم- فهي أنّ جميع أسباب اختيار الموضوع المرسومة في الخطة، والأهداف من وراء الكتابة فيه استطاع الباحث –بتوفيق من الله له- أنْ يأتِي عليها هدفًا هدفًا، وسببًا وسببًا، منثوراتٍ دررًا.

---

1 (?) خالص الاعتقاد للبريلوي، ص53، بواسطة: البريلوية عقائد وتاريخ، ص90.

2 (?) المصدر نفسه، ص56، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص90.

3 (?) المصدر نفسه، ص14، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص91.

4 (?) المصدر نفسه، ص54، بواسطة: البريلوية لإحسان، ص92.

5 (?) خالص الاعتقاد للبريلوي، ص53-54، بواسطة البريلوية لإحسان، ص92.

ثالثًا: توصيات البحث:

قد تخلل الجولة الماتعة توصياتٌ عامة لجميع المسلمين: أفرداً وجماعات، ولطلبة العلم أمثالي الباحثين عن موضوعات خاصة، لأجل ذلك أحببت أنْ أجمع أهمها هنا، عَلّ الله ينفع بها، **أما التوصية العامة لعموم المنتسبين إلى الدين الإسلامي** فهي:

أني أوصي المنتسبين إلى هذا الدين عامة بالعودة الحقيقة والرجوع إلى دينهم (الدين الإسلامي) عقيدة وشريعة، وأن يعتصموا بالكتاب والسنة لتسعد الأمة وتعزّ في دنياها على القوم الكافرين بعد الهوان الذي كانت فيه، وقد مرّ في البحث تداعي الأمم على المسلمين كتداعي الأكلة إلى قصعتها، وليس الأمر عن قلة. كما مرّ كذلك الحديث فيه أنه إذا أخلدت الأمة لأسباب راحتها الفانية وتركت الدين الحقيقي: فإنها تبقى ذليلة لا تُهاب من قِبَل عدوها كما يُقذف في قلوب المسلمين الوهن. وأنّ العاصم من كل ذلك هو رجوع الأمة إلى دينها الحقيقي. وهذا الرجوع والأخذ والتمسك بالتوحيد والسنة، ومجانبة الشرك والبدعة كما أنه سبب للعز في الدنيا = فإنه كذلك سببٌ للنجاة من النيران يوم القيامة، والشرب من حوض رسول الله ﷺ والذي مَن شرب منه شَربةً لا يظمأ بعدها أبدًا. اللهم فأصلح أحوال المسلمين أفرادًا وجماعات، حكّامًا ومحكومين حتى يُطبقوا شرعك على العباد وفي البلاد.

ثم من أهم التوصيات والموضوعات التي يرى الباحث مزيدَ عنايةٍ بِها **ما يلي**:

أولا: العناية بموضوع: **المتنبؤون عَبَر القرون أو أدعياء النبو عبر القرون** –دراسة تاريخية تحليلية- وخصوصًا طلاب قسم التاريخ، ليُقام ببيان نشأتهم وسِيَرهم، والعوامل التي أثّرت عليهم حتى ادعوا النبُّوة. وكيف أنَّ الله خذلهم، ولم يؤيدهم. بخلاف نبينا محمدٍ ﷺ الحسَنِ السيرة، المؤَيَّد مِن ربّ العالمين. وإنّه لموضوعٌ حسنٌ يستوعب كلَّ مَن ادعى النبوة مِن العصور

القديمة إلى اليوم. وإنْ كان هناك فصلٌ حافلٌ في كتاب ختم النبوة بالنبوة المحمدية، ذكَر فيه مؤلِّفه كثيرًا مِن أولئك الدجالين الأفاكين. كنت قد وصّيت بهذا وقبل مناقشة رسالتي هذه أتمّ الله لي منيتي هذه: بِما وقفت عليه، بل تسلمته كهدية لنسخة من كتاب شيخنا الشيخ د. غالب عواجي –حفظه الله- المعنون له: المتنبؤون في الإسلام وخطرهم على الفكر والمجتمع (المطبوع بدار النصيحة، عام: 1433هـ في حدود: 575صفحة). والحمد لله على ذلك.

ثانيًا: كما أقترح موضوعًا جديرًا بالبحث، ومفاده: الخصيصة العالمية للرسالة المحمدية –معناها ومقتضاها-، الإيمان بها، وذكر مَن كفر بها، مع بيان لأبرز شُبَههم.

ثالثًا: ولمّا تكلمت عن موقف اليهود والنصارى مِن النبوة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كنت اقترحت أن يُكتب في ذلك رسالة، شريطة أنْ يكون من كتبهم المعتمدة عندهم ليُدانوا مِن أفواههم [1].

رابعًا وأخيرًا: أنّ مسألة خليل الله ورسوله إبراهيم وتحقيقه للتوحيد علمًا وعملا ودعوة إليه لحرية أيضًا بأنْ يكتب لها رسالة علمية.

فاللهَ أسأل أنْ يقيّض مَن يقوم بكل ما سبق!

وفي الختام: أحمد الله تعالى على أن أعان ويسر إتمام البحث, وأشكره جل وعلا على نعمه وآلائه, وأستغفره, وأثني عليه الخير كله, كما أسأله بوجهه الكريم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه صوابًا على السنة، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين, وأن يغفر لي ما كان من زلل وخطأ ونسيان أو تقصير, إنه نعم المولى و نعم النصير.

---

[1] (?) وقد أوصى بِهذه الفكرة الباحث: شيخي الدكتور أبو بكر محمد ثانِي لَما كتَب عن موقف اليهود –في تلمودهم- من الإلَهيات، وفي الحقيقة هناك مادة كبيرة تعين المتفرِّغ لَها. وأنا هنا أضم صوتِي إلى صوته في استحسان هذا الموضوع.

وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

